

# نُكَادُ الْمَسِيرِ

فِي  
عِلْمِ التَّفْسِيرِ

تَأَلَّفَ

الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادية

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

دار ابن خلدون

المكتب الإسلامي



# زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

تَأَلَّفَ

الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

دار ابن حزم

المكتب الإسلامي



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى الجديدة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار  
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب. ، ١١/٢٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٥)  
دمشق : ص.ب. ، ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧  
عمان : ص.ب. ، ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب. : ١٤/٦٣٦٦ - تلفون : ٧٠١٩٧٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مَقْدَمَةُ الطَبْعَةِ الثَّالِثَةِ

بقلم: زهير الشاويش

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد، فهذه الطبعة الثالثة من «زاد المسير» للإمام العلامة ابن الجوزي، الذي شرفني الله منذ عشرين سنة بإخراجه إلى دنيا الطباعة والانتشار، بين محبي كتاب الله، ونفع به. فله سبحانه الفضل والمنة، وب نعمته تتم الصالحات. ثم يسر الله لي المتابعة في هذا الطريق، وتقديم العدد الكبير من تراثنا العظيم تفسيراً، وعقيدة، وحديثاً، وفقهاً، جعل ذلك ذخراً لي يوم الدين. يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم يلقى الناس جزاء أعمالهم. ولا يظلمون شيئاً. ومن ذلك «جواهر الأفكار» للعلامة الشيخ عبد القادر بدران؛ و«التفسير العصري القديم» للشيخ عبد الفتاح الإمام؛ و«قوة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد كنعان؛ و«البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان» للعلامة الشيخ سعدي ياسين؛ و«تفسير جزئي عم وبارك» للأستاذ أحمد مظهر العظمة؛ و«الفلم القرآني» للأستاذ عبد الرحمن الباني؛ و«لمحات في علوم القرآن» للدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ؛ و«علوم القرآن» للدكتور عدنان زرزور، و«التجويد وعلوم القرآن» للأستاذ عبد البديع السيد صقر؛ و«فوائد قرآنية» للعالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن سعدي؛ و«إقامة الدليل والبرهان» للعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع؛ و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» لأبي حيان الأندلسي بتحقيق الأستاذ سمير مجذوب، و«الدستور القرآني» للأستاذ عزة دروزة؛ و«قصص القرآن» للأستاذ هوفق سليمة؛ و«الناسخ والمنسوخ» للعلامة ابن سلامة، و«قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن» للشيخ البلوري؛ وغيرها.

كما أن تحت الإعداد للطبع، عدد آخر أرجوه تعالى أن يكون لنا عوناً على الإتمام والإحسان؛ وأن يصرف عنا شر الأشرار، وحسد وكيد من لا خلاق لهم، إنه سميع مجيب.

وهذه الطبعة أقدمها بعد تصغير الكتاب من حجم ٢٨/٢١ إلى حجم ٢٥/١٨ بطريقة الأوفست، ليكون حجمه أصغر استجابة لرغبة الكثيرين من العلماء وطلاب العلم؛ وليبقى ثمنه ضمن الحدود المعقولة. وقد قمت باستدراك الكثير مما قد نُدَّ عَنَّا سابقاً من الأخطاء ضمن الحدود التي تسمح بها طريقة الطبع؛ وأرجو الله سبحانه أن ينفع بها كما نفع بما سبقها، وأن يجعلنا من أهل طاعته، وخدام شريعته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## مَقَدِّمَةٌ

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، رَسُولِ اللَّهِ وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَأَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

أما بعد فهذا كتاب «زاد المسير في علم التفسير» للإمام المحقق أبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي التيمي البكري المعروف بابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ).

نضعه بين أيدي القراء لأول مرة بعد أن اضطلعنا بتحقيقه وضبطه على نحو نرجو أن نكون قد وفَّقنا فيه.

ولعلنا لا نعدو الحق إذا قلنا: إن هذا الكتاب من أجل ما انتهى إلينا من ثراث السلف في بابه، وأوفاهها بالغاية من هذا العلم، مع تنقيح وتهذيب يسرّان الفائدة منه في أي غرض من أغراضه، وقد بعثه على تأليفه أنه نظر - كما يقول في مقدّمته - في كُتُب التفسير، فوجد ما بين كبير قد يَنَسِّس الحافظ منه، وصغير لا يُستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب؛ فأتى بهذا المختصر اليسير منظوياً على العلم الغزير. ومن ثمّ حاول في تفسيره هذا أن يتلافى ما أُلْمِعَ إليه من عيوب التصنيف التي وقع فيها من تقدّمه، فترك ما لا فائدة في استقصائه، واستدرك ما فات السابِقين مما لا غنى عن ذكره، وحرّص أن يجعله على اختصاره وإفياً بالغاية منه غير مُجَلِّ بشيء مما يحتاج طالب التفسير إليه.

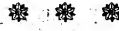
وكان معوّله في تفسير الآي على ما أُثِرَ عن رسول الله ﷺ من الأخبار، ثم على ما نُقِلَ عن الأفاضل من علماء الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ثم على ما رُوي عَنْ خَلْفِهِمْ من جَلَّةِ التابعين، كسعيد بن جبیر، وعكرمة بن عبد الله، وطاووس اليماني، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والحسن البصري، وأضرابهم<sup>(١)</sup> وقد أُلْمَ أيضاً بمشهور القراءات، وأطراف من شواذها، ونقل توجيهها في العربية عن أئمة هذا العلم، ولم يفت - وهو يفسر مفردات القرآن - أن يذكر اشتقاقها استكمالاً للمعنى، وزيادة في الفائدة، كما أنه استعرض آراء الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في المسائل الفقهية المختلفة.

أما المصادِر التي نقل عنها، ففي طليعتها تفسير ابن جرير، وكتب الحديث، وكتابه ابن قتيبة: «مشكل القرآن»، و«غريب القرآن»، وكتب معاني القرآن، ولا سيما كتابا القراء والزجاج، و«الحجة» لأبي علي الفارسي، و«مجاز القرآن» لأبي غُبَيْدَة، وكتب ابن الأنباري في القرآن، وأسماء الله الحسنى للخطابي، وغيرها.

(١) لقد انبرى إلى تفسير القرآن من الصحابة الكرام عدد غير قليل، قالوا في القرآن بما سمعوا من رسول الله ﷺ مباشرة أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله عليهم من طريق الفهم والتأويل. وأشهر من عرف بذلك عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وقد نثر المؤلف رحمه الله في تفسيره أقوال هؤلاء الصحابة الأعلام في تأويل الآي. وأشهر تلاميذ ابن عباس من التابعين الذين أخذوا التفسير عنه سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعكرمة مولا، وطاووس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح. وأشهر تلاميذ عبد الله بن مسعود علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر، والشعمي، والحسن البصري، وقادة بن دعامة الدوسي. وأشهر تلاميذ علي بن أبي طالب، عبيدة السلماني، وأبو الطفيل، والحسين ابنه. وأشهر تلاميذ أبي بن كعب، زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وهؤلاء منهم من أخذ عنه مباشرة، ومنهم من أخذ عنه بالواسطة.

وكان أكثر ما يتقل عنهم بحكاية لفظهم نفسه، فإذا تجاوز ذلك إلى الحكاية بالمعنى لم يغفل في الغالب الإشارة إلى ذلك.

هذا ولم يخلُ تفسيره من الاستشهاد ببعض الأحاديث المنكرة التي لا تصح، ومن إيراد طائفة غير قليلة من الأخبار الإسرائيلية الغربية التي أغنانا الله عنها بما هو أصح منها وأنفع، وأوضح وأبلغ، وغالبه مما لا يتعلق به كبير فائدة، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين<sup>(١)</sup> وكذلك لم يحاول ترجيح رأي على رأي أو معنى على معنى، ولا ناقش ما يحكيه من أقوال إلا في مواضع قليلة، ولكن مثل هذه المآخذ اليسيرة التي لا يكاد يخلو منها كتاب لا تحط من قدر هذا التفسير الجليل الزاخر بالفوائد.



(١) يقول علماء الإسلام: إن الأخبار الإسرائيلية على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته بما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح، والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه، والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القليل، ولا من هذا القليل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجاوز حكايته، لما روى البخاري ٣٦١/٦ بشرح «الفتح» أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية»، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال الحافظ ابن كثير: وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كليهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ نَحْنُ عَلَى صَدَقَةٍ﴾ إلى آخر الآية. وقد علق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على كلمة ابن كثير هذه، فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يبين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يوهم أن هذا الذي لا تعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فاي تصديق لرواياتهم وأقوالهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفر.

## نسخ الكتاب

كان اعتمادنا في نشر هذا التفسير على أربع نسخ مصورة عن أصول مخطوطة.

### النسخة الأولى:

مصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط التابعة لوزارة الأوقاف هناك<sup>(١)</sup>، وقد حُيِّت كل نسخة بخاتم الخزانة. ونصه: مخطوطات الأوقاف - الخزانة العامة بالرباط. وفي وسط الخاتم كتب رقم النسخة المكتبي، وهو (١٨٣) وتحت حرف أبجدي يشير إلى رقم الجزء، وإلى جانبه خاتم آخر باسم مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت. وقد سجل على غلاف كل جزء من أجزاء النسخة اسم مالكها الأصلي، وهو أحمد بن محمد بن ناصر، ولعل كتب مكتبة الزاوية الناصرية نسبت إليه، غير أن ما في غلاف الجزء الرابع من النسخة يبين أن ملك النسخة قد انتقل إلى أحمد بن ناصر هذا من شخص آخر، كتب اسمه تحت عنوان الجزء نفسه، ثم في هامش آخر صفحاته وهو: محمد بن محمد بري. وجميع أجزاء هذه النسخة منقولة عن أصل المصنف الذي كتبه بيده، ومقروء عليه، ومقابلة، كما يظهر من السماعات التي سئبت صورتها.

أما مقياسها فهو كما يبدو من القياس (السانتيمتر) الموضوع على وجه الغلاف (١٣×٢٠) أوصاف أجزائها: الجزء الأول: (١٨٣): عدد صفحاته ٥٣٧ صفحة، في كل منها ٢١ سطراً في كل سطر ١٣ كلمة تقريباً، يبتدئ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة المائدة. خطه جميل ومقروء بوضوح، وصفحاته الأوائل أكثر حسناً من غيرها، وهي إلى ذلك مضبوطة بالشكل، ولم يذكر فيه اسم ناسخه، ولا متى نسخ.

الجزء الثاني: (١٨٣): عدد صفحاته يزيد عن سابقه بثلاث صفحات، ويساويه في عدد أسطره وكلماته، يبتدئ بسورة الأنعام وينتهي بسورة الحجر، وشبه الجزء الأول من حيث جمال خطه ووضوحه، وهو مثله أغفل من ذكر اسم الناسخ، غير أن تاريخ النسخ ذكر فيه، وهو يوم السبت ثالث رمضان من سنة ست وتسعين وخمسمئة، وذكر في آخره بخط دقيق ما صورته: بلغ العرض بأصل الشيخ الذي بخطه العتيق، وصح حسب الإمكان والحمد لله والمنة. وكذلك أثبت بعدها السماعات والقراءات عن الأئمة والعلماء.

الجزء الثالث: (١٨٣): عدد صفحاته وعدد الأسطر في كل صفحة يطابق ما في الجزء الثاني، وفي كل سطر ١٥ كلمة تقريباً، وعلى صفحة الغلاف كتبت أسماء السور المفصلة طيه، ويبتدئ بسورة (النحل)؛ وينتهي بسورة (يس). خطه واضح جميل متوسط الحجم وعُلّق على هامش آخر صفحاته ما نصه: بلغ مقابلة حسب الإمكان.

الجزء الرابع: (١٨٣): عدد صفحاته (٣٦٢) صفحة، في كل صفحة ٢٩ سطراً، أي بزيادة ثمانية أسطر عن صفحات الأجزاء السابقة، وفي كل سطر ١٤ كلمة. يبتدئ بسورة (يس) حتى آخر القرآن. خطه جميل مقروء واضح، غير أنه ناعم دقيق الجسم متقارب الكلمات. ويبدو أن ناسخه غير ناسخ الأجزاء الثلاثة. ويظهر من التعليق على هامش الصفحة الأخيرة اسم الناسخ، إذ كتب ما نصه: وكتبه لي الشيخ إبراهيم بن الصارم القواس، أخذ أجرة كاملة، وعلقه تعليقاً، سألحه الله. وفي خاتمة الجزء ما يلي:

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير. وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقد من رأى اختصارنا أنا قللنا، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا وذللتنا، فليكن الناظر كتابنا متيقظاً

(١) لا يفوتنا في هذه المناسبة أن نقدم خالص شكرنا، وجزيل امتناننا للسلطة القائلين على الخزانة العامة بالرباط، لتقديرهم «فلما» مصوراً عن المخطوطة هدية خالصة، وللعالم الفاضل الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة الذي كان الواسطة في تيسير ذلك.



لما أغفلنا، فإننا صَمْنَا للاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير فعليه بكتابنا «المغني» في التفسير، فإن أراد مختصراً فعليه بكتابنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آبيه آدم وذريته والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ثم يعقب ذلك فصل في ترتيب سور القرآن، ذكر في أوله أنه من صنع ابن الجوزي، وقد كتب عنوانه: «قصيدة» وليس كذلك، وإنما هو عبارة عن جمل مسجوعة تسهل حفظ أسماء سور القرآن الكريم مرتبة.

وفي هامش الصفحة التي قبل الأخيرة إلى جانب تفسير سورة (الناس) كُتِبَ بخط دقيق ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله كتب هذه البسملات من أوائل التفسير إلى آخره، وهو هذا الجزء الرابع مالكة العبد الفقير من الفقر إلى الفقر، الراجي رحمة ربه ذي الجود والبر، محمد بن محمد بري. بلغه الله ما أمله، وأم له، وكان له في حاله وماله بمحمد وآله.

كما كُتِبَ في الهامش اليساري من الصفحة الأخيرة، عند آخر التفسير ما نصه: «بلغ الله الحمد» وتحتة بقليل: من كتب العبد الفقير من الفقر إلى الفقر محمد بن محمد بري لطف الله به وبالمسلمين بمنه.

### النسخة الثانية:

وهي نسخة المكتبة الأحمدية في حلب تحت رقم (٧٠)، وهي مؤلفة من أجزاء أربعة، في صفحة كل جزء (٢٩) سطراً، في كل سطر (١٤) كلمة تقريباً.

الجزء الأول: وعدد صفحاته (٤٩٢) ويتبدئ من (الفاتحة) حتى نهاية سورة (الأنعام) خطه حسن وهو مغفل من التاريخ في أوله وآخره، ويبدو أنه قديم قريب من عهد المؤلف أو بعده بقليل.

الجزء الثاني: عدد صفحاته (٥٤٢) ويتبدئ من أول تفسير سورة (الأنعام) إلى آخر سورة (الحجر)، وخطه أكثر وضوحاً من الجزء الأول، كما أن كاتبه غير كاتبه، وطريقة خطه ووضوحه وبيانه وصحة رسمه تظهر أنه كتب في عصر المؤلف أو بعده بفترة قريبة. وقد كتب في آخر الورقة بخط حديث: تم بها النقص الواقع في هذا الجزء من الورقة الساقطة من المخطوط الأصل.

### الجزء الثالث: غير موجود.

الجزء الرابع: وعدد صفحاته (٤٢٩) ويتبدئ بسورة (الأنبياء) وينتهي بانتهاء سورة (محمد) ﷺ. وخط هذا المجلد غير منقوط على عادة كتب القدامي، وفي آخره على هامش الصفحة: «الحمد لله، مر عليه مصلحاً الفقير الحنبلي لطف الله به» وفي آخره أيضاً بجانب الصفحة: تاريخ ولادة لابن متملك له سنة ٩٦٦.

وفي آخر الجزء ما صورته: «يتلوه الجزء الخامس من أول سورة (الفتح)، إلى آخر القرآن. ونقل... بعده من نسخة: تاريخ الفراغ من تعليقها يوم السبت حادي عشر من شعبان المكرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة، وهو الجزء الرابع من كتاب «زاد المسير في علم التفسير» تأليف الشيخ الأجل الإمام العالم الأوحى جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي رحمه الله ونفعنا به ويعلموه في الدنيا والآخرة آمين».

### النسخة الثالثة:

وهي نسخة العثمانية بحلب ورقمها (٤٦). وهي ناقصة لا يوجد منها إلا جزء واحد عدد صفحاته (٦٧١)، يتبدئ من أول القرآن إلى نهاية (سورة الكهف)، مكتوب بخط غير قديم لعله من القرن التاسع، وليس في أوله أو آخره تاريخ لكتابته، وإنما كتب على وجه الورقة الأولى المذهبة فيه: «من نعمه سبحانه وتعالى على عبده الحقير عبد الكريم بن أحمد الشراباتي» وخطه واضح حسن صحيح ناعم غير قليل، وهو من بداية المجلد إلى آخره بخط واحد. وفي صفحته بعض الطول إذ تحتوي على (٣٣) سطراً. وعلى هامشه بعض تعليقات تدل على أن النسخة مقروءة من بعض العلماء.

### النسخة الرابعة:

وردت إلينا من مكتبة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله في قطر، وقد ضورت عن الشخصة الأصلية

الموجودة في مكتبة راغب باشا باستنبول، وهي كاملة تقع في ٦١٣ ورقة من القطع الكبير، احتوت كل صفحة من صفحاتها على خمسة وثلاثين سطرًا، وفي كل سطر خمس عشرة كلمة، وخطها نسخي جميل واضح لم يذكر فيها تاريخ النسخ، وقد ذكر في آخرها اسم ناسخها، وهو محمد أمين بن المصطفى المذنب الخاطئ الضعيف الأنكداري. إلا أنه وقع فيها تحريف وتصحيف وسقط غير قليل.

#### عملنا في التحقيق:

لقد اعتمدنا في التحقيق من هذه النسخ على النسخة المصورة عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، لأنها أوثق النسخ، وأكملها، وأصحها، وأضبطها، ولأنها مقابلة ومقروءة على المؤلف، وتولينا تصحيح النص وضبطه، ومقابلته على ما بين أيدينا من الأصول، ومراجعته على أمهات المصادر التي استقى منها المؤلف، رحمه الله، مادة كتابه، وبذلنا الجهد في تفصيله وترقيمه، وشرح شواهد، وتخريج أحاديث، والكلام عليها حسب ما تقتضيه القواعد الحديثية، مسترشدين في ذلك بأمهات المصادر، وأقاول جهابذة علم الحديث ونقاده، وعلقنا عليه بما تدعو الحاجة إليه، وسنقوم - إن شاء الله - بوضع فهرس عامة للكتاب بعد تمامه، تُيسّر تمام الفائدة منه.

ونسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمها علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب به من شكره بها، الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه، ثم سنة نبه، وقولًا وعملاً يؤدي بها عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزیده<sup>(١)</sup> ونسأله سبحانه السداد والتوفيق.

الخميس ٩ جمادى الآخرة ١٣٨٤هـ

الموافق ١٥ تشرين الأول ١٩٦٤م



(١) اقتباس من «الرسالة»: ١٩ للإمام الشافعي رحمه الله.

[illegible]







[illegible]







[illegible]



## سماعات الأجزاء الأربعة من زاد المسير<sup>(١)</sup>

قرأت هذه المجلدة جميعها، وهي الثانية من كتاب «زاد المسير» على شيخنا الإمام العالم العامل زين الدين أبي العباس أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي<sup>(٢)</sup> فسمح الله في مدته بحق سماعه قراءة، فسمعها الفقيه الإمام الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن غالب بن يوسف بن سعيد الأنصاري، والفقيه الإمام الحافظ عبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي المقدسي، وصح ذلك وثبت في مجلس الشيخ المسمع، شيخ جبل قاسيون ظاهر دمشق، في مجالس آخرها يوم الجمعة السادس عشر لشهر صفر سنة أربع وستين وستمئة، وكذلك قرأت المجلد الأول مثل هذا والثالث بعده والرابع وذلك جميع كتاب (زاد المسير في علم التفسير) فسمعه جميعه شمس الدين محمد بن غالب المذكور، وعبد الحافظ بن عبد المنعم المذكور، سمع بقراءتي المجلد الثاني والثالث والرابع، وسمع المجلد الأول بقراءة غيري، وسماع شيخنا زين الدين المذكور على مصنفه جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي المذكور من أول الكتاب العزيز إلى آخر سورة (القصص) ومن أول سورة (العنكبوت) إلى آخر الكتاب العزيز إجازة من المصنف، إن لم يكن سماعاً. وذكر الشيخ المسمع أن الكتاب جميعه سماعه من المؤلف، وكانت لديه نسخة وعليها سماعه، فذكرنا هذه الإجازة احتياطاً.

وأجاز الشيخ للجماعة السامعين جميع ما تجوز عنه روايته بشرطه.

وكتب أحمد بن فرج بن أحمد بن محمد<sup>(٣)</sup> اللخمي الأندلسي عفا الله عنه وسامحه وغفر له ولوالديه ولمشايعه، ولجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.



(١) وهي مثبتة في آخر الجزء الثاني من مخطوطة الرباط، انظر لوحة رقم ٦ و٧.

(٢) هو أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكر، المقدسي الصالحي، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمئة بفندق الشيوخ من أرض نابلس، وسمع الكثير بدمشق من يحيى الثقفي، وأبي عبد الله بن صدقة، وأبي الحسن بن الموازيني، وعبد الرحمن الخرق، وإسماعيل الجنزوي وغيرهم، وانفرد بالرواية عنهم. ودخل بغداد، وسمع بها من أبي الفرج بن كليب، والمبارك بن المعطوش، وأبي الفرج بن الجوزي، وغيرهم. وقرأ بنفسه، وعني بالحديث، وتفقه على الشيخ موفق الدين، وخرج لنفسه مشيخة عن شيوخه، وجمع تاريخاً لنفسه، وكان فاضلاً متنبهاً وله نظم. ولي الخطابة بكفر بطنا بضع عشرة سنة. كان حسن الخط سريعاً فيه، كثيراً من نسخ الكتب له وبالأجرة. لازم الكتابة أكثر من ٥٠ سنة. وكان يكتب في اليوم إذا تفرغ تسعة كرايس، ويقال: إنه كتب بيده ألفي مجلد، منها «تاريخ الشام» لابن عساكر مرتين. و«المغني» لموفق الدين مرات. وكف بصره في آخر عمره. روى عنه الأئمة الكبار، والحفاظ المتقدمون والمتأخرون، منهم: الشيخ محيي الدين النووي، والشيخ شمس الدين بن أبي عمرو، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين بن تيمية. وتوفي في رجب سنة ٦٦٨. ودفن بسفح قاسيون. انظر «ذيل طبقات الحنابلة» ٢/٢٧٨، و«نكت الهميان» ٩٩، و«فوات الوفيات» ٨٥/١.

(٣) قال ابن العماد في «الشذرات» ٥/٤٤٣: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرج بن أحمد الإشبيلي الشافعي المحدث الحافظ تفقه على ابن عبد السلام. قال الذهبي: وحلنا عن ابن عبد الدايم وطبقته، عاش خمساً وسبعين سنة، وكان ذا ووع وعبادة وصدق.

## ترجمة ابن الجوزي<sup>(١)</sup>

نسبه - مولده - نشأته - شيوخه:

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي التميمي البكري البغدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ المفسر، الأديب الملقب: جمال الدين. وقد اختلف في نسبته، فقيل: إنّ جدّه جعفر نُسِبَ إلى فُرْصَةٍ<sup>(٢)</sup> من فُرْصِ البصرة يقال لها: جوزة. قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له: فُرْصَةُ الجوز. وذكر الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش أنه منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى: محلة الجوز، وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها. وكما اختلف في نسبته، اختلف كذلك في مولده، فقد وجد بخطه: لا أَحَقُّقُ مولدي، غير أنه مات والذي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين، فعلى هذا يكون مولده: سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة وخمسمائة.

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب، فلما توفي والده، وهو صغير، كفلته أمه وعمته، وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن الجوزي الصفار. والصفر هو: النحاس. ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقد قيل: إنّ أول سماعه كان سنة ٥١٦هـ. وحفظ القرآن، وقرأه مجوداً على جماعة من أئمة القراءة وفي كبره قرأ بالروايات بواسط علي ابن الباقلاني، قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب، كنت أأزم من الشيوخ أعلمهم، وأوتر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العدد، لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً، ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وسمع الكتب الكبار كالمسند للإمام أحمد<sup>(٣)</sup>، وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب البغدادي، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت، وصحيح مسلم بنزول، وما لا يحصى من الأجزاء، وتصانيف ابن أبي الدنيا، وغيرها. ثم صحب أبا الحسن ابن الزاغوني، ولأزمه، وعلق عنه الفقه والوعظ. قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر، ووعظ مدة طويلة، وصحبته زماناً، فسمعت منه الحديث، وعلقت عنه من الفقه والوعظ، وكانت له خلفه بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم يعظ فيها بعد الصلاة، ويجلس يوم السبت أيضاً.

وشهد ابن ناصر الدين للزاغوني أنه كان فقيه الوقت، وأنه كان مشهوراً بالصلاح والديانة، والورع والصيانة. وتوفي ابن الزاغوني حين بلغ ابن الجوزي سن الحلم، فطلب ابن الجوزي خلفته<sup>(٤)</sup> فلم يُعْطَ ذلك لصغره، وأعطيت الخلفة لأبي علي الرضائي، فذهب ابن الجوزي إلى الوزير، فألقى بين يديه فصلاً في المواعظ، فأذن له بالوعظ في جامع المنصور، قال ابن الجوزي: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم

(١) أخذت ترجمة ابن الجوزي عن كتاب «الذيل على طبقات الختابة» ٣٩٩/١، و«البداية والنهاية» لابن كثير ٢٨/١٣. و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ٢/٣٢١. ومما ألفه ابن الجوزي نفسه. وانظر ترجمته في كتاب «القصص والمذكرين» تحقيق الدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ. وأصل هذه الترجمة كنت قد وضعتها في أول زاد المسير.

(٢) فرضة النهر: ثلمة التي يستقى منها، وفرضة البحر: محط السفن.

(٣) وهو من مطبوعات المكتب الإسلامي مع فهرس للصحابة من عمل المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني.

(٤) أي: أن يحل محله في وظائفه.

عبد الواحد بن شعيب، وأبو علي ابن القاضي، وأبو بكر بن عيسى، وغيرهم.

ثم تكلمت في مسجد معروف<sup>(١)</sup>، وفي باب البصرة، ونهر الملعى، فاتصلت المجالس، واشتد الزحام، وقوي اشتغالي بفنون العلم، وانقطعت مجالس أبي علي الرذائي.

وقرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وتتبع مشايخ الحديث والفقه، فكان منهم القاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو القاسم الحريري، وأبو السعادات المتوكلي، وأخوه يحيى، وأبو عبد الله البار، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحّد، وأبو غالب الماوردي، وأبو منصور ابن خيرون، وأبو القاسم السمرقندي، وعبد الملك الكرخوي، وأبو سعد الزوزني، وأبو سعد البغدادي، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم علي الهروي الواعظ، وأبو منصور القزاز، وعبد الجبار بن منده.

قال: ولم أقتع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لثلاث أسبوع، وكنت أصيخُ وليس لي مأكَل. وأمسي وليس لي مأكَل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح.

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي أستاذ عصره في علوم العربية. وكان مدرّسها في المدرسة النظامية، وكان إمام الخليفة المقتفي. وكان [الجواليقي] متديناً ثقة ورعاً، غزير الفضل، كامل العقل، مليح الخط. كثير الضبط، له التصانيف الكثيرة. قال ابن الجوزي: قرأت عليه كتابه: «المعرب» وغيره من تصانيفه.

#### صفاته وأخلاقه - مجالسه - مذهبه ومحاربه البدع:

كان ابن الجوزي يكثر الكلام عن نفسه في كتابه «صيد الخاطر»<sup>(٢)</sup> فيذكر أنه نشأ في النعيم، ورُبي على الدلال، وأنه قد حُبب إليه العلم من زمن الطفولة، ولم يرغب في فن واحد من فنونه، بل يرغب في كل فن، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة، وبين العلم والبحث، وأن من لداته وأصحابه من أنفق عمره في اكتساب الدنيا، ثم لم يثل منها ما ناله هو، وأن عيشه ألين من عيشهم، وجاهه أعلى من جاههم، وتحدث كيف أنه كان في زمن الطلب يأخذ معه أرغفة يابسة، ويخرج في طلب الحديث، فيقعّد على نهر عيسى - غربي بغداد -، لا يقدر على أكل هذا الخبز اليابس إلا عند الماء كلما أكل لقمة شرب عليها شربة، وأنه وجد مع ذلك من لذة العلم وحلاوة الإيمان ما يخاف جعله على نفسه العجب إن شرحه.

وقال عنه ابن العماد: وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة، لباسه الناعم الأبيض المطيب، وله مداعبات حلوة، وما تناول ما لا من جهة لا يتيقن حلها، ولا ذل لأحد، قال في «الفتة الكبد»<sup>(٣)</sup> يخاطب ولده: «وما ذل أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الرعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئاً».

وقال ابن كثير: وكان فيه بهاء، وترفع، وإعجاب بنفسه، وسمو بها، أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه في نشره ونظمه، ثم أورد له شعراً منه قوله:

لو كان هذا العلم شخصاً ناطقاً      وسألته هل زار مثلي؟ قال: لا

قال ابن رجب: مما عيب عليه ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه، والترفع والتعظيم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، سامحه الله.

قال ابن الجوزي في «الفتة الكبد»: ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في

(١) هو معروف الكرخي. ومسجده في محلة الكرخ غربي دجلة في بغداد.

(٢) طبع بتحقيق أستاذنا الكبير الشيخ علي الطنطاوي، وعلق على أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) طبعها المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور مروان القبانى.

نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة... وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعانه الجهال<sup>(١)</sup>.

وقال سبطه أبو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وكان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف». وما خرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة والمجلس، وما مازح أحداً قط، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وكان يتصف بقوة البديهة، وحضور الذهن، والأجوبة النادرة، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية. ومن أندر أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، بين أهل السنة والشيعة، ورضوا فيما بينهم بما يجب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس، فسأله عن ذلك، فقال على الفور: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. فقال السنية: هو أبو بكر عليه السلام، لأن عائشة عليها السلام تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي عليه السلام، لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته<sup>(٢)</sup>.

قال ابن خلكان: وهذه من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن، فضلاً عن البديهة. ومن أجوبته أن رجلاً سأله: أيهما أفضل، أسبج، أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور.

ومنزله في الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد، ولقد أوتي من قوة العارضة، وحسن التصرف في فنون القول، وشدة التأثير في الناس، ما لم يؤت الكثيرون.

قال ابن رجب: قرأت بخط الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره. وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع طراف بغداد، ونظام الناس، وحسن الكلمات المسجعة، والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنعلمات المطربة، وصيحات الواجدين، ودعوات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذل التائبين... ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات. حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدر بدينار في مدرسته، ومجالسه بباب الأزج على شاطئ دجلة.

ويصف ابن الجوزي نفسه مجلساً من مجالسه فيقول: فسألني أهل الحرية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول، وانقلبت بغداد، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم، فلما خرجت من باب البصرة، رأيت أهل الحرية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها، فأضيئت إلى شموع أهل باب البصرة، فحزرت بألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء، وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون، وكان الزحام كالزحام بسوق الثلاثاء، فدخلت الحرية، وقد امتلأ الشارع، وأكربت الرواشين من وقت الضحى، ولو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس، وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحرية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ما أبعد القائل.

قال ابن الجوزي: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعاني الله سبحانه عليهم، وكانت كلمتنا العليا.

وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد وأصحابه، ويلزم من يخالفهم، ويصرح

(١) مثل ما يفعل اليوم السفهاء من إطالة الشعر والأظفار... إلخ.

(٢) الحق أنه أبو بكر، لأنه آخر المذكور، كما أن السؤال عن فضلها لا عن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بمذاهبهم في مسائل الأصول، لا سيما في مسألة القرآن<sup>(١)</sup>. وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً. وقال يوماً على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

وقيل له مرة: قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن، فأنشد:

أتوب إليك يا رحمنُ ما      جنيْتُ فقد تعاضمتِ الذنوبُ  
وأما من هوى ليلى وحبي      زيارتها، فإنني لا أتوب

وقال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنلي، فأنشد:

وعيرني الواشون أني أحبها      وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال: أهذا عيبي؟ ولا عيب في وجه نقط صحته بالخال.

علمه ومصنفاته:

ذكره الحافظ الديلمي في ذيله على تاريخ ابن السمعاني فقال: شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلموه، والوقوف على صحيحه من سقيمه، وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال، ومعرفة ما يحتاج به في أبواب الأحكام والفقه، وما لا يحتاج به من الأحاديث الواهية الموضوعة، والانتقاط والاتصال، وله في الوعظ العبارة الرائقة، والإشارات الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيدة، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مراراً.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كافٍ...

وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه ما أخذ على ابن الجوزي من كثرة أغلاطه في تصانيفه فقال: وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره<sup>(٢)</sup>، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة. ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مرتب، ولست بمصنف.

قال ابن رجب: قرأ على الشيخ أبي الفرج جماعة؛ منهم طلحة العلثي، ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حران. وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه «زاد المسير» في التفسير قراءة بحث ومراجعة.

وروى عنه خلق، منهم ولده الصاحب محيي الدين، وسبطه أبو المظفر الواعظ<sup>(٣)</sup>، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن الديلمي، وابن القطيعي، وابن النجار، وابن الخليل، وابن عبد الدايم، والنقيب عبد اللطيف الحراني، وهو خاتمة أصحابه بالسماع.

قال ابن رجب: وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه، وحدة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على

(١) أي قضية خلق القرآن التي فارق المعتزلة والجمعية وأتباعهم أهل السنة فيها. وكان ضلالهم فيها كبيراً. ومن زعم بأنها مسألة لفظية!! فقد دلس وخدع.

(٢) أي: لا يراجعه.

(٣) وهذا لم يكن ثقة وهو صاحب التاريخ المعروف.



تصانيف من تقدمه<sup>(١)</sup>.

قال ابن خلكان: وبالجمله فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولون: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل، ويقال: إنه جمعت برائة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وتصانيف ابن الجوزي كثيرة جداً بلغت - فيما يذكر الرواة - خمسين ومائتي كتاب، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيبي أن ابن الجوزي ناوله كتاباً بخطه سرد فيه تصانيفه.

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة.

### مصنفاته في القرآن وعلومه:

- ١ - «المغني» في التفسير ٨١ جزء. ٢ - «زاد المسير في علم التفسير» أربع مجلدات. ٣ - «تيسير البيان في تفسير القرآن» مجلد. ٤ - «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» مجلد. ٥ - «غريب الغريب» جزء. ٦ - «نزهة العيون الناظر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٧ - «الوجوه النواضر في الوجوه والنظائر» مجلد. ٨ - «الإشارة إلى القراءة المختارة» ٤ أجزاء. ٩ - «تذكرة المنتبه في عيون المشتبه» جزء. ١٠ - «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» مجلد. ١١ - «ورد الأغصان في فنون الأفنان» جزء. ١٢ - «عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ» ٥ أجزاء. ١٣ - «المصنف بأفك أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ»<sup>(٢)</sup> جزء.

### مصنفاته في أصول الدين:

- ١٤ - «منتقد المعتقد» جزء. ١٥ - «منهاج الوصول إلى علم الأصول» ٥ أجزاء. ١٦ - «بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد» جزء. ١٧ - «غوامض الإلهيات» جزء. ١٨ - «مسلك العقل» جزء. ١٩ - «منهاج أهل الإصابة». ٢٠ - «السر المصون» مجلد. ٢١ - «دفع شبه التشبيه» ٤ أجزاء. ٢٢ - «الرد على المتعصب العنيد».

### مصنفاته في الحديث والزهديات:

- ٢٣ - «جامع المسانيد بالخص الأسانيد». ٢٤ - «الحقائق» ٣٤ جزء. ٢٥ - «نفي النقل» ٥ أجزاء. ٢٦ - «المجتبى» مجلد. ٢٧ - «النزهة» جزآن. ٢٨ - «عيون الحكايات» مجلد. ٢٩ - «ملتقط الحكايات» ١٣ جزء. ٣٠ - «إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين» مجلد. ٣١ - «روضة الناقل» جزء. ٣٢ - «غرر الأثر». ٣٠ جزء. ٣٣ - «التحقيق في أحاديث التعليق» مجلدان. ٣٤ - «المديح» ٧ أجزاء. ٣٨ - «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» مجلدان. ٣٩ - «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» مجلدان. ٤٠ - «الكشف لمشكل الصحيحين» أربع مجلدات. ٤١ - «الضعفاء والمتروكين» مجلد. ٤٢ - «إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه» مجلد. ٤٣ - «إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث»<sup>(٣)</sup> جزء. ٤٤ - «السهم المصيب» جزآن. ٤٥ - «أخبار الذخائر» ٣ أجزاء. ٤٦ - «الفوائد عن الشيخ» ٦٠ جزء. ٤٧ - «مناقب أصحاب الحديث» مجلد. ٤٨ - «موت الخضر» مجلد. ٤٩ - «مختصرة» جزء. ٥٠ - «المشيخة» جزء. ٥١ - «المسلسلات» جزء. ٥٢ - «المحتسب في النسب» مجلد. ٥٣ - «تحفة

(١) قلت: وقد ألف رحمه الله كتاباً حافلاً في الأحاديث الموضوعات ليحترز منها الفقهاء والوعاظ وغيرهم، ومع ذلك فقد أورد في كيبه الوعظية أحاديث موضوعة وأخبار واهية منكدة دون أن يشير إليها أو ينبه عليها، بل تراء يستشهد بها كأنها من الصحاح أو الحسان، كما تجد ذلك في كتابه «ذم الهوى» و«قرة العيون المبصرة بتلخيص كتاب التبصرة» و«رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير». قال الحافظ السخاوي في «شرح ألفية العراقي» ١٠٧: وقد أكثر ابن الجوزي في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد الموضوع وشبهه.

(٢) وقد طبعته بالاشتراك في تحقيقه مع الأخ الفاضل الشيخ محمد كنعان.

(٣) طبع المكتب الإسلامي بتحقيق الشيخ محمد كنعان، وزهير الشاويش.

- الطلاب» ٣ أجزاء. ٥٤ - «تنوير مدلهم الشرف» جزء. ٥٥ - «الألقاب» جزء. ٥٦ - «فضائل عمر بن الخطاب» مجلد. ٥٧ - «فضائل عمر بن عبد العزيز» مجلد. ٥٨ - «فضائل سعيد بن المسيب» مجلد. ٥٩ - «فضائل الحسن البصري» مجلد. ٦٠ - «مناقب الفضيل بن عياض» أربعة أجزاء. ٦١ - «مناقب بشر الحافي» سبعة أجزاء. ٦٢ - «مناقب إبراهيم بن أدهم» ستة أجزاء. ٦٣ - «مناقب سفیان الثوري» مجلد. ٦٤ - «مناقب أحمد بن حنبل» مجلد. ٦٥ - «مناقب معروف الكرخي» جزآن. ٦٦ - «مناقب رابعة العدوية» جزء. ٦٧ - «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» مجلد. ٦٨ - «صفوة الصفوة» ٥ مجلدات. ٦٩ - «منهاج القاصدين» أربع مجلدات<sup>(١)</sup>. ٧٠ - «المختار من أخبار الأخيار» مجلد. ٧١ - «القاطع لمحال اللجاج بمحال الحجاج» جزء. ٧٢ - «عجالة المنتظر لشرح حال الخضر» جزء. ٧٣ - «النساء وما يتعلق بأدابهن» مجلد. ٧٤ - «علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أم الرسول». جزء ٧٥ - «الجوهر». ٧٦ - «المغلق».

### مصنفاته في التاريخ:

- ٧٧ - «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير» مجلد. ٧٨ - «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ١٠ مجلدات. ٧٩ - «شذور العقود في تاريخ المعهود» مجلد. ٨٠ - «طرائف الظرائف في تاريخ السوالم» جزء. ٨١ - «مناقب بغداد» مجلد.

### مصنفاته في الفقه:

- ٨٢ - «الإنصاف في مسائل الخلاف». ٨٣ - «جُنة النظر وجنة النظر» وهي التعليقة الوسطى. ٨٤ - «معاصر المختصر في مسائل النظر». ٨٥ - «عمد الدلائل في مشتهر المسائل» وهي التعليقة الصغرى. ٨٦ - «المذهب في المذهب»<sup>(٢)</sup>. ٨٧ - «مسبوك الذهب» مجلد. ٨٨ - «النبذة» جزء. ٨٩ - «العبادات الخمس» جزء. ٩٠ - «أسباب الهداية لأرباب البداية» مجلد. ٩١ - «كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى». ٩٢ - «رد اللوم والضيم في صوم يوم الغيم» جزء.

### مصنفاته في علوم الوعظ:

- ٩٣ - «اليواقيت في الخطب» مجلد. ٩٤ - «المنتخب في النواب»<sup>(٣)</sup> مجلد. ٩٥ - «منتخب المنتخب» مجلد. ٩٦ - «نسيم الرياض» مجلد. ٩٧ - «اللؤلؤ» مجلد. ٩٨ - «كنز المذكر» مجلد. ٩٩ - «الأرج» مجلد. ١٠٠ - «اللطفات» مجلد. ١٠١ - «كنوز الرموز» مجلد. ١٠٢ - «المقتبس» مجلد. ١٠٣ - «موافق المرافق» مجلد. ١٠٤ - «شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٥ - «واسطات العقود من شاهد ومشهود» مجلد. ١٠٦ - «الذهب» جزآن. ١٠٧ - «المدحش» مجلدان. ١٠٨ - «صبا نجد» جزء. ١٠٩ - «محاذنة العقل». ١١٠ - «لقط الجمان» جزء. ١١١ - «معاني المعاني» جزء. ١١٢ - «فتوح الفتوح» جزء. ١١٣ - «التعازي الملوكية» جزء. ١١٤ - «العقد المقيم» جزء. ١١٥ - «إيقاظ الومنان من الرقعات بأحوال الحيوان والنبات» جزآن. ١١٦ - «نكت المجالس البديرة» جزآن. ١١٧ - «نزهة الأديب» جزآن. ١١٨ - «منتهى المبتهى» مجلد. ١١٩ - «تبصرة المبتدئ» ٢٠ جزء. ١٢٠ - «الياقوتة» جزآن. ١٢١ - «تحفة الوعاظ» مجلد.

### مصنفاته في فنون مختلفة:

- ١٢٢ - «ذم الهوى» مجلدان. ١٢٣ - «صيد الخاطر» ٦٥ جزء. ١٢٤ - «أحكام الأشعار بأحكام الإشعار» عشرون جزء. ١٢٥ - «القصاص والمذكرين»<sup>(٤)</sup>. ١٢٦ - «تقويم اللسان» مجلد. ١٢٧ - «الأذكياء» مجلد. ١٢٨ - «الحمقى» مجلد. ١٢٩ - «تلبيس إبليس» مجلدان. ١٣٠ - «لقط المنافع» في الطب مجلدان. ١٣١ - «الشيب والخضاب» مجلد.

(١) ومن مطبوعات المكتب الإسلامي لابن قدامة المقدسي، بتحقيق زهير الشاويش.

(٢) هو لابنه يوسف وقد طبعه المحسن الشيخ قاسم بن درويش فخر جزاء الله كل خير.

(٣) وهو تحت الطبع في المكتب الإسلامي، تحقيق الدكتور عبده الراجحي وزهير الشاويش.

(٤) وقد تم طبعه في المكتب الإسلامي بتحقيق الدكتور محمد الصباغ.

١٣٢ - «أعمار الأعيان»<sup>(١)</sup> جزء. ١٣٣ - «النبات عند الممات» جزآن. ١٣٤ - «تنوير الغيش في فضل السود والحيش» مجلد. ١٣٥ - «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ» جزء. ١٣٦ - «إشراف الموالي» جزآن. ١٣٧ - «إعلام الإحياء بأغلاط الأحياء». ١٣٨ - «تحريم المحل المكروه» جزء. ١٣٩ - «المصباح لدعوة الإمام المستضيء» مجلد. ١٤٠ - «عطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء» جزء. ١٤١ - «النصر على مصر» جزء. ١٤٢ - «المجد العضدي» مجلد. ١٤٣ - «الفجر النوري» مجلد. ١٤٤ - «مناقب الستر الرفيع» جزء. ١٤٥ - «ما قلته من الأشعار» جزء. ١٤٦ - «المقامات» مجلد. ١٤٧ - «من رسائل» جزء. ١٤٨ - «الطب الروحاني» جزء. ١٤٩ - «بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب» ١٦ جزء. ١٥٠ - «الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب». ١٥١ - «الوفا بفضائل المصطفى ﷺ» مجلدان. ١٥٢ - «النور في فضائل الأيام والشهور» مجلد. ١٥٣ - «تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد». ١٥٤ - «مناقب الإمام الشافعي». ١٥٥ - «العزلة». ١٥٦ - «الرياضة». ١٥٧ - «منهاج الإصابة في محبة الصحابة». ١٥٨ - «فنون الألباب». ١٥٩ - «الظرفاء والمتحابين». ١٦٠ - «مناقب أبي بكر». ١٦١ - «مناقب علي» مجلد. ١٦٢ - «فضائل العرب» مجلد. ١٦٣ - «درة الإكليل في التاريخ» أربع مجلدات. ١٦٤ - «الأمثال» مجلد. ١٦٥ - «المنفعة في المذاهب الأربعة» مجلدان. ١٦٦ - «المختار من الأشعار» عشر مجلدات. ١٦٧ - «رؤوس القوارير» مجلدان. ١٦٨ - «المرتجل في الوعظ» مجلد كبير. ١٦٩ - «ذخيرة الواعظ؟ أجزاء». ١٧٠ - «الزجر المخوف». ١٧١ - «الأنس والمحبة». ١٧٢ - «المطرب الملهب». ١٧٣ - «الزند الوري في الوعظ الناصري» جزآن. ١٧٤ - «الفاخر في أيام الإمام الناصر» مجلد. ١٧٥ - «المجد الصلاحي» مجلد. ١٧٦ - «لغة الفقه» جزآن. ١٧٧ - «غريب الحديث» مجلد. ١٧٨ - «ملح الأحاديث» جزآن. ١٧٩ - «الفصول الوعظية على حروف المعجم». ١٨٠ - «سلوة الأحزان» عشر مجلدات. ١٨١ - «المعشوق في الوعظ». ١٨٢ - «المجالس اليوسفية في الوعظ». ١٨٣ - «الوعظ المقبري». ١٨٤ - «قيام الليل» ٣ أجزاء. ١٨٥ - «المحادثة». ١٨٦ - «المناجاة». ١٨٧ - «زاهر الجواهر في الوعظ» أربع أجزاء. ١٨٨ - «كنز المذكر». ١٨٩ - «النحاة الخواتيم» جزآن. ١٩٠ - «المرتقى لمن اتقى». ١٩١ - «زين القصص» مجلد. ١٩٢ - «نسيم الرياض». ١٩٣ - «لفتة الكبد في نصيحة الولد»<sup>(٢)</sup>. ١٩٤ - «القرامطة»<sup>(٣)</sup>.

وفاته:

قال سبطه أبو المظفر: جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان - يعني سنة سبع وتسعين وخمسائة - تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره وعمره نحو التسعين، وغسل وقت السحر واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، وكان في شهر تموز، فأفطر بعض من حضر لشدة الحر وكثرة الزحام<sup>(٤)</sup>، وما وصل حفرة إلا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول: الله أكبر. ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رحمهما الله، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور، وثلاث إناث. تغمده الله برحمته ونفع المسلمين بعلومه، وجعل أجر ذلك في صحيفة أعماله.



(١) وهو تحت الطبع بتحقيقي.

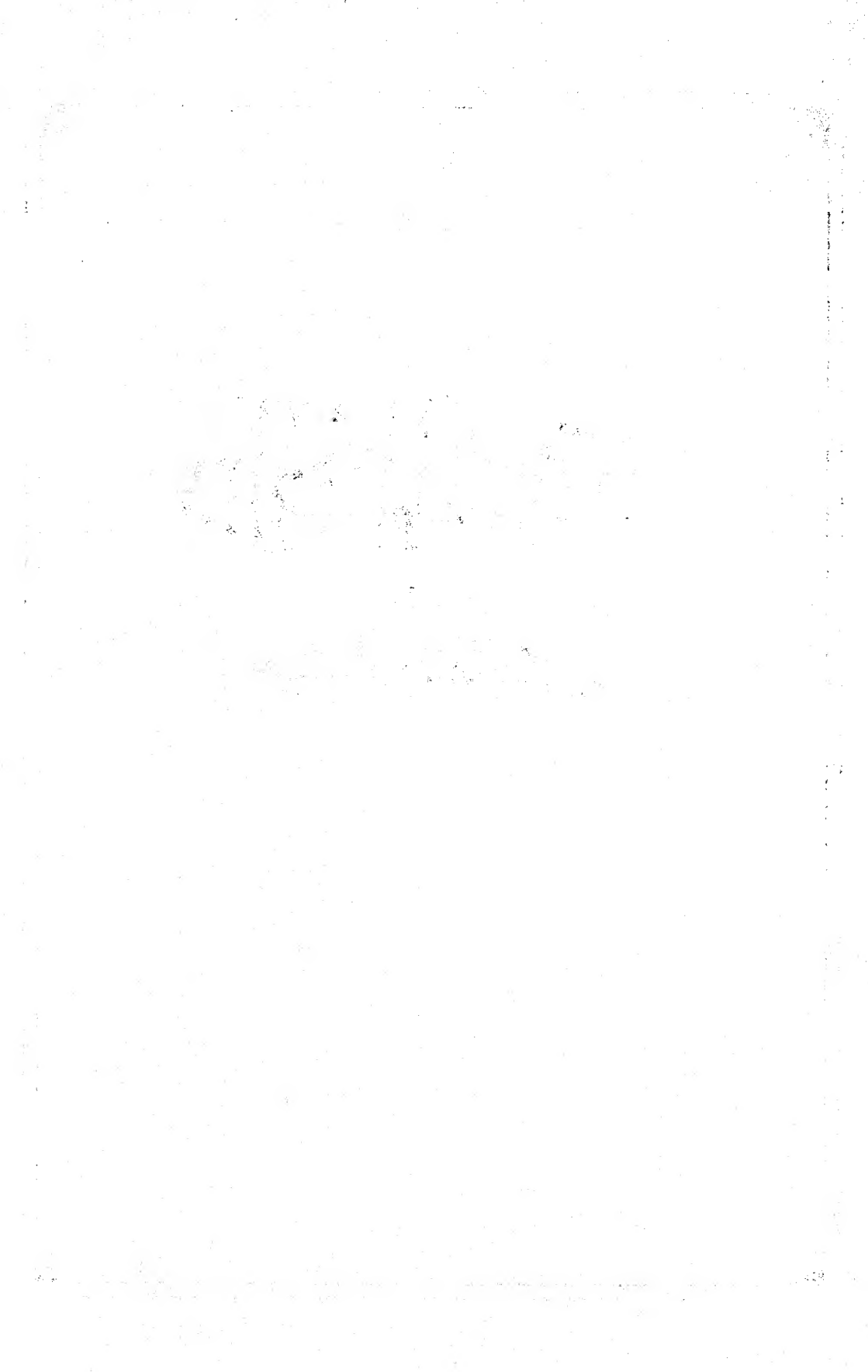
(٢) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور الشيخ مروان القبانى.

(٣) طبع المكتب الإسلامي تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ.

(٤) هذا الحفيد غير ثقة وصاحب مبالغات، وعجيب أن يترك الناس الفريضة من أجل نافلة، لأن صلاة الجنازة إذا قام بها البعض كان للأخريين نافلة.



فَهْلَاكُ الْمُسِيرِ  
فِي  
عِلْمِ التَّفْسِيرِ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه على الحكم إلى الأمر الرشيد، وقوّم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أحمده على التوفيق للتحميد، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبقى ذخرها على التأيد، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد، بشيراً للخلاق ونذيراً، وسراجاً في الأكوان منيراً، ووهب له من فضله خيراً كثيراً، وجعله مقدماً على الكل كبيراً، ولم يجعل له من أزياب جنبه نظيراً، ونهى أن يدعى باسمه تعظيماً له وتوقيراً، وأنزل عليه كلاماً قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريراً، فقال: ﴿قُلْ لِّينْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ هَذَا الْكُتُبَانِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] فصلبى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأشيعاه، وسلم تسليماً كثيراً.

لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وإني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد يش الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه<sup>(١)</sup>، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منظوياً على العلم الغزير، ووسمته<sup>(٢)</sup> ب:

### [زاد المسير في علم التفسير]

وقد بالغت في اختصار لفظه، فاجتهد وفقك الله في حفظه، والله المعين على تحقيقه، فما زال جائداً بتوفيقه.

### فصل في فضيلة علم التفسير

روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود قال: كنا نتعلم من رسول الله ﷺ العشر، فلا نجاوزها إلى العشر الآخر حتى نعلم [ما]<sup>(٣)</sup> فيها من العلم والعمل<sup>(٤)</sup>.

وروى قتادة عن الحسن أنه قال: ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعلم فيم أنزلت، وماذا عنى بها. وقال إياس بن معاوية: مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم لبلاً، وليس عندهم مصباح، فتدخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

### فصل

اختلف العلماء: هل التفسير والتأويل بمعنى، أم يختلفان؟ فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى، وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين. وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما، فقالوا: التفسير: إخراج الشيء من مقام الخفاء إلى مقام التجلي. والتأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته إلى دليل [لولا]<sup>(٥)</sup> ما ترك ظاهر اللفظ، فهو مأخوذ من قولك: آك الشيء إلى كذا، أي: صار إليه<sup>(٦)</sup>.

(١) في الأصل: ووسمه، والتصويب من نسخة (ب).

(٢) رواء الطبري، وإسناده صحيح.

(٣) في الأصل: عنه.

(٤) الزيادة من نسخة (ب).

(٥) الزيادة من «تاج العروس» للزبيدي. وفي نسخة (ب) «إلى دليل لولا» ما ترك ظاهر اللفظ.

(٦) في الأصل: الأهل. والتصويب من نسخة (ب).

## فصل في مدة نزول القرآن

روى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت [العزة، ثم] <sup>(١)</sup> أنزل بعد ذلك في عشرين سنة <sup>(٢)</sup>.

وقال الشعبي: فرق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

وقال الحسن: ذكر لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين.

## فصل

واختلفوا في أول ما نزل من القرآن، فثبت المنقول أن أول ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]. رواه عروة عن عائشة <sup>(٣)</sup> وبه قال قتادة وأبو صالح.

وروي عن جابر بن عبد الله: أن أول ما نزل ﴿بِأَيُّهَا الْمَدَنِيُّ﴾ [المدثر: ١].

والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ رجع فعدّ فنزل: ﴿بِأَيُّهَا الْمَدَنِيُّ﴾ يدل عليه ما أخرج [في] <sup>(٤)</sup> «الصحيحين» من حديث جابر قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رهباً، فرجعت فقلت: زملوني، زملوني، فذرني، فأنزل الله تعالى: ﴿بِأَيُّهَا الْمَدَنِيُّ﴾ ومعنى جلست: فرقت. يقال: زجل مجووث [ومجثوث] <sup>(٥)</sup> وقد صحفه بعض الرواة فقال: جنت من الجبن، والصحيح الأول. وروي عن الحسن وعكرمة: أن أول ما نزل: ﴿يَسِّرْ لَكَ الْكَلْبَ الْيَسَّ﴾.

## فصل

واختلفوا في آخر ما نزل، فروى البخاري في أفراد من حديث ابن عباس، قال: آخر آية أنزلت على النبي ﷺ، آية الربا، وفي أفراد مسلم عنه: آخر سورة نزلت جميعاً ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: آخر آية أنزلت ﴿وَأَنقُضْ أَوَّلَ مَا رُفِعَ يَدُ إِلَى اللَّهِ﴾ <sup>(٦)</sup> [البقرة: ٢٨١] وهذا مذهب سعيد بن جبيرة وأبي صالح. وروى أبو إسحاق عن البراء قال: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت [براءة] <sup>(٧)</sup>. وروي عن أبي بن كعب: أن آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. إلى آخر السورة <sup>(٨)</sup>.

## فصل

لما رأيت جمهور كتب المفسرين لا يكاد الكتاب منها يفي بالمقصود كشفه حتى ينظر للآية الواحدة في كتب، قرب تفسير أخل فيه بعلم الناسخ والمنسوخ، أو ببعضه، فإن وجد فيه لم يوجد أسباب النزول، أو أكثرها، فإن وجد لم يوجد بيان المكي من المدني، وإن وجد ذلك لم توجد الإشارة إلى حكم الآية، فإن وجد لم يوجد جواب إشكال يقع في الآية، إلى غير ذلك من الفنون المطلوبة.

وقد أدرجت <sup>(٩)</sup> في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة مع ما لم أذكره، مما لا يستغني التفسير عنه، ما أرجو به وقوع الغناء بهذا الكتاب عن أكثر ما يجانسه.

(١) الزيادة من نسخة (ب).

(٢) رواه الحاكم ج ٢/ ٢٢٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) الزيادة من نسخة (ب).

(٥) الزيادة من «لسان العرب».

(٦) رواه الطبري وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.

(٧) رواه البخاري في تفسير سورة [براءة].

(٨) رواه أحمد والحاكم.

(٩) وفي نسخة (ج): خرجت. وجواب لما «وقد أدرجت» وكان حقه أن يقال: «وقد أدرجت».

وقد حذرت من إعادة تفسير كلمة متقدمة إلا على وجه الإشارة، ولم أغادر من الأقوال التي أحطت بها إلا ما تبعه صحته مع الاختصار البالغ، فإذا رأيت في فرش الآيات ما لم يذكر تفسيره، فهو لا يخلو من أمرين؛ إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً لا يحتاج إلى تفسير.

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفسير، فأخذ منها الأصح والأحسن والأصون، فنظمه في عبارة الاختصار. وهذا حين شرونا فيما ابتدأنا<sup>(١)</sup> له، والله الموفق.

### فصل في الاستعاذة

قد أمر الله ﷻ بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] ومعناه: إذا أردت القراءة. ومعنى أعوذ: ألبأ والبوذ.

### فصل في

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال ابن عمر: نزلت في كل سورة. وقد اختلف العلماء: هل هي آية كاملة، أم لا؟ وفيه [عن] أحمد روايتان. واختلفوا: هل هي من الفاتحة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان أيضاً. فأما من قال: إنها من الفاتحة، فإنه يوجب قراءتها في الصلاة إذا قال بوجوب الفاتحة، وأما من لم يرها من الفاتحة، فإنه يقول: قراءتها في الصلاة سنة. ما عدا مالكاً فإنه لا يستحب قراءتها في الصلاة.

واختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به، فنقل جماعة عن أحمد: أنه لا يسن الجهر بها، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وابن مغفل، وابن الزبير، وابن عباس، وقال به من كبراء التابعين ومن بعدهم: الحسن، والشعبي، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش، وسفيان الثوري، ومالك، وأبو حنيفة، وأبو عبيد في آخرين.

وذهب الشافعي إلى أن الجهر مسنون، وهو مروى عن معاوية بن أبي سفيان، وعطاء، وطاوس، ومجاهد. فأما تفسيرها:

فقوله: «بِسْمِ اللَّهِ» اختصار، كأنه قال: أبدأ باسم الله. أو: بدأت باسم الله. وفي الاسم خمس لغات: «إِسْم» بكسر الألف، و«أَسْم» بضم الألف إذا ابتدأت بها، و«إِسْم» بكسر السين، و«سُم» بضمها، و«سُمَا». قال الشاعر:

والله أسماك سُمماً مُباركاً  
أثرك الله به إيشاركاً

وأشدوا:

باسم الذي في كل سورة سُمُّه

قال الفراء: بعض قيس [يقولون]:<sup>(٢)</sup> سمه، يريدون: اسمه، وبعض قضاة يقولون: سُمُه. أنشدني بعضهم:

وعامنا أعجبنا مقدّمه  
والقرضاب: القطار، يقال: سيف قرضاب<sup>(٣)</sup>.

واختلف العلماء في اسم الله الذي هو «الله»:

فقال قوم: إنه مشتق، وقال آخرون: إنه علم ليس بمشتق. وفيه عن الخليل روايتان. إحداهما: أنه ليس بمشتق، ولا يجوز حذف الألف واللام منه كما يجوز من الرحمن. والثانية: رواها عنه سيبويه: أنه مشتق. وذكر أبو سليمان الخطابي عن بعض العلماء أن أصله في الكلام مشتق من: أله الرجل ياله: إذا فزع إليه من أمر نزل به. فألهه، أي: أجاره وأمنه، فسمي لهاً

(١) وفي نسخة (ج) ابتدأنا.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).

(٣) جاء في القرطبي بعد إنشاء البيت: وقرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً فهو قرضاب. وفي «الصحاح» و«اللسان» و«القاموس» و«شرح»: قرضب الرجل: أكل شيئاً يابساً، حكوا ذلك عن ثعلب، وهو الأصح.

كما يسمّى الرجل إماماً. وقال غيره: أصله ولاء. فأبدلت الواو همزة فقليل: إله كما قالوا: وسادة وإسادة، ووشاح وإشاح. واشتق من الوله؛ لأن قلوب العباد توله نحوه. كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]. وكان القياس أن يقال: مألوه، كما قيل: معبود، إلا أنهم خالفوا به البناء ليكون علماً، كما قالوا للممكتوب: كتاب، وللمحسوب: حساب. وقال بعضهم: أصله من: أله الرجل ياله إذا تحير، لأن القلوب تتحير عند التفكير في عظمتها. وحكي عن بعض اللغويين: أله الرجل ياله إلهة، بمعنى: عبد يعبد عبادة.

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَيَذَرُكَ وَأَهْلَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] أي: عبادتك. قال: والتأله: التعبد. قال رؤية: لله در الغانيات الممدّه  
سَبَّحْنِ واسترجعن من تألهي  
فمعنى الإله: المعبود.

فأما «الرَّحْمَنُ»:

فذهب الجمهور إلى أنه مشتق من الرحمة، مبني على المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها. وبناء «فعلان» في كلامهم للمبالغة، فإنهم يقولون للشديد الامتلاء: ملآن، وللشديد الشح: شبعان.

قال الخطابي: ذ «الرحمن»: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر. و«الرحيم»: خاص للمؤمنين. قال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والرحيم: بمعنى الراحم.



## سورة الفاتحة

روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال: «والذي نفسي بيده، ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلاً، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»<sup>(١)</sup>. فمن أسماؤها: الفاتحة، لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة. ومن أسماؤها: أم القرآن، وأم الكتاب، لأنها أم الكتاب بالتقدم. ومن أسماؤها: السبع المثاني، وإنما سميت بذلك لما سنشرحه في (الحجر) إن شاء الله. واختلف العلماء في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكية، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، وأبي العالية، وقتادة، وأبي مسرة. والثاني: أنها مدنية، وهو مروي عن أبي هريرة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني. وعن ابن عباس كالقولين.

### فصل

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

فأما تفسيرها: فـ ﴿الْحَمْدُ﴾ رفع بالابتداء، و﴿لِلَّهِ﴾ الخبر والمعنى: الحمد ثابت لله، ومستقر له، والجمهور على كسر لام «الله» وضما ابن أبي عبة، قال الفراء: هي لغة بعض بني ربيعة، وقرأ ابن السَّمِيعِ<sup>(٢)</sup>: «الحمد» بنصب الدال «الله» بكسر اللام. وقرأ أبو نهيك بكسر الدال واللام جميعاً. وأعلم أن الحمد: ثناء على المحمود، ويشاركه الشكر، إلا أن بينهما فرقاً، وهو: أن الحمد قد يقع ابتداء للثناء، والشكر لا يكون إلا في مقابلة النعمة، وقيل: لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، فتقديره: قولوا: الحمد لله. وقال ابن قتيبة: الحمد: الثناء على الرجل بما فيه من كرم أو حسب أو شجاعة، وأشباه ذلك. والشكر: الثناء عليه بمعروف أوالاه، وقد يوضع الحمد موضع الشكر. فيقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرت له على شجاعته. فأما «الرب» فهو المالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالإضافة، فيقال: هذا رب الدار، ورب العبد. وقيل: هو مأخوذ من الترية. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: رب فلان صنيعته يربها رباً: إذا أتمها وأصلحها، فهو رب ورأب. قال الشاعر:

يرب الذي يأتي من الخير إنه إذا سئل المعروف زاد وتممّا

قال: والرب يقال على ثلاثة أوجه: أحدها: المالك. يقال: رب الدار. والثاني: المصلح، يقال: رب الشيء. والثالث: السيد المطاع. قال تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبُّكَ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]. والجمهور على خفض باء «رب». وقرأ أبو العالية، وابن السَّمِيعِ، وعيسى بن عمر بنصبيها. وقرأ أبو رزین العقيلي، والربيع بن خيثم<sup>(٣)</sup>، وأبو عمران الجوني برفعها. فأما «الْعَالَمِينَ» فجمع عالم، وهو عند أهل العربية: اسم للمخلوق من مبدئهم إلى منتهاهم، وقد سمو أهل الزمان الحاضر عالماً. فقال الخطيب:

[تنحى فاجلسي مني بعيداً] أراح الله منك العالمين

فأما أهل النظر، فالعالم عندهم: اسم يقع على الكون الكلي المحدث من فلك، وسماء، وأرض، وما بين ذلك. وفي اشتقاق العالم قولان: أحدهما: أنه من العلم، وهو يقوي قول أهل اللغة. والثاني: أنه من العلامة، وهو يقوي قول أهل النظر، فكانه إنما سمي عندهم بذلك، لأنه دالٌّ على خالقه. وللمفسرين في المراد بـ«العالمين» هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الخلق كله، السموات والأرضون وما فيهن وما بينهن. رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: كل ذي

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (٢) كذا في الأصل. وفي «اللسان» و«شرح القاموس»: السميع بالقاف.

(٣) جاء في «التقريب» الربيع بن خيثم بضم المعجمة، وفتح المثلثة، وفي «الخلاصة» بفتح المعجمة والمثلثة بينهما تحتانية. أي: خيثم، كما في الأصول التي بين أيدينا.



روح دب على وجه الأرض. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم الجن والإنس. روي أيضاً عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، ومقاتل. والرابع: أنهم الجن والإنس والملائكة، نقل عن ابن عباس أيضاً، واختاره ابن قتيبة. والخامس: أنهم الملائكة، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿الْكَافِرُ الْكَافِرُ﴾. قرأ أبو العالية، وابن السميع، وعيسى بن عمر بالنصب فيهما، وقرأ أبو رزين العجلي، والربيع بن خيثم، وأبو عمران الجوني بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾. قرأ عاصم والكسائي، وخلف، ويعقوب: «مالك» بآلف. وقرأ ابن السميع، وابن أبي عتبة كذلك، إلا أنهما نصبا الكاف. وقرأ أبو هريرة، وعاصم الجحدري: «مَلِكٍ» بإسكان اللام من غير الألف مع كسر الكاف، وقرأ أبو عثمان النهدي، والشعبي «مَلِكٍ» بكسر اللام ونصب الكاف من غير ألف. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، ومورق العجلي: «مَلِكٌ» مثل ذلك إلا أنهم رفعوا الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء المطاردي «ملك» بياء بعد اللام مكسورة الكاف من غير ألف. وقرأ عمرو بن العاص كذلك، إلا أنه ضم الكاف. وقرأ أبو حنيفة<sup>(٢)</sup>، وأبو حيوة «مَلِكٌ» على الفعل الماضي، «ويوم» بالنصب. وروى عبد الوارث عن أبي عمرو: إسكان اللام، والمشهور عن أبي عمرو وجمهور القراء «مَلِكٌ» بفتح الميم مع كسر اللام، وهو أظهر في المدح، لأن كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً. وفي «الدين» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله ابن مسعود. والثاني: الجزاء، قاله ابن عباس، ولما أقر الله ﷻ في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أنه مالك الدنيا. دل بقوله: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ على أنه مالك الأخرى. وقيل: إنما خصّ يوم الدين، لأنه ينفرد يومئذ بالحكم في خلقه.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو مجلز «يُعْبُدُ» بضم الياء وفتح الباء. قال ابن الأنباري: المعنى: قل يا محمد: إياك يعبد، والعرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجِهْتُمْ نِيحًا﴾ [يونس: ٢٢] وقوله: ﴿وَسَمِعْتُمْ رُجَّتْ شَرَاكَا طُهْرًا﴾ [إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً] [الدحر: ٢١، ٢٢]. وقال لبيد:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة

وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

وفي المراد بهذه العبادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى التوحيد. روي عن علي، وابن عباس في آخرين. والثاني: أنها بمعنى الطاعة، كقوله: ﴿لَا تَقْبَلُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]. والثالث: أنها بمعنى الدعاء، كقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ يَتَنَبَّهُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠].

قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ثبتنا. قاله علي، وأبي. والثاني: أرشدنا. والثالث: وفقنا. والرابع: ألهمنا. رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس. و«أَصْرَاطُ» الطريق. ويقال: إن أصله بالسين، لأنه من الاستراط وهو: الابتلاع، فالصراط كأنه يستطرط المارّين عليه، فمن قرأ بالسين، كمجاهد، وابن محيصن، ويعقوب، فعلى أصل الكلمة، ومن قرأ بالصاد، كأبي عمرو، والجمهور، فلأنها أخف على اللسان، ومن قرأ بالزاي، كرواية الأصمعي عن أبي عمرو، واحتج بقول العرب: سقر وزقر<sup>(٣)</sup> وروي عن حمزة: إشمام السين زايًا، وروي عنه أنه تلفظ بالصراط بين الصاد والزاي. قال الفراء: اللغة الجيدة بالصاد، وهي لغة قريش الأولى، وعامة العرب يجعلونها سينًا، وبعض قيس يشمّون الصاد، فيقول: الصراط بين الصاد والسين، وكان حمزة يقرأ «الزراط» بالزاي، وهي لغة لعذرة وكلب وبني القين. يقولون في «أصدق»<sup>(٤)</sup> أزدق. وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله، رواه علي عن

(١) قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاوي وضع كتاباً في الحروف نسب إلى أبي حنيفة، فأخذت خط الدارقطني وجماعة؛ أن الكتاب موضوع لا أصل له. قال ابن الجزي: وقد رأيت الكتاب المذكور، ومنه «إِنَّمَا يَتَنَبَّهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ» برفع الهاء ونصب الهزلة، وقد راج ذلك على أكثر المفسرين، ونسبها إليه، وتكلف توجيهها، وإن أبا حنيفة ليرى منها. انظر «النشر في القراءات العشر» لابن الجزي ١٦/١.

(٢) قال في «لسان العرب» الزق: لغة في الصقر.

(٣) الزيادة من القرطبي.



النبي ﷺ. والثاني: أنه دين الإسلام. قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين. والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضاً. فإن قيل: ما معنى سؤال المسلمين الهداية وهم مهتدون؟ ففيه<sup>(١)</sup> ثلاثة أجوبة<sup>(٢)</sup>: أحدها: أن المعنى: اهدنا لزوم الصراط، فحذف اللزوم. قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: ثبتنا على الهدى، تقول العرب للقاتم: قم حتى آتيك، أي: اثبت على حالك. والثالث: أن المعنى: زدنا هدى<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. قال ابن عباس: هم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون. وقرأ الأكثرون «عليهم» بكسر الهاء، وكذلك «لديهم» و«إليهم» وقرأه حمزة بضمها. وكان ابن كثير يصل [ضم] الميم بواو. وقال ابن الأنباري: حكى اللغويون في «عليهم» عشر لغات، قرئ بعامتها «عليهم» بضم الهاء وإسكان الميم و«عليهم» بكسر الهاء وإسكان الميم، و«عليهمي» بكسر الهاء والميم وإدخال ياء بعد الكسرة، و«عليهمو» بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة، و«عليهمو» بضم الهاء والميم وإدخال واو بعد الميم، و«عليهم» بضم الهاء والميم من غير زيادة واو، وهذه الأوجه الستة مأثورة عن القراء، وأوجه أربعة منقولة عن العرب «عليهمي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء، و«عليهم» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء، و«عليهمو» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء، و«عليهم» بضم الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. فأما «المغضوب عليهم» فهم اليهود؛ «الضالون»: النصاري. رواه عدي بن حاتم عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. قال ابن قتيبة: والضلال: الحيرة والعدول عن الحق.

### فصل

ومن السنة في حق قارئ الفاتحة أن يعقبها بـ «آمين». قال شيخنا أبو الحسن علي بن عبيد الله: وسواء كان خارج الصلاة أو فيها، لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قال الإمام: ﴿عَبَّرَ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فقال من خلفه: آمين، فوافق ذلك قول أهل السماء، غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٥)</sup>. وفي معنى آمين: ثلاثة أقوال: أحدها: أن معنى آمين: كذلك يكون. حكاه ابن الأنباري عن ابن عباس، والحسن. والثاني: أنها بمعنى: اللهم استجب. قاله الحسن والزجاج. والثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالى. قاله مجاهد، وهلال بن يساف، وجعفر بن محمد. وقال ابن قتيبة: معناها: يا آمين أجب دعاءنا، فسقطت يا، كما سقطت في قوله: «يُؤَسِّفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا» [يوسف: ٢٩] تأويله: يا يوسف. ومن طوّل الألف فقال: آمين، أدخل ألف النداء على ألف آمين، كما يقال: آزيد أقبل. ومعناه: يا زيد. قال ابن الأنباري: وهذا القول خطأ عند جميع النحويين، لأنه إذا أدخل «يا» على «آمين» كان منادئ مفرداً، فحكم آخره الرفع، فلما أجمعت العرب على فتح نونه، دل على أنه غير منادى، وإنما فتحت نون «آمين» لسكونها وسكون الياء التي قبلها، كما تقول العرب: ليت، ولعل. قال: وفي «آمين» لغتان: «آمين» بالقصر، و«آمين» بالمد، والنون فيهما مفتوحة. أنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي:

سَفَى اللهُ حَيًّا بَيْنَ صَارَةَ وَالْجَمَى      (جَمَى)<sup>(٦)</sup> فَيَذْ صَوَّبَ الْمُذْجَنَاتِ الْمَوَاطِرَ  
أَمِينٌ وَأَدَى اللهُ رَكْبًا إِلَيْهِمْ      بخيرٍ ووَقَّاهم جَمَامَ الْمَقَادِرِ<sup>(٨)</sup>  
وَأَنشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا:      أَمِينٌ فَزَادَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُغْدًا<sup>(٩)</sup>  
تَبَاعَدَ مِنِّي فَظَحُلَ وَابْنُ أُمِّهِ

(١) في الأصلين: فنه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في نسخة (أ) أوجه. وكذلك كان كتبها ناسخ (ب) ثم أصلها كما أثبتنا.

(٣) في نسخة (ب) هداية.

(٤) رواه أحمد والترمذي وحنه.

(٥) رواه البخاري ومسلم بلفظ: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإن من وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٦) الزيادة من نسخة (ب).

(٧) البيت سقط من نسخة (ب).

(٨)

البيتان في «اللسان» في مادة «أمن» ورواية الثاني فيه: ورد الله.

وأنشدنا أبو العباس أيضاً:  
يا ربَّ لا تسلبني حُبَّها أبداً  
وأنشدني أبي:  
أَمِينَ وَمَنْ أَعْطَاكَ مِنِّْي هَوَادَةً  
وأنشدني أبي:  
فَقُلْتُ لَهُ قَدْ هَجَتْ لِي بَارَحَ الْهَوَى  
أَمِينَ وَأَضْنَاهُ الْهَوَى فَوْقَ مَا بِهِ

وَيَرْحَمُ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ أَمِينَ  
رمى الله في أطرافه فاقْفَعَلْتُ<sup>(١)</sup>  
أَصَابَ جِمَامُ الْمَوْتِ أَهْوَنَنَا وَجَدَا  
[أَمِينَ]<sup>(٢)</sup> وَلَا قَى مِنْ تَبَارِيحِهِ جَهْدَا

### فصل

نقل الأكثرون عن أحمد أن الفاتحة شرط في صحة الصلاة، فمن تركها مع القدرة عليها لم تصح صلاته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تتعين، وهي رواية عن أحمد، ويدل على الرواية الأولى ما روي في «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». والله تعالى أعلم بالصواب.



(١) الاقْفَعَال: تشنج الأصابع والكف من برد أو داء.

(٢) الزيادة من نسخة (ب).

## سورة البقرة

### فصل في فضيلتها<sup>(١)</sup>

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، اقروا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»<sup>(٣)</sup>. والمراد بالزهراوين: المنيرتين. يقال لكل منير<sup>(٤)</sup>: زاهر. والغاية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، مثل السحابة والغبرة. يقال: غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف، كأنهم أظلوه به. قال لبيد:

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا  
وعلى الأرض غيايات الطفل  
ومعنى فرقان: قطعتان. والفرق: القطعة من الشيء. قال عز وجل: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَاطِرٍ غَاطِرٍ﴾ [الشعراء: ٦٣]. والصُّواف: المصطفة المتضامة لتظل قارئها. والبطلة: السحرة.

### فصل في نزولها

قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل. وذكر قوم أنها مدنية سوى آية، وهي قوله عز وجل: ﴿وَأَنفَقُوا يَوْمَ تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فإنها أنزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع.

### فصل

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأما التفسير. فقلوه: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطعة في أوائل السور على ستة أقوال: أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «الله عز وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلى هذا المعنى ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد. والثاني: أنها حروف من أسماء، فإذا ألقت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أسماء الله عز وجل. قال علي بن أبي طالب: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب. وسئل ابن عباس عن «آلر» و«حم» و«نون» فقال: اسم الرحمن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس. والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال ابن قتبية: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ت ث» وهو يريد سائر الحروف، وكما يقال: قرأت الحمد، يريد فاتحة الكتاب، فيسميها بأول حرف منها، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولأنها مباني كتبه المنزل، وبها يذكر ويوحى. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، تقديره: وحروف المعجم لقد بين الله لكم السبيل، وأنهجت لكم الدلالات بالكتاب المنزل، وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ دليلاً على الجواب. والرابع: أنه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى أنه لما كانت الحروف أصولاً للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف، قاله الفراء، وقطرب. فإن قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٤) في نسخة (أ): «مستير».

(١) هذا العنوان ثابت في نسخة (ب).

(٣) رواه مسلم.

فالجواب: أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تولفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد ﷺ. والخامس: أنها أسماء للسور. روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبي فاختة سعيد بن علاقة مولى أم هانئ. والسادس: أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. يقول الرجل للرجل: هل تأ؟ فيقول له: بلى، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قلنا لها قفي [لنا] فقالت قاف

[لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف]<sup>(١)</sup>

أراد قالت: أقف. ومثله:

نادوهم ألا الجموا ألا تا

قالوا جميعاً كلهم ألا فا

يريد: ألا تركبون؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخير خيرات وإن شراً فا

ولا أريد الشر إلا أن تا

معناه: وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء. وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والزجاج، وابن الأنباري. وقال أبو روق عطية بن الحارث الهمداني: كان النبي ﷺ يجهر بالقراءة في الصلوات كلها، وكان المشركون يصفقون ويصفقون، فنزلت هذه الحروف المقطعة، فسمعوها فبقوا متحيرين. وقال غيره: إنما خاطبهم بما لا يفهمون ليقبلوا على سماعه، لأن النفوس تتطلع إلى ما غاب عنها معناه، فإذا أقبلوا إليه خاطبهم بما يفهمون، فصار ذلك كالوسيلة إلى الإبلاغ، إلا أنه لا بد له من معنى يعلمه غيرهم، أو يكون معلوماً عند المخاطبين، فهذا الكلام يعم جميع الحروف.

وقد خص المفسرون قوله «آلَمَ»<sup>(٢)</sup> بخمسة أقوال: أحدها: أنه من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله عز وجل، وقد سبق بيانه. والثاني: أن معناه: أنا الله أعلم. رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وسعيد بن جبير. والثالث: أنه قسم. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وخالد الحذاء عن عكرمة. والرابع: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الألف من «الله» واللام من «جبريل» والميم من «محمد» قاله ابن عباس. فإن قيل: إذا كان قد تنول من كل اسم حرفه الأول اكتفاءً به، فلم أخذت اللام من جبريل وهي آخر الاسم؟! فالجواب: أن مبتدأ القرآن من الله تعالى، فدل على ذلك بابتداء أول حرف من اسمه، وجبريل انختم به التنزيل والإقراء، فتنول من اسمه نهاية حروفه، و«محمد» مبتدأ في الإقراء، فتنول أول حرف فيه. والقول الثاني: أن الألف من «الله» تعالى، واللام من «لطيف» والميم من «مجيد» قاله أبو العالية. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، والشعبي، وقادة، وابن جريج.

قوله تعالى: «ذَلِكَ». فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى هذا، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والكسائي، وأبي عبيدة، والأخفش. واحتج بعضهم بقول خفاف بن ثدبة:

أقول له والرمح ياطر متنه

تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

أي: أنا هذا. وقال ابن الأنباري: إنما أراد: أنا ذلك الذي تعرفه. والثاني: أنه إشارة إلى غائب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد به ما تقدم إزاله عليه من القرآن. والثاني: أنه أراد به ما وعده أن يوحيه إليه في قوله: «سَتَلَقِي عَنكَ قَوْلًا قَيِّلًا» [المزمل: ٥]. والثالث: أنه أراد بذلك ما وعد به أهل الكتب السالفة، لأنهم وعدوا بنبي وكتاب. و«أَلِكْتُبُ»: القرآن. وسمي كتاباً، لأنه جمع بعضه إلى بعض، ومنه الكتيبة، سُميت بذلك لاجتماع بعضها إلى بعض. ومنه: كتبت البغلة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «لَا رَيْبَ فِيهِ». الرِّيب: الشك. والهدى: الإرشاد. والمتقون: المحترزون مما اتقوه. وفرَّق شيخنا علي بن عبيد الله بين التقوى والورع، فقال: التقوى: أخذ<sup>(٤)</sup> عدة، والورع: دفع شبهة، فالتقوى: متحقق السبب، والورع: مظنون المسبب. واختلف العلماء في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهرها النفي، ومعناها

(١) الرجز: للوليد بن عتبة.

(٢) قال في «اللسان»: وكتبت البغلة: إذا جمعت شُفري حيائها بحلقة أو سير، لئلا ينزى عليها.

(٣) في نسخة (ب): «أشد».

النهي، وتقديرها: لا ينبغي أحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه. ومثله: ﴿مَا كُنَّا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]. أي: ما ينبغي لنا. ومثله: ﴿فَلَا رَفْكَ وَلَا سُوءَ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وهذا مذهب الخليل، وابن الأنباري. والثاني: أن معناها: لا ريب فيه أنه هدى للمتقين. قال المبرد. والثالث: أن معناها: لا ريب فيه أنه من عند الله، قاله مقاتل في آخرين. فإن قيل: فقد ارتاب به قوم. فالجواب: أنه حق في نفسه، فمن حقق النظر فيه علم. قال الشاعر:

ليس في الحق يا أمانة ريب

[إنما الريب ما يقول الكذوب]<sup>(١)</sup>

فإن قيل: فالمتقي مهتد، فما فائدة اختصاص الهداية به؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه أراد المتقين، والكافرين، فاكفى بذكر أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿سَرِيلٌ يَفِيكُمُ الْآخِرُ﴾ [النحل: ٨١]. أراد: والبرد. والثاني: أنه خص المتقين لانتفاعهم به، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَحْكَمْهَا﴾ [التازعات: ٤٥]. وكان منذراً لمن يخشى ولمن لا يخشى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. الإيمان في اللغة: التصديق، والشرح أقره على ذلك، وزاد فيه القول والعمل. وأصل الغيب: المكان المظلم الذي يستتر فيه لنزوله عما حوله، فسمي كل مستتر: غيباً. وفي المراد بالغيب هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله ابن عباس، وابن جريج. والثاني: القرآن، قاله أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش. والثالث: الله عز وجل، قاله عطاء، وسعيد بن جبيرة. والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن. رواه السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالية، وقتادة. والخامس: أنه قدر الله عز وجل، قاله الزهري. والسادس: أنه الإيمان بالرسول في حق من لم يره. قال عمرو بن مرة: قال أصحاب عبد الله له: طوبى لك، جاهدت مع رسول الله ﷺ، وجالسته. فقال: إن شأن رسول الله ﷺ كان مبيّناً لمن رآه، ولكن أعجب من ذلك: قوم يجدون كتاباً مكتوباً يؤمنون به ولم يروه، ثم قرأ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْصَّلَاةِ﴾. الصلاة في اللغة: الدعاء. وفي الشريعة: أفعال وأقوال على صفات مخصوصة. وفي تسميتها بالصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك لرفع الصلّا، وهو مغرز الذنب من الفرس. والثاني: أنها من صليت العود إذا لبيت، فالمصلي يلين ويخشع. والثالث: أنها مبنية على السؤال والدعاء، والصلاة في اللغة: الدعاء، وهي في هذا المكان اسم جنس. قال مقاتل: أراد بها هاهنا: الصلوات الخمس. وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تمام فعلها على الوجه المأمور به، روي عن ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: إدامتها، والعرب تقول في الشيء الراتب: قائم، وفلان يقيم أرزاق الجند، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾. أي: أعطيناهم ﴿يُفْقُونَ﴾ أي يخرجون. وأصل الإنفاق الإخراج. يقال: نفقت الدابة: إذا خرجت روحها. وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال: أحدها: أنها النفقة على الأهل والعيال، قاله ابن مسعود، وحذيفة. والثاني: أنها الزكاة المفروضة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثالث: أنها الصدقات النوافل، قاله مجاهد، والضحاك. والرابع: أنها النفقة التي كانت واجبة قبل وجوب الزكاة، ذكره بعض المفسرين، وقالوا: إنه كان فرض على الرجل أن يمكس مما في يده مقدار كفايته يومه وليلته، ويفرق باقيه على الفقراء. فعلى قول هؤلاء، الآية منسوخة بآية الزكاة، وغير هذا القول أثبت. واعلم أن الحكمة في الجمع بين الإيمان بالغيب وهو عقد القلب، وبين الصلاة وهي فعل البدن، وبين الصدقة وهو تكليف يتعلق بالمال، أنه ليس في التكليف قسم رابع، إذ ما عدا هذه الأقسام فهو ممتزج بين اثنين منهما، كالحج والصوم ونحوهما.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، رواه الضحاك عن ابن عباس، واختاره مقاتل. والثاني: أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبي وبما



أنزل من قبله.. رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال المفسرون: [الذي أنزل إليه، القرآن]. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: القرآن<sup>(١)</sup> وغيره مما أوحى إليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾. يعني: الكتب المتقدمة والوحي، فأما «الآخرة» فهي اسم لما بعد الدنيا، وسميت آخرة، لأن الدنيا قد تقدمتها: وقيل: سميت آخرة لأنها نهاية الأمر.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَكَ﴾. اليقين: ما حصلت به الثقة، وثلج به الصدر، وهو أبلغ علم مكتسب.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾. أي: على رشاد. وقال ابن عباس: على نور واستقامة. قال ابن قتيبة: ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون ببقاء الأبد. وأصل الفلاح: البقاء. ويشهد لهذا قول لبيد:

نحل بلاداً كلُّها حُلٌّ قبلنا

ونرجو الفلاح بعد عادٍ وحمير

يريد: البقاء. وقال الزجاج: المفلح: الفائز بما فيه غاية صلاح حاله. قال ابن الأنباري: ومنه: حيٌّ على الفلاح، معناه: هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلَيْسَ لَكُمْ كُتُوبًا﴾. في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في قادة الأحزاب، قاله أبو العالية. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته، قاله الضحاك. والثالث: أنها نزلت في طائفة من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب، قاله ابن السائب. والرابع: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهل وأبي طالب، وأبي لهب وغيرهم ممن لم يسلم. قال مقاتل: فأما تفسيرها، فالكفر في اللغة: التغطية. تقول: كفرت الشيء إذا غطيته، فسمي الكافر كافراً، لأنه يغطي الحق.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾. أي: متعادل عندهم الإنذار وتركه، والإنذار: إعلام مع تخويف، وتناذر بنو فلان هذا الأمر: إذا خوفه بعضهم بعضاً. قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية وردت بلفظ العموم، والمراد به الخصوص، لأنها أذنت بأن الكافر حين إنذاره لا يؤمن، وقد آمن كثير من الكفار عند إنذارهم، ولو كانت على ظاهرها في العموم، لكان خبر الله لهم خلاف مخبره، ولذلك وجب نقلها إلى الخصوص.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. الختم: الطبع، والقلب: قطعة من دم جامدة سوداء، وهو مستكن في الفؤاد، وهو بيت النفس، ومسكن العقل، وسمي قلباً لتقلبه، وقيل: لأنه خالص البدن، وإنما خصّه بالختم لأنه محل الفهم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾. يريد: على أسماعهم، فذكره بلفظ التوحيد، ومعناه: الجمع، فاكتمى بالواحد عن الجميع، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ ظُلُمًا﴾ [الحج: ٥]. وأنشدوا من ذلك:

كلوا في نصف بطونكم تعيشوا

فلإن زمانكم زمن خميص

أي: في أنصاف بطونكم. ذكر هذا القول أبو عبيدة، والزجاج. وفيه وجه آخر، وهو أن العرب تذهب بالسمع مذهب المصدر، والمصدر يوحد، تقول: يعجبني حديثكم، ويعجبني ضربكم. فأما البصر والقلب فهما اسمان لا يجريان مجرى المصادر في مثل هذا المعنى. ذكره الزجاج، وابن القاسم. وقد قرأ عمرو بن العاص، وابن أبي عتبة: (وعلى أسماعهم).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾. الغشاوة: الغطاء. قال الفراء: أما قریش وعامة العرب، فيكسرون الغين من «غشاوة»، وعكل يضمون الغين، وبعض العرب يفتحها، وأظنها لريعة. وروى الفضل عن عاصم «غشاوة» بالنصب على تقدير: جعل على أبصارهم غشاوة. فأما العذاب، فهو الألم المستمر، وماء عذب: إذا استمر في الحلق سائفاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقَائِرِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾. اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو العالية، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها في منافقي أهل الكتاب.

رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن سيرين: كانوا يتخوفون من هذه الآية. وقال قتادة: هذه الآية نعت المنافق، يعرف بلسانه، وينكر بقلبه، [و] يصدق بلسانه، ويخالف بعمله، ويصبح على حالٍ ويمسي على غيرها، ويتكفأ تكفأ السفينة، كلما هبت ريح هب معها.

**قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾.** قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير، والجد بن القيس؛ إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، ونشهد أن صاحبكم صادق، فإذا خلوا لم يكونوا كذلك، فنزلت هذه الآية. فأما التفسير، فالخدعة: الحيلة والمكر، وسميت خديعة، لأنها تكون في خفاء. والمخدع: بيت داخل البيت تخفي فيه المرأة، ورجل خادع: إذا فعل الخديعة، سواء حصل مقصوده أو لم يحصل، فإذا حصل مقصوده، قيل: قد خدع. وانخدع الرجل: استجاب للخادع، سواء تعمد الاستجابة أو لم يقصدها، والعرب تسمي الدهر خداعاً، لثلونه بما يخفيه من خير وشر. وفي معنى خداعهم الله؛ خمسة أقوال: أحدها: إنهم كانوا يخادعون المؤمنين، فكانهم خادعوا الله. روي عن ابن عباس؛ واختاره ابن قتيبة. والثاني: إنهم كانوا يخادعون نبي الله، فأقام الله نبيه مقامه، كما قال: ﴿إِنَّ أَلْيَتَ يُبَايِعُوكَ إِنَّمَا يُبَايِعُوكَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]. قاله الزجاج. والثالث: أن الخادع عند العرب: الفاسد. وأنشدوا:

[أبيض اللون لذيذ طعمه] طيب الريق إذا الريق خدع<sup>(١)</sup>

أي: فسد. رواه محمد بن القاسم عن ثعلب عن ابن الأعرابي. قال ابن القاسم: فتأويل: يخادعون الله: يفسدون ما يظهرون من الإيمان بما يضمرون من الكفر. والرابع: أنهم كانوا يفعلون في دين الله ما لو فعلوه بينهم كان خداعاً. والخامس: أنهم كانوا يخفون كفرهم، ويظهرون الإيمان به.

**قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾.** قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، (وما يخادعون) وقرأ الكوفيون، وابن عامر: (يخدعون)، والمعنى: أن وبال ذلك الخداع عائد عليهم. ومتى يعود وبال خداعهم عليهم؟ فيه قولان: أحدهما: في دار الدنيا، وذلك بطريقين. أحدهما: بالاستدراج والإمهال الذي يزيدهم عذاباً. والثاني: باطلاع النبي والمؤمنين على أحوالهم التي أسروها. والقول الثاني: أن عود الخداع عليهم في الآخرة. وفي ذلك قولان: أحدهما: أنه يعود عليهم عند ضرب الحجاب بينهم وبين المؤمنين، وذلك قوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ذُنُوبَكُمْ فَأَنظِرْ بَيْنَهُمْ سَبْعَ لَئْلِ لَسَعٍ﴾ [الحديد: ١٣]. والثاني: أنه يعود عليهم عند اطلاع أهل الجنة عليهم، فإذا رأوهم طمعوا في نيل راحة من قبلهم، فقالوا: ﴿أَنزِلُوا عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ آيَةً أَوْ رَدِّعْهُمْ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] فيجيئونهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْكُفْرَ﴾ [الأعراف: ٥١].

**قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَرْهِنُ﴾.** أي: وما يعلمون. وفي الذي لم يشعروا به قولان: أحدهما: أنه إطلاع الله نبيه على كذبهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إسرارهم بأنفسهم بكفرهم، قاله ابن زيد.

**قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾.** المرض هاهنا: الشك، قاله عكرمة، وقتادة. ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ هذا الإخبار من الله تعالى أنه فعل بهم ذلك، و«الآلیم» بمعنى المؤلم، والجمهور يقرؤون (يكذبون) بالتشديد، وقرأ الكوفيون سوى أبان، عن عاصم بالتخفيف مع فتح الياء.

**قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.** اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وهو قول الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها، قاله سلمان الفارسي. وكان الكسائي يقرأ بضم القاف من «قيل» والحاء من «حيل» والغين من «غيض»، والجيم من «جيء»، والسين من «سيء» و«سيئت». وكان ابن عامر يضم من ذلك ثلاثة «حيل» و«سيق» و«سيء» و«سيئت». وكان نافع يضم «سيء» و«سيئت»، ويكسر البواقي، والآخرين يكسرون جميع ذلك. وقال الفراء: أهل الحجاز من قريش ومن جاوهرهم من بني كنانة يكسرون القاف في «قيل» و«جيء» و«غيض»، وكثير من عقيل ومن جاوهرهم وعامة أسد، يشمون<sup>(٢)</sup> إلى الضم من «قيل» و«جيء». وفي المراد بالفساد هاهنا خمسة أقوال: أحدها:

(١) البيت نسب في «اللسان» لسويد بن أبي كاهل الشكري، وهو من قصيدة جيدة، تجدها في «المفضليات».

(٢) في الأصول التي بين أيدينا «يشيرون» وما أثبتناه هو الصواب، كما هو في كتب القراءات.

أنه الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: العمل بالمعاصي، قاله أبو العالية، ومقاتل. والثالث: أنه الكفر والمعاصي، قاله السدي عن أشياخه. والرابع: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قال مجاهد. والخامس: أنه النفاق الذي صادفوا به الكفار، وأطلعهم على أسرار المؤمنين، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَحْنُ مُبْطِلُونَ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد. والثاني: أن معناه: إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والقولان عن ابن عباس. والثالث: أنهم أرادوا مصادفة الكفار صلاح، لا فساد، قاله مجاهد، وقتادة. والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمد هو الفساد، قاله السدي. والخامس: أنهم ظنوا أن مصادفة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين، لأنهم اعتقدوا أن الدولة إن كانت للنبي ﷺ فقد أمنوه بمبايعته<sup>(١)</sup> وإن كانت للكفار فقد أمنوهم بمصافاتهم، ذكره شيخنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾. قال الزجاج. ألا: كلمة يتبدأ بها ينبه بها المخاطب، تدل على صحة ما بعدها. و«هم»: تأكيد للكلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قولان: أحدهما: لا يشعرون أن الله يطلع نبيه على فسادهم. والثاني: لا يشعرون أن ما فعلوه فساد، لا صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَايَتُوا﴾ في المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد، وابن زيد. وفي القائلين لهم قولان: أحدهما: أنهم أصحاب النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ولم يعين أحداً من الصحابة. والثاني: أنهم معينون، وهم سعد بن معاذ، وأبو لبابة، وأسيد، ذكره مقاتل. وفي الإيمان الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التصديق بالنبي، وهو قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنه العمل بمقتضى ما أظهوره، وهو قول من قال: هم المنافقون. وفي المراد بالناس هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه من اليهود، قاله مقاتل. والثالث: معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وجماعة من وجوه الأنصار، عدهم الكلبي. وفيمن عنوا بالسفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عباس. والثاني: النساء والصبيان، قاله الحسن. والثالث: ابن سلام وأصحابه، قاله مقاتل. وفيما عنوه بالغيب من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا دين الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم أرادوا البعث والجزاء، قاله مجاهد. والثالث: أنهم عنوا مكاشفة الفريقين بالعداوة من غير نظر في عاقبة، وهذا الوجه الذي قبله يخرج على أنهم المنافقون، والأول يخرج على أنهم اليهود. قال ابن قتيبة: والسفهاء: الجهلاء، يقال: سفه فلان رآه إذا جهله، ومنه قيل للبداء: سفه، لأنه جهل. قال الزجاج: وأصل السفه في اللغة: خفة الحلم، ويقال: ثوب سفه: إذا كان رقيقاً بالياً، وتسفت الرياح الشجر: إذا مالت به. قال الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفت  
أعاليها مر الرياح النواسم<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا يَحْكُمُونَ﴾. قال مقاتل: لا يعلمون أنهم هم السفهاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَايَتُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَبْرِئُونَ﴾. اختلَفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب الذين كانوا يظهرون للنبي ﷺ من الإيمان ما يلقون رؤساءهم بضده، قاله الحسن. فأما التفسير: فالإلى: بمعنى «مع» كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَىٰ اللَّهِ﴾ أي: مع الله. والشياطين: جمع شيطان، قال الخليل: كل متمرد عند العرب شيطان. وفي هذا الاسم قولان: أحدهما: أنه من شطن، أي: بعد عن الخير، فعلى هذا تكون التور أصليّة. قال أميّة بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام:

(١) في نسخة (١): «بمبايعته».

(٢) البيت لذي الرمة يصف النساء. يقول: إذا مشين اهتززن في مشين، وتبين فكانهن رماح نصبت، فمرت عليها الرياح فاهتزرت وتشتت. والنواسم: الرياح الضعيفة الهبوب.

أَيُّمَا شَاطِطِينَ عَصَاهُ عَكَاهُ  
عَكَاهُ: أَوْثَقَهُ. وَقَالَ النَّابِغَةُ:

نَاتَ بِسَعَادٍ عَنْكَ نَوَى شَطُونِ

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ شَاطِطٍ شَيْطٍ: إِذَا التَّهَبَ وَاحْتَرَقَ، فَتَكُونُ النَّوْنُ زَائِلَةً. وَأَشْدُّوا:

وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبِطْلُ<sup>(١)</sup>

أَي: يَهْلِكُ. وَفِي الْمُرَادِ بِشَاطِطِيهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ رُؤُوسُهُمْ فِي الْكَفْرِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَالسَّدي. وَالثَّانِي: إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَمَجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: كَهَنَتُهُمْ، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَالْكَلْبِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾. فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ أَرَادُوا: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ. وَالثَّانِي: إِنَّا مَعَكُمْ عَلَى النَّصْرَةِ وَالْمُعَاوَذَةِ. وَالْهَزْءُ: السَّخِرَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾. اختلف العلماء في المراد باستهزاء الله بهم على تسعة أقوال: أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ مِنَ الْجَنَّةِ وَهُمْ فِي النَّارِ، فَيَسْرِعُونَ إِلَيْهِ فَيَغْلِقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ آخَرَ، فَيَسْرِعُونَ فَيَغْلِقُ، فَيَضْحَكُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ. رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُمِدَتِ النَّارُ لَهُمْ كَمَا تَجْمَدُ الْإِهَالَةُ فِي الْقَدَرِ، فَيَمْشُونَ فَتَنْخَسِفُ بِهِمْ. رَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ. وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ: إِذَا ضَرَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهِرُهُ مِنَ قِبَلِهِ الْعَذَابُ، فَيَقُونَ فِي الظُّلْمَةِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٢]. قَالَه مِقَاتِلٌ. وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ: يُجَازِيهِمْ عَلَى اسْتِهْزَائِهِمْ، فَقَوْلُ الْفَلْظِ بِمَثَلِهِ لَفْظًا وَإِنْ خَالَفَهُ مَعْنَى، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْزِيكَ سَيِّئَتُكَ سَيِّئَةً يَبْتَلِيهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ أَغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاقْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَغْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وَقَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا

فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

أَرَادَ: فَتَعَاوَبَ بِأَغْلَظَ مِنْ عَقُوبَتِهِ. وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ مِنَ اللَّهِ التَّخَفُّطُ لَهُمْ وَالتَّجْهِيلُ، فَمَعْنَاهُ: اللَّهُ يَخْطِئُ فَعَلَهُمْ، وَيَجْهَلُهُمْ فِي الْإِقَامَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ. وَالسَّادِسُ: أَنَّ اسْتِهْزَاءَهُ: اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ. وَالسَّابِعُ: أَنَّهُ إِيقَاعُ اسْتِهْزَائِهِمْ بِهِمْ، وَرَدُّ خِدَاعِهِمْ وَمَكْرِهِمْ عَلَيْهِمْ. ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ. وَالثَّامِنُ: أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِهِمْ أَنْ يَقَالَ لِأَحَدِهِمْ فِي النَّارِ وَهُوَ فِي غَايَةِ الدَّلْلِ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ذَكَرَهُ شَيْخُنَا فِي كِتَابِهِ. وَالثَّاسِعُ: أَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرُوا مِنْ أَحْكَامِ إِسْلَامِهِمْ فِي الدُّنْيَا خِلَافَ مَا أَبْطَنَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، كَانَ كَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَذَلُّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ يَمْشُونَ﴾. فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: يُمْكِنُ لَهُمْ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَالثَّانِي: يَمْلِي لَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: يَزِيدُهُمْ، قَالَه مَجَاهِدٌ. وَالرَّابِعُ: يَمْهَلُهُمْ، قَالَه الزَّجَّاجُ. وَالطَّغْيَانُ: الزِّيَادَةُ عَلَى الْقَدَرِ، وَالْخُرُوجُ عَنْ حِيزِ الْإِعْتِدَالِ فِي الْكَثْرَةِ، يَقَالُ: طَغَى الْبَحْرُ: إِذَا هَاجَتْ أَمْوَاجُهُ، وَطَغَى السَّيْلُ: إِذَا جَاءَ بِنَاءً كَثِيرًا. وَفِي الْمُرَادِ بِطَغْيَانِهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَفَرَهُمْ، قَالَه الْجُمْهُورُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَتَوْهُمْ وَتَكَبَّرَهُمْ، قَالَه ابْنُ قَتِيْبَةَ. وَ«يَمْشُونَ» بِمَعْنَى: يَتَحَيَّرُونَ، يَقَالُ: رَجُلٌ عَمَهُ وَعَامَهُ، أَي: مَتَحِيرٌ. قَالَ الرَّاجِزُ:

وَمَحْقَقِي مَنْ لَهْلُؤٍ وَلَهْلُؤٍ

مَنْ مَهْمُ يَجْتَنِبُهُ فِي مَهْمِهِ

أَعْمَى الْهَدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةُ<sup>(٢)</sup>

(١) هُوَ عَجْزُ بَيْتٍ لِلْأَعْمَى، وَصَدْرُهُ: (قَدْ تَخَفَّضَ الْمِيرُ مِنْ مَكْنُونٍ فَائِلَةً) وَالْقَائِلُ: عَرَقٌ فِي الْفَخْذِ يَكُونُ فِي خَرِبَةِ الْوَرْكِ يَنْحَدِرُ فِي الرَّجْلَيْنِ. وَمَكْنُونٌ قَائِلُهُ: دَمُهُ الَّذِي كُنَ فِيهِ، أَرَادَ: إِنَّا حَذَّاقٌ بِالطَّمَنِ.

(٢) الشَّعْرُ لِرُؤْيَا بَنِ الْمَجَاجِ يَصِفُ مَضْلَةً مِنَ الْمَهَامَةِ. وَالْمَخْفَقُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ الَّتِي يَضْطَرِبُ فِيهَا السَّرَابُ. وَلَهْلُهُ: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ، وَالْجَمْعُ لِهَالِهِ. وَالْمَهْمَةُ: الْفَلَاةُ الْمُقَرَّةُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ وَلَا مَاءٌ. وَجَابَ الْمَفَازَةَ وَاجْتَابَهَا: قَطَعَهَا سِرًّا. وَقَوْلُهُ فِي مَهْمِهِ: أَي: يَقْطَعُهَا وَيَدْخُلُنَّ فِي مَهْمِهِ آخِرَ مَوَاقِلٍ فِي الصَّحْرَاءِ.



وقال ابن قتيبة: يعمهون: يركبون رؤوسهم، فلا يبصرون.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾. في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في جميع الكفار، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنها في أهل الكتاب، قاله قتادة والسدي ومقاتل. والثالث: أنها في المنافقين، قاله مجاهد. واشتروا: بمنى استبدلوا، والعرب تجعل من أثر شيئاً على شيء مشترياً له، وبائعاً للآخر. والضلالة والضلال بمعنى واحد. وفيهما للمفسرين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد هاهنا الكفر، والمراد بالهدى: الإيمان، روي عن الحسن وقاتدة والسدي. والثاني: أنها الشك، والهدى: اليقين. والثالث: أنها الجهل، والهدى: العلم. وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ثم كفروا، قاله مجاهد. والثاني: أن اليهود آمنوا بالنبي قبل مبعة، فلما بعث كفروا به، قاله مقاتل. والثالث: أن الكفار لما بلغهم ما جاء به النبي من الهدى فردوه واختاروا الضلال، كانوا كمن أبدل شيئاً بشيء، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رِيحٌ يَحْتَرِهُنَّ﴾. من مجاز الكلام، لأن التجارة لا تريح، وإنما يريح فيها، ومثله قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [سبا: ٣٣] يريد: بل مكروهم في الليل والنهار. ومثله: ﴿إِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] أي: عزم عليه. وأنشدوا:

حَارَتْ قَدْ فَرَجَتْ عَنِّي هَمِي  
فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى غَمِّي<sup>(١)</sup>  
والليل لا ينَام، بل ينَام فيه، وإنما يستعمل مثل هذا فيما يزول فيه الإشكال، ويعلم مقصود قائله، فأما إذا أضيف إلى ما يصلح أن يوصف به، وأريد به ما سواه، لم يجوز، مثل أن تقول: ريح عبدك، وتريد: ريح في عبدك. وإلى هذا المعنى ذهب الفراء وابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. فيه خمسة أقوال: أحدها: وما كانوا في العلم بالله مهتدين. والثاني: وما كانوا مهتدين من الضلالة. والثالث: وما كانوا مهتدين إلى تجارة المؤمنين. والرابع: وما كانوا مهتدين في اشتراء الضلالة. والخامس: أنه قد لا يريح التاجر، ويكون على هدى من تجارته، غير مستحق للدم فيما اعتمده، فنفى الله عز وجل عنهم الأمرين، مبالغة في ذمهم.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ آلِ نَارٍ اسْتَوْذَتْ نَارًا﴾. هذه الآية نزلت في المنافقين. والمثل بتحريك الراء: ما يضرب ويوضع لبيان النظائر في الأحوال. وفي قوله تعالى: ﴿اسْتَوْذَتْ﴾ قولان: أحدهما: أن السين زائدة، وأنشدوا:

وداع دعا يا من يجيبُ إلى الندى  
فلم يستجبه عند ذلك مجيب<sup>(٢)</sup>  
أراد: فلم يجبه، وهذا قول الجمهور، منهم الأخفش وابن قتيبة. والثاني: أن السين داخلة للطلب، أراد: كمن طلب من غيره نارا.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُمْ دَهَبَ اللَّهُ بِضُرُوبِهِمْ وَنَزَّلَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾. وفي «أَضَاءَتْ» قولان: أحدهما: أنه من الفعل المعتدي، قال الشاعر:

أضياء لهم أحسابهم ووجوههم  
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

أضاءت لنا النار وجهاً أغرَّ  
ملتبساً بالفؤاد التباسا<sup>(٤)</sup>  
والثاني: أنه من الفعل اللازم. قال أبو عبيد: يقال أضاءت النار، وأضياءها غيرها. وقال الزجاج: يقال: ضاء القمر، وأضاء. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها زائدة، تقديره: أضاءت حوله. والثاني: أنها بمعنى الذي. وحول

(١) الشعر لرؤية بن المعجاج يمدح الحارث بن سليم من آل عمرو بن زيد مائة.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي من قصيدة يرثي بها أخاه أبا المغوار، وهي في «الأصمعيات».

(٣) الجزع: ضرب من الغرز. وقيل: هو الغرز اليمني، وهو الذي فيه يباغس وسواد، تشبه به العين.

(٤) البيت للجهمي كما في «اللسان».



الشيء: ما دار من جوانبه. والهاء: عائدة على المستوقد. فإن قيل: كيف وحده، فقال: ﴿كَثَلُ الَّذِي أَسْتَوْقَدَ﴾، ثم جمع فقال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتَوَهَّمُ﴾؟ فالجواب: أن ثعلباً حكى عن الفراء أنه قال: إنما ضرب المثل للفعل، لا لأعيان الرجال، وهو مثل للنفاق. وإنما قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتَوَهَّمُ﴾ لأن المعنى ذاهب إلى المنافقين، فجمع لذلك. قال ثعلب: وقال غير الفراء: معنى الذي: الجمع، وحده أولاً للفظه، وجمع بعد لمعناه، كما قال الشاعر:

فإن الذي حانت بفلج دماؤهم  
هم القوم كل القوم يا أم خالد<sup>(١)</sup>

فجعل «الذي» جمعاً.

### فصل

اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالى له هذا المثل من أحوال المنافقين على قولين: أحدهما: أنه ضرب بكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة النفوس وحقق الدماء، فإذا ماتوا سلبهم الله ذلك العز، كما سلب صاحب النار ضوءه. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس. والثاني: أنه ضرب لإقبالهم على المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول، فذهاب نورهم: إقبالهم على الكافرين والضلال، وهذا قول مجاهد. وفي المراد بـ«الظلمات» هاهنا أربعة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: ظلمة الكفر، قاله مجاهد. والثالث: ظلمة يلقاها الله عليهم بعد الموت، قاله قتادة. والرابع: أنها نفاقهم، قاله السدي.

### فصل

وفي ضرب المثل لهم بالنار ثلاث حكم: إحداها: أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره، لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة، فكانهم لما أقرؤا بالسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم؛ كان نور إيمانهم كالمستعار. والثانية: أن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة الحطب، فهو له كغذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد ليدوم. والثالثة: أن الظلمة الحادثة بعد الضوء أشد على الإنسان من ظلمة لم يجد معها ضياء، فشب حالهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمًى﴾. الصمم: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطرش. وفي البكم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخرس، قاله مقاتل، وأبو عبيد، وابن فارس. والثاني: أنه عيب في اللسان لا يتمكن معه من النطق، وقيل: إن الخرس يحدث عنه. والثالث: أنه عيب في الفؤاد يمنعه أن يعي شيئاً يفهمه، فيجمع بين الفساد في محل الفهم ومحل النطق، ذكر هذين القولين شيخنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله قتادة ومقاتل. والثاني: لا يرجعون إلى الإسلام، قاله السدي. والثالث: لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمى، وإنما أضاف الرجوع إليهم، لأنهم انصرفوا باختيارهم، لغلبة أهوائهم عن تصفح الهدى بآلات التصفح، ولم يكن بهم صمم ولا بكم حقيقة، ولكنهم لما التفتوا عن سماع الحق والطلق به؛ كانوا كالصم البكم. والعرب تسمي المعرض عن الشيء: أعمى، والملتفت عن سماعه: أصم، قال مسكين الدارمي:

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره	ألا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ما جارتني خرجت	حتى يوارى جارتني الخدر
وتصمُّ مما بينهم أذني	حتى يكون كأنه وقر

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَمْيسِرٍ بَيْنَ الْمَنَمَاءِ﴾. «أو»: حرف مردود على قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَثَلُ الَّذِي أَسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ واختلف العلماء فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه داخل هاهنا للتخيير، تقول العرب: جالس الفقهاء أو النحويين، ومعناه: أنت

(١) البيت للأشهب بن ربيعة. وפלج: واد بين البصرة وحمل ضربة، كانت فيه هذه الوقعة التي ذكرها.

مخير في مجالسة أي الفريقين شئت، فكانه خيرنا بين أن نضرب لهم المثل الأول أو الثاني. والثاني: أنه داخل للإيهام فيما قد علم الله تحصيله، فأبهم عليهم ما لا يطلبون تفصيله، فكانه قال: مثلهم كأحد هذين. ومثله قوله تعالى: ﴿فَبَيَّنَّا كَالْجِبَارِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله. قال لبيد:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما  
هل أنا إلا من أحد هذين الفريقين، وقد فنيا، فسيلي أن أفنى كما فنيا. والثالث: أنه بمعنى: بل. وأنشد الفراء:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى  
وصورتها أو أنت في العين أملح  
والرابع: أنه للتفصيل، ومعناه: بعضهم يشبه بالذي استوقد ناراً، وبعضهم بأصحاب الصبب. ومثله قوله تعالى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٣٥] معناه: قال بعضهم، وهم اليهود: كونوا هوداً، وقال النصارى: كونوا نصارى. وكذا قوله: ﴿فَبَيَّنَّا هَآ بَآسَنَآ بَيِّنَاتٍ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] معناه: جاءه بعضهم بأسنا بيئاتاً، وجاء بعضهم بأسنا وقت القائلة. والخامس: أنه بمعنى الواو. ومثله قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُوا مِن بُرَيْرِكُمْ أَوْ بُرَيْرُكُمْ أَوْ سَيُّدُكُمْ﴾ [النور: ٦١] قال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً  
كما أتى ربه موسى على قدر  
والسادس: أنه للشك في حق المخاطبين، إذ الشك مرتفع عن الحق عز وجل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] يريد: فالإعادة أهون من الابتداء فيما تظنون. فاما التفسير لمعنى الكلام: أو كأصحاب صيب، فأضمر الأصحاب، لأن في قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْوَعًا مِنْ أَصْوَعِهِمْ﴾، دليلاً عليه. والصيب: المطر. قال ابن قتيبة: هو فيعل<sup>(١)</sup> من صاب يصبوب: إذا نزل من السماء، وقال الزجاج: كل نازل من علو إلى استفال، فقد صاب يصبوب، قال الشاعر:

كانهم صابت عليهم سحابة  
صواعقها لطيرهن دبيب  
وفي الرعد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صوت ملك يزجر السحاب، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وبه قال ابن عباس ومجاهد. وفي رواية عن مجاهد: أنه صوت ملك يسبح. وقال عكرمة: هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل. والثاني: أنه ريح تختنق بين السماء والأرض. وقد روي عن أبي الجلد أنه قال: الرعد: الريح. واسم أبي الجلد: جيلان بن أبي فروة البصري، وقد روى عنه قتادة. والثالث: أنه اصطكاك أجرام السحاب، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله. وفي البرق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاريق يسوق بها الملك السحاب، روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ، وهو قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عن علي قال: هو ضربة بمخراق من حديد. وعن ابن عباس: أنه ضربة بسوط من نور. قال ابن الأنباري: المخاريق: ثياب تلف، ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً، فشب السوط الذي يضرب به السحاب بذلك المخراق. قال عمرو بن كلثوم:

كان سيوفنا فينا وفيهم  
مخاريق بأيندي لأعبيننا  
وقال مجاهد: البرق: مصع ملك، والمصع: الضرب والتحريك. والثاني: أن البرق: الماء، قاله أبو الجلد. وحكى ابن فارس أن البرق: تلالو الماء. والثالث: أنه نار تنقذ من اصطكاك أجرام السحاب لسيره، وضرب بعضه لبعض، حكاه شيخنا. والصواعق: جمع صاعقة، وهي صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة من نار تحرق ما تصيبه. وروي عن شهر بن حوشب: أن الملك الذي يسوق السحاب، إذا اشتد غضبه، طار من فيه النار، فهي الصواعق. وقال غيره: هي نار تنقذ من اصطكاك أجرام السحاب. قال ابن قتيبة: وإنما سميت صاعقة، لأنها إذا أصابت قتلت، يقال: صعقتهم أي: قتلتهم.

(١) ولما اجتمعت المياه والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء، وأدغمت فاصرات «صيب» ونظيره: ميت وسيد وهين ولين.

(٢) أخرجه أحمد في «المستند»، والنسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وهو حديث طويل أجاب فيه الرسول ﷺ عن أسئلة يهود، انظر «مستند أحمد» (٢٤٨٣).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ حَيُّطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يفوته أحد منهم، فهو جامعهم يوم القيامة. ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَلْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] قاله مجاهد. والثاني: أن الإحاطة: الإهلاك، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَلْبِطْ بِشَرِّهِ﴾ [الكهف: ٤٢]. والثالث: أنه لا يخفى عليه ما يفعلون.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ إِذَا تَخَلَّفَ أَبْصَرُهُمْ﴾. يكاد بمعنى: يقارب، وهي كلمة إذا أثبتت انتفى العمل، وإذا نفيت ثبت الفعل. وسئل بعض المتأخرين فقبل له:

أنحوي هذا العصر ما هي كلمة  
إذا نفيت والله يشهد أثبتت  
جرت بلساني جرهم وثمرود  
وإن أثبتت قامت مقام جحدود  
ويشهد للإثبات عند النفي قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] وقوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُ لَرَّ يَكْدُ يَرْهًا﴾ [النور: ٤٠] ومثله: ﴿وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢] ويشهد للنفي عند الإثبات قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ﴾ [البقرة: ٢٠] و﴿يَكَادُ سَنًا بَرْقِي﴾ [النور: ٤٣] و﴿يَكَادُ زَيْبًا يَبْقَى﴾ [النور: ٣٥]. وقال ابن قتيبة: كاد بمعنى: همّ ولم يفعل. وقد جاءت بمعنى [الإثبات] قال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت  
لعينيه مي سافراً كاد يَبْرَقَ  
أي: لو تعرضت له لبرق، أي: دهش وتحير. قلت: وقد قال ذو الرمة في المنفية ما يدل أنها تستعمل للإثبات، وهو قوله:

إذا غير النأي المحبين لم يكد  
رسيس الهوى من حب مئة يبرح  
أراد: لم يبرح.

قوله تعالى: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾. قرأ الجمهور بفتح الياء، وسكون الخاء وفتح الطاء. وقرأ أبان بن تغلب، وأبان بن يزيد كلاهما عن عاصم، بفتح الياء وسكون الخاء، وكسر الطاء مخففاً. ورواه الجعفي عن أبي بكر عن عاصم، بفتح الياء وكسر الخاء، وتشديد الطاء، وهي قراءة الحسن كذلك، إلا أنه كسر الياء. وعنه: فتح الياء والخاء مع كسر الطاء المشددة. ومعنى ﴿يَخْطَفُ﴾: يستلب، وأصل الاختطاف: الاستلاب، ويقال لما يخرج به الدلو: خطاف، لأنه يختطف ما علق به. قال النابغة:

خطاطيف حجن في حبال متينة  
والحجن المتعققة<sup>(١)</sup> وجمل خيطف: سريع المر، وتلك السرعة الخطفى.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَشَاءَ لَهُمْ﴾. قال الزجاج: يقال: ضاء الشيء يضوء، وأضاء يضيء، وهذه اللغة الثانية هي المختارة.

## فصل

اختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخويف الذي في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب إذا علم النبي والمؤمنون بنفاقهم، قاله مجاهد والسدي. والثالث: أنه ما يخافونه من الدعاء إلى الجهاد، وقتال من يبطنون مودته، ذكره شيخنا. واختلقوا: ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما يتبين لهم من مواعظ القرآن وحكمه. والثاني: أنه ما يضيء لهم من نور إسلامهم الذي يظهرونه. والثالث: أنه مثل لما يتألمونه بإظهار الإسلام من حقن دماهم، فإنه بالإضافة إلى ما ذخر لهم في الأجل كالبرق. واختلفوا في معنى قوله: ﴿يَجْمَلُونَ أَمْسِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الْوَعْدِ﴾ على قولين: أحدهما: أنهم كانوا يفرون من سماع القرآن لئلا يأمرهم بالجهاد مخافة الموت، قاله الحسن والسدي. والثاني: أنه مثل لإعراضهم عن

(١) في الأصل: المتوقفة، وهو خطأ. وقال ابن قتيبة في «الشعر والشعراء»: رأيت علماءنا يستجدون معناه، ولست أرى ألفاظه جيداً، ولا مينة لمعناه، لأنه أراد: أنت في قدرتك عليّ، كخطاطيف عقف يمد بها، وأنا كدلو تمد بلك الخطاطيف.

القرآن كراهية له، قاله مقاتل. واختلفوا في معنى ﴿كُلَّمَا أَصَاةَ لَهُمْ مَثْوًا فِيهِ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: كلما أتاهم القرآن بما يحبون تابعوه، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أن إضاعة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلى متابعتها، قاله قتادة. والثالث: أنه تكلمهم بالإسلام، ومشيههم فيه، اعتدائهم به، فإذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالة، قاله مقاتل. والرابع: أن إضاعته لهم: تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان، ومشيههم فيه: إقامتهم على المسالمة بإظهار ما يظهرونه. ذكره شيخنا. فأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَطْلَمَ عَنِّي﴾ فمن قال: إضاعته: إتيانه إياهم بما يحبون، قال: إظلامه: إتيانه إياهم بما يكرهون. وعلى هذا سائر الأقوال التي ذكرناها بالعكس. ومعنى ﴿قَاتِلُوا﴾: وقفوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْصَرُهُمْ﴾. قال مقاتل: معناه: لو شاء لأذهب أسمعهم وأبصارهم عقوبة لهم. قال مجاهد: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في نعت المنافقين. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. اختلف العلماء فيمن عني بهذا الخطاب على أربعة أقوال: أحدها: أنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس. والثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، قاله الحسن ومجاهد. والثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي. والرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل. و﴿النَّاسِ﴾ اسم للحيوان الآدمي. وسما بذلك لتحركهم في مراداتهم. والنوس: الحركة. وقيل: سموا أناساً لما يعتريهم من النسيان. وفي المراد بالعبادة هاهنا قولان: أحدهما: التوحيد. والثاني: الطاعة، روي عن ابن عباس. والخلق: الإيجاد. وإنما ذكر من قبلهم، لأنه أبلغ في التذكير، وأقطع للجحد، وأحوط في الحجة. وقيل: إنما ذكر من قبلهم، لينبههم على الاعتبار بأحوالهم من إثابة مطيع، ومعاقبة عاص. وفي «لعل» قولان: أحدهما: أنها بمعنى كي، وأنشدوا في ذلك:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا

فلما كفنا الحرب كانت عهودكم

نكف ووثقتم لنا كل مَوثق

كلمع سراب في الملا مثالق<sup>(١)</sup>

يريد: لكي نكف، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل وقطرب وابن كيسان. والثاني: أنها بمعنى الترجي، ومعناها: اعبدوا الله راجين للتقوى، ولأن تقوا أنفسكم بالعبادة عذاب ربكم. وهذا قول سيبويه. قال ابن عباس: لعلكم تتقون الشرك، وقال الضحاك: لعلكم تتقون النار. وقال مجاهد: لعلكم تطيعون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَشًا﴾. إنما سميت الأرض أرضاً لسعتها، من قولهم: أرضت القرحة: إذا اتسعت. وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما سفل: أرض، وقيل: لأن الناس يرضونها بأقدامهم، وسميت السماء سماء لعلوها. قال الزجاج: وكل ما علا على الأرض فاسمه بناء، وقال ابن عباس: البناء هاهنا بمعنى السقف.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾. يعني: من السحاب. ﴿فَلَا يَجْمَعُوا إِلَهُ أَنْدَادًا﴾ يعني: شركاء، أمثالاً. يقال: هذا ند هذا، ونديده. وفيما أريد بالأنداد هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد، والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. فيه ستة أقوال: أحدها: وأنتم تعلمون أنه خلق السماء، وأنزل الماء، وفعل ما شرحه في هذه الآيات، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل. الثاني: وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والإنجيل، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو يخرج على قول من قال: الخطاب لأهل الكتاب. والثالث: وأنتم تعلمون أنه لا ند له، قاله مجاهد. والرابع: أن العلم هاهنا بمعنى العقل، قاله ابن قتية. والخامس: وأنتم تعلمون أنه لا يقدر على فعل ما ذكره أحد سواه. ذكره شيخنا علي بن عبيد الله. والسادس: وأنتم تعلمون أنها حجارة، سمعته من الشيخ أبي محمد بن الخشاب.

(١) لا يعرف قائلها. والملا: الصحراء، والمتع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾. سبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنما لفي شك منه، فنزلت هذه الآية. وهذا مروى عن ابن عباس ومقاتل. و«إن» هاهنا لغير شك، لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون، ولكن هذا عادة العرب، يقول الرجل لابنه: إن كنت ابني فأطعني. وقيل: إنها هاهنا بمعنى إذ، قال أبو زيد: ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّرُوا مَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ يَوْمَ يَمُوتُ بَشَرٌ﴾. قال ابن قتبية: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسارت، يعني [أفضلت] لأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء، أي منزلة بعد منزلة. قال النابغة في النعمان:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

والسورة في هذا البيت: سورة المجد، وهي مستعارة من سورة البناء. وقال ابن الأنباري: قال أبو عبيدة: إنما سميت السورة سورة لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، مثل سورة البناء. ومعنى: أعطاك سورة، أي: منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك. قال ابن القاسم: ويجوز أن تكون سميت سورة لشرفها، تقول العرب: له سورة في المجد، أي: شرف وارتفاع، أو لأنها قطعة من القرآن من قولك: أسارت سوراً، أي: أبقيت بقية، وفي هاء «مثله» قولان: أحدهما: أنها تعود على القرآن المنزل، قاله قتادة، والفراء ومقاتل. والثاني: أنها تعود على النبي ﷺ، فيكون التقدير: فأتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي، ذكره أبو عبيدة والزجاج وابن القاسم. فعلى هذا القول: تكون «من» لابتداء الغاية، وعلى الأول: تكون زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. فيه قولان: أحدهما: أن معناه: استعينوا<sup>(١)</sup> من المعونة، قاله السدي والفراء. والثاني: استغيثوا من الاستغاثة، وأنشدوا:

فلما التقت فرساننا<sup>(٢)</sup> ورجالهم دعوا يال كعب واعتزينا لعامر<sup>(٣)</sup>

وهذا قول ابن قتبية: وفي «شهادتهم» أقوال: أحدها: أنهم ألهمهم، قاله ابن عباس والسدي ومقاتل والفراء. قال ابن قتبية: وسموا شهداء، لأنهم يشهدونهم، ويحضرونهم. وقال غيره: لأنهم عبدوهم ليشهدوا لهم عند الله. والثاني: أنهم أعوانهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن معناه: فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن، روي عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. أي: في قولكم: إن هذا القرآن ليس من عند الله، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾. في هذه الآية مضمّر مقدّر، يقتضي الكلام تقديمه، وهو أنه لما تحداهم بما في الآية الماضية من التحدي، فسكتوا عن الإجابة؛ قال: ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أعظم دلالة على صحة نبوة نبينا، لأنه أخبر أنهم لا يفعلون، ولم يفعلوا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ آثَارَ النَّارِ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. والوقود: بفتح الواو: الحطب، وبضمها: التوقد، كالوضوء بالفتح: الماء، وبالضم: المصدر، وهو: اسم حركات المتوضئ. وقرأ الحسن وقاتدة: «وقودها»، بضم الواو، والاختيار الفتح. والناس أوقدوا فيها بطريق العذاب، والحجارة، لبيان قوتها وشدتها، إذ هي محرقة للحجارة. وفي هذه الحجارة قولان: أحدهما: أنها أصنامهم التي عبدوها، قاله الربيع بن أنس. والثاني: أنها حجارة الكبريت، وهي أشد الأشياء حرّاً إذا أحميت، يعذبون بها. ومعنى «أُعِدَّتْ»: هيئت. وإنما خوّفهم بالنار إذا لم يأتوا بمثل القرآن، لأنهم إذا كذبوه، وعجزوا عن الإتيان بمثله؛ ثبتت عليهم الحجة، وصار الخلاف عناداً، وجزاء المعاندين النار.

(٢) في الأصل: مرساننا.

(١) في «معاني القرآن» للفراء: استغيثوا بهم.

(٣) هذا البيت للراعي النميري. عزي واعتزى: انتسب، ودعا في الحرب بمثل قوله: يا لفلان أو يا للمهاجرين أو يا للأنصار، والاسم العزاء والعزوة، وهي دعوى المستغيث: «لسان العرب».



قوله تعالى: ﴿وَيُخَيِّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. البشارة: أول خبر يرد على الإنسان، وسمي بشارة، لأنه يؤثر في بشرته، فإن كان خيراً، أثر المسرة والانبساط، وإن شراً، أثر الانجماع والغم، والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير، وقد تستعمل في الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿يُخَيِّرُ الْمُتَفَيِّضِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابُكَ أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا الْفَلَاحِينَ﴾. يشمل كل عمل صالح، وقد روي عن عثمان بن عفان أنه قال: أخلصوا الأعمال. وعن علي رضي الله عنه قال: أقاموا الصلوات المفروضات. فأما الجنات، فجمع جنة. وسميت الجنة جنة، لاستتار أرضها بأشجارها، وسمي الجن جناً، لاستتارهم، والجنين من ذلك، والدرع جنة، وجن الليل: إذا ستر، وذكر عن المفضل أن الجنة: كل بستان فيه نخل. وقال الزجاج: كل نبت كثف وكثر وستر بعضه بعضاً، فهو جنة. قوله تعالى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: من تحت شجرها لا من تحت أرضها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فزق الغداة كرزق العشي، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل. والثاني: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، قاله مجاهد وابن زيد. والثالث: أن ثمر الجنة إذا جُني خلفه مثله، فإذا رأوا ما خلف الجنى، اشتبه عليهم، فقالوا: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا بِهِ مُطَهَّرًا﴾. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله مجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل. والثاني: أنه متشابه في جودته، لا رديء فيه، قاله الحسن وابن جريج. والثالث: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطعم، قاله قتادة وابن زيد. فإن قال قائل: ما وجه الامتنان بمتشابهه، وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنه متشابه المنظر مختلف الطعم، كان أغرب عند الخلق وأحسن، فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفاكهة، كان نهاية في العجب. وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة؛ جاز اختلافه في الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني؛ كان أطرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: في الخلق، فإنهن لا يحضن ولا يبلمن، ولا يأتين الخلاء. وفي الخلق، فإنهن لا يحسدن، ولا يغرن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن. قال ابن عباس: نقية عن القذى والأذى. قال الزجاج: «ومطهرة» أبلغ من طاهرة، لأنه للتكثير. والخلود: البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ضَرِبَ مَثَلًا فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ١٧]. ونزول قوله: ﴿كَذَّبِلَ الْمَكِّيِّينَ أَفَعَدَّتْ يَدَا﴾ [النكبت: ٤١]. قالت اليهود: وما هذا من الأمثال؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس والحسن وقاتل والفراء. والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين المتقدمين، وهما قوله تعالى: ﴿كَذَّبِلَ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] وقوله: ﴿أَوْ كَمِيسِرَ بَيْنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩] قال المناقون: الله أجل وأعلى من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواه السدي عن أشياخه. وروي عن الحسن ومجاهد نحوه. والحياء بالمد: الانقباض والاحتشام، غير أن صفات الحق لا يطلع لها على ماهية، وإنما تمر كما جاءت. وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ»<sup>(١)</sup>. وقيل: معنى لا يستحيي: لا يترك. وحكى ابن جرير الطبري عن بعض اللغويين أن معنى لا يستحيي: لا يخشى. ومثله: ﴿وَيَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٧] أي: تستحيي منه. فالاستحياء والخشية ينوب كل واحد منهما عن الآخر. وقرأ مجاهد وابن محيصن: لا يستحي يباء واحدة، وهي لغة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾. قال ابن عباس: أن يذكر شيئاً. واعلم أن فائدة المثل أن يبين للمضروب له الأمر الذي ضرب لأجله، فينجلي عامضه.

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي عن سلمان رضي الله عنه وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ولفظه «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردعها صفراً».



قوله تعالى: ﴿مَا بَعُوضَةٌ﴾. ما زائدة، وهذا اختيار أبي عبيدة والزجاج والبصريين. وأنشدوا للناطقة:

[قالت]: ألا ليتما هذا الحمام لنا

وذكر أبو جعفر الطبري أن المعنى: ما بين بعوضة إلى ما فوقها، ثم حذف ذكر: «بين» و«إلى» إذ<sup>(١)</sup> كان في نصب البعوضة، ودخول الفاء في «ما» الثانية؛ دلالة عليهما، كما قالت العرب: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجملًا، وهي أحسن الناس ما قرناً قدماً [يعنون: ما بين قرنها إلى قدمها]<sup>(٢)</sup>. وقال غيره: نصب البعوضة على البذل من المثل. وروى الأصمعي عن نافع: «بعوضة» بالرفع، على إضمار هو. والبعوضة: صغيرة البق.

قوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: فما فوقها في الكبر، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، والفراء. والثاني: فما فوقها في الصغر، فيكون معناه: فما دونها، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: وقد يكون الفوق بمعنى: دون، وهو من الأضداد، ومثله: الجون؛ يقال للأسود والأبيض. والصريم: الصبح، والليل. والسدفة: الظلمة، والضوء. والجلل: الصغير، والكبير. والناهل: العطشان، والريان. والمائل: القائم، واللاطئ بالأرض. والصارخ: المغيث، والمستغيث. والهاجد: المصلي بالليل، والنائم. والرهوة: الارتفاع، والانحدار. والتلعة: ما ارتفع من الأرض، وما انهبط من الأرض. والظن: يقين، وشك. والأقراء: الحيض، والأطهار. والمفرع في الجبل: المصعد، والمنحدر. والوراء: خلفاً، وقدأماً. وأسرت الشيء: أخفيته، وأعلته. وأخفيت الشيء: أظهرته وكتمته. ورتوت الشيء: شدته، وأرخيته. وشعبت الشيء: جمعته، وفرقته. وبغت الشيء بمعنى: بعته، واشتريته. وشريت الشيء: اشتريته، وبعته. والحي خلوف: غيب، ومتخلفون. واختلفوا في قوله: ﴿يُضِلُّ يَوْمَ كَثِيرًا وَيَهْدِي يَوْمَ كَثِيرًا﴾ هل هو من تمام قول الذين قالوا: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ أو هو مبتدأ من كلام الله ﷻ على قولين: أحدهما: أنه تمام الكلام الذي قبله، قاله الفراء، وابن قتيبة. قال الفراء: كأنهم قالوا: ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد، يضل به هذا، ويهدي به هذا؟! ثم استأنف الكلام والخبر عن الله ﷻ فقال الله: ﴿وَمَا يُضِلُّ يَوْمَ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]. والثاني: أنه مبتدأ من قول الله تعالى، قاله السدي ومقاتل. فاما الفسق؛ فهو في اللغة: الخروج، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها. فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إلى معصيته. وفي المراد بالفاسقين هاهنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: المنافقون، قاله أبو العالية والسدي. والثالث: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾. هذه صفة للفاسقين، وقد سبقت فيهم الأقوال الثلاثة. والنقض: ضد الإبرام، ومعناه: حل الشيء بعد عقده. وينصرف النقض إلى كل شيء بحسه، فنقض البناء: تفريق جمعه بعد إحكامه. ونقض العهد: الإعراض عن المقام على أحكامه. وفي هذا العهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ والوصية باتباعه، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ما عهد إليهم في القرآن، فأقروا به ثم كفروا، قاله السدي. والثالث: أنه الذي أخذه عليهم حين استخرج ذرية آدم من ظهره، قاله الزجاج. ونحن وإن لم نذكر ذلك العهد، فقد ثبت بخبر الصادق، فيجب الإيمان به. وفي «من» قولان: أحدهما: أنها زائدة، والثاني: أنها لا ابتداء الغاية، كأنه قال: ابتداء نقض العهد من بعد ميثاقه. وفي هاء «ميثاقه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فتقديره: بعد إحكام التوفيق فيه. وفي: الذي أمر الله أن يوصل: ثلاثة أقوال: أحدها: الرحم والقربة، قاله ابن عباس وقتادة والسدي. والثاني: أنه رسول الله ﷺ قطعوه بالتكذيب، قاله الحسن. والثالث: الإيمان بالله، وأن لا يفرق بين أحد من رسله، فأمّنوا ببعض وكفروا ببعض، قاله مقاتل. وفي فسادهم في الأرض ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استدعاهم الناس إلى الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله السدي، ومقاتل. والثالث: أنه قطعهم الطريق على من جاء مهاجراً إلى النبي ﷺ لينمعو الناس من الإسلام. والخسران في اللغة: النقصان.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ في كيف قولان: أحدهما: أنه استفهام في معنى التعجب، وهذا التعجب للمؤمنين، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون، وقد ثبت حجة الله عليهم، قاله ابن قتيبة والزجاج. والثاني: أنه استفهام خارج مخرج التقرير والتوبيخ. تقديره: ويحكم! كيف تكفرون بالله؟! قال المعجاج:

أطرباً وأنت قنـسـري  
أراد: أتعرب وأنت شيخ كبير؟!، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَنًا﴾. قال الفراء: أي: وقد كنتم أمواتاً. ومثله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي: قد حصرت. ومثله: ﴿وَإِنْ كَانَ فَيْصُكُمْ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف: ٢٧] أي: فقد كذبت، ولولا إضمار «قد» لم يجز مثله في الكلام. وفي الحياتين، والموتيتين أقوال: أصحها: أن الموتة الأولى، كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً، فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم إلى الدنيا، ثم يحييهم للبعث يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس وقتادة ومقاتل والفراء وتعلب، والزجاج، وابن قتيبة، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لأجلكم، فبعضه للانتفاع، وبعضه للاعتبار. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾، أي: عمد إلى خلقها، والسما: لفظها لفظ الواحد، ومعناها، معنى الجمع، بدليل قوله: ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾. وأيهما أسبق في الخلق: الأرض، أم السماء؟ فيه قولان: أحدهما، الأرض، قاله مجاهد. والثاني: السماء، قاله مقاتل. واختلفوا في كيفية تكميل خلق الأرض وما فيها، فقال ابن عباس: بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السموات في يومين، وقدر فيها أقواتها في يومين. وقال الحسن ومجاهد: جمع خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام متوالية، ثم خلق السماء في يومين. والعليم: جاء على بناء: فعيل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ﴾. كان أبو عبيدة يقول: «إذ» ملغاة، وتقدير الكلام: وقال ربك، وتابعه ابن قتيبة، وعاب ذلك عليهما الزجاج وابن القاسم. وقال الزجاج: إذ: معناها: الوقت، فكأنه قال: ابتداء خلقكم إذ قال ربك للملائكة. والملائكة: من الأولوك، وهي الرسالة، قال لبيد:

وغلـام أرسلـته أمـه  
بـالـوك فبـذلـنا ما سـال

وواحد الملائكة: ملك، والأصل فيه: ملاك. وأنشد سيبويه:

فلست لإنسي ولكن لملاك  
تنزل من جو السماء يصب

قال أبو إسحاق: ومعنى ملاك: صاحب رسالة، يقال: مألكة ومألكة وملاكة. ومالك: جمع مألكة. قال الشاعر:

أبلغ النعمان عني مالكا  
أنه قد طال حبسي وانتظاري

وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أهبط إلى الأرض، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. ونقل أنه كان في الأرض قبل آدم خلق، فأفسدوا، فبعث الله إبليس في جماعة من الملائكة فأهلكوهم. واختلفوا ما المقصود في إخبار الله ﷻ الملائكة بخلق آدم على ستة أقوال: أحدها: أن الله تعالى علم في نفس إبليس كبراً، فأحب أن يطلع الملائكة عليه، وأن يظهر ما سبق عليه في علمه، رواه الضحاك عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة، قاله الحسن، والثالث: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: ربنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية منهم، وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم، فقال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] قاله ابن زيد. والرابع: أنه أراد إظهار عجزهم عن الإحاطة بعلمه، فأخبرهم حتى قالوا: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ فأجابهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ بِمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. والخامس: أنه أراد تعظيم آدم بذكره بالخلافة قبل وجوده، ليكونوا معظمين له إن أوجده. والسادس: أنه أراد إعلامهم بأنه خلقه ليسكنه الأرض، وإن كان ابتداء خلقه في السماء. والخليفة: هو القائم مقام غيره، يقال: هذا

خلف فلان وخليفته. قال ابن الأنباري: والأصل في الخليفة خليف، بغير هاء، فدخلت الهاء للمبالغة في مدحه بهذا الوصف، كما قالوا: علامة ونسابة وراوية. وفي معنى خلافة آدم قولان: أحدهما: أنه خليفة عن الله تعالى في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد. والثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباس والحسن.

قوله تعالى: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ظاهر الألف الاستفهام، دخل على معنى العلم ليقع به تحقيق. قال جرير:

الستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح

معناه: أنتم خير من ركب المطايا. والثاني: أنهم قالوه لاستعلاء وجه الحكمة، لا على وجه الاعتراض. ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سألوا عن حال أنفسهم، فتقديره: أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح بحمدك، أم لا؟ وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالى، أم قاسوا على حال من قبلهم؟ فيه قولان: أحدهما: أنه بتوقيف من الله تعالى، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وابن زيد وابن قتيبة. وروى السدي عن أشياخه: أنهم قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا؟﴾ والثاني: أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم، روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثُكَ الْيَمَّةَ﴾. قرأ الجمهور بكسر الفاء، وضما ابن مصرف وإبراهيم بن أبي عبلة، وهما لغتان، وروي عن طلحة وابن مقسم: وَيُسْفَكُ: بضم الياء، وفتح السين، وتشديد الفاء مع كسرها، وهي لتكثير الفعل وتكريره. وسفك الدم: صبّه وإراقته وسفحه، وذلك مستعمل في كل مضيغ، إلا أن السفك يختص الدم، والصب والسفح والإراقة يقال في الدم وفي غيره. وفي معنى تسييحهم أربعة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قول: سبحان الله، قاله قتادة. والثالث: أنه: التعظيم والحمد، قاله أبو صالح. والرابع: أنه الخضوع والذل، قاله محمد بن القاسم الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. القدس: الطهارة، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: ننتظرك لعمالك أعمالهم، قاله ابن عباس. والثاني: نعظمك ونكبرك، قاله مجاهد. والثالث: نصلي لك، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَلْمُؤُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: أعلم ما في نفس إبليس من البغي والمعصية، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي عن أشياخه. والثاني: أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قتادة. والثالث: أعلم أنني أملا جهنم من الجنة والناس، قاله ابن زيد. والرابع: أعلم عواقب الأمور، فأنا ابتلي من تظنون أنه مطيع، فيؤديه الابتلاء إلى المعصية كإبليس، ومن تظنون به المعصية فيطيع، قاله الزجاج.

### الإشارة إلى خلق آدم ﷺ

روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ﷻ خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر [والأبيض] والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، والخبيث والطيب» قال الترمذي: هذا حديث صحيح<sup>(١)</sup>. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً». وأخرج مسلم في أفراد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، ما بين العصر إلى الليل». قال ابن عباس: لما نفخ فيه الروح، أثنى النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجري منه في شيء إلا صار لحماً ودماً.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. في تسمية آدم قولان: أحدهما: لأنه خلق من أديم الأرض، قاله ابن

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان.

عباس وابن جبير والزجاج. والثاني: أنه من الأدمة في اللون، قاله الضحاك والنضر بن شميل وقطرب. وفي الأسماء التي علمه قولان: أحدهما: أنه علمه كل الأسماء، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. والثاني: أنه علمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة. ثم فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه علمه أسماء الملائكة، قاله أبو العالية. والثاني: أنه علمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إنسان وملك وجني وطائر، قاله عكرمة. والثالث: أنه علمه أسماء ما خلق من الأرض من الدواب والهوام والطير، قاله الكلبي ومقاتل وابن قتيبة. والرابع: أنه علمه أسماء ذريته، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾. يريد: أعيان الخلق على الملائكة، قال ابن عباس: الملائكة هاهنا: هم الذين كانوا مع إبليس خاصة.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ﴾: أخبروني.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقاً هو أفضل منكم وأعلم، قاله الحسن. والثاني: أني أجعل فيها من يفسد فيها، قاله السدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾. قال الزجاج: لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسييح هو: التنزيه لله تعالى عن كل سوء. والعليم بمعنى: العالم، جاء على بناء «فعليل» للمبالغة. وفي الحكيم قولان: أحدهما: أنه بمعنى الحاكم، قاله ابن قتيبة. والثاني: المحكم للأشياء، قاله الخطابي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَكُدُّمُ أَلَيْسَ﴾ أي: أخبرهم، وروي عن ابن عباس: أنبئهم بكسر الهاء، قال أبو علي: قراءة الجمهور على الأصل، لأن أصل هذا الضمير أن تكون الهاء مضمومة فيه، ألا ترى أنك تقول: ضربهم وأبناءهم، وهذا لهم. ومن كسر أتبع كسر الهاء التي قبلها وهي كسرة الباء. والهاء والميم تعود على الملائكة. وفي الهاء والميم من «أسمائهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على المخلوقات التي عرضها، قاله الآكثرون. والثاني: أنها تعود على الملائكة، قاله الربيع بن أنس. وفي الذي أبدوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفِيدُ فِيهَا﴾، ذكره السدي عن أشياخه. والثاني: أنه ما أظهوره من السمع والطاعة لله حين مروا على جسد آدم، فقال إبليس: إن فضل هذا عليكم ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، فقال إبليس في نفسه: لئن فضّلت عليه لأهلكته، ولئن فضل عليّ لأعصيته، قاله مقاتل. وفي الذي كنموه قولان: أحدهما: أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالى لا يخلق خلقاً أكرم منهم، قاله الحسن وأبو العالية وقتادة. والثاني: أنه ما أسره إبليس من الكبر والعصيان، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد وابن جبير ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ عامة القراءة على كسر التاء من الملائكة، وقرأ أبو جعفر والأعمش بضمها في الوصل، قال الكسائي: هي لغة أزد شنوءة. وفي هؤلاء الملائكة قولان: أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم طائفة من الملائكة، روي عن ابن عباس، والأول أصح. والسجود في اللغة: التواضع والخضوع، وأنشدوا:

ساجد المنخر ما يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع

وفي صفة سجودهم لآدم قولان: أحدهما: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو الأظهر. والثاني: أنه الانحناء والميل المساوي للركوع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ في هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، فهو على هذا القول من الملائكة، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس. وقد روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، ثم مسخه الله تعالى شيطاناً. والثاني: أنه من غير الجنس، فهو من الجن، قاله الحسن والزهري. قال ابن عباس: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر السماء الدنيا. فإن قيل: كيف استثنى وليس من الجنس؟ فالجواب: أنه أمر بالسجود معهم، فاستثنى منهم، لأنه لم يسجد، وهذا كما تقول: أمرت عبيدي وإخوتي فأطاعوني إلا عبيدي، هذا قول الزجاج. وفي إبليس قولان: أحدهما: اسم أعجمي ليس بمشتق، ولذلك لا يصرف، هذا قول أبي عبيدة، والزجاج وابن الأنباري.



والثاني: أنه مشتق من الإبلّاس، وهو: اليأس، روي عن أبي صالح، وذكره ابن قتبية وقال: إنه لم يصرف، لأنه لا سمي له، فاستقل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والأول أصح، لأنه لو كان من الإبلّاس لصرف، ألا ترى أنك لو سميت رجلاً: بإخريط وإجفيل؛ لصرف في المعرفة.

قوله تعالى: ﴿أَن﴾ معناه: امتنع، ﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ استفعل من: الكبر، وفي ﴿وَكَانَ﴾ قولان: أحدهما: أنها بمعنى: صار، قاله قتادة. والثاني: أنها بمعنى الماضي، فمعناه: كان في علم الله كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَكَادُمُ اسْمُكَ أَنتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةُ﴾ زوجة: حواء، قال الفراء: أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها: الأزواج. وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون: زوجة، ويجمعونها: زوجات. قال الشاعر:

فإن الذي يسعى يحرقش زوجتي  
كماشي إلى أسد الشرى يستبيلها<sup>(١)</sup>  
وأنشدني أبو الجراح:

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم  
أن ليس وصل إذا انحلت عرى الذنب  
وفي الجنة التي أسكنها آدم قولان: أحدهما: جنة عدن. والثاني: جنة الخلد. والرغد: الرزق الواسع الكثير، يقال: أرغد فلان: إذا صار في خصب وسعة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ هَذِهِ الْقُرْآنَ﴾ أي: بالأكل، لا بالدنو منها. وفي الشجرة ستة أقوال: أحدها: أنها السنبلة، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وهب بن منبه، وقتادة، وعطية العوفي، ومحارب بن دثار، ومقاتل. والثاني: أنها الكرم، روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وجعدة بن هبيرة. والثالث: أنها التين، روي عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج. والرابع: أنها شجرة يقال لها: شجرة العلم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والخامس: أنها شجرة الكافور، نقل عن علي بن أبي طالب. والسادس: أنها النخلة، روي عن أبي مالك. وقد ذكروا وجهاً سابعاً عن وهب بن منبه أنه قال: هي شجرة الخلد، وإنما الكلام على جنسها.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. قال ابن الأنباري: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلم الرجل سقاه إذا سقاه قبل أن يخرج زبده. وقال الشاعر:

وصاحب صدق لم تربني شكاته  
ظلمت وفي ظلمي له عامداً أجراً  
أراد بالصاحب: وطب اللين، وظلمه إياه: أن يسقيه قبل أن يخرج زبده. والعرب تقول: هو أظلم من حية، لأنها تأني الحفر الذي لم تحفره فتسكنه، ويقال: قد ظلم الماء الوادي: إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى. فإن قيل: ما وجه الحكمة في تخصيص تلك الشجرة بالنهي؟ فالجواب: أنه ابتلاء من الله تعالى بما أراد. وقال أبو العالية: كان لها ثقل من بين أشجار الجنة، فلما أكل منها، قيل: اخرج إلى الدار التي تصلح لما يكون منك.

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأُخْرِجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾. أزلهما بمعنى: استزلهما، وقرأ حمزة: (فأزلهما)، أراد: نحاها. قال أبو علي الفارسي: لما كان معنى ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةَ﴾ اثبتا فيها، فثبتا؛ قابل حمزة الثبات بالزوال الذي يخالفه، ويقوي قراءته: ﴿فَأُخْرِجَهُمَا﴾. والشيطان: إبليس، وأضيف الفعل إليه، لأنه السبب. وفي هاء (عنها) ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الجنة. والثاني: ترجع إلى الطاعة. والثالث: ترجع إلى الشجرة. فممعناه: فأزلهما بزلّة صدرت عن الشجرة. وفي كيفية إزالته لهما، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه احتال حتى دخل إليهما الجنة، وكان الذي أدخله الحية<sup>(٢)</sup>، قاله ابن عباس والسدي. والثاني: أنه وقف على باب الجنة، وناداهما، قاله الحسن. والثالث: أنه وسوس إليهما، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة ولا مشاهدة، قاله ابن إسحاق، وفيه بعد. قال الزجاج: الأجود: أن يكون خاطبهما، لقوله: ﴿وَقَاَسَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢١]. واختلف العلماء في معصية آدم بالأكل، فقال قوم: إنه نهى عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها. وقال آخرون: تأول الكراهة في النهي دون التحريم.

(١) البيت قاله الفرزدق. ومعنى يستبيلها: أي يأخذ ببولها يده، كما في اللسان.

(٢) هذا من الأخبار الإسرائيلية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْبَطُوا بِمَنكُرٍ يَتِيمٍ عَدُوٍّ وَلَكْرٍ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَسَتَعْلَىٰ جِبْنَ﴾ الهبوط بضم الهاء: الانحدار من علو، وفتح الهاء: المكان الذي يهبط فيه، وإلى من انصرف هذا الخطاب؟ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه انصرف إلى آدم وحواء والحية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إلى آدم وحواء وإبليس والحية، حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: إلى آدم وإبليس، قاله مجاهد. والرابع: إلى آدم وحواء وإبليس، قاله مقاتل. والخامس: إلى آدم وحواء وذريتهما، قاله الفراء. والسادس: إلى آدم وحواء فحسب، ويكون لفظ الجمع واقعاً على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحَكِيمَتِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] ذكره ابن الأنباري، وهو العلة في قول مجاهد أيضاً. واختلف العلماء: هل أهبطوا جملة أو متفرقين؟ على قولين: أحدهما: أنهم أهبطوا جملة، لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة، قاله كعب، وهب. والثاني: أنهم أهبطوا متفرقين، فهبط إبليس قبل آدم، وهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأبلة<sup>(١)</sup> قاله مقاتل. وروي عن ابن عباس أنه قال: أهبطت الحية بنصيبين، قال: وأمر الله تعالى جبريل بإخراج آدم، فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت عليه، فقال: أيها الملك ارفق بي. قال جبريل: إني لا أرفق بمن عصى الله، فارتعد آدم واضطرب، وذهب كلامه، وجبريل يعاتبه في معصيته، ويعتد نعم الله عليه، قال: وأدخل الجنة ضحوة، وأخرج منها بين الصلاتين، فمكث فيها نصف يوم، خمسمائة عام مما يعد أهل الدنيا. وفي العداوة المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذرية بعضهم أعداء لبعض، قاله مجاهد. والثاني: أن إبليس عدو لآدم وحواء، وهما له عدو، قاله مقاتل. والثالث: أن إبليس عدو للمؤمنين، وهم أعداؤه، قاله الزجاج. وفي المستقر قولان: أحدهما: أن المراد به القبور، حكاه السدي عن ابن عباس. والثاني: موضع الاستقرار، قاله أبو العالية، وابن زيد، والزجاج، وابن قتيبة، وهو أصح. والمتاع: المنفعة. والحين: الزمان. قال ابن عباس: ﴿إِلَىٰ جِبْنَ﴾، أي: إلى فناء الأجل بالموث.

قوله تعالى: ﴿فَلَقَّ قَادِمٌ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ الرَّحِيمُ﴾. تلقى: بمعنى أخذ، وقبل. قال ابن قتيبة: كان الله تعالى أوحى إليه أن يستغفره [ويستقبله] بكلام من عنده، ففعل [ذلك آدم] فتاب عليه. وقرأ ابن كثير: (فتلقى آدم) بالنصب، (كلمات): بالرفع؛ على أن الكلمات هي الفاعلة. وفي الكلمات أقوال: أحدها: أنها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَتَا لَكُنَّ مِنَ الْخَسِيرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٣]. قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وعبيد بن عمير، وأبو بن كعب، وابن زيد. والثاني: أنه قال: أي رب؛ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: ألم تنفخ في من روحي؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك إلي قبل غضبك؟ قال: بلى. قال: ألم تسجد لي ملائكتك، وتسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب [أرايت] إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم. حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: أنه قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فأتب علي، إنك فارحمني، فأنت خير الراحمين، [اللهم] لا إله إلا أنت، سبحانه وبحمده، رب إني ظلمت نفسي فتاب علي، إنك أنت التواب الرحيم. زواه ابن أبي نجيع<sup>(٢)</sup> عن مجاهد. وقد ذكرت أقوال من كلمات الاعتذار تقارب هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾. أصل التوبة: الرجوع، فالتوبة من آدم: رجوعه عن المعصية، وهي من الله تعالى: رجوعه عليه بالرحمة، والثواب الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر قبوله، وإنما لم تذكر حواء في التوبة، لأنه لم يجر لها ذكر، لا أن توبتها لم تقبل. وقال قوم: إذا كان معنى فعل الاثنين واحداً؛ جاز أن يذكر أحدهما ويكون المعنى لهما، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسُوهُ﴾ [التوبة: ٦٣] وقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَهْبَطُوا مِنْهَا جِئِمَاً فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٧] في إعادة ذكر الهبوط - وقد تقدم - قولان: أحدهما: أنه أعيد لأن آدم أهبط إهابطين؛ أحدهما: من الجنة إلى السماء، والثاني: من السماء إلى الأرض. وأيهما الإهابط المذكور في هذه الآية؟ فيه قولان. والثاني: أنه إنما كرر الهبوط تأكيداً.

(١) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى (معجم البلدان).

(٢) في الأصلين: ابن كثير، وهو خطأ، فإن الراوي لهذا الأثر من مجاهد هو ابن أبي نجيع كما في الطبري.



قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه «إن» التي للجزاء، ضمت إليها «ما» والأصل في اللفظ «إن ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبت على الإدغام، فإذا ضمت «ما» إلى «إن» لزم الفعل النون الثقيلة أو الخفيفة. وإنما تلزمه النون لأن «ما» تدخل مؤكدة، ودخلت النون مؤكدة أيضاً، كما لزم التلام النون في القسم في قولك: والله لتفعلن، وجواب الجزء الفاء. وفي المراد بـ «الهدى» هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسول، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: الكتاب، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. وقرأ يعقوب: «فلا خوف»: بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ ابن محيصن بضم الفاء من غير تنوين. والمعنى: فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب، ولا هم يحزنون عند الموت. والخوف لأمر مستقبل، والحزن لأمر ماضٍ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ في معنى الآية: ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العلامة، فمعنى آية: علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها، والذي بعدها، قال الشاعر:

ألا أبليغ لديك بني تميم  
بآية ما يحبون الطعاما  
وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها  
لستة أعوام وذا العام سابع  
وهذا اختيار أبي عبيد. والثاني: أنها سميت آية، لأنها جماعة حروف من القرآن، وطائفة منه. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: خرج القوم بأيتهم، أي: بجماعتهم. وأنشدوا:

خرجنا من النقيبين لا حي مثلنا  
بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا<sup>(١)</sup>

والثالث: أنها سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلان آية من الآيات؛ أي: عجب من العجائب. ذكره ابن الأنباري. وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: آيات الكتب التي تتلى. والثاني: معجزات الأنبياء. والثالث: القرآن. والرابع: دلائل الله في مصنوعاته. وأصحاب النار: سكانها، سماها أصحاباً، لصحبتهما إياها بالملازمة.

قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرًا يَبْقَىٰ إِلَٰهِي أَنَسْتُ عَلَيْكُمْ وَأَدْرَأُ يَهْدِي أَوْفٍ يَهْدِيكُمْ وَلَئِنِّي قَاتِلٌ لَّيُؤَيِّنَ﴾ ﴿٤٠﴾. إسرائيل: هو يعقوب، وهو اسم أعجمي. قال ابن عباس: ومعناه: عبد الله. وقد لفظت به العرب على أوجه، فقالت: إسرائيل، وإسرائيل، وإسرائيلين. قال أمية:

إنني زارد الحديد على النا  
لا أرى من يعينني في حياتي  
وقال أعرابي صاد ضباً، فأتى به أهله:  
يقول أهل السوق لما جينا:

هذا ورب البيت إسرائيلينا  
أراد: هذا مما مسخ من بني إسرائيل. والنعمة: المنة، ومثلها: النعماء. والنعمة، بفتح النون: التمتع، وأراد بالنعمة: النعم، فوحدها، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ بَعْدَ ذَلِكَ ظُهُورٌ﴾ [التحریم: ٤]. أي: ظهراء. وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ قاله ابن عباس. والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن والزجاج. وإنما من عليهم بما أعطى آبائهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآباء عار على الأبناء. والثالث: أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال. والمراد من ذكرها: شكرها، إذ من لم يشكر فما ذكر.

(١) نزجي: نسوق. اللقاح: ذوات الألبان من النوق. المطافل: النوق معها أولادها.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا﴾. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أوفيت، وأهل نجد يقولون: وفيت، بغير ألف. قال الزجاج. يقال: وفى بالعهد، وأوفى به، وأنشد:

أما ابن طوق فقد أوفى بدمته

كما وفى بقلاص النجم حاديها<sup>(١)</sup>

وقال ابن قتيبة: يقال: وفيت بالعهد، وأوفيت به، وأوفيت الكيل لا غير. وفي المراد بعهد: أربعة أقوال: أحدها: أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإسلام، قاله أبو العالية. والرابع: أنه العهد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٣] قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿أَوْفِ بِعِدَّتِكُمْ﴾. قال ابن عباس: أدخلكم الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَرِئَاسَى قَانِزِينَ﴾: أي: خافون.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهَا يَمَّا أَنْزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَكَّكُمْ﴾ يعني التوراة أو الإنجيل، فإن القرآن يصدقهما أنهما من عند الله، ويوافقهما في صفة النبي ﷺ. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَاذِبٍ يَدْعُ﴾ إنما قال: أول كافر، لأن المتقدم إلى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك، إذ المبادر لم يتأمل الحجة، وإنما بادر بالعناد، فحاله أشد. وقيل: ولا تكونوا أول كافر به بعد أن آمن، والخطاب لرؤساء اليهود. وفي هاتين قولان: أحدهما: أنها تعود إلى المنزل، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنها تعود على ما معهم، لأنهم إذا كنتموا وصف النبي ﷺ وهو معهم، فقد كفروا به، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَتَابِعِي تَبْنًا قَلِيلًا وَرِئَاسَى قَانِزِينَ﴾. أي: لا تستبدلوا [بآياتي] ثمنًا قليلًا. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما كانوا يأخذون من عرض الدنيا. والثاني: بقاء رئاستهم عليهم. والثالث: أخذ الأجرة على تعليم الدين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَمَاقُونَ﴾. تلبسوا: بمعنى تخلطوا. يقال: لبست الأمر عليهم، البسه: إذا عميته عليهم، وتخليطهم أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبي الأمي، ولم يذكر أنه من العرب. وفي المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه أمر النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، وأبو العالية، والسدي ومقاتل. والثاني: أنه الإسلام، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾. يريد: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس، والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء، والزيادة. يقال: زكا الزرع يزكو زكاء. وقال ابن الأنباري: معنى الزكاة في كلام العرب: الزيادة والنماء، فسميت زكاة، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات. ويقال: هذا أزكى من ذاك، أي: أزيد فضلًا منه.

قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. أي: صلوا مع المصلين. قال ابن عباس: يريد محمدًا ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم. وقيل: إنما ذكر الركوع، لأنه ليس في صلاتهم ركوع، والخطاب لليهود. وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع، وهي إحدى الروايتين عن أحمد رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَبُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسْوُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُو الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كان الرجل يقول لقريبه من المسلمين في السر: اثبت على ما أنت عليه فإنه حق. والالف في ﴿أَقْرَبُونَ﴾ ألف الاستفهام، ومعناه التوبيخ. وفي «البر» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التمسك بكتابهم، كانوا يأمرون باتباعه ولا يقومون به. والثاني: اتباع محمد ﷺ، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: الصدقة، كانوا يأمرون بها، ويبخلون. ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَتَسْوُونَ﴾ أي: تتركون. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة، قاله الجمهور. والثاني: أنه القرآن، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود.

(١) قلاص النجم: هي المشرون نجمًا التي ساقها الديبران في خطبة الثريا كما تزعم العرب. والبيت لطيف الغنوي.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبِيحُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) الأصل في الصبر: الحبس، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع. وسمي الصائم صابراً لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع، والمصبورة: البهيمة تتخذ غرضاً. وقال مجاهد: الصبر هاهنا: الصوم. وفيما أمروا بالصبر عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه ترك المعاصي، قاله قتادة. والثالث: عدم الرئاسة، وهو خطاب لأهل الكتابين، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأْهُمْ﴾ في المكنى عنها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن عباس والحسن، ومجاهد والجمهور. والثاني: أنها الكعبة والقبلة، لأنه لما ذكر الصلاة، دلت على القبلة، ذكره الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها الاستعانة، لأنه لما قال: ﴿وَأَسْتَبِيحُوا﴾ دل على الاستعانة، ذكره محمد بن القاسم النحوي.

قوله تعالى: ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ قال الحسن والضحاك: الكبيرة: الثقيلة، مثل قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] أي: ثقل، والخشوع في اللغة: التظامن والتواضع، وقيل: السكون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ آيَاتَهُمْ تُنْقَضُوا عَنْهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجُومٌ﴾ (٤٦). الظن هاهنا: بمعنى اليقين، وله وجوه قد ذكرناها في كتاب «الوجوه والظواهر».

قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ بُرْهَانٌ أَكْثَرُ بِرَيْبٍ أَلَيْسَ أَمْسَتْ عَلَيْكَ وَأَنَّىٰ قُلُوبُكَ عَلَى الْغَالِبِينَ﴾ (٤٧) يعني: على عالمي زمانهم، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن زيد. قال ابن قتيبة: وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفَعُوا يَوْمًا لَا تُجْزَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ (٤٨). قال الزجاج: كانت اليهود تزعم أن آباءها الأنبياء شفع لهم يوم القيامة، فأيسهم الله بهذه الآية من ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفَعُوا يَوْمًا﴾ [فيه] إضمار، تقديره: اتقوا عذاب يوم، أو: ما في يوم. والمراد باليوم يوم القيامة و«تجزى» بمعنى تقضي<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: يقال: جزى الأمر عني يجزي، بغير همز، أي: قضى عني، وأجزاني يجزئني، مهموز، أي: كفاني.

قوله تعالى: ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾. قالوا: المراد بالنفس هاهنا: النفس الكافرة، فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾. قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، إلا أن قتادة فتح الياء، ونصب الشفاعة، ليكون الفعل لله تعالى. قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فلأن الاسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث، ومن قرأ بالياء، فلأن التأنيث في الاسم الذي أسند إليه الفعل ليس بحقيقي، فحمل على المعنى، كما أن الوعظ والموعظة بمعنى واحد. وفي الآية إضمار، تقديره: لا يقبل منها فيه شفاعة. و«الشفاعة» مأخوذة من الشفع الذي يخالف الوتر، وذلك أن سؤال الشفيع يشفع سؤال المشفوع له. فأما «العدل» فهو الفداء، وسمي عدلاً، لأنه يعادل المفدى. واختلف اللغويون: هل «العدل» و«العدل» بفتح العين وكسرهما، يختلفان، أم لا؟ فقال الفراء: العدل بفتح العين: ما عادل الشيء من غير جنسه، والعدل بكسرهما: ما عادل الشيء من جنسه، فهو المثل، تقول: عندي عدل غلامك، بفتح العين: إذا أردت قيمته من غير جنسه، وعندي عدل غلامك، بكسر العين: إذا كان غلام يعدل غلاماً. وحكى الزجاج عن البصريين أن العدل والعدل في معنى المثل، وأن المعنى واحد، سواء كان المثل من الجنس أو من غير الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ أي: يمنعون من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْنِتْكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ مِثْلَ الْكَلابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْيِنُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩) تقديره: واذكروا إذ نجيناكم، وهذه النعم على آبائهم كانت. وفي «آل فرعون» ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) في الأصل تقتضي. وفي نسخة (ب) وتجزى بمعنى تقتضي. والصواب ما أثبتنا.

أنهم أهل مصر، قاله مقاتل. والثاني: أهل بيته خاصة، قاله أبو عبيدة. والثالث: أتباعه على دينه، قاله الزجاج. وهل الآل والأهل بمعنى، أو يختلفان؟ فيه قولان: وقد شرحت معنى الآل في كتاب «النظائر». وفرعون: اسم أعجمي، وقيل: هو لقبه. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: الوليد بن مصعب، قاله الأكثرون. والثاني: فيطوس<sup>(١)</sup>، قاله مقاتل. والثالث: مصعب بن الريان، حكاه ابن جرير الطبري. والرابع: مغيث، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: يولونكم. يقال: فلان يسومك خسفاً، أي: يوليكَ ذلاً واستخفافاً. وسوء العذاب: شديده. وكان الزجاج يرى أن قوله: ﴿يَذُحُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ تفسير لقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾، وأبى هذا بعض أهل العلم، فقال: قد فرق الله بينهما في موضع آخر، فقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَذُحُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦] وإنما سوء العذاب: استخدامهم في أصعب الأعمال، وقال الفراء: الموضع الذي طرحت فيه الواو، تفسير لصفات العذاب، والموضع الذي فيه الواو، يبين أنه قد مسهم من العذاب غير الذبح، فكانه قال: يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعِينُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ أي: يستبقون نساءكم، أي: بناتكم. وإنما استبقوا نساءهم للاستدلال والخدمة. وفي البلاء هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى النعمة، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن قتبية والزجاج. والثاني: أنه النعمة، رواه السدي عن أشياخه. فعلى هذا القول يكون «ذا» في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ عائداً على سؤمهم سوء العذاب، وذبح أبنائهم واستحياء نسايتهم، وعلى القول الأول يعود على النجاة من آل فرعون. قال أبو العالية: وكان السبب في ذبح الأبناء، أن الكهنة قالت لفرعون: سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك على يديه، فقتل الأبناء. قال الزجاج: فالعجب من حمق فرعون، إن كان الكاهن عنده صادقاً، فما ينفع القتل؟ وإن كان كاذباً، فما معنى القتل؟!

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْلَأْنَاهُ مَاءً وَأَنشَرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ الفرق: الفصل بين الشيئين، و«بكم» بمعنى «الكم». وإنما ذكر آل فرعون دونه، لأنه قد علم كونه فيهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنشَرْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قولان: أحدهما: أنه من نظر العين، معناه: وأنتم ترونهم يفرقون. والثاني: أنه بمعنى العلم، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الْأَطْلَ﴾ [الفرقان: ٤٥]. قاله الفراء.

### الإشارة إلى قصتهم

روى السدي عن أشياخه: أن الله تعالى أمر موسى أن يخرج بني إسرائيل، وألقى على القبط الموت، فمات بكر كل رجل منهم، فأصبحوا يدفنونهم، فشفغوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. قال عمر بن ميمون: فلما خرج موسى بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تبعوهم حتى يصبح الديك، فما صاح ديك ليلتئذ. قال أبو السليل: لما انتهى موسى إلى البحر قال: هيه<sup>(٢)</sup> أبا خالد، فأخذه أكل، يعني: رعدة، قال مقاتل: تفرق الماء يميناً وشمالاً كالجبيلين المتقابلين، وفيهما كوى ينظر كل سبط إلى الآخر. قال السدي: فلما رآه فرعون متفرقاً قال: ألا ترون البحر فرق مني، فانفتح لي؟ فأتت خيل فرعون فأبت أن تقترحم، فنزل جبريل على ماذيانة، فتشامت الحصن ربح الماذيانة، فافتحمت في إثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج، ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾. قرأ أبو جعفر وأبو عمرو: «وعدنا» بغير ألف هاهنا وفي (الأعراف) و(طه) ووافقهما أبان عن عاصم في (البقرة) خاصة. وقرأ الباقر «واعدنا» باللف. ووجه القراءة الأولى: أفراد الوعد من الله تعالى، ووجه الثانية: أنه لما قبل موسى وعد الله ﷻ، صار ذلك مواعدة بين الله تعالى وبين موسى. ومثله: ﴿لَا تُؤَاخِذُهُمْ بِسِرِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. ومعنى الآية: وعدنا موسى تنمة أربعين ليلة، أو انقضاء أربعين ليلة. وموسى: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية: موشا، فمو: هو الماء، وشا: هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر، فعرب بالسين. ولماذا كان هذا الوعد؟ فيه قولان: أحدهما: لأخذ التوراة. والثاني: للتكليم. وفي هذه المدة قولان: أحدهما: أنها ذو

(١) في «البحر المحيط» فطوس.

في الأصل: هي، و«أبو خالد» كنى به البحر.



القعدة وعشر من ذي الحجة، وهذا قول من قال: كان الوعد لإعطاء التوراة. والثاني: أنها ذو الحجة وعشر من المحرم، وهو قول من قال: كان الوعد للتكليم، وإنما ذكرت الليالي دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تبعاً لليالي. وقال أبو بكر النقاش: إنما ذكر الليالي، لأنه أمره أن يصوم هذه الأيام ويواصلها بالليالي، فلذلك ذكر الليالي وليس بشيء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٥١) ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ من بعده، أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل.

### الإشارة إلى اتخاذهم العجل

روى السدي عن أشياخه أنه لما انطلق موسى، واستخلف هارون، قال هارون: يا بني إسرائيل! إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلّي القبط غنيمة فاجمعوه واحفروا له حفيرة، فادفنوه، فإن أحله موسى فخذوه، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه، ففعلوا. قال السدي: وكان جبريل قد أتى إلى موسى ليذهب به إلى ربه، فرآه السامري، فأنكره وقال: إن لهذا شأنًا، فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس، فقفذها في الحفيرة، فظهر العجل. وقيل: إن السامري أمرهم بإلقاء ذلك الحلي، وقال: إنما طالت غيبة موسى عنكم لأجل ما معكم من الحلي، فاحفروا لها حفيرة وقيروها إلى الله، يبعث لكم نبيكم، فإنه كان عارية، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً قولان: أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس، والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألو موسى أن يجعل لهم إلهاً وأنكر عليهم؛ أخرج السامري لهم في غيبته عجلاً لما رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيد. وفي كيفية اتخاذ العجل قولان: أحدهما: أن السامري كان صوّاعاً، فصاغه وألقى فيه القبضة، قاله علي وابن عباس. والثاني: أنهم حفروا حفيرة، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواربهم تنزهاً عنها، فألقى السامري القبضة من التراب، فصار عجلاً. روي عن ابن عباس أيضاً. قال ابن عباس: صار لحماً ودماً وجسداً، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى قد جاء، وأخطأ موسى الطريق، فعبدوه وزفّنوا حوله<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٥٢) الكتاب: التوراة. وفي الفرقان خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني: أنه ما في التوراة من الفرق بين الحق والباطل، فيكون الفرقان نعتاً للتوراة، قاله أبو العالية. والثالث: أنه الكتاب، فكرره بغير اللفظ. قال عدي بن زيد:

فألفى قولها كذباً وميناً

وقال عترة:

أفوى وأقفر بعد أم الهيثم

هذا قول مجاهد، واختيار الفراء والزجاج. والرابع: أنه فرق البحر لهم، ذكره الفراء والزجاج وابن القاسم. والخامس: أنه القرآن. ومعنى الكلام: لقد آتينا موسى الكتاب، ومحمداً الفرقان، ذكره الفراء، وهو قول قطرب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقِيمُوا لَكُمْ بِقُورِهِمْ يَوْمَ يُقَامُ الصِّرَاطُ﴾ (٥٣) لَكُمْ بِقُورِهِمْ يَوْمَ يُقَامُ الصِّرَاطُ: اسم للرجال دون النساء، قال الله تعالى: ﴿لَا يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قُورِهِمْ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ سَأَلِهِمْ﴾ (الحجرات: ١١). وقال زهير:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟

وإنما سموا قوماً، لأنهم يقومون بالأمر.

قوله تعالى: ﴿فَقُورُوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ قال أبو علي: كان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحزمة والكسائي يكسرون الهمزة من غير اختلاس ولا تخفيف. وروى اليزيدي وعبد الوارث عن أبي عمرو: (بارئكم) بجزم الهمزة. روى عنه

العباس بن الفضل: «بارئكم» مهموزة غير مثقلة. وقال سيبويه: كان أبو عمرو يختلس الحركة في: «بارئكم» و: «يأمركم» وما أشبه ذلك مما تنوّل في الحركات، فیری من سمعه أنه قد أسكن ولم يسكن. والبارئ: الخالق. ومعنى «قَاتَلُوا أَنْفُسَهُمْ»: ليقتل بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس ومجاهد. واختلفوا فيمن خوطب بهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للكل، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد، قاله مقاتل. والثالث: أنه خطاب للعابدين فحسب، أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الإشارة بقوله: «ذا» في: «ذلكم» قولان: أحدهما: أنه يعود إلى القتل. والثاني: أنه يعود إلى التوبة.

### الإشارة إلى قصتهم في ذلك

قال ابن عباس: قالوا لموسى: كيف يقتل الآباء الأبناء، والإخوة الإخوة؟ فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً، فقالوا: فما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلاح فلا يقتل، وترفع الظلمة. فقتلوا حتى خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسى: العفو العفو. فبكى موسى، فنزلت التوبة، وقام السلاح، وارتفعت الظلمة. قال مجاهد: بلغ القتلى سبعين ألفاً. قال قتادة: جعل القتل للقتيل شهادة، وللحي توبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُونُ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأُنْثِرْتُمْ نَضْرَوْنَ ۖ ثُمَّ بَيَّنَّتْكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمْ لَكُمُ تَفَكُّرُونَ ۝٥١﴾. في القائلين لموسى ذلك قولان: أحدهما: أنهم السبعون المختارون، قاله ابن مسعود وابن عباس. والثاني: جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم، قاله ابن زيد، قال: وذلك، أنه أتاهم بكتاب الله، فقالوا: والله لا نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرة؛ فيقول: هذا كتابي. وفي «جهرة» قولان: أحدهما: أنه صفة لقولهم، أي: جهرها بذلك القول، قاله ابن عباس وأبو عبيدة. والثاني: أنها الرؤية البينة، أي: أرناه غير مستتر عنا بشيء، يقال: فلان يتجاهر بالمعاصي، أي: لا يستتر من الناس، قاله الزجاج. ومعنى «الصاعقة»: ما يصعقون منه، أي: يموتون. ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَيَّنَّتْكُمْ﴾ هذا قول الأكثرين. وزعم قوم أنهم لم يموتوا، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مَوْثِي صَيْقًا﴾ وهذا قول ضعيف، لأن الله تعالى فرق بين الموضعين، فقال هناك: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وقال هاهنا: ﴿ثُمَّ بَيَّنَّتْكُمْ﴾ والإفاقة للمغشي عليه، والبعث للميت.

قوله تعالى: ﴿وَأُنْثِرْتُمْ نَضْرَوْنَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: ينظر بعضهم إلى بعض كيف يقع ميتاً. والثاني: ينظر بعضهم إلى إحياء بعض. والثالث: تنظرون العذاب كيف ينزل بكم، وهو قول من قال: نزلت نار فأحرقتهم. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا لَمَسْنَا عَلَى كُمْ النَّعَامَ وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ النَّارَ وَالسَّالَوَاتِي كُلًّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مَا زَفَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٢﴾. «النعام»: السحاب، سمي غماماً، لأنه يغم السماء، أي: يسترها، وكل شيء غطيته فقد غمته، وهذا كان في التيه. وفي المن ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك. والثاني: أنه الترنجيبين، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه صمغه، قاله مجاهد. والرابع: أنه يشبه الرب الغليظ، قاله عكرمة. والخامس: أنه شراب، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والسادس: أنه خبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النقي، قاله وهب. والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي. وفي السلوى قولان: أحدهما: أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السمانى، وقال بعضهم: هو السمانى. والثاني: أنه العسل<sup>(١)</sup> ذكره ابن الأنباري، وأنشد:

وقاسمها بالله جهداً لأنتم  
الأذن السلوى إذا ما نشورها

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ قال ابن عباس: ما نقصونا وضرونا، بل ضروا أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا مِنْهُ الْفَهْرَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾

(١) نقل ابن عطية أن السلوى طير بإجماع المفسرين، وغلط الشاعر، وهو خالد بن زهير الهذلي حين ظن أن السلوى العسل في البيت الذي استشهد به المصنف، وقد رد عليه القرطبي، بأن دعوى الإجماع لا تصح.



وَسَزَيِدُ النَّحْشِينَ ﴿٥٩﴾. في القائل لهم قولان: أحدهما: أنه موسى بعد مضي أربعين سنة. والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت موسى. والقرية: مأخوذة من الجمع، ومنه: قربت الماء في الحوض. والمقراة: الحوض يجمع فيه الماء. وفي المراد ي: ﴿مَدَّو الْقَرْيَةَ﴾ قولان: أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي. وروي عن ابن عباس أنها أريحا. قال السدي: وأريحا: هي أرض بيت المقدس. والثاني: أنها قرية من أداني قري الشام، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِلُّوا آلَآبَ شُجَكَ﴾ قال ابن عباس: وهو أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى: باب حطة. وقوله: (سجداً) أي: ركعاً. قال وهب: أمروا بالسجود شكراً لله تعالى إذ ردهم إليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وقرأ ابن السمينع وابن أبي عبلة (حطة) بالنصب. وفي معنى حطة ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: استغفروا، قاله ابن عباس ووهب. قال ابن قتيبة: وهي كلمة [أمروا أن يقولوها] في معنى الاستغفار، من: حططت، أي: حط عنا ذنوبنا. والثاني: أن معناها: قولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم، ذكره الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا إله إلا الله، قاله عكرمة. قال ابن جرير الطبري: فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم. [وهو قول: «لا إله إلا الله»]. ولماذا أمروا بدخول القرية؟ فيه قولان: أحدهما: أن ذلك للذنوب ركبوها فقبل: ﴿أَتَلَوْا مَدَّو الْقَرْيَةَ﴾، ﴿وَأَذِلُّوا آلَآبَ شُجَكَ﴾ وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفِّرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ قاله وهب. والثاني: أنهم ملوا المن والسلوى، فقبل: ﴿أَقِطُوا مَضْرَا﴾ فكان أول ما لقيهم أريحا، فأمروا بدخولها.

قوله تعالى: ﴿نَفِّرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: (نغفر لكم) بالنون مع كسر الفاء. وقرأ نافع وأبان عن عاصم (ينغفر) بياء مضمومة وفتح الفاء. وقرأ ابن عامر بياء مضمومة مع فتح الفاء.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَسُّ مَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٠﴾﴾. اعلم أن الله ﷻ أمرهم في دخولهم بفعل وقول، فالفعل السجود، والقول: حطة، فغير القوم الفعل والقول. فأما تغيير الفعل؛ ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم دخلوا متزحفين على أوراكهم. رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ (١). والثاني: أنهم دخلوا من قبل أستاهم، قاله ابن عباس وعكرمة. والثالث: أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم، قاله ابن مسعود (٢). والرابع: أنهم دخلوا على خروف عيونهم، قاله مجاهد. والخامس: أنهم دخلوا مستلقين، قاله مقاتل. وأما تغيير القول؛ ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم قالوا مكان «حطة»: حبة في شعرة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ. والثاني: أنهم قالوا: حنطة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، ووهب، وابن زيد. والثالث: أنهم قالوا: حنطاء فيها شعرة، قاله ابن مسعود. والرابع: أنهم قالوا: حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء، قاله السدي عن أشياخه. والخامس: أنهم قالوا: سنبلانا، قاله أبو صالح. فأما الرجز؛ فهو العذاب، قاله الكسائي وأبو عبيدة والزجاج. وأنشدوا لرؤبة:

حتى وقمنا كيده بالرجز

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظلمة وموت، مات منهم في ساعة واحدة، أربعة وعشرون ألفاً، وهلك سبعون ألفاً عقوبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصابهم الطاعون، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه التلج، هلك به منهم سبعون ألفاً، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَائِهِ فَقُلْنَا أَسْرِبْ بِمَمَّاكَ الْحَجَرُ فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّفْرَجَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَسْخَرُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾﴾. استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: استنصر. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه حجر معروف عين لموسى، قاله ابن عباس، وابن جبيرة، وقتادة، وعطية،

(١) الثابت عن رسول الله ﷺ من طريق أبي هريرة بلفظ «فدخلوا يزحفون على أستاههم» رواه البخاري في التفسير. أما لفظ «متزحفين على أوراكهم» فلم يرو عن أبي هريرة، وإنما هو من قول الحسن وقتادة كما في «تفسير الطبري».

(٢) وأشد هذا القول الطبري أيضاً إلى ابن عباس وعكرمة.

وابن زيد، ومقاتل. واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال. أحدها: أنه كان حجراً مربعاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان مثل رأس الثور، قاله عطية. والثالث: مثل رأس الشاة، قاله ابن زيد. وقال سعيد بن جبيرة: هو الذي ذهب بشباب موسى. فجاهه جبريل فقال: إن الله تعالى يقول لك: ارفع هذا الحجر، فلي فيه قدرة، ولك فيه معجزة، فكان إذا احتاج إلى الماء ضربه. والقول الثاني: أنه أمر بضرب أي حجر كان، والأول أثبت.

قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ تقدير معناه: فضرب فانفجرت، فلما عرف بقوله: «فانفجرت» أنه قد ضرب، اكتفى بذلك عن ذكر الضرب. ومثله: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِمِصَالِهِ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] قاله الفراء. ولما كان القوم اثني عشر سبطاً، أخرج الله لهم اثني عشرة عيناً، ولأنه كان فيهم تشاحن فسلموا بذلك منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْزُوا﴾ العثو: أشد الفساد، يقال: عثي، وعثا، وعاث. قال ابن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى ثَمُوزَ يَنْتَوِيحُ لَنْ تَصِيرَ عَلَٰى طَعَامٍ وَجِدَ قَانِعٌ لَّنَا. رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْتِجُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِكُمْ وَقَفْلِكُمْ وَفُومِكُمْ وَتَدْيِكُمْ وَيَسْلِيكُمْ قَالَ أَتَسْتَبِيلُونَ الْكَلْبَ هُوَ أَذَىٰ وَالْأَرَىٰ هُوَ خَيْرٌ أَفْعِلُوا بِضَرٍّ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهُمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَكَوْا بِمُفْسَرٍ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾. هذا قولهم في التيه. وعنوا بالطعام الواحد: المن والسلوى. قال محمد بن القاسم: كان المن يؤكل بالسلوى، والسلوى بالمن، فلذلك كانا طعاماً واحداً. والبقل هاهنا: اسم جنس، وعنوا به: البقول. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: تذهب العامة إلى أن البقل: ما يأكله الناس خاصة دون البهائم من النبات للنجم الذي لا يحتاج في أكله إلى طبخ، وليس كذلك، إنما البقل: العشب، وما ينبت الربيع مما يأكله الناس والبهائم، يقال: بقلت الأرض، وأبقلت، لغتان فصيحتان: إذا أنبت البقل. وابتقلت الإبل: إذا رعت. قال أبو النجم يصف الإبل:

تبقلت في أول التبقل بين رماحي مالك ونهشل

وفي «القفاء» لغتان: كسر القاف وضمها، والكسر أجود، وبه قرأ الجمهور. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وقتادة، وطلحة بن مصرف، والأعمش: بضم القاف. قال الفراء: الكسر لغة أهل الحجاز، والضم لغة تميم، وبعض بني أسد. وفي «الفوم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحنطة، قاله ابن عباس، والسدي عن أشياخه، والحسن وأبو مالك، قال الفراء: هي لغة قديمة، يقول أهلها: فُومًا لنا، أي: اختبزوا لنا. والثاني: أنه التوم، وهو قراءة عبد الله وأبي: «وثوما» واختاره الفراء، وعلل بأنه ذكر مع ما يشاكله، والفاء تبدل من الشاء، كما تقول العرب: الجدث، والجدف: للقبر، والأثافي والأثافي: للحجارة التي توضع تحت القدر. والمغافير، والمغاثير: لضرب من الصمغ. وهذا قول مجاهد، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكسائي، والنضر بن شميل، وابن قتيبة. والثالث: أنه الجوب، ذكره ابن قتيبة والزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبِيلُونَ الْكَلْبَ هُوَ أَذَىٰ﴾: أي: أردأ ﴿وَالْأَرَىٰ هُوَ خَيْرٌ﴾: أي: أعلى، يريد: أن المن والسلوى أعلى ما طلبتم.

قوله تعالى: ﴿أَفْعِلُوا بِضَرٍّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم لمصر من الأمصار غير معين، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وإنما أمروا بالمصر، لأن الذي طلبوه في الأمصار. والثاني: أنه أراد البلد المسمى بمصر. وفي قراءة عبد الله والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش «مصر» بغير تنوين، قال أبو صالح عن ابن عباس: أراد مصر فرعون، وهذا قول أبي العالقة والضحاك، واختاره الفراء، واحتج بقراءة عبد الله. قال: وسئل عنها الأعمش، فقال: هي مصر التي عليها صالح<sup>(١)</sup> بن علي. وقال مفضل الضبي: سميت مصرًا، لأنها آخر حدود المشرق، وأول حدود المغرب، فهي حد بينهما. والمصر: الحد. وأهل هجر يكتبون في عهدهم: اشترى فلان الدار بمصورها، أي: بحدودها. وقال عدي:

(١) في الأصل: سليمان، وهو خطأ. وصالح هذا: هو ابن علي بن عبد الله بن العباس، أول من ولي مصر من قبل أبي العباس السفاح سنة ١٣٣هـ.

وتوفي بقسنرين وهو عامل على حمص سنة ١٥٤هـ.

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به

بين النهار وبين الليل قد فصلا

وحكى ابن فارس أن قوماً قالوا: سميت بذلك لقصده الناس إياها، كقولهم: مصرت الشاة، إذا حلبتها، فالتاس يقصدونها، ولا يكادون يرغبون عنها إذا نزلوها.

قوله تعالى: ﴿وَتَغَيَّرَتْ طَنُفُهُ الْوَلَدُ﴾: أي: ألزموها، قال الفراء: الذلة والذل: بمعنى واحد. وقال الحسن: هي الجزية. وفي المسكنة قولان: أحدهما: أنها الفقر والفاقة، قاله أبو العالية، والسدي، وأبو عبيدة. وروي عن السدي قال: هي فقر النفس. والثاني: الخضوع، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَبَاءُ﴾: أي: رجعوا. وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغضب. وقيل: إلى جميع ما ألزموه من الذلة والمسكنة وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿وَيُتْلَىٰ لَكَ الْبَيِّنَاتُ﴾ كان نافع يهزم «البيِّن» و«الأنبياء» و«النبوة» وما جاء من ذلك، إلا في موضعين: في الأحزاب: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وإنما ترك الهمز في هذين الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وباقى القراءة لا يهزمون جميع المواضع. قال الزجاج: الأجود ترك الهمز. واشتقاق النبي من: نبأ، وأنبأ، أي: أخبر. ويجوز أن يكون من: نبا ينبو: إذا ارتفع، فيكون بغير همز: فعلاً، من الرفعة. قال عبد الله بن مسعود: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار. قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ الْحَقُّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بغير جرم، قاله ابن الأنباري. والثاني: أنه توكيد، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ تَمَىٰ الْقُلُوبُ أَلَىٰ لِي الشُّكُورُ﴾. والثالث: أنه خارج مخرج الصفة لقتلهم أنه ظلم، فهو كقوله تعالى: ﴿نَبِيًّا أَتَمَّ بِالْحَقِّ﴾ فوصف حكمه بالحق، ولم يدل على أنه يحكم بغير الحق.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعِدَّةِ﴾ أشد الظلم. وقال الزجاج: الاعتداء: مجاوزة القدر في كل شيء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْآلِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ وَكَانُوا صَالِحِينَ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْآلِينَ آمَنُوا﴾ فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسى قبل أن يبعث محمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين آمنوا بموسى، وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فأمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد. وهذا قول السدي عن أشياخه. والثالث: أنهم المنافقون، قاله سفيان الثوري. والرابع: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، ويحيى، وورقة بن نوفل، وسلمان. والخامس: أنهم المؤمنون من هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ قال الزجاج: أصل هادوا في اللغة: تابوا. وروي عن ابن مسعود أن اليهود سمووا بذلك، لقول موسى: ﴿هَذَا إِلَهِكُمْ﴾، والنصارى لقول عيسى: ﴿مَنْ آمَنَ بِمَا فِي الْكُتُبِ﴾. وقيل: سمو النصارى لقرية نزلها المسيح، اسمها: ناصرة، وقيل: لتناصرهم. فأما «الصابئون» فقرأ الجمهور بالهمز في جميع القرآن. وكان نافع لا يهزم كل المواضع. قال الزجاج: معنى الصابئين: الخارجون من دين إلى دين، يقال: صبا فلان: إذا خرج من دينه. وصباأت النجوم: إذا طلعت [وصبا نابه: إذا خرج]. وفي الصابئين سبعة أقوال: أحدها: أنه صنف من النصارى آلين قولاً منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس. والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير. والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم. والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية. والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة. والسابع: قوم يقولون: لا إله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ في إعادة ذكر الإيمان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر مع المؤمنين طوائف من الكفار رجع قوله: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ إليهم. والثاني: أن المعنى من أقام على إيمانه. والثالث: أن الإيمان الأول نطق المنافقين بالإسلام، والثاني: اعتقاد القلوب.

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: أقام الفرائض.

## فصل

وهل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟. فيه قولان: أحدهما: أنها محكمة، قاله مجاهد والضحاك في آخرين، وقدرها فيها: إن الذين آمنوا، ومن آمن من الذين هادوا. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ وَبُكَاءَ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ﴾، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا بِهِ لَكُمْ تُنْفُونَ ۝١٦﴾. الخطاب بهذه الآية لليهود. والميثاق: مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول. وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكروها الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مقاتل. قال أبو سليمان الدمشقي: أعطوا الله عهداً ليعملن بما في التوراة، فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من الثقل، امتنعوا من أخذها، فرفع الطور عليهم. والثاني: أنه ما أخذه الله تعالى على الرسل وتابعيهم من الإيمان بمحمد ﷺ، ذكره الزجاج. والثالث: ذكره الزجاج أيضاً، فقال: يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهر آدم.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ قال أبو عبيدة: الطور في كلام العرب: الجبل. وقال ابن قتيبة: الطور: الجبل بالسريانية. وقال ابن عباس: ما أنبت من الجبال فهو طور، وما لم ينبت فليس بطور. وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس. والثاني: جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة. والثالث: الجبل الذي تجلى له ربه، قاله مجاهد. وجمهور العلماء على أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة. وقال السدي: لإبائهم دخول الأرض المقدسة.

قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. وفي المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: الجد والاجتهاد، قاله ابن عباس وفتادة والسدي. والثاني: الطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: العمل بما فيه، قاله مجاهد. والرابع: الصدق، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَآذِكُوا مَا بِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: اذكروا ما تضمنه من الثواب والعقاب، قاله ابن عباس. والثاني: معناه: ادرسوا ما فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَنفَعُونَ﴾ قال ابن عباس: تنفون العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝١٧﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء الموائيق لتأخذه ببجد، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا قَوْلَهُ خَبِيرِينَ ۝١٨﴾ السبت: اليوم المعروف، قاله ابن الأنباري: ومعنى السبت في كلام العرب: القطع، يقال: قد سبت رأسه: إذا حلقه وقطع الشعر منه، ويقال: نعل سبتيه: إذا كانت مدبوغة بالقرظ مخلوقة الشعر، فسمي السبت سبتاً، لأن الله تعالى ابتداء الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض، أو: لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها. قال: وقال بعضهم: سمي سبتاً، لأن الله تعالى أمرهم بالاستراحة فيه من الأعمال، وهذا خطأ، لأنه لا يعرف في كلام العرب سبت بمعنى: استراح. وفي صفة اعتدائهم في السبت قولان: أحدهما: أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت، قاله الحسن ومقاتل. والثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفيرة؛ ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرم الله عليه العمل يوم السبت، فيقبل الموج بالحيتان حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق، فيأخذها يوم الأحد، قاله السدي.





قوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُهْلِكِينَ﴾. وإنما انتفى من الهزء، لأن الهازئ جاهل لاعب، فلما تبين لهم أن الأمر من عند الله، قالوا: ﴿أَنْعَ لَنَا رَبُّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾. قال الزجاج: وإنما سألوا: ما هي، لأنهم لا يعلمون أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميت. فاما الفارض فهي: المسنة، يقال: فرضت البقرة فهي فارض: إذا أسنت. والبكر: الصغيرة التي لم تلد، والعوان: دون المسنة، وفوق الصغيرة. يقال: حرب عوان: إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانية.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَ لَنَا رَبُّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾. قَالُوا أَنْعَ لَنَا رَبُّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾. في الصفراء قولان: أحدهما: أنه من الصفرة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباس، وقادة، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنها السوداء، قاله الحسن البصري، ورده جماعة، فقال ابن قتيبة: هذا غلط في نعوت البقر، وإنما يكون ذلك في نعوت الإبل، يقال: بعير أصفر، أي: أسود، لأن السوداء من الإبل يشوب سوادها صفرة، ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ لَوْثُهَا﴾ والعرب لا تقول: أسود فاقع، وإنما تقول: أسود حالك، وأصفر فاقع. قال الزجاج: وفاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأحمر قاني، وأخضر ناضر، وأبيض يقن، وأسود حالك، وحلكوك ودجوجي، فهذه صفات المبالغة في الألوان. ومعنى ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ تعجبهم، قال ابن عباس: شدد القوم فشدد الله عليهم. وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا أن بني إسرائيل استنوا لم يعطوا الذي أعطوا» يعني بذلك قولهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. وفي المراد باهتدائهم قولان: أحدهما: أنهم أرادوا: المهتدون إلى البقرة، وهو قول الأكثرين، والثاني: إلى القائل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنِّ حِثَّ وَالْعَقَى فَذَبْحُوهَا وَنَا كَادُوا يَقْتُلُوهَا﴾. ﴿٧١﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ قال قتادة: لم يذلها العمل فتثير الأرض. قال ابن قتيبة: يقال في الدواب: دابة ذلول: بينة الذل بكسر الذال، وفي الناس: رجل ذليل بين الذل بضم الذال. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، ويقال للبقرة: المثيرة. قال الفراء: لا تقفن على ذلول، لأن المعنى: ليست بذلول فتثير الأرض، وحكى ابن القاسم أن أبا حاتم السجستاني أجاز الوقف على ذلول، ثم أنكره عليه جداً، وعلل بأن التي تثير الأرض لا يعدم منها سقي الحرث؛ ومتى أثارت الأرض كانت ذلولاً. ومعنى: ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: لا يستقى عليها الماء لسقي الزرع.

قوله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مسلمة من العيوب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقادة، ومقاتل. والثاني: مسلمة من العمل، قاله الحسن وابن قتيبة. والثالث: مسلمة من الشية، قاله مجاهد وابن زيد، والرابع: مسلمة القوائم والخلق، قاله عطاء الخراساني. فأما الشية، فقال الزجاج: الوشي في اللغة: خلط لون بلون. ويقال: وشيت الثوب أشبه شية ووشياً، كقولك: وديت فلاناً أديه دية. ونصب: لا شية فيها، على النفي. ومعنى الكلام: ليس فيها لون يفارق سائر لونها. وقال عطاء الخراساني: لونها لون واحد.

قوله تعالى: ﴿الْفَنِّ حِثَّ وَالْعَقَى﴾ قال ابن قتيبة: الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حد الزمانين، حد الماضي من آخره، وحد المستقبل من أوله، ومعنى ﴿حِثَّ وَالْعَقَى﴾ بينت لنا.

قوله تعالى: ﴿وَنَا كَادُوا يَقْتُلُوهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: لغلاء ثمنها، قاله ابن كعب القرظي. والثاني: لخوف الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وهب. قال ابن عباس: مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل، فأبى أن يبيعهها إلا بملء مسكها ذهباً، وهذا قول مجاهد وعكرمة، وعبيدة، وهب، وابن زيد، والكلبي، ومقاتل في مقدار الثمن. فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها، فيحتمل وجهين: أحدهما: أنهم شددوا فشدد الله عليهم. والثاني: لإكرام الله ﷻ صاحبها، فإنه كان برأ بوالديه. فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني إسرائيل برأ بأبيه، ففجأ رجل يطلب سلعة هي عنده، فانطلق لبيعه إياها، فإذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائم، فلم يوقظه، ورد



المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلى أبيه، فوجده نائماً، فعاد إلى المشتري فردّه، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دأبهما حتى ذهب المشتري، فأثابه الله على برّه بأبيه أن نتجت له بقرة من بقره تلك البقرة. وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل أن فتى كان برأً بوالديه، وكان يحتطب على ظهره، فإذا باعه تصدق بثلثه، وأعطى أمه ثلثه، وأبقى لنفسه ثلثه، فالت له أمه يوماً: إني ورثت من أبيك بقرة، فتركها في البقر على اسم الله، فإذا آتيت البقر، فادعها باسم إله إبراهيم، فذهب فصاح بها، فأقبلت، فانطقها الله، فقالت: اركبني يا فتى، فقال [الفتى: إن أمي] لم تأمرني بهذا. فقالت: أيها البر بأمه! لو ركبتني لم تقدر عليّ، فانطلق، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله [وينطلق معك] لانقلع لبرك بأمك. فلما جاء بها قالت أمه: معها ثلاثة دنائير على رضى مني، فبعث الله ملكاً فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنائير على رضى من أمي. قال: لك ستة ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: معها ستة على رضى مني، فجاء الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبى، وعاد إلى أمه فأخبرها، فقالت: يا بني! ذاك ملكك، فقل له: بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتى يشتري بقرتك هذه موسى بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُوهَا فِيهَا وَاللَّهُ خَرَجَ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هذه الآية مؤخرة في التلاوة، مقدمة في المعنى، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها، فسألتم موسى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْوَحْيَ﴾ [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً، فأخر المقدم وقدم المؤخر، لأنه من عادة العرب. قال الفرزدق:

إن الفرزدق صخرة ملمومة

طالت فليس تنالها الأوعالا

أراد: طالت الأوعال. وقال جرير:

طاف الخيال وأين منك لماما

فارجع لزورك بالسلام سلاما

أراد: طاف الخيال لماماً، وأين هو منك؟ وقال الآخر:

خير من القوم العصاة أميرهم

- يا قوم فاستحيوا - النساء الجلّس

أراد: خير من القوم العصاة النساء، فاستحيوا من هذا. ومعنى قوله: ﴿فَادَرَأْتُمُوهَا﴾: اختلفتم، قاله ابن عباس ومجاهد. وقال الزجاج: اذارأتم، بمعنى: تدارأتم، أي: تدافعتم، وألقى بعضكم على بعض، تقول: درأت فلاناً: إذا دفعته، وداريته: إذا لاينته، ودريته إذا ختلته، فادغمت التاء في الدال، لأنهما من مخرج واحد، فأما الذي كتموه؛ فهو أمر القتل.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾. من قال: أقاموا في طلبها أربعين سنة؛ قال: ضربوا قبره، ومن لم يقل ذلك، قال: ضربوا جسمه قبل دفنه. وفي الذي ضرب به ستة أقوال: أحدها: أنه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك العظم هو أصل الأذن، وزعم قوم أنه لا يكسر ذلك العظم من أحد فيعيش. قال الزجاج: الغضروف في الأذن، وهو: ما أشبه العظم الرقيق من فوق الشحمة، وجميع أعلى صدفة الأذن، وهو معلق الشنوف، فأما العظمان اللذان خلف الأذن الناتئان من مؤخر الأذن، فيقال لهما: الخشأوان، والخششاوان، واحدهما: خُشَاءٌ، وخُشْشَاءٌ. والثاني: أنه ضرب بالفخذ، روي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وذكر عكرمة ومجاهد أنه الفخذ الأيمن. والثالث: أنه البضعة التي بين الكتفين. رواه السدي عن أشياخه. والرابع: أنه الذنب، رواه ليث عن مجاهد. والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم بني عليه البدن، روي عن سعيد بن جبير. والسادس: أنه اللسان، قاله الضحاك. وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا، فضرِبوه فحي، فقام فأخبر بقاتله. وفي قاتله أربعة أقوال: أحدها: بنو أخيه، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: ابنا عمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهذان القولان

يدلان على أن قاتله أكثر من واحد. والثالث: ابن أخيه، قاله السدي عن أشياخه، وعبيدة. والرابع: أخوه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ النَّفُوسَ﴾: فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب لقوم موسى. والثاني: لمشركي قريش، احتج عليهم إذ جحدوا البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب، قال أبو عبيدة: وآياته: عجائبه.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْخِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: قال إبراهيم بن السري: قست في اللغة: غلظت ويست وعست، فقسوة القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي والعاسي: الشديد الصلابة. وقال ابن قتيبة: قست وعست وعتت واحد، أي: يست. وفي المشار إليهم بها قولان: أحدهما: جميع بني إسرائيل. والثاني: القاتل. قال ابن عباس: قال الذين قتلوه بعد أن سعى قاتله: والله ما قتلناه. وفي كاف «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى إحياء الموتى، فيكون الخطاب لجميع بني إسرائيل. والثاني: إلى كلام القاتل، فيكون الخطاب للقاتل، ذكرهما المفسرون. والثالث: إلى ما شرح من الآيات من مسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل وانجاس الماء، وإحياء القاتل، ذكره الزجاج. وفي «أو» أقوال: هي بعينها مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ الْخِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ قال مجاهد: كل حجر يتفجر منه الماء، وينشق عن ماء، أو

يتردى من رأس جبل، فمن خشية الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ يُؤْتِيَا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ لَمْ يَحْزَنْهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٥) في المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنه المؤمنون، تقديره: أفتطمعون أن تصدقوا نبيكم، قاله أبو العالية وقتادة. والثالث: أنهم الأنصار، فإنهم لما أسلموا أحبوا إسلام اليهود للرضاعة التي كانت بينهم، ذكره النقاش. قال الزجاج: وألف «إِنَّمَا تَعْلَمُونَ» ألف استخبار، كأنه آيسهم من الطمع في إيمانهم. وفي سماعهم لكلام الله قولان: أحدهما: أنهم قرؤوا التوراة فحرقوها، هذا قول مجاهد والسدي في آخرين، فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيهم، وتحريفهم: تغيير ما فيها. والثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، فسمعوا كلام الله كفاً عند الجبل، فلما جاؤوا إلى قومهم قالوا: قال لنا: كذا وكذا، وقال في آخر قوله: إن لم تستطيعوا ترك ما أنهاكم عنه؛ فافعلوا ما تستطيعون. هذا قول مقاتل، والأول أصح. وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي<sup>(١)</sup> صاحب «النوادر» هذا القول إنكاراً شديداً، وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة؟! وجعل هذا من الأحاديث التي رواها الكلبي وكان كذاباً. ومعنى «عَقَلُوهُ»: سمعوه ووعوه. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وهم يعلمون أنهم حرقوه. والثاني: وهم يعلمون عقاب تحريفه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَا بَعْضٌ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) أولاً يعلمون أن الله يسلم ما يريون وما يملكون. هذه الآية نزلت في نفر من اليهود، كانوا إذا لقوا النبي والمؤمنين قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني، وابن زيد، ومقاتل. وفي معنى «بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قولان: أحدهما: بما قضى الله عليكم، والفتح: القضاء، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ (١١٧) الاعراف: [٨٩] قال السدي عن أشياخه: كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين بما عذبوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم. [من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم] والثاني: أن معناه: بما علمكم الله. قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة: الذي فتحه عليهم: ما أنزله من التوراة في صفة

(١) هو محمد بن علي، أبو عبد الله، عالم بالحديث وأصول الدين، توفي نحو ٣٢٠هـ، وقد تكلم عليه بعض أهل العلم، انظر «لسان الميزان» للحافظ ابن

محمد ﷺ وقال مقاتل: كان المسلم يلقى حليفه، أو أخاه من الرضاة من اليهود، فيسأله: أنجدون محمداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، إنه لحق. فسمع كعب بن الأشرف وغيره، فقال لليهود في السر: أتحدثون أصحاب محمد بما فتح الله عليكم، أي: بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ربكم باعتراكم أنه نبي، أفلا تعقلون أن هذا حجة عليكم؟! ١٩

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: في حكم ربكم، كقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النور: ١٣] والثاني: أنه أراد يوم القيامة.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَخْلُقُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخُنُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿زَمَنُكُمْ أَيُّونٌ﴾ يعني: اليهود. والأمي: الذي لا يكتب ولا يقرأ، قاله مجاهد. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه على خلقه الأمة التي لم تتعلم الكتاب، فهو على جبلته، قاله الزجاج. والثاني: أنه ينسب إلى أمه، لأن الكتابة في الرجال كانت دون النساء. وقيل: لأنه على ما ولدته أمه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكَتَابَ﴾ قال قتادة: لا يدرون ما فيه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَانٌ﴾ جمهور القراء على تشديد الياء، وقرأ الحسن، وأبو جعفر، بتخفيف الياء، وكذلك: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١] و﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٧٣] ﴿فِي أَمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] ﴿وَعَزَّكُمْ الْأَمَانُ﴾ [الحديد: ١٤] كله بتخفيف الياء وكسر الهاء من «أمانهم». ولا خلاف في فتح ياء «الأمانى». وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأكاذيب. قال ابن عباس: ﴿إِلَّا أَمَانٌ﴾: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً. وهذا قول مجاهد واختيار القراء. وذكر القراء أن بعض العرب قال لابن دأب<sup>(١)</sup> وهو يحدث: أهذا شيء رويته، أم شيء تمتيته؟ يريد: افترعته؟ والثاني: أن الأمانى: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونوه يتلى عليهم. قال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليلة      تمنى داود الزبور على رسل

وهذا قول الكسائي والزجاج. والثالث: أنها أمانهم على الله، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ هُمْ إِلَّا يَتُنُون﴾ قال مقاتل: ليسوا على يقين، فإن كذب الرؤساء أو صدقوا، تابعوهم.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْرَوْا بِهِ ذَرْبًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ (٣٠) هذه الآية نزلت في أهل الكتاب [الذين] بدلوا التوراة وغيروا صفة النبي ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وسفيان. فأما الويل: فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل: واد في جهنم، يهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره»<sup>(٣١)</sup> وقال الزجاج: الويل: كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة، ويستعملها هو أيضاً<sup>(٣٢)</sup>. وأصلها في اللغة: العذاب والهلاك. قال ابن الأنباري: ويقال: معنى الويل: المشقة من العذاب. ويقال: أصله: وي لفلان، أي: حزن لفلان، فكثر الاستعمال للحرفين، فوصلت اللام بـ«وي» وجعلت حرفاً واحداً، ثم خبر عن «ويل» بلام أخرى، وهذا اختيار الفراء. والكتاب هاهنا: التوراة. وذكر الأيدي تأكيد، والضمن القليل: ما يفنى من الدنيا. وفيما يكسبون قولان: أحدهما: أنه عوض ما كتبوا. والثاني: إثم ما فعلوا.

﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّ الْكَافِرَ إِلَّا أَنْيَامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ سُلُوفٌ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَتَيْنَا مَقْدُودَهُ﴾ وهم: اليهود. وفيما عنوا بهذه الأيام قولان: أحدهما: أنهم أرادوا أربعين يوماً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، والسدي. ولماذا قدروها بأربعين؟ فيه ثلاثة

(١) هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب المدني كان يضع الشعر، وأحاديث السمر، وكلاماً ينسب إلى العرب، فسقط وزهيت روايته.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، من طريق دراج عن أبي الهيثم، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

(٣) أي: الذي يقع في الهلكة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَوْمَئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.



أقوال: أحدها: أنهم قالوا: بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قالوا: عتب علينا ربنا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين يوماً تحلة القسم، وهذا قول الحسن وأبي العالية. والثالث: أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأن عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يعذبون لكل ألف سنة يوماً من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب، قاله ابن عباس: ﴿لَا تَأْخُذْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هَٰذَا﴾ أي: عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار؟!

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ خُطْبَتِهِ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨١) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: بلى: بمنزلة «نعم» إلا أن «بلى» جواب النفي، و«نعم» جواب الإيجاب، قال الفراء: إذا قال الرجل لصاحبه: مالك علي شيء، فقال الآخر: نعم، كان تصديقاً أن لا شيء له عليه. ولو قال: بلى؛ كان ردّاً لقوله. قال ابن الأنباري: وإنما صارت «بلى» تتصل بالجحد، لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة «بل». و«بل» سبيلها أن تأتي بعد الجحد، كقولهم: ما قام أخوك، بل أبوك. وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟ فقال له: بلى؛ أراد: بل أقوم، فزاد الألف على «بل» ليحسن السكوت عليها، لأنه لو قال: بل؛ كان يتوقع كلاماً بعد بل، فزاد الألف ليزول هذا التوهم عن المخاطب. ومعنى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: بل من كسب. قال الزجاج: بلى: رد لقولهم: ﴿لَنْ تَمْسَاَ النَّارُ إِلَّا أُنْجَامًا مَّعْدُودَةً﴾ والسيدة هاهنا: الشرك في قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي وائل، وأبي العالية، ومجاهد، ومقاتل. ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ يَوْمِ خُطْبَتِهِ﴾: وقرأ نافع «خطيباته» بالجمع. قال عكرمة: مات ولم يتب منها، وقال أبو وائل: الخطيئة: صفة للشرك. قال أبو علي: إما أن يكون المعنى: أحاطت بحسنة خطيئته، أي: أحبطتها، من حيث أن المحيط أكثر من المحاط به، فيكون كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَاعْبُدْهُ﴾ [التوبة: ١٩] وقوله: ﴿حَاطَ بِهِمْ شُرَاقِبُهُمَا﴾ [الكهف: ٢٩] أو يكون معنى أحاطت به: أهلكته، كقوله: ﴿لَا أَنْ يَحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٢)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة. قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ قرأ عاصم ونافع وأبو عمرو، وابن عامر: بالتاء على الخطاب لهم. وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي: بالياء على الإخبار عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: ووصيناهم بأبائهم وأمهاتهم خيراً. قال الفراء: والعرب تقول: أوصيك به خيراً، وأمرك به خيراً والمعنى: أأمرك أن تفعل به، ثم تحذف «أن» فيوصل الخير بالوصية والأمر. قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكرونا  
ومن أبني دهماء إذ يوصينا  
خيراً بها كأننا جافونا

وأما الإحسان إلى الوالدين؛ فهو برهما. قال ابن عباس: لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار. وقالت عائشة: ما بر والده من شد النظر إليه. وقال عروة: لا تمتنع عن شيء أحياه.

قوله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: ووصيناهم بذوي القربى أن يصلوا أرحامهم. وأما اليتامى؛ فجمع: يتيم. قال الأصمعي: اليتيم في الناس، من قبل الأب، وفي غير الناس: من قبل الأم. قال ابن الأنباري: قال ثعلب: اليتيم معناه في كلام العرب: الانفراد. فمعنى صبي يتيم: مفرد عن أبيه. وأنشدنا:

أفاطم إنني هالك فتبيني<sup>(١)</sup>  
ولا تجزعي كل النساء يتيم

(١) في «اللسان»: فتبني، وكلا الروايين معناهما واحد.

قال: يروى: يتيم ويقيم. فمن روى يتيم بالتاء؛ أراد: كل النساء ضعيف منفرد. ومن روى بالياء أراد: كل النساء يموت عنهن أزواجهن. وقال: أنشدنا ابن الأعرابي:

ثلاثة أحباب: فحب علاقة وحب تملأق وحب هو القتل

قال: فقلنا له: زدنا، فقال: البيت يتيم: أي: منفرد. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا بلغ الصبي، زال عنه اسمه اليتيم. يقال منه: يتيم يتيمًا ويتما. وجمع اليتيم: يتامى، وأيتام. وكل منفرد عند العرب يتيم ویتيمة. قال: وقيل: أصل اليتيم: الغفلة، وبه سمي اليتيم، لأنه يتغافل عن برة. والمرأة تدعى: يتيمة ما لم تزوج، فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتيم، وقيل: لا يزول عنها اسم اليتيم أبداً. وقال أبو عمرو: اليتيم: الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم، لأن البر يبطئ عنه. «والمساكين»: جمع مسكين، وهو اسم مأخوذ من السكون، كان المسكين قد أسكنه الفقر.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: (حُسناً) بضم الحاء والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي: (حَسَنًا) بفتح الحاء والتثنية. قال أبو علي: من قرأ «حُسناً» فجائز أن يكون الحسن لغة في الحسن، كالبُخل، والبَحْل، والرُّشد، والرَّشْد. وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهم قالوا: العُرب والعَرَب ويجوز أن يكون الحسن مصدرًا كالكَفَر والشكر والشغل، وحذف المضاف معه، كأنه قال: قولوا قولاً ذا حسن. ومن قرأ (حَسَنًا) جعله صفة، والتقدير عنده: قولوا للناس قولاً حسناً، فحذف الموصوف. واختلفوا في المخاطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، وابن جريج. ومعناه: اصدقوا وبنوا صفة النبي. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ. قال أبو العالية: قولوا للناس معروفاً. وقال محمد بن علي بن الحسين: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم. وزعم قوم أن المراد بذلك مساهلة الكفار في دعائهم إلى الإسلام. فعلى هذا؛ تكون منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم إلا قليلاً منكم. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أزلوهم الذين لم يبدلوا. والثاني: أنهم الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ في زمانه.

﴿وَلَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ﴾ (٨٥) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْفُتُورِ وَإِنَّ بَأْسَكُمْ أَسْرَى تَقْدُورُهُمْ وَهُوَ يُخَرِّمُ عَلَيْكُمْ إِتْرَافَهُمْ أَفَلَا تُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا جِزَاءُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُورِ الْقَيْمَةِ يَزِيدُونَ إِلَّا أَشَدَّ عَذَابًا وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٦)

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يخرج بعضكم بعضاً من داره. قال ابن عباس: ثم أقررتهم يومئذ بالعهد، وأنتم اليوم تشهدون على ذلك، فالإقرار على هذا متوجه إلى سلفهم، والشهادة متوجهة إلى خلفهم. ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً. روى السدي عن أشياخه قال: كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقاتلون في حرب سمير<sup>(١)</sup> فيقاتل بنو قريظة مع حلفائهم النضير وحلفاءها، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيغلبونهم ويخربون الديار ويخرجون منها، فإذا أسر الرجل من الفريقين كليهما، جمعوا له حتى يفدوه، فتعيرهم العرب بذلك، فتقول: كيف تقاتلونهم وتقذونهم؟! فيقولون: أمرنا أن نفديهم، وحرّم علينا قتلهم. فتقول العرب: فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: نستحي أن يستذل حلفاؤنا، فعيرهم الله ﷻ فقال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكان إيمانهم ببعضه: فداءهم الأسارى، وكفرهم: قتل بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿تَظْهَرُونَ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: (تظاهرون) وفي (التحريم) (تظاهرا) بتخفيف الظاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر بتشديد الظاء مع إثبات الألف. قال أبو علي: من قرأ (تظاهرون) بتشديد

(١) سمير: حرب كانت في الجاهلية بين الأوس والخزرج. وسمير: رجل من بني عمرو بن عوف، وغير هذه الحرب تجدها في كتاب «الأغاني».



الظاء؛ أَدغم التاء في الظاء، لمقاربتها لها، فخفف بالإدغام. ومن قرأ (تظاهرون) خفيفة؛ حذف التاء التي أَدغمها أولئك من اللفظ، فخفف بالحذف. والتاء التي أَدغمها ابن كثير هي التي حذفها عاصم. وروي عن الحسن وأبي جعفر (تظَّهرون) بتشديد الظاء من غير ألف، فالتظاهر: التعاون. قال ابن قتيبة: وأصله من الظهر، فكان التظاهر: أن يجعل كل واحد من الرجلين [أو من القوم] الآخر ظهراً له يتقوى به، ويستند إليه. قال مقاتل: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْكِرَى تَغْدُوهُمْ﴾ أصل الأسر: الشد. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (أسارى)، وقرأ الأعمش وحمزة (أسرى) قال الفراء: أهل الحجاز يجمعون الأسير: «أسارى» وأهل نجد أكثر كلامهم «أسرى» وهو أجود الوجهين في العربية، لأنه بمنزلة قولهم: جريح وجرحى، وصريع وصريعى. وروى الأصمعي عن أبي عمرو قال: الأسارى: ما شدوا، والأسرى: في أيديهم، إلا أنهم لم يشدوا. وقال الزجاج: «فَعَلَى» جمع لكل ما أصيب به الناس في أبدانهم وعقولهم. يقال: هالك وهلكى، ومريض ومرضى، وأحمق وحمقى، وسكران وسكرى. فمن قرأ: (أسارى)؛ فهي جمع الجمع. تقول: أسير وأسرى وأسارى جمع أسرى.

قوله تعالى: ﴿تَغْدُوهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (تغدوهم) وقرأ نافع وعاصم والكسائي: (تفادوهم) بالالف. والمفاداة: إعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه. «أَفْتَوْهُمْ بِبَعْضِ الْكِتَابِ» وهو: فكاك الأسرى. «وَكُفِّرُوا بَعْضُهُمْ» وهو: الإخراج والقتل. وقال مجاهد: تغديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟! وفي المراد بالخزي قولان: أحدهما: أنه الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: قتل قريظة ونفي النضير، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: قال ابن عباس: هم اليهود. وقال مقاتل: باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا بَيْنَكُمْ وَفَرِقًا تَفْتَلُكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يريد التوراة. وقَفَّيْنَا: أتبعنا. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذ من القفا. يقال: قفوت الرجل: إذا سرت في أثره. والبينات: الآيات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى. وأيدناه: قويناه. والأيد: القوة. وفي روح القدس ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل. والقدس: الطهارة، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. وكان ابن كثير يقرأ: (بروح القدس) ساكنة الدال. قال أبو علي: التخفيف والتثقل فيه حسنان، نحو: العنق والعنق، والطنب والطنب. وفي تأييده به ثلاثة أقوال ذكرها الزجاج: أحدها: أنه أيد به لإظهار حاجته وأمر دينه. والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذا أرادوا قتله. والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله. والقول الثاني: أنه الاسم الذي كان يحيي به الموتى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه الإنجيل، قاله ابن زيد.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَمْ يَمَسَّ اللَّهُ بَكْفُرِهِمْ فَقِيلَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قرأ الجمهور بإسكان اللام، وقرأ قوم، منهم الحسن وابن محيصن بضمها. قال الزجاج: من قرأ: (غلف) بتسكين اللام، فمعناه: ذوات غلف، فكانهم قالوا: قلوبنا في أوعية. ومن قرأ (غُلْف) بضم اللام، فهو جمع (غلاف) فكانهم قالوا: قلوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم وهي أوعية للعلم؟! فعلى الأول؛ يقصدون إعراضه عنهم، كأنهم يقولون: ما نفهم شيئاً. وعلى الثاني يقولون: لو كان قولك حقاً لقبلت قلوبنا.

قوله تعالى: ﴿فَقِيلَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فقليل من يؤمن منهم، قاله ابن عباس وقتادة. والثاني: أن المعنى: قليل ما يؤمنون به. قال معمر: يؤمنون بقليل مما في أيديهم، ويكفرون بأكثره. والثالث: أن المعنى: فما يؤمنون قليلاً ولا كثيراً. ذكره ابن الأنباري، وقال: هذا على لغة قوم من العرب، يقولون: قلما رأيت مثل هذا الرجل، وهم يريدون: ما رأيت مثله. والرابع: فيؤمنون قليلاً من الزمان: كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُوبُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَبَنَى الْكَلْبَاءِ﴾ [آل عمران: ٧٢] ذكره ابن الأنباري أيضاً. والخامس: أن المعنى: فإيمانهم قليل، ذكره ابن جرير الطبري. وحكى في «ما» قولين: أحدهما: أنها زائدة. والثاني: أن «ما» تجمع جميع الأشياء، ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَافُّوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِمُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَسَبَّ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ يَسْكَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيََا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا هُوَ بِغَفِيرٍ عَلَى عَصِيٍّ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني: القرآن. ويستفتحون: يستصرون. وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استصروا باسم نبي الله محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَسْكَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ بش: كلمة مستوفية لجميع الدم، ونقيضها: «نِعْم» واشتروا، بمعنى: باعوا. والذي باعوها به قليل من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿بَقِيََا﴾ قال قتادة: حسداً. ومعنى الكلام: كفروا بغياً، لأن نزل الله الفضل على النبي ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿يَعَصِي عَلَى عَصِيٍّ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن الغضب الأول لاتخاذهم العجل. والثاني: لكفرهم بمحمد، حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أن الأول لتكذيبهم رسول الله. والثاني: لعداوتهم لجبريل. رواه شهر عن ابن عباس. والثالث: أن الأول حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] والثاني: حين كذبوا نبي الله. رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والرابع: أن الأول لتكذيبهم عيسى والإنجيل. والثاني: لتكذيبهم بمحمد والقرآن. قاله الحسن، والشعبي، وعكرمة، وأبو العالية، وقاتدة، ومقاتل. والخامس: أن الأول لتبديلهم التوراة. والثاني: لتكذيبهم محمداً ﷺ قاله مجاهد. والمهين: المذل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني: القرآن؛ ﴿قَالُوا تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ يعنون: التوراة. وفي قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه أراد بما سواه. ومثله: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٢٤] قاله الفراء ومقاتل. والثاني: بما بعد الذي أنزل عليهم. قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ يعود على ما وراءه. ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ هذا جواب قولهم: ﴿تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ فإن الأنبياء، وتقتلون بمعنى: قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الروم لا يذهب إلى غيره. وأنشدوا في ذلك:

شَهِدَ الْحَطِيبَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ      أَنْ الرُّبَيْدَ أَحَقُّ بِالْعَذْرِ

أراد: يشهد.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ بِقَوْلِهِمْ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ بِقَوْلِهِمْ قُلْ يَسْكَا بِأَنفُسِكُمْ بِهِ لِمَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: ما في الألواح من الحلال والحرام، قاله ابن عباس. والثاني: الآيات التسع، قاله مقاتل. وفي هاء «بعده» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى موسى، فمعناها: من بعد انطلاقة إلى الجبل، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أنها تعود إلى المجيء، لأن «جاءكم» يدل على المجيء. وفي ذكر عبادتهم العجل تكذيب لقولهم: ﴿تَزُومُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل، قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب؛ قالوا: سمعنا وعصينا.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ بِقَوْلِهِمْ﴾ أي: سقوا حب العجل، فحذف المضاف، وهو الحب، وأقام المضاف إليه مقامه، ومثله قوله: ﴿الْعَجْ أَشْهَرُ مَثَلُوكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٧] [أي وقت الحج] وقوله: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١٩] [أي: أجعلتم صاحب سقاية الحاج]. وقوله: ﴿وَمَثَلُ الْفَرَصَةِ﴾ [يوسف: ٨٢] [أي: أهله] وقوله: ﴿وَإِذَا

لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ [الإسراء: ١٧٥]. أي، ضعف عذاب الحياة. وقوله: ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَبِيعَ صَلَواتِكَ﴾ [الحج: ٤٠]. أي: بيوت صلوات. وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ الْآيِلِ وَالْكَهَّارِ﴾ [سبا: ٣٠]. أي: مكرهم فيهما. وقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّهُمْ﴾ [العلق: ١٧] أي: أله. ومن هذا قول الشاعر:

أُنْبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ      واستبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبَ الْمَجْلِسِ  
أي: أهل المجلس. وقال الآخر:

وشر المنايا ميّت بين أهله

أي: شر المنايا مية ميت بين أهله.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَكْسًا يَأْتِرُكُمْ بِهِ لِيَمْنَكُمُ﴾ أي: أن تكذبوا المرسلين، وتقتلوا النبيين بغير حق، وتكتموا الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ في «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: الجحد، فالمعنى: ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله، وعبدتم العجل. والثاني: أن تكون «إن» شرطاً معلقاً بما قبله، فالمعنى: إن كنتم مؤمنين؛ فبئس الإيمان إيمان يأمركم بعبادة العجل، وقتل الأنبياء، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٩٤] وَلَنْ يَمَنَّوْا أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [٩٥] وَلَنَجْذِثَنَّهُمْ أَجْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمَنْ أَلْزَمَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَهْلَهُمْ نَارُ سَعِيرٍ وَمَا هُوَ بِمُغْنِيهِمْ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَمُنُّوا وَاللَّهُ بِصِرِّهِمْ يَسْمُوكَ [٩٦]

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الْآخِرَةُ﴾ كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية. ومن الدليل على علمهم بأن النبي ﷺ صادق، أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَنَّوْا﴾ فما تمناه أحد منهم. والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِثَنَّهُمْ﴾ اللام: لام القسم، والنون توكيد له، والمعنى: ولنجدن اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة، وأحرص من الذين أشركوا. وفي «الذين أشركوا» قولان: أحدهما: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس، وابن قتيبة والزجاج. والثاني: مشركو العرب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ أَهْلَهُمْ﴾ في الهاء والميم من «أهلهم» قولان: أحدهما: أنها تعود على الذين أشركوا، قاله الفراء. والثاني: ترجع إلى اليهود، قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما ذكر «ألف سنة» لأنها نهاية ما كانت المجوس تدعو بها لملوكها، كان الملك يحيا بأن يقال له: عش ألف نيروز، وألف مهرجان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ فيه قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه كناية عن أحدهم الذي جرى ذكره، تقديره: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره. والثاني: أن يكون هو كناية عما جرى من التعمير، فيكون المعنى: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل «أن يعمّر» مبيّناً عنه، كأنه قال: ذلك الشيء الذي ليس بمزحزحه من العذاب.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٩٧] مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ [٩٨] وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا بِبَشَرٍ مِمَّنْ يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ [٩٩]

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ قال ابن عباس: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل: فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، فنزلت هذه الآية والتي تليها. وفي جبريل إحدى عشرة لغة: إحداها: جبريل، بكسر الجيم والراء من غير همز، وهي لغة أهل الحجاز، وبها قرأ ابن عامر، وأبو عمرو. قال ورقة بن نوفل:

من الله وحي يشرح الصدر منزل

وجبريل يأتيه وميكال مغهما





قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. والثاني: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟! والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية. قاله ابن إسحاق. وتتلوه، بمعنى: تلت، و«على» بمعنى: «في» قاله المبرد. قال الزجاج: وقوله: ﴿عَلَىٰ مِثْلَيْ سَيْتَيْنِ﴾ أي: على عهد ملك سليمان. وفي كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال: أحدها: أنه لما خرج سليمان عن ملكه؛ كتبت الشياطين السحر، ودفتته في مصلاه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك الملك، ذكر هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثاني: أن آصف كان يكتب ما يأمر به سليمان، ويدفنه تحت كرسیه، فلما مات سليمان، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكذباً، وأضافوه إلى سليمان، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس. والثالث: أن الشياطين كتبت السحر بعد موت سليمان، ثم أضافته إليه، قاله عكرمة. والرابع: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذة سليمان، فدفته تحت كرسیه لئلا يتعلمه الناس، فلما قبض استخرجته، فعلمته الناس وقالوا: هذا علم سليمان، قاله قتادة. والخامس: أن سليمان أخذ عهد الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنساناً طلب إليها بذلك العهد، فتخلي عنه، فزاد السحرة السجع والسحر، قاله أبو مجلز. والسادس: أن الشياطين كانت في عهد سليمان تسترق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أمتهم الكهنة كذبوا لهم [و أدخلوا فيه غيره]، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوق، ثم دفنها تحت كرسیه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق [وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه]، فلما مات سليمان؛ جاء شيطان إلى نفر من بني إسرائيل، فدلهم على تلك الكتب وقال: إنما كان سليمان يضبط أمر الخلق بهذا، ففشا في الناس أن سليمان كان ساحراً، واتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمد ﷺ خاصموه بها، هذا قول السدي. وسليمان: اسم عبراني، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية، وقد جعله النابتة سليماً ضرورة، فقال:

ونسج سليم كل قضا ذائل

واضطر الحطينة فجعله: سلاماً، فقال:

فيه الرماح وفيه كل سابغة

جدلاً محكمة من نسج سلام

وأرادا جميعاً: داود أبا سليمان، فلم يستقم لهما الشعر، فجعله: سليمان وغيره. كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي. وفي قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ دليل على كفر الساحر، لأنهم نسبوا سليمان إلى السحر، لا إلى الكفر. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم بتشديد نون (ولكن) ونصب نون (الشياطين). وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بتخفيف النون من (لكن) ورفع نون (الشياطين).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ وقرأ ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبیر، والزهري (الملكين) بكسر اللام، وقراءة الجمهور أصح. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها معطوفة على «ما» الأولى، فتقديره: واتبعوا ما تتلو الشياطين وما أنزل على الملكين. والثاني: أنها معطوفة على السحر، فتقديره: يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين. فإن قيل: إذا كان السحر نزل على الملكين، فلماذا كره؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما، ابن السري، أحدهما: أنهما كانا يعلمان الناس: ما السحر، ويأمران باجتنابه، وفي ذلك حكمة؛ لأن سائلاً لو قال: ما الزنى؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام. والثاني: أنه من الجائز أن يكون الله تعالى امتحن الناس بالملكين، فمن قبل التعلم كان كافراً، ومن لم يقبله فهو مؤمن، كما امتحن بنهر طالوت<sup>(١)</sup>. وفي الذي أنزل على الملكين قولان:

(١) وقال القرطبي في «تفسيره»: «ما» نفي، والوار للمطف على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ وذلك أن اليهود قالوا: إن الله أنزل جبريل وميكائيل بالسحر، فنفى الله ذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل =



أحدهما: أنه السحر، روي عن ابن مسعود والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه التفرقة بين المرء وزوجه، لا السحر، روي عن مجاهد وقتادة. وعن ابن عباس كالتولين. قال الزجاج: وهذا من باب السحر أيضاً.

### الإشارة إلى قصة الملكين

ذكر العلماء أن الملكين إنما أنزلا إلى الأرض لسبب، وهو أنه لما كثرت خطايا بني آدم؛ دعت عليهم الملائكة، فقال الله تعالى: لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما من بني آدم، لفعلتم مثل ما فعلوا، فحدثوا أنفسهم أنهم إن ابتلوا، اعتصموا، فأوحى الله إليهم [أن] اختاروا من أفضلكم ملكين، فاختاروا هاروت وماروت. وهذا مروى عن ابن مسعود، وابن عباس. واختلف العلماء: ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زنيا، وقتلا، وشربا الخمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنها جازا في الحكم، قاله عبيد الله بن عتبة. والثالث: أنها همّا بالمعصية فقط. ونقل عن علي رضي الله عنه أن الزهرة كانت امرأة جميلة، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراودها كل واحد منهما على نفسها، ولم يُعلم صاحبه، وكانا يصعدان السماء آخر النهار، فقالت لهما: بم تهبطان وتصعدان؟ قالتا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنا بمواتيتكما إلى ما تريدان حتى تعلمانيه، فعلماهما إياه، فطارت إلى السماء، فمسحها الله كوكبا<sup>(١)</sup>. وفي الحديث أن النبي ﷺ: «لعن الزهرة، وقال: إنها فتنت ملكين»<sup>(٢)</sup> إلا أن هذه الأشياء بعيدة عن الصحة<sup>(٣)</sup>، وتأول بعضهم، هذا فقال: إنه لما رأى الكوكب، ذكر تلك المرأة، لا أن المرأة مسخت نجماً. واختلف

هاروت وماروت. فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ كَثُورًا مَكِيدًا﴾ هذا أولى ما حملت عليه الآية من التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى ما سواه. وقال القاضي رحمه الله: اعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوهاً كثيرة، وأقوالاً عديدة، فمنهم من ذهب فيها مذهب الإخباريين نقلة الفث والسمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث وتمحل لما اعترضه، بما المعنى الصحيح في غنى عنه. ومنهم من ادعى فيها التقديم والتأخير، ورد آخرها على أولها، بما جعلها أشبه بالأنغاز والمعميات، التي ينتزه عنها بيان أبلغ كلام. إلى غير ذلك مما يراه المتبحر لما كتب فيها. والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل - وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات - وكانا يعلمان الناس السحر. وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء، وما يعلمانه للناس هو يوحى من الله. وبلغ مكر هذين الرجلين، ومحافظةهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما: إنما نحن فتنة فلا تكفر. أي: إنما نحن أولو فتنة، نبلكم وتختبرك، أشكر أم تكفر، ونصح لك أن لا تكفر، يقولان ذلك ليومها الناس أن علومها إلهية، وصناعتها روحانية، وأنهما لا يقصدان إلا الخير. «وما» هنا نافية على أصح الأقوال، ولفظ «الملكين» هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت.

(١) قال ابن كثير: غريب جداً.

(٢) رواه أبو بكر بن مردويه، وابن راهويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الزهرة فإنها هي التي فتنت الملكين هاروت وماروت». وقال ابن كثير في «تفسيره»: لا يصح، وهو منكر جداً.

(٣) تنبيه: ما ورد من أن ابن عمر سمع النبي ﷺ يقول: «إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض، قالت الملائكة: أي رب، أتجعل فيها من يفسد فيها من يفسد الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون. قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلموا ملكين من الملائكة، حتى يهبط بهما إلى الأرض، فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاهنا نفسها. فقالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراف. فقالا: والله لا نشارك بالله أبداً، فلذبت منهما، ثم رجعت بهنبي تحمله، فسألاهنا نفسها. فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: والله لا تقتله أبداً، فلذبت ثم رجعت بقطع خمر تحمله، فسألاهنا نفسها فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا، فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلما أفاقا، قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما ابتماه علي إلا قد فعلتما حين سكرتما، فغيرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا. فقد رواه أحمد في «المسند» وابن حبان، وهو حديث ضعيف جداً، ولم يصح أن رسول الله ﷺ حدث بهذا، ولعله من رواية ابن عمر عن كعب الأبحار عن بني إسرائيل. وقد ذكر ابن كثير في التفسير أن الحكاية خرافة إسرائيلية. وقال في «التاريخ»: وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراودها عن نفسها فأبت... فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأبحار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل. وكل هذا يرجع ما رجحه ابن كثير من أن الحديث من قصص كعب الأبحار الإسرائيلية، وأنه ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ وأن من رفعه فقد أخطأ ووهم. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال. وقال القاضي عياض: وإن ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وإيتلائهما، فاعلم - أكرمك الله - أن هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود واقتراهم، كما نصه الله تعالى أول الآيات.

العلماء في كيفية عذابهما؛ فروي عن ابن مسعود أنهما معلقان بشعورهما إلى يوم القيامة، وقال مجاهد: إن جباً ملئ نارا فجعلا فيه. فأما بابل؛ فروي عن الخليل أن السن الناس تبلت بها. واختلفوا في حدها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكوفة وسوادها، قاله ابن مسعود. والثاني: أنها من نصيبين إلى رأس العين، قاله قتادة. والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا كُنْ فِيْ سَفَرٍ﴾ أي: اختبار وابتلاء.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يريد: بقضائه. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: إشارة إلى اليهود ﴿لَمَنِ اشْرَيْتَهُ﴾، يعني: اختاره، يريد: السحر. واللام لام اليمين. فأما الخلاق؛ فقال الزجاج: هو النصب الوافر من الخير.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَكُوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: باعوها به ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العقاب فيه.

### فصل

اختلف الفقهاء في حكم الساحر؛ فمذهب إمامنا أحمد رحمه الله يكفر بسحره، قتل به، أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين. وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قتل بسحره وقال: سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك، قتل قوداً. وإن قال: قد يقتل، وقد يخطئ، لم يقتل، وفيه الدية. فأما ساحر أهل الكتاب، فإنه لا يقتل عند أحمد إلا أن يضر بالمسلمين، فيقتل لنقض العهد، وسواء في ذلك الرجل والمرأة. وقال أبو حنيفة: حكم ساحر أهل الكتاب حكم ساحر المسلمين في إيجاب القتل، فأما المرأة الساحرة، فقال: تحبس، ولا تقتل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ بِمَا يَكْفُرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَقُولُوا رَبَّنَا وَنُفُوْا رَبَّنَا وَقُولُوا إِنَّا نَظَرْنَا وَأَنصَبْنَا إِلَيْكَ عَذَابُ إِلَهٍ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ يعني: اليهود، والمشوبة: الثواب. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ قال الزجاج: أي: يعلمون بعلمهم.

قوله تعالى: ﴿بِمَا يَكْفُرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَقُولُوا رَبَّنَا وَنُفُوْا رَبَّنَا﴾ قرأ الجمهور بلا تنوين، وقرأ الحسن، والأعمش، وابن محيصن بالتنوين، و«راعنا» بلا تنوين من راعيت، وبالتنوين من الرعونة، قال ابن قتيبة: راعناً بالتنوين: هو اسم مأخوذ من [الرعن] [الرعونة]، أراد: لا تقولوا جهلاً ولا حمقاً. وقال غيره: كان الرجل إذا أراد استنصت صاحبه، قال: أرعني سمعك، فكان المنافقون يقولون: راعنا، يريدون: أنت أرعن. وقوله: (انظرونا) بمعنى: انتظرونا، وقال مجاهد: انظرونا: اسمع منا، وقال ابن زيد: لا تعجل علينا.

﴿مَّا يَوْءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْفَرِيقَيْنِ أَن يُثْرَلْ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوْءُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قال ابن عباس: هم يهود المدينة، ونصارى نجران، فالمشركون مشركو أهل مكة. ﴿أَن يُثْرَلْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على رسولكم. ﴿مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أراد: النبوة والإسلام. وقال أبو سليمان الدمشقي: أراد بالخير: العلم والفقه والحكمة. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ في هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين، ومجاهد والزجاج. والثاني: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.

﴿مَّا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يَشَاءُ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْأَرْضُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَنْزِلُ وَلَا يَهْبِطُ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نسخت القبلة: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء؛ فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه، تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته، وحلت محله، وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال: أحدها: رفع اللفظ

والحكم. والثاني: تبديل الآية بغيرها. روي عن ابن عباس، والأول قول السدي، والثاني: قول مقاتل. والثالث: رفع الهمزة مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية. وقرأ ابن عامر: (ما تُنسخ) بضم النون، وكسر السين. قال أبو علي: أي: ما نجده منسوخاً كقولك: أحمدت فلاناً، أي: وجدته محموداً، وإنما يجده منسوخاً بنسخه إياه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَزْ ثِيَابًا﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (تنسأها) بفتح النون مع الهمزة، والمعنى: نؤخرها. قال أبو زيد: نسأت الإبل عن الحوض، فأنا أنسأها: إذا أخرتها، ومنه: النسيئة في البيع. وفي معنى نؤخرها ثلاثة أقوال: أحدها: نؤخرها عن النسخ فلا ننسخها، قاله الفراء. والثاني: نؤخر إنزالها، فلا ننزلها البتة. والثالث: نؤخرها عن العمل بها بنسخنا إياها، حكاهما أبو علي الفارسي. وقرأ سعد بن أبي وقاص: (تُنسأها) بقاء مفتوحة ونون. وقرأ سعيد بن المسيب والضحاك: (تُنسأها) بضم التاء. وقرأ نافع: (أو ننسأها) بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة. أراد: أو تُنسيكها، من النسيان.

قوله تعالى: ﴿ثَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا﴾ قال ابن عباس: بالين منها، وأيسر على الناس. قوله تعالى: ﴿أَزْ ثِيَابًا﴾ أي: في الثواب والمنفعة، فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختيار. ﴿أَلَمْ تَقْلَمْ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التوقيف والتقرير. والملك في اللغة: تمام القدرة واستحكامها، والله ﷻ يحكم بما يشاء على عباده، وبغير ما يشاء من أحكام.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ الْإِلَاحِينَ فَقَدْ حَزَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن رافع بن حرملة، وهوب بن زيد، قالوا لرسول الله: اثنا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا، وفجر لنا أنهاراً حتى نتبعك، فنزلت الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: «هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل [إن كفرتم] فأبوا» قاله مجاهد. والثالث: أن رجلاً قال: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير مما أعطى بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة، وجدها مكتوبة على بابهِ وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، فقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بني إسرائيل». فقال: ﴿وَمَنْ يَمَسَّ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَسْمُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. وقال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن» فنزلت هذه الآية. قاله أبو العالية. والرابع: أن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي أتى النبي ﷺ في رهط من قريش، فقال: يا محمد! والله لا أؤمن بك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فنزلت هذه الآية. ذكره ابن السائب. والخامس: أن جماعة من المشركين جاؤوا إلى النبي ﷺ فقال بعضهم: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً. وقال آخر: لن أؤمن لك حتى تسير لنا جبال مكة، وقال عبد الله ابن أبي أمية: لن أؤمن لك حتى تأتي بكتاب من السماء، فيه: من الله رب العالمين إلى ابن أبي أمية: اعلم أنني قد أرسلت محمداً إلى الناس. وقال آخر: هلا جئت بكتابك مجتمعاً، كما جاء موسى بالنوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمد بن القاسم الأنباري. وفي المخاطبين بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قريش، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: اليهود، قاله مقاتل. والثالث: جميع العرب، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: بل، تقول العرب: هل لك عليّ حق، أم أنت معروف بالظلم. يريدون: بل أنت. وأنشدوا:

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى  
وصورتها أم أنت في العين أملح

ذكره الفراء والزجاج. والثاني: بمعنى الاستفهام. فإن اعترض معترض، فقال: إنما تكون للاستفهام إذا كانت

(١) نص كلام أبي علي في القرطبي: قال أبو علي: ليست لغة، لأنه لا يقال: نسخ وأنسخ بمعنى، إلا أن يكون المعنى: ما نجده منسوخاً، كما تقول: أحمدت الرجل وأبخلت بمعنى: وجدته محموداً وبخلاً. قال أبو علي: وليس نجده منسوخاً إلا بأن ننسخه، فتفتق القراءتان في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ.

مردودة على استفهام قبلها، فأين الاستفهام الذي تقدمها؟ فتنه جوابان: أحدهما: أنه قد تقدمها استفهام، وهو قوله: ﴿أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ذكره الفراء. وكذلك قال ابن الأنباري: هي مردودة على الألف في: ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ فإن اعترض على هذا الجواب، فقيل: كيف يصح العطف ولفظ: ﴿أَلَمْ تَلَمْ﴾ ينبئ عن الواحد، (وتريدون) عن جماعة؟ فالجواب: أنه إنما رجع الخطاب من التوحيد إلى الجمع، لأن ما خاطب به النبي ﷺ فقد خاطبت به أمته، فاكتمى به من أمته في المخاطبة الأولى، ثم أظهر المعنى في المخاطبة الثانية. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَ تَبْتَغِينَ﴾ [الطلاق: ١]. ذكر هذا الجواب ابن الأنباري. فأما الجواب الثاني عن (أم)؛ فهو أنها للاستفهام، وليست مردودة على شيء. قال الفراء: إذا توسط الاستفهام الكلام؛ ابتدىء بالألف ويأم، وإذا لم يسبقه كلام؛ لم يكن إلا بالألف أو «هل». وقال ابن الأنباري: «أم» جارية مجرى «هل»، غير أن الفرق بينهما: أن «هل» استفهام مبتدأ، لا يتوسط ولا يتأخر، و«أم»: استفهام متوسط، لا يكون إلا بعد كلام. فأما الرسول هاهنا؛ فهو: محمد ﷺ، والذي سنل موسى من قبل قولهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [النساء: ١٥٣]. وهل سألوا ذلك نبياً أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم سألوا ذلك، فقالوا: ﴿كَانَ تَوْحِيدٌ لَكَ حَقٌّ... تَأْتَى بِاللَّهِ وَالْمَلَكُوتِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢]. قاله ابن عباس. والثاني: أنهم بالنوا في المسائل، فقيل لهم بهذه الآية: لعلمكم تريدون أن تسألوا محمداً أن يريكم الله جهرة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والكفر: الجحود. والإيمان: التصديق. وقال أبو العالية: المعنى: ومن يتبدل الشدة بالرخاء. وسواء السيل: وسطه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ كَفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن حيي بن أخطب، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قدمها، فأمر النبي بالصفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كعب بن مالك. والثالث: أن نقرأ من اليهود دعوا حذيفة وعماراً إلى دينهم، فأبى، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى «ودد»: أحب وتمنى. وأهل الكتاب: اليهود. قال الزجاج: ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ موصول: (ب)ود كثير)، لا بقوله: (حسداً) لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه. والمعنى: مودتهم لكفرهم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق. فأما الحسد، فهو تمنى زوال النعمة عن المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، وتفارقة الغبطة، فإنها تمنى مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط. وحد بعضهم الحسد فقال: هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار، ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً، لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. وقال بعض الحكماء: كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد، فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، ونفس دائم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ يَأْتِي اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ قال ابن عباس: فجاء الله بأمره في النصير بالجلء والنفي، وفي قريظة بالقتل والسبي.

## فصل

وقد روي عن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي العالية، وقتادة ؓ: أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَأْتِيهِ الْآخِرُ وَلَا الْآخِرُ وَلَا يَحْمِلُونَ مَا حَزَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩] وأبى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء، واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر.



﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقْرَأُوا لِلَّذِينَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ مِمَّا تَحْتَسِبُونَ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿تَحِدُّوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابه.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا ذَلِكَ أَمَّا يَتْلُوا فَلَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الصَّيْءِ لَأَسْلَمَنَّ بِرَبِّهِمْ إِنَّهُمْ لَمَّا يَلْعَنُونَ ﴿١١١﴾﴾  
وَجَهَنَّمَ لِلَّهِ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمَا وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَةُ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾ قال ابن عباس: اختصم يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي ﷺ فقالت اليهود: ليست النصارى على شيء، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء، وكفروا بالتوراة وموسى؛ فقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَّا يَتْلُوا﴾. واعلم أن الكلام في هذه الآية مجمل، ومعناه: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً. واليهود، جمع: هاند. ﴿تِلْكَ أَمَّا يَتْلُوا﴾ أي: ذاك شيء يتمنونه، وظن يظنون، هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد. ﴿قُلْ هَآؤُلَآءُ يَتْلُوا﴾ أي: حجتكم إن كنتم صادقين بأن الجنة لا يدخلها إلى من كان هوداً أو نصارى. ثم بين تعالى بأنه ليس كما زعموا فقال: ﴿بَلْ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ وأسلم، بمعنى: أخلص. وفي الوجه قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرٌ مِنْهُمَا﴾ أي: في عمله؛ ﴿فَلَهُ أَجْرٌ﴾ قال الزجاج: يريد: فهو يدخل الجنة. قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ أي: كل منهم يتلو كتابه بتصديق ما كفر به، قاله السدي، وقادة. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم مشركو العرب قالوا لمحمد وأصحابه: لستم على شيء، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنهم أمم كانوا قبل اليهود والنصارى، كقوم نوح، وهود، وصالح، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ قال الزجاج: يريد حكم الفصل بينهم، فيريهم من يدخل الجنة عياناً [ومن يدخل النار عياناً] فاما الحكم بينهم في العقد فقد بينه لهم في الدنيا بما أقام على الصواب من الحجج. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ هُمُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الروم، كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا، فخرّب وطرحوا الجيف فيه، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أنها في المشركين الذين حالوا بين رسول الله وبين مكة يوم الحديبية، قاله ابن زيد. وفي المراد بخرابها قولان: أحدهما: أنه نقضها، والثاني: منع ذكر الله فيها.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه إخبار عن أحوالهم بعد ذلك. قال السدي: لا يدخل رومي بيت المقدس إلا وهو خائف أن يضرب عنقه، أو قد أخيف بأداء الجزية. والثاني: أنه خبر في معنى الأمر، تقديره: عليكم بالجد في جهادهم كي لا يدخلها أحد إلا وهو خائف. ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن خزيهم الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: أنه فتح القسطنطينية، قاله السدي. والثالث: أنه طردهم عن المسجد الحرام، فلا يدخله مشرك أبداً ظاهراً، قاله ابن زيد.

﴿فَاللَّهُ الشَّرِيفُ وَالْقَوِيُّ فَأَيُّنَا تَوَلَّوْا فَمَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ الشَّرِيفُ وَالْقَوِيُّ﴾ في نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن الصحابة كانوا مع رسول الله في غزوة في ليلة مظلمة، فلم يعرفوا القبلة، فجعل كل واحد منهم مسجداً بين يديه وصلى، فلما أصبحوا إذا هم على غير القبلة، فذكروا ذلك لرسول الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية. رواه عامر بن ربيعة. والثاني: أنها نزلت في التطوع بالنافلة، قاله ابن عمر. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ [غافر: ٦٠]. قالوا: إلى أين: فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والرابع: أنه لما مات النجاشي، وأمرهم النبي ﷺ بالصلاة عليه؛ قالوا: إنه كان لا يصلي إلى القبلة؛ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.



قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: فتم الله، يريد: علمه معكم أين كنتم، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: فتم قبله الله، قاله عكرمة، ومجاهد. والواسع: الذي وسع غناه مفارقة عباده، ورزقه جميع خلقه. والسعة في كلام العرب: الغنى.

### فصل

وهذه الآية مستعملة الحكم في المجتهد إذا صلى إلى غير القبلة، وفي صلاة المتطوع على الراحلة، والخائف. وقد ذهب قوم إلى نسخها، فقالوا: إنها لما نزلت؛ توجه رسول الله إلى بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَيَكُنْ مَا كُنْتُمْ قَوْلًا وَيُوهَمَكُمْ سُطُورُ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وهذا مروى عن ابن عباس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: وليس في القرآن أمر خاص بالصلاة إلى بيت المقدس، وقوله: ﴿فَأَيِّنَّا قَوْلًا فَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ليس صريحاً بالأمر بالتوجه إلى بيت المقدس، بل فيه ما يدل على أن الجهات كلها سواء في جواز التوجه إليها، فإذا ثبت هذا؛ دل على أنه وجب التوجه إلى بيت المقدس بالسنة، ثم نسخ بالقرآن.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَوْمَةٍ يَذْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيراً ابن الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: عيسى ابن الله، قاله مقاتل. والثالث: أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: عيسى ابن الله، والمشركين قالوا: الملائكة بنات الله، ذكره إبراهيم بن السري. والرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب، ذكره الثعلبي. فأما القنوت؛ فقال الزجاج: هو في اللغة بمعنيين: أحدهما: القيام. والثاني: الطاعة. والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقنات: القائم بأمر الله. ويجوز أن يقع في جميع الطاعات، لأنه إن لم يكن قيام على الرجلين؛ فهو قيام بالنية. وقال ابن قتيبة: لا أرى أصل القنوت إلا الطاعة، لأن جميع الخلاص من الصلاة، والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها. وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الإقرار بالعبادة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: القيام، قاله الحسن، والربيع. وفي معنى القيام قولان: أحدهما: أنه القيام له بالشهادة بالعبودية. والثاني: أنه القيام بين يديه يوم القيامة. فإن قيل: كيف عمَّ بهذا القول وكثير من الخلق ليس له بمطيع؟ فتمه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن يكون ظاهرها ظاهر العموم، ومعناها معنى الخصوص. والمعنى: كل أهل الطاعة له قانتون. والثاني: أن الكفار تسجد ظلالمهم لله بالغدوات والعشيات، فنسب القنوت إليهم بذلك. والثالث: أن كل مخلوق قانت له بأثر صنعه فيه، وجري أحكامه عليه، فذلك دليل على ذل للرب. ذكرهن ابن الأنباري.

﴿يَكُونُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَعَقَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ السَّمَوَاتِ﴾ البديع: المبدع، وكل من أنشأ شيئاً لم يسبق إليه قيل له: أبدعت. قال الخطابي: البديع، فعيل بمعنى: مفعول، ومعناه: أنه فطر الخلق مخترعاً له لا على مثال سبق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَعَقَ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس: معنى القضاء: الإرادة. وقال مقاتل: إذا قضى أمراً في علمه، فإنما يقول له: كن فيكون. والجهنوم على ضم نون (فيكون)، بالرفع على القطع. والمعنى: فهو يكون. وقرأ ابن عامر بنصب النون. قال مكي ابن أبي طالب: النصب على الجواب، لكن فيه بعد.

### فصل

وقد استدلت أصحابنا على قدم القرآن بقوله: ﴿كُنْ﴾ فقالوا: لو كانت «كن» مخلوقة؛ لافتقرت إلى إيجادها بمثلها وتسلسل ذلك، والمتسلسل محال. فإن قيل: هذا خطاب لمعدوم؛ فالجواب أنه خطاب تكوين يظهر أثر القدرة، ويستحيل أن يكون المخاطب موجوداً، لأنه بالخطاب كان، فامتنع وجوده قبله أو معه. ويحقق هذا أن ما سيكون متصور للعلم، فضاهاى بذلك الموجود، فجاز خطابه لذلك.

(١) رواه ابن جرير في التفسير من طريق موسى بن عبيدة الرزدي، وهو ضعيف جداً.

من اليهود، قاله ابن عباس: والثاني: في المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، قاله عكرمة، وقناة. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: أنه التوراة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُوهُ حَقٌّ يَلَاوِيهِ﴾ أي: يعملون به حق عمله، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في هاء «به» قولان: أحدهما: أنها تعود على الكتاب. والثاني: على النبي محمد ﷺ، وما بعد هذا قد سبق بيانه إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ رُكُوعَ بَيْتِكَ﴾ والابتلاء: الاختبار. وفي إبراهيم ست صفات: أحدها: إبراهيم، وهي اللغة الفاشية. والثانية: إبراهيم. والثالثة: إبراهيم. والرابعة: إبراهيم، ذكرهم الفراء. والخامسة: إبراهيم. والسادسة: إبراهيم. قال عبد المطلب:

عذت بما عاذ به إبراهيم  
وقال أيضاً:

نحن آل الله في كعبته  
لم يزل ذاك على عهد إبراهيم

وفي الكلمات خمسة أقوال: أحدها: أنها خمس في الرأس، وخمس في الجسد. أما التي في الرأس؛ فالفرق، والممضضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك. وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، وتنف الإبط، والاستطابة بالماء، والختان، رواه طاووس عن ابن عباس. والثاني: أنها عشر، ست في الإنسان، وأربع في المشاعر. فالتالي في الإنسان: حلق العانة، وتنف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، والسواك، والغسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة. والتي في المشاعر: الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. رواه حنبل بن عبد الله عن ابن عباس. والثالث: أنها المناسك، رواه قتادة عن ابن عباس. والرابع: أنه ابتلاء بالكوكب، والشمس، والقمر، والهجرة، والنار، وذبح ولده والختان، قاله الحسن. والخامس: أنها كل مسألة في القرآن، مثل قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]. ونحو ذلك، قاله مقاتل. فمن قال: هي أفعال فعلها؛ قال: معنى فأنتم: عمل بهن. ومن قال: هي دعوات ومسائل؛ قال: معنى فأنتم: أجابه الله إليهن. وقد روي عن أبي حنيفة أنه نزل: (إبراهيم) برفع الميم (رَبِّ) ينصب الباء<sup>(١)</sup>، على معنى: اختبر ربه هل يستجيب دعاءه، ويتخذة خليلاً أم لا؟.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ﴾ في الذرية قولان: أحدهما: أنها فعلية من الذر، لأن الله أخرج الخلق من صلب آدم كالذر. والثاني: أن أصلها ذرورة، على وزن: فعلولة، ولكن لما كثر التضعيف أبدل من الراء الأخيرة ياء، فصارت: ذروية، ثم أدمغت الواو في الياء، فصارت: ذرية، ذكرهما الزجاج، وصوب الأول. وفي العهد هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنه الإمامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير. والثاني: أنه الطاعة، رواه لضحاك عن ابن عباس. والثالث: الرحمة، قاله عطاء وعكرمة. والرابع: الدين، قاله أبو العالية. والخامس: النبوة، قاله السدي عن أشياخه. والسادس: الأمان، قاله أبو عبيدة. والسابع: الميثاق، قاله ابن قتيبة. والأول أصح. وفي لمراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله ابن جبير، والسدي. والثاني: العصاة، قاله عطاء.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاعْتَدُوا مِن مَّقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُمَسِّلًا وَعَهْدًا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَسْمِعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكِيمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ البيت هاهنا: الكعبة، والألف واللام تدخل للمعهود، أو للجنس، فلما علم المخاطبون أنه لم يرد الجنس؛ انصرف إلى المعهود، قال الزجاج: والمثاب والمثابة واحد، كالمقام والمقامة، قال ابن قتيبة: والمثابة: المعاد، من قولك: ثبت إلى كذا، أي: عدت إليه، وثاب إليه جسمه بعد العلة: إذا عاد، فأراد: أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا﴾ قال ابن عباس: يريد أن من أحدث حدثاً في غيره، ثم لجأ إليه؛ فهو آمن، ولكن ينبغي

(١) سبق أن أشرنا إلى عدم صحة نسبة هذه القراءة وأمثالها إلى أبي حنيفة أحد أئمة المذاهب الأربعة رحمه الله.



لأهل مكة أن لا يبايعوه، ولا يطعموه، ولا يسقوه، ولا يؤووه، ولا يكلم حتى يخرج، فإذا خرج؛ أقيم عليه الحد. قال القاضي أبو يعلى: وصف البيت بالأمن، والمراد جميع الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بَيْتُ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] والمراد: الحرم كله لأنه لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحرام، وهذا على طريق الحكم، لا على وجه الخبر فقط. وفي ﴿مَقَارِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرم كله، قاله ابن عباس. والثاني: عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء. وعن مجاهد كالقولين. وقد روي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، قالوا: الحج كله مقام إبراهيم. والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير، وهو الأصح. قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت. وفي سبب وقوف إبراهيم على الحجر قولان: أحدهما: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل، فلم يجده، فقالت له زوجته: انزل، فأبى، فقالت: فدعني أغسل رأسك، فاتته بحجر فوضع رجله عليه، وهو راكب، فغسلت شقه، ثم رفعته وقد غابت رجله فيه، فوضعت تحت الشق الآخر وغسلته، فغابت رجله فيه، فجعله الله من شعاره، ذكره السدي عن ابن مسعود وابن عباس. والثاني: أنه قام على الحجر لبناء البيت، وإسماعيل يناوله الحجارة، قاله سعيد بن جبير. قرأ الجمهور، منهم: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة والكسائي: (وَاتَّخَذُوا) بكسر الخاء؛ على الأمر. وقرأ نافع، وابن عامر بفتح الخاء على الخبر. قال ابن زيد: قال النبي ﷺ «أين ترون أن نصلي؟» فقال عمر: إلى المقام، فنزلت: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَارِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(١)</sup>. وقال أبو علي: وجه فتح الخاء: أنه معطوف على ما أضيف إليه، كأنه قال: وإذا اتخذوا. ويؤكد الفتح في الخاء أن الذي بعده خبر، وهو قوله: وعهدنا. قوله تعالى: ﴿وَرَعَيْتُمْ إِيَّاهُ إِذْ يُبْعَثُ وَإِسْتَكْبَلُ﴾ أي: أمرناهما وأوصيناهما. وإسماعيل: اسم أعجمي، وفيه لغتان إسماعيل، و: اسماعين. وأنشدوا:

قال جوارى الحي لما جينا هذا ورب البيت إسماعينا

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْبَيْتَ﴾ قال قتادة: يريد من عبادة الأوثان والشرك، وقول الزور. فإن قيل: لم يكن هناك بيت؛ فما معنى أمرهما بتطهيره؟ فتنه جوابان: أحدهما: أنه كانت هناك أصنام، فأمرها بإخراجها، قاله عكرمة. والثاني: أن معناه: ابنيها مطهراً، قاله السدي. والعاكفون: المقيمون، يقال: عكف يعكف عكوفاً: إذا أقام، ومنه الاعتكاف. وقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ينزل في كل ليلة ويوم، عشرين ومائة رحمة ينزل على هذا البيت: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَلَوْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَيْتًا بَلَدًا بَلَدًا بَلَدًا مَا كَانَ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> أنشأه إله عذاب النار ورحم السموات

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا بَلَدًا بَلَدًا﴾ البلد: صدر القرى، والبالد: المقيم بالبلد، والبلدة: الصدر. ووضعت الناقة بلدتها: إذا بركت، والمراد بالبلد هاهنا: مكة. ومعنى (آمنًا): ذا أمن. وأمن البلدة مجاز، والمراد أمن من فيه. وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سأل الله الأمن من القتل. والثاني: من الخسف والقذف. والثالث: من القحط والجذب. قال مجاهد: قال إبراهيم: لمن أمن، فقال الله ﷻ: ومن كفر فسأزقه.

قوله تعالى: ﴿فَأَمِنَهُ﴾ وقرأ ابن عامر: (فَأَمِنَهُ) بالتخفيف، من أمتعت. وقرأ الباقر بالتشديد من: مَتَّعَت والإمتاع: إعطاء ما تحصل به المتعة. والمتعة: أخذ الحظ من لذة ما يشتهى. وبماذا يمتعه؟ فيه قولان: أحدهما بالأمن. والثاني: بالرزق. والاضطرار: الإلجاء إلى الشيء، والمصير: ما ينتهي إليه الأمر.

﴿وَإِذْ يَبْعَثُ رَبُّكَ الْقَائِلَ مِنَ الْإِبْرَاهِيمَ رَبَّنَا قَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٤)</sup> رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْسِلْنَاكَ بِالْبَلَدِ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٥)</sup> رَبَّنَا وَابْنِ فِيهِمْ رَسُولًا فَيُخَوِّفُهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتُكَ وَيُؤَيِّنْهُمْ إِلَى الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَرَحْمَتِكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) رواه أحمد والبخاري، ولفظ أحمد عن عمر: واقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» والحاكم في «الكنى» والخطيب في «التاريخ» والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» في يوسف بن السفر، وهو متروك.

قوله تعالى: ﴿رَأَى يَافِعُ إِزْرَافَهُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ القواعد: أساس البيت، واحدها: قاعدة. فأما قواعد النساء؛ فواحدتها: قاعد، وهي العجوز. ﴿رَبَّنَا قَبَّلْ إِلَيْنَا﴾ أي: يقولان: ربنا، فحذف ذلك، كقوله: ﴿وَاللَّيْلُ كَذَلِكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٥]. أراد: يقولون. و(السميع) بمعنى: السامع، لكنه أبلغ، لأن بناء فاعِل للمبالغة. نال الخطابي: ويكون السماع بمعنى القبول والإجابة، كقول النبي ﷺ: «أعوذ بك من دعاء لا يسمع»<sup>(١)</sup> أي: لا يستجاب. وقول المصلي: سمع الله لمن حمده، أي: قبل الله حمد من حمده. وأنشدوا:

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

### الإشارة إلى بناء البيت

روى أنس عن النبي ﷺ قال: كانت الملائكة تحج إلى البيت قبل آدم. وقال ابن عباس: لما أهبط آدم؛ قال الله تعالى: يا آدم! اذهب فابن لي بيتاً فطف به، واذكرني حوله كما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي. فأقبل يسعى حتى انتهى إلى البيت الحرام، وبناء من خمسة أجبل: من لبنان، وطور سيناء، وطور زيتا، والجودي، وحراء، فكان آدم أول من أسس البيت، وطاف به، ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان، فدرس موضع البيت، فبعث الله إبراهيم وإسماعيل. وقال علي ابن أبي طالب عليه السلام: لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت؛ ضاق به ذرعاً، ولم يدر كيف صنع، فأنزل الله عليه كهينة السحابة، فيها رأس يتكلم، فقال: يا إبراهيم! علم على ظلي، فلما علم ارتفعت. وفي رواية أنه كان يبنى عليها كل يوم، قال: وحفر إبراهيم من تحت السكينة، فأبدى عن قواعد، ما تحرك القاعدة منها دون ثلاثين رجلاً. فلما بلغ موضع الحجر، قال لإسماعيل: التمس لي حجراً، فذهب يطلب حجراً، فجاء جبريل بالحجر الأسود، فوضعه، فلما جاء إسماعيل، قال: من جاءك بهذا الحجر؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائي وبنائك. وقال ابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية: رفعوا القواعد التي كانت قواعد قبل ذلك. وقال السدي: لما أمره الله ببناء البيت؛ لم يدر أين يبني، فبعث الله له ريحاً، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل الطوفان.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قال الزجاج: المسلم في اللغة: الذي قد استسلم لأمر الله، وخضع. والمناسك: المتعبدات. فكل متعبد منك ومنيك، ومنه قيل للعابد: ناسك. وتسمى الذبيحة المقرب بها إلى الله ﷻ: نسكية. وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْأَيْنَا مَتَابِعَكَ﴾ أي: مذابحنا. قاله مجاهد. وقال غيره: هي جميع أفعال الحج. وقرأ ابن كثير: وأرنا) بجزم الراء. و﴿رَبِّ أَرُونِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. و﴿أَرِنَا الَّذِيْنَ أَهْلَلْنَا﴾ [فصلت: ٢٩]. وقرأ نافع، وحمره، والكسائي (أرنا) بكسر الراء في جميع ذلك. وقرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر كذلك، إلا أنهماء أسكنوا الراء من (أرنا اللذين) وحدها. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: (أرنا) وكثير من العرب يجزم الراء، فيقول: (أرنا مناسكنا) وقرأ بها بعض لُحقات. وأنشد بعضهم:

قالت سليمة اشتر لنا دقيفاً واشتر فعجل خادماً لبيفاً  
وأنشدني الكسائي:

ومن يتق فإن الله معه ورزق الله مؤتباب وغادي  
قال قتادة: أراهما الله مناسكهما: الموقف بعرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار، والطواف، والسعي. قال أبو مجلز: لما فرغ إبراهيم من البيت أتاه جبريل، فأراه الطواف، ثم أتى به جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، أخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبعاً، وقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به جمرة الوسطى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات، فقال: ارم

(١) رواه مسلم عن زيد بن أرقم بلفظ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها».



وكبير، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان. ثم أتى به الجمرة القصوى، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطى إبراهيم سبع حصيات. فقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتى غاب الشيطان، ثم أتى به منى، فقال: هاهنا يحلق الناس رؤوسهم، ثم أتى به جمعاً، فقال: هاهنا يجمع الناس، ثم أتى به عرفة، فقال: أعرفت؟ قال: نعم. قال: فمن ثم سميت عرفات.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ في الهاء والميم من (فيهم) قولان: أحدهما: أنها تعود على الذرية. قاله مقاتل والفراء. والثاني: على أهل مكة في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ والمراد بالرسول: محمد ﷺ. وقد روى أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه قيل: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاعت له قصور الشام»<sup>(١)</sup>. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة، قاله ابن عباس. وروي عنه: الحكمة: الفقهاء والحلال والحرام، وفواظ القرآن. وسميت الحكمة حكمة، لأنها تمنع من الجهل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَوْمَ تَلْقَوْنَ آلَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأخذ الزكاة منهم فيطهرهم بها، قاله ابن عباس والفراء. والثاني: يطهرهم من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: يدعوهم إلى ما يصيرون به أذكىاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ قال الخطابي: العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه: أحدها: بمعنى الغلبة يقولون: من عز بزز. أي: من غلب سلب. يقال منه: عزَّ يعزُّ، يضم العين من يعز، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّزْنَا فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٨]. والثاني: بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عزَّ يعزُّ، بفتح العين من يعز. والثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عزَّ يعزُّ بكسر العين من يعز. ويتناول معنى العزيز على أنه الذي لا يعادله شيء، ولا مثل له.

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لَئِنْ اتَّبَعْتَهُمْ لَآتِيَنَّكَ مِنَ اللَّهِ الْفُتُورُ﴾ [ص: ٢٨]. قاله ابن عباس: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ تُسَلِّمُونَ» [ص: ٢٨]. قاله ابن عباس: «وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ سَبَبُ نَزُولِهَا أَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ دَعَا ابْنِي أَخِيهِ مُهَاجِرًا وَسَلَمَةً إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ سَلَمَةً، وَرَغِبَ عَنِ الْإِسْلَامِ مُهَاجِرًا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ مُقَاتِلٌ: قَالَ الزَّجَاجُ: «وَمَنْ» لَفْظُهَا لَفْظُ الْإِسْتِفْهَامِ، وَمَعْنَاهَا التَّقْرِيرُ وَالتَّوْبِيخُ. وَالْمَعْنَى: مَا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ. وَيُقَالُ: رَغِبْتَ فِي الشَّيْءِ إِذَا أَرَدْتَهُ. وَرَغِبْتَ عَنْهُ إِذَا تَرَكْتَهُ. وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: دِينُهُ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: إلا من سَفِهَ نفسه، قاله الأخفش<sup>(٢)</sup> ويونس قال يونس: ولذلك تعدى إلى النفس فصبها، وقال الأخفش: نصبت النفس لإسقاط حرف الجر، لأن المعنى: إلا من سَفِهَ في نفسه. قال الشاعر:

نَخَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نَيْئًا  
وَنَرْخِصُهُ إِذَا نَضَجَ الْقُدُورُ

والثاني: إلا من أهلك نفسه، قاله أبو عبيدة. والثالث: إلا من سهت نفسه، كما يقال: غبن فلان رأيه، وهذا مذهب الفراء وابن قتيبة. قال الفراء: نقل الفعل عن النفس إلى ضمير «من»، ونصبت النفس على التشبيه بالتفسير، كما يقال: ضقت بالامر ذرعاً، يريدون: ضاق ذرعي به، ومثله: ﴿وَأَشْحَلَتِ الرَّأْسَ شَيْبًا﴾ [مرج: ٤]. والرابع: إلا من جهل نفسه، فلم يفكر فيها، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ فِي الْآخِرَةِ لَئِنْ اتَّبَعْتَهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: لمن الصالحي الحال عند الله تعالى. وقال الزجاج: الصالح في الآخرة: الفائز.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ وذلك حين وقوع الاصطفاء، قال ابن عباس: لما رأى الكوكب والقمر والشمس، قال له ربه: أسلم، أي: أخلص.

(١) رواه أبو داود الطيالسي وأحمد في «المستد» عن أبي أمامة، وفي سننه الفرج بن فضالة، وهو ضعيف، وجاء الحديث بمعناه في «مسند أحمد» عن العرياض بن سارية، وقد صححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) نقل القرطبي في «التفسير» عن الأخفش في معنى (سفه نفسه) أنه فعل بها من السفه ما صار به سفهاً. وعنه أيضاً: هي لغة، بمعنى سَفِهَ.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى﴾ قرأ ابن عباس وأهل المدينة: (وأوصى) بألف، مع تخفيف الصاد، والباقون بغير ألف مشددة الصاد، وهذا لاختلاف المصاحف. أخبرنا ابن ناصر، قال: أخبرنا ثابت، قال: أخبرنا ابن قشيش، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: حدثنا ابن الأنباري، قال: أخبرنا ثعلب، قال: أُملى عليّ خلف بن هشام البزار قال: اختلف مصحف أهل المدينة وأهل العراق في اثني عشر حرفاً: كتب أهل المدينة: (وأوصى) وأهل العراق: (ووصى) وكتب أهل المدينة: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. بغير واو، وأهل العراق: ﴿وَسَارِعُوا﴾ وكتب أهل المدينة: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: ٥٦]. وأهل العراق: (ويقول) وكتب أهل المدينة: ﴿مَنْ يَزِدْكَ﴾ [المائدة: ٥٧]. وأهل العراق: (من يزد) وكتب أهل المدينة: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]. وأهل العراق: (والذين) وكتب أهل المدينة: ﴿خَيْرًا مِنْهُمَا مُّغْلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]. وأهل العراق: (منها) وكتب أهل المدينة: ﴿فَيَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]. وأهل العراق: (وتوكل) وكتب أهل المدينة: ﴿وَأَن يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [الزمر: ٢٦]. وأهل العراق: (أو أن يظهر) وكتب أهل المدينة في «حم عسق»: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ بغير فاء، وأهل العراق: (فبما) وكتب أهل المدينة ﴿مَا فَتَنَهُمُ الْإِنْفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١]. باللهاء. وأهل العراق: (ما تشتهي) وكتب أهل المدينة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَلِيمُ﴾ [الحديد: ٢٤]. وأهل العراق: (إن الله هو الغني الحميد) وكتب أهل المدينة: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [النسر: ١٥]. وأهل العراق: (ولا يخاف). ووصى أبلغ من أوصى، لأنها تكون لمرات كثيرة، وهاء «بها» تعود على المسألة. قاله عكرمة والزجاج. قال مقاتل: وبنوه أربعة: إسماعيل، وإسحاق، ومدين، ومدائن. وذكر غير مقاتل نهم ثمانية.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ يريد: الزموا الإسلام، فإذا أدرركم الموت صادفكم عليه. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَدْوٍ قَالُوا تَعْبُدُ لِلَّهِ ءَابَاءَنَا وَإِزْرَعًا وَإِسْهَاقًا وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجَدًا وَنَحْنُ لَكُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [يوسف: ٩٢]. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَنْهَا كَاؤًا يَسْتَلُونَ ﴿٩٣﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه يوم مات باليهودية؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت، يشير إلى إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه. ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ قُلْ بَلْ وَكَلَّ اللَّهُ إِزْرَعًا حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنَّا أُنزِلَ إِلَيْنَا إِزْرَعًا وَإِسْهَاقًا وَإِسْحَاقَ وَإِسْهَاقًا وَإِسْهَاقًا وَمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَوْفَىٰ الْكَلْبُوتُ مِن رَّبِّهِمْ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ نَحْنُ لَكُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا﴾ معناه: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى، تهتدوا. ﴿بَلْ وَكَلَّ اللَّهُ إِزْرَعًا حَنِيفًا﴾ المعنى: بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته. وفي الحنيف قولان: أحدهما: أنه المائل إلى لعبادة. قال الزجاج: الحنيف في اللغة: المائل إلى الشيء، أخذ من قولهم: رجل أحنف، وهو الذي تميل قدماء كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها. قالت أم الأحنف ترقصه:

والله لولاً حَنَفٌ بَرَجْلُهُ  
ووقفة في ساقه من هزله  
ما كان في فتیانکم من مثله

والثاني: أنه المستقيم، ومنه قيل للأعرج: حنيف، نظراً له إلى السلامة، هذا قول ابن قتيبة. وقد وصف لمفسرون الحنيف بأوصاف، فقال عطاء: هو المخلص، وقال ابن السائب: هو الذي يحج. وقال غيرهما: هو الذي وُحِدَ ويحج، ويضحى ويختتن، ويستقبل الكعبة. فأما الأسباط: فهم بنو يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً. قال الزجاج: السبط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد. والسبط في اللغة: الشجرة لها قبائل، فالسبط: الذين هم من شجرة واحدة.

﴿إِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ قَوْمُكَ فَتَدَاوَوْا وَلَٰكِن قَوْلُكُمْ فِي شِقَاقِي سَبِيحُكُمْ اللَّهُ وَمَوْ السَّيِّئِ الْكَلِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ يعني: أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِي مَا آمَنَهُمْ بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: مثل إيمانكم، فزيدت الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿وَمَزَيْتَ إِلَيْكَ يَجْمَعُ الْخَلْقَ﴾ [مریم: ٢٤]. قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المراد بالمثل هاهنا: الكتاب، وتقديره: فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم، قاله أبو معاذ النحوي. والثالث: أن المثل هاهنا: صلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمنتم به. ومثله قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. أي: ليس كهو شيء. وأنشدوا:

يا عاذلي دعني من عدلكا      مثلي لا يقبل من مثلكا

أي: أنا لا أقبل منك، فأما الشقاق؛ فهو المشاقة والعداوة، ومنه قولهم: فلان قد شق عصا المسلمين، يريدون: فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع إمامهم، فكانه صار في شق غير شقمهم.

قوله تعالى: ﴿سَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ هذا ضمان لنصر النبي ﷺ.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَكِيدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ سبب نزولها أن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمودية، ليطهروه بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك؛ قالوا: صار نصرانياً حقاً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال ابن مسعود وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والنخعي، وابن زيد: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: دينه. قال الفراء: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ [نصب] مردودة على الملة<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عتبة: (صبغة الله) بالرفع على معنى: هذه صبغة الله. وكذلك قرأ: (ملة إبراهيم) بالرفع أيضاً على معنى: هذه ملة إبراهيم. قال ابن قتبية: المراد بصبغة الله: الختان، فسماه صبغة، لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء [ويقولون: هذا طهرة لهم، كالختان للحنفاء] فقال الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أي: الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها: ملة إبراهيم وقال غيره: إنما سمي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان، كظهور الصبغ على الثوب.

﴿قُلْ أَتَمَّاجُوتُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا آفَئِلَتُنَا وَلَكُمْ آفَئِلَتُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ غُلَامُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَمَّاجُوتُنَا فِي اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد: يهود المدينة، ونصارى نجران. والمخاضة: المخاضة في الدين، فإن اليهود قالت: نحن أهل الكتاب الأول. وقيل: ظهرت اليهود عبدة الأوثان، فقيل لهم: تزعمون أنكم موحدون، ونحن نوحدهم، فلم ظاهرتهم من لا يوحد؟! قوله تعالى: ﴿وَلَنَا آفَئِلَتُنَا وَلَكُمْ آفَئِلَتُكُمْ﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الكلام اقتضى نوع مساهلة، ثم نسخ بآية

السيف.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَنْبِيَاءَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَتَمَّ أَهْلُ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَثَرَ شَهَادَةً عِنْدَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِقَبِيلٍ عَنَّا قَمَلُونَ﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَثَبْتَ وَلَكُمْ مَا كَثَبْتَ وَلَا تَشْكُلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَسْمَلُونَ

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ الآية. سبب نزولها أن يهود المدينة، ونصارى نجران قالوا للمؤمنين: إن أنبياء الله كانوا منا من بني إسرائيل، وكانوا على ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: إن الله قد أعلمنا بدين الأنبياء، ولا أحد أعلم به منه. قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو: (أم يقولون) بالياء على وجه الخبر عن اليهود. وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص عن عاصم: (تقولون) بالتاء لأن قبليهما مخاطبة، وهي ﴿أَتَمَّاجُوتُنَا﴾ وبعدها ﴿قُلْ أَتَمَّ أَهْلُ اللَّهِ﴾. وفي الشهادة التي كتموها قولان: أحدهما: أن الله تعالى شهدا عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتموها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم. والثاني: أنهم كتمو الإسلام، وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبي دينه الإسلام، قاله أبو العالية، وقتادة.

(١) يريد أنها بدل من (ملة إبراهيم).







قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ يريد: قبلة بيت المقدس. ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لنرى. والثاني: لنميز. روي عن ابن عباس. والثالث: لنعلمه واقعاً، إذ علمه قديم، قاله جماعة من أهل التفسير، وهو يرجع إلى قول ابن عباس: «لنرى». والرابع: أن العلم راجع إلى المخاطبين، والمعنى: لتعلموا أنتم، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتْلُبْ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر، قاله ابن زيد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكَيْفَةً﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنه التولية إلى الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها قبلة بيت المقدس قبل التحول عنها، قاله أبو العالية، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ نزل على سبب؛ وهو أن المسلمين قالوا: يا رسول الله! أرايت إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> والإيمان المذكور هاهنا أريد به: الصلاة في قول الجماعة. وقيل: إنما سمي الصلاة إيماناً، لاشتغالها على قول ونية وعمل. قال الفراء: وإنما أسند الإيمان إلى الأحياء [من المؤمنين] والمعنى: فيمن مات [من المسلمين] قبل أن تحول القبلة لأنهم داخلون معهم في الملة.

قوله تعالى: ﴿كُرْهُوهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: (لرؤوف) على وزن: لرعوف، في جميع القرآن، ووجهها: أن فعولاً أكثر في كلامهم من فعل، فباب ضروب وشكور، أوسع من باب حذر ويقظ. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: (لرؤف) على وزن: رَغِف. ويقال: هو الغالب على أهل الحجاز. قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤف الرحيم

والرؤوف بمعنى: الرحيم، هذا قول الزجاج. وذكر الخطابي عن بعض أهل العلم أن الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها. قال: ويقال: الرأفة أخص، والرحمة أعم.

﴿قَدْ رَأَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَمَّا لَمَسَكَ يَبْلَهُ رَمَتْهَا قَوْلَ وَمَهْلَكَ سَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَيَكُ مَا كَثُرَ قَوْلُوا وَجُوعَكُمْ سَطَرُهُ وَلَكِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَمْشُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ سبب نزولها أن النبي ﷺ كان يحب أن يوجه إلى الكعبة، قاله البراء، وابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية، وقتادة. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الشُّعْبَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ واختلفوا في سبب اختيار النبي الكعبة على بيت المقدس على قولين: أحدهما: أنها كانت قبلة إبراهيم، روي عن ابن عباس. والثاني: لمخالفة اليهود، قاله مجاهد. ومعنى ثقلب وجهه: نظره إليها يميناً وشمالاً. و«في» بمعنى «إلى»، و«ترضاها» بمعنى: «تحبها». و«السطر»: النحو من غير خلاف. قال ابن عمر: أتى الناس آت وهم في صلاة الصبح بقباء، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها [وكانت وجوههم إلى الشام] فاستداروا وهم في صلاتهم<sup>(٢)</sup>.

### فصل

اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله المدينة، قاله البراء بن عازب، ومقل بن يسار. والثاني: أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة، قاله قتادة. والثالث: أنها حولت في جمادى الآخرة، حكاه ابن سلامة المفسر عن إبراهيم الحربي. وفي ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ قولان: أحدهما: اليهود، قاله مقاتل. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي.

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» ونقله: عن ابن عمر قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء، إذ جاءهم آت، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة.

قوله تعالى: ﴿يَتَكُونُوا أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ يشير إلى ما أمر به من التوجه إلى الكعبة، ثم توعدهم بباقي الآية على كتمانهم ما علموا. ومن أين علموا أنه الحق؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن في كتابهم الأمر بالتوجه إليها، قاله أبو العالية. والثاني: يعلمون أن المسجد الحرام قبله إبراهيم. والثالث: أن في كتابهم أن محمداً رسول صادق، فلا يأمر إلا بحق. والرابع: أنهم يعلمون جواز النسخ.

﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُورُوا الْكِتَابَ بِكِتَابٍ يَأْمُرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ لَقَدْ جَاءَهُمْ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١٤٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُورُوا الْكِتَابَ بِكِتَابٍ يَأْمُرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ سبب نزولها أن يهود المدينة ونصارى نجران قالوا للنبي: اتنا بآية كما أتى الأنبياء قبلك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يزيد: الكعبة ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ بَشْرٌ فِئْتَنٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ لأن اليهود يصلون قبل المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قبل المشرق ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُورُوا الْكِتَابَ بِكِتَابٍ يَأْمُرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ فصلت إلى قبلتهم ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ بَشْرٌ فِئْتَنٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: يريد بالعلم: البيان.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَتَرَفَعُونَ كَمَا يَتَرَفَعُونَ آمَنَهُمْ وَلَقَدْ رَفَعْنَا بِهِمْ كِتَابَهُمْ وَلَقَدْ رَفَعْنَا بِهِمْ كِتَابَهُمْ﴾<sup>(١٤٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَتَرَفَعُونَ كَمَا يَتَرَفَعُونَ آمَنَهُمْ﴾ في هاء «يعرفونه» قولان: أحدهما: أنها تعود على النبي ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: تعود على صرفة إلى الكعبة، قاله أبو العالية، وقناة، والسدي، ومقاتل، وروي عن ابن عباس أيضاً. وفي الحق الذي كنموه قولان: أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله مجاهد. والثاني: أنه التوجه إلى الكعبة، قاله السدي، ومقاتل في آخرين. وفي قوله: ﴿وَهُمْ يَتَكَبَّرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وهم يعلمون أنه حق. والثاني: وهم يعلمون ما على مخالفه من العقاب.

﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾<sup>(١٤٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ قال الزجاج: أي: هذا الحق من ربك. والممترون: الشاكون، والخطاب عام. ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاتَّيَقُوا الْغَيْبَ إِن مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جِيسًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١٤٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهٍ﴾ أي: لكل أهل دين وجهة. المراد بالوجهة: القبلة، قاله ابن عباس في آخرين. قال الزجاج: يقال: جهة، ووجهة. وفي «هو» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: الله مواليها إياهم، أي: أمرهم بالتوجه إليها. والثاني: ترجع إلى المتولي، فالمعنى: هو مواليها نفسه، فيكون «هو» ضمير كل. والثالث: يرجع إلى البيت، قال مجاهد: أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة. والجمهور يقرؤون: (مواليها). وقرأ ابن عامر، والوليد عن يعقوب: «هو مولاها» بألف بعد اللام، فضمير «هو» لكل، ومعنى القراءتين متقارب.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّيَقُوا الْغَيْبَ﴾ أي: بادروها. وقال قتادة: لا تغلبوا على قبلكم، ﴿إِن مَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جِيسًا﴾ قال ابن عباس وغيره: هذا في يوم القيامة.

﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَكَرَّ بِيَدِكَ سَبْعُ مِائَةٍ مِّنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ وَمَن يَتَّبِعِ الْهَادِيَ إِلَى الضَّلَالَةِ فَكَرَّ بِيَدِكَ سَبْعُ مِائَةٍ مِّنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ وَمَن يَتَّبِعِ الْهَادِيَ إِلَى الضَّلَالَةِ فَكَرَّ بِيَدِكَ سَبْعُ مِائَةٍ مِّنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يَخْتَارُ﴾<sup>(١٤٩)</sup>

فأما إعادة قوله: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَكَرَّ بِيَدِكَ سَبْعُ مِائَةٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ فإنه تكرير تأكيد، ليحسم طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين أبداً إلى قبلتهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ﴾ في الناس قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقناة، ومقاتل. والثاني: مشركو العرب، رواه السدي عن أشياخه. فمن قال بالأول؛ قال: احتجاج أهل الكتاب أنهم قالوا للنبي: مالك تركت قبلة بيت المقدس؟! إن كانت ضلالة؛ فقد دنت بها الله، وإن كانت هدى؛ فقد نقلت عنها. وقال قتادة: قالوا: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه. ومن قال بالثاني؛ قال: احتجاج المشركين أنهم قالوا: قد رجع إلى قبلكم، ويوشك أن يعود إلى دينكم. وتسمية باطلهم حجة على وجه الحكاية عن المحتج به، كقوله تعالى:

﴿مَجْنُومٌ دُلِصَّةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [النورى: ١٦]. وقوله: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ [غافر: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: إلا من ظلم باحتجازه فيما قد وضع له، كما تقول: ما لك عليّ حجة إلا الظلم، أي: إلا أن تظلمني. أي: ما لك عليّ البتة، ولكنك تظلمني. قال ابن عباس: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ في انصرافكم إلى الكعبة ﴿وَأَخْشَوْنِي﴾ في تركها.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا بِمَا لَا تَهْتَكُونَ الْكُرْهُ﴾ [النورى: ١٦]. قال الزجاج: «كما» لا تصلح أن تكون جواباً لما قبلها، والأجود أن تكون معلقة بقوله: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾. وقد روي معناه عن عليّ، وابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والآية خطاب لمشركي العرب. وفي قوله: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ﴾ ثلاثة أقوال، قد سبق ذكرها في قصة إبراهيم. والكتاب: القرآن. والحكمة: السنة.

﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ أَذْكَرَ لَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ [النورى: ١٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي. وقال إبراهيم بن السري: كما أنعمت عليكم بالرسالة، فاذكروني بتوحيدي وتصديق نبيي. قال: فإن قيل: كيف يكون جواب: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾؟ فإن قوله: ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ أمر. وقوله: ﴿أَذْكَرَ لَكُمْ﴾ جزاء؛ فالجواب: أن المعنى: إن تذكروني أذكركم.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ الشكر: الاعتراف بحق المنعم، مع الثناء عليه.

﴿يَتَأْتِيهَا الْكُوفُورُ أَمْشَرًا اسْتَبْرَأُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [النورى: ١٦].

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْكُوفُورُ أَمْشَرًا اسْتَبْرَأُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ سبب نزولها أن المشركين قالوا: سيرجع محمد إلى ديننا، كما رجع إلى قبلتنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال ابن عباس: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على أداء الفرائض، وبالصلاة، وقد سبق الكلام في الصبر، وبيان الاستعانة به وبالصلاة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أُمِيتَ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النورى: ١٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يقولون لقتلى بدر وأحد: مات فلان بيد، مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ورفع الأموات بإضمار مكني من أسمائهم، أي: لا تقولوا: هم أموات، ذكر نحوه الفراء. فإن قيل: فنحن نراهم موتى، فما وجه النهي؟ فالجواب أن المعنى: لا تقولوا: هم أموات لا تصل أرواحهم إلى الجنات، ولا تنال من تحف الله ما لا يتاله الأحياء، بل هم أحياء، أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة<sup>(١)</sup>، فهم أحياء من هذه الجهة، وإن كانوا أمواتاً من جهة خروج الأرواح، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: ليس جميع المؤمنين متعيمين بعد موتهم؟ فلم خصصتم الشهداء؟ فالجواب: أن الشهداء فضلوا على غيرهم بأنهم مرزوقون من مطاعم الجنة ومأكلاها، وغيرهم منعم بما دون ذلك، ذكره ابن جرير الطبري.

﴿وَلَتَبْلُغَنَّكُمْ يَتَىٰ وَنَ الْكُوفُورِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعَرْثِ وَيَنْبَرِ الْأَنْفُسُ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ [النورى: ١٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُغَنَّكُمْ يَتَىٰ وَنَ الْكُوفُورِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ قال الفراء: «من» تدل على أن لكل صنف منها شيئاً مضمراً، فتقديره: بشيء من الخوف، وشيء من الجوع، وشيء من نقص الأموال. وفيمن أريد في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب النبي خاصة، قاله عطاء. والثاني: أنهم أهل مكة. والثالث: أن هذا يكون في آخر الزمان. قال كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة. والرابع: أن الآية على عمومها. فأما الخوف؛ فقال ابن عباس: وهو الفرع في القتال. والجوع: المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين. ونقص من الأموال: ذهاب أموالهم، والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم، والشمرات لم تخرج كما كانت تخرج. وحكى أبو سليمان الدمشقي عن بعض أهل العلم: أن الخوف في الجهاد، والجوع في فرض الصوم، ونقص الأموال: ما فرض فيها من

(١) جاء في صحيح مسلم «أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت...» الحديث.



الزكاة والحج، ونحو ذلك. والأنفس: ما يستشهد منها في القتال، والثمرات: ما فرض فيها من الصدقات. ﴿وَيُنَبِّئُكَ أَتَّخِذْتَ﴾ على هذه البلاوي بالجنة. واعلم أنه إنما أخبرهم بما سيصيبهم ليوطنوا أنفسهم على الصبر، فيكون ذلك أبعد لهم من الجزع. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ يريدون: نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء ﴿وَلِلَّهِ إِلَهُكُمْ كُلُّهُمْ﴾ يريدون: نحن مقررون بالبعث والجزاء على أعمالنا، والثواب على صبرنا. قال سعيد بن جبيرة: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رُجُوعُنَا﴾ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. ولو أعطيتها الأنبياء لأعطيتها يعقوب، ألم تسمع إلى قوله: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] قال الفراء: وللعرب في المصيبة ثلاث لغات: مصيبة، ومصابة، ومصوبة. زعم الكسائي أنه سمع أعرابياً يقول: جبر الله مصوبتك.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قال سعيد بن جبيرة: الصلوات من الله: المغفرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾ بالاسترجاع. قال عمر بن الخطاب: نعم العدلان، ونعمت العلاوة: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَذَكِّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّا أَلَمْنَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ فَمَنْ حَاجَ الْبَيْتَ أَوْ اخْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْطَوِّكَ بِهِمَا وَيَنْفُكْ خِزْيَاً إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [إِنَّا أَلَمْنَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ فَمَنْ حَاجَ الْبَيْتَ أَوْ اخْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْطَوِّكَ بِهِمَا وَيَنْفُكْ خِزْيَاً إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ] (١٥٨) إِنَّا أَلَمْنَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ فَمَنْ حَاجَ الْبَيْتَ أَوْ اخْتَصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْطَوِّكَ بِهِمَا وَيَنْفُكْ خِزْيَاً إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٩)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَلَمْنَا وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ممن كان يهمل لمناة في الجاهلية - ومناة: صنم كان بين مكة والمدينة - قالوا: يا رسول الله! إنا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام؛ فنزلت هذه الآية. وراه عكرمة عن ابن عباس. وقال الشعبي: كان وثن على الصفا يدعى: إساف، ووثن على المروة يدعى: نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام كفوا عن السعي بينهما، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الصحابة قالت للنبي ﷺ: إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة، وإن الله تعالى ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن لا نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم. قال إبراهيم بن السري: الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئاً، وهو جمع، واحده صفاة وصفاء، مثل: حصاة وحصى. والمروة: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شعائر الله، أي: من أعلام متعبداته. وواحد الشعائر: شعيرة. والشعائر: كل ما كان من موقف أو سعي أو ذبح. والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر الله. والحج في اللغة: القصد، وكذلك كل قاصد شيئاً فقد اعتمره. والجناح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر، وإنما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان، فقليل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب اجتنابهما، فأعلم الله ﷻ أنه لا جناح في التطوف بهما، وأن من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل، والجمهور قرؤوا (ومن تطوع) بالثناء ونصب العين. منهم: ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي «يطوع» بالياء وجزم العين. وكذلك خلافهم في التي بعدها بآيات.

### فصل

اختلفت الرواية عن إمامنا أحمد في السعي بين الصفا والمروة، فنقل الأثر من ترك السعي لم يجزه حجه.

(١) المعدل بكسر الميم: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. والعلاوة: هي ما يوضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل، وأراد بالعدلين الصلاة والرحمة. وبالعلاوة: الانتهاء، وقد أخرج هذا الأثر البخاري تعليقاً، ووصله الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» وسنده صحيح، ورواه أحمد والبخاري ومسلم مطولاً.



ونقل أبو طالب: لا شيء في تركه عمداً أو سهواً، ولا ينبغي أن يتركه. ونقل الميموني أنه تطوع.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَكْفَارًا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود، كنتموا ما أنزل الله في التوراة من البينات والهدى، فاليونات: الحلال والحرام والحدود والفرائض. والهدى: نعت النبي وصفته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا يَنْتَكِلُ الْتَّاسِ﴾ قال مقاتل: لبني إسرائيل. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة، وهو قول ابن عباس. والثاني: التوراة والإنجيل، قاله قتادة. ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الكافرين ﴿يَكْفُرُونَ بِاللَّعْنَةِ﴾ أصل اللعن في اللغة: الطرد، ولعن الله إبليس، أي: طرده، ثم انتقل ذلك فصار قولاً. قال الشماخ وذكر ماء: ذعرت به القسطا ونفيتها عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين<sup>(١)</sup>

أي: الطريد. وفي اللاعنين أربعة أقوال: أحدها: أن المراد بهم: دواب الأرض، رواه البراء عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> وهو قول مجاهد، وعكرمة. قال مجاهد: يقولون: إنما منعنا القطر بذنوبكم، فيلعنونه. والثاني: أنهم المؤمنون، قاله عبد الله بن مسعود. والثالث: أنهم الملائكة والمؤمنون، قاله أبو العالية، وقاتة. والرابع: أنهم الجن والإنس وكل دابة، قاله عطاء.

### فصل

وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين، منصوبة كانت أو مستنبطة، وتدل على امتناع جواز أخذ الأجرة على ذلك، إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما يجب فعله، وقد روى الأعرج عن أبي هريرة أنه قال: إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة على النبي ﷺ، والله الموعود، وإيم الله: لولا آية في كتاب الله ما حدثت أحداً بشيء أبداً، ثم تلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا آتَاكَ..﴾ إلى آخرها<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاوْتِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال ابن مسعود: إلا الذين تابوا من اليهود وأصلحوا أعمالهم، وبينوا صفة رسول الله في كتابهم.

### فصل

وقد ذهب قوم إلى أن الآية التي قبل هذه منسوخة بالاستثناء في هذه، وهذا ليس بنسخ، لأن الاستثناء إخراج بعض ما شمله اللفظ، وذلك يقتضي التخصيص دون النسخ، ومما يحقق هذا أن النسخ والمنسوخ لا يمكن العمل بأحدهما إلا بترك العمل بالآخر، وهاتنا يمكن العمل بالمستثنى والمستثنى منه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَابُوا وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَتَابُوا وَهُمْ كَفَارٌ﴾ إنما شرط الموت على الكفر، لأن حكمه يستقر بالموت عليه، فإن قيل: كيف قال: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وأهل دينه لا يلعنونه، فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم يلعنونه في الآخرة. قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لِّمَنْ يَمُوتُ مِمَّنْكُمْ بِمَضْعُكُم بَعْضًا﴾ [المنكسوت: ٢٥]. وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلََتْ أُمَّةٌ لَعْنَتٌ أَخْبَرَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. والثاني: أن المراد بالناس هاتنا: المؤمنون، قاله ابن مسعود، وقاتة، ومقاتل. فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص. والثالث: أن اللعنة من الأكثر يطلق عليها: لعنة جميع الناس تغلياً لحكم الأكثر على الأقل.

﴿حَتَّىٰ يَبِيتَ لَا يُعْقَبُ عَنْهُمْ الْمَدَافُ وَلَا هُمْ يُعْقَرُونَ﴾

(١) قال في «اللسان» أراد مقام الذئب الطريد، كالرجل. والرجل اللعين المطرود، لا يزال متنبذاً عن الناس، شبه الذئب به في ذله وشدة مخافته وذعره.

(٢) رواه ابن ماجه، وابن أبي حاتم، وفي سننه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وغيرهم. وقوله: «والله الموعود» قال القاضي عياض في «المشارك»: أي: عند الله المجتمع، أو إليه. وقال الحافظ في «الفتح»: ومراده أن الله تعالى يحاسبني إن تعددت كذباً، ويحاسب من يظن بي سوء.

قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ نَارٍ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى اللعنة، قاله ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى النار، وإن لم يجر لها ذكر فقد علمت.

﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ وَإِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ﴾ قال ابن عباس: إن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فنزلت هذه الآية، وسورة الإخلاص. والإله بمعنى: المعبود.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنسَانِ الْفَالِكِ الَّذِي يَمشي فِي الْبَحْرِ يَمَسُّ مَتَاعاً وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ الْكَرْمِ مِنْ مَّاءٍ فَأَكْتَمَ الْوَعْدَ لَهُمْ وَالْقَارِعَةُ إِذَا أَهْبَطَتْ مِنْ سَمَاوَاتٍ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَهُوَ يَأْتِيهِمْ لَئِيْلٌ يُغْلَبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا للنبي: اجعل لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً؛ فنزلت هذه الآية، حكاه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: انسب لنا ربك وصفه؛ فنزلت: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ﴾ قالوا: فأرنا آية ذلك؛ فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزلت ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ﴾ قال كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. فأما ﴿السَّمَكَاتِ﴾؛ فتدل على صانعها، إذ هي قائمة بغير عمد، وفيها من الآيات الظاهرة ما يدل يسيره على مبدعه، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وتمهيد سهولها، وإرساء جبالها، إلى غير ذلك. ﴿وَأَخْلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُفُوسٍ حَالِيَةٍ﴾ كل واحد منهما حادث بعد أن لم يكن، وزائل بعد أن كان ﴿وَالْفَالِكِ﴾: السفن. قال ابن قتيبة: الواحد والجمع بلفظ واحد. وقال البيهقي: واحده فلكة، ويذكر ويؤنث. وقال الزجاج: الفلك: السفن، ويكون واحداً، ويكون جمعاً، لأن فعل، وفعل جمعهما واحد، ويأتیان كثيراً بمعنى واحد. يقال: العجم والعُجم، والعرب والعُرب، والفلك والفُلك. والفلك: يقال لكل شيء مستدير، أو فيه استدارة. و﴿الْبَحْرِ﴾: الماء الغزير ﴿يَمَسُّ مَتَاعاً﴾ من المعاش. ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ الْكَرْمِ مِنْ مَّاءٍ﴾ يعني: المطر، والمطر ينزل على معنى واحد، وأجزاء الأرض والهواء على معنى واحد، والأنواع تختلف في النبات والطعوم والألوان والأشكال المختلفة، وفي ذلك رد على من قال: إنه من فعل الطبيعة، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يتفق موجدوها، إذ المتفق لا يوجب المختلف، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: ﴿يَسْتَفْتِي بِمَاءٍ رَكِيظٍ وَمِنْهُ يَنْفَعُ الْبَشَرُ عَلَىٰ قَرْيَةٍ فِي الْأَكْثَرِ﴾ [الرعد: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾ أي: فرق.

قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ قرأ ابن كثير (الرياح) على الجمع في خمسة مواضع: هاهنا. وفي الحجر: ٢٢. ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ وفي الكهف: ٤٦. ﴿تَذَرُوهُ الرِّيَّاحَ﴾ وفي الروم: ٤٦. الحرف الأول (الرياح). وفي الجاثية: ٤. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ وقرأ باقي القرآن (الريح). وقرأ أبو جعفر (الرياح) في خمسة عشر موضعاً؛ في البقرة، وفي الأعراف: ٥٦. ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ وفي إبراهيم: ١٨. ﴿أَسْتَشَدُّ بِهِنَّ الرِّيَّاحُ﴾ وفي الحجر: ٢٢. ﴿الرِّيَّاحُ لَوَاقِحَ﴾ وفي سبحة: ١٩. وفي الكهف: ٤٥. ﴿تَذَرُوهُ الرِّيَّاحَ﴾ وفي الأنبياء: ٨١. وفي الفرقان: ٤٨. ﴿أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ﴾ وفي النمل. والثاني من الروم: ٤٨. وفي سبأ: ١٢. وفي ص: ٣٦. وفي عسق: ٣٣. ﴿يُسْكِنُ الرِّيَّاحُ﴾ وفي الجاثية: ٥. ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ تابعه نافع إلا في سبحة. ورياح سليمان: الأنبياء: ٨١. وتابع نافع أبو عمرو إلا في حرفين: (الريح) في إبراهيم، وعسق، ووافق أبا عمرو، وعاصم، وابن عامر. وقرأ حمزة (الرياح) جمعاً في موضعين: في الفرقان، والحرف الأول من الروم، وباقيهما على التوحيد. وقرأ الكسائي مثل حمزة، إلا إنه زاد عليه في الحجر: ٢٢. ﴿الرِّيَّاحُ لَوَاقِحَ﴾ ولم يختلفوا فيما ليس فيه ألف ولا ميم، فمن جمع؛ فكل ريح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفذ، ومن وحد؛ أراد الجنس. ومعنى تصريف الرياح: تقلبها شمالاً مرة، وجنوباً مرة، ودبوراً أخرى، وصباً أخرى، وعذاباً ورحمة. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾: المذل. والآية فيه من أربعة أوجه، ابتداء كونه، وانتهاء تلاشي، وقيامه بلا دعامة ولا علاقة، وإرساله إلى حيث شاء الله تعالى. ﴿لَا تَسْتَوِي﴾. الآية: العلامة. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ قال: أخبرنا عاصم

قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني هارون قال: حدثني عفان عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون، يعني: أصحاب النبي ﷺ: الحمد لله الرفيق، الذي لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا يتصرف، لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق ربٌ لحادثه، وإن الله تعالى قد حادث بما ترون من الآيات، إنه جاء بضوء طَبَّق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً، وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طَبَّق ما بين الخافقين، وجعل فيه سكناً ونجوماً، وقمرأ منيراً، وإذا شاء، بنى بناء، جعل فيه المطر، والبرق، والرعد، والصواعق، ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يرقف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك، وجاء بحر يأخذ أنفاس الناس، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما ترون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة.

﴿وَبَرِكَ النَّاسُ مَنْ يَتَّقُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاكَ يُحِبُّهُمْ كُحِبَ اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَكِيدٌ الْعَذَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَرِكَ النَّاسُ مَنْ يَتَّقُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاكَ﴾ في الانداد قولان قد تقدم في أول السورة. وفي قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ كُحِبَ اللَّهُ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يحبونهم كحب الذين آمنوا لله، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي العالية، وابن زيد، ومقاتل، والفراء. والثاني: يحبونهم كمحبتهم لله، أي: يسوون بين الأوثان وبين الله تعالى في المحبة. هذا اختيار الزجاج، قال: والقول الأول ليس بشيء، والدليل على نقضه قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ قال المفسرون: أشد حباً لله من أهل الأوثان لاوثنانهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، وحزمة والكسائي: (يرى) بالياء، ومعناه: لو يرون عذاب الآخرة؛ لعلموا أن القوة لله جميعاً. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: ﴿لَوْ رَيَّ﴾ بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ، والمراد به جميع الناس. وجوابه محذوف، تقديره: لرأيتم أمراً عظيماً، كما تقول: لو رأيت فلاناً والسياط تأخذه. وإنما حذف الجواب، لأن المعنى واضح بدونه. قال أبو علي: وإنما قال: «إذ» ولم يقل: «إذا» وإن كانت «إذا» لما مضى، لإرادة تقريب الأمر، فأتى بمثال الماضي، وإنما حذف جواب «لو» لأنه أفخم، لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد. وقرأ أبو جعفر، (إن القوة لله) و: (إن الله) بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف، كأنه يقول: فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم إنَّ ﴿الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: القوة: القدرة، والمنعة.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَكْ لَنَا كُرَّةٌ فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم القادة والرؤساء، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: أنهم الشياطين، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ يشمل الكل. ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أي: عنهم، مثل قوله: ﴿تَشَلُّ بِهِ خَيْرٌ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وفي (الأسباب) أربعة أقوال: أحدها: أنها المودات، وإلى نحوه ذهب ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الأعمال، رواه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وهو قول أبي صالح وابن زيد. والثالث: أنها الأرحام. رواه ابن جريج عن ابن عباس. والرابع: أنها تشمل جميع ذلك. قال ابن قتيبة: هي الأسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا، فأما تسميتها بالأسباب، فالسبب في اللغة: الحبل، ثم قيل لكل ما يتوصل به إلى المقصود: سبب. والكُرَّة: الرجعة إلى الدنيا، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين ﴿فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ﴾ يريدون: من القادة ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ في الآخرة. ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: كتبوا بعضهم من بعض، يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم، لأن أعمال الكافر لا تنفعه. وقال ابن الأنباري: يريهم الله أعمالهم القبيحة حسرات عليهم إذا رأوا أحسن المجازاة للمؤمنين بأعمالهم، قال: ويجوز أن يكون: كذلك يريهم الله ثواب أعمالهم الصالحة وجزاءها، فحذف الجزاء وأقام الأعمال مقامه. قال ابن فارس: والحسرة: التلطف على الشيء الفات. وقال غيره: الحسرة: أشد الندامة.



﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكٌ مِّمَّا يَكُونُ لَكُمْ عَذُوبٌ مُّبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكٌ مِّمَّا يَكُونُ لَكُمْ عَذُوبٌ مُّبِينٌ﴾ نزلت في ثقيف، وخزاعة، وبني عامر بن صعصعة، فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الْكَاسِيَةِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿خُطُوَاتِ﴾ مثقلة<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة (خُطُوات) ساكنة الطاء خفيفة. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء (خُطُوات) بفتح الخاء وسكون الطاء من غير همز. وقرأ أبو عمران الجوني بضم الخاء والطاء مع الهمز. قال ابن قتيبة: خطواته: سبيله ومسلكه، وهي جمع خُطوة، والخطوة بضم الخاء: ما بين القدمين، ويفتحها: الفعلة الواحدة. واتباعهم خطواته: أنهم كانوا يحرمون أشياء قد أحلها الله، ويحلون أشياء قد حرمها الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذُوبٌ مُّبِينٌ﴾ أي: بين. وقيل: أبان عداوته بما جرى له مع آدم.

﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ السوء: كل إثم وقبح. قال ابن عباس: وإنما سمي سوءاً، لأنه تسوء عواقبه، وقيل: لأنه يسوء إظهاره (والفحشاء) من: فحش الشيء: إذا جاز قدره. وفي المراد بها هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنها كل معصية لها حد في الدنيا. والثاني: أنها ما لا يعرف في شريعة ولا سنة. والثالث: أنها البخل، وهذه الأقوال الثلاثة منقولة عن ابن عباس. والرابع: أنها الزنى، قاله السدي. والخامس: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه حرم عليكم ما لم يحرم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ فَأَلَّاوْا بِتَنَجُّ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ ءَايَةً ۖ أَتَوَلَّوْا كَآفَ أَتَقُولُكَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ فَأَلَّاوْا بِتَنَجُّ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ ءَايَةً ۖ أَتَوَلَّوْا كَآفَ أَتَقُولُكَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ لهم: ﴿كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَاكٌ مِّمَّا يَكُونُ لَكُمْ عَذُوبٌ مُّبِينٌ﴾ فعلى هذا تكون الهاء والميم هائدة عليهم، وهذا قول مقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة، فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور، ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس. والثالث: في مشركي العرب وكفار قريش، فتكون الهاء والميم عائدة إلى قوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يَعْبُدُونَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنذَارًا﴾ فعلى القول الأول؛ يكون المراد بالذي أنزل الله: تحليل الحلال، وتحريم الحرام. وعلى الثاني يكون: الإسلام. وعلى الثالث: التوحيد والإسلام. و﴿آيَةً﴾ بمعنى: وجدنا.

قوله تعالى: ﴿أَتَوَلَّوْا كَآفَ أَتَقُولُكَ شَيْئًا﴾ من الدين، ولا يهتدون له، آيتعونهم أيضاً في خطيئهم

واقترانهم؟

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْآرِيِّ يَتَّقِي بَآ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةً وَنِدَاةً ۖ مِّمَّ يَكُفُّ عَنْهُمْ قَهْرٌ لَا يَقُولُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَاتُوا

كُلُّوا مِنَّا يَكُونُ مَا رَزَقْتُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْآرِيِّ يَتَّقِي بَآ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاةً وَنِدَاةً ۖ مِّمَّ يَكُفُّ عَنْهُمْ قَهْرٌ لَا يَقُولُونَ﴾ في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثال البهائم التي ينطق بها الراعي، وهذا قول الفراء، وثعلب، فالأجمع: أضاف المثل إلى الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كمثال البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي؛ لم تدر ما يقول لها، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى في المرعي، وهو ظاهر في كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوف الأسد [لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف]. قال الشاعر:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزنى. والثاني: أن معناها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا في عظمهم، كمثال الناقع



والمنعوق به، فحذف: ومثلنا، اختصاراً، إذ كان في الكلام ما يدل عليه، وهذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون، كمثل الذي ينق، هذا قول ابن زيد، والذي ينق هو الراعي، يقال: نَقَّ بالغنم، ينق نَعَقاً ونَعَقاً ونَعَقاً. قال ابن الأنباري: والفاسي في كلام العرب أنه لا يقال: نَقَّ، إلا في الصياح بالغنم وحدها، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنى. ﴿مُّمَّ بِكُمْ﴾ إنما وصفهم بالصمم والبكم، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنى.

﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ قرأ أبو جعفر «الميتة» هاهنا، وفي المائدة، والنحل: ﴿بَلَدَةً مَيْتَةً﴾ [ق: ١١]. بالتشديد، حيث وقع. والميتة في عرف الشرع: اسم لكل حيوان خرجت روحه بغير ذكاة. وقيل: إن الحكمة في تحريم الميتة أن جمود الدم فيها بالموت يحدث أذى للأكل، وقد يسمى المذبوح في بعض الأحوال: ميتة حكماً، لأن حكمه حكم الميتة، كذبيحة المرتد. فأما الدم؛ فالمحرم منه: المسفوح، لقوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]. قال القاضي أبو يعلى: فأما الدم الذي يبقى في خلل اللحم بعد الذبح، وما يبقى في العروق؛ فهو مباح. فأما لحم الخنزير؛ فالمراد: جملته، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود. قال الزجاج: الخنزير يشتمل على الذكر والأنثى. ومعنى ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾. ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله، ومثله الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالتلبية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: ألجئ بضرورة. وقرأ أبو جعفر: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ بكسر الطاء حيث كان. وأدغم ابن محيصن الضاد في الطاء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قال الزجاج: البغي: قصد الفساد، يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى الفساد. وفي قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن معناه غير باغٍ على الولاة، ولا عاد يقطع السبيل، هذا قول سعيد بن جبيرة ومجاهد. والثاني: غير باغٍ في أكله فوق حاجته، ولا متعدٌ بأكلها وهو يجد غيرها، هذا قول الحسن، وعكرمة، وقتادة، والربيع. والثالث: غير باغٍ، أي: مستحل، ولا عاد: غير مضطر، روي عن سعيد بن جبيرة، ومقاتل. والرابع: غير باغٍ شهوته بذلك، ولا عاد بالشبع منه، قاله السدي.

### فصل

معنى الضرورة في إباحة الميتة: أن يخاف على نفسه أو بعض أعضائه. سئل أحمد رحمته الله عن المضطر إذا لم يأكل الميتة، فذكر عن مسروق أنه قال: من اضطر فلم يأكل فمات دخل النار. فأما مقدار ما يأكل؛ فنقل حنبل: يأكل مقدار ما يقيم عن الموت. ونقل ابن منصور: يأكل بقدر ما يستغني. فظاهر الأولى: أنه لا يجوز له الشبع، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وظاهر الثانية: جواز الشبع، وهو قول مالك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسَدُّونَ بِهِ سَبِيلَ آيَاتِهِ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرْكِبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كنمو اسم النبي ﷺ وغيره في كتابهم. والشمع القليل: ما يصيبونه من اتباعهم من الدنيا. ﴿أُرْتِكُمْ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ قال الزجاج: معناه: إن الذين يأكلونه يعذبون به، فكانهم يأكلون النار. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ﴾ هذا دليل على أن الله لا يكلم الكفار ولا يحاسبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُرْكِبُهُمْ﴾ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: لا يزكي أعمالهم، قاله مقاتل. والثاني: لا يشي عليهم، قاله الزجاج. والثالث: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم، قاله ابن جرير.



وثمانين آية من هذه السورة. فاما ﴿وَإِنَّ السَّبِيلَ﴾ ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضيف، قاله سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الذي يمر بك مسافراً، قاله الربيع بن أنس، وعن مجاهد، وقناة كالقولين. وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: هو المنقطع به يريد بلداً آخر. وهذا اختيار ابن جرير الطبري، وأبي سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى، ويحققه: أن السبيل الطريق، وابنه: صاحبه الضارب فيه، فله حق على من يمر به إذا كان محتاجاً. ولعل أصحاب القول الأول أشاروا إلى هذا، لأنه إن كان مسافراً، فإنه ضيف لم ينزل. والقول الثالث: أنه الذي يريد سافراً، ولا يجد نفقة، ذكره الماوردي وغيره عن الشافعي.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ أي: في فك الرقاب. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو مروى عن علي بن أبي طالب، والحسن، وابن زيد، والشافعي. والثاني: أنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس، وأبو عبيد، وأبو ثور. وعن أحمد كالقولين. فاما البأساء؛ فهي: الفقر. والضراء: المرض. وحين البأس: القتال، قاله الضحاك. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ مَدَّوْا﴾ قال أبو العالية: تكلموا بالإيمان وحققوه بالعمل.

﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ مَدَّوْا كَيْبَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصَ فِي الْقَتْلِ الْمَرْءِ بِالْحَرْ وَالْمَرْءِ بِالْمَرْءِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُلْبِغْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بِكَ فَلَهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُوا الَّذِينَ مَدَّوْا كَيْبَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصَ﴾ روى شيبان عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، وكان الحي منهم إذا كان فيهم عدة ومنعة، فقتل عبيدهم عبد قوم آخرين؛ قالوا: لن نقتل به إلا حراً، تعزراً لفضلهم على غيرهم. وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من آخرين؛ قالوا: لن نقتل بها إلا رجلاً؛ فنزلت هذه الآية. ومعنى «كتب»: فرض، قاله ابن عباس وغيره. والقصاص: مقابلة الفعل بمثله، مأخوذ من: قص الأثر. فإن قيل: كيف يكون فرضاً والولي مخير بينه وبين العفو؟ فالجواب: أنه فرض على القاتل للولي، لا على الولي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: من دم أخيه، أي: ترك له القتل، ورضي منه بالدية. ودل قوله: ﴿وَمِنْ أَخِيهِ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام، ﴿فَأُلْبِغْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: مطالبته بالمعروف، بأمر أخذ الدية بالمطالبة الجميلة التي لا يرهقه فيها: ﴿وَأَدَّاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ يأمر المطالب بأن لا يبغض ولا يماطل ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال سعيد بن جبير: كان حكم الله على أهل التوراة أن يقتل قاتل العمد، ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه دية، فرخص الله لأمة محمد، فإن شاء ولي المقتول عمداً قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بِكَ﴾ أي: ظلم، فقتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية؛ ﴿فَلَهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال قتادة: يقتل ولا تقبل منه الدية.

### فصل

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن دليل خطاب<sup>(١)</sup> هذه الآية منسوخ، لأنه لما قال: ﴿الْمَرْءُ بِالْحَرْ﴾؛ اقتضى أن لا يقتل العبد بالحر، وكذلك لما قال: ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ اقتضى أن لا يقتل الذكر بالأنثى من جهة دليل الخطاب، وذلك منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْكُمْ ذِيئًا أَنْ أَلْفَسَ بِالْفَنَسِ﴾ قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا عند الفقهاء ليس بنسخ، لأن الفقهاء يقولون: دليل الخطاب حجة ما لم يعارضه دليل أقوى منه.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ قال الزجاج: إذا علم الرجل أنه إن قُتِل قُتِل، أمسك عن القتل، فكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك. وأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

أبلغ أبا مالك عني مغلفة وفي العتاب حياة بين أقوام

(١) دليل الخطاب عند الأصوليين هو مفهوم المخالفة، وهو ثبوت نقيض حكم المنطوق للمسكوت.



يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب. والألباب: العقول، وإنما خصهم بهذا الخطاب وإن كان الخطاب عاماً، لأنهم المتفعلون بالخطاب، لكونهم يأترون بأمره ويتنهون بنهيه.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ كُفْرٌ تَكْفُونَ﴾ قال ابن عباس: لعلمكم تكفون الدماء. وقال ابن زيد: لعلمك تنقي أن يقتله فتقتل

به.

### فصل

نقل ابن منصور عن أحمد: إذا قتل رجل رجلاً بعصى، أو خنقه، أو شدخ رأسه بحجر، يقتل بمثل الذي قتل به. فظاهر هذا: أن القصاص يكون بغير السيف، ويكون بمثل الآلة التي قتل بها، وهو قول مالك، والشافعي. ونقل عنه حرب: إذا قتله بخشبة قتل بالسيف. ونقل أبو طالب: إذا خنقه قتل بالسيف. فظاهر هذا: أنه لا يكون القصاص إلا بالسيف، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا هَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا هَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال الزجاج: المعنى: وكتب عليكم، إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو. وعلم أن معناه معنى الواو، وليس المراد: كتب عليكم أن يوصي أحدكم عند الموت، لأنه في شغل حيثئذ، وإنما المعنى: كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية، فيقول الرجل: إذا أنا مت، فلفلان كذا. فأما الخير هاهنا؛ فهو المال في قول الجماعة. وفي مقدار المال الذي تقع هذه الوصية فيه ستة أقوال: أحدها: أنه ألف درهم فصاعداً، روي عن علي، وقتادة. والثاني: أنه سبعمائة درهم فما فوقها، رواه طاووس عن ابن عباس. والثالث: ستون ديناراً فما فوقها، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال. قالت عائشة لرجل سألها: إني أريد الوصية، فقالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: هذا شيء يسير، فدعه لعيالك. والخامس: أنه من ألف درهم إلى خمسمائة، قاله إبراهيم النخعي. والسادس: أنه القليل والكثير، رواه معمر عن الزهري. فأما المعروف؛ فهو الذي لا حيف فيه.

### فصل

وهل كانت الوصية ندباً أو واجبة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها كانت ندباً. والثاني: أنها كانت فرضاً، وهو أصح، لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ﴾ ومعناه: فرض. قال ابن عمر: نسخت هذه الآية بآية الميراث. وقال ابن عباس: نسختها: ﴿إِلَى الْبَالِ تَبِيحٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧]. والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون: هل تجب الوصية لهم؟ على قولين، أحدهما أنها لا تجب لأحد.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ قال الزجاج: من بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها، فإنما إثمه على مبدله، لا على الموصي، ولا على الموصى له ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما قد قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله الموصى إليه.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُسْرٍ جَنَفَ أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُسْرٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿مُسْرٍ﴾ ساكنة الواو، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم ﴿مُسْرٍ﴾ مفتوحة الواو مشددة الصاد. وفي المراد بالخوف هاهنا قولان: أحدهما: أنه العلم. والثاني: نفس الخوف. فعلى الأول؛ يكون الجور قد وجد. وعلى الثاني: يخشى وجوده. والجنف: الميل عن الحق. قال الزجاج: ﴿جَنَفَ﴾، أي: ميلاً، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾، أي: قصد الإثم. وقال ابن عباس: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد. قال أبو سليمان الدمشقي: الجنف: الخروج عن الحق، وقد يسمى به المخطئ والعامد، إلا أن المفسرين علقوا الجنف على المخطئ، والإثم على العامد. وفي توجيه هذه الآية قولان: أحدهما: أن معناها: من حضر رجلاً يموت، فأسرف في وصيته، أو قصر عن حق؛ فليأمره بالعدل، هذا قول مجاهد.



والثاني: أن معناها: من أوصى بجور، فرد وليه وصيته، أو ردها إمام من أئمة المسلمين إلى كتاب الله وستة نبيّه؛ فلا إثم عليه، وهذا قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّلَحْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الذين أوصى لهم، ولم يجز لهم ذكر، غير أنه لما ذكر الموصي أفاد مفهوم الخطاب أن هناك موصى له، وأنشد القراء:

وما أدري إذا يمممت أرضاً      أريد الخير أيهما يليني؟  
الخير الذي أنا أبتغيه      أم الشر الذي هو يبتغيني

فكُنِيَ في البيت الأول عن الشر بعد ذكره الخير وحده، لما في مفهوم اللفظ من الدلالة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُيِّبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُيِّبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُيِّبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الصيام في اللغة: الإمساك في الجملة، يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير، وصامت الريح: إذا أمسكت عن الهبوب. والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع انضمام النية إليه. وفي الذين من قبلنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل الكتاب، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وهو قول مجاهد. والثاني: أنهم النصارى، قاله الشعبي، والريبع. والثالث: أنهم جميع أهل الملل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس. وفي موضع التشبيه في كاف ﴿كَمَا كُيِّبَ﴾ قولان: أحدهما: أن التشبيه في حكم الصوم وصفته، لا في عده. قال سعيد بن جبير: كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل أن يطعم لم يحل له أن يطعم إلى القابلة، والنساء عليهم حرام ليلة الصيام، وهو عليهم ثابت. وقد أرخص لكم. فعلى هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْعُ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فإنها فرقت بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين. والثاني: أن التشبيه في عدد الأيام. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه فرض على هذه الأمة صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وقد كان ذلك فرضاً على من قبلهم. قال عطية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿كَمَا كُيِّبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ قال: كان ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ برمضان. قال معمر عن قتادة: كان الله قد كتب على الناس قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر، فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿تَهْتَرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ والثاني: أنه فرض على من قبلنا صوم رمضان بعينه. قال ابن عباس: فقدم النصارى يوماً ثم يوماً، وأخروا يوماً، ثم قالوا: نقدم عشراً ونؤخر عشراً. وقال السدي عن أشياخه: اشتد على النصارى صوم رمضان، فجعل يتقلب عليهم في الشتاء والصيف، فلما رأوا ذلك اجتمعوا ففعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يوماً نكفر بها ما صنعنا. فعلى هذا تكون الآية محكمة غير منسوخة.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُونَ﴾ لأن الصيام وصلة إلى التقى، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي، وقيل: لعلكم تنفون محظورات الصوم.

﴿أَيُّهَا مَعْدُونُوا فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ رَيْبًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ سَكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا مَعْدُونُوا﴾ قال الزجاج: نصب «أياماً» على الظرف، كأنه قال: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام. والعامل فيه «الصيام»، كأن المعنى: كتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وفي هذه الأيام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ثلاثة أيام من كل شهر. والثاني: أنها ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء. والثالث: أنها شهر رمضان، وهو الأصح. وتكون الآية محكمة في هذا القول، وفي القولين قبله تكون منسوخة، ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ رَيْبًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فيه إضمار: فافطر.

### فصل

وليس المرض والسفر على الإطلاق، فإن المريض إذا لم يضر به الصوم: لم يجز له الإفطار، وإنما الرحمة

موقوفة على زيادة المرض بالصوم. واتفق العلماء أن السفر مقدر، واختلفوا في تقديره، فقال أحمد، ومالك، والشافعي: أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً؛ يومان، وقال أبو حنيفة وأصحابه: أقله مسيرة ثلاثة أيام، مسيرة أربعة وعشرين فرسخاً. وقال الأوزاعي: أقله مرحلة يوم، مسيرة ثمانية فراسخ. وقيل: إن السفر مشتق من السفر الذي هو الكشف، يقال: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح: إذا أضاء، فسمي الخروج إلى المكان البعيد: سفراً، لأنه يكشف عن أخلاق المسافر.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ نقل عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وعلقمة، والزهري في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدى، يطعم عن كل يوم مسكيناً، حتى نزلت: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فعلى هذا يكون معنى الكلام: وعلى الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية، ثم نسخت. وروي عن عكرمة أنه قال: نزلت في الحامل والمرضع. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس: (وعلى الذين يُطِيقُونَهُ) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الواو. قال ابن عباس: هو الشيخ والشيخة.

قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي ﴿فِدْيَةٌ﴾ منون ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ موحد. وقرأ نافع، وابن عامر: «فدية» بغير تنوين «طعام» بالخفض «مساكين» بالجمع. قال أبو علي: معنى القراءة الأولى: على كل واحد طعام مسكين. ومثله: ﴿تَقَابُلُوهُمْ تَنْبِيْهُنَّ﴾ [النور: ٤]. أي: اجلدوا كل واحد ثمانين. قال أبو زيد: أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة، وأعطانا كلنا مئة، أي: فعل ذلك بكل واحد منا. قال: فأما من أضاف الفدية إلى الطعام، فكإضافة البعض إلى ما هو بعض له، وذلك أنه سمي الطعام الذي يفدى به: فدية، ثم أضاف الفدية إلى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها، فهو على هذا من باب: خاتم حديد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: من أطعم مسكينين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن التطوع إطعام مساكين، قاله طاووس. والثالث: أنه زيادة المسكين على قوته، وهو مروى عن مجاهد، وفعله أنس بن مالك لما كبر، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عائد إلى من تقدم ذكره من الأصحاء المقيمين المختيرين بين الصوم والإطعام على ما حكينا في أول الآية عن السلف، ولم يرجع ذلك إلى المرضى والمسافرين، والحامل والمرضع، إذ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصوم، وقد نهوا عن تعريض أنفسهم للتلف، وهذا يقوي قول القائلين بنسخ الآية.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا آلِدَئِكُمْ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَكُمْ فِي هَٰذَا أَيَّامٌ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ قال الأخفش: شهر رمضان بالرفع على تفسير الأيام، كأنه لما قال: ﴿إِنَّمَا مَعَدُّكُمْ﴾ فسرهما فقال: هي شهر رمضان. قال أبو عبيد: وقرأ مجاهد: (شهر رمضان) بالنصب، وأراه نصبه على معنى الإغراء: عليكم شهر رمضان فصوموه، كقوله: ﴿يَوْمَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ﴾ ومن قرأ بالنصب معاوية، والحسن، وزيد بن علي، وعكرمة، ويحيى بن يعمر. قال ابن فارس: المرض: حر الحجارة من شدة حر الشمس، ويقال: شهر رمضان، من شدة الحر، لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالآزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام مرض الحر، ويجمع على رمضانات، وأرمضاء، وأرمضة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل القرآن فيه جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر إلى بيت العزة من السماء الدنيا. قاله ابن عباس. والثاني: أن معناه: أنه أنزل القرآن بفرض صيامه، روي عن مجاهد، والضحاك. والثالث: أن معناه: إن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ قاله ابن إسحاق، وأبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: والفرقان: المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: من كان حاضراً غير مسافر. فإن قيل: ما الفائدة في إعادة ذكر المرض والسفر في هذه الآية، وقد تقدم ذلك؟ قيل: لأن في الآية المتقدمة منسوخاً، فأعاده لئلا يكون مقروناً بالمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك: اليسر: الإفطار في السفر، والعسر: الصوم فيه. وقال عمر بن عبد العزيز: أي ذلك كان أيسر عليك فافعل: الصوم في السفر، أو الفطر.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَكْمِلُوا آيَةَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَلْيَكْمِلُوا﴾ بإسكان الكاف خفيفة. وقرأ أبو بكر عن عاصم بتشديد الميم، وذلك مثل: «وَصَى» و«أَوْصَى» وقال ابن عباس: ولتكمّلوا عدة ما أفطرتُم. وقال بعضهم: المراد به: لا تزيدوا على ما افترض، كما فعلت النصارى، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته. ﴿وَلْيَكْمِلُوا آيَةَ﴾ قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال، أن يكبروا لله حتى يفرغوا من عيدهم. فإن قيل: ما وجه دخول الواو في قوله: ﴿وَلْيَكْمِلُوا آيَةَ﴾ ولْيَكْمِلُوا آيَةَ؟ وليس هناك ما يعطف عليه؟ فالجواب: أن هذه الواو عطف اللام التي بعدها على لام محذوفة، والمعنى: ولا يريد بكم العسر، ليسعدكم، ولتكمّلوا العدة، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها، ذكره ابن الأنباري.

### فصل

ومن السنة إظهار التكبير ليلة الفطر، وليلة النحر، وإذا غدوا إلى المصلّى. واختلّفت الرواية عن أحمد عليه السلام متى يقطع في عيد الفطر، فنقل عنه حنبل: يقطع بعد فراغ الإمام من الخطبة. ونقل الأثرم. إذا جاء المصلّى قطع. قال القاضي أبو يعلى: يعني: إذا جاء المصلّى وخرج الإمام.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أقرب ربنا فتناجيه، أم بعيد فتناديه؟ فنزلت هذه الآية، رواه الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده. والثاني: أن يهود المدينة قالوا: يا محمداً كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟! فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم قالوا: يا رسول الله! لو نعلم أية ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعوانا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. والرابع: أن أصحاب النبي قالوا له: أين الله؟ فنزلت هذه الآية، قاله الحسن. والخامس: أنه لما حرم في الصوم الأول على المسلمين بعد النوم الأكل والجماع؛ أكل رجل منهم بعد أن نام، ووطئ رجل بعد أن نام، فسألوا: كيف التوبة مما عملوا؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: إذا سألك عني؛ فأعلمهم أنني قريب. وفي معنى «أجيب» قولان: أحدهما: أسمع، قاله الفراء، وابن القاسم. والثاني: أنه من الإجابة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فليجيبوني. قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى

أراد: فلم يجبه. وهذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قال أبو العالية: يعني: يهتدون.

### فصل

إن قال قائل: هذه الآية تدل على أن الله تعالى يجيب أدعية الداعين، وترى كثيراً من الداعين لا يستجاب لهم! فالجواب: أن أبا سعيد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم؛ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلاً»<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الدعاء تفقر لإجابته إلى شروط أصلها الطاعة لله، ومنها أكل الحلال، فإن أكل الحرام

(١) رواه أحمد في «المستد» عن أبي سعيد الغدري رضي الله عنه، ورواه البزار، وأبو يعلى بأسانيد جياد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

يمنع إجابة الدعاء، ومنها حضور القلب، ففي بعض الحديث: «لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه»<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك، فيجيب إلى مقصوده الأصلي، وهو: طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو في المنع.

﴿إِنَّمَا لَكُمْ إِلَهُ الْوَسْوَارِ الرَّقُّ إِنَّ يَسْأَلُكُمْ مَنْ يَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسَ لَهُمْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاقْنِ بَيْنَهُمْ وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الْوَسْوَارِ إِلَى إِلَهِكُمْ وَلَا تَبْشُرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهُمْ فِي التَّسْوِجِ ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ لَكُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَكُمْ إِلَهُ الْوَسْوَارِ الرَّقُّ﴾ سبب نزول هذه الآية أن الصحابة كانوا إذا نام الرجل قبل الأكل والجماع، حرماً عليه إلى أن يفطر، فجاء شيخ من الأنصار وهو صائم إلى أهله، فقال: عشوني، فقالوا: حتى نسخن لك طعاماً، فوضع رأسه فنام، فجاءوا بالطعام، فقال: قد كنت نمت، فبات يتقلب ظهره لبطن، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فأخبره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! إني أردت أهلي الليلة، فقالت: إنها قد نامت، فظننتها تعتل، فواقعتها، فأخبرتني أنها قد نامت، فأنزل الله تعالى في عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّمَا لَكُمْ إِلَهُ الْوَسْوَارِ الرَّقُّ إِنَّ يَسْأَلُكُمْ﴾ وأنزل الله في الأنصاري: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ هذا قول جماعة من المفسرين. واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال: أحدها: قيس بن صرمة، قاله البراء. والثاني: صرمة بن أنس، قاله القاسم بن محمد. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: صرمة بن مالك. والثالث: ضمرة بن أنس. والرابع: أبو قيس بن عمر<sup>(٣)</sup>. وذكر القولين أبو بكر الخطيب. فأما «الرق» فقال ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن جبير في آخرين: هو الجماع.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَأْسَ لَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن اللباس السكن. ومثله ﴿جَعَلَ لَكُمْ آيَةً يَأْسًا﴾ [الفرقان: ٤٧]. أي: سكتاً. وهذا قول ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقاعدة. والثاني: أنهم بمنزلة اللباس، لإفشاء كل واحد ببشرته إلى بشرة صاحبه، فكفى عن اجتماعهما متجردين باللباس. قال الزجاج: والعرب تسمي المرأة: لباساً وإزاراً، قال التابغة الجعدي:

إذا ما الضجيج ننى جيدها

تشتت فكانت عليه لباساً

وقال غيره:

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً

فدئ لك من أخي ثقة إزاري

يريد بالإزار: امرأته.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَخْتَاوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن قتبية: يريد: تخونونها بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم. قال ابن عباس: وعنى بذلك فعل عمر، فإنه أتى أهله، فلما اغتسل أخذ يلوم نفسه ويبيكي. ﴿فَاقْنِ بَيْنَهُمْ﴾: أصل المباشرة: إلصاق البشرة بالبشرة. وقال ابن عباس: المراد بالمباشرة هاهنا: الجماع. ﴿وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الولد، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد في آخرين. قال بعض أهل العلم: لما كانت المباشرة قد تقع على ما دون الجماع، أباحهم الجماع الذي يكون من مثله الولد، فقال: ﴿وَاتَّقُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يريد: الولد. والثاني: أن الذي كتب لهم الرخصة، وهو قول قتادة، وابن زيد. والثالث: أنه ليلة القدر. رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والرابع: أنه القرآن، فمعنى الكلام: اتبعوا القرآن، فما أبيع لكم وأمرتم به فهو المبتغى، وهذا اختيار الزجاج.

(١) رواء أحمد في «المستند» عن عبد الله بن عمرو، وفي سننه ابن لبيبة، وله شاهد من حديث أبي هريرة عن الترمذي ولقظه: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»، وفي سننه ضعف.

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» أن الناس اختلفوا في اسم الأنصاري هذا، فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكتيبة، وبعضهم نسب لجد، وبعضهم قلب نسبه، وبعضهم صفه «ضمرة» ورجح أن صوابه «أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي».



قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثُ يَبَيِّنُ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ قال عدي بن حاتم: لما نزلت هذه الآية، عمدت إلى عقالين، أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أقوم في الليل ولا أستبين الأسود من الأبيض، فلما أصبحت؛ غدت على رسول الله فأخبرته، فضحك وقال: «إِنْ كَانَ وَسَادُكَ إِذَا لَمَرِضَ، إِنَّمَا ذَاكَ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ»<sup>(١)</sup>. وقال سهل بن سعد: نزلت هذه الآية: ﴿حَيْثُ يَبَيِّنُ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل: ﴿مِنْ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له زيهما، فأنزل الله بعد ذلك ﴿مِنْ الْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار.

### فصل

إذا شك في الفجر، فهل يدع السحور أم لا؟ فظاهر كلام أحمد يدل على أنه لا يدع السحور، بل يأكل حتى يستيقظ طلوع الفجر. وقال مالك: أكره له أن يأكل إذا شك في طلوع الفجر، فإن أكل فعليه القضاء. وقال الشافعي: لا شيء عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْتَغُوا مِنْهُ تَوَتَّرَ عَنْكُمْ فِي السَّجْدِ﴾ في هذه المباشرة قولان: أحدهما: أنها المجامعة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها ما دون الجماع من اللمس والقبلة، قاله ابن زيد. وقال قتادة: كان الرجل المعتكف إذا خرج من المسجد، فلقى امرأته باشرها إذا أراد ذلك، فوعظهم الله في ذلك.

### فصل

الاعتكاف في اللغة: اللبث، يقال: فلان معتكف على كذا، وعاكف. وهو فعل مندوب إليه، إلا أن ينذره الإنسان، فيجب. ولا يجوز إلا في مسجد تقام فيه الجماعات، ولا يشترط في حق المرأة مسجد تقام فيه الجماعة، إذ الجماعة لا تجب عليها. وهل يصح بغير صوم؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني: المباشرة ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ قال الزجاج: الحدود ما منع الله من مخالفتها، فلا يجوز مجاوزتها. وأصل الحد في اللغة: المنع، ومنه: حد الدار، وهو ما يمنع غيرها من الدخول فيها. والحداد في اللغة: الحاجب والبواب، وكل من منع شيئاً فهو حداد. قال الأعشى:

فقمنا ولما يصح ديكنا إلى جونة عند حدادها

أي: عند ربها الذي يمنعه إلا بما يريد. وأحدث المرأة على زوجها، وحذت، فهي حاد، ومحد: إذا قطعت الزينة، وامتنعت منها، وأحدثت النظر إلى فلان: إذا منعت نظرك من غيره. وسمي الحديد حديداً، لأنه يمتنع به الأعداء.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَ: مثل هذا البيان الذي ذكر. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْخُصَايَا لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ سبب نزولها: أن امرأة القيس بن عابس<sup>(٢)</sup>، وعبدان الحضرمي، اختصما في أرض، وكان عبدان هو الطالب ولا بيته له، فأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ عليه النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْتَرُونَ يَهْدِي اللَّهُ وَأَمَّا بَيْنَهُمْ مِمَّا قِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٧]. فكره أن يحلف، ولم يخاصم في الأرض، فنزلت هذه الآية. هذا قول جماعة، منهم سعيد بن جبير. ومعنى الآية: لا يأكل بعضكم أموال بعض، كقوله: ﴿فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: والباطل على وجهين: أحدهما: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكة، كالسرقة، والغصب، والخيانة. والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه، كالقمار، والغناء، وثمر الخمر. وقال الزجاج: الباطل: الظلم. ﴿وَتُدْخِلُوا﴾ أصله في

(١) روى أحمد في «المستند» وهو في «الصحيحين» من غير وجه. (٢) في الأصل: ابن عباس.

اللغة من: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوها: إذا أخرجتها. ومعنى أدلى فلان بحجته: أرسلها، وأتى بها على صحة. فمعنى الكلام: تعملون على ما يوجب إدلاء الحجة، وتخونون في الأمانة، وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن. وفي هاء «بها» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأموال، كأنه قال: لا تصنعوا بيعها جورة الحكام. والثاني: أنها ترجع إلى الخصومة، فإن قيل: كيف أعاد ذكر الأكل فقال: «ولا تأكلوا» و«لتأكلوا»؟ فالجواب: أنه وصل اللفظة الأولى بالباطل، والثانية بالإثم، فأعادها للزيادة في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّا أَنتَقِرُ مِنْ أَلْبُيُوتٍ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَقْرَبُوا اللَّهَ لِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ﴾ هذه الآية من أولها إلى قوله: ﴿وَالْحَجِّ﴾ نزلت على سبب، وهو أن رجلين من الصحابة قالوا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ هذا قول ابن عباس. ومن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ إلى آخرها، يدل على سبب آخر، وهو أنهم كانوا إذا حجوا، ثم قدموا المدينة، لم يدخلوا من باب، ويأتون البيوت من ظهورها، ففسى رجل، فدخل من باب، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ هذا قول البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. وفيما كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها لأجله أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي. والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب. والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا هم أحدهم بالشئ فاحتبس عنه؛ لم يأت بيته من بابه حتى يأتي الذي كان هم به، قاله الحسن. والرابع: أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه. فاما التفسير؛ فإنما سأله عن وجه الحكمة في زيادة الأهلة ونقصانها، فأخبرهم أنها مقادير لما يحتاج الناس إليه في صومهم وحجهم وغير ذلك. والأهلة: جمع هلال. وكم يبقى الهلال على هذه التسمية؟ فيه للعرب أربعة أقوال: أحدها: أنه يسمى هلالاً لليلتين من الشهر. والثاني: لثلاث ليال، ثم يسمى: قمرأ. والثالث: إلى أن يحجر، وتحجيره: أن يسير بخطة دقيقة، وهو قول الأصمعي. والرابع: إلى أن يبهز ضوءه سواد الليل. حكى هذه الأقوال ابن السري، واختار الأول، قال: واشتقاق الهلال من قولهم: استهل الصبي: إذا بكى حين يولد. وأهل القوم بالحج: إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، فسمي هلالاً، لأنه حين يرى يهل الناس بذكره.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّا أَنتَقِرُ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِمَّا آمَنَ بِاللهِ﴾ وقد سبق بيانه، واختلف القراء في البيوت وما أشبهها، فقرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي بكسر باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الثيوب» وروي عن نافع أنه ضم باء «البيوت» وعين «العيون» وغين «الغيوب» وجيم «الجيوب» وشين «الشيوخ» وروى عنه قالون أنه كسر باء «البيوت» وقرأ أبو عمر، وأبو جعفر بضم الأحرف الخمسة، وكسرها جميعاً حمزة، واختلف عن عاصم. قال الزجاج: من ضم «البيوت» فعلى أصل الجمع: بيت وبيوت، مثل: قلب وقلوب، وفلس وفلوس. ومن كسر؛ فإنما كسر للباء التي بعد الباء، وذلك عند البصريين رديء، لأنه ليس في الكلام فعول بكسر الفاء. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: إذا كان الجمع على فعول، وثانيه ياء؛ جاز فيه الضم والكسر، تقول: بُيُوتٌ وبيوت، وشُيُوخٌ وشيوخ، وقُبُودٌ وقبُود.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَقْسَدُوا لِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما صُدَّ عن البيت، ونحر هديه بالحديبية، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل؛ رجع، فلما تجهز في العام المقبل؛ خاف أصحابه أن لا

(١) روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا أتوا البيت من ظهره، فانزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ورواه مسلم، وابن جرير قريباً من لفظ المؤلف.

تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم ويقاتلوهم، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام؛ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ أي: ولا تظلموا. وفي المراد بهذا الاعتداء أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل النساء والولدان، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أن معناه: لا تقتاتوا من لم يقاتلكم، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية، وابن زيد. والثالث: أنه إتيان ما نهوا عنه، قاله الحسن. والرابع: أنه ابتداءهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام، قاله مقاتل.

### فصل

اختلف العلماء: هل هذه الآية منسوخة أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها منسوخة. واختلف أرباب هذا القول في المنسوخ منها على قولين: أحدهما: أنه أولها، وهو قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ قالوا: وهذا يقتضي أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَقْتُلُونَهُمْ﴾ والثاني: أن المنسوخ منها: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ ولهؤلاء في هذا الاعتداء قولان: أحدهما: أنه قتل من لم يقاتل. والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، وهذا منسوخ بآية السيف. والقول الثاني: أنها محكمة، ومعناها عند أرباب هذا القول: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ وهم الذين أعدوا أنفسهم للقتال؛ فأما من ليس بمعد نفسه للقتال، كالرهبان والشيخ الفناء، والزمنى، والمكافيف، والمجانين، فإن هؤلاء لا يقاتلون، وهذا حكم باقي غير منسوخ<sup>(٢)</sup>.

### فصل

اختلف العلماء في أول آية نزلت في إباحة القتال على قولين: أحدهما: أنها قوله تعالى: ﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٩]. قاله أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والزهري. والثاني: أنها هذه الآية: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قاله أبو العالية، وابن زيد.

﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَقْتُلُونَهُمْ وَأَخْرُجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَاهِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَقْتُلُونَهُمْ﴾ أي: وجدتموهم. يقال: ثقتفه أثقتفه: إذا وجدته. قال القاضي أبو يعلى: قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَقْتُلُونَهُمْ﴾ عام في جميع المشركين، إلا من كان بمكة، فإنهم أمروا بإخراجهم منها، إلا من قاتلهم، فإنهم أمروا بقتالهم، يدل على ذلك قوله في نسق الآية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَاهِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ وكانوا قد آذوا المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكأنهم أخرجوهم. فأما الفتنة، ففيها قولان: أحدهما: أنها الشرك، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وقاتدة في آخرين. والثاني: أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان. قاله مجاهد. فيكون معنى الكلام على القول الأول: شرك القوم أعظم من قتلهم إياهم في الحرم. وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل محققاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَاهِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: (ولا تقتلوهم... حتى يقتلكم... فإن قتلوكم) بحذف الألف فيهن. وقد اتفق الكل على قوله: ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ واحتج من قرأ بالآلف بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ واحتج من حذف الألف بقوله: ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ﴾

### فصل

اختلف العلماء في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَاهِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾: هل هو منسوخ أم لا؟ فذهب مجاهد

(١) رواه الواحدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي وأبو صالح لا يحتج بهما.

(٢) قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب، لأن دعوى المدعي نسخ آية؛ يحتمل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على صحة دعواه، تحكم.





الأول؛ فيقولون: معنى الآية: الشهر الحرام الذي دخلتم فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول. ﴿وَأَلْزَمْتُكُمْ قِيَاسًا﴾: اقتضت لكم منهم في ذي القعدة كما صدوكم في ذي القعدة. وقال الزجاج: الشهر الحرام، أي: قتال الشهر الحرام بالشهر الحرام، فأعلم الله تعالى أن أمر هذه الحرمات لا تجوز للمسلمين إلا قصاصاً، ثم نسخ ذلك بآية السيف، وقيل: إنما جمع الحرمات، لأنه أراد الشهر الحرام بالبلد الحرام، وحرمة الإحرام.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَغْدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: من قاتلكم في الحرم فقاتلوه. وإنما سمي المقابلة على الاعتداء اعتداءً، لأن صورة الفعلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية. قال الزجاج: والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، أي: جازيته بظلمه. وجهل فلان عليّ، فجهلت عليه. وقد سبق بيان هذا المعنى في أول السورة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدُوا لِلَّهِ﴾ قال سعيد بن جبيرة: واتقوا الله، ولا تدؤوهم بقتال في الحرم. ﴿وَأَيُّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَأَيُّقُوا لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ قَوْلَهُ إِذَا تَوَلَّى سِتْرًا فَلْيُتَوَلَّى وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَارْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُؤْسِرْ فِي الدِّينِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ قَوْلَهُ قَدْ كَانَ مِنْكُمْ رَجُلٌ كَذِبٌ أَوْ يَدُ أَدَى مِنْ رَأْيِهِ فَيَذِيهِ مِنْ سَبَابٍ أَوْ مَدَقَةٍ أَوْ سُلُوٍّ فَإِذَا أَيْتَمَ مِنْ نَجْعٍ بِالْعَمَةِ إِلَى الْكَلْبِ قَدْ اسْتَيْسَرَ مِنَ الدِّينِ قَوْلَهُ قَدْ لَمْ يَجِدْ قَبِيصًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْكَلْبِ وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ يَلِكْ عَشْرَةً كَامِلَةً ذَلِكَ لِئِنْ كُنْ أَهْلًا حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْمَرْأَةِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه الآية نزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما أمر بالتجهز إلى مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! بماذا نتجهز؟ فواها ما لنا زاد ولا مال! فنزلت، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الأنصار كانوا ينفقون ويتصدقون، فأصابتهم سنة، فأمسكوا؛ فنزلت، قاله أبو جبير بن الضحاك<sup>(٢)</sup>. والسبيل في اللغة: الطريق. وإنما استعملت هذه الكلمة في الجهاد، لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين. والتهلكة: بمعنى الهلاك، يقال: هلك الرجل يهلك هلاكاً وهلكاً وتهلكة. قال المبرد: وأراد بالأيدي: الأنفس؛ فعبر بالبعض عن الكل. وفي المراد بالتهلكة هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنها ترك النفقة في سبيل الله، قاله حذيفة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وعكرمة. ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، قاله أبو أيوب الأنصاري. والثالث: أنها القنوط من رحمة الله، قاله البراء، والنعمان بن بشير، وعبيدة. والرابع: أنها عذاب الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: أحسنوا الإنفاق، وهو قول أصحاب القول الأول. والثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة، وسفيان، وهو يخرج على قول من قال: التهلكة: القنوط. والثالث: أن معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّقُوا لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ قَوْلَهُ إِذَا تَوَلَّى سِتْرًا فَلْيُتَوَلَّى وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَارْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُؤْسِرْ فِي الدِّينِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال ابن فارس: الحج في اللغة: القصد، والاعتمار في الحج أصله: الزيارة. قال ثعلب: الحج بفتح الحاء: المصدر، ويكسرهما: الاسم. قال: وربما قال القراء: هما لغتان. وذكر ابن الأنباري في العمرة قولين: أحدهما: الزيارة. والثاني: القصد. وفي إتمامها أربعة أقوال: أحدها: أن معنى إتمامها: أن يفصل بينهما، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله عمر بن الخطاب، والحسن، وعطاء. والثاني: أن يحرم الرجل من ديرة أهله<sup>(٣)</sup>، قاله علي بن أبي طالب، وطاووس، وابن جبير. والثالث: أنه إذا شرع في أحدهما لم يفسخه حتى يتم، قاله ابن عباس. والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله مجاهد. وجمهور القراء على نصب «العمرة» بإيقاع الفعل عليها. وقرأ الأصمعي عن نافع والقزاز عن أبي عمرو، والكسائي عن أبي جعفر برفعها، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي

(١) لم يرد هذا السبب بهذا اللفظ في كتب التفسير التي بين أيدينا، وإنما جاء فيها: عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: لا يقولن أحدكم إني لا أجد شيئاً، إن لم يجد إلا مشقاً، فليجهز به في سبيل الله.

(٢) في الأصول التي بين أيدينا: الضحاك بن أبي جبير، وهو خطأ، وصوابه ما أثبتناه، فقد جاء في «تقريب التهذيب» أبو جبير - بفتح الجيم - ابن الضحاك الأنصاري المدني: صحابي، وقيل: لا صحبة له. والحديث رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وزاد: (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وقال الهيثمي: رجالها رجال الصحيح.

(٣) الدورية: تصغير الدار: كل موضع حل به قوم، فهو دارهم.

رزين، والحسن، والشعبي. وقراءة الجمهور تدل على وجوبها. وممن ذهب إلى أن العمرة واجبة: علي، وابن عمر، وابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأحمد، والشافعي. وروي عن ابن مسعود، وجابر، والشعبي، وإبراهيم، وأبي حنيفة، ومالك، أنها سنة وتطوع.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُمِرْتُمْ﴾ قال ابن قتبية: يقال: أحصره المرض والعدو: إذا منعه من السفر، ومنه هذه الآية. وحصره العدو: إذا ضيق عليه. وقال الزجاج: يقال للرجل إذا حبس: قد حصر، فهو محصور. وللعلماء في هذا الإحصار قولان: أحدهما: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً. وهذا مذهب ابن عمر، وابن عباس، وأنس، ومالك، والشافعي، وأحمد. ويدل عليه قوله: ﴿فَإِذَا أُمِرْتُمْ﴾. والثاني: أنه يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر، وهو قول عطاء، ومجاهد، وقتادة، وأبي حنيفة. وفي الكلام اختصار وحذف، والمعنى: فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتهم؛ فعليكم ما استيسر من الهدي. ومثله: ﴿أَوْ بِذِي أَدَىٰ يَنْ رَأْيِهِ فَيَذِيَّةٌ﴾ تقديره: فحلقت، ففدية. والهدي: ما أهدي إلى البيت. وأصله: هديّ مشدد، فخفف، قاله ابن قتبية. وبالتشديد يقرأ الحسن، ومجاهد. وفي المراد به ﴿فَإِنْ أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شاة، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس، والحسن، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، قاله ابن عمر، وعائشة، والقاسم. والثالث: أنه على قدر الميسرة، رواه طاووس عن ابن عباس. وروي عن الحسن، وقتادة قالوا: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسه شاة. وقال أحمد: الهدي من الأصناف الثلاثة، من الإبل والبقر والغنم، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله، ومالك، والشافعي، رحمهما الله.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ قال ابن قتبية: المحل: الموضع الذي يحل به نحره، وهو من: حل يحل. وفي المحل قولان: أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وابن سيرين، والثوري، وأبو حنيفة. والثاني: أنه الموضع الذي أحصر به فيذبحه ويحل، قاله مالك، والشافعي، وأحمد.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى يَنْ رَأْيِهِ فَيَذِيَّةٌ﴾ هذا نزل على سبب، وهو أن كعب بن عجرة كثر قمل رأسه حتى تهافت على وجهه، فنزلت هذه الآية فيه، فكان يقول: في نزلت خاصة<sup>(١)</sup>.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اقتضى قوله: ﴿وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ تحريم حلق الشعر، سواء وجد به الأذى، أو لم يجد، حتى نزل: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى يَنْ رَأْيِهِ فَيَذِيَّةٌ﴾ فاقتضى هذا إباحة حلق الشعر عند الأذى مع الفدية، فصار ناسخاً لتحريمه المتقدم. ومعنى الآية: فمن كان منكم - أي: من المحرمين، محصراً كان أو غير محصر - مريضاً، واحتاج إلى لبس أو شيء يحظره الإحرام، ففعله، أو به أذى من رأسه فحلقت؛ ففدية من صيام. وفي الصيام قولان: أحدهما: أنه ثلاثة أيام، روي في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهو قول الجمهور. والثاني: أنه صيام عشرة أيام، روي عن الحسن وعكرمة، ونافع. وفي الصدقة قولان: أحدهما: أنه إطعام ستة مساكين، روي في حديث كعب<sup>(٢)</sup>، وهو قول من قال: الصوم ثلاثة أيام. والثاني: أنها إطعام عشرة مساكين، وهو قول من أوجب صوم عشرة أيام. والنسك: ذبح شاة، يقال: نسكت الله، أي: ذبحت له. وفي النسك لغتان: ضم النون والسين، وبها قرأ الجمهور، وضم النون مع تسكين السين، وهي قراءة الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُمِرْتُمْ﴾، أي: من العدو، إذ المرض لا تؤمن معاودته، وقال علقمة في آخرين: فإذا أمتتم من الخوف والمرض. ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعَمَةِ إِلَى الْحَيْجِ﴾ معناه: من بدأ بالعمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك؛ فعليه ما استيسر من الهدي. وهذا قول ابن عمر، وابن المسيب، وعطاء، والضحاك. وقد سبق الكلام فيما استيسر من الهدي.

(١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

﴿قَدْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي لَحَجٍّ﴾ قال الحسن: هي قبل التروية بيوم، و[يوم] التروية، و[يوم] عرفة، وهذا قول عطاء، والشعبي، وأبي العالية، وابن جبير، وطاوس، وإبراهيم. وقد نقل عن علي رضي الله عنه. وقد روي عن الحسن، وعطاء قالوا: في أي العشر شاء صامهم. ونقل عن طاوس، ومجاهد، وعطاء، أنهم قالوا: في أي أشهر الحج شاء فليصمهم ونقل عن ابن عمر أنه قال: من حين يحرم إلى يوم عرفة.

### فصل

فإن لم يجد الهدي، ولم يصم الثلاثة أيام قبل يوم النحر، فماذا يصنع؟ قال عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن جبير، وطاوس، وإبراهيم: لا يجزئه إلا الهدي ولا يصوم. وقال ابن عمر وعائشة: يصوم أيام منى. ورواه صالح عن أحمد، وهو قول مالك. وذهب آخرون إلى أنه لا يصوم أيام التشريق، بل يصوم بعدهن. روي عن علي. ورواه المروزي عن أحمد، وهو قول الشافعي.

### فصل

فإن وجد الهدي بعد الدخول في صوم الثلاثة أيام، لم يلزمه الخروج منه، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يلزمه الخروج، وعليه الهدي. وقال عطاء: إن صام يومين ثم أيسر؛ فعليه الهدي. وإن صام ثلاثة ثم أيسر؛ فليصم السبعة، ولا هدي عليه. وفي معنى قوله: ﴿فِي لَحَجٍّ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: في أشهر الحج. والثاني: في زمان الإحرام بالحج. وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: إذا رجعتن إلى أمصاركم، قاله ابن عباس، والحسن، وأبو العالية، والشعبي، وقتادة. والثاني: إذا رجعتن من حجكم، وهو قول عطاء، وسعيد بن جبير، وأبي حنيفة، ومالك. قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله، يعني أحمد بن حنبل: فصيام السبعة أيام إذا رجع متى يصومهن؟ أفي الطريق، أم في أهله؟ قال: كل ذلك قد تأوله الناس. قيل لأبي عبد الله: ففرق بينهم، فرخص في ذلك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: كاملة في قيامها مقام الهدي، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، والحسن. قال القاضي أبو يعلى: وقد كان يجوز أن يظن ظان أن الثلاثة قد قامت مقام الهدي في باب استكمال الثواب، فأعلمنا الله تعالى أن العشرة بكاملها هي القائمة مقامه. والثاني: أن الواو قد تقوم مقام «أو» في مواضع، منها قوله: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَتِلْكَ وَرِثَةُ﴾ [النساء: ٣] فأزال الله تعالى احتمال التخيير في هذه الآية بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثالث: أن ذلك للتوكيد. وأشدوا للفرزدق:

ثلاث واثنتان فهن خمس  
وسادة تميل إلى شمامي  
وقال آخر:

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أيننا

وقال آخر:

كم نعمة كانت له كم كم وكم

والقرآن نزل بلغة العرب، وهي تكرر الشيء لتوكيده. والرابع: أن معناه: تلك عشرة كاملة في الفصل، وإن كانت الثلاثة في الحج، والسبعة بعد، لتلا يسبق إلى وهم أحد أن السبعة دون الثلاثة، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها لفظة خبر، ومعناها الأمر، فتقديره: تلك عشرة فأكملوها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا رَضَيْتُمْ﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه التمتع بالعمرة إلى الحج. والثاني: أنه الجزاء بالنسك والصيام. واللام من «المن» في هذا القول بمعنى: «على». فأما حاضروا المسجد الحرام؛ فقال ابن عباس، وطاوس، ومجاهد: هم أهل الحرم. وقال عطاء: من كان منزله دون المواقيت. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: إن هذا الفرض لمن كان من الغرياء، وإنما ذكر أهله، وهو المراد بالحضور، لأن الغالب على الرجل أن يسكن حيث أهله ساكنون.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَزَقَ فِيهِكَ الْمَخِجَ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوءَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْكُنَهُ اللَّهُ وَكَرَّوْهُدَا قَلَامَكَ خَيْرَ الْأَزَاوِ النَّفَقَتَيْنِ وَالَّتَيْنِ يَتَأَوَّلِي الْأَلْتَبِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ في الحج لفتان. فتح الحاء، وهي لأهل الحجاز، وبها قرأ الجمهور. وكسرها، وهي لتميم، وقيل: لأهل نجد، وبها قرأ الحسن. قال سيويه: يقال: حج حجاً، كقولهم: ذكر ذكراً. وقالوا: حجة، يريدون: عمل سنة. قال الفراء: المعنى: وقت الحج هذه الأشهر. وقال الزجاج: معناه: أشهر الحج أشهر معلومات. وفي أشهر الحج قولان: أحدهما: أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، قاله ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، والشعبي، وطاووس، والنخعي، وقتادة، ومكحول، والضحاك، والسدي، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والشافعي ۞. والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والزهرى، والربيع، ومالك بن أنس. قال ابن جرير الطبري: إنما أراد هؤلاء أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة، إنما هي للحج، وإن كان عمل الحج قد انقضى بانقضاء منى، وقد كانوا يستحبون أن يفعلوا العمرة في غيرها. قال ابن سيرين: ما أحد من أهل العلم شك في أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج، وإنما قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ وهي شهران وبعض الآخر على عادة العرب. قال الفراء: تقول العرب: له اليوم يومان لم أره، وإنما هو يوم، وبعض آخر. وتقول: زرتك العام، وأنتك اليوم، وإنما وقع الفعل في ساعة. وذكر ابن الأباري في هذا قولين: أحدهما: أن العرب توقع الجمع على التثنية، كقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ مَبَرُّوْكَ مَتَا يَقُولُونَ﴾ وإنما يريد عائشة وصفوان. وكذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ يريد: داود وسليمان. والثاني: أن العرب توقع الوقت الطويل على الوقت القصير، فيقولون: قتل ابن الزبير أيام الحج، وإنما كان القتل في أقصر وقت.

### فصل

اختلف العلماء فيمن أحرم بالحج قبل أشهر الحج، فقال عطاء، وطاووس، ومجاهد، والشافعي: لا يجزئه ذلك، وجعلوا فائدة قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أنه لا ينعقد الحج إلا فيهن. وقال أبو حنيفة، ومالك، والثوري، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل: يصح الإحرام بالحج قبل أشهر، فعلى هذا يكون قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ أي: معظم الحج يقع في هذه الأشهر، كما قال النبي ۞: «الحج عرفة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ رَزَقَ فِيهِكَ الْمَخِجَ فَلَا رَفْتَ وَلَا سُوءَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَسْكُنَهُ اللَّهُ وَكَرَّوْهُدَا قَلَامَكَ خَيْرَ الْأَزَاوِ النَّفَقَتَيْنِ وَالَّتَيْنِ يَتَأَوَّلِي الْأَلْتَبِ ۝﴾ قال ابن مسعود: هو الإهلال بالحج، والإحرام به. وقال طاووس، وعطاء: هو أن يلي. وروى عن علي، وابن عمر، ومجاهد، والشعبي في آخرين: أنه إذا قلّد بدنته فقد أحرم، وهذا محمود على أنه قلدها نأواً للحج. ونص الإمام أحمد بن حنبل ۞ في رواية الأثرم: أن الإحرام بالنية. قيل له: يكون محرماً بغير تلبية؟ قال: نعم إذا عزم على الإحرام، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز الدخول في الإحرام إلا بالتلبية أو تقليد الهدي وسوقه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفْتَ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وأبو جعفر: «فلا رَفْتُ ولا فُسُوقٌ» بالضم والتنوين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي بغير تنوين، ولم يرفع أحد منهم لام «جدال» إلا أبو جعفر. قال أبو علي: حجة من فتح أنه أشد مطابقة للمعنى المقصود، لأنه بالفتح قد نفى جميع الرفث والفسوق، كقوله: ﴿لَا رِبَّ فِيهِ﴾ فإذا رفع وتَوَّنْ كان النفي لواحد منه، وإنما فتحوا لام الجدال، ليتناول النفي جميع جنسه، فكذلك ينبغي أن يكون جمع الاسمين قبله. وحجة من رفع أنه قد علم من فحوى الكلام نفى جميع الرفث، وقد يكون اللفظ واحداً، والمراد بالمعنى: الجميع. وفي الرفث ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجماع، قاله ابن عمر، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه الجماع، وما دونه من التعريض به، وهو مروى عن ابن عمر أيضاً، وابن عباس، وعمرو بن

(١) رواء أحمد في «المسند» وأصحاب «السنن» والحاكم، والبيهقي، كلهم عن عبد الرحمن بن بصر المديني ۞، وسنده صحيح.



دينار في آخرين. والثالث: أنه اللغو من الكلام، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي. وفي الفسوق ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السباب، قاله ابن عمر، وابن عباس، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه التنازع بالألقاب، مثل أن تقول لأخيك: يا فاسق، يا ظالم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه المعاصي، قاله الحسن، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وقتادة في آخرين، وهو الذي نختاره، لأن المعاصي تشمل الكل، ولأن الفاسق: الخارج من الطاعة إلى المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْرَأُ فِي الْحَيْجَةِ﴾ الجدال: المراء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن معناه: لا يماري أحداً، فيخرجه المراء إلى الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عمر، وابن عباس، وطاووس، وعطاء، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والزهري، والضحاك في آخرين. والثاني: أن معناه: لا شك في الحج ولا مراء، فإنه قد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه، قال مجاهد: كانوا يحجون في ذي الحجة عامين، وفي المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي ﷺ بسنة، ثم حج النبي ﷺ من قابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض»<sup>(١)</sup> وإلى هذا المعنى ذهب السدي عن أشياخه، والقاسم بن محمد.

قوله تعالى: ﴿وَكُذِّبُوا فَإِنَّكَ خَيْرٌ لِّأَزْوَاجِ النَّفَقَةِ﴾ قال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فيسألون الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكُذِّبُوا فَإِنَّكَ خَيْرٌ لِّأَزْوَاجِ النَّفَقَةِ﴾<sup>(٢)</sup> قال الزجاج: أمروا أن يتزودوا، وأعلموا أن خير ما تزودوا تقوى الله ﷻ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ كَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ عَرَقْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَسْجَرِ الْكَرْبَاءِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّاكِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَاسَ النَّكَاسُ وَأَنْتُمْ مُنْزِلُونَ إِنَّ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم، ويقولون: أيام ذكر، فنزلت هذه الآية. والابتغاء: الالتماس. والفضل هاهنا: التماس الرزق بالتجارة والكسب. قال ابن قتبية: «أَفْضَلُ» بمعنى: دفعتم. وقال الزجاج: معناه: دفعتم بكثرة، يقال: أفاض القوم في الحديث، إذا اندفعوا فيه، وأكثروا التصرف. وفي تسمية «عرفات» قولان: أحدهما: أن الله تعالى بعث جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرفات قال: قد عرفت، فسميت «عرفة» قاله علي عليه السلام. والثاني: أنها سميت بذلك لاجتماع آدم وحواء، وتعارفهما بها، قاله الضحاك. قال الزجاج: والمشرع: المعلم، سمي بذلك، لأن الصلاة عنده. والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج، وهو مزدلفة، وهي جمع يسمى بالاسمين. قال ابن عمر، ومجاهد: المشرع الحرام: المزدلفة كلها.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ أي: جزاء هدايته لكم، فإن قيل: ما فائدة تكرير الذكر؟ قيل: فيه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كرره للمبالغة في الأمر به. والثاني: أنه وصل بالذكر الثاني ما لم يصل بالذكر الأول، فحسن تكريره. فالمعنى: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته. والثالث: أنه كرره ليدل على مواصلته، والمعنى: اذكروه ذكراً بعد ذكر، ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم النحوي. والرابع: أن الذكر في قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَسْجَرِ الْكَرْبَاءِ﴾ هو: صلاة المغرب والعشاء اللتان يجتمع بينهما بالمزدلفة. والذكر في قوله: ﴿كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ هو: الذكر المفعول عند الوقوف بمزدلفة غداة جمع، حكاه القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الإسلام، قاله ابن

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر نفع بن الحارث. قال العلماء في شرح هذا الحديث: إن العرب كانت تمسك بملة إبراهيم عليه السلام في تحريم الأشهر الأربعة، إلا أنهم كانوا إذا احتاجوا للقتال في شهر منها، أخروا تحريمهم إلى الشهر الذي يليه، مكلنا شهراً إلى شهر، حتى اختلط الأمر عليهم، فصادت حجة النبي ﷺ تحريمهم، لأنهم كانوا في تلك السنة حرموا ذا الحجة بمقتضى حسابهم، فأخبر ﷺ أن الاستدارة وافقت ما حكم الله سبحانه وتعالى به يوم خلق السماوات والأرض.

(٢) رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي.

عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الهدى، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان الثوري.  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثُوهَا مِنْ حَيْثُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ﴾ قالت عائشة: كانت قريش ومن يدين بدينها، وهم الحمس، يقفون عشية عرفة بالمزدلفة، يقولون: نحن قطن البيت، وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.  
قال الزجاج: سمو الحمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشددوا. والحماسة: الشدة في كل شيء. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنهم جميع العرب غير الخمس، ويدل عليه حديث عائشة، وهو قول عروة، ومجاهد، وقادة. والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: إبراهيم الخليل عليه السلام، قاله الضحاك بن مزاحم. والثالث: أن المراد بالناس آدم، قاله الزهري. وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومورق العملي: «الناسي» بإثبات الياء. والرابع: أنهم أهل اليمن وربيعة، فإنهم كانوا يفيضون من عرفات، قاله مقاتل. وفي المخاطبين بذلك قولان: أحدهما: أنه خطاب لقريش، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه خطاب لجميع المسلمين، وهو يخرج على قول من قال: الناس آدم، أو إبراهيم. والإفاضة هاهنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلى منى صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين على أنها الإفاضة من عرفات، فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: ﴿فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ثم أفيضوا من عرفات؟! غير أنني أقول: وجه الكلام على ما قال أهل التفسير: أن فيه تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله. والغفور: من أسماء الله ﷻ، وهو من قولك: غفرت الشيء: إذا غطيته، فكان الغفور هو الساتر لعبده برحمته، أو الساتر لذنوب عباده. والغفور: هو الذي يكثر المغفرة، لأن بناء المفعول للمبالغة من الكثرة، كقولك: صبور، وضروب، وأكول.

﴿فَإِذَا فُضِّيتُمْ نَتَائِجَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ الْكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ صِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۚ﴾ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي آيَاتِهِ تَمَدُّدَاتٍ فَمَنْ تَجَلَّى فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَكَثَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ أَنْفَرُوا ۚ وَأَقْبُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ عُشْرُونَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّيتُمْ نَتَائِجَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم، ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك؛ فنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن الحسن، وعطاء، ومجاهد. والثاني: أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا؛ فنزلت هذه الآية. وهذا مروى عن الحسن أيضاً. والثالث: أنهم كانوا إذا قضا مناسكهم، قام الرجل يمني فقال: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله، إنما يذكر أباه، ويسأل أن يعطى في دنياه؛ فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. والمناسك: المتعبدات. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها جميع أفعال الحج، قاله الحسن. والثاني: أنها إراقة الدماء، قاله مجاهد. وفي ذكرهم آبائهم أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرارهم بهم. والثاني: أنه حلفهم بهم. والثالث: أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم، فإنهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم. والرابع: أنه ذكر الأطفال والآباء، لأنهم أول نطقهم بذكر آبائهم، روي هذا المعنى عن عطاء، والضحاك. وفي «أر» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «بل». والثاني: بمعنى الواو. و«الخلاص»: قد تقدم ذكره. وفي حسنة الدنيا سبعة أقوال: أحدها: أنها المرأة الصالحة، قاله علي. والثاني: أنها العبادة، رواه سفيان بن حسين عن الحسن. والثالث: أنها العلم والعبادة، رواه هشام عن الحسن. والرابع: المال، قاله أبو وائل، والسدي، وابن زيد. والخامس: العافية، قاله قتادة. والسادس: الرزق الواسع، قاله مقاتل. والسابع: النعمة، قاله ابن قتيبة. وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحور العين، قاله علي عليه السلام. والثاني: الجنة، قاله الحسن، والسدي، ومقاتل. والثالث: العفو والمعافاة، روي عن الحسن، والثوري.

(١) روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ﴾.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ قال الزجاج: معناه: دعاؤهم مستجاب، لأن كسبهم هاهنا هو الدعاء، وهذه الآية متعلقة بما قبلها، إلا أنه قد روي أنها نزلت على سبب يخالف سبب أخواتها، فروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله! مات أبي ولم يحج، فأحج عنه؟ فقال: «لو كان على أبيك دين قضيته، أما كان ذلك يجزئ عنه؟» قال: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضى!» قال: فهل لي من أجر؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال: أحدها: أنه قلته، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قرب مجيئه، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه، كان سريع الحساب لذلك. والرابع: أن المعنى: والله سريع المجازاة، ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج. والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالعاجزين، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأدبار الصلوات، وغير ذلك من أوقات الحج. والثاني: أنه التكبير عقب الصلوات المفروضة. واختلف أرباب هذا القول في الوقت الذي يتدبّر فيه بالتكبير ويقطع على ستة أقوال: أحدها: أنه يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة، إلى [ما] بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق، قاله علي، وأبو يوسف، ومحمد. والثاني: أنه من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر، قاله ابن مسعود، وأبو حنيفة. والثالث: من بعد صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد العصر من آخر أيام التشريق، قاله ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وعطاء. والرابع: أنه يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يوم النفر، وهو الثاني من أيام التشريق، قاله الحسن. والخامس: أنه يكبر من الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، قاله مالك بن أنس، وهو أحد قولي الشافعي. والسادس: أنه يكبر من صلاة المغرب ليلة النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وهذا قول للشافعي. ومذهب إمامنا أحمد أنه إن كان محلاً، كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة؛ أولها الفجر يوم عرفة، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق، وإن كان محرمًا كبر عقب سبعة عشر صلاة؛ أولها الظهر من يوم النحر، وآخرها العصر من آخر أيام التشريق. وهل يختص هذا التكبير عقب الفرائض بكونها في جماعة، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان: إحداهما: يختص بمن صلاها في جماعة، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله. والثانية: يختص بالفريضة، وإن صلاها وحده، وهو قول الشافعي. وفي الأيام المعدودات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وقتادة في آخرين. والثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده، روي عن علي، وابن عمر. والثالث: أنها أيام العشر، قاله سعيد بن جبيرة، والنخعي. قال الزجاج: «ومعدودات» يستعمل كثيراً للشيء القليل، كما يقال: دريهمات وحمامات.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَجَبَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: فمن تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منى؛ فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام منى، فلا إثم عليه. فإن قيل: إنما يخاف الإثم المتعجل، فما بال المتأخر الحق به، والذي أتى به أفضل؟ فنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: لا إثم على المتعجل، والمتأخر مأجور، فقال: لا إثم عليه، لتوافق اللفظة الثانية الأولى، كقوله: ﴿فَمَنْ تَجَبَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾. والثاني: أن المعنى: لا إثم على المتأخر في ترك استعمال الرخصة. والثالث: أن المعنى: قد زالت آثام المتعجل والمتأخر التي كانت عليهما قبل حجتهما. والرابع: أن المعنى: طرح المأثم عن المتعجل والمتأخر إنما يكون بشرط التقوى. وفي معنى «لمن اتقى» ثلاثة أقوال: أحدها: لمن اتقى قتل الصيد، قاله ابن عباس. والثاني: لمن اتقى المعاصي في حجه، قاله قتادة. وقال ابن مسعود: إنما مغفرة الله لمن اتقى الله في حجه. والثالث: لمن اتقى فيما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وإبراهيم.

﴿وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يُعْجِلُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يُعْجِلُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

(١) لم يذكر هذا الحديث في شيء من كتب الحديث والتفسير التي بين أيدينا على أنه سبب لنزول الآية، والأحاديث في جواز الحج عن الغير وردت من طرق صحيحة عن ابن عباس وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

أحدهما: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، كان لين الكلام، كافر القلب، يظهر للنبي الحسن، ويحلف له أنه يحبه، ويتبعه على دينه، وهو يضمير غير ذلك، هذا قول ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت فيمن نافق فأظهر بلسانه ما ليس في قلبه. وهذا قول الحسن، وقناة، وابن زيد. والثالث: أنها نزلت في سرية الرجيع<sup>(١)</sup>، وذلك أن كفار قريش بعثوا إلى النبي ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا، فابعث لنا نفراً من أصحابك يعلمونا ديننا، فبعث ﷺ خبيب بن عدي، ومرثداً الغنوي، وخالد بن بكير، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدثنة، وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فساروا نحو مكة، فنزّلوا بين مكة والمدينة ومعهم تمر، فأكلوا منه، فمرت عجوز فأبصرت النوى، فرجعت إلى قومها وقالت: قد سلك هذا الطريق أهل يثرب، فركب سبعون منهم حتى أحاطوا بهم، فحاربوهم، فقتلوا مرثداً، وخالداً، وابن طارق، ونثر عاصم كنانته وفيها سبعة أسهم، فقتل بكل سهم رجلاً من عظمائهم، ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار، فأحمي لحمي آخر النهار، ثم أحاطوا به فقتلوه، وأرادوا حَزَّ رأسه لبيعوه من سلافة بنت سعد، وكان قتل بعض أهلها، فنلرت: لئن قدرت على رأسه لشربن في قحفه الخمر، فأرسل الله تعالى رَجُلًا<sup>(٢)</sup> من الدبر - وهي: الزنابير - فحمته، فلم يقدروا عليه، فقال: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه، فنأخذه، فجاءت سحابة فأمطرت كالعزالي، فبعث الله الوادي، فاحتمله فذهب به، وأسروا خبيباً وزيداً، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً ليقتلوه، لأنه قتل آباءهم، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلى ركعتين، ثم قال: لولا أن تقولوا: جزع خبيب؛ لذت، وأنشأ يقول:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً      على أي شق كان في الله مصرعي  
وذلك في ذات الإله وإن يشأ      يبارك على أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حياً، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد حولي يبلغ رسولك سلامي، فجاءه رجل منهم يقال له: أبو سروعة، ومعه رمح، فوضعه بين يدي خبيب، فقال له خبيب: اتق الله، فما زاده ذلك إلا عتواً. وأما زيد، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فجاءه سفيان بن حرب حين قدم ليقتله، فقال: يا زيدا! أنشدك الله، أتحب أن محمداً مكانك، وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذي وأنا جالس في أهلي، ثم قتل<sup>(٣)</sup>. وبلغ النبي الخبر، فقال: «أيكم يحتمل خبيباً عن خشبته وله الجنة؟» فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا يمشيان بالليل ويمكثان بالنهار، حتى وافيا المكان، وإذا حول الخشب أربعون مشركاً نيام نشاوى، وإذا هو رطب يتثنى لم يتغير فيه شيء بعد أربعين يوماً، فحملة الزبير على فرسه، وسار فلحقه سبعون منهم، فقفز الزبير خبيباً فابتلعه الأرض، وقال الزبير: ما جراًكم علينا يا معشر قريش؟! ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام، وأمي صفية بنت عبد المطلب، وصاحبي المقداد، أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما، فإن شتمت ناضلتكم، وإن شتمت نازلتنكم، وإن شتمت انصرفتكم، فانصرفوا، وقدماً على رسول الله ﷺ وجبريل عنده، فقال: «يا محمد إن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك». وقال بعض المنافقين في أصحاب خبيب: ويح هؤلاء المقتولين، لا في بيوتهم قعدوا، ولا رسالة صاحبهم أدوا، فأنزل الله تعالى في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمنافقين هذه الآية، وثلاث آيات بعدها. وهذا الحديث بطوله مروى عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِ﴾. فيه قولان: أحدهما: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لسانني هو الذي في قلبي. والثاني: أنه يقول: اللهم اشهد علي بهذا القول. وقرأ ابن مسعود: «ويستشهد الله» بزيادة سين وتاء. وقرأ الحسن، وطلحة بن مصرف، وابن محيصن وابن أبي عبة: «وَيَشْهَدُ» بفتح الياء «الله» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَاءِ﴾. الخصام: جمع خصم، يقال: خصم وخصام وخصوم. قال الزجاج: والألد:

(١) الرجيع: ماء لهليل قرب الهداة بين عسفان ومكة، وهو الموضع الذي غدرت فيه عفل والقارة، بالنفر الذي بعثهم رسول الله ﷺ. انظر «سيرة ابن هشام»، ١٦٩/٢.

(٢) الرجل: الكثير.

(٣) روى معنى هذا الحديث البخاري إلى هنا مطولاً في كتاب المغازي من «صحيحه» وفيه قصة مقتل خبيب وزيد وعاصم.



الشديد الخصومة، واشتقاقه من ليدى العنق، وهما صفحتا العنق، ومعناه: أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة، غلبه في ذلك.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ يُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ أَرْثَهُ وَالنَّاسُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: غضب، روي عن ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنه الانصراف عن القول الذي قاله، قاله الحسن. والثالث: أنه من الولاية، فتقديره: إذا صار والياً، قاله مجاهد والضحاك. والرابع: أنه الانصراف باليد، قاله مقاتل وابن قتيبة. وفي معنى «سعى» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: عمل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه من السعي بالقدم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد قولان: أحدهما: أنه الكفر. والثاني: الظلم. والحرث: الزرع. والنسل: نسل كل شيء من الحيوان، هذا قول ابن عباس وعكرمة في آخرين. وحكى الزجاج عن قوم: أن الحرث: النساء، والنسل: الأولاد. قال: وليس هذا بمنكر، لأن المرأة تسمى حرثاً. وفي معنى إهلاكه للحرث والنسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والإفساد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إذا ظلم كان الظلم سبباً لقطع القطر، فيهلك الحرث والنسل، قاله مجاهد. وهو يخرج على قول من قال: إنه من التولي. والثالث: أنه إهلاك ذلك بالضلال الذي يؤول إلى الهلاك، حكاه بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ قال ابن عباس: لا يرضى بالمعاصي. وقد احتجت المعتزلة بهذه الآية، فأجاب أصحابنا بأجوبة. منها: أنه لا يحبه ديناً، ولا يريده شرعاً، فأما أنه لم يرده وجوداً؛ فلا. والثاني: أنه لا يحبه للمؤمنين دون الكافرين. والثالث: أن الإرادة معنى غير المحبة، فإن الإنسان قد يتناول المرء، ويريد بطل الجرح، ولا يجب شيئاً من ذلك. وإذا بان في المعقول الفرق بين الإرادة والمحبة؛ بطل ادعائهم التساوي بينهما، وهذا جواب معتمد. وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِبِئَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ١٧].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الزُّرَّةُ الْأَيْمَنُ فَصَبَّهُ جَهَنَّمَ وَلَكِنَّ الْيَهُودَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ الزُّرَّةُ﴾ قال ابن عباس: هي الحمية. وأنشدوا:

أَخَذَتْهُ عِزَّةٌ مِنْ جِهْلِهِ فَتَوَلَّى مَغْضَباً فَعَلَ الضَّجِيرَ

ومعنى الكلام: حملته الحمية على الفعل بالإثم. وفي «جهنم» قولان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أعجمية لا تجر للتعريف والعجمة. والثاني: أنها اسم عربي، ولم يجز للتأنيث والتعريف. قال رؤية: رُكِيَّةٌ جهنم: بعيدة القعر. وقال الأعشى:

دَعَوْتُ خَلِيلِي مَسْحَلًا وَدَعَاوَهُ جُهَنَامَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمَذْمُومِ<sup>(١)</sup>

فترك صرفه يدل على أنه اسم أعجمي مُعَرَّب. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فحسبه جهنم جزاء عن إثمه. والثاني: فحسبه جهنم ذلاً من عزه. والمهاد: الفراش، ومهدت لفلان: إذا وطأت له، ومنه: مهد الصبي.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَئِيكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَئِيكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو معنى قول عمر وعلي رضي الله عنهما. والثاني: أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبوا لإنزال خبيب من خشبته، وقد شرحنا القصة. وهذا قول ابن عباس والضحاك. والثالث: أنها نزلت في صهيب الرومي، واختلفوا في قصته، فروي أنه أقبل مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش، فنزل، فانتشل كنانته، وقال: قد علمتم أنني من أركانكم بسهم، وإيم الله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن شئتم لذكركم على مالي. قالوا: فدلنا على مالك نخل عنك، فعاهدكم على ذلك، فنزلت فيه هذه الآية، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ريح البيع أبا يحيى؟» وقرأ عليه القرآن. هذا قول سعيد بن المسيب، وذكر نحوه أبو

(١) جهنم: لقب لشاعر كان يهاجي الأعشى اسمه «عمرو بن قطن» وقيل: هو اسم شيطان الشاعر على عقيدة بعض العرب في ذلك، كما أن «مسحلاً» اسم شيطان الأعشى.

صالح عن ابن عباس، وقال: إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق. وذكر مقاتل أنه قال للمشركين: أنا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم، ولي عليكم حق لجواري، فخذوا مالي غير راحلة، واتركوني وديني، فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة، فأقام ما شاء الله، ثم ركب راحلته، فأتى المدينة مهاجراً، فلقيه أبو بكر، فبشره وقال: نزلت فيك هذه الآية. وقال عكرمة: نزلت في صهيب، وأبي ذر الغفاري، فأما صهيب، فأخذه أهله فافتدى بماله، وأما أبو ذر، فأخذه أهله فأفلت منهم حتى قدم مهاجراً. والرابع: أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله، قاله الحسن وابن زيد في آخرين. والخامس: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهرُوا، هذا قول قتادة. و«يشري» كلمة من الأضداد، يقال: شري، بمعنى: باع، وبمعنى: اشترى. فمعناها على قول من قال: نزلت في صهيب؛ معنى: يشتري. وعلى بقية الأقوال بمعنى: يبيع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ السَّيِّئِينَ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ رَكَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُجَارِ وَأَلْجَافٍ فَنُفِخَ الْفُؤَادُ لِلْأُمُورِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَآفَّةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل، وأشياء يتقيها أهل الكتاب. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ، أمروا بالدخول في الإسلام. روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها نزلت في المسلمين، يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها، قاله مجاهد وقتادة. وفي «السلم» ثلاث لغات: كسر السين، وتسكين اللام؛ وبها قرأ أبو عمرو، وابن عامر في «البقرة» وفتح السين في «الأنفال» وسورة «محمد». وفتح السين مع تسكين اللام؛ وبها قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي في المواضع الثلاثة. وفتح السين واللام؛ وبها قرأ الأعمش في «البقرة» خاصة. وفي معنى «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. والثاني: أنها الطاعة، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول أبي العالية، والربيع. وقال الزجاج: وبمعنى الجميع، وهو في اشتقاق اللغة: ما يكف الشيء في آخره، من ذلك: كُفَّة القميص، وكل مستطيل فحرفه كُفَّة: بضم الكاف. ويقال في كل مستدير: كُفَّة بكسر الكاف، نحو: كُفَّة الميزان. ويقال: إنما سميت كُفَّة الثوب، لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكف: المنع، وقيل لطرف اليد: كف، لأنها تكف بها عن سائر البدن، ورجل مكفوف: قد كف بصره أن ينظر. واختلفوا: هل قوله: «كافة» يرجع إلى السلم، أو إلى الداخلين فيه؟ على قولين: أحدهما: أنه راجع إلى السلم، فتقديره: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام. وهذا يخرج على القول الأول الذي ذكرناه في نزول الآية. والثاني: أنه يرجع إلى الداخلين فيه، فتقديره: ادخلوا كلكم في الإسلام، وبهذا يخرج على القول الثاني. وعلى القول الثالث يحتمل قوله: «كافة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أمراً للمؤمنين بالسنتهم أن يؤمنوا بقلوبهم. والثاني: أن يكون أمراً للمؤمنين بالدخول في جميع شرائعه. والثالث: أن يكون أمراً لهم بالثبات عليه، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ [النساء: ١٣٦]. و: ﴿خُطُوَاتِ السَّيِّئِينَ﴾. المعاصي. وقد سبق شرحها. و«الْبَيِّنَاتِ»: الدلالات الواضحات. وقال ابن جريج: هي الإسلام والقرآن. وبمعنى: ينتظرون.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ كان جماعة من السلف يمسكون عن الكلام في مثل هذا. وقد ذكر القاضي أبو يعلى عن أحمد أنه قال: المراد به: قدرته وأمره. قال: وقد بينه في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَثَرُ رَيْكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُجَارِ﴾ أي: بظلل. والظلل: جمع ظلة. و«الغمام»: السحاب الذي لا ماء فيه. قال الضحاك: في قطع من السحاب. ومتى يكون مجيء الملائكة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه عند الموت. قاله قتادة. وقرأ الحسن بخفض «الملائكة». و«قُضِيَ الْأَمْرُ»: قُضِيَ منه. ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾. أي: تصير. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم، «تُرْجَع» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتحها. فإن قيل: فكان الأمور كانت إلى غيره؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد به إلام الخلق أنه

المجازي على الأعمال بالشواب والعقاب، قاله الزجاج. والثاني: أنه لما عبد قوم غيره، ونسبوا أفعاله إلى سواءه، ثم انكشف الغطاء يوم القيامة؛ ردوا إليه ما أضافوه إلى غيره. والثالث: أن العرب تقول: قد رجع علي من فلان مكروه: إذا صار إليه منه مكروه، وإن لم يكن سبق، قال الشاعر:

فإن تكن الأيام أحسن مرة  
إلبي فقد عادت لهن ذنوب  
ذكرهما ابن الأنباري. ومما يشبه هذا قول لبيد:

ومما الممرء إلا كالشهاب وضوءه  
بحور رماداً بعد إذ هو ساطع  
أراد: يصير رماداً لا أنه كان رماداً. وقال أمية بن أبي الصلت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن  
شيبا بماء فعاداً بعد أبوالا<sup>(١)</sup>  
أي: صار. والرابع: أنه لما كانت الأمور إليه قبل الخلق، ثم أوجدتهم فملكهم بعضها رجعت إليه بعد هلاكهم.

فإن قيل: قد جرى ذكر اسمه تعالى في قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ فما الحكمة في أنه لم يقل: وإليه ترجع الأمور؟ فالجواب: أن إعادة اسمه أفخم وأعظم، والعرب إذا جرى ذكر شيء يفخم أعادوا لفظه، وأنشدوا:

لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً  
نغص الموت ذا الغنى والفقير  
فأعادوا ذكر الموت لفخامته في صدورهم، ذكره الزجاج.

﴿سَلِّ بِحَبِّ إِسْرَءِيلَ كَمْ مَا تَبْتَلُهُمْ مِنْ آيَةٍ يَبْتَلُونَ وَمَنْ يَبْدُلْ بِمَنْةِ اللَّهِ مِنْ بَدَلٍ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿سَلِّ بِحَبِّ إِسْرَءِيلَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى له وللمؤمنين. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «سل» بغير همز، وبعض تميم يقول: «اسأل» بالهمز، وبعضهم يقول: «إسل» بالالف وطرح الهمز، والأولى أغربهن، وبها جاء الكتاب. وفي المراد بالسؤال قولان: أحدهما: أنه التقرير والإذكار بالنعم. والثاني: التوبيخ على ترك الشكر. والآية البينة: العلامة الواضحة، كالعصا، والغمام، والمن، والسلوى، والبحر. وفي المراد بنعمة الله قولان: أحدهما: أنها الآيات التي ذكرناها، قاله قتادة: والثاني: أنها حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ، قاله الزجاج. وفي معنى تبديلها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكفر بها، قاله أبو العالية ومجاهد. والثاني: تغيير صفة النبي ﷺ، في التوراة. قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: تعطيل حجج الله بالتأويلات الفاسدة.

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَذَبُوا الْوَيْدَ الَّذِينَ كَذَبُوا الْوَيْدَ وَمَنْ يَبْدُلْ بِمَنْةِ اللَّهِ مِنْ بَدَلٍ مَا جَاءَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَذَبُوا الْوَيْدَ﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في علماء اليهود، قاله عطاء. والثالث: في عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين. قاله مقاتل. قال الزجاج: وإنما جاز في «زين» لفظ التذكير، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، إذ معنى الحياة ومعنى العيش واحد. وإلى من يضاف هذا التزيين؟ فيه قولان: أحدهما: أنه يضاف إلى الله. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عتبة: ﴿زَيْنَ﴾ بفتح الزاي والياء، على معنى: زيتها الله لهم. والثاني: أنه يضاف إلى الشيطان، روي عن الحسن. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والتزيين من الله تعالى: هو التركيب الطبيعي، فإنه وضع في الطباع محبة المحبوب، لصورة فيه تزيين للنفس، وذلك من صنعه، وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع من إغفاله مما مثله يدعو إلى نفسه لذيته، فالله تعالى يزِين بالوضع، والشيطان يزِين بالإذكار. وما السبب في سخرية الكفار من المؤمنين؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سخروا منهم للفقر. والثاني: لتصديقهم بالآخرة. والثالث: لاتباعهم للنبي ﷺ. وقيل: إنهم كانوا يوهمونهم أنكم على الحق، سخرية منهم بهم. وفي معنى كونهم «فوقهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك على أصله، لأن المؤمنين في عليين، والكفار في سجين. والثاني: أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين، فهم المنصورون. والثالث: في أن نعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكافرين في الدنيا.

(١) هو من قصيدة يمدح بها سيف بن ذي يزن أثر ظفوه بالحبشة. القعب: القدح الضخم. شيبا: خلطاً.



قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يرزق من يشاء رزقاً واسعاً غير ضيق. والثاني: يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَدَلٍ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِنَّ صِرَافَ مَسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في المراد بـ«الناس» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: جميع بني آدم، وهو قول الجمهور. والثاني: آدم وحده، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: وهذا الوجه جائز، لأن العرب توقع الجمع على الواحد. ومعنى الآية: كان آدم ذا دين واحد، فاختلف ولده من بعده. والثالث: آدم وأولاده كانوا على الحق، فاختلوا حين قتل قابيل هابيل. ذكره ابن الأنباري. والأمة هاهنا: الصنف الواحد على مقصد واحد. وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبي بن كعب، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه الكفر. رواه عطية عن ابن عباس. ومتى كان ذلك؟ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه حين عرضوا على آدم، وأقروا بالعبودية. قاله أبي بن كعب. والثاني: في عهد إبراهيم كانوا كفاراً. قاله ابن عباس. والثالث: بين آدم ونوح، وهو قول قتادة. والرابع: حين ركبوا السفينة، كانوا على الحق. قاله مقاتل. والخامس: في عهد آدم، ذكره ابن الأنباري. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار. هذا قول الأكثرين. وقال بعض السلف: مبشرين لمن آمن بك يا محمد، ومنذرين لمن كذبك. ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ والكتاب: اسم جنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وذكر بعضهم أنه في التوراة. وفي المراد بالحق هاهنا قولان: أحدهما: أنه بمعنى الصدق والعدل. والثاني: أنه القضاء فيما اختلفوا فيه ﴿لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ في الحاكم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله تعالى. والثاني: أنه النبي الذي أنزل عليه الكتاب، والثالث: الكتاب، كقوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِئُ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقرأ أبو جعفر: «لِيُحْكَمَ» بضم الياء وفتح الكاف. وقرأ مجاهد «لتحكم» بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يعني: الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى محمد ﷺ، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى الدين. قاله مقاتل. والثالث: إلى الكتاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما هاء «أوتوه» فعائدة على الكتاب من غير خلاف. وقال الزجاج: ونصب «بغياً» على معنى المفعول له، فالمعنى: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي، لأنهم عالمون بحقيقة الأمر في كتبهم. وقال الفراء: في اختلافهم وجهان: أحدهما: كفر بعضهم بكتاب بعض، والثاني: تبديل ما بدلوا.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه. وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال: أحدها: أنه الجمعة، جعلها اليهود السبت، والنصارى الأحد، فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»<sup>(١)</sup> بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيتهم من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلوا فيه، فهدانا الله له فالقوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الصلاة، فمنهم من يصلي إلى المشرق، ومنهم من يصلي إلى المغرب. والثالث: أنه إبراهيم. قالت اليهود: كان يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً. والرابع: أنه عيسى، جعلته اليهود لفرية، وجعلته النصارى إلهاً. والخامس: أنه الكتب، آمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها. والسادس: أنه الدين، وهو الأصح، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك.

(١) أي: نحن الآخرون زماناً، السابقون منزلة، والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة.

(٢) متفق عليه، واللفظ الذي أورده المصنف لمسلم.



قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰهَا مُسْتَكِبُونَ ۖ هُمُ السُّبُلُ أَعْيُنُكُمْ وَأَلْسِنُهُمْ مَّتَلَّاتٌ عَلَيْكُمْ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ ۖ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ لِيُخْلِصَ لَهُ ذِي السُّبُلَةِ ۚ﴾ قال بعضهم: توفيقه.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكِبِينَ ۚ أَلَسْتُمْ بِأَعْيُنٍ وَأَلْسِنَةٍ مَّتَلَّاتٍ عَلَيْهِمْ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الصحابة أصابهم يوم الأحزاب بلاء وحصر، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول قتادة. والثاني: أن النبي ﷺ لما دخل المدينة هو وأصحابه اشتد بهم الضر، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء. والثالث: أن المنافقين قالوا للمؤمنين: لو كان محمد نبياً لم يُسلط عليكم القتل، فأجابوهم: من قتل منا دخل الجنة، فقالوا: لم تمنون أنفسكم بالباطل؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وزعم أنها نزلت يوم أحد. قال الفراء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ بمعنى: أظننتم، وقال الزجاج: «أم» بمعنى: بل. وقد شرحنا «أم» فيما تقدم شرحاً كافياً. والمثل بمعنى: الصفة. «وزلزلوا» خُوفوا وحُركوا بما يؤدي، وأصل الزلزلة في اللغة من: زل الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زلزلته، فتأويله: كررت زلزلته من مكانه، وكل ما كان فيه ترجيع كزرت فيه فاء الفعل، تقول: أقل فلان الشيء: إذا رفعه من مكانه، فإذا كرر رفعه وردّه، قيل: قلقه. فالمعنى أنه تكرر عليهم التحريك بالخوف، قاله ابن عباس. البأساء: الشدة والبؤس، والضراء: البلاء والمرض. وكل رسول بعث إلى أمته يقول: ﴿مَنْ تَصَرَّ اللَّهُ آيَةً﴾ والفتح، والجمهور على فتح لام ﴿حَقَّقَ يَقُولُ﴾، وضمها نافع.

### فصل

ومعنى الآية: أن البلاء والجهد بلغ بالأمم المتقدمة إلى أن استبطوا النصر لشدة البلاء. وقد دلت على أن طريق الجنة إنما هو الصبر على البلاء. قالت عائشة: ما شيع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تبعاً من خبز بُر حتى مضى لسبيله<sup>(١)</sup>. وقال حليفه: أقرّ أيامي لعيني، يوم أرجع إلى أهلي فيشكون إليّ الحاجة. قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده [بالخير]، وإن الله ليحتمي المؤمن من الدنيا، كما يحتمي المريض أهله الطعام»<sup>(٢)</sup>. أخبرنا أبو بكر الصوفي، قال: أخبرنا أبو سعيد ابن أبي صادق، قال: أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، قال: سمعت أبا الطيب ابن الفرخان يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت على سري السقطي وهو يقول:

حَلَلْتُ مَحَلَّةَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ

وَمَا زُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى

وُصِنْتُ النَّفْسَ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ

وَأَغْضَيْتُ الْجَفُونَ عَلَى فَذَاهَا

﴿يَتْلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَاتَّبَعُوا السَّيْلَ وَاتَّبَعُوا السَّيْلَ وَمَا تَنْفَعُ عَنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان له مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا تنصديق، وعلى من نفق؟ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن لي ديناراً، فقال: «أنفقه على نفسك». فقال: إن لي دينارين، فقال: «أنفقهما على أهلك». فقال: إن لي ثلاثة، فقال: «أنفقهما على خادمك». فقال: إن لي أربعة، فقال: «أنفقهما على والدك». فقال: إن لي خمسة، فقال: «أنفقهما على قرابتك». فقال: إن لي ستة، فقال: «أنفقهما في سبيل الله، وهو أحسنها» فنزلت فيه هذه الآية. رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: «ماذا» في اللغة على ضربين: أحدهما: أن

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.  
(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند وقد جاء معنى هذا الحديث مستنداً من طريق أبي هريرة ولم يذكر فيه أنه سبب لنزول الآية. فقد روى أحمد في «المسند» وأبو داود والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا» قال رجل: عندي دينار؟ قال: تصدق به على نفسك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على زوجك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على ولدك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: تصدق به على خادمك. قال: عندي دينار آخر؟ قال: أنت أبصر، وإسناده صحيح.

تكون «ذا» بمعنى الذي، و«ينفقون»: صلته، فيكون المعنى: يسألونك: أي شيء الذي ينفقون؟ والثاني أن تكون «ما» مع «ذا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: يسألونك أي شيء ينفقون، قال: وكأنهم سألوا: على من ينبغي أن ينفقوا، وما وجه الذي ينفقون؟ لأنهم يعلمون ما المنفق، وأعلمهم الله أن أولى من أفضّل عليه الوالدان والأقربون. والخير: المال، قاله ابن عباس في آخرين. وقال: ومعنى: ﴿فَكَيْفَ يُؤَدِّيهِ﴾: فعلى الوالدين.

### فصل

وأكثر علماء التفسير على أن هذه الآية منسوخة، قال ابن مسعود: نسختها آية الزكاة. وذهب الحسن إلى إحكامها، وقال ابن زيد: هي في النوافل. وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي الندب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخة، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوب النفقة على المذكورين فيها.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ قال ابن عباس: لما فرض الله على المسلمين الجهاد شق عليهم وكرهوه، فنزلت هذه الآية. و«كتب» بمعنى: فرض في قول الجماعة. قال الزجاج: يقال: كرهت الشيء أكرهه كرهاً وكرهاً، وكرهاً وكرهية. وكل ما في كتاب الله من الكره، فالفتح فيه جائز، إلا أن أبا عبيد ذكر أن الناس مجتمعون على ضم هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقته على النفوس، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى. وقال الفراء: الكره والكره: لغتان. وكان النحويين يذهبون بالكره إلى ما كان منك مما لم تكره عليه، فإذا أكرهت على الشيء استحسبوا «كرهاً» بالفتح. وقال ابن قتيبة: الكره بالفتح، معناه: الإكراه والقهر، وبالضم معناه: المشقة. ومن نظائر هذا: الجُهد: الطاقة، والجُهد: المشقة، ومنهم من يجعلهما واحداً. وعُظم الشيء: أكبره، وعُظمه: نفسه. وعُرض الشيء: إحدى نواحيه. وعرضه: خلاف طوله. والأكل: مصدر أكلت، والأكل: المأكول، وقال أبو علي: هما لغتان، كالفقر والفقر، والضَّعْف والضَّعْف، والدَّف والدَّف، والشَّهْد والشَّهْد.

قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: يعني الجهاد. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فتح وغنيمة أو شهادة. ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ وهو: القعود عنه. ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لا تصيبون فتحاً ولا غنيمة ولا شهادة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خير لكم. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ حين أحببتم القعود عنه.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من المحكم الناسخ للعفو عن المشركين. والثاني: أنها منسوخة، لأنها أوجبت الجهاد على الكل، فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْتَفِرُّوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]. والثالث: أنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه. وقالوا: إن الحال في القتال كانت على ثلاث مراتب: الأولى: المنع من القتال، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]. والثانية: أمر الكل بالقتال، ومنه قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١]. ومثلها هذه الآية. والثالثة: كون القتال فرضاً على الكفاية، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَسْتَفِرُّوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]. فيكون الناسخ منها إيجاب القتال بعد المنع منه، والمنسوخ منه وجوب القتال على الكل.

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ النَّهْرِ الْفَرَارِ يَقَالُ فِيهِ قُلْ يَسْأَلُ فِيهِ كِبَرٌ وَمَصَدَّقٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْفَرَارِ وَالْخُرُجَ أَهْلِيهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّى يَرْضَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَظَلُّوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَبِمَتْ وَهُوَ كَايَرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الْآلِثَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ النَّهْرِ الْفَرَارِ يَقَالُ فِيهِ﴾ روى جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً واستعمل عليهم أبا عبيدة، فلما انطلق ليتوجه بكى صباية إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً،

وأمره ألا يقرأه إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك» فلما صار إلى المكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعاً [وطاعة لأمر] الله ولرسوله [فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب]، فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمين رجب، أو من جمادى الآخرة؟ فقال المشركون [للمسلمين]: قتلتم في الشهر الحرام. [فأتوا النبي ﷺ فحدثوه الحديث] فنزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لئن كان أصحابهم خير فما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿رَجِعُوا﴾ [البقرة: ٢١٨]. قال الزهري: اسم ابن الحضرمي: عمرو، واسم الذي قتله: عبد الله بن واقد الليثي. قال ابن عباس: كان أصحاب النبي ﷺ يظنون تلك الليلة من جمادى، وكانت أول رجب. وقد روى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في شيئين: أحدهما: هذا. والثاني: دخول النبي ﷺ مكة في شهر حرام يوم الفتح، حين عاب المشركون عليه القتال في شهر حرام. وفي السائلين النبي ﷺ عن ذلك قولان: أحدهما: أنهم المسلمون سألوه: هل أخطأوا أم أصابوا؟ قاله ابن عباس وعكرمة ومقاتل. والثاني: أنهم المشركون سألوه على وجه العيب على المسلمين، قاله الحسن وعروة، ومجاهد. والشهر الحرام: شهر رجب، وكان يدعى الأصم، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلح قعقة تعظيماً له، ﴿يَقَالُ فِيهِ﴾ أي: يسألونك عن قتال فيه. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس: لا يحل. قال القاضي أبو يعلى: كان أهل الجاهلية يعتقدون تحريم القتال في هذه الأشهر، فأعلمهم الله تعالى في هذه الآية ببقاء التحريم.

### فصل

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم: هل هو باق أم نسخ؟ على قولين: أحدهما: أنه باق. روى ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله: ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم، إلا أن يقاتلوا فيه أو يغزوا، وما نسخت. والثاني: أنه منسوخ، قال سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار: القتال جائز في الشهر الحرام، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ويقول تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩]. وهذا قول فقهاء الأمصار.

قوله تعالى: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هو مرفوع بالابتداء، وخبر هذه الأشياء: ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. وفي المراد بـ ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هاهنا قولان: أحدهما: أنه الحج، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ عن مكة. قاله ابن عباس والسدي عن أشياخه. والثاني: أنه الإسلام، قاله مقاتل. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَكُفِّرْ بِهِ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله السدي عن أشياخه، وقتادة، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى السبيل. قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وخفض ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نسقاً على قوله: ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كأنه قال: وصد عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْرَأْ أَفْوَاهُ بِمَا عَمِلُوا﴾ لما آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه؛ اضطروهم إلى الخروج فكانهم أخرجوهم، فأعلمهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قتل كل كافر. «والفتنة» هاهنا بمعنى الشرك. قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والجماعة. والفتنة في القرآن على وجه كثيرة، قد ذكرتها في كتاب «النظائر» ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ يعني: الكفار، ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ يعني: المسلمين. و﴿حَطَّتْ﴾ بمعنى: بطلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُؤَلِّقُكَ رِجْوَماً رَحِمَتْ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بالرخصة لأصحاب عبد الله بن جحش في قتل ابن الحضرمي، قال بعض المسلمين: ما لهم أجر، فنزلت هذه الآية: وقد ذكرنا هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الثُّبْرِ الْحَرَامِ﴾ عن جندب بن عبد الله. والثاني: أنه لما نزلت لهم الرخصة قاموا، فقالوا: [يا رسول الله] أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطي فيها أجر المجاهدين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال: ﴿هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجَّهَدُوا﴾ في طاعة الله ابن الحضرمي وأصحابه. و﴿رَحِمَتْ اللَّهُ﴾: مغفرته



وجنته. قال ابن الأنباري: الهجرة عند العرب من هجران الوطن والأهل والولد. والمهاجرون معناهم: المهاجرون الأولاد والأهل، فعرف مكان المفعول فأسقط. قال الشعبي: أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام: مغنمه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُحِبُّونَ قُلِ الْمَعْفُو كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عمر بن الخطاب، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية (١). والثاني: أن جماعة من الأنصار جاؤوا إلى النبي ﷺ وفيهم عمر، ومعاذ، فقالوا: أفتنا في الخمر، فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية. وفي تسمية الخمر خمراً ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سميت خمراً، لأنها تخامر العقل، أي: تخالطه. والثاني: لأنها تخمّر العقل، أي: تستره. والثالث: لأنها تخمّر، أي: تغطي. ذكر هذه الأقوال محمد بن القاسم. وقال الزجاج: الخمر في اللغة: ما ستر على العقل، يقال: دخل فلان في خمار الناس، أي: في الكثير الذي يستتر فيهم، وخمار المرأة قناعها، سمي خمراً لأنه يغطي. قال: والخمر هاهنا هي المجمع عليها، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له: خمر، وأن يكون في التحريم بمنزلتها، لأن العلماء أجمعوا على أن القمار كله حرام، وإنما ذكر الميسر من بينه، وجعل كله قياساً على الميسر، والميسر إنما يكون قماراً في الجزر خاصة. فأما الميسر؛ فقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة في آخرين: هو القمار. قال ابن قتبية: يقال: يسرت: إذا ضربت بالقداح، ويقال للضارب بالقداح: ياسر ويأسرون، ويسر وأيسار. وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلبه ينحرون جزوراً، وينجزئونها أجزاء، ثم يضربون عليها بالقداح، فإذا قمر القمار، جعل ذلك لذوي الحاجة والمسكنة، وهو النفع الذي ذكره الله، وكانوا يتمادحون بأخذ القداح، ويتسايبون بتركها ويعيبون من لا يسر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ الأكثرون «كبير» بالباء، وقرأ حمزة والكسائي بالثاء. وفي إثم الخمر ثلاثة أقوال: أحدها: أن شربها ينقص الدين. قاله ابن عباس. والثاني: أنه إذا شرب سكر وآذى الناس، رواه السدي عن أشياخه. والثالث: أنه وقوع العداوة والبغضاء وتغطية العقل الذي يقع به التمييز، قاله الزجاج. وفي إثم الميسر قولان: أحدهما: أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقع العداوة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يدعو إلى الظلم ومنع الحق. رواه السدي عن أشياخه، وجائز أن يراد جميع ذلك. وأما منافع الخمر؛ فمن وجهين: أحدهما: الريح في بيعها. والثاني: انتفاع الأبدان (٢) مع التذاذ النفوس. وأما منافع الميسر: فإصابة الرجل المال من غير تعب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: وإثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، قاله سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل. والثاني: وإثمهما قبل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضاً، لأن الإثم الذي يحدث في أسبابهما أكبر من نفعهما. وهذا منقول عن ابن جبير أيضاً. واختلفوا بماذا كانت الخمرة مباحة؟ على قولين: أحدهما: بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَفَتَّدُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ [النحل: ٦٧]. قاله ابن جبير. والثاني: بالشريعة الأولى، وأقر المسلمون على ذلك حتى حرمت.

### فصل

اختلف العلماء: هل لهذه الآية تأثير في تحريم الخمر أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تقتضي ذمها دون تحريمها، رواه السدي عن أشياخه، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة، ومقاتل. وعلى هذا القول تكون هذه

(١) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأحمد، عن عمر رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر، قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية... الحديث. وصححه علي بن المديني، والترمذي.

(٢) كلا ليست الخمرة بانفعة للبدن، وثبت في الطب الحديث أن الخمرة ضارة بالبدن والعقل، وقد ألف في بيان ضررها كثير من الأطباء، مسلمين وغير مسلمين، وهناك رسالة في هذا الموضوع للدكتور نبيل الطويل، وهي ضمن كتابه «أحاديث في الصحة» وقد قام المكتب الإسلامي بطبعه ونشره.



الآية منسوخة. والقول الثاني: أن لها تأثيراً في التحريم، وهو أن الله تعالى أخبر أن فيها إثماً كبيراً والإثم كله محرم بقوله: ﴿وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ﴾ [الأعراف: ٢٣]. هذا قول جماعة من العلماء، وحكاه الزجاج، واختاره القاضي أبو يعلى. للعلّة التي بينها، واحتج لصحته بعض أهل المعاني، فقال: لما قال الله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفِعٌ لِّثَّائِينَ﴾؛ وقع التساوي بين الأمرين، فلما قال: ﴿وَفِيهِمَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ صار الغالب الإثم، وبقي النفع مستغرقاً في جنب الإثم. فعاد الحكم للغالب المستغرق، فغلب جانب الحظر.

### فصل

فأما الميسر؛ فالقول فيه مثل القول في الخمر، إن قلنا: إن هذه الآية دلت على التحريم، فالميسر حكمها حرام أيضاً، وإن قلنا: إنها دلت على الكراهة؛ فأقوم الأقوال أن نقول: إن الآية التي في المائدة نصت على تحريم الميسر. قوله تعالى: ﴿وَسَعَلَاكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ قال ابن عباس: إن الذي سأله عن ذلك عمرو بن الجموح: قال ابن قتيبة والمراد بالنفقة هاهنا: الصدقة والعطاء.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْمَغْفُورُ﴾ قرأ أبو عمرو برفع واو «العفو»، وقرأ الباقون بنصبها. قال أبو علي: «ماذا» في موضع نصب، فجوابه العفو بالنصب، كما تقول في جواب: ماذا أنفقت؟ درهماً، أي: أنفقت درهماً. هذا وجه نصب العفو. ومن رفع جعل «ذا» بمنزلة الذي، ولم يجعل «ماذا» اسماً واحداً، فإذا قال قائل: ماذا أنزل ربكم؛ فكانه قال: ما الذي أنزل ربكم؛ فجوابه: قرآن. قال الزجاج: «العفو» في اللغة: الكثرة والفضل، يقال: قد عفا القوم: إذا كثروا. «العفو»: ما أتى بغير كلفة. وقال ابن قتيبة: العفو: الميسور. يقال: خذ ما عفاك، أي: ما أتاك سهلاً بلا إكراه ولا مشقة. وللمفسرين في المراد بالعفو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المرء وعياله، رواه مقسم عن ابن عباس. والثاني: ما تطيب به أنفسهم من قليل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: أنه القصد بين الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير. والرابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد. والخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر؛ إذا خفي ودرس، حكاه شيخنا عن طائفة من المفسرين.

### فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فروى السدي عن أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبى نسخها آخرون. وفصل الخطاب في ذلك أنا متى قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصديق بفاضل المال، أو قلنا: إنه أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة، فالآية منسوخة بآية الزكاة، ومتى قلنا: إنها محمولة على الزكاة المفروضة كما قال مجاهد، أو على الصدقة المندوب إليها، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إنما قال كذلك، وهو يخاطب جماعة، لأن الجماعة معناها: القليل، كأنه قال: كذلك يا أيها القليل. وجاز أن تكون الكاف للنبي ﷺ كأنه قال: كذلك يا أيها النبي، لأن الخطاب له مشتمل على خطاب أمته. وقال ابن الأنباري: الكاف في «كذلك» إشارة إلى ما بين من الإنفاق، فكانه قال: مثل ذلك الذي بينه لكم في الإنفاق بين الآيات. ويجوز أن يكون «كذلك» غير إشارة إلى ما قبله، فيكون معناه: هكذا، قاله ابن عباس. ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَلَاحُظُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتعرفون فضل ما بينهما، فتعملون للباقى منها. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَامْشُوا فِي مَنَازِلِهِمْ وَأَلَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْكُمْ أَصْلَابٌ وَأَلَا يَحْسَبُ اللَّهُ لَأَعْلَمَكُمْ إِنْ

اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠] و﴿إِنَّ الْيَتَامَى يَأْكُلُونَ مِنْ مَالِهِمْ﴾ [النساء: ١٠] انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك

عليهم، فذكروهم للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup> هذا قول ابن عباس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن العرب كانوا يشددون في أمر اليتيم حتى لا يأكلون معه في قصعته، ولا يستخدمون له خادماً. فسألوا النبي ﷺ عن مخالطتهم، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول الضحاك. وفي السائلين للنبي ﷺ، عن ذلك قولان: أحدهما: أن الذي سأله ثابت بن رفاعه الأنصاري، قاله مقاتل. والثاني: عبد الله بن رواحة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ يَخِرُّ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ قال ابن قتبية: معناه: تثمير أموالهم، والتنزه عن أكلها لمن وليها خير. ﴿وَإِنْ تَخَالَطَوُاْ فَلَا تُؤْخَذُوكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم، حكمهم في ذلك حكم إخوانكم. قال ابن عباس: والمخالطة: أن يشرب من لبنك، وتشرب من لبنه، ويأكل في قصعتك، وتأكل في قصعته. ﴿وَأَلَّا يَمْلِكُ الْفَاسِقُ مِنَ الْإِصْلَاحِ﴾ يريد: المتعمد أكل مال اليتيم، من المتحرّج الذي لا يألو إلا الإصلاح. ﴿وَأَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاغْنَتْكُمْ﴾ قال ابن عباس: أي لأخرجكم، ولضيق عليكم. وقال ابن الأنباري: أصل العنت: التشديد. تقول العرب: فلان يتعت فلاناً ويعتته، أي: يشدد عليه، ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه [قال: ثم نقلت إلى معنى الهلاك] واشتقاق الحرف، من قول العرب: أكمت عنوت، إذا كانت شديدة شاقة [المصعد]، فجعلت هذه اللفظة مستعملة في كل شدة.

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الشُّرَكَاءَ حَتَّى يُؤْمِرَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الشُّرَكَاءَ حَتَّى يُؤْمِرَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً يقال له: مرثد بن أبي مرثد بعثه النبي ﷺ إلى مكة ليخرج ناساً من المسلمين بها أسرى، فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خليفة له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأنته فقلت: ويحك يا مرثد: ألا تخلو؟ فقال: إن الإسلام قد حال بيني وبينك، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله ﷺ استأذنته في ذلك، فقلت له: أبي تتبرم؟! واستغاثت عليه، فضره ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة رجع إلى النبي ﷺ فسأله: أنحل لي أن أتزوجها؟ فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكر مقاتل بن سليمان أنه أبو مرثد الغنوي. والثاني: أن عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم فرغ، فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها، [فقال له النبي ﷺ: «ما هي يا عبد الله؟»] فقال: يا رسول الله: هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. فقال: «يا عبد الله: هذه مؤمنة». فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها، ففعل، فعابه ناس من المسلمين، وقالوا: أنكح أمة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن، فنزلت هذه الآية. رواه السدي عن أشياخه. وقد ذكر بعض المفسرين أن قصة عناق وأبا مرثد كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الشُّرَكَاءَ حَتَّى يُؤْمِرَ﴾ وقصة ابن رواحة كانت سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ﴾. فأما التفسير، فقال المفضل: أصل النكاح: الجماع، ثم كثرت ذلك حتى قيل للعقد: نكاح. وقد حرم الله ﷻ نكاح المشركات عقداً ووطأً. وفي «المشركات» هاهنا

(١) رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس، وزاده بسند حسن بغير هذا السياق سبباً لآية أخرى، أبو داود والنسائي والترمذي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ولفظه: «أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بني بمكة يقال لها: عناق، وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة بحمله. قال: فبحثت حتى انتهت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق، فأبصرت سواد ظلي فجنبت الحائط، فلما انتهت إلي عرفته، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً. هلم فبت عندنا الليلة. قال: قلت: يا عناق حرم الله الزنى، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة، فأنتهت إلى غار أو كهف، فدخلت، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا، فظل بولهم على رأسي، وعصاهم الله عني، قال: ثم رجعوا، ورجعت إلى صاحبي، فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهت إلى الإذخر، ففككت عنه أكبله، فجعلت أحمله، ويميني حتى قدمت المدينة. فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله ﷺ، ولم يرد علي شيئاً حتى نزلت ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَوَاجَهُمْ وَالزَّوْجَةَ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَوْجٌ أَوْ شَرِكٌ وَالزَّوْجَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَوْجٌ أَوْ شَرِكٌ﴾. فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد. الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، فلا تنكحها». وقال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قولان: أحدهما: أنه يُعَمُّ الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين. والثاني أنه خاص في الوثنيات، وهو قول سعيد بن جبير، والنخعي، وقتادة. وفي المراد بالامة قولان: أحدهما: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنى: ولنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة. والثاني: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، وهذا قول الضحاك، والأول أصح. وفي قوله: ﴿وَلَوْ أَعْبَجَكُمْ﴾ قولان: أحدهما: بجمالها وحسنها. والثاني: بحسبها ونسبها.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي محكمة، وزعم بعض من نصر هذا القول أن اليهود والنصارى ليسوا بمشركين بالله، وإن جحدوا بنبو نبينا. قال شيخنا: وهو قول فاسد من وجهين: أحدهما: أن حقيقة الشرك ثابتة في حقهم حيث قالوا: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله. والثاني: أن كفرهم بمحمد ﷺ، يوجب أن يقولوا: إن ما جاء به ليس من عند الله، وإضافة ذلك إلى غير الله شرك. فاما القائلون بأنها عامة في جميع المشركات، فلهم في ذلك قولان: أحدهما: أن بعض حكمها منسوخ بقوله: ﴿وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وبقي الحكم في غير أهل الكتاب محكماً. والثاني: أنها ليست منسوخة، ولا ناسخة، بل هي عامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة كافرة؛ فلذلك خاص، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْحَصْنَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ فهذه خصصت عموم تلك من غير نسخ، وعلى هذا عامة الفقهاء. وقد روي معناه عن جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وطلحة، وحذيفة، وجابر، وابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكِبُّوا الشُّرَكَاءَ﴾ أي: لا تزوجهم بمسلمة حتى يؤمنوا؛ والكلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَزَوَّجْنَا﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْبَجَكُمْ﴾ مثل الكلام في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِذِيهِ﴾؛ قرأ الجمهور بخفض «المغفرة»، وقرأ الحسن، والقزاز، عن أبي عمرو، برفعها.

﴿رَسَعْتُكَ عَنِ الْحَيْضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْحَيْضِ وَلَا تَقْرَبُوهَا حَتَّى يَطْهَرَتْ فَإِذَا طَهَرَتْ فَأَتَوْهُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿رَسَعْتُكَ عَنِ الْحَيْضِ﴾ روى ثابت عن أنس قال: كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت، فمثل النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فأمرهم النبي ﷺ أن يؤاكلوها ويشاربوهن ويكونوا معهن في البيوت، وأن يقتلوا كل شيء ما عدا النكاح<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: جاء رجل يقال له: ابن الدحداح<sup>(٢)</sup>، من الأنصار، إلى النبي ﷺ فقال: كيف تصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية. وفي المحيض قولان: أحدهما: أنه اسم للحيض، قال الزجاج: يقال: قد حاضت المرأة تحيض حيضاً ومخاصاً ومحيضاً. وقال ابن قتيبة: المحيض: الحيض. والثاني: أنه اسم لموضع الحيض، كالميل، فإنه موضع القبلولة، والميت موضع البيتوتة. وذكر القاضي أبو يعلى أن هذا ظاهر كلام أحمد. فاما أرباب القول الأول؛ فأكدوه بأن في اللفظ ما يدل على قولهم، وهو أنه وصفه بالأذى، وذلك صفة لتفسير الحيض، لا لمكانه. وأما أرباب القول الثاني، فقالوا: لا يمتنع أن يكون المحيض صفة للموضع، ثم وصفه بما قاربه وجاوره، كالعقيقة، فإنها اسم لشعر الصبي، وسميت بها الشاة التي

(١) أخرجه أحمد في «المستدرك» ومسلم في «صحيحه» ٢٤٦/١ ولفظه عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿رَسَعْتُكَ عَنِ الْحَيْضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْحَيْضِ﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود. فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر، فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهم؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجنا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ، فأرسل في آثارهما فسقاها، فعرفا أن لم يجد عليهما.

(٢) ويقال له: ابن الدحداح كما جاء في «الإصابة». والأثر ذكره ابن جرير عن السدي.



تذبح عند حلق رأسه مجازاً والمرأية: اسم للجمل، وسميت المزاة راوية مجازاً. والأذى يحصل للواطئ بالنجاسة، وتنن الريح. وقيل: يورث جماع الحائض علة بالغة في الألم. «فَاعْتَرِلُوا أَلْسِنَةَ الْغَائِبِينَ» المراد به اعتزال الوطء في الفرج، لأن المحيض نفس الدم أو نفس الفرج «وَلَا تَقْرُبُوهُ» أي: لا تقربوا جماعهن، وهو تأكيد لقوله: «فَاعْتَرِلُوا أَلْسِنَةَ الْغَائِبِينَ».

قوله تعالى: «حَتَّى يَطْهَرُوا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص، عن عاصم «حَتَّى يَطْهَرُوا» خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر، عن عاصم (يَطْهَرُونَ) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. قال ابن قتيبة: يطهرون: ينقطع عنهن الدم، يقال: طهرت المرأة وطهرت: إذا رأت الطهر، وإن لم تغتسل بالماء. ومن قرأ: «يَطْهَرُونَ» بالتشديد أزد: يغتسلن بالماء. والأصل يتطهرون، فأدغمت التاء في الطاء. قال ابن عباس ومجاهد: حتى يطهرون من الدم، فإذا تطهرون اغتسلن بالماء.

قوله تعالى: «فَأَتَوْهُنَّ» إباحة من حظر، لا على الوجوب. قوله تعالى: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: من قبل الطهر، لا من قبل الحيض، قاله ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أن معناه: فاتوهن من حيث أمركم الله أن لا تقربوهن فيه، وهو محل الحيض، قاله مجاهد. وقال من نصر هذا القول: إنما قال: «أَمَرَكُمُ اللَّهُ» والمعنى: نهاكم، لأن النهي أمر بترك المنهي عنه و«من» بمعنى «في»: كقوله تعالى: «إِذَا تَوَدَّعَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْنِ الْجُمُعَةِ» [البقرة: ٢٤]. والثالث: فاتوهن من قبل التزويج الحلال، لا من قبل الفجور، قاله ابن الحنفية. والرابع: أن معناه: فاتوهن من الجهات التي يحل أن تقرب فيها المرأة، ولا تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كن صائمات أو معتكفات أو محرمات. وهذا قول الزجاج، وابن كيسان. وفي قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» قولان: أحدهما: التوابين من الذنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين. والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: «وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: المتطهرين من الذنوب، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية. والثاني: المتطهرين بالماء، قاله عطاء. والثالث: المتطهرين من إتيان أدبار النساء. روي عن مجاهد.

### فصل

أقل الحيض يوم وليلة في إحدى الروايتين عن أحمد. والثانية: يوم. وقال أبو حنيفة: أقله ثلاثة أيام. وقال مالك وداود: ليس لأقله حد. وفي أكثره روايتان عن أحمد: إحداهما: خمسة عشر يوماً، وهو قول مالك والشافعي. والثانية: سبعة عشر يوماً. وقال أبو حنيفة: أكثره عشرة أيام. والحيض مانع من عشرة أشياء: فعل الصلاة، ووجوبها، وفعل الصوم دون وجوبه، والجلوس في المسجد، والاعتكاف، والطواف، وقراءة القرآن، وحمل المصحف، والاستمتاع في الفرج، وحصول نية الطلاق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّمْكُمْ أَنْ تُنْفِثُوا وَتَذَكَّرُوا لِأَسْخَرُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْفَوهُ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّمْكُمْ أَنْ تُنْفِثُوا وَتَذَكَّرُوا لِأَسْخَرُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْفَوهُ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود أنكروا جواز إتيان المرأة إلا من بين يديها، وهابت من يأتيها على غير تلك الصفة، فنزلت هذه الآية. روي عن جابر<sup>(١)</sup>، والحسن، وقتادة. والثاني: أن حياً من قريش كانوا يتزوجون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة، تزوجوا من الانتصار، فذهبوا ليفعلوا ذلك، فأنكره، وانتهى الحديث إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية. رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبي ﷺ فقال: «هلكت، حولت رحلي الليلة، فنزلت هذه الآية». رواه سعيد بن جبير عن

(١) روى الشيخان وأبو داود عن جابر، قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّمْكُمْ أَنْ تُنْفِثُوا وَتَذَكَّرُوا لِأَسْخَرُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْفَوهُ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ».



ابن عباس<sup>(١)</sup>. والحرث: المزدرع، وكنى به هاهنا عن الجماع، فسماهن حرثاً، لأنهن مزدرع الأولاد، كالأرض للزرع، فإن قيل: النساء جمع، فلم لم يقل: حروث؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرها ابن القاسم الأنباري النحوي: أحدها: أن يكون الحرث مصدرأ في موضع الجمع، فلزم التوحيد، كما تقول العرب: إختوك صوم، وأولادك فطر، يريدون: صائمين ومفطرين، فيؤدى المصدر بتوحيده عن اللفظ المجموع. والثاني: أن يكون أراد: حروث لكم، فاكتمى بالواحد من الجمع، كما قال الشاعر:

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا

أي: في أنصاف بطونكم. والثالث: أنه إنما وُحِدَ الحرث، لأن النساء شبهن به، ولسن من جنسه، والمعنى: نساؤكم مثل حروث لكم.

قوله تعالى: ﴿أَنْ شِئْتُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: كيف شئتم، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: كيف شئتم، مقبلة أو مدبرة، وعلى كل حال، إذا كان الإتيان في الفرج. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطية، والسدي، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنها نزلت في العزل. قاله سعيد بن المسيب، فيكون المعنى: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا. والقول الثاني: أنه بمعنى: إن شئتم، ومتى شئتم، وهو قول ابن الحنفية والضحاك، وروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه بمعنى: حيث شئتم، وهذا محكي عن ابن عمر ومالك بن أنس<sup>(٢)</sup>، وهو فاسد من وجوه: أحدها: أن سالم بن عبد الله لما بلغه أن نافعاً تحدث بذلك عن ابن عمر، قال: كذب العبد، إنما قال عبد الله: يؤتون في فروجهن من أديارهن. وأما أصحاب مالك، فإنهم يتكرونها صحتة عن مالك، والثاني: أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال: «معلمون من أديارهن»<sup>(٣)</sup>، فدل على أن الآية لا يراد بها هذا. والثالث: أن الآية نهت على أنه محل الولد بقوله: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ وموضع الزرع: هو مكان الولد. قال ابن الأنباري: لما نص الله على ذكر الحرث، والحرث به يكون النبات، والولد مشبّه بالنبات؛ لم يجز أن يقع الوطء في محل لا يكون منه ولد. والرابع: أن تحريم إتيان الحائض كان لعله الأذى، والأذى ملازم لهذا المحل لا يفارقه.

قوله تعالى: ﴿وَقَدَّمُوا لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وقدموا التسمية عند الجماع، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: وقدموا لأنفسكم في طلب الولد، قاله مقاتل. والرابع: وقدموا طاعة الله واتباع أمره، قاله الزجاج.

﴿وَلَا تَجْمَعُوا لَكُمْ عِزًّا﴾

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن حبان والترمذي، وقال: حسن غريب، ولفظه عند أحمد «عن ابن عباس قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «وما الذي أهلكك؟» قال: حولت رحلي الباردة، قال: فلم يرد علي شيئاً، قال: فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْمَعُوا لَكُمْ عِزًّا﴾ قبل وأدبر، واتقوا الدبر والحيفة. قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقوله: «حولت رحلي الباردة». قال ابن الأثير في «النهاية» كنى برحله عن زوجته، وأراد به غشائها في قبلها من جهة ظهرها، لأن المجامع يطو المرأة ويركبها مما يلي وجوها، فعيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنه بتحويل رحله. (والرحل): إما أن يريد به المنزل والمأوى، وإما أن يريد به الرحل الذي تركب عليه الإبل وهو الكور.

(٢) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في نهى الرجل أن يأتي المرأة في دبرها، فمن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا إن الله لا يستحي من الحق، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن» (الحش: الدبر) رواه الدارقطني، والطبراني ورجاله ثقات. وعن غزمية بن ثابت الخطمي أن رسول الله ﷺ قال: «لا يستحي الله من الحق، لا يستحي الله من الحق، ثلاثاً، لا تأتوا النساء في أعجازهن» رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر إلى رجل أتى امرأة في الدبر» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في «صحيحه»، وحسن الترمذي، وصححه ابن حزم. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى». رواه أحمد والبخاري والطبراني في «الأوسط»، وصححه المنذري والهيثمي. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد». رواه أحمد في «المستد» وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح. فهذه الأحاديث الصحيحة تفسير قاطع للآية، فليس لمسلم أن يعدل عن تفسير رسول الله ﷺ إلى تفسير غيره مهما كان هذا الغير.

(٣) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، لأن الحارث بن مخلد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وباقى رجال الإسناد ثقات.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْدِيكُمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين خنته<sup>(١)</sup> شيء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه، وجعل يقول: قد حلفت بالله، فلا يحل لي، إلا أن تبرّ يميني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يحلف بالله أن لا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر حين حلف لا يفتق على مسطح، قاله ابن جريج. والرابع: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتى يسلم، قاله المقاتلان: ابن حيان، وابن سليمان. قال الفراء: والمعنى: ولا تجعلوا الله مُعْتَرِضاً لأيمانكم. وقال أبو عبيد: نصباً لأيمانكم، كأنه يعني: أنكم تعترضونه في كل شيء، فتحلفون به. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرؤهم، وتصلحوا بينهم بالكذب، روى هذا المعنى عطية عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بآراء مصلحين، فإن كثرة الحلف بالله ضرب من الجراءة عليه. هذا قول ابن زيد.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ عَقُودٌ حَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ عَقُودٌ حَلِيمٌ﴾ قال الزجاج: اللغو في كلام العرب: ما اُطْرَحَ ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما لا يعتد به، لغواً. وقال ابن فارس: اشتقاق ذلك من قولهم لما لا يعتد<sup>(٣)</sup> [به] من أولاد الإبل في الدية وغيرها لغواً، يقال منه: لغا يلغو، وتقول: لغني بالامر: إذا لهِج به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه [أي: يلهج صاحبها بها]. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أن يحلف على الشيء يظن أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه. وإلى هذا المعنى ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياءه، ومالك، ومقاتل. والثاني: أنه: لا والله، وبلى والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاووس، وعروة، والنخعي، والشافعي. واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وكسب القلب: عقده وقصده، وهذان القولان منقولان عن الإمام أحمد، روى عنه ابنه عبد الله أنه قال: اللغو عندي أن يحلف على اليمين، يرى أنها كذلك، ولا كفارة. والرجل يحلف ولا يعقد قلبه على شيء، فلا كفارة. والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاووس عن ابن عباس. والرابع: أنه حلف الرجل على معصية، فليحنث، وليكفر، ولا إثم عليه. قاله سعيد بن جبير. والخامس: أن يحلف الرجل على شيء، ثم ينساه. قاله النخعي. وقول عائشة أصح الجمع. قال حنبل: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، وبلى والله، لا يريد عقد اليمين، فإذا عقد على اليمين لزمته الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَقُودٌ حَلِيمٌ﴾ قال مجاهد: أي: ما عقدت عليه قلوبكم «والحليم»: ذو الصفح الذي لا يستغزه غضب، فيعجل، ولا يستخفه جهل جاهل مع قدرته على العقوبة. قال أبو سليمان الخطابي: ولا يستحق اسم الحليم من سامح مع المعجز عن المجازاة، إنما الحليم الصفوح مع القدرة، المتأنّي الذي لا يعجل بالعقوبة. وقد أنعم بعض الشعراء أبياتاً في هذا المعنى فقال:

لا يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا      حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوام  
ويُسْتَمَو فتري الألوانَ مفسرةً      لأصفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام

(١) هو بشير بن النعمان، وكان خنته على أخته.

(٢) جاء في «غريب القرآن» لابن قتيبة في تفسير الآية: «لا تجعلوا الله بالحلف به؛ مانعاً لكم من أن تبرؤوا وتتقوا، ولكن إذا حلفتم على أن لا تصلوا رحماً، ولا تصدقوا، ولا تصلحوا، وعلى أشياء ذلك من أبواب البر؛ فكفروا وأتوا الذي هو خير».

(٣) في الأصل: يمد، والتصحيح من معجم مقاييس اللغة.

قال، ويقال: حَلَمَ الرجل يحلُمُ حُلْمًا بضم اللام في الماضي والمستقبل. وحَلَمَ في النوم، بفتح اللام، يحلم حُلْمًا، اللام في المستقبل والحاء في المصدر مضموتان.

### فصل

الأيمان على ضربين: ماضٍ ومستقبل، فالماضي على ضربين: يمين محرمة، وهي: اليمين الكاذبة، وهي أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل. أو: لقد فعلت، وما فعل. ويمين مباحة، وهي أن يكون صادقاً في قوله: ما فعلت. أو: لقد فعلت. والمستقبل على خمسة أقسام: أحدها: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها معصية، مثل أن يحلف: لأصليَنَّ الخمس، ولأصومَنَّ رمضان، أو: لا شربت الخمر. والثاني: عقدها معصية، والمقام عليها معصية، وحلها طاعة، وهي عكس الأولى. والثالث: يمين عقدها طاعة، والمقام عليها طاعة، وحلها مكروه، مثل أن يحلف: لَيْفَعَلَنَّ النوافل من العبادات. والرابع: يمين عقدها مكروه، والمقام عليها مكروه، وحلها طاعة، وهي عكس التي قبلها. والخامس: يمين عقدها مباح، والمقام عليها مباح، وحلها مباح. مثل أن يحلف: لا دخلت بلدًا فيه من يظلم الناس، ولا سلكت طريقاً مخوفاً، ونحو ذلك.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ رِيعًا أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فَإِنْ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئاً، فابت أن تعطيه؛ حلف أن لا يقربها السنة، والستين، والثلاث، فيدعها لا أيماً، ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام، جعل الله ذلك أربعة أشهر، فأنزل الله هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية. قال ابن قتيبة: يؤلون، أي: يحلفون. يقال: آليت من امرأتي، أولي إيلاء: إذا حلف لا يجامعها. والاسم: الأليّة. وقال الزجاج: يقال من الإيلاء: آليت أولي إيلاء وآليّة وآلوة وآلوة وآلوة، وهي بالكسر أقل اللغات، قال كثير:

قيل الألياء حافظ ليمينه وإن بددت منه الأليّة برت

وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: «من» بمعنى: «في» أو: «على» والتقدير: يحلفون على وطء نسائهم، فحذف الوطء، وأقام النساء مقامه، كقوله تعالى: ﴿مَا وَعَدْنَاهُ عَلَىٰ رَسُولٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] أي: على السنة رسلك. وقيل: في الكلام حذف، تقديره: يؤلون يعتزلون من نسائهم. والتريص: الانتظار. ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله أن لا يصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف على أربعة أشهر فما دون ذلك، لم يكن مؤلياً. وهذا قول مالك، وأحمد، والشافعي. وفاؤوا: رجعوا، ومعناه: رجعوا إلى الجماع، قاله علي، وابن عباس، وابن جبير، ومسروق، والشمسي. وإذا كان للمؤلي عذر لا يقدر معه على الجماع، فإنه يقول: متى قدرت جامعته، فيكون ذلك من قوله فيئة؛ فمتى قدر فلم يفعل، أمر بالطلاق، فإن لم يطلق، طلق الحاكم عليه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال علي، وابن عباس: غفور لإثم اليمين.

﴿وَإِنْ عَزَّوَالَتُنَّ طَلَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَّوَالَتُنَّ طَلَّقُوا﴾ أي: حققوه. وفي عزم الطلاق قولان: أحدهما: أنه إذا مضت الأربعة الأشهر استحق عليه أن يفء، أو يطلق، وهو مروى عن عمر وعثمان، وعلي، وابن عمر، وسهل بن سعد، وعائشة، وطاووس، ومجاهد، والحكم، وأبي صالح. وحكاه أبو صالح عن اثني عشر رجلاً من الصحابة، وهو قول مالك، وأحمد، والشافعي. والثاني: أنه لا يفء حتى يمضي أربعة أشهر، فتطلق بذلك من غير أن يتكلم بطلاق. واختلف أرباب هذا القول فيما يلحقها من الطلاق على قولين: أحدهما: طلاقه بائنة. روي عن عثمان، وعلي، وابن عمر،

(١) رواه الواحدي بمعناه في «أسباب النزول» بسنده إلى ابن عباس.



وزيد بن ثابت، وقبيصة بن ذؤيب. والثاني: طلبة رجعية، روي عن سعيد بن المسيب، وأبي بكر بن عبد الرحمن، وابن شبرمة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: سميع لطلاقه، عليم بنيته. والثاني: سميع ليمينه، عليم بها.

﴿وَالطَّلَقُ يَرْبِصُ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَحْكُمْنَ أَمْ يَتَوَلَّيْنَ أَمْ يَرْجِعْنَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَكُمْ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَقُ يَرْبِصُ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سبب نزولها: أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلى، وليست حبلى، لكي يراجعها، وإن كانت حبلى وهي كارهة، قالت: لست بحبلى، لكي لا يقدر على مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتَ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِمَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١] ثم نزلت: ﴿وَالطَّلَقُ يَرْبِصُ أَنْفُسَهُنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾. رواه أبو صالح عن ابن عباس. فأما التفسير: فالطلاق: التخلية. قال ابن الأنباري: هي من قول العرب: أطلقت الناقة، فطلقت: إذا كانت مشدودة، فأزلت الشد عنها، وخليتها، فشب ما يقع للمرأة بذلك، لأنها كانت متصلة الأسباب بالرجل، وكانت الأسباب كالشد لها، فلما طلقها قطع الأسباب. ويقال: طلقت المرأة، وطلقت. وقال غيره: الطلاق: من أطلقت الشيء من يدي، إلا أنهم لكثرة استعمالهم اللفظتين فرقوا بينهما، ليكون التطليق مقصوراً في الزوجات. وأما القروء: فيراد بها: الأطهار، ويراد بها الحيض. يقال: أقرأت المرأة إذا حاضت، وأقرأت: إذا طهرت. قال النبي ﷺ في المستحاضة: «تتعد أيام أقرائها»<sup>(١)</sup> يريد: أيام حيضها. وقال الأعشى:

وفي كل عام أنت جاشم غزوة  
مؤرثة مالا، وفي الحي رفعة  
تشد لأقصاها غريم عزائكا  
لما ضاع فيها من قروء نساكا<sup>(٢)</sup>

أراد بالقروء: الأطهار، لأنه لما خرج عن نسائه أضاع أطهارهن. واختلف أهل اللغة في أصل القروء على قولين: أحدهما: أن أصله الوقت، يقال: رجع فلان لقرته، أي: لوقته الذي كان يرجع فيه، [ورجع لقارته أيضاً] قال الهذلي<sup>(٣)</sup>:

كرهت العقر عقر بني شليل  
إذا هبت لقارثها الرياح<sup>(٤)</sup>

فالحبيص يأتي لوقت، والطهر يأتي لوقت، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: أن أصله الجمع. وقولهم: قرأت القرآن، أي: لفظت به مجموعاً. والقرء: اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقد يجوز أن يكون اجتماعه في الرحم، وكلاهما حسن، هذا قول الزجاج. واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين: أحدهما: أنها الحيض. روي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل رضي الله عنه فإنه قال: قد كنت أقول: القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلى أنها الحيض<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنها الأطهار. روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري، وأبان بن عثمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأوماً إليه أحمد. ولفظ قوله تعالى: ﴿وَالطَّلَقُ

(١) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن المستحاضة، فقال: «تتعد الصلاة أيام أقرائها، ثم تغتسل غسلاً واحداً، ثم تتوضأ عند كل صلاة» رواه ابن حبان في صحيحه، وقد رواه غير ابن حبان عن غير عائشة. انظر: نصب الراية: ٢٠١/١.

(٢) هما من قصيدة يمدح بها هرة بن علي الحنفي. جشم الأمر تجشمه جشماً وجشامة: تكلفه على جهد ومشقة. والغريبة والغرام: الجد وعقد القلب على امرأتك فاعله. المزاء: حسن الصبر عن فقد ما يفقد الإنسان. وقوله: مؤرثة: صفة لقوله: غزوة. يقول: لك في كل عام غزوة أنت جاشمها، تجتمع لها صبرك وجذلكت، فتعود منها بالمال والمجد الذي يعرضك عما عانيت من هجر نساك في وقت طهرهن، فلم تقربهن.

(٣) هو مالك بن النخعات الهذلي.

(٤) العقر: اسم مكان، كرهه لأنه قوتل فيه، وشليل: جد جرير بن عبد الله الجلي.

(٥) وقد نصر هذا القول ابن القيم في «زاد المعاد» والأحاديث الصحيحة تزيده.



يَرِيضُكَ» لفظ الخير، ومعناه: الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ مَالَ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحمل، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، وابن قتبية، والزجاج. والثاني: أنه الحيض، قاله عكرمة، وعطية، والنخعي، والزهري. والثالث: الحمل والحيض، قاله ابن عمر، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَصْحَابِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحمل، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، وابن قتبية، والزجاج. والثاني: أنه الحيض، قاله عكرمة، وعطية، والنخعي، والزهري. والثالث: الحمل والحيض، قاله ابن عمر، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خرج مخرج الوعيد لهن والتوكيد، قال الزجاج: وهو كما تقول للرجل: إن كنت مؤمناً فلا تغلم. وفي سبب وعيدهم بذلك قولان: أحدهما: أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة، قاله ابن عباس. والثاني: لأجل إلحاق الولد بغير أبيه، قاله قتادة. وقيل: كانت المرأة إذا رغبت في زوجها، قالت: إني حائض، وقد طهرت. وإذا زهدت فيه، كتبت خيضها حتى تغتسل، فتفوته. والبعولة: الأزواج. وذلك: إشارة إلى العدة. قاله مجاهد، والنخعي، وقتادة في آخرين. وفي الآية دليل على أن خصوص آخر اللفظ لا يمنع عموم أوله، ولا يوجب تخصيصه، لأن قوله تعالى: ﴿وَالطَّلُقُ يُرِيضُكَ﴾ عام في المبتوتات والرجعيات، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِيَنَّ أَهْلَهُنَّ بِرِزْقٍ﴾ خاص في الرجعيات<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَا إِصْلَاحًا﴾ قيل: إن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته، طلقها واحدة وتركها، فإذا قارب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدة، ثم طلقها، فنهوا عن ذلك. وظاهر الآية يقتضي أنه إنما يملك الرجعة على غير وجه المضارة بتطويل العدة عليها، غير أنه قد دل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكُونَنَّ حِكْرًا لِّلْعَدَا﴾ على صحة الرجعة وإن قصد الضرار، لأن الرجعة لو لم تكن صحيحة إذا وقعت على وجه الضرار؛ لما كان ظالماً بفعلها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لِّلَّذِي عَلَيْهِمُ الْكُفْرُ﴾ وهو: المعاشرة الحسنة، والصحبة الجميلة. روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن حق المرأة على الزوج، فقال: «أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن عباس: إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي، لهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِمْ ذَرْبٌ﴾ قال ابن عباس: بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال. وقال مجاهد: بالجهد والميراث. وقال أبو مالك: يطلقها، وليس لها من الأمر شيء. وقال الزجاج: تنال منه من اللذة كما ينال منها، وله الفضل بتفقه. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»<sup>(٣)</sup>. وقالت ابنة سبيد بن المسيب: ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم.

### فصل

اختلف العلماء في هذه الآية: هل تدخل في الآيات المنسوخات أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها تدخل في ذلك. واختلف هؤلاء في المنسوخ منها، فقال قوم: المنسوخ منها قوله تعالى: ﴿وَالطَّلُقُ يُرِيضُكَ بِأَنفُسِهِمْ ثَلَاثَةً قُرُوءًا﴾ وقالوا: فكان يجب على كل مطلقة أن تعتد بثلاثة قروء، فنسخ حكم الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَكْثَالُ بَيْتِهِمْ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُمْ﴾ [الطلاق: ٤]. وحكم المطلقة قبل الدخول بقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْدُونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهذا مزوي عن ابن عباس، والضحاك في آخرين. وقال قوم:

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: أي: وزوجها الذي طلقها أحق بردتها ما دامت في عدتها، إذا كان مزاجها الإصلاخ والخير، وهذا في الرجعيات. فأما المطلقات البوائن فلم يكن خال نزول هذه الآية مطلقة بائن، وإنما كان ذلك لما حضروا في الطلقات الثلاث. فأما حال نزول هذه الآية فكان الرجل أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة، فلما قصروا في الآية التي بعدها على ثلاث تطليقات، صار للناس مطلقة بائن وغير بائن. وإذا تأملت هذا تبين لك ضعف ما سلكه بعض الأصوليين من استبعادهم على مسألة عود الضمير، هل يكون مخصصاً لما تقدمه من لفظ العموم أم لا؟ بهذه الآية الكريمة، فإن التمثيل بها غير مطابق لما ذكره، والله أعلم.

(٢) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه واللفظ له، وحسنه النووي. (٣) رواه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

أولها محكم، والمنسوخ قوله تعالى: ﴿وَيُؤَلِّهِنَّ أَحَقُّ بِرِزْقٍ﴾ قالوا: كان الرجل إذا طلق امرأته كان أحق برجعتها، سواء كان الطلاق ثلاثاً، أو دون ذلك، فنسخ بقوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والقول الثاني: أن الآية كلها محكمة، فأولها عام. والآيات الواردة في العدد، خصت ذلك من العموم، وليس بنسخ. وأما ما قيل في الارتجاع، فقد ذكرنا أن معنى قوله تعالى: ﴿وَيُؤَلِّهِنَّ أَحَقُّ بِرِزْقٍ فِي ذَلِكَ﴾، أي: في العدة قبل انقضاء القروء الثلاثة، وهذا القول هو الصحيح.

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِيسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ إِنَّكُم مَعْدُودَةٌ وَمَنْ يَفْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ سبب نزولها، أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ليس لذلك شيء ينتهي إليه، فقال رجل من الأنصار لامرأته: والله لا أريك إليّ أبداً ولا أدعك تحلين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فإذا دنا أجلك، راجعتك، فذهب إلى النبي ﷺ تشكو إليه ذلك، فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس [جديداً] من كان طلق، ومن لم يكن طلق. رواه هشام بن عروة عن أبيه<sup>(١)</sup>. فأما التفسير، ففي قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه بيان لسنة الطلاق، وأن يوقع في كل قرء طلقة، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه بيان للطلاق الذي يملك معه الرجعة، قاله عروة، وقتادة، وابن قتبية، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ معناه: فالواجب عليكم إمساك بمعروف، وهو ما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة. وقال عطاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد بقوله تعالى: ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾: الرجعة بعد الثانية. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِيسَنِ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الإمساك عن رجعتها حتى تنقضي عدتها، قاله الضحاك، والسدي. قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: وهذا هو الصحيح، لأنه قال عقيب الآية: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ والمراد بهذه الطلقة: الثالثة بلا شك، فيجب إذن أن يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِيسَنِ﴾ على تركها حتى تنقضي عدتها، لأنه إن حمل على الثالثة، وجب أن يحمل قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ على رابعة، وهذا لا يجوز.

### فصل

الطلاق على أربعة أضرب: واجب، ومندوب إليه، ومحظور، ومكروه. فالواجب: طلاق المولي بعد التبرص، إذا لم يفئ، وطلاق الحكيمين في شقاق الزوجين، إذا رأيا الفرقة. والمندوب: إذا لم يتفقا، واشتد الشقاق بينهما، ليتخلصا من الإثم. والمحظور: في الحيض، إذا كانت مدخولاً بها، وفي طهر جامعها فيه قبل أن تطهر. والمكروه: إذا كانت حالهما مستقيمة، وكل واحد منهما قيم بحق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾ نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، أتت زوجته إلى النبي ﷺ فقالت: والله ما أعيب على ثابت في دين ولا خلق، ولكني [أكره الكفر في الإسلام] لا أطيقه بغضاً. فقال لها النبي ﷺ: «أترقبين عليه حديقته؟» قالت: نعم. فأمره النبي ﷺ أن يأخذها، ولا يزداد. رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> واختلفوا في اسم زوجته، فقال ابن عباس: جميلة. ونسبها يحيى بن أبي كثير، فقال: جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، وكنها مقاتل، فقال: أم حبيبة بنت عبد الله بن أبي. وقال آخرون: إنما هي جميلة أخت عبد الله بن أبي. وروى يحيى بن سعيد عن عمرة روايتين: إحداهما: أنها حبيبة بنت سهل. والثانية: سهلة بنت حبيب<sup>(٣)</sup>. وهذا الخلع

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» والترمذي، وغيرهما مرسلأ، لأن عروة بن الزبير تابعي. وقد جاء الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنحوه متصلاً مرفوعاً، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي.

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن عباس، ورواه البخاري في «صحيحه» والنسائي بمعناه.

(٣) الذي في كتب التفسير حبيبة بنت سهل، ولم يذكر أحد منهم سهلة بنت حبيب، ولا وجدنا لها ترجمة في الصحاحيات. وقد اختلف العلماء فيمن اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس، أمي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، أم حبيبة بنت سهل؟ والذي رجحه الحافظ ابن حجر وارتضاه =



عديتها، ثم يطلقها [يفعل ذلك]، يضارها [ويعضلها]<sup>(١)</sup> بذلك، فنزلت هذه الآية. والأجل هاهنا: زمان العدة. ومعنى البلوغ هاهنا: مقاربة الأجل دون حقيقة الانتهاء إليه، يقال: بلغت المدينة: إذا قاربتها، وبلغتها: إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ على المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَنكِرُوا بِمَرْفُوفٍ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة: المراد به الرجعة قبل انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿مَرْفُوفٌ بِمَرْفُوفٍ﴾ وهو تركها حتى تنقضي عدتها. والمعروف في الإمساك: القيام بما يجب لها من حق. والمعروف في التيسير: أن لا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وهو معنى قوله: ﴿وَلَا تُكُونَنَّ زِينَةً لِّمَعْتَدٍ﴾ قاله الحسن ومجاهد، وقتادة في آخرين. وقال الضحاك: إنما كانوا يضارون المرأة لتفتدي. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الاعتداء، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ النَّفْسَ﴾ بارتكاب الإثم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا آيَاتَ اللَّهِ هُزْأً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل يطلق أو يراجع، أو يعتق، ويقول: كنت لاعباً. روي عن عمر، وأبي الدرداء، والحسن. والثاني: أنه المضار بزوجه في تطويل عدتها بالمراجعة والطلاق. قاله مسروق، ومقاتل. ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَرْزَلْ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُظْهِرُ بِهِ﴾ قال ابن عباس: احفظوا منته عليكم بالإسلام. قال: والكتاب: القرآن. والحكمة: الفقه. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الضرار ﴿وَأَعْلَبُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ به وبغيره ﴿عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ أَنْ يَكُونَنَّ أَرْوَاحُهُنَّ إِذَا رُحِمْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَرْفُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ زَكَاةٌ أَنْزَلْنَاهُ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى الحسن أن معقل بن يسار زوج أخته من رجل من المسلمين، فكانت عنده ما كانت، فطلقها تطليقة [ثم تركها] ومضت العدة، فكانت أحق بنفسها، فخطبها مع الخطاب، فرضيت أن ترجع إليه، فخطبها إلى معقل، فغضب معقل، وقال: أكرمتك بها، فطلقتها؟! لا والله لا ترجع إليك آخر ما عليك. قال الحسن: فعلم الله ﷻ حاجة الرجل إلى امرأته، وحاجة المرأة إلى بعلها، فنزلت هذه الآية، فسمعها معقل، فقال: سمعاً لربي وطاعة، فدعا زوجها، فقال: أزوجك، وأكرمك<sup>(٢)</sup>. ذكر عبد الغني الحافظ عن الكلبي أنه سمى هذه المرأة، فقال: جميلة بنت يسار. والثاني: أن جابر بن عبد الله الأنصاري كانت له ابنة عم، فطلقها زوجها تطليقة، فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، وقال: طلقت ابنة عمنا، ثم تريد أن تتكحها الثانية؟! وكانت المرأة تريد زوجها، قد راضته، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. فأما بلوغ الأجل في هذه الآية، فهو انقضاء العدة، بخلاف التي قبلها. قال الشافعي رحمه الله: دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُولُوا﴾ خطاب للأولياء. قال ابن عباس، وابن جبير، وابن قتيبة في آخرين: معناه: لا تحسوهن. والعرب تقول للشدائد: معضلات. وداء عضال: قد أعيا. قال أوس بن حجر:

وليس أخوك الدائم العهد بالذي      يذمك إن ولّى ويرضيك مقبلاً  
ولكنه النسائي إذا كنت آمناً      وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلاً

وقالت ليلي الأخيلية:

(١) عضل المرأة، يعضلها: لم يحسن عشرتها ليضطرها بذلك إلى الانتداء منه بمهرها الذي أمهرها.  
(٢) أخرجه بمعناه البخاري وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال الترمذي بعد روايته للحديث: وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي، لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيباً، فلو كان الأمر إليها، لزوجت نفسها ولم تتحج إلى وليها معقل بن يسار، وإنما خاطب الله في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَقُولُوا﴾ أي لا تقولوا: ﴿يَكُونَنَّ أَرْوَاحُهُنَّ﴾ فني هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزوج مع رضاهن.  
(٣) قال السيوطي في «باب القول في أسباب النزول»: والأول أصح، وهو أقوى.





وأكثر القراءة على فتح راء «الرضاعة»، وقرأ طلحة بنُ مصرف، وابن أبي عبله، وأبو رجاء، بكسرهما، قال الزجاج: يقال: الرضاعة بفتح الراء وكسرهما، والفتح أكثر، ويقال: ما حملة على ذلك إلا اللؤم، والرضاعة بالفتح هاهنا لا غير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ يعني: الأب ﴿يَرْزُقُهُ وَيَرْزُقُهَا﴾ يعني: المرضعات. وفي قوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ دلالة على أن الواجب على قدر حال الرجل في إعساره ويساره، إذ ليس من المعروف إلزام المعسر ما لا يطيقه، ولا الموسر النزر الطفيف، وفي الآية دليل على تسوية اجتهاد الرأي في أحكام الحوادث، إذ لا يتوصل إلى تقدير النفقة بالمعروف إلا من جهة غالب الظن، إذ هو معتبر بالمادة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُلْ نَفْسٌ إِلَّا بِرِزْقِهَا﴾ أي: إلا ما تطيقه ﴿لَا تُكَاذِبْ وَلَدَهُ﴾ يولد لها، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان عن عاصم (لا تضار) برفع الراء، وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي بنصبها، قال أبو علي: من رفع، فلاجل المرفوع قبله، وهو ﴿لَا تَكُلْ﴾، فأتبعه بما قبله ليقع تشابه اللفظ، ومن نصب جعله أمراً، وفتح الراء لتكون حركته موافقة لما قبلها وهو الألف، قال ابن قتيبة: معناه: لا تضار، فأدغمت الراء في الراء. وقال سعيد بن جبير: لا يحملن المطلقة مضارة الزوج أن تلقي إليه ولده. وقال مجاهد: لا تأبى أن ترضعه ضراراً بأبيه، ولا يضارَ الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه، ليحزنها بذلك. وقال عطاء، وقتادة، والزهري، وسفيان، والسدي في آخرين: إذا رضيت بما يرضى به غيرها، فهي أحق به. وقرأ أبو جعفر «لا تضار» بتخفيفها وإسكانها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه وارث المولود، وهو قول عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلى، وقتادة، والسدي، والحسن بن صالح، ومقاتل في آخرين. واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عصبته، كائناً من كان، وهذا مروى عن عمر، وعطاء، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم وسفيان. وقال بعضهم: هو وارث المولود على الإطلاق من الرجال والنساء، روي عن ابن أبي ليلى، وقتادة، والحسن بن صالح، وإسحاق، وأحمد بن حنبل. وقال آخرون: هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود، روي عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد. والقول الثاني: أن المراد بالوارث هاهنا، وأرث الوالد، روي عن الحسن والسدي. والثالث: أن المراد بالوارث الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر، روي عن سفيان. والرابع: أنه أريد بالوارث الصبي نفسه، والنفقة عليه، فإن لم يملك شيئاً، فعلى عصبته، قاله الضحاك، وقبيصة بن ذؤيب، قال شيخنا علي بن عبيد الله: وهذا القول لا ينافي قول من قال: المراد بالوارث وارث الصبي، لأن النفقة تجب للموروث على الوارث إذا ثبت إعسار المنفق عليه. وفي قوله تعالى: ﴿يُثَلِّثُ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الإشارة إلى أجره الرضاع والنفقة، روي عن عمر، وزيد بن ثابت، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، وقبيصة بن ذؤيب، والسدي. واختاره ابن قتيبة، والثاني: أن الإشارة بذلك إلى النهي عن الضرار، روي عن ابن عباس، والشعبي، والزهري، واختاره الزجاج. والثالث: أنه إشارة إلى جميع ذلك، روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، ومقاتل، وأبي سليمان الدمشقي، واختاره القاضي أبو يعلى، ويشهد لهذا أنه معطوف على ما قبله، وقد ثبت أن على المولود له النفقة والكسوة، وأن لا يضار، فيجب أن يكون قوله: ﴿يُثَلِّثُ ذَلِكَ﴾ مشيراً إلى جميع ما على المولود له.

قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ أُنثَىٰ تَرَاضًا﴾ الفصال: البظام. قال ابن قتيبة: يقال: فصلت الصبي أمه: إذا فطمته. ومنه قيل للحوار إذا قطع عن الرضاع: فصل، لأنه فصل عن أمه، وأصل الفصل: التفريق. قال مجاهد: التشاور فيما دون الحولين إن أرادت أن تظلم وأبى، فليس لها، وإن أراد هو، ولم ترد، فليس له ذلك حتى يقع ذلك عن تراض منهما وتشاور، يقول: غير مسئين إلى أنفسهما وإلى صبيهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَرَدُ أَنْ يَضَرُّوا أَوْلَادَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: لأولادكم. قال مقاتل: إذا لم ترض الأم بما يرضى به غيرها، فلا حرج على الأب أن يسترضع لولده.

(١) قال في «اللسان»: الرضاعة بالفتح والكسر: الاسم من الإرضاع، فأما من الرضاعة اللؤم، فالفتح لا غير.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا سَأَلْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ قولان. أحدهما: إذا سألتم أيها الآباء إلى أمهات الأولاد أجور ما أرضعن قبل امتناعهن، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: إذا سألتم إلى الظئر أجرها بالمعروف، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. وقرأ ابن كثير: (ما آتيتكم) بالقصر، قال أبو علي: وجهه أن يقدر فيه: ما آتيتكم نقده أو سوقه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه [فكان التقدير: ما آتيتموه] ثم حذف الضمير من [الصلة] كما تقول: آتيت جميلاً، أي: فعلته. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ أي: يقبضون بالموت. وقرأ المفضل عن عاصم «يتوفون» بفتح الياء في الموضعين. قال ابن قتيبة: هو من استيفاء العدد، واستيفاء الشيء: أن تستقصيه كله، يقال: توفيته واستوفيته، كما يقال: تيقنت الخير واستيقنته، هذا الأصل، ثم قيل للموت: وفاة وتوفٌ و﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ ينتظرن، وقال الفراء: وإنما قال: ﴿وَعَشْرًا﴾ ولم يقل: عشرة، لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام، غلبوا عليه الليالي، حتى إنهم ليقولون: صمنا عشراً من شهر رمضان، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام، فإذا أظهروا مع العدد تفسيره، كانت الإناث بغير هاء، والذكور بالهاء<sup>(١)</sup> كقوله تعالى: ﴿سَحَرْنَا عَلَيْهِمْ لَبَالًا وَكَذَّبْنَاهُ أَيَّامًا حُسُونًا﴾ [الحاقة: ٧] فإن قيل: ما وجه الحكمة في زيادة هذه العشرة؟ فالجواب: أنه يبين صحة الحمل بنفخ الروح فيه، قاله سعيد بن المسيب، وأبو العالية، ويشهد له الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إن خلق أحدكم يجتمع في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة]، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح»<sup>(٢)</sup>.

### فصل

وهذه الآية ناسخة للتي تشابهها، وهي تأتي بعد آيات، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. لأن تلك كانت تقتضي وجوب العدة سنة، وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إن شاء الله. فأما التي نحن في تفسيرها، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: نسختها ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. والصحيح: أنها عامة دخلها التخصيص، لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة على المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت حاملاً، أو غير حامل، غير أن قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ خص أولات الحمل، وهي خاصة أيضاً في الحرائر، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾ يعني: انقضاء العدة. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّسْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا وَأَعَدُّهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَمْرُسُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ رَاعِلُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فلا جناح على الرجال في تزويجهم بعد ذلك،

(١) قال أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط»: الذي نقل أصحابنا أنه إذا كان المعدود مذكراً وحذفته، فلك فيه وجهان. أحدهما وهو الأصل: أن يبقى المعدد على ما كان عليه ولو لم يحذف المعدود، فتقول: صمت خمسة، وتريد خمسة أيام. قالوا: وهو الصحيح. قالوا: ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث. وحكى الكسائي عن أبي الجراح: صمنا من الشهر خمساً. ومعلوم أن الذي يصام من الشهر إنما هي الأيام واليوم مذكر. وكذلك قوله: **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا** يَتَرَبَّصْنَ أَنْفُسَهُنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾

(٢) رواء البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه أبو عروانة في «مسنده» وزاد «نطفة» بين قوله: «إن أحدكم» وبين قوله: «أربعين».

والثاني: فلا جناح على الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزين وتزوجن. قال أبو سليمان الدمشقي: وهو خطاب لأوليائهن.

قوله تعالى: ﴿يَسْمَا فَمَلَكًا فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرِفَةِ﴾ فيه قولان. أحدهما: أنه التزين والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه للنكاح، قاله الزهري، والسدي. و«الخبير» من أسماء الله تعالى، ومعناه: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته. و«الخبير» في صفة المخلوقين، إنما يستعمل في نوع من العلم، وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد دون النوع المعلوم ببداهة العقول. وعلم الله تعالى سواء، فيما غمض ولطف، وفيما تجلى وظهر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَزَمْتُ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ هذا خطاب لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيحاء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلى ما ليس له في الكلام ذكر. والخطبة بكسر الخاء: طلب النكاح، والخطبة بضم الخاء: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. قال ابن عباس: التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنك لجميلة، وإنك لحسنة، وإنك لآلى خير.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْتَنَزْتُ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ قال الفراء: كنتت الشيء، وأكنتته<sup>(١)</sup> وقال ثعلب: أكنتت الشيء: إذا أخفيته في نفسك، وكنتته: إذا سترته بشيء. وقال ابن قتيبة: أكنتت الشيء: إذا سترته، ومنه هذه الآية، وكنته: إذا صتمه. ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَ يَبْسُ تَكُونُ﴾ [الصافات: ٤٩] قال بعضهم: يجعل كنته، وأكنتته، بمعنى: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَرْتُمُنَّ﴾ قال مجاهد: ذكره إياها في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَزِيدُونَهُ سِرًّا﴾ فيه أربعة أقوال. أحدها: أن المراد بالسّر هاهنا. النكاح، قاله ابن عباس. وأنشد بيت امرئ القيس:

ألا زعمت بسبابة اليوم أنبي  
كبرت وأن لا يشهد السر أمثالي  
وفي رواية: يشهد الله<sup>(٢)</sup>. قال الفراء: ونرى أنه مما كنى الله عنه، كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْكَاذِبِ﴾ [النساء: ٤٣]. وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن السر: الإفضاء بالنكاح [المحرم] وأنشد:

ويحرم سِرَّ جارتهم عليهم  
ويأكل جوارهم أنف القصاع<sup>(٣)</sup>  
قال ابن قتيبة: استعير السر للنكاح، لأن النكاح يكون سرّاً، فالمعنى: لا تواعدوهن بالتزويج، [وهن في العدة] تصريحاً ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ لا تذكرن فيه رفقاً ولا نكاحاً. والثاني: أن المواعدة سرّاً؛ أن يقول لها: إني لك محب، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن المراد بالسر الزنى<sup>(٤)</sup>. قاله الحسن، وجابر بن زيد، وأبو مجلز، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك. والرابع: أن المعنى: لا تتكهنوهن في عديتهن سرّاً، فإذا حلّت أظهرتم ذلك، قاله ابن زيد. وفي القول المعروف قولان. أحدهما: أنه التعريض لها، وهو قول ابن عباس،

(١) ونص كلامه في «معاني القرآن»: للعرب في «وأكنتت الشيء»: إذا سترته، لفنته، كنته، وأكنتته. وأنشدوني:  
ثلاث من ثلاث قداميات  
من اللاتي تَحْكُمُ من الصقيع  
وبعضهم يرويه: تَكُنْ، من أكنتت. وأما قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ [الطور: ٢٤] و﴿يَبْسُ تَكُونُ﴾ [الصافات: ٤٩] فكانه مذهب للشيء يبان؛ وإحداهما قرية من الأخرى.

(٢) رواية البيت في الديوان هكذا:  
ألا زعمت بسبابة اليوم أنبي  
وعلى هذه الرواية فلا شاهد في البيت

(٣) البيت للحطيفة، وهو من قصيدة يمدح فيها بني رباح وبني كلب من بني يربوع، وأنف كل شيء: طرفه وأوله. والقصاع: جمع قصعة، وهي الجفنة الضخمة، يذكر عفتهم وحفاظهم وامتناعهم من انتهاك حرمة الجارة، واقتراب الإثم في حقها، ويصف كرمهم وإثارهم. جارهم بالطعام على أنفسهم، فلا يقدمون إلى الطعام حتى يأخذ منه ما يشتهي وما يكتفي.

(٤) قال الأعشي:  
ولا تنفق من سِرِّ جنته إن سهرها  
وقد فسروا السر في هذا البيت بالزنى، وهو ظاهر، وقد رجح هذا القول الطبري في «تفسيره».



وسعيد بن جبير، وعطاء، والقاسم بن محمد، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه إعلام وليها برغبته فيها، وهو قول عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْمُوا عَقْدَةَ الزَّكَاجِ﴾ قال الزجاج: معناه: لا تعزموا على عقدة النكاح، وحذفت «على» استخفافاً، كما قالوا: ضرب زيد الظهر والبطن، معناه: على الظهر والبطن ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي: حتى يبلغ فرض الكتاب أجله. قال: ويجوز أن يكون «الكتاب» بمعنى «الفرض» كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فيكون المعنى: حتى يبلغ الفرض أجله. قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي: بلوغ الكتاب أجله: انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ قال ابن عباس: من الوفاء، فاحذروه أن تخالفوه في أمره. والحليم قد سبق بيانه.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِشُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّوْنَهُنَّ عَلَى التَّوْبِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُفْرِقِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالتَّوْبِيعِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو «تمسوهن» بغير ألف حيث كان، وفتح التاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تماسوهن» بألف وضم التاء في الموضعين هنا وفي الأحزاب ثالث. قال أبو علي: وقد يراد بكل واحد من «فاعل» و«فعل» ما يراد بالآخر، تقول: طارت النعل، وعاقبت اللص. قال مقاتل بن سليمان: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة، ولم يسم لها مهراً، فطلقها قبل أن يمسه، فقال النبي ﷺ: «هل تمتعها بشيء؟» قال: لا. قال: «فمتعها ولو بقلنسوتك» ومعنى الآية: ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة. وقد تكون «أو» بمعنى الواو. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ يَتِيمَ إِثْمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الدر: ٢٤].

والمس: النكاح، والفريضة: الصداق، وقد دلت الآية على جواز عقد النكاح بغير تسمية مهر. ﴿وَمَتَّوْنَهُنَّ﴾ أي: أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم على قدر أحوالكم في الغنى والفقر. والمتاع: اسم لما يتنفع به، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿عَلَى التَّوْبِيعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُفْرِقِ قَدَرُهُ﴾. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «قدرة» بإسكان الدال في الحرفين، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي بتحريك الحرفين، وعن عاصم: كالقراءتين، وهما لغتان.

### فصل

وهل هذه المتعة واجبة، أم مستحبة؟ فيه قولان: أحدهما: واجبة، واختلف أرباب هذا القول، لأي المطلقات تجب، على ثلاثة أقوال. أحدها: أنها واجبة لكل مطلقة، روي عن علي، والحسن، وأبي العالية، والزهري. والثاني: أنها تجب لكل مطلقة إلا المطلقة التي فرض لها صداقاً، ولم يمسه، فإنه يجب لها نصف ما فرض، روي عن ابن عمر، والقاسم بن محمد، وشريح، وإبراهيم. والثالث: أنها تجب للمطلقة قبل الدخول إذا لم يسم لها مهراً، فإن دخل بها، فلا متعة، ولها مهر المثل، روي عن الأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، والثاني: أن المتعة مستحبة، ولا تجب على أحد، سواء سمى للمرأة، أو لم يسم، دخل بها، أو لم يدخل، وهو قول مالك، والثالث بن سعد، والحكم، وابن أبي ليلى. واختلف العلماء في مقدار المتعة، فنقل عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب: أعلاها خادم، وأدناها كسوة يجوز لها أن تصلي فيها، وروي عن حماد وأبي حنيفة: أنه قدر نصف صداق مثلها. وعن الشافعي وأحمد: أنه قدر يساره وإعساره، فيكون مقدراً باجتهاد الحاكم. ونقل عن أحمد: المتعة بقدر ما تجزئ فيه الصلاة من الكسوة، وهو درع وخمار.

(١) روى ابن أبي حاتم قال: قال محمد بن سيرين: قلت لعبيدة: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا تَشْكُرُونَ﴾؟ قال: يقول لوليها: لا تسبقني بها، يعني: لا تزوجها حتى تعلمني.

قوله تعالى: ﴿مَتَّعْنَا بِالْأَمْوَالِ﴾ أي: بقدر الإمكان، والحق: الواجب. وذكر المحسنين والمنفقين ضرب من التأيد.

﴿وَلَنْ تَلْفُتُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُمْ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ فَرِيضَةً مِمَّا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا أَوْ يَفْعَلُوا الَّذِي يَكُونُ عَقْدَهُ النِّكَاحُ وَأَنْ تَقُولُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَلْفُتُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْسُوهُمْ﴾ أي: قبل الجماع ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُمْ﴾ أي: أوجبتم لهم شيئاً التزمتم به، وهو المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ يعني: النساء، وخفو المرأة: ترك حقها من الصداق. وفي الذي بيده عقدة النكاح ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الزوج، وهو قول علي، وابن عباس، وجبير بن مطعم، وابن المسيب، وابن جبير، ومجاهد، وشريح، وجابر بن زيد، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وابن شبرمة، والشافعي، وأحمد رحمهم الله في آخرين. والثاني: أنه الولي، روي عن ابن عباس، والحسن، وعلقمة، وطاوس، والشعبي، وإبراهيم في آخرين. والثالث: أنه أبو البكر. روي عن ابن عباس، والزهري، والسدي في آخرين. فعلى القول الأول عفو الزوج: أن يكمل لها الصداق، وعلى الثاني: عفو الولي: ترك حقها إذا أبت، روي عن ابن عباس، وأبي الشعثاء. وعلى الثالث يكون قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾ يختص بالشابات. وقوله: ﴿أَوْ يَقُولُوا﴾ يختص أبا البكر، قاله الزهري، والأول أصح، لأن عقدة النكاح خرجت من يد الولي، فصارت بيد الزوج، والعفو إنما يطلق على ملك الإنسان، وعفو الولي عفو عما لا يملك، ولأنه قال: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ والفضل في هبة الإنسان مال نفسه، لا مال غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعاً، روي عن ابن عباس، ومقاتل: والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي، وكان يقرأ: ﴿وَأَنْ يَعْفو﴾ بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ خطاب للزوجين. قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصداق، وترك المرأة شرطها.

﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَرَكَاتِ وَالْفَرَكَاتِ الْوُضْئِ وَتَوَمُّوا لِلَّهِ كُنُوتَ﴾

قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَرَكَاتِ﴾ المحافظة: المواظبة والمداومة، والصلوات بالالف واللام ينصرف إلى المعهود، والمراد: الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَرَكَاتِ الْوُضْئِ﴾ قال الزجاج: هذه الواو إذا جاءت مخصصة، فهي دالة على فضل الذي تخصصه، كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] قال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله ﷺ، في الصلاة الوسطى هكذا، وشبك بين أصابعه<sup>(١)</sup>. ثم فيها خمسة أقوال. أحدها: أنها العصر، روى مسلم في «أفراده» من حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً»<sup>(٢)</sup>. وروى ابن مسعود، وسمرة، وعائشة عن النبي ﷺ، أنها صلاة العصر<sup>(٣)</sup>، روى مسلم في «أفراده» من حديث البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَرَكَاتِ﴾ [وَالْفَرَكَاتِ الْوُضْئِ]<sup>(٤)</sup> وصلاة العصر فقرانها ما شاء الله، ثم نسخها الله، فنزلت: ﴿حَافِظُوا عَلَى الْفَرَكَاتِ وَالْفَرَكَاتِ الْوُضْئِ﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وأبي، وأبي أيوب، وابن عمر في رواية، وسمرة بن جندب، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية عطية، وأبي سعيد

(١) يريد أنهم كانوا يختلفون في تعيين الصلاة الوسطى.

(٢) وتماه عند مسلم «ثم صلاها بين المشائين، بين المغرب والعشاء» ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «السانيد» و«السنن» و«المصاح».

(٣) حديث ابن مسعود هو في «صحيح مسلم» ٤٣٧/١، وحديث عائشة أيضاً في «صحيح مسلم» ٤٣٨/١. وأما حديث سمرة، فقد رواه الإمام أحمد في «مستدرك»، والترمذي في «جامعه»، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) هذه الزيادة التي أوردها المؤلف هنا لم ترد في رواية البراء، وإنما وردت من طريق عائشة رضي الله عنها. انظر: «صحيح مسلم» ٤٣٨/١.

الخديري، وعائشة في رواية، وحفصة، والحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء في رواية، وطاووس، والضحاك، والنخعي، وعبيد بن عمير، وزر بن حبيش، وقتادة، وأبي حنيفة، ومقاتل في آخرين، وهو مذهب أصحابنا<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها الفجر، روي عن عمر، وعلي في رواية، وأبي موسى، ومعاذ، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامة، وابن عمر في رواية مجاهد، وزيد بن أسلم، وابن عباس في رواية أبي رجاء العطاردي، وعكرمة، وجابر بن زيد، وأنس بن مالك، وعطاء، وعكرمة، وطاووس في رواية ابنه، وعبد الله بن شداد، ومجاهد، ومالك، والشافعي. وروى أبو العالية قال: صليت مع أصحاب رسول الله ﷺ الغداة فقلت لهم: أيما الصلاة الوسطى؟ فقالوا: التي صليت قبل. والثالث: أنها الظهر، روي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد الخديري، وعائشة في رواية، وروى ضميرة عن علي رضي الله عنه قال: هي صلاة الجمعة، وهي سائر الأيام الظهر. والرابع: أنها المغرب، روي عن ابن عباس، وقبيصة بن ذؤيب. والخامس: أنها العشاء الأخيرة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في «تفسيره». وفي المراد بالوسطى ثلاثة أقوال. أحدها: أنها أوسط الصلوات محلاً. والثاني: أوسطها مقداراً. والثالث: أفضلها. وأوسط الشيء: خيره وأعدله، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٢]، فإن قلنا: إن الوسطى بمعنى: الفضلى، جاز أن يدعي هذا كل ذي مذهب فيها. وإن قلنا: إنها أوسطها مقداراً، فهي المغرب، لأن أقل المفروضات ركعتان، وأكثرها أربعاً. وإن قلنا: إنها أوسطها محلاً، فللقائلين: إنها العصر أن يقولوا: قبلها صلاتان في النهار، وبعدها صلاتان في الليل، فهي الوسطى. ومن قال: هي الفجر، فقال عكرمة: هي وسط بين الليل والنهار، وكذلك قال ابن الأنباري: هي وسط بين الليل والنهار، وقال: وسمعت أبا العباس، يعني ثعلباً يقول: النهار عند العرب أوله: طلوع الشمس. قال ابن الأنباري: فعلى هذا صلاة الصبح من صلاة الليل، قال: وقال آخرون: بل هي من صلاة النهار، لأن أول وقتها أول وقت الصوم. قال: والصواب عندنا أن نقول: الليل المحض خاتمة طلوع الفجر، والنهار المحض، أوله: طلوع الشمس، والذي بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس يجوز أن يسمى نهاراً، ويجوز أن يسمى ليلاً، لما يوجد فيه من الظلمة والضوء، فهذا قول يصح به المذهبان، قال ابن الأنباري: ومن قال: هي الظهر، قال: هي وسط النهار. فأما من قال: هي المغرب، فاحتج بأن أول صلاة فرضت، الظهر، فصارت المغرب وسطى، ومن قال: هي العشاء، فإنه قال: هي بين صلاتين لا تقصران.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأما القنوت، فقد شرحناه فيما تقدم. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال. أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والشعبي، وطاووس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وعن عطاء كالقولين. والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة. قال زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت الآية ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت [ونهيها عن الكلام]<sup>(٢)</sup>.

﴿إِن خِفْتُمْ رِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَلَمَّا بَسَمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِن خِفْتُمْ رِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي: خفتم عدواً، فصلوا رجالاً، وهو جمع راجل، والركبان جمع راكب، وهذا يدل على تأكيد أمر الصلاة، لأنه أمر بفعلها على كل حال. وقيل: إن هذه الآية أنزلت بعد التي في سورة النساء، لأن الله تعالى وصف لهم صلاة الخوف في قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢] ثم نزلت هذه الآية ﴿إِن خِفْتُمْ﴾ أي: خوفاً أشد من ذلك، فصلوا عند المسابقة كيف قدرتم. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين ما روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه صلى يوم الخندق الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بعد ما غاب الشفق<sup>(٣)</sup>؟

(١) وهو الصحيح الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة الراجحة، وإليه ذهب الطبري والمصاطي وابن كثير، وأكثر أهل الأثر.

(٢) - رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيره.

(٣) رواه الترمذي وأبو يعلى والبيهقي عن ابن سعد، ورواه النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخديري، ورواه البزار، في «مسند» عن جابر بن عبد الله، ولم نجده من طريق ابن عباس كما ذكر المؤلف.



فالجواب: أن أبا سعيد روى أن ذلك كان قبل نزول قوله تعالى: ﴿إِن خِفْتُمْ رِيَّالاً أَوْ زَبْحَاناً﴾ قال أبو بكر الأثرم: فقد بين الله أن ذلك الفعل الذي كان يوم الخندق منسوخ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا آتَيْتُمُ فَادِّعُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الصلاة، فتقديره: فصلوا كما كنتم تصلون آمين. والثاني: أنه التناء على الله، والحمد له.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾ روى ابن حبان أن هذه الآية نزلت في رجل من أهل الطائف يقال له: حكيم بن الحارث، هاجر إلى المدينة ومعه أبواه وامراته، وله أولاد، فمات فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطى النبي ﷺ أبويه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنه أمرهم أن يتفقوا عليها من تركه زوجها حولاً.

قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، وابن عامر «وصية» بالنصب، وقرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي «وصية» بالرفع. وعن عاصم كالتفريقين. قال أبو علي: من نصب حَمَلَهُ على الفعل، أي: ليوصوا وصية، ومن رفع، فمن وجهين. أحدهما: أن يجعل الوصية مبتدأ، والخبر لأزواجهم. والثاني: أن يضم له خبراً، تقديره: فعليهم وصية. والمراد منه من قارب الوفاة، فليوص، لأن المتوفى لا يؤمر ولا ينهى.

قوله تعالى: ﴿مَّتَعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾ أي: مشغوعين إلى الحول ولا تخرجوهن. والمراد بذلك نفقة السنة وكسوتهما وسكنهاها ﴿إِنْ خَرَجْنَ﴾ أي: من قبل أنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أولياء الميت. ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ يعني التشوف إلى النكاح، وفي ماذا رفع الجناح عن الرجال؟ فيه قولان: أحدهما: أنه في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول. والثاني: في ترك منعهن من الخروج، لأنه لم يكن مقامها الحول واجباً عليها، بل كانت مخيرة في ذلك.

### فصل

ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كانوا إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته حولاً، ينفق عليها من ميراثه، فإذا تم الحول، خرجت إلى باب بيتها، ومعها بعة، فرمت بها كلباً، وخرجت بذلك من عديتها، وكان معنى رميها بالبعة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعة. ثم جاء الإسلام، فأقرهم علي ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن على هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَرِيضَنَّ أَنْفُسَهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَرْبَعَةً أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾<sup>(٢)</sup>. ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه.

(١) وقد ذهب البعض إلى عدم النسخ، وجعل صلاة الخوف قسمين، أحدهما: أن تكون في حال القتال - وهو المراد بهذه الآية - والثاني: في غير حال القتال، وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ يَبِينُ فَأَنْتَ لَهُمُ الْعَكْرَةُ تَلَظَّى مَا يَصِفُونَ﴾ [النساء: ١٠٢]. وقد روى مالك في «الموطأ» عن نافع أن ابن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف، وصفها، ثم قال: فإن كان خوف أشد من ذلك، صلوا رجالاً على أقدامهم أو ركبائاً، متطلي القبلات أو غير مستقبلها.

(٢) وإليه ذهب الجمهور من أهل العلم سلفاً وخلفاً. وروى البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾ قد نسخها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئاً منه من مكانه. قال الحافظ ابن كثير: ومعنى هذا الإشكال الذي قال ابن الزبير لكمان: إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر، فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها، وبقاء رسمها بعد أن نسخها يومهم بقاء حكمها؟ فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي، وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدها، حيث وجدتها. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ج ٨/ ١٤٤: وهذا الموضع مما وقع فيه التنازع مقدماً في ترتيب التلاوة على المنسوخ، ثم أشار إلى آيات أخر في مثل هذا. ومن السلف من ذهب إلى أنها ليست منسوخة، وإنما نخص من الحول بعضه، وبقي البعض وصية لها، إن شاءت أقامت، فقد روى البخاري عن مجاهد ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال: جعل الله لها تمام السنة بسبعة أشهر وعشرين ليلة وصية، إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، وهو قول الله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فالعدة كما هي واجب عليها.



﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَّعٌ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا عَلَى الْمُؤْتَمِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَّعٌ بِالْمَرْوَةِ﴾ قد سبق الكلام في المتعة بما فيه كفاية.

﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: كما بيّن الذي تقدم من الأحكام ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: يثبت لكم وصف العقلاء باستعمال ما بين لكم، وثمرة العقل استعمال الأشياء المستقيمة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧] وإنما سموا جهالاً، لأنهم أثروا أهواءهم على ما علموا أنه الحق.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ معناه: ألم تعلم. قال ابن قتيبة: وهذا على جهة التعجب، كما تقول: ألا ترى إلى ما يصنع فلان؟

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وهم مؤتلفون، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من العدد، وعليه العلماء. واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال. أحدها: أنهم كانوا أربعة آلاف. والثاني: أربعين ألفاً، والقولان عن ابن عباس. والثالث: تسعين ألفاً، قاله عطاء بن أبي رباح، والرابع: سبعة آلاف، قاله أبو صالح. والخامس: ثلاثين ألفاً، قاله أبو مالك، والسادس: بضعة وثلاثين ألفاً، قاله السدي، والسابع: ثمانية آلاف، قاله مقاتل. وفي معنى: حذرهم من الموت، قولان: أحدهما: أنهم فروا من الطاعون، وكان قد نزل بهم، قاله الحسن، والسدي. والثاني: أنهم أمروا بالجهاد، ففروا منه، قاله عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس كالقولين.

### الإشارة إلى قصتهم

روى حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف قال: كانت أمة من بني إسرائيل إذا وقع فيهم الوجد، خرج لغنياؤهم، وأقام فقراؤهم، فمات الذين أقاموا، ونجا الذين خرجوا، فقال الأشراف: لو أقمنا كما أقام هؤلاء لهلكنا، وقال الفقراء: لو ظعننا كما ظعن هؤلاء سلمنا، فأجمع رأيهم في بعض السنين على أن يظعنوا جميعاً، فظعنوا فماتوا، وصاروا عظاماً تبرق، فكسهم أهل البيوت والطرق عن بيوتهم وطرقهم، فمر بهم نبي من الأنبياء، فقال: يا رب لو شئت أحيتهم، فعبدوك، وولدوا أولاداً يعبدونك، ويعمرون بلادك. [قال: أو أحب إليك أن أفعل؟ قال: نعم]. فقبل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلى التي هي منها، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تكسى لحماً وعصباً، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فنظر فإذا هم قعود يسبحون الله ويقدسونه، وأنزل الله فيهم هذه الآية. وهذا الحديث يدل على بعد المدة التي مكثوا فيها أمواتاً. وفي بعض الأحاديث: أنهم بقوا أمواتاً سبعة أيام، وقيل: ثمانية أيام. وفي النبي الذي دعا لهم قولان: أحدهما: أنه حزقيل، والثاني: أنه شمعون. فإن قيل: كيف أميت هؤلاء مرتين وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦] فالجواب أن موتهم بالعقوبة لم ينف أعمارهم، فكان كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَوْتِهِمَا﴾ [الزمر: ٤٢] وقيل: كان إحيائهم آية من آيات نبيهم، وآيات الأنبياء نادر لا يقاس عليها، فيكون تقدير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ التي ليست من آيات الأنبياء، ولا لأمر نادر. وفي هذه القصة احتجاج على اليهود إذ أخبرهم النبي ﷺ بأمر لم يشاهدوه، وهم يعلمون صحته، واحتجاج على المنكرين للعبث، فدلهم عليه بإحياء الموتى في الدنيا، ذكر ذلك جميعه ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ نبي ﷺ يذكر فضله على هؤلاء على فضله على سائر خلقه مع قلة شكرهم.

﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في المخاطبين بهذا قولان. أحدهما: أنهم الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، قاله الضحاك. والثاني: خطاب لأمة محمد ﷺ. فمعناه: لا تهربوا من الموت، كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تنطوي عليه ضمائرهم.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضَاعًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُجْمَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال الزجاج: أصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه، وأصله في اللغة القطع، ومنه أخذ المقرض. فمعنى أقرضته: قطعت له قطعة يجازيني عليها. فإن قيل: ما وجه تسمية الصدقة قرضاً؟ فالجواب من ثلاثة أوجه. أحدها: لأن هذا القرض يبدل بالجزاء، والثاني: لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة، والثالث: لتأكيد استحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به. فأما اليهود فإنهم جهلوا هذا، فقالوا: أيستقرض الله منا؟ وأما المسلمون فوثقوا بوعده الله، وبأدروا إلى معاملته. قال ابن مسعود: لما نزلت هذه الآية، قال أبو الدحداح: وإن الله ليريد منا القرض؟ فقال النبي ﷺ: نعم. قال: أرني يدك. قال: إني أقرضت ربي حاططي، قال: وحاطته فيه ستمائة نخلة، ثم جاء إلى الحائط، فقال: يا أم الدحداح أخرجني من الحائط. فقد أقرضته ربي<sup>(١)</sup>. وفي بعض الألفاظ: فعمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي ﷺ: «كم من حلق رداح في الجنة لأبي الدحداح». وفي معنى القرض الحسن ستة أقوال: أحدها: أنه الخالص لله، قاله الضحاك. والثاني: أن يخرج عن طيب نفس، قاله مقاتل. والثالث: أن يكون حلالاً، قاله ابن المبارك. والرابع: أن يحتسب عند الله ثوابه. والخامس: أن لا يتبعه من ولا أذى. والسادس: أن يكون من خيار المال.

قوله تعالى: ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾ قرأ أبو عمرو «فيضاعفه» بآلف مع رفع الفاء، كذلك في جميع القرآن، إلا في سورة الأحزاب «يُضَعِّفُ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ» وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، جميع ذلك بالآلف مع رفع الفاء، وقرأ ابن كثير (فيضعفه) برفع الفاء من غير ألف في جميع القرآن، وقرأ ابن عامر (فيضعفه) بغير ألف مشددة في جميع القرآن، ووافقه عاصم على نصب الفاء في «فيضاعفه» إلا أنه أثبت الألف في جميع القرآن، قال أبو علي: للرفع وجهان: أحدهما: أن يعطفه على ما في الصلة، وهو يقرض. والثاني: أن يستأنفه. ومن نصب حمل الكلام على المعنى، لأن المعنى: أيكون قرض؟ فحمل عليه «فيضاعفه» وقال: ومعنى ضاعف وضعف: واحد، والمضاعفة: الزيادة على الشيء حتى يصير مثليين أو أكثر. وفي الأضعاف الكثيرة قولان. أحدهما: أنها لا يحصى عددها، قاله ابن عباس والسدي. وروى أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال: إن الله يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة، وقرأ هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها معلومة المقدار، فالدرهم بسبعمائة، كما ذكر في الآية التي بعدها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي «يبسط» و«بسطه» بالسين، وقراهما نافع بالصاد. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: يقرر على من يشاء في الرزق، ويبسطه على من يشاء، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: يقبض يد من يشاء عن الإنفاق في سبيله، ويبسط يد من يشاء بالإنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

(١) رواه ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٢١/٦ وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات. ثم ذكره أيضاً ٣٢٤/٩. وقال: رواه أبو يعلى، والطبراني، ورجاله ثقات، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد في «المستد» من طريق مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي عثمان النهدي. وعلي بن زيد، ضعفه غير واحد. والحدیث حسن. وقد قال الشيخ أحمد شاكر: رواه ابن أبي حاتم عن أبي خلد سليمان بن خالد المؤدب عن محمد الرقاعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي، وزياد بن الجصاص، ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» فلم يذكر فيه جرحاً، وهذا أمانة توثيقه عنده، ثم لم يذكره في «الضعفاء»، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما وهم. وهذا الحديث لم يفرغ به كما ترى، فقد رواه كما رواه علي بن زيد بن جدعان بنحوه، فارتفعت شبهة الخطأ والوهم، وصح الحديث من الوجهين، والحمد لله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَجْوِ لَهْمُ أَهْنُ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلْنَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فَرَأَوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال الفراء: الملأ: الرجال في كل القرآن لا يكون فيهم امرأة، وكذلك القوم والنفر والرهط. وقال الزجاج: الملأ: هم الوجوه، وذوو الرأي، وإنما سموا ملأ، لأنهم مليئون بما يحتاج إليه منهم. وفي بنيهم ثلاثة أقوال. أحدها: أنه شمويل، قاله ابن عباس، وهب. والثاني: أنه يوشع بن نون، قاله قتادة. والثالث: أنه نبي، يقال له: سمعون بالسين المهملة<sup>(١)</sup>، سمته أمه بذلك، لأنها دعت الله أن يرزقها غلاماً، فسمع دعاؤها فيه، فسمته، هذا قول السدي.

وسبب سؤالهم ملكاً أن عدوهم غلب عليهم.

قوله تعالى: ﴿نَقْتُلُ﴾ قراءة الجمهور بالفتون والجزم، وقرأ ابن أبي عبلة بالياء والرفع، كناية عن الملك. قوله تعالى: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ قراءة الجمهور بفتح السين، وقرأ نافع بكسرهما هاهنا وفي سورة «محمد»، وهي لغتان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أي: فرض ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ أي: لعلكم تجبنون. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾ يعنون: أخرج بغضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا، فظاھر العموم، ومعناه الخصوص.

قوله تعالى: ﴿فَرَأَوْا﴾ أي: أعرضوا عن الجهاد. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم الذين عبروا النهر، وسيأتي ذكرهم. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ ذكر أهل التفسير أن نبي بني إسرائيل سأل الله أن يبعث لهم ملكاً، فأتي بعضاً وقرن فيه دهن، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكاً يكون طوله طول هذه العصا، ومتى دخل عليك رجل، فنشق الدهن، فهو الملك، فادهن به رأسه، وملكه على بني إسرائيل، فقاس القوم أنفسهم بالعصا، فلم يكونوا على مقدارها. قال عكرمة، والسدي: كان طالوت سقاء يسقي على حمار له، فضل حماره، فخرج يطلبه. وقال وهب: بل كان دباغاً يعمل الأدم، فضلت حماراً لأبيه، فأرسل مع غلام له في طلبها، فمزا بيت شمويل النبي ﷺ، فدخلا ليسألاه عن ضالتهما، فنشق الدهن، فقام شمويل، فقاس طالوت بالعصا، وكان على مقدارها، فدهنه، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال طالوت: أما علمت أن وسطي أدنى أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنى بيوتهم؟ قال: بلى. قال: فبأية آية؟ قال: بأية أنك ترجع وقد وجد أبوك حماره، فكان كما قال.

قال الزجاج: طالوت، وجالوت، وداود، لا تصرف، لأنها أسماء أعجمية، وهي معارف، فاجتمع فيها التعريف والعجمة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ من أي جهة يكون له الملك علينا قال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، في أحدهما النبوة، وفي الآخر الملك، فلم يكن هو من أحد السبطين. قال قتادة: كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملك. ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾



أي: اختارته، وهو «افتعل» من الصفوة. والبسطة: السعة، قال ابن قتيبة: هو من قولك: بسطت الشيء: إذا كان مجموعاً، ففتحته، ووسعته. قال ابن عباس: كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب، وكان يفوق الناس بمنكيه وعنفه ورأسه. وهل كانت هذه الزيادة قبل الملك، أم أحدثت له بعد الملك؟ فيه قولان. أحدهما: قبل الملك، قاله وهب، والسدي. والثاني: بعد الملك، قاله ابن زيد. والمراد بتعظيم الجسم، فضل القوة، إذ العادة أن من كان أعظم جسماً، كان أكثر قوة، والواسع: الغني.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ الآية: العلامة، فمعناه: علامة تملكك الله إياه ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ وهذا من مجاز الكلام، لأن التابوت يؤتى به، ولا يأتي، ومثله: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأُمُورُ﴾ وإنما جاز مثل هذا، لزوال اللبس فيه، كما بينا في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَاحَتْ يُحُدُّهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]. وروي عن ابن مسعود، وابن عباس: أنهم قالوا لنبيهم: إن كنت صادقاً، فأتنا بآية تدل على أنه ملك، فقال لهم ذلك. وقال وهب: خيرهم، أي آية يريدون؟ فقالوا: أن يرد علينا التابوت. قال ابن عباس: كان التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموه بين أيديهم يستنصرون به، وفيه السكينة. وقال وهب بن منبه: كان نحواً من ثلاث أذرع في ذراعين. قال مقاتل: فلما تفرقت بنو إسرائيل، وعصوا الأنبياء، سلب الله عليهم عدوهم، فغلبوهم عليه. وفي السكينة سبعة أقوال. أحدها: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، رواه أبو الأحوص عن علي عليه السلام. والثاني: أنها دابة بمقدار الهر، لها عيان لها شعاع، وكانوا إذا التقى الجمعان، أخرجت يدها، ونظرت إليهم، فيهزم الجيش من الرعب. رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال مجاهد: السكينة لها رأس كراس الهر، وجناحان. والثالث: أنها طست من ذهب [من الجنة] تغسل فيه قلوب الأنبياء. رواه أبو مالك عن ابن عباس. والرابع: أنها روح من الله تتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون، رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه. والخامس: أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، وذهب إلى نحوه الزجاج، فقال: السكينة، من السكون، فمعناه: فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم. والسادس: أن السكينة معناها هاهنا: الوقار، رواه معمر عن قتادة. والسابع: أن السكينة: الرحمة. قاله الربيع بن أنس <sup>(١)</sup>.

وفي البقية تسعة أقوال: أحدها: أنها رضاض الألواح التي تكسرت حين ألقاها موسى وعصاه، قاله ابن عباس، وقاتدة، والسدي. والثاني: أنها رضاض الألواح. قاله عكرمة، ولم يذكر العصا. وقيل: إنما اتخذ موسى التابوت ليجمع رضاض الألواح فيه. والثالث: أنها عصا موسى، والسكينة، قاله وهب. والرابع: عصا موسى وعصا هارون، وثيابهما، ولوحان من التوراة، والمن، قاله أبو صالح. والخامس: أن البقية: العلم والتوراة، قاله مجاهد، وعطاء بن أبي رباح. والسادس: أنها رضاض الألواح، وقفيز من من في طست من ذهب، وعصا موسى وعمامته، قاله مقاتل. والسابع: أنه قفيز من من ورضاض الألواح، حكاه سفيان الثوري عن بعض العلماء. والثامن: أنها عصا موسى

(١) قال ابن جرير الطبري: فأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة، ما قاله عطاء بن أبي رباح، أنها الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي يعرفونها. وقال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأسى به وتقوى. وقال الشوكاني رحمه الله في «تفسيره»: وأقول: هذه التفسيرات المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أقسامهم الله، فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين عليهم السلام، والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيواناً، وتارة جماداً، وتارة شيئاً لا يعقل، كقول مجاهد: كهيئة الريح، لها وجه كوجه الهر، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر. وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفسيرات المتناقضة مروياً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا رأياً له قاله فهم أجل قدر من الضمير بالرأي، وبما لا مجال للاجتهاد فيه. إذا تقرر لك هذا، عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف، ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة، فقد جعل الله عنها سعة.



والنعلان. ذكره الثوري أيضاً. عن بعض أهل العلم. والتاسع: أن المراد بالبقية: الجهاد في سبيل الله، وبذلك أمروا، قاله الضحاک.

والمراد بآل موسى، وآل هارون: موسى، وهارون. وأنشد أبو عبيدة:

ولا تبك ميتاً بعد ميت أحبة عليّ وعباس وآل أبي بكر

يريد: أبا بكر نفسه.

قوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ الجمهور: «تحمله» بالتاء. وقرأ الحسن، ومجاهد، والأعمش بالياء. وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان. أحدهما: أنه كان مرفوعاً مع الملائكة بين السماء والأرض منذ خرج عن بني إسرائيل، قاله الحسن. والثاني: أنه كان في الأرض.

وفي أي مكان كان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان في أيدي العمالقة قد دفنوه، قال ابن عباس: أخذ التابوت قوم جالوت، فدفنوه في متبرز لهم، فأخذهم الباسور فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينة أخرى، فأخذهم بلاء، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتى هلكت خمس مدائن، فأخرجوه على بقرتين، ووجههما إلى بني إسرائيل، فساقتهما الملائكة. والثاني: أنه كان في برية التيه، خلفه فيها يوشع، ولم يعلموا بمكانه حتى جاءت به الملائكة، قاله قتادة. وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان: أحدهما: أنها جاءت به بأنفسها، قال وهب: قالوا لنبيهم: اجعل لنا وقتاً يأتيها فيه، فقال: الصبح، فلم ينأوا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، فسمعوا حفيف الملائكة تحمله بين السماء والأرض. والثاني: أن الملائكة جاءت به على عجلة وثورين، ذكر عن وهب أيضاً. فعلى القول الأول: يكون معنى تحمله: نقله. وعلى الثاني: يكون معنى حملها. إياه: تسببها في حمله. قال الزجاج: ويجوز في اللغة أن يقال: حملت الشيء إذا كنت سبباً في حمله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ﴾ أي: علامة تدل على تملك طالوت. قال المفسرون: فلما جاءهم التابوت وأقروا له بالملك، تأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ إِنَّهُ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً يَجُوزُ بِهِ فَجَرَّاهُ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَقَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِطَالُوتَ وَجُوزُوهُ قَالَ الَّذِينَ يَبْطُلُونَ أَنْتُمْ مَثَلُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْكُمْ فَلَيْسَ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ أي: خرج وشخص. وفي عدد من خرج معه ثلاثة أقوال: أحدها: سبعون ألفاً، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون ألفاً، قاله عكرمة والسدي. والثالث: مائة ألف، قاله مقاتل. قال: وساروا في حر شديد، فابتلاههم الله بالنهر. والابتلاء: الاختبار. وفي النهر لغتان: إحدهما: تحريك الهاء، وهي قراءة الجمهور، والثاني: تسكينها، وبها قرأ الحسن ومجاهد. وفي هذا النهر قولان: أحدهما: أنه نهر فلسطين، قاله ابن عباس والسدي، والثاني: نهر بين الأردن وفلسطين، قاله عكرمة، وقاتدة، والربيع بن أنس. ووجه الحكمة في ابتلائهم به أن يعلم طالوت من له نية في القتال منهم، ومن ليس له نية.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أصحابي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، «غرفة» بفتح الغين، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي بضمها. قال الزجاج: من فتح الغين، أراد المرة الواحدة باليد، ومن ضمها، أراد ملء اليد. وزعم مقاتل أن الغرفة كان يشرب منها الرجل، ودابته، وخدمه ويملاً قريبته. وقال بعض المفسرين: لم يرد به غرفة الكف، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة، أو ما أشبه ذلك. وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غرفة قولان: أحدهما: أنهم أربعة آلاف، قاله عكرمة والسدي. والثاني: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهو الصحيح، لما

روي عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه يوم بدر: «أنتم بعملة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت» وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ أي: لا قوة لنا، قال الزجاج: يقال: أطق الشيء إطاقة وطاقة، وطوقاً، مثل قولك: أطقته إطاعة وطاعة وطوعاً. واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة، فإنهم انصرفوا، ولم يشهدوا، وكانوا أهل شك ونفاق، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم الذين قتل بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسن، وقادة، وابن زيد. والثالث: أنه قول الذين جاوزوا معه، وإنما قال ذلك بعضهم لبعض، لما رأوا من قتلهم، وهذا اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين، قاله السدي في آخرين. والثاني: أنه الظن الذي هو التردد، فإن القوم توهموا لقلة عددهم أنهم سيقتلون فيلقون الله، قاله الزجاج في آخرين. وفي المظانين هذا الظن قولان: أحدهما: أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، قالوا للراجعين: ﴿كَمْ يَنْفَكُوا وَلَيْسَ غَلَبَتْ يَنْفَكَ كَثِيرَةً﴾، قاله السدي. والثاني: أنهم أولو العزم والفضل من الثلاثمائة والثلاثة عشر. والفئة: الفرقة، قال الزجاج: وإنما قيل لهم: فئة من قولهم: فأوب رأسه بالعصا، وفأيته: إذا شققته.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الحسن: بنصر الله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي بالنصر والإعانة.

﴿وَلَمَّا بَرَرُوا لِحَالُوْتٍ وَجُودِهِمْ قَالُوا رَبَّنَا أَنْفِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْتَ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَرُوا﴾ أي: صاروا بالبراز من الأرض، وهو ما ظهر واستوى. و﴿أَنْفِغْ﴾ بمعنى أصيب، و﴿وَكَيْتَ أَقْدَامُنَا﴾ أي: قو قلوبنا لتثبيت أقدامنا، وإنما تثبت الأقدام عند قوة القلوب. قال مقاتل: كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان.

﴿فَهَرَمُوهُمْ يَازَيْدُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوْتٍ وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمُلْكُ وَالْحِكْمَةُ وَعَلَّمَهُ مَكَا يَسْكَأُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِنْ أَفَّاكَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَرَمُوهُمْ﴾ أي: كسروهم وردوهم، قال الزجاج: أصل الهزم في اللغة: كسر الشيء، وثني بعضه على بعض، يقال: سقاء منهزم [ومهزم] إذا كان بعضه قد ثني على بعض مع جفاف، وقصب منهزم: قد كسر وشقق، والعرب تقول: هزمت على زيد، أي: عطفت عليه.

قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا ابنة مالك فنجودي علينا بالنوال وأنعمي<sup>(٢)</sup>

ويقال: سمعت هزيمة الرعد، قال الأصمعي: كأنه صوت فيه تشقق.

وداود: هو نبي الله أبو سليمان، وهو اسم أعجمي، وقيل: إن إخوة داود كانوا مع طالوت، فمضى داود لينظر إليهم، فنادته أحجار، خذني، فأخذها، وجاء إلى طالوت، فقال: مالي إن قتلت جالوت؟ فقال: ثلث ملكي، وأنكحك ابنتي، فقتل جالوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْهُ اللَّهُ الْمُلْكُ﴾ يعني أتى داود ملك طالوت. وفي المراد بـ«الحكمة» هاهنا قولان. أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الزبور، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مَكَا يَسْكَأُ﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنها صنعة الدروع، والثاني: الزبور، والثالث: منطق الطير.

(١) رواه ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر، فلذكروا. وأخرج أحمد والبخاري وغيره عن البراء بن عازب قال: كنا أصحاب محمد نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يجاوزوا معه إلا مؤمن - بضعة عشرة وثلاثمائة.

(٢) البيت نسبة في «اللسان» لأبي بدر السلمي.



أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوََ الْقَيُّومُ﴾. قال: ففُضِرَ صَدْرِي، وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»<sup>(١)</sup> قال أبو عبيدة: القيوم: الذي لا يزول، لاستقامة وصفه بالوجود، حتى لا يجوز عليه التغيير بوجه من الوجوه. وقال الزجاج: القيوم: القائم بتدبير أمر الخلق، وقال الخطابي: القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وزنه: «فيعول» من القيام، وهو نعت للمبالغة للقيام على الشيء، ويقال: هو القائم على كل شيء بالرعاية، يقال: قمت بالشيء: إذا وليته بالرعاية والمصلحة. وفي «القيوم» ثلاث لغات: القيوم، وبه قرأ الجمهور. والقيام، وبه قرأ عمر بن الخطاب، وابن مسعود، وابن أبي عبيدة، والأعمش. والقيّم، وبه قرأ أبو رزين، وعلقمة. وذكر ابن الأنباري أنه كذلك في مصحف ابن مسعود، قال: وأصل القيوم: القيوم: فلما اجتمعت الياء والواو والسابق ساكن، جعلنا ياء مشددة. وأصل القيام: القوام، قال الفراء: وأهل الحجاز يصرفون الفعل [إلى] الفاعل، فيقولون للصواغ: صياغ. فأما «السنة» فهي: النعاس من غير نوم، ومنه: الوسنان. قال ابن الرقاع:

وكانها بين النساء أعارها. عينية أحور من جاذر جاسم  
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قال بعض العلماء: إنما لم يقل: والأرضين، لأنه قد سبق ذكر الجمع في السموات، فاستغنى بذلك عن إعادته، ومثله ﴿يَعْلَمُ الْغُلُوبَ وَالنُّجُومَ﴾ ولم يقل: الأنوار.  
قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ فيه رد على من قال: ﴿مَنْ تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣].  
قوله تعالى: ﴿يَوْمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ظاهر الكلام يقتضي الإشارة إلى جميع الخلق، وقال مقاتل: المراد بهم الملائكة. وفي المراد به ﴿يَوْمَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن عباس، وقتادة. والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياخه، ومجاهد وابن جريج، والحكم بن عتيبة. والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ﴾ قال الليث: يقال لكل من أحرز شيئاً، أو بلغ علمه أقصاه: قد أحاط به. والمراد بالعلم هاهنا المعلوم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أي: احتمل وأطاق. وفي المراد بالكُرسي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش، قال النبي ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة»<sup>(٣)</sup> وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء. والثاني: أن المراد بالكُرسي علم الله تعالى. رواه ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن الكرسي هو العرش، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَوَدُّهُ﴾ أي: لا يشقه، يقال: آده الشيء يؤوده أوداً وإياداً. والأود: الثقل، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والجماعة. والعلي: العالي القاهر، «فعل» بمعنى «فاعل»، وقال الخطابي: وقد يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. ويكون ذلك من علاء المجد

(١) ورواه الإمام أحمد، ولفظه عند مسلم عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوََ الْقَيُّومُ﴾ قال: ففُضِرَ صَدْرِي، وقال: «والله ليهنك العلم يا المنذر» معنى «ليهنك العلم»: ليكن العلم هيناً لك.

(٢) الجاذر: بقر الوحش، وهي حسان العيون. جاسم: موضع تكثر فيه الجاذر. الوسن: قتل النوم وتجمعه. أقصده النعاس: قتل النعاس وأماته. رنقت: خالطت عينه. السنة: النوم الخفيف.

(٣) روى ابن مردويه وابن جرير الطبري، والبيهقي في «الأسماء والصفات». وقال البيهقي بعد روايته: تفرد به يحيى بن سعيد السعدي. وهو منكر الحديث، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد كما قال النقاد من المحدثين. وقد ساق البيهقي شاهداً له، وفي إسناده إبراهيم بن هشام، كذب أبو زرعة وأبو حاتم، ووصفه الذهبي بأنه أحد المتروكين، ولم يصب ابن حبان في توثيقه. فليس يقوى الحديث بهذا الشاهد.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر: هي رواية شاذة لا يقوم عليها دليل من كلام العرب. ولذلك رجح أبو منصور الأزهرى الرواية الصحيحة عن ابن عباس التي تقول: إن الكرسي موضع القدمين، وقال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، ومن روى عنه في الكرسي، أنه العلم، فقد أبطل.

(٥) روى ابن جرير، وفي سننه جوير بن سعيد الأزدي، وهو ضعيف جداً.



والشرف، يقال منه: علي يعلى علاء. ومعنى العظيم: ذو العظمة والجلال، والعظم في حقه تعالى، منصرف إلى عظم الشأن، وجلال القدر، دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْثُرِ بِالْطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعيش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهودته. فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار: فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصّر له ولدان قبل أن يبعث النبي ﷺ، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصما إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم. ولندين بدينهم، فممنهم أهلوه، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرمه على الإسلام، فنزلت هذه الآية، والقولان عن مجاهد.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام بل يختارون بينه وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقادة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا: هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، والسين هاهنا: أريد به الإسلام. والرشد: الحق. والغي: الباطل، وقيل: هو الإيمان والكفر. فأما الطاغوت؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث، قال الله تعالى: ﴿أَتَلْبَأْؤُهُمُ الظُّلُمُوتُ﴾ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الظُّلُمُوتَ أَنْ يَبْدُوهُمَا﴾ [الزمر: ١٧] والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، والشعبي، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبيرة، وأبو العالية. والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين. والرابع: أنه الأصنام، قاله الزبيدي، والزجاج. والخامس: أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ هذا مثل للإيمان، شبه التمسك به بالتمسك بالعروة الوثيقة. وقال الزجاج: معنى الكلام: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً. والانفصام: كسر الشيء من غير إبانة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: متولي أمورهم، يهديهم، وينصرهم، ويعينهم. والظلمات: الضلالة. والنور: الهدى. والطاغوت: الشياطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة في آخرين. وقال مقاتل: الذين كفروا: هم

(١) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي في «السنن» وابن حبان وابن أبي حاتم، والفضاء في «المختارة» عن ابن عباس، ولفظه عند أبي داود: عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مفلتاً، تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهود، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناؤنا، فانزل الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. والمفلت: المرأة التي لا يعيش لها ولد.

(٢) ووجه ابن جرير الطبري في «تفسيره».

اليهود، والطاغوت: كعب بن الأشرف. قال الزجاج: والطاغوت هاهنا: واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة. قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض وأما جلدها فصليب<sup>(١)</sup>

أراد جلودها. فإن قيل: متى كان المؤمنون في ظلمة؟ ومتى كان الكفار في نور؟ فتنه ثلاثة أجوبة. أحدها: أن عصمة الله للمؤمنين عن مواجهة الضلال، إخراج لهم من ظلام الكفر، وتزيين قراء الكفار لهم الباطل الذي يحددون به عن الهدى إخراج لهم من نور الهدى، والإخراج مستعار هاهنا، وقد يقال للممتنع من الشيء: خرج منه، وإن لم يكن دخل فيه. قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ بِلَدِّي قَوْمًا لَا يَفْقَهُونَ اللَّهَ﴾ [يسف: ٢٧] وقال: ﴿وَيُنَكِّرُ مَنْ يَرَىٰ إِلَهَ أَزْوَاجِهِ﴾ [النحل: ٤٧٠] وقد سبقت شواهد هذا في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأَمْوَالَ﴾ [البقرة: ٢١٠] والثاني: أن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر نور لهم، وكفرهم به بعد أن ظهر، خروج إلى الظلمات. والثالث: أنه لما ظهرت معجزات رسول الله ﷺ كان المخالف له خارجاً من نور قد علمه، والموافق له خارجاً من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَلَخَ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَنَاءَهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ وَأُمِّي وَأُمِّي وَأُمِّي قَالَتْ يَا أَيُّ الْمَلَأِ يَأْتِي بِالْحَمِيسِ بَيْنَ الشَّرِيقِ فَأَتَى بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَلَخَ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ قد سبق معنى «ألم تر». وحاج: بمعنى خاصم، وهو نمرود في قول الجماعة. قال ابن عباس: ملك الأرض شرقها وغربها؛ مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: نمرود، ويختصر. قال ابن قتيبة: معنى الآية: حاج إبراهيم، لأن الله أتاه الملك، فأعجب بنفسه [وملكه].  
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ وَأُمِّي وَأُمِّي﴾ قال بعضهم: هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره: أنه قال له: من ربك؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: أنا أحيي وأميت. قال ابن عباس: يقول: أترك من شئت، وأقتل من شئت. فإن قيل: لم انتقل إبراهيم إلى حجة أخرى، وعدل عن نصرته الأولى؟ فالجواب: أن إبراهيم رأى من فساد معارضته أمراً يدل على ضعف فهمه، فإنه عارض اللفظ بمثله، ونسي اختلاف الفعلين، فانتقل إلى حجة أخرى، قصداً لقطع المحاج، لا عجزاً عن نصرته الأولى.

قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي: انقطعت حجته، فتحير. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن السميع: ﴿فَبُهِتَ﴾، بفتح الباء والهاء، وقرأ أبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر، وأبو حيو: ﴿فَبُهِتَ﴾، بفتح الباء، وضم الهاء، قال الكسائي: ومن العرب من يقول: بهت، وبهت، بكسر الهاء وضمها. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين. قال مقاتل: لا يهديهم إلى الحجة، وعنى بذلك نمرود.

﴿وَكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى جَحَافِكَ فَانْصَلَّتْ أَصَابُهُ لَنَاسٍ وَانْظُرْ إِلَى الْبَيْتِ كَيْفَ تَبَنَّى فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال الزجاج: هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله، معناه: رأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر على قرية؟ وفي المراد بالقرية قولان. أحدهما: أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر، قاله وهب، وقتادة، والربيع بن أنس. والثاني: أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت، قاله ابن زيد: وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عزيز، قاله علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وناجية بن كعب، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه أرمياء، قاله وهب، ومجاهد، وعبد الله بن

(١) البيت لمعلقة بن عبدة بن النعمان بن قيس، من قصيدة مفضلية جيدة قالها يمدح الحارث بن جبلة ابن أبي شمر النسائي. الحسرى: الإبل المعية يتركها أصحابها تموت. الصليب: الجلد اليابس. وقوله: عظامها فيض: كنى بذلك عن استخراج ما فيها من الودك. فصليب يريد: وأما جلودها فلدوات صليب، وهو الصديد يسيل من الموتى، والأصل فيه صليب العظام، وهو ودكها.

عبيد بن عمير، والثالث: أنه رجل كافر شك في البعث، نقل عن مجاهد أيضاً. والخواية: الخالية، قاله الزجاج. وقال ابن قتبية: الخاوية: الخراب، والعروش: السقوف، وأصل ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها ﴿قَالَ اللَّهُ يُبْقِي هَٰذَا اللَّهُ﴾ أي: كيف يحييها. فإن قلنا: إن هذا الرجل نبي، فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة، أو يستهولها، فيعظم قدرة الله، وإن قلنا: إنه كان رجلاً كافراً، فهو كلام شاك، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ وَآتَاهُ عَمْرًا نَمَّ بَعَثَهُ﴾

### الإشارة إلى قصته

روى ناجية بن كعب عن علي عليه السلام قال: خرج عزيز نبي الله من مدينته، وهو رجل شاب، فمر على قرية، وهي خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، وأول ما خلق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلى عظامه ينضم بعضها إلى بعض، ثم كسيت لحماً، ونفخ فيها الروح. قال الحسن: قبضه الله أول النهار، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة. قال مقاتل: ونودي من السماء: كم لبثت؟ قال قتادة: فقال: لبثت يوماً، ثم نظر فرأى بقية من الشمس فقال: أو بعض يوم. فهذا يدل على أنه عزيز. وقال وهب بن منبه: أقام أرميا بأرض مصر فأوحى الله إليه أن الحق بأرض إيلياء<sup>(١)</sup>، فركب حماره، وأخذ معه سلة من عنب وتين، ومعه سقاء جديد فيه ماء، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى [والمساجد] نظر إلى خراب لا يوصف [فلما رأى هدم بيت المقدس كالجيل العظيم] قال: أنى يحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، وربط حماره، [وعلق سقاه] فألقى الله عليه النوم، ونزع روحه مئة عام، فلما مر منها سبعون عاماً، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرك أن تفر بقموك، فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى تعود أعمار ما كانت، [فقال الملك: أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل، ولما يصلحه من أداة العمل، فأنظره ثلاثة أيام] فانتدب ثلاثمئة قهرمان، ودفع إلى كل قهرمان ألف عامل، وما يصلحه من أداة العمل [فسار إليها قهارته ومعهم ثلاثمئة ألف عامل] فلما وقعوا في العمل، رد الله روح الحياة في عيني أرميا، وآخر جسده ميت، فنظر إليها تعمر، فلما تمت بعد ثلاثين سنة، رد الله إليه الروح، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنه [ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة، وقد أتى على ذلك ريح مائة عام، وبرد مائة عام، وحر مائة عام، لم تتغير ولم تنتقص شيئاً، وقد نحل جسم أرميا من البلى، فأنبت الله له لحماً جديداً، ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير<sup>(٢)</sup>. وزعم مقاتل أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم «لبثت» و«لبثتم» في كل القرآن بإظهار التاء، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي بالإدغام [لبثت]<sup>(٣)</sup>، قال أبو علي الفارسي: من بين «لبثت»، فلتباين المخرجين، وذلك أن الظاء والذال والتاء من حيز، والطاء والتاء والذال من حيز، فلما تباين المخرجان، واختلف الحيزان، لم يدغم. ومن أدغمها أجراها مجرى المثليين، لاتفاق الحرفين في أنهما من طرف اللسان، وأصول الثنايا، واتفاقهما في الهمس. ورأى الذي بينهما من الاختلاف يسيراً، فأجراها مجرى المثليين<sup>(٤)</sup>. فأما طعامه وشرابه، فقال وهب: كان معه مكتل فيه عنب وتين، وقلة فيها ماء. وقال السدي: كان معه تين وعنب، وشرابه من العصير، لم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير.

قوله تعالى: ﴿كَمْ يَكُنْتَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (يتسنه) و(اقتده) و(ما أغنى عني ماليه) و(سلطانيه) و(ماهي) بإثبات الهاء في الوصل. وكان حمزة يحذفهن في الوصل، ووافقه الكسائي في حذف

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من الطبري.

(٤) قال النحاس: والإظهار أحسن لتباين مخرج التاء من مخرج الناء.

(١) أي: بيت المقدس.

(٣) أي: بإدغام التاء في الناء.



موضعين (يتسنه) و(اقتده) وكلهم يقف على الهاء. ولم يختلفوا في (كتابه) و(حسابه) أنها بالهاء وصلًا ووقفًا. فاما معنى: (لم يتسنه)، فقال ابن عباس، والحسن، وقاتدة في آخرين: لم يتغير. وقال ابن قتيبة: لم يتغير بمر السنين عليه، واللفظ مأخوذ من السنه، يقال: سانهت النخلة: إذا حملت عامًا، وحالت عامًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ جِمْارِكَ﴾ قال مقاتل: انظر إليه، وقد ابيضت عظامه، وتفرقت أوصاله، فأعلاه الله. قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْمَلَكْ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ اللام صلة لفعل مضمر تقديره: فعلنا بك ذلك لترك قدرتنا، ولتجعلك آية للناس، أي: علماً على قدرتنا، فأضمر الفعل لبيان معناه. قال ابن عباس: مات وهو ابن أربعين سنة، وابنه ابن عشرين سنة، ثم بعث وهو ابن أربعين، وابنه ابن عشرين ومائة، ثم أقبل حتى أتى قومه في بيت المقدس، فقال لهم: أنا عزيز، فقالوا: حدثنا آباؤنا أن عزيزاً مات بأرض بابل، فقال لهم: أنا هو أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحد يقرؤها، فأملأها عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الظُّلُمِ﴾ قيل: أراد عظام نفسه، وقيل: عظام حمارة، وقيل: هما جميعاً. قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تُنْشِرُهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو (نشرها) بضم النون الأولى، وكسر الشين وراء مضمومة، ومعناه: نخيها، يقال: أنشر الله الميت، فنشرهم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ننشزها، بضم النون مع الزاي، وهو من النشر الذي هو الارتفاع. والمعنى: نرفع بعضها إلى بعض للأحياء. وقرأ الأعمش: ننشزها، بفتح النون، ورفع الشين مع الزاي، وقرأ الحسن، وأبان عن عاصم: ننشرها، بفتح النون مع الراء، كأنه من النشر عن الطي، فكان الموت طواها، والإحياء نشرها.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكُمُ﴾ أي: بان له إحياء الموتى ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أعلم» مقطوعة الألف، مضمومة الميم، والمعنى: قد علمت ما كنت أعلمه غيباً مشاهدة. وقرأ حمزة والكسائي بوصل الألف، وسكون الميم على معنى الأمر، والابتداء على قراءتهما بكسر الهمزة، وظاهر الكلام أنه أمر من الله له، وقال أبو علي: نزل نفسه منزلة غيره، فأمرها وخاطبها. وقرأ الجعفي عن أبي بكر، قال: «أعلم» بكسر اللام على معنى الأمر بإعلام الغير.

﴿وَرَأَىٰ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَرَأَيْتَ تَوَينَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِّيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فُتْدُ أَرْعَمَ مِنَ الظَّلَمِ فَمَرْهَنَ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَىٰ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ في سبب سؤاله هذا أربعة أقوال. أحدها: أنه رأى ميتة تمزقها الهوام والسباع، فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقاتدة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وابن جريج، ومقاتل. وما الذي كانت هذه الميتة؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كان رجلاً ميتاً، قاله ابن عباس. والثاني: كان جيفة حمار، قاله ابن جريج، ومقاتل. والثالث: كان حوتاً ميتاً، قاله ابن زيد. والثاني: أنه لما بشر باتخاذ الله له خليلاً، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وروي عن سعيد بن جبير أنه لما بشر بذلك، قال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك، ويحيي الموتى بسؤالك، فسأل هذا السؤال. والثالث: أنه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس، وهو قول عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنه لما نازعه نمرود في إحياء الموتى، سأل ذلك ليرى ما أخبر به عن الله، وهذا قول محمد بن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ تَوَينَ﴾ أي: أولست قد أنتت أي أحيي الموتى؟ وقال ابن جبير: ألم ترقن بالخلعة؟ قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِّيُطْمِئِنَّ قَلْبِي﴾ «اللام» متعلقة بفعل مضمر، تقديره: ولكن سألتك ليطمئن، أو أرني ليطمئن قلبي، ثم في المعنى أربعة أقوال: أحدها: لأعلم أنك تجيبي إذا دعوتك، قاله ابن عباس. والثاني: ليزداد قلبي يقيناً، قاله سعيد بن جبير. وقال الحسن: كان إبراهيم موقناً، ولكن ليس الخبر كالمعاينة. والثالث: ليطمئن قلبي بالخلعة، روي عن ابن جبير أيضاً. والرابع: أنه كان قلبه متعلقاً برؤية إحياء الموتى، فأراد: ليطمئن قلبه بالنظر، قاله ابن قتيبة. وقال غيره: كانت نفسه تائقة إلى رؤية ذلك، وطالب الشيء قلق إلى أن يظفر بطلبته، يدل على أنه لم يسأل لشك، أنه قال: ﴿أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ وما قال: هل تحيي الموتى.



قوله تعالى: ﴿فَعَدَّ أَرْبَعَةً مِّنَ الظُّلُمِ﴾ في الذي أخذ سبعة أقوال: أحدها: أنها الحمامة، والديك، والكركي، والطاووس، رواه عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الطاووس، والديك، والدجاجة السندية، والأوزة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وفي لفظ آخر، رواه الضحاك مكان الدجاجة السندية الرأل، وهو فرخ النعام. والثالث: أنها الشعانين، وكانت قرباهم يومئذ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاووس، والنسر، والغراب، والديك، نقل عن ابن عباس أيضاً، والخامس: أنها الديك، والطاووس والغراب، والحمام، قاله عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وابن جريج، وابن زيد. والسادس: أنها ديك، وغراب، ويط، وطاووس، رواه ليث عن مجاهد. والسابع: أنها الديك، والبطة، والغراب، والحمامة، قاله مقاتل. وقال عطاء الخراساني: أوحى الله إليه أن خذ بطة وغراباً أسود وحمامة بيضاء، وديكاً أحمر.

قوله تعالى: ﴿فَصَرَفْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ قرأ الجمهور بضم الصاد، والمعنى: أملهن إليك، يقال: صرت الشيء فانصار، أي: أمله فمال، وأنشدوا:

الله يعلم أنا في تلفتنا  
يوم الفراق إلى جيراننا صور

فمعنى الكلام: أجمعهن إليك ﴿ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ فيه إضمار قطعهن. قال ابن قتيبة: أضمر «قطعهن» واكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ عن قوله «قطعهن»، لأنه يدل عليه، وهذا كنا نقول: أخذ هذا الثوب، واجعل على كل رمح عندك منه علماً. يريد: قطعه، وافعل ذلك. وقرأ أبو جعفر، وحمزة، وخلف والمفضل، عن عاصم «فَصَرَفْنَاهُ إِلَيْكَ» بكسر الصاد. قال الزبيدي: هما واحد، وقال ابن قتيبة: الكسر والضم لغتان. قال الفراء: أكثر العرب على ضم الصاد؛ وحدثني الكسائي أنه سمع بعض بني سليم يقول: صيرته، فأنا أصيره، وروي عن ابن عباس، ووهب، وأبي مالك، وأبي الأسود الدؤلي، والسدي، أن معنى المكسورة الصاد: قطعهن. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: معناه بالضم: أجمعهن، وبالكسر: قطعهن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ قال الزجاج: معناه: اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً. وروي عوف عن الحسن قال: اذبحهن ونفهن، ثم قطعهن أعضاء، ثم خلط بينهن جميعاً، ثم جزئها أربعة أجزاء، وضع على كل جبل جزءاً. ثم تنحى عنهن، فدعاهن، فجعل يعدو كل عضو إلى صاحبه حتى استوين كما كن، ثم أتيتهن يسعين. وقال قتادة: أمسك رؤوسها بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبضعة إلى البضعة، وهو يرى ذلك، ثم دعاهن، فأقبلن على أرجلهن يلقي لكل طائر رأسه. وفي عدد الجبال التي قسمن عليها قولان. أحدهما: أنه قسمهن على أربعة أجبل، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة. وروي عن ابن عباس قال: جعلهن أربعة أجزاء في أرباع الأرض، كأنه يعني جهات الإنسان الأربع. والثاني: أنه قسمهن سبعة أجزاء على سبعة أجبل، قاله ابن جريج، والسدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعَاهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ قال ابن قتيبة: يقال: عدواً، ويقال: مشياً على أرجلهن، ولا يقال للطير إذا طار: سعى ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع لا يغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر، ويزعم مقاتل أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد، وقبل نزول الصحف عليه، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَفًا فِي كُلِّ سَبْكٍ فَإِنَّ جَبَّوْاْ اللَّهُ يُنْفِقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حدثنا عن ثعلب أنه قال: إنما المثل - والله أعلم - للنفقة، لا للرزجال، ولكن العرب إذا دل المعنى على ما يريدون، حذفوا، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَيْجَلَ﴾

(١) لم يعرف قائله، وهو في «اللسان» و«الخزانة» و«شرح شواهد المغنبة» وبعد البيت:

وأنسني حينئذ لما يسئني الهوى بصري

من حوثما سلكوا أدنى فأنظور

وهو من «الشواهد المضيضة».

فأضمر «الحب»، لأن المعنى معلوم، فكذلك هاهنا. أراد: مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنَاءَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ ذَرًّا لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠] يريد: بخل الباخلين، فحذف البخل. وفي المراد بسبيل الله، قولان. أحدهما: أنه الجهاد. والثاني: أنه جميع أبواب البر. قال أبو سليمان الدمشقي: الآية مردودة على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مَا اتَّقَوْا رَبَّكُمْ﴾. وقد أعلم الله ﷻ بضرب هذا المثل، أن الحسنة في النفقة في سبيله تضاعف سبعمائة ضعف<sup>(١)</sup>.

وقال الشعبي: نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف سبعمائة ضعف. قال ابن زيد: ﴿وَاللَّهُ يَعْتُفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يزيد على السبعمائة.

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن السائب ومقاتل: نزلت في عثمان بن عفان في نفقته في غزوة تبوك، وشراؤه بئر رومة، ركية بالمدينة، تصدق بها على المسلمين، وفي عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعة آلاف درهم، وكانت نصف ماله<sup>(٢)</sup>، وأما المن ففيه قولان. أحدهما: أنه المن على الفقير، ومثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك، وهو قول الجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه المن على الله بالصدقة، روي عن ابن عباس. فإن قيل: كيف مدحهم بترك المن، ووصف نفسه بالمانن؟ فالجواب: أنه يقال: من فلان على فلان: إذا أنعم عليه، فهذا الممدوح، قال الشاعر:

فمُنِّي علينا بالسلام فإنما  
أراد بالمن الإنعام. وأما الوجه المذموم، فهو أن يقال: من فلان على فلان: إذا استعظم ما أعطاه، واقتصر بذلك، قال الشاعر في ذلك:

أنلت قليلاً ثم أسرعت منه  
فنيك ممنون كذاك قليل  
ذكر ذلك أبو بكر الأنباري. وفي الأذى قولان. أحدهما: أنه مواجهة الفقير بما يؤديه، مثل أن يقول له: أنت أبدأ فقير، وقد بليت بك، وأراحتني الله منك. والثاني: أن يخبر بإحسانه إلى الفقير، من يكره الفقير إطلاعه على ذلك، وكلا القولين يؤدي الفقير وليس من صفة المخلصين في الصدقة. ولقد حدثنا عن حسان بن أبي سنان أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعطهم جميعاً، ولا يتعرف إليهم، ولا يخبرهم من هو.

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾  
قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: قول جميل للفقير، مثل أن يقول له: يوسع الله عليك، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: يستر على

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود قال: جاء رجل بنفقة مخطومة، فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال ﷺ: «ذلك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة». وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف». قال ﷺ: «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلف فيه أطيب عند الله من ريح المسك».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن الكلبي، وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان في نفقتهما في جيش العسرة. وأخرج البخاري تعليقاً عن أبي عبد الرحمن أن عثمان ﷺ حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة» فحفرتها؟ أستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال. قال الحافظ ابن حجر: وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بن عامر. ورواه مطولاً الترمذي والنسائي والدارقطني وقال الترمذي: حديث حسن. وذكر في «الإصابة» أنه قد جاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان لما أن حصروه أنشد الصباحة في أشياء... وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة، فقرأها في حجره، فأرأى النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» مرتين، رواه أحمد والترمذي وحسنه.

(٣) روى مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمبسل لإزاره، والمنفق سلمته بالحلف الكاذب».

المسلم خلته وفاقته، وقيل: أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسؤول وقت رده ﴿يَخِيَرُ بَيْنَ صَدَقَةٍ يَتِمُّهَا أَوْ دُونِهَا﴾ وقد سبق بيانه.

﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُطِلُّوْا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقَةً نَّالَسَ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُطِلُّوْا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: لا تبطلوا ثوابها، كما تبطل ثواب صدقة المرائي الذي لا يؤمن بالله، وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي: مثل نفقته، كمثّل صفوان، قال ابن قتبية: الصفوان: الحجر، والوابل: أشد المطر، والصلد: الأملس. وقال الزجاج: الصفوان: الحجر الأملس، وكذلك الصفا. وقال ثعلب: الصلد: النقي. وروي عن ابن عباس، وقتادة ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ قالوا: ليس عليه شيء. وهذا مثل ضربه الله تعالى للمرائي بنفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء مما أنفق.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُبْنِوْا بُيُوتًا لِلنَّاسِ وَنَجِيَةً لِّأَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَحْمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفُتَّتْ أَكْطَلُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَّمْ يُسَيِّبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُبْنِوْا بُيُوتًا لِلنَّاسِ وَنَجِيَةً لِّأَنفُسِهِمْ﴾ أي: طلباً لرضاء. وفي معنى التثبيت قولان. أحدهما: أنه الإنفاق على يقين وتصديق، وهذا قول الشعبي، وقتادة، والسدي، في آخرين والثاني: أنه التثبيت لارتياح محل الإنفاق، فهم ينظرون أين يضعونها، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وأبي صالح.

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَحْمٍ﴾ الجنة: البستان. وقرأ مجاهد، وعاصم الجحدري «حبة» بالحاء. والربوة: ما ارتفع. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي «بربوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر بفتح الراء، وقرأ الحسن والأعمش بكسر الراء، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، «برباوة» بزيادة ألف، وفتح الراء، وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري كذلك، إلا أنهما ضمّا الراء، وكذلك خلافاً في «المؤمنين». قال الزجاج: يقال: ربوة وربوة وربوة وربوة. والموضع المرتفع من الأرض إذا كان له ما يرويه من الماء، فهو أكثر ريعاً من السفلى. وقال ابن قتبية: الربوة الارتفاع، وكل شيء ارتفع وزاد، فقد ربا، ومنه الربا في البيع.

قوله تعالى: ﴿فُتَّتْ أَكْطَلُهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: أكلها، والأكمل بسكون الكاف حيث وقع، ووافقه أبو عمرو، فيما أضيف إلى مؤنث، مثل: ﴿أَكْطَلُهَا دَابَّةٌ﴾ فأما ما أضيف إلى مذكر مثل: أكله؟ أو كان غير مضاف إلى مكنى: مثل ﴿أَكْطَلُ حَمَلٍ﴾ فنقله أبو عمرو. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي جميع ذلك مثقلاً. وأكلها، أي: ثمرها. ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: مثلين. فأما «الطل» فقال ابن قتبية: هو أضعف المطر، وقال الزجاج: هو المطر الدائم، الصغار القطر الذي لا تكاد تسيل منه المشاعب. قال ثعلب: وهذا لفظ مستقبل وهو لأمر ماض، فمعناه: فإن لم يكن أصابها وابل فطل<sup>(١)</sup>. ومعنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنة لا يخيب، فإنها إن أصابها الطل خست، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص. والبصير من أسماء الله تعالى، معناه: المبصر. قال الخطابي: وهو فعيل بمعنى مفعول، كقولهم: أليم بمعنى مؤلم.

﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِن سُلَالَةٍ مِّمَّنَّ الْأَكْبَرُ وَلَمْ يُدْرِكْهُ مُمْسِكَةً فَأَصَابَهَا وَابِلٌ فَاصْبَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ﴾ هذه الآية متصلة بقوله تعالى: ﴿لَا يُطِلُّوْا صَدَقَتِكُمْ﴾ ومعنى: «أَيُّد» أيحب، وإنما ذكر النخيل والأعناب، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين، وخص ذلك بالكبير، لأنه قد يشن من سعي الشباب في أكسابهم.

(١) قال الفراء: كيف قال قوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ يُسَيِّبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ وهذا الأمر قد مضى؟ قيل: أصحمت «كان» فصلح الكلام، ومثله أن تقول: قد أعفت عيلين، فإن لم أعف عيلين، فواحدة بقيت، والمعنى: إلا أكن، لأنه ماض، فلا بد من إضمار «كان» لأن الكلام جزاء. ومنه قول الشاعر:  
إذا ما انتصبنا لم تلدني لسيمة  
ولم تسجدي من أن تغري بها بسداً  
والبيت لزائد بن صعصعة الثقفي يعرض بزوجه، وكانت أمها سريه.



قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ رِيَّةٍ مُّغَمَّاةٌ﴾ أي: ضعاف، وإذا ضعفت الذرية كان أحنى عليهم، وأكثر إشفاقاً ﴿فَأَصَابَهَا﴾ يعني: الجنة ﴿إِفْصَارٌ﴾ أي ريح شديدة، تهب بشدة، فترفع إلى السماء تراباً، كأنه عمود.  
قال الشاعر:

إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعْصَاراً<sup>(١)</sup>

أي: لاقيت أشد منك. فإن قيل: كيف جاز في الكلام أن يكون له جنة فأصابها، ولم يقل: فُصِيْبُهَا؟ أفيجوز أن يقال: أتود أن تصيب مالا، فضاع، والمراد: فيضيع؟ فالجواب: أن ذلك جائز في «وددت»، لأن العرب تلقاها مرة بعد «إن»، ومرة «ولو»، فيقولون: وددت لو ذهبت عنا، ووددت أن تذهب عنا<sup>(٢)</sup>، قاله الفراء، وتعلب.

### فصل

وهذه الآية مثل ضربه الله تعالى في الحسرة بسلب النعمة عند شدة الحاجة. وفيمن قصّد به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عمره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه مثل للمفروط في طاعة الله تعالى حتى يموت، قاله مجاهد. والثالث: أنه مثل للمرائي في الثقة، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه، قاله السدي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَرْتَجُوا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَكُمْ يَتَذَكَّرُ إِنْ أَنْ تَتُحَسَّرُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الأنصار كانوا إذا جدّوا النخل، جاء كل رجل بشيء من ذلك فعلقه في المسجد، فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان أناس ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم بالقنر فيه الحشف والشيص<sup>(٣)</sup> فيعلقه، فنزلت هذه الآية. هذا قول البراء بن عازب<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ أمر بزكاة الفطر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزلت هذه الآية. هذا قول جابر بن عبد الله<sup>(٥)</sup>. وفي المراد بهذه الثقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة المفروضة، قاله عبيدة السلماني في آخرين. والثاني: أنها التطوع. وفي المراد بالطيب هاهنا قولان: أحدهما: أنه الجيد الأنفس، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحلال، قاله أبو معقل في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾ أي: لا تقصدوا. والتيمم في اللغة: القصد. قال ميمون بن قيس الأعشى:

تَيَمَّمْتُ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ  
مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَنَهُمْ ذِي شَرٍّ<sup>(٦)</sup>

وفي الخبيث قولان: أحدهما: أنه الرديء، قاله الأکثرون، وسبب الآية يدل عليه. والثاني: أنه الحرام، قاله ابن زيد.

(١) قال أبو حنيفة: الإعصار: ريح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض. يضرب مثلاً للعدل بنفسه إذا صلي بمن هو أدهى منه وأشد.

(٢) وتام كلام الفراء في معاني القرآن: فلما صلحت «لو» و«إن» ومعناها جميعاً الاستقبال، استجازوا أن يردوا «فعل» بتأويل «لو» على «يفعل» مع «أن»، فلذلك قال: (فأصابها) وهي في ملهه بمنزلة «لو» إذا ضارعت «إن» بمعنى الجزاء، فوضعت في مواضعها، وأجيب «إن» بجواب «لو» و«لو» بجواب «إن» فكانه قيل: أبود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر.

(٣) القنر: الكباسة، وهي الملقق التام بشماريخه ورطبه، هو في التمر بمنزلة المنقود من العنب وجمعه: أقاء. الحشف: هو التمر ما لم ينو، فإذا يبس صلب وقصد، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة، والشيص: رديء التمر.

(٤) رواء ابن أبي حاتم، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ولفظه عند الترمذي «عن البراء» (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ) قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنر والقنرين، فيعلقه بالمسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع، أتى القنر، ففصره بعضاه، فينفض البسر والتمر، فيأكل. وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنر، فيه الشيص والحشف، وبالقنر قد انكسر، فيعلقه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَبَقَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَرْتَجُوا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَكُمْ يَتَذَكَّرُ إِنْ أَنْ تَتُحَسَّرُوا فِيهِ﴾. قال: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى، لم يأخذه إلا على إهماس أو حياء، قال: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بمصالح ما عنده.

(٥) رواء الحاكم في المستدرک ٢/ ٢٨٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٦) ديوانه: ص ١٩ وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدى كرب الكندي. ذي شرن: غليظ، والشرن: الغلظ. يصف وهودة الطريق الذي يسلكه ليصل منه إلى مملوحو.



قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ بِقَائِلِهِمْ لَوْلَا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا﴾ قال ابن عباس: لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له، ثم قضاء ذلك، ولم يأخذه إلى أن يرى أنه قد أغمض عن بعض حقه. وقال ابن قتية: أصل هذا أن يضرب المرء بصره عن الشيء، ويغمضه، فسمي الترخص إغماضاً. ومنه قول الناس للبائع: أغمض، أي: لا تشخص، وكن كأنك لا تبصر. وقال غيره: لما كان الرجل إذا رأى ما يكره، أغمض عينه، لئلا يرى جميع ما يكره؛ جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ قال الزجاج: لم يأمركم بالتصدق عن عوز، لكنه بلا أخباركم، فهو حميد على ذلك. يقال: قد غني زيد، يغني غنى مقصوراً: إذا استغنى، وقد غني القوم: إذا نزلوا في مكان يغنيهم، والمكان الذي ينزلون فيه مغنى، والغواني: النساء. قيل: إنما سمين بذلك، لأنهن غنين بجمالهن، وقيل: بأزواجهن. فأما «الحميد» فقال الخطابي: هو بمعنى المحمود، فاعيل بمعنى مفعول.

﴿الَّذِينَ يَبْدُوا الْفَقْرَ وَأَنْتُمْ بِالْفَقْرِ وَاللَّهُ يُوَدِّعُ الْمُفْرَةَ وَنَهَ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْدُوا الْفَقْرَ وَأَنْتُمْ بِالْفَقْرِ﴾ قال الزجاج: يقال: وعدته أعده وعداً وموعداً وموعدة وموعوداً، ويقال: الفقر، والفقر. ومعنى الكلام: يحملكم على أن تؤدوا في الصدقات الردي، يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد. ومعنى: يعدكم الفقر، أي: بالفقر، وحذفت الباء. قال الشاعر:

أمرتكم الخيرَ فافعل ما أمرت به      فقد تركتكم ذا مال وذا نسب

وفي الفحشاء قولان، أحدهما: البخل. والثاني: المعاصي. قال ابن عباس: والله يعدكم مغفرة لفحشاءكم، وفضلاً في الرزق.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَزْوَاجُ الْأَنْبِيَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ في المراد بهذه الحكمة أحد عشر قولاً: أحدها: أنها القرآن، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل في آخرين. والثاني: معرفة ناسخ القرآن، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه، ومؤخره، ونحو ذلك، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: النبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبو العالية، وقتادة، وإبراهيم. والخامس: العلم والفقه، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: الإصابة في القول، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والسابع: الورع في دين الله، قاله الحسن. والثامن: الخشية لله، قاله الربيع بن أنس. والتاسع: العقل في الدين، قاله ابن زيد. والعاشر: الفهم، قاله شريك. الحادي عشر: العلم والعمل، لا يسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما، قاله ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ قرأ يعقوب بكسر تاء «يؤت»، ووقف عليها بهاء. والمعنى: ومن يؤته الله الحكمة. وكذلك هي في قراءة ابن مسعود بهاء بعد التاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ﴾ قال الزجاج: أي وما يتفكر فكرياً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا ذور العقول. قال ابن قتية: «أولوا» بمعنى: ذوو، وواحد «أولوا» «ذو»، و«أولات»: «ذات».

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ تَقُولُوا هُوَ مِمَّنْ كَفَرْنَا فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا هُوَ مِمَّنْ كَفَرْنَا﴾ النذر: ما أوجه الإنسان على نفسه، وقد يكون مطلقاً، ويكون معلقاً بشرط ﴿فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال مجاهد: يُحْصِيهِ، وقال الزجاج: يجازي عليه. وفي المراد بالظالمين هاهنا، قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله مقاتل. والثاني: المنفقون باليمن والأذى والرياء، والمنفرون في المعصية، قاله أبو سليمان الدمشقي. والأنصار: المانعون. فمعناه: ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَدَاتِ فَيَمَيَّا هِيَ وَإِنْ تُغْفَرُوا وَتُؤْتُوا الْقُسْرَةَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الْمَدَدَاتِ فَيَمَيَّا هِيَ﴾ قال ابن السائب: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْ تَقُولُوا هُوَ مِمَّنْ كَفَرْنَا﴾



قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقْبَلُوكَ إِلَّا أَنْتَكَ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هذا خاص للمؤمنين، أعلمهم الله أنه قد علم أن مرآتهم ما عنده، وإذا أعلمهم بصحة قصدهم، فقد أعلمهم بالجزاء عليه.

قوله تعالى: ﴿يُوفَّ إِلَيْكُمْ﴾ أي: توفون أجره. ومعنى الآية: ليس عليك أن يهتدوا، فتمتعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام، فإن تصدقتم عليهم أثبتتم. والآية محمولة على صدقة التطوع، إذ لا يجوز أن يعطى الكافر من الصدقة المفروضة شيئاً.

﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَظْهِرُونَ صَرْكًا فِي الْأَرْضِ بِحَسَبِهِمُ الْكَاوِلُ أَفْرِيحَةً مِنَ التَّعْطِفِ تَمْرِقُهُمْ بِسَبِيلِهِمْ لَا يَسْتَلُوكَ النَّاسَ إِلَّا كَأَنَّهُمْ شَفِيقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَمَّا كَرِهَ اللَّهُ بَدَأَ عَلَيْهِمُ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما حثهم على الصدقات والنفقات، دلهم على خير من تصدق عليه. وقد تقدم تفسير الإحصار عند قوله: ﴿إِنَّا أَخْصَرْنَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢١١] وفي المراد: بـ ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الصفة حسبوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم فقراء المهاجرين، قاله مجاهد. والثالث: أنهم قوم حسبوا أنفسهم على الغزو، فلا يقدرّون على الاكتساب، قاله قتادة. والرابع: أنهم قوم أصابهم جراحات مع النبي ﷺ، فصاروا زمنى، قاله سعيد بن جبیر، واختاره الكسائي، وقال: أحصروا من المرض، ولو أراد الحبس، لقال: حُصِرُوا، وإنما الإحصار من الخوف، أو المرض، والحصر: الحبس في غيرهما. وفي سبيل الله قولان: أحدهما: أنه الجهاد، والثاني: الطاعة. وفي الضرب في الأرض قولان: أحدهما: أنه الجهاد لم يمكنهم لفقرهم، نقل عن ابن عباس. والثاني: الكسب، قاله قتادة. وفي الذي منعهم من ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أمراضهم، قاله ابن جبیر، وابن زيد. والثالث: التزامهم بالجهاد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿بِحَسَبِهِمُ الْكَاوِلُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي «يحسبهم» و«يخسب» بكسر الحين في جميع القرآن. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر، بفتح السين في الكل. قال أبو علي: فتح السين أقيس، لأن الماضي إذا كان على «فعل»، نحو: حسب، كان المضارع على «يفعل»، مثل: فرق يفرق، وشرب يشرب، والكسر حسن لموضع السمع. قال ابن قتيبة: لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبر، فكانه قال: يحسبهم من لا يخبر أمرهم. والتعفف: ترك السؤال<sup>(١)</sup>، يقال: عف عن الشيء وتعفف. والسيما: العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصله من السمة، وفي المراد بسيماهم ثلاثة أقوال: أحدها: تجملهم، قاله ابن عباس. والثاني: خشوعهم، قاله مجاهد. والثالث: أثر الفقر عليهم، قاله السدي والربيع بن أنس، وهذا يدل على أن للسيما حكماً يتعلق بها، قال إمامنا أحمد في الميت يوجد في دار الحرب، ولا يعرف أمره: ينظر إلى سيماه، فإن كان عليه سيما الكفار من عدم الختان، حكم له بحكمهم، فلم يدفن في مقابر المسلمين، ولم يصل عليه، وإن كان عليه سيما المسلمين حكم له بحكمهم، وأما الإلحاف، فهو: الإلحاح، قال ابن قتيبة: يقال: ألحف في المسألة: إذا ألح، وقال الزجاج: معنى ألحف: شمل بالمسألة، ومنه اشتقاق اللحاف، لأنه يشمل الإنسان بالتغطية، فإن قيل: فهل كانوا يسألون غير ملحقين؟ فالجواب: أن لا، وإنما معنى الكلام: أنه لم يكن منهم سؤال، فيكون إلحاف: قال الأعشى:

لَا يَغْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبٍ

وَلَا يَعْضُ عَلَى شِرْسُوفٍ الصَّفَرِ<sup>(٢)</sup>

(١) جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرثان، ولا اللقمة ولا اللقمان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرؤوا إن شئتم، ومعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلُوكَ النَّاسَ إِلَّا كَأَنَّهُمْ شَفِيقُوا﴾».

(٢) في «الأمعيات» من أين ومن وصب، والبيت لأعشى باهلة، من قصيدة يرثي بها أخاه لأمه المتشرب وب. الأين: الإعياء والتعب. والوصب: الوجع والمرض. والشرف: رأس الضلع مما يلي البطن. والصفرة: يزعم العرب أنه دابة تعض الضلوع والشراسيف إذا جاع الإنسان. قال ابن السيد: وإنما أراد: لاصفر في جوفه، فيعض على شراسيفه. يصفه بشدة الخلقة، وصحة البنية.



معناه: ليس بساقه أين ولا وصب، فيغمرها لذلك. قال الفراء: ومثله أن تقول: فلما رأيت مثل هذا الرجل، ولعلك لم تر قليلاً ولا كثيراً من أشباهه، فهم لا يسألون الناس إلحافاً، ولا غير إلحاف، وإلى نحو هذا ذهب الزجاج، وابن الأنباري في آخرين.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْقَهْرِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً أَعْرَضُوا عَنْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْمِ وَالْقَهْرِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله ﷻ، رواه حنش الصنعاني عن ابن عباس، وهو قول أبي الدرداء وأبي أمامة، ومكحول، والأوزاعي في آخرين. والثاني: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، فإنه كان معه أربعة دراهم، فأنفق في الليل درهماً وبالنهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها نزلت في علي، وعبد الرحمن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلى أهل الصفة ليلاً، وبعث عبد الرحمن إليهم بدنانير كثيرة نهاراً، رواه الضحاك عن ابن عباس.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَكَلُ اللَّهِ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ الربا: أصله في اللغة: الزيادة، ومنه الربوة والرابية، وأربى فلان على فلان: زاد. وهذا الوعيد يشمل الآكل، والعامل به، وإنما خص الآكل بالذكر، لأنه معظم المقصود. وقد صح عن النبي ﷺ أنه «لمن أكل الربا وموكله وشاهديه وكتابته»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ قال ابن قتيبة أي: يوم البعث من القبور. والمس: الجنون، يقال: رجل ممسوس. فالتاس إذا خرجوا من قبورهم أسرعوا كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْغَيَّاتِ يَرْكَبُ السَّحَابَ الْمُسَوَّمَةَ﴾ [المعارج: ٤٤٣]. إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، لأن الله أربى الربا في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم، فلا يقدر على الإسراع. وقال سعيد بن جبیر: تلك علامة أكل الربا إذا استحل يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الذي ذكر من عقابهم ﴿يَأْتَهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ وقيل: إن ثقيفاً كانوا أكثر العرب رباً، فلما نهوا عنه، قالوا: إنما هو مثل البيع.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال الزجاج: كل تأنيث ليس بحقيقي، فتذكيره جائز، ألا ترى أن الوعد والموعظة معبران عن معنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي: ما أكل من الربا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن «الهاء» ترجع إلى العربي، فتقديره: إن شاء عصمته منه، وإن شاء لم يفعل، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل. والثاني: أنها ترجع إلى الربا، فمعناه: يعفو الله عما شاء منه، ويعاقب على ما شاء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ قال ابن جبیر: من عاد إلى الربا مستحلاً محتجاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ ﴿يَمْسَحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَكَدَّةَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [٢٧] إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْسَحُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معنى محقه: تنقيصه واضمحلاله، ومنه: محاق الشهر لنقصان الهلال فيه. روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبیر. والثاني: أنه يبطال ما يكون منه من صدقة ونحوها، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

(١) رواء أبو داود والترمذي وغيرهما عن عبد الله بن مسعود، ورواه مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله، ولفظه: «لمن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه وقال: هما سواء».

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «إن الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل» والقل، بضم القاف وتشديد اللام: القلة، كالذل والذلة.



قوله تعالى: ﴿وَيَرْى الْمَكَدَكْتُ﴾ قال ابن جبير: يضاعفها. والكفَّار: الذي يكثر فعل ما يكفر به، والأثيم: المتماذي في ارتكاب الإثم المصر عليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ في نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عمرو بن عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكان بنو المغيرة يأخذون الربا من ثقيف، فلما وضع الله الربا، طالبت ثقيف بني المغيرة لما لهم عليهم، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، والعباس. كانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ، قال صاحب التمر: إن أخذتما مالكما، لم يبق لي ولعلي ما يكفي، فهل لكما أن تأخذا النصف وأضعف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل، طلبا الزيادة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فنهاهما، فنزلت هذه الآية، هذا قول عطاء وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في العباس، وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية، وكانا يسلفان في الربا، فجاء الإسلام، ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضمه ربا العباس<sup>(٢)</sup>» هذا قول السدي. قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: إنما قال: «مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا» لأن كل ربا كان قد ترك، فلم يبق إلا ربا ثقيف. وقال قوم: الآية محمولة على من أربى قبل إسلامه، وقبض بعضه في كفره، ثم أسلم، فيجب عليه أن يترك ما بقي، ويعفى له عما مضى. فأما المراباة بعد الإسلام، فمردودة فيما قبض، ويسقط ما بقي.

﴿وَإِن لَّمْ تَقْلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتَرُوا فَهَلْ يَكْفِيكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَقْلُمُونَ وَلَا تَقْلُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَقْلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿فَأَذْنُوا﴾ مقصورة، مفتوحة الذال. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «فَأَذْنُوا» بمد الألف وكسر الذال. قال الزجاج: من قرأ: فأذنوا، بقصر الألف، وفتح الذال، فالمعنى: أيقنوا. ومن قرأ بمد الألف، وكسر الذال، فمعناه: أعلموا كل من لم يترك الربا أنه حرب. قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لأكل الربا: خذ سلاحك للحرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتَرُوا فَهَلْ يَكْفِيكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَقْلُمُونَ وَلَا تَقْلُمُونَ﴾ أي: التي أقرضتموها، لا تظلمون، فتأخذون أكثر منها، ولا تظلمون فتتقصون منها، والجمهور على فتح «تاء» تظلمون الأولى، وضم «تاء» تظلمون الثانية. وروى المفضل عن عاصم: ضم الأولى، وفتح الثانية.

﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنُظِرَةٌ لَّآئٍ مِّنْ رَبِّكَ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ﴾ ذكر ابن السائب، ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾

(١) رواه الواحدي، من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.  
(٢) رواه الواحدي عن البدي بدون سند. وأخرج مسلم من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ وفيه: فخطب الناس وقال: «إن مءاكم وأمواكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وماء الجاهلية موضوع، وإن أول دم أضع من مائتنا من ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد، فقتله هذيل، وربي الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربنا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

(٣) ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث في النهي عن الربا، والتفريق منه، وأنه من الكبائر، وأن عاقبة من يقع فيه وخيمة. من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». وروى البخاري عن سمرة بن جندب ؓ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة وجلين أتاني فلخرجاني إلى أرض مقلسة، حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أوله أن يخرج، رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان. قلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ قال: أكل الربا». وروى أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية». وروى ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ؓ، عن النبي ﷺ قال: «الربا ثلاثة وسبعون بابا» ورواه الحاكم وزاد «ليسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم» وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ أن تشتري التمرة حتى تطعم، وقال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا، وندع لكم الربا، فشكا بنو المغيرة العسرة، فنزلت هذه الآية، فأما العسرة، فهي الفقر، والضيق. والجمهور على تسكين السين، وضمها أبو جعفر هاهنا وفي ﴿سَاعَتُ الْمَسَرَّةِ﴾ وقرأ الجمهور بفتح سين «الميسرة»، وضمها نافع، وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين، إلا أنه زاد، فكسر الراء، وقلب التاء هاء، ووصلها بياء. قال الزجاج: ومعنى ﴿وَلَنْ كَانَتْ﴾: وإن وقع. والنظرة: التأخير، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسراً، وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ والأكثرون على تشديد الصاد، وخففها عاصم مع تشديد الدال، وسكنها ابن عبله مع ضم الدال فجعله من الصدق.

﴿وَأَقْبُوا يَوْمًا تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبُوا يَوْمًا تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو بفتح تاء «ترجعون» وضمها الباقون. قال ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، وعطية، ومقاتل في آخرين: هذه آخر آية نزلت من القرآن<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: وتوفي رسول الله ﷺ بعدها بأحد وثمانين يوماً، وقال ابن جريج: توفي بعدها بسبع ليال. وقال مقاتل: بسبع ليال. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿يَأْتِيهَا الْذِّكْرُ مَأْمُورًا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بَيْنِي إِلَهَ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَبِهُوا وَلَيَحْكُبَنَّ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَحْكُبْ وَلَيُحْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَتْنِ اللَّهُ رِيبَهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَمِيمًا أَوْ لَا يَسْتَلِيعُ أَنْ يُعْلَمَ هُوَ فَلْيُحْلِلْ وَلِيُؤْخَرْ بِالْعَدْلِ وَاسْتَبْهَرُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ يُضِلَّ أَحَدُهُمَا فَتَذَكَّرَ لِمَا بَيْنَهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَقْعَرُوا أَنْ تَكْتُبُوا صِدْقًا أَوْ كِبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَمْ أَمْسَطَ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَجَرَةً حَاضِرَةً فُيُودِيْنَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُغْنَاكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ مُسَوِّفٌ بِكُمْ وَأَقْبُوا اللَّهَ وَرَبِّكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْذِّكْرُ مَأْمُورًا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بَيْنِي﴾ قال الزجاج: يقال: دانت الرجل إذا عاملته، فأخذت منه بدين، وأعطته.

قال الشاعر:

داينت أروى والديون تقضى

فما طلت بعضاً وأدت بعضاً

والمعنى: إذا كان لبعضكم على بعض دين إلى أجل مسمى، فاكتموه، فأمر الله تعالى بكتابة الدين، وبالإشهاد، حفظاً منه للأموال، وللناس من الظلم، لأن من كانت عليه البينة، قل تحديته لنفسه بالطمع في إذهابه. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في السلم خاصة. فإن قيل: ما الفائدة في قوله: «بدين» و«تدانيتم» يكفي عنه؟ فالجواب: إن تدانيتم يقع على معنيين. أحدهما: المشاركة والمبايعة والإقراض. والثاني: المجازاة بالأفعال، فالأول يقال فيه: الدين بفتح الدال، والثاني: يقال منه: الدين بكسر الدال. قال تعالى: ﴿يَتَكُونُ لِيَأْنَ يَوْمَ الْإِزِينَ﴾ [الدَّارِيَات: ١٧] أي: يوم الجزاء.

(١) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمُسْنَدِ الْكَبِيرِ» وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَادَةِ»، وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادَيْنِ، رَجُلَا أَحَدَهُمَا ثِقَاتٌ. وَظَاهِرُ هَذِهِ الرَّوَايَةِ يُعَارِضُ مَا ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ أَنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الرِّبَا، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ آيَةُ الرِّبَا. وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ الرَّوَايَتَيْنِ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ أَنَّ هَذِهِ آيَةَ - يَرِيدُ آيَةَ الرِّبَا - خَتَامُ الْآيَاتِ الْمُنْتَزِلَةِ فِي الرِّبَا إِذْ هِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهِنَ. وَقَالَ الزُّرْكَشِيُّ فِي «الْبَرْهَانِ» ٢١٠/١ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْأَثَارَ الْوَارِدَةَ عَنِ الصَّحَابَةِ عَنْ آخِرِ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ: قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ فِي «الْإِتِّصَارِ»: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مَا رَفَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُجِيزُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ قَائِلُهُ بِضَرْبٍ مِنَ الْاجْتِهَادِ، وَتَغْلِبُ الظَّنُّ، وَلَيْسَ الْعِلْمُ بِذَلِكَ مِنْ فَرَائِضِ الدِّينِ، حَتَّى يُلْزَمَ مَا طَعِنَ بِهِ الرَّوَاةُ مِنْ عَدَمِ الضَّبْطِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ كَلَّمَ مِنْهُمْ أَحَدٌ عَنْ آخِرِ مَا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَوْ قَبْلَ مَرَضِهِ بِقَلِيلٍ، وَغَيْرِهِ سَمِعَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ هُوَ لِمَفَارَقَتِهِ لَهُ، وَنَزُولِ الرُّوحِ عَلَيْهِ بِقُرْآنٍ بَعْدَ. وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ تَنْزَلَ الْآيَةُ الَّتِي فِي آخِرِ آيَةٍ تَلَاهَا الرَّسُولُ ﷺ مَعَ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَعَهَا، فَيُؤْمَرُ بِرِسْمِ مَا نَزَلَ مِنْهَا، وَتَلَاوتِهَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ رِسْمِ مَا نَزَلَ آخَرًا وَتَلَاوتِهِ، فَيُظَنُّ سَامِعٌ ذَلِكَ أَنَّهُ آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ التَّرْتِيبِ.

وأنشدوا:

... دنَاهُم كَمَا دَانُوا<sup>(١)</sup>

.....

فدل قوله: ﴿يَدِينُ﴾ على المراد بقوله: ﴿تَدِينْتُمْ﴾ ذكره ابن الأنباري. فاما العدل فهو الحق. قال قتادة: لا تدعن حقاً، ولا تزيدن باطلاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ كَآيِبٌ﴾ أي: لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله، وفيه قولان. أحدهما: كما علمه الله الكتابة، قاله سعيد بن جبیر. وقال الشعبي: الكتابة فرض على الكفاية كالجهاد. والثاني: كما أمره الله به من الحق، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ قال سعيد بن جبیر: يعني المطلوب، يقول: ليمل ما عليه من حق الطالب على الكاتب، ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص عند الإملاء. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: يقال: أمللت أمل، وأملت أملي لغتان، فأملت من الإملاء وأملت من الملل والملال، لأن الممل يطيل قوله على الكاتب ويكرره.

قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَافِهًا﴾ في المراد بالسفيه هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الجاهل بالأموال، والجاهل بالإملاء. قاله مجاهد، وابن جبیر. والثاني: أنه الصبي والمرأة، قاله الحسن. والثالث: أنه الصغير، قاله الضحاك، والسدي، والرابع: أنه المبذر، قاله القاضي أبو يعلى. وفي المراد بالضعيف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العاجز والأخرس، ومن به حق، قاله ابن عباس، وابن جبیر. والثاني: أنه الأحمق، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: أنه الصغير، قاله القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ قال ابن عباس: لا يستطيع لعيه. وقال ابن جبیر: لا يحسن أن يمل ما عليه، وقال القاضي أبو يعلى: هو المجنون.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْلِكِ وَلِيُّ اللَّهِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الحق، فتقديره: فليملل ولي الحق، هذا قول ابن عباس، وابن جبیر، والربيع بن أنس، ومقاتل، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها تعود إلى الذي عليه الحق، وهذا قول الضحاك، وابن زيد، واختاره الزجاج، وعاب قول الأولين، فقال: كيف يقبل قول المدعى؟! وما حاجته إلى الكتاب والإشهاد، والقول قوله؟! وهذا اختيار القاضي أبي يعلى أيضاً. والعدل: الإنصاف. وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه يعني الأحرار، قاله مجاهد، والثاني: أهل الإسلام، وهذا اختيار الزجاج، والقاضي أبي يعلى، ويدل عليه أنه خاطب المؤمنين في أول الآية.

قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ لَمْ يَكُنَا نَعْلَمِينَ﴾ أراد: فإن لم يكن الشهيذان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ﴾ ولم يرد به: إن لم يوجد رجلان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ رَضَوْا مِنْ الشَّهَادَةِ﴾ قال ابن عباس: من أهل الفضل والدين.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرَمَ بِحَدِيثِهَا الْأُخْرَى﴾ ذكر الزجاج، أن الخليل، وسيبويه، وسائر النحويين الموثوق بعلمهم، قالوا: معناه: استشهدوا امرأتين، لأن تذكر إحداهما الأخرى. ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرى.

(١) هو عجزيت من قصيدة لشهل بن شيان الزماني، أولها:

صفحنا من بني ذي نون  
على الأيام أن يرجع  
فلما صرح الشر  
ولم يبق سوى المعدوا

وقلنا القوم إخوان  
نقوماً كالذي كانوا  
وأمنى وهو عريان  
ن دناهم كما دانوا

قال المروزي: العدوان والقداء والعُدْم: الظلم. وأما قوله: دناهم كما دانوا، والأول ليس بجزء، فهذا ليلهم إلى المطابقة والموافقة، وإخراج اللفظ في معرض صاحبه، ليعلم أنه جزاؤه على حدّ وقدره، أو ابتدأه. وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُونَ اللَّهَ وَهُمْ عَذِيبُهُمْ﴾ والله يستبزيهم؟ وما أشبهه. والدين: لفظة مشتركة في عدة معان: الجزاء والمادة والطاعة والحساب، وهو هاهنا الجزاء، ويقولون: فكما تدن تدان؟ أي: كما تصنع يصنع بك.

وقرأ حمزة: «إِنْ تَضَلَّ بِكسر الألف. والضلال هاهنا: النسيان، قاله ابن عباس والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما قوله: «تَذَكَّرْ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، بالتخفيف مع نصب الراء، وقرأ حمزة بالرفع مع تشديد الكاف، وقرأ الباقون بالنصب، وتشديد الكاف. فمن شدد أراد الإدِّكَّار عند النسيان، وفي قراءة من خفف قولان: أحدهما: أنها بمعنى المشددة أيضاً، وهذا قول الجمهور. قال الضحاك، والربيع بن أنس، والسدي، ومعنى القراءتين واحد. والثاني: أنها بمعنى: تجعل شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر، وهذا مذهب سفيان بن عيينة، وحكى الأصمعي عن أبي عمرو نحوه، واختاره القاضي أبو يعلى، وقد رده جماعة، منهم ابن قتيبة. قال أبو علي: ليس مذهب ابن عيينة بالقوي، لأنهم لو بلغن ما بلغن، لم تجز شهادتهن إلا أن يكون معهن رجل، ولأن الضلال هاهنا: النسيان، فينبغي أن يقابل بما يعادله، وهو التذكير.

قوله تعالى: «وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا» قال قتادة: كان الرجل يطوف في الجواء العظيم<sup>(١)</sup>، [فيه القوم، فيدعوه إلى الشهادة] فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت هذه الآية. وإلى ماذا يكون هذا الدعاء؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إلى تحمل الشهادة، وإثباتها في الكتاب، قاله ابن عباس، وعطية، وقاتدة، والربيع. والثاني: إلى إقامتها وأدائها عند الأحكام بعد أن تقدمت شهادتهم بها، قاله سعيد بن جبيرة، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والشعبي، وأبو مجلز، والضحاك، وابن زيد. ورواه الميموني عن أحمد بن حنبل. والثالث: إلى تحملها وإلى أدائها، روي عن ابن عباس، والحسن، واختاره الزجاج، قال القاضي أبو يعلى: إنما يلزم الشاهد أن لا يأبى إذا دعي لإقامة الشهادة إذا لم يوجد من يشهد غيره، فأما إن كان قد تحملها جماعة، لم تتعين عليه، وكذلك في حال تحملها، لأنه فرض على الكفاية كالجهاد، فلا يجوز لجميع الناس الامتناع منه.

قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا» أي: لا تملوا وتضجروا أن تكتبرا القليل والكثير الذي قد جرت العادة بتأجيله إلى أجله، أي: إلى محل أجله «وَلَيْكُمْ أَسْطُ عِنْدَ اللَّهِ» أي: أعدل، «وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ» لأن الكتاب يذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه «وَأَدِّعُوا» أي: أقرب «أَلَا تَرَ تَأْتُوا» أي: لا تشكوا «إِلَّا أَنْ تَكُونَ» الأموال «يَجْتَرُّ» أي: إلا أن تقع تجارة. وقرأ عاصم «تجارة» بالنصب على معنى: إلا أن تكون الأموال تجارة حاضرة، وهي البيوع التي يستحق كل واحد منهما على صاحبه تسليم ما عقد عليه من جهته بلا تأجيل، فأباح ترك الكتاب فيها توسعة، لئلا يضيق عليهم أمر تباعهم في مأكول أو مشروب.

قوله تعالى: «وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» الإِشهاد مندوب إليه فيما جرت العادة بالإشهاد عليه.

### فصل

وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين. واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟ فذهب الجمهور إلى أنه أمر ندب واستحباب<sup>(٢)</sup> فعلى هذا هو محكم،

(١) قال في «الليسان»: الجواء بكسر الحاء: جماعة بيوت الناس إذا تباينت، والجمع: الأحوية.

(٢) قال ابن كثير: وهذا الأمر محمول عند الجمهور على الإرشاد والندب، لا على الوجوب، والدليل على ذلك حديث خزيمة بن ثابت الأنصاري، وقد رواه الإمام أحمد، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شبيب، عن الزهري، حدثنا عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي ﷺ، أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستبته النبي ﷺ ليقتضيه ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ، وأبطأ الأعرابي فطلق رجال يعترضون الأعرابي، فيسأموه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي ﷺ، فنادى الأعرابي النبي ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه، وإلا بعت. فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي: قال: «لو ليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا والله ما بعتك. فقال النبي ﷺ: فإل قد ابتعته منك؟ فطلق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجمان، فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بابتعتك، فمن جاء من المسلمين، قال الأعرابي: وملك، النبي ﷺ لم يكن يقول إلا حقاً، حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي. فطلق الأعرابي يقول: هلم شهيداً يشهد أنني بابتعتك. قال خزيمة: أنا. أشهد أنك قد بابتعت. فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال: «هم تشهد؟» فقال: يتصدق بك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين. ورواه أبو داود، والنسائي، والحاكم، وابن سعد في «الطبقات» والطبراني، ورجاله كلهم ثقات، وهو حديث صحيح.



وذهبت طائفة إلى أن الكتاب والإشهاد واجبان، روي عن ابن عمر، وأبي موسى، ومجاهد، وابن سيرين، وعطاء، والضحاك، وأبي قلابه، والحكم، وابن زيد. ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحكم باقٍ، أم منسوخ؟ فذهب أكثرهم إلى أنه محكم غير منسوخ، وذهبت طائفة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُ قَلِيلٍ مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصْطَاكُمُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الراء من «يضار» وسكونها، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لا يضارُ بأن يدعى وهو مشغول، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس، والفراء، ومقاتل. وقال الربيع: كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول: اكتب لي، فيقول: إني مشغول، فيلزمه، ويقول: إنك قد أمرت بالكاتب، فيضاره، ولا يدعه، وهو يجد غيره، وكذلك يفعل الشاهد، فنزلت: ﴿وَلَا يَصْطَاكُمُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. والثاني: أن معناه: النهي للكاتب أن يضار من يكتب له، بأن يكتب غير ما يمل عليه، وللشاهد أن يشهد بما لم يستشهد عليه، هذا قول الحسن، وطاوس، وقادة، وابن زيد، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. واحتج الزجاج على صحته بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْمَلُوا لَكُمْ فُتُورًا بِكُمْ﴾ قال: ولا يسمى من دعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول، أو شاهداً، فاسقاً، إنما يسمى من حرف الكتاب، أو كذب في الشهادة، فاسقاً. والثالث: أن معنى المضارة: امتناع الكاتب أن يكتب، والشاهد أن يشهد، وهذا قول عطاء في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَعْمَلُوا﴾ يعني: المضارة.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَيْنَ مَقْبُورَةً فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضُ قَلِيلٍ مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ انتهى. وقيل: الله ربُّه ولا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آيِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إنما خص السفر، لأن الأغلب عدم الكاتب والشاهد فيه. ومقصود الكلام: إذا عدمتم التوثيق بالكتاب، والإشهاد، فخذوا الرهن.

قوله تعالى: ﴿فَرِهَيْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعبد الوارث (فرهن) بضم الراء والهاء من غير ألف، وأسكن الهاء عبد الوارث. وجهه للتخفيف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي (فرهان) بكسر الراء، وفتح الهاء، وإثبات الألف. قال ابن قتيبة: من قرأ (فرهان) أراد: جمع رهن، ومن قرأ: (فرهن) أراد: جمع رهان، فكانه جمع الجمع.

قوله تعالى: ﴿مَقْبُورَةً﴾ يدل على أن من شرط لزوم الرهن القبض، وقبض الرهن أخذه من راحته منقولاً، فإن كان مما لا ينقل، كاللور والأرضين، فقبضه تخلية راحته بينه وبين مرتهنه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنَ بِكُمْ بَعْضٌ﴾ أي: فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع ماله بغير كتاب، ولا شهود، ولا رهن، ﴿فَلْيَوَدَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهو المدين ﴿أَنْتُمْ وَلَيْتَ اللَّهُ رَبُّهُ﴾ أن يخون من اتهمه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آيِمٌ قَلْبُهُ﴾ قال السدي عن أشياخه: فإنه فاجر قلبه. قال القاضي أبو يعلى: إنما أضاف الإثم إلى القلب، لأن المأثم تتعلق بعقد القلب، وكتمان الشهادة إنما هو عقد النية لترك أداها.

﴿لِللَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ بِمَا سَيْبَكُمْ يَوْمَ اللَّهِ فَيَفْغُرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ بِمَا سَيْبَكُمْ يَوْمَ اللَّهِ﴾ أما إبداء ما في النفس، فإنه العمل بما أضمره العبد، أو النطق، وهذا مما يحاسب عليه العبد، ويؤاخذ به، وأما ما يخفيه في نفسه، فاختلص العلماء في المراد بالمخفي في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنه عام في جميع المخفيات، وهو قول الأكثرين. واختلفوا: هل هذا الحكم ثابت في المواخضة، أم منسوخ؟ على قولين. أحدهما: أنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَضْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] هذا قول ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وابن سيرين.

وسعد بن جبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد، ومقاتل<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه ثابت في المؤاخذه على العموم، فيؤاخذ به من يشاء، ويغفره لمن يشاء، وهذا مروى عن ابن عمر، والحسن، واختاره أبو سليمان الدمشقي، والقاضي أبو يعلى. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية لم تنسخ، ولكن الله ﷻ إذا جمع الخلائق، يقول لهم: أني مخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم يطلع عليه ملائكتي، فاما المؤمنون فيخبرهم، ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله تعالى: ﴿يَخَاسِبُكُمْ بِاللهِ﴾ يقول: يخبركم به الله، وأما أهل الشرك والريب، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله تعالى: ﴿تَكْفُرُ لِمَنْ بَشَّرَ وَيَكْذِبُ مَنْ بَشَّرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>. والأكثر على تسكين راء «يفغفر» وباء «يعذب» منهم ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وإنما جزموا لإتباع هذا ما قبله، وهو «يخاسبك» وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم ويعقوب: برفع الراء، والباء فيهما. فهؤلاء قطعوا الكلام عن الأول. قال ابن الأباري: وقد ذهب قوم إلى أن المحاسبة هاهنا هي إطلاع الله العبد يوم القيامة على ما كان حدث به نفسه في الدنيا، ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء. قال: والذي نختاره أن تكون الآية محكمة، لأن النسخ إنما يدخل على الأمر والنهي. وقد روي عن عائشة أنها قالت: أما ما أعلنت، فالله يخاسبك به، وأما ما أخفيت، فما عجلت لك به العقوبة في الدنيا. والقول الثاني: أنه أمر خاص في نوع من المخفيات، ولأرباب هذا القول فيه قولان: أحدهما: أنه كتمان الشهادة، قاله ابن عباس في رواية، وعكرمة، والشعبي، والثاني: أنه الشك واليقين، قاله مجاهد. فعلى هذا المذكور تكون الآية محكمة.

﴿إِنَّمَا أَرْسَلْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَرْسَلْتُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾. روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعود البصري عن النبي ﷺ، أنه قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتاه»<sup>(٣)</sup> قال أبو بكر النقاش: معناه: كفتاه عن قيام الليل<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنهما نزلتا على سبب، وهو ما روى العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله

(١) نقل ابن كثير في «تفسيره» حديث ابن عباس المخرج في مسلم، وفيه: «فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله: ﴿يَكُفِّرُ اللهُ قَسَا إِنْ رُسُلَهُ﴾ ثم قال بعد أن ذكر له أكثر من طريق: فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس. وقد ثبت عن ابن عمر كما ثبت عن ابن عباس، فروى البخاري عن مروان الأصغر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أحسبه ابن عمر - «وإن تُدْرَأَ مَا فِي أَفْئِدَتِكُمْ أَوْ تُخْشَوْهُ» قال: نسخها الآية التي بعدها. وهكذا روي عن علي، وابن مسعود، والشعبي، وعكرمة، وقتادة: أنها منسوخة بالتي بعدها. وقد ثبت بما رواه الجماعة في كتبهم الستة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تكلم أو تعمل». وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: إذا هم عبدني بسيف فلاتكتبوها عليه، فإن عملها فاككتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاككتبوها حسنة، فإن عملها فاككتبوها عشرة».

(٢) وهو اختيار ابن جرير الطبري، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب ويغفر، وقد يحاسب ويعاقب، بالحديث الذي رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم عن صفوان بن محرز قال: «بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو بطرف، إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر، ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدنو المؤمن من ربه ﷻ حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بلنونه، فيقول له: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب أعرف مرتين، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أخفيها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه، وأما الكفار والمنافقون، فينادي بهم على رؤوس الأشهاد: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَسَنَةُ أَقْوَى عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾». ثم قال ابن جرير: فتأويل الآية إذا: وإن تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فظفروها، أو تخفوها فتطويها عليه نفوسكم يخاسبكهم به الله، فيعرف مؤسكهم تفضله بعفو عنه، ومغفرته له، فيغفره له، ويعذب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه، ونبوة أنبيائه.

(٣) رواه مسلم بهذا اللفظ، ورواه البخاري بلفظ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

(٤) وقيل: كفتاه عما يكون من الآفات تلك الليلة، وغيل: من الشيطان وشره، قيل: حسب بهما أجراً وفضلاً، وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله قال: لما أسرى برسول الله ﷺ، انتهى به إلى سلة المتبهي، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يجرع به من الأرض، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض، قال: «إِنْ يَتَنَبَّأُ أَتَيْنَا مَا يَشَاءُ» قال: فراش من ذهب، قال: وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقححات. والمقححات: بكسر الحاء: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار، أي تلقهم فيها.

تعالى: ﴿وَلَنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَابِتْكُمْ يَوْمَ اللَّهِ﴾ اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ [فاتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب] فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطقها، فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ أَفْصَحَ مِنْ مَوْعِظَةِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: لما ذكر ما تشتمل عليه هذه السورة من القصص والأحكام، ختمها بتصديق نبيه، والمؤمنين. وقرأ ابن عباس (وكتابه) فقيل له في ذلك، فقال: كتاب أكثر من كُتِبَ، ذهب به إلى اسم الجنس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس. وقد وافق ابن عباس في قراءته حمزة، والكسائي، وخلف، وكذلك في (التحريم)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر (وكتبه) هاهنا بالجمع، وفي (التحريم) بالتحديد. وقرأ أبو عمرو بالجمع في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَءُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ﴾ قرأ أبو عمرو ما أضيف إلى مكني على حرفين، مثل «رسلنا» و«رسلكم» بإسكان السين، وثقل ما عدا ذلك. وعنه في قوله تعالى: ﴿عَلَى رَسُولِكَ﴾ روايتان، التخفيف والتثقيل. وقرأ الباقون كل ما في القرآن من هذا الجنس بالتثقيل. ومعنى قوله: ﴿لَا تَقْرَءُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ﴾ أي: لا تفعل كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. وقرأ يعقوب «لا يفرق» بالياء، وفتح الراء.

قوله تعالى: ﴿غُفْرَانُكَ﴾ أي: نسألك غفرانك. والمصير: المرجع. ﴿لَا يَكُنْ لِلَّهِ نَفْسٌ إِلَّا وَمَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَا يَكُنْ لِلَّهِ نَفْسٌ إِلَّا وَمَعَهَا﴾ الوسع: الطاعة. قاله ابن عباس، وقادة. ومعناه: لا يكلفها ما لا قدرة لها عليه لاستحالته، كتكليف الزمن السعي، والأعمى النظر. فأما تكليف ما يستحيل من المكلف، لا لفقد الآلات، فيجوز كتكليف الكافر الذي سبق في العلم القديم أنه لا يؤمن الإيمان، فالآية محمولة على القول الأول. ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى في سياق الآية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فلو كان تكليف ما لا يطاق ممتنعاً، كان السؤال عبثاً، وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم: ﴿وَلَنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهَدْيِ فَمَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبْكَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧] وقال ابن الأنباري: المعنى: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه، وإن كنا مطيعين له على تجشم، وتحمل مكروه، فخطاب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغيه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَظِيلُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ قال ابن عباس: لها ما كسبت من طاعة ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من معصية. قال أبو بكر النقاش: فقوله: «لها» دليل على الخير، و«عليها» دليل على الشر. وقد ذهب قوم إلى أن «كسبت» لمرة ومرات، و«اكتسبت» لا يكون إلا شيء بعد شيء، وهما عند آخرين لغتان بمعنى واحد، كقوله ﷺ: ﴿قَهْلُ الْكَافِرِينَ أَنِيْلَهُمْ رَبُّنَا﴾<sup>(٣)</sup> [الطارق: ١٧].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ هذا تعليم من الله للخلق أن يقولوا ذلك، قال ابن الأنباري: والمراد بالنسيان هاهنا: الترك مع العمد، لأن النسيان الذي هو بمعنى الغفلة قد أمنت الآثام من جهته. والخطأ أيضاً هاهنا من جهة العمد، لا من جهة السهو<sup>(٤)</sup>، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا غفل. وفي «الإصر» قولان:

(١) رواه أحمد ومسلم وابن حبان بمعناه.

(٢) يؤيد هذا التفسير قوله ﷺ: «إن الله وضع من أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والطبراني عن ابن عباس. ورواه الحاكم ١٩٨/٢ ولفظه تجاوز الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه اللهمي. وقال أبو جعفر الطبري: والنسيان على وجهين: أحدهما على وجه التضييع من البعد والتفريط، وهذا الذي يرغب العبد إلى الله ﷻ في تركه مواخذته به، وهو النسيان الذي عاتب الله ﷻ به آدم صلوات الله عليه، فأخرجه من الجنة، فقال في ذلك: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا إِنَّكَ كَافٍ فِي نَفْسٍ لَمَّ يُخَذَّ لَكَ عَذَابُنَا﴾ [طه: ١١٥]. والآخر: على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكيل به، وضعف عقله عن احتشاله، فإن ذلك من

أحدهما: أنه العهد، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثاني: الثقل، أي: لا تثقل علينا من الفروض ما ثقله على بني إسرائيل، قاله ابن قتية..

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ مَا كَانَ آلُ آدَمَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يصعب ويشق من الأعمال، قاله الضحاك، والسدي، وابن زيد، والجمهور، والثاني: أنه المحبة، رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم. والثالث: الغلظة<sup>(١)</sup> قاله مكحول. والرابع: حديث النفس ووساوسها. والخامس: عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ أي: أنت ولينا ﴿فَانصُرْنَا﴾ أي: أعنا. وكان معاذ إذا فرغ من هذه السورة قال: آمين.



العبد غير معصية، وهو به غير آثم، ولا وجه لمسألة العبد ربه أن يغفره له. وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما من وجه ما نهى عنه، فيأتيه بقصد منه وإرادة، فذلك خطأ منه، وهو به مأخوذ، وهذا الوجه الذي يرغب العبد إلى ربه في صفح ما كان منه من إثم عنه إلا ما كان من ذلك كفراً. والآخر منهما: ما كان منه على وجه الجهل به، والظن منه بأن له فعله، كالذي يأكل في شهر رمضان ليلاً، وهو يحسب أن الفجر لم يطلع، أو يؤخر صلاة في يوم غيم، وهو ينتظر بتأخيرها إياها دخول وقتها، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل، فإن ذلك من الموضوع عن العبد الذي وضع الله ﷻ عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربه ألا يؤاخذ به. انتهى باختصار.

(١) الغلظة: غليان شهوة المواقعة من الرجل والمرأة.



## سورة آل عمران

ذكر أهل التفسير أنها مدنية، وأن صدرأ من أولها نزل في وفد نجران، قدموا النبي ﷺ في ستين ركباً، فيهم العاقب، والسيد، فخاصموه في عيسى، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر (آل عمران) إلى يضع وثمانين آية منها.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ① زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ وَالْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ② مِنْ قَبْلِ هَٰذَا لِقَائِكَ وَإِذْ قَالَ الْفَرَقَانُ ③﴾

قوله تعالى: ﴿زَكَرَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحَقُّ﴾ يعني: العدل. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب. وقيل: إنما قال في القرآن: ﴿نَزَلَ﴾ بالتشديد، وفي التوراة والإنجيل: أنزل، لأن كل واحد منهما أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة. فأما التوراة، فذكر ابن قتيبة عن الفراء أنه يجعلها من: وري الزند يري: إذا خرجت ناره، وأورثته، يريد أنها ضياء. قال ابن قتيبة: وفيه لغة أخرى: وري يري، ويقال: وريت بك زنادي، والإنجيل، من نجلت الشيء: إذا أخرجه، وولد الرجل: نجله، كأنه هو استخرجه، يقال: قبح الله ناجليه، أي: والديه، وقيل للماء يقطر من البئر: نجل، يقال: قد استنجل الوادي: [إذا ظهر نزره]. وإنجيل: إفعيل من ذلك، كان الله أظهر به عافياً من الحق دارساً. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: والإنجيل: أعجمي معرب، قال: وقال بعضهم: إن كان عربياً، فاشتقاقه من النجل، وهو ظهور الماء على وجه الأرض، واتساعه، ونجلت الشيء: إذا استخرجته وأظهرته، فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم، وقيل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم<sup>(١)</sup>. وفي الفرقان هاهنا قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة، والجمهور. قال أبو عبيدة: سمي القرآن فرقاناً، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر، والثاني: أنه الفصل بين الحق والباطل في أمر عيسى حين اختلفوا فيه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقال السدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: وأنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، فيه هدى للناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ④﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد وفد نجران النصارى، كفروا بالقرآن، وبمحمد. والانتقام: المبالغة في العقوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ⑤ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ فِي الْأَنْحَارِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ⑤﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: هذا تعريض بنصارى أهل نجران فيما كانوا ينظرون عليه من كيد النبي ﷺ، وذكر التصوير في الأرحام تنبيه على أمر عيسى.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ التَّاتِيلَةِ وَتَّاتِيلَةٍ تَأْوِيلَةٍ وَمَا يَسْلُمُ نَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ⑦﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ المحكم: المتقن المبين، وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس،

(١) قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المعرب» للجواليقي: والصحيح أن الكلمة يونانية الأصل، أصلها «أونجيليون» مركبة من كلمتين معناهما: البشرى الحسنة.

ومجاهد. والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله. روي عن جابر بن عبد الله. والرابع: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. والخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان. ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً. والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة. والثامن: إنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى<sup>(١)</sup>. وأم الكتاب أصله. قاله ابن عباس، وابن جبير، فكانه قال: هن أصل الكتاب اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام. وفي المتشابهة سبعة أقوال: أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. والثالث: أنه الحروف المقطعة كقوله: ﴿الْعَمَّ﴾ ونحو ذلك، قاله ابن عباس. والرابع: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. الخامس: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. والسادس: أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفي على مميّز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات. والسابع: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى. فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدى؟ ففته أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما كان كلام العرب على ضربين: أحدهما: الموجز الذي لا يخفي على سامعه، ولا يحتمل غير ظاهره. والثاني: المجاز، والكنايات، والإشارات، والتلويحات، وهذا الضرب الثاني هو المستحلى عند العرب، والبديع في كلامهم، أنزل الله تعالى القرآن على هذين الضربين، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله، فكانه قال: عارضوه بأي الضربين شئتم، ولو نزل كله محكماً واضحاً، لقالوا: هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا. ومتى وقع في الكلام إشارة أو كناية، أو تعريض أو تشبيه، كان أفصح وأغرب.

قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي  
بسهميك في أعشار قلب مقتل<sup>(٢)</sup>  
فجعل النظر بمنزلة السهم على جهة التشبيه، فحلا هذا عند كل سامع ومنشد، وزاد في بلاغته. وقال امرؤ القيس أيضاً:

رمتني بسهم أصاب الفؤاد  
غداة الرحيل فلم أنتصر<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضاً:

فقلت له لما تمطى بصلبه  
وأردف أعجازاً وناء بكلكل<sup>(٤)</sup>  
فجعل ليل صلباً وصدراً على جهة التشبيه، فحسن بذلك شعره. وقال غيره:

من كميّت أجادها طابخاها  
لعمركم بالظالمين: الليل والنهار على جهة التشبيه. وقال آخر:

تبكي هاشماً في كل فجر  
كما تبكي على الفنن الحمام

(١) قال القاسمي في «محاسن التأويل» ص ٧٥٢: للعلماء في المحكم والمتشابه أقوال كثيرة، ومباحث واسعة، وأبدع ما رأيته في تحرير هذا المقام مقالة سابعة الذيل لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية عليه الرحمة والرضوان. ويعني بهذه المقالة الرسالة الموسومة بـ «الإكليل في المتشابه والتأويل» وقد أنبتها القاسمي رحمه الله في تفسيره بطولها.

(٢) شرح القصائد السبع ص ٤٧. ذرفت: سال دمعها. وأراد بالسهمين: العينين. الأعشار: القطع والكسور. المقتل: المذل. يقول: ما بكيت إلا لتجرحي قلباً مشعراً، أي: مكسراً، ولم تبكي، لأنك مظلومة. وقال غير الأصمعي: كاذرفت عيناك إلا لتذهبي قلبي كله، كالرجل الذي يأخذ المعلى والغريب، وهما من سهام القمار ولهما عشرة أنصباء، والجزور يقسم عشرة أعشار، وهذا مثل ضربته لذهابها بقلبه كله.

(٣) «ديوانه» ص ١٥٥. وقوله: رمتني بسهم، أي: نظرت إليّ نظرة فلم أنتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبها من قلبي. وقال الطوسي: سهمها: هانتها. عيناها.

(٤) شرح القصائد السبع ص ٧٥. تمطى: تمدد. جزوه: وسطه. يقال: تمطى الرجل إذا تمدد، أي مد مطاء: أي ظهره. يقول: قلت ليل لما أنرط طول، وناءت أرائله، وإزادتت أواخره تطاولاً، وطول الليل ينبئ عن مقاساة الأحزان والشدائد، والسهرة المتولى منها، لأن المغموم يستطيل ليله، والمسروور يستصر ليله.

وقال آخر:

عجبت لها أنى يكون غناؤها

فصيحاً ولم تفتح بمنطقها فما

فجعل لها غناء وفماً على جهة الاستعارة. والجواب الثاني: أن الله تعالى أنزله مختبراً به عباده، ليقف المؤمن عنده، ويرده إلى عالمه، فيعظم بذلك ثوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيف، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاههم بنهر طالوت. والثالث: أن الله تعالى أراد أن يشغل أهل العلم بردهم المتشابه إلى المحكم، فيطول بذلك فكرهم، ويتصل بالبحث عنه اهتمامهم، فيثابون على تعبهم، كما يثابون على سائر عباداتهم، ولو جعل القرآن كله محكماً لاستوى فيه العالم والجاهل، ولم يفضل العالم على غيره، ولماتت الخواطر، وإنما تقع الفكرة والحيلة مع الحاجة إلى النهم. وقد قال الحكماء: عيب الغنى: أنه يورث البلادة، وفضل الفقر: أنه يبعث على الحيلة، لأنه إذا احتاج احتال. والرابع: أن أهل كل صناعة يجعلون في علومهم معاني غامضة، ومسائل دقيقة ليخرجوا بها من يعلمون، ويمرتوهم على انتزاع الجواب، لأنهم إذا قدروا على الغامض، كانوا على الواضح أقدر، فلما كان ذلك حسناً عند العلماء، جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو، وهذه الأجوبة معنى ما ذكره ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ فِي قُلُوبِهِمُ الذِّكْرَ﴾ في الزيف قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أنه الميل، قاله أبو مالك، وعن ابن عباس كالقولين. وقيل: هو الميل عن الهدى. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الخوارج، قاله الحسن. والثاني: المنافقون، قاله ابن جريج. والثالث: وقد نجران من النصارى، قاله الربيع. والرابع: اليهود، طلبوا معرفة بقاء هذه الأمة من حساب الجمل، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَيَتَمَنَّوْنَ مَا فَتَنَّا بِهٖ﴾ قال ابن عباس: يُحِيلُونَ المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلبسون. وقال السدي: يقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت؟! وفي المراد بالفتنة هاهنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله السدي، والربيع، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الشبهات، قاله مجاهد. والثالث: إفساد ذات البين، قاله الزجاج. وفي التأويل وجهان: أحدهما: أنه التفسير. والثاني: العاقبة المتظرة. والراسخ: الثابت، يقال: رسخ يرسخ رسوخاً. وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مستأنفون، وقد روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ: (ويقول الراسخون في العلم آمناً به) وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود، وأبي ابن كعب، وابن عباس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والفراء، وأبو عبيدة، وثعلب، وابن الأنباري، والجمهور. قال ابن الأنباري: في قراءة عبد الله: (إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم) وفي قراءة أبي، وابن عباس: (ويقول الراسخون) وقد أنزل الله تعالى في كتابه أشياء، استأثر بعلمها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] فأنزل الله تعالى المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقى. والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء. وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وهذا قول مجاهد، والربيع، واختاره ابن قتيبة، وأبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: الذي روى هذا القول عن مجاهد ابن أبي نجيع، ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد.

﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ رَبِّهِمْ فَيَوْمَ ذَٰلِكَ

اللَّهُ لَا يُخْلِكُ الْيَاسَكَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُخِزْ قُلُوبَنَا﴾ أي يقولون: (ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد إذ هديتنا) وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وابن يعمر، والجاحدي «لا تُخِزْ» بفتح التاء «قُلُوبُنَا» برفع الباء. ولدنك: بمعنى عندك. والوهاب: الذي يجود بالعطاء من غير استئابة، والمخلوقون لا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولدناً لعقيم، والله تعالى قادر على أن يهب جميع الأشياء.





ورؤية. واختلّفوا في الفة الرائية على ثلاثة أقوال، هي التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾. فإن قلنا: إن الفة الرائية المسلمون، فوجهه أن المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين، فأروهم على ما هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود. وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر. وقد قرأ نافع: «ترونيهم» بالتاء. قال ابن الأنباري: ذهب إلى أن الخطاب لليهود. قال الفراء: ويجوز لمن قرأ «يرونهم» بالياء أن يجعل الفعل لليهود، وإن كان قد خاطبهم في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لأن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. وقد شرحنا هذا في «الفاتحة» وغيرها. فإن قيل: كيف يقال: إن المشركين امتكثروا المسلمين. وإن المسلمين استكثروا المشركين، وقد بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّيَّسُتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلَكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤] أن الفئتین تساوتا في استقلال إحداهما للأخرى؟ فالجواب: أنهم استكثروهم في حال، واستقلوهم في حال، فإن قلنا: إن الفة الرائية المسلمون، فإنهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه، ثم قلل الله المشركين في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فنصرهم الله بذلك السبب. قال ابن مسعود: نظرنا إلى المشركين فرأيانهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم، فما رأيانهم يزيدون علينا رجلاً واحداً. وقال في رواية أخرى: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مئة، فأسرنا منهم رجلاً، فقلت: كم كنتم؟ قال: ألفاً وإن قلنا: إن الفة الرائية المشركون، فإنهم استقلوا المسلمين في حال، فاجترؤوا عليهم، واستكثروهم في حال، فكان ذلك سبب خذلانهم، وقد نقل أن المشركين لما أسروا يومئذ، قالوا للمسلمين: كم كنتم؟ قالوا: كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر. قالوا: ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾، أي: يقوي. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ في الإشارة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النصر. والثاني: إلى رؤية الجيش مثليهم. والعبرة: الدلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور، كأنه طريق يُعبر به، ويتوصل به إلى المراد. وقيل: العبرة: الآية التي يعبر منها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم. والأبصار: العقول والبصائر.

﴿زَيْنَ لَقَائِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَنْصَبِ وَالْأَنْصَبِ وَالْأَنْصَبِ﴾

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لَقَائِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ﴾ قرأ أبو رزين العقيلي، وأبو رجاء العطاردي، ومجاهد، وابن محيصن «زَيْنَ» بفتح الزاي «حُبِّ» بنصب الباء، وقد سبق في «البقرة» بيان التزيين. والقناطر: جمع قطار، قال ابن دريد: ليست النون فيه أصلية، وأحسب أنه معرب. واختلف العلماء هل هو محدود أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه محدود، ثم فيه أحد عشر قولاً: أحدها: أنه ألف ومثنا أوقية، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> وبه قال معاذ بن جبل، وابن عمر، وعاصم بن أبي النجود، والحسن في رواية. والثاني: أنه اثنا عشر ألف أوقية، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وعن أبي هريرة كالقولين، وفي رواية عن أبي هريرة أيضاً: اثنا عشر أوقية. والثالث: أنه ألف ومثنا دينار، ذكره الحسن، ورواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنه اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وروي عن الحسن، والضحاك، كهذا القول، والذي قبله. والخامس: أنه سبعون ألف دينار، وروي عن ابن عمر، ومجاهد. والسادس: ثمانون ألف درهم، أو مئة رطل من الذهب، وروي عن سعيد بن المسيب، وقتادة. والسابع: أنه سبعة آلاف دينار، قاله عطاء. والثامن: ثمانية آلاف مثقال، قاله السدي. والتاسع: أنه ألف مثقال ذهب أو فضة، قاله الكلبي. والعاشر: أنه ملء مسك ثور ذهباً، قاله أبو نضرة، وأبو عبيدة. والحادي عشر: القنطار: رطل من الذهب، أو الفضة، حكاه ابن الأنباري. والقول الثاني: أن القنطار ليس بمحدود. وقال الربيع بن أنس: القنطار: المال الكثير، بعضه على بعض، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحد، وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

(١) رواه الطبري في «الظهير» وذكره ابن كثير، وقال: وهذا حديث منكراً أيضاً، والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب، فغيره من الصحابة.

(٢) رواه أحمد في «المستد» وابن ماجه مرفوعاً، ورواه ابن جرير ووكيع موقوفاً. قال ابن كثير: وهذا أصح.

قال ابن الأنباري: قال بعض اللغويين: القنطار: العقدة الوثيقة المحكمة من المال. وفي معنى المقنطرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المضغفة، قال ابن عباس: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها المكملة، كما تقول: بدرة مبدرة، وألف مؤلفة، وهذا قول ابن قتيبة. والثالث: أنها المضروبة حتى صارت دنائير ودراهم، قاله السدي. وفي المسومة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الراعية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل. قال ابن قتيبة: يقال: سامت الخيل، وهي سائمة: إذا رعت، وأسمنتها وهي مسامة، وسومتها فهي مسومة: إذا رعيته، والمسومة في غير هذا: المعلمة في الحرب بالسومة وبالسائم، أي: بالعلامة. والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، وعن الحسن كالقولين. وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة. والثاني: بالكس، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان. والثالث: أنها الحسان، قاله ابن عكرمة، ومجاهد. فأما الأنعام، فقال ابن قتيبة: هي: الإبل، والبقرة، والغنم، واحدها: نعم، وهو جمع لا واحد له من لفظه. والمأب: المرجع. وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها.

﴿قُلْ أَذِيقُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لَّيْلِنَ أَنْفَعًا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ مَطْمَئِنَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنْ أَفْوٍ وَاللَّهُ بِمَا يَصِفُ بِالْوَسْوَاسِ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذِيقُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ روى عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِلَّذِينَ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾. قال عمر: يا رب الآن حين زيتنها؟! فنزلت: ﴿قُلْ أَذِيقُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ﴾ ووجه الآية أنه خير أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوباً، ليتروا ما يحبون لما يرجون. فأما الرضوان، فقرأ عاصم، إلا حفصاً وأبان بن يزيد عنه، برفع الراء في جميع القرآن، واستثنى يحيى والعليمي كسر الراء في المائدة في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَتَمَّ رِضْوَانَكُمْ﴾ [المائدة: ١٦]. وقرأ الباقر بكسر الراء، والكسر لغة قريش. قال الزجاج: يقال: رضيت الشيء أرضاه رضى ومرضاه ورضواناً ورضواناً. ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَصِفُ بِالْوَسْوَاسِ﴾. يعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم على أعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْمَكُمُ لَدُنَّا دُورًا وَكَأَنَّا كَذُوبٌ وَكَأَنَّا كَذُوبٌ وَالْقَدِيرُونَ وَالْقَدِيرُونَ وَالْقَدِيرُونَ وَالْقَدِيرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْقَدِيرُونَ﴾ أي: على طاعة الله ﷻ، وعن محارمه ﴿وَالْقَدِيرُونَ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَالْقَدِيرُونَ﴾ بمعنى المطيعين لله ﴿وَالْقَدِيرُونَ﴾ في طاعته. وقال ابن قتيبة: يعني بالنفقة: الصدقة. وفي معنى استغفارهم قولان: أحدهما: أنه الاستغفار المعروف باللسان، قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه الصلاة. قاله مجاهد، وقاتل، والضحاك، ومقاتل في آخرين. فعلى هذا إنما سميت الصلاة استغفاراً، لأنهم طلبوا بها المغفرة. فأما السحر، فقال إبراهيم بن السري: السر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالشَّهَادَةُ أُولُو الْأَلْوَانِ قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَيْبُ الْمَكْبُوتُ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أجاز الشام قدما النبي ﷺ، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي ﷺ الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا

(١) ثبت في «الصحیح» وغيرهما من «السانید» و«السنن» من غیر وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «يُنزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له». وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري.





قال الأعشى:

ومن شأنه كاسف باله وهل يمنعني ارتيادي البلا  
إذا ما انتسبت له أنكرن د من حذر الموت أن يأتين<sup>(١)</sup>

فأما إذا لم يكن آخر آية أو قافية، فالأكثر إثبات البلاء، وحذفها جيد أيضاً، خاصة مع النونات، لأن أصل «اتبعتي» «اتبعتي» ولكن «النون» زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن البلاء، فأما إذا لم تكن النون، نحو غلامي وصاحبي، فالأجود إثباتها، وحذفها عند عدم النون جائز على قلتها، تقول: هذا غلام، قد جاء غلامي، وغلامي بفتح الباء وإسكانها، فجاز الحذف، لأن الكسرة تدل عليها.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّهِ أَوْثَرُ الْكِتَابِ﴾ يريد اليهود النصارى ﴿وَالْأَيْتِينَ﴾ بمعنى مشركي العرب، وقد سبق في البقرة شرح هذا الاسم.

قوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ قال الفراء: هو استفهام ومعناه الأمر<sup>(٢)</sup>، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾. [المائدة: ٩١].

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فذهبت طائفة إلى أنها محكمة، وأن المراد بها تسكين نفس النبي ﷺ عند امتناع من لم يجبه، لأنه كان يحرص على إيمانهم، ويتألم من تركهم الإجابة. وذهبت طائفة إلى أن المراد بها الاختصار على التبليغ، وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْبُرْهَانَ الَّذِي بُرِّهَتْ بِآيَاتِهِ مِنْ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ١١ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: عنى بذلك اليهود والنصارى. قال ابن عباس: والمراد بآيات الله محمد والقرآن. وقد تقدم في «البقرة» شرح قتلهم الأنبياء، والقسط، والعدل. وقرأ الجمهور: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْبُرْهَانَ بِأَشْرُوتٍ بِالْقُوسِ﴾. وألف. وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ أنه قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة وأثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوه عن المنكر، فقتلوا جميعاً في آخر النهار، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه<sup>(٣)</sup>» وأنزل الآية فيهم. وإنما يخبر بهذا اليهود الذين كانوا في زمن النبي ﷺ لأنهم تولوا أولئك، ورضوا بفعلهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ بمعنى: أخبرهم، وقد تقدم شرحه في «البقرة» ومعنى حبطت: بطلت.

﴿أَمْ تَرَى إِلَى اللَّهِ أَوْثَرًا نَبِيًّا مِنْ أَلْحَبِّ يُعْذِرُ لِكُلِّ سَاقِطٍ مُنْجِسٍ ١٣﴾ قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى اللَّهِ أَوْثَرًا نَبِيًّا مِنْ أَلْحَبِّ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ دخل بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله فقال رجلان منهم: على أي دين أنت؟ فقال: على ملة إبراهيم. قال: فإنه كان يهودياً. قال: فهلما إلى التوراة، فأبيا عليه، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن رجلاً من اليهود، وامرأة زنيا، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فرفعوا أمرهما إلى النبي ﷺ رجاء أن يكون عنده

(١) الديوان ص ١٩، ورواية صدر البيت الأول فيه: ومن شأنه كاسف وجهه. والثاني: الميفض. والكاسف الوجه: العابس المتغير.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآية وأمثالها من أصح الدلالات على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِحَسْبِ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نُبُوءًا﴾ [الفرقان: ١] وفي «الصحاحين» وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه بعث كتبه ﷺ يدعو إلى الله ملوك الأتاق، وطوائف بني آدم، من عربهم وعجمهم، كتابهم وأميهم، امتثالاً لأمر الله بذلك. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» رواه مسلم. وقال ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» رواه أحمد في «المسند» من حديث أبي موسى الأشعري، ورواه أيضاً من حديث أبي ذر.

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وفي سننه أبو الحسن مولى من بني أسد، وقد قال الحافظ في «اللسان»: مجهول.

(٤) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير.



رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقالوا: جزت علينا يا محمد، ليس علينا الرجم. فقال: بيني وبينكم التوراة، ف جاء ابن صوريا، فقرأ من التوراة، فلما أتى على آية الرجم، وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: قد جاوزها، ثم قام، فقرأها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديين، فرجما، فغضب اليهود. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقال نعمان بن أبي أوفى: هلم نحاكمك إلى الأحبار. فقال: بل إلى كتاب الله، فقال: بل إلى الأحبار، فنزلت هذه الآية، قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في جماعة من اليهود، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: نحن أحق بالهدى منك، وما أرسل الله نبياً إلا من بني إسرائيل. قال: فأخرجوا التوراة، فإني مكتوب فيها أني نبي، فأبوا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان. فأما التفسير، فالنصيب الذين أوتوه: العلم الذي علموه من التوراة. وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان: أحدهما: أنه التوراة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وقتادة. وفي الذين أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال: أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وقتادة. وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال: أحدها: ملة إبراهيم. والثاني: حد الزنى. روى عن ابن عباس. والثالث: صحة دين الإسلام، قاله السدي. والرابع: صحة نبوة محمد ﷺ، قاله مقاتل. فإن قيل: التولي هو الإعراض، فما فائدة تكريره؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: التأكيد. والثاني: أن يكون المعنى: يتولون عن الداعي، ويعرضون عما دعا إليه. والثالث: يتولون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم. والرابع: أن يكون الذين تولوا علماءهم، والذين أعرضوا أتباعهم، قاله ابن الأنباري.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّكَ الْكَافِرُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً وَعَرَّفُ فِي يَوْمِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (١٤)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ يعني: الذي حملهم على التولي والإعراض أنهم قالوا: ﴿لَنْ نَمَسَّكَ الْكَافِرُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ وقد ذكرناها في «البقرة»: ﴿يَفْتَرُونَ﴾: يخلقون. وفي الذي اختلقوه قولان: أحدهما: أنه قولهم: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، قاله مجاهد، والزجاج. والثاني: قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، قاله قتادة، ومقاتل.

﴿لَكَيْفَ إِذَا جِئْتَهُمْ يَوْمَ لَا رَبَّ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿لَكَيْفَ إِذَا جِئْتَهُمْ﴾ معناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿يَوْمَ﴾ أي: لجزاء يوم، أو لحساب يوم. وقيل: «اللام» بمعنى: «في».

﴿عَلَى اللَّهِ مَلِكٌ مُدَبِّرُ الْمُلُوكِ مَنْ تَشَاءُ وَنَزَعُ الْمُلُوكَ مِنْ تَحْتِ كُفْرٍ مِّنْ تَشَاءُ وَنُزِّلُ مِنَ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿عَلَى اللَّهِ مَلِكٌ مُدَبِّرُ الْمُلُوكِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك. والثاني: أن النبي ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية، حكاه قتادة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن اليهود قالوا: والله لا نطيع رجلاً جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما التفسير، فقال الزجاج: قال: الخليل، وسبيويه، وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: «اللهم» بمعنى «يا الله»، و«الميم» المشددة

(١) جاء في «الصحيحين» وفي مسند أبي داود واللفظ له عن ابن عمر أنه قال: إن اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ، فذكروا له أن رجلاً منهم وامراً زنياً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الزنى؟» فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة، فنشروها، فجعل أحدهم يده على آية الرجم، ثم جعل يقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفعها، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. فهذا الحديث الصحيح ليس فيه أن هذه القصة سبب لنزول الآية. وأثر المصنف رحمه الله إنما هو من رواية الكلبي عن أبي صالح. والكلبي هذا هو محمد بن السائب وقد اتفق العلماء على عدم الاحتجاج به، بل بعضهم نسب إلى الكذب، وقال البخاري: قال علي: حدثنا يحيى عن سفيان، قال لي الكلبي: كلما حدثك عن أبي صالح فهو كذب.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا ...

زبدت عوضاً من «يا»، لأنهم لم يجدوا «يا» مع هذه «الميم» في كلمة، ووجدوا اسم الله ﷻ مستعملاً بـ «يا» إذا لم تذكر الميم، فعملوا أن الميم في آخر الكلمة بمنزلة «يا» في أولها والضممة التي في «الهاء» هي ضمة الاسم المنادى المفرد. قال أبو سليمان الخطابي: ومعنى «مالك الملك»: أنه بيده، يؤتبه من يشاء، قال: وقد يكون معناه: مالك الملوك، ويحتمل أن يكن معناه: وارث الملك يوم لا يدعيه مدع، كقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْغَنِيُّ﴾ [الفرقان: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ نَشَأَةٍ﴾ في هذا الملك قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن جبير، ومجاهد. والثاني: أنه المال، والعبيد، والحفدة، ذكره الزجاج. وقال مقاتل: ﴿تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ نَشَأَةٍ﴾، يعني محمداً وأمه، وتتنزع الملك ممن تشاء، يعني فارس والروم. ﴿وَنُفِذْ مِنْ نَشَأَةٍ﴾ محمداً وأمه ﴿وَنُفِذْ مِنْ نَشَأَةٍ﴾ فارس والروم. وبماذا يكون هذا العز والذل؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: العز بالنصر، والذل بالقهر، والثاني: العز بالغنى، والذل بالفقر، والثالث: العز بالطاعة، والذل بالمعصية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَبَّاسُ﴾ قال ابن عباس: يعني النصر والغنيمة، وقيل: معناه بيدك الخير والشر، فاكتمى بأحدهما، لأنه المرغوب فيه.

﴿فُلَيْحُ أَيْدٍ فِي الْفَهَارِ وَفُلَيْحُ الْفَهَارِ فِي أَيْدٍ وَتُخْرِجُ الْعَمَى مِنَ الْعَمَى وَتُخْرِجُ الْبَصِيرَ مِنَ الْعَمَى﴾ قوله تعالى: ﴿فُلَيْحُ أَيْدٍ فِي الْفَهَارِ﴾ أي: تدخل ما نقصت من هذا في هذا. وقال ابن عباس، ومجاهد: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر. قال الزجاج: يقال: ولج الشيء يلج ولجاً ولجاً وولجة.

قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْعَمَى مِنَ الْعَمَى وَتُخْرِجُ الْبَصِيرَ مِنَ الْعَمَى﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ و«لِبَلَدٍ مَيِّتٍ» [الأعراف: ٥٧]، و«أَوْ مِنْ كَانَتْ مَيِّتًا» [الأنعام: ١٢٢]، و«وَلَنْ يَكُنْ مَيِّتًا» [الأنعام: ١٣٩]، و«وَالْأَرْضُ أَلْيَتُهُ» [يس: ٢٣] كله بالتخفيف. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: ﴿وَتُخْرِجُ الْعَمَى مِنَ الْعَمَى وَتُخْرِجُ الْبَصِيرَ مِنَ الْعَمَى﴾ و«لَنْ يَكُنْ مَيِّتًا» و«إِلَّا بَلَدٌ مَيِّتٌ» وخفف حمزة، والكسائي غير هذه الحروف. وقرأ نافع: «أَوْ مَنْ كَانَتْ مَيِّتًا» و«الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ» و«لَحْمٌ أَخِيهِ مَيِّتًا» [الحجرات: ١٢] وخفف في سائر القرآن ما لم يمت. وقال أبو علي: الأصل التشكيل، والمخفف محذوف منه، وما مات. وما لم يمت في هذا الباب مستويان في الاستعمال. وأنشدوا:

ومنهل فيه الغراب مَيِّتٌ  
فهذا قد مات. وقال آخر:

ليسَ مَنْ مَاتَ فاستراحَ بمَيِّتٍ  
إنما المَيِّتُ مَيِّتُ الأحياء<sup>(١)</sup>

خفف ما مات، وشدد ما لم يمت. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ يَتَّى وَرَأَيْتَهُمْ قَبِيْرُونَ﴾ [الزمر: ٢٠] ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخراج الإنسان حياً من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من الإنسان، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة، وإخراج البيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والجمهور. والثاني: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان، روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء. والثالث: أنه إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة، والنخلة الحية من النواة الميتة، والنواة الميتة من النخلة الحية، قاله السدي. وقال الزجاج: يخرج النبات الغض من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النامي.

قوله تعالى: ﴿يَعْتَرِ حَسَابٌ﴾ أي: بغير تقتير. قال الزجاج: يقال للذي يتفق موسعاً: فلان يتفق بغير حساب، كأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً.

(١) البيت نسبة في «اللسان» لعدي ابن الرعلاء وبعمه:

كاسفاً باله قليل الرجاء  
وأناس حلسوقهم في السماء

إنما الميت من يمشي شقياً  
فأناس يمشون ثماداً

﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَفْسُ وَلِأَنَّ الْمُصِيدُ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عبادة بن الصامت كان له خلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي، وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبي ﷺ، فنهى الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن قوماً من اليهود، كانوا يياطون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، هذا قول المقاتلين، ابن سليمان، وابن حيان. فأما التفسير، فقال الزجاج: معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان، كما تقول: زيد دونك، ولست تريد المكان، ولكنك جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع في المكان، والخسة كالاستفال في المكان. ومعنى ﴿لَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فإله بريء منه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا﴾ قرأ يعقوب، والمفضل عن عاصم «ثَقِيَّةً» بفتح التاء من غير ألف، قال مجاهد: إلا مصادقة في الدنيا. قال أبو العالية: التقاة باللسان، لا بالعمل.

### فصل

والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد - وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ - قال: لا. وقال: إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يبين الحق؟ وسنشرح هذا المعنى في «النحل» عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ﴾ [النحل: ١٠٦]، إن شاء الله.

﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي سُورَتِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَسَمِعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي سُورَتِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ﴾ قال ابن عباس: يعني اتخاذ الكافرين أولياء.  
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ قَدْ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَفْسُ وَاللَّهُ زَوَّاقٌ بِالْجَبَدِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ قال الزجاج: نصب «اليوم» بقوله: ﴿وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَفْسُ﴾ في ذلك اليوم. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون متعلقاً بالمصير، والتقدير: وإلى الله المصير، يوم تجد. ويجوز أن يكون متعلقاً بفعل مضمر، والتقدير: اذكر يوم تجد. وفي كيفية وجود العمل وجهان: أحدهما: وجوده مكتوباً في الكتاب. والثاني: وجود الجزاء عليه. والأمد: الغاية.

قال الطرماح:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعَمَلِ

وَمُؤَدِّ إِذَا انْقَضَى أَمَلُهُ <sup>(١)</sup>

يريد: غاية أجله.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ وقف

(١) «ديوانه» ١١٢ وروايته فيه:

وَمُؤَدِّ إِذَا انْقَضَى عَمَلُهُ

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعَمَلِ

يريد أن المرء هالك إذا انقضى عدد أيامه وأكله في هذه الحياة الدنيا.



على قريش، وقد نصبوا أصنامهم يسجدون لها، فقال: «يا معشر قريش: لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم»، فقالوا: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله، ليقربونا إلى الله زلفى. فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، فنزلت هذه الآية، فعرضها النبي ﷺ عليهم، فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن ناسا قالوا: إنا لنحب ربنا حبا شديدا، فأحب الله أن يجعل لحبه علما، فأنزل هذه الآية، قاله الحسن، وابن جريج. والرابع: أن نصارى نجران، قالوا: إنما نقول هذا في عيسى حبا لله، وتعظيما له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، واختاره أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمًا ذَا مَعْنًى﴾ فَإِنْ قُلُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِيبُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمًا ذَا مَعْنًى﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن عبد الله بن أبي قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى ابن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبا لله مما تدهوننا إليه، فنزلت: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ بِثَمَنِهِمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ بِثَمَنِهِمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ قال ابن عباس: نحن أبناء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونحن على دينهم، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يرى، لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرمي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عياناً، فنحن نعين الشيء الصافي أنه النقي من الكدر، فكذلك صفوة الله من خلقه. وفيه ثلاث لغات: صفوة، وصفوة، وصفوة. وأما آدم فعربي، وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة». وأما نوح، فأعجمي معرب، قال أبو سليمان الدمشقي: اسم نوح: السكن، وإنما سمي نوحاً، لكثرة نوحه. وفي سبب نوحه خمسة أقوال: أحدها: أنه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرقاشي. والثاني: أنه كان ينوح لمعاصي أهله، وقومه. والثالث: لمراجعته ربه في ولده. والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك. والخامس: أنه مر بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعبتني يا نوح، أم عبت الكلب؟ وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من كان على دينه، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد «آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله: ﴿وَبَقِيَ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ﴾. وذكره بعض أهل التفسير. وفي «عمران» قولان: أحدهما: أنه والد مريم، قاله الحسن، وروى. والثاني: أنه والد موسى، وهارون، قاله مقاتل. وفي «آله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عيسى عليه السلام، قاله الحسن. والثاني: أن آله موسى وهارون، قاله مقاتل. والثالث: أن المراد بـ«آله» نفسه، ذكره بعض المفسرين، وإنما خص هؤلاء الذكر، لأن الأنبياء كلهم من نسلهم. وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد اصطفاي دينهم على سائر الأديان، قاله ابن عباس، واختاره الفراء، والدمشقي. والثاني: اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها على أهل زمانهم. والمراد بـ«العالمين»: عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

﴿ذُرِّيَّةً بِضَآئِفَةٍ يَتَرْتَمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَلَلَّ يَوْمَئِذٍ سِوَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بِضَآئِفَةٍ يَتَرْتَمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَلَلَّ يَوْمَئِذٍ سِوَهُمْ﴾ قال الزجاج: بضئفاً على البذل، والمعنى: اصطفاي ذرية بعضها من بعض. قال ابن الأنباري: وإنما قال: بعضها، لأن لفظ الذرية مؤنث، ولو قال: بعضهم، ذهب إلى معنى الذرية. وفي معنى هذه البعضية قولان: أحدهما: أن بعضهم من بعض في التناثر والدين، لا في التنازل، وهو معنى قول ابن عباس،

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» من طريق جوير، عن الضحاك، عن ابن عباس. وجوير، هو أبو القاسم البلخي، نزيل الكوفة، راوي التفسير، قال الحافظ في «التزيين»: ضعيف جداً.





قبولاً يقال: قبلت الشيء قبُولاً، ويجوز قبُولاً: إذا رضيته. ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً، وجاء «نباتاً» على غير لفظ أنبت، على معنى: نبت نباتاً حسناً. وقال ابن الأنباري: لما كان «أنبت» يدل على «نبت» حمل الفعل على المعنى، فكانه قال: وأنبتها، فنبتت هي نباتاً حسناً. قال امرؤ القيس:

فصرنا إلى الحسنى ورقاً كلامنا ورضتُ فذلَّتْ صعبةً أيّ إذلال<sup>(١)</sup>

أراد: أي رياضة، فلما دل «رضت» على «أذللت» حمّله على المعنى. وللمفسرين في معنى النبات الحسن، قولان. أحدهما: أنه كمال النشوء، قال ابن عباس: كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام، والثاني: أنه ترك الخطايا. قال قتادة: حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب، كما يصيب بنو آدم.

قوله تعالى: ﴿وَكُفِّلَهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وكفلها» بفتح الفاء خفيفة، و«زكرياء» مرفوع ممدود. وروى أبو بكر عن عاصم: تشديد الفاء، ونصب «زكرياء»، وكان يمد «زكرياء» في كل القرآن في رواية أبي بكر. وروى حفص عن عاصم: تشديد الفاء و«زكريا» مقصورة في كل القرآن. وكان حمزة والكسائي يشددان «وكفلها»، ويقصران «زكريا» في كل القرآن. فأما «زكريا» فقال الفراء: فيه ثلاث لغات: أهل الحجاز يقولون: هذا زكريا قد جاء، مقصور، وزكرياء، ممدود، وأهل نجد يقولون: زكري، فيجرونه، ويلقون الألف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، عن ابن دريد، قال: زكري اسم أعجمي، يقال: زكريء، وزكرياء ممدود، وزكريا مقصور. وقال غيره: وزكري بتخفيف الياء، فمن قال: زكرياء بالمد، قال في التثنية: زكرياوان، وفي الجمع زكرياؤون، ومن قال: زكريا بالقصر، قال في التثنية زكريان، كما تقول: مديان، ومن قال: زكري بتخفيف الياء، قال في التثنية: زكريان - الياء خفيفة، وفي الجمع: زكرون - بطرح الياء.

### الإشارة إلى كفالة زكريا مريم

قال السدي: انطلقت بها أمها في خرقها، وكانوا يقترعون على الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبيهم يومئذ: أنا أحقكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا إلى نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها. قال ابن عباس: كانوا سبعة وعشرين رجلاً، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن سعد قلمه مغالباً للجرية فهو أحق بها، فصعد قلم زكريا، فعلى هذا القول كانت غلبة زكريا بمساعدة قلمه، وعلى قول السدي بوقوفه في جريان الماء. وقال مقاتل: كان يغلّق عليه الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه أحداً، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلى منزله تكون مع أختها أم يحيى، فإذا طهرت، ردها إلى بيت المقدس. والأكثرون على أنه كفلها منذ كانت طفلة بالقرعة. وقد ذهب قوم إلى أنه كفلها عند طفولتها بغير قرعة، لأجل أن أمها ماتت، وكانت خالتها عنده، فلما بلغت، أدخلوها الكنيسة لنذر أمها، وإنما كان الاقتراع بعد ذلك بمدة، لأجل سنة أصابتهم. فقال محمد بن إسحاق: كفلها زكريا إلى أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلى بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن أيضاً كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتى اقترعوا، فخرج السهم على جريج النجار، وكان فقيراً، وكان يأتيها باليسير، فيمنّي، فدخل زكريا، فقال: ما هذا على قدر نفقة جريج؟ فمن أين هذا؟ قالت: هو من عند الله. والصحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تشاحوا على كفالتها، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة منذ طفولتها. فأما المحراب، فقال أبو عبيدة: المحراب سيد المجالس، ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد. وقال الأصمعي: المحراب هاهنا: الغرفة. وقال الزجاج: المحراب في اللغة: الموضع العالي الشريف.

(١) «ديوانه» ص ٣٢. وصرنا إلى الحسنى. أي: لما نحب من الأمور. ورق كلامنا: أي: صرنا إلى الصبا وجد اللعب واللهو والغزل، فلم نرفع أصواتنا لنلا يشعر بنا. ورضت قللت: بعد امتناع وصعوبة. والمعنى: لينتها بالكلام والمداراة، كما يراض البعير بالسير حتى يذل. وقوله: أيّ إذلال، محمول على: رضت، لأن معناه: أذلّت.

قال الشاعر:

رُبُّهُ مُحَرَّابٌ إِذَا جُنَّتْهَا

لَمْ الْقَهَا أَوْ أُرْتَقَى سَلْمًا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ قال ابن عباس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وهذا قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّكَ هَذَا﴾ أي: من أين؟ قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج، أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقاً. وقال الحسن: لم ترتفع ثدياً قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة. وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظئراً، وعلى ما ذكرنا عن ابن إسحاق يكون قوله لها: أنى لك هذا؟ لاستكثار ما يرى عندها. وما عليه الجمهور أصح. والحساب في اللغة: التقدير والضيق.

﴿هَٰذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبِّهٖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاۥ﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا لَكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبِّهٖ﴾ قال المفسرون: لما عاين زكريا هذه الآية العجيبة من رزق الله تعالى مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد على الكبر. و﴿وَمِنْ لَدُنْكَ﴾ بمعنى: من عندك. والذرية، تقال للجمع، وتقال للواحد، والمراد بها هاهنا: الواحد. قال الفراء: وإنما قال طيبة، لتأنيث الذرية، والمراد بالطيبة: النقية الصالحة. والسميع: بمعنى السامع. وقيل: أراد مجيب الدعاء.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُعَلِّمُ فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيَّتِينَ مُصَدِّقًا لِّمَا كَانُوا مِنْ آيَاتِهِ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر: «فنادته» بالناء، وقرأ حمزة، والكسائي: «فناداه» بالفاء مماله، قال أبو علي: هو كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَسُوۡةُ﴾ [يوسف: ٢٠]. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس: «فناداه» بالفاء. وفي الملائكة قولان: أحدهما: جبريل وحده، قاله السدي، ومقاتل، ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول: ركبت في السفن، وسمعت هذا من الناس. والثاني: أنهم جماعة من الملائكة، وهو مذهب قوم، منهم ابن جرير الطبري. وفي المحراب قولان: أحدهما: أنه المسجد. والثاني: أنه قبلة المسجد. وفي تسمية محراب الصلاة محراباً، ثلاثة أقوال: أحدها: لانفراد الإمام فيه، ويُعده من الناس، ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعد، ذكره ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد بن عبيد. والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام. والثالث: أنه من الحرب فالمصلي محارب للشیطان.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيَّتِينَ﴾ قرأ الأكثرون بفتح الالف على معنى: فنادته الملائكة بأن الله، فلما حذف الجار منها، وصل الفعل إليها، فنصبها. وقرأ ابن عامر، وحمزة، بكسر «إِنْ» فأضمر القول. والتقدير: فنادته، فقالت: إن الله يبشرك. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: يبشرك بضم الباء، وفتح الباء، والتشديد في جميع القرآن إلا في ﴿حَدَّ ۝١ عَسَى ۝٢﴾: ﴿يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣] فإنهما فتحا الباء وضما الشين، وخففاها. فأما نافع، وابن عامر، وعاصم، فشددوا كل القرآن. وقرأ حمزة: «يبشر» خفيفاً في كل القرآن، إلا قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُنَّ﴾ [الحجر: ٥٤]. وقرأ الكسائي «يبشر» مخففة في خمسة مواضع، في (آل عمران) في قصة زكرياء، وقصة مريم، في (بني إسرائيل)، وفي (الكهف) وفي (حم عسق) قال الزجاج: وفي «يبشرك» ثلاث لغات: أحدها: «يبشرك»، بفتح الباء وتشديد الشين. والثاني: «يبشرك» بإسكان الباء، وضم الشين. والثالثة: «يبشرك» بضم الباء وإسكان الباء، فمعنى «يبشرك» بالتشديد و«يبشرك» بضم الباء: البشارة. ومعنى «يبشرك» بفتح الباء: يَسْرُكُ ويفرحك، يقال: بَشَّرْتُ الرَّجُلَ أَبَشْرَهُ، : إذا أفرحته، وبشّر الرجل يَبْشُرُ: إذا فرح.

وَأَشْدُّ الْأَخْفَشِ وَالْكَسَائِي:

وَإِذَا لَقِيتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلِيِّ  
فَاعْنَهُمْ وَابْشُرْ بِمَا بَشُرُوا بِهِ  
عُتْبَرًا أَكْفُهُمْ بِقَاعِ مُمَجِّلٍ  
وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَاَنْزِلْ<sup>(١)</sup>

فهذا على بشر يبشر: إذا فرح. وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم: يلقاني ببشر. أي: بوجه منبسط، وفي معنى تسميته «يحيى» خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه، قاله ابن عباس. والثاني: لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان، قاله قتادة. والثالث: لأنه أحيا بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل. والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيتها، قاله الزجاج. والخامس: لأن الله أحيا بالطاعة، فلم يعص، ولم يهيم، قاله الحسن بن الفضل. وفي «الكلمة» قولان: أحدهما: أنها عيسى، وسمي كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقاتدة، والسدي، ومقاتل. وقيل: إن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر، وقتل يحيى قبل رفع عيسى. والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين. وجهه أن العرب تقول: أنشدني فلان كلمة، أي: قصيدة. وفي معنى السيد ثمانية أقوال: أحدها: أنه الكريم على ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، وأبو الشعثاء، والربيع، ومقاتل. والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبير. والسادس: أنه الحسن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك. والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد. والثامن: أنه الذي يفوق قومه في الخير، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير. فأما «الحصيرة» فقال ابن قتيبة: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنى مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس. ومما جاء على «فعلول» بمعنى «مفعول»: ركوب بمعنى مركوب، وحلوب بمعنى محلوب، وهيوب بمعنى مهيب. واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء؟ على أربعة أقوال: أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النساء، فروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا» قال: ثم دلى رسول الله ﷺ يده إلى الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود، ولذلك سماه الله سيداً وحصيراً»<sup>(٢)</sup> وقال سعيد بن المسيب: كان له كالثبوة. والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس، والضحاك. والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسن، وقاتدة، والسدي. والرابع: أنه كان يمنع نفسه من شهواتها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئَا مِنَ الْمَرْسَلِينَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من الصالحين الحال عند الله.

﴿قَالَ رَبِّ أَيْ يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَانْتَرَأَى عَلَاقَةً قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعُ مَا يُنَاقُ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَيْ يَكُونُ لِي عِلْمٌ﴾ أي: كيف يكون؟!.

قال الكمي:

أَتَى وَمِنْ أَيْنَ أَبْنِكَ الطَّرَبُ<sup>(٣)</sup>

(١) البيهقي لمجد قيس بن خفاف البرجمي من قصيدة حكيم أثبتتها صاحب «الأصمعيات» رقم ٨٧، و«المفصليات» رقم ١١٦. يهش إلى الشيء: فرح به فأسرع إليه. القاع: أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والأكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر. الممحل: المجذب. يقول: إذا رأيت الكرام الأسخياء، قد أجهدتهم السنة، والقطع، والجذب، حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس فأعتهم. وأبشر من: بشر على وزن فرح يبشر، يقال: أتاني أمر يبشر به، أي: سررت به. يقول: شاركهم في ارتياحهم، وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة. الضنك: الضيق. يقول: كن مع الكرام حيث كانوا، وأنزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم، من ضنك، وحاجة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم مرفوعاً وموقوفاً، ووصف ابن كثير المرفوع بأنه غريب جداً، وقال: الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، وكذلك ذكر السيوطي في «الدر المنثور» المرفوع والموقوف، وقال: الموقوف أقوى إسناداً من المرفوع.

(٣) تمامه: من حيث لا صبرة ولا ريب. وهو مطلع قصيدة له يمدح بها رسول الله ﷺ. أبك: جاءك وغشيك، وهو فعل ماضٍ من الأوب. الطرب: خفة من فرح أو حزن، والمراد الأول. الصبا: الصبي والشوق. الريب: جمع ريبة، وهي الشبهة. يقول: كيف طربت مع كبير سنك من حيث لا يوجد الطرب ومواضعه؟ الصبرة للفرح، والريب للحزن.



قال العلماء، منهم الحسن، وابن الأنباري، وابن كيسان: كأنه قال: من أي وجه يكون لي الولد؟ أيكون بإزالة العقر عن زوجتي، وردة شبابي؟ أم يأتي ونحن على حالنا؟ فكان ذلك على سبيل الاستعلام، لا على وجه الشك. قال الزجاج: يقال: غلام بين الغلوميّة وبين الغلاميّة، وبين الغلومة. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: الغلام: فعال، من الغلّمة، وهي شدة شهوة النكاح. ويقال للكهل: غلام.

قالت ليلي الأخيلى تمدح الحجاج:

غلام إذا هزّ القنّاء سقاها<sup>(١)</sup>

.....

وكان قولهم للكهل: غلام، أي: قد كان مرة غلاماً. وقولهم للطفل: غلام على معنى التناول، أي: سيصير غلاماً. قال: وقيل: الغلام الطار الشارب، ويقال للجارية غلامه. قال الشاعر:

يهان لها الغلامه والغلام<sup>(٢)</sup>

.....

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ الْكَبَرُ﴾ أي: وقد بلغت الكبر، قال الزجاج: كل شيء بلغته فقد بلغك. وفي سنة يؤمّنذ ستة أقوال: أحدها: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، امرأته بنت ثمان وتسعين سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة. والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله مقاتل. والرابع: ابن سبعين، حكاه فضيل بن غزوان. والخامس: ابن خمس وستين. والسادس: ابن ستين، حكاهما الزجاج. قال اللغويون: والعافر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه الولد، وإنما قال: «عافر»، ولم يقل: عاقرة، لأن الأصل في هذا الوصف للمؤنث، والمذكر فيه كالمستعار، فأجري مجرى «طالق» و«حائض» هذا قول الفراء.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَآذَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبَحَ بِآلَمِينَ وَالْإِنْسُكَرُ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على وجود الحمل. وفي علة سؤاله «آية» قولان: أحدهما: أن الشيطان جاءه، فقال: هذا الذي سمعت من صوت الشيطان، ولو كان من وحى الله، لأوحاه إليك، كما يوحى إليك غيره، فسأل الآية، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: أنه إنما سأل الآية على وجود الحمل ليبادر بالشكر، وليتعمّل السرور، لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله، فجعل الله آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام. فأما «الرمز» فقال الفراء: الرمز بالشفقتين، والحاجبين، والعينين، وأكثره في الشفتين. قال ابن عباس: جعل يكلم الناس بيده. وإنما منع من مخاطبة الناس، ولم يحبس عن الذكر لله تعالى. وقال ابن زيد: كان يذكر الله، ويشير إلى الناس. وقال عطاء بن السائب: اعتقل لسانه من غير مرض. وجمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل. وقال قتادة، والربيع بن أنس: كان ذلك عقوبة له إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة بالبشارة.

قوله تعالى: ﴿وَسَبَّحْ﴾ قال مقاتل: صل. قال الزجاج: يقال: فرغت من سبحتي، أي: من صلاتي. وسميت الصلاة تسيحاً، لأن التسيح تعظيم الله، وتبرئته من سوء، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئه من سوء.

قوله تعالى: ﴿بِآلَمِينَ﴾ العشي: من حين نزول الشمس إلى آخر النهار ﴿وَالْإِنْسُكَرُ﴾: ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى: قال الشاعر:

فلا الظلّ في برد الضحى تستطيعه

ولا الفيء من برد الشعي يذوق<sup>(٣)</sup>

قال الزجاج: يقال: أبكر الرجل يبكر إكباراً، وبكر يبكر تبكيراً، وبكر يبكر؛ في كل شيء تقدم فيه.

(١) الأماي ٨٦/١: وصدّره: شفاها من الداء المضال الذي بها. وقيله:

تنبّح أقصى دائها نشفاها

إذا مبط الحجاج أرضاً مريضة

(٢) هو عجز بيت من قصيدة لأوس بن غلفاء الهجيمي، وصدّره:

ومركضة صريح أبيوها

(٣) البيت لحمد بن ثور الهلالي: الديوان ص ٣٣. وهو من قصيدته الغزلية الجيدة التي قالها لما تقدم جمر بن الخطاب عليه السلام إلى الشعراء: ألا يشب أحد بامرأة إلا جلده، فخرج من عقوبة عمر بأن ذكر «مرحة» وسماها سرحة ملك. ورواية البيت في الديوان:

ولا الفيء منها بالمشي تذوق

فلا الظلّ منها بالضحى تستطيعه

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَلَكَرِكِ وَأَمْطَلَاكِ عَلَى نِسَاكِ الْمَلَائِكَةِ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ قال جماعة من المفسرين: المراد بالملائكة: جبريل وحده. وقد سبق معنى الاصطفاء. وفي المراد بالتطهير هاهنا أربعة أقوال. أحدها: أنه التطهير من الحيض، قاله ابن عباس. وقال السدي: كانت مريم لا تحيض. وقال قوم: من الحيض والنفس. والثاني: من مس الرجال، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: من الكفر، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: من الفاحشة والإثم، قاله مقاتل. وفي هذا الاصطفاء الثاني أربعة أقوال: أحدها: أنه تأكيد للأول. والثاني: أن الأول للعبادة، والثاني: لولادة عيسى عليه السلام. والثالث: أن الاصطفاء الأول اختيار مبهم، وعموم يدخل فيه صوالح من النساء، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها على نساء العالمين. والرابع: أنه لما أطلق الاصطفاء الأول، أبان بالثاني أنها مصطفاة على النساء دون الرجال. قال ابن عباس، والحسن وابن جريج: اصطفاهما على عالمي زمانها. قال ابن الأنباري: وهذا قول الأكثرين<sup>(١)</sup>.

﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ﴾ قد سبق شرح القنوت في «البقرة»، وفي المراد به هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه العبادة، قاله الحسن. والثاني: طول القيام في الصلاة، قاله مجاهد. والثالث: الطاعة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والرابع: الإخلاص، قاله سعيد بن جبیر. وفي تقديم السجود على الركوع أربعة أقوال: أحدها: أن الواو لا تقتضي الترتيب، وإنما تؤذن بالجمع، فالركوع مقدم، قاله الزجاج في آخرين. والثاني: أن المعنى استعلمي السجود في حال، والركوع في حال، لا أنهما يجتمعان في ركعة، فكانه حث لها على فعل الخير. والثالث: أنه مقدم ومؤخر، والمعنى: اركعي واسجدي، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُرَوِّدُكِ وَرَافِعُكِ ۝﴾ [آل عمران: ٥٥]، ذكرهما ابن الأنباري. والرابع: أنه كذلك كان في شريعتهم تقديم السجود على الركوع، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال مقاتل: ومعناه: اركعي مع المصلين قراء بيت المقدس. قال مجاهد: سجدت حتى قرحت.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَيْهَمْ أَنَّهُمْ كَيْفُؤُا مَرِيْمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝﴾

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾

﴿وَعَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ «ذلك» إشارة إلى ما تقدم من قصة زكرياء، ويحيى، وعيسى، ومريم. والأنباء: الأخبار. والغيب: ما غاب عنك. والوحي: كل شيء دلت به من كلام، أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة، قاله ابن قتيبة. والوحي في القرآن على أوجه تراها في كتابنا الموسوم بـ «الوجوه والنظائر» موقفة. وفي الأقلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يكتب بها، قاله ابن عباس، وابن جبیر، والسدي. والثاني: أنها العصي، قاله الربيع بن أنس. والثالث: أنها القداح، وهو اختيار ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: هي قداح جعلوا عليها علامات يعرفونها على جهة القرعة. وإنما قيل للسهم: القلم، لأنه يقلم، أي: يبرى. وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء، فقد قلمته، ومنه القلم الذي يكتب به، لأنه قُلم مرة بعد مرة، ومنه: قلمت لظفاري. قال: ومعنى: ﴿أَنَّهُمْ كَيْفُؤُا مَرِيْمَ﴾ لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها. ومعنى: ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم. وقد سبق شرح كفالتهم لها آنفاً. وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول الله له: «كن» فكان، قاله ابن عباس، وقاتدة. والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسى، وسمي كلمة، لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما يهتدى بالكلمة من الله تعالى. وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال: أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص، والأخمص: ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه كان لا يمسح

(١) قال الحافظ ابن حجر ٣٣٩/٦ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَكْنُكِ عَلَى نِسَاكِ الْمَلَائِكَةِ﴾ وظاهر أن مريم أفضل من جميع النساء، وهذا لا يمتنع عند من يقول: إنها نبيه، وأما من قال: ليست نبيه فيحمله على عالمي زمانها، وبالأول جزم الزجاج وجماعة، واختاره القرطبي، ويحتمل أيضاً أن يراد نساء بني إسرائيل أو نساء تلك الأمة.

بيده ذا عاهة إلا برا، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد. والرابع: أن معنى المسيح: الصديق، قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي، وذكره اليزيدي. قال أبو سليمان الدمشقي: ومعنى هذا أن الله مسحه، فطهره من الذنوب. والخامس: أنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، ذكره ثعلب. وبيان: أنه كان كثير السياحة. والسادس: أنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، قاله أبو سليمان الدمشقي، وحكاه ابن القاسم. وقال أبو عبيد: المسيح في كلام العرب على معنيين: أحدهما: المسيح الدجال، والأصل فيه: الممسوح، لأنه ممسوح أحد العينين. والمسيح عيسى، وأصله بالعبرانية «مسيحا» بالشين، فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سيناً، كما قالوا: موسى، وأصله بالعبرانية موسى. قال ابن الأنباري: وإنما بدأ بلقبه، فقال: المسيح عيسى ابن مريم، لأن المسيح أشهر من عيسى، لأنه قل أن يقع على سمي يشتبه به، وعيسى قد يقع على عدد كثير، فقدمه لشهرته، ألا ترى أن القاب الخلفاء أشهر من أسمائهم. فأما قوله: عيسى ابن مريم، فإنا نسب إلى أمه، لينفي ما قال عنه الملحدون من النصارى، إذ أضافوه إلى الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَجِبَاهَا﴾ قال ابن زيد: الوجيه في كلام العرب: المحبب المقبول. وقال ابن قتيبة: الوجيه: ذو الجاه. وقال الزجاج: هو ذو المنزلة الرفيعة عند ذوي القدر والمعرفة، يقال: قد وشه الرجل يؤجه وجهه، ولفلان جاه عند الناس، أي: منزلة رفيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْمُفَرِّقِينَ﴾ قال قتادة: عند الله يوم القيامة. والمهد: مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطئة. وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان: أحدهما: لتبرئة أمه مما قذفت به. والثاني: لتحقيق معجزته الدالة على نبوته. قال ابن عباس: تكلم ساعة من مهده، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق. ﴿وَكَهَلًا﴾ قال: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالى، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله. وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة، فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله. قال ابن الأنباري كان ﷺ قد زاد على الثلاثين، ومن أربى عليها، فقد دخل في الكهولة. والكهول عند العرب: الذي قد جاوز الثلاثين، وإنما سمي الكهل كهلاً، لاجتماع قوته، وكمال شبابه، وهو من قولهم: قد اكتهل النبات. وقال ابن فارس: الكهل: الرجل حين وخطه الشيب. فإن قيل: قد علم أن الكهل يتكلم، فعنه ثلاثة أجوبه: أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَكَهَلًا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء. والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلى حال، ولو كان إلهاً لم يدخل عليه هذا التغير، ذكره ابن جرير الطبري. والثالث: أن المراد بالكهول: الحليم، قاله مجاهد.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ في علة قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت هذا تعجباً واستفهاماً، لا شكاً وإنكاراً، على ما أشرنا إليه في قصة زكريا، وعلى هذا الجمهور. والثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت نظنه آدمياً يريد بها سوءاً، ولهذا قالت: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٢١٨]، فلما بشرها لم تتيقن صحة قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: ولم يقرني زوج. والمس: الجماع، قاله ابن فارس. وسمي البشر بشراً، لظهورهم، والبشرة: ظاهر جلد الإنسان، وأبشرت الأرض: أخرجت نباتها. وبشرت الأديم: إذا قشرت وجهه، وتباشير الصبح: أوائله. قال - يعني جبريل: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسر في «البقرة».

﴿وَيَرْكَبُهُ السَّمَكُ وَالطَّيْرُ وَالْإِنجِيلُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَرْكَبُهُ السَّمَكُ﴾ قرأ الاكثرون «ونعلمه» بالنون، وقرأ نافع، وعاصم بالياء، فعطفاه على قوله: «يشرك». وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه كُتِبَ النبيين وعلمهم، قاله ابن عباس. والثاني: الكتابة. قاله ابن جريج، ومقاتل. قال ابن عباس: والحكمة: الفقه، وقضاء النبيين.



﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتْرَعُهُ الْأَكْهَمَ وَالْأَبْرَصَ وَأَتِيَّ الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا﴾ قال الزجاج: ينتصب على وجهين: أحدهما: ونجعله رسولاً. والاختيار عندي: ويكلم الناس رسولاً.

قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلَقْتُ﴾ قرأ الأكثرون «أني» بالفتح، فجعلوها بدلاً من آية، فكانه قال: قد جئتكم بأني أخلق لكم، وقرأ نافع بالكسر، قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون مستأنفاً. والثاني: أنه فسر الآية بقوله: إني أخلق، أي: أصور وأقدر. قال ابن عباس: أخذ طيناً، وصنع منه خفاشاً، ونفخ فيه، فإذا هو بطير، ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال: إن بني إسرائيل نعتوه بذلك، لأن الخفاش عجيب الخلق. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسأله أشد الطير خلقاً، لأنه يطير بغير ريش. وقال وهب: كان الذي صنعه يطير ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم، سقط ميتاً، ليميز فعل الخلق من فعل الخالق. والأكثرون قرؤوا ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وقرأ نافع هاهنا وفي (المائدة) «طائرًا». قال أبو علي: حجة الجمهور قوله تعالى: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ولم يقل: كهية الطائر. ووجه قراءة نافع: أنه أراد: يكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه، طائرًا. وفي «الأكه» أربعة أقوال: أحدها: أنه الذي ولد أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الأعمى، ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمار عن قتادة، وبه قال الحسن، والسدي. وحكى الزجاج عن الخليل أن الأكه: هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يعمي، وإن كان بصيراً. والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة. والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد والضحاك. والأبرص: الذي به وضح. وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام، علم الطب، فأراهم المعجزة من جنس ذلك، إلا أنه ليس في الطب إبراء الأكه والأبرص، وكان ذلك دليلاً على صدقه. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، وإنما كان يداويهم بالدعاء. وذكر المفسرون أنه أحيأ أربعة أنفس من الموت، وعن ابن عباس: أن الأربعة كلهم بقي حتى ولد له، إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ قال سعيد بن جبير: كان عيسى إذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا غلام إن أهلك قد هيؤا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه<sup>(١)</sup>؟ وقال مجاهد: بما أكلتم البارحة، وبما خيأتم منه. وعلى هذا المفسرون، إلا أن قتادة كان يقول: وأنبئكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها، ولا يدخروا، فلما خانوا، مُسخوا خنازير<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بِهِمْ آلِؤَىٰ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ يُنَبِّئُكُمْ بِآيَاتِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْفُخُوا اللَّهُ بِأُصْبُؤِهِمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال الزجاج: نصب «مصدقاً» على الحال، أي: وجئتكم مصدقاً ﴿وَلَأَجَلَ لَكُمْ بِهِمْ آلِؤَىٰ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قال قتادة: كان قد حرم عليهم موسى الإبل والثوب<sup>(٣)</sup> وأشياء من الطير، فأحلها عيسى. قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِآيَاتِهِ﴾ أي: بآيات تعلمون بها صدقي، وإنما وحد، لأن الكل من جنس واحد ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: من عند ربكم.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ فَأَلْكَ الْكَرَاطِيُّونَ عَنْهُمُ أَنْصَارُ اللَّهِ عَامَتَا يَوْمَ الْيَوْمِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

(١) أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر عليه السلام.

(٣) الثوب: جمع ثوب، وهي الشعم الرقيق الذي يغشى الكرش والأعضاء والمصارين من الذبائح والأنعام.





قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْأَيْكَ إِنْ مَطَّهَرْتُكَ إِنَّكَ كَرِيمٌ وَجَاعِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْآخِرَةِ كَفَرًا ۚ﴾ قال ابن قتيبة: التوقي، من استيفاء العدد، يقال: توفيت، واستوفيت، كما يقال: تيقنت الخبر، واستيقنته، ثم قيل للموت: وفاة، وتوف. وأنشد أبو عبيدة:

إن بنى الأردل ليسوا من أحدٍ  
ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد  
ولا توفاهم قريش في العدد<sup>(١)</sup>

أي: لا تجعلهم وفاء لعددها، والوفاء: التمام. وفي هذا التوفي قولان: أحدهما: أنه الرفع إلى السماء<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموت. فعلى القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى «متوفيك» قابضك من الأرض وفاقاً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحسن، وابن جريج، وابن قتيبة، واختاره الفراء، ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿مَلَأْنَا نَفْسِي كَيْتَ أَنْتَ أَزْوَاجٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه، لا بعد موته. وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: إني رافعك إليّ ومطهرّك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد ذلك، هذا قول الفراء، والزجاج في آخرين. فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته. قال سيعد بن المسيب: رُفِعَ عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وقال مقاتل: رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان. وقيل: عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. ويقال: ماتت قبل رفعه.

قوله تعالى: ﴿وَمَطَّهَرْتُكَ إِنَّكَ كَرِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رفعه من بين أظهرهم. والثاني: منعهم من قبله. وفي الذين اتبعوه قولان: أحدهما: أنهم المسلمون من أمة محمد ﷺ، لأنهم صدقوا بنبوته، وأنه روح الله وكلمته، هذا قول قتادة، والربيع، وابن السائب. والثاني: أنهم النصارى، فهم فوق اليهود، واليهود متسلطون مهجرون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَسَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلَفُونَ﴾ يعني الدين.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: هم اليهود والنصارى، وعذابهم في الدنيا بالسيف والجزية، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَبْغِي الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بالنون، وقرأ الحسن، وقاتدة، وحفص عن عاصم: «فيوفيههم» بآلاء معطوفاً على قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى﴾.

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يعني ما جرى من القصص. «وَمِنَ الْآيَاتِ»، يعني الدلالات على صحة رسالتك، إذ كانت أخباراً لا يعلمها أمي. «وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ» قال ابن عباس: هو القرآن. قال الزجاج: معناه: ذو الحكمة في تأليفه ونظمه، وإيانة الفوائد منه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

(١) الرجز لمنظور البوري كما في «اللسان» ٤٠٠/١٥. يريد: أن قريشاً لا تجعلهم تمام عددهم، ولا تستوفي بهم عددهم.

(٢) وهو الصحيح المتعين، قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الدجال، ثم يمكث في الأرض مدة - ذكرها، اختلفت الرواية في مبلغها - ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنون». ثم قال: «ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله ﷻ، لم يكن بالذي يمتيه مئة أخرى، فيجمع عليه ميتتين، لأن الله ﷻ إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم، ثم يحييهم، كما قال جل ثناؤه: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَرْجِعْكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ فِي ذَٰلِكَ يُنَبِّئُ» [الروم: ٤٠]. فتأويل الآية إذاً: قال الله لعيسى: يا عيسى إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ، ومطهرّك من الذين كفروا فجددوا نبوتك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزول هذه الآية، مخاصمة وفد نجران من النصارى للنبي ﷺ، في أمر عيسى، وقد ذكرناه في أول السورة. فأما تشبيه عيسى بآدم، فلأنهما جميعاً من غير أب.

قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: آدم. قال ثعلب: وهذا تفسير لآدم. وليس بحال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لِلَّهِ﴾ يعني لآدم، وقيل لعيسى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ما تلت الشياطين.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الحق مرفوع على خبر ابتداء محذوف، المعنى: الذي أنباتك به في قصة عيسى الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكين. والخطاب للنبي خطاباً للخلق، لأنه لم يشك.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَحْيِ فَقُلْ شَأْنَاؤُنَا وَشَأْنُكُمْ وَنِسَاءُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَكُمْ اللَّهُ عَلَى الْكَذِبِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى. والثاني: إلى الحق. والعلم: البيان والإيضاح.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ شَأْنَاؤُنَا﴾ قال ابن قتيبة: تعالى: تفاعل، من علوت، ويقال للثنين من الرجال والنساء: تعالينا، وللنساء: تعالين. قال الفراء: أصلها من العلو، ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إياها، صارت عندهم بمنزلة «هلم» حتى استجازوا أن يقولوا للرجل، وهو فوق شرف: تعال، أي: اهبط. وإنما أصلها: الصعود. قال المفسرون: أراد بأبنائنا: فاطمة والحسن، والحسين. وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿شَأْنَاؤُنَا وَنِسَاءُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسُكُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أراد علي بن أبي طالب، قاله الشعبي. والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه. والثاني: أراد الإخوان، قاله ابن قتيبة. والثالث: أراد أهل دينه، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أراد الأزواج. والخامس: أراد القرابة القريبة، ذكرهما علي بن أبي أحمد النيسابوري. فأما الابتهاال، فقال ابن قتيبة: هو التداعي باللعن، يقال: عليه بهلة الله. وبهلته، أي: لعنته. وقال الزجاج: معنى الابتهاال في اللغة: المبالغة في الدعاء، وأصله: اللاتعان، يقال: بهله الله، أي: لعنه. وأمر بالمبالهة بعد إقامة الحجة. قال جابر بن عبد الله: قدم وفد نجران فيهم السيد والعاقب، فذكر الحديث... إلى أن قال: فدعاهما إلى الملاعة، فوعده أن يفادياه، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيباه، فأقرا له بالخراج، فقال: «والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهم ناراً»<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ أَنَّ لِلْمُغِيرِ الْحَكِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الزجاج: دخلت «من» هاهنا تأكيداً ودليلاً على نفي جميع ما ادعى المشركون من الآلهة.

﴿إِنَّ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَوَلَّوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عن الملاعة، قاله مقاتل. والثاني: أنه عن البيان الذي أتى به

(١) يريد أن جملة «خلقه» تفسيرية لمثل آدم، فلا موضع لها من الإعراب، ولا يصلح أن تكون حالاً، لأن «خلقه» فعل ماضٍ، ولا يكون الحال منه، وقيل: هي في موضع الحال، وقد مع «خلقه» مقدرة، والعامل فيها معنى التشبيه. انظر: «معاني القرآن» للفراء، و«البحر المحيط» ٤٧٨/٢.

(٢) روى مسلم في «فضائل الصحابة» مطولاً من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) قال الحافظ ابن كثير: رواه ابن مردويه، ورواه الحاكم بمعناه، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، هكذا قال. وقد رواه أبو داود الطيالسي عن الشعبي مرسلاً، وهو أصح، وقد روي عن ابن عباس، والبراء نحو ذلك.

النبي ﷺ، قاله الزجاج. والثالث: عن الإقرار بوحدانية الله، وتنزيهه عن الصاحبة والولد، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الفساد هاهنا قولان: أحدهما: أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل، والثاني: الكفر، ذكره الدمشقي.

﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُ تَكَافُرًا إِلَّا كَلِمَةً سَلَّمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله قتادة، وابن جريج، والربيع بن أنس. والثاني: وقد نجران الذين حاجوا في عيسى، قاله السدي ومقاتل. والثالث: أهل الكتابين جميعاً، قاله الحسن. وقال ابن عباس: نزلت في القيسيين والرهبان، فبعث بها النبي ﷺ إلى جعفر وأصحابه بالحشة، فقرأها جعفر، والنجاشي جالس، وأشرف الحشة. فاما «الكلمة» فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله. فإن قيل: فهذه كلمات، فلم قال كلمة؟ فتنه جوابان: أحدهما: أن الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات. قال اللغويون: ومعنى كلمة: كلام فيه شرح قصة وإن طال، تقول العرب: قال زهير في كلمته؛ يراد في قصيدته.

قالت الخنساء:

وقافية مثل حد السنا  
تقد الذؤابة من يذبل  
نطقت ابن عمرو فسهلتها

فأوقعت القافية على القصيدة كلها، والغالب على القافية أن تكون في آخر كلمة من البيت، وإنما سميت قافية، لأن الكلمة تتبع البيت، وتقع آخره، فسميت قافية من قول العرب: قفوت فلاناً: إذا اتبعته، وإلى هذا الجواب يذهب الزجاج وغيره. والثاني: أن المراد بالكلمة: كلمات، فاكفى بالكلمة من كلمات، كما قال علقمة بن عبدة: بها جيف الحسرى فأما عظامها

أراد: وأما جلودها، فاكفى بالواحد من الجمع، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿سَلِّمَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال الزجاج: يعني بالسواء العدل، وهو من استواء الشيء، ويقال: للعدل سَوَاءٌ ونِواءٌ وسَوَاءٌ.

قال زهير بن أبي سلمى:

أروني خُطَّةً لا ضيمَ فيها  
فإن تدعوا السواء فليس بيني

قال: وموضع «أن» في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ خفض على البدل من «كلمة». المعنى: تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله، وجائز أن يكون «أن» في موضع رفع، كأن قاتلاً قال: ما الكلمة؟ فأجيب، فقيل: هي ألا نعبد إلا الله. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجود بعضهم لبعض، قاله عكرمة. والثاني: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جريج. والثالث: أن نجعل غير الله رباً، كما قالت النصارى في المسيح، قاله مقاتل والزجاج.

﴿يَكْفُرُ الْكَافِرُ تَكَافُرًا وَمَا أُنزِلَتْ الْتَوَارُثُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ الْكَافِرُ تَكَافُرًا﴾ قال ابن عباس، والحسن، والسدي: اجتمع عند النبي ﷺ

(١) الآيات من قصيدة تروى بها أخاها معاوية. وفي الديوان: «يهلك» بدل «يذهب» و«تفارق» بدل «تزايل». تقد: الذؤابة: أعلى كل شيء. يذبل: جبل في أقصى أرض بني كلاب. تقول: إن هذه القصيدة التي ينطق بها ماضية، كيف قاطع تقد قمم الجبال. وقولها: أبت أن تزايل أروهاها. أي: أن ذؤابة جبل يذبل ألفت الوعول، فكادت لا ترضى بأن لا تفارقها، تريد بذلك وصف علو الجبل، لأن الوعول لا تسكن سوى أعالي الجبال. وقولها: سهلها، أي: جثت بها سهلة.

(٢) الديوان ص ١٥ وفيه: أروني سنة لا عيب فيها. والسواء: العدل. يقول: أرونا سنة لا تعاب عليكم تسوي بيتنا في الحق. وقوله: تدعو السواء. أي: تركوا العدل، فلا يبقى بعضنا على بعض.



نصارى نجران، وأحبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانياً. فنزلت هذه الآية.

﴿هَآأَنَّتُمْ هَآؤَآءَ حَآجَّتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ فَلَمْ تُنَآجُوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿هَآأَنَّتُمْ﴾ قرأ ابن كثير «هأنتم» مثل: هعنتم، فأبدل من همزة الاستفهام «الهاء» أراد: أنتم. وقرأ نافع وأبو عمرو «هأنتم» ممدوداً، استفهام بلا همزة، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «هأنتم» ممدوداً مهموزاً، ولم يختلفوا في مد «هؤلاء» و«أولاء».

قوله تعالى: ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهٖ عِلْمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما رأوا وعينوا، قاله قتادة. والثاني: ما أمروا به، ونهوا عنه، قاله السدي. فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم ﷺ. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان بين إبراهيم وموسى، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسى وعيسى ألف وستمئة واثنان وثلاثون سنة. وقال ابن إسحاق: كان بين إبراهيم وموسى خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسى وعيسى ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة. وقد سبق في (البقرة) معنى الحنيف.

﴿مَا كَانَ إِبْرَآءِىْمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَرِيصًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ٦٧﴾ إِنَّكَ أَقْدَلُ النَّاسِ بِإِبْرَآءِىْمَ لِلَّذِيْنَ أَتَّبَعُوْهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِيْنَ ٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَقْدَلُ النَّاسِ بِإِبْرَآءِىْمَ لِلَّذِيْنَ أَتَّبَعُوْهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رؤساء اليهود قالوا للنبي ﷺ: لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية. ومعناها: أحق الناس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي ﷺ على دينه، قاله ابن عباس. والثاني: أن عمرو بن العاص أراد أن يغضب النجاشي على أصحاب النبي ﷺ، فقال النجاشي: إنهم ليشتمون عيسى! فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ فقالوا: يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألهاها إلى مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال: والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يَزِنُ هذا القذى، ثم قال: أبشروا، فلا دهورة<sup>(١)</sup> اليوم على حزب إبراهيم. قال عمرو بن العاص: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم. فأنزل الله يوم خصومتهم على النبي ﷺ هذه الآية، هذا قول عبد الرحمن بن غنم.

﴿وَدَّتْ طَّآءِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَآبِ لَوْ يُبَيِّلُوكَ وَمَا يُبَيِّلُوكَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُوْنَ ٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّآءِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَآبِ لَوْ يُبَيِّلُوكَ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا لمعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والطائفة: اسم لجماعة مجتمعين على ما اجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك. وفي هذه الطائفة قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله أبو سليمان الدمشقي. والضلال: الحيرة. وفيه هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاستئثار عن الحق إلى الباطل، وهو قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الإهلاك، ومنه ﴿أَوَدَا حَلَائِلُ فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]. قاله ابن جرير، والدمشقي. وفي قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُوْنَ﴾ قولان: أحدهما: وما يشعرون أن الله يدل المؤمنين على حالهم، والثاني: وما يشعرون أنهم يضلون أنفسهم.

﴿يَتَآَمَلُ الْكِتَآبُ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيَٰتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ ٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيَٰتِ اللَّهِ﴾ قال قتادة: يعني: محمداً والإسلام ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ﴾ أن بعث محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

﴿يَتَآَمَلُ الْكِتَآبُ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوْنَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ٧١﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ قال الزبيدي: معناه: لم تخلطون الحق بالباطل؟ قال ابن فارس: واللبس:

(١) قال في «اللسان» الدهورة: جمعك الشيء، وقذفك به في مهوة، ودهورت الشيء كذلك، وفي حديث النجاشي: «فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم» كأنه أراد: لا ضيعة عليهم، ولا يترك حفظهم وتمهدهم..

اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح. وفي الحق والباطل أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: إقرارهم ببعض أمر النبي ﷺ، والباطل: كتمانهم بعض أمره. والثاني: الحق: إيمانهم بالنبي ﷺ غدوة، والباطل: كفرهم به عشية، روي عن ابن عباس. والثالث: الحق: التوراة، والباطل: ما كتبوه فيها بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: الحق: الإسلام، والباطل: اليهودية والنصرانية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ﴾ قال قتادة: كتموا الإسلام، وكتموا محمداً ﷺ.

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَأْمُرُوا بِآلِئِذٍ أَنْزَلَ عَلَى الْغَيْبِ مَآثِرًا وَجَّهَ الْغَارِ أَكْفَرُوا مَا خَرُّوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتهم أصحاب محمد أول النهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلمهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيقبلون عن دينهم، رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلى دينكم، فترلت هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. والثاني: أن الله تعالى صرف نبيه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: ﴿يَأْمُرُوا بِآلِئِذٍ أَنْزَلَ عَلَى الْغَيْبِ مَآثِرًا وَجَّهَ الْغَارِ﴾ يقولون: آمنوا بالقبلة التي صلوا إليه الصبح، واكفروا بالنبي صلوا إليها آخر النهار، لعلمهم يرجعون إلى قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال مجاهد، وقتادة، والزجاج في آخرين. وجه النهار: أوله.

وأشدد الزجاج:

من كان مسروراً بمقتل مالك

يجد النساء حواسراً يندبنه

فليأت نسوتنا بوجه نهار

قد قُمن قبل تبليج الأسحار<sup>(١)</sup>

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ﴾ اختلف العلماء في توجيه هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم، لأنكم أصبح ديناً منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صلة، ويكون قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهَدْيَ هُدَى اللَّهِ﴾ كلاماً معترضاً بين كلامين، هذا معنى قول مجاهد، والأخفش. والثاني: أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكَ﴾ والباقي من قول الله تعالى، لا يعترضه شيء من قولهم، وتقديره: قل يا محمد: إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلا أن تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنى قول الحسن، وسعيد بن جبيرة. قال الفراء: معنى: «أن يؤتى»: أن لا يؤتى. والثالث: أن في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية على مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام على جهة

(١) البيتان للربيع بن زياد العسبي، من أبيات قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير، وحمي لقتله، واستعد لطلب ثاره. وروايتها في «شرح الحماسة» للمرزوقي:

من كان مسروراً بمقتل مالك

يجد النساء حواسراً يندبنه

فليأت ساحتنا بوجه نهار

يلطمن أوجههن بالأسحار

قال المرزوقي في شرحهما: كانت العادة مستمرة مستحكمة فيهم، أنهم لا يندبون القتل أو يدرك ثاره. فيقول: من كان فرحاً بمقتل مالك، شامتاً بأولائه، فلينزع ملابس المسرة، وليطرح أردية الشماعة، فقد أدركت الأثر، وأريقت الدماء، وشفيت الأدواء، وليحضر ساحتنا في أول النهار، ليري أن ما كان محرماً من الرثاء قد حل، وأن الحظر الواقع ببيكاه قد رفع، ويجد النساء مكشوفات الرؤوس، يذكرنه بما كان من فضائله، ويندبهن بأشهر أوصانه، وأعلى مراتبه ومحاله، فإن ذلك متصل من فعلهن، غير منقطع في أطراف الليل والنهار، والأصالة والأسحار.

التوكيد، كقوله تعالى: ﴿سَيَكُنْ رَدْفٌ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردفكم. وقال الشاعر:

ما كنتُ أخدمُ للخليلِ بخلةٍ      حتى يكون لي الخليلُ خدوعاً  
أراد: ما كنت أخدم الخليل. وقال الآخر:

يذمّون للدنيا وهم يحلبونها      أفاويق حتى ما يذر لها ثغلاً<sup>(١)</sup>

أراد: يذمون الدنيا، ذكره ابن الأنباري، والرابع: أن اللام غير زائدة، والمعنى: لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين، كان عوناً لهم على تصديقه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه على حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع على عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم، فعلى هذا يكون معنى الكلام: لا تقروا بأن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، وقد ذكر هذا المعنى مكي بن أبي طالب النحوي. وقرأ ابن كثير: أن يؤتى بهمزين، الأولى مخففة، والثانية مليئة على الاستفهام، مثل: أنتم أعلم، قال أبو علي: ووجهها أن «أن» في موضع رفع بالابتداء، وخبره: يصدقون به، أو يعترفون به، أو يذكرونه لغيركم، ويجوز أن يكون موضع «أن» نصباً، فيكون المعنى: أتشيعون، أو أتذكرون أن يؤتى أحدٌ، ومثله في المعنى: ﴿اتَّخَذُوا لَهُمْ سَبِيلًا﴾ [البقرة: ١٧٦]. وقرأ الأعمش، وطلحة بن مصرف: إن يؤتى، بكسر الهمزة، على معنى: ما يؤتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ نَبِيًّا﴾ [النمل: ٢٤] قولان: أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم، لأنهم لا حجة لهم، قاله قتادة، والثاني: أن معناه: حتى يحاجوكم عند ربكم على طريق التعبد، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم الساعة، قاله الكسائي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني النبوة، والكتاب، والهدى. ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم.

﴿يَخْصُفُ رِجْلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَخْصُفُ رِجْلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ في الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: النبوة، قاله مجاهد. والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جريج.

﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِنْ تَأْتَهُ يِقْطِرْ يُدْوِهَ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِنْ تَأْتَهُ يَذُرَّ كَرًّا لَا يُؤْذِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأئمة سبيلٌ ويقولون على الله الكذب وهم يملكون<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِنْ تَأْتَهُ يِقْطِرْ﴾ قال ابن عباس: أودع رجل ألفاً ومئتي أوقية من ذهب عبد الله بن سلام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاص بن عازوراء ديناراً، فخانته. وأهل الكتاب اليهود، وقد سبق الكلام في القنطار. وقيل: إن «الباء» في قوله: «بقنطار» بمعنى «على» فأما الدينار، فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الدينار فارسي معرب، وأصله: دينار، وهو وإن كان معرباً، فليس تعرف له العرب اسماً غير الدينار، فقد صار كالعربي، ولذلك ذكره الله تعالى في كتابه، لأنه خاطبهم بما عرفوا، واشتقوا منه فعلاً، فقالوا: رجل مُدَنَّرٌ. كثير الدنانير. ويردون مدنر: أشبه مستدير النقش بياض وسواد. فإن قيل: لم خص أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق على ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالاً لذلك، وقد بيّنه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَرْبَعِينَ سَبِيلٌ﴾ فحذر منهم، وقال مقاتل: الأمانة ترجع إلى من أسلم منهم، والخيانة إلى من لم يسلم، وقيل: إن الذين يؤدون الأمانة: النصارى، والذين لا يؤدونها: اليهود.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: دُمْتُ ودُمت، ومُتٌ ومُتٌ، وتميم يقولون: ميت ودُمت بالكسر، ويجتمعون في «يفعل» يدوم ويموت. وفي هذا القيام قولان: أحدهما: أنه التقاضي، قاله مجاهد،

(١) نسبة في «اللسان» لابن همام السلولي، وروايته فيه: وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها. الأفاويق: واحداً فيقة، وهي اسم للبن الذي يجتمع بين الحلبتين. والثمل: زيادة في أطباء الناقة، والبقرة، والشاة، وإنما ذكر الثمل للمبالغة في الارضاع، لأن الثمل لا يدر.



وقادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: والمعنى: ما دمت مواظباً بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرف، والتارك له يقعد عنه. [قال الأعشى:

يقوم على الرغم في قومه  
فيعفو إذا شاء أو ينتقم

أي: يطالب بالذحل<sup>(١)</sup> ولا يقعد عنه. قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنتُمْ قَالِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي: عاملة غير تاركة، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] أي: أخذ لها بما كسبت<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائماً على رأسه، فإنه يعترف بأمانته، فإذا ذهب، ثم جئت، جحدك، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: الخيانة. والسبيل: الإثم والجرم، ونظيره ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] قال قتادة: إنما استحل اليهود أموال المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ قال السدي: يقولون: قد أحل الله لنا أموال العرب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَقْلُوبُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء، وأداء الأمانة. والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَى﴾ رد الله ﷻ عليهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُورِ سَبِيلٌ﴾ بقوله: ﴿بَلَى﴾ قال الزجاج: وهو عندي وقف التمام، ثم استأنف، فقال: ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى﴾. والعهد: ما عاهدكم الله ﷻ عليه في التوراة. وفي «هاء» ﴿عَهْدُهُ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى الموفى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجحدته اليهودي، فقدمه إلى النبي ﷺ، فقال [له]: «ألك بيعة؟» قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف؟» فقال الأشعث: إذا يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة بتبيين صفة النبي ﷺ، فجحدوا، وخالفوا لما كانوا يتألون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل. والثالث: أن رجلاً أقام سلعة في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل يساومه، فحلف: لقد منعتها أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي، ومجاهد. فعلى القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلى الثاني: ما عهد به إلى اليهود في التوراة، واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في العصاة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير. ومعنى ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، أي: لا يعطف عليهم بخير مقراً لهم، قال الزجاج: تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، ولا يكلمه، معناه: أنه غضبان عليه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

(١) الذحل: الثار، وطلب المكافأة بجنابة جئت عليه، من قتل أو جرح أو نحو ذلك.

(٢) قلنا نص كلام ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص ١٣٨ - ١٣٩، وما بين معقوفين مزيد منه.

(٣) ونصه كما في البخاري ٥٣/٥ عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» قال: فقال الأشعث: في والله كان ذلك. كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجددني، فقدمت إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بيعة؟» قلت: لا. قال، فقال لليهودي: «أحلف». قال: قلت: يا رسول الله إذا يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ إلى آخر الآية.



﴿وَأَن يَنْهَرُ لَقْرِيحًا يَلُوتَ أَلَيْسَتْهُمْ بِالْكَتِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَّا أَلَيْسَتْهُمْ لَقْرِيحًا عَلَى اللَّهِ وَيقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدُ وَهُمْ يَمْلِكُونَ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿وَأَن يَنْهَرُ لَقْرِيحًا﴾ اختلفوا فمن نزلت على قولين، أحدهما: أنها نزلت في اليهود، رواه عطية، عن ابن عباس، والثاني: في اليهود والنصارى، رواه الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَأَن﴾ هي كلمة مؤكدة، واللام في قوله: «لَقْرِيحًا» وتوكيد زائد على توكيد «إِنَّ». قال ابن قتيبة: ومعنى «يَلُوتَ أَلَيْسَتْهُمْ»: يقبلونها بالتحريف والزيادة. والألسنة: جمع لسان، قال أبو عمرو: اللسان يذكر ويؤنث، فمن ذكره جمعه: السنة، ومن أنثه، جمعه: السنأ، وقال الفراء: اللسان بعينه لم نسمعه من العرب إلا مذكراً. وتقول العرب: سبق من فلان لسان، يعنون به الكلام، فيذكرونه. وأنشد ابن الأعرابي:

لسانك معسولٌ ونفسك شحّة

وعند الشريا من صديقك مالكا

وأنشد ثعلب:

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانِ كُلِّ مَنِي

فَلَيْتَ بَأْئُهُ فِي جَوْفِ عِجْمٍ<sup>(١)</sup>

والعجم: العدل. ودل بقوله: كان مني، على أن اللسان الكلام. وأنشد ثعلب:

أَتَنِي لِسَانُ بَنِي عَامِرٍ

أَحَادِيثُهَا بَعْدَ قَوْلِ نَكِرٍ

فَأَنَّثَ اللِّسَانَ، لَأَنَّهُ عَنِ الْكَلِمَةِ وَالرَّسَالَةِ.

﴿مَا كَانَ لِشَرٍّ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحَيَاةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّكُمْ نَبِيًّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَرٍّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قومًا من رؤساء اليهود والنصارى، قالوا: يا محمد أتريد أن نتخذك رباً؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ألا نسجد لك؟ قال: «لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله» فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري. والثالث: أنها نزلت في نصارى نجران حيث عبدوا عيسى. قاله الضحاك، ومقاتل. وفيمن عني «البشر» قولان: أحدهما: محمد ﷺ. والكتاب: القرآن، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: عيسى، والكتاب: الإنجيل، قاله الضحاك، ومقاتل. والحكم: الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: لا يجتمع لرجل نبوة، والقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، لأن الله لا يصطنع الكذبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا﴾ أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.

فأما الربانيون، فروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: هم الذين يغذون الناس بالحكمة، ويربونهم عليها، وقال ابن عباس، وابن جبير: هم الفقهاء المعلمون. وقال قتادة، وعطاء: هم الفقهاء العلماء الحكماء. قال ابن قتيبة: وإحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون. وقال أبو عبيد: أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانية، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين. قال أبو عبيد: وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلاً عالمًا بالكتب يقول: هم العلماء بالحلل والحرام، والأمر والنهي. وحكى ابن الأنباري عن بعض اللغويين: الرباني: منسوب إلى الرب، لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف والتون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو: «تَعْلَمُونَ»، بإسكان العين، ونصب اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «تَعْلَمُونَ» مثقلاً، وكلهم قرؤوا: «تدرسون» خفيفة. وقرأ ابن

(١) قاله الحطبة: «ديوانه» ص ٣٤٧. اللسان هاتان: الكلام، وأدخل الباء على «أن» مع «ليت» وهو قليل، وأراد: ليت أنه في جوف عجم، ففحم الباء على «أن» وهو حجة في العربية. ويروي: «فلت يانه»، ووردت بانه. والعجم: داخل الجنب على المثل بالعجم، وهو النمط تجعل المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وطلحة بن مصرف، وأبو حيوة، «تُدْرَسُونَ»، بضم التاء مع التشديد، والدراسة: القراءة. قال الزجاج: ومعنى الكلام: ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدي العلماء والحكماء، لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلنَّبِيِّ وَالنَّبِيِّينَ آبَاءَكُمْ بِالْكَفْرِ بَدَ إِذْ أَنْتُمْ تُسَلِّمُونَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ﴾ قرأ ابن عامر، وحمزة، وخلف، ويعقوب، وعاصم في بعض الروايات عنه، وعبد الوارث عن أبي عمرو، واليزيدي في اختياره، بنصب الراء. وقرأ الباقر برفع الراء، فمن نصب كان المعنى: وما كان لبشر أن يأمركم، ومن رفع قطعه مما قبله. قال ابن جريج: ولا يأمركم محمد.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا بَأْتَيْتُكُمْ مِنْ حِكْمَةٍ وَوَعْدَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَتَحْمِلُنَّ أَثَامَ قَوْلِهِمْ وَأَعَدَّكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَأَيْنَا قَالُوا فَاتَّبَعْنَاهُ وَآوَيْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٨١)

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ قال الزجاج: موضع «إذ» نصب، المعنى: واذكر في أقاصيصك إذ أخذ الله، قال ابن عباس: الميثاق: العهد. وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان: أحدهما: أنه تصديق محمد ﷺ، روي عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمننَّ بما جاء به الآخر منهم، قاله طاووس. قال مجاهد، والربيع بن أنس: هذه الآية خطأ من الكتاب<sup>(١)</sup>، وهي في قراءة ابن مسعود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ واحتج الربيع بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال بعض أهل العلم: إنما أخذ الميثاق على النبيين، وأمهم، فاكفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع، وهذا معنى قول ابن عباس، والزجاج.

واختلف العلماء في لام «لما» فقرأ الأكثرون «لما» بفتح اللام والتخفيف، وقرأ حمزة مثلها، إلا أنه كسر اللام، وقرأ سعيد بن جبير «لما» مشددة الميم، فقراءة ابن جبير، معناها: حين آتيتكم، وقال الفراء في قراءة حمزة: يريد أخذ الميثاق للذي آتاهم، ثم جعل قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ من الأخذ. قال الفراء: ومن نصب اللام جعلها زائدة. و«لما» هاهنا بمعنى الشرط والجزاء، فالمعنى: لئن آتيتكم ومهما آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة. قال ابن الأنباري: اللام في قوله تعالى: ﴿لَمَا بَأْتَيْتُكُمْ﴾ على قراءة من شدد أو كسر: جواب لأخذ الميثاق. قال: لأن أخذ الميثاق يمين، وعلى قراءة من خففها، معناها: القسم، وجواب القسم اللام في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾. وإنما خاطب، فقال: آتيتكم، بعد أن ذكر النبيين وهم غيب، لأن في الكلام معنى قول وحكاية، فقال مخاطباً لهم: لما آتيتكم. وقرأ نافع «آتيناكم» بالنون والالف.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ قال علي ﷺ: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليصرنه، وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً، والإصر هاهنا: العهد في قول الجماعة. قال ابن قتيبة: أصل الإصر: الثقل، فسمي العهد إصرأً، لأنه منع من الأمر الذي أخذ له، وثقل وتشديد. وكلهم كسر ألف «إصري». وروى أبو بكر، عن عاصم، ضمه. قال أبو علي: يشبه أن يكون الضم لغة.

(١) في الطبري «من الكاتب» قال الشيخ محمود شاكر: قلت: والقول الذي ذكره مجاهد إنه خطأ من الكاتب، إنما عني به أن قراءة ابن مسعود هي مع القراءة التي كانت في العرصة الأخيرة، فأخطأ وكتب القراءة الأولى، ولم يرد بقوله: خطأ من الكاتب، أنه وضع ذلك من عند نفسه؟ كيف والقرآن كتاب متلقى بالرواية والورثة عن رسول الله ﷺ، لا بما هو مكتوب في المصحف.

(٢) قال أبو بكر الباقلافي في كتاب «الانحصار لنقل القرآن»: وأما نحن وإن كنا نؤمن جميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم، فأنا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم، بل نعتقد أن فيه كذباً كثيراً، قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم وما يمكن أن يكون باطلاً، ولا يثبت عليهم من طريق العلم النبات بأخبار الأحاد، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم المخالفة لما في مصحفنا، مما لا نعلم صحته وثبوتها، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان وقراءتهم وإقراءهم ما فيه، والعمل به دون غيره، لم يجب أن نحفل بشيء من هذه الروايات عنهم لأجل ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاتَّبِعُونِي﴾ قال ابن فارس: الشهادة: الإخبار بما شوهده. وفيمن خطب بهذا قولان: أحدهما: أنه خطاب للنبين، ثم فيه قولان. أحدهما: أن معناه: فاشهدوا على أممكم، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: فاشهدوا على أنفسكم، قال مقاتل. والثاني: أنه خطاب للملائكة، قاله سعيد بن المسيب. فعلى هذا يكون كناية عن غير مذكور.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٨٢) أَفَعَيَّرَ بَيْنَ اللَّهِ يَبْقُوتُ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِذْ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَعَيَّرَ بَيْنَ اللَّهِ يَبْقُوتُ﴾ قرأ أبو عمرو: «يبغون» بالياء مفتوحة. ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾: بالياء مضمونة، وقرأها الباقون بالياء في الحرفين. وروى حفص عن عاصم: «يبغون» و«يرجعون» بالياء فيهما، وفتح الياء وكسر الجيم يعقوب على أصله. قال ابن عباس: اختصم أهل الكتابين، فزعمت كل فرقة أنها أولى بدين إبراهيم، فقال النبي ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم». فغضبوا، وقالوا: والله لا نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية. والمراد بدين الله، دين محمد ﷺ. ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقاد، وخضع ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ الطوع: الانقياد بسهولة، والكره: الانقياد بمشقة وإياء من النفس. وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال: أحدها: أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعاً وكرهاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد، وبه قال السدي. والثاني: أن المؤمن يسجد طائعاً، والكافر يسجد ظله وهو كاره، روي عن ابن عباس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد. والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فأقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد. والرابع: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم مخافة السيف، هذا قول الحسن. والخامس: أن المؤمن أسلم طائعاً، والكافر أسلم حين رأى بأس الله، فلم ينفعه في ذلك الوقت، هذا قول قتادة. والسادس: أن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم، لا يقدر أحد أن يمتنع من جلاله عليه، ولا على تغييرها، هذا قول الزجاج، وهو معنى قول الشعبي: انقاد كلهم له.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطِ وَمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالْيَسُورَ بَيْنَ رَبِّهِمْ لَا تَقُولُ يَنْ أَكْذَرُ مِنْهُمْ وَتَقُولُ لَوْ كُنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً من الأنصار ارتد، فلحق بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلى قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فكتب بها قومه إليه، فرجع تائباً [فقبل النبي ﷺ ذلك منه وخلقى عنه] رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وذكر مجاهد، والسدي أن اسم ذلك الرجل: الحارث بن سويد. والثاني: أنها نزلت في عشرة رهط ارتدوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: أنها في أهل الكتاب، عرفوا النبي ﷺ، ثم كفروا به، رواه عطية عن ابن عباس، وقال الحسن: هم اليهود والنصارى. وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَسْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قال الزجاج أي: في عذاب اللعنة ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي: يؤخرون عن الوقت. قال: ومعنى: ﴿وَأَسْلَحُوا﴾ أي: أظهروا أنهم كانوا على ضلال، وأصلحوا ما كانوا أفسدوه، وغرّوا به من تبعهم ممن لا علم له.

(١) رواه النسائي وابن حبان وابن أبي حاتم والطبري والبيهقي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد أيضاً، وإسناده صحيح.



## فصل

وهذه الآية استثنت من تاب ممن لم يتب، وقد زعم قوم أنها نسخت ما تضمنته الآيات قبلها من الوعيد، وليس بنسخ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد، فإنهم قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في اليهود كفروا بعميس والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن، قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني. والثالث: أنها نزلت في اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على كفرهم، قاله أبو العالية. قال الحسن: كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً، وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم ارتدوا، وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك، ولم يتوبوا من الشرك، قاله أبو العالية. والثالث: أن: معناه: لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي. والرابع: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ نِلٌّ أَلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما فتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حياً في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافراً. قال الزجاج: وملء الشيء: مقدار ما يملؤه. قال سيبويه، والخليل: والملء بفتح الميم: الفعل، تقول: ملأت الشيء أملؤه ملأً، المصدر بالفتح لا غير. والملاءة: التي تلبس ممدودة، والملاوة من الدهر: القطعة الطويلة منه، يقولون: ابل جديداً، وتمل حبیباً، أي: عش معه دهرأ طويلاً. و﴿ذَهَبًا﴾ منصوب على التمييز. وقال ابن فارس: ربما أنث الذهب، فقيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾<sup>(١)</sup> قال الفراء: الواو هاهنا قد يستغنى عنها، ولو حذف كان صواباً، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُ مِنَ الْمُتَوَقِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] قال الزجاج: هذا غلط، لأن فائدة الواو بيّنة، فليست مما يلقي. قال النحاس: قال أهل النظر من النحويين في هذه الآية: الواو ليست مقحمة، وتقديره: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدى.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ في البر أربعة أقوال: أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. قال ابن جرير: فيكون المعنى: لن تنالوا بر الله بكم الذي تطلبونه بطاعتكم. والثاني: التقوى، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الطاعة، قاله عطية. والرابع: الخير الذي يستحق به الأجر، قاله أبو روق، قال القاضي أبو يعلى: لم يزد نفي الأصل، وإنما نفي وجود الكمال، فكانه قال: لن تنالوا البر الكامل.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله، وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك. وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة

(١) روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكتفتك به؟ قال: يقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر إبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي، وأخرج به البخاري، ومسلم.

(٢) لم تنق على هذه الرواية التي ذكرها المؤلف من طريق ابن عمر في شيء من كتب السنة، وإنما الذي جاء فيها: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصلّي وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان» رواه البخاري ومسلم.



أقوال: أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك. والثاني: أنها جميع الصدقات، قاله ابن عمر. والثالث: أنها جميع النفقات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نُقل عن الحسن، واختاره القاضي أبو يعلى. وروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء<sup>(١)</sup>، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فضعها حيث أراك الله، فقال ﷺ: «بئح، ذاك مال رباح أو رائج [شك الراوي]<sup>(٢)</sup> وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمّه. وروي عن عبد الله بن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال: لا أجد شيئاً أحب إليّ من جاريتي رميثة<sup>(٣)</sup>، فهي حرة لوجه الله، ثم قال: لولا أنني أعود في شيء جعلته لله، لنكحتها، فأنكحها نافعاً، فهي أم ولده، وسئل أبو ذر: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة: عماد الإسلام، والجهاد: سنام العمل، والصدقة: شيء عَجِب، ثم قال السائل: يا أبا ذر لقد تركت شيئاً هو أوثق عمل في نفسي لا أراك ذكرته. قال: ما هو؟ قال: الصيام. فقال: قرية وليس هناك، وتلا قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ أي: يجازي عليه.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّهِ إِذْ أُنْزِلَ إِلَّا مَا هَٰذَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُورُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتُوا حَلَالًا وَكُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّهِ إِذْ أُنْزِلَ﴾ سبب نزولها أن النبي ﷺ قال: «أنا على ملة إبراهيم» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل. وتشرب البانها؟ فقال: «كان ذلك حلالاً لإبراهيم». فقالوا: كل شيء نحرمه نحن، فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم. قاله أبو روق، وابن السائب<sup>(٥)</sup>: «والطعام»: اسم للمأكول. قال ابن قتيبة: والجل: الحلال، ومثله الحرم والحرام، واللبس واللباس. وفي الذي حرّمه على نفسه، ثلاثة أقوال: أحدها: لحوم الإبل والبانها. روي عن النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>، ورواه أبو صالح، عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين. والثاني: أنه العروق، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين. والثالث: أنه زائدتا الكبدة، والكليتان، والشحم إلا ما على الظهر، قاله عكرمة. وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه طالع به مرض شديد، فنذر:

- (١) قوله: بيرحاء، قال الحافظ ابن حجر: بفتح الموحدة، وسكون التحتانية، وفتح الراء، وبالمهمل والمد، وجاء في ضبطه أوجه كثيرة، جمعها ابن الأثير في «النهاية»، فقال: يروى بفتح الباء، ويكسرهما، وفتح الراء وضمها، وبالمد والقصر. فهذه ثمان لغات. وفي رواية حماد بن سلمة «ببرحاء» بفتح أوله وكسر الراء وتقديهما على التحتانية. وفي «سنن أبي داود» «ببرحاء» مثله لكن بزيادة ألف. وقال الباقى: أفصحها بفتح الباء، وسكون الياء، وفتح الراء مقصور، وكذا جزم به الصاغاني، وقال: إنه «فعل» من البراح. قال: ومن ذكره بكسر الموحدة، وظن أنها بئر من أبواب المدينة فقد صحت.
- (٢) جاء في البخاري: رابع أو رائج، شك ابن مسلمة. قال الحافظ ابن حجر: أي القعني، والرواية الأولى واضحة من الريح، أي: ذو ريح. وقيل: هو فاعل بمعنى مفعول، أي: هو مال مبروح فيه. وأما الثانية فمعناها: رائج عليه أجرو. قال ابن بطال: والمعنى أن مسافته قريبة، وذلك أنفس الأموال. وقيل: معناه يروح بالأجر ويغنوه، واكتفى بالروح عن الغد.
- (٣) في «اللبس المشهور»: مرجانة.
- (٤) رواه ابن جرير الطبري ٥٩١/٦، وهذا الخبر منقطع لأن ميمون بن مهران لم يذكر أبا ذر.
- (٥) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ولم يذكر له سنداً.
- (٦) روى الإمام أحمد بنسند حسن عن ابن عباس قال: «حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمن إلا نبي [فذكر الحديث، وفيه لأنهم قالوا: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟] [وإن رسول الله ﷺ قال لهم: فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ﷺ هل تعلمون أن إسرائيل أي: يعقوب] مرض مرضاً شديداً، وطال سقمه، فنذر له نلراً، [لئن شفاء الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه. وكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل، وأحب الشراب إليه البانها؟] فقالوا: اللهم نعم. فقال: «اللهم أشهد عليهم».

- (٧) رواه البيهقي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

لئن شفاه الله، ليحرّم من أحب الطعام والشراب إليه، روي عن النبي ﷺ. والثاني: أنه اشتكى عرق النساء<sup>(١)</sup> فحرّم العروق، قاله ابن عباس في آخرين. والثالث: أن الأطباء وصفوا له حين أصابه النساء اجتناب ما حرّمه، فحرّمه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النساء، فبييت وقيداً<sup>(٢)</sup> فحرّمه، قاله أبو سليمان الدمشقي. واختلفوا: هل حرم ذلك بإذن الله أو باجتهاده؟ على قولين. واختلفوا: بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرّمه على اليهود، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرماً في التوراة، قاله عطية. وقال ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد. والثاني: أنهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا أنه حرّم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلى الله، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ قَاتِلُوا آلَ نَازِرَةَ قَاتِلُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هذا قول الضحاك. والثالث: أن الله حرّم عليهم بعد التوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذنباً عظيماً، حرم عليهم به طعام طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السائب. قال ابن عباس: ﴿قَاتِلُوا آلَ نَازِرَةَ قَاتِلُوهُمْ﴾ هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها!

﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى﴾ يقول: اختلق ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد البيان في كتبهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ الصدق: الإخبار بالشيء على ما هو به، وضده الكذب. واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟ على قولين: أحدهما: أنه عنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا﴾، قاله مقاتل، وأبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنه عنى قوله تعالى: ﴿قُلْ الطَّعَامُ كَانَ حَلَالًا﴾ قاله ابن السائب.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ قال مجاهد: افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة. وقال المسلمون: الكعبة أفضل، فنزلت هذه الآية. وفي معنى كونه «أول» قولان: أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أول بيت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظهر على وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته، فروى سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: كانت الكعبة حشفة على وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة، وقال ابن عباس: وضع البيت في الماء على أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت، وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو، وقتادة، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أن آدم استوحش حين أهبط، فأوحى الله إليه، أن: ابن لي بيتاً في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثالث: أنه أهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رُفِعَ فصار معموراً في السماء، وبنى إبراهيم على أثره، رواه شيبان عن قتادة. القول الثاني: أنه أول بيت وُضِعَ للناس للعبادة<sup>(٣)</sup>، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>، والحسن، وعطاء بن السائب في آخرين، فأما بكة، فقال الزجاج: يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقاً من البك. يقال: بكَّ الناس بعضهم بعضاً، أي: دفع. واختلفوا في تسميتها ببكة على ثلاثة أقوال: أحدها: لازدحام

(١) النساء: هو العرق الذي يخرج من الورك، فيستطعن الفخذين، ثم يمر حتى يبلغ الكعب، وهو الذي يأخذه المرض المعروف.

(٢) قال في «اللسان»: الرقيذ والموقوذة: الشديد المرض الذي قد أشرف على الموت. وفي «الطبري»: «فكان بيت له زقاة». والزقاة: صوت الباكى وصياحه.

(٣) يؤيده ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجداً». رواه أحمد في «المستد» والبخاري ومسلم.

(٤) أثر علي، رواه ابن أبي حاتم، وصححه الحافظ ابن حجر.

الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والفراء، ومقاتل. والثاني: لأنها تبك أعناق الجابرة، أي: تذقها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله، روي عن عبد الله بن الزبير، وذكره الزجاج. والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي: وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن البيهقي، وقطرب. واتفقوا على أن مكة اسمٌ لجميع البلدة. واختلفوا في بكة على أربعة أقوال: أحدها: أنه اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم. وعطية. والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة. والثالث: أنها المسجد، والبيت. ومكة: اسمٌ للحرم كله، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب. والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك، وابن قتيبة، واحتج ابن قتيبة بأن الباء تبدل من الميم؛ يقال: سمد رأسه، وسبد رأسه: إذا استأصله، وشر لازم، ولازب.

قوله تعالى: ﴿مَبَارَكًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: الذي استقر بمكة في حال بركته.

قوله تعالى: ﴿وَهْدًى﴾ أي: وذا هدى. ويجوز أن يكون «هدى» في موضع رفع، المعنى: وهو هدى، فأما بركته، فيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات، ويأمن من دخله. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من طاف بالبيت، لم يرفع قدماً». ولم يضع أخرى، إلا كتب الله له بها حسنة، وحط عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهْدًى لِلنَّاسِ﴾، في الهدى هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى القبلية، فتقديره: وقبلية للعالمين. والثاني: أنه بمعنى: الرحمة. والثالث: أنه بمعنى: الصلاح، لأن من قصده، صلحت حاله عند ربه. والرابع: أنه بمعنى: البيان، والدلالة على الله تعالى بما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره، حيث يجتمع الكلب والظبي في الحرم، فلا الكلب يهيج الظبي، ولا الظبي يستوحش منه، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُزَيِّرُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَبِيرٌ﴾

عَنِ الْمَلَائِكَةِ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، الجمهور يقرؤون: آيات. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قرأ: «فيه آية بينة مقام إبراهيم»، وبها قرأ مجاهد. والآية: مقام إبراهيم. فأما من قرأ: «آيات» فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: الآيات: مقام إبراهيم، وأمن من دخله. فعلى هذا يكون الجمع معبراً عن التثنية، وذلك جائز في اللغة، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِنَكْفِيهِمْ شُهُودِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]. وقال أبو رجاء: كان الحسن يعدهن، وأنا أنظر إلى أصابعه: مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والله على الناس حج البيت، وقال ابن جرير: في الكلام إضمار، تقديره: منهم مقام إبراهيم. قال المفسرون: الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخراجه، إلى غير ذلك. قال القاضي أبو يعلى: والمراد بالبيت هاهنا: الحرم كله، لأن هذه الآيات موجودة فيه، ومقام إبراهيم ليست في البيت، والآية في مقام إبراهيم أنه قام على حجر، فأثرت قدماء فيه، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله، وصدق إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومن دخله، فأمنوه، وهو عام فيمن جنى جناية قبل دخوله، وفيمن جنى فيه بعد دخوله، إلا أن الإجماع انعقد على أن من جنى فيه لا يؤمن، لأنه هنك حرمة الحرم ورد الأمان، فبقي حكم الآية فيمن جنى خارجاً منه، ثم لجأ إلى الحرم، وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فقال أحمد في رواية المروزي: إذا قتل، أو قطع يداً، أو أتى حداً في غير الحرم، ثم دخله، لم يقيم عليه الحد، ولم يقتص منه، ولكن لا يبيع، ولا يشارى، ولا يؤاكل حتى يخرج، فإن فعل شيئاً من ذلك في

(١) رواه أحمد في «المسند» رقم ٤٤٦٢، والترمذي في «جامعه» والحاكم في «المستدرک» وابن خزيمة في «صحيحه» عن ابن عمر، ولفظ المصنف عند ابن خزيمة. قال الهيثمي في مجمع «الزوائد» ٢٤٠/٣: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وهشيم الراوي عن عطاء سمع منه بعد اختلاطه. وقد حسن الشيخ أحمد شاكر هذا الحديث في تعليقه على «المسند» فانظره.

الحرم، استوفى منه. وقال أحمد في رواية حنبل: إذا قتل خارج الحرم، ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجناية دون النفس، فإنه يقام عليه الحد، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه. وقال مالك والشافعي: يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آثِمًا﴾، دليل على أنه لا يقام عليه شيء من ذلك، وهو مذهب ابن عمر، وابن عباس، وعطاء، والشعبي، وسعيد بن جبير، وطاووس.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْيَمِينِ﴾، الأكثرون على فتح حاء «الحج»، وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، بكسرهما. قال مجاهد: لما أنزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون، فنزلت هذه الآية، فحججه المسلمون، وتركه المشركون، وقالت اليهود: لا نحجه أبداً.

قوله تعالى: ﴿مَنْ اسْتَلْطَعَ إِلَى سَبِيلِ﴾، قال النحويون: من استطاع بدل من «الناس»، وهذا بدل البعض من الكل، كما تقول: ضربت زيداً رأسه. وقد روي عن ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وعائشة عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ: ما السبيل؟ فقال: «من وجد الزاد والراحلة»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، فيه خمسة أقوال: أحدها: أن معناه: من كفر بالحج فاعتقله غير واجب، رواه مقسم عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، ومقاتل: والثاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المعنى مروى عن عكرمة، ومجاهد. والرابع: أنه إذا أمكنه الحج، فلم يحج حتى مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر. والخامس: أنه أراد الكفر بالآيات التي أنزلت في ذكر البيت، لأن قولاً من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٧٨ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٧٩ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٠ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨١ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٢ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٣ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٤ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٦ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٨ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٨٩ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٠ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩١ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٢ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٣ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٤ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٥ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٦ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٧ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٨ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ٩٩ ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾ ١٠٠

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾، قال الحسن: هم اليهود والنصارى، فأما آيات الله؛ فقال ابن عباس: هي القرآن ومحمد ﷺ. وأما الشهيد، فقال ابن قتيبة: هو بمعنى الشاهد، وقال الخطابي: هو الذي لا يغيب عنه شيء، كأنه الحاضر الشاهد.

قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذِ الْكَافِرُونَ عِبَادَتِي اللَّهُ وَآلَهُ شِدَادٌ عَلَى مَا تَمْلِكُونَ﴾. قال مقاتل: دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلى دينهم، فنزلت هذه الآية، وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: اليهود. قاله زيد بن أسلم، ومقاتل. قال ابن عباس: لم تصدون عن سبيل الله: الإسلام، والحج. وقال قتادة: لم تصدون عن نبي الله، وعن الإسلام. قال السدي: كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: لا. فصدا عنه الناس.

(١) قال الحافظ في «التلخيص»: رواه الدارقطني ٢٥٤/١، والحاكم ٤٤٢/١، والبيهقي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْيَمِينِ﴾، قال: قيل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: «الزاد والراحلة». قال البيهقي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً، يعني الذي خرج الدارقطني، وسنده صحيح إلى الحسن ولا أرى الموجهين إلا وهماً. وقد رواه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً، إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني، وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث. وقد رواه الشافعي في «السنة» ٢٨٤/١، والترمذي ص ١٠٠، وابن ماجه ص ٢١٤، والدارقطني ص ٢٥٥ من حديث ابن عمر، وقال الترمذي: حسن، وهو من رواية إبراهيم بن يزيد الخوزي، وقد قال فيه أحمد والنسائي: متروك الحديث، ورواه ابن ماجه ٢١٤/١، والدارقطني من حديث ابن عباس، وسنده ضعيف أيضاً، ورواه ابن المنذر من قول ابن عباس. ورواه الدارقطني من حديث جابر، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة، ومن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وطرقتها كلها ضعيفة، وقد قال عبد الحق: إن طرقها كلها ضعيفة، وقال أبو بكر بن السنن: لا يثبت الحديث في ذلك مستنداً، والصحيح من الروايات رواية الحسن مرسلة. وقال الشوكاني في «نيل الأوطار»: ولا يخفى أن هذه الطرق يقوى بعضها بعضاً فتصلح للاحتجاج بها. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فهذه الأحاديث مستندة من طرق حسان مرسلة وموقوفة تدل على أن مناط الوجوب الزاد والراحلة، مع علم النبي ﷺ أن كثيراً من الناس يقدرون على المشي.



قوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُوا﴾ قال اللغويون: الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكر ويؤث. وأنشدوا:

فَلَا تَبْغُدْ فُكْلُ فُتَى أَنَاسٍ      سَيُصْبِحُ سَالِكاً تِلْكَ السَّبِيلَا

ومعنى «تبغونها»: تبغون لها، تقول العرب: ابغني خادماً، يريدون: ابتغ لي، فإذا أرادوا: ابتغ معي، وأعني على طلبه، قالوا: أبغني، ففتحوا الألف، ويقولون: وهبتك درهماً، كما يقولون: وهبت لك. قال الشاعر:

فَتَوَلَّى غُلَامُهُمْ ثُمَّ نَادَى      أَظْلِمَ أَصِيدُكُمْ أَمْ حِمَاراً؟

أراد: أصيد لكم. ومعنى الآية: يلتمسون لسبيل الله الزيف والتحريف، ويريدون ردَّ الإيمان والاستقامة إلى الكفر والاعوجاج، ويطلبون العدول عن القصد، وهذا قول الفراء، والزجاج، واللغويين. قال ابن جرير: خرج هذا الكلام على السبيل، والمعنى: لأهله، كان المعنى: تبغون لأهل دين الله، ولمن هو على سبيل الحق، عوجاً، أي: ضلالاً، قال أبو عبيدة: العوج بكسر العين في الدين، والكلام، والعمل، والعوج بفتحها، في الحائط والجذع، وقال الزجاج: العوج بكسر العين: فيما لا ترى له شخصاً، وما كان له شخص قلت: عوج بفتحها، تقول: في أمره ودينه عوج، وفي العصا عوج. وروى ابن الأنباري عن ثعلب قال: العوج عند العرب بكسر العين: في كل ما لا يحاط به، والعوج بفتح العين في كل ما لا يحصل، فيقال: في الأرض عوج، وفي الدين عوج، لأن هذين يتسعان، ولا يدركان. وفي العصا عوج، وفي السن عوج، لأنهما يحاط بهما، ويبلغ كنههما، وقال ابن فارس: العوج بفتح العين: في كل متعصب، كالحائط. والعوج: ما كان في بساط أو أرض، أو دين، أو معاش.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه، وأنتم شاهدون بصحة ما صدقتم عنه، ويطلان ما أنتم فيه، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وقتادة، والأكثرين. والثاني: أن معنى الشهداء هاهنا: العقلاء، ذكره القاضي أبو يعلى في آخرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا قَرِيبًا مِنَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْكُم بِرُءُوكُمْ بَدَّ إِلَيْكُمْ كَفَرُونَ﴾

سبب نزولها أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلما جاء النبي ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رجلا أوسي وخزرجي يتحدثان، ومعهما يهودي، جعل اليهودي يذكرهما أيامهما، والعداوة التي كانت بينهما حتى اقتتلا، فنادى كل واحد منهما بقومه، فخرجوا بالأسلح، فجاء النبي ﷺ، فأصلح بينهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وعكرمة، والجماعة. قال المفسرون: والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج. قال زيد بن أسلم: وعني بذلك الفريق: شاس بن قيس اليهودي وأصحابه. قال الزجاج: ومعنى طاعتهم: تقليدهم.

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَمِدِ اللَّهُ فَعَدَّ هُدًى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَمِدِ اللَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع، قال الزجاج: ويعتصم جزم بدمن، والجواب ﴿فَعَدَّ هُدًى﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قال عكرمة: نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النبي ﷺ بينهم. وفي «حق تقاته» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يطاع الله فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. وهو قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد وأن لا يأخذ العيد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو على أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قاله الزجاج.

(١) رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» والحاكم في «المستدرک» ٢/ ٢٩٤ موقوفاً غير مرفوع، وإسناده صحيح. ورواه ابن مردويه مرفوعاً كما ذكر المصنف، قال ابن كثير. والأظهر أنه موقوف.

## فصل

واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين: أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت على المسلمين، فنسخها قوله تعالى: ﴿فَأَقْوَ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاوس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: والاختلاف في نسخها وإحكامها، يرجع إلى اختلاف المعنى المراد بها، فالمعتقد نسخها يرى أن «حق ثقاته» الوقوف مع جميع ما يجب له ويستحقه، وهذا يعجز الكل عن الوفاء به، فتحصيله من الواحد ممتنع، والمعتقد إحكامها يرى أن «حق ثقاته» أداء ما يلزم العبد على قدر طاقته، فكان قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسراً لـ «حق ثقاته» لا ناسخاً ولا مخصصاً.

﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا فِعْتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ قال الزجاج: اعتصموا: استمسكوا. فأما الحبل، فيه ستة أقوال: أحدها: أنه كتاب الله: القرآن: رواه شقيق عن ابن مسعود<sup>(١)</sup> وبه قال قتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود. والثالث: أنه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتيبة. وقال ابن زيد: هو الإسلام. والرابع: عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة في رواية، وأبو عبيد، واحتج له الزجاج بقول الأعشى: وإذا تجوزها حبال قبيلة وأنشد ابن الأنباري:

فلو حبالاً تناول من سليمي لمد بحبلها حبالاً متينا

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية. والسادس: أنه أمر الله وطاعته، قاله مقاتل بن حيان. قال الزجاج: وقوله: «جميعاً» منصوب على الحال، أي: كونوا مجتمعين على الاعتصام به. وأصل «تفرقوا»: تفرقوا، إلا أن الناء حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد، والمحذوفة هي الثانية، لأن الأولى دليلة على الاستقبال، فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال، وهو مجزوم بالنهي، والأصل: ولا تفرقون، فحذفت النون، لتدل على الجزم. قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا فِعْتَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ اختلفوا فيمن أريد بهذا الكلام على قولين: أحدهما: أنهم مشركو العرب، كان القوي يستبيح الضعيف، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن إسحاق. والأعداء: جمع عدو. قال ابن فارس: وهو من عدا: إذا ظلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ أي: صرتم، قال الزجاج: وأصل الأخ في اللغة أنه الذي مقصده مقصد أخيه، والعرب تقول: فلان يتوخى مسار فلان، أي: ما يسره. والشفا: الحرف. وأعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم على الهلاك، وقربهم من العذاب، كأنه قال: كنتم على حرف حفرة من النار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت على الكفر. قال السدي: فأنقذكم منها محمد ﷺ.

﴿وَلَكُمْ يَنْكحُ أَنْتُمْ إِلَى الْخَيْرِ وَأَمْرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الشُّكْرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ يَنْكحُ أَنْتُمْ﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: ولكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتحض المخاطبين من سائر الأجناس، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين، ومثله: ﴿فَأَجْبِئُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٢٠] معناه: اجتنبوا الأوثان، فإنها رجس. ومثله قول الشاعر:

(١) رواه الطبري وإسناده صحيح، ولفظه: «إن الصراط محضر تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله، هلم هذا الطريق، ليصلوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبل الله هو كتاب الله».

(٢) من «ديوانه» ص ٢٧ من قصيدته في قيس بن معد يكرب، وهذا البيت في ذكر ناقته. يقول: إذا ما أخذت من قبيلة عهودها حتى اجتاز ديارها أمناً، أعطتها القليلة التي تليها عهداً وذمماً أن تخرق ديارها أمناً لا يخالها أحد بسوء، وذلك أن القبايل كلها ترهب قيساً وتخافه، فكل قاصد إليه، واجد الأمان حيث سار.

أخو رغائب يعطيها ويسألها

يأبى الظلّامة منه النّوفل الزفر<sup>(١)</sup>

وهو النوفل الزفر.. لأنه وصفه بإعطاء الرغائب. والنوفل: الكثير الإعطاء للنوافل، والزفر: الذي يحمل الأثقال. ويدل على أن الكل أمروا بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال: ويجوز أن يكون أمر منهم فرقة، لأن الدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه، وليس الخلق كلهم علماء، والعلم ينوب بعض الناس فيه عن بعض، كالجهاد، فأما الخير، ففيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله مقاتل. والثاني: العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وأما المعروف، فهو ما يعرف كل عاقل صوابه، وضده المنكر، وقيل: المعروف ها هنا: طاعة الله، والمنكر: معصيته.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَاتَّخَفُوا مِنْ بَيْنِ مَا جَاءَهُمُ الْيَقِينُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَقَرَّوْا وَاتَّخَفُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: أنهم الحرورية<sup>(٢)</sup>، قاله أبو أمامة.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(١٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قرأ أبو رزین العقيلي، وأبو عمران الجوني، وأبو نهيك: «تبييض» و«تسود»، بكسر التاء فيهما. وقرأ الحسن، والزهري، وابن محيصن، وأبو الجوزاء: «تبياض» و«تسواء»، بالف، ومدة فيهما. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: فأما الذين اسودّت اسودّات و«ابياضت»، بالف ومدة. قال الزجاج: أخبر الله بوقت ذلك العذاب، فقال: يوم تبيض وجوه. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السّنة، وتسود وجوه أهل البدعة. وفي الذين اسودت وجوههم، خمسة أقوال: أحدها: أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أبي بن كعب. والثاني: أنهم الحرورية، قاله أبو أمامة، وأبو إسحاق الهمداني. والثالث: اليهود، قاله ابن عباس. والرابع: أنهم المنافقون، قاله الحسن. والخامس: أنهم أهل البدع، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَكْفَرْتُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: فيقال لهم: أكفرتم، فحذف القول لأن في الكلام دليلاً عليه، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ بِعِلٍّ رَبَّنَا فَقُلْ بَلَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: ويقولان: ربنا تقبل منا. ومثله: ﴿مَنْ كَلَّ يَأْبِ سَكَمٌ عَلَيْكَ﴾ [الرعد: ٢٥، ٢٦] والمعنى: يقولون: سلام عليكم. والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا: المنافقون، فإنهم قالوا بالسنتهم، وأنكروا بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أصل الذوق إنما يكون بالفم، وهذا استعارة منه، فكأنهم جعلوا ما يتعرّف ويعرف مدوّقاً على وجه التشبيه بالذي يعرف عند التّطعم، تقول العرب: قد دُقت من إكرام فلان ما يرغبني في قصده، يعنون: عرفت، ويقولون: ذق الفرس، فاعرف ما عنده. قال تميم بن مقبل:

أَوْ كَاهِرَ زَارِ زُرْدِي نِي تُذَاوِقُهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينًا<sup>(٣)</sup>

(١) هو لأعشى باهلة، من قصيدة جيدة يرثي بها المنتشر بن ومب الباهلي. والظلامه: ما أخذ ظلماً. النوفل: الكثير النوافل، وهي العطايا، واحداًها: نافلة. الزافر: القوي على الحملات، وهي الغرامات التي تحملها عن القوم. قال في «اللسان» وقوله: «منه» مؤكدة للكلام، كما قال تعالى: ﴿يُؤَيِّزُ لَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ﴾ [الحاقاف: ٣١]. والمعنى: يأبى الظلامه، لأنه النوفل الزفر.

(٢) الحرورية: هم الخوارج الذين قاتلهم علي عليه السلام، نسبة إلى حروراء. قال ياقوت في «معجم البلدان»: وحروراء، بفتحين وسكون الواو، وراء أخرى وألف ممدودة: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل بها الخوارج الذين خالفوا علياً عليه السلام فنسبوا إليها.

(٣) «ديوانه» ص: ٣٢٨. وقد جاء فيه «تداوله» مكان «تذاوقه» والرديني: الرمح، منسوب إلى ردينة، وهي امرأة كانت تقن هي وزوجها سمير صنع الرماح بخط حجر. التجار: جمع تاجر، وهو الذي يتجر في الشيء، الحاذق بالأمر. شبه تنني النساء في مشيهن باهتزاز الرمح اللدن. وقال الشماخ في وصف القوس:

فَذَاقَ فَاعْطَتْهُ مِنَ الْبَيْنِ جَانِبًا

كَفَى وَلَهَا أَنْ يَفْرُقَ السَّهْمَ حَاجِزَ

وقال الآخر:

وإن الله ذاق حُلُومَ قيس

فلما راء خفنتها قلاها<sup>(١)</sup>

يعنون باللذوق: العلم. وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه. فقد ذاقه.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَئَتُوا وَجُوهَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَئَتُوا وَجُوهَهُمْ﴾ قال ابن عباس: هم المؤمنون. ورحمة الله: جنته، قال ابن قتيبة: وسمي الجنة رحمة، لأن دخولهم إياها كان برحمته. وقال الزجاج: معناه: في ثواب رحمته، قال: وأعاد ذكر «فيها» تأكيداً.

﴿بَلَّغَ مَا بَلَغَ اللَّهُ تَنَلُّوْهُمَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْمُكَلِّينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْمُكَلِّينَ﴾ قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا جرم. وقال الزجاج: أعلمنا أنه يعذب من عذبه باستحقاق.

﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَّا اللَّهُ يُرْجِعُ الْأَمْوَالَ﴾<sup>(٤)</sup> كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ وَكَلَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ﴾ سبب نزولها أن مالك بن الضيف ووهب بن يهودا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة (وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل): ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة ومقاتل. وفيمن أريد بهذه الآية، أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل بدر. والثاني: أنهم المهاجرون<sup>(٦)</sup>. والثالث: جميع الصحابة. والرابع: جميع أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس. وقد روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، أنه قال: «إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها على الله تعالى»<sup>(٧)</sup>. قال الزجاج: وأصل الخطاب لأصحاب النبي ﷺ، وهو يعم سائر أمته<sup>(٨)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ﴾، قولان: أحدهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ. والثاني: أن معناه: خُلِقْتُمْ وَوُجِدْتُمْ. ذكرهما المفسرون. والثالث: أن المعنى: كنتم مذ كنتم، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]. ذكره الفراء<sup>(٩)</sup>، والزجاج. قال ابن قتيبة: وقد يأتي الفعل على بنية الماضي، وهو راءن، أو مستقبل، كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ﴾ ومعناه: أنتم، ومثله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: وإذ يقول. ومثله: ﴿أَلَمْ أَنْزَلْ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [النحل: ٩١]، أي: سيأتي، ومثله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُ مَنْ كَانَتْ فِي يَدَيْهِ صِيبَاتٌ﴾ [مريم: ٢٩]، أي: من هو في المهد، ومثله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. أي: والله سميع بصير، ومثله: ﴿فَتَنَزَّلُ صَبَاحًا فَنَقَلَتْ﴾ [فاطر: ٩] أي: فنسوقه. وفي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

(١) قال الجاحظ في «الحيوان» ٣٠/٥: قال يزيد بن الصق لبي سليم حين صنعوا لسيدهم العباس بن أسد ما صنعوا، وقد كانوا توجهوا وملكوه، فلما خالفهم في بعض الأمر، وثبوا عليه وكان سبب ذلك قلة رطبه:

وإن الله ذاق حُلُومَ قيس  
فلما ذاق خفنتها قلاها  
وأهلاً لا تطيع لها أميراً  
فخلها تررذ نفسي خلها

قلاها: أبغضها. وخلها: تركها. والخل، مقصورة: الرطب من النبات، واحدة: خلعة، يقول: جعلها كالسوائم تتراد المرامي.

(٢) رواه أحمد، والنسائي، والحاكم بإسناد جيد عن ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ورواه الذهبي.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وله شاهد مرسل عن قتادة عند الطبري رجاله ثقات. وروى الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء، قلنا: يا رسول الله ما هو؟ قال نصرت بالرب، وأعطيت مقاتيح الأرض، وسيت أحمد، وجعل التراب لي طهوراً، وجعلت أمي خير الأمم، وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن كثير، والحافظ ابن حجر.

(٤) قال الحافظ ابن كثير بعدما ساق الأحاديث الثابتة في فضل أمة محمد ﷺ: فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ وَكَلَامَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾. فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ كَثِيرٍ وَهُوَ كَثِيرٌ مَّا كَانُوا يَتَكَلَّفُونَ﴾.

(٥) جاء في «معاني القرآن»: وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ في التأويل في اللوح المحفوظ، ومعناه: أنتم خير أمة، كقوله: ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِهِ كُنْتُمْ قَبْلَ ذَلِكَ كُفْرًا﴾ [المائدة: ٨٦]. و﴿إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الأنفال: ٢٦]. فإضمار «كان» في مثل هذا وإظهارها سواء.



لِلثَّانِي ﴿قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ مَعْنَاهُ: كَتَمْتُ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ حَتَّى يَدْخُلُوهُمْ فِي الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>﴾. وَالثَّانِي: أَنْ مَعْنَاهُ: كَتَمْتُ خَيْرَ الْأُمَمِ الَّتِي أَخْرَجْتُ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ شَرْطُ فِي الْخَيْرِيَّةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى مَرْوِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَمُجَاهِدٍ، وَالزَّجَّاجِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ ثَنَاءٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: وَالْمَعْرُوفُ: التَّوْحِيدُ. وَالْمُنْكَرُ: الشُّرْكُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَهْلُ الْكِتَابِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْهَوْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مَنْ أَسْلَمَ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ. ﴿وَأَكْثَرَهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، يَعْنِي: الْكَافِرِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَسْلَمُوا.

﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ وَإِنْ يَغْفِرَ لَكُمْ يُولُوكُمْ أَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ قَالَ مِقَاتِلٌ: سَبَبُ نَزُولِهَا أَنْ رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ عَمِدُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ فَأَذَوْهُمْ لِإِسْلَامِهِمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْأَذَى قَوْلُهُمْ: ﴿عُذِّرْتُ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وَ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وَ﴿ثَلَاثُ ثَلَاثِينَ﴾ [المائدة: ٧٣]. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْكَذْبُ عَلَى اللَّهِ، وَدَعَاؤُهُمُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الضَّلَالَةِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ الْبُهْتُ وَالتَّحْرِيفُ. وَمَقْصُودُ الْآيَةِ: إِعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ لَنْ يَنْالَهُمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْأَذَى بِاللِّسَانِ مِنْ دَعَائِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَى الضَّلَالِ، وَإِسْمَاعِهِمُ الْكُفْرَ، ثُمَّ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ يَغْفِرَ لَكُمْ يُولُوكُمْ أَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الرِّدَّةَ أَنْ مَا تَقُفُوا إِلَّا بِحَبْلِ يَدِ اللَّهِ وَحَبْلِ يَدِ النَّاسِ وَيَأْتُوهُمُ الْفَقْرُ وَالْكَثْرَةُ فَلَا تَكُنْ لَهُمْ نَفْسٌ أَنْ يَنْصَرُوا﴾ قَالَ مِقَاتِلٌ: سَبَبُ نَزُولِهَا أَنَّ رُؤَسَاءَ الْيَهُودِ عَمِدُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ فَأَذَوْهُمْ لِإِسْلَامِهِمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالْأَذَى قَوْلُهُمْ: ﴿عُذِّرْتُ ابْنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وَ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وَ﴿ثَلَاثُ ثَلَاثِينَ﴾ [المائدة: ٧٣]. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْكَذْبُ عَلَى اللَّهِ، وَدَعَاؤُهُمُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الضَّلَالَةِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ الْبُهْتُ وَالتَّحْرِيفُ. وَمَقْصُودُ الْآيَةِ: إِعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّهُ لَنْ يَنْالَهُمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْأَذَى بِاللِّسَانِ مِنْ دَعَائِهِمْ إِيَّاهُمْ إِلَى الضَّلَالِ، وَإِسْمَاعِهِمُ الْكُفْرَ، ثُمَّ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ يَغْفِرَ لَكُمْ يُولُوكُمْ أَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ أَدْرَكُوا وَوَجِدُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَيْنَ نَزَلُوا احْتَاجُوا إِلَى عَهْدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَكَانِ، وَأَدَاءِ جَزِيَةٍ. قَالَ الْحَسَنُ: أَدْرَكْتَهُمْ هَذِهِ الْأُمَةُ، وَإِنْ الْمَجُوسُ لَتَجْبِيَهُمُ الْجَزِيَةُ. وَأَمَّا الْجَبَلُ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعُطَاءُ وَالضُّحَاكُ، وَقَتَادَةُ، وَالسَّيِّدِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ: الْجَبَلُ: الْعَهْدُ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَا بَعْدَ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ يَدِ اللَّهِ﴾ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَذْلَاءُ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْتَصِمُونَ بِالْعَهْدِ إِذَا أَعْطَوْهُ. وَقَدْ سَبَقَ فِي «الْبَقَرَةِ» تَفْسِيرُ بَاقِي الْآيَةِ.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَمْ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، فِي سَبَبِ نَزُولِهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَسَبَ عَنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ لَيْلَةً حَتَّى ذَهَبَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَبَشَّرَهُمْ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَصْلِي هَذِهِ الصَّلَاةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(٢)</sup> فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَمَّا أَسْلَمَ ابْنُ سَلَامٍ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ أَحْبَابُهُمْ: مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ إِلَّا أَشْرَارُنَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمِقَاتِلٌ. وَفِي مَعْنَى الْآيَةِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: لَيْسَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ وَالْيَهُودُ سَوَاءً، هَذَا قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَالسَّيِّدِيِّ. وَالثَّانِي: لَيْسَ الْيَهُودُ كُلُّهُمْ سَوَاءً، بَلْ فِيهِمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الرُّوقُفُ الثَّامِ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أَيُّ: لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ مُتَسَاوِينَ. وَفِي مَعْنَى «قَائِمَةٌ» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا الثَّابِتَةُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا الْعَادِلَةُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ جَرِيرٍ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا الْمُسْتَقِيمَةُ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَالزَّجَّاجُ. قَالَ الْفَرَّاءُ: ذَكَرَ أُمَّةٌ وَاحِدَةً وَلَمْ يَذْكُرْ بَعْدَهَا أُخْرَى، وَالْكَلَامُ مُبْنِي عَلَى أُخْرَى، لِأَنَّ «سَوَاءً» لَا يَدْخُلُ مِنْ أَتَيْنِ، وَقَدْ تَسْتَجِيزُ الْعَرَبُ إِضْمَارَ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ج ٨/١٦٩ مَوْقُوفًا، وَهُوَ فِي حَكْمِ الْمَرْفُوعِ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: «عَجِبَ اللَّهُ ﷻ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ».

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرِيُّ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَسْعُودٍ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «مَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْأَيْمَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ هَبْرَكُمْ» قَالَ: وَأَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ حَتَّى بَلَغَ «وَمَا يَتَّقُوا مِنْ خَيْرٍ لَنْ يَحْضُرَهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الشَّاهِدُ».

عصيت إليها القلب إنني لأمره  
ولم يقل: أم لا، ولا أم غي، لأن الكلام معروف المعنى. وقال آخر:

وما أدري إذا يَمُمْتُ أرضاً  
أريدُ الخيرَ أيُّهما يليني  
أَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ  
أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَبْتَغِينِي<sup>(١)</sup>

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَتَلْتُكَ أَتَآءَ آلِي سُلَيْمًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩] ولم يذكر ضده، لأن في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. دليلاً على ما أضمر من ذلك، وقد رد هذا القول الزجاج، فقال: قد جرى ذكر أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، فأعلم الله أن منهم أمة قائمة. فما الحاجة إلى أن يقال: وأمة غير قائمة؟ وإنما بدأ بذكر فعل الأكثر منهم، وهو الكفر والمشاقة، فذكر من كان منهم مبيناً لهؤلاء. قال: ﴿وَآتَاكَ آلِيكَ﴾ ساعاته، وواحد الآناء: إني. قال ابن فارس: يقال: مضى من الليل إني، وإنيان، والجمع: الآناء. واختلف المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العشاء، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور. والثالث: جوف الليل، قاله السدي. والثاني: أنها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾، قولان: أحدهما: أنه كناية عن الصلاة، قاله مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه السجود المعروف، وليس المراد أنهم يتلون في حال السجود، ولكنهم جمعوا الأمرين، التلاوة والسجود. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآيَاتِهِ وَالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١١٤)</sup> وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ<sup>(١١٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «تفعلوا»، وتكفروه، بالتاء في الموضعين على الخطأ، لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾. قال قتادة: فلن تكفروه: لن يضل عنكم. وقرأ قوم، منهم حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وعبد الوارث عن أبي عمرو: يفعلوا، ويكفروا، بالياء فيهما، إخباراً عن الأمة القائمة. وبقية أصحاب أبي عمرو يخبرون بين الياء والتاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُفْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(١١٦)</sup> مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ<sup>(١١٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في نفقات الكفار وصدقاتهم، قاله مجاهد. والثاني: في نفقة سفلة اليهود على علمائهم، قاله مقاتل. والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر. والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين، ذكر هذين القولين أبو الحسن الماوردي. وقال السدي: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم. وفي الصر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه البرد، قاله الأكثرون. والثاني: أنه النار، قاله ابن عباس، قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها صر لتصويتها عند الانتهاب. والثالث: أن الصر: التصويت، والحركة من الحصى والحجارة، ومنه: صرير النعل، ذكره ابن الأنباري. والحرث: الزرع. وفي معنى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: ظلموها بالكفر والمعاصي، ومنع حق الله تعالى. والثاني: بأن زرعوا في غير وقت الزرع.

(١) ديوان الهذليين ٧١/١ قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على البيت: رواية البيت هكذا لا يستقيم بها معنى، ورواية «ديوانه»:

عصاني إليها القلب إنني لأمره

ويروى: دعاني إليها. ومما روايتان صحيحتان. وتام معنى البيت في الذي يليه:

فقلت لقلبي يا لك الخير إنما

يقول: عصاني القلب، وذبح إليها، فأن اتبع ما يأمرني به.

(٢) للمصنف العبد من قصيدة جيدة في «المفضليات» والبيتان تعبير صادق عن جهل الإنسان بما يخفى له القدر من الخير والشر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة. وحدثننا عن ثعلب، قال: بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح، والمعنى: على الحرث، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يُسْمَعُ﴾ وإنما المعنى على المنعوق به. وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا لَا يُرَىٰ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَن يَخْسِعَ﴾ فخير عنه «الأزواج» وترك «الذين» كأنه قال: أزواج الذين يتوفون منكم يتربصن، فبدأ بالذين، ومراده: بعد الأزواج. وأنشد:

لعلِّي إن مالت بي الريح ميلاً  
على ابن أبي ديان أن يتندماً

فخبر عن ابن أبي ديان، وترك نفسه، وإنما أراد: لعل ابن أبي ديان أن يتندما إن مالت بي الريح ميلاً. وقد يبدأ بالشيء، والمراد التأخير، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْيَكْمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] والمعنى: ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة يوم القيامة.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تُقِيلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يضافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مباظمتهم. قال الزجاج: البطانة: الدُّخلاء الذين يستبطنون [أمره] وينبسط إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُدْخِل له، مؤانس. ومعنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: لا يتقون غاية في الفائتكم فيما يُضْرَكُم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضُرٍّ، يقال: فلان يعنت فلاناً، أي: يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، وأصل هذا من قولهم: أكمةٌ عنتُ، إذا كانت طويلة، شاقة المسلك. قال ابن قتبية: ومعنى ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: من غير المسلمين. والخبال: الشر.

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتم، ومخالفة دينكم. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العملات والكتبة، ولهذا قال أحمد: لا يستعين الإمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب. وروي عن عمر أنه بلغه أن أبا موسى استكتب رجلاً من أهل الذمة، فكتب إليه يعنه، وقال: لا تردوهم إلى العز بعد إذ أذلهم الله.

﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآئِكَ حُبُّهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَيُحِبُّونَ بِالْكِتَابِ كُفْرًا وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَصَوْا عَنْكُمْ الْآثَانَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا يَتَّبِعْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿هَآئِنْتُمْ أُولَآئِكَ حُبُّهُمْ﴾ قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين. قال ابن قتبية: ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فاما «تحبونهم» فالهاء والميم عائدة إلى الذين نهوا عن مصافاتهم. وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال: أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس. والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة. والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية. والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضل، والزجاج. والكتاب: بمعنى الكتب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ هذه حالة المنافقين، وقال مقاتل: هم اليهود. والأنامل: أطراف الأصابع. قال ابن عباس: والغيط: الحنق عليكم، وقيل: هذا من مجاز الكلام، ضُرب مثل لما حلَّ بهم، وإن لم يكن هناك عض على أنملة، ومعنى ﴿مُؤْمِنُوا يَتَّبِعْكُمْ﴾: ابقوا به حتى تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتئماً. قال

(١) قال القرطبي: معنى ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصرون فيما فيه الفساد عليكم.

ابن جرير: هذا أمر من الله تعالى لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله كعداً من الغيظ.

﴿إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ شُؤْرِهِمْ فَإِنَّ تُبَيِّنُوا سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَقْفُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَكْمِلُوا حَسَنَةَ﴾ قال قتادة: وهي الألفة والجماعة. والسيئة: الفرقة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين. وقال ابن قتيبة: الحسنة: النعمة. والسيئة: المصيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصِيرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس. والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَقْتُلُوا﴾ قولان: أحدهما: الشرك، قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، «يَضُرُّكُمْ» بكسر الضاد، وتخفيف الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «لَا يَضُرُّكُمْ» بضم الضاد وتشديد الراء. قال الزجاج: الضر والضير بمعنى واحد. فأما الكيد فقال ابن قتيبة: هو المكر. قال أبو سليمان الخطابي: والمحيط: الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وأحاط علمه بالأشياء كلها.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قال المفسرون: في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله بيدر، وإذ غدوت من أهلك. وقال ابن قتيبة: تبوئ: من قولك: بوأتك منزلاً: إذا أقدت لك إياه، أو أسكنته. ومعنى «مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ»: المعسكر والمصاف. واختلفوا في أي يوم كان ذلك، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم أحد، قاله عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، والزهري، وقتادة، والسدي، والربيع، وابن إسحاق، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال. والثاني: أنه يوم الأحزاب، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: يوم بدر، نقل عن الحسن أيضاً. قال ابن جرير: والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: سميع لمشاورتك إياهم في الخروج، ومرادهم للخروج، عليم بما يخفون من حب الشهادة.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ قال الزجاج: كانت التبروة في ذلك الوقت. وتفشلا: تجبنا، وتخورا. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، أي: ناصرها. قال جابر بن عبد الله: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحب أن لو لم يكن ذلك لقول الله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. وقال الحسن: [هما] طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصهما الله. وقيل: لما رجع عبد الله بن أبي في أصحابه يوم أحد، همت الطائفتان باتباعه، فعصهما الله.

### فصل

فأما التوكل، فقال ابن عباس: هو الثقة بالله. وقال ابن فارس: هو إظهار العجز [في الأمر]، والاعتماد على غيرك، ويقال: فلان وَكَلَهُ تَكْلَةً، أي: عاجز، يكل أمره إلى غيره. وقال غيره: هو تفعل من الوكالة، يقال: وكلت أمري إلى فلان فتوكل به، أي: ضمنه، وقام به، وأنا متوكل عليه. وقال بعضهم: هو تفويض الأمر إلى الله ثقة بحسن تدبيره.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ في تسمية بدر قولان: أحدهما: أنها بشر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي. والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.



قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَدْلَىٰ﴾ أي: لفلة العدد والعدد. ﴿لَكُمْ تَنْكَرُونَ﴾ أي: لتكنونا من الشاكرين.

﴿إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ قال الشعبي: قال كُرْز بن جابر لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والثاني: يوم أحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا، لم يُمددوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل، والأول أصح. والكفاية: مقدار سد الخلة. والاكتفاء: الاكتصار على ذلك. والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى: ﴿مُزِيلِينَ﴾ قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي، وشدها ابن عامر.

﴿بَلْ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يَتَوَدَّدَكُمْ رَبُّكُمْ بِحَسَنَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، والزجاج. والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين. قال ابن جرير: من قال: من وجههم، أراد ابتداء مخرجهم يوم بدر، ومن قال: من غضبهم، أراد ابتداء غضبهم لقتالهم يوم بدر<sup>(١)</sup>. وأصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، يقال: فارت القدر: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان، ثم اتصل. وقال ابن فارس: الفور: الغليان، يقال: فارت القدر تفور، وفار غضبه: إذا جاش، ويقولون: فعله من فوره، أي: قبل أن يسكن. وفي يوم فورهم قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة. والثاني: يوم أحد، قال مجاهد، والضحاك: كانوا غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا.

قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم بكسر الواو، والباقون بفتحها، فمن فتح الواو، أراد أن الله سؤمها، ومن كسرها، أراد أن الملائكة سومت أنفسها. وقال الأخفش: سومت خيلها، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال يوم بدر: «سوموا فإن الملائكة قد سومت»<sup>(٢)</sup> ونسب الفعل إليها، فهذا دليل الكسر. قال ابن قتيبة: ومعنى مسومين: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السيماء [مأخوذاً]، والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه. قال علي بن أبي حمزة: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنابها ونواصيها. وقال أبو هريرة: العهن الأحمر. وقال مجاهد: كانت أذناب خيولهم مجزوزة، وفيها العهن. وقال هشام بن عروة: كانت الملائكة على خيل بلق، وعليهم عمائم صفر. وروى ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرأ، ونحن على شركتنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الخيل سمعنا فيها حممة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فاما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت<sup>(٣)</sup>. وقال أبو داود المازني: إني لأتبع يوم بدر رجلاً من

(١) نص كلام ابن جرير: «فالذي قال في هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿مِنْ فُورِهِمْ هَذَا﴾ من وجههم هذا، قصد إلى أن تأويله: ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين. وأما الذين قالوا: معنى ذلك: من غضبهم هذا، فإنما عنوا أن تأويل ذلك: ويأتيكم كفار قريش، ويأتيهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبه لقتالهم الذين قتلوا يوم بدر بها.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٨٦/٧ عن عمير بن إسحاق قال: إن أول ما كان الصوف ليومئذ - يعني ليوم بدر - قال رسول الله ﷺ: «سوموا فإن الملائكة قد تسومت». قال الشيخ أحمد شاكر: وعمر بن إسحاق أبو محمد مولى بني هاشم، روى عن المقداد بن الأسود، وعمر بن العاص، وكان قليل الحديث، وقال أبو حاتم والنسائي: لا نعلم روى عنه غير ابن عون، قال ابن معين: ثقة، وقال أيضاً: لا يساوي حديثه شيئاً، ولكن يكتب حديثه، فهذا الحديث كما ترى مرسل، ومن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به.

(٣) روى ابن هشام في «السيرة» ١/ ٦٣٣، ورواه ابن جرير في «التفسير»: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس، أن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة، فننتهب مع من ينتهب، قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حممة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم تماسكت. الدبرة: الهزيمة في القتال. أقدم: كلمة زجر تزجر بها الخيل، وأمر لها بالتقدم. حيزوم: اسم فارس من خيل الملائكة يومئذ، ويقال: هو فارس جبريل ﷺ. وقناع القلب: غشاؤه. وجاء في الحديث الذي أخرجه «مسلم» ١٣٨٤، قال أبو زميل - هو سماك الحنفي - فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر =

المشركين لأضره، فوق رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله<sup>(١)</sup>. وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال: أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن. وروى جبير بن مطعم عن علي عليه السلام، قال: بينا أنا أمتح من قلب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله، وكنت عن يساره، وهزم الله أعداءه. والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي. والثالث: ألف، قاله مجاهد. والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج. والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَسَطَ لِقَابُكُمْ يَوْمَ مَا آتَاكُمْ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَيْبِ الْمَكِينِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ يعني المدد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، أي: إلا بشارة تطيب أنفسكم، ﴿وَلَسَطَ لِقَابُكُمْ يَوْمَ﴾، تنسكن في الحرب، ولا تجزع، والأكثر على أن هذا المدد يوم بدر. وقال مجاهد: يوم أحد، وروي عنه ما يدل على أن الله أمدهم في اليومين بالملائكة جميعاً، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر. قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، أي: ليس بكثرة العدد والمُد.

﴿يَقْطَعُ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَقْطَعُ طَرَفًا﴾ معناه: نصركم ببدر ليقطع طرفاً. قال الزجاج: أي: ليقطع قطعة منهم. وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقتادة، والجمهور. والثاني: يوم أحد، قتل منهم ثمانية وعشرون، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِتُنَّمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أن معناه: يهزمهم، قاله ابن عباس، والزجاج. والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: يصرعهم، قاله أبو عبيد، واليزيدي. وقال الخليل: هو الصرع على الوجه. والرابع: يهلكهم، قاله أبو عبيدة. والخامس: يلعنهم، قاله السدي. والسادس: يُظْفَرُ عليهم، قاله المبرد. والسابع: يغيطهم، قاله النضر بن شميل، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن قتيبة: أهل النظر يرون أن التاء فيه منقلبة عن دال، كأن الأصل فيه: يكبدهم، أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيط، وشدة العداوة، ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده، وأحرق العداوة كبده، والعرب تقول: العدو أسود الكبد. قال الأعشى:

فَمَا أَجْشِمْتُ مِنْ إِيَّانِ قَوْمِ

هَمُّ الْأَعْدَاءِ وَالْأَكْبَادِ سَوْدُ<sup>(٢)</sup>

كان الأكباد لما احترقت بشدة العداوة، اسودت، ومنه يقال للعدو: كاشح، لأنه يخبأ العداوة في كشحه. والكشح: الخاصرة، وإنما يريدون الكبد، لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

وَأَضْمِرُ أَضْفَاناً عَلَيَّ كَشْوُخَهَا<sup>(٣)</sup>

والتاء والدال متقاربتا المخرج، والعرب تدغم إحداهما في الأخرى، وتبدل إحداهما من الأخرى، كقولهم: هرت الثوب وهرده: إذا خرقة، وكذلك: كبث العدو، وكبده، ومثله كثير.

= إلى المشرك أمامه. فخر مستقياً، فنظر إليه، فإذا هو قد حُطِمَ أنفه، وشق وجهه كضربة بالسوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «صدقت ذلك من مد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين.

(١) ذكر هذا الأثر ابن هشام ٦٣٣/١ عن ابن إسحاق عن أبيه، عن رجال من بني مازن بن النجار عن أبي داود المازني. ومن طريقه أخرجه الطبري وغيره.

(٢) «ديوانه» ص ٣٢٣. وأجشمت: على البناء للمجهول من أجشمت الأمر: إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة. إِيَّانِ قوم: يقصد قوم صاحبه التي انصرفت عنه. عدو أسود الكبد: أحرقت كبده العداوة.

(٣) هو للنمر بن تولب، وتماه:

أَنَارَ أَقْوَاماً فَأَوْفَى قُرُوضَهُمْ  
تَنَفَّذَ مِنْهُمْ نَافِذَاتِ تَسْؤُنِي

وَعَثَّ إِذَا أَرَادَ النَّفْسُ شَحْجَهَا  
وَأَضْمِرُ أَضْفَاناً عَلَيَّ كَشْوُخَهَا.....

قوله تعالى: ﴿يَتَقَلَّبُوا عَلَىٰ خُبْرِهِمْ﴾ قال الزجاج: الخائب: الذي لم ينل ما أُمِّل. وقال غيره: الفرق بين الخيبة والياس، أن الخيبة لا تكون إلا بعد الأمل، والياس قد يكون من غير أمل.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته حتى سال الدم على وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل؟!». فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في «أفراده» من حديث أنس<sup>(١)</sup>. وهو قول ابن عباس، والحسن، وقادة، والربيع. والثاني: أن النبي ﷺ، لمن قوماً من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن النبي ﷺ هم بسبب الذين انهزموا يوم أحد، فنزلت هذه الآية، فكف عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس. والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلى قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتلوا جميعاً، فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان<sup>(٣)</sup>. والخامس: أن النبي ﷺ لما رأى حمزة مثلاً به، قال: «لأمثلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية، قاله الواقدى. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء. والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء. وقيل: إن «لك» بمعنى «إليك».

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال الفراء: في نصبه وجهان، إن شئت جعلته معطوفاً على قوله تعالى: ﴿لَيَقْلَعَنَّ مَرْكَبًا﴾ وإن شئت جعلت نصبه على مذهب «حتى» كما تقول: لا أزال معك حتى تعطيني، ولما نفى الأمر عن نبيه أثبت أن جميع الأمور إليه بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾ قال أهل التفسير: هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية. قال سعيد بن جبير: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حلّ الأجل، فيقول: أخر عني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة<sup>(٤)</sup>.

(١) ورواه أحمد في «المسند» والترمذي وغيرهما، والرابعة على وزن ثمانية: الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا بين الشية والثاب.

(٢) رواه أحمد في «المسند» والترمذي عن ابن عمر. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح يستغرب من هذا الوجه، من حديث نافع عن ابن عمر، ولفظه عند أحمد: «كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يسميهم بأسمائهم، حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فترك ذلك.

(٣) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد، ثم يقول وهو قائم: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمضعفين من المؤمنين، اللهم اشد وطأتك على مصر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله. ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ هذا لفظ مسلم. وقال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٢٧٣: وهذا - يريد الحديث - إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخي عن قصة أحد، لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها، كما سيأتي تلوه هذه الغزوة - وفيه بعد. والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد، والله أعلم. ويؤيد ذلك ظاهر قوله تعالى في صدر الآية: ﴿لَيَقْلَعَنَّ مَرْكَبًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: يقتلهم «أَوْ يَكُونُ لَهُمْ» أي: يخزيهم. ثم قال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيسلموا «أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: إن ماتوا كفاراً. وقال في ج/ ٧١: ثم ظهر لي علة الخبر، وأن فيه إدرجاً، وأن قوله: حتى أنزل الله، منقطع من رواية الزهري عن بلغة، بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة.

(٤) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في «عمدة التفسير» ٣/ ٣٨: تعليقاً على هذه الآية: والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا، وأوليائهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي، بل التشريع اليهودي في الربا يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية تدل على أن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة، ليجيزوا ما بقي من أنواع الربا، على ما ترضى أهواؤهم وأهواء ساداتهم، ويتركوا الآية الصريحة: ﴿وَإِذَا تَبَيَّنَ قَلْبُكُمْ رُؤُوسَ أُمَّتِكُمْ لَا تَقْلُسُونَهَا وَلَا تَقْلُسُونَهَا﴾ فكانوا في تلاعبهم بتأول هذه الآية الصريحة أسوأ حالاً ممن «يَتَقَبَّحُونَ مَا كَتَبَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا»، «فأولئك الذين سمي الله فاحلورهم». وقال الشيخ محمود شلتوت في كتابه «تفسير القرآن الكريم» ص ١٥٨: بقي علينا أن ننبه في هذا الشأن لأمر خطير، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة، وتخريجها على أساس فقهي إسلامي، ليعرفوا بالتجديد، وعمق التفكير، يحاولون أن يجدوا تخريجها للمعاملات الربوية التي يقع التعامل بها في المصارف أو صناديق التوفير، أو السندات الحكومية أو نحوها، ويلتمسون السبيل إلى ذلك. فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرم الربا الفاحش بدليل قوله: ﴿أَتَمَنَّاهُ مُنْكَمَ﴾ فهذا قيد في التحريم لا بدان يكون له فائدة، وإلا كان الإتيان به عبثاً، تعالى الله عن ذلك، وما =



﴿وَأَنْتُمْ أَلَسَّاءُ أَنْتُمْ أَهْدَيْتُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلَسَّاءُ أَنْتُمْ أَهْدَيْتُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾ قال ابن عباس: هذا تهديد للمؤمنين، لئلا يستحلوا الربا. قال الزجاج: والمعنى: اتقوا أن تحلوا ما حرم الله فتكفروا.

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كلهم أثبت الروا في «وسارعوا» إلا نافعاً، وابن عامر، فإنهما لم يذكرها. وقال أبو علي: وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، فمن قرأ بالواو، عطف «وسارعوا» على «واطيعوا»، ومن حذفها، فلأن الجملة الثانية ملتبسة بالأولى، فاستغنت عن العطف. ومعنى الآية: بادروا إلى ما يوجب المغفرة. وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه. والثاني: أداء الفرائض، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: الإسلام، قاله ابن عباس. والرابع: التكبيرة الأولى من الصلاة، قاله أنس بن مالك. والخامس: الطاعة، قاله سعيد بن جبير، والسادس: التوبة، قاله عكرمة. والسابع: الهجرة، قاله أبو العالية. والثامن: الجهاد، قاله الضحاك. والتاسع: الصلوات الخمس، قاله يمان. والعاشر: الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال ابن قتيبة: أراد بالعرض السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين يوم أحد: «لقد ذهبتم فيها عريضة». قال الشاعر:

كَانَ بِلَادِ اللَّهِ هِيَ عَرِيضَةٌ  
عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كَيْفُ حَابِلٍ<sup>(١)</sup>

قال: وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا لم يعرض ضاق ودق. وقال سعيد بن جبير: لو أُلصق بعضهم إلى بعض كانت الجنة في عرضهم.

﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي النَّارِ وَالنَّارَ وَالْقَبْطِ الْغَيْظِ وَالنَّارِ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفِقُونَ فِي النَّارِ وَالنَّارَ وَالْقَبْطِ الْغَيْظِ﴾ قال ابن عباس: في العسر واليسر. ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطروهم الرخاء، فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيخجلوا.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَبْطِ الْغَيْظِ﴾ قال الزجاج: يقال: كظمت الغيظ: إذا أمسكت على ما في نفسك منه، وكظم البعير<sup>(٢)</sup> على جرتة: إذا ردها في حلقه. وقال ابن الأنباري: الأصل في الكظم: الإمساك على غيظ وغم. وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى»<sup>(٣)</sup>.

فأثنته في زعمهم إلا أن يؤخذ بمفهومي، وهو إباحة ما لم يكن أضعافاً مضاعفة من الربا. وهذا قول باطل، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله: ﴿أَنْتُمْ أَهْلُهَا مُنْقَضَةٌ﴾ توبيخاً لهم على ما كانوا يفعلون، وإبرازاً لفعلهم السيء، وتشهيراً به، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِمُوا قَبَائِكُمْ عَلَى النَّاسِ إِنَّ أَنْتُمْ تَكْرَهُونَ﴾ [النور: ٣٣] فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء في حالة إرادتهن التحصن، وأن يبيح لهن إذا لم يردن التحصن، ولكنه يبيح ما يفعلونه، ويشهر به، ويقول لهم: لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن، وهذا أنفع ما يصل إليه مولى مع مولاته، فكذلك الأمر في آية الربا، يقول الله لهم: لقد بلغ بكم الأمر في استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافاً مضاعفة، فلا تفعلوا ذلك، وقد جاء النهي في غير هذه المواضع مطلقاً صريحاً، ورعد الله بمحق الربا قل أو كثر، ولعن أكله وموكله، وكتبه وشاهده، كما جاء في الآثار، وأذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله، واعتبره من الظلم الممقوت، وكل ذلك ذكر فيه في الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير. ومنهم من يعيل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة، ويقول: ما دام صلاح الأمة في الناحية الاقتصادية متوقفاً على أن تتعامل بالربا، وإلا اضطربت أحوالها بين الأمم، فقد دخلت بذلك في قاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وهذا أيضاً مغالطة، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هذا التعامل، وأن الأمر فيه، إنما هو وهم من الأوهام، وضعم أمام النظم التي يسير عليها الغالبون الأقوياء. وخلاصة القول: إن كل محاولة يراد بها إباحة ما حرم الله، أو تبرير ارتكابه بأي نوع من أنواع التبرير، بدافع المجارة للاوضاع الحديثة أو الغربية، والانحلال عن الشخصية الإسلامية، إنما هي جرأة على الله تعالى، وقول عليه بغير علم، وضعف في الدين، وتزلزل في اليقين.

(١) البيت غير منسوب في «الكامل» و«اللسان» وروايتهما: «كان فجاج الأرض». والحابل: الصائد. وكفته: حياته التي يصيد بها.

(٢) الجرعة، بالكسر: ما يخرج البعير من بطنه ليمضه ثم يبلعه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسننة» وابن ماجه عن ابن عمر، ونقل السندي عن «زوائد البوصيري» قال: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» وقال: رواه ابن ماجه، ورواه محتج بهم في الصحيح. الجرعة: يجوز فيها قسم الجيم، وهي الاسم من التجرع، أي: الشرب، ويجوز فتحها، وهي المرة الواحدة منه، والجرعة بالضم أيضاً: ملء القم يتلعه، وتجرج الجرعة: شربها وابتلعها. قال في «اللسان»: وجرج الغيظ: كظمه على المثل بذلك. وفي «النهاية»: كظم الغيظ: تجرعه واحتمال سببه، والصبر عليه.



قوله تعالى: ﴿وَالْمَافِيهِ عَنِ الْكَاسِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس، والرابع والثاني: أنه على إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا ذَنْبَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَفْعُرْ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُمْسِكُوا عَلَى مَا هَلَكُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أولئك جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحْرِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِيكِ فِيهَا وَنَمَّ أَجْرُ الْكَمِيلَيْنِ ﴿١٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا ذَنْبَةً﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن امرأة أتت إلى نهبان التمار تشتري منه تمرًا فضمتها، وقتلها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أنصارياً وثقياً أخى النبي ﷺ بينهما، فخرج الثقفي مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعهد أهل الثقفي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن؛ فذهب ليلثما فوضعت كفها على وجهها، فقبله ثم ندم، فادبر راجعاً فقالت: سبحان الله خنت أمانتك، وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، قال: فخرج يسبح في الجبال، ويتوب إلى الله من ذنبه، فلما قدم الثقفي أخبرته المرأة بفعله، فخرج يطلبه حتى دل عليه، فندم على صنيعه فوافقه ساجداً يقول: ذنبي ذنبي، قد خنت أخى، فقال له: يا فلان انطلق إلى رسول الله ﷺ فأسأله عن ذنبك، لعل الله أن يجعل لك منه مخرجاً، فرجع إلى المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكره مقاتل. والثالث: أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء<sup>(٣)</sup>. واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على قولين: أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن. والثاني: أنها لصنف آخر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقاحشة: القبيحة وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها الزنى، قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين. واختلفوا في «الظلم» المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضاً، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر. وفي قوله تعالى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قولان: أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين. والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ذكر العرض على الله، قاله الضحاك. والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقدي. والثالث: ذكر وعيد الله لهم على ما أتوا، قاله ابن جرير. والرابع: ذكر نهي الله لهم عنه. والخامس: ذكر غفران الله: ذكر القولين أبو سليمان الدمشقي. فأما الإصرار، فقال الزجاج: هو الإقامة على الشيء. وقال ابن فارس: هو العزم على الشيء والثبات عليه<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مواجهة الذنب عند الاهتمام به، وهذا مذهب مجاهد. والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة<sup>(٥)</sup>، وابن إسحاق. والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدي<sup>(٦)</sup>. وفي معنى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند.

(٢) رواه الواحدي عن عطاء بن أبي رباح مرفوعاً.

(٣) جاء في معجم مقاييس اللغة: ومن الباب: الإصرار: العزم على الشيء، وإنما جعلناه قياسه، لأن العزم على الشيء والإجماع عليه، وكذلك الإصرار: الثبات على الشيء.

(٤) روى الطبري عن قتادة قوله تعالى ﴿وَلَمْ يُمْسِكُوا عَلَى مَا هَلَكُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فإياكم والإصرار، فإنما هلك المصرون الماضون قدماً لا تنهائم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك؟

(٥) قال أبو جعفر الطبري ٢٢٥/٧: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: الإصرار: الإقامة على الذنب عامداً، وترك التوبة منه. ولا معنى لقول من قال: الإصرار على الذنب هو مواقته، لأن الله ﷻ مدح بترك الإصرار على الذنب مواقع الذنب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا ذَنْبَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَفْعُرْ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُمْسِكُوا عَلَى مَا هَلَكُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. ولو كان المواقع الذنب مصراً بمواقته إياه لم يكن للاستغفار وجه مفهوم، لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقه صاحبه وجه. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أضر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»، حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي قال: حدثنا عبد الحميد الحماني، عن عثمان بن واقد، عن أبي نصيرة، عن مولى أبي بكر، عن أبي بكر، عن رسول الله ﷺ. فلو كان مواقع الذنب مظهراً لم يكن لقوله: «ما

أحدهما: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولى من التماذي، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: يعلمون أن الله يتوب على من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمارة. والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السدي، ومقاتل.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ السنن: جمع سنة، وهي الطريقة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد مضى قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس. والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد. وفي معنى ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ قولان: أحدهما: أنه السير في السفر. قال الزجاج: إذا سرتهم في أسفاركم، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم. والثاني: أنه التفكير. ومعنى: فانظروا: اعتبروا، والعاقبة: آخر الأمر.

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ قال سعيد بن جبير: هذه الآية أول ما نزل من «آل عمران» وفي المشار إليه «هذا» قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن إسحاق. والبيان: الكشف عن الشيء، وبيان الشيء: اتضح، وفلانٌ بَيَّن من فلان، أي: أفصح. قال الشعبي: هذا بيان للناس من العمى، وهدى من الضلالة، وموعظة من الجهل.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ سبب نزولها أن أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أحد، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوة لنا إلا بك» فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ أي: ولا تضعفوا. وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قتل إخوانهم من المسلمين، قاله ابن عباس. والثاني: أنه هزيمتهم يوم أحد، وقتلهم، قاله مقاتل. والثالث: أنه ما أصاب النبي ﷺ من شجه، وكسر رباطه، ذكره الماوردي. والرابع: أنها ما فات من الغنيمة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ قال ابن عباس: يقول: أنتم الغالبون فأخبر الأمر لكم.

﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَجَاءَ مَسَّ الْيَوْمِ فَتَرَحُّوا مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْتَكْبِرُوا فَجَاءَ مَسَّ الْيَوْمِ﴾ قال ابن عباس: أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلى النبي ﷺ ما لقوا، نزلت هذه الآية. فأما المس، فهو الإصابة، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع «قرح» بفتح القاف وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم «قرح» بضم القاف. واختلفوا هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فقال أبو سعيد: القرح بالفتح: الجراح، والقتل. والقرح بالضم: ألم الجراح، وقال الزجاج: هما في اللغة بمعنى واحد، ومعناه: الجراح وألمها، قال: ومعنى نداولها، أي: نجعل الدولة في وقت للكفار على المؤمنين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون، قال: ومعنى ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي: ليعلم واقعاً منهم، لأنه عالم قبل ذلك، وإنما يجازي على ما وقع. وقال ابن عباس: معنى العلم هاهنا: الرؤية.

= أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة معنى، لأن مواجهة الذنب إذا كانت هي الإصرار، فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره، كما لا يزيل عن الزاني اسم زان، وعن القاتل اسم قاتل توبته منه، ولا معنى غيرها. وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه، فمعلوم بذلك أن الإصرار غير المواجهة، وأنه المقام عليه، على ما قلنا قبل.

وقال ابن كثير بعد ذكره الحديث السابق الذي استدلل به الطبري: ورواه أبو داود، والترمذي، والبخاري في «مسند» من حديث عثمان بن واقد، وقد وثقه يحيى بن معين، وشيخه أبو نعيم الأصبغ، واسمه مسلم بن عبيد، وثقه الإمام أحمد، وابن حبان، وقول علي بن المديني، والترمذي: ليس إسناد هذا الحديث بذلك، فالظاهر أنه لأجل جهالة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر، لأنه تابعي كبير، ويكفيه نسبه إلى أبي بكر، فهو حديث حسن.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٦/٧. عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ قال أبو الضحى: نزلت في قتلى أحد، قال ابن جريج: كان المسلمون يقولون: ربنا أرنا يوماً كيوم بدر، نلتبس فيه الشهادة، فاتخذ منهم شهداء يوم أحد. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: المنافقون: وقال غيره: هم الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبي النفاق.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الزجاج: معنى الكلام: جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين. وفي التمحيص قولان: أحدهما: أنه الابتلاء والاختبار، وأنشدوا:

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشّفه التمحيص حتى بدا لياً<sup>(١)</sup>

وهو قول الحسن، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتبية في آخرين. والثاني: أنه التنقية، والتخليص، وهو قول الزجاج. وحكي عن المبرد، قال: يقال: محص الحبل محصاً: إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص، ومعنى قولهم: [اللهم] محص عنا ذنوبنا: أذهبها عنا<sup>(٢)</sup>. وذكر الزجاج عن الخليل أن التمحيص: التخليص، يقال: محصت الشيء أمحصه محصاً: إذا أخلصته. فعلى القول الأول التمحيص ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تنقيتهم من الذنوب بذلك. قال الفراء: معنى الآية: وليمحص الله بالذنوب عن الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه أربعة أقوال. أحدهما: يهلكهم، قاله ابن عباس. والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل. والثالث: يقتصمهم ويقتلهم<sup>(٣)</sup>، قاله الفراء. والرابع: يحبط أعمالهم، ذكره الزجاج.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَلْمِزْكُمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْوَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْوَوْتَ﴾ قال ابن عباس: لما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون بإخوانهم، فأراهم الله يوم أحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم، فنزل فيهم ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْوَوْتَ﴾ يعني القتال ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ أي: من قبل أن تنظروا إليه يوم أحد ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ يومئذ، قال الفراء وابن قتبية: أي: رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح، وفي معنى ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تنظرون إلى السيوف، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ذكر للتوكيد، قاله الأخفش، وقال الزجاج: معناه: فقد رأيتموه، وأنتم بُصراء، كما تقول: رأيت كذا وكذا، وليس في عينك علة، أي: رأيته رؤية حقيقة. والثالث: أن معناه: وأنتم تنظرون ما تمينتم. وفي الآية إضمار [أي: فقد رأيتموه وأنتم تنظرون] فلم انهزمتم؟

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَجَرَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرننا وإخواننا، ولو كان محمد حياً لم نهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: قال أناس: لو كان نبياً ما قُتل، وقال ناسٌ من عليّة أصحاب رسول الله: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فنزلت هذه الآية. ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرُّسل، أفإن مات على فراشه، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء، أنقلبوا على أعقابكم؟ أي: ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر؟! وهذا على سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب على عقبيه، وأصله: رجعة القهقري، والعقب: مؤخر القدم.

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وهو في «عيون الأخبار» ٧٥/٣ و«الكامل» ١٨٣/١، وفي «الأغاني» أنه قاله في صديقه قصي بن ذكوان، ثم قال في ص ٦٧ أنه قاله في صديقه الحسين بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، بعد أن تهاجرا.

(٢) في القرطبي: أي: «خلصنا من عقوبتها».

(٣) في «معاني القرآن»: «يفنيهم» بدل من «يقتلهم».

(٤) أخرجه ابن جرير: ٢٥٧/٧.



قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾ أي: لن ينقص الله شيئاً برجوعه، وإنما يضر نفسه. ﴿وَسَيَجْزِي﴾ أي: يشيب الشاكرين، وفيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الثابتون على دينهم، قاله علي عليه السلام، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين.  
والثاني: أنهم الشاكرون على التوفيق والهداية. والثالث: على الدين.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجِلًّا وَمَنْ يَرِدْ نَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ نَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في الإذن قولان:

أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل.

قال الزجاج: ومعنى الآية: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا مُوَجِلًّا﴾ تأكيد، والمعنى: كتب الله ذلك كتاباً موجلاً، أي: كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم، ومثله في التوكيد ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] لأنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ [النساء: ٢٢] دل على أنه مفروض، فأكد بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨] لأنه لما قال: ﴿وَرَزَى لِبَالٍ حَسَبًا جَائِدًا﴾ [النمل: ٨٨] دل على أنه خلق الله فأكد بقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرِدْ نَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من قصد بعمله الدنيا، أعطي منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قصد الآخرة بعمله، أعطي منها. وقال مقاتل: عنى بالآية: من ثبت يوم أحد، ومن طلب الغنيمة.

### فصل

وأكثر العلماء على أن هذا الكلام محكم، وذهبت طائفة إلى نسخة بقوله تعالى: ﴿عَبَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِنِ رِيْدٍ﴾ [الإسراء: ١٨] والصحيح أنه محكم، لأنه لا يؤتى أحد شيئاً إلا بقدرة الله ومشيته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: ما نشاء، وما قدرنا له، ولم يقل: ما يشاء هو.

﴿وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُوْنَ كَثِيْرًا فَمَا وَهَرُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِقِيْنَ ﴿١٤٦﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ قرأ الجمهور «وكاين» في وزن «كعين». وقرأ ابن كثير «وكانن» في وزن «كاغن». قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «كاين»، مثل: «كعين» ينصبون الهمزة، ويشددون الياء. وتميم يقولون: «وكانن» كأنها فاعل من كت، وأنشدني الكسائي:

وكاين ترى يسعى من الناس جاهداً  
على ابن غدا منه شجاع وعقرب  
وقال آخر:

وكاين أصابت مؤمناً من مُصيبة  
على الله عُقباها ومنه ثوابها  
وقال ابن قتيبة: كائن بمعنى «كم» مثل قوله: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيثُوْنَ كَثِيْرًا﴾ [الطلاق: ٨] وفيها لغتان: «كاين» بالهمزة وتشديد الياء، و«كانن» على وزن «قالل»، [وبائع] وقد قرئ بهما [جميعاً في القرآن] والأكثر والأصح تخفيفها. قال الشاعر:

وكاين أرينا الموت من ذي تحية  
إذا ما ازدرانا أو أصرر لمائم<sup>(١)</sup>  
وقال الآخر:

وكاين ترى من صامت لك مُعجب  
زيادته أو نقصه في التكلم<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قَتَلَ مَعَهُ رِيثُوْنَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبان، والمفضل كلاهما عن عاصم: «قَتِل»

(١) أنشده ابن فارس في «الصاحي» ص ١٣٢، ولم ينسبه لقاتل.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من «معلقاته» في شرح الزوزني ص ٨٩، ونسبه الجاحظ في «البيان والبيان» ١/ ١٧٠ للأحمر الشني، وذكر بعده بيتاً آخر وهو:  
لَمَّا انْغَمَسَ نَصْفٌ وَنَصْفٌ فَوَادِهَ  
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَوْرَةُ اللَّحْمِ وَالْهَدْمِ



بضم القاف، وكسر التاء، من غير ألف، وقرأ الباقون: «قاتل» بآلف. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو رجاء، والحسن، وأبو يعمر، وابن جبير، وقتادة، وعكرمة، وأيوب: «زُيُون» بضم الزاء، وقرأ ابن عباس، وأنس وأبو مجلز، وأبو العالية، والجدري، بفتحها. فعلى حذف الألف يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون قتل للنبي وحده، ويكون المعنى: وكأين من نبي قتل، ومعه ربيون، فما وهنوا بعد قتله. والثاني: أن يكون قتل للربيين، ويكون: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ لمن بقي منهم. وعلى إثبات الألف يكون المعنى: أن القوم قاتلوا، فما وهنوا. وفي معنى الربيين خمسة أقوال: أحدهما: أنهم الألوف، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، واختاره الفراء. والثاني: الجماعات الكثيرة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، واختاره اليزيدي، والزجاج. والرابع: أنهم الأتباع، قاله ابن زيد. والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالى، قاله ابن فارس. قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الضعف، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: أنه العجز، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: والاستكانة الخشوع، والذل، ومنه أخذ المسكين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع. والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا لما أصابهم. ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني الربيين. ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا﴾ أي: لم يكن قولهم غير الاستغفار والإسراف: مجاوزة الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكِبَار. قوله تعالى: ﴿وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا﴾ قال ابن عباس: على القتال. وقال الزجاج: معناه: ثبتنا على دينك، فإن الثابت على دينه ثابت في حربه.

﴿فَقَالَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُؤْتِي الْحَسَنَاتِ﴾ قوله تعالى: ﴿فَقَالَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة. والثاني: الغنيمة، قاله ابن جريج، وروي عن ابن عباس، أنه قال: النصر والغنيمة. وفي حسن ثواب الآخرة قولان: أحدهما: أنه الجنة. والثاني: الأجر والمغفرة، وهذا تعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدو. ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِيدُوا كُفْرَهُمْ عَلَى أَغْفِيكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس: نزلت في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد: لو كان نبياً ما أصابه الذي أصابه، وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون على قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج. والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي. قالوا: وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم. ومعنى ﴿يَزِيدُوا كُفْرَهُمْ عَلَى أَغْفِيكُمْ﴾: يصرفوكم إلى الشرك. ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ بالعقوبة.

﴿بَلِ اللَّهَ تَوَكَّلْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ تَوَكَّلْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: وليكم ينصركم عليهم، فاستغنوا عن موالاة الكفار. ﴿سَتُنْفِئُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الْقَائِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿سَتُنْفِئُ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾<sup>(١)</sup> قال السدي: لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشرملة، تركتموهم؟! ارجعوا فاستاصلوهم، فخذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية. والإلقاء: القذف. والرعب: الخوف. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو

(١) ثبت في «المصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة».

عمرو، وحزمة «الرغب» ساكنة العين، خفيفة. وقرأ ابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وأبو جعفر، مضمومة العين، مثقلة، أين وقعت. والسلطان هاهنا: الحجة في قول الجماعة. والماوى: المكان الذي يؤوي إليه. والمثوى: المقام، والثوى: الإقامة. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْيَةٍ حَقٌّ إِذَا فُتِلْتُمْ وَنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَرْفَعْتُمْ عَنْهُمْ لِبَاسَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢)

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فزلت هذه الآية. وقال المفسرون: وعد الله تعالى المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم، فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزموا. وقال ابن عباس: ما نُصر رسول الله ﷺ في موطن ما نُصر في أحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْيَةٍ﴾ فاما الحسن، فهو القتل، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة. وقال ابن قتبية: تحسونهم، أي: تستاصلونهم بالقتل، يقال: سَنَّةٌ حسوس: إذا آتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد. وفي قوله تعالى: ﴿بِأَذْيَةٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس. والثاني: بعلمه، قاله الزجاج. والثالث: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا فُتِلْتُمْ﴾ قال الزجاج: أي: جبنتم. ﴿وَنَنْزَعْتُمْ﴾ أي: اختلفتم ﴿بَيْنَ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ يعني: النصر. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتكم وعصيتكم، وهذه الروا زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكُمْ وَلَكُمُ اللَّجَيْنُ﴾ (١٥٣) [الصفات: ١٥٣] معناه: ناديتهم. فاما تنازعهم، فإن بعض الرماة قال: قال انهزم المشركون، فما يمنعنا من الغنيمة؟ وقال بعضهم: بل ثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ، فترك المركز بعضهم، وطلب الغنيمة، وتركوا مكانهم، فذلك عصيانهم، وكان النبي ﷺ قد أوصاهم: «لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم».

قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ قال المفسرون: هم الذين طلبوا الغنيمة، وتركوا مكانهم. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا. وقال ابن مسعود: ما كنت أظن أحداً من أصحاب محمد يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿مَرْفَعْتُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: ردمكم عن المشركين بقتلكم وهزيمتكم. ﴿لِبَاسَكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس. والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن. وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله غضاب الله، يقاتلون في سبيل الله، نهوا عن شيء فضيعوه، فما تركوا حتى غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إذ عفا عنهم، قاله ابن عباس. والثاني: إذ لم يقتلوا جميعاً، قاله مقاتل.

﴿إِذْ تُفِيدُونَ وَلَا تَكُونُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ فَأَتَيْتُكُمْ عَفَا بِكُمْ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٣)

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٢٦٠٩ والحاكم ٢٩٦/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٤/٥، وقال: وهذا حديث غريب، وهو من مراسلات ابن عباس، وله شواهد من وجوه كثيرة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصَوِّرُكَ وَلَا تَكُونُ﴾ قال المفسرون: «إذ» متعلقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ وأكثر القراء على ضم التاء، وكسر العين، من قوله: «تصعدون» وهو من الإصعاد. وروى أبان عن ثعلب، عن عاصم فتحها، وهي قراءة الحسن، ومجاهد، وهو من الصعود. قال الفراء: الإصعاد في ابتداء الأسفار، والمخارج، تقول: أصعدنا من بغداد إلى خراسان، فإذا صعدت على سلم أو درجة، قلت: صعدت، ولا تقول: أصعدت. وقال الزجاج: كل من ابتدأ مسيراً من مكان، فقد أصعد، فأما الصعود، فهو من أسفل إلى فوق. ومن فتح التاء والعين، أراد الصعود في الجبل. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: أنه صعودهم في الجبل، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنه الإبعاد في الهزيمة، قاله قتادة، وابن قتيبة، وتلويحاً بمعنى: «تعرّجون». وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ عام، وقد روي عن ابن عباس أنه أريد به النبي ﷺ قال: والنبي ﷺ يناديهم من خلفهم: «إليّ عباد الله، أنا رسول الله»، وقرأت عائشة، وأبو مجلز، وأبو الجوزاء، وحמיד «على أحد» بضم الألف والحاء، يعنون الجبل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَبِكُمْ﴾ أي: جازاكم. قال الفراء: الإثابة هاهنا بمعنى عقاب، ولكنه كما قال الشاعر:

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه  
أداهم سوداً أو محدرجة سُفراً<sup>(١)</sup>

المحدرجة: السياط. والسود فيما يقال: القيود.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا بَعَثَ﴾ في هذه الباء أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «مع». والثاني: بمعنى «بعد». والثالث: بمعنى «على»، فعلى هذه الثلاثة الأقوال يتعلق الغمان بالصحابة. وللمفسرين في المراد بهذين الغمين خمسة أقوال: أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل. والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن الأول فرارهم الأول، والثاني: فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل، قاله مجاهد. والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح، والثاني: حين سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، قاله قتادة. والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي. والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، ذكره الثعلبي. والقول الرابع: أن الباء بمعنى الجزاء، فتقديره: غمكم كما غمتم غيركم، فيكون أحد الغمين للصحابة، وهو أحد غومهم التي ذكرناها عن المفسرين، ويكون الغم الذي جُوزوا لأجله لغيرهم. وفي المراد بغيرهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون غمومهم يوم بدر، قاله الحسن. والثاني: أنه النبي ﷺ غموه حيث خالفوه، فجوزوا على ذلك، بأن غموا بما أصابهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ في «لا» قولان: أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها التفي، فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: فأنابكم غماً أناسكم الحزن على ما فاتكم وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أن النبي قد قتل، نسوا ما أصابهم وما فاتهم. والثاني: أنه متصل بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فمعنى الكلام: عفا عنكم، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم، لأن عفوه يذهب كل غم. والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم. ومثلها قوله تعالى: ﴿لِنَلَّا بَعْلَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُوا عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩] أي: ليعلم. هذا قول المفضل. قال ابن عباس: والذي فاتهم: الغنيمة، والذي أصابهم: القتل. والهزيمة.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ أَمَنَةٍ مُّشَاسٍ يَتَشَوَّطُ لَهَا يَكْفَىٰ سِنَكُمْ وَطَائِفَةٌ ذَاتُ أَمَمَةٍ أَنفُسُهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ظَنَّنَا لَلْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٩﴾﴾

(١) قاتله الفرزدق، وزيد: هو ابن أبيه، كان قد توعد الفرزدق، ثم أظهر الرضى عنه، وأنه سيجوه إن قصده، فلم يركن لذلك الفرزدق. والأداهم، جمع أدهم: وهو القيد. والمحدرجة: السياط، وهو وصف، من: حدرج السوط: إذا أحكم فتله حتى استوى، وسوط محدرج: مغار محكم القتل.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ الْقَوْمِ أَمَنَةً﴾ قال ابن قتيبة: الأمانة: الأمن. يقال: وقعت الأمانة في الأرض. وقال الزجاج: معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أمنكم أمناً تنامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام. و«نعاساً» منصوب على البدل من «أمانة»، يقال: نعى الرجل ينعى نعاساً، فهو ناعس. وبعضهم يقول: نعسان. قال الفراء: قد سمعتها، ولكني لا أشتبهها. قال العلماء: النعاس: أخف النوم. وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان: أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتى ناموا، فالمنة بزوال الخوف، لأن الخائف لا ينام. والثاني: قواهم بالاستراحة على القتال.

قوله تعالى: ﴿يَتَشَتَّى طَائِفَتُهُ مِنكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يفشى» بالياء مع التثنية، وهو يعود إلى النعاس. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «تغشى» بالتاء مع الإمالة، وهو يرجع إلى الأمانة. فأما الطائفة التي غشيها النوم، فهم المؤمنون، والطائفة الذين أهتمتهم أنفسهم: المنافقون، أهمهم خلاص أنفسهم، فذهب النوم عنهم. قال أبو طلحة: كان السيف يسقط من يدي، ثم أخذه، ثم يسقط، وأخذه من النعاس. وجعلت أنظر، وما منهم أحد يومئذ إلا يميل تحت حَجَفَتِهِ<sup>(١)</sup> من النعاس<sup>(٢)</sup>. وقال الزبير: أرسل الله علينا النوم، فما مثلاً رجل إلا ذقته في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قلنا هاهنا)، فحفظها منه<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَطْلُبُونَ يَاقُوهَ عَذْرَ الْوَعْدِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم ظنوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل، قاله مقاتل. والرابع: ظنوا أن أمر النبي ﷺ مضمحل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْكَلْبِيَّةُ﴾ قال ابن عباس: أي: كظن الجاهلية. قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء. قال الحسن: قالوا: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أخرجنا كرهاً. وقال غيره: المراد بالأمر: النصر والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾، أي: النصر، والظفر، والقضاء والقدر ﴿لِلَّهِ﴾. والأكثرون قرؤوا ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ بنصب اللام، وقرأ أبو عمرو برفعها، قال أبو علي: حجة من نصب، أن «كله» بمنزلة «أجمعين» في الإحاطة والعموم، فلو قال: إن الأمر أجمع، لم يكن إلا النصب، و«كله» بمنزلة «أجمعين». ومن رفع، فلأنه قد ابتدأ به، كما ابتدأ بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُمْ مَايَّةُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُحْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في الذي أخفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهْنَا﴾. والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله. والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد. قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ عبد الله بن أبيي. والذي قال: ﴿لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ معتب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كُتِبَ عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل. قال الزجاج: ومعنى (برزوا): صاروا إلى براز، وهو المكان المكتشف. ومعنى ﴿وَلَيَبْتَغِلَنَّ اللَّهُ مَا فِي بُرُودِكُمْ﴾ أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَسْخَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتباب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمانة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا التمهيص خاص للمؤمنين. وقال غيره: أراد بالتمهيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

(١) الحجة: ضرب من الترس، تتخذ من جلود الإبل مقورة، يطارق بعضها على بعض، ليس فيه خشب، وهي الحجة والذقة.

(٢) روى البخاري ج ١٧١/٨ عن أنس، أن أبا طلحة قال: غشي النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه، ويسقط وأخذه. وقد روى الترمذي والنسائي والحاكم بنحو معناه. وروى ابن جرير ٣١٧/٧، والترمذي ١٢٥/٢، والحاكم ٢٩٧/٢ وصححه، ووافقه الذهبي، عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد، فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت حجفته من النعاس، فلذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدُوِّ الْقَوْمِ أَمَنَةً نَّاسًا﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه ابن إسحاق، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل».



قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري: معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيت ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٥)</sup>  
قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد<sup>(١)</sup>. واستزلهم: طلب زللهم، قال ابن قتيبة: هو كما تقول: استعجلت فلاناً، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يومئذ قولان: أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أن الشيطان أذكركم خطاياهم، فكروها لقاء الله إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(١٥٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب. قال الزجاج: وإنما قال: «إذا ضربوا» ولم يقل: «إذ ضربوا»، لأنه يريد: شأنهم هذا أبداً، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضرب صبر. و«إذا» لما يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى «ضربوا في الأرض»: ساروا وسافروا. و«غرى» جمع غازي. وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض، فماتوا، أو غزوا، فقتلوا.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ قال ابن عباس: ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، «حسرةً في قلوبهم» أي: حزناً. قال ابن فارس: الحسرة: التلهف على الشيء الفائت.  
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: ليس تحرز الإنسان يمنعه من أجله.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «يعملون» بالياء، وقرأ الباقون بالياء. قال أبو علي: حجة من قرأ بالياء أن قبلها غيبة، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، ومن قرأ بالياء، فحجته «لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا».

﴿وَلَكِنْ قُتِلَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَتْ لَمَعْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُونَ﴾<sup>(١٥٧)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلَتْ﴾ اللام في «لكن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد «أو مُتَتْ» في إقامتكم. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مُتَتْ» و«مُتْمٌ» و«مُتْنَا» برفع الميم في جميع القرآن، وروى حفص عن عاصم: «أَوْ مُتَتْ» «وَلَكِنْ مُتْمٌ» برفع الميم في هذين دون باقي القرآن. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي كل ما في القرآن بالكسر.

قوله تعالى: ﴿لَمَعْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَحْمِلُونَ﴾ أي: من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها. وقرأ حفص عن عاصم: «يجمعون» بالياء، ومعناه: خير مما يجمع غيركم مما تركوا الجهاد لجمعهم. قال ابن عباس: خير مما يجمع المنافقون في الدنيا.

(١) روى الإمام أحمد، وأبو يعلى، والطبري، والبخاري، بإسناد حسن، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عتبة، فقال له الوليد: ما لي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أبي لم أفر يوم عنين - قال عاصم: يقول: يوم أحد - ولم أتخلف عن بدر، ولم أترك سنة عمرا قال: فانطلق فغير بذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: «إني لم أفر يوم عنين»، فكيف يعبرني بذلك وقد عفا الله عنه؟ فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(١٥٥)</sup> «إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم، فقد شهد. وأما قوله: «إني تركت سنة عمر، فإني لا أطيقها ولا هو، فأنه فحذته بذلك. عنين، بلفظ تشية العين: جبل من جبال أحد، ولذلك يقال له: يوم أحد» ويوم عنين.

﴿وَلَيْنِ كُنْتُمْ إِذْ قُتِلْتُمْ لِرَأَىٰ اللَّهُ تَعْلَمُونَ﴾ (١٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ كُنْتُمْ﴾ أي: في إقامتكم. ﴿إِذْ قُتِلْتُمْ﴾ في جهادكم. ﴿لِرَأَىٰ اللَّهُ تَعْلَمُونَ﴾ وهذا تخويف من القيامة. والحشر: الجمع مع سوق.

﴿يَمَّا رَحِمَهُ رَبُّكَ إِنَّكَ لَآتٍ عَلَيْهِمْ قَوْلًا مَّا يَسْتَفْهِمُونَ﴾ (١٥٩)

قوله تعالى: ﴿يَمَّا رَحِمَهُ رَبُّكَ إِنَّكَ لَآتٍ عَلَيْهِمْ قَوْلًا مَّا يَسْتَفْهِمُونَ﴾ قال الفراء وابن قتيبة، والزجاج: «ما» هاهنا صلة، ومثله: ﴿يَمَّا تَقْتُلُهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: دخول «ما» هاهنا يحدث توكيداً. قال النابغة:

الممرء يهوى أن يعي —

ش وطول عيش ما يضره<sup>(١)</sup>

فأكد بذكر «ما» وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان: أحدهما: أنها تتعلق بالنبي ﷺ. والثاني: بالمؤمنين. قال قتادة: ومعنى ﴿لَآتٍ عَلَيْهِمْ قَوْلًا مَّا يَسْتَفْهِمُونَ﴾ لأن جانبك، وحسن خلقك، وكثر احتمالك<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والفظ: الغليظ الجانب، السيئ الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظاً وفظظاً، والفظ: ماء الكرش والفرث، وإنما سمي فظاً لغلظ مشربه. فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظ والغلط - وإن كانا بمعنى واحد - توكيداً. وقال ابن عباس: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى: ﴿لَآتٍ عَلَيْهِمْ قَوْلًا مَّا يَسْتَفْهِمُونَ﴾ أي: تفرقوا. وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه. ﴿قَاعَتْ عَنْهُمْ﴾ أي: تجاوزت عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم ﴿وَسَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٣)</sup> معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم. ويقال: إنهم من: شرت العسل. وأنشدوا:

وقاسمها بالله حقاً لأنتم

الذ من السلولى إذا ما نشورها<sup>(٤)</sup>

قال الزجاج: يقال: شاورت الرجل مشاورة وشوراً، وما يكون عن ذلك اسمه المشورة. وبعضهم يقول: المشورة. ويقال: فلان حسن الصورة والشورة، أي: حسن الهيئة واللباس. ومعنى قولهم: شاورت فلاناً، أظهرت ما

(١) «أما لي المرتضى» ٢٦٦/١، و«حاشية البحرى» ص ١٣٦، و«أما لي القالي» ٨/٢، والخزانة ٥١٤/١ وفيهما «قد يضره» بدل «ما يضره».

(٢) روى الإمام أحمد رقم ٦٦٢٢ والبخاري ٢٨٧/٤ عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة. فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَكَذِبَكَ وَحَرّاً لِلأَسْبِين، وَأَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَسْتُ بِظُفٍّ وَلَا غِلِظٍ، وَلَا سَخَابَ فِي الْأَسْوَاكِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيُغْفَرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يَقِيمَ بِهِ أَلَمَةَ الْعُجَاءِ، بَأَن يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنَ عَمِيًّا، وَأَدَانَا صَمًّا وَقُلُوبًا غَلْفًا.

(٣) قال الشيخ أحمد شاكِر في «عمدة التفسير» تعليقاً على هذه الآية: وهذه الآية: ﴿وَكَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ والآية الأخرى ﴿وَكَاوَرَهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ اتخذهما اللاعيون بالدين في هذا العصر من العلماء وغيرهم عدتهم في التفضيل بالتأويل ليواطئوا صنع الإفترج في منهج النظام الدستوري الذي يزعمونه، والذي يخدمون الناس بتسميته النظام الديمقراطي، فاصطنع هؤلاء اللاعيون شعاراً من هاتين الآيتين يخدمون به الشعوب الإسلامية أو المتسببة للإسلام، يقولون كلمة حق يراد بها الباطل، يقولون: الإسلام يأمر بالشورى، ونحو ذلك من الألفاظ. وحقاً إن الإسلام يأمر بالشورى، ولكن أي شورى يأمر بها الإسلام؟ إن الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَكَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فَمَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ومعنى الآية واضح صريح لا يحتاج إلى تفسير، ولا يحتمل التأويل، فهو أمر للرسول ﷺ، ثم لمن يكون ولي الأمر من بعده أن يستعرض آراء أصحابه الذين يراهم موضع الرأي الذين هم أولو الأحلام والنهى في المسائل التي تكون موضع تبادل الآراء، وموضع الاجتهاد في التطبيق، ثم يختار من بينها ما يراه حقاً أو صواباً، أو مصلحة، فيعزم على إنفاذه غير متعدي برأي فريق معين، ولا برأي عدد محدود، ولا برأي أكثرية، ولا برأي أقلية، فإذا عزم توكل على الله، وأتقن العزم على ما ارتأه. ومن المفهوم الديهي الذي لا يحتاج إلى دليل أن الذين أمر الرسول بمشاورتهم - ويأتي به فيه من يلي الأمر من بعده - هم الرجال الصالحون القائمون على حدود الله، المتقون الله المقيمو الصلاة، المؤدو الزكاة، المجاهدون في سبيل الله، هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «لبيني منكم أولو الأحلام والنهى» ليسوا هم الملحدون ولا المحاربين لدين الله، والفجار الذين لا يتورعون عن منكر، ولا الذين يزعمون أن لهم أن يضعوا شرائع وقوانين تخالف دين الله، وتهدم شريعة الإسلام، هؤلاء وأولئك من بين كافر وفاسق، موضعهم الصحيح تحت السيف أو السوط، لا موضع الاستشارة وتبادل الآراء.

(٤) البيت لخالد بن زهير، ديوان الهذليين ١٥٨/١ وشرح أشعار الهذليين ٢١٥/١. والسلوى: العسل. نشورها: نأخذها من خليتها. قال في «اللسان»: قال الزجاج: أخطأ خالد إنما السلوى طائر. وقال الفارسي: السلوى: كل ما سلاك، وقيل للعسل: سلوى، لأنه يسليك بحلاوته وتأنيته عن غيره مما تلحقك فيه مؤونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة، يرد بذلك على أبي إسحاق الزجاج.

عنده وما عندي. وشرت الدابة: إذا امتاحتها: فعرفت هيئتها في سيرها. وشرت العسل: إذا أخذته من مواضع النحل. وعسل مشار. قال الأعشى:

كَأَنَّ الْقَرْنِفَلَ وَالزَّنَجَبِيَّ  
لَبَاتَا بِفِيهَا وَأَرِيأَ مَشَارًا<sup>(١)</sup>

والأري: العسل. واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال: أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة. والثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق. ومقاتل. قال الشافعي رحمه الله: نظير هذا قوله ﷺ: «البكر تستأمر في نفسها»<sup>(٢)</sup>، إنما أراد استطابة نفسها، فإنها لو كرهت، كان للآب أن يزوجه<sup>(٣)</sup>، وكذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه. والثالث: للإعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك. ومن فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره، علم أن امتناع النجاح محض قدر، فلم يلم نفسه، ومنها أنه قد يعزم على أمر، فيبين له الصواب في قول غيره، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح. قال علي عليه السلام: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. وقال بعض الحكماء: ما استنبط الصواب بمثل المشاورة، ولا حُصِنَت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر. واعلم أنه إنما أمر النبي ﷺ بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحى، وعمهم بالذكر، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم. وفي الذي أمر بمشاورتهم فيه قولان. حكاها القاضي أبو يعلى: أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة. والثاني: أمر الدين والدنيا، وهو أصح. وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس: «وشاورهم في بعض الأمر».

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ قال ابن فارس: العزم: عقد القلب على الشيء ويريد أن يفعله<sup>(٤)</sup>. وقد قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والجحدري: (فإذا عزمْتُ) بضم التاء. فأما التوكل، فقد سبق شرحه. ومعنى الكلام: فإذا عزمْتَ على فعل شيء، فتوكل على الله، لا على المشاورة.

﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: النَّصْرُ: الْعَوْنُ، وَالْخِذْلَانُ: تَرَكُ الْعَوْنُ. وَقِيلَ: الْكُنْيَا فِي قَوْلِهِ

﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ﴾ قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: النَّصْرُ: الْعَوْنُ، وَالْخِذْلَانُ: تَرَكُ الْعَوْنُ. وَقِيلَ: الْكُنْيَا فِي قَوْلِهِ ﴿إِنْ يَصْرُكُمْ اللَّهُ﴾ تَعُدُّ إِلَى خِذْلَانِهِ.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَلَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغْلَّ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر، فقال ناس: لعل النبي ﷺ أخذها، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رجلاً غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن قومًا من أشراف الناس طلبوا من

(١) روايته في الديوان ص ٩٣:

كَأَنَّ جَنْبِيًّا مِّنَ الزَّنَجَبِيِّ  
لَبَاتَا جَنْبِيًّا وَأَرِيأَ مَشَارًا

جَنِيٌّ: فَعِلٌ مِنْ: جَنَى الثَّمَرَ يَجْنِيهِ. الزَّنَجِيلُ: نَبَاتٌ طَيِّبُ الرَّاحَةِ مَعْرُوفٌ. الْأَرِي: عَسَلُ النَّحْلِ. شَارَ الْعَسْلَ وَاشْتَارَهُ: جَمَعَهُ. (٢) رَوَى الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبَخَارِيَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَكْرُ أَحَقُّ بِنَفْسِهِ مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبَكْرُ تَسْتَأْذِنُ فِي نَفْسِهَا، وَإِنْهَا صَمَاتُهَا» وَفِي رِوَايَةِ لَأَحْمَدَ وَمُسْلِمَ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيَّ «وَالْبَكْرُ يَسْتَأْذِنُ أَبَوَاهَا». وَرَوَى الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَسْتَأْذِنُ النِّسَاءَ فِي ابْضَاعِهِنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: إِنْ الْبَكْرُ تَسْتَأْذِنُ فَتَسْتَكِي؟ فَقَالَ: «سَكَاتُهَا إِذْنُهَا».

(٣) قَالَ التَّوْرِيُّ فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ». وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ فِي الْبَكْرِ: «فَلَا تَكُحُّ الْبَكْرُ حَتَّى تَسْتَأْذِنَ» فَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَغَيْرُهُمْ: «الاسْتِذْنَانُ فِي الْبَكْرِ مَأْمُورٌ بِهِ، فَإِنْ كَانَ الْوَلِيُّ أَبًا أَوْ جَدًّا، كَانَ الْاسْتِذْنَانُ مَتَدْبِئًا إِلَيْهِ، وَلَوْ زَوْجُهَا بِغَيْرِ اسْتِذْنَانِهَا، صَحَّ، لَكَمَا شَفَقْتُهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُمَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَجِبَ الْاسْتِذْنَانُ، وَلَمْ يَصَحَّ انْكَاحُهَا قَبْلَهُ. وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْكُوفِيِّينَ: يَجِبُ الْاسْتِذْنَانُ فِي كُلِّ بَكْرٍ بِالْفَلَةِ».

(٤) فِي «مَعْجَمٍ مُقَابِلِ اللُّغَةِ» ٣٠٨/٤ قَالَ الْخَلِيلُ: الْعَزَمَ: مَا عَقَدَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ مِنْ أَمْرٍ أَنْتَ فَاعِلُهُ، أَيْ: مُتَقَيَّنُهُ. وَيَقَالُ: مَا لِفُلَانٍ عَزِيمَةٌ، أَيْ: مَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَصْرُمَ أَمْرَهُ، بَلْ يَخْطُطُ فِيهِ وَيَتَرَدَّدُ.

(٥) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالتَّطَبُّعِيُّ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَفِي إِسْنَادِهِ خَصِيفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَرِيُّ ضَعْفُهُ أَحْمَدُ، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: إِذَا حَدَّثَ عَنْ خَصِيفٍ ثَقَّةٌ فَلَا بَأْسَ بِحَدِيثِهِ، وَالرَّوَايَةُ عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ الْعَبْدِيُّ، وَهُوَ ثَقَّةٌ، رَوَى لَهُ الْجَمَاعَةُ.

رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نقل عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أن النبي ﷺ بعث طلائعاً، فغنم النبي ﷺ غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا: قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك<sup>(١)</sup>. والخامس: أن قوماً غلوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول النبي ﷺ: «من أخذ شيئاً، فهو له» فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟! أظنتم أنا نغل؟!» فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب، ومقاتل. والسابع: أنها نزلت في غلول الرحي، قاله القرظي، وابن إسحاق. وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وأكثمتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية.. واختلف القراء في «يغل» فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الياء وضم الغين، ومعناها: يخون. وفي هذه الخيانة قولان: أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين. والثاني: خيانة الرحي على قول القرظي، وابن إسحاق. وقرأ الباقر: بضم الياء وفتح الغين، ولها وجهان: أحدهما: أن يكون المعنى يُخَان، [ويجوز أن يكون: يلفي خائناً، يقال: أغللت فلاناً، أي: وجدته غالاً، كما يقال: أحمقته: وجدته أحمق، وأحمدته: وجدته محموداً]<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن، وابن قتيبة. والثاني: يُخَوِّن، قاله الفراء، وأجازة الزجاج، ورده ابن قتيبة، فقال: لو أراد: يخون، لقال: يغلل، كما يقال: يفسق، ويخون، ويفجر. وقيل: «اللام» في قوله «النبي» متقولة، ومعنى الآية: وما كان النبي ليُغَلِّ، ومثله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَنْجِدَ مِنْ قَوْلٍ﴾ [سرم: ٣٦]، أي: ما كان الله ليتخذ ولداً. وهذه الآية من اللفظ التعريض، إذ قد ثبتت براءة ساحة النبي ﷺ من الغلول فدل على أن الغلول في غيره. ومثله: ﴿وَلَيْتَ أَوْ إِيَّاكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَوْ فِي صُلَىٰ تُمْبِرُ﴾ [سبا: ٢٥] وقد ذكر عند السدي نحو هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب، والغلل: وهو الماء الذي يجري بين الشجر، والغلل: وهو الحقد الكامن في الصدر، وأصل الباب الاختفاء. وفي إتيانه بما غل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يأتي بما غله، يحمله، ويدل عليه ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً فذكر الغلول، فعظمه، وعظم أمره، ثم قال: «لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء، يقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاغ تخفق، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألقين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله اغثنني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك<sup>(٣)</sup>». الرغاء: صوت البعير، والثغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يُغَلُّ من السبي، والرقاق: الثياب، والصامت: المال. والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل. والثالث: أنه يرُدُّ عرض ما غل من حسناته، والقول الأول أصح لمكان الأثر الصحيح.

قوله تعالى: ﴿هَمْ تَوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: تعطى جزاء ما كسبت.

﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ يَضْلِكِ اللَّهُ كَمَا بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَتَسَٰلُفُ الْمَعِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ يَضْلِكِ اللَّهُ وَتَسَٰلُفُ الْمَعِيرُ﴾ اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين. أحدهما: أن معناها: أفمن اتبع

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير من طريق سلمة بن نبط عن الضحاك.

(٢) الزيادة من «غريب القرآن» ص ١١٥ لابن قتيبة.

(٣) رواه الإمام أحمد رقم ٩٤٩٩، والبخاري ١٢٩/٦، ومسلم ١٤٦١/٣، واللفظ الذي ساقه المصنف لمسلم. وروى الإمام أحمد من عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى أتوا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا إني رأيته في النار في بردة غلها، أو عياء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ذهب فئاد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فتأديت: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. وكذا رواه مسلم، والترمذي، وقال: حديث صحيح.



رضوان الله، فلم يغفل، ﴿كَرَّمْنَا بَاءَ سَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ حين غل؟! هذا قول سعيد بن جبير، والضحاك، والجمهور. والثاني: أن النبي ﷺ لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد، اتبعه المؤمنون، وتخلف جماعة من المنافقين، فأخبر الله بحال من تبعه، ومن تخلف عنه، هذا قول الزجاج.

﴿هُم دَرَجَتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُم دَرَجَتٌ﴾ قال الزجاج: معناه: هم ذوو درجات. وفي معنى درجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن. والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض، قاله الفراء، وابن قتبية. وفيمن عنى بهذا الكلام قولان: أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوان الله الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُكُوعِهِمْ وَيُزَكِّيهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَىٰ سَلَكَ فِي سَبِيلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنعم عليهم. و«أنفسهم»: جماعتهم، وقيل: نسبهم. وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ بفتح الفاء. وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال. أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج. والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم، قاله الماوردي. وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها خاصة للعرب، روي عن عائشة<sup>(١)</sup> والجمهور. والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج. وقد سبق في [البقرة] بيان باقي الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مَعْصِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلًا فَلَمْ أَنَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِّنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مَعْصِيَةً﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم أحد، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي ﷺ، وكسرت ربابته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية [إلى] قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ مِّنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: بأخذكم الفداء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا﴾ قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب له: أو هو ممن يقول ذلك؟ فأما «المعصية» فما أصابهم يوم أحد، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر، لأنهم قتل منهم سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة، إلا أن الزجاج قال: قد أصبتم يوم أحد مثلها، ويوم بدر مثلها، فجعل المثلين في اليومين.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ هَذَا﴾ قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون.

(١) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شعب الإيمان» ومعنى قول عائشة هذا: أن هذا الامتنان خاص بالعرب المسلمين، لأنهم يفقهون عنه، ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان، وليس كذلك الأعاجم.

(٢) قال أبو جعفر الطبري في تفسير الآية: يعني بذلك: لقد تطول الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا، حين أرسل فيهم رسولا: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ نبياً من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهون عنه ما يقول: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يقول: يقرأ عليهم أي كتابه وتنزيله، ﴿وَرُكُوعِهِمْ﴾، يعني: يظهرهم من ذلوتهم باتباعهم إياه، وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم، ﴿وَيُزَكِّيهِمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، يعني: ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه، ويبين تأويله ومعانيه، والحكمة؛ ويعني بالحكمة، السنة التي سنّها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَىٰ سَلَكَ فِي سَبِيلٍ﴾ يعني: وإن كانوا قبل أن يمن الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته، لفي ضلال مبين، يقول في جهالة جهلاء، وفي أخيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقاً، ولا يبتطلون باطلاً.

(٣) رواه ابن أبي حاتم، وما بين معقنين عنه، وزواه الإمام أحمد في «المستدرق» رقم ٢٠٨ بأطول وإسناده حسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشاننا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون عدد أسارى بدر<sup>(١)</sup> فعلى هذا يكون المعنى: قل هو بأخذكم الفداء، واختياركم القتل لأنفسكم. والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد، وتركهم أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، ومقاتل في آخرين. والثالث: أنه بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة يوم أحد، فإنه أمرهم بالتحصن فيها، فقالوا: بل نخرج، قاله قتادة، والرابع. قال مقاتل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النصر والهزيمة ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ اتَّقَى الْيَمْعَانِ فَيَذِنَ اللَّهُ وَلَيْسَ لَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَلَيْسَ لَهُمُ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿يَكْتُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ يَوْمَ اتَّقَى الْيَمْعَانِ﴾ الجمعان: النبي وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أحد، وقد سبق ذكر ما أصابهم.

قوله تعالى: ﴿فَيَذِنَ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمره، والثاني: قضاؤه، روي عن ابن عباس، والثالث: علمه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليظهر إيمان المؤمنين بشبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المؤمنين بفشلهم وقلة صبرهم. قال ابن قتبية: والنفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو جحر من جحرته يخرج منه إذا أخذ عليه الجحر الذي دخل فيه. قال الزيايدي عن الأصمعي: ولليربوع أربعة أوجرة، النافقاء: وهو الذي يخرج منه كثيراً، ويدخل منه كثيراً. والقاصعاء، سمي بذلك لأنه يخرج تراب الجحر، ثم يقصع ببعضه كأنه يسد به فم الجحر، ومنه يقال: جرح فلان قد قصع بالدم: إذا امتلا ولم يسل. والذاماء، سمي بذلك، لأنه يخرج التراب من فم الجحر، ثم يدم به فم الجحر، كأنه يطليه به، ومنه يقال: ادمم قدرك بشحم، أي اطلها به. والراطعاء، ولم يذكر اشتقاقه، وإنما يتخذ هذه الجحر عدداً، فإذا أخذ عليه بعضها، خرج من بعض. قال أبو زيد: فشب المتناق به، لأنه يدخل في الإسلام بلفظه، ويخرج منه بعقده، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب. قال ابن قتبية. والنفاق: لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبي، وأصحابه. قال موسى بن عقبة: خرج النبي ﷺ يوم أحد، ومعه المسلمون، وهم ألف رجل، والمشركون ثلاثة آلاف، فرجع عنه ابن أبي في ثلاثمائة. فأما القتال، فمباشرة الحرب. وفي المراد بالدفع ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التكثير بالعدد. رواه مجاهد عن ابن عباس وهو قول الحسن، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وابن جريج في آخرين. والثاني: أن معناه: ادفعوا عن أنفسكم وحرمتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنه بمعنى القتال أيضاً. قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لو نعلم أن اليوم يجري قتال ما أسلمناكم، ذكره ابن إسحاق. والثاني: لو كنا نحسن القتال لاتبعناكم. والثالث: إنما معناه: أن هناك قتلاً وليس بقتال، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفَرِ﴾ أي: إلى الكفر ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إلى الإيمان، وإنما قال: يومئذ، لأنهم فيما قبل لم يظهروا مثل ما أظهروا، فكانوا بظاهر حالهم فيما قبل أقرب إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فيه وجهان ذكرهما الماوردي: أحدهما: ينطقون بالإيمان،

(١) ذكره ابن كثير ٢/٣٢٦، وقال: رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه» من حديث الثوري به، وهذا حديث غريب جداً. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٩٣، وعزا إلى ابن أبي شيبة، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه، ونقل تحسينه عن الترمذي.

(٢) في «اللسان» وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره، ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفاً.

وليس في قلوبهم إلا الكفر. والثاني: يقولون: نحن أنصار، وهم أعداء. وذكر في الذي يكتمون وجهين: أحدهما: أنه النفاق. والثاني: العداوة.

﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا يُخْرَجُونَ وَمَقْدُودًا لَوْ آمَنُوا مَا قُلُوا قَدْ قَاتَرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَا يُخْرَجُونَ﴾ قال ابن عباس: نزلت في عبد الله بن أبي. وفي إخوانهم قولان: أحدهما: أنهم إخوانهم في النفاق، قاله ابن عباس. والثاني: إخوانهم في النسب، قاله مقاتل. فعلى الأول يكون المعنى: قالوا لإخوانهم المتنافقين: لو أطاعونا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا، وعلى الثاني يكون المعنى: قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد: لو أطاعونا ما قتلوا.

قوله تعالى: ﴿وَقَاتَرُوا﴾ يعني القائلين قعدوا عن الجهاد.

قوله تعالى: ﴿قَاتَرُوا﴾ أي: فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن الحذر ينفع مع القدر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ قرأ ابن عامر: قتلوا بالتشديد. واختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في شهداء أحد، روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتاكل من ثمارها، وتلوي إلى قتاديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، وحسن مقيلمهم، قالوا: ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد [ولا ينكلوا]»<sup>(١)</sup> عن الحرب [قال الله تعالى: أنا بلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup>]. وهذا قول سعيد بن جبير، وأبي الضحى. والثاني: أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلى كرامة الله تعالى وقالوا: ربنا أعلم إخواننا، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة. روى محمد بن إسحاق عن أشياخ له، أن النبي ﷺ بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلى أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرج حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمج، فضرب به في جنب حرام حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالى فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾<sup>(٣)</sup>. فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يخبر إخوانهم بمصيرهم، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل. والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا: نحن

(١) نكل عن عدوه: جبن فكص على عقبيه، وانصرف عنه هيبه له وخوفاً.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المستند» رقم ٢٣٨٨، وأبو داود رقم ٢٣٨٩، والطبري ٣٨٥/٧، والحاكم ٢٩٧/٢ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري ٣٩٣/٧ مطولاً وسنده حسن. ورواه الإمام أحمد ١٣٧/٣ و٢١٠ و٢٨٩ بأسانيد صحيحة، وليس فيه: «فنزلت هذه الآية» ولغظه عن أنس: أن رسول الله ﷺ لما بعث حراماً خاله أخاً أم سليم في سبعين رجلاً، قتلوا يوم بئر معونة، وكان رئيس المشركين يومئذ عامر بن الطفيل، وكان هو أتى النبي ﷺ فقال: اختر مني ثلاث خصال يكون لك أهل السهل، ويكون لي أهل الوبر، أو أكون خليفة من بعدك، أو أغزوك بنظفان ألف أشقر، وألف شقراء، قال: فطعن في بيت امرأة من بيت فلان، فقال: غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني فلان، التوتني بفرسي، فأتني به، فركبه، فمات وهو على ظهره. فانطلق حرام أخو أم سليم ورجلان معه، رجل من بني أمية، ورجل أعرج، فقال لهم: كونوا قريباً مني حتى أتيتهم، فإن آمنوني ولا كنتم قريباً، فإن قتلوني، أعلمتكم أصحابكم. قال: فأتاهم حرام، فقال: أتومنونني، أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ إليكم؟ قالوا: نعم. فجعل يحدثهم، وأومؤوا إلى رجل منهم من خلفه، فطعته حتى أنفذه بالرمح، قال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، قال: ثم قتلوهم كلهم غير الأعرج، كان في رأس جبل، قال أنس: فأنزل علينا وكان مما يقرأ فنسخ «أن بلغوا قومنا أننا لقينا ربنا، فرضي عنا وأرضانا» قال: فدعا النبي ﷺ عليهم أربعين صباحاً، على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله. ورواه البخاري ٢٩٧/٧، وانظر تفصيل القصة في «البداية والنهاية» ٧١/٤ - ٧٤.



في النعمة والسرور، وآبائنا وأبنائنا وإخواننا في القبور، فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فأما التفسير، فمعنى الآية: لا تحسبهم أمواتاً كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنى في (البقرة) وذكرنا أن معنى حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها<sup>(١)</sup>. قال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَفَى لَهُمْ بِالْآلِئِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله ورزقه، والاستبشار: السرور بالبشارة، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ إخوانهم من المسلمين. وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى لما أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأنهم قد أنزلت على نبيكم، وأخبرته بأمركم، فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرسون على الشهادة، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل، قاله قتادة. والثالث: أن الشهيد يؤتى بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدمه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول السدي. والهاء والميم في قوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ تعود إلى الذين لم يلحقوا بهم. قال الفراء: معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن. وفي ماذا يرتفع «الخوف» والحزن عنهم؟ فيه قولان: أحدهما: لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم، ولا يحزنون على ما خلفوا من أموالهم. والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون على مفارقة الدنيا فرحاً بالآخرة.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يَصُغُّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: برحمة ورزق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ قرأ الجمهور بالفتح على معنى: ويستبشرون بأن الله، وقرأ الكسائي بالكسر على الاستئناف.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَمْرٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، نذب النبي ﷺ أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقى أبو سفيان قوماً، فقال: إن لقيتم محمداً، فأخبروه أنني في جمع كثير، فلقاهم النبي ﷺ فسألهم عنه؟ فقالوا: لقيناه في جمع كثير، ونراك في قلة، فأبى إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان، فدخل مكة، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>، والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد، قال: يا محمد، موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، وخرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقى نعيم بن مسعود<sup>(٣)</sup>، فقال: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جذب، لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أننا في جمع كثير، فلقاهم فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبي ﷺ بأصحابه، حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان، فنزل قوله تعالى:

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه عن مسروق قال: لما سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا الَّذِينَ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا أَمْ أَمْوَاتًا بِدَائِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها فتاهيل بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل». وقال الحافظ ابن كثير في البصير ٤٢٦/١: وقد روي في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح لأن كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفاً لهم وتكريماً وتعظيماً أيضاً فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد روى عن محمد بن إدريس الشافعي، عن مالك بن أنس الأصبحي، عن الزهري عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: تسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه.

(٢) روى الواحدي في «أسباب النزول» ص ٧٥ بإسناد إلى عمرو بن دينار.

(٣) في رواية ابن إسحاق أن الرسول بذلك كان مبعداً الخزامي، وقال الحافظ ابن حجر: ويقال: إن الرسول بذلك كان نعيم بن مسعود الأشجعي.



﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآيات. وهذا المعنى مروي عن مجاهد، وعكرمة<sup>(١)</sup>. والاستجابة: الإجابة. وأنشدوا:

فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ<sup>(٢)</sup>

أي: فلم يجبه. وفي مراد النبي ﷺ وخروجه وندب الناس للخروج ثلاثة أقوال: أحدها: ليرهب العدو باتباعهم. والثاني: لموعد أبي سفيان. والثالث: لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا: أصبتم شوكتهم، ثم تركتموهم. وقد سبق الكلام في القرع.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ أي: أحسنوا بطاعة الرسول، واتقوا مخالفته.

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ في المراد بالناس ثلاثة أقوال. أحدها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان، فضمن لهم ضماناً لتخويف النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن عباس، وابن إسحاق. والثاني: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي، قاله مجاهد، وعكرمة، ومقاتل في آخرين. والثالث: أنهم المنافقون، لما رأوا النبي ﷺ يتجهز، نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أنتموهم في ديارهم، لم يرجع منكم أحد، هذا قول السدي. قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ قال الزجاج: زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرته نبينهم، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup> أي: هو الذي يكفيننا أمرهم. فأما «الوكيل»، فقال الفراء: الوكيل: الكافي، واختاره ابن القاسم. وقال ابن قتبية: هو الكفيل، قال: ووكيل الرجل في ماله: هو الذي كفله له، وقام به. وقال الخطابي: الوكيل: الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم، وحقيقته: أنه الذي يستقل بالأمر الموكل إليه. وحكى ابن الأنباري أن قوماً قالوا: الوكيل: الرب.

﴿فَاتَّقَلَّبُوا فِي نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَقَضِيَ لَهُمْ سَبْعُ مِائَةٍ﴾ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقَلَّبُوا فِي نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾ الانقلاب: الرجوع. وفي النعمة، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد. والثاني: العافية، قاله السدي. والثالث: الإيمان والنصر، قاله الزجاج. وفي الفضل، ثلاثة أقوال: أحدها: ربح التجارة، قاله مجاهد، والسدي، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لموعد أبي سفيان. قال الزهري: لما استنفر النبي ﷺ المسلمين لموعد أبي سفيان ببدر، خرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا إليه، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا، وكانت بدر متجراً يوافي كل عام، فانطلقوا فقصوا حوائجهم، وأخلف أبو سفيان الموعد. والثاني: أنهم أصابوا سرية بالصفراء، فرزقوا منها، قاله مقاتل. والثالث: أنه الثواب، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿كَمْ يَسْتَسْمُو سُوًّا﴾ قال ابن عباس: لم يؤذهم أحد. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طلب القوم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ﴾ أي: ذو من يدفع المشركين عن المؤمنين.

(١) جاء في «الدر المنثور» ١٠١/٢: وأخرج السائي، وابن أبي حاتم، والطبراني بسند صحيح عن طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: لما رجع المشركون من أحد، قالوا: لا محملاً قتلتم، ولا الكواعب أردتم، بشما صنعتم، أرجعوا، فسمع رسول الله ﷺ بذلك، فندب المسلمين. فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد، أو بشر أبي عتبة. شك سفيان. فقال المشركون: نرجع قابل، فرجع رسول الله ﷺ فكانت تعد غزوة، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية. وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: مودعكم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فآخذ أهبة القتال والتجارة، فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَاتَّقَلَّبُوا فِي نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَقَضِيَ لَهُمْ سَبْعُ مِائَةٍ﴾ الآية.

(٢) صدر البيت:

وداع دعاً يا من يُجِيبُ إِلَى السُّلْدَى

والبيت لكعب بن سعد الغنوي، وهو من قصيدة أصمية جيدة، يرثي بها أخاه أبا المغوار، قال الأصمعي: ليس في الدنيا مثله.

(٣) روى البخاري ج ١٧٢/٨ عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وروى الإمام أحمد في «المسند» ٢٤/٦ بسند حسن عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «ودوا علي الرجل، فقال: ما قلت؟» قال: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على المعجز، ولكن عليك بالكيس، فإننا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل». وكذا رواه أبو داود والنسائي بنحوه.

﴿إِنَّا ذَكَّرَكُمُ النَّيْلَ يُحِثُّ أَوْلِيَاءَهُمْ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَكَافُورٌ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَكَّرَكُمُ النَّيْلَ﴾ قال الزجاج: معناه: ذلك التخويف كان فعل الشيطان، سؤله للمخوفين. وفي قوله تعالى: ﴿يُحِثُّ أَوْلِيَاءَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: يخوفكم بأوليائه، قاله الفراء، واستدل بقوله تعالى: ﴿يُنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٤٤]. أي: ببأس، ويقول تعالى: ﴿يُنْذِرُ يَوْمَ الْآزَافِ﴾ [غافر: ١٥]، أي: بيوم التلاق. وقال الزجاج: معناه: يخوفكم من أوليائه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَكَافُورٌ﴾. وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وإبراهيم، وابن قتية. وأنشد ابن الأنباري في ذلك:

وَأَيَقِنْتُ التَّفَرُّقَ يَوْمَ قَالُوا      تُقَسِّمُ مَالِ أَرِيدَ بِالسَّهَامِ<sup>(١)</sup>

أراد: أيقنت بالتفرق. قال: فلما أسقط الباء أعمل الفعل فيما بعدها ونصبه. قال: والذي نختاره في الآية أن المعنى: يخوفكم أوليائه. تقول العرب: قد أعطيت الأموال، يريدون: أعطيت القوم الأموال، فيحذفون القوم، ويقتصرون على ذكر المفعول الثاني. فهذا أشبه من ادعاء «باء» ما عليها دليل، ولا تدعو إليها ضرورة. والثاني: أن معناه: يخوف أوليائه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي، وذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ يعني: أولياء الشيطان ﴿وَكَافُورٌ﴾ في ترك أمري. وفي «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى: «إذ» قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها للشرط، وهو قول الزجاج في آخرين.

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٦)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ قرأ نافع «يُحْزِنُكَ» «يُحْزِنُنِي» و«يُحْزِنُ» بضم الياء وكسر الزاي في جميع القرآن، إلا في (الأنبياء) ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فإنه فتح الياء، وضم الزاي. وقرأ الباقون كل ما في القرآن بفتح الياء وضم الزاي. قال أبو علي: يشبه أن يكون نافع تبع في سورة (الأنبياء) أثراً، أو أحب أن يأخذ بالوجهين. وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله مجاهد. والثالث: كفار قريش، قاله الضحاك. والرابع: قوم ارتدوا عن الإسلام، ذكره الماوردي. وقيل: معنى مسارعهم في الكفر: مظاهرتهم للكفار، ونصرهم إياهم. فإن قيل: كيف لا يحزنه المسارعة في الكفر؟ فالجواب: لا يحزنك فعلهم، فإنك منصور عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لن: ينقصوا الله شيئاً بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: لن يضروا أولياء الله شيئاً، قاله عطاء. قال ابن عباس: والحظ: النصيب، والآخرة: الجنة. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ قال مجاهد: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سبق في (البقرة) معنى الاشتراء.

﴿وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَظْهَرُوا عَنَّا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال. أحدها: في اليهود والنصارى والمنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: في قريظة والنضير، قاله عطاء. والثالث: في مشركي مكة، قاله مقاتل. والرابع: في كل كافر، قاله أبو سليمان الدمشقي<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، ﴿وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ﴿وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿لَا تَحْزَنُ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٨] بالياء وكسر

(١) البيت للبد بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها أخاه أريد، ذكر بعضها صاحب «الأغاني» ١٣٣/١٥.

(٢) أخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة، ولا فاجرة، إلا والموت خير لها من الحياة. إن كان برأ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وإن كان فاجراً، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَظْهَرُوا عَنَّا﴾ وإسناده صحيح.





قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِرُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يَمَّا أَتَتْهُمْ آيَةُ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يودوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة، وابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، ومجاهد، وفي رواية السدي في آخرين. والثاني: أنها في الأجار الذين كنتموا صفة النبي ﷺ، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، واختاره الزجاج. قال الفراء: ومعنى الكلام: لا يحسن الباخلون البخل هو خيراً لهم، فاكفى بذكر «يبخلون» من البخل، كما تقول: قدم فلان، فسررت به، أي: سررت بقدمه. قال الشاعر:

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ      وَخَالَفَ السَّفِيهِ إِلَى خِلَافٍ<sup>(١)</sup>

يريد: جرى إلى السفه. والذي أتاهم الله على قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال، وعلى قول من قال: البخل بذكر صفة النبي ﷺ هو العلم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ﴾ إشارة إلى البخل وليس مذكوراً، ولكنه مدلول عليه بـ«يبخلون» وفي معنى تطويقهم به أربعة أقوال: أحدها: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان، روى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثّل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿سَيَطَوَّؤُنَّ مَا يَبْخُلُونَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذا مذهب ابن مسعود، ومقاتل. والثاني: أنه يجعل طوقاً من نار، رواه منصور عن مجاهد، وإبراهيم. والثالث: أن معنى تطويقهم به: تكليفهم أن يأتوا به، رواه ابن أبي نجيح، عن مجاهد. والرابع: أن معناه: يلزم أعناقهم إثم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَرِثُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ قال ابن عباس: يموت أهل السموات وأهل الأرض، ويبقى رب العالمين. قال الزجاج: خوطب القوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له، وقال ابن الأنباري: معنى الميراث: انفراد الرجل بما كان لا يتفرد به، فلما مات الخلق، وانفرد عز وجل، صار ذلك له وراثته.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا قَمَلُونَ خَيْرٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يعملون» بالياء اتباعاً لقوله تعالى: ﴿سَيَطَوَّؤُنَّ﴾ وقرأ الباقر بالتاء، لأن قبله ﴿وَلَنْ تَرْضَوْا وَتَرْضَوْا﴾.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ وَنَحْنُ أَفْنَاءُ سَكَتْنَاهُمْ وَمَا قَالُوا وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُوا دُونَا عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال له أبو بكر: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقر، ولو كان غنياً عظم ما استقرض منا. فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك. فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فوجد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أنشده الفراء في «معاني القرآن» ٢٤٨/١، وثعلب في «مجالسه» ٦٠/١، و«أمالي الشجري» ٦٨/١، والبغداد في «الخراتة» ٣٨٣/٢، ولم ينسبه إلى قائل. وقوله: إذا نهي، متعلق بالنهي عام محذوف، أي: عن أي شيء كان. وقوله: وخالف: مفعوله محذوف: أي: خالف زاجره. وقوله: والسفيه إلى خلاف: جملة تنذرية، أي: شأن السفيه الميل إلى مخالفة الناصح.

(٢) أخرجه أحمد في «المستند» رقم ٣٥٧٧، والترمذي، وابن خزيمة، وابن ماجه ٥٦٧/١، ولفظه: «ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله، إلا مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع حتى يطوق عنقه»، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِرُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يَمَّا أَتَتْهُمْ آيَةُ اللَّهِ مِنْ قُنُوبِهِ﴾ الآية. وقال الترمذي: حسن صحيح. وروى البخاري ج ٢٧٣/٨، ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتاه الله مالا فلم يود زكاته، مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني شديقه - يقول: انا مالك، انا كنزك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَخْصِرُ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ يَمَّا أَتَتْهُمْ آيَةُ اللَّهِ مِنْ قُنُوبِهِ﴾ إلى آخر الآية. الشجاع: الحية الذكر، وهو ضرب من الحيات خبيث مارد. وأقرع: صفة من صفات الحياة الخبيثة، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية، وكثر سمه، جمعه في رأسه حتى تمتع منه فروة رأسه.



(٢) رَوَاهُ عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ ٤٤٣/٧، وَابْنُ الْمُنْذَرِ عَنْ مُجَاهِدٍ. (٣) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ص: ٧٧، عَنِ الْكَلْبِيِّ.



بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والرابع: أنها نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل. وقال عكرمة: نزلت في النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق، وفنحاص اليهودي. والخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري. قال الزجاج: ومعنى «التبلون» لتخبرن، أي: توقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن حقاً من غيره. و«النون» دخلت مؤكدة مع لام القسم، وضمت الواو لسكونها، وسكون النون. وفي البلوى في الأموال قولان: أحدهما: ذهابها ونقصانها. والثاني: ما فرض فيها من الحقوق. وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال: أحدها: المصائب، والقتل. والثاني: ما فرض من العبادات. والثالث: الأمراض. والرابع: المصيبة بالأقارب، والعشائر. وقال عطاء: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ آتٍ يُبْغِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، والذين أشركوا: مشركو العرب ﴿وَأَن تَصْبِرُوا﴾ على الأدنى ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله بمجانبة معاصيه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْزِ الْأُمُورِ﴾ أي: ما يعزم عليه، لظهور رشده.

### فصل

والجمهور على إحكام هذه الآية، وقد ذهب قوم إلى أن الصبر المذكور منسوخ بآية السيف.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَقُوا بِهِ مِنَّا قَلِيلًا فَيَسْأَلُ عَنْهُمْ شَرُّكَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي، ومقاتل. فعلى هذا، الكتاب: التوراة. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل. والثالث: أنهم جميع العلماء، فيكون الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب «لتبيننه للناس ولا يكتُمونه» بالياء فيهما، وقرأ الباقون، وحفص عن عاصم بالتاء فيهما. وفي هاء الكناية في «لتبيننه» و«تكتُمونه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي محمد ﷺ، وهذا قول من قال: هم اليهود. والثاني: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح، لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبينهم ما فيه إظهار صفة محمد ﷺ، وهذا قول من ذهب إلى أنه عام في كل كتاب. وقال علي بن أبي طالب ؑ: ما أخذ الله على أهل الجبل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ قال الزجاج: أي: رمَوْا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبا به: قد جعلت هذا الأمر بظهر. قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي  
بظهر ولا يعبا علي جوابها<sup>(٢)</sup>  
معناه: لا تكونن حاجتي مُهملة عندك، مطرحة. وفي هاء «فنبذوه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الميثاق. والثاني: إلى الكتاب<sup>(٣)</sup>.

(١) قال الحافظ في «الفتح» ج ٨/ ١٧٣: رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن عن ابن عباس.

(٢) «ديوانه» ٨٦/ ١، و«اللسان» ٥٢٢/ ٤، و«الأغاني»، وروايته في الديوان:

لديك ولا يعبا علي جوابها

تمميم بن زيد لا تهونن حاجتي

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا بنحمد ﷺ، وأن ينهوا بذكره في الناس ليكونوا على أمة من أمرة، فإذا أرسله الله تعالى تابعوه، فكتُموا ذلك، وتعرضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبست الصفة صفقتهم، وبست البيعة بيعتهم. وفي هذا تذكير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم، فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم. فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتُموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار». وهذا الحديث الذي =

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة ﴿كُنَّا نَلَيْكُ﴾ أي: عرضاً يسيراً من الدنيا.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَنَّادِينَ الْعَذَابِ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣١)

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ وقرا أهل الكوفة: ﴿لَا تحسبن﴾ بالناء. وفي سبب نزولها ثمانية أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ، سأل اليهود عن شيء، فكنتموه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وهذا القول، والذي قبله عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: نحن على دين إبراهيم، وكنتموا ذكر محمد ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير<sup>(١)</sup>. والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلى يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها: أن محمداً ليس بنبي، فاثبتوا على دينكم، فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، وفرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول الضحاك، والسدي. والخامس: أن يهود خيبر أتوا النبي ﷺ وأصحابه، فقالوا: نحن على رأيكم، ونحن لكم رده، وهم مستمسكون بضلاتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبي الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والسادس: أن ناساً من اليهود جهزوا جيشاً إلى النبي ﷺ، واتفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيم النخعي. والسابع: أن قوماً من أهل الكتاب دخلوا على النبي ﷺ، ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها، فحمدوهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا، فنزلت هذه الآية، ذكره الزجاج. والثامن: أن رجلاً من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو مع النبي ﷺ، فإذا قدم، اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري<sup>(٢)</sup>، وهذا القول يدل على أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل على أنها في اليهود. وفي الذي أتوا ثمانية أقوال: أحدها: أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق. والثاني: تبديلهم التوراة. والثالث: إيثازهم الفاني من الدنيا على الثواب. والرابع: إضلالهم الناس. والخامس: اجتماعهم على تكذيب النبي. والسادس: نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده. والسابع: اتفاقهم على محاربة النبي ﷺ، وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والثامن: تخلفهم في الغزوات، وهذا قول من قال: هم المنافقون. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾<sup>(٣)</sup> ستة أقوال: أحدها: أحبوا أن يحمداً على إجابة النبي ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه. والثاني: أحبوا أن يقول الناس: هم علماء، وليسوا كذلك. والثالث: أحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا من الصلاة، والصيام. وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس. والرابع: أحبوا أن يحمداً على قولهم: نحن على دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله سعيد بن

استشهد به ابن كثير أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، وأبو يعلى، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث أبي هريرة به مرفوعاً، وهو عند الحاكم أيضاً وغيره عن ابن عمرو، وعند ابن ماجه عن أنس وأبي سعيد، وعند الطبراني من حديث ابن عباس وابن عمر وابن مسعود، وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) رواه البخاري ج ١٧٥/٨، ومسلم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان، ونقله عند البخاري: «عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو، وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتلوا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمداً بما لم يفعلوا فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾».

(٣) روى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن مروان قال: اذهب يا رافع - لبوابه - إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى، وأحب أن يحمداً بما لم يفعل معلباً، لتلعبن أجمعين؟ فقال ابن عباس: ما لكم بهذه؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَرَأَى أَنَّ اللَّهَ يَفْقَهُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَنُحْيِيَنَّ لَهُمْ فِي...﴾ الآية، وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء فكنتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه. وهكذا رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، والحاكم، وابن مردويه.



جبير. والخامس: أحبوا أن يحمدوا على قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود. والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين إذ نصرُوا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فلا يحسبهم»، بالياء وضم الباء. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بالياء. وفتح الباء. قال الزجاج: إنما كررت «تحسبهم» لطول القصة، والعرب تعيد إذا طالت القصة «حسبت» وما أشبهها، إعلماً أن الذي يجري متصل بالاول، وتوكيداً له، فتقول: لا تظننَّ زيداً إذا جاء وكلمك بكذا وكذا، فلا تظنَّه صادقاً.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا ذُوقُوا﴾ قال ابن زيد، وابن قتيبة: بمنجاة.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه تكذيب القائلين: بأنه فقير. وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تهديد لهم، أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَتْمِ النَّارِ لِلَّذِينَ لَا يُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن قريشاً قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسى؟ قالوا: عصاه ویده البيضاء. وقالوا للنصارى: ما الذي جاءكم به عيسى؟ قالوا: كان يبرئ الأكهم والأبرص، ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ، وقالوا: ادع ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَجْدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]. قالت قريش: قد سوى بين آلهمنا، اثنتا بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحى، واسمه: مُسلم بن صبيح. فأما تفسير الآية فقد سبق.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ. وَتَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ آثَارٍ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا﴾ في هذا الذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذكر في الصلاة، يصلي قائماً، فإن لم يستطع، فقاعداً، فإن لم يستطع، فعلى جنب<sup>(٣)</sup>، هذا قول علي، وابن مسعود، وابن عباس، وقاتدة. والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول طائفة من المفسرين. والثالث: أنه الخوف، فالمعنى: يخافون الله قياماً في تصرفهم، وقعوداً في دعنهم، وعلى جنوبهم في منامهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَكَبَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن فارس: التفكر: تردد القلب في الشيء. قال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكير، خير من قيام ليلة، والقلب ساه.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ قال الزجاج: معناه: يقولون: ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾، أي: خلقتك دليلاً عليك، وعلى صدق ما أتت به أنبياءك. ومعنى ﴿تُسَبِّحُكَ﴾: براءة لك من السوء، وتنزيهاً لك أن تكون خلقتكما باطلاً، ﴿فِيَنَّا عَذَابَ آثَارٍ﴾، فقد صدقنا أن لك جنةً وناراً.

(١) ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر (آل عمران) إذا قام الليل لتعجده، فروى البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عباس، قال: بت عند خالتي يميمة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أمه ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَتْمِ النَّارِ لِلَّذِينَ لَا يُولُوا الْأَلْبَابِ﴾. ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح.

(٢) أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، ورجاله ثقات إلا الحماني فإنه تكلم فيه. قال الحافظ: وقد خالفه الحسن بن موسى، فرواه عن يعقوب بن جعفر عن سعيد مرسل وهو أشبه، وعلى تقدير كونه محفوظاً وصله، ففيه إشكال من جهة أن هذه السورة مدنية، وقريش من أهل مكة، ويحتمل أن يكون سؤالهم لذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ولا سيما في زمن الهدنة.

(٣) جاء في «صحيح البخاري» عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب».

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (١٩٢)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ قال الزجاج: المخزى في اللغة: المذل المحقور بأمرٍ قد لزمه، وبحجة. يقال: أخزيت، أي: ألزمته حجةً أدلته معها. وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان: أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها مخلداً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وقنادة، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنى مروى عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ قال ابن عباس: وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالى.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (١٩٣)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ في المنادي قولان: أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ينادي إلى الإيمان، ومثله: ﴿الَّذِي هَدَيْتَنَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، [يريد: هدانا إلى هذا، وأوحى إليها] قاله الفراء. والثاني: بأنه مقدم ومؤخر، والمعنى: سمعنا منادياً للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ قال مقاتل: امح عنا خطايانا. وقال غيره: غطها عنا، وقيل: إنما جمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لأن الغفران بمجرد الفضل، والتكفير بفعل الخير ﴿وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «الأبرار» والأشرار» وذات قرار» وما كان مثله بين الفتح والكسر، وقرأ ابن كثير، وعاصم بالفتح: ومعنى: ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ فيهم، قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصالحون.

﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (١٩٤)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا﴾ قال ابن عباس: يعنون: الجنة ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على ألسنتهم. فإن قيل: ما وجه هذه المسألة والله لا يخلف الميعاد؟ فعه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه خرج مخرج المسألة، ومعناه الخبر، تقديره: فآمننا، فاغفر لنا لتوطيننا ما وعدتنا. والثاني: أنه سؤال له، أن يجعلهم ممن آتاه ما وعده، لا أنهم استحقوا ذلك، إذ لو كانوا قد قطعوا أنهم من الأبرار، لكانت تركية لأنفسهم. والثالث: أنه سؤال لتعجيل ما وعدهم من النصر على الأعداء، لأنه وعدهم نصراً غير مؤقت، فرغبوا في تعجيله، ذكر هذه الأجوبة ابن جرير، وقال: أولى الأقوال بالصواب، أن هذه صفة المهاجرين، رغبوا في تعجيل النصر على أعدائهم. فكانهم قال: لا صبر لنا على حلمك عن الأعداء، فعجل خزيهم، وظفرنا بهم.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عِبِلٍ مِنكُم مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ مَا جَزَا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلٍ وَكَفَّلُوا وَقَتْلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا نُغَلِّظُنَّ جُنُودَ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥)

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ روي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله، لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء! فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، واستجاب: بمعنى أجاب. والمعنى: أجابهم بأن قال لهم: إني لا أضيع عمل عامل منكم، ذكراً كان أو أنثى. وفي معنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بعضكم من بعض في الدين، والثبيرة والموالاة. والثاني: حكم جميعكم في الثواب واحد، لأن الذكور من الإناث، والإناث من الذكور. والثالث: كلكم من آدم وحواء.

قوله تعالى: ﴿فَأَلَّيْنِ مَا جَزَا﴾ أي: تركوا الأوطان والأهل والمساكن ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِهِمْ﴾ يعني: المؤمنين الذين

(١) رواه ابن جرير الطبري ١٩٥/٧، والحاكم في «المستدرک» ٣٠٠/٢، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجوا، ووافقه الذهبي.

أخرجوا من مكة بأذى المشركين، فهاجروا، ﴿وَقَتِلُوا﴾ المشركين ﴿وَقَتِلُوا﴾. قرأ ابن كثير، وابن عامر: «وقاتلوا وقتلوا» مشددة التاء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَقَتِلُوا وَقَتِلُوا﴾ خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: «وقتلوا وقتلوا». قال أبو علي: تقديم «قتلوا» جائز، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولاً في المعنى، مؤخراً في اللفظ. قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر مؤكد لما قبله، لأن معنى ﴿وَلَا تُدْرِكُهُنَّ بِهِ جَنَّتُ﴾: لَا يُبَيِّنُهُ<sup>(١)</sup>.

﴿لَا يَبْرُكُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَدِ﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَتَسَاءَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَبْرُكُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَدِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في اليهود، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا يضربون في الأرض، فيصيبون الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن النبي ﷺ، أراد أن يستسلم من بعضهم شعيراً، فأبى إلا على رهن، فقال النبي ﷺ: «لو أعطاني لأوفيته، إني لأمين في السماء أمين في الأرض». فنزلت، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاء، فقال بعض المؤمنين: قد أهلكنا الجهد، وأعداء الله فيما ترون، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. قال قتادة: الخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره. وقال غيره: إنما خاطبه تأديباً وتحذيراً، وإن كان لا يغتر. وفي معنى «تقلبهم» ثلاثة أقوال: أحدها: تصرفهم في التجارات، قاله ابن عباس، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: تقلب ليلهم ونهارهم، وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: تقلبهم غير مأخوذ بنزوبهم، ذكره بعض المفسرين. قال الزجاج: ذلك الكسب والربح متاع قليل. وقال ابن عباس: منفعة يسيرة في الدنيا. والمهاد: الفراش.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَنَّتٌ تَحْمِيهِمْ مِنَ أَنْتَهَارِ خَلِيلِهِمْ﴾ فِيهَا تَزُولُ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَزْوَاجِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ قرأ أبو جعفر: «لكن» بالشدائد ها هنا، وفي (الزمر) قال مقاتل: وحدوا. قال ابن عباس: «الزول» الثواب. قال ابن فارس: الزول: ما يهبط للتزيل، والتزيل: الضيف.

﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعُونَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَاثَةِ اللَّهِ شَيْئاً قَلِيلاً أَوْ كَثِيراً لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النجاشي، لأنه لما مات صلى عليه النبي ﷺ، فقال قائل: يصلي على هذا العلج النصراني، وهو في أرضه؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، وابن عباس، وأنس. وقال الحسن، وقتادة: فيه وفي أصحابه. والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

(١) روى ابن جرير ٤٩١/٧ بإسناده صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ثلثة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين اتقى بهم المكارة، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كان لرجل منهم حلة إلى السلطان، لم تقض حتى يموت وهي في صدره، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقتلوا، وأوفدوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فدخلونها بغير عذاب ولا حساب، وتأتي الملائكة، فيسجدون ويقولون: ربنا نحن نسبح الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرهم علينا؟ فيقول الرب جل ثناؤه: هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وأوفدوا في سبيلي، فتدخل الملائكة عليهم من كل باب ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِنَا صَلَاتٍ مِّنْ عِندِ الْكَرِيمِ﴾ [الرعد: ٢٤]. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٧١/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد ١٠٣، ١٠٥، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٥٩/١٠ من روايته «المستند». وذكر في الأولى أنه رواه أيضاً البزار، والطبراني، ورجالهم ثقات، وذكر في الثانية أنه رواه أيضاً الطبراني، ورجاله الطبراني رجال الصحيح، غير أبي عثانة، وهو ثقة.

(٢) رواه ابن جرير ٤٩٧/٧ وإسناده ضعيف، وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أنس بن مالك، قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ: «استغفروا لأخيكم». فقال بعض الناس: يا مرنأ أن نستغفر لعلج مات بأرض الحبشة؟ فنزلت: ﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعُونَ لِلَّهِ﴾ الآية... وروى البزار، والطبراني في «الأوسط» ورجال الطبراني ثقات كما قال الهيثمي ٣٨/٣: أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نعي، فقيل: يا رسول الله، تصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلِإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ الآية. وصلاة النبي ﷺ على النجاشي صلاة الجنائزة الغائبة، ثابتة صحيحة، رواها الشيخان من حديث جابر، ومن حديث أبي هريرة.

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والرابع: في أربعين من أهل تجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فأمنوا بالنبي ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: كتابهم. والخاشع: الذليل. ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي: عرضاً من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود، وقد سلف بيان سرعة الحساب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: نزلت في انتظار الصلاة بعد الصلاة<sup>(١)</sup>، وليس يومئذ غزوٌ يربط. وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال: أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس. الثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي، والزجاج. الثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضاً. والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبير. والخامس: طاعة الله، قاله قتادة. وفي الذي أمروا بمصابرته قولان: أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: الوعد الذي وعدهم الله، قاله عطاء، والقرظي. وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان: أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقاتدة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأصل المرابطة والرباط<sup>(٢)</sup>: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم في الثغر، كلٌ يُعدُّ لصاحبه. والثاني: أنه الصلاة، أمروا بالمرابطة عليها، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن، وقد ذكرنا في (البقرة) معنى «لعل»، ومعنى «الفلاح».



(١) روى مسلم ٢/١٩٩، والنسائي ٨٩/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحوا الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، بعد الصلاة فلكم الرباط، فلكم الرباط، فلكم الرباط».

(٢) وردت أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ في فضل المرابطة، وحفظ ثغور المسلمين، وصيانة البلاد الإسلامية عن دخول الكفار إليها، فروى البخاري ٦٣/٦ عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها». وروى مسلم ٣/١٥٢٠ عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان». وروى الإمام أحمد ٦/٢٠ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنه القبر» ورواه أبو داود ١٤/٣، والترمذي ١٩٥/١، وقال الترمذي: حسن صحيح.



## ٤ - سورة النساء

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا ۝١﴾

اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما: أنها مكِّيَّة، رواه عطية عن ابن عباس، وهو قول الحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة. والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء عن ابن عباس، وهو قول مقاتل. وقيل: إنها مدنية، إلا آية نزلت بمكة في عثمان بن طلحة حين أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة، فيسلّمها إلى العباس، وهي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الخشية. قاله مقاتل. والنفس الواحدة: آدم، وزوجها حواء و«مين» في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ للتبويض في قول الجمهور. وقال ابن بحر: منها، أي: من جنسها<sup>(١)</sup>. واختلفوا أي وقت خلقت له، على قولين: أحدهما: أنها خلقت بعد دخوله الجنة، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: قبل دخوله الجنة، قاله كعب الأحبار، وهب، وابن إسحاق. قال ابن عباس: لما خلق الله آدم، ألقى عليه النوم، فخلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى<sup>(٢)</sup>، فلم تؤذ بشيء، ولو وجد الأذى ما عطف عليها أبداً، فلما استيقظ: قيل: يا آدم ما هذه؟ قال: حواء.

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ قال الفراء: بثّ: نشر، ومن العرب من يقول: أثبت الله الخلق، ويقولون: بشتك ما في نفسي، وأبشتك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والبرجمي، عن أبي بكر، عن عاصم. واليزيدي، وشجاع، والجعفي، وعبد الوارث، عن أبي عمرو: «تساءلون» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وكثير من أصحاب أبي عمرو عنه بالتخفيف.

قال الزجاج: الأصل: تساءلون، فمن قرأ بالتشديد. أدغم التاء في السين، لقرب مكان هذه من هذه، ومن قرأ بالتخفيف، حذف التاء الثانية لاجتماع التائين. وفي معنى «تَسَاءَلُونَ بِهِ» ثلاثة أقوال: أحدها: تتعاطفون به، قاله ابن عباس. والثاني: تتعاقدون، وتتعاقدون به. قاله الضحاك، والربيع. والثالث: تطالبون حقوقكم به، قاله الزجاج. فأما قوله: «والأرحام» فالجمهور على نصب الميم على معنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، وفسرها على هذا ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، وابن زيد. وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش، وحزمة بخفض الميم على معنى: تساءلون به وبالأرحام، وفسرها على هذا الحسن، وعطاء، والنخعي. وقال الزجاج: الخفض في «الأرحام» خطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطراب الشعر، وخطأ في الدين، لأن النبي ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم»<sup>(٣)</sup> وذهب إلى نحو هذا الفراء،

(١) في «البحر المحيط» ١٥٤/٣: وقيل: هو على حذف مضاف، التقدير: وخلق من جنسها زوجها، قاله ابن بحر، وأبو مسلم، لقوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَفْسِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ﴾ و«زَوْجًا وَنَهْبًا».

(٢) روى البخاري ٢٦١/٦ ومسلم ١٠٩١/٢ عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أحوج شيء في الضلع أهلاً، فإن ذهبت فقيمته كسرت، وإن تركته لم يزل أحوج، فاستوصوا بالنساء» هذا لفظ البخاري.

قال النووي في «شرح مسلم» ٥٧/١٠: وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم.

(٣) روى الإمام مسلم ١٢٦٧/٣ عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله»، وكانت قريش تحلف بأبائهم، يقال: «لا تحلفوا بأبائكم» وروى أيضاً عن عبد الله بن مسرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم» والطواغي: الأصنام، واحداثها: طاغية. ومن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفي رواية «لمقد كفر» =

وقال ابن الأنباري: إنما أراد حمزة الخبر عن الأمر القديم الذي جرت عادتهم به، فالمعنى: الذي كنتم تسألون به وبالأرحام في الجاهلية. قال أبو علي: من جر، عطف على الضمير المجرور بالباء، وهو ضعيف في القياس، قليل في الاستعمال، فترك الأخذ به أحسن<sup>(١)</sup>. فأما الرقيب، فقال ابن عباس، ومجاهد: الرقيب: الحافظ. وقال الخطابي: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو في نعوت الأدمين الموكل بحفظ الشيء، المترصد له، المتحرز عن الغفلة فيه، يقال منه: رَقِبْتُ الشيء أَرْقِبُهُ رَقِيبَةً<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَتَا الْيَتَامَ أَمْرَهُمْ وَلَا تَنَدَلُوا لَكَيْتٍ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِنَّ أَمْوَالَكُمْ لِأَنْتُمْ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتَا الْيَتَامَ أَمْرَهُمْ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ، طلب ماله فمنعه، فخاصمه إلى النبي ﷺ فنزلت، قاله سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>. والخطاب بقوله: ﴿وَأَتَا﴾ للأولياء والأوصياء. قال الزجاج: وإنما سماها يتامى بعد البلوغ، بالاسم الذي كان لهم، وقد كان يقال لليتيم ﷺ: يتيم أبي طالب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَدَلُوا لَكَيْتٍ بِالطَّيِّبِ﴾ قرأ ابن محيصن: «تبدلوا» بناء واحدة. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه إبدال حقيقة، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أخذ الجيد، وإعطاء الرديء مكانه، قاله سعيد بن المسيب، والضحاك، والنخعي، والزهرى، والسدي قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم، ويجعل مكانها المهزولة، ويأخذ الدراهم الجياد، ويطرح مكانها الزيوف. والثاني: أنه الربح على اليتيم، واليتيم غر لا علم له، قاله عطاء. والقول الثاني: أنه ليس بإبدال حقيقة، وإنما هو أخذه مستهلكاً، ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا لا يورثون النساء والصغار، وإنما يأخذ الميراث الأكابر من الرجال، فنصيب الرجل من الميراث طيب، وأخذه من حق اليتيم خبيث، هذا قول ابن زيد. والثاني: أنه أكل مال اليتيم بدلاً من أكل أموالهم، قاله الزجاج. «وإلى» بمعنى «مع» والحبوب: الإثم. وقرأ الحسن، وقتادة، والنخعي بفتح الحاء. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: حُوب بالضم، وتميم يقولونه بالفتح. قال ابن الأنباري: وقال الفراء: المضموم الاسم، والمفتوح المصدر. قال ابن قتيبة: وفيه ثلاث لغات: حُوب، وحُوب، وحَاب.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا مَا كَتَبَ لَكُمْ مِنَ الْيَسَّارَةِ وَتِلْكَ رِزْقٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُولُوا فَرِيضَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَلَكُمْ أَزْوَاجُكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى﴾ اختلفوا في تنزيلها وتأويلها على ستة أقوال: أحدها: أن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً من النساء في الجاهلية، ولا يتحرجون من ترك العدل بينهن، وكانوا يتحرجون في شأن اليتامى، فقبل لهم بهذه الآية: احذروا من ترك العدل بين النساء، كما تحذرون من تركه في اليتامى، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup> والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن أولياء اليتامى كانوا يتزوجون النساء

= رواه أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي.

(١) قال ابن عطية: وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمير مخفوض. وانظر «الطبري» ٥١٩/٧ و«القرطبي» ٢/٥ و«البحر المحيط» ١٥٧/٣.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» ٤٤٨/١: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ نَبِيًّا﴾ أي: هو مراقب لجميع أحوالكم وأعمالكم، كما قال: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وفي الحديث الصحيح: «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وهذا إرشاد وأمر بمرآة الرقيب، ولهذا ذكر تعالى: أن أصل الخلق من أب واحد وأم واحدة، ليعطف بعضهم على بعض، ويحتشم على ضعفائهم. وقد ثبت في «صحيح مسلم» ٧٠٤/٢ من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاء قوم حفاة عراة مجتاهي النمار أو العباء. متقلدي السيوف، حامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتعمر وجه رسول الله ﷺ، لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَرَبِّكُمْ﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ نَبِيًّا﴾. والآية التي في الحشر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنْتُمْ نُفُسَ تَا فَذَمَّتْ لِسَانُ وَأَتَقَرَّ اللَّهُ﴾ [الحشر: ١٨] تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع برء، من صاع تمر، حتى قال: ولو بشق تمره. قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تابع الناس حتى رأيت كمين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذقية. ورواه الإمام أحمد وأصحاب «السنن».

(٣) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١١٧/٢: أخرجه ابن أبي حاتم.

(٤) رواه بمعناه عن سعيد بن جبير الطبري ٥٣٦/٧ وإسناده صحيح، ونسبه السيوطي في «الدر» ١١٨/٢ إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

بأموال اليتامى، فلما كثر النساء، مالوا على أموال اليتامى، فقصروا على الأربع حفظاً لأموال اليتامى. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة<sup>(١)</sup>. والثالث: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى إذا نكحتموهن، فانكحوا سواهن من الغرائب اللواتي أحلَّ الله لكم، وهذا المعنى مروي عن عائشة<sup>(٢)</sup>. والرابع: أن معناها: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في نكاحهن، وحذرتن سوء الصحبة لهن، وقلة الرغبة فيهن، فانكحوا غيرهن، وهذا المعنى مروي عن عائشة أيضاً، والحسن. والخامس: أنهم كانوا يتحرَّجون من ولاية اليتامى، فأيمروا بالتحرَّج من الزنى أيضاً، وتُدبوا إلى النكاح الحلال، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. والسادس: أنهم تخرجوا من نكاح اليتامى، كما تخرجوا من أموالهم، فرخص الله لهم بهذه الآية، وقصرهم على عدد يمكن العدل فيه، فكانه قال: وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا فيهن، فانكحوهن، ولا تزيدوا على أربع لتعدلوا، فإن خفتم أن لا تعدلوا فيهن، فواحدة، وهذا المعنى مروي عن الحسن. قال ابن قتيبة: ومعنى قوله: وإن خفتم، أي: [فإن] علمتم أنكم لا تعدلون [بين اليتامى] يقال: أسقط الرجل: إذا عدل [ومنه قول النبي ﷺ] «المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة» [ويقال: قسط الرجل: إذا جار] «ومنه قول الله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَأَنَّهُمْ يَهْمُونَ حَطَبًا﴾»<sup>(٣)</sup> وفي معنى العدل في اليتامى قولان: أحدهما: في نكاح اليتامى، والثاني: في أموالهم.

قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: ما حل لكم. قال ابن جرير: وأراد بقوله: ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، الفعل دون أعيان النساء، ولذلك قال: «ما» ولم يقل: «من» واختلفوا: هل النكاح من اليتامى، أو من غيرهن؟ على قولين قد سبقا.

قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ وَكَلَّكَ وَرَيْحٌ﴾. قال الزجاج: هو بدل من ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ومعناه: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، وإنما خاطب الله العرب بأفصح اللغات، وليس في شأن البليغ أن يعبر في العدد عن التسعة باثنتين، وثلاث، وأربع، لأن التسعة قد وضعت لهذا العدد، فيكون عيًّا في الكلام. وقال ابن الأنباري: هذه الواو معناها التفرُّق، وليست جامعة، فالمعنى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى، وانكحوا ثلاث في غير الحال الأولى، وانكحوا رُباع في غير الحالين. وقال القاضي أبو يعلى: الواو هاهنا لإباحة أي الأعداد شاء، لا للجمع<sup>(٤)</sup>، وهذا العدد إنما هو للأحرار، لا للعبيد، وهو قول أبي حنيفة والشافعي. وقال مالك: هم كالأحرار. ويدل على قولنا: أنه قال: فانكحوا، فهذا منصرف إلى من يملك النكاح، والعبد لا يملك ذلك بنفسه، وقال في سياقها: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَمْلِكُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، والعبد لا ملك له، فلا يباح له الجمع إلا بين اثنتين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: علمتم، والثاني: خشيتن.

قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَمْلِكُوا﴾ قال القاضي أبو يعلى: أراد العدل في القسم بينهن.

(١) رواه ابن جرير ٥٣٥/٧ وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس. ورواه ابن جرير ٥٣٥/٧ عن عكرمة بمعناه. ولفظ الطبري: عن ابن عباس قال: قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى.

(٢) روى البخاري ١٧٩/٨ ومسلم ٢٣١٣/٤ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فقالت: يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، تشركه في ماله، ويمجبه ماله وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بفير أن يقسط في صداقتها، فيعطيه مثل ما يعطيها غيره، فتهاون عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن، ويلغوا لهن أعلى ستنهن في الصداق، فأمرنا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

(٣) «غريب القرآن» ١١٩، وما بين معقفين منه. وحديث «المقسطون على منابر من لؤلؤ». رواه مسلم: ١٤٥٨/٣ ولفظه «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز جل - وكلنا بيده يمين - الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

(٤) روى الإمام أحمد رقم (٤٦٠٩) عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحت عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعة» ورواه الترمذي وصححه، وابن حبان، والحاكم، قال الحافظ ابن حجر: وأعله البخاري وأبو زرعة، وقال الحافظ ابن كثير في «الإرشاد»: رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وابن ماجه، وهذا الإسناد رجاله على شرط الشيخين، إلا أن الترمذي يقول: سمعت البخاري يقول: هذا حديث غير محفوظ، والصحيح ما روى شعيب وغيره عن الزهري، قال: حدثت عن محمد بن شعيب الثقفي أن غيلان... فذكره، قال البخاري: وإنما حديث الزهري، عن سالم عن أبيه أن رجلاً من ثقيف طلق نساءه، فقال له عمر: لتراجعن نساءك... الحديث. قال ابن كثير: قلت: قد جمع الإمام أحمد في روايته لهذا الحديث بين هذين الحديثين بهذا السند، فليس ما ذكره البخاري قادحاً، وساق رواية النسائي برجال ثقات. «سبل السلام» ١٨٠/٢. انظر كلام الشيخ أحمد شاكر على هذا الحديث في «المستند»، فإنه قد فصل الكلام فيه.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فانكحوا واحدة، وقرأ الحسن، والأعمش، وحميد: «فواحدة» بالرفع، المعنى، فواحدة تنقح.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: السراي. قال ابن قتيبة: معنى الآية: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا [أيضاً] أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فقصّروهم على أربع، ليقدروا على العدل، ثم قال: فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هؤلاء الأربع، فانكحوا واحدة، واقتصروا على ملك اليمين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: أقرب. وفي معنى «تعولوا» ثلاثة أقوال: أحدها: تميلوا، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وإبراهيم، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء. وقال أبو مالك، وأبو عبيد: تجوروا. قال ابن قتيبة، والزجاج: تجوروا وتميلوا بمعنى واحد. واحتكم رجلان من العرب إلى رجل، فحكم لأحدهما، فقال المحكوم عليه: إنك والله تعول علي، أي: تميل وتجور. والثاني: تضلوا، قاله مجاهد، والثالث: تكثر عيالكم، قال ابن زيد، ورواه أبو سليمان الدمشقي في «تفسيره» عن الشافعي، وردّه الزجاج، فقال: جميع أهل اللغة يقولون: هذا القول خطأ، لأن الواحدة يعولها، وإباحة ملك اليمين أزيد في العيال من أربع<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ مَصَدَقَتَهُنَّ حِلَّةٌ إِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَكُلُّهُنَّ حَيْثُ تَرَيتُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ مَصَدَقَتَهُنَّ حِلَّةٌ﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم الأزواج، وهو قول الجمهور، واحتجوا بأن الخطاب للناكحين قد تقدم، وهذا معطوف عليه، وقال مقاتل: كان الرجل يتزوج بلا مهر، فيقول: أرثك وترثيني، فتقول المرأة: نعم، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه متوجه إلى الأولياء<sup>(٣)</sup> ثم فيه قولان: أحدهما: أن الرجل كان إذا تزج أئمة جاز صداقها دونها، فنهوا بهذه الآية، هذا قول أبي صالح، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن الرجل كان يعطي الرجل أخته ويأخذ أخته مكانها من غير مهر، فنهوا عن هذا بهذه الآية، رواه أبو سليمان التيمي عن بعض أشياخه. قال ابن قتيبة: والصدقات: المهور، واحدها: صدقة. وفي قوله «نحلة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الفريضة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها الهبة والعطية، قاله الفراء. قال ابن الأنباري: كانت العرب في الجاهلية لا تعطي النساء شيئاً من مهرهن، فلما فرض الله لهن المهر، كان نحلة من الله، أي: هبة للنساء، فرضاً على الرجال. وقال الزجاج: هو هبة من الله للنساء. قال القاضي أبو يعلى: وقيل: إنما سمي المهر: نحلة، لأن الزوج لا يملك بدله شيئاً، لأن البضع بعد النكاح في ملك المرأة، ألا ترى أنها لو وطئت بشبهة، كان المهر لها دون الزوج، وإنما الذي يستحقه الزوج الاستباحة، لا الملك. والثالث: أنها العطية بطيب نفس، فكانه قال: لا تعطوهن مهرهن وأنتم كارهون، قاله أبو عبيدة. والرابع: أن معنى «النحلة»: الديانة، فتقديره: وآتوهن صدقاتهن ديانة، يقال: فلان يتحل كذا، أي: يدين به، ذكره الزجاج عن بعض العلماء.

(١) نص كلام ابن قتيبة في «المشكل» ٥١: والمعنى أن الله تعالى قصر الرجال على أربع نسوة. وحرم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن، لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من ملك اليمين لم يستطعوا العدل عليهن بالسوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثاً وأربعاً، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل.

(٢) قال ابن كثير ٤٥١/١: وقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: أقرب. وفي معنى «تعولوا» ثلاثة أقوال: أحدها: تميلوا، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وإبراهيم، وقتادة، والسدي، ومقاتل، والفراء. وقال أبو مالك، وأبو عبيد: تجوروا. قال ابن قتيبة، والزجاج: تجوروا وتميلوا بمعنى واحد. واحتكم رجلان من العرب إلى رجل، فحكم لأحدهما، فقال المحكوم عليه: إنك والله تعول علي، أي: تميل وتجور. والثاني: تضلوا، قاله مجاهد، والثالث: تكثر عيالكم، قال ابن زيد، ورواه أبو سليمان الدمشقي في «تفسيره» عن الشافعي، وردّه الزجاج، فقال: جميع أهل اللغة يقولون: هذا القول خطأ، لأن الواحدة يعولها، وإباحة ملك اليمين أزيد في العيال من أربع<sup>(٢)</sup>.

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري السفيهي متى يبس

وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة. إذا افتقر، ولكن في هذا التفسير هاهنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعدد الحرائر، كذلك يخشى من تعدد السراي أيضاً، والصحيح قول الجمهور ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لا تجوروا، يقال: عال في الحكم: إذا قسط وظلم وجار.

(٣) اختار ابن جرير ٥٥٤/٧ أن الخطاب للأزواج، قال: لأن الله تعالى ابتداء ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن، وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن. ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم، فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن الذين قبل لهم «فانكحوا ما كان لكم من آل الله» هم الذين قبل لهم: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ مَصَدَقَتُهُنَّ﴾ وأن معناه: وآتوا من نكحت من النساء صدقاتهن نحلة، لأنه قال في أول الآية: فانكحوا ما طاب لكم من النساء، ولم يقل: «فانكحوا» فيكون قوله: ﴿وَأُولَئِكَ أَلَسَتْ مَصَدَقَتُهُنَّ﴾ مصروحاً إلى أنه منتهى به أولياء النساء دون أزواجهن.



قوله تعالى: ﴿إِنْ طَلِقَ لَكُمْ﴾ يعني النساء المنكوحات. وفي «لكم» قولان: أحدهما: أنه يعني الأزواج. والثاني: الأولياء. «والهاء» في «منه» كناية عن الصداق، قال الزجاج: «ومن» هاهنا للجنس، كقوله: ﴿فَأَجْكِبُوا الرِّيشَ مِنَ الْأَرْتَنِ﴾ [الحج: ٣٠] معناه: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن، فكانه قال: كلوا الشيء الذي هو مهر، فيجوز أن يسأل الرجل المهر كله. و«نفساً»: منصوب على التمييز. فالمعنى: فإن طابت أنفسهن لكم بذلك، فكلوه هنئناً مريئاً. وفي الهنيء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما تؤمن عاقبته. والثاني: ما أعقب نفعاً وشفاء. والثالث: أنه الذي لا ينقضه شيء. وأما «المريء» فيقال: مريء الطعام: إذا انهضم، وحمدت عاقبته.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ المراد بالسفهاء خمسة أقوال: أحدها: أنهم النساء، قاله ابن عمر. والثاني: النساء والصبيان، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة. وعن الحسن ومجاهد كالقولين. والثالث: الأولاد، قاله أبو مالك. وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس، وروي عن الحسن، قال: هم الأولاد الصغار. والرابع: اليتامى، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير في رواية. قال الزجاج: ومعنى الآية: ولا تؤتوا السفهاء أموالهم، بدليل قوله: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ وإنما قال: «أموالكم» ذكرراً للجنس الذي جعله الله أموالاً للناس. وقال غيره: أضافها إلى الولاة، لأنهم قوامها. والخامس: أن القول على إطلاقه، والمراد به كل سفيه يستحق الحجر عليه، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي، وغيرهما، وهو ظاهر الآية<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ قولان: أحدهما: أنه أموال اليتامى. والثاني: أموال السفهاء.

قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ قرأ الحسن: «اللاتي جعل الله لكم قواماً». وقرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وأبو عمرو: «قياماً» بالياء مع الألف هاهنا، وقرأ نافع، وابن عامر: «قِيَمًا» بغير ألف. قال ابن قتيبة: قياماً وقواماً بمنزلة واحدة، تقول: هذا قوام أمرك وقيامه، أي: ما يقوم به [أمرك]. وذكر أبو علي الفارسي أن «قواماً» و«قياماً» و«قِيَمًا»، بمعنى القوام الذي يقيم الشأن، قال: وليس قول من قال: «القيم» هاهنا: جمع «قيمة» بشيء.

قوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: منها. وفي «القول المعروف» ثلاثة أقوال: أحدها: العدة الحسنة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الرزق الجميل، قاله الضحاك. والثالث: الدعاء، كقولك: عافاك الله، قاله ابن زيد.

﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَوْفٍّ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِإِلَهِكُمْ حَسِيبًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا الْيَتَامَىٰ﴾ سبب نزولها أن رجلاً، يقال له: رفاعه، مات وترك ولداً صغيراً، يقال له: ثابت، فوليه عمه، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: إن ابن أخي يتيم في حجرى، فما يحل لي من ماله؟ ومتى أدفع إليه ماله؟ فنزلت هذه الآية، ذكر نحوه مقاتل<sup>(٢)</sup>. والابتلاء: الاختبار. وبماذا يختبرون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يختبرون في عقولهم، قاله ابن عباس، والسدي، وسفيان، ومقاتل. والثاني: يختبرون في عقولهم ودينهم، قاله الحسن، وقتادة. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: في عقولهم ودينهم، وحفظهم أموالهم، ذكره الثعلبي. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الابتلاء قبل البلوغ.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بلغوا أن ينكحوا النساء ﴿إِنْ آنَسْتُمْ﴾ أي: علمتم،

(١) قال ابن كثير: ٤٥٢/١: ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً، أي: تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها، ومن هاهنا يؤخذ الحجر على السفهاء، وهم أقسام؛ فتارة يكون الحجر للصغير، فإن الصغير سلب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف، لنقص العقل أو الدين، وتارة للفلس، وهو إذا ما أحاطت الديون برجل، وضاق ماله عن وفاتها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه.

(٢) ذكره الواحدي ص ٨٢ بدون سند.

وتبيّنتم. وأصل: أنست: أبصرت. وفي الرشد أربعة أقوال: أحدها: الصلاح في الدين، وحفظ المال، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: الصلاح في العقل، وحفظ المال، روي عن ابن عباس والسدي. والثالث: أنه العقل، قاله مجاهد، والنخعي. والرابع: العقل والصلاح في الدين، روي عن السدي.

### فصل

واعلم أن الله تعالى علّق رفع الحجر عن اليتامى بأمرين؛ بالبلوغ والرشد، وأمر الأولياء باختيارهم، فإذا استبانوا رشدهم، وجب عليهم تسليم أموالهم إليهم. والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء، ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء؛ الاحتلام<sup>(١)</sup>، واستكمال خمس عشرة سنة<sup>(٢)</sup>، والإنبات<sup>(٣)</sup>، وشيئان يختصان بالنساء: الحيض والحمل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِسْرَافًا﴾ خطاب للأولياء، قال ابن عباس: لا تأكلوها بغير حق. و«إسرافاً»: يُبَادِرُونَ أَكْلَ المال قبل بلوغ الصبي ﴿وَمَنْ كَانَ عَيْنًا فَلْيَسْتَوْفَّ﴾ بماله عن مال اليتيم. وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال: أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض، وهذا مروى عن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وأبي العالية، وعبيدة، وأبي وائل، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وعطاء، والنخعي، وقتادة، والسدي. والثالث: أنه الأخذ بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملاً، روي عن ابن عباس، وعائشة<sup>(٥)</sup>، وهي رواية أبي طالب، وابن منصور، عن أحمد رحمهم الله. والرابع: أنه الأخذ عند الضرورة، فإن أيسر قضاءه، وإن لم يوسر، فهو في حل، وهذا قول الشعبي.

### فصل

واختلف العلماء هل هذه الآية محكمة أو منسوخة؟ على قولين. أحدهما محكمة، وهو قول عمر، وابن عباس، والحسن، والشعبي، وأبي العالية، ومجاهد، وابن جبير، والنخعي، وقتادة في آخرين. وحكمها عندهم أن الغني ليس له أن يأكل من مال اليتيم شيئاً، فأما الفقير الذي لا يجد ما يكفيه، وتشغله رعاية مال اليتيم عن تحصيل الكفاية، فله أن يأخذ قدر كفايته بالمعروف من غير إسراف. وهل عليه الضمان إذا أيسر؟ فيه قولان لهم: أحدهما: أنه لا ضمان عليه، بل يكون كالأجرة له على عمله، وهو قول الحسن، والشعبي، والنخعي، وقتادة، وأحمد بن حنبل. والثاني: إذا أيسر وجب عليه القضاء، روي عن عمر وغيره، وعن ابن عباس أيضاً كالقولين. والقول الثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطُلِ﴾ [النساء: ٢٩] وهذا مروى عن ابن عباس، ولا يصح. قوله تعالى: ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: هذا على طريق الاحتياط لليتيم، والولي، وليس بواجب،

- (١) لقوله رحمهم الله: «رفع القلم عن ثلاثة، عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق». رواه الترمذي ١٧٠/١ وأبو داود ٤/١٩٧ عن علي رحمهم الله. ورواه الدارمي ١٧١/٢ عن عائشة، وابن ماجه ٦٥٨/١ عنهما، وهو حديث صحيح.
- (٢) أعلّ القنهاء ذلك من الحديث الثابت في «الصحيحين» عن ابن عمر، قال: «عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يُجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني» قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثه هذا الحديث؛ فقال: إن هذا لحدّ بين الصغير والكبير، وكب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة.
- (٣) يدل لذلك ما روى الإمام أحمد ٣١٠/٤ عن عطية القرظي، قال: عرضنا على رسول الله ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبت قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت فيمن لم ينبت، فخلى سبيلي. وقد أخرجه أصحاب «السنن» بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح. قال ابن كثير: وإنما كان كذلك، لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل المقاتلة، وسبي الذرية. وكون البلوغ يثبت باستكمال خمس عشرة سنة والإنبات: هو مذهب الشافعي، وأحمد، وابن وهب، وأصعب، وعبد الملك بن الماجشون، وعمر بن عبد العزيز، واختاره ابن العربي.
- (٤) قال القرطبي: ٣٥/٥: فأما الحيض والحبل فلم يختلف العلماء في أنه بلوغ، وأن القرائض والأحكام تجب بهما.
- (٥) في البخاري ١٨١/٨: عن عائشة رحمها الله في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ عَيْنًا فَلْيَسْتَوْفَّ وَمَنْ كَانَ قَوْلًا فَلْيُؤَدِّ بِالْمِثْلِ﴾ أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. وروى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: ليس لي مال، ولي يتييم، فقال: «كل من مال يتييمك غير مُشْرِفٍ ولا مُبْتَلٍ ولا مثاقيل مالا، ومن غير أن تقي مالك» أو قال: «تفدي مالك بماله». ورواه أبو داود ١٥٦/٣، والنسائي ١٣١/٢، وابن ماجه ٨٣/٢ بنحوه، وهو حديث حسن. وقوله: «ولا مثاقيل» بتشديد التاء المثناة المكسورة. قال ابن الأثير: أي: غير جامع، يقال: مال مؤثّل، ومجد مؤثّل، بفتح التاء المشددة فيهما، أي: مجموع ذو أصل.

فأما اليتيم، فإنه إذا كانت عليه يئنة، كان أبعد من أن يدعي عدم القبض، وأما الولي، فإنه تظهر أمانته، ويسقط عنه اليمين عند إنكار اليتيم للدفع. وفي «الحسب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه الكافي، من قولك: أحسبني هذا الشيء [أي: كفاني، والله حسيبي وحسيبك، أي: كافينا، أي: يكون حكماً بيننا كافياً].

قال الشاعر:

وَنُفْسِي وَلَيْدَ الْحَيِّ إِنْ كَانَ جَائِعاً      وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ<sup>(١)</sup>  
أي: نعطي ما يكفيه حتى يقول: حسيبي<sup>(٢)</sup> قاله ابن قتيبة والخطابي. والثالث: أنه المحاسب، فيكون في مذهب جليس، وأكيل، وشريب، حكاية ابن قتيبة والخطابي.

﴿لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ٧﴾  
قوله تعالى: ﴿لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ سبب نزولها أن أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة، فقام رجلا من بني عمه، يقال لهما: قتادة، وعرفطة<sup>(٣)</sup> فأخذوا ماله، ولم يعطيا امرأته، ولا بناته شيئاً، فجاءت امرأته إلى النبي ﷺ، فذكرت له ذلك، وشكت الفقر، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كانوا لا يورثون النساء، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. والمراد بالرجال: الذكور، وبالنساء: الإناث، صغاراً كانوا أو كباراً. و«النصيب»: الحظ من الشيء، وهو مجمل في هذه الآية، ومقداره معلوم من موضع آخر، وذلك مثل قوله: ﴿وَأَتَاوْا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَايِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] والمفروض: الذي فرضه الله، وهو أكد من الواجب.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٨﴾ في هذه القسمة قولان: أحدهما: قسمة الميراث بعد موت الموروث، فعلى هذا يكون الخطاب للوارثين، وبهذا قال الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، والزهري. والثاني: أنها وصية الميت قبل موته، فيكون مأموراً بأن يعين لمن لا يرثه شيئاً، روي عن ابن عباس، وابن زيد. قال المفسرون: والمراد بأولي القربى: الذي لا يرثون، ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ أي: أعطوهم منه، وقيل: أطعموهم، وهذا على الاستحباب عند الأكثرين، وذهب قوم إلى أنه واجب في المال، فإن كان الورثة كباراً، تولوا إعطائهم، وإن كانوا صغاراً، تولّى ذلك عنهم ولتي مالهم، فروي عن عبيدة أنه قسم مال أيتام، فأمر بشاة، فاشتريت من مالهم، وبطعام فصنع، وقال: لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي<sup>(٥)</sup>، وكذلك فعل محمد بن سيرين في أيتام ولّيتهم، وكذلك روي عن مجاهد: أن ما تضمنته هذه الآية واجب. وفي «القول المعروف» أربعة أقوال: أحدها: أن يقول لهم الولي حين يعطيهم: خذ بارك الله فيك، رواه سالم الأفتس، عن ابن جبير. والثاني: أن يقول الولي: إنه مال يتامى، ومالي فيه شيء، رواه أبو بشر عن ابن جبير. وفي رواية أخرى عن ابن جبير، قال: إن كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم، وإن كان الورثة كباراً رضخوا لهم، وإن كانوا صغاراً، قال ولّيتهم: إني لست أملك هذا المال، إنما هو للصغار، فذلك القول المعروف. والثالث: أنه العدة الحسنة، وهو أن يقول لهم أولياء الورثة: إن هؤلاء الورثة صغار، فإذا بلغوا، أمرناهم أن يعرفوا حقكم. رواه عطاء بن دينار، عن ابن جبير. والرابع: أنهم يُعْطَوْنَ من المال، ويقال لهم عند قسمة الأرضين والرقيق: بورك فيكم، وهذا القول المعروف. قال الحسن والنخعي: أدركنا الناس يفعلون هذا.

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ١٧، و«الصحاح»: مادة: حسب، و«اللسان»: مادة: قني، وفيه ٣١٢/١ لامرأة من بني قشير، وقوله: «تقنيه» أي: تؤثره بالفتية، ويقال لها: الفتاة أيضاً، وهي ما يؤثر به الضيف والصبي.

(٢) ما بين معقنين من تمام كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص ١٧.

(٣) في ب «حكمومة وعرفطة» وفي «أسباب النزول» للواحد ص: ٨٢ سويد وعرفطة، وفي «الدر المنثور» ١٢٢/٢: خالد وعرفطة، والخبر أخرجه أبو الشيخ وابن حبان في «كتاب الفرائض» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي وأبو صالح، ضعيفان لا يحتج بهما.

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٩٧/٧ من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

(٥) رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن ابن سيرين...

## فصل

اختلف علماء النسخ والنسخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، وهو قول أبي موسى الأشعري، وابن عباس<sup>(١)</sup>، والحسن، وأبي العالية، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والنخعي، والزهري، وقد ذكرنا أن ما تضمنته من الأمر مستحب عند الأكثرين، واجب عند بعضهم. والقول الثاني: أنها منسوخة؛ نسخها قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ رواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول سعيد بن المسيب، وعكرمة، والضحاك، وقتادة في آخرين.

﴿وَلْيَحْشَ الْأَيْمَنُ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُصَفِّئُ خَائُفًا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْشَ الْأَيْمَنُ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُصَفِّئُ﴾ اختلفوا في المخاطب بهذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب للحاضرين عند الموصي. وفي معنى الآية على هذا القول قولان: أحدهما: وليخش الذين يحضرون موصياً في ماله أن يأمروه بتفريقه فيمن لا يرثه، فيفرقه، ويترك ورثته، كما لو كانوا هم الموصين، لسرهم أن يحثهم من حضرم على حفظ الأموال للأولاد، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: على الضد من هذا القول، وهو أنه نهي لحاضري الموصي أن يمنعه من الوصية لأقاربه، وأن يأمروه بالاعتصام على ولده، وهذا قول مقسم، وسليمان التيمي في آخرين. والقول الثاني: أنه خطاب لأولياء اليتامى متعلق بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ فمعنى الكلام: أحسنوا فيمن وليتم من اليتامى، كما تحببون أن يحسن ولاية أولادكم بعدكم، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، وابن السائب. والثالث: أنه خطاب للأوصياء أمروا بأداء الوصية على ما رسم الموصي، وأن تكون الوجوه التي عينها مرعية بالمحافظة كرعى الذرية الضعاف من غير تبديل، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْقًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢] فأمر الوصي بهذه الآية إذا وجد ميلاً عن الحق أن يستعمل قضية الشرع، ويصلح بين الورثة، ذكره شيخنا علي بن عبيد الله، وغيره، في «الناسخ والمنسوخ» فعلى هذا تكون الآية منسوخة، وعلى ما قبله تكون محكمة. و«الضعاف»: جمع ضعيف، وهم الأولاد الضغار. وقرأ حمزة: «ضعافاً» بإمالة العين. قال أبو علي: وجهها: أن ما كان على «فعال» وكان أوله حرفاً مستعلياً مكسوراً، نحو ضعاف، وقفاف، وخفاف؛ حسنت فيه الإمالة، لأنه قد يُصَعَّدُ بالحرف المستعلي، ثم يُخَفَّرُ بالكسر، فيستحب أن لا يُصَعَّدَ بالتفخيم بعد التصوُّب بالكسر، فيجعل الصوت على طريقة واحدة، وكذلك قرأ حمزة: ﴿خَائُفًا عَلَيْهِمْ﴾ بإمالة الخاء، والإمالة هاهنا حسنة، وإن كانت «الخاء» حرفاً مستعلياً، لأنه يطلب الكسرة التي في «خِفَت» فينحو نحوها بالإمالة. والقول «السديد»: الصواب.

(١) روى البخاري ١٨١/٨ عن ابن عباس في الآية قال: هي محكمة، وليست بمنسوخة. تابعه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال الحافظ ابن حجر: وصله في الوصايا بلفظ «إن ناسأ يرحمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت، ولكنها مما تهان الناس بها، هما واليان، وإلي يرت، وذلك الذي يروق، وإولي لا يرت، وذلك الذي يقال له بالمعروف، يقول: لا أملك لك أن أعطيك، وهذا الإسنادان الصحيحان هما المتمدان، وجاءت عنه روايات من أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم. وجاء عن ابن عباس قول آخر، أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر: قسم ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، فلم يدع في الدار ذا قرابة ولا مسكيناً إلا أعطاه من ميراث أبيه، وتلا الآية. قال القاسم: فذكرته لابن عباس، فقال: ما أصاب، وليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في الوصية، أي: ندب للميت أن يوصي لهم. قلت: - أي: الحافظ ابن حجر - وهذا لا ينافي حديث الباب، وهو أن الآية محكمة، وليست بمنسوخة. وقيل: معنى الآية: وإذا حضر قسمة الميراث قرابة الميت ممن لا يرت، واليتامى والمساكين، فإن نفوسهم تشوف إلى أخذ شيء منه، ولا سيما إن كان جزيلاً، فأمر الله سبحانه أن يرضخ لهم بشيء على سبيل البر والإحسان. واختلف من قال بذلك: هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟ فقال مجاهد وطائفة: هي على الوجوب، وهو قول ابن حزم أن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طاب به نفسه، ونقل ابن الجوزي عن أكثر أهل العلم أن المراد بأولي القرابة: من لا يرت، وأن معنى «فأرزقوهم»: أعطوهم من المال. وقال آخرون: أطعموهم، وأن ذلك على سبيل الاستحباب، وهو المتمد، لأنه لو كان على الوجوب لانتفى استحقاقاً في التركة، ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة، فيفضي إلى التنازع والتقاطع، وعلى القول بالنسب فقد قيل: يفعل ذلك ولي المحجور، وقيل: لا بل يقول: ليس المال لي، وإنما هو لليتيم، وإن هذا هو المراد بقوله: ﴿وَرُؤُؤًا مِّنْ دُونِهَا﴾ وعلى هذا فتكون الواو في قوله ﴿وَرُؤُؤًا﴾ للتقسيم، وعن ابن سيرين وطائفة: المراد بقوله: ﴿فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ اصنعوا لهم طعاماً يأكلونه، وإنها على العموم في مال المحجور وغيره.



﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ كُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ كُلْمًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً من غطفان، يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، فأكله، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أن حنظلة بن الشمرود ولي يتيماً، فأكل ماله، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وإنما خصّ الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود، وقيل: عبر به عن الأخذ. قال سعيد بن جبير: ومعنى الظلم: أن يأخذه بغير حق. وأما ذكر «البطون» فللتوكيد، كما تقول: نظرت بعيني، وسمعت بأذني. وفي المراد بأكلهم النار قولان: أحدهما: أنهم سيأكلون يوم القيامة ناراً، فسمي الأكل بما يؤول إليه أمرهم، كقوله: ﴿أَقْصِرْ خَيْرٌ﴾ [يوسف: ٣٦] قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم ظلماً، ولهب النار يخرج من فيه، ومن مسامعه، وأذنيه، وأنفه، وعينه، يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه مثل. معناه: يأكلون ما يصيرون به إلى النار، كقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَتَدَوَّنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ [آل عمران: ١٥٣] أي: رأيتم أسبابه.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «وسيصلون» بفتح الياء، وقرأ الحسن، وابن عامر، بضم الياء، ووافقه ابن مقسم، إلا أنه شدد. والمعنى: سيحرقون بالنار، ويُسْوَوْنَ والسعير: النار المستعرة، واستعار النار: توقدها.

### فصل

وقد توهم قوم لا علم لهم بالتفسير وفقهه، أن هذه الآية منسوخة، لأنهم سمعوا أنها لما نزلت، تحرّج القوم عن مخالطة اليتامي، فنزل قوله: ﴿وَلَنْ تَخْأَلَطُوهُمْ فَإِنْ خَوَّنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وهذا غلط، وإنما ارتفع عنهم الحرج بشرط قصد الإصلاح، لا على إباحة الظلم.

﴿يُؤْيِيكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَوَاطِنَ الْإِسْلَامِ﴾ [التوبة: ١٩] ﴿وَلَا يُوَدُّوهُ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَوَسَّاسٌ إِلَىٰ بُيُوتِكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ دَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] ﴿وَلَا يُوَدُّوهُ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَوَسَّاسٌ إِلَىٰ بُيُوتِكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ دَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] ﴿وَلَا يُوَدُّوهُ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَوَسَّاسٌ إِلَىٰ بُيُوتِكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ دَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] ﴿وَلَا يُوَدُّوهُ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَوَسَّاسٌ إِلَىٰ بُيُوتِكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ دَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤]

قوله تعالى: ﴿يُؤْيِيكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَوَاطِنَ الْإِسْلَامِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن جابر بن عبد الله مرض، فعاده رسول الله ﷺ، فقال: كيف أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت هذه الآية، رواه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله قُتِلَ أَبُو هَاتَيْنِ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ، وقد استفاء<sup>(٣)</sup> عمهما مالهما، فنزلت، روي عن جابر بن عبد الله أيضاً<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن عبد الرحمن أخا حسان بن ثابت مات، وترك امرأة، وخمس بنات، فأخذ ورثته ماله، ولم يعطوا أمراته ولا بناته شيئاً، فجاءت أمراته تشكو إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي. قال الزجاج: ومعنى يؤيكم: يفرض عليكم، لأن الوصية منه فرض، وقال غيره: إنما ذكره بلفظ الوصية لأمرين: أحدهما: أن الوصية تزيد على الأمر، فكانت أكد. والثاني: أن في الوصية حقاً للموصي، فدل على تأكيد الحال بإضافته إلى حقه. وقرأ الحسن، وابن أبي عبة: «يوصيكم» بالتشديد.

(١) أخرجه ابن جرير ٢٦/٨ من طريق أسباط عن السدي.

(٢) البخاري: ١٨٢/٨ ومسلم: ١٢٣٥/٣ من طريق ابن جريج عن ابن المنكدر عن جابر، وقد وثقه بعض المحدثين ابن جريج في هذا الحديث، وقالوا: الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه، الآية الأخيرة من (النساء) وهي ﴿يَسْتَشْفِقُ عَلَى اللَّهِ يَنْبِيحُكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ وقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام حل هذا الحديث في «الفتح» فانظره.

(٣) قال ابن الأثير ٢٢٠/٣: أي: استرجع حقهما من الميراث وجعله بيتاً له، وهو استغفل من الشيء.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود ١٦٦/٣، والترمذي ٣٠/٢، وحسنه، وابن ماجه ٩٠٨/٢، وصححه الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: فقال: «يقضي الله في ذلك»، قال: فنزلت آية الميراث، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما، فقال: «أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك».

قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ يعني، للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين، ثم ذكر نصيب الإناث من الأول، فقال: ﴿إِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ آفَتَيْنِ﴾ وفي قوله: «فوق» قولان: أحدهما: أنها زائدة، كقوله: «فَأَمْزِجُوا فَوْقَ الْآفَتَيْنِ» [الأنفال: ١١٣]. والثاني: أنها بمعنى الزيادة. قال القاضي أبو يعلى: إنما نص على ما فوق الاثنين، والواحدة، ولم ينص على الاثنين، لأنه لما جعل لكل واحدة مع الذكر الثلث، كان لها مع الأنثى الثلث أولى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ قرأ الجمهور بالنصب، وقرأ نافع بالرفع، على معنى: وإن وقعت، أو وجدت واحدة.

قوله تعالى: ﴿وَلِلْأَبَوَيْنِ﴾ قال الزجاج: أبواه ثنية أب وأبة، والأصل في الأم أن يقال لها: أبة، ولكن استغني عنها بأم، والكناية في قوله: «لأبويه» عن الميت وإن لم يجر له ذكر.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْأُمِّ الْكَلْبِ﴾ أي: إذا لم يخلف غير أبوين، فثلث ماله لأمه، والباقي للأب، وإنما خص الأم بالذكر، لأنه لو اقتصر على قوله: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ ظن الظان أن المال يكون بينهما نصفين، فلما خصها بالثلث، دل على التفضيل. وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿وَلِلْأُمِّ الْكَلْبِ﴾ وفي بطون أمهاتكم [الزمر: ٦] وفي أمهاتكم [القصص: ٥٩] وفي أمهاتكم [الزخرف: ٤] بالرفع<sup>(١)</sup>. وقرأ حمزة والكسائي كل ذلك بالكسر إذا وصل، وحجتهما: أنهما أتبعوا الهمزة ما قبلها، من ياء أو كسرة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: مع الأبوين، فإنهم يحجبون الأم عن الثلث، فيردونها إلى السدس، واتفقوا على أنهم إذا كانوا ثلاثة إخوة، حجبوا، فإن كانا أخوين، فهل يحجبانها؟ فيه قولان: أحدهما: يحجبانها عن الثلث، قاله عمر، وعثمان، وعلي، وزيد، والجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: لا يحجبها إلا ثلاثة، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>، واحتج بقوله: إخوة. والأخوة: اسم جمع، واختلفوا في أقل الجمع، فقال الجمهور: أقله ثلاثة، وقال قوم: اثنان، والأول: أصح. وإنما حجب العلماء الأم بأخوين لدليل اتفقوا عليه، وقد يسمي الاثنان بالجمع، قال الزجاج: جميع أهل اللغة يقولون: إن الأخوين جماعة، وحكى سيويه أن العرب تقول: وضعا رحالهما، يريدون: رَحْلِي ورحلتيهما<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرَىٰ بَدَنَهُ وَيُوصِيهِ﴾ أي: هذه السهام إنما تقسم بعد الوصية والذين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، عن عاصم «يوصي بها» بفتح الصاد في الحرفين. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «يوصي» فيهما بالكسر، وقرأ حفص، عن عاصم الأولى بالكسر، والثانية بالفتح. وأعلم أن الذين مؤخر في اللفظ، مقدم في المعنى، لأن الدين حق عليه، والوصية حق له، وهما جميعاً مقدمان على حق الورثة إذا كانت الوصية في ثلث المال، و«أو» لا توجب الترتيب، إنما تدل على أن أحدهما إن كان، فالميراث بعده، وكذلك إن كانا<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: برفع الهمزة.

(٢) قال الشوكاني في «فتح القدير» ٣٩٨/١: وقد أجمع أهل العلم على أن الاثنين من الأخوة يقومون مقام الثلاثة فصاعداً في حجب الأم إلى السدس، إلا ما يروى عن ابن عباس أنه جعل الاثنين كالواحد في عدم الحجب.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٢٧/٦ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن شابة عن ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس. قال ابن كثير ١/ ٤٥٩: وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس، ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس، لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمقول عنهم خلافه. وقد روى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه أنه قال: «الأخوان تسمى إخوة» وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة. وفي «التقريب»: شعبة بن دينار الهاشمي مولى ابن عباس المدني: صدوق سحر الحفظ.

(٤) في «مجاز القرآن» ١/ ١١٨: «فإن كان له إخوة» أي: أخوان فصاعداً، لأن العرب تجعل لفظ الجمع على معنى الاثنين، قال الراعي:

أَخْلِيْتُ إِنْ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ      هُمَانٍ بَانَا جَنْبَةً وَدُخِيلَا

طَرَقاً فَتِلْكَ هَامَمِي أَقْرَبِيهَا...

فجعل الاثنين في لفظ الجمع، وجعل الجمع في لفظ الاثنين. وقال المرتضى في «أماليه» ١٥٥/٢: فغير بالهمام، وهي جمع عن الهمين، وهما اثنان. وخليفة: ابنة الشاعر، والمعنى أن أحد الهمين بات جنبه، والآخر داخل جوفه.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن الجارود والدارقطني والبيهقي في =



الكلالة: من لا ولد له، رواه ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، وهو قول طاووس. والثالث: أن الكلالة: ما عدا الوالد، قاله الحكم<sup>(١)</sup>. والرابع: أن الكلالة: بنو العم الأباعد، ذكره ابن فارس، عن ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>. واختلفوا على ما يقع اسم الكلالة على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم للحي الوارث، وهذا مذهب أبي بكر الصديق. وعامة العلماء الذين قالوا: إن الكلالة من دون الوالد والولد، فإنهم قالوا: الكلالة: اسم للورثة إذا لم يكن فيهم ولد ولا والد، قال بعض الأعراب: مالي كثير، ويرثني كلاله متراخ نسبه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه اسم للميت، قاله ابن عباس، والسدي، وأبو عبيدة في جماعة. قال القاضي أبو يعلى: الكلالة: اسم للميت، ولحاله، وصفته، ولذلك انتصب. والثالث: أنه اسم للميت والحي، قاله ابن زيد. وفيما أخذت منه الكلالة قولان: أحدهما: أنه اسم مأخوذ من الإحاطة، ومنه الإكليل، لإحاطته بالرأس. والثاني: أنه مأخوذ من الكلال، وهو التعب، كأنه يصل إلى الميراث من بُعد وإعياء. قال الأعشى:

فَأَكَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ  
وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدًا<sup>(٤)</sup>

قوله: ﴿لَوْ أَنَّكَ أَوْ أَهْتُ﴾ يعني: من الأم بإجماعهم.

قوله تعالى: ﴿هَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ قال قتادة: ذكرهم وأنثاهم فيه سواء.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُضْكَأٍ﴾ قال الزجاج: «غير» منصوب على الحال، والمعنى: يوصي بها غير مضار، يعني: للورثة.

﴿ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد ما حدَّ الله من فرائضه في الميراث ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في شأن الموارث ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ قرأ ابن عامر، ونافع: «ندخله» بالنون في الحرفين جميعاً، والباقون بالياء فيهما.

﴿وَمَنْ يَقِمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَمَدَّدْ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقِمْ اللَّهَ﴾ فلم يرض بقسمه ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا﴾ فإن قيل: كيف قطع للعاصي بالخلود؟ فالجواب: أنه إذا رد حكم الله، وكفر به، كان كافراً مخلصاً في النار.

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفِتْنَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَاسْتَبْشِرُوا بِهَا إِنَّكُمْ رَوْسٌ يُدْخِلُكُمْ فِي الْأَبْطُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُمْ أَلْمُوتُ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ سَبِيلًا﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفِتْنَةُ﴾ قال الزجاج: «التي» تجمع اللاتي واللواتي. قال الشاعر:

من اللواتي والاتي واللاتي  
زعمن أنني كبريت ليداتي<sup>(٨)</sup>

وتجمع اللاتي بإثبات التاء وحذفها. قال الشاعر:

(١) ذكره ابن جرير ٥٨/٨ عنه.

(٢) ذكره في معجم مقاييس اللغة ١٢١/٥.

(٣) قوله: متراخ: أي بعيد نسبهم، من قولهم: تراخى فلان عني، أي: بعد عني. والخبر في الطبري ٦١/٨ عن العلاء بن زياد، قال: جاء شيخ إلى عمر عليه السلام، فقال: إني شيخ وليس لي وارث إلا كلاله أعراب متراخ نسبهم.

(٤) «ديوانه» ص ١٣٥ والبيت من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ مطلعها:

ألم تستمض عيناك ليلة أرمدا  
وعذاك ما عاد السليم المسهدا

ولهذه القصيدة قصة مشهورة مودعها أن الأعشى خرج إلى النبي ﷺ يريد الإسلام، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها، وكان ذلك في المدة التي بين صلح الحديبية وفتح مكة، فلما بلغ مكة، وعرفت قريش ما قصد له، لم يزالوا يفيضون إليه الإسلام، ويحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه، ويغرونه بالمال حتى صدوه عن وجهه بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، فقفّل الأعشى راجعاً إلى البصرة، ثم لم يلبث أن مات من عامه. «الأغاني» ١٢٥/٩.

(٥) قال البغدادي في «خزانة الأدب» ٥٦٠/٢: لا أعرف ما قبله ولا فائله مع كثرة وجوده في كتب النحو، قلت: وهو في «الصحاح» و«اللسان» و«التاج» والقرطبي ٨٣/٥ وقوله: لداتي جمع: لدة، ولدة الرجل: تربه الذي ولد معه قريباً.



من اللاتي لم يحججن يبغيين حِسبة  
والفاحشة: الزنى في قول الجماعة. وفي قوله: ﴿فَأَسْتَشِيرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قولان. أحدهما: أنه خطاب للأزواج.  
والثاني: خطاب للحكام، فالمعنى: اسمعوا شهادة أربعة منكم، ذكرهما الماوردي. قال عمر بن الخطاب: إنما  
جعل الله ﷻ الشهود أربعة سترًا ستركم به دون فواحشكم. ومعنى «منكم»: من المسلمين.  
قوله تعالى: ﴿فَأَنبِئْهُمْ فِي أَلْبُسَاتٍ﴾ قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت، حبست في البيت حتى تموت،  
فجعل الله لهن سبيلًا، وهو الجلد، أو الرجم<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَّاهُمْ مِنْكُمْ فَكَادُوهُمُ قَاتِلًا تَابًا وَأَصْلَحُوا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ قرأ ابن كثير: «واللذان» بتشديد النون، و«هذان» في (طه) و(الحج) و«هاتين» في  
(القصاص): «إحدى ابنتي هاتين» و«فذانك» كله بتشديد النون. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي،  
بتخفيف ذلك كله، وشدد أبو عمرو «فذانك» وحدهما. وقوله: واللذان: يعني: الزانين. وهل هو عام، أم لا، فيه  
قولان: أحدهما: أنه عام في الأيكار والثيب من الرجال والنساء، قاله الحسن، وعطاء. والثاني: أنه خاص في البكرين  
إذا زنيا، قاله أبو صالح، والسدي، وابن زيد، وسفيان. قال القاضي أبو يعلى: والأول أصح، لأن هذا تخصيص بغير  
دلالة.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَنَّاهُمْ﴾ يعني الفاحشة. قوله: ﴿فَكَادُوهُمُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الأذى بالكلام، والتعير، رواه  
أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه التعير، والضرب بالنعال، رواه  
ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. ﴿قَاتِلًا تَابًا﴾ من الفاحشة «وَأَصْلَحُوا» العمل «فَأَعْرِضُوا» عن أذاهما. وهذا كله كان  
قبل الحد.

### فصل

كان حد الزانين، فيما تقدم، الأذى لهما، والحبس للمرأة خاصة، فنسخ الحكمان جميعاً، واختلفوا بماذا وقع  
نسخهما، فقال قوم: بحديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن  
سبيلًا، الثيب بالثيب جلد مائة، ورجم بالحجارة، والبكر بالبكر جلد مائة، ونفي سنة<sup>(٢)</sup>» وهذا على قول من يرى نسخ  
القرآن بالسنة. وقال قوم: نسخ بقوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) قالوا: وكان قوله: ﴿وَالَّذِينَ  
يَأْتِيَنَّاهُمْ﴾ للبكرين، فنسخ حكمهما بالجلد، ونسخ حكم الثيب من النساء بالرجم<sup>(٣)</sup>. وقال قوم: يحتمل أن يكون النسخ  
وقع بقرآن، ثم رفع رسمه، وبقي حكمه، لأن في حديث عبادة «قد جعل الله لهن سبيلًا» والظاهر: أنه جعل بوحى لم  
تستقر تلاوته. قال القاضي أبو يعلى: وهذا وجه صحيح، يخرج على قول من لم ينسخ القرآن بالسنة. قال: ويمتنع أن  
يقع النسخ بحديث عبادة، لأنه من أخبار الآحاد، والنسخ لا يجوز بذلك.

(١) البيت في «مجاز القرآن» ١/١٢٥ منسوب إلى عمر بن أبي ربيعة، وليس في «ديوانه».

(٢) أخرجه ابن جرير ٨/٧٤، وابن المنذر، والنحاس في «تأنيده»: ٩٨، والبيهقي في «مسننه» من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس. وعلي بن طلحة  
- كما في «التهذيب» - روى عن ابن عباس، ولم يسمع منه، ورواه أبو داود ٤/٢٠٢ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي شذذه علي بن واقد، قال  
المنذري: وفيه مقال.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٥/٣١٨، والشافعي في «الرسالة» ١٢٩، ٢٤٧، ومسلم في «صحيحه» ٣/١٣١٦، وأبو داود ٤/٢٠٢ عن عبادة بن  
الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ «خلوا عني، خلوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا». البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة  
والرجم: هذا لفظ مسلم.

(٤) قال الإمام الخطابي في «معالم السنن» ٦/٢٤١: واختلف العلماء في تنزيل هذا الكلام - يريد الحديث السابق - ووجه ترتبه على الآية، وهل هو ناسخ  
للآية أم مبین لها؟ فذهب بعضهم إلى النسخ، وهذا على قول من يرى نسخ الكتاب بالسنة، وقال آخرون: بل هو مبین للحكم الموعود بيانه في الآية،  
فكانه قال: عقوبتهن الحبس إلى أن يجعل الله لهن سبيلًا، فوق الأمر بحبسهن إلى غاية، فلما انتهت مدة الحبس، وحان وقت محي السبيل، قال  
رسول الله ﷺ «خلوا عني تفسير السبيل وبيانه»، ولم يكن ذلك ابتداء حكم منه، وإنما هو بيان أمر كان ذكر السبيل منطوقاً عليه، فأبان المبهم منه،  
وفصل المجهول من لفظه، فكان نسخ الكتاب بالكتاب لا بالسنة، وهذا أصوب القولين. والله أعلم.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَقُولُونَ إِنَّهُ بَشَرٌ خَلَقْنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال الحسن: «إنما التوبة التي يقبلها الله». فأما حكمها (٢) »

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال الحسن: «إنما التوبة التي يقبلها الله». فأما «السوء»، فهو المعاصي، سمي سوءاً لسوء عاقبته.

قوله تعالى: ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ قال مجاهد: كل عاصٍ فهو جاهل حين معصيته (١). وقال الحسن، وعطاء، وقتادة، والسدي في آخرين: إنما سُموا جهالاً لمعاصيهم، لا أنهم غير مُميزين. وقال الزجاج: ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء، لأن المسلم لو أتى ما يجهله، كان كمن لم يوقع سوءاً، وإنما يحتمل أمرين: أحدهما: أنهم عملوه، وهم يجهلون المكروه فيه. والثاني: أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة، وآثروا العاجل على الآجل، فسموا جهالاً، لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة، والعاقبة الدائمة. وفي «القريب» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوبة في الصحة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: أنه التوبة قبل معاينة ملك الموت. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال أبو مجلز. والثالث: أنه التوبة قبل الموت، وبه قال ابن زيد في آخرين (٢).

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ الْأَنْثَىٰ وَلََّا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَعَمَلِ الْأَنْثَىٰ﴾ (٣) قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ في السيئات ثلاثة أقوال: أحدها: الشرك، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنها النفاق، قاله أبو العالية، وسعيد بن جبيرة. والثالث: أنها سيئات المسلمين، قاله سفيان الثوري، واحتج بقوله: ﴿وَلَا الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَعَمَلِ﴾.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ في الحضور قولان: أحدهما: أنه السوق (٣)، قاله ابن عمر. والثاني: أنه معاينة الملائكة لقبض الروح، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: أنزل الله تعالى بعد هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية [النساء: ١١٦]. فحرم المغفرة على من مات مشركاً، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته [فلم يؤسهم من المغفرة] (٤). فعلى هذا تكون منسوخة في حق المؤمنين.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرَّمًا وَلَا تَتَّبِعُوا لِمَنْ يُفَوِّسُ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِغَيْرِ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ وَتَعْلَمُوا أَن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكُونُوا سَيِّئًا وَيَعْمَلَ اللَّهُ فِيهِ شَيْئًا كَثِيرًا﴾ (٥) قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرَّمًا﴾ سبب نزولها: أن الرجل كان إذا مات، كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاؤوا زوجها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فنزلت هذه الآية. قاله ابن عباس (٥). وقال في رواية أخرى: كانوا في أول الإسلام إذا مات الرجل، قام أقرب الناس منه، فيُلقي على امرأته ثوباً، فيرث نكاحها. وقال مجاهد: كان إذا توفي الرجل، فابنه الأكبر أحق بامرأته، فينكحها إن شاء، أو يُنكحها من شاء. وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده، وكان ذلك لهم في الجاهلية، فنزلت

(١) في «الطبري» ٨٩/٨ من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصى به، فهو جهالة عمدًا كان أو غيره. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير ٨٩/٨ وابن المنذر عن أبي العالية، أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة. وسنده صحيح.

(٢) روى الإمام أحمد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغها» ورواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب، ورواه الحاكم ٢٥٧/٤، وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الإمام أحمد والحاكم مطولاً من حديث عبد الرحمن البليمان، قال الهيثمي في «المجمع» ١٩٧/١٠: ورجال رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة.

(٣) يقال: حضرت فلاناً في السوق، وفي سياق الموت، أي: في التزج عند إقبال الموت.

(٤) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠١/٨ والزبادة منه، وأبو داود في «ناسخه»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) الأثر رواه البخاري في «صحيحه» ١٨٤/٨، ١٨٦ ولفظه: «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجوها، وإن شاؤوا زوجها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك» ورواه ابن جرير ١٠٤/٨، وأبو داود في «سننه» ٣١٠/٢.

هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: واسم هذه المرأة: كيشة بنت معن بن عاصم، وكان هذا في العرب. وقال أبو مجلز: كانت الأنصار تفعله. وقال ابن زيد: كان هذا في أهل المدينة. وقال السدي: إنما كان ذلك للأولياء ما لم تسبق المرأة، فتذهب إلى أهلها، فإن ذهبت، فهي أحق بنفسها. وفي معنى قوله: ﴿أَنْ تَرْتُوَا أَلْسَاءَ كَرِهًا﴾ قولان: أحدهما: أن تترثوا نكاح النساء، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن تترثوا أموالهن كرهاً. روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: كان يُلقب حميم<sup>(٢)</sup> الميت على الجارية ثوباً، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميعة حبسها حتى تموت، فيرثها<sup>(٣)</sup>. واختلف القراء في فتح كاف «الكره» وضمها في أربعة مواضع: هاهنا، وفي (التوبة) وفي (الأحقاف) في موضعين، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بفتح الكاف فيهن، وضمنهن حمزة. وقرأ عاصم، وابن عامر بالفتح في (النساء) و(التوبة)، وبالضم في (الأحقاف). وهما لغتان، قد ذكرناهما في (البقرة). وفيمن خوطب بقوله: ﴿وَلَا تَمْلِكُنَّ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه خطاب للأزواج، ثم في العضل الذي نهى عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان يكره صحبة امرأته، ولها عليه مهر، فيحبسها، ويضربها لتفتدي، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن الرجل كان ينكح المرأة الشريفة، فلعلها لا توافق، فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه، ويشهد على ذلك، فإذا خطبت، فأرضته، أذن لها، وإلا عضلها، قاله ابن زيد. والثالث: أنهم كانوا بعد الطلاق يعضلون، كما كانت الجاهلية تفعل، فنهوا عن ذلك، روي عن ابن زيد أيضاً. وقد ذكرنا في (البقرة) أن الرجل كان يطلق المرأة، ثم يراجعها، ثم يطلقها كذلك أبداً إلى غير غاية يقصد إضرارها، حتى نزلت ﴿أَطْلِقْنَ مَرْثَاتًا﴾ [البقرة: ٢٢٩]. والقول الثاني: أنه خطاب للأولياء، ثم في ما نهوا عنه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرجل كان في الجاهلية إذا كانت له قرابة قريبة، ألقى عليها ثوبه، فلم تتزوج أبداً غيره إلا بإذنه، قاله ابن عباس. والثاني: أن اليتيمة كانت تكون عند الرجل، فيحبسها حتى تموت، أو تتزوج بابه، قاله مجاهد. والثالث: أن الأولياء كانوا يمنعون النساء من التزويج، ليرثوهن، روي عن مجاهد أيضاً. والقول الثالث: أنه خطاب لورثة أزواج النساء الذين قيل لهم: لا يحل لكم أن تترثوا النساء كرهاً. كان الرجل يرث امرأة قريبة، فيعضلها حتى تموت، أو تردّ عليه صداقها. هذا قول ابن عباس في آخرين<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا يكون الكلام متصلاً بالأول، وعلى الأقوال التي قبله يكون ذكر العضل منفصلاً عن قوله: ﴿أَنْ تَرْتُوَا أَلْسَاءَ﴾. وفي الفاحشة قولان: أحدهما: أنها النشوز على الزوج، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة في جماعة. والثاني: الزنى، قاله الحسن، وعطاء، وعكرمة في جماعة. وقد روى معمر، عن عطاء الخراساني، قال: كانت المرأة إذا أصابت فاحشة، أخذ زوجها ما ساق إليها، وأخرجها، فنسخ ذلك بالحد. قال ابن جرير: وهذا القول ليس بصحيح، لأن الحد حق الله، والافتداء حق للزوج، وليس أحدهما مبطلاً للآخر، والصحيح: أنها إذا أنت بأي فاحشة كانت، من زنى الفرج، أو بذاة اللسان، جاز له أن يعضلها، ويضيق عليها حتى تفتدي<sup>(٥)</sup>. فأما قوله: ﴿مُبَيَّنَةً﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو بكر، عن عاصم: «مُبيَّنة»، وآيات مبينات بفتح الياء فيهما جميعاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص، عن عاصم: بكسر الياء فيهما، وقرأ نافع، وأبو عمرو «مبيَّنة» كسراً وآيات مبينات فتحاً. وقد سبق ذكر «العشرة».

(١) أخرجه ابن جرير ١٥٥/٨ وابن مردويه، ورجال إسناده ثقات. (٢) الحميم: القريب الذي توده ويودك، وتهمن لأمره.

(٣) في الأصل «دميمة» وما أثبتناه هو الصواب، والخبر رواه ابن جرير ١٠٩/٨.

(٤) اختار الإمام أبو جعفر الطبري في «تفسيره» ١١٣/٨ القول الأول فقال بعد أن ذكر أقوال السلف في الآية: وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله: ﴿وَلَا تَمْلِكُنَّ لِزَهْرٍ امْرَأَتِهِ إِذَا أَنْتَ بِهَا نَكَاحٌ﴾ قول من قال: نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التضيق عليها، والإضرار بها، وهو لصحتها كاره ولفرأقها محب، لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق. وإنما قلنا: ذلك أولى بالصحة، لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأة إلا لأحد رجلين: إما لزوجها بالتضيق عليها، وحبسها على نفسه وهو لها كاره، مضارة منه لها بذلك، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك، أو لوليها الذي إليه إنكاحها، وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحد غيرهما، وكان الولي معلوماً أن ليس مما آتاها شيئاً، فيقال: إن عضلها عن النكاح: «عضلها» ليذهب ببعض ما آتاها كان معلوماً أن الذي عنى الله تبارك وتعالى بنهي عن عضلها، هو زوجها الذي له السبيل إلى عضلها ضرراً لتفتدي منه.

(٥) قال أبو جعفر: فمعنى الآية: ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم، فتضيقوا عليهن، وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن من صدقاتكم، إلا أن يأتين بفاحشة - من زنى، أو بذاة عليكم، وخلافوا لكم فيما يجب عليهن لكم - مبيَّنة ظاهرة، فيحل لكم حبسهن عضلهن والتضيق عليهن، لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن من صدق إن هن أفدين منكم به.

قوله تعالى: ﴿فَسَمَّيْنَا أَنْ تَكُونُوا شَيْئًا﴾ قال ابن عباس: ربما رزق الله منهما ولدًا، فجعل الله في ولدهما خيراً كثيراً. وقد نذبت الآية إلى إمساك المرأة مع الكراهة لها، ونُبِّهت على معنيين: أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكروه عاد محموداً، ومحمود عاد مذموماً. والثاني: أن الإنسان لا يكاد يجد محبوباً ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يُحِبُّ<sup>(١)</sup>. وأنشدوا في هذا المعنى:

وَمَنْ لَمْ يُعْظَمْ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ      وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عَاتِبُ  
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِداً كُلَّ عَشْرَةٍ      يجدها ولا يسلم له الذُّهْرَ صَاحِبُ

﴿وَلَوْلَا أَرَدْتُمْ أَسِنَّدَالَ رَازِحِ نَحْكَاتِكُمْ لَمَذْهَبْتُمْ لِمَذْهَبِهِمْ وَقَضَّارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِكُمْ وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَرَدْتُمْ أَسِنَّدَالَ رَازِحِ﴾ هذا الخطاب للرجال. والزوج: المرأة. وقد سبق ذكر «الفتنار» في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ إنما ذلك في حق من وطنها، أو خلا بها، وقد بيّنت ذلك الآية التي بعدها. قال القاضي أبو يعلى: وإنما خصّ النهي عن أخذ شيء مما أعطى بحال الاستبدال، وإن كان المنع عاماً، لثلا يظن ظان أنه لما عاد البضع إلى ملكها، وجب أن يسقط حقها من المهر، أو يظن ظان أن الثانية<sup>(٢)</sup> أولى بالمهر منها، لقيامها مقامها. وفي البهتان قولان: أحدهما: أنه الظلم، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: الباطل، قاله الزجاج. ومعنى الكلام: أناخذونه مباهتين آمين.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: كيف تستجيزون أخذه. وفي «الإفضاء» قولان: أحدهما: أنه الجماع، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: الخلوة بها، وإن لم يغشها، قاله الفراء. وفي المراد بالميثاق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدهما: أنه الذي أخذه الله للنساء على الرجال؛ الإمساك بمعروف، أو التسريح بإحسان. هذا قول ابن عباس، والحسن، وابن سيرين، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه عقد النكاح، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه أمانة الله، قاله الربيع.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بِرَبِّ الْإِنْسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ بِرَبِّ الْإِنْسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>: وقال بعض الأنصار: توفي أبو قيس بن الأسلت، فخطب ابنه قيس امرأته، فأتى النبي ﷺ تستأذنه، وقالت: إنما كنت أعده ولداً، فنزلت هذه الآية. قال أبو عمر غلام ثعلب: الذي حصلناه عن ثعلب، عن الكوفيين، والمبرد عن البصريين، أن «النكاح» في أصل اللغة: اسم للجمع بين الشئين. وقد سُموا الوطء نفسه نكاحاً من غير عقد. قال الأعشى:

وَمِنْكُمْ وَحْدَةٌ غَيْرَ مَمْهُورَةٍ<sup>(٤)</sup>

يعني المسبية الموطوءة بغير مهر ولا عقد. قال القاضي أبو يعلى: قد يطلق النكاح على العقد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَنْكَحُهُنَّ الْمُؤْنِسَاتِ يُرْنَ طَلَقْتُهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩] وهو حقيقة في الوطء، مجاز في العقد، لأنه اسم للجمع، والجمع إنما يكون بالوطء، فسمي العقد نكاحاً، لأنه سبب إليه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها بمعنى: بعد ما قد سلف، فإن الله يغفره، قاله الضحاك، والمفضل. وقال الأخفش: المعنى: لا تنكحوا ما نكح آبائكم، فإنكم تعدّون به، إلا ما قد سلف، فقد وضعه الله عنكم. والثاني: أنها بمعنى: سوى ما قد سلف، قاله الفراء. والثالث: أنها بمعنى: لكن ما قد سلف فدعوه،

(١) في «صحيح مسلم» ١٠٩/٢ عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يفرق مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» أو قال: «غيره» والفرك: البغض.

(٢) في النسخة الأحمدية: «الباتنة» وهو خطأ. (٣) أخرجه ابن جرير ١٣٣/٨ وسنده حسن.

(٤) «ديوانه» ص ٧٥ وعجزه: وأخرى يقال له: فادها. يقول: كم في بيته من سيئة قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً، وأخرى يطلب أهلها أن يفتدوها بالمال.





قوله تعالى: ﴿رَبِّكُمْ﴾ الربية: بنت امرأة الزوج من غيره. ومعنى الربية: مربوبة، لأن الرجل يربّيها، وخرج الكلام على الأعم من كون التربية في حجر الرجل، لا على الشرط<sup>(١)</sup>. قوله: ﴿وَلَحَلَّ لِبَنَاتِكُمْ﴾ قال الزجاج: الحلائل: الأزواج. وحليلة: بمعنى مُحَلَّة، وهي مشتقة من الحلال. وقال غيره: سُميت بذلك، لأنها تحل معه أينما كان. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: الحليل: الزوج، والحليلة: المرأة، وسُمّيَا بذلك، إما لأنهما يحلان في موضع واحد، أو لأن كل واحد منهما يحال صاحبه، أي: ينزله، أو لأن كل واحد منهما يحل<sup>(٢)</sup> إزار صاحبه. قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ أُمَّلِكُمْ﴾ قال عطاء: إنما ذكر الأصلاب، لأجل الأدعياء. والكلام في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَكَلْتُ﴾ على نحو ما تقدم في الآية التي قبلها. وقد زادوا في هذا قولين آخرين: أحدهما: إلا ما قد سلف من أمر يعقوب عليه السلام، لأنه جمع بين أم يوسف وأختها، وهذا مروي عن عطاء، والسدي، وفيه ضعف لوجهين: أحدهما: أن هذا التحريم يتعلق بشريعتنا، وليس كل الشرائع تتفق، ولا وجه للعفو عنا فيما فعله غيرنا. والثاني: أنه لو طولب قائل هذا بتصحيح نقله، لَعُسِرَ عليه. والقول الثاني: أن تكون فائدة هذا الاستثناء أن العقود المتقدمة على الأختين لا تنفسخ، ويكون للإنسان أن يختار إحداهما، ومنه حديث فيروز الديلمي قال: أسلمت وعندي أختان، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «طلق إحداهما» ذكره القاضي أبو يعلى<sup>(٣)</sup>.

﴿وَالنُّعْمَتُ مِنَ الْإِنْسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ فَحُصِينٌ غَيْرَ مُسْفِيحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآؤُهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا زَوَّجْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنُّعْمَتُ مِنَ الْإِنْسَاءِ﴾ أما سبب نزولها، فروى أبو سعيد الخدري قال: أصبنا سبایا يوم أوطاس لهن أزواج، فكرهنا أن نفع عليهن، فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية، فاستحللناهن<sup>(٤)</sup>. وأما خلاف الفقهاء، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة بفتح الصاد في كل القرآن، وفتح الكسائي الصاد في هذه وحدها، وقرأ سائر القرآن بالكسر، والمحصنات: ومحصنات. قال ابن قتيبة: والإحصان: أن يحمي الشيء، ويمنع منه، فالمحصنات [من النساء]: ذوات الأزواج، لأن الأزواج أحصنوهن، ومنعوا منهن. [قال الله تعالى: ﴿وَالنُّعْمَتُ مِنَ الْإِنْسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾] والمحصنات: الحرائر وإن لم يكن متزوجات، لأن الحرة تُحْصَن وتُحْصِن، وليست كالامة، [قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ النَّحْصَتِ الْمُؤْمِنَتِ﴾] [النساء: ٢٥] قال: ﴿فَلْيَتَزَوَّجْ مَا عَلَى النَّحْصَتِ مِنَ الْعَدَابِ﴾ [النساء: ٢٥] يعني: الحرائر والمحصنات: العفاف [قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ النَّحْصَتِ﴾] [النور: ٤] يعني العفاف. وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَزْنِ يَزْنِ أَلْفَ أَصْحَابَتِ فَرَجَهَا﴾ [التحریم: ١٧] أي: عفت<sup>(٥)</sup>. وفي المراد بالمحصنات هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: ذوات الأزواج، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وابن جبير، والنخعي، وابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: العفاف: فإنهن حرام على الرجال إلا بعقد نكاح، أو ملك يمين. هذا قول عمر بن الخطاب، وأبي العالية، وعطاء، وعبيدة، والسدي.

(١) قال الإمام الطحاوي: وإضافتهن إلى الحجور إنما ذلك على الأغلب مما يكون عليه الرقاب، لا أنهن لا يحرمن إذ لم يكن كذلك.

(٢) في نسخة الأحمديّة «محل» وكذلك جاءت في «اللسان».

(٣) روى الإمام أحمد ٢٣٢/٤ وأبو داود ١٥٨/٣ والترمذي ٤٣٦/٣ وابن ماجه ٦٢٧/١ عن الضحاک بن فیرز عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، إنني أسلمت وتحتي أختان! قال: «طلق أيتهما شئت» ولفظ الترمذي: «اختر أيتهما شئت» وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» ٢٠٥/٣: وفي سنده مقال، فإنه من رواية ابن لهيعة عن أبي وهب. وقال ابن القيم في «تهذيب السنن» ١٥٨/٣: هذا الحديث يرويه أبو وهب الجشاني عن الضحاک بن فیرز عن أبيه، قال البخاري: في إسناد هذا الحديث نظر، وجه قوله: إن أبا وهب والضحاک مجهول حالهما، وفي يحيى بن أيوب: ضعيف. وقال الشوكاني: حديث الضحاک أخرجه أيضاً الشافعي، وصححه ابن حبان، والدارقطني، والبيهقي، وحسنه الترمذي، وأعله البخاري والعليلي.

وفيروز الديلمي راوي هذا الحديث، كان من جملة الأمراء باليمن الذين ولوا قتل الأسود الغنسي لعنه الله.

(٤) المسند ٧١/٣، ومسلم ١٠٧٩/٢، والترمذي ٨٦/٤، وأبو داود ٣٣٢/٢، والنسائي ١١٠/٦، والبيهقي ١٦٧/٧.

(٥) مشكل القرآن ٣٩١، وما بين معقنين منه.

والثالث: الحرائر، فالمعنى: أنهن حرام بعد الأربع اللواتي دُكرْنَ في أول السورة، روي عن ابن عباس، وعبيدة. فعلى القول الأول في معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: إلا ما ملكت أيمانكم من السبايا في الحروب، وعلى هذا تأوَّل الآية علي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عباس، وكان هؤلاء لا يرون بيع الأمة طلاقاً. والثاني: إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء ذوات الأزواج، بسبي أو غير سبي، وعلى هذا تأوَّل الآية ابن مسعود، وأبي بن كعب، وجابر، وأنس، وكان هؤلاء يرون بيع الأمة طلاقاً. وقد ذكر ابن جرير، عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن أنهم قالوا: بيع الأمة طلاقها، والأول أصح، لأن النبي ﷺ خيَّر بريرة إذ أعتقها عائشة، بين المقام مع زوجها الذي زوّجها منه سادتها في حال رقها، وبين فراقه، ولم يجعل النبي ﷺ عتق عائشة إياها طلاقاً، ولو كان طلاقاً لم يكن لتخييره إياها معنى. ويدل على صحة القول الأول ما ذكرناه من سبب نزول الآية<sup>(١)</sup>. وعلى القول الثاني: العفاف حرام إلا بملك، والملك يكون عقدًا، ويكون ملك يمين. وعلى القول الثالث: الحرائر حرام بعد الأربع إلا ما ملكت أيمانكم من الإماء، فإنهن لم يُحصَرْنَ بعد.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التوكيد، محمول على المعنى، لأن معنى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾: كتب الله عليكم هذا كتاباً، قال: ويجوز أن ينتصب على جهة الأمر، ويكون «عليكم» مفسراً له، فيكون المعنى: الزموا كتاب الله. قال: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ ذَلِكَ﴾ أي: ما بعد هذه الأشياء، إلا أن السنة قد حرمت تزويج المرأة على عمتها، وتزويجها على خالتها<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن السميع، وأبو عمران: «كتب الله عليكم» بفتح الكاف، والتاء، والباء، من غير ألف، ورفع الهاء. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: وأحل بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الألف.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: وعامة العلماء ذهبوا إلى أن قوله: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ ذَلِكَ﴾ تحليل ورد بلفظ العموم، وأنه عموم دخله التخصيص، والمخصص له نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها، أو على خالتها. وليس هذا على سبيل النسخ. وذهب طائفة إلى أن التحليل المذكور في الآية منسوخ بهذا الحديث<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ أي: تطلبوا إمّا بصدّق في نكاح، أو ثمن في ملك ﴿تُحْبِصِينَ﴾ قال ابن قتيبة: متزوِّجين، وقال الزجاج: عاقدين التزويج، وقال غيرهما: متعقّقين غير زانين. والسفاح: الزنى، قال ابن قتيبة: أصله من سفحت القرية: إذا صبيتها، فسُمّي الزنى سفاحاً، لأنه [يسافح] يصب النطفة، وتصب المرأة النطفة. وقال ابن فارس: السفاح: صب الماء بلا عقد، ولا نكاح، فهو كالشيء يسفح ضياعاً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الاستمتاع في النكاح بالمهور، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أنه الاستمتاع إلى أجل مُسمّى من غير عقد نكاح. وقد روي عن

(١) قال ابن كثير: ٤٧٤/١: وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقاً من زوجها، أخذاً بعموم هذه الآية، وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً، فقرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها، لأن المشتري نائب عن البائع، والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة، وباعها مسلوقة عنها، واعتمدوا في ذلك على حديث بريرة المخرج في «الصحيحين» وغيرهما، فإن عائشة أم المؤمنين اشترتها وأعتقها، ولم ينسخ نكاحها من زوجها مغني، بل خيرها رسول الله ﷺ بين الفسخ والبقاء، فاختارت الفسخ، وقصتها مشهورة، فلو كان بيع الأمة طلاقاً كما قال هؤلاء، ما خيرها النبي ﷺ، فلما خيرها دل على بقاء النكاح، وأن المراد من الآية الميسيات فقط، والله أعلم.

(٢) حديث انتهى رسول الله ﷺ أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها، رواه البخاري ١٠٧/٢٠، بشرح العيني، ومسلم ١٠٢٩/٢ وغيرهما عن أبي هريرة.

(٣) والأول هو الصواب، لأن قوله تعالى: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَدَّاءُ ذَلِكَ﴾ عام مخصوص بمحرّمات دلت عليها دلائل أخر، فمن ذلك ما صح عن النبي ﷺ من النهي عن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها. وقد حكى الترمذي المنع من ذلك عن كافة أهل العلم، وقال: لا نعلم بينهم اختلافاً في ذلك، ومن ذلك نكاح المعتدة، ومن ذلك أن من كان في نكاحه حرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك النكاح على الحرة لا يجوز له نكاح الأمة، ومن ذلك من عنده أربع زوجات لا يجوز له نكاح الخامسة، ومن ذلك الملاعة فإنها محرمة على الملاعن أبداً. فالآية مما نزل عاماً، ودلت السنة ومواضع من التزليل على أنها مخصصة بغيرها.

ابن عباس: أنه كان يفتي بجواز المتعة، ثم رجع عن ذلك وقد تكلف قوم من مفسري القرآن، فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت بما روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن متعة النساء، وهذا تكلف لا يحتاج إليه، لأن النبي ﷺ أجاز المتعة، ثم منع منها، فكان قوله منسوخاً بقوله<sup>(١)</sup>. وأما الآية، فإنها لم تتضمن جواز المتعة. لأنه تعالى قال فيها: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ عَمَّ مُسْتَفِينٍ﴾ فدل ذلك على النكاح الصحيح. قال الزجاج: ومعنى قوله: ﴿كَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ فما نكحتموهن على الشريطة التي جرت، وهو قوله: ﴿مُحْصِينَ عَمَّ مُسْتَفِينٍ﴾ أي: عاقدين التزويج ﴿فَقَاوُهنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: مهورهن. ومن ذهب في الآية إلى غير هذا، فقد أخطأ، وجعل اللغة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَزَقْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيقَةِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن معناه: لا جناح عليكم فيما تركته المرأة من صداقها، ووهبه لزوجها، هذا مروى عن ابن عباس، وابن زيد. والثاني: ولا جناح عليكم فيما تراضيت به من مقام، أو فرقة بعد أداء الفريضة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ولا جناح عليكم أيها الأزواج إذا أعسرتم بعد الفرض لنسائكم فيما تراضيت به من أن ينقصكم، أو يبرئكم، قاله أبو سليمان التيمي. والرابع: لا جناح عليكم إذا انقضى أجل المتعة أن يزدنكم في الأجل، وتزيدونهن في الأجر من غير استبراء، قاله السدي، وهو يعود على قصة المتعة. والخامس: لا جناح عليكم أن تهب المرأة للرجل مهرها، أو يهب هو للتي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه. قاله الزجاج. والسادس: أنه عام في الزيادة، والنقصان، والتأخير، والإبراء، قاله القاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْصَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَنْ فَتَنَتْكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِأَرْبَابِهِنَّ وَأَنْفُسِهِنَّ وَأَمْوَالِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَوِّغَاتٍ وَلَا مُتَخَدَّاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ كَانَ أَتْرَبَ بِحَسْرَتٍ فَلْيَتَّخِذْ نَفْسُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْمَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ «الطول» الغنى والسعة في قول الجماعة. و«المحصنات»: الحرائر. قال-

(١) عامة فقهاء الأمصار، وجماهير السلف والخلف على تحريم المتعة، وأنها منسوخة بعد الترخيص بها، وقد ثبت النسخ من حديث جماعة من الصحابة ورضوان الله عليهم، فقد أخرج مسلم ١٠٢٥/٢ من حديث سيرة الجهنبي أنه كان مع رسول الله ﷺ، فبأيهما الناس إني قد كنت أفتت في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة وفي لفظ له قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها.

وفي البخاري ١١١/٢٠ بشرح العيني، ومسلم ١٠٢٧/٢ والترمذي ١٣٣/١، وابن ماجه ٦٣٠/١ عن علي بن أبي حمزة أن النبي ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الأهلية. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وإنما روي عن ابن عباس شيء من الرخصة في المتعة، ثم رجع عن قوله حيث أخبر عن النبي ﷺ، وأمر أكثر أهل العلم على تحريم المتعة، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق. وروى مسلم ١٠٢٣/٢ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها.

وأخرج ابن ماجه ٦٣١/١ عن ابن عمر قال: لما ولي عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً، ثم حرمها، والله لا أعلم أحداً يتمتع وهو محصن إلا رجسته بالحجارة. قال الحافظ في «التلخيص» ٢٩٤/٢: إسناد صحيح.

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند قوي كما قال الحافظ من طريق إسحاق بن راشد عن الزهري عن سالم قال: أتني ابن عمر فقلت له: إن ابن عباس يأمر بنكاح المتعة، قال: معاذ الله ما أظن ابن عباس يفعل هذا، فقلت: بلى، قال: وهل كان ابن عباس على عهد رسول الله ﷺ إلا غلاماً صغيراً، ثم قال ابن عمر: نهانا عنها رسول الله ﷺ وما كنا مسافعين. وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٦٥/٤، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» رجاله رجال الصحيح، خلا المعافى بن سليمان وهو ثقة.

وروى الدارقطني في «سننه» ٢٩٨/٢ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: حرم أو هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث. قال الحافظ في «التلخيص»: وإسناده حسن، وله شاهد صحيح أخرجه البيهقي في «السنن» ٢٠٧/٧ عن سعيد بن المسيب. وقال الشوكاني في «نبيل الأوطار» ٦/٢٧٤: ونحن متبعون بما بلغنا عن الشارع، وقد صح لنا عنه التحريم المؤبد، ومخالفة طائفة من الصحابة له غير قاذحة في حجيته، ولا قائمة لنا بالمعذرة عن العمل به، كيف والجمهور من الصحابة قد حفظوا التحريم، وعملوا به، ورووه لنا.

(٢) قال أبو جعفر الطبري بعد أن ذكر أقوال السلف والعلماء: ١٨١/٨: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا حرج عليكم أيها الناس فيما تراضيت به أنفسكم ونسائكم من بعد إعطائهن أجورهن على النكاح الذي جرى بينكم وبينهن من حط ما وجب لهن عليكم أو إبراء أو تأخير ووضع، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ مَدْقَاتِهِنَّ فَطَافُوا بِهِنَّ فَإِنْ يَظُنُّ لَكُمْ عَنْ سَعَةِ رَبِّكُمْ لِكُلِّ ذِي عِلْقَةٍ مِمَّا تَبْتَغُونَ مِنْهُنَّ فَأَوْفُوا بِوَعْدِكُمْ لَا يَكُونَ حَرَجٌ عَلَيْكُمْ فِي مُبَوَّاتٍ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَأَوَّارٍ﴾ [النساء: ٤]. فأما الذي قاله السدي، فنقول لا معنى له، لفساد القول: بإحلال جماع امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين.



الزجاج: والمعنى: من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان طَولاً على فلان، أي: كان له فضل عليه في القدرة. والمراد بالفتيات هاهنا: المملوكات، يقال للأمة: فتاة، وللعيد: فتى، وقد سُمي بهذا الاسم من ليس بمملوك. قرأت على شيخنا الإمام أبي منصور اللغوي قال: المتفتية: الفتاة والمراقة، ويقال للجارية الحديثة: فتاة، وللغلام: فتى. قال القتيبي: وليس الفتى بمعنى الشاب والحدث، إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال<sup>(١)</sup>. فأما ذكر الإيمان، فشرط في إباحتهن، ولا يجوز نكاح الأمة الكتابية، هذا قول الجمهور، وقال أبو حنيفة: يجوز.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: اعملوا على ظاهركم في الإيمان، فإنكم متعبدون بما ظهر من بعضكم لبعض<sup>(٢)</sup>. قال: وفي قوله: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ وجهان: أحدهما: أنه أراد النسب، أي: كلكم ولد آدم. ويجوز أن يكون معناه: دينكم واحد، لأنه ذكر هاهنا المؤمنات. وإنما قيل لهم ذلك، لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب، وتُسَمَّى ابن الأمة: الهجين، فأعلم الله ﷻ أن أمر العبيد وغيرهم مستر في باب الإيمان، وإنما كره التزويج بالأمة، وحرّم إذا وجد إلى الحرة سبيلاً، لأن ولّد الأمة من الحرّ يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة ممتحنة في عشرة الرجال، وذلك يشق على الزوج. قال ابن الأنباري: ومعنى الآية: كلكم بنو آدم، فلا يتداخلكم شُموخ وأنفة من تزوج الإماء عند الضرورة. وقال ابن جرير: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ومن لم يستطع منكم طويلاً أن ينكح المحصنات [المؤمنات]، فلينكح بعضكم من بعض، أي: لينكح هذا فتاة هذا.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني: الإماء: ﴿يَاذِنْ أَهْلَهُنَّ﴾، أي: سادتهن. و«الأجور»: المهور. وفي قوله: ﴿بِأَلْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنه مقدم في المعنى، فتقديره: انكحوهن بإذن أهلن بالمعروف، أي: بالنكاح الصحيح: ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾. والثاني: أن المعنى: وآتوهن أجورهن بالمعروف، كمهور أمثالهن. قال ابن عباس: «محصنات»: عفاف غير زواني ﴿وَلَا مَخْذَاتٍ أَخَذَانِ﴾ يعني: أخلاء، كان الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنى، ويستحلون ما خفي. وقال في رواية أخرى: «المسافحات»: المعلنات بالزنى. و«المتخذات أخذان»: ذات الخليل الواحد. وقال غيره: كانت المرأة تتخذ صديقاً تزني معه، ولا تزني مع غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ قُرَأْنَ كَثِيرًا، وَنَافَعًا، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ: «أَحْصَى» مضمومة الألف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: بفتح الألف، والصاد. قال ابن جرير: من قرأ بالفتح، أراد: أسلمن، فصرن ممنوعات الفروج عن الحرام بالإسلام، ومن قرأ بالضم، أراد: فإذا تزوّجن، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج. فأما «الفاحشة»، فهي الزنى، و«المحصنات»: الحرائر، و«العذاب»: الحد. قال القاضي أبو يعلى: وليس الإسلام والتزويج شرطاً في إيجاب الحد على الأمة، بل يجب وإن عُذِمَا، وإنما شرط الإحصان في الحد، لئلا يتوهم متوهم أن عليها نصف ما على الحرة إذا لم تكن محصنة، وعليها مثل ما على الحرة إذا كانت محصنة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى إباحة تزويج الإماء. وفي «العنت» خمسة أقوال: أحدها: أنه الزنى، قاله ابن

(١) وتام كلام ابن قتيبة كما في «اللسان»: مادة: فتى: يدل على ذلك قول الشاعر:

إِنَّ الْفَتَى حَتَّى كُلَّ مَلَأَةٍ  
وقال ابن هرمة:

قَدْ يَدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ  
وقال الأسود بن يعفر:

يَا بَعْدَ زَيْدٍ فِي فِتْنَةٍ فَرَقُوا  
فِي آلِ غَرْفٍ لَوْ بَغِيَتْ لِي الْأُمَى  
فَتَخَيَّرُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ لَمَرْحَمٍ

ليس الفتى بمنعم الشبان

خَلَقْتُ وَجِيبَ قَمِيصِهِ مَرْقُوعٍ

قَتَلًا وَنَفْسِيًّا بِمَعْدِ حَسَنٍ تَأْدِي  
لَوْ جَدَّتْ فِيهِمْ أَسْوَةُ الْمُؤَدَّادِ  
وَيَزِيدُ وَإِبْدَمُ عَلَى الرَّؤُودِ

(٢) في «البحر المحيط» ٢٢١/٣: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ لما خاطب المؤمنين بالحكم الذي ذكره من تجوز نكاح عادم طول الحرة المؤمنة للأمة المؤمنة، نبه على أن الإيمان هو وصف باطن، وأن المطلق عليه هو الله، فالمعنى: أنه لا يشترط في إيمان الفتيات أن يكونوا عالمين بذلك العلم اليقيني، لأن ذلك إنما هو الله تعالى، فيكفي من الإيمان منتهن إظهاره، فمن كانت مظاهرة للإيمان فتكافحها صحيح.

عباس، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، وابن قتبية. والثاني: أنه الهلاك، ذكره أبو عبيدة، والزجاج. والثالث: لقاء المشقة في محبة الأمة، حكاه الزجاج. والرابع: أن العنت هاهنا: الإثم. والخامس: أنه العقوبة التي تعنته، وهي الحد، ذكرهما ابن جرير الطبري<sup>(١)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على إباحة نكاح الإمام المؤمنات بشرطين: أحدهما: عدم طول الحرية. والثاني: خوف الزنى، وهذا قول ابن عباس، والشعبي، وابن جبير، ومسروق، ومكحول، وأحمد، ومالك، والشافعي. وقد روي عن علي، والحسن، وابن المسيب، ومجاهد، والزهري، قالوا: ينكح الأمة، وإن كان موسراً، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس والجماعة: عن نكاح الإمام، وإنما ندب إلى الصبر عنه، لاسترقاق الأولاد.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَتَّبِعَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَتَّبِعَ لَكُمْ﴾ اللام بمعنى «أن» وهذا مذهب جماعة من أهل العربية، واختاره ابن جرير، ومثله ﴿وَأَمَرْتُ لَأَعُولَ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] ﴿وَأَمَرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿يُرِيدُونَ يَلِغُوا﴾ [الصف: ٨]. والبيان من الله تعالى بالنص تارة، وبدلالة النص أخرى. قال الزجاج: «والسُنَنُ»: الطُّرُق، فالمعنى يدلکم على طاعته، كما دل الأنبياء وتابعيهم. وقال غيره: معنى الكلام: يريد الله ليُبين لكم سُنَن من قبلكم من أهل الحق والباطل، لتجتنبوا الباطل وتجيؤوا الحق، ويهديكم إلى الحق.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: يريد أن يدلکم على ما يكون سبباً لتوبتكم. وفي الذين اتبعوا الشهوات أربعة أقوال: أحدها: أنهم الزناة، قاله مجاهد، ومقاتل، والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم اليهود خاصة، ذكره ابن جرير. والرابع: أهل الباطل، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عن الحق بالمعصية.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ التخفيف: تسهيل التكليف، أو إزالة بعضه. قال ابن جرير: والمعنى: يريد أن يُيسر لكم بإذنه في نكاح الفتيات المؤمنات لمن لم يستطع طولاً لحره. وفي المراد بضعف الإنسان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضعف في أصل الخلقة. قال الحسن: هو أنه خُلِقَ من ماء مهين. والثاني: أنه قلة الصبر عن النساء، قاله طاووس، ومقاتل. والثالث: أنه ضعف العزم عن قهر الهوى، وهذا قول الزجاج، وابن كيسان.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الباطل: ما لا يحل في الشرع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ بَحْرَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «تجارة» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم بالنصب، وقد بينا العلة في آخر (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره، وأن الله حرم على العبد قتل نفسه، وهذا الظاهر<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معناه: لا يقتل بعضكم بعضاً، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقناة، والسدي، ومقاتل، وابن قتبية. والثالث: أن المعنى: لا تكلفوا أنفسكم عملاً ربماً أدى إلى قتلها وإن

(١) قال الطبري: والصواب من القول في قوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَقَّقَ الْمَتَّ مِنْكُمْ﴾ ذلك لمن خاف منكم ضرراً في دينه ويده.

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٣/١٨٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديده لحديته بيده يجرأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بشم نفسه بيده يحسها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» ورواه البخاري ٢١١/١٠ ومسلم ١٠٣/١ وغيرهما.

كان فرضاً، وعلى هذا تأولها عمرو بن العاص في غزاة ذات السلاسل حيث صلى بأصحابه جنباً في ليلة باردة، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ، قال له: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فقال: يا رسول الله إني احتلمتُ في ليلة باردة، وأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فضحك رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والرابع: أن المعنى: لا تغفلوا عن حظ أنفسكم، فمن غفل عن حظها، فكأنما قتلها، هذا قول الفضيل بن عياض. والخامس: لا تقتلوا بارتكاب المعاصي.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتل النفس، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه عائد إلى كل ما نهى الله عنه من أول السورة إلى هاهنا، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: قتل النفس، وأكل الأموال بالباطل، قاله مقاتل.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اجتناب الشيء: تركه جانباً. وفي الكبائر أحد عشر قولاً: أحدها: أنها سبع، فروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»<sup>(٢)</sup>. وقد روي هذا الحديث من طريق آخر عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر سبع، الإشراك بالله أولهن، وقتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بداراً أن يكبروا، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات، وانقلاب إلى أعرابية بعد هجرة»<sup>(٣)</sup>. وروي عن علي عليه السلام قال: هي سبع، فعذ هذه<sup>(٤)</sup>. وروي عن عطاء أنه قال: هي سبع، وعدّ هذه، إلا أنه ذكر مكان الإشراك

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٠٣/٤، وأبو داود ١٤١/١، ورواه البخاري تعليقاً ٣٨٥/١، قال الحافظ ابن حجر: هذا التعليق وصله أبو داود والحاكم من طريق يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران بن أبي أنس، عن عبد الرحمن بن جبير، عن عمرو بن العاص، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك فتيمنت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. ورواه أيضاً من طريق عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب، لكن زادا بين عبد الرحمن بن جبير وعمرو بن العاص رجلاً، وهو أبو قيس مولى عمرو بن العاص، وقال في القصة: «فغسل منابيه وتوضأ» وقال فيه: «لو اغتسلت مت» وذكر أبو داود أن الأوزاعي روى عن حسان بن عطية هذه القصة فقال فيها: تيمم. ورواه عبد الرزاق من وجه آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ولم يذكر التيمم. والسياق الأول أليق بمراد المصنف - يعني البخاري - وإسناده قوي، لكنه علقه بصيغة التمرض، لكونه اختصره. وقال البيهقي: يمكن الجمع بين الروايات بأنه توضأ، ثم تيمم عن الباقي، وقال النووي: وهو متعين.

وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١٥٨/٢: اختلفت الرواية عنه، فروي عنه فيها أنه غسل منابيه، وتوضأ وضوءه للصلاة، ثم صلى بهم، ولم يذكر التيمم، وكان هذه الرواية أقوى من رواية التيمم. قال عبد الحق الإشبيلي: وقد ذكرها وذكر رواية التيمم قبلها - ثم قال: وهذا أوصل من الأول، لأنه عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن عمرو، والأولى التي فيها التيمم من رواية عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص لم يذكر بينهما أبا قيس.

(٢) البخاري ٢٩٤/٥، ١٦٠/١٢، ومسلم ٩٢/١ والموبقات: المهلكات، قال المهلب: سميت بذلك، لأنها سبب لإهلاك مرتكبيها.

(٣) قال الحافظ ابن حجر ١٦٠/١٢: المراد بالموبقة - يريد حديث البخاري «اجتنبوا السبع الموبقات» - هنا الكبيرة، كما ثبت في حديث أبي هريرة من وجه آخر أخرجه البزار وابن المنذر من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «الكبائر الشرك بالله وقتل النفس...» الحديث مثل رواية أبي الفيث إلا أنه ذكر بدل «السحر» «الانتقال إلى الأعرابية بعد الهجرة».

قلت: ومعنى هذه الجملة: الرجوع إلى سكنى البادية كالأعراب.

(٤) رواه ابن جرير ٢٣٥/٨، ولفظه: عن محمد بن سهل بن أبي حثمة عن أبيه قال: إني لفي هذا المسجد مسجد الكوفة، وعلي يخطب الناس على المنبر، فقال: يا أيها الناس إن الكبائر سبع، فأصاخ الناس فأعادها ثلاث مرات، ثم قال: ألا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. فقلت لأبي: يا أبا ما التعرب بعد الهجرة؟ كيف لحق هاهنا؟ فقال: يا بني وما أعظم من أن يهاجر الرجل حتى إذا وقع سهمه في الفيل، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابياً كما كان!! ورواه ابن مردويه مرفوعاً، قال ابن كثير: وفي إسناده نظر، ورفع غلط فاحش، والصواب ما رواه ابن جرير.

والتعرب شهادة الزور وعقوق الوالدين<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تسع، روى عبيد بن عمير، عن أبيه، وكان من الصحابة، عن النبي ﷺ أنه سئل ما الكبائر؟ فقال: «تسع، أعظمهن الإشراك بالله، وقتل نفس المؤمن بغير حق، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، والسحر، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً<sup>(٢)</sup>». والثالث: أنها أربع، روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكبائر؛ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»<sup>(٣)</sup>. وروى أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عنها، فقال: «الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين» وقال: «ألا أنيثكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور، أو شهادة الزور»<sup>(٤)</sup>. وروي عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر أربع: الإشراك بالله، والأمن لمكر الله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله<sup>(٥)</sup>. وعن عكرمة نحوه. والرابع: أنها ثلاث، فروى عمران بن حصين، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أنيثكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فاحتف - قال: والزور»<sup>(٦)</sup>. وروى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنيثكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس - فقال: وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. وأخرجنا في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تجعل لله تعالى نداً وهو خلقك». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم منك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»<sup>(٧)</sup>. والخامس: أنها مذكورة من أول السورة إلى هذه الآية، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والسادس: أنها إحدى عشرة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسحر، والخيانة. روي عن ابن مسعود أيضاً. والسابع: أنها كل ذنب يختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثامن: أنها كل ما أوجب الله عليه النار في الآخرة، والحذ في الدنيا، روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والتاسع: أنها كل ما عصي الله به، روي عن ابن عباس، وعبيدة، وهو قول ضعيف. والعاشر: أنها كل ذنب أوعده الله عليه النار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك في رواية، والزجاج. والحادي عشر: أنها ثمان: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل المؤمن، وقذف المحصنة، والزنا، وأكل مال اليتيم، وقول الزور، واقتطاع الرجل يمينه وعهده ثمناً قليلاً. رواه مخرز، عن الحسن البصري<sup>(٨)</sup>.

(١) رواه ابن جرير ٢٣٨/٨.

(٢) رواه الحاكم مطولاً ٥٩/١، ٢٥٩/٤، وقال: قد احتجنا برواية هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي، وابنه عبيد متفق على إخرجه والاحتجاج به. وتعبه الذهبي في «مختصره» بأنهما لم يحتاجا بعبد الحميد لجهالته، وثقته ابن حبان. ورواه أبو داود ١٥٧/٣، والنسائي ٨٩/٧، وذكره ابن كثير ٤٨١/١ عن رواية الحاكم، ثم قال: هكذا رواه الحاكم مطولاً، وقد أخرجه أبو داود والنسائي مختصراً من حديث معاذ بن هانئ به، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديثه مبسوطاً ثم قال الحاكم: رجاله كلهم محتج بهم في «الصحيحين» إلا عبد الحميد بن سنان، قلت: وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» وقال البخاري: في حديثه نظر.

(٣) البخاري ٤٨٢/١١، ولئن نجده في مسلم من رواية عبد الله بن عمرو، وإنما هو في من رواية أنس بن مالك، وفيه «قول الزور» مكان قوله «واليمين الغموس» وزواه الإمام أحمد في «المسند» ١١٢/١١، وذكره ابن كثير ٤٨٣/١ من رواية «المسند» ونسبه للبخاري، والترمذي، والنسائي. واليمين الغموس: قال ابن الأثير في «النهاية»: هي اليمين الكاذبة الفاجرة، كالتى يقطع بها الحالف مال غيره، سميت غموساً، لأنها تنفس صاحبها في الإنم، ثم في النار، «وفعول» للمبالغة. وفي «عمدة القاري» ١٩٣/٢٣: قال ابن عبد البر: أكثر أهل العلم لا يرون في الغموس كفارة، ونقله ابن بطال أيضاً عن جمهور العلماء، وبه قال الخمي، والحسن البصري، ومالك ومن تبعه من أهل المدينة، والأوزاعي في أهل الشام، والثوري وسائر أهل الكوفة، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وأصحاب الحديث. وقال الشافعي: فيها الكفارة، وبه قال طائفة من التابعين.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» ١٣١/٣، والبخاري ٣٤٥/١٠، ومسلم ٩٢/١.

(٥) خبر ابن مسعود ساقه الطبري من طرق كثيرة، وقال ابن كثير: هو صحيح إليه بلا شك.

(٦) رواه البخاري في «الأدب المفرد» ١٠١/١ وزاد الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٦١/١٢ نسبته إلى البيهقي، والطبراني وقال: سنده حسن.

(٧) البخاري ٤١٣/١٣، ومسلم ٩٠/١، والحليلة: الزوجة، سميت بذلك لكونها تحل للزوج، وقيل: لكونها تحل معه.

(٨) قال أبو جعفر الطبري: وأولى ما قيل في تأويل «الكبائر» بالصحة، ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، دون ما قاله غيره، وإن كان كل قائل فيها قولاً -



قوله تعالى: ﴿تَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ روى المفضل، عن عاصم: «يكفر» ويدخلكم» بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون فيهما، وقرأ نافع، وأبان عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر، عن عاصم: «مدخلًا» بفتح الميم هاهنا، وفي (الحج) وضم الباقون «الميم»، ولم يختلفوا في ضم «ميم» ﴿مُدْخَلَ يَدْخِي﴾ و﴿مُخْرَجَ يَدْخِي﴾ [الإسراء: ٨٠] قال أبو علي الفارسي: يجوز أن يكون «المدخل» مصدرًا، ويجوز أن يكون مكانًا، سواء فتح، أو ضم. قال السدي: السينات هاهنا: هي الصغائر. والمدخل الكريم: الجنة. قال ابن قتيبة: والكريم: بمعنى: الشريف.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكْفِي شَيْءًا عَالِمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أم سلمة قالت: يا رسول الله: يغزو الرجال، ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. والثاني: أن النساء قلن: وددن أن الله جعل لنا الغزو، فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه لما نزل ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّ﴾ قال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا، كما فضلنا عليهن في الميراث، وقال النساء: إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال، كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة، والسدي<sup>(٣)</sup>. وفي معنى هذا التمني قولان: أحدهما: أن يتمنى الرجل مال غيره، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتمنى النساء أن يكن رجالاً. وقد روي عن أم سلمة أنها قالت: يا ليتنا كنا رجالاً، فنزلت هذه الآية. وللتمني وجوه: أحدها: أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره، ويحول عن الغير، فهذا الحسد. والثاني: أن يتمنى مثل ما لغيره، ولا يحب زواله عن الغير، فهذا هو الغبطة<sup>(٤)</sup> وربما لم يكن نيل ذلك مصلحة في حق المتمنى. قال الحسن: لا تتم مال فلان، ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال؟ والثالث: أن

من الذين ذكرنا أقوالهم قد اجتهد وبالع في نفسه، ولقوله في الصحة مذهب. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٦٣/١٢: ومن أحسن التعاريف، أي: تعريف الكبيرة قول القرطبي في «المفهم»: كل ذنب أطلق عليه نص كتاب أو سنة أو إجماع: أنه كبيرة أو عظيم، أو أخير فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد التكرير عليه؛ فهو كبيرة. وعلى هذا ينبغي تبع ما ورد فيه الوعيد، أو اللعن، أو الفسق، من القرآن، أو الأحاديث الصحيحة والحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه النصيب في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك، عرف منه تحرير عدما. وقال الذهبي في أوائل كتاب «الكبائر»: والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب شيئاً من هذه المظالم مما فيه حد في الدنيا، كالقتل، والزنى، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب، أو غضب، أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض، ألا ترى أنه ﷺ عذ الشرك بالله من الكبائر؟ مع أن مرتكبه مغل في النار، ولا يغفر له أبداً. وقال الحافظ ١٦٢/١٢ بعد أن جمع كثيراً من الأحاديث في بيان الكبائر: فهذا جميع ما وقفت عليه مما ورد التصريح بأنه من الكبائر، أو من أكبر الكبائر صحيحاً وضعيفاً مرفوعاً وموقوفاً، وقد تتبعته غاية التبع وفي بعض ما ورد خاصاً ويدخل في عموم غيره، ثم قال: والمعتمد من كل ذلك ما ورد مرفوعاً بغير تداعل من وجه صحيح، وهي السبعة المذكورة في حديث الباب - يعني حديث «اجتنبوا السبع الموبقات» والانتقال عن الهجرة والزنى والسرقة والعقوق واليمين الفموس والإلحاد في الحرم وشرب الخمر، وشهادة الزور، والنميمة، وترك التنزه من البول، والفلول ونكت الصفقة وفراق الجماعة، فلكل عشرة خصلة، وتتفاوت مراتبها، والمجمع على عدم من ذلك أقوى من المختلف فيه إلا ما عضده القرآن أو الإجماع فيلتحق بما فوقه.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٣٢٢/٦، والترمذي ١٢٧/٢، والحاكم ٣٠٥/٢، عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين إن كان سماع مجاهد من أم سلمة، ووافقه الذهبي على تصحيحه، قال الشيخ أحمد شاكر: وأما حكم الترمذي في روايته من طريق ابن عيينة بأنه حديث مرسل، فإنه جزم بلا دليل، ومجاهد أدرك أم سلمة يتيماً وعاصرها، فإنه ولد سنة ٢١، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٦٠ على اليقين، والمعاصرة من الراوي الثقة تحمل على الاتصال إلا أن يكون الراوي مدلساً، ولم يزعم أحد أن مجاهداً مدلس إلا كلمة قالها القطب الحلبي في «شرح البخاري» حكاهما عنه الحافظ في «التلخيص» ٤٤/١٠، ثم عقب عليها بقوله: ولم أر من نسب إلى التدليس. وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٤/٦ رداً على من زعم أن مجاهداً لم يسمع من عبد الله بن عمرو: لكن سماع مجاهد من عبد الله بن عمرو ثابت وليس بمدلس.

(٢) في «الدر الثموري»: أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن عكرمة.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢٦٤/٨، وابن أبي حاتم عن السدي.

(٤) قال ابن كثير: وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية، قال: ولا يتمنى الرجل فيقول: ليت أن لي مال فلان وأهله، فنهى الله عن ذلك، ولكن ليسأل الله من فضله. وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضحاك نحو هذا، وهو الظاهر من الآية، ولا يرد على هذا ما ثبت في صحيح البخاري ٦٥/٩ «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه علىهلكه في الحق، فيقول رجل: لو أن لي مثل مال فلان لعلت مثله» فإن هذا شيء غير ما نهى عنه الآية، وذلك أن الحديث حفص على تمنى مثل نعمة هذا، الآية نهت عن تمنى عين نعمة هذا.



فقالوا: نسخ حكم الحلفاء الذين كانوا يتعاهدون على النصرة والميراث بآخِر (الأنفال)، وإليه ذهب ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والثوري، والأوزاعي، ومالك، وأحمد، والشافعي. وقال أبو حنيفة وأصحابه: هذا الحكم باقٍ غير أنه جعل ذوي الأرحام أولى من موالى المعاهدة. وذهب قوم إلى أن المراد: فاتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة من غير ميراث، وهذا مروى عن ابن عباس، ومجاهد. وذهب قوم آخرون إلى أن المعاهدة: إنما كانت في الجاهلية على النصرة لا غير، والإسلام لم يُغَيِّر ذلك، وإنما قرّره، فقال النبي ﷺ: «أَيْمًا حَلَفَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً»<sup>(١)</sup> أراد: النصر والعون. وهذا قول سعيد بن جبير، وهو يدل على أن الآية محكمة.

﴿الْإِبَالُ قَوْمٌ عَلَى الْإِسَاءِ يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالْكَلْبُ حَفِظَتْ لِلْقَيْبِ يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْ قَوْمٌ شَرُّهُمْ قَوْمُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ فِي الْمَنَاجِجِ وَأَمْوَالُهُمْ قَوْمٌ لَا تَعُوذُ عَلَيْهِمْ سَكِينًا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿الْإِبَالُ قَوْمٌ عَلَى الْإِسَاءِ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً لطم زوجته لطمَةً فاستعدت عليه رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وذكر المفسرون أنه سعد بن الربيع الأنصاري. قال ابن عباس: «قَوْمٌ» أي: مسلطون على تأديب النساء في الحق. وروى هشام بن محمد، عن أبيه في قوله: ﴿الْإِبَالُ قَوْمٌ عَلَى الْإِسَاءِ﴾ قال: إذا كانوا رجلاً، وأنشد:

أَكَلْ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا      وَنَارًا تَوْقُدُ بِاللَّيْلِ نَارًا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَمَّا فَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: الرجال على النساء، وفضل الرجل على المرأة بزيادة العقل، وتوفير الحظ في الميراث، والغنيمة، والجمعة، والجماعات، والخلافة، والإمارة، والجهاد، وجعل الطلاق إليه غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني المهر والنفقة عليهن. وفي «الصالحات» قولان: أحدهما: المحسنات إلى أزواجهن، قاله ابن عباس. والثاني: العاملات بالخير، قاله ابن المبارك. قال ابن عباس: «وَالْقَانَتَاتُ»: المطيعات لله في أزواجهن، و«الحافظات للغيب»، أي: لغيب أزواجهن. وقال عطاء، وقتادة: يحفظن ما غاب عنه الأزواج من الأموال، وما يجب عليهن من صيانة أنفسهن لهم.

قوله تعالى: ﴿يَمَّا حَفِظَ اللَّهُ﴾ قرأ الجمهور برفع اسم «الله» وفي معنى الكلام على قراءتهم ثلاثة أقوال: أحدها: بحفظ الله إياهن، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. وروى ابن المبارك، عن سفيان، قال: بحفظ الله إياها

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ١٩٦١/٤، والإمام أحمد في «المسند» ٨٣/٤، وأبو داود، وابن جرير، والنسائي، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وإيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة» قال القرطبي في «المفهم»: معنى: لا حلف، لا يتحالف أهل الإسلام كما كان أهل الجاهلية، كانوا يتحالفون، وذلك أن المتحالفين كانوا يتناصرون في كل شيء فيمنع الرجل حليفه وإن كان ظالماً، ويقوم دونه، ويدفع عنه بكل ممكن حتى يمنع الحقوق، ويصير به على الظلم والفساد، ولما جاء الشرع بالانتصاف من الظالم، وأنه يؤخذ ما عليه من الحق لا يمنعه أحد من ذلك، وحد الحدود، وبين الأحكام؛ أبطل ما كانت الجاهلية عليه من ذلك. قال النووي: وأما المواخاة في الإسلام، والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى، وإقامة الحق، فهذا باقٍ، لم ينسخ، وهذا معنى قوله ﷺ في هذه الأحاديث: «وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة» وأما قوله ﷺ: «لا حلف في الإسلام» فالمراد به حلف التوارث والحلف على ما منع الشرع منه، والله أعلم.

(٢) الخبر في الأصول كلها معزو لابن عباس، وقد بحث في كتب «التفسير» فلم أجد أحداً عزاه إليه، ولا نقله عنه، وقد ذكره ابن جرير ٢٩١/٨ عن الحسن، وابن جريج، والسدي، وفي «الدر المنثور» ١٥١/٢: وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق أشعث بن عبد الملك، عن الحسن، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير من طريق قتادة عن الحسن. وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن طريق جبر بن حازم، عن الحسن. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبي ﷺ...

(٣) البيت في «سبويه» ٣٣/١، و«الأصمعيات» ص ٢٢١، و«الشعر والشعراء» ١٩٢ و«شواهد المعني» ٤٤٦/٣، و«الخزانة» ١٩١/٤، وهو لأبي ذؤاد الأبادي من قصيدة يصف بها فرساً. وقوله: «فوناراً توقد» هكذا الأصل، وهو موافق لرواية ابن قتيبة. وفي «الأصمعيات» «فوناراً توقد» وهو الموافق لرواية سبويه، و«الخزانة»، والمعني. والبيت شاهد للمطف على معنوي عاملين بتقدير «كل» و«تحسين» قال النحاس: ومن لم يعطف على عاملين رواه «فوناراً» بالنصب.

أن جعلها كذلك. والثاني: بما حفظ الله لهن مهورهن، وإيجاب نفقتهن، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: حافظات للغيب بالشيء الذي يحفظ به أمر الله، حكاه الزجاج. وقرأ أبو جعفر بنصب اسم الله. والمعنى: بحفظهن الله في طاعته.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَاوَفُ النَّشُوزَ﴾ في الخوف قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: بمعنى الظن لما يبدو من دلائل النشوز، قاله الفراء، وأنشد:

وَمَا خِفْتُ يَا سَلَامُ أَنَّكَ عَائِي (١)

قال ابن قتبية: والنشوز: بغض المرأة للزوج، يقال: نَشَزَتِ المرأة على زوجها، ونشِصت: إذا فركته، ولم تظمن عنده، وأصل النشوز: الانزعاج (٢). وقال الزجاج: أصله من النشز، وهو المكان المرتفع من الأرض.

قوله تعالى: ﴿يُظَرِّمُونَ﴾ قال الخليل: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب. قال الحسن: يعظها بلسانه، فإن أبت وإلا هجرها. واختلفوا في المراد بالهجر في المضجع على أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الجماع، رواه سعيد بن جبير، وابن أبي طلحة، والعمري، عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير، ومقاتل. والثاني: أنه ترك الكلام، لا ترك الجماع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وخصيف عن عكرمة، وبه قال السدي، والثوري. والثالث: أنه قول الهُجْر من الكلام في المضجع، روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة. فيكون المعنى: قولوا لهن في المضجع هُجْراً من القول. والرابع: أنه هجر فراشها، ومضاجعتها. روي عن الحسن، والشعبي، ومجاهد، والنخعي، ومقسم، وقتادة. قال ابن عباس: أهجرها في المضجع، فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح. وقال جماعة من أهل العلم: الآية على الترتيب، فالوعظ عند خوف النشوز، والهجر عند ظهور النشوز، والضرب عند تكرره، واللجاج فيه. ولا يجوز الضرب عند ابتداء النشوز. قال القاضي أبو يعلى: وعلى هذا مذهب أحمد. وقال الشافعي: يجوز ضربها في ابتداء النشوز.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَلَمَنَّاكُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني في المضجع ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَ سَبِيلاً﴾ أي: فلا تتجن عليها العلل. وقال سفيان بن عيينة: لا تكلفها الحب، لأن قلبها ليس في يدها. وقال ابن جرير: المعنى: فلا تلتمسوا سبيلاً إلى ما لا يحل لكم من أبدانهم وأموالهم بالعلل، وذلك أن تقول لها وهي مطيعة لك: لست لي مُحبة، فتضربها، أو تؤذيها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: لا تبغوا على أزواجكم، فهو ينتصر لهن منكم. وقال الخطابي: الكبير: الموصوف بالجلال، وكبر الشأن، يصغر دون جلاله كل كبير. ويقال: هو الذي كبر عن شبه المخلوقين.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنْتِكُمْ فَأَنْكِحُوا فِي بَنَاتِكُمْ أَحْلِبُوا﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: في الخوف قولان: أحدهما: أنه الحذر من وجود ما لا يتيقن وجوده، قاله الزجاج. والثاني: أنه العلم، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: والشقاق: العداوة، واشتقاقه من المتشاقين، كل صنف منهم في شق. والحكم: هو القيم بما يسند إليه. وفي المأمور بإنفاذ الحكمين قولان: أحدهما: أنه السلطان إذا تراءفاً إليه، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. والثاني: الزوجان، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ قال ابن عباس: يعني الحكمين. وفي قوله: ﴿يُؤَقِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ قولان: أحدهما: أنه راجع إلى الحكمين، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه راجع إلى الزوجين، ذكره بعض المفسرين.

(١) صدره: أتاني كلامٌ عن نُصيب يقولُه. وهو لأبي الغول الطهوي، شاعر إسلامي كان في الدولة المروانية. والبيت في «الخرائفة» ١٠٩/٣، و«مسط اللالكى» ٥٧٩، و«معاني القرآن» ١٤٦/١، ٢٦٥، و«نادر أبي زيد» و«الطبري» ٥٥٠/٤، ٢٩٩/٨.

(٢) في «غريب القرآن» ١٢٦ «إذا تركته... الارتجاع».



## فصل

والحكمان وكيلان للزوجين، ويُعتبر رضا الزوجين فيما يحكما به، هذا قول أحمد، وأبي حنيفة، وأصحابه. وقال مالك، والشافعي: لا يفتقر حكم الحكمين إلى رضا الزوجين<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال ابن عباس: وحده.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ قال الفراء: أغراهم بالإحسان إلى الوالدين. قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجار الذي بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الجار المسلم، قاله نوف الشامي. فيكون المعنى: ذي القربى منكم بالإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ روى المفضل، عن عاصم: «والجارِ الْجُنُبِ» بفتح الجيم، وإسكان النون. قال أبو علي: المعنى: والجار ذي الجنب، فحذف المضاف. وفي الجار الجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغريب الذي ليس بينك وبينه قرابة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه جارك عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك، وخلفك، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنه اليهودي والنصراني، قاله نوف الشامي<sup>(٢)</sup>. وفي الصاحب بالجنب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزوجة، قاله علي، وابن مسعود، والحسن، وإبراهيم النخعي، وابن أبي ليلى. والثاني: أنه الرفيق في السفر، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن قتيبة. وعن سعيد بن جبيرة كالقولين. والثالث: أنه الرفيق، رواه ابن جريج، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. قال ابن زيد: هو الذي يَلْصَقُ بك رجاء خيرك. وقال مقاتل: هو رفيقك حضراً وسفراً. وفي ابن السبيل أقوال قد ذكرناها في (البقرة).

(١) قال ابن جرير ٣٣١/٨: وأي الأمرين كان. فليس لهما - أي للحكمين - ولا لواحد منهما الحكم بينهما بالفرقة، ولا بأخذ مال إلا برضى المحكوم عليه بذلك، وإلا ما لزم من حق لأحد الزوجين على الآخر في حكم الله، وذلك ما لزم الرجل لزوجته من النفقة والإسكان بمعروف إن كان هو الظالم لها. فاما غير ذلك، فليس ذلك لهما، ولا لأحد من الناس غيرهما، لا السلطان ولا غيره، وذلك أن الزوج إن كان هو الظالم للمرأة فللإمام السبيل إلى أخذه بما يجب لها عليه من حق، وإن كانت المرأة هي الظالمة زوجها الناشئة عليه، فقد أباح الله له أخذ الفدية منها، وجعل إليه طلاقها على ما قد بيناه في سورة (البقرة). وإذا كان الأمر كذلك، لم يكن لأحد الفرقة بين رجل وامرأة بغير رضا الزوج، ولا أخذ مال من المرأة بغير رضاها بإعطائه إلا بحجة يجب التسليم لها من أصل أو قياس. وإن بعث الحكمين السلطان، فلا يجوز لهما أن يحكما بين الزوجين بفرقة إلا بتوكيل الزوج إياهما بذلك، ولا لهما أن يحكما بأخذ مال من المرأة إلا برضى المرأة.

قلت: وقد تمسك الإمام مالك بلفظ الحكم، فرأى نفاذ حكم الحكمين عليهما في المال والفرقة، بخلاف أبي حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وابن حزم الظاهري وأصحابه، فإنهم يرون جميعاً أن نفاذ حكمهما عليهما متوقف على رضا الزوجين بتحكيمهما من قبل، لأن السياق يعين أن شأن الحكمين السعي في الإصلاح لا التفريق، ولا يعرف في اللغة، ولا في الشريعة: أصلحت بين الزوجين، أي: طلقتهما عليه، كما في «المحلى» ٨٧/١٠ لابن حزم، وقال ابن حزم: ليس في الآية ولا في شيء من السنن أن للحكمين أن يفرقا، ولا أن ذلك للحاكم.

(٢) ذهب ابن جرير الطبري في تفسير معنى «الجنب» في هذا الموضع إلى أنه الغريب البعيد، مسلماً كان أو مشركاً، يهودياً كان أو نصرانياً، وقال: إن «الجنب» في كلام العرب البعيد، كما قال أعشى بني قيس:

أَتَيْتُ حُرَيْشاً زَائِراً عَيْنَ جَنَابَةٍ  
فَسَكَانَ حُرَيْشٌ نَفْسِي عَطَائِي جَامِداً

يعني بقوله: «عن جنابة» عن بعد وغربة، ومنه قيل: اجتنبت فلان فلاناً: إذا بعد منه وتجنبه، وجنبه غيره: إذا منعه إياه، ومنه قيل للجنب: جنباً، لاعتزاله الصلاة حتى يفتسل. فمعنى ذلك: والجار المجانب للقرابة. قلت: وقد ورد في الوصية بالجار أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، رواه البخاري في «صحيحه» كتاب «الأدب» ومسلم ٢٠٢٥/٤. ومنها ما رواه الإمام أحمد في «المستند» ٢/ ١٦٨، والترمذي ٣/ ١٢٩، والحاكم في «المستدرک» ٤/ ١٦٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». وروى الإمام مسلم في «صحيحه» ٢٠٢٥/٤ عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك». وروى البخاري في «صحيحه» كتاب «الرقائق»، ومسلم كتاب «الإيمان»: مرفوعاً «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: المملوكين<sup>(١)</sup>. وقال بعضهم: يدخل فيه الحيوان البهيم. قال ابن عباس: والمختال: البطر في مشيته، والفخور: المفتخر على الناس بكبره. وقال مجاهد: هو الذي يعد ما أعطى، ولا يشكر الله، وقال ابن قتيبة: المختال: ذو الخيلاء والكبر. وقال الزجاج: المختال: الصِّلَفُ التَّيَاهُ الجهول. وإنما ذكر الاختيال هاهنا، لأن المختال يأنف من ذوي قرباته، ومن جيرانه إذا كانوا قراء.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْثُرُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعَزَّذَنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ذكر المفسرون أنها نزلت في اليهود. فأما سبب نزولها، فقال ابن عباس: كان كَرْزَمُ بن زيد، [حليف كعب بن الأشرف] وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالاً من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا يخاطبونهم، ويتصحون لهم، فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر [في ذهابها] ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون ما يكون، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وفي الذي بخلوا به وأمروا الناس بالبخل به قولان: أحدهما: أنه المال، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه إظهار صفة النبي ﷺ ونبوته، قاله مجاهد، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «بالبخل» خفيفاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «بالبخل» محركاً، وكذلك في سورة (الحديد). وفي الذين آتاهم الله من فضله قولان: أحدهما: أنهم اليهود، أوتوا علم نعت محمد ﷺ فكتموا، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أرباب الأموال بخلوا بها، وكنمو الغنى، ذكره الماوردي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَعَزَّذَنَا﴾ قال الزجاج: معناه: جعلنا ذلك عتاداً لهم، أي: مثبِتاً لهم.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً أَلْيَسَ وَلَا يَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً أَلْيَسَ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثاني: أنهم المنافقون، قاله السدي، والزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. والثالث: مشركو مكة أنفقوا على عداوة النبي ﷺ، ذكره الثعلبي. والقرين: صاحب المؤالف، وهو فاعيل من الاقتران بين الشيتين. وفي معنى مقارنة الشيطان قولان: أحدهما: مصاحبته في الفعل. والثاني: مصاحبته في النار.

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آتَوْا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ﴾ المعنى: وأي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رياء الناس، ولا يؤمنون بالله، لو آمنوا! وفي الإنفاق المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الصدقة، قاله ابن عباس. والثاني: الزكاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ تهديد لهم على سوء مقاصدهم.

(١) قال الحافظ ابن كثير: وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وصية بالأرقاء، لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس، فلها ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» فجعل يرددها حتى ما يفيض بها لسانه. قلت: والحديث رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه ٥١٩/١ عن أنس، وإسناده صحيح على شرط الشيخين كما في «الزوائد». وروى الإمام أحمد عن المقدام بن معد يكرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة» ورواه النسائي، وإسناده صحيح والله الحمد. وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» رواه مسلم. وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «هم إخوانكم غولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم لأن كلفتموهم فأعينوهم عليه» أخرجه.

(٢) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في «سيرته» ٢/٢٠٨، وابن جرير ٣٥٣/٨ عن ابن عباس، وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال الذهبي: لا يعرف. قلت: ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

(٣) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: إن الله ذكر الباذين المرائين الذين يقصدون بإعطائهم السعة، وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي حديث «الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار، وهم: العالم والغاوي والمنفق، المرائون بأعمالهم» يقول صاحب المال: ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك، فيقول الله: كذبت إنما أردت أن يقال: جواد فقد قيل! أي: فقد أخذت جزاءك في الدنيا، وهو الذي أردت بفعلك. والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، عن أبي هريرة.



والثاني: بإيمانهم، قاله أبو العالية. والثالث: بأعمالهم، قاله مجاهد، وقناة. والرابع: يشهد لهم وعليهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَحِشْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني: نبينا ﷺ. وفي «هؤلاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع أمته، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه يشهد عليهم. والثاني: يشهد لهم، فتكون «على» بمعنى: اللام. والقول الثاني: أنهم الكفار يشهد عليهم بتبليغ الرسالة، قاله مقاتل. والثالث: اليهود والنصارى، ذكره الماوردي.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصْنَوْنَ أَلْسِنَتَهُمُ الْوَسْوَاسِ الْغِيظِ لَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْثُ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْأَرْضَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «لو تُسَوِّى»، بضم التاء، وتخفيف السين. والمعنى: ودُّوا لو جُعِلُوا تراباً، فكانوا هم والأرض سواء، هذا قول الفراء في آخرين. قال أبو هريرة: إذا حشر الله الخلائق، قال للبهائم، والدواب، والطير: كونى تراباً. فعندها يقول الكافر: يا ليتنى كنت تراباً<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر: «لو تُسَوِّى»، بفتح التاء، وتشديد السين، والمعنى: لو تتسوى، فأدغمت التاء في السين، لقرئها منها. قال أبو علي: وفي هذه القراءة اتساع، لأن الفعل مسند إلى الأرض، وليس المراد: ودُّوا لو صارت الأرض مثلهم، وإنما المعنى: ودُّوا لو يتسَوَّون بها. ثم في المعنى للمفسرين قولان: أحدهما: أن معناه: ودُّوا لو تخرقت بهم الأرض، فساخوا فيها، قاله قتادة، وأبو عبيدة، ومقاتل. والثاني: أن معناه: ودُّوا أنهم لم يبعثوا، لأن الأرض كانت مستوية بهم قبل خروجهم منها، قاله ابن كيسان، وذكر نحوه الزجاج. وقرأ حمزة، والكسائي: «لو تُسَوِّى»، بفتح التاء، وتخفيف السين، والواو مشددة مماله، وهي بمعنى: تتسَوِّى، فحذف التاء التي أدغمها نافع، وابن عامر. فأما معنى القراءتين، فواحد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْثُ﴾ في «الحديث» قولان: أحدهما: أنه قولهم: ما كنا مشركين، هذا قول الجمهور. والثاني: أنه أمر النبي ﷺ وصفته ونعته، قاله عطاء. فعلى الأول يتعلق الكتمان بالآخرة، وعلى الثاني يتعلق بما كان في الدنيا، فيكون المعنى: ودُّوا أنهم لم يكتفوا ذلك. وفي معنى الآية ستة أقوال: أحدها: ودُّوا إذا فضحتهم جوارحهم أنهم لم يكتفوا الله شركهم، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما شهدت عليهم جوارحهم لم يكتفوا الله حديثاً بعد ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم في موطن لا يكتفونه حديثاً، وفي موطن يكتفون، ويقولون: ما كنا مشركين، قاله الحسن. والرابع: أن قوله: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْثُ﴾ كلام مستأنف لا يتعلق بقوله: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْأَرْضَ﴾، هذا قول الفراء، والزجاج. ومعنى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْثُ﴾: لا يقدرُونَ على كتمانهم، لأنه ظاهر عند الله<sup>(٢)</sup>. والخامس: أن المعنى: ودُّوا لو سَوَّيت بهم الأرض، وأنهم لم يكتفوا الله حديثاً. والسادس: أنهم لم يعتقدوا قولهم: ما كنا مشركين كذباً، وإنما اعتقدوا أن عبادة الأصنام طاعة، ذكر القولين ابن الأنباري. وقال القاضي أبو يعلى: أخبروا بما توهّموا، إذ كانوا يظنون أنهم ليسوا بمشركين، وذلك لا يخرجهم عن أن يكونوا قد كذبوا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْأَ إِلَىٰ عَارِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَابُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْرَةً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ يَأْتِ الْغَائِطُ فَلَمْ يُجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ روى أبو عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي

(١) رواه ابن جرير الطبري ٢٦/٣٠ طبع مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية، وإسناده قوي.

(٢) قال ابن كثير: قوله: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْثُ﴾ إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه، ولا يكتفون منه شيئاً. وروى ابن جرير عن سعيد بن جبيرة، قال: جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: سمعت الله ﷻ يقول - يعني إخباراً عن المشركين يوم القيامة أنهم قالوا: «وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهُ حَيْثُ﴾ فقال ابن عباس: أما قوله «وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: نَدُّوا فلنجد، فقالوا: «وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ». فحتم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم، فلا يكتفون الله حديثاً. قلت: وسنده حسن. ورواه الطبري أيضاً بإسنادين آخرين، وذكرهما ابن كثير عنه.



طالب ﷺ قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت [الخمر] منا، وحضرت الصلاة، فقدموني، فقرأت «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى، عن أبي عبد الرحمن، عن علي ﷺ أن الذي قدموه، وخطب في هذه السورة، عبد الرحمن بن عوف<sup>(٢)</sup>. وفي معنى قوله: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ» قولان: أحدهما: لا تتعرضوا بالسكر في أوقات الصلاة. والثاني: لا تدخلوا في الصلاة في حال السكر، والأول أصح، لأن السكران لا يعقل ما يخاطب به. وفي معنى: «وَأَنْتُمْ شَكَرْتُمْ» قولان: أحدهما: من الخمر، قاله الجمهور. والثاني: من النوم، قاله الضحاك، وفيه بعد. وهذه الآية اقتضت إباحة السكر في غير أوقات الصلاة، ثم نسخت بتحريم الخمر<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «وَلَا جُنُبًا» قال ابن قتيبة: الجنابة: البعد، قال الزجاج: يقل: رجل جنب، ورجلان جنب، ورجال جنب، كما يقال: رجل رضى، وقوم رضى. وفي تسمية الجنب بهذا الاسم قولان: أحدهما: لمجانبة مائه محله. والثاني: لما يلزمه من اجتناب الصلاة، وقراءة القرآن، ومس المصحف، ودخول المسجد.

قوله تعالى: «إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ» فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين غير واجدين للماء فتتيمموا، وتصلوا. وهذا المعنى مروى عن علي ﷺ، ومجاهد، والحكم، وقتادة، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: لا تقربوا مواضع الصلاة وهي المساجد وأنتم جنب إلا مجتازين، ولا تقعدوا. وهذا المعنى مروى عن ابن مسعود، وأنس بن مالك، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعكرمة، وعطاء الخراساني، والزهري، وعمر بن دينار، وأبي الضحى، وأحمد، والشافعي، وابن قتيبة<sup>(٤)</sup>. وعن ابن عباس، وسعيد ابن جبير، كالقولين، فعلى القول الأول: «عابر السبيل»: المسافر، و«قربان الصلاة»: فعلها، وعلى الثاني: «عابر السبيل»: المجتاز في المسجد، و«قربان الصلاة»: دخول المسجد الذي تفعل فيه الصلاة.

قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجًا» في سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم، فأتى رسول الله ﷺ، فذكر له ذلك، فنزلت هذه الآية «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجًا أَوْ عَلَى سَكَرٍ» قاله مجاهد. والثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابهم جراحات، ففشت فيهم، وابتلوا بالجنابة، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجًا» الآية كلها، قاله إبراهيم النخعي. قال القاضي أبو يعلى: وظاهر الآية يقتضي جواز التيمم مع حصول المرض الذي يستصّر معه باستعمال الماء، سواء كان يخاف التلف، أو لا

(١) أخرجه أبو داود ٤٤٥/٣، والترمذي ١٢٧/٢، وابن جرير ٣٧٦/٨، كلهم من طريق عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) رواه ابن جرير ٣٧٦/٨، عن محمد بن بشار، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ.

(٣) روى الإمام أحمد ٣٧٩/١ عن عمر بن الخطاب، قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية التي في سورة (البقرة) «يَسْأَلُكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ» قال: فدعي عمر فقررت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في سورة (النساء) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى» فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقررت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في (المائدة)، فدعي عمر فقررت عليه، فلما بلغ «هَئِلْ أَنْتُمْ سُكَرَى» قال: فقال عمر: انتهيتا انتهيتا. ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. قال علي بن المديني: هذا الإسناد صالح، وصححه الترمذي.

(٤) قال ابن جرير ٣٨٤/٨ بعد أن حكى القولين: وأولى القولين بالتأويل لذلك تأويل من تأوله «وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ» إلا مجتازي طريق فيه. وذلك أنه قد بين حكم المسافر إذا عدم الماء وهو جنب في قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجًا أَوْ عَلَى سَكَرٍ أَوْ جَسَةً أَمْثَلُ مِنْ الْكَاثِبِ أَوْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ يَحْدُوا مَاءً قَتَيْمُوا سَبِيلًا يَكُنْ» فكان معلوماً بذلك أن قوله: «وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَارِي سَبِيلٍ» لو كان معنياً به المسافر، لم يكن لإعادة ذكره في قوله: «وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجًا أَوْ عَلَى سَكَرٍ» معنى مفهوم، وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تنفسوا إلا عارياً سبيل. والعابر السبيل: المجتاز مرأً وقطعاً، يقال منه: عبرت هذا الطريق، فأنما عبره عبراً وعبوراً. قال ابن كثير ٥٠٢/١: وهذا الذي نصره - يعني ابن جرير - هو قول الجمهور، وهو الظاهر من الآية.

يخاف، وكذلك السفر يجوز فيه التيمم عند عدم الماء، سواء كان قصيراً، أو طويلاً، وعدم الماء ليس بشرط في جواز التيمم للمريض، وإنما الشرط: حصول الضرر، وأما السفر، فعدم الماء شرط في إباحة التيمم، وليس السفر بشرط، وإنما ذكر السفر، لأن الماء يُعدم فيه غالباً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدًا مِنْكَ مِنَ الْفَالِطِ﴾ «أو» بمعنى الواو، لأنها لو لم تكن كذلك، لكان وجوب الطهارة على المريض والمسافر غير متعلق بالحدث. والغايط: المكان المظلم من الأرض، فكفي عن الحدث بمكانه، قاله ابن قتيبة. وكذلك قالوا للمزادة: راوية، وإنما الرواية للبعير الذي يُسقى عليه، وقالوا للنساء: طعائن، وإنما الطعائن: الهودج، وكُنْ يَكُن فيها، وسموا الحدث عذرة، لأنهم كانوا يلغون الحدث بأفنية الدور.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَكَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «أو لامستم» بآلف هاهنا، وفي (المائدة)، وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف في اختياره، والمفضل عن عاصم، والوليد بن عتبة، عن ابن عامر «أَوْ لَكَسْتُمْ» بغير ألف هاهنا، وفي (المائدة). وفي المراء بالملامسة قولان: أحدهما: أنها الجماع، قاله علي، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الملامسة باليد، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والشعبي، وعبيدة، وعطاء، وابن سيرين، والنخعي، والنهدي، والحكم، وحماة<sup>(١)</sup>. قال أبو علي: اللّمس يكون باليد، وقد اتسع فيه فأوقع على غيره، فمن ذلك «وَأَنَّا لَكُنَّا السَّكَّةَ» [الجن: ٨] أي: عالجنا غيب السماء، ومنا من يسترقه فيلقبه إلى الكهنة، ويخبرهم به. فلما كان اللّمس يقع على غير المباشرة باليد، قال: «فَلَسُّوْهُ بِأَيْدِيهِمْ» [الأنعام: ٧] فخصّ اليد، لثلا يلتبس بالوجه الآخر، كما قال: «وَحَلَلْتُ آبَائِيكُمْ الَّذِينَ مِنْ أُمَّلِيكُمْ» [النساء: ٢٣] لأن الابن قد يدعى وليس من الصلب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّ يَجِدُوا مَاءً تَتَيَمَّمُوا﴾ سبب نزولها: أن عائشة رضي الله عنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فانقطع عقد لها، فأقام النبي صلى الله عليه وسلم على التماسه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فزلت هذه الآية، فقال أميّد بن حُضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى أخرجه البخاري ومسلم أيضاً: أن

(١) قال ابن جرير ٣٩٦/٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى الله بقوله «أَوْ لَكَسْتُمْ النِّسَاءَ» الجماع دون غيره من معاني اللّمس، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نساءه، ثم صلى ولم يتوضأ، ثم روى عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ، ثم يقبل، ثم يصلي ولا يتوضأ»، ثم روى عن عروة، عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نساءه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قلت: من هي إلا أنت؟ فضحكت». وحديث عائشة هذا، رواه أبو داود ٨٣/١، وابن ماجه ١٦٨/١، وأحمد في «المسند» ٢١٠/٦، وقد تكلم على هذا الحديث بعض الأئمة، والحق أنه صحيح. قال أبو عمر بن عبد البر: صححه الكوفيون وثبتوه لرواية الثقات من أئمة الحديث له، وحبيب لا ينكر لقائه عروة، لروايته عن هو أكبر من عروة وأقدم موتاً.

قلت: ولم ينفرد حبيب برواية هذا الحديث، فقد تابعه عليه هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير. انظر «سنن الدارقطني» من: ٥٠، وقد جاء الحديث بإسناد آخر صحيح عن عائشة، انظر «الجوهر النقي» ١٢٥/١، و«نصب الراية» ٣٨/١.

وقال الإمام ابن رشد في «بداية المجتهد» ٢٩/١: وسبب اختلافهم في هذه المسألة اشتراك اسم اللّمس في كلام العرب، فإن العرب تطلق مرة على اللّمس الذي هو باليد، ومرة تكي به عن الجماع، فذهب قوم إلى أن اللّمس الموجب للطهارة في أية الوضوء هو الجماع في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَكَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ وذهب آخرون إلى أنه اللّمس باليد. ثم قال: «وقد احتج من أوجب الوضوء من اللّمس باليد، بأن اللّمس ينطلق حقيقة على اللّمس باليد، وينطلق مجازاً على الجماع، وأنه إذا تردد اللفظ بين الحقيقة والمجاز: فالأولى أن يحمل على الحقيقة، حتى يدل الدليل على المجاز. ولأنك أن يقولوا: إن المجاز إذا كثّر استعماله كان أدل على المجاز منه على الحقيقة، كالحال في اسم «الغائط» الذي هو أدل على الحدث - الذي هو فيه مجاز - منه على المظمن من الأرض، الذي هو فيه حقيقة. والذي اعتقده: أن اللّمس وإن كانت دلالة على المعنيين بالسواء: أو قريباً من السواء - فإنه أظهر عندي في الجماع، وإن كان مجازاً، لأن الله تعالى قد كنى بالمباشرة واللمس عن الجماع، وهما في معنى اللّمس، وعلى هذا التأويل في الآية يحتاج بها في إجازة التيمم للجنب، دون تقدير تقديم فيها ولا تأخير، على ما سيأتي بعد، وترتفع المعارضة التي بين الآثار والآية على التأويل الآخر - يريد ابن رشد بالآثار هنا حديث عائشة في القبلة - وأما من فهم من الآية اللّمس معاً فضعيف، فإن العرب إذا خاطبت بالاسم المشترك إنما تقصد به معنى واحداً من المعاني التي يدل عليها الاسم، لا جميع المعاني التي يدل عليها، وهذا بين بنفسه في كلامهم».

(٢) البخاري ١٨٩/٨، ومسلم ٢٧٩/١، ولفظه عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء! قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطمئن يده في -

عائشة استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فبعث رسول الله ﷺ رجالاً في طلبها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا بغير وضوء، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت آية التيمم<sup>(١)</sup>. والتيمم في اللغة: القصد، وقد ذكرناه في قوله: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا السَّجْدَ﴾ وأما الصعيد: فهو التراب، قاله علي، وابن مسعود، والفراء، وأبو عبيد<sup>(٢)</sup> والزجاج، وابن قتيبة. وقال الشافعي: لا يقع اسم الصعيد إلا على تراب ذي غبار. وفي الطيب قولان: أحدهما: أنه الطاهر. والثاني: الحلال.

قوله تعالى: ﴿فَأَنسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ الوجه الممسوح في التيمم: هو المحدود في الوضوء. وفيما يجب مسحه من الأيدي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلى الكوعين حيث يقطع السارق، روى عمار عن النبي ﷺ أنه قال: «التيمم ضربة للوجه والكفين»<sup>(٣)</sup> وبهذا قال سعيد بن المسيّب، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، والأوزاعي، ومكحول، ومالك، وأحمد، وإسحاق، ودأود. والثاني: أنه إلى المرفقين، روى ابن عباس عن النبي ﷺ: أنه تيمم، فمسح ذراعيه<sup>(٤)</sup>. وبهذا قال ابن عمر، وابنه سالم، والحسن، وأبو حنيفة، والشافعي، وعن الشعبي كالقولين. والثالث: أنه يجب المسح من رؤوس الأنامل إلى الآباط، روى عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلت الرخصة في المسح، فضربنا بأيدينا ضربة لوجوهنا، وضربة لأيدينا إلى المناكب والآباط<sup>(٥)</sup>. وهذا قول الزهري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزُوزًا﴾ قال الخطابي: «العفو»: بناء للمبالغة. و«العفو»: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء. وقيل: إنه مأخوذ من: عفت الريح الأثر: إذا درسته، وكان العافي عن الذنوب يمحوه بصفحه عنه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُرْسِلُوا بِرَبِّكَ مِنَ الْكِتَابِ يُشْكِرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾

خاصرتي، فلا يمتنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخدي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم «فتيمموا» فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء): ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه. فوجدنا العقد تحته. والبيداء: هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة، قاله ابن التين.

(١) البخاري ٣٧٣/١، ومسلم ٢٧٩/١.

(٢) في النسخة الأحمدية «وأبو عبيدة» وفي «مجاز القرآن» ١٢٨/١: الصعيد: وجه الأرض. وفي «اللسان» ٢٥٤/٣: وقال أبو إسحاق: الصعيد وجه الأرض، قال: وعلى الإنسان أن يضرب يديه وجه الأرض، ولا يبالي أكان في الموضع تراب أو لم يكن، لأن الصعيد ليس هو التراب، إنما هو وجه الأرض تراباً كان أو غيره، قال: ولو أن أرضاً كلها صخر لا تراب عليه، ثم ضرب التيمم يده على ذلك الصخر، لكان ذلك طهوراً إذا مسح به وجهه، قال الله تعالى ﴿فَتَشْتَبِهُ حَبِيبًا﴾ لأنه نهاية ما يصعد إليه من باطن الأرض، لا أعلم بين أهل اللغة خلافاً فيه أن الصعيد وجه الأرض. اهـ.

ونقل القرطبي أيضاً ٢٣٦/٥: عن الخليل، وابن الأعرابي، والزجاج. أن الصعيد: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن، وقد ذهب إلى تخصيص التيمم بالتراب الشافعي وأحمد ودأود. وذهب مالك، وأبو حنيفة، وعطاء، والأوزاعي، والثوري إلى أنه مجزئ بالأرض وما عليها. وقال ابن القيم في «زاد المعاد» ١٠٣/١: وكذلك كان يتيمم بالأرض التي يصلي عليها، تراباً كانت أو سبخة أو رملًا. وصح عنه أنه قال: «حيثما أدركت رجلاً من أمي الصلاة فعنده مسجده وطهوره». وهذا نص صريح في أن أدركته الصلاة في الرمل فالرمل له طهوره. ولما سافر هو وأصحابه في غزوة تبوك قطعوا تلك الرمال في طريقهم، وماؤهم في غاية القلة، ولم يروا عنه أنه حمل معه التراب، ولا أمر به، ولا فعله أحد من أصحابه، مع القطع بأن في المغاوير الرمال أكثر من التراب، وكذلك أرض الحجاز وغيره. ومن تدبر هذا قطع بأنه كان يتيمم بالرمل؛ والله أعلم، وهذا قول الجمهور.

(٣) البخاري ٣٧٧/١، ومسلم ٢٨٠/١، وأبو داود ١٣٦/١، والنسائي ١٦٩/١، وابن ماجه ١٥٨/١.

(٤) لم نجد في كتب السنة التي بين أيدينا هذا الحديث بهذا اللفظ عن ابن عباس، وروى الزبار من طريق محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، عن عمار، قال: كنت في القوم حين نزلت الرخصة في المسح بالتراب إذا لم نجد الماء، فأمرنا، فضررنا واحدة للوجه ثم ضربة أخرى لليدين إلى المرفقين. قال الحافظ في «الدراية» ص ٣٦ بعد أن حسن إسناده: لكن أخرجه أبو داود، فقال: «إلى المناكب» وذكر أبو داود علته والاختلاف فيه. وحديث «التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين» رواه الدارقطني، والحاكم من حديث ابن عمر وقد تفرد علي بن طبيان برفعه، ووقفه غيره، وصوب وقفه الدارقطني، وأخرجه الدارقطني، والحاكم أيضاً من طريقين وإهي عن ابن عمر. قاله الحافظ ابن حجر. وقد روي من حديث جابر، ومن حديث عائشة، انظر «نصب الراية» ١٥٠/١، ١٥٤.

(٥) أبو داود ١٣٤/١، والنسائي ١٦٧/١. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٧٦/١٥: إن الأحاديث الواردة في صفة التيمم لم يصح منها سوى حديث أبي جهيم، وعمار، وما عداهما فضعيف أو مختلف في رفعه ووقفه، والراجح عدم رفعه، فأما حديث أبي جهيم، فورد بذكر اليدين مجعلاً، وأما حديث عمار، فورد بذكر الكفين في «الصحيحين»، وبذكر المرفقين في «السنن» وفي رواية «إلى نصف الذراع» وفي رواية «إلى الآباط». فأما رواية المرفقين وكذا نصف الذراع، ففيهما مقال، وأما رواية الآباط، فقال الشافعي وغيره: إن كان ذلك وقع بأمر النبي ﷺ، فكل تيمم صح للنبي ﷺ بعده، فهو ناسخ له، وإن كان وقع بغير أمره، فالحجة فيما أمر به، ومما يقوي رواية «الصحيحين» في الاكتفاء على الوجه والكفين كون عمار كان يقني بعد النبي ﷺ بذلك، ورواي الحديث أعرف بالمراد به من غيره، ولا سيما الصحابي المجتهد.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رفاعه بن زيد بن النابوت. والثاني: أنها نزلت في رجلين كانا إذا تكلم النبي ﷺ لوبا ألسنتهما وعاباه، روي القولان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أنها نزلت في اليهود، قاله قتادة. وفي النصيب الذي أوتوه قولان: أحدهما: أنه علم نبوة محمد النبي ﷺ. والثاني: العلم بما في كتابهم دون العمل.

قوله تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَاةَ﴾ قال ابن قتيبة: هذا من الاختصار، والمعنى: يشترون الضلالة بالهدى، ومثله: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٨] أي: تركنا عليه ثناء حسناً، فحذف الثناء لعلم المخاطب. وفي معنى اشترايتهم الضلالة أربعة أقوال: أحدها: أنه استبدلهم الضلالة بالإيمان، قاله أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنه استبدلهم التكذيب بالنبي ﷺ بعد ظهوره بإيمانهم به قبل ظهوره، قاله مقاتل. والثالث: أنه إيتارهم التكذيب بالنبي ﷺ لأخذ الرشوة، وثبوت الرئاسة لهم، قاله الزجاج. والرابع: أنه إعطاؤهم أحبارهم أموالهم على ما يصنعونه من التكذيب بالنبي ﷺ، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ خطاب للمؤمنين. والمراد بالسبيل: طريق الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ فهو يعلمكم ما هم عليه، فلا تستنصحوهم، وهم اليهود، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ لكم، فمن كان وليه، لم يضره عدوه. قال الخطابي: «الولي»: الناصر، و«الولي»: المتولي للأمر، والقائم به، وأصله من الولي، وهو القرب، و«النصير»: فاعيل بمعنى فاعل<sup>(٢)</sup>.

﴿يَوْمَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَنفَعَنَا شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ فَهُمْ فِي آيَاتِنَا وَمَعَنَا فِي آيَاتِنَا وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنفَعَنَا شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ فَهُمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّمْ يَفْعَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قال مقاتل: نزلت في رفاعه بن زيد، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وكلهم يهود. وفي «من» قولان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنها من صلة الذين أوتوا الكتاب، فيكون المعنى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا. والثاني: أنها مستأنفة، فالمعنى: من الذين هادوا قوم يحرقون، فيكون قوله: يحرقون، صفة، ويكون الموصوف محذوفاً، وأنشد سيبويه:

وما البههر إلا تارتان فمنهما

أموت وأخرى ابتغي العيش أكلح<sup>(٣)</sup>

والمعنى: فمنهما تارة أموت فيها. قال أبو علي الفارسي: والمعنى: وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا، أي: إن الله ينصر عليهم. فأما «التحريف»، فهو التغير. و«الكلم»: جمع كلمة. وقيل: إن «الكلام» مأخوذ من «الكلم»، وهو الجرح الذي يشق الجلد واللحم، فسمي الكلام كلاماً، لأنه يشق الأسماع بوصوله إليها، وقيل: بل لتشقيقه المعاني المطلوبة في أنواع الخطاب. وفي معنى تحريفهم الكلم قولان: أحدهما: أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن الشيء، فإذا خرجوا، حرقوا كلامه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه تبديلهم التوراة، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، أي: عن أماكنه ووجوهه.

(١) أخرج الأول ابن جرير ٤٢٨/٨ من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول. ونسبه السيوطي في «الدرر» ١٦٨/٢ إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) قال ابن كثير ٥٠٧/١ في تفسيره: يخبر تبارك وتعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - أنهم يشترون الضلالة بالهدى، ويعرضون عما أنزل الله على رسوله، ويتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين في صفة محمد ﷺ ليشتروا به ثمناً قليلاً من حطام الدنيا. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: يريدون لو تكفروا بما أنزل عليكم أيها المؤمنون، وتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ أي: هو يعلم بهم، ويحذرهم منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: كفى به ولياً لمن لجأ إليه، ونصيراً لمن استنصره.

(٣) البيت لنسيم بن مقبل، «ديوانه» ص ٢٤، و«الكتاب» ٣٧٦/١، و«الكامل» ٩٠٨/٣، و«حجاسة البحر» ١٨٣، و«الحيوان» ٤٨/٣. والكبح: الاكتساب، يقال: فلان يكبح على أهله. يقول: لا راحة في الدنيا، لأن وقتها قسمان، إما موت وهو مكروه عند النفس، وإما حياة وكلها سعي في المعيشة. واستشهد به سيبويه والمبرد على حذف الاسم للدلالة الصفة عليه، وتقديره الكلام: فمنها تارة أموت فيها، كما ذكره المؤلف رحمه الله.



قوله تعالى: ﴿وَيَتَوَلَّوْنَ سِمَتًا وَعَصَيْنَا﴾ قال مجاهد: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ عَيْرَ مَسْجِدٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: اسمع لا سمعت، قاله ابن عباس، وابن زيد، وابن قتيبة. والثاني: أن معناه: اسمع غير مقبول ما تقول، قاله الحسن، ومجاهد. وقد تقدم في (البقرة) معنى: وراعنا. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال قتادة: «اللي»: تحريك الألف بهمزة. وقال ابن قتيبة معنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أنهم يحرفون «راعنا» عن طريق المراعاة، والانتظار إلى السبب بالرعونة. قال ابن عباس: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما بدلوا، و﴿أَقْرَبُ﴾ أي: أعدل، ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَكْفُرْهُمُ اللَّهُ بِمَعْنَى﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا قليل، وهم عبد الله بن سلام، ومن تبعه، قاله ابن عباس. والثاني: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً، قاله قتادة، والزجاج. قال مقاتل: وهو اعتقادهم أن الله خلقهم ورزقهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْكُتُبِ مَا أُوتُوا بِهَا زَكَاةً مَصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْغَسَ وُجُوهَكُمْ فَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ وَتَلَعْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ أَعْيُنَ السَّيِّئِينَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْكُتُبِ مَا أُوتُوا بِهَا زَكَاةً﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ دعا قوماً من أحرار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب [ابن أسد] إلى الإسلام، وقال لهم: إنكم لتعلمون أن الذي جئت به حق، فقالوا: ما نعرف ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس (٣). وفي الذين أوتوا الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. وعلى الأول يكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: التوراة والإنجيل. والمراد بما نزلنا: القرآن، وقد سبق في (البقرة) بيان تصديقه لما معهم.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْغَسَ وُجُوهَكُمْ﴾ في طمس الوجوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إغماء العيون، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. والثاني: أنه طمس ما فيها من عين، وأنف، وحاجب، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، واختيار ابن قتيبة. والثالث: أنه ردّها عن طريق الهدى، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي. وقال مقاتل: من قبل أن نطمس وجوهاً، أي: نحول الملة عن الهدى والبصيرة. فعلى هذا القول يكون ذكر الوجه مجازاً. والمراد: البصيرة والقلوب. وعلى القولين قبله يكون المراد بالوجه: العضو المعروف.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ وَتَلَعْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: نُصَيِّرُهَا فِي الْأَقْيَافِ، وَنَجْعَلُ عِيُونَهَا فِي الْأَقْيَافِ، هذا قول ابن عباس، وعطية. والثاني: نُصَيِّرُهَا كَالْأَقْيَافِ، ليس فيها فم، ولا حاجب، ولا عين، وهذا قول قوم، منهم ابن قتيبة. والثالث: نجعل الوجه منبتاً للشعر، كالقروء، هذا قول الفراء. والرابع: نُنْفِثُهَا مَدْبَرَةً عَنْ دِيَارِهَا وَمَوَاضِعِهَا. وإلى نحوه ذهب ابن زيد. قال ابن جرير: فيكون المعنى: من قبل أن نطمس وجوههم التي هم فيها. وناحيتهم التي هم بها نزول، فردها على أدبارها من حيث جاؤوا بديناً من الشام (٣). والخامس: نردها في الضلالة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل.

(١) في «مشكل القرآن» ٢٩١: هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي ﷺ إذا حدثهم وأمرهم: سمعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا، وإن أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت، ويقولون له: راعنا، يوهمون في ظاهر اللفظ أنهم يريدون: انتظرونا، حتى تكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أرعني سمعت راعني، أي: انتظرنني وترفق بي وتلوم علي، هذا ونحوه، وإنما يريد سبه بالرعونة في أنفسهم، فقال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زَكَاةً مِمَّا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾ ويقولون كذا وكذا، ويقولون: ﴿وَرَوَيْتُمْ لَنَا بِالْأَيْتِمْ﴾ أي: قلباً للكلام بها، ﴿وَلَكُنَّا فِي الْأَيْتِمْ وَكُنَّا فِي الْأَيْتِمْ وَكُنَّا فِي الْأَيْتِمْ﴾ مكان قولهم: سمعنا وعصينا، وقالوا: واسمع، مكان قولهم: لا سمعت، وانتظرونا، مكان قولهم: راعنا، لكن خيراً لهم وأقوم. والعرب تقول: نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد، قال الحطيفة:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ لِبَنَاءٍ عَاشِيَةٍ  
لِلنَّاسِ طَالِبَا بِهَا حَزْزِي وَتَشَاسِي

(٢) أخرجه ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس.

(٣) في تفسير الطبري ٤٤٢/٨: وقال آخرون: معنى ذلك: من قبل أن نمحو آثارهم من وجوههم التي هم بها، وناحيتهم التي هم بها، فردها على أدبارها من حيث جاؤوا منه بديناً من الشام.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَلَظَّتْهُمْ﴾ يعود إلى أصحاب الوجوه. وفي معنى لعن أصحاب السبب قولان: أحدهما: مسخهم قردة، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل. والثاني: طردهم في التيه حتى هلك فيه أكثرهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْفُولًا﴾ قال ابن جرير: الأمر هاهنا بمعنى المأمور، سُمِّيَ باسم الأمر لحدوثه عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْغِي أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَتَغَيَّرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْغِي أَنْ يَشْرَكَ بِهِ﴾ قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الَّذِينَ نَدَّبُوا عَنْكُمْ﴾

رَجَعَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يَتَغَيَّرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] قالوا لرسول الله ﷺ: والشرك؟ فكره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه<sup>(١)</sup>.

وقد سبق معنى الإشراف.

والمراد من الآية: لا يغفر لمشرك مات على شركه. وفي قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ نعمة عظيمة من وجهين: أحدهما: أنها تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا يقطع عليه بالعذاب، وإن مات مصراً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكُونَ قَوْلًا كَذِبًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكُونَ قَوْلًا كَذِبًا﴾ سبب نزولها: أن مرحب بن زيد، وبحري بن عون - وهما من اليهود - أتيا النبي ﷺ بأطفالهما، ومعهما طائفة من اليهود فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، قالوا: والله ما نحن إلا كهيتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كُفِّرَ عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كُفِّرَ عنا بالنهار، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ قولان: أحدهما: ألم تُخبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: ألم تعلم، قاله الزجاج. وفي الذين يزكون أنفسهم قولان: أحدهما: اليهود على ما ذكرنا عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنهم اليهود، والنصارى، وبه قال الحسن، وابن زيد. ومعنى «يزكون أنفسهم»: يزعمون أنهم أزكيا، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح. وفي الذي زكوا به أنفسهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم يزعمون أنهم أزكيا، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح. والثاني: أن اليهود قالوا: إن أبناءنا الذين ماتوا يزكوننا عند الله، ويشفعون لنا، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم، هذا قول عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك. والرابع: أن اليهود والنصارى قالوا: ﴿هَٰمْ أَتَبُّوا اللَّهَ وَأَجْبَلُوا﴾ [المائدة: ١٨] وقالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًى﴾ [البقرة: ١١١] هذا قول الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ اللَّهُ يُرِيكُم مِّنْ يَّشَاءُ﴾ أي: يجعله زاكياً، ولا يظلم الله أحداً مقدار فتيل. قال ابن جرير: وأصل «الفتيل»: المفتول، صُرف عن مفعول إلى فاعل، كصريع، ودهين. وفي الفتيل قولان: أحدهما: أنه ما يكون في شق النواة، رواه عكرمة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك، وقتادة، وعطية، وابن زيد، ومقاتل، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه ما يخرج بين الأصابع من الوسخ إذا دلكن، رواه العوفي، عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو مالك، والسدي، والفراء.

(١) ابن جرير ٤٤٩/٨، ونقله عنه ابن كثير، ثم قال: وقد روى ابن مردويه من طرق عن ابن عمر.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٤٥٠/٨: وقد أبانت هذه الآية على أن كل صاحب كبيرة بقي مشية الله تعالى، إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبريته شركاً بالله تعالى. قلت: وروى البخاري في «صحيحه» ٦٠/١ عن عبادة بن الصامت ﷺ - وكان شهد بدرًا - وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «يا معيوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بهتاناً فتفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفي منكم، فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه» فبايعناه على ذلك. ورواه مسلم ١٣٣٣/٣ والترمذي. وروى الإمام أحمد في «المسنَد» ١٦٦/٥ عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى ثلاثاً»، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر»، فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر» ورواه الشيخان.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٨ بمعناه عن الكلبي.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى إِثْمًا ثُبِينًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وهو قولهم: ﴿حَسْبُ آبَتُوا اللَّهَ وَأَجَبُوا﴾ وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانًا﴾ وقولهم: لا ذنب لنا، ونحو ذلك مما كذبوا فيه ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ أي: وحسبهم بقيلهم الكذب ﴿إِثْمًا ثُبِينًا﴾ يبين كذبهم لسامعيه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن جماعة من اليهود قدموا على قريش، فسألوهم: أديتنا خير، أم دين محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن كعب بن الأشرف، وحبي بن أخطب، قدما مكة، فقالت لهما قريش: أنحن خير، أم محمد؟ فقالا: أنتم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة في رواية<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: نزلت في كعب، وحبي، ورجلين آخرين من بني النضير قالوا لقريش: أنتم أهدى من محمد. والثالث: أن كعب بن الأشرف وهو الذي قال لكفار قريش: أنتم أهدى من محمد، فنزلت هذه الآية. وهذا قول مجاهد، والسدي، وعكرمة في رواية. والرابع: أن حبي بن أخطب قال للمشركين: نحن وإياكم خير من محمد، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد. والمراد بالمذكورين في هذه الآية اليهود. وفي «الجب» سبعة أقوال. أحدها: أنه السحر، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد، والشعبي. والثاني: الأصنام، رواه عطية، عن ابن عباس. وقال: عكرمة: الجب: صنم. والثالث: حبي بن أخطب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: كعب بن الأشرف، رواه الضحاك، عن ابن عباس، وليث عن مجاهد. والخامس: الكاهن، روي عن ابن عباس، وبه قال ابن سيرين، ومكحول. والسادس: الشيطان، قاله سعيد بن جبيرة في رواية، وقاتدة، والسدي. والسابع: الساحر، قاله أبو العالية، وابن زيد. وروى أبو بشر، عن سعيد بن جبيرة، قال: الجب: الساحر بلسان الحبشة. وفي المراد بالطاغوت هاهنا ستة أقوال: أحدها: الشيطان، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد في رواية، والشعبي، وابن زيد. والثاني: أنه اسم للذين يكونون بين يدي الأصنام يعبرون عنها ليضلوا الناس، رواه العوفي، عن ابن عباس. والثالث: كعب بن الأشرف، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء. والرابع: الكاهن، وبه قال سعيد بن جبيرة، وأبو العالية، وقاتدة، والسدي. والخامس: أنه الصنم، قاله عكرمة. وقال: الجب والطاغوت صنمان. والسادس: الساحر، روي عن ابن عباس، وابن سيرين، ومكحول. فهذه الأقوال تدل على أنهما اسمان لمسميين. وقال اللغويون منهم ابن قتيبة، والزجاج: كل معبود من دون الله، من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جب وطاقوت<sup>(٣)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٠، والطبري من طريق ابن إسحاق ٤٦٩/ ٨ وفي سننه مجهول.

(٢) أثر عكرمة، رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم مرسلاً. وروى ابن جرير ٤٦٦/ ٨ عن ابن عباس، قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت له قريش: أنت خير أهل المدينة وسيدهم؟ قال: نعم. قالوا: ألا ترى إلى هذا الصنوبر الصنبر من قومك. يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجج، وأهل السنانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير منه. قال: فانزلت: ﴿إِنَّكُمْ سَاءَ مَا كَذَبْتُمْ﴾ [الكوثر: ٣] وأنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ وإسناده صحيح. وزاد السيوطي نسب في «الدرة» ١٧١/ ٢ لأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وقولهم «ألا ترى إلى هذا الصنوبر الأبر» في «النهاية» الصنوبر: سمفات تنبت في جذع النخلة، لا في الأرض، ثم قالوا للرجل الفرد الضعيف اللليل الذي لا أمل له ولا عقب ولا ناصر: «صنوبر» قال الأستاذ محمود شاكر: فأراد هؤلاء الكفار من قريش أن محمداً ﷺ - بابي هو وأمي - صنوبر تنبت في جذع نخلة، فإذا قلع انقطع، كذلك هو إذا مات، فلا عقب له. وكذبوا ونصر الله رسوله ﷺ وقطع دابر الكافرين. والأبر: الذي لا عقب له.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٤٦٥/ ٨: والصواب من القول في تأويل ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّغُوتِ﴾ أن يقال: يصدقون بمعبودين من دون الله، يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين، وذلك أن «الجب» و«الطاغوت» اسمان لكل معظم بمادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كأنما ما كان ذلك المعظم، من حجر أو إنسان أو شيطان، وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبد، كانت معظمة بالمادة من دون الله، فقد كانت تجبوتاً وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تعبد في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالوا في أهل الشرك بالله، وكذلك حبي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله، والكفر به، ورسوله، فكانا جبين وطاقوتين.



قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ لَإِذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني لمشركي قريش: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الْآيِينَ آمَنُوا﴾، يعنون النبي وأصحابه طريقاً في الديانة والاعتقاد.

﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (٥٢) أَمْ لَمْ تَنْصِبْ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴿أَمْ لَمْ تَنْصِبْ مِنَ الْمَلِكِ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، فالتقدير: ليس لهم. وقال الفراء: قوله: ﴿إِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ جوابٌ لجزء مضمّر، تقديره: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نصيراً<sup>(١)</sup>. وفي «التقيير» أربعة أقوال: أحدها: أنه النقطة التي في ظهر النواة، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وقناة، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل، والفراء، وابن قتيبة في آخرين. والثاني: أنه القشر الذي يكون في وسط النواة، رواه التيمي، عن ابن عباس. وروي عن مجاهد: أنه الخيط الذي يكون في وسط النواة. والثالث: أنه نقر الرجل الشيء بطرف إبهامه، رواه أبو العالية، عن ابن عباس. والرابع: أنه حبة النواة التي في وسطها، رواه ابن أبي نجيع، عن مجاهد. قال الأزهري: «والقتيل» و«التقيير» و«القطمير»: تضرب أمثلاً للشيء التافه الحقيق.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٥٤) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ سبب نزولها: أن أهل الكتاب قالوا: يزعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة، فأى ملك أفضل من هذا، فنزلت، رواه العوفي، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى ألف الاستفهام، قاله ابن قتيبة. والثاني: بمعنى «بل» قاله الزجاج، وقد سبق ذكر «الحسد» في (سورة البقرة) والحاسدون هاهنا: اليهود. وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال: أحدها: النبي ﷺ، رواه عطية، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل. والثاني: النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام. والثالث: العرب، قاله قناة. والرابع: النبي، والصحاب، ذكره الماوردي. وفي الذي آتاهم الله من فضله ثلاثة أقوال: أحدها: إياحه الله تعالى نبيه أن ينكح ما شاء من النساء من غير عدد، روي عن ابن عباس، والضحاك، والسدي. والثاني: أنه النبوة، قاله ابن جريج، والزجاج. والثالث: بعثة نبي منهم على قول من قال: هم العرب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، والإنجيل، والزبور. كله كان في آل إبراهيم، وهذا النبي من أولاد إبراهيم. وفي الحكمة قولان: أحدها: النبوة، قاله السدي، ومقاتل. والثاني: الفقه في الدين، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي الملك العظيم خمسة أقوال: أحدها: ملك سليمان، رواه عطية، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: ملك داود، وسليمان في النساء، كان لداود مائة امرأة، وسليمان سبعمائة امرأة، وثلاثمائة سريّة، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال السدي. والثالث: النبوة، قاله مجاهد. والرابع: التأييد بالملائكة، قاله ابن زيد في آخرين.

(١) قال الطبري ٤٧٥/٨: ورفع قوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ﴾ ولم ينصب بـ «إذ» ومن حكمها أن تنصب الأفعال المستقبلية إذا ابتدئ الكلام بها، لأن معها «فام» ومن حكمها إذا دخل فيها بعض جروف المطف على توجه إلى الابتداء بها مرة، وإلى النقل عنها إلى غيرها أخرى، وهذا الموضع مما أريد به «الفاء» في النقل عن «إذن» إلى ما بعدها، وأن يكون معنى الكلام: أم لهم نصيب، فلا يؤتون الناس نصيراً إذن. وانظر استيفاء الكلام على «إذن». فيسوي «٤١١/١»، ومعاني القرآن للفراء ٢٧٣/١.

(٢) رواه ابن جرير ٤٧٨/٨ قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فذكره. وهذا إسناد مبسّل بالضعفاء: محمد بن سعد، قال الخطيب: هو لين في الحديث، وأبوه سعد بن محمد بن الحسن العوفي، ضعيف جداً، وعنه: وهو الحسن بن الحسن بن عطية العوفي، ضعفه ابن معين، وابن سعد، وأبو حاتم، والنسائي. وأبو: هو الحسن بن عطية بن سعد العوفي، وهو ضعيف أيضاً. قال البخاري في «الكبير»: ليس ذاك، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث. وأبو أبيه: عطية بن سعد بن جندة العوفي، قال الحافظ في «التقيير»: صدوق يخطئ كثيراً، كان مدلساً.

(٣) قال ابن جرير ٤٧٩/٨: وأولى التأويلين في ذلك بالصراب قول قناة وابن جريج الذي ذكرناه قبل، أن معنى «الفضل» في هذا الموضع: النبوة التي فضل الله بها محمداً، وشرف بها العرب، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم، لما ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية تدل على أنها تقرّبط للنبي ﷺ وأصحابه، رحمة الله عليهم، على ما قد بينا قبل، وليس النكاح وتزوج النساء - وإن كان من فضل الله جل ثناؤه الذي آتاه عباده - بتقرّبط لهم ومدح.

(٤) سنده ضعيف.



والخامس: الجمع بين سياسة الدنيا، وشرع الدين، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

﴿فَيَنْهَى مَنْ آمَنَ بِهِ وَيَتَمَنَّى مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَمِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَى مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ فيمن تعود عليه الهاء والميم قولان: أحدهما: اليهود الذين أنذرهم نبينا محمد ﷺ، وهذا قول مجاهد، ومقاتل، والفراء في آخرين. فعلى هذا القول في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: تعود على ما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ، قاله مجاهد. قال أبو سليمان: فيكون الكلام مبنياً على قوله ﴿عَلَى مَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو النبوة، والقرآن. والثاني: أنها تعود إلى النبي ﷺ، فتكون متعلقة بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني بالناس: محمداً ﷺ، ويكون المراد بقوله: ﴿فَيَنْهَى مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ عبد الله بن سلام، وأصحابه. والثالث: أنها تعود إلى النبي عن آل إبراهيم، قاله الفراء. والقول الثاني: أن الهاء، والميم في قوله «فمنهم» تعود إلى آل إبراهيم، فعلى هذا في هاء «به» قولان: أحدهما: أنها عائدة إلى إبراهيم، قاله السدي. والثاني: إلى الكتاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَمَنَّى مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير، وعكرمة، وابن يعمر، والجدري: «من صَدَّ عنه» برفع الصاد. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو رجاء والجوني: بكسر الصاد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا يُصَلَّى جُلُودُهُمْ بِذَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا يَكُودُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ قال الزجاج: أي: نشويهم في نار. ويروى أن يهودية أدت إلى النبي ﷺ شاة مصلية، أي: مشوية. وفي قوله: ﴿بِذَلَّتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قولان: أحدهما: أنها غيرها حقيقة، ولا يلزم على هذا أن يقال: كيف بدلت جلود التذت بالمعاصي بجلود ما التذت، لأن الجلود آفة في إيصال العذاب إليهم، كما كانت آفة في إيصال اللذة، وهم المعاقبون لا الجلود. والثاني: أنها هي بعينها تعاد بعد احتراقها، كما تعاد بعد البلى في القبور. فتكون الغيرية عائدة إلى الصفة، لا إلى الذات، فالمعنى: بدلناهم جلوداً غير محترقة، كما تقول: صُغت من خاتمي خاتماً آخر. وقال الحسن البصري في هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فعادوا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَفُتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِّلَتْهُمْ فِي ظِلِّكَ ظِلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُخِّلَتْهُمْ ظِلًّا ظِلِيلًا﴾ قال الزجاج: هو الذي يُظْلُ من الحرِّ والريح، وليس كلُّ ظلٍّ كذلك، فأعلم الله تعالى أن ظل الجنة ظليل لا حرَّ معه، ولا برد. فإن قيل: أفي الجنة برد أو حر يحتاجون معه إلى ظل؟ فالجواب: إن لا، وإنما خاطبهم بما يعقلون مثله، كقوله: ﴿وَلَمْ يَفُتْهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ﴾ [مریم: ٦٢] وجواب آخر: وهو أنه إشارة إلى كمال وصفها، وتمكين بناؤها، فلو كان البرد أو الحر يتسلط عليها، لكان في أبنيتها وشجرها ظل ظليل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ حَكِيمًا بَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما فتح مكة، طلب مفتاح البيت من عثمان بن أبي طلحة، فذهب ليعطيه إياه، فقال العباس: بأبي أنت وأمي اجتمع لي مع السقاية، فكف عثمان يده مخافة أن يعطيه للعباس، فقال النبي ﷺ: «هاهنا المفتاح» فأعاد العباس قوله، وكف عثمان، فقال النبي ﷺ: «أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله وباليوم الآخر» فقال: هاك يا رسول الله بأمانة الله، فأخذ المفتاح، ففتح البيت، فنزل جبريل بهذه الآية، فدعا عثمان، فدفعه إليه. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال مجاهد،

(١) رجح ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» ٤٨٢/٨ قول ابن عباس في تفسير «الملك» بملك سليمان، قال: لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، دون الذي قال: إنه ملك النبوة، ودون قول من قال: إنه تحليل النساء والملك عليهن، لأن كلام الله الذي خطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيه من معانيه، إلا أن تأتي دلالة، أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك، يجب التسليم لها.

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١٧٤/٢: أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس مطولاً. قلت: والكلبي وأبو صالح ضعيفان لا يحتج بهما.

والزهري، وابن جريج، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في الأمراء. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال زيد بن أسلم، وابنه، ومكحول، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وقال: أمر الأمراء أن يؤدوا الأمانة في أموال المسلمين. والثالث: أنها نزلت عامة، وهو مروى عن أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وقنادة، واختاره القاضي أبو يعلى. وأعلم أن نزولها على سبب لا يمنع عموم حكمها، فإنها عامة في الودائع وغيرها من الأمانات. وقال ابن مسعود: الأمانة في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الصوم، وفي الحديث، وأشد ذلك في الودائع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَآٰلِیْهِ الرَّسُوْلِ وَاَوَّلِ الْاَمْرِ مِثْلًا لِّمَا نُنَزِّلُ فِيْهِ وَذُرُوْهُ لَئِیۡلَ اللّٰهِ وَرَسُوْلُوْهُ اِنَّ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ فَاِنَّكُمْ لَعِنٌ وَّارِثُوْنَ ۝۸۱﴾

قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَآٰلِیْهِ الرَّسُوْلِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، أخرجه البخاري، ومسلم، من حديث ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عمار بن ياسر كان مع خالد بن الوليد في سرية، فهرب القوم، ودخل رجل منهم على عمار، فقال: إني قد أسلمت، هل ينتفني، أو أذهب كما ذهب قومي؟ قال عمار: أقم فأنت آمن، فرجع الرجل، وأقام فجاء خالد، فأخذ الرجل، فقال عمار: إني قد أمته، وإنه قد أسلم، قال: أنتجبر علي وأنا الأمير؟ فتنازعا، وقدم على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأٰمِنُوْا الرَّسُوْلَ﴾ طاعة الرسول في حياته: امتثال أمره، واجتناب نهيه، وبعد مماته: اتباع سنته<sup>(٤)</sup>. وفي أولي الأمر أربعة أقوال: أحدها: أنهم الأمراء، قاله أبو هريرة<sup>(٥)</sup>، وابن عباس في رواية، وزيد بن أسلم، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنهم العلماء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وأبي العالية، وعطاء، والنخعي، والضحاك، ورواه خصيف عن مجاهد. والثالث: أنهم أصحاب النبي ﷺ، رواه ابن

(١) قال ابن كثير في تفسير الآية: يخبر تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمره أن رسول الله ﷺ قال: «أد الأمانة إلى من ائتمت، ولا تخن من خانت»، رواه الإمام أحمد وأهل السنن. وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله ﷻ على عباده من الصلاة والزكاة والصيام، والكفارات، والندور، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه، لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض، كالودائع وغير ذلك مما ياتمون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك، فأمر الله ﷻ بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤنن الحقوق إلى أهلها حتى يقتض للثأ للجماء من القرناء». قلت: وحديث «أد الأمانة...» رواه أبو داود في سننه ٣٩٣/٣، والترمذي ٢٥١٢/٢، والدارمي ٢٦٤/٢، والحاكم ٤٦٢/٢، كلهم من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب. وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قلت: وهو حديث صحيح. وقد وهم الشيخ أحمد شاكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في عزو الحديث إلى الإمام أحمد وأهل السنن من طريق سمره. وللإمام ابن تيمية رحمه الله رسالة أسماها «السياسة الشرعية» بناها على هذه الآية الكريمة، فارجع إليها، فإنها فريدة في بابها.

(٢) البخاري: ١٩٠/٨، ومسلم: ٤٦٥/٣. قال الحافظ في «الفتح»: كذا ذكره - أي: البخاري - مختصراً، والمعنى: نزلت في قصة عبد الله بن حذافة، أي: المقصود منها في قصته قوله ﴿إِن نَّزَّلْنَاهُ فِيْ قَوْمٍ قُرْءُوْهُ لَئِیۡلَ اللّٰهِ﴾ - الآية. قلت: وقصة حذافة بطولها رواها الإمام أحمد ٦٢٢/٢، والبخاري ١٣/١٠٩، ومسلم ٤٦٩/٣ عن علي ﷺ، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية. واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء فقال: اجتمعوا لي حطباً، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي ويطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه، وطفئت النار، فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف».

(٣) ذكره ابن جرير بأطول مما ذكره المصنف ٤٩٨/٨ عن السدي، ونقله ابن كثير عنه ٥١٨/١ ثم قال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طرق عن السدي مرسلًا، ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي صالح، عن ابن عباس، فذكره بنحوه والله أعلم.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: النكته في إعادة العامل في «الرسول» دون «أولي الأمر» مع أن المطاع في الحقيقة هو الله تعالى، كون الذي يعرف به ما يقع به التكليف، هما القرآن والسنة، فكان التقدير: وأطيعوا الله فيما قضى عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، والمعنى: أطيعوا الله فيما يأمركم به من الوحي المتبدي بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن. قلت: وقد روى أبو داود ٢٧٩/٤ بسند صحيح عن المقدام بن مدي كرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرمه رسول الله ﷺ كما حرم الله».

(٥) رواه ابن جرير عن أبي هريرة بإسناد صحيح، وقد ذكره الحافظ في «الفتح» ١٩١/٨، وقال: أخرجه الطبري بإسناد صحيح.

أبي نجیح، عن مجاهد، وبه قال بكر بن عبد الله المزني. والرابع: أنهم أبو بكر، وعمر، وهذا قول عكرمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِن نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: معناه: اختلفتم وقال كل فريق: القول قولي. واشتقاق المنازعة: أن كل واحد يتزعج الحجة.

قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ في كيفية هذا الرد قولان: أحدهما: أن رده إلى الله رده إلى كتابه، وردده إلى النبي رده إلى سنته، هذا قول مجاهد، وقتادة، والجمهور. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الرد يكون من وجهين: أحدهما: إلى المنصوص عليه باسمه ومعناه. والثاني: الرد إليهما من جهة الدلالة عليه، واعتباره من طريق القياس، والنظائر. والقول الثاني: أن رده إلى الله ورسوله أن يقول من لا يعلم الشيء: الله ورسوله أعلم، ذكره قوم منهم الزجاج. وفي المراد بالتأويل أربعة أقوال: أحدها: أنه الجزاء، والثواب، وهو قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أنه العاقبة، وهو قول السدي، وابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أنه التصديق، مثل قوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رَسُولِي﴾ [يوسف: ١٠٠] قاله ابن زيد في رواية. والرابع: أن معناه: ردكم إياه إلى الله ورسوله أحسن من تأويلكم، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْنَا وَمَا نُنَزِّلُ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل إلى كعب بن الأشرف، فأبى اليهودي، فأتيا النبي ﷺ، ففضى لليهودي، فلما خرجا، قال المنافق: ننتقل إلى عمر بن الخطاب، فأقبل إليه، ففضا عليه القصة، فقال: رويداً حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، فاشتمل على السيف، ثم خرج، فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن أبا بردة الأسلمي كان كاهناً يقضي بين اليهود، فتنافر إليه ناس من المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة، عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن يهودياً ومنافقاً كانت بينهما خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي، لأنه لا يأخذ الرشوة، ودعا المنافق إلى حكاهم، لأنهم يأخذون الرشوة، فلما اختلفا، اجتمعا أن يحكما كاهناً، فنزلت هذه الآية، هذا قول الشعبي<sup>(٥)</sup>. والرابع: أن رجلاً من بني النضير قتل رجلاً من بني قريظة، فاختصموا،

(١) قال أبو جعفر: وأولى الأقوال من ذلك بالصواب، قول من قال: هم الأمراء، والولاة، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالامر بطاعة الأمة والولاة فيما كان الله طاعة، وللمسلمين مصلحة. ثم ذكر الأحاديث التي وردت في الباب.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٥١٨/١ في تفسير الآية: وهذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ فِي شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠] فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وهذا له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ﴾ أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمناً بالله، ولا باليوم الآخر. وقوله: ﴿فَلْيَكُنْ خَبَرٌ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع في فصل النزاع إليهما خير ﴿وَأَمَّا تَأْوِيلُهُ﴾ أي: وأحسن عاقبة وأماً، كما قاله السدي وغير واحد، وقال مجاهد: وأحسن جزاء وهو قريب.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٩٢ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) نقل الخبر الهشمي في «المجمع» ٦/٧ وقال: رواه الطبراني، ووجاهه رجال الصحيح، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٧٨/٢ عن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: في ترجمة أبي بردة: وعند الطبراني بسند جيد عن ابن عباس قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود، فذكر القصة في نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْنَا وَمَا نُنَزِّلُ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. قلت: وقوله: «فتنافر إليه ناس من المسلمين» هكذا جاءت في الأصول وفي «مجمع الزوائد» ٦/٧، و«الدر المنثور» ١٧٨/٢، و«لباب القول» ص: ٦٧، والطبري ٥١٠/٨ من رواية السدي «فقال المنافق من بني قريظة والنضير: انطلقوا إلى أبي بردة بن بشر بيننا» وفي ابن كثير ٥١٩/١: «فتنافر إليه ناس من المشركين» وفي «أسباب النزول» للواحدي ص: ٩٢ «فتنافر إليه ناس من أسلم». وفي «المجمع» و«ابن كثير» و«الفتح» ٢٩/٥ و«الدر المنثور» و«أسباب النزول»: «أبو بردة» بدل «أبي بردة» وهو خطأ.

(٥) ابن جرير ٥٠٨/٨، عن الشعبي، ونسبه السيوطي في «الدر» لابن المنذر، وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٩٢ بسنده إلى الشعبي.

فقال المنافقون منهم: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن، فقال المسلمون من الفريقين: بل إلى النبي ﷺ، فأبى المنافقون، فانطلقوا إلى الكاهن، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي<sup>(١)</sup>. والرَّعْم والرُّعْم لغتان، وأكثر ما يستعمل في قول ما لا تتحقق صحته، وفي «الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليه وما أنزل من قبله» قولان: أحدهما: أنه المنافق. والثاني: إن الذي زعم أنه آمن بما أنزل إليه المنافق، والذي زعم أنه آمن بما أنزل من قبله اليهودي. والطاغوت: كعب بن الأشرف، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والربيع، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ قال مقاتل: أن يتبرؤوا من الكهنة، و«الضلال البعيد»: الطويل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قال مجاهد: هذه الآية والتي قبلها نزلتا في خصومة اليهودي، والمنافق، والهاء والميم في «لهم»: إشارة إلى الذين يزعمون. و«الذي أنزل الله»: أحكام القرآن. و«إلى الرسول» أي: إلى حكمه.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ سَاءَ قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ أَنْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ أي: كيف يصنعون ويحتالون إذا أصابتهم عقوبة من الله؟ وفي المراد بالمصيبة قولان: أحدهما: أنه تهديد ووعد. والثاني: أنه قتل المنافق الذي قتله عمر. وفي الذي قدمت أيديهم ثلاثة أقوال: أحدها: نفاقهم واستهزاؤهم. والثاني: ردّهم حكم النبي ﷺ. والثالث: معاصيهم المتقدمة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾ بمعنى: ما أردنا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما قتل عمر صاحبهم، جاؤوا يطلبون بدمه، ويحلفون ما أردنا بالمطالبة بدمه إلا إحساناً إلينا، وما يوافق الحق في أمرنا. والثاني: ما أردنا بالترافع إلى عمر إلا إحساناً وتوفيقاً. والثالث: أنهم جاؤوا يعتذرون إلى النبي ﷺ من محاكمتهم إلى غيره، ويقولون: ما أردنا في عدولنا عنك إلا إحساناً بالتقريب في الحكم، وتوفيقاً بين الخصوم دون الحمل على مَرِّ الحق<sup>(٢)</sup>.

﴿أَوَلَيْكَ الْكُذِبُ يَمْلِكُ اللَّهُ مَا فِي فُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الْكُذِبُ يَمْلِكُ اللَّهُ مَا فِي فُلُوبِهِمْ﴾ أي: من النفاق والزيف. وقال ابن عباس: إضمارهم خلاف ما يقولون «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» ولا تعاقبهم «وَعِظْهُمْ» بلسانك «وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» أي: تقدّم إليهم: إن فعلتم الثانية، عاقبتكم. وقال الزجاج: يقال: بَلَغَ الرجل يَبْلُغُ بلاغة فهو بليغ: إذا كان يبلغ بعبارة لسانه كُتُه ما في قلبه. وقد تكلم العلماء في حدّ «البلاغة» فقال بعضهم: «البلاغة»: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وقيل: «البلاغة»: حسن العبارة مع صحة المعنى، وقيل: «البلاغة»: الإيجاز مع الإفهام، والتصرّف من غير إضجار. قال خالد بن صفوان: أحسن الكلام ما قلّت ألفاظه، وكثُرَت معانيه، وخيّر الكلام ما شَوَّق أوله إلى سماع آخره. وقال غيره: إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سبق لفظه معناه، ومعناه لفظه، ولم يكن لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.

## فصل

وقد ذهب قوم إلى أن «الإعراض» المذكور في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

(١) رواه ابن جرير ٥٠٨/٨ عن السدي.

(٢) قال أبو جعفر في تفسير الآية: يعني بذلك جل ثناؤه، فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ يعني إذا نزلت بهم نعمة من الله ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني بذنوبهم التي سلفت منهم، ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ أَنْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ ثم جاؤوا يحلفون بالله كذباً وزوراً ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ وهذا خير من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العبر والنعم، وأنهم إن تأتاهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت لم ينبيوا ولم يتوبوا، ولكنهم يحلفون بالله كذباً وجرأة على الله: ما أردنا باحتكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلى بعض، والصواب فيما احتكمتنا فيه إليه.



﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاهِلُونَ فَاستَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَجَدُّوا اللَّهَ تَوَابًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ قال الزجاج: «من» دخلت للتوكيد. والمعنى: وما أرسلنا رسولاً إلا ليطاع. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى: الأمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الإذن نفسه، قاله مجاهد. وقال الزجاج: المعنى: إلا ليطاع بأن الله أذن له في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يرجع إلى المتحاكمين اللذين سبق ذكرهما. قال ابن عباس: ظلّموا أنفسهم بسخطهم قضاء الرسول ﴿جَاهِلُونَ﴾ فاستغفروا الله من صنيعهم.

﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال النبي ﷺ للزبير: «اسق ثم أرسل إلى جارك» فغضب الأنصاري، قال: يا رسول الله: أن كان ابن عمتك قتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجذرة» قال الزبير: فوالله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك. أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في المنافق، واليهودي اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف، وقد سبقت قصتهما، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يحكموك، وقيل: «لا» رد لزعمهم أنهم مؤمنون، والمعنى: فلا، أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا، وهم يخالفون حكمك. ثم استأنف، فقال: وريك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، أي: فيما اختلفوا فيه. وفي «الحر» قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي في آخرين. والثاني: الضيق، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وفي قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قولان: أحدهما: يسلموا لما أمرتهم به، فلا يعارضونك، هذا قول ابن عباس، والزجاج، والجمهور. والثاني: يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك، ذكره الماوردي.

﴿وَلَوْ أَنَّا كُنِينَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا قُلْتُمْ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ قُلُوا مَا يُوعَدُونَ إِنْ كُنَّا حَرًّا لَمْ نَاشْكُ تَلَيُّكًا﴾ وَإِذَا لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرٌ عَظِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنِينَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من اليهود قال: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم، فقتلناها. فقال ثابت بن قيس بن الشماس: والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: «لو» يمتنع به الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جاءني زيد لجنته. والمعنى: أن

(١) الشراج، بكسر الشين، جمع شرج: مسيل الماء من الحرة إلى السهل. والحرة: موضع معروف بالمدينة، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة، كأنما أحرقت بالنار.

(٢) البخاري ٢٦/٥، ومسلم ١٨٣٠/٤، ولفظه من عروة، عن عبد الله بن الزبير ﷺ أنه حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاخصم عند النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك، قتلون وجه النبي ﷺ، ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يربح إلى الجذرة» قال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حَتَّى يَحْكُمَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمَا. وقد أفاض الحافظ ابن حجر في «الفتح» في بيان صحة الحديث واتصاله فانظرو. قوله: «فقال الأنصاري سرح» أي: أطلق الماء، وإنما قال له ذلك، لأن الماء كان يمر بأرض الزبير قبل أرض الأنصاري، فيحبسه لإكمال سقي أرضه، ثم يرسله إلى أرض جاره، فالتمس منه الأنصاري تعجيل ذلك فامتنع. وقوله: «أن كان ابن عمتك» بفتح همزة «أن» وهي للتعليل، كأنه قال: حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك. وقوله: «حتى يرجع إلى الجذرة» أي: يصير إليه والجذرة، بفتح الجيم: الحواجز التي تحبس الماء.

(٣) الطبري ٥٢٣/٨. قال الحافظ في «الفتح» ٢٩/٥: إسناده صحيح. وقد رجح ابن جرير هذا القول، وقال: إنه أولى بالصواب، لأن قوله ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمَا﴾ في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ «أَمْسُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَهُكُم» وَلَا دَلِيلَ تَدُلُّ عَلَى انْقِطَاعِ قَصَّتِهِمْ، فإلحاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالته على انقطاعه أولى. ثم قال: وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحكمين إلى الطاغوت، ويكون فيها بيان ما أحكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري.

(٤) ابن جرير ٥٢٦/٨، ونقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم أيضاً.

محببتك امتنع لامتناع محبته، و«كتبنا» بمعنى: فرضنا. والمعنى: لو أنا فرضنا على المؤمنين بك أن يقتلوا أنفسهم. قرأ أبو عمرو: «أَنْ أَقْتُلُوا» أنفسهم، بكسر النون، «أَوْ أُخْرِجُوا» بضم الواو. وقرأ ابن عامر، وابن كثير، ونافع، والكسائي: «أَنْ أَقْتُلُوا أَوْ أُخْرِجُوا» بضم النون والواو. وقرأ عاصم، وحزمة بكسرهما. والمعنى: لو فرضنا عليهم كما فرضنا على قوم موسى، لم يفعله إلا قليل منهم، هذه قراءة الجمهور. وقرأ ابن عامر: «إِلَّا قَلِيلًا» بالنصب. «وَلَوْ أَنَّهُمْ» يعني: المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك «فَقُلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ» أي: ما يذكرون به من طاعة الله، والوقوف مع أمره، «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» وأثبت لأمورهم. وقال السدي: «وَأَشَدَّ تَنبِيْهًا» أي: تصديقاً.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِالْعِلْمِ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد المحبة لرسول الله ﷺ، فرآه رسول الله يوماً فعرف الحزن في وجهه، فقال: «يا ثوبان ما غير وجهك؟» قال: ما بي من وجع غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك، فأذكر الآخرة، فأخاف أن لا أراك هناك، فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: ما ينبغي أن نفارقك في الدنيا، فإنك إذا فارقتنا رفعت فوقنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي وهو محزون، فقال: «ما لي أراك محزوناً؟» فقال: يا رسول الله غداً ترفع مع الأنبياء، فلا نصل إليك. فنزلت هذه الآية. هذا قول سعيد بن جبيرة<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: ومن يطع الله في الفرائض، والرسول في السنن. قال ابن قتبية: والصديق: الكثير الصدق، كما يقال: فسيق، وسكير، وشريب، وخقير، وسكيت، وفجير، وعشيق، وضليل، وظليم: إذا كثرت منه ذلك. ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه ذلك، أو يكون عادة. فأما الشهداء، فجمع شهيد وهو القتل في سبيل الله. وفي تسميته بالشهيد خمسة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، قاله ثعلب. والثاني: لأن ملائكة الرحمة تشهده. والثالث: لسقوطه بالأرض، والأرض: هي الشاهدة، ذكر القولين ابن فارس اللغوي. والرابع: لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، قاله شيخنا علي بن عبيد الله. فأما الصالحون، فهو اسم لكل من صلحت سيرته وعلايته. والجمهور على أن النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين عام في جميع من هذه صفته<sup>(٤)</sup>. وقال عكرمة: المراد بالنبيين هاهنا محمد، والصديقين أبو بكر، والشهداء عمر وعثمان وعلي، وبالصالحين سائر الصحابة.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند عن الكلبي. (٢) الطبري ٥٣٤/٨، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح.

(٣) ابن جرير ٥٣٤/٨ بإسناد لا بأس به. وروى الطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» ١٢٥/٨ والفضاء المقدسي في «صفة الجنة» عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أصبر حتى أتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك؟ فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت عليه ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قال الفضاء المقدسي: لا أرى بإسناده بأساً. وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/٧: رواه الطبراني في «الصغير» والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

(٤) في «صحيح مسلم» ٣٥٣/١ عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: «كنت أبيت عند النبي ﷺ، فأتيت بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» روى الإمام أحمد، والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت شهر رمضان؟ فقال رسول الله ﷺ: «من مات على ذلك كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة هكذا» - ونصب أصميه - ما لم يبق والده، قال الهيثمي في «الزوائد» ١٤٧/٨: رواه أحمد، والطبراني بإسنادين، ورجاله أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح. وذكره قبل ذلك ٤٦/١ مختصراً، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخي البزار، وأرجو أنه إسناد حسن أو صحيح. قال ابن كثير بعدما روى جملة من الأحاديث: وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في «الصحيح» و«المسانيد» وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث. وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر ﷺ، وأرجو أن يمتني الله معهم، وإن لم أعمل كعملهم.

قوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَزْوَاجِكَ زَوْجًا﴾ قال الزجاج: «رفيقاً» منصوب على التمييز، وهو ينوب عن رفقاء. قال الشاعر:  
بها جيف الحسرى فأما عظامها  
فبيضٌ وأما جلدها فصليب<sup>(١)</sup>  
وقال آخر:

فسي حلقكم عظم وقد شجينا<sup>(٢)</sup>  
يريد: في حلوكم عظام<sup>(٣)</sup>.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الذي أعطى المذكورين ﴿مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِمًا﴾ بالمقاصد والنيات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّبِعُوا نَبَاتٍ أَوْ اتَّقُوا جَيْعًا﴾ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: احذروا عدوكم. والثاني: خذوا سلاحكم.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا نَبَاتٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: جماعات، واحدها: نبة، يريد جماعة بعد جماعة. وقال  
الزجاج: «النبات»: الجماعات المتفرقة. قال زهير:

وقد أغدو على نُبّةٍ كرامٍ  
قال ابن عباس: فانفروا نبات، أي: عصياً، سرايا متفرقين، أو انفروا [جميعاً يعني]<sup>(٥)</sup> كلكم.

### فصل

وقد نقل عن ابن عباس أن هذه الآية وقوله: ﴿اتَّبِعُوا خُفَاً وَيَسَلاً﴾ [التوبة: ٤١] وقوله: ﴿إِلَّا تَتَّبِعُوا بُيُوتَكُمْ  
عَدَاً أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩] منسوخات بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَتَّبِعُوا كَأَنَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٢] قال أبو سليمان الدمشقي:  
والأمر في ذلك بحسب ما يراه الإمام، وليس في هذا من المنسوخ شيء.

﴿وَلَنْ يَنْكُرَ لَنْ يَلْبَسَ فَإِنْ أَصْبَحَ مُصْبِيَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَلَنْ أَصْبَحَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ  
لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ يَتَنَكَّرْ وَيَنْتَه مَوَدَّةً يَنْتَكِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْكُرَ لَنْ يَلْبَسَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها في المنافقين، كعبد الله بن  
أبي، وأصحابه كانوا يتناقضون عن الجهاد، فإن لقيت السرية نكبة، قال من أبطأ منهم: لقد أنعم الله عليّ، وإن لقوا  
غنيمة، قال: يا ليتني كنت معهم. هذا قول ابن عباس، وابن جريج. والثاني: أنها نزلت في المسلمين الذين قلت  
علومهم بأحكام الدين، فتشبطوا لقلة العلم، لا لضعف الدين، ذكره الماوردي، وغيره. فعلى الأول تكون إضافتهم إلى  
المؤمنين بقوله «منكم» لموضع نطقهم بالإسلام، وجريان أحكامه عليهم، وعلى الثاني تكون الإضافة حقيقة. قال ابن

(١) البيت لعلمة بن عبدة وهو في «المفضليات» ٣٩٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٢١، و«الكتاب» ١٠٧/١ وقد تقدم. قال الأعلام: الشاهد فيه وضع  
الجلد موضع الجلود، لأنه اسم جنس ينوب واحده عن جميعه فأفرد ضرورة لذلك. وصف طريقاً بعيداً شاقاً على من سلكه، فجيف الحسرى - وهي  
المعينة من الإبل - مستقرة فيه. وقوله: «فأما عظامها فيض» أي: أكلت السباع والطير ما عليها من اللحم فتعمرت وبدا وضحاها. وقوله: «فأما جلدها  
فصليب» أي: محرم يابس، لأنه ملقى بالفلاة لم يدبغ، ويقال: «الصليب» هنا الدوك، أي: قد سال ما فيه من رطوبة لإحماء الشمس عليه.

(٢) «الكتاب» ١٠٧/١، وصدره: لا تنكر القتل وقد سبينا. وهو للمسيب بن زيد مائة الغزوي، قال الأعلام: الشاهد فيه وضع «الحلق» مكان الحلوقة.  
وصف أنهم قتلوا من قوم كانوا قد سبوا من قومه، فيقول: لا تنكروا قتلنا لكم، وقد سببتم منا، ففي حلوكم عظم يقتلنا لكم، «وقد شجينا» نحن  
أيضاً، أي: غصصنا بسيقكم لمن سببتم منا، وهذا مثل.

(٣) قال سيبويه في «الكتاب» ١٠٧/١: وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا  
يستعمل في الكلام، ثم أنشد البيتين اللذين ذكرهما المصنف. وفي «مجاز القرآن» ١٣١/١: والعرب تلفظ بلفظ الواحد، والمعنى يقع على الجميع.  
قال العباس بن مرداس:

فقلنا أنزلنا إنا أخوكم  
فقد برئت من الأخي الطودور

وفي القرآن «تخبركم بلغاً» [الحج: ٢٢] والمعنى: أطفالاً. وفي «البحر المحيط» ٢٨٨/٣: وجاء مفرداً، إما لأن «الرفيق» مثل الخليط، والصديق  
يكون للمفرد والمثنى، والمجموع بلفظ واحد، وإما لإطلاق المفرد في باب التمييز اكتفاءً ويراد به الجمع، ويحسن ذلك هنا بكونه فاصلة.

(٤) «ديوانه» ٧٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٧٠، و«مجاز القرآن» ١٣٢/١، و«الطبري» ٥٣٦/٨، و«اللسان» «نبا» و«نشا» وفي الديوان: وقد أغدو على  
شرب كرام. والرواية التي استشهد بها المؤلف وغيره هي رواية الأعلام.

(٥) الزيادة من الطبري.



جريح: اللام في «لن» لام تأكيد. قال الزجاج: واللام في «ليبطن» لام القسم، كقولك: إن منكم لمن أحلف بالله ليططن، يقال: «أبطأ الرجل» و«بطؤ». فمعنى «أبطأ»: تأخر، ومعنى «بطؤ»: ثقل. وقرأ أبو جعفر: (لَيُطْطِنَنَّ) بتخفيف الهمزة. وفي معنى: «ليبطن» قولان: أحدهما: ليططن هو نفسه، وهو قول ابن عباس. والثاني: ليططن غيره، قاله ابن جريج. قال ابن عباس: و«المصيبة»: النكبة. و«الفضل من الله»: الفتح والغنية.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص، والمفضل، عن عاصم: «كأن لم تكن» بالناء، لأن الفاعل المسند إليه مؤنث في اللفظ. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم: «يكن» بالياء، لأن التانيث ليس بحقيقي. قال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى: يقولن يا ليتني كنت معكم، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة، أي: كأنه لم يعاقدكم على أن يجاهد معكم. ويجوز أن يكون هذا الكلام معترضاً به، فيكون المعنى: ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معكم، فإن أصابتكم مصيبة، قال: قد أنعم الله علي، كأن لم يكن بينكم وبينه مودة. فيكون معنى «المودة» أي: كأنه لم يعاقدكم على الإيمان<sup>(١)</sup>.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يشرون هاهنا: بمعنى يبتغون في قول الجماعة. وأنشدوا:  
وشررت... بُرداً لـيتني  
من بُرد بُرد كنت هامة<sup>(٢)</sup>

و«برد»: غلام له باعه. ومعنى الآية: ليكن قتال المقاتلين على وجه الإخلاص، وطلب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ خرج مخرج الغالب، وقد يثاب من لم يغلب ولم يقتل.  
﴿وَمَا لَكُمُ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالسَّيِّئِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿السَّيِّئِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾ قال الفراء: تقديره: وفي المستضعفين. وكذلك روي عن ابن عباس. وقال الزجاج: المستضعفون في موضع خفض، والمعنى في سبيل الله، وسبيل المستضعفين، أي: ما لكم لا تسمعون في خلاص هؤلاء؟ قال ابن عباس: وهم ناس مسلمون كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا. و«القرية»: مكة في قول الجماعة. قال الفراء: وإنما خفض «الظالم» لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها، تقول: مرت بالرجل الواسعة داره<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ قال أبو سليمان: سألوا الله ولياً من عنده يلي إخراجهم منها، ونصيراً يمنعهم من المشركين. قال ابن عباس: فلما فتح رسول الله مكة، جعل الله ﷺ النبي ﷺ وليهم، واستعمل عليهم رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد، فكان نصيراً لهم، ينصف الضعيف من القوي<sup>(٤)</sup>.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَتِنَا أُولَئِكَ أَنزَلْنَاهُ إِنْ كِدَ السَّيِّئِينَ كَانَ حَاقِقًا﴾

(١) قال ابن عطية: المتأفق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقاً وشكاً وكفراً بالله ورسوله، ثم يمتن عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجهي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ التنازع بليغة، واعتراضاً بين القاتل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم «البحر المحيط» ٢٩٣/٣.

(٢) البيت لابن مفرغ، وهو يزيد بن ربيعة بن مفرغ، شاعر إسلامي، ولقب جده مفرغاً، لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه، فشره حتى فرغ، فلحق مفرغاً، ويكنى أبا عثمان، وهو من حمير، انظر أخباره في «الشعر والشعراء» ٣٢١، و«الأغاني» ١٨/١٨١، والبيت في «مجاز القرآن» ٤٨/١، و«الأخضاد» لابن السكيت: ١٨٥، و«الشعر والشعراء» ٣٢١/١، والكمال: ٣/٣٢٥، و«الخرزاة» ٢/٢١٤. وفي «الخرزاة»: والهامة: أنثى الصدى وهو ذكر اليوم، وفي «مزج الذهب» للمسمودي: ومن العرب من يزعم أن النفس طائر ينسبط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل، لم يزل يطيف به مستوحشاً، فيصيح على قبره، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يكون كضرب من اليوم، وهو أبداً مستوحش، ويوجد في الديار المعطلة، ومصارع القتلى والقبور، وإثنا لم تزل عند ولد الميت، ومخلقه لتعلم ما يكون بعده فتخبزه.

(٣) «معاني القرآن» ١/٢٧٧.

(٤) قال الحافظ في «الإصابة» ٢/٤٤٤: أورده العقبلي في ترجمة هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسنده إليه عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس...



قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّذُنُورِ﴾ الطاغوت هاهنا: الشيطان. وقال أبو عبيدة: الطاغوت هاهنا في معنى جماعة، كقوله: ﴿وَلَكُمْ الْخِزِيرِ﴾ معناه: ولحم الخنازير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: مكروه وصنيعه ﴿كَانَ ضَيِّقًا﴾ حيث خذل أصحابه يوم بدر.

﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قَدْ قُتِلُوا آيَاتِهِمْ وَأَتُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَبِهَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ إِذَا فِيهِمْ مَنَّهُمْ يَخْتَفُونَ النَّاسَ كَخَفِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَفِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قَدْ قُتِلُوا آيَاتِهِمْ﴾ اختلّفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في نفر من المهاجرين، كانوا يحبون أن يؤذن لهم في قتال المشركين وهم بمكة قبل أن يُفرض القتال، فنهوا عن ذلك، فلما أُذِن لهم فيه، كرهه بعضهم. روى هذا المعنى أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهو قول قتادة، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت واصفة أحوال قوم كانوا في الزمان المتقدم، فحلّدت هذه الأمة من مثل حالهم، روى هذا المعنى عطية، عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: كأنه يومئذ إلى قصة الذين قالوا: ابعت لنا ملكاً. وقال مجاهد: هي في اليهود. فأما كُفَّ اليد، فالمراد به: الامتناع عن القتال، ذلك كان بمكة. و«كتب» بمعنى: فُرض، وذلك بالمدينة، هذا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فِيهِمْ مَنَّهُمْ﴾ في هذا الفريق ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون. والثاني: أنهم كانوا مؤمنين، فلما فرض القتال، نافقوا جُبْنًا وخوفًا. والثالث: أنهم مؤمنون غير أن طبائعهم غلبتهم، فنفرت نفوسهم عن القتال. قوله: ﴿يَخْتَفُونَ النَّاسَ﴾ في المراد بالناس قولان: أحدهما: كفار مكة. والثاني: جميع الكفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ خَفِيَةً﴾ قيل: إن «أو» بمعنى الواو، و«كتب» بمعنى: فرضت. و«لولا» بمعنى «هلا». قال الفراء: إذا لم تر بعدها اسمًا، فهي استفهام، بمعنى هلا، وإذا رأيت بعدها اسمًا مرفوعًا، فهي التي جوابها اللام، تقول: لولا عبد الله لضربتك. وقال ابن قتيبة: إذا رأيتها بغير جواب، فهي بمعنى «هلا» تقول: لولا فعلت كذا، ومثلا «لوما» فإذا رأيت لـ «لولا» جوابًا، فليست بمعنى «هلا» إنما هي التي تكون لأمر يقع بوقوع غيره، كقوله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ كَانَتْ بَيْنَ السَّيِّئِينَ﴾ [البصائر: ١٤٣ - ١٤٤] قلت: فأما «لولا» التي لها جواب فكثيرة في الكلام، وأنشدوا في ذلك:

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا

وأما التي بمعنى «هلا» فأنشدوا منها:

تعذون عقر النيب أفصل مجديكم

فيه المشيب لُزْتُ أم القاسم<sup>(٣)</sup>

بني صَوَّ طرى لولا الكمي المقنعا<sup>(٤)</sup>

(١) في «مجاز القرآن» ٧٩/١: «أولياؤهم الطاغوت» في موضع جمع، لقوله: «يخرجونهم».

(٢) ذكره الواحدي عن الكلبي، وروى ابن جرير ٥٤٩/٨ عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلّة فقال: «إني أمرت بالعفو، فلا تقتلوا»، فلما حوله الله إلى المدينة، أمر بالقتال فكفوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿أَنزَلَ إِلَى الَّذِينَ قَدْ قُتِلُوا آيَاتِهِمْ﴾ الآية. وإسناده جيد، ورواه الحاكم في «المستدرک» مع اختلاف في لفظه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) البيت لمدي بن الرقاع، وهو في «غريب القرآن» ص ٥٠، و«الشعر والشعراء» ٦٠٢/٢، و«الكامل» ١٢٧/١، و«الأغاني» ٣١١/٩، و«أماله المرتضى» ٥١١/١، و«السمط» ٥٢١/١. وعنا فيه المشيب: أفسده أشد الإفساد، وهي بالناء المثناة، وهي كذلك في «الشعر والشعراء» و«اللسان». وفي «السمط»: علا. وفي «أماله المرتضى»: بدا. وفي حاشية أصل المرتضى: فشا. وفي «غريب القرآن»: عا. وفي «الأغاني» و«الكامل»: عسا. قال ابن قتيبة: وكان بعض الرواة ينشد بيت عدي بن الرقاع:

لولا الحياء وأن رأسي قد عشا

فيه المشيب لُزْتُ أم القاسم

ويشكر على من يرويه: «عسا» قال: وكيف يمسو الشيب وهو إلى أن يرق في كبر الرجل ويلين، أقرب منه إلى أن يغلظ ويقسو ويصلب.

(٤) البيت لجرير بن عطية، ونسب بعضهم للأشهب بن ربيعة، وهو خطأ، وهو في ديوان جرير: ٣٣٨، و«النقائض» ٨٣٣، من قصيدة طويلة في مناقشة جرير والفرزدق، و«مجاز القرآن» ٥٢/١، و«شرح المفصل» ١٤٤/٨، و«الخرزانه» ٤٦١/١، ورواية «الديوان والنقائض»: «أفضل سعيكم». وقوله: «عقر النيب» عقر الناقة أو الفرس: ضرب قوائمها فقطعها، والعرب تفعل ذلك إذا أرادوا نحر البعير كيلا يشرد عند النحر. والنيب، جمع ناب: وهي الناقة المسنة. ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معارقة أبيه غالب بن صعصعة، وسحيم بن وثيل الرياحي بمكان يقال له: صوهر، فقفر

أراد: فهلاً تعدون الكمي، والكمي: الداخل في السلاح. وفي الأجل القريب قولان: أحدهما: أنه الموت، فكانهم قالوا: هلاً تركتنا نموت موتاً، وعافيتنا من القتل، هذا قول السدي، ومقاتل. والثاني: أنه إمهال زمان، فكانهم قالوا: هلاً أخرت فرض الجهاد عنا قليلاً حتى نكثر ونقوى، قاله أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿عَلَّ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ أي: مدة الحياة فيها قليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْلُوتُمْ قِيلًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ولا يظلمون» بالياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم: بالتاء، وقد سبق ذكر المتاع والفetil.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ وَإِنْ تُبْتَهِمُ حَسَنَةً يَّعُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُبْتَهِمُ سَيِّئَةً يَّعُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ بِفَقْهٍ حَدِيثًا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ سبب نزولها أن المنافقين قالوا في حق شهداء أحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا، وما قتلوا، فترلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، ومقاتل. والبروج: الحصون، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>، وابن قتبية. وفي «المشيدة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الحصينة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: المطولة، قاله أبو مالك، ومقاتل، وابن قتبية. والثالث: المجصصة، قاله هلال بن خباب، واليزيدي. والرابع: أنها المبنية بالشيد، وهو الجص، قاله أبو سليمان الدمشقي. والخامس: أنها بروج في السماء، قاله الربيع بن أنس، والثوري. وقال السدي: هي قصور يبيض في السماء مبنية.

قوله تعالى: ﴿لَا تُجِبْتُمْ﴾ اختلفوا فيهم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المنافقون واليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قاله الحسن. والثالث: اليهود، قاله ابن السري. وفي الحسنة والسيئة قولان: أحدهما: أن الحسنة؛ الخصب، والمطر. والسيئة: الجذب، والغلاء، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أن الحسنة: الفتح والغنيمة، والسيئة: الهزيمة والجراح، ونحو ذلك، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. وفي قوله: ﴿وَيَنْعَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: بشؤمك، قاله ابن عباس. والثاني: بسوء تدبيرك، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: الحسنة والسيدة، أما الحسنة، فأنعم بها عليك، وأما السيدة، فابتلاك بها.

**قوله تعالى:** ﴿فَإِلَّا هَذِهِ الْقُورِ﴾ وقف أبو عمرو، والكسائي على الألف من «فما» في قوله: ﴿فَإِلَّا هَذِهِ الْقُورِ﴾ و﴿هَذَا أَلْكَتَبِ﴾ و﴿هَذَا الرُّسُولِ﴾ و﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والباقون وقفوا على اللام. فاما «الحديث»، فقيل: هو القرآن، فكأنه قال: لا يفقهون القرآن، فيؤمنون به، ويعلمون أن الكل من عند الله.

﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ في المخاطب بهنا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، فتقديره: ما أصابك أيها الإنسان، قاله قتادة. والثاني: أنه خطاب للنبي ﷺ، والمراد به غيره، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: ما أصابك الله من حسنة، وما أصابك الله به من سيئة، فالفعلان يرجعان إلى الله ﷻ. وفي «الحسنة» و«السيئة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحسنة: ما فُتح عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثاني: الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية، قاله أبو العالية. والثالث: الحسنة: النعمة، والسيئة: البلية، قاله ابن قتيبة، وعن أبي العالية نحوه، وهو أصح، لأن الآية عامة. وروى كرداب، عن يعقوب: «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ»

سحيم خَسماً وأمسك وعقر غالب مئة أو مئتين. قال ابن الأثير في «النهاية» ١١٤/٣: وفي حديث ابن عباس: «لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فإني لا آمن أن يكون مما أهل به لغير الله» هو عقرهم الإبل، كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء، فيعقر هذا إبلاً، ويعقر هذا إبلاً حتى يعجز أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياءً وسمعة وتفاخراً، ولا يقصدون به وجه الله، فشيبه بما ذبح لغير الله. وقوله: «بني ضو طرى» يعني: يا بني الحمقى، قال في «اللسان»: ويقال للقرم إذا كانوا لا يفتنون غناء «بني ضو طرى». الكمي: الشجاع الذي لا يهرب، فلا يحيد عن قرنه، كان عليه سلاح أو لم يكن. والمقنع: الذي على رأسه البيضة والمغفر، ومعنى «تعدون»: تجعلون وتحسبون، ولهذا عداه إلى معوليين.

(١) ذكره الواحدي من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

بتشديد النون، ورفعها، ونصب الميم، وخفض اسم «الله» ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾ بنصب الميم، ورفع السين<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عباس: وما أصابك من سيئة، فمن نفسك، وأنا كتبتها عليك. وقرأ ابن مسعود: وأنا عدتها عليك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: فبذنبك، قاله الحسن، وقتادة، والجماعة. وذكر فيه ابن الأنباري وجهاً آخر، فقال: المعنى: أنمن نفسك، فأضمرت ألف الاستفهام، كما أضمرت في قوله ﴿وَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: أو تلك نعمة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِتُنْذِرَ رُسُلًا﴾ قال الزجاج: ذكر الرسول مؤكّد لقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ والباء في «بالله» مؤكّدة. والمعنى: وكفى بالله شهيداً. «وشهيداً»: منصوب على التمييز، لأنك إذا قلت: كفى بالله، ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مبهماً. وفي المراد بشهادة الله هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً لك بأنك رسوله، قاله مقاتل. والثاني: على مقالته، قاله ابن السائب. والثالث: لك بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب والنفاق، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف عاب الله هؤلاء حين قالوا: إن الحسنة من عند الله، والسيئة من عند النبي ﷺ، وردة عليهم بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ثم عاد، فقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾ فهل قال القوم إلا هكذا؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم أضافوا السيئة إلى النبي ﷺ تشاؤماً به، فردّ عليهم، فقال: كل بتقدير الله. ثم قال: ما أصابك من حسنة، فمن الله، أي: من فضله، وما أصابك من سيئة، فبذنبك، وإن كان الكل من الله تقديراً. والثاني: أن جماعة من أرباب المعاني قالوا: في الكلام محذوف مقدر، تقديره: فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً، يقولون: ما أصابك من حسنة، فمن الله، وما أصابك من سيئة، فمن نفسك. فيكون هذا من قولهم. والمحذوف المقدر في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: يقولون: ربنا. ومثله ﴿أَوْ يَهْدِيَ أَدَىٰ مِنْ أَلْيَمِهِ فَيَذَرِيهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] أي: فحلق، ففدية. ومثله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَوْذَعَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦] أي: يقال لهم. ومثله ﴿وَاللَّيْلِيَّةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] أي: يقولون سلام. ومثله ﴿أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْثِقُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لكان هذا القرآن. ومثله ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] أراد: لعذبكم. ومثله ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] أي: يقولون. وقال الثمري بن توبل:

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا

أراد: أينما ذهب. وقال غيره:

فَأَقْسَمَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ

أراد: لرددناه.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

(١) في «البحر المحيط» ٣/٣٠٢: وقرأت عائشة رضي الله عنها: فمن نفسك، بفتح الميم ورفع السين، فمن: استفهام معناه الإنكار، أي: فمن نفسك حتى ينسب إليها، المعنى: ما للنفس في الشيء فعل.

(٢) في «القرطبي» ٥/٢٨٥: وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس وأبي وابن مسعود، وذكر القراءة، ثم قال: فهذه قراءة على التفسير، وقد أثبتنا بعض أهل الزيف من القرآن، والحديث بذلك عن ابن مسعود وأبي منقطع، لأن مجاهداً لم ير عبد الله ولا أبيّاً.

(٣) في «البحر المحيط»: والمرب تحذف ألف الاستفهام، قال أبو خراش: رفوسني وقالوا يا خويلد لم ترع

أي: أهم هم؟ قلت: والبيت في «ديوان الهذليين» ٢/١٤٤، قال الشارح: رفوني: أي سكنوني وكان أصلها: رفؤوني، قال أبو سعيد: وأهل الحجاز يهزنون، فترك الهمزة. قلت: وفي «البحر المحيط»: «رفوني» وهو تحريف.

(٤) «مشكل القرآن» ١٦٨، «وآدب الكاتب» ١٨٣، «والمعاني الكبير» ٢/١٢٦٤، وهو من قصيدة له في «مختارات ابن الشجري» ١٩، وقبل هذا البيت قوله:

فَإِنْ أَنْتَ لَا تَنْصِيحَ فَنِي نَجِدُ

يقول: إذا لقيت قوماً ذوي نجدة في حرب، فلا تهيب الإقدام عليها، فإن الذي يخشى المنيّة تلقاه أين ذهب من الأرض.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» ٢٤٢ وفيه «أجذك» قال شارح الديوان: وقوله: «لو شيء» يريد لو أحد، وليس لـ «لو» هنا جواب، كما أسكت عن الجواب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. فيقول: لو أحد أنا رسول الله لأجبناء، ولكننا لم ندفعك عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني، فقد أطاع الله<sup>(١)</sup>، ومن أحييتني، فقد أحب الله» فقال المنافقون: لقد قارب هذا الرجل الشرك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الكلام: من قَبِلَ ما أتى به الرسول، فإنما قبل ما أمر الله به، ومن تولى، أي: أعرض عن طاعته. وفي «الحفيظ» قولان: أحدهما: أنه الرقيب، قاله ابن عباس. والثاني: المحاسب، قاله السدي، وابن قتيبة.

### فصل

قال المفسرون: وهذا كان قبل الأمر بالقتال، ثم نُسِخَ بآية السيف. ﴿وَيَتَوَلَّوْا طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُنْهَوْنَ عَنْ عَرَضٍ عَلَيْهِمْ وَيَتَوَلَّى عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتَوَلَّوْا طَاعَةً﴾ نزلت في المنافقين، كانوا يؤمنون عند رسول الله ﷺ ليأمنوا، فإذا خرجوا خالفوا، هذا قول ابن عباس. قال الفراء: والرفع في «طاعة» على معنى: أمرك طاعة. قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة: بيت، بسكون «التاء»، وإدغامها في «الطاء» ونصب الباقون «التاء». قال أبو علي: التاء والطاء والدال من حيز واحد، فحسن الإدغام، ومن بين، فلانفصال الحرفين، واختلاف المخرجين. قال ابن قتيبة: والمعنى [فإذا برزوا من عندك، أي: خرجوا، بيت طائفة منهم غير الذي تقول، أي<sup>(٢)</sup>]: قالوا: وقتلوا لئلا غير ما أعطوك نهائراً. قال الشاعر:

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا      وَكَانُوا أَتُونِي بِشَيْءٍ نُكِّرَ<sup>(٣)</sup>

والعرب تقول: هذا أمر قد قُدِّرَ ليليل [وفرغ منه ليليل، ومنه قول الحارث بن حلزة:

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا      أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضُوضَاءُ<sup>(٤)</sup>

وقال بعضهم: يَت، بمعنى: بذل، وأنشد:

وَبَيَّتَ قَوْلِي عِنْدَ الْمَلِكِ      قَاتِلَكَ اللَّهُ عَبْدًا كَفُورًا<sup>(٥)</sup>

وفي قوله: ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ قولان: أحدهما: غير الذي تقول الطائفة عندك، وهو قول ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: غير الذي تقول أنت يا محمد، وهو قول قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يكتب في الأعمال التي تثبتها الملائكة، قاله مقاتل في آخرين. والثاني: ينزله إليك في كتابه. والثالث: يحفظه عليهم ليجازوا به، ذكر القولين الزجاج، قال ابن عباس: فأعرض عنهم: فلا تعاقبهم، وثق بالله ﷻ، وكفى بالله ثقة لك. قال: ثم نسخ هذا الإعراض، وأمر بقتالهم. فإن قيل: ما الحكمة في أنه ابتداء بذكرهم جملة، ثم قال: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾ والكل منافقون؟ فالجواب من وجهين، ذكرهما أهل التفسير: أحدهما: أنه أخبر عن سهر ليله، ودبر أمره منهم دون غيره منهم. والثاني: أنه ذكر من علم أنه يبقى على نفاقه دون من علم أنه يرجع.

(١) قول الرسول ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله» رواه البخاري ٩٩/١٣، ومسلم ١٤٦٦/٣ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحافظ في «الفتح»: قوله: «من أطاعني فقد أطاع الله»: هذه الجملة منزهة من قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

(٢) الزيادة من «غريب القرآن» ١٣١.

(٣) البيت لعبيدة بن همام، أخو بني العدوية من بني مالك بن حنظلة من بني تميم، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٣٣، و«غريب القرآن» ١٣١، و«الكامل» ٧٣٩/٧، و«الحيوان» ٣٧٦/٤، و«تفسير الطبري» ٥٦٣/٨. نكر، بضمين، مثل نكر بضم فسكون: الأمر المنكر الذي تنكره، والبيت يشمه الذي بعده.

وهو:

لَأُنْكِحَ أَيْمَهُمْ مَنْ لَزُوا

وقد ذكر الجاحظ في «الحيوان» خبر هذين البيتين في خبر النعمان بن المنذر ومثاله، وذلك أن أخاه المنذر بن المنذر خطب إلى عبيدة بن همام، فردّه أقبح الرد، وذكر البيتين.

(٤) الزيادة من «غريب القرآن» ١٣١. والبيت في «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» ٤٥٢.

(٥) البيت للأسود بن عامر بن جوين الطائي، وهو في «غريب القرآن» ١٣٢، و«تفسير الطبري» ١٩٢/٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ٢٨٩/٥ وفيهما «عبد الملك» وفي «الطبري»، «قاتلك الله عبداً كئوداً».



﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال الزجاج: «التدبر»: النظر في عاقبة الشيء، و«الدبر»: النحل، سُمي دبراً، لأنه يُعقَّب ما يُنتفع به، و«الدبر»: المال الكثير، سُمي دبراً لكثرة، لأنه يبقى للأعقاب والأدبار. وقال ابن عباس: أفلا يتدبرون القرآن، فيفكِّرون فيه، فيرون تصديق بعضه لبعض، وأن أحداً من الخلائق لا يقدر عليه. قال ابن قتيبة: والقرآن من قولك: ما قرأت الناقة سلى<sup>(١)</sup> قط، أي: ما ضمت في رحمها ولدأ، وأنشد أبو عبيدة:

هَجَانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا<sup>(٢)</sup>

وإنما سُمي قرآنًا، لأنه جمع السور، وضمها<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التناقض، قاله ابن عباس، وابن زيد، والجمهور. والثاني: الكذب، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه اختلاف تفاوت من جهة بليغ من الكلام، ومردول، إذ لا بد للكلام إذا طال من مردول، وليس في القرآن إلا بليغ، ذكره الماوردي في جماعته<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظِرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ أَلسِنَتَكُمْ وَلَا فَعِلَاءَ لَكُمْ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ لما اعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلقت نساءك؟ قال: «لا». فخرج فنادى: ألا إن رسول الله لم يطلق نساءه. فنزلت هذه الآية. فكان هو الذي استنيط الأمر. انفرد بإخراجه مسلم، من حديث ابن عباس، عن عمر<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية من السرايا فَعَلَبَتْ أو غُلِبَتْ، تحدثوا بذلك، وأفشوه، ولم يصبروا حتى يكون النبي هو المتحدث به. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي المشار إليهم بهذه الآية قولان: أحدهما: أنهم المنافقون. قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أهل النفاق، وضعفة المسلمين، ذكره الزجاج. وفي المراد بالأمن أربعة أقوال: أحدها: فوز السرية بالظفر والغنيمة، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخبر يأتي إلى النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، فيأمن منهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه ما يعزم عليه رسول الله ﷺ من المواجهة والأمان لقوم، ذكره الماوردي. والرابع: أنه الأمن يأتي من المأمن وهو المدينة، ذكره أبو سليمان الدمشقي مُخْرَجاً من حديث عمر. وفي «الخوف» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النكبة التي تُصيب السرية، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه الخبر يأتي أن قوماً يجتمعون للنبي ﷺ، فيخاف منهم، قاله الزجاج. والثالث: ما يعزم عليه النبي من الحرب والقتال، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أشاعوه. وقال ابن جرير: والهاء عائدة على الأمر<sup>(٦)</sup>.

(١) في «اللسان: السلى: لفافة الولد من الدواب والإبل، وهو من الناس المشيمة.

(٢) صدره: ذراعي عيطل آدماء بكر. والبيت لعمر بن كلثوم من معلته المشهورة، وقد انفرد أبو عبيدة بهذه الرواية، انظر «شرح القصائد السبع الجاهليات» ٣٨٠. وهو في «مجاز القرآن» ٢/١ وغريب القرآن: ٣٣ و«تفسير الطبري» ٩٦/١ و«الجمهرة» ٢٢٩/١، و«اللسان» و«التاج» مادة قرأ. والميطل: الناقة الطويلة العنق في حسن منظر وسمن. والأدواء: البيضاء مع سواد المقلتين، ووصفها بأنها بكر، لأن ذلك أحسن لها، وهي في عهدا ذلك ألين وأسمن، وهجان اللون: يضاء كريمة.

(٣) رجح الطبري في «تفسيره» ٩٤/١ قول ابن عباس في تأويل «القرآن» بالتلاوة والقراءة. ونقل عنه أنه فسر قول الله تعالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: بيناء (فأتبع قرآنه) يقول اصله به. ثم قال: ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيناء بالقراءة فاعمل بما بيناء لك بالقراءة.

(٤) قال ابن جرير ٥٦٧/٨: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أفلا يتدبر الميبتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فعملوا حجة الله عليهم في طاعتك، واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم من التنزيل من عند ربهم لانساق معانيه، واتلاف أحكامه، وتأيد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من غير الله، لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض.

(٥) مسلم ١١٠٥/٢ وهو حديث طويل فيه فوائد عظيمة، وتوجيهات قيمة، فارجع إليه.

(٦) في «الطبري» ٥٦٨/٨: «والهاء» في قوله: «أذاعوا به» من ذكر «الأمر» وتأويله: أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جاءهم، يقال منه: «أذاع فلان بهذا الخبر وأذاعه» ومنه قول أبي الأسود:

بَعَلِيَاءَ نَارِ أَوْقَدْتَ بِئْسَ قُرُوبُ

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانَهُ

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوهٗ﴾ يعني: الأمر ﴿إِلَى الرَّسُولِ﴾ حتى يكون هو المخبر به ﴿وَلَا تَأْتُوا أُولَى الْأَمْْرِ مِنْهُمْ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أبو بكر، وعمر، قاله عكرمة. والثالث: العلماء، قاله الحسن، وقتادة، وابن جريج. والرابع: أمراء السرايا، قاله ابن زيد، ومقاتل. وفي ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الذين يتبعونه من المذيعين له، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أولو الأمر، قاله ابن زيد. والاستنباط في اللغة: الاستخراج. قال الزجاج: أصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، يقال من ذلك: قد أنبط فلان في غصراء، أي: استنبط الماء من طين حُرّ. والنبط: سُموا نبطاً، لاستنباطهم ما يخرج من الأرض. قال ابن جرير: ومعنى الآية: وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين بخير أو بشر أفسوه، ولو سكتوا حتى يكون الرسول وذوو الأمر يتولون الخبر عن ذلك، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك من يبحث عنه من أولي الأمر<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. في المراد بالفضل أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله. والثاني: الإسلام. والثالث: القرآن. والرابع: أولو الأمر. وفي الرحمة أربعة أقوال: أحدها: أنها الوحي. والثاني: اللطف. والثالث: النعمة. والرابع: التوفيق.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في معنى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه راجع إلى الإذاعة، فتقديره: إذا عوا به إلا قليلاً. وهذا قول ابن عباس، وابن زيد، واختاره الفراء، وابن جرير<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه راجع إلى المستنبطين، فتقديره: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، وهذا قول الحسن، وقتادة، وإخثاره ابن قتيبة. فعلى هذين القولين، في الآية تقديم وتأخير. والثالث: أنه راجع إلى اتباع الشيطان، فتقديره: لا تتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم، وهذا قول الضحاک، واختاره الزجاج. وقال بعض العلماء: المعنى: لولا فضل الله بإرسال النبي إليكم، لضللتكم إلا قليلاً منكم كانوا يستدركون بعقولهم معرفة الله، ويعرفون ضلال مَنْ يَعْبُدُ غيره، كقس بن ساعدة.

﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَمَى اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَمْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبب نزولها: أن النبي ﷺ لما نذب الناس لموعده أبي سفيان بيد الصغرى بعد أحد، كره بعضهم ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وفي «فناء» «فقاتل» قولان: أحدهما: أنه جواب قوله: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَقُولِ﴾، والثاني: أنها متصلة بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذكرهما ابن السري. والمراد بسبيل الله: الجهاد.

قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: إلا المجاهدة بنفسك<sup>(٣)</sup>. «وَحَرِّضُ»: بمعنى حَضُّض. قال الزجاج:

(١) نص كلامه في جامع البيان ٥٦٨/٨، ٥٧١: وإذا جاءهم خبر عن سرية للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا عن عدوهم بغلبتهم إياهم ﴿أَوِ الْحَوْفِ﴾ يقول: أو تخوفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم، ﴿أَتَأْمُرُوا بِدَمٍ﴾ يقول: أفسوه ويشوه في الناس قبل رسول الله ﷺ، وقيل ما أتى سرايا رسول الله ﷺ... ولو ردوا الأمر الذي نالهم من عدوهم والمسلمين إلى رسول الله ﷺ، وإلى أولي أمرهم، يعني: وإلى أمرائهم وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر حتى يكون رسول الله ﷺ، أو ذوو أمرهم هم الذين يتولون الخبر عن ذلك، بعد أن ثبت عندهم صحت، أو بطوله، فيصححوه إن كان صحيحاً، أو يطلوه إن كان باطلاً، لعلم حقيقة ذلك الخبر الذي جاءهم به، الذين يبحثون عنه، ويستخرجونه منهم يعني أولي الأمر، «والهائم» في قوله «منهم» من ذكر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه.

(٢) انظر «معاني القرآن» للفراء ٢٧٩/١، و«جامع البيان» ٥٧٧/٨.

(٣) قال ابن جرير الطبري: فأما قوله ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فإنه يعني لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدو وعدوك إلا ما حثك من ذلك من دون ما حثك غيرك منه، أي: إنك إنما تتبع بما اكتسبه دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كلفته دون ما كلفه غيرك. وقال الزجاج: أمره بالجهاد وإن قاتل وحده، لأنه ضمن له النصر. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ أن يباشر القتال بنفسه، ومن نكل فلا عليه منه، ولهذا قال: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ روى ابن أبي حاتم عن أبي إسحاق، قال: سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى المائة من العدو فيقاتل أيكون ممن قال الله فيه: ﴿وَلَا تُلْهُوا بِالْأَلْهَةِ؟﴾ قال: قد قال الله تعالى: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الَّذِينَ﴾ ورواه الإمام أحمد عن أبي إسحاق، قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا، إن الله بعث رسوله ﷺ وقال: ﴿فَقَتِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ إنما ذلك في النفقة. قلت: وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «الزوائد» ٣٣٨/٥ عن «المستد» وقال: رجاله رجال الصحيح، غير سليمان بن داود الهاشمي وهو ثقة.

ومعنى «عسى» في اللغة: معنى الطمع والإشفاق. والإطماع من الله واجب. و«البأس»: الشدة. وقال ابن عباس: والله أشدَّ عذاباً. قال قتادة: و«التكيل»: العقوبة.

﴿مَنْ يَنْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَمْ يَنْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَمْ يَكْفُلْ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيماً﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿مَنْ يَنْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ في المراد بالشفاعة أربعة أقوال: أحدها: أنها شفاعة الإنسان للإنسان، ليجتلب له نفعاً، أو يُخلصه من بلاء، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وقاتدة، وابن زيد. والثاني: أنها الإصلاح بين اثنين، قاله ابن السائب. والثالث: أنه الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، ذكره الماوردي. والرابع: أن المعنى: مَنْ يَصْرِ شَفْعاً لَوْتَرِ أَصْحَابِكَ يَا مُحَمَّد، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وفي الشفاعة السيئة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السعي بالنميمة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنها الدعاء على المؤمنين والمؤمنات، وكانت اليهود تفعله، ذكره الماوردي. والثالث: أن المعنى من يشفع وتر أهل الكفر، فيقاتل المؤمنين، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: و«الكفل» في اللغة: النصب، وأخذ من قولهم: اكتفلت البعير: إذ أدرت على سنامه، أو على موضع من ظهره كِساء، وركبت عليه. وإنما قيل له: كِفْل، لأنه لم يستعمل الظهر كله، وإنما استعمل نصيباً منه. وفي «المقيت» سبعة أقوال: أحدها: أنه المقتدر، قال أحيحة بن الجلاح:

وَدِي ضِيْفِي كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ  
وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيماً<sup>(٢)</sup>  
والى هذا المعنى ذهب ابن عباس، وابن جرير، والسدي، وابن زيد، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والخطابي. والثاني: أنه الحفيظ، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال: هو بالحفيظ أشبه، لأنه مشتق من القوت، يقال: قُتَّ الرجل أقوته قوتاً: إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته. والقوت: اسم الشيء الذي يحفظ نفسه [ولا فضل فيه على قدر الحفظ]، فمعنى المقيت: الحافظ الذي يعطي الشيء على قدر الحاجة من الحفظ. قال الشاعر:

أَلَيْ الْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إِذَا حُو  
سَبْتُ إِنِّي عَلَى الْحَسَابِ مُقِيماً<sup>(٣)</sup>  
والثالث: أنه الشهيد، رواه ابن أبي نجيح، عن مجاهد، واختاره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أنه الحسيب، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: الرقيب، رواه أبو شيبه عن عطاء. والسادس: الدائم، رواه ابن جريج عن عبد الله بن كثير. والسابع: أنه معطي القوت، قاله مقاتل بن سليمان. وقال الخطاب: المقيت يكون بمعنى معطي القوت، قال الفراء: يقال: قاته وأقاته.

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّاتٍ فَاَحْسَنُ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾<sup>(٤)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّاتٍ﴾ في التحية قولان: أحدهما: أنها السلام، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني:

(١) «غريب القرآن» ١٣٢، و«تفسير الطبري» ٥٨٤/٩، و«اللسان» مادة: قوت، و«الجمهرة» ٣٦/٢، ونسبه للزبير بن عبد المطلب. قال الأستاذ محمود شاكر: لم أجده للزبير، بل وجدته لأبي قيس بن رفاع، مرفوع القافية في «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام: ٢٤٣، وفي «الطبقات»: بعد أن ذكر تخرجه البيت: وروايتهم «مقيماً» وهو خطأ، ورواه ابن السجري: «واني في مسامته مقيت» والرفع في رواية ابن سلام وجه عربي صحيح، انظر ابن مالك في كتابه «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح» ٢٤/٢١، وتأويل البيت «وكنته على مسامته مقيت» فحذف خبر كان، لأنه ضمير متصل، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميراً متصلاً، ويستغنى عنه بنية الضمير، يعني: وكننت ذا ضغن مثله وأنا على مسامته مقيت. ومقيت: مقتدر، من قولهم: آتات على الشيء: اقتدر عليه وأطاقه.

(٢) البيت للسموأل بن عادياء، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٣٥، و«الأصمعيات» ٨٥، و«طبقات فحول الشعراء» ٢٣٧، و«غريب القرآن» ١٣٣، و«اللسان» ٧٥/٢، وقوله:

لَيْتَ شِعْرِي! وَأَشْمَرُ إِذَا مَا  
قَرَبْتُهَا مِنْ شُورَةٍ قُفْرِتُ  
وقوله: «لَيْتَ شِعْرِي» أي: ليت لي علماً حاضراً يحيط بما سوف يكون. وأشعرن: استنهم، يقول: وهل أشعرن. وقوله: «قربوها منشورة» يعني صحف أعماله يوم يقوم الناس لرب العالمين. وفي «الصحاح»: المقيت: الحافظ للشيء والشاهد له. أي: أعرف ما عملت من سوء، لأن الإنسان على نفسه بصيرة.



الدعاء، ذكره ابن جرير، والماوردي. فأما «أحسن منها» فهو الزيادة عليها، وردها: قول مثلها. قال الحسن: إذا قال أخوك المسلم: السلام عليكم، فرد السلام، وزد: ورحمة الله. أو ردّ ما قال ولا تزد. وقال الضحاك: إذا قال: السلام عليك، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله. وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، قلت: وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته، وهذا منتهى السلام. وقال قتادة: بأحسن منها للمسلم، أو ردّها على أهل الكتاب.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال مقاتل: نزلت في الذين شكّوا في البعث. قال الزجاج: واللام في «ليجمعنكم» لام القسم، كقولك: والله ليجمعنكم، قال: وجائز أن تكون سُميت القيامة، لقيام الناس من قبورهم، وجائز أن تكون، لقيامهم للحساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ إنما وصف نفسه بهذا، لأن جميع الخلق يجوز عليهم الكذب، ويستحيل في حقه.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

سبيك

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن قوماً أسلموا، فأصابهم وباء بالمدينة وجماعها، فخرجوا فاستقبلهم نفرٌ من المسلمين، فقالوا: مالكم خرجتم؟ قالوا: أصابنا وباء بالمدينة، واجتوبناها، فقالوا: أما لكم في رسول الله أسوء؟ فقال بعضهم: نأفقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى أحد، رجع ناسٌ ممن خرج معه، فافترق فيهم أصحاب رسول الله، ففرقة تقول: تقتلهم، وفرقة تقول: لا تقتلهم، فنزلت هذه الآية، هذا في «الصحيحين» من قول زيد بن ثابت<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن قوماً كانوا بمكة تكلموا بالإسلام وكانوا يعاونون المشركين، فخرجوا من مكة لحاجة لهم، فقال قوم من المسلمين: اخرجوا إليهم، فاقتلوهم، فإنهم يظاهرون عدوكم. وقال قوم: كيف تقتلهم وقد تكلموا بمثل ما تكلمنا به؟ فنزلت هذه الآية، رواه عطية، عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن قوماً قدموا المدينة، فأظهروا الإسلام، ثم رجعوا إلى مكة، فأظهروا الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، ومجاهد. والخامس: أن قوماً أعلنوا الإيمان بمكة وامتنعوا من الهجرة، فاختلف المؤمنون فيهم، فنزلت هذه الآية، وهذا قول الضحاك. والسادس: أن قوماً من المنافقين أرادوا الخروج من المدينة، فقالوا للمؤمنين: إنه قد أصابنا أوجاع في المدينة، فلعلنا نخرج فتماتل، فإننا كنا أصحاب بادية، فانطلقوا واختلف فيهم أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. هذا قول السدي. والسابع: أنها نزلت في شأن ابن أبي حنينة تكلم في عائشة بما تكلم، وهذا قول ابن زيد<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين. والمعنى: أي شيء لكم في الاختلاف في أمرهم؟ و«الفتنة»: الفرقة.

(١) «المسند» ١٣١/٣. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/٧ عن أحمد وقال: وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، قلت: ولم يصرح ابن إسحاق بالحدث، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» ٧١، قال: في إسناده تدليس وانقطاع. وقال الحافظ في «الفتح»: وفي سبب نزولها قول آخر، أخرجه أحمد من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه، وذكر الحديث، ثم قال: وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي سلمة مرسلاً، فإن كان محفوظاً، احتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعاً. وقوله «اجتوبناها» أي أصابنا الجوى، وهو المرض وباء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواها واسترخوها، ويقال: اجتويت البلد: إذا كرهت المقام فيها وإن كنت في نعمة، قاله في «النهاية».

(٢) «المسند» ١٨٤/٥، والبخاري ٩٣/٨ ومسلم ٢١٤٢/٤. قال الحافظ في «الفتح»: وهذا هو الصحيح في سبب نزولها. وفي «الفتح»: وقوله «رجع ناسٌ ممن خرج معي» يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عبيدة في «المغازي»، وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة، فلما أشار غيره بالخروج، وأجابهم النبي ﷺ فخرج، قال عبد الله بن أبي: أطاعهم وعصاني، سلام تقتل أنفسنا؟ فرجع بثلاث الناس. قال ابن إسحاق في رواية: فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر، وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي، فناشدتهم أن يرجعوا فأبوا، فقال: أبعدكم الله.

(٣) ابن جرير ١٠/٩، وابن أبي حاتم من طريق المروني، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) ابن جرير ١٣/٩. وقوى قول من قال: إنها نزلت في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدوا بعد إسلامهم من أهل مكة.



وفي معنى «أركسهم» أربعة أقوال: أحدها: ردّهم، رواه عطاء، عن ابن عباس، قال ابن قتبية: ركست الشيء، وأركسته: لغتان، أي: نكسهم وردّهم في كفرهم<sup>(١)</sup>، وهذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أوقعهم، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس. والثالث: أهلكهم، قاله قتادة. والرابع: أضلّهم، قاله السدي. فاما الذي كسبوا، فهو كفرهم، وارتدادهم. قال أبو سليمان: إنما قال: أتريدون أن تهدوا من أضل الله، لأن قوماً من المؤمنين قالوا: إخواننا، وتكلموا بكلمتنا.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الحجة، قاله الزجاج. والثاني: إلى الهدى، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا بِمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا أَنْ تُكْفِرُوا بِمَا كَفَرُوا﴾ أخبر الله ﷻ المؤمنين بما في ضماير تلك الطائفة، لئلا يحسنوا الظن بهم، ولا يجادلوا عنهم، وليعتقدوا عداوتهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا تولوهم فإنهم أعداء لكم ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ أي: يرجعوا إلى النبي ﷺ. قال ابن عباس: فإن تولوا عن الهجرة والتوحيد، ﴿فَتُخَذُوا﴾ أي: اتسروهم، واقتلوهم حيث وجدتموهم في الجبل والحرم<sup>(٢)</sup>.

### فصل

قال القاضي أبو يعلى: كانت الهجرة فرضاً إلى أن فتحت مكة. وقال الحسن: فرض الهجرة باق، وأعلم أن الناس في الهجرة على ثلاثة أضرب: من تجب عليه، وهو الذي لا يقدر على إظهار الإسلام في دار الحرب، خوفاً على نفسه، وهو قادرٌ على الهجرة، فتجب عليه لقوله: ﴿إِنَّمَا تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ ذَرِمَةً لِّهَاجِرِي فِيهَا﴾ والثاني: من لا تجب عليه بل تستحب له، وهو من كان قادراً على إظهار دينه في دار الحرب. والثالث: من لا تستحب له، وهو الضعيف الذي لا يقدر على إظهار دينه، ولا على الحركة كالشيخ الفاني والزمن فلم تستحب له للحقوق المشقة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِسْقٌ أَوْ جَاهِدُكُمْ حَصَرَتْ مَدِينَهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسِنَةً فَلَا جُنَاحَ عَلَى الَّذِينَ سَلَّطُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ هذا الاستثناء راجع إلى القتل، لا إلى الموالاة. وفي «يصلون» قولان: أحدهما: أنه بمعنى يتصلون ويلجؤون. قال ابن عباس: كان هلال بن عويمر الأسلمي وأدع رسول الله ﷺ على أن لا يُعَيِّنَ ولا يُعَيَّنَ عليه. فكان من وصل إلى هلال من قومه وغيرهم، فلهم من الجوار مثل ما لهلال<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه بمعنى يتسبون، قاله ابن قتبية، وأنشد:

إِذَا أَتَيْتُ قَالَتْ أَبْكَرُ بَنٍ وَائِلٍ

وَبَكَرُ سَبَّهَا وَالْأَنْفُ رَوَاغِمٌ<sup>(٤)</sup>

(١) نص كلام ابن قتبية في غريب القرآن ١٣٣: «وَأَكْفَرَهُمْ» أي: نكسهم وردّهم في كفرهم، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود «وَأَكْفَرَهُمْ» وهما لغتان ركست الشيء وأركسته.

(٢) في «مفاتيح الغيب» ٢٨١/٣: دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشتهرين بالزندقة والإلحاد، وهذا تأكيد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] والسبب فيه أن أعز الأشياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين، لأن ذلك هو الأمر الذي يتقرب به إلى الله تعالى، ويتوصل به إلى طلب السعادة في الآخرة، وإذا كان كذلك، كانت العداوة الحاصلة بسببه أعظم أنواع العداوة، وإذا كان كذلك، امتنع طلب المحبة والولاية في الموضع الذي يكون أعظم موجبات العداوة حاصلاً فيه.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: ثم استثنى الله سبحانه من هؤلاء فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رِسْقٌ﴾ أي: إلا الذين لجؤوا وتحيزوا إلى قوم بينكم وبينهم مهادة، أو عقد ذمة، فاجعلوا حكمهم كحكمهم، وهذا قول السدي، وابن زيد، وابن جرير. وانظر تفصيل القول في «المغني» ١٠/٥١٣، وقيل الأوطار ١٧٦/٨.

(٤) البيت للأعشى وهو في «ديوانه» ص ٨١، و«مجاز القرآن» ١/١٣٦، و«غريب القرآن» ١٢٣، و«تفسير الطبري» ٢٠/٩، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١٠٩ =

يريد: إذا انتسبت، قالت: أبكراً، أي: يا آل بكر. وفي القوم المذكورين أربعة أقوال: أحدها: أنهم بنو بكر بن زيد مناة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم هلال بن عويمر الأسلمي، وسراقه بن مالك، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم بنو مدلج، قاله الحسن<sup>(١)</sup>. والرابع: خزاعة وبنو مدلج، قاله مقاتل. قال ابن عباس: «والميثاق»: العهد.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: أو يصلون إلى قوم جاؤوكم، قاله الزجاج في جماعة. والثاني: أنه يعود إلى المظلومين للقتل، فتقديره: أو رجعوا فدخلوا فيكم، وهو بمعنى قول السدي.

قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه إضمار «قد». والثاني: أنه خبرٌ بعد خبر، فقوله: ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾: خبرٌ قد تم، و«حَصِرَتْ»: خبرٌ مستأنف، حكاها الزجاج. وقرأ الحسن، ويعقوب، والمفضل، عن عاصم: «حَصِرَ صُدُورُهُمْ» على الحال. و«حَصِرَتْ»: ضاقت، ومعنى الكلام: ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم، أو يقاتلوا قومهم، يعني قريشاً. قال مجاهد: هلال بن عويمر هو الذي حَصِرَ صدره أن يقاتلكم، أو يقاتل قومه.

قوله تعالى: ﴿وَكُذِّبَتْ شَاةُ اللَّهِ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: أخبر أنه إنما كفَّهم بالرعب الذي قذف في قلوبهم. وفي «السلم» قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله الحسن. والثاني: الصلح، قاله الربيع. ومقاتل.

### فصل

قال جماعة من المفسرين: معاهدة المشركين وموادعتهم المذكورة في هذه الآية منسوخة بآية السيف. قال القاضي أبو يعلى: لما أعزَّ الله الإسلام أمروا أن لا يقبلوا من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف<sup>(٢)</sup>.

من قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني. قال في «اللسان»: اتصلت: انتسبت، وفسرها شارح شعر الأعشى: إذا دعت: يعني بدعوى الجاهلية، وهو الاعتزاء. يقول: تدعى إليهم وتتسبب، وهي من إيمانهم اللواتي سبين وقد رغمت أنوف رجالهم الذين كانوا يدافعون عنهم، ثم انهزموا عنهم وتركوهن للنساء. قلت: وما جرى عليه ابن قتيبة في تفسير هذه الآية سيقه إليه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ١٣٦/١ وتعقيها النحاس بقوله في «الناسخ والمنسوخ» ١٠٩: وهذا غلط عظيم، لأنه يذهب إلى أن الله تعالى حظر أن يقاتل أحد بينه وبين المسلمين نسب، والمشركون قد كان بينهم وبين السابقين الأولين أنساب، وأشد من هذا الجهل الاحتجاج بأن ذلك كان ثم نسخ، لأن أهل التأويل مجمعون على أن النسخ له (براءة)، وإنما نزلت (براءة) بعد الفتح وبعد أن انقطعت الحروب، وإنما يؤتى هذا من الجهل بقول أهل التفسير، والاجزاء على كتاب الله، وحمله على المعقول من غير علم بأقاويل المتقدمين. والتقدير على قول أهل التأويل: فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أولئك خزاعة صالحهم النبي ﷺ على أنهم لا يقاتلون، وأعطاهم الزمام والأمان، ومن وصل إليهم، فدخل في الصلح معهم، كان حكمه حكمهم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ أي: وإلا الذين جاؤوكم حصرت صدورهم، وهم بنو مدلج وبنو خزيمة ضاقت صدورهم أن يقاتلوا المسلمين، أو يقاتلوا قومهم بني مدلج. و«حصرت»: خبر بعد خبر.

وفي «صحيح البخاري» في قصة صلح الحديبية: فكان من أحب أن يدخل في صلح قريش وعهدهم، ومن أحب أن يدخل في صلح محمد ﷺ وأصحابه وعهدهم.

(١) قال ابن كثير ٥٣٣/١: وروى ابن أبي حاتم، حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جعدان، عن الحسن أن سراقه بن مالك المدجلي حدثهم، قال: لما ظهر يعني النبي ﷺ على أهل بدر واحد، وأسلم من حولهم، قال سراقه بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتيته فقلت: أشنك النعمة. فقالوا: صَ، فقال النبي ﷺ: «هوه ما تريد؟» قال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا، لم تخش قلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد، فقال: «اذهب معه فاقبل ما يريد»، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا، فأنزل الله ﴿وَرُوَا نَو تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا تَكْفُرُونَ سَوَاءٌ لَّكَ تَتَجَدَّأُ بِهِمْ أَوْلِيَّةٌ﴾ ورواه ابن مردويه، وقال: فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَبْتَغُونَ إِلَيْنَا قَوْمَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فكان من وصل إليهم كانوا معهم على عهدهم. قلت: والحسن لم يسمع من سراقه، وعلي بن زيد بن جعدان: ضعيف.

(٢) قال الخريفي: ولا تقبل الجزية إلا من يهودي أو نصراني أو مجوسي إذا كانوا مقيمين على ما عاهدوا عليه، ومن سواهم فالإسلام أو القتل. قال في «المغني» ٥٣٣/١٠: يعني من سوى اليهود والنصارى والمجوس لا تقبل منهم الجزية، ولا يقرُّون بها، ولا يقبل منهم إلا الإسلام، فإن لم يسلموا قتلوا، هذا ظاهر مذهب أحمد، وروي عن الحسن بن ثواب أنها تقبل من جميع الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب، لأن حديث بريدة يدل بعمومه على قبول الجزية من كل كافر إلا أنه خرج منه عبدة الأوثان من العرب لغلظ كفرهم من وجهين: أحدهما: دينهم، والثاني: كونهم من وهط النبي ﷺ. وفي «نيل الأوطار» ٥٣/٨، وقوله: «فلسلم الجزية» ظاهره عدم الفرق بين الكافر المعجمي والعربي، والكتابي وغير الكتابي، وإلى ذلك ذهب مالك، والأوزاعي، وجماعة من أهل العلم.

﴿سَتَجِدُونَ كَافِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بِكَلِمَتِهِمْ وَيَتَّخِذُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْآفْتِنَةِ أَنْكُرُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا لَكُمْ إِلَهُكُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُمْ وَكَلِمَتُهُمْ قَوْلُهُمْ حَيْثُ تَوَقَّعْتَهُمْ وَأَنْقَلَبُوا كَافِرِينَ﴾ ﴿٩١﴾

قوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ كَافِرِينَ﴾ اختلغوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أسد وغطفان، كانوا قد تكلموا بالإسلام ليأمنوا المؤمنين بكلمتهم، ويأمنوا قومهم بكفرهم، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في بني عبد الدار، رواه الضحاك، عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم أرادوا أخذ الأمان من النبي ﷺ، وقالوا: لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا، قاله قتادة. والرابع: أنها نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي، كان يأمن في المسلمين والمشركين، فينقل الحديث بين النبي ﷺ وبينهم، ثم أسلم نعيم، هذا قول السدي. ومعنى الآية: ستجدون قوماً يظهرن الموافقة لكم ولقومهم، ليأمنوا الفريقين، كلما دعوا إلى الشرك، عادوا فيه، فإن لم يعتزلوكم في القتال، ويلقوا إليكم الصلح، ويكفوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم، أي: اتسروهم، واقتلوهم حيث أدركتهم، وأولئك جعلنا لكم عليهم حجة بينة في قلوبهم.

### فصل

قال أهل التفسير: والكف عن هؤلاء المذكورين في هذه الآية منسوخ بآية السيف.

﴿وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحَرَّرَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً وَوَيْدَتْهُ مُسْلِمَةً إِلَى اللَّهِ أَجْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصْكَفُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحَرَّرَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً وَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَوَيْدَتْهُ مُسْلِمَةً إِلَى اللَّهِ أَجْلِيهِ. وَتَحَرَّرَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَبْسِيَّامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عياش بن أبي ربيعة أسلم بمكة قبل هجرة رسول الله، ثم خاف أن يظهر إسلامه لقومه، فخرج إلى المدينة فقالت أمه لابنها أبي جهل، والهارث ابني هشام، وهما أخواه لأمه: والله لا يُظْلَتِي سَقَفٌ، ولا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى تأتاني به. فخرجوا في طلبه. ومعهما الهارث بن زيد، حتى أتوا عياشاً وهو مُتَحَصِّنٌ في أَطْمٍ، فقالوا له: انزل فإن أمك لم يؤوها سَقَفٌ، ولم تذق طعاماً، ولا شرباً، ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك، فنزل، فاوثقوه، وجلده كل واحد منهم مائة جلدة، فقدموا به على أمه، فقالت: والله لا أحلك من وثاقل حتى تكفر، فطرح موثقاً في الشمس حتى أعطاهم ما أرادوا، فقال له الهارث بن زيد: يا عياش لئن كان ما كنت عليه هدى لقد تركته، وإن كان ضلالاً لقد ركبته. فغضب، وقال: والله لا ألقاك خالياً إلا قتلتك، ثم أفلت عياش بعد ذلك، وهاجر رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم أسلم الهارث بعده، وهاجر ولم يعلم عياش، فلقبه يوماً فقتله، فقيل له: إنه قد أسلم، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان، وقال: لم أشعر بإسلامه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس. وهو قول سعيد بن جبير، والسدي، والجمهور. والثاني: أن أبا الدرداء قتل رجلاً قال لا إله إلا الله في بعض السرايا، ثم أتى النبي ﷺ، فذكر له ما صنع، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: معنى الآية: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة. والاستثناء ليس من الأول، وإنما المعنى: إلا أن يُخطئ المؤمن. وروى أبو عبيدة، عن يونس: أنه سأل رؤية عن هذه الآية، فقال: ليس له أن يقتله عمداً ولا خطأ، ولكنه أقام «الإا» مقام «الواو» قال الشاعر:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ      لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال ابن جرير الطبري ٣٤/٩: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عرف عباده بهذه الآية ما على من قتل مؤمناً خطأ من كفارة ودية، وجائز أن تكون الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة وقتله، وفي أبي الدرداء وصاحبه. وأي ذلك كان، فالذي عنى الله تعالى بالآية: تعريف عباده ما ذكروا. وقد عرف ذلك من عقل عنه من عباده تنزيهه، وغير ضائرهم جهلهم بمن نزلت فيه.

(٢) البيت لعمر بن معد يكرب، وقيل لسوار بن المضرب، وقيل لحضرمي بن عامر. وهو في سيبويه ١/٣٧١، «والكامل» ٣/١٢٤٠، «والبيان والبيان» ١/٢٢٨، «وشرح المفصل» ٨٩/٢، «والبحر المحيط» ٣/٣٢١، «وشواهد المغني» ٧٨، «وخزانة الأدب» ٥٢/٢. قال الأعلام: والشاهد فيه نعت «كل» =

أَرَادَ: وَالْفَرْقَدَانِ. وقال بعض أهل المعاني: تقدير الآية: لكن قد يقتله خطأ، وليس ذلك فيما جعل الله له، لأن الخطأ لا تصح فيه الإباحة، ولا النهي. وقيل: إنما وقع الاستثناء على ما تضمنته الآية من استحقاق الإثم، وإيجاب القتل.

قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمَرَةً﴾ قال سعيد بن جبير: عتق الرقبة واجب على القاتل في ماله، واختلفوا في عتق الغلام الذي لا يصح منه فعل الصلاة والصيام، فروي عن أحمد جوازه، وكذلك روى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهذا قول عطاء، ومجاهد<sup>(١)</sup>. وروي عن أحمد: لا يجزئ إلا من صام وصلى، وهو قول ابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وإبراهيم، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَوَيْدٌ مُّسْكَنٌ لِّأَهْلِيهِ﴾ قال القاضي أبو يعلى: ليس في هذه الآية بيان من تلزمه هذه الدية، واتفق الفقهاء على أنها عاقلة القاتل، تحملها عنه على طريق المواساة، وتلزم العاقلة في ثلاث سنين، كل سنة ثلثها. والعاقلة: العصبات من ذوي الأنساب، ولا يلزم الجاني منها شيء<sup>(٢)</sup>. وقال أبو حنيفة: هو كواحد من العاقلة. وللنفس ستة أبدال: من الذهب ألف دينار، ومن الورق اثنا عشر ألف درهم، ومن الإبل مائة، ومن البقر مائتا بقرة، ومن الغنم ألفا شاة، وفي الحلل روايتان عن أحمد، إحداهما: أنها أصل، فتكون مائتا حلة. فهذه دية الذكر الحر المسلم، ودية الحرّة المسلمة على النصف من ذلك.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَتَكَفَّفُوا﴾ قال سعيد بن جبير: إلا أن يتصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل. قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وإن كان المقتول خطأ من قوم كفار، ففيه تحرير رقبة من غير دية، لأن أهل ميراثه كفار. والثاني: وإن كان مقيمًا بين قومه، فقتله من لا يعلم بإيمانه، فعليه تحرير رقبة ولادية، لأنه ضيع نفسه بإقامته مع الكفار، والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال النخعي، وبالثاني سعيد بن جبير. وعلى الأول تكون «من» للتبعض، وعلى الثاني تكون بمعنى في.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حِثٌّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الرجل من أهل الذمة يُقتل خطأ، فيجب على قاتله الدية والكفارة، هذا قول ابن عباس، والشعبي، وقتادة، والزهري، وأبي حنيفة، والشافعي. ولأصحابنا تفصيل في مقدار ما يجب من الدية<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه المؤمن يقتل وقومه مشركون، ولهم عقد، فديته لقومه، وميراثه للمسلمين، هذا قول النخعي.

بقوله: «إلا الفرقدان» على تأويل «غير» والتقدير: وكل أخ غير الفرقدين مفارقة أخوه، وهذا على مذهب الجاهلية، كأنه قال هذا قبل الإسلام، ويحتمل أنه يريد في مدة الدنيا. والفرقدان، ثنية فرقد: وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان. وقال أبو حيان رحمه الله بعد أن نقل مقالة أبي عبيدة: والذي يظهر أن قوله: «إلا خطأ» استثناء منقطع، وهو قول الجمهور منهم أبان بن تغلب، والمعنى: لكن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ.

(١) قال ابن كثير ٥٣٤/١: والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلماً صح عتقه من الكفارة، سواء كان صغيراً أو كبيراً.

(٢) في «المعنى» ٤٩٦/٩: ولا تعلم بين أهل العلم خلافاً في أن دية الخطأ على العاقلة، قال ابن المنذر: أجمع على هذا كل من نحفظ عنه من أهل العلم، وقد ثبتت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قضى بدية الخطأ على العاقلة، وأجمع أهل العلم على القول به، وقد جعل النبي ﷺ دية عمد الخطأ على العاقلة بما قد رويته من الأحاديث، وفيه تنبيه على أن العاقلة تحمل دية الخطأ، والمعنى في ذلك أن جنائيات الخطأ تكثر، ودية الأدمي كثيرة، فإيجابها على الجاني في ماله يجحف به، فاقضت الحكمة إيجابها على العاقلة على سبيل المواساة للقاتل، والإعانة له تخفيفاً عنه إذا كان مدعوراً في فعله، وينفرد هو بالكفارة. قال ابن كثير: وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله، قال الشافعي: لا أعلم مخالفاً أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة، وهو أكثر من حديث الخاصة. وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غير ما حديث، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: اقتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فقتلتها وما في بطنها، فاخصصوا إلى رسول الله ﷺ فقضى أن دية جنيها غرة هيد أو أمة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وهذا يقتضي أن حكم عمد الخطأ حكم الخطأ المحض في وجوب الدية. لكن هذا تجب فيه الدية أثلاثاً كالعمد لشبهه به. وفي «صحيح البخاري» عن عبد الله بن عمر، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جليمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجمعوا يقولون: صابنا صابنا، فجعل خالد يقتلهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فرغ يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك من صنع خالد» قال ابن إسحاق: وبعث علياً، فودى قتلاهم، وما أثلف من أموالهم حتى مبلغه الكلب. وهذا يؤخذ منه أن خطأ الإمام أو نائبه يكون في بيت المال.

(٣) في «الكافي» ٧٨/٣: ودية الكتابي نصف دية المسلم، لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «دية المعاهد نصف دية المسلم» رواه أبو داود. وروى عنه: أن دية ثلث الدية، لما روي أن عمر جعل دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، إلا أنه رجع عن هذه الرواية، =



قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ اختلفوا هل هذا الصيام بدل من الرقبة وحدها إذا عدها، أو بدل من الرقبة والدية؟ فقال الجمهور: عن الرقبة وحدها، وقال مسروق، ومجاهد، وابن سيرين: عنهما. واتفق العلماء على أنه إذا تخلل صوم الشهرين إقطاع لغير عذر، فعليه الابتداء، فأما إذا تخللها المرض، أو الحيض، فعندنا لا ينقطع التابع، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة: المرض يقطع، والحيض لا يقطع، وفرق بينهما بأنه يمكن في عادة صوم شهرين بلا مرض، ولا يمكن ذلك في الحيض، وعندنا أنها معذورة في الموضعين.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ مِنَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: معناه: فعل الله ذلك توبة منه. قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل عليمًا بما يصلح خلقه من التكليف ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يقضي بينهم، ويدبره في أمورهم.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَسَهُ وَعَدًا كَرِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ سبب نزولها: أن مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، وكان مسلماً، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأرسل رسول الله رسولا من بني فهر، فقال له: إيت بني النجار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام، فادفعوه إلى مقيس بن ضبابة، وإن لم تعلموا له قاتلاً، فادفعوا إليه دية، فأبلغهم الفهر ذلك، فقالوا: والله ما نعلم له قاتلاً، ولكننا نعطى دية، فأعطوه مائة من الإبل، ثم انصرفا راجعين إلى المدينة، فأتى الشيطان مقيس بن ضبابة، فقال: تقبل دية أخيك، فيكون عليك سبّة ما بقيت. اقتل الذي معك مكان أخيك، وأفضل بالدية، فرمى الفهري بصخرة، فشدخ رأسه، ثم ركب بعيراً منها، وساق بقيتها راجعاً إلى مكة، وهو يقول:

قتلت به فهراً وحملت عقله

وأدركت ثأري واضطجعتُ موسداً

سُراة بني النجار أرباب فارع

وكننت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت هذه الآية، ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح، فقتل، رواه أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿مُتَعَمِّدًا﴾ قولان: أحدهما: متعمداً لأجل أنه مؤمن، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: متعمداً لقتله، ذكره بعض المفسرين. وفي قوله: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ قولان: أحدهما: أنها جزاؤه قطعاً. والثاني: أنها جزاؤه إن جازاه. واختلف العلماء هل للمؤمن إذا قتل مؤمناً متعمداً توبة أم لا؟ فذهب الأكثرون إلى أن له توبة، وذهب ابن عباس إلى أنه لا توبة له.

= وقال: كنت أذهب إلى أن دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، فانا اليوم أذهب إلى نصف دية المسلم. قلت: أما حديث عمرو بن شعيب فرواه أيضاً أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، وهو حديث حسن. وأما أثر عمر فقد رواه عنه سعيد بن المسيب، وهو مقطوع، لأن سعيداً لم يسمع من عمر.

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٩٨ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ١٩٦/٢ إلى البيهقي في «شعب الإيمان» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري ٦١/٩ من طريق ابن جريج عن عكرمة ونظرة: أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن ضبابة، فأعطاه النبي ﷺ الدية، فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. قال ابن جريج: وقال غيره: ضرب النبي ﷺ دية على بني النجار، ثم بعث مقيساً، وبعث معه رجلاً من بني فهر في حاجة للنبي ﷺ، فاحتمل مقيس الفهري، وكان أيداً فضرب به الأرض، ورضخ رأسه بين حجرين، ثم ألقي يتنحى:

ثأرت به فهراً وحملت عقله

فقال النبي ﷺ: «أظنه قد أحدث حدثاً، أما والله لئن كان فعل لا أومنه في جُل ولا حَرَم، ولا سلم ولا حرب» فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزول هذه الآية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾. وفي «سيرة ابن هشام» ٢٩٣/٢ قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن ضبابة من مكة مسلماً فيما يظهر، فقال: يا رسول الله جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دية أخي، فبُذِل خطأ. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن ضبابة فأقام عند رسول الله ﷺ كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتداً، فقال في شعره بقوله:

شفي الثُّغْرُ أن قد مات بالقراع مُسِيَّداً

وكنانت هموم الثُّغْرِ من قبيل قتله.

حسبكت به وتري وأدركت ثأرتي

ثأرت به فهراً وحملت عقله

نُضِرَج ثوبيه وسماء الأخادع

ثُلِمُ فتحميني وطاء المضاجع

وكننت إلى الأوثان أول راجع

سُراة بني النجار أرباب فارع

## فصل

اختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أم منسوخة؟ فقال قوم: هي محكمة، واحتجوا بأنها خبر، والأخبار لا تحتل النسخ، ثم افرق هؤلاء فرقتين، إحداهما قالت: هي على ظاهرها، وقاتل المؤمن مخلصاً في النار. والفرقة الثانية قالت: هي عامة قد دخلها التخصيص بدليل أنه لو قتله كافر، ثم أسلم الكافر، انهدرت عنه العقوبة في الدنيا والآخرة، فإذا ثبت كونها من العام المخصص، فأي دليل صلح للتخصيص، وجب العمل به. ومن أسباب التخصيص أن يكون قتله مستحلاً، فيستحق الخلود لاستحلاله. وقال قوم: هي مخصوصة في حق من لم يتب، واستدلوا بقوله تعالى في الفرقان: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧٥] وقال آخرون: هي منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْيِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].<sup>(١)</sup>

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَلُونَ عَزَمَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ مَكَائِدُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [٧٥]

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ بعث سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم، وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله. فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟ لا أذكرن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله، فقتله المقداد، فقال: «ادعوا لي المقداد فقال: يا مقداد أقتلت رجلاً قال لا إله إلا الله، فكيف لك بـ لا إله إلا الله غداً! قال: فانزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا صَرَّمْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَتِيلًا وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَلُونَ عَزَمَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ مَكَائِدُ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾ فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فظاهر إيمانه فقتلته؟ وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل». رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن رجلاً من بني سليم مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعه غنم، فسلم، فقالوا: ما سلم عليكم إلا ليتعوذ [مننا]، فعمدوا إليه فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأتوا بها رسول الله ﷺ، فنزلت هذه

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير» ٤٦١/١: وقد اختلف العلماء هل لقاتل العمد من توبة أم لا توبة له؟ فروى البخاري عن سعيد بن جبيرة قال: اختلف فيها علماء أهل الكوفة، فرحل فيها إلى ابن عباس فسأله عنها، فقال: نزلت هذه الآية ﴿وَمَنْ يَشْأَلْ مُؤْمِنًا مَعْصِيَةً﴾ وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء. وقد روى النسائي عنه نحو هذا. وروى النسائي عن زيد بن ثابت نحوه. ومن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأبو سلمة، وعبيد بن عمير، والحسن، وقادة، والفصاحك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم عنهم. وذهب الجمهور إلى أن التوبة منه مقبولة، واستدلوا بمثل قوله تعالى ﴿إِذَا لَمْ تَكُنْ يَدْفَعِ الْكُفْرَانَ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَلْفَقَ يَبْقُلُ الْكُفْرَةَ عَنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وقوله: ﴿وَتَبَيَّنُوا مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قالوا أيضاً: والجمع ممكن بين آية النساء هذه، وآية الفرقان فيكون معناه: فجزاؤه جهنم إلا من تاب، لا سيما وقد اتحد السبب، وهو القتل والموجب وهو التوعد بالمقاب. واستدلوا أيضاً بالحديث المذكور في الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنه قال: «بابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق»، ثم قال: «فمن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء علمه» ويحدث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» غيره في الذي قتل مئة نفس. وذهب جماعة منهم أبو حنيفة وأصحابه، الشافعي إلى أن القاتل عمداً داخل تحت المشية تاب أو لم يتب. وقد أوضحت في شرحي على «المتقى» متمسك كل فريق. والحق أن باب التوبة لم يغلغل دون كل عاص، بل هو مفتوح لكل من قصده ورام الدخول منه، وإذا كان الشرك - وهو أعظم الذنوب وأشدها - تمحوه التوبة إلى الله ويقبل من صاحبه الخروج منه، والدخول في باب التوبة، فكيف بما دونه من المعاصي التي من جعلتها القتل عمداً، لكن لا بد في توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل، وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجباً. أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً، وكان القاتل غنياً متمسكاً من تسليمها أو بعضها. وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً، وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد من دون اعتراف ولا تسليم نفس، فنحن لا نقطع بقبولها، والله أرحم الراحمين هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

(٢) رواه البزار والطبراني في «الكبير» والدارقطني في «الأفراد» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/٧: وإسناده جيد. وقد روى البخاري ١٧٧/٢ شرح الفتح بعضه مختصراً تعليقا، فقال الحافظ: وهذا التعليق وصله البزار والدارقطني في «الأفراد» والطبراني في «الكبير» من رواية أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم والد محمد بن أبي بكر المقدمي عن حبيب وذكر الحديث بطوله - ثم قال: قال الدارقطني: تفرد به حبيب وتفرد به أبو بكر عنه. قلت: أي الحافظ ابن حجر - قد تاب أبا بكر سفيان الثوري، لكنه أرسله. أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عنه، وأخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق الفزاري عن الثوري كذلك.

الآية. رواه عكرمة، عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أن قوماً من أهل مكة سمعوا بسرية لرسول الله ﷺ أنها تُريدُهم فهربوا، وأقام رجل منهم مكاناً قد أسلم، يقال له: مرداس، وكان على السرية رجل، يقال له: غالب بن فضالة، فلما رأى مرداس الخيل، كبر ونزل إليهم، فسلم عليهم، فقتله أسامة بن زيد، واستاق غنمه، ورجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وجداً شديداً، ونزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: كان أسامة أمير السرية. والرابع: أن رسول الله بعث أبا حذرد الأسلمي، وأبا قتادة، ومحلّم بن جثامة في سرية إلى إضم<sup>(٣)</sup>، فلقوا عامر بن الأضيظ الأشجعي، فحيّاهم بتحية الإسلام، فحمل عليه محلّم بن جثامة فقتله، وسلبه بغيراً وسقاء. فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه، فقال: «أقتلته بعدما قال آمنت؟!». ونزلت هذه الآية. رواه ابن أبي حذرد، عن أبيه<sup>(٤)</sup>. فأما التفسير، فقوله: «إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: سرتهم وغزوتهم. وقوله: «فَتَيَّزُوا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «فَتَيَّزُوا» بالنون من التبيين للأمر قبل الإقدام عليه. وقرأ حمزة، والكسائي وخلف (فتشبتوا) بالثاء من الثبات وترك الاستعجال، وكذلك قرؤوا في (الحجرات).

قوله تعالى: «لَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمٌ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم، والكسائي: «السلام» بالألف مع فتح السين. قال الزجاج: يجوز أن يكون بمعنى التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى الاستسلام. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، وخلف، وجبلة عن المفضل عن عاصم: (السَّلَم) بفتح السين واللام من غير ألف، وهو من الاستسلام. وقرأ أبان بن يزيد عن عاصم: بكسر السين وإسكان اللام من غير ألف. و«السلم»: الصلح. وقرأ الجمهور: «لَسْتُ مُؤْمِنًا»، بكسر الميم، وقرأ علي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن يعمر، وأبو جعفر: بفتح الميم من الأمان.

قوله تعالى: «تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا» و«عرضها»: ما فيها من مال، قل أو كثر. قال المفسرون: والمراد به: ما غنموه من الرجل الذي قتلوه.

قوله تعالى: «فَوَيْدَ اللَّهِ مَكَائِدُ كَثِيرَةٌ» فيه قولان: أحدهما: أنه ثواب الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنها أبواب الرزق في الدنيا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: كذلك كنتم تأمنون من قومكم المؤمنين بهذه الكلمة، فلا تخفوا من قالها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك كنتم تخفون إيمانكم بمكة كما كان هذا يخفي إيمانه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثالث: كذلك كنتم من قبل مشركين، قاله مسروق، وقاتدة، وابن زيد.

قوله تعالى: «فَمَنْكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» في الذي مَنَ به أربعة أقوال: أحدها: الهجرة، قاله ابن عباس. والثاني: إعلان الإيمان، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: الإسلام، قاله قاتدة، ومسروق. والرابع: التوبة على الذي قتل ذلك الرجل، قاله السدي.

قوله تعالى: «فَتَيَّزُوا» تأكيد للاول.

«لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ يَنْ الْقَتُولِينَ عَمَّا أَتَى الْقَتْلَ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَبِئْسَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَتْلِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَى فَبِئْسَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَتُولِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» ﴿١٥﴾

قوله تعالى: «لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ يَنْ الْقَتُولِينَ» قال أبو سليمان الدمشقي: نزلت هذه الآية من أجل قوم كانوا إذا

(١) «المسند»، والترمذي ٩٠/٤، والحاكم: ٢٤٥/٢ من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه بمعناه البخاري ١٩٤/٨، ومسلم ٢٣١٩/٤ من طريق سفيان عن عمرو، عن عطاء عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير ٧٦/٩ عن أبي صالح، واسم الذي على رأس السرية عنده «قلب»، وانظر الاختلاف في اسمه «قلب» أو «فلت» في «الإصابة».

(٣) إضم: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، من عند المدينة، وهو واد لأشجع وجهية.

(٤) «المسند»، ١١/٦، وابن جرير ٧٣/٩، وذكره البيهقي في «المجموع»، ٨/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهم ثقات. قلت: وفي سند أحمد القعقاع بن عبد الله بن أبي حذرد، أورده الحافظ ابن حجر في «تجديد الحنفية»، ونقل عن البخاري أن له صحة ولا تصح، ولم يذكر عن أحد توثيقه.



حضرت غزاة يستأذنون في القعود. وقال زيد بن ثابت: إني لقاعد إلى جنب رسول الله ﷺ إذ غشيت السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اكتب» (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون) الآية، فقام ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فوالله ما قضى كلامه حتى غشيت رسول الله السكينة، ثم سُرِّي عنه، فقال: «اقرأ» فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون، فقال النبي ﷺ: ﴿عَبْدُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ فالحققتها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ﴾ يعني عن الجهاد، والمعنى: أن المجاهد أفضل. قال ابن عباس: وأريد بهذا الجهاد غزوة بدر<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: غزاة تبوك.

قوله تعالى: ﴿عَبْدُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة: (غير) برفع الراء، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وخلف، والمفضل: بنصبها. قال أبو علي: من رفع الراء، جعل -غير- صفة للقاعدين، ومن نصبها، جعلها استثناء من القاعدين. وفي «الضرر» قولان: أحدهما: أنه العجز بالزمانة والمرض، ونحوهما. قال ابن عباس: هم قوم كانت تحبسهم عن الغزاة أمراض وأوجاع. وقال ابن جبير، وابن قتبية: هم أولو الزمانة. وقال الزجاج: الضرر: أن يكون ضريراً أو أعمى أو زماً. والثاني: أنه العذر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَقَسَّ اللَّهُ الْكُفَّينَ بِأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَائِدِينَ دَرَجَةً﴾ في هؤلاء القاعدين قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بالضرر، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القاعدون من غير ضرر، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: والدرجة: الفضيلة. فأما الحسن في الجنة في قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿وَقَسَّ اللَّهُ الْكُفَّينَ عَلَى الْقَائِدِينَ﴾ قال ابن عباس: القاعدون هاهنا: غير أولي الضرر، وقال سعيد بن جبير: هم الذين لا عذر لهم.

﴿دَرَجَتِي يَنْتَهِي وَنُفُورًا رَحِمًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿دَرَجَتِي يَنْتَهِي﴾ قال الزجاج: درجات في موضع نصب بدلاً من قوله: «أجراً عظيماً»، وهو مفسر للأجر. وفي المراد بالدرجات قولان: أحدهما: أنها درجات الجنة، قل ابن محيريز: الدرجات: سبعون درجة ما بين كل درجتين حُضِرُ الفرس الجواد المضمر سبعين سنة<sup>(٣)</sup>، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أن معنى الدرجات: الفضائل، قاله سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>. قال قتادة: كان يقال: الإسلام درجة، والهجرة في الإسلام درجة، والجهاد في الهجرة درجة، والقتل في الجهاد درجة. وقال ابن زيد: الدرجات: هي السبع التي ذكرها الله تعالى في براءة حين قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ﴾... إلى قوله: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَغِيَابِ كُمٍ﴾... [التوبة: ١٢٠، ١٢١]. فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى ذكر في أول الكلام درجة، وفي آخره درجات؟ فته جوابان: أحدهما: أن الدرجة الأولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر منزلة. والدرجات: تفضيل المجاهدين على القاعدين من غير أولي الضرر منازل كثيرة، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أن الدرجة الأولى درجة المدح والتعظيم، والدرجات: منازل الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.

(١) «المسنَد» ١٨٤/٥، والبخاري ١٩٥/٨، وأبو داود ١٧/٣، والنرمذي ٩٢/٤، والنسائي ٩/٦، ولفظه عند البخاري عن ابن شهاب قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره أن النبي ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يملأها علي قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد معك لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فنقلت علي حتى خفت أن ترش فخذي، ثم سُرِّي عنه، فأنزل الله ﴿عَبْدُ أُولَى الضَّرَرِ﴾. وعلها -بضم أوله وكسر الميم وتشديد اللام- هو مثل يملأها. والرض: الدق. وسري: كشف. وروى البخاري عن البراء، قال: لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم، فشكا ضرارته، فأنزل الله ﴿عَبْدُ أُولَى الضَّرَرِ».

(٢) «البخاري» ١٩٧/٨.

(٣) حضر الفرس: ارتفاعه في عدوه، يقال: أحضر الفرس يحضر إحضاراً: عدا عدواً شديداً. والفرس المضمر: هو الذي أعد إعداداً للسباق والركض.

(٤) روى البخاري ٩٦/٦، ٣٤٩/١٣ عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن في الجنة مائة درجة أعطاها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» وروى مسلم ١٥٠١/٣ عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله رياءً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، ورجبت له الجنة» فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعطاها عليّ يا رسول الله ففعل، ثم قال: «والغرض يرفع بها العبد مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله».



﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ دَائِمَةً فَنَهَاجُهَا يُبَا قَالُوا لَكُمْ مَا دُونُكُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مِيرَاثًا﴾ (٩٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أناساً كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فلما خرج النبي ﷺ إلى بدر لم تدع قريش أحداً إلا أخرجوه معهم، فقتل أولئك الذين أقروا بالإسلام، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: نزلت في أناس تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع أبي جهل، فقتلوا يوم بدر، واعتذروا بغير عذر، فأبى الله أن يقبل منهم. والثاني: أن قوماً نافقوا يوم بدر، وارتابوا، وقالوا: غير هؤلاء دينهم وأقاموا مع المشركين حتى قتلوا، فنزلت فيهم هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ، ولم يخرجوا معه، فمن مات منهم قبل أن يلحق بالنبي، ضربت الملائكة وجهه ودبره، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي «التزي» قولان: أحدهما: أنه قبض الأرواح بالموت، قال ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الحشر إلى النار، قاله الحسن. قال مقاتل: والمراد بالملائكة ملك الموت وحده. وقال في موضع آخر: ملك الموت وأعوانه، وهم ستة، ثلاثة يملكون أرواح المؤمنين، وثلاثة يملكون أرواح الكفار. قال الزجاج: ﴿ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ نصب على الحال، والمعنى: تتروا في حال ظلمهم أنفسهم، والأصل: ظالمين، لأن النون حذفت استخفافاً. فاما ظلمهم لأنفسهم، فيحتمل على ما ذكر في قصتهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ترك الهجرة، والثاني: رجوعهم إلى الكفر، والثالث: الشك بعد اليقين. والرابع: إعانة المشركين.

قوله تعالى: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو سؤال توبيخ، والمعنى: كنتم في المشركين أو في المسلمين.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال مقاتل: كنا مقهورين في أرض مكة، لا نستطيع أن نذكر الإيمان، قالت الملائكة: ﴿لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ دَائِمَةً﴾ يعني المدينة ﴿فَنَهَاجُهَا يُبَا﴾ يعني: إليها. وقول الملائكة لهم يدل على أنهم كانوا يستطيعون الهجرة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (٩٨) قَالُوا لَكُمْ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَزُومًا عَزُومًا﴾ (٩٩)

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ سبب نزولها: أن المسلمين قالوا في حق المستضعفين من المسلمين بمكة: هؤلاء بمنزلة الذين قتلوا ببدر، فنزلت هذه الآية. قاله مجاهد. قال الزجاج: «المستضعفين» نصب على الاستثناء من قوله: ﴿مَا دُونُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ قال أبو سليمان: «المستضعفون»: ذوو الأسنان، والنساء، والصبيان.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يقدرون على حيلة في الخروج من مكة، ولا على نفقة، ولا قوّة. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد. والثاني: أنهم لا يعرفون طريقاً يتوجهون إليه، فإن خرجوا هلكوا، قاله ابن زيد. وفي «عسى» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الإيجاب، قاله الحسن. والثاني: أنها بمعنى الترجي. فالمعنى: أنهم يرجون العفو، قاله الزجاج.

(١) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرموا، فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية. قال: نكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية: لا عذر لهم، قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم ﴿وَرَبُّهُمُ أَكْثَرُ مِنْ يُؤْتِي تِلْكَ بِأَقْوَمَ قَوْلًا أَرَادَ فِي اللَّهِ﴾ الآية [المكيت: ١٠] فكتب المسلمون إليهم بذلك، فحزنوا وأيسوا من كل خير، ثم نزل فيهم ﴿فَمَنْ لَكُمْ بِذَلِكَ يُلْزِمُ فَاجِرًا مِنْ بَدَا مَا فَعَلُوا ثُمَّ جَعَلُوا وَصْفًا لَكُمْ وَكَذَلِكَ مِنْ بَدَا مَا فَعَلُوا ثُمَّ جَعَلُوا وَصْفًا لَكُمْ﴾ [النحل: ١١٠] فكتبوا إليهم بذلك: «إن الله قد جعل لكم مخرجاً» فخرجوا فأدرجهم المشركون، فقاتلهم حتى نجا من نجا، وقتل من قتل. وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/٧، وقال: ١٠، رواه البزار، ورجال رجال الصحيح غير محمد بن شريك وهو ثقة. وقوله «فأعطوهم الفتنة» أي: كفروا بعد إسلامهم. وفي البخاري ١٩٧/٨ سبب آخر لهذه الآية عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود، قال: فُطِعَ على أهل المدينة بُعْثٌ، فاكْتَبَتْ فيه، فلقبت عكرمة مولى ابن عباس، فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به، فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل، فانزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكُفْرَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُفْدُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (١٠٠)

قوله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ قال سعيد بن جبير، ومجاهد: متزحزحاً عما يكره. وقال ابن قتبية: المراعم والمهاجر: واحد، يقال: راغمت وهاجرت، وأصله: أن الرجل كان إذا أسلم، خرج عن قومه مُراعماً، أي: مغاضباً لهم، ومهاجراً، أي: مقاطعاً من الهجران، فقليل للمذهب: مراغم، وللمصير إلى النبي ﷺ هجرة، لأنها كانت بهجرة الرجل قومه. [قال الجعدي: عزيز المراعم والمذهب] (١). وفي السعة قولان: أحدهما: أنها السعة في الرزق، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: التمكن من إظهار الدين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ اتفقوا على أنه نزل في رجل خرج مهاجراً، فمات في الطريق، واختلفوا فيه على ستة أقوال: أحدها: أنه ضمرة بن العيص، وكان ضريباً موبراً، فقال: احمولوني فحمل وهو مريض، فمات عند التنعيم (٢)، فنزل فيه هذا الكلام، رواه سعيد بن جبير (٣). والثاني: أنه العيص بن ضمرة بن زبناخ الخزاعي أمر أهله أن يحملوه على سريه، فلما بلغ التنعيم مات، فنزلت فيه هذه الآية، رواه أبو بشر عن سعيد ابن جبير. والثالث: أنه ابن ضمرة الجندعي مرض، فقال لبيته: أخرجوني من مكة، فقد قتلني غمها، فقالوا: أين؟ فأوماً بيده نحو المدينة، يريد الهجرة، فخرجوا به فمات في الطريق، فنزل فيه هذا، ذكره ابن إسحاق. وقال مقاتل: هو جُنْدَب بن ضمرة. والرابع: أن اسمه سبرة، فلما نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ كُفِّرُوا عَنْهُمْ أَسْفَافاً﴾ (٤) إلى قوله ﴿مُرْعَاً كَثِيراً﴾ قال لأهله وهو مريض: احمولوني، فإني موبر، ولي من المال ما يُبلغني إلى المدينة، فلما جاوز الحرم، مات. فنزل فيه هذا، قاله قتادة. والخامس: أنه رجل من بني كنانة هاجر، فمات في الطريق، فسخر منه قومه، فقالوا: لا هو بلغ ما يريد، ولا أقام في أهله حتى يدفن، فنزل فيه هذا، قاله ابن زيد. والسادس: أنه خالد بن حزام أخو حكيم بن حزام، خرج مهاجراً، فمات في الطريق، ذكره الزبير بن بكار، وقوله: «وقع» معنا: وجب.

﴿وَلَا تَرْتَمِ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ (١٠١)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَمِ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ روى مجاهد عن أبي عياش الزُّرْقِي قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغسفان (٤)، وعلى المشركين خالد بن الوليد، [قال: فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر فيما بين الظهر والعصر] (٥). والضرب في الأرض: السفر،

(١) ما بين معنيين من تمام كلام ابن قتبية في «غريب القرآن» ١٣٥. وصدر البيت «كطود يلاذ بأركانه» وهو في «ديوانه» ٣٣، و«مجاز القرآن» ١٣٨/١، و«الطبري» ١١٢/٩، و«اللسان» و«التاج» مادة رغم، والطود: الجبل العظيم المنيف. يلاذ: يتحصن، والمراعم: المضطرب في البلاد والمذهب.

(٢) التنعيم: موضع في الحل بين مَرَّ وسُفَر، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير ١١٤/٩، والبيهقي في «سننه» ١٤/٩ عن سعيد بن جبير. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية. وفي إسناده أشعث بن سوار، وهو ضعيف. ورواه ابن جرير ١١٨/٩ بنحوه بإسناد آخر، وفيه شريك بن عبد الله القاضي، وهو صدوق يخطئ كثيراً، وذكره الهيثمي في «الزوائد» ١٠/٧، وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٠٧/٢ لأبي يعلى وابن أبي حاتم والطبراني بسند رجاله ثقات، ثم لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من وجه آخر.

(٤) عسفان: على مرحلتين من مكة.

(٥) هو قطعة من حديث طويل أخرجه الطبري: ١٣١/٩، وأحمد في «المسنَد» ٩٥/٤، وأبو داود ١٦/٢، والنسائي ١٧٧/٣، والحاكم في «المستدرَك» ٣٣٧/١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه البيهقي، وقال الحافظ ابن كثير في: «تفسيره»: وإسناده صحيح، وله شواهد كثيرة، ولفظه بتسامه: عن أبي عياش الزُّرْقِي، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببغسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة، لقد أصبنا غفلة لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة، فنزلت آية القصر بين الظهر والعصر، فلما حضرت العصر، قام رسول الله ﷺ مستقبل القبلة، والمشركون أمامه، فصُت خلف رسول الله ﷺ صف، وصف بعد ذلك الصف صف آخر، فركع رسول الله ﷺ، وركعوا جميعاً، ثم سجد، وسجد الصف الذين يلونه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما صلى هؤلاء السجدتين وقاموا، سجد الآخرون الذين كانوا خلفهم، ثم تأخر الصف الذي يليه إلى مقام الآخرين، وتقدم الصف الأخير إلى مقام الصف الأول، ثم ركع رسول الله ﷺ وركعوا جميعاً، ثم سجد وسجد الصف الذي يليه، وقام الآخرون يحرسونهم، فلما جلس رسول الله ﷺ والصف الذي يليه، سجد الآخرون، ثم جلسوا جميعاً، فسلم عليهم جميعاً، فصلاهما ببغسفان، وصلاهما يوم بني سليم. هذا لفظ أبي داود.

والجُنَاح: الإثم، والقصر: النقص، والفتنة: القتل. وفي القصر قولان: أحدهما: أنه القصر من عدد الركعات. والثاني: أنه القصر من حدودها. وظاهر الآية يدل على أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية على غالب أسفار رسول الله ﷺ، وأكثرها لم يخل عن خوف العدو. وقيل: إن قوله: ﴿إِنْ تَقَرُّوْا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ كلام تام. وقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ كلام مبتدأ، ومعناه: وإن خفتم<sup>(١)</sup>. واختلف العلماء هل صلاة المسافر ركعتين مقصورة أم لا؟ فقال قوم: ليست مقصورة، وإنما فرض المسافر ذلك، وهو قول ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وسعيد بن جبيرة، والسدي، وأبي حنيفة، فعلى هذا القول قصر الصلاة أن تكون ركعة<sup>(٢)</sup> ولا يجوز ذلك إلا بوجود السفر والخوف، لأن عند هؤلاء أن الركعتين في السفر إذا لم يكن فيه خوف تمام غير قصر، واحتجوا بما روى ابن عباس أن النبي ﷺ صلى بذي قرد، فصف الناس خلفه صفين، صفاً خلفه، و صفاً موازي العدو، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة، ولم يقضوا<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس أنه قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وفي الخوف ركعة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنها مقصورة، وليست بأصل، وهو قول مجاهد، وطاووس، وأحمد، والشافعي. قال يعلى بن أمية: قلت لعمر بن الخطاب: عجبت من قصر الناس اليوم، وقد آمنوا، وإنما قال الله تعالى ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»<sup>(٥)</sup>.

### فصل

وإنما يجوز للمسافر القصر إذا كان سفره مُباحاً، وبهذا قال مالك، والشافعي، وقال أبو حنيفة: يجوز له القصر في سفر المعصية. فأما مدة الإقامة التي إذا نواها أتم الصلاة، وإن نوى أقل منها قصر، فقال أصحابنا: إقامة اثنين وعشرين صلاة. وقال أبو حنيفة: خمسة عشر يوماً. وقال مالك، والشافعي: أربعة أيام<sup>(٦)</sup>.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا بَأْسِلِحَتِهِمْ إِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ زُرْعَتِكُمْ وَكَتَلَاتٍ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَوْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْلُوكَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَتْمَتِكُمْ قَسِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحَيْدٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ سبب نزولها: أن المشركين لما رأوا النبي ﷺ وأصحابه قد

(١) في «فتح القدير» للشوكاني ٤٧٠/١: ذكر معنى هذا الجرجاني والمهدوي وغيرهما ورده القشيري، والقاضي أبو بكر بن العربي. وقد حكى القرطبي عن ابن عباس معنى ما ذكره الجرجاني ومن معه. ومما يرد هذا ويدفعه الواو في قوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ وقد تكلف بعض المفسرين، فقال: إن الواو زائدة، وإن الجواب للشرط المذكور، أعني قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ هو قوله: «فلتقم طائفة».

(٢) جاء في «المبسوط» للسرخسي ٤٦/٢ والثاني: وهو ألا يتقص عدد الركعات بسبب الخوف عندنا، وكان ابن عباس يقول: صلاة المقيم أربع ركعات، وصلاة المسافر ركعتان، وصلاة الخوف ركعة، وبه أخذ بعض العلماء.

(٣) رواه النسائي ١٦٩/٣ ورجال إسناده ثقات، وذكر الحافظ في «التلخيص» ١٤١: أن الشافعي ذكر هذا النوع، فقال: روي حديث لا يثبت أنه صلى بذي قرد - وذكره - ثم قال: فتركناه. قال الحافظ ابن حجر: وقد صححه ابن حبان وغيره. وذو قرد: موضع على ليلتين من المدينة. وعن ثعلبة بن زهلم قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان، فقال: أيكم صلى مع رسول الله صلاة الخوف؟ فقال حليفه: أنا، فصلى بهؤلاء ركعة وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا. رواه أبو داود، والنسائي، وسكت عنه أبو داود، والمنذري، ورجال إسناده رجال الصحيح.

(٤) «المسنَد» ٣٦٣/٣، ومسلم ٤٧٩/١، وأبو داود ٢٣/١، والنسائي ١٦٩/٣.

(٥) «المسنَد» ١٧٥/١، ومسلم ٤٧٨/١، وأبو داود ٤/٢، والنسائي ١١٦/٣، وابن ماجه ٣٣٩/١، والترمذي ٩٢/٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحافظ ابن كثير ٥٤٤/١: وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَٰهًا غَيْرَ اللَّهِ﴾ فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية، فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة، بل ما كانوا يتنهضون إلا إلى غزو عام، أو في سرية خاصة، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب، أو على حادثة، فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا لِمَا يُغْوِيَنَّ عَنْ إِلَٰهِكُمْ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [التور: ٣٣] وكقوله تعالى: ﴿وَتَرْكِبُهُمْ إِلَٰهًا فِي جُبُحِهِمْ يَتَّبِعُهُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. قلت: وروى الإمام أحمد ٢٥٧/٣، والترمذي ٤٣١/٢، والنسائي ١١٧/٣ عن ابن عباس: أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا الله رب العالمين، فصلى ركعتين. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) انظر «المغني لابن قدامة» ١٣٢/٢، و«إزاد المعاد» ٢٩/٣، و«نيل الأوطار» ٢٥٦/٣.



صلّوا الظهر، ندموا إذ لم يكبوا عليهم، فقال بعضهم لبعض: دعوه فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبايهم وأبنائهم، يعتنون العصر، فإذا قاموا فشدوا عليهم، فلما قاموا إلى صلاة العصر، نزل جبريل بهذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ، ولا يدل على أن الحكم مقتضو عليه، فهو كقوله ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال أبو يوسف: لا تجزئ صلاة الخوف بعد النبي ﷺ. والهاء والميم من «فيهم» تعود على الضارين في الأرض.

قوله تعالى: ﴿فَاقْسَمْتُ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ أي: ابتدأتها، «فَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ مِنْهُمْ مَعَكُمْ» أي: لتقف. ومثله «وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا» [البقرة: ٢٠]. «وَلْيَأْخُذُوا بِأَسْلِحَتِهِمْ» فيهم قولان: أحدهما: أنهم الباقون، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه، ذكره ابن جرير. قال: وهذا السلاح كالسيف، يتقلده الإنسان، والخنجر يشده إلى ذراعه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ يعني المصلين معه «فَلْيَكُونُوا» في المشار إليهم قولان: أحدهما: هم الطائفة التي لم تصل، أمرت أن تحرس الطائفة المصلية، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم المصلون معه أمروا إذا سجدوا أن ينصرفوا إلى الحرس. واختلف العلماء كيف ينصرفون بعد السجود، فقال قوم: إذا أتموا مع الإمام ركعة أتموا لأنفسهم ركعة، ثم سلموا، وانصرفوا، وقد تمت صلاتهم. وقال آخرون: ينصرفون عن ركعة، واختلف هؤلاء، فقال بعضهم: إذا صلوا مع الإمام ركعة وسلموا، فهي تجزئهم. وقال آخرون منهم أبو حنيفة: بل ينصرفون عن تلك الركعة إلى الحرس وهم على صلاتهم، فيكونون في وجه العدو مكان الطائفة الأخرى التي لم تصل، وتأتي تلك الطائفة. واختلفوا في الطائفة الأخرى، فقال قوم: إذا صلى بهم الإمام أطال التشهد حتى يقضوا الركعة الفائتة، ثم يسلم بهم، وقال آخرون: بل يسلم هو عند فراغه من الصلاة بهم، فإذا سلم قضوا ما فاتهم. وقال آخرون: بل يصلي بالطائفة الثانية ركعة ويسلم هو، ولا تسلم هي، بل ترجع إلى وجه العدو، ثم تجيء الأولى، فتقضي ما بقي من صلاتها وتسلم، وتمضي وتجيء الأخرى، فتم صلاتها، وهذا مذهب أبي حنيفة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا بِحِذْرِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين صلوا أولاً. وقال الزجاج: يجوز أن يريد به الذين وجاه العدو، لأن المصلي غير مقاتل، ويجوز أن يكون الجماعة أمروا بحمل السلاح، لأنه أربح للعدو، وأحرى أن لا يقدموا عليهم. و«الجناح»: الإثم، وهو من: جنحت: إذا عدلت عن المكان، وأخذت جانباً عن القصد. والمعنى: أنكم إذا وضعت أسلحتكم، لم تعدلوا عن الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ يَكُمُ آذَى مِنْ مَطَرٍ﴾ قال ابن عباس: رخص لهم في وضع الأسلحة لثقلها على المريض وفي المطر، وقال: وخذوا حذرکم كي لا يتغفلوكم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِزًّا وَفُؤَادًا وَكَلَّ جُؤُودَكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُودًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ يعني صلاة الخوف، وقضيتهم بمعنى: فرغتم.

(١) في «المعنى»: ٢٦٨/٢: ويجوز أن يصلي صلاة الخوف على كل صفة صلاها رسول الله ﷺ، قال أحمد: كل حديث يروى في أبواب صلاة الخوف، فالعمل به جائز، وقال: ستة أوجه أو سبعة يروى فيها كلها جائز، وقال الأثرم: قلت لأبي عبد الله: تقول بالأحاديث كلها، كل حديث في موضعه، أو تختار واحداً منها؟ قال: أنا أقول: من ذهب إليها كلها فحسن، وأما حديث سهل، فأنا اختاره. قلت: وحديث سهل الذي اختاره الإمام أحمد رواه الجماعة ولفظه عند مسلم ٥٧٥/١: عن صالح بن خوات بن جبير عن سهل بن أبي حنيفة أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه في الخوف، فصنَّهم خلفه صفين، فصلى بالذين يلونه ركعة، ثم قام، فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفهم ركعة، ثم تقدموا وتأخر الذين كانوا قدامهم فصلى بهم ركعة، ثم قعد حتى صلى الذين تخلفوا ركعة، ثم سلم. وقال الحافظ في «التلخيص» ص ١٤١: رويت صلاة الخوف عن النبي ﷺ على أربعة عشر نوعاً ذكرها ابن حزم في جزء مفرد، وبعضها في «صحيح مسلم» ومعظمها في «سنن أبي داود». وذكر الحاكم منها ثمانية أنواع، وذكر ابن حبان تسعة، وقال: ليس بينها تضاد، ولكن صلى صلاة الخوف مراراً، والمرء مباح له أن يصلي ما شاء عند الخوف من هذه الأنواع، وهي من الاختلاف المباح. ونقل ابن الجوزي عن أحمد أنه قال: ما أعلم في هذا الباب حديثاً إلا صحيحاً.



قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه الذكر لله في غير الصلاة، وهذا قول ابن عباس، والجمهور قالوا: وهو التسييح، والتكبير، والدعاء، والشكر. والثاني: أنه الصلاة، فيكون المعنى: فصلوا قياماً، فإن لم تستطيعوا فقعوداً، فإن لم تستطيعوا فعلى جنوبكم، هذا قول ابن مسعود. وفي المراد بالطمأنينة قولان: أحدهما: أنه الرجوع إلى الوطن عن السفر، وهو قول الحسن، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه الأمن بعد الخوف، وهو قول السدي، والزجاج، وأبي سليمان الدمشقي. وفي إقامة الصلاة قولان: أحدهما: إتمامها، قاله مجاهد، وقتادة، والزجاج، وابن قتيبة. والثاني: أنه إقامة ركوعها وسجودها، وما يجب فيها مما قد يترك في حالة الخوف، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي: فرضاً. وفي «الموقت» قولان: أحدهما: أنه بمعنى المفروض، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الموقت في أوقات معلومة، وهو قول ابن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابن قتيبة.

﴿وَلَا تَهْشَوْا فِي آيَتِهِ الْقَوْرَ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهْشَوْا فِي آيَتِهِ الْقَوْرَ﴾ قال أهل التفسير: سبب نزولها: أن النبي ﷺ أمر أصحابه لما انصرفوا من أحد أن يسيروا في أثر أبي سفيان وأصحابه، فشكوا ما بهم من الجراحات، فنزلت هذه الآية. قال الزجاج: ومعنى «تهنوا»: تضعفوا، يقال: وَهَنَ بِهِمْ: إِذَا ضَعُفَتْ، وكلُّ ضَعْفٍ فَهْرٌ وَهْنٌ. وابتغى القوم: طلبهم بالحرب. و«القوم» هاهنا: الكفار ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ أي: توجعون، فإنهم يجدون من الوجع بما ينالهم من الجراح والتعب، كما تجدون، وأنتم مع ذلك ترجون ما لا يرجون. وفي هذا الرجاء قولان: أحدهما: أنه الأمل، قاله مقاتل. قال الزجاج: وهو إجماع أهل اللغة الموثوق بعلمهم. والثاني: أنه الخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: ولم يوجد الخوف بمعنى الرجاء إلا ومعه جحد، [فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك] كقوله: ﴿تَا لَكُرَ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] وقوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٤] قال الشاعر:

لا ترجي حين تلاقي الذائدا  
وقال الهذلي:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا  
ولا يجوز رجوتك وأنت تريد خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف، لأنه أمل قد يخاف أن لا يتم، فعلى القول الأول يكون المعنى: ترجون النصر وإظهار دينكم والجنة. وعلى الثاني: تخافون من عذاب الله ما لا يخافون.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن طُعْمَةَ بن أبيرق سرق درعاً لقتادة بن النعمان، وكان الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق يَنْتَشِرُ من خرق في الجراب، حتى انتهى إلى الدار،

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢٨٦/١، و«الأضداد» لابن الأثير ص ١١، و«اللسان»: مادة رجا، من غير نسبة. و«الذائد»: من ذاد الإبل: إذا طردها وساقها ودفعها.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ١٤٤/١، و«معاني القرآن» ٢٨٦/١، و«الطبري» ١٧٤/٩. وهذا البيت لأبي ذؤيب من قصيدة له، وصف فيها مشتار العسل من بيوت النحل، فقال قبل هذا البيت:

فَلَوْ كَانَ حَبْلٌ مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً  
تَدُلُّ عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ مُرَوِّقَةً  
وسمعين بَاعاً نَالَهَا بِالْأَنْبَالِ  
شَدِيدَ الزُّمَارِ نَابِلٌ وَابْنُ نَابِلِ

وقوله: لم يرج لسمها: أي: لم يخف ولم يبالها. وقوله: خالفها: أي دخل بيت النحل لياخذ عسلها وقد خرجت إليه حين سمعت حسه فخالفها إلى بيوت عسلها غير هياب لسمها. ويروى «وحالفها» بالحاء، أي لازمها. والنوب: جمع نائب. وهو صفة للنحل أي: أنها ترعى ثم تنوب إلى بيتها لتضع عسلها، تهجئ وتذهب. والعوامل: التي تعمل العسل، ويروى «العوامل» أي ذوات العسل.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢٨٦/١، وما بين معنيين منه.

ثم خيأها عند رجل من اليهود، فالتصمت الدرع عند طعمة، فلم توجد عنده، وحلف: مالي بها علم، فقال أصحابها: بلى والله، لقد دخل علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فأرانا أثر الدقيق، فلما حلف تركوه، واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه، فقال: دفعها إلي طعمة، فقال قوم طعمة: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ وليجادل عن صاحبنا فإنه بريء، فاتوه فكلموه في ذلك، فهم أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت هذه الآيات كلها. رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً من اليهود، استودع طعمة بن أبيرق درعاً، فخانها، فلما خاف اطلاعهم عليها، ألقاها في دار أبي مليل الأنصاري، فجادل قوم طعمة عنه، وأتوا النبي ﷺ فسألوه أن يبرئه، ويكذب اليهودي، فنزلت الآيات، هذا قول السدي، ومقاتل. والثالث: أن مشربة رفاعة بن زيد نُقبت، وأخذ طعامه وسلاحه، فأتهم به بنو أبيرق، وكانوا ثلاثة؛ بشير، ومبشر، وبشر، فذهب قتادة بن النعمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أهل بيت منّا فيهم جفاء نقبوا مشربة<sup>(٢)</sup> لعمي رفاعة بن زيد، وأخذوا سلاحه، وطعامه، فقال: انظر في ذلك، فذهب قوم من قوم بني أبيرق إلى النبي ﷺ، فقالوا: إن قتادة بن النعمان، وعمه، عمدوا إلى أهل بيت منّا يرمونهم بالسرقه وهم أهل بيت إسلام وصلاح، فقال النبي لقتادة: «رميتهم بالسرقه على غير بينة!» فنزلت هذه الآيات. قاله قتادة بن النعمان<sup>(٣)</sup>. والكتاب: القرآن. والحق: الحكم بالعدل. «لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْكَائِبِينَ»: أي لتقضي بينهم. وفي قوله: «يَا أَيُّهَا اللَّهُ» قولان: أحدهما: أنه الذي علمه، والذي علمه أن لا يقبل دعوى أحد على أحد إلا ببرهان. والثاني: أنه ما يؤدي إليه اجتهداه، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «وَلَا تَكُنْ لِلْخَالِئِينَ حَصِيصًا» قال الزجاج: لا تكن مخصصاً، ولا دافعاً عن خائن. واختلفوا هل خاصم عنه أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه قام خطيئاً فعذره. رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه همّ بذلك ولم يفعله، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدلّ على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن غيره في إثبات حق أو نفيه، وهو غير عالم بحقيقة أمره، لأن الله تعالى عاتب نبيه على مثل ذلك.

«وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَتْ غَفُورًا رَحِيمًا»

قوله تعالى: «وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» في الذي أمر بالاستغفار منه قولان: أحدهما: أنه القيام بعذره. والثاني: أنه العزم على ذلك.

«وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا» يَسْتَحْفُونَ مِنَ الْكَائِبِينَ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا

(١) إسناده ضعيف جداً.

(٢) الجفاء: غلظ الطبع، والمشرية، بفتح الميم وسكون الشين وفتح الراء أو ضمها: وهي الفرفة، أو العلية، أو الصفة بين الفرفة، والمشارب: الملاهي.

(٣) هو قطعة من حديث طويل رواه الترمذي: ٩٣/٤، وابن جرير: ١٨١/٩، والحاكم: ٣٨٥/٤، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت: وليس كما قال، ففي إسناده عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الأنصاري المدني لم يخرج له مسلم، وهو مجهول، لم يوثقه غير ابن حبان، انظر «تهذيب التهذيب» ٤٨٩/٧.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٥٥٠/١: وقوله: «لِيَحْكُمَ بَيْنَ الْكَائِبِينَ يَأْتِيكَ اللَّهُ» احتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه كان ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية، وبما ثبت في «الصحيحين» عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: «ألا إنما أنا بشر، وإنما أقضي بنحو مما أسمع، ولعل أحداكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليحبلها أو ليلرها» وروى الإمام أحمد عن أم سلمة، قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في موارث بينهما قد دزست، ليس عندهما بينة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إلي، وإنما أنا بشر، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها إسقاطاً في عقه يوم القيامة» فبكى الرجلان، وقال كل منهما: حقي لأخي، فقال رسول الله ﷺ: «أما إذا قلتما فاذعيا فانتسما ثم توخيا الحق بينكما، ثم استهما، ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه» وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به زائد: «إني إنما أقضي بينكما برأي فيما لم ينزل علي فيه». قلت: الحديث الأول في البخاري ٧٧/٥، ٢٩٩/١٢، ١٣٩/١٣، ١٥١، وفي مسلم: ١٣٣٧/٣ وقد استوفى الحافظ رحمه الله في «الفتح» ١٥١/١٣ الكلام على هذا الحديث فانظره. والحديث الثاني رواه أحمد في «المستد» ٣٢٠/٦ وإسناده حسن، ورواه أبو داود: ٤١٠/٣ مختصراً. والإسقاط: بكسر الهمزة وسكون السين: الحديدة التي تحرك بها النار وتسهر. وفي «تفسير ابن كثير»: «الانتظام» وهو تحريف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجِدُ عَلَى الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يخونون أنفسهم، فيجعلونها خائنة بارتكاب الخيانة. قال عكرمة: والمراد بهم: طعمة بن أبيرق، وقومه الذين جادلوا عنه. وفي حديث العوفي عن ابن عباس قال: انطلق نفرٌ من عشيرة طعمة ليلاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إن صاحبنا بريء. والاستخفاء: الاستتار، والمعنى: يستترون من الناس لئلا يظلموا على خيانتهم وكذبهم، ولا يسترون من الله، وهو معهم بالعلم. وكلُّ ما فُكر فيه، أو خيض فيه بليل، فقد بَيَّت. وجمهور العلماء على أن المشار إليه بالاستخفاء، والتبييت، قوم طعمة. والذي يَبْتَوا: احتيالهم في براءة صاحبهم بالكذب. وقال الزجاج: هو السارق نفسه، والذي بَيَّت أنه قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع، وأحلف أنني لم أسرقها، فتقبل يميني، ولا تقبل يمين اليهودي.

﴿هَئَانَتْ هَوَالَهُ جَدَلَتْهُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ قوله تعالى: ﴿هَئَانَتْ هَوَالَهُ جَدَلَتْهُمْ عَنْهُمْ﴾ قال الزجاج: «ها» للتنبية، وأعيدت في أوله. والمعنى: ها أنتم الذين جادلتم. والمجادلة، والجدال: شدة المخاصمة، والجدل: شدة القتل. والكلام يعود إلى مَنْ احتج عن السارق. فاما قوله: «عنهم» فإنه عائد إلى السارق. و«عليهم» بمعنى «لهم». والوكيل: القائم بأمر مَنْ وكَّله، فكانه قال: من الذي يتوكل لهم منكم في خصومة ربهم؟!

﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْءًا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْءًا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ﴾ اختلفوا في نزولها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت خطاباً للسارق، وعرضاً للتوبة عليه. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل. والثاني: أنها للذين جادلوا عنه من قومه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه عني بها كل مسيء ومُذنب. ذكره أبو سليمان الدمشقي. وإطلاقها لا يمنع أن تكون نزلت على سبب. وفي هذا السوء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه السرقة. والثاني: الشرك. والثالث: أنه كل ما يَأْثَم به. وفي هذا الظلم قولان: أحدهما: أنه رمي البريء بالثئمة. والثاني: ما دون الشرك<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ أي: ومن يعمل ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ يقول: ما يعود وباله عليه. قاله مقاتل، وهذه في طعمة أيضاً.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ جمهور العلماء على أنها نزلت متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق. وقد روى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول إذ رمى عائشة ؓ بالإفك. وفي قوله: ﴿خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن «الخطيئة» يمين السارق الكاذبة، و«الإثم»: سرقة الدرع، ورميه اليهودي، قاله ابن السائب. والثاني: أن «الخطيئة» ما يتعلق به من الذنب، و«الإثم»: قذف البريء، قاله مقاتل. والثالث: أن «الخطيئة» قد تقع عن عمد، وقد تقع عن خطأ، و«الإثم»: يختص العمد. قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وذكر الزجاج أن الخطيئة نحو قتل الخطأ الذي يرتفع فيه الإثم. والرابع: أنه لما سَمَى الله ﷻ بعض المعاصي خطيئة، وبعضها إثماً، أعلم أن من كسب ما يقع عليه أحد هذين الاسمين، ثم قذف به بريئاً، فقد احتمل بهتاناً، ذكره الزجاج أيضاً. فاما قوله: ﴿ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِيئًا﴾ أي: يقذف بما جناه بريئاً منه. فإن قيل: الخطيئة والإثم اثنان، فكيف قال: «به» فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه أراد: ثم يرمي بهما، فاكتمى بإعادة الذكر على الإثم من إعادته على الخطيئة، كقوله: ﴿أَنْفُسُوهَا إِنَّهَا﴾ فخص التجارة، والمعنى للتجارة واللُّهُو. والثاني: أن الهاء تعود على الكسب، فلما دلَّ بـ «يكسب» على الكسب، كنى عنه. والثالث:

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٧٤/١ عن علي ؓ قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وحدثني أبو بكر وصديق أبو بكر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يلبس ذنباً ثم يترى ليعصلي ركعتين، ثم يستغفر الله تعالى للذنب إلا غفر له، وقرأ هاتين الآيتين: ﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْءًا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَكَ رَحِيمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا كَانُوا مُتَهِمًا أَوْ ظَلَمُوا...﴾ الآية (ذكر عمران: ١٣٥) ورواه الترمذي: ٢٥٧/٢، وابن حبان في «صحيحه» وهو حديث حسن. وقد ذكر في «التهذيب» ٢٦٨/١ تحسine عن ابن عدي.

أن الهاء راجعة على معنى الخطيئة والإثم، كأنه قال: وَمَنْ يَكْسِبُ ذَنْبًا، ثم يرم به. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والرابع: أن الهاء تعود على الإثم خاصة، قاله ابن جرير الطبري. وفي المراد بالبريء الذي قذفه هذا السارق قولان: أحدهما: أنه كان يهودياً، قاله ابن عباس، وعكرمة، وابن سيرين، وقتادة، وابن زيد، وسماه عكرمة، وقتادة، زيد بن الشَّمِير<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه كان مسلماً، روي عن ابن عباس، وقتادة بن النعمان، والسدي، ومقاتل. واختلفوا في ذلك المسلم، فقال الضحاك عن ابن عباس: هو عائشة لما قذفها ابن أبي، وقال قتادة بن النعمان: هو ليبيد بن سهل. وقال السدي، ومقاتل: هو أبو مُلَيْل الأنصاري. فأما البهتان: فهو الكذب الذي يُحَيَّرُ من عَظْمِهِ، يقال: بهت الرجل: إذا تحيَّر. قال ابن السائب: فقد احتمل بهتاناً برميه البريء، وإثماً مبيناً يمينه الكاذبة.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقصة طعمة وقومه، حيث لبسوا على النبي ﷺ أمر صاحبهم، هذا قول ابن عباس من طريق ابن السائب. والثاني: وقد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: جنتك نايك على أن لا نُحْشَرُ ولا نُعْشَرُ، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجيبهم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك. وفي المراد بفضل الله ورحمته قولان: أحدهما: النبوة والعصمة. والثاني: الإسلام والقرآن، روي عن ابن عباس. قال مقاتل: لولا فضل الله عليك حيث بين لك أمر طعمة، وحولك بالقرآن عن تصديق الخائن؛ لَهَمَّتْ طائفة منهم أن يُضِلُّوكَ. قال الفراء: والمعنى: لقد هَمَّت. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ وقد همت بإضلاله؟ فالجواب: أنه لولا فضل الله عليك ورحمته، لظهر تأثير ما هموا به. فأما الطائفة، فعلي رواية ابن السائب عن ابن عباس: قوم طعمة، وعلى رواية الضحاك: وقد ثقيف. وفي الإضلال قولان: أحدهما: التخطئة في الحكم. والثاني: الاستزلال عن الحق. قال الزجاج: وما يضلون إلا أنفسهم، لأنهم يعملون عمل الضالين، فيرجع الضلال إليهم. فأما «الكتاب»، فهو القرآن. وفي «الحكمة» ثلاثة أقوال: أحدها: القضاء بالوحي، قاله ابن عباس. والثاني: الحلال والحرام، قاله مقاتل. والثالث: بيان ما في الكتاب، وإلهام الصواب، وإلقاء صحة الجواب في الرّوع، قاله أبو سليمان الدمشقي، وفي قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشرع، قاله ابن عباس ومقاتل. والثاني: أخبار الأولين والآخرين، قاله أبو سليمان. والثالث: الكتاب والحكمة، ذكره الماوردي، وفي قوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنة بالإيمان. والثاني: المنة بالنبوة، هذان عن ابن عباس. والثالث: أنه عام في جميع الفضل الذي خصه الله به، قاله أبو سليمان.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اتَّبِعْنَاهُ مِنْ حَتَّىٰ نَأْتِيَ اللَّهُ بِقُضَايَ الْأُمُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ قال ابن عباس: هم قوم طعمة، وقال مقاتل: وكلهم يهود تناجوا في أمر طعمة، وقال مجاهد: هو عام في نجوى جميع الناس. قال الزجاج: ومعنى النجوى: ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان، سراً كان أو ظاهراً. ومعنى «نجوت الشيء» في اللغة: خلصته وألقيته، يقال: نجوت الجلد: إذا ألقيته عن البعير وغيره. قال الشاعر:

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إته

سُيرضيكما منها سنّام وغاريه<sup>(٢)</sup>

(١) في «الطبري» ١٨٧/٩، و«ابن كثير» ٥٥٣/١ زيد بن السنين.

(٢) البيت لأبي القمر الكلابي كما في «الخرزاة» ٢٢٧/٢ و«المعني» ٣٧٣/٣، ونسب في «الخرزاة» أيضاً إلى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، وهو في «المجمل» و«اللسان» مادة نجا، و«إصلاح المنطق» ٩٤ و«المخصص» ١٧٥/٧، ٨١/١٥، ١٤٣ بدون نسبة. وقال في «اللسان»: قال الفراء: أضاف النجا إلى الجلد [وهما مترادفان] لأن العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقوله تعالى: حق اليقين، ولدار الآخرة، والجلد نجا مقصور أيضاً، وقال ابن بري: ومثله ليزيد بن الحكم:



وقد نجوت فلاناً: إذا استنكته، قال الشاعر:

نَجُوتُ مُجَالِدًا فَوَجَدْتُ مِنْهُ  
وأصله كله من النجوة، وهو ما ارتفع من الأرض، قال الشاعر يصف سيلاً:

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعْقَوْتِهِ  
والمُستَكْنُ كَمَنْ يمشي بقرواح<sup>(١)</sup>

والمراد بنجواهم: ما يدبرونه بينهم من الكلام. فأما قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، فيجوز أن يكون بمعنى: إلا في نجوى من أمر بصدقة، ويجوز أن يكون استثناء ليس من الأول، فيكون بمعنى: لكن من أمر بصدقة، ففي نجواهم خير<sup>(٢)</sup>. وأما قوله: ﴿أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ فالمعنى: حث عليها. وأما المعروف، ففيه قولان: أحدهما: أنه الفرض، روي عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع أفعال البر، وهو اختيار القاضي أبي يعلى، وأبي سليمان الدمشقي.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُنِيرِينَ قُلْ هِيَ مَجْهُولَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل القرآن بتكذيب طعنة، وبيان ظلمه، وخاف على نفسه من القطع والفضيحة، هرب إلى مكة، فلحق بأهل الشرك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والسدي. وقال مقاتل: لما قدم مكة نزل على الحجاج بن علاط السلمي فأحسن نزله، فبلغه أن في بيته ذهباً، فخرج في الليل فنقب حائط البيت، فعلموا به فأحاطوا بالبيت، فلما رأوا، أرادوا أن يرحموا، فاستحيا الحجاج، لأنه ضيفه، فتركوه، فخرج، فلحق بحرة بني سليم يعبد صنمهم حتى مات على الشرك، فنزل فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقال غيره: بل خرج مع تجار فسرق منهم شيئاً، فرموا بالحجارة حتى قتلوه، وقيل: ركب سفينة، فسرق فيها مالاً، فعُلِمَ به، فألقي في البحر. والقول الثاني: أن قوماً قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، ثم ارتدوا، فنزلت فيهم هذه الآية، روي عن ابن عباس. ومعنى الآية: ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود، ومن بعد ما تبين له التوحيد والحكم، ويتبع غير دين المسلمين، نوله ما تولى، أي: نكله

= تنافس من أطوى طوى الكشح دونه

ومن دون من صافيته أنت منطوي

قال: ويؤي قول القراء بعد البيت قولهم: عرق النسا، وحبل الوريد، وثابت قطنة، وسعيد كرز. وفي «الخزائن»: وقال ابن السيرافي في شرح أبيات «إصلاح المنطق»: يريد: قشر عنها لحمها وشحمها، كما يقشر الجلد فإنها سمينة. وغاربها: ما بين السنام والعتق. قال صاحب «الخزائن»: ويؤخذ من هذا التفسير أن «النجا» هنا اسم مصدر بمعنى النجو، على أنه مفعول مطلق، وليس اسماً للجلد فلا يكون كما قاله القراء فتأمل.

(١) البيت في «الحيوان» ٢٥٢/١ للحكم بن هبل الأسدي، وورد بدون نسبة في «معجم مقاييس اللغة» ٣٩٨/٥، و«المخصص» ٢٠٩/١١، و«اللسان» مادة: جلد، ونكه، ونجا وفي «الحيوان» و«اللسان»: «قريب عهد»، وفي «المخصص» و«معجم مقاييس اللغة»: «حديث عهد». قلت: وقد جاء في النسخة الخطية لكتاب «الحيوان» التي رمز لها محقق الكتاب بـ «ل» و«نجوت» بالجيم، على الصواب كما هو في سائر المراجع، ولكن المحقق حذفها، ووضع مكانها «نحوت» بالحاء، ثم أثبت ما في نسخة «ل» بالهاش، وقال: هو تحريف.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص في «ديوانه» ٥٣، و«الأزمنة والأمكنة» ٩٣/٢ و«الأمالي» ١٧٧/١، و«مختارات ابن الشجري» ١٠١، و«اللسان» ٣٠٨/١٥ ويروي أيضاً لأوس بن حجر في «ديوانه» ١٦، و«الشعر والشعراء» ١٦٠/١، و«الحيوان» ١٣٢/٦، و«الأغانى» ٧١/١١. وفي الديوان وبعض المراجع: «فمن بنجوته كمن بمجفله»، والمجفل: مستقر الماء. النجوة: ما ارتفع من الأرض. والعقوة: الساحة، وما حول الدار، والمحلة. والمستن: الذي استكن في بيته، والكن: البيت. والقرواح: الأرض البارزة للشمس لا يسترها شيء. يريد أن المطر عم المرتفعات والمنخفضات، وأدرك الناس اللبن في بيوتهم وخارجها.

(٣) في «الطبري» ٢٠٢/٩: وقال بعض نحوي الكوفة: قد تكون «من» في موضع خفض ونصب، أما خفض فعلى قولك: لا خير في كثير من نجواهم إلا في من أمر بصدقة، فتكون «النجوى» على هذا التأويل هم الرجال المناجون، كما قال جل ثاوه ﴿وَمَا يَكْفُرُ مِنْ تَحْوٍ تَلْتَلُو إِلَّا هُوَ رَافِعُهُ﴾ [المجادلة: ٧] وكما قال ﴿وَلَوْ لَمْ تَنْفِرْ﴾ [الإسراء: ٤٧] وأما نصب فعلى أن تجعل «النجوى» فعلاً فيكون نصباً، لأنه حينئذ يكون استثناء منقطعاً، لأن «من» خلاف «النجوى» فيكون ذلك نظير قول الشاعر:

وقسفت فيها أصيلاً أناساً لها

عشت جواباً وما بالريح من أحد

إلا الأواشي لا يأ ما أبيها

والنوي كالحوض بالمظلومة الجلي

وقد يحتمل «من» على هذا التأويل أن يكون رقماً كما قال الشاعر:

ويسلطه ليس بها أنيس

إلا اليمافير ولا اليميس

قلت: وأراد بعض نحوي الكوفة: القراء، وكلامه هذا في «معاني القرآن» ٢٨٧/١. مع بعض تغيير.



سؤل لهم، هذا قول مقاتل، والزجاج. والثالث: أنه أصنامهم التي عبدوا، ذكره الماوردي. فأما «المريد»، فقال الزجاج: «المريد»: المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشر، يقال: مرد الرجل يمرُدُ مُروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة. وتأويل المردود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املاس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرد: إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء: إذا كانت ملساء. وفي قوله: «لَعَنَهُ اللَّهُ» قولان: أحدهما: أنه ابتداء دعاء عليه باللعن، وهو قول من قال: هو الأوثان. والثاني: أنه إخبار عن لعن متقدم، وهو قول من قال: هو إبليس. قال ابن جرير: المعنى: قد لعنه الله. قال ابن عباس: معنى الكلام: دحره الله، وأخرجه من الجنة. وقال - يعني إبليس -: «لَا تَخْذَلْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا». وقال ابن قتيبة: أي: حظاً افترضته لنفسي منهم، فأضلّهم. وقال مقاتل: النصيب المفروض: أن من كل ألف إنسان واحد في الجنة، وسائرهم في النار<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: «الفرض» في اللغة: القطع، و«الفُرصة»: الثلثة تكون في النهر. و«الفرض» في القوس: الحزن الذي يشد فيه الوتر، والفرض فيما ألزمه الله العباد: جعله حتماً عليهم قاطعاً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَبَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَلَدُنْهُمْ أَعْتَدْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ أَذَاتَ الْآخِرَةِ وَلَهُمْ فِيهَا أَصْحَابُهُمْ فَلْيَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْتَصِمُونَ لَيْسَ لَكُم مِّنْ شَيْءٍ مَّا تَتَدَّبَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَبَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَلَدُنْهُمْ أَعْتَدْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ أَذَاتَ الْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: عن سبيل الهدى، وقال غيره: ليس له من الضلال سوى الدعاء إليه. وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَبَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَلَدُنْهُمْ أَعْتَدْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ أَذَاتَ الْآخِرَةِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الكذب الذي يخبرهم به، قال ابن عباس: يقول لهم: لا جنة، ولا نار، ولا بعث. والثاني: أنه التسويف بالتوبة، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه إيهامهم أنهم سينالون من الآخرة حظاً، قاله الزجاج. والرابع: أنه تزيين الأمانى لهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَبَائِهِمْ وَبَنَاتِهِمْ وَلَدُنْهُمْ أَعْتَدْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ أَذَاتَ الْآخِرَةِ﴾ قال قتادة، وعكرمة، والسدي: هو شق أذن البَحيرة. قال الزجاج: ومعنى «يتكن»: يشققن، يقال: بتكت الشيء أبنته بتكاً: إذا قطعت، وبنته وبنتك، مثل: قطعه وقطع. وهذا في البحيرة كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن، وكان الخامس ذكراً، شقوا أذن الناقة، وامتنعوا من الانتفاع بها، ولم تُطرَد عن ماء، ولا مرعى، وإذا لقيها المعبي، لم يركبها. سؤل لهم إبليس أن هذا قرينة إلى الله تعالى. وفي المراد بتغيير خلق الله خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير دين الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن في رواية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والنخعي، والضحاك، والسدي، وابن زيد، ومقاتل. وقيل: معنى تغيير الدين: تحليل الحرام، وتحريم الحلال. والثاني: أنه تغيير الخلق بالخصاء، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو مروي عن أنس بن مالك. وعن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، كالقولين. والثالث: أنه التغيير بالوشم، وهو قول ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، والحسن في رواية. والرابع: أنه تغيير أمر الله، رواه أبو شعبة عن عطاء. والخامس: أنه عبادة الشمس والقمر والحجارة، وتحريم ما حرّموا من الأنعام، وإنما خلق ذلك للانتفاع به، قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ في المراد بالولي قولان: أحدهما: أنه بمعنى الرب،

(١) وفي «القرطبي» ٣٨٨/٥ قلت: وهذا صحيح معنى، يعضده قوله تعالى لآدم يوم القيامة: «ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين». أخرجه مسلم. وبعث النار: هو نصيب الشيطان.

(٢) أحمد في «المسند»، والبخاري ٨/٤٨٣، ومسلم ٣/١٦٧٩، ولغته: «لعمركم الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله...» قلت: الواشمة هي التي تشم، والمستوشمة: هي التي تطلب الوشم، والوشم: أن يفرز في العضو إبرة أو نحوها حتى يسيل الدم، ثم يحشى بكحل أو نؤور فيخضر. والمتنصة والنامصة: التي تنف الشعر من وجهها. وقيل: هي التي تزيل شعر الحاجبين بالمشاق حتى ترقه وترفعه وتسويه. والمتفلجة: التي تصنع الفلج بأسنانها إذا كانت متلاصقة، وذلك بأن تحك ما بينهما بالمرد حتى يسبح ما بين أسنانها.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٩/٢٢٢: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قُلُوبِكُمْ﴾ قال: دين الله، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه، وهي قوله: ﴿وَقُلْتُ أَفَوَ اللَّهِ لَئِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَتُوبَ إِلَيَّ أَفَوَ ذَلِكَ أَفَرَأَيْتُ الْآلِهَةَ﴾ [الروم: ٣٠] وإذا كان ذلك معناه، دخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه، من خصاء ما لا يجوز خصاؤه ووشم ما نهى عن وشمه ووشره وغير ذلك من المعاصي، ودخل فيه ترك كل ما أمر الله به، لأن الشيطان لا شك أنه يدعو إلى جميع معاصي الله، وينهى عن جميع طاعته، فذلك معنى أمره نصيبه المفروض من عباد الله، بتغيير ما خلق الله من دينه.

قاله مقاتل. والثاني: من الموالاة، قاله أبو سليمان الدمشقي. فإن قال قائل: من أين لإبليس العلم بالعواقب حتى قال: ولا ضللتهم. وقال في (الأعراف): ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٧). وقال في (بنی إسرائيل): ﴿لَاخْنِكَنَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨). فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ظن ذلك، فتحقق ظنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ (سبا: ٢٠) قاله الحسن، وابن زيد. وفي سبب ذلك الظن قولان: أحدهما: أنه لما قال الله تعالى له: ﴿لَمَّا تَدَارَكَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (ص: ٨٥) علم أنه ينال ما يريد. والثاني: أنه لما استزل آدم، قال: ذرية هذا أضعف منه. والثاني: أن المعنى: لأحرصن ولا اجتهدن في ذلك، لا أنه كان يعلم الغيب، قاله ابن الأنباري. والثالث: أن من الجائر أن يكون علم من جهة الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلق لا يشكرون، ذكره الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على بعضهم فقال: ﴿نُوبِيَا مَفْرُوسًا﴾ وقال: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧) وقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون علم مآل الخلق من جهة الملائكة، كما بينا. والثاني: أنه لما لم ينل من آدم كل ما يريد، طمع في بعض أولاده، وأيس من بعض. والثالث: أنه لما عاين الجنة والنار، علم أنهما خلقتا لمن يسكنهما، فأشار بالنصيب المفروض إلى ساكني النار.

قوله تعالى: ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ يعني: الشيطان يعد أوليائه. وفيما يعدهم به قولان: أحدهما: أنه لا بعث لهم، قاله مقاتل. والثاني: النصرة لهم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفيما يُمنِّيهم قولان: أحدهما: الغرور والأمان، مثل أن يقول: سيطول عمرك، وتنال من الدنيا مرادك. والثاني: الظفر بأوليائه الله.

﴿يَعِدُّهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٩) أَوَلَيْكَ مَا وَصَّيْنَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَحْدُونَ عَنْهَا يَحْيَا (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْعَلُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَقَدْ آتَى اللَّهُ حَقَّ وَمَنْ أَسَدُّ مِنْ اللَّهِ قِيلًا (٢١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: باطلاً يغرهم به. فاما المحيص. فقال الزجاج: هو المعدل والملجأ، يقال: حصت عن الرجل أحيص، ورووا: حصت أحيص بالجمع والضاد، بمعنى: حصت، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً، لأن القراءة ستة، والذي في القرآن أفصح مما يجوز، ويقال: حصت أحوص حوصاً وحياصة<sup>(١)</sup>: إذا خطت، قال الأصمعي: يقال: حص عين صقرك، أي: خط عينه، والحوص في العين: ضيق مؤخرها، ويقال: وقع في حيص بيص. وحاص باص: إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَمْلِكُ سَوْماً يَجْزِيَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا﴾ (٢٢) قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أهل الأديان اختصموا، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية، ثم خير بين الأديان بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وإلى هذا المعنى ذهب مسروق، وأبو صالح، وقتادة، والسدي. والثاني: أن العرب قالت: لا تُبعث، ولا نعدب، ولا نحاسب، فنزلت هذه الآية، هذا قول مجاهد<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن اليهود والنصارى قالوا: لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: لا تُبعث، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة. قال الزجاج: اسم «ليس» مضمَر، والمعنى: ليس ثواب الله ﷻ بأمانيتكم، وقد جرى ما يدل على الثواب، وهو قوله: ﴿سَنَجْعَلُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. وفي المشار إليه بقوله «أمانيتكم» قولان: أحدهما: أنهم المسلمون على قول الأكثرين. والثاني: المشركون على قول مجاهد.

(١) في الأصول التي بين أيدينا «حياصة» والتصويب من «اللسان».

(٢) قال ابن عيش شراح «المفصل» ١١٤/٤: العرب تقول: «وقع الناس في حيص بيص» إذا وقعوا في فتنة واختلاط من أمرهم، لا مخرج لهم منه، وهما اسمان زكيا اسماً واحداً، ونبيا بناء «خمسة عشر» و«خيم» مأخوذ من: حاص يحيص: إذا فر، يقال: ما عنه محيص، أي: مهرب. و«بيص» مأخوذ من قولهم: باص ييوس: أي: فات وسبق، لأنه إذا وقع الاختلاط والفتنة، فمنهم هارب، ومنهم فانت، ولذلك فرهما - أي الزمخشري - «بفتنة تموج بأهلها متأخرين ومتقدمين» فالحيص: التأخر والهرب، والبوص: التقدم والسبق، وكان ينبغي أن يقال: حيص بوص، غير أنهم أتبعوا الثاني الأول.

(٣) رواه ابن جرير الطبري: ٢٣٠/٩.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، ورجع هذا القول الطبري ٢٣٢/٩.



فأما أمانى المسلمين، فما نقل من قولهم كتابنا ناسح للكتب، ونبينا خاتم الأنبياء، وأمانى المشركين قولهم: لا نبعث، وأمانى أهل الكتاب قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وإن النار لا تمسنا إلا أياماً معدودة، وإن كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، فأخبر الله ﷻ أن دخول الجنة والجزاء بالأعمال لا بالأمانى. وفي المراد «بالسوء» قولان: أحدهما: أنه المعاصي، ومنه حديث أبي بكر الصديق أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ ﴿مَنْ يَمَلَّ سَوْئًا يُجْزَ بِهِ﴾ فإذا عملنا سوءاً جزينا به، فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟» (١) فذلك ما تُجْزَوْنَ به» (٢). والثاني: أنه الشرك، قاله ابن عباس، ويحيى بن أبي كثير. وفي هذا الجزاء قولان: أحدهما: أنه عام في كل من عمل سوءاً فإنه يجازى به، وهو معنى قول أبي بن كعب، وعائشة، واختاره ابن جرير، واستدل عليه بحديث أبي بكر الذي قدمناه. والثاني: أنه خاص في الكفار يجازون بكل ما فعلوا، فأما المؤمن فلا يجازى بكل ما جنى، قاله الحسن البصري. وقال ابن زيد: وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم، ولم يعد للمشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ قال أبو سليمان: لا يجد من أراد الله أن يجزيه بشيء من عمله ولياً، وهو القريب، ولا ناصرأ يمنعه من عذاب الله وجزائه.

﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ قال مسروق: لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال أهل الكتاب: نحن وأنتم سواء، فنزلت ﴿وَمَنْ يَمَلَّ مِنْ... الْفَعْلَيْنِ﴾ الآية، وهذه تدل على ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، فلا يقبل أحدهما إلا بوجود الآخر، وقد سبق ذكر «النقيض».

﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: خير الله بين الأديان بهذه الآية. و«أسلم» بمعنى: أخلص. وفي «الوجه» قولان: أحدهما: أنه الدين. والثاني: العمل. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أنه التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القيام بما فرض الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي اتباع ملة إبراهيم قولان: أحدهما: اتباعه على التوحيد والطاعة. والثاني: اتباع شريعته، اختاره القاضي أبو يعلى. فأما الخليل، فقال ابن عباس: الخليل: الصفي، وقال غيره: المصافي، وقال الزجاج: هو المحب الذي ليس في محبته خلل. قال: وقيل: الخليل: الفقير، فجاز أن يكون إبراهيم سمي خليل الله بأنه أحبه محبة كاملة، وجاز أن يكون لأنه لم يجعل فقره وفاقه إلا إليه، و«الخلّة»: الصداقة، لأن كل واحد يسد خلل صاحبه، و«الخلّة» بفتح الخاء: الحاجة، سُميت خلّة للاختلال الذي يلحق الإنسان فيما يحتاج إليه، وسمي الخل الذي يؤكل خللاً، لأنه اختلّ منه طعم الحلاوة. وقال ابن الأنباري: الخليل: فعيل من الخلّة، والخلّة: المودة. وقال بعض أهل اللغة: الخليل: المحب، والمحب الذي ليس في محبته نقص ولا خلل، والمعنى: أنه كان يحب الله، ويحبه الله محبة لا نقص فيها، ولا خلل، ويقال: الخليل: الفقير، فالمعنى: اتخذه فقيراً إليه ينزل فقره وفاقه به، لا بغيره. وفي سبب اتخاذ الله له خليلاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اتخذه خليلاً لإطعامه الطعام، روى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام» (٣). والثاني: أن الناس أصابتهم سنة فأقبلوا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام، وكانت له ميرة من صديق

(١) اللأواء: بفتح اللام والواو بينهما همزة ساكنة بالمد: المشقة والشدة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ١/١٨١، وابن جرير ٩/٢٤٢، والحاكم في «المستدرک» ٣/٧٤، والبيهقي في «السنن» ٣/٣٧٣ عن أبي بكر ﷺ، وفي إسناده انقطاع بين التايهي أبي بكر بن أبي زهير الثقفي رواه عن أبي بكر الصديق وبين أبي بكر، لكن للحديث شواهد تؤيد صحته، من ذلك ما رواه الإمام أحمد في «المسند» ١٣/١١٥، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٩٩٣، والترمذي ٤/٩٤ عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿مَنْ يَمَلَّ سَوْئًا يُجْزَ بِهِ﴾ شقت على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله تَبَلَّغَ، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا»، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها، أو الشوكة يشاكها. وقوله: قاربوا: أي: اقتصدوا فلا تغفلوا ولا تقصروا بل توسطوا. وسددوا: منأ: اقتصدوا السداد وهو الصواب. والنكبة: ما يصب الإنسان من الحوادث.

(٣) نسبة السيوطي في «الدرر» ٢٠/٢٣٠ للبيهقي في «شعب الإيمان».



الأحكام. وقيل: الاستفتاء: الاستخبار. قال المفسرون: والذي اسْتَفْتَوْهُ فيه، ميراث النساء، وذلك أنهم قالوا: كيف تَرِث المرأة والصبي الصغير؟

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتْلُ عَلَىٰكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: موضع «ما» رفع، المعنى: الله يفتيكم فيهن، وما يلقى عليكم في الكتاب أيضاً يفتيكم فيهن. وهو قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَكَ الْقُرْآنَ..﴾ الآية. والذي تلى عليهم في التزويج قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَآ تَقْسِمُوا فِي الْبَيْنِ فَأُنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]. وفي يتامى النساء قولان: أحدهما: أنهن النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم، كما تقول: يوم الجمعة. والثاني: أنهن أمهات اليتامى، فأضيف إليهن أولادهن اليتامى. وفي الذي كتب لهن قولان: أحدهما: أنه الميراث، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الصداق. ثم في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم أولياء المرأة كانوا يحوزون صداقها دونها. والثاني: ولي اليتيمة، كان إذا تزوجها لم يعدل في صداقها. وفي قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ قولان: أحدهما: وترغبون في نكاحهن رغبة في جمالهن، وأموالهن، هذا قول عائشة، وعبيدة. والثاني: وترغبون عن نكاحهن لقبهجن، فتمسكوهن رغبة في أموالهن، وهذا قول الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّخِيمَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ قال الزجاج: موضع المستضعفين خفض على قوله: ﴿وَمَا يَتْلُ عَلَىٰكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَمَى النِّسَاءِ﴾ المعنى: وفي الولدان. قال ابن عباس: يريد أنهم لم يكونوا يورثون صغيراً من الغلمان والجواري، فنهاهم الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ لَا قِسْطَ﴾ قال الزجاج: موضع «أن» خفض، فالمعنى: في يتامى النساء، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط. قال ابن عباس: يريد العدل في مهورهن وموارثهن.

﴿وَلَا أَرْأَهُنَّ حَافَتَ مِن بَيْلِهِنَّ شُورًا أَوْ إِعْرَاحًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَا أَن يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْزِرْتَ أَلَانَسُ الشَّحِّ وَلَا تَحْسَبُونَهَا لَافِتًا اللَّهُ كَاتِمًا تَمَكُّونَ حَيْرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَرْأَهُنَّ حَافَتَ مِن بَيْلِهِنَّ شُورًا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن سودة خشيت أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا تطلقني، وأمسكني، واجعل يومي لعائشة، ففعل، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن بنت محمد بن مسلمة كانت تحت رافع بن خديج، فكره منها أمراً، إما كبيراً، وإما غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني، واقسم لي ما شئت، فنزلت هذه الآية، رواه الزهري عن سعيد بن المسيب<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: واسمها خويلة. والثالث: قد ذكرناه عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبير في نزول الآية التي قبلها. وقالت عائشة: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها تكون له محبة أو يكون لها ولد ففكره فراقه، فتقول له: لا تطلقني وأمسكني، وأنت في حل من شأني. رواه البخاري، ومسلم<sup>(٣)</sup>. وفي خوف النشوز

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي ١٧/٢، والترمذي ٩٤/٤، والبيهقي في «السنن» ٢٩٧/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحافظ في «الفتح» بعد نقل هذا الحديث عن الترمذي: وله شاهد في «الصحيحين» من حديث عائشة بدون ذكر نزول الآية. قلت: روى الشيخان عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة. وأخرج أبو داود في «سننه» ٣٢٦/٢ عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أخي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم، من مكته عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت، وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها، أراه قال: ﴿وَلَا أَرْأَهُنَّ حَافَتَ مِن بَيْلِهِنَّ شُورًا﴾. وإسناده جيد.

(٢) «الموطأ» ٥٤٨/٢ عن ابن شهاب عن رافع بن خديج. و«الأم» ١٧١/٥، و«المسنند» للشافعي ٢٨/٢، و«جامع البيان» ٢٧٥/٩، عن الزهري عن سعيد بن المسيب. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣٠٨/٢ من طريق إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق مرفوعاً إلى رافع بن خديج، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في «السنن» من طريق أخرى مطولاً من طريق أبي اليمان عن شعيب ابن أبي حمزة عن الزهري.

(٣) البخاري ١٩٩/٨، ومسلم ٢٣١٦/٤، ولفظه عن عائشة في قوله ﷺ ﴿وَلَا أَرْأَهُنَّ حَافَتَ مِن بَيْلِهِنَّ شُورًا﴾ قالت: «نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلعله أن لا يستكثر منها، وتكون لها صحبة وولد، ففكره أن يفارقها، فتقول له: أنت في حل من شأني».

قولان: أحدهما: أنه العلم به عند ظهوره. والثاني: الحذر من وجوده لآماراته. قال الزجاج: والنشوز من بعل المرأة: أن يُسيء عشرتها، وأن يمنعها نفسه ونفقتها. وقال أبو سليمان: نشوزاً، أي: نبواً عنها إلى غيرها، وإعراضاً عنها، واشتغالاً بغيرها. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ أَنْ يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُصَلِّحَا بَيْنَهُمَا» بفتح الياء، والتشديد. والأصل: «يتصلحا»، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «يُصَلِّحَا» بضم الياء، والتخفيف. قال المفسرون: والمعنى: أن يوقعا بينهما أمراً يرضيان به، وتلوم بينهما الصبغة، مثل أن تصبر على تفضيله. وروي عن علي، وابن عباس: أنهما أجازا لهما أن يصطلحا على ترك بعض مهرها، أو بعض أيامها، بأن يجعله لغيرها. وفي قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ قولان: أحدهما: خير من الفرقة، قاله مقاتل، والزجاج. والثاني: خير من النشوز والإعراض، ذكره الماوردي. قال قتادة: متى ما رضيت بدون ما كان لها، واصطلحا عليه، جاز، فإن أثبت لم يصلح أن يجسها على الخسف.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْضَرْتُ لَأَنْفُسِ الشُّحِّ﴾ «أحضرت»: بمعنى: ألزمت. و«الشح» الإفراط في الحرص على الشيء. وقال ابن فارس: «الشح»: البخل مع الحرص، وتشاح الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما. وفيمن يعود إليه هذا الشح من الزوجين قولان: أحدهما: المرأة، فتقديره: وأحضرت نفس المرأة الشح بحقها من زوجها، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. والثاني: الزوجان جميعاً، فالمرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح عليها بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه، هذا قول الزجاج. وقال ابن زيد: لا تطيب نفسه أن يعطيها شيئاً فتحلله، ولا تطيب نفسها أن تعطي شيئاً من مالها، فتعقله عليها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: بالصبر على التي يكرهها. والثاني: بالإحسان إليها في عشرتها.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُوا﴾ يعني الجور عليها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَمَلُّونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم عليه.

﴿وَإِنْ تَسْتَكْبِرُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ الْوَسْطَةِ وَتَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمْلِكُوا كَلَّ الْبَيْتِ تَذَرُوهَا كَالْمَلَكَةِ وَإِنْ تَصْلَحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَسْتَكْبِرُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ الْوَسْطَةِ﴾ قال أهل التفسير: لن تطبقوا أن تسووا بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع، لأن ذلك ليس من كسبكم ﴿وَلَوْ حَرَضْتُمْ﴾ على ذلك<sup>(١)</sup> ﴿فَلَا تَمْلِكُوا﴾ إلى التي تحبون في النفقة والقسم. وقال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة فتدروا الأخرى كالمعلقة وقال ابن عباس: المعلقة: التي لا هي أئيم، ولا ذات بعل. وقال قتادة: المعلقة: المسجونة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْلَحُوا﴾ أي: بالعدل في القسمة ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لميل القلوب.

﴿وَإِنْ يَنْفَرَكَا يَبْتَغِ اللَّهَ كَلًّا مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ اتَّقَوْهُ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَكَا﴾ يقول: وإن أبت المرأة أن تسمح لزوجها بإيثار التي يميل إليها، واختارت الفرقة، فإن الله يغني كل واحد من سعته. قال ابن السائب: يغني المرأة برجل، والرجل بامرأة. ثم ذكر ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: أهل

(١) قال أبو بكر بن العربي في «شرح الترمذي» ٨٠/٥: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَسْتَكْبِرُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ الْوَسْطَةِ وَتَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمْلِكُوا كَلَّ الْبَيْتِ تَذَرُوهَا كَالْمَلَكَةِ﴾ فأخبر سبحانه أن أحداً لا يملك العدل بين النساء، والمعنى فيه تعلق القلب لبعضهن أكثر منه إلى بعض، فعنوهن فيما يكنون، وأخذهم بالمساواة فيما يظهرون. قلت: روى أبو داود ٣٢٦/٢ والترمذي بشرح ابن العربي ٨٠/٥، والنسائي ٦٤/٧، وابن ماجه ٦٣٤/١ بسند جيد عن عائشة قالت: إن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل، ويقول: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» وصححه أيضاً ابن كثير في «الظهير». ورواه الحاكم ١٨٧/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الترمذي: ومعنى قوله: «لا تلمني فيما تملك ولا أملك» إنما يعني به الحب والمودة.



التوراة، والإنجيل، وسائر الكتب ﴿وَأَيُّكُمْ﴾ يا أهل القرآن<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قيل: وحده ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا﴾ بما أوصاكم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلا يضره خلافكم. وقيل: له ما في السموات، وما في الأرض من الملائكة، فهم أطوع له منكم. وقد ذكرنا في سورة (البقرة) معنى «الغني الحميد»، وفي (آل عمران) معنى «الوكيل».

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾. قال ابن عباس: يريد المشركين والمنافقين ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أطوع له منكم. وقال أبو سليمان: هذا تهديد للكفار، يقول: إن يشأ يهلككم كما أهلك من قبلكم إذ كفروا به، وكذبوا رسله<sup>(٢)</sup>.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿١٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ قيل: إن هذه الآية نزلت من أجل المنافقين كانوا لا يصدّقون بالقيامة، وإنما يطلبون عاجل الدنيا، ذكره أبو سليمان. وقال الزجاج: كان مشركو العرب يتقربون إلى الله ليعطيهم من خير الدنيا، ويصرف عنهم شرّها، ولا يؤمنون بالبعث، فأعلم الله عز وجل أن خير الدنيا والآخرة عنده. وذكر الماوردي أن المراد بثواب الدنيا: الغنيمة في الجهاد، وثواب الآخرة: الجنة. قال: والمراد بالآية: حث المجاهد على قصد ثواب الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أُولُو حِمْلٍ فَلَا تَنَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَسُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن فقيراً وغنياً اختصما إلى النبي ﷺ، فكان صفوه<sup>(٣)</sup> مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول السدي<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنها متعلقة بقصة ابن أبيرق، فهي خطاب للذين جادلوا عنه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. «والقوام»: مبالغة من قائم. والقسط: العدل. قال ابن عباس: كونوا قوالين بالعدل في الشهادة على من كانت، ولو على أنفسكم. وقال الزجاج: معنى الكلام: قوموا بالعدل، واشهدوا لله بالحق، وإن كان الحق على الشاهد، أو على والديه، أو قريبه، ﴿إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود له ﴿غَنِيًّا﴾ فالله أولى به، وإن يكن ﴿فَقِيرًا﴾ فالله أولى به. فأما الشهادة على النفس، فهي إقرار الإنسان بما عليه من حق. وقد أمرت الآية بأن لا ينظر إلى فقر المشهود عليه، ولا إلى غناه، فإن الله تعالى أولى بالنظر إليهما. قال عطاء: لا تحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغني، فتمسكوا عن القول فيه. ومن قال: إن الآية نزلت في الشهادات، ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والزهري، وقتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: فلا تتبعوا الهوى، واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق، قاله مقاتل. والثاني: ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا، قاله الزجاج. والثالث: فلا تتبعوا الهوى كراهية أن تعدلوا عن الحق. والرابع: فلا تتبعوا الهوى فتعدلوا، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَوْا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، والكسائي: تلووا، وبواوين، الأولى مضمومة، واللام ساكنة<sup>(٥)</sup>. وفي معنى هذه القراءة ثلاثة أقوال: أحدها: أن يلوي الشاهد لسانه بالشهادة إلى غير الحق. قال ابن عباس: يلوي لسانه بغير الحق، ولا يقيم الشهادة على وجهها، أو يعرض عنها ويتركها. وهذا قول مجاهد،

(١) أي: ووصيائكم أنتم يا أهل القرآن، كما وصينا من كان قبلكم من أهل الكتابين: أن اتقوا الله.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٤﴾ أي: هو قادر على إذهابكم وتبديلكم بغيركم إذا عصيتموه، كما قال: ﴿وَلَا تَتْلُوا تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ إِلَّا بِحُكْمِ رَبِّكُمُ النَّصْرَ وَإِنْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ لَعَنَةً مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: ٣٨] وقال بعض السلف: ما أهون العباد على الله إذا أضاعوا أمره.

(٣) ابن جرير ٤٠٣/٩، وقوله «فكان صفوه» أي: ميله، وفي «الطبري» «ضلعه» وهو الميل أيضاً.

(٤) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ١٦١).

(٥) من لوى يلوي، والأصل: تلووا، حذف الضمة عن الياء لقلها، ثم الياء لالتقاء الساكنين، وضمت الواو من أجل واو الضمير.

وسعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد. والثاني: أن يلوي الحاكم وجهه إلى بعض الخصوم، أو يُعرض عن بعضهم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن يلوي الإنسان عنقه إعراضاً عن أمر الله لكبره وعتوه<sup>(١)</sup>. ويكون: «أو تعرضوا» بمعنى: وتعرضوا، ذكره الماوردي. وقرأ الأعمش، وحزمة، وابن عامر: «تلوا» بواو واحدة، واللام مضمومة. والمعنى: أن تلوا أمور الناس، أو تتركوا، فيكون الخطاب للحكام<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن عبد الله بن سلام، وأسدًا، وأسيدًا ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلاماً، وسلمة، ويامين. وهؤلاء مؤمن أهل الكتاب أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله نؤمن بك، وبكتابك، وبموسى، والتوراة، وعزير، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسول، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن مؤمني أهل الكتاب كان بينهم وبين اليهود كلام لما أسلموا، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل. وفي المشار إليهم بقوله: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المسلمون، قاله الحسن، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بمحمد والقرآن اثبتوا على إيمانكم. والثاني: اليهود والنصارى، قاله الضحاك، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة، وبيعسى والإنجيل: آمنوا بمحمد والقرآن. والثالث: المنافقون، قاله مجاهد، فيكون المعنى: يا أيها الذين آمنوا في الظاهر بالستهم، آمنوا بقلوبكم.

قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «نَزَّلَ على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل» مضمومتين<sup>(٤)</sup>. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «نَزَّلَ على رسوله، والكتاب الذي أنزل» مفتوحتين. والمراد بالكتاب الذي نزل على رسوله القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل: كل كتاب أنزل قبل القرآن، فيكون «الكتاب» هاهنا اسم جنس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَوْ يَكُنِيَ اللهُ يُغْفِرُ لَهُمْ وَلَا يَذِيبُهُمْ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في اليهود آمنوا بموسى، ثم كفروا بعد موسى، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد ﷺ، هذا قول ابن عباس. وروي عن قتادة قال: آمنوا بموسى، ثم كفروا بعبادة العجل، ثم آمنوا به بعد عوده، ثم كفروا بعده بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد. والثاني: أنها في اليهود والنصارى، آمن<sup>(٥)</sup> اليهود بالتوراة، وكفروا بالإنجيل، وآمن النصارى بالإنجيل، ثم تركوه فكفروا به، ثم ازدادوا كفراً بالقرآن وبمحمد، رواه شيان عن قتادة. وروي عن الحسن قال: هم قوم من أهل الكتاب، قصدوا تشكيك المؤمنين، فكانوا يظهرون الإيمان ثم الكفر، ثم ازدادوا كفراً بشيئهم على دينهم. وقال مقاتل: آمنوا بالتوراة وموسى، ثم كفروا من بعد موسى، ثم آمنوا بعيسى والإنجيل، ثم كفروا من بعده، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن. والثالث: أنها في المنافقين آمنوا، ثم ارتدوا، ثم ماتوا على كفرهم، قاله مجاهد. وروى ابن جريج<sup>(٦)</sup> عن مجاهد ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال: ثبتوا عليه حتى ماتوا. قال ابن عباس: ﴿لَوْ يَكُنِيَ اللهُ يُغْفِرُ لَهُمْ﴾ ما أقاموا على ذلك ﴿وَلَا يَذِيبُهُمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يجعلهم بكفرهم مهتدين. قال: وإنما علق امتناع المغفرة بكفر بعد كفر، لأن المؤمن بعد الكفر يُغْفَرُ له كفره، فإذا ارتدَّ طُوبِيَ بالكفر الأول.

﴿يَسِّرَ الْمُنَافِقِينَ وَإِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَسِّرَ الْمُنَافِقِينَ﴾ زعم مقاتل أنه لما نزلت المغفرة في (سورة الفتح) للنبى والمؤمنين قال عبد الله بن

(١) في النسخة الأحمدية: وعلوه.

(٢) رواه الواحدى في «أسباب النزول» ١٠٦ عن الكلبي، وليس فيه «يامين».

(٣) أي: على بناءهما للمفعول، والثائب ضمير الكتاب.

(٤) في «الأحمدية»: أقر.

(٥) في «الأحمدية»: ابن جرير. والخبر رواه ابن جرير عن ابن جريج، عن مجاهد.

(٦) في الأحمدية: للحاكم.

أَبِي وَنَفَر مَعَهُ: فما لنا؟ فنزلت هذه الآية. وقال غيره: كان المنافقون يتولّون اليهود، فألحقوا بهم في التبشير بالعذاب. وقال الزجاج: معنى الآية: اجعل موضع بشارتهم العذاب. والعرب تقول: تحتك الضرب، أي: هذا بدل لك من التحية. قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع<sup>(١)</sup>

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ بِهِمْ عِندَهُمُ الْغُرَّةَ فَإِنَّ الْغُرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ قال ابن عباس: يتخذون اليهود أولياء في العون والنصرة.

قوله تعالى: ﴿أَيْنِئْتُمْ بِهِمْ عِندَهُمُ الْغُرَّةَ﴾ أي: القوة بالظهور على محمد وأصحابه، والمعنى: أينتون بهم؟ قال مقاتل: وذلك أن اليهود أعانوا مشركي العرب على قتال رسول الله ﷺ. وقال الزجاج: أينغي المنافقون عند الكافرين العزة. والغرة: المنعة، وشدة الغلبة، وهو مأخوذ من قولهم: أرض غزاز. قال الأصمعي: «الغزاز»: الأرض التي لا تنبت. فتأويل العزة: الغلبة والشدة التي لا يتعلق بها إذلال. قالت الخنساء:

كأن لم يكونوا حمي يثقي إذ الناس إذ ذاك من عزّ برا<sup>(٢)</sup>

أي: من قوي وغلب سلب. ويقال: قد استعز على المريض<sup>(٣)</sup>، أي: اشتد وجعه. وكذلك قول الناس: يعز علي يفعل، أي: يشتد، وقولهم: قد عز الشيء: إذا لم يوجد، معناه: صعب أن يوجد، والباب واحد<sup>(٤)</sup>.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ جَمَاعٌ الْمُتَفَيِّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ وقرا عاصم، ويعقوب: «نَزَلَ» بفتح النون والزاي. قال المفسرون: الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم، قوله في (الأنعام ٦٨) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرّون من القرآن ويكذبون به، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم. وآيات الله: هي القرآن. والمعنى: إذا سمعتم الكفر بآيات الله، والاستهزاء بها، فلا تقعدوا معهم حتى يأخذوا من حديث غير الكفر والاستهزاء. ﴿إِذْ يَأْتِيهِمْ مِنَ اللَّهِ جَمَاعٌ﴾ فأنتم «يَسْتَهْزِئُونَ» وفي ماذا تقع المماثلة فيه قولان:

(١) «الكتاب» لسبب ١/٣٦٥، ٤٢٩، و«الغزاة» ٥٣/٤ قال البغدادى: وهذا البيت نسب شراح آيات الكتاب وغيرهم إلى عمرو بن معديكرب الصحابي ولم أره في شعره. وفي «العمدة» لابن رثيق: ٢٩٢/٢: وما بعد سرقاً وليس يسرق اشتراك اللفظ المتعارف، كقول عترة:

وخيل قد دلفت لها بخيل عليها الأنس تهتصر اهتصارا  
وقول عمرو بن معدى كرب:

وخيل قد دلفت لها بخيل

تحية بينهم ضرب وجيع /

والخيل: اسم جمع الفرس لا واحد له من لفظه، والمراد به الفرسان، وأراد بالخيل الأول: خيل الأعداء، والثاني: خيله، والضمير في «بينهم» للخليين. ودلفت: دنوت وزحفت. ووجيع: بمعنى موجع، يقول: إذا تلاقوا جعلوا بدلاً من تحية بعضهم لبعض الضرب الوجيع. وهذا على سبيل التهكم.

(٢) «ديوانها» ١٤٤، و«الكامل» ٧٩٣/٢، ١٢٢٣/٣، و«مجمع الأمثال» ٣٠٧/٢، و«شواهد المغني» ٨٨، و«الحماسة» لابن الشجري ٢٤٦/١ قال ابن الشجري: «وهز»: معناه: غلب، من قول الله ﷻ: ﴿وَهَزَّ فِي الْكُتُبِ﴾ [ص: ٢٣]. «وهز»: معناه: سلب، تقول: بزز الرجل: إذا سلته سلاحه، ويقال للسلاح المسلوب: هذا يز فلان. و«من» في البيت بمعنى الذي، وموضعه مع «هز» رفع بالابتداء و«بزز» خبرها، والجملة التي هي المبتدأ وخبره خير من المبتدأ الأول الذي هو الناس، والمائد إلى الناس محذوف، كما حذف من قولهم: «السمن منون بدرهم» يريدون: منون منه، وكذلك التقدير: من عز منهم يز، ولا يجوز أن يكون «إذ ذاك» خبراً عن الناس لما ذكرته لك من امتناع الأخبار بطرف الزمان عن الأشخاص، وإذا بطل أن يكون إذ ذاك خبراً عن الناس، بقي أن يتعلق ببز، ولا يجوز أن تكون «من» شرطية، لأن الشرط وجوبه لا يعمل واحد منهما فيما قبله بإجماع البصريين، كما لا يتقدم على الاستفهام ما يكون في حيزه، وأجاز قوم من البغداديين أن يعمل جواب الشرط فيما تقدم عليه لمعارفته الاستفهام بكونه جزاء، فعلى قول هؤلاء: تحتل «من» أن تكون شرطاً، فاما «ذاك» فموضعه رفع بالابتداء وخبره محذوف. أي: ذاك كائن أو موجود، ولا يجوز أن يكون موضع ذاك على انفراد خفضاً، لأن «إذ» لا تضاف إلا إلى جملة، فموضع الجملة التي هي ذاك وخبره جر.

(٣) استمز: بالبناء للمجهول، وفي الحديث «أنه استمز برسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه» أي: اشتد به المرض وغلبه، وأشرف على الموت.

(٤) في «الصحاح»: عز الشيء يز عزاً وعزة وعزازة: إذا قل لا يكاد يوجد، فهو عزيز. وعز فلان يمز عزاً وعزازة أيضاً: أي: صار عزيزاً، أي: قوي بعد ذلة. وعز علي أن تفعل كذا، وعز علي ذاك، أي: حق واشتد، وفي المثل: «إذا عز أخوك فهنّ وعز بعزاً غلبه، وفي المثل «من عز عز».

أحدهما: في العصيان. والثاني: في الرضا بحالهم، لأن مُجالس الكافر غير كافر. وقد نُبِيت الآية على التحذير من مجالسة العصاة<sup>(١)</sup>. قال إبراهيم النخعي: إن الرجل ليجلس في المجلس فيتكلم بالكلمة، فيرضي الله بها، فتصيبه الرحمة فتعم من حوله، وإن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعم من حوله.

﴿الَّذِينَ يَرْبِصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَنْتُمْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَنْتُمْ نَسْتَحُذُ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرْبِصُونَ بِكُمْ﴾ قال أبو سليمان: هذه الآية نزلت في المنافقين خاصة. قال مقاتل: كان المنافقون يترصون بالمؤمنين الدوائر، فإن كان الفتح، قالوا: ألم تكن معكم؟ فأعطونا من الغنيمة. وإن كان للكافرين نصيب، أي: دولة على المؤمنين، قالوا للكفار: ألم نستحوذ عليكم؟ قال المبرد: ومعنى: ألم نستحوذ عليكم: ألم نغلبكم على رأيكم. وقال الزجاج: ألم تغلب عليكم بالموالاة لكم. «ونستحوذ» في اللغة، بمعنى: نستولي، يقال: حذت الإبل، وحزتها: إذا استوليت عليها وجمعتها. وقال غيره: ألم نستول عليكم بالمعونة والنصرة؟ وقال ابن جريج: ألم نبين لكم أنا على دينكم؟ وفي قوله: ﴿وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: نمنعكم منهم بتخذيهم عنكم. والثاني: بما نعلمكم من أخبارهم. والثالث: بصرنا إياكم عن الدخول في الإيمان. ومراد الكلام: إظهار المنة من المنافقين على الكفار، أي: فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم.

قوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني المؤمنين والمنافقين. قال ابن عباس: يريد أنه آخر عقاب المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا سبيل لهم عليهم يوم القيامة، روى يسع الحضرمي عن علي بن أبي طالب أن رجلاً جاءه، فقال: أرايت قول الله ﷻ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ وهم يقاتلوننا [فيظفرون ويقتلون]، فقال: ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلًا. هذا مروى عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وفتادة. والثاني: أن المراد بالسبيل: الظهور عليهم، يعني: أن المؤمنين هم الظاهرون، والعاقبة لهم، وهذا المعنى في رواية عكرمة، عن ابن عباس. والثالث: أن السبيل: الحجة. قال السدي: لم يجعل الله عليهم حجة، يعني فيما فعلوا بهم من القتل والإخراج من الديار. قال ابن جرير: لما وعد الله المؤمنين أنه لا يدخل المنافقين مدخلهم من الجنة، ولا المؤمنين مدخل المنافقين، لم يكن للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم: أنتم كنتم أعداءنا، وكان المنافقون أوليائنا، وقد اجتمعتم في النار<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْتَصِمُونَ لِلَّهِ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُنُاسًا يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْتَصِمُونَ لِلَّهِ﴾ أي: يعملون عمل المخادع. وقيل: يخادعون نبيّه، وهو خادعهم، أي:

(١) روى الإمام أحمد ١٤٨/٢ بترتيب الساعاتي، والترمذي ٢٠/٤ وحسنه، والنسائي ١٩٨/١ من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر» وهو حديث صحيح. قال ابن حجر: أخرجه النسائي من حديث جابر مرفوعاً وإسناده جيد، قلت: وليس في النسائي الشطر الثاني من الحديث، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو داود في «مسند» ٤٧٧/٣ عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد ٢١٠/١ عن عمر بسند فيه مجهول. وفي «القرطبي» ٤١٨/٥: فكل من جلس في مجلس مصيبة، ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمصيبة وعملوا بها، فإن لم ينكر على النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ٥٤، وابن جرير ٣٢٧/٩ بإسناد صحيح، الحاكم ٣٠٩/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في «الدر» ٢٣٥/٢ نسبته للبرقي وعبد بن حميد وابن المنذر. و«تيسر» بضم الياء في أوله وفتح السين، وسكون الياء الثانية: هو ابن معدان الحضرمي، ويقال: الكندي، وهو تابعي وثقه النسائي وغيره، مترجم في «التهذيب» ٣٨٠/١١ ووقع في «الأحمدية» وتفسير ابن كثير: «سبج» وهو تصحف.

(٣) ذكر القرطبي في «تفسيره» ٤١٩/٥ للآية التأويل الثالث: وهو أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً من إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتفاعدوا عن التوبة، فيكون تسلط العدو من قبلهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُؤْمِنِينَ كَيْفَ كُنْتُمْ أَهْلًا لِلنُّورِ﴾ [النور: ٣٠] قال ابن العربي: وهذا نفيس جداً. فيكون المعنى: إذن: إن الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيل ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون، يقومون بحقوق الإيمان ويتبعون هديته.



مجازيهم على خداعهم. وقال الزجاج: لما أمر بقبول ما أظهروا، كان خادعاً لهم بذلك. وقيل: خداعه إياهم يكون في القيامة بإطفاء نورهم، وقد شرحنا طرفاً من هذا في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا﴾ أي: متاقلين. و«كسالي»: جمع كسلان، و«الكسل»: التثاقل عن الأمر. وقرأ أبو عمران الجوني: «كسالي» بفتح الكاف، وقرأ ابن السميع: «كسلي»، بفتح الكاف من غير ألف. وإنما كانوا هكذا. لأنهم يصلون حذراً على دمائهم، لا يرجون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يصلون ليراهم الناس. قال قتادة: والله لولا الناس ما صلى المنافق<sup>(٢)</sup>. وفي تسمية ذكرهم بالقليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سُمِّيَ قليلاً، لأنه غير مقبول، قاله علي عليه السلام، وفتادة. والثاني: لأنه رياء، ولو كان لله لكان كثيراً، قاله ابن عباس، والحسن. والثالث: أنه قليل في نفسه، لأنهم يقتصرون على ما يظهر، دون ما يخفى من القراءة والتسبيح، ذكره الماوردي.

﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَهْدِي لَهُ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذبذب: المتردد بين أمرين، وأصل المذبذب: التحرك، والاضطراب، وهذه صفة المنافق، لأنه محير في دينه لا يرجع إلى اعتقاد صحيح. قال قتادة: ليسوا بالمشركين المصّرّحين بالشرك، ولا بالمؤمنين المخلصين. قال ابن زيد: ومعنى «بين ذلك»: بين الإسلام والكفر، لم يظهروا الكفر فيكونوا إلى الكفار، ولم يصدقوا الإيمان، فيكونوا إلى المؤمنين. قال ابن عباس: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا يَهْدِي لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الهدى. وقد روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مثل المنافق: مثل الشاة العائرة بين الغنمين تُعْمِرُ إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، ولا تدري أيها تتبع»<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَيْكُمْ سُلْطَانًا نُبِيًّا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ في المراد بالكافرين قولان: أحدهما: اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: المنافقون، قال الزجاج: ومعنى الآية: لا تجعلوهم بطانتكم وخاصتكم. والسلطان: الحجة الظاهرة<sup>(٤)</sup>، وإنما قيل للأمير: سلطان، لأنه حجة الله في أرضه، واشتقاق السلطان: من السليط. والسليط<sup>(٥)</sup>: ما يستضاء به، ومن هذا قيل للزيت: السليط. والعرب تؤثت السلطان وتذكره، تقول: قضت عليك السلطان، وأمرتك السلطان، والتذكر أكثر وبه جاء القرآن، فمن أنت، ذهب إلى معنى الحجة، ومن ذكر، أراد صاحب السلطان. قال ابن الأنباري: تقدير الآية: أتريدون أن تجعلوا الله عليكم بموالة الكافرين حجة بينة تلزمكم عذابه، وتكسبكم غضبه؟

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَجَةِ الْأَعْلَى مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ نُصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَجَةِ الْأَعْلَى مِنَ النَّارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الراء، وقرأ

(١) أخرج الإمام مسلم ٤٥١/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأفزعوا ولو حيوا، ولقد هممت أن آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». وفي «المسند» عن أبي هريرة رضي الله عنه «ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لأمنت صلاة العشاء، وأمرت فتيتي يحرقون ما في البيوت بالنار». وروى الإمام مالك في «الموطأ» ٢٢٠/١ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان، قام فقرأها أربماً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» ورواه مسلم ٤٣٤/١، والترمذي ٣٠١/١، والنسائي ٢٥٤/١.

(٢) في «الأحذية» المنافقون.

(٣) رواه الإمام أحمد ١٢٩/٧، ومسلم ٢١٤٦/٤ وابن جرير ٣٣٣/٩. والشاة العائرة: هي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع، من قولهم: عار الفرس والمكلب وغيرهما بغير عياراً: إذ ذهب كأنه منفلت من صاحبه، فهو يتردد هنا وهنا. وقوله: تعير إلى هذه مرة. أي: تذهب في ترددها إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة.

(٤) روى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله «تلك صلاة نبيّا»: كل سلطان في القرآن حجة.

(٥) في «الأحذية» التسليط، وهو خطأ. و«السليط» الزيت. قال: النابغة الجعدي:

يضيء كمثل سراج السليط  
ط لم يجمل الله فيه نحاساً

نظر «اللسان» مادة سلط.

عاصم، وحزمة، والكسائي، وخلف: بتسكين الراء. قال الفراء: وهي لغتان: قال أبو عبيدة: جهنم أدراك، أي: منازل، وأطابق<sup>(١)</sup>. فكل منزل منها: درك. وحكى ابن الأنباري عن بعض العلماء أنه قال: الدركات: مرق، بعضها تحت بعض. وقال الضحاك: الدرج: إذا كان بعضها فوق بعضها، والدرك: إذا كان بعضها أسفل من بعض. وقال ابن فارس: الجنة درجات، والنار دركات. وقال ابن مسعود في هذه الآية: هم في توابيت من حديد مبهمه [عليهم]<sup>(٢)</sup>. قال ابن الأنباري: المبهمه: التي لا أفعال عليها، يقال: أمر مبهم: إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه، ولا بابه.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ قال ابن عباس: مانعاً من عذاب الله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا وَبَنَّهُمْ فَوَ أُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال مقاتل: سبب نزولها: أن قوماً قالوا عند ذكر مستقر المنافقين: فقد كان فلان وفلان منافقين، فتابوا، فكيف يُفَعَّل بهم؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية: إلا الذين تابوا من النفاق ﴿وَأَسْلَمُوا﴾ أعمالهم بعد التوبة ﴿وَأَمَنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: استمسكوا بدينه. ﴿وَأَخْلَصُوا وَبَنَّهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الإسلام، وإخلاصه: رفع الشرك عنه، قاله مقاتل. والثاني: أنه العمل، وإخلاصه: رفع شوائب النفاق والرياء منه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَوَ أُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في «مع» قولان: أحدهما: أنها على أصلها، وهو الاقتران. وفي ماذا اقترنوا بالمؤمنين؟ فيه قولان: أحدهما: في الولاية، قاله مقاتل. والثاني: في الدين. والثواب. قاله أبو سليمان. والثاني: أنها بمعنى «من» فتقديره: فأولئك من المؤمنين، قاله الفراء.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ «ما» حرف استفهام، ومعناه: التقرير<sup>(٤)</sup>، أي: إن الله لا يعذب الشاكر المؤمن، ومعنى الآية: ما يصنع الله بعذابكم إن شكرتم نعمه، وآمنتم به وبرسوله. والإيمان مقدم في المعنى وإن أُخِّر في اللفظ. وروي عن ابن عباس أن المراد بالشكر: التوحيد.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ أي: للقليل من أعمالكم، علماً بنياتكم، وقيل: شاكرًا، أي: قابلاً.

﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ جَمِيعًا عَلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن ضيفاً تضيف قوماً فأسأوا قراءاً فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكوا، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن رجلاً نال من أبي بكر

(١) تمام كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن» ١٤٢: ويقال للجميل الذي عجز عن بلوغ الركبة: أعطني دركاً أصل به.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٦/٢: رواه ابن أبي شيبة، وهناد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في صفة النار عن ابن مسعود. قلت: وفي سنده انقطاع، لأن خيشمة بن عبد الرحمن الراوي عن ابن مسعود لم يسمع منه، ذكره الإمام أحمد، ورواه ابن أبي حاتم من طريق حماد بن سلمة: أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود... وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم بن عبد الرحمن صدوق يرسل كثيراً. وفي «الطبري» ٣٣٩/٩: أن أبي هريرة: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ النَّارِ﴾ قال: «في توابيت ترفع عليهم» وفي «تفسير ابن كثير» ٥٧٠/١: ورواه ابن أبي حاتم بسند حسن، ولفظه: «الدرك الأسفل: بيوت لها أبواب تطبق عليهم، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم».

(٣) في «صحيح البخاري» ٢٠٠/٨: عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله، فجاء حذيفة حتى قام علينا، فسلم، ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم. قال الأسود: سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ النَّارِ﴾ فتبسم عبد الله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله، ففرق أصحابه، فرماني بالحصي، فأثبته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكك وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم. قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا وَبَنَّهُمْ فَوَ أُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ صحة توبة الزنديق، وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا الْأَشْكَالَ مِنَ النَّارِ﴾ وقد استدل بذلك جماعة، منهم أبو بكر الرازي في «أحكام القرآن».

(٤) في «الأحذية»: التقرير، وهو خطأ.

(٥) ابن جرير ٣٤٧/٩، ونسب السيوطي في «الدر» للفرغاني وعبد بن حميد، وجاء في «تفسير ابن كثير» ٥٧٠/١: قال ابن عباس في تفسير الآية: يقول: لا يجب الله أن يدعوا أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً، فإنه قد أرخص له أن يدعوا على من ظلمه، وذلك قوله ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وإن صبر فهو خير له. وروى أبو داود ١٠٧/٢ عن عائشة قالت: سُرق لها شيء، فجعلت تدعو عليه، فقال النبي ﷺ: «لا تسبّحيه» (قال الخطابي: لا تسبّحيه عنه، =

الصديق والنبي ﷺ حاضر، فسكت عنه أبو بكر مراراً، ثم رَدَّ عليه، فقام النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئاً، حتى إذا رددت عليه قمت؟! فقال: «إِنْ مَلَكاً كَانَ يَجِيبُ عَنكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ، ذَهَبَ الْمَلِكُ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، هذا قول مقاتل. واختلف القراء في قراءة «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» فقرأ الجمهور بضم الظاء وكسر اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، والحسن، وابن المسيب، وأبو رجاء، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وزيد بن أسلم، بفتحهما. فعلى قراءة الجمهور، في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن يدعو المظلوم على مَنْ ظلمه، فإن الله قد أرخص له، قاله ابن عباس. والثاني: إلا أن يتنصر المظلوم من ظالمه، قاله الحسن، والسدي. والثالث: إلا أن يخبر المظلوم بظلم من ظلمه، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. وروى ابن جريج عنه قال: إلا أن يجهر الضيف بظلم من لم يضيفه. فاما قراءة مَنْ فتح الظاء، فقال ثعلب: هي مردودة على قوله: «مَنْ يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُمْ» إلا مَنْ ظَلَمَ. وذكر الزجاج فيها قولين: أحدهما: أن المعنى: إلا أن الظالم يجهر بالسوء ظلماً. والثاني: إلا أن تجهروا بالسوء للظالم. فعلى هذا تكون «إلا» في هذا المكان استثناء منقطعاً، ومعناها: لكن المظلوم يجوز له أن يجهر لظالمه بالسوء. ولكن الظالم قد يجهر بالسوء. واجهروا له بالسوء<sup>(٢)</sup>. وقال ابن زيد: إلا من ظلم، أي: أقام على النفاق، فيجهر له بالسوء حتى يَنزِعَ.

قوله تعالى: «وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا» أي: لما تجهرون به من سوء القول «عَلَيْكُمْ» بما تخفون. وقيل: سمياً لقول المظلوم، عليم بما في قلبه، فليتب الله، ولا يقل إلا الحق. وقال الحسن: من ظَلِمَ، فقد رَخَّصَ له أن يدعو على ظالمه من غير أن يعتدي، مثل أن يقول: اللهم أعني عليه، اللهم استخرج لي حقي، اللهم حل بينه وبين ما يريد<sup>(٣)</sup>.

«إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا»

قوله تعالى: «إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا» قال ابن عباس: يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة. وقال بعضهم: إن تبدوا خيراً بدلاً من السوء. وأكثرهم على أن «الهاء» في «تخفوه» تعود إلى الخير. وقال بعضهم: تعود إلى السوء.

أي: لا تخفني عن بدعائك وقال الحسن البصري: لا يدع عليه، وليقل: اللهم أعني عليه واستخرج حقي منه. وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية: هو الرجل يشتمك فتشتمه لكن إن اتى عليك فلا تفر عليه، لقول: «وَلَوْ أَنَّكَ تَدْرِي أَنَّ اللَّهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ سَيِّئٍ» وروى أبو داود ٣٧٧/٤ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «السَّبَّانُ مَا قَالَا فَعَلِيَ الْبَائِسُ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتِدِ الْمَظْلُومُ» [قلت: ورواه أحمد في المسند ١٩٤/١٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٥١٢/١، ومسلم ٢٠٠٠/٤، والترمذي ١٢٣٩/٣]. وقد روى البخاري ٧٧/٥، ومسلم ١٣٥٢/٣ عن عتبة بن عامر قال: قلنا: يا رسول الله إنك تبعنا، فننزل بقم فلا يقرئنا، فما ترى في ذلك؟ فقال: «إِذَا نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَبْغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا، فَخَلُّوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَبْغِي لَهُمْ» وروى الإمام أحمد ١٣١/٤، وأبو داود عن المقدم أبي كريمة عن النبي ﷺ أنه قال: «أَيُّهَا مُسْلِمُ ضَاكُ قَوْمًا فَاصْبِرْ الضَّيْفَ مَحْرُومًا، فَإِنْ حَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ نَصْرُهُ حَتَّى يَأْخُذَ بِقُرَى لَيْلَةٍ مِنْ زُرْعِهِ وَمَالِهِ» وروى أحمد ١٣٠/٤ أيضاً عن المقدم أبي كريمة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَيْلَةُ الضَّيْفِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَإِنْ أَصْبَحَ بِفَنَاءِهِ مَحْرُومًا كَانَ دَيْنًا عَلَيْهِ، فَإِنْ شَاءَ اقْتَضَاهُ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهُ» ورواه أبو داود ٤٦٩/٣. ومن هذا القيل الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار عن أبي هريرة «أَنْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنْ لِي جَارٌ يُوْذِنِي، فَقَالَ لَهُ: «أَخْرِجْ مَتَاعَكَ، فَضَعْهُ عَلَى الطَّرِيقِ»، فَأَخَذَ الرَّجُلُ مَتَاعَهُ، فَطَرَحَهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَمَلَ كُلُّ مَنْ رَمَاهُ قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: جَارِي يُوْذِنِي، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ الْمَنَّةَ، اللَّهُمَّ اخْزِهِ» قَالَ: فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَتْرَكَكَ، وَقَالَ: لَا أُرْذِيكَ أَبَدًا» ورواه أبو داود ٤٦٠/٤ والبخاري في «الأدب المفرد» ٢١٦/١ وهو حديث حسن.

(١) لم يذكره أحد من المفسرين سبباً لنزول الآية، وقد جاء معنى الحديث بدون ذكر سبب، فمن ابن المسيب، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر ﷺ، فأذاه فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثالثة، فانتصر أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ، فقال: أوجدت علي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «نَزَلَ مَلِكٌ مِنَ السَّمَاءِ يَكْتُبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ ذَهَبَ الْمَلِكُ وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لَاجِسًا إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ» رواه أبو داود هكذا مرسل ٣٧٧/٤ ومتصلاً من طريق ابن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة بنحوه، قال المنذري: وذكر البخاري في «تاريخه» أن المرسل أصح.

(٢) في «مجمع البيان» للطبرسي ٢٧٣/٦ قال ابن جني: كَلَّمَ وَظَلِمَ جَمِيعاً عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ، أي: لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره، ودل عليه قوله: «وَكَانَ اللَّهُ يَكْبِتُ عَلَيْكُمْ» وموضع «من» نصب في الوجهين جميعاً، قال الزجاج: فيكون المعنى: لكن المظلوم يجهر بظلماته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظلماً، قال: ويجوز أن يكون موضع «من» رفعاً، على معنى: لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم، فيكون «من» بدلاً من معنى «أخذه» المعنى: لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا المظلوم، قال: وفيها وجه آخر لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، وهو أن يكون على معنى: لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول. وقال الطبري: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» بضم الظاء، لإجماع الحجة من القراءة وأهل التأويل على صحتها، وشذوذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ قال أبو سليمان: أي: لم يزل ذا عفوٍ مع قدرته، فاعفوا أنتم مع القدرة<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ. وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود كانوا يؤمنون بموسى، وعزير، والتوراة، ويكفرون بعيسى، والإنجيل، ومحمد، والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، آمن اليهود بالتوراة وموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمن النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بمحمد والقرآن، قاله قتادة. ومعنى قوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أي: يريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله، والإيمان برسله، ولا يصح الإيمان به والتكذيب برسله أو ببعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين إيمانهم ببعض الرسل، وتكذيبهم ببعض ﴿سَبِيلًا﴾ أي: مذهباً يذهبون إليه. وقال ابن جريج: ديناً يدينون به.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا. وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ آخِرِهِمْ أُولَئِكَ سَوَاءٌ يُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ ذكره «الحق» هاهنا تأكيداً لكفرهم إزالةً لتوهم من يترهم أن إيمانهم ببعض الرسل<sup>(٢)</sup> يزيل عنهم اسم الكفر.

﴿يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهَنَّمَ فَأَخَذَهُمُ الصَّاعِقَةُ يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَدُونِ مَا جَاءَهُمْ أَلَيْسَتْ لَكُمُ الْفِتْنَةُ فَعَمَّرَنَا عَنْ ذَلِكَ. وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم سألوه أن ينزل كتاباً عليهم خاصة، هذا قول الحسن، وقاتدة. والثاني: أن اليهود والنصارى أتوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نبايعك حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان أنك رسول الله، وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن جريج. والثالث: أن اليهود سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً كما نزلت التوراة على موسى، هذا قول القرظي، والسدي. وفي المراد بأهل الكتاب قولان: أحدهما: اليهود والنصارى. والثاني: اليهود. وفي المراد بأهل الكتاب المنزل من السماء قولان: أحدهما: كتاب مكتوب غير القرآن. والثاني: كتاب بتصديقه في رسالته، وقد بينا في (البقرة) معنى سؤالهم رؤية الله جهرة، واتخاذهم العجل. والبيّنات: الآيات التي جاء بها موسى. فإن قيل: كيف قال: ثم اتخذوا العجل، و«ثم» تقتضي التراخي والتأخر، أفكان اتخاذ العجل بعد قولهم: «أرنا الله جهرة؟» فغته أربعة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري. أحدهن: أن تكون «ثم» مردودة على فعلهم القديم، والمعنى: وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة، فخالفوا أيضاً، ثم اتخذوا العجل. والثاني: أن تكون مقدمة في المعنى، مؤخره في اللفظ، والتقدير: فقد اتخذوا العجل، ثم سألوا موسى أكبر من ذلك. ومثله «فَالْيَقِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» [النمل: ٢٨] المعنى: فآلفه إليهم، ثم انظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم. والثالث: أن المعنى، ثم كانوا اتخذوا العجل، فأضمر الكون. والرابع: أن «ثم» معناها التأخير في الإخبار، والتقديم في الفعل، كما يقول القائل: شربت الماء، ثم أكلت الخبز، يريد: شربت الماء، ثم أخبركم أنني أكلت الخبز بعد إخباري بشرب الماء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَعَمَّرْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ أي: لم نستأصل عبدة العجل. وال«السلطان المبين»: الحجّة البينة. قال ابن عباس: اليد والعصا. وقال غيره: الآيات التسع.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٢/١٩٤، ومسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٠١ عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

(٢) في «الأحذية»: ذكرهم بزيادة «هم» ولا معنى لها هنا.

(٣) في «البحر المحيط» ٣/٢٨٧: «ثم» للترتيب في الإخبار لا في نفس الأمر، ثم قد كان من أمرهم أن اتخذوا العجل، آباؤهم والذين سبقوا غير الذين اتخذوا العجل.



﴿وَرَفَعْنَا قُورَيْسَهُمُ الظُّلُورَ يَبِيتُهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْعُوا إِلَيْنَا رَبَّكُمْ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا قُورَيْسَهُمُ الظُّلُورَ يَبِيتُهُمْ﴾ أي: بما أعطوا الله من العهد والميثاق: ليعملن بما في التوراة.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْدُوا فِي الْأَسْبَتِ﴾ قرأ نافع: لا تعدوا، بتسكين العين، وتشديد الدال، وروى عنه ورش «تعدوا» بفتح العين، وتشديد الدال. وقرأ الباقون «تعدوا» خفيفة، وكلهم ضم الدال<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا هذا وغيره في (البقرة) و«الميثاق الغليظ»: العهد المؤكد.

﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَوْلِهِمُ الْأَشْيَاءُ بِمَعْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ «ما» صلة مؤكدة. قال الزجاج: والمعنى: فينقضهم ميثاقهم، وهو أن الله أخذ عليهم الميثاق أن يُبَيِّنُوا ما أنزل عليهم من ذكر النبي ﷺ وغيره. والجالب للباء العامل فيها، وقوله: ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ﴾ أي: بنقضهم ميثاقهم، والأشياء التي ذكرت بعده حَرَمْنَا عليهم. وقوله: ﴿فَيُظْلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾، وجعل الله جزاءهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم. وقال ابن فارس: الطبع: الختم [ومن ذلك] طبع الله على قلب الكافر [كانه] ختم [عليه حتى لا يصل إليه هدى ولا نور] فلم يوفق لخير، والطابع: الخاتم يختم به<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فلا يؤمن منهم إلا القليل، وهم عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن عباس. والثاني: المعنى: إيمانهم قليل، وهو قولهم: ربنا الله، قاله مجاهد.

﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَعَنْ مَرْيَمَ بَهْتَنَّا عَظِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ﴾ في إعادة ذكر الكفر فائدة: وفيها قولان. أحدهما: أنه أراد: ويكفرهم بمحمد والقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: ويكفرهم بالمسيح، وقد بشروا به، قاله أبو سليمان الدمشقي. فاما «البهتان» فهو في قول الجماعة: قذفهم مريم بالزنى.

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ قال الزجاج: أي باعتبار فهم بقتلهم إياه، وما قتلوه، يُعَذِّبُونَ عذاب من قتل، لأنهم قتلوا الذي قتلوا على أنه نبي. وفي قوله: «رسول الله» قولان: أحدهما: أنه من قول اليهود، فيكون المعنى: أنه رسول الله على زعمه. والثاني: أنه من قول الله، لا على وجه الحكاية عنهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: التي شبهه على غيره. وفيمن ألقى عليه شبهه قولان: أحدهما: أنه بعض من أراد قتله من اليهود. روى أبو صالح عن ابن عباس: أن اليهود لما اجتمعت على قتل عيسى، أدخله جبريل خوخة لها روزنة، ودخل وراءه رجل منهم، فألقى الله عليه شبه عيسى، فلما خرج على أصحابه، قتلوه يظنونهم عيسى، ثم صلبوه، وبهذا قال مقاتل، وأبو سليمان. والثاني: أنه رجل من أصحاب عيسى، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عيسى خرج على أصحابه لما أراد الله رفعه، فقال: أيكم يلقى عليه شبيهي، فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد القول، فقام الشاب، فقال عيسى: اجلس، ثم أعاد، فقال الشاب: أنا، فقال: نعم

(١) في الطبري ٣٦٢/٩: واختلقت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراءة أمصار المسلمين ﴿لَا تَعْدُوا فِي الْأَسْبَتِ﴾ بتخفيف العين من قول القائل: عدوت في الأمر: إذا تجاوزت الحق فيه، أعدو عدواً وعدواً وعدواً وعدواً، وقرأ ذلك بعض قراءة أهل المدينة «وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا» بتسكين العين وتشديد الدال، والجمع بين ساكتين، بمعنى تعدوا، ثم تدهم الدال فتصير دالاً مشددة مضمومة. وفي «النشر» ٢/٢٤٤: واختلوا في «تعدوا» فقرأ أبو جعفر: بتشديد الدال مع إسكان العين، وكذلك روى ورش إلا أنه فتح العين، وكذلك قالون إلا أنه اختلف عنه في إسكان العين واختلاسها، فروى عنه المرافيون من طريقه: إسكان العين مع التشديد كما يجرى جعفر سواء، وهكذا وردت النصوص عنه، وروى المغاربة عنه: الاختلاس لحركة العين، ويعبر بعضهم عنه بالإخفاء فقرأوا من الجمع بين الساكتين. وانظر «إبراز المعاني» ٢٩٣.

(٢) «معجم مقاييس اللغة» ٣/٤٣٨، وما بين معقفيه منه.

أنت ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى، وجاء اليهود، فأخذوا الرجل، فقتلوه، ثم صلبوه<sup>(١)</sup>. وبهذا القول قال وهب بن منبه، وقتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا الَّذِينَ اتَّخَفُوا يَوْمَهُ﴾ في المختلفين قولان: أحدهما: أنهم اليهود، فعلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها كناية عن قتله، فاختلفوا هل قتلوه أم لا؟. وفي سبب اختلافهم في ذلك قولان. أحدهما: أنهم لما قتلوا الشخص المشبه كان الشبه قد أُلقي على وجهه دون جسده، فقالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، ذكره ابن السائب. والثاني: أنهم قالوا: إن كان هذا عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ يعنون الذي دخل في طلبه، هذا قول السدي. والثاني: أن «الهاء» كناية عن عيسى، واختلافهم فيه قول بعضهم: هو ولد زني، وقول بعضهم: هو ساحر. والثاني: أن المختلفين النصارى، فعلى هذا في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قتله، هل قتل أم لا؟ والثاني: أنها ترجع إليه، هل هو إله أم لا؟ وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى قتله. والثاني: إلى نفسه، هل هو إله، أم لغير ردة، أم هو ساحر؟.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا إِنَّا نَعْلَمُ الظَّنَّ﴾ قال الزجاج: «اتباع» منصوب بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. والمعنى: ما لهم به من علم إلا أنهم يتبعون الظن، وإن رُفِعَ جاز على أن يجعل علمهم اتباع الظن، كما تقول العرب: تحيتك الضرب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ﴾ في «الهاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الظن فيكون المعنى: وما قتلوا ظنهم يقيناً، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى العلم، أي: ما قتلوا [العلم به] يقيناً، تقول: قتلته يقيناً، وقتلته علماً [للرأي والحديث]<sup>(٢)</sup> هذا قول الفراء، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا: أن القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء وغلبة، يقول: فلم يكن علمهم بقتل المسيح علماً أحيط به، إنما كان ظناً. والثالث: أنها ترجع إلى عيسى، فيكون المعنى: وما قتلوا عيسى حقاً، هذا قول الحسن. وقال ابن الأنباري: اليقين مؤخر في المعنى، فالتقدير: وما قتلوه، بل رفعه الله إليه يقيناً.

﴿وَلَا يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ. قَبْلَ مَوْتِهِ. وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: وما منهم أحد إلا ليؤمنن به، ومثله ﴿وَلَا يَنْكَرُ إِلَّا وَادُّعَاهَا﴾ [مریم: ٧١]. وفي أهل الكتاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله الحسن، وعكرمة. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى عيسى، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها راجعة إلى محمد ﷺ، قاله عكرمة. وفي هاء «موته» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى المؤمنين. روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى، فقيل لابن عباس: إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي<sup>(٣)</sup> قال: وهي في قراءة أبي: «قبل موتهم»<sup>(٤)</sup>. وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبیر. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يؤمن اليهودي قبل أن يموت، ولا تخرج روح النصراني حتى يشهد أن عيسى عبدٌ. وقال عكرمة: لا تخرج روح اليهودي والنصراني حتى يؤمن بمحمد ﷺ. والثاني: أنها تعود إلى عيسى. روى عطاء عن ابن عباس قال: إذا نزل إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا أحد يعبد غير الله إلا أتبعه

(١) هو قطعة من خبر طويل رواه ابن أبي حاتم، وذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٥٧٤/١ وصححه إسناده إلى ابن عباس. وقد استبعد الشيخ أحمد شاکر في «صمد التفسير» ٣١/٤ صحة هذا الأثر، ورده، واستنتج أنه من أوام المنهال بن عمرو الأسدي، راوياً عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس، ثم قال: فالذي يؤمن به موتین هو ما أخبرنا الله به في كتابه نصاً أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم دون أن ندخل في تفصيل كيف شبه لهم، وعلى من ين الناس ألقى شبهه؟ فهذا التفصيل لم تكلف الإيمان به، إذ لم يعلمنا الله ولا رسوله بشيء من ذلك التفصيل.

(٢) «غريب القرآن» ص ١٣٧، والزبارة منه.

(٣) الهوي، بضم الهاء، وكسر الواو والياء المشددة: مصدر هوى يهوي: إذا سقط من فوق إلى أسفل.

(٤) رواه ابن جرير الطبري ٢٨٢/٩، ولفظه: عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ. قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: هي في قراءة أبي «قبل موتهم» ليس يهودي يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى. قيل لابن عباس: أرايت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي، فقيل: أرايت إن ضرب عتق أحد منهم؟ قال: يلجلج بها لسانه.

وصدقه، وشهد أنه روح الله، وكلمته، وعبد، ونبيه<sup>(١)</sup>. وهذا قول قتادة، وابن زيد، وابن قتيبة، واختاره ابن جرير<sup>(٢)</sup>، وعن الحسن كالقولين. وقال الزجاج: هذا بعيد، لعموم قوله: «وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»، والذين يبقون حينئذ شرمة منهم، إلا أن يكون المعنى: إنهم كلهم يقولون: إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال نؤمن به. قوله تعالى: «وَيَوْمَ أَلْيَسُو يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» قال قتادة: يكون عليهم شهيداً أنه قد بلغ رسالات ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

﴿وَيُظَلِّرُ ذِينَ الْآزِيكِ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾

قوله تعالى: «وَيُظَلِّرُ ذِينَ الْآزِيكِ هَادُوا» قال مقاتل: حرم الله على أهل التوراة الربا، وأن يأكلوا أموال الناس ظلماً، ففعلوا، وصدوا عن دين الله، وعن الإيمان بمحمد ﷺ، فحرم الله عليهم ما ذكر في قوله: «وَعَلَى الْآزِيكِ هَادُوا حَرَمْنَا كَعَلَى قُلُوبِهِمْ» [الأنعام: ١٤٦] عقوبة لهم. قال أبو سليمان: وظلمهم: نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله، وما ذكر في الآيات قبلها. وقال مجاهد: «وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» قال: صدّهم أنفسهم وغيرهم عن الحق. قال ابن عباس: صدّهم عن سبيل الله، يعني الإسلام، وأكلهم أموال الناس بالباطل، أي: بالكذب على دين الله، وأخذ الرشى على حكم الله، وتبديل الكتب التي أنزلها الله ليستديموا المآكل.

﴿وَأَخَذُوا مِنَ الزَّيْنِ وَكَذَّبُوا عَنْهُ وَأَكَلُوا مِنَ الثَّامِ بِالْبَطْلِ وَأَعَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

قوله تعالى: «وَأَعَدْنَا» أي: أعدنا للكافرين، يعني اليهود. وقيل: إنما قال «منهم»، لأنه علم أن قوماً منهم يؤمنون، فيأمنون العذاب.

(١) ابن جرير ٣٨٠/٩ وإسناده صحيح، وقد صحح الحافظ ابن كثير الروايات التي جاءت عن ابن عباس في تفسير هذه الآية.

(٢) قال أبو جعفر الطبري ٣٨٦/٩ وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال، لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في المواراة والصلاة عليه، وإلحاق صفات أولاده بحكمه في الملة، فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته، لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار، أو البالغون منهم من أهل الإسلام، إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم، كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له، وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره، لأن من مات مؤمناً بعيسى، فقد مات مؤمناً بمحمد ﷺ وبجميع الرسل. وذلك أن عيسى صلوات الله عليه، جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم، فالمصدق بعيسى والمؤمن به، مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله، كما أن المؤمن بمحمد، مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله. فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد مكذباً. وقال الحافظ ابن كثير ٥٧٧/١: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنورها إن شاء الله قريباً - فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: «وَلَنْ يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» أي: قبل موت عيسى ﷺ الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب «وَيَوْمَ أَلْيَسُو يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» أي: بأعمالهم التي شاهدوا منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض. فاما من فسّر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام - فهذا هو الواقع، وذلك: أن كل أحد عند احتضاره يتجلى له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيماناً تاماً له إذا كان قد شاهد الملك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: «وَلْيَسْتَ أَكْفَرْتُمْ لِيُؤْمِنُوا بِشَيْءٍ أَكْفَرْتُمْ حَتَّى إِذَا سَمِعْتُمْ أَصْوَاتَهُمُ السَّوْءَ قَالَ يَٰ أَتَيْتُ الْقَوْمَ يَكْفُرُونَ وَاللَّهِ يَكْفُرُونَ وَأَنَا أَكْفَرْتُمْ وَكُفَرْتُمْ يَكْفُرُونَ» [المؤمن: ٨٤، ٨٥] وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول، حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما وحينئذ لا يرث أقراباً من أهل دينه، لأنه قد أجبر الصادق أنه يؤمن به قبل موته. فهذا ليس بجيد، إذ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أنه يصير بذلك مسلماً. ألا ترى قول ابن عباس: ولو تردى من شاق، أو ضرب بالسيف، أو اقترسه سبع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى! فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع ولا ينقل صاحبه عن كفره، لما قلنا والله أعلم. ومن تأمل هذا جيداً وأمن النظر اتضح له أنه هو الواقع - لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا بل المراد بها الذي ذكرنا من تقرير وجود عيسى ﷺ، وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ليكذب هؤلاء هؤلاء من اليهود والنصارى الذين تابنوا أقوالهم فيه وتصادت وتماكست وتناقضت وخلت عن الحق ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظام، وأطراء النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء هؤلاء علواً كبيراً ونزهة وتقدس لا إله إلا هو.

﴿لَنْ يَكُنَ الرَّسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْتُونَ يُؤْتُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُسْتَضِئِينَ بِالنُّورِ وَالَّذِينَ هُمْ يُنِيرُونَ﴾<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَكُنَ الرَّسَخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال ابن عباس: هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب، فأما الراسخون، فهم الثابتون في العلم. قال أبو سليمان: وهم عبد الله بن سلام، ومن آمن معه، والذين آمنوا من أهل الإنجيل. مَن قَدِمَ مع جعفر من الحبشة، والمؤمنون، يعني أصحاب رسول الله. فأما قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ فهم القائمون بأدائها كما أمروا. وفي نصب «المقيمين» أربعة أقوال: أحدها: أنه خطأ من الكاتب، وهذا قول عائشة، وروي عن عثمان بن عفان أنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها<sup>(٢)</sup>. وقد قرأ ابن مسعود، وأبي، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والجحدري: «والمقيمون الصلاة» بالواو. وقال الزجاج: قول من قال إنه خطأ، بعيد جداً، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة، والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يُصلِّحُه غيرهم؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. وقال ابن الأنباري: حديث عثمان لا يصح، لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئاً فاسداً، ليُصلِّحه من بعده<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه نسق على «ما» والمعنى: يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، قليل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء. والثالث: أنه نسق على الهاء والميم من قوله ﴿يَنْتَهِمُ﴾ فالمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك. قال الزجاج: وهذا رديء عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمهر المجرور إلا في الشعر. والرابع: أنه منصوب على المدح، فالمعنى: اذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة. وأنشدوا:

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ      سُمُّ الْعُدَّةِ وَأَفْنَةُ الْجُزُرِ  
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ      وَالطَّيِّبُونَ مَعَايِدَ الْأُزُرِ<sup>(٤)</sup>

(١) قال السخاوي: هذا الأثر ضعيف، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع، لأن عثمان رضي الله عنه جعل للناس إماماً يقتدون به، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقيمه العرب بالسنتها؟ وقد كتب مصاحف سبعة، وليس فيها اختلاف قط إلا فيما هو من وجوه القراءات، وإذا لم يقمه هو ومن باشر الجمع، كيف يقيم غيرهم؟ وقد نقل ابن هشام في شرح «شذور الذهب» ٥٠ عن الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله أنه قال: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ «إِنْ هَٰذَا» لحن، وأن عثمان رضي الله عنه قال: إن في المصحف لحناً ستقيمه العرب بالسنتها. وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. أحدها: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات، فكيف يقررون اللحن في القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم في إزالته. والثاني: أن العرب كانت تستقيح اللحن غاية الاستقياح في الكلام، فكيف لا يستقيحون بقاءه في المصحف. والثالث: أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بالسنتها غير مستقيم، لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والمجمعي. والرابع: أنه قد ثبت في «الصحيح» أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب «التابوت» بالهاء على لغة الأنصار، فمنعوه من ذلك، ورفعوه إلى عثمان رضي الله عنه، فأمرهم أن يكتبوه بالثاء على لغة قريش. وقال الزمخشري: نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما نفتت إليه من لم ينظره في الكتاب، ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم من النصب على الاختصاص من الائتقان، وغبي عليه أن السابقين الأولين كانوا أبعد منه في الفيرة على الإسلام، وذوب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسدوا من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم. وقد روى أبو جعفر الطبري الرواية التي نسبت إلى عائشة أم المؤمنين بقوله: فلو كان ذلك خطأ من الكاتب، لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه بخلاف ما هو في مصحفنا. وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبي في ذلك، ما يدل على أن الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخط، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول ﷺ يعلمون من علموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولا صلحوه بالسنتهم، ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ما هو به في الخط مرسوماً أدل الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب.

(٢) انظر كلام الزجاج هذا وكلام ابن تيمية رحمهما الله على الآية في «مجموع فتاويه» ١٥٣/١٥.

(٣) «مجاز القرآن» ١٤٣/١، و«ميسره» ١٠٤/١، و«الكامل» ٧٥١/٢، و«الأمالي» ١٥٤/٢، و«خزانة الأدب» ٣٠١/٢ وهما للخرق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبيعي، وابنها علقمة بن بشر، وأخوها حسان وشرحيل، ومن قتل معه من قومه. قال البغدادى: وقولها: سم العدة.. السم: معروف وسبته مثله. والعدة: الأعداء، جمع عاد، كقصة: جمع قاض. حكى أبو زيد: أشتت الله عايك، أي: عدوك. ولا يكون «العدة» جمع عدو، لأن «عدواً» فعول، وفعل لا يجمع على فعلة، وإنما يجمع عليه فاعل المعتل اللام. والأعداء: جمع عدو، أجروا فعولاً مجرى فعل كشراف وأشرف، وقد جمعوا أعداء على أعادي. والآفة: العلة. والجزر، بضم فسكون: جمع جزور، والأصل بضمين كرسول ورسول، فسكن الثاني تخفيفاً. والجزور: هي الناقة التي تنحر، فإن كانت من الغنم فهي جزرة يفتحتن. وصفتهن أولاً بالشجاعة والنجدة، وأنهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم، وثانياً بالكرم ونحر الإبل للأضياف، فكانهم آفة للإبل تصيبها فتهلكها. والباء في «بكل»: ظرفية متعلقة بالنازلين. والمعترك، والمعرك، وموضع القتال، وهو مشتق من: عركت الرعى الحب: إذا طحنته، أرادوا أن موضع القتال: يطحن كما تطحن الرعى ما يحصل فيها. وقولها: النازلين بكل معترك. يعني أنهم ينزلون عن الخيل عند ضيق المعترك فيقاتلون على أقدامهم، وفي ذلك الوقت يتناحون: نزالي. وقولها: =



وهذا على معنى: اذكر النازلين، وهم الطيبون، ومن هذا قولك: مررت بزيد الكريم، إن أردت أن تخلصه من غيره، فالحفض هو الكلام، وإن أردت المدح والثناء، فإن شئت نصبت، فقلت: بزيد الكريم، كأنك قلت: اذكر الكريم، وإن شئت رفعت على معنى: هو الكريم. وتقول: جاني قومك المطعمين في المخل، والمغيثون في الشدايد على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وهذا القول اختيار الخليل، وسيبويه. فهذه الأقوال حكاها الزجاج، واختار هذا القول.

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَلَامًا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَيُوحَنَّا وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: قال عدي بن زيد، وسكين: يا محمد ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا في «آل عمران» معنى الوحي، وذكر هنالك. وإسحاق: أعجمي، وإن وافق لفظ العربي، يقال: أسحقه الله يسحقه إسحاقاً، ويعقوب: أعجمي. فأما يعقوب، وهو ذكر الحجل وهي القبيح<sup>(٢)</sup> فعربي، كذلك قرأته على شيخنا أبي منصور اللغوي<sup>(٣)</sup>. وأيوب: أعجمي، ويونس: اسم أعجمي. قال أبو عبيدة، يقال: يُؤنس ويونس بضم النون وكسرهما، وحكى أبو زيد الأنصاري عن العرب همزة مع الكسرة والضمة والفتحة. وقال الفراء: يونس بضم النون من غير همزة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: يونس بالهمز، وبعض بني عقيل يقول: يونس بفتح النون من غير همز. والمشهور في القراءة يؤنس برفع النون من غير همز. وقد قرأ ابن مسعود، وقتادة، ويحيى بن يعمر، وطلحة: يؤنس بكسر النون مهموزاً. قرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والجحدري: يؤنس بفتح النون من غير همز. وقرأ أبو المتوكل: يؤنس بفتح النون مهموزاً. وقرأ أبو السماك العدوي: يؤنس بكسر النون من غير همز. وقرأ عمرو بن دينار برفع النون مهموزاً. وهارون: اسم أعجمي، وباقى الأنبياء قد تقدم ذكرهم. فأما الزبور، فأكثر القراء على فتح الزاي، وقرأ أبو رزين، وأبو رجاء، والأعمش، وحزمة بضم الزاي. قال الزجاج: فمن فتح الزاي، أراد: كتاباً، ومن ضم، أراد: كُتِباً. ومعنى ذكر «داود» أي: لا تنكروا تفضيل محمد بالقرآن، فقد أعطى الله داود الزبور. وقال أبو علي: كأن حمزة جعل كتاب داود أنحاء، وجعل كل نحو زبراً، ثم جمع، فقال: زُبوراً. وقال ابن قتيبة: الزُّبور فُعُول بمعنى مفعول، كما تقول: حلوب وركوب بمعنى: محلوب ومركوب، وهو من قولك: زبرت الكتاب أزبره زبراً: إذا كتبه، قال: وفيه لغة أخرى: الزُّبور بضم الزاي، كأنه جمع<sup>(٤)</sup>.

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تأكيد كَلَّمَ بالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة. روى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول: سمعت ثعلباً يقول: لولا أن الله تعالى أكد الفعل بالمصدر،

والطيبون. أرادت أنهم أعفاء في فروعهم، لأن العرب تكتي بالشيء عما يحويه أو يشتمل عليه، كقولهم: ناصح الجيب، يريدون الفؤاد، فنكتو عنه بالجيب الذي يقع عليه أو قريباً من. قال ابن خلف: إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه، فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج، يراد أنه: لا يعقد إزاره على فرج زانية وكذلك طهارة الذليل. وإذا وصف بطهارة الكم أو الرदन وهو الكم بعينه: أرادوا أنه لا يسرق ولا يخون وإذا وصفوه بطهارة الجيب: أرادوا أن قلبه لا ينطوي على غش ولا مكروه، وقد يكونون عن عفة الفرج بطيب الحجة كما قال النابغة:

رقاق النسمال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السبامب

(١) «سيرة ابن هشام» ٥٦٢/١، وابن جرير ٤٠٠/٩ عن ابن عباس، وفي سننه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال الذهبي: لا يعرف. وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد بن بني قيقاع، ذكرهم ابن هشام في «السيرة» في الأعداء من يهود.

(٢) في «اللسان» ٣٥١/٢: القبيح: الحجل، والقبيح: الكروان مغرب، وهو بالفارسية كيج مغرب، القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب، والقبيحة: تقع على الذكر والأنثى حتى تقول: يعقوب، يختص بالذكر، لأن الهاء إنما دخلته على أنه الواحد من الجنس، وكذلك النعامة حتى تقول: ظليم، والنحلة حتى تقول: يمسوب.

لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمت لك فلاناً بمعنى: كتبت إليه رقعة، أو بعثت إليه رسولاً، فلما قال: تكليماً لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله<sup>(١)</sup>.

﴿رُسُلًا مُبْتَلِينَ وَمُذَرِّينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ﴾ أي: لئلا يحتجوا في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل، لأن هذه الأشياء إنما تجب بالرسل<sup>(٢)</sup>.

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ دخل على جماعة من اليهود، فقال: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتينا بمن يشهد لك أن الله بعثك، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن السائب. قال الزجاج: الشاهد: الميّن لما يشهد به، فالله ﷻ بين ذلك، ويعلم مع إباته أنه حق. وفي معنى ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنزله وفيه علمه، قاله الزجاج. والثاني: أنزله من علمه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أنزله إليك بعلم منه أنك خيرته من خلقه، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يشهدون أن الله أنزله. والثاني: يشهدون بصدقك<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ قال الزجاج: «الباء» دخلت مؤكدة. والمعنى: اكتفوا بالله في شهادته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود كفروا بمحمد، وصدّوا الناس عن الإسلام، قال أبو سليمان: وكان صدّهم عن الإسلام قولهم للمشرّكين ولأتباعهم: ما نجد صفة محمد في كتابنا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْيِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ لا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يبيّراً

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ قال مقاتل وغيره: هم اليهود أيضاً كفروا بمحمد والقرآن. وفي الظلم المذكور هاتنا قولان: أحدهما: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه جحدهم صفة النبي محمد ﷺ في كتابهم.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْيِرْ لَهُمْ﴾ يريد من مات منهم على الكفر. وقال أبو سليمان: لم يكن الله ليستر عليهم قبيح فعالهم، بل يفضحهم في الدنيا، ويعاقبهم بالقتل والجلاء والسبي، وفي الآخرة بالنار ﴿وَلَا يَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ينجون فيه. وقال مقاتل: طريقاً إلى الهدى ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ يعني كان عذابهم على الله هيناً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ

عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

(١) وفي «القرطبي» ١٨/٦: قال النحاس: وأجمع التحويين على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً وأنه لا يجوز في قول الشاعر:

استملا الحورس وقال قطنني

أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال: «تكليماً» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٣٧/١٣، ومسلم ٢١١٤/٤ واللفظ له عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد أحب إليه المذبح من الله ﷻ من أجل ذلك مذب نفسه، وليس أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل».

(٣) «سيرة ابن هشام» ٢١١/٢، وابن جرير ٤٠٩/٩ عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله ﷺ جماعة من يهود، فقال لهم: «إني والله أعلم أنكم لتعلمون أنني رسول الله ﷻ»، فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ و زاد السيوطي نسبة في «الدر» ٢٤٨/٢ إلى ابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل». قلت: وفي سننه محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول كما تقدم.

(٤) في «الأحمدية»: بصدق.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ الكلام عام، وروي عن ابن عباس أنه قال: أراد المشركين. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالهدى، والصدق.

قوله تعالى: ﴿فَقَامُوا خِيَارًا لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> قال الزجاج عن الخليل وجميع البصريين: إنه منصوبٌ بالحمل<sup>(٢)</sup> على معناه، لأنك إذا قلت: انته خيراً لك، وأنت تدفعه عن أمرٍ فتدخله في غيره، كان المعنى: انته وأنت خيراً لك، وادخل في ما هو خير لك. وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

فواعديهِ سَرَحْتَنِي مَالِك

أَو الرُّبَا بَيْنَهُمَا أَسْهَلًا<sup>(٣)</sup>

كانه قال: إيتي مكاناً أسهل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم، وعن إيمانكم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بما يكون من إيمان أو كفر ﴿حَكِيمًا﴾ في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، السيد والعاقب، ومن معهما. والجمهور على أن المراد بهذه الآية: النصارى. وقال الحسن: نزلت في اليهود والنصارى. والغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السحر. وقال الزجاج: الغلو: مجاوزة القدر في الظلم. وغلو النصارى في عيسى: قول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو ابن الله، وقول بعضهم: هو ثالث ثلاثة. وعلى قول الحسن غلو اليهود فيه قولهم: إنه لغير ردة. وقال بعض العلماء: لا تغلوا في دينكم بالزيادة في التشدد فيه<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ أي: لا تقولوا: إن الله له شريك أو ابن أو زوجة. وقد ذكرنا معنى «المسيح» والكلمة في (آل عمران). وفي معنى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه روحٌ من أرواح الأبدان. قال أبي بن كعب: لما أخذ الله الميثاق على بني آدم كان عيسى روحاً من تلك الأرواح، فأرسله إلى مريم، فحملت به. والثاني: أن الروح النفخ، فسُمي روحاً، لأنه حدث عن نفخة جبريل في درع مريم. ومنه قول ذي الرمة:

(١) وفي «مجاز القرآن» ١٤٣/١ ﴿فَقَامُوا خِيَارًا لَكُمْ﴾ نصب على ضمير جواب «يكن خيراً لكم» وكذلك كل أمر ونهي. قلت: ويريد بقوله: «ضمير» الإضمار الذي هو المصدر، لا بمعنى المضمّر في اصطلاح النحاة.

(٢) في «الأحمدية» على الحمل.

(٣) «ديوانه» ٣٤٩ وروايته فيه:

وواعديهِ سَرَحْتَنِي مَالِك أَوْ ذَا الَّذِي بَيْنَهُمَا أَسْهَلًا

وسيبويه ١٤٣/١، و«الخرائفة» ٢٨٠/١، و«ابن جرير» ٤١٥/٩. قال الأعلام: الشاهد فيه نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله، لأنه لما قال: «فواعدي سرحني مالك أو الربا بينهما» علم أنه مزج لها دأع إلى إتيان أحدهما، فكانه قال: إيتي أسهل الأمرين عليك. وهذا تفسيره على مقالة سيبويه. ونقل صاحب «الخرائفة» عن ابن خلف معناه أنها قالت لأمتها: واهدي الليلة أن يقصد السرحين، ويلتص مكاناً سهلاً يقرب من ذلك الموضع، لأنهما إذا علوا الرى عرف مكانهما وشنع أمرهما. و«أسهل» أعمل: تفضيل من السهولة ضد الحزونة، والمفضل عليه محلوف تقديره: أسهل منهما. وسرحنا مالك: شجرتنا لمالك، والسرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر عظيم لا شك له. والربى: جمع روبة: المشرف من الأرض، وكانت الرى بين السرحين.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه - ممن زعم أنه على دينه - فادعوا فيهم العصمة، واتبعواهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال تعالى ﴿فَتَكْفُرُوا أَخْيَرُهُمْ رَبِّهِمْ أَنْ يَبَيِّنُوا إِلَيْكُمْ دَرْبَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وروى الإمام أحمد ٢٢٦/١ عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا جسد الله ورسوله» ورواه البخاري: ٣٣٥/٦. قلت: قال الحافظ ابن حجر: وقوله: «لا تطروني» بضم أوله، والإطراء: المدح بالباطل، تقول: أطريت فلاناً: مدحته فأطريت في مدحه. وقوله: «كما أطرت النصارى ابن مريم» أي: في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

وَقُلْتُ لَهُ اَرْفَعَهَا إِلَيْكَ وَأَخِيهَا

هذا قول أبي روق. والثالث: أن معنى «رُوحٌ مِّنْهُ» إنسان حيٌّ بإحياء الله له. والرابع: أن الروح: الرحمة، نعمته: ورحمة منه، ومثله «وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ» [المجادلة: ٢٢]. والخامس: أن الروح هاهنا جبريل. فالمعنى: ألقاها الله إلى مريم، والذي ألقاها رُوحٌ منه، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو سليمان الدمشقي. والسادس: أنه سماء روحاً، لأنه يحيا به الناس كما يحيون بالأرواح، ولهذا المعنى سمي القرآن روحاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والسابع: أن الروح: الوحي أوحى الله إلى مريم يبشرها به، وأوحى إلى جبريل بالنفخ في درعها، وأوحى إلى ذات عيسى أن: كن فكان. ومثله: «يُرِزُّ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ». [النحل: ٢] أي: بالروحي، ذكره الثعلبي. فأما قوله: «منه» فإنه إضافة تشريف، كما تقول: بيت الله، والمعنى من أمره، ومما يقاربها قوله: «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ» [البقرة: ١٣]. قوله تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لَنَنصُرَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ بِيَدِنَا» قال الزجاج: رفعه بإضمار: لا تقولوا أكلهنا ثلاثة «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدَهُ» أي: ما هو إلا إله واحد «مُسَبَّحُهُ» ومعنى «سبحانه»: تبرئته من أن يكون له ولد. قال أبو سليمان: «وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا» أي: فيما على خلقه، مدبراً لهم.

«لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكَةُ الْمَرْبُوتُ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَسَخَّرَ لَنُفُوسِهِمْ إِيَّاهُ جَمِيعًا» قوله تعالى: «لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ» سبب نزولها: أن وفد نجران وفدوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد لم تذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول له؟ هو عبد الله، قالوا: بل هو الله، فقال: إنه ليس بعار عليه أن يكون عبداً لله، قالوا: بلى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: معنى يستنكف: يأنف، وأصله في اللغة من تكفت الدمع: إذا نحته بأصبعك من خذك. قال الشاعر:

فبانوا فلولا ما تذكُّرُ منهم

من الجلف لم ينكف لعينيك مذمُعٌ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: «وَلَا الْمَلَكَةُ الْمَرْبُوتُ» قال ابن عباس: هم حملة العرش. «فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» قوله تعالى: «يُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ» أي: ثواب أعمالهم «وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» مضاعفة الحسان. وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ في قوله: «يُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ» قال: يدخلون الجنة، «وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ»: الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

«يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بِهِدْيٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا»

(١) «ديوانه» ص ٢٤٦، وابن جرير ٤٢٠/٩، و«اللسان» مادة «روح» من جملة آيات نعت بها النار وقبل البيت:

فلما بدت كُنُفُهَا وهي طفلة  
بطلساء لم تُكْمَلْ فراعاً ولا شبراً

وقلت... البيت بعده:

وظاهر لها من يابس الشُّخْتِ واستمن  
ولما تَنَمَّثَتْ تَأْكُلُ الرُّمَّ لَمْ تَدْعُ  
فلما جَرَّتْ فِي الْجَزْلِ جِرياً كأنه

وقوله: أرفعها إليك. أي: قال لصاحبه: خلها بيدك، وأرفعها إلى فمك، ثم أحياها بروحك أي: انفخ لها نفخاً يسيراً، واقته لها قيته قدراً، يأمره بالرق والتفح القليل شيئاً فشيئاً، كأنه جعل التفح قوتاً لهذه النار، يقدر لها تقديراً شيئاً بعد شيء حتى تكتمل.

(٢) «اللسان» ٣٤٠/٩، «فتاوح العروس» ٢٦١/٦ ولم ينسبها لقاتل. وفي «التلخيص»: فماتوا. وانظر كلام الزجاج في «القرطبي» ٢٦٦/٦.

(٣) في «الدر المنثور» ٢٤٩/٢: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والإسماعيلي في «معجمه» بسند ضعيف عن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: «يُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَزَيِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» قال: أجورهم: يدخلهم الجنة. ويزيدهم من فضله: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا. وذكره ابن كثير عن ابن مردويه، ثم قال: وهذا إسناد لا يثبت، وإذا روي عن ابن مسعود موقوفاً فهو جيد. وفي «المعجم» ١٣/٧: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي عن عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكرو، وبقيته رجاله وثقوا. قلت: ذكره الذهبي في «الميزان» ١٠٩/١، وقال: روى عن الأعمش، وعنه بقية بخبر عجيب منكرو. قلت: يريد به هذا الخبر.



قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في البرهان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحجة، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: القرآن، قاله قتادة. والثالث: أنه النبي محمد ﷺ، قاله سفيان الثوري. فأما النور المبين، فهو القرآن، قاله قتادة، وإنما سماه نوراً، لأن الأحكام تبين به بيان الأشياء بالنور.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسُخِّدَتْ لَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ وَتَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٧٥)

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِهِ﴾ أي: استمسكوا. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى النور وهو القرآن، قاله ابن جريج. والثاني: تعود إلى الله تعالى، قاله مقاتل. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: أنها الجنة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نفس الرحمة، والمعنى: سيرهم، قاله أبو سليمان. وفي «الفضل» قولان: أحدهما: أنه الرزق في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه الإحسان، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: يوفقهم لإصابة الطريق المستقيم. وقال ابن الحنفية: الصراط المستقيم: دين الله.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ إِخْتُ فَلَها يَصِفُ مَا تَرَكُوهُ وَهُوَ يُرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلُّانُ بِمَا تَرَكَ وَلَئِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧٦)

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في جابر بن عبد الله. روى أبو الزبير عن جابر قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني هو وأبو بكر [وهما ماشيان] فوجدني قد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ، ثم صب علي من وضوئه، فأفقت، وقلت: يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ وكان لي تسع أخوات، ولم يكن لي ولد. فلم يجبني بشيء، ثم خرج وتركني، ثم رجع إلي وقال: يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله ﷻ قد أنزل في أخواتك، وجعل لهن الثلثين، فقرأ علي هذه الآية: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فكان جابر يقول: أنزلت هذه الآية في<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الصحابة أهمهم بيان شأن الكلاله فسألوا عنها نبي الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول قتادة. وقال سعيد بن المسيب: سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ كيف نورث الكلاله؟ فقال: «أو ليس قد بين الله تعالى ذلك، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرِثُ كَلَالَةً﴾» فأنزل الله ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ أي: مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ يريد: ولا والد. فاكتمى بذكر أحدهما، ويدل على المحذوف أن الفتيا في الكلاله، وهي من ليس له ولد ولا والد.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ إِخْتُ﴾ يريد من أبيه وأمه ﴿فَلَها يَصِفُ مَا تَرَكَ﴾ عند انفرادها ﴿وَهُوَ يُرِثُهَا﴾ أي: يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن لها ولد ولا والد، وهذا هو الأخ من الأب والأم، أو من الأب ﴿إِنْ كَانَتَا أَثْنَتَيْنِ﴾ يعني: أختين. وسئل الأخفش ما فائدة قوله «اثنتين» و«كانتا» لا يُفسر إلا باثنتين؟ فقال: أفادت العدد العاري عن الصفة، لأنه يجوز في «كانتا» صغيرتين، أو حرتين، أو صالحتين، أو طالحتين، فلما قال: «اثنتين» فإذا إطلاق العدد على أي وصف كانتا عليه ﴿فَلَها الشُّلُّانُ﴾ من تركه أخيهما الميت ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ يعني المخلفين.

قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تضلوا. وقال الزجاج: فيه قولان: أحدهما: أن لا تضلوا، فأضمرت لا. والثاني: كراهية أن تضلوا، وهو قول البصريين. قال ابن جريج: أن تضلوا في شأن الموارث.

(١) أبو داود: ١٦٤/٣، والطحاوي في مسنده ١٧/٢، وابن جرير ٤٣٢/٩، والبيهقي في السنن ٢٣١/٦، وروى مسلم في صحيحه ١٢٣٤/٣ عن جابر بن عبد الله قال: مرضت، فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني ماشيين، فأغمي علي، فتوضأ، ثم صب علي من وضوئه فأفقت قلت: يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ فلم ير علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُنَبِّئُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وروى البخاري ١٨٢/٨، ومسلم ١٢٣٥/٣ عن جابر ﷺ قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش علي فأفقت، قلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزل ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٣١/٩، وهو حديث مرسل، وفي سننه سفيان بن وكيع شيخ الطبري وهو ضعيف.

## سورة المائدة (١)

قال ابن عباس، والضحاك: هي مدنية. وقال مقاتل: نزلت نهاراً وكلها مدنية. وقال أبو سليمان الدمشقي: فيها من المكي ﴿أَلْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ قال: وقيل: فيها من المكي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ والصحيح أن قوله: ﴿أَلْيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ﴾ نزلت بعرفة يوم عرفة، فلهذا نسبت إلى مكة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ بِالْمُقَدَّاتِ أَجَلَتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْآفَتِ إِلَّا مَا يَتَلَقَّ عَلَيْكُمْ غَيْرُ حِلٍّ الْقَيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين: أحدهما: أنهم المؤمنون من أمتنا، وهذا قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن جريج. و«العقود»: العهد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والضحاك، والسدي، والجماعة. وقال الزجاج: «العقود»: أوكد العهد. واختلفوا في المراد بالعهد هاهنا على خمسة أقوال: أحدها: أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحلّ وحرم، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها عهود الدين كلها، قاله الحسن. والثالث: أنها عهود الجاهلية، وهي الحلف الذي كان بينهم، قاله قتادة. والرابع: أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد ﷺ، قاله ابن جريج، وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين. والخامس: أنها عقود الناس بينهم، من بيع، ونكاح، أو عقد الإنسان على نفسه من نذر، أو يمين، وهذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَجَلَتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْآفَتِ﴾ في بهيمة الأنعام ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها أجرة الأنعام التي توجد ميتة في بطون أمهاتها إذا ذبحت الأمهات، قاله ابن عمر، وابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها الإبل، والبقر، والغنم، قاله الحسن، وقتادة، والسدي. وقال الربيع: هي الأنعام كلها. وقال ابن قتيبة: هي الإبل، والبقر، والغنم، والوحوش كلها. والثالث: أنها وحوش الأنعام كالظباء، وبقر الوحش، وروي عن ابن عباس، وأبي صالح. وقال الفراء: بهيمة الأنعام: بقر الوحش، والظباء، والحمر الوحشية. قال الزجاج: وإنما قيل لها بهيمة، لأنها أبهمت عن أن تميز، وكل حي لا يميز فهو بهيمة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَقَّ عَلَيْكُمْ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: هي الميتة وسائر ما في القرآن تحريمه. وقال ابن الأنباري: المتلو علينا من المحظور الآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿غَيْرُ حِلٍّ الْقَيْدِ﴾ قال أبو الحسن الأخفش: أوفوا بالعقود غير محلي الصيد، فانتصب على الحال. وقال غيره: المعنى: أحت لكم بهيمة الأنعام غير مستحلي اصطياها وأنتم حرم، قال الزجاج: الحرم: المحرمون، وواحد الحرم: حرام، يقال: رجل حرام، وقوم حرم. قال الشاعر:

(١) روى الحاكم في «المستدرک» ٣١١/٢ عن جبير بن نفير قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم، قالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه الإمام أحمد وزاد: «وسألناها عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: القرآن».

(٢) في الحديث عن النبي ﷺ قال: «فكافة الجنين ذكاة أمه» رواه أبو داود ١٣٦/٣، والترمذي ١٧٨/١، وابن ماجه ١٠٦٧/٢ من حديث جابر وهو حديث صحيح. وفي «المغني» ٥١/١١: إذا خرج الجنين ميتاً من بطن أمه بعد ذبحها أو وجده ميتاً في بطنها، أو كانت حركته بعد خروجه كحركة المذبوب فهو حلال. روي هذا عن عمر وعلي وبه قال سعيد بن المسيب، والنخعي، والشافعي، وإسحاق وابن المنذر.

(٣) وفي «القرطبي» ٣٥/٦: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يَتَلَقَّ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقرأ عليكم في القرآن والسنة من قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: «فكل ذي ناب من السباع حرام».

فقلت لها فيشي إليك فانني

حرام وإنسي بعد ذاك لبيب<sup>(١)</sup>

أي: ملب. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْهَىٰ مَا يُرِيدُ﴾ أي: الخلق له يحل ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد على من يريد. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَشْهَرِ الْحَرَامِ وَلَا الْكَذِبَ وَلَا أَتَيْنَ الْكِبَرِ الْحَرَامَ يَتَنَوَّنَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن مَّادُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْقَوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْكَذِبِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن شريح بن ضبيعة<sup>(٢)</sup> أتى المدينة، فدخل على النبي ﷺ، فقال: إلى ما تدعو؟ فقال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، فقال: إن لي أمراء خلفي أرجع إليهم أشاورهم، ثم خرج، فقال النبي ﷺ: «لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر، وما الرجل بمسلم»، فمر شريح بسرح لأهل المدينة، فاستاقه، فلما كان عام الحديبية، خرج شريح إلى مكة معتمراً، ومعه تجارة، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال السدي: اسمه الحُطَمُ بن هند البكري<sup>(٤)</sup>. قال: ولما ساق السرح جعل يرتجز:

قَدْ لَقَمَهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِي حُطَمٍ

وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍ

بَات يُقَاسِيهَا غَلَامٌ كَالزَّلَمِ

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

بَاتُوا نِيَاماً وَابْنٌ هَنْدٍ لَمْ يَنْمِ

خَدَّلَجُ السَّاقِينَ مَمْسُوحُ الْقَدَمِ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت للمضرب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٤٥، و«السطح» ٢/٧٩١، و«الاقطصاب» ٤٧٥، وشرح أدب الكاتب» للجواليقي ٤١١، و«الترطبي» ٣٦/٣٦٦. قال البطليوسي: سمي المضرب، لأنه شب بامرأة، فغار أخوها لذلك، فغضب بالسيف ضربات عديدة، ويروى لشبل بن الصامت المري وبعدة:

فَصَدَّتْ بِمِيشِي شَادِي وَتَبَسَّمَتْ

بِمَجْفَاءٍ عَنْ غُرْلِهِنَّ غُرُوبٍ

وأراد بالفر: أسنانه، والغروب: جمع غرب، وهو حد الأسنان. وصف أن محبوبته لقيها وهو محرم ملب، فتورع عن الكلام معها، ومعنى «فيشي»: أرجعي. و«الحرام»: المحرم. و«البيب» هاهنا بمعنى: ملب وهو نادر، لأن فعلاً لا يستعمل بمعنى «فعل». و«بعدة» بمعنى: «مع» وقوله: «فيشي إليك» أمر بعد أمر على معنى التأكيد في إبعادها عن نفسه.

(٢) في «أسباب النزول» للواحدي: ضبيع الكندي.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ١٠٧ عن ابن عباس بدون سند.

(٤) رواية السدي هذه أخرجه ابن جرير ٩/٤٧٢. ورواه أيضاً ابن جرير، وابن المنذر من طريق عكرمة.

(٥) الرجز في «الأغاني» ١٤/٤٤، و«حسانة» أبي تمام ١/٣٥٤، و«رغبة الأمل» ٤/٧٥، و«البيان والتبيين» ٢/٣٠٨. وقد اختلفوا في نسبة هذا الشعر اختلافاً كثيراً، فنسبه في «الحسانة» لرشيد بن رميض العنزي، ونسب أيضاً للأغلب المجلي، وللأخس بن شهاب، ولجابر بن حني التغلبي، وانظر «السطح» ٧٢٩، ولعل الحطم أنشده مدحاً لنفسه فيما فعل من سوق السرح. وقبل هذا الرجز:

هَذَا أَوَانُ الشَّيْءِ فَاشْتَبَهْتُ زَيْنَمَ

قال المروزي: وزيم اسم فرس، وقوله: قد لقمها. يريد الإبل، وجعل الفعل لليل على المجاز. والمعنى: جمعها برجل متناهي القوة، عنيف السوق، يكسر الطرائد بعضاً على بعض، لقله رفته وكثرة صفه، ولأنه قليل الفكر فيها إذا كانت حُصِلت بالغارة، فإن سلمت فهي غُثْم. وإن تلفت فليست بثرْم، فالعوض منها بالقرب. وقوله: الحطم: بناء للمبالغة، وهو من الحطم: الكسر. وقوله:

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

وَلَا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍ

يقول: لا يرفق هذا الرجل بوسايقه رفق الرعاة، ولا رفق الجزار، وذلك أن الراعي مكترى لاستصلاح مرعيه، وحفظ ما ضم إليه بجهد، والجزار لا يستهلك ماله، ولا يعنف من لا يبالي به، وهذا صفة المغوار، القليل الفكر في فساد ما يحويه منها، الذاهب عن استبقائها، لا يبالي كيف استوسقت، على أي حالة تحصلت. وقوله: باتوا نياماً... يقول: مكث الناس النائمين في ليالهم، وهذا الرجل لم ينم، لأنه كان يَبْتَ للغارة، ثم قال: بات يقاسيها أي: يعاني الغارة كيف يوقعها ويدبرها، متى يأخذ فيها غلام مدبج الخلق، خفف ثقف مشمس، كأنه قدح. يعني ابن هند. والزلم، بفتح الزاي وضماً: القبح كان يستقسم به. قال الله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْكِ﴾. ويجوز أن يكون المضمرون في «باتوا» المنار عليهم. وقوله: خدلج الساقين، يصفه بأنه غليظ الساقين، ولوطه الأرض صوت، ولقدمة خفق، وهو سرعة الخطو مع ضرب الأرض بها، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل والسير، وشدة بلانه وصبره على الكد. وقال الأستاذ محمود شاكِر: وخدلاج الساقين: ممتلئ الساقين، وهذا غير حسن في الرجال، وإنما صواب روايته ما رواه ابن الأعرابي:

مَهْفَهتُ الْكَشْحِينَ خَفَاقُ الْقَدَمِ

أي: ضامر أخصر، وخفّاق القدم: لأقدامه خفق متتابع على الأرض من سرعته وهو يحدو بالإبل. ورواية المصنف «ممسوح القدم» أي: ليس لباطن قدميه أخمص، فأسفل قدميه مستو أملس لين، ليس فيهما تكسر ولا شقاق.

والثاني: أن ناساً من المشركين جاؤوا يؤمنون البيت يوم الفتح مهلين بعمرة، فقال المسلمون: لا ندع هؤلاء بل نغير عليهم، فنزل قوله: ﴿وَلَا تَأَيِّنَ إِلَيْتَ الْحَرَامَ﴾<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: وشعائر الله: ما جعله الله علماً لطاعته. وفي المراد بها هاهنا سبعة أقوال: أحدها: أنها مناسك الحج، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال الفراء: كانت عامة العرب لا يرون الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بينهما، فقال الله تعالى: لا تستحلوا ترك ذلك. والثاني: أنها ما حرم الله تعالى في حال الإحرام، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: دين الله كله، قاله الحسن. والرابع: حدود الله، قاله عكرمة، وعطاء. والخامس: حرم الله، قاله السدي. والسادس: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام، قاله أبو عبيدة، والزجاج. والسابع: أنها أعلام الحرم، نهامهم أن يتجاوزوها غير محرمين إذا أراوا دخول مكة، ذكره الماوردي، والقاضي أبو يعلى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرُ الْحَرَامَ﴾ قال ابن عباس: لا تُحِلُّوا القتال فيه. وفي المراد بالشهر الحرام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذو القعدة، قاله عكرمة، وقادة. والثاني: أن المراد به الأشهر الحرم. قال مقاتل: كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ كل سنة فيقول: ألا إني قد أحللت كذا، وحرمت كذا. والثالث: أنه رجب، ذكره ابن جرير الطبري. والهدى: كل ما أهدي إلى بيت الله تعالى من شيء. وفي القلائد قولان: أحدهما: أنها المقلدات من الهدى، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ما كان المشركون يقلدون به إبلهم وأنفسهم في الجاهلية، ليأمنوا به عدوهم، لأن الحرب كانت قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحرم، فمن لقوه مقلداً نفسه، أو بعيه، أو مشعراً ببدنه أو سائفاً هدياً لم يتعرض له. قال ابن عباس: كان من أراد أن يسافر في غير الأشهر الحرم، قلد بعيه من الشعر والوبر، فيأمن حيث ذهب. وروى مالك بن مغول<sup>(٣)</sup> عن عطاء قال: كانوا يقلدون من لحاء شجر الحرم، فيأمنون به إذا خرجوا من الحرم. فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وقال قتادة: كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج تقلد من السمر، فلم يعرض له أحد، وإذا رجع تقلد قلادة شعر، فلم يعرض له أحد<sup>(٥)</sup>. وقال الفراء: كان أهل مكة يقلدون بلحاء الشجر، وسائر العرب يقلدون بالوبر والشعر. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تستحلوا المقلدات من الهدى. والثاني: لا تستحلوا أصحاب القلائد. والثالث: أن هذا نهى للمؤمنين أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم، فيقلدوه كما كان المشركون يفعلون في جاهليتهم، رواه عبد الملك عن عطاء، وبه قال مطرف، والربيع بن أنس<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأَيِّنَ إِلَيْتَ الْحَرَامَ﴾ «الآية»: القاصد، والبيت الحرام: الكعبة، والفضل: الربح في التجارة، والرضوان من الله يطلبونه في حجهم على زعمهم. ومثله قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَا إِلَهُكَ الْوَحِيدَ﴾ [طه: ٩٧] وقيل: ابتغاء الفضل عام، وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُّوا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه الإباحة، نظيره: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] وهو يدل على إحرام متقدم<sup>(٧)</sup>.

- (١) أخرجه ابن جرير ٤٧٤/٩: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...
- (٢) رجح ابن جرير الطبري ما ذهب إليه عطاء من قوله - حين سئل عن شعائر الله -: حرمت الله، اجتناب سخط الله، واتباع طاعته، فذلك شعائر الله.
- (٣) في «الأحمدية» «مفهوم» وهو تصحيف. ومالك هنا ثقة، روى له الجماعة، مترجم في «التهذيب» ٢٢/١٠.
- (٤) ابن جرير ٤٦٨/٩ وفي سنده سفيان بن وكيع، وهو ضعيف. و«للحاء» بكسر اللام: قشر الشجرة.
- (٥) ابن جرير ٤٦٨/٩ وإسناده صحيح. والسمر، بفتح السين وضم الميم: ضرب من الشجر، صفار اللون، قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس، وليس في الغضاء شيء أجود خشياً منه، ينقل إلى القرى فتغذى به البيوت. وقوله: «تقلد من السمر» يريد شجره.
- (٦) اختار ابن جرير أن الله نهى عن استئصال حرمة المقلد، هدياً كان أو إنساناً دون حرمة القلادة، فمعنى الآية على ما اختاره: يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله، ولا الشهر الحرام، ولا الهدى، ولا المقلد نفسه بقلائد الحرم.
- (٧) قال ابن كثير ٥/٢: وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَلُّوا﴾ أي: فرغتم من إحرامكم، وأحللتم منه، فقد أباحنا لكم ما كان محرماً عليكم في حال الإحرام من الصيد، وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي ثبت على السير أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح، ومن قال: إنه على الوجوب ينتقض عليه بآيات كثيرة، ومن قال: إنه للإباحة يرد عليه آيات أكثر، والذي يتظم الأداة كلها هذا الذي ذكرناه، كما اختاره بعض علماء الأصول والله أعلم.





## فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة، روي عن الحسن أنه قال: ما نسخ من المائدة شيء، كذلك قال أبو ميسرة في آخرين قالوا: ولا يجوز استحلال الشعائر، ولا الهدى قبل أوان ذبحه. واختلفوا في «القلائد» فقال قوم: يحرم رفع القلايد عن الهدى حتى ينحر، وقال آخرون: كانت الجاهلية تقلد من شجر الحرم، فقيل لهم: لا تستحلوا أخذ القلائد من الحرم، ولا تصدوا الفاصدين إلى البيت. والثاني: أنها منسوخة، وفي المنسوخ منها أربعة أقوال: أحدها: أن جميعها منسوخ، وهو قول الشعبي. والثاني: أنها وردت في حق المشركين كانوا يقلدون هداياهم، ويظهرون شعائر الحج من الإحرام والتلبية، فنهى المسلمون بهذه الآية عن التعرض لهم، ثم نسخ ذلك بقوله: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا» [التوبة: ٥] وهذا قول الأكثرين. والثالث: أن الذي نسخ قوله: «وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِغَيْرِ حَرَامٍ» نسخته قوله: «فَلَا يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ أَمْوَالُ الْكُفَرَاءِ بِمَا كَفَرُوا» [التوبة: ٣٨] روي عن ابن عباس، وقائدة. والرابع: أن المنسوخ منها: تحريم الشهر الحرام، وأمن البيت الحرام: إذا كانوا مشركين. وهدي المشركين: إذا لم يكن لهم من المسلمين أمان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ. وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْقُوا بِأَيْدِيكُمْ أَوْ أَنْ تَرْجُلُوا بِأَرْجُلِكُمْ وَلَكُمْ فِي مَعَايِشِكُمْ كَيْفَ مَقُولٌ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» قوله تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» <sup>(١)</sup> مفسر في (البقرة)، فأما «المنخفقة» فقال ابن عباس: هي التي تختنق فتحت، وقال الحسن، وقائدة: هي التي تختنق بجبل الصائد وغيره. قلت: والمنخفقة حرام كيف وقع ذلك. قال ابن تيمية: «والموقوذة»: التي تضرب حتى توقت، أي: تشرف على الموت، ثم ترك حتى تموت، وتؤكل بغير ذكاة <sup>(٢)</sup>، ومنه يقال: فلان وقيد، وقد وقذته العبادة. «والمتردية»: الواقعة من جبل أو حائط، أو في بحر، يقال: تردى: إذا سقط. «والنطيحة»: التي تنطحها شاة أخرى، أو بقرة، «فعليلة» في معنى «مفعولة» «وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ» وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وابن أبي ليلى: السَّبُع: بسكون الباء. والمراد: ما اقتصره فأكل بعضه «إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ» أي: إلا ما لحقتم من هذا كله وبه حياة، فذبحتموه. فأما الاستثناء، ففيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى المذكور من عند قوله: «وَالْمُنْخَفَقَةُ». والثاني: أنه يرجع إلى ما أكل السبع خاصة، والعلماء على الأول.

## فصل في الذكاة

قال الزجاج: أصل الذكاة في اللغة: تمام الشيء، فمنه الذكاء في السن، وهو تمام السن. قال الخليل: الذكاء:

(١) يستثنى من الميتة السمك فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيره، لما رواه مالك ٢٢/١، والشافعي ٢١/١، وأحمد ٢١٤/١، وأبو داود ٥٤/١، والترمذي ٩٦/١، والنسائي ١٧٤/١، وابن ماجه ١٣٦/١، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحهما» عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر، فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» وكذلك الجراد لما روى الشافعي ١٧٣/٢، وأحمد ١٠٣/٨، وابن ماجه ١٠٧٣/٢، والدارقطني ٥٤٠، والبيهقي ٢٥٤/١ عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أحل لكم ميتان ودمان، فأما الميتان فالسمك والجراد، وأما الدمان فالكلب والطحال» وقد رواه سليمان بن بلال - أحد الأثبات - عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه عليه، وصحح الموقوف أبو زرعة الرازي وأبو حاتم. قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» ٩: نعم الرواية الموقوفة التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع، لأن قول الصحابي: «أحل لنا، وحرم علينا كذا، مثل قوله: أمرنا بكلنا ونهينا عن كذا، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية، لأنها في معنى المرفوع.

(٢) في «صحيح مسلم» ١٥٢٩/٣ أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرمي بالمرعاض الصيد فاصيب، قال: «إذا رميت بالمرعاض فخرق فكله، وإن أصاب بمرعضة فإمسا هو وقيد فلا تأكله» وفي «المغني» ٢٥/١١: المرعاض: عود محدد، وربما جعل في رأسه حديد، قال أحمد: المرعاض يشبه السهم يحذف به الصيد، وربما أصاب الصيد بحد فخرق وقتل فيباح، وربما أصاب بمرعضة فقتل بقله فيكون موقوذاً فلا يباح، وهذا قول علي، ومثمان، وعمار، وابن عباس وبه قال النخعي ومالك، والثوري، والشافعي، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأبو ثور. وقال الشوكاني في «فتح القدير» ٨/٢: وقد سألت جماعة من أهل العلم عن الصيد بالبنادق الحديدية التي يجعل فيها البارود والرصاص إذا مات ولم يتمكن الصائد من تذكيته حياً، والذي يظهر لي أنه حلال، لأنها تخزق وتدخل في الغالب من جانب منه، وتخرج من الجانب الآخر، وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إذا رميت بالمرعاض فخرق فكله، فاعتبر الخزق في تحليل الصيد.

أن تأتي على قروحه سنة، وذلك تمام استكمال القوة، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهماً تاماً، سريع القبول. وذُكِّيت النار، أي: أتممت إشعالها. وقد روي عن عليّ، وابن عباس، والحسن، وقتادة أنهم قالوا: ما أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تُظَرِّفُ، أو ذنبٌ يتحرك، فأكله حلالٌ. قال القاضي أبو يعلى: ومذهب أصحابنا أنه إن كان يعيش مع ما به، حل بالذبح، فإن كان لا يعيش مع ما به، نظرت، فإن لم تكن حياته مستقرة، وإنما حركته حركة المذبوح، مثل أن شُقَّ جوفه، وأبينت حشوته، فانفصلت عنه، لم يحل أكله، وإن كانت حياته مستقرة يعيش اليوم واليومين، مثل أن يشق جوفه، ولم تقطع الأمعاء، حل أكله. ومن الناس من يقول: إذا كانت فيه حياة في الجملة أبيح بالذكاة، والصحيح ما ذكرنا، لأنه إذا لم تكن فيه حياة مستقرة، فهو في حكم الميت. ألا ترى أن رجلاً لو قطع حُشْوَةَ آدمي، ثم ضرب عنقه آخر، فالأول هو القاتل، لأن الحياة لا تبقى مع الفعل الأول<sup>(١)</sup>. وفي ما يجب قطعه في الذكاة روايتان: إحداهما: أنه الحلقوم والمريء، والعرقان اللذان بينهما الحلقوم والمريء، فإن نقص من ذلك شيئاً، لم يؤكل، هذا ظاهر كلام أحمد في رواية عبد الله. والثانية: يجزئ قطع الحلقوم والمريء، وهو ظاهر كلامه في رواية حنبل، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجزئ قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. وقال مالك: يجزئ قطع الأوداج، وإن لم يقطع الحلقوم<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم، وهو موضع النفس، وفيه شعب تتشعب منه في الرئة. والمريء: مجرى الطعام، والودجان: عرقان يقطعهما الذابح. فأما الآلة التي تجوز بها الذكاة، فهي كل ما أنهر الدم، وفري الأوداج سوى السن والظفر، سواء كانا منزوعين، أو غير منزوعين<sup>(٣)</sup>. وأجاز أبو حنيفة الذكاة بالمنزوعين. فأما البعير إذا توحش، أو تردى في بئر، فهو بمنزلة الصيد ذكاته عقره<sup>(٤)</sup>. وقال

(١) في «المعني» لابن قدامة ٦١/١١ والمنخقة، والموقودة، والمتردية، والنطيحة وأكيلة السج وما أصابها مرض فماتت به محرمة إلا أن تدرك ذكاته لقوله تعالى: ﴿وَلَا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ وفي حديث جارية كعب أنها أصيبت شاة من غنمها، فأدركتها فذبحتها بحجر فسلّ النبي ﷺ فقال: «كلوها» رواه أحمد والبخاري. فإن كانت لم يبق من حياتها إلا مثل حركة المذبوح لم تبح بالذكاة، لأنه لو ذبح ما ذبحه المجوسي لم يبح، وإن أدركها وفيها حياة مستقرة بحيث يمكن ذبحها حلت لمعوم الآية والخبر، وسواء كانت قد انتهت إلى حال يعلم أنها لا تعيش معه أو تعيش لمعوم الآية والخبر، ولأن النبي ﷺ لم يسأل ولم يستفسل. وقد قال ابن عباس في ذنب عدا على شاة فقهرها، فوقع قصيبها بالأرض، فأدركها فذبحها بحجر قال: يلقي ما أصاب الأرض ويأكل سائرهما. وقال أحمد في بهيمة عقرت بهيمة حتى تبين فيها آثار الموت إلا أن فيها الروح يعني فذبحت قال: إذا مصمت بذنبها، وطرفت بعينها، ورسال الدم، فأرجو إن شاء الله تعالى أن لا يكون بأكلها بأس، وروى ذلك بإسناده عن عقيل بن عمير وطاوس وقالوا: تحركت، ولم يقلوا: سال الدم، وهذا على مذهب أبي حنيفة. وقال إسماعيل بن سعيد: سألت أحمد عن شاة مريضة خافوا عليها الموت، فذبحوها فلم يعلم منها أكثر من أنها طرفت بعينها أو حركت يدها أو رجلها أو ذنبها بضعف فنهز الدم قال: فلا بأس به، وقال ابن أبي موسى: إذا انتهت إلى حد لا تعيش معه لم تبح بالذكاة، ونص عليه أحمد فقال: إذا شق الذنب بطنها فخرج قصيبها فذبحها لا تؤكل، وقال: إن كان يعلم أنها تموت من عقر السبع فلا تؤكل وإن ذكاه، وقد يخاف على الشاة الموت من العلة والشيء يصيبها فيأدركها فذبحها فيأكلها وليس هذا مثل هذه، لا يدري لعلها تعيش، والتي قد خرجت أمعاؤها يعلم أنها لا تعيش، وهذا قول أبي يوسف والأول أصح، لأن عمر ﷺ انتهى به الجرح إلى حد علم أنه لا يعيش معه فوصى بقبيلت وصباياه، ووجبت العيادة عليه، وفي ما ذكرنا من عموم الآية والخبر وكون النبي ﷺ لم يستفسل في حديثه جارية كعب ما يرد هذا وتحمل نصوص أحمد على شاة خرجت أمعاؤها وبانت منها فذلك لا تحل بالذكاة، لأنها في حكم الميت، ولا تبقى حركتها إلا كحركة المذبوح، فأما ما خرجت أمعاؤها ولم تبين منها فهي في حكم الحياة، تباح بالذبح ولهذا قال الخرقي فيمن شق بطن رجل فأخرج حشوته فقطعها فأبائها، ثم ضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الأول، ولو شق بطن رجل، وضرب عنقه آخر، فالقاتل هو الثاني. وقال بعض أصحابنا: إذا كانت تعيش معظم اليوم حلت بالذكاة، وهذا التحديد بعيد يخالف ظواهر النصوص ولا سبيل إلى معرفته، وقوله في حديث جارية كعب: «فأدركتها فذكتها بحجر» يدل على أنها بادرتها بالذكاة حين خافت موتها في ساعتها، والصحيح أنها إذا كانت تعيش زمناً يكون الموت بالذبح أسرع منه، حلت بالذبح، وأنها متى كانت مما لا يتيقن موتها كالمریضة أنها متى تحركت ورسال دمها حلت والله أعلم.

(٢) في «المعني» ٤٤/١١: وأما الفعل فيعتبر قطع الحلقوم والمريء، وبهذا قال الشافعي، وعن أحمد رواية أخرى أنه يعتبر مع هذا قطع الودجين، وبه قال مالك وأبو يوسف، لما روى أبو هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله عن شريطة الشيطان وهي التي تذبح فقطع الجلد ولا تفري الأوداج، ثم ترك حتى تموت. رواه أبو داود ١٣٦٦/٣. [قال المنذري: وفي إسناده عمرو بن عبد الله الصنعاني وقد تكلم فيه غير واحد] وقال أبو حنيفة: يعتبر قطع الحلقوم والمريء وأحد الودجين. ولا خلاف في أن الأكل قطع الأربعة، الحلقوم والمريء والودجين.

(٣) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨/٤، وأبو داود: ١٣٤/٣، والنسائي: ٢٢٦/٧، والترمذي: ١٨٠/١ وابن ماجه: ١٠٦١/٢ عن رافع بن خديج قال: قلت: يا رسول الله إنا نلقى العدو غداً وليس معنا مدى، فقال النبي ﷺ: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً وسأحدثكم عن ذلك، أما السن فنعظم، وأما الظفر فمضى الحبيشة».

(٤) روى البخاري: ٩٤/٥، ومسلم: ١٥٥٨، والنسائي: ٢٢٨/٧، وأبو داود عن رافع بن خديج قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فند بعير من إبل القوم، ولم يكن معهم خيل، فرمى رجل بسهم فحسبه، فقال رسول الله ﷺ: «إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش، فما فعل منها هذا فاعملوا به هكذا». وفي -

مالك: ذكاته ذكاة المقدور عليه<sup>(١)</sup>. فإن رمى صيداً، فأبان بعضه، وفيه حياة مستقرة، فذكاه، أو تركه حتى مات جازأكله، وفي أكل ما بان منه روايتان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ في النصب قولان: أحدهما: أنها أصنام تنصب فتعبد من دون الله، قاله ابن عباس، والفراء، والزجاج، فعلى هذا القول يكون المعنى، وما ذبح على اسم النصب، وقيل لأجلها، فتكون «على» بمعنى «اللام»، وهما يتعاقبان في الكلام، كقوله: ﴿سَكَنَ لَكَ﴾ [الواقعة: ٩١] أي: عليك، وقوله: ﴿وَرَأَى آسَافُ قُلُوبَهُ﴾ [الإسراء: ٢٧]. والثاني: أنها حجارة كانوا يذبحون عليها، ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها، وهو قول ابن جريج. وقرأ الحسن، وخارجة عن أبي عمرو: على النُّصْب، يفتح النون، وسكون الصاد، قال ابن قتيبة، يقال: نُصِبَ ونُصِبَ ونُصِبَ، وجمعه أنصاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْكَى﴾ قال ابن جرير: أي: وأن تطلبوا علم ما قسم لكم، أو لم يقسم بالأزلام، وهو استعملت من القسم [قسم الرزق والحاجات]. قال ابن قتيبة: الأزلام: القداح، واحدها: زَلَمٌ وزَلَمٌ. والاستقسام بها: أن يضرب [بها] فيعمل بما يخرج فيها من أمرٍ أو نهي، فكانوا إذا أرادوا أن يقتسموا شيئاً بينهم، فأحبو أن يعرفوا قسم كل امرئ تعرفوا ذلك منها، فأخذ الاستقسام من القسم وهو النصب. قال سعيد بن جبيرة: الأزلام: حصى بيض، كانوا إذا أرادوا غدواً، أو رواحاً، كتبوا في قدحين، في أحدهما: أمرني ربي، وفي الآخر: نهاني ربي، ثم يضربون بهما، فأيهما خرج، عملوا به. وقال مجاهد: الأزلام: سهام العرب، وكعاب فارس التي يتقارون بها. وقال السدي: كانت الأزلام تكون عند الكهنة. وقال مقاتل: في بيت الأصنام. وقال قوم: كانت عند سدنة الكعبة<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: ولا فرق بين ذلك، وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو أخرج من أجل نجم كذا.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ فَسُقُ﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه جميع ما ذكر في الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وبه قال سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه الاستقسام بالأزلام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والفسق: الخروج عن طاعة الله إلى معصيته<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَبِّئُكَ الْفَافِي كَذْرًا مِنْ رَبِّكَ﴾ في هذا اليوم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اليوم الذي دخل فيه رسول الله مكة في حجة الوداع، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: نزلت ذلك اليوم. والثاني: أنه يوم عرفة، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه لم يرد يوماً بعينه، وإنما المعنى: الآن يشعرون كما تقول: أنا اليوم قد كبرت، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: العرب توقع اليوم على الزمان الذي يشتمل على الساعات والليالي، فيقولون: قد كنت في غفلة، فالיום استيقظت، يريدون: فالآن، ويقولون: كان فلان يزورنا، وهو اليوم يجفونا، ولا يقصدون باليوم قصد يوم واحد. قال الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا      وَيَوْمٌ نُسَاءً وَيَوْمٌ نُسَرُ<sup>(٤)</sup>

= «المعني: روي ذلك عن علي، وابن مسعود، وابن عمر، وأبن عباس، وعائشة عليها السلام، وبه قال مروق، والأسود، والحسن، وعطاء، والشعبي، والحكم، وحامد، والثوري، وأبو حنيفة، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور.

(١) ذكر في «المعني» أن الإمام أحمد قال: لعل مالكا لم يسمع حديث رافع بن خديج. وتناول ابن العربي في «أحكام القرآن» الحديث بأن مفاده جواز حبس ما ند من البهائم بالرمي وغيره، لا أن ذلك ذكاة لها.

(٢) روى البخاري ٢٧٦/٦ عن ابن عباس عليه السلام أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحي، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

(٣) قال الحافظ ابن كثير: وقد أمر الله المؤمنين إذا تردوا في أمورهم أن يستخبروه بأن يعيدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه، كما روى الإمام أحمد والبخاري ٤٠/٣ وأهل السنن عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، ويقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدر بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسميه باسمه - خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وأجله، فاقدري لي وسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلمه شراً لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري، فاصرفني عنه واصرفه عني، وانقل لي الخير حيث كان ثم رضني به» لفظ أحمد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) البيت للنمر بن تولب كما في «الشواهد الكبرى» ٥٦٥/١ للميني، والنمر بن تولب: شاعر مخضرم عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر =



أراد: فزمان لنا، وزمان علينا، ولم يقصد ليوم واحد لا ينضم إليه غيره. وفي معنى يأسهم قولان: أحدهما: أنهم يتسوا أن يرجع المؤمنون إلى دين المشركين، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: يتسوا من بطلان الإسلام، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وإنما يتسوا من إبطال دينهم لما نقل الله خوف المسلمين إليهم، وأمنهم إلى المسلمين، فعملوا أنهم لا يقدرون على إبطال دينهم، ولا على استئصالهم، وإنما قاتلوهم بعد ذلك ظناً منهم أن كفرهم يبق. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ قال ابن جريج: لا تخشوهم أن يظهروا عليكم، وقال ابن السائب: لا تخشوهم أن يظهروا على دينكم، واخشوني في مخالفة أمري.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية من كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله، والساعة التي نزلت فيها، والمكان الذي نزلت فيه على رسول الله وهو قائم بعرفة في يوم جمعة. وفي لفظ «نزلت عشية عرفة»<sup>(١)</sup> قال سعيد بن جبيرة: عاش رسول الله ﷺ بعد ذلك أحداً وثمانين يوماً. فأما قوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: أنه يوم عرفة، وهو قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه ليس بيوم معين، رواه عطية عن ابن عباس، وقد ذكرنا هذا آنفاً. وفي معنى إكمال الدين خمسة أقوال: أحدها: أنه إكمال فرائض وحدوده، ولم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم، قاله ابن عباس، والسدي، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم شرائع دينكم. والثاني: أنه بنفي المشركين عن البيت، فلم يحج معهم مشرك عامث، قاله سعيد بن جبيرة، وقادة. وقال الشعبي: كمال الدين هاهنا: عزه وظهوره، وذلل الشرك ودروسه، لا تكامل الفرائض والسنن، لأنها لم تنزل تنزل إلى أن قبض رسول الله ﷺ، فعلى هذا يكون المعنى: اليوم أكملت لكم نصر دينكم. والثالث: أنه رفع النسخ عنه. وأما الفرائض فلم تنزل تنزل عليه حتى قبض، روي عن ابن جبيرة أيضاً. والرابع: أنه زوال الخوف من العدو، والظهور عليهم، قاله الزجاج. والخامس: أنه أمن هذه الشريعة من أن تنسخ بأخرى بعدها، كما نسخ بها ما تقدمها. وفي إتمام النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: منع المشركين من الحج معهم، قاله ابن عباس، وابن جبيرة، وقادة. والثاني: الهداية إلى الإيمان، قاله ابن زيد. والثالث: الإظهار على العدو، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَضَلُّ﴾ أي: دعت الضرورة إلى أكل ما حُرِّم عليه. ﴿فِي مَخَاصِي أَي: مجاعة، والخصم: الجوع. قال الشاعر يذم رجلاً:

يَرَى الْخُمْصَ تَعَذِيباً وَإِنْ يَلْقَ شُبْعَةً يَبِثُّ قَلْبُهُ مِنْ قِلَّةِ الْهَمِّ مُبْهِمًا<sup>(٣)</sup>

وهذا الكلام يرجع إلى المحرمات المتقدمة من الميتة والدم، وما ذكر معهما. قوله: ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ قال ابن قتيبة: غير مائل إلى ذلك، و«الجنف»: الميل. وقال ابن عباس، والحسن، ومجاهد: غير متعمد للإثم. وفي معنى «تجانف الإثم» قولان: أحدهما: أن يتناول منه بعد زوال الضرورة، روي عن ابن عباس في آخرين. والثاني: أن

الرباب، وكان من ذوي النعمة والوجاعة جواداً وقابلاً لماله، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي ﷺ فكتب له كتاباً فكان في أيدي أهله. وقوله: «فيوم علينا ويوم لنا» يريد أن الدهر يومان، يوم يكون علينا وفيه نساء، ويوم يكون لنا وفيه نسر ونفرح. (١) البخاري ٢٠٣/٨، ومسلم ٢٣١٢/٤، ولفظ مسلم قريب من سياقة المصنف، ورواه الإمام أحمد في «المسند» ٢٣٧/١، والترمذي ٩٦/٤، والنسائي ١١٤/٨.

(٢) قال ابن كثير: والصواب الذي لا شك فيه ولا مرية: أنها أنزلت يوم عرفة وكان يوم جمعة، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وسمرة بن جندب، وأرسله الشعبي، وقادة بن دهامة، وشهر بن حوشب، وغير واحد من الأئمة والعلماء، واختاره ابن جرير رحمه الله.

(٣) البيت لحاتم الطائي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«نوادير أبي زيد» ١١١، و«طبقات فحول الشعراء» ٤٨٣، و«الأغاني» ١٢٢/١٦، و«غريب القرآن» ١٤١. وقيل:

لِحَاثِ اللَّهِ مُعْمَلُوكَ مُنْهَاهُ وَمِنْهُ  
لِلشَّعْرِ فِي «طَبَقَاتِ ابْنِ سَلَامٍ» خَيْرٌ فَاظْفَرَهُ.

مِنَ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى كَبُوساً وَمَطْعَمَا



ما صيد به من سباع البهائم والطيور، كالكلب، والفهد، والصقر، والبازي، ونحو ذلك مما يقبل التعليم. قال ابن عباس: كل شيء صاد فهو جارح. وفي تسميتها بالجوارح قولان: أحدهما: لكسب أهلها بها. قال ابن قتيبة: أصل الاجتراح: الاكتساب، يقال: امرأة لا جارح لها، أي: لا كاسب. والثاني: لأنها تجرح ما تصيد في الغالب، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: وعلامة التعليم أنك إذا دعوته أجاب، وإذا أسدته استأسد، ومضى في طلبه، وإذا أمسك أمسك عليك لا على نفسه، وعلامة إمساكه عليك: أن لا يأكل منه شيئاً، هذا في السباع والكلاب، فأما تعليم جوارح الطير فبخلاف السباع، لأن الطائر إنما يُعَلَّم الصيد بالأكل، والفهد والكلب وما أشبههما يعلمون بترك الأكل، فهذا فرق ما بينهما.

وفي قوله: «مَكْلَبَيْنِ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أصحاب الكلاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر، وسعيد بن جبير، وعطاء، والضحاك، والسدي، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: رجل مكلب وكلائي، أي: صاحب صيد بالكلاب. والثاني: أن معنى «مكلبين»: مُصَرِّين على الصيد، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثالث: أن «مكلبين» بمعنى: معلمين. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما قيل لهم: مكلبين، لأن الغالب من صيدهم إنما يكون بالكلاب. قال ثعلب: وقرأ الحسن، وأبو رزين، «مُكْلَبَيْنِ»، بسكون الكاف، يقال: أكلب الرجل: إذا كثرت كلابه، وأمشى: إذا كثرت ماشيته، والعرب تدعو الصائد مكلباً.

قوله تعالى: «يَتْلُوهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ» قال سعيد بن جبير: تؤذّبونهم لطلب الصيد. وقال الفراء: تؤذّبونهم أن لا يأكلن صيدهن. واختلفوا هل إمساك الصائد عن الأكل شرط في صحة التعليم أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شرط في كل الجوارح، فإن أكلت، لم يؤكل، روي عن ابن عباس، وعطاء. والثاني: أنه ليس بشرط في الكل، ويؤكل وإن أكلت، روي عن سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي. والثالث: أنه شرط في جوارح البهائم، وليس بشرط في جوارح الطير، وبه قال الشعبي، والنخعي، والسدي، وهو أصح لما بينا أن جوارح الطير يعلم على الأكل، فأبيح ما أكل منه، وسباع البهائم تعلم على ترك الأكل، فأبيح ما أكلت منه. فعلى هذا إذا أكل الكلب والفهد من الصيد، لم يبيح أكله. فأما ما لا منه الصقر والبازي، فمباح، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه، وقال مالك: يباح أكل ما أكل منه الكلب، والفهد، والصقر، فإن قتل الكلب، ولم يأكل، أبيع. وقال أبو حنيفة: لا يباح، فإن أدرك الصيد، وفيه حياة، فمات قبل أن يذكيه، فإن كان ذلك قبل القدرة على ذكاته أبيع، وإن أمكنه فلم يذكه، لم يبيح، وبه قال مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يباح في الموضعين. فأما الصيد بكلب المجوسي، فروي عن أحمد أنه لا يكره، وهو قول الأكثرين، وروي عنه الكراهة، وهو قول الثوري، لقوله تعالى: «وَمَا عَلَّمْتُمْ مَنِ الْجَوَارِحَ» وهذا خطاب للمؤمنين. قال القاضي أبو يعلى: ومنع أصحابنا الصيد بالكلب الأسود، وإن كان معلماً، لأن النبي ﷺ أمر بقتله<sup>(١)</sup>، والأمر بالقتل: يمنع ثبوت اليد، ويبتل حكم الفعل، فيصير وجوده كالعدم، فلا يباح صيده.

قوله تعالى: «تَكْلُوا مِنَّا أَمَّا السُّكُنُ عَنْكُمْ» قال الأخفش: «من» زائدة، كقوله: «فِيهَا مِنْ بَرٍّ» [النور: ٤٣]. قوله تعالى: «وَأَذْكُرُوا أَنَّمَا اللَّهُ عَلَّمَهُ فِي هَاءِ الْكُنْيَةِ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الإرسال، قاله ابن عباس، والسدي، وعندنا أن التسمية شرط في إباحة الصيد<sup>(٢)</sup>. والثاني: ترجع إلى الأكل فتكون التسمية مستحبة. قوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ» قال سعيد بن جبير: لا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليه.

(١) روى الإمام أحمد، ومسلم ١٢٠٠/٣ عن جابر قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها فتقتله، ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها وقال: عليكم بالأسود البهيم في التفتين فإنه شيطان» وروى أبو داود ١٤٤/٣، والدارمي ٩٠/٢ عن عبد الله بن مغفل عن النبي ﷺ قال: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها كلها، فافعلوا منها كل أسود بهيم».

(٢) قال في «المعنى»: فإن ترك التسمية عمداً أو سهواً، لم يبيح. هذا تحقيق المذهب. وروى البخاري ٩٢/٢١ «بشرح المعنى» ومسلم ١٥٣١/٣ عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قلت: يا رسول الله إني أرسل كلبى وأسمي. قال: «إن أرسلت كلبك وسميت فأخذ، فقتل، وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه». قلت: إني أرسل كلبى فأجد معه كلباً آخر، لا أدري أيهما أخذ؟ قال: «فلا تأكل فإنما سميت على كلبك، ولم تسم على غيره».

﴿أَيُّومَ أَحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْحَتُ وَيَطْمَأَنَّكُمْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلَّ لَكُمْ وَطَمَأَنَّكُمْ حِلَّ لَمْ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤَنِّتِ وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسْفِيحِينَ وَلَا مُتَجِدِينَ أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّومَ أَحِلَّ لَكُمْ الْفَلَيْحَتُ﴾ قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يريد باليوم اليوم الذي أنزلت فيه الآية، ويجوز أن يريد اليوم الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿أَيُّومَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿أَيُّومَ أَحْكَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وقيل: ليس بيوم معين. وقد سبق الكلام في «الطيبات» وإنما كرر إحلالها تأكيداً. فأما أهل الكتاب، فهم اليهود والنصارى. وطعامهم: ذبائحهم، هذا قول ابن عباس، والجماعة. وإنما أريد بها الذبائح خاصة، لأن سائر طعامهم لا يختلف بمن تولى من مجوسي وكتابي، وإنما الذكاة تختلف، فلما خص أهل الكتاب بذلك، دل على أن المراد الذبائح، فأما ذبائح المجوس، فأجمعوا على تحريمها. واختلفوا في ذبائح من دان باليهودية والنصرانية من عبدة الأوثان، فروي عن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب، فقال: لا بأس بها، وتلا قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَتِمُّ﴾ [المائدة: ٥١] وهذا قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وعكرمة، وقناة، والزهري، والحكم، وحمام. وقد روي عن علي، وابن مسعود في آخرين أن ذبائحهم لا تحل. ونقل الخرقى عن أحمد في نصارى بني تغلب روايتين: إحداهما: تباح ذبائحهم، وهو قول أبي حنيفة، مالك. والثانية: لا تباح. وقال الشافعي: من دخل في دين أهل الكتاب بد نزول القرآن، لم يباح أكل ذبيحته<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَطَمَأَنَّكُمْ حِلَّ لَمْ﴾ أي: وذبائحهم لهم حلال، فإذا اشتروا منا شيئاً كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلالاً. قال الزجاج: والمعنى: أحل لكم أن تطعموهم.

### فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية اقتضت إباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقاً وإن ذكروا غير اسم الله عليها، فكان هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا زُكِّرَ أَنْتُمْ أَلَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] والصحيح أنها أطلقت إباحة ذبائحهم، لأن الأصل أنهم يذكرون الله، فيحمل أمرهم على هذا. فإن تيقنا أنهم ذكروا غيره، فلا نأكل، ولا وجه للنسخ، وإلى هذا الذي قلته ذهب علي، وابن عمر، وعبادة، وأبو الدرداء، والحسن في جماعة.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤَنِّتِ﴾ فيهن قولان: أحدهما: العفاف، قاله ابن عباس. والثاني: الحرائر، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قولان: أحدهما: الحرائر أيضاً، قاله ابن عباس. والثاني: العفاف، قاله الحسن، والشعبي، والنخعي، والضحاك، والسدي، فعلى هذا القول يجوز تزويج الحررة منهن والأمة.

### فصل

وهذه الآية أباحت نكاح الكتابية. وقد روي عن عثمان أنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية. وعن طلحة بن عبيد الله أنه تزوج يهودية. وقد روي عن عمر، وابن عمر كراهة ذلك. واختلفوا في نكاح الكتابية الحرة، فقال ابن عباس: لا تحل. والجمهور على خلافه، وإنما كرهوا ذلك، لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْدُ قَوْمًا يَتَّبِعُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] والنكاح يوجب الود. واختلفوا في نكاح نساء تغلب، فروي عن علي عليه السلام الحظر، وبه قال جابر بن زيد، والنخعي، وروي عن ابن عباس الإباحة. وعن أحمد روايتان. واختلفوا في إماء أهل الكتاب، فروي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد: أنه لا يجوز نكاحهن، وبه قال الأوزاعي، ومالك،

(١) في «الأم» للشافعي ٦/٥: «ولا يحل نكاح حرائر من دان من العرب دين اليهودية والنصرانية، لأن أصل دينهم كان الحنيفية، ثم ضلوا بعبادة الأوثان، وإنما انتقلوا إلى دين أهل الكتاب بعده، لا بأنهم كانوا الذين دانوا بالتوراة والإنجيل ففضلوا عنها وأحدثوا فيها، إنما ضلوا عن الحنيفية ولم يكونوا كذلك، لا تحل ذبائحهم، كذلك كل أجمعي كان أصل دين من مضى من آباء عبادة الأوثان ولم يكن من أهل الكتابين المشهورين، التوراة والإنجيل، فدان دينهم، لم يحل نكاح نسائهم».



وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَصْحَابُنَا، وَرَوَى عَنْ الشَّعْبِيِّ، وَأَبِي مَيْسَرَةَ جَوَّازَ ذَلِكَ، وَبِهِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ. فَأَمَّا الْمُجُوسُ، فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ، وَقَدْ شُدَّ مِنْ قَالٍ: إِنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَيُطْلَقُ قَوْلُهُمْ قَوْلُهُ ﷺ: «سُئِلُوا بِهِمْ سُنَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>. فَأَمَّا «الْأَجُورُ»، وَ«الْإِحْصَانُ»، وَ«السَّفَاحُ»، وَ«الْأَخْدَانُ» فَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ (النَّسَاءِ).

قوله تعالى: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» سبب نزول هذا الكلام: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا رَخَّصَ فِي نِكَاحِ الْكِتَابِيَّاتِ قُلْنَ يَنْهِن: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَضِيَ عَلَيْنَا، لَمْ يَحِجْ لِلْمُؤْمِنِينَ تَزْوِيجُنَا، وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: كَيْفَ يَتَزَوَّجُ الرَّجُلُ مِنَّا الْكِتَابِيَّةَ وَلَيْسَتْ عَلَى دِينِنَا، فَنَزَلَتْ: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ مِقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ: نَزَلَتْ فِيهِمَا أَحْصَنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَقُولُ: لَيْسَ إِحْصَانُ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُنَّ بِالَّذِي يُخْرِجُهُنَّ مِنَ الْكُفْرِ. وَرَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ: وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ، قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى الْآيَةِ: مَنْ أَحَلَّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، أَوْ حَرَّمَ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ كَافِرٌ. وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ: مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنْ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ، وَعَرَفَهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ الْمُتَقَدِّمُ. وَسَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ النِّسَابُورِيَّ الْفَقِيهَ يَقُولُ: إِنَّمَا أَبَاحَ اللَّهُ ﷺ الْكِتَابِيَّاتِ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ يَعْجِبُهُ حَسَنُهُنَّ، فَحَذَّرَ نَاكِحَهُنَّ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْمِيلِ إِلَى دِينِهِنَّ بِقَوْلِهِ: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ».

«يَتَأَيَّاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَانْغَسِلُوا وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ عَلَى الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»

قوله تعالى: «إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ» قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: إِذَا أُرِدْتُمْ الْقِيَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، كَقَوْلِهِ: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» [النحل: ٩٨] قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: إِذَا آخَيْتَ فَأَخَ أَهْلَ الْحَسَبِ، وَإِذَا اتَّجَرْتَ فَاتَّجَرَ فِي الْبَزِّ. قَالَ: وَيجوز أن يكون الكلام مقدماً ومؤخراً، تقديره: إِذَا غَسَلْتُمْ وَجُوهَكُمْ، وَاسْتَوَيْتُمُ الطُّهُورَ، فَقُومُوا إِلَى الصَّلَاةِ. وَلِلْعُلَمَاءِ فِي الْمُرَادِ بِالْآيَةِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِذَا قُتِمَتْ إِلَى الصَّلَاةِ مُحْدَثِينَ، فَانْغَسِلُوا، فَصَارَ الْحَدَثُ مُضْمَرًا فِي وَجُوبِ الْوُضُوءِ، وَهَذَا قَوْلُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْفَقَهَاءُ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى إِطْلَاقِهِ مِنْ غَيْرِ إِضْمَارٍ، فَيَجِبُ الْوُضُوءُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَرِيدُ الصَّلَاةَ، مُحْدَثًا كَانَ، أَوْ غَيْرَ مُحْدَثٍ، وَهَذَا مَرُورِيٌّ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ<sup>(٣)</sup>، وَعُكْرَمَةُ، وَابْنِ سِيرِينَ. وَنَقَلَ عَنْهُمْ أَنَّ هَذَا الْحُكْمَ غَيْرُ مَنْسُوخٍ، وَنَقَلَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَاجِبًا، ثُمَّ نَسَخَ بِالسَّنَةِ، وَهُوَ مَا رَوَى بُرَيْدَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى يَوْمَ الْفَتْحِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ بَوْضُوءَ وَاحِدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ؟ فَقَالَ: «صَعِدْتُ فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ»<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ قَوْمٌ: فِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَمَعْنَاهَا: إِذَا

(١) رَوَاهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» ٢٧٨/١، وَالشَّافِعِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» ١٣٠/٢، وَغَيْرُهُمَا، وَفِيهِ كَلَامٌ انْظُرْهُ فِي «نَصَبِ الرَّابَةِ» ٤٤٨/٣.

(٢) فِي نَسْخَةِ الرِّبَاطِ: نِكَاحَهُنَّ.

(٣) رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ ١٢/١٠، وَالتَّحَاثُ فِي «النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ» ١١٩ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُكْرَمَةَ يَقُولُ: كَانَ عَلِيٌّ ﷺ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَيَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ «يَتَأَيَّاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَانْغَسِلُوا وَجُوهَكُمْ...» الْآيَةَ. وَهَذَا الْأَثَرُ سَاهَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» ٢٢/٢، وَسَاقَ مَعَهُ أَثَرَيْنِ آخَرَيْنِ عَنْ عَلِيٍّ، ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ طَرِيقُ جِيلَةٍ عَنْ عَلِيٍّ، يَقْرَأُ بِمِثْلِهَا بَعْضُهَا.

(٤) أَحَدُهُ فِي «الْمُسْنَدِ» ٣٥٠/٥، وَمُسْلِمٌ ٣٣٢/١، وَأَبُو دَاوُدَ ٨٢/١، وَالتَّحَاثُ ٨٦/١، وَابْنُ مَاجَةَ ١٧٠/١، وَالتِّرْمِذِيُّ ٨٩/١ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ ٢٧٣/١ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ خَيْرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالصُّهْبَاءِ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَصْرَ فَلَمَّا صَلَّى دَعَا بِالْأَطْمَعَةِ، فَلَمْ يَزَلْ إِلَّا بِالسُّوَيْقِ، فَأَكَلْنَا وَشَرَبْنَا، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَمَضَى ثُمَّ صَلَّى لَنَا الْمَغْرِبَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ ١٩/١٠: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَنِي يَقُولُ: «إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَانْغَسِلُوا» جَمِيعَ أَحْوَالِ قِيَامِ الْقَائِمِ إِلَى الصَّلَاةِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَمْرٌ فَرَضَ بِنَفْسِهِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِفُسْخِ الْقَائِمِ إِلَى صَلَاتِهِ، بَعْدَ حَدَثٍ كَانَ مِنْهُ نَاقِضٌ طَهَارَتِهِ، وَقَبْلَ إِحْدَاثِ الْوُضُوءِ مِنْهُ، وَأَمْرٌ نَدَبَ لِمَنْ كَانَ عَلَى طَهَرٍ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَعْدَهُ حَدَثٌ يَنْقُضُ طَهَارَتَهُ، وَلِلَّذَلِكَ كَانَ ﷺ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ صَلَّى بِوُضُوءٍ الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا بَوْضُوءَ وَاحِدٍ، لِيَعْلَمَ أَمْتُهُ أَنَّ مَا كَانَ يَفْعَلُ ﷺ مِنْ تَجْدِيدِ الطَّهَرِ لِكُلِّ صَلَاةٍ، إِنَّمَا كَانَ مِنْهُ أَخْذًا بِالْفَضْلِ وَإِثَارًا مِنْهُ لِأَحِبِّ الْأُمَرَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَصَارَعَةً مِنْهُ إِلَى مَا نَدَبَ إِلَيْهِ رِيبَهُ لَا عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ فَرَضًا وَاجِبًا. قُلْتُ: وَمَنْزَبُ الْجُمْهُورِ أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ الْوُضُوءَ لِكُلِّ صَلَاةٍ، لَمَّا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» ٢٥٥/١٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِوُضُوءٍ أَوْ مَعَ =

قمتم إلى الصلاة من النوم أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء، فاغسلوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْمُرْفَقِ﴾ «إلى» حُرِّفَ موضوعاً للغاية، وقد تدخل للغاية فيها تارة، وقد لا تدخل، فلما كان الحدث يقيناً، لم يرتفع إلا يبين مثله، وهو غسل المرفقين. فأما الرأس فنقل عن أحمد وجوب مسح جميعه، وهو قول مالك، وروي عنه: يجب مسح أكثره، وروي عن أبي حنيفة روايتان: إحداهما: أنه يتقدّر برقع الرأس. والثانية: بمقدار ثلاث أصابع<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر اللام عطفاً على مسح الرأس، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بفتح اللام عطفاً على الغسل، فيكون من المقدم والمؤخر. قال الزجاج: الرُّجُل من أصل الفخذ إلى القدم، فلما حدّ الكعبين، عُلِمَ أن الغسل ينتهي إليهما، ويدل على وجوب الغسل التحديد بالكعبين، كما جاء في تحيد اليد «إلى المرافق» ولم يجز في شيء من المسح تحديد. ويجوز أن يراد الغسل على قراءة الخفض، لأن التحدد بالكعبين يدل على الغسل، فينسق بالغسل على المسح. قال الشاعر:

يَا لَيْتَ بَغْلِكَ قَدْ غَدَا

مَنْقَلْدًا سَيْفًا وَرُمْحًا<sup>(٢)</sup>

والمعنى: وحاملاً رمحاً. وقال الآخر:

عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا<sup>(٣)</sup>

والمعنى: وسقيتها ماءً بارداً. وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجر على الإبتاع، والمعنى: الغسل، نحو قولهم: جحر ضبٍ خرب. وقال ابن الأنباري: لما تأخرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرّب والجوار، وهي في المعنى نسق على الوجوه، كقولهم: جحر ضبٍ خرب<sup>(٤)</sup>، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمي الغسل مسحاً، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح. وقال أبو علي: مَنْ جَرَّ فَحَجَّتْهُ أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجارّة، ووجه العاملين إذا اجتماعاً: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا، وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين: أحدهما: أن أبا زيد قال: المسح خفيف

كل وضوء سواك، ولأخبرت عشاء الآخرة إلى ثلث الليل» وإسناده صحيح، وقد سقط من إسناده في طبعة الشيخ أحمد شاكر للمسنّد: أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يتوضأ عند كل صلاة. قيل له: فأنتم كيف تصنعون؟ قال: كنا نغسل الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث. رواه أحمد في «المسنّد» بترتيب الساعاتي ٥٤/٢، والبخاري ٨٥/١، والنسائي ٨٥/١، وأبو داود ٨١/١، والترمذي ٨٨/١، والبيهقي في «السنن» ١٧٠/١. ومن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل أن رسول الله ﷺ كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء إلا من حدث. رواه أحمد ٢٢٥/٥، وأبو داود ٤٣/١ وإسناده حسن.

(١) قال الحافظ ابن كثير ٢٤/٢: وقوله: ﴿وَأَسْكُفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ اختلفوا في هذه الباء هل هي للإصاق وهو الأظهر، أو للتبعض وفيه نظر، على قولين، ومن الأصوليين من قال: هذا مجمل، فليرجع في بيانه إلى السنة. وقد ثبت في «الصحيحين» من طريق مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه: أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم - وهو جد عمرو بن يحيى - وكان من أصحاب النبي ﷺ: هل تستطيع أن تربني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم، فعدا بوضوء، فأفرغ على يديه، فغسل يديه مرتين مرتين، ثم مضى واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدير، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه. قلت: الحديث في البخاري ٢٥٨/١، ومسلم ٢١٠/١. وفي «المعني» ١١٢/١: لا خلاف في وجوب مسح الرأس، وقد نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَأَسْكُفُوا رُءُوسَكُمْ﴾ واختلف في قدر الواجب، فروي عن أحمد وجوب مسح جميعه في حق كل أحد، وهو ظاهر كلام الخري، ومذهب مالك، وروي عن أحمد: يجزئ مسح بعضه. قال أبو الحارث: قلت لأحمد: فإن مسح برأسه وترك بعضه؟ قال: يجزئه.

(٢) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«تفسير الطبري» ١٤٠/١، و«الكامل» ٢٨٩/١، و«أمالي المرتضى» ٥٤/١، و«أمالي ابن الشجري» ٢/٣٢١، و«شرح الحماسة» للمزوقي ١١٤٧/٣، و«اللسان» مادة: قلد، ونسبه في حواشي ابن القوطية على «الكامل» ١٨٩ طبع ليبسك لعبد الله بن الزبير. ويروى الشطر الأول منه «ورأيت زوجك في الوخى» وفي «اللسان» تقلد الأمر: أحمله وكذلك تقلد السيف.

(٣) تمامه: حتى شئت هائلة عيناها. وهو في «مشكل القرآن» ١٦٥، و«أمالي المرتضى» ٢٥٩/٢، و«أمالي ابن الشجري» ٣٢١/٢، و«الإنصاف» ٢٥٣، و«شرح «شواهد المغني» ٣١٤، و«الخرائفة» ٤٩٩/١. قال الميني: ١٨١/٤: أنشده الأصمعي وغيره، ولم أر أحداً عزاه إلى قائله. وشتت: بمعنى أقامت شتاء، ففي القاموس: شتا باليد: أقام به شتاء، كشتى وشتى. وهماله: من هملت العين: إذا صبت دمعها، وعيناها فاعل «عمالة».

(٤) قال أبو حيان في «البحر» ٤٢٧/٣: وهو تأويل ضعيف جداً، ولم يرد إلا في التمت حيث لا يلبس على خلاف فيه قد قرر في علم العربية.

الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة، وقال أبو عبيدة: ﴿فَطَلَّقَ مَسَّحًا بِالشَّوْقِ﴾، أي: ضرباً، فكان المسح بالآية غسل خفيف. فإن قيل: فالمستحب التكرار ثلاثاً؟ قيل: إنما جاءت الآية بالمفروض دون المسنون. والوجه الثاني: أن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول دون الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح، علم أنه في حكم الغسل لموافقة الغسل في التحديد، وحجة من نصب أنه حمل ذلك على الغسل لاجتماع فقهاء الأمصار على الغسل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ «إلى» بمعنى «مع» والكعبان: العظامان الناثان من جانبي القدم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ أي: فتطهروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد، واجتلبت الهمزة توصلاً إلى النطق بالسكان، وقد بين الله ﷻ طهارة الجنب في سورة (النساء) بقوله: ﴿حَتَّى تَغْتَابُوا﴾ [النساء: ٤٣] وقد ذكرنا هناك الكلام في تمام الآية إلى قوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ و«الحرج»: الضيق، فجعل الله الدين واسعاً حين رخص في التيمم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾ أي: يريد أن يطهركم. قال مقاتل: من الأحداث والجنابة، وقال غيره: من الذنوب والخطايا، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ بِكُمْ عَلَيَّكُمْ﴾ في الذي يتم به النعمة أربعة أقوال: أحدها: بغفران الذنوب. قال محمد بن كعب القرظي: حدثني عبد الله بن دارة، عن حمران قال: مرت على عثمان بفخارة من ماء، فدعا بها فتوضأ، فأحسن الوضوء ثم قال: لو لم أسمع من رسول الله ﷺ غير مرة أو مرتين أو ثلاثاً ما حدثتكم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما توضأ عبد فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى». قال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث التمسته في القرآن، فالتمسْتُ هذا فوجدته في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ لَكَ قَتْمًا نَبِيكًا﴾ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ بِكُمْ عَلَيَّكُمْ﴾ [الفتح: ١، ٢] فعلمت أن الله لم يتم النعمة عليه حتى غفر له ذنوبه، ثم قرأت الآية التي في «المائدة»: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله ﴿وَلِيُتِمَّ بِكُمْ عَلَيَّكُمْ﴾ فعلمت أنه لم يتم النعمة عليهم حتى غفر

(١) قال القرطبي ٩٢/٦: إن لفظ «المسح» مشترك يطلق بمعنى المسح، ويطلق بمعنى الغسل، قال الهروي: أخبرنا الأزهرى أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الدَّارِي عن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري قال: «المسح» في كلام العرب يكون غسلًا ويكون مسحًا، ومنه يقال للرجل إذا توضأ، فغسل أعضائه: قد تمسح، ويقال: مسح الله ما بك: إذا غسلك وطهره من الذنوب. فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن «المسح» يكون بمعنى «الغسل» فترجح قول من قال: إن المراد بقرأة الخفض الغسل، بقرأة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، والتوعد على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجهما الأئمة. وقال الحافظ ابن كثير ٢٦/٢: ومن أحسن ما يستدل به على أن «المسح» يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ٧٥/١ عن النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بكوز من ماء، فأخذ منه حنفة واحدة، مسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن أناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن رسول الله ﷺ صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من لم يحدث». رواه البخاري في «الصحيح» ببعض معناه. قلت: رواه البخاري في «كتاب الأشربة» ٧١/١٠ ولفظه: عن عبد الملك بن مسيرة سمعت النزال بن سبرة يحدث عن علي ﷺ أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رجة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتى بماء فشرب وغسل وجهه ويديه وذكر رأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضله وهو قائم، ثم قال: إن ناساً يكرهون الشرب قائماً، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت. قال الحافظ: وفي رواية بهز: «فأخذ منه كفاً فمسح وجهه وذراعيه ورأسه ورجليه» وكذلك عند الطيالسي «فغسل وجهه ويديه ومسح على رأسه ورجليه» ومثله في رواية عمرو بن مرزوق عند الإسماعيلي. ويؤخذ منه أنه في الأصل: ومسح على رأسه ورجليه، وأن «آدم» - وهو أحد رواة الحديث - توقف في سياقه، فغير بقوله: وذكر رأسه ورجليه. وورق في رواية الأعمش، فغسل يديه ومضغ واستنشق، ومسح بوجهه وذراعيه ورأسه، وفي رواية علي بن الجعد عن شعبة عند الإسماعيلي: مسح بوجهه ورأسه ورجليه. والأحاديث التي جاءت بالنسل كثيرة، ففي البخاري ٢٣٢/١، ومسلم ٢١٤/١ عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرتها، فأدركنا وقد أرقعتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: «أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار» وهو في «الصحيحين» أيضاً من حديث أبي هريرة. وفي «صحيح مسلم» ٢١٣/١ عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للأعقاب من النار»، وروى مسلم ٢١٥/١ عن عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدم، فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع ثم صلى. وروى أبو داود ٨٢/١، وابن ماجه ٢١٨/١ عن أنس بن مالك أن رجلاً أتى النبي ﷺ وقد توضأ وترك موضع الظفر لم يصبه الماء، فقال له النبي ﷺ: «ارجع فأحسن وضوءك» قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح. وفي «الصحيحين» و«السنن» عن عثمان، وعلي، وابن عباس، ومعاوية، وعبد الله بن زيد بن عاصم، والمقدام بن معد يكرب: أن رسول الله ﷺ غسل الرجلين في وضوءه إما مرة أو مرتين أو ثلاثاً، على اختلاف رواياتهم.

لهم<sup>(١)</sup>. والثاني: بالهداية إلى الإيمان، وإكمال الدين، وهذا قول ابن زيد. والثالث: بالرخصة في التيمم، قاله مقاتل، وأبو سليمان. والرابع: ببيان الشرائع، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرِيشَتَهُ الَّتِي وَافَّقَكُمْ بِهَا إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾  
قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني النعم كلها. وفي هذا حث على الشكر. وفي الميثاق أربعة أقوال: أحدها: أنه إقرار كل مؤمن بما آمن به. قال ابن عباس: لما أنزل الله الكتاب، وبعث الرسول، فقالوا: آمنا، ذكرهم ميثاقه الذي أقروا به على أنفسهم، وأمرهم بالوفاء. والثاني: أنه الميثاق الذي أخذه من بني آدم حين أخرجه من ظهروه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والثالث: أنه ما وثق على المؤمنين على لسان نبيه ﷺ من الأمر بالوفاء بما أقروا به من الإيمان. روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الميثاق الذي أخذ من الصحابة على السمع والطاعة في بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: اتقوه في نقض الميثاق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها من إيمان وشك.

﴿وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٨﴾ كُنُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُومُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَقُولُوا مَوْءُودُونَ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت من أجل كفار قريش أيضاً، وقد تقدم ذكرهم في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُومُ قَوْمٍ أَنْ سَدَّكُمْ عَنِ السَّجْدَةِ الْحَرَامِ﴾ روى نحو هذا أبو صالح، عن ابن عباس<sup>(٢)</sup> وبه قال مقاتل. والثاني: أن قريشاً بعثت رجلاً ليقول رسول الله ﷺ، فاطلع الله نبيه على ذلك، ونزلت هذه الآية والتي بعدها، هذا قول الحسن. والثالث: أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية، فهتموا بقتله، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله مجاهد، وقائدة. ومعنى الآية: كونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملكنم بغض قوم على ترك العدل ﴿مَوْءُودُونَ﴾ في الولي والعدو ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: إلى التقوى. والمنى: أقرب إلى أن تكونوا متقين، وقيل: هو أقرب إلى اتقاء النار.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝١١﴾

(١) نسبة السيوطي في «الدر» ٢/٢٤٦ إلى ابن المبارك في «الزهد»، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن دارة عن حمزان مولى عثمان، عن عثمان ﷺ... وقد جاء في فضل الوضوء أحاديث صحاح عن النبي ﷺ. روى مسلم ٢١٦/١ عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره» وروى مالك في «الموطأ» ٣٠/١، والبخاري ٢٢٨/١، ومسلم ٢٥٥/١، والنسائي ٩١/١ عن عثمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها». وروى مسلم ٢٠٩/١، وأبو داود ٨٠/١، والنسائي ٩٢/١، والترمذي ٧٨/١، وابن ماجه ١٥٩/١ عن عتبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجماعت نوتي فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» فقلت: ما أجود هذا! فإذا قاتل بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرت فإذا عمر، قال: إني قد رأيتك جنت آتياً، قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو قُشِعَ، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وزاد الترمذي بعد قوله «ورسوله»: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين» وسندها حسن. وروى مالك ٣٢/١، ومسلم ٢١٥/١، والترمذي ٦/١ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها بركبتيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب» وروى مسلم ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغتو فإتبع نفسه فمضها أو موقها، والطهور» الوضوء. وديوبتها يهلكها.

(٢) في النسخة الأحمدية: روي نحو هذا عن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير ٩٦/١٠ عن عبد الله بن كثير.



قوله تعالى: ﴿وَدَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَلِمَاتُ اللَّهِ لَكُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ في معناها قولان: أحدهما: أن المعنى: وعدهم الله أن يغفر لهم ويأجرهم، فاستغنى بما ذكر عن هذا المعنى. والثاني: أن المعنى: وعدهم فقال: لهم مغفرة. وقد بينا في (البقرة) معنى «الحجيم».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ قَلْبُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من محارب قال لقومه: ألا أقتل لكم محمداً؟ فقالوا: وكيف تقتله؟ قال: أفنك به، فأقبل إلى رسول الله ﷺ وسيفه في حجره، فأخذه، وجعل يهرزه، ويهيم به، فبكته الله، ثم قال: يا محمد ما تخافني؟ قال: لا، قال: لا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: نعمني الله منك، فأغمد السيف، فنزلت هذه الآية، رواه الحسن البصري عن جابر بن عبد الله. وفي بعض الألفاظ: فسقط السيف من يده. وفي لفظ آخر: فما قال له النبي ﷺ شيئاً، ولا عاقبه. واسم هذا الرجل: غورث بن الحارث من محارب خصفة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن اليهود عزموا على الفتك برسول الله ﷺ، فكفاه الله شرهم. قال ابن عباس: صنعوا له طعاماً، فأوجي إليه بشانهم، فلم يأت<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد، وعكرمة: خرج إليهم يستعينهم في دية، فقالوا: اجلس حتى نعطيك، فجلس هو وأصحابه، فخلا بعضهم ببعض، وقالوا: لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن، فمن يظهر على هذا البيت، فيطرح عليه صخرة؟ فقال عمرو بن جحاش: أنا، فجاء إلى رحي عزيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله يده، وجاء جبريل، فأخبره، وخرج، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن بني ثعلبة، وبني محارب أرادوا أن يفتكوا بالنبي وأصحابه، وهم ببطن نخلة في غزاة رسول الله ﷺ السابعة، فقالوا: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم، فإذا سجدوا وقننا بهم، فأطلع الله نبيه على ذلك، وأنزل صلاة الخوف، ونزلت هذه الآية، هذا قول قتادة<sup>(٤)</sup>. والرابع: أنها نزلت في حق اليهود حين ظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ، هذا قول ابن زيد.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال أبو العالية: أخذ الله ميثاقهم أن يخلصوا له العبادة، ولا يعبدوا غيره. وقال مقاتل: أن يعملوا بما في التوراة. وفي معنى النقيب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الضمين، قاله الحسن، ومعناه: أنه ضمين ليعرف أحوال من تحت يده، ولا يجوز أن يكون ضميناً عنهم بالوفاء، لأن ذلك لا يصح ضمانه. وقال ابن قتيبة: هو الكفيل على القوم. والنقابة شبيهة بالعرافة. والثاني: أنه الشاهد، قاله قتادة. وقال ابن

(١) رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١٥٢ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عمرو بن عبيد عن جابر أن رجلاً... وقد سقط من إسناده الحسن، فقد رواه ابن هشام في «السيرة» ٢٠٥/٢ عن ابن إسحاق وحدثني عمرو بن عبيد عن الحسن عن جابر بن عبد الله، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» ص ٦ من طريق معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر. وقصة هذا الأعرابي - وهو غورث بن الحارث - ثابتة في «الصحيحين» بدون ذكر السبب، فقد روى البخاري ٣٣٠/٧، ومسلم ٥٧٦/١ عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن جابر بن عبد الله ﷺ أخبره أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجدة، فلما قتل رسول الله ﷺ قتل معه، فأدركتهم القافلة في وادٍ كثير العضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاء يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمره، فعلق بها سيفه. قال جابر: فمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، فنجئنا، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اختلط سني وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً» فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت له: الله. فها هوذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

(٢) رواه ابن جرير ١٠٥/١٠ وابن أبي حاتم وصنده ضعيف لا يحتج به.

(٣) خبر مجاهد وعكرمة رواه ابن جرير ١٠٢/١٠، وانظر ابن هشام ١٩٠/٢.

(٤) ابن جرير ١٠٥/١٠ وفيه «وهو ببطن نخل» قال الأستاذ محمود شاكر: هكذا قال «في الغزوة السابعة» وهي في كثير من الروايات «الغزوة التاسعة» وهي «غزوة ذي أمر» بنجد، انظر ابن سعد ٢٤/١/٢، و«متاع الأسماح» للمقريزي ١١٠/١. والذي جاء في الأخبار أن صلاة الخوف كانت في السنة السابعة.

فارس: النقيب: شاهد القوم، وضمينهم. والثالث: الأمين، قاله الربيع بن أنس، واليزيدي، وهذه الأقوال تتقارب. قال الزجاج: النقيب في اللغة، كالأمين والكفيل، يقال: نقب الرجل على القوم ينقب: إذا صار نقيباً عليهم، وصناعته النقابة، وكذلك عُرف عليهم: إذا صار عريفاً، ويقال لأول ما يبدو من الجرب: النقبة، ويجمع الثُّقْب والثُّقْب. قال الشاعر:

مَبْذُلًا تَسْبِدُو مُحَاسِنُهُ      يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ<sup>(١)</sup>

ويقال: في فلان مناقب جميلة، وكل الباب معناه: التأثير الذي له عمق ودخول، ومن ذلك نقتب الحائط، أي: بلغت في الثقب آخره، والنقبة من الجرب: داء شديد الدخول. وإنما قيل: نقيب، لأنه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم. ونقل أن الله تعالى أمر موسى وقومه بالسير إلى الأرض المقدسة، وكان يسكنها الجبارون، فقال تعالى: يا موسى اخرج إليها وجاهد من فيها من العدو، وتخذ من قومك اثني<sup>(٢)</sup> عشر نقيباً، من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به، فاخاروا النقباء. وفيما بعثوا له قولان: أحدهما: أن موسى بعثهم إلى بيت المقدس، ليأتوه بخير الجبارين، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنهم بعثوا ضمناً على قومهم بالوفاء بميثاقهم، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي نبوتهم قولان: أحدهما: أنهم ليسوا بأنبياء.

قوله تعالى: ﴿وَسَالَ اللَّهُ﴾ في الكلام محذوف. تقديره: وقال الله لهم. وفي المقول لهم قولان: أحدهما: أنهم بنو إسرائيل، قاله الجمهور. والثاني: أنهم النقباء، قاله الربيع، ومقاتل. ومعنى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، أي: بالعون والنصرة. وفي معنى: ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه الإعانة والنصر، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقطادة، والسدي. والثاني: أنه التعظيم والتوقير، قاله عطاء، واليزيدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضَهُمُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا﴾ في هذا الإقراض قولان: أحدهما: أنه الزكاة الواجبة. والثاني: صدقة التطوع. وقد شرحنا في (البقرة) معنى القرض الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يشير إلى الميثاق ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ قصد الطريق.

﴿فِيمَا نَقَبْنَاهُمْ لِنَقِفْهُمْ لَأُنَاسٍ يَخِشَوْهُمْ فَسَاسٍ يُخَفُّونَ﴾ الكَلِمَةُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَسُوا حَقًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَبْنَاهُمْ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فنقصوا، فنقبضهم لعناهم. وفي المراد بهذه اللعنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التعذيب بالجزية، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب بالمسخ، قاله الحسن، ومقاتل. والثالث: الإبعاد من الرحمة، قاله عطاء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَعْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قاسية» بالألف، يقال: قست، فهي قاسية، وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، عن عاصم: «قسيّة» بغير ألف مع تشديد الياء،

(١) البيت للبريد بن الصمة من جملة أبيات في «الشعر والشعراء» ٣٠٢/١ و«الأغاني» ٢٢/١٠، و«اللسان» مادة نقب، قالها في الخساء بنت عمرو بن الشريد، وقد مر بها وهي تنها بغيراً لها، قود تبدلت حتى فرغت منه، ثم نصت عنها ثيابها فاغسلت، ودريد يراها وهي لا تشعر به، فأعجبته، فانصرف إلى رحله وأنا يقول:

خَيَاوَا ثَمَاضَرَّ وَارِبَمَاوَا صَخْبِي      وَفُئُوا فِلَانٍ وَفَوْفَكُم خَسْبِي  
أَخْشَانُ قَدَمَاهُ الْفَوَادُ بِكُمْ      وَأَصْحَابُهُ تَبَلُّ مِنَ الْحُبِّ  
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا مَمَمْتُ بِهِ      كَالْيَوْمِ طَالِي أَيْنَقُ جُرْبِ  
مَتَبَذَّلًا تَسْبِدُو مُحَاسِنُهُ      يَضْعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ الثُّقْبِ  
مَتَحَنَّنًا نَضَحَ الْهِنَاءُ بِهِ      نَضَحَ الْمَعْبِرُ بِرِيطَةِ الْمَضْبِ  
فَلَيْسَ مِنْهُمْ عُنْيِي خُشْنُاسُ إِذَا      عَفَى الْجَمِيعَ الْخُطْبُ مَا خُطْبِي

فخطبها إلى أبيها فردته وقالت: أتراني تاركة بني عمي كأنهم عوالي الرماح، ومرة شيخ بني جشم؟

(٢) في الأحمدية «اثنا عشر» وهو خطأ.

لأنه قد يجيء فاعل وفعل، مثل شاهد وشهيد، وعالم وعليم. «والقسوة»: خلاف اللين والرقة. وقد ذكرنا هذا في (البقرة). وفي تحريفهم الكلم ثلاثة أقوال: أحدها: تغيير حدود التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: تغيير صفة محمد ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: تفسيره على غير ما أنزل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ مبيّن في سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ احْتِسَابُ حَقِّهَا وَمِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ النسيان هاهنا: الترك عن عمد. والحظ: النصيب. قال مجاهد: نسوا كتاب الله الذي أنزل عليهم. وقال غيره: تركوا نصيبهم من الميثاق المأخوذ عليهم. وفي معنى ﴿ذُكِّرُوا بِهِ﴾ قولان: أحدهما: أمروا. والثاني: أوصوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ وقرأ الأعمش «على خيانة منهم» قال ابن قتيبة: الخائنة: الخيانة. ويجوز أن تكون صفة للخائين، كما يقال: رجل طاغية، ورواية لحديث. قال ابن عباس: وذلك مثل نقض قرينة عهد رسول الله ﷺ، وخروج كعب بن الأشرف إلى أهل مكة للتحريض على رسول الله ﷺ ﴿وَلَا يَلِيكَ مِنْهُمْ﴾ لم ينقضوا العهد، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه. وقيل: بل القليل ممن لم يؤمن.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْتَفَ عَنْهُمْ وَآمَنَ﴾ واختلّفوا في نسخها على قولين: أحدهما: أنها منسوخة، قاله الجمهور. واختلّفوا في ناسخها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آية السيف. والثاني: قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [التوبة: ٢٩] والثالث: قوله: ﴿وَلَمَّا تَخَفْتُمْ مِنْ قَوْرِ حِيَاةٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]. والثاني: أنها نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد، فغدروا، وأرادوا قتل النبي ﷺ، فآظمه الله عليهم، ثم أنزل الله هذه الآية، ولم تنسخ. قال ابن جرير: يجوز أن يعفى عنهم في غدره فعلوها، ما لم ينصبوا حرباً، ولم يمتنعوا من أداء الجزية والإقرار بالصغار، فلا يتوجّه النسخ. (١)

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّهُ أَخَذْنَا مِنْهُمْ كَيْفًا فَكَسُوا حَقًّا وَمِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَاعْتَرَيْنَا بينهم أَلْهَادًا وَابْتِغَاءً لِكُلِّ يَوْمٍ إِلِيَّكُمْ وَسَوْفَ يُنْفِئُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّهُ أَخَذْنَا مِنْهُمْ كَيْفًا﴾ قال الحسن: إنما قال: ﴿قَالُوا إِنَّا نَصَرُّهُ﴾، ولم يُقَل: من النصارى، ليدل على أنهم ليسوا على منهاج النصارى حقيقة، وهم الذين اتبعوا المسيح. وقال قتادة: كانوا بقرية، يقال لها: ناصرة، فسمّوا بهذا الاسم. قال مقاتل: أخذ عليهم الميثاق، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد، فتركوا ما أمروا به.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْتَرَيْنَا بينهم﴾ قال النضر: هيّجنا، وقال المؤرج: حرّشنا بعضهم على بعض. وقال الزجاج: ألصقنا بهم ذلك، يقال: غريت بالرجل غري مقصوراً: إذا لصقت به، هذا قول الأصمعي. وقال غير الأصمعي: غريت به غراءً ممدود، وهذا الغراء الذي يُغرى به إنما يُلصق به الأشياء، ومعنى أغرينا بينهم العداوة والبغضاء: أنهم صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً. وفي الهاء الميم من قوله «بينهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى اليهود والنصارى، قاله مجاهد، وقاتدة، والسدي. والثاني: أنها ترجع إلى النصارى خاصة، قاله الربيع. وقال الزجاج: هم النصارى، منهم النسطورية، واليعقوبية، والملكية، وكل فرقة منهم تعادي الأخرى. وفي تمام الآية وعيد شديد لهم.

﴿يَتَأَخَّلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُكُمْ يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ كَثِيرًا قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾

(١) نص كلام ابن جرير ١٣٥/١٠ قال أبو جعفر: والذي قاله قتادة وهو أن الآية منسوخة بقوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ - غير مدفوع إمكانه، غير أن الناسخ الذي لا شك فيه من الأمر، هو ما كان نافية كل معاني خلافه الذي كان قبله، فاما ما كان غير نافٍ جميعه، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلا بخبر من الله ﷻ أو من رسوله ﷺ، وليس في قوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَلْبِزُ الْآخِر...﴾ دلالة على الأمر بنفي معاني الصّح والعفو عن اليهود. وإذا كان ذلك كذلك وكان جائزاً مع إقرارهم بالصغار وأدانهم الجزية بعد القتال الأمر بالعفو عنهم في غدره هموا بها، أو نكته غرموا عليها، ما لم ينصبوا حرباً دون أداء الجزية ويمتنعوا من الأحكام اللازمهم - لم يكن واجباً أن يحكم لقوله: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَلْبِزُ الْآخِر...﴾ الآية، بأنه ناسخ قوله: ﴿فَأَعْتَفَ عَنْهُمْ وَآمَنَ﴾ لأن الله يُبَيِّنُ الشَّيْءَ.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَفَّلَ الْكُتَّابُ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود. والثاني: اليهود والنصارى. والرسول: محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَبِيتُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: أخفوا آية الرجم<sup>(١)</sup> وأمر محمد ﷺ وصفته ﴿وَيَقْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ يتجاوز، فلا يخبرهم بكتمانه. فإن قيل: كيف كان له أن يمسك عن حق كتموه فلا يبينه؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه كان متلقياً ما يؤمر به، فإذا أمر بإظهار شيء من أمرهم، أظهره، وأخذهم به، وإلا سكت. والثاني: أن عقد اللزمة إنما كان على أن يُقرّوا على دينهم، فلما كتموا كثيراً مما أمروا به، واتخذوا غيره ديناً، أظهر عليهم ما كتموه من صفته وعلامة نبوته، لتتحقق معجزته عندهم، واحتكموا إليه في الرجم، فأظهر ما كتموا مما يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقق إقرارهم على دينهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ قال قتادة: يعني بالنور: النبي محمداً ﷺ. وقال غيره: هو الإسلام، فاما الكتاب المبين، فهو القرآن.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكَ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ يعني: بالكتاب. ورضوانه: ما رضى الله تعالى. و«السُّبُل»، جمع سبيل، قال ابن عباس: سبل السلام: دين الإسلام. وقال السدي: «السلام»: هو الله، و«سبله»: دينه الذي شرعه. قال الزجاج: وجائز أن يكون «سبل السلام» طريق السلامة التي من سلكها سليم في دينه، وجائز أن يكون «السلام» اسم الله عز وجل، فيكون المعنى: طرق الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ قال ابن عباس: يعني الكفر «إِلَى النُّورِ» يعني: الإيمان «بِإِذْنِهِ» أي: بأمره «وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» وهو الإسلام. وقال الحسن: طريق الحق.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ قَمَنَ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَاسْمُهُ وَاسْمُهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال ابن عباس: هؤلاء نصارى أهل نجران، وذلك أنهم اتخذوه إلهاً «قُلْ قَمَنَ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أي: فمن يقدر أن يدفع من عذابه شيئاً «إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» أي: فلو كان إلهاً كما تزعمون لقدّر أن يرده أمر الله إذا جاءه بإهلاكه أو إهلاك أمه، ولما نزل أمر الله بأمته لم يقدر أن يدفع عنها. وفي قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ردّ عليهم حيث قالوا للنبي: فهات مثله من غير أب. فإن قيل: فلم قال «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» ولم يقل: وما بينهما؟<sup>(٢)</sup> فالجواب أن المعنى: وما بين هذين النوعين من الأشياء، قاله ابن جرير.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلْ فَلِمَ يُذَوِّبُكُمْ بِأَسْمَاءِكُمْ يَذُوِّبُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَمُذِّبُ مَنِ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ قال مقاتل: هم يهود المدينة، ونصارى نجران. وقال السدي: قالوا: إن الله تعالى أوحى إلى إسرائيل: إن ولدك بكري من الولد<sup>(٣)</sup>، فادخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم، وتأكل خطاياهم، ثم ينادي مناد: أخرجوا كلّ مختون من بني إسرائيل. وقيل: إنهم لما قالوا: المسيح ابن الله، كان

(١) ابن جرير ١٠/١٤١، والحاكم في المستدرک ٤/٣٥٩ قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) في النسخة الأحمدية «وما بينهم» والتصويب من نسخة «الرباط» والطبري.

(٣) الخبر في «الطبري» ٦/١٢٠، وابن كثير ٢/٣٥ ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم. وجاء في «الطبري» ١٠/١٥١: «إن الله أوحى إلى بني إسرائيل أن ولدنا من ولدك فادخلهم النار...» وقال الأستاذ محمود شاكر في «المخطوطة»: «إلى إسرائيل إن ولدك من الولد أدخلهم النار» وهو خلط بلا معنى صوابه ما في المطبوعة على الأرجح. قلت: الصواب ما جاء في «المخطوطة» بزيادة «بكري» كما وردت في الأصل وفي «تفسير ابن كثير» وغيره.



معنى قولهم: ﴿تَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ﴾ أي: منا ابن الله. وفي قوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إبطال لدعواهم، لأن الأب لا يعذب ولده، والحيب لا يُعَذَّبُ حبيبه<sup>(١)</sup> وهم يقولون: إن الله يعذبنا أربعين يوماً بالنار. وقيل: معنى الكلام: فلم يعذب منكم من مسخه قرودة وخنازير؟ وهم أصحاب السبت والمائدة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْنُ خَلْقٍ﴾ أي: أنتم كسائر بني آدم تُجَارُونَ بالإحسان والإساءة. قال عطاء: يغفر لمن يشاء، وهم الموحدون، ويعذب من يشاء، وهم المشركون.

﴿يَا هَلْ أَلِيكُمْ مَدَّ جَاءَكُمْ رَسُولًا يَتَّبِعُ لَكُمْ عَلَى فَرَقٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا هَلْ أَلِيكُمْ مَدَّ جَاءَكُمْ رَسُولًا﴾ سبب نزولها: أن معاذ بن جبل، وسعد بن عباد، وعقبة بن وهب، قالوا: يا معشر اليهود اتقوا الله، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، كنتم تذكرونه لنا قبل بيعته، وتصفونه بصفته. فقال وهب بن يهودا<sup>(٢)</sup>، ورافع: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله بعد موسى من كتاب، ولا أرسل رسولا بشيراً ولا نذيراً [بعده]، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. فاما «الفترة» فأصلها السكون، يقال: فتر الشيء يفتر فتوراً: إذا سكنت حدته، وانقطع عما كان عليه، والطرف الفاتر: الذي ليس بحديد. والفتور: الضعف. وفي مدة الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ أربعة أقوال: أحدها: أنه كان بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وبه قال سلمان الفارسي، ومقاتل. والثاني: خمسمائة سنة وستون سنة، قاله قتادة. والثالث: أربع مائة وبضع وثلاثون سنة، قاله الضحاك. والرابع: خمسمائة سنة وأربعون سنة، قاله ابن السائب. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ﴿عَلَى فَرَقٍ مِّنْ أَرْسُلٍ﴾ أي: انقطاع منهم، قال: وكان بين ميلاد عيسى، وميلاد محمد ﷺ خمسمائة سنة وتسعة وتسعون سنة، وهي فترة. وكان بعد عيسى أربعة من الرسل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]. قال: والرابع لا أدري من هو. وكان بين تلك السنين مائة سنة، وأربع وثلاثون نبوة وسائرهما فترة. قال أبو سليمان الدمشقي: والرابع - والله أعلم - خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله ﷺ ﴿نَبِيٌّ ضَمِيْعُهُ قَوْمُهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ قال الفراء: كي لا تقولوا: [ما جاءنا من بشير]<sup>(٦)</sup>، مثل قوله: ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال غيره: لثلاث تقولوا، وقيل: كراهة أن تقولوا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوِّمُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَمَعَ لَكُمْ مِلَّةً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾

(١) روى الإمام أحمد ١٠٤/٣ قال: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسمى، وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته فقال القوم: يا رسول الله ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال: فخفضهم النبي ﷺ، فقال: «لا، والله لا يلقي حبيبه في النار» قلت: وإسناده صحيح، وحميد الطويل وإن قال بعضهم: إنه يدل على أنس، فإن الرواية بين وبين أنس ثابت، وهو ثقة صحيح كما قال الحافظ العلائي.

(٢) في «الطبري»، و«السيرة» و«الذكر المثنوي»: «يهودا» بالذال.

(٣) ابن هشام ٥٦٣/١، وابن جرير ١٥٥/١٠ وفي سنده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول. وزاد السيوطي نسبته في «الدر» ٢٢٩/٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الذلال».

(٤) ونسبه ابن كثير إلى أبي عثمان النهدي وقاتدة في رواية عنه، ورواه البخاري عن سلمان الفارسي. قال ابن كثير: وهو المشهور.

(٥) روى البخاري ٣٥٤/٦، ومسلم ١٨٣٦/٤ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ بِمِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ» قال الحافظ ابن كثير ٣٥/٢: وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له: خالد بن سنان، كما حكاه القاضي وغيره. وقال الحافظ في «الفتح»: واستدل به، أي: بالحديث على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبيا ﷺ وفيه نظر، لأنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة (يس) كانوا من أتباع عيسى، وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين، وكانا بعد عيسى. والجواب أن هذا الحديث يُضَمُّ ما ورد من ذلك، فإنه صحيح بلا تردد، وفي غيره مقال، أو المراد أنه لم يبعث بعد عيسى نبي بشريعة مستقلة، وإنما بعث بعده من بعث بتقرير شريعة عيسى. وقصة خالد بن سنان أخرجه الحاكم في «المستدرک» من حديث ابن عباس، ولها طرق جمعتها في ترجمته في كتابي في الصحابة. قلت: يريد كتاب «الإصابة» فانظر ٤٥٨/١.

(٦) ما بين معنيين من «معاني القرآن» للفراء ٣٠٣/١.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ نُبِيًّا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى، وانطلقوا معه إلى الجبل، جعلهم الله أنبياء بعد موسى وهارون، وهذا قول ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء الذين أُرسلوا من بني إسرائيل بعد موسى، ذكره الماوردي. وبماذا جعلهم ملوكاً؟ فيه ثمانية أقوال: أحدها: بالمن والسلوى والحجر. والثاني: بأن جعل للرجل منهم زوجةً وخادماً. والثالث: بالزوجة والخادم والبيت<sup>(١)</sup>، رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس، وهذا الثالث اختيار الحسن، ومجاهد. والرابع: بالخادم والبيت، قاله عكرمة. والخامس: بتخليصهم الخدم، وكانوا أول من تملك الخدم، ومن اتخذ خادماً فهو ملك، قاله قتادة، والسادس: بكونهم أحراراً يملك الإنسان منهم نفسه وأهله وماله، قاله السدي. والسابع: بالمنازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضحاك. والثامن: بأن جعل لهم الملك والسلطان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَمَا تَمُوتُ أَحَدًا مِنْ الْأَحْيَاءِ﴾ اختلفوا فيمن خوطب بهذا على قولين: أحدهما: أنهم قوم موسى، وهذا مذهب ابن عباس، ومجاهد. قال ابن عباس: ويعني بالعالمين: الذين هم بين ظهرانيهم<sup>(٢)</sup>. وفي الذي أتاهم ثلاثة أقوال: أحدها: المن والسلوى والحجر والغمام، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثاني: أنه الدار والخادم والزوجة، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن جرير: ما أوتي أحد من النعم في زمان قوم موسى ما أوتوا. والثالث: كثرة الأنبياء فيهم، ذكره الماوردي. والثاني: أن الخطاب لأمه محمد ﷺ، وهذا مذهب سعيد بن جبيرة<sup>(٣)</sup>، وأبي مالك.

﴿يَتَقَوَّمُوا أَرْضَ الْمَقْدَسَةِ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَسِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَقَوَّمُوا أَرْضَهُ﴾ وقرأ ابن محيصن: يا قوم، بضم الميم، وكذلك ﴿يَتَقَوَّمُوا أَرْضَهُ﴾ و﴿يَتَقَوَّمُوا أَرْضَهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] وفي معنى «المقدسة» قولان: أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس، والزجاج. قال: وقيل للسطل: القدس، لأنه يُطَهَّر منه، وسُمي بيت المقدس، لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سمّاها مقدسة، لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين. والثاني: أن المقدسة: المباركة، قاله مجاهد. وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال: أحدها: أنها أريحا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن زيد. قال السدي: أريحا: هي أرض بيت المقدس. وروي عن الضحاك أنه قال: المراد بهذه الأرض إيلياء وبيت المقدس. قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائفة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بكة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس. فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن إيلياء بيت المقدس، وهو معرّب. قال الفرزدق:

وَبَيْتَانِ بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَائُهُ

وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيلْيَاءٍ مُشْرِفٌ<sup>(٤)</sup>

والقول الثاني: أنها الطور وما حوله، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به. والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى أمركم وفرض عليكم دخولها، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه بمعنى: وهبها الله

(١) روى مسلم في «صحيحه» ١١٠/١٨ بشرح النووي، وابن جرير ١٦١/١٠ عن أبي عبد الرحمن الخُبَازي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل، فقال: ألسنا من قراء المهاجرين، فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً، قال: فأت من الملوك.

(٢) قال ابن كثير: ٣٧/٢: والمقصود كانوا أفضل زمانهم، ولا فهذه الأمة أشرف منهم وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجاً، وأكرم نبياً، وأعظم ملوكاً، وأغزر أرزاقاً، وأكثر أموالاً وأولاداً، وأوسع مملكة، وأدوم عزاً. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وخبر ابن عباس رواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٢/٢: قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أثر سعيد بن جبيرة رواه ابن جرير ١٦٤/١٠ عن السدي.

(٤) «ديوانه» ٣٢/٢، و«المعرب» ٣٢، و«معجم البلدان» ٣٩٢/١، و«اللسان»: مادة «أيل» وفي النسخة الأحمدية: «وبنيان» وهو تصحيف. وإيلياء: بكسر الهمزة في أوله ثم ياء، ثم لام مكسورة ثم ياء وألف ممدودة. قال في «القاموس»: ويقصر ويشد فيهما، وإلياً: بياء واحدة ويقصر.

لكم، قاله محمد بن إسحاق. وقال ابن قتيبة: جعلها لكم. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أنها مساكنكم. فإن قيل: كيف قال: فإنها محرمة عليهم، وقد كتبها لهم؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه إنما جعلها لهم بشرط الطاعة، فلما عصوا حرّمها عليهم. والثاني: أنه كتبها لبني إسرائيل، وإليهم صارت، ولم يعن موسى أن الله كتبها للذين أُمِرُوا بدخولها بأعيانهم. قال ابن جرير: ويجز أن يكون الكلام خرج مخرج العموم، وأريد به الخصوص، فتكون مكتوبة لبعضهم، وقد دخلها يوشع، وكالب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدُّوا عَلَى آذَانِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا ترجعوا عن أمر الله إلى معصيته. والثاني: لا ترجعوا إلى الشرك به.

﴿قَالُوا يَتَّبِعُونَ إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال الزجاج: الجبار من الآدميين: الذي يُجبر الناس على ما يريد، يقال: جبار: بَيْنُ الْجَبَرِيَّةِ، والجَبَرِيَّةُ بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوتُ والجَبُورَةُ والتَّجْبَار والتَّجْبُرُوت. وفي معنى وصفه هؤلاء الجبارين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ذوي قوّة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا عظام الخلْق والأجسام، قاله قتادة. والثالث: أنهم كانوا قَتَّالِينَ، قاله مقاتل.

### الإشارة إلى القصّة

قال ابن عباس: لما نزل موسى وقومه بمدينة الجبارين، بعث اثني عشر رجلاً ليأتوه بخبرهم، فلقبهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فأتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا، فقالوا لهم: من أين أنتم؟ فقالوا: نحن قوم موسى بعثنا لتأتيه بخبركم، فأعطوهم حَبَّةً من عنبٍ توقر الرجل، وقالوا لهم: قولوا لموسى وقومه: اقدروا قدر فلكهم، فلما رجعوا، قالوا: يا موسى إن فيها قوماً جبارين. وقال السدي: كان الذي لقيهم، يقال له: عاج، يعني: عوج بن عناق، فأخذ الاثني عشر، فجعلهم في حُجْرته وعلى رأسه حُزْمة حطب، وانطلق بهم إلى امرأته، فقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها، وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقلت امرأته: لا، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا. فلما خرجوا قالوا: يا قوم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم، ارتدوا عن نبي الله، فأخذوا الميثاق بينهم على كتمان ذلك، فنكث عشرة، وكنتم رجلاً. وقال مجاهد: لما رأى الثقباء الجبارين وجدوهم يدخل في كُفٍّ أحدهم اثنان منهم، ولا يحمل عنقود عنهم إلا خمسة أو أربعة، ويدخل في شطر الزمانة إذا نزع حبّها خمسة أو أربعة، فرجع الثقباء كلُّهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع، وابن يوقنا<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا أَدْعَلَا عَلَيْهِمُ الْآبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ في الرجلين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: ابن يوقنا، وهما من الثقباء. والثاني: أنهما كانا من الجبارين فأسلما، روي عن ابن عباس. والثالث: أنهما كانا في مدينة الجبارين، وهما على دين موسى، قاله الضحاك. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبیر، وأبو رجاء، وأيوب: «يُخَافُونَ» بضم الياء، على معنى أنهما كانا من العدو، فخرجاً مؤمنين. وفي معنى «خوفهم» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خافوا الله وحده. والثاني: خافوا الجبارين، ولم يمنعهم خوفهم قول الحق. والثالث: يُخَافُ منهم، على قراءة ابن جبیر. وفيما أنعم به عليهما أربعة أقوال: أحدها: الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: الصلاح والفضل واليقين، قاله عطاء. والثالث: الهدى، قاله الضحاك. والرابع: الخوف، ذكره ابن جرير عن بعض السلف.

(١) كان الأجدر بالمنصف أن لا يذكر هذه الأخبار الإسرائيلية الكاذبة التي وضعا القصص ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم، فدونها في كثير من التفسير. وغير لنا أن نتصر في وصفهم على ما ذكر الله تعالى في الآيات الكريمة دونما زيادة.

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ قال ابن عباس: قال الرجلان: ادخلوا عليهم باب القرية، فإنهم قد ملئوا منا رعباً وفرقاً.

﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَوْ نَدَخَلُهَا أَذْكًا مَا كَانُوا فِيهَا فَآذَنَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَخَدْتِكُمْ إِنَّا هُنَا قَائِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَآذَنَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَخَدْتِكُمْ﴾ قال ابن زيد: قالوا له: انظر كما صنع ربك بفرعون وقومه، فليصنع بهؤلاء. وقال مقاتل: فآذنب أنت وسل ربك النصر. وقال غيرهما: إذهب أنت وليجزيك ربك. قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد شهيداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عُذِلَ به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق لذلك وجهه وسر به<sup>(١)</sup>. وقال أنس: استشار رسول الله ﷺ الناس يوم خرج إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم، فأشار عليه عمر فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، فقالوا: يا رسول الله! لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغمام لكنا معك<sup>(٢)</sup>.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَبِلْ الْقَوْلَ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ فيه قولان: أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه. والثاني: لا أملك إلا نفسي وإلا أخي، أي: وأملك طاعة أخي، لأن أخاه إذا أطاعه فهو كالملك له، وهذا على وجه المجاز، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما نفعني مال [قط] ما نفعني مال أبي بكر» فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله<sup>(٣)</sup> يعني: أنني متصرف حيث صرقتني، وأمرك جائز في مالي.

قوله تعالى: ﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَبِلْ الْقَوْلَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: اقض بيننا وبينهم. وقال أبو عبيدة: باعد، وافصل، وميّر. وفي المراد بالفاسقين ثلاثة أقوال: أحدها: العاصون، قاله ابن عباس. والثاني: الكاذبون، قاله ابن زيد. والثالث: الكافرون، قاله أبو عبيدة. قال السدي: غضب موسى حين قالوا له: اذهب أنت وربك، فدعا عليهم، وكان عجلة من موسى عجلها.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَهَيُوتُ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْرِ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ الإشارة إلى الأرض المقدسة. ومعنى تحريمها عليهم: منعهم منها. فأما نصب الأربعين، فقال الفراء: هو منصوب بالتحريم، وجائز أن يكون منصوباً بـ «يهيئون»<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج: لا يجوز أن يتنصب بالتحريم، لأن التفسير جاء أنها محرمة عليهم أبداً. قلت: وقد اختلف المفسرون في ذلك، فذهب الأكثرون،

(١) «المسند» ٢٥٩/٥، ٦٥/٦، ١٧٤، والبخاري ٢٢٣/٧، ٢٠٥/٨، والحاكم في «المستدرک» ٣٤٩/٣، وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» عن البخاري، ثم قال: انفرد به البخاري دون مسلم، فرواه في مواضع من «صحيحه». وقوله: «مما عُذِلَ به» قال الحافظ: بضم المهملة وكسر الدال المهملة، أي: وزن، أي: من كل شيء يقابل ذلك من الذنوبات.

(٢) «المسند» ٩٧/٢٠ بترتيب الساعاتي. ورواه النسائي وابن حبان وابن مردويه. قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣٦٣/٣ بعدما رواه عن «المسند»: وهذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح. وبرك الغمام: قال في «النهاية» بفتح الباء وتكسر، وتضم الفين وتكسر، وهو موضع باليمن. وقال السهيلي في «الروض الألف» ٦٥/٢: وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحجة.

(٣) «المسند» ١٨٣/١٣، وابن ماجه ٣٦٦/١. وقال البوصيري في «زوائد»: إسناده إلى أبي هريرة في مقال، لأن سليمان بن مهران الأعمش يئلس وكذا أبو معاوية إلا أنه صرح بالحديث، فزال التلبس، وبقي رجاله رجال الصحيح، وتعبه الشيخ أحمد شاکر في شرح «المسند» بقوله: وهذا تعليل منه غير جيد ولا سديد، فإنه - كما قال - قد صرح أبو معاوية والأعمش بالحديث في رواية ابن ماجه، فلم يبق موضع للكلام، ولا يسمى هذا الإسناد حديثاً بأن فيه مقالاً. ثم رواية أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح صحيحة على شرط الشيخين، والصحيحان روايا الكثير بهذا الإسناد. قلت: الذي في «سنن ابن ماجه» تصريح أبي معاوية بالسماع، وأما الأعمش فلم يصرح. ورواه ابن حبان في «صحيحه» ٣٣١/٢ من مصورة «التفاسيم والأنواع» وذكر السيوطي أوله في «الجامع الصغير» ونسبه لأحمد وابن ماجه ورمز له بالحسن، وزاد شارحه المناوي أنه رواه أبو يعلى أيضاً، ثم قال: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل وهو ثقة مأمون، وليس هذا الحديث من شرط «الزوائد» للهيثمي، ولم يوجد فيه.

(٤) في «المكبري» ٢١٣/١: «أربعين سنة» ظرف لـ «محرمه» فالتحريم على هذا مقدار «وبتهون» حال من الضمير المجزوء، وقيل: هي ظرف لـ «وبتهون»، فالتحريم على هذا غير مؤقت.



منهم عكرمة، وقتادة، إلى ما قال الزجاج، وأنها حرّمت عليهم أبداً. قال عكرمة: فإنها محرمة عليهم أبداً يتيهون في الأرض أربعين سنة، وذهب قومٌ، منهم الربيع بن أنس، إلى أنها حرّمت عليهم أربعين سنة، ثم أمروا بالسير إليها، وهذا اختيار ابن جرير. قال: إنما نصبت بالتحريم، والتحريم كان عاماً في حق الكل، ولم يدخلها في هذه المدة منهم أحد، فلما انقضت، أذن لمن بقي منهم بالدخول مع ذراريهم. قال أبو عبيدة: ومعنى: يتيهون: يحورون ويضلون<sup>(١)</sup>.

### الإشارة إلى قصّتهم

قال ابن عباس: حرّم الله على الذين غصّوا دُخُولَ بيت المقدس، فلبثوا في تيههم أربعين سنة، وماتوا في التيه، ومات موسى وهارون، ولم يدخل بيت المقدس إلا يوشع وكالب بأبناء القوم، وناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتحها. وقال مجاهد: تاهوا أربعين سنة يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا. وقال السدي: لما ضرب الله عليهم التيه، ندم موسى على دعائه عليهم، وقالوا له: ما صنعت بنا، أين الطعام؟ فانزل الله المنّ. قالوا: فأين الشراب؟ فأمر موسى أن يضرب بعصاه الحجر. قالوا: فأين الظل؟ فظلّل عليهم الغمام. قالوا: فأين اللباس؟ وكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان، ولا يتخرّق لهم ثوب، وقُبض موسى ولم يبق أحد ممن أبى دخول قرية الجبارين إلا مات، ولم يشهد الفتح. وفيه قول آخر أنه لما مضت الأربعون خرج موسى ببني إسرائيل من التيه، وقال لهم: ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حي شتتم رغداً، وادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة. إلى آخر القصة. وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي: وهذا الصحيح، وأن موسى هو الذي فتح مدينة الجبارين مع الصالحين من بني إسرائيل، لأن أهل السيرة أجمعوا على أن موسى هو قاتل عوج، وكان عوج ملكهم، وكان بلعم بن باعوراء فيمن سباه موسى وقتله، ولم يدخل مع موسى من قدمائهم غير يوشع وكالب، وإنما حرّمت على الذين لم يطيعوا. وفي مسافة أرض التيه قولان: أحدهما: تسعة فراسخ، قاله ابن عباس. قال مقاتل: هذا عرضها، وطولها ثلاثون فرسخاً. والثاني: ستة فراسخ في طول اثني عشر فرسخاً، حكاه مقاتل أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْفِيَةِ﴾ قال الزجاج: لا تحزن على قوم شأنهم المعاصي، ومخالفة الرسل<sup>(٢)</sup>. وقال ابن قتيبة: يقال: أسيت على كذا، أي: حزنت، فأنا آسي أسى.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ النبا: الخبر. وفي ابني آدم قولان: أحدهما: أنهما ابناه لصلبه، وهما قابيل وهابيل، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهما أخوان من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلب، هذا قول الحسن، والعلماء على الأول، وهو أصح، لقوله: ﴿كَيْفَ يُؤَدِّي سَوَاءَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] ولو كان من بني إسرائيل، لكان قد عرف الدفن، ولأن النبي ﷺ قال عنه: «إنه أول من سن القتل»<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى:

(١) في مجاز القرآن: ١٦٠: أي: يحورون ويحارون ويضلون. وفي «الطبري» ١٩٩/١٠: يحارون ويضلون. قلت: وجاء في هامش نسخة الرباط ما نصه: لملة: يحارون.

(٢) قال الحافظ ابن كثير ٤٠/٢: بعد تفسير الآيات: وهذه القصة تضمنت ترغيب اليهود، وبيان فضائلهم ومخالفاتهم لله ولرسوله، ونكولهم عن طاعتها فيما أمرهم به من الجهاد، فضمنت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالتهم ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله وكتابه وصفه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يمدح بالنصر والظفر بأعدائهم، وهذا مع ما شاهدوا من فعل الله بدمهم فروع من العذاب والنكال، والفرق له ولجنوده في اليوم وهم ينظرون، لئلا يهينهم، وما بالمد من قدم، ثم يتكلمون عن مقاتلة أهل بلد ي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر الممشار في عدة أهلها وعددهم. فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وانفضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الليل. هذا وهم في جهلهم بعمهون، وفي غيهم بترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداءه، ويقولون مع ذلك: نحن أبناء الله وأحباؤه!! قبح الله وجوههم التي سخ منها الخزائير والقروء، والزمهم لعنة تصحبه إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود، وقد فعل، وله الحمد من جميع الوجود.

(٣) «المفسنة» ٢٢٦/٥، والبخاري ٢٦٦/٦، ١٦٩/١٢، ٢٥٦/١٣، ومسلم ١٣٠٣/٣، والترمذي ٩٢/٢، والنسائي ٨٢/٧، وابن ماجه ٨٧٣/٢ من حديث ابن مسعود مرفوعاً، ولفظه: «لا تقتل نفس ظمأً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل» وقوله: «كفل منها» الكفل،

﴿يَا لِحَقِّي﴾ أي: كما كان. والقربان: فعلان من القرب، وقد ذكرناه في (آل عمران). وفي السبب الذي قربا لأجله قولان: أحدهما: أن آدم ﷺ كان قد نُهي أن يُنكِحَ المرأةَ أخاها الذي هو توأماها<sup>(١)</sup>، وأجبر له أن يُنكِحَها غيره من إخوتها، وكان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فولدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أختك، وأنكحك أختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحق بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة صاحب غنم، فقال: هَلُمَّ فَلْنَقْرَبْ قَرِيبَانَا، فأبينا تَقَبُّلَ قَرِيبَانِهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصَبْرَةٍ<sup>(٢)</sup> من طعام، فَتَقَبَّلَ الكَبِشَ، فحزنه الله في الجنة أربعين خريفاً، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحب الحرث، فَوَلَّدَ آدَمُ كُلَّهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْكَافِرِ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنهما قَرِيبَا من غير سبب<sup>(٤)</sup>. روى العوفي عن ابن عباس أن ابني آدم كانا قاعدَيْنِ يوماً، فقالا: لو قَرِيبَا قَرِيبَانَا، فجاء صاحب الغنم بغير غنمه وأسمنها، وجاء الآخر ببعض زرع، فنزلت النار، فأكلت الشاة، وترك الزرع، فقال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أن قربانك تَقْبَلُ، وأنت خير مني! لَأَقْتُلَنَّكَ. واختلفوا هل قابيل وأخته ولدا قبل هابيل وأخته، أم بعدهما؟ على قولين، وهل كان قابيل كافراً أو فاسقاً غير كافراً؟ فيه قولان. وفي سبب قبول قربان هابيل قولان: أحدهما: أنه كان أتقى لله من قابيل. والثاني: أنه تقرب بخيار ماله، وتقرب قابيل بشر ماله. وهل كان قربانها بامر آدم، أم من قبل أنفسهما؟ فيه قولان: أحدهما: أنه كان وآدم قد ذهب إلى زيارة البيت. والثاني: أن آدم أمرهما بذلك. وهل قُتل هابيل بعد تزويج أخت قابيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه قتله قبل ذلك لثلاث يصل إليها. والثاني: أنه قتله بعد نكاحها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وروى زيد عن يعقوب: «لَأَقْتُلَنَّكَ» بسكون النون وتخفيفها. والقائل: هو الذي لم يُتَقَبَّلَ منه. قال الفراء: إنما حذف ذكره لأن المعنى يدل عليه، ومثل ذلك في الكلام أن تقول: إذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت<sup>(٥)</sup>، وإذا اجتمع السفیه والحليم حُود، وإنما كان ذلك، لأن المعنى لا يشكل، فلو قلت: مر بي رجل وامرأة، فأعنت، وأنت تريد أحدهما، لم يجز، لأنه ليس هناك علامة تدل على مُرادك<sup>(٦)</sup>. وفي المراد بالمتقين قولان: أحدهما: أنهم الذين يتقون المعاصي، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يتقون الشرك، قاله الضحاك.

﴿لَبِئْسَ بَطْلَ لَكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ أَنَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أنا بمنتهصر لنفسي، قاله ابن عباس. والثاني: ما كنت لأبتدئك، قاله عكرمة. وفي سبب امتناعه من دفعه عنه قولان: أحدهما: أنه منعه التحرج مع قدرته

= بكر أوله وسكون الفاء، النصب، وأكثر ما يطلق على الأجر، والضعف على الإثم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ مِنْ تَحْتِوَى﴾ [الحديد: ٢٨] ووقع على الإثم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَكُمُ كَيْدٌ مِنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

(١) التوام والتؤم والتؤم والتؤم: هو من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد، ذكراً وأنثى، أو ذكراً مع الأنثى. ويقال أيضاً: توأم للذكر، وتوامة للأنثى. «لسان العرب».

(٢) الصبرة: كومة من الطعام بلا كيل ولا وزن، ويقال: اشترت الشي صبرةً، أي: بلا كيل ولا وزن.

(٣) ابن جرير الطبري ٢٢٣/١٠، وابن كثير ٤٢/٢ عن ابن أبي حاتم، وجود إسناده، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢٢٣/٢ نسبت إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر، وجود إسناده أيضاً. قال الشيخ أحمد شاكر: وهو خبر - كما ترى - ليس من السنة النبوية، بل ظاهره يدل على أنه مما أخذ ابن عباس من كتب أهل الكتاب.

(٤) قال ابن كثير: وهو ظاهر القرآن ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فالسياق يقتضي أنه إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه دون. قلت: وخبر ابن عباس الذي ساقه المصنف عن العوفي ضعيف جداً.

(٥) في النسخة الأحمدية: «أعيت» وهو تحريف.

(٦) اختصر المؤلف رحمه الله كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٠٥/١ وإليك نصه بتمامه قال: ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه: لأقتلك، لأن المعنى يدل على أن الذي لم يتقبل منه هو القائل لحسده لأخيه: لأقتلك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفیه والحليم حمد، تنوي بالحمد الحليم، وإذا رأيت الظالم والمظلوم أعنت، وأنت تنوي: أعنت المظلوم للمعنى الذي لا يشكل. ولو قلت: مر بي رجل وامرأة فأعنت، وأنت تريد أحدهما لم يجز حتى يبين، لأنهما ليس فيهما علامة تستدل بها على موضع المعونة، إلا أن تريد: فأعنتهما جميعاً.

على الدفع وجوازه له، قاله ابن عمر<sup>(١)</sup>، وابن عباس. والثاني: أن دفع الإنسان عن نفسه لم يكن في ذلك الوقت جائزاً، قاله الحسن، ومجاهد<sup>(٢)</sup>. وقال ابن جرير: ليس في الآية دليل على أن المقتول علم عزم القاتل على قتله، ثم ترك الدفع عن نفسه، وقد ذكر أنه قتله غيلةً، فلا يدعى ما ليس في الآية إلا بدليل<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: إنني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي في عنقك، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثاني: أن تبوء بإثمي في خطاياي، وإثمك في قتلك لي، وهو مروى عن مجاهد أيضاً<sup>(٤)</sup> قال ابن جرير: والصحيح عن مجاهد القول الأول. وقد روى البخاري، ومسلم في «صحيحيهما» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقتل نفس ظملاً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل» فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد: إن قتلتي أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج. والثاني: أن في الكلام محذوفاً، تقديره: إنني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف «لا» كقوله: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَمْيَهُ أَنْ تَنبِتَ بِهِمْ﴾ [لقمان: ١٠] أي: أن لا تميد بكم، ومنه قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً  
وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>(٥)</sup>

أراد: لا أبرح. وهذا مذهب ثعلب. والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك، فحذف ذلك، وقامت «أن» مقامه، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْكَيْدَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حبّ العجل، ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الإشارة إلى مصاحبة النار.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تابعته على قتل أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: شجّعته، قاله مجاهد. والثالث: زوّنت له، قاله قتادة. والرابع: رخصت له، قاله أبو الحسن الأخفش. والخامس: أن «طَوَّعَتْ» فَعَّلَتْ من «الطَرَع» والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أصول هذا الشجر، وطاع له كذا، أي: أناه طوعاً، حكاه

(١) في «الطبري» عن عبد الله بن عمرو.

(٢) قال القرطبي ١٣٦/٦: قال علماؤنا: وذلك مما يجوز التعبد به، إلا أن في شرعنا يجوز دفعه إجماعاً، وفي وجوب ذلك عليه خلاف، والأصح وجوب ذلك، لما فيه من النهي عن المنكر. وفي الحشوية قوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع، واحتجوا بحديث أبي ذر، وحمله العلماء على ترك القتال في الفتنة، وكف اليد عند الشبهة على ما بيناه في كتاب «التذكرة». قلت: حديث أبي ذر في «المستد» ١٤٩/٥، وأبي داود ١٤٢/٤، وابن ماجه ١٣٠٨/٢ وفيه «أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، يعني حتى تفرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أقعدني بيتك، وأغلق عليك بابك. قال: فإن لم أترك؟ قال: فأت من أنت منهم، فكن فيهم. قال: فأخذ سلاحي؟ قال: إذن تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شمع السيف، فألق طرف رداك على وجهك حتى يبرء بإثمك وإثمك، وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة، انظر «سنن أبي داود»، كتاب الفتن.

(٣) انظر كلام ابن جرير مطولاً في «التفسير» ٢١٤/١٠.

(٤) قال ابن كثير ٤٤/٢: وهذا قول وجّهته عن مجاهد وأخشي أن يكون غلطاً، لأن الصحيح من الرواية عنه خلافه. قلت: القاتل ابن كثير: وقد يترحم كثير من الناس هذا القول، ويذكرون في ذلك حديثاً لا أصل له «ما ترك القاتل على المقتول من ذنب» وقد روى الزوار حديثاً يشبه هذا ولكن ليس به، فروى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «قتل الصبر لا يمر بلسن إلا معاه». وهذا لا يصح، ولو صح فمعناه: أن الله يكفر عن المقتول بألم القتل ذنوبه، فاما أن تحمل على القاتل فلا. ولكن قد يتفق هذا في بعض الأشخاص وهو الغالب، فإن المقتول يطالب القاتل في العرصات، فيأخذ له من حسنته بقدر مظلمته، فإن نفدت ولم يستوف حقه أخذ من سيئات المقتول فطرحت على القاتل، وقد صح الحديث بذلك عن رسول الله ﷺ في المظالم كلها، والقتل أعظمها وأشدّها.

(٥) «ديوانه» ٣٢، ومشكل القرآن ١٧٤، والصناعتين: ١٧٤، والطبري ٤٢/١٣. وقد أضمر حرف النفي - وهو «لا» - لدلالة المعنى عليه، لأن الفعل بعد القسم غير مؤكّد، ولو كان الكلام إثباتاً لوجب تأكيد الفعل بالنون. والأوصال: جمع وصل بالكسر: وهو كل عضو ينفصل من آخر.

الزجاج عن المبرد. وقال ابن قتيبة: شايعته وانقادت له، يقال: لساني لا يطوع بكذا، أي: لا يتقاد<sup>(١)</sup>. وهذه المعاني تتقارب. وفي كيفية قتله ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رماه بالحجارة حتى قتله، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضرب رأسه بصخرة وهو نائم، رواه مجاهد عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه. والثالث: رضع رأسه بين حجرين. قال ابن جريج: لم يدر كيف يقتله، فتمثل له إبليس، وأخذ طائراً فوضع رأسه على حجر، ثم شدخه بحجر آخر، ففعل به هكذا، وكان له «هابيل» يومئذ عشرون سنة. وفي موضع مصرعه ثلاثة أقوال: أحدها: على جبل ثور، قاله ابن عباس. والثاني: بالبصرة، قاله جعفر الصادق. والثالث: عند عقبة جراء، حكاه ابن جرير الطبري. وفي قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْقَلْبَرِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من الخاسرين الدنيا والآخرة، فخرانه الدنيا: أنه أسخط والديه، وبقي بلا أخ، وخسرانه الآخرة: أنه أسخط ربه، وصار إلى النار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه أصبح من الخاسرين الحسنات، قاله الزجاج. والثالث: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها، قاله القاضي أبو يعلى.

﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقُ فَتَجُرُّ أَنْ أَلِثْتُ بِهَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾ قال ابن عباس: حمله على عاتقه، فكان إذا مشى تخطف يده ورجلاه في الأرض، وإذا قعد وضعه إلى جنبه حتى رأى غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث له الأرض حتى وراه بعد أن حمله سنين. وقال مجاهد: حمله على عاتقه مائة سنة. وقال عطية: حمله حتى أروح<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: حمله ثلاثة أيام. وفي المراد بسواة أخيه قولان: أحدهما: عورة أخيه. والثاني: جيفة أخيه.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِرِينَ﴾ فإن قيل: أليس الندم توبة، فلم لم يقبل منه؟ فنعته أربعة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن لا يكون الندم توبة لمن تقدمنا، ويكون توبة لهذه الأمة، لأنها خضت بخصائص لم تشارك فيها، قاله الحسن بن الفضل. والثاني: أنه ندم على حمله لا على قتله. والثالث: أنه ندم إذ لم يواره حين قتله. والرابع: أنه ندم على فوات أخيه، لا على ركوب الذنب. وفي هذه القصة تحذير من الحسد، لأنه الذي أهلك قابيل.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْسُلَ نَارًا تَلْقُوهُ مِنْ فَسَاوٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانُوا بِقَتْلِ النَّاسِ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانُوا مِنْهَا جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَثَ فِي الْأَرْضِ لَمْسُوفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ قال الضحاك: من أجل ابن آدم الذي قتل أخاه ظلماً. وقال أبو عبيدة: من جنابة ذلك، ومن جري ذلك. قال الشاعر<sup>(٣)</sup>:

وأهل خباءٍ صالحٍ ذاتٌ بينهم  
قَدِ احْتَرَبُوا فِي عَاجِلِ أَنَا أَجْلُهُ<sup>(٤)</sup>  
أي: جانبه وجارٌ ذلك عليهم. وقال قوم: الكلام متعلق بما قبله، والمعنى: فأصبح من النادمين من أجل ذلك.

(١) وتماز كلام ابن قتيبة في «غريب القرآن» ١٤٢: ومنه يقال: أتيت طائناً وطوراً وكراً، ولو كان من «أطاع» لكان مطيعاً وطاعة وإطاعة.

(٢) يقال: أروح اللحم، وأراح: أثنى وسطعت له ريح خبيثة.

(٣) نسب أبو عبيدة في «مجاز القرآن» إلى الخنوث وهو توبة بن مفرس أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وإنما سماه الخنوث الأحنف بن قيس، لأن الأحنف كلمه، فلم يكلمه احتقاراً له، فقال: إن صاحبكم هذا لخنوث. والخنوث: المتجبر الذاهب بنفسه، المستصغر للناس. وذكره الأمدى في «المؤلف والمختلف» ٩١ وقال: قتل أخواه... فأدرك الأخذ بشارهما، وجزع على أخويه جزعاً شديداً. وكان لا يزال يبكي أخويه، فطلب إليه الأحنف أن يكف فأبى، فسماه الخنوث، وهو الذي يمنعه الغيظ أو البكاء من الكلام. ونسب التبريزي في شرح «إصلاح المنطق» والشتري في «شرح ديوان زهير» إلى خوات بن بجير الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ والحق بشعر زهير بن أبي سلمى في «ديوانه» بشرح الششتري.

(٤) «مجاز القرآن» ١٦٣/١، «إصلاح المنطق» ٩، «الطبري» ٢٣١/١٠، و«ديوان زهير» بشرح الششتري ٣٣، و«اللسان» مادة: أجل. وفي رواية لابن بري في «اللسان».

وأهل خباءٍ أسمين فجمعهم  
واقبلت أسمي أسأل القوم مالهم

ويرى الشطر الأول من البيت الثاني «فاقبلت في الساعين أسأل عنهم». قال الششتري: ومعنى البيت: أنه وصف تأريشه بين قوم مصطلحين وسعيه بينهم بالفساد حتى أوقعهم في حرب وعاجل شر أجله عليهم، أي: جناه وأحدثه، ثم زعم أنه بعد ما كادهم وبعت الحرب بينهم جعل يسأل عن الساعين بالشر المهيجين له بين القوم، كما يسأل الإنسان عما جهل.



فعلى هذا يحسن الوقف هاهنا، وعلى الأول لا يحسن الوقف. والأول أصح. و«كتبنا» بمعنى: فرضنا. ومعنى «تَكَلَّ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ» أي: قتلها ظلماً ولم تقتل نفساً. «أَوْ قَسَاوُ فِي الْأَرْضِ» «فساد» منسوق على «نفس»، المعنى: أو بغير فساد تستحق به القتل. وقيل: أراد بالفساد هاهنا: الشرك. وفي معنى قوله: «فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» خمسة أقوال: أحدها: أن عليه إثم من قتل الناس جميعاً، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: أنه صلى النار بقتل المسلم، كما لو قتل الناس جميعاً، قاله مجاهد، وعطاء. وقال ابن قتيبة: يُعَذَّبُ كما يُعَذَّبُ قَاتِلُ النَّاسِ جميعاً. والثالث: أنه يجب عليه من القصاص مثل ما لو قتل الناس جميعاً، قاله ابن زيد. والرابع: أن معنى الكلام: ينبغي لجميع الناس أن يُعِينُوا ولي المقتول حتى يُقْبِده منه، كما لو قتل أوليائهم جميعاً، ذكره القاضي أبو يعلى. والخامس: أن المعنى: من قتل نبياً أو إماماً عادلاً، فكأنما قتل الناس جميعاً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والقول بالعموم أصح. فإن قيل: إذا كان إثم قاتل الواحد كل إثم من قتل الناس جميعاً، دل هذا على أنه لا إثم عليه في قتل مَنْ يقتله بعد قتل الواحد إلى أن يفنى الناس؟ فالجواب: أن المقدار الذي يستحقه قاتل الناس جميعاً، معلوم عند الله محدود، فالذي يقتل الواحد يلزمه ذلك الإثم المعلوم، والذي يقتل الاثنين يلزمه مثله، وكلما زاد قتلاً زاده الله إثمًا، ومثل هذا قوله: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَرَاتٍ» [الأنعام: ١٦٠] فالحسنة معلوم عند الله مقدار ثوابها، فعاملها يعطي بمثل ذلك عشر مرات. وهذا الجواب عن سؤال سائل إن قال: إذا كان من أحيا نفساً فله ثواب مَنْ أحيا الناس، فما ثواب من أحيا الناس كلهم؟ هذا كله منقول عن المفسرين. والذي أراه أن التشبيه بالشئ قريب منه، لأنه لا يجوز أن يكون إثم قاتل شخصين كلهم قاتل شخص، وإنما وقع التشبيه بـ «كأنما»، لأن جميع الخلائق من شخص واحد، فالمقتول يتصور منه نشر عدد الخلق كلهم<sup>(١)</sup>. وفي قوله: «وَمَنْ أَحْيَاهَا» خمسة أقوال: أحدها: استنقاذها من هلكة، روي عن ابن مسعود، ومجاهد. قال الحسن: من أحياها من غرق أو حرق أو هلاك. وفي رواية عكرمة عن ابن عباس: من شَدَّ عَصَدُ نَبِيٍّ أو إمامٍ عادِلٍ، فكأنما أحيا الناس جميعاً. والثاني: ترك قتل النفس المحرمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية. والثالث: أن يعفو أولياء المقتول عن القصاص، قاله الحسن، وابن زيد، وابن قتيبة. والرابع: أن يزرع عن قتلها وينهى. والخامس: أن يعين الولي على استيفاء القصاص، لأن في القصاص حياة، ذكرهما القاضي أبو يعلى. وفي قوله: «فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» قولان: أحدهما: فله أجر من أحيا الناس جميعاً، قاله الحسن، وابن قتيبة. والثاني: فعلى جميع الناس شكره، كما لو أحياهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ» يعني: بني إسرائيل الذين جرى ذكرهم.

«إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُكَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ لَكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: «إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ناسٍ من غُرينة قدموا المدينة، فاجتَوَوْهَا، فبعثهم رسول الله في إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا، فصحوا، وارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل، فأرسل رسول الله في آثارهم، فجيء بهم، فقطع أيديهم

(١) قال ابن جرير ٢٤١/١٠: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس قتلها، فاستحققت القود بها والقتل قصاصاً - أو بغير فساد في الأرض بحرب الله ورسوله وحرب المؤمنين فيها - فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه، كما أوعده ذلك - من فعله - ربه بقوله: «وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا فَمُتَّعًا فَكَأَنَّمَا جَرَأُوا جَهَنَّمَ حَبْلًا بَيْنًا وَبَيْنَهُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَعْنَةٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [سورة النساء]. وقال ابن كثير في تفسير الآية ٤٦/٢: أي: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرم قتلها واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم بهذا الاعتبار، ولهذا قال: «فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا». وفي «البحر المحيط» لأبي حيان ٤٦٨/٣: وقال ابن عطية: والذي أقول: إن التشبيه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات، لكن الشبه قد يحصل من ثلاث جهات. إحداها: القود فإنه واحد، والثانية: الوعيد، فقد وعد الله قاتل النفس بالخلود في النار، وتلك غاية العذاب، فإن ترتبته يخرج من النار بعد ذلك بسبب التوحيد، فكذلك قاتل الجميع أن لو اتفق ذلك. والثالثة: انتهاك الحرمه، فإن نفساً واحدة في ذلك وجميع الأنفس سواء، والمتتهك في واحدة ملحوظ بعين متتهك الجميع.

وأرجلهم من خلاف، وسَمَّرَ أعينهم، وألقاهم بالحِجَّةِ حتى ماتوا، ونزلت هذه الآية، رواه قتادة عن أنس<sup>(١)</sup>، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أن قوماً من أهل الكتاب كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، فنقضوا العهد، وأفسدوا في الأرض، فخير الله رسوله بهذه الآية: إن شاء أن يقتلهم، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أن أصحاب أبي بُردة الأسلمي قطعوا الطريق على قوم جاؤوا يريدون الإسلام، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن السائب: كان أبو بردة، واسمه هلال بن عويمر، وادع النبي ﷺ على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن أتاه من المسلمين لم يُهْجِ، ومن مَرَّ بهلال إلى رسول الله ﷺ لم يُهْجِ، فَمَرَّ قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناسٍ من قوم هلال، فَهَئَذُوا إليهم، فقتلوه وأخذوا أموالهم، ولم يكن هلال حاضراً، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها نزلت في المشركين، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الحسن. واعلم أن ذكر «المحاربة» لله ﷻ في الآية مجاز. وفي معناها للعلماء قولان: أحدهما: أنه سَمَّاهم محاربين له تشبيهاً بالمحاربين حقيقة، لأن المخالف محارب، وإن لم يحارب، فيكون المعنى: يخالفون الله ورسوله بالمعاصي. والثاني: أن المراد: يحاربون أولياء الله، وأولياء رسوله. وقال سعيد بن جبير: أراد بالمحاربة الله ورسوله، الكفر بعد الإسلام. وقال مقاتل: أراد بها الشرك. فأما «الفساد» فهو القتل والجراح وأخذ الأموال، وإخافة السبل.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ اختلف العلماء هل هذه العقوبة على الترتيب، أم على التخيير؟ فمذهب أحمد ﷺ أنها على الترتيب، وأنهم إذا قتلوا، وأخذوا المال، أو قتلوا ولم يأخذوا، قُتِلُوا وصُلِّبُوا، وإن أخذوا المال، ولم يقتلوا، قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن لم يأخذوا المال، نُفُوا. قال ابن الأنباري: فعلى هذا تكون «أو» مبقضة، فالمعنى: بعضهم يفعل به كذا، وبعضهم كذا، ومثله قوله: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقْدَامَكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٥] المعنى: قال بعضهم هذا، وقال بعضهم هذا. وهذا القول اختيار أكثر اللغويين. وقال الشافعي: إذا قتلوا وأخذوا المال، قُتِلُوا وصُلِّبُوا، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال، قُتِلُوا ولم يُصَلَّبُوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا، قُتِلُوا ولم يأخذوا من خلاف. وقال مالك: الإمام مخير في إقامة أي الحدود شاء، سواء قتلوا أو لم يقتلوا، أخذوا المال أو لم يأخذوا، والصلب بعد القتل. وقال أبو حنيفة، ومالك: يُصَلَّبُ ويُبْعَج برمج حتى يموت. واختلفوا في مقدار زمان الصلب، فعندنا أنه يُصَلَّبُ بمقدار ما يشتهر صلبه. واختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم: ثلاثة أيام، وهو مذهب

(١) «المسند» ١٦٣/٣ من طريق معمر بن قتادة، ١٧٠، ٢٣٣ من طريق سعيد بن قتادة، ٢٨٧ من طريق حماد بن قتادة، ٢٩٠ من طريق عفان بن قتادة، والبخاري: ٢٨٩/١، ١٠٨/٦، ٣٥٢/٧، ٢٠٦/٨، ٩٩/١٢، ومسلم ١٥٣/١، وأبو داود ١٨٦/٤، والنسائي ٩٧/٧، ومسنن البيهقي ٦٢/٨. عريضة، بضم العين المهملة وفتح الراء وآخرها نون ثم هاء: حي من قضاة وحي من بجيلة، والمراد هنا الثاني. واجتوى الأرض والبلد: إذا كره المقام فيه وإن كان في نعمة، وقيله الخطابي بما إذا نضر بالإقامة وهو المناسب هنا، وقيل: أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول. وفسر: روي بتشديد الميم وبفتحها، وضبطت في الأصل بالتشديد. ووقع لسم من رواية عبد العزيز «وسمل» بالتخفيف واللام. قال الخطابي: السمل: فقه العين بأي شيء كان. قال أبو ذؤيب الهذلي:

سَمَلْتُ بِشُرْكَ فَهِيَ عَوْرَتِي

وَالْعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ حِدَاقَهَا

قال: «والسمل» لغة في «السمل» ومخرجها متقارب. قال: وقد يكون من السمار، يريد: أنهم كحلوا بأبمال قد أحيت. قال الحافظ ابن حجر: وقد وقع التصريح بالمراد عند المصنف - يعني البخاري - من رواية وهيب عن أيوب، ومن رواية الأوزاعي عن يحيى كلاهما عن أبي قلابة. ولفظه «ثم أمر بمسامير فأحيت فكلهم بها». قلت: وإنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم قصاصاً، لأنهم سملوا آيين الرعاة. وقد جاء التصريح بذلك عن أنس في «صحيح مسلم» ١٥٧/١١، والحرث: بفتح الحاء: أرض ذات حجارة سود نخرات، كأنها أحرقت بالنار، ومدينة رسول الله ﷺ بين حرتين.

(٢) النسائي ١٠١/٧، وأبو داود: ١٨٧/٤، وتامه: فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يكن عليه سبيل، وليست هذه الآية للرجل المسلم، فمن قتل وأفسد في الأرض وحارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يقدر عليه، لم يمتنع ذلك أن يقام فيه الحد الذي أصاب. وإسناده حسن، ورواه الطبري ٢٤٤/١٠ من قول عكرمة والحسن البصري. وقد ضعف القرطبي هذا القول، ورده بقوله تعالى: ﴿هَلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَ اللَّهِ يُخَفِّرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَّ﴾ ويقول ﷺ: «الإسلام يهدم ما قبله» رواه مسلم. وقال أبو ثور: وفي الآية دليل على أنها نزلت في غير أهل الشرك، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْبُكُورُ﴾ وقد أجمعوا على أن أهل الشرك إذا وقعوا في أيدينا فأسلموا أن دمائهم تحرم، فدل ذلك على أن الآية نزلت في أهل الإسلام. وقال ابن كثير ٤٨/٢ وتبته الشوكاني في «فتح القدير» ٣٢/٢: والصحيح أن هذه الآية عامة في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات.

أبي حنيفة، وقال بعضهم: يترك حتى يسيل صديده. قال أبو عبيدة: ومعنى «من خلاف» أن تُقَطَّع يَدُهُ اليمينى ورجله اليسرى، يُخَالَفُ بَيْنَ قِطْعِهِمَا. فأما «النفي» فأصله الطرد الإبعاد. وفي صفة نفيمهم أربعة أقوال: أحدها: إبعادهم من بلاد الإسلام إلى دار الحرب، قاله أنس بن مالك، والحسن، وقتادة، وهذا إنما يكون في حق المحارب المشرك، فأما المسلم فلا ينبغي أن يُضْطَرَّ إلى ذلك. والثاني: أن يُطْلَبُوا لِنَقَامِ عَلَيْهِمُ الْحُدُودَ، فَيُعْبَدُوا، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إخراجهم من مدينتهم إلى مدينة أخرى، قاله سعيد بن جبیر. وقال مالك: ينفي إلى بلدٍ غير بلده، فيحبس هناك. والرابع: أنه الحبس، قاله أبو حنيفة وأصحابه. وقال أصحابنا: صِفَةُ النَّفْيِ: أَنْ يُشْرَدَ وَلَا يَتْرَكَ يَأْوِي فِي بَلَدٍ، فَكَلِمَا حَصَلَ فِي بَلَدٍ نَفَى إِلَى بَلَدٍ غَيْرِهِ. وفي «الخزي» قولان: أحدهما: أنه العقاب. والثاني: الفضيحة. وهل ثبت لهم حكم المحاربين في المصر، أم لا؟ ظاهر كلام أصحابنا أنه لا يثبت لهم ذلك في المصر<sup>(١)</sup> وهو قول أبي حنيفة. وقال الشافعي، وأبو يوسف: المصر والصحرى سواء، ويعتبر في المال المأخوذ قدر نصاب، كما يُعْتَبَرُ فِي حَقِّ السَّارِقِ، خِلَافًا لِمَالِكٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قال أكثر المفسرين: هذا الاستثناء في المحاربين المشركين إذا تابوا من شركهم وحربهم وفسادهم، وأمنوا قبل القدرة عليهم، فلا سبيل عليهم فيما أصابوا من مال أو دم، وهذا لا خلاف فيه. فأما المحاربون المسلمون، فاختلَفُوا فِيهِمْ، ومذهب أصحابنا: أن حدود الله تسقط عنهم من انتحام القتل والصلب والقطع والنفي. فأما حقوق الآدميين من الجراح والأموال، فلا تسقطها التوبة، وهذا قول الشافعي<sup>(٣)</sup>.

﴿يَتَابَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعَكُمُ لِقَتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقِيلُ بِهِمْ وَلَقَدْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ الْأَرْضِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ في «الوسيلة» قولان: أحدهما: أنها القرية، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء. وقال قتادة: تقربوا إليه بما يرضيه. قال أبو عبيدة: يقال: توسلت إليه، أي: تقربت إليه. وأنشد: إذا غفل الواشون غُدًّا لَوْضِلْنَا

وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ<sup>(٤)</sup>

والثاني: المجبة، يقول: تحببوا إلى الله، هذا قول ابن زيد:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

- (١) في «المغني» ٣٠١/١: وثبت أحكام المحاربين بشروط ثلاثة. أحدها: أن يكون ذلك في الصحراء، فإن كان ذلك منهم في القرى والأمصار، فقد توقف أحمد رحمه الله فيهم، وظاهر كلام الخرقي أنهم غير محاربين، وبه قال أبو حنيفة، والثوري، وإسحاق... وقال كثير من أصحابنا: هو قاطع حيث كان، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي، وأبو يوسف، وأبو ثور.
- (٢) في «القرطبي» ١٥٣/٦: ولا يراعى في المال الذي يأخذه المحارب نصاباً كما يراعى في السرقة، وانظر «أحكام القرآن» لابن العربي ٥٩٨/٢.
- (٣) قال الخرقي: فإن تابوا من قبل أن يقدر عليهم، سقطت عنهم حدود الله تعالى، وأخذوا بحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال، إلا أن يعنى لهم عنها. قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً بين أهل العلم، وبه قال مالك، والشافعي، وأصحاب الرأي، وأبو ثور.
- (٤) «مجاز القرآن» ١٦٤/١، «الطبري» ٢٩٠/١٠، «القرطبي» ١٥٩/٦، وقائله لا يعرف. واستشهد أبو عبيد أيضاً - على أن الوسيلة معناها القرية - ببيت عترة:

إِنَّ الزَّجْجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ  
وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ٣٩٦، «الطبري» ٢٩٠/١٠، و«الخزانة» ١١/٣ من أبيات قالها لامرأته، وكانت لا تزال تذكر خيله، وتلومه في فرس كان يؤثره على خيله، ويسقي ألبان إله قال:

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ  
إِنَّ الْغَنَبُوقَ لَهُ وَأَنْتِ مَسْوُوءَةٌ  
كُذِبَ الْمَعْتَبِقُ وَمَاءٌ شَرُّ بَارِدٍ  
إِنَّ السَّرَجَ جَال.....  
فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ  
فَسَأْأُوهِي مَا شِئْتَ ثُمَّ تَحْقُوسِي  
إِنْ كُنْتَ سَائِلَتْنِي غُبُوقاً فَاذْهَبِي  
.....  
وَابْنُ النِّعَامَةِ عِنْدَ ذَلِكَ مَرْكَبِي





عشرة دراهم<sup>(١)</sup>. وقال الشافعي: الاعتبار في ذلك بربع دينار، وغيره مقوّم به، فلو سرق درهمين قيمتهما ربع دينار، قطع، فإن سرق نصاباً من التبر، فعليه القطع. وقال أبو حنيفة: لا يقطع حتى يبلغ ذلك نصاباً مضروباً، فإن سرق منديلاً لا يُساري نصاباً، في طرفه دينار، وهو لا يعلم، لا يقطع. وقال الشافعي: يقطع. فإن سرق ستارة الكعبة، قطع، خلافاً لأبي حنيفة. فإن سرق صبيّاً صغيراً حراً، لم يقطع، وإن كان على الصغير حُلِي. وقال مالك: يقطع بكل حال. وإذا اشترك جماعة في سرقة نصاب، قطعوا، وبه قال مالك، إلا أنه اشترط أن يكون المسروق ثقيلاً يحتاج إلى معاونة بعضهم لبعض في إخراجه. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا قطع عليه بحال<sup>(٢)</sup> ويجب القطع على جاحد العارية عندنا، وبه قال سعيد بن المسيب، والليث بن سعد، خلافاً لأكثر الفقهاء<sup>(٣)</sup>.

## فصل

فأما الحرز، فهو ما جعل للسكنى، وحفظ الأموال، كالدرور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس، ويحفظون امتعتهم بها، فكل ذلك حرز، وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده، وسواء سُرق من ذلك وهو مفتوح الباب، أو لا باب له إلا أنه محجّر بالبناء. فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة، فإنه ليس في حرز إلا أن يكون عنده من يحفظه. ونقل الميموني عن أحمد: إذا كان المكان مشتركاً في الدخول إليه، كالحمام والخيمة لم يقطع السارق منه، ولم يُعتَبَر الحافظ. ونقل عنه ابن منصور: لا يقطع سارق الحمام إلا أن يكون على المتاع أجبر حافظ. فأما النباش، فقال أحمد في رواية أبي طالب: يقطع، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى. وقال الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة: لا يقطع.

(١) في «موطأ مالك» برواية محمد بن الحسن ٣٠٤: قال محمد: قد اختلف الناس فيما تقطع فيه اليد، فقال أهل المدينة: ربع دينار، ورووا هذه الأحاديث، وقال أهل العراق: لا تقطع في أقل من عشرة دراهم، ورووا ذلك عن النبي ﷺ وعن عمر وعن عثمان وعن علي وعن عبد الله بن مسعود وعن غير واحد، فإذا جاء الاختلاف في الحدود، أخذ فيها بالثقة، وهو قول أبي حنيفة والعمامة من فقهاءنا. وانظر أدلة الحنفية في «نصب الرأية» ٣/ ٣٥٥ للزيلعي، و«سنن أبي داود» ١٩٣/٣، و«مسند أحمد» ١٣٩/١١، و«التعليق الممجّد» ٣٠٤ للكنزي، و«التعليق المغني على سنن الدارقطني» ٣٦٨.

(٢) في «تفسير القرطبي» ١٦٣/٦: إذا اجتمع جماعة فاشتركوا في إخراج نصاب من حرزه فلا يخلو، إما أن يكون بعضهم ممن يقدر على إخراجه، أو لا، إلا بتعاونهم، فإذا كان الأول فاختلف فيه علماؤنا على قولين: أحدهما: يقطع فيه. والثاني: لا يقطع فيه، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، قالوا: لا يقطع في السرقة المشتركة إلا بشرط أن يجب لكل واحد من حصته نصاب، لقوله ﷺ: «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً» وكل واحد من هؤلاء لم يسرق نصاباً فلا قطع عليهم. ووجه القطع في إحدى الروايتين أن الاشتراك في الجناية لا يسقط عقوبتها كالاشتراك في القتل، قال ابن العربي: وما أقرب ما بينهما فإنما قلنا: الجماعة بالواحد صيانة للدماء، لثلاث تعاون على سفكها الأعداء، فكذلك في الأموال مثله، لا سيما وقد ساعدنا الشافعي على أن الجماعة إذا اشتركوا في قطع يد رجل قطعوا ولا فرق بينهما. وإن كان الثاني وهو مما لا يمكن إخراجه إلا بالتعاون، فإنه يقطع جميعهم بالاتفاق من العلماء، ذكره ابن العربي.

(٣) في «شرح المفردات» للبهوتي ٣٠٨: يقطع جاحد العارية كالسارق، وجزم به جماعة من الأصحاب وهو المذهب، قطع به في «التنقيح» و«الإقناع» و«المتنوى» وهو قول إسحاق، وصح الشيخ الموفق والشارح وجماعة: لا قطع عليه، وهو قول الخري، وأبي إسحاق بن شاقلا، وأبي الخطاب، وصائر الفقهاء، لقوله ﷺ: «لا قطع على الخائن»، رواه أحمد وأصحاب «السنن» وصححه الترمذي، ولأن الواجب قطع السارق، والخائن ليس بسارق، فأشبه جاحد الوديعة وغيرها من الأمانات. ولنا حديث عائشة قالت: كانت امرأة تستعير المتاع وتجده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلّموه فكلّم النبي ﷺ، فقال ﷺ: «لا أراك تكلمني في حد من حدود الله تعالى»، ثم قام النبي ﷺ خطيباً وقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» قال: قطع يدها. متفق عليه. قال أحمد: لا أعرف شيئاً يدفعه، والجواب عنه بأنها قطعت بسرقته لا بجحدتها، لا يلائم سياق الخبر. قلت: وجاء في البخاري: أنها سرت. قال الحافظ ٧٩/١٢ وقد وقع في رواية معمر عن الزهري في هذا الحديث أن المرأة المذكورة كانت تستعير المتاع وتجده. أخرجه مسلم وأبو داود، وأخرجه النسائي من رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهري بلفظ: «استعارت امرأة على ألسنة ناس يعرفون وهي لا تعرف حليا فباعته، وأخذت منه» الحديث. قال شيخنا في «شرح الترمذي» - أي الحافظ العراقي -: اختلف على الزهري، فقال الليث ويونس وإسماعيل بن أمية، وإسحاق بن راشد: سرت، وقال معمر وشعيب: إنها استعارت وجحدت. ثم قال الحافظ: وجزم جماعة بأن معمر تفرد عن الزهري بقوله: «استعارت وجحدت» وليس كذلك، بل تابعه شعيب كما ذكره شيخنا عند النسائي، ويونس كما أخرجه أبو داود من رواية أبي صالح كاتب الليث عن الليث، وعلقه البخاري لليث عن يونس لكن لم يسق لفظه. قلت: وبذلك يتبين أن قول البهوتي - بعد أن ذكر الحديث بلفظ «استعارت» - متفق عليه، وهم، وانظر الكلام على هذا الحديث في «الفتح» ٧٧/١٢.

## فصل

فأما موضع قطع السارق، فمن مفصل الكف، ومن مفصل الرجل. فأما اليد اليسرى والرجل اليمنى، فروى عن أحمد: لا تقطع، وهو قول أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي حنيفة، وروى عنه: أنها تقطع، وبه قال مالك، والشافعي. ولا يثبت القطع إلا بإقراره مرتين<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وأبو يوسف. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: يثبت بمرة. ويجتمع القطع والغرم موبراً كان أو معسراً. وقال أبو حنيفة: لا يجتمعان، فإن كانت العين باقية أخذها ربها، وإن كانت مستهلكة، فلا ضمان. وقال مالك: يضمنها إن كان موبراً، ولا شيء عليه إن كان معسراً.

قوله تعالى: ﴿تَكَلَّا مِنَّ اللَّهِ﴾ قد ذكرنا «النكال» في (البقرة).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال سعيد بن جبيرة: شديد في انتقامه، حكيم إذ حكم بالقطع. قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم، سهواً، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله. قال: أعد فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنهت، فقلت: والله عزيز حكيم. فقال: أصبت، هذا كلام الله. فقلت له: أقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنني أخطأت؟ فقال: يا هذا عزّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أَلَمْ تَلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَكُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ﴾ سبب نزولها: أن امرأة كانت قد سرت، فقالت: يا رسول الله هل لي من توبة؟ فنزلت هذه الآية. قاله عبد الله بن عمرو<sup>(٢)</sup>. وقال سعيد بن جبيرة: فمن تاب من بعد ظلمه، أي: سرقته، وأصلح العمل، فإن الله يتجاوز عنه، إن الله غفور لما كان منه قبل التوبة، رحيم لمن تاب.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَيَمْنُ الَّذِينَ هَادُوا سَمْعُونَ لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِمُفْرَقٍ مِنَ الْكُفْرِ مِنْ بَدِّ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ مر بيهودي وقد حمموه<sup>(٣)</sup> وجلدوه، فقال: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا نترك الشريف، ونقيم على الوضع، فقلنا: تعالوا نُجمع على شيء نقيم على الشريف والوضع، فاجتمعنا على التحميم والجلد. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه» فأمر به فُرجم،

(١) قال الخرمي: ولا يقطع إلا بشهادة عدلين أو اعتراف مرتين. ولم يذكر المصنف رحمه الله الشهادة، لأن كل من حفظه عن من أهل العلم يوجب القطع بشهادة حرين مسلمين.

(٢) «المسند» ١٨٥/١٠، وابن جرير ٢٩٩/١٠ ولفظه «عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرت على عهد رسول الله ﷺ، فجاء بها الذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله: إن هذه المرأة سرتنا، قال قومها: فنحن ننديها، يعني أهلها، فقال رسول الله ﷺ: «اطعموها» فقالوا: نحن نقديها بخمسئة دينار، قال: «اطعموها» قال: فقطعت يدها اليمنى. فقالت المرأة: هل لي من توبة يا رسول الله؟ قال: «نعم أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك» فأنزل الله ﷻ في سورة المائدة ﴿فَن تَابَ مِنْ بَدِّ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ...﴾ إلى آخر الآية. وهو في «مجمع الزوائد» ٦/ ٢٧٦، وقال الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات. قلت: وفي إسناده أيضاً يحيى بن عبد الله بن شريح المعافري. قال أحمد: أحاديثه متاكر، وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة. ونقله ابن كثير في «التفسير» ٥٧/٢ عن «مسند أحمد»، وقال: وهذه المرأة هي المبزومة التي سرت، وحديثها ثابت في «الصحيحين» من رواية الزهري عن عروة عن عائشة.

(٣) في «اللسان» وحمم الرجل: سخم وجهه بالحمم، وهو الفحم، وفي حديث الرجم: أنه مر بيهودي محمّ مجلود، أي: مسود الوجه.

ونزلت هذه الآية، رواه البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في ابن سوريا آمن ثم كفر، وهذا المعنى مروى عن أبي هريرة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في يهودي قتل يهودياً، ثم قال: سلوا محمداً فإن كان بُعِثَ بالذِّية، اختصمنا إليه، وإن كان بعث بالقتل، لم نأته، قاله الشعبي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أنها نزلت في المنافقين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والخامس: أن رجلاً من الأنصار أشارت إليه قريظة يوم حصارهم على ماذا ننزل؟ فأشار إليهم: أنه الذَّبِج، قاله السدي<sup>(٤)</sup>. قال مقاتل: هو أبو لبابة بن عبد المنذر، قالت له قريظة: أنزل على حُكم سعدٍ، فأشار بيده: إنه الذَّبِج، وكان حليفاً لهم. قال أبو لبابة: فعلمت أنني قد خُنتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية. ومعنى الكلام: لا يحزنك مسارعة الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم وهم المنافقون، ومن الذين هادوا وهم اليهود. ﴿سَتَعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ قال سيبويه: هو مرفوعٌ بالابتداء. قال أبو الحسن الأخفش: ويجوز أن يكون رَفَعَهُ على معنى: ومن الذين هادوا سماعون للكذب. وفي معناه أربعة أقوال: أحدها: سماعون منك ليكذبوا عليك. والثاني: سماعون للكذب، أي: قائلون له. والثالث: سماعون للكذب الذي بذلوه في توراتهم. والرابع: سماعون للكذب، أي: قائلون له، ومنه: «سمع الله لمن حمده» أي: قبل. وفي قوله: ﴿سَتَعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ﴾ قولان: أحدهما: يسمعون لأولئك، فهم عيونٌ لهم. والثاني: سماعون من قوم آخرين، وهم رؤساؤهم المبدلون التوراة. وفي السَّمَاعِينَ للكذب، وللقوم الآخرين قولان: أحدهما: أن «السَّمَاعِينَ للكذب» يهود المدينة، والقوم الآخرون [الذين لم يأتوا رسول الله ﷺ] يهود فذكَ. والثاني: بالعكس من هذا. وفي تحريفهم الكلم خمسة أقوال: أحدها: أنه تغيير حدود الله في التوراة، وذلك أنهم غيروا الرِّجَم، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: تغيير ما يسمعون من النبي ﷺ بالكذب عليه، قاله الحسن. والثالث: إخفاء صفة النبي ﷺ. والرابع: إسقاط القود بعد استحقاقه. والخامس: سوء التأويل. وقال ابن جرير: المعنى يُحَرِّفُونَ حكم الكلم، فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْرِ مَوَاسِعَهُ﴾ قال الزجاج: أي: من بعد أن وَضَعَهُ الله مواضعه، فأحلَّ حلاله وحرم حرامه. قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيئَتُنَا هَذَا فَخْذُهُ﴾ في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، وذلك أن رجلاً وامرأة من أشرافهم زنيا، فكان حدهما الرِّجَم، فكرهت اليهود رجمهما، فبعثوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن قضائه في الزَّانِئِينَ إذا أَحْصَا، وقالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرِّجَم فلا تعملوا به، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم المنافقون. قال قتادة: وذلك أن بني النضير كانوا لا يُعطون قريظة القود إذا قتلوا منهم، وإنما يعطونهم الدية، فإذا قتلت قريظة من النضير لم يَرْضُوا إلا بالقود تعزراً عليهم، فقتل بنو النضير رجلاً من قريظة عمداً، فأرادوا رفع ذلك إلى النبي ﷺ، فقال رجل من المنافقين: إن قتلكم قتيلاً عمداً، ومتى ترفعوا ذلك إلى محمد خشيئاً عليكم القود، فإن قُلبَتْ منكم الذِّية فأعطوا، وإلا فكونوا منه على حذر<sup>(٥)</sup>. وفي معنى «فاحذروا» ثلاثة أقوال: أحدها: فاحذروا أن تعملوا بقوله الشديد. والثاني: فاحذروا أن تطلعوه على ما في التوراة فيأخذكم بالعمل به. والثالث: فاحذروا أن تسألوه بعدها. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ في «الفتنة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الضلالة، قاله ابن عباس ومجاهد. والثاني: العذاب، قاله الحسن، وقاتدة. والثالث: الفضيحة، ذكره الزجاج. قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا تغني عنه، ولا تقدر على استنقاذه. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ من حزنه على مسارعته في الكفر.

(١) «المسند» ٢٨٦/٤، ومسلم ١٣٢٧/٣، وأبو داود ٢٥١/٤، «والناسخ والمنسوخ» للنحاس ١٣٠، و«مسنن البيهقي» ٢٤٦/٨. وتامه: فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَا يَحْزَنُوا لَا يَحْزَنُكَ الْيَوْمَ يُسْكَرُغُورُ فِي الْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيئْتُمْ هَذَا فَخْذُوهُ﴾ يقول: اتوا محمداً، فإن أكرمكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرِّجَم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْزَنْكُمْ يَسَّ أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْزَنْكُمْ يَسَّ أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ في الكفار كلها. واختار ابن كثير هذا السبب، وقال: هو الصحيح.

(٢) ابن جرير: ٣٠٤/١٠، و«مسنن البيهقي» ٢٤٦/٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨١/٢. وزاد نسبته إلى ابن إسحاق، وابن المنذر. قلت: وفي سننه مجهول.

(٣) ابن جرير ٣٠٢/١٠، وزاد السيوطي نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٤) ابن جرير ٣٠٢/١٠، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٥) ابن جرير: ٣١٥/١٠ من طريق يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد عن قتادة...

قوله تعالى: ﴿لَرَّ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال السدي: يعني المنافقين واليهود، لم يُرِدْ أن يطهر قلوبهم من دُئس الكُفر، ووسخ الشُّرك بطهارة الإيمان والإسلام.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أما خزي المنافقين، فبهتك سترهم وإطلاع النبي على كفرهم، وخزي اليهود بفضيحتهم في إظهار كذبهم إذ كتموا الرجم، وبأخذ الجزية منهم. قال مقاتل: وخزي قريظة بقتلهم وسبيهم، وخزي النضير بإجلائهم.

﴿سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَكَنْ يَعْزُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاتَّخَذُوا بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ﴾ قال الحسن: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواه، ويأتيهم برشوة فيأخذونها. وقال أبو سليمان: هم اليهود يسمعون الكذب، وهو قول بعضهم لبعض: محمد كاذب، وليس بنبي، وليس في التوراة رجم، وهم يعلمون كذبهم.

قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر «السُّخْتُ» مضمومة الحاء مثقلة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة «السُّخْتُ» ساكنة الحاء خفيفة. وروى خارجة بن مصعب عن نافع «أَكْثَرُونَ لِلْسُّخْتِ» بفتح السين وجزم الحاء. قال أبو علي: السُّخْتُ والسُّخْتُ لغتان، وهما اسمان للشيء المسحوت، وليس بالمصدر، فأما من فتح السين، فهو مصدر سحط، فأوقع اسم المصدر على المسحوت، كما أوقع الضرب على المضروب في قولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير. وفي المراد بالسخت ثلاثة أقوال: أحدها: الرُّشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين، والقولان عن ابن مسعود. والثالث: أنه كل كسب لا يحل، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ﴾ فيمن أريد بهذا الكلام قولان: أحدهما: اليهوديان اللذان زنيا، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: رجلان من قريظة والنضير قتل أحدهما الآخر، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان حيي بن أخطب قد جعل للنضيريين دينين، والقرظي دية، لأنه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حبي، ونتحاكم إلى محمد، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاتَّخَذْتُمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية.

## فصل

اختلف علماء التفسير في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة وذلك أن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلى النبي ﷺ كان مخيراً، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فلزمه الحكم، وزال التخيير، وهذا مروي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والسدي<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها محكمة، وأن الإمام ونوابه في الحكم مخيرون إذا ترافعوا إليهم، إن شاؤوا حكموا بينهم، وإن شاؤوا أعرضوا عنهم، وهذا مروي عن الحسن، والشعبي، والنخعي، والزهري، وبه قال أحمد بن حنبل، وهو الصحيح<sup>(٢)</sup>، لأنه لا تنافي بين الآيتين، لأن إحداها خيّرت بين الحكم وتركه. والثانية بينت كيفية الحكم إذا كان<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ اللَّهُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) قال أبو جعفر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٢٩: وهو الصحيح من قول الشافعي. قال في كتاب «الجزية»: ولا خيار له إذا تحاكموا إليه، لقوله ﷺ: ﴿مَنْ يَطْعَمُ الْجَزْيَةَ مِنْ يَدٍ وَتَمَّ سَوْرَتُهُ﴾ [التوبة: ٢٩] وهذا من أصلح الاحتجاجات، لأنه إذا كان معنى: «وهم صاغرون» أن تجري عليهم أحكام المسلمين، وجب ألا يردوا إلى أحكامهم، فإذا وجب هذا فالآية منسوخة، وهو أيضاً قول الكوفيين: أبي حنيفة، وزفر، وأبي يوسف، ومحمد، لا اختلاف بينهم إذا تحاكم أهل الكتاب إلى الإمام أنه ليس له أن يعرض عنهم، غير أن أبا حنيفة قال: إذا جاءت المرأة والزوج، فعليه أن يحكم بينهما بالعدل، فإن جاءت المرأة وحدها ولم يرش الزوج لم يحكم... وقال الباقون: بل يحكم.

(٢) وقد أتى بهذا القول عطاء بن أبي رباح، ومالك بن أنس. ذكر ذلك النحاس عنهما في «الناسخ والمنسوخ» ١٢٩، والقرطبي في «الأحكام» ١٨٤/٦، وإليه ذهب قتادة كما في «الطبري» ١٠/٣٣٠، وسعيد بن جبيرة كما ذكره المؤلف عنه في «ناسخ القرآن» الورقة ٨٣. واختاره أبو جعفر الطبري، لعدم التعارض بين الآيتين، ولأنه لم يصح به خبر عن رسول الله ﷺ، ولم يجمع عليه علماء المسلمين.

(٣) ذكر هذا الكلام المؤلف رحمه الله أيضاً في «ناسخ القرآن» الورقة ٨٤.





قوله: ﴿بِمَا اسْتَحْضَرُوا﴾ من صلة الأحبار. وفي قوله: ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ قولان: أحدهما: وكانوا على ما في التوراة من الرّجْم شهداء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وكانوا شهداء لمحمد ﷺ بما قال إنه حق. رواه العوفي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا أَلْسَانَ الْوَخْشِيِّ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، وابن عامر، والكسائي «واخشون» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف، وكلاهما حسن. وقد أشرنا إلى هذا في (آل عمران). ثم في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم رؤساء اليهود، قيل لهم: فلا تخشوا الناس في إظهار صفة محمد، والعمل بالرّجْم، واخشوني في كتمان ذلك، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. قال مقاتل: الخطاب لليهود المدينة، قيل لهم: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرّجْم، ونعت محمد، واخشوني في كتمانهم. والثاني: أنهم المسلمون، قيل لهم: لا تخشوا الناس، كما خشيت اليهود الناس، فلم يقولوا الحق، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ قَلِيلًا﴾ في المراد بالآيات قولان: أحدهما: أنها صفة محمد ﷺ والقرآن. والثاني: الأحكام والفرائض. والشم القليل مذكور في (البقرة). فأما قوله: ﴿وَمَنْ لَّئِيْكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقوله تعالى بعدها: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَٰلِغُونَ﴾ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾. فاختلف العلماء فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في اليهود خاصة، رواه عبيد بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت في المسلمين، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس نحو هذا المعنى. والثالث: أنها عامة في اليهود، وفي هذه الأمة، قاله ابن مسعود، والحسن، والنخعي، والسدي. والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، قاله أبو مجلز. والخامس: أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى، قاله الشعبي. وفي المراد بالكفر المذكور في الآية الأولى قولان: أحدهما: أنه الكفر بالله تعالى. والثاني: أنه الكفر بذلك الحكم، وليس بكفر ينقل عن الملة. وفصل الخطاب: أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو يعلم أن الله أنزله، كما فعلت اليهود، فهو كافر، ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود، فهو ظالم وفاسق<sup>(١)</sup>. وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو فاسق وظالم<sup>(٢)</sup>.

﴿وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرْحَ بِالْجُرْحِ﴾ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَّئِيْكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلِغُونَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبَ﴾ أي: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿فِيهَا﴾ أي: في التوراة. قال ابن عباس: وكتبت عليهم فيها أن النفس بالنفس، فما بالهم يخالفون، فيقتلون النفس بالنفس، ويفقون العينين بالعين؟ وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو، وليس بينهم دية في نفس ولا جرح، فخفف الله عن أمة محمد بالدية. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾، ينصبون ذلك كله ويرفعون «والجروح» وكان نافع، وعاصم، وحزمة ينصبون ذلك كله، وكان الكسائي يقرأ: «أن النفس بالنفس» نصباً،

(١) وقد ارتضى هذا المنع أبو جعفر الطبري في «تفسيره» ٣٥٨/١٠، فإنه قال: فكل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، فهو باله كافر، كما قال ابن عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي. وفي «القرطبي» ١٩٠/٦: قال ابن مسعود، والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار، أي: معتقداً ذلك ومستحلاً له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرّم، فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. وقال إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن»: ظاهر الآيات يدل على أن من فعل مثل ما فعلوا - يعني اليهود - واخترع حكماً يخالف به حكم الله، وجعله ديناً يعمل به، فقد لزمه مثل ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره.

(٢) «الطبري» ٢٥٧/١٠، وعلي بن أبي طلحة لم يسع من ابن عباس ﷺ. وروى الحاكم في «المستدرک» ٣١٣/٢ من طريق مفيان بن عيينة، عن هشام بن خبيرة عن طاووس عن ابن عباس: أنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرأ ينقل عن الملة ﴿وَمَنْ لَّئِيْكُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ كفر دون كفر. ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

ويرفع ما بعد ذلك. قال أبو علي: وحجته أن الواو لعطف الجُمْل، لا للاشتراك في العامل، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى، لأن معنى: وكُتِبنا عليهم: قلنا لهم: النفس بالنفس، فحمل العين على هذا، وهذه حجة من رفع الجروح. ويجوز أن يكون مستأنفاً، لا أنه مما كُتِب على القوم، وإنما هو ابتداء إيجاب. قال القاضي أبو يعلى: وقوله: العين بالعين، ليس المراد قلع العين بالعين، لتعذر استيفاء المماثلة، لأننا لا نقف على الحد الذي يجب قلعها، وإنما يجب فيما ذهب ضوؤها وهي قائمة، وصفة ذلك أن تُشَدَّ عين القالع، وتُحْمَى مرأة، فتقدم من العين التي فيها القصاص حتى يذهب ضوؤها. وأما الأنف فإذا قطع المارن، وهو ما لأن منه، وتركت قصبتها، ففيه القصاص، وأما إذا قطع من أصله، فلا قصاص فيه، لأنه لا يمكن استيفاء القصاص، كما لو قطع يده من نصف الساعد. وقال أبو يوسف، ومحمد: فيه القصاص إذا استوعب. وأما الأذن، فيجب القصاص إذا استوعبت، وعرف المقدار. وليس في عظم قصاص إلا في السن، فإن قلعت قلع مثلها، وإن كُسِرَ بعضها، برد بمقدار ذلك. وقوله: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ يشير إلى القصاص. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ في هاء «له» قولان: أحدهما: أنها إشارة إلى المجروح، فإذا تصدَّق بالقصاص كفر من ذنوبه، وهو قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص<sup>(١)</sup>، والحسن، والشعبي. والثاني: إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح، كفر عنه ما جنى، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وهو محمول على أن الجاني تاب<sup>(٢)</sup> من جنايته، لأنه إذا كان مُصْرّاً فعقوبة الإصرار باقية.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى مَائِثَةٍ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَوْصُوفًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآيَاتِنَا الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلشَّاعِنِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى مَائِثَةٍ﴾ أي: وأتبعنا على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿بِعِيسَى﴾ فجعلناه يقفو آثارهم ﴿مَوْصُوفًا﴾ أي: بعثناه مُصَدِّقًا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿وَأَيَّاتِنَا الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا﴾ ليس هذا تكراراً للآول، لأن الآول لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن عيسى كان يدعو إلى التصديق بالتوراة، والإنجيل أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَكَانَ لَكُمْ اللَّهُ قَائِلُكُمْ هُمُ الْقَائِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ﴾ قرأ الأكثرون بجزم اللام على معنى الأمر، تقديره: وأمرنا أهله أن يحكموا بما أنزل الله فيه. وقرأ الأعمش، وحزمة بكسر اللام، وفتح الميم على معنى «كي»، فكانه قال: وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَمَلْنَا بَيْنَكُمُ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن عباس: يريد كل كتاب أنزله الله تعالى. وفي «المهيمن» أربعة أقوال: أحدها: أنه المؤيّم<sup>(٣)</sup> رواه التميمي<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء، والضحاك. وقال المبرد: «مهيمن» في معنى: «مؤيّم» إلا أن الهاء بدل من الهمزة، كما قالوا: أرقّت الماء، وهرقت، وإياك وإيتاك. وأرباب هذا القول يقولون: المعنى: أن القرآن

(١) قول عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه الطبري ٣٦٢/١٠، والبيهقي في «السنن» ٥٤/٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٦٣/٢ من تفسير ابن أبي حاتم من طريق الطيالسي عن شعبة، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٨٨/٢ وزاد نسبه للفرابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) في النسخة الأحمدية «مات» وهو خطأ.

(٣) قوله: «المؤيّم» كذا في الأصول المخطوطة التي بين أيدينا، وفي الطبري وسائر المراجع: «المؤيّم».

(٤) هو أربعة ويقال: أريد التميمي الكوفي، روى التفسير عن ابن عباس، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق.





قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لجمعكم<sup>(١)</sup> على الحق. والثاني: لجعلكم على ملّة واحدة ﴿وَلَكِنْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي: ليختبركم ﴿فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتب، وبين لكم من الملل. فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً﴾: نبينا محمداً مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾؟ فالجواب: أنه خطاب لبنيينا، والمراد به سائر الأنبياء والأمم. قال ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائباً، فأرادت الخبر عنه أن تغلب المخاطب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْبَغَ الْأَمْزِجَ﴾ قال ابن عباس، والضحاك: هو خطاب لأمة محمد ﷺ. قال مقاتل: «والخيرات»: الأعمال الصالحة. «إِلَّا اللَّهُ مَرْمُكُمُ» في الآخرة «فَيُنْصِتُكُمْ بِمَا كُتِبَ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ» من الدين. قال ابن جرير: قد بين ذلك في الدنيا بالأدلة والحجج، وغداً بينه بالمجازاة.

﴿وَأَنِّي أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَنُتِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْدَرُهُمْ أَن يَقْتُلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنَّا بِرُؤْيُ اللَّهِ أَن يُصِيبَهُمْ يَصِيبُ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِنَّ كَيْدَكَ مِنَ الْآثِلِينَ لَفَتِشُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها: أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد، قد عرفت أننا أحرار اليهود وأشرافهم، وأنا إن تبناك، اتبعك اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وذكر مقاتل: أن جماعة من بني النضير قالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء كما كنا عليه من قبل، ونبايعك؟ فنزلت هذه الآية. قال القاضي أبو يعلى: وليس هذه الآية تكراراً لما تقدّم، وإنما نزلنا في شيئين مختلفين، أحدهما: في شأن الرجم، والآخر: في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين.

قوله تعالى: ﴿وَاعْدَرُهُمْ أَن يَقْتُلُوكَ﴾ أي: يصرفوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الرجم، قاله ابن عباس. والثاني: شأن القصاص والدماء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: عن حكمك. والثاني: عن الإيمان، فاعلم أن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعذبهم ببعض ذنوبهم. وفي ذكر البعض قولان: أحدهما: أنه على حقيقته، وإنما يصيبهم ببعض ما يستحقونه. والثاني: أن المراد به الكل، كما يُذكر لفظ الواحد، ويراد به الجماعة، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: ١] والمراد: جميع المسلمين. وقال الحسن: أراد ما عجله من إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَيْدَكَ مِنَ الْآثِلِينَ لَفَتِشُونَ﴾ قال المفسرون: أراد اليهود. وفي المراد بالفسق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: الكذب، قاله ابن زيد. والثالث: المعاصي، قاله مقاتل.

﴿أَنَّهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ يَتَوَنُّوْنَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ يَتَوَنُّوْنَ﴾ قرأ الجمهور «يغنون» بالياء، لأن قبله غيبة، وهي قوله: ﴿وَإِنَّ كَيْدَكَ مِنَ الْآثِلِينَ لَفَتِشُونَ﴾. وقرأ ابن عامر «تبنون» بالياء، على معنى: قل لهم. وسبب نزولها: أن النبي ﷺ لما حكم بالرجم على اليهوديين تعلق بنو قريظة ببني النضير، وقالوا: يا محمد هؤلاء إخواننا، أبونا واحد، وديننا واحد، إذا قتلوا منا قتيلاً أعطونا سبعين وسقاً<sup>(٤)</sup> من تمر، وإن قتلنا منهم واحداً أخذوا منا أربعين ومائة وسق، وإن قتلنا منهم رجلاً قتلوا به

- أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ (الأنبياء: ٢٥) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّدُوكَ﴾ [النحل: ٣٦] وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في الشريعة حراماً، ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس، وخفيفاً، فيزداد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامنة.

(١) في النسخة الأحمدية: لجمعكم.

(٢) كذا في الأصول المخطوطة «أسيد» بالياء، وفي «سيرة ابن هشام» ٥٦٧/١، والطبري ٣٩٣/١٠، وابن كثير ٦٧/٢، «والله المصور» ٢٩٠/٢ «كعب بن أسد».

(٣) قلت: في سنده عند الطبري محمد مولى زيد بن ثابت لم يوثقه غير ابن حبان.

(٤) الوسق يفتح الواو وكسرها: حمل بعير، أو ستون صاعاً، وهو مكيال لهم.

رجلين، وإن قتلنا امرأة قتلوا بها رجلاً، فاقض بيننا بالعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم» فقال بنو النضير: والله لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولناخذن بأمرنا الأول، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: ومعنى الآية: أتطلب اليهود حكماً لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب الله، كما تفعل الجاهلية؟<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ قال ابن عباس. ومن أعدل؟ وفي قوله: ﴿لَقَوْمٌ يُقَاتُونَ﴾ قولان: أحدهما: يوقنون بالقرآن، قاله ابن عباس. والثاني: يوقنون بالله، قاله مقاتل. وقال الزجاج: مَنْ أيقن بتبين عدل الله في حكمه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَكَّمْ عَلَيْهِمْ فَأِنَّهُمْ يَدِينُوا بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة حين قال لبني قريظة إذ رضوا بحكم سعد: إنه الذبح، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود، وإنني أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ إلى الله من ولاية يهود، فنزلت هذه الآية، قاله عطية العوفي<sup>(٥)</sup>. والثالث: أنه لما كانت وقعة أحد خافت طائفة من الناس أن يُدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فالحق بفلان اليهودي، فأخذ منه أماناً، أو أنهز معه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٦)</sup>، ومقاتل. قال الزجاج: لا تتولهم في الدين. وقال غيره: لا تستنصروا بهم، ولا تستعينوا، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في العون والنصرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّمْ عَلَيْهِمْ فَأِنَّهُمْ يَدِينُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر. والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْكَرُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ زَكَاةٌ قَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَتْلِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبَحُوا عَلَى مَا أَسْرَأَ فِي أَنْفُسِهِمْ تَذِيبًا﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْكَرُونَ فِيهِمْ﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين: ثم لهم في ذلك قولان: أحدهما: أن اليهود والنصارى كانوا يعمرون<sup>(٨)</sup> المنافقين ويقرضونهم فيؤادونهم، فلما نزلت ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ قال المنافقون: كيف نقطع مودة قوم إن أصابتنا سنة وسعوا علينا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وممن قال: نزلت في المنافقين، ولم يعين: مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي، قاله عطية العوفي. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله مقاتل. والثاني: النفاق، قاله الزجاج. وفي قوله: «يسارعون فيهم» ثلاثة أقوال: أحدها: يسارعون في موالاتهم ومناصحتهم، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: في رضاهم،

(١) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقد جاءت آثار عن ابن عباس أن بني النضير وبني قريظة تحاكموا إلى النبي ﷺ، وأن رسول الله ﷺ حملهم على الحق، وجعل الدية بينهم سواء. انظر «مسند أحمد» ١٤٥/٥، و«الطبري» ٣٢٧/١٠، و«ابن كثير» ٦٠/٢، و«الدر المنثور» ٢٨٤/٢.

(٢) روى البخاري ١٨٥/١٢ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه».

(٣) أبو صالح ضعيف لا يحتج به، وقول عكرمة ذكره ابن جرير في «تفسيره» ٣٩٨/١٠.

(٤) ابن جرير ٣٩٥/١٠، وفيه عطية بن سعد العوفي، وصفه الحافظ في «التقريب» بقوله: صدوق يخطئ كثيراً، وأنه مدلس. وروى الطبري بمعنى أيضاً من طريق ابن إسحاق: حدثني والذي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد... وسنده حسن، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٠/٢، وزاد نسبه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» وابن عساکر. وأخرج ابن مردويه من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال: «نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله ﷺ فبرأت إليه من حلف يهود، وظاهرت رسول الله ﷺ والمسلمين عليهم».

(٥) «الطبري» ٣٩٧/١٠. وقوله «يدال عليهم الكفار»، الإدالة: الغلبة، يقال: أدبل لنا على أعدائنا، أي: نصرنا عليهم. ومنه حديث أبي سفيان، وهرقل: «نُدل عليه ويُدل علينا، أي: تغلب مرة ويغلبنا أخرى».

(٦) أي: يجلبون لهم الطعام.

قاله ابن قتيبة. والثالث: في معاونتهم على المسلمين، قاله الزجاج: وفي المراد «بالدائرة» قولان: أحدهما: الجذب والمجاعة، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: نخشى أن يدور علينا الدهر بمكروه، يعنون الجذب، فلا يبايعونا، وإنما فيهم فلا يبيعرونا. والثاني: انقلاب الدولة لليهود على المسلمين، قاله مقاتل. وفي المراد بالفتح أربعة أقوال: أحدها: فتح مكة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: فتح قرى اليهود، قاله الضحاك. والثالث: نصر النبي ﷺ على من خالفه، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: الفرج، قاله ابن قتيبة. وفي «الأمر» أربعة أقوال: أحدها: إجلاء بني النضير وأخذ أموالهم، وقتل قريظة، وسبي ذراريهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الجزية، قاله السدي. والثالث: الخصب، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أمر المنافقين وقتلهم، قاله الزجاج. وفيما أسروا قولان: أحدهما: موالاتهم. والثاني: قولهم: لعل محمداً لا ينصر.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَتُؤَلِّقُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمُنْكَم حَيْثُ أَغْلَبْتُمْ فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ أبو عمرو، بنصب اللام على معنى: وعسى أن يقول. ورفع الباقون، فجعلوا الكلام مستأنفاً. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: يقول، بغير واو، مع رفع اللام، وكذلك في مصاحف أهل مكة والمدينة. قال المفسرون: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، اشتد ذلك على المنافقين، وجعلوا يتأسفون على فراقهم، وجعل المنافق يقول لقربيه المؤمن إذا رآه جاداً في معاداة اليهود: أهذا جزاؤهم منك، طال والله ما أشبعوا بطنك؟ فلما قُتلت قريظة، لم يُطق أحد من المنافقين ستر ما في نفسه، فجعلوا يقولون: أربعمئة حُصِدوا في ليلة، فلما رأى المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين، قالوا: ﴿أَتُؤَلِّقُ﴾ يعنون المنافقين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان. وقال مقاتل: جهد أيمانهم: القسم بالله. وقال الزجاج: اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿إِنَّهُمْ لَمُنْكَم﴾ على عدوكم ﴿حَيْثُ أَغْلَبْتُمْ﴾ بنفاقهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «يرتد»، بإدغام الدال الأولى في الأخرى، وقرأ نافع، وابن عامر: «يرتدد»، بدالين. قال الزجاج: «يرتدد» هو الأصل، لأن الثاني إذا سُكِّنَ من المضاعف، ظهر التضعيف. فأما «يرتد» فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وحُرِّكت الثانية بالفتح، لالتقاء الساكنين. قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبرهم أنه سيأتي يقوم يُحبُّهم ويحبُّونه. وفي المراد بهؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردَّة، قاله علي بن أبي طالب، والحسن ﷺ، وقاتدة، والضحاك، وابن جريج. قال أنس بن مالك: كرهت الصحابة قتال ما نعي الزكاة، وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه، وخرج وحده، فلم يجدوا بُدأً من الخروج على أثره. والثاني: أبو بكر، وعمر، روي عن الحسن، أيضاً. والثالث: أنهم قوم أبي موسى الأشعري، روى عياض الأشعري<sup>(١)</sup> أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: ﴿هم قوم هذا﴾ يعني: أبا موسى<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنهم أهل اليمن، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والخامس: أنهم الأنصار، قاله السدي. والسادس: المهاجرون والأنصار، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وقد أنجز الله ما وعَدَ فأتى بقوم في زمن عمر كانوا أحسن موقعاً في الإسلام ممن ارتد.

(١) عياض الأشعري: هو عياض بن عمرو الأشعري، مختلف في صحبته، روى عن النبي ﷺ مرسلأ، وروى عن أبي موسى وامرأة أبي موسى، وروى عنه الشعبي وسماك بن حرب. قال الحافظ: وروايته عن امرأة أبي موسى عند مسلم. مترجم في «التهذيب» ٢٠٢/٨، و«الإصابة» ٥٠/٣، و«التاريخ الكبير» للبخاري ١٩/١/٤.

(٢) ابن جرير ٤١٥/١٠، و«طبقات ابن سعد» ١٠٧/٤، والحاكم في «المستدرک» ٣١٣/٣، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٦/٧، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٢/٢ وزاد نسبه لابن أبي شيبه في «مسنده»، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».





أحدهما: أنهم المهاجرون والأنصار، قاله ابن عباس. والثاني: الأنصار، ذكره أبو سليمان.

﴿يَأْتِيَا آلَ الْكَافِرِينَ أَتَقُولُوا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ اللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا لِمَنْ كَفَرْنَا مِنْكُمْ كُفَرُوا وَلَكُمْ مِنَ اللَّهِ آيَاتٌ﴾ سبب نزولها: أن رفاعه بن زيد بن النابوت، وسويد بن الحارث كانا قد أظهرتا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يواؤونهما، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. فأما اتخاذهم الذين كفروا ولعبا، فهو إظهارهم الإسلام، وإخفاؤهم الكفر، وتلاعيبهم بالدين. والذين أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى، والكفار: عبدة الأوثان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة: «الكفار» بالتصبي على معنى: لا تتخذوا الكفار أولياء. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «الكفار» خفضاً، لقرب الكلام من العامل الجار<sup>(٢)</sup>، وأمال أبو عمرو الألف. ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ﴾ أن تولوهم.

﴿وَإِذَا تَأْتَيْتُمْ إِلَى الْكَافِرِ اتَّخَذُوا كُفْرًا وَلَكُمْ مِنَ اللَّهِ آيَاتٌ ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَأْتَيْتُمْ إِلَى الْكَافِرِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن منادي رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة، وقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، على سبيل الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ والمسلمين على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة، فقد خالفت في هذا الأذان الأنبياء قبلك، فما أقبح هذا الصوت، وأسمج هذا الأمر، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين. وقال السُّدِّي: كان رجل من النصارى بالمدينة إذ سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرق الكاذب، فدخلت خادمه ذات ليلة بنارٍ وهو نائم، وأهله نيام، فسقطت شرارة فأحرقت البيت، فاحترق هو وأهله. والمناداة: هي الأذان، واتخاذهم إياها هزواً: تضاحكهم وتغامزهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابة الصلاة، وما عليهم في استهزائهم بها.

﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُ كُلٌّ تَقْفُونَ رَبَّكُمْ وَمَا آيَةُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ الْبَرْقُ وَمَا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ الْغَمَامُ ٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْكَافِرُ كُلٌّ تَقْفُونَ رَبَّكُمْ﴾ سبب نزولها: أن نفرأ من اليهود أتوا رسول الله ﷺ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فذكر جميع الأنبياء، فلما ذكر عيسى، جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم ديناً شراً من دينكم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله ابن عباس. وقرأ الحسن، والأعمش: «تَقْفُونَ» بفتح القاف. قال الزجاج: يقال: نَقَمْتُ على الرجل أَنْقَمَ، ونَقِمْتُ عليه أَنْقَمَ، والأول أجود. ومعنى «نقمت»: بالغت في كراهة الشيء، والمعنى: هل تكرهون منا إلا إيماننا، وفسقكم، لأنكم علمتم أننا على حق، وأنكم فسقتم.

﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِمُتَّقِينَ ٦٠﴾ من ذلك مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْمَنَازِرَ وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ٦١﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنْتُمْ بِمُتَّقِينَ﴾ قال المفسرون: سبب نزولها قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دين أقل خطأً منكم في الدنيا والآخرة، ولا ديناً شراً من دينكم. وفي قوله: ﴿يَتَرَى مِنَ اللَّهِ لَعْنَةً﴾ قولان: أحدهما: بشر من المؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: بشر مما نقمت من إيماننا، قاله الزجاج. فأما «المثوبة» فهي الثواب. قال الزجاج: وموضع «من» في قوله: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان خفضاً، فمن خفض جعله بدلاً من «شر» فيكون المعنى: أنبئكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فيأصمار «هو» كأن قائله قال: مَنْ ذلك؟ فقيل: هو من لعنه الله. قال وأبو صالح عن ابن عباس: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شر مثوبة عند الله. وروي عن ابن

- وهو في «ديوانه» ١٦ من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة، وأضوى: أضعف وأرق.

(١) ابن جرير الطبري: ٢٩/١٠ ورجالها ثقات، خلا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت فلم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) وتفسير الآية على هذه القراءة: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعياً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار أولياء.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» ٢٩٤/٢ لليهقي في «دلائل النبوة» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

عباس أن المسخّن من أصحاب السبت: مسخ شباههم قردة، ومشايخهم خنازير. وقال غيره: القردة: أصحاب السبت، والخنازير: كفار مائدة عيسى. وكان ابن قتيبة يقول: أنا أظن أن هذه القردة والخنازير هي المسوخ بأعيانها توالدت. قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمُ الْفَرْدَ وَلِخَنَازِيرَ﴾ فدخل الالف واللام يدل على المعرفة، وعلى أنها القردة التي تعاین، ولو كان أراد شيئاً انقراض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة وخنازير، إلا أن يصح حديث أم حبيبة في «المسوخ» فيكون كما قال عليه السلام. قلت أنا: وحديث أم حبيبة في «الصحيح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، القردة والخنازير هي ممّا مُسِخ؟ فقال النبي ﷺ: «[إن الله] لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً، فيجعل لهم نسلًا ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير قد كانت قبل ذلك»<sup>(١)</sup> وقد ذكرنا في سورة (البقرة) عن ابن عباس زيادة بيان ذلك، فلا يلتفت إلى ظن ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتُ﴾ فيها عشرون قراءة. قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع، والكسائي: «وعبد» بفتح العين والباء والدال، ونصب تاء «الطَّاغُوتُ». وفيها وجهان. أحدهما: أن المعنى: وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت. والثاني: أن المعنى: من لعنه الله وعبد الطاغوت. وقرأ حمزة: «وَعَبَّدَ الطَّاغُوتُ» بفتح العين والدال، وضم الباء، وخفض تاء الطاغوت. قال ثعلب: ليس لها وجه إلا أن يجمع فَعَلَ على قَعَلَ. وقال الزجاج: وجهها أن الاسم بني على «فَعَلَ» كما تقول: عَلَّمَ زيد، ورجل حَذَرَ، أي: مبالغ في الحذر. فالمعنى: جعل منهم خَدَمَ الطاغوت ومن بلغ في طاعة الطاغوت الغاية<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، «وَعَبَّدُوا» بفتح العين والباء، ورفع الدال على الجمع «الطاغوتُ». بالنصب. وقرأ ابن عباس، وابن أبي عبيدة: «وَعَبَّدَ» بفتح العين والباء والدال، إلا أنهما كسرا تاء «الطاغوتُ». قال الفراء: أرادوا «عبدة» فحذفوا الهاء<sup>(٣)</sup>. وقرأ أنس بن مالك: «وَعَبَّيْدَ» بفتح العين والدال وبياء بعد الباء وخفض تاء «الطاغوتُ». وقرأ أيوب، والأعمش: «وَعَبَّيْدَ»، برفع العين ونصب الباء والدال مع تشديد الباء، وكسر تاء «الطاغوتُ». وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وابن السميع: «وعابداً» بالفتح، مكسورة الباء، مفتوحة الدال، مع كسر تاء «الطاغوتُ». وقرأ أبو العالية، ويحيى بن وثَّاب: «وَعَبَّيْدَ» برفع العين والباء وفتح الدال، مع كسر تاء الطاغوت. قال الزجاج: هو جمع عبيد، وعَبَّدَ مثل رَغِيف، ورَغُف، وسَرِير، وسُرُر، والمعنى: وجعل منهم عبيد الطاغوت. وقرأ أبو عمران الجوني، ومورق العجلي، والنخعي: «وَعَبَّيْدَ» برفع العين وكسر الباء مخففة، وفتح الدال مع ضم تاء «الطاغوتُ». وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعكرمة: «وَعَبَّيْدَ» بفتح العين والدال، وتشديد الباء مع نصب تاء الطاغوت. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو نهيك: «وَعَبَّيْدَ» بفتح العين والدال، وسكون الباء خفيفة مع كسر تاء الطاغوت. وقرأ قتادة، وهذيل بن شرحبيل: «وَعَبَّيْدَ» بفتح العين والباء والدال وتاء في اللفظ منصوبة بعد الدال «الطاغوتُ» بالفتح وواو وياء بعد الغين على الجمع. وقرأ الضحَّاك، وعمرو بن دينار: «وَعَبَّيْدَ» برفع العين وفتح الباء والدال مع تخفيف الباء، وكسر تاء «الطاغوتُ». وقرأ سعيد بن جبير، والشعبي: «وَعَبَّيْدَ» مثل حمزة، إلا أنهما رفعوا تاء «الطاغوتُ». وقرأ يحيى بن يعمر، والجحدري: «وَعَبَّيْدَ» بفتح العين ورفع الباء والدال مع كسر تاء «الطاغوتُ». وقرأ أبو الأشهب العطاردی: «وَعَبَّيْدَ» برفع العين وتسكين الباء، ونصب الدال، مع كسر تاء

(١) مسلم: ٢٥١/٤، ورواه الإمام أحمد في «السند» ٢٦٠/٥.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء ٢١٤/١: وأما قوله: «وَعَبَّيْدَ الطَّاغُوتُ» فإن تكن فيه لغة مثل: حَذَرَ وعَجَل فهو وجه، وإلا فإنه أراد - والله أعلم - قول الشاعر:

أَبْنِي أُنْبِيَّيْنِي إِذْ أَمَحُّمُ      أُمَّةٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ عُبُودُ

وهذا في الشعر يجوز لضرورة القوافي، فأما في القراءة فلا. قلت: والبيت لأوس بن حجر، وهو في «ديوانه» ٢١، «والصالح»، و«اللسان» و«التاج»: عبد. قلت: ورواه ابن سيده في «المختص» ٩٥/٣: «وإن أباكم وغب».

(٣) «معاني القرآن» ٣١٤/١، وفي الطبري ٤٤١/١٠: ولو قرئ ذلك «وَعَبَّيْدَ الطَّاغُوتُ» بالكسر كان له مخرج في العربية صحيح، وإن لم أستجز اليوم القراءة بها، إذ كانت قراءة الحجة من القراءة بخلافها. ووجه جوازها في العربية أن يكون مراداً بها: عبدة الطاغوت، ثم حذفت الهاء للإضافة كما قال الزجاج: قام ولاها فسقوه صرخداً، يريد: قام ولاتها، فحذف التاء من «ولاتها» للإضافة. قلت: وصرخداً: موضع بالشام، من عمل حوران، تنسب إليه الخمر الجيدة.

«الطاغوت». وقرأ أبو السَّمَاك: «وَعَبْدَةُ» بفتح العين والياء والدال وتاء في اللفظ بعد الدال مرفوعة مع كسر تاء «الطاغوت». وقرأ معاذ القارئ: «وعابد» مثل قراءة أبي هريرة إلا أنه ضم الدال. وقرأ أبو حيو: «وَعَبَادَ» بتشديد الباء وبألف بعدها مع رفع العين، وفتح الدال. وقرأ ابن حَظْلَم، وعمرو بن فائد: «وَعَبَادُ» مثل أبي حيو إلا أن العين مفتوحة والدال مضمومة. وقد سبق ذكر «الطاغوت» في سورة (البقرة). وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: الأصنام. والثاني: الشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ شِرْكٌ مَّا كَانَ﴾ أي: هؤلاء الذين وصفناهم شر مكاناً من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبني على كلام الخصم، حين قالوا للمؤمنين: لا تعرف شرّاً منكم، قليل: من كان بهذه الصفة، فهو شرّ منهم.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا مَآءًا وَقَدْ دَخَلُوا بِأَلْفِ رِجَالٍ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ أَغْنَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا مَآءًا﴾ قال قتادة: هؤلاء ناسٌ من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فيخبرونه أنهم مؤمنون بما جاء به، وهم متمسكون بضلاتهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِأَلْفِ رِجَالٍ﴾ أي: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، فالكفر معهم في حالتهم، ﴿وَاللَّهُ أَغْنَىٰ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ من الكفر والنفاق.

﴿وَرَوَّى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْكِرُونَ فِي الْآثِرِ وَالْمَدِينِ وَأَحْبَلُهُمُ السَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوَّى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿يُسْكِرُونَ﴾، أي: يبادرون ﴿فِي الْآثِرِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المعاصي، قاله ابن عباس: والثاني: الكفر، قاله السدي. فأما العدوان فهو الظلم. وفي «السحت» ثلاثة أقوال: أحدها: الرشوة في الحكم. والثاني: الرشوة في الدين. والثالث: الربا.

﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الرِّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمَا أَتَيْنَاهُمُ السَّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الرِّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ «لولا» بمعنى: «هلا» و«الرَّبَّانِيُّونَ» مذكورون في (آل عمران)، و«الأحبار» قد تقدم ذكرهم في هذه السورة. وهذه الآية من أشد الآيات على تاركي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأن الله تعالى جمع بين فاعل المنكر وتارك الإنكار في الذم. قال ابن عباس: ما في القرآن آية أشدّ توبيخاً من هذه الآية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُمُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُبْقِي كَيْفَ يَشَاءُ وَلَئِذَا دُرِّجَتْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أَثَرُ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ ظَنَيْنَا أَنَّكَ عَظِيمُ الْقُدْرَةِ وَالْبَغْيَاءِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في فتن خاص اليهودي وأصحابه، قالوا: يد الله مغلولة. وقال مقاتل: فتن خاص وابن صلوبا<sup>(١)</sup>، وعازر بن أبي عازر. وفي سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد ﷺ وكفروا به كُفَّت عنهم بعض ما كان بسط لهم، فقالوا: يد الله مغلولة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثاني: أن الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا: إن الله بخيل، ويده مغلولة فهو يستقرضنا، قاله قتادة. والثالث: أن النصراني لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس، قالت اليهود: لو كان الله صحيحاً، لمنعنا منه، فيده مغلولة، ذكره قتادة أيضاً. والمغلولة: الممسكة المنقبضة. وعن ماذا عَنُوا أنها ممسكة، فيه قولان: أحدهما: عن العطاء، قاله ابن عباس، وقاتدة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: ممسكة عن عذابنا، فلا يعذبنا إلا تحلة القسم بقدر عبادتنا العجل، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: غلت في جهنم، قاله الحسن. والثاني: أمسكت

(١) في «البحر المحيط» ٥٢٢/٣: صوريا.

عن الخير، قاله مقاتل. والثالث: جُعِلُوا بُخْلَاء، فهم أبخل قوم، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذا خبر أخير الله تعالى به الخلق أن هذا قد نزل بهم، وموضعه نصب على معنى الحال. تقديره: قالت اليهود هذا في حال حكم الله بغل أيديهم، ولعنته إياهم، ويجوز أن يكون المعنى: فغلت أيديهم، ويجوز أن يكون دعاء، معناه: تعليم الله لنا كيف ندعو عليهم، كقوله: ﴿وَكَيْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [اللب: ١] وقوله: ﴿لَتَنَحْنَنَّ آلَ مَرْيَمَ﴾ [التنج: ٢٧]. وفي قوله: ﴿وَلِيُؤْثِرُوا بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أبعدوا من رحمة الله. والثاني: عذبوا في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار. والثالث: مُسَخَّرُوا قُرَّةً وَخَنَازِيرَ. وروى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من لمن شيئاً لم يكن للنعمة أهلاً رجعت اللعنة على اليهود بلعنة الله إياهم». قال الزجاج: وقد ذهب قومٌ إلى أن معنى «يد الله»: نعمته، وهذا خطأ ينقضه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَالْيَقِينِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. بل «يَدَاهُ» مَبْسُوكَتَانِ: أنه جواد يتفق كيف يشاء<sup>(١)</sup> وإلى نحو هذا ذهب ابن الأنباري. قال ابن عباس: إن شاء وسَّع في الرزق، وإن شاء قَتَّر.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَيْدَهُمْ مَا أُوْثِرُوا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ قال الزجاج: كلما أنزل عليك شيء كفروا به، فيزيد كفرهم. والطغيان: هاتنا: الغلو في الكفر. وقال مقاتل: وليزيدن بني النضير ما أنزل إليك من ريك من امر الرجم والذماء طغياناً وكفراً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَالْفُتُوحِ﴾ فيمن عني بهذا قولان: أحدهما: اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. فإن قيل: فأين ذكر النصارى؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْيَهُودَ وَالْمَسِيحَ أَوْلِيَاءَ﴾. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا أَوْفَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ لَمَفْلَاحًا﴾ ذكر ليقاد النار مَثَلٌ ضَرْبٌ لاجتهادهم في المحاربة، وقيل: إن الأصل في استعارة اسم النار للحرب أن القبيلة من العرب كانت إذا أرادت حرب أخرى أوقدت النار على رؤوس الجبال، والمواضع المرتفعة، ليعلم استعدادهم للحرب، فيتأهب من يريد إعانتهم. وقيل: كانوا إذا تحالفوا على الجُدِّ في حربهم، أوقدوا ناراً، وتحالفوا. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: كلما جمعوا لحرب النبي ﷺ فزقههم الله. والثاني: كلما مكروا مكرأ رده الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: بالمعاصي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بمحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم، ودفع الإسلام، قاله الزجاج. والثالث: بالكفر. والرابع: بالظلم، ذكرهما الماوردي.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَكَفَلْنَهُمْ جَنَّتِ النَّارُ﴾ [١٥]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿آمَنُوا﴾ بالله وبرسله ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ﴾ التي سلفت.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَالْآيَاتِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْفُرُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [١٦]

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَالْآيَاتِ﴾ قال ابن عباس: عملوا بما فيها. وفيما أنزل إليهم من ربهم قولان: أحدهما: كتب أنبياء بني إسرائيل. والثاني: القرآن، لأنهم لما خطبوا به، كان نازلاً إليهم.

قوله تعالى: ﴿لَأَكْفُرُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لأكلوا بقطر السماء، ونبات الأرض، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقاتل. والثاني: أن المعنى: لو سَّع عليهم، كما يقال: فلان في خير من قرنه إلى

(١) روى البخاري ٢٦٥/٨، ٣٤٧/١٣، ومسلم ٦٩١/٢ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يمين الله ملأى لا يغيثها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرايتم ما أتفق مثل خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يفيض ما في يمينه. قال: وعرشه على الماء وفي يده الأخرى القبض يرفع ويخفض. وقال: يقول الله تعالى: اتَّقِ أَتَقِ عَليكَ». وقوله: سحاء، بفتح السين وتشديد الحاء، أي: دائم الصب والهطل بالمطاء. وقوله: لا يغيثها، أي: لا ينقذها. والليل والنهار: منصوبان على الظرف.



قدمه، ذكره الفراء، والزجاج. وقد أعلم الله تعالى بهذا أن التقوى سبب في توسعة الرزق كما قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال: ﴿وَرَزَقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ أَنَّهُ مُتَعَبِدٌ﴾ يعني: من أهل الكتاب، وهم الذين أسلموا منهم، قاله ابن عباس، ومجاهد. وقال القرطبي: هم الذين قالوا: المسيح عبد الله ورسوله. و«الاقتصاد» الاعتدال في القول والعمل من غير غلو ولا تقصير.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَبْعَثُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧)

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت على أسباب، روى الحسن أن النبي ﷺ قال: «لما بعثني الله برسالته، ضقت بها ذرعاً، وعرفت أن من الناس من يكذبني»، وكان رسول الله ﷺ، يهاب قريشاً واليهود والنصارى، فأنزل الله هذه الآية (١٧). وقال مجاهد: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «يا رب كيف أصنع؟ إنا أنا وحدي يجتمع علي الناس»، فأنزل الله ﴿وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَبْعَثُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. وقال مقاتل: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحُرض بهذه الآية. وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يحرس فيرسل معه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه الآية، فقال: «يا حمّاه إن الله قد عصمني من الجن والإنس» (١٧). وقال أبو هريرة: نزل رسول الله ﷺ ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، فقال: يا محمد من يمنعني منك؟ فقال: «الله»، فنزل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَبْعَثُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١٧). قالت عائشة: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: ما شأنك؟ قال: «ألا رجلٌ صالح يحرسني الليلة»، فبينما نحن في ذلك إذ سمعت صوت السلاح، فقال: «من هذا؟ فقال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطة، فنزلت ﴿وَاللَّهُ يَبْعَثُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة آدم وقال: «انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالى» (١٧). قال الزجاج: قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ معناه: بلغ جميع ما أنزل إليك، ولا تراقب أحداً، ولا تترك شيئاً منه مخافة أن ينالك مكروه، فإن تركت منه شيئاً، فما بلغت (١٧). قال ابن قتيبة: يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿وَاللَّهُ يَبْعَثُكَ﴾ وقال ابن عباس: إن كتبت آية فما بلغت رسالتي. وقال غيره: المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك جهراً، فإن أخفيت شيئاً منه لخوف أذى يلحقك، فكأنك ما بلغت شيئاً. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «رسالته» على التوحيد. وقرأ نافع «رسالته» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَبْعَثُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يمنعك منهم. وعصمة الله: منعه للعبد من المعاصي، ويقال: طعام لا يعصم، أي: لا يمنع من الجوع. فإن قيل: فأين ضمان العصمة وقد شُجَّ جبينه، وكسرت رباعيته، ويبلغ في أذاه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجملة، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجملة. والثاني: أن هذه الآية نزلت بعدما جرى عليه ذلك، لأن «المائدة» من أواخر ما نزل.

(١) نسه السيوطي في «الدر المثور» ٣٩٨/٢ لأبي الشيخ.

(٢) نقل ابن كثير في «التفسير» ٧٨/٢ عن ابن مردويه خبراً بمعناه عن جابر بن عبد الله، ثم قال: وهذا حديث غريب وفيه نكارة، فإن هذه الآية مدنية، وهذا الحديث يقتضي أنها مكية، ثم أخرج عن ابن مردويه الحديث الذي ذكره المصنف، وقال: رواه الطبراني عن يعقوب بن خيلان العماني عن أبي كريب به، وهذا أيضاً حديث غريب، والصحيح أن هذه الآية مدنية بل هي من أواخر ما نزل بها، والله أعلم.

(٣) الخبر في «موارد الغلمان» في زوائد ابن حبان، ٤٣، ونقله ابن كثير عن ابن مردويه وابن حبان. وفي سننه مؤمل بن إسماعيل المدودي وهو صدوق سيء الحفظ، وانظر ترجمته في «التهذيب» ٣٨٠/١٠.

(٤) الترمذي ٩٦/٤، والطبري ٤٦٩/١٠، والحاكم ٣١٣/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقد حسن الحافظ في «الفتح» إسناده.

(٥) روى البخاري ٢٠٦/٨، ومسلم ١٥٩/١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد كذب، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يهديهم إلى الجنة. والثاني: لا يعينهم على بلوغ غرضهم.

﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتِمُّوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن دُونِهِمَا وَلَٰكِن مَّا نُنَزِّلُ إِلَّا بِحُكْمِ اللَّهِ فَيَكُونُ لَكُم مِّنْهُ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تومن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها حق؟ قال: «بلى، ولكنكم أحدثتم وحدثتم ما فيها، فأنابريء من إحدائكم». فقالوا: نحن على الهدى، وناخذ بما في أيدينا، ولا نؤمن بك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. فأما أهل الكتاب، فالمراد بهم اليهود والنصارى. وقوله: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: لستم على شيء من الدين الحق حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وإقامتهما: العلم بما فيهما، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ. وفي الذي أنزل إليهم من ربهم قولان قد سبقا، وكذلك باقي الآية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقَاتُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في (البقرة). وكذلك اختلفوا في إحكامها ونسخها كما بينا هناك. فأما رفع «الصابئين» فذكر الزجاج عن البصريين، منهم الخليل، وسيبويه أن قوله: «والصابئون» محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء. والمعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً، وأنشدوا:

وَالْأَفَاعِلُمَا أَنَا وَأَنْتُمْ بُغَاةٌ مَا بَقِينَا فِي شِقَاقٍ<sup>(١)</sup>

المعنى: فاعلموا أنا بغاة ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضاً كذلك.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَرَأْسَنَّا لِحْمَتِهِمْ رُسُلًا كَلَّمْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال مقاتل: أخذ ميثاقهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها. قال ابن عباس: كان فيمن كذبوا، محمد، وعيسى، وفيمن قتلوا، زكريا، ويحيى. قال الزجاج: فأما التكذيب، فاليهود، والنصارى يشتركون فيه. وأما القتل فيختص اليهود.

﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوِينَ فَتْنَةً فَعَمُوا وَصَبُّوا نُحُورَهُمْ وَأَنَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَنَّ تَكْوِينَ فَتْنَةً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «تكون» بالنصب. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «تكون» بالرفع، ولم يختلفوا في رفع «فتنة». قال مكي بن أبي طالب: من رفع جعل «أن» مخففة من الثقيلة، وأضمر معها «الهاء»، وجعل «حسبوا» بمعنى: أيقنوا، لأن «أن» للتأكيد، والتأكيد لا يجوز إلا مع اليقين. والتقدير: أنه لا تكون فتنة. ومن نصب جعل «أن» هي الناصبة للفعل، وجعل «حسبوا» بمعنى: ظنوا. ولو كان قبل «أن» فعل لا يصلح للشك، لم يجوز أن تكون إلا مخففة من الثقيلة، ولم يجوز نصب الفعل بها، كقوله: ﴿أَنَّا بَرَزْنَا عَلَىٰ رَءِيسِ مَا يَكُونُ فِي السَّيِّئِينَ﴾ [المزمل: ٢٠] قال أبو علي: الأفعال ثلاثة: فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره، نحو العلم واليقين، وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار، وفعل يجذب إلى هذا مرة، وإلى هذا أخرى، فما كان معناه العلم، وقعت بعده «أن» الثقيلة، لأن معناها ثبوت الشيء واستقراره، كقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُرَوِّدُهُمْ فِي سَبِيلِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٦] وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مُرَوِّدُهُمْ فِي سَبِيلِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٦]

(١) البيت لبشر بن أبي خازم من قصيدة يهجو بها أوس بن حارثة. وهو في «ديوانه» ١٦٥، وسيبويه ٢٩٠/١، وشواهد الحيني ٢٧١/٢ وقيله:

إِذَا جَسَزْتَ نَوَاصِييَ كُلِّ بَدْرٍ

فَأَدْوَمَهَا وَأَسْرَىٰ فِي السَّوْثَاقِ

وقصة البيتين أن قوماً من آل بدر الفزاريين جاؤا بني لأم من طيء، فأسترهم طيء، وجزوا نواصيهم، وقالوا: منّا عليكم ولم نقلكم، فغضب بنو فزارة، فانتصر لهم بشر للحلف الذي كان بينهم وبين بني أسد قومه. والمعنى: أدوا إلينا نواصي بني بدر، واحملوا معها أسرارهم، وإلا فإنّا وأنتم متصادمون أبداً.

أَلْعَنُ الَّذِينَ ﴿النور: ٢٥﴾ ﴿أَرَيْتُمْ إِنْ أَلَّهَ رَبِّي﴾ [العلق: ١٤] وما كان على غير وجه الثبات والاستقرار نحو: أطمع وأخاف وأرجو، وقعت بعده «أن» الخفيفة، كقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيَّاءَ حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخْطِفَكُمْ أَنْثَى﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿فَخَيْبَتَا أَنْ يُرْهِمَا﴾ [الكهف: ٨٠] ﴿أَلْمَعَ أَنْ يَقْرَأَ لِي﴾ [الشعراء: ٨٢] وما كان متردداً بين الحالين مثل حسبْتُ وظننت، فإنه يُجعل تارة بمنزلة العلم، وتارة بمنزلة أرجو وأطمع وكلتا القراءتين في ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ قد جاء بها التنزيل. فمثل مذهب من نصب: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَحْمَلَهُمْ﴾ [الجانبية: ٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَمْشُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت: ٤] ﴿أَحْسِبَ أَنْتَ أَنْ يُتْرَكَ﴾ [العنكبوت: ٢] ومثل مذهب من رفع: ﴿أَحْسِبُونَ أَنَّكَ تُؤْذِرُهُمُ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ يَرْهَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠] قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا يعذبهم، ولا يبتليهم يقتلهم الأنبياء، وتكذيبهم الرسل.

قوله تعالى: ﴿فَسَمُوا وَصَمُوا﴾ قال الزجاج: هذا مثل تأويله: أنهم لم يعملوا بما سمعوا، ورأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: رفع عنهم البلاء، قاله مقاتل. وقال غيره: هو ظفرهم بالأعداء، وذلك مذكور في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٦]. والثاني: أن معنى «تاب عليهم»: أرسل إليهم محمداً يعلمهم أن الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدّقوا، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ قولان: أحدهما: لم يتوبوا بعد رفع البلاء، قاله مقاتل. والثاني: لم يؤمنوا بعد بعثة محمد ﷺ، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: عمي وصم كثير منهم، كما تقول: جاءني قومك أكثرهم. قال ابن الأنباري: هذه الآية نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل أن يُبعث رسول الله ﷺ، فلما بعث كذبوه بغياً وحسداً، وقدروا أن هذا الفعل لا يكون مؤيقاً لهم، وجانباً عليهم، فقال الله تعالى: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ أي: ظنوا ألا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر، فعموا وصموا بمجانبة الحق. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عرّضهم للتوبة بأن أرسل محمداً ﷺ وإن لم يتوبوا، ثم عموا وصموا بعد بيان الحق بمحمد، كثير منهم، فخص بعضهم بالفعل الأخير، لأنهم لم يجتمعوا كلهم على خلاف رسول الله ﷺ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَؤُا لِمَتَوَلَّيْتُ عَبْدُ اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال مقاتل: نزلت في نصارى نجران، قالوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ أي: وقد كان المسيح قال لهم وهو بين أظهرهم: إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَالِكٌ لَكَدْنُكَ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَالِكٌ لَكَدْنُكَ﴾ قال مجاهد: هم النصارى. قال وهب بن منبه: لما ولد عيسى لم يبق صنم إلا خراً لوجهه، فاجتمعت الشياطين إلى إبليس، فأخبروه، فذهب فطاف أقطار الأرض، ثم رجع، فقال: هذا المولود الذي ولد من غير ذكر، أردت أن أنظر إليه، فوجدت الملائكة قد حقت بأمره، فليختلف عندي اثنان من مردتك. فلما أصبح، خرج بهما في صورة الرجال، فأتوا مسجد بني إسرائيل وهم يتحدثون بأمر عيسى، ويقولون: مولود من غير أب. فقال إبليس: ما هذا بشر، ولكن الله أحب أن يتمثل في امرأة ليختبر العباد، فقال أحد صاحبيه: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أحب أن يتخذ ولداً. وقال الثالث: ما أعظم ما قلت، ولكن الله أراد أن يجعل إلهاً في الأرض، فآلقوا هذا الكلام على ألسنة الناس، ثم تفرقوا، فتكلم به الناس. وقال محمد بن كعب: لما رُفِعَ عيسى اجتمع منه من علماء بني إسرائيل، وانتخبوا منهم أربعة، فقال أحدهم: عيسى هو الله كان في الأرض ما

بدا له، ثم صعد إلى السماء، لأنه لا يحيي الموتى ولا يبرئ الأكفم والأبرص إلا الله. وقال الثاني: ليس كذلك، لأننا قد عرفنا عيسى، وعرفنا أمه، ولكنه ابن الله. وقال الثالث: لا أقول كما قلتما، ولكن جاءت به أمه من عمل غير صالح. فقال الرابع: لقد قلتم قبيحاً، ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته، فخرجوا، فاتبع كل رجل منهم عتقاً<sup>(١)</sup> من الناس. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن النصارى قالت: الإلهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكل واحد منهم إله. وفي الآية إضمار، فالمعنى: ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا وهو ثالثهما، وقد دل على المحذوف قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ﴾. قال الزجاج: ومعنى ثالث ثلاثة: أنه أحد ثلاثة. ودخلت «من» في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ للتوكيد. والذين كفروا منهم، هم المقيمون على هذا القول. وقال ابن جرير: المعنى: ليمس الذين يقولون: المسيح هو الله، والذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكل كافر يسلك سبيلهم، عذاب أليم.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ رَبِّهِمْ﴾ (٧٤)

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ قال الفراء: لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾

[المائدة: ٩١].

﴿مَّا السَّيِّئُ بَرُّهُ إِلَّا رَشُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَشْرُ صِدْقَهُ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرُ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرُ أَنَّ يُؤْتِكُونُ﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿مَّا السَّيِّئُ بَرُّهُ إِلَّا رَشُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادعائهم إلهيته. والمعنى: أنه ليس بإله، وإنما حكمه حكم من سبقه من الرسل. وفي قوله: ﴿وَأَشْرُ صِدْقَهُ﴾ رد على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة. قال الزجاج: والصدقة: المبالغة في الصدق، وصدیق «فعل» من أبنية المبالغة، كما تقول: فلان سكت، أي: مبالغ في السكوت. وفي قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قولان: أحدهما: أنه بين أنهما يعيشان بالغذاء، ومن لا يقيمه إلا أكل الطعام فليس بإله، قاله الزجاج. والثاني: أنه نَبَّهَ بأكل الطعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لأكل الطعام من الحدث، قاله ابن قتيبة. قال: وقوله: ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ بَيَّنَّ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ من اللطف ما يكون من الكناية. و«يؤفكون»: يُصرفون عن الحق ويُعدلون، يقال: أفك الرجل عن كذا: إذا عدل عنه، وأرض مأفوك: محرومة المطر والنبات، كان ذلك صُرف عنها وعدل.

﴿ثُمَّ أَتْبَعُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ شَيْئاً وَلَا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: قل لنصارى نجران: أتعبدون من دون الله، يعني عيسى ابن مريم ما لا يملك لكم ضرراً في الدنيا، ولا نفعاً في الآخرة. والله هو السميع لقولهم: المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، العليم بمقاتلتهم.

﴿ثُمَّ يَأْتِلُ الْكَتِبَ لَا تَقْلُوا فِي وَبِعِكُمْ عِندَ الْحَيِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاكُمُ السَّبِيلَ﴾ (٧٧)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِلُ الْكَتِبَ﴾ قال مقاتل: هم نصارى نجران. والمعنى: لا تغلوا في دينكم، فتقولوا غير الحق في عيسى. وقد بينا معنى «الغلو» في آخر سورة (النساء).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ قال أبو سليمان: من قبل أن تضلوا. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم رؤساء الضلالة من اليهود. والثاني: رؤساء اليهود والنصارى. والآية خطاب للذين كانوا في عصر نبينا ﷺ نُهَرُوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم.

﴿لَمِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨)



قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنَاتِ إِتْرَافِيلَ﴾ في لعنهم قولان: أحدهما: أنه نفس اللعن، ومعناه: المباحدة من الرحمة. قال ابن عباس: لُعِنُوا على لسان داود، فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى في الإنجيل. قال الزجاج: وجائز أن يكون داود وعيسى أغليماً أن محمداً نبي، ولعنوا من كفر به. والثاني: أنه المسخ، قاله مجاهد، لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، وعلى لسان عيسى، فصاروا خنازير. وقال الحسن، وقتادة: لعن أصحاب السبت على لسان داود، فإنهم لما اعتدوا، قال داود: اللهم العنهم، واجعلهم آية، فمسخوا قردة. ولعن أصحاب المائدة على لسان عيسى، فإنهم لما أكلوا منها ولم يؤمنوا؛ قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فجعلوا خنازير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَمَّا عَصَا﴾ أي: ذلك اللعن بمصعبتهم لله تعالى في مخالفتهم أمره ونهيه، وباعتدائهم في مجاوزة ما حذره لهم.

﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ التناهي: تفاعل من النهي، أي: كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكر. وذكر المفسرون في هذا المنكر ثلاثة أقوال: أحدها: صيد السمك يوم السبت. والثاني: أخذ الرشوة في الحكم. والثالث: أكل الربا، وأثمان الشحوم. وذكر المنكر منكرًا يدل على الإطلاق، ويمنع هذا الحصر، ويدل على ما قلنا، ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشريبه، فلما رأى الله تعالى ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال الزجاج: اللآم دخلت للقسم والتوكيد، والمعنى: لبئس شيئاً فعلهم.

﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْا الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا أَتَوْا بِالْحَقِّ مَا أَخَذْنَاهُمْ بَأْوَالِهِ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿كَرِهَ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنهم اليهود، قاله مقاتل في آخرين، فعلى هذا القول انتظام الآيات ظاهر، وعلى الأول يرجع الكلام إلى قوله: ﴿قَرَّبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَيِّئُونَ فِيهِمْ﴾. وفي الذين كفروا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أرباب القول الأول. والثاني: أنهم مشركو العرب، قاله أرباب هذا القول الثاني.

قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: بشما قدموا لمعادهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون «أن» في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل: هو أن سخط الله عليهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِإِنْ مِنْهُمْ قِيسِيَّةٌ وَهَكَذَا وَأَنْهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ زَجَرَتْ أَعْيُنُهُمْ فَيُضْئِلُ بَصَرًا وَمِثْلَ نَبَا عَثُورٍ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَاثِمًا فَاكِتِبْكَ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه. قال سعيد بن جبير: بعث النجاشي قوماً إلى رسول الله ﷺ فأسلموا، فنزلت فيهم هذه الآية والتي بعدها<sup>(٢)</sup>، وسند ذكر قصتهم فيما بعد. قال الزجاج: واللام في «لتجدن» لام القسم، والنون دخلت تفصل بين الحال والاستقبال، و«عداوة» منصوب على التمييز، واليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبي ﷺ.

(١) أحمد ٢٦٨/٥، وأبو داود ١٧٢/٤، والترمذي ٩٧/٤، وابن ماجه ١٣٢٧/٢، وابن جرير ٤٩٢/١٠ عن عبد الله بن مسعود ؓ. قال المنذري: وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه فهو منقطع.

(٢) اختار الإمام أبو جعفر الطبري أن هذه الآيات نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء كانوا من الحبشة أو غيرها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: عبدة الأوثان. فأما الذين قالوا: إنا نصارى، فهل هذا عام في كل النصارى، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه خاص، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد النجاشي وأصحابه لما أسلموا، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: أنهم قوم من النصارى كانوا متمسكين بشريعة عيسى، فلما جاء محمد ﷺ أسلموا، قاله قتادة. والقول الثاني: أنه عام. قال الزجاج: يجوز أن يراد به النصارى، لأنهم كانوا أقل مظهرة للمشركين من اليهود.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ قال الزجاج: «القس» و«القسيس»: من رؤساء النصارى. وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم، فأما «الرهبان» فهم العباد أرباب الصوامع. قال ابن فارس: الترقب: التعبد، فإن قيل: كيف مدحهم بأن منهم قسيسين وزهباناً، وليس ذلك من أمر شريعتنا؟ فالجواب: أنه مدحهم بالتمسك بدین عيسى حين استعملوا في أمر محمد ما أخذ عليهم في كتابهم، وقد كانت الرهبانية مستحسنة في دينهم. والمعنى: بأن فيهم علماء بما أوصى به عيسى من أمر محمد ﷺ. قال القاضي أبو يعلى: وربما ظن جاهل أن في هذه الآية مدح النصارى، وليس كذلك، لأنه إنما مدح من آمن منهم، ويدل عليه ما بعد ذلك، ولا شك أن مقالة النصارى أقبح من مقالة اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَتَكَبَّرُونَ﴾، أي: لا يتكبرون عن اتباع الحق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَرْسَلُوا﴾ قال ابن عباس: لما حضر أصحاب النبي ﷺ بين يدي النجاشي، وقرؤوا القرآن، سمع ذلك القسيسون والرهبان، فأنحدت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَيُنَادُوا بِالنَّبِيِّينَ﴾. وقال سعيد بن جبير: بعث النجاشي من خيار أصحابه ثلاثين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، فبكوا ورقوا، وقالوا: نعرف الله، وأسلموا، وذهبوا إلى النجاشي فأخبروه فأسلم، فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَرْسَلُوا﴾.. الآية. وقال السدي: كانوا اثني عشر رجلاً؛ سبعة من القسيسين، وخمسة من الرهبان، فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، بكوا وآمنوا، فنزلت هذه الآية فيهم.

قوله تعالى: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي: مع من يشهد بالحق. وللمفسرين في المراد بالشاهدين هاهنا أربعة أقوال: أحدها: محمد وأمه، رواه علي بن أبي طلحة، وعكرمة عن ابن عباس. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الذين يشهدون بالإيمان، قاله الحسن. والرابع: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ٨٤ ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا فَجَنَّتْ سَحَابٌ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِفِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٥ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ٨٦

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: لا مهم قومهم على الإيمان، فقالوا هذا. وفي القوم الصالحين ثلاثة أقوال: أحدها: أصحاب رسول الله، قاله ابن عباس. والثاني: رسول الله ﷺ وأصحابه، قاله ابن زيد. والثالث: المهاجرون الأولون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: ثواب المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا ظَنَيبَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا بِكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَعَتِينَ﴾ ٨٧ ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا حَلَالًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْشَأَ مِنْكُمْ نَفْسًا وَتَقَاتُوا﴾ ٨٨

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا ظَنَيبَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ، منهم عثمان بن مظعون، حرّموا اللحم والنساء على أنفسهم، وأرادوا جت أنفسهم ليتفرغوا للعبادة، فقال رسول الله: «لم أؤمر بذلك»، ونزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواتقوا على

ذلك، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «من رغب عن سنّتي فليس مني» ونزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال السدي: كان سبب عزيمهم على ذلك أن رسول الله ﷺ جلس يوماً، فلم يزدهم على التخويف، فرقّ الناس، وبكوا، فعزم هؤلاء على ذلك، وحلفوا على ما عزموا عليه. وقال عكرمة: إن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد، وسالمًا مولى أبي حذيفة في أصحابه، تبتّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح<sup>(٢)</sup> وحرّموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني إسرائيل، وهموا بالاختصاء، وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: إني إذا أكلت من هذا اللحم، أقبلت على النساء، وإنّي حرّمته عليّ، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن ضيفاً نزل بعد الله بن راحة، ولم يكن حاضراً، فلما جاء، قال لزوجته: هل أكل الضيف؟ فقالت: انتظرتك. فقال: حبست ضيفي من أجلي؟! طعامك عليّ حرام. فقالت: وهو عليّ حرام إن لم تأكله، فقال الضيف: وهو عليّ حرام إن لم تأكلوه، فلما رأى ذلك ابن راحة قال: قربي طعامك، كلوا بسم الله، ثم غدا إلى النبي ﷺ، فأخبره بذلك فقال: أحسنت، ونزلت هذه الآية، وقرأ حتى بلغ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ﴾ رواه عبد الرحمن بن زيد عن أبيه<sup>(٤)</sup>. فأما «الطيبات» فهي اللذيزات التي تشتهيها النفوس مما أبيح. وفي قوله: «ولا تعتدوا» خمسة أقوال: أحدها: لا تجبّوا أنفسكم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم. والثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن. والثالث: لا تسبّروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة. والرابع: لا تحرّموا الحلال، قاله مقاتل. والخامس: لا تغصبوا الأموال المحرّمة، ذكره الماوردي.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِمَّنْ تَقُولُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ يَكُونُ لَهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَوْمًا فَلْيَأْتِ ذَلِكَ كَفَرْتُمْ آيَاتِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْوَ فِي آيَاتِكُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال القوم الذين كانوا حرّموا النساء واللحم: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد سبق ذكر «اللغو» في سورة (البقرة).

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «عقدتم» بغير ألف، مشددة القاف. قال أبو عمرو: معناها: وكدتم. وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «عقدتم» خفيفة بغير ألف، واختارها أبو عبيد. قال ابن جرير: معناه: أوجبتوها على أنفسكم. وقرأ ابن عامر: «عاهدتم» بآلف، مثل «عاهدتم». قال القاضي أبو يعلى: وهذه القراءة المشددة لا تحتل إلا عقد قول. فأما المخففة، فتحتمل عقد القلب، وعقد القول. وذكر المفسرون في معنى الكلام قولين: أحدهما: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم عليه قلوبكم في التعمد لليمين، قاله مجاهد. والثاني: بما عقدتم عليه قلوبكم أنه كذب، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿فَكَفَرْتُمْهُ﴾ قال ابن جرير: الهاء عائدة على «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾

## فصل

فأما إطعام المساكين، فروى عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، والحسن في آخرين: أن لكل مسكين

(١) ابن جرير ٥١٩/١٠ عن عكرمة بمعناه، وخرجه السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) المسوح: جمع مسح بكسر فسكون: وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان.

(٣) الترمذي ٩٧/٤، وابن جرير ٥٢٠/١٠. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروى البخاري ٢٠٧/٨ عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نخصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا نِكَاحَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

(٤) ابن جرير ٥١٩/١٠، وزاد السيوطي في «الدر المثلث» نسبه إلى ابن أبي حاتم.

مَذْبُورٌ، وبه قال مالك، والشافعي. وروي عن عمر، وعلي، وعائشة في آخرين: لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ، قال عمر، وعائشة: أو صاعاً من تمر، وبه قال أبو حنيفة. ومذهب أصحابنا في جميع الكفارات التي فيها إطعام، مثل كفارة اليمين، والظهار، وفدية الأذى، والمفرقة في قضاء رمضان، مَذْبُورٌ، أو نصف صاع تمر أو شعير. ومن شرط صحة الكفارة، تملك الطعام للفقراء، فإن غَدَّاهم وعَشَّاهم، لم يجزئه، وبه قال سعيد بن جبير، والشافعي. وقال الثوري، والأوزاعي: يجزئه، وبه قال أبو حنيفة، ومالك. ولا يجوز صرف مَدِينٍ إلى مسكين واحد، ولا إخراج القيمة في الكفارة، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز. قال الزجاج: وإنما وقع لفظ التذكير في المساكين، ولو كانوا إنثاءً لأجزاء، لأن المغْلَبَ في كلام العرب التذكير. وفي قوله: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِئِنُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ قولان: أحدهما: من أوسطه في القدر، قاله عمر، وعلي، وابن عباس، ومجاهد. والثاني: من أوسط أجناس الطعام، قاله ابن عمر، والأسود، وعبيدة، الحسن، وابن سيرين. وروي عن ابن عباس قال: كان أهل المدينة [يقولون]: للحرِّ من القوت أكثر مما للمملوك، وللكبير أكثر ما للصغير، فنزلت ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْمِئِنُّونَ أَهْلِيكُمْ﴾ ليس بأفضله ولا بأخسّه. وفي كسوتهم خمسة أقوال: أحدها: أنها ثوبٌ واحدٌ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، والشافعي. والثاني: ثوبان، قاله أبو موسى الأشعري، وابن المسيب، والحسن، وابن سيرين، والضحاك. والثالث: إزار ورداء وقميص، قاله ابن عمر. والرابع: ثوب جامع كالملحفة، قاله إبراهيم النخعي. والخامس: كسوة تجزئ فيها الصلاة، قاله مالك. ومذهب أصحابنا: أنه إن كسا الرجل، كساه ثوباً، والمرأة ثوبين، درعاً وخماراً، وهو أدنى ما تُجْزئ فيه الصلاة. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، ويحيى بن يعمر: «أو كُسوتهم»، بضم الكاف. وقد قرأ سعيد بن جبير، وأبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ<sup>(١)</sup>: «أو كاسوتهم» بهجمة مكسورة، مفتوحة الكاف، مكسورة التاء والهاء. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنهما فتحا الهمزة. قال المصنف: ولا أرى هذه القراءة جائزة، لأنها تسقط أصلاً من أصول الكفارة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَبَّةٍ﴾ تحريرها: عتقها، والمراد بالرقبة: جملة الشخص. واتفقوا على اشتراط إيمان الرقبة في كفارة القتل لموضع النص. واختلفوا في إيمان الرقبة المذكورة في هذه الكفارة على قولين: أحدهما: أنه شرط، وبه قال الشافعي، لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل، فوجب حمل المطلق على المقيّد. والثاني: ليس بشرط، وبه قال أبو حنيفة، وعن أحمد رحمته في إيمان الرقبة المعتقة في كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع، والمنذورة، روايتان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَرَّ يَحْدُ﴾ اختلفوا فيما إذا لم يجده، صام، على خمسة أقوال: أحدها: أنه إذا لم يجد درهمين صام، قاله الحسن. والثاني: ثلاثة درهم، قاله سعيد بن جبير. والثالث: إذا لم يجد إلا قَدْرَ ما يكْفُر به، صام، قاله قتادة. والرابع: يمتنّ درهم، قاله أبو حنيفة. والخامس: إذا لم يكن له إلا قدر قوته وقوت عائلته يومه وليلته، قاله أحمد، والشافعي. وفي تنابع الثلاثة أيام، قولان: أحدهما: أنه شرط، وكان أبيّ، وابن مسعود يقرآن: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» وبه قال ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، وعطاء، وقاتدة، وأبو حنيفة، وهو قول أصحابنا. والثاني: ليس بشرط، ويجوز التفريق، وبه قال الحسن، ومالك، وللشافعي فيه قولان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَثْرَةُ آيَاتِنَا عَلَيْكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه إضمار تقديره: إذا حلفتُم وحشتم. وفي قوله: ﴿وَأَحْفَظُوا آيَاتِنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أقلّوا منها، ويشهد له قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ وأنشدوا:

قَلِيلَ الْأَيَّامِ حَافِظَ لِيَمِينِهِ<sup>(٢)</sup>

والثاني: احفظوا أنفسكم من الحنث فيها. والثالث: راعوها لكي تؤثروا الكفارة عند الحنث فيها.

(١) هو معاذ بن الحارث أبو الحارث، ويقال: أبو حليم، الأنصاري المدني المعروف بالقارئ. روى عنه نافع وابن سيرين، وحدث عنه نافع مولى ابن عمر، توفي بالحرّة سنة ثلاث وستين، وهو ابن سبع وستين. «طبقات القراء» لابن الجزري ٣٠١/٢.

(٢) وتامه: وإن سبقت منه الآية برت. والبيت لكثير عزة. «ديوانه» ٢٢٠/٢، و«اللسان»: مادة «ألي»، ولم ينسبه.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَائِغًا مِّمَّا تَرْضَوْنَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَائِغًا مِّمَّا تَرْضَوْنَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن سعد بن أبي وقاص أتى نفراً من المهاجرين والأنصار، فأكل عندهم، وشرب الخمر قبل أن تحرم، فقال: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجلٌ لُحْي (١) جمل فضربه، فجدع أنفه، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه (٢). وقال سعيد بن جبيرة: صنع رجل من الأنصار صنيعاً، فدعا سعد بن أبي وقاص، فلما أخذت فيهم الخمرة افتخروا واستبؤا، فقام الأنصاري إلى لُحْي بعير، فضرب به رأس سعد، فإذا الدم على وجهه، فذهب سعد يشكو إلى النبي ﷺ، فنزل تحريم الخمر في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَائِغًا مِّمَّا تَرْضَوْنَ﴾ (٣). والثاني: أن عمر بن الخطاب قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في (البقرة) فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في النساء ﴿لَا تَتَّبِعُوا فِي الْمَسْكُونَةِ وَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو مسرة عن عمر (٤). والثالث: أن أناساً من المسلمين شربوها، فقاتل بعضهم بعضاً، وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثُمِلوا عبت بعضهم ببعض، فلما صَحَّوْا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان!! والله لو كان بي رؤوفاً ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (٥). وقد ذكرنا الخمر والميسر في (البقرة)، وذكرنا في «النصب» في أول هذه السورة قولين، وهما اللذان ذكرهما المفسرون في الأنصاب. وذكرنا هناك «الأزلام». فأما الرُجس، فقال الزجاج: هو اسمٌ لكل ما استُغْدِرَ من عمل، يقال: رَجَسَ الرَّجُلُ يَرْجُسُ، وَرَجَسَ يَرْجَسُ: إذا عمل عملاً قبيحاً، والرُّجس بفتح الراء: شدة الصوت، فكان الرُّجس، العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال: رَعَدَ رَجَاس: إذا كان شديد الصوت.

قوله تعالى: ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَائِغًا مِّمَّا تَرْضَوْنَ﴾ قال ابن عباس: من تزيين الشيطان. فإن قيل: كيف نُسِبَ إليه، وليس من فعله؟ فالجواب: أن نسبته إليه مجاز، وإنما نسب إليه، لأنه هو الداعي إليه، المَزِين له، ألا ترى أن رجلاً لو أغرى رجلاً بضرب رجل، لجاز أن يقال له: هذا من عملك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ سَائِغًا مِّمَّا تَرْضَوْنَ﴾ قال الزجاج: اتركوه. واشتقاقه في اللغة: كونوا جانباً منه. فإن قيل: كيف ذكر في هذه الآية أشياء، ثم قال: فاجتنبوها؟ فالجواب: أن الهاء عائدة على الرُجس، والرُجس واقع على الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، ورجوع الهاء عليه بمنزلة رجوعها على الجمع الذي هو واقع عليه، ومنبئ عنه، ذكره ابن الأنباري.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ السَّيِّئُونَ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصْلَحَ سَبِيلَكُمْ أَلَيْسَ لَكُم مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِتِّفَاقٌ مَّا عَمَلْتُمْ قَاعِلُونَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ السَّيِّئُونَ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ أما «الخمر» فوقع العداوة والبغضاء فيها على نحو ما ذكرنا في سبب نزول الآية من القتال والممارسة. وأما الميسر، فقال قتادة: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيَقْمَرُ ويبقى حزيناً سليماً، فينظر إلى ماله في يد غيره، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء.

(١) لُحْي الجمل، بفتح اللام وسكون الحاء، وهما لحيان، وهما المظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

(٢) ابن جرير ٥٦٩/١٠، والمسنند ٨٢/٣، ومسلم ١٨٧٧/٤، و«مسند البيهقي» ٢٨٥/٨، و«التلخيص والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس ٤٠.

(٣) لم نجد هذا الخبر عن سعيد بن جبيرة في شيء من المراجع التي بين أيدينا.

(٤) «المسنند» ٣١٦/١، و«مسند أبي داود» ٤٤٤/٣، و«مسند النسائي» ٢٨٦/٨، والترمذي ٩٨/٤، والطبري ٥٦٦/١٠، و«مسند البيهقي» ٢٨٥/٨، و«التلخيص والمنسوخ» للنحاس: ٣٩. ونقل الحافظ في «الفتح» وابن كثير في «التفسير» تصحيحه عن علي بن المديني والترمذي.

(٥) ابن جرير ٥٧١/١٠، و«مسند البيهقي» ٢٨٥/٨، والحاكم في «المستدرک» ١٤١/٤، قال الذهبي: قلت: صحيح على شرط مسلم. وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨/٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لفظ استفهام، ومعناه: الأمر. تقديره: انتهوا. قال الفراء: رد علي أعرابي: هل أنت ساكت، هل أنت ساكت؟ وهو يريد: اسكت، اسكت. والثاني: أنه استفهام، لا بمعنى: الأمر. ذكر شيخنا علي بن عبيد الله أن جماعة كانوا يشربون الخمر بعد هذه الآية، ويقولون: لم يحرمها، إنما قال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾، فقال بعضنا: انتهينا، وقال بعضنا: لم تنته، فلما نزلت ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَبَايِعَنَّ وَالْإِثْمَ﴾ [الأعراف: ٣٣] حُرِّمَتْ، لأن «الإثم» اسم للخمر. وهذا القول ليس بشيء والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمركم، واحذروا خلافهما ﴿كَأَن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِكُمْ﴾ محمد ﴿أَلْبَلَعُ الْيُسُيُوسَ﴾ وهذا وعيد لهم، كأنه قال: فاعلموا أنكم قد استحققت العذاب لتوليكم. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنَّمَا أَتَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُوَسِّطُ لِلْخَيْرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنَّمَا أَتَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُوَسِّطُ لِلْخَيْرِينَ﴾ سبب نزولها: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا وهم يشربون الخمر، إذ كانت مباحة، فلما حرمت، قال ناس: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية، قاله البراء بن عازب<sup>(١)</sup>. و«الجناح»: الإثم. وفيما طعموا ثلاثة أقوال: أحدها: ما شربوا من الخمر قبل تحريمها، قاله ابن عباس، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: لم أطعم خبزاً وأدماء ولا ماء ولا نوماً. قال الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء يسواكم  
وإن شئت لم أطعم نفاقاً ولا برداً<sup>(٢)</sup>

النفاق: الماء [البارد] الذي ينقخ الفؤاد ببرده، والبرد: النوم. والثاني: ما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر. والثالث: ما طعموا من المباحات. وفي قوله: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوا بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا المعاصي والشرك. والثالث: اتقوا مخالفة الله في أمره. وفي قوله: ﴿وَأَمَّا﴾ قولان: أحدهما: آمنا بالله ورسوله. والثاني: آمنا بتحريمها. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال مقاتل: أقاموا على الفرائض.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ في هذه التقوى المعادة أربعة أقوال: أحدها: أن المراد خوف الله ﷻ. والثاني: أنها تقوى الخمر والميسر بعد التحريم. والثالث: أنها الدوام على التقوى. والرابع: أن التقوى الأولى مخاطبة لمن شربها قبل التحريم، والثانية لمن شربها بعد التحريم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا﴾ في هذا الإيمان المُعاد قولان: أحدهما: صدقوا بجميع ما جاء به محمد ﷺ. والثاني: آمنوا بما يجيء من الناسخ والمنسوخ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَكُفُّوا﴾ في هذه التقوى الثالثة أربعة أقوال: أحدها: اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها، قاله ابن عباس. والثاني: اتقوا ظلم العباد. والثالث: توقوا الشبهات. والرابع: اتقوا جميع المحرمات. وفي الإحسان قولان: أحدهما: أحسنوا العمل بترك شربها بعد التحريم، قاله ابن عباس. والثاني: أحسنوا العمل بعد تحريمها، قاله مقاتل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بَيِّنَاتُ اللَّهِ يَتَوَلَّى الصَّبِيرُ ذُنُوبَهُ أَتَقْتُلُونَهُمْ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾

(١) «مسند الطيالسي» ١٨/٢، والطبري ٥٧٩/١٠، والترمذي ٩٨/٤، وهذا حديث حسن صحيح. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٠/٢ وزاد نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وروى البخاري ٢٠٩/٨، ومسلم ١٤٨/١٣، والنسائي ٢٨٧/٨ عن أنس رضي الله عنه قال: كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: أخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت، فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة، قال: وكانت خمرهم يرمونها في القضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنَّمَا أَتَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُوَسِّطُ لِلْخَيْرِينَ﴾. وروى أحمد ٢٤١/٤ بسند حسن عن ابن عباس قال: لما حرمت الخمر قال أناس: يا رسول الله أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها فأنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِنَّمَا أَتَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُوَسِّطُ لِلْخَيْرِينَ﴾.

(٢) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«اللسان» مادة: نفع.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا اللَّهَ يَنْتَوِيَنَّ الصَّيْدُ﴾ قال المفسرون: لما كان عام الحديبية، وأقام النبي ﷺ بالتنعيم<sup>(١)</sup>، كانت الوحوش والطير تغشاهم في رحالهم، وهم مُحَرِّمون، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، ونهوا عنها ابتلاء. قال الزجاج: اللام في «ليلوئكم» لام القسم، ومعناه: لنختبرن طاعتكم من معصيتكم. وفي «من» قولان: أحدهما: أنها للتعريض، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه عنى صيد البر دون صيد البحر. والثاني: أن عنى الصيد ما داموا في الإحرام كأن ذلك بعض الصيد. والثاني: أنها لبيان الجنس، كقوله: ﴿فَلْيَحْذَرُوا آلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الحج: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿تَنَالَهُ آيِدِيكُمْ وَرِمَافِكُمْ﴾ قال مجاهد: الذي تناله اليد: الفراخ والبيض، وصغار الصيد، والذي تناله الرماح: كبار الصيد.

قوله تعالى: ﴿يَسِّرْهُ اللَّهُ﴾ قال مقاتل: ليرى الله من يخافه بالغيب ولم يره، فلا يتناول الصيد وهو مُحَرَّمٌ ﴿فَنِيْ أَعْتَدَ﴾ فأخذ الصيد عمداً بعد النهي للمُحَرَّمِ عن قتل الصيد ﴿فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يوسع بطنه وظهره جلداً، وتسلب ثيابه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَّتَعِدًا فَجَازَةً يَتْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّرَ طَعَامًا مِّسْكِينَ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَعَلَى أَسْرِهِ عَقَابُ اللَّهِ عَمَّا سَلَكَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [١٥].

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ بين الله ﷻ بهذه الآية من أي وجو تقع البلوى، وفي أي زمان، وما على من قتله بعد النهي؟. وفي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: وأنتم محرمون بحج أو عمرة، قاله الأكثرون. والثاني: وأنتم في الحرم، يقال: أحرم: إذا دخل في الحرم، وأنجد: إذا أتى نجداً. والثالث: الجمع بين القولين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَّتَعِدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يتعمد قتله ذاكراً لإحرامه، قاله ابن عباس، وعطاء. والثاني: أن يتعمد قتله ناسياً لإحرامه، قاله مجاهد. فاما قتله خطأ، ففيه قولان: أحدهما: أنه كالعمد، قاله عمر، وعثمان، والجمهور. قال الزهري: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطأ، يعني: ألحقت المخطئ بالمتعمد في جوب الجزاء. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الضبع صيد وفيه كبش إذا قتله المحرم»<sup>(٣)</sup> وهذا عام في العمد والمخطئ. قال القاضي أبو يعلى: أفاد تخصيص العمد بالذكر ما ذكر في أثناء الآية من الوعيد، وإنما يختص ذلك بالعمد. والثاني: أنه لا شيء فيه، قاله ابن عباس، وابن جبير، وطاووس، وعطاء، وسالم، والقاسم، وداود. وعن أحمد روايتان: أصحهما الوجوب.

قوله تعالى: ﴿فَجَازَةً يَتْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «فجزاء مثل» مضافة ويخفض «مثل». وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «فجزاء» منون «مثل» مرفوع. قال أبو علي: من أضاف، فقوله: ﴿مِنْ النَّعَمِ﴾ يكون صفة للجزاء، وإنما قال: مثل ما قتل، وإنما عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله، لأنهم يقولون: أنا أكرمُ مثلك، يريدون: أنا أكرمُك، فالمعنى: جزاء ما قتل. ومن رفع «المثل»، فالمعنى: فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول، والتقدير: فعليه جزاء. قال ابن قتيبة: النعم: الإبل، وقد يكون البقر والغنم، والأغلب عليها الإبل. وقال الزجاج: النعم في اللغة: الإبل والبقر والغنم، فإن انفردت الإبل، قيل لها: نعم، وإن انفردت البقر والغنم، لم تسم نعماً.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: والصيد الذي يجب الجزاء بقتله: ما كان مأكول اللحم، كالغزال، وحمار الوحش،

(١) التنعيم: موضع بين مَرَّ وسَرْف، بينه وبين مكة فرسخان، ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة.

(٢) نسبة السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣٢٧ إلى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان.

(٣) أبو داود ٤٨٥٠/٣، وابن ماجه ١٠٣٠/٢، والدارقطني ٢٦٦/١، والبيهقي ١٨٣/٥، والحاكم ٤٥٢/١، ٤٥٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. ورواه النسائي ١٩١/٥، والترمذي ١٠٤١/١، ولقظه عن ابن أبي عمار قال: سألت جابر بن عبد الله عن الضبع، فأمرني بأكليها. قلت: أصيد هي؟ قال: نعم. قلت: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال في «علله الكبير»: سألت عنه البخاري فصحه، وقال البيهقي: هو حديث جيد تقوم به الحجة.

والنعامة، ونحو ذلك، أو كان متولداً من حيوان يؤكل لحمه، كالسمع، فإنه متولد من الضبع والذئب، وما عدا ذلك من السباع كلها فلا جزاء على قاتلها؛ سواء ابتدأ قتلها، أو عدت عليه، فقتلها دفعاً عن نفسه، لأن السبع لا مثل له صورة ولا قيمة، فلم يدخل تحت الآية، ولأن النبي ﷺ أجاز للمحرم قتل الحية، والعقرب، والفريسة، والغراب، والحدأة، والكلب العقور، والسبع العادي<sup>(١)</sup>. قال: والواجب بقتل الصيد فيما له مثل من الأنعام مثله، وفيما لا مثل له قيمته، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: الواجب فيه القيمة، وحمل المثل على القيمة، وظاهر الآية يرد ما قال، ولأن الصحابة حملوا الآية على المثل من طريق الصورة، فقال ابن عباس: المثل النظير، ففي الطيبة شاة، وفي النعامة بغير.

قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ يعني بالجزاء، وإنما ذكر اثنين، لأن الصيد يختلف في نفسه، فافتقر الحكم بالمثل إلى عدلين.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ﴾ يعني: من أهل ملتكم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلِغُ الْكَيْبَةِ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، والمعنى: يحكمان به مقدراً أن يهدي. ولفظ قوله «بالغ الكيبة» لفظ معرفة، ومعناه: التكرة. والمعنى: بالغاً الكيبة، إلا أن التوئين حُذف استخفافاً. قال ابن عباس: إذا أتى مكة ذبحه، وتصدق به.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَثْرَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: ﴿أَوْ كَثْرَةٌ﴾ منوناً ﴿طَعَامٌ﴾ رفعاً. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿أَوْ كَثْرَةٌ﴾ رفعاً غير منون «طعام مساكين» على الإضافة. قال أبو علي: من رفع ولم يصف، جعله عطفاً على الكفارة عطف بيان، لأن الطعام هو الكفارة، ولم يصف الكفارة إلى الطعام، لأن الكفارة لقتل الصيد، لا للطعام، ومن أضاف الكفارة إلى الطعام، فلأنه لما خير المكفر بين الهدي، والطعام، والصيام، جازت الإضافة لذلك، فكانه قال: كفارة طعام، لا كفارة هدي، ولا صيام. والمعنى: أو عليه بدل الجزاء والكفارة، وهي طعام مساكين. وهل يعتبر في إخراج الطعام قيمة النظير، أو قيمة الصيد؟ فيه قولان: أحدهما: قيمة النظير، وبه قال عطاء، والشافعي، وأحمد. والثاني: قيمة الصيد، وبه قال قتادة، وأبو حنيفة، ومالك. وفي قدر الإطعام لكل مسكين قولان: أحدهما: مذان من بُرٍّ، وبه قال ابن عباس، وأبو حنيفة. والثاني: مُدٌّ برٍّ، وبه قال الشافعي، وعن أحمد روايتان، كالقولين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكُمْ﴾ قرأ أبو رزين، والضحاك، وقاتدة، والجحدري، وطلحة: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ بكسر العين. وقد شرحنا هذا المعنى في (البقرة). قال أصحابنا: يصوم عن كل مُدٍّ برٍّ، أو نصف صاع تمر، أو شعير يوماً. وقال أبو حنيفة: يصوم يوماً عن نصف صاع في الجميع. وقال مالك، والشافعي: يصوم يوماً عن كل مُدٍّ من الجميع.

## فصل

وهل هذا الجزاء على الترتيب، أم على التخيير؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على التخيير بين إخراج النظير، وبين الصيام، وبين الإطعام. والثاني: أنه على الترتيب، إن لم يجد الهدي، اشترى طعاماً، فإن كان معسراً صام، قاله ابن سيرين. والقولان مرويان عن ابن عباس، وبالأول قال جمهور الفقهاء.

(١) روى البخاري ٣٠/٤، ومسلم ٨٥٧/٢، والترمذي ١٠٣/١، والنسائي ١٨٨/٥، وابن ماجه ١٠٣١/٢ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «خمس فواسق يقتلن في الحرم، والفأرة، والعقرب، والغراب، والحدأة، والكلب العقور». ورواه البخاري ومسلم عن طريق ابن عمر مرفوعاً ولفظه: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: العقرب، والفأرة، والكلب العقور، والغراب، والحدأة» وقول المصنف «الفريسة» يريد بها الفأرة، وقد وردت اللفظة في البخاري من حديث جابر. وقوله: «السبع العادي» هو قطعة من حديث، قال الحفاظ في «التلخيص» ٢٢٤/١: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري في حديث. وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف وإن حسنه الترمذي، وفيه لفظة منكورة وهي قوله: «ويومي الغراب ولا يقتله». وأما الحية، فقد روى مسلم ٨٥٦/٢ عن عائشة مرفوعاً «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحدأة». وروى مسلم أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ أمر بقتل حية وهو بنى.



قوله تعالى: ﴿لَيْدُونَ وَيَاكَ أَسْرُودَ﴾ أي: جزاء ذنبه. قال الزجاج: «الوبال»: ثقل الشيء في المكروه، ومنه قولهم: طعامٌ وبيل، وماءٌ وبيل: إذا كانا ثقلين. قال الله ﷻ: ﴿فَأَخَذَتْهُ أَنْذَا وَيَلَا﴾ [الزلزل: ١٦] أي: ثقيلاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما سلف في الجاهلية، من قتلهم الصيد، وهم محرمون، قاله عطاء. والثاني: ما سلف من قتل الصيد في أول مرة، حكاه ابن جرير، والأول أصح. فعلى القول الأول يكون معنى قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ في الإسلام، وعلى الثاني: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ ثانية بعد أولى. قال أبو عبيدة: «عاد» في موضع يعود، وأنشد:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا      وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عَنْدهُمْ أَذْنُوا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَيَنْقِمْ اللَّهُ وَتَهُ﴾ «الانتقام»: المبالغة في العقوبة، وهذا الوعيد بالانتقام لا يمنع إيجاب جزاء ثانٍ إذا عاد، وهذا قول الجمهور، وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد. وقد روي عن ابن عباس، والنخعي، وداود: أنه لا جزاء عليه في الثاني، إنما وعد بالانتقام.

﴿أَيْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلنَّيَّارَةِ وَمَنْ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيْلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ قال أحمد: يؤكل كل ما في البحر إلا الضفدع والتمساح، لأن التمساح يأكل الناس يعني: أنه يَفْرُسُ. وقال أبو حنيفة، والثوري: لا يباح منه إلا السمك. وقال ابن أبي ليلى، ومالك: يباح كل ما فيه من ضفدع وغيره. فأما طعامه، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما نبذه البحر ميتاً، قاله أبو بكر، وعمر، وابن عمر، وأبو أيوب، وقتادة. والثاني: أنه مليحة<sup>(٢)</sup>، قاله سعيد بن المسيّب، وسعيد بن جبير، والسدي. وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة كالقولين. واختلفت الرواية عن النخعي، فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المilih وما لفظه. والثالث: أنه ما نبت بمائه من زروع البر، وإنما قيل لهذا: طعام البحر، لأنه ينبت بانه، حكاه الزجاج. وفي المتاع قولان: أحدهما: أنه المنفعة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنه الحل، قاله النخعي. قال مقاتل: متاعاً لكم، يعني: المقيمين، وللسيارة، يعني: المسافرين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أما الاصطيد، فمحرم على المحرم، فإن صيد لأجله، حرم عليه أكله خلافاً لأبي حنيفة، فإن أكل فعلية الضمان خلافاً لأحد قولي الشافعي. فإن ذبح المُحرّم صيداً، فهو ميتة خلافاً لأحد قولي الشافعي أيضاً. فإن ذبح الحلال صيداً في الحرم، فهو ميتة أيضاً، خلافاً لأكثر الحنيفة.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَيَكُنَا لِلنَّاسِ وَالشَّهَرِ الْحَرَامَ وَالْقُدْسَ ذَلِكَ لِيَسْلَمُوا أَنْ اللَّهُ يَسْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُلُ عَمَلَهُ﴾

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ جعل بمعنى: صيّر. وفي تسمية الكعبة كعبة قولان: أحدهما: لأنها مربعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثاني: لعلوها وتوثها، يقال: كعبت المرأة كعابة، وهي كاعب: إذا نتأ ثديها. ومعنى تسمية البيت بأنه حرام: أنه حرم بصاد عنده، وأن يختلئ ما عنده من الخلا، وأن يُعَصَّدَ شجره<sup>(٣)</sup>، وعظمت حرمة. والمراد بتحريم

(١) البيت لقعب ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه: ضمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وهو من جملة أبيات قالها في أناس من قومه، كانوا يناصرونه العداوة، ويتبعون عثراته، ويشهرونها في الناس. وهو في «مجاز القرآن» ١/ ١٧٧، و«الحماسة» ٣/ ١٤٥٠، و«السمطة» ١/ ٣٦٦، و«الانقباض» ٢٩٢، و«شواهد المغني» للسيوطي: ٣٢٦، و«شرح المصنوع» ٤٧٠، و«اللسان»: أذن. ورواية الشطر الثاني في المراجع التي ذكرت آتفاً هذا «مجاز القرآن»:

مَنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا      وَمَنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا

وبعد البيت:

وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عَنْدهُمْ أَذْنُوا

صَمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ

لَبِئْسَتِ الْخُلُفَاءُ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّهِمْ

(٢) المilih: على وزن فاعل: هو المملح، يقال: سمك مilih ومملح ومملح.

(٣) روى البخاري ٤٠/ ٤ عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَةً، فَلَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحُلْ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أَحَلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، وَلَا يَخْتَلِي خِلَافًا، وَلَا يَعْصِدُ شَجَرُهَا، وَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا تَنْلَقُظْ لِقَطْعَتُهَا إِلَّا لِمَعْرُوفٍ»، قال المباس: يا رسول الله إلا الأذخر لصاغتاً =

البيت سائر الحرم، كما قال: ﴿هَذَا بَيْتُ الْكَعْبَةِ﴾ وأراد: الحرم<sup>(١)</sup>. والقيام: بمعنى القوام. وقرأ ابن عامر: قيماً بغير ألف. قال أبو علي: وجهه على أحد أمرين، إما أن يكون جعله مصدراً، كالشيع، أو حذف الألف وهو يريد بها، كما يقصر الممدود. وفي معنى الكلام ستة أقوال: أحدها: قياماً للدين، ومعالم للحج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: قياماً لأمر من توجه إليها، رواه العوفي عن ابن عباس. قال قتادة: كان الرجل لو جرَّ كلَّ جريرة، ثم لجأ إليها، لم يتناول، ولم يقرب. وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام، لم يعرض له ولم يقربه، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر، فأحتمه ومنعته من الناس، كان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر أو من إحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله. حواجز ألَّفها الله بين الناس في الجاهلية<sup>(٢)</sup>. والثالث: قياماً لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حُجَّت واستُقبلت، قاله الحسن. والرابع: قوام دنيا وقوام دين، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>. والخامس: قياماً للناس، أي: مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه، ذكره الزجاج. والسادس: قياماً لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها، ذكره بعض المفسرين. فأما الشهر الحرام، فالمراد به الأشهر الحرم، كانوا يأمن بعضهم بعضاً فيها، فكان ذلك قواماً لهم، وكذلك إذا أهدى الرجل هدياً أو قلد بغيره أمر كيف تصرف، فجعل الله تعالى هذه الأشياء عصمة للناس بما جعل في صدورهم من تعظيمها.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَسْلِمَ﴾ ذكر ابن الأنباري في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أخبر في هذه السورة بغيوب كثيرة من أخبار الأنبياء وغيرهم، وأطلع على أشياء من أحوال اليهود والمنافقين، فقال: ذلك لتعلموا، أي: ذلك الغيب الذي أنبأكم به عن الله يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض، ولا تخفى عليه خافية. والثاني: أن العرب كانت تسفك الدماء بغير حلها، وتأخذ الأموال بغير حقها، ويقتل أحدهم غير القاتل، فإذا دخلوا البلد الحرام، أو دخل الشهر الحرام، كفُّوا عن القتل. والمعنى: جعل الله الكعبة أمناً، والشهر الحرام أمناً، إذ لو لم يجعل للجاهلية وقتاً يزول فيه الخوف لهلكوا، فذلك يدل على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والثالث: أن الله تعالى صرف قلوب الخلق إلى مكة في الشهور المعلومه فإذا وصلوا إليها عاش أهلها معهم، ولولا ذلك ماتوا جوعاً، لعلمه بما في ذلك من صلاحهم، وليستدلوا بذلك على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. والرابع: أن الله تعالى جعل مكة أمناً، وكذلك الشهر الحرام، فإذا دخل الطيبي الوحشي الحرم، أنس بالناس، ولم ينفر من الكلب، ولم يطلبه الكلب، فإذا خرجا عن حدود الحرم، طلبه الكلب، ودَّعِر هو منه، والطيَّار يأنس بالناس في الحرم، ولا يزال يطير حتى يقرب من البيت، فإذا قرب منه عدل عنه، ولم يطر فوقه إجلالاً له، فإذا لحقه وجَّع طرح نفسه على سقف البيت استشفاء به، فهذه الأعاجيب في ذلك المكان، وفي ذلك الشهر قد دللنا على أن الله تعالى يعلم ما في السموات وما في الأرض.

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَدُونُ وَمَا تَكْشُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ في هذه الآية تهديد شديد. وزعم مقاتل أنها نزلت والتي بعدها، في أمر شريح بن ضبيعة وأصحابه، وهم حجاج اليمامة حين هم المسلمون بالغارة عليه، وقد سبق ذكر ذلك في أول السورة.

وقبرنا. قال: «إلا الإذخر» قال الحافظ: وقوله: «ولا يخطئ غلاماً بالغاء المعجمة، والخلئ: مقصور، وذكر ابن التين أنه وقع في رواية القاسبي بالمد، وهو الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاه. وقوله «لا يعضد» أي: لا يقطع. قوله «الإذخر» هو نبت معروف عند أهل مكة طيب الريح، له أصل متدفن، وقفيان دقاق، ينبت في السهل والحر، وأهل مكة يسقون به البيوت بين الخشب، ويسدون الخلل بين اللبنة في القبور، ويستعملونه بدلاً من الحلفاء في الوقود.

(١) حد حرم مكة، من طريق المدينة: ثلاثة أميال عند بيوت السقيا، ويقال لها: بيوت نزار، وهي دون التنعيم، ويعرف الآن بمساجد عائشة. وحده من طريق اليمن: سبعة أميال عند أضاة لبن. وحده من طريق العراق: سبعة أميال على ثنية خل بالمقطع. وحده من الجعرانة: تسعة أميال في شعب عبد الله بن خالد، وحده من طريق جدة: عشرة أميال عند منقطع الأعشاش. وحده من طريق الطائف على عرفات من بطن نمرة: سبعة أميال عند طرف عرفة، وحده من بطن عرفة: أحد عشر ميلاً. عن «مفيد الأنام» ٢٥٥/١.

(٢) الخبر في الطبري ٩٣/١١، والزبادة منه.

(٣) الذي في «مجاز القرآن» ١٧٧/١: «جعل الله البيت الحرام قياماً للناس» أي: قواماً. وقال حميد الأرقط: قوام دنيا وقوام دين.



والوصيلة، والهام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال جبير. والخامس: أن قوماً كانا يسألون الآيات والمعجزات، فنزلت هذه الآية، روي هذا المعنى عن عكرمة. والسادس: أنها نزلت في تمتيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال الزجاج: «أشياء» في موضع خفض إلا أنها فتحت، لأنها لا تنصرف. وتبد لكم: تظهر لكم. فأعلم الله تعالى أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، لأنه يسوء الجواب عنه. وقال ابن عباس: إن تبد لكم، أي: إن نزل القرآن فيها بتغليظ، ساءكم ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ قَسَّيْنَا عَنْهَا جِنَّةً يَنْزِلُ الْفَرْقَانُ﴾ أي: حين ينزل القرآن فيها بفرض أو إيجاب، أو نهى أو حكم، وليس في ظاهر ما نزل دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتهم حينئذ عنها تبد لكم. وفي قوله: ﴿عَنْهَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ قولان. أحدهما: أنه إشارة إلى الأشياء. والثاني: إلى المسألة. فعلى القول الأول في الآية تقديم وتأخير. والمعنى: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، عفا الله عنها. ويكون معنى: عفا الله عنها: أمسك عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً. وعلى القول الثاني، الآية على نظمها، ومعنى: عفا الله عنها: لم يؤاخذ بها.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ في هؤلاء القوم أربعة أقوال. أحدها: أنهم الذين سألو عيسى نزول المائدة، قاله ابن عباس، الحسن. والثاني: أنهم قوم صالح حين سألو الناقة، هذا على قول السدي. وهذان القولان يخرجان على أنهما سألو الآيات. والثالث: أن القوم هم الذين سألو في شأن البقرة وذبحها، فلو ذبحوا بقرة لأجزأت، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، قاله ابن زيد. وهذا يخرج على سؤال من سأل عن الحج، إذ لو أراد الله أن يشدد عليهم بالزيادة في الفرض لشدد. والرابع: أنهم الذين قالوا لنبي لهم: ابعت لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وهذا عن ابن زيد أيضاً، وهو يخرج على من قال: إنما سألو عن الجهاد والفرائض تمتياً لذلك. قال مقاتل: كان بنو إسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم ولم يصدقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّقُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ أي: ما أوجب ذلك، ولا أمر به. وفي «البحيرة» أربعة أقوال. أحدها: أنها الناقة إذا نُجِجَتْ خمسة أبطن نظروا إلى الخامس، فإن كان ذكراً نحروه، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى شقوا أذنها، وكانت حراماً على النساء لا ينتفعن بها، ولا يذقن من لبنها، ومنافعها للرجال خاصة، فإذا ماتت، اشترك فيها الرجال والنساء، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيعبدون إلى الخامسة، فيبيكون أذنها، قاله عطاء. والثالث: أنها ابنة السائبة، قاله ابن إسحاق، والفراء. قال ابن إسحاق: كانت الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس فيهن ذكر، شُيِّت، فإذا نُجِجَتْ بعد ذلك أنثى، شُتَّت أذنها، وسُمِّيت بحيرة، وخليت مع أمها. والرابع: أنها الناقة كانت إذا نُجِجَتْ خمسة أبطن، وكان آخرها ذكراً بحروا أذنها، أي: شقوها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، وإذا لقيها لم يركبها، قاله الزجاج. فأما «السائبة»<sup>(٢)</sup>، فهي فاعلة بمعنى: مفعولة، وهي المسمية، كقوله: ﴿يَنْبَغِي رَأْيُنَا﴾ أي مرضية. وفي السائبة خمسة أقوال. أحدها: أنها التي تُسَيَّب من الأنعام للآلهة، لا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبناً، ولا يجزؤون منها وبراً، ولا يحملون عليها شيئاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن الرجل كان يُسَيَّب من ماله ما شاء، فيأتي به

(١) ابن جرير: ١١١/١١ من طريق خفيف عن مجاهد عن ابن عباس وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٣٦/٢ وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه وخفيف: هو خفيف بن عبد الرحمن الجزري. قال الحافظ في «التقريب»: صدوق، سمى الحفظ، غلطاً بآخره، رمي بالإرجاء.

(٢) روى البخاري ٢١٣/٨، ومسلم ٢١٩٢/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت عمرو بن عامر الغضامي يجر قصبه في النار، وكان أول من سبب السوابب». وروى البخاري ٢١٤/٨ عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سبب السوابب» والقصب، بضم القاف وسكون الصاد المهملة: الأعماء.



خزنة الآلهة، فيطعمون ابن السبيل من ألبانه ولحمه إلا النساء فلا يطعمونهن شيئاً منه إلا أن يموت، فيشترك فيه الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الشعبي: كانوا يهدون لألهتهم الإبل والغنم، ويتركونها عند الآلهة، فلا يشرب منها إلا رجلاً، فإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء. والثالث: أنها الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث، سيّبت، فلم تركب، ولم يجز لها وير، ولم يشرب لبنها إلا ضيف أو ولدّها حتى تموت، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء، ذكره الفراء. والرابع: أنها البعير يُسيّب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله تعالى من مرض، أو بلغه منزله أن يفعل ذلك، قاله ابن قتيبة. قال الزجاج: كان الرجل إذا نذر لشيء من هذا، قال: ناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا يتنفع بها ولا تمنع من ماء ومرعى. والخامس: أنه البعير يحجج عليه الحجة، فيسيّب، ولا يستعمل شكراً لنجحها، حكاه الماوردي عن الشافعي. وفي «الوصيلة» خمسة أقوال: أحدها: أنها الشاة كانت إذا نُتِجَتْ سبعة أبطن، نظروا إلى السابع، فإن كان أنثى، لم يتنفع النساء منها بشيء إلا أن تموت، فيأكلها الرجال والنساء، وإن كان ذكراً، ذبحوه، فأكلوه جميعاً، وإن كان ذكراً وأُنْثى، قالوا: وصلت أخاها، فترك مع أخيها فلا تذبح، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وذهب إلى نحوه ابن قتيبة، فقال: إن كان السابع ذكراً، ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى، تركت في النعم، وإن كان ذكراً وأُنْثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم تذبح لمكانها، وكانت لحومها حراماً على النساء، ولبن الأنثى حراماً على النساء إلا أن يموت منها شيء فيأكله الرجال والنساء. والثاني: أنها الناقة البكر تبتكر<sup>(١)</sup> في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تنثي بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويذعنونها الوصيصة، أي: وصلت إحداها بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيّب. والثالث: أنها الشاة تنتج عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، فيدعونها الوصيصة، وما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها الشاة تنتج سبعة أبطن، عناقين<sup>(٢)</sup> عناقين، فإذا ولدت في سابعها عناقاً وجدياً، قيل: وصلت أخاها، فجرت مجرى السائبة، قاله الفراء. والخامس: أن الشاة كانت إذا ولدت أنثى، فهي لهم، وإذا ولدت ذكراً جعلوه لألهتهم، فإن ولدت ذكراً وأُنْثى، قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لألهتهم، قاله الزجاج. وفي «الحام» ستة أقوال: أحدها: أنه الفحل، ينتج من صلبه عشرة أبطن، فيقولون: قد حمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم، ولا يحمل عليه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، واختاره أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الفحل يولد لولده، فيقولون: قد حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه، ولا يجزؤون ويره، ولا يمنعونه ماءً، ولا مرعى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الفراء، وابن قتيبة. والثالث: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء. والرابع: أنه الذي ينتج له سبع إناث متواليات، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الذي لصلبه عشرة كلها تضرب في الإبل، قاله أبو روق. والسادس: أنه الفحل يضرب في إبل الرجل عشر سنين، فيخلّى، ويقال: قد حمى ظهره، ذكره الماوردي عن الشافعي. قال الزجاج: والذي ذكرناه في البحيرة، والسائبة، والوصيصة، والحام أثبت ما روينا عن أهل اللغة. وقد أعلم الله ﷻ في هذه الآية أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً، وإن الذين كفروا افتروا على الله ﷻ. قال مقاتل: وافترأهم: قولهم: إن الله حرمه وأمرنا به. وفي قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأنبايع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا، قاله الشعبي. والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ ﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قيل لهؤلاء المشركين الذين حرموا على أنفسهم هذه الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله في القرآن من تحليل ما حرمتهم على أنفسهم، قالوا: ﴿حَسْبُنَا﴾ أي: يكفينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الدين والمنهاج ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَسْتَدُونَ﴾ له، أي: يتبعونهم في خطئهم.

(١) يقال: ابتكرت الحامل: إذا ولدت بكرها، وأنت في الثاني، وثالث في الثالث.

(٢) العناق: الأنثى من ولد المعز.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن النبي ﷺ كتب إلى هجر، وعليهم المنذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية، فلما آتاه الكتاب، عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس، فأقرؤا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فكتب إليهم رسول الله ﷺ: «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيِّف، وأما أهل الكتاب والمجوس، فاقبل منهم الجزية» فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقو مكة: عجباً لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، وقد قبل من مجوس هجر، وأهل الكتاب الجزية، فهلاً أكرههم على الإسلام، وقد ردّها على إخواننا من العرب، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعاً وكرهاً، قبلها من مجوس هجر، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن الرجل كان إذا أسلم، قالوا له: سهت آباءك وضللته، وكان ينبغي لك أن تنصرهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى الآية: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف، لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له، فهو ضالّ، وليس بمهتدي<sup>(٢)</sup>. وقال عثمان بن عفان: لم يأت تأويلها بعد. وقال ابن مسعود: تأويلها في آخر الزمان: قولوا ما قبل منكم، فإذا غلبتم، فعليكم أنفسكم<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: لا يضرركم من ضل بترك الأمر بالمعروف إذا هديتم أنتم للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قاله حذيفة بن اليمان، وابن المسيّب. والثاني: لا يضرركم من ضل من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تنبيه على الجزاء.

### فصل

فعلى ما ذكرنا عن الزجاج في معنى الآية، هي محكمة، وقد ذهب قوم من المفسرين إلى أنها منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه آية السيف. والثاني: أن آخرها نسخ أولها. روي عن أبي عبيد أنه قال: ليس في القرآن آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه، وموضع المنسوخ منها إلى قوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ والناسخ: قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. والهدى هاهنا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر<sup>(٤)</sup>.

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ٢/١، ١٧، ٣٣، ٥٢ عن قيس بن أبي حازم، قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يممهم الله بعمى» قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ١٠٩/٢: وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق، وقد رجح رفعه الدارقطني. وقال ابن جرير ١٥٢/١١ بعد أن أورد الآثار: وأولى هذه الأقوال، وأصح التاويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روي عن أبي بكر الصديق ﷺ فيها، وهو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ الزموا العمل بطاعة الله، وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ يقول: فإنه لا يضرركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأديتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي يركبه، أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظمناً لمسلم أو معاهد، ومنعه منه، فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تمادي فيه غيه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم، وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه. وإنما قلنا ذلك أولى التاويلات في ذلك بالصواب، لأن الله تعالى ذكره، أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط، ويتعاونوا على البر والتقوى، ومن القيام بالقسط الأخذ على يدي الظالم، ومن التعاون على البر والتقوى، الأمر بالمعروف، وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو كان للناس ترك ذلك لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيه رسول الله ﷺ ترك ذلك، وهي حال المجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة فيكون مرخصاً له تركه، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه. وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى، فيبين أنه قد دخل في معنى قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ مما قاله حذيفة وسيد بن المسيّب من أن ذلك (إذا أتممت بالمعروف ونهيت عن المنكر).

(٢) ابن جرير الطبري ١٣٩/١١، وذكر الهيثمي في «المجمع» ١٩/٧، وقال: رواء الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود.

(٣) ذكر المؤلف رحمه الله في كتابه «نواسخ القرآن» ورقة ٨٥ أربعة أشياء تدل على إحكام هذه الآية هي في إيجاز:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ وَاحِدٌ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَمِلْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَشْيِئَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَدْوٍ الْقَلِيلَةِ يُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا تَشْفَوِي بِهِ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ثَوْفًا وَلَا تَكُنُّوا مِنْ شُهَدَاءِ اللَّهِ إِنَّمَا إِذَا لَمِنَ الْأَيُّمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان تميم الداري، وعدي بن بدءا يختلفان إلى مكة، فصحبهما رجلٌ من قريش من بني سهم، فمات بأرض ليس فيها أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما، دفعاها إلى أهله، وكتما جاماً كان معه من فضة، وكان مخوّصاً بالذهب، فقالا: لم نره، فأتي بهما إلى النبي ﷺ، فاستحلفهما بالله: ما كتما، وخلي سبيلهما. ثم إن الجام وُجد عند قوم من أهل مكة، فقالوا: ابتعناه من تميم الداري، وعدي بن بدء، فقام أولياء السهمي، فأخذوا الجام، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها<sup>(١)</sup>. قال مقاتل: واسم الميت: بُزَيْلُ بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السهمي، وكان تميم، وعدي نصرانيين، فأسلم تميم، ومات عدي نصرانياً<sup>(٢)</sup>. فأما التفسير، فقال الفراء: معنى الآية: ليشهدكم اثنان إذا حضر أحدكم الموت<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين، فحذف «شهادة»، ويقوم «اثنان» مقامهما. وقال ابن الأباري: معنى الآي: ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت، وأردتم الوصية اثنان. وفي هذه الشهادة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشهادة على الوصية التي ثبتت عند الحكام، وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى، وشريح، وابن أبي ليلى، والأوزاعي، والثوري، والجمهور. والثاني: أنها إيمان الوصي بالله تعالى إذا ارتاب الورثة بهما، وهو قول مجاهد. والثالث: أنها شهادة الوصية، أي: حضورها، كقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبُ آلُ مُوسَى﴾ [البقرة: ١٣٣] جعل الله الوصي هاهنا اثنين تأكيداً، واستدل أرباب هذا القول بقوله: ﴿يُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ قالوا: والشاهد لا يلزمه يمين. فأما «حضور الموت» فهو حضور أسبابه ومقدماته. وقوله: ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾، أي: وقت الوصية. وفي قوله: «منكم» قولان: أحدهما: من أهل دينكم وملتكم، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وشريح، وابن سيرين، والشعبي، وهو قول أصحابنا والثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله الحسن، وعكرمة، والزهري، والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ وَاحِدٌ مِنْ عَشِيرَتِكُمْ﴾ تقديره: أو شهادة آخرين من غيركم. وفي قوله: «من غيركم» قولان: أحدهما: من غير ملتكم ودينكم، قاله أرباب القول الأول. والثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضاً، قاله أرباب القول الثاني. وفي «أو» قولان: أحدهما: أنها ليست للتخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، وبه قال ابن عباس، وابن جبير، والثاني: أنها للتخيير، ذكره الماوردي.

١ - أن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ﴾ يقتضي إغراء الإنسان بمصالح نفسه، ويضمن الإخبار بأنه لا يعاقب بفساد غيره، وليس من مقتضى ذلك ألا ينكر على غيره، وإنما غاية الأمر أن يكون ذلك مسكوتاً عنه، فيقف على الدليل.

٢ - أن الآية تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ﴾ أمر بإصلاحها وأداء ما عليها، وقد ثبت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فصار من جملة ما على الإنسان في نفسه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بدليل قوله ﷺ فيها: ﴿إِنَّمَا أَفْتَدِيكُمْ﴾.

٣ - أن الآية قد حملها قوم على أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، فيحتج لا يلزمون بغيرها.

٤ - أنه لما عابهم في تقليد آبائهم بالآية المتقدمة، أعلمهم بهذه الآية أن المكلف إنما يلزمه حكم نفسه، وأنه لا يضره ضلال غيره إذا كان مهتلياً، حتى يعلموا أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الدم والعقاب قال: وإذا تلمحت هذه المناسبة بين الآيتين لم يكن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هاهنا مدخل، وهذا أحسن الوجوه في الآية.

(١) البخاري ٣٠٧/٥، ٣٠٩، وأبو داود: ٤١٨/٣، والترمذي ١٠٠/٤، وحسنه، وابن جرير ١٨٥/١١، والبيهقي في «السنن» ١٦٥/١٠. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣٤٢/٢، وزاد نسبه إلى ابن المنذر والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه. والجام: إنا من فضة. وقوله: (كان مخوّصاً بالذهب) أي: عليه صفائح من ذهب على هيئة خوص النخل وهو ورقه، والتخويس: أن يجعل على الشيء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل.

(٢) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة اللخمي منسوب إلى جده الدار بن هانئ وفد على رسول الله ﷺ سنة تسع وأسلم، وكان نصرانياً، وأما عدي بن بدء، فكان نصرانياً، ويذكر أنه أسلم، لكن الحافظ ابن حجر صحح في «الإصابة» في ترجمته أنه مات نصرانياً.

(٣) نص كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٢٣ يقول: شاهدان أو وصيان، وقد اختلف فيه، ووقع الاثنان الشهادة، أي: ليشهدكم اثنان من المسلمين.

## فصل

فالقائل بأن المراد بالآية شهادة مسلمين من القبيلة، أو من غير القبيلة لا يشك في إحصاء هذه الآية. فأما القائل بأن المراد بقوله: ﴿أَوْ مَلَكَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصية في السفر، فلم يفيها قولان: أحدهما: أنها محكمة، والعمل على هذا باق، وهو قول ابن عباس، وابن المسيب، وابن جبير، وابن سيرين، وقتادة، والشعبي، والثوري، وأحمد في آخرين. والثاني: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ وهو قول زيد بن أسلم، وإليه يميل أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، قالوا: وأهل الكفر ليسوا بعدول، والأول أصح، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحض والنفاس والاستهلال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتَ ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الشرط متعلق بالشهادة، والمعنى: ليشهدكم اثنان إن أنتم ضربتم في الأرض، أي: سافرتم. ﴿فَأَمْسِكْتُمْ ثَمِيعَهُ الْمَوْتِ﴾ فيه محذوف، تقديره: وقد أسندتم الوصية إليهما، ودفعتم إليهما ما لكم ﴿فَعَسَىٰ أَنْتُمَا مِنْ بَدِّ السَّعَآتِ﴾ خطاب للورثة إذا ارتابوا. وقال ابن عباس: هذا من صلة قوله: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من الكفار. فأما إذا كانا مسلمين، فلا يمين عليهما. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: صلاة العصر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال شريح، وابن جبير، وإبراهيم، وقتادة، والشعبي. والثاني: من بعد صلاتهما في دينهما، حكاه السدي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقال به. وقال الزجاج: كان الناس بالحجاز يحلفون بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع الناس. وقال ابن قتيبة: لأنه وقت يعظمه أهل الأديان.

قوله تعالى: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: فيحلفان ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ أي: شككتم يا أولياء الميت. ومعنى الآية: إذا قَدِمَ الموصي إليهما بتركة المتوفى، فاتهمهما الوارث، استحلها بعد صلاة العصر: أنهما لم يسرقا، ولم يخونا. فالشرط في قوله: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ متعلق بتجسونهما، كأنه قال: إن إرتبتم حبستموهما فاستحلقتموهما، فيحلفان بالله: ﴿لَا تَقْرَى بِهِ﴾ أي: بأيماننا، وقيل: بتحريف شهادتنا، فإلهاء عائدة على المعنى. ﴿فَتَسْمَعُ﴾ أي: عرضاً من الدنيا ﴿وَكُلُّ كَا قَرْهٍ﴾ أي: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا، وخصّ ذا القرابة، لميل القريب إلى قريبه. والمعنى: لا نحابي في شهادتنا أحداً، ولا نميل مع ذي القربى في قول الزور. ﴿وَلَا تَكُنَّ شَهَادَةُ اللَّهِ﴾ إنما أضيفت إليه، لأمره بإقامتها، ونفيه عن كتمانها. وقرأ سعيد بن جبير: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل. وقرأ سعيد بن المسيب، وعكرمة «شهادة» بالتون والوصل منصوبة الهاء. وقرأ أبو عمران الجوني «شهادة» بالتون وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء. وقرأ الشعبي، وابن السميع «شهادة» بالتون وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة، ومذها، وكسر الهاء. وقرأ أبو العالية، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنهما نصبها الهاء. واختلف العلماء لأي معنى وجبت اليمين على هذين الشاهدين، على ثلاثة أقوال: أحدها: لكونهما من غير أهل الإسلام، روي هذا المعنى عن أبي موسى الأشعري. والثاني: لوصية وقعت بخط الميت وَقَدْ وَرَّثَهُ بعض ما فيها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميتنا أكثر، فاستخانوا الشاهدين، قاله الحسن، ومجاهد.

(١) جاء في «شرح المفردات» ص ٣٣٣: إذا كان مسلم مع وفقة كفار مسافرين ولم يوجد غيرهم من المسلمين فوصى بشهيد بوصيته اثنان منهم قبلت شهادتهما ويستحلان بعد العصر لا ينشري به ثمناً ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهادة الله وأنها وصية الرجل بعينه، فإن حذر على أنهما استحقا إثماً قام آخران من أولياء الموصي فحلفا بالله لشهادتهما أحق من شهادتهما ولقد خانا وكتمانا ويقضى لهم. قال ابن المنذر: وبهذا قال أكابر العلماء ومن قاله شريح، والنخعي، والأوزاعي ويحيى بن حمزة وقضى بذلك عبد الله بن مسعود في زمن عثمان، رواه أبو عبيدة: وقضى به أبو موسى الأشعري، رواه أبو داود، والخلال. وقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: لا تقبل لأن من لا تقبل شهادته على غير الوصية لا تقبل في الوصية كالفاسق وأولى... (ولنا) قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْزُوا كُنْزَكُمْ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَكْثَرُ دَقًا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ مَلَكَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ الآية، وهذا نص الكتاب وقد قضى به رسول الله ﷺ كما في حديث ابن عباس رواه أبو داود وقضى به بعده أبو موسى، وابن مسعود كما تقدم، وحمل الآية على أنه أراد من غير عشيرتكم لا يصح لأن الآية نزلت في قصة عدي وتميم بلا خلاف بين المفسرين ودلت عليه الأحاديث ولأنه لو صح ما ذكره لم تجب الأيمان لأن الشاهدين من المسلمين لا قسامة عليهما.

(٢) هذه رواية شاذة، رواها الطبري ١٧٥/١١ في قصة طويقة، ثم ردّها رداً شديداً، وجزم بأن المراد الصلاة المعروفة للمخاطبين التي كان رسول الله ﷺ يتخيرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه، وهي صلاة العصر.



﴿فَإِنْ عُرِّ عَنْ أَهْلِهَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ يَنْفِصَانِ﴾ وَاللَّهُ لَشَهِيدٌ حَقٌّ بِمَا  
تَعْدِلْتُهُمَا وَمَا اعْتَدَيْتَا إِنَّمَا إِذَا لَيْتَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُرِّ عَنْ أَهْلِهَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ قال المفسرون: لما نزلت الآية الأولى، دعا رسول الله ﷺ عدياً وتميمياً، فاستحلفهما عند المنبر: أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع إليهما، فحلفا، وخلى سبيلهما، ثم ظهر الإناء الذي كتماه، فرفعهما أولياء الميت إلى رسول الله ﷺ، فنزلت ﴿فَإِنْ عُرِّ عَنْ أَهْلِهَا اسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ ومعنى «عثر»: أطلع، أي: إن عثر أهل الميت، أو من يلي أمره، على أن الشاهدين اللذين هما آخران من غيرنا ﴿اسْتَحَقَّ إِنَّمَا﴾ لميلهما عن الاستقامة في شهادتهما ﴿فَخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ أي: مقام هذين الخائنين ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «استحق» بضم التاء، «الأوليان» على الشنية. وفي قوله ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ قولان: أحدهما: أنهما الذميان. والثاني: الوليان. فعلى الأول في معنى «استحقَّ عَلَيْهِمُ» أربعة أقوال: أحدها: استحق عليهم الإيضاء، قال ابن الأنباري: المعنى: من القوم الذين استحق فيهم الإيضاء، استحقه الأوليان بالميت، وكذلك قال الزجاج: المعنى: من الذين استحققت الوصية أو الإيضاء عليه. والثاني: أنه الظلم، والمعنى: من الذين استحق عليهم ظلم الأوليان، فحذف الظلم، وأقام الأوليين مقامه، ذكره ابن القاسم أيضاً. والثالث: أنه الخروج مما قاما به من الشهادة، لظهور خيانتتهما. والرابع: أنه الإثم، والمعنى: استحق منهم الإثم، ونابت «على» عن «من» كقوله: ﴿عَلَّ الْأَنْبِيَاءُ يَسْتَرْوُونَ﴾ [المطففين: ٢٢] أي: منهم. وقال الفراء: «على» بمعنى «في» كقوله: ﴿عَلَّ مَلَكٌ سُلَيْمَنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي: في ملكه، ذكر القولين أبو على الفارسي. وعلى هذه الأقوال مفعول «استحق» محذوف مقدر. وعلى القول الثاني في معنى «اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ» قولان: أحدهما: استحق منهم الأوليان، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: جني عليهم الإثم، ذكره الزجاج. فاما «الأوليان»، فقال الأخفش: الأوليان: اثنان، واحدهما: الأولى، والجمع: الأولون. ثم للمفسرين فيهما قولان: أحدهما: أنهما أولياء الميت، قاله الجمهور. قال الزجاج: «الأوليان» في قول أكثر البصريين يرتفعان على البذل مما في «يقومان» والمعنى: فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين. وقال أبو علي: لا يخلو الأوليان أن يكون ارتضاعهما على الابتداء، أو يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: فأخران يقومان مقامهما، هما الأوليان، أو يكون بدلاً من الضمير الذي في «يقومان». والتقدير: فيقوم الأوليان. والقول الثاني: أن الأوليان: هما الذميان، والمعنى: أنهما الأوليان بالخيانة، فعلى هذا يكون المعنى: يقومان، إلا من الذين استحق عليهم. قال الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ شَرِبَةً      مُبَرَّدَةً بِأَثَرِ عَلَى طَهْيَانٍ<sup>(١)</sup>

أي: بدلاً من ماء زمزم. وروى قرّة عن ابن كثير، وحفص وعاصم<sup>(٢)</sup>: «استحق» بفتح التاء والحاء «الأوليان» على الشنية، والمعنى: استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها، فحذف المفعول. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «استحق» برفع التاء، وكسر الحاء، «الأولين» بكسر اللام، وفتح النون على الجمع، والتقدير: من الأولين الذين استحق فيهم الإثم، أي: جني عليهم، لأنهم كانوا أولين في الذكر. ألا ترى أنه قد تقدم ﴿ذَوَى عَدْلٍ يَنْتَكِرُ﴾ على قوله: ﴿أَوْ فَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾. وروى الحلبي عن عبد الوارث «الأولين» بفتح الواو وتشديدها، وفتح اللام، وسكون الياء، وكسر النون، وهي تشنية: أول. وقرأ الحسن البصري: «استحق» بفتح التاء والحاء، «الأولان» تشنية «أول» على البذل من قوله: «فأخران». وقال ابن قتيبة: أشبه الأقوال بالآية أن الله تعالى أراد أن يعرفنا كيف يشهد بالوصية عند حضور الموت، فقال: ﴿ذَوَى عَدْلٍ يَنْتَكِرُ﴾، أي: عدلان من المسلمين [تشهدونهما على الوصية]، وعلم أن من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم، ويحضره الموت، فلا يجد من يشهده من المسلمين، فقال: ﴿أَوْ فَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أي: من غير أهل دينكم، ﴿وَكَلَّا صَبَرْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم ﴿فَأَمَبَتَكُمْ مِصْبَةَ الْمَوْتِ﴾، وتم الكلام. فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر خاصة إن أمكن إشهداهما في

(١) في «اللسان» الطهيان: كأنه اسم قلّة جبل، والطهيان: خشية يرد عليها الماء، ثم أنشد البيت، ونسب للأحول الكندي.

(٢) في النسخة الأحمدية: وروى قرّة عن ابن كثير، وحفص عن عاصم.

السفر] والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما [ثم قال] ﴿عَجَسُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الْفَلَاةِ فَيَقِيمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾ أراد: تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم في شهادتهما، وخشيتن أن يكونا قد خانا، أو بدّلا، فإذا حلفا، مضت شهادتهما. فإن عثر [بعد هذه اليمين] أي: ظهر على أنهما استحقا إثما، أي: حثا في اليمين بكذب [في قول] أو خيانة [في وداعة]، فأخران، أي: قام في اليمين مقامهما رجلا من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوليان، يقال: هذا الأولي بفلان، ثم يحذف من الكلام «بفلان»، فيقال: هذا الأولي، وهذان الأوليان، و«عليهم» بمعنى: «منهم». فيحلفان بالله: لقد ظهرنا على خيانة الذميين، وكذبهما، وما اعتدنا عليهما، ولشهادتنا أصح، لكفرهما وإيماننا، فيرجع على الذميين بما اختانا، وينقض ما مضى من الحكم بشهادتهما تلك<sup>(١)</sup>. وقال غيره: لشهادتنا، أي: ليمتنا أحق، وسميت اليمين شهادة، لأنها كالشهادة على ما يحلف عليه أنه كذلك. قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص، والمقلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا بالله، ودفع الإثام إليهما وإلى أولياء الميت.

﴿ذَلِكَ آدَعٌ أَنْ يَأْتُوا بِالْقَهْدَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ آيَتِنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ آدَعٌ﴾ أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين، أقرب إلى إتيان أهل الذمة بالشهادة على وجهها، أي: على ما كانت، وأقرب أن يخافوا أن ترد أيمان أولياء الميت بعد إيمانهم، فيحلفون على خيانتهم، فيفتضحوا، ويغرموا، فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تحلفوا كاذبين، أو تخونوا أمانة، واسمعوا الموعدة.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ يَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ قال الزجاج: نصب «يوم» محمول على قوله: «واتقوا الله»: واتقوا يوم جمعه للرسول. ومعنى مسأله للرسول توبيخ الذين أرسلوا إليهم. فاما قول الرسول: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ففيه ستة أقوال: أحدها: أنهم طاشت عقولهم حين زفرت جهنم، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ثم ترد إليهم عقولهم، فينطلقون بحجتهم، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إلا علم أنت أعلم به منا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المراد بقوله: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾: ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، قاله ابن جريج، وفيه بُعْدٌ. والرابع: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع علمك، لأنك تعلم الغيب، ذكره الزجاج. والخامس: أن المعنى: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمرنا، ونحن نعلم ما أظهرنا، ولا نعلم ما أضمرنا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، هذا اختيار ابن الأنباري. والسادس: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بجميع أفعالهم إذ كنا نعلم بعضها وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا، وإنما يستحق الجزاء بما تقع به الخاتمة، حكاه ابن الأنباري. قال المفسرون: إذا رد الأنبياء العلم إلى الله أُلْبِسَتِ الْأُمَمُ، وعلمت أن ما أتته في الدنيا غير غائب عنه، وأن الكل لا يخرجون عن قبضته.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ قال الخطابي: العلام: بمنزلة العليم، وبناء «فعلال» بناء التكثير، فاما «الغيوب» فجمع غيب، وهو ما غاب عنك.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ إِذْ ابْتَدَلْتُ بِرُوحِ الْقُدُسِ نُفُوسَ النَّاسِ فِي الْفِتْنَةِ وَكَهَلَا وَرَافَعَتِكَ الْأُكْتُمُ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِجْلَ وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهْنَةً أَطْعَمُوا بِإِذْنِي فَتَنَعْتُ فِيهَا فَتَكُونُ طَعَامًا بِإِذْنِي وَتُتْرَكُ الْأَكْسَمَةُ وَالْأُرْسُ بِإِذْنِي وَإِذْ خَلَقْنَا الْمَوْتَ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ يَحْتَمِرُ بِالْيَمِينِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى﴾ قال ابن عباس: معناه: وإذ يقول.

قوله تعالى: ﴿اَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ﴾ في تذكيره النعم فائدتان: إحداهما: إسماع الأمم ما خصه به من

الكرامة. والثانية: تأكيد حجته على جاحده. ومن نعمه على مريم أنه اصطفاها وطهرها، وأتاها برزقها من غير سبب. وقال الحسن: المراد بذكر النعمة: الشكر. فأما النعمة، فلفظها لفظ الواحد، ومعناها الجمع. فإن قيل: لم قال هاهنا: ﴿فَتَنفَعُ فِيهَا﴾ وفي (آل عمران) «فيه»؟ فالجواب: أنه جائز أن يكون ذكر الطير على معنى الجميع، وأنث على معنى الجماعة، وجاز أن يكون «فيه» للطير، و«فيها» للهيئة، ذكره أبو على الفارسي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنَّا إِلَّا سِخْرًا تُبِيرُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم هاهنا، وفي (هود) و(الصف) ﴿إِلَّا سِخْرًا تُبِيرُ﴾، وقرأ في (يونس) ﴿لَكِنَّهُمْ يُبِيرُ﴾ بألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، الأربعة ﴿سِخْرًا تُبِيرُ﴾ بغير ألف، فمن قرأ «سحرا» أشار إلى ما جاء به، ومن قرأ «ساحرا»، أشار إلى الشخص.

﴿وَإِذْ آمَنَتْ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمَنُوا بِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

وفي الوحي إلى الخواريين قولان. أحدهما: أنه بمعنى الإلهام، قاله الفراء. وقال السدي: قذف في قلوبهم. والثاني: أنه بمعنى الأمر، فتقديره: أمرت الخواريين «إلى» صلة، قاله أبو عبيدة. وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم يعنون الله تعالى. والثاني: عيسى عليه السلام. وقوله: ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي: مخلصون للعبادة والتوحيد. وقد سبق شرح ما أهمل هاهنا فيما تقدم.

﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قال الزجاج: أي: هل يقدر. وقرأ الكسائي: «هل تستطيع» بالثاء، ونصب الرب. قال الفراء: معناه: هل تقدر أن تسأل ربك. قال ابن الأنباري: ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الخواريين شكوا في قدرة الله، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه: هل تستطيع تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع، ولكنه يريد: هل يسهل عليك. وقال أبو علي: المعنى: هل يفعل ذلك بمسالتك إياه<sup>(١)</sup>. وزعم بعضهم أنهم قالوا ذلك قبل استحكام إيمانهم ومعرفتهم، فرد عليهم عيسى بقوله: اتقوا الله، أن<sup>(٢)</sup> تنسبوه إلى عجز، والأول أصح. فأما «المائدة» فقال اللغويون: المائدة: كل ما كان عليه من الأخوة طعام، فإذا لم يكن عليه طعام، فليس بمائدة، والكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا لم يكن فيه شراب، فليس بكأس، ذكره الزجاج. قال الفراء: وسمعت بعض العرب يقول للطبق الذي تهدى عليه الهدية: هُوَ الْمُهْدَى، مقصور، ما دامت عليه الهدية، فإذا كان فارغاً رجع إلى اسمه إن كان طبقاً أو خواناً أو غير ذلك. وذكر الزجاج عن أبي عبيدة أن لفظها فاعلة، وهي في المعنى مفعولة، مثل «عَيْتَرُ رَأَيْتَرُ» [الحاقة: ٢١]. قال أبو عبيدة: وهي من العطاء، والممتاد: المفعول المطلوب منه العطاء، قال الشاعر:

إلى أمير المؤمنين الممتاد<sup>(٣)</sup>

وَمَادَ زَيْدٌ عُمَرَا: إذا أعطاه. قال الزجاج: والأصل عندي في «مائدة» أنها فاعلة من: ماد يمد: إذا تحرك، فكانها تميد بما عليها. وقال ابن قتيبة: المائدة: الطعام، من: مادي يميدي، كأنها تميد الأكلين، أي: تعطيه، أو تكون فاعلة بمعنى: مفعول بها، أي: ميد بها الأكلون.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اتقوه أن تسألوه البلاء، لأنها إن نزلت وكذبتم، عذبتهم، قاله مقاتل. والثاني: أن تسألوه ما لم تسأله الأمم قبلكم، ذكره أبو عبيد. والثالث: أن تشكوا في قدرته.

﴿قَالُوا زَيْدٌ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَقْلَمِمْ قُلُوبُنَا وَنَقْلَمَ أَنْ قَدْ مَدَدْتَنَا وَكُنَّا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

(١) في «نسخة الرباط» ما يفعل ذلك بمسالتك إياه.

(٢) في «الأحمدية» «أي» بدل «أن»، وهو خطأ.

(٣) الرجز لرؤية، وهو في «ديوانه» ٤٠، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/١٨٣، و«اللسان»: مادة «ميد»، وقوله: نهدي رؤوس المترفين الأنداد. والمترفون: المتعتمدون المتوسمون في لذات الدنيا وشهواتها، والأنداد: جمع ند بكسر التون، وهو هنا بمعنى الضد، يقال للرجل إذا خالفك، فأردت وجهاً تنهب إليه، ونازعك في شدة: هو نذّي ونديدي، حكاة قطرب كما في «الأضداد» ٢/٢٥٦ لأبي الطيب الحلبي. ويأتي أيضاً بمعنى المثل والشبه. وانظر «الأضداد» ٢٣ لابن الأنباري. يقول: تقتل الخارجين على أمير المؤمنين، ثم نهدي إليه رؤوسهم، وهو المسؤول دون الناس.



قوله تعالى: ﴿قَالُوا يُرِيدُ أَنْ تُلْكََلَ بِهَا﴾ هذا اعتذار منهم يتنوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه، وفي إرادتهم للأكل منها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أرادوا ذلك للحاجة، وشدة الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: ليزدادوا إيماناً، ذكره ابن الأنباري. والثالث: للتبرك بها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَنُظْمِرَ قُلُوبُنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تطمئن إلى أن الله تعالى قد بعثك إلينا نبياً. والثاني: إلى أن الله تعالى قد اختارنا أعواناً لك. والثالث: إلى أن الله تعالى قد أجابك. وقال ابن عباس: قال لهم عيسى: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً، ثم لا تسألونه شيئاً إلا أعطاكم؟ فصاموا، ثم سألوهم المائدة. فمعنى: ﴿وَنُظْمِرَ قُلُوبُنَا﴾ في أننا إذا صمنا ثلاثين يوماً لم نسأل الله شيئاً إلا أعطانا. وفي هذا العلم قولان: أحدهما: أنه علم يحدث لهم لم يكن، وهو قول من قال: كان سؤالهم قبل استحكام معرفتهم. والثاني: أنه زيادة علم إلى علم، ويقين إلى يقين، وهو قول من قال: كان سؤالهم بعد معرفتهم. وقرأ الأعمش: ﴿وتعلم﴾ بالياء، والمعنى: وتعلم القلوب أن قد صدقتنا. وفي قوله: ﴿وَمِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: من الشاهدين لله بالقدرة، ولك بالنبوة. والثاني: عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وذلك أنهم كانوا مع عيسى في البرية عند هذا السؤال. والثالث: من الشاهدين عند من يأتي من قوما بما شاهدنا من الآيات الدالة على أنك نبي. والرابع: من الشاهدين لك عند الله بأداء ما بعثت به.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وقرأ ابن محيصن، وابن السميع، والجحدري: «ولاولنا وآخرنا» برفع الهمزة، وتخفيف الواو، والمعنى: يكون اليوم الذي نزلت فيه عيداً لنا، نعظمه نحن ومن بعدنا، قاله قتادة، والسدي. وقال كعب: أنزلت عليهم يوم الأحد، فاتخذوه عيداً. وقال ابن قتيبة: عيداً، أي: مجمعاً. قال الخليل بن أحمد: العيد: كل يوم يجمع، كأنهم عادوا إليه. وقال ابن الأنباري: سُمِّيَ عيداً للعود من الترح إلى الفرح.

قوله تعالى: ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: علامة منك تدل على توحيدك، وصحة نبوة نبيك. وقرأ ابن السميع، وابن محيصن، والضحاك «وأنه منك» بفتح الهمزة، وينون مشددة. وفي قوله: ﴿وَارْزُقْنَا﴾ قولان: أحدهما: ارزقنا ذلك من عندك. والثاني: ارزقنا الشكر على ما أنعمت به من إجابتك لنا.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ فَأَيُّ كَفَرٍ بَدَّ مِنْكُمْ فَأَيُّ عَذَابٍ عَذَابًا لَا أَعْدِيهِ أَمَّا مِنَ الْمَلَكَيْنِ﴾ قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر «مَرْسَلُهَا» بالتشديد، وقرأ الباقون خفيفة. وهذا وعد بإجابة سؤال عيسى. واختلف العلماء: هل نزلت، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت، قاله الجمهور، فروى وهب بن منبه عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: لما رأى عيسى أنهم قد جدوا في طلبها لبس جبة من شعر، ثم توضأ، واغتسل، وصَفَّ قدميه في محرابه حتى استويا، وألصق الكعب بالكعب، وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وطأ رأسه خضوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت تسيل دموعه على خده، وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض من دموعه حيال وجهه، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، فبينما عيسى كذلك، هَبَطَتْ علينا مائدة من السماء، سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من تحتها، وغمامة من فوقها، وعيسى يبكي ويتضرع، ويقول: إلهي اجعلها سلامة، لا تجعلها عذاباً، حتى استقرت بين يديه، والحواريون من حوله، فأقبل هو وأصحابه حتى قعدوا حولها، وإذا عليها منديل مغلف، فقال عيسى: أيكم أوثق بنفسه وأقل بلاء عند ربه فليأخذ هذا المنديل، وليكشف لنا عن هذه الآية. قالوا: يا روح الله أنت أولانا بذلك، فأكشف عنها، فاستأنف وضوءاً جديداً، وصلى ركعتين، وسأل ربه أن يأذن له بالكشف عنها، ثم قعد إليها، وتناول المنديل، فإذا عليها سمكة مشوية، ليس فيها شوك، وحولها من كل البقل ما خلا الكراث، وعند رأسها الخل، وعند ذنبها الملح، وحولها خمسة أرغفة، على رغيف تمر، وعلى رغيف زيتون، وعلى رغيف خمس رمانات. فقال شمعون رأس الحواريين: يا روح الله آمين طعام الدنيا هذا، أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: سبحان الله أما تتبهون! ما أخوفني عليكم. قال شمعون: لا وإله بني إسرائيل ما أردت بهذا سوءاً. قال عيسى: ليس ما ترون عليها من طعام



الدنيا، ولا من طعام الجنة، إنما هو شيء ابتدعه الله، فقال له: «كن» فكان أسرع من طرفة عين. فقال الحواريون: يا روح الله إنما نريد أن ترينا في هذه الآية آية، فقال: سبحانه الله! ما اكتفيتم بهذه الآية!؟ ثم أقبل على السمكة فقال: عودي ياذن الله حية طرية، فعادت تضطرب على المائدة، ثم قال: عودي كما كنت، فعادت مشوية، فقال: يا روح الله كن أنت أول من يأكل منها، فقال: معاذ الله بل يأكل منها من سألها، فلما رأوا امتناعه، خافوا أن يكون نزولها عقوبة، فلما رأى عيسى ذلك دعا لها الفقراء والزمنى واليتامى، فقال: كلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم، ليكون مهنتها لكم، وعقوبتها علي غيركم، فأكل منها ألف وسبعمائة إنسان، يصدرون عنها شباعاً وهي كهيتها حين نزلت، فصح كل مريض، واستغنى كل فقير أكل منها، ثم نزلت بعد ذلك عليهم، فازدحموا عليها، فجعلها عيسى نوباً بينهم، فكانت تنزل عليهم أربعين يوماً، تنزل يوماً وتغيب يوماً، وكانت تنزل عند ارتفاع الضحى، فيأكلون منها حتى إذا قالوا، ارتفعت إلى السماء وهم ينظرون إلى ظلها في الأرض<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: كانت تنزل عليكم بكرة وعشية، حيث كانوا. وقال غيره: نزلت يوم الأحد مرتين. وقيل: نزلت غدوة وعشية يوم الأحد، فلذلك جعلوه عيداً. وفي الذي كان على المائدة ثمانية أقوال: أحدها: أنه خبز ولحم، روي عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ أنه قال: «نزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها سمكة مشوية، وخمس أرغفة، وتمر، وزيتون، ورمضان. وقد ذكرناه عن سلمان. والثالث: ثمر من ثمار الجنة، قاله عمار بن ياسر، وقال قتادة: ثمر من ثمار الجنة، وطعام من طعامها. والرابع: خبز، وسمك، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وأبو عبد الرحمن السلمي. والخامس: قطعة من ثريد، رواه الضحاك عن ابن عباس. والسادس: أنه أنزل عليها كل شيء إلا اللحم، قاله سعيد بن جبير. والسابع: سمكة فيها طعم كل شيء من الطعام، قاله عطية العوفي. والثامن: خبز أرز وبقل، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنها لم تنزل، روى قتادة عن الحسن أن المائدة لم تنزل، لأنه لما قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْثُرْ بِدُّ يَنْكَرْ بَدُّ يَنْكَرْ بَدُّ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: أنزلت مائدة عليها ألوان من الطعام، فعرضها عليهم، وأخبرهم أنه العذاب إن كفروا، فأبوها فلم تنزل. وروى ليث عن مجاهد قال: هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه، لينهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه، ولم ينزل عليهم شيء، والأول أصح<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْثُرْ بِدُّ يَنْكَرْ بَدُّ يَنْكَرْ بَدُّ﴾ أي: بعد إنزال المائدة. وفي العذاب المذكور قولان: أحدهما: أنه المسخ. والثاني: جنس من العذاب لم يعدب به أحد سواهم. قال الزجاج: ويجوز أن يعجل لهم في الدنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة. وفي «العالمين» قولان: أحدهما: أنه عام. والثاني: عالمو زمانهم. وقد ذكر المفسرون أن جماعة من أصحاب المائدة مسخوا. وفي سبب مسخهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أمروا أن لا يخونوا، ولا يدخروا، فخانوا وادخروا، فمسخوا قردة وخنازير، رواه عمار بن ياسر عن النبي ﷺ. والثاني: أن عيسى خصص بالمائدة الفقراء، فتكلم الأغنياء بالقيح من القول، وشككوا الناس فيها، وارتابوا، فلما أمسى المرتابون بها، وأخذوا مضاجعهم، مسخهم الله خنازير، قاله سلمان الفارسي. والثالث: أن الذين شاهدوا المائدة، ورجعوا إلى قومهم، فأخبروهم، فضحك بهم من لم يشهد، وقالوا: إنما سحر أعينكم، وأخذ بقلوبكم، فمن أراد الله به خيراً، ثبت على بصيرته، ومن أراد به فتنة، رجع إلى كفره. فلعنهم عيسى، فأصبحوا خنازير، فمكثوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا، قاله ابن عباس.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ مَرِيئًا مَّا تَكْفُرُونَ﴾

(١) ذكر الخبر بطوله الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١١٧/٢ - ١١٨ من رواية ابن أبي حاتم، ثم قال: هذا أثر غريب جداً. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٤٦/٢، وزاد نسبه إلى الحكيم الترمذي في «نوار الأصول» وأبي الشيخ في «العظمة» وأبي بكر الشافعي في «فوائده» المعروفة بـ «الغلايات» عن سلمان الفارسي.

(٢) الطبري ٢٢٨/١١، والترمذي ١٠٢/٤ مرفوعاً ومرفوعاً ولفظه: «أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا، ورفقوا لغد، فمسخوا قردة وخنازير» وجزم بأن الموقوف أصح، وقال: ولا نعرف للحديث المرفوع أصلاً.

(٣) وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأن الله تعالى أخبر بنزوله في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مِّنْكُمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ يَنْكَرُ بَدُّ يَنْكَرُ بَدُّ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال: وعدوه ووعده حق وصدق. قال ابن كثير: وهذا القول هو - والله أعلم - الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف.

لِي يَحْيَىٰ إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَسْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ في زمان هذا القول قولان: أحدهما: أنه يقوله له يوم القيامة، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن جريج. والثاني: أنه قاله له حين رفعه إليه، قاله السدي، والأول أصح. وفي «إذ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة، والمعنى: وقال الله، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها على أصلها، والمعنى: وإذ يقول الله له، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها بمعنى: «إذا»، كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ [سبا: ٥١] والمعنى: إذا. قال أبو النجم:

ثُمَّ جَزَاكَ اللَّهُ عِيسَى إِذْ جَزَىٰ جُنَاتٍ عَذَنَ فِي السَّمَوَاتِ الْعِلَا<sup>(١)</sup>

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: «إِلَّهَيْن»، لأنهم إذ أشركوا فعل ذكر مع فعل أنى [عُلِبَ فعل الذكر] ذكروهما. فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلهاً، فكيف قال الله تعالى ذلك فيهم؟ فالجواب: أنهم لما قالوا: لم تلد بشراً، وإنما ولدت إلهاً، لزمهم أن يقولوا: إنها من حيث البعضية بمثابة من ولدته، فصاروا بمثابة من قاله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ أي: براءة لك من السوء ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: لست أستحق العبادة، فأدعوا الناس إليها. وروى عطاء بن السائب عن مسيرة قال: لما قال الله تعالى لعيسى: ﴿هَآءَتْ قُلْتُ لِلنَّاسِ انْعَبُدُونِي وَإِنِّي لَأَنْهَيْنِي مِنَ دُونِ اللَّهِ﴾ رُعيد كل مفصل منه حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله، وما قال: إني لم أقُل، ولكنه قال: ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ فإن قيل: ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك وهو يعلم أنه ما قاله؟ فالجواب: أنه تثبيت للحجة على قومه، وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنه أمرهم بذلك، ولأنه إقرار من عيسى بالعجز في قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ وبالعبودية في قوله: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَسْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ قال الزجاج: تعلم ما أضمره، ولا أعلم ما عندك علمه، والتأويل: تعلم ما أعلم وأنا لا أعلم ما تعلم.

﴿مَا قُلْتَ قُلْ إِلَّا مَا أُنْزِلَ بِهِ إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ قال مقاتل: وحده.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup> أي: على ما يفعلون ما كنت مقيماً فيهم، [وقوله] ﴿لَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ فيه قولان: أحدهما: بالرفع إلى السماء. والثاني: بالموت عند انتهاء الأجل. و«الرقيب» مشروح في سورة (النساء)، و«الشهيد» في (آل عمران).

﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَتَّبِعْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ أَرْقِيبٌ لِلْكَافِرِ﴾ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم، فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم، فبثوبة كانت منهم. وقال الزجاج: علم عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ﴾ أي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم، لأنك قد أوضحت لهم الحق، فكفروا،

(١) «الأضداد» لابن الأثير: ١١٩، و«أضداد» أبي الطيب: ٢٨/١، وابن جرير: ٢٣٥/١١، والصاحبي: ١١٢، و«اللسان»: طها. وفيها: العلالي بدل «السماوات» وهي جمع «عليه» بكسر العين وتشديد اللام المكسورة، والياء المشددة: وهي الفقرة العالية من البيت، وأراد ذلك في (عليين) المذكورة في القرآن.

(٢) روى الإمام أحمد ٣٥١/٢، والبخاري ٢١٥/٨، ومسلم ٢١٩٤/٤، وأبو داود الطيالسي ٢٢٥/٢ عن ابن عباس ؓ قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حافة عرلة غزاة» ثم قال: ﴿كُنَّا بَدَلًا أَوَّلَ حَسَنِي يُوسُفُ وَشَعًا عَيْنًا إِنْ كُنَّا قَتِيلِينَ...﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: «وَالَا وَإِنْ أَوَّلَ الْخَلْقِ يَكْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَلَيْسَ بِجَاهِ بَرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، يُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِمَدَنِي، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَرْقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ إِنْ تَعْبُدُونَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَتَّبِعْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَرْقِيبٌ لِلْكَافِرِ﴾ قال: «فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». وقوله: «غزاة» جمع أغزل، أي: غير مختونين، أي: أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم، ولا ينقص منهم شيء، بل يتم لهم كل ما نقص منهم.

وإن تغفر لهم، أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمن، فذلك تفضل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز، لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحد أن يعترض عليك، فإن عذبتهم؛ فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم - ولست فاعلاً إذا ماتوا على الكفر - فلا اعتراض عليك. وقال غيره: العفو لا ينقص عزك، ولا يخرج عن حكمك. وقد روى أبو ذر قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلة بأية يرددها: ﴿إِنْ تُدِيتُهُمْ فَأَنْتُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ (١).

﴿قَالَ اللَّهُ هَلْ يَوْمَ يَتَعَلَّقُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢) اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَوْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَلْ يَوْمَ يَتَعَلَّقُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قرأ الجمهور برفع اليوم، وقرأ نافع بنصبه على الظرف. قال الزجاج: المعنى: قال الله هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، ويجوز أن يكون على معنى: قال الله هذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم. والمراد باليوم: يوم القيامة. وإنما خص نفع الصدق به، لأنه يوم الجزاء. وفي هذا الصدق قولان: أحدهما: أنه صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة. والثاني: صدقه في الآخرة ينفعهم هنالك. وفي هذه الآية تصديق لعيسى فيما قال.

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: بطاعتهم، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه. وفي قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تنبيه على عبودية عيسى، وتحريض على تعلق الآمال بالله وحده.



(١) «المستند» ١٤٩/٥ ولفظه عن أبي ذر قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة، فقرأ بأية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها ﴿إِنْ تُدِيتُهُمْ فَأَنْتُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ (٢) فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها. قال: «سألت ربي ﷻ الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله ﷻ شيئاً» ورجاله ثقات، خلا جصرة بنت دجاجة العامرية، فإنه لم يوثقها سوى العجلي وابن حبان، وقال البخاري: عند جصرة عجائب. انظر «تهذيب التهذيب» ٤٠٦/١٢.

## سورة الأنعام

### فصل في نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس: أن (الأنعام) مما نزل بمكة. وهذا قول الحسن، وقتادة، وجابر بن زيد. وروى يوسف بن مهراز عن ابن عباس قال: نزلت سورة (الأنعام) جملةً ليلاً بمكة، وحولها سبعون ألف ملك<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هي مكة، نزلت جملة واحدة، ونزلت ليلاً؛ وكتبوها من ليلتهم، غير ست آيات وهي: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا أَتِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخر الثلاث آيات [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣] وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ إلى آخر الآيتين [الأنعام: ٩٣، ٩٤]. وذكر مقاتل نحو هذا. وزاد آيتين: قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَظَّ يَكْمُونَ أَنْهُمْ مَنَازِلٌ مِنْ رَبِّكَ يُلَاقُونَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَظَّ يَكْمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]. وروى عن ابن عباس، وقتادة قال: هي مكة، إلا آيتين نزلتا بالمدينة؛ قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وذكر أبو الفتح ابن شيطا أنها مكة، غير آيتين نزلتا بالمدينة ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾ والتي بعدها [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ ۖ﴾

فأما التفسير، فقال كعب: فاتحة (الكهف) فاتحة (الأنعام)، وخاتمتها خاتمة (هود)؛ وإنما ذكر السموات والأرض، لأنهما من أعظم المخلوقات. والمراد «بالجعل»: الخلق. وقيل: إِنَّ «جَعَلَ» ههنا: صلة؛ والمعنى: والظلمات. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: الكفر والإيمان، قاله الحسن. والثاني: الليل والنهار، قاله السدي. والثالث: جميع الظلمات والأنوار. قال قتادة: خلق الله السموات قبل الأرض، والظلمات قبل النور، والجنة قبل النار.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: المشركين بعد هذا البيان «بِرَبِّهِمْ يَقُولُونَ»، أي: يجعلون له عديلاً، فيعبدون الحجارة الموات، مع إقرارهم بأنه الخالق لما وُصف. يقال: عدلت هذا بهذا: إذا ساوته به. قال أبو عبيدة: هو مقدم ومؤخر، تقديره: يعدلون بربههم. وقال الضُّر بن شميل: الباء: بمعنى «عن».

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ لَيْنٍ ثُمَّ فَصَّ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَدُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ لَيْنٍ﴾ يعني: آدم، وذلك أنه لما شك المشركون في البعث، وقالوا: من يحيي هذه العظام؟ أعلمهم أنه خلقهم من طين، فهو قادر على إعادة خلقهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فَصَّ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت، والثاني: أجل الموت إلى البعث، روي عن ابن عباس، والحسن، وابن المسيب، وقتادة، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الأجل الأول: النوم الذي تُقبَضُ فيه الروح، ثم ترجع في حال اليقظة؛ والأجل المسمى عنده: أجل موت الإنسان. رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية. والرابع: أن الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة، قاله عطاء الخراساني. والخامس: أن الأول: قضاء حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا،

(١) ذكره ابن كثير ١٢٢/٢ عن الطبراني في «الكبير» وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف ضعيف ابن سعد، وابن معين وغيرهم. وزاد السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٣ نسبة لأبي عبيد، وابن الضريس، وابن المنذر، وابن مردويه.



قاله ابن زيد، كأنه يشير إلى أجل الذرية حين أحياهم وخاطبهم. والسادس: أن الأول: أجل من قدم مات من قبل، والثاني: أجل من يموت بعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْهُمُ﴾ أي بعد هذا البيان ﴿تَتَرَوْنَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: تشكون، قاله قتادة، والسدي. وفيما شكوا فيه قولان: أحدهما: الوجدانية. والثاني: البعث. والثاني: يختلفون: مأخوذ من المراء، ذكره الماوردي.

﴿وَقَوَّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَلْمُ يَرْكُمُ وَجْهَهُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوَّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: هو المعبود في السموات وفي الأرض، قاله ابن الأنباري. والثاني: وهو المتفرد بالتدبير في السموات وفي الأرض، قاله الزجاج. والثالث: وهو الله في السموات، ويعلم سرهم وجهركم في الأرض، قاله ابن جرير. والرابع: أنه مقدم ومؤخر. والمعنى: وهو الله يعلم سرهم وجهركم في السموات والأرض، ذكره بعض المفسرين.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

يَسْتَهْزِئُونَ

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ نزلت في كفار قريش. وفي «الآية» قولان: أحدهما: أنها الآية من القرآن. والثاني: المعجزة، مثل انشقاق القمر. والمراد بالحق: القرآن. والأنباء: الأخبار. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم.

﴿أَمْ يَرَوْنَ كَمْ آفَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَرْنُكُمْ لَكُرٌّ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِذْرَافًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَمْ آفَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ القرن: اسم أهل كل عصر، وسموا بذلك لاقتنائهم في الوجود. وللمفسرين في المراد بالقرن سبعة أقوال: أحدها: أنه أربعون سنة، ذكره ابن سيرين عن النبي ﷺ. والثاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بشر المازني، وأبو سلمة بن عبد الرحمن. والرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زُرارة بن أوفى، وإيباس بن معاوية. والخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري. والسادس: سبعون سنة، ذكره الفراء. والسابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبي، أو طبقة من العلماء، قَلَبَ السُّنُونُ، أو كثرت؛ بدليل قوله ﷺ: «خيركم قرني» يعني: أصحابي «ثم الذين يلونهم» يعني: التابعين «ثم الذين يلونهم»<sup>(١)</sup> يعني: الذين أخذوا عن التابعين. فالقرن: مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فهو في كل قوم على مقدار أعمارهم؛ واشتقاق القرن: من الاقتران. وفي معنى ذلك الاقتران قولان: أحدهما: أنه سمي قرناً، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج. والثاني: أنه سمي قرناً، لأنه يَقْرُنُ زماناً بزمانٍ، وأُمَّةً بأمَّةٍ، قاله ابن الأنباري. وحكى ابن قتيبة عن أبي عبيدة قال: يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة.

قوله تعالى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: أعطيتهم ما لم تُعْطِكم. يقال: مَكَّنْتُهُ وَمَكَّنْتُ لَهُ: إذا أقدرت على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة. وفي هذه الآية رجوع من الخبر إلى الخطاب. فأما السماء: فالمراد بها المطر. ومعنى «أرسلنا»: أنزلنا. و «المدرار»: مفعال، من دَرَّ، يَدِرُّ؛ والمعنى: نرسلها كثيرة الدَّرِّ. ومفعال: من أسماء

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري في «صحيحه» ١٩٠/٥ بشرح «الفتح» عن عمران بن حصين ؓ، وتامه، قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة، قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينلدون ولا يوفون، ويظهر فيهم السن» ورواه البخاري ١٩١/٥، وسلم ١٩٣/٤ في «صحيحهما» عن عبد الله بن مسعود ؓ عنه بلفظ «خير الناس قرني»، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تنشق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته، ورواه مسلم ١٩٦٢/٤ بلفظ «خير أمي قرني..» وانظر الكلام على هذا الحديث في «فتح الباري» ٥/٧.

المبالغة، كقولهم: امرأة مذكّار: إذا كانت كثيرة الولادة للذكور، وكذلك مثنث. فإن قيل: السماء مؤنثة، فلم ذكّر مدراة؟ فالجواب: أن حكم ما اتعدل من النعوت عن منهاج الفعل وبنائه، أن يلزم التذكير في كلّ حال، سواء كان وصفاً لمذكر أو مؤنث؛ كقولهم: امرأة مذكّار، ومعطار؛ وامرأة مذكّر، ومؤنث؛ وهي كفور، وشكور. ولو بُنيت هذه الأوصاف على الفعل، لقليل: كافرة، وشاكرا، ومُذَكِّرة؛ فلما عدل عن بناء الفعل، جرى مجرى ما يستغني بقيام معنى التأنيث فيه عن العلامة؛ كقولهم: النعل لبستُها، والفأس كسرتُها، وكان إيتارهم التذكير للفرق بين المبني على الفعل، والمعدول عن مثلي الأفاعيل. والمراد بالمدراة: المبالغة في اتصال المطر ودوامه؛ يعني: أنها تَدِرُّ وقت الحاجة إليها؛ لا أنها تدوم ليلاً ونهاراً، ففسد، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَسَوْهُ بِإِلَيْهِمْ لَقَالُوا الْبَيِّنَاتُ كَذْرًا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ﴾ سبب نزولها: أن مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة، يشهدون أنه من عند الله، وأنتك رسوله، فتزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. قال ابن قتيبة: والقرطاس: الصحيفة، يقال للرامي إذا أصاب الصحيفة: قُرْطَسَ<sup>(١)</sup>. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: القرطاس قد تكلموا به قديماً. ويقال: إن أصله غير عربي. والجمهور على كسر قافه، وضمها أبو رزين، وعكرمة، وطلحة، ويحيى بن يعمر.

فاما قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْهُ بِإِلَيْهِمْ﴾ فهو تأكيد لنزوله، وقيل: إنما علّقه باللمس باليد إبعاداً له عن السحر، لأن السحر يُتَخَلَّلُ في المراتب، دون الملموسات. ومعنى الآية: إنهم يدفعون الصحيح.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ لَفَقِحَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أبي أمية، ونوفل بن حُوَيْلِد؛ و «لولا» بمعنى «هلا» ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ نصده: ﴿وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا﴾ فعابونه ولم يؤمنوا، ﴿لَفَقِحَ الْأَمْرُ﴾؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: لما توا، ولم يؤخروا طرفه عين لتوبة، قاله ابن عباس. والثاني: لقامت الساعة، قاله عكرمة، ومجاهد. والثالث: لعجل لهم العذاب، قاله قتادة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً، لجعلناه في صورة رجل، لأنهم لا يستطيعون رؤية الملك عى صورته، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لشبّنا عليهم. يقال: ألّبت الأمر على القوم، ألّبه: أي: شبّهته عليهم، وأشكّله. والمعنى: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكّوا، فلا يدرون أملك هو، أم آدمي؟ فأضللناهم بما به ضلّوا، قيل أن يُبعث الملك. وقال الزجاج: كانوا يلبسون على ضعفهم في أمر النبي ﷺ، فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم؛ فقال تعالى: لو رأوا الملك رجلاً، لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفهم منه. وقرأ الزهري، ومعاذ القارئ، وأبو رجاء: «وللبسنا»، بالتشديد، «عليهم ما يلبسون»، مشددة أيضاً.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَفْزَيْ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَكَانَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾ أي: أحاط. قال الزجاج: الحيق في اللغة: ما اشتمل على الإنسان من

(١) اختصر المؤلف رحمه الله كلام ابن قتيبة، وإليك نصه بتمامه من «غريب القرآن» ١٥٠: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ﴾ أي: صحيفة، وكذلك قوله: ﴿جَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ أي: صحفاً. قال المرار:

عَقِبَ الْمَنَازِلَ غَيْرَ مِثْلِ الْإِنْسِي  
فَوَقَفَتْ تَعْتَرِفُ الصَّحِيفَةُ بَعْدَهَا  
وَالْإِنْسِي: جمع نفس، مثل قبح وأقبح وأقذاح. أراد غير مثل النفس عرفته بالقرطاس، ثم قال: «فوقفت تعترف الصحيفة» فأعلمك أن القرطاس هو الصحيفة، ومنه يقال للرامي إذا أصاب: قرطس، إنما يراد أصاب الصحيفة.

بَعْدَ الرُّمَانِ عَرُفَتْ بِالْقُرْطَاسِي  
عَمَسَ الْكِتَابَ وَقَدْ يُرَى لَمْ يَغْمَسِي

مكروه فعله، ومنه: ﴿وَلَا يَحِبُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٤٣]؛ أي: ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم. قال السدي: وقع بهم العذاب الذي استهزؤا به.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى: فإن أجابوك، وإلا فـ ﴿قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ قال ابن عباس: قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين. قال الزجاج: ومعنى كتب: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً، وجائز أن يكون كتب في اللوح المحفوظ؛ وإنما حُوِّطَ الخلق بما يعقلون، فهم يعقلون أن تؤكد الشيء المؤخر أن يحفظ بالكتاب. وقال غيره: رحمته عامة؛ فمنها تأخير العذاب عن مستحقه، وقبول توبة العاصي.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ﴾ اللام: لام القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه. وذهب قوم إلى أن «إلى» بمعنى: «في». ثم اختلفوا، فقال قوم: في يوم القيامة. وقال آخرون: في قبوركم إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: بالشرك، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق فيهم من القضاء. وقال ابن قتيبة: قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ مردود إلى قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِيبَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين خسروا.

﴿وَلَمْ يَأْتِ سَكَنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَفُؤَ النَّاسِ الْعَلِيلُ﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَكَنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعوننا إليه الحاجة؛ فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وفي معنى «سكن» قولان: أحدهما: أنه من السكنى. قال ابن الأعرابي: «سكن» بمعنى حل. والثاني: أنه من السكون الذي يضاد الحركة. قال مقاتل: من المخلوقات ما يستقر بالنهار، ويتشر بالليل؛ ومنها ما يستقر بالليل، ويتشر بالنهار. فإن قيل: لم خص السكون بالذكر دون الحركة؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن السكون أعم وجوداً من الحركة. والثاني: أن كل متحرك قد يسكن، وليس كل ساكن يتحرك. والثالث: أن في الآية إضماراً؛ والمعنى: وله ما سكن وتحرك؛ كقوله: ﴿يَنْفِكُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨٢] أراد: والبرد؛ فاختصر.

﴿قُلْ أَغْيَرُ اللَّهِ أَغْيَرُ وَلِئَلَّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفُؤَ يَطْمَعُ قُلْ إِنَّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَدُّ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُتَشَكِّكِ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرُ اللَّهِ أَغْيَرُ وَلِئَلَّا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكر مقاتل أن سبب نزولها، أن كفار قريش قالوا: يا محمد، ألا ترجع إلى دين آبائك؟ فنزلت هذه الآية. وهذا الاستفهام معناه الإنكار؛ أي: لا أتخذ ولياً غير الله أتولاه، وأعبده، وأستعينه.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الجمهور على كسر راء «فاطر». وقرأ ابن أبي عبله برفعها. قال أبو عبيدة: الفاطر، معناه: الخالق. وقال ابن قتيبة: المبتدئ. ومنه «كل مولود يولد على الفطرة»<sup>(١)</sup> أي: على ابتداء الخلقة، وهو الإقرار بالله حين أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائه. وقال ابن عباس: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بشر؛ فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأتها. قال الزجاج: إن قيل: كيف يكون الفطر بمعنى الخلق؟ والانفطار: الانشقاق في قوله تعالى: ﴿إِذَا أَلْسَمَةٌ أَنْفَطَرَتْ﴾ ﴿٢٠﴾ [الانفطار: ١] فالجواب: إنما يرجعان إلى شيء واحد، لأن معنى «فطرهما»: خلقها خلقاً قاطعاً. والانفطار، والفطور: تقطُّع وتشتُّق.

(١) البخاري (١٩٧/٣) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدهاء» ورواه البخاري أيضاً (١٧٦/٣) ومسلم في «صحيحه» (٢٠٤٧/٤) بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» ثم يقول أبو هريرة: «وَفُطِرَ اللَّهُ أَلَيْ أَتَى فُكْرَ النَّاسِ مَلَكًا لَا يَبْرِيءُ يَلْقَى اللَّهَ» الآية. ورواه أحمد في «المستند» عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعمر عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه، إما شاكراً، وإما كفوراً» وفي رواية لمسلم (٢٠٤٨/٤): «ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة، حتى يعمر عنه لسانه» وفي رواية له أيضاً: «حتى يبين عنه لسانه».



قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُلَظْمُ وَلَا يُلْمَعُ﴾ قرأ الجمهور بضم الياء من الثاني؛ ومعناه: وهو يوزق ولا يوزق، لأن بعض العبيد يوزق مولاه. وقرأ عكرمة والأعمش «ولا يطعم» بفتح الياء. قال الزجاج: وهذا الاختيار عند البصرياء بالعربية، ومعناه: وهو يوزق ويظلم ولا يأكل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَتُوبُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَدَّ﴾ أي: أول مسلم من هذه الأمة؛ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ قال الأخفش: معناه: وقيل لي: لا تكونن، فصارت: أمرت، بدلاً من ذلك؛ لأنه حين قال: أمرت، قد أخبر أنه قيل له.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ زعم بعض المفسرين أنه كان يجب عليه أن يخاف عاقبة الذنوب، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿لَئِنْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَرَمَا تَأْخُرَ﴾ [التغ: ٣] والصحيح أن الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، وإنما هو معلق بشرط، ومثله: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَنْكَ﴾ [الزمر: ٦٦].

﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْقَرُّؤُ الْمُبِينُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم «مَنْ يَصْرِفْ» بضم الياء وفتح الراء، يعنون: العذاب. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يَصْرِفْ» بفتح الياء وكسر الراء؛ الضمير قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ ومما يحسن هذه القراءة قوله «فَقَدْ رَحِمَهُ»، فقد اتفق إسناد الضميرين إلى اسم الله تعالى، ويعني بقوله: «يَصْرِفْ» العذاب «يَوْمَئِذٍ»، يعني: يوم القيامة، «وَذَلِكَ» يعني: صرف العذاب.

﴿وَلَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ فَمَا كَانَتْ لَهُ إِلَّا مَا هُوَ وَلَنْ يَسْأَلَكَ يَوْمَئِذٍ فَمَا هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْأَلَكَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ﴾ الضر: اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان، من فقر، ومرض، وغير ذلك؛ والخير: اسم جامع لكل ما ينتفع به الإنسان. وللمفسرين في الضر والخير قولان: أحدهما: أن الضر: السقم؛ والخير: العافية. والثاني: أن الضر: الفقر، والخير: الغنى.

﴿وَمَنْ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْكَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ القاهر: الغالب، والقهر: الغلبة. والمعنى: أنه قهر الخلق فصرفهم على ما أراد طوعاً وكراً؛ فهو المستعلي عليهم، وهم تحت التسخير والتذليل.

﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةٍ عَلَى اللَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ مَا لَهُ أَخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَادَةٍ﴾ سبب نزولها: أن رؤساء مكة أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد أنك رسول الله؛ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: قل لقريش: أي شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوك، وإلا فقل: الله، وهو شهيد بيني وبينكم على ما أقول. وقال الزجاج: أمره الله أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في نبوته أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به، يشهد له أنه رسول الله، وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ بِهِ﴾. ففي الإنذار به دليل على نبوته، لأنه لم يأت أحد بمثله، ولا يأتي؛ وفيه خبر ما كان وما يكون؛ ووعده فيه بأشياء، فكانت كما قال. وقرأ عكرمة، وابن السميع، والجحدري «وَأُوحِيَ إِلَيَّ» بفتح الهمزة والحاء: «القرآن» بالنصب؛ فأما «الإنذار»، فمعناه: التخويف، ومعنى «وَمَنْ بَلَغَ» أي: من بلغ إليه هذا القرآن، فإني نذير له. قال القرطبي: من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ، وكلمه<sup>(١)</sup>. وقال أنس بن مالك: لما نزلت هذه الآية، كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله ﷻ.

(١) الطبري ٢٩١/١١ دون قوله: «وكلمه» وفيه: ثم قرأ «وَمَنْ بَلَغَ إِلَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ» ونسبه ابن كثير: ١٢٦/٢ إلى ابن أبي خاتم، وقال: زاد أبو خالد - وهو أحد رواة الخبر - «وكلمه».



قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ لَسْتُمْ هَؤُلَاءِ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ آخَرُونَ﴾ هذا استفهام معناه الإنكار عليهم. قال الفراء: وإنما قال: «أخرى» ولم يقل: «آخر» لأن الآلهة جمع؛ والجمع يقع عليه التانيث، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨١] وقال: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ [طه: ٥٢].

﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه التوراة والإنجيل؛ وهذا قول الجمهور. والثاني: أنه القرآن. وفي هاء «يعرفونه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله السدي. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال لعبد الله بن سلام: إن الله قد أنزل على نبيه بمكة ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٧، والأنعام: ٢١] فكيف هذه المعرفة؟ فقال: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ولأننا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني. فقال عمر: وكيف ذلك؟ فقال: إني أشهد أنه رسول الله حقاً، ولا أدري ما يصنع النساء. والثاني: أنها ترجع إلى الدين والنبي. فالمعنى: يعرفون الإسلام أنه دين الله ﷻ، وأن محمداً رسول الله، قاله قتادة. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن. فالمعنى: يعرفون الكتاب الدال على صدقه؛ ذكره الماوردي. وفي ﴿الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنهم مشركو مكة. والثاني: كفار أهل الكتابين.

﴿وَمَنْ أَظْلَرُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَرُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: اختلق على الله الكذب في ادعاء شريك معه. وفي «آياته» قولان: أحدهما: أنها محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثاني: القرآن، قاله مقاتل. والمراد بالظلم المذكور في هذه الآية: الشرك.

﴿يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جِبَاةٌ ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنِّي سُرَّوْكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُهُمْ جِبَاةٌ﴾ انتصب «اليوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم. قال ابن جرير: والمعنى: لا يفلحون اليوم، ولا يوم نحشرهم. وقرأ يعقوب: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ «ثُمَّ يَقُولُ» بالياء فيهما. وفي الذين عنى قولان: أحدهما: المسلمون والمشركون. والثاني: العابدون والمعيدون. وقوله: ﴿إِنِّي سُرَّوْكُمْ﴾ سؤال توبيخ. والمراد بشركائهم: الأوثان؛ وإنما أضافها إليهم لأنهم زعموا أنها شركاء لله. وفي معنى: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ قولان: أحدهما: يزعمون أنهم شركاء مع الله. والثاني: يزعمون أنها تشفع لهم.

﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثم لم تكن» بالياء، «فِتْنَتُهُمْ» بالرفع. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تكن» بالياء أيضاً، «فِتْنَتُهُمْ» بالنصب؛ وقد رويت عن ابن كثير أيضاً. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكن» بالياء، «فِتْنَتُهُمْ» بالنصب. وفي «الفتنة» أربعة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الكلام والقول. قال ابن عباس، والضحاك: لم يكن كلامهم. والثاني: أنها المعذرة. قال قتادة، وابن زيد: لم تكن معذرتهم. قال ابن الأنباري: فالمعنى: اعتذروا بما هو مُهْلِكٌ لهم، وسبب لفضيحتهم. والثالث: أنها بمعنى البلية. قال عطاء الخراساني: لم تكن بليتهم. وقال أبو عبيد: لم تكن بليتهم التي ألزمتهم الحجة، وزادتهم لائمة. والرابع: أنها بمعنى الافتتان. والمعنى: لم تكن عاقبة فتنهم. قال الزجاج: لم يكن افتتانهم بشركهم، وإقامتهم عليه، إلا أن تبرؤوا منه. ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوية، فإذا وقع في هَلَكَةٍ تبرأ منه؛ فيقول: ما كانت محبتك لفلان إلا أن انتضيت منه. قال: وهذا تأويل لطيف، لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام، وتصرفت العرب في ذلك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أنهم افتتنوا بقولهم هذا، إذ كذبوا فيه، ونفوا عن أنفسهم ما كانوا معروفين به في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «والله

ربنا» بكسر الباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بنصب الباء. وفي هؤلاء القوم الذين هذا وصفهم قولان: أحدهما:

أنهم المشركون. والثاني: المنافقون<sup>(١)</sup>. ومتى يحلفون؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً، قالوا: تعالوا نكابر عن شركنا، فحلفوا، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم إذا دخلوا النار، ورأوا أهل التوحيد يخرجون، حلفوا [واعتذروا]، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد. والثالث: أنهم إذا سئلوا: أين شركاؤكم؟ تبرؤوا، وحلفوا: ما كنا مشركين، قاله مقاتل.

﴿أَتْلَزَّ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَصَدَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَتْلَزَّ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: باعتذارهم بالباطل. ﴿وَصَدَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: ذهب ما كانوا يذعنون ويختلفون من أن الأصنام شركاء الله، وشفعائهم في الآخرة.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كُذُّبًا يَتَّبِعُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ بِجُودُنَا يَمْدُوكَ يُقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَنْ يَهْتَمَّ عَنْهُ وَتَوَدَّ عَنْهُ وَلَا يَهْدِيكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَسْتَرْوُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ سبب نزلوها: أن نفرأ من المشركين، منهم عتبة، وشيبة، والنضر بن الحارث، وأمية وأبي ابن خلف، جلسوا إلى رسول الله ﷺ، واستمعوا إليه، ثم قالوا للنضر بن الحارث: ما يقول محمد؟ فقال: والذي جعلها بيني، ما أدري ما يقول؟ إلا أني أرى تحرك شفتيه، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية؛ وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. فاما «الأكثة»، فقال الزجاج: هي جمع كنان، وهو الغطاء؛ مثل عنان وأعنة. وأما: «أن يفقهوه»، فمتصوب على أنه مفعول له. المعنى: وجعلنا على قلوبهم أكثة لكراهة أن يفقهوه، فلما حذفت اللام، نصبت الكراهة؛ ولما حذفت الكراهة، انتقل نصبها إلى «أن». «الوقر»: ثقل السمع، يقال: في أذنه وقر، وقد وقرت الأذن، تُوقر. قال الشاعر:

وَكَلَامٌ سَئِيءٌ قَدْ وُقِرَتْ

أُذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ<sup>(٦)</sup>

والوقر، بكسر الواو: أن يُحْمَلَ البعير وغيره مقدار ما يطيق، يقال: عليه وقر، ويقال: نخلة موقرة، وموقرة. وإنما فُعل ذلك بهم مجازاة لهم بإقامتهم على كفرهم، وليس المعنى أنهم لم يفقهوه، ولم يسمعه، ولكنهم لما عدلوا عنه، وصرفوا فكرهم عما عليهم في سوء العاقبة، كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُذُّبًا﴾ أي: كل علامة تدل على رسالتك، ﴿لَا يَتَّبِعُوا بِهَا﴾. ثم أعلم الله ﷻ مقدار احتجاجهم وجدلهم، وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا: ﴿إِنْ هَذَا﴾، أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ما سطر من أخبارهم وأحاديثهم. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: أساطير الأولين: كذبهم، وأحاديثهم في دهرهم. وقال أبو الحسن الأخفش: يزعم بعضهم أن واحدة الأساطير: أسطورة. وقال بعضهم: أساطيرة؛ ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو عباديد، ومذاكير، وأبائيل. وقال ابن قتيبة: أساطير الأولين: أخبارهم وما سطر منها، أي: ما كتب، ومنه قوله: ﴿تَ وَالْقَلْبِ وَمَا يَسْطَرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> [القلم] أي: يكتبون، واحدا سطر، ثم أسطار، ثم أساطير جمع الجمع، مثل قول، وأقوال، وأقاويل<sup>(٨)</sup>. والقول الثاني: أن معنى أساطير الأولين: الترهات. قال أبو عبيدة: واحد الأساطير: أسطورة، وإسطارة، ومجازها مجاز الترهات. قال ابن الأنباري: الترهات عند العرب: طرق غامضة، ومسالك مشككة، يقول قائلهم: قد

(١) قال ابن كثير بعد أن نقل هذا القول عن ابن عباس: وفيه نظر، فإن هذه الآية مكية، والمنافقون إنما كانوا بالمدينة، والتي نزلت في المنافقين آية ﴿يَمْنَعُ اللَّهُ جَيْمًا يُتَنَبَّرُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

(٢) الطبري ٣٠٢/١١، وذكره ابن كثير ١٢٧/٢ عن ابن أبي حاتم وإسناده حسن، ونصه: عن سعيد بن جبير قال: أتى رجل ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا تَرَكَتْنَا كَمَا تَشْرِكُونَ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ خَشْيَةَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٤٢] قال ابن عباس: أما قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا تَرَكَتْنَا كَمَا تَشْرِكُونَ﴾ فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا: تعالوا نجعد، فقالوا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا تَرَكَتْنَا كَمَا تَشْرِكُونَ﴾ فنحن الله على أفرامهم، وتكلمت أيديهم وأرجلهم ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ اللَّهَ خَشْيَةَ اللَّهِ﴾ وفي رواية للطبري ٣٧٤/٨: تبين أن السائل هو نافع بن الأزرق، وكان يأتي ابن عباس ليقتلي عليه من شباه القرآن.

(٣) البيت للمصنف البغدادي من قصيدة حكيمية جيدة أثبتها صاحب «المفضليات» ٢٩٣.

(٤) «غريب القرآن» ٣٧.

أخذنا في ترهات البساس، يعني: قد عدلنا عن الطريق الواضح إلى المشكل؛ وعما يعرف إلى ما لا يعرف. و«البساس»: الصحاري الواسعة، والترهات: طرق تشعب من الطريق الأعظم، فتكثر وتُشكّل، فجُعلت مثلاً لما لا يصح وينكشف. فإن قيل: لم عابوا القرآن بأنه أساطير الأولين، وقد سطر الأولون ما فيه علم وحكمة، وما لا عيب على قائله؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنهم نسبوه إلى أنه ليس بوحى من الله. والثاني: أنهم عابوه بالإشكال والغموض، استراحة منهم إلى البهت والباطل. فعلى الجواب الأول تكون «أساطير» من التسطير، وعلى الثاني تكون بمعنى الترهات، وقد شرحنا معنى الترهات.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعدوا عما جاء به، فنزلت فيه هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول عمرو بن دينار، وعطاء بن دينار، والقاسم بن مخيمرة<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعو إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم فيقتلوه، فقال: ما لي عنه صبر، فقالوا: ندفع إليك من شبابنا من شئت مكان ابن أخيك؛ فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليك، وقال:

وَاللّٰهُ لَنْ يَصِلُوْا اِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ  
فَاضْطَغْ بِاَمْرِكَ مَا عَلَيْنِكَ غَضَاضَةٌ  
وَعَرَضَتْ دِيْنًا لَا مَحَالَةَ اَنْهُ  
لَوْ لَا الْمَلَأَةُ اَوْ حَذَارِي سُبَّةٌ

حَتَّى اَوْسَدَ فِي الثَّرَابِ دَفِينًا  
وَابْشُرْ وَقَرِّ بِذَاكَ مِنْكَ عُيُونًا  
مِنْ خَيْرِ اَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِيْنًا  
لَوْ جَدْتَنِي سَمَحًا بِذَاكَ مُبِينًا

فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن كفار مكة كانوا يبهون الناس عن اتباع النبي ﷺ، ويتباعدون بأنفسهم عنه، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال ابن الحنفية، والضحاك، والسدي. فعلى القول الأول، يكون قوله: ﴿وَهُمْ﴾ كناية عن واحد؛ وعلى الثاني: عن جماعة. وفي هاء «عنه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ. ثم فيه قولان: أحدهما: يبهون عن أذاه. والثاني: عن أتباعه. والقول الثاني: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. ﴿وَيَنْعَوْنَ﴾ بمعنى يبعدون. وفي هاء «عنه» قولان: أحدهما: أنها راجعة إلى النبي ﷺ. والثاني: إلى القرآن. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْلِكُونَ﴾ أي: وما يهلكون ﴿لَا أَنْفُسُهُمْ﴾ بالتباعد عنه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أنهم يهلكونها.

﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ رُفِئًا عَلَى الْآثَارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ إِذْ رُفِئًا عَلَى الْآثَارِ﴾ في معنى «وقفوا» ستة أقوال: أحدها: حبسوا عليها، قاله ابن السائب. والثاني: غرضوا عليها، قاله مقاتل. والثالث: عاينوها. والرابع: وقفوا عليها وهي تحتهم. والخامس: دخلوا إليها فعرفوا مقدار عذابها، تقول: وقفت على ما عند فلان، أي: فهمته وتبينته، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الزجاج، واختار الأخير. وقال ابن جرير: «على» هاهنا بمعنى «في». والسادس: جعلوا عليها وقفاً، كالوقوف المؤبدة على سبيلها، ذكره الماوردي. والخطاب بهذه الآية للنبي ﷺ، والوعيد للكفار، وجواب «لو» محذوف، ومعناه: لو رأيتمهم في تلك الحال، لرأيتم عجباً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم برفع الباء من «نكذب»، والنون من «نكون». قال الزجاج: والمعنى أنهم تمنوا الرد، وضمنوا أنهم لا يكذبون. والمعنى: يا ليتنا نُرَدُّ، ونحن لا نكذب بآيات ربنا، رُؤدنا أو لم نُرَدُّ، ونكون من المؤمنين، لأننا قد عاينا ما لا نُكْذِبُ معه أبداً. قال: ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى «يا ليتنا نرد»، يا ليتنا لا نكذب، كأنهم تمنوا الرد والتوفيق للتصديق. وقال الأخفش: إذا رفعت جعلته على مثل اليمين، كأنهم قالوا: ولا نكذب - واللّه - بآيات ربنا، ونكون - والله - من المؤمنين.

(١) هو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي، نزيل دمشق، ثقة فاضل مترجم في «التهذيب».



وقرأ حمزة إلا العجلى<sup>(١)</sup>، وحفص عن عاصم، ويعقوب: بنصب الباء من «نكذب»، والنون من «نكون». قال مكي بن أبي طالب: وهذا النصب على جواب التمني، وذلك بإضمار «أن»، حملاً على مصدر «نرد»، فأضمرت «أن» لتكون مع الفعل مصدرًا، فعطف بالواو مصدرًا على مصدر. وتقديره: يا ليت لنا ردًا، وانتفاءً من التكذيب، وكونًا من المؤمنين. وقرأ ابن عامر برفع الباء من «نكذب»، ونصب النون من «نكون»؛ فالرفع قد بينا علته، والنصب على جواب التمني.

﴿بَلْ بَدَأَكُمْ تَأْكُلُوا خُمُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَأَكُمْ تَأْكُلُوا خُمُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ «بل»: هاهنا ردٌ لكلامهم، أي: ليس الأمر على ما قالوا من أنهم لو ردوا لأمثروا. وقال الزجاج: «بل» استدراك وإيجاب بعد نفي؛ تقول: ما جاء زيد، بل عمرو. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: بدا ما كان يخفيه بعضهم عن بعض، قاله الحسن. والثاني: بدا بنطق الجوارح ما كانوا يخفون من قبل بالسنتهم، قاله مقاتل. والثالث: بدا لهم جزاء ما كانوا يخفونه، قاله المبرد. والرابع: بدا للاتباع ما كان يخفيه الرؤساء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ قال ابن عباس: لعادوا إلى ما نُهُوا عنه من الشرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ﴿وَلَا تَكُذِّبُ يَأْتِي رَبَّنَا وَكُنْ مِنْ الْوَكِيدِينَ﴾. قال ابن الأنباري: كذبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم، أنهم إن رُدُّوا، آمنوا ولم يكذبوا، ولم يكذبهم في التمني.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذا إخبار عن منكري البعث. قال مقاتل: لما أخبر النبي ﷺ كفار مكة بالبعث، قالوا هذا. وكان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول: هذا حكاية قولهم، لو ردوا لقالوه.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَقُولُ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: عُرِضُوا على ربهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ العذاب ﴿بِالْحَقِّ﴾. وقال غيره: أليس هذا البعث حقًا؟ فعلى قول مقاتل: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالعذاب، وعلى قول غيره: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالبعث.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِذْ هُمْ لَا يَخْشَوْنَ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَنَتْهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا قَرَّرْنَا بِهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْثَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إنما وُصِفُوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم. والمراد بقاء الله: البعث والجزاء، والساعة: القيامة؛ والبنتة: الفجأة. قال الزجاج: كل ما أتى فجأة فقد بنت، يقال: قد بنته الأمر يَبْنَتْهُ بَنْتًا وبِنْتَةً؛ إذا أتاه فجأة. قال الشاعر:

وَلَكِنَّهُمْ بَأْسُوا وَلَمْ أَحْشَ بَنْتَةً وَأَفْطَحَ شَيْءٌ حِينَ يَفْجَأُكَ الْبَغْتُ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَحْسَرُنَا﴾ الحسرة: التلطف على الشيء الفاتئ، وأهل التفسير يقولون: يا ندامتنا. فإن قيل: ما معنى دعاء الحسرة، وهي لا تعقل؟ فالجواب: أن العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الإخبار عن عظيم ما تقع فيه، جعلته نداءً، فَتَدَجَّلَ عليه «يا» للتنبية، والمراد تنبيه الناس لا تنبيه المنادى. ومثله قولهم: لا أرىك هاهنا، لفظه لفظ الناهي لنفسه، والمعنى للمعني؛ ومن هذا قولهم: يا خَيْلَ الله اركبي، يراد: يا فرسان خيل الله. وقال سيبويه: إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: احضر وتعال يا عَجَبٌ، فهذا زمانك. فأما التفریط فهو: التضييع. وقال الزجاج: التفریط في اللغة: تقبلة العجز<sup>(٣)</sup>. وفي المكني عنه بقوله: «فيها» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الدنيا، فالمعنى: على ما

(١) هو أبو أحمد عبد الله بن صالح بن مسلم بن صالح العجلي الكوفي نزيل بغداد، مقرر مشهور ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة الزيات، وعن سليم عن حمزة أيضاً، مات في حدود العشرين ومائتين.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ١٩٣، و«الكامل» ٨٧٨، و«اللسان»: بنت، وهو ليزيد بن ضبة مولى لثيف، واسم أبيه مقسم، وضبة أمه، غلبت على نسبه، لأن أباه مات وخلفه صغيراً. وهو شاعر إسلامي.

(٣) في «اللسان»: وقال الزجاج: ﴿وَكُنْ أَمْرٌ مُرْكَبٌ﴾، أي: كان أمره التفریط، وهو تقديم العجز.



ضيعنا في الدنيا من عمل الآخرة، قاله مقاتل. والثاني: أنها الصفة، لأن الخسران لا يكون إلا في صفة، وترك ذكرها اكتفاء بذكر الخسران؛ قاله ابن جرير. والثالث: أنها الطاعة، ذكره بعض المفسرين. فأما الأوزار، فقال ابن قتيبة: هي الآثام، وأصل الوزر: الحمل على الظهر. وقال ابن فارس: الوزر: الثقل. وهل هذا الحمل حقيقة؟ فيه قولان: أحدهما: أنه على حقيقته. قال عمير بن هاني: يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح، كلما كان هؤلاء عظمه عليه، وزاده خوفاً، فيقول: بشس الجليس أنت، مالي ولك؟ فيقول: أنا عمك، طالما ركبتني في الدنيا، فلا ريكك اليوم حتى أخزيك على رؤوس الناس، فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ وهذا قول السدي، وعمرو بن قيس الملائي<sup>(١)</sup>، ومقاتل. والثاني: أنه مثل، والمعنى: يحملون ثقل ذنوبهم، قاله الزجاج. قال فجعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يتحمل، ومعنى ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾: بشس الشيء شيئاً يزونه، أي يحملونه.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِثٌ وَلَهُوَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وما الحياة الدنيا في سرعة انقطاعها، وقصر عمرها، إلا كالشيء يلعب به. والثاني: وما أمر الدنيا والعمل لها إلا لعب ولهو، فأما فعل الخير، فهو من عمل الآخرة، لا من الدنيا. والثالث: وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو، لاشتغالهم عما أمروا به. واللعب: ما لا يُجدي نفعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَذَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ اللام: لام القسم، والدار الآخرة: الجنة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ فيعملون لها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، «يعقلون» بالياء، في (الأنعام) و (الأعراف) و (يوسف) و (يس)، وقرأوا في (القصص) بالتاء. وقرأ نافع كل ذلك بالياء، وروى حفص عن عاصم كل ذلك بالتاء، إلا في (يس) ﴿فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس: ٦٧)، بالياء. وقرأ ابن عامر الذي في (يس) بالياء، والباقي بالتاء.

﴿قَدْ نَعَّمَ إِنَّهُمْ لَيَكْذِبُونَ أَلَدَى كَيْدِهِمْ لَا يَكْفُرُونَ﴾ وَلَكِنَّ الْغَالِبِينَ بِكَأَيْدِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعَّمَ إِنَّهُمْ لَيَكْذِبُونَ أَلَدَى كَيْدِهِمْ لَا يَكْفُرُونَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من قريش يقال له: الحارث بن عامر، قال: والله يا محمد ما كذبتنا قط فننتهمك اليوم، ولكننا إن نتبعك نتخطف من أرضنا، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كان الحارث بن عامر يكذب النبي في العلانية، فإذا خلا مع أهل بيته، قال: ما محمد من أهل الكذب، فنزلت فيه هذه الآية. والثاني: أن المشركين كانوا إذا رأوا النبي ﷺ، قالوا فيما بينهم: إنه أنبي، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح. والثالث: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب الذي جئت به، فنزلت هذه الآية، قاله ناجية بن كعب<sup>(٢)</sup>. وقال أبو يزيد المدني: لقي رسول ﷺ أبا جهل، فصافحه أبو جهل، فقيل له: أتصافح هذا الصابئ؟ فقال: والله إني لأعلم أنه نبي، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف؟ فأنزل الله هذه الآية. والرابع: أن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل، فقال الأخنس: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو، أم كاذب؟ فليس هاهنا من يسمع كلامك غري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء، والسقاية، والحجابة، والنبوة، فمأذا يكون لسائر قريش؟ فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. فأما الذي يقولون، فهو التكذيب للنبي ﷺ، والكفر بالله. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهون به.

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن قيس الملائي الكوفي، ثقة فاضل متعب، مترجم في «التلخيص» وغيره. وقد خرج الطبري أثره ٣٢٧/١١، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٩/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وإسناد ابن أبي حاتم فيما رواه ابن كثير (١٢٩/٢): حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي مرزوق.

(٢) الطبري: ٣٣٤/١١، مرسلاً عن ناجية بن كعب الأسدي، ورواه الترمذي ١٠٣/٤ عن علي، ثم رواه مرسلاً من رواية ناجية بن كعب دون ذكر علي، وقال: وهذا أصح، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٥/٢ موصلاً بإسناد آخر غير إسناد الترمذي، وصححه على شرط الشيخين، قال الشيخ أحمد شاکر في «عمدة التفسير» (٢٥/٥): فالواصل زيادة من ثنتين، فهي مقبولة على اليقين، وقد تعقب الذهبي تصحيح الحاكم إياه «على شرط الشيخين» بأنهما لم يخرجها لناجية شيئاً. وهذا صحيح، فإن الشيخين لم يخرجها لناجية بن كعب الأسدي شيئاً، ولكنه تابعي ثقة، فالحديث صحيح، وإن لم يكن على شرطهما.

(٣) الطبري: ٣٣٢/١١.

قوله تعالى: ﴿يَنْهَىٰ لَا يَكْذِبُونَ﴾ قرأ نافع، والكسائي: «يُكْذِبُونَكَ» بالتخفيف وتسكين الكاف. وفي معناها قولان: أحدهما: لا يُلقونك كاذباً؛ قاله ابن قتيبة. والثاني: لا يكذبون الشيء الذي جئت به، إنما يجحدون آيات الله، ويتعرضون لعقوباته. قال ابن الأنباري: وكان الكسائي يحتج لهذه القراءة بأن العرب تقول: كذبت الرجل: إذا نسبته إلى الكذب وصنعة الأباطيل من القول؛ وأكذبت: إذا أخبرته أن الذي يحدث به كذب، ليس هو الصانع له. قال: وقال غير الكسائي؛ يقال: أكذبت الرجل: إذا أدخلته في جملة الكذابين، ونسبته إلى صفتهم، كما يقال: أبخلت الرجل: إذا نسبته إلى البخل، وأجبت: إذا وجدته جباناً. قال الشاعر:

فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ

وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ<sup>(١)</sup>

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، وابن عامر: «يُكْذِبُونَكَ» بالتشديد وفتح الكاف؛ وفي معناها خمسة أقوال: أحدها: لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب عناد ونهت، قاله قتادة، والسدي. والثاني: لا يقولون لك: إنك كاذب، لعلمهم بصدقك، ولكن يكذبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب. والثالث: لا يكذبونك في السر، ولكن يكذبونك في العلانية، عداوة لك، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: لا يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم: كذبت. والخامس: لا يكذبونك بقلوبهم، لأنهم يعلمون أنك صادق، ذكر القولين الزجاج. وقال أبو علي: يجوز أن يكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلفت اللفظتان، إلا أن «فعلت»: إذا أرادوا أن ينسبوه إلى أمر أكثر من «أفعلت». ويؤكد أن القراءتين بمعنى، ما حكاه سيوبه أنهم قالوا: قللت، وأقللت، وكثرت، وأكثرت بمعنى. قال أبو علي: ومعنى «لا يكذبونك»: لا يقدرون أن ينسبك إلى الكذب فيما أخبرت به مما جاء في كتبهم، ويجوز أن يكون معنى الحقيقة: لا يصادفونك كاذباً، كما يقال: أحمدت الرجل: إذا أصبته محموداً، لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ يَكَاتِبُ ٱللَّهُ بِمَجْدُونٍ﴾ بالسنتهم ما يعلمونه يقيناً، لعنادهم. وفي «آيات الله» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، قاله السدي. والثاني: محمد والقرآن، قاله ابن السائب. والثالث: القرآن، قاله مقاتل.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنْتُمْ تَصَرُّوٓا۟ وَلَا مَبْدَلَ لِّكَيْتِ ٱللَّهُ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ ٱلرُّسُلِ ٱلْبَيِّنَاتِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ هذه تعزية له على ما يلقي منهم. قال ابن عباس: ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ رجاء ثوابي، ﴿وَأَوْدُوا حَتَّىٰ تَصَرُّوٓا۟﴾ حتى تُشروا بالمناشير، وخرقوا بالنار: ﴿حَتَّىٰ أَنْتُمْ تَصَرُّوٓا۟﴾ بتعذيب من كذبهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِّكَيْتِ ٱللَّهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا خُلف لمواعيده، قاله ابن عباس. والثاني: لا مبدل لما أخبر به وما أمر به، قاله الزجاج. والثالث: لا مبدل لحكوماته، وأفضيته النافذة في عبادته، فعبرت الكلمات عن هذا المعنى، كقوله: ﴿وَلَكِنَّ حَقَّقَ كَلِمَةَ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١] أي: وجب ما قضي عليهم. فعلى هذا القول والذي قبله، يكون المعنى: لا مبدل لحكم كلمات الله، ولا ناقض لما حكم به، وقد حكم بنصر أنبيائه بقوله: ﴿لَا خَيْرَ لِّأَنفُسِكُمْ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]. والرابع: أن معنى الكلام معنى النهي، وإن كان ظاهره الإخبار؛ فالمعنى: لا يُبدل أحد كلمات الله، فهو كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦]. والخامس: أن المعنى: لا يقدر أحد على تبديل كلام الله، وإن زخرف واجتهد، لأن الله تعالى صانه برصين اللفظ، وقويم الحكم، أن يختلط بألفاظ أهل الزيغ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ ٱلرُّسُلِ ٱلْبَيِّنَاتِ﴾ أي: فيما صبروا عليه من الأذى فنصروا. وقيل إن: «مين»: صلة.

(١) البيت للكلميت بن زيد الأسدي من قصيدته الرائعة في مدح آل البيت.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» (٤٥٦/٦) و (١٢٦/٧) و (٢٨١/١٢) عن خباب بن الأرت ؓ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعونا؟ فقال: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك من دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

﴿وَلَنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ امْتَطَمَتْ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ سبب نزولها: أن الحارث بن عامر أتى النبي ﷺ في نفر من قريش فقال: يا محمد، اتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. و«كبر»: بمعنى «عظم». وفي إعراضهم قولان: أحدهما: عن استماع القرآن. والثاني: عن اتباع النبي ﷺ. فأما «النفق»، فقال ابن قتيبة: النفق في الأرض: المدخل، وهو السرب. والسلم في السماء: المصعد. وقال الزجاج: النفق: الطريق النافذ في الأرض. والنافقاء، ممدود: أحد جحرة اليربوع يخرقه من باطن الأرض إلى جلد الأرض، فإذا بلغ الجلد أرقها، حتى إن رابه ريب، دفع برأسه ذلك المكان وخرج، ومنه سمي المنافق، لأنه أبطن غير ما أظهر، كالنافقاء الذي ظاهره غير بين، وباطنه حفر في الأرض. و«السلم» مشتق من السلامة، وهو الشيء الذي يسلمك إلى مصعدك. والمعنى: فإن استطعت هذا فافعل، وحذف «فافعل»، لأن في الكلام دليلاً عليه. وقال أبو عبيدة: السلم: السبب والمراقبة، تقول: اتخذتني سلماً لحاجتك، أي: سبباً. وفي قوله: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتٍ﴾ قولان: أحدهما: بآية قد سألك إياها، وذلك أنهم سألوا نزول ملك، ومثل آيات الأنبياء، كعصا موسى، وناقة صالح. والثاني: بآية هي أفضل من آيتك.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لو شاء أن يطيعهم على الهدى لطبعهم. والثاني: لو شاء أنزل ملائكة تضطروهم إلى الإيمان، ذكرهما الزجاج. والثالث: لو شاء لأمثوا كلهم، فأخبر أنما تركوا لإيمان بمشيئته، ونافذ قضائه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى. والثاني: لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم، ويكفر بعضهم. والثالث: لا تكونن ممن لا صبر له، لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين. ﴿إِنَّا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتِ يَسْمِعُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ رُجُوعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: إنما يجيبك من يسمع، والمراد به سماع قبول. وفي المراد بالموتى قولان: أحدهما: أنهم الكفار، قاله الحسن، ومجاهد، وقناة، فيكون المعنى: إنما يستجيب المؤمنون؛ فأما الكفار، فلا يستجيبون حتى يبعثهم الله، ثم يحشرهم كفاراً، فيجيبون اضطراراً<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم الموتى حقيقة، ضربهم الله مثلاً؛ والمعنى: أن الموتى لا يستجيبون حتى يبعثهم الله، فذلك الذين لا يسمعون.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ رُجُوعُونَ﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، فيجازي الكل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رؤساء قريش. و«لولا»: بمعنى «هلا»؛ وقد شرحناها في سورة (النساء). وقال مقاتل: أرادوا بالآية مثل آيات الأنبياء. وقال غيره: أرادوا نزول ملك يشهد له بالنبوة. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يعلمون بأن الله قادر على إنزال الآية. والثاني: لا يعلمون ما عليهم من البلاء في إنزالها، لأنهم إن لم يؤمنوا بها، زاد عذابهم. والثالث: لا يعلمون المصلحة في نزول الآية.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِئَةٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُنْثَاكُم مِمَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ قَبْلُ إِنَّكُمْ تَعْتَدُونَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يريد كل ما دب على الأرض. قال الزجاج: وذكر الجناحين توكيد، وجميع ما خلق لا يخلو إما أن يدب، وإما أن يطير.

(١) قال الطبري ٣٤١/١١: ﴿وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ اللَّهَ﴾ يقول: والكفار يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً، لا يفتلون دعاء، ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبرون حجج الله، ولا يعتبرون آياته، ولا يتذكرون فينزعرون عما هم عليه من تكذيب رسول الله وخطابهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمُّ أَثَالِكُمْ﴾ قال مجاهد: أصناف مصنفه. وقال أبو عبيدة: أجناس يعرفون الله ويعبدونه. وفي معنى «أمثالكم» أربعة أقوال: أحدها: أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في معرفة الله، قاله عطاء. والثالث: أمثالكم في الخلق والموت والبعث، قاله الزجاج. والرابع: أمثالكم في كونها تطلب الغذاء، وتبغى الرزق، وتتوقى المهلك، قاله ابن قتيبة. قال ابن الأنباري: وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى رغب في المشركين عقولاً، وجعل لهم أفهاماً ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي ﷺ ويتمسكوا بطاعته، كما جعل للطير أفهاماً يعرف بها بعضها إشارة بعض، وهدى الذكور منها لإتيان الأنثى، وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها.

قوله تعالى: ﴿مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الكتاب قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس: ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب، وإلى هذا المعنى ذهب قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه القرآن. روى عطاء عن ابن عباس: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم. فعلى هذا يكون من العام الذي أريد به الخاص، فيكون المعنى: ما فرطنا في شيء بكم إليه حاجة إلا وبيناه في الكتاب، إما نصاً، وإما مجعلاً، وإما دلالة، كقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَتَّبِعُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا يَمُوتُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الجمع يوم القيامة. روى أبو ذر قال: انتطحت شاتان عند النبي ﷺ فقال: يا أبا ذر، «أندري فيما انتطحتا؟» قلت: لا. قال: «لكن الله يدري، وسيقضي بينهما»<sup>(١)</sup>. وقال أبو هريرة: يحشر الله الخلق يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فيقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن معنى حشرها: موتها، قاله ابن عباس، والضحاك.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سُوءَ وَبُكْمٍ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَنْشَأْ يَجْعَلْ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ ﴿سُوءَ وَبُكْمٍ﴾ عن القرآن لا يسمعون، عنه لا ينطقون به، ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: في الشرك والضلالة. ﴿مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يُضِلَّهُ﴾ فيموت على الكفر، ﴿وَمَنْ يَنْشَأْ يَجْعَلْ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وهو الإسلام.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «أرايتم» و «أرايتكم» و «أرايت» بالالف في كل القرآن مهموزاً؛ ولين الهزمة نافع في الكل. وقرأ الكسائي بغير همز ولا ألف. قال الفراء: العرب تقول: أرايتك، وهم يريدون: أخبرني. فأما عذاب الله، ففي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب الذي كان يأتي الأمم الخالية، قاله مقاتل. فأما الساعة، فهي القيامة. قال الزجاج: وهو اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد، وللوقت الذي يبعثون فيه.

قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ أي: أتدعون صنماً أو حجراً لكشف ما بكم؟! فاحتج عليهم بما لا يدفعونه، لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ جواب لقوله: «أرايتكم»، لأنه بمعنى أخبروا، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين، فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم؟.

(١) «المستد» ١٦٢/٥ و ١٧٣، و«الطبري» ٣٤٨/١١.

(٢) الطبري ٣٤٧/١١، والحاكم ٣١٦/٢ وقال: صحح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١٣١/٢ ثم قال: وقد روي هذا مرفوعاً في حديث الصور، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ١١/٣ وزاد نسبة لأبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وروى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٧/٤ عن أبي هريرة مرفوعاً: «تؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». والجلحاء: الشاة إذا لم تكن ذات قرن، والقرناء: الشاة الكبيرة القرن.



﴿يَلْإِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ٤١

قوله تعالى: ﴿يَلْإِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ قال الزجاج: أعلمهم أنهم لا يدعون في الشدائد إلا إياه؛ وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لأنهم عبدوا الأصنام. ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ المعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم، وهذا على اتساع الكلام مثل قوله: ﴿وَسَتِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية. ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾: يجوز أن يكون بمعنى «تركوا»؛ ويجوز أن يكون المعنى: إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيتهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالْقَسَاءِ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ﴾ ٤٢

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ في الآية محذوف، تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالصوهم، فأخذناهم بالبأساء؛ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الزمانة والخوف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها البؤس، وهو الفقر، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنها الجوع، ذكره الزجاج. وفي الضراء ثلاثة أقوال: أحدها: البلاء، والجوع، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: النقص في الأموال والأنفس، ذكره الزجاج. والثالث: الأسقام والأمراض، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ﴾ أي: لكي يتضرعوا. والتضرع: التذلل والاستكانة، وفي الكلام محذوف تقديره: فلم يتضرعوا..

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٤٣

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ معناه: «فهلأ». والبأس: العذاب. ومقصود الآية: أن الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أنه قد أرسل إلى قوم قبله بلغوا من القسوة أنهم أخذوا بالشدائد، فلم يخضعوا، وأقاموا على كفرهم، وزين لهم الشيطان ضلالهم فأصروا عليها.

﴿فَلَمَّا شَاؤَا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا شَاؤَا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ قال ابن عباس: تركوا ما وعظوا به. ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد رخاء الدنيا وسرورها. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فَتَحْنَا» بالتشديد هنا وفي (الأعراف)، وفي (الأنبياء): «فُتِّحَتْ»، وفي (القمم): «فَتَحْنَا»، والجمهور على تخفيفهن. قال الزجاج: أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير، حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقاماً، وما فُتِحَ عليهم، فاستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا. وقال ابن الأنباري: إنما أراد بقوله «كل شيء»: التأكيد، كقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل سرور، يريد بهذا العموم تكثر ما يصفه والإطناب فيه، كقوله: ﴿رَأَوَيْتَ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. وقال الحسن: من وُسِّعَ عليه فلم ير أنه لم يُكْرَمَ به، فلا رأي له؛ ومن قُتِرَ عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ في المبلس خمسة أقوال: أحدها: أنه الآيس من رحمة الله ﷻ، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وقال في رواية أخرى: الآيس من كل خير. وقال الفراء: المبلس: اللئس المنقطع رجاءه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجة، فلا يكون عنده جواب: قد أبلس. قال العجاج:

يَا صَاحَّ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُّكْرَسًا      قَالَتْ نَعَمْ أَغْرِقْهُ! وَإِبْلَسًا<sup>(٢)</sup>

أي: لم يحز جواباً. وقيل: المكرس: الذي قد بعثت فيه الإبل، وبوّلت، فيكرب بعضه بعضاً. والثاني: أنه

(١) في «تفسير المنار» ٤١٤/٧: والآية تنيد أن البأساء والضراء وما يقابلها من السراء والنعماء، مما يتربى ويتهذب به الموقنون من الناس، وإلا كانت النعم أشد وبالاً عليهم من النقم، وهذا ثابت بالاختبار، فلا خلاف في أن الشدائد مصلحة للفساد، وأجدر الناس بالاستفادة من الحوادث المومن، كما ثبت في حديث صهيب مرفوعاً في «صحيح مسلم»: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سره شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».

(٢) «مجاز القرآن» ١/١٩٣، و«معاني القرآن» للقرطبي: ٣٣٥، و«الطبري» ١١/٣٦٣، و«الكامل» ٥٣٩، و«اللسان» و«التاج»: بلس.

المفتضح. قال مجاهد: الإبلان: الفضيحة. والثالث: أنه المهلك، قاله السدي. والرابع: أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشر ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الحزين النادم، قاله أبو عبيدة، وأنشد لرؤية: وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفرة وإبلان<sup>(١)</sup> أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن. وقال الزجاج: هو الشديد الحسرة، الحزين، اليأس. وقال في موضع آخر: المبلس: الساكت المتحير.

﴿نَقُطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿نَقُطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قال ابن السائب: دابرهم: الذي يتخلف في آخرهم. والمعنى: أنهم استؤصلوا. وقال أبو عبيدة: دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم. قال ابن قتيبة: هو كما يقال: اجثت أصلهم. قال المفسرون: وإنما حمد نفسه على قطع دابرهم، لأن ذلك إنعام على رسلهم الذين كذبوهم، وعلم الحمد على كفايته شر الظالمين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَعْرِفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدُقُونَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أي: أذهبها، ﴿وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ حتى لا تعرفون شيئاً ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾؟ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تعود على الفعل، والمعنى: يأتيكم بما أخذ الله منكم، قاله الزجاج. وقال الفراء: إذا كنت عن الأفاعيل، وإن كثرت، وحذت الكناية، كقولك للرجل: إقبالك وإدبارك يؤذني. والثاني: أنها تعود إلى الهدى، ذكره الفراء. فعلى هذا تكون الكناية عن غير مذكور، ولكن المعنى يشمل عليه، لأن من أخذ سمعه وبصره وختم على قلبه لم يهتد. والثالث: أنها تعود على السمع، ويكون ما عطف عليه داخلاً معه في القصة، لأنه معطوف عليه، ذكره الزجاج. والجمهور يقرؤون: ﴿مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ﴾ بكسر هاء «به». وروى المسيبي<sup>(٢)</sup> عن نافع: «به أنظر»: بالضم. قال أبو علي: من كسر، حذف الياء التي تلحق الهاء في نحو: بهي عيب؛ ومن ضم، فعلى قول من قال: فحسبنا بهو ويدار هو الأرض، فحذف الواو.

قوله تعالى: ﴿أَنْظَرُ كَيْفَ نَعْرِفُ الْآيَاتِ﴾ قال مقاتل: يعني تكون العلامات في أمور شتى، فيخوفهم بأخذ الأسماع والأبصار والقلوب، وبما صنع بالأمم الخالية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدُقُونَ﴾، أي: يعرضون فلا يعتبرون.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً﴾ قال الزجاج: البعثة: المفاجأة؛ والجهرة: أن يأتيهم وهم يرونه. ﴿هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم معاندين، فقد علمتم أنكم ظالمون.

﴿وَمَا يُرْسِلُ الرَّسُولَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَن يَرْسِلْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا خَافَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسَمِّمُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُرْسِلُ الرَّسُولَ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي: بالثواب؛ ومنذرين بالعقاب، وليس إرسالهم ليأتوا بما يقترحونه من الآيات. ثم ذكر ثواب من صدق، وعقاب من كذب في تمام الآية والتي بعدها. وقال ابن عباس: يفسقون: بمعنى يكفرون.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٣)

(١) «ديوانه» ٦٧، و«مجاز القرآن» ١/ ١٩٢، و«اللسان»: بلس، ورواية «ديوانه» و«عرفت يوم الخميس».

(٢) هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المدني، إمام جليل، عالم بالحديث، قيم في قراءة نافع، ضابط لها، محقق، فقيه. انظر «طبقات الفراء» ١/ ١٥٧.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ سبب نزولها: أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزاً فستغني به، فإنك فقير محتاج، أو تكون لك جنة تأكل منها، فإنك تجوع، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال الزجاج: وهذه الآية متصلة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، فأعلمهم أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، ولا يعلم الغيب فيخبرهم به إلا بوحى، ولا يقول: إنه ملك، لأن الملك يشاهد من أمور الله تعالى ما لا يشاهده البشر. وقرأ ابن مسعود، وابن جبير، وعكرمة، والجحدري: «إني ملك» بكسر اللام. وفي الأعمى والبصير قولان: أحدهما: أن الأعمى: الكافر، والبصير: المؤمن، قاله ابن عباس وقادة. والثاني: الأعمى: الضال والبصير: المهتدي، قاله سعيد بن جبير ومجاهد. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قولان: إحداهما فيما بينكم من الآيات الدالة على وحدانيته، وصدق رسوله. والثاني: فيما ضرب لكم من مثل الأعمى والبصير، وأنهما لا يستويان.

﴿وَأَنْذِرْ يَوْمَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِمْ إِلَىٰ رِيحِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ دُونَهُ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ يَوْمَ﴾ قال الزجاج: يعني بالقرآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر دون غيرهم، وإن كان مذكراً لجميع الخلق، لأن الحجة على الخائفين الحشر أظهر، لا عتافهم بالمعاد، فهم أحد رجلين: إما مسلم، فيُنذَر ليؤدي حق الله عليه في إسلامه، وإما كتابي، فأهل الكتاب مجمعون على البعث. وذكر الولي والشفيع، لأن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبّاءه، فأعلم ﷺ أن أهل الكفر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع. وقال غيره: ليس لهم من دونه ولي، أي: ليس لهم غير الله ولي ولا شفيع، لأن شفاعة الشافعين بأمره. وقال أبو سليمان الدمشقي: هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَأَرْسِلْ إِيَّاهَا الْفَلَاقَةَ لِتَأْخُذَكُمْ يَوْمَ﴾ [الأنعام: ٤٩].

﴿وَلَا تَقُولُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُلُوْءِ وَالْقِسْوَ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ روى سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة: في، وفي ابن مسعود، وصهيب، وعمار، والمقداد، وبلال. قالت قریش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء، فاطردهم عنك. فدخل على رسول الله من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال خباب بن الأرت: نزلت فينا، كنا ضعفاء عند النبي ﷺ، يعلّمنا بالغداة والعشي ما ينفعنا، فجاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فقالا: إنا من أشرف قومنا، وإنا نكره أن يرونا معهم، فاطردهم إذا جالسناك. قال: «نعم». فقالوا: لا نرضى حتى تكتب بيننا كتاباً، فأتي بأديم ودواة، ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَنَّا بَمَقْعُهُم بِمَعْنٍ﴾ فرمى بالصحيحة ودعانا، فأتيناه وهو يقول: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾. فلدنونا نه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبته<sup>(٢)</sup>. وقال ابن مسعود: مرّ الملا من قریش على رسول الله ﷺ وعنده خباب، وصهيب، وبلال، وعمار، فقالوا: يا محمد، رضيّت بهؤلاء، أتريد أن نكون تبعاً لهم؟! فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال عكرمة: جاء عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، في أشرف بني عبد مناف، إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم في صدورنا، وأدنى لأتباعنا إياه، فأتاه أبو طالب فحدثه بذلك، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فنزلت هذه الآيات، فأقبل عمر يعتل من مقاله<sup>(٤)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه

(١) رواه ابن ماجه ١٣٨٣/٢، ومسلم بنحوه مختصراً ١٨٧٨/٤، ورواه بنحوه الطبري ٣٧٨/١١، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ١٣٥/٢ بنحوه عن سعد، وقال: رواه الحاكم في «مستدرکه» من طريق سفیان وقال: على شرط الشيخين، وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» من طريق المقدم بن شريح به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٧٦/١١ بمعناه، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١٣٤/٢) من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع بن حابس، وعيينة، إنما أسلموا بعد الهجرة بدهر. ورواه ابن ماجه ١٣٨٣/٢.

(٣) رواه أحمد في «المستند» رقم (٣٩٨٥) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه عليه: إسناده صحيح، ورواه الطبري ٣٧٤/١١، ٣٧٥.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٣٧٩/١١، ٣٨٠ بأطول منه.

الآيات نزلت في الموالى، منهم بلال، وصهيب، وجناب، وعبار، ومهجع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة؛ وأن قوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَيْكَ رَبِّهِمْ﴾ نزلت فيهم أيضاً. وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن ناساً من الأشراف قالوا للنبي ﷺ: نؤمن لك، وإذا صلينا فأخّر هؤلاء الذين معك، فليصلوا خلفنا. فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصف، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه.

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ في هذا الدعاء خمسة أقوال: أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله ابن عمر، وابن عباس. وقال مجاهد: هي الصلوات الخمس؛ وفي رواية عن مجاهد، وقتادة قالا: يعني صلاة الصبح والعصر. وزعم مقاتل أن الصلاة يومئذ كانت ركعتين بالغداة، وركعتين بالعشي؛ ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك. والثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي، وعنه كالقول الأول. والثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك. والرابع: أنه تعلم القرآن غداة وعشية، قاله أبو جعفر. والخامس: أنه دعاء الله بالتوحيد، والإخلاص له، وعبادته، قاله الزجاج. وقرأ الجمهور: «بالغداة»؛ وقرأ ابن عامر هاهنا وفي (الكهف) أيضاً: «بِالْغُدُوَّةِ» بضم الغين وإسكان الدال ويعدها واو. قال الفراء: والعرب لا تدخل الألف واللام على «الغدوة»، لأنها معرفة بغير ألف ولام، ولا تضيفها العرب؛ يقولون: أتيتك غداة الخميس، ولا يقولون: غُدوة الخميس، فهذا دليل على أنها معرفة. وقال أبو علي: الوجه: الغداة، لأنها تستعمل نكرة، وتتعرف باللام؛ وأما غُدوة، فمعرفة. وقال الخليل: يجوز أن تقول: أتيتك اليوم غُدوة ويكرة، فجعلها بمنزلة ضحوة، فهذا وجه قراءة ابن عامر. فإن قيل: دعاء القوم كان متصلاً بالليل والنهار، فلماذا خص الغداة والعشي؟ فالجواب: أنه نبه بالغداة على جميع النهار، وبالعشي على الليل، لأنه إذا كان عمل النهار خالصاً له، كان عمل الليل أصفى.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ قال الزجاج: أي يريدون الله، فيشهد الله لهم بصحة النيات، وأنهم مخلصون في ذلك. وأما الحساب المذكور في الآية، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه حساب الأعمال، قاله الحسن. والثاني: حساب الأرزاق.. والثالث: أنه بمعنى الكفاية؛ والمعنى: ما عليك من كفايتهم، ولا عليهم كفايتك.

قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن الأنباري؛ عظم هذا الأمر على النبي ﷺ، وخُوف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء على الضعفاء.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ يَتُولَّوْا أَهْوَاءَهُمْ مَكَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ المعنى: وكما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا أيضاً بعضهم ببعض. و «فتنا» بمعنى: ابتلينا واختبرنا؛ ﴿يَتُولَّوْا﴾، يعني الكبراء؛ ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ يعنون الفقراء والضعفاء ﴿مَكَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ﴾ بالهدى؛ وهذا استفهام معناه الإنكار، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة. قال ابن السائب: ابتلى الله الرؤساء بالموالي؛ فإذا نظر الشريف إلى الوضع قد آمن قبله، أنف أن يسلم، ويقول: سبقني هذا؟

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا من عليهم بالهداية. والمعنى: إنما يهدي الله من يعلم أنه يشكر. والاستفهام في «أليس»، معناه التقرير، أي: إنه كذلك.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمْتُ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ فِيكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في رجال أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا أصبنا دنوباً عظيمة، فسكت عنهم رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في الذين نهي عن طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: «الحمد لله الذي

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٩٠، ٣٩١ من طريق مجمع بن صمعان قال: سمعت ما هان. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبه إلى القرطبي وعبد بن حميد، ومسدد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم. وما هان هو أبو سالم الكوفي الأعور، ثقة عابد، روى عن ابن عباس وأم سلمة، قلة الحجاج سنة ثلاث وثمانين.



جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحزمة، وجعفر، وعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة، ومصعب بن عمير، وسالم، وأبي سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعمار، وبلال، قاله عطاء. والرابع: أن عمر بن الخطاب كان أشار على رسول الله ﷺ بتأخير الفقراء، استمالة للرؤساء إلى الإسلام. فلما نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، جاء عمر يعتذر من مقالته ويستغفر منها، فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أنها نزلت مبشرة بإسلام عمر بن الخطاب؛ فلما جاء وأسلم، تلاها عليه رسول الله ﷺ، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فاما قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ فمعناه: يصدقون بحججنا وبراهيننا.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه أمر بالسلام عليهم تشريفاً لهم؛ وقد ذكرناه عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أنه أمر بإبلاغ السلام إليهم عن الله تعالى، قاله ابن زيد. قال الزجاج: ومعنى السلام: دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات. وفي السوء قولان: أحدهما: أنه الشرك. والثاني: المعاصي. وقد ذكرنا في سورة (النساء) معنى «الجهالة». قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «إنه من عمل منكم سوءاً» فإنه غفور بكسر الالف فيهما. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتح الالف فيهما. وقرأ نافع: بنصب ألف «أنه» وكسر ألف «فإنه غفور». قال أبو علي: من كسر ألف «إنه» جعله تفسيراً للرحمة؛ ومن كسر ألف «فإنه غفور» فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء، ومن فتح ألف «أنه» من عمل جعل «أن» بدلاً من الرحمة، والمعنى: كتب ربكم «أنه من عمل»، ومن فتحها بعد الفاء، أضمر خبراً تقديره: فله: «أَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» والمعنى: فله غفرانه. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَقُولَ لَكُمُ فَارْجِعْهُنَّ﴾ [التوبة: ٦٣]، معناه: فله أن له نار جهنم. وأما قراءة نافع، فإنه أبدل من الرحمة، واستأنف ما بعد الفاء.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما فصلنا لك في هذه السورة دلالاتنا وأعلامنا على المشركين، كذلك نبين لك حججتنا في كل حق ينكره أهل الباطل. قال ابن قتيبة؛ ومعنى تفصيلها: إتيانها متفرقة شيئاً بعد شيء.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْتَبِينَ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «ولتستبين» بالتاء، «سبيل» بالرفع. وقرأ نافع، وزيد عن يعقوب: بالتاء أيضاً، إلا أنهما نصبا السبيل. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وليتستبين» بالياء، «سبيل» بالرفع. فمن قرأ «ولتستبين» بالياء أو التاء، فلأن السبيل تذكر وتؤنث على ما بينا في (آل عمران)، ومن نصب اللام، فالمعنى: ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين. وفي سبيلهم التي بُيِّنَتْ له، قولان: أحدهما: أنها طريقهم في الشرك، ومصيرهم إلى الخزي، قاله ابن عباس. والثاني: أنها مقصودهم في طرد الفقراء عنه، وذلك إنما هو الحسد، لا إظهار مجالسته واتباعه، قاله أبو سليمان. فإن قيل: كيف انفردت لام «كي» في قوله: «ولتستبين» وسبيلها أن تكون شرطاً لفعل يتقدمها أو يأتي بعدها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري بجوابين: أحدهما: أنها شرط لفعل مضمَر، يراد به: ونفعل ذلك لكي تستبين. والثاني: أنها معطوفة على لام مضمرة، تأويله: تفصل الآيات لينكشف أمرهم، ولتستبين سبيلهم.

﴿قُلْ إِنِّي نُبَيِّنُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ذِكْرُ اللَّهِ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَدْ سَلَكْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُبَيِّنُ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ذِكْرُ اللَّهِ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام. وفي معنى «تدعون» قولان: أحدهما: تدعونهم أكلة. والثاني: تعبدون؛ قاله ابن عباس. وأهواؤهم: دينهم. قال الزجاج: أراد إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البيِّنة والبرهان. ومعنى «إذا» معنى الشرط؛ والمعنى: قد ضللت إن عبدتها. وقرأ طلحة، وابن أبي ليلي: «قد ضللت» بكسر اللام.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْمِلُونَ بِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَقَوْمُ النَّفْثَاتِ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ سبب نزولها أن النضر بن الحارث وسائر قريش قالوا للنبي ﷺ: يا محمد اتنا بالعذاب الذي تعذبنا به، استهزاء؛ وقام النضر عند الكعبة وقال: اللهم إن كان ما يقول حقاً، فأتنا بالعذاب؛

فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. فأما البيّنة، فهي الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل. قال الزجاج: أنا على أمرين، لا متبع لهوى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ في هاء الكناية، ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الرب. والثاني: ترجع إلى البيان. والثالث: ترجع إلى العذاب الذي طلبوه استهزاء.

قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ أي: ما بيدي. وفي الذي استعجلوا به قولان: أحدهما: أنه العذاب؛ قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الآيات التي كانوا يقرحونها؛ ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب. والثاني: أنه القضاء بإنزال العذاب على المخالف.

قوله تعالى: ﴿يَقُضُ الْحَقُّ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع ﴿يَقُضُ الْحَقُّ﴾ بالصاد المشددة، من القصص؛ والمعنى: أن كل ما أخبر به فهو حق. وقرأ أبو عمرو، وابن عمر، وحزمة، والكسائي: «يقضي الحق» من القضاء؛ والمعنى: يقضي القضاء الحق.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ﴾ أي: من العذاب «لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قال ابن عباس: يقول: لم أمهلكم ساعة، ولأهلككم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إن شاء عاجلهم، وإن شاء أخر عقوبتهم. والثاني: أعلم بما يؤول إليه أمرهم، وأنه قد يهتدي منهم قوم، ولا يهتدي آخرون؛ لذلك يؤخرهم.

﴿وَعِنْدُ مَنَاقِبِ الْقَبِيِّ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا كَمْ فِي كُنُوزِهَا﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدُ مَنَاقِبِ الْقَبِيِّ﴾ قال ابن جرير: المفاتيح: جمع مفتاح؛ يقال: مفتاح ومفتاح، فمن قال: مفتاح، جمعه: مفاتيح. ومن قال: مفتاح، جمعه: مفاتيح. وفي «مفاتيح الغيب» سبعة أقوال: أحدها: أنها خمس لا يعلمها إلا الله ﷻ. روى البخاري في أفرادها من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولا يعلم ما تغيب الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا تعلم نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله» (١) قال ابن مسعود: أوتيت نبؤكم علم كل شيء إلا مفاتيح الغيب (٢). والثاني: أنها خزائن غيب السموات من الأنداد والأرزاق، قاله ابن عباس. والثالث: ما غاب عن الخلق من الثواب والعقاب، وما تصير إليه الأمور، قاله عطاء. والرابع: خزائن غيب العذاب، متى ينزل، قاله مقاتل. والخامس: الوصلة إلى علم الغيب إذا استُعلم، قاله الزجاج. والسادس: عواقب الأعمار وخواتيم الأعمال. والسابع: ما لم يكن، هل يكون، أم لا يكون؟ وما يكون كيف يكون وما لا يكون، إن كان، كيف يكون؟ فأما البر، فهو القفر. وفي البحر قولان: أحدهما: أنه الماء، قاله الجمهور. والثاني: أنه القرى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة، كما تقول: ما يجيثك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله: أعرفه في حال مجيئه فقط. فأما ظلمات الأرض، فالمراد بها بطن الأرض.

(١) «المسند» ٧/٧، والبخاري: ٢١٩/٨، «وصحیح ابن حبان» ٦٩/١، ٧٠.

(٢) الطبري: ٤٠١/١١، ورواه أحمد في «المسند» ٢٤١/٥ بلفظ: «أوتيت نبؤكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس» ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنَاقِبُ الْقَبِيِّ وَمَنَاقِبُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ فَمَاذَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَنُوتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٥٩)، قال الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على «المسند»: إسناده صحيح، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٧٤/٦ عن هذا الموضوع، ثم قال: «وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد في آخره: قال: قلت له: أنت سمعته من عبد الله؟ قال: نعم أكثر من خمسين مرة، ورواه أيضاً عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به، وهذا إسناده حسن على شرط «السنن» ولم يخرجه». وهو أيضاً في «مجمع الزوائد» ٢٦٣/٨، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى ورجاهما رجال الصحيح. ورواه أحمد أيضاً في «المسند» ٣١٧/٧ من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ «أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس».

وفي الرطب واليابس، خمسة أقوال: أحدها: أن الرطب: الماء، واليابس: البادية. والثاني: الرطب: ما يُنبت، واليابس: ما لا يُنبت. والثالث: الرطب: الحي، واليابس: الميت. والرابع: الرطب: لسان المؤمن يذكر الله، واليابس: لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله. والخامس: أنهما الشيء ينتقل من إحدى الحالتين إلى الأخرى، فهو يعلمه رطباً، ويعلمه يابساً. وفي الكتاب المبين قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ؛ قاله مقاتل. والثاني: أنه علم الله المتقن؛ ذكره الزجاج. فإن قيل: ما الفائدة في إحصاء هذه الأشياء في كتاب؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرهن ابن الأنباري: أحدها: أنه أحصاها في كتاب لتقف الملائكة على نفاذ علمه. والثاني: أنه نبه بذلك عباده على تعظيم الحساب، وأعلمهم أنه لا يفوته ما يصنعون، لأن من يثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب، فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع. والثالث: أن المراد بالكتاب: العلم؛ فالمعنى: أنها مثبتة في علمه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يريد به النوم، لأنه يقبض الأرواح عن التصرف بالنوم، كما يقبض بالموت. وقال ابن عباس: يقبض أرواحكم في منامكم. وجرحتم: بمعنى كسبتم. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ أي: يوقظكم فيه، أي: في النهار. ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم، فدل بالبقظة بعد النوم على البعث بعد الموت.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْزَعُونَ ﴿٦٢﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ الحفظة: الملائكة، واحدهم: حافظ، والجمع: حفظة، مثل كاتب وكتبة، وفاعل وفعله. وفيما يحفظونه قولان: أحدهما: أعمال بني آدم؛ قاله ابن عباس. والثاني: أعمالهم وأجسادهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وقرأ حمزة: «توفاه رسلنا» وحجته أنه فعل مسند إلى مؤنث غير حقيقي، وإنما التأنيث للجمع، فهو مثل: ﴿وَقَالَ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [يوسف: ٣٠]. وفي المراد بالرسل ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله ابن عباس. وقال النخعي: أعوانه يتوفون النفوس، وهو يأخذها منهم. والثاني: أن المراد بالرسل ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الحفظة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفْزَعُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يضيعون. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ وبين قوله: ﴿قَدْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾؟ [السجدة: ١١] فعنه جوابان: أحدهما: أنه يجوز أن يريد بالرسل ملك الموت وحده، وقد يقع الجمع على الواحد. والثاني: أن أعوان ملك الموت يفعلون بأمره، فأضيف الكل إلى فعله. وقيل: تَوَفَّى أعوان ملك الموت بالنزع، وتَوَفَّى ملك الموت بأن يأمر الأرواح فتجيب، ويدعوها فتخرج، وتَوَفَّى الله تعالى بأن يخلق الموت في الميت.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني العباد. وفي متولي الرّد قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، رَدَّتْهم بالموت إلى الله تعالى. والثاني: أنه الله ﷻ، ردهم بالبعث في الآخرة. وفي معنى ردهم إلى الله تعالى، قولان: أحدهما: أنهم ردوا إلى المكان الذي لا يملك الحكم فيه إلا الله وحده. والثاني: أنهم ردوا إلى تدبيره وحده؛ لأنه لما أنشأهم كان منفرداً بتدبيرهم، فلما مكنتهم من التصرف صاروا في تدبير أنفسهم، ثم كفهم عنه بالموت، فصاروا مردودين إلى تدبيره.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يعني القضاء. وبيان سرعة الحساب في (البقرة) <sup>(١)</sup>.

(١) يعني: تقدم بيان سرعة الحساب في سورة (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَأَلَهُ سَبْعُ سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا مِائَةً﴾.

﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكَ مِنَ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُمْ نَضْرَعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣) قُلْ اللَّهُ يُجِيرُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُقَرَّبُونَ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكُمْ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر: ﴿قُلْ مَنْ يُجِيرُكُمْ﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ يُجِيرُكُمْ﴾، مشددين. وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: بسكون النون وتخفيف الجيم. قال الزجاج: والمشددة أجود للكثرة. وظلمات البر والبحر: شدائدها؛ والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة: يوم مظلم، حتى إنهم يقولون: يوم ذو كواكب، أي: قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل. قال الشاعر:

فَدَيْ لِبَنِي دُفْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقِي

قوله تعالى: ﴿تَدْعُوهُمْ نَضْرَعًا﴾ أي: مظهرين الضراعة، وهي شدة الفقر إلى الشيء، والحاجة.

قوله تعالى: ﴿وَخُفْيَةً﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: «وُخْفِيَةً» بكسر الخاء؛ وكذلك في (الأعراف). وقرأ الباقون بضم الخاء، وهما لغتان. قال الفراء: وفيها لغة أخرى بالواو، ولا تصلح في القراءة، خُفْوَةٌ، وخُفْوَةٌ. ومعنى الكلام، أنكم تدعونهم في أنفسكم، كما تدعونهم ظاهراً: ﴿لَئِنْ أَجَبْنَا﴾، كذلك قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «لئن أنجبتنا»، وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «لئن أنجانا» بالفتح، لمكان الغيبة في قوله: «تدعونهم». وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يُميلون الجيم.

قوله تعالى: ﴿مِنْ هَذِهِ﴾ يعني: في أي شدة وقعتم، قلتم: ﴿لَئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ﴾. قال ابن عباس: و «الشاكرون» هاهنا: المؤمنون. وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلوا الطريق وخافوا الهلاك، دَعَوْا الله مخلصين فأنجاهم. فاما «الكرب» فهو الغم الذي يأخذ بالنفس، ومنه اشتقت الكربة.

﴿قُلْ هُوَ الْفَارُّ عَلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضُكُمُ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْأَبْتَى لَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥)

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْفَارُّ عَلَى أَنْ يَمُوتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الذي فوقهم: العذاب النازل من السماء، كما حُصِبَ قوم لوط، وأصحاب الفيل. والذي من تحت أرجلهم: كما حُصِفَ بقارون، قاله ابن عباس، والسدي، ومقاتل. وقال غيرهم: ومنه الطوفان، والريح، والصيحة، والرجفة. والقول الثاني: أن الذي من فوقهم: من قِبَلِ أمرائهم. والذي من تحتهم: من سَفَلَتِهِمْ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال في رواية أخرى: الذي من فوقهم: أئمة السوء؛ والذي من تحت أرجلهم: عبيد السوء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا﴾ قال ابن عباس: يُبْتُ فيكم الأهواء المختلفة، فتصيرون فِرَقًا. قال ابن قتيبة: يلبسكم: من الالتباس عليهم<sup>(١)</sup>. والمعنى: حتى تكونوا شيعاً، أي: فرقاً مختلفين. ثم يذيق بعضهم بأس بعض بالقتال والحرب. وقال الزجاج: يلبسكم، أي: يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. يقال: لَبَسْتُ عليهم الأمر، ألبسه: إذا لم ألبسه. ومعنى شيعاً: أي يجعلكم فرقاً، فإذا كنتم مختلفين، قاتل بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿وَيَذِيقَ بَعْضُكُمُ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ أي: يقتل بعضهم بيد بعض. وفيمن غُني بهذه الآية، ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) البيت أنشده سيبويه في «الكتاب» ٢١/١، ونسبه لمقاس العائذي، واسمه مسهر بن النعمان بن عمرو بن ربيعة بن تيم بن الحارث... وهو شاعر جاهلي كما نص عليه ابن دريد في «الاشتقاق»، وذكر الرزباني أنه مخضرم: رواية الشطر الثاني عند سيبويه:

«إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبٍ أَشْهَبُ»

وأورد بعده لعمرو بن شاس بيتاً آخر هو:

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بِلَاءَنَا

فالمصنف لفق البيت من البيت، قال الأعلام: أراد: وقع يوم، أو حضر يوم، ونحو ذلك مما يقتصر فيه على الفاعل، وأراد باليوم يوماً من أيام الحرب، وصفه بالشدّة، فجعله كالليل تبدو فيه الكواكب، ونسب إلى الشبهة، إما لكثرة السلاح الصفيّة فيه، وإما لما ذكره من النجوم، ودخل بن شيان بن بني بكر بن وائل، وكان مقاس نازلاً فيهم، وأصله من قريش من عائلة، وهم حي منهم.

(٢) في «غريب القرآن»: من الالتباس عليكم.



أنها في المسلمين أهل الصلاة، هذا مذهب ابن عباس، وأبي العالية، وقتادة. وقال أبي بن كعب في هذه الآية: هن أربع خلال، وكلهن عذاب، وكلهن واقع قبل يوم القيامة، فمضت اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، ألبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض. وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجم<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العذاب للمشركين، وبإتي الآية للمسلمين، قاله الحسن. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة، سألته أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم، فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليكم عدواً يستبيح ببيضتكم فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها تهذّب للمشركين، قاله ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي.

﴿كَذَّبَ بِرَبِّهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ بِرَبِّهِ قَوْمُكَ﴾ في هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن تصريف الآيات. والثالث: عن العذاب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: لست حفيظاً على أعمالكم لأجازيكم بها، إنما أنا منذر، قاله الحسن. والثاني: لست حفيظاً عليكم، أخذكُم بالإيمان، إنما أدعوكم إلى الله، قاله الزجاج.

### فصل

وفي هذا القدر من الآية قولان: أحدهما: أنه اقتضى الاختصار في حقهم على الإنذار من غير زيادة، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أن معناه: لست حفيظاً عليكم، إنما أطالبكم بالظواهر من الإقرار والعمل، لا بالأسرار؛ فعلى هذا هو محكم.

﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّشْفَرٌ وَنَبَرٌ مَّعْلُونٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَرٍ مُّشْفَرٌ﴾ أي: لكل خبر يخبر الله به وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير. قال السدي: فاستقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل: منه في الدنيا يوم بدر، وفي الآخرة جهنم.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبَيِّنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ النِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ فيمن أريد بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون. والثاني: اليهود. والثالث: أصحاب الأهواء. والآيات: القرآن. وخوض المشركين فيه: تكذيبهم به واستهزاؤهم، ويقاربه خوض اليهود، وخوض أهل الأهواء بالمراء والخصومات.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فترك مجالستهم، حتى يكون خوضهم في غير القرآن. ﴿وَإِمَّا يُبَيِّنُكَ﴾ وقرأ ابن عامر: «يُبَيِّنُكَ»، بفتح النون، وتشديد السين، والنون الثانية. ومثل هذا: غَرَمْتُهُ وأغرمته. وفي التنزيل: ﴿فَهَبْ لِكُلِّ فِرَاقٍ كَلِمَةً﴾ [الطارق: ١٧]. والمعنى: إذا أنساك الشيطان، فقلدت معهم ناسياً نهئياً لك، فلا تقعد بعد الذكرى. والذكرى والذكرى: واحد. قال ابن عباس: قم إذا ذكرته؛ والظالمون: المشركون.

(١) «المسند» ١٣٤/٥، ١٣٥، و«الطبري» ٤٢٢/١١، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢١/٧، ثم قال: رواه أحمد ورجاله ثقات، قلت: أي الهيثمي -: والظاهر أن من قوله: «فمضت اثنتان إلى آخره» من قول رفيع: (يعني أبا العالية) فإن أبي بن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة. وقال الحافظ في «الفتح» ٢٢٠/٨: وقد أعل هذا الحديث بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين من الوفاة النبوية، فكان حديثه انتهى عند قوله: «لا محالة» والباقي من كلام بعض الرواة، وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره، وأجيب بأن طريق الجمع أن الإعادة المذكورة في حديث جابر وغيره مقيدة بزمان مخصوص، وهو وجود الصحابة، والقرون الفاضلة، وقد روى أحمد والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ التَّوَارُثُ﴾ إلى آخرها فقال: أما إنها كائنة، ولم يأت تأويلها بعد، وهذا يحتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالثمن ونحوها.

(٢) «صحيح مسلم» ٢٢١٦/٤ عن سعد بن أبي وقاص، و«المسند» ٢٤٠/٥، و«ابن ماجه» ١٣٠٣/٢ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال البوصيري في «زوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَمَّا هُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٦٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المسلمين قالوا: لئن كنا كلما استهزأوا بالقرآن، وخاضوا فيه، فمنعناهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ولا أن نطوف بالبيت، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن المسلمين قالوا: إنا نخاف الإثم إن لم ننهم عن الخوض، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن المسلمين قالوا: لو قمنا عنهم إذا خاضوا، فإننا نخشى الإثم في مجالستهم، فنزلت هذه الآية. هذا عن مقاتل، والأولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: يتقون الخوض.

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَتَّبِعْكُمْ﴾ يعني: حساب الخائضين. وفي «حسابهم» قولان: أحدهما: أنه كفرهم وآثامهم.

والثاني: عقوبة خوضهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ ذُكِّرُوا لَمَّا هُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ولكن عليكم أن تذكروهم. وفيما تذكروهم به، قولان: أحدهما: المواقف.

والثاني: قيامكم عنهم. قال مقاتل: إذا قمتم عنهم، منعهم من الخوض الحياء منكم، والرغبة في مجالستكم.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا هُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الاستهزاء. والثاني: يتقون الوعيد.

### فصل

وقد ذهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة، لأنها اقتضت جواز مجالسة الخائضين والاعتصار على تذكيرهم، ثم نسخت بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْبُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]. والصحيح أنها محكمة، لأنها خبر، وإنما دلت على أن كل عيب يختص بحساب نفسه، ولا يلزمه حساب غيره.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ وَغَرَّتُهُمْ الْخَيَاطَةُ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابًا مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠)

قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار. والثاني: اليهود والنصارى.

وفي اتخاذهم دينهم لعباً ولهواً، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استهزأهم بآيات الله إذا سمعوها. والثاني: أنهم دانوا بما اشتبهوا، كما يلتهون بما يشتهون. والثالث: أنهم يحافظون على دينهم إذا اشتبهوا، كما يلهون إذا اشتبهوا. قال الفراء: ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد، فهم يلتهون في أعيادهم، إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم صلاة وتكبير وبر وخير.

### فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، قولان: أحدهما: أنه خرج مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُوَ﴾ [المائدة: ١١] فعلى هذا، هو محكم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أنه اقتضى المسامحة

لهم والإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف؛ وإلى هذا ذهب قتادة، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي: عظ بالقرآن. وفي قوله: ﴿أَنْ يُبْسَلَ﴾ قولان: أحدهما: لثلا تبسل نفس،

كقوله: ﴿أَنْ تَبْسَلَ﴾ [النساء: ١٧٦]. والثاني: ذكرهم بإسالة المسلمين بجناياتهم لعلهم يخافون. وفي معنى «تبسل» سبعة أقوال: أحدها: تُسَلَّم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، والسدي. وقال ابن قتيبة: تُسَلَّم إلى الهلكة. قال الشاعر:

وإِسَالِي بِنْسِي بِسْنِيرٍ جُرْمٍ

أي: بغير جرم أجرمناه؛ والبُسُور: الجناية. وقال الزجاج: تُسَلَّم بعملها غير قادرة على التخلص. والمستبسل:

(١) البيت لعوف بن الأحوص الكلابي كما قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير» ١١٤/٢، وهو في «نوادير أبي زيد» ١٥١، و«مجاز القرآن» ١٩٤/١، و«غريب القرآن» ١٥٥، و«الطبري» ٤٤٥/١١، و«القرطبي» ١٦/٧، و«شواهد الكشاف» ٢٠٠، و«اللسان» و«التاج» «بسل» و«هجر».

المستسلم الذي لا يعلم أنه يقدر على التخلص. والثاني: تَفْضَح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: تُدْفَع، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: تُهْلَكُ، روي عن ابن عباس أيضاً. والخامس: تُحْبَسُ وتُؤَخَذ، قاله قتادة، وابن زيد. والسادس: تُجْزَى، قاله ابن السائب، والكسائي. والسابع: تُرْتَهَن، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: تُرْتَهَن وتسلم؛ وأنشد:

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةَ تَسْرُئِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ<sup>(١)</sup>

سمير الليالي: أبد الليالي. فأما الولي: فهو الناصر الذي يمنعها من عذاب الله. والعدل: الفداء. قال ابن زيد: وإن تفقد كل فداء لا يقبل منها. فأما الحميم، فهو الماء الحار. قال ابن قتيبة: ومنه سمي الحمام.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ عَلَىٰ أَغْيَابٍ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ امْتَثِلُوا قُلْ إِنَّكُمْ هُدًى إِلَى الْهُدَىٰ وَأَمَّا الْكُفْرُ فَهُوَ أَعْيُنًا عَلَىٰ الْغُلُوبِ وَأَمَّا الْقَوْلُ فَهُوَ الْكُفْرُ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: أنعيد ما لا يضرنا إن لم نعبده، ولا ينفعنا إن عبدناه، وهي الأصنام. ﴿وَوَرَدُ عَلَىٰ أَغْيَابِنَا﴾ أي: نرجع إلى الكفر: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ﴾ إلى الإسلام، فنكون ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ وقرأ حمزة: «استهواه الشياطين»، على قياس قراءته: ﴿قَوْلُهُ رُسُلَنَا﴾. وفي معنى «استهواها» قولان: أحدهما: أنها هوت به وذهبت، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: تشبه له الشياطين، فيتبعها حتى تهوي به في الأرض، ففضله. والثاني: زينت له هواء، قاله الزجاج. قال: و «حيران» منصوب على الحال، أي: استهوته في حال حيرته. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبلنا، واتركوا دين محمد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ وَوَرَدُ عَلَىٰ أَغْيَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ﴾ فنكون كرجل كان مع قوم على طريق، فضل، فحيرته الشياطين، وأصحابه على الطريق يدعون: يا فلان هلم إلينا، فإنا على الطريق، فيأبى. وقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، دعاه أبوه وأمه إلى الإسلام فأبى. قال مقاتل: والمراد بأصحابه: أبواه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّكُمْ هُدًى إِلَى الْهُدَىٰ﴾ هذا رد على من دعا إلى عبادة الأصنام، وزجر عن إجابته كأنه قيل له: لا تفعل ذلك، لأن هدى الله هو الهدى، لا هدى غيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْكُفْرُ فَهُوَ أَعْيُنًا عَلَى الْغُلُوبِ وَأَمَّا الْقَوْلُ فَهُوَ الْكُفْرُ﴾ قال الزجاج: العرب تقول: أمرتك أن تفعل، وأمرتك لتفعل، وأمرتك بأن تفعل. فمن قال: «بأن» فالباء للإلصاق. والمعنى: وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال: «أن تفعل» فعلى حذف الباء؛ ومن قال: «لتفعل» فقد أخبر بالعلة التي لها وقع الأمر. قال: وفي قوله: ﴿وَأَنَّ أَقْبِيئُوا الصَّلَاةَ﴾ وجهان: أحدهما: أمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصلاة. والثاني: أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى: أمرنا بالإسلام وبقامة الصلاة.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَمِيدُ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَقَّ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقهما للحق. والثاني: خلقهما حقاً. والثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق. والرابع: خلقهما بالحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الزجاج: الأجود أن يكون منصوباً على معنى: واذكر يوم يقول كن فيكون، لأن بعده ﴿وَيَوْمَ قَالَ لِزَيْبٍ﴾ فالمعنى: واذكر هذا وهذا. وفي الذي يقول له كن فيكون، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله مقاتل. والثاني: ما يكون في القيامة. والثالث: أنه الصور، وما ذكر من أمر الصور يدل عليه، قالهما الزجاج. قال: وخص ذلك اليوم بسرعة إيجاد الشيء ليدل على سرعة أمر البعث.

(١) البيت للشنفرى، وهو شاعر جاهلي من صعاليك العرب وفتاكهم، وهو في «الطرائف» ٣٦، و«مجاز القرآن» ١/١٩٥، و«الشعر والشعراء» ١/٢٦، و«الحماسة» بشرح التبريزي ٦٣/١، وشرح «المفصليات» ١٩٧، و«الطبري» ٤٤٦/١، و«اللسان» و«التاج»: بسل. وقوله: سمير الليالي، ويرى «سجيس الليالي» وهما بمعنى: ومعنى «مبسلاً بالجرائر» أنه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم.

قوله تعالى: ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾ أي: الصدق الكائن لا محالة ﴿وَلَكِنَّ الْمَلِكُ يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾. وروى إسحاق بن يوسف الأزرق عن أبي عمرو: «نَفَخَ» بنونين. ومعنى الكلام: أن الملوك يومئذ لا ملك لهم، فهو المنفرد بالملك وحده، كما قال: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩]. وفي «الصور» قولان: أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه؛ روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصور، فقال: «هو قرن ينفخ فيه»<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق. وحكى ابن قتيبة: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد:

نَحْنُ نَنْظُرُهَا هُمْ عَدَاةُ الْجَنَعَيْنِ  
بِالصَّابِحَاتِ فِي غُبْرِ الشُّفَعَيْنِ  
نَنْظُرُهَا مُدِيداً لَا كَنَظَرِ الصُّورَيْنِ<sup>(٢)</sup>

وأنشد الفراء:

لَوْلَا ابْنُ جَفْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ فُهَنْدُوكُمْ  
وَلَا خُرَّاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ<sup>(٣)</sup>

وهذا اختيار الجمهور. والثاني: أن الصور جمع صورة؛ يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، قاله قتادة، وأبو عبيدة. وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو جعفر، وأبو المتوكل «في الصور» بفتح الواو. قال ثعلب: الأجود أن يكون الصور: القرن، لأنه قال ﷺ: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾؛ ثم قال: «ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ نُفْرَيْنِ»؛ ولو كان الصور، كان: ثم نفخ فيها، أو فيها؛ وهذا يدل على أنه واحد؛ وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين. وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات؛ الأولى: نفخة الفرع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة النيام لرب العالمين»<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: وهذه النفخة المذكورة في هذه الآية هي الأولى، يعني: نفخة الصعق.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْكَ الْغَيْبُ﴾ وهو ما غاب عن العباد مما لم يعابنوه، ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ وهو ما شاهدوه ورأوه. وقال الحسن: يعني بذلك السر والعلانية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ آتَاكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِنَّكَ لَمَّا بِالْغَيْبِ﴾ في «آزر» أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم أبيه، روي عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، والحسن، والسدي، وابن إسحاق. والثاني: أنه اسم صنم، فأما اسم أبي إبراهيم، فتأرجح، قاله مجاهد. فيكون

(١) «المسند» ١٠/١٠، ١١، «والتلمذ» ٢٩٥/٣، وصححه، وأبو داود في «سننه» ٣٢٦/٤، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤٣٦/٢، ٥٠٦، ٥٦٠/٤، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) الرجز في «غريب القرآن» ٢٦ بدون نسبة، والأول والثالث في «اللسان» (صور) والصابحات: الخيل الصالحة.

(٣) البيت بدون نسبة في «معاني القرآن» للفراء ٢٤٠/١، و«المعرب» للجواليقي ٢٦٧، وابن جرير الطبري ٤٦٣/١١، و«نسب قريش» ٣٤٥، و«اللسان»: صور. وابن جعدة: هو عبد الله بن جعدة بن هيرة المخزومي، وكان أبو جعدة بن هيرة على خراسان ولاة علي بن أبي طالب ﷺ، والقهنيز، بضم القاف والهاء وسكون النون وضم الدال من لغة خراسان، يعنون بها الحصن أو القلعة. وقد استشهد الفراء وابن جرير بالبيت على أن العرب تقول: نفخ في الصور، ونفخ الصور.

(٤) هو قطعة من حديث طويل ساقه بطوله الحافظ ابن كثير في «التفسير» ١٤٦/٢ من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني. قال الشيخ أحمد شاكر: هو حديث ظاهر النكارة، وإسماعيل بن رافع رواه قال فيه ابن معين: لي بشي، وقال أبو حاتم: هو منكر الحديث، وقال ابن جبان في كتاب «المجروحين» ص ٨٣ - ٨٤ (مخطوط مصور): كان رجلاً صالحاً إلا أنه قلب الأخبار، حتى صار الغالب على حديثه المتناكر التي يفتن إلى القلب أنه كالمتمم لها. قلت: وروى البخاري ٤٢٤/٨، ومسلم ٢٢٧٠/٤ عن أبي هريرة ﷺ مرهوعاً «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: آبيت. قال: أربعون شهراً؟ قال: آبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: آبيت. ثم ينزل الله من السماء ماء فينبئون كما ينبت البقل. وقوله: «آبيت» قال الحافظ: معناه: امتنعت عن القول بتعيين ذلك، لأنه ليس عندي في ذلك توقيف. وقد رجح غير واحد من العلماء أنها نفختان فقط.

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر: أما أن اسم والد إبراهيم «آزر» فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني. وأما التأويل والتلاعب بالألفاظ، فما هو إلا إنكار مقنع لمضمون الكلام ومعناه، وسواء أكان اسمه في قول أهل النسب نفلاً عن الكتب السابقة «تأرجح» أو لم يكن، فلا أثر له في وجوب الإيمان بصدق ما نص عليه القرآن، وبدلالة لفظ «آبيه» على معناه الوضعي في اللغة، والقرآن هو المهيمن على ما قبله من كتب الأديان السابقة. ثم يقطع كل شك، ويذهب بكل تأويل الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ٢٧٦/٦ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني... إلى آخر الحديث». وليس بعد هذا النص مجال للتلاعب.



المعنى: أتخذ آزر أصناماً؟ فكانه جعل أصناماً بدلاً من آزر، والاستفهام معناه الإنكار. والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبب بعيب، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه المعوج، كأنه عابه بريغه وتعيجه عن الحق، ذكره الفراء. والثاني: أنه المخطئ، فكانه قال: يا مخطئ أتخذ أصناماً؟ ذكره الزجاج. والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، قاله مقاتل بن حيان. قال ابن الأنباري: قد يغلب على اسم الرجل لقبه، حتى يكون به أشهر منه باسمه. والجمهور على قراءة «آزر» بالنصب. وقرأ الحسن، ويعقوب بالرفع. قال الزجاج: من نصب، فموضع «آزر» خفض بدلاً من أبيه؛ ومن رفع فعلى النداء.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وكما أريناه البصيرة في دينه، والحق في خلاف قومه، نريه ﴿مَلَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ﴾. وقيل: «نري» بمعنى أرينا. قال الزجاج: والملوك بمنزلة الملوك، إلا أن الملوك أبلغ في اللغة، لأن الواو والتاء يزدان للمبالغة؛ ومثل الملوك: الرغبوت والرهبوت. قال مجاهد: ملكوت السموات والأرض: آياتها؛ تفرجت له السموات السبع، حتى العرش، فنظر فيهن، وتفرجت له الأرضون السبع، فنظر فيهن. وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار. وقال السدي: أقيم على صخرة، وفتحت له السموات والأرض، فنظر إلى ملك الله ﷻ، حتى نظر إلى العرش، وإلى منزله من الجنة، وفتحت له الأرضون السبع، حتى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ هذا عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السموات والأرض ليستدل به، وليكون من الموقنين. وفي ما يوقن به ثلاث أقوال: أحدها: وخذانية الله وقدرته. والثاني: نبوته ورسالته. والثالث: ليكون موقناً بعلم كل شيء حساً، لا خبراً.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى نَارًا كَبِيرًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ قال الزجاج: يقال: جن عليه الليل، وأجنه الليل: إذا أظلم، حتى يستر بظلمته؛ ويقال لكل ماستر: جن، وأجن، والاختيار أن يقال: جن عليه الليل وأجنه الليل.

### الإشارة إلى بدء قصة إبراهيم عليه السلام

روى أبو صالح عن ابن عباس قال: وُلد إبراهيم في زمن نُمرود، وكان لنمرود كُهان، فقالوا له: يولد في هذه السنة مولود يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعوهم إلى غير دينهم، ويكون هلاك أهل بيتك على يده، فعزل النساء عن الرجال، ودخل آزر إلى بيته، فوقع على زوجته، فحملت، فقال الكهان لنمرود: إن الغلام قد حمل به الليلة. فقال: كل من ولدت غلاماً فاقتلوه. فلما أخذ أم إبراهيم المخاض، خرجت هاربة، فوضعت في نهر يابس، ولقته في خرقه، ثم وضعت في خلفاء<sup>(١)</sup>، وأخبرت به أباه، فأتاه، فحفر له سرباً، وسد عليه بصخرة، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه، حتى شب وتكلم، فقال لأمه: من ربي؟ فقالت: أنا. قال: فمن ربك؟ قالت: أبوك. قال: فمن رب أبي؟ قالت: استكت. فسكت، فرجعت إلى زوجها، فقالت: إن الغلام الذي كنا نتحدث أنه يغيّر دين أهل الأرض، ابنك. فأتاه، فقال له مثل ذلك. فلما جنّ عليه الليل، دنا من باب السرب، فنظر فرأى كوكباً. قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم «رأى»، بفتح الراء والهمزة؛ وقرأ أبو عمرو: «رأى»؛ بفتح الراء وكسر الهمزة، وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم. «رأى»، بكسر الراء والهمزة، واختلفوا فيها إذا لقيها ساكن، وهو آت في ستة مواضع: ﴿رَأَى النَّجْمَ﴾ [النحل: ٨٥] وفي النحل ﴿وَأَظَاهَرَ أَشْرَكَهَا﴾ [النحل: ٨٦] وفي الكهف: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وفي الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وقرأ أبو بكر عن

(١) في اللسان: الحلفاء: ثبت أطرافه محددة، كأنها أطراف سعف النخل والخواص، بنبت في مغايض الماء والنزوز، الواحدة: حلفة، مثل قصبة وقصباء، وطرفة وطرفاء.

عاصم، وحمزة إلا العبسي، وخلف في اختياره: بكسر الراء وفتح الهمزة في الكل، وزوى العبسي كسرة الهمزة أيضاً، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو؛ وابن عامر، والكسائي: بفتح الراء والهمزة. فإن اتصل ذلك بمكني، نحو: رأك، ورآه، ورآها؛ فإن حمزة، والكسائي، وخلف، والوليد عن ابن عامر، والمفضل، وأبان، والقزاز عن عبد الوارث، والكسائي عن أبي بكر: يكسرون الراء، ويميلون الهمزة. وفي الكوكب الذي رآه قولان: أحدهما: أنه الزهرة، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: المشتري، قاله مجاهد، والسدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على ظاهره. روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: هذا ربي، فعبدته حتى غاب، وعبد القمر حتى غاب، وعبد الشمس حتى غابت؛ واحتج أرباب هذا القول بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ وهذا يدل على نوع تحيير، قالوا: وإنما قال هذا في حال طفولته على ما سبق إلى وهمه، قبل أن يثبت عنده دليل. وهذا القول لا يرتضى، والمتأهلون للنسبة محفوظون من مثل هذا على كل حال. فاما قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى، ويتضرعون في دفع الضلال عنهم، كقوله: ﴿وَاجْتَنِبْنِي رَبِّي أَنْ تَبِيدَ الْأَشْهُامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ولأنه قد آتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون موقناً، فكيف لا يعصمه عن مثل هذا التحيير؟ والثاني: أنه قال ذلك استدراجاً للحجة، ليعيب آلهتهم ويربهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يضمّر في نفسه: إما على زعمكم، أو فيما تظنون، فيكون كقوله: ﴿إِنْ يَشَاءُ رَبِّي﴾، وإما أن يضمّر: فيكون كقوله: ﴿رَبَّنَا قُنْ لَنَا نَارًا﴾ [البقرة: ١٢٧]، أي: يقولان ذلك، ذكر نحو هذا أبو بكر ابن الأنباري، ويكون مراده استدراج الحجة عليهم، كما نقل عن بعض الحكماء أنه نزل يقوم يعبدون صنماً، فأظهر تعظيمه، فأكرموا، وصدروا عن رأيه، فدهمهم عدو، فشاوهم ملكهم، فقال: ندعو إلهنا ليكشف ما بنا، فاجتمعوا يدعونه، فلم ينفع، فقال هاهنا إله ندعوه، فيستجيب، فدعوا الله، فصرف عنهم ما يحذرون، وأسلموا. والثالث: أنه قال مستفهماً، تقديره: أهذا ربي؟ فأضمرت ألف الاستفهام، كقوله: ﴿أَفَأَمِنَ مَنْ فُتِنَ لِلْغَدْرِ﴾ [الأنبياء: ٢٣٤] أي: أفهم الخالدون؟ قال الشاعر:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَأَيْطٍ      غَلَسَ الظُّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ حَيَالاً<sup>(١)</sup>

أراد: أكذبتك؟ قال ابن الأنباري: وهذا القول شاذ، لأن حرف الاستفهام لا يضمّر إذ كان فارقاً بين الإخبار والاستخبار؛ وظاهر قوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ أنه إشارة إلى الصانع. وقال الزجاج: كانوا أصحاب نجوم، فقال: هذا ربي، أي: هذا الذي يدبرني، فاحتج عليهم أن هذا الذي تزعمون أنه مدبر، لا ترى فيه إلا أثر مدبر. و«أفل» بمعنى: غاب؛ يقال: أفل النجم يأفل ويأفل أفولاً.

قوله تعالى: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: حبّ ربّ معبود، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبراً. ﴿قُلْنَا رَاَ الْقَمَرَ كَافِرًا قَالَ هَذَا رَبِّي قُلْنَا أَفَلْ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ قُلْنَا رَاَ الشَّمْسَ كَافِرًا قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ قُلْنَا أَفَلْتَ قَالَ يَقْوَرُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ<sup>(٢)</sup> قوله تعالى: ﴿قُلْنَا رَاَ الْقَمَرَ﴾ قال ابن قتيبة: سمي القمر قمراً لبياضه؛ والأقمر: الأبيض؛ وليلة قمراء، أي: مضية. فاما البازغ، فهو الطالع. ومعنى ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي﴾: لئن لم يثبتني على الهدى. فإن قيل: لم قال في الشمس: هذا، ولم يقل: هذه؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه رأى ضوء الشمس، لا عينها، قاله محمد بن مقاتل. والثاني: أنه أراد: هذا الطالع ربي، قاله الأخفش. والثالث: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على المعنى. والرابع: أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التائيد، وإنما يشبه لفظها المذكر، فجاز تذكرها. ذكره والذي قبله ابن الأنباري.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَجَّهْتُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْتَنِي وَلَا تَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ<sup>(٣)</sup>

(١) البيت للأخطل من قصيدة يهجو بها جريراً، وهو في «ديوانه» ٤١، ومجاز القرآن ٥٦/١، والكمال ٦١١، والطبري ٣٦١/١، والنهاية، واللسان (كذب) وشواهد المغني ٥٢، والخرائفة ٤١١/٢، ٤٥٢/٤.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قال الزجاج: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين ﷻ. وباقي الآية قد تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ قال ابن عباس: جادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فقال منكرًا عليهم: ﴿أَتَحْجُرُونِي﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: ﴿أَتَحْجُرُونِي﴾ و ﴿تَأْمُرُونِي﴾ [الزمر: ٩٤] بتشديد النون. وقرى نافع، وابن عامر بتخفيفها فحذفوا النون الثانية لالتقاء النونين. ومعنى ﴿أَتَحْجُرُونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: في توحيده. ﴿وَقَدْ هَدَيْنِي﴾، أي: بين لي ما به اهتديت. وقرأ الكسائي: «هداني»، بإمالة الدال. والإمالة حسنة فيما كان أصله الياء، وهذا من هدي يهدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ﴾ أي: لا أرهب آلهتكم، وذلك أنهم قالوا: نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء، فقال: لا أخافها لأنها لا تضر ولا تنفع ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ فله أخاف ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: علمه علماً تاماً.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم، وهو قادر على ضرركم ونفعكم ﴿فَمَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة. ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أي: بأن يأمن العذاب، الموحد الذي يعبد من بيده الضر والنفع؟ أم المشرك الذي يعبد ما لا يضر ولا ينفع؟ ثم بين الأحق من هو بقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوه بشرك. روى البخاري، ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك؟ فقال: «إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّكَ أَكْثَرُ لَظْمًا عَظِيمًا﴾»<sup>(١)</sup> للقمان [١١٣]؟ وفيمن عنى بهذه الآية، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إبراهيم وأصحابه، وليست في هذه الأمة، قاله علي بن أبي طالب. وقال في رواية أخرى: هذه الآية لإبراهيم خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيء. والثاني: أنه من هاجر إلى المدينة، قاله عكرمة. والثالث: أنها عامة، ذكره بعض المفسرين. وهل هي من قول إبراهيم لقومه، أم جواب من الله تعالى؟ فيه قولان.

﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾  
قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا﴾ يعني ما جرى بينه وبين قومه من الاستدلال على حدوث الكوكب والقمر والشمس، وعيهم، إذ سوا بين الصغير والكبير، وعبدوا ما لا ينطق، وإلزامه إياهم الحجة. ﴿ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه إليها بالإلهام. وقال مجاهد: الحجة قول إبراهيم: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ؟﴾

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عمرو وابن عامر: «دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ»، مضافاً. وقرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «دَرَجَاتٍ»، منوناً، وكذلك قرؤوا في (يوسف) [يوسف: ٤٧]. ثم في المعنى قولان: أحدهما: أن الرفع بالعلم والفهم والمعرفة. والثاني: بالاصطفاء للرسالة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ قال ابن جرير: حكيم في سياسة خلقه، وتلقيه أنبياءه الحجج على أممهم المكذبة ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يؤول إليه أمر الكل.

﴿وَرَوَّحْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُورَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾  
﴿٨٣﴾ وَذَكَرْنَا يُحْيَى وَيَسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّن الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا نَّفَضْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٦﴾

(١) «المسند» ٢٠٧/٥، و«البخاري» ٨١/١، و«المسلم بشرح النووي» ١٤٢/٢، و«الترمذي» ١٣٢/٢.



قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولدًا لصلبه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولدًا لإسحاق: ﴿كَلَّا﴾ من هؤلاء المذكورين: ﴿هَدَيْنَا﴾ أي: أرشدنا.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ في «هاء الكناية»، قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى نوح؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، ومقاتل، وابن جرير الطبري. والثاني: إلى إبراهيم، قاله عطاء. وقال الزجاج: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى، واحتج ابن جرير للقول الأول بأن الله تعالى ذكر في سياق الآيات لوطاً، وليس من ذرية إبراهيم. وأجاب عنه أبو سليمان الدمشقي بأنه يحتمل أن يكون أراد: ووهبنا له لوطاً في المعاضدة والنصرة، ثم قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ من أبين دليل على أنه إبراهيم، لأن افتتاح الكلام إنما هو بذكر ما أثاب به إبراهيم. فأما «يوسف» فهو اسم أعجمي، قال الفراء: «يوسف». بضم السين من غير همز، لغة أهل الحجاز، وبعض بني أسد يقول: «يوسف» بالهمز، وبعض العرب يقول: «يوسف» بكسر السين، وبعض بني عُقيل يقول: «يوسف» بفتح السين.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: كما جزينا إبراهيم على توحيده وثباته على دينه، بأن رفعنا درجته ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء، كذلك نجزي المحسنين. فأما عيسى، وإلياس، واليسع، ولوطاً؛ فأسماء أعجمية، وجمهور الفراء يقرؤون «اليسع» بلام واحدة مخففاً، منهم ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر. وقرأ حمزة، والكسائي هاهنا وفي (ص): «الْيَسْعُ» بلامين مع التشديد. قال الفراء: وهي أشبه بالصواب، وبأسماء الأنبياء من بني إسرائيل، ولأن العرب لا تدخل على «يَعْقُل»، إذا كان في معنى فلان، ألفاً ولاماً، يقولون: هذا يسع قد جاء، وهذا يعمر، وهذا يزيد، فهكذا الفصحى من الكلام. وأنشدني بعضهم:

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بِنَ الْيَزِيدِ مَبَارَكاً  
شَدِيدُ أَخْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ<sup>(١)</sup>

فلما ذكر الوليد بالالف واللام، أتبعه يزيد بالالف واللام، وكل صواب. وقال مكّي: من قرأه بلام واحدة، فالأصل عنده: يسع، ومن قرأه بلامين، فالأصل عنده: لَيْسَعُ، فأدخلوا عليه حرف التعريف، وباتي أسماء الأنبياء قد تقدم بيانها، والمراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ «من» هاهنا للتبعيض. قال الزجاج: المعنى: هدينا هؤلاء، وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم. ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ﴾ مثل اختراهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه. فأما الصراط المستقيم، فهو التوحيد.

﴿وَالَّذِي هَدَى آلَ يَاسَةَ إِلَى مَنِسْأَةٍ مِنْ إِسْكَةٍ مِنْ عِبَادِهِ وَكُتِبَ لَهُمْ مِنْهُمُ مَا كَانُوا يَمْكُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هَدَى آلَ يَاسَةَ﴾ قال ابن عباس: ذلك دين الله الذي هم عليه: ﴿يَهْدِي يَهُ مِنْ يَسْأَةٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾. ﴿وَكُتِبَ لَهُمْ﴾ يعني الأنبياء المذكورين ﴿لَهُمْ﴾ أي: لبطل وزال عملهم، لأنه لا يقبل عمل مشرك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْفُكْرَ وَالشُّرْءَ فَإِنْ يَكْثُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني الكتب التي أنزلها عليهم. والحكم: الفقه، والعلم، ﴿فَإِنْ يَكْثُرْ بِهَا﴾ يعني بآياتنا. وفيمن أشير إليه بـ «هؤلاء» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس، وسعيد بن المسيب، وقتادة. والثاني: أنهم قريش، قاله السدي. والثالث: أمة النبي ﷺ، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا﴾ قال أبو عبيدة: فقد رزقناها قوماً. وقال الزجاج: وكلنا بالإيمان بها قوماً. وفي هؤلاء القوم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل المدينة من الأنصار، قاله ابن عباس، وابن المسيب، وقتادة، والسدي. والثاني: الأنبياء والصالحون، قاله الحسن. وقال قتادة: هم النبيون الثمانية عشر المذكورون في هذا المكان. وهذا اختيار الزجاج، وابن جرير. والثالث: أنهم الملائكة، قاله أبو رجاء. والرابع: أنهم المهاجرون والأنصار.

(١) البيت من قصيدة لابن ميادة الرماح بن أبرد يمدح فيها أبا العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان. وهو في «معاني القرآن» للفراء ٣٤٢/١، و«المنهاج» ٥٢، و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي ٢٥٢. وقوله: «بأخوان الخلافة» فالأخوان جمع الحنو وهو الجهة والجانب، ويقال: أحناء الأسور لما تشابه منها وأشكل المخرج منه. والكاهل: اسم لما بين الكتفين، ويعبر بشدة الكاهل عن القوة.



﴿أُتِيكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَقَدْ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِذْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُتِيكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ يعني النبيين المذكورين. وفي قوله تعالى: ﴿فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدُهُ﴾ قولان: أحدهما: بشرائهم ويستنهم فاعمل، قاله ابن السائب. والثاني: اقتد بهم في صبرهم، قاله الزجاج. وكان ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، يشنون الهاء من قوله: ﴿اقتده﴾ في الوصل ساكنة. وكان حمزة، وخلف، ويعقوب، والكسائي عن أبي بكر، واليزيدي في اختياره، يحدفون الهاء في الوصل. ولا خلاف في إثباتها في الوقف، وإسكانها فيه. قوله تعالى: ﴿قَدْ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا﴾ يعني على القرآن. والذكرى: العظة. والعالمون هاهنا: الجن والإنس.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلْبَنِي إِسْرَءِيلَ يَمْلِكُونَ قَرِيطِسَ تَبَدُّوْنَ وَيَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَيْهِمْ مَا لَوْ شَاءُوا أَنَّهُمْ لَا ءَاتَاكُمْ عَلَى اللَّهِ تَرَدُّدٌ مِّنْ ذَرْبِهِمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في سبب نزولها سبعة أقوال: أحدها: أن مالك بن الصيف رأس اليهود، أتى رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال له رسول الله ﷺ: «أنتشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يغيض الحبر السمين؟» قال: نعم. قال «فأنت الحبر السمين». فغضب، ثم قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال سعيد بن جبير، وعكرمة: نزلت في مالك بن الصيف. والثاني: أن اليهود قالوا: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: «نعم». قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فنزلت هذه الآية، رواه الواهبي عن ابن عباس. والثالث: أن اليهود قالوا: يا محمد، إن موسى جاء بالوحي يحملها من عند الله، فأتينا بآية كما جاء موسى، فنزل: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٣ - ١٥٦]. فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة، قالوا: والله ما أنزل الله عليك ولا على موسى وعيسى، ولا على بشر، من شيء، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن كعب. والرابع: أنها نزلت في اليهود والنصارى، أتاهم الله علماً فلم يتفعلوا به، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت في فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قاله السدي. والسادس: أنها نزلت في مشركي قريش، قالوا: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. والسابع: أن أولها، إلى قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ في مشركي قريش. وقوله: ﴿مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلْبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في اليهود، رواه ابن كثير عن مجاهد. وفي معنى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما عظموا الله حق عظمتهم، قاله ابن عباس، والحسن، والفراء، وثعلب، والزجاج. والثاني: ما وصفوه حق صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل. والثالث: ما عرفوه حق معرفته، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿يَمْلِكُونَ قَرِيطِسَ﴾ معناه: يكتبونه في قراطيس. وقيل: إنما قال: قراطيس، لأنهم كانوا يكتبونه في قراطيس مقطعة، حتى لا تكون مجموعة، ليخفوا منها ما شاؤوا.

قوله تعالى: ﴿يَبْدُوْنَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يجعلونه قراطيس يبدونها» و«يخفون» بالياء فيهن. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي؛ بالتاء فيهن. فمن قرأ بالياء، فلان القوم غيب، بدليل قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. ومن قرأ بالتاء، فعلى الخطاب؛ والمعنى: تبدوون منها ما تحبون، وتخفون كثيراً، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم، ونحو ذلك مما كتبه.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهِمْ مَا لَوْ شَاءُوا أَنَّهُمْ لَا ءَاتَاكُمْ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الجمهور. والثاني: أنه خطاب للمسلمين، قاله مجاهد. فعلى الأول: علّموا ما في التوراة؛ وعلى الثاني: علّموا على لسان محمد ﷺ.

(١) رجع هذا القول ابن كثير وقال: إنه الأصح، لأن الآية مكية، واليهود لا يتكروا إزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعثون إرسال رسول من البشر كما قال: ﴿أَكَلَنَ لِئَابِسَ عَبْدًا ثَوْبًا إِنَّ كِبْرًا يَنْتَهَمُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ﴾ [يونس: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْنَىٰ اللَّهُ بَنَىٰ ذُرِّيَّتَهُ﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَكْبُتًا يَشُوعُ لَتَمَنَّيْنَا أَنْ تُبَدِّلَ كَيْدَهُمْ فِيكَ أَنْتُمْ مَكْبُوتُونَ [الإسراء: ٩٤، ٩٥].

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿مَنْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ وتقديره: فإن أجابوك، وإلا فقل: الله أنزله.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَّهُمْ﴾ تهديد. وخوضهم: باطلهم. وقيل: إن هذا أمر بالإعراض عنهم، ثم نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني القرآن. قال الزجاج والمبارك: الذي يأتي من قبله الخير الكثير. والمعنى: أنزلناه للبركة والإنذار.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩٢)

قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ قرأ عاصم إلا حفصاً: «وليتنذر» بالياء؛ فيكون الكتاب هو المنذر. وقرأ الباقر: بالناء، على الخطاب للنبي ﷺ. فأما أم القرى، فهي مكة. قال الزجاج: والمعنى: لتنذر أهل أم القرى. وفي تسميتها بأم القرى أربعة أقوال: أحدها: أنها سميت بذلك، لأن الأرض دُحيت من تحتها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها أقدمها، قاله ابن قتيبة. والثالث: لأنها قبلة جميع الناس، يؤمنونها. والرابع: لأنها كانت أعظم القرى شأنًا، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال ابن عباس: يريد الأرض كلها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ في هاء الكتابة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى النبي محمد ﷺ. والمعنى: من آمن بالآخرة آمن به؛ ومن لم يؤمن به، فليس إيمانه بالآخرة حقيقة، ولا يعتد به، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فدل على أنه أراد المؤمنين الذين يحافظون على الصلوات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٩٣)

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أولها، إلى قوله: ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزل في مسلمة الكذاب. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله ﷺ في بعض الأحيان؛ فإذا أُملي عليه: «عزيز حكيم» كتب: «غفور رحيم» فيقول لرسول الله ﷺ: هذا وذاك سواء. فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (٩٤) أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿خَلَقْنَا آخِرًا﴾ عجب عبد الله بن سعد، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فقال رسول الله ﷺ: «كذا أنزلت علي، فاكبتها» فشك حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقاً، لقد أوحى إلي كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً، لقد قلت كما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة. والقول الثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد، قاله السدي. والثالث: أنها نزلت في مسلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة. فإن قيل: كيف أفرد قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ من قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ﴾ وذاك مفتر أيضاً؟ فغنه جوابان: أحدهما: أن الوصفين لرجل واحد، وصف بأمر بعد أمر ليدل على جرأته. والثاني: أنه خص بقوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ بعد أن عم بقوله: ﴿اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه ليس كل مفتر على الله يدعي أنه يوحى إليه، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول. قال ابن عباس: يعنون الشعر، وهم المستهزون. وقيل: هو قول عبد الله بن سعد بن أبي سرح. قال الزجاج: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوْ كُنَّا لَفَقْنَا مِثْلَ هَذَا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا مسلمين بمكة، فأخرجهم الكفار

معهم إلى قتال بدر، فلما أبصروا قلة أصحاب رسول الله ﷺ رجعوا عن الإيمان، فنزل فيهم هذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين قالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ قاله أبو سليمان. والثالث: الموصوفون في هذه الآية، وهم المفترون والمدعون الوحي إليهم، ومماثلة كلام الله. قال الزجاج: وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو تراه في غمرات الموت لرأيت عذاباً عظيماً. ويقال لكل من كان في شيء كبير: قد غمر فلاناً ذلك. قال ابن عباس: غمرات الموت: سكراته. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: سميت غمرات، لأن أهوالها يغمرن من يقعن به.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ كُتُّهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالضرب، قاله ابن عباس. والثاني: بالعذاب، قاله الحسن، والضحاك. والثالث: باسطوها لقبض الأرواح من الأجساد، قاله الفراء. وفي الوقت الذي يكون هذا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عند الموت. قال ابن عباس: هذا عند الموت، الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وملك الموت يتوفاهم. والثاني: يوم القيامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في النار، قاله الحسن. قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه إضمار «يقولون» وفي معناه قولان: أحدهما: استسلموا لإخراج أنفسكم. والثاني: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم.

قوله تعالى: ﴿تَجَزَّوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ قال أبو عبيدة: الهون: مضموم، وهو الهوان؛ وإذا فتحوا أوله، فهو الرفق والدعة. قال الزجاج: والمعنى: تجزؤون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَّبْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُعْرَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ زَعَمُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى﴾ سبب نزولها: أن النضر بن الحارث قال: سوف تشفع لي اللات والعزى، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. ومعنى فرادى: وحيداً. وهذا إخبار من الله تعالى بما يورث به المشركين يوم القيامة. قال أبو عبيدة: فرادى، أي: فرد فرد. وقال ابن قتيبة: فرادى: جمع فرد. وللمفسرين في معنى «فرادى» خمسة أقوال: مقاربة المعنى: أحدها: فرادى من الأهل والمال والولد، قاله ابن عباس. والثاني: كل واحد على حدة، قاله الحسن. والثالث: ليس معكم من الدنيا شيء، قاله مقاتل. والرابع: كل واحد منفرد عن شريكه في الغي وشقيقه، قاله الزجاج. والخامس: فرادى من المعبودين، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مال ولا أهل ولا ولد. والثاني: حفاة عرأة غراً. والغزل: القلف. والثالث: أحياء. و«حَوَّلْنَاكُمْ» بمعنى مَلَكْنَاكُمْ. «وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» أي: في الدنيا. والمعنى: أن ما دأبتم في تحصيله في الدنيا فني، وبقي الندم على سوء الاختيار، وفي شفاعتهم، قولان: أحدهما: أنها الأصنام. قال ابن عباس: شفعاؤكم، أي: آلهتكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم. و«زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ» أي: عندكم شركاء. وقال ابن قتيبة: زعمتم أنهم لي في خلقكم شركاء. والثاني: أنها الملائكة؛ كانوا يعتقدون شفاعتها، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: بالرفع. وقرأ نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب النون على الظرف. قال الزجاج: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز، ومعناه: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم. وقال ابن الأنباري: التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناها. قال أبو علي: الذين رفعوه، جعلوه اسماً، فأسندوا الفعل الذي هو «تَقَطَّعَ» إليه؛ والمعنى: لقد تقطع وصلكم. والذين نصبوا، أضمرنا اسم الفاعل في الفعل، والمضمر هو الوصل؛ فالتقدير: لقد تقطع وصلكم بينكم. وفي الذي كانوا يزعمون قولان: أحدهما: شفاعة آلهتهم. والثاني: عدم البعث والجزاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْثِ يُخْرِجُ الْخَبْثَ وَيُخْرِجُ الْيُسْرَى مِنَ الْخَبْثِ ذَلِكَ اللَّهُ فَالِقُ الْغَيْثِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْثِ وَالنَّوْثِ﴾ في معنى الفلق قولان: أحدهما: أنه بمعنى الخلق، فالمعنى: خالق الحب والنوى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل. والثاني: أن الفلق بمعنى الشق. ثم في معنى



الكلام قولان: أحدهما: أنه فلق الحبة عن السنبلة، والنواة عن النخلة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الشقان اللذان في الحب والنوى، قاله مجاهد، وأبو مالك. قال ابن السائب: الحب: ما لم يكن له نوى، كالبرّ والشعير؛ والنوى: مثل نوى التمر.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ أَمْثِلَ مِنْ أَلْتَيْتِ وَيُخْرِجُ أَلْتَيْتِ مِنْ أَلْتَيْتِ﴾ قد سبق تفسيره في (آل عمران).

قوله تعالى: ﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ أي: كيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْ تَقُولُوا﴾ في معنى الفلق قولان قد سبقا. فأما الإصباح، فقال الأخفش: هو مصدر من أصبح. وقال الزجاج: الإصباح والصبح واحد. وللمفسرين في الإصباح، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضوء الشمس بالنهار، وضوء القمر بالليل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه إضاءة الفجر، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: فلق الإصباح من الليل. والثالث: أنه نور النهار، قاله الضحاك. وقرأ أنس بن مالك، والحسن، وأبو مجلز، وأيوب، والجعدري: «فالق الأصباح» بفتح الهمزة. قال أبو عبيد: ومعناه جمع صبح.

قوله تعالى: ﴿وجاعل الليل سكناً﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «جاعل» بآلف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وجعل» بغير ألف. «الليل» نصباً. قال أبو علي: من قرأ: «جاعل» فلاجل «فالق» وهم يراعون المشاكلة. ومن قرأ: «جعل» فلأن فاعلاً هاهنا، بمعنى: «فعل» بدليل قوله: ﴿أَلْتَيْتِ وَأَلْتَيْتِ بِحُسْبَانٍ﴾. فأما السكن، فهو ما سكنت إليه. والمعنى: أن الناس يسكنون فيه سكناً راحة. وفي الحسبان قولان: أحدهما: أنه الحساب، قاله الجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: خذ من كل شيء بحسابه، أي: بحسابه. وفي المراد بهذا الحساب، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما يجريان إلى أجل يجعل لهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: يجريان في منازلهما بحساب، ويرجعان إلى زيادة ونقصان، قاله السدي. والثالث: أن جريانهما سبب لمعرفة حساب الشهور والأعوام، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن معنى الحسبان؛ الضياء، قاله قتادة. قال الماوردي، كأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿وَرَزَّيْلَ عَلَيْهِا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الكهف: ٤٠] أي: ناراً. قال ابن جرير: وليس هذا من ذلك في شيء.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَمْكُونُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ جعل، بمعنى خلق. وإنما امتن عليهم بالنجوم، لأن سالكي القفار وراكبي البحار، إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَصَّلَكُمْ فَصْلًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم «فَصَّلَكُمْ فَصْلًا» بفتح الفاء. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، إلا رؤيساً: بكسر القاف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فالمعنى: «فمنكم مستقر» ومن نصب، فالمعنى: «فلکم مستقر». فأما مستودع، فبالفتح لا غير. ومعناه على فتح القاف: «ولكم مستودع» وعلى كسر القاف: «منكم مستودع». وللمفسرين في هذا المستقر والمستودع تسعة أقوال: أحدها: فمستقر في الأرحام، ومستودع في الأضلاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والنخعي، وقاتدة، والسدي، وابن زيد. والثاني: المستقر في الأرحام، والمستودع في القبر، قاله ابن مسعود. والثالث: المستقر في الأرض، والمستودع في الأضلاب، رواه ابن جبیر عن ابن عباس. والرابع: المستقر والمستودع في الرحم، رواه قابوس عن أبيه عن ابن عباس. والخامس: المستقر حيث يأوي، والمستودع حيث يموت، رواه مقسم عن ابن عباس. والسادس: المستقر في الدنيا، والمستودع في القبر. والسابع: المستقر في القبر، والمستودع في الدنيا، وهو عكس الذي قبله، روي عن الحسن. والثامن: المستقر في الدنيا، والمستودع عند الله تعالى، قاله مجاهد. والتاسع: المستقر في الأضلاب، والمستودع في الأرحام، قاله ابن بحر، وهو عكس الأول.



﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ يَبْرُتْ لَهَا فُتُوحٌ رَاحِيَةٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانِ الزَّيْتُونِ وَالْأَرْثَمَانِ مُشْتَبِهًا وَفَصَّيْنَاهُ قُحْطًا وَزَيْتُونًا تَلْوِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر. وفي قوله تعالى: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: نبات كل شيء من الثمار، لأن كل ما ينبت، فنباته بالماء. والثاني: رزق كل شيء وغذاؤه. وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ قولان: أحدهما: من الماء، أي: به. والثاني: من النبات. قال الزجاج: الخضر بمعنى الأخضر؛ يقال: اخضر، فهو أخضر، وخضر، مثل عور، فهو أغور، وعور.

قوله تعالى: ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من الخضر ﴿حَبًا مُتَرَاكِبًا﴾ كالسنبل والشعير. والمتراكب: الذي بعضه فوق بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ يَبْرُتْ لَهَا فُتُوحٌ رَاحِيَةٌ﴾ وروى الخفاف عن أبي عمرو: «قُتُون» بضم القاف؛ وروى هارون عنه بفتحها. قال الفراء: معناه: ومن النخل ما قنوانه دانية؛ وأهل الحجاز يقولون: «قُتُون» بكسر القاف؛ وقيس يضمنونها؛ وضبة، وتميم يقولون: «قُتِيَان». وأنشدني المفضل عنهم:

فَأُتْتُ أَعَالِيَهُ وَأَوْتُ أَصُولُهُ

ويجتمعون جميعاً، فيقولون: «قُتُو» ولا يقولون: «قُتِي» ولا «قُتِي» وكلب يقولون: «ومال بقنيان». قال المصنف: والبيت لامرئ القيس؛ ورواه أبو سعيد السكري: «ومال بقُتُون» مكسورة القاف مع الواو، فيه أربع لغات: قُتُون، وقُتُون، وقُتِيَان، و«أُتْتُ»؛ كثرت؛ ومنه: شعر أئيت. و«أُدْتُ»: اشتدت. وقال ابن قتيبة: القُتُون: عذوق النخل، واحدها: قُتُو، جمع على لفظ ثنية؛ ومثله: صنو وصنوان في الثنية، وصنوان في الجميع. وقال الزجاج: قُتُون: جمع قُتُو، وإذا ثنيته فهما قُتُونَان، بكسر النون. ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها قُتُون بعيدة» لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السحابة؛ قد كانت غير سحابة، فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة؛ كقوله تعالى: ﴿سَرَبِيلٌ يَتَكَبَّمُ الْحَرُّ﴾ [النحل: ٨١]. وقال ابن عباس: القُتُون الدانية: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانِ الزَّيْتُونِ وَالْأَرْثَمَانِ﴾ قال الزجاج: هو نسق على قوله: «خَضِرًا» ﴿وَالزَّيْتُونُ وَالْأَرْثَمَانُ﴾ المعنى: وأخرجنا منه شجر الزيتون والرمان؛ وقد روى أبو زيد عن المفضل: «وجنات» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَفَصَّيْنَاهُ قُحْطًا وَزَيْتُونًا تَلْوِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشتبهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مشتبهاً ورقه، مختلفاً ثمرة، قاله قتادة، وهو في معنى الأول. والثالث: منه ما يشبه بعضه بعضاً، ومنه ما يخالف. قال الزجاج: وإنما قرن الزيتون بالرمان، لأنها شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره. قال الشاعر:

بُورِكَ الْمَيْتِ الْغَرِيبُ كَمَا بُو

ومعناه: أن البركة في ورقه اشتماله على عوده كله.

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾، و﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، و﴿يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [يس: ٣٥]: بالفتح في ذلك. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: بالضم فيهن. قال الزجاج: يقال: ثَمَرَةٌ، وَثَمَرٌ، وَثِمَارٌ، وَثَمَرٌ؛ فمن قرأ: «إِلَى ثَمَرِهِ» بالضم أراد جمع الجمع. وقال أبو علي: يحتمل وجهين. أحدهما هذا، وهو أن يكون الثمر جمع ثمار. والثاني: أن تكون الثمر جمع ثمرة، وكذلك: أكمة، وأكُم، وخشبة وخُشْب. قال الفراء: يقول: انظروا إليه أول ما يَفْقِدُ، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه

(١) البيت لامرئ القيس، «ديوانه» ٦٧، و«اللسان»: قنا. من قصيدته المستجدة، وهو من أولها يصف ظعن الحي يشبهها بالنخل. وقوله: أئت أعاليه، أي: عظمت والثقت من ثقل حملها. وقوله: أدت، أي: تثت ومالت.

ويلوغه. وأهل الحجاز يقولون: يَنْعُ، بفتح الباء، وبعض أهل نجد يضمونها. قال ابن قتيبة: يقال: يَنْعُ الثمرة، وأينعت: إذا أدركت، وهو اليَنْع واليَنْع. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن محيصن: «وَيَنْعُهُ» بضم الباء. قال الزجاج: اليَنْع: التَضِج. قال الشاعر:

فِي قَبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ

حَوْلَهَا الرِّثْيُونُ قَدْ يَنْعَا<sup>(١)</sup>

ويُنَّ الله تعالى لهم بتصريف ما خلق، ونقله من حال إلى حال لا يقدر عليه الخلق، أنه كذلك يبعثهم.

قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» قال ابن عباس: يصدقون أن الذي أخرجها النبات قادر على أن يحيي الموتى. وقال مقاتل: يصدقون بالتوحيد.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِلَهِمْ وَخَرَفُوا لَهُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ وَبَنَدَتْ يَدَهُمْ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(١٣)</sup>

قوله تعالى: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْإِلَهِمْ» جعلوا، بمعنى وصفوا. قال الزجاج: نصب «الجن» من وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولاً، فيكون المعنى: وجعلوا الله الجن شركاء؛ ويكون الجن مفعولاً ثانياً، كقوله: «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنِئْتُمْ» [الزخرف: ١٩]. والثاني: أن يكون الجن بدلاً من شركاء، ومفسراً للشركاء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وأبو حيو، والجحدري: «شركاء الجن» برفع النون؛ وقرأ ابن أبي عبل، ومعاذ القارئ: «الجن» بخفض النون. وفي معنى جعلهم الجن شركاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله، قاله الحسن، والزجاج. والثاني: قالوا: إن الملائكة بنات الله فهم شركاؤه، كقوله: «وَجَعَلُوا بَيْنَ وَبَيْنَ الْإِنْسِ نَسَبًا» [الصافات: ١٥٨] فسمى الملائكة جنّاً لاجتماعهم، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد. والثالث: أن الزنادقة قالوا: الله خالق النور والماء والدواب والأنعام، وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب، وفيهم نزلت هذه الآية. قاله ابن السائب.

قوله تعالى: «وَعَرَفُوا لَهُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ» في الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الجاعلين له الشركاء، فيكون المعنى: وجعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون. والثاني: أنها ترجع إلى الجن، فيكون المعنى: والله خلق الجن، فكيف يكون الشريك لله محدثاً؟ ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: «وَعَرَفُوا لَهُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ» وقرأ نافع: «وخرقوا» بالتشديد، للمبالغة والتكثير، لأن المشركين ادّعوا الملائكة بنات الله، والنصارى المسيح، واليهود عزيزاً. وقرأ ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وخرقوا» بحاء غير معجمة وتشديد الراء وبالفاء. وقرأ ابن السميع، والجحدري: «خارقوا» بألف وخاء معجمة. قال السدي: أما «البنون»، فقول اليهود عزيز ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله. وأما البنات فقول مشركي العرب: الملائكة بنات الله. قال الفراء: خرّقوا، واخترقوا، وخلقوا، واختلقوا، بمعنى افتروا. وقال أبو عبيدة: خرّقوا: جعلوا. قال الزجاج: ومعنى: «بغير علم»: أنهم لم يذكروه من علم، إنما ذكروه تكذّباً.

﴿يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ رَدٌّ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١٤)</sup> ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ<sup>(١٥)</sup>

قوله تعالى: «أَنَّ يَكُونُ لَهُمْ رَدٌّ» قال الزجاج: أي: من أين يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة؟ واحتج عليهم في نفي الولد بقوله: «وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ» فليس مثل خالق الأشياء، فكيف يكون الولد لمن لا مثل له؟ فإذا نُسب إليه الولد، فقد جُعل له مثل.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١٦)</sup>

(١) «الحيوان» ٤/ ١٠، و«الكامل» ٢٢٦/ ١، و«مجاز القرآن» ٢٠٢/ ١، و«الطبري» ٥٨٠/ ١١، و«خزانة الأدب» ٢٧٩/ ٣، و«اللسان»: ينح. قال المبرد: قال أبو عبيدة: هذا الشعر مختلف فيه، فبعضهم ينسبه إلى الأحوص، وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية. وفي «اللسان» قال ابن بري: هو للأحوص، أو يزيد بن معاوية، أو عبد الرحمن بن حسان، ونسبه صاحب «اللسان» في مادة: «دمكر» إلى الأخطل. والدمكرة: بناء كالقصر، كانت الأعاجم تتخذ للشرب والملاهي.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الإدراك قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإحاطة. والثاني: بمعنى الرؤية. وفي «الأبصار» قولان: أحدهما: أنها العيون، قاله الجمهور. والثاني: أنها العقول، رواه عبد الرحمن بن مهدي عن أبي حصين القارئ. ففي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: لا تحيط به الأبصار، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وعطاء. وقال الزجاج: معنى الآية: الإحاطة بحقيقته، وليس فيها دفع للرؤية، لما صح عن رسول الله ﷺ من الرؤية<sup>(١)</sup>، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث. والثاني: لا تدركه الأبصار إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: لا تدركه الأبصار في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومقاتل. ويدل على أن الآية مخصوصة بالدنيا، قوله: ﴿يَوْمَ يُؤْتَى تَأْوِيلُهَا ۚ إِنَّ رَبَّهَا ظَاهِرٌ ۚ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقيّد النظر إليه بالقيامة، وأطلق في هذه الآية، والمطلق يحمل على المقيد..

قوله تعالى: ﴿وَمَوْ يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ﴾ فيه القولان. قال الزجاج: وفي هذا الإعلام دليل على أَنَّ خَلْقَهُ لا يدركون الأبصار، أي: لا يعرفون حقيقة البصر، وما الشيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينه، دون أن يبصر من غيرهما من أعضائه؛ فأعلم الله أن خلقاً من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه؛ فكيف به ﷻ؟! فأما «اللطيف»، فقال أبو سليمان الخطابي: هو البرّ بعباده، الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون. قال ابن الأعرابي: اللطيف: الذي يوصل إليك أَرْكَكَ في رفق؛ ومنه قولهم: لطف الله بك؛ ويقال: هو الذي لَطَفَ عن أن يُدْرِكَ بالكمية. وقد يكون اللطف بمعنى الدقة والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري سبحانه. وقال الأزهري: اللطيف من أسماء الله، معناه: الرفيق بعباده؛ والخبير: العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته.

﴿فَدَّ جَاءَكُمْ بِصَافٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَاءَكُمْ بِصَافٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البصائر: جمع بصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به. قال الزجاج: والمعنى: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾. نفع ذلك ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله ﷻ غني عن خلقه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال.

## فصل

وذكر المفسرون أن هذه الآية نسخت بآية السيف. وقال بعضهم: معناها: لست رقيباً عليكم، أحصي أعمالكم؛ فعلى هذا لا وجه للنسخ.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ قال الأخفش: «وكذلك» معناها: وهكذا. وقال الزجاج: المعنى: ومثل ما بيّنا فيما تلي عليك، نبين الآيات. قال ابن عباس: نصّر الآيات، أي: نبينها في كل وجه، ندعوهم بها مرة، ونخوفهم بها أخرى. ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن «دارست». قال ابن الأنباري: معنى الآية: وكذلك نصرف الآيات، لنزمتهم الحجة، وليقولوا: دارست؛ وإنما صرّف الآيات ليسعد قوم بفهمها والعمل بها، ويشقى آخرون بالإعراض عنها؛ فمن عمل بها سعد، ومن قال: دارست، شقي. قال الزجاج: وهذه اللام في «ليقولوا» يسميها أهل اللغة لام الصيرورة. والمعنى: أن السبب الذي أدّاهم إلى أن قالوا: دارست، هو تلاوة الآيات، وهذا كقوله: ﴿فَالنَّفْعُ وَالْزَعُونَ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَحَرّاً﴾ [القصص: ٨] وهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديه، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدواً وحزناً. ومثله أن تقول: كتب فلان الكتاب لحتفه، فهو لم يقصد أن يهلك نفسه

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «التفسير» ١٦١/٢: تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجابر، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بهتة وكرمه.

بالكتاب، ولكن العاقبة كانت الهلاك. فأما «دارست» فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دارست» بالالف وسكون السين وفتح التاء؛ ومعناها: ذكرت أهل الكتاب. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «درست» بسكون السين وفتح التاء، من غير ألف، على معنى: قرأت كتب أهل الكتاب. قال المفسرون: معناها: تعلمت من جبر، ويسار. وسنبين هذا في قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ بَسَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] إن شاء الله. وقرأ ابن عامر، ويعقوب: «درست» بفتح الراء والسین وسكون التاء من غير ألف. والمعنى: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست. أي: قد مضت وامتحنت. وجميع من ذكرنا فتح الدال في قراءته. وقد روي عن نافع أنه قال: «دُرِسَتْ» برفع الدال وكسر الراء وتخفيف التاء، وهي قراءة ابن يعمر؛ ومعناها: فُرِثَتْ. وقرأ أبي بن كعب: «دُرِسَتْ» بفتح الدال والسین وضم الراء وتسكين التاء. قال الزجاج: وهي بمعنى: «دُرِسَتْ» أي: امتحنت؛ إلا أن المضمومة الراء أشد مبالغة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو العالية، ومورق: «دُرِسَتْ» برفع الدال، وكسر الراء وتشديدها ساكنة السین. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «دُرِسَتْ» بفتح الراء والسین بلا ألف ولا تاء. وروى عصمة عن الأعمش: «دارس» بالالف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ﴾ يعني: التصريف ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ما تبين لهم من الحق فيقبلوه.

﴿أَلَيْسَ مَا أَرْسِلُ إِلَيْكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِكَافٍ

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال المفسرون: نسخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال حكاهما الزجاج: أحدها: لو شاء لجعلهم مؤمنين. والثاني: لو شاء لأنزل آية تضطرمهم إلى الإيمان. والثالث: لو شاء لاستأصلهم، فقطع سبب شركهم. قال ابن عباس: وباتي الآية نسخ بآية السيف.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِنْ رَبَّهُمْ تَرَجَّهُمْ وَقَبَّحَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما قال للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا: لتنتهي يا محمد عن سب آلهم وعبيها، أو لنهجون إلهك الذي تعبد، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله، قاله قتادة. ومعنى «يدعون»: يعبدون، وهي الأصنام. ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ﴾ أي: فيسبوا من أمرهم بعبئها، فيعود ذلك إلى الله تعالى، لا أنهم كانوا يصرحون بسب الله تعالى، لأنهم كانوا يقرنون أنه خالقهم، وإن أشركوا به<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي: ظلماً بالجهل. وقرأ يعقوب: «عُدْوًا»، بضم العين والدال وتشديد الواو. والعرب تقول في الظلم: عدا فلان عُدْوًا وعُدْوًا. وعدا، أي: ظلم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام، وطاعة الشيطان، كذلك زينا لكل جماعة اجتمعت على حق أو باطل عملهم من خير أو شر. قال المفسرون: وهذه الآية نسخت بآية الخطاب في آية السيف.

﴿وَأَنصُرُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ لَعَلَّ يَهْتَدُوا﴾ ﴿١٠٨﴾ إِنَّمَا الْإِنْسَانُ لَشَكُورٌ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنصُرُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزل في [الشعراء: ٤٤]: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال المشركون: أنزلها علينا حتى والله نؤمن بها؛ فقال المسلمون: يا رسول الله، أنزلها عليهم

(١) ومن هذا القبيل - وهو ترك المصلحة للرد مفسدة أرحج منها - ما رواه الإمام أحمد ٤٨/١٠، ٤٩، والبخاري ٣٣٨/١٠، ومسلم ٩٢/١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أباه الرجل يسب أباه، ويسب أمه يسب أمه».



لكي يؤمنوا؛ فنزلت هذه الآية؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر، فينفجر منها اثنتا عشرة عينا، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فانتنا بمثل هذه الآيات حتى نصدقك: فقال: «أي شيء تحبون؟» قالوا: أن تجعل لنا الصفا ذهباً. قال: «فلأن فعلت تصدقوني؟» فقالوا: نعم، والله لئن فعلت لتبتعنك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها، إلا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ: «اتركهم حتى يتوب تائبهم»، فنزلت هذه الآية إلى قوله: «يَجْهَلُونَ»، هذا قول محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>. وقد ذكرنا معنى «جَهْدَ أَيْتِنَهُمْ» في (المائدة)؛ وإنما حلفوا على ما اقترحوا من الآيات، كقولهم: «لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَقْدِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلُوعاً» [الإسراء: ٩٠].

قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» أي: هو القادر على الإتيان بها دون أحد من خلقه. «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا» أي: يدريكم أنها. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وخلف في اختياره: بكسر الالف، فعلى هذه القراءة يكون الخطاب بقوله: «يشعركم» للمشركين، ويكون تمام الكلام عند قوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» ويكون المعنى: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت؟ وتكون «إنها» مكسورة على الاستئناف والإخبار عن حالهم. وقال أبو علي: التقدير: وما يُشْعِرُكُمْ إيمانهم؟ فحذف المفعول. والمعنى: لوجأت الآية التي اقترحوها، لم يؤمنوا. فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا»؛ فقلت: ما معناها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع؛ إنما قال: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» ثم ابتدأ فأوجب، فقال: «إنها إذا جاءت لا يؤمنون» ولو قال: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ»؛ كان ذلك عذراً لهم. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، وحزمة، والكسائي: «أنها»، بفتح الالف؛ فعلى هذا، المخاطب بقوله: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» رسول الله ﷺ وأصحابه؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: وما يدريكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. وفي قراءة أبي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. والعرب تجعل «أن» بمعنى «لعل». يقولون: اتت السرق أنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك. قال عدي بن زيد:

أَعَاذُ مَا يُشْعِرُكَ أَنَّ مَنِيَّتِي

إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى عَدِي<sup>(٢)</sup>

أي: لعل منيتي. وإلى هذا المعنى ذهب الخليل، وسيبويه، والفراء في توجيه هذه القراءة. والثاني: أن المعنى: وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون، وتكون «لا» صلة؛ كقوله تعالى: «قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا أَنْتَ إِذْ أَنْتَكَ» [الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: «وَحَكْرُكُمْ عَلَى قَرْبَةٍ أَفَلَا تَكْتَفَهُمْ أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» [الأنبياء: ٩٥] ذكره الفراء ورده الزجاج واختار الأول. والأكثرون على قراءة: «يؤمنون» بالياء؛ منهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم؛ وقرأ ابن عامر، وحزمة، بالتاء، على الخطاب للمشركين. قال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأن الذين أقسموا غيب، ومن قرأ بالتاء، فهو انصراف من الغيبة إلى الخطاب.

«وَتَقَلَّبَ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ كَمَا رَأَوْا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوْلَ سَرُورٍ وَنَذَرُهم فِي طُغْيَانِهِمْ يَمْهَرُونَ»

قوله تعالى: «وَتَقَلَّبَ أَيْدِيَهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ» التقلب: تحويل الشيء عن وجهه. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لو أنيئناهم بآية كما سألوا، لقلبنا أفدتهم وأبصارهم عن الإيمان بها، وحلنا بينهم وبين الهدى، فلم يؤمنوا كما لم يؤمنوا بما رأوا قبلها، عقوبة لهم على ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه جواب لسؤالهم في الآخرة الرجوع إلى الدنيا؛ فالمعنى: لو ردوا لحلنا بينهم وبين الهدى كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا، روى هذا المعنى ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: وتقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان بالآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات، قاله مقاتل. والرابع: أن ذلك التقلب

(١) «الطبري» ٣٨/١٢، وقال ابن كثير بعد أن أورده: وهذا مرسل، وله شواهد من وجوه آخر.

(٢) «جمهرة أشعار العرب» ١٧٩، و«الشعر والشعراء» ١٧٨/١، و«اللسان» أن، وغيرها، من قصيدة له حكيمة.

في النار عقوبة لهم، ذكره الماوردي. وفي هاء «به» أربعة أقوال: أحدها: أنها كناية عن القرآن. والثاني: عن النبي ﷺ. والثالث: عما ظهر من الآيات. والرابع: عن التقلب. وفي المراد بـ «أول مرة» ثلاثة أقوال: أحدها: أن المرة الأولى: دار الدنيا. والثاني: أنها معجزات الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم. والثالث: أنها صرف قلوبهم عن الإيمان قبل نزول الآيات أن لو نزلت. والطغيان والعمه المذكوران في سورة (البقرة).

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْكَلْبُكَةُ وَكَلَّمَهُمُ النَّوْكَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا يَلْزَمُونَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمُ يَجهِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَّنا إِلَيْهِمُ الْكَلْبُكَةُ﴾ سبب نزولها: أن المستهزئين أتوا رسول الله ﷺ في رهط من أهل مكة، فقالوا له: ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم: أحق ما تقول، أم باطل؟ أو أرننا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله، أو اثنتا بالله والملائكة قبلاً، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صلح عن ابن عباس. ومعنى الآية: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما سألوا، وكلمهم الموتى، فشهدوا لك بالنبوة ﴿وَحَشَرْنَا﴾ أي: جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ كَانُوا يَلْزَمُونَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فأخبر أن وقوع الإيمان بمشيئته، لا كما ظنوا أنهم متى شأوا آمنوا، ومتى شأوا لم يؤمنوا. فاما قوله: ﴿وَقَبْلًا﴾، فقرأ ابن عامر، ونافع: بكسر القاف وفتح الباء. قال ابن قتيبة: معناها: معاينة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: ﴿قَبْلًا﴾ بضم القاف والياء. وفي معناها، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جمع قبيل، وهو الضَّنْفُ، فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً قبلاً، قاله مجاهد، واختاره أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه جمع قبيل أيضاً، إلا أنه: الكفيل، فالمعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فكفَّلَ بصحة ما تقول، اختاره الفراء، وعليه اعتراض، وهو أن يقال: إذا لم يؤمنوا بإتزال الملائكة، وتكليم الموتى، فلأن لا يؤمنوا بالكفالة التي هي قول، أولى. فالجواب: أنه لو كَفَّلْتَ الأشياء المحشورة، فنطق ما لم ينطق، كان ذلك آية بينة. والثالث: أنه بمعنى المقابل، فيكون المعنى: وحشرنا عليهم كل شيء، فقابلهم، قاله ابن زيد. قال أبو زيد: يقال: لقيت فلاناً قَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا وقَبْلًا ومقابلة، وكله واحد، وهو للمواجهة. قال أبو علي: فالمعنى في القرآن - على ما قاله أبو زيد - واحد، وإن اختلفت الألفاظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمُ يَجهِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يجهلون أن الأشياء لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى. والثاني: أنهم يجهلون أنهم لو أتوا بكل آية ما آمنوا.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ أي: وكما جعلنا لك ولأمتك شياطين الإنس والجن أعداء، كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وأمهم؛ والمعنى: كم ابتليناك بالأعداء، ابتلينا مَنْ قبلك، ليعظم الثواب عند الصبر على الأذى. قال الزجاج: «عدو»: في معنى أعداء، و «شياطين الإنس والجن»: منصوب على البدل من «عدو»، ومفسر له؛ ويجوز أن يكون: «عدو» منصوب على أنه مفعول ثان، المعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداءً لأمهم. وفي شياطين الإنس والجن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مردة الإنس والجن، قاله الحسن، وقادة. والثاني: أن شياطين الإنس: الذين مع الإنس، وشياطين الجن: الذين مع الجن، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أن شياطين الإنس والجن: كفارهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿يُوحِي﴾ أصل الوحي: الإعلام والدلالة بستر وإخفاء. وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: يأمر. والثاني: يوسوس. والثالث: يشير. وأما ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾، فهو ما زُيِّنَ منه، وحُسِّنَ، وموَّه، وأصل الزخرف: الذهب. قال أبو عبيدة: كل شيء حُسِّنَتْ وزَيَّنَتْ وهو باطل، فهو زخرف. وقال الزجاج: «الزخرف» في اللغة: الزينة؛ فالمعنى: أن بعضهم يزَيِّنُ لبعض الأفعال القبيحة؛ و «غُرُورًا» منصوب على المصدر؛ وهذا المصدر محمول على المعنى، لأن معنى إيناء الزخرف من القول: معنى الغرور، فكانه قال: يَغُرُّونَ غُرُورًا. وقال

ابن عباس: ﴿رُحِرَ الْقَوْلُ غُرُوبًا﴾: الأماني بالباطل. قال مقاتل: وَكَلَّ إبليسُ بالإنسِ شياطينَ يُضِلُّونَهُمْ، فإذا التقى شيطان الإنسِ بشيطان الجن، قال أحدهما لصاحبه: إني أضللت صاحبي بكذا وكذا، فأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك وحي بعضهم إلى بعض. وقال غيره: إن المؤمن إذا أعى شيطانه، ذهب إلى متعبد من الإنس، وهو شيطان الإنس، فأغراه بالمؤمن كيفته. وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين. وقال مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، لأنني إذا تعوذت من ذاك ذهب عني، وهذا يجُرُّني إلى المعاصي عياناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الوسوسة. والثاني: ترجع إلى الكفر. والثالث: إلى الغرور، وأذى النسيان.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ قال مقاتل: يريد كفار مكة وما يفترون من الكذب. وقال غيره: فذر المشركين وما يخاصمونك به مما يوحي إليهم أولياهم، وما يختلقون من كذب، وهذا القدر من هذه الآية منسوخ بآية السيف.

﴿وَلَيَقْنَعَنَّ آلِيَهُ آفِئْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَقْنَعُوا مَا هُمْ مُقْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيَقْنَعَنَّ آلِيَهُ﴾ أي: ولتبل؛ والهاء: كناية عن الزخرف والغرور. والأفئدة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة. قال ابن الأنباري: فعلنا بهم ذلك لكي تصغي إلى الباطل آفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة، و(وليبرضوا) الباطل، ﴿وَلَيَقْنَعُوا﴾ أي: ليكتسبوا، وليعلموا ما هم عاملون.

﴿أَفَتَعْتَبِرُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ حُكْمٍ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ

لَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْهَوِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَتَعْتَبِرُ اللَّهُ ابْتِغَاءَ حُكْمٍ﴾ سبب نزولها: أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً، إن شئت من أحبار اليهود، وإن شئت من أحبار النصارى، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك، فنزلت هذه الآية، ذكره الماوردي. فاما الحكم، فهو بمعنى الحاكم؛ والمعنى: أفغير الله أطلب قاضياً بيني وبينكم؟! و«الكتاب»: القرآن، و«المفصل»: المبين الذي بان فيه الحق من الباطل، والأمر من النهي، والحلال من الحرام. ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: علماء أهل الكتابين، قاله الجمهور. والثاني: رؤساء أصحاب النبي محمد ﷺ، كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأشباههم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ﴾ قرأ ابن عمر، وحفص عن عاصم: «منزل» بالتشديد؛ وخففها الباقون.

﴿وَوَكَّتَ كَيْفَ رَّبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَكَّتَ كَيْفَ رَّبِّكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «كلمات» على الجمع؛ وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب: «كلمة» على التوحيد؛ وقد ذكرت العرب الكلمة، وأرادت الكثرة؛ يقولون: قال قس في كلمته، أي: في خطبته، وزهير في كلمته، أي: في قصيدته. وفي المراد بهذه الكلمات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، قاله قتادة. والثاني: أقضيته وعداته. والثالث: وعده ووعيده، وثوابه وعقابه. وفي قوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قولان: أحدهما: صدقاً فيما أخبر، وعدلاً فيما قضى وقدر. والثاني: صدقاً فيما وعد وأوعد، وعدلاً فيما أمر ونهى. وفي قوله: ﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ قولان: أحدهما: لا يقدر المقترنون على الزيادة فيها والنقصان منها. والثاني: لا خلف لمواعيده، ولا مغير لحكمه.

﴿وَلَنْ تُلَاقَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَكْفُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَنْ تُلَاقَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ سبب نزولها: أن الكفار قالوا للمسلمين: أنا نأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ فنزلت هذه الآية، ذكره الفراء. والمراد بـ ﴿أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: الكفار. وفي ماذا يطعمهم؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أكل الميتة. والثاني: في أكل ما ذبحوا للأصنام. والثالث: في عبادة الأوثان. والرابع: في اتباع ملل الآباء؛ و«سبيل الله»: دينه. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿يَخْرُصُونَ﴾: يحسدون ويوقعون؛ ومنه قيل



للحازر: خارص. فإن قيل: كيف يجوز تعذيب من هو على ظنٍّ من شركه، وليس على يقين من كفره؟! فالجواب: أنهم لما تركوا التماس الحجة، واتبعوا أهواءهم، واقتصروا على الظن والجهل، عُذِّبوا، ذكره الزجاج.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَخْلَعُ عَنْ سَيْبِلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَرِينَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَخْلَعُ عَنْ سَيْبِلِهِ﴾ قال الزجاج: موضع «مَنْ» رفع بالابتداء، ولفظها لفظ الاستفهام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يَفضِّل عن سبيله. وقرأ الحسن: «مَنْ يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، وهي رواية ابن أبي شريح. قال أبو سليمان: ومقصود الآية: لا تلتفت إلى قسم من أقسم أنه يؤمن عند مجيء الآيات، فلن يؤمن إلا من سبق له القدر بالإيمان.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما حرم الميتة، قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم، يريدون الميتة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا أَخْطَرْتُمْ إِيَّاهُ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاهِهِمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِ إِنْ رَّبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَرِينَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا؟ وموضع «أن» نصب، لأن «في» سقطت، فوصل المعنى إلى «أن» فنصبها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «فُصِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم» مرفوعتان؛ وقرأ نافع، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «فُصِّلَ بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بفتح الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فُصِّلَ بفتح الفاء، «ما حُرِّمَ» بضم الحاء. قال الزجاج: أي: فُصِّلَ لكم الحلال من الحرام، وأحل لكم في الاضطرار ما حُرِّم. وقال سعيد بن جبيرة: فُصِّلَ لكم ما حُرِّمَ عليكم، يعني: ما بُيِّنَ في (المائدة) من الميتة، والدم، إلى آخر الآية. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاهِهِمْ﴾ يعني: مشركي العرب يضلون في أمر الذبائح وغيره. قرأ ابن كثير. وأبو عمرو: «لَيُضِلُّونَ»، وفي (يونس: ٨٨): «وَرَبَّنَا لَيُضِلُّوا» وفي (إبراهيم: ٣٠): «أَنْدَادًا لَيُضِلُّوا» وفي (الحج: ٩): «ثَانِي عَظْمِهِ لَيُضِلُّ» وفي (النمل: ٦٦): «لَيُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرُ عِلْمُ» وفي (الزمر: ٤٨): «أَنْدَادًا لَيُضِلُّ» بفتح الياء في هذه المواضع الستة؛ وضمهن عاصم، وحمزة، والكسائي. وقرأ نافع، وابن عامر: «لَيُضِلُّونَ بأهوائهم». وفي (يونس): «لَيُضِلُّوا» بالفتح؛ وضمًا<sup>(١)</sup> الأربعة الباقية. فمن فتح، أراد: أنهم هم الذين ضلوا؛ ومن ضم، أراد: أنهم أضلوا غيرهم، وذلك أبلغ في الضلال، لأن كل مُضِلٌّ ضَالٌّ وليس كل ضَالٍّ مُضِلٌّ.

﴿وَذَرُوا ظُلُمَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الْأَثَرِ يَكْسِبُونَ الْأَثَمَ سَجَرُونَ مِمَّا كَانُوا يَقْرَأُونَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظُلُمَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ﴾ في الإثم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الزنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ فعلى هذا، في ظاهره وباطنه قولان: أحدهما: أن ظاهره: الإعلان به، وباطنه: الاستسار؛ قاله الضحاك، والسدي. قال الضحاك: وكانوا يرون الاستسار بالزنا خلافاً. والثاني: أن ظاهره نكاح المحرمات، كالأمهات، والبنات، وما نكح الآباء. وباطنه: الزنا، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه عام في كل إثم. والمعنى: ذروا المعاصي، سرًّا وعلانيتها؛ وهذا مذهب أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: ذروا الإثم من جميع جهاته. والثالث: أن الإثم: المعصية<sup>(٢)</sup>، إلا أن المراد به هاهنا أمر خاص. قال ابن زيد: ظاهره هاهنا: نزع أثوابهم؛ إذ كانوا يطوفون بالبيت عراةً، وباطنه: الزنا.

(١) أي: نافع، وابن عامر المتقدم ذكرهما.

(٢) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٨٢/٤، ومسلم في «صحيحه» ١٩٨٠/٤ عن النواس بن سميان الأنصاري، قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكهرت أن يُطلع عليه الناس».



﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا تَرَىٰ يُذَكِّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّائَهُمْ لِيجادلوكم ۖ وَإِنَّ الْأَفْئُتُونَ لَكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا تَرَىٰ يُذَكِّرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ سبب نزولها: مجادلة المشركين للمؤمنين في قولهم: أأأكلون مما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله! على ما ذكرنا في سبب قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] هذا قول ابن عباس. وقال عكرمة: كتبت فارس إلى قريش: إن محمداً وأصحابه لا يأكلون ما ذبحه الله، ويأكلون ما ذبحوا لأنفسهم؛ فكتب المشركون إلى أصحاب النبي ﷺ بذلك، فوقع في أنفس ناسٍ من المسلمين من ذلك شيء، فنزلت هذه الآية. وفي المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه الميتة، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه الميتة والمنخقة، إلى قوله: ﴿وَمَا دُيِّعَ عَلَى النَّسَبِ﴾ [المائدة: ٣] روي عن ابن عباس. والثالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء. والرابع: أنه عام فيما لم يسم الله عند ذبحه؛ وإلى هذا المعنى ذهب عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين.

### فصل

فإن تعمّد ترك التسمية، فهل يباح؟ فيه عن أحمد روايتان. وإن تركها ناسياً أبيحت. وقال الشافعي: لا يحرم في الحالين جميعاً. وقال شيخنا علي بن عبيد الله: فإذا قلنا: إن ترك التسمية عمداً يمنع الإباحة، فقد نسخ من هذه الآية ذبائح أهل الكتاب بقوله: ﴿وَمَعْلَمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وعلى قول الشافعي: الآية محكمة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإن أكل ما لم يذكر عليه اسم الله لفسق، أي: خروج عن الحق والدين. وفي المراد بالشیاطين هاهنا قولان: أحدهما: أنهم شياطين الجن، روي عن ابن عباس. والثاني: قوم من أهل فارس، وقد ذكرناه عن عكرمة؛ فعلى الأول: وحيهم الوسوسة، وعلى الثاني: وحيهم الرسالة. والمراد بـ«أوليائهم» الكفار الذين جادلوا رسول الله ﷺ في ترك أكل الميتة. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش. والثاني: اليهود؛ ﴿وَإِنَّ الْأَفْئُتُونَ﴾ في استحلال الميتة ﴿لَكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ ثَوْرًا يَمْشِي بِرُءُوسِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وأبي جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث، وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، فأقبل حتى علا أبا جهل بالقوس، فقال له: أما ترى ما جاء به؟ سقاه عقولنا، وسبب ألهتنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله؟! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر، وأبي جهل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: في عمر بن الخطاب، وأبي جهل، قاله زيد بن أسلم، والضحاك. والرابع: في النبي ﷺ، وأبي جهل، قاله مقاتل. الخامس: أنها عامة في كل مؤمن وكافر، قاله الحسن في آخرين. وفي قوله: ﴿كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قولان: أحدهما: كان ضالاً فهديناه، قاله مجاهد. والثاني: كان جاهلاً، فعلمناه، قاله الماوردي. وقرأ نافع: «مِيثًا» بالشديد. قال أبو عبيدة: الميتة، مخففة: من مَيْتَةٍ، والمعنى واحد. وفي «النور» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الهدى، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، قاله الحسن. والثالث: العلم. وفي قوله: ﴿يَمْشِي بِرُءُوسِهِ فِي النَّاسِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يهتدي به في الناس، قاله مقاتل. والثاني: يمشي به بين الناس إلى الجنة. والثالث: ينشر به دينه في الناس، فبصير كالماشى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿كَانَ مَثَلُهُ﴾ المثل؛ صلة؛ والمعنى: كمن هو في الظلمات. وقيل: المعنى: كمن لو شُبّه بشيء، كان شبيهه من في الظلمات. وقيل: المراد بالظلمات هاهنا: الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مُجْرِمِينَ لِيَسْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْشُرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ أي: وكما زينا للكافرين عملهم، فكذلك جعلنا. في كل قرية أكابر مجرميها، وقيل معناه: وكما جعلنا فساق مكة أكابرها، فكذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها. وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة. وقال ابن قتيبة: تقدير الآية: وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر؛ و«أكابر» لا ينصرف، وهم العظماء.

قوله تعالى: ﴿لِيَسْكُرُوا فِيهَا﴾ قال أبو عبيدة: المكر: الخديعة، والحيلة، والفجور، والغدر، والخلاف. قال ابن عباس: ليقولوا فيها الكذب. قال مجاهد: أجلسوا على كل طريق من طرق مكة أربعة، ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، يقولون للناس: هذا شاعر، وكاهن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْشُرُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: ذلك المكر بهم يحق.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَفَلَا أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيبِطُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَا كَانُوا يَسْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ سبب نزولها: أن أبا جهل قال: زاحمتنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كغرسني وهان، قالوا: مئاً نبي يوحى إليه. والله لا نؤمن به ولا نتبعه أو أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: الهاء والميم تعود على الأكابر الذين جرى ذكرهم. وقال أبو سليمان: تعود على المجادلين في تحريم الميتة. قال مقاتل: والآية: انشقاق القمر، والدخان. قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ قال: حتى يوحى إلينا، ويأتينا جبريل، فيخبرنا أن محمداً صادق. قال الضحاك: سأل كل واحد منهم أن يختص بالرسالة والوحي.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ وقرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم: ﴿رِسَالَتَهُ﴾ بنصب التاء على التوحيد؛ والمعنى: أنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة قال: والله لو كانت النبوة حقاً لكنن أولى بها منك، لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً، فنزل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. وقال أهل المعاني: الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعضهم مطاعين في قومهم، لأن الطعن كان يتوجه عليهم، فيقال: إنما كانوا رؤساء فأتبعوا، فكان الله أعلم حيث جعل الرسالة لبيتم أبي طالب، دون أبي جهل، والوليد، وأكابر مكة.

قوله تعالى: ﴿سِيبِطُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ قال أبو عبيدة: الصغار: أشد الذل. وقال الزجاج: المعنى هم، وإن كانوا أكابر في الدنيا، فسيصيهم صغار عند الله، أي: صغار ثابت لهم عند الله. وجائز أن يكون المعنى: سيصيهم عند الله صغار. وقال الفراء: معناه: صغار من عند الله، فحذفت «من». وقال أبو رزق: صغار في الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة. ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَخْرًا حَرَامًا يَصْعَكُ فِي الْأَشْجَلِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ قال مقاتل: نزلت في رسول الله ﷺ، وأبي جهل.

قوله تعالى: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ قال ابن الأعرابي: الشرح: الفتح. قال ابن قتيبة: ومنه يقال: شرحت لك الأمر، وشرحت اللحم: إذا فتحته. وقال: ابن عباس: «يشرح صدره» أي: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان. وقد روى ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يلقفه الله في القلب، فيفتح القلب». قالوا: فهل لذلك من أمارة؟ قال: «نعم». قيل: وما هي؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله»<sup>(١)</sup>.

(١) «الطبري» ١٠٠/١٢، ١٠١ من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وأورده ابن كثير ١٧٤/٢، بعد أن ذكره من طريق مرسل عن أبي جعفر الهاشمي، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً. وانظر تعليق الأستاذ محمود شاكر على الحديث في «تفسير الطبري» ٩٩/١٢، ١٠٢.

قوله تعالى: ﴿صَٰفِيًّا﴾ قرأ الأكثرون بالتشديد. وقرأ ابن كثير: «صَٰفِيًّا»، وفي [الفرقان: ١٣]: «مَكَانًا صَٰفِيًّا» بتسكين الياء خفيفة. قال أبو علي: الصَّيْق، والصَّيْق: مثل المَيْت، والمَيْت.

قوله تعالى: ﴿حَرَجًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «حَرَجًا» بفتح الراء. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الراء. قال الفراء: وهما لغتان. وكذلك قال يونس بن حبيب النحوي: هما لغتان، إلا أن الفتح أكثر على السنة العرب من الكسر، ومجرهما مجرى الذَّنْف والذَّنْفِيف. وقال الزجاج: الحرج في اللغة: أضيّق الضيق.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَاعِدُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «يَصْعَدُ» بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد من غير ألف. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «يَصَاعِدُ» بتشديد الصاد وبعدها ألف. وقرأ ابن كثير: «يَصْعَدُ» بتخفيف الصاد والعين من غير ألف والصاد ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وطلحة: «تَصْعَدُ» بناء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب: «يتصاعد» بألف وتاء. قال الزجاج: قوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾. و«يَصْعَدُ»، أصله: «يتصاعد»، و«يتصعد»، إلا أن التاء تدغم في الصاد لقربها منها، والمعنى: كأنه كُلف أن يَصْعَدَ إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. ويجوز أن يكون المعنى: كأن قلبه يصعد في السماء بُتُورًا عن الإسلام والحكمة. وقال الفراء: ضاق عليه المذهب، فلم يجد إلا أن يصعد في السماء، وليس يقدر على ذلك. وقال أبو علي: «يَصْعَدُ» و«يَصَاعِدُ»: من المشقة، وصعوبة الشيء، ومنه قول عمر: ما تَصْعَدُنِي شيء كما تصعدتني خطبة النكاح، أي: ما شق عليّ شيء مشقتها.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك. ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. يعني: أن الله يسلطه عليهم. والثاني: أنه المأثم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: أنه العذاب، قاله عطاء، وابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قاله الزجاج. وهذه الآية تقطع كلام القدرية، إذ قد صرحت بأن الهداية والإضلال متعلقة بإرادة الله تعالى.

﴿وَهَٰذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن مسعود. والثاني: التوحيد، قاله ابن عباس. والثالث: ما هو عليه من الدين، قاله عطاء. ومعنى استقامته: أنه يؤدي بسالكه إلى الفوز. قال مكي بن أبي طالب: و«مستقيماً»: نصب على الحال من «صراط»، وهذه الحال يقال لها: الحال المؤكدة، لأن صراط الله، لا يكون إلا مستقيماً، ولم يؤت بها لتفريق بين حالتين، إذ لا يتغير صراط الله عن الاستقامة أبداً، وليست هذه الحال كالحال من قولك: «هذا زيد راكباً»، لأن زيدا قد يخلو من الركوب.

﴿لَمْ دَارُ السَّكْرِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَارُ السَّكْرِ﴾ يعني الجنة. وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها: أن السلام هو الله، وهي داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها دار السلامة التي لا تنقطع، قاله الزجاج. والثالث: أن تحية أهلها فيها السلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، ففي ابتداء دخولهم: ﴿اتَّخَذُوا سَكْرًا﴾ [الحجر: ٤٦]، وبعد استقرارهم: ﴿وَاللَّيْلَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣]، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا سَلَّمَا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٦]، وعند لقاء الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَبِّهِمْ﴾ [آيس: ٢٥٨]، وقوله: ﴿يَمَّحُصُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. ومعنى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونة لهم عنده، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ أي: متولي إيصال المنافع إليهم، ودفع المضار عنهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الطاعات.

﴿يَوْمَ يَمْشُرُهُمْ جِمْمًا يَمْشُرُ الْإِنْسَانَ مِمَّا آمَنَتْ مِنْهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾



قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيمًا﴾ يعني الجن والإنس. وقرأ حفص عن عاصم: «يشحروهم» بالياء. قال أبو سليمان: يعني: المشركين وشياطينهم الذين كانوا يوحون إليهم بالمجادلة لكم فيما حُرِّمَ الله من الميتة.

قوله تعالى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ أَلْفِينَ﴾ فيه إضمار، فيقال لهم: يا معشر؛ والمعشر: الجماعة، أمرهم واحد، والجمع: المعاشر. وقوله: ﴿فَبِمَا أَتَيْنَاكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: من إغوائهم وإضللالهم. ﴿وَقَالَ أُولَئِكَ قَوْمٌ مِنَ الْإِنْسِ﴾ يعني الذين أضلهم الجن. ﴿وَكَيْفَ أَتَيْنَاكُمْ بِغُفَاةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن استمتاع الإنس بالجن: أنهم كانوا إذا سافروا، فتركوا وادياً، وأرادوا ميّتاً، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله؛ واستمتاع الجن بالإنس: أنهم كانوا يفسخون على قومهم، ويقولون: قد سدننا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء. والثاني: أن استمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغفرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي. واستمتاع الإنس بالجن: أن الجن زُيِّنَتْ لهم الأمور التي يهوّونها، وشهّوا إليهم حتى سهل عليهم فعلها، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال محمد بن كعب، والزجاج. والثالث: أن استمتاع الجن بالإنس: إغواؤهم بإيهم. واستمتاع الإنس بالجن: ما يتلقون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك. والمراد بالجن في هذه الآية: الشياطين.

قوله تعالى: ﴿وَبَلَّغْنَا آيَاتِنَا إِلَيْكَ لَنَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: الموت، قاله الحسن، والسدي. والثاني: الحشر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَا تَأْتِي مَوَاقِفُ﴾ قال الزجاج: الموقف: المقام؛ و﴿خَلِيلِينَ﴾ منصوب على الحال. المعنى: النار مقامكم في حال خلود دائم ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هو استثناء من يوم القيامة، والمعنى: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا﴾ مذ يبعثون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من مقدار حشرهم من قبورهم، ومدتهم في محاسبتهم. ويجوز أن تكون ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يزيدهم من العذاب. وقال بعضهم: إلا ما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب؛ وقيل في هذا غير قول، ستجدها مشروحة في (هود) إن شاء الله.

﴿وَكَذَلِكَ قَوْلِي بَعْضَ الْفَلَّاحِينَ بَعْثًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ قَوْلِي بَعْضَ الْفَلَّاحِينَ بَعْثًا﴾ في معناه أربعة أقوال: أحدها: نجعل بعضهم أولياء بعض، رواه سعيد عن قتادة. والثاني: نُثَبِّعُ بعضهم بعضاً في النار بأعمالهم من الموالاة، وهي المتابعة، رواه معمر عن قتادة. والثالث: نسلط بعضهم على بعض، قاله ابن زيد. والرابع: نكل بعضهم إلى بعض ولا نعينهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من المعاصي.

﴿يَتَمَتَّعُونَ أَلْفِينَ وَالْإِنْسِ أَلْفَ يَأْتِيكُمْ رُسُلٌ يَنْصُرُونَ عَلَيْكُمْ ءَاتِيَنِي وَتُؤَدُّنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِمَيَّةٍ دُونِهَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَمَتَّعُونَ أَلْفِينَ وَالْإِنْسِ أَلْفَ يَأْتِيكُمْ﴾ قرأ الحسن، وقاتدة: «تأتكم» بالياء، ﴿رُسُلٌ يَنْصُرُونَ﴾ واختلفوا في الرسالة إلى الجن على أربعة أقوال: أحدها: أن الرسل كانت تبعث إلى الإنس خاصة، وأن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الإنس والجن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رسل الجن، هم الذين سمعوا القرآن، فوَلَّوْا إلى قومهم مننرين، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال مجاهد: الرسل من الإنس، والنور من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل، فيبلغون الجن ما سمعوا. والثالث: أن الله تعالى بعث إليهم رسلاً منهم، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم، قاله الضحاك، ومقاتل، وأبو سليمان، وهو ظاهر الكلام. والرابع: أن الله تعالى لم يبعث إليهم رسلاً منهم، وإنما جاءتهم رسل الإنس، قاله ابن جريج، والفراء، والزجاج. قالوا: ولا يكون الجمع في قوله: ﴿أَلْفَ يَأْتِيكُمْ رُسُلٌ يَنْصُرُونَ﴾ مانعاً أن تكون الرسل من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْقَوْلُ وَالْتَّرَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما هو خارج من الملح وحده. وفي دخول الجن الجنة إذا آمنوا قولان: أحدهما: يدخلونها، ويأكلون ويشربون، قاله الضحاك. والثاني: أن ثوابهم أن يجاروا من النار ويصيروا تراباً، رواه سفيان عن ليث.

قوله تعالى: ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَاتِيَنِي﴾ أي: يقرؤون عليكم كتيب. ﴿وَتُؤَدُّنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يخوفونكم بيوم القيامة. وفي



قوله: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ قولان: أحدهما: أقرنا على أنفسنا بإنذار الرسل لنا. والثاني: شهد بعضنا على بعض بإنذار الرسل إياهم. ثم أخبرنا الله تعالى بحالهم، فقال: ﴿وَعَزَّزْنَاهُمْ بِحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بزيئها، وإمهالهم فيها. ﴿وَنَسْتَدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أقرنا أنهم كانوا في الدنيا كافرين. وقال مقاتل: ذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر.

﴿وَلَاكُمُ الدَّرَجَاتُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَاكُمُ الدَّرَجَاتُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال الزجاج: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل، وأمر عذاب من كذب، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لا يهلككم حتى يبعث إليهم رسولا. قال ابن عباس: «بظلم» أي: بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يأتهم رسول.

﴿وَلَاكُمُ الدَّرَجَاتُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَاكُمُ الدَّرَجَاتُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات، أي: منازل يبلغها بعمله، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشرأ. وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط، كتفاضل الدرج.

قوله تعالى: ﴿وَلَاكُمُ الدَّرَجَاتُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قرأ الجمهور بالياء؛ وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إن ينشأ بذيبتكم ويستخلف من بديكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قومه، أخرت ﴿إِنَّكَ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ يريد: الغني عن خلقه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ قال ابن عباس: بأوليائه وأهل طاعته. وقال غيره: بالكل. ومن رحمته تأخير الانتقام من المخالفين. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك؛ وقيل: هذا الوعيد لأهل مكة؛ ﴿وَيَسْتَخْلَفُ مِنْ بَدِيلِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ﴾ أي: ابتدأكم ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مُّؤَخَّرِينَ﴾ يعني: آباءهم الماضين. ﴿إِنَّكَ مَا تُوعَدُونَ﴾ به من مجيء الساعة والحشر ﴿لَآتٍ وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ﴾ أي: بفائتين. قال أبو عبيدة: يقال: أعجزني كذا، أي: فاتني وسبقني.

﴿قُلْ يَقَوْمِ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ غَافِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَمَلِكُمْ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «مكاناتكم» على الجمع. قال ابن قتيبة: أي: على موضعكم، يقال: مكان ومكانة، ومنزل ومنزلة. وقال الزجاج: اعملوا على تمسكنكم. قال: ويجوز أن يكون المعنى: اعملوا على ما أنتم عليه. تقول للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: كن على مكانتك.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي عامل ما أمرني به ربي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «تكون» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء. وكذلك خلافهم في [القصص: ١٢٧]، ووجه التأنيث، اللفظ، ووجه التذكير، أنه ليس بتأنيث حقيقي. وعاقبة الدار: الجنة. والظالمون هاهنا: المشركون. فإن قيل: ظاهر هذه الآية أمرهم بالإقامة على ما هم عليه، وذلك لا يجوز. فالجواب: أن معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد؛ فكانه قال: أقيموا على ما أنتم عليه، إن رضيتم بالعذاب، قاله الزجاج.

## فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أن المراد بها التهديد؛ فعلى هذا هي محكمة. والثاني: أن المراد بها ترك القتال؛ فعلى هذا هي منسوخة بآية السيف.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَّا شُكْرُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ قال ابن قتيبة: ذراً، بمعنى خلق. ﴿وَمِنَ الْحَرْثِ﴾ وهو الزرع. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم. وكانوا إذا زرعوا، خطوا خطأ، فقالوا: هذا لله، وهذا لآلهتنا، فإذا حصدوا ما

جعلوه لله، فوقع منه شيء فيما جعلوه لألهتهم، تركوه وقالوا: هي إليه محتاجة؛ وإذا حصدوا ما جعلوه لألهتهم، فوقع منه شيء في مال الله، أعاده إلى موضعه. وكانوا يجعلون من الأنعام شيئاً لله؛ فإذا ولدت إنانها ميتاً أكلوه، وإذا ولدت أنعام ألهتهم ميتاً عظموه فلم يأكلوه. وقال الزجاج: معنى الآية: وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، جعلوا لشركائهم نصيباً، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ رَبِّنَاهُمْ هَذَا إِلَهُ رَبِّكَ﴾، فدل بالإشارة إلى النصيبين على نصيب الشركاء؛ وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزك ما لشركائهم، ردوا الزاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غني؛ وإذا زكا ما للأصنام، ولم يزك ما لله، أقروه على ما به. قال المفسرون: وكانوا يصرفون ما جعلوا لله إلى الضيفان والمساكين. فمعنى قوله: ﴿فَلَا يَحِلُّ لَكَ اللَّهُ﴾ أي: إلى هؤلاء. ويصرفون نصيب ألهتهم في الزرع إلى النفقة على خدامها. فأما نصيبها في الأنعام، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضاً. والثاني: أنهم كانوا يتقربون به، فيذبحونه لها. والثالث: أنه البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وقال الحسن: كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه، وإذا هلك ما لله لم يغرموه. وقال ابن زيد: كانوا لا يأكلون ما جعلوه لله حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم، ولا يذكرون الله على ما جعلوه للأوثان. فأما قوله: «بزعهم» فقرأ الجمهور: بفتح الزاي، وقرأ الكسائي، والأعشى: بضمها. وفي الزعم ثلاث لغات ضم الزاي، وفتحها، وكسرهما. ومثله: السَّقَط، والسَّقَط، والسَّقَط؛ والفَتَك، والفَتَك، والفَتَك؛ والرَّعْم، والرَّعْم، والرَّعْم. قال الفراء: فتح الزاي في الرَّعْم، لأهل الحجاز؛ وضمها لأسد؛ وكسرهما بعض قيس فيما يحكي الكسائي.

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُزْهِقُوهُمْ وَلِيَكْلَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا فَعَدَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح فيما قسموا بالجهل زَيْن. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون «وكذلك» مستأنفاً، غير مشار به إلى ما قبله؛ فيكون المعنى: وهكذا زَيْن. وقرأه الجمهور: «زَيْن» بفتح الزاي والياء، ونصب اللام من «زَيْن»، وكسر الدال من «أولادهم»، ورفع «الشركاء»؛ وجه هذه القراءة ظاهر. وقرأ ابن عامر؛ بضم زاي «زَيْن»، ورفع اللام [من «قتل»]، ونصب الدال من «أولادهم»، وخفض «الشركاء». قال أبو علي: ومعناها: قتل شركائهم أولادهم؛ ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح، قليل في الاستعمال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «زَيْن» بالرفع، «قتل» بالرفع أيضاً، «أولادهم» بالجر، «شركائهم» رفعاً. قال الفراء: زَعَّ القتل إذ لم يسم فاعله؛ ورفع الشركاء بفعل نواه، كأنه قال: زَيْنَ لهم شركائهم. وكذلك قال سيبويه في هذه القراءة: قال: كأنه قيل: مَنْ زَيْنُهُ؟ فقال: شركائهم. قال مكي بن أبي طالب: وقد روي عن ابن عامر أيضاً أنه قرأ بضم الزاي، ورفع اللام، وخفض الأولاد والشركاء؛ فيصير الشركاء اسماً للأولاد، لمشاركتهم للأباء في النسب والميراث والدين. وللمفسرين في المراد بشركائهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: شركائهم في الشرك، قاله قتادة. والثالث: قوم كانوا يخدمون الأوثان، قاله الفراء، والزجاج. والرابع: أنهم الثَّوَاة من الناس، ذكره الماوردي. وإنما أضيف الشركاء إليهم، لأنهم هم الذين اختلقوا ذلك وزعموه. وفي الذي زَيْنُوهُم لهم من قتل أولادهم قولان: أحدهما: أنه وأد البنات أخياء خيفة الفقر، قاله مجاهد. والثاني: أنه كان يحلف أحدهم أنه إن ولد له كذا وكذا غلاماً أن ينحر أحدهم، كما حلف عبد المطلب في نحر عبد الله، قاله ابن السائب، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿لِيُزْهِقُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم. وفي هذه اللام قولان: أحدهما: أنها لام «كي». والثاني: أنها لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ [القصص: ٨] أي: آل أمرهم إلى الردى، لا أنهم قصدوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَكْلَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ أي: ليخلطوا. قال ابن عباس: ليَدْخُلُوا عليهم الشك في دينهم؛ وكانوا على دين إسماعيل، فرجعوا عنه بتزيين الشياطين.

قوله تعالى: ﴿فَعَدَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية إذا دفنوا بناتهم قالوا: إن الله أمرنا بذلك؛

فقال: ﴿فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي؛ يكذبون؛ وهذا تهديد ووعيد، فهو محكم. وقال قوم: مقصوده ترك قتالهم، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْتُمْ وَحَرَّتْ جَنَّتُ لَا يَطْمَعُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ رِيعِيهِمْ وَأَنْتُمْ حَرِمْتُمْ ظُهُورَهَا وَأَنْتُمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا اقْتِرَاءَ عَلَيْهِمْ سَبْعِينَ مَرَّةً قَالُوا يَفْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْتُمْ وَحَرَّتْ جَنَّتُ﴾ الحرث: الزرع، والحجر: الحرام؛ والمعنى: أنهم حرّموا أنعاماً وحرثاً جعلوه لأصنامهم. قال ابن قتيبة: وإنما قيل للحرام: حجر، لأنه حُجر على الناس أن يصبوه. وقرأ الحسن، وقتادة: «حُجر» بضم الحاء. قال الفراء: يقال: حُجر، وحُجر، بكسر الحاء وضمها؛ وهي في قراءة ابن مسعود: «حرج»، مثل: «جذب» و«جبد». وفي هذه الأنعام التي جعلوها للأصنام قولان: أحدهما: أنها البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. والثاني: أنها الذبائح التي للأوثان؛ وقد سبق ذكرهما.

قوله تعالى: ﴿لَا يَطْمَعُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ﴾ هو كقولك: لا يذوقها إلا من نريد. وفيمن أطلقوا له تناولها قولان: أحدهما: أنهم منعوا منها النساء، وجعلوها للرجال، قالها ابن السائب. والثاني: عكسه، قاله ابن زيد. قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة فيه ولا برهان. وفي قوله: ﴿وَأَنْتُمْ حَرِمْتُمْ ظُهُورَهَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحام، قاله ابن عباس. والثاني: البحيرة، كانوا لا يحجّون عليها، قاله أبو وائل. والثالث: البحيرة، والسائبة، والحام، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ هي قربان ألّهتهم، يذكرون عليها اسم الأوثان خاصة. وقال أبو وائل: هي التي كانوا لا يحجّون عليها؛ وقد ذكرنا هذا عنه في قوله: ﴿حَرِمْتُمْ ظُهُورَهَا﴾، فعلى قوله؛ الصفتان لموصوف واحد. وقال مجاهد: كان من إلبهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها في شيء؛ لا إن ركبوا، ولا إن حملوا، ولا إن حلبوا، ولا إن تيجوا. وفي قوله: ﴿أَفْوَرَةً عَلَى اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن ذكر أسماء أوثانهم وترك ذكر الله، هو الافتراء. والثاني: أن إضافتهم ذلك إلى الله تعالى، هو الافتراء؛ لأنهم كانوا يقولون: هو حرم ذلك.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمَعَهُمْ عَلَىٰ آثَرِ رَبِّكَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني بالأنعام: المحرمات عندهم، من البحيرة، والسائبة، والوصيلة. وللمفسرين في المراد بما في بطونها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللبن، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: الأجنّة، قاله مجاهد. والثالث: الولد واللبن، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ الجمهور: «خالصة» على لفظ التانيث. وفيها أربعة أوجه: أحدها: أنه إنما أنثت، لأن الأنعام مؤنثة، وما في بطونها مثلها، قاله الفراء. والثاني: أن معنى «ما» التانيث، لأنها في معنى الجماعة؛ فكانه قال: جماعة ما في بطون هذه الأنعام خالصة، قاله الزجاج. والثالث: أن الهاء دخلت للمبالغة في الوصف، كما قالوا: «علامة» و«نسابة». والرابع: أنه أجري مجرى المصادر التي تكون بلفظ التانيث عن الأسماء المذكرة، كقولك: عطاؤك عافية، والرخص نعمة، ذكرهما ابن الأنباري. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «خالص» بالرفع، من غير هاء. قال الفراء: وإنما ذكر لتذكير «ما». وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، وابن يعمر: «خالصة» برفع الصاد والهاء على ضمير مذكّر، قال الزجاج: والمعنى: ما خلص حياً. وقرأ قتادة: «خالصة» بالنصب. فأما الذكور، فهم الرجال، والأزواج: النساء.

قوله تعالى: ﴿وَأِنْ يَكُنْ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ قرأ الأكثرون: «يكن» بالياء، «ميتة» بالنصب؛ وذلك مردود على لفظ «ما». المعنى وإن يكن ما في بطون هذه الأنعام ميتة. وقرأ ابن كثير: «يكن» بالياء، «ميتة» بالرفع. وافقه ابن عامر في رفع الميتة، غير أنه قرأ: «تكن» بالتاء. والمعنى: وإن تحدث وتقع، فجعل «كان»: تامة لا تحتاج إلى خبر. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «تكن» بالتاء، «ميتة» بالنصب. والمعنى: وإن تكن الأنعام التي في البطون ميتة.



قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءٌ﴾ يعني الرجال والنساء. ﴿سَيَبْرِيهِمْ وَصَفَهُمْ﴾ قال الزجاج: أراد جزاء وصفهم الذي هو كذب.

﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾<sup>(١٤٠)</sup>  
قوله تعالى: ﴿قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قتلوا» بالتشديد. قال ابن عباس: نزلت في ربيعة، ومضر، والذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء في الجاهلية من العرب. وقال قتادة: كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم بنته مخافة السبي والفاقة، ويغذو كلبه. وقال الزجاج: وقوله: «سفهًا» منصوب على معنى اللام، تقديره: للسفه؛ تقول: فعلت ذلك حذر الشر. وقرأ ابن السميع، والجحدري، ومعاذ القاري: «سفهاء» برفع السين وفتح الفاء والهاء وبالمدة وبالنصب والهمز.

قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: كانوا يفعلون ذلك للسفه من غير أن أتاهم علم في ذلك، وحرموا ما رزقهم الله من الأنعام والحراث، وزعموا أن الله أمرهم بذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُغْتَلًّا أَكْلِهَا وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاحَ مُتَشَكِّبَةً مَّا كَانَ مِنْ شَرِّهِمْ إِذَا أَتَمَرُوا وَمَا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا يَخْشَوْنَ لَكُمْ يَوْمَ تَبُوحُ السَّيْرِينَ﴾<sup>(١٤١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض، فانتشر ما يعرّش، كالكرم، والقرع، والبطيخ؛ وغير معروشات: ما قام على ساق، كالنخل، والزروع، وسائر الأشجار. والثاني: أن المعروشات: ما أنبت الناس؛ وغير معروشات: ما خرج في البراري والجبال من الثمار، روي عن ابن عباس. والثالث: أن المعروشات، وغير المعروشات: الكرم، منه ما عرّش، ومنه ما لم يعرّش، قاله الضحاك. والرابع: أن المعروشات: الكروم التي قد عرّش عنها، وغير المعروشات: سائر الشجر التي لا تعرّش، قاله أبو عبيدة. والأكل: الثمر. ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَاحَ مُتَشَكِّبَةً﴾، قد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ هذا أمر بإباحة؛ وقيل: إنما قدّم الأكل لينهى عن فعل الجاهلية في زروعهم من تحريم بعضها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وهي لغة أهل نجد، وتميم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، والكسائي: بكسرهما، وهي لغة أهل الحجاز، ذكره الفراء. وفي المراد بهذا الحق قولان: أحدهما: أنه الزكاة، روي عن أنس بن مالك، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، وطاووس، وجابر بن زيد، وابن الحنفية، وقاتدة في آخرين؛ فعلى هذا، الآية محكمة. والثاني: أنه حق غير الزكاة فرض يوم الحصاد، وهو إطعام من حضر، وترك ما سقط من الزرع والثمر، قاله عطاء، ومجاهد. وهل نسخ ذلك، أم لا؟ إن قلنا: إنه أمر وجوب، فهو منسوخ بالزكاة؛ وإن قلنا: إنه أمر استحباب، فهو باقٍ الحكم. فإن قيل: هل يجب إيتاء الحق يوم الحصاد؟ فالجواب: إن قلنا: إنه إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد؛ وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما الزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج؛ إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد، فيؤخر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف. والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للإيتاء؛ فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية. والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه؛ إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى. وفي قوله: ﴿وَمَا شَرُّوا﴾ ستة أقوال: أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يُجحف به، قاله أبو العالية، وابن جريج. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئاً، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ﴿وَمَا شَرُّوا﴾ لَكُمْ لَا يُحِبُّ الشَّرِيفُ. والثاني: أن الإسراف: منع الصدقة الواجبة، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أنه



الإِنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزهري. والرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطية العوفي، وابن السائب. والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة، قاله ابن زيد. والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة، قاله ابن بحر.

﴿وَمِنَ الْأَمْثَلِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كَلُوا مِنَّا رَزَقُكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَعْنِيَةُ أَرْوَجُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَمْثَلِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا﴾ هذا نسق على ما قبله؛ والمعنى: أنشأ جثات، وأنشأ حملة وفرساً. وفي ذلك خمسة أقوال: أحدها: أن الحمولة: ما حل من الإبل، والفرش: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: أن الحمولة: ما انتفعت بظهورها، والفرش: الراعية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن الحمولة: الإبل، والخليل، والبغال، والحمير، وكل شيء يُحْمَلُ عليه. والفرش: الغنم: رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: الحمولة: من الإبل، والفرش: من الغنم، قاله الضحاك. والخامس: الحمولة: الإبل والبقر. والفرش: الغنم وما لا يحمل عليه من الإبل، قاله قتادة. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «حمولة» بضم الحاء.

قوله تعالى: ﴿كَلُوا مِنَّا رَزَقُكُمْ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا تحرموا ما حرمت مما جرى ذكره: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريقه. قال: وقوله: ﴿تَعْنِيَةُ أَرْوَجُ﴾ بدل من قوله: ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَسًا﴾. والزوج، في اللغة: الواحد الذي يكون معه آخر. قال المصنف؛ وهذا كلام يفتقر إلى تمام، وهو أن يقال: الزوج: ما كان معه آخر من جنسه، فحيث يقال لكل واحد منهما: زوج.

﴿وَمِنَ الْفَكَائِ أُنْثَى وَمِنَ الْمَعَزِ أُنْثَى قُلْ لِلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَرِ الْأُنْثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنْثَيْنِ يَتَوْنِي بِمِثْلِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أُنْثَى وَمِنَ الْبَقَرِ أُنْثَى قُلْ لِلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَرِ الْأُنْثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ مَسَّكُمُ اللَّهُ يَهْدِيًا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُغْوِي النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْفَكَائِ أُنْثَى﴾ الضأن: ذوات الصوف من الغنم، والمعز: ذوات الشعر منها. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «المعز» بفتح العين. وقرأ نافع، وحمره، وعاصم، والكسائي: بتسكين العين. والمراد بالأنثيين الذكر والأنثى. ﴿قُلْ لِلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز حرم الله عليكم ﴿أَرِ الْأُنْثَيْنِ﴾ منها؟. المعنى: فإن كان ما حرم عليكم الذكرين، فكل الذكور حرام، وإن كان حرم الأنثيين، فكل الإناث حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فهي تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فيكون كل جنين حراماً. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ألحقكم التحريم من جهة الذكرين، أم من جهة الأنثيين؟ فإن قالوا: من جهة الذكرين، حرم عليهم كل ذكر، وإن قالوا: من جهة الأنثيين، حرمت عليهم كل أنثى؛ وإن قالوا: من جهة الرحم، حرم عليهم الذكر والأنثى. وقال ابن جرير الطبري: إن قالوا: حرم الذكرين، أوجبوا تحريم كل ذكر من الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض الذكور منها وظهوره، وفي ذلك فساد دعواهم. وإن قالوا: حرم الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وهم يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره. وإن قالوا: ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، فقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها. قال المفسرون: فاحتج الله تعالى عليهم بهذه الآية والتي بعدها، لأنهم كانوا يحرمون أجناساً من النعم، بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال. وفي قوله: ﴿قُلْ لِلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَرِ الْأُنْثَيْنِ﴾ إبطال لما حرموه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي قوله: ﴿أَمَّا اسْتَمَلْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنْثَيْنِ﴾، إبطال قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَمْثَلِ خَالِكَةٌ لِّلْكَوْكِبِ وَحَكْمٌ عَلَى أَرْوَجٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَتَوْنِي بِمِثْلِ﴾ قال الزجاج: المعنى: فسروا ما حرمتم بعلم، أي: أنتم لا علم لكم، لأنكم لا تؤمنون بكتاب. ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي: هل شاهدتم الله قد حرم هذا، إذا كنتم لا تؤمنون برسول؟

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُنْفِلَ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال ابن عباس: يريد عمرو بن لحي، ومن جاء بعده. والظالمون هاهنا: المشركون.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُوحِيَ إِلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَدْرِي فَمَنَ اسْتَطَرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَادِلٍ إِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ نبههم بهذا على أن التحريم والتحليل، إنما يثبت بالوحي. وقال طاووس، ومجاهد: معنى الآية: لا أجد محرماً مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا. والمراد بالطعام: الأكل. ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ أي: إلا أن يكون المأكول ميتة. قرأ ابن كثير، وحمزة: ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ﴾ بالياء، «ميتة» نصباً. وقرأ ابن عامر: «إلا أن تكون» بالياء، «ميتة» بالرفع؛ على معنى: إلا أن تقع ميتة، أو تحدث ميتة. ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ قال قتادة: إنما حُرِّمَ المسفوح، فأما اللحم إذا خالطه دم، فلا بأس به. قال الزجاج: المسفوح: المصبوب. وكانوا إذ ذكوا يأكلون الدم كما يأكلون اللحم. والرجس: اسم لما يقتنر، وللعذاب. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ المعنى: أو أن يكون المأكول فسقاً. ﴿أَوَّلَ لَيْلٍ أَلُوْهُ يَوْمَ﴾ أي: رُفِعَ الصوت على ذبحه باسم غير الله، فسمي ما ذُكِرَ عليه غير الله فسقاً؛ والفسق: الخروج من الدين.

### فصل

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها محكمة. ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خبر، والخبر لا يدخله النسخ. والثاني: أنها جاء جواباً عن سؤال سألوه؛ فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حُرِّمَ بعد ذلك ما حُرِّمَ. والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذُكِرَ فيها. والقول الثاني: أنها منسوخة بما ذكر في (المائدة) من المنخقة والموقوذة، وفي السُّنَّة من تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير<sup>(١)</sup>. وقيل: إن آية (المائدة) داخلة في هذه الآية، لأن تلك الأشياء كلها ميتة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَرَبِّ الْبَقَرِ وَانْفَسِرْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمْ أَوِ الْحَوَاكِمَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِغَلَبِ جَرَتِهِمْ يُتَيَّمٌ لَّكَ لَصِيفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «ظفر» بسكون الفاء؛ وهذا التحريم تحريم بلوى وعقوبة. وفي ذي الظفر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل، والنعام، والإرْزُ، والبط، قاله ابن عباس، وابن جبیر، ومجاهد، وقاتدة، والسدي. والثاني: الإبل فقط، قاله ابن زيد. والثالث: كل ذي حافر من الدواب، ومخلب من الطير، قاله ابن قتيبة. قال: وسمي الحافر ظفراً على الإستعارة؛ والعرب تجعل الحافر والأظلاف موضع القدم، استعارة؛ وأنشدوا:

سَأَمْنَعُهَا أَوْ سَوَفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا

إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقَّقْ<sup>(٢)</sup>

أراد قدميه؛ وإنما الأظلاف للشاء والبقرة. قال ابن الأنباري: الظفر هاهنا، يجري مجرى الظفر للإنسان. وفيه ثلاث لغات. أعلاهن: ظُفر؛ ويقال: ظُفر، وأظفور. وقال الشاعر:

(١) روى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: «حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية» وزاد أحمد: «ولحم كل ذي ناب من السباع» وقد صح النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية من حديث البراء بن عازب، وابن عمر، وأبي هريرة، وزاهر الأسلمي، وابن أبي أوفى. وروى الجماعة إلا البخاري والترمذي عن ابن عباس قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» وروى مسلم في «صحيحه» ١٥٣٤/٣ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كل ذي ناب من السباع حرام».

(٢) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ١١٦، و«الصناعتين» ٣٠١، و«الموازنة» ٤٤، و«الأمالي» ١٢٠/٢. وفي «السمط» ٧٤٦: البيت لعقنان بن قيس بن عاصم بن عبيد اليربوعي، وكان النعمان بن المنذر استعمل الغلاق بن عمرو اليرباعي على هجائن من يلي أرضه من العرب، وكانت لعقنان هذا هجائن، فأغفاه، فطلبها الغلاق، فعمد عقنان بإبله حتى أتى النعمان، فأجاره ولم يأخذ منها شيئاً. فقال قصيدة منها:

سواء عليكم شؤُها وهجائنُها

سأمنها - الليث - وهذه من أقيح الاستعارات، وإنما يريد بقوله: أظلافه لم تشقق: أنه متمل مرتفه، فلم تشقق قدماء.

فلم يُبْق منه ذا جناح وذا ظُفُر

الم تر أنَّ الموتَ أَذْرَكَ مَنْ مَضَى  
وقال الآخر:

فأصبحَ ما يَحْشَوْنَ نابي ولا ظُفري

لقد كنتَ ذا نابٍ وظُفْرٍ على العِدَى  
وقال الآخر:

وبين أخرى تليها قيدُ أظْفُور<sup>(١)</sup>

ما بين لُقمته الأولى إذا انحَدَرَتْ

وفي شحوم البقر والغنم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما حرّم من ذلك شحوم الثروب خاصة، قاله قتادة. والثاني: شحوم الثروب والكلّى، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جريج. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما علق بالظهر من الشحوم، قاله ابن عباس. والثاني: الألية، قاله أبو صالح، والسدي. والثالث: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، قاله قتادة. فأما الحوايا، فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها. قال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، ومجاهد، وقاتدة، والسدي، وابن قتيبة: هي المباعر. وقال ابن زيد: هي بنات اللين، وهي المرائب التي تكون فيها الأمعاء. وقال الفراء: الحوايا: هي المباعر، وبنات اللين. وقال الأصمعي: هي بنات اللين، وأحدها: حاوية، وحوية. قال الشاعر:

الجاحِظُ العَيْنِ العَظِيمِ الحَاوِيَةِ<sup>(٢)</sup>

أقْبَلُهم ولا أرى مُعاوِيه  
وقال الآخر:

فحيحُ الأفاعي أو نقيضُ العقارب<sup>(٣)</sup>

كأنَّ نقيضَ الحَبِّ في حاويائه

وقال أبو عبيدة: الحوايا: ما تحوى من البطن، أي: ما استدار منها. وقال الزجاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوى من الأمعاء، أي: استدار. وقال ابن جرير الطبري: الحوايا: ما تحوى من البطن، فاجتمع واستدار، وهي بنات اللين، وهي المباعر، وتسمى: المرائب، وفيها الأمعاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه شحم البطن والألية، لأنهما على عظم، قاله السدي. والثاني: كل شحم في القوائم، والجنب، والرأس، والعيني، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جريج. واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التحريم. فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان: أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح؛ والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه نسق على ما حرّم، لا على الاستثناء؛ فالمعنى: حرّمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فإنه غير محرم، قاله الزجاج. فأما «أو» المذكورة هاهنا، فهي بمعنى الواو، كقوله: ﴿إِنَّمَا أَوْفَرُّكُمْ﴾ [الدحر: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهم﴾ أي: ذلك التحريم عقوبة لهم على بغيتهم. وفي بغيتهم قولان: أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الربا. والثاني: أنه تحريم ما أحل لهم.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُمُ مِنَ الْقَوَيرِ الْمُنِيرِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ قال ابن عباس: لما قال رسول الله ﷺ للمشرّكين: «هذا ما أوحى إليّ أنّه محرّم على المسلمين وعلى اليهود»، قالوا: فإنك لم تصب، فنزلت هذه الآية. وفي المكذّبين قولان: أحدهما: المشرّكون، قاله ابن عباس. والثاني: اليهود، قاله مجاهد. والمراد بذكر الرحمة الواسعة، أنه لا يجعل بالعقوبة. والبأس: العذاب. وفي المراد بالمجرمين قولان: أحدهما: المشرّكون. والثاني: المكذّبون.

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» و«أساس البلاغة»: ظفر، وروايه فيهما:

ما بين لُقمته الأولى إذا ازدردت

(٢) البيت في «اللسان»: حوي، منسوب لملي رضي الله عنه.

(٣) قائله جرير، وهو في «ديوانه» ٨٣، و«معجم مقاييس اللغة» ١١٢/٢، و«اللسان»: حوى.





فالتقدير: عليكم أن لا تشركوا، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن يكون بمعنى: فرض عليكم، ووجب عليكم أن لا تشركوا. وفي هذا الشرك قولان: أحدهما: أنه ادعاء شريك مع الله ﷻ. والثاني: أنه طاعة غيره في معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْدُلُوا أَرْكَانَكُمْ﴾ يريد دفن البنات أحياء. ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ أي: من خوف فقر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن الفواحش: الزنا، وما ظهر منه: الإعلان به، وما بطن الاستسار به، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: أن ما ظهر: الخمر، ونكاح المحرمات، وما بطن: الزنا، قاله سعيد بن جبیر، ومجاهد. والثالث: أن ما ظهر: الخمر، وما بطن: الزنا، قاله الضحاك. والرابع: أنه عام في الفواحش. وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سريها، قاله قتادة. والخامس: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، وما بطن: اعتقاد القلوب، ذكره الماوردي في تفسير هذا الموضع، وفي تفسير قوله: ﴿وَدُّوا ظَهَرَ الْآثِمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأقسام: ١٢٠]. والنفس التي حرم الله: نفس مسلم أو معاهد. والمراد بالحق: إذن الشرع.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْيَمَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكُفُّ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَسْأَلُ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَنَعَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إنما خص مال اليتيم، لأن الطمع فيه، لقلة مراعيه وضعف مالكة، أقوى. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه أكل الوصي المصلح للمال بالمعروف وقت حاجته، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: التجارة فيه، قاله سعيد بن جبیر، ومجاهد، والضحاك، والسدي. والثالث: أنه حفظه له إلى وقت تسليمه إليه، قاله ابن السائب. والرابع: أنه حفظه عليه، وتشيمره له، قاله الزجاج. قال: و«حتى» محمولة على المعنى؛ فالمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، فإذا بلغ أشده، فادفعوه إليه. فاما الأشد، فهو استحكام قوة الشباب والسن. قال ابن قتيبة: ومعنى الآية: حتى يتناهى في النبات إلى حد الرجال. يقال: بلغ أشده: إذا انتهى منتهاه قبل أن يأخذ في النقصان. وقال أبو عبيدة: الأشد لا واحد له منه؛ فإن أكرهوا على ذلك، قالوا: شد، بمنزلة: صب، والجمع: أضب. قال ابن الأنباري: وقال جماعة من البصريين: واحد الأشد: شد، بضم الشين. وقال بعض البصريين: واحد الأشد: شدة، كقولهم: نعمة، وأنعم. وقال بعض أهل اللغة: الأشد: اسم لا واحد له. وللمفسرين في الأشد ثمانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه ابن جبیر عن ابن عباس. والثاني: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، روي عن عائشة ؓ. والرابع: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل. والخامس: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة. والسادس: أربع وثلاثون سنة، قاله سفيان الثوري. والسابع: ثلاثون سنة، قاله السدي. وقال: ثم جاء بعد هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] فكانه يشير إلى النسخ. والثامن: بلوغ الحلم، قاله زيد بن أسلم، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وربيعة، ومالك بن أنس، وهو الصحيح. ولا أظن بالذين حكينا عنهم الأقوال التي قبله فسروا الآية بما ذكر عنهم، وإنما أظن أن الذين جمعوا التفاسير، نقلوا هذه الأقوال من تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [يوسف: ٢٢، والقصص: ١٤] إلى هذا المكان؛ وذلك نهاية الأشد، وهذا ابتداء تمامه؛ وليس هذا مثل ذلك. قال ابن جرير: وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حذف، لأن المعنى: حتى يبلغ أشده؛ فإذا بلغ أشده، فأنستم منه رشداً، فادفعوا إليه ماله. قال المصنف: إن أراد بما ظهر ما ظهر في هذه الآية، فليس بصحيح؛ وإنما استفيد إيناس الرشد والإسلام من آية أخرى؛ وإنما أطلق في هذه الآية ما قيد في غيرها، فحمل المطلق على المقيد.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ أي: أتموه ولا تنقصوا منه. و﴿الْيَمَانَ﴾ أي: وِزْنَ الميزان. والقسط: العدل. ﴿لَا تَكُفُّ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما يسعها، ولا تضيق عنه. قال القاضي أبو يعلى: لما كان الكيل والوزن يتعدر فيهما التحديد بأقل القليل كلفنا الاجتهاد في التحري، دون تحقيق الكيل والوزن.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ أي: إذا تكلمتم أو شهدتم، فقولوا الحق، ولو كان المشهود له أو عليه ذا قرابة. وعهد الله يشتمل على ما عهده إلى الخلق وأوصاهم به، وعلى ما أوجبه الإنسان على نفسه من نذر وغيره. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٣﴾ أي: لتذكروهم وتأخذوا به. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] و ﴿يَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦] و ﴿يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: ٦٧] و ﴿أَنْ يَذَكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢]، و ﴿يَذَكِّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١] مشدداً ذلك كله. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم، وابن عامر كل ذلك بالتشديد، إلا قوله: ﴿أَوَلَا يَذَكِّرُ الْإِنْسَانَ﴾ [مریم: ٦٧] فأنهم خففوه. روى أبان، وحفص عن عاصم: «يذكرون» خفيفة الذال في جميع القرآن. قرأ حمزة، والكسائي: «يذكرون» مشدداً إذا كان بالياء، ومخففاً إذا كان بالياء.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: «وَأَنَّ» بفتح الالف مع تشديد النون. قال الفراء: إن شئت جعلت «أَنَّ» مفتوحة بوقوع «اتل» عليها؛ وإن شئت جعلتها خفصاً، على معنى: ذلكم وصاكم به، وبأن هذا صراطي مستقيماً. وقرأ ابن عامر بفتح الالف أيضاً، إلا أنه خفف النون، فجعلها مخففة من الثقيلة؛ وحكم إعرابها حكم تلك. وقرأ حمزة، والكسائي: بتشديد النون مع كسر الالف. قال الفراء: وكسر الالف على الاستئناف. وفي الصراط قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإسلام. وقد بينا إعراب قوله: «مستقيماً» أيضاً. فأما «السُّبُلُ»، فقال ابن عباس: هي الضلالات<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: البدع والشبهات. وقال مقاتل: أراد ما حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي: فضلكم عند يته.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَلْتَأَمُوا رِزْقَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قال الزجاج: «ثم» هاهنا للعطف على معنى التلاوة؛ فالمعنى اتل ما حرم ربكم، ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى. وقال ابن الأنباري: الذي بعد «ثم» مقدّم على الذي قبلها في النية؛ والتقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ في قوله: «تماماً» قولان: أحدهما: أنها كلمة متصلة بما بعدها؛ تقول: أعطيتك كذا تماماً على كذا، وتماماً لكذا، وهذا قول الجمهور. والثاني: أن قوله: «تماماً» كلمة قائمة بنفسها، غير متصلة بما بعدها؛ والتقدير: آتينا موسى الكتاب تماماً، أي: في دفعة واحدة، لم نفرّق إنزاله كما فرّق إنزال القرآن، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وفي المشار إليه بقوله: «أحسن» أربعة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه، قاله ابن زيد. والثاني: تماماً على إحسان الله تعالى إلى موسى؛ وعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى «ما». والقول الثاني: أنه إبراهيم الخليل عليه السلام؛ فالمعنى: تماماً للنعمة على إبراهيم الذي أحسن في طاعة الله، وكانت بُيُوتُ موسى نعمة على إبراهيم، لأنه من ولده، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أنه كل محسن من الأنبياء، وغيرهم. وقال مجاهد: تماماً على المحسنين، أي: تاماً لكل محسن. وعلى هذا القول، يكون «الذي» بمعنى «مَنْ»، و «على» بمعنى لام الجر؛ ومن هذا قول العرب: أتم عليه، وأتم له. قال الراعي:

رَعْنَهُ أَشْهَرًا وَخَلَا عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>

أي: لها. قال ابن قتيبة: ومثل هذا أن تقول: أوصي بمالي للذي غزا وحج؛ تريد: للغازين والحاجين. والقول الرابع: أنه موسى. ثم في معنى: «أحسن» قولان: أحدهما: أحسن في الدنيا بطاعة الله ﷻ. قال الحسن،

(١) روى الإمام أحمد في «المسند» ١٨٢/٤، ١٨٣، والحاكم في «المستدرک» ١/٧٣ عن النّوّاس بن سميان الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَنَّتِي الصراط سوران، فهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تموجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإني إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة: محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم». وخرجه ابن كثير في «التفسير»، ثم قال: إسناده حسن صحيح. وقوله: «تموجوا» قال القاري في «شرح المشكاة»: بتشديد الجيم من الأعوجاج، كذا في نسخة السيد وغيره، وفي نسخة: بتشديد الواو على حذف إحدى التاءين، وهو تأكيد لما قبله، أي: لا تميلوا إلى الأطراف. قلت: وقع في «المسند»: «ولا تفرجوا» وهو تحريف.

(٢) تمامه: فطار الثَّيَّ فيها واستغارا. وهو في «أدب الكاتب» لابن قتيبة: ٤٠١ من أبيات يصف بها ناقة ذات سمن. قال الجواليقي: رعته، أي: رعت هذه الناقة هذا النبات أشهراً، وتخلت به، لم يرمعه غيرها. وطار الثي، أي: ارتفع الشحم، واستغارا، أي: هبط فيها ودخل.

وقتادة: تماماً لكرامته في الجنة إلى إحسانه في الدنيا. وقال الربيع: هو إحسان موسى بطاعته. وقال ابن جرير: تماماً لنعمنا عنده على إحسانه في قيامه بأمرنا ونهينا. والثاني: أحسن من العلم وكُتِبَ اللّهُ القديمة؛ وكأنه زيد على ما أحسنه من التوراة؛ ويكون «التمام» بمعنى الزيادة، ذكره ابن الأنباري. فعلى هذين القولين، يكون «الذي» بمعنى: «ما». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والحسن، وابن يعمر: «على الذي أحسن»، بالرفع. قال الزجاج: معناه: على الذي هو أحسن الأشياء. وقرأ عبد الله بن عمرو، وأبو المتوكل، وأبو العالية: «على الذين أحسن» برفع الهمزة وكسر السين وفتح النون؛ وهي تحتمل الإحسان، وتحتمل العلم.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْصِلَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تبياناً لكل شيء من أمر شريعتهم مما يحتاجون إلى علمه، لكي يؤمنوا بالبعث والجزاء.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ قَاتِبٌ وَأَتَقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَآرَكٌ﴾ يعني القرآن، ﴿قَاتِبٌ وَأَتَقُوا﴾ أن تخالفوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. قال الزجاج: لتكونوا راجين للرحمة.

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَهُكُمُ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِك﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ سبب نزولها: أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود والنصارى، كيف كذبوا أنبياءهم؛ فوالله لو جاءنا نذير وكتاب، لكننا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الفراء: «أن» في موضع نصب في مكانين: أحدهما: أنزلناه لئلا تقولوا. والآخر: من قوله: واتقوا أن تقولوا. وذكر الزجاج عن البصريين، أن معناه: أنزلناه، كراهة أن تقولوا؛ ولا يجوزون إضمار «لا». فأما الخطاب بهذه الآية، فهو لأهل مكة؛ والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على اليهود والنصارى، وكنا غافلين عما فيها. و«دراستهم»: قراءتهم الكتب. قال الكسائي: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِك﴾ لا نعلم ما هي، لأن كتبهم لم تكن بلغتنا، فأنزل الله كتابا فبلغتهم لتقطع حججهم.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَذَّبِ يَكْفِرُ اللَّهُ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرِي الَّذِينَ يَصْدُقُونَ عَنْ مَا إِنَّا مَوْعِدُكَ بِمَا كَانُوا يَصْدُقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ قال الزجاج: إنما كانوا يقولون هذا، لأنهم مبلون بالآذهان والأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أميون لا يكتبون. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: ما فيه البيان وقطع الشبهات. قال ابن عباس: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ أي: حجة، وهو النبي، والقرآن، والهدى، والبيان، والرحمة، والنعمة. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: أكفر ﴿مَنْ كَذَّبَ بِكَايَاتِ اللَّهِ﴾ يعني محمداً والقرآن. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض فلم يؤمن بها. وسوء العذاب: قبيحه.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْهَا لَرَّ تَكُنْ مَأْمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انظُرُوا إِنَّا مُنظَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تأتيهم» بالياء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يأتيهم» بالياء. وهذا الإتيان لقبض أرواحهم. وقال مقاتل: المراد بالملائكة: ملك الموت وحده.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: أو يأتي أمر ربك<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: أو يأتي إهلاكه وانتقامه، إما بعذاب عاجل، أو بالقيامة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وروى عبد الوارث إلا القراز: بتسكين ياء «أو يأتي»، وفتحها الباقون.

(١) خرج ابن الجوزي هنا على مذهب السلف في هذا النقل.



وفي هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن مسعود. وفي رواية زرارة بن أوفى عنه، وعبد الله بن عمرو، ومجاهد، وقتادة، والسدي. وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس، آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»<sup>(٢)</sup>.. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، طُبع على كل قلب بما فيه، [و] كفي الناس العمل»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربهما، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثالث: أنه إحدى الآيات الثلاث، طلوع الشمس من مغربها، والذابة، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود. والرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، قاله أبو هريرة؛ والأول أصح. والمراد بالخير هاهنا: العمل الصالح؛ وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذٍ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان. وقال الضحاک: من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قبل منه، كما يقبل منه قبل الآية. وقيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها، أن الملحده والمنجمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمروذ حين قال له إبراهيم: ﴿فَأَتَى بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

### فصل

وفي قوله: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المراد به التهديد، فهو محكم. والثاني: أنه أمر بالكف عن القتال، فهو منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَبَيَّنَّ وَكَانُوا شَيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا وَبَيَّنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «فَرَقُوا» مشددة. وقرأ حمزة، والكسائي: «فارقوا» بآلف. وكذلك قرؤوا في [الرم: ٣٢]؛ فمن قرأ؛ «فَرَقُوا»، أراد: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض. ومن قرأ: «فارقوا»، أراد: باينوا. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل الضلالة من هذه الأمة، قاله أبو هريرة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن عباس، والضحاک، وقتادة، والسدي. والثالث: اليهود، قاله مجاهد. والرابع: جميع المشركين، قاله الحسن. فعلى هذا القول، دينهم: الكفر الذي يعتقدونه ديناً، وعلى ما قبله، دينهم: الذي أمرهم الله به. والشَّيْعُ: الفرق والأحزاب. قال الزجاج: ومعنى «شَيْعَتْ» في اللغة: اتبعت. والعرب تقول: شاعكم السلام، وأشاعكم، أي: تبعكم. قال الشاعر:

أَلَا يَا نَحْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ      بَرُّودُ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ<sup>(٤)</sup>

وتقول: أتيتك غداً، أو شيعاً، أي: أو اليوم الذي يتبعه. فمعنى الشيعة: الذين يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين. وفي قوله تعالى: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: لست من قتالهم في شيء؛ ثم نسخ بآية السيف، وهذا مذهب السدي. والثاني: لست منهم، أي: أنت بريء منهم، وهم منك برءاء، إنما أمرهم إلى الله في جزائهم، فتكون الآية محكمة.

(١) «المسند» ٣١/٣، و«الطبري» ٢٤٧/١٢، و«الترمذي» ١٣٣/٢. وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) «المسند» رقم (٧١٦١)، و«البخاري» ٢٢٣/٨، و«مسلم» ١٩٤/٢، و«أبو داود» ١٦٣/٤، و«ابن ماجه» ٢٣٥٢/٢. وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٥٧/٣ وزاد نُسبته إلى عبد بن حميد، وعبد الرزاق، والنسائي، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «البهت»، والطبراني، وابن أبي عدي.

(٣) «المسند» ١٣٣/٣، و«الطبري» ٢٥٣/١٢، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٥٠/٥ وقال: رجال أحمد ثقات. وقال ابن كثير بعد أن ذكره ٢/ ١٩٥: هذا الحديث حسن الإسناد، ولم يخرج أحد من الكتب الستة.

(٤) البيت غير منسوب في «أساس البلاغة»، و«اللسان»: شيع.



﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ وقرأ يعقوب، والقزاز عن عبد الوارث: «عشر» بالتونين، «أمثالها» بالرفع. قال ابن عباس: يريد: من عملها، كتبت له عشر حسنات. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا﴾ جزاء ﴿مِثْلُهَا﴾. وفي الحسنة والسيئة هاهنا قولان: أحدهما: أن الحسنة: قول لا إله إلا الله. و«السيئة» الشرك، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والنخعي. والثاني: أنه عام في كل حسنة وسيئة. روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر». فإن قيل: إذا كانت الحسنة كلمة التوحيد، فأي مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها؟ فالجواب: أن جزاء الحسنة معلوم القدر عند الله، فهو يجازي فاعلها بعشر أمثاله، وكذلك السيئة. وقد أشرنا إلى هذا في (المائدة) عند قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَبِيحًا﴾ [المائدة: ٣٢]. فإن قيل: المثل مذكر، فلم قال: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ والهاء إنما تسقط في عدد المؤنث؟ فالجواب: أن الأمثال خلقت حسنات مؤنثة؛ وتلخيص المعنى: فله عشر حسنات أمثالها، فسقطت الهاء من عشر، لأنها عدد مؤنث، كما تسقط عند قولك: عشر نعال، وعشر جباب.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَيَا قَوْمَ إِنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّهِ حَقِّي وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال الزجاج: أي: دلّني على الدين الذي هو دين الحق. ثم فسر ذلك بقوله: ﴿وَيَا قَوْمَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قِيَمًا» مفتوحة القاف، مشددة الياء. والقيم: المستقيم. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «قِيَمًا» بكسر القاف وتخفيف الياء. قال الزجاج: وهو مصدر، كالصَّغَر والكَبَر. وقال مكي: من خففه بناء على «فَعَلَ» وكان أصله أن يأتي بالواو، فيقول: «قَوْمًا» كما قالوا: عَوْض، وجَوْل، ولكنه شذ عن القياس. قال الزجاج: ونصب قوله: ﴿وَيَا قَوْمَ﴾ محمول على المعنى، لأنه لما قال: «هداني» دل على عرفني ديناً؛ ويجوز أن يكون على البدل من قوله: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فالمعنى: هداني صراطاً مستقيماً ديناً قِيَمًا. و«حنيفاً» منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: هداني ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يريد: الصلاة المشروعة. والنسك: جمع نسكة. وفي النسك هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنها الذبائح؛ قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: الدين، قاله الحسن. والثالث: العبادة. قال الزجاج: النسك كل ما تُقَرَّب به إلى الله ﷻ، إلا أن الغالب عليه أمر الذبح. والرابع: أنه الدين، والحج، والذبائح، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ الجمهور على تحريك ياء «محياي»، وتسكين ياء «مماتي». وقرأ نافع: بتسكين ياء «محياي»، ونصب ياء «مماتي»، ثم المفسرين في معناه قولان: أحدهما: أن معناه: لا يملك حياتي ومماتي إلا الله. والثاني: حياتي لله في طاعته، ومماتي لله في رجوعي إلى جزائه. ومقصود الآية أنه أخبرهم أن أفعالي وأحوالي لله وحده، لا لغيره كما تشركون أنتم به.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال الحسن، وقادة: أول المسلمين من هذه الأمة.

﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ أَمْرًا رُبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكُيْبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهِمْ وَلَا تَزِدُ وَارِدَهُ وَنَدَّ أُخْرَى ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ تَرْجِعُهُمْ فَيُنْصَبُ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ أَمْرًا رُبًّا﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، ونحن لك الكفلاء بما أصابك من تبعة، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُيْبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يؤخذ سواها بعملها. وقيل: المعنى: إلا عليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها. ﴿وَلَا تَزِدُ وَارِدَهُ وَنَدَّ أُخْرَى﴾ قال الزجاج: لا تؤخذ نفس أئمة بآثم أخرى. والمعنى: لا يؤخذ أحد بذنب غيره. قال أبو سليمان: ولما ادّعت كل فرقة من اليهود والنصارى أو المشركين أنهم أولى بالله من

غيرهم، عرفهم أنه الحاكم بينهم بقوله: ﴿يَتَذَكَّرُ لِمَا كُنْتُمْ فِيهِ مَخْلَفُونَ﴾ ونظيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الحج: ١٧].

﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَلَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ رَوَّعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَلَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ قال أبو عبيدة: الخلائف: جمع خليفة. قال الشماخ:

تُصِيبُهُمْ وَتُخْطِئُنِي الْمَنَايَا

وَأَخْلَفَ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعٍ<sup>(١)</sup>

وللمفسرين فيمن خلفوه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم خلفوا الجن الذين كانوا سكان الأرض؛ قاله ابن عباس.

والثاني: أن بعضهم يخلف بعضاً؛ قاله ابن قتية. والثالث: أن أمة محمد خلفت سائر الأمم، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿رَوَّعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أي: في الرزق، والعلم، والشرف، والقوة، وغير ذلك ﴿لِّتَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم، فيظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سماه سريعاً، لأنه آتٍ، وكل آتٍ قريب. والثاني: أنه إذا شاء العقوبة، أسرع عقابه.



(١) «ديوانه» ٥٨، و«مجاز القرآن» ٢٠٩/١، و«الطبري» ٢٨٨/١٢، و«القرطبي» ١٥٨/٧، و«اللسان»، و«التاج»: ربح. والربوع: جمع ربع، وهو جماعة الناس الذين ينزلون ربواً يسكنونه، يقول: أبقي في قوم بعد قوم.

## سورة الأعراف

### فصل في نزولها

روى العوفي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عباس، أن سورة الأعراف من المكي، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. وروي عن ابن عباس، وقتادة أنها مكية، إلا خمس آيات؛ أولها قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمْتُمْ عَلَى الْقَرْنِيِّ﴾. وقال مقاتل: كلها مكية، إلا قوله: ﴿وَسَلَّمْتُمْ عَلَى الْقَرْنِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَرَأَى أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٧٢] فإنهن مدنيات.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿التَّصَّ ①﴾

فأما التفسير، فقله تعالى: ﴿التَّصَّ ①﴾ قد ذكرنا في أول سورة (البقرة) كلاماً مجملاً في الحروف المقطعة أوائل السور، فهو يعم هذه أيضاً. فأما ما يختص بهذه الآية فيه سبعة أقوال: أحدها: أن معناه: أنا الله أعلم وأفضل، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثاني: أنه قَسَمَ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن الألف مفتاح اسمه «الله»، واللام مفتاح اسمه «الطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، والصاد مفتاح اسمه «صادق»، قاله أبو العالية. والخامس: أن ﴿التَّصَّ ①﴾ اسم للسورة، قاله الحسن. والسادس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والسابع: أنها بعض كلمة. ثم في تلك الكلمة قولان: أحدهما: المصور، قاله السدي. والثاني: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماوردي.

﴿كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِئَسْذَرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ②﴾

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء. ومذهب الفراء أن الله اكتفى في مفتتح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها، كما يقول القائل: «أ ب ت ث» ثمانية وعشرون حرفاً؛ فالمعنى: حروف المعجم كتاب أنزلناه إليك. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يرتفع الكتاب بإضمار: هذا الكتاب. وفي الحرج قولان: أحدهما: أنه الشك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة. والثاني: أنه الضيق، قاله الحسن، والزجاج. وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب؛ فعلى هذا، في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يضيقتُ صدرك بالإبلاغ، ولا تخافن، قاله الزجاج. والثاني: لا تشككن أنه من عند الله. والقول الثاني: أنها ترجع إلى مضمر، وقد دل عليه الإنذار، وهو التكذيب، ذكره ابن الأنباري. قال الفراء: فمعنى الآية: لا يضيقتُ صدرك أن كذبوك. قال الزجاج: وقوله تعالى: ﴿لِئَسْذَرَ بِهِ ②﴾ مقدم؛ والمعنى: أنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه. ﴿وَذَكَرَى ③﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض؛ فأما النصب؛ فعلى قوله: أنزل إليك لتنذر به، وذكرى للمؤمنين، أي: ولتنذكروه ذكرى، لأن في الإنذار معنى التذكير. ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، كقولك: وهو ذكرى للمؤمنين. فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى «التنذر»: لأن تنذر؛ المعنى: للإنذار والذكرى، وهو في موضع خفض.

﴿أَتَيْمُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ④﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَيْمُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إن قيل: كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأولى، ثم جمع بقوله: «اتبعوا»؟ فغنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن الخطاب له ولأمته، حسن الجمع لذلك المعنى. والثاني: أن الخطاب الأول خاص له؛ والثاني محمول على الإنذار، والإنذار في طريق القول، فكأنه قال: لتقول لهم منذراً: ﴿أَتَيْمُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: أن الخطاب الثاني للمشركون، ذكره جماعة من

المفسرين؛ قال: والذي أنزل إليهم القرآن. وقال الزجاج: الذي أنزل: القرآن وما أتى عن النبي ﷺ، لأنه مما أنزل عليه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ١٧]. ﴿وَلَا تَقِيْمُوا يَنْ دُوْنِيْهِ اَرْبَابًا﴾ أي: لا تتولوا من عدل عن دين الحق؛ وكل من ارتضى مذهباً فهو ولي أهل المذهب. وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مَا تَذْكُرُوْنَ﴾ ما: زائدة مؤكدة؛ والمعنى: قليلاً تذكرون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تذكرون» مشددة الذال والكاف. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تذكرون» خفيفة الذال مشددة الكاف. قال أبو علي: من قرأ «تذكرون» بالتشديد، أراد «تذكرون» فأدغم التاء في المذال، وإدغامها فيها حسن، لأن التاء مهموسة، والمذال مجهورة؛ والمجهور أزيد صوتاً من المهموس وأقوى؛ فإدغام الأنقص في الأزيد حسن. وأما حمزة ومن وافقه، فإنهم حذفوا التاء التي أدغمها هولاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة. وقرأ ابن عامر: «يتذكرون» بياء وتاء، على الخطاب للنبي ﷺ؛ والمعنى قليلاً ما يتذكر هولاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

﴿وَكَمْ يَنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ يَنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ «كم» تدل على الكثرة، و«رب»: موضوعة للقلّة. قال الزجاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ محمول على لفظ القرية؛ والمعنى: فجاءهم بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له؛ إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون. قال ابن قتيبة: بأسنا: عذابنا. وبياتاً: ليلاً. وقائلون: من القائلة نصف النهار. فإن قيل: إنما آتاهم البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدم الإهلاك؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الهلاك والبأس يقعان معاً، كما تقول: أعطيتني فأحسنت؛ وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معاً، قاله الفراء. والثاني: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكنها، وكان بأسنا قد جاءها، فأضمر الكون، كما أضمر في قوله: ﴿وَأَنْتَبِهُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: ما كانت الشياطين تتلو. وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ [يوسف: ١٧]، أي: إن يكن سرق. والثالث: أن في الآية تقديمًا وتأخيراً، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتاً، أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَكِّلٌ وَكَافُوكَ إِنَّكَ﴾ [آل عمران: ٢٥]، أي: رافعك ومتوفاك، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ قال الفراء: فيه واو مضمرة؛ والمعنى: فجاءها بأسنا بياتاً، أو هم قائلون، فاستقلوا نسقاً على نسق<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ②

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُ﴾ قال اللغويون: العدوى هاهنا بمعنى الدعاء والقول. والمعنى: ما كان قولهم وتداعبهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم. قال ابن الأنباري: وللدعوى في الكلام موضعان: أحدهما: الإدعاء. والثاني: القول والدعاء. قال الشاعر:

إِذَا مَلَكَتْ رَجُلِي دَعْوَتُكَ أَشْتَفِي بِدَعْوَاكَ مِنْ مَذَلٍ بِهَا فِيْهُونَ<sup>(٢)</sup>

﴿فَلْتَسْأَلْكُمْ آلُيَاسُ عَنْهُمْ لَوْهُمْ﴾ ③ ﴿فَلْتَقَضْ عَنْهُمْ يَمَلُّوْا كَمَا غَالِبْتُمْ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿فَلْتَسْأَلْكُمْ آلُيَاسُ عَنْهُمْ لَوْهُمْ﴾ يعني: الأمم يسألون: هل بلغكم الرسل، وماذا أجبتهم؟ ويسأل الرسل: هل بلغتم، وماذا أجبتهم؟ ﴿فَلْتَقَضْ عَنْهُمْ﴾ أي: فلنخبرهم بما عملوا بعلم منا ﴿وَمَا كُنَّا غَالِبِينَ﴾ عن الرسل والأمم. وقال ابن عباس: يوضع الكتاب، فيتكلم بما كانوا يعملون.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ⑤ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَسَاءَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ⑥

(١) وتام كلام الفراء في «معاني القرآن» ٣٧٢: ولو قيل لكان جائزاً، كما تقول في الكلام: أتيتني والياً، أو وأنا معزول، وإن قلت: أو أنا معزول، فانت مضمر الواو.

(٢) البيت لكثير عزة، «ديوانه» ٢٤٥/٢، والطبري ٣٠٤/١٢، و«نهاية الأرب» ١٢٥/٢، و«اللسان»: مذل. ومذلت رجله مذللاً بفتح وسكون، ومذلت: خدرت، وكانوا يزعمون أن المرء إذا خدرت رجله، ثم دعا باسم من أحب، زال خدرها.



قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ أي: العدل. وإنما قال: «موازينه» لأن «من» في معنى جميع، يدل عليه قوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾. وفي معنى «يُظْلَمُونَ» قولان: أحدهما: يجحدون. والثاني: يكفرون. قال الفراء: والمراد بموازينه: ووزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك؛ ويريدون: حذاء دارك. قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَائِكُمْ ذَا مِزَّةٍ      عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ<sup>(١)</sup>  
يعني: مثل كلامه ولفظه.

## فصل

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به. وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟ فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَسَعِمِينَ سِجْلًا، كُلُّ سِجْلٍ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمْتُكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَلَمْ عُدِرْ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب؛ فيقول: بلى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيُوضَعُ السِّجْلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ قَالَ: فَطَاشَتْ السِّجْلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَالتِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup>. وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْأَكُولِ الشَّرِيبِ، فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»<sup>(٣)</sup>، فَعَلَى هَذَا يَوْزَنُ الْإِنْسَانُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَوْزَنُ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ فِي مِيزَانٍ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، فَتَنْتَقِلُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيْتَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُؤْتَى بِعَمَلِهِ فِي أَقْبَحِ صُورَةٍ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، فَيُخَفُّ وَزْنُهُ<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ الْحَسَنُ: لِلْمِيزَانِ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ. وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ دَاوُدَ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرِيهِ الْمِيزَانَ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ؛ فَقَالَ: يَا إِلَهِي، مِنْ يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَيْهِ حَسَنَاتٍ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُدَ، إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَنْ عَبْدِي، مَلَأْتُهَا بِثَمَرَةٍ. وَقَالَ حَذِيفَةُ: جَبْرِيلُ صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: زِنْ بَيْنَهُمْ، وَزْدْ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ؛ فَيُرَدُّ عَلَى الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ مَا وَجَدَ لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَرَدَّ عَلَى سَيِّئَاتِ الظَّالِمِ، فَيَرْجِعُ وَعَلَيْهِ مِثْلُ الْجِبَالِ. فَإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَقَادِيرَ الْأَعْمَالِ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي وَزْنِهَا؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ فِيهِ خَمْسَةَ حُكْمٍ: إِحْدَاهَا: امْتِحَانُ الْخَلْقِ بِالْإِيمَانِ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا. وَالثَّانِيَةُ: إِظْهَارُ عَلَامَةِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ فِي الْآخِرَةِ. وَالثَّالِثَةُ: تَعْرِيفُ الْعِبَادِ مَا لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَالرَّابِعَةُ: إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ. وَالخَامِسَةُ: الْإِعْلَامُ بِأَنَّ اللَّهَ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ. وَنَظِيرُ هَذَا أَنَّهُ أُثْبِتَ الْأَعْمَالُ فِي كِتَابٍ، وَاسْتَنْسَخَهَا مِنْ غَيْرِ جَوَازِ النِّسْيَانِ عَلَيْهِ.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكناكم إياها. والثاني: سهّلنا عليكم التصرف فيها. وفي المعاييش قولان: أحدهما: ما تعيشون به من المطاعم والمشارب. والثاني: ما تتوصلون به إلى المعاييش، من زراعة، وعمل، وكسب. وأكثر القراء على ترك الهمز في «معايش» وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة. قال

(١) في «اللسان»: والميزان: المقدار، أنشد ثعلب: قد كنت.....

(٢) «المسند» ١٩٧/١١، و«سنن الترمذي» ٣/٣٦٧، وابن ماجه ١/١٤٣٧، والحاكم في «المستدرک» ١/٥٢٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٣) ذكره ابن كثير في «التفسير» ٣/١٠٧ من طريق ابن أبي حاتم عن أبي هريرة بلفظ: «يؤتى بالرجل الأكول الشراب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها». وروى البخاري ٨/٣٢٤، و«مسلم» ٤/٢١٤٧ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِإِنْسَانٍ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ السَّيِّئِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ: «أَقْرَأُوا»: ﴿لَا تُؤْمِنُ لَمْ يَزِمِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ﴾ [الكهف: ١٠٥].

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» بأطول مما هنا، ونسبه إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

الزجاج: وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة. نحو صحيفة وصحائف؛ فصحيفة من الصحف؛ والياء زائدة. فأما معاش، فمن العيش؛ فالياء أصلية.

قوله تعالى: ﴿يَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل. وقال ابن عباس: يريد أنكم غير شاكرين.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ أَنْجِدُوا إِلَادَكُمْ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ولقد خلقناكم في ظهر آدم، ثم صورناكم في الأرحام، رواه عبد الله بن الحارث عن ابن عباس. والثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال، وصورناكم في أرحام النساء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم»، يعني ذريته من بعده، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: «ولقد خلقناكم»، يعني آدم، «ثم صورناكم» في ظهره، قاله مجاهد. والخامس: «خلقناكم» نطفاً في أصلاب الرجال، وترائب النساء، «ثم صورناكم» عند اجتماع النطف في الأرحام، قاله ابن السائب. والسادس: «خلقناكم» في بطون أمهاتكم، «ثم صورناكم» فيما بعد الخلق بشق السمع والبصر، قاله معمر. والسابع: «خلقناكم»، يعني آدم خلقناه من تراب، «ثم صورناكم»، أي: صورناه، قاله الزجاج، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه؛ فمن قال: عنى بقوله: «خلقناكم» آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم؛ ومن قال: صورنا ذريته في ظهره، أراد إخراجهم يوم الميثاق كهنية الذر. والثامن: «ولقد خلقناكم» يعني الأرواح، «ثم صورناكم» يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد». وفي «ثم» المذكورة مرتين قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله الأخفش. والثاني: أنها للترتيب، قاله الزجاج.

﴿قَالَ مَا مَنَّكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقٍ بَيْنَ يَدَيْ نَارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَّكَ آلَا تَسْجُدُ﴾ «ما» استفهام، ومعناها الإنكار. قال الكسائي: «لا» هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟ وقال الزجاج: موضع «ما» رفع. والمعنى: أي شيء منعك من السجود؟ و«لا» زائدة مؤكدة، ومثله: ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ مَلَكُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]. قال ابن قتيبة: وقد تزداد «لا» في الكلام. والمعنى: طرحتها لإبائه في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد «لا» لأنه لم يسجد. ومثله: ﴿أَنَّهُ إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] على قراءة من فتح «أنها»، فزاد «لا» لأنهم لم يؤمنوا؛ ومثله: ﴿وَكُرْهُمُ عَلَى قُرْبَىٰ هَلَكْنَاهَا إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. وقال الفراء: «لا» هاهنا جحد محض، وليست بزائدة، والمنع راجع إلى تأويل القول، والتأويل: من قال لك: لا تسجد؛ فأحل المنع محل القول، ودخلت بعده «أن» ليدل على تأويل القول الذي لم يتصرح لفظه. وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السجود، فأحوجك أن لا تسجد؟ قال الزجاج: وسؤال الله تعالى لإبليس ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ﴾ توبيخ له، ول يظهر أنه معاند، ولذلك لم يتب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ إنما هو جواب، أي كما خير؟ ولكن المعنى: منعتني من السجود فضلي عليه. ومثله قولك للرجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح؛ وإنما الجواب: كنت صالحاً، فيجيب بما يحتاج إليه وزيادة. قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حين قاس مع وجود النص، وخفي عليه فضل الطين على النار؛ وفضله من وجوه: أحدها: أن من طبع النار الطيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطين الهدوء والرزانة. والثاني: أن الطين سبب الإنبات والإيجاد، والنار سبب الإعدام والإهلاك. والثالث: أن الطين سبب جمع الأشياء، والنار سبب تفريقها.

﴿قَالَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا تَمْلِكُ لِلشَّيْطَانِ الشَّيْءَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهم: أنها ترجع إلى السماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن. والثاني: إلى الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ إن قيل: فهل لأحد أن يتكبر في غيرها؟ فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبر أن يكون فيها، وإنما المتكبر في غيرها. وأما الصاغر، فهو الدليل. والصغار: الذل. قال الزجاج: استكبر إبليس بإبائه السجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك.

﴿قَالَ أَنْظِرْ لِيَ يَوْمَ يُمْتَوْنَ﴾ ١٤ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْ﴾ أي أمهلني وأخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُمْتَوْنَ﴾، فأراد أن يعبر قنطرة الموت وسأل الخلود، فلم يجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم. وقد بين مدة إمهاله في (الحجر) بقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ١٦ [الحجر: ٢٨]. وفي ما سأل الإمهال له قولان: أحدهما: الموت. والثاني: العقوبة. فإن قيل: كيف قيل له: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ وليس أحد أنظر سواه؟ فالجواب: أن الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بأجالهم، فهو منهم.

﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْنَدَنَّ لَكَ مِرْطَكَ التَّسْتِيمِ﴾ ١٧

قوله تعالى: ﴿فِيمَا أُغْوِيَنِي﴾ في معنى هذا الإغواء قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإضلال، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه بمعنى الإهلاك، ومنه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مریم: ٥٩]، أي: هلاكاً، ذكره ابن الأنباري. وفي معنى «فيما» قولان: أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فبإغوائك لي. والثاني: أنها بمعنى الجزاء، أي فبأنك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني ﴿لَأَقْنَدَنَّ لَكَ مِرْطَكَ التَّسْتِيمِ﴾. قال الفراء، والزجاج: أي على صراطك. ومثله قولهم: ضُرب زيد الظهر والبطن. وفي المراد بالصراط هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه طريق مكة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جبیر؛ كأن المراد صدهم عن الحج. والثاني: أنه الإسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفية، ومقاتل. والثالث: أنه الحق، قاله مجاهد.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٨

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: «من بين أيديهم» أشككهم في آخرتهم، «ومن خلفهم» أرغبهم في دنياهم، «وعن أيمنهم» أي: من قبل حسناتهم، «وعن شمائلهم» من قبل سيئاتهم، قاله ابن عباس. والثاني: مثله، إلا أنهم جعلوا «من بين أيديهم» الدنيا، «ومن خلفهم» الآخرة، قاله النخعي، والحكم بن عتيبة. والثالث: مثل الثاني، إلا أنهم جعلوا «وعن أيمنهم» من قبل الحق أصدهم عنه، «وعن شمائلهم» من قبل الباطل أردهم إليه، قاله مجاهد، والسدي. والرابع: «من بين أيديهم» من سبيل الحق، «ومن خلفهم» من سبيل الباطل، «وعن أيمنهم» من قبل آخرتهم، «وعن شمائلهم» من أمر الدنيا، قاله أبو صالح. والخامس: «من بين أيديهم» «وعن أيمنهم» من حيث يبصرون، «ومن خلفهم» «وعن شمائلهم» من حيث لا يبصرون، نقل عن مجاهد أيضاً. والسادس: أن المعنى: لأنصرفن لهم في الإضلال من جميع جهاتهم، قاله الزجاج، وأبو سليمان الدمشقي. فعلى هذا، يكون ذكر هذه الجهات، للمبالغة في التأكيد. والسابع: «من بين أيديهم» فيما بقي من أعمارهم، فلا يقدمون فيه على طاعة، «ومن خلفهم» فيما مضى من أعمارهم، فلا يتوبون فيه من معصية، «وعن أيمنهم» من قبل الغنى، فلا ينفقونه في مشكور، «وعن شمائلهم» من قبل الفقر، فلا يمتنعون فيه من محظور، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ١٩ فيه قولان: أحدهما: موحدین، قاله ابن عباس. والثاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل. فإن قيل: من أين علم إيليس ذلك؟ فقد أسلفنا الجواب عنه في سورة (النساء).

﴿قَالَ أَلَمْ يَأْتِهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَمَنْ يَمَكُ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَتَكَادُمْ أَشْكُو أَنَّ رَزْزِكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ يَشْتَكُوا وَلَا تَقَرَّ هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢١

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ يَأْتِهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا﴾ وقرأ الأعمش: «مذموماً» بضم الذا من غير همز. قال الفراء: الذُّمُّ؛ يقال: ذُئِمْتُ الرجل، أذُئِمْتُ ذاماً؛ وذممته، أذمته ذماً؛ وذمته، أذيمه ذَيْماً؛ ويقال: رجل مذووم، ومذمووم، ومذيم، بمعنى. قال حسان بن ثابت:

وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيرُوا جَمِيعاً  
فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْذُومٌ<sup>(١)</sup>

(١) «سيرة ابن هشام» ١٥٠/٢، وفيها: «حتى أبحوا... وكلهم مذمووم» والبيت من قصيدة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد.



قال ابن قتية: المذموم: المذموم بأبلغ الذم. والمدحور: المقصى المبعد. وقال الزجاج: معنى المذموم كمنعنى المذموم، والمدحور: المبعد من رحمة الله. واللام من «الأمْلان»: لام القسم؛ والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل له: من تبعك، أعذبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد. فلام «الأمْلان» هي لام القسم، ولام «لَمَن تبعك» توطئة لها. فأما قوله: «منهم» فقال ابن الأنباري: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم، لأنه حين قال: «وَلَقَدْ عَلَّمْتَكُم مِّمَّ مَوْرَثَكُمْ» [الأعراف: ١١] كان مخاطباً لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: «لَمَن يَمَكُ يَنْتَهَمُ» فجعلهم غائبين، لأن مخاطبتهم في ذا الموضوع توقع لئساً؛ والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب. ومن قال: «وَلَقَدْ عَلَّمْتَكُم مِّمَّ مَوْرَثَكُمْ» خطاب لآدم، قال: أعاد الهاء والميم على ولده، لأن ذكره يكفي من ذكرهم؛ والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللبس. قال الشاعر:

أرى الحَظْفَى بَدَّ الفِرْزْدُقَ شِعْرَهُ  
ولكنَّ خيراً من حُلَيْبٍ مُجاشِعُ

أراد: أرى ابن الخطفى، فاكفى بالخطفى من ابنه.

قوله تعالى: «لَأَنبَأَنَّ جَهَنَّمَ بَنِيكُمْ» يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم من الشياطين.

«قَسَمَ لَنَا الْفَيْلُكُ لِيُبَيِّ لَنَا مَا دُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاهِمَا وَقَالَ مَا نَبُحْنَا رَبَّنَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنْ الْكَاذِبِينَ»

قوله تعالى: «قَسَمَ لَنَا الْفَيْلُكُ» قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصوت. قال ابن فارس: الوسواس: صوت الحلي، ومنه وسواس الشيطان. و «لَهُمَا» بمعنى «إِلَيْهِمَا»، «يُبَيِّ لَنَا» أي: ليظهر لهما «مَا دُرِيَ عَنْهُمَا» أي: ستر. وقيل: إن لام «ليبي» لام العاقبة؛ وذلك أن عاقبة الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما، ولم تكن الوسوسة لظهورها. قوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً» قال الأخفش، والزجاج: معناه: ما نهاكما إلا كراهة أن تكونوا مَلَائِكَةً. وقال ابن الأنباري: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكفى بـ «أن» من «لا» فأسقطها. فإن قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفاً إلى أن يكون مَلَكَاً، وقد شاهد الملائكة ساجدة له؟ فغته جوابان: أحدهما: أنه عرف قريهم من الله، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباري. والثاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلي العمر مع الملائكة: «أَوْ تَكُونَا مِنَ الْكَاذِبِينَ» لا تموتان أبداً، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: «أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً» بكسر اللام، وهي قراءة الزهري.

«وَقَامَتَا إِلَىٰ ذِكْرِ الْمَآءِ ذَاكَ النَّجْوَىٰ» قَالَهُمَا يَذْهَبُ لَنَا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَنَا سَوَاهِمَا وَطَوَّقَا يَحْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ دَرَقِ الْمُنْتَوَىٰ وَكَانَتْهُمَا رَهْبًا أَوْ أَتَتْهُمَا عَنْ يَمِينِ الشَّجَرَةِ وَأَقْبَلَا لَهَا إِلَىٰ الْفَيْلُكُ لَكُمَا عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٠﴾ قَالَا رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا كُفْرًا لَنَا وَرَزَقْنَا لَنَا مِنَ الْخَبِيرِ ﴿٢١﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَذَابٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِيهَا عِصْيَانٌ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: «وَقَامَتَا إِلَىٰ ذِكْرِ الْمَآءِ» قال الزجاج: حلف لهما، فدلأهما في المعصية بأن غرهما. قال ابن عباس: غرهما باليمين، وكان آدم لا يظن أن أحداً يحلف بالله كاذباً.

قوله تعالى: «قَالَا ذَاكَ الشَّجَرَةُ» أي: فلما ذاقا ثمر الشجرة. قال الزجاج: وهذا يدل على أنها إنما ذاقاها ذواقاً، ولم يبالغا في الأكل. والسواة كناية عن الفرج، لا أصل له في تسميته. ومعنى: «وَطَوَّقَا» أخذاً في الفعل؛ والأكثر: طَفِقَ يَطْفُقُ؛ وقد رويت: طَفِقَ يَطْفُقُ، بكسر الفاء، ومعنى: «يَحْصِفَانِ» يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقع النعل: خصاف. وفي الآية دليل على أن إظهار السواة قبيح من لدن آدم؛ ألا ترى إلى قوله: «يُبَيِّ لَنَا مَا دُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاهِمَا» فإنهما بادرا يستتران لقبح التكشف. وقيل: إنما سميت السواة سواة، لأن كشفها يسوء صاحبها. قال وهب بن منبه: كان لباسهما نوراً على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما. وقرأ الحسن: «سَوَاتُهُمَا» على التوحيد؛ وكذلك قرأ: «يَحْصِفَانِ» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد. وقرأ الزهري: بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد. وفي الورق قولان: أحدهما: ورق الثين، قاله



ابن عباس. والثاني: ورق الموز، ذكره المفسرون. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿قَالَ نَبِيًّا تُخَيِّرُونَ﴾ يعني الأرض. واختلف القراء في تاء «تخرجون»؛ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا؛ وفي الروم: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩]. وفي الزخرف: ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]. وفي الجاثية: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الجاثية: ٣٥]. وقرأهن حمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الراء. وفتح ابن عامر التاء في (الأعراف) فقط. فأما التي في (الروم): ﴿إِذَا أَنتَرُ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، وفي ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾: ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] فمفتوحتان من غير خلاف.

﴿يَبْقَىٰ مَادَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ مَّا يَدْرِي اللَّهُ لَعَلَّكُمْ يَذْكُرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ مَادَمَ قَدْ أَزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا﴾ سبب نزولها: أن ناساً من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، من علينا باللباس. وفي معنى ﴿أَزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: خلقناكم. والثاني: ألهمناكم كيفية صنعه. والثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباساً. وأكثر القراء قرؤوا: وريشاً. وقرأ ابن عباس، والحسن، وزر بن حبيش، وقتادة، والمفضل، وأبان عن عاصم: «وريشاً» بالفتح. قال الفراء: يجوز أن تكون الرياش جمع الريش.. ويجوز أن تكون بمعنى الريش كما قالوا: لبس، ولباس. قال الشاعر:

فَلَمَّا كَشَفْنَا اللَّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَاهُ  
بِأَطْرَافِ طِفْلِ زَانَ عَيْلًا مُوسِئًا<sup>(١)</sup>

قال ابن عباس، ومجاهد: «الرياش»: المال؛ وقال عطاء: المال والتعميم. وقال ابن زيد: الريش: الجمال؛ وقال معبد الجهني: الريش: الرزق؛ وقال ابن قتيبة: الريش والرياش: ما ظهر من اللباس. وقال الزجاج: الريش: اللباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تريش فلان، أي: صار له ما يعيش به. أنشد سيبويه:

رِيَاثِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مِنْكُمْ  
وإن كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَا<sup>(٢)</sup>

وعلى قول الأكثرين: الريش والرياش بمعنى. قال قطرب: الريش والرياش واحد. وقال سفيان الثوري: الريش: المال، والرياش: الثياب.

قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: «ولباسُ التقوى» بالرفع. وقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بنصب اللباس. قال الزجاج: من نصب اللباس، عطف به على الريش؛ ومن رفعه، فيجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون مرفوعاً بإضمار: هو؛ المعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين. وللمفسرين في لباس التقوى عشرة أقوال: أحدها: أنه السميت الحسن، قاله عثمان بن عفان؛ ورواه الذئبال بن عمرو عن ابن عباس. والثاني: العمل الصالح، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريج، والسدي؛ فعلى هذا، سمي لباس التقوى، لأنه يقي العذاب. والرابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزبير. والخامس: الحياء، قاله معبد الجهني، وابن الأنباري. والسادس: ستر العورة للصلاة، قاله ابن زيد. والسابع: أنه الدرع، وسائر آلات الحرب، قاله زيد بن علي. والثامن: العفاف، قاله ابن السائب. والتاسع: أنه ما يَتَّقَى به الحر والبرد، قاله ابن بحر. والعاشر: أن المعنى: ما يَلْبَسُه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدنيا، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: ولباس التقوى خير من الثياب، لأن الفاجر، وإن كان حسن الثوب، فهو بادي العورة: و «ذلك» زائدة. قال الشاعر في هذا المعنى:

(١) البيت لمحميد بن ثور الهلالي، «ديوانه» ١٤، و«معاني القرآن» للفراء: ١/ ٣٧٥، و«الطبري» ١٢/ ٣٦٤، و«المخصص» ٤/ ٣٥، و«اللسان»: «لبس» و«طفل». الطفل: البنان الناعم، أراد: مسحه بأطراف بنان طفل. والغيل: الساعد الريان الممتلئ. والموشم: عليه الوشم. والوشم: زينة الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام، ولعن فاعلها.

(٢) البيت لجريج، «ديوانه» ٥٠٦ يمدح هشام بن عبد الملك، وأنشد سيبويه ٤٥/ ٢ ونسبه للراعي. والمام: الشيء اليسير، وهو أيضاً: القيادة في النوم، وأصله من ألم بالمتزل: إذا نزل به ثم رحل.

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ عُرْيَانَا

قال ابن الأنباري: ويقال: لباس التقوى، هو اللباس الأول، وإنما أعاده لما أخبر عنه بأنه خير من التعري، إذ كانوا يتعبدون في الجاهلية بالتعري في الطواف.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ مَّآثِرِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: يعني: الثياب والمال من آيات الله وصنعه، لكي يذكروا، فيعتبروا في صنعه.

﴿يَبْقَىٰ آدَمُ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا إِنَّمَا بَرَكْتُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ آدَمُ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ قال المفسرون: هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراة؛ والمعنى: لا يخذعكم ولا يضلّكم بغروره، فيزيّن لكم كشف عورتكم، كما أخرج أبيكم من الجنة بغروره. وأضيف الإخراج ونزع اللباس إليه، لأنه السبب. وفي «لباسهما» أربعة أقوال: أحدها: أنه النور، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وقد ذكرناه عن ابن منبه. والثاني: أنه كان كالظفر؛ فلما أكل، لم يبق عليهما منه إلا الظفر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن زيد. والثالث: أنه التقوى، قاله مجاهد. والرابع: أنه كان من ثياب الجنة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا﴾ أي: ليري كل واحد منهما سواة صاحبه. ﴿إِنَّمَا بَرَكْتُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ قال مجاهد: قبيله: الجن والشياطين. قال ابن عباس: جعلهم الله يحرون من بني آدم مجرى الدم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبني آدم لا يرونهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ آوِيَةً لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال الزجاج: سلطناهم عليهم، يزدون في غيهم. وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.

﴿وَإِذَا قُلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّا لَأَنذَرْتُكُمْ الْفَحْشَاءَ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ أَن تَكُونُوا تَلْعَنُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلُوا فَحْشَةً﴾ فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وزيد بن أسلم، والسدي. والثاني: أنهم الذين جعلوا السائبة والوصيلة والحام وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم المشركون؛ والفاحشة: الشرك، قاله الحسن، وعطاء. قال الزجاج: فأعلمهم عز وجل أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدل على أنه لا يفعل إلا المستحسن. والقسط: العدل. والعدل: ما استقر في النفوس أنه مستقيم لا ينكره معيّر، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم فحشه؟!.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد، فصلّوا فيه، ولا يقولن أحدكم: أصلي في مسجدي، قاله ابن عباس، والضحاك، واختاره ابن قتيبة. والثاني: توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد. والثالث: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون غيره، قاله الربيع بن أنس. والرابع: اقصدا المسجد في وقت كل صلاة، أمراً بالجماعة لها، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه العبادة. والثاني: الدعاء. وفي قوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قولان: أحدهما: مُثَرِّدِينَ له العبادة. والثاني: موحّدين غير مشركين. وفي قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء، كذلك تبعثون، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والقرظي، والسدي، ومقاتل، والفراء. والثاني: كما خلقتكم بقدرته، كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزجاج، وقال: هذا الكلام متصل بقوله: ﴿فِيهَا نَحْيُونَ فِيهَا تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]. والثالث: كما بدأكم لا تملكون شيئاً، كذلك تعودون، ذكره الماوردي.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُم أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ قال الفراء: نصب الفريق بـ «تعودون». وقال ابن الأنباري: نصب «فريقاً» و «فريقاً» على الحال من الضمير الذي في «تعودون»، يريد: تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين، بعضهم سعداء، وبعضهم أشقياء.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادة السابقة.

﴿يَبْتَغِي مَادًّا خَدُّوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١)

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِي مَادًّا خَدُّوا زِينَتَكُمْ﴾ سبب نزولها: أن ناساً من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراءً، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، وكانت المرأة تعلق على فرجها سيوراً، وتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَغَضُهُ أَوْ كُؤُلُهُ وَمَا بَدَا مِنُّهُ فَلَا أَجْلُهُ

فنزلت هذه الآية (١) قاله ابن عباس. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجوا، فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فيلبقهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية. وقال الزهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراءً، إلا الحمس، قريش وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبيه أحمس، فإن لم يجد من يُعبره من الحمس، ألقى ثيابه وطاف عرياناً، فإن طاف في ثياب نفسه، جعلها حراماً عليه إذا قضى الطواف، فلذلك جاءت هذه الآية. وفي هذه الزينة قولان: أحدهما: أنها الثياب. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطواف، قاله ابن عباس، والحسن في جماعة. والثاني: أنه ورد في ستر العورة في الصلاة، قاله مجاهد، والزجاج. والثالث: أنه ورد في التزين بأجمل الثياب في الجمع والأعياد، ذكره الماوردي. والثاني: أن المراد بالزينة: المشط، قاله أبو رزين.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ قال ابن السائب: كان أهل الجاهلية لا يأكلون في أيام حجهم دسماً، ولا ينالون من الطعام إلا قوتاً، تعظيماً لحجهم، فنزل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾. وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحل لكم، قاله ابن عباس. والثاني: لا تأكلوا حراماً، فذلك الإسراف، قاله ابن زيد. والثالث: لا تشركوا، فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراك، قاله مقاتل. والرابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزجاج. ونقل أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، فقال علي: قد جمع الله تعالى الطب في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾. قال النصراني: ولا يؤثر عن نبيكم شيء من الطب، فقال: قد جمع رسولنا علم الطب في ألفاظ يسيرة. قال: وما هي؟ قال: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعودوا كل بدن ما اعتاد» (٢). فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً. قال المصنف: هكذا نقلت هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطب أحاديث قد ذكرتها في كتاب «لقط المنافع في الطب».

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢)

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين عيروا المسلمين، إذ

(١) مسلم في «صحيحه» ٢٣٢٠/٤ من طريق غندر عن شعبة، و«الطبري» ٣٩٠/١٢. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣١٩/٢ - ٣٢٠ من طريق أبي داود الطيالسي عن شعبة، ولكن قال: نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾. ثم قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» وقال: لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، أو غيره. نعم عند ابن أبي الدنيا في الصمت من جهة وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وللخلال من حديث عائشة: «الأم دواء، والمعدة داء، وعودوا بدنأ ما اعتاد». وأورد الغزالي في «الإحياء» من المرفوع: «البطنة أصل للداء، والحمية أصل الدواء، وعودوا كل بدن بما اعتاد». وقال مخرجه؛ لم أجد له أصلاً.



لبسوا الثياب في الطواف، وأكلوا الطيبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم كانوا يُحرّمون أشياء أحلّها الله، من الزروع وغيرها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراً، قاله طاووس، وعطاء. وفي زينة الله قولان: أحدهما: أنها ستر العورة؛ فالمعنى: من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟ والثاني: أنها زينة اللباس. وفي الطيبات قولان: أحدهما: أنها الحلال. والثاني: المستلذ. ثم في ما عني بها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البحائر، والسوائب، والوصائل، والحوامي التي حرّمها، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنه السُّنَنُ، والألبان، واللحم، وكانوا حرّموه في الإحرام، قاله ابن زيد. والثالث: الحرث، والأنعام، والألبان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً﴾ قال ابن الأنباري: «خالصة» نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يلبس سقوطها. قال الشاعر:

تَقُولُ ابْنَتِي لَمَّا رَأَيْتَنِي شَاحِباً  
كَأَنَّكَ يَخْمِنُكَ الطَّعَامُ طَبِيبُ  
تَسْتَأْبِعُ أَحْدَاثَ تَخَرَّتْنَ إِخْوَتِي  
فَشَيْبَنَ رَأْسِي، وَالْحُطُوبُ تُشِيبُ

أراد: فقلت لها: الذي أكسبني ما ترين، تتابع أحداث، فحذف لانكشاف المعنى. قال المفسرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطيبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء. وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم. وقرأ نافع: «خالصة» بالرفع. قال الزجاج: ورفعهما على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب: والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدنيا، خالصة يوم القيامة. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْأَيَّاتِ﴾ أي: هكذا نبينها.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِقَرَىٰ أَخَىٰ وَأَن تَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقْ يَوْمَ سُلْطَنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَىٰ آلِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ قرأ حمزة: ﴿رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ بإسكان الياء. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أن المراد بها الزنا، ما ظهر منه: علانيته، وما بطن: سره، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: أن ما ظهر: نكاح الأمهات، وما بطن: الزنا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال علي بن الحسين. والثالث: أن ما ظهر: نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، وما بطن: الزنا، زوي عن ابن عباس أيضاً والرابع: أن ما ظهر: الزنا، وما بطن: العزل، قاله شريح. والخامس: أن ما ظهر: طواف الجاهلية عراً، وما بطن: الزنا، قاله مجاهد. والسادس: أنه عام في جميع المعاصي. ثم في «ما ظهر منها وما بطن» قولان: أحدهما: أن الظاهر: الغلانية، والباطن: السر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، والباطن: اعتقاد القلوب، قاله الماوردي. وفي الإثم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذنب الذي لا يوجب الحد، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والثاني: المعاصي كلها، قاله مجاهد. والثالث: أنه الخمر، قاله الحسن، وعطاء. قال ابن الأنباري: أنشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته، وزعم أن أبا عبيدة أنشده:

نَشْرِبُ الْإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَاراً  
وَنَرَى الْمُشْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَاراً<sup>(١)</sup>

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثم: الخمر، في كلام العرب. وأنشدنا رجل آخر:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى غَلَّ عَقْلِي  
كَذَاكَ الْإِثْمُ تَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفاً أيضاً في شعر من يحتج بشعره، وما رأيت أحداً من أصحاب الغريب أدخل

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: أنم، و«التاج»: منك. والمك: «الأرج».



الإثم في أسماء الخمر، ولا سمّتها العرب بذلك في جاهلية ولا إسلام. فإن قيل: إن الخمر تدخل تحت الإثم، فصواب، لا لأنه اسم لها. فإن قيل: كيف فصل الإثم عن الفواحش، وفي كل الفواحش إثم؟ فالجواب: أن كل فاحشة إثم، وليس كل إثم فاحشة، فكان الإثم كل فعل مذموم؛ والفاحشة: العظيمة. فاما البغي، فقال الفراء: هو الاستطالة على الناس.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَشْرَبُوا﴾ قال الزجاج: موضع «أن» نصب؛ فالمعنى: حرّم الفواحش، وحرّم الشرك. والسلطان: الحجة.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عام في تحريم القول في الدين من غير يقين.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ سبب نزولها: أنهم سألوا النبي ﷺ العذاب، فأنزلت، قاله مقاتل. وفي الأجل قولان: أحدهما: أنه أجل العذاب. والثاني: أجل الحياة. قال الزجاج: الأجل: الوقت المؤقت. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً﴾ المعنى: ولا أقل من ساعة. وإنما ذكر الساعة، لأنها أقل أسماء الأوقات.

﴿يَنبِئُ مَادِمًا إِنَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ الْآيَاتِ فَمَن لَّمْ يَرْفَعْ يَدَهُ فَوَيْلٌ لِلنَّاصِرِينَ﴾ (٣٥) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٦) ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَتَخَلَّفُونَ مَن لَّمْ يَكُتِبْ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمُ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَفْجُورُونَ وَأَنَّا مُنَادُونَ وَمِمَّنْ أَلْفَنَّا وَنَمْلِكُ مَا نَشَاءُ فَيَزِيدُنَا حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا إِلَّا ذُرِّيَّتٌ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ وَأَنَّا كَاذِبُونَ﴾ (٣٧)

قوله تعالى: ﴿يَنبِئُ مَادِمًا إِنَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾ قال الزجاج: أضمر: «فأطيعوهم». وقد سبق معنى «إما» في سورة [البقرة: ٢٣٨]؛ والباقي ظاهر إلى قوله: ﴿يَتَخَلَّفُونَ مَن لَّمْ يَكُتِبْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ ففي معناه سبعة أقوال: أحدها: ما قُدِّر لهم من خير وشر، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الأعمال، فيجزون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ما كُتِبَ عليهم من الضلالة والهدى، قاله الحسن. وقال مجاهد، وابن جبير: من السعادة والشقاوة. والرابع: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الربيع، والقرظي، وابن زيد. والخامس: ما كتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسدي. والسادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلها: أنه من افترى على الله كذباً، أسود وجهه، قاله مقاتل. والسابع: ما أخبر في الكتاب من جزائهم، نحو قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكَ نَارًا تَلْقَىٰ﴾ (٣٨) [البقرة: ٢٤]، قاله الزجاج. فإذا في الكتاب خمسة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: كُتِبَ الله كلها. والثالث: القرآن. والرابع: كتاب أعمالهم. والخامس: القضاء.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ رُسُلُنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أعوان ملك الموت، قاله النخعي. والثاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثالث: ملائكة العذاب يوم القيامة. وفي قوله: «يتوَفَّوْنَهُمْ» ثلاثة أقوال: أحدها: يتوَفَّوْنَهُم بالموت، قاله الأكثرون. والثاني: يتوَفَّوْنَهُم بالحشر إلى النار يوم القيامة، قاله الحسن. والثالث: يتوَفَّوْنَهُم عذاباً، كما تقول: قتل فلاناً بالعذاب، وإن لم يمت، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِن مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وهذا سؤال تبكيبت وتقريع. قال مقاتل: المعنى: فليمتنعوا من النار. قال الزجاج: ومعنى ﴿صَلُّوا عَلَيَّ﴾: بطلوا وذهبوا، فيعترفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين. وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّغَتْ لَهَا وَأَظَاهَرَكُمُوهَا فِيهَا جِيحًا قَالَتْ لَأَنزِلَنَّ إِلَهُنَّ مَوْجًا مِّنَ السَّمَاءِ فَاسْفُلُنَا فَنُقَلِّبُنَّ فَاكُنَّا مُكَذَّبِينَ﴾ (٣٩)

قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا﴾ إن الله تعالى يقول لهم ذلك بواسطة الملائكة، لأن الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة. قال ابن قتيبة: و«في» بمعنى: «مع». وفي قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ قولان: أحدهما: مضت إلى العذاب. والثاني: مضت في الزمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ أَثَمُهُ لَمِنَتْ أَخْبَتًا﴾ وهذه أخوة الدين والملة، لا أخوة النسب. قال ابن عباس: يلعنون من كان قبلهم. قال مقاتل: كلما دخل أهل ملة، لنوا أهل ملتهم، فيلعن اليهود اليهود، والنصارى النصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، ويقولون: أنتم القيتونا هذا الملقى حين أطعناكم. وقال الزجاج: إنما تلاعنا، لأن بعضهم ضل باتباع بعض.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا أَذَارَكُوا﴾ قال ابن قتيبة: أي: تداركوا، فادغمت التاء في الدال، وأدخلت الألف ليسلم السكون لما بعدها، يريد: تابعوا فيها واجتمعوا.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَخْرَجْتُهُمْ لِأُولَئِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: آخر أمة لأول أمة، قاله ابن عباس. والثاني: آخر أهل الزمان لأولهم الذين شرعوا له ذلك الدين، قاله السدي. والثالث: آخرهم دخولا إلى النار، وهم الأتباع، لأولهم دخولا. وهم القادة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾ قال ابن عباس: شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهًا.

قوله تعالى: ﴿فَنَاصِيَهُمْ عَذَابًا مِثْلًا﴾ قال الزجاج: أي: عذاباً مضاعفاً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلِّ صِغَفٌ﴾ أي: عذاب مضاعف ولكن لا تعلمون. قرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «يعلمون»، بالياء. قال الزجاج: والمعنى: لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقر: «تعلمون» بالتاء، وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق من العذاب. والثاني: لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك. وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثاني على إغرائهم به، فأجيبوا ﴿لِكُلِّ صِغَفٌ﴾ أي: كما كان للقادة ذلك، فلكم عذاب بالكفر، وعذاب بالاتباع. قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَيْنَانِ مِنْ فَضْلٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله ابن عباس. والثاني: في تخفيف العذاب، قاله مجاهد.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْتُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَيْنَانِ مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ قال مقاتل: من الشرك والتكذيب.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ

يَجْزِي الْمُتَكِبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بحجبنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء، وتكبروا عن الإيمان بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «تُفْتَحُ»؛ بالتاء، وشددوا التاء الثانية. وقرأ أبو عمرو: «لَا تَفْتَحُ» بالتاء خفيفة، ساكنة الفاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «لَا يُفْتَحُ» بالياء مضمومة خفيفة. وقرأ اليزيدي عن اختياره: «لَا تَفْتَحُ» بياء مفتوحة ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ بنصب الباء، فكأنه أشار إلى أفعالهم. وقرأ الحسن: بياء مفتوحة، مع نصب الأبواب، كأنه يشير إلى الله ﷻ. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسدي في آخرين، والأحاديث تشهد به<sup>(١)</sup>. والثاني: لا تفتح لأعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل. وفي السماء قولان: أحدهما: أنها السماء المعروفة، وهو المشهور. والثاني: أن المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها، لأن الجنة في السماء، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الجمل: هو الحيوان المعروف. فإن قال قائل: كيف خص الجمل من دون سائر الدواب، وفيها ما هو أعظم منه؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصل المقصود؛

(١) انظر مستند أحمد ٤/٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، وتفسير الطبري ١٢/٤٢٤، وابن كثير ٢/٢١٣.

والمقصود أنهم لا يدخلون الجنة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهماً، وهذا لا يعني أنك قليلاً، وإن كنا نجد أقل من الدرهم والقتيل. والثاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدواب، فإنهم يقدمونه في القوة على غيره، لأنه يوقر بحمله فينهض به دون غيره من الدواب، ولهذا عجبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، فآثر الله ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الأنباري. قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْسُ<sup>(١)</sup> الغليظ. قال المصنف: وهي قراءة أبي رزين، ومجاهد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يعمر، وأبان عن عاصم. قال: وروى مجاهد عن ابن عباس: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها. قلت: وهي قراءة قتادة، وقد رويت عن سعيد بن جبير، وأنه قرأ: «حتى يلج الجملُ» بضم الجيم وتسكين الميم. قلت: وهي قراءة عكرمة. قال ابن الأنباري: فالجمل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجمل، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجمال، قيل في جمعها: جُمْلٌ، كما يقال: حُجْرة، وحَجَرٌ، وظلمة، وظَلَمٌ. وكذلك من قرأ: «الجملُ» يسوغ له أن يقول: الجُمْلُ، بمعنى الجمل، وأن يقول: الجُمْلُ، جمع جُمْلَة، مثل بُسرة، وبُسْر. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحيال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال. وروى عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه قرأ: «الجملُ» بضم الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضحك، والجحدري. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «الجملُ» بفتح الجيم، ويسكون الميم خفيفة.

قوله تعالى: ﴿فِي سَرِّ لَيْلِيَّاتٍ﴾ السم في اللغة: الثقب. وفيها ثلاث لغات: فتح السين، وبها قرأ الأكثرون، وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرف، وكسرها، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعي عن نافع. قال ابن القاسم: والخياط: المِخْيَطُ، بمنزلة اللحاف والملحف، والقرام والمقرم. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: «في سم المِخْيَطِ». وقال الزجاج: الخياط: الإبرة، وسمها: ثقبها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنة أبداً. قال ابن قتيبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، ويبيض القار.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنة.

﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَلِمَاتُ الْفَالِاحَةِ لَا تَكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ المهاد: الفراش. وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال: أحدها: اللحف، قاله ابن عباس، والقرظي، وابن زيد. والثاني: ما يغشاهم من فوقهم من اللخان، قاله عكرمة. والثالث: غاشية فوق غاشية من النار، قاله الزجاج. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فَخَيَّرْنَا لَهُمْ وَقَالُوا لَمَسَدٌ لَوْ الَّذِي هَدَّيْنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَذَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَتُؤَدُّوهُ أَنْ يُلْغَمَ لَكُمُ الْيَمْنَةُ أَوْ تُنْفِتُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَمْلُكُونَ﴾ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أهل بدر. روى الحسن عن علي عليه السلام أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. وروى عمرو بن الشريد عن علي أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾. والثاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهلية حين أسلموا. روى كثير النواء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في علي، وأبي بكر، وعمر. قلت لأبي جعفر: فاي غل هو؟ قال: غل الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء، تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يسخن يده ويكمد بها خاصرة

(١) القلس، بفتح القاف ويسكون اللام: جبل غليظ من جبال السفن.

أبي بكر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أنهم عشرة من الصحابة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، قاله أبو صالح. والرابع: أنها في صفة أهل الجنة إذا دخلوها. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يُخْلَصُّ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيَجْسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا هَلَبُوا وَثَقُوا، أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ». فوالذي نفسي بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة الجنة، تعرض لهم عيان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله ما في قلوبهم من غلٍّ وغيره مما كان في الدنيا، ثم يدخلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون منها، فتشرق ألوانهم، وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم. فاما النزح، فهو قلع الشيء من مكانه. والغل: الحقد الكامن في الصدر. وقال ابن قتيبة: الغل: الحسد والعداوة.

قوله تعالى: ﴿لَمَسَدٌ لِئَلَّا يَأْتِيَ فَتَنًا لِهَذَا﴾ قال الزجاج: معناه: هذان لما صيرنا إلى هذا. قال ابن عباس: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته. وروى عاصم بن ضمرة عن علي كرم الله وجهه قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منشور، فيطوفون بهم كطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشرونهم بما أعد الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشرونهم، فيستخفون الفرح، فيقمن على أشكف الباب، فيقلن: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فإذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلو أن الله ذلله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فإذا هو بالشجر الموضونة، والفرش المرفوعة، والزراي المبوثة، فعند ذلك قالوا: ﴿لَمَسَدٌ لِئَلَّا يَأْتِيَ فَتَنًا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوَلَا أَنْ هَدَا اللَّهُ﴾ كلهم قرأ «وما كنا» بإثبات الواو، غير ابن عامر، فإنه قرأ «ما كنا لنهتدي» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو، أن القصة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله ﴿رَأَيْمُهُمْ كَلْبَةٌ﴾ [الكهف: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بَيْنَهُمْ﴾ هذا قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً. ﴿وَوَدُّوا أَنْ يَلَكُمْ كَلِمَةٌ﴾ قال الزجاج: إنما قال «تلكم» لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكانه قيل لهم: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر «أورثموها» غير مدغمة. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي «أورثموها» مدغمة، وكذلك قرؤوا في [الزخرف: ٧٢]. قال أبو علي: من ترك الإدغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن التاء والتاء مهموستان متقاربتان. وفي معنى «أورثموها» أربعة أقوال: أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فاما الكافر فإنه يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة»<sup>(٢)</sup>، فذلك قوله: ﴿أورثموها﴾ بكثرة تَمَكُّونَ. وقال بعضهم: لما سمي الكفار أمواتاً بقوله: ﴿أَتَرْتُمْ عَذَابَ أَهْلِكَ﴾ [النحل: ٢١]. وسمى المؤمنين أحياء بقوله: «لتنذر من كان حياً» [يس: ٧٠] أورث الأحياء الموتى. والثاني: أنهم أورثوها عن الأعمال، لأنها جعلت جزاء لأعمالهم، وثواباً عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن دخول الجنة برحمة الله، واقتسام

(١) «البخاري» ٧٠/٥، و ٣٤٦/١١ [شرح الفتح]، و«الطبري» ٣٨/١٤ قال الحافظ ٣٤٦/١١: قوله: «والذي نفس محمد بيده» هذا ظاهره أنه مرفوع كله، وكذا في سائر الروايات، إلا في رواية عفان عند الطبري: قال: فإنه جعل هذا من كلام قتادة، فقال بعد قوله: «في دخول الجنة» قال: وقال قتادة: «والذي نفسي بيده لأحدهم أهدى... إلخ. وفي رواية شبيب بن إسحاق بعد قوله: «في دخول الجنة» قال: فوالذي نفسي بيده... إلخ. فأبهم القائل، فعلى رواية عفان يكون هو قتادة، وعلى رواية غيره يكون هو النبي ﷺ، وزاد محمد بن المنهال عند الإسماعيلي: قال قتادة: كان يقال: ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة إذا انصرفوا من جمعهم، وهكذا عند عبد الوهاب وروح. وفي رواية بشر بن خالد وعفان جميعاً عند الطبري: قال: وقال بعضهم... فذكروا، وكذا في رواية شبيب بن إسحاق، ويونس بن محمد، والقائل: وقال بعضهم: هو قتادة، ولم أقف على تسمية القائل.

(٢) «الطبري» ٦/١٨ من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً بلفظ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾». وكذلك أورده ابن كثير ٣/٢٣٩ من رواية ابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد في «المستند» بنحوه، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/٣٩٩ وذكر رواية أخرى له، ثم قال: رواه أحمد ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح.

(٣) كلا الأصل «لتنذر» بالتاء، وهي قراءة نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وأما قراءة حفص، فبالياء «لتنذر».



الدرجات بالأعمال. فلما كان يفسّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثاً. والميراث: ما أخذته عن غير عوض. والرابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

﴿وَأَذَانُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّهُمْ يَبْتَنُونَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ حُكْمًا وَعَمَّا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَذِبُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ أي: من العذاب؟ وهذا سؤال تقرير وتعبير. ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾. قرأ الجمهور بفتح العين في سائر القرآن، وكان الكسائي يكسرها. قال الأخفش: هما لثتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَذَانُ مَوْذُونٌ يَبْتَنُونَ﴾ أي: نادى مناد: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قتيل ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ خفيفة النون ساكنة. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «أَنْ» بالتشديد، «لعنة الله» بالنصب. قال الأخفش: و «أَنْ» في قوله: ﴿أَنْ يَلْعَنُكَ الْجَنَّةُ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠]، و: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾، هي «أَنْ» الثقيلة خففت. قال الشاعر:

فِي فُتَيْحَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا  
أَنْ هَالِكٌ كُلٌّ مَنْ يَحْقَى وَيَنْتَعِلُ<sup>(١)</sup>  
وَأَشْدُ أَيْضًا:

أَكْأَشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا  
عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبِهِ حَرِيصُ<sup>(٢)</sup>  
ومعناه: أنه كلانا؛ وتكون «أَنْ قَدْ وَجَدْنَا» في معنى: أي. قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: الكافرون.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أذن المَوْذُونُ أن لعنة الله على الذين كفروا وصُدُّوا عن سبيل الله، وهو الإسلام. ﴿وَيَتَّبِعُونَ حُكْمًا وَعَمَّا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: وهم يَكُونُ الآخرة كافرون.

﴿وَيَتَّبِعُونَ حُكْمًا وَعَمَّا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ مفسر في [آل عمران: ٤٩]. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: وهم يَكُونُ الآخرة كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُونَ حُكْمًا﴾ أي بين الجنة والنار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَمْ يَلْمُوكَ﴾ [الحديد: ١٣]، فسمي هذا السور بالأعراف لارتفاعه. قال ابن عباس: الأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار، له عرف كعرف الديك. وقال أبو هريرة: الأعراف: جبال بين الجنة والنار، فهم على أعرافها، يعني: على ذراها، خلقتها كخلقة عرف الديك. قال اللغويون: الأعراف عند العرب: كل ما ارتفع من الأرض وعلا؛ يقال لكل عالٍ: عُرْف، وجمعه: أعراف. قال الشاعر:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيفَافٍ  
كَالْعَلَمِ الْمُوفِيِّ عَلَى الْأَعْرَافِ<sup>(٣)</sup>  
وقال الآخر:

وَرُبُّنَا بِنَاءٌ أَبَاءُ كِرَامٍ  
وَفِي «أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ» قولان: أحدهما: أنهم من بني آدم، قاله الجمهور. وزعم مقاتل أنهم من أمة محمد ﷺ خاصة. وفي أعمالهم تسعة أقوال: أحدها: أنهم قوم قُتِلُوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمَنَعَهُمْ من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله، وهذا مروى عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم

(١) قاله الأشعري، وهو في «ديوانه» ٥٩، وسيبويه ٢٨٢/١، ٤٤٠، ٤٨٠ - ١٢٣/٢، و«الطبري» ٤٤٤/١٢، و«أمالى الشجري» ٢/٢، و«الإنصاف» ٨٩، و«الخزانة» ٥٤٧/٣ - ٣٥٦/٤. وهذا البيت أشدّه هكذا سيبويه، وتبعه النحاة، وهو ملق من بيتين، يقول الأشعري في قصيدته:

إِنَّا كَلَّلُكَ مَا نَحْنُ وَنُتَعَلِّمُ  
أَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الْجَبَلُ  
في فحية كسيف الهندي قد علموا

(٢) البيت غير منسوب في «سيبويه» ١/٤٤٠، و«الإنصاف» لابن الأنباري: ٨٩، ١٨٣، و«أمالى ابن الشجري» ١/١٨٨، وقوله: أكاشره: أضاحكه.

(٣) البيت غير منسوب في معجاز القرآن ١/٢١٥، و«الطبري» ٤٥٠/١٢، و«غريب القرآن» ١٦٨، و«اللسان»: نوف. والكناز: المجتمع اللحم القوية، والتألف: الطويل، والعلم: الجبل.

(٤) «الطبري» ١٢/٥٨٨، وفيه أبو معشر نجح بن عبد الرحمن السدي المدني وهو ضعيف، وأورده ابن كثير في «التفسير» ٢/٢١٦ عن سعيد بن منصور، ثم قال: ورواه ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق عن أبي معشر به.

وسيثاتهم، فلم تبلغ بهم حسناتهم دخول الجنة، ولا سيئاتهم دخول النار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، والشعبي، وقناة. والثالث: أنهم أولاد الزنا، رواه صالح مولى التوأمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، ومجاهد؛ فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل التزهد. والخامس: أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم. والسادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى. والسابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباري. والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المنجوفي في تفسيره. والتاسع: أنهم قوم عملوا لله، لكنهم راؤوا في عملهم، ذكره بعض العلماء. والقول الثاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعترض عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث. وقيل: معنى قوله: ﴿وَكُلُّ الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على معرفة أهل الجنة من أهل النار، ذكره الزجاج، وابن الأنباري. وفيه بُعد وخلاف للمفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُنَ كَلًّا يُسَيِّئُ﴾ أي: يعرف أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار. وسيما أهل الجنة: بياض الوجه، وسيما أهل النار: سواد الوجه، وزرقة العيون. والسيما: العلامة. وإنما عرفوا الناس، لأنهم على مكان عال يشرفون فيه على أهل الجنة والنار. ﴿وَرَكَاةً﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ﴾. وفي قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها، قاله الجمهور. والثاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يذهب بها إلى الجنة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها، هذا قول السدي.

﴿وَرَكَاةً صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ لِقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَكَاةً صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ﴾ يعني أصحاب الأعراف. والتلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة. وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النار، أي: حيالهم.

﴿وَرَكَاةً أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِيكًا لَا يَرَوْنَهُمْ يُسَيِّئُ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَكَاةً أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِيكًا لَا يَرَوْنَهُمْ يُسَيِّئُ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أمية بن خلف، يا أبي بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا المال والولد. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: تتعظّمون عن الإيمان.

﴿أَهْوَلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا حَوْثَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَهْوَلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن أهل النار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنة، فيقول الله لأهل النار: ﴿أَهْوَلُوا﴾ يعني أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ رواه وهب بن منبه عن ابن عباس. قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطلع عليهم ربه فقال لهم: «ادخلوا الجنة فإنني قد غفرت لكم»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنة الفقراء والمساكين الذين كان الكفار يستهزؤون بهم، كسلمان، وصهيب، وخباب، فينادون الكفار: ﴿أَهْوَلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قاله ابن السائب. فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿يَرَحُّوْهُ﴾، ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنة. وقد ذكر المفسرون في قوله: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون خطاباً من الله لأهل الأعراف، وقد ذكرناه. والثاني: [أن] يكون خطاباً من الله لأهل الجنة. والثالث: أن يكون خطاباً من أهل الأعراف لأهل الجنة، ذكرهما الزجاج. فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنة: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: اعلوا إلى القصور المشرفة، وارتفعوا إلى المنازل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنة. وروى مجاهد عن عبد الله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له: الحياة، عليه قضبان الذهب مكللة

باللؤلؤ، فيُغمسون فيه، فيخرجون، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ويقال لهم: تمتوا ما شئتم، ولكم سبعون ضعفاً، فهم مساكن أهل الجنة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ أَن يَمَيُّظُوا عَلَيْكَ مِنَ الْمَلَكِ أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ قال ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج بعد لباس، فقالوا: يا رب، إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النعيم فعرفوهم. ونظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوههم وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم، فينادي الرجل أخاه: يا أخي قد احترقت فأغشني؛ فيقول: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. قال السدي: عنى بقوله: ﴿أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الطعام. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن ابن آدم غير مستغنٍ عن الطعام والشراب، وإن كان معذباً.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَفْنَا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْتَدِرُونَ ۝٥١﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ قال ابن عباس: هم المستهزون. والمعنى: أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم. وقال أبو روق: دينهم: عيدهم. وقال قتادة: ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي: أكلاً وشرباً. وقال غيره: هو ما زينه الشيطان لهم من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والمكاء، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا. و «ما» نسق على «كما» في موضع جر. والمعنى: وكجحدهم. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: فالיום نتركهم في النار على علم منا ترك ناس غافلي كما استعملوا في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل.

﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ مُّدَىٰ وَحْيِهِ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُم بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن. ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ أي: بيناه بليضاح الحق من الباطل. وقيل: فصلناه فصلاً مرة بتعريف الحلال، ومرة بتعريف الحرام، ومرة بالوعد، ومرة بالوعيد، ومرة بحديث الأمم. وفي قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قولان: أحدهما: على علم منا بما فصلناه. والثاني: على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه. وقرأ ابن السميع، وابن محيصن، وعاصم، والجحدري، ومعاذ القاري: «فَصَّلْنَاهُ» بضاد معجمة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا مِن قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِنَّا مِنَ شُعْمَاءَ فَتَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَيَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ قال ابن عباس: تصديق ما وعدوا في القرآن. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وهو يوم القيامة. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سُئِلُوا﴾ أي: تركوه ﴿مِن قَبْلِ﴾ في الدنيا: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِنَّا مِنَ شُعْمَاءَ﴾ أي: بالبعث بعد الموت.

قوله تعالى: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ قال الزجاج: المعنى: أو هل نردُّ. وقوله: ﴿فَنَعْمَلْ﴾ منصوب على جواب الفاء للاستفهام. ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ الْإِلَهَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَاللَّيْلُ وَالْقَمَرُ وَالشُّجُرُ مُسْعَرِينَ بِأَمْرِهِ ۚ لَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم السبت. روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر [من] يوم الجمعة [في] آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»<sup>(١)</sup>، وهذا اختيار محمد بن إسحاق.. قال

(١) «المستند» ٨٣٢٣، و«مسلم» ٢١٤٩/٤. قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٦٩١ بعد أن أورده: وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم»، وقد تكلم =

ابن الأنباري: وهذا إجماع أهل العلم. والثاني: يوم الأحد، قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضحاك، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري، وبه يقول أهل التوراة. والثالث: يوم الاثنين، قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل. ومعنى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشمس وغروبها، ولم تكن الشمس حيثئلاً. قال ابن عباس: مقدار كل يوم من تلك الأيام ألف سنة، وبه قال كعب، ومجاهد، والضحاك، ولا نعلم خلافاً في ذلك. ولو قال قائل: إنها كأيام الدنيا، كان قوله بعيداً من وجهين: أحدهما: خلاف الآثار. والثاني: أن الذي يتوهمه المتوهم من الإبطاء في ستة آلاف سنة، يتوهمه في ستة أيام عند تصفح قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فإن قيل: فهل خلقها في لحظة، فإنه قادر؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه أراد أن يقع في كل يوم أمراً تستعظمه الملائكة ومن يشاهده، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أن التثبت في تهديد ما خلق لآدم وذريته قبل وجوده، أبلغ في تعظيمه عند الملائكة. والثالث: أن التعجيل أبلغ في القدرة، والتثبيت أبلغ في الحكمة، فأراد إظهار حكمته في ذلك، كما يظهر قدرته في قول: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. والرابع: أنه علم عباده التثبيت، فإذا تثبت من لا يزل، كان ذو الزلل أولى بالتثبيت. والخامس: أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء، أبعد من أن يُظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْوَعْدِ﴾ قال الخليل بن أحمد: العرش: السرير؛ وكل سرير لملك يسمى عرشاً؛ وقلما يُجمع العرش إلا في اضطراب؛ واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهلية والإسلام. قال أمية بن أبي الصلت:

مَجْدُوا اللَّهَ فَهُوَ لِمَجْدِ أَهْلٍ  
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا  
سَرْجَعًا لَا يَنَالُهُ نَاطِرُ الْعَيْنِ

رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا  
سَ وَسْوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا  
مِنْ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكُ صُورًا

وقال كعب: إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض. وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطائي قال: العرش ياقوتة حمراء. وإجماع السلف منعقد على أن لا يزيديا على قراءة الآية. وقد شد قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة إلى التجوز، مع مخالفة الأثر؛ ألم يسمعو قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْآلَاءِ﴾ [مرد: ٧] أتراه كان المُلْك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟ وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى؛ ويحتج بقول الشاعر:

حَتَّى اسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ  
وبقول الشاعر أيضاً:

مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

هُمَا اسْتَوِيَا بِفَضْلِهِمَا جَمِيعًا

عَلَى عَرْشِ الْمُلُوكِ بَعْنِ زُورِ

وهذا منكر عند اللغويين. قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم. قالوا: وإنما يقال استولى فلان على كذا، إذا كان بعيداً عنه غير متمكن منه، ثم تمكن منه؛ والله ﷻ لم يزل مستولياً على الأشياء؛ والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللغوي. ولو صحّا، فلا حجة فيهما لما بيّنا من استيلاء من لم يكن مستولياً. نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة.

قوله تعالى: ﴿يُعْثِي آلِيلَ الْهَارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُعْثِي» ساكنة الغين خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يُعْثِي» مفتوحة الغين مشددة؛ وكذلك قرؤوا في [الرعد: ٢٣]. قال الزجاج: المعنى: أن الليل يأتي على النهار فيغطيه؛ وإنما لم يقل: ويعشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلاً عليه؛ وقد قال في موضع آخر: ﴿يَكُونُ آلِيلٌ عَلَى الْهَارِ وَيَكُونُ الْهَارُ عَلَى آلِيلٍ﴾ [الزمر: ٢٥]. وقال أبو علي: وإنما لم

عليه علي بن المديني، والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما أشبهه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي.



يقول: يغشي النهار الليل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿مَرْيَلٌ يَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وانتصب الليل والنهار، لأن كل واحد منهما مفعول به. فأما الحثيث، فهو السريع.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ قرأ الأكثرون: بالنصب فيهن، وهو على معنى: خلق السموات والشمس. وقرأ ابن عامر: «والشمس والقمر والنجوم مسخرات» بالرفع فيهن هاهنا وفي [النحل: ١٢]، تابعه حفص في قوله تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾ في [النحل: ١٢] فحسب. والرفع على الاستئناف. والمسخرات: المذلللات لما يراد منهن من طلوع وأفول وسير على حسب إرادة المدبر لهن.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَالْأَنزُ﴾. وقيل: الأمر: القضاء.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وكذلك قال القتيبي، والزجاج. وقال أبو مالك: افتعل من البركة. وقال الحسن: تجيء البركة من قبله. وقال الفراء: تبارك: من البركة؛ وهو في العربية كقولك: تقدس ربنا. والثاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع؛ والمتبارك: المرتفع. والثالث: أن المعنى: باسمه يُتبرَّك في كل شيء، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى «تبارك» تقدس، أي: تظهر، ذكره ابن الأنباري أيضاً.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُنْتَوِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ التضرع: التذلل والخضوع. والخُفية: خلاف العلانية. قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدعاء، ولا تسمع إلا همساً. ومن هذا حديث أبي موسى: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»<sup>(١)</sup>. وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان: أحدهما: أنه الاعتداء في الدعاء. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشر، كالخزي واللعنة، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل. والثاني: أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز. والثالث: أنه الجهر في الدعاء، قاله ابن السائب. والثاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الزجاج.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: لا تفسدها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان. والثاني: لا تفسدها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل. والثالث: لا تفسدها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة. والرابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب. والخامس: لا تفسدها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه. والسادس: لا تفسدها بتكذيب الرسل بعد إصلاحها بالوحي. وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قولان: أحدهما: خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه. والثاني: خوفاً من الرد، وطمعاً في الإجابة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال الفراء: رأيت العرب تؤثث القرية في النسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منا قريب، من القرب والبعد، ذكروا وأثثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خَلْفًا مِنَ الْمَكَانِ، كقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [مود: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ولو أثث ذلك لكان صواباً. قال عروة:

عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبَةٌ      فَمَذْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدٌ<sup>(٢)</sup>

(١) «البخاري» ٩٤/٦، و«مسلم» ٢٠٧٦/٤. وقوله: «اربعوا على أنفسكم»: قال النووي: أي: أرفقوا بأنفسكم واخفصوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان بعد أن يخاطبه ليستمع، وأثم تمدن الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٣٨١/١، و«الطبري» ٤٨٨/١٢، وهو في «ديوان عروة بن حزام»، وفي «تزيين الأسواق» ٨٤/١، و«مسقط اللآلئ» ٤٠١ من شعر له، صواب إنشاء على الباء:

فَسَلُّوْا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبٌ  
لَهَا بَيْنٌ جَلْدِي وَالْمَعْظِيَامُ بَيْنِي

عَشِيَّةٌ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بِبَعِيدٌ  
وَأَنِّي لَتَشْتَاتِي لَذِكْرِكَ فِتْرَةٌ

وقال الزجاج: إنما قيل: «قريب» لأن الرحمة والغفران والعتو بمعنى واحد، وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش: جاز أن تكون الرحمة هاهنا في معنى المطر.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا فَقَالَا سُقْنَاهُ يُكَلِّمُ مَنِّي فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ تُنْجِي السَّحَابُ لَكُمْ نُفُوسَكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٥٧]

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الرياح» على الجمع. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «الريح» على التوحيد. وقد يأتي لفظ التوحيد، ويراد به الكثرة، كقولهم: كثر الدرهم في أيدي الناس، ومثله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾ [المصر: ٢].

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع: «نُشْرًا» بضم النون والشين؛ أرادوا جمع نشور؛ وهي الريح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية وجانب. قال أبو عبيدة: النُّشْر: المتفرقة من كل جانب. وقال أبو علي: يحتمل أن تكون النشور بمعنى المنتشر، وبمعنى الناشئ؛ يقال: أنشأ الله الريح، مثل أحياها، فنشرت، أي: حيت. والدليل على أن إنشار الريح إحيائها قول الفقعي:

وَهَبْتُ لَهُ رِيحَ الْجَنُوبِ وَأُخْيَيْتُ

ويدل على ذلك أن الريح قد وصفت بالموت. قال الشاعر:

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَمُوتَ الرِّيحُ فَأَقْمُدَ الْيَوْمَ وَأُسْتَرْيَحُ

والرَّيْدَةُ والريدانة: الريح. وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري: «نُشْرًا» بالنون مضمومة وسكون الشين، وهي في معنى «نُشْرًا». يقال: كُتِبَ وَكُتِبَ، ورُسِّلَ ورُسِّلَ. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، والمفضل عن عاصم: «نُشْرًا» بفتح النون وسكون الشين. قال الفراء: النُّشْر: الريح الطيبة اللينة التي تنشئ السحاب. وقال ابن الأنباري: النُّشْر: المنتشرة الواسعة الهبوب. وقال أبو علي: يحتمل النُّشْر أن يكون خلاف الطي، كأنها كانت بانقطاعها كالمطرية. ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النشر: أنها المتفرقة في الوجوه؛ ويحتمل أن يكون معناها: النشر الذي هو الحياة، كقول الشاعر:

[حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مُمًّا رَأُوا] يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ<sup>(١)</sup>

قال: وهذا هو الوجه. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النخعي، ومسروق، ومورق العجلي: «نُشْرًا» بفتح النون والشين. قال ابن القاسم: وفي النُّشْر وجهان: أحدهما: أن يكون جمعاً للنشور، كما قالوا: عَمُدٌ وَعَمَدٌ، وإِهَابٌ وَأَهَبٌ. والثاني: أن يكون جمعاً، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غَائِبٌ وَغَيْبٌ، وحافِدٌ وَحَفْدٌ؛ وكل القراء نَوْنُ الكلمة. وكذلك اختلافهم في [الفرقان: ٤٨] و [النمل: ٦٣]. هذه قراءات من قرأ بالنون. وقد قرأ آخرون بالباء؛ فقرأ عاصم إلا المفضل: «بُشْرَى» بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فُعْلَى. قال ابن الأنباري: وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشر بالمطر. والأصل ضم الشين، إلا أنهم استقلوا الضميتين. وقرأ ابن خثيم، وابن جلد مثله، إلا أنها نَوْنُ الراء. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: بضم الباء والشين، وهذا على أنها جمع بشيرة. والرحمة هاهنا: المطر؛ سماء رحمة لأنه كان بالرحمة. و «أَقْلَتْ» بمعنى حملت. قال الزجاج: السحاب: جمع سحابة. قال ابن فارس: سمي السحاب لانسحابه في الهواء.

قوله تعالى: ﴿يَقَالَا﴾ أي: بالباء. وقوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ﴾ رد الكناية إلى لفظ السحاب، ولنظفه لفظاً واحداً. وفي قوله: ﴿يُكَلِّمُ﴾ قولان: أحدهما: إلى بلد. والثاني: لإحياء بلد. والميئ: الذي لا يُبْنَى فيه، فهو محتاج إلى المطر. وفي قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الكناية ترجع إلى السحاب. والثاني: إلى المطر، ذكرهما الزجاج. والثالث: إلى البلد، ذكره ابن الأنباري. فأما هاء «فَأَخْرَجْنَا بِهِ» فتحتمل الأقوال الثلاثة.

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: ريد، والريدة: الريح اللينة.

(٢) البيت لأعشى قيس، «ديوانه» ١٨ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل في المناقرة التي جرت بينهما.



مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بِعِطَافٍ فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَنَحْذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآلَيْنَا بِمَا صَدَقْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿لَنَاهُمْ هَؤُلَاءِ﴾. قال الزجاج: وإنما قيل: أخوهم، لأنه بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم. ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم. وقال أبو سليمان الدمشقي: وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح؛ وإنما سماه أخاهم، لأنه كان نسيباً لهم، وهو وهم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ قال ابن قتبية: السفاهة: الجهل. وقال الزجاج: السفاهة: خفة الحُلم والراي؛ يقال: ثوب سفيه، إذا كان خفيفاً. ﴿وَلِنَا نَقْطُكَ مِنَ الْكَذِبِ﴾ فكفروا به، ظانين، لا مستيقنين. ﴿قَالَ يَتْلُوا لِي فِي سَفَاهَةٍ﴾ هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فإنه دفع ما سبوه به من السفاهة بنفيه فقط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ قال الضحاك: أمين على الرسالة. وقال ابن السائب: كنت فيكم أميناً قبل اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ ذِكْرِهِمُ النِّعْمَةَ حَيْثُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ وَأَسْكَنْهُمْ مَسَاكِنَهُمْ﴾. ﴿وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بِعِطَافٍ﴾ أي: طولاً وقوة. وقال ابن عباس: كان أطولهم مائة ذراع، وأقصرهم ستين ذراعاً. قال الزجاج: وآلاء الله: نعمه؛ واحدها: إلى. قال الشاعر:

أَبْيَضُ لَا يَزِمُ الْهَزَالَ وَلَا  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَاحِداً «إِلْيَا»، «وَالِي».

قوله تعالى: ﴿فَآلَيْنَا بِمَا صَدَقْنَا﴾ أي: من نزول العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أن العذاب نازل بنا. وقال عطاء: في نبوتك وإرسالك إلينا.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَتَجِدَلُونِي وَتَأْمَلُونَ سَعْيَكُمْ أَنْتُرَ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٧١﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ رِجْسًا مِمَّا قَلَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِرِينَ ﴿٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ أي: وجب ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ﴾ قال ابن عباس: عذاب وسخط. وقال أبو عمرو بن العلاء: الرجز؛ بالزاي، والرجس؛ بالسين؛ بمعنى واحد، قلبت السين زايًا.

قوله تعالى: ﴿أَتَجِدَلُونِي وَتَأْمَلُونَ سَعْيَكُمْ أَنْتُرَ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ يعني: الأصنام. وفي تسميتهم لها قولان: أحدهما: أنهم سمّوها آلهة. والثاني: أنهم سمّوها بأسماء مختلفة. والسلطان: الحجة. ﴿فَانظُرُوا﴾ نزول العذاب ﴿إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إياي.

﴿وَلِإِنْ تُمُودَ أَمَانَتِهِمْ مَدِينًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِتْرَةٌ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرْوَهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يَتَقَوَّمُوا بِهَا ذِكْرُكُمْ عَذَابُ آلِئِ﴾ ﴿٧٣﴾ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ثَلَاثِينَ مِنْ شُهُولٍهَا قُصُورًا وَنَجْعُونَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِإِنْ تُمُودَ﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقبلة ماثها. قال ابن فارس: التمد: الماء القليل الذي لا مادة له.

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ في إضافتها إليه قولان: أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله. والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: علامة تدل على قدرة الله؛ وإنما قال: «لکم» لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم. وفي وجه كونها آية قولان: أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخضت بها تمخض الحامل،



ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها. والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم، وتسقيهم اللبن مكانه. قوله تعالى: ﴿فَذَرَوْهَا تَاكُلُ فِي أَزْيَ اللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها. و«تأكل» مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذروها تأكل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْؤُمَا بِسُوءٍ﴾، أي: لا تصيوها بعقر.

قوله تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم؛ يقال: بَوَّأ فلان منزلاً: إذا نزله. وبَوَّأته: أنزلته. قال الشاعر: وبَوَّأْتُ فِي صَمِيمٍ مَغْشَرَهَا قَتَمٌ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُومًا<sup>(١)</sup> أي: أنزلت من الكريم في صميم النسب؛ قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَلَّوْنَ مِنْ سُوءِهَا فَصُورًا﴾ السهل: ضد الحزن. والقصر: ما شُيِّد وعلا من المنازل. قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء. قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبني البنيان، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب ثم يجده، فتمر عليه مائة سنة، فيخرب؛ فأضجرهم ذلك، فاتخذوا من الجبال بيوتاً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَكُنْ لَكُمْ آيَةً أَنْ أَنْتَضِعُوا مِنْ قَوْمِي لِلَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا لِيَنَ أَمَنَ مِنْهُمْ أَتَنْتَضِعُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةً أَنْ أَنْتَضِعُوا مِنْ قَوْمِي﴾<sup>(٢)</sup> قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَكُنْ لَكُمْ آيَةً أَنْ أَنْتَضِعُوا مِنْ قَوْمِي﴾ وقرأ ابن عامر ﴿وَقَالَ لَكُمْ﴾ بزيادة واو؛ وكذلك هي في مصاحفهم. ومعنى الآية: تكبروا عن عبادة الله. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا﴾ يزيد: المساكين. ﴿لِيَنَ أَمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من قوله ﴿لِلَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا﴾ لأنهم المؤمنون. ﴿أَتَنْتَضِعُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةً﴾ هذا استفهام إنكار.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ آثِنَا يَمَا تَوَدُّنَا إِنْ كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيًّا<sup>(٤)</sup> قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ أي: قتلوها. قال ابن قتبية: والعقر يكون بمعنى القتل، ومنه قوله ﷺ عند ذكر الشهداء: «من عقر جواده»<sup>(٥)</sup> وقال ابن إسحاق: كَمَن لها قاتلها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكسر عرقوبها، ثم نحرها. قال الأزهرى: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جعل العقر نحرًا، لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره.

قوله تعالى: ﴿وَعَتَرُوا﴾ قال الزجاج: جاوزوا المقدار في الكفر. قال أبو سليمان: عتوا عن اتباع أمر ربهم.

قوله تعالى: ﴿يَمَا تَوَدُّنَا﴾ أي: من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قال الزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيًّا﴾ أي: في مدينتهم. فإن قيل: كيف وحّد الدار هاهنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ [مود: ٦٧]؟ فعتة جوابان، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه أراد بالدار: المعسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: ﴿فِي دَارِهِمْ﴾: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل. والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكتمى بالواحد من الجميع، كقول الشاعر:

كُلُّوا فِي نِصْفٍ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿جِثِيًّا﴾ قال الفراء: أصبحوا رماداً جائماً. وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جثوم. والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. وقال ابن قتبية: الجثوم: البروك على الركب. وقال غيره: كأنهم أصبحوا

(١) البيت لإبراهيم بن مَرْزَمَة في «مجاز القرآن» ١/ ٢١٨، و«اللسان»: بوا، وشواهد المعنى: ٢٨٠.

(٢) روى ابن ماجه ٩٣٤/٢ عن عمرو بن عيسى قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال: «من أريق دمه وعقر جواده» قال في «الزوائد»: إسناده ضعيف لضعف محمد بن ذكوان.

موتى على هذه الحال. وقال الزجاج: أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم. قال المفسرون: معنى «جاثمين»: بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض عند نزول العذاب.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَلْقَوْنَ لَكَدًا أُفْلِتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ التَّصَدِيقَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ يَلْقَوْنَ أَتَأْتُونَ النَّجْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَمْرِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِنْسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُونُ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة، لأن الله تعالى أوحى إليه أن يخرج من بين أظهرهم، فإني مهلكهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً أسمع قومه كما أسمع نبيكم قومه، يعني: بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ النَّجْشَةَ﴾ يعني إتيان الرجال. ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَمْرٍ﴾ قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط. وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين. قال الزجاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كإسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتَأُونَ الرَّجَالَ﴾ هذا استفهام إنكار. والمسرف: المجاوز ما أمر به. وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني لوطاً وأتباعه المؤمنين ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطَلُونُ﴾ قال ابن عباس: يتزهدون عن أدبار الرجال وأدبار النساء.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ في أهله قولان: أحدهما: ابتداء. والثاني: المؤمنون به. ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: الباقيين في عذاب الله تعالى. قال أبو عبيدة: وإنما قال: «من الكافرين» لأن صفة النساء مع صفة الرجال تُذكر إذا أشرك بينهما.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ قال ابن عباس: يعني: الحجارة. قال مجاهد: نزل جبريل، فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، ورفعها، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا شِعَابًا قَالَ يَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَذَرُوا مَا بَدَلْتُمْ بِإِذْنِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَآزَلُوا الْكَيْلَ وَالْيَمِينَاتِ وَلَا يَخْشَوْنَ الْكَاسَ أَشْبَاهَهُمْ وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال قتادة: مدين: ماء كان عليه قوم شعيب، وكذلك قال الزجاج، وقال: لا ينصرف، لأنه اسم البقعة. وقال مقاتل: مدين: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه. وقال أبو سليمان الدمشقي: مدين: هو ابن مديان بن إبراهيم، والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا: هو اسم قبيلة. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة. فالمعنى: وإلى أهل مدين. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: مدين اسم أعجمي. فإن كان عربياً، فإلياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ الْكَاسَ أَشْبَاهَهُمْ﴾ قال الزجاج: الْبَخْسُ: النقص والقلّة؛ يقال: بَخَسْتُ ابْنَحْسُ؛ بالسین، وبخست عينه، بالصاد لا غير. ﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل، وإرسال الرسل.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدّقين بما أخبرتكم عن الله. ﴿وَلَا تَقْسِدُوا يَكْفِلْ صِرَاطَ تَوَعُّدٍ وَتُصَدِّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْتَغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا تَكْفُرْكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْسِدُوا يَكْفِلْ صِرَاطَ﴾ أي: بكل طريق ﴿تَوَعُّدُونَ﴾ مَنْ آمَنَ بشعيب بالشر، وتخوفونهم بالعذاب والقتل. فإن قيل: كيف أفرد الفعل، وأخلاه من المفعول، فهلاً قال: توعدون بكذا؟ فالجواب: أن العرب إذا أحلّت هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر؛ يقولون: أوعدت فلاناً. وكذلك إذا أفردوا وعدت من مفعول، لم يدل

إِلا عَلَى الْخَيْرِ. قَالَ الْفَرَاءُ: يَقُولُونَ: وَعَدْتُهُ خَيْرًا، وَأَوْعَدْتُهُ شَرًّا؛ فَإِذَا أَسْقَطُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، قَالُوا: وَعَدْتُهُ: فِي الْخَيْرِ، وَأَوْعَدْتُهُ: فِي الشَّرِّ؛ فَإِذَا جَاؤُوا بِالْبَاءِ، قَالُوا: وَعَدْتُهُ بِالشَّرِّ. وَقَالَ الرَّاجِزُ:

أَوْعَدْتَنِي بِالسُّجُونِ وَالْأَذَاهِمِ

قَالَ الْمَصْنَفُ: وَقَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللَّغُوي، قَالَ: إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَذْكُرُوا مَا تَهَدَّدُوا بِهِ مَعَ أَوْعَدْتُ، جَاؤُوا بِالْبَاءِ، فَقَالُوا: أَوْعَدْتُهُ بِالضَّرْبِ، وَلَا يَقُولُونَ: أَوْعَدْتُهُ الضَّرْبَ. قَالَ السَّدي: كَانُوا عَشَّارِينَ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَي: تَصْرِفُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِهِ. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مَفْسَرٌ فِي (آلِ عِمْرَانَ: ٩٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا تَكْفُرْكُمْ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: جَعَلَكُمْ أَغْنِيَاءَ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ فَقَرَاءَ؛ وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ: كَثُرَ عَدَدُكُمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ قَلِيلًا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونُوا غَيْرَ ذَوِي مَقْدَرَةٍ وَأَقْدَارٍ، فَكَثُرْهُمْ.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِرُوا فَأْتَسَوُّوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُفْرَجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي وَلِيَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَذِبٌ كَرِيمٌ ﴿١٨٨﴾ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِرُوا﴾ أَي: إِنْ اخْتَلَفْتُمْ فِي رِسَالَتِي، فَصَرَفْتُمْ فَرِيقَيْنِ، مُصَدِّقِينَ وَمُكَذِّبِينَ ﴿فَأْتَسَوُّوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بِتَعَذُّبِ الْمُكَذِّبِينَ، وَإِنْجَاءِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لِأَنَّهُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي وَلِيَّتِنَا﴾ يَعْنُونَ دِينَنَا، وَهُوَ الشَّرْكُ. قَالَ الْفَرَاءُ: جَعَلَ فِي قَوْلِهِ: «لَتَعُودُنَّ» لَامًا كَجَوَابِ الْيَمِينِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى شَرْطٍ؛ وَمِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ: وَاللهِ لَأَضْرِبَنَّكَ أَوْ تُقِرَّ لِي، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ مَعْنَى: «إِلَّا»، أَوْ مَعْنَى: «حَتَّى». «فَقَالَ أُولَئِكَ كَذِبٌ كَرِيمٌ» أَي: أَوْ تَجْبِرُونَنَا عَلَى مِلَّتِكُمْ إِنْ كَرِهْنَا هَآؤُلَاءِ؟ وَالْأَلْفُ لِلْإِسْتِفْهَامِ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالُوا: «لَتَعُودُنَّ»، وَشَعِيبٌ لَمْ يَكُنْ فِي كَفَرٍ قَطُّ، فَيَعُودُ إِلَيْهِ؟ فَعَنَى جَوَابَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ لَمَّا جَمَعُوا فِي الْخُطَابِ مَعَهُ مِنْ كَانَ كَافِرًا، ثُمَّ آمَنَ، خَاطَبُوا شَعِيبًا بِخُطَابِ أَتْبَاعِهِ، وَغَلَّبُوا لَفْظَهُمْ عَلَى لَفْظِهِ، لَكَثَرَتُمْ، وَانْفَرَادِهِ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: لَتَصِيرُنَّ إِلَى مِلَّتِنَا؛ فَوَقَعَ الْقَوْدُ عَلَى مَعْنَى الْإِبْتِدَاءِ، كَمَا يَقَالُ: قَدْ عَادَ عَلِيٌّ مِنْ فُلَانٍ مَكْرُوهٍ، أَي: قَدْ لَحَقَنِي مِنْ ذَلِكَ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَقَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَإِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً  
إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ فِي سُورَةِ [البقرة: ٢١٠]، وَقَدْ ذَكَرَ مَعْنَى الْجَوَابِينَ الزَّجَّاجُ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

﴿هُوَ أَقْرَبُنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهَ مِنبَأَ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفَتَحَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿١٨٩﴾ وَقَالَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَبِنَ أَتَشْتُمُ شَيْعًا إِنْ كُنَّا إِذَا لَخِيرُونَ ﴿١٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٌ ﴿١٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْعًا كَانُوا لَمْ يَقْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَيْعًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرِينَ ﴿١٩٢﴾ فَنُؤَلِّهِمْ عَنْهُمْ وَقَالَ يَافُو لَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ بِرِسَالَتٍ بَيِّنَةٍ وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِكَيْفٍ آمَنُوا عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٩٣﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَقْرَبُنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا يَدْعُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، فَلِذَلِكَ سَمَّوْهُ مِلَّةً. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾ أَي: فِي الْمِلَّةِ، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أَي: إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَمِشِيئَتِهِ أَنْ نَعُودَ فِيهَا، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْلَمُ مَا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ أَي: فِيمَا تَوَعَّدْتُمُونَا بِهِ، وَفِي حِرَاسَتِنَا مِنَ الضَّلَالِ. ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَحْكَمَ بَيْنَنَا، وَأَنْشَدَ:

أَلَا أُبْلِغُ بِزِيْ عَضْمٍ رَّسُولًا  
بَأْنِي عَنْ فُتَاخَتِكُمْ غَزِيٍّ<sup>(١)</sup>  
قال الفراء: وأهل عُمان يسمون القاضي: الفاتح والفتاح. قال الزجاج: وجائز أن يكون المعنى: أظهر أمرنا حتى يفتح ما بيننا وينكشف؛ فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم.  
قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَفْتَوْا فِيهَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كان لم يعيخوا في دارهم، قاله ابن عباس، والأخفش. قال حاتم طي:

غَزِيْنَا زَمَانًا بِالسَّعْلِكِ وَالْغِنَى  
فَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسِيهِمَا الدُّهْرُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا زَادَنَا بَغِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ  
غِنَانًا، وَلَا أَزْرَى بِأَخْسَائِنَا الْفَقْرُ<sup>(٣)</sup>  
قال الزجاج: معنى غنينا: عشنا. والصعلك: الفقر، والعرب تقول للفقر: الصعلوك. والثاني: كان لم يتعموا فيها، قاله قتادة. والثالث: كان لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل. والرابع: كان لم ينزلوا فيها، قاله الزجاج، قال الأصمعي: المغاني: المنازل؛ يقال: غنينا بمكان كذا، أي: نزلنا به. وقال ابن قتيبة: كان لم يقيموا فيها، ومعنى: غنينا بمكان كذا: أقمنا. قال ابن الأنباري: وإنما كرر قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ للمبالغة في ذمهم؛ كما تقول: أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراسنا.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّاهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أعرض. والثاني: انصرف. ﴿وَقَالَ يَتَوَلَّاهُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي﴾ قال قتادة: أسمع شعيب قومه، وأسمع صالح قومه؛ كما أسمع نبيكم قومه يوم بدر؛ يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. ﴿فَكَيْفَ آمَنَ﴾ أي: أحزن. وقال ابن إسحاق: أصاب شعيباً على قومه حزن شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: كيف آسى على قوم كافرين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَ وَالْعَصْرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ قال الزجاج: يقال لكل مدينة: قرية، لاجتماع الناس فيها. وقال غيره: في الآية اختصار، تقديره: فكذبوه. ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسْوَ وَالْعَصْرِ﴾ وقد سبق تفسير البأساء والضراء في [الأنعام: ٤٢]، وتفسير التضرع في هذه السورة [الأعراف: ٥٥]. ومقصود الآية: إعلام النبي ﷺ بسوء الله في المكذبين، وتهديد قريش.  
﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْعُتْرَةَ وَالْعُتْرَةَ فَآخَذْتُهُمْ بَقَنَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ<sup>(٦)</sup> أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السيئة: الشدة؛ والحسنة: الرخاء، قاله ابن عباس. والثاني: السيئة: الشر؛ والحسنة: الخير، قاله مجاهد.  
قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آلِهَاتُنَا الْعُتْرَةَ وَالْعُتْرَةَ﴾ فنحن مثلهم، يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا داب الدهر، وليس بعقوبة. ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَقَنَةٍ﴾ أي: فجاءه نزول العذاب ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله، حتى أهلكهم الله.

قوله تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: المعنى: أناهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكياً كثيراً.

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾<sup>(٨)</sup> أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ<sup>(٩)</sup>

(١) «مجاز القرآن» ٢٢٠/١، و«إصلاح المنطق» ١١٢، و«الطبري» ٥٦٤/١٢، و«السمط» ٩٢٧، و«القرطبي» ٩٤/١٣، و«اللسان» و«التاج»: فتح. وبنو عسّم: رطم عمرو بن معد يكرب الزبيدي. والبيت مختلف في غزوه، انظر تعليق الراجكوتي في «سطح اللاي» ٩٢٧.

(٢) البيتان في «ديوان حاتم» ١١٩، و«الأغاني» ٢٩٦/١٧، و«خزانة الأدب» للبغدادى ١٦٣/٢.

(٣) في «الديوان»، و«الخزانة»: «فما زادنا باراً» والبار: الكبير والفخر.



قوله تعالى: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع: «أَوَ أَمِنَ أَهْلُ» بإسكان الواو. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحَمْزَةُ، والكسائي: «أَوَ أَيْنَ» بتحريك الواو. وروى ورش عن نافع: «أَوَ أَمِنَ» يدغم الهمزة، ويلقي حركتها على الساكن.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُوا الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ذَلِكَ الْقَرْيَ نَقَضَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْغَى اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾ وقرأ يعقوب: «تهدي» بالنون، وكذلك في [طه: ١٢٨]، و[السجدة: ٢٦]. قال الزجاج: من قرأ بالياء، فالمعنى: أولم يبين الله لهم. ومن قرأ بالنون، فالمعنى: أولم نبين. وقوله تعالى: ﴿وَنَطْعُ﴾ ليس بمحمول على «أصبناهم»، لأنه لو حمل على «أصبناهم» لكان: ولطبعنا. وإنما المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم. ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما قال: «أَنْ لَوْ نَشَاءُ»، والمعنى: لو شئنا. وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون معطوفاً على: أصبنا، إذ كان بمعنى نُصِيب: فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَبْرًا مِمَّنْ ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠]، أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُولًا﴾، قال الشاعر:

إِنْ يَسْمَعُوا رَبَّنَا طَارُوا بِهَا فَرَحًا  
مِنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَقْنُوا<sup>(٢)</sup>  
أي: يدفنوا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يقبلون، ومنه «سمع الله لمن حمده»، قال الشاعر:

دَعَاكَ اللَّهُ حَيْسَى خِفْتُ أَنْ لَا  
يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أقرؤا له بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، هذا قول أبي بن كعب. والثاني: فما كانوا ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا به يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من صلب آدم، فآمنوا كرهاً حيث أقرؤا باللسن، وأضمرُوا التَّكْذِيبَ، قاله ابن عباس، والسدي. والثالث: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم، هذا قول مجاهد. والرابع: فما كانوا ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل شاركهم في التَّكْذِيبِ، قاله يمان بن رباب. والخامس: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا قبل رؤيتها.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ قال مجاهد: يعني؛ القرون الماضية. ﴿وَمِنْ عَهْدٍ﴾ قال أبو عبيدة: أي: وفاء. قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم. وقال الحسن: العهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا﴾ قال أبو عبيدة: وما وجدنا أكثرهم إلا الفاسقين.

﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ ثَمُودَ إِسْرَافَ وَمَلَكِيَّةَ فُلْمُلُومًا بِمَا فَافْطَرَّ كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْفُتُورِ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُفْرَعُونَ إِلَى رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَافِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْفَقَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين.

(١) البيت لقعناب ابن أم صاحب، وهي أمه، واسم أبيه ضمرة، أحد بني عبد الله بن غطفان، من شعراء العصر الأموي. وهو في «الحجاسة» ١٢/٤، وشاهد المعنى للسيوطي ٣٢٦.

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: سمع.

قوله تعالى: ﴿فَقُلُّوا يٰٓهَآ﴾ قال ابن عباس: فكذبوا بها. وقال غيره: فجحجوها بها.

قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلٰٓى اَنْ لَا اَقُوْلَ عَلٰٓى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقُّ﴾ «على» بمعنى الباء. قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع «على»؛ تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وعلى حال حسنة. وقال أبو عبيدة: «حقيق» بمعنى؛ حريص. وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: «حَقِيقٌ عَلٰٓى» بتشديد الباء وفتحها، على الإضافة. والمعنى: واجب عليّ.

قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: العصا. «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ» أي: أطلق عنهم؛ وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة. «فَإِذَا هِيَ ثَغْبَانٌ مُّثِينٌ» قال أبو عبيدة: أي: حبة ظاهرة. قال الفراء: الثغبان: أعظم الحيات، وهو الذكر. وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثغبان: الحية الذكر.

﴿وَرَجَّ يَدُهُ إِذَا هِيَ بِمِثْلَةِ اللَّطِيطِ﴾ ١٠٨ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْرِ رَعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِرٌّ عَلِيمٌ ١٠٩ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُ ١١٠ قَالُوا أَرْجُوهَ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجِرٍ عَظِيمٍ ١١٢ وَجَاءَ السَّحَرَةُ وَرَعَوْتَ قَالُوا إِنَّكَ لَنَا لَأَكْبَرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ لَبِنَ الْمُقَرَّبِينَ ١١٤ قَالُوا بِمُوسَى إِنَّمَا أَنْ ثَلَفَى وَإِنَّمَا أَنْ لَكُونُ نَحْنُ الْمَلِكِينَ ١١٥ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ سِجْرٌ عَظِيمٌ ١١٦ وَأَرْجَحْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ آتِيَ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُفُونَ ١١٧ قَوَّعَ الْحَقُّ وَطَلَّ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ ١١٨ فَنُفِخَ هَٰذَاكَ وَانْقَلَبُوا صَدِرِينَ ١١٩ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجْرَهُمْ ١٢٠ قَالُوا مَا آتَانَا رَبِّي الْمَلَكِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ١٢٢

قوله تعالى: ﴿وَرَجَّ يَدُهُ﴾ قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فغروا على وجوههم؛ ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت. قال مجاهد: بيضاء من غير برص.

قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُ﴾ قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به عليّ؟ وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملا انقطع عند قوله: ﴿مَنْ أَرْجَحُكُمْ﴾. قال الزجاج: يجوز أن يكون من قول الملا، كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه، أو خاطبوه وحده؛ لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟

قوله تعالى: ﴿أَرْجُوهَ﴾ قرأ ابن كثير «أرجهوه» مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ. وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو؛ وكانا يهزمان: «مرجؤن» [النوبة: ١٠٦] و«ترجئ» [الأحزاب: ٥١]. وقرأ قالون والمسيبي عن نافع «أرجه» بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الياء، ولا يهزم. وروى عنه ورش: «أرجهي» يصلها بياء، ولا يهزم بين الجيم والهاء. وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع؛ وهي قراءة الكسائي. وقرأ حمزة: «أرجه» ساكنة الهاء غير مهموز، وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل، وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي قراءة أبي جعفر، وكذلك اختلافهم في سورة [الشعراء: ٣٦]. قال ابن قتيبة أَرْجُوهَ: آخره؛ وقد يهزم، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته. ومنه قوله: ﴿فَرَجَىٰ مَن نَّفَاةٌ يَّتَهَّنُ﴾ [الأحزاب: ٥١]. قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز، وكذلك عامة قيس؛ وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء مولعون بهمزها، وترك الهمز أجود.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ يعني مدائن مصر، «حَاشِرِينَ» أي: من يحشر السحرة إليك ويجمعهم. وقال ابن عباس: هم الشرط.

قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجِرٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «سَجِرٍ»، وفي [يونس: ١٧٩]: «بِكُلِّ سَجِرٍ»؛ وقرأ حمزة، والكسائي: «سَجَارٍ» في الموضعين؛ ولا خلاف في [الشعراء: ٣٧] أنها: «سَجَارٍ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَنَا لَأَكْبَرُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: «إِنَّكَ لَنَا لَأَكْبَرُ» مكسورة الألف على الخبر، وفي [الشعراء: ٤١]: «إَيْنَ» ممدودة مفتوحة الألف، غير أن حفصاً روى عن عاصم في [الشعراء: ٤١]: «إَيْنَ» بهمزيين. وقرأ أبو عمرو: «إَيْنَ لَنَا» ممدودة في السورتين. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن

عاصم: بهمزين في الموضعين. قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهما عنه.

قوله تعالى: ﴿وَالَكُمْ لِيَنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

قوله تعالى: ﴿سَكِرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ قال أبو عبيدة: عَشُّوا أعين الناس وأخذوها. ﴿وَأَسْمَوْهُمْ﴾ أي: خَوَّفُوهم.

وقال الزجاج: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس.

قوله تعالى: **فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ**، وقرأ عاصم: **﴿تَلْقَفُ﴾** ساكنة اللام، خفيفة القاف ها هنا وفي [طه: ٦٩]، و[الشعراء: ٤٥]. وروى

البرّي، وابن فُلَيْح عن ابن كثير: ﴿لَقَفْتُ﴾ بتشديد التاء. قال الفراء: يقال: لَقَفْتُ الشيء، فانا لَقَفُهُ لَقْفًا وَلَقْفَانًا؛ والمعنى: تبتلع.

قوله تعالى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ آيَ﴾: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيات.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ﴾ قال ابن عباس: استبان. ﴿وَبَطَّلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من السحر.

(الإشارة إلى قصتهم)

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولاً: أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني:

اثنان وسبعون ألفاً، رُوي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع:

اثنا عشر ألفاً، قاله كعب. والخامس: سبعون ألفاً، قاله عطاء، وكذلك قال وهب في رواية، إلا أنه قال: فاختار منهم

سبعة آلاف. والسادس: سبعمائة. وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال: كان عدد السحرة الذين

عارضوا موسى ألفاً متخيراً من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين ألف سبعمائة. والسابع:

خمسـة وعشرون ألفاً، قاله الحسن. والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة. والتاسـع: ثمانون ألفاً، قاله محمد بن المنكدر.

والعاشر: بضعة وثلاثون ألفاً، قاله السدي: والحادي عشر: خمسة عشر ألفاً، قاله ابن إسحاق. والثاني عشر: تسعة

عشر ألفا، رواه أبو سليمان الدمشقي. والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي. فاما أسماء رؤسائهم، فقال

ابن إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعادور، وحطخط، ومُصْفى، وهم الذين امنوا، كذا حكاه ابن ماكولا. وروایت

عن غير ابن إسحاق: سابورا، وعازورا. وقال مقاتل: اسم أكبرهم شمعون. قال ابن عباس: القوا جبلا غلاظا،

وحسباً طويلاً، فكانت ميلاً في ميل، فالقى موسى عصاه، فإذا هي أعظم من جبالهم وعصيمهم، قد سدت الأفق، ثم

تحت فاما ثمانين ذراعاً، فابتلعت ما ألوا من جبالهم وعصبيهم، وجعلت تاكل جميع ما قدرت عليه من صخرة او

سَجْرَةً، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، وَفِرْعَوْنُ يَصْحَكُ بِجُلْدٍ، فَأَجَابَتْ أَلْحِيَهُ نَحْوَ فِرْعَوْنَ، فَنَصَّاحٌ. يَا مُوسَى، يَا مُوسَى، فَاحْذَرَا

فَأَنذَرْتُهُمْ نَارَهُ الَّتِي هُمْ فِيهَا مُغْتَضَبُونَ يَوْمَ تُبْهِقُ الصَّاعِقَاتُ سِبْغًا مِّنَ الْمَاءِ فَتُغْفَى لَهُمُ النَّارُ أَكْبَرُ ذُنُوبِهِمْ

[illegible]

مس. أم السحرة، فقال: أريت إن غلبتك غداً، أنؤمن ؟ فقال الساحر: لأن غداً لا يؤمن إلا بربك، لا يؤمن إلا بالله، فإله

لَكَ: غَلَسْتَ لَأَوْمِنَ بِكَ. فَإِنْ قُلَا: كَيْفَ حَازَ أَنْ يَأْمُرَهُ مَسْئَرُ بِالْإِقْدَاءِ، وَفَعَلَ السَّحَابُ كَيْفَ؟ فَفَعْلُهُ ثَلَاثَةٌ أَحَدُهُ: أَجْلَاهَا:

أن مضمون أمره: إن كنتم محققين، فالقوا. والثاني: ألقوا على ما يضحى لا على ما يفسد ويستجلى، ذكرهما الماء والدي.

والثالث: إنما أمرهم باللقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا ألقوا، ألقي عصاه فاشلعت ذلك، ذكره المحدث. فإن

قِيلَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿وَأَنفَى السَّحَابِ سَحَابِينَ﴾ ﴿١٦﴾ وإنما سجدوا باختيارهم؟ فالجواب أنه لما ذلت كل شبهة بما أظهر الله

تعالى من أمره، اضطربهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحاً وتعظيماً لشأن ما

ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أَمِنَتِ السَّحَرَةُ، أَتَبَعَ مُوسَى سِتْمِائَةَ أَلْفٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ عَسَيْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ مَأْدُونُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُم مَكْرَهُهُ فِي الْمَدِينَةِ لَنُخْرِجَنَّ عَنْهَا بَهِيمًا يُغَوِّى سَوَافِقَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

وَأَنذِرْكُمْ يَوْمَ يَأْتُ السَّحَابَ ثِقِيلًا  
ذَاتِ مَوَاقِفٍ ﴿١٧٦﴾

... ..



قوله تعالى: ﴿ءَأَمْتُمْ بِهِ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «ءَأَمْتُمْ به» بهزمة ومدة على الاستفهام. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أَأَمْتُمْ به» فاستفهموا بهزتين، الثانية ممدودة. وقرأ حفص عن عاصم: «أَأَمْتُمْ به» على الخبر. وروى ابن الإخريط<sup>(١)</sup>: عن ابن كثير: «قال فرعون وأمتمت به» فقلب همزة الاستفهام واواً، وجعل الثانية ملية بين بين. وروى قبل عن القواس مثل رواية ابن الإخريط، غير أنه كان يهزم بعد الواو. وقال أبو علي: همز بعد الواو، لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام، وبعد همزة الاستفهام همزة «أَفَعَلْتُمْ» فحققتها ولم يخفها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ مَّكَرْتُمْهُ﴾ قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها ﴿فَسَوْفَ تَمْلِكُونَ﴾ عاقبة ما صنعتم، ﴿لَأَقْطِنَنَّ إِلَيْكُمْ وَأَرْبِكُمْ مِنْ ظَنَفٍ﴾ وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى. قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب فرعون.

﴿وَمَا نَقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ ءَأَمْتَنَا بِرَبِّنا لَمَّا جَاءَتْنا رَبِّنا أَنْفَعَ عَلَيْنَا سِيراً وَتَوَقَّا مُسْلِمِينَ﴾ وقال اللؤلؤ من قور فرعون أَنَذَرَ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقِيلُ آثَاءَكُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِيزُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقِمُ مِنْكَ أَي: وما تكره منا شيئاً، ولا تطعن علينا إلا لأنا آمننا. ﴿رَبِّكَ أَفْخَعَ عَلَيْنَا سِيراً﴾ مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَقَّا مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصين على دين موسى.

قوله تعالى: ﴿أَنذَرَ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ هذا إغراء من الملا لفرعون. وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان: أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نساءهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل. والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ جمهور القراء على نصب الراء؛ وقرأ الحسن برفعها. قال الزجاج: من نصب «ويذرك» نصبه على جواب الاستفهام بالواو؛ والمعنى: أياكون منك أن تذرك موسى وأن يذرك؟ ومن رفعه جعله مستأنفاً، فيكون المعنى: أنذر موسى وقومه، وهو يذرك وآلهتك؟ والأجود أن يكون معطوفاً على «أنذره» فيكون المعنى: أنذر موسى، وأينذرك موسى؟ أي: أنطلق له هذا؟.

قوله تعالى: ﴿وَالْإِهْتَكُ﴾ قال ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَكْفُرُون﴾ [النازعات: ٢٤]. وقال غيره: كان قومه يعبدون تلك الأصنام تقريباً إليه. وقال الحسن: كان يعبد تيساً في السر. وقيل: كان يعبد البقر سراً. وقيل: كان يجعل في عنقه شيئاً يعبد به. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: «والإهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبالفاء بعدها. قال الزجاج: المعنى: ويذرك وربوبيتك. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإلاهة: العبادة؛ فالمعنى: ويذرك وعبادة الناس إياك. قال ابن قتيبة: من قرأ: «والإهتك» أراد: ويذرك والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها إلهة. قال الأعشى:

فَمَا أَذْكَرُ الرُّفْبِ حَتَّى انْقَلَبْتُ      فُبَيْلَ الْإِلَهِةِ مِنْهَا قَرِيبَا

يعني الشمس. والرفب: ناقته. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله تعالى: ﴿سَنُقِيلُ آثَاءَكُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سنقتل» و «يقتلون» آثاءكم [الأعراف: ١٤١] بالتشديد، وخففها نافع. وقرأ ابن كثير: «سَنُقْتَلُ» خفيفة، و «يقتلون» مشددة. وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلهم أنه لا يقدر عليه. ﴿وَرَبَّنا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ أي: عالون بالملك والسلطان. فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فقال موسى: ﴿اسْتَعِيزُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ على ما يفعل بكم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ



يَكْفَأُ مِنْ يَكْوَدٍ. وقرأ الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «يوزئها» بالتشديد. فاطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَيِّتَةُ لِلَّذِينَ﴾ فيها قولان: أحدهما: الجنة. والثاني: النصر والظفر.

﴿قَالُوا أَوْيَتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَيَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدَّتُكُمْ وَتَسْتَنْظِرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ولقد أخذنا مال فرعون باليسين ونقص من الثمرات لعلهم يدكرون ﴿١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوْيَتَنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَيَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا﴾ في هذا الأذى ستة أقوال: أحدها: أن الأذى الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن. والثاني: أن الأول ذبح الأبناء، والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي. والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسحرون في الأعمال إلى نصف النهار، ويرسلون في بقيته يكتسبون، والثاني تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جوير. والرابع: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللين، وكانوا يعطونهم التبن الذي يخلطونه في الطين؛ والثاني أنهم كلّفوا ضرب اللين وجعل التبن عليهم، قاله ابن السائب. والخامس: أن الأول قتل الأبناء، واستحياء البنات، والثاني تكليف فرعون إياهم ما لا يطيقونه، قاله مقاتل. والسادس: أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، والثاني إعادة ذلك العذاب. وفي قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ قولان: أحدهما: تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئنا بها، قاله ابن عباس. والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلصنا، ومن بعد ما جئنا به، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدَّتُكُمْ﴾ قال الزجاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب.

قوله تعالى: ﴿وَتَسْتَنْظِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الاستخلاف قولان: أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه. والثاني: استخلاف عن الله تعالى، لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه. وفي الأرض قولان: أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس. والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ قال الزجاج: أي: يراه بوقوعه منكم، لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا مَالَ فِرْعَوْنَ بِالْيُسَيْنِ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: ابتليانهم بالجدوب. وآل فرعون: أهل دينه وقومه. وقال مقاتل: هم أهل مصر. قال الفراء: «بالسين» أي: بالقحط والجدوب عاماً بعد عام. وقال الزجاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مستهم السنة، ومعناه: جذب السنة، وشدة السنة. وإنما أخذهم بالضراء، لأن أحوال الشدة، ترقق القلوب، وترغب فيما عند الله وفي الرجوع إليه. قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يبس لهم كل شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر. فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت رباً كما تزعم، فاملا لنا نيل مصر، فقال: غدوة يصبحكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أي شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر غدوة أصبح، فيكذبوني؟! فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثم لبس بدرة من صوف، ثم خرج حافياً حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه، فقال: اللهم إني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماءً، فاملاه، فما علم إلا بخير الماء لما أراد الله به من الهلكة. قلت: وهذا الحديث بعيد الصحة، لأن الرجل كان دهرياً لا يثبت إليها. ولو صح، كان إقراره بذلك كإقرار إبليس، وتبقى مخالفة عاداً.

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه. ﴿وَإِنْ تُصِيبُنَا سَيِّئَةٌ﴾ وهي

القحط والجذب والبلاء ﴿يَعْلَمُونَ بِمُوسَىٰ وَنَّ مَعَهُ﴾ أي: يتشاءموا بهم. وكانت العرب تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتترك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّا طَارُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ﴾ قال أبو عبيدة: «ألا تنبيه وتوكيد ومجاز. «طائرهم» حظهم ونصيبهم. وقال ابن عباس «أَلَا إِنَّا طَارُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ» أي: إن الذي أصابهم من الله. وقال الزجاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَانَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّنَسْرَكَ يَا قَمَحْنُ لَكَ بِمُؤَيِّدِكَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّتَّفَعِلَةٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا﴾ قال الزجاج: زعم النحويون أن أصل «مهما» ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ، ف «ما» الأولى هي «ما» الجزاء، و «ما» الثانية هي التي تزداد تأكيداً للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و «ما» تزداد فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَتَفَقَّهُهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧] كقولك: إن تتفقهم، وقال: ﴿وَأَمَّا تَرَضُّعٌ عَنْهُمْ﴾ [الإسراء: ٢٨]، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس. قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى «مه» الكف، يحسن الوقف على «مه»، والاختيار أن لا يوقف عليها دون «ما» لأنها في المصحف حرف واحد. وفي الطوفان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الماء. قال ابن عباس: أرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبيرة، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك، ومقاتل، واختاره الفراء، وابن قتبية. والثاني: أنه الموت، روته عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ <sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير. والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد، ووهب أيضاً. وفي القمل سبعة أقوال: أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وقال به. والثاني: أنه الدبى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء. وقال قتادة: القمل: أولاد الجراد. وقال ابن فارس: الدبى: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنته. والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. وقيل: هذه الدواب هي السوس. والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت. والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم. والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد. والسابع: أنه الحمنان، واحدها: حمنانة، وهي ضرب من القردان، قاله أبو عبيدة. وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر: «القمل» برفع القاف وسكون الميم. وفي الدم قولان: أحدهما: أن ماءهم صار دماً، قاله الجمهور. والثاني: أنه رعا ف أصابهم، قاله زيد بن أسلم.

### (الإشارة إلى شرح القصة)

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر أن يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل؛ فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأبنت لهم شيئاً لم يبنته قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل ما أبنت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك، فدعا، فكشف الله عنهم، فأحزروا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القمل، فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحي، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتفور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برية، فأورثها الله تعالى برد الماء والثرى إلى يوم القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُوبهم دماً، فلم يقدروا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فإذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دماً، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذب لا يقدر

(١) «الطيري» ٥١/١٣ وفي سنده المنهال بن خليفة المجلي وهو ضعيف، والحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس. وخرجه ابن كثير ٢/٢٤٠ من رواية ابن مردويه عن يحيى بن يمان به وقال: وهو حديث غريب.

عليه، فقال فرعون: أقسم بالله يا موسى لنن كُشِفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَنَّ لَكَ، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فعدنا موسى، فذهب الدم وَعَذَبَ مَاوَهُم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُنْصَلِّيكَ﴾ قال ابن قتيبة: بين الآية والآية فصل. قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبب إلى السبب، ثم ييقون عقيب رفعها شهراً في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. قال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يوماً. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمل والضفادع والدم. وفي قوله: ﴿فَاسْتَكَرُّوا﴾ قولان: أحدهما: عن الإيمان. والثاني: عن الانزجار.

﴿وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّ لَئِيْزًا لَّنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ لَمَّا كَفَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِلِفْوِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ فِي آيَةِ يَأْتِيهِمْ كَذِبُوا يَأْتِيَنَا وَكَانُوا عَنَّا غَفِيلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: نزل بهم العذاب. وفي هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه طاعون أهلك منهم سبعين ألفاً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. والثاني: أنه العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك، قاله ابن زيد. قال الزجاج: «الرجز»: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب. ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدة قلقة شديدة متتابعة. وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: فاقة رجزاء، إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها. ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقال من بيت إلى بيت، سريع، نحو قوله:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَخٌ  
أُحِبُّ فِيهَا وَأَضْعُ

وزعم الخليل أن الرِّجْزَ ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث.

قوله تعالى: ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به. والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك. والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن. والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَجَلٌ هُمْ بِلِفْوِهِ﴾ أي: إلى وقت غرقهم. ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ أي: يتفضون العهد. قوله تعالى: ﴿فَاتَّقِنَا مِنْهُمْ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرونا منهم بإحلال نقمتنا بهم، وتلك النعمة تغريتنا إياهم في اليم. قال ابن قتيبة: اليم: البحر بالسريانية.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَنَّا غَفِيلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها. والثاني: عن النعمة.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ مَشْرُوكَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَانَتْ رِزْقُكَ الْحَسَنَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ قُرْعَوُتُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَمْشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَنْكُتُونَ عَلَىٰ أَنْسَابِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ﴾ أي: يُسْتَدْلُونَ بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال. ﴿مَشْرُوكَ الْأَرْضِ وَمَكْرِبَهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن. والثاني: مشارق أرض الشام ومصر. والثالث: أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قال ابن عباس: بالماء والشجر.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ رِزْقُكَ الْحَسَنَ﴾ وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَوَيْدُكَ أَنْ تَنْتَ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَمُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصاص: ٥]، وقد بينا علة تسمية ذلك كله في [آل عمران: ١٤٦].

قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعة الله تعالى. والثاني: على أذى فرعون.

قوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ قُرْعَوُتُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات والمزارع. والدمار: الهلاك.



﴿مَّا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يعرشون» بكسر الراء هاهنا وفي [النحل: ٦٨]. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم الراء فيهما. وقرأ ابن أبي عيلة: «يعرشون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: عَرَشَ يَعْشِرُ وَيَعْشُرُ: إذا بنى.

قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، ويعقوب: «يَعْكُفُونَ» بضم الكاف. وقوا حمزة، والكسائي، والمفضل: بكسر الكاف. وقرأ ابن أبي عيلة: بضم الياء وتشديد الكاف. قال الزجاج: ومعنى «يَعْكُفُونَ عَلَى أَسْنَانِهِمْ»: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ. قال قتادة: كان أولئك القوم نزولاً بالركة، وكانوا من لحم. وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر. وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال ابن قتيبة: مهلك. والبار: الهلاك.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ إِيَّاهَا وَقَدْ نَزَّلْنَاكُمْ عَلَى الْغُلُوبِ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ إِيَّاهَا﴾ أي: أطلب لكم، وهذا استفهام إنكار. قال المفسرون، منهم ابن عباس، ومجاهد: العالَمون هاهنا: عالموا زمانهم.

﴿إِنَّ أَهْلِيكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُودُكُمْ سُودَ الْعَذَابِ يَفْقَهُونَ آيَاتَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَهْلِيكُمْ﴾ قرأ ابن عامر: «وإذ أنجاكم» على لفظ الغائب المفرد.

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ يَمُوتُ رَبِّيهِ أَزْبِيعَتٌ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ المعنى: وعدناه انقضاء الثلاثين ليلة. قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشراً، فكانت فتنتهم في ذلك العشر. فإن قيل: لم زيد هذا العشر؟ فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلة ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إليّ من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام. وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغنا أنه لم يحدث حتى هبط منه. فإن قيل: ما معنى: ﴿فَنَمَّ يَمُوتُ رَبِّيهِ أَزْبِيعَتٌ لَيْلَةً﴾ وقد علم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه للتأكيد. والثاني: ليدل أن العشر، ليلاً، لا ساعات. والثالث: لينفي تمام الثلاثين بالعشر أن تكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأتمت بعشر. وقد بينا في سورة [البقرة: ٥١] لماذا كان هذا الوعد.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ﴾ قال ابن عباس: مرهم بالإصلاح. وقال مقاتل: ارفق.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيهِ فَلَمَّا بَلَغَ رَجُلًا مِّنْ دُونِ الْمَوَدِّ إِذْ كَانَ صَاغِبًا فَلَمَّا أَفَادَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْغَائِبِينَ﴾ قال يَمُوتُ إِلَى أَصْلَابِكَ عَلَى النَّاسِ يَمُوتُ وَيَكْفِي نَحْدًا مَا عَاتَيْتَكَ وَكَانَ مِنَ الْكَاشِرِينَ

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِهِ﴾ قال الزجاج، أي: للوقت الذي وقفتا له. «وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ» أسمعته كلامه، ولم يكن فيما بينه وبين الله شيء فيما سمع أحد. «قَالَ رَبِّ أَرِنِي انْظُرْ إِلَيْكَ» أي: أرني نفسك.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ نَرِيهِ﴾ تعلق بهذا نفاة الرؤية وقالوا: «لن» لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿لَنْ نَرِيَهُ أَبَدًا يَمَّا قَدَّمْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنيهِ في النار بقوله: ﴿يَكِيدُ الْفَاقِينَ عَيْنَاتُهُمْ﴾ [الزخرف: ١٧]، ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا. وقال غيره: هذا جواب لقول



موسى: «أرني»، ولم يُرد؛ أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأجيب عما سأل. وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك. وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى، سألها، ولو كانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: «لا أرى»، ألا ترى أن نوحاً لما قال: ﴿إِنِّي أَنبِيءٌ مِّنْ أَهْلِ﴾ [هود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّمَا لَيْسَ مِنِّي أَهْلًا﴾ [هود: ٤٦]. ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدل على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علقه بمستحيل فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَهَنَّمُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنسَقَرُّ مَكَانَهُ﴾ أي ثبت ولم يتضعض.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَزَلْ رُبُّهُمُ﴾ قال الزجاج: ظهر، وبان. ﴿جَعَلَهُمُ دَكَّاءَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿دَكَّاءَ﴾ منونة مقصورة هاهنا وفي [الكهف: ٩٨]. وقرأ عاصم: ﴿دَكَّاءَ﴾ هاهنا منونة مقصورة، وفي [الكهف: ٩٨]: ﴿دكاء﴾ ممدودة غير منونة. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿دكاء﴾ ممدودة غير منونة في الموضعين، قال أبو عبيدة: «جعلته دكاً» أي: مندكاً، والدك: المستوي؛ والمعنى: مستوياً مع وجه الأرض، يقال: ناقة دكاء، أي: ذاهية السنام مستر ظهرها. قال ابن قتيبة: كان سنامها دكاً، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككت: دقت، فأبدلت القاف كافاً لتقارب المخرجين. وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿جَعَلَهُمُ دَكَّاءَ﴾: ساخ الجبل. قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وإن الجبال تطاولت ليتجلى لها، وتواضع زبير فتجلى له.

قوله تعالى: ﴿وَوَحَّرَ مَوْسَىٰ صَوَافًا﴾ فيه قولان: أحدهما: مغشياً عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: ميتاً، قاله قتادة، ومقاتل، والأول أصح، لقوله: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وذلك لا يقال للميت. وقيل: بقي في غشيته يوماً وليلة.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فيما تاب منه ثلاثة أقوال: أحدها: سؤاله الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: من الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها. والثالث: اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنك لن ترى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنصَلَيْتُكَ﴾ فتح ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو. وقرأ ابن كثير، ونافع: «برسالتني». قال الزجاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس برسالاتي وبكلامي، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: ﴿يُرْسَلَتْنِي وَيَكَلِّمُنِي﴾ لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله.

﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوعِظَةٌ وَتَفْصِيلٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَفْقَهُوْا وَأَمُرٌ مِّنَ قَوْمِكَ فَأَخَذُوا بِأَحْسَنِ سَائِرِهِمْ دَارَ النَّارِ﴾ [١٥]

قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في ماهية الألواح سبعة أقوال: أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس. والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبير. والثالث: زمرد أخضر، قاله مجاهد. والرابع: بَرَد، قاله أبو العالية. والخامس: خشب، قاله الحسن. والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه. والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: لوحان، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحاً، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله: ﴿وَكُنَّا لِكَلِمَتِهِمْ شُهَدَاءَ﴾ [الأنبياء: ٧٨] يريد داود، وسليمان، وقوله: ﴿فَقَدْ صَنَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التحريم: ٤]. والثالث: عشرة، قاله وهب. والرابع: تسعة، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قولان: أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره. والثاني: من الحكم واليبر.

قوله تعالى: ﴿مَّوعِظَةٌ﴾ أي: نهياً عن الجهل. ﴿وَتَفْصِيلٌ﴾ أي: تبييناً لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام.

قوله تعالى: ﴿فَتَحَدَّثَا يَقُولُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بجذ وحزم، قاله ابن عباس. والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية. والثالث: بشكر، قاله جوير.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قَوْلُكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِ﴾ إن قيل: كأن فيها ما ليس بحسن؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حسن، قاله قطرب. وقال ابن الأنباري: ناب «أحسن» عن «حسن» كما قال الفرزدق: **إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا** **بَيْنَا دَعَائِمُهُ أَعْرُ وَأَطْوَلُ<sup>(١)</sup>**

أي: عزيزة طويلة. وقال غيره: «الأحسن» هاهنا صلة، والمعنى: يأخذوا بها. والثاني: أن بعض ما فيها أحسن من بعض. ثم في ذلك خمسة أقوال: أحدها: أنهم أمروا فيها بالخير ونهوا عن الشر، ففعل الخير هو الأحسن. والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأبروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزجاج. فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح وهو المعصية. والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح. والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الأشبه بالحق. والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

قوله تعالى: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَتَقِينَ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد. والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها منازل من هلك من الجبارة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة. والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي. ومعنى الكلام: سأريكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشْدِ لَا يَقْنَطُوا سَيِّئًا وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشْدِ لَا يَقْنَطُوا سَيِّئًا ذَلِكَ يَتَّبِعُوهُ سَيِّئًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَذِبًا يَكَايُنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ عَنْهُمْ كُلُّ مَعْرُوفٍ هَلْ يُجِزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَمَكُونُ ﴿١٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات. والثاني: أنها عامة، وهو أصح. وفي الآيات قون: أحدهما: أنها آيات الكتب المتلوّة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أمنعهم فهمها. والثاني: أمنعهم من الإيمان بها. والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال. والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسما والارض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكير والاعتبار بما خلقت. وفي معنى يتكبرون قولان: أحدهما: يتكبرون عن الإيمان واتباع الرسول. والثاني: يحقرّون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَيِّئَ الرَّشْدِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «سبيل الرشْد» بضم الراء خفيفة. وقرأ حمزة، والكسائي: «سبيل الرشْد» بفتح الراء والشين مثقلة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ﴾ قال الزجاج: فعل الله بهم ذلك بأنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾، أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين. ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائها غافلين. **﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدْوٍ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَمْ يَحْوَ أَلَّهُمْ خَوَارًا ثُمَّ يَرَوُا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذَهُمْ وَكَانُوا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ ﴿١٤٨﴾﴾**

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدْوٍ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات. «مِنْ حُلِيِّهِمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «مِنْ حُلِيِّهِمْ» بضم الحاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «حُلِيِّهِمْ» بكسر الحاء. وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء. والحلي: جمع حلي، مثل نذّي ونذّي، وهو اسم لما يتحسن به من

الذهب والفضة. قال الزجاج: ومن كسر الحاء من «حليهم» أتبع الحاء كسر اللام. والجسد: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجنة فقط. قال ابن الأنباري: ذكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليهما روح ولا نفس. فاما الثَّوَار، فهو صوت البقرة، يقال: خَارَتْ البقرة تَخُورُ، وَجَارَتْ تَجَارُ؛ وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رَغَا البعير وَجَزَجَرَ وَهَذَرَ وَقَبَقَبَ، وَصَهَلَ الفرس وَحَمَحَمَ، وَشَهَقَ الحمار وَنَهَقَ، وَشَحَجَ البغل، وَتَغَتَّ الشاة وَتَغَرَّتْ، وَتَأَجَّتْ النُّعْجَةُ، وَبَعَمَ<sup>(١)</sup> الظبي وَنَزَبَ<sup>(٢)</sup>، وَزَارَ الأسد وَنَهَتْ وَنَأَتْ، وَوَعَوْعَ الذئب، وَنَهَمَ الفيل، وَرَقَعَ<sup>(٣)</sup> القِرْدُ، وَضَبَحَ الثَّغْلُبُ، وَغَوَى الكَلْبُ وَنَبَحَ، وَمَاءَتِ السُّتُورُ، وَصَأَتِ الفارة، وَنَعَقَ الغُرَابُ معجمة الغين، وَزَقَا الدُّيُكُ وَسَمَقَ، وَصَفَرَ النُّسْرُ، وَهَذَرَ الحمام وَهَذَلَ، وَنَقَضَتِ الضَّفَادِعُ وَنَقَّتْ، وَعَزَقَتِ الجُنُ. قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم. وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يُتبعها مثلاً، وبهذا قال وهب، ومقاتل. وكان مجاهد يقول: خواره حفيف الريح فيه؛ وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوراء» بجيم مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكُفُّهُمْ﴾ أي: لا يستطيع كلامهم. ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يبين لهم طريقاً إلى حجة. ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ يعني اتخذهوا إلهاً. ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: مشركين.

﴿وَكَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَيْن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَذَرْنَا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانٌ أَبْصَا قَالَ بَيْنَمَا أَفْعَلْتُ مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُكُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَاللَّيَّ الْأَلْوَابِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا بِكَ وَكَاؤُوا بِفُلُونِي فَلَا شَيْءَ فِي الْأَعْدَاءِ وَلَا يَجْعَلُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>(٢)</sup> قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>(٣)</sup> إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوُجُلَ سِينًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا. قال الزجاج: يقال للرجل النادم على ما فعل، المتحسر على ما فرط: قد سَقَطَ في يده، وأسقط في يده. وقرأ ابن السميع، وأبو عمران الجوني: «سَقَطَ» بفتح السين. قال الزجاج: والمعنى: ولما سَقَطَ الندم في أيديهم، شبّه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يُرى بالعين. قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعد رجوع موسى.

قوله تعالى: ﴿لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يرحمنا ربنا» ويغفر لنا» بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: «ترحمنا» وتغفر لنا» بالياء، «ربنا» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿غَضَبَيْنِ أَيْضًا﴾ في الأييف ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثاني: الجزع، قاله مجاهد. والثالث: أنه الشديد الغضب، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وقال أبو الدرداء: الأسف: منزلة وراء الغضب أشد منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أي: لقومه ﴿بَيْنَمَا أَفْعَلْتُ مِنْ بَعْدِي﴾ فتح ياء «بعدي» أهل الحجاز، وأبو عمرو؛ والمعنى: بشئ ما عملتم بعد فراقني من عبادة العجل. ﴿أَعْجَلْتُكُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ قال الفراء: يقال: عَجَلْتُ الأمر والشئ: سبقته، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثته. قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له! قال الحسن: يعني وَغَدَ الأربعين ليلة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيَّ الْأَلْوَابِ﴾ التي فيها التوراة. وفي سبب إلقائه إياها قولان: أحدهما: أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد ﷺ اشتد عليه، فآلفاها، قاله قتادة، وفيه بُعد. قال ابن عباس: لما رمى بالألواح فتحطمت، رُفِعَ منها ستة أسباع، وبقي سبع.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال: أحدها: لحيته وذؤبته. والثاني: شعر رأسه. والثالث: أذنه. وقيل: إنما فعل به ذلك، لأنه توهم أنه عصى الله بمقامه بينهم وترك الحقوق به، وتعريفه ما أحدثوا بعده.

ليرجع إليهم فيتلافهم ويردهم إلى الحق، وذلك قوله: ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ كُنْتُمْ سُلُوكًا ۝١٥٣﴾ [طه: ٩٢، ٩٣].  
قوله تعالى: ﴿إِنْ أَمُّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «قال ابن أم» نصبا. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الميم، وكذلك في [طه: ٩٤]. قال الزجاج: من فتح الميم، فلكثرة استعمال هذا الاسم، ومن كسر، أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً، ومن العرب من يقول: «يا ابن أمي» بإثبات الياء. قال الشاعر:

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شَقِيقَ نَفْسِي  
أَنْتَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ<sup>(١)</sup>

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: «يا ابن أم» أمّا، ويحذف الألف، ومن كسر: «ابن أمي» فيحذف الياء. فإن قيل: لم قال: «يا ابن أم» ولم يقل: «يا ابن أب»؟ فالجواب أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال له ذلك ليرفقه عليه. قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد. وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاة العلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ﴾ يعني عبدة العجل ﴿اسْتَفْهَمُوا﴾ أي: استدلوني. ﴿فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ﴾ قرأ عبد الله بن عباس، ومالك بن دينار، وابن عاصم: «فلا تَشْمِتْ» بقاء مفتوحة مع فتح الميم، «الأعداء» بالرفع. وقرأ مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: «فلا تَشْمِتْ» بفتح التاء وكسر الميم، «الأعداء» بالنصب. وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عبله مثل ذلك، إلا أنهما رفعاً «الأعداء». ويعني بالأعداء: عبدة العجل. ﴿وَلَا تَجْمَلْنِي﴾ في موجدتك وعقوبتك لي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وهم عبدة العجل. فلما تبين له عذر أخيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس. والثاني: ما أمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزجاج. فعلى الأول يكون ما أضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قتلوا ولم يؤدوا جزية. قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتوليهم متخذي العجل ورضاهم به.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْرَى الْمُفْتَرِينَ﴾ قال ابن عباس: كذلك أعاقب من اتخذ إلهاً دوني. وقال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلّة، وقرأ هذه الآية. وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلّة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى. قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما سمعتم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْوُجُلَ سَيِّئَاتِهِمْ غَضِبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، اتلوا ما بعدها. ﴿وَكَذَلِكَ يَجْرَى الْمُفْتَرِينَ﴾ فهي لكل مفترٍ ومبتدع إلى يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَيعِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَلِمُوا السَّيِّئَاتِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشرك. والثاني: الشرك وغيره من الذنوب. ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَيعِهَا﴾ يعني السيئات. وفي قوله: ﴿وَوَآمَنُوا﴾ قولان: أحدهما: آمنوا بالله، وهو يُخْرِجُ على قول من قال: هي الشرك. والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا﴾ يعني السيئات.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُجَّتِهَا هَذِي وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ۝١٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران «سَكَّتْ» بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، «الغضب» بالنصب. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري «سَكَّتْ» بضم السين وتشديد الكاف مع كسرهما. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة «سَكَّنَ» بنون. قال الزجاج: «سكت» بمعنى سكن، يقال: سكت يسكت سَكْتًا: إذا سكن، وسكت يسكت سَكْتًا وسكوتًا: إذا قطع الكلام. قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن

(١) البيت في «الطبري» ١٢٩/١٣، و «أمالى الزبيدي» ٩، و «جمهرة أشعار العرب» ٢٦٢، و «اللسان»: شفق، وهو لأبي زيد حرملة بن المنذر الطائي من

قصيدة يرثي ابن أخته اللجلاج، ويقال: يرثي أخاه اللجلاج، ويروي البيت:

يَا ابْنَ غُنَسَاءِ شَقِيقَ نَفْسِي يَا

لَجْلَاجَ خَلَفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ

ورواية المصنف، هي رواية النحاة جميعاً في كتبهم في «باب النداء». وقوله: «شقيق» تصغير شقيق، وهو الأخ.



الغضب، على القلب، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي. والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول هو قول أهل العربية.

قوله تعالى: ﴿أَخَذَ الْأَلْوَارِجَ﴾ يعني التي كان القاهما. وفي قوله: ﴿وَفِي تَشْخِيْطٍ﴾ قولان: أحدهما: وفيما بقي منها؛ قاله ابن عباس. والثاني: وفيما نُسَخ فيها؛ قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِيْنَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْجُونَ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ خاصة، وهو معنى قول قتادة.

﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا رَّاسِيْنَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَاسْتَأْذِنْتَ لَوَلَّيْتُ أَهْلِيَّ وَمَنِ مَثَلُ السَّفَهَاءِ﴾. إن هـ لا فتنة تُشَدُّ بِهَا مَن فَتَا وَتَهْوَى مَن فَتَا أَنتَ فَتَا وَرَبُّكَ فَاعْفِرْ لَكَ وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَفِرِينَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ المعنى: اختار من قومه، فحذف «من»، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم، وأنشدوا:

مِنَّا الَّذِي اخْتَارَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً  
وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرِّعَازُ<sup>(١)</sup>

هذا قول ابن قتيبة، والفراء، والزجاج. وفي هذا الميقات أربعة أقوال: أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّعَهُ اللهُ لموسى ليأخذ التوراة، أمر أن يأتي معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البكالي. والثاني: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطيه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة؛ رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقى بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك؛ قاله وهب بن منبه. والرابع: أنه ميقات وَقَّعَهُ اللهُ لموسى ليلقاء في ناس من بني إسرائيل، فيختر إليه من فغل عبدة العجل، قاله السدي. وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربه إلا بإذن منه. فأما الرجفة فهي الحركة الشديدة. وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال: أحدها: أنه ادعاهم على موسى قتل هارون؛ قاله علي بن أبي طالب. والثاني: اعتداهم في الدعاء، وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا؛ نقل عن ابن عباس. وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمرهم بالمعروف، ولم ينههم عن المنكر، ولم يزايلهم. والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]؛ قاله السدي وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ رَبَّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَاسْتَأْذِنْتَ لَوَلَّيْتُ أَهْلِيَّ وَمَنِ مَثَلُ السَّفَهَاءِ﴾. لو شئت أهلكك خيارهم. وقد أهلكك خيارهم. قال الزجاج: لو شئت أمتهم قبل أن تبليهم بما أوجب عليهم الرجفة. وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يهتمون.

قوله تعالى: ﴿أَهْلِكُوا بِمَ تَفْعَلُونَ﴾. قال المبرد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تهلكننا. وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، أراد: لست تفعل ذلك. و«السفهاء» هاهنا: عبدة العجل. وقال الفراء: ظن موسى أنهم أهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل. وإنما أهلكوا بقولهم: ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهَ جَهْرَةً﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وأبو العالية. والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلَيْتَا﴾ أي: ناصرنا وحافظنا.

(١) البيت للفَرَزْدَق، «ديوانه» ٥١٦، و«الغاني» ٦٩٦، و«ميسوبه» ١٨/١، و«الكامل» ٣٢/١، و«مالي ابن الشجري» ١٨٦/١، و«الغزاة» ٣/٦٦٩، و«اللسان» غير. وعن بهذا البيت أباه غالباً، وهو أحد أجواد بني تميم.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشْأَتِكَ وَرَخِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الزُّكُوتَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكُونُوا عَنْهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَالْإِصْبَالِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ تَابُوا إِلَيْهِ وَآمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَمَنْعُوهُ وَأَقْبَلُوا النَّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَكْفِيكُمُ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَمَّا كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ أي: حقق لنا وأوجب ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمال الصالحة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ المغفرة والجنة ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك، والسدي. وقال ابن قتيبة: ومنه ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ [البقرة: ٦٢] كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء. وقرأ أبو وجزة السعدي: ﴿إِنَّا هَذَا﴾ بكسر الهاء. قال ابن الأنباري: المعنى: لا تتغير؛ يقال: هاد يهود ويهيد.

قوله تعالى: ﴿قَالِ عَذَابٌ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَشْأَتِكَ﴾. وقرأ الحسن البصري، والأعمش، وأبو العالية: «من أساء» بسين غير معجمة مع النصب.

قوله تعالى: ﴿وَرَخِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في هذا الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس. والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة؛ وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البرِّ والفاجر، وفي الآخرة هي للممتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة. فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويدفع عنه، كقوله في حق قارون: ﴿وَأَحْنِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]. والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد. والرابع: أن الرحمة تَسع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري: قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا<sup>(١)</sup> ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الآخرة. قال المفسرون: معنى «فسأكتبها»: فسأوجبها. وفي الذين يتقون قولان: أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس. والثاني: للمعاصي، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ الزُّكُوتَ﴾ قولان: أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله الجمهور. والثاني: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، ذهب إلى أنها العمل بما يزكي النفس ويظهرها. وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت ﴿وَرَخِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فترعها الله من إبليس، فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْثِرُونَ الزُّكُوتَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقالت اليهود: نحن نتقي، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فترعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾. وقال نَوْفٌ: قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم، والمرأة، والحر، والعبد، والصغير، والكبير. فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصلي إلا في الكنائس والبيع، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظراً، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: «المفلحون». وفي هؤلاء المذكورين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْثِرُونَ الزُّكُوتَ﴾ إلى قوله: «المفلحون» قولان: أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد ﷺ، وتبعه، قاله ابن عباس. والثاني: أنه محمد ﷺ، قاله السدي، وقتادة. وفي تسميته بالأمي قولان: أحدهما: لأنه لا يكتب. والثاني: لأنه من أم القرى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدْعُوهُمْ مَكُونُوا عَنْهُمْ﴾ أي: يجدون نعته ونبوته.

قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون مستأنفاً، ويجوز أن يكون «يجدونه مكتوباً عندهم»

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٠٨/٤ عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: «إن الله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس، والبهائم والهوام، فبها يتطافون، وبها يتراحمون، وبها تملط الوحش على ولبها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة».

أنه يأمرهم بالمعروف. قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام. وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك. وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته. وفي الطيبات أربعة أقوال: أحدها: أنها الحلال، والمعنى: يُحل لهم الحلال. والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيعه. والثالث: أنها الشُّحوم المحرمة على بني إسرائيل. والرابع: ما كانت العرب تحرّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. وفي الخبائث ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحرام، والمعنى: ويحرم عليهم الحرام. والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبّنه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات. والثالث: ما كانوا يستحلّونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي «إصرهم». وقرأ ابن عامر «أصارهم» ممدودة الألف على الجمع. وفي هذا الإصر قولان: أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس. والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، وأكل الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة. وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إن كفرته أن تنزع عينك، فينزعها.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَعْلَلُ آتَى كَأَنَّهُ عَلَىٰ عَرِيٍّ﴾ قال الزجاج: ذكر الأعلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقاً في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق. والأعلال: أنه كان عليهم أن لا يُقبَل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يقرضوا ما أصاب جلودهم من البول.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ يعني بمحمد ﷺ وروى أبان «وعزروه»، بتخفيف الزاي. وفي المعنى قولان: أحدهما: نصره وأعانوه، قاله مقاتل. والثاني: عظموه، قاله ابن قتيبة. والنور الذي أنزل معه: القرآن سماه نوراً، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون. وفي قوله «معه» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «عليه». والثاني: بمعنى أنزل في زمانه. قال قتادة: أما نصره، فقد سُبِّقتم إليه، ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤَيِّتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ في الكلمات قولان: أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كلمات: آياته. والثاني: أنها عيسى ابن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهُودُوكَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ بِغُفْلَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنٍ أُمَّةٌ يَهُودُوكَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ بِغُفْلَةٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: يدعون إلى الحق. والثاني: يعملون به. قوله تعالى: ﴿يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ بِغُفْلَةٍ﴾ قال الزجاج: وبالحق يحكمون. وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الذين تسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي.

﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمًّا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَضَهُ قَوْمُهُ رَبَّكَ أَفْهَمُ الْبَشَرِ أَمْ أَنَا قُلْنَا بَلَىٰ سَآتِيكَ مِثْلُ النِّجْمِ بِمَا كَفَرْتَ وَكَانَ ظِلْمُهُمْ لَكَ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ غَمٍّ عَظِيمٍ﴾ رَأَىٰ قِيلَ لَهُمْ اسْكُتُوا هَذِهِ الْقَرْيَةُ وَكَلَّمُوا بِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حَقًّا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَقَرْنَا لَكُمْ خِيَابَكُمْ سَنُزِيدُ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ يَمَسُّ السَّكَّاءَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾ يعني قوم موسى، يقول: فرقناهم: ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثني عشر ولداً، فولد كل واحد منهم سبطاً. قال الفراء: وإنما قال «اثنتي عشرة» والسبط ذكر، لأن بعده «أُمًّا» فذهب بالتأنيث إلى الأم، ولو كان «اثني عشر» لتذكير السبط، كان جائزاً. وقال الزجاج: المعنى: وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة، «أسباطاً» نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطاً، وفرقناهم أسباطاً، فيكون «أسباطاً» بدلاً من «اثنتي عشرة»

و «أَمْماً» من نعت أسباط. والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل لِفُصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق. وقال أبو عبيدة: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، واحد: سبط. ويقال: من أي سبط أنت؟ أي: من أي قبيلة وجنس؟ قوله تعالى: ﴿فَأَلْبَسْتُمْهُ﴾ قال ابن قتيبة: انفجرت؛ يقال: تَبَجَّس الماء، كما يقال: تَفَجَّر؛ والقصة المذكورة في سورة البقرة: ٥٨ - ٦٠.

قوله تعالى: ﴿فَنَزَّلْنَا لَكُمُ الْخَطِيبَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «نغفر لكم خطيئاتكم» بالثاء مهموزة على الجمع. وقرأ أبو عمرو ﴿فَنَزَّلْنَا لَكُمُ الْخَطِيبَ﴾ مثل: قضاياكم، ولا ثاء فيها. وقرأ نافع «تَغْفَرُ» بالثاء مضمومة «خطيئاتكم» بالهمز وضم الثاء، على الجمع، وافقه ابن عامر في «تَغْفَرُ» بالثاء المضمومة، لكنه قرأ «خطيبتكم» على التوحيد.

﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَمْدُودُ فِي السَّهْلِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاثُهُمْ يَوْمَ سَكَبَتْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْجُوتُ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ﴾ يعني أسباط اليهود، وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقرّره على قديم كفرهم، ومخالفة أسلافهم الأنبياء، ويخبرهم بما لا يعلم إلا بوحي. وفي القرية خمسة أقوال: أحدها: أنها أيلة، رواه ثمره عن ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي. والثاني: أنها مدين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها ساحل مدين، روي عن قتادة. والرابع: أنها طبرية، قاله الزهري. والخامس: أنها قرية يقال لها: مقنا، بين مدين وعينونا، قال له ابن زيد. ومعنى: ﴿حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ مجاورة البحر وبقره. وعلى شاطئه. ﴿إِذْ يَمْدُودُ﴾ قال الزجاج: أي: يَظْلُمُونَ، يقال: عدا فلان يعدو عُذْوَاناً وَعُدَاً وَعُدُوّاً وَعُدُوّاً: إِذَا ظَلَمَ، وموضع «إِذْ» نصب؛ والمعنى: سلّمهم عن وقت عُذْوِهِمْ في السبت ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاثُهُمْ﴾ في موضع نصب أيضاً بـ «يَمْدُودُونَ» والمعنى: سلّمهم إِذْ عُدُوا في وقت الإتيان. ﴿شُرْعًا﴾ أي: ظاهرة. ﴿كَذَلِكَ بَلَّوْهُمْ﴾ أي: مثل هذا الاختبار الشديد نخبرهم بفسقهم. ويحتمل على بعد أن يكون المعنى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْجُوتُ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ كذلك، أي: لا تأتِيهم شُرْعًا؛ ويكون: ﴿بَلَّوْهُمْ﴾ مستأنفاً. وقرأ الحسن، والأعمش، وأبان، والمفضل عن عاصم: «يُسْجُوتون» بضم الياء.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ مُهِلَّكُمْ أَوْ مَمْدُودٌ وَعَدَابٌ شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَّا رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون: افترق أهل القرية ثلاث فرق؛ فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ مُهِلَّكُمْ﴾ لا موهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية: ﴿مَعْدَرَةٌ إِلَّا رَبُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «معدرة» رفعاً، أي: موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله. وقرأ حفص عن عاصم: «معدرة» نصباً، وذلك على معنى نعتذر معذرة. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: وجائز أن يتسفعوا بالموعظة فيتركوا المعصية.

﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّوِّ وَأَعْدَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّنٍ بِمَا كَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا﴾ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا﴾ يعني: تركوا ما وعظوا به «أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّوِّ» وهم الناهون عن المنكر. والذين ظلموا هم المعتدون في السبت.

قوله تعالى: ﴿بِعَدَابٍ بَيِّنٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «بييس» على وزن فاعيل، فالهمزة بين الباء والياء. وقرأ نافع: «بييس» بكسر الباء من غير همز. وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه همز. وروى خارجة عن نافع: «بييس» بفتح الباء من غير همز، على وزن «فَعْلِلَ». وروى أبو بكر عن عاصم: «بيياس» على وزن «فَعْلِلَ». وقرأ



ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب: «بَيْتَسٍ» على وزن «فَيْعَالٍ». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، ومعاذ القاري: «بَيْتِسٍ» بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن «نَيْسٍ». وقرأ الضحاك، وعكرمة: «بَيْتِسٍ» بتشديد الباء مثل «قَيْمٍ». وقرأ أبو العالية، وأبو مجلز: «بَيْتِسٍ» بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن «فَعِيلٍ». وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: «بائِسٍ» بألف ومدة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن «فَاعِلٍ». قال أبو عبيدة: البئس: الشديد، وأنشد:

حَنَقًا عَلَيَّ وَمَا تَرَى لِي فِيهِمْ أَثَرًا بَيْتِسًا<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: يقال: بئس يئس بأساً. والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة. وقال ابن جرير: «فلما عتوا» أي: تمردوا فيما نهوا عنه؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ٦٥] قصة مسخهم. وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُكُوكُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم، قاله الحسن، وابن قتيبة، وقال: هو من أذنتك بالامر. وقال ابن الأنباري: «تأذن» بمعنى أذن؛ كما يقال: تعلَّم أن فلاناً قائم، أي: أعلم. وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل. والثاني: حتم، قاله عطاء. والثالث: وعد، قاله قطرب. والرابع: تألى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود، وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم. ﴿مَنْ يَسْأَلُهُمْ﴾ أي: يوليهم ﴿مَوْتَ الْكَلْبِ﴾. وفي المبعوث عليهم قولان: أحدهما: أنه محمد ﷺ وأمه، قاله ابن عباس. والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبير، قال: ولم يجب الخراج نبي قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أمسك إلى النبي ﷺ. وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم. وفي سوء العذاب أربعة أقوال: أحدها: أخذ الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والرابع: أنه القتال حتى يسلما، أو يعطوا الجزية.

﴿وَقُلْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا﴾ مِنْهُمْ ذَلِكَ وَيَكُونُ لَهُمْ بِالْمَسْكِنَةِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمًا﴾ قال أبو عبيدة: فرغناهم فرقاً. قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة. وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل. وقيل: معناه: شتات أمرهم وافتراق كلمتهم. ﴿وَيَنْهَهُ الصَّالِحُونَ﴾ وهم المؤمنون بعيسى ومحمد ﷺ. ﴿وَيَنْهَهُ دُونَ ذَلِكَ﴾ وهم الكفار. وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى، وقبل ارتدادهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ﴾ أي: اختبرناهم ﴿بِالْمَسْكِنَةِ﴾ وهي الخير، والخصب، والعافية، ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ وهي الجذب، والشر، والشدائد؛ فالحسنات والسيئات تحت على الطاعة، أما النعم فلطلب الأزياد منها، وخوف زوالها، والنقم فلكشفها، والسلامة منها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يتوبوا.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَيدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ يَأْخُذُوا أَلَّا يُؤْخَذَ عَلَيْهِمْ يَشِيقُ الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَارِ الْأَخْرَجُ حَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَيدِهِمْ﴾ أي: من بعد الذين وصفناهم. ﴿خَلْفٌ﴾ وقرأ الجوني، والجحدري: «خَلَفٌ» بفتح اللام. قال أبو عبيدة: الخَلْفُ والخَلْفُ واحد؛ وقوم يعملون المحرك اللام، للصالح، والمسكن، لغير الصالح. وقال ابن قتيبة: الخَلْفُ: الردي من الناس ومن الكلام، يقال: هذا خَلْفٌ من القول. وقال ابن الأنباري: أي: ما تستعمل العرب الخَلْفُ، بإسكان اللام، في الردي المذموم، وفتح اللام في الفاضل الممدوح. وقد يوقع الخَلْفُ على

الممدوح، والخَلْفُ على المذموم؛ غير أن المختار ما ذكرناه. وفي المراد بهذا الخَلْف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: النصارى. والثالث: أن الخَلْف من أمة محمد ﷺ، والقولان عن مجاهد. فإن قيل: الخَلْف واحد، فكيف قال: «يأخذون» وكذلك قال في [مریم: ٥٩] «أضاعوا»؟ فقد ذكر ابن الأنباري عنه جوابين: أحدهما: أن الخَلْف جمع خالف، كما أن المركب جمع راكب، والشَّرْب جمع شارب. والثاني: أن الخَلْف مصدر يكون للثنتين والجمع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى خلف، فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها. وقيل: سماء عرضاً، لقلة بقائه. قال ابن عباس: يأخذون ما أحبوا من حلال أو حرام. وقيل: هو الرُّشوة في الحكم. وفي وصفه بالأدنى قولان: أحدهما: أنه من الدُّنْوَ. والثاني: أنه من الدناءة.

قوله تعالى: ﴿سَيَقْرَأُ لَنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: إنا لا نواخذ، تَمْثِيلاً على الله الباطل. والثاني: أنه ذنب يَغْفِرُه الله لنا، تَمْثِيلاً لرحمة الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَلَنْ يَأْتِيَهُمْ عَرَضٌ يُغْلَوْهُ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن. والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَرْجِعَ عَلَيْهِمْ يَسْتَأْذِنُ الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: وتَدَّ الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار.

قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ معطوف على «ورثوا». ومعنى «درسوا ما فيه»: قرؤوه، فكانه قال: خالفوا على علم. «وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ» أي: ما فيها من الثواب ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني. قرأ ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالتاء، والباقون: بالياء.

﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي وحفص عن عاصم «يمسكون» مشددة، وقرؤوا «وَلَا تُسَكِّرُوا بِعِصْمِ الْكِتَابِ» مخففة [المتنحة: ١٠] وقرأهما أبو عمرو بالتشديد. وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففهما. ويقال: مَسَكْتُ بالشئ، وتمسكت به، واستمسكت به، وامتسكت به. وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يُحَرِّفُوهُ، منهم [عبد الله] بن سلام وأصحابه. قال ابن الأنباري: وخبر «الذين»: «إنا» وما بعده، وله ضمير مقدر بعد «المصلحين» تأويله: والذين يمسكون الكتاب إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وَعَدَهُمْ حفظَ الأجر بشرط، إذ كان منهم من لم يصلح. قال: وقلا بعض النحويين: المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسكون بالكتاب، وأقاموا الصلاة، إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايةهم بالمصلحين، كما يقال: عليّ لقيتُ الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراد: لقيته ورويت عنه. قال الشاعر:

فيا ربَّ لَيْسَى أَنْتَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

وَأَنْتَ الَّذِي فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَظْمَعُ<sup>(١)</sup>

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.

﴿وَرَأَى نَفَقًا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ غُلَّةٌ وَظَنَّ أَنْ رَافَعَهُمُ خُلُودًا مَا هَاتَيْنِكُمْ يَقْوَةً وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى نَفَقًا الْجِبَلِ فَوْقَهُمْ﴾ أي: واذكر لهم إذ تنقنا الجبل، أي: رفعناه. قال مجاهد: أخرج الجبل من الأرض، ورفع فوقهم كالغُلَّة، فقبل لهم: لتؤمننَّ أو ليقعنَّ عليكم. وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فَرَفَعَ فوقهم، فقال: لناخِذٌ أمري، أو لأرمينكم به.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَا أَنَّهُ رَاقِعٌ يَوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الظن المعروف. والثاني: أنه بمعنى اليقين. وباقي الآية مفسر في سورة البقرة: [١٣].

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - ونعمان قريب من عرفة - ذكره ابن قتيبة «فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً، وقال: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»<sup>(١)</sup> ومعنى الآية: وإذا أخذ ربكم من ظهور بني آدم. فقوله: «من ظهورهم» بدل من «بني آدم». وقيل: إنما قال: «من ظهورهم» ولم يقل: من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أخرجوا من ظهره. وقوله تعالى: ﴿وَذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ذُرِّيَّتَهُمْ» على الجمع. قال أبو علي: الذرية تكون جمعاً، وتكون واحداً. وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أشهدهم على أنفسهم بإقرارهم، قاله مقاتل. والثاني: دلهم بخلقهم على توحيدهم، قاله الزجاج. والثالث: أنه أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ والمعنى: وقال لهم: ألسنت بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا. قال السدي: قوله: «شهدنا» خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم. ويحسن الوقف على قوله: «بلى» لأن كلام الذرية قد انقطع. وزعم الكلبي أن الذرية لما قالت «بلى» قال الله للملائكة: «اشهدوا» فقالوا: «شهدنا». وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال: جمعهم جميعاً، فجعلهم أزواجاً، ثم صورهم، ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ أنك إلهنا. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أبابكم آدم ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم نعلم بهذا. وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقيّة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ قرأ أبو عمرو «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياء فيهما. وقرأ الباقون بالياء فيهما. قال أبو علي: حجة أبي عمرو قوله: «وإذ أخذ ربك» وقوله: «قالوا بلى»، وحجة من قرأ بالياء أنه قد جرى في الكلام خطاب «ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا». ومعنى قوله: «يقولوا»: لثلا يقولوا، ومثله: ﴿أَنْ يَبَيِّنَ يَكُمُ﴾ [النساء: ١٠]. وفي قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار. والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق. قال المفسرون: هذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لثلا يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يُسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي ﷺ الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم.

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ فأتبعنا منهاجهم على جهل منا بالكهنتك ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ في دعواهم أن معك إلهاً. فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ أذكرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم. وجماة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر، ورغب فيهم عقولاً وأفهاماً عرفوا بها ما عرض

(١) «المسنند» ١٥١/٤، وهو في «مجمع الزوائد» ٢٥/٧ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. ونقله ابن كثير في «التفسير» عن أحمد وقال: وقد روى هذا الحديث السائي في كتاب التفسير من «سننه» عن محمد بن عبد الرحمن صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به، ورواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به إلا أن ابن أبي حاتم جعله موقوفاً. وأخرجه الحاكم في «مستدرکه» من حديث حسين بن محمد وغيره عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر به، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة نوفقه، وكذا رواه إسماعيل بن عليه، وكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه العوفي، وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت.



عليهم. وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفاً، ومعنى إسهادهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين. ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال: ﴿شَهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] يريد: هم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفرة، كما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بصدقتك، أي: قد عرفته. ومن هذا الباب قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي: بيّن وأعلم. وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار<sup>(١)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ﴾ أي: وكما بيّنا في أخذ الميثاق الآيات، ليتدبّر بها العباد فيعملوا بموجبها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آلِ لُؤْلُؤَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُم مِّنَّا فَاتَّبَعَهُمُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إذ أخذ ربك، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آلِ لُؤْلُؤَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُم مِّنَّا﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر، قاله ابن مسعود. وقال ابن عباس: بلعم بن باعوراء. وروى عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي. وروى العوفي عن ابن عباس أن بلعاماً من أهل اليمن. وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبّارين. والثاني: أنه أُمَيَّة بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم، وكان أُمَيَّة قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسل رسولاً، ورجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ حسده وكفر. والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشعبي عن ابن عباس. قال: الأنصار تقول: هو الراهب الذي بُني له مسجد الشقاق، وروى عن ابن المسيب نحوه. والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل، أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميعة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبه نَبَاحَةً، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أُنثى كلبية نَبَاحَةً يعبرنا الناس بها، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها أولاً، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس، والذي روي لنا في هذا الحديث «وكانت سَمُوجَةً» بكسر الميم، وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سَمُج: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمُجج؛ بكسرها. والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن. والسادس: أنه يكل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء، قاله عكرمة. وفي الآيات خمسة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. والثاني: أنها كتاب من كتب الله ﷻ. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتي كتاباً فانسلك منه. والثالث: أنه أوتي النبوة، فَوُشِّىَ قومه على أن يسكت، ففعل وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بُعد، لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه الجبال. والرابع: أنها حُجج التوحيد، وفهم أدلته. والخامس: أنها العلم بكتب الله ﷻ. والمشهور في التفسير أنه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى ﷺ غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفاراً، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من أهل ديني، ولا ينبغي لي أن أدعوا عليه، فأمر الملك أن تحت خشبة لصلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعوا على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقد قد منعتني أن أمشي؟ فارجع، فارجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعوا عليهم، وإما أن أصليكم، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة،

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٦٤ في تفسير هذه الآية.



فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا رب، بأي ذنب وقعتنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم. فقال: يا رب، فكما سمعت دعاءه عليّ، فاسمع دعائي عليه، فدعا الله أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنزع منه. وقيل: إن بلعام أمر قومه أن يزبنوا النساء ويرسلوهنّ في العسكر ليفشو الزنا فيهم، فنصروا عليهم. وقيل: إن موسى قتله بعد ذلك. وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرعاً، فقال: لا تهربوا بني إسرائيل، فإنكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوت عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا. وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها، وكان نبيهم يوشع، لاموسى.

قوله تعالى: ﴿فَأَنصَلَحَ مِنْهَا﴾ أي: خرج من العلم بها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ قال ابن قتيبة: أدركه. يقال: اتبعت القوم: إذا لحقتهم، وتبعتهم: سرت في أثرهم. وقرأ طلحة بن مصرف: «فاتبعه» بالتشديد. وقال اليزيدي: أتبعه وأتبعه لغتان. وكان «أتبعه» خفيفة بمعنى: قناه، و«أتبعه» مشددة: حذا حذوه. ولا يجوز أن تقول: أتبعناك، وأنت تريد: أتبعناك، لأن معناها: اقتدينا بك. وقال الزجاج: يقال: تبع الرجل الشيء وأتبعه بمعنى واحد. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعْ هَذَا﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس: ٩٠].

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَآوِيتِ﴾ فيه قولان: أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل. والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزجاج.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَلَّلْنَا لَهُ الْكَلْبُ إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْرِ الْأَمِينِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ في هاء الكناية في «رفعناه» قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور: فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه. والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروي عن مجاهد. وقال الزجاج: لو شئنا لخلنا بينه وبين المعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ركن إلى الدنيا وسكن. قال الزجاج: يقال: أخلد وخلد، والأول أكثر في اللغة. والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه ركن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى أمراته بذلك، لأنها حملته عليه. وقيل: أرضى بني عمه وقومه. والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا؛ وقد بين ذلك بقوله: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى. قال ابن زيد: كان هواه مع قومه. وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله تعالى: ﴿فَتَخَلَّلْنَا لَهُ الْكَلْبُ إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ﴾ معناه: أن هذا الكافر، إن زجرته لم يتزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن ترك وريض كان أيضاً لاهثاً، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة؛ فالمعنى: فمثل كمثل الكلب لاهثاً؛ وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أحسن الأمثال على أحسن الحالات وأبعثها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضاً لهث. قال المفسرون: زُجِرَ في ميثامه عن الدعاء على بني إسرائيل فلم يتزجر، وخاطبته أتانة فلم ينته، فضرِبَ له هذا المثل ولسائر الكفار؛ فذلك قوله: ﴿ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْرِ الْأَمِينِ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لأن الكافر إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ وهو مع إرسال الرمل إليه كمن لم يأت رسول ولا بينة.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ﴾ قال عطاء: قَصَصَ الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم.

﴿سَاءَ نَصْلَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَافِرًا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿سَاءَ نَصْلَ﴾ يقال: ساء الشيء يسوء: إذا قُبِحَ، والمعنى: ساء مثلاً مثل القوم، فحُذِفَ المضاف، فنُصِبَ «مثلاً» على التمييز.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ كَافِرًا يَظْلِمُونَ﴾ أي: يَضُرُّونَ بالمعصية.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفْئِدَةٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَافِرَاتٌ بَلْ هُمْ أَشَدُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خلقنا. قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب.

قوله تعالى: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ رَّحِيمًا﴾ (القصاص: ٨) ومثله قول الشاعر:

أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزيه بموت ابنه، فقال:

تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِائِهِ

لَمَّا قَدْ تَرَى يُغْذَى الصَّغِيرُ وَيُؤَلَّدُ

وقد أخبر الله ﷺ في هذه الآية بنفاذ علمه فيهم أنهم يصيرون إليها بسبب كفرهم.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ لما أعرض القوم عن الحق والتفكر فيه، كانوا بمنزلة من لم يفقه ولم يسمع.

وقال محمد بن القاسم النحوي: أراد بهذا كله أمر الآخرة، فإنهم يعقلون أمر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَافِرَاتٌ﴾ شبههم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَشَدُّ﴾ لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها، فلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند، فيقدم على النار، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن أمر الآخرة.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ سبب نزولها أن رجلاً دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال أبو جهل: ليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل. فأما الحسنی، فهي تأنيت الأحسن. ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن. وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعمو والرحمة دون السخط والنقمة. وقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: نادوه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يُلْحِدُونَ» بضم الياء، وكذلك في [النحل: ١٠٣] و[السجدة] وافصلت: [٤٠]. وقرأ حمزة: «يَلْحَدُونَ» بفتح الحاء والياء فيهن. ووافقه الكسائي، وخلف في [النحل: ١٠٣]. قال الأخفش: أَلْحَدَ وَلَحَدَ: لغتان؛ فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكان الإلحاد: العدول عن الاستقامة. وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون؛ [فيقولون: اللات والعزى ومناة وأشباه ذلك] ومنه لَحَدُ القبر، لأنه في جانب. قال الزجاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعو بما لم يسم به نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي؛ ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك. قال أبو سليمان الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحاد، ومما يسمع على السنة العامة قولهم: يا سبحان، يا برهان، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس. وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن. وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سموها بها أو ثابتهن، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

## فصل

والجمهور على أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المندر: ١١]، وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال، لأن قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد.

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [١٨١]

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ أي: يعملون به، ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي: وبالعامل به يعدلون. وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس. وكان ابن جريج يقول: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي، بالحق يأخذون ويمطون ويقضون»<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا تلا هذه الآية قال: «هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها»<sup>(٢)</sup> ثم يقرأ: ﴿وَمَنْ قَوَّرَ مُوسَى أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [١٨١]. [الأعراف: ١٥٩]. والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الأنبياء. والرابع: أنهم العلماء، ذكر القولين الماوردي.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدِينُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ﴾ [١٨٢] وَأَمَّا لَهُمْ بِآيٍ كِيدَى مَبِينٌ ﴿١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة. وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش.

قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدِينُهُمْ﴾ قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم. وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خفية قليلاً قليلاً ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجَة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مرقاة مرقاة؛ ومنه: دَرَجَ الكتاب: إذا طواه شيئاً بعد شيء؛ ودرج القوم: إذا ماتوا بعضهم في إثر بعض. وقال الزبيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم. وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم. وقال الأزهري: سناخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون؛ وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغتبطهم به ويركونون إليه، ثم يأخذهم على غرثهم أغفل ما يكونون. قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة. وفي قوله: ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ﴾ قولان: أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج. والثاني: بالهلكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا لَهُمْ بِآيٍ كِيدَى مَبِينٌ﴾ [١٨٣] الإملاء: الإمهال والتأخير.

قوله تعالى: ﴿بِآيٍ كِيدَى مَبِينٌ﴾ قال ابن عباس: إن مكري شديد. وقال ابن فارس: الكيد: المكر؛ فكل شيء عالجته فأنت تكيده. قال المفسرون: مكر الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد على نحو ما بينا في سورة [البقرة: ١٥] و [آل عمران: ٥٤] من ذكر الاستهزاء والخداع والمكر.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [١٨٤] أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَادٍ لَمْ يَضِلِّهُمْ فِي مَقَالِيمِهِمْ يَعْمُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ، علا على الصفا ليلة، ودعا قريشاً فخذلاً فخذلاً: يا بني فلان، يا بني فلان، فحذّرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، قاله الحسن، وقاتة. ومعنى الآية: أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة، أي: جنون، فحُثُّهم على التفكير في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا﴾

(١) «الطبري» ٢٨٦/١٣، وابن كثير: ٢/٢٦٩، وخرجه السيوطي في «الدر المنثور» ٣/١٤٩، وزاد نسبه إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) أورده السيوطي في «الدر» ٣/١٤٩ ونسبه لابن جريج، وابن المنذر، وعبد بن حميد.

(٣) «الطبري» ٢٨٩/١٣، وابن كثير ٢/٢٧٠. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

يَذَرُّهُ أَي: مخوف ﴿ثُمَّ يَبَيِّنُ طَرِيقَ الْهُدَى﴾. ثم حشهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا على أن لها صناعاً مدبراً؛ وقد سبق بيان الملكوت في سورة [الأنعام: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾ قرأ ابن مسعود، وأبي، والجحدري: «آجالهم». ومعنى الآية: أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق الله من الأشياء كلها، وفي أن عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلكوا على الكفر، ويصيروا إلى النار ﴿فَيَأْتِي حُدُودَهُمْ بِمَدَدٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني القرآن وما فيه من البيان. ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان، فقال: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَهُمْ وَيَذَرُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «ونذرهم» بالنون والرفع. وقرأ أبو عمرو: بالياء والرفع. وقرأ حمزة، والكسائي: «ويذرهم» بالياء مع الجزم خفيفة. فمن قرأ بالرفع، استأنف، ومن جزم «ويذرهم» عطف على موضع الفاء. قال سيوريه: وموضعها جزم؛ فالمعنى: من يضل الله يذره؛ وقد سبق في سورة [البقرة: ١٥] معنى الطغيان والتمعنه.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا مَنُ نَّكَتَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثاني: أن قريشاً قالت: يا محمد، بيننا وبينك قرابة؛ فبين لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة. والمراد بالساعة هاهنا التي يموت فيها الخلق.

قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال أبو عبيدة: أي: متى مُرساها؟ أي: متنهاها. ومرسا السفينة: حيث تنتهي. وقال ابن قتيبة: «أَيَّانَ» بمعنى: متى؛ و«متى» بمعنى: أي حين، ونرى أن أصلها: أي أوإن؛ فحذفت الهمزة [والواو]، وجعل الحرفان واحداً، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي. قال الزجاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي: قد استأثر بعلمها ﴿لَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا مَنُ نَّكَتَ﴾ لا يظهرها في وقتها ﴿إِلَّا مَنُ نَّكَتَ﴾ في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فيه أربعة أقوال: أحدها: ثقل وقوعها على أهل السموات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكل يخافونها، محسنهم ومسيئهم. والثاني: عظم شأنها في السموات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: خفي أمرها، فلم يعلم متى كونها، قاله السدي. والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السموات والأرض، قاله قتادة. قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: فجأة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه من المقدم والمؤخر، فتقديره: يسألونك عنها كأنك حفي، أي: برّ بهم، كقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي حَيْثُكَ﴾ [مریم: ٤٧]. قال العوفي عن ابن عباس، وأسباط عن السدي: كأنك صديق لهم. والثاني: كأنك حفي بسؤالهم، مجيب لهم. قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم. وقال خصيف عن مجاهد: كأنك تحب أن يسألوك عنها. وقال الزجاج: كأنك قرح بسؤالهم. والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاک عن ابن عباس، وهو قول ابن زيد، والفراء. والرابع: كأنك استحييت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن أبي نجیح عن مجاهد. وقال عكرمة: كأنك سؤل عنها. وقال ابن قتيبة: كأنك معني بطلب

(١) قال أبو جعفر الطبري ٢٩٣/١٣: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية، وجاز أن يكون كانوا من قريش، وجزاء أن يكون كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان.

(٢) روى البخاري ٧٧/١٣ عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «للقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، وللقوم الساعة وقد انتصر الرجل بلين لحيته فلا يطعمه، وللقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه، وللقوم الساعة وقد رفع أكله إلى في فلا يطعمها» وهو جزء من حديث طويل، يدل على أن الساعة تأتي بغتة. وقوله: «يلبط حوضه» بفتح أوله من الثلاثي، ويضمه من الرباعي، والمعنى: يصلحه بالطين والمدر، فيسد شقوقه، ليملاء ويسقي منه دوابه.



علمها. وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها، والحفي في كلام العرب: المعني.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُكُمْ فَرْحًا وَمَكْرًا﴾ أي: لا يعلمها إلا هو ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل في آخرين: المراد بالناس هاهنا أهل مكة. وفي قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة. قاله مقاتل. والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَكُنتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَوَّارِ وَمَا مَسْنِ السَّوْءُ إِلَّا أَنَا إِلَّا يَزِيدُ وَيَزِيدُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَكُنتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَوَّارِ وَمَا مَسْنِ السَّوْءُ إِلَّا أَنَا إِلَّا يَزِيدُ وَيَزِيدُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سبب نزلها أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تجذب، فترحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس. وفي المراد بالنفع والضرر قولان: أحدهما: أنه عام في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور. والثاني: أن النفع: الهدى، والضرر: الضلالة، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي؛ ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة؟

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لو كنت أعلم بجذب الأرض وقطع المطر قبل كون ذلك لهيات لسنه الجذب ما يكفيها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح، قاله مجاهد. والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأجبت عنه. ﴿وَمَا مَسْنِ السَّوْءُ﴾ أي: لم يلحقني تكذيب، قاله الزجاج. فأما الغيب، فهو كل ما غاب عنك. ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العمل الصالح. والثاني: المال. والثالث: الرزق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسْنِ السَّوْءُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كل ما يسوء، قاله ابن زيد. والثالث: الجنون، قاله الحسن. والرابع: التكذيب، قاله الزجاج. فعلى قول الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلقاً بما قبله.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلٌ خَفِيًّا فَهَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْكَ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَبَنَ مَاتَتْهَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَكِرِ﴾ ﴿لَمَّا مَاتَتْهَا صَالِحًا لَمَّا شَرَكَا فِيهَا مَاتَتْهَا فَتَعَلَّ اللَّهُ عَمَّا يَشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني بالنفس: آدم، وبزوجها: حواء. ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: لِيَأْنَسَ بِهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أي: جامعها. قال الزجاج: وهذا أحسن كناية عن الجماع. والحمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجته شجرة. والحمل، بكسر الحاء: ما يُحْمَل. والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله تعالى: ﴿فَهَرَّتْ بِهِ﴾ أي: استمرت به، قعدت وقامت ولم يُثْقَلْها. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: «فاستمرت به». وقرأ أبي بن كعب، والجوني: «استمأرت به» بزيادة ألف. وقرأ عبد الله بن عمرو، والجحدري: «فماأرت به» بآلف وتشديد الراء. وقرأ أبو العالية، وأيوب، ويحيى بن يعمر: «فَمَرَّتْ به» خفيفة الراء، أي: شكت وتمارت أحملت، أم لا؟ ﴿لَمَّا أَتَتْكَ﴾، أي: صار حملها ثقیلاً. وقال الأخفش: صارت ذا ثقل. يقال: ائتمنا، أي: صرنا ذوي ثمر.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا﴾ يعني آدم وحواء ﴿لَبَنَ مَاتَتْهَا صَالِحًا﴾ وفي المراد بالصالح قولان: أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخاف أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقناة.

## شرح السبب في دعائهما

ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء، فقال: ما يدريك ما في بطنك، لعله كلب أو خنزير أو حمار؛ وما يدريك من أين يخرج، أيشق بطنك، أم يخرج من فيك، أو منخريك؟ فأحزنها ذلك، فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس فقال: كيف تجدينك؟ قالت: ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنساناً مثلك ومثل آدم، أتسمينه باسمي؟ قالت: نعم. فلما ولدته سوياً، جاءها إبليس فقال: لم لا تُسمّيه بي كما وعدتني؟ فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَليماً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾<sup>(١)</sup>. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «شركاء» بضم الشين والمد، جمع شريك. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «شُرُكاً» مكسورة الشين على المصدر، لا على الجمع. قال أبو علي: من قرأ «شُرُكاً» حذف المضاف، وكأنه أراد: جعل له ذا شريك، وذوي شريك؛ فيكون المعنى: جعلاً لغيره شُرُكاً، لأنه إذا كان التقدير: جعلاً له ذوي شريك، فالمعنى: جعلاً لغيره شُرُكاً؛ وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ «شركاء». وقال غيره: معنى «شركاء»: شريكاً، فأوقع الجمع موقع الواحد كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. والمراد بالشريك: إبليس، لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشرك في الطاعة، لا في العبادة؛ ولم يقصدا أن الحارث ربهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما؛ وقد يُطلق العبد على من ليس بملوك. قال الشاعر:

وإني لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً

وما فيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمَةِ الْعَبْدِ<sup>(٢)</sup>

وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا وُلِدَ لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾<sup>(٣)</sup>، هذا قول الجمهور، وفيه قول ثانٍ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لشكر، وآخرها مثل ضربه الله لمن يعبد في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾. وروى قتادة عن الحسن، قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهو دؤوم ونصروهم<sup>(٤)</sup>. وروي عن الحسن، وقاتدة قالوا: الضمير في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء. وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلق، فالمعنى: جعل له ذلك الولد شركاء. وإنما قيل: «جعلاً» لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى. قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء. فتأويل الآية: فلما آتاها صالِحاً، جعل أولادَهُمَا له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: ﴿وَسَلَّى الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٤٨٢]. وذهب السدي إلى أن قوله: ﴿فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ يَشْرُكَوكَ﴾ في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء.

﴿أَيَشْرُكَوكَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَشْرُكَوكَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سمّيا ولدهما عبد شمس، والشمس لا

(١) «الطبري» ٣٠٧/١٣ - ٣٠٨. ثم قال الطبري عقبه: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء صالِحاً، ليكونان لله من الشاكرين، والصالح قد يشمل معاني كثيرة، منها الصلاح في استواء الخلق، ومنها الصلاح في الدين، والصالح في العقل والتدبير، وإذا كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول بوجوب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يعم كما عمه الله فيقال: إنهما قالوا: لئن آتيتنا صالِحاً بجميع معاني الصلاح.

(٢) البيت للمفتي الكندي وهو في «الحمامة» ٣/ ١١٨٠، و«الأمالي» ١/ ٢٧٧، ورواية الشطر الثاني فيهما: «وما شيمة لي غيرها تشبه العبد».

(٣) «الطبري» ٣١٢/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢ من طريق ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب.

(٤) «الطبري» ٣١٥/١٣، وابن كثير: ٢٧٥/٢ وقال: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن عليه السلام أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفسير، وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه، وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برثنا من عهدة المرفوع، والله أعلم.

تخلق شيئاً. وقال غيره: هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الأصنام، وهي لا تخلق شيئاً. وقوله: ﴿وَمَنْ يَخْلُقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «ما» ثم قال: «وهم يُخْلِقُونَ» لأن «ما» تقع على الواحد والاثنيين والجميع؛ وإنما قال: «وهم» وهو يعني الأصنام، ون عابديها ادَّعَوْا أنها تعقل وتميز، فأجريت مجرى الناس، فهو كقوله: ﴿رَأَيْتُمْ لِي صَدِيقٌ﴾ [يوسف: ٤٤]، وقوله: ﴿يَأْتِيهَا أَتَمَلُّ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، قال الشاعر:

تَمَرَّزْتُهَا وَالذِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ  
وَأُنْشَدُ ثَعْلَبَ لَعْبَةٍ بِنِ الطَّيِّبِ:

إِذْ أَشْرَفَ الذِّيكُ يَدْعُو بَغْضَ أَشْرَتِهِ  
لَمَّا جَعَلَهُ يَدْعُو، جَعَلَ الذِّيكَةَ قَوْمًا، وجعلهم معازيل، وهم الذين لا سلاح معهم، وجعلهم أسرة؛ وأسرة الرجل: رهطه وقومه.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمْ نَمُرَّا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَمْشُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَمْ نَمُرَّا﴾ يقول: إن الأصنام لا تستطيع نصر مَنْ عبدها، ولا تمنع من نفسها.

﴿وَلَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْمُلْدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ مَخِشْرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَدْعُوهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الأصنام، فالمعنى: وإن دعوتهم أيها المشركون أصنامكم إلى سبيل رشاد لا يتبعوكم، لأنهم لا يعقلون. والثاني: أنها ترجع إلى الكفار، فالمعنى: وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلى الهدى، لا يتبعوكم، فدعائكم إياهم وصمتكم عنهم سواء، لأنهم لا يتقادون إلى الحق. وقرأ نافع ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بسكون التاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُنْثَالِكُمْ ثَادَعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَبَدُ يَطِيشُونَ يَهَّأْ أَمْ لَهُمْ آعَيْنٌ يُبْصِرُونَ يَهَّأْ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني الأصنام: ﴿عِبَادُ أُنْثَالِكُمْ﴾ في أنهم مسخرون مذللون لأمر الله. وإنما قال «عباد» وقال: ﴿ثَادَعُوهُمْ﴾، وإن كانت الأصنام جماداً، لما بيَّنا عند قوله: ﴿وَمَنْ يَخْلُقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: فليجيبوكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن لكم عندهم نفعاً وثواباً. ﴿أَلَمْ يَأْتِ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ في المصالح ﴿أَبَدُ يَطِيشُونَ يَهَّأْ﴾ في دفع ما يؤذي. وقرأ أبو جعفر «يطيشون» بضم الطاء هاهنا وفي القصص: [١٩] و [الدخان: ١٦]. ﴿أَمْ لَهُمْ آعَيْنٌ يُبْصِرُونَ يَهَّأْ﴾ المنافع من المضار ﴿أَمْ لَهُمْ آذَاتٌ يَسْمَعُونَ يَهَّأْ﴾ تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا مَنْ هم أفضل منه. ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ قال الحسن: كانوا يخوفونه بالهتهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنْظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخروا ذلك. وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي يقرؤون: ﴿ثم كيدون﴾ بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو، ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل. وروى ورش، وقالون، والمسيبي بغير ياء في الوصل، ولا وقف. فأما «تنظرون» فثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف. ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾ أي: ناصري ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن، أي: كما أيدني بإزالة الكتاب بنصري.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا يقدرّون على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

(١) البيت في «المفضليات» ١٤٣ من نصيدة قالها بعد وقعة القادسية حين التقى المسلمون بالفرس في وقعة بابل سنة ١٣، فهزموهم وتبعوهم إلى المدائن. والمعازيل: العزل من السلاح.

﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْهَبُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾ في المراد بهؤلاء قولان: أحدهما: أنهم الأصنام. ثم في قوله: ﴿وَتَرْهَبُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواح. والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعيناً مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ [الحج: ٢٢] أي: كأنهم سكارى، ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ في الحقيقة. وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَيْلِ﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ الميسور، وقد سبق شرحه في سورة [البقرة: ٢١٩]. وفي الذي أمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال: أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد<sup>(١)</sup> فيكون المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء. والثاني: أنه المال، وفيه قولان: أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية الضحاك. والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نُسخَت بالزكاة، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف. وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَيْلِ﴾ قولان: أحدهما: أنهم المشركون، أمر بالإعراض عنه، ثم نسخ ذلك بآية السيف. والثاني: أنه عام فيمن جهل، أمر بصيانة النفس عن مقابلته على سفهمهم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم. وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم، وطرفها منسوخان على ما بينا.

﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ قَدْ تَسَمَّوَ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤) إِنَّكَ الْآيَةُ آتَتْهُمُ مَّا كَانَتْ مِنْهُمُ لَآيَةً مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَغُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ قال ابن زيد؛ لما نزلت ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ قال النبي ﷺ: «يا رب كيف بالغضب؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. فأما قوله: ﴿وَإِنَّمَا﴾ فقد سبق بيانه في سورة [البقرة] في قوله: ﴿وَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة: ٢٨]، وقال أبو عبيدة: ومجاز الكلام: وإما تستخفك منه خفة وغضب وعجلة. وقال السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس. قال الزجاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حركته. وقد سبق معنى الاستعاذة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طِيفٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «طيف» بغير ألف. وقرأ نافع، وهاصم، وابن عامر، وحمزة: «طائف» بآلف ممدوداً مهموزاً. وقرأ ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك: «طَيْفٌ» بتشديد الياء من غير ألف. وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان؟ فيه قولان: أحدهما: أنها بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يلهم بك، حكى عن الفراء. وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، قال الشاعر:

(١) «الطبري»، ٣٢٦/١٣، وابن كثير: ٢٧٧/٢. وروى البخاري في «صحيحه» ٢٢٩/٨ عن عبد الله بن الزبير: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال: ما أنزل الله [أي هذه الآية] إلا في أخلاق الناس. وروى البخاري أيضاً ٢٢٩/٨ أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من الثغر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: ساستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: يني يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَيْلِ﴾ (٥) وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله.

(٢) «الطبري» ٣٢٨/١٣.

(٣) وقال «الطبري» ٣٢٩/١٣: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنا: خذ العفو من أخلاق الناس وارك الخلفه عليهم، وقال: أمر بذلك النبي ﷺ في المشركين.

(٤) «الطبري» ٢٣٣/١٣، وابن كثير: ٢٧٨/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٤/٣ عن ابن جرير الطبري. وابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.



أَلَا يَا لَقَظْمٍ لَطِيفِ الْخَيَالِ أَرَّقَ مِنْ نَازِحِ ذِي دَلَالٍ<sup>(١)</sup>

والثاني: أن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمة والوسوسة والخطر، حكى عن أبي عمرو: وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللمة من الشيطان، والطيف: الغضب. وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف؛ والطيف عند أهل اللغة: اللثم من الشيطان؛ وزعم مجاهد أنه الغضب.

قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تذكروا الله إذا هموا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد. والثاني: تفكروا فيما أوضح الله لهم من الحجة، قاله الزجاج. والثالث: تذكروا غضب الله؛ والمعنى: إذا جرأهم الشيطان على ما لا يحل، تذكروا غضب الله، فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتفكير.

﴿وَلَا يَخُونُهُمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخُونُهُمْ﴾ في هذه الهاء والميم قولان: أحدهما: أنها عائدة على المشركين؛ فتكون هذه الآية مقدمة على التي قبلها، والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي﴾ قرأ نافع: «يمدونهم» بضم الياء وكسر الميم. والباقون: بفتح الياء وضم الميم. قال أبو علي: عامة ما جاء في التنزيل فيما يُحْمَدُ وَيُسْتَحَبُّ: أمدت، على أفعلت، كقوله: ﴿أَيُّدُونِي يَسَالٍ﴾ [النمل: ٣٦] ﴿أَنَّمَا يُدِثُّهُمُ بِهِ مِنْ مَالٍ﴾ [المؤمنون: ٥٥] ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِنِكَاحٍ﴾ [الطور: ٢٢]، وما كان على خلافه يجيء على: مددت؛ كقوله: ﴿وَسَلَّكُمُ فِي طَفَيْنِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]؛ فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء، إلا أن وجه قراءة نافع بمنزلة ﴿فَقَبَّرْتَهُمْ بِكَذَا آلِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٤]. قال المفسرون: ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْآلِي﴾ أي: يزئنون لهم، ويريدون منهم لزومه؛ فيكون معنى الكلام: إن الذين اتقوا إذا جرأهم الشيطان إلى خطيئة، تابوا منها، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين، يمدونهم في الغي، هذا قول الأكثرين من العلماء. وقال بعضهم: الهاء والميم ترجع إلى الشياطين، وقد جرى ذكرهم لقوله: «من الشيطان»؛ فالمعنى: وإخوان الشياطين يمدونهم. والثاني: أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين؛ فالمعنى: وإخوان المتقين من المشركين، وقيل: من الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يريدون من المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر، ذكر هذا القول جماعة منهم ابن الأنباري. فإن قيل: كيف قال: «وإخوانهم» وليسوا على دينهم؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنهم المشركون، فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب، أو في كونهم من بني آدم، أو لكونهم يظهرون النصح كالإخوان؛ وإن قلنا: إنهم الشياطين، فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم، والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ وقرأ الزهري، وابن أبي عبيدة: «لا يقصرون» بالتشديد. قال الزجاج: يقال: أقصر يقصر، وقصر يقصر. قال ابن عباس: لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تقصر عنهم؛ فعلى هذا يكون قوله: «يقصرون» من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور؛ ويخرج على القول الثاني أن يكون هذا وصفاً للإخوان فقط.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَى مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ يعني به المشركين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: إذا لم تأتهم بآية، سألوها تعنتاً. قاله ابن السائب. والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ قولان: أحدهما: هلأ افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين، وحكى عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته؛ إذا افتعلته من قبل نفسك. والثاني: هلأ طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماوردي؛ والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَى مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ أي: ليس الأمر لي.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. قال أبو عبيدة: البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان، وأحدثها: بصيرة. وقال الزجاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه.

(١) البيت لأمية بن حانن في شرح «أشعار الهذليين» ٤٩٤/٢، قال السكري: الطيف: ما جاء في المنام، يقول: هذا الخيال جاء من امرأة نازحة ذات دلال، والدلال: الشكل والهيئة الحسنة، والنازع: البعيد، والأرق: أن يغمض عينه مرة ويفتحها أخرى، ويروي: «يؤرق» أي: يسهر فيه.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٤)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه ورافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي ﷺ شيئاً، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري. والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما قرضت، فيجيء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومجاهد، وعمر بن دينار في آخرين<sup>(٢)</sup>.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ في هذا الذكر أربعة أقوال: أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، أمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار. والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرّاً في نفسه، قاله قتادة. والثالث: أنه يُذكر الله باللسان. والرابع: أنه ذكر الله باستدامة الفكر، لا يغفل عن الله تعالى، ذكر القولين الماوردي. وفي المخاطب بهذا الذكر قولان: أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد. والثاني: أنه خطاب النبي ﷺ، ومعناه عام في جميع المكلفين.

قوله تعالى: ﴿تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾ التضرع: الخشوع في تواضع؛ والخيفة: الحذر من عقابه.

قوله تعالى: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ الجهر: الإعلان بالشيء؛ ورجل جهر الصوت: إذا كان صوته عالياً. وفي هذا نص على أنه الذكر باللسان؛ ويحتمل وجهين: أحدهما: قراءة القرآن. والثاني: الدعاء، وكلاهما مندوب إلى إخفائه<sup>(٣)</sup>، إلا أن صلاة الجهر قد بين أدها في قوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُنَافِئُ بِهِ﴾ [الإسراء: ١١٠]. فأما الغدو فهو جمع غُدوة؛ والآصال جمع أضل، والأصل جمع أصيل؛ فالآصال جمع الجمع، والآصال: العشيات. وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب؛ وأنشد:

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلِهِ وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ<sup>(٤)</sup>

وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدو: صلاة الفجر؛ والآصال: صلاة العصر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبرون ويتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وفي هذه العبادة قولان: أحدهما: الطاعة. والثاني: الصلاة والخضوع فيها. وفي قوله: ﴿يُسَبِّحُونَهُ﴾ قولان: أحدهما: ينزهونه عن السوء. والثاني: يقولون: سبحان الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلّون. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمرنا؟ فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأناً منكم، لا يتكبرون عن عبادة الله. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله، أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فمضيت فلي النار»<sup>(٥)</sup>.



(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٥٥/٣ عن ابن مردويه من رواية ابن عباس.

(٢) قال «الطبري» ٣٥٢/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه ممن يأم به يسمعه، وفي الخطبة.

(٣) روى البخاري ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غافياً، إنكم تدعون سميماً قريباً وهو معكم» واللفظ لسم.

(٤) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في «ديوان الهذليين» ١٤١/١، ومجاز القرآن ٢٣٩/١، و«الأغاني» ٥٧/٦، و«الخرائج» ٤٧٩/٢، ٥٦٤.

(٥) رواه مسلم ٨٧/١، وابن ماجه ٣٣٤/١ عن أبي هريرة ﷺ، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٥٨/٣ وزاد نسبته للبيهقي.

## سورة الأنفال

وهي مدنية بإجماعهم. وحكى الماوردي عن ابن عباس أن فيها سبع آيات مكيات، أولها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَوْا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا»، فأما المشيخة، فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان، فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم، فإننا كنا لكم رداءً؛ فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت سورة (الأنفال)، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفاً يوم بدر، فقال: يا رسول الله، هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله، فقال: «أذهب فاطرحه في القَبَضِ» فرجعت، وبني ما لا يعلمه إلا الله؛ فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة (الأنفال)، فقال: «أذهب فخذ سيفك»<sup>(٤)</sup>. وقال السدي: اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي ﷺ، فأخذه النبي ﷺ منهم، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله ﷺ، ليس لأحد منها شيء، فسألوه أن يعطيهم منها شيئاً، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي المراد بالأنفال ستة أقوال: أحدها: أنها الغنائم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. وواحد الأنفال: نَقْلُ، قال لييد:

إِنْ تَقَوُّى رَبَّنَا خَيْرٌ نَقْلُ وَإِذْنِ اللَّهِ رَيْشِي وَعَجَلُ<sup>(٥)</sup>

والثاني: أنها ما نَقَلَهُ رسول الله ﷺ القاتل من سَلَبِ قتيله. والثالث: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عَبد أو دابة بغير قتال، قاله عطاء. وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنه الخمس الذي أخذه رسول الله ﷺ من الغنائم، قاله مجاهد. والخامس: أنه أنفال السرايا، قاله علي بن صالح بن حي. وحكي عن الحسن قال: هي السرايا التي تتقدم أمام الجيوش. والسادس: أنها زيادات يُؤْتَرُ بها الإمام بعض الجيش لما يراه من المصلحة، ذكره الماوردي. وفي «عن» قولان: أحدهما: أنها زائدة، والمعنى: يسألونك الأنفال؛ وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو العالية: «يسألونك الأنفال» بحذف «عن». والثاني: أنها أصل،

(١) «الطبري» ٣٦٨/١٣، ورواه أبو داود في «مسنده» ١٠٢/٣ رقم (٢٧٣٧) مع اختلاف يسير، وكذلك البيهقي ٢٩١/٦ - ٢٩٢، والحاكم ١٣١/٢ - ١٣٢، وقال: صحيح، وأقره الذهبي. وخرجه ابن كثير في «تفسيره» ٢٨٤/٢ وزاد نسبه إلى النسائي، وابن حبان، وابن مردويه. وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٣ وزاد، نسبه إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٢) «الطبري» ٣٧٦/١٣، ورواه مسلم ٥٣/١٢ - ٥٤ بأطول منه، وخرجه ابن كثير في «تفسيره» ٢٨٣/٢، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» ٢٩١/٦.

(٣) «المسنند» ٧٨/٣، و«الطبري» ٣٧٣/١٣، و«الأموال» لأبي عبيد (٣٠٣) وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون لم يدرك سعداً، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في خلال الخبر: قتلت سعيد بن العاص، وقال غيره: العاص بن سعيد. قال أبو عبيد: هذا عندنا هو المحفوظ. وفي «الإصابة» ٣٦٣/٣: وأخرجه البغوي من طريق محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعيد قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت أنا سعيد بن العاص، قال الحافظ ابن حجر: كذا فيه، والصواب: العاص بن سعيد بن العاص، فإنه قتل يوم بدر كافراً، أما سعيد بن العاص بن أمية، فإنه مات قبل بدر مشركاً.

(٤) «ديوانه» ١٧٤، و«مجاز القرآن» ٢٤٠/١، و«جمهرة الأشعار» ٧، و«الطبري» ٣٦٦/١٣، و«غريب القرآن» ١٧٧، و«اللسان» نقل. وقوله: خير نفل، هذه رواية الأصمعي، وروى أبو عبيدة: خير النفل، قال أبو الحسن: النفل: الفضل والعطية. والريث: مصدر رثت أريث: إذا أبطأت.

والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ أو عن حكم الأنفال؛ وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين. وذكر أنهم إنما سألوا عن حكمها لأنها كانت حراماً على الأمم قبلهم.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حراماً في شرائع الأنبياء المتقدمين، فنسخ الله ذلك بهذه الآية، وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول ﷺ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ﴾ [الأنفال: ٤١]. وقال آخرون: المراد بالأنفال شيان: أحدهما: ما يجعله الرسول ﷺ لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه، يستخرج به نصحبهم، ويحرضهم على القتال. والثاني: ما يفضل من الغنائم بعد قسمتها كما روي عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فغنمنا إبلاً، فأصاب كل واحد منا اثنا عشر بعيراً، ونقلنا بعيراً بعيراً؛ فعلى هذا هي محكمة، لأن هذا الحكم باقٍ إلى وقتنا هذا.

### فصل

ويجوز التَّغْلُّ قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئاً فهو له، وبه قال الجمهور. فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان. وهل يستحق القاتل سلب المقتول إذا لم يشترط له الإمام؟ فيه قولان: أحدهما: يستحقه، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي. والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو حنيفة، ومالك؛ وعن أحمد روايتان كالقولين.

قوله تعالى: ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يحكمان فيها ما أرادا، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك مخالفته ﴿وَأَسْلِبُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ قال الزجاج: معنى «ذات بينكم» حقيقة وصلحكم. والبين: الوصل؛ كقوله: ﴿لَقَدْ نَقَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]. ثم في المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن يرُدَّ القويُّ على الضعيف، قاله عطاء. والثاني: ترك المنازعة تسليماً لله ورسوله. قوله تعالى: ﴿وَأَلْبِسُوا اللَّهَ رَسُولَهُ﴾ أي: اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُمُ رَأَوْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إذا ذكرت عظمته وقدرته وما خوف به من عصاه، فزعت قلوبهم، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَا وَجَلَ  
يَقَالُ: وَجَلٌ يُوْجَلُ وَيَاجَلُ وَيَتَجَلُ وَيُجَلُّ. هذه أربع لغات حكاهما سيوريه. وأجودها: يُوْجَلُ. وقال السدي: هو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله فيترع عنها.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ﴾ أي: آيات القرآن. وفي قوله: ﴿رَأَوْهُمْ إِيمَانًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تصديقاً، قاله ابن عباس. والمعنى: أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به فیزدادوا إيماناً بزيادة الآيات. والثاني: يقيناً، قاله الضحاك. والثالث: خشية الله، قاله الربيع بن أنس. وقد ذكرنا معنى التوكل في [آل عمران: ١٢٢].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يعني الزكاة.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ قال الزجاج: «حقاً» منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ»، فالمعنى: أحق ذلك حقاً. قال مقاتل: المعنى: أولئك هم المؤمنون لا شك في إيمانهم كشك المنافقين. قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال عطاء: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم، والرزق الكريم: ما أعد لهم فيها.

(١) البيت لمعن بن أوس في «مجاز القرآن» ١/٢٤٠، و«الاقتضاب» ٤٦٣، وشرح حسام أبي تمام، للمروزي ٣/١١٢٦، و«الحماسة البصرية» ١٤١، و«الخرائفة» ٣/٥٠٥.



﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَايَهُونَ﴾ ٥٠ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَدْمًا بَيْنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ٥١

قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ في متعلق هذه الكاف خمسة أقوال: أحدها: أنها متعلقة بالأنفال. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن تأويله: امض لأمر الله في الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت في خروجك من بيتك وهم كارهون، قاله الفراء. والثاني: أن الأنفال لله والرسول ﷺ بالحق الواجب، كما أخرجك ربك بالحق، وإن كرهوا ذلك، قاله الزجاج. والثالث: أن المعنى: يسألك عن الأنفال مجادلة، كما جادلوك في خروجك، حكاه جماعة من المفسرين. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا﴾، والمعنى: إن التقوى والإصلاح خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه محمداً خيراً لكم وإن كرهه بعضكم، هذا قول عكرمة. والثالث: أنها متعلقة بقوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾، فالمعنى: مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون، قاله الكسائي. والرابع: أنها متعلقة بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: وهم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بينك بالحق، ذكره بعض ناقلي التفسير. والخامس: أن «كما» في موضع قسم، معناها: والذي أخرجك من بيتك، قاله أبو عبيدة، واحتج بأن «ما» في موضع «الذي» ومنه قوله: ﴿وَمَا عَلَّقَ الْأَكْرُ وَالْأُنْثَى﴾ [الببل: ٣] قال ابن الأنباري: وفي هذا القول بُغْد، لأن الكاف ليست من حروف الإقسام. وفي هذا الخروج قولان: أحدهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغنيمة إلا بالقتال. والثاني: أنه خروجه من مكة إلى المدينة للهجرة. وفي معنى قوله: «بالحق» قولان: أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق. والثاني: أنك خرجت بالحق الذي وجب عليك. وفي قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَايَهُونَ﴾ قولان: أحدهما: كارهون خروجك. والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال، وليست كراهة لأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ يعني في القتال يوم بدر، لأنهم خرجوا بغير عُدَّة، فقالوا: هَلَّا أخبرتنا بالقتال لناخذ العُدَّة، فجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال. وفي قوله: ﴿يَمْدُ مَا بَيْنَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تبين لهم فرضه. والثاني: تبين لهم صوابه. والثالث: تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أُمِرْتَ به. وفي «المجادلين» قولان: أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنهم المشركون، قاله ابن زيد، فعلى هذا يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد، لا في القتال. فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ أي: في لقاء العدو «وَهُمْ يَنْظُرُونَ»، لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظراً إليه، وعالمًا به. وعلى قول ابن زيد: كأنما يساقون إلى الموت حين يُدْعَوْنَ إلى الإسلام لكرهتهم إياه.

﴿وَرَاةَ يَمْدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَوَدَّوْكَ أَنْ عَرَّ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُوْثُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥١ ﴿يُخَيِّقُ الْحَقَّ وَيَبْطِلُ الْبَطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٢

قوله تعالى: ﴿وَرَاةَ يَمْدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريداهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش لل منع عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسول الله، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَرَاةَ يَمْدُكُمْ اللَّهُ﴾، والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين. والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش؛ فلما سبق أبو سفيان بما معه، كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لحربنا ركايبكم، فقد أحرزناها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع. وسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال؛ فذلك قوله: ﴿وَوَدَّوْكَ أَنْ عَرَّ ذَاتِ الشُّوْكَةِ﴾ أي: ذات السلاح. يقال: فلان شاكي السلاح؛ بالتخفيف، وشاك في السلاح؛ بالتشديد، وشاك. قال أبو عبيدة: ومجاز الشوكة الحد؛ يقال: ما أشد شوكة بني فلان، أي: حدّهم. وقال الأخفش: إنما أنت ذات الشوكة، لأنه يعني الطائفة.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أنه القرآن، والمعنى: يُخَيِّقُ ما أنزل إليك من القرآن.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ أي: بعدائه التي سبقت من إعزاز الدين، كقوله: ﴿يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجتث أصلهم؛ وقد بيّنّا ذلك في [الأنعام: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ المعنى: ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق. وفي هذا الحق القولان المتقدمان: فأما الباطل، فهو الشرك؛ والمجرمون هاهنا: المشركون.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّمٌ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَالْأَلْفُ مِنْ الْكَافِرِينَ مُرْدَفِينَ ۖ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلَكُمْ فِي يَدَيْكُمْ فَلْيُفَكِّرُوا ۚ وَمَا الْفَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ سبب نزولها ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة وثيف، ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مَدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبداً» فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فردّاه به، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كذاك<sup>(١)</sup> مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك؛ وأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذْ﴾ قال ابن جرير: هي من صلة «بيطل». وفي قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ قولان: أحدهما: تستنصرون. والثاني: تستجيرون. والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص. وفي المستغيثين قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ والمسلمون، قاله الزهري. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله السدي. فأما الإمداد فقد سبق في [آل عمران: ١٧٤]. وقوله: ﴿بِأَنِّي﴾ قرأ الضحاك، وأبو رجا: «بِأَلَفٍ» بهمزة ممدودة وبألف على الجمع. وقرأ أبو العالية. وأبو المتوكل: «بِأَلُوفٍ» برفع الهمزة واللام ويواو بعدها على الجمع. وقرأ ابن حنّظلم<sup>(٣)</sup>، والجحدري: «بِأَلُفٍ» بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف، وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِإِلْفٍ» بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف. فأما قوله: ﴿مُرْدَفِينَ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مُرْدَفِينَ» بكسر الدال. قال ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء: هم المتتابعون. وقال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، تقول: أردفت زيدا دابتي؛ فيكون المفعول الثاني محذوفاً في الآية. والثاني: أن يكونوا جاؤوا بعدهم؛ تقول العرب: بنو فلان مردوفونا، أي: هم يجيئون بعدنا. قال أبو عبيدة: مردفين جاؤوا بعد. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «مُرْدَفِينَ» بفتح الدال. قال الفراء: أراد: فَعَلَ ذلك بهم، أي: إن الله أردف المسلمين بهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي، وأبو مجلز: «مُرْدَفِينَ» بفتح الراء والدال مع التشديد. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «مُرْدَفِينَ» برفع الراء وكسر الدال. وقال الزجاج: يقال: ردفت الرجل: إذا ركبته خلفه، وأردفته: إذا أركبته خلفي. ويقال: هذه دابة لا تُرَادِف، ولا يقال: لا تُرْدِف. ويقال: ردفت الرجل: إذا جثت بعده. فمعنى «مردفين» يأتون فرقة بعد فرقة. ويجوز في اللغة: مُرْدَفِينَ ومُرْدَفِينَ ومُرْدَفِينَ، فالدال مكسورة مشددة على كل حال، والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر. قال سيبويه: الأصل مرتدفين، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُرْدَفِينَ لأنك طرحت حركة التاء على الراء؛ وإن شئت لم تطرح حركة التاء، وسكرت الراء لالتقاء الساكنين. والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضممة الميم. وقد سبق في [آل عمران] تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وكان مجاهد يقول: ما أمد الله النبي ﷺ بأكثر من هذه الألف التي ذكرت في [الأشغال: ١٠]، وما ذكر الثلاثة والخمسة إلا بشري، ولم يُعْمَدُوا بها؛ والجمهور على خلافه، وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في [آل عمران: ١٧٦].

(١) مكلا وقع لجماهير رواة مسلم «كذاك»، ولبعضهم: «كفاك» وكل بمعنى. وفي الطبري، «ومستند أحمد»، وتفسير ابن كثير: كفاك.

(٢) «الطبري» ٤٠٩/١٣، ورواه مسلم ١٣٨٤/٣ مطولاً، وأحمد في «المستند» رقم ٢٠٨ و ٢٢١.

(٣) هو تميم بن حنّظلم الكوفي.

﴿إِذْ يَنْفِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ وَيَرْكَبُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُم بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْفِيكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَهُ مِنْهُ﴾ قال الزجاج: «إِذ» موضعها نصب على معنى: وما جعله الله إلا بشري، في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون المعنى: اذكروا إذ يغشاكم النعاس. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إِذْ يَغْشَاكُمْ» بفتح الباء وجزم الغين وفتح الشين وألف «النعاس» بالرفع. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يُغْشِيكُمْ» بضم الباء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، «النعاس» بالنصب. وقرأ نافع: «يُغْشِيكُمْ» بضم الباء وجزم الغين وكسر الشين، «النعاس» بالنصب. وقال أبو سليمان الدمشقي: الكلام راجع على قوله: ﴿وَلِيُطَهِّرَنَّ بِهِ قُلُوبَكُمْ﴾ إذ يغشاكم النعاس. قال الزجاج: و «أَمْنَهُ» منصوب: معفول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر. يقال: أمنتُ أَمْنًا وأمانًا وأَمَنَةً. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو العالية، وابن يغمر، وابن محيصن: «أَمْنَهُ مِنْهُ» بسكون الميم.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْكَبُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ﴾ قال ابن عباس: نزل النبي ﷺ يوم بدر، وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المشركون على الماء، فأصاب المسلمين الظمأ، وجعلوا يصلون محدثين، وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون محدثين، فأنزل الله عليهم مطراً، فشربوا وتطهروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان، وهو وسواسه، حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء. وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيد، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة. وقال ابن الأنباري: ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السماء، فزالَت وسوسة الشيطان التي تُكسب عذاب الله وغضبه، إذ الرجز: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ الربط: الشد. و «على» في قول بعضهم صلة، فالمعنى: وليربط قلوبكم. وفي الذي ربط به قلوبهم وقواها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل. والثالث: أنه المطر الذي أرسله يثبت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ في هاء «به» قلان: أحدهما: أنها ترجع إلى الماء؛ فإن الأرض كانت رَمَلة، فاشتدت بالمطر، وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين. والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى: وثبت بالربط الأقدام، ذكره الزجاج.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَفَتَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاؤُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧٦﴾ ذَلِكَ كُمْ تَذَوُّوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ قال الزجاج: «إِذ» في موضع نصب، والمعنى: وليربط إذ يوحى. ويجوز أن يكون المعنى: واذكروا إذ يوحى. قال ابن عباس: وهذا الوحي إلهام.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ وهم الذين أمد بهم المسلمين. «أَنِّي مَعَكُمْ» بالعون والنصرة. «فَفَتَرُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا» فيه أربعة أقوال: أحدها: قاتلوا معهم، قاله الحسن. والثاني: بشروهم بالنصر؛ فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، قاله مقاتل. والثالث: ثبوتهم بأشياء تُلْقُونَهَا في قلوبهم تقوى بها، ذكره الزجاج. والرابع: صححوا عزائمهم ونياتهم على الجهاد، ذكره الثعلبي. فأما الرعب، فهو الخوف. قال السائب بن يسار: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السوائي عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين كيف؟ كان يأخذ الحصى فيرمي به الطست فيطن، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس، فعلمهم الله تعالى ذلك. والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من



المفسرين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: فاضربوا الأعناق، و «فوق» صلة، وهذا قول عطية، والضحاك، والأخفش، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوق الرأس، وضربته على الرأس. والثاني: اضربوا الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وبه قال عكوة. وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأطراف، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الفراء: علمهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة: البنان: أطراف الأصابع. قال ابن الأنباري: واكتفى بهذا من جملة اليد والرجل. والثاني: أنه كل مفصل، قاله عطية، والسدي. والثالث: أنه الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء، والمعنى: أنه أباحهم قتلهم بكل نوع، هذا قول الزجاج. قال واشتقاق البنان من قولهم: أبى بالمكان: إذا أقام به، فالبنان به يُعتمَل كل ما يكون للإقامة والحياة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ﴾ «ذلك» إشارة إلى الضرب، و «شاقوا» بمعنى: جانبوا، فصاروا في شق غير شق المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَذُوقُوا﴾ خطاب للمشركين؛ والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا. وفي فتح «أن» قولان: أحدهما: بإضمار فعل، تقديره: ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين. والثاني: أن يكون المعنى: ذلك بأن للكافرين عذاب النار. فإذا أقيمت الباء، نصبت. وإن شئت، جعلت «أن» في موضع رفع؛ يريد: ذلكم فذوقوه، وذلكم أن للكافرين عذاب النار، هذا معنى قول الفراء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَيْسَ الدِّينُ كَفَرُوا وَحَقًّا فَلَا تُؤْلِمُوا الْأَذْيَارَ ۖ وَمَنْ يُولِمْهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحِدًّا أَوْ مُتَحِدًّا لَكَ فَتَوَّعَدَ بَكَّةً بِضَمِّ نُونِ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْخَبِيرُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسَ الدِّينُ كَفَرُوا وَحَقًّا﴾ الزحف: جماعة يزحفون إلى عدوهم؛ قاله الليث. والتزاحف: التداني والتقارب، قال الأعشى:

لَمَنِ الْقَلَائِنُ سَيَرُهُنَّ تَزَحْفُ

قال الزجاج: ومعنى الكلام: إذا واقفتموهم للقتال فلا تدبروا ﴿وَمَنْ يُولِمْهُمْ﴾ يوم حربهم ﴿دُبُرُهُ﴾ إلا أن يتحرف ليقاتل، أو يتحيز إلى فئة؛ ف «متحرفاً» و «متحيزاً» منصوبان على الحال. ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء؛ فيكون المعنى: إلا رجلاً متحرفاً أو متحيزاً. وأصل متحيز: مُتَحَيِّزٌ؛ فأدغمت الياء في الواو. قوله تعالى: ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: مرجعه إليها؛ ولا يدل ذلك على التخليد.

## فصل

اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هذه خاصة في أهل بدر، وهو مروي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وابن جبير، وقتادة، والضحاك. وقال آخرون: هي على عمومها في كل منهزم؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. وقال آخرون: هي على عمومها، غير أنها نسخت بقوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِي سَابِرَةً يَغْلِبُوا وَيَأْتِي﴾ [الأشغال: ٦٦] فليس للمسلمين أن يفروا من مثلهم، وبه قال عطاء بن أبي رباح. وروى أبو طالب عن أحمد أنه سئل عن الفرار من الزحف، فقال: لا يفر رجل من رجلين؛ فإن كانوا ثلاثة، فلا بأس. وقد نُقل نحو هذا عن ابن عباس. وقال محمد بن الحسن: إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفاً، فليس لهم أن يفروا من عدوهم، وإن كثر عددهم. ونقل نحو هذا عن مالك؛ ووجهه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما هُزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة»<sup>(١)</sup> إذا صبروا وصدقوا.

﴿قَلَّمَ تَقْلُومَهُمْ وَلَكَرَّ اللَّهُ قَلْلَهُمْ وَمَا رَيْتُ إِذْ رَيْتُ وَلَكَرَّ اللَّهُ رَكْبٌ وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُوَهِّبٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ۝﴾

(١) رواه أبو داود رقم (٢٦١١) عن ابن عباس بلفظ: «لن يغلِبَ اثنا عشر ألفاً من قلة» وقال: والصحيح أنه مرسل، ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، ولم يصححه، لأنه يروى سنناً ومرسلاً ومعضلاً. قال ابن القطان: لكن هذا ليس بعله فالأقرب صحته.



قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ وقرأ ابن عامر، وأهل الكوفة إلا عاصماً «ولكن الله قتلهم» ولكن الله رمى بتخفيف النون ورفع اسم الله فيهما. وسبب نزول هذا الكلام أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا عن بدر جعلوا يقولون: قَتَلْنَا وَقَتَلْنَا، هذا معنى قول مجاهد. فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ففي سبب نزوله ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ قال لعلي: «ناولني كفاً من حصباء»، فنأوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي منهم أحد إلا وقعت في عينه حصاة<sup>(١)</sup>. وقيل: أخذ قبضة من تراب، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»؛ فما بقي مشرك إلا شغل بعينه يعالج التراب الذي فيها، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وذلك يوم بدر؛ وهذا قول الأكثرين. وقال ابن الأنباري: وتأويل شاهت: قبحت؛ يقال: شاه وجهه يشوه شوهاً وشوهاً، ويقال: رجل أشوه، وامرأة شوهاء؛ إذا كانا قبيحين. والثاني: أن أبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي ﷺ يريد، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، وطعنه النبي ﷺ بحرته، فسقط أبي عن فرسه، ولم يخرج من طعته دم، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يقدم مكة؛ فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن أبيه. والثالث: أن رسول الله ﷺ رمى يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ اختلفوا في معنى إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم. والثاني: أنه أضاف القتل إليه لأنه تولى نصرهم. والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين، وأمكنهم منهم. والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم. وفي قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت، ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة. والثاني: وما بلغ رميك كفاً من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير، إنما الله تولى ذلك؛ قاله الزجاج. والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ الثَّوْبَيْنِ بِنَهْ بَلَاءٍ حَسَنًا﴾ أي: لئنعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والأجر. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيحٌ﴾ لدعائهم «عليهم» ببنائهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ قال الزجاج: موضعه رفع؛ والمعنى: الأمر ذلكم. وقال غيره: «ذلكم» إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: واعلموا أن الله. والذي ذكرناه في فتح «أن» في قوله: ﴿وَأَنَّ الْكُفْرَيْنَ عَذَابٌ أَكْبَرُ﴾ هو مذكور في فتح «أن» هذه.

قوله تعالى: ﴿مُوهِنٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر «مُوهِنٌ» بفتح الواو وتشديد الهاء منونة «كيد» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «موهن» ساكنة الواو، «كيد» بالنصب. وروى حفص عن عاصم موهن كيد مضاف. والموهن: المضعف، والكيد: المكر.

﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدٌ وَإِنْ تَنْقُ عَنَّا فَتَحَكُمْ فَيَكُنْ لَكُمْ كَثْرَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن أصحاب رسول الله ﷺ استنصروا الله وسألوه الفتح، فنزلت هذه الآية؛ وهذا المعنى مروى عن أبي بن كعب، وعطاء الخراساني. والثاني: أن أبا جهل قال: اللهم أينما كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، فقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله السدي. والرابع: أن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه

بالحق؛ فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة. والخامس: أنهم قالوا بمكة: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَنْظِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأشغال: ٣٢٢]، فعذبوا يوم بدر، قاله ابن زيد. فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا» قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: المشركون؛ وهو الأشهر. وفي الاستفتاح قولان: أحدهما: أنه الاستنصار؛ قاله ابن عباس، والزجاج في آخرين. فإن قلنا: إنهم المسلمون، كان المعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة؛ وإن قلنا: إنهم المشركون؛ احتمل وجهين: أحدهما: إن تستنصروا فقد جاء النصر عليكم. والثاني: إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله، فقد جاء النصر لأحب الفريقين. والثاني: أن الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم؛ وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة، ومجاهد، وقتادة. فأما قوله: ﴿وَأَنْ تَنْبِئُوا فَهَوْاْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة. وفي معناه قولان: أحدهما: إن تنتهوا عن قتال محمد ﷺ، والكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن تنتهوا عن استفتاحكم، فهو خير لكم، لأنه كان عليهم، لا لهم، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَأَنْ تَوَدُّوا نَعْدَ﴾ قولان: أحدهما: وإن تعودوا إلى القتال، نُعِدْ إلى هزيمتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإن تعودوا إلى الاستفتاح، نُعِدْ إلى الفتح لمحمد ﷺ، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَنفِي عَنكَ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا﴾ أي: جماعتكم وإن كثرت، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «وإن الله» بكسر الألف. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وأن» بفتح الألف. فمن قرأ بكسر «أن» استأنف. قال الفراء: وهو أحب إلي من فتحها. ومن فتحها، أراد: ولأن الله مع المؤمنين. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تولوا عن رسول الله ﷺ. والثاني: لا تولوا عن أمر رسول الله ﷺ. ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما نزل من القرآن، روي القولان عن ابن عباس.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ ﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في اليهود، قريظة والنضير، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي، ومقاتل. وفي معنى الكلام قولان: أحدها: أنهم قالوا: سمعنا، ولم يتفكروا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع، قاله الزجاج. والثاني: أنهم قالوا: سمعنا سماع من يقبل، وليسوا كذلك، حكى عن مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي. والدواب: اسم كل حيوان يذُبُّ؛ وقد بينا في سورة [البقرة: ١٨] معنى الصم والبكم، ولم سَمَاهُمْ بذلك.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ولو علم فيهم صدقاً وإسلاماً. والثاني: لو علم فيهم خيراً في سابق القضاء. والثالث: لو علم أنهم يضلُّون. والرابع: لو علم أنهم يَضْعَوْنَ. وفي قوله: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه، قاله الزجاج. والثاني: لزرعهم الفهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: لأسمعهم كلام الموتى يشهدون بنبوتك، حكاه الماوردي. وفي قوله: ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ قولان: أحدهما: مكذبون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وهم معرضون عما أسمعهم لمعاندتهم، قاله الزجاج.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا﴾ أي: اجيبوا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ يعني الرسول ﴿لِمَا يَحْيِيكُمْ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أن الذي يحييكم: كل ما يدعو الرسول إليه، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس. وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «الم يقل الله: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قلت: بلى، ولا أعود إن شاء الله»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه الحق، رواه شيبان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثالث: أنه الإيمان، رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال السدي. والرابع: أنه أتباع القرآن، قاله قتادة، وابن زيد. والخامس: أنه الجهاد، قاله ابن إسحاق. وقال ابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينهم ويعليهم. والسادس: أنه إحياء أمورهم، قاله الفراء. فيخرج في إحيائهم خمسة أقوال: أحدها: أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة. والثاني: بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا، وحياة الأبد في الآخرة. والثالث: أنه دوام نعيمهم في الآخرة. والرابع: أنه كونهم مؤمنين، لأن الكافر كالميت. والخامس: أنه يحييهم بعد موتهم، وهو على قول من قال: هو الجهاد، لأن الشهداء أحياء، ولأن الجهاد يُعزهم بعد ذلهم، فكأنهم صاروا به أحياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ وفيه عشرة أقوال: أحدها: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير. والثاني: يحول بين المؤمن وبين معصيته، وبين الكافر وبين طاعته، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك والفراء. والثالث: يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: المعنى: يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال، فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصلون على ما قدمتم. والرابع: أن المعنى: هو قريب من المرء، لا يخفى عليه شيء من سره، كقوله: ﴿وَعَنْ أَزْوَاجِهِ إِلَى مَا كَانَ مِنَ الْبُيُوتِ﴾ [ق: ١٦] وهذا معنى قول قتادة. والخامس: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع إيماناً ولا كفراً إلا بإذنه، قاله السدي. والسادس: يحول بين المرء وبين هواه، ذكره ابن قتيبة. والسابع: يحول بين المرء وبين ما يتمنى بقلبه من طول العمر والنصر وغيره. والثامن: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فبادروا الأعمال قبل وقوعه. والتاسع: يحول بين المرء وقلبه بعلمه، فلا يضر العبد شيئاً في نفسه إلا والله عالم به، لا يقدر على تخييبه عنه. والعاشر: يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن، فيأمن بعد خوفه، ويخاف بعد أمنه، ذكر معنى هذه الأقوال ابن الأنباري. وحكى الزجاج أنهم لما فكروا في كثرة عدوهم وقلة عددهم، فدخل الخوف قلوبهم، أعلمهم الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوف الأمن، ويبدل عدوّه بالقرّة الضعف؛ وقد أعلمت هذه الآية أن الله تعالى هو المقلب للقلوب، المتصرف فيها<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُ إِلَيْهِ عُثْرَتَكَ﴾ أي: للجزاء على أعمالكم.

﴿وَأَنذَرْتُ فِتْنَةً لَا تُفِيصَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاسِئَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُ فِتْنَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، والضحاك. وقال الزبير بن العوام: لقد قرأناها زماناً، وما نرى أننا من أهلها، فإذا نحن المغنيون بها. والثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ولم يسمهما. والثالث: أنها عامة، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية، أمر الله المؤمنين أن لا يُقروا المنكر بين أظهرهم، فيعصمهم الله بالعذاب. وقال مجاهد: هذه الآية لكم أيضاً. والرابع: أنها نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، قاله الحسن. وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابته يوم الجمل. وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال: أحدها: القتال.

(١) «البخاري» ١١٩/٨، ٢٣١ دون قوله «قلت: بلى ولا أعود إن شاء الله» وهذه الزيادة إنما وردت عند أحمد في «المستد» ٦٥/١٨ بترتيب الساعاتي، والترمذي ١١١/٢ من حديث أبي هريرة عن أبي بن كعب.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٤٥/٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صوّف قلوبنا على طاعتك». وروى الترمذي ٣٦/٢ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا نبي الله آتينا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقبها كيف شاء». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والثاني: الضلالة. والثالث: السكوت عن إنكار المنكر. والرابع: الاختيار. والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد. والسادس: البلاء. والسابع: ظهور البدع. فأما قوله: ﴿لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فقال الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء. وإن كان نهياً، كقوله: ﴿يَكَايَا أَتَقُولُ أَذْخُلُوا سَكَنَكُمْ لَا يَخُوطُكُمْ سَكَنٌ﴾ [النمل: ١٨] أمرهم، ثم نهاهم؛ وفيه تأويل الجزاء. وقال الأخفش: «لا تصيبين» ليس بجواب، وإنما هو نهى بعد نهى؛ ولو كان جواباً ما دخلت النون. وذكر ابن الأنباري فيها قولين: أحدهما: أن الكلام تأويله تأويل الخير، إذ كان المعنى: إن لا يتقوها، تُصِبُ الذين ظلموا، أي: وغيرهم، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم، لكنها تقع بالصالحين والظالمين؛ فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي راجع إلى معنى الأمر، إذ القائل يقول: لا تقم، يريد: دع القيام، ووقع مع هذا جواباً للأمر، أو كالجواب له، فأكد له شبه النهي، فدخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه. والثاني: أنها نهى محض، معناه: لا يقصدن الظالمون هذه الفتنة، فيهلكوا؛ فدخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله: «لا يحطمتكم». وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تصيبين الفتنة الذين ظلموا. والثاني: لا يصيبين عقاب الفتنة. فإن قيل: فما ذنب من لم يظلم؟ فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة<sup>(١)</sup>. وقد قرأ علي، وابن مسعود، وأبي بن كعب: «لتصين الذين ظلموا» بغير ألف.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَتَأُونَهُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِعُونَ وَوَدَّكُمْ مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عدتهم قليلة، وهم مقيمون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون. وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدرًا، والمسلمون قليلون يومئذ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَتَأُونَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأواكم إلى المدينة بالهجرة، قاله ابن عباس، والأكثر. والثاني: جعل لكم ماوى تسكنون فيه آمنين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿وَأَيْدِيكُمْ يُصْرِعُونَ﴾ قولان: أحدهما: قواكم بالملائكة يوم بدر، قاله الجمهور. والثاني: عضدكم بنصره في بدر وغيرها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿وَوَدَّكُمْ مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنها الغنائم التي أحلها لهم، قاله السدي. والثاني: أنها الخيرات التي مكنتهم منها، ذكره الماوردي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَوْا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْا اللَّهَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَخَوْا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر؛ وذلك أن النبي ﷺ لما حاصر قريظة سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير، على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن ولده وأهله كانوا عندهم، فبعث إليهم، فقالوا: ما ترى، أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح فلا تفعلوا، فطاعوه، فكانت تلك خيانتة؛ قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، والأكثرين. وروي أن أبا لبابة ربط نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام كذلك، ثم تاب الله عليه، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاء فحلّه بيده، فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجّر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال

(١) روى البخاري ٩٤/٥ - ٢١٦ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».



رسول الله ﷺ: «يجزئك الثلث»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أخرجوا إليه واكتموا»، فكتب إليه رجل من المنافقين: إن محمداً يريدكم، فخذوا حذرکم، فنزلت هذه الآية، قاله جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان، قاله المغيرة بن شعبه. والرابع: أن قوماً كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ، فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٣)</sup>. وفي خيانة اللئيم قولان: أحدهما: ترك فرائضه. والثاني: معصية رسوله. وفي خيانة الرسول قولان: أحدهما: مخالفته في السر بعد طاعته في الظاهر. والثاني: ترك سنته. وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الفرائض، قاله ابن عباس. وفي خيانتها قولان: أحدهما: تنقيصها. والثاني: تركها. والثاني: أنها الدين، قاله ابن زيد؛ فيكون المعنى: لا تظهروا الإيمان وتُبتظنوا الكفر. والثالث: أنها عامة في خيانة كل مؤتمن، ويؤكده نزولها في ما جرى لأبي لبابة.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ فَتَنَةً وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَفَوُّا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ فَتَنَةً﴾ قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة. فأما الفتنة، فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ خير من الأموال والأولاد.  
قوله تعالى: ﴿إِن تَتَفَوُّا اللَّهَ﴾ أي: بترك معصيته، واجتناب الخيانة لله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه المخرج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وابن قتيبة، والمعنى: يجعل لكم مخرجاً في الدين من الضلال. والثاني: أنه النجاة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي. والثالث: أنه النصر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الفراء. والرابع: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.  
﴿وَإِذْ يَبْكُوكَ الْيَتِيمَ كَثُرًا يَتُوبُكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَنْكُرُونَ وَيَنْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرَ الْمُنْكَرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَبْكُوكَ الْيَتِيمَ كَثُرًا﴾ هذه الآية متعلقة بقوله: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قِلَّةٌ﴾ فالمعنى: أذكر المؤمنين ما من الله به عليهم، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا.

### الإشارة إلى كيفية مكرهم

قال أهل التفسير: لما بوع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشقت قريش أن يعلو أمره، وقالوا: والله لكانكم به قد كثر عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشrafهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وثاق، وترىصوا به ريب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يشب أصحابه فأخذه من أيديكم. فقال قائل: أخرجه من بين أظهركم. فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كل غلام سيفاً فيضربه به ضربة رجل واحد، فيفرق دمه في القبائل، فما أظن هذا الحي من قريش يقوى على ضرب قريش كلها، فيقبلون العقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. فتفرقوا

(١) خبر أبي لبابة أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ١٣٤، وأخرج بعضه الطبري ٤٨١/١٣، وابن هشام ٢٣٦/٢.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير» بعد أن أورده عن ابن جرير: هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر.

(٣) قال أبو جعفر الطبري ٤٨٣/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانتهم وخيانة رسوله وخيانة أمانته، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة، وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته. وقال ابن كثير ٣٠١/٢: والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء.

عن ذلك. وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبيت في مضجعه تلك الليلة، وأمر علياً فبات في مكانه، وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله ﷺ، أذن له الله في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لئلا أصبحوا، فأروا علياً، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقصروا أثره حتى بلغوا الجبل، فعمروا بالغار، فأروا نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت<sup>(١)</sup>. فأما قوله: ﴿لِيُثْبِتْ﴾ فقال ابن قتيبة: معناه: ليحبسوك. يقال: فلان مثبت وجعاً: إذا لم يقدر على الحركة. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: ليثبتوك في الوثاق، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين. والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء، والسدي في آخرين. وكان القوم أرادوا أن يحبسوه في بيت ويشدوا عليه بابه ويلقوا إليه الطعام والشراب، وقد سبق بيان المكر في (آل عمران: ٥٤).

﴿وَإِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قَالُوا هَذَ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة، وأنه لما سمع رسول الله ﷺ يذكر قصص القرون الماضية، قال: لو شئت لقلت مثل هذا. وفي قوله: ﴿هَذَ سَمِعْنَا﴾ قولان: أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك. والثاني: قد سمعنا قبل هذا مثله، وكان النضر يختلف إلى فارس تاجراً، فيسمع العبّاد يقرؤون الإنجيل. وقد بين التحديّ كذب من قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾. وقد سبق معنى الأساطير في (الأنعام: ٢٥).

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِندِكَ فَأَنْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِمَذَآبٍ آٰلِيَةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِن عِندِكَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النضر أيضاً، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والسدي. والثاني: أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا؛ قاله أنس بن مالك، وهو مخرج في «الصحاحين»<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا، ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس. وفي المشار إليه بقوله: ﴿إِن كَانَتْ هَذَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره. والثالث: أنه إكرام محمد ﷺ بالنبوة من بين قريش.

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أهل مكة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. قال ابن عباس: لم تُعَذَّبْ قرية حتى يخرج نبيها والمؤمنون معه. والثاني: وما كان الله ليعذبهم وأنت حي؛ قاله أبو سليمان. والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به من قبلهم وأنت حي؛ ذكره أبو سليمان الدمشقي.

### فصل

قال الحسن، وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ (الأفعال: ٣٤)، وفيه بُعد، لأن النسخ لا يدخل على الأخبار. وقال ابن أبزى: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فخرج

(١) «سيرة ابن هشام» ١/ ٤٨٠ - ٤٨٣ قال فيه ابن إسحاق: فحدثني من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد وغيره ممن لا أنهم عن عبد الله بن عباس. ورواه أحمد في «مسنده» رقم (٣٢٥١) مختصراً، وفي سنده عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٧/ ٧ مختصراً أيضاً وقال: رواه أحمد، والطبراني، وفيه عثمان بن عمرو الجزري، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وفيه رجال رجال الصحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٧٩ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والخطيب، وهو في «الطبري» ١٣/ ٤٩٤ و ٤٩٧ مختصراً.

(٢) «البخاري» ٨/ ٢٣٢، و«مسلم» ٤/ ٢١٥٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/ ١٨٠ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك.

إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين بمكة يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، كلام مبتدأ من إخبار الله ﷻ. وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وفي معنى هذا الكلام خمسة أقوال: أحدها: وما كان الله معذب المشركين، وفيهم من قد سبق له أن يؤمن؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الزجاج. والثاني: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يلبتون ويقولون: غفرانك؛ وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وفيه ضعف، لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول. والثالث: وما كان الله معذبهم، يعني المشركين، وهم - يعني المؤمنين الذين بينهم - يستغفرون؛ روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاك، وأبو مالك. قال ابن الأنباري: وُصفوا بصفة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلاً، وأخذ أهل البصرة فلاناً، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد. والرابع: وما كان الله معذبهم وفي أصلاهم من يستغفر الله، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: فيكون معنى تعذيبهم: إهلاكهم؛ فالمعنى: وما كان الله مهلكهم، وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه؛ فوصفهم بصفة ذراريهم، وغلبوا عليهم كما غلب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله. والخامس: أن المعنى: لو استغفروا لما عذبهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب؛ وهذا كما تقول العرب: ما كنت لأهيك وأنت تكرمي؛ يريدون: ما كنت لأهيك لو أكرمتي؛ فاما إذ لست تكرمي، فإنك مستحق لإهانتني، وإلى هذا القول ذهب قتادة والسدي. قال ابن الأنباري: وهو اختيار اللغويين. وذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الاستغفار المعروف؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى الصلاة؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنصور عن مجاهد، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه بمعنى الإسلام، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِنَّا أُولَآئِهُ إِذَا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا لَنُنَقِّلَهُنَّ لَكِنَّا أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ﴾ هذه الآية أجازت تعذيبهم، والأولى نفت ذلك. وهل المراد بهذا: العذاب الأول، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه هو الأول، إلا أن الأول امتنع بشيئين: أحدهما: كون النبي ﷺ فيهم. والثاني: كون المؤمنين المستغفرين بينهم؛ فلما وقع التمييز بالهجرة، وقع العذاب بالباقيين يوم بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكة. والثاني: أنهما مختلفان، وفي ذلك قولان: أحدهما: أن العذاب الثاني قُتل بعضهم يوم بدر، والأول استئصال الكل؛ فلم يقع الأول لما قد علم من إيمان بعضهم، وإسلام بعض ذراريهم، ووقع الثاني. والثاني: أن العذاب الأول عذاب الدنيا. والثاني: عذاب الآخرة؛ قاله ابن عباس. فيكون المعنى: وما كان الله معذب المشركين لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: وهم يصدون ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أوليائه. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَآءَهُ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد»، وهو قول الجمهور. قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بهذا. والثاني: أنها تعود إلى الله ﷻ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْلِيَآؤُهُ﴾ أي: ما أوليائه ﴿إِلَّا الْمُنْفِقُونَ﴾ للشرك والمعاصي، ولكن أكثر أهل مكة لا يعلمون من الأولى بيت الله.

(١) «الطبري» ٥٠٩/١٣، ٥١٠، وأورده السيوطي في «الدر» ١٨١/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْآيَةِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢٥)

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْآيَةِ﴾ سبب نزولها أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر. فأما المكاء، ففيه قولان: أحدهما: أنه الصفير، قاله ابن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة. قال ابن فارس: يقال: مكا الطائر [يمكو] مكاء: إذا صفّر، ويقال: مكيت يده [تمكى] مكى، مقصور، أي: غلظت وخشنت، ويقال: تمكى: إذا توضع. وأنشدوا:

[إِنَّكَ وَالْجَوَزَ عَلَى سَبِيلٍ] كَالْمُتَمَكِّي بِدَمِ الْقَتِيلِ<sup>(١)</sup>

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء، فجمع كفيّو، وجعل يصفّر فيهما. والثاني: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم يخلطون به، وبالتصديّة على محمد ﷺ صلاته، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: أهل اللغة يتكرون أن يكون المكاء إدخال الأصابع في الأفواه، وقالوا: لا يكون إلا الصفير. وفي التصديّة قولان: أحدهما: أنها التصفيق، قاله [ابن] عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. قال ابن قتيبة: يقال: صدّى: إذا صفّق يديه. قال الراجز:

صَدَّتْ بِحَدِّ وَجَلَّتْ عَنْ حَدِّ وَأَنَا مِنْ غَرَوِ الْهَوَى أَصْدِي<sup>(٢)</sup>

الغرو: العجب، يقال: لا غرو من كذا، أي: لا عجب. والثاني: أن التصديّة: صدّهم الناس عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير. وقال ابن زيد: هو صدّهم عن سبيل الله ودينه. وزعم مقاتل أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام، قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران، ورجلان عن يساره فيصفقان، فيتخلط على النبي ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله بيدر، فذلك قوله: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بتوحيد الله. فإن قيل: كيف سمي المكاء والتصديّة صلاة؟ فنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبد الله، فجعل جفائي صلّتي، أي: أقام الجفاء مقام الصلة، قال الشاعر:

قُلْتُ لَهُ أَظْهَمَنِي عَمِيمٌ تَمَرًا فَكَانَ تَمَرِي كَهَرَّةٍ وَزَبْرًا

أي: أقام الصباح عليّ مقام التمر، والثاني: أن من كان المكاء والتصديّة صلاته، فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريدون: من السخاء عيبه، فلا عيب له، قال الشاعر:

فَتَى كَمُلْتُ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَلَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا<sup>(٣)</sup>

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْمَرُونَ﴾ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المطعميين ببدر، وكانوا اثني عشر رجلاً يطعمون الناس الطعام، كل رجل يطعم يوماً، وهم: عتبة، وشيبة، ومُنَبِّه ونبّه ابنا الحجاج، وأبو البختري<sup>(٤)</sup>، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأخوه الحارث، وحكيم بن حزام، وأبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله ﷺ سوى من استجاش من

(١) البيت في «اللسان» مكاء، ونسبه إلى عترة الطائي، وعترة هذا: هو عترة بن عكرمة الطائي، وعكرمة أم أمه، وبها يعرف، وهو عترة بن الأخرس بن ثعلبة بن صبيح بن معبد بن عدي بن أفلت بن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن بن عتود، شاعر محسن وفارس. «المؤتلف والمختلف» ٢٢٥.

(٢) «غريب القرآن» لابن قتيبة ١٧٩. وانظر «ديوان بشار» ٢٢٢/٢ - ٢٢٣.

(٣) البيت للناطقة الجمدي، «ديوانه» ١٧٣ طبع المكتب الإسلامي، و«الحمامة» ٩٦٩/٢، و«الخزانة» ١٢/٢، و«شرح شواهد المغني» ٢٠٩.

(٤) هو سعيد بن فيروز الطائي.





قوله تعالى: ﴿وَأَقْلَوْا أَمْكَ غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ اختلفوا، هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد، أم يختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما يختلفان. ثم في ذلك قولان: أحدهما: أن الغنيمة: ما ظهر عليه من أموال المشركين، والفيء: ما ظهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب. والثاني: أن الغنيمة: ما أخذ عنوةً، والفيء: ما أخذ عن صلح، قاله سفيان الثوري. وقيل: بل الفيء: ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، كالعشور، والجزية، وأموال المهادنة، والصلح، وما هربوا عنه. والثاني: أنهما واحد، وهما: كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: الأموال ثلاثة أصناف؛ فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سماه الله تعالى: أنفالاً وغنائم؛ وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يأخذ في الحرب، فقد سماه: فيئاً؛ وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة. وأما قوله: ﴿مِّنْ شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم شيء. قال مجاهد: المِخْطُ من الشيء.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ﴾ وروى عبد الوارث: «خُفْسُهُ» بسكون الميم. وفي المراد بالكلام قولان: أحدهما: أن نصيب الله مستحق يُصرف إلى بيته. قال أبو العالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، فيقسم أربعة بين الناس، ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة؛ وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال. والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين: أحدهما: لأنه المتحكم فيه، والمالك له، والمعنى: فإن للرسول خمسة ولذي القربى، كقوله: ﴿يَتَنَزَّلُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأَنْفَال: ١]. والثاني: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور. فعلى هذا، تكون الواو زائدة، كقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ وَلَمْ نَكُنْ لَّكَ بِشَيْءٍ مُّشِيرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣] المعنى: ناديتنا، ومثله كثير.

### فصل

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة؛ فأما الخمس الخامس، فكيف يقسم؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية. وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية، وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم. والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على ظاهر الآية، وبه قال الجمهور. والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم. فسهم الله ﷻ وسهم رسوله عائد على ذوي القربى، لأن رسول الله ﷺ لم يكن يأخذ منه شيئاً، وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

### فصل

فأما سهم الرسول ﷺ، فإنه كان يصنع فيه ما بيئاً. وهل سقط بموته، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين. وفيما يُصنع به قولان: أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة. والثاني: أنه يُصرف في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفي، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة. وأما ذوو القربى، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع قريش. قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم؛ فأبى علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى. والثاني: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبه قال أحمد، والشافعي. والثالث: أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة. وبماذا يستحقون؟ فيه قولان: أحدهما: بالقرابة، وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد، والشافعي. والثاني: بالفقر، لا بالاسم، وبه قال أبو حنيفة. وقد سبق في [البقرة: ١٧٧] معنى اليتامى والمساكين وابن السبيل. وينبغي أن تعتبر في اليتيم أربعة أوصاف: موت الأب، وإن كانت الأم باقية. والصَّغَرُ، لقوله ﷻ: ﴿لَا يَتِمُّ بِعَدِّ حُلُمٍ﴾<sup>(١)</sup>. والإسلام، لأنه مال للمسلمين. والحاجة، لأنه مُعَدُّ للمصالح.

(١) رواه أبو داود ١٥٦/٣ من حديث علي بن أبي طالب بلفظ: «لا يتم بعد احتلام، ولا صمت يوم إلى الليل» قال المتنري: في إسناده يحيى بن محمد المدني الجاري، قال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن حبان: يجب التكب عما انفرد به من الروايات.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَأْنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا يَوْمَ الْقُرْآنِ﴾ هو يوم بدر، فُرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين. والذي أنزل عليه يومئذ قوله: ﴿يَتْلُوَنَّكَ عَنِ الْآفَاقِ﴾ [الأفان: ٤١] نزلت حين اختلفوا فيها، فالمعنى: إن كنتم آمنتم بذلك، فاصدروا عن أمر الرسول في هذا أيضاً.

﴿إِذْ أَنتُمْ بِالْمَدِينَةِ الْأُنْيَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ الْقُصَى وَالرَّكِبِ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَعْبُدِ وَلَكِنْ لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَقُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ بِالْمَدِينَةِ الْأُنْيَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بالعدوة» و «العدوة» العين فيهما مكسورة. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بضم العين فيهما. قال الأخفش: لم يُسمع من العرب إلا الكسر. وقال ثعلب: بل الضم أكثر اللغتين. قال ابن السكيت: عدوة الوادي وعدوته: جانبه؛ والجمع: عُدى وعُدَى. والدنيا: تأنيث الأدنى؛ وضدها: القصوى، وهي تأنيث الأقصى؛ وما كان من النعوت على «فعلَى» من ذوات الواو، فإن العرب تحوّلته إلى الياء، نحو: الدنيا، من: دنوت؛ والعليا، من: علوت؛ لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول، وليس في هذا اختلاف، إلا أن أهل الحجاز قالوا: القصوى، فأظهروا الواو، وهو نادر؛ وغيرهم يقول: القصيا. قال المفسرون: إذ أنتم بشفير الوادي الأدنى من المدينة، وعدوكم بشفيره الأقصى من مكة، وكان الجمعان قد نزلا وادي بدر على هذه الصفة، والركب: أبو سفيان وأصحابه. قال الزجاج: من نصب «أسفل» أراد: والركب مكاناً أسفل منكم، ويجوز الرفع على معنى: والركب أشد تسفلاً منكم. قال قتادة: وكان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله. وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْيَعْبُدِ﴾ قولان: أحدهما: لو تواعدتم، ثم بلغكم كثرتهم، لتأخرتم عن الميعاد، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو تواعدتم على الاجتماع في المكان الذي اجتمعتم فيه من عدوتي وادي بدر لاختلفتم في الميعاد، قاله أبو سليمان. وقال الماوردي: كانت تقع الزيادة والنقصان، أو التقدم والتأخر من غير قصد لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَيَقْبِضَنَّ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَقُولًا﴾ وهو إعزاز الإسلام، وإذلال الشرك.

قوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وروى خلف عن يحيى: «لِيَهْلِكَ» بضم الياء وفتح اللام.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «من حي» بياء واحدة مشدد، وهذه رواية حفص عن عاصم، وقنبل عن ابن كثير. وروى شبل عن ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «حيي» بياءين، الأولى مكسورة، والثانية مفتوحة، وهي قراءة نافع. فمن قرأ بياءين، بين ولم يُدغم. ومن أدغم ياء «حيي» فلا اجتماع حرفين من جنس واحد. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ليقتل من قُتل من المشركين عن حجة، ويبقى من بقي منهم عن حجة. والثاني: ليكفر من كفر بعد حجة، ويؤمن من آمن عن حجة.

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَآئِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَكَلَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّكُمْ عَلَيْهِ إِذْكَاتِ السُّدُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَآئِكَ قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلاً، كان ذلك تهيئة لهم. قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليهم بما يضمنونه، إذ حدثهم بما رأيت في منامك. والثاني: إذ يريكم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب. ومعناه عندهم: إذ يريكم الله في موضع منامك، أي: بعينك؛ ثم حذف الموضع، وأقام المنام مقامه.

« وقد حسنه النووي في «الأذكار» والرياض. وقال المناوي: وفي رواية للبخاري «بعد حلم» كما هي رواية المصنف هنا. وفي «المقاصد الحسنة» للسخاوي: رواه أبو داود عن علي في حديث، وقد أعله غير واحد، وحسنه النووي متسكاً بسكوت أبي داود عليه، لا سيما وهو عند الطبراني في «الصغير» من وجه آخر عن علي، بل له شواهد عن جابر، وأنس وغيرهما.

(١) قال ابن كثير: ٣١٥/٢. وهذا القول غريب.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ﴾ أي: لاجئتم وتأخّرتم عن حربهم. وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولراوا ذلك في وجهك.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: لاختلفتم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَنَ﴾ من المخالفة والفشل.

﴿وَإِذْ يُرِيدُكُمْ لِيُذِلَّكُمْ وَلِيَكُونَ الْإِسْلَامُ فِيكُمْ قِيلَ لَكُمْ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْتُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ آمَرَ أَنْ تُدْرِكُوا الْأُمُورَ﴾<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيدُكُمْ لِيُذِلَّكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ قِيلَ لَكُمْ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْتُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ يَقُولُ اللَّهُ آمَرَ أَنْ تُدْرِكُوا الْأُمُورَ﴾<sup>(١)</sup>  
عن قلة عدوهم قبل لقائهم، بأن قلّ لهم وقت اللقاء في أعينهم. وقال ابن مسعود: لقد قلّوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جاني: أئراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة؛ حتى أخذنا رجلاً منهم، فسالناه، فقال: كنّا ألفاً. قال أبو صالح عن ابن عباس: استقلّ المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترأ بعضهم على بعض. فإن قيل: ما فائدة تكرير الروية هاهنا، وقد ذكرت في قوله: ﴿إِذْ يُرِيدُكُمْ لِيُذِلَّكُمْ﴾؟ فنه جوابان: أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة. والثاني: أن الأولى للنبي ﷺ خاصة، والثانية له ولأصحابه. فإن قيل: تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى، لمكان إعزازهم. فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنهم لو كثروا في أعينهم، لم يقدموا عليهم، فلم يكن قتال؛ والقتال سبب النصر، فقلّ لهم لذلك. والثاني: أنه قلّ لهم لئلا يتأهب المشركون كل التأهب؛ فإذا تحقق القتال، وجدّهم المسلمون غير مستعدين، فظفروا بهم. والثالث: أنه قلّ لهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم، فيغلبهم المسلمون، فيكون ذلك آية للمشركين ومنبهاً على نصرة الحق.

﴿يَتَأْتِيهِمُ الْيُزُومُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيكُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَيْسَ فَيْتٌ فَاتَّبِعُوا﴾ الفتن: الجماعة. ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الدعاء والنصر. والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا﴾ قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفاً.

قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيكُكُمْ﴾ وروى أبان: «ويذهب» بالياء والجزم. وفيه أربعة أقوال: أحدها: تذهب شدتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال السدي: حدتكم وجدتكم. وقال الزجاج: صولتكم وقوتكم. والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد، وقناة. والثالث: تنقطع ذولتكم، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال هبّ له ربح النصر؛ إذا كانت له الدولة. ويقال: له الريح اليوم، أي: الدولة. والرابع: أنها ربح حقيقة، ولم يكن نصر قط إلا بربح بيعتها الله فنضرب وجوه العدو؛ ومنه قوله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وأهلكث عاذ بالذُّبُور»<sup>(٤)</sup>، وهذا قول ابن زيد، ومقاتل.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيشَةً وَالْأَنْبَاءُ رَاضُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ حُجُطٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا﴾ قال المفسرون: هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدفعوا عن غيرهم التي كانت مع أبي سفيان، ومعهم القيان والمعازف، وهم يشربون الخمر. فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه، كتب إليهم: إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا. فقال أبو جهل: والله لا فعل حتى نردّ بدران فنقيم ثلاثاً، وننحر البجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابونا. فساروا إلى بدر، فكانت الواقعة؛ فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان. فأما البطر؛ فهو الطغيان في النعم، وترك شكرها. والرياء: العمل من أجل رؤية الناس. وسبيل الله هاهنا: دينه.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهْدُ الْقَيْطَانِ أَعْتَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَيْتَانِ تُكْمَسُ عَلَى عَيْبِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَكُفِّرُ بِالْأَسَافِ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) أحمد في «المسند» رقم (٢٩٨٤)، و«البخاري» ٤٣٢/٢، و«مسلم» ٦١٧/٢، كلهم من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنه.



قوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعَ لَهُمُ السَّيْلَ بْنَ عَصَلَهُمْ﴾ قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ آلِ بْنِ إِدْرِىَ جَارَ لَكُمْ﴾ من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً. وفي المراد بأعمالهم هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: شركهم. والثاني: مسيرهم إلى بدر. والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْ آلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى. وفي المراد بالفتنين قولان: أحدهما: فئة المسلمين، وفئة المشركين، وهو قول الجمهور. والثاني: فئة المسلمين، وفئة الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ قال أبو عبيدة: رجع من حيث جاء. وقال ابن قتيبة: رجع القهقري. قال ابن السائب: كان إبليس في صف المشركين على صورة سراقه، أخذاً بيد الحارث بن هشام؛ فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾؛ فلما هُزم المشركون، قالوا: هَزَمَ النَّاسَ سَرَاةً، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم. قال قتادة: صدق عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾، ذكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له بهم. وقال عطاء: معناه: إني أخاف الله أن يهلكني. وقال ابن الأنباري: لما رأى نزول الملائكة، خاف أن تكون القيامة، فيكون انتهاء إنظاره، فيقع به العذاب. ومعنى «نكص» رجع هارباً بخزي وذل. واختلفوا في قوله: ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ هل هو ابتداء كلام، أو تمام الحكاية عن إبليس، على قولين.

﴿إِذْ يَكْفُرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ قال ابن عباس: هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج. فأما الذين في قلوبهم مرض، ففيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام بمكة، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كرهاً؛ فلما رأوا قلة المسلمين وكثرة المشركين، ارتابوا وناقضوا، وقالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وإليه ذهب الشعبي في آخرين. وعدَّهم مقاتل، فقال: كانوا سبعة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زعمة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منية بن الحجاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة. والثاني: أنهم المشركون، لما رأوا قلة المسلمين، قالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: أنهم قوم مرتابون، لم يُظهروا عداوة النبي ﷺ، ذكره الماوردي. والمرض هاهنا: الشك، والإشارة بقوله: «هؤلاء» إلى المسلمين؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلة المسلمين، فلم يشكوا في أن قريشاً تغلبهم.

﴿رَأَوْا تَرَةً إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَذُفِرُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

قوله تعالى: ﴿رَأَوْا تَرَةً إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ قرأ الجمهور «يتوفى» بالياء. وقرأ ابن عامر «تتوفى» بتاءين. قال المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ وَبَهُمْ﴾. وفي المراد، بالملائكة ثلاثة أقوال: أحدها: ملك الموت وحده، قاله مقاتل. والثاني: ملائكة العذاب، قاله أبو سليمان الدمشقي. والثالث: الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿يَصْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يضربون وجوههم بيدراً لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا. والثاني: أنهم جاؤوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فالذين أمامهم ضربوا وجوههم، والذين وراءهم ضربوا أدبارهم. والثالث: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم، وأدبارهم إذ ساقوهم إلى النار. والرابع: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسيطا من نار. وهل المراد نفس الوجوه والأدبار، أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَذُفِرُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ قولان: أحدهما: أنه في الدنيا؛ وفيه إضمار «يقولون»، فالمعنى: يضربون ويقولون، كقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي: ويقولان. قال النابتة:



قولان: أحدهما: لا يَتَّقُونَ نقض العهد. والثاني: لا يَتَّقُونَ الله في نقض العهد. قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا؛ ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالوا الكفار يوم الخندق، وكتب كعب بن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ.

﴿فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَمَتَّى يَتَّقَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: فإن تتقنهم. فعلى قوله، تكون «ما» زائدة. وقد سبق بيان «فأما» في (البقرة: ٢٨). قال ابن قتبية: فمعنى «تتقنهم» تظهر بهم. ﴿فَمَتَّى يَتَّقَهُمْ﴾ أي: افعل بهم فعلاً من العقوبة والتنكيل يفرق به من وراءهم من أعدائك. قال: ويقال: شرّد بهم، أي: سمّع بهم، بلغة قريش. قال الشاعر:

أَطُوفُ فِي الْأَبَاطِحِ كُلِّ يَوْمٍ      مَخَافَةً أَنْ يُشَرِّدَ بِي حَكِيمٌ<sup>(١)</sup>

وقال ابن عباس: نكل بهم تنكيلاً يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلهم يذكرون النكال فلا ينقضون العهد.

﴿وَلَئِنَّا تَخَافُ مِنْ قَوْرٍ خِيَانَةٍ فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاقِينَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنَّا تَخَافُ مِنْ قَوْرٍ خِيَانَةٍ﴾ قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى العلم، والمعنى: إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة، وهي نقض عهد. وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة. وفي قوله: ﴿فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فأنذِر إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواء، هذا قول الأكثرين، واختاره الفراء، وابن قتبية، وأبو عبيدة. والثاني: فانذِر إليهم جهراً غير سر، ذكره الفراء أيضاً في آخرين. والثالث: فانذِر إليهم على مهل، قاله الوليد بن مسلم. والرابع: فانذِر إليهم على عدل من غير حيف، وأنشدوا:

فَاضْرِبْ وَجْهَ الْغَدْرِ الْأَعْدَاءِ      حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ<sup>(٢)</sup>

ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «ولا تحسبن» بفتح السين؛ إلا أن عاصماً فتح السين. وقرأ ابن عامر، وحزمة، وحفص عن عاصم: بالياء وفتح السين. وفي الكافرين هاهنا قولان: أحدهما: جميع الكفار، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر، ذكره محمد بن القاسم النحوي وغيره. و«سبقوا» بمعنى فاتوا. قال ابن الأنباري: وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات؛ فلما سلموا منها، قيل: لا تحسبن أنهم فاتوا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزونا، أي: لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ الجمهور بكسر الالف. وقرأ ابن عامر: بفتحها؛ وعلى قراءته اعتراض. لقائل أن يقول: إذا كان قد قرأ «يَحْسَبَنَّ» بالياء، وقرأ «أَنَّهُمْ» بالفتح، فقد أقرهم على أنهم لا يعجزون؛ ومتى علموا أنهم لا يعجزون، لم يلاموا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى: «لا يحسبن الذين كفروا سبقوا» لا يَحْسَبَنَّ أنهم يعجزون؛ و«لا» زائدة مؤكدة. وقال أبو علي: المعنى: لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا وآباءهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يُعْجِزُونَ على كفرهم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَرِيبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَأَمَا تَتَفَكَّرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ إِلَٰكِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ في المراد بالقوة أربعة أقوال: أحدها: أنها الرمي، رواه عقبه بن

(١) البيت غير منسوب في «اللسان»: شرّد. وأطوف: أطوف، وحكيم: رجل من بني سليم كانت قريش ولته الأخذ على أيدي السفهاء.

(٢) البيت في «الطبري» غير منسوب ٧٧/١٤، والغدر بضمين، جمع غدر، مثل صبور، وهو القادر المستمرئ للغدر.

عامر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال الحكم بن أبان: هي النبل. والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة. والثالث: السلاح، قاله السدي، وابن قتيبة. والرابع: أنه كل ما يُتَقَوَّى به على حرب العدو من آلة الجهاد.

قوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ يعني ربطها واقتناءها للغزو؛ وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور. وكان عكرمة يقول: المراد بقوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ إناثها.

قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ﴾ روى رويس، وعبد الوارث «تُرْهِبُونَ» بفتح الراء وتشديد الهاء، أي؛ تخيفون وترعبون به العدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَيْنِ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون كفار العرب. واختلفوا فيهم على خمسة أقوال: أحدها: أنهم الجن. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم الجن، وإن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فرس عتيق»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم بنو قريظة، قاله مجاهد. والثالث: أهل فارس، قاله السدي. والرابع: المنافقون، قاله ابن زيد. والخامس: اليهود، قاله مقاتل.

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَنِيُّ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم «للسلم» بكسر السين. قال الزجاج: السلم: الصلح والمسالمة. يقال: سلم وسلم وسلم في معنى واحد، أي: إن مالوا إلى الصلح فويل إليه. قال الفراء: إن شئت جعلت «لها» كناية عن السلم لأنها توثق، وإن شئت جعلتها للفعلة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَدِيدٍ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣]. فإن قيل لم قال «لها» ولم يقل: «إليها»؟ فالجواب: أن «اللام» و «إلى» تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى. وفيمن أريد بهذه الآية قولان: أحدهما: المشركون، وأنها نسخت بآية السيف. والثاني: أهل الكتاب، فإن قيل: إنها نزلت في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة، فهي محكمة. وإن قيل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجه النسخ لها بآية الجزية.

﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ نَصْرَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوا﴾ قال مقاتل: يعني يهود قريظة: ﴿أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانهم عليك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾. قال الزجاج: فإن الذي يتولى كفايتك الله ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ﴾ أي: قواك. وقال مقاتل: قواك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانت بينهم عداوة في الجاهلية، فألف الله بينهم بالإسلام. وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة؛ فلو أن رجلاً لطم رجلاً. لقتلت عنه قبيلته حتى تدرك ثاره، قال بهم الإسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: حسبك الله، وحسب من اتبعك، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل، والأكثر. والثاني: حسبك الله ومتبعوك، قاله مجاهد. وعن الشعبي كالقولين. وأجاز الفراء والزجاج الوجهين. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون، ثم أسلم عمر فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع، والقول الأول أصح.

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٦٤/١٣ من عتبة بن عامر ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَيُّدُوا لَهُمْ مَا اسْتَغْلَسْتُمْ مِنْ قُورٍ﴾ إلا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، رواه أبو داود في «سننه» رقم ٢٥١٥، وابن ماجه رقم ٢٨١٣، والحاكم ٣٢٨/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجه البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٣٢٢/٢ من رواية ابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَخْرَيْنِ مِن دُونِهِمَا لَا يَخْلُ مِنْهُنَّ﴾ قال: «هم الجن» ثم قال: ورواه الطبراني عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد: قال رسول الله ﷺ: «لا يخبل بيت فيه عتيق من الخيل» وقال: وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا مته.



﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ حَرِيصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ مَسِيرُونَ يَغْلِبُوا يَأْتِيَانِي وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَانِي أَنَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ خُفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَانِي أَنَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَرِيصَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ قال الزجاج: تأويله: حُثْمٌ. وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثاً يعلم معه أنه حارص إن تخلف عنه. والعارض: الذي قد قارب الهلاك.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ مَسِيرُونَ يَغْلِبُوا يَأْتِيَانِي﴾ لفظٌ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضاً في أول الأمر، ثم نسخ بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ خُفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين، فإن زادوا جاز له الفرار. قال مجاهد: وهذا التشديد كان في يوم بدر. واتفق القراء على قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ﴾ ففروا «يكن» بالياء، واختلفوا في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ يَأْتِيَانِي أَنَا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةً صَابِرَةً﴾ فقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: بالياء فيهما. وقرأهما عاصم، وحزمة، والكسائي: بالياء. وقرأ أبو عمرو «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فإن تكن منكم مائة صابرة» بالياء. قال الزجاج: من أنت، فللفظ المائة؛ ومن ذكر، فلان المائة وقعت على عدد مذكر. وقال أبو علي: من قرأ بالياء، فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله: «يغلبوا»، وكذلك المائة الصابرة هم رجال، ففروها بالياء، لموضع التذكير. فأما أبو عمرو، فإنه لما رأى صفة المائة مؤنثة بقوله: «صابرة» أنت الفعل، ولما رأى «يغلبوا» مذكراً، ذكر. ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء، يغلبوا مائتين، لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، فإذا صدقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا؛ وذلك معنى قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَلِمَ﴾ وروى المفضل «وعلم» بضم العين «أن فيكم ضِعْفًا» بضم الضاد. وقرأ عاصم، وحزمة: بفتح الضاد. وكذلك خلافهم في [الرم: ٥٥]، قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. قال الزجاج: والمعنى في القراءتين واحد، يقال: هو الضَّعْفُ والضُّعْفُ، والمَكْتُ والمُكْتُ، والفَقْرُ والفَقْرُ، وفي اللغة كثير من باب فَعَلَ وفُعِلَ، والمعنى واحد. وقرأ أبو جعفر «وعلم أن فيكم ضِعْفًا» على فُعْلًا. فأما قوله: ﴿يَأْتِيَانِي أَنَا﴾ فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بإرادته.

﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْفِخَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْفِخَ فِي الْأَرْضِ﴾ روى مسلم في أفرادهِ من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأُسِرَ منهم سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكَّنني من فلان، قريب لعمر، فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، تمكَّن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهُوي رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت. فقال النبي ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء. لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة، فأنزل الله ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ إلى قوله ﴿عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>. وروى عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم، وفاداهم رسول الله ﷺ، أنزل الله تعالى

(١) «الطبري» ٦٣/١٤ ورواه أحمد في «المستدر» رقم ٢٠٨ و ٢٢١ مطولاً، ورواه مسلم في «صحيحه» ١٣٨٣/٣ - ١٣٨٥ كذلك مطولاً، وقد رواه المؤلف من رواية مسلم مختصراً بمعناه، وروى بعضه أبو داود في «سننه» رقم ٢٦٩٠، ورواه الترمذي ١٣٤/٢ مختصراً، والواحد في «أسباب النزول» =

﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ﴾ إلى قوله ﴿حَلَاكًا مَّيْمَنًا﴾، فلقى النبي ﷺ عمر، فقال: «كاد يصيبنا في خلافك بلاء»<sup>(١)</sup>. فأما الأسرى، فهو جمع أسير، وقد ذكرناه في [البقرة: ٨٥]. والجمهور قرؤوا «أن يكون» بالياء، لأن الأسراء مذكرون. وقرأ أبو عمرو «أن تكون»، قال أبو علي: أنت على لفظ الأسرى، لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنث اللفظ. والأكثرون قرؤوا «أسرى» وكذلك ﴿لَنْ يَفِيَّ أَيْدِيكُمْ يَكُ الْأَسْرَى﴾. وقرأ أبو جعفر، والمفضل «أسارى» في الموضعين، ووافقهما أبو عمرو، وأبان في الثاني. قال الزجاج: والإثخان في كل شيء: قُوَّة الشيء وشِدَّتُهُ. يقال: قد اثخنه المرض: إذا اشتدت قُوَّتُهُ عليه. والمعنى: حتى يبالغ في قتل أعدائه. ويجوز أن يكون المعنى: حتى يتمكن في الأرض. قال المفسرون: معنى الآية: ما كان لنبي أن يحبس كافراً قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الأرض. وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، ولم يكن قد اثخن في الأرض بعد. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ وهو المال. وكان أصحاب النبي ﷺ قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف. وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قولان: أحدهما: يريد لكم الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة، ذكره الماوردي.

### فصل

وقد روي عن ابن عباس، ومجاهد في آخرين: أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَإِنَّمَا مَتَّ بَدُّ وَلَمَّا فِدَاكَ﴾ [محمد: ٤]، وليس للنسخ وجه، لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ؛ فلما كثروا واشتد سلطانهم، نزلت الآية الأخرى، وبيّن هذا قوله: ﴿حَقٌّ يُنْخَرُ فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في معناه خمسة أقوال: أحدها: لولا أن الله كتب في أم الكتاب أنه سيُجْلُ لكم الغنائم لمَسَّكم فيما تعجلتم من المغنم والفداء يوم بدر قبل أن تؤمروا بذلك عذابٌ عظيم، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. وقال أبو هريرة: تعجل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية. والثاني: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب من أتى ذنباً على جهالة لعوقبتم، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد. وقال ابن إسحاق: سبق أن لا أعذب إلا بعد النهي، ولم يكن نهاهم. والثالث: لولا ما سبق لأهل بدر أن الله لا يعذبهم، لعذبتم، قاله الحسن، وابن جبير، وابن أبي نجيع عن مجاهد. والرابع: لولا كتاب من الله سبق من أنه يغفر لمن عمل الخطايا ثم علم ما عليه فتاب، فذكره الزجاج. والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعذبتم، ذكره الماوردي. فيخرج في الكتاب قولان: أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن. والثاني: أنه بمعنى القضاء.

﴿تَكُونُوا بِمَا عَنَّمْتُمْ حَلَكَاً مَّيْمَنًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَنْ يَفِيَّ أَيْدِيكُمْ يَكُ الْأَسْرَى إِنْ يَسْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ بَيْنَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَتَى مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿تَكُونُوا بِمَا عَنَّمْتُمْ حَلَكَاً مَّيْمَنًا﴾ قال الزجاج: الفاء للجزاء. والمعنى: قد أحلت لكم الفداء فكلوا. والحلال منصوب على الحال. قال مقاتل: إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حُلِّها، رحيم بكم إذ أحلها لكم. فجعل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وخبّاب بن الأرت يوم بدر على القَبْض<sup>(٢)</sup>، وقسمها النبي ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى، فيهم العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب. وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب، فلم تحسب له من فدائه، وكلف أن يفدي ابني أخيه، فأدّى عنها ثمانين أوقية من ذهب. وقال النبي ﷺ: «أضعفوا

= مطولاً ١٣٧ - ١٣٨، وأورد ابن كثير في «التفسير» ٢/ ٢٨٩ من رواية أحمد بطوله وقال في آخره: ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير، وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به.

(١) أورد السيوطي في «الدرر» ٣/ ٢٠٢ عن أبي نجيع في «الحلية» من طريق مجاهد عن ابن عمر ﷺ.  
(٢) القبض بفتح القاف والباء. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: القبض: الذي تجمع عنده الغنائم، وقال غيره: بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم.

على العباس الفداء فأخذوا منه ثمانين أوقية، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية. فقال العباس لرسول الله ﷺ: لقد تركتني ما حييت أسأل قريشاً بكفّي. فقال له: «أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل؟» فقال: أي الذهب؟ فقال: «إنك قلت لها: إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا، فإن حدث بي حدث، فهو لك ولولدك» فقال: ابن أخي، من أخبرك؟ فقال: «الله أخبرني»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم؛ وأمر ابني أخيه فأسلما. وفيهم نزلت: ﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَتَّبِعِ الْأَمْرُ﴾ الآية. وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أسر يوم بدر. وقال ابن زيد: لما بُعث رسول الله ﷺ أتاه رجال، فقالوا: لولا أننا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكننا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. فلما كان يوم بدر، قال المشركين: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستحلنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة. فأما الذين قتلوا، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْكُفْرَ طَلَيْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [النحل: ٢٧٨]. وأما الذين أسروا فقالوا: يا رسول الله أنت تعلم أننا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفاً منهم. فذلك قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَتَّبِعِ الْأَمْرُ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ﴾. فأما قوله: ﴿إِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرٌ﴾ فمعناه إسلاماً وصدقاً ﴿وَيُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء. وفيه قولان: أحدهما: أكثر مما أخذ منكم. والثاني: أحل وأطيب. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلة: «مما أخذ منكم» بفتح الخاء؛ يشيرون إلى الله تعالى. وفي قوله: ﴿وَيُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾: أحدهما: يغفر لكم كفركم وقتالكم رسول الله، قاله الزجاج. والثاني: يغفر لكم خروجكم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١)

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ يعني: إن أراد الأسراء خيانتك بالكفر بعد الإسلام ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ إذ كفروا به قبل أسرهم. وقال ابن زيد: فقد خانوا بخروجهم مع المشركين؛ وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلموا بالإسلام. وقال مقاتل: المعنى: إن خانوك أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنتك بيدر. قال الزجاج: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بخيانة إن خانوها، «حَكِيمٌ» في تدبيره عليهم ومجازاته إياهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَضْتُمْ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٧٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم وقومهم في نصرة الدين. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا﴾ يعني: الأنصار، آووا رسول الله، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم. ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في النصرة. والثاني: في الميراث. قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، وهو معنى قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «ولايتهم» بفتح الواو. وقرأ حمزة: بكسر الواو. قال الزجاج: المعنى: ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا. ومن كسر واو الولاية، فهي بمنزلة الإمارة؛ وإذا فتحت، فهي من النصرة. وقال يونس النحوي: الولاية، بالفتح، لله ﷻ، والولاية، بالكسر، من وُلِّيت الأمر. وقال أبو عبيدة: الولاية، بالفتح، للخالق؛ والولاية، للمخلوق. قال ابن الأنباري: الولاية، بالفتح، مصدر الولي، والولاية: مصدر الوالي، يقال: ولّيت بين الولاية، ووالى بين الولاية؛ فهذا هو الاختيار؛ ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا. وقال ابن فارس: الولاية، بالفتح، النصرة، وقد تكسر. والولاية، بالكسر: السلطان.

## فصل

وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية مولاة النصر والمودة. قالوا: ونسخ هذا الحكم بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]. فاما القائلون بأنها ولاية الميراث، فقالوا: نسخت بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأشغال: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الَّذِينَ﴾ أي: إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد، فلا تغدروا بأرباب العهد. وقال بعضهم: لم يكن على المهاجر أن ينصر من لم يهاجر إلا أن يستنصره.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوا نَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ فَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [٧٣] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءُكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ تُغْفَرْ رِزْقُ كَرِيمٍ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: في الميراث، قاله ابن عباس. والثاني: في النصر، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوا﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الميراث، فالمعنى: إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه يرجع إلى التناصر. فالمعنى: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين، قاله ابن جريج. وبيانه أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توكلاً حقاً، ويتبرأ من الكافر جداً، أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين. فإذا هجر المسلم أقرابه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى لأقرابه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ قرأ أبو هريرة. وابن سيرين، وابن السميع: «كثير» بالثاء.

قوله تعالى: ﴿أَوْلِيَاءُكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ أي: هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك. والرزق الكريم: هو الحسن، وذلك في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٧٥]

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: من بعد المهاجرين الأولين. قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية.

قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في الموارث بالهجرة. قال ابن عباس: أخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية، فتوارثوا بالنسب.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ. والثاني: أنه القرآن - وقد بين لهم قسمة الميراث في سورة [النساء: ١١، ١٢]. والثالث: أنه حكم الله، ذكره الزجاج.





## سورة التوبة

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

### فصل في نزولها

هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] فإنها نزلت بمكة. روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت (براءة)<sup>(١)</sup>. وقد نُقل عن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهداً تُبَدُّ، ووصايا تُنْقَذ.

### فصل

واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال: أحدها: أن أول ما نزل منها قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، قاله مجاهد. والثاني: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، قاله أبو الضحى، وأبو مالك. والثالث: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، قاله مقاتل. وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فإنهم قد نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة.

### فصل

ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة؛ وهذا مشهوران بين الناس. والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: الْمُقَشَّقَةُ، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثرة، لأنها بعثت أخبار الناس، وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد، وابن إسحاق. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزجاج.

### فصل

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال: أحدها: رواه ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى (براءة) وهي من المثنين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب، فيقول: «ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»، وكانت (الأنفال) من أوائل ما نزل بالمدينة، و (براءة) من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها؛ وقُبِض رسول الله ﷺ، ولم يُبَيَّن لنا أنها منها، فظننا أنها منها؛ فمن تَمَّ قرئتها بينهما ولم أكتب بينهما: «بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(٢)</sup>. وذكر نحو هذا المعنى عن أبي بن كعب. قال الزجاج: والشبه الذي بينهما، أن في (الأنفال) ذكر اليهود، وفي (براءة) نقضها. وكان قتادة يقول: هما سورة واحدة. والثاني: رواه

(١) «البخاري» ٢٢٧/٨.

(٢) «المستد» ٣٩٩/١، وأبو داود ٢٩٠/١، والترمذي ١٣٤/٢ وحسنه، وابن أبي داود في «المصاحف» ٣١، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١٥٨، والحاكم ٣٣٠/٢، وصححه، وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٠٧/٣ وزاد نسبته إلى النسائي، وابن المنذر، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وقد ضعف هذا الحديث الشيخ أحمد شاكر، بل حكم عليه بأنه لا أجل له في تعليقه على «المستد»، فانظروا.

محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: لم لم تكتبوا في (براءة) «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: يا بني، إن (براءة) نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمان. وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين. والثالث: أن رسول الله ﷺ، لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يقبلوها وردوها، فما ردها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي.

### فصل

فأما سبب نزولها، فقال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهوداً بنتتها مع رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل (براءة) في سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم ليقم للناس الحج في تلك السنة، ويحث معه صدراً من (براءة) ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار، دعا رسول الله ﷺ علياً، فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر (براءة) وأذن في الناس بذلك» فخرج علي على ناقه رسول الله ﷺ العضاء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أنزل في شأني شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني، أما ترضى أنك كنت صاحبي في الغار، وأنتك صاحبي على الحوض»؟ قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر أميراً على الحج، وسار علي ليؤذن بـ (براءة).

### فصل

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول (براءة) خمسة أقوال: أحدها: أربعون آية، قاله علي ﷺ. والثاني: ثلاثون آية، قاله أبو هريرة. والثالث: عشر آيات، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: سبع آيات، رواه ابن جريج عن عطاء. والخامس: تسع آيات، قاله مقاتل.

### فصل

فإن توهم متوهم أن في أخذ (براءة) من أبي بكر، وتسليمها إلى علي، تفضيلاً لعلي على أبي بكر، فقد جهل؛ لأن النبي ﷺ أجرى العرب في ذلك على عادتهم. قال الزجاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها، أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها؛ وجائز أن تقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من ليس من رهط النبي ﷺ: هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح النبي ﷺ العلة بما فعل. وقال عمرو بن بحر: ليس هذا بتفضيل لعلي على أبي بكر، وإنما عاملهم بعادتهم المتعارفة في حمل العقد، وكان لا يتولى ذلك إلا السُّد منهم، أو رجل من رهطه ذِيئاً، كأخ، أو عم؛ وقد كان أبو بكر في تلك الحجة الإمام، وعلي يأتهم به، وأبو بكر الخطيب، وعلي يسمع. وقال أبو هريرة: يعني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذنين الذين بعثهم يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان؛ فأذن معنا علي بـ (براءة) وبذلك الكلام. وقال الشعبي: بعث رسول الله ﷺ علياً يؤذن بأربع كلمات: «ألا لا يحج بعد العام مشرك، ألا ولا يطوف بالبيت عريان، ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم، ألا ومن كانت بينه وبين محمد مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله».

### فصل

فأما التفسير، فقولته تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ قال الفراء: هي مرفوعة بإضمار «هذه»، ومثله: ﴿سُورَةٌ أُنزِلَتْهَا﴾ [النور: ٢]. وقال الزجاج: يقال: برئت من الرجل والذين براءة، وبرئت من المرض؛ وبرأت أيضاً أبرأ برءاً، وقد روي: برأت أبرؤ برءاً. ولم نجد في ما لاه همز: فَعَلْتُ أَفْعَل، إلا هذا الحرف. ويقال: بريت القلم، وكل شيء نحته: أبريه برئاً، غير مهموز. وقرأ أبو رجاء، ومورق، وابن يعمر: «براءة» بالنصب. قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان. والخطاب في قوله: ﴿إِلََّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمراد رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي كان يتولى المعاهدة، وأصحابه راضون؛ فكانهم بالرضا عاهدوا أيضاً؛ وهذا عام في كل من عاهد رسول الله ﷺ. وقال مقاتل: هم ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو جذيمة.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَبِيرُ﴾

قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم من مكروه. إن قال قائل: هذه مخاطبة شاهد، والآية الأولى إخبار عن غائب، فنه جوابان: أحدهما: أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب. قال عترة:

شَطَّطَ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَاصْبَحْتُ

عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَخْرَمٍ<sup>(١)</sup>

هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: فقل لهم: سيجحوا في الأرض، أي: اذهبوا فيها، وأقبلوا، وأببروا، وهذا قول الزجاج. واختلفوا فيمن جعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها أمان لأصحاب العهد، فمن كان عهده أكثر منها، حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها، رفع إليها، ومن لم يكن له عهد، فأجله انسلاخ المحرم خمسون ليلة، قاله ابن عباس، وقادة، والضحاك. والثاني: أنها للمشركين كافة، من له عهد، ومن ليس له عهد، قاله مجاهد، والزهري، والقرظي. والثالث: أنها أجل لمن كان رسول الله ﷺ قد آمنه أقل من أربعة أشهر، أو كان أمانه غير محدود؛ فأما من لا أمان له، فهو حرب، قاله ابن إسحاق. والرابع: أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد؛ فأما أرباب العهود، فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مددهم، قاله ابن السائب. ويؤكد ما روي أن علياً نادى يومئذ: ومن كان بينه وبين رسول الله عهد، فعهد إلى مدته. وفي بعض ألفاظ: فأجله أربعة أشهر. واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال: أحدها: أنها الأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله ابن عباس. والثاني: أن أولها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وآخرها العاشر من ربيع الآخر، قاله مجاهد، والسدي، والقرظي. والثالث: أنها شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، قاله الزهري. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا أضعف الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي الحجة، إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام. والرابع: أن أولها العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم، ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة، وفيها حج رسول الله ﷺ وقال: «إن الزمان قد استدار»<sup>(٢)</sup>، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: وإن أجتئتم هذه الأربعة الأشهر فلن تغفروا الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَبِيرُ﴾ قال الزجاج: الأجود فتح «أن» على معنى: اعلموا أن، ويجوز كسرهما على الاستئناف. وهذا ضمان من الله نصرته المؤمنين على الكافرين.

﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِي إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ رَسُولِي﴾ أي: إعلام؛ ومنه أذان الصلاة. وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعكرمة، والجحدري، وابن يعمر: ﴿وَأُذِّنْ﴾ بكسر الهمزة وقصرها ساكنة الذال من غير ألف.

(١) البيت في «شرح القصائد السبع الطوال» ٢٩٩، و«مجاز القرآن» ٢٣/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٠ من معلقته المشهورة، وقوله: شطت مزار العاشقين، يعني: شطت عيلة مزار العاشقين، أي: بعدت من مزارهم. وفي «شرح المعلقات»: حلت بأرض الزائرين، والزائرون: الأعداء، جعلهم يزأرون زفير الأسد، شبه وعيدهم بالزفير، يقول: نزلت الحبيبة بلاد أعادي، فمسر علياً طلابها.

(٢) الحديث في «المسند» ٣٧/٥، والبخاري ٤٥٩/٣ و٢٤٤/٨ و٦١/١، ومسلم رقم ١٦٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧. ولفظه في البخاري ٦١/١ عن أبي بكره ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس ذا الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس البيلة؟» قلنا: بلى، قال: «فأي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد (ابن سيرين): - وأحسبه قال: وأهراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أفعالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا يبلغ الشاهد منكم الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أومى له من بعض من سمعه، فكان محمد (ابن سيرين) إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ، ثم قال (أي النبي ﷺ): «ألا هل بلغت، ألا هل بلغت».

قوله تعالى: ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ أي: للناس. يقال: هذا إعلام لك، وإليك. والناس هاهنا عامٌ في المؤمنين والمشركين. وفي يوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم عرفة، قاله عمر بن الخطاب، وابن الزبير، وأبو جحيفة، وطاووس، وعطاء. والثاني: يوم النحر، قاله أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن المسيب، وابن جبير، وعكرمة، والشعبي، والنخعي، والزهري، وابن زيد، والسدي في آخرين. وعن علي، وابن عباس، كالقولين. والثالث: أنه أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، قاله سفيان الثوري. قال سفيان: كما يقال: يوم بعث، ويوم الجمل، ويوم صفين يراد به: أيام ذلك، لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً. وعن مجاهد، كالأقوال الثلاثة. وفي تسميته بيوم الحج الأكبر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سمّاه بذلك لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ووافق ذلك عيد اليهود والنصارى، قاله الحسن. والثاني: أن الحج الأكبر: هو الحج، والأصغر: هو العمرة، قاله عطاء، والشبي. والثالث: أن الحج الأكبر: القرآن، والأصغر: الأفراد، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن يعمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكسر الهمزة. ﴿بَرِيءٌ﴾﴾ أي: من عهد المشركين، فحذف المضاف ﴿وَرَسُولُهُ﴾ رفعٌ على الابتداء، وخبره مضمّر على معنى: ورسوله أيضاً بريء. وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر، وزيد عن يعقوب: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بالنصب. ثم رجع إلى خطاب المشركين بقوله: ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ أي: رجعت عن الشرك، ﴿وَلَنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَيْنَا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِلَىٰ مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: فلما قرأ علي (براءة)، قالت بنو ضمرة: ونحن مثلهم أيضاً؟ قال: لا، لأن الله تعالى قد استثناكم؛ ثم قرأ هذه الآية. وقال مجاهد: هم قوم كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة، فأمر أن يفي لهم. قال الزجاج: معنى الكلام: وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود، إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوكم، فليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد. قال القاضي أبو يعلى: وفصل الخطاب في هذا الباب: أنه قد كان بين رسول الله ﷺ وبين جميع المشركين عهد عام، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت، ولا يُخاف أحدٌ في الشهر الحرام، فجعل الله عهدهم أربعة أشهر؛ وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى آجال مسماة، فأمر بالوفاء لهم، وإتمام مدتهم إذا لم يُخش غدرهم.

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاتَّبَعُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جعلت لهم فيها السياحة، قاله الحسن في آخرين، فعلى هذا، سميت حُرماً لأن دماء المشركين حرمت فيها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من لم يكن له عهد ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: في الحل والحرم والأشهر الحرم.

قوله تعالى: ﴿وَجُودُوا﴾ أي: أسروهم؛ والأخذ: الأسير. ﴿وَأَحْضُرُوهُمْ﴾ أي: احبسوهم؛ والحضر: الحبس. قال ابن عباس: إن تحصنوا فاحصروهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ قال الاخفش: أي: على كل مرصد؛ فألقى «على» وأعمل الفعل، قال الشاعر:

نُغَالِي اللحمَ للأضيافِ نَيْشاً      ونُرْخِضُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ<sup>(١)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «اللسان» و «أساس البلاغة» مادة غلى. قال أبو مالك: نغالي اللحم: نشربه غالباً، ثم نبلله ونطعمه إذا نضج في قدورتنا.



المعنى: نغالي باللحم، فحذف الباء كما حذف «على». وقال الزجاج: «كل مرصد» ظرف، كقولك: ذهب مذهباً، فليست تحتاج أن تقول في هذه إلا ما تقوله في الظروف، مثل: خلف، وقدام. قوله تعالى: ﴿إِنْ تَابُوا﴾ أي: من شركهم. وفي قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ قولان: أحدهما: اعترفوا بذلك. والثاني: فعلوه.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوب قتلهم، ثم نسخ بقوله: ﴿إِنَّمَا مَتَّ بَدَّ وَلِمَّا بَنَدَ﴾ [محمد: ٤]، قاله الحسن، وعطاء في آخرين. والثاني: بالعكس، وأنه كان الحكم في الأسارى: أنه لا يجوز قتلهم صبراً، وإنما يجوز المن أو الفداء بقوله: ﴿إِنَّمَا مَتَّ بَدَّ وَلِمَّا بَنَدَ﴾ ثم نسخ بقوله: ﴿وَأَقَاتُوا الْمُشْرِكِينَ﴾، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: أن الآيتين محكمتان، والأسير إذا حصل في يد الإمام، فهو مخير، إن شاء من عليه، وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبراً، أي ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعل، هذا قول جابر بن زيد، وعليه عامة الفقهاء، وهو قول الإمام أحمد.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْنِغْهُ مَأْمَتَهُ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ①﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أمر به ونهي عنه، فأجزه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه. وفي قوله: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يُعرفوا ويُجاروا لجهلهم بالعلم. والثاني: ذلك الذي أمرناك به من رده إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بكتاب الله.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ②﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ أي: لا يكون لهم ذلك، ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضاً. وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبي الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين. والثالث: أنهم خزاعة، قاله مجاهد. وذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية، كتب بينه وبينه: «هذا ما اصطلاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، اصطلاحاً على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقده فعل، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه، ويدخل علينا في قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثاً لا يدخل علينا بسلاح، إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب» فوثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إن قريشاً أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيئتوا خزاعة ليلاً، فقتلوا منهم عشرين رجلاً. ثم إن قريشاً ندمت على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فآخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم وكانت غزاة الفتح. قال أبو عبيدة: الإسلال: السرقة، والإغلال: الخيانة. قال ابن الأعرابي: وقوله: «وأن بيننا عيبة مكفوفة» مثل: أراد: أن صلحنا مُحْكَمٌ مُسْتَوْثِقٌ منه، كأنه عيبة مشرحة. وزعم بعض المفسرين أن قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نسخ بقوله: ﴿وَأَقَاتُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَبَدَّوهُمُ﴾.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْجُوا بِكُمْ إِلَّا دَمَ وَدَمُ بَرُصَتِكُمْ وَأَنفُسُهُمْ وَأَنَّا قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ③﴾

قوله تعالى: ﴿كَفَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم، فحذف ذلك، لأنه قد سبق، قال الشاعر:

وَحَبَّرْتُ مَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى

أي: فكيف مات وليس بقرية؟ ومثله قول الحطيئة:

فَكَيْفَ وَلَمْ أَغْلَمْهُمْ خَذَلُوكُمْ

أي: فكيف تلوموني على مدح قوم؟ واستغنى عن ذكر ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أضمر. وقوله: ﴿يَظْهَرُوا﴾ يعني: يقدروا ويظفروا. وفي قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يحفظوا. والثاني: لا يخافوا، قاله السدي. والثالث: لا يراعوا، قاله قطرب. وفي الإل خمسة أقوال: أحدها: أنه القرابة، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والسدي، ومقاتل، والفراء، وأنشدوا:

إِنَّ الْوُشَاةَ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتَهُمْ

لَا يَرْقُبُونَ بَنَّا إِلَّا وَلَا ذِمًّا

وقال الآخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ

كَأَلِ السَّفْبِ مِنْ رَأْلِ التُّعَامِ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنه الجوار، قاله الحسن. والثالث: أنه الله تعالى، رواه ابن أبي نجيج عن مجاهد، وبه قال عكرمة. والرابع: أنه العهد، رواه خصيف عن مجاهد، وبه قال ابن زيد، وأبو عبيدة. والخامس: أنه الحلف، قاله قتادة. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعكرمة، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف: «إيلاً» بياء بعد الهمزة. وقرأ ابن السميع، والجدري: «ألاً» بفتح الهمزة وتشديد اللام. وفي المراد بالذمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العهد، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقاتدة، والضحاك في آخرين. والثاني: التزم ممن لا عهد له، قاله أبو عبيدة، وأنشد:

لَا يَرْقُبُونَنَا إِلَّا وَلَا ذِمًّا

والثالث: الأمان، قاله الزبيدي، واستشهد بقوله: «ويسعى بذمتهم أدناهم»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرْضَوَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلا الغدر. والثاني: يرضونكم بأفواههم في العدة بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلا الشرك. والثالث: يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبى قلوبهم إلا المعصية، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُمْ فَسَقُوا﴾ قال ابن عباس: خارجون عن الصّدق، ناكثون للعهد.

﴿أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ ثَمًّا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾<sup>(٣)</sup> لَمْ يَرْقُبُوا فِي مَوَازِينٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ<sup>(٤)</sup> فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفَخَرَّحْنَكُمْ فِي الدِّينِ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْرِ يَسْمُرُونَ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ ثَمًّا قَلِيلًا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، قاله مجاهد. والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح. فعلى الأول، آيات الله: حججه. وعلى الثاني: هي آيات التوراة. والتمن القليل: ما حصلوه بدلاً من الآيات. وفي وصفه بالقليل وجهان: أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل. والثاني: لأنه من عَرَض الدنيا الذي بقاءه قليل. وفي قوله: ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ثلاثة

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته الشهيرة النبيلة في «الأسمعيات» ٩٩، و«طبقات فحول الشعراء» ١٧٦، و«أماشي القالي» ١٥١/٢، و«جمهرة أشعار العرب» ١٣٥، و«معاني القرآن» للفراء ٤٢٤/١.

(٢) «ديوانه» ١٤٠ وفيه: على موطن ولا أدبكم قذوا. وقوله: خذلوكم على معظم، قال أبو عمرو: أي: لم يخلوكم في أمر حدث. وقوله: ولا أدبكم قذوا، أي: لم يقروا في حسيكم.

(٣) قاله حسان بن ثابت الأنصاري، «ديوانه» ٤٠٧، و«اللسان»: «ألل» وهو من آيات حجا بها أبا سفيان قبل إسلامه. والسبق: هو ولد الناقة ساعة يولد، والرأل: ولد النعام، يقول: ما قرابتك في قرش إلا كقرابة الفصيل من ولد النعام، أي: لست منهم في نسب.

(٤) «المستد» رقم ٩٥٩، وأبو داود رقم ٤٥٣٠، والنسائي ٢٠/٨، كلهم من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو جزء من حديث طويل، وسنده صحيح.

أقوال: أحدهما: عن بيته، وذلك حين منعوا النبي ﷺ بالحديبية دخول مكة. والثاني: عن دينه بمنع الناس منه. والثالث: عن طاعته في الوفاء بالعهد.

﴿وَأَن لَّكُمُ الْيَمِينُ مِنِّي بِمَا وَعَدْتُهُمْ فِي رَيْبِكُمْ فَتَقِيلُوا أَثِمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُرُوا﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّكُمُ الْيَمِينُ﴾ قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله، فأمر رسول الله ﷺ أن يسير إليهم فينصر خزاعة، وهم الذين هموا بإخراج رسول الله ﷺ. فأما النكت، فمعناه: النقض. والأيمان هاهنا: العهود. والظعن في الدين: أن يعاب، وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام، لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه.

قوله تعالى: ﴿فَتَقِيلُوا أَثِمَةَ الْكُفْرِ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «أثمة» بتحقيق الهمزتين. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بتحقيق الأولى وتلين الثانية. والمراد بأثمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم. ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ أي: لا عهود لهم صادقة؛ هذا على قراءة من فتح الألف، وهم الأكثرون. وقرأ ابن عامر «لا إيمان لهم» بالكسر<sup>(١)</sup>؛ وفيها وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان، والثاني: لا أمان لهم، تقول: آمنت إيماناً، والمعنى: فقد بطل أمانكم لهم بنقضهم. وفي قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُرُوا﴾ قولان: أحدهما: عن الشرك. والثاني: عن نقض العهود. وفي «العل» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الترجي، المعنى: ليرجى منهم الانتهاء. قاله الزجاج. والثاني: أنها بمعنى: «كي»، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمُوهُ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾ قَتَلُوهُمْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَضْرِبُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَيَذْهَبَ غِيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا﴾ قال الزجاج: هذ على وجه التوبيخ، ومعناه الحض على قتالهم. قال المفسرون: وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله ﷺ الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة. وفي قوله: ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قولان: أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن هم بإخراج النبي ﷺ من مكة. والثاني: أنهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله ﷺ، ونقضوا عهده وهموا بمعاونة المتناقضين على إخراجهم من المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَا اتَّخَذْتُمُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: بدؤوكم بإعاتتهم على حلفائكم، قاله ابن عباس. والثاني: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمُوهُ﴾ قال الزجاج: اتخشون أن ينالك من قتالهم مكروه؟ فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى إن كنتم مصدقين بعذابه وثوابه.

قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: يعني خزاعة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَ غِيْظُ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: كربها ووجدتها بمعونة قريش بني بكر عليها.

قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ قال الزجاج: هو مستأنف، وليس بجواب «قَاتِلُوهُمْ». وفيمن

عني به قولان: أحدهما: بنو خزاعة، والمعنى: ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة، قاله عكرمة. والثاني: أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان، وعكرمة، وسهيل. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بَنِيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضى.

(١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القراءة في ذلك الذي لا استجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح الألف، دون كسرها، لإجماع الحجة من القراءة على القراءة به، وإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله: لا عهد لهم، والأيمان التي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح الألف، لأنها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوابعين.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَسْخَرُوا مِنْ دِينِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ في المخاطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله ﷺ الخروج معه إلى الجهاد تعذيراً، قاله ابن عباس. وإنما دخلت الميم في الاستفهام، لأنه استفهام معترض في وسط الكلام، فدخلت لتفريق بينه وبين الاستفهام المبتدأ. قال الفراء: ولو أريد به الابتداء، لكان إما بالالف، أو بـ «هل»، ومعنى الكلام: أن تُتركوا بغير امتحان يبين به الصادق من الكاذب. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولم تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم؛ وقد كان يعلم ذلك غيباً، فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل. فاما وليجة، فقال ابن قتبية: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخیلاً من المشركين وخليطاً وواذاً؛ وأصله من الولوج. قال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم.

﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٧)   
 ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَرٍ بَاطِلٍ وَالْيَتُورِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَمَسَّوْهُ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُنْتَدِينَ﴾ (١٨)

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مسجد الله» على التوحيد، ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ على الجمع. وقرأ عاصم، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي على الجمع فيهما. وسبب نزولها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فغيروهم بالشرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: وهل لكم من محاسن؟ قالوا: نعم، لتحسن أفضل منكم أجراً؛ إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت هذه الآية (١)، قاله مقاتل في جماعة. وفي المراد بالعمارة قولان: أحدهما: دخوله والجلوس فيه. والثاني: البناء له وإصلاحه؛ فكلاهما محظور على الكافر. والمراد من قوله: ﴿مَا كَانَ لِلشُّرِكِينَ﴾ أي: يجب على المسلمين منهم من ذلك. قال الزجاج: وقوله: ﴿شَاهِدِينَ﴾ حال. المعنى: ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر، ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها. فإن قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر، وهم يعتقدون أنهم على الصواب؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي، وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي. والثاني: أنهم ثبتوا على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ، وهو حق لا يخفى على مميّز، فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه. والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرّضوا على اتباعه، فلما آمنوا بهم وكذبوه، دلوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبين وإظهار، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمَرٍ بَاطِلٍ وَالْيَتُورِ الْآخِرِ﴾ ولم يذكر الرسول، والإيمان لا يتم إلا به؟ فالجواب: أن فيه دليلاً على الرسول، لقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله. فإن قيل: ﴿فَمَسَّوْهُ﴾ ترج، وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك. فالجواب: أن «عسى» من الله واجبة، قاله ابن عباس. فإن قيل: قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات. فالجواب: أن المراد أنه من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها؛ وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

﴿أَجَلَتْ سَيِّئَةَ الْمَأْجِ وَصَارَ الْمَسْجِدَ لِلرَّافِظِ كُنْ أَمِنْ بَاطِلٍ وَالْيَتُورِ الْآخِرِ وَجَنَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩)   
 ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَابُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ النَّارُونَ﴾ (٢٠)   
 ﴿يُكَبِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَوَرْدَانٍ وَمَجْنُوبَةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا قَيْدٌ مُقْبَرٌ﴾ (٢١)   
 ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿أَجَلَتْ سَيِّئَةَ الْمَأْجِ﴾ في سبب نزولها ستة أقوال: أحدها: رواه مسلم في «صحيحه» من حديث



النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد [الإسلام إلا] أن أغمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، وهو يوم الجمعة، ولكني إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العباس بن عبد المطلب قال يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعلم المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني<sup>(٢)</sup>، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة بيت الله الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله، فنزلت هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس. والرابع: أن علياً والعباس وطلحة - يعني سادن الكعبة - افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بت في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي. والخامس: أنهم لما أمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد. هكذا ذكر مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة، لأن طلحة هذا لم يسلم. والسادس: أن علياً قال للعباس: ألا تلحق بالنبي ﷺ؟ فقال: ألس في أفضل من الهجرة، ألس أسقي حاج بيت الله وأمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مرة الهمداني، وابن سيرين. قال الزجاج: ومعنى الآية: أجمعتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه. قال الحسن: كان يُنبذ زبيب، فيسقون الحاج في الموسم. وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه، فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

قوله تعالى: ﴿أَنْظَمْ دَبِيعًا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. والمعنى: أعظم من غيرهم درجة. والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير. فاما النعيم، فهو لين العيش، والمقيم: الدائم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَإِنَّكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنه لما أمر المسلمون بالهجرة، جعل الرجل يقول لأهله: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك، ومنهم من يتعلق به عياله وزوجته فيقولون: ننشدك الله أن تدعنا إلى غير شيء، فيرق قلبه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشائرتنا، وذبيت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر، نزلت هذه الآية والتي قبلها، هذا قول قتادة، وقد ذكرناه عن مجاهد. والرابع: أن نفراً ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم، وأنزل هذه الآية، قاله مقاتل. والخامس: أن النبي ﷺ لما أمر الناس بالجهاز لنصرة خزاعة على قريش، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، نعاونهم عى قومنا؟ فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتُكُمْ كَسَادَتْكُمْ وَنَسْتَكُونُ رِضْوَانًا حَبِيبًا إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَرِجَالِهِمْ فِي سَبِيلِهِ فَمَتَّبِعُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

- (١) «الطبري» ١٦٩/١٤، ومسلم ٢٦/١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٨/٣ وزاد نسبه لأبي داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.
- (٢) العاني: الأسير.
- (٣) «الطبري» ١٧٠/١٤ وعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية، في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الذين تخلفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن علي بن أبي طالب قدم مكة، فقال لقوم: ألا تهاجرون؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرننا ومساكننا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن سيرين. والثالث: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين في هذه الآية، وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناها عن ابن عباس. فاما العشيرة، فهم الأقارب الأذنون. وروى أبو بكر عن عاصم «وعشيرائكم» على الجمع. قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطبين له عشيرة، فإذا جمعت قلت: عشيرائكم؛ وحجة من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك عن جمعها. وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر. والاعتراق بمعنى الاكتساب. والترص: الانتظار. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والاكثرون، ومعنى الآية: إن كان المَقَام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿وَبِحِكْمَةٍ فَتَحْنَهُ كَسَادًا﴾ لفراقكم بلدكم ﴿وَمَسْكِنًا تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ من الهجرة، فأقيموا غير مثابين حتى تُفتح مكة، فيسقط فرض الهجرة. والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (١٩)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي: في أماكن. قال الفراء: وكل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان لم يُجَزَّ (١)، مثل، صوامع، ومساجد. وجُري «حنين» لأنه اسم لمذكر، وهو واد بين مكة والطائف، وإذا سُمِّيَتْ ماءً أو وادياً أو جبلاً باسم مذكر لا علة فيه، أجريته، من ذلك: حنين، وبدر، وجراء، وبُيَير، ودابق (٢). ومعنى الآية: أن الله ﷻ أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم. وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ستة عشر ألفاً، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: عشرة آلاف، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: كانوا اثني عشر ألفاً، قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي. والرابع: أحد عشر ألفاً وخمسمائة، قاله مقاتل. قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغْلَب اليوم من قلة، فساء رسول الله ﷺ كلامه، ووكلوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾. وقال سعيد بن المسيب: القاتل لذلك أبو بكر الصديق. وحكى ابن جرير أن القاتل لذلك رسول الله ﷺ. وقيل: بل العباس. وقيل: رجل من بني بكر.

قوله تعالى: ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: برحبها. قل الفراء: والباء هاهنا بمنزلة «في» كما تقول: صافت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها.

### الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، تأمر عليه أشراف هوازن وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس (٣)، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما التقوا أعجبتهم كثرتهم فهزموا. وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبنا على الغنائم، فأقبلوا بالسهام، فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ (٤). وبعضهم يقول: ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث. وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان، فجعل النبي يقول للعباس: «ناؤ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة» فنادى، وكان صيئاً، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: يا

(١) إجراء الاسم عند الكوفيين صرفه وتثنيته، وعدم إجرائه: منع صرفه.

(٢) دابق: قرية من قرى حلب.

(٣) أوطاس: واد في ديار هوازن.

(٤) البخاري ٢٤/٨، ومسلم ١٢/١٢١.

لبيك، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم، فقال: «الآن حمي الوطيس، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ثم قال للعباس: «ناولني حصيات» فنأوله، فقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها، وقال: «انهزموا ورب الكعبة»، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا<sup>(١)</sup>. وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفاً من تراب، فرماهم به فانهزموا. وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالتراب<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَوْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً﴾ أي: بعد الهزيمة. قال أبو عبيدة: هي فِيلةٌ من السكون، وأنشد:

لِلَّهِ قَبْرِ غَالِهَا مَاذَا يُجِنُّ  
وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُودًا لَوْ تَرَوْهَا﴾ قال ابن عباس: يعني الملائكة. وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال: أحدها: ستة عشر ألفاً، قاله الحسن. والثاني: خمسة آلاف، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثمانية، قاله مجاهد، يعني: ثمانية آلاف. وهل قاتلت الملائكة يومئذ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبيزى، ومقاتل. والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي. والرابع: بالقتل، والأسر، وسبي الأولاد، وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوفقه للتوبة من الشرك.

﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الشُّرُكُوتُ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الشُّرُكُوتُ نَجَسٌ﴾ قال أبو عبيدة: معناه: فذر. قال الزجاج: يقال لكل شيء مستقذر: نجس. وقال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نجس، إلا وقبلها رجس، فإذا أفردوها قالوا: نجس. وفي المراد بكونهم نجساً ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أنجاس الأبدان، كالكلب والخنزير، حكاه الماوردي عن الحسن، وعمر بن عبد العزيز. وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ. والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاساً، قاله قتادة. والثالث: أنه لما كان علينا اجتنبناهم كما تجتنب الأنجاس، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ قال أهل التفسير: يريد جميع الحرم. ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر وقرئت (براءة). وقد أخذ أحمد رحمته الله بظاهر الآية، وأنه يحرم عليهم دخول الحرم، وهو قول مالك، والشافعي. واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد، فروي عنه المنع أيضاً إلا لحاجة، كالحرم، وهو قول مالك. وروى عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: يجوز لهم دخول المسجد الحرام، وسائر المساجد.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، والشعبي، وابن السميع: «عائلة». قال سعيد بن جبير: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا الشُّرُكُوتُ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ شق على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطعامنا؟ وكانوا يقدّمون عليهم بالتجارة، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ الآية. قال

(١) «مسند أحمد» رقم ١٧٧٥ بنحوه، ورواه مسلم ١١٥/١٢ - ١١٧ بنحوه أيضاً. وذكره الطبري ١٨٢/١٤ - ١٨٣، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣/ ٣٢٧، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٢٤/٣ - ٢٢٥، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن سعد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) «مسند أحمد» ٢٨٦/٥ عن أبي عبد الرحمن الفهري، والطبري في «التفسير» ١٨٥/١٤، وخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٨١/٦ - ١٨٢. وقال: رواه البزار، والطبراني، ورجالهم ثقات.

(٣) البيت لأبي حنيفة الكلابي في «مجاز القرآن» ٢٥٥/١، و«اللسان»: سكن.

الأخفش: العيلة: الفقر. يقال: عال يعيل عيلة: إذا افتقر. وأعال إعالة فهو يُعيل: إذا صار صاحب عيال. وقال أبو عبيدة: العيلة هاهنا مصدر عال فلان: إذا افتقر، وأنشد:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل<sup>(١)</sup>

وللمفسرين في قوله: «وإن قولان: أحدهما: أنها للشرط، وهو الأظهر. والثاني: أنها بمعنى «وإذا»، قاله عمرو بن فايد. قالوا: وإنما خاف المسلمون الفقر، لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم، ويجيئون بالطعام وغيره. وفي قوله: «فَسَوْفَ يُنْفِيكُمْ اللَّهُ مِنْ قُصْبِهِ إِنَّ نَسْكَ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم، فكثر خيرهم، قاله عكرمة. والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك. والثالث: أن أهل نجد، وجُرَش، وأهل صنعاء أسلموا، فحملوا الطعام إلى مكة على الظُفْرِ، فأغناهم الله به، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» قال ابن عباس؛ عليم بما يصلحكم، «حَكِيمٌ» فيما حكم في المشركين. «فَتِلْكَ الْأَنْتِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٣﴾»

قوله تعالى: «فَتِلْكَ الْأَنْتِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» قال المفسرون: نزلت في اليهود والنصارى. قال الزجاج: ومعناها لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين، لأنهم أقروا بأنه خالفهم وأنه له ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقولون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون. وقال الماوردي: إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقولون بها، فكانوا كمن لا يُقِرُّ به.

قوله تعالى: «وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» قال سعيد بن جبيرة: يعني الخمر والخنزير.

قوله تعالى: «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» في الحق قولان: أحدهما: أنه اسم الله، فالمعنى: دين الله، قاله قتادة. والثاني: أنه صفة للدين، والمعنى: ويدِينون الدين الحق<sup>(٢)</sup>؛ فأضاف الاسم إلى الصفة. وفي معنى «يدِينون» قولان: أحدهما: أنه بمعنى الطاعة، والمعنى: لا يطيعون الله طاعة حق، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه من: دان الرجل يدين كذا: إذا التزمه. ثم في جملة الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: لا يدخلون في دين محمد ﷺ، لأنه ناسخ لما قبله. والثاني: لا يعملون بما في التوراة من اتباع محمد ﷺ.

قوله تعالى: «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ» قال ابن الأنباري: الجزية: الخراج المَجْعُول عليهم؛ سميت جزية، لأنها قضاء لما عليهم؛ أخذ من قولهم: جَزَى يَجْزِي: إذا قضى؛ ومنه قوله تعالى: «لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» [البقرة: ٤٨]، وقوله: «وَلَا تَجْزِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: «عَنْ يَدٍ» ستة أقوال: أحدها: عن قهر، قاله قتادة، والسدي. وقال الزجاج: عن قهر وذُل. والثاني: أنه النقد العاجل، قاله شريك، وعثمان بن مقسم. والثالث: أنه إعطاء المبتدئ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ٢٥٥/١، ومعاني القرآن» للفراء ٢٥٥، و«جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«اللسان» و«التاج» عمل، وهو من قصيدته التي قالها في حرب بينه وبين قومه من الأوس وبني النجار من الخزرج، قتل فيها أخوه، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية، فحلفت قومه ما يجي أحية وقومه من الأوس، فضرها حتى كسر يدها وطلقها، وبعد هذا البيت قرين له:

وما تدري إذا أجتمع أمرأ بياي الأرض يدركك المقبيل

(٢) قال ابن كثير ٣٤٧/٢: فهم في نفس الأمر لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل، ولا بما جاؤوا به، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآبائهم فيما هم فيه، لا لأنه شرع الله ودينه، لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً، لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ، لأن جميع الأنبياء بشروا به، وأمروا باتباعه، فلما جاء وكفروا به وهو أشرف الرسل، علم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأتقين لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلذلك لا يفهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم.

(٣) هو قطعة من حديث طويل، فقد روى البخاري ١٥/١٠، ومسلم ١٥٥٣/٣ واللفظ له عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما تبدأ به في يومنا هذا (يعني يوم عيد الأضحى) نعلبي، ثم نرجع فنحترق، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن فزع (يعني قبل صلاة العيد) فإنما هو لحم قومه لأمله، ليس من السك في شيء، وكان أبو بردة بن نيار (خال البراء بن عازب) قد فزع (يعني قبل الصلاة) فقال: «عندني جذعة خير من ستة» فقال: انبجها ولن تجزي عن أحد بمدك.



بالعطاء، لا إعطاء المكافئ، قاله ابن قتيبة. والرابع: أن المعنى: عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم. والخامس: عن إنعام عليهم بذلك، لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم، حكاهما الزجاج. والسادس: يؤدونها بأيديهم، ولا ينفذونها مع رسلهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ صَغُرْتُ﴾ الصاغر: الذليل الحقير. وفيما يَكْلُفُونَهُ من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال: أحدها: أن يمشوا بها مُكَلِّبِينَ، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن لا يُحْمَدُوا على إعطائهم، قاله سلمان الفارسي. والثالث: أن يكونوا قِيَاماً والأخذ جالساً، قاله عكرمة. والرابع: أن دفع الجزية هو الصغار. والخامس: أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار.

### فصل

واختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار، فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي. ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد: أنه من سُبِي من أهل الأديان من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا، وإلا الجزية؛ فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

### فصل

فأما صفة الذين تؤخذ منهم الجزية، فهم أهل القتال. فأما الزَّيْمُ، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

### فصل

فأما مقدارها، فقال أصحابنا: على الموسر: ثمانية وأربعون درهماً، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعون درهماً، وسواء في ذلك الغني والفقير. وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار. وهل تجوز الزيادة والنقصان مما يؤخذ منهم؟ نقل الأثر من أحمد: أنها تزداد وتنقص على قدر طاقتهم، فظاهر هذا: أنها على اجتهاد الإمام ورأيه. ونقل يعقوب بن بختان<sup>(١)</sup>: أنه لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد.

### فصل

ووقت وجوب الجزية: آخر الحول، وبه قال الشافعي. وقال أبو حنيفة: تجب في أول الحول. فأما إذا دخلت سنة في سنة، فهل تسقط جزية السنة الماضية؟ عندنا لا تسقط. وقال أبو حنيفة: تسقط. فأما إذا أسلم، فإنها تسقط بالإسلام. فأما إن مات؛ فكان ابن حامد يقول: لا تسقط. وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن تسقط.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَنفُسِهِمْ يُضَعِّفُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْخَذُوا ۖ أُنْكَرُوا أَجْرَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَمَّا بِنِ دُوبِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ أَنْتَ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَوْنَا إِلَّا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «عزير ابن الله» بغير تنوين. وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو: منوناً. قال مكي بن أبي طالب: من نون عزيراً رفعه على الابتداء، و «ابن» خبره. ولا يحسن حذف التنوين على هذا من «عزير» لالتقاء الساكنين. ولا تحذف ألف «ابن» من الخط، ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين. ومن لم ينون «عزيراً» جعله أيضاً مبتدأ،

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان أحد تلامذة الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الحنابلة» ١/١٤٥.

و «ابن» صفة له؛ فيُحذف التنوينُ على هذا استخفافاً لالتقاء الساكنين، ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وتحذف ألف «ابن» من الخط، والخبر مضمَر تقديره: عزيز بن الله نبئنا وصاحبنا. وسبب نزولها أن سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كيف نَشْعُكَ وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. وقال ابن عمر، وابن جريج: إن القائل لذلك فنحاص. فأما العزيز، فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسم أعجمي معرب، وإن وافق لفظ العربية، فهو عبراني؛ كذا قرأته عليه. وقال مكِّي بن أبي طالب: العزيز عند كل النحويين: عربي مشتق من قوله: يعزُّروه. وقال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنهم لما عملوا بغير الحق، أنساهم الله التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا عزيز الله تعالى؛ فعاد إليه الذي نُسخ من صدورهم، ونزل نور من السماء فدخل جوفه، فأذن في قومه فقال: قد آتاني الله التوراة؛ فقالوا: ما أوتيتها إلا لأنه ابن الله. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن يختصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزيز غلاماً، فتركه. فلما توفي عزيز ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزيز؛ فكذبوه وقالوا: قد حدَّثنا آباؤنا أن عزيزاً مات ببابل، فإن كنتَ عزيزاً فأملل علينا التوراة؛ فكتبها لهم؛ فقالوا: هذا ابن الله. وفي الذين قالوا هذا عن عزيز ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع بني إسرائيل، روي عن ابن عباس. والثاني: طائفة من سلفهم، قاله الماوردي. والثالث: جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: فنحاص وحده، وقد ذكرناه عن ابن عمر، وابن جريج. والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس. فإن قيل: إن كان قول بعضهم، فلم أضيف إلى جميعهم؟ فته جوابان: أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جثت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلاً واحداً. والثاني: أن من لم يقل، لم ينكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: لكونه ولد من غير ذكر. والثاني: لأنه أحى الموتى، وأبرأ الكُمَّةَ والبُرصَ؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [المائدة: ١١٠].  
قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِآيَاتِهِمْ﴾ إن قال قائل: هذا معلوم، فما فائدته؟ فالجواب: أن المعنى: إنه قول بالغم، لا بيان فيه، ولا برهان، ولا تحته معنى صحيح، قاله الزجاج.

قوله تعالى: «يضاهون» قرأ الجمهور: من غير همز. وقرأ عاصم: ﴿يُضَاهَوْنَ﴾. قال ثعلب: لم يتابع عاصماً أحد على الهمز. قال الفراء: وهي لغة. قال الزجاج: «يضاهون» يشابهون قول مَنْ تَقَدَّمَهُمْ من كَفَرْتَهُمْ، فإنما قالوه اتباعاً لمُتَقَدِّمِهِمْ. وأصل المضاهاة في اللغة: المشابهة؛ والأكثر ترك الهمز؛ واشتاق من قولهم: امرأة ضهياء، وهي التي لا يثبت لها ثدي. وقيل: هي التي لا تحيض، والمعنى: أنها قد أشبهت الرجال. قال ابن الأنباري: يقال: ضاهيت، وضاهات: إذا شَبِهَتْ. وفي ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، شابهوا اليهود في قولهم: عزيز ابن الله، قاله قتادة والسدي. والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليداً، قاله الزجاج، وابن قتبية. وفي قوله: ﴿فَتَكَلَّمُوا بِآيَاتِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: لعنهم الله، قاله ابن عباس. والثاني: قتلهم الله، قاله أبو عبيدة. والثالث: عاداهم الله، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَن يَرْفُكُونَ﴾ أي: من أين يصرفون عن الحق.

قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَسْكَارًا﴾ قد سبق في [المائدة: ٤٤] معنى الأسكار والرهبان. وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرماً عليهم شيئاً حرَّموه»<sup>(٢)</sup>. فعلى هذا المعنى: إنهم جعلوهم كالآرباب وإن لم يقولوا: إنهم آرباب.

(١) «الطبري» ٢٠٢/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٢٩/٢، وزاد نسبه لابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي ١٣٦٦/٢، وقال: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وطفيف بن أمين ليس بمعروف في الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال ابن عباس: اتخذوه رباً.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢)

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يخذلوا دين الله بتكذيبهم، يعني: أنهم يكذبون به ويُعرضون عنه يريدون إطفائه بذلك. وقال الحسن وقادة: نور الله: القرآن والإسلام. فاما تخصيص ذلك بالأفواه، فلما ذكرنا في الآية قبلها. وقيل: إن الله تعالى لم يذكر قولاً مقروناً بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ قال الفراء: إنما دخلت «إلا» هاهنا، لأن في الإباء طرفاً من الجحد، ألا ترى أن «أبيت» كقولك: «لم أفعل»، و«لا أفعل»، فكانه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، قال الشاعر:

فَهَلْ لِي أُمٌّ غَيْرُهَا إِنْ تَرَكْتُهَا أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنًا<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: المعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره. قال مقاتل: «يتم نوره» أي: يظهر دينه.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ يعني محمداً ﷺ. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوحيد. والثاني: القرآن. والثالث: بيان الفرائض. فاما دين الحق، فهو الإسلام. وفي قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ قولان: أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلمه شرائع الدين كلها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها راجعة إلى الدين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل<sup>(٢)</sup>. ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: عند نزول عيسى ﷺ، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير الملل واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. والثاني: أنه عند خروج المهدي، قاله السدي. والقول الثاني: أن إظهار الدين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَكُونُنَّ أََمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ يُعْطَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقَهُنَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُعَذِّبُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْأَخْبَارِ﴾ الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى. وفي الباطل أربعة أقوال: أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس. والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن. والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان. والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى. والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل، لأنه معظم المقصود من المال. وفي المراد بسبيل الله هاهنا قولان: أحدهما: الإيمان برسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: أنه الحق والحكم.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت عامة

= ررواه «الطبري» ٢١٠/١٤ من طرق عن عدي بن حاتم، وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٣٠/٣، وزاد نسبة لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنده».

(١) قاله المتلسم، وهو في «معاني القرآن» للفراء ٤٣٣/١، من قصيدة له يرد فيها على من عير أمه مطلعها:

يَمِينِي أَمِي رَجَالٌ وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَانَ بِكَ كَرَمًا

وهي في «مختارات ابن الشجري» ٣١ وقوله: ابننا، أراد: ابننا، فزاد الميم.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢١٥/٤، عن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى (جمع) لي الأرض، فرايت مشارقتها ومغارها، وإن أمتي سيبلع ملكها ما زوى لي منها». وروى الإمام أحمد في «المسنده» ١٠٣/٤، عن تميم الداري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبطل هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين يمزع عزيز، أو بذل ذليل، عزاً يمز به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر»، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشر والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية. وروى أحمد في «المسنده» ٤/٦، عن المقداد بن الأسود ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام يمزع عزيز أو ذل ذليل، إما يمزعهم الله ﷻ فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيبنيون لها». وروى مسلم ٢٢٣٠/٤، عن عائشة ؓ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يلمع الليل والنهار حتى تميد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) أن ذلك تاماً، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم بيئت الله ربيحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، يبقئ من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم».

في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك. والثاني: أنها خاصة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان. والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي. وفي الكثر المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ما لم تؤدّ زكاته. قال ابن عمر: كل مال أدبث زكاته وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا تؤدّ زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً على وجه الأرض<sup>(١)</sup>، وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفاق: إخراج الزكاة. والثاني: أنه ما زاد على أربعة آلاف، روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أربعة آلاف نفقة، وما فوقها كنز. والثالث: ما فضل عن الحاجة، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام ثم نُسخ. فإن قيل: كيف قال: «ينفقونها» وقد ذكر شيئين؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: يرجع إلى الكنوز والأموال. والثاني: أنه يرجع إلى الفضة، وحُذف الذهب، لأنه داخل في الفضة، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما

عندك راضٍ والرأي مختلف<sup>(٢)</sup>

يريد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ، ذكر القولين الزجاج. وقال الفراء: إن شئت اكتفيت بأحد المذكورين، كقوله: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَيْلَةً أَوْ إِنْتًا تُدِيرُ بِهِ بَرَكًا» [النساء: ١١٢]، وقوله: «وَإِذَا زَاوَأَ يَحْزَنُهُ أَوْ تَمَرًا أَنْفَضُوا لَيْثًا» [الجمعة: ١١]، وأنشد:

إنني ضمنت لمن أتاني ما جئني

وأبى وكان وكنت غير غدير<sup>(٣)</sup>

ولم يقل: غديرين، وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى. قال أبو عبيدة: والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا، فخبروا عن أحدهما استغناء بذلك، وتحقيقاً لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه، ودخل معه في ذلك الخبر، وأنشد:

فمن يك أمسى بالمدينة رخله

فإنني وقيارٌ بها لغريب<sup>(٤)</sup>

والنصب في «قيار» أجود، وقد يكون الرفع. وقال حسان بن ثابت:

إن شرخ الشباب والشعر الأس

ود ما لم يُعاصَ كان جُنونا<sup>(٥)</sup>

ولم يقل: يعاصيا.

﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوَّنُ بِهَا جَبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ تَذَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَكْذُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: على الأموال. قال ابن مسعود: والله ما من رجل يُكوى بكنز، فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم، ولكن يوسّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدته<sup>(٦)</sup>. وقال ابن عباس: هي حية تنطوي على جنبه وجهته، تقول: أنا مالك الذي بخلت به.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْذُرُونَ﴾ فيه محذوف تقديره: ويقال لهم هذا ما كنتم لأنفسكم ﴿تَذَرُونَ﴾ ما كنتم تذكرون. أي: عذاب ذلك. فإن قيل: لم خصّ الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن؟ فالجواب: أن هذه المواضع مجوفة، فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل. وكان أبو ذر يقول: بشر الكنازين بكفي في الجباه وكفي في الجنوب

(١) أثر ابن عمر رواه الطبري ٢١٨/١٤، وإسناده صحيح. ورواه بمعناه مالك في «الموطأ» ٢٥٦/١.

(٢) قائله عمرو بن امرئ القيس من بني الحارث بن الخزرج، جاهلي قديم، وهو جد عبد الله بن رواحة، والبيت في «جمهرة أشعار العرب» ٢٣٧، وسيبويه ٣٧/١ (منسوباً لقيس بن الخطيم) وهو خطأ، و«معاني القرآن» ٤٣٤/١، و«مجاز القرآن» ٢٥٨/١، و«الخرائج» ١٩٠/٢.

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ٤٣٤/١، ونسبه سيبويه في «الكتاب» ٣٨/١ للفرزدق.

(٤) قائله ضائب بن الحارث اليربوعي وهو في «الأصمعيات» ١٦، و«سيبويه» ٣٨/١، و«القرطبي» ٢٤٦/٦، و«شواهد المغني» ٢٩٣، و«الخرائج» ٢٢٣/٤، و«اللسان»، و«التاج»: قير.

(٥) «ديوانه» ٤١٣، و«مجاز القرآن» ٢٥٨/١، و«القرطبي» ١٢٨/٨، و«الجمهرة» ٢٠٧/٢، و«اللسان»: شرح، والشرح: الحد، أي: غاية ارتفاعه، يعني بذلك أقصى قوته ونفادته وعنفوانه.

(٦) «الطبري» ٢٣٣/١٤، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٢٩/٧ - ٣٠ وقال: رواه الطبراني ورجال رجال الصحيح. وأورده ابن كثير ٣٥٢/٢ من طريق ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وقال: ولا يصح رفعه والله أعلم. وخرجه السيوطي في «الدرر» ٢٣٣/٣، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.



وكي في الظهور، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم<sup>(١)</sup>. وجواب آخر: وهو أن الغني إذا رأى الفقير، انقبض؛ وإذا ضمه وإياه مجلس، ازور عنه وولاه ظهره، قاله أبو بكر الوراق.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّتِي أَلْفَمْتُمْ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِّلُوا الشُّرَكَاءَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله، فربما وقع حجهم في رمضان، وربما وقع في شوال، إلى غير ذلك؛ وكانوا يستحلون المحرم عاماً، ويحرمون مكانه صفر، وتارة يحرمون المحرم ويستحلون صفر. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن عدد شهور المسلمين التي تُعبدوا بأن يجعلوه لستهم؛ اثنا عشر شهراً على منازل القمر؛ فجعل حجهم وأعيادهم على هذا العدد، فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء، وتارة في الصيف، بخلاف ما يعتاده أهل الكتاب، فإنهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وبعض يوم. وجمهور القراء على فتح عين «اثنا عشر». وقرأ أبو جعفر: «اثنا عشر»، وأحد عشر، و«تسعة عشر»، يسكون العين فيهن.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ. قال ابن عباس: في الإمام الذي عند الله، كتبه ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة. والمحرم، قاله الأكثرون. وقال القاضي أبو يعلى: إنما سماها حُرُمًا لمعنيين: أحدهما: تحريم القتال فيها، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضاً. والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وكذلك تعظيم الطاعات فيها. والثاني: أنها الأشهر التي أجل المشركون فيها للسياحة، ذكره ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّتِي أَلْفَمْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس. والثاني: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ اختلفوا في كتابة «فيهن» على قولين: أحدهما: أنها تعود على الاثني عشر شهراً، قاله ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لا تجعلوا حرامها حلالاً، ولا حلالها حراماً، كفعل أهل النسيء. والثاني: أنها ترجع إلى الأربعة الحرم، وهو قول قتادة، والفراء؛ واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: ثلاث ليالٍ خَلُون، وأيام خلون؛ فإذا جُزئت العشرة قالوا: خلت ومضت؛ ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: هُنَّ، وهؤلاء؛ فإذا جُزئت العشرة، قالوا: هي، وهذه؛ إرادة أن تُعرف سمة القليل من الكثير. وقال ابن الأنباري: العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه؛ والقلَّة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة: ما جاوز العشرة، يقولون: وجهٌ إليك أكْبُشاً فاذبحْهُنَّ، وكباشاً فاذبحْها؛ فلهذا قال: ﴿مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ لأنه يعني بقوله: «فيهن» الأربعة. ومن قال من المفسرين: إنه يعني بقوله: «فيهن» الاثني عشر، فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل. وعلى قول من قال: ترجع «فيهن» إلى الأربعة؛ يُخرَج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال: أحدها: أنه المعاصي؛ فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله: ﴿يُزَيِّرُ وَمِيكَنُ﴾ [البقرة: ٩٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿فَكَفَّهِنَّ وَخَلَّ وَرِيَّانَ﴾ [الرحمن: ٦٨] وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وإن كان منهيّاً عنه في غير الحج،

(١) «الطبري» ٢٣٠/١٤، وفي «صحيح مسلم» ٢/٢٩٠، عن الأحنف بن قيس قال: كنت في نفر من قرش، فمر أبو ذر وهو يقول: «بشر الكافرين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكي من قبل أفتانهم يخرج من جباههم»، قال: ثم تنحى فقمعد، قال: قلت: من هذا قالوا: أبو ذر، قال: فقلت: ما شيء سمعتك تقول قبيل، قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ. . . . . وروى مسلم أيضاً ٢/٦٨٢ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحصي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» . . . . .

وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأموراً بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسء، وهو تحليل شهر محرّم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق. والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تبدؤوا بالقتال، قاله مقاتل. والرابع: أنه ترك القتال فيهن؛ فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل. والسّر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض، ليكون الكفّ عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريباً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعاً.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا كَانَ يَحِلُّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَزِلْهُمْ ذِي الْحِجَّةِ الْأُخْرَىٰ. ذَلِكُمْ يَوْمُ الْحَبَشَةِ أُولَٰئِكَ الْأَشْجَارُ الَّتِي لَا يَنْجِيهِمْ عَنْهَا وَلَا يَجِدُوا فِيهَا غَوْلًا لِّئَلَّا يَقُولُوا مَا كَانَ الْإِسْلَامُ إِلَّا كِبْرًا وَعَدُوٌّ لَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الجمهور على همز النسء ومدّه وكسر سينه. وروى شبل عن ابن كثير: «النسء» على وزن النيسع. وفي رواية أخرى عن شبل: «النسيء» مشددة الياء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر؛ والمراد بالكلمة التأخير. قال اللغويون: النسء: تأخير الشيء. وكانت العرب تحرم الأشهر الأربعة، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم؛ فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم، فيؤخّرون تحريم المحرم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضاً إلى الشهر الذي بعده؛ ثم تندفع الشهور شهراً بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها، فكانهم يستنثون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله ﷻ أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلوا الحرام، وحرّموا الحلال: ﴿لِيُؤْخِطُوا﴾ أي: ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام، وتحريم الحلال. وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصّدْر عن منى، قام رجل من بني كنانة يقال له: نعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يردّ لي قضاء؛ فيقولون: أنستنا شهراً؛ يريدون: أخر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرّم لا يُغيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما يتّأ. وقيل: إنما كانوا يستحلون المحرم عاماً، فإذا كان من قابل ردّوه إلى تحريمه. قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إليّ، لأن هذا القول ليس فيه استدارة. وقال مجاهد: كان أول من أظهر النسء جنادة بن عرف الكناني، فوافقت حجة أبي بكر ذا القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام القابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «إلا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»<sup>(١)</sup>. وقال الكلبي: أول من فعل ذلك نعيم بن ثعلبة.

قوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يُضَلُّ» بفتح الياء وكسر الضاد، والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُضَلُّ» بضم الياء وفتح الضاد، على ما لم يُسم فاعله. وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: «يُضَلُّ» بضم الياء وكسر الضاد؛ وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: يُضَلُّ الله به. والثاني: يُضَلُّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم. والثالث: يُضَلُّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنوه لهم. قال أبو علي: التقدير: يُضَلُّ به الذين كفروا تابعيهم. وقال ابن القاسم: الهاء في «به» راجعة إلى النسء، وأصل النسء: المنسوء، أي: المؤخّر، فينصرف عن «مفعول» إلى «فعليل» كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومقدور وقدير، قال: وقيل: الهاء راجعة إلى الظلم، لأن النسء كُشِفَت تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهر؛ والأول اختيارنا.

﴿يَتَأْتِيَكُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مَآسًا مَا لَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ رُدُّوا إِلَيْنَا وَمِنَ الْأَخْزَرِ فَمَا تَتَغَيَّرُ الْحِكْمَةُ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(١) رواه أحمد في «المسنَد» ٣٧/٥، والبخاري ٦/١٠، ومسلم رقم ١٦٧٩، وأبو داود رقم ١٩٤٧ عن أبي بكره ﷺ، وقد أوردنا الحديث بطوله صفحة (٥٦٧).

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجذب وحر شديد، وقد طابت الثمار، عَظُمَ ذلك على الناس وأحبوا المقام، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام معناه التوبيخ. وقوله: ﴿أَنْفِرُوا﴾ معناه: اخرجوا. وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك. وقوله: ﴿أَتَأْتَلْتُمْ﴾ قال ابن قتبية: أراد: تناقلتم، فأدغم التاء في التاء، وأحدث الألف ليسكن ما بعدها، وأراد: قعدتم. وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تناقلتم». وفي عنى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تناقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد. والثاني: اطمأنتم إلى الدنيا، قاله الضحاك. والثالث: تناقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرْضَيْدٌ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يُتَمَتَّع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يُتَمَتَّع به الأولياء في الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا بِمُؤْنِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَسَيَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا بِمُؤْنِكُمْ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما حثهم على غزو الروم تناقلوا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. وقال قوم: هذه خاصة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر. قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حياً من العرب فتناقلوا عنه، فأمسك عنهم المطر فكان عذابهم<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَسَيَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قوماً غير متناقلين. ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضره، كما لم يضره ذلك إذ كان بمكة. وفي هاء «تَضُرُّوهُ» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن. والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزجاج.

### فصل

وقد روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، قالوا: نُسخ قوله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا بِمُؤْنِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْكُفْرَانُ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال أبو سليمان الدمشقي: ليس هذا من المنسوخ، إذ لا تنافي بين الآيتين، وإنما حكم كل آية قائم في موضعها. وذكر القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الغفور العدو، ففرض على الناس النفير إليهم، ومتى استغفوا عن إعانة من وراءهم، غُذِر القاعدون عنهم. وقال قوم: هذا في غزوة تبوك، ففرض على الناس النفير مع رسول الله ﷺ.

﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْكَافِرِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَنَّانٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُثُودٍ لَمْ تَرْوِهِمَا وَجَعَلَ لِكُلِّ الْفِئَةِ كُفْرًا وَلِلَّهِ الشُّكْلُ كُلُّهُ وَاللَّهُ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي صُلُوبِ الْعَالَمِينَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ﴾ أي: بالنفير معه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانة على أعدائه، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] فأعلمهم أن نصره ليس بهم. قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ اثْنَيْنِ﴾ العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، أي: أحد الثلاثة، قال الزجاج: وقوله: ﴿ثَلَاثَ اثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال؛ المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفرداً إلا من

(١) «الطبري» ٢٥٣/١٤، عن مجاهد، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٣٧/٣، وزاد نسبه لسيد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٥٨) عن المستورد أخى بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدهم أصبهه هذه - وأشار يحيى (أحد الرواة) بالسبابة - في اليوم، فلينظر بهم ترجع»، ورواه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٤، والمعنى: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة، ودوام لذتها ونعيمها، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر.

(٣) رواه بنحوه أبو داود في «مسنده» رقم (٢٥٠٦) وفي سننه نجدة بن نفع وهو مجهول. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٣٩/٣، وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «مسنده».



أبي بكر، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية غير أبي بكر. وقال ابن جرير: المعنى: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر. فأما الغار، فهو ثقب في الجبل، وقال ابن فارس: الغار: الكهف، والغار: نبت طيب الريح، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: البطن والفرج، وهما الأجوفان، يقال: إنما هو عبد غارته. قال الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السُّعْفَرِ يَزُومُ وَلَكِنَّهُ

وَأَنَّ السَّعْيَ يَسْعَى لِيَغَارِيهِ دَائِباً<sup>(١)</sup>

قال قتادة: وهذا الغار في جبل بمكة يقال له: ثور. قال مجاهد: مكث فيه ثلاثاً. وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب «الحدثات». قال أنس بن مالك: أمر الله ﷺ شجرة فنبتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيتين فوقتا في فم الغار، فلما دنوا من الغار، عجل بعضهم لينظر، فرأى حمامتين، فرجع فقال: رأيت حمامتين على فم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال: هذه قدم ابن أبي قحافة، والأخرى لا أعرفها، إلا أنها تشبه القدم التي في المقام. وصاحبه في هذه الآية أبو بكر، وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»<sup>(٣)</sup> وفي السكينة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس. والثاني: الوقار، قاله قتادة. والثالث: السكون والطمأنينة، قاله ابن قتية، وهو أصح. وفي هاء «عليه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت. واحتج من نصر هذا القول بأن النبي ﷺ كان مطمئناً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مقاتل. والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تنبيه، والتقدير: فأَنزَلَ الله سكينة عليهما، فاكتمى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما، كقوله: «وَاللَّهُ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسَدَهُ» [التوبة: ٦٢]، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: «وَأَبْكَدُكُمْ» أي: قوّاه، يعني النبي ﷺ بلا خلاف. «وَيُحْشَرُونَ لَكُمْ تَرْوَكًا» وهم الملائكة. ومتى كان ذلك؟ فيه قولان: أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس. والثاني: لما كان في الغار، صرّفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزجاج. فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في «أيده» ترجع إلى النبي ﷺ، فكيف تفارقها هاء «عليه» وهما متفقتان في نظم الكلام؟ فالجواب: أن كل حرف يردُّ إلى الأليق به، والسكينة إنما يحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي ﷺ منزعجاً. فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي ﷺ ونظير هذا قوله: «لَتَرْيَسُنَّ آلَهُ وَرَسُولَهُ وَتُؤَيَّدُونَهُ وَتُؤَيَّدُونَ» [الفتح: ٨] يعني النبي ﷺ، «وَتُسَيِّحُونَهُ» يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّفْلَى» فيها قولان: أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا، لأنها ظهرت، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله أنه ناصره، رواه عطاء عن ابن عباس. وقرأ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، ويعقوب: «وكلمة الله» بالنصب.

قوله تعالى: «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» أي: في انتقامه من الكافرين: «حَكِيمٌ» في تدييره.

«أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ﴿١١﴾

قوله تعالى: «أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا» سبب نزولها أن المقداد جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٤)</sup>. وفي معنى «خفافاً وثقالاً» أحد عشر قولاً: أحدها: شيوخاً

(١) البيت في «اللسان» غور غير منسوب.

(٢) ابن سعد في «الطبقات» ١/٢٢٩، عن أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة، فسمعتهم يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار: أمر الله شجرة.. الحديث. وفي سننه ضعيف ومجهول. وفي «مستدرج أحمد» ٨٧/٥، من حديث ابن عباس: «... فمروا بالغار فأروا على بابيه نسج العنكبوت»، وفي سننه عثمان الجزري لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) «البخاري» ١٠/٧، و«مسلم» ٤/١٨٥٤، دون قوله: وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد: نسبته لابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، وأبي حنيفة، وابن حبان، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٤) «أسباب النزول» للواحدي ١٤١، وذكره السيوطي في «الدر» ٣/٢٤٦، ونسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.



وشباباً، رواه أنس عن أبي طلحة، وبه قال الحسن، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وأبو صالح، وشمر بن عطية، وابن زيد في آخرين. والثاني: رجاله وركبانه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأوزاعي. والثالث: نشاطاً وغير نشاط، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومقاتل. والرابع: أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس. ثم في معنى هذا الوجه قولان: أحدهما: أن الخفاف: ذوو العسرة وقلة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء. والثاني: أن الخفاف: أهل الميسرة، والثقال: أهل العسرة، حكى عن الزجاج. والخامس: ذوي عيال، وغير عيال. قاله زيد بن أسلم. والسادس: ذوي ضياع، وغير ذوي ضياع، قاله ابن زيد. والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، قاله الحكم. والثامن: أصحاء، ومرضى، قاله مرة الهمداني، وجوير. والتاسع: عزاباً ومتأهلين، قاله يمان بن رباب. والعاشر: خفافاً إلى الطاعة، وثقالاً عن المخالفة، ذكره الماوردي. والحادي عشر: خفافاً من السلاح، وثقالاً بالاستكثار منه، ذكره الثعلبي.

### فصل

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِیَسْتَفِرُّوا كَذَلِكَ﴾<sup>(١)</sup> [التوبة: ١٢٢]. وقال السدي: نسخت بقوله: ﴿أَلَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعاً، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال، فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه غيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قوياً. وإن كان له مال وقوة، فعليه الجهاد بالنفس والمال. ومن كان معيماً عاجزاً، فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله، لقوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والتناقل عنه. والثاني: ذلكم الجهاد خير حاصل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما لكم من الثواب.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك. ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عرضاً قريباً. والعرض: كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أو كان سفرًا قاصداً، أي: سهلاً قريباً، لَاتَّبَعُوكَ طمعاً في المال ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ قال ابن قتيبة: الشقة: السفر؛ وقال الزجاج: الشقة: الغاية التي تُقَصَّد؛ وقال ابن فارس: الشقة: مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقة شاقة.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ يعني المنافقين إذا رجعتهم إليهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ وقرأ زائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ بضم الواو، وكذا أين وقع، مثل: ﴿لَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ١٨]، كأنه لما احتج إلى حركة الواو، حركت بالضم لأنها أخت الواو، والمعنى: لو قدرنا وكان لنا سعة في المال. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكذب والنفاق ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا.

﴿عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ اللَّهُ صِدْقَهُمْ وَتَعْلَمَ الْكَافِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلّف لما خرج إلى تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يومئذ يعترف المنافقين. قال عمرو بن ميمون: اثنان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذَه الفداء من الأسارى؛ فعاتبه الله كما تسمعون. قال مروق: عاتبه ربّه بهذا. وقال سفيان بن عيينة: انظر

(١) وقد ذهب إلى إحكام الآية ومنع النسخ جماعة، منهم ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي، وحكى القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو، ففرض على الناس الثغر إليهم، ومتى استفنوا عن عانة من وراءهم عذر القاعدون عنهم.

(٢) أخرجه السيوطي في «الدرر» ٢٤٦/٣، من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن السدي.

إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يعيَّره بالذنب. وقال ابن الأنباري: لم يخاطب بهذا لجرم أجرمه، لكنَّ الله وقَّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله: ﴿عَمَّا أَثَبَّ عَنْكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريماً عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، هلاً زرتني.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الْآيَاتِ صَدَقُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له. والثاني: لو لم تأذن لهم، لقعِدُوا وبان لك كذبهم في اعتذارهم. قال قتادة: ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقول: ﴿فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢].

﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عِلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ١١ ﴿لَمَّا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَزَّاتَتْ قُلُوبُهُمْ قَهْرًا فِي رَبِّهِمْ يَرْجُدُونَ﴾ ١٢

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَنْذِرُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود. قال الزجاج: أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ أنَّ علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان.

### فصل

وروي عن ابن عباس أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿لَمْ يَدْعُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾ إلى آخر الآية [النور: ٦٢]. قال أبو سليمان الدمشقي: وليس للنسخ هاهنا مدخل، لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة، ذهبوا من غير استئذانه.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ١٣ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِكرًا مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِكرًا سَمْعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْقَالِبِينَ﴾ ١٤

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ يعني المستأذنين له في القعود. وفي المراد بالعدَّة قولان: أحدهما: النية، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: السلاح، والمركوب، وما يصلح للخروج، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والانبعاث: الانطلاق، والتبُّط: ردُّك الإنسان عن الشيء يفعله.

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ في القائل لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ألهموا ذلك خذلاناً لهم، قاله مقاتل. والثاني: أن النبي ﷺ قاله غضباً عليهم. والثالث: أنه قول بعضهم لبعض، ذكرهما الماوردي. وفي المراد بالقاعدین قولان: أحدهما: أنهم القاعدون بغير عذر، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره علي بن عيسى. قال الزجاج: ثم أعلم الله ﷻ لم كره خروجهم، فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِكرًا مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ والخبال: الفساد وذهاب الشيء. وقال ابن قتيبة: الخبال: الشر. فإن قيل: كان الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؟ فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالاً. وقيل: سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ لما خرج، ضرب عسكره على ثنية الوداع، وخرج عبد الله بن أبي، فضرب عسكره على أسفل من ذلك؛ فلما سار رسول الله ﷺ، تخلف ابن أبي فيمن تخلف من المنافقين، فنزلت هذه الآية (١).

قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ قال الفراء: الإيضاع: السير بين القوم. وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل. قال الزجاج: يقال: أوضعت في السير: أسرعت.

قوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ قال الفراء: يبيغونها لكم. وفي الفتنة قولان: أحدهما: الكفر، قاله الضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: تفريق الجماعة، وشتات الكلمة. قال الحسن: لأضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم.

(١) قال السيوطي في «الدرر» ٤٤٧/٣: وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، عن الحسن البصري قال: كان عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نبتل، ودفاعه بن زيد بن ثابت من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله، وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْفِتْنَةَ مِن بَيْنِ نَجْلٍ وَكَلِمَاتٍ لِّكَ الْآخِرُ﴾ إلى آخر الآية، وهي الآية التي بعد هذه.

قوله تعالى: ﴿وَقَبِضْ سَبْعُونَ مِائَةً فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: عِيُونَ يَنْقُلُونَ إِلَيْهِمْ أَخْبَارَكُمْ، قَالَ مجاهد، وابن زيد. والثاني: مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَيَطِيعُهُمْ، قَالَ قتادة، وابن إسحاق.

﴿لَقَدْ ابْتِغَاؤُ الْفِتْنَةِ بَيْنَ قَبْلِ وَكَبُرُوا لَكَ الْأَمْرُ حَقٌّ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغَاؤُ الْفِتْنَةِ﴾ في الفتنة قولان: أحدهما: الشر، قاله ابن عباس. والثاني: الشرك، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿بَيْنَ قَبْلِ﴾ أي: من قبل غزوة تبوك. وفي قوله: ﴿وَكَبُرُوا لَكَ الْأَمْرُ﴾ خمسة أقوال: أحدها: بَعُثُوا لك الغوائل، قاله ابن عباس. وقيل: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على طريقه ليلاً ليفتكوا به، فسلمه الله منهم. والثاني: احتالوا في تشبث أمرك وإبطال دينك، قاله أبو سليمان الدمشقي. قال ابن جرير: وذلك كانصرف ابن أبيي يوم أحد بأصحابه. والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم. والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر، وممالة المشركين في الباطن. والخامس: أنه حلفهم بالله ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي.

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني النصر ﴿وَبُظْهِرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي وَلَا تَقْبِضَ عَلَيَّ الْفِتْنَةَ سَعَلُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ قال للجد بن قيس: «يا جد، هل لك في جِلاذ بني الأصفر، لعلك أن تغتم بعض بنات الأصفر»، فقال: يا رسول الله، اتذن لي فأقيم، ولا تفتني بنات الأصفر. فأعرض عنه، وقال: «قد أفنت لك»، ونزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وهذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ في المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ أَتَذُنْ لِي﴾ أي: في القعود عن الجهاد، وهو الجد بن قيس. وفي قوله: ﴿وَلَا تَقْبِضَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: لا تفتني بالنساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: لا تكسبني الإثم بأمرك إِيَّاي بالخروج وهو غير متيسر لي، فأثم بالمخالفة، قاله الحسن، وفتادة، والزجاج. والثالث: لا تكفرني بالزامك إِيَّاي الخروج، قاله الضحاك. والرابع: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَعَلُوا﴾ في هذه الفتنة أربعة أقوال: أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الحرج، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: الإثم، قاله فتادة، والزجاج. والرابع: العذاب في جهنم، ذكره الماوردي.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَبُحْثُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَانُوا يُرِيدُونَ أَن يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ أي: نصر وغنيمة. والمصيبة: القتل والهزيمة. ﴿يَبُحْثُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾ أي: عَمِلْنَا بالحزم فلم نخرج. ﴿وَيَكُونُوا وَهُمْ قَرِيبُونَ﴾ بمصابك وسلامتهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قضى علينا، قاله ابن عباس. والثاني: ما بين لنا في كتابه من أننا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا، أو نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا أيضاً، قاله الزجاج. والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: ناصرنا.

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا إِذْ أَخَذَ الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ أَوْ يَأْخُذَ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرِضُونَ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا﴾ أي: تنتظرون. والحسينان: النصر والشهادة. ﴿وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِندِهِ﴾ في هذا العذاب قولان: أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس. والثاني: الموت، قاله ابن جرير.

(١) أورده السيوطي في «الدر» ٢٤٨/٣، من رواية محمد بن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» من طريقه عن عاصم بن عمر بن فتادة، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم.



قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَنَّكَ﴾ يعني: القتل.

﴿قَدْ أَفْنَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٦)

قوله تعالى: ﴿أَفْنَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ سبب نزولها أن الجدي بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتننت. ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقت طائعين أو مكريين لن يُتَقَبَلَ منكم. ومثله في الشعر قول كثير:

أسيشي بنا أو أحسنني لا ملنومة  
لدينا ولا مقلية إن تَقَلَّتْ<sup>(٢)</sup>

لم يأمرها بالإساءة، ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدنا. قال الفراء: ومثله ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿وَمَا سَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْ هُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَمَا سَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تقبل» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي: «يقبل» بالياء. قال أبو علي: من أنث، فلان الفعل مسند إلى مؤنث في اللفظ؛ ومن قرأ بالياء، فلأنه ليس بتأنيث حقيقي، فجاز تذكيره؛ كقوله: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقرأ الجحدري: «أن يقبل» بياء مفتوحة، «نفقاتهم» بكسر التاء. وقرأ الأعشى: «نفقتهم» بغير الف، مرفوعة التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «أن يقبل» بالياء «نفقتهم» بنصب التاء على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ هُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: «أن» هاهنا مفتوحة، لأنها بتأويل المصدر مرتفعة بـ «منهم»، والتقدير: وما منهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ لأنهم يعدون الإنفاق مغرمًا.

﴿فَلَا تُشْجِكُ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُشْجِكُ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتبية. فعلى هذا، في الآية تقديم وتأخير، ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، فهي لهم عذاب، وللمؤمنين أجر، قاله ابن زيد. والثالث: أن المعنى: ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله، قاله الحسن. فعلى هذا، ترجع الكناية إلى الأموال وحدها. والرابع: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم، ذكره الماوردي. فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: تخرج، يقال: زهق السهم: إذا جاوز الهدف.

﴿وَيَلْبِثُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمُشْكِرُونَ﴾ (٥٩) لَوْ يَحْذَرُكَ مُلْجَأًا أَوْ مَقَرًّا أَوْ مَدْعَا لَوْلَا

إِلَيْهِ وَهُمْ يَخِمْشُونَ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَيَلْبِثُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون، و «يَشْرُفُونَ» بمعنى يخافون. فاما الملجأ، فقال الزجاج: الملجأ واللجأ مقصور مهموز، وهو المكان الذي يُتَحَصَّنُ فيه. والمغارات: جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، أي: يستتر فيه. وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبيدة: «أو مغارات» بضم الميم؛ لأنه يقال: أغرت

(١) «الطبري»: ٢٩٤ / ١٤، وفي سنده انقطاع.

(٢) البيت لكثير عزة: «ديوانه» ٥٣ / ١، من قصيدته المشهورة، «الطبري» ٢٩٤ / ٢، و ٢٩٣ / ١٤، و «معاني القرآن» للفراء ٤٤١ / ١، يقال: فلا يقلبي قلبي، فهو مقلي: كرهه وأبغضه، وتقلي: تبغض، أي: استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه.



وَعُرْتُ: إذا دخلت الغور. وأصل مُدْخَل: مدتخل، ولكن التاء تبدل بعد الدال دالاً، لأن التاء مهمومة، والدال مجهورة، والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخفت. وقرأ أبي، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «أو مُتَدْخَلًا» برفع الميم، ويتاء ودال مفتوحين، مشددة الخاء. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «مُتَدْخَلًا» بنون بعد الميم المضمومة. قرى الحسن، وابن يعمر، ويعقوب: «مدخلاً» بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها. قال الزجاج: من قال: «مُتَدْخَلًا» فهو من دخل يدخل مدخلاً؛ ومن قال: «مُتَدْخَلًا» فهو من أدخلته مُدْخَلًا، قال الشاعر:

الحمد لله مُنْصَنَانَا وَمُضَبَّحَنَا  
بالخير صَبَّحْنَا رُبِّي وَمَسَانَا<sup>(١)</sup>

ومعنى مُدْخَل ومُذْخَل: أنهم لو وجدوا قوماً يدخلون في جملتهم ﴿لَرَوْا﴾ إليه، أي: إلى أحد هذه الأشياء ﴿وَهُمْ يَجْتَنُونَ﴾ أي: يسرعون إسراعاً لا يرد فيه وجوههم شيء. يقال: جمح وطمح: إذا أسرع ولم يرد وجهه شيء؛ ومنه قيل: فرس جموح للذي إذا حمل لم يرده اللجام.

﴿وَنُفِثَ مَن يَلِيرُكَ فِي الصَّدَقَتِ إِنْ أَطْعَمُوا رِثَا رَضُوا وَلَئِنْ لَّمْ يُطْعَمُوا رِثَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَ مَن يَلِيرُكَ فِي الصَّدَقَتِ﴾ فيمن نزلت فيه قولان: أحدهما: أنه ذو الخويصرة التميمي، قال للنبي ﷺ يوماً: أعدل يا رسول الله، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. ويقال: أبو الخواصر. ويقال: ابن ذي الخويصرة. والثاني: أنه ثعلبة بن حاطب، كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء، فنزلت هذه الآية. قال ابن قتيبة: «يلمرك» يعيبك ويطعن عليك. يقال: همزت فلاناً ولمزته: إذا اغتبهت وعيته؛ والأكثرون على كسر ميم «يلمرك». وقرأ يعقوب، ونظيف عن قنبل، وأبان عن عاصم، والقزاز عن عبد الوارث: ﴿يَلِيرُكَ﴾ و ﴿يَلِيرُكَ﴾ و ﴿وَلَا تَلِيرَا﴾ بضم الميم فيهن. وقرأ ابن السميع: «يلامرك» مثل: يفاعلك. وقد رواها حماد بن سلمة عن ابن كثير. قال أبو علي الفارسي: وينبغي أن تكون فاعلت في هذا من واحد، نحو: طارقت النعل، وعافاه الله، لأن هذا لا يكون من النبي ﷺ. وقرأ الأعمش: «يلمرك» بتشديد الميم من غير ألف، مثل: يفتلك. قال الزجاج: يقال: لمزت الرجل ألمزه وألمزه، بكسر الميم وضمها: إذا عته، وكذلك: همزته أهمزه، قال الشاعر:

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مَكَاثِرَةً  
وإن تَعَيَّنْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللَّمَزَةَ<sup>(٣)</sup>

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾  
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعْتَزِينَ عَلَيْهِا وَالْمَوْلُفُو قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْقَدْرَمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنِّي السَّبِيلُ قَرِيبَةٌ مِنِّي اللَّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أي: قنعوا بما أعطوا. ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ في الزيادة، أي: لكان خيراً لهم. وهذا جواب «لو»، وهو محذوف في اللفظ. ثم بين المستحق للصداقات بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ اختلفوا في صفة الفقير والمسكين على ستة أقوال: أحدها: أن الفقير: المتعفف عن السؤال، والمسكين: الذي يسأل وبه رفق، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، والزهري، والحكم، وابن زيد، ومقاتل. والثاني: أن الفقير: المحتاج الذي به زمانة، والمسكين: المحتاج الذين لا زمانة به، قاله قتادة. والثالث: الفقير: المهاجر، والمسكين: الذي لم يهاجر، قاله الضحاك بن مزاحم، والنخعي. والرابع: الفقير: فقير المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة. والخامس: أن الفقير: من له البُلغة من الشيء، والمسكين: الذي ليس له شيء، قاله أبو حنيفة، ويونس بن حبيب، ويعقوب بن السكيت، وابن قتيبة. واحتجوا بقول الراعي:

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في «الأغاني» ١٢٩/٤، و«اللسان» مس.

(٢) «الطبري»: ٣٠٣/١٤، وإسناده صحيح، وقصة ذو الخويصرة معرة عن سبب النزول رواها البخاري في «صحيحه» ٤٥٥/٦، ومسلم ١٦٥/٧ من طريق الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري.

(٣) البيت لزياد الأعجم في «الطبري» ٣٠١/١٤، و«مجاز القرآن» ٢٦٣/١، و«شواهد الكشاف» ١٥٢، و«إصلاح المنطق» ٤٧٥، و«الجمهرة» لابن دريد ١٨/٣، و«المقاييس» ٦٦/٦، و«اللسان»: همز.

أَمَّا الْفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلْوِيَّتُهُ

وَفَقَّ الْعِيَالُ فَلَمْ يُشْرَكَ لَهُ سَبَدٌ<sup>(١)</sup>

فسماء فقيراً، وله حلوية تكفيه وعياله. وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين؛ يريد: أنا أسوأ حالاً من الفقير. والسادس: أن الفقير أمس حاجة من المسكين، وهذا مذهب أحمد، لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفقار، والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع، وذلك أبلغ. قال ابن الأنباري: ويروى عن الأصمعي أنه قال: المسكين أحسن حالاً من الفقير. وقال أحمد بن عبيد: المسكين أحسن حالاً من الفقير، لأن الفقير أصله في اللغة؛ المفقور الذي نزع فقرة من فقر ظهره، فكانه انقطع ظهره من شدة الفقر؛ فصرف عن مفقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح، ومطبوخ وطبخ، قال الشاعر:

لَمَّا رَأَى لُبَدَ النَّسُورِ تَطَايَرَتْ

رَفَعَ الْقَوَادِمَ كَالْفَقِيرِ الْأَعْزَلِ<sup>(٢)</sup>

قال: ومن الحجة لهذا القول قوله: «أَمَّا السَّيِّئَةُ فَكَانَتْ لِسَكِينٍ يَمْلُؤُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهَا وَكَانَ رِوَايَتُهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَيِّئَةٍ غَضَبًا» [الكهف: ١٧٩]، فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالاً؛ قال: وهو الصحيح عندنا. قوله تعالى: «وَالْمَكِيلِينَ عَلَيْهَا» وهم السعاة لجباية الصدقة، يُعْطَوْنَ منها بقدر أجور أمثالهم، وليس ما يأخذونه بزكاة.

قوله تعالى: «وَالْمُؤَلَّفَةَ لِقُلُوبِهِمْ» وهم قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون. فأما المسلمون، فصنفان؛ صنف كانت نيئاتهم في الإسلام ضعيفة، فتألفهم تقوية لنياتهم، كمُعَيَّنَةُ بن حصن، والأقرع؛ وصنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم. وأما المشركون، فصنفان؛ صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألفهم دفعاً لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل؛ وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أمية. وقد ذكرت عدد المؤلفة في كتاب «التلخيص». وحكمهم باقي عند أحمد في رواية، وقال أبو حنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ. قال الزهري: لا أعلم شيئاً نسخ حكم المؤلفة قلوبهم.

قوله تعالى: «وَفِي الرِّقَابِ» قد ذكرناه في سورة [البقرة: ١٧٧].

قوله تعالى: «وَالْفَكْرَيْنِ» وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء. قال قتادة: هم ناس عليهم دين من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير، وإنما قال هذا، لأنه لا يؤمن في حق المفسد إذا قُضِيَ دَيْنُهُ أن يعود إلى الاستدانة لذلك؛ ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

قوله تعالى: «وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعني: الغزاة والمرابطين. ويجوز عندنا<sup>(٣)</sup> أن يعطى الأغنياء منهم والفقراء، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يعطى إلا الفقير منهم. وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: «وَأَنَّ السَّيْلَ» هو المسافر المنقطع به، وإن كان له مال في بلده؛ قاله مجاهد، وقاتدة، وأبو حنيفة، وأحمد. فأما إذا أراد أن ينشئ سفراً، فهل يجوز أن يعطى؟ قال الشافعي: يجوز، وعن أحمد مثله؛ وقد ذكرنا في سورة [البقرة: ١٧٧] فيه أقوالاً عن المفسرين.

قوله تعالى: «فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ» يعني أن الله افترض هذا.

(١) «ديوانه» ٥٥، «إصلاح المنطق» ٣٢٦، «والاقتضاب» ١١٤، والحلوية: الناقة التي تحلب، وقوله: وفق العيال، أي: لها لين قدر كفايتهم لا فضل فيه عنهم. وقيل: قدر ما يقوتهم، وكل شيء طابق شيئاً فهو وفق له. والسبد: الشعر. وقيل: الوبر. فإذا قيل: ماله سبد ولا ليد، فمعناه: ماله ذو وبر ولا صوف متلب، يكتى بهما عن الإبل والغنم.

(٢) البيت للبيد، «ديوانه» ٢٧٤، «واللسان»: فقر، ومعجم البلدان ٦/٢٧٨، ومعجم مقاييس اللغة ٤/٩٠، «والحيوان» ٦/٣٢٦، وقوله: كالفقير، ويروى: كالمغير، ويروى: كالكسير. والأعزل: المائل الذنب توصف به الخيل. والقوادم: أربع رشاش في مقدم الجناح، الواحدة: قادمة، والفقير: المكسور الفقار، وهي ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العقب.

(٣) أي: عند الحنابلة.

## فصل

وحدُ الغنى الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين: أن يكون مالكاَ لخمسين درهماً، أو عدلها من الذهب، سواء كان ذلك يقوم بكفايته، أو لا يقوم. والثاني: أن يكون له كفاية، إما من صناعة، أو أجرة عقار، أو عروض للتجارة يقوم ربها بكفايته. وقال أبو حنيفة: الاعتبار في ذلك أن يكون مالكاَ لنصاب تجب عليه فيه الزكاة. فأما ذوو القربى الذين تحرم عليهم الصدقة، فهم بنو هاشم، وبنو المطلب. وقال أبو حنيفة: تحرم على ولد هاشم، ولا تحرم على ولد المطلب. ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبنو المطلب ويأخذ عمالته منها، خلافاً لأبي حنيفة. فأما موالي بني هاشم وبنو المطلب، فتحرم عليهم الصدقة، خلافاً لمالك. ولا يجوز أن يعطي صدقته مَنْ تلزمه نفقته؛ وبه قال مالك، والثوري. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يعطي والدًا وإن علا، ولا ولدًا وإن سفل، ولا زوجة، ويعطي مَنْ عداهم. فأما الذمي؛ فالأكثر على أنه لا يجوز إعطاؤه. وقال عبيد الله بن الحسن: إذا لم يجد مسلماً، أعطى الذمي. ولا يجب استيعاب الأصناف، ولا اعتبار عدد من كل صنف؛ وهو قول أبي حنيفة، ومالك؛ وقال الشافعي: يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة. فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تقصر فيه الصلاة، فلا يجوز له ذلك، فإن نقلها لم يُجزئه؛ وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يكره نقلها، وتجزئه. قال أحمد: ولا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً. وقال أبو حنيفة: أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، وإن أعطيته أجزاءً. فأما الشافعي، فاعتبر ما يدفع الحاجة من غير حد. فإن أعطى من يظنه فقيراً، فبان أنه غني، فهل يجوز؟ فيه عن أحمد روايتان.

﴿وَتَمِّمُوا إِلَيْهِمْ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُوا هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمُنَا بِاللهِ وَتَوَكُّوْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَيَنْكُرُوا﴾  
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَمِّمُوا إِلَيْهِمْ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن خذام بن خالد، والجلاس بن سويد، وعبيد بن هلال في آخرين، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فإننا نخاف أن يبلغه فيقع بنا، فقال الجلاس: بل نقول ما شئنا، فإنما محمد أدنى سامعة، ثم نأتيه فيصدقنا؛ فنزلت هذه الآية؛ قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من المنافقين يقال له: نَبْتَلُ بن الحارث، كان ينم حديث رسول الله ﷺ إلى المنافقين، ف قيل له: لا تفعل؛ فقال: إنما محمد أدنى، مَنْ حَدَّثَهُ شيئاً، صدقه؛ نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فنزلت هذه الآية؛ قاله محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup>. والثالث: أن ناساً من المنافقين منهم جلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، اجتمعوا، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحرقوه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقاً، لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إن ما يقوله محمد حق، وإنكم لشر من الحمير؛ ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامراً كاذب، وحلف عامر أنهم كذَّبوا، وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبيِّنَ صدق الصادق، وكذب الكاذب؛ فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لَيْسَ بِكُمْ﴾، قاله السدي<sup>(٢)</sup>. فأما الأدنى فهو عيبه ونقل حديثه. ومعنى ﴿أَدْنَىٰ﴾ يقبل كل ما قيل له. قال ابن قتبية: الأصل في هذا أن الأدنى هي السامعة، ف قيل لكل من صدَّق بكل خير يسمعه: أدنى. وجمهور القراء يقرؤون ﴿هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ﴾ بالتثنية. وقرأ نافع ﴿هُوَ أَدْنَىٰ قُلْ أَدْنَىٰ خَيْرٌ﴾ بإسكان الذال فيها. ومعنى ﴿أَدْنَىٰ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: أدنى خير، لا أدنى شر؛ يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشر إذا سمعه. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن يعمر، وابن أبي عتبة ﴿أَدْنَىٰ﴾ بالتثنية «خير» بالرفع. والمعنى: إن كان كما قلت، يسمع منكم ويصدقكم، خير لكم من أن يكذبكم. قال أبو علي: يجوز أن تطلق الأذن على الجملة، كما قال الخليل، إنما سميت التاب من

(١) «الطبري» ٣٢٥/١٤، و «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٤٣ من السدي، وأورده «الطبري» ٣٢٩/١٤، ٣٣٠ عن قتادة سبباً لنزول الآية التي بعدها ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لَيْسَ بِكُمْ﴾.

وأورده السيوطي كذلك في «الدر» ٢٥٣/٣ عن قتادة من طريق ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وعن السدي من طريق ابن أبي حاتم.

الإبل، لمكان الباب البازل، فسميت الجملة كلها به، فأجروا على الجملة اسم الجارحة لإرادتهم كثرة استعماله لها في الإصغاء بها. ثم بين ممن يقبل، فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الباء واللام زائدتان؛ والمعنى: يصدق الله ويصدق المؤمنين. وقال الزجاج: يسمع ما ينزله الله عليه، فيصدق به، ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي: وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين. وقرأ حمزة «ورحمته» بالخفض. قال أبو علي: المعنى: أذن خير ورحمة. والمعنى: مستمع خير ورحمة.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَكُمُ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَكُمُ﴾ قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع النبي ﷺ، أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم، ويحلفون ويعتلون. وقال مقاتل: منهم عبد الله بن أبي، حلف لا يتخلف عن رسول الله ﷺ، وليكوننَّ معه على عدوه. وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالغيب. وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في «ليرضوكم» بمعنى القسم، والمعنى: يحلفون بالله لكم ليرضيتكم. قال: وهذا خطأ، لأنهم إنما حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليَرْضُوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يَرْضُون في المستقبل. قلت: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزجاج، وقد مال إليه الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالتوبة والإنابة. والثاني: بترك الطعن والغيب. فإن قيل؛ لم قال: «يَرْضَوْهُ» ولم يقل: يرضوهما؟ فقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَلَا يُفْقِهَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿أَلَمْ يَلْمِزُوا أَنَّهُمْ يُحَادِدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبْدَلَهُمْ اللَّهُ خَلْقَهُمْ فَبَدَّلَ الْآخِزِينَ الْمَغْلُوبِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَلْمِزُوا﴾ روى أبو زيد عن المفضل «ألم تعلموا» بالتاء. «أَنْتُمْ مَنْ يُحَادِدُونَ اللَّهَ» فيه قولان: أحدهما: من يخالف الله، قاله ابن عباس. والثاني: من يعادي الله، كقولكم: من يُجَانِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أي: يكون في حد، واللّه ورسوله في حد.

قوله تعالى: ﴿فَأَبْدَلَهُمْ خَلْقَهُمْ﴾ قرأ الجمهور: «فأن» بفتح الهمزة. وقرأ أبو رزين، وأبو عمران، وابن أبي عملة: بكسرها. فمن كسر، فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم. ودخلت «إن» مؤكدة. ومن قال: «فأن له» فإنما أعاد «أن» الأولى تأكيداً؛ لأنه لما طال الكلام، كان إعادتها أؤكد.

﴿يَحْذَرُ الْكَافِرُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَبْرَأُوا إِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ مَا تَحْذَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْكَافِرُونَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المنافقين كانوا يعيرون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد. والثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أني مجلذت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(١)</sup>. والثالث: أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل ﷺ ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان. وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ الْكَافِرُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه إخبار من الله ﷻ عن حالهم، قاله الحسن، وقتادة، واختاره ابن القاسم. والثاني: أنه أمر من الله ﷻ لهم بالحرز، فتقديره: ليحذر المنافقون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ الخبر، فيقولون: يرحم الله المؤمن، ويعذب الكافر؛ يريدون: ليرحم وليعذب، فيسقطون اللام، ويَجْرُونَ مجرى الخبر في الرفع، وهم لا ينون إلا الدعاء؛ والدعاء مضارع للأمر.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اسْتَبْرَأُوا﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديداً. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ مَا تَحْذَرُونَ﴾ وجهان: أحدهما: مظهر ما سَيَرُونَ. والثاني: ناصر من تخللون، ذكرهما الماوردي.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَخْشَى وَلَكِنَّهُ قُلِ الْإِلَهِ وَآلِهَتُهُ وَرَسُولُهُ كَسُتُمْ سُسْرَتُونَ﴾ لَا تَسْتَدْرِكُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِسْنِكُمْ إِنْ تَكْفُ عَنْ طَاعَتِهِ يَنْكُفْ عَنْكُمْ تَمَذَّتْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِيكَ﴾





أولياء بعض، ﴿يَأْمُرُونَ بِالشُّكْرِ﴾ وهو الكفر، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان. وفي قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: عن كل خير، قاله قتادة. والثالث: عن الجهاد في سبيل الله. والرابع: عن دفعها في الدعاء إلى الله تعالى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ﴾ قال الزجاج: تركوا أمره، فتركهم من رحمته وتوفيقه. قال: وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: هي كفاية ذنوبهم، كما تقول: عَذْبُكَ حَسْبُ فِطْلِكَ، وحَسْبُ فلان ما نزل به، أي: ذلك على قدر فعله. وموضع الكاف في قوله: ﴿كَأَلَيْكَ مِنْ فَيْلِكُمْ﴾ نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم. وقال غيره: رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم، وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبيهم من الآخرة في الدنيا. وقال الزجاج: بحظهم من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ﴾ أي: في الطعن على الذين وتكذيب نبيكم كما خاضوا. ﴿أَوَلَيْكَ حِطَّةٌ عَمَّا تَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا﴾ لأنها لم تقبل منهم، وفي الآخرة، لأنهم لا يثابون عليها، ﴿وَأَوَلَيْكَ هُمُ الْخَائِرُونَ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمٍ إِزْرِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد نمروذ بن كنعان ﴿وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ﴾ يعني قوم شعيب. ﴿وَالْمُؤَيَّدِينَ﴾ قرى لوط. قال الزجاج: وهم جمع مؤنثكة، انتفكت بهم الأرض، أي: انقلبت. قال: ويقال: إنهم جميع من أهلك، [كما] يقال للهالك: انقلبت عليه الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني هذه الأمم ﴿رُشِلُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوا بها، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ قال ابن عباس: ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبياً ينذرهم، والمعنى أنهم أهلكوا باستحقاقهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤِثِّرُونَ الصَّالَةَ وَيُؤْثِرُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ وَلَسَبَتْ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ مَرْجُونَ رَبِّكَ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي: بعضهم يوالي بعضاً، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ قال أبو عبيدة: في جنات خُلد، يقال: عَدَنَ فلان بَارِضَ كَذَا، أي: أقام؛ ومنه: المعْدِن، وهو في مَعْدِنٍ صدق، أي: في أصل ثابت. قال الأعشى:

وإِنْ تَسْتَضِيفُوا إِلَى جِلْمِهِ تُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنَ<sup>(١)</sup>

أي: رزين لا يُسْتَخَف. قال ابن عباس: جنات عدن، هي بُطْنَانُ الْجَنَّةِ، وبُطْنَانُهَا: وسطها، وهي أعلى درجة في الجنة، وهي دار الرحمن ﷻ، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسليم، والجنان حولها محدقة بها.

قوله تعالى: ﴿وَمَرْجُونَ رَبِّكَ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: أكبر مما يوصف. وقال الزجاج: أكبر مما هم فيه من النعيم. فإن قيل: لم كان الرضوان أكبر من النعيم؟ فاعنه جوابان: أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب، وذلك أكبر من نعيم الأكل والشرب. وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضىتم؟ فيقولون: رينا وما لنا لا نرضى، وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أفلا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الموجب للنعيم الرضوان، والموجب ثمرة الموجب، فهو الأصل.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جِهَدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَأَمْرُهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

(١) «ديوانه» ١٧، و«مجاز القرآن» ١/ ٢٦٤، و«الطبري» ١٤/ ٣٥٠، و«اللسان»: وزن. واستضاف إليه: لجأ إليه عند الحاجة.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١١/ ٣٦٣ - ٣٦٤، و«مسلم» ٤/ ٢١٧٦.

قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أما جهاد الكفار، فبالسيف. وفي جهاد المنافقين قولان: أحدهما: أنه باللسان، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس. والثاني: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، روي عن الحسن، وقاتدة. فإن قيل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم، فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم؟ فالجواب: أنه إنما أمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فأما من إذا أطلع على كفره، أنكر وحلف وقال: إني مسلم، فإنه أمر أن يأخذه بظاهر أمره، ولا يبحث عن سره.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد شدة الانتهاز لهم، والنظر بالبغضة والمقت. وفي الهاء والميم من «عليهم» قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الفريقين، قاله ابن عباس. والثاني: إلى المنافقين، قاله مقاتل. ﴿يَحِلُّونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَمْ يُرَوْا بِمَقْرِبَتِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

نصير (٧٤)

قوله تعالى: ﴿يَحِلُّونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ذكر المنافقين فعابهم؛ فقال الجلاس بن سويد: إن كان ما يقول على إخواننا حقاً، لنحن شر من الحمير. فقال عامر بن قيس: والله إنه لصق، ولأنتم شر من الحمير؛ وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأتى الجلاس فقال: ما قلت شيئاً، فحلفا عند المنبر، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وذهب إلى نحوه الحسن، ومجاهد، وابن سيرين. والثاني: أن عبد الله بن أبي قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعر من أذانها، فسمعه رجل من المسلمين، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. والثالث: أن المنافقين كانوا إذا خَلَوْا، سَبُّوا رسول الله ﷺ وأصحابه، وطعنوا في الدين؛ فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئاً، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما كلمة الكفر، فهي سبهم رسول الله ﷺ، وطعنهم في الدين. وفي سبب قوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ابن أبي حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنها نزلت فيهم حين همُّوا بقتل رسول الله، رواه مجاهد عن ابن عباس، قال: والذي هم رجل يقال له: الأسود. وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلاً، همُّوا بقتله ليلة العقبة. والثالث: أنه لما قال بعض المنافقين: إن كان ما يقول محمد حقاً، فنحن شر من الحمير؛ وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شر من الحمير، هم المنافق بقتله؛ فذلك قوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾، هذا قول مجاهد. والرابع: أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجاً نباهي به رسول الله ﷺ؛ فلم ينالوا ما همُّوا به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون من الله إلا الصنع، ومثله قول الشاعر:

مَا نَقَمَ النَّاسُ مِنْ أَمِيَّةٍ إِلَّا  
وَأَتَاهُمْ سَادَةُ الْمُؤْذِكِ وَلَا

وهذا ليس مما ينقم، وإنما أراد، أن الناس لا ينقمون عليهم شيئاً، وكقول النابغة:

يَهْنُ فُلُوكَ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُؤَنَّهُمْ

أي: ليس فيهم عيب. قال ابن عباس: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضنك من معاشهم، فلما قدم عليهم، غنموا، وصارت لهم الأموال. فعلى هذا، يكون الكلام عاماً. وقال قتادة: هذا في عبد الله بن أبي. وقال عروة: هو

(١) البيهقي لعبد الله بن قيس الرقيات «ديوانه» ٤، و«الكامل» ٦٤٨، و«طبقات فحول الشعراء» ٥٣٣، و«مجاز القرآن» ١٧٠/١، و«الأغاني» ١٦٠/٤، و«غريب القرآن» ١٩٠، و«السمط» ٢٩٥، و«شواهد المغني» ٢١١، و«الخرائج» ٢٦٨/٣.

(٢) «ديوانه» ١١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٦١، و«العمدة» ٤٥/٢، و«المصنف» ٤٠٨.



الجلال بن سويد، قُتل له مولى، فأمر له رسول الله ﷺ بديته، فاستغنى؛ فلما نزلت ﴿فَإِنْ يَتُوبَا يَكَ خَيْرًا لَّكَ﴾ قال الجلاس: أنا أتوب إلى الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتُوبَا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان. قال ابن عباس: كما تولى عبد الله بن أبي، ﴿يَعِدُّهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدِّينِ﴾ بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطبيقه» قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: «أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة، لسارت» فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً، لأوتيت كل ذي حق حقه. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً فاتخذ غنماً، فتمت، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، ونزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما. ثم نمت، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم نمت، فترك الجمعة. فسأل عنه رسول الله ﷺ، فأخبر خبره، فقال: «يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!» وأنزل الله تعالى: ﴿حُذِرْنَ أَنْزَلْنَاهُ سِدْرَةً﴾ [التوبة: ٩]، وأنزل فرائض الصدقة؛ فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، وكتب لهما كتاباً يأخذان الصدقة، وقال: «مرا بشعلبة، وبفلان» رجل من بني سليم، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ؛ فقال: ما هذا إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي. فانطلقا؛ فأخبر السلمي، فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك؛ فقال: خذاه، فلن نفسي بذلك طيبة؛ فأخذاه منه. فلما فرغا من صدقتهما، مرا بشعلبة فقال: أروني كتابكما، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فأخبرا رسول الله ﷺ بما كان، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿بِمَا كَاثُرًا يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فخرج إلى ثعلبة، فأخبره؛ فأتى رسول الله، وسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: «إن الله قد منعتني أن أقبل منك صدقتك»؛ فجعل يحثو التراب على رأسه. فقال: «هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني». فرجع إلى منزله. وقبض رسول الله، ولم يقبل منه شيئاً، فلما ولي أبو بكر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عمر، سأله أن يقبل منه، فأبى. فلما ولي عثمان، سأله أن يقبلها؛ فقال: لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، فلم يقبلها؛ وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه. روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي<sup>(١)</sup>. قال ابن عباس: مر ثعلبة على مجلس، فأشهدهم على نفسه: لئن آتاني الله من فضله، آتيت كل ذي حق حقه، وفعلت كذا وكذا. فاتاه الله من فضله، فأخلف ما وعد؛ فقص الله علينا شأنه. والثاني: أن رجلاً من بني عمرو بن عوف، كان له مال بالشام، فأبطأ عنه، فجهده له جهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتانا من فضله، أي: من ذلك المال، لأصدقن منه، ولأصلن، فاتاه ذلك المال، فلم يفعل، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس. قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة. والثالث: أن ثعلبة، ومعتب بن قشير، خرجا على ملأ، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصدقن. فلما رزقهما، بخلا به، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: أن نبتل بن الحارث، وجد بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصدقن. فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما التفسير، فقوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ أي: قال: علي عهد الله ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ الأصل: لنصدقن، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها. ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير. وقد روى كهْمَس عن معبد بن ثابت أنه قال: إنما هو شيء نؤوه في أنفسهم ولم يتكلموا به؛ ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمَنٌ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمَنٌ وَتَجَوَّهْتُمْ؟﴾

(١) «الطبري» ٣٧١/١٤ - ٣٧٢ وخرجه البهيمي في «المجمع» ٣١/٧ - ٣٢ وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهماني وهو متروك. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف»: رواه الطبراني، والبيهقي في «الدلائل» و«الشعب» وابن أبي حاتم، والطبري، وابن مرفوعه، كلهم من طريق علي بن يزيد الألهماني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة، وقال: وهذا إسناده ضعيف جداً.



﴿فَلَمَّا مَاتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ جَحَلُوا يَدَهُمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا مَاتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِمْ﴾ أي: ما طلبوا من المال: ﴿جَحَلُوا يَدَهُمْ﴾ ولم يفوا بما عاهدوا ﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن عهدهم.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٧٧) أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغَيْبَ﴾ (٧٨)

قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: صير عاقبة أمرهم النفاق. وفي الضمير في «أعقبهم» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم بخلهم بما نذروا نفاقًا، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ يَسْمَعُوا﴾ يعني المنافقين: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ حديثهم بينهم.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩)

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنه لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لَنَعْيٍ عن صاع هذا، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله أبو مسعود<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام؛ فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء، وإن كان الله ورسوله لَنَعْنِينَ عن هذا الصاع، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الأنصاري قولان: أحدهما: أنه أبو خيثمة، قاله كعب بن مالك. والثاني: أنه أبو عقيل. وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال: أحدها: عبد الرحمن بن يَسْجَانَ، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ ويقال: ابن يَسْجَانَ، ويقال: سَيْحَان<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: هو أبو عقيل بن قيس. والثاني: أن اسمه الْحَبَّابُ، قاله قتادة. والثالث: الْحَبَّابُ. قال قتادة: جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف، وجاء عاصم بن عدي بن الْعَجْلَانِ بمائة وَسَقٍ من تمر. و ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعني يعيبون. و ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي: المتطوعين، قال الفراء: أدغمت التاء في الطاء، فصارت طاءً مشددة. والجهد لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الجهد. قال أبو عبيدة: الجهد، بالفتح والضم سواء، ومجازه: طاقتهم. وقال ابن قتيبة: الجهد: الطاقة؛ والجهد: المشقة. قال المفسرون: غني بالمطَّوِّعِينَ عبد الرحمن، وعاصم، وبالذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل. وقوله: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: جازاهم على فعلهم، وقد سبق هذا المعنى.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠)

قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم»؛ فنزل قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [البناقرن: ٤٦]، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وظاهر قوله: «استغفر لهم» الأمر، وليس كذلك؛ إنما المعنى: إن استغفرت، وإن لم تستغفر، لا يُغْفَرُ لَهُمْ، فهو كقوله: ﴿أَسْفَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣]، وقد سبق شرح هذا المعنى هناك، هذا قول المحققين. وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على

(١) «الطبري» ٣٨٨/١٤، «البخاري» ٢٣٤/٣، «أ/٢٤٩»، «مسلم» ١٠٥/٧، «أسباب النزول» للواحدي ١٤٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/٢٦٢ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في «المعرفة».

(٢) في الأصل: ابن مسعود، وكذا جاء في «الدر» وهو خطأ، والتصويب من المراجع التي ذكرت في التعليق السابق، وأبو مسعود: هو أبو مسعود الأنصاري البصري، واسمه عتبة بن عمرو بن ثعلبة، صاحب رسول الله ﷺ شهد العقبة.

(٣) «الطبري» ٣٨٢/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) انظر «فتح الباري» ٢٤٩/٨، فقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام على أبي عقيل هذا.

السبعين، رجي لهم الغفران. ثم نسخت بقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾. فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أخبر بأنهم كفروا؟ فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر. فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟ فالجواب: أن العرب تستكثر في الأحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

﴿تَرَى الْمَخْلُوفِينَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجْعِدُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَرَى الْمَخْلُوفِينَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. والمخلف: المتروك خلف من مضى. «بمقعدهم» أي: بقعودهم. وفي قوله: ﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة. والثاني: أن معناه: مخالفة رسول الله ﷺ، وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ، قاله الزجاج. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ»، ومعناها: أنهم تأخروا عن الجهاد. وفي قوله: ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ قولان: أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي. وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر. ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ لمن خالف أمر الله. وقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ معناه: يعلمون. قال ابن فارس: الفقه: العلم بالشيء. تقول: فقهت الحديث أفقهه؛ وكل علم بشيء: فقه. ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه. قال المصنف: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفقه: فهم الشيء. وبعضهم يختار أن يقال: علم الشيء.

﴿تَلَيْسَ كَمَا لَيْلًا وَلَيْسَ كَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَلَيْسَ كَمَا لَيْلًا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه التهديد. وفي قوله ضحكهم وجهان: أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لما يتوجه إليهم من الوعيد. والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، ويقاؤها قليل. ﴿وَلَيْسَ كَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في الآخرة. قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليجدون الدموغ في النار، حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليجدون الدم بعد الدموغ، فلمثل ما هم فيه فليكني. قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من النفاق والمعاصي.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لِيُخْرِجَ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقْبِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْبِلُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ أي: ردك من غزوة تبوك إلى المدينة ﴿إِلَى طَائِفَةٍ﴾ من المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر. وإنما قال: ﴿إِلَى طَائِفَةٍ﴾ لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقاً. ﴿فَاسْتَدْرَكَ لِيُخْرِجَ﴾ معك إلى الغزو، ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ إلى غزاة، ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ﴾ عني ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك. وذكر الماوردي في قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قولين: أحدهما: أول مرة دُعيتهم. والثاني: قبل استئذانكم. فأما الخالفون، فقال أبو عبيدة: الخالف: الذين خلف بعد شاخص، فقدع في رحله، وهو الذي يتخلف عن القوم. وفي المراد بالخالفين قولان: أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلفوا لأعدار، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم النساء والصبيان، قاله الحسن، وقتادة.

﴿وَلَا تُسَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا تَأْتُوا مِنْهُمْ فَيَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ سبب نزولها: أنه لما توفي عبد الله بن أبي، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه؛ فقال: آذني أصلي عليه، فأذنه؛ فلما

أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر بن الخطاب، وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خيرتين: «اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» [التوبة: ٨١] فصلى عليه، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، رواه نافع عن ابن عمر. قال قتادة: «ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى، والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه»<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رآوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ، وأراد الصلاة عليه. فأما قوله: «منهم» فإنه يعني المنافقين. وقوله: «وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبِهِ» قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ، إذا دفن الميت، وقف على قبره ودعا له<sup>(٣)</sup>؛ فنهى عن ذلك في حق المنافقين. وقال ابن جرير: معناه لا تتولّ دفنه؛ وهو من قولك: قام فلان بأمر فلان؛ وقد تقدم تفسيره.

﴿وَلَا تُحِبُّكَ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُغْنِيَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَزَكِّيَ أَنْفُسَكُمْ وَهُمْ كَكُفْرٍ ۚ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِهَا وَنَجَّيْنَاهَا مِنْ رَسُولِهِ أَسْتَنْذَكُوا أَوَّلًا الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَائِمِينَ ۚ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَلَغَ عَلَى قُلُوبِهِمْ نَهْمٌ لَا يَقْنَهُوا ۚ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَهْدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلِيَّتِكُمْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ ۚ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ۝٨٥﴾  
قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحِبُّكَ أَمْوَالُكُمْ﴾ سبق تفسيره [التوبة: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ هذا عام في كل سورة. وقال مقاتل: المراد بها سورة (براءة).  
قوله تعالى: ﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ أي: بأن آمنوا. وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: استديموا الإيمان. والثاني: افعلوا فعل من آمن. والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بالستكم، فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين.  
قوله تعالى: ﴿أَسْتَنْذَكُوا﴾ أي: في التخلف ﴿أَوَّلًا الْقَوْلَ﴾ يعني الغنى، وهم الذين لا عذر لهم في التخلف. وفي «الخوالف» قولان: أحدهما: أنهم النساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وشمر بن عطية، وابن زيد، والبراء. وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون الخوالف هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل، غير أنهم قد قالوا: فارس، والجميع: فوارس، وهالك [في قوم] هوالك. قال ابن الأنباري: الخوالف لا يقع إلا على النساء، إذ العرب تجمع فاعلة: فواعل؛ فيقولون: ضاربة، وضارب، وشاتمة، وشواتم؛ ولا يجمعون فاعلاً: فواعل، إلا في حرفين: فوارس، وهوالك؛ فيجوز أن يكون مع الخوالف: المتخلفات في المنازل. ويجوز أن يكون: مع المتخلفات العاصيات. ويجوز أن يكون: مع النساء العجزة اللاتي لا مدافعة عندهن. والقول الثاني: أن الخوالف: خساس الناس وأدنياؤهم؛ يقال: فلان خالفة أهله: إذا كان دونهم، ذكره ابن قتيبة؛ فأما «طَبَعَ»، فقال أبو عبيدة: معناه: ختم. و«الخيرات» جمع خيرة. وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الفاضلات من كل شيء، قاله أبو عبيدة. والثاني: الجواري الفاضلات، قاله المبرّد. والثالث: غنائم الدنيا ومنافع الجهاد، ذكره الماوردي.

﴿وَبِمَا أَلْمَزْتُمْ مِنْ الْأَعْرَابِ لِيُذَكِّرَ لَهُمْ وَقَدْ آذَيْنَ كَذِبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٨٦﴾  
قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَلْمَزْتُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود: «المعتذرون». وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن يعمر، ويعقوب «المُعْزِرُونَ» بسكون العين وتخفيف الذال. وقرأ ابن السميع «المعاذرون» بألف. قال أبو عبيدة: المعتذرون من يعتذر وليس بجاد، وإنما يعرض بما لا يفعله، أو يظهر غير ما في نفسه. وقال ابن قتيبة: يقال: عذرت في الأمر: إذا قصرت، وأعذرت: جددت. وقال الزجاج: من قرأ «المُعْزِرُونَ» بتشديد الذال، فتأويله: المعتذرون الذين يعتذرون، كان لهم عذر، أو لم يكن، وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر، وأنشدوا:

- (١) «الطبري» ٤٠٦/١٤، و«البخاري» ١١٠/٣، و«مسلم» ١٧/٢٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/٢٦٦، وزاد نسيه لابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».
- (٢) «الطبري» ٤١٠/١٤، والسيوطي في «الدر» ٢/٢٦٦.
- (٣) عن عثمان بن عفان ؓ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل» رواه أبو داود رقم (٣٢٢١) وهو حديث صحيح، وفيه دلالة على مشروعية الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه، وسؤال التثبيت له، أي: أن ينشئه الله في الجواب، وفيه دلالة على سؤال القبر، وقد ورد في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة.







مغفل. وبعض الناس يقول: بل، عبد الله بن عمرو المزني، وعرباض بن سارية، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف. وقال مجاهد: نزلت في بني مقرن، وهم سبعة؛ وقد ذكروهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن. وقال أبو خيثمة: هو النعمان بن مقرن، وسويد بن مقرن، ومعل بن مقرن، وسنان بن مقرن، وعقيل بن مقرن، وعبد الرحمن بن مقرن، وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرن. وقال الحسن البصري: نزلت في أبي موسى وأصحابه. وفي الذي طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدواب، قاله ابن عباس. والثاني: الزاد، قاله أنس بن مالك. والثالث: النعال، قاله الحسن.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ لَكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٤﴾  
تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذَابِ فَتُنَفَّسُونَ فِيهَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، يعتذرون إليكم إذا رجعت من غزوة تبوك، فلا تعذروهم فليس لهم عذر. فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لن نصدقكم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر ﴿وَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ إن علمتم خيراً وتبتم من تخلفكم ﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَذَابِ الْعَذَابِ فَتُنَفَّسُونَ فِيهَا﴾ فيخبركم بما كنتم تعملون في السر والعلانية.

﴿سَيَحْمِلُونَ إِلَهُكُمْ إِذَا أَفْلَحْتُمْ إِلَيْهِمْ يُعْرَضُونَ عَنْهُمْ فَاعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ وَابِدُونَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِكَيْسَبُونَ ٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَحْمِلُونَ إِلَهُكُمْ﴾ قال مقاتل: حلف منهم بضعة وثمانون رجلاً، منهم جَدُّ بن قيس، ومُعْتَب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿يُعْرَضُونَ عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: لتصفحوا عن ذنبهم. والثاني: لأجل إعراضكم. وقد شرحنا في [المائدة: ٩٠] معنى الرجس.

﴿يَحْمِلُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ فَإِنَّ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْفَاسِقِينَ ٩٦﴾  
قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: حلف عبد الله بن أبي النبي ﷺ: لا أتخلف عنكم، ولا كونن معك على عدوك؛ وطلب منه أن يرضى عنه، وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعمر بن الخطاب، وجعلوا يترضون النبي ﷺ وأصحابه، وكان رسول الله ﷺ قال لما قدم المدينة: ﴿لا تجالسوهم ولا تكلموهم﴾<sup>(١)</sup>.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٩٧﴾  
قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا﴾ قال ابن عباس: نزلت في أعراب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة، لأنهم أفسى وأجفى من أهل الحضر.

قوله تعالى: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ قال الزجاج: «أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من «أن»، المعنى: أجدر بترك العلم. تقول: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليف بأن تفعل، أي: هذا الفعل ميسر فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ «أن»، وإن آتيت بالباء، صلح بـ «أن» وغيرها، فنقول: أنت جدير بأن تقوم، وجدير بالقيام. فإذا قلت: أنت جدير القيام، كان خطأ، وإنما صلح مع «أن» لأن «أن» تدل على الاستقبال، فكانها عوض من المحذوف. فاما قوله: ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فيعني به الحلال والحرام والفرائض. وقيل: المراد بالآية أن الأعم في الحرب هذا.

﴿وَيَنْزِلُ الْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا بَيْنَ قَرْنَيْنِ مَقَرًّا وَيَرْتَضِ بِكُمْ الدُّوَابَّ عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ الْوَعْدِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٩٨﴾  
قوله تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ الْأَعْرَابُ مَنْ يَتَّخِذُ مَا بَيْنَ قَرْنَيْنِ﴾ إذا خرج في الغزو، وقيل: ما يدفعه من الصدقة ﴿مَقَرًّا﴾ لأنه لا يرجو له ثواباً. قال ابن قتيبة: المغرم: هو الغرم والخسر. وقال ابن فارس: الغرم: ما يلزم أداؤه، والغرام: اللزوم، وسمي الغريم لإلحاحه. وقال غيره: الغرم: التزام ما لا يلزم.

(١) أخرجه السيوطي في «الدرر» ٢٦٨/٣، من طريق ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن السدي بنحوه.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْصُدْ﴾ أي: وينتظر ﴿يَكُرُّ الدَّوَابُّ﴾ أي: دوائر الزمان بالمكروه، بالموت، أو القتل، أو الهزيمة. وقيل: ينتظر موت الرسول ﷺ، وظهور المشركين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ذَاكِرَةُ السَّوْءِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم السين. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحزمة، والكسائي: «السَّوء» بفتح السين؛ وكذلك قرؤوا في سورة [الفتح: ٦]، والمعنى: عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء. قال الفراء: وفتح السين من السَّوء هو وجه الكلام. فمن فتح، أراد المصدر من: سُوئُهُ سُوءاً وَمَسَاءَةً. ومن رفع السين، جعله اسماً، كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب. ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مریم: ٢٨] ولا في قوله: ﴿وَلَقَدْ نُنْتَظِرُكَ السَّوْءَ﴾ [الفتح: ١٢] لأنه ضدُّ لقولك: رَجُلٌ صِدْقٌ. وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء، فيضم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّا قُرْبَةً لَهُمُ لَنُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: وهم من أسلم من الأعراب، مثل جُهينة، وأسلم، وغِفَار. وفي قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ قولان: أحدهما: في الجهاد. والثاني: في الصدقة. فاما القربات، فجمع قُرْبَةٍ، وهي: ما يقرب العبد من رضى الله ومحبه. قال الزجاج: وفي القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء، وفتحها، وإسكانها. وفي المراد بصلوات الرسول قولان: أحدهما: استغفاره، قاله ابن عباس. والثاني: دعاؤه، قاله قتادة، وابن قتيبة، والزجاج، وأنشد الزجاج:

عليك مثل الذي صَلَّى فَاعْتَجِظِي

نَزَمًا، فَإِنَّ لِحَنَ الْمَرْءِ مَضْطَجِعًا<sup>(١)</sup>

قال: إن شئت قلت: مثل الذي، ومثل الذي؛ فالأول أمرٌ لها بالدعاء، كأنه قال: ادعي لي مثل الذي دعوت. والثاني: بمعنى: عليك مثل هذا الدعاء.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّا قُرْبَةً لَهُمُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «قُرْبَةٍ» لهم خفيفة. وروى ورش، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبان، والمفضل عن عاصم: «قُرْبَةً لهم» بضم الراء. وفي المشار إليها وجهان: أحدهما: أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم. والثاني: إلى صلوات الرسول. قوله تعالى: ﴿سَيُؤْتِيهِمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال ابن عباس: في جته.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَضَعْنَا عَنْهُمْ أَزْوَاجَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فيهم ستة أقوال: أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقاتدة. والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وهي الحديبية، قاله الشعبي. والثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم سبق بصحبته. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾. والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، ذكره الماوردي. والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ قرأ يعقوب: «والأنصار» برفع الراء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ إلى أن تقوم الساعة.

(١) البيت لأعشى قيس من قصيدة يملح بها هوزة بن علي الحنفي، «ديوانه» ١٠١ و«اللسان»: صلى.

ومن قال هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدوا بهم في أفعالهم، ففُضِّل أولئك بالسبق، وإن كانت الصحة حاصلة للكل. وقال عطاء: اتباعهم بإحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحمون عليهم.

قوله تعالى: ﴿تَبَسَّرَ نَحْتَهَا أَلْأَنَّهُمْ﴾ قرأ ابن كثير: «من تحتها» فزاد «من» وكسر التاء الثانية.

قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يعم الكل. قال الزجاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفَقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَيْنَا عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُتَفَقُونَ﴾ قال ابن عباس: مزيئة، وجهيئة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كان فيهم بعد إسلامهم منافقون. قال مقاتل: وكانت منازلهم حول المدينة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ قال ابن عباس: مرنوا عليه وثبتوا، منهم عبد الله بن أبي، وجذ بن قيس، والجلال، ومعتب، ووخوح، وأبو عامر الراهب. وقال أبو عبيدة: عَتَوْا وَمَرَّتُوا عليه، وهو من قولهم: تمرَّد فلان، ومنه: شيطان مريد. فإن قيل: كيف قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا﴾، وليس يجوز في الكلام: من القوم قعدوا؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدهن: أن تكون «من» الثانية مردودة على الأولى، والتقدير: ومن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون، ثم استأنف «مردوا». والثاني: أن يكون في الكلام «مَنْ» مضمرة، تقديره: ومن أهل المدينة مَنْ مردوا؛ فأضمرت «مَنْ»، للدلالة «مِنْ» عليها، كقوله: ﴿وَمَا يَكُنْ إِلَّا لَكُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] يريد: إلا مَنْ له مقام معلوم؛ وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله: «منافقون». والثالث: أن «مَرَدُوا» متعلق بمنافقين، تقديره: ومن أهل المدينة منافقون مَرَدُوا، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: لا تعلمهم أنت حتى نُعَلِّمَكَ بهم. والثاني: لا تعلم عواقبهم.

قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ فيه عشرة أقوال: أحدها: أن العذاب الأول في الدنيا، وهو فضيحتهم بالنفاق، والعذاب الثاني: عذاب القبر، قاله ابن عباس. قال: وقام رسول الله ﷺ يوم الجمعة خطيباً، فقال: «يا فلان اخرج فإنك منافق، ويا فلان اخرج»<sup>(١)</sup> ففضحهم. والثاني: أن العذاب الأول: إقامة الحدود عليهم. والثاني: عذاب القبر؛ وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن أحد العذابين: الزكاة التي تؤخذ منه، والآخر: الجهاد الذي يُؤمرون به، قاله الحسن. والرابع: الجوع، وعذاب القبر، رواه شبل عن ابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال أبو مالك. والخامس: الجوع والقتل، رواه سفيان عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. والسادس: القتل والسبي، رواه معمر عن ابن أبي نجيع عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: القتل والأسر. والسابع: أنهم عُذِّبُوا بالجوع مرتين، رواه خُصَيْف عن مجاهد. والثامن: أن عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قاله ابن زيد. والتاسع: أن الأول: عند الموت، تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، والثاني: في القبر بمنكر ونكير، قاله مقاتل بن سليمان. والعاشر: أن الأول بالسيف، والثاني عند الموت؛ قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَيْنَا عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني عذاب جهنم.

﴿وَأَخْرَجُوا عَنْهَا سَبِيلًا وَأَخْرَجَ سَبِيلًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتَّوْبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْهَا سَبِيلًا﴾ اختلَفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنهم عشرة رهط تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فلما دنا رجوع رسول الله ﷺ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد. فلما رآهم رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ هؤلاء؟» قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلَّفوا عنك، فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتى تطلقهم أنت وتعذرهم، فقال: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا

(١) «الطبري» ١٤/٤٤١ - ٤٤٢، وخرجه البيهقي في «المجمع» ٣٣/٧، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقري، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

عني وتخلّفوا عن الغزو مع المسلمين» فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عن ابن عباس أن الذين تخلّفوا كانوا ستة، فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فلما نزلت هذه الآية، أطلقهم رسول الله ﷺ وعذرهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثة: أبو لبابة بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبة، ووديعة بن خذام الأنصاري. وقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وزيد بن أسلم: كانوا ثمانية. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا سبعة. والثاني: أنها نزلت في أبي لبابة وحده. واختلفوا في ذنبه على قولين: أحدهما: أنه خان الله ورسوله بإشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النزول على حكم سعد أنه الذبح، وهذا قول مجاهد<sup>(٣)</sup>، وقد شرحناه في [الأنفال: ٢٧]. والثاني: أنه تخلّف عن تبوك<sup>(٤)</sup>، قاله الزهري. فأما الاعتراف، فهو الإقرار بالشيء عن معرفة. والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التوبة والقبول.

قوله تعالى: ﴿خَطَرُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرُ سَيِّئًا﴾ قال ابن جرير: وضع الواو مكان الباء، والمعنى: بآخري سيء، كما تقول: خلطت الماء واللبن. وفي ذلك العمل قولان: أحدهما: أن العمل الصالح: ما سبق من جهادهم، والسيء: التأخر عن الجهاد، قاله السدي. والثاني: أن العمل الصالح: توبتهم، والسيء: تخلّفهم، ذكره الفراء. وفي قوله: «عسى» قولان: أحدهما: أنه واجب من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ترديد لهم بين الطمع والإشفاق، وذلك يصد عن الله والإهمال.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ صَدَقَةً﴾ قال المفسرون: لما تاب الله ﷻ على أبي لبابة وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق به عنا، فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً» فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>. وفي هذه الصدقة قولان: أحدهما: أنها الصدقة التي بذلوها تطوعاً، قاله ابن زيد، والجمهور. والثاني: الزكاة، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ وقرأ الحسن «تطهّهم بها» بجزم الراء. قال الزجاج: يصلح أن يكون قوله: «تطهّهم» نعتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة. والأجود أن يكون للنبي ﷺ، المعنى: فإنك تطهّهم بها ف «تطهّهم» بالجزم، على جواب الأمر، المعنى: إن تأخذ من أموالهم، تطهّهم. ولا يجوز في «تزكّيهم» إلا إثبات الياء، أتباعاً للمصحف. قال ابن عباس: «تطهّهم» من الذنوب، «وتزكّيهم»: تصلحهم. وفي قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: استغفر لهم، قاله ابن عباس. والثاني: ادع لهم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنْ صَلَوَاتُكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «إن صلواتك» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «إن صلاتك» على التوحيد. وفي قوله: ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: طمأنينة لهم أن الله قد قَبِلَ منهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: تثبيت وسكون. والثاني: رحمة لهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: قُرْبَةٌ لهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: وَقَارٌ لهم، قاله قتادة. والخامس: تزكية لهم، حكاه الثعلبي. قال الحسن، وقاتدة: وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خَلَفُوا.

(١) «الطبري» ٤٤٧/١٤ - ٤٤٨، و «أسباب النزول» لإلواحي ١٤٨، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) «الطبري» ٤٤٨/١٤ - ٤٤٩، والسيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) «الطبري» ٤٥١/١٤، والسيوطي في «الدر» ٢٧٢/٣، ونسبه لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد مختصراً. وعن سعيد بن المسيب مطولاً ونسبه للبيهقي.

(٤) «الطبري» ٤٥٢/١٤، وقال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: نزلت هذه الآية في المعتزتين بخطأ فعلهم في تخلّفهم عن رسول الله ﷺ وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة، أحدهم أبو لبابة. وقال ابن كثير ٣٨٥/٢: وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلفين المتلوّثين.

(٥) «الطبري» ٤٥٤/١٤ - ٤٥٥.



﴿أَنْزِلْ يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤) وَقُلْ أَتَعْمَلُوا بِسْمِيِّ اللَّهِ عَمَلًا مِثْلَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزِلْ يَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ قرأ الجمهور «يعلموا» بالياء. وروى عبد الوارث «تعلموا» بالتاء. وقوله: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: من عبده، تقول: أخذته منك، وأخذته عنك.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي يقبلها. ومثله ﴿حُذِرَ الْقَوْمُ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: اقبله.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَتَعْمَلُوا﴾ قال ابن زيد: هذا خطاب للذين تابوا.

﴿وَأَخْرَجُوا مُجِيزًا لِّلَّذِينَ يُدْعُونَ إِلَهًُا إِلَّا لِلَّهِ إِيَّاهُ يَحْكُمُونَ وَلِئَا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (١٠٦)

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُجِيزًا﴾ وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي «مرجون» بغير همز. والآية نزلت في كعب بن مالك، ومرة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكانوا فيمن تخلف عن تبوك من غير عذر، ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه، ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري؛ فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناس عن كلامهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: ﴿وَعَلَّ أَكْفَنْتَهُ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ﴾ [التوبة: ١١٨]. قال الزجاج: «وأخرون» عطف على قوله: «ومن أهل المدينة»، فالمعنى: منهم منافقون، ومنهم «أخرون مرجون» أي: مؤخرون؛ و «إما» لوقوع أحد الشيتين، والله تعالى عالم بما يصير إليه أمرهم، لكنه خاطب العباد بما يعلمون، فالمعنى: ليكن أمرهم عندكم على الخوف والرجاء. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بما يؤول إليه حالهم، حكيم بما يفعله بهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَافًا وَكُفْرًا وَتَفَرِّقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْرًا كَذَابًا لِّئِنْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «والذين» بواو، وكذلك هي في مصاحفهم. وقرأ نافع، وابن عامر: «الذين» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. قال أبو علي: من قرأ بالواو، فهو معطوف على ما قبله، نحو قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلُكِّرُ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١]، والمعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً. ومن حذف الواو، فعلى وجهين: أحدهما: أن يضم - ومنهم الذين اتخذوا - كقوله: أكفرتم، المعنى: فيقال لهم: أكفرتم. والثاني: أن يضم الخبر بعد، كما أضمر في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥]، المعنى: يُنتقم منهم ويعذبون. قال أهل التفسير: لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجداً قباء، ويعثوا إلى رسول الله ﷺ، فأتاهم فصلى فيه؛ حسدهم إخوانهم بنو عثم بن عوف، وكانوا من منافقي الأنصار، فقالوا: نبني مسجداً، ونرسل إلى رسول الله ﷺ فيصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام؛ وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، عاداه، فخرج إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وأبنوا لي مسجداً، فأني ذاهب إلى قصر فأتني بجند الروم فأخرج محمداً وأصحابه، فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء؛ وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً: خِذَام بن خالد ومن داره أخرج المسجد، وتبثل بن الحارث، وبيجاد بن عثمان، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وعبد بن حنيف، ووديع بن ثابت، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عامر، وابناء يزيد<sup>(١)</sup> ومجمع؛ وكان مجمع إمامهم فيه، ثم صلحت حاله، وبخزج جد عبد الله بن حنيف، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «ما أردت بما أرى؟» فقال: والله ما أردت إلا الحسنى، وهو كاذب. وقال مقاتل: الذي حلف مجمع. وقيل: كانوا سبعة عشر؛ فلما فرغوا منه، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد ابتئنا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه؛ فدعا بقميصه ليلسه، فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبرهم، فدعا معن بن عدي، ومالك بن الدخشم في آخرين، وقال: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدموه»

(١) كلها الأصل يزيد، والذي في «الطبري» وسيرة ابن هشام، وابن كثير، والدر: «زيد».

وأحرقوه، وأمر به رسول الله ﷺ أن يتخذ كُناسة تُلقي فيها الجيف<sup>(١)</sup>. ومات أبو عامر بالشام وحيداً غريباً. فاما التفسير، فقال الزجاج: «الذين» في موضع رفع، المعنى: ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً. و«ضراراً» انتصب مفعولاً له، المعنى: اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد. فلما حذفت اللام، أفضى الفعل فنصب. قال المفسرون: والضرار بمعنى المضارة لمسجد قباء، «وَكُفِّرُوا» بالله ورسوله «وَتَقَرَّبُوا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ» لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء جميعاً، فأرادوا تفريق جماعتهم، والإرصاد: الانتظار، فانتظروا به مجيء أبي عامر، وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار. «وَلَيَحْلِلَنَّ إِنْ أَرَدْنَا» أي: ما أردنا «إِلَّا الْخُسْفَى» أي: ما أردنا بابتلائه إلا الخسف؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: طاعة الله. والثاني: الجنة. والثالث: فعل التي هي أحسن من إقامة الدين والاجتماع للصلاة. وقد ذكرنا اسم الحالف.

﴿لَا تَقْعُدُوا فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رَبِّهِ رِجَالٌ مُّخْتَلِفُونَ أَنْ يَطْهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (١٠٨)

قوله تعالى: «لَا تَقْعُدُوا فِيهِ» أي: لا تصل فيه أبداً. «لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ» أي: بني على الطاعة، وبناء المتقون «مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» أي: منذ أول يوم. قال الزجاج: «مِنْ» في الزمان، والأصل: منذ ومذ، وهو الأكثر في الاستعمال. وجاز دخول «من» لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعض، ومثله قول زهير:

لِمَنْ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الْجَجْرِ أَقْوَنَ مِنْ جَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ

وقيل: معناه: من مر ججج ومن مر شهر. وفي هذا المسجد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة الذي فيه منبره وقبره. روى سهل بن سعد أن رجلين اختلفا في عهد رسول الله ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى، فقال أحدهما: هو مسجد الرسول، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «هو مسجدي هذا»<sup>(٢)</sup> وبه قال ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب. والثاني: أنه مسجد قباء، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، وعروة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والضحاك، ومقاتل. والثالث: أنه كل مسجد بني في المدينة، قاله محمد بن كعب.

قوله تعالى: «فِيهِ رِجَالٌ مُّخْتَلِفُونَ أَنْ يَطْهَرُوا» سبب نزولها أن رجلاً من أهل قباء كانوا يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية، أتاهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي أثنى الله به عليكم» فقالوا: إنا نستنجي بالماء<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا، المراد به الطهارة بالماء. وقال أبو العالية: أن يطهروا من الذنوب. «أَتَمَنَ أَسَسَ بَلَيْكُنَّ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بَلَيْكُنَّ عَلَى شَكَا جُرْبٍ هَكَذَا فَأَتَاهَا بِهِ فِي تَابِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٠٩)

قوله تعالى: «أَتَمَنَ أَسَسَ بَلَيْكُنَّ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «أسس» بفتح الألف في الحرفين جميعاً وفتح النون فيهما. وقرأ نافع، وابن عامر «أسس» بضم الألف «بنيانه» برفع النون. والبنيان مصدر يراد به المبني. والتأسيس: إحكام أس البناء، وهو أصله، والمعنى: المؤسس بنيانه متقياً يخاف الله ويرجو رضوانه خير، أم المؤسس بنيانه غير متق؟ قال الزجاج: وشفا الشيء: حرقه وحذه. والشفا مقصور، يكتب بالألف، ويشنى شفوان.

(١) «الطبري» ٤٦٨/١٤، وأورده السيوطي بنحوه في «الدر» ٢٧٧/٣.

(٢) «ديوانه» ٨٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٦٣. وروى الأصمعي: ومن دهر. قوله: من شهر، أراد: من شهر. وأقوين: خلون. والقنة: أعلى الجبل، أو هي الجبل الذي ليس بمشتر.

(٣) «الطبري» ٤٧٩/١٤، وأحمد في «المسند» ٣٣١/٥، و«مسلم» ١٠١٥/٢ بنحوه، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٣٤/٧ وقال: رواه كلاً أحمد، والطبراني باختصار، ورجالهما رجال الصحيح.

(٤) «الطبري» ٤٨٧/١٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٣.

(٥) السيوطي في «الدر» ٢٧٨/٣ بنحوه، ونسبه للطبراني، وأبي الشيخ، والحاكم، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿جُرُفٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي «جُرْف» مثقلاً. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «جُرْف» ساكنة الراء. قال أبو علي: فالضم الأصل، والإسكان تخفيف، ومثله: الشُّغْل والشُّغْل. قال ابن قتيبة: المعنى: على حرف جرف هائر. والجرف: ما يتجرف بالسيول من الأودية. والهائر: الساقط. ومنه: تهوّر البناء وانهار: إذا سقط. وقرأ ابن كثير، وحمزة «هار» بفتح الهاء. وأمال الهاء نافع، وأبو عمرو. وعن عاصم كالقراءتين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنبَارَ يَدٍ﴾ أي: بالباري ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾. قال الزجاج: وهذا مثل، والمعنى: أن بناء هذا المسجد كبناء على جرف جهنم يتهوّر بأهله فيها. وقال قتادة: ذكر لنا أنهم حفروا فيه حفرة، فروي فيها الدخان. قال جابر: رأيت المسجد الذي بني ضراراً يخرج منه الدخان.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ﴾ يعني: مسجد الضرار ﴿الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: شكاً ونفاقاً، لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بنائه، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: حسرة وندامة، لأنهم ندموا على بنائه، قاله ابن السائب ومقاتل. والثالث: أن المعنى: لا يزال هدم بنيانهم حرازة وغيظاً في قلوبهم، قاله السدي، والمبرد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «إلا» وهو حرف استثناء. وقرأ يعقوب «إلى أن» فجعله حرف جر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَقَطَّعَ» بضم التاء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «تَقَطَّعَ» بفتح التاء. ثم في المعنى قولان: أحدهما: إلا أن يموتوا، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة في آخرين. والثاني: إلا أن يتوبوا توبة تقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفریطهم، ذكره الزجاج.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَوَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِوَعْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَأَشْهِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفُرْقَانُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ سبب نزولها أن الأنصار لما بايعت رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً، قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فما لنا؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع، لا ثقل ولا نستقل، فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ الآية، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup>. فأما اشتراء النفس، فبالجهاد. وفي اشتراء الأموال وجهان: أحدهما: بالإنفاق في الجهاد. والثاني: بالصدقات. وذُكر الشراء هاهنا مجازاً، لأن المشتري حقيقة هو الذي لا يملك المشتري، فهو كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. والمراد من الكلام أن الله أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم عن ذلك بالجنة، فعبّر عنه بالشراء لما تضمن من عوض ومعوض. وكان الحسن يقول: لا والله، إن في الدنيا مؤمن إلا وقد أخذت ببيعته. وقال قتادة: ثأنتهم والله فأغلى لهم.

قوله تعالى: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» فاعل ومفعول. وقرأ حمزة، والكسائي: «فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ» مفعول وفاعل. قال أبو علي: القراءة الأولى بمعنى أنهم يُقْتَلُونَ أولاً وَيُقْتَلُونَ، والآخرى يجوز أن تكون في المعنى كالأولى، لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم؛ فإن لم يقدر فيه التقديم، فالمعنى: يقتل من بقي منهم بعد قتل من قُتل، كما أن قوله: ﴿فَمَا وَفَّوْا لِمَا أَخْسَيْنَاهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ما وهن من بقي يُقْتَلُ من قُتل. ومعنى الكلام: إن الجنة عوض عن جهادهم، قُتِلُوا أو قُتِلُوا. ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ﴾ قال



الزجاج: نصب «وعداً» بالمعنى، لأن معنى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾: «وَعِدًا عَلَيْهِ حَقًّا»، قال: وقوله: ﴿فِي النَّارِ يَدْخُلُونَ﴾ يدل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْوَى﴾ أي: لا أحد أوفى بما وعد ﴿مَنْ اللَّهُ فَاسْتَشِيرُوا﴾ أي: فافرحوا بهذا البيع. ﴿الْكُفَّينَ الْمَكِيدِينَ الْحَمِيدِينَ السَّكِينُونَ الرَّكَّحُونَ السَّجِدُونَ الْأُمُورُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِيرِ الْمُزْنِينِ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿الْكُفَّينَ﴾ سبب نزولها: أنه لما نزلت التي قبلها، قال رجل: يا رسول الله، وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. قال الزجاج: يصلح الرفع هاهنا على وجوه: أحدها: المدح، كأنه قال: هؤلاء التائبون، أو هم التائبون. ويجوز أن يكون على البدل، والمعنى: يقاتل التائبون؛ فهذا مذهب أهل اللغة، والذي عندي أنه رفع بالابتداء، وخبره مضمرة، المعنى: التائبون ومن ذكر معهم لهم الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا ترك الجهاد ولا العناد، لأن بعض المسلمين يجزئ عن بعض في الجهاد. وللمفسرين في قوله: «التائبون» قولان: أحدهما: الراجعون عن الشرك والنفاق والمعاصي. والثاني: الراجعون إلى الله في فعل ما أمر واجتناب ما حظر. وفي قوله: ﴿الْمَكِيدِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: المطيعون لله بالعبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: المقيمون الصلاة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الموحَّدون، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿الْحَمِيدِينَ﴾ قال قتادة: يحمدون الله على كل حال. وفي الساتحين أربعة أقوال: أحدها: الصائمون، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وقاتدة في آخرين. قال الفراء: ويرى أهل النظر أن الصائم إنما سمي ساتحاً تشبيهاً بالسائح، لأن السائح لا زاد معه؛ والعرب تعطف بالواو على السبعة، كقوله: ﴿وَكَاْمُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وقوله في صفة الجنة: ﴿وَوُضِعَتْ آبُوهَا﴾ [الزمر: ١٧٣]، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أن الواو إنما دخلت على التائبين لأن الأمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر في حال أمره، فكان دخول الواو دلالة على أن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر كما ينفرد الحامدون بالحمد دون الساتحين، والساتحون بالسياحة دون الحامدين في بعض الأحوال والأوقات.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قال الحسن: القائمون بأمر الله. ﴿مَنْ كَانَتْ لِلَّيْلِ وَالْأَيَّامِ مَسْئُورَاتٌ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّيْءِ الَّذِي كَانُوا أَوَّلَ قُرْفٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٤﴾ وَمَنْ كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِزْبِيصَ لَا يُبْدِي إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ عَذَابٌ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنْ إِيْزَابِهِ لَأَوْدَهُ حَيْثُ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ لِلَّيْلِ وَالْأَيَّامِ مَسْئُورَاتٌ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّيْءِ الَّذِي كَانُوا أَوَّلَ قُرْفٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «أي عم، قل معي: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَنْ كَانَتْ لِلَّيْلِ وَالْأَيَّامِ مَسْئُورَاتٌ﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الفصص: ٥٦]، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه<sup>(١)</sup>. وقيل: إنه لما مات أبو طالب، جعل

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ قال الحسن: القائمون بأمر الله. ﴿مَنْ كَانَتْ لِلَّيْلِ وَالْأَيَّامِ مَسْئُورَاتٌ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّيْءِ الَّذِي كَانُوا أَوَّلَ قُرْفٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٤﴾ وَمَنْ كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِزْبِيصَ لَا يُبْدِي إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُ عَذَابٌ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنْ إِيْزَابِهِ لَأَوْدَهُ حَيْثُ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ لِلَّيْلِ وَالْأَيَّامِ مَسْئُورَاتٌ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّيْءِ الَّذِي كَانُوا أَوَّلَ قُرْفٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه رسول الله ﷺ، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «أي عم، قل معي: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وابن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فنزلت: ﴿مَنْ كَانَتْ لِلَّيْلِ وَالْأَيَّامِ مَسْئُورَاتٌ﴾ الآية، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الفصص: ٥٦]، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه<sup>(١)</sup>. وقيل: إنه لما مات أبو طالب، جعل

(١) «الطبري» ٥١٠/١٤، وأحمد في «المسند» ٤٣٣/٥، و«البخاري» ١٧٦/٣ - ١٧٧، و«ابن ماجه» ٢٥٨/٨ و«ابن جرير» ٣٨٩/٨، و«مسلم» ٢١٣/١ - ٢١٦، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبه لابن أبي شيبة، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».



النبي ﷺ يستغفر له، فقال المسلمون: ما يمعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه، وهذا محمد يستغفر لعمه؟ فاستغفروا للمشركين، فنزلت هذه الآية. قال أبو الحسين بن المنادي<sup>(١)</sup>: هذا لا يصح، إنما قال النبي ﷺ لعمه: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» قيل أن يموت، وهو في السياق، فأما أن يكون استغفر له بعد الموت، فلا، فانتقلب ذلك على الرواة، وبقي على انقلابه. والثاني: أن النبي ﷺ مر بقبر أمه أمنة، فتوضأ وصلى ركعتين، ثم بكى، فبكى الناس لبكائه، ثم انصرف إليهم، فقالوا: ما الذي أبكاك؟ فقال: «مرت بقبر أمي فصليت ركعتين، ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها، فنهيت، فبكيت، ثم عدت فصليت ركعتين، واستأذنت ربي أن أستغفر لها، فزجرت زجراً، فأبكاني»، ثم دعا براحلته فركبها؛ فما سار إلا هنيئاً، حتى قامت الناقة لثقل الوحي؛ فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآية التي بعدها، رواه بريدة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن رجلاً استغفر لأبيه، وكان مشركين، فقال له علي بن أبي طالب: أنتستغفر لهما وهما مشركان؟ فقال: أولم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكر ذلك علي للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه أبو الخليل عن علي<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله، إن من آباءنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم؟ فقال: «بلى، والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه»، فنزلت هذه الآية، ويؤمن عذر إبراهيم، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. ومعنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّتَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مَأْحَبَتُ الْحَبِيرِ﴾ أي: من بعد ما بان أنهم ماتوا كفاراً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَنِ مَرْيَدٍ وَعَدَّهَا إِثْمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار، وذلك قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي﴾ [مریم: ٤٧]، وما كان يعلم أن الاستغفار للمشركين محظور حتى أخبره الله بذلك. والثاني: أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن؛ فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى بموته على الكفر، ترك الدعاء له. فعلى الأول، تكون هاء الكناية في «إثمه» عائدة على آزر، وعلى الثاني، تعود على إبراهيم. وقرأ ابن السميع، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك: «وعدها أباه» بالباء. وفي الأوَّاه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الخاشع الدُّعَاء المتضرع، رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي ﷺ. والثاني: أنه الدُّعَاء، رواه زرُّ عن عبد الله، وبه قال عبيد بن عمير. والثالث: الرحيم، رواه أبو العبيد بن العامري عن ابن مسعود، وبه قال الحسن، وقتادة، وأبو ميسرة. والرابع: أنه الموقن، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. والخامس: أنه المؤمن، رواه العوفي، ومجاهد، وابن أبي طلحة عن ابن عباس. والسادس: أنه المسبِّح، رواه أبو إسحاق عن أبي ميسرة، وبه قال سعيد بن المسيب، وابن جبير. والسابع: أنه المتأوِّه لذكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: مجاز أوَّاه مجاز فَعَالَ من التأوِّه، ومعناه: متضرع شَفَقاً وقرَّناً ولزوماً لطاعة ربه، قال المُتَّعِب:

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بَلِيلٌ تَأَوُّهُ أَمَةٌ الرَّجُلِ الْحَزِينِ<sup>(٥)</sup>

والثامن: أنه الفقيه، رواه ابن جريج عن مجاهد. فأما الحليم، فهو الصفوح عن الذنوب.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ يَكُلِّ شَيْئًا عَلَيْهِ ۝١٥ إِنَّ اللَّهَ لَكُم مَلِكٌ أَسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ يَتَّبِعُ وَيُؤَيِّتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٦﴾

(١) هو أحمد بن جعفر بن محمد أبو الحسين بن المنادي (٢٥٦ - ٣٣٦ هـ) عالم بالتفسير والحديث من أهل بغداد. قال ابن الجوزي: من وقف على مصنفاته علم ففعله وإطلاعه، ووقف على فوائد لا توجد في غير كتبه، جمع بين الرواية والدراية، ولا حشو في كلامه، آخر من روى عنه محمد بن فارس اللغوي، من كتبه «اختلاف العدد» و«دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات».

(٢) «الطبري» ١٤/٥١٢ مختصراً، وأحمد في «مسند» ٥/٣٥٩، و«مسلم» ٢/٦٧١، بمعناه، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/٢٨٤ عن ابن مردويه.

(٣) «الطبري» ١٤/٥١٤، ٥١٥، وأحمد في «المسند» رقم ٧٧١، وأورده السيوطي في «الدر» ٣/٢٨٢ وزاد نسبته للطائلي، وابن أبي شيبة، والترمذي، والنسائي، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، والفضلاء في «المختارة».

(٤) «الطبري» ١٤/٥١٣.

(٥) البيت في «الطبري» ١٤/٥٣٤، و «المفضليات» ٢٩١، و«مجاز القرآن» ٢/٢٧٠، و«طبقات فحول الشعراء» ٢٣١، و«السمط» ٥٦، و«القرطبي» ٨/٢٧٦، و«اللسان»: أوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ الآية، سبب نزولها: أنه لما نزلت آية الفرائض، وجاء النسخ، وقد غاب قوم وهم يعلمون بالأمر الأول مثل أمر القبله والخمر، ومات أقوام على ذلك، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قوم: المعنى أنه يبين أنه لم يكن ليأخذهم بالاستغفار للمشركين قبل تحريره، فإذا حرّمه ولم يمتنعوا عنه، فقد ضلوا. وقال ابن الأنباري: في الآية حذف واختصار، والتأويل: حتى يتبين لهم ما يتقون، فلا يتقونه، فعند ذلك يستحقون الضلال؛ فحذف ما حذف لبيان معناه، كما تقول العرب: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال؛ يريدون: فتجرت فكسبت.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَهْمُ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قال المفسرون: تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف. وقال أهل المعاني: هو مفتاح كلام، وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين، ذكر معهم، كقوله: ﴿فَأَذَّنَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ﴾ [الأشغال: ٤١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ﴾ قال الزجاج: هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك، والمراد بساعة العسرة: وقت العسرة، لأن الساعة تقع على كل الزمان، وكان في ذلك الوقت حرّ شديد، والقوم في ضيقة شديدة، كان الجمل بين جماعة يعتقبون عليه، وكانوا في فقر، فربما اقتسم التمرة اثنان، وربما مص التمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء، وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر. وقيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة، فقال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل ليذهب يلتبس الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، وحتى إن الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع لنا. قال: «تحب ذلك؟» قال: نعم. فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء<sup>(١)</sup>، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجد ما جاوزه العسكر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ قرأ حمزة، وحفص عن عاصم «كاد يزيغ» بالياء. وقرأ الباقون بالياء، وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين هموا بذلك، ثم لحقوه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها، ولم تترغ عن الإيمان، قاله الزجاج. والثالث: أن القلوب كادت تزيغ تلفاً بالجهد والشدة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ كرر ذكر التوبة، لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم، فقدم ذكر التوبة فضلاً منه، ثم ذكر ذنبهم، ثم أعاد ذكر التوبة.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ سَأَلَتْ عَنْهُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَنَضَّتْ يَدَايَ عَنْهُمْ فَأَتَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَتَى آلَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، والشعبي، وابن عمر: «خالفوا» بالفاء، وقرأ معاذ القارئ، وعكرمة، وحמיד: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام المخففة. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو العالية: «خَلَفُوا» بفتح الخاء واللام مع تشديدها. وهؤلاء هم المرادون بقوله: ﴿وَالْآخِرُونَ مَثْبُورُونَ﴾ وقد تقدّمت أسماؤهم [التوبة: ١٠٦]. وفي معنى «خَلَفُوا» قولان: أحدهما: خَلَفُوا عن التوبة، قاله ابن عباس، ومجاهد. فيكون المعنى: خَلَفُوا عن توبة الله على

(١) قالت السماء: أي، أقبلت بالسحاب.

(٢) «الطبري» ٥٤١/١٤ - ٥٤٢، وخرجه الهيثمي في «المجمع» ١٩٤/٦ - ١٩٥. وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزار ثقات. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٨٦/٣ وزاد نسبة لابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة».

أبي لبابة وأصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك. والثاني: خُلفوا عن غزوة تبوك، قاله قتادة. وحديثهم مندرج في توبة كعب بن مالك<sup>(١)</sup>، وقد رويتها في كتاب «الحدائق».

قوله تعالى: ﴿حَرَجَ إِذَا حَافَتَ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: ضاقت مع سَعَتِهَا، وذلك أن المسلمين مُنعوا من معاملتهم وكلامهم، وأمروا باعتزال أزواجهم، وكان النبي ﷺ مُعرِضاً عنهم. ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بالهم والغم. ﴿وَعَلَّوْا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ﴾ أي: لا معْتَصَم من الله ومن عذابه إلا هو. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ أعاد التوبة تأكيداً، ﴿لِيَسْتَوُوا﴾ قال ابن عباس: ليستقيموا. وقال غيره: وقَّعهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما يبطلها. وسئل بعضهم عن التوبة النصوح، فقال: أن تضيق على التائب الأرض، وتضيق عليه نفسه، كتابة كعب وصاحبه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها نزلت في قصة الثلاثة المتخلفين. والثاني: أنها في أهل الكتاب. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد ﷺ وكونوا مع الصادقين. وفي المراد بالصادقين خمسة أقوال: أحدها: أنه النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن عمر. والثاني: أبو بكر وعمر، قاله سعيد بن جبير، والضحاك. وقد قرأ ابن السمين، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «مع الصَّادِقِينَ» بفتح القاف وكسر النون على الشنية. والثالث: أنهم الثلاثة الذين خُلفوا، صدقوا النبي ﷺ عن تأخرهم، قاله السدي. والرابع: أنهم المهاجرون، لأنهم لم يتخلفوا عن رسول الله ﷺ في الجهاد، قاله ابن جريج. قال أبو سليمان الدمشقي: وقيل: إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة، فقال: يا معشر الأنصار، إن الله يقول في كتابه: ﴿لِلْفَرَقَةِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَفْرَجُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] من هم؟ قالت الأنصار: أنتم هم. قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فأمركم أن تكونوا معنا، ولم يأمرنا أن نكون معكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. والخامس: أنه عام، قاله قتادة. و«مع» بمعنى: «مين»، وكذلك هي في قراءة ابن مسعود: «وكونوا من الصادقين».

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا عَمَلٌ فَتَنٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُبُونَ مَوْطِئًا مَيْسَرًا كُفْرًا وَلَا يَأْلُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولا يُفْقِرُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن عباس: يعني: مزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار، ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ في غزوة غزاها، ﴿وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة. يقال: رغبت بنفسي عن الشيء: إذا تَرَفَّعت عنه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظُلْمٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ وهو العطش ﴿وَلَا عَمَلٌ فَتَنٌ﴾ وهو المجاعة وهي التعب ﴿وَلَا يَطْلُبُونَ مَوْطِئًا مَيْسَرًا﴾ أسراً أو قتلاً أو هزيمة، فأعلمهم الله أنه يجازيهم على جميع ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْقِرُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ قال ابن عباس: ثمرة فما فوقها. ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ مقبلين أو مدبرين ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ﴾ أي: أثبت لهم أجر ذلك. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أي: بأحسن ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

### فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: اختلف المفسرون في هذه الآية، فقالت طائفة: كان في أول الأمر لا يجوز التخلف عن رسول الله ﷺ حين كان الجهاد يلزم الكل؛ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْكُوفَةُ لِيَسْفَرُوا كَانَةً﴾ [التوبة: ١٢٢]؛





قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ هذا قول المنافقين بعضهم لبعض استهزاء بقول الله تعالى. ﴿تَاللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لأنهم إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها، زادتهم إيماناً. ﴿وَقَدْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: يفرحون بنزولها. ﴿وَالَّذِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ﴾ أي: شك ونفاق. وفي المراد بالرجس ثلاثة أقوال: أحدها: الشك، قاله ابن عباس. والثاني: الإثم، قاله مقاتل. والثالث: الكفر، لأنهم كلما كفروا بسورة زاد كفرهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ يعني المنافقين. وقرأ حمزة: «أو لا ترون» بالثاء على الخطاب للمؤمنين. وفي معنى: ﴿يَنْتَفِرُونَ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: يكذبون كذبة أو كذبتين يُضِلُّونَ بها، قاله حذيفة بن اليمان. والثاني: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: يُنْتَلُونَ بالغزو في سبيل الله، قاله الحسن، وقناة. والرابع: يُفْتَنُونَ بالسَّنة والجوع، قاله مجاهد. والخامس: بالأوجاع والأمراض، قاله عطية. والسادس: يَنْقُضُونَ عهدهم مرة أو مرتين، قاله يمان. والسابع: يكفرون، وذلك أنهم كانوا إذا أخبرهم النبي ﷺ بما تكلموا به إذ خَلَوْا، علموا أنه نبي، ثم يأتيهم الشيطان فيقول: إنما بلغه هذا عنكم، فيشركون، قاله مقاتل بن سليمان. والثامن: يُفْضَحُونَ بإظهار نفاقهم، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من نفاقهم. ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي: يعتبرون ويتعظون. ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ قال ابن عباس: كانت إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين، وخطبهم رسول الله ﷺ وعرض بهم في خطبته، شق ذلك عليهم، ونظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب، يقولون: ﴿هَلْ يَرْبِكُمْ يَتَّخِذُ﴾ من المؤمنين إن قمتم؟ فإن لم يره أحد، خرجوا من المسجد. قال الزجاج: كأنهم يقولون ذلك إيماءً لئلا يعلم بهم أحد، ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عن المكان، وجائز عن العمل بما يسمعون. وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم التكذيب بمحمد ﷺ وبما جاء به.

قوله تعالى: ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ قال ابن عباس: عن الإيمان. وقال الزجاج: أضلهم مجازاة على فعلهم. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء. وقرأ ابن عباس، وأبو العالية، والضحاك، وابن محيصن، ومجرب عن أبي عمرو: بفتحها. وفي المضمومة أربعة أقوال: أحدها: من جميع العرب، قاله ابن عباس؛ وقال: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ. والثاني: ممن تعرفون، قاله قتادة. والثالث: من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قاله جعفر الصادق. والرابع: بشر مثلكم، فهو أكد للحجة، لأنكم تفقهون عن من هو مثلكم، قاله الزجاج. وفي المفتوحة ثلاثة أقوال: أحدها: أفضلكم خلقاً. والثاني: أشرفكم نسباً. والثالث: أكثركم طاعة لله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: شديد عليه ما شق عليكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. والثاني: شديد عليه ما آتاكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا. قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: سماء باسمين من أسمائه. وقال أبو عبيدة: «رؤوف» فعول، من الرأفة، وهي أرق من الرحمة؛ ويقال: «رؤف»، وأنشد:

قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: شديد عليه ما شق عليكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. والثاني: شديد عليه ما آتاكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الحسن: حريص عليكم أن تؤمنوا. قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: سماء باسمين من أسمائه. وقال أبو عبيدة: «رؤوف» فعول، من الرأفة، وهي أرق من الرحمة؛ ويقال: «رؤف»، وأنشد:

تري للمؤمنين عليك حقاً  
كفعل الوالد الرؤوف الرحيم<sup>(١)</sup>

وقيل: رؤوف بالمطيعين، رحيم بالمدننين.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: يكفيني ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. وقرأ ابن محيصن: «العظيم» برفع الميم. وإنما خص العرش بالذكر، لأنه الأعظم، فيدخل فيها الأصغر. قال أبي بن كعب: آخر آية أنزلت ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>.



(١) «الطبري» ٥٨٨/١٤ - ٥٨٩، والحاكم في «المستدرک» ٣٣٨/٢، و«المسند» ١١٧/٥ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان. قال الهيثمي في «المجمع» ٣٦/٧: وهو ثقة سيح الحفاظ وبقية رجاله ثقات، ورواه أحمد في «المسند» ١٣٤/٥ بأطول منه عن عمر بن شقيق عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، ورجال ثقات خلا عمر بن شقيق فإنه مجهول.

## سورة يونس

### فصل في نزولها

روى عطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، وعكرمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُّؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُّؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: ٤٠]. وفي رواية عن ابن عباس: فيها ثلاث آيات من المدني، أولها قوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] إلى رأس ثلاث آيات، وبه قال قتادة. وقال مقاتل هي مكية، غير آيتين، قوله: ﴿إِن كُنْتَ فِي شكٍّ﴾ والتي تليها [يونس: ٩٤، ٩٥]. وقال بعضهم: هي مكية إلا آيتين، وهي قوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ والتي تليها [يونس: ٥٨، ٥٩].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

فأما قوله: ﴿الرَّ﴾ قرأ ابن كثير: «ألر» بفتح الراء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ألر» على الهجاء مكسورة. وقد ذكرنا في أول سورة (البقرة) ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خُصَّت هذه الكلمة بستة أقوال: أحدها: أن معناها: أنا الله أرى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنا الله الرحمن، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه بعض اسم من أسماء الله. روى عكرمة عن ابن عباس قال: «ألر» و«تحم» و«ن» حروف الرحمن. والرابع: أنه قَسَمَ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله مجاهد، وقاتدة. والسادس: أنه اسم للسورة، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿تِلْكَ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى «هذه»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره أبو عبيدة. والثاني: أنه على أصله. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل، قاله مجاهد، وقاتدة؛ فيكون المعنى: هذه الأقاويص التي تسمعونها، تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل. والثاني: أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها، من القرآن، قاله الزجاج. والثالث: أن «تلك» إشارة إلى «ألر» وأخواتها من حروف المعجم، أي: تلك الحروف المفتحة بها السُور هي «آيَاتُ الْكِتَابِ» لأن الكتاب بها يتلى، وألفاظه إليها ترجع، ذكره ابن الأنباري. قال أبو عبيدة: «الْمُبِينِ» بمعنى المحكم المبيّن الموضح؛ والعرب قد تضع فعلاً في معنى مفعّل؛ قال الله تعالى: ﴿مَا لَدَى عَذَابٍ﴾ [نق: ٢٣: ١٨] أي: مُعَدٌّ.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَيِّنِ الْآيَاتِ الَّتِي هُمْ يَقَعُونَ﴾ [يونس: ١٠١] ﴿إِنَّا نُرَكِّدُكَ اللَّهُ الَّذِي عَلَّقَ السُّكُوتَ وَالْأَرْضَ فِي سِتْرٍ أَيْمَرِ ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى الْمَرْشِ بِدِرِّ الْأَمْرِ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَنْزِلُ ذَلِكَ إِلَيْكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ سبب نزولها: أن الله تعالى لما بعث محمداً ﷺ أنكرت الكفار ذلك، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة، والمراد بالرجل: محمد ﷺ. ومعنى «يَنْتَهُم»: يعرفون نسبه، قاله ابن عباس، فأما الألف فهي للتوبيخ والإنكار. قال ابن الأنباري: والاحتجاج عليهم في كونهم عجبوا من إرسال محمد، محذوف هاهنا، وهو مبين في قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَيعَاشَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢]، أي: فكما وضع لكم هذا التفاضل بالمشاهدة، فلا تنكروا تفضيل الله من شاء بالنبوة؛ وإنما حذفه هاهنا اعتماداً على ما بيّنه في موضع آخر. قال: وقيل: إنما عجبوا من ذكر البعث والنشور، لأن الإنذار والتبشير يتصلان بهما، فكان جوابهم في مواضع كثيرة تدل على كون ذلك، مثل قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]،

(١) «الطبري» ١٣/١٥، وأخرجه السيوطي في «الدر» ٢٩٩/٣ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

وقوله: ﴿يَسْتَبِيهَا الَّذِي تَشَأْأَ أَوْلَ مَرْئٍ﴾ [يس: ١٧٩]. وفي المراد بقوله: ﴿قَدَّمَ صِدْقِي﴾ سبعة أقوال: أحدها: أنه الثواب الحسن بما قَدَّمُوا من أعمالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه أبو صالح قال: عمل صالح يُقَدِّمون عليه. والثاني: أنه ما سبق لهم من السعادة في الذكر الأول، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: سابقة صدق. والثالث: شفيع صدق، وهو محمد ﷺ يشفع لهم يوم القيامة، قاله الحسن. والرابع: سَلَفُ صدق تقدّمهم بالإيمان، قاله مجاهد، وقتادة. والخامس: مقام صدق لا زوال عنه، قاله عطاء. والسادس: أن قدم الصدق: المنزلة الرفيعة، قاله الزجاج. والسابع: أن القدم هاهنا: مصيبة المسلمين بنبيهم ﷺ وما يلحقهم من ثواب الله عند أسفهم على فقدته ومحبتهم لمشاهدته، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: لِمَ أثار القدم هاهنا على اليد، والعرب تستعمل اليد في موضع الإحسان؟ فالجواب: أن القدم ذكرت هاهنا للتقدم، لأن العادة جارية بتقدّم الساعي على قدميه، والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يُتقدّم فيه ولا يقع فيه تأخر، قال ذو الرمة:

لَكُمْ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا      مع الحَسَبِ العَادِي طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ<sup>(١)</sup>

فإن قيل: ما وجه إضافة القدم إلى الصدق؟ فالجواب: أن ذلك مدح للتقدم، وكل شيء أضيفته إلى الصدق، فقد مدحته؛ ومثله: ﴿أَذِلَّةٍ مُذِلَّةٍ صِدْقِي وَأَفْرَجِي نَجْرَ صِدْقِي﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقِي﴾ [القمصر: ٥٥]. وفي الكلام محذوف، تقديره: أوحينا إلى رجل منهم، فلما اتاهم الوحي ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ ثِينٌ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «لَسَاحِر» بالف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لَسَحَر» بغير ألف. قال أبو علي: قد تقدم قوله: ﴿أَنَّ أَوْحِيًا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ فمن قال: ساحر، أراد الرجل؛ ومن قال: سحر، أراد الذي أوحى سحر، أي: الذي تقولون أنتم فيه: إنه وحي، سحر. قال الزجاج: لما أنذرهم بالبعث والنشور، فقالوا: هذا سحر، أخبرهم أن الذي خلق السموات والأرض قادر على بعثهم بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ وقد سبق تفسيره في [الأعراف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿يَذْكُرُ الْأُمُورَ﴾ قال مجاهد: يقضيه. وقال غيره: يأمر به ويمضيه.

قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يُدْعَى﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يشفع أحد إلا أن يأذن له، قاله ابن عباس. قال الزجاج: لم يَجْرُ للشفيع ذكر قبل هذا، ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون: الأصنام شفعاؤنا. والثاني: أن المعنى: لا ثاني معه، مأخوذ من الشُّفْع، لأنه لم يكن معه أحد، ثم خلق الأشياء. فقوله: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يُدْعَى﴾ أي: من بعد أمره أن يكون الخلق فكان، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ قال مقاتل: وحْدَهُ. وقال الزجاج: المعنى: فاعبدوه وحده. وقوله: ﴿تَذَكَّرْتُمْ﴾ معناه: تَتَعَلَّظُونَ.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جِئِمَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَسَاءُ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جِئِمَّا﴾ أي: مصيركم يوم القيامة ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ قال الزجاج: «وَعَدَ اللَّهُ» منصوب على معنى: وعدكم الله وعداً، لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه: الوعد بالرجوع، و«حقاً» منصوب على: أحق ذلك حقاً. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ قرأه الأكثرون بكسر الالف. وقرأت عائشة، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو العالية، والأعمش: بفتحها. قال الزجاج: من كسر، فعلى الاستئناف، ومن فتح، فالمعنى: إليه مرجعكم، لأنه يبدأ الخلق. قال مقاتل: يبدأ الخلق ولم يكن شيئاً، ثم يعيده بعد الموت. وأما القسط، فهو العدل. فإن قيل: كيف خصَّ جزاء المؤمنين بالعدل، وهو في جزاء الكافرين عادل أيضاً؟ فالجواب: أنه لو جمع الفريقين في القسط، لم يتبين في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم، ففصلهم من المؤمنين ليبيّن ما يجزيهم به مما هو

(١) «ديوانه» ٣٦١ طبع المكتب الإسلامي، والبيت من قصيدة في مدح بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، يقول بعده:

خلال النبي المصطفى عنده  
وعثمان والفاروق بعد أبي بكر

ورواية البيت في الديوان: «طمت على الفخر». والعاذي القديم، وطمت: علت.



عدل أيضاً، ذكره ابن الأنباري. فأما الحميم، فهو الماء الحار. وقال أبو عبيدة: كل حار فهو حميم. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَسْلُمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [١٠] إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَقُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الْآيَاتِ لَا يَرُوحُونَ إِلَّا نَارًا وَرَوْحًا بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِهَا وَالْآيَاتِ هُمْ عَنْ مَا بَيْنَنَا عَفِيفُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ أَلَاءٌ يَمَازِي مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْآيَاتِ مَآثِرًا وَعَمَلُوا الصَّالِحِينَ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِآيَاتِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٤﴾ دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمُوا وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ قرأ الأكثرون: «ضياء» بهمزة واحدة. وقرأ ابن كثير: «ضياء» بهمزة في كل القرآن، أي: ذات ضياء. «وَالْقَمَرَ نُورًا» أي: ذات نور. «وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ» أي: قدر له، فحذف الجار، والمعنى: هيأ وسر له منازل. قال الزجاج: الهاء ترجع إلى «القمر» لأنه المقدر لعلم السنين والحساب. وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر، فحذف أحدهما اختصاراً. وقال الفراء: إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة، لأن به تُعلم الشهور. وإن شئت جعلت التقدير لهما، فاكفني بذكر أحدهما من صاحبه، كقوله: «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْسَوُا» [التوبة: ٦٢]. قال ابن قتيبة: منازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة، ثم يستمر. وهذه المنازل، هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء، وأسماؤها عندهم الشَّرطان، والبَطْنين، والثَرَيان، والدَّبَران، والهَقْمعة، والهَنْععة، والذَّرَاع، والنَّثرة، والطَّرَف، والجبهة، والزُّبرة، والصَّرفة، والعَوَاء، والسَّمَاك، والغَفَر، والزُّبَانِي، والإكليل، والقلب، والشَّوْلة، والنعامن، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السُّعود، وسعد الأخبية، وفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، والرشاء وهو الحوت.

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي للحق، من إظهار صنعه وقدرته والدليل على وحدانيته. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «يفصل» بالياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نفصل الآيات» بالنون، والمعنى: يُبَيِّنُهَا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يستدلون بالآمارات على قدرته. قوله تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يتقون الشرك. والثاني: عقوبة الله. فيكون المعنى: إن الآيات لمن لم يحمله هواه على خلاف ما وضع له من الحق.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قال ابن عباس: لا يخافون البعث. ﴿وَرَوْحًا بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ اختاروا ما فيها على الآخرة. «وَالطَّافُؤُا بِهَا» آثروها. وقال غيره: ركنوا إليها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. «وَالْآيَاتِ هُمْ عَنْ مَا بَيْنَنَا عَفِيفُونَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها آيات القرآن ومحمد، قاله ابن عباس. والثاني: ما ذكره في أول السورة من صنعه، قاله مقاتل. فأما قوله: ﴿عَفِيفُونَ﴾ فقال ابن عباس: مكذبون. وقال غيره: مُعْرِضُونَ. قال ابن زيد: وهؤلاء هم الكفار.

قوله تعالى: ﴿يَمَازِي مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل: من الكفر والتكذيب. قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِآيَاتِهِمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى الجنة ثواباً بإيمانهم. والثاني: يجعل لهم نوراً يمشون به بإيمانهم. والثالث: يزيدهم هدى بإيمانهم. والرابع: يثيبهم بإيمانهم. فأما الهداية، فقد سبقت لهم. قوله تعالى: ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو.

قوله تعالى: ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا﴾ أي: دعاوهم. وقد شرحنا ذلك في أول [الأعراف: ٥]. وفي المراد بهذا الدعاء قولان: أحدهما: أنه استدعاوهم ما يشتهون. قال ابن عباس: كلما انتهى أهل الجنة شيئاً، قالوا: «سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ» فيأتيهم ما يشتهون؛ فإذا طعموا، قالوا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فذلك آخر دعاوهم. وقال ابن جريج: إذا مرَّ بهم الطير يشتهونه، قالوا: «سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ» فيأتيهم المَلَكُ بما اشتَهَوْا، فيسلم عليهم، فيردون عليه فذلك قوله: «وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ فِيهَا سَلَّمُوا». فإذا أكلوا، حمِدوا ربهم؛ فذلك قوله: «وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ فِيهَا سَلَّمُوا». والثاني: أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله تعالى في دعاء يدعوهم به، قالوا: «سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ»، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَّمُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تحية بعضهم لبعض، وتحيَّة الملائكة لهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن الله تعالى يُصَيِّبُهُم بالسَّلام. والثالث: أن التَّحِيَّةَ: المُلْكُ، فالمعنى: مُلْكُهُم فيها سَالم، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَدْلًا﴾ أي: دعاؤهم وقولهم: ﴿إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قرأ أبو مجلز، وعكرمة، ومجاهد، وابن يعمر، وقتادة، ويعقوب: «أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ» بتشديد النون ونصب الدال. قال الزجاج: أعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه. وقال ابن كيسان: يفتتحون كلامهم بالتوحيد، ويختمونه بالتوحيد.

﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَنْجَلَهُمْ بِالْحَقِّ لَافْتَحَ لَهُمْ الْخَيْرَ لَأَعْلَمَهُمْ قَدْ دُرُّ الَّذِينَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا فِي مَقَامِهِمْ﴾

بِقَوْمِهِمْ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَسْئَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ ذكر بعضهم أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٨]. والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته. وفي المراد بالآية قولان: أحدهما: ولو يعجل الله للناس الشر إذا دَعَوْا على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم، واستعجلوا به كما يعجل لهم الخير، لهلكوا، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة، حكاية الماوردي. ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها. وقد قرأ الجمهور: ﴿لَقُضِيَ لِيَتِيمَ﴾ بضم القاف ﴿أَجَلُهُمْ﴾ بضم اللام. وقرأ ابن عامر: ﴿لَقُضِيَ﴾ بفتح القاف ﴿أَجَلُهُمْ﴾ بنصب اللام. وقد ذكرنا في أول (سورة البقرة: ١٥) معنى الطغيان والعمه.

﴿وَإِذَا سَأَلَ الْمُسْلِمُونَ دَعَاكَ لِجَنَّتِهِمْ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّتَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِنَّمَا مَرَّ مَسْمُومًا كَذَلِكَ نُنْزِلُ الْفُتُورَ مَا كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْمُسْلِمُونَ﴾ اختلَفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في أبي حذيفة، واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، قاله عطاء. و«الضر»: الجهد والشدة. واللام في قوله: ﴿لِجَنَّتِهِمْ﴾ بمعنى «على». وفي معنى الآية قولان: أحدهما: إذا سَأَلَ الضَّرَّ دعا على جنبه، أو دعا قاعداً، أو دعا قائماً، قاله ابن عباس. والثاني: إذا مسه الضر في هذه الأحوال، دعا، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّتَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعرض عن الدعاء، قاله مقاتل. والثاني: مَرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُتَلَى، ولم يَعْظُ بما يناله، قاله الزجاج. والثالث: مَرَّ طاعياً على ترك الشكر. قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ قال الزجاج: «كان» هذه مخففة من الثقيلة، المعنى: كأنه لم يدعنا، قالت الخنساء:

كَأَن لَّمْ يَكُونُوا جَمِيًّا يُثَقِّلِي إِذَا النَّاسُ إِذَا ذَاكَ مَنْ عَرَّ بَرًّا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُزِّلَ الْفُتُورَ﴾ المعنى: كما نُزِّلَ لهذا الكافر الدعاء عند البلاء، والإعراض عند الرِّخاء، كذلك نُزِّلَ للمُسرفين، وهم المجاوزون الحدَّ في الكفر والمعصية، عملهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ بَيْنِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجْهَهُمْ رُسُلَهُمْ بِالْإِنتِبَاحِ وَمَا كَانُوا يَرْجِعُونَ﴾ كَذَلِكَ نُجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ بَيْنِكُمْ﴾ قال مقاتل: هذا تخويف لكفار مكة. والظلم هاهنا بمعنى الشرك. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا يَرْجِعُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه عائد على أهل مكة، قاله مقاتل. والثاني: على القرون المتقدمة، قاله أبو سليمان. قال ابن الأنباري: ألزهم الله ترك الإيمان لمعادنتهم الحق وإلثامهم الباطل. وقال الزجاج: جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم، وجائز أن يكون أعلم ما قد علم منهم.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُجْزِي﴾ أي: نعاقب ونهلك ﴿الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني المشركين من قومك.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَيْنِهِمْ لِنَبْلُوكَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ قال ابن عباس: جعلناكم يا أمة محمد خلائف، أي: استخلفناكم في الأرض. وقال قتادة: ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا، فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْصِتُوا قَالُوا كَذِبٌ لَّآ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: يفترون عتياً هذا أو يذللون قل ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِي تَفْسِيٍّ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ إِنَّهُ خَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في مشركي مكة، قاله مجاهد، وقتادة. والمراد بالآيات: القرآن. و«يرجون» بمعنى: يخافون. وفي علّة طلبهم سوى هذا القرآن أو تبديله قولان: أحدهما: أنهم أرادوا تغيير آية العذاب بالرحمة، وآية الرحمة بالعذاب، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم كرهوا منه ذكر البعث والنشور، لأنهم لا يؤمنون به، وكرهوا عيب آلهتهم، فطلبوا ما يخلو من ذلك، قاله الزجاج. والفرق بين تبديله والإتيان بغيره، أن تبديله لا يجوز أن يكون معه، والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ حرك هذه الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون. ﴿مِن تِلْقَآئِي تَفْسِيٍّ﴾ حركها نافع، وأبو عمرو؛ وأسكنها الباقون، والمعنى: من عند نفسي، فالمعنى: أن الذي أتيت به من عند الله، لا من عندي فأبدله. ﴿إِنَّهُ خَافُ﴾ فتح هذه الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو. ﴿إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ أي: في تبديله أو تغييره ﴿عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني في القيامة.

### فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ما بيّنا في نظيرتها في [الأنعام: ١٥]. ومقصود الآيتين تهديد المخالفين؛ وأضيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ قُرْآنًا وَلَا أَدْرِيكُمْ بِدَيِّ فَقَدْ لَيْتُ يَكُفُّ عَنْكُمْ عُمْرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُنْكَرُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ قُرْآنًا﴾ يعني القرآن؛ وذلك أنه كان لا يُنزله عليّ، فيأمرني بتلاوته عليكم. ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِدَيِّ﴾ أي: ولا أعلمكم الله به. قرأ ابن كثير: «وَلَا أَدْرَاكُمْ» بلام التوكيد من غير ألف بعدها، يجعلها لاماً دخلت على «أدراكم». وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أدركم» بالإمالة. وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة، وشيبة بن نصاح: «ولا أدراثكم» بتاء بين الألف والكاف. ﴿فَقَدْ لَيْتُ يَكُفُّ عَنْكُمْ عُمْرًا﴾ وقرأ الحسن، والأعمش: «عُمْرًا» بسكون الميم. قال أبو عبيدة: وفي العمر ثلاث لغات: عمر، وعُمر، وعُمر. وقال ابن عباس: أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدنكم بشيء من القرآن ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قبلي. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ أي: لم أفتر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً. والمجرمون ها هنا: المشركون.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُخْفَتُ اللَّهِ عِندَ اللَّهِ مَا لَا يَكُفُّ عَنْهُمْ﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مِّن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ أي: لا يضرهم إن لم يعبدوه، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ يعني المشركين. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعنون الأصنام. قال أبو عبيدة: خرجت كناية على لفظ كناية الآدميين. وقد ذكرنا هذا المعنى في [الاعراف: ١٩١] عند قوله: ﴿وَمَنْ يَخْلُقُنَّ﴾. وفي قوله: ﴿شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: شفعاؤنا في الآخرة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، ومقاتل. والثاني: شفعاؤنا في إصلاح معاشنا في الدنيا، لأنهم لا يَقْرُونَ بالبعث، قاله الحسن.



قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتَبَخْتُمُ اللَّهَ يَمَا لَا يَمْلِكُ﴾ قال الضحاك: أتخبرون الله أن له شريكاً، ولا يعلم الله نفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاتَّخَفْتُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاتَّخَفْتُمْ﴾ قد شرحنا هذا في سورة [البقرة: ٢١٣] وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين، فاختلَفوا وعبدوا الأصنام، فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم؛ لقضي بينهم بنزول العذاب، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون من الدين. والثاني: أن الكلمة: أن لكل أمة أجلاً، وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته. والثالث: أن الكلمة: أنه لا يأخذ أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه. وفي قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: لقضي بينهم بإقامة الساعة. والثاني: بنزول العذاب على المكذبين.

﴿وَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: هلاً؟ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مثل العصا واليد وآيات الأنبياء. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن سؤالك: لِمَ لم تنزل الآية؟ غيب، ولا يعلم علّة امتناعها إلا الله. والثاني: أن نزول الآية متى يكون؟ غيب، ولا يعلمه إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: انتظروا نزول الآية. والثاني: قضاء الله بيننا بإظهار المحق على المبطل.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ مَرَّةٍ سَتَنَّمُوا إِذَا لَهْمُ مَكْرٍ فِي مَا يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَنَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا على أهل مكة بالجذب فحقطوا سبع سنين، أتاه أبو سفيان، فقال: ادع لنا بالخصب، فإن أخصبنا صدقناك، فدعا لهم، فسقوا ولم يؤمنوا، ذكره الماوردي. قال المفسرون: المراد بالناس هاهنا: الكفار. وفي المراد بالرحمة والضراء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرحمة: العافية والسرور، والضراء: الفقر والبلاء، قاله ابن عباس. والثاني: الرحمة: الإسلام، والضراء: الكفر، وهذا في حق المنافقين، قاله الحسن. والثالث: الرحمة: الخصب، والضراء: الجذب، قاله الضحاك. وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال: أحدها: أنه الاستهزاء والتكذيب، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: أنه الجحود والرد، قاله أبو عبيدة. والثالث: أنه إضافة النعم إلى غير الله، فيقولون: سقينا بنوء كذا، قاله مقاتل بن حيان. والرابع: أن المكر: النفاق، لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أي: جزاء على المكر. ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ يعني الحفظة ﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَنَكَّرُونَ﴾ أي: يحفظون ذلك لمجازاتهم عليه. وقرأ يعقوب إلا رويساً وأبا حاتم، وأبان عن عاصم: فيمكرون بالياء.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَيْثُ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجِهَيْنَ يَمِينَ يَمِينٍ وَبَعَثُوا بِمَا جَاءَتْهَا يَمِينُ عَاصِفٍ وَجَاءَهُمُ الْقَوَجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلَمُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَاُ اللَّهِ عَزِيمِينَ لَهُ الَّذِينَ لَنْ أَجِئَنَّا مِنْ هَذَا لَنَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ قلنا: أجنهم إذا هم يبعثون في الأرض بعثي التي يأتيها الناس إنما بعثكم على أنفسكم تمنع الحيوة الدنيا ثم إنا سرجمعكم فننشقكم بما كنتم تعملون ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ﴾ أي: الله الذي هو أسرع مكرًا، هو الذي يسيركم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب، وفي البحر على السفن، فلو شاء انتقم منكم في البر أو في البحر. وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «ينشركم» بالنون والشين من النشر، وهو في المعنى مثل قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا يَمِينًا وَبَئِلًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٢٢]. والفلك: السفن. قال الفراء: الفلك تذكر وتؤنث، وتكون واحدة وتكون جمعاً، قال تعالى هاهنا: ﴿جَاءَتْهَا﴾ فأنث، وقال في آية: ﴿فِي الْفُلِكِ الْمَشْعُونِ﴾ فذكر.

قوله تعالى: ﴿وَجِهَيْنَ يَمِينَ يَمِينٍ﴾ عاد بعد المخاطبة لهم إلى الإخبار عنهم. قال الزجاج: كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز أن يردّه إلى الغائب، قال الشاعر:



شَطَلَتْ مَزَارُ العاشقين فأصبحَتْ  
قوله تعالى: ﴿رِيحٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: لَيِّنَةٌ. ﴿وَفَرَحُوا بِهَا﴾ لئِذَا. ﴿جَاءَتْهَا﴾ يعني الفلك. قال الفراء: وإن شئت جعلتها للريح، كأنك قلت: جاءت الريح الطيبة ريحٌ عاصف، والعرب تقول: عاصف وعاصفة، وقد عصفت الريح وأعصفت، والألف لغة لبني أسد. قال ابن عباس: الريح العاصف: الشديدة. قال الزجاج: يقال: عصفت الريح، فهي عاصف وعاصفة، وأعصفت، فهي معصف ومعصفة. ﴿وَمَا هُمْ مِنَ الْمَوْجِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: من كل أمكنة الموج.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّامٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه التوهم. وفي قوله: ﴿أُحِيطَ بِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: دنوا من الهلكة. قال ابن قتيبة: وأصل هذا أن العدو إذا أحاط ببلد، فقد دنا أهله من الهلكة. وقال الزجاج: يقال لكل من وقع في بلاء: قد أحيط بفلان، أي: أحاط به البلاء. والثاني: أحاطت بهم الملائكة، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿دَعَا اللَّهَ تَحِيصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ دون أوثانهم. قال ابن عباس: تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية، وقالوا: ﴿لَيْنَ أَيْمَنًا مِنَ هَؤُلَاءِ﴾ الريح العاصف ﴿تَنكُرُونَ مِنَ الْمُشْكِينَ﴾ أي: الموحدين.

قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّى فِي الْأَرْضِ﴾ البغي: الترامي في الفساد. قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح: إذا ترامى إلى فساد. قال ابن عباس: يبتغون في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد. ﴿يَأْتِيَا النَّاسَ﴾ يعني أهل مكة. ﴿إِنَّمَا يَبْغِيكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: جناية مظالمكم بينكم على أنفسكم. وقال الزجاج: عملكم بالظلم عليكم يرجع.

قوله تعالى: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وحفص، وأبان عن عاصم: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بنصب المتاع. قال الزجاج: من رفع المتاع، فالمعنى أن ما تنالونه بهذا البغي إنما تستفنون به في الدنيا، ومن نصب المتاع، فعلى المصدر. فالمعنى: تمتعون متاع الحياة الدنيا. وقرأ أبو المتوكل، واليزيدي في اختياره، وهارون العتكي عن عاصم: ﴿متاع الحياة﴾ بكسر العين. قال ابن عباس: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، أي: منفعة في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُكِرَتْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا لَحَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدْ دُورُوا عَلَيْهَا أَمْطًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَنْفُسِ كَذَلِكَ نَقُصُّ لِلْآبَتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْغَيْثِ إِذَا سُكِرَتْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا لَحَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدْ دُورُوا عَلَيْهَا أَمْطًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَنْفُسِ كَذَلِكَ نَقُصُّ لِلْآبَتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية، فشبها بمطر نزل من السماء ﴿فَإَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ يعني التفت النبات بالمطر، وكثر ﴿وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ من المرعى. ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَحَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ قال ابن قتيبة: زينتها بالنبات. وأصل الزخرف: الذهب، ثم يقال للنقش والنور والزهر وكل شيء زُفِرَ: زُخِرَف. وقال الزجاج: الزخرف: كمال حسن الشيء.

قوله تعالى: ﴿وَازْبَيَّتْ﴾ قرأه الجمهور «وازيئت» بالتشديد. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن يعمر: بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزاي، على وزن: وَأَقْعَلَتْ. قال الزجاج: من قرأ «وَازْبَيَّتْ» بالتشديد، فالمعنى: وتزينت، فأدغمت التاء في الزاي، وأسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل؛ ومن قرأ «وَازْبَيَّتْ» بالتخفيف على أفعلت، فالمعنى: جاءت بالزينة. وقرأ أبي، وابن مسعود: «وتزيئت».

قوله تعالى: ﴿وَطَرَ أَهْلُهَا﴾ أي: أيقن أهل الأرض ﴿أَنَّهُمْ قَدْ دُورُوا عَلَيْهَا﴾ أي: على ما أنبتته، فأخبر عن الأرض، والمراد النبات، لأن المعنى مفهوم. ﴿أَمْطًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: محصوداً لا شيء فيها، والحصيد: المقطوع المستأصل. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَنْفُسِ﴾ قال الزجاج: لم تعمر. والمغناي: المنازل التي

يعمرها الناس بالنزول فيها. يقال: غَنِينَا بِالْمَكَانِ: إِذَا نَزَلُوا بِهِ. وقرأ الحسن: «كَانَ لَمْ يَنْقُرْ» بآلياء، يعني الحصيد. قال بعض المفسرين: تأويل الآية: أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب، حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه، وظن أنه ممتع بذلك، سلب عنه بموته، أو بحادثة تهلكه، كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته، فإذا تزَيَّنَتْ به الأرض، وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك، أهلكه الله، فعاد ما كان فيها كأن لم يكن.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّكِينِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةٍ وَلَا رَهَقًا وَجُوهَهُمْ قَهَرٌ وَلَا ذُلٌّ أَتَيْنِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّكِينِ﴾ يعني الجنة. وقد ذكرنا معنى تسميتها بذلك عند قوله: ﴿هَلُمَّ دَارَ السَّكِينِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. واعلم أن الله عَمَّ بالدعوة، وخصَّ بالهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه. وفي المراد بالصراف المستقيم أربعة أقوال: أحدها: كتاب الله، رواه علي عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: الإسلام، رواه الثَّوَّاس بن سمعان عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: الحق، قاله مجاهد، وقناة. والرابع: المخرج من الضلالات والشُّبُه، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله. قال ابن الأنباري: الحسنی: كلمة مستغنى عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعها على الخلَّة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها، فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرف من جهةها، يدل على هذا قول امرئ القيس:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت  
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَزَوْقُ غَلَامُنَا  
هَضَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ<sup>(٣)</sup>  
وَرُضْتُ فَلَذْتُ صَغْبَةً أَيْ إِذْلَالٍ

أي: إلى الأمر المحبوب. وهضرْتُ بمعنى مدت. والغصن كناية عن المرأة. والباء مؤكدة للكلام، كما تقول العرب: ألقى بيده إلى الهلاك، يريدون: ألقى يده. والشماريخ كناية عن الذوائب. ورضت، معناه: أذلت. ومن أجل هذا قال: أي إذلال، ولم يقل: أي رياضة. وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال: أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، وبه قال الأكثرون. والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس. والثالث: النصر، قاله عبد الرحمن بن سابط. والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. الخامس: الأمانة، ذكره ابن الأنباري. وفي الزيادة ستة أقوال: أحدها: أنها النظر إلى الله ﷻ. روى مسلم في «صحيحه» من حديث صهيب عن النبي ﷺ أنه قال: «الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل»<sup>(٥)</sup>. وبهذا القول قال أبو بكر الصديق، وأبو موسى

(١) «الطبري» ١٧١/١ - ١٧٢ عن علي مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً. وقد خرج ابن كثير في «تفسيره» ٢٧/١ من رواية ابن أبي حاتم عن علي مرفوعاً، بسند ضعيف أيضاً، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٥/١ عن علي مرفوعاً، وزاد نسبته لابن أبي شيبه، والترمذي وضعفه، وابن الأنباري في «المصاحف»، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب»، ومداره على الحارث الأعور، قال الحافظ ابن كثير في «الفضائل» ٥: «وقد تكلموا فيه، بل قد كذب بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي ﷺ، وقد وهم بعضهم في رفعه.

(٢) «الطبري» ١٧٦/١، وخرجه أحمد في «المسند» ١٨٢/٤ - ١٨٣، ونقله ابن كثير ٢٧/١ من رواية «المسند»، وقال: وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، من حديث الليث بن سعد به، ورواه الترمذي، والنسائي جميعاً عن علي بن حجر، عن بقة، عن جبير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن الثَّوَّاس بن سمعان به، وهو إسناده حسن صحيح. وذكره السيوطي في «الدر» ١٥/١، وزاد نسبته لابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن الثَّوَّاس مرفوعاً، ونص الحديث: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنيتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط نام يدعو يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تموجوا. وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحني فإنك إن تفتحني تلج، فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: معارج الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم.

(٣) ديوانه: ٣٢. وقوله: تنازعنا الحديث، أي: حدثني وحدثتها، وأصله من النزوع بالدلو، وهو جذبها. ومعنى أسمحت: انقادت وسهلت بعد صعبتها وامتاعها.

(٤) «الطبري» ٦٥/١٥ بسند ضعيف جداً، وذكره ابن كثير ٤١٤/٢ من رواية ابن أبي حاتم بسنده، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٠٥ وزاد نسبته للدارقطني في الرؤية، وابن مردويه.

(٥) الحديث في «مسلم» ١٦٣/١ ولقظه: عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم ندخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ». ورواه أحمد =

الأشعري، وحذيفة، وابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والسدي، ومقاتل. والثاني: أن الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب، رواه الحكم عن علي، ولا يصح<sup>(١)</sup>. والثالث: أن الزيادة: مضاعفة الحسنه إلى عشر أمثالها، قاله ابن عباس، والحسن. والرابع: أن الزيادة: مغفرة ورضوان، قاله مجاهد. الخامس: أن الزيادة: أن ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة، قاله ابن زيد. السادس: أن الزيادة: ما يشتهونه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ أي: لا يغشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ وقرأ الحسن، وقتادة، والأعمش: «قَتَرٌ بِإِسْكَانِ التَّاءِ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه السواد. قال ابن عباس: سواد الوجوه من الكآبة. وقال الزجاج: القتر: الغبرة التي معها سواد. والثاني: أنه دخان جهنم، قاله عطاء. والثالث: الخزي، قاله مجاهد. والرابع: الغبار، قاله أبو عبيدة. وفي اللذة قولان: أحدهما: الكآبة، قاله ابن عباس. والثاني: الهوان، قاله أبو سليمان.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْبَغِيهَا وَرَهَقُهُمْ ذُلٌّ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ تَائِبٍ كَانَتْهُمْ أَفْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قَطْمًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال ابن عباس: عملوا الشر. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْبَغِيهَا﴾ في الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أن فيها إضمار «لهم»، المعنى: لهم جزاء سيئة بمثلها، وأنشد ثعلب:

فَمِنْ سَأَلَ الْوَاشُونَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُمْ  
مُلِمٌّ يَلِيْلَى لَمَّةً ثُمَّ إِنَّهُ  
أَرَادَ هُوَ مُلِمٌّ، وهذا قول الفراء.

والثاني: أن فيها إضمار «منهم»، المعنى: جزاء سيئة منهم بمثلها، تقول العرب: رأيت القوم صائم وقائم، أي: منهم صائم وقائم، أنشد الفراء:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الشُّبْحُ فِي عَالَسٍ  
وَعُودَ الْبَقْلِ مَلُيٍّ وَخَصُودُ

أي: منه ملوي، وهذا قول ابن الأنباري. وقال بعضهم: الباء زائدة هاهنا، و «من» في قوله: ﴿مِنْ تَائِبٍ كَانَتْهُمْ أَفْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قَطْمًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة: «قَطْمًا» مفتوحة الطاء، وهي جمع قطعة. وقرأ ابن كثير، والكسائي، ويعقوب: «قَطْمًا» بتسكين الطاء. قال ابن قتيبة: وهو اسم ما قطع. قال ابن جرير: وإنما قال: «مُظْلِمًا» ولم يقل: «مُظْلِمَةٌ» لأن المعنى: قطعاً من الليل المظلم، ثم حذفت الألف واللام من «المظلم»، فلما صار نكرة، وهو من نعت الليل، نُصِبَ عَلَى الْقَطْعِ؛ وقوم يسمون ما كان كذلك حالاً، وقوم قطعاً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَيَرَى بَيْنَهُمْ وَكَانَ شُرَكَائُهُمْ مَّا كَانُوا إِذَا نَادَى تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبَيِّنُكُمْ إِنَّ كَمَا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَفِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا﴾ قال ابن عباس: يُجْمَعُ الْكُفَارُ وَالْكَهْتَمُ. ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ﴾ أي: ألهتكم. قال الزجاج: «مَكَانَكُمْ» منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم، والعرب تتوعد فتقول: مكانك، أي: انتظر مكانك، فهي كلمة جرت على الوعيد.

قوله تعالى: ﴿فَرَقْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهِمْ﴾ وقرأ ابن أبي عبله: «فَرَقْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِهِمْ». وقال

١ = ٣٣٣/٦ و ١٦/٦، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٥٥ وزاد نسبه للطائلي، وهناد، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والدارقطني في الروية، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات». واللفظ الذي ساقه المؤلف «الزيادة: النظر إلى وجه الله ﷻ» ذكره السيوطي من رواية الدارقطني، وابن مردويه عن صهيب.

(١) «الطبري» ٦٩/١٥ عن الحكم بن عتيبة، عن علي، وهو ضعيف لإرساله، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٣٠٦ من طريق الحكم بن عتيبة عن علي، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في الروية.

ابن قتيبة: هو من زال يزول وأزله. وقال ابن جرير: «إنما قال: «فزينا» ولم يقل: «فزنا» لإرادة تكرير الفعل وتكثيره. فإن قيل: كيف تقع الفرقة بينهم وهم معهم في النار، لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩٨]؟ فالجواب: أن الفرقة وقعت بتبزي كل معبود ممن عبده، وهو قوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾، قال ابن عباس: ألهمهم، يُنطق الله الأوثان، فتقول: ﴿يَا كُفُّمُ إِنَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا نعلم بعبادتكم لنا، لأنه ما كان فينا روح، فيقول العابدون: بلى قد عبدناكم، فتقول الآلهة: ﴿فَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلًا﴾ لا نعلم بها. قال الزجاج: ﴿إِنْ كُنَّا﴾ معناه: ما كنا إلا غافلين. فإن قيل: ما وجه دخول الباء في قوله: ﴿فَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنها دخلت للمبالغة في المدح كما قالوا: أظرف بعد الله، وأنبل بعد الرحمن، وناهيك بأخيها، وحسبك بصديقنا، هذا قول الفراء وأصحابه. والثاني: أنها دخلت توكيداً للكلام، إذ سقوطها ممكن، كما يقال: خذ بالخطام، وخذ الخطام، قاله ابن الأنباري.

﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «تبلى» بالباء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وزيد عن يعقوب: «تتلوا» بالياء. قال الزجاج: «هنالك» ظرف، والمعنى: في ذلك الوقت تبلى، وهو منصوب بتبلى، إلا أنه غير متمكن، واللام زائدة، والأصل: هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة. و«تبلى» تختبر، أي: تعلم. ومن قرأ «تتلوا» بتاءين، فقد فسرها الأخفش وغيره: تتلو من التلاوة، أي: تقرأ. وفسروه أيضاً: تتبع كل نفس ما أسلفت. ومثله قول الشاعر:

قد جعلت دلوئى تستثلىنى

[ولا أريدُ تَبَعَ القرنين]<sup>(١)</sup>

أي: تستعيني، أي: من ثقلها تستدعي اتباعي إياها.

قوله تعالى: ﴿وَرُدُّوْا﴾ أي: في الآخرة ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ الذي يملك أمرهم حقاً، لا مَنْ جعلوا معه من الشركاء. ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: زال وبطل ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من الآلهة. ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ نَزَّلَ أَفْلاكَ نَنْقُورَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر، ومن الأرض النبات، ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ أي: خلق السمع والأبصار. وقد سبق معنى إخراج الحي من الميت، والميت من الحي لك عمران: ٢٧. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ أي: أمر الدنيا والآخرة ﴿فَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ لأنهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله، فكان ذلك دليل توحيده. وفي قوله: ﴿أَفْلاكَ نَنْقُورَ﴾ قولان: أحدهما: أفلا تتعظون، قاله ابن عباس. والثاني: تتقون الشرك، قاله مقاتل.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي تَمَادَا بَدَّ الْحَيَّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ مَصْرُوفَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الَّذِي﴾ قال الخطابي: الحق هو المتحقق وجوده، وكل شيء صبح وجوده وكونه، فهو حق.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ مَصْرُوفَ﴾ قال ابن عباس: كيف تصرف عقولكم إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيي ولا يميت؟ ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ رَبُّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ إِلَى اللَّهِ يَسْبِقُونَهُ؟ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَضِلَّ قُلْ كَيْفَ نَحْكُمُكُمْ؟

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ رَبُّكَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كلمة ربك»

(١) الرجز في اللسان: تلا، غير منسوب.



وفي آخر السورة كذلك. وقرأ نافع، وابن عامر الحرفين «كلمات» على الجمع. قال الزجاج: الكاف في موضع نصب، أي: مثل أفعالهم جازاهم ربك، والمعنى: حق عليهم أنهم لا يؤمنون. وقوله: «أَنْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» بدل من «كُنْتُمْ لَا تُؤْمِنُونَ» وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون، وتكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب. وذكر ابن الأنباري في «كذلك» قولين: أحدهما: أنها إشارة إلى مصدر «تصرفون»، والمعنى: مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك. والثاني: أنه بمعنى هكذا. وفي معنى «حقت» قولان: أحدهما: وجبت. والثاني: سبقت. وفي كلمته قولان: أحدهما: أنها بمعنى وعده. والثاني: بمعنى قضائه. ومن قرأ «كلمات» جعل كل واحدة من الكلم التي توعدوا بها كلمة. وقد شرحنا معنى الكلمة في [الأعراف: ١٣٧ و ١٥٨].

قوله تعالى: «قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ» أي: إلى الحق.

قوله تعالى: «أَنْتَ لَا يَهْدِي» قرأ ابن كثير، وابن عامر، وورش عن نافع «يَهْدِي» بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. قال الزجاج: الأصل يهتدي، فادغمت التاء في الدال، فطرحت فتحتها على الهاء. وقرأ نافع إلا ورساً، وأبو عمرو: «يَهْدِي» بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال، غير أن أبا عمرو كان يُشِمُّ الهاء شيئاً من الفتح. وقرأ حمزة، والكسائي: «يَهْدِي» بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال. قال أبو علي: والمعنى: لا يهدي غيره إلا أن يَهْدِي هو، ولو هُدي الضم لم يهتد، ولكن لما جعلوها كمن يعقل، أجريت مجراه. وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم: «يَهْدِي» بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وكذلك روى أبان وجبله عن المفضل وعبد الوارث، قال الزجاج: أتبعوا الكسرة الكسرة، وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء. وروى حفص عن عاصم، والكسائي عن أبي بكر عنه: «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، قال الزجاج: وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء، إلا أن الهاء كُسرَت للقاء الساكنين. وقرأ ابن السميع: «يهتدي» بزيادة تاء. والمراد بقوله: «أَنْتَ لَا يَهْدِي» الصم «إِلَّا أَنْ يَهْدِي». وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت، وليست كذلك، لأنها حجارة لا تهتدي، إلا أنهم لما اتخذوها آلهة، عبّر عنها كما يعبر عن من يعقل، ووصفت صفة من يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك؛ ولهذا المعنى قال في صفتها: «أَنْتَ» لأنهم جعلوها كمن يعقل. ولما أعطاهما حقها في أصل وضعها، قال: «يَتَأْتِي لِمَنْ تَبَدَّلَ مَا لَا يَسْمَعُ» [سرم: ٤٤]. وقال الفراء: «أَنْتَ لَا يَهْدِي» أي: أتعبدون ما لا يقدر أن ينتقل من مكانه إلا أن يحول؟ وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضلين، والأول أصح.

قوله تعالى: «فَا لَكُمْ» قال الزجاج: هو كلام تام، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأوثان؟ ثم قيل لهم: «كَيْفَ تَحْكُمُونَ» أي: على أي حال تحكمون؟ وقال ابن عباس: كيف تقضون لأنفسكم؟ وقال مقاتل: كيف تقضون بالجزر؟

«وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» [٢٦]

قوله تعالى: «وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا» أي: كلهم «إِلَّا ظَنًّا» أي: ما يستيقنون أنها آلهة، بل يظنون شيئاً فيُتَّبِعُونَهُ. «إِنَّ الظَّنَّ لَا يَقْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» أي: ليس هو كاليقين، ولا يقوم مقام الحق. وقال مقاتل: ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً، وقال غيره: ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم.

«وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ قَسْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [٢٧]

قوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ» قال الزجاج: هذا جواب قولهم: «أَنْتَ يَقْتَرِي غَيْرَ هَذَا أَوْ يَدُلُّهُ» [يونس: ١٥] وجواب قولهم: «أَنْتَرَيْنَهُ» [الفرقان: ٤]. قال الفراء: ومعنى الآية: ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله، فجاءت «أَنْ» على معنى ينبغي. وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون «أَنْ» مع «يفترى» مصدرًا، وتقديره: وما كان هذا القرآن افتراءً. ويجوز أن تكون «كان» تامة، فيكون المعنى: ما نزل هذا القرآن، وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى، وبأن يفترى، فتُنصَبُ «أَنْ» بفقد الخافض في قول الفراء، وتخفُضُ بإضمار الخافض في قول الكسائي. وقال ابن قتيبة: معنى «أَنْ يَقْتَرَى» أي: يضاف إلى غير الله، أو يُخْتَلَقُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تصديق الكتب المتقدمة، قاله ابن عباس. فعلى هذا، إنما قال: ﴿الَّذِي﴾ لأنه يريد الوحي. والثاني: ما بين يديه من البعث والنشور، ذكره الزجاج. والثالث: تصديق النبي ﷺ الذي بين يدي القرآن، لأنهم شاهدوا النبي ﷺ وعرفوه قبل سماعهم القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ أي: وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد ﷺ والفرائض التي فرضها عليهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَفْتَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ في «أم» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى بل، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: فاتوا بسورة مثل سورة منه، فذكر المثل لأنه إنما التمس شبه الجنس، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَفْتَيْتُمْ﴾ ممن هو في التكذيب مثلكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلًا كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء. والثاني: بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به، لأنهم شاكرون فيه. وفي قوله: ﴿وَلَكِنَّا بآيَاتِهِمْ تَأْوِيلًا﴾ قولان: أحدهما: تصديق ما وعدوا به من الوعيد. والتأويل: ما يؤول إليه الأمر. والثاني: ولم يكن معهم علم تأويله، قاله الزجاج. قيل لسفيان بن عيينة: يقول الناس: كل إنسان عدو ما جهل، فقال: هذا في كتاب الله. قيل: أين؟ فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾. وقيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن: من جهل شيئاً عاداه؟ فقال: نعم، في موضعين: قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِإِلَهِهِ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَيَرْجُلُونَ مِنْكَ إِنَّكَ قَوِيٌّ﴾ [الاحقاف: ١١].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: قريش، قاله مقاتل بن سليمان. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ ودينه، قاله مقاتل. والثاني: إلى القرآن، قاله أبو سليمان الدمشقي. وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله، فالمعنى: ومنهم من يؤمن به. وقال الزجاج: منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعاند فيظهر الكفر. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: يشك ولا يصدق.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ قال عطاء: يريد المكذبين، وهذا تهديد لهم.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ رَافِعُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا نَزِيَّةٌ وَمِمَّا تَحْمِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ الآية. قال أبو صالح عن ابن عباس: نسختها آية السيف؛ وليس هذا بصحيح، لأنه لا تنافي بين الآيتين.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في يهود المدينة، كانوا يأتون رسول الله ويستمعون القرآن فيعجبون ويشتهونه ويغلب عليهم الشفاء، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنها نزلت في المستهزئين، كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ للاستهزاء والتكذيب، فلم ينتفعوا، فنزلت فيهم هذه الآية، والقولان مرويان عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في مشركي قريش، قاله مقاتل. قال الزجاج: ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم. ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: ولو كانوا مع ذلك جهالاً. وقال ابن عباس: يريد أنهم شر من الصم، لأن الصم لهم عقول وقلوب، وهؤلاء قد أصم الله قلوبهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصَّمَّى وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس: يريد متعجبين منك. ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصَّمَّى﴾ يريد أن الله

أعمى قلوبهم فلا يبصرون. وقال الزجاج: ومنهم من يُقبل عليك بالنظر، وهو من بغضه لك وكرهته لما يرى من آياتك كالأعمى. وقال ابن جرير: ومنهم من يستمع قولك وينظر إلى حججك على نُبُوتك، ولكن الله قد سلبه التوفيق. وقال مقاتل: و «لو» في الآيتين بمعنى «إذا».

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة، أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم، لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء، وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك، لأن الفعل منسوب إليهم، وإن كان بقضاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولكن الناس» بتخفيف النون وكسرهما، ورفع الاسم بعدها.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرُبِّهِمْ شَاقَّةٌ مِنْ النَّارِ يَعَارِفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خِیرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ٤٥

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ وقرأ حمزة: «يحشرهم» بالياء. قال أبو سليمان الدمشقي: هم المشركون. قوله تعالى: ﴿كَانَ لَرُبِّهِمْ شَاقَّةٌ مِنْ النَّارِ﴾ فيه قولان: أحدهما: كأن لم يلبثوا في قبورهم، قاله ابن عباس. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. قال الضحاك: قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم، فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من القيامة.

قوله تعالى: ﴿يَعَارِفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن عباس: إذا بُعثوا من القبور تعارفوا، ثم تنقطع المعرفة. قال الزجاج: وفي معرفة بعضهم بعضاً، وعلم بعضهم بإضلال بعض، التوبيخ لهم، وإثبات الحجة عليهم. وقيل: إذا تعارفوا وبَّخ بعضهم بعضاً، فيقول هذا لهذا: أنت أضللتني، وكسبتني دخول النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ خِیرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ هو من قول الله تعالى، لا من قولهم، والمعنى: خسروا ثواب الجنة إذ كذبوا بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ من الضلالة.

﴿وَرَبَّنَا زَيْنَبُكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدِّعُ أَوْ نَتَوَكَّلُ فَإِنَّا مَرَجُّهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤٦ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَّسُولُهُمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٧

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا زَيْنَبُكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدِّعُ﴾ قال المفسرون: كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم. ﴿أَوْ نَتَوَكَّلُ﴾ قبل أن نريك ﴿إِنَّا مَرَجُّهُمْ﴾ بعد الموت، والمعنى: إن لم تنتقم منهم عاجلاً، انتقمنا أجلاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب. قال الفراء: «ثم» هاهنا عطف، ولو قيل: معناها: هناك الله شهيد، كان جائزاً. وقال غيره: «ثم» هاهنا بمعنى الواو. وقرأ ابن أبي عبلة: «ثُمَّ الله شهيد» بفتح التاء، يراد به: هنالك الله شهيد.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ رَّسُولُهُمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: إذا جاء في الدنيا بعد الإذن له في دعائهم، قضي بينهم بتعجيل الانتقام منهم، قاله الحسن. وقال غيره: إذا جاءهم في الدنيا، حُكم عليهم عند اتباعه وخلافه بالطاعة والمعصية. والثاني: إذا جاء يوم القيامة، قاله مجاهد. وقال غيره: إذا جاء شاهداً عليهم. والثالث: إذا جاء في القيامة وقد كُتِبَ في الدنيا، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: بين الأمة، فأيوب المحسن وعوقب المسيء. والثاني: بينهم وبين نبيهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٨

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ في القائلين هذا قولان: أحدهما: الأمم المتقدمة، أخبر عنهم باستعجال العذاب لأنبيائهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون الذين أنذرهم نبينا ﷺ، قاله أبو سليمان. وفي المراد بالوعد قولان: أحدهما: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: قيام الساعة. ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنت وأتباعك.



﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَإِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أَثِمٍّ لَّئَلَّ إِذَا جَاءَ الْبَلَاءُ فَلَا يَسْتَعِزُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِينُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابَكُمْ يَوْمًا مَّاذَا يَسْتَعِجِلُّونَهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَفَرَأَى إِذَا مَا وَقَعَ مَأْسُكُمْ بِهِ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُعْزِجُونَ إِلَا يَمَّا كُنتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا إِلَهٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾... الآية، قد ذكرت تفسيرها في آيتين من [الأعراف: ٣٤ و ١٨٨].

قوله تعالى: ﴿إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابَكُمْ يَوْمًا مَّاذَا يَسْتَعِجِلُّونَهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قال الزجاج: البيات: كل ما كان بليلاً. وقوله: ﴿مَّاذَا﴾ في موضع رفع من جهتين: إحداهما: أن يكون «ذا» بمعنى الذي، المعنى: ما الذي يستعجل منه المجرمون؟ ويجوز أن يكون «مَّاذَا» اسماً واحداً، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجرمون؟ والهاء في «منه» تعود على العذاب. وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى؟ وعودها على العذاب أجود، لقوله: ﴿أَنزَرُ إِذَا مَا وَقَعَ مَأْسُكُمْ بِهِ﴾. وذكر بعض المفسرين أن المراد بالمجرمين: المشركون، وكانوا يقولون: نكذب بالعذاب ونستعجله، ثم إذا وقع العذاب آمنا به؛ فقال الله تعالى موثقاً لهم: ﴿أَنزَرُ إِذَا مَا وَقَعَ مَأْسُكُمْ بِهِ﴾ أي: هنالك تؤمنون فلا يُقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: الآن تؤمنون؟ فأضمر: تؤمنون به مع «ءَأَلْفَنَ وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ» مستهزئين، وهو قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: كفروا، عند نزول العذاب ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾، لأنه إذا نزل بهم العذاب، أفصوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم.

﴿وَيَسْتَعِزُّونَكَ أَفَرَأَى هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُمْ لَكَاؤُا أَنْتُمْ بِمُعْجِزَةٍ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعِزُّونَكَ﴾ أي: ويستخبرونك ﴿أَفَرَأَى هُوَ﴾ يعنون البعث والعذاب. ﴿قُلْ إِي﴾ المعنى: نعم ﴿وَرَبِّي﴾، وفتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو. وإنما أقسم مع إخباره تأكيداً. وقال ابن قتيبة: «إِي» بمعنى «بل» ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ قال ابن عباس: بسابقين. وقال الزجاج: لستم ممن يُعجز أن يجازي على كفره.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ مَا فِي الْأَرْضِ لَآتَتْهُ بِهِ. وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُتِنُوا بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَتْلَمَحُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ إِلَهًا لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَةٌ﴾ قال ابن عباس: أشركت. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لَآتَتْهُ بِهِ﴾ عند نزول العذاب. ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ يعني: الرؤساء أخفوها من الاتباع. ﴿وَفُتِنُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الفريقين. وقال آخرون منهم أبو عبيدة والمفضل: «أسرؤا الندامة» بمعنى أظهروا، لأنه ليس بيوم تُصنع ولا تصير، والإسرار من الأضداد؛ يقال: أسررت الشيء، بمعنى: أخفيت. وأسرته: أظهرته، قال الفرزدق:

ولما رأى الحجاج جرد سيفه

أسرَّ الحروري الذي كان أضمر<sup>(١)</sup>

يعني: أظهر. فعلى هذا القول: أظهروا الندامة عند إحراق النار لهم، لأن النار ألتهتهم عن التصنع والكتمان. وعلى الأول: كتموها قبل إحراق النار لإياهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ قال ابن عباس: ما وعد أولياءه من الثواب، وأعداءه من العقاب. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَرْجِعُهُمْ بَيْنَ رَيْبٍ وَشَقَاءٍ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً. ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَرْجِعُهُ﴾ يعني القرآن. ﴿وَشَقَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: دواء لداء الجهل. ﴿وَهُدًى﴾ أي: بيان من الضلالة.

(١) البيت في «أضداد الأصمعي» ٢١، و«أضداد السجستاني» ١٥١، و«أضداد ابن السكيت» ١٧٦، و«أضداد ابن الأنباري» ١٤٦، و«أضداد أبي الطيب» ٣٥٣، و«اللسان» و«التاج»: سرر، منسوبة فيها جميعاً إلى الفرزدق، وليس في «ديوانه».



﴿قُلْ يٰٓمُضِلِّ آلِهَةٍ وَرَحْمَةٍ فَيَذَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓمُضِلِّ آلِهَةٍ وَرَحْمَةٍ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وهلال بن يساف. وروي عن الحسن، ومجاهد في بعض الرواية عنهما، وهو اختيار ابن قتيبة. والثاني: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلهم من أهل القرآن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري، والحسن في رواية. والثالث: أن فضل الله: العلم، ورحمته: محمد ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: تزيينه في القلوب، قاله ابن عمر. والخامس: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، قاله الضحاك، وزيد بن أسلم، وابنه، ومقاتل. والسادس: أن فضل الله ورحمته: القرآن، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، واختاره الزجاج. والسابع: أن فضل الله: القرآن، ورحمته: السنة، قاله خالد بن معدان. والثامن: فضل الله: التوفيق، ورحمته: العصمة، قاله ابن عيينة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وقاتدة، وأبو العالية، ورويس عن يعقوب: «فلتفرحوا» بالثاء. وقرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل مثل ذلك، إلا أنهم كسروا اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «فبذلك فافرحوا». قال ابن عباس: بذلك الفضل والرحمة. «هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» أي: مما يجمع الكفار من الأموال. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ورويس: «تجمعون» بالثاء. وحكى ابن الأنباري أن الباء في قوله: ﴿يٰٓمُضِلِّ آلِهَةٍ﴾ خبر لاسم مضمر. تأويله: هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله ورحمته، فبذلك التطول من الله ليفرحوا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ بَيْنَهُ حَرَامًا وَسَلَكْتُمْ عَلَىٰ مَآلِهِ أُولَٰئِكَ لَكُمْ أَنْ عَلَىٰ اللَّهِ تَقَرُّوْنَ﴾ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار قريش، كانوا يحرمون ما شاؤوا، ويحلون ما شاؤوا. و «أَنْزَلَ» بمعنى خلق. وقد شرحنا بعض مذاهبيهم فيما كانوا يفعلون من البحيرة والسائبة وغير ذلك في [المائة: ١٠٣] و [الانعام: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآلَهُ أُولَٰئِكَ لَكُمْ﴾ أي: في هذا التحليل والتحريم.

﴿وَمَا عَلَىٰ الَّذِينَ يَنْتَوُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ أَنَّهُ لَدُوْ قَضِيٍّ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْذَرُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَىٰ الَّذِينَ يَنْتَوُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم، ﴿إِنْ أَنَّهُ لَدُوْ قَضِيٍّ عَلَى النَّاسِ﴾ حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ﴿وَلَكِنْ أَكْذَرُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ تأخير العذاب عنهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَسْرُبُ عَنْ ذِكْرِهِ مِنْ شَيْءٍ لَّا يَرْضَىٰ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي: في عمل من الأعمال، وجمعه: شؤون. ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الشأن. قال الزجاج: معنى الآية: أي وقت تكون في شأن من عبادة الله، وما تلوت من الشأن من قرآن. والثاني: أنها تعود إلى الله تعالى، فالمعنى: وما تلوت من الله، أي: من نازل منه من قرآن، ذكره جماعة من العلماء. والخطاب للنبي ﷺ، وأمه داخلون فيه، بدليل قوله: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ قال ابن الأنباري: جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الهاء عائدة على العمل. قال ابن قتيبة: تفيضون بمعنى تأخذون فيه. وقال الزجاج: تتشرون فيه، يقال: أفاض القوم في الحديث: إذا انتشروا فيه وخاضوا. ﴿وَمَا يَسْرُبُ﴾ معناه: وما يبعد. وقال ابن قتيبة: ما يبعد ولا يغيب. وقرأ الكسائي «يعزب» بكسر الزاي هاهنا وفي [سبا: ٣]. وقد بينا مثقال ذرة في سورة [النساء: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء فيهما. وقرأ حمزة، وخلف، ويعقوب، برفع

الراء فيهما. قال الزجاج: مَنْ قرأ بالفتح، فالمعنى: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرّة، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر، والموضع موضع خفض، إلا أنه فُتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع، فالمعنى: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر. ويجوز رفعه على الابتداء، فيكون المعنى: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ ثَبِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو اللوح المحفوظ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوَّلِيَّةَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوَّلِيَّةَ اللَّهِ﴾ روى ابن عباس أن رجلاً قال: يا رسول الله، مَنْ أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكر الله»<sup>(١)</sup>. وروى عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأَنْسَاءَ مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْطِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ ﷻ» قالوا: يا رسول الله، مَنْ هُمْ، وما أعمالهم لعلنا نحبهم؟ قال: «هَمُّ قَوْمٍ تَحَابَتُوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتِمَاطُونَهَا، فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ»، ثم قرأ ﴿أَلَا إِنَّ أَوَّلِيَّةَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣١﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُرى له، رواه عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت، قاله الضحاك، وقتادة، والزهري. والثالث: أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه، كقوله: ﴿وَيَبْقَرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿وَأَنْبَشِرُوا بِالْحَيَاةِ﴾ [نصفت: ٢٠]، ﴿يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [التوبة: ٢١]، وهذا قول الحسن، واختاره الفراء، والزجاج، واستدلا بقوله: ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس: لا خُلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته، فإذا لم تبدل الكلمات، لم تبدل المواعيد. فأما بشرهم في الآخرة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أنه عند خروج الروح تبشّر بروضان الله، قاله ابن عباس. والثالث: أنها عند الخروج من قبورهم، قاله مقاتل<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ جَبِيئاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلَهُمْ﴾ قال ابن عباس: تكذيبهم. وقال غيره: تظاهروهم عليك بالعداوة وإنكارهم وأذاهم. وتم الكلام هاهنا. ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ جَبِيئاً﴾ أي: الغلبة له، فهو ناصرك وناصر دينك، ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولهم: ﴿الْعَلِيمُ﴾ بإضمارهم، فيجازيهم على ذلك.

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظُّلُمَ وَإِنَّهُمْ لَآ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾

(١) «الطبري» ١٢٠/١٥، مرسلاً، وأورد ابن كثير في «التفسير» ٤٢٢/٢ من رواية البزار مرفوعاً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٣ وزاد نسبه إلى المبارك، والحكيم الترمذي في «نواهد الأصول»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ١٢١/١٥، وأبو داود رقم (٣٥٢٧)، وذكره الحافظ ابن كثير وقال: إسناده جيد، إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب، ورواه الطبري ١٢٢/١٥، وأحمد ٣٤٣/٥ مطولاً من حديث أبي مالك الأشعري، وفي سنده شهر بن حوشب. وروى معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغطهم النبيون والشهداء» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) انظر رواية الحديث عن هؤلاء الصحابة في «الطبري» ١٢٥/١٥ - ١٤٠. و«الدر» ٣١١/٣ - ٣١٣.

(٤) «الطبري» ١٣١/١٥، والسيوطي في «الدر» ٣١١/٣ وزاد نسبه لأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله - تعالى ذكره - أخبر أن أوليائه المتقين البشري في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، ومنها بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ من الثواب الجزيل، وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عه - جل ثناؤه - أن لهم البشري في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فالجنة.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّكَ لَمِنَ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: «ألا» افتتاح كلام وتنبيه، أي: فالذي هم له، يفعل فيهم وبهم ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْمِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أي: ما يتبعون شركاء على الحقيقة، لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم، وليست على ما يظنون. «إِنْ يَكْفُرُوا إِلَّا الظُّلُمُ» في ذلك «وَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِضُونَ» قال ابن عباس: يكذبون. وقال ابن قتبية: يحدسون ويحزرون.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْهِمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ المعنى: إن ربكم الذي يجب أن تعتقدوا ربوبيته، هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، فيزول تعب النهار وكلاله بالسكون في الليل، وجعل النهار مبصراً، أي: مضيئاً تبصرون فيه. وإنما أضاف الإبصار إليه، لأنه قد فهم السامع المقصود، إذ النهار لا يبصر، وإنما هو ظرف يفعل فيه غيره، كقوله: «عَيْنُهُ رَأْيُهُ» [الحاقة: ٢١]، إنما هي مرضية، وهذا كما يقال: ليل نائم، قال جرير:

لَقَدْ لُمْنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى  
وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار، فيعلمون أنه لا يقدر على ذلك إلا الإله القادر. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَدًّا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قل إن الذين يَفْقَهُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿٢١﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا رَاجِعُهُمْ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَدًّا﴾ قال ابن عباس: يعني أهل مكة، جعلوا الملائكة بنات الله.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيه له عما قالوا. «هُوَ الْغَنِيُّ» عن الزوجة والولد. «إِنَّ عِنْدَكُمْ» أي: ما عندكم «مِن سُلْطَانٍ» أي: حجة بما تقولون.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يبقون في الدنيا. والثاني: لا يسعدون في العاقبة. والثالث: لا يفوزون. قال الزجاج: وهذا وقف التمام، وقوله: «مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا» مرفوع على معنى: ذلك متاع في الدنيا.

﴿وَإِنَّا نَحْنُ نَحْنُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ يَقُولُوا إِن كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَّتَّاعِي وَتَذَكُّرِي يَتَذَكَّرُ اللَّهُ فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيْكَ وَلَا تُنْظَرُوا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نَحْنُ نَحْنُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ يَقُولُوا إِن كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَّتَّاعِي وَتَذَكُّرِي يَتَذَكَّرُ اللَّهُ فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيْكَ وَلَا تُنْظَرُوا﴾ فيه دليل على نوبته، حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب، وتحريض على الصبر، وموعظة لقومه بذكر قوم نوح وما حلَّ بهم من العقوبة بالكذب.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَّتَّاعِي وَتَذَكُّرِي يَتَذَكَّرُ اللَّهُ فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيْكَ وَلَا تُنْظَرُوا﴾ أي: طول مكثي. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «مَّتَّاعِي» برفع الميم. «وَتَذَكُّرِي» وعظي. «فَعَلَّ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ» في نصرتي ودفع شركم عني. «فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ» قرأ الجمهور: «فأجمعوا» بالهمز وكسر الميم، من «أجمعت». وروى الأصمعي عن نافع: «فأجمعوا» بفتح الميم، من «جمعت». ومعنى «أجمعوا أمركم»: أحكموا أمركم واعزموا عليه. قال المورج: «أجمعت الأمر» أفصح من «أجمعت عليه»، وأنشد:

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنَى لَا تَنْفَعُ  
هَلْ أَغْدُوْنَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُنْجَمَعٌ<sup>(٢)</sup>

فأما رواية الأصمعي، فقال أبو علي: يجوز أن يكون معناها: اجمعوا ذوي الأمر منكم، أي: رؤساءكم. ويجوز أن يكون جعل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم الذي يكيدون به، فيكون كقوله: «فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَفْتَرُوا صَفًّا» [طه: ٦٤].

(١) «ديوانه» ٥٥٤ من قصيدة له طويلة أجاب بها الفرزدق، «الطبري» ١٤٤/١٥، «مجاز القرآن» ٢٧٩/١، «مسيره» ٨٠/١، «الخرائج» ٢٢٣/١.

(٢) الرجز غير منسوب في «نواد أبي زيد» ٤٧٦، ومعاني القرآن للفرأء ١٤٨/١، «الطبري» ١٤٨/١٥، «الأضداد» لابن الأنباري ٤١، «المالي الرضوى» ٥٥٩/١، «المصاحح»، «واللسان»: جمع.



قوله تعالى: ﴿وَشَرَّكَاءَكُمْ﴾ قال الفراء وابن قتيبة: المعنى: وادعوا شركاءكم. وقال الزجاج: الواو هاهنا بمعنى «مع»، فالمعنى: مع شركائكم. تقول: لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، أي: مع فصيلها. وقرأ يعقوب: «وشركاؤكم» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنتُمْ عَلَىٰ كُرْبٍ عَلَيَّكَ غُثَّةٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يكن أمركم مكتوماً، قاله ابن عباس. والثاني: غماً عليكم، كما تقول: كرب وكربة، قاله ابن قتيبة. وذكر الزجاج القولين. وفي قوله: ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيْكَ﴾ قولان: أحدهما: ثم اقضوا إلي ما في أنفسكم، قاله مجاهد. والثاني: افعلوا ما تريدون، قاله الزجاج، وابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: معناه: اقضوا إلي بمكروهم وما توعدونني به، كما تقول العرب: قد قضى فلان، يريدون: مات ومضى.

﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ مَّا سَأَلْتُمُونِي أَتَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِي أَمْ لَا أَتَنْجِيكُمْ أَنْ تُكْفِرُوا بِلِقَاءِ رَبِّكُمُ الْأَوَّلِ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيْكَ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيْكَ﴾ ﴿٧٤﴾ قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: اعرضتم عن الإيمان. ﴿فَمَا سَأَلْتُمُونِي أَتَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِي﴾ أي: لم يكن دعائي إياكم طمعاً في أمورك.

قوله تعالى: ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ حرك هذه الباء ابن عامر، وأبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْبَضُوا إِلَيْكَ قَوْمَهُمْ﴾ أي: جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاً ممن هلك. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَاسْتَأْذَنُوا مِنْهُمْ فَاجْتَنَبُوا مَسَاجِدَهُمْ﴾ ﴿٧٥﴾ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: إبراهيم وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً. ﴿فَاجْتَنَبُوا مَسَاجِدَهُمْ﴾ أي: بان لهم أنهم رسل الله. ﴿فَمَا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يعني الذين قبلهم. والمراد: أن المتأخرين مضوا على سنن المتقدمين في التكذيب. وقال مقاتل: فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من العذاب من قبل نزوله.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: كما طعننا على قلوب أولئك، ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ﴾ يعني المتجاوزين ما أمروا به.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ يعني الرسل الذين أرسلوا بعد نوح. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرٌ شَيْئٌ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ الْحَقُّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَيْسَحَرُ هَذَا وَلَا يُبْلِغُ السَّحَرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمُ الْعَادِلِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ إِنَّ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَفْصَارَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿وَمَا تَرَوْا كُفْرًا﴾ ﴿٨١﴾ ﴿قَالَ مُوسَىٰ إِنَّ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَفْصَارَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿وَمَا تَرَوْا كُفْرًا﴾ ﴿٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ وهو ما جاء به موسى من الآيات. قوله تعالى: ﴿أَيْسَحَرُ هَذَا﴾ قال الزجاج: المعنى: أتقولون للحق لما جاءكم هذا اللفظ، وهو قولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَيَسْحَرٌ شَيْئٌ﴾. ثم قرأهم فقال: ﴿أَيْسَحَرُ هَذَا؟﴾ قال ابن الأنباري: إنما أدخلوا الألف على جهة تفضيع الأمر، كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة: أكسوة هذه؟ يريد بالاستفهام تعظيمها، وتأتي الرجل جائزاً، فيقول: أحق ما أرى؟ معظماً لما ورد عليه. وقال غيره: تقدير الكلام: أتقولون للحق لما جاءكم: هو سحر؟ أم سحر هذا؟ فحذف السحر الأول اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، كقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا فَيُكْفَرُوا بِهَا﴾ ﴿٨٤﴾ [الإسراء: ٧] المعنى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم.

قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ﴾ قال ابن قتيبة: لتصرفنا. قال: لفئ فلاناً عن كذا: إذا صرفته. ومنه الالتفات، وهو الانصراف عما كنت مقبلاً عليه.





الْقَرِيَّةَ [يونس: ٨٢]. وعلى القول الثاني يرجع ذكر الملائكة إلى الذرية. قال ابن جرير: وهذا أصح، لأنه كان في الذرية من أبوه قبطي وأمه إسرائيلية، فهو مع فرعون على موسى.

قوله تعالى: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يعني فرعون، ولم يقل: يفتنهم، لأن قومه كانوا على من كان عليه. وفي هذه الفتنة قولان: أحدهما: أنها القتل، قاله ابن عباس. والثاني: التعذيب، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فِرْعَوْنَ لَمَّا لِيَ الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: متطاول في أرض مصر ﴿وَلَهُ لَيْنَ الْمُشْرِفِينَ﴾ حين كان عبداً فادعى الربوبية.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامِنُونَ بِاللَّهِ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا آتَاكُمْ﴾ لما شكى بنو إسرائيل إلى موسى ما يهددهم به فرعون من ذبح أولادهم، واستحياء نساءهم، قال لهم هذا. وفي قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا فِتْنَةً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا تهلكننا بعذاب على أيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من قبلك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما غلبوا ولا سلطنا عليهم. والثاني: لا تسلطهم علينا فيفتنونا، والقولان مرويان عن مجاهد. والثالث: لا تسلطهم علينا فيفتنونا بنا، لظنهم أنهم على حق، قاله أبو الضحى، وأبو مجلز.

قوله تعالى: ﴿أَن تَوَدَّ لَفُتْرِكَ بِمِصْرَ يُونَا﴾ قال المفسرون: لما أرسل موسى، أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرت كلها، ومنعوا من الصلاة، وكانوا لا يصلون إلا في الكنائس؛ فأمر أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفاً من فرعون. و «تَوَدَّ» معناه: اتخذ، وقد شرحناه في [الأعراف: ٧٤]. وفي المراد بمصر قولان: أحدهما: أنه البلد المعروف بمصر، قاله الضحاك. والثاني: أنه الإسكندرية، قاله مجاهد. وفي البيوت قولان: أحدهما: أنها المساجد، قاله الضحاك، والثاني: القصور، قاله مجاهد. وفي قوله: ﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: اجعلوها مساجد، رواه مجاهد، وعكرمة، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال النخعي، وابن زيد. وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم، فقبل لهم: اجعلوا بيوتكم قبلة بدلاً من المساجد. والثاني: اجعلوها قبلاً القبلة، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: قِيلَ مَكَّةَ. وقال مجاهد: أمروا أن يجعلوها مستقبله الكعبة، وبه قال مقاتل، وقتادة، والفراء. والثالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضاً، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سعيد بن جبير. والرابع: واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحر. فإن قيل: البيوت جمع، فكيف قال: «قبلة» على التوحيد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: من قال: المراد بالقبلة الكعبة، قال: وخذت القبلة لتوحيد الكعبة. قال: ويجوز أن يكون أراد: اجعلوا بيوتكم قبلاً، فاكتمى بالواحد عن الجمع، كما قال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا إنا أخوكم

فقد برئت من الإحن الصدور

يريد: إنا إخوانكم. ويجوز أن يكون وخذ «قبلة» لأنه أجراها مجرى المصدر، فيكون المعنى: واجعلوا بيوتكم إقبالاً على الله، وقصداً لما كنتم تستعملونه في المساجد. ويجوز أن يكون وخذها، والمعنى: واجعلوا بيوتكم شيئاً قبلة، ومكاناً قبلة، ومحلة قبلة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ قال ابن عباس: أتموا الصلاة ﴿وَيَسِّرِ الْبُيُوتَ﴾ أنت يا محمد. قال سعيد بن جبير: بشرهم بالنصر في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَآئِيتٌ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ رِجَّتَهُ أَثْوَابًا﴾ قال ابن عباس: كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت.

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ وفي لام «يُضِلُّوا» أربعة أقوال: أحدها: أنها لام «كي» والمعنى: آتيتهم ذلك كي يضلوا، وهذا قول الفراء. والثاني: أنها لام العاقبة، والمعنى: إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال، ومثله قوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أي: آل أمرهم إلى أن صار لهم عدواً، لا أنهم قصدوا ذلك، وهذا كما تقول للذي كسب مالا فأذاه إلى الهلاك: إنما كسب فلان لحتفه، وهو لم يكسب المال طلباً للحتف، وأنشدوا:

وللخراب يُجِدُّ النَّاسُ عَمْرَانَا

وقال آخر:

كما لخراب الدُّور تُبْنِي الْمَسَاكِينُ

وقال آخر:

فللموت ما تَلِدُ الْوَالِدَ

فإن يَكُنِ الْمَوْتُ أَفْنَاهُمْ

أراد: عاقبة الأمر ومصيره إلى ذلك، هذا قول الزجاج. والثالث: أنها لام الدعاء، والمعنى: ربنا ابتلهم بالفضل عن سبيلك، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنها لام أجل، فالمعنى: آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك لهم، ومثله قوله: «سَيَحْلُوتُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ يَتَوَضَّعُونَ عَنْهُمْ» [التوبة: ٩٥] أي: لأجل إغراضكم، حكاه بعض المفسرين. وقرأ أهل الكوفة إلا المفضل، وزيد، وأبو حاتم عن يعقوب: «لِيُضِلُّوا» بضم الياء، أي: لِيُضِلُّوا غيرهم.

قوله تعالى: «رَبَّنَا آتِنَا» روى الحلبي عن عبد الوارث: «اطمُس» بضم الميم «عَلَّ أَنْزَلِيَهُ» وفيه قولان: أحدهما: أنها جعلت حجارة، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، وأبو صالح، والفراء. وقال القرظي: جُيِّلَ سَكْرُهُمْ حجارة. وقال ابن زيد: صار ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء لهم حجارة. وقال مجاهد: مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة، فكانت إحدى الآيات التسع. وقال الزجاج: تطميس الشيء: إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها. والثاني: أنها هلكت، فالمعنى أهلك أموالهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، ومنه يقال: طُمست عينه، أي: ذهب، وطُمس الطريق: إذا عفا ودرس. وفي قوله: «وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أربعة أقوال: أحدها: أطبع عليها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: أهلكهم كفاراً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: اشدت عليها بالضلالة، قاله مجاهد. والرابع: أن معناه: قَسَّ قُلُوبَهُمْ، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: «فَلَا يُؤْمِنُوا» فيه قولان: أحدهما: أنه دَعَاءٌ عليهم أيضاً، كأنه قال: اللهم فلا يؤمنوا، قاله الفراء، وأبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن الأنباري: معناه: فلا آمنوا، قال الأعشى:

وَلَا تَلْقُنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ<sup>(١)</sup>

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا أَنْزَوِي

معناه لا انبسط، ولا لقيتني. والثاني: أنه عطف على قوله: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ»، فالمعنى: أنك آتيتهم لِيُضِلُّوا فلا يؤمنوا، حكاه الزجاج عن المبرد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «حَتَّى يَرَوْا آتَاءَ الْكَلِمِ» قال ابن عباس: هو الغرق، وكان موسى يدعو، وهارون يؤمن، فقال الله تعالى: «فَدَّ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا»، وكان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة. فان قيل: كيف قال: «دَعْوَتُكُمَا» وهما دعوتان؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الدعوة تقع على دعوتين وعلى دَعَوَاتٍ وكلامٍ يطول كما بيَّنا في [الأعراف: ١٥٨] أن الكلمة تقع على كلمات، قال الشاعر:

هَلُمَّ إِلَى أَسْرَكُمِ قَدْ صُرِمٌ<sup>(٣)</sup>

وكان دعا دعوة قَوْمِهِ

فأوقع «دعوة» على الفاظ بيَّنا آخر بيته. والثاني: أن يكون المعنى: قد أُجِيبَتْ دعواتكما، فاكثفت بالواحد من ذكر الجميع، ذكر الجوابين ابن الأنباري. وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم أنه قرأ «دَعَوَاتُكُمَا» بالالف وفتح العين. والثالث: أن موسى هو الذي دعا، فالدعوة له، غير أنه لما آمَنَ هارون، أشرك بينهما في الدعوة، لأن التأمين على الدعوة منها. وفي قوله: «فَأَسْتَقِيمَا» أربعة أقوال: أحدها: فاستقيما على الرسالة وما أمرتكما به، قاله أبو صالح عن

(١) «ديوانه» ٥٨ من قصيدته في هجاء يزيد بن مسهر الشيباني، و«الطبري» ١٥/١٨٣.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٥/١٨٥: والصواب من القول في ذلك، أنه في موضع جزم على الدعاء، بمعنى (فلا آمنوا)، وإنما اخترت ذلك، لأن ما قبله دعاة وذلك قوله: «رَبَّنَا آتِنَا» فالحاق قوله: «فَلَا يُؤْمِنُوا» إذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأرلى.

(٣) البيت لأعشى قيس، «ديوانه» ٤٣، و«مجاز القرآن» ١/٢٠٨، و«الطبري» ٨/٧٧، و«القرظي» ٧/١٥٨، و«اللسان» و«التاج» ربح.

ابن عباس. والثاني: فاستقيما على دعاء فرعون وقومه إلى طاعة الله، قاله ابن جرير. والثالث: فاستقيما في دعائكما على فرعون وقومه. والرابع: فاستقيما على ديني، ذكرهما أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ﴾ قرأ الأكثرون بتشديد تاء «تَتَّبِعَانِ». وقرأ ابن عامر بتخفيفها مع الاتفاق على تشديد نون «تَتَّبِعَانِ»، إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة، وكُسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها، واختير لها الكسر لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين. قال أبو علي: ومن خفض النون أمكن أن يكون خفف النون الثقيلة، فإن شئت كان على لفظ الخبر، والمعنى الأمر، كقوله: ﴿يَرْصَدُ الْإِنْسِيَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨ و ٢٣٤] و ﴿لَا تُصَاكِرُ وَلَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي: لا ينبغي ذلك، وإن شئت جعلته حالاً من قوله: ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ تقديره: استقيما غير متبعين. وفي المراد بسبيل الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم فرعون وقومه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: كيف جاز أن يدعو موسى على قومه؟ فالجواب: أن بعضهم يقول: كان ذلك بوحى، وهو قول صحيح، لأنه لا يُظن بنبي أن يُقدم على مثل ذلك إلا عن إذن من الله ﷻ، لأن دعاءه سبب للانتقام.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ قال أبو عبيدة. أتبعهم وتبعهم سواء. وقال ابن قتيبة: أتبعهم: لحقهم. ﴿بَنِيَّ وَعَدُوًّا﴾ أي: ظملاً. وقرأ الحسن «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتشديد، وكذلك شدوا «عُدُوًّا» مع ضم العين.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ مَا أَتَىٰ أَنَّهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر «أنه» بفتح الألف، والمعنى: آمنت بأنه. فلما حذف حرف الجر، وصل الفعل إلى «أَنْ» فنصب. وقرأ حمزة والكسائي «إنه» بكسر الألف، فحملوه على القول المضمر، كأنه قال: آمنت، فقلت: إنه. قال ابن عباس: لم يقبل الله إيمانه عند رؤية العذاب. قال ابن الأنباري: جنح فرعون إلى التوبة حين أغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملائكة، فقيل له: ﴿مَالِكُنَّ﴾ أي: الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها، وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله ﷻ؟ والمخاطب له بهذا كان جبريل. وجاء في الحديث أن جبريل جعل يدسُّ الطين في فم فرعون خشية أن يُغفر له<sup>(١)</sup>. قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرِّخَاء يذكركم في الشدة، إن يونس ﷺ كان عبداً صالحاً، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله، فقال الله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّمْ كَانَ مِنَ السَّمِيعِينَ﴾ ﴿لَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، وإن فرعون كان عبداً طاعياً ناسياً للذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله: ﴿مَالِكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ وقرأ يعقوب «تُنْجِيكَ» مخفف. قال اللغويون منهم يونس وأبو عبيدة: نُلقيك على نجوة من الأرض، أي: ارتفاع، ليصير علماً أنه قد غرق. وقرأ ابن السميع «تُنْجِيكَ» بحاء. وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة أقوال: أحدها: أن موسى وأصحابه لما خرجوا، قال من بقي من المدائن من قوم فرعون: ما أغرق فرعون، ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر، فأوحى الله إلى البحر أن اللفظ فرعون عرياناً، فكانت نجاة عبدة، وأوحى الله تعالى إلى البحر: أن اللفظ ما فيك، فلفظهم البحر بالساحل، ولم يكن يلفظ غريقاً، فصار لا يقبل غريقاً إلى يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أن أصحاب موسى قالوا: إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق، ولا نؤمن بهلاكه، فدعا موسى ربه، فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وإلى نحوه ذهب قيس بن عباد، وعبد الله بن شداد، والسدي، ومقاتل. وقال السدي: لما قال بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، دعا موسى، فخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً عليهم الحديد، فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به. وذكر غيره أنه إنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه. وقال ابن جريج: كذب بعض بني إسرائيل بغرقه، فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنو إسرائيل قُصيراً أحمر كأنه ثور. وقال أبو سليمان: عرفه بنو إسرائيل بدرج كان له من لؤلؤ لم يكن لأحد

(١) «المستد» ١٦/٤، ونقله ابن كثير في «التفسير» ٤٣٠/٢ عن الطيالسي، وقال: وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضاً، وابن جرير أيضاً من غير وجه عن شعبة، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٣٤٠/٢ وقال: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس، ووافقه الذهبي.



مثلها. فأما وجهه فقد غيَّره سُخْطُ الله تعالى. والثالث: أنه كان يدَّعي أنه رب، وكان يعبدُه قوم، فبيَّن الله تعالى أمره، فأغرقه وأصحابه، ثم أخرجه من بينهم، قاله الزجاج. وفي قوله: ﴿يَذْكُرُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: بجسدك من غير روح، قاله مجاهد. وذكر البدن دليل على عدم الروح. والثاني: بدركك، قاله أبو صخر. وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ، وقيل: من ذهب، فعُرف بدركه. والثالث: نلقبك عرياناً، قاله الزجاج. والرابع: ننجيكَ وحدك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ لَكَ أُولَئِكَ أَجُودًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقاتلتك، فإنك لو كنت إلهاً ما غرقت، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: «خلفك» بمعنى بعدك، والآية: العلامة. والثاني: لتكون لبني إسرائيل آية، قاله السدي. والثالث: لمن تخلف من قومه، لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية، فخرج في معنى الآية قولان: أحدهما: عبرة للناس. والثاني: علامة تدل على غرقه. وقال الزجاج: الآية أنه كان يدَّعي أنه رب، فبان أمره، وأخرج من بين أصحابه لما غرقوا. وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء ﴿لَمَنْ خَلَقَكَ﴾ بالقاف.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْجًا صَدَقَ وَرَفَقْتُهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ مَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَّا الَّذِينَ يَفِرُّونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق، أي منزلاً كريماً. وفي المراد ببني إسرائيل قولان: أحدهما: أصحاب موسى. والثاني: قريظة والنضير. وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال: أحدها: أنه الأردن، وفلسطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الشام، وبيت المقدس، قاله الضحاك وقتادة. والثالث: مصر، روي عن الضحاك أيضاً. والرابع: بيت المقدس، قاله مقاتل. والخامس: ما بين المدينة والشام من أرض يثرب، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. والمراد بالطيبات: ما أحل لهم من الخيرات الطيبة. ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ يعني بني إسرائيل. قال ابن عباس: ما اختلفوا في محمد، لم يزالوا به مصدقين، ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَوْمُ﴾ يعني القرآن، وروي عنه: حتى جاءهم العلم، يعني محمداً. فعلى هذا يكون العلم هاهنا: عبارة عن المعلوم. وبيان هذا أنه لما جاءهم، اختلفوا في تصديقه، وكفر به أكثرهم بغياً وحسداً بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه قبل ظهوره.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾ في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره من الشاكين، بدليل قوله في آخر السورة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شكٍ مِنْ رَبِّي﴾ [يونس: ١٠٥]، ومثله قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيُّ أُنْتَى اللَّهِ وَلَا يُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُتَّقِينَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَتْ عَلَيَا حِكْمًا ﴿٩٤﴾﴾ [الأحزاب] ثم قال: ﴿يَمَّا تَسْمَلُونَ حَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٣] ولم يقل: بما تعمل، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن الخطاب للنبي ﷺ، وهو المراد به. ثم في المعنى قولان: أحدهما: أنه خوطب بذلك وإن لم يكن في شك، لأنه من المستفيض في لغة العرب أن يقول الرجل لولده: إن كنت ابني فبرئني، ولعبد: إن كنت عبدي فأطعني، وهذا اختيار الفراء. وقال ابن عباس: لم يكن رسول الله ﷺ في شك، ولا سأل. والثاني: أن تكون «إن» بمعنى «ما» فالمعنى: ما كنت في شك ﴿فَتَنَّا﴾، المعنى: لسا نريد أن نأمر أن تسأل لأنك شاك، ولكن لتزداد بصيرة، ذكره الزجاج. والثالث: أن الخطاب للشاكين، فالمعنى: إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد، فسل، روي عن ابن قتيبة. وفي الذي أنزل إليه قولان: أحدهما: أنه أنزل إليه أنه رسول الله. والثاني: أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَّا الَّذِينَ يَفِرُّونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم اليهود والنصارى. وفي الذين أمر بسؤالهم منهم قولان: أحدهما: من آمن، كعبد الله بن سلام، قاله ابن عباس، ومجاهد في آخرين. والثاني: أهل الصدق منهم، قاله الضحاك، وهو يرجع إلى الأول، لأنه لا يصدق إلا من آمن. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا كلام مستأنف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْآلِيمَ حَقَّتْ﴾ أي؛ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي؛ قوله. وبماذا حقت الكلمة عليهم، فيه أربعة أقوال: أحدها: باللعنة. والثاني: بنزول العذاب. والثالث: بالسخط. والرابع: بالنقمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ قال الأخفش: إنما أتت فعل «كل» لأنه أضافه إلى «آية» وهي مؤنثة.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لَكُمْ آمَنُوا كُفَعْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ أي: أهل قرية. وفي «لولا» قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ أي: قُبِلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ﴾، قاله ابن عباس. وقال قتادة: لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب، إلا لقوم يونس. والثاني: أنها بمعنى: فهلاً، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج. قال الزجاج: والمعنى: فهلاً كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها، إلا قوم يونس؟ و «إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول، كأنه قال: لكن قوم يونس. قال الفراء: نُصِبَ القوم على الانقطاع مما قبله، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها؟ تقول: ما قام أحد إلا أخوك، فإذا قلت: ما فيها أحد إلا كلباً أو حماراً، نصبت، لانقطاعهم من الجنس، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً. وذكر ابن الأنباري في قوله: «إلا» قولين آخرين: أحدهما: أنها بمعنى الواو، والمعنى: وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا، وهذا مروى عن أبي عبيدة، والفراء ينكره. والثاني: أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه تقديره: حتى يروا العذاب الآليم إلا قوم يونس، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع.

قوله تعالى: ﴿كُفَعْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: صرفنا عنهم ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي: عذاب الهوان والذل ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ أي: إلى حين آجالهم.

### الإشارة إلى شرح قصتهم

ذكر أهل العلم بالسيرة والتفسير أن قوم يونس كانوا بـ «نينوى» من أرض الموصل، فأرسل الله ﷻ إليهم يونس يدعوهم إلى الله ويأمرهم بترك الأصنام، فأبوا، فأخبرهم أن العذاب مصيَّبهم بعد ثلاث، فلما تغشاهم العذاب، قال ابن عباس، وأنس: لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي ميل، وقال مقاتل: قدر ميل، وقال أبو صالح عن ابن عباس: وجدوا حرَّ العذاب على أكتافهم، وقال سعيد بن جبيرة: غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر، وقال بعضهم: غامت السماء غيماً أسود يظهر دخاناً شديداً، فغشي مدينتهم، واسودَّت سطوحهم، فلما أيقنوا بالهلاك لبسوا المسوح، وحشَّوْا على رؤوسهم الرماد، وفرقوا بين كل والدَّة ولدها من الناس والأنعام، وعجَّوا إلى الله بالتوبة الصادقة، وقالوا: آمنا بما جاء به يونس، فاستجاب الله منهم. قال ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادُّوا المظالم بينهم، حتى إن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه، فيرده. وقال أبو الجلد<sup>(١)</sup>: لما غشيهم العذاب، مكَّوا إلى شيخ من بقية علمائهم، فقالوا: ما ترى؟ قال: قولوا: يا حيُّ حين لا حيٍّ، يا حيُّ مُحيي الموتى، يا حيُّ لا إله إلا أنت، فقالوها، فكُشِفَ العذاب عنهم. قال مقاتل: عجَّوا إلى الله أربعين ليلة، فكُشِفَ العذاب عنهم. وكانت التوبة عليهم في يوم عاشوراء يوم الجمعة. قال: وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم، فقيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع إليهم فيجدوني كاذباً؟ وكان من يكذب بينهم ولا بيِّنة له يُقْتَل، فانصرف مغاضباً، فالتقمه الحوت. وقال أبو صالح عن ابن عباس: أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: شعيا، فقيل له: انت فلاناً الملك، فقل له يبعث إلى بني إسرائيل نبياً قوياً أميناً، وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال الملك ليونس: اذهب إليهم، فقال: ابعث غيري، فعزم عليه أن يذهب، فأتى بحر الروم، فركب سفينة، فالتقمه الحوت، فلما خرج من بطنها أمر أن يطلق إلى قومه، فانطلق نذيراً لهم، فأبَوْا عليه، فوعدهم بالعذاب، وخرج، فلما تابوا رُفِعَ عنهم. والقول الأول أثبت عند العلماء، وأنه إنما التقمه الحوت بعد إنذاره لهم وتوبتهم. وسيأتي شرح قصته في التمام الحوت إياه في

(١) أبو الجلد، بفتح الجيم، وسكون اللام، هو جيلان بن أبي فروة الأسدي.

مكانه إن شاء الله تعالى [الصفات: ١٤٢]. فإن قيل: كيف كُشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم، ولم يُكشَف عن فرعون حين آمن؟ فنعته ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ذلك كان خاصاً لهم كما ذكرنا في أول الآية. والثاني: أن فرعون باشره العذاب، وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية، فأما الذي يعاين، فلا توبة له، ذكره الزجاج. والثالث: أن الله تعالى علم منهم صدق النيات، بخلاف مَنْ تقدّمهم من الهالكين، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة. قال الأخفش: جاء بقوله: «جميعاً» مع «كل» تأكيداً كقوله: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَجَدَّدُوا إِلَهُنَّ إِنِّي أَتَتْهُنَّ أُنْتَبَيَّ﴾ [النحل: ٥١].

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ قال المفسرون، منهم مقاتل: هذا منسوخ بآية السيف، والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ، لأن الإكراه على الإيمان لا يصح، لأنه عمل القلب.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الْخَيْرَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: بقضاء الله وقدره. والثاني: بأمر الله، روي عن ابن عباس. والثالث: بمشيئة الله، قاله عطاء. والرابع: إلا أن يأذن الله في ذلك، قاله مقاتل. والخامس: بعلم الله. والسادس: بتوفيق الله، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْخَيْرَ﴾ أي: ويجعل الله الرجس. وروي أبو بكر عن عاصم: «ونجعل الرجس» بالنون. وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه السخط، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: الإثم والعدوان، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنه ما لا خير فيه، قاله مجاهد. والرابع: العذاب، قاله الحسن، وأبو عبيدة، والزجاج. الخامس: العذاب والغضب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون عن الله أمره ونهيهِ. وقيل: لا يعقلون حججه ودلائل توحيده.

﴿فَلْيَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِي إِلَيْنَا أَلَّا نَكْفُرَ عَنْ قَوْلِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال المفسرون: قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله: انظروا بالتفكير والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، وكل هذا يقتضي خالقاً مدبّراً. ﴿وَمَا تُنْفِي إِلَيْنَا أَلَّا نَكْفُرَ عَنْ قَوْلِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنْ السَّعَاطِينِ﴾ ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ نَتَّبِعْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُسْمِينِ﴾ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني كفار قريش. ﴿إِلَّا مِثْلَ آبَائِهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال ابن الأنباري: أي: مثل وقائع الله بمن سلف قبلهم، والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب، وقد قصد بها أيام الشرور والأفراح إذا قام دليل بذلك.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ هلاكي ﴿إِلَى مَعَكُمْ مِنْ السَّعَاطِينِ﴾ لنزول العذاب بكم. ﴿ثُمَّ نَتَّبِعْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من العذاب إذا نزل، فلم يهلك قوم قط إلا نجا نبيهم والذين آمنوا معه.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُسْمِينِ﴾ وقرأ يعقوب، وحفص، والكسائي في قراءته وروايته عن أبي بكر: «نتج المؤمنين» بالتخفيف. ثم في هذا الإنجاء قولان: أحدهما: ننجيهم من العذاب إذا نزل بالمكذّبين، قاله الربيع بن أنس. والثاني: ننجيهم في الآخرة من النار، قاله مقاتل.





## سورة هود

[عليه السلام]

## فصل في نزولها

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية كلها، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقناة. وروى عن ابن عباس أنه قال: هي مكية، إلا آية، وهي قوله: ﴿وَأَذِيعُ السَّكْوَةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، وعن قناة نحوه. وقال مقاتل: هي مكية كلها، إلا قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاكَ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢] وقوله: ﴿أَوَلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [هود: ١٧] وقوله: ﴿إِنَّا لَمَسْنَتْكَ يَدَيُنَا أَلَيْسَ لَكَ عِجْلٌ إِلَيْكَ الشَّيْبُ﴾ قال: «شَيْبَتِي هود وأخواتها: الحاقة، والواقعة، وعم يساءلون، وهل أتاك حديث الغاشية»<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كُنْتُ أَهَيْتُكُمْ ثُمَّ قُتِلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

فأما «الر» فقد ذكرنا تفسيرها في سورة (يونس). قال الفراء: و «كُنْتُ» مرفوع بالهجاء الذي قبله، كأنك قلت: حروف الهجاء هذا القرآن، وإن شئت رفعته بإضمار «هذا كتاب»، والكتاب: القرآن. وفي قوله: «أَهَيْتُكُمْ» أربعة أقوال: أحدها: أحكمت فما تُنسخ بكتاب كما تُسخت الكتب والشرائع، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتيبة. والثاني: أحكمت بالأمر والنهي، قاله الحسن، وأبو العلية. والثالث: أحكمت عن الباطل، أي: مُنعت، قاله قناة، ومقاتل. والرابع: أحكمت بمعنى جُمعت، قاله ابن زيد. فإن قيل: كيف عمّ الآيات هاهنا بالإحكام، وخص بعضها في قوله: «يُنْهَى أَيْتُكُمْ تُحْكَمُ» [آ عمران: ٢٨]؟ فغنه جوابان: أحدهما: أن الإحكام الذي عمّ به هاهنا غير الذي خصّ به هناك. وفي معنى الإحكام العام خمسة أقوال، قد أسلفنا منها أربعة في قوله: «أَهَيْتُكُمْ» الخامس: أنه إعجاز النظم والبلاغة وتضمن الجِكم المعجزة. ومعنى الإحكام الخاص: زوال اللبس، واستواء السامعين في معرفة معنى الآية. والجواب الثاني: أن الإحكام في الموضوعين بمعنى واحد. والمراد بقوله: «أَهَيْتُكُمْ» أحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم على معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلت طعام زيد، يعنون: بعض طعامه، ويقولون: قُتِلْنَا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، يعنون: قُتِلَ بَعْضُنَا، ذكر ذلك ابن الأنباري. وفي قوله: «ثُمَّ قُتِلْتُ» ستة أقوال: أحدها: فضلت بالحلال والحرام، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فضلت بالثواب والعقاب، رواه جسر بن فرقد عن الحسن. والثالث: فضلت بالوعد والوعيد، رواه أبو بكر الهذلي عن الحسن أيضاً. والرابع: فضلت بمعنى فسرت، قاله مجاهد. الخامس: أنزلت شيئاً بعد شيء، ولم تنزل جملة، ذكره ابن قتيبة. والسادس: فضلت بجميع ما يُحتاج إليه من الدلالة على التوحيد، وتثبيت نبوة الأنبياء، وإقامة الشرائع، قاله الزجاج. قوله تعالى: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: من عنده.

﴿أَلَا سُبْحَنَا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكِرْمَةٌ نَبِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ وَأَنْ أَسْتَفْهَرُوا رَيْكَ ثُمَّ تَوَبَّوْا إِلَيْهِ يَغْفِقَكُمْ مَتَمَّا حَسَا إِلَيْكُمْ أَسَى وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿١﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَبِيرٌ ﴿٢﴾

(١) «جامع الترمذي» ١٦٢/٢، ولفظه: قال أبو بكر: يا رسول الله قد ثبت، قال: «شيبتي هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يساءلون، وإذا الشمس كورت»، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ٨٧: وأطال الدارقطني في ذكر علله، واختلاف طرقه في أوائل كتاب «العلل». وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ٢٥٥، ٢٥٦. للحافظ السخاوي.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال الفراء: المعنى: فضلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا﴾. و«أن» في موضع النصب بالقائك الخافض. وقال الزجاج: المعنى: آمركم أن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ وأن استغفروا. قال مقاتل: والمراد بهذه العبادة: التوحيد. والخطاب لكفار مكة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكَ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الاستغفار والتوبة هاهنا من الشرك، قاله مقاتل. والثاني: استغفروه من الذنوب السالفة، ثم توبوا إليه من المستأنفة متى وقعت. وذكر عن الفراء أنه قال: «ثم» هاهنا بمعنى الواو.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْكُمْ مَنَّا حَسَنًا﴾ قال ابن عباس: يتفضل عليكم بالرزق والسعة. وقال ابن قتيبة: يُعْزِمُكُمْ. وأصل الإمتاع: الإطالة، يقال: أمتع الله بك، ومتع الله بك، إمتاعاً ومتاعاً، والشئ الطويل: ممتع، يقال: جبل ممتع، وقد متع النهار: إذا تطاول. وفي المراد بالأجل المسمى قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَيُوتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَسَلِّمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ويؤت كل ذي فضل من حسنّة وخير فضله، وهو الجنة. والثاني: يؤتيه فضله من الهداية إلى العمل الصالح. والثاني: أنها ترجع إلى العبد، فيكون المعنى: ويؤت كل من زاد في إحسانه وطاعته ثواب ذلك الفضل الذي زاده، فيفضله في الدنيا بالمرتلة الرفيعة، وفي الآخرة بالثواب الجزيل.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: تُعرضوا عما أمرتم به، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وإن تَوَلَّوْا» بضم التاء. ﴿فَإِنْ أَتَاكَ عَلَيْكَ﴾ فيه إضمار «قل». واليوم الكبير: يوم القيامة.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ سُدُورَهُمْ لِيَسْتَحْفَظُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتُ السُّدُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ سُدُورَهُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، وكان يجالس رسول الله ﷺ ويحلف إنه ليحبّه، ويضمر خلاف ما يُظهر له، فنزلت فيه هذه الآية<sup>(١)</sup>، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يُفصوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه محمد بن عباد عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله ﷺ، ثنى صدره وظهره وطأ رأسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله، قاله عبد الله بن شداد. والرابع: أن طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخصنا ستورنا واستغشنا ثيابنا وثبنا صدورنا على عداوة محمد ﷺ، كيف يعلم بنا؟ فأخبر الله عما كنتموا، ذكره الزجاج. والخامس: أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسول الله ﷺ إذا سمعوا منه القرآن حنّوا صدورهم، ونكسوا رؤوسهم، وتغشوا ثيابهم ليعبد عنهم صوت رسول الله ﷺ ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَوُونَ سُدُورَهُمْ﴾ يقال: ثنيت الشيء: إذا عطفته وطوبته. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: يكتون ما فيها من العداوة لمحمد ﷺ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ينتون صدورهم على الكفر، قاله مجاهد. والثالث: يحنونها لئلا يسمعوا كتاب الله، قاله قتادة. والرابع: ينتونها إذا ناجى بعضهم بعضاً في أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن زيد. الخامس: ينتونها حياة من الله تعالى، وهو يخرج على ما حكينا عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: وكان ابن عباس يقرأها: «ألا إنهم تَنْتَوْنِي صدورهم» وفسرها أن ناساً كانوا يستحيون أن يُفصوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء. فَتَنْتَوْنِي: تَقْعُزْ عَلِيّ، وهو فعل للصدور، معناه: المبالغة في ثني الصدور، كما تقول العرب: أحلولى الشيء، يحلّولي: إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة، قال عنترة:

(١) أسباب النزول للواحدي ١٥٣، عن الكلبي.

(٢) البخاري ٢٦٤/٨، والطبري ٢٣٦/١٥، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣٢٠/٣ وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا وَقَاتِلَ ذِكْرَكَ السِّنِينَ الْحَوَالِيَا  
وَقَوْلِكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا تَنَالُهُ  
فعلى هذا القول، هو في حق المؤمنين، وعلى بقية الأقوال، هو في حق المنافقين. وقد خُرج من هذه الأقوال في  
معنى «يَتَوَنَّ صُدُورُهُ» قولان: أحدهما: أنه حقيقة في الصدور. والثاني: أنه كتمان ما فيها.  
قوله تعالى: «لِيَسْتَخْفِرُوا مِنْهُ» في هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى  
رسوله ﷺ.

قوله تعالى: «أَلَا جِنَّ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ» قال أبو عبيدة: العرب تدخل «ألا» تأكيداً وإيجاباً وتنبيهاً. قال ابن قتيبة:  
«يستغشون ثيابهم» أي: يتغشونها ويستترون بها. قال قتادة: أخفى ما يكون ابن آدم، إذا حنى ظهره، واستغشى ثيابه،  
وأضمر منه في نفسه. قال ابن الأنباري: أعلم الله أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم.  
قوله تعالى: «إِنَّكُمْ عَلَيْهِ يَدَاتُ الشُّدُورِ» وقد شرحناه في [آل عمران: ١١٩].

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ ثُبِينٍ﴾ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَلْبُوكُكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَكِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مُتَعَمِّدُونَ عَلَى الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْئٌ ﴿٢﴾

قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ» قال أبو عبيدة: «من» من حروف الزوائد، والمعنى: وما دابة، والدابة: اسم  
لكل حيوان يذب. وقوله: «إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» قال العلماء: فضلاً منه، لا وجوباً عليه. و«على» هاهنا بمعنى «من». وقد  
ذكرنا المستقر والمستودع في سورة [الأنعام: ٦٧].

قوله تعالى: «كُلٌّ فِي كِتَابٍ» أي: ذلك عند الله في اللوح المحفوظ، هذا قول المفسرين. وقال  
الزجاج: المعنى: ذلك ثابت في علم الله ﷻ.

قوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» قال ابن عباس: عرشه: سريره، وكان الماء إذ كان العرش عليه على  
الريح. قال قتادة: ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض.

قوله تعالى: «يَلْبُوكُكُمْ» أي: ليختبركم الاختبار الذي يجازي عليه، فيثيب المعبر بما يرى من آيات السموات  
والأرض، ويعاقب أهل العناد.

قوله تعالى: «إِنَّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله ﷻ، وأسرع  
في طاعة الله، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ (٢). والثاني: أيكم أعمل بطاعة الله، قاله ابن عباس. والثالث: أيكم  
أتم عقلاً، قاله قتادة. والرابع: أيكم أزهدي في الدنيا، قاله الحسن وسفيان.

قوله تعالى: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ شَيْئٌ» قال الزجاج: السحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إن هذا إلا باطل بين،  
فأعلمهم الله تعالى أن القدرة على خلق السموات والأرض تدل على بعث الموتى.

﴿وَلَكِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْمَدَابِإَ إِنَّهُمْ لَمَعْدُودُونَ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِدِ  
يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٣﴾

قوله تعالى: «وَلَكِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْمَدَابِإَ» قال المفسرون: هؤلاء كفار مكة، والمراد بالأمّة المعدودة: الأجل  
المعلوم، والمعنى: إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها. «لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ» وإنما قالوا ذلك تكديماً واستهزاءً.

(١) «ديوانه» ١٩٢، ومختار الشعر الجاهلي ١/ ٣٨٠. وقوله: قاتل الله، تعجب، وذكرك. تذكرك. يقول: قاتل الله الطلول ما أجلها للأحزان، وأبعتها  
للتشوق. واحلولى: حلي في عينك وسررت به. يقول: وقاتل قولك للشئ تحبه ولا تناله. ليت هذا الشئ لي.

(٢) «الطبري» ٢٥٠/ ١٥ - ٢٥١، وهو حديث ضعيف بمرة، في سننه داود بن المحبر الطائي الثقفي صاحب كتاب «العقل»، وهو صاحب مناكير، وفيه  
أيضاً عبد الواحد بن زيد، منكر الحديث، ضعيف بمرة. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣/ ٣٢٢ من رواية داود بن المحبر في كتاب «العقل»، وزاد نسبه  
لأبي أبي حاتم، والحاكم في «التاريخ»، وابن مردويه.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ وقال: ﴿لَيْسَ مَعَهُمْ قُوَّةٌ﴾. وقال بعضهم: لا يُصرف عنهم العذاب إذا أتاهم. وقال آخرون: إذا أخذتهم سيوف رسول الله ﷺ لم تُغمد عنهم حتى يباد أهل الكفر وتعلو كلمة الإخلاص.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ بِهِمْ﴾ قال أبو عبيدة: نزل بهم وأصابهم. وفي قوله: ﴿فَمَا كَانُوا بِوَيْسَارِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه الرسول والكتاب، قاله أبو صالح عن ابن عباس، فيكون المعنى: حاق بهم جزاء استهزائهم. والثاني: أنه العذاب، كانوا يستهزئون بقولهم: ﴿فَمَا يَحْشُرُهُمْ﴾، وهذا قول مقاتل.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَكُفُورٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس. والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي. والثالث: أن الإنسان هاهنا اسم جنس، والمعنى: ولئن أذقنا الناس، قاله الزجاج. والمراد بالرحمة: النعمة، من العافية، والمال، والولد. واليؤوس: القنوط، قال أبو عبيدة: هو فعول من يئس. قال مقاتل: إنه ليؤوس عند الشدة من الخير، كفور لله في نعمه في الرخاء.

﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبٍ مِّنْهُ لَيَقُولَنَّ دَهْبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَنَجِحُّ مَقُورٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً﴾ قال ابن عباس: صحة وسعة في الرزق. ﴿بَعْدَ ضَرْبٍ﴾ بعد مرض وفقر. ﴿لَيَقُولَنَّ دَهْبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ يريد الضر والفقر. ﴿إِنَّهُ لَنَجِحُّ﴾ أي: يَطْرُقُ ﴿مَقُورٌ﴾ قال ابن عباس: يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه. فإن قيل: ما وجه عيب الإنسان في قوله: ﴿دَهْبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾، وما وجه ذمه على الفرح، وقد وصف الله الشهداء فقال: (فرحين)؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: إنما عابه بقوله: ﴿دَهْبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي﴾ لأنه لم يعترف بنعمة الله، ولم يحمده على ما صُرف عنه. وإنما ذمه بهذا الفرح، لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله، قال الشاعر:

ولا يُنْسِينِي الْحَدَثَانُ عِزِّي  
ولا أُلْقِي مِنَ الْقَرْحِ الْإِزَارُ (١)

يعني من المرح. وفرح الشهداء فرح لا يَبْرُ فيه ولا خِيَلَاء، بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قال الفراء: هذا الاستثناء من الإنسان، لأنه في معنى الناس، كقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾ [الأنبياء: ٢٠، ٢١]. وقال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الذين صبروا. قال ابن عباس: الوصف الأول للكفار، والذين صبروا أصحاب محمد ﷺ.

﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاحِبُكَ يُورِثُكَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا أُنْزُلًا كُنْزًا أَوْ جَاءَكَ مَعَهُ مَلَكٌ إِمَّا أَنْ تَتَخَيَّرَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ تَارِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ﴿أَتَيْتَ بِشَرْءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ﴾ [يونس: ١٥]، فهم النبي ﷺ لا لا يُسمعهم عيب ألهتهم رجاء أن يُبْعِوه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: فلعلك تارك تبلغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلهة، وضائق بما كُلِّفَتْه من ذلك صدرك، خشية أن يقولوا: لولا أنزل عليه كنز. والثاني: فلعلك لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك. فأما الضائق، فهو بمعنى الضيق. قال الزجاج: ومعنى ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا أُنْزُلًا كُنْزًا﴾: كراهية أن يقولوا. وإنما عليك أن تنذرهم بما يوحى إليك، وليس عليك أن تأتيهم باقتراحهم من الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الحافظ. والثاني: الشهيد، وقد ذكرناه في

[آل عمران: ١٧٣].

(١) البيت لابن أحمر في «مجاز القرآن» ١١١/٢، وغير، منسوب في «الكامل» ٤٠، ٦٧٣ وفيه: ولا أرخي من المرح الإزارا.



﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورٍ مِّثْلِهِ مُمْرَرِينَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَفَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أُنْتُمْ تُنْشِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ «أم، بمعنى «بل»، و «افتراه» أتى به من قبل نفسه. ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ أنتم في معارضتي ﴿بِسُورٍ مِّثْلِهِ﴾ في البلاغة ﴿مُمْرَرِينَ﴾ بزعمكم ودعواكم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَفَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ في قولكم: «افتراه». ﴿فَأِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أي: يجيبوكم إلى المعارضة، فقد قامت الحجة عليهم لكم. فإن قيل: كيف وحّد القول في قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا﴾ ثم جمع في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾؟ فغنه جوابان: أحدهما: أن الخطاب للنبي ﷺ وحده في الموضوعين، فيكون الخطاب له بقوله: ﴿لَكُمْ﴾ تعظيماً، لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم، هذا قول المفسرين. والثاني: أنه وحّد في الأول لخطاب النبي ﷺ. وجمع في الثاني المخاطبة النبي ﷺ وأصحابه، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنزله وهو عالم بإنزاله، وعالم بأنه حق من عنده. والثاني: أنزله بما أخبر فيه من الغيب، ودلّ على ما سيكون وما سلف، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: واعلموا ذلك. ﴿فَهَلْ أُنْتُمْ تُنْشِرُونَ﴾ استفهام بمعنى الأمر. وفيمن خطب به قولان: أحدهما: أهل مكة، ومعنى إسلامهم: إخلاصهم لله العبادة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ، قاله مجاهد.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نَوْفَ إِلَهِمَ أَفْعَلْنَاهُمْ فِيهَا وَفَزَ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَخِطْلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنها في أهل القبلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها في اليهود والنصارى، قاله أنس. والرابع: أنها في أهل الرياء، قاله مجاهد. وروى عطاء عن ابن عباس: من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء. وقال غيره: إنما هي في الكافر، لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿نَوْفَ إِلَهِمَ أَفْعَلْنَاهُمْ﴾ أي: أجور أعمالهم ﴿فِيهَا﴾. قال سعيد بن جبیر: أعطوا ثواب ما عملوا من خير في الدنيا. وقال مجاهد: مَنْ عمل عملاً من صلة، أو صدقة، لا يريد به وجه الله، أعطاه الله ثواب ذلك في الدنيا، ويدراً به عنه في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَفَزَ فِيهَا﴾ قال ابن عباس: أي في الدنيا. ﴿لَا يَبْخَسُونَ﴾ أي: لا يُنقصون من أعمالهم في الدنيا شيئاً. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ عملوا لغير الله ﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا﴾ أي: ما عملوا في الدنيا من حسنة ﴿وَخِطْلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لغير الله ﴿يَعْمَلُونَ﴾

## فصل

وذكر قوم من المفسرين، منهم مقاتل، أن هذه الآية اقتضت أن من أراد الدنيا بعمله، أعطي فيها ثواب عمله من الرزق والخير، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿عَمَلَكُمْ لَمْ فِيهَا مَا لَكُمْ إِنَّمَا تُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وهذا لا يصح، لأنه لا يوفى إلا لمن يريد.

﴿أَفَنَنْتَ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَتَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ قَاتِلًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَكُ فِي رَيْبٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُمْرَشُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَنْتَ كَانَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ في المراد بالينة أربعة أقوال: أحدها: أنها الدين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثالث: القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: البيان، قاله مقاتل.

وفي المشار إليه بـ «مَنْ» قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أنهم المسلمون، وهو يخرج على قول الضحاك. وفي قوله: «يَتْلُوهُ» قولان: أحدهما: يتبعه. والثاني: يقرؤه. وفي هاء «يتلوه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى النبي ﷺ. والثاني: إلى القرآن، وقد سبق ذكره في قوله: «فَأَتُوا بِحِثْرِ سُوْرٍ يَتْلُوهُ مُفْتَرِيْنَ» [هود: ١٣]. وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم في آخرين. والثاني: أنه لسان رسول الله ﷺ الذي كان يتلو القرآن، قاله علي بن أبي طالب، والحسن، وقتادة في آخرين. والثالث: أنه علي بن أبي طالب. و«يتلوه» بمعنى يتبعه، رواه جماعة عن علي بن أبي طالب، وبه قال محمد بن علي، وزيد بن علي. والرابع: أنه رسول الله ﷺ هو شاهد من الله تعالى، قاله الحسين بن علي ﷺ. الخامس: أنه ملك يحفظه ويسدده، قاله مجاهد. والسادس: أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق، وإن كان قد أنزل قبله، لأن النبي ﷺ بشرت به التوراة، قاله الفراء. والسابع: أنه القرآن ونظمه وإعجازه، قاله الحسين بن الفضل. والثامن: أنه صورة رسول الله ﷺ ووجهه ومخايله، لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله ﷺ. وفي هاء «منه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى. والثاني: إلى النبي ﷺ. والثالث: إلى البيّنة.

قوله تعالى: «رَبِّينَ قَبْلِهِ» في هذه الهاء ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مجاهد. والثاني: إلى القرآن، قاله ابن زيد. والثالث: إلى الإنجيل، أي: ومن قبل الإنجيل «كُتِبَ مُوسَى» يتبع محمداً بالتصديق له، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: والمعنى: وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلاً على أمر النبي ﷺ، فيكون «كُتِبَ مُوسَى» عطفاً على قوله: «يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» أي: ويتلوه كتاب موسى، لأن موسى وعيسى بشراً بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل. ونصب «إماماً» على الحال. فإن قيل: كيف تتلوه التوراة، وهي قبله؟ قيل: لما بشرت به، كانت كأنها تالية له، لأنها تبعته بالتصديق له. وقال ابن الأنباري: «كُتِبَ مُوسَى» مفعول في المعنى، لأن جبريل تلاه على موسى، فارتفع الكتاب، وهو مفعول بمضمر بعده، تأويله: ومن قبله كتاب موسى كذلك، أي: تلاه جبريل أيضاً، كما تقول العرب: أكرمت أخاك وأبوك، فيرفعون الأب، وهو مكرم على الاستئناف، بمعنى: وأبوك مكرم أيضاً. قال: وذهب قوم إلى أن «كُتِبَ مُوسَى» فاعل، لأنه تلا محمداً بالتصديق كما تلاه الإنجيل.

## فصل

فتلخيص الآية: أفمن كان على بيّنة من ربه كمن لم يكن؟ قال الزجاج: ترك المضادّ له، لأن في ما بعده دليلاً عليه، وهو قوله: «مِثْلَ الَّذِينَ كَانُوا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» [هود: ٢٤]. وقال ابن قتيبة: لما ذكر قبل هذه الآية قوماً ركنوا إلى الدنيا، جاء بهذه الآية، وتقدير الكلام: أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا؟ فاكتمى من الجواب بما تقدم، إذ كان فيه دليل عليه. وقال ابن الأنباري: إنما حذف لانكشاف المعنى، والمحذوف المقدر كثير في القرآن والشعر، قال الشاعر:

فَأَقْسِمُ لَوْ شِئْتُ أَنَا نَا رَسُولُهُ

يُؤَاكِلُ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعاً<sup>(١)</sup>

فإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه، رسول الله ﷺ، فمعنى الآية: ويتبع هذا النبي شاهد، وهو جبريل ﷺ «منه» أي: من الله. وقيل: «شاهد» هو علي بن أبي طالب، «منه» أي: من النبي ﷺ. وقيل: «يتلوه» يعني القرآن، يتلوه جبريل، وهو شاهد لمحمد ﷺ أن الذي يتلوه جاء من عند الله تعالى. وقيل: ويتلو رسول الله ﷺ القرآن وهو شاهد من الله. وقيل: ويتلو لسان رسول الله ﷺ القرآن، فلسانه شاهد منه. وقيل: ويتبع محمداً شاهد له بالتصديق، وهو الإنجيل من الله تعالى. وقيل: ويتبع هذا النبي شاهد من نفسه، وهو سمّته وهدية الدالّ على صدقه.

(١) البيت لامرئ القيس: «ديوانه» ٢٤٢، و«الطبري» ١٧٧/١٥، و«مشكل القرآن» ١٦٦، و«الخزانة» ٢٢٧/٤. قوله: لو شيء، يريد: لو أحد، وليس له «لو» هنا جواب، كما أمسك عن الجواب في قوله تعالى: «وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْرِمُونَ الْبَنَاتِ» [الرعد: ٣] فنقول: لو أحد أنا رسول الله ﷺ، ولكننا لم ندفعك عن ذلك.

وإن قلنا: إن المراد بمن كان على بيّنة من ربه المسلمون، فالمعنى: أنهم يتبعون رسول الله ﷺ وهو البيّنة، ويتبع هذا النبي شاهد له بصدقه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا رَزَاقُكُمْ﴾ إنما سماه إماماً، لأنه كان يهتدى به، «ورحمة» أي: وذا رحمة، وأراد بذلك التوراة، لأنها كانت إماماً وسبباً لرحمة من آمن به.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى أصحاب موسى. والثاني: إلى أصحاب محمد ﷺ. والثالث: إلى أهل الحق من أمة موسى وعيسى ومحمد. وفي هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى التوراة. والثاني: إلى القرآن. والثالث: إلى محمد ﷺ. وفي المراد بالأحزاب هاهنا أربعة أقوال: أحدها: جميع الملل، قال سعيد بن جبير. والثاني: اليهود والنصارى، قال قتادة. والثالث: قريش، قاله السدي. والرابع: بنو أمية، وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي، وآل أبي طلحة بن عبد العزى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ مَّوْعِدُكُمْ﴾ أي: إليها مصيره، قال حسان بن ثابت:

أَوْرَدْتُكُمْهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً      فَالْأَنَارَ مَوْعِدُهَا وَالْمَوْتَ لَاقِيَهَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي رَيْبٍ مِّنْهُ﴾ قرأ الحسن، وكتادة: «مُرية» بضم الميم أين وقع. وفي المكني عنه قولان: أحدهما: أنه الإخبار بمصير الكافر به، فالمعنى: فلا تك في شك أن موعد المكذب به النار، وهذا قول ابن عباس. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: فلا تك في شك من أن القرآن من الله تعالى، قاله مقاتل. قال ابن عباس: والمراد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ عِلَى رَبِّهِمْ﴾ قال الزجاج: ذكر عرضهم تأكيداً لحالهم في الانتقام منهم، وإن كان غيرهم يعرض أيضاً. فأما «الآشهاد» ففيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم الرسل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الملائكة، قاله مجاهد، وكتادة. والثالث: الخلائق، روي عن قتادة أيضاً. وقال مقاتل: «الآشهاد» الناس، كما يقال: على رؤوس الأشهاد، أي: على رؤوس الناس. والرابع: الملائكة والنبيون وأمة محمد ﷺ يشهدون على الناس، والجوارح تشهد على ابن آدم، قاله ابن زيد. الخامس: الأنبياء والمؤمنون، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: وفائدة إخبار الأشهاد بما يعلمه الله: تعظيم بالأمر المشهود عليه، ودفع المجاهدة فيه.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتُونَهَا عَصَاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفْرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد تقدم تفسيرها في [الأعراف: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كُفْرُونَ﴾ قال الزجاج: ذكرت «هم» ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر. ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَرَبُّكَ عَنِمْ مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِبِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: لم يُعْجِزُونِي أَنْ أَمْرَ الْأَرْضِ فَتُخَفَّ بِهِمْ. ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ﴾ أي: لا ولي لهم ممن يعبدون يمنهم مني. وقال ابن الأنباري: لما كانت عادة العرب جارية بقولهم: لا ورر لك مني ولا تفق، يعنون بالوزر: الجبل، والنفق: السرب، وكلاهما يلجأ إليه الخائف، أعلم الله تعالى أن هؤلاء الكافرين لا يسبقونه هرباً، ولا يجدون ما يحجز بينهم وبين عذابه من جميع ما يستر من الأرض ويلجأ إليه. قال: وقوله: «من أولياء» يقتضي محذوفاً، تلخيصه: من أولياء يمنعونهم من عذاب الله، فحذف هذا لشهرته.

قوله تعالى: ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني الرؤساء الصادقين عن سبيل الله، وذلك لإضلالهم أتباعهم واقتداء غيرهم بهم. وقال الزجاج: ﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِبِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في دار الدنيا، ولا لهم ولي يمنع من انتقام الله، ثم استأنف ﴿يُضَعِّفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ لعظم كفرهم بنبيه وبالبعث والشور.

(١) «ديوانه» ٤٢٤. والضحية: من الإبل والغنم: التي تشرب ضحى، وهي هنا على المثل، وحياض الموت ترشيح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَاذِبٌ يَشْفِئُونَ آلَهُمْ﴾ فيمن غني بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكفار. ثم في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم لم يقدروا على استماع الخير، وإبصار الحق، وفعل الطاعة، لأن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك، هذا معنى قول ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أن المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعون، وبما كانوا يبصرون حُجج الله ولا يعتبرون بها، فحذف الباء، كما تقول العرب: لأجزيك ما عملت، وبما عملت، ذكره الفراء، وأشد ابن الأباري في الاحتجاج له:

نُغَالِي التَّحَمُّمَ لِلْأَصْيَافِ نَيْشًا

وَنَبْذُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ<sup>(١)</sup>

أراد: نغالي باللحم. والثالث: أنهم من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي ﷺ ما كانوا يستطيعون أن يفهموا ما يقول، قاله الزجاج. والقول الثاني: أنهم الأصنام، فالمعنى: ما كان للألهة سمع ولا بصر، فلم تستطع لذلك السمع، ولم تكن تبصر. فعلى هذا، يرجع قوله: ﴿مَا كَاذِبٌ﴾ إلى أوليائهم، وهي الأصنام، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس أيضاً. ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَحَلَمُوا الصَّالِحَاتِ وَآخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ<sup>(٣)</sup> مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْعَصِيرِ وَالسَّيِّعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قال ابن عباس: يريد: حقاً إنهم الآخسون. وقال الفراء: «لاجرم» كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة «حقاً»، ألا ترى أن العرب تقول: لا جرم لأنتيك، لا جرم لقد أحسنت، وأصلها من جرم، أي: كسبت الذنب. قال الزجاج: ومعنى «لاجرم»: «لا» نفي لما ظنوا أنه يقعهم، كأن المعنى: لا يقعهم ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الآخسون، أي: كسب لهم ذلك الفعل الخسران. وذكر ابن الأباري أن «لا» رد على أهل الكفر فيما قدروهم من اندفاع الشر عنهم في الآخرة، والمعنى: لا يندفع عنهم عذابي، ولا يجدون ولياً يصرف عنهم نقمتي، ثم ابتداء مستأنفاً «جرم»، قال: وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى: كسب كفرهم وما قدروهم من الباطل وقوع العذاب بهم. فـ «جرم» فعل ماضٍ، بمعناه: كسب، وفاعله مضمَر فيه من ذكر الكفر وتقرير الباطل. والثاني: أن معنى جرم: أحقَّ وصَحَّحَ، وهو فعل ماضٍ، وفاعله مضمَر فيه، والمعنى: أحقَّ كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم، قال الشاعر<sup>(٥)</sup>:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ طَعْنَةً

جَرَمْتُ فَرَاةً بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا<sup>(٦)</sup>

أراد: حقت الطعنة فزارة بالغضب. ومن العرب من يغيّر لفظ «جرم» مع «لا» خاصة، فيقول بعضهم: «لا جرم»، ويقول آخرون: «لا جَرَّ» بإسقاط الميم، ويقال: «لا إذا جرم» و«لا إذا جرَّ» بغير ميم، و«لا إن ذا جرم» و«لا عن ذا جرم»، ومعنى اللغات كلها: حقاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: خافوا ربهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنابوا إلى ربهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: ثابوا إلى ربهم، قاله قتادة. والرابع: اطمأنوا، قاله مجاهد. والخامس: أخلصوا، قاله مقاتل. والسادس: تخشعوا لربهم، قاله الفراء. والسابع: تواضعوا لربهم، قاله ابن قتيبة. فإن قيل: لم أوثرت «إلى» على اللام في قوله: ﴿وَأَخَبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، والعادة جارية بأن يقال أخبتوا لربهم؟ فالجواب: أن المعنى: وجَّهوا خوئهم وخشوعهم وإخلاصهم إلى ربهم، واطمأنوا إلى ربهم. قال الفراء: وربما جعلت العرب «إلى» في موضع اللام، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٧)</sup> وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٨)</sup> وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٩)</sup> وقد يجوز في العربية: فلان يخبت إلى الله، يريد يفعل ذلك موجهً إلى الله. قال بعض المفسرين: هذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله ﷺ. وما قبلها نازل في المشركين. ثم ضرب للفريقين مثلاً، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْنَىٰ وَالْأَصْمَىٰ﴾

(١) تقدم البيت ٥٦٨.

(٢) نسبة البطيوسي في «الافتضاب» لأبي أسماء بن الضرية، وقيل: بل هو لمطية بن عفيف.

(٣) «مجاز القرآن» ١/١٤٧، و«الافتضاب» ٣١٣، و«ميسوبه» ٤١٨/١، و«معاني القرآن» ٨٠، و«القرطبي» ٤٥/٦، و«اللسان»، و«التاج»: جرم،

و«الخزانة» ٣١٠/٤، و«شواهد الكشاف» ٣٢.



قال مجاهد: الفريقان: المؤمن والكافر. فأما الأعمى والأصم فهو الكافر، وأما البصير والسميع فهو المؤمن. قال قتادة: الكافر عَمِيَ عن الحق وَضُمَّ عنه، والمؤمن أَبْصَرَ الحقَ وسمِعَهُ ثم انتفع به. وقال أبو عبيدة: في الكلام ضمير، تقديره: مثل الفريقين كمثل الأعمى. وقال الزجاج: مثل الفريقين المسلمين كالْبصير والسميع، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم، لأنهم في عداوتهم وتركهم للفهم بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: هل يستويان في المشابهة؟ والمعنى: كما لا يستويان عندكم، كذلك لا يستوي المؤمن والكافر عند الله. وقال أبو عبيدة: «هل» هاهنا بمعنى الإيجاب، لا بمعنى الاستفهام، والمعنى: لا يستويان. قال الفراء: وإنما لم يقل: «يستون» لأن الأعمى والأصم من صفة واحد، والسميع والبصير من صفة واحد، كقول القائل: مررت بالعاقل واللييب، وهو يعني واحداً، قال الشاعر:

وما أذري إذا يُمُنْتُ أرضاً      أريدُ الخيرَ أيهما يليني <sup>(١)</sup>

فقال: أيهما. وإنما ذكر الخير وحده، لأن المعنى يُعرف، إذ المبتغي للخير مَنِّي للشر. وقال ابن الأباري: الأعمى والأصم صفتان لكافر، والسميع والبصير صفتان لمؤمن، فَرَدَّ الفعلُ إلى الموصوفين بالأوصاف الأربعة، كما تقول: العاقل والعالم، والظالم والجاهل، حضراً مجلسي، فثَبَّتِي الخبر بعد ذكرك أربعة، لأن الموصوف بالعلم هو الموصوف بالعقل، وكذلك المنعوت بالجهل هو المنعوت بالظلم، فلما كان المنعوتان اثنين، رجَّع الخبر إليهما، ولم يُثَبَّتْ إلى تفريق الأوصاف، ألا ترى أنه يسوغ أن تقول: الأديب واللييب والكريم والجميل قصدي، فتَوَحَّدَ الفعل بعد أوصاف لعله أن الموصوف بهن واحد، ولا يمتنع عطف النعوت على النعوت بحروف العطف، والموصوف واحد، فقد قال تعالى: ﴿التَّائِبِينَ الْعَمْدِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] ثم قال: ﴿الْأَسْرُوفَ وَالْمُكَرِّمِينَ﴾ فلم يقتض دخول الواو وقوع خلاف بين الآمرين والناهين، وقد قيل: الأمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر في حال أمره، وكان دخول الواو دلالة على الأمر بالمعروف، لأن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر، كما ينفرد الحامدون بالحمد دون السائحين، والسائحون بالسياحة دون الحامدين، ويدل أيضاً على أن العرب تنسق النعت على النعت والمنعوت واحد، كقول الشاعر يخاطب سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان:

يَظُنُّ سَعِيدٌ وَابْنُ عَمْرٍو بِأَنِّي إِذَا سَأَمَنِي ذَلَا أَكُونُ بِهِ أَرْضَى

فنسق ابن عمرو على سعيد، وهو سعيد.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ أَدَّ لَا مُقَدِّرُوا إِلَّا اللَّهُ إِلَيَّ آخَاثٌ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمِ الْآسْرِ ﴿٦٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَوْا بُادِي الْأَرَايِ وَمَا نَرِيكَ إِلَّا لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٦٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ سَبْتٍ مِّن رَّبِّي وَآلَتِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَصَبَّيْتُ عَلَيْكُمْ آلَاتٍ مِّنْكُمْ وَمَا وَصَّيْتُ لَهَا كَذِبُونَ ﴿٦٨﴾ وَتَقَوُّوا عَلَيَّ وَلَا تَجْرُوا إِن آخِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِظَالِمِ الدِّينِ مَا سَأَلُوا إِلَهُهُمْ فَنُفِثُوا بِهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا فَتَاهَلُوا ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِني﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي «إني» بفتح الألف، والتقدير: أرسلناه بأنني، وكان الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الإخبار عن الغائب إلى خطاب نوح قومه. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة «إني» بكسر الألف، فحملوه على القول المضمر، والتقدير: فقال لهم: إني لكم نذير.

قوله تعالى: ﴿مَا تَزِدُّكَ إِلَّا بَشْرًا مَثَلًا﴾ أي: إنساناً مثلاً، لا فضل لك علينا. فاما الأراذل، فقال ابن عباس: هم السُّفلة. وقال ابن قتيبة: هم جمع «أرذل»، يقال: رجل رَذُل، وقد رَذُلَ رذالة ورذُولة. ومعنى الأراذل: الشرار.

قوله تعالى: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ قرأ الاكثر «بَادِي» بغير همز. وقرأ أبو عمرو بالهمز بعد الدال. وكلهم همز «الرأي»

غير أبي عمرو. وللعلماء في معنى «بادي» إذا لم يهزم ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: ما نرى أتباعك إلا سفلتنا وأردالنا في بادي الرأي لكل ناظر، يعنون أن ما وصفناههم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أن المعنى أن هؤلاء القوم أتبعوك في ظاهر ما يرى منهم، وطوئتهم على خلافك. والثالث: أن المعنى: اتبعوك في ظاهر رأيهم، ولم يتدبروا ما قلت، ولو رجعوا إلى التفكير لم يتبعوك، ذكر هذين القولين الزجاج. قال ابن الأنباري: وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهزم، لأنه من بدا، يبدو؛ إذا ظهر. فأما من هزم «بادي» فمعناه: ابتداء الرأي، أي أتبعوك أول ما ابتدؤوا ينظرون، ولو فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا زِلْنَا لَكُمْ مَلَائِكًا مِنْ قَبْلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من فضل في الخلق، قاله ابن عباس. والثاني: في الملك والمال ونحو ذلك، قاله مقاتل. والثالث: ما فُضِّلتم بأتباعكم نوحاً، ومخالفتكم لنا بفضيلة تنبئكم طلباً لها، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تَطْلُكُمُ كَذِبٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: نتيقنكم، قاله الكلبي. والثاني: نحسبكم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتَقَرُّ مِنْ رَبِّي﴾ أي: على يقين وبصيرة. قال ابن الأنباري: وقوله: «إِنْ كُنْتُمْ» شرط لا يوجب شكاً يلحقه، لكن الشك يلحق المخاطبين من أهل الزيف، فتقديره: إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي عندهم. ﴿وَمَا كُنَّا بِمِنْ عَدُوٍّ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الهداية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَقَمِيَّتْ عَلَيْهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَقَمِيَّتْ» بتخفيف الميم وفتح العين. قال ابن قتيبة: والمعنى: عميت عنها، يقال: عمي عليّ هذا الأمر: إذا لم أفهمه، وعميت عنه بمعنى. قال الفراء: وهذا مما حوِّلت العرب الفعل إليه، وهو في الأصل لغيره، كقولهم: دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي، وإنما الإصبع تدخل في الخاتم، والرجل في الخف، واستجازوا ذلك إذ كان المعنى معروفاً. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَقَمِيَّتْ» بضم العين وتشديد الميم. قال ابن الأنباري: ومعنى ذلك: فعمّاها عليكم إذ كنتم ممن حُكِمَ عليه بالشقاء. وكذلك قرأ أبي بن كعب، والأعمش: «فعمّاها عليكم». وفي المشار إليها قولان: أحدهما: البيئة. والثاني: الرحمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكُمْ فَمَا أَفْكُورًا﴾ أي: أُنزلمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار، يقول: لا تقدر أن تُنزلكم من ذات أنفسنا. قال قتادة: والله لو استطاع نبي الله ﷺ لألزمها قومه، ولكن لم يملك ذلك. وقيل: كان مراد نوح ﷺ ردّ قولهم: ﴿وَمَا زِلْنَا لَكُمْ مَلَائِكًا مِنْ قَبْلُ﴾ فبيّن فضله وفضل من آمن به بأنه على بيّنة من ربه، وقد آتاه رحمة من عنده، وسلب المكذّبون ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على نصحي ودعائي إياكم «مَالاً» فتتهموني. وقال ابن الأنباري: لما كانت الرحمة بمعنى الهدى والإيمان، جاز تذكرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَاسَأُوا﴾ قال ابن جريج: سألوهم طردهم أفنة منهم، فقال: لا يجوز لي طردهم، إذ كانوا يلقون الله فيجزئهم بإيمانهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم. وفي قوله: ﴿وَلَكِنْ قَوْلًا تَهْتَكُونَ﴾ قولان: أحدهما: تجهلون أن هذا الأمر من الله تعالى، قاله ابن عباس. والثاني: تجهلون لأمركم إياي بطرد المؤمنين، قاله أبو سليمان.

﴿وَيَتَقَرُّوْنَ مِنْ يَشْرِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفْكَارًا تَذَكَّرُونَ﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَتْلُمُ الْبَيْتَ وَلَا أَقُولُ إِنْ مَلَكَتْ وَلَا أَقُولُ لِلْبَيْتِ تَرَدُّوْنَ أَتَيْتُكُمْ مَنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَنْشُؤْ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جَدَلَنَا فَأَيْنَا يَا هَٰذَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُتَّبِعٍ وَلَا يَتَّبَعُونَ ﴿٣٢﴾ إِنْ أَرَادُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُؤَيِّتَكُمْ هُوَ يُؤَيِّتُكُمْ وَلَئِنَّكُمْ لَتَرْجِعُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَتَقَرُّوْنَ مِنْ يَشْرِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من يمنعي من عذاب الله إِنْ طَرَدْتُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ﴾ قال ابن الأنباري: أراد بالخزائن: علم الغيب المطوي عن الخلق،

لأنهم قالوا له: إنما أتبعك هؤلاء في الظاهر وليسوا معك، فقال لهم: ليس عندي خزائن غيوب الله فأعلم ما تنطوي عليه الضمائر. وإنما قيل للغيوب: خزائن، لغموضها عن الناس واستتارها عنهم. قال سفيان بن عيينة: إنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلت خزنة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ قيل: إنما قال لهم هذا، لأن أرضهم أجديت، فسألوه: متى يجيء المطر؟ وقيل: بل سألوه: متى يجيء العذاب؟ فقال: ولا أعلم الغيب. وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِي مَلَكٌ﴾ جواب لقولهم: ﴿مَا رَبُّكَ إِلَّا بِشَرٍّ مِمَّا نَكْتُمُ﴾ [مرد: ٢٧]. ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ أي: تحتقر وتستصغر المؤمنين. قال الزجاج: «تزدري» تستقل وتستخس، يقال: زريت على الرجل: إذا عبت عليه وخسست فعله، وأزريت به: إذا قصرت به. وأصل تزدري: تزتري، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً، لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفية، فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبدلت منها الدال لجهرها.

قوله تعالى: ﴿كَانَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَبَرًا﴾ قال ابن عباس: إيماناً. ومعنى الكلام: ليس لي أن أطلع على ما في نفوسهم فأقطع عليهم شيء، وليس لاحتراركم إياهم يبطل أجرهم. ﴿إِنِّي إِذَا لَيِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن قلت هذا الذي تقدم ذكره، وقيل: إن طردتهم.

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَدَلْنَا﴾ قال الزجاج: الجدال: هو المبالغة في الخصومة والمناظرة، وهو مأخوذ من الجدل، وهو شدة القتال، ويقال للصقر: أجدل، لأنه من أشد الطير. ويُقرأ «جَدَلْنَا».

قوله تعالى: ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا صَدَقْنَا﴾ قال ابن عباس: يعنون العذاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أنه يأتينا.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ﴾ أي أنصحكم. وفي هذه الآية شرطان، فجواب الأول النصح، وجواب الثاني النفع.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَوِّبَكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يضلحكم، قاله ابن عباس. والثاني: يهلككم، حكاه ابن الأنباري. وقال: هو قول مرغوب عنه. والثالث: يضلكم ويهلككم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿هُوَ رَكُومٌ﴾ أي: هو أولى بكم، يتصرف في ملكه كما يشاء ﴿وَالَّذِي تُرْجَمُونَ﴾ بعد الموت.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ قُلٌّ فِي أَفْوَرْتِهِمْ فَقُلْ إِجْرَى وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ (٢٧)

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: يقولون: (افتراء؟) قال ابن قتية: الافتراء: الاختلاق. ﴿فَقُلْ إِجْرَى﴾ أي: جرم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت. ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ في التكذيب. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «فعلني أجرامي» بفتح الهمزة.

﴿وَأُرْسِي إِلَّ نُجِ أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا يَتَّبِعُكُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٨)

قوله تعالى: ﴿وَأُرْسِي إِلَّ نُجِ أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ قال المفسرون: لما أوحى إليه هذا، استجاز الدعاء عليهم، فقال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِكْرًا﴾ [نوح: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَتَّبِعُكُمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: لا تحزن. وقال الفراء، والزجاج: لا تستكن ولا تحزن.

قال أبو صالح عن ابن عباس: فلا تحزن إذا نزل بهم الفرق ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَحْطِئُنِي فِي الدِّينِ طَلَمُوا إِلَهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ﴿وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٢٩)

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي: وأعمل السفينة. وفي قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: برأى منا، قاله ابن عباس. والثاني: بحفظنا، قاله الربيع. والثالث: بعلمنا، قاله مقاتل. قال ابن الأنباري: إنما جمع على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد، تقول: خرجنا إلى البصرة في السفن، وإنما جمع، لأن من عادة الملك أن يقول: أمرنا ونهينا. وفي قوله: ﴿وَوَحْيُنَا﴾ قولان: أحدهما: وأمرنا لك أن تصنعها. والثاني: وبتعليمنا إياك كيف تصنعها.



قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الدِّينِ ظَلَمُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تسألني الصفح عنهم. والثاني: لا تخاطبني في إمهالهم. وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه.

### الإشارة إلى كيفية عمل السفينة

روى الضحاك عن ابن عباس قال: كان نوح يُضرب ثم يُلْفُ في لَبْدٍ فيُلْقَى في بيته، يُرَوَّن أنه قد مات، ثم يخرج فيدعوهم. حتى إذا يش من إيمان قومه، جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا، فقال: يا بني، انظر هذا الشيخ لا يفرّك، قال: يا أبت أمكني من العصا، فأخذها فضربه ضربةً شجّه مؤصحة<sup>(١)</sup>، وسالت الدماء على وجهه، فقال: رب قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن يكن لك فيهم حاجة فاهدّم، وإلا فصبّرني إلى أن تحكم، فأوحى الله إليه ﴿أَنْتَ كَنْ يَوْمَكِ مِنَ يَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلَ﴾، قال يا رب، وما الفلّك؟ قال: بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي، وأغرق أهل معصيتي، قال: يا رب، وأين الماء؟ قال: إني على ما أشاء قدير، قال: يا رب، وأين الخشب؟ قال: أغرس الشجر، فغرس الساج<sup>(٢)</sup> عشرين سنة، وكفّت عن دعائهم، وكفّوا عنه، إلا أنهم يستهزئون به، فلما أدرك الشجر، أمره ربه، فقطعه وجفّفه ولقّفه، فقال: يا رب، كيف آتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاث صور، رأسه كراس الطاووس، وجوّؤه كجوّؤ الطائر، وذنبه كذنب الديك، واجعلها مطبقة، وبعث الله إليه جبريل يعلمه، وأوحى الله إليه أن عجّل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني، فاستأجر نجارين يعملون معه، وسام، وجام، ويافت، معه ينتحون السفينة، فجعل طولها ستمائة ذراع، وعرضها ثلاثمائة وثلاثين ذراعاً، وعلوها ثلاثاً وثلاثين، وفجّر الله له عين القار تغلي غلياناً حتى طلاها. وعن ابن عباس قال: جعل لها ثلاث بطون، فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام، وفي الأوسط الدواب والأنعام، وركب هو ومن معه البطن الأعلى. وروي عن الحسن أنه قال: كانت سفينة نوح طولها ألف ذراع، وماتاً ذراع، وعرضها ستمائة ذراع. وقال قتادة: كانت فيما ذكر لنا طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً. وقال ابن جريج: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ومائة ذراع، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكان في أعلاها الطير، وفي وسطها الناس، وفي أسفلها السباع. وزعم مقاتل أنه عمل السفينة في أربعمئة سنة.

قوله تعالى: ﴿وَسَكَّلْنَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم راوه يبني السفينة وما راوا سفينة قط، فكانوا يسخرون ويقولون: صرت بعد النبوة نجاراً؟ وهذا قول ابن إسحاق والثاني: أنهم قالوا له: ما تصنع؟ فقال: أبني بيتاً يمشي على الماء، فسخروا من قوله، وهذا قول مقاتل. وفي قوله: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: إن تسخروا من قولنا فإننا نسخر من غفلتكم. والثاني: إن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة، فإننا نسخر منكم عند الغرق، ذكره المفسرون. والثالث: إن تسخروا منا في الدنيا، فإننا نسخر منكم في الآخرة، قاله ابن جرير. والرابع: إن تستجهلونا، فإننا نستجهلكم، قاله الزجاج. والخامس: إن تسخروا منا، فإن نستنصر الله عليكم، فسمى هذا سخرية، ليتفق اللفظان كما بينا في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَبْرِئُ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥]، هذا قول ابن الأنباري. قال ابن عباس: لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر، فلذلك سخروا منه، وإنما مياه البحار بقية الطوفان.

﴿فَسَوْفَ تَلْمِزُونَ مِنْ بَيْنِهِ عَذَابَ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَلْمِزُونَ﴾ هذا وعيد، ومعناه: فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية، ومن هو أحمد عاقبة. قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يُذِلُّه، وهو الغرق. ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ﴾ أي: ويجب عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ في الآخرة.

(١) المؤصحة: الشجة التي بلغت العظم، فأوصحت عنه. ولا قصاص في شيء من الشجاج إلا في المؤصحة، وفي غيرها الدية.  
(٢) الساج: شجر ينظم جداً، ويذهب طولاً وعرضاً، وله ورق أمثال التراس الدبلوماسية، يتغطى الرجل بورق منه، فتكته من المطر، وله رائحة طيبة تشابه رائحة ورق الجوز مع رقة ونعومة.



﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَثَرُهَا وَقَارَ النَّتُورِ قُلْنَا أَجْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَثَرُهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء أمرنا بعدابهم وإهلاكهم. والثاني: جاء عذابنا وهو الماء، ابتداءً بجنات الأرض فدار حولها كالإكليل، وجعل المطر ينزل من السماء كأفواه القرب، فجعلت الوحوش يطلبن وسط الأرض هرباً من الماء حتى اجتمعن عند السفينة، فيحتلن حمل فيها من كل زوجين اثنين.

قوله تعالى: ﴿وَقَارَ النَّتُورُ﴾ الفور: الغليان؛ والفؤارة: ما يفور من القدر، قاله ابن فارس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: التور: اسم فارسي معرب لا تعرف له العرب اسماً غير هذا، فلذلك جاء في التنزيل، لأنهم خطبوا بما عرفوا. وروي عن ابن عباس أنه قال: التور، بكل لسان عربي وعجمي. وفي المراد بهذا التور ستة أقوال: أحدها: أنه اسم لوجه الأرض، رواه عكرمة عن علي عليه السلام. وروى الضحاك عن ابن عباس: التور: وجه الأرض، قال: قيل له: إذا رأيت الماء قد علا وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول عكرمة، والزهري. والثاني: أنه تنوير الصبح، رواه أبو جحيفة عن علي عليه السلام. وقال ابن قتيبة: التنوير عند الصلاة. والثالث: أنه طلوع الفجر، روي عن علي أيضاً، قال: «وفار التور»: طلع الفجر. والرابع: أنه طلوع الشمس، وهو منقول عن علي أيضاً. والخامس: أنه تنور أهله، روى العوفي عن ابن عباس قال: إذا رأيت تنور أهلِكَ يخرج منه الماء، فإنه هلاك قومك. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أنه تنور آدم عليه السلام، وهبه الله لنوح، وقيل له: إذا فار الماء منه، فاحمل ما أمرت به. وقال الحسن: كان تنوراً من حجارة، وهذا قول مجاهد، والفراء، ومقاتل. والسادس: أنه أعلى الأرض وأشرفها<sup>(١)</sup>. قال ابن الأنباري: شُبِّهَتْ أعالي الأرض وأماكنها المرتفعة لعلوها، بالتأثير. واختلفوا في المكان الذي فار منه التور على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فار من مسجد الكوفة، رواه حبة العرنى عن علي عليه السلام. وقال زُرَّ بن حُبَيْش: فار التور من زاوية مسجد الكوفة اليمنى. وقال مجاهد: نبع الماء من التور، فعلمت به امرأته فأخبرته، وكان ذلك بناحية الكوفة. وكان الشعبي يحلف بالله ما كان التور إلا بناحية الكوفة. والثاني: أنه فار بالهند، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه كان في أقصى دار نوح، وكانت بالشام في مكان يقال له: عين وردة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَجْمَلُ فِيهَا﴾ أي: في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾. وروى حفص عن عاصم: «من كل» بالتونين. قال أبو علي: والمعنى: من كل شيء، ومن كل زوج زوجين، فحذف المضاف. وانتصاب «اثنين» على أنهما صفة لزوجين، وقد علم أن الزوجين اثنين، ولكنه توكيد. قال مجاهد: من كل صنف، ذكراً وأنثى. وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحداً، ويكون اثنين، وهو هاهنا واحد، ومعنى الآية: احمل من كل ذكر وأنثى اثنين. وقال الزجاج: المعنى: احمل زوجين اثنين من كل شيء، والزوج في كلام العرب يجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما: زوجان، يقال: عندي زوجان من الطير، إنما يريد ذكراً وأنثى فقط. وقال ابن الأنباري: إنما قال «اثنين» فثنى الزوج، لأنه قصد قصد الذكر والأنثى من الحيوان، وتقديره: من كل ذكر وأنثى.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: واحمل أهلك. قال المفسرون: أراد بأهله: عياله وولده. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق عليه القول من الله بالإهلاك. قال الضحاك: وهم امرأته وابنه كنعان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معناه: واحمل من آمن. وفي عددهم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثمانين رجلاً معهم أهلهم، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن نوحاً حمل معه ثمانين إنساناً، وبنيه الثلاثة، وثلاث نسوة لبنيه، وامرأة نوح، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثالث: كانوا ثمانين إنساناً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. والرابع: كانوا أربعين، ذكره ابن جريج عن

(١) قال ابن كثير ٤٤٥/٢ بعد أن ساق أكثر هذه الأقوال: وهذه أقوال غريبة.

ابن عباس. والخامس: كانوا ثلاثين رجلاً، رواء أبو نهيك عن ابن عباس. والسادس: كانوا ثمانية، قال الحكم بن عتيبة: كان نوح وثلاثة بنيه وأربع كنانته. قال قتادة: ذكر لنا أنه لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له، ونساؤهم، فجماعتهم ثمانية، وهذا قول القرظي، وابن جريج. والسابع: كانوا سبعة، نوح، وثلاث كنانن له وثلاثة بنين، قاله الأعمش. والثامن: كانوا عشرة سوى نسايتهم، قاله ابن إسحاق. وروي عنه أنه قال: الذين نَجَوْا مع نوح بنوه الثلاثة، ونساؤهم ثلاث، وستة ممن آمن به<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ آتِكُمَا فِيهَا يَمِينُ اللَّهِ يَخْرُجُ فِيهَا وَفَرَسَانِ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني نوحاً للذين أمر بحملهم ﴿آتِكُمَا﴾ السفينة. قال ابن عباس: ركبوا فيها لعشر مضيئ من رجب، وخرجوا منها يوم عاشوراء. وقال ابن جريج: رفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضيئ من رجب، فأنت موضع البيت فطافت به أسبوعاً، وكان البيت قد رُفِعَ في ذلك الوقت، ورست بباقردي<sup>(٢)</sup> على الجودي يوم عاشوراء. قال ابن عباس: قرض الفأر حبال السفينة، فشكا نوح ذلك، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الأسد، فخرج سنوران، وكان في السفينة عذرة، فشكا ذلك إلى ربه، فأوحى الله تعالى إليه، فمسح ذنب الفيل، فخرج خنزيران فأكلا ذلك<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَمِينُ اللَّهِ يَخْرُجُ فِيهَا وَفَرَسَانِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَجْرَاهَا» بضم الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، وكسر الراء. وكلهم قرؤوا بضم الميم من «مرساها»، إلا أن ابن كثير، وأبا عمرو، وابن عامر، وحفصاً عن عاصم، كانوا يفتحون السين. ونافع، وأبو بكر عن عاصم، كانا يقرأنها بين الكسر والتفخيم. وكان حمزة، والكسائي، وخلف، يميلونها. وليس في هؤلاء أحد جعلها نعتاً لله، وإنما جعل الوصفين نعتاً لله تعالى، الحسن، وفتادة، وحُميد الأعرج، وإسماعيل بن مجالد عن عاصم، فقرؤوا «مَجْرِيهَا وَفَرَسِيهَا» بضم الميم، وبياءين صحيحتين، مثل مبدئها ومنشئها. وقرأ ابن مسعود: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم، وإمالة الراء بعدها ألف، «وَمُرْسَاهَا» برفع الميم، وإمالة السين بعدها ألف. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «مَجْرَاهَا» بفتح الميم والراء، وبألف بعدها، «وَمُرْسَاهَا»، برفع الميم وفتح السين، وبألف بعدها. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: «مَجْرَاهَا وَفَرَسَاهَا» بفتح الميم فيهما جميعاً، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الميمين، إلا أنه أمال الراء والسين فيهما. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن جبير، برفع الميم فيهما، وفتح الراء والسين، وبألف بعدهما جميعاً. فمن قرأ بضم الميمين، جعله من أجرى وأرسي. ومن فتحهما، جعله مصدرأ من جرى الشيء يجري مجرى، ورسي يرسي مرسى. قال الزجاج: قوله: ﴿يَمِينُ اللَّهِ﴾ أي: بالله، والمعنى: أنه أمرهم أن يسلموا في وقت جريها وقت استقرارها. ومن قرأ بضم الميمين، فالمعنى: بالله إجرأها، وبالله إرساها. ومن فتحهما، فالمعنى: بالله يكون جريها، وبالله يقع إرساؤها، أي: إقرارها. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: من ضم الميم في «مَجْرَاهَا» أراد: أجراها الله مجرى، ومن فتحها، أراد: جرت مجرى. وقال الضحاك: كان إذا أراد أن تجري، قال: بسم الله، فجرت. وإذا أراد أن ترسي، قال: بسم الله، فرست.

﴿وَيَنْجِي بِيَمِينِهِ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَكَأَنَّهُ نُجُجٌ أَنْبُؤٌ وَكَانَتْ فِي مَعْزِلِ بَيْتَيْ آدَمَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ سَعَادَةُ إِنَّ جِبِلَّ يَصُوتُ مِنْ أَلَمِهِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا الْوَجْهُ فَكَانَ مِنَ الْغُرَقَيْنِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَنْجِي بِيَمِينِهِ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه، ويقال: إن الماء ارتفع على

(١) قال أبو جعفر الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَمَا آمَنَ نَقَمٌ إِلَّا قِيلَ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحد عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر من رسول الله ﷺ.

(٢) ضبطه ياقوت بكسر القاف وفتح الدال، وهو موضع بالجزيرة بالقرب من جبل الجودي.

(٣) الخبر ذكره الطبري ٢٤٢/١٥ عن ابن عباس وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وأورده ابن كثير عن ابن جرير واستغفريه، وليس يشك عاقل أن هذا الخبر من بقية أخبار بني إسرائيل، ولا يبلغ أن يكون شيئاً.

أطول جبل في الأرض أربعين ذراعاً، ويروى خمس عشرة ذراعاً. وذكر بعض المفسرين أنه ارتفع نحو السماء سبعين فرسخاً من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ تُوِّجَ أَتْبَثُ﴾ لا يختلفون أنه كان كافراً. وفي اسمه قولان: أحدهما: كنعان، وهو قول الأكثرين. والثاني: اسمه يام، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ فِي مَقْزِلٍ﴾ المعزل: المكان المنقطع. ومعنى العزل: التنحية. وفي معنى الكلام وجهان ذكرهما الزجاج: أحدهما: في معزل من السفينة. والثاني: في معزل من دين أبيه.

قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَنْكَبَ مَعَنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «يا بني اركب» مضافة، بكسر الياء. وروى أبو بكر عن عاصم «يا بني» مفتوحة الياء هاهنا، وباقي القرآن مكسورة. وروى حفص عنه بالفتح في كل القرآن «يا بني» إذا كان واحداً. قال النحويون: الأصل في «بني» ثلاث ياءات، ياء التصغير، وياء بعدها هي لام الفعل، وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة. فمن قرأ «يا بني» أراد: يا بني، فحذف ياء الإضافة، وترك الكسرة تدل عليها، كما يقال: يا غلام أقبل. ومن فتح الياء، أبدل من كسرة لام الفعل فتحة، استقلاً لاجتماع الياءات مع الكسرة، فانقلبت ياء الإضافة ألفاً، ثم حذفت الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة على حالها. وقيل: إن المعنى: يا بني آمن واركب معنا.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ أي: ساصير وأرجع ﴿إِلَى جَبَلٍ يَعْصِي﴾ أي يمعني ﴿مِنْ الْمَاءِ﴾ أي: من تغريق الماء. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا مانع اليوم من أمر الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا معصوم، ومثله: ماء دافق، أي: مدفوق، وسر كاتم، وليل نائم، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَّجَعُ﴾ قال الزجاج: هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن من رحم الله فإنه معصوم. قال مقاتل: إلا من رحم فركب السفينة.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ بَيْنَهُمَا التَّوَجُّ﴾ في المكني عنهما قولان: أحدهما: أنهما ابن نوح والجبل الذي زعم أنه يعصمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: نوح وابنه، قاله مقاتل.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَاسْتَمْسِكِي أَقْلِي وَفِي الْمَاءِ وَفِي الْأَمْرِ وَاسْتَوْتِ عَلَى الْكُرْبِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠٠ ﴿وَكَاذِبٌ تُوِّجَ رَبُّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَكْبَرُ الْمَلَكِينَ﴾ ١٠١ ﴿قَالَ يَنْشُرُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَحْشَى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِفِينَ﴾ ١٠٢ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُو يَكُ أَنْ أَشْتَكُ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ١٠٣

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ وقف قوم على ظاهر الآية، وقالوا: إنما ابتلعت ما نبع منها، ولم تبتلع ماء السماء، فصار ذلك بحاراً وأنهاراً، وهو معنى قول ابن عباس. وذهب آخرون إلى أن المراد: ابلي ماءك الذي عليك، وهو ما نبع من الأرض ونزل من السماء، وذلك بعد أن غرق ما على وجه الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَسَمِعَ أَقْلِي﴾ أي: أمسكي عن إنزال الماء. قال ابن الأنباري: لما تقدم ذكر الماء، عُلم أن المعنى: أقلي عن إنزال الماء.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْمَاءِ﴾ أي: نقص. قال الزجاج: يقال: غاض الماء يغيض: إذا غاب في الأرض. ويجوز إشمام الضم في الغين.

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَمْرِ﴾ قال ابن عباس: غرق من غرق، ونجا من نجا. وقال مجاهد: قضي الأمر: هلاك قوم نوح. وقال ابن قتبية: «وقضي الأمر» أي: فرغ منه. قال ابن الأنباري: والمعنى: أحكمت هلكة قوم نوح، فلما دلت القصة على ما بين هلكتهم، أغنى عن نعت الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَوْتِ﴾ يعني السفينة ﴿عَلَى الْكُرْبِيِّ﴾ وهو اسم جبل. وقرأ الأعمش، وابن أبي عبيدة: «على الجودي» بسكون الياء. قال ابن الأنباري: وتشديد الياء في «الجودي» لأنها ياء النسبة، فهي كالياء في علوي،

وهاشمي. وقد خففها بعض القراء. ومن العرب من يخفف ياء النسبة، فيسكنها في الرفع، والخفض، ويفتحها في النصب، فيقول: قام زيد العلوي، ورأيت زيدا العلوي. قال ابن عباس: دارت السفينة بالبيت أربعين يوماً، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه. واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بالموصل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: بالجزيرة، قاله مجاهد، وقتادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل. والثالث: أنه بناحية آيد، قاله الزجاج. وفي علة استوائها عليه قولان: أحدهما: أنه لم يفرق، لأن الجبال تشامت يومئذ وتناولت، وتواضع هو فلم يفرق، فأرست عليه، قاله مجاهد. والثاني: أنه لما قلَّ الماء أُرْسَتْ عليه، فكان استوائها عليه دلالة على قلة الماء.

قوله تعالى: ﴿وَيَرْبِّدْنَا لَاقِوَرَ الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس: بُعِدَ من رحمة الله للقوم الكافرين. فإن قيل: ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال؟ فالجواب: أن أجالهم حضرت، فأُمِتُوا بالفرق، قاله الضحاك، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنْ آتَيْتَنِي مِنْ أَهْلٍ﴾ إنما قال نوح هذا، لأن الله تعالى وعده نجاة أهله، فقال: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ لَلْحَقِّ وَإِنَّ أَتَمَّكَ لِلْمُكَرِّمِينَ﴾ قال ابن عباس: أعدل العادلين. وقال ابن زيد: فأنت أحكم الحاكمين بالحق. واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين: أحدهما: أنه ابن نوح لصلبه، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنه ولد على فراشه لغير رثدة<sup>(١)</sup> ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري بإسناده عن الحسن أنه قال: لم يكن ابنه، إن امرأته فجرت. وعن الشعبي قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خاتنه، وعن مجاهد نحو ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلِدَ على فراشه. فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ قولان: أحدهما: ليس من أهل دينك. والثاني: ليس من أهلك الذين وعدت نجاتهم. قال ابن عباس: ما بقت امرأة نبي قط<sup>(٣)</sup>، وإنما المعنى: ليس من أهلك الذين وعدت نجاتهم. وعلى القول الآخر: الكلام على ظاهره، والأول أصح، لموافقته ظاهر القرآن، ولاجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة: «إنه عمل» رفع منون «غير صالح» برفع الراء، وفيه قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى السؤال فيه، فالمعنى: سؤلك إياي فيه عمل غير صالح، قاله ابن عباس، وقتادة، وهذا ظاهر، لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله: «رب إن ابني من أهلي»، فرجعت الكناية إليه. والثاني: أنه يرجع إلى المسؤول فيه. وفي هذا المعنى قولان: أحدهما: أنه لغير رثدة، قاله الحسن. والثاني: أن المعنى: إنه ذو عمل غير صالح، قاله الزجاج. قال ابن الأنباري: من قال: هو لغير رثدة، قال: المعنى: إن أصل ابنك الذي تظن أنه ابنك عمل غير صالح. ومن قال: إنه ذو عمل غير صالح، قال: حذف المضاف، وأقام العمل مقامه، كما تقول العرب: عبد الله إقبال وإدبار، أي: صاحب إقبال وإدبار. وقرأ الكسائي: «عَمِلٌ» بكسر الميم وفتح اللام «غير صالح» بفتح الراء، يشير إلى أنه مشرك.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «فلا تسألن» بفتح اللام، وتشديد النون، غير أن نافعاً، وابن عامر، كسرا النون، وفتحها ابن كثير، وحذفوا الياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، بسكون اللام وتخفيف النون، غير أن أبا عمرو، وأبا جعفر، أثبتا الياء في الوصل، وحذفوها في الوقف، ووقف عليها يعقوب بالياء، والباقون يحذفونها في الحالين. قال أبو علي: من كسر النون، فقد عدَّى السؤال إلى مفعولين، أحدهما: اسم المتكلم، والآخر: الاسم الموصول، وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم

(١) يقال: ولد لغير رثدة، أي: لغير نكاح صحيح.

(٢) قال ابن كثير ٤٤٨/٢: وقد نص غير واحد من الأئمة على تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن ذنية، ويحكى القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد، والحسن، وعبيد بن عمير، وأبي جعفر الباقر، وابن جريج.

(٣) قال ابن كثير ٤٤٨/٢: وكذا روي عن مجاهد أيضاً، وعكرمة، والضحاك، وميمون بن مهران، وثابت بن الحجاج، وهو اختيار أبي جعفر ابن جرير الطبري، وهو الصواب الذي لا شك فيه.



لاجتماع التونات. وأما إثبات الياء في الوصل فهو الأصل، وحذفها أخف، والكسرة تدل عليها، وتعلم أن المفعول مراد في المعنى. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نسبته إليه، وليس منه. والثاني: في إدخاله إياه في جملة أهله الذين وعده نجاتهم. والثالث: سؤاله في إنجاء كافر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَظُّكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَنْ ليس مِنْ حزبك. والثاني: من الجاهلين بوعدِي، لأنِّي وعدت بإنجاء المؤمنين. والثالث: من الجاهلين بنسبك، لأنه ليس من أهلك.

﴿وَقِيلَ يٰأَيُّهَا أَقِيطْ يَسْأَلُونَ مِنَّا وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْرِ وَمَنْ تَمَلَّكَ وَأَمَّمْ سَتَجِدُهُمْ ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَقِيطْ﴾ قال ابن عباس: يريد: من السفينة إلى الأرض ﴿يَسْأَلُونَ مِنَّا﴾ أي: بسلامة.

قوله تعالى: ﴿وَبَرَكْتَ عَلَيْكَ﴾ قال المفسرون: البركات عليه: أنه صار أباً للبشر جميعاً، لأن جميع الخلق من نسله. ﴿وَعَلَىٰ أَمْرِ وَمَنْ تَمَلَّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: من ولدك. قال ابن الأنباري: المعنى: من ذراري من معك، والمراد: المؤمنون من ذريته. ثم ذكر الكفار، فقال: ﴿وَأَمَّمْ﴾ أي: من الذرية أيضاً، والمعنى: وفيمن نصف لك أمم، وفيمن نقص عليك أمره أمم. ﴿سَتَجِدُهُمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسَهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. قال محمد بن كعب القرظي: لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذٍ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات، ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب.

﴿يَتْلُكَ مِنْ آيَاتِهِ الَّذِينَ هُجِرُوا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَمَلَّكُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ التَّائِبِينَ لِلنَّجَاتِ ۝ وَإِلَىٰ عَاوِ أَخَاهُمْ هُوْدًا قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَنْفَوْرُ لَا أَشْكُرَ عَلَيْكَ أَجْرًا إِنْ أَجْرُكَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَنْفَوْرُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يُمْذِرَاكُمْ وَيزِيدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَدْعُوهُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿يَتْلُكَ مِنْ آيَاتِهِ الَّذِينَ هُجِرُوا إِلَيْكَ﴾ في المشار إليه بـ «تلك» قولان: أحدهما: قصة نوح. والثاني: آيات القرآن، والمعنى: تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك. فإن قيل: كيف قال هاهنا: «تلك»، وفي مكان آخر «ذلك»؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: «تلك» إشارة إلى آيات القرآن، و «ذلك» إشارة إلى الخبر والحديث، وكلاهما معروف في اللغة الفصحى، يقول الرجل: قد قدم فلان، فيقول سامع قوله: قد فرحت به، وقد سررت بها، فإذا ذكر، عنى القدم، وإذا أنث، ذهب إلى القدمة.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ يعني القرآن. ﴿فَاصْبِرْ﴾ كما صبر نوح على أذى قومه: ﴿إِنَّ التَّائِبِينَ﴾ أي: آخر الأمر بالظفر والتمكين ﴿لِلنَّجَاتِ﴾ أي: لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ أي: ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [يونس: ٧٢] إلى قوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ يُمْذِرَاكُمْ﴾ وهذا أيضاً قد سبق تفسيره في سورة [الأنعام: ٦١]. والسبب في قوله لهم ذلك، أن الله تعالى حبس المطر عنهم ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسايتهم، فوعدهم إحياء بلادهم ويسط الرزق لهم إن آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَزِيدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الولد وولد الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزدكم شدة إلى شدتكم، قاله مجاهد، وابن زيد. والثالث: خصباً إلى خصبكم، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ قال مقاتل: لا تعرضوا عن التوحيد مشركين.

قوله تعالى: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بحجة واضحة. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ يعنون الأصنام. ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بقولك، و «الباء» و «عن» يتعاقبان.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْثٌ آلِهَتِنَا يَسُوءُ قَالِ إِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَاتَّبَعْتُ أُمَّيَّ بَرِيَّةً وَمِمَّا تَشْكُرُونَ ۝ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جِيئَا ثُمَّ لَا تُظْهِرُونِ ۝ إِنِّي قَوْلُكَ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَزَيْدُكَ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأَصْبَحِيَّتِي إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض أهلكنا أصابك بجنون لسبك إياها، فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير. قال ابن قتبية: يقال: عراني كذا، واعتراني: إذا ألم بي. ومنه قيل لمن أتاك يطلب نائلك: عار، ومنه قول النابغة:

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي

عَلَى خَوْفٍ تُظَلُّ بِسِي الظُّلُونِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَشْهَدُ اللَّهَ...﴾ إلى آخر الآية. حرك ياء «إني» نافع. ومعنى الآية: إن كنتم تقولون: إن الآلهة عاقبتني لطعني عليها، فإني على يقين من عيبها والبراءة منها، وما أنا ذا أزيد في الطعن عليها، ﴿فَكِيدُونِي جِيمًا﴾ أي: احتالوا أنتم وأوثانكم في ضري، ثم لا تمهلون. قال الزجاج: وهذا من أعظم آيات الرسل، أن يكون الرسول وحدة وأُمَّته متعاونة عليه، فيقول لهم: كيدوني، فلا يستطيع أحد منهم ضربه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (يونس: ٧١). وقال محمد ﷺ: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (المرسلات: ٢٩).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأَمِينٍ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: أنها في قبضته ومملكه وسلطانه. فإن قيل: لم خص الناصية؟ فالجواب: أن الناصية هي شجر مقدم الرأس، فإذا أخذت بها من شخص، فقد ملكت سائر بدنه، وذلك لك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال مجاهد: على الحق. وقال غيره: في الكلام إضمار، تقديره: إن ربي يدل على صراط مستقيم. فإن قيل: ما وجه المناسبة بين قوله: ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأَمِينٍ﴾ وبين كونه على صراط مستقيم؟ فنعته جوابان: أحدهما: أنه لما أخبر أنه أخذ بنواصي الخلق، كان معناه: أنهم لا يخرجون عن قبضته، فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب، ولا يخفى عليه مستتر. والثاني: أن المعنى: أنه وإن كان قادراً عليهم، فهو لا يظلمهم، ولا يريد إلا العدل<sup>(٢)</sup>، ذكرهما ابن الأنباري.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرِيدُكُمْ بِهِ إِلِكُمْ وَسَتَجِدْكُمْ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَعْرِفُوهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه فعل ماض، معناه: فإن عرضوا. فعلى هذا، في الآية إضمار، تلخيصه: فإن عرضوا فقل لهم قد أبلغتكم، هذا مذهب مقاتل في آخرين. والثاني: أنه خطاب للحاضرين، وتقديره: فإن تتوَلَّوْا، فاستقلوا الجمع بين تأمين متحركتين، فاقصر على إحداهما، وأسقطت الأخرى، كما قال النابغة:

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعْمِيَ  
تَفَنَّى بِشَاشْتُهُ وَبُنْ  
وَتَصَرَّفَ الْأَيَّامُ حَشْ

شَ وَطَوَّلَ عَيْشِي قَدْ يَضُرُّهُ<sup>(٣)</sup>  
قَى بَغْدُ حُلُو الْعَيْشِي مُرَّةٌ  
تَى مَا يَرَى شَيْئًا يُسْرُهُ

أراد: وتتصرف الأيام، فأسقط إحدى التامين، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَسَتَجِدْكُمْ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فيه وعيد لهم بالهلاك. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: حفيظ على أعمال العباد حتى يجازيهم بها. والثاني: أن «على» بمعنى اللام، فالمعنى: لكل شيء حافظ، فهو يحفظني من أن تتألوني بسوء.

﴿وَلَكَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَا هُوًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَلَكَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: جاء عذابنا، قاله ابن عباس. والثاني: جاء أمرنا بهلاكهم. قوله تعالى: ﴿نَجِيتَا هُوًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: نجيناهم من العذاب بنعمتنا. والثاني: نجيناهم بأن هديناهم إلى الإيمان، وعصمتناهم من الكفر، روي القولان عن ابن عباس.

(١) «ديوانه» ٩٤ بشرح ابن السكيت، و«غريب القرآن» ٢٥٥، و«اللسان»: عري.

(٢) قال ابن كثير ٤٥٠/٢: وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وعلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له، الذي بيده الملك والتصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إلا هو، ولا رب سواه.

(٣) الأبيات في «أدب ذي القرنين» ٩/٢، و«الوحشيات» ١٥٥، و«أدب ذي القرنين» ٢٦٦/١، و«حماة البحري» ١٣٦، و«الخرزاة» ٥١٤/١.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي: شديد، وهو ما استحقه قوم هود من عذاب الدنيا والآخرة.

﴿وَلَاكُمُ عَذَابٌ جَدِيدٌ ۖ يُعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ وَعَصُوا رُسُلَهُمْ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَبِئْسَ أَكْرَمُكَ إِن قَالَ قَائِلٌ: لَمْ قَالَ هَاهُنَا: «وَأَنَّا» وَقَالَ فِي «إِنَّهُمْ»: «وَأَنَا؟» فَالْجَوَابُ: أَنَّهُمَا لَغَتَانِ مِنْ لُغَاتِ قَرِيشِ السَّبْعِ الَّتِي نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا. قَالَ الْفَرَاءُ: مِنْ قَالَ: «إِنَّا» أَخْرَجَ الْحَرْفَ عَلَى أَصْلِهِ، لِأَنَّ كِتَابَةَ الْمُتَكَلِّمِينَ «نَا» فَاجْتَمَعَتْ ثَلَاثُ نُونَاتٍ، نُونَا «إِنْ» وَالتَّوْنُ الْمَضْمُونَةُ إِلَى الْأَلْفِ؛ وَمَنْ قَالَ: «إِنَّا» اسْتَنْقَلَ الْجَمْعَ بَيْنَ ثَلَاثِ نُونَاتٍ، وَأَسْقَطَ الثَّالِثَةَ، وَأَبْقَى الْأَوَّلَتَيْنِ؛ وَكَذَلِكَ يُقَالُ: إِنِّي وَإِنِّي، وَلَعَلِّي وَلَعَلْنِي، وَلِيْنِي وَلِيْنَتِي، قَالَ اللَّهُ فِي اللُّغَةِ الْعَلِيَا: ﴿لَعَلَّيْ أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غانر: ٣٦]، وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي اللُّغَةِ الْآخَرَى:

أَرَيْنِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً لَعَلَّنِي  
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَكَلِّتُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ٧٣]، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

كُمْنِيَّةُ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لِيْتِي  
أَصَادْفُهُ وَأَتْلَفْتُ بَعْضَ مَالِي<sup>(١)</sup>  
فَأَمَّا التَّرِيبُ، فَهُوَ الْمَوْقِعُ لِلرِّبَةِ وَالتَّهْمَةِ. وَالرَّحْمَةُ يَرَادُ بِهَا هَاهُنَا: النَّبُوءَةُ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ التَّخْسِيرُ: التَّقْصَانُ. وَفِي مَعْنَى الْكَلَامِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ بَصَارَةٍ فِي خَسَارَتِكُمْ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: الْمَعْنَى: فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ لَكُمْ، أَيْ: كُلَّمَا اعْتَذَرْتُمْ عِنْدِي بِعَلَرٍ فَهُوَ يَزِيدُكُمْ تَخْسِيراً. وَقَالَ ابْنُ الْأَرَاءِيِّ: غَيْرَ تَخْسِيرٍ لَكُمْ، لَا لِي. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَعْنَى: فَمَا تَزِيدُونِي بِمَا قُلْتُمْ إِلَّا نَسْبَتِي لَكُمْ إِلَى الْخَسَارَةِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ الْخَسَارَانِ إِنْ رَجَعْتُ إِلَى دِينِكُمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُقَاتِلٍ. فَإِنْ قِيلَ: فَظَاهِرٌ هَذَا أَنَّهُ كَانَ خَاسِراً، فَزَادُوهُ خَسَاراً، فَقَدْ أَسْلَفْنَا الْجَوَابَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَوْ حَرَجُوا فِيكَ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ [التوبة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ آلِكَ لَكُمُ آيَةٌ﴾ قَدْ شَرَحْنَاهَا فِي سُورَةِ [الْأَعْرَافِ: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ أَيْ: اسْتَمْتَعُوا بِحَيَاتِكُمْ، وَعَبَّرَ عَنِ الْحَيَاةِ بِالتَّمَتُّعِ، لِأَنَّ الْحَيَاةَ يَكُونُ مَتَمَتُّعاً بِالْحَوَاسِّ.

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: لَمَّا غُرِقَتِ النَّاقَةُ صَعِدَ فَصِيلُهَا إِلَى الْجَبَلِ، وَرَغَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَقَالَ صَالِحٌ: لِكُلِّ رَغْوَةٍ أَجَلٌ يَوْمٌ، أَلَا إِنْ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ تَصَبَّحَ وَجُوهُكُمْ مُضْفَرَةً، وَالْيَوْمَ الثَّانِي مُخَمَّرَةً، وَالْيَوْمَ الثَّلَاثَ مُسَوَّدَةً؛ فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، إِذَا وَجُوهُهُمْ مَضْفَرَةٌ، فَصَاحُوا وَضَجُّوا، وَبَكَوْا، وَعَزَّوْا أَنَّهُ الْعَذَابُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، إِذَا وَجُوهُهُمْ مَحْمَرَةٌ، فَضَجُّوا، وَبَكَوْا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، إِذَا وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ كَأَنَّمَا طَلَبَتْ بِالْقَارِ، فَصَاحُوا جَمِيعاً: أَلَا قَدْ حَضَرَكَمُ الْعَذَابُ؛ فَتَكَفَّمُوا وَأَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ بِالْأَرْضِ، لَا يَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ، أَتَتْهُمْ صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا صَوْتُ كُلِّ صَاعِقَةٍ، فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: حَفَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ قُبُوراً، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ، وَلَمْ يَأْتِهِمُ الْعَذَابُ، ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ رَحِمَهُمْ، فَخَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضاً، إِذْ نَزَلَ جَبْزِيلُ، فَقَامَ فَوْقَ الْمَدِينَةِ فَسَدَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ، فَلَمَّا عَايَنُوهُ دَخَلُوا قُبُورَهُمْ، فَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةٌ: مَوْتُوا، عَلَيْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، فَخَرَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ، وَتَزَلْزَلَتْ بَيُوتُهُمْ فَوَقَعَتْ عَلَى قُبُورِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ﴾ أَيْ: الْعَذَابُ «غَيْرُ مَكْذُوبٍ» أَيْ: غَيْرُ كَذِبٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامَرٍ «يُؤَيِّدُ» بِكَسْرِ الْمِيمِ. وَقَرَأَ الْكَسَائِيُّ بِفَتْحِهَا مَعَ الْإِضَافَةِ. قَالَ مَكِّي: مِنْ كَسْرِ الْمِيمِ، أَعْرَبَ وَخَفَضَ، لِإِضَافَةِ الْخِزْيِ إِلَى الْيَوْمِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ؛ وَمَنْ فَتَحَ، بَنَى الْيَوْمَ عَلَى الْفَتْحِ، لِإِضَافَتِهِ إِلَى غَيْرِ مَتَمَكِّنٍ، وَهُوَ «إِذَا». وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ «وَمِنْ خِزْيٍ» بِالتَّنْوِينِ، «يَوْمُثْلِي» بِفَتْحِ الْمِيمِ. قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: هَذِهِ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ: «وَمِنْ خِزْيٍ» مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: نَجِينَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَمِنْ خِزْيِ يَوْمُثْلِي.

(١) الْبَيْتُ لِحَطَّائِطِ بْنِ عَفْرٍ، أَخِي الْأَسَدِ بْنِ عَفْرٍ، وَهُمَا أَخَوَانِ مِنْ بَنِي نَهْشَلِ بْنِ دَارِمٍ، جَاهِلِيَّانِ، وَيُرْوَى لِحَاتِمِ الطَّائِي، وَلَقَعْنِ بْنِ أَوْسٍ، وَهُوَ فِي «الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ» ٢٠٢، وَ«مَجَازِ الْقُرْآنِ» ٥٥، وَ«الْحِمَاسَةِ» ٢٥٤/٤، وَ«هِوَيْنِ الْأَخْبَارِ» ١٨١/٣، وَ«مَالِي الْقَالِي» ٩٢/٢، وَ«الْقُرْطُبِيِّ» ١٢٧/٢، وَ«اللسان»، وَ«التاج»: أَنْ، وَ«الْخَزَائِنَةُ» ١٩٥/١.

(٢) الْبَيْتُ لِزَيْدِ الْخَيْلِ، وَهُوَ فِي «الْكِتَابِ» ٣٨٦/١، وَ«اللسان»: لَيْتَ، وَ«الْخَزَائِنَةُ» ٤٤٦/٢.



قال: ويجوز أن تكون دخلت لفعل مضمر، تأويله: نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا، ونجيناهم من خزي يومئذ. قال: وإنما قال: «وَأَخَذَ» لأن الصيحة محمولة على الصباح.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بُدًّا لِّشُعُودٍ﴾ اختلفوا في صرف «شُعُود» وترك إجرائه في خمسة مواضع: في [هود: ﴿أَلَا إِنَّ شُعُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدًّا لِّشُعُودٍ﴾] وفي [الفرقان: ٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَمَصَّ الرِّينَ﴾، وفي [المنكوت: ٣٨] ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾، وفي [النجم: ﴿وَتَمُودًا قَدْ أَفْنَى﴾] ٥٩. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر بالتثنية في أربعة مواضع منها، وتركوا «أَلَا بُدًّا لِّشُعُودٍ» فلم يصرفوه. وقرأ حمزة بترك صرف هذه الخمسة الأحرف، وصرفهن الكسائي. واختلف عن عاصم، فروى حسين الجعفي عن أبي بكر عنه أنه أجرى الأربعة الأحرف مثل أبي عمرو؛ وروى يحيى بن آدم أنه أجرى ثلاثة، في [هود: ٦٨] ﴿أَلَا إِنَّ شُعُودًا﴾، وفي [الفرقان: ٣٨] و [المنكوت: ٣٨]. وروى حفص عنه أنه لم يجز شيئاً منها مثل حمزة. واعلم أن ثموداً يراد به القبيلة تارة، ويراد به الحي تارة. فإذا أريد به القبيلة، لم يصرف، وإذا أريد به الحي، صرف. وما أخللنا به، فقد سبق تفسيره [الأحرف: ٧٣، والنوبة: ٧٠] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. والرسل هاهنا: الملائكة. وفي عددهم ستة أقوال: أحدها: أنهم كانوا ثلاثة، جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. وقال مقاتل: جبريل، وميكائيل، وملك الموت. والثاني: أنهم كانوا اثني عشر، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: ثمانية، قاله محمد بن كعب. والرابع: تسعة، قاله الضحاك. والخامس: أحد عشر، قاله السدي. والسادس: أربعة، حكاه الماوردي. وفي هذه البشرية أربعة أقوال: أحدها: أنها البشرية بالولد، قاله الحسن، ومقاتل. والثاني: بهلاك قوم لوط، قاله قتادة. والثالث: بنبوته، قاله عكرمة. والرابع: بأن محمداً يخرج من صلبه، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ قال ابن الأنباري: انتصب بالقول، لأنه حرف مقول، والسلام الثاني مرفوع بإضمار «عليكم». وقال الفراء: فيه وجهان: أحدهما: أنه أضمر «عليكم» كما قال الشاعر:

فَقُلْنَا السَّلَامَ فَأَتَتْ مِنْ أَمِيرِهَا  
فَمَا كَانَ إِلَّا وَثَمُودًا بِأَلْحَوَاجِبِ<sup>(١)</sup>  
والعرب تقول: التقتنا قلنا: سلام سلام. والثاني: أن القوم سلموا، فقال حين أنكرهم هو: سلام، فمن أنتم؟ لإنكاره إياهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «قال سلم»، وهو بمعنى سلام، كما قالوا: جَلَّ وحلال، وجَرَمَ وحرام؛ فعلى هذا، يكون معنى «سلم»: سلام عليكم. قال أبو علي: فيكون معنى القراءتين واحداً وإن اختلف اللفظان. وقال الزجاج من قرأ: «سلم» فالمعنى: آمنا بسلام، أي: لا بأس علينا.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَيْتَ﴾ أي: ما أقام حتى جاء بعجل حنيد، لأنه ظنهم أضيافاً، وكانت الملائكة قد جاءت في صورة الغلمان الرضاء. وفي الحنيد ستة أقوال: أحدها: أنه النضيج، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة. والثاني: أنه الذي يَقَطُرُ ماؤه وَدَسَمَهُ وقد شوي، قاله شمر بن عطية. والثالث: أنه ما حفرت الأرض ثم غمته، وهو من فعل أهل البادية، معروف، وأصله: مجنوذ، قليل: حنيد، كما قيل: طيبخ للمطبوخ، وقيل للمقتول. هذا قول الفراء. والرابع: أنه المشوي، قاله أبو عبيدة. والخامس: المشوي بالحجارة المحماة، قاله مقاتل، وابن قتيبة. والسادس: السميطة، ذكره الزجاج، وقال: يقال: إنه المشوي فقط، ويقال: المشوي الذي يقطر، ويقال: المشوي بالحجارة.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَوِيلَ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَنْفَخْ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِقَوْلِ لُوطٍ﴾<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ﴾ يعني الملائكة ﴿لَا تَوِيلَ إِلَيْهِ﴾ يعني العجل ﴿نَكَرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم. قال أبو عبيدة: نكرهم وأنكرهم واستنكرهم، سواء، قال الأعشى:

فَأَنكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتَ  
مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبُ وَالصَّلَعُ<sup>(٣)</sup>

(١) «اللسان»: وما.

(٢) قاله الأشعي الكبير ميمون بن قيس من قصيدة يمدح بها هود بن علي الحنفي: «ديوانه» ١٠١، و«الطبري» ٣٨٨/١٥، و«مجاز القرآن» ٢٩٣/١، و«القرطبي» ٦٧/٩، و«شواهد الكشاف» ١٦٩، و«الصالح» و«اللسان»، و«التاج»: نكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أضمر في نفسه خوفاً. قال الفراء: وكانت شئاً في زمانهم إذا ورد عليهم القوم فأتوهم بالطعام فلم يمسوه، ظنوا أنهم عدو أو لصوص، فهناك أوجس في نفسه خيفة، فراوا ذلك في وجهه، فقالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَاكَ قَوْراً لُوطاً﴾ قال الزجاج: أي: أرسلنا بالعباد إليهم. قال ابن الأنباري: وإنما أضمر ذلك هاتنا، لقيام الدليل عليه بذكر الله تعالى له في سورة أخرى.

﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ دُونِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾ (٧١) قَالَتْ يَنْتَلِقُ عَلَيَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَتَى عَجِيبٌ (٧٢)

قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ واسمها سارة. واختلفوا أين كانت قائمة على ثلاثة أقوال: أحدها: وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب. والثاني: كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: كانت قائمة تصلي، قاله محمد بن إسحاق. وفي قوله: ﴿فَضَحَكْتُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن الضحك هاتنا بمعنى التعجب، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «ضحكت»: حاضت، قاله مجاهد، وعكرمة. قال ابن قتية: وهذا من قولهم: ضحكت الأرب؛ إذا حاضت. فعلى هذا، يكون حيضها حينئذ تأكيداً للبشارة بالولد، لأن من لا تحيض لا تحمل. وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى «ضحكت»: حاضت. قال ابن الأنباري: أنكر الفراء، وأبو عبيدة، وأبو عبيد، أن يكون «ضحكت» بمعنى حاضت، وعرفه غيرهم. قال الشاعر:

نَضَحَكُ الضُّبُعُ لَقُتْلَى هُذَيْلٍ

وَتَرَى الذُّبَّ لَهَا يَسْتَهْلُ<sup>(١)</sup>

قال بعض أهل اللغة: معناه: تحيض. والثالث: أنه الضحك المعروف، وهو قول الأكثرين. وفي سبب ضحكها ستة أقوال: أحدها: أنها ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه، وقالت: من ماذا يخاف إبراهيم، وإنما هم ثلاثة، وهو في أهله وغلماؤه؟ رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: أنها ضحكت من بشارة الملائكة لإبراهيم بالولد، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وهب بن منبه؛ فعلى هذا، إنما ضحكت سروراً بالبشارة، ويكون في الآية تقديم وتأخير، المعنى: وأمرأتها قائمة فبشرتها فضحكت، وهو اختيار ابن قتية. والثالث: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، فله تنادة. والرابع: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت: عجباً لأضيافنا، نخدعهم بأنفسنا، وهم لا يأكلون طعامنا! قاله السدي. والخامس: ضحكت سروراً بالأمن، لأنها خافت كخوف إبراهيم، قاله الفراء. والسادس: أنها كانت قالت لإبراهيم: انضم إليك ابن أخيك لوطاً، فإنه سينزل العذاب بقومه، فلما جاءت الملائكة بعذابهم، ضحكت سروراً بموافقتها للصواب، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: قال جبريل لسارة: أبشري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد. وفي معنى الورا قولان: أحدهما: أنه بمعنى «بعد»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره مقاتل، وابن قتية. والثاني: أن الورا: ولد الولد، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الشعبي، واختاره أبو عبيدة. فإن قيل: كيف يكون يعقوب وراء إسحاق وهو ولد لصلبه، وإنما الورا: ولد الولد؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: المعنى: ومن وراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب، لأنه قد كان الورا لإبراهيم من جهة إسحاق، فلو قال: ومن الورا يعقوب، لم يعلم هذا الورا منسوب إلى إسحاق، أم إلى إسماعيل؟ فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس. قال: ويجوز أن ينسب ولد إبراهيم من غير إسحاق إلى سارة على جهة المجاز، فكان تأويل الآية: من الورا المنسوب إلى سارة، وإلى إبراهيم من جهة إسحاق، يعقوب. ومن حمل الورا على «بعد» لزم ظاهر العربية. واختلف القراء في «يعقوب»، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يعقوب» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «يعقوب» بالنصب. قال الزجاج: وفي رفع «يعقوب»

وجهان: أحدهما: على الابتداء المؤخر، معناه التقديم؛ والمعنى ويعقوبُ يَحْدُثُ لها من وراء إسحاق. والثاني: وثبت لها من وراء إسحاق يعقوبُ. ومن نصبه، حملة على المعنى، والمعنى: وهبنا لها إسحاق، وهبنا لها يعقوبُ. قوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّىٰ أُمُّهُ وَهُمَا عَلِيمُونَ﴾ هذه الكلمة تقال عند الإيذان بمرور الأمر العظيم. ولم تُرد بها الدعاء على نفسها، وإنما هي كلمة تخفف على السنة النساء عند الأمر العجيب. وقولها: ﴿وَالَّذِينَ﴾ استفهام تعجب. قال الزجاج: و ﴿مَنْحَةً﴾ منصوب على الحال. قال ابن الأنباري: إنما أشارت بقولها هذا لتنبه على شيخوختي. واختلفوا في سن إبراهيم وسارة يومئذٍ على أربعة أقوال: أحدها: أنه كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، وسارة بنت ثمان وتسعين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه كان إبراهيم ابن مائة سنة، وسارة بنت تسع وتسعين، قاله مجاهد. والثالث: كان إبراهيم ابن تسعين، وسارة مثله، قاله قتادة. والرابع: كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، وسارة بنت تسعين، قاله عبيد بن عمير، وابن إسحاق.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَحْمَةُكَ أَهْلَ الْآيَاتِ إِنَّهُمْ حَيِّدٌ حَيْدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: من قضائه وقدرته، وهو إيجاد ولد من بين كبيرين. قال السدي: قالت سارة لجبرئيل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهترأ أخضر، فقالت: هو إذن لله ذبيح. قوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَحْمَةُكَ أَهْلَ الْآيَاتِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه من دعاء الملائكة لهم. والثاني: أنه إخبار عن ثبوت ذلك لهم. ومن تلك البركات وجود أكثر الأنبياء والأسباط من إبراهيم وسارة. والحمد لله بمعنى المحمود. فأما المجيد، فقال ابن قتيبة: بمعنى الماجد، وهو الشريف. وقال أبو سليمان الخطابي: هو الواسع الكرم. وأصل المجد في كلامهم: السعة، يقال: رجل ماجد: إذا كان سخياً واسع العطاء. وفي بعض الأمثال: في كل شجر نار، واستمجد المرءُ والعقارُ<sup>(١)</sup>، أي: استكثرا منها<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَهُ الْبَشَرُ بَحْدُكَ فِي قَوْمٍ لُوطٌ﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ بِإِبْرَاهِيمَ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُ أُمْرٌ رَوَّكٌ وَإِنَّهُمْ لَانْتِهَمَ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُورٍ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ يعني الفرع الذي أصابه حين امتنعوا من الأكل. ﴿بَحْدُكَ﴾ فيه إضمار أخذ وأقبل يجادلنا، والمراد: يجادل رسلنا. قال المفسرون: لما قالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [النكبت: ٢١]، قال: أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال حينئذٍ: ﴿إِنِّي فِيهَا لَطُوفٌ﴾ أَعْلَزُ مِنْ فِيهَا [النكبت: ٢١]، هذا قول ابن إسحاق. وقال غيره: قيل له: إن كان فيهم خمسة لم نعدنهم، فما كان فيهم سوى لوط وابنتيه. وقال سعيد بن جبير: قال لهم: أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا؛ وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر مع امرأة لوط، فسكتوا وطمأنئتهم، وإنما كانوا ثلاثة عشر فأهلكوا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ أَوَّهٌ﴾ قد فسره في [براء: ١١٤]. فعند ذلك قالت الرسل لإبراهيم: ﴿بِإِبْرَاهِيمَ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ يعنون الجidal. ﴿إِنَّهُمْ قَدْ جَاءَهُ أُمْرٌ رَوَّكٌ﴾ بعدايمهم. وقيل: قد جاء عذاب ربك، فليس بمرود، لأن الله قد قضى به. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَاقُ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرُضُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا يَقْتُلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَرَّبُونَ هَؤُلَاءِ بِمَا هُمْ لَكُمْ قَانِقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُوا فِي مَنَاقِبِ الْبَشَرِ رَجُلٌ زَبِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَقُولُنَّ مَنَاقِبُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لَيْسَ بِيكُمْ قُوَّةٌ أَوْ دَاوِيُّ إِلَيَّ رَجُلٌ سَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُؤْسُ رَبِّكَ لَنَ بَصُلُوا إِلَيْكَ فَأَنزِلْ بِأَمْرِكَ يَقَطِعَ مِنْ آتِلٍ وَلَا يَلْتَوِيَنَّكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُمْ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ قال المفسرون: خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فَأَنزَلُوها

(١) المرخ والعقار: شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر، ويسرى من أغصانها الزناد فيقتل بها.

(٢) أي: من النار، كأنهما أخذتا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتراح بهما، فشبهتا بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد.

عشاء. وقال السدي عن أشياخه: أَوْتَرَاهَا نَصْفَ النَّهَارِ، فَلَمَّا بَلَغُوا نَهْرَ سُدُومَ، لَقُوا بِنْتَ لُوطَ تَسْتَقِي الْمَاءَ لِأَهْلِهَا، فَقَالُوا لَهَا: يَا جَارِيَّةُ، هَلْ مِنْ مَنْزِلٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، مَكَانَكُمْ لَا تَدْخُلُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، فَرَقًّا عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهَا؛ فَاتَتْ أَبَاهَا، فَقَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَدْرَكَ فِتْيَانًا عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ مَا رَأَيْتُ وَجْهَ قَوْمٍ هِيَ أَحْسَنُ مِنْهُمْ، لَا يَأْخُذُهُمْ قَوْمُكَ فَيَفْضَحُوهُمْ؛ وَقَدْ كَانَ قَوْمُهُ نَهْؤُهُ أَنْ يَضِيفَ رَجُلًا؛ فَجَاءَ بِهِمْ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِ لُوطَ؛ فَخَرَجَتْ امْرَأَتُهُ فَأَخْبَرَتْ قَوْمَهَا، فَجَاؤُوا يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَمُوتُ فِيهِ قَوْلَانٌ: أَحَدُهُمَا: سَاءَ ظَنُّهُ بِقَوْمِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: سَاءَ مَجِيءُ الرِّسَالِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُمْ، وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَأَصْلُ «سَيِّئٍ بِهِمْ» سُوءٍ بِهِمْ، مِنَ السُّوءِ، إِلَّا أَنْ الْوَاوَ اسْكَنْتَ وَنَقَلْتَ كَسْرَتَهَا إِلَى السِّينِ.

قوله تعالى: ﴿وَصَاقَ يَوْمَ ذَرْعًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضَاقَ ذَرْعًا بِأَضْيَافِهِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَصْلُ فِيهِ: وَضَاقَ ذَرْعَهُ بِهِمْ، فَتَقَلَّ الْفَعْلُ عَنِ الذَّرْعِ إِلَى ضَمِيرِ لُوطَ، وَنُصِبَ الذَّرْعُ بِتَحْوِيلِ الْفَعْلِ عَنْهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَشْتَغَلَ الرَّأْسُ مَكِينًا﴾ [مريم: ٢٤] وَمَعْنَاهُ: اشْتَغَلَ شَيْبَ الرَّأْسِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يَقَالُ: ضَاقَ فُلَانٌ بِأَمْرِهِ ذَرْعًا: إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنَ الْمَكْرُوهِ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ مَخْلَصًا. وَذَكَرَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنْ مَعْنَاهُ: وَقَعَ بِهِ مَكْرُوهٌ عَظِيمٌ لَا يَصِلُ إِلَى دَفْعِهِ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَالذَّرْعُ كُنَايَةٌ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى. وَالثَّانِي: أَنْ مَعْنَاهُ: ضَاقَ صَبْرُهُ وَعَظُمَ الْمَكْرُوهُ عَلَيْهِ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ ذَرَعَ فَلَانًا الْقِيءَ: إِذَا غَلِبَهُ وَسَبَقَهُ. وَالثَّلَاثُ: أَنْ الْمَعْنَى ضَاقَ بِهِمْ وَتُسَعُّهُ، فَتَابَ الذَّرْعُ وَالذَّرَاعُ عَنِ الْوَسْعِ، لِأَنَّ الذَّرَاعَ مِنَ الْيَدِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَيْسَ هَذَا فِي يَدِي، يَعْنُونَ: لَيْسَ هَذَا فِي وَطْئِي؛ وَيدل على صحة هذا أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ الذَّرَاعَ فِي مَوْضِعِ الذَّرْعِ، فَيَقُولُونَهُ: ضَمَقْتُ بِهَذَا الْأَمْرَ ذَرْعًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِلَيْنِكَ إِلَيْنِكَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا

فَأَمَّا الْعَصِيبُ، فَقَالَ أَبُو عِيْدَةَ: الْعَصِيبُ: الشَّدِيدُ الَّذِي يَعَصِبُ النَّاسَ بِالْشَّرِّ، وَأَنْشَدَ:

يَوْمَ عَصِيبٍ يَفْصِيبُ الْأَبْطَالَ  
عَصَبَ الْقَوِيَّ السَّلَامَ الطَّوَالَ<sup>(١)</sup>

وَقَالَ أَبُو عِيْدَةَ: يَقَالُ: يَوْمَ عَصِيبٍ، وَيَوْمَ عَصِيبٍ: إِذَا كَانَ شَدِيدًا.

قوله تعالى: ﴿يَهْرَعُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ: «يَهْرَعُونَ» يَسْرِعُونَ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ، وَالْكَسَائِيُّ: لَا يَكُونُ الْإِهْرَاجُ إِلَّا إِسْرَاعًا مَعَ رِعْدَةٍ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: الْإِهْرَاجُ شَبِيهُ بِالرِّعْدَةِ، يَقَالُ: أَهْرَعَ الرَّجُلُ: إِذَا أَسْرَعَ، عَلَى لَفْظٍ مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ، كَمَا يَقَالُ: أَرْعَدَ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْإِهْرَاجُ فَعْلٌ وَقَاعٌ بِالْقَوْمِ وَهُوَ لَهُمْ فِي الْمَعْنَى، كَمَا قَالَتِ الْعَرَبُ: قَدْ أَوْلَعَ الرَّجُلُ بِالْأَمْرِ، فَجَعَلُوهُ مَفْعُولًا، وَهُوَ صَاحِبُ الْفَعْلِ، وَمِثْلُهُ: أَرْعَدَ زَيْدٌ، وَسَهِيَ عَمْرُو بْنُ السَّهْوِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ خَرَجَ الْأِسْمُ مَعَهُ مَقْدَرًا تَقْدِيرَ الْمَفْعُولِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْفَعْلِ لَا يُعْرِفُ لَهُ فَاعِلٌ غَيْرُهُ. قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ: لَا يَجُوزُ لِلْفَعْلِ أَنْ يُجْعَلَ فَاعِلُهُ مَفْعُولًا، وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الْمَذْكُورَةُ فَاعِلُوهَا مُحَذَوْفُونَ، وَتَأْوِيلُ «أَوْلَعَ زَيْدٌ»: أَوْلَعَهُ طَبْعُهُ وَجَبَلْتَهُ، وَ«أَرْعَدَ الرَّجُلُ»: أَرْعَدَهُ غَضَبُهُ، وَ«سَهِيَ عَمْرُو» جَعَلَهُ سَاهِيًا مَالَهُ أَوْ جَهْلَهُ، وَ«أَهْرَعَ» مَعْنَاهُ: أَهْرَعَهُ خَوْفُهُ وَرِعْدَةُ؛ فَلِهَذَا الْعِلَّةُ خَرَجَ هَؤُلَاءِ الْأَسْمَاءُ مَخْرَجَ الْمَفْعُولِ بِهِ. قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ: لَا يَكُونُ الْإِهْرَاجُ إِلَّا إِسْرَاعَ الْمَذْعُورِ الْخَائِفِ؛ لَا يَقَالُ لِكُلِّ مَسْرُوعٍ: مَهْرَعٌ، حَتَّى يَنْضَمَّ إِلَى إِسْرَاعِهِ جَزَعٌ وَذَعْرٌ. قَالَ الْمُفْسِّرُونَ: سَبَبُ إِهْرَاعِهِمْ، أَنَّ امْرَأَةَ لُوطَ أَخْبَرَتْهُمْ بِالْأَضْيَافِ. ﴿وَيَنْ بَقْلٌ﴾ أَي: وَمِنْ قَبْلِ مَجِيئِهِمْ إِلَى لُوطَ ﴿كَأَوْثَا يَمْلِكُونَ الْكِبْرِيَّاتِ﴾ يَعْنِي فَعْلُهُمُ الْمُنْكَرَ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ قَوْلَانٌ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُنَّ بَنَاتُهُ لِصَلْبِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ جَمَعَ، وَقَدْ كُنَّا اثْنَتَيْنِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ قَدْ يَجْعُ الْجَمْعُ عَلَى اثْنَيْنِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكُنَّا لِفُكَيْهِمْ شَهِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٧٨]. وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَنِ نِسَاءِ أُمِّهِ، لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أَبُو أُمِّهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِمُ التَّزْوِيجَ، أَوْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَكْتَفُوا بِنِسَائِهِمْ، وَهَذَا مَذْهَبُ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةَ، وَابْنِ جَرِيرٍ. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ عَرَضَ تَزْوِيجَ الْمُؤْمِنَاتِ



على الكافرين؟ فغته جوابان: أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ، قاله الحسن، والثاني: أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم، قاله الزجاج، ويؤكد أنه عرضهم عليهم موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر.

قوله تعالى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قل مقاتل: هن أحل من إتيان الرجال.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيه قولان: أحدهما: اتقوا عقوبته. والثاني: اتقوا معصيته.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا فِي مَسْئَلَتِهِ﴾ حرك ياء «ضيافي» أبو عمرو، ونافع. وفي معنى هذا الخزي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الفضيحة، قاله ابن عباس. والثاني: الاستحياء، والمعنى: لا تفعلوا بأضيافي فعلاً يلزمني الاستحياء منه، لأن المضيف يلزمه الاستحياء من كل فعل يصل إلى ضيفه. والعرب تقول: قد خزي الرجل يخزي خزاية: إذا استحيى، قال الشاعر:

مِنَ الْبَيْضِ لَا تَحْزَى إِذَا الرِّيحُ أَلْصَقَتْ بِهَا مِرْطَظَهَا أَوْ زَايِلَ الْحَلِيِّ جِنْدَهَا

والثالث: أنه بمعنى الهلاك، لأن المعرة التي تقع بالمضيف في هذه الحال تلزمه هلكة، ذكرهما ابن الأنباري. قال ابن قتيبة: والضيف هاهنا: بمعنى الأضياف، والواحد يدل على الجميع، كما تقول: هؤلاء رسولي ووكيلي.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رَجُلًا رَشِيدًا﴾ في المراد بالرشد قولان: أحدهما: المؤمن. والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روي عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم مرشد يعظكم ويعرّفكم قبيح ما تأتون؟ فيكون الرشيد من صفة الفاعل، كالعليم، والشهيد. ويجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشد، فيكون المعنى: أليس منكم رجل قد أسعده الله بما منحه من الرشد يصرفكم عن إتيان هذه المعرة؟ فيجري رشيد مجرى مفعول، كالكتاب الحكيم بمعنى المحكم.

قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ﴾ فيه قولان: أحدهما: مالنا فيهن حاجة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لسن لنا بأزواج فنستحقهن، قاله ابن إسحاق، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَتَذَكَّرُ بِهِ مَا تُذَكَّرُ﴾ قال عطاء: وإنك لتعلم أنا نريد الرجال، لا النساء.

قوله تعالى: ﴿أَوَ أَمَّنَ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ أي: جماعة أقوى بهم عليكم. وقيل: أراد بالقوة البطش. ﴿أَوَ أَمَّنَ لِي دُونِي شَكِيرٌ﴾ أي: أنضم إلى عشيرة وشيعة تمنعني. وجواب «لو» محذوف على تقدير: لحلت بينكم وبين المعصية. قال أبو عبيدة: قوله: «آوي» من قولهم: أويت إليك، فأنا آوي أويتاً، والمعنى: صرت إليك وانضمت. ومجاز الركن هاهنا: العشيرة العزيزة الكثيرة المنيع، وأنشد:

يَا أَوِي إِلَى رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ فِي عَدَدِ طَيْسٍ وَمَجْدٍ بَانِي<sup>(١)</sup>

والطَّيْس: الكثير، يقال: أنا ابن طيس، وشراب طيس، أي: كثير. واختلفوا أي وقت قال هذا لوط؟ فروي عن ابن عباس أن لوطاً كان قد أغلق بابه والملائكة معه في الدار، وهو ينظرهم وينادهم وراء الباب، وهم يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار؛ فلما رأت الملائكة ما يلقي من الكرب، قالوا: يا لوط إنا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإياهم؛ ففتح الباب، فدخلوا، واستأذن جبريل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فضرب بجنانه وجوههم فأعماهم، فانصرفوا يقولون: النجاة النجاة، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض؛ وجعلوا يقولون: يا لوط، كما أنت حتى تصبح، يوعدهونه؛ فقال لهم لوط: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، قال: لو أهلكتموهم الآن، فقالوا: أليس الصبح ب قريب؟ وقال أبو صالح عن ابن عباس: إنهم لما تواعدوه، قال في نفسه: ينطلق هؤلاء القوم غداً من عندي، وأبقى مع هؤلاء فيهلكوني، فقال: لو أن لي بكم قوة. قلت: وإنما يتوجه هذا إذا قلنا إنه كان قبل علمه أنهم ملائكة. وقال قوم: إنه إنما قال هذا لما كسروا بابه وهجموا عليه. وقال آخرون: لما نهاهم عن أضيافه فأبوا قال

هذا. وفي الجملة، ما أراد بالركن نصر الله وعونه، لأنه لم يخل من ذلك، وإنما ذهب إلى العشيرة والأسرة. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ قال مقاتل: فيه إضممار، تقديره: لن يصلوا إليك بسوء، وذلك أنهم قالوا للوط: إنا نرى معك رجالاً سحرُوا أبصارنا، فستعلم غداً ما تلقى أنت وأهلك؛ فقال له جبريل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾. قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأَ بِأَهْلِكَ﴾ قرأ عاصم؛ وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «فأسر» بإثبات الهمز في اللفظ من أسريت. وقرأ ابن كثير، ونافع: «فأسر بأهلك» بغير همز من سريت، وهما لغتان. قال الزجاج: يقال: سريت، وأسريت: إذا سرت ليلاً، قال الشاعر:

سريت بهم حتى تكلّ مطيهم

وحتى الجياد ما يُقذّن بأرسان

وقال النابغة:

أَسْرَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَةٌ

تُرْجِي الشَّمَالَ عَلَيْنَا جَامِدَ الْبَرِّ<sup>(٢)</sup>

وقد روه: سرت. فأما أهله، فقال مقاتل: هم امرأته وابنته، واسم ابنته: رُبْنَا وَرُغْنَا. وقال السدي: اسم الكبرى: رِيَّة، واسم الصغرى: عروية، والمراد بأهله: ابتاء. فأما القِطْع، فهو بمعنى القطعة؛ يقال: مضى قطع من الليل، أي: قطعة. قال ابن عباس: يريد به: آخر الليل. وقال ابن قتيبة: «يقطع» أي: ببقية تبقى من آخره. وقال ابن الأنباري: ذكر القِطْع بمعنى القطعة مختص بالليل، ولا يقال: عندي قطع من الثوب، بمعنى: عندي قطعة. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْقَآكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: لا يتخلف منكم أحد، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: أنه الالتفات المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَتَاكَ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بنصب التاء. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن جتاز عن أبي جعفر برفع التاء. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فالمعنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك. ومن قرأ بالرفع، حملة على «ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك». وإنما أمرُوا بترك الالتفات لثلا يَرَوْنَ عَظِيمَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ. قال ابن الأنباري: وعلى قراءة الرفع، يكون الاستثناء منقطعاً، معناه: لكن امرأتك، فإنها تلتفت فيصيبها ما أصابهم؛ فإذا كان استثناءً منقطعاً، كان التفاتاً معصية لربها، لأنه ندب إلى ترك الالتفات. قال قتادة: ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية، فلما سمعت هذه العذاب، التفتت فقالت: واقوماه، فأصابها حجر فأهلكها، وهو قوله: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ﴾ للعذاب ﴿الشَّعْبُ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ الشَّعْبُ بِرَيْبٍ﴾ قال المفسرون: قالت الملائكة: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الشَّعْبُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك، فقالوا له: ﴿الَّذِينَ الشَّعْبُ بِرَيْبٍ؟﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَتْرَافَهُمَا جَمَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا وَأَمَظَرْنَا عَلَيْهِمَا جَكَارَةً تَنْ سَيِّجِلٍ مُنْضُورٍ﴾<sup>(٣)</sup> مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الْغَالِيَةِ يَسِيرٍ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَتْرَافَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أمرُ الله الملائكة بعذابهم. والثاني: أن الأمر بمعنى العذاب. والثالث: أنه بمعنى القضاء بعذابهم.

قوله تعالى: ﴿جَمَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهُمَا﴾ الكناية تعود إلى المؤتفكات، وهي قرى قوم لوط، وقد ذكرناها في

(١) «الطبري» ٤١٩/١٥ - ٤٢٠، وزواه الترمذي ١٣٩/٢ وقال: حديث حسن، والحاكم ٥٦١/٢ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ورواه البخاري ٢٩٧/١ دون قوله: «وما بعث الله نبياً بعده إلا في ثروة من قومه».

(٢) «درواه» ٤ بشرح ابن السكيت، و«مجاز القرآن» ٢٩٥/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٥٠/١، و«القرطبي» ٧٩/٩، و«اللسان»، و«الناج»: سرت. وأسرت: إذا أمطرت ليلاً، وقوله: «من الجوزاء سارية» كقولك: سقينا بنوه كذا، أي: أصابه المطر ليلاً، وترجي: تسوق وتدفع على الثور جامد البرد.

[إبراء: ٧٠]، ونحن نشير إلى قصة هلاكهم هاهنا. قال ابن عباس: أمر جبريل لوطاً بالخروج، وقال: أخرج وأخرج غنمك ويترك، فقال: كيف لي بذلك وقد أغلقت أبواب المدينة؟ فبسط جناحه، فحمله ويثنيه ومالهم من شيء، فأخرجهم من المدينة، وسأل جبريل ربّه، فقال: يا رب ولّني هلاك هؤلاء القوم، فأوحى الله إليه أن تولّ هلاكهم؛ فلما أن بدا الصبح، غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه، ثم صعد بها حتى خرج الطير في الهواء لا يدري أين يذهب، ثم كفّأها عليهم، وسمعوا وَجْهَهُ<sup>(١)</sup> شديدة، فالتفت امرأة لوط، فرماها جبريل بحجر فقتلها، ثم صعد حتى أشرف على الأرض، فجعل يثبّطهم مسافرتهم ورُعاتهم ومن تحوّل عن القرية، فرماهم بالحجارة حتى قتلهم. وقال السدي: اقتلع جبريل الأرض من سبع أرضين، فاحتملها حتى بلغ بها إلى أهل السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم قلبها. وقال غيره: كانت خمس قرى، أعظمها سدوم، وكان القوم أربعة آلاف ألف. وقيل: كان في كل قرية مائة ألف مقاتل، فلما رفعها إلى السماء، لم ينكسر لهم إناء ولم يسقط حتى قلبها عليهم. وقيل: نجا من الخمس واحدة لم تكن تعمل مثل عملهم. وانفرد سعيد بن جبير، فقال: إن جبريل وميكائيل تولّيا قلبها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرى. والثاني: إلى الأمة. وفي السجّل سبعة أقوال: أحدها: أنها بالفارسية سنك وكلّ، السنك: الحجر، والكل: الطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير. وقال مجاهد: أولها حجر، وآخرها طين. وقال الضحاك: يعني الأجر. قال ابن قتيبة: من ذهب إلى هذا القول، اعتبره بقوله: ﴿حِجَارَةٌ يَنْ يَلِينُ﴾ [الذاريات: ٣٣] يعني الأجر. وحكى الفراء أنه طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرحاء. والثاني: أنه بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض، ومنه نزلت الحجارة، قاله عكرمة. والثالث: أن السجّل: اسم السماء الدنيا، فالمعنى: حجارة من السماء الدنيا، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الشديد من الحجارة الصلب، قاله أبو عبيدة، وأنشد لابن مقبل:

[وَوَجَلَّةٌ يَضْرِبُونَ الْبَيْضَ عَنْ غُرُضٍ] ضرباً تواصت به الأبطال يسجّينا<sup>(٢)</sup>

ورّد هذا القول ابن قتيبة، فقال: هذا بالنون، وذاك باللام، وإنما هو في هذا البيت فعيل من سجت، أي: حبست، كأنه يثبت صاحبه. الخامس: أن قوله: «من سجّل» كقولك: من سَجَل، أي: مما كُتب لهم أن يعذبوا به، وهذا اختيار الزجاج. والسادس: أنه من أسجلته، أي: أرسلته، فكانها رسالة عليهم. والسابع: أنه من أسجلت: إذا أعطيت، حكى القولين الزجاج. وفي قوله: «تَنْشُرُورٌ» ثلاثة أقوال: أحدها: يتبع بعضه بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: مصفوف، قاله عكرمة، وقناة. والثالث: نضد بعضه على بعض، لأنه طين جُمع فجعل حجارة، قاله الربيع بن أنس.

قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ قال الزجاج: أي معلّمة، أخذ من السومة، وهي العلامة. وفي علامتها ستة أقوال: أحدها: بياض في حمرة، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أنها كانت مختومة، فالحجر أبيض وفيه نقطة سوداء، أو أسود وفيه نقطة بيضاء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنها المخططة بالسواد والحمرة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: عليها نضج من حمرة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع، قاله عكرمة، وقناة. والخامس: أنها كانت معلّمة بعلامة يُعرف بها أنها ليست من ججارة الدنيا، قاله ابن جريج. والسادس: أنه كان على كل حجر منها اسم صاحبه، قاله الربيع. وحكى عن بعض من رأى تلك الحجارة أنه قال: كانت مثل رأس الإبل، ومثل مبارك الإبل، ومثل قبضة الرجل. وفي قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن المعنى: جاءت من عند ربك، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: عند ربك معدّة، قاله أبو بكر الهذلي. والثالث: أن

(١) الوجبة: صوت الشيء يسقط فيسمع له كالهذّة.

(٢) «ديوانه» ٣٣٣، و«مجاز القرآن» ٢٩٦، و«الطبري» ١٥ / ٤٣٤، و«جمهرة أشعار العرب» ١٦٢، و«منتهى الطلب» ٤٤، و«المعاني الكبير» ٩٩١، و«اللسان»: سجن.

المعنى: هذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله إيداناً بِنفاذ قدرته وشدة عذابه، قاله ابن الأنباري. والرابع: أن معنى قوله: «عند ربك»: في خزائنه التي لا يُصَرَّف في شيء منها إلا بإذنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ في المراد بالظالمين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالظالمين هاهنا كفار قريش، خوَّفهم الله بها، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عام في كل ظالم؛ قال قتادة: والله ما أجاز الله منها ظالماً بعد قوم لوط، فاتقوا الله وكونوا منه على حذر. والثالث: أنهم قوم لوط، فالمعنى: وما هي من الظالمين، أي: من قوم لوط ببعيد، والمعنى: لم تكن لتخطئهم، قاله الفراء.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ قال يَنْقُورُ آمَنُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْكِتَابَ وَالْيَمِينَ إِلَى أَرْبَعِكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ يُحْصِي ٨٥ وَتَقْوُوا أَنْفُسَ الْكِتَابِ وَالْيَمِينَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٨٦

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ قد ذكرناه في [الأعراف: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْكِتَابَ وَالْيَمِينَ﴾ أي: لا تطفئوا؛ وكانوا يطفئون مع كفرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْبَعَكُمْ بِخَيْرٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رخص الأسعار، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: سعة المال، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة، وابن زيد. وقال الفراء: أموالكم كثيرة، وأسعاركم رخيصة، فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل؟

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غلاء السعر، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: القسط والجذب والغلاء. والثاني: العذاب في الدنيا، وهو الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: عذاب النار. في الآخرة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَنْفُسَ الْكِتَابِ وَالْيَمِينَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: اتقوا ذلك بالعدل. والإيفاء: الإتمام. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بنقص المكيال والميزان.

﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ٨٧﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَمَلْنَاكَ تَأْمُرُنَا أَنْ تَنْقُصَ مَا يَبْدُو مَائِدَانَا أَوْ أَنْ نَقْصَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَفْتَنُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ ٨٨ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَوَقَفْتُ مِنْهُ يَمِينًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَهًا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٩ وَتَقْوُوا رَبَّكُمْ لَا يَبْرُؤُكُمْ شَيْءٌ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَزْلٌ مِمَّا سَابَقَ قَدَمُ نَوْجٍ أَوْ قَدَمُ هَرْدٍ أَوْ قَدَمُ صَلْبٍ وَمَا قَدَمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٩٠ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُبُّوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي رَجِعَ وَدُونَ ٩١ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَلِيلًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِمُرْشِرٍ ٩٢ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ أَهْرَ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٩٣ وَتَقْوُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِلَى عَمَلٍ سَوَاءٍ تَعْمَلُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَرَأَيْتُمْ هَؤُلَاءِ كَذَّبُوا وَارْتَقُوا إِلَى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٩٤ وَلَنَا جَآءَ أَمْرًا غَيْبًا شَمِيئًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رِئَاسَةً مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبِرُوا فِي دَعْوَاهُمْ جَبِينٌ ٩٥ كَأَنْ لَّمْ يَنْتَهِ فِيمَا آلَا بَدَلًا لِّمَن لَّنْ كَمَا بَدَتْ تُسُودُ ٩٦

قوله تعالى: ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن، خير من البخس، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الله خير لكم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال سفيان. والثالث: طاعة الله خير لكم، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: حظكم من الله خير لكم، قاله قتادة. والخامس: رحمة الله خير لكم، قاله ابن زيد. والسادس: وصية الله خير لكم، قاله الربيع. والسابع: ثواب الله في الآخرة خير لكم، قاله مقاتل. والثامن: مراقبة الله خير لكم، ذكره الفراء. وقرأ الحسن البصري: «تقية الله خير لكم» بالناء.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم، لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله ﷻ، عرفوا صحة ما يقول. وفي قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أمرت بقتالكم وإكراهكم على الإيمان. والثاني: ما أمرت بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا. والثالث: ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم.



قوله تعالى: ﴿أَمَلُّوا نَفْسَكُمْ تَأْمُرُكُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «أصلاتك» على التوحيد. وفي المراء بصلواته ثلاثة أقوال: أحدها: دينه، قاله عطاء. والثاني: قراءته، قاله الأعمش. والثالث: أنها الصلوات المعروفة. وكان شعيب كثير الصلاة.

قوله تعالى: ﴿أَوَ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِكُمْ مَا نَشَاءُ﴾ قال الفراء: معنى الآية: أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا، أو أن تترك أن تفعل في أموالنا ما نشاء؟ وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان: أحدهما: أن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيف، قاله ابن عباس؛ فالمعنى: قد تراضينا فيما بيننا بذلك. والثاني: أنهم كانوا يقطعون الدراهم والدنانير، فنهاهم عن ذلك، قاله ابن زيد. وقال القرطبي: غُذِّبُوا في قطعهم الدراهم. قال ابن الأنباري: وقرأ الضحاك بن قيس الفهري «ما تشاء» بالتاء، ونسق «أن تفعل» على «أن تترك»، واستغنى عن الإضمار. قال سفيان الثوري: في معنى هذه القراءة أنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن أبي عبله: ﴿أَوَ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِكُمْ مَا تَشَاءُ﴾ بالتاء فيهما؛ ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري. وفي قوله: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْخَلِيفُ الْوَسِيُّ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء. والثاني: أنهم قالوا له: إنك لأنت السفيه الجاهل، فكنى بهذا عن ذلك، ذكره الزجاج. والثالث: أنهم سبّوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد، فأثنى الله ﷻ عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد، لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي. والرابع: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة، وقالوا: أنت حليم رشيد، فلم تنهنا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ حكاه الماوردي، وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ هَلَّا يَنْتَرُونَ مِنْ رَبِّي﴾ قد تقدم تفسيره (هود: ٢٨ و ٦٣) وفي قوله: ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحلال؛ قال ابن عباس: وكان شعيب كثير المال. والثاني: النبوة. والثالث: العلم والمعرفة. قال الزجاج: وجواب الشرط هاهنا متروك، والمعنى: إن كنت على بينة من ربي، أتبع الضلال؟ فترك الجواب، لعلم المخاطبين بالمعنى، وقد مر مثل هذا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَا مَا أَنْهَكُم عَنْهُ﴾ قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم ارتكبه. وقال الزجاج: ما أقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد بما أمركم به إلا إصلاح أموركم بقدر طاقتي. وقدر طاقتي: إبلاغكم لا إجباركم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَوَبَّيْتُ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فتح تاء «توفيقي» أهل المدينة، وابن عامر. ومعنى الكلام: ما إصابتي الحق في محاولة صلاحكم إلا بالله. ﴿مَلِكُهُ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوضت أمري، وذلك أنهم تواعدوه بقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعْبُ﴾ [الاعراف: ٤٨٨]. ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: أرجع.

قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقٌ﴾ حرك هذه الياء ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. قال الزجاج: لا تكسبكم عداوتكم إياي أن تعذبوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ يَنْصِبُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم كانوا قريباً من مساكنهم. والثاني: أنهم كانوا حديثي عهد بعذاب قوم لوط. قال الزجاج: كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها. قال ابن الأنباري: إنما وُحِدَ بعيداً، لأنه أزاله عن صفة القوم، وجعله نعتاً مكان محذوف، تقديره: وما قوم لوط منكم بمكان بعيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ قد سبق معنى الرحيم. فأما الودود: فقال ابن الأنباري: معناه: المحب لعباده، من قولهم: وودت الرجل أودّه وُدّاً وودّاً، ويقال: وودت الرجل وِداداً وودادة وودادة. وقال الخطابي: هو اسم مأخوذ من الود؛ وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون فعولاً في محل مفعول، كما قيل: رجل هيبوب، بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه مودود في قلوب أوليائه لما يتعرفونه من إحسانه إليهم. والوجه الآخر: أن

يكون بمعنى الوادة، أي: أنه يؤدّ عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم بِتَقْبُلِ أعمالهم؛ ويكون معناه: أن يؤدّهم إلى خلقه، كقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَكُمْ الزَّحْنَ وَنَا﴾ [مريم: ٤٩٦].

قوله تعالى: ﴿مَا نَقَعُ كَيْبَرًا يَمَّا نَقُولُ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: ما نفقه صحة كثير مما تقول، لأنهم كانوا يتدبّرونه، ويجوز أن يكونوا لاستقلالهم ذلك كأنهم لا يفقهونه.

قوله تعالى: ﴿وَرِئَاءَ لَزْنِكَ يَمَّا ضَعِيفًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ضريراً؛ قال ابن عباس، وابن جبير، وقادة: كان أعمى. قال الزجاج: ويقال: إن حمير تسمى المكفوف: ضعيفاً. والثاني: ذليلاً، قاله الحسن، وأبو روق، ومقاتل. وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبياً أعمى، ولا نبياً به زمانة. والثالث: ضعيف البصر، قاله سفيان. والرابع: عاجزاً عن التصرف في المكاسب، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ قال الزجاج: لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم. وذكر بعضهم أن الرجم هاهنا بمعنى الشتم والأذى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِمُزِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بكريم. والثاني: بممتنع أن تقتلك. قوله تعالى: ﴿أَرْهَطِيْ أَعْرُ عَلَىكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وأسكن ياء «رهطي» أهل الكوفة، ويعقوب، والمعنى: أتراعون رهطي في، ولا تراعون الله في؟

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوهُ رِئَاءَكُمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله الجمهور. قال الفراء: المعنى: رमितم بأمر الله وراء ظهوركم. قال الزجاج: والعرب تقول لكل من لا يعبا بأمر: قد جعل فلان هذا الأمر بظهر، قال الشاعر:

تَمِيمٌ بَنَ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي  
وَالثَّانِي: أَنَّهَا كَنَاءَةٌ عَمَّا جَاءَ بِهِ شُعَيْبٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ رَبِّي بِمَا تَسْمُكُونَ حَيْطٌ﴾ أي: عالم بأعمالكم، فهو يجازيكم بها. وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿سَوَّى تَسْمُكُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥]. فإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ قَالَ هَاهُنَا «سَوْفَ» وَفِي سُورَةِ أُخْرَى «فَسَوْفَ»؟ [الأنعام: ١٣٥] فَالْجَوَابُ: أَنَّ كَلَامَ الْأَمْرَيْنِ حَسَنٌ عِنْدَ الْعَرَبِ، إِنْ أَدْخَلُوا الْفَاءَ، دَلُّوا عَلَى اتِّصَالِ مَا بَعْدَ الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ، وَإِنْ أَسْقَطُوهُ، بَيَّنَّا كَلَامَ الْأَوَّلِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَمَّ، وَمَا بَعْدَهُ مُسْتَأْنَفٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧]، وَالْمَعْنَى: فَقَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا، بِالْفَاءِ، فَحَذَفْتَ الْفَاءَ لِتَمَامِ مَا قَبْلَهَا. قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّوْ مَا لَكَ حِيلَةً  
خَرَجْتُ بِهَا أَنَشِي تَجَرَّ وَرَاءَنَا

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَرَادَ: فَخَرَجْتُ، فَاسْقَطَ الْفَاءَ لِتَمَامِ مَا قَبْلَهَا. وَيُرْوَى: فَقَمْتُ بِهَا أَمْشِي.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقُوا إِلَى مَكِّكُمْ رَبِّيبٌ﴾ قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب. قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا النَّصِيحَةَ﴾ قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عَذَّبَ أَهْلَ مَدِينٍ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ الْعَذَابِ، أَخَذَتْهُمْ رَجْفَةٌ فِي دِيَارِهِمْ، حَتَّى خَافُوا أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا مِنْهَا فَاصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ، فَبِعَثَ اللَّهُ الظُّلَّةَ، فَتَنَادَا: هَلُمَّ إِلَى الظِّلِّ؛ فَدَخَلُوا جَمِيعاً فِي الظُّلَّةِ، فَصَبِحَ بِهِمْ صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ فَمَاتُوا كُلُّهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ تَعَذِّبْ أَمْتَانِ قَطُّ بِعَذَابٍ وَاحِدٍ، إِلَّا قَوْمَ شُعَيْبٍ وَصَالِحٍ، فَأَمَّا قَوْمُ صَالِحٍ، فَأَخَذَتْهُمْ الصَّبِيحَةُ مِنْ تَحْتِهِمْ، وَأَمَّا قَوْمُ شُعَيْبٍ، فَأَخَذَتْهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، نَشَأَتْ لَهُمْ سَحَابَةٌ كَهَيْئَةِ الظُّلَّةِ فِيهَا رِيحٌ بَعْدَ أَنْ ائْتَمَّتْ الرِّيحُ عَنْهُمْ، فَأَتَوْهَا يَسْتَظِلُّونَ تَحْتَهَا فَأَحْرَقَتْهُمْ.

(١) البيت تقدم ٢٤٧، وهو أيضاً في «الكامل» ٤٣٠، و«ذيل الأمازي» ٧٨، و«أضداد ابن الأنباري» ٢٥٦.

(٢) «ديوانه» ١٤، والمرط: إزار خزله علم، وإنما تجر مرطها ليخفى أثره وأثرها فلا يستدل عليهما، والمرحل: الموشى، وهو ضرب من البرود.

قوله تعالى: ﴿كَأَيِّدَتِ سَكُودُ﴾ أي: كما هلكت ثمود. قال ابن قتيبة: يقال: بَعَدَ يَبْعَدُ: إِذَا كَانَ بَعْدَهُ هَلَكَةٌ وَيَبْعَدُ يَبْعَدُ: إِذَا نَأَى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ ثِينٍ ﴿١٧١﴾ إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ فَالْبَغْيَ أَثَرُ فِرْعَوْنَ وَمَا أَثَرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧٢﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ قال الزجاج: بعلامانا التي تدل على صحة نبوته. ﴿وَسُلْطَانٍ ثِينٍ﴾ أي: حجة بيّنة.

قوله تعالى: ﴿فَالْبَغْيَ أَثَرُ فِرْعَوْنَ﴾ وهو ما أمرهم به من عبادته واتخاذها إلهاً. ﴿وَمَا أَثَرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ أي: مرشد إلى خير.

﴿يَبْدَأُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٧٣﴾﴾ قوله تعالى: ﴿يَبْدَأُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال الزجاج: يقال: قَدَمْتُ الْقَوْمَ أَقْدَمُهُمْ، قَدَمًا وَقُدُومًا: إِذَا تَقَدَّمْتَهُمْ؛ والمعنى: يقدمهم إلى النار؛ ويدل عليه قوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ قال ابن عباس: أوردهم بمعنى أدخلهم. وقال قتادة: يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ قال المفسرون: الورد: الموضع الذي ترده. وقال ابن الأنباري: الورد: مصدر. معناه: الورد، تجعله العرب بمعنى الموضع المورود؛ فتلخيص الحرف: ويتس المدخل المدخول النار.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٧٤﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. في هذه اللعنة قولان: أحدهما: أنها في الدنيا الغرق، وفي الآخرة عذاب النار، هذا قول الكلبي، ومقاتل. والثاني: أنها اللعنة في الدنيا من المؤمنين، وفي الآخرة من الملائكة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ قال ابن قتيبة: الرغد: العطية؛ يقول: اللعنة بس العطية؛ يقال: رَغَدَتْ أَرْغَدَهُ: إِذَا أَعْطَيْتَهُ وَاعْتَهُ. والمرفود: المعطى.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقَضُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٧٥﴾﴾ قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى﴾ يعني ما تقدم من الخبر عن القرى المهلكة. ﴿نَقَضُ عَلَيْكَ﴾ أي: نخبرك به. ﴿مِنْهَا قَائِدٌ وَحَصِيدٌ﴾ قال قتادة: القائم: ما يرى مكانه، والحصيد: لا يرى أثره. وقال ابن قتيبة: القائم: الظاهر العين، والحصيد: الذي قد أبيض وحُصد. وقال الزجاج: القائم: ما بقيت حيطانه، والحصيد: الذي خُصِفَ به وما قد امحى أثره.

﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَنْتَوُونَ عَنْ آلِهَتِهِمْ إِذْ يَأْتِيهِمْ آلِهَتُهُمْ فَتَضَحَّوْنَ ﴿١٧٦﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي. ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾ أي: فما نفعتهم ولا دفعت عنهم شيئاً ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ رَبُّكَ﴾ بالهلاك. ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ يعني الآلهة ﴿غَيْرَ تَنْبِيهِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التخسير، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، واختاره ابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنه الشر، قاله ابن زيد. والثالث: التدمير والإهلاك، قاله أبو عبيدة. فإن قيل: الآلهة جماد، فكيف قال: ﴿زادهم﴾؟ فتمت جوابان: أحدهما: وما زادتهم عبادتها. والثاني: أنها في القيامة تكون عوناً عليهم فتزيدهم شرّاً.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴿١٧٧﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ أي: وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أخذُ ربك ﴿إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظُلُمَةٌ﴾ وصف القرى بالظلم، والمراد أهلها. وقال ابن عباس: الظلم هاهنا: بمعنى الكفر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجُشَّعُ لَهُ النَّفْسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٧٨﴾﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يعني ما ذكر من عذاب الأمم وأخذهم. والآية: العبرة والعظة. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ تَجُشَّعُ﴾

لَهُ الْكَاشِ ﴿١٠٨﴾ لَأَن الْخَلْقَ يُحْشَرُونَ فِيهِ، وَيَشْهَدُهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَأَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. . . ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾ رَوَى زَيْدٌ عَنْ يَعْقُوبَ، وَأَبُو زَيْدٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ: «وَمَا يُؤَخِّرُهُ بِالْيَاءِ» وَالْمَعْنَى: وَمَا تُؤَخِّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَّا لَوْ تَ مَعْلُومٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ. ﴿يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَيَنْهَرُ شَقِيًّا وَسَعِيدًا﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ ﴿خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَاسِيَ السَّنَوْتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنْ رَبُّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْبَلَدِ خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَاسِيَ السَّنَوْتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَمَلَةٌ غَيْرُ يُجَدُّزْنَ﴾ ﴿١٠٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي: «يوم يأتي» بياء في الوصل، وحذفوها في الوقف؛ غير أن ابن كثير كان يقف بالياء، ويصل بالياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة بغير ياء في الوصل والوقف. قال الزجاج: الذي يختاره النحويون «يوم يأتي» بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه أكثر القراءات بكسر التاء، وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً. وقد حكى الخليل، وسيبويه، أن العرب تقول: لا أدري، فتحذف الياء، وتجتزئ بالكسرة، ويزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. وقال الفراء: كل ياء ساكنة وما قبلها مكسورة، أو واو ساكنة وما قبلها مضموم، فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالكسرة من الياء، وبالبضمة من الواو، وأنشدني بعضهم:

كَفَّاكَ كَفًّا مَا تَلَيْقُ دِرْهَمًا

جُودًا وَأُخْرَى تُغَطِّ بِالسَّيْفِ الدُّمَامَا

قال المفسرون: وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ يعني: يأتي ذلك اليوم، لا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، فكل الخلائق ساكنون، إلا مَنْ أذن الله له في الكلام. وقيل: المراد بهذا الكلام الشفاعة.

قوله تعالى: ﴿فَيَنْهَرُ شَقِيًّا﴾ قال ابن عباس: منهم من كتب عليه الشقاوة، ومنهم من كتبت له السعادة.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الزفير كزفير الحمار في الصدر، وهو أول ما ينهق، والشهيق كشهيق الحمار في الحلق، وهو آخر ما يفرغ من نهيقه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، ومقاتل، والفراء. وقال الزجاج: الزفير: شديد الأنين وقبحه، والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جداً، وهما من أصوات المكروبين. وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق. والثاني: أن الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والربيع بن أنس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: الصوت الضعيف. وقال ابن فارس: الشهيق ضد الزفير، لأن الشهيق رُدُّ النَّفْسِ، والزفير إخراج النَّفْسِ. وقال غيره: الزفير: الشديد، مأخوذ من الزُّفْرِ، وهو الحَمَلُ على الظهر لشدة؛ والشهيق: النَّفْسُ الطويل الممتد، مأخوذ من قولهم: جبل شاق، أي: طويل. والثالث: أن الزفير زفير الحمار، والشهيق شهيق البغال، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿خَلِيلِيكَ فِيهَا مَا دَاسِيَ السَّنَوْتُ وَالْأَرْضُ﴾ المعروف فيه قولان: أحدهما: أنها السموات المعروفة عندنا، والأرض المعروفة؛ قال ابن قتيبة، وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبد ألفاظ؛ تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما دامت السموات والأرض، وما اختلفت الحِجْرَةُ وَالْيَدِيرة<sup>(١)</sup>، وما أطَّت الإبل<sup>(٢)</sup>، في أشباه لهذا كثيرة، ظناً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير، فخطبهم الله بما يستعملون في كلامهم. والثاني: أنها سموات الجنة والنار وأرضهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال: أحدها: أن الاستثناء في حق الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه استثناء لا يفعله، تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وعزيمتك على ضربه، ذكره الفراء، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس: «إلا ما شاء ربك» قال: فقد شاء أن يخلدوا فيها. قال الزجاج: وفائدة هذا، أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم، ولكنه أعلمنا

(١) الحِجْرَةُ: ما يخرج البعير من بطنه ليضمغه ثم يبتلع، والدرة: كثرة اللبن وسيلانه، واختلافهما: أن الدرة تسفل إلى الرجلين، والبجرة: تملو إلى الرأس.

(٢) يقال: أظلت الإبل تظط أطيطاً: أنت تعباً وحينئذٍ أو رزمة. وفي المثل: «لا أفعل ذلك ما أطت الإبل».



أنهم خالدون أبداً. والثالث: أن المعنى: خالدين فيها أبداً، غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنئهم، ثم يجدد خلقهم، فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال، قاله ابن مسعود. والرابع: أن «إلا» بمعنى «سوى»، تقول: لو كان معنا رجل إلا زيد، أي: سوى زيد؛ فالمعنى: خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة، وهذا اختيار الفراء. قال ابن قتيبة: ومثله في الكلام أن تقول: لأسكننك في هذه الدار حولاً إلا ما شئت؛ تريد: سوى ما شئت أن أزيدك. الخامس: أنهم إذا حُشروا ويُنْعَموا، فهم في شروط القيامة؛ فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب، فالمعنى: خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة، ذكره الزجاج. وقال ابن كيسان: الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب؛ قال ابن قتيبة: فالمعنى: خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك، فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل، وإن كانتا قد تتغيران. واستثنى المشيئة من دوامهما، لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا، لا في الجنة، ولا في النار. والسادس: أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً، إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذكر؛ وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر، ولهم مما لم يُذكر ما شاء ربك، ذكره الزجاج أيضاً. والسابع: أن «إلا» بمعنى «كما»، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَكِبُوا مَا تَكِبُوا﴾ [النساء: ٢٢]، ذكره الثعلبي. فاما الاستثناء في حق أهل الجنة، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه استثناء لا يفعله. والثاني: أن «إلا» بمعنى «سوى». والثالث: أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبشهم في القبور. والرابع: أنه بمعنى: إلا ما شاء أن يزيدهم من النعيم الذي لم يُذكر. والخامس: أن «إلا» كـ «ما»، وهذه الأقوال قد سبق شرحها. والسادس: أن الاستثناء يرجع إلى لبث من لبث في النار من الموحدين، ثم أدخل الجنة، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. قال ابن قتيبة: فيكون الاستثناء من الخلود مُكث أهل الذنوب من المسلمين في النار، فكأنه قال: إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين إلى الجنة، وخالدين في الجنة إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدةً. واختلف القراء في «سعدوا» فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم؛ «سعدوا» بفتح السين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها، وهما لغتان. قوله تعالى: ﴿عَلَّاهُ غَيْرَ مَحْدُودٍ﴾ نُصِبَ عطاء بما دل عليه الكلام، كأنه قال: أعطاهم النعيم عطاءً.

والمجدوذ: المقطوع؛ قال ابن قتيبة: يقال: جذذت، وجدذت، وجذفت، وإذا قطعت.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَبْعُثُ هَؤُلَاءَ مَا يَحْكُمُونَ إِلَّا كَمَا بَعَثَ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ رَأَيْنَا لَمُوتَهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنُوسٍ﴾<sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ أي: فلا تك يا محمد في شك ﴿مِّمَّا يَبْعُثُ هَؤُلَاءَ﴾ المشركون من الأصنام، أنه باطل وضلال، إنما يقلدون آبائهم، ﴿رَأَيْنَا لَمُوتَهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما قدر لهم من خير وشر، قاله ابن عباس. والثاني: نصيبهم من الرزق، قاله أبو العالية. والثالث: نصيبهم من العذاب، قاله ابن زيد. وقال بعضهم: لا ينقصهم من عذاب آبائهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ ذِكْرًا وَكَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَعْنَى يَتِيمَ وَإِيتَهُمْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ مُرْسٍ﴾<sup>(٢)</sup> قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن. قال المفسرون: وهذه تعزية للنبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد؛ إني أخرت أمتك إلى يوم القيامة، ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك. وقال ابن قتيبة: لولا نظرة لهم إلى يوم الدين لَقَضَى بينهم في الدنيا. وقال ابن جرير: سبقت من ربك أنه لا يجعل على خلقه بالعذاب، لقضي بين المصدق منهم والمكذب بإهلاك المكذب وإنجاء المصدق<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِيتَهُمْ لِنَفْسِكَ مِنْهُ مُرْسٍ﴾ أي: من القرآن ﴿مُرْسٍ﴾ أي: موقع للرب.

(١) نص ابن جرير في «التفسير»: ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يجعل على خلقه بالعذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله ﴿لَقَعْنَى يَتِيمَ﴾ يقول: لقضي بين المكذب منهم به والمصدق بإهلاك الله المكذب به منهم، وإنجاءه المصدق به.

﴿وَإِنَّ كَلَّا لَإِيُوفِيْتَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّمَا يَمْكُلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَلَّا﴾ يشير إلى جميع من قصّ قصته في هذه السورة. وقال مقاتل: يعني به كفار هذه الأمة. وقيل: المعنى: وإن كلاً لخلق أو بشر ﴿إِيُوفِيْتَهُمْ﴾. قرأ أبو عمرو، والكسائي ﴿وَإِنَّ﴾ مشددة النون، «لما» خفيفة. واللام في «لما» لام التوكيد، دخلت على «ما» وهي خبر «إِنَّ». واللام في «إِيُوفِيْتَهُمْ» اللام التي يُتلقى بها القسم، والتقدير: والله ليوفيئهم، ودخلت «ما» للفصل بين اللامين. قال مكي بن أبي طالب: وقيل: إن «ما» زائدة، لكن دخلت لتفصل بين اللامين اللَّذَيْن يتلقيان القسم، وكلاهما مفتوح، ففصل بـ «ما» بينهما. وقرأ ابن كثير ﴿وَإِنَّ﴾ بالتخفيف، وكذلك «لما». قال سيبويه: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول: إِنَّ عَمراً لمنطلق، فيخففون «إِنَّ» ويعملونها، وأنشد:

وَرَجَعُوْا حَسَنَ النُّحْرِ  
كَأَن تَذَيُّبَهُ حُقَّانٌ<sup>(١)</sup>

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وإن» خفيفة، «لما» مشددة، والمعنى: وما كلاً إلا؛ وهذا كما تقول: سألتك لما فعلت، ولأ فعلت، ومثله قوله: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤٤]. وقرأ حمزة، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وإن» بالتشديد، «لما» بالتشديد أيضاً. قال أبو علي: هذه قراءة مشككة، لأنه كما لا يحسن: إِنَّ زَيْداً إلا منطلق، كذلك لا يحسن تثقيب «إِنَّ» وتثقيب «لما». وحكي عن الكسائي أنه قال: لا أعرف وجه التثقيب في «لما»، ولم يُبعد فيما قال. وقال مكي بن أبي طالب: الأصل فيها «لَمِنَ ما» ثم أدغمت النون في الميم، فاجتمعت ثلاث ميمات في اللفظ، فحذفت الميم المكسورة؛ والتقدير: وَإِنَّ كَلَّا لَمِنَ خَلْقٍ لِيُوفِيْتَهُمْ. قال: وقيل: التقدير: «لَمَنَ ما» بفتح الميم في «مَن» فتكون «ما» زائدة، وتحذف إحدى الميمات لتكرير الميم في اللفظ؛ والتقدير: لَخَلْقٍ لِيُوفِيْتَهُمْ، ومعنى الكلام: ليوفيئهم جزاء أعمالهم.

﴿فَأَنْتَبَهُمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّمَا يَمْكُلُوتَ بَيْتٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَبَهُمْ كَمَا أَمَرْتَ﴾ قال ابن عيينة: استقم على القرآن. وقال ابن قتيبة: امض على ما أمرت به.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ قال ابن عباس: من تاب معك من الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تطغوا في القرآن، فتحلّوا وتحرموا ما لم أمركم به، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعصوا ربكم ولا تخالفوه، قاله ابن زيد. والثالث: لا تخطلوا التوحيد بشك، قاله مقاتل.

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثَرَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ روى عبد الوارث عن أبي عمرو: «تَرْكَبُوا» بفتح التاء وضم الكاف، وهي قراءة قتادة. وروى هارون عن أبي عمرو «تَرْكَبُوا» بفتح التاء وكسر الكاف. وروى محبوب عن أبي عمرو: «تَرْكَبُوا» بكسر التاء وفتح الكاف. وقرأ ابن أبي عبلة «تَرْكَبُوا» بضم التاء وفتح الكاف على ما لم يُسم فاعله. وفي المراد بهذا الركوب أربعة أقوال: أحدها: لا تميلوا إلى المشركين، قاله ابن عباس. والثاني: لا ترضوا أعمالهم، قاله أبو العالية. والثالث: لا تلحقوا بالمشركين، قاله قتادة. والرابع: لا تُداهنوا الظلمة، قاله السدي، وابن زيد. وفي قوله: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ وجهان: أحدهما: فتصيبكم النار، قاله ابن عباس. والثاني: فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: ليس لكم أعوان يمنعونكم من العذاب.

﴿وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ طَرَفٍ فِي النَّارِ وَظُلْمًا مِّنَ الْبَاطِلِ إِنَّ الْأَكْثَرَ بِذُنُوبِهِمْ كَثِيرٌ وَلَهُمْ فِي السَّعِيرِ مُلْكٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ طَرَفٍ فِي النَّارِ﴾ أما سبب نزولها، فروى علقمة والأسود عن ابن مسعود أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إني أخذت امرأة في البستان فقبلتها، وضممتها إلي، وباشرتها، وفعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها؛

فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكْرَةَ كَرِّيَ الْكَبَارِ...﴾ الآية، فدعا الرجل فقراها عليه، فقال عمر: أهى له خاصة، أم للناس كافة؟ قال: «لا، بل للناس كافة»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله، فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية، فقال الرجل: ألي هذه الآية؟ فقال: «لمن عمل بها من أمتي»<sup>(٢)</sup>. وقال معاذ بن جبل: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ، فجاء رجل، فقال: يا رسول الله، ما تقول في رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له، فلم يدع شيئاً يصيبه الرجل من امرأته إلا أصابه منها، غير أنه لم يجامعها؟ فقال له النبي ﷺ: «توضاً وضوءاً حسناً، ثم قم فصل»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال معاذ: أهى له خاصة، أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل هي للمسلمين عامة»<sup>(٣)</sup>. واختلفوا في اسم هذا الرجل، فقال أبو صالح عن ابن عباس: هو عمرو بن غزية الأنصاري، وفيه نزلت هذه الآية، كان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع منه تمرأ، فأعجبته، فقال: إن في البيت تمرأ أجود من هذا، فانطلقني معي حتى أعطيك منه؛ فذكر نحو حديث معاذ<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: هو أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري. وذكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ أنه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري<sup>(٥)</sup>. وذكر في الذي قال للنبي ﷺ: أله خاصة؟ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو اليسر صاحب القصة. والثاني: معاذ بن جبل. والثالث: عمر بن الخطاب. فاما التفسير، فقلوه: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكْرَةَ﴾ أي: أتم ركوعها وسجودها. فاما طرفا النهار، ففي الطرف الأول قولان: أحدهما: أنه صلاة الفجر، قاله الجمهور. والثاني: أنه الظهر، حكاه ابن جرير. وفي الطرف الثاني ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صلاة المغرب، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: العصر، قاله قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: الظهر، والعصر، قاله مجاهد، والقرظي. وعن الضحاك كالأقوال الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «وَلَكُمْ» بضم اللام. قال أبو عبيدة: الزُّلف: الساعات، واحدها: زُلفَة، أي: ساعة ومترلة وقربة، ومنه سميت المزدلفة، قال العجاج:

نَاجٍ طَواهُ الْإِيْنُ مِمَّا أَوْجَفَا  
طَيِّئِ اللَّيَالِي زُلْفَا زُلْفَا  
سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَايِي أَخَقَّ زُفْفاً<sup>(٦)</sup>

قال ابن قتيبة: ومنه يقال أزلفني كذا عندك، أي: أدناني؛ والمزالف: المنازل والذُرَج، وكذلك الزُّلف. وفيها للمفسرين قولان: أحدهما: أنها صلاة العتمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وعوف عن الحسن، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال ابن زيد. والثاني: أنها صلاة المغرب والعشاء، روي عن ابن عباس أيضاً، ورواه يونس عن الحسن، ومنصور عن مجاهد، وبه قال قتادة، ومقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَسْكِنَ يُذْهِبُ الْكِبَارَ﴾ في المراد بالحسنات قولان: أحدهما: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، ومسروق، ومجاهد، والقرظي، والضحاك، والمقاتلان: ابن سليمان،

(١) «الطبري» ٥١٦/١٥ عن علقمة والأسود عن ابن مسعود، ورواه أحمد في «المستند» رقم (٤٢٥٠) و (٤٢٩٠)، ومسلم في «صحيحه» ٢١١٦/٤، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٤٦٨)، والترمذي ١٣٩/٢.

(٢) «الطبري» ٥١٩/١٥، و«مستند أحمد» رقم (٣٦٥٣) و (٤٠٩٤)، ورواه البخاري ٢٦٨/٨ - ٢٦٩، ومسلم ٢١١٥/٤، والترمذي ١٣٩/٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) «الطبري» ٥٢٠/١٥ - ٥٢٢، ورواه الترمذي ١٣٩/٢ من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل، وقال: هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر، وقتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ابن ست، وقد روى عن عمر ورواه شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي ﷺ مرسلأ، والحديث بمعنى الذي قبله.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٩/٨: وأما قصة ابن غزية، فأخرجها ابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِصْ أَلْصَكْرَةَ كَرِّيَ الْكَبَارِ﴾ قال: نزلت في عمرو بن غزية وكان يبيع التمر، فأتته امرأة تبتاع تمرأ فأعجبته... الحديث ١ هـ. والكلبي وأبو صالح: ضعيفان.

(٥) لقد فصل الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٦٨/٨، ٢٦٩ القول في اسم هذا الرجل، فارجع إليه إن شئت.

(٦) «ديوانه» ٨٤/١، و«الطبري» ٧٧/١٢، و«اللسان»: حقف، و«الكامل» للمبرد ١/١٢٩، ٨٣٤/٣. وسماوة الهلال: أعلاه. واحقوقف: يريد: اعوج، وإنما هو افعول، من الحقف، والحقف: النقا من الرمل يعوج ويدق، يريد: طواه الأين كما طوت الليالي سماوة الهلال.

وابن حيان. والثاني: أنها سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، رواه منصور عن مجاهد. والأول أصح، لأن الجمهور عليه، وفيه حديث مسند عن رسول الله ﷺ، رواه عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ أنه توضأ، وقال: «من توضأ وضوئي هذا، ثم صلى الظهر، عُفِرَ له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ومن صلى العصر، عُفِرَ له ما بينها وبين صلاة الظهر، ومن صلى المغرب، عُفِرَ له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء، عُفِرَ له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح، عُفِرَ له ما بينته وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يلذهبن السيئات»<sup>(١)</sup>. فأما السيئات المذكورة هاهنا، فقال المفسرون: هي الصغائر من الذنوب. وقد روى معاذ بن جبل، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني؛ قال: «أتق الله حيثما كنت»، قال: قلت: زدني؛ قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، قلت: زدني؛ قال: «خالق الناس بخلق حسن»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي ذُكِّرَ لِلْأَذْكُرِ﴾ في المشار إليه بـ «ذلك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: إقام الصلاة. والثالث: جميع ما تقدم من الوصية بالاستقامة، والنهي عن الطغيان، وترك الميل إلى الظالمين، والقيام بالصلاة. وفي المراد بالذكر قولان: أحدهما: أنه بمعنى التوبة. والثاني: بمعنى العظة.

﴿وَأَسْبِرْ لَكَ اللَّهُ لَا يُصِيبُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبِرْ﴾ فيما أمر بالصبر عليه قولان: أحدهما: لما يلقاه من أذى قومه. والثاني: الصلاة. وفي المراد بالمحسنيين ثلاثة أقوال: أحدهما: المصلون، قاله ابن عباس. والثاني: المخلصون، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المحسنون في أعمالهم، قاله أبو سليمان.

﴿تَتَوَلَّوْا كَانِ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَرُونَ عَنِ النَّسَائِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ آمَنَّا مِنْهُمْ وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرُوا فِيهِ زَكَرًا وَمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿تَتَوَلَّوْا كَانِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ قال ابن عباس، والفراء: المعنى: فلم يكن. وقال ابن قتبية: المعنى: فهلاً كان من القرون من قبلكم أولوا بقية. وروى ابن جماز عن أبي جعفر «أولوا بَقِيَّةً» بكسر الباء وسكون القاف وتخفيف الياء. وفي معنى «أولوا بَقِيَّةً» ثلاثة أقوال: أحدها: أولوا دين، قاله ابن عباس. قال ابن قتبية: يقال: قوم لهم بقية، وفيهم بقية: إذا كانت بهم مُسَكَّة وفيهم خير. والثاني: أولوا تمييز. والثالث: أولوا طاعة، ذكرهما الزجاج، وقال: إذا قلت: فلان فيه بقية، فمعناه: فيه فضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء منقطع، أي: لكن قليلاً ممن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد. قال مقاتل: لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصي والشرك إلا قليلاً ممن أنجينا من العذاب مع الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرُوا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا مع ظلمهم ما أتروا فيه مع استدامة نعيمهم، فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم. قال الفراء: آثروا اللذات على أمر الآخرة. قال: ويقال: اتبعوا ذنوبهم السيئة إلى النار.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَعْلَاهَا مَكْلُوفَةٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بغير جرم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: بشرك، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان. وفي قوله: ﴿وَأَعْلَاهَا مَكْلُوفَةٌ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها:

(١) «الطبري» ٥١٢/١٥، ورواه أحمد في «المسند» رقم (٥١٣) وفي آخره زيادة، «قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وخرجه العيشي في «المجمع» ٢٩٧/١ بنحو حديث أحمد، وهو حديث صحيح.

(٢) هذا الحديث أخرجه أحمد في «المسند» ٢٢٨/٥ عن معاذ بن جبل، وخرجه أيضاً ١٥٣/٥ عن أبي ذر الغفاري، وخرجه الترمذي ٢٠/٢ عن أبي ذر، ومعاذ، ولفظه عند الترمذي: «أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي بعض النسخ: حسن. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٤/١ عن أبي ذر بلفظ الترمذي، ورواه عن معاذ بلفظ «فقال: يا رسول الله أوصني، قال: «عبد الله ولا تشرك به شيئاً، قال: يا رسول الله زدني، قال: إذا أسأت فأحسن، قال: يا رسول الله زدني، قال: استقم، ولتحسن خلقك» وقال: صحيح الإسناد من رواية البصريين، ولم يخرجاه، وواقفه الذهبي. وقد روي عن النبي ﷺ أنه أوصى بهذه الوصية معاذاً وأباً ذر من وجوه آخر.



يتنصف بعضهم من بعض، رواه قيس بن أبي حازم عن جرير. قال أبو جعفر الطبري: فيكون المعنى: لا يهلكهم إذا تناصفوا وإن كانوا مشركين، وإنما يهلكهم إذا تظالموا. والثاني: مصلحون لأعمالهم، متمسكون بالطاعة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: مؤمنون، قاله مقاتل.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ﴾ (١٧٨) ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَنَّ لَكُمْ جَهَنَّمَ مِنْ أَلْفَيْهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۚ﴾ (١٧٩)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال ابن عباس: لو شاء أن يجعلهم كلهم مسلمين لفعل. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الحق وأهل الباطل، رواه الضحاك عن ابن عباس؛ فيكون المعنى: إن هؤلاء يخالفون هؤلاء. والثاني: أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس: هم أهل الحق. وقال الحسن: أهل رحمة الله لا يختلفون. قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ في المشار إليه بذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه يرجع إلى ما هم عليه. قال ابن عباس: خلقهم فريقين، فريقاً يُرحم فلا يختلف، وفريقاً لا يُرحم يختلف. والثاني: أنه يرجع إلى الشقاء والسعادة، قاله ابن عباس أيضاً، واختاره الزجاج، قال: لأن اختلافهم مؤديهم إلى سعادة وشقاوة. قال ابن جرير: واللام في قوله: «ولذلك» بمعنى «على». والثالث: أنه يرجع إلى الاختلاف، رواه مبارك عن الحسن. والرابع: أنه يرجع إلى الرحمة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة؛ فعلى هذا يكون المعنى: ولرحمته خلق الذين لا يختلفون في دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: وجب قول ربك: ﴿لَأَنزِلَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من كفر الجِنَّة، وكفار الناس. ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَعَلْنَا فِي هَؤُلَاءِ آيَاتٍ وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٨٠) قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ﴾ قال الزجاج: «كَلَّا» منصوب بـ «نَقُصُّ»، المعنى: كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. و«ما» منصوبة بدلاً من كل، المعنى: نقص عليك ما نُبِّئُ به فؤادك؛ ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب هاهنا، ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر، كان القلب أثبت.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي هَؤُلَاءِ آيَاتٍ﴾ في المشار إليه بـ «هذه» أربعة أقوال: أحدها: أنها السورة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، ورواه شيان عن قتادة. والثاني: أنها الدنيا، فالمعنى: وجاءك في هذه الدنيا، رواه سعيد عن قتادة؛ وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الأقايصص المذكورة. والرابع: أنها هذه الآية بعينها، ذكر القولين ابن الأنباري. وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البيان. والثاني: صدق القصص والأنباء. والثالث: النبوة. فإن قيل: أليس قد جاء الحق في كل القرآن، فلم خص هذه السورة؟ فالجواب أنا إن قلنا: إن الحق النبوة، فالإشارة بـ «هذه» إلى الدنيا، فيكون المعنى: وجاءك في هذه الدنيا النبوة، فيرتفع الإشكال. وإن قلنا: إنها السورة، فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المراد، بالحق البيان، وهذه السورة جمعت من تبين إهلاك الأمم، وشرح مآلهم، ما لم يجمع غيرها، فبان أثر التخصيص، وهذا مذهب بعض المفسرين. والثاني: أن بعض الحق أركد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا، ولهذا يقول الناس: فلان في الحق: إذا كان في الموت، وإن لم يكن قبله في باطل، ولكن لتعظيم ما هو فيه، فكان الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره، وهذا مذهب الزجاج. والثالث: أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها، وإن كان في غيرها حق أيضاً، فهو كقوله: ﴿وَالْفَصْلَةُ الْوُسْطَى﴾ (البقرة: ٢٣٨)، وقوله: ﴿يَجْزِيكَ وَيُكَفِّلُ﴾ (البقرة: ٩٨)، وهذا مذهب ابن الأنباري. والرابع: أن المعنى: وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور، قاله ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ۖ وَإِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١٨١)

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا تهديد ووعيد، والمعنى: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم، ﴿وَأَنْظِرُوا﴾ ما يعدكم الشيطان ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ما يعدنا ربنا.

### فصل

قال المفسرون: وهذه الآية اقتضت تركهم على أعمالهم، والافتناع بإنذارهم، وهي منسوخة بآية السيف. واعلم أنه إذا قلنا: إن المراد بالآية التهديد، لم يتوجه نسخ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ قرأ نافع، وحفص عن عاصم ﴿يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بضم الياء. وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم «يرجع» بفتح الياء، والمعنى: إن كل الأمور ترجع إليه في المعاد. ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: وحده. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: ثق به. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «تعملون» بالياء. وقرأ الباقون بالياء. قال أبو علي: فمن قرأ بالياء، فالمعنى: قل لهم: وما ربك بغافل عما يعملون. ومن قرأ بالياء، فالخطاب للنبي ﷺ ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو أعم من الياء، وهذا وعيد، والمعنى: إنه يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. قال كعب: خاتمة التوراة خاتمة «هود».



## سورة يوسف [عليه السلام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْيُسِيِّ﴾

### فصل في نزولها

هي مكة بالإجماع. وفي سبب نزولها قولان: أما القول الأول، فروي عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْيُسِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا نَثَانِي﴾<sup>(١)</sup> [الزمر: ٢٣] كل ذلك يؤمرون بالقرآن. وقال عون بن عبد الله: ملأ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: يا رسول الله حدثنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا نَثَانِي﴾ [الزمر: ٢٣]، ثم إنهم ملأوا ملة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، فوق الحديث، ودون القرآن، يعنون القصص، فأنزل الله ﷻ: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾، فأراد الحديث، دلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص، فدلهم على أحسن القصص<sup>(٢)</sup>. والثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله ﷻ: ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْيُسِيِّ﴾ إِنْ أَنْزَلْتَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، وذلك أن التوراة بالعبرانية، والإنجيل بالسريانية، وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه. وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول (يونس)، إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة، فقال: لما لحق أصحاب رسول الله ﷺ ملأ وسامة، فقالوا له: حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل، فقال: «تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل، هي آيات الكتاب المبين». وفي معنى «المبين» خمسة أقوال: أحدها: البين حلاله وحرامه، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: المبين للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم، رواه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل. والثالث: البين هداه ورشده، قاله قتادة. والرابع: المبين للحق من الباطل. الخامس: البين إعجازه فلا يعارض، ذكرهما الماوردي.

﴿إِنْ أَنْزَلْتَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَمَّا تَقُولُكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قد ذكرنا معنى القرآن واشتقاقه في سورة [النساء: ٨٢]. وقد اختلف الناس، هل في القرآن شيء بغير العربية، أم لا، فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية. وقال أبو عبيدة: من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول، واحتج بقوله: ﴿إِنْ جَعَلْتَهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب، مثل «سجيل» و«المشكاة» و«اليم» و«الطور» و«أباريق» و«إستبرق» وغير ذلك. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال أبو عبيد<sup>(٣)</sup>: وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة،

(١) «الطبري» ٥٥٣/١٥، والحاكم في «المستدرک» ٣٤٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ وزاد نسبه إلى إسحاق بن راهويه، والبخاري، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه.  
(٢) «الطبري» ٥٥٢/١٥، وخرجه السيوطي في «الدر» ٣/٤ عن طريق عون بن عبد الله عن ابن مسعود، فهو مرسل. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٥٥.  
(٣) في الأصل: أبو عبيدة، وهو خطأ، لأن الكلام الآن كلام أبي عبيد القاسم بن سلام يرد به على شيخه أبي عبيدة، وانظر «المعرب»: ٥ للجواليقي.

ولكنهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هو إلى غيره، وكلاهما مصيب إن شاء الله، وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال: أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألستها فعرته فصار عربياً بتعريبها إياه، فهي عربية في هذه الحالة، أعجمية الأصل، فهذا القول يصدق الفريقين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَكُمْ قَوْلُوكَ﴾ ❶ قال ابن عباس: لكي تفهموا.

﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْقَنْيَلِكِ﴾ ❷

قوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها في أول الكلام. وقد خصت بسبب آخر، فروي عن سعيد بن جبيرة قال: اجتمع أصحاب محمد ﷺ إلى سلمان، فقالوا: حدثنا عن التوراة فإنها حسن ما فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني: قصص القرآن أحسن مما في التوراة. قال الزجاج: والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها. قال وقوله: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: بوحينا إليك هذا القرآن.

قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والممالك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسر، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم، والعز، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُ فِي إِنْ﴾ قولان.

أحدهما: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ قال ابن عباس: من قبل نزول القرآن. ﴿لَمَنِ الْقَنْيَلِكِ﴾ عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدًا ❶﴾

عَنْ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❷﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ في «إِذ» قولان.

أحدهما: أنها صلة للفعل المتقدم، والمعنى: نحن نقص عليك إذا قال يوسف. والثاني: أنها صلة لفعل مضمر، تقديره: اذكر إذ قال يوسف، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء، ووقفاً بالهاء، وافقهما ابن كثير في الوقف بالهاء، وقرأ الباقون بكسر التاء. فمن فتح التاء، أراد: يا أبنا، فحذف الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة دالة على الألف، كما أن الكسرة تبقى دالة على الياء. ومن وقف على الهاء، فلأن تاء التانيث تبدل منها الهاء في الوقف. وقرأ أبو جعفر أحد عشر، وتسعة عشر، بسكون العين فيهما. وفي ما رآه يوسف قولان: أحدهما: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب، وهو قول الأكثرين. قال الفراء: وإنما قال: «رأيتهم» على جمع ما يعقل، لأن السجود فعل ما يعقل، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْعُوا سَبْكَكُمْ﴾ [النمل: ٢١٨]. قال المفسرون: كانت الكواكب في التأويل إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، فلما قصها على يعقوب أشفق من حسد إخوته. وقال السدي: الشمس أبوه، والقمر خالته، لأن أمه كانت قد ماتت. والثاني: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكفى عن ذكرهم، وهذا مروى عن ابن عباس، وقائدة. فأما تكرار قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ فقال الزجاج: إنما كرره لئلا طال الكلام توكيداً. وفي سن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال: أحدها: سبع سنين. والثاني: اثنتا عشرة سنة. والثالث: سبع عشرة سنة. قال المفسرون: علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويل رؤياه، فقال: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، قال ابن قتيبة: يحتالوا لك حيلة ويغتابوك. وقال غيره: اللام صلة، والمعنى: فيكيدوك. والعدو المبين: الظاهر العداوة.

﴿وَرَكَّابًا يُجَبِّحُ بِرُكْبِكَ وَيُمْرِكُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَمِّرُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ

وَأِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ❸﴾



قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِيكَ رَبُّكَ﴾ قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيتم من الرفعة والحال الجليلة، يختاركم ربك ويصطفيكم من بين إخوتك. وقد شرحنا في (الإنعام: ٨٧) معنى الاجتباء. وقال ابن عباس: يصطفيكم بالنبوة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّمُكَ يَنْ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلاً لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه. والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد. والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، ذكره الزجاج. قال مقاتل: و «من» هاهنا صلة.

قوله تعالى: ﴿وَيُزَيِّرُ وَيُمَكِّرُ عَلَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بالنبوة، قاله ابن عباس. والثاني: بإعلاء الكلمة. والثالث: بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم، ذكرهما الماوردي. وفي «إِلَّا يَتَّقُونَ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ولده، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يعقوب وامراته وأولاده الأحد عشر، أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف، قاله مقاتل.

والثالث: أهله، قاله أبو عبيدة، واحتج بأنك إذا صغرت الآل، قلت: أهيل. قوله تعالى: ﴿كَأَنَّ أَنتَهُمَا عَلَىٰ آبُوبَكَ مِنْ قَبْلِ إِذْ يَرْوَاهُ وَتَصَحُّ﴾ قال عكرمة: فنعتمته على إبراهيم أن نجاه من النار، ونعتمته على إسحاق أن نجاه من الذبح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ أي: عليم حيث يضع النبوة «حَكِيمٌ» في تدبير خلقه.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمُتَلَذِّثِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ أي: في خير يوسف وقصة إخوته (آيات) أي: عبر لمنم سأل عنهم، فكل حال من أحواله آية. وقرأ ابن كثير «آية». قال المفسرون: وكان اليهود قد سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فأخبرهم بها كما في التوراة، فمعجوا من ذلك. وفي وجه هذه الآيات خمسة أقوال.

أحدها: الدلالة على صدق محمد ﷺ حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدهم، ولا نظر في الكتب. والثاني: ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه. والثالث: صدق رؤياه وصحة تأويله. والرابع: ضبط نفس وقهر شهوته حتى قام بحق الأمانة. والخامس: حدوث السرور بعد اليأس.

فإن قيل: لم خص السائلين، ولغيرهم فيها آيات أيضاً؟ فتنه جوابان.

أحدهما: أن المعنى: للسائلين وغيرهم، فاكتمى بذكر السائلين من غيرهم، كما اكتفى بذكر الحر من البرد في قوله: ﴿تَبَيَّنَ لَكُمُ الْغَيْبُ﴾ [النمل: ٨١].

والثاني: أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية، كان لغيرهم آية أيضاً؛ وإنما خص السائلين، لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخبر.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا﴾ يعني إخوة يوسف. «لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ» يعنون ابن يامين. وإنما قيل له: ابن يامين، لأن أمه ماتت نساء. ويامين بمعنى الرجوع، وكان أخاه لأمه وأبيه. والباقون إخوته لآبيه دون أمه.

فأما العصبية، فقال الزجاج: هي في اللغة الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضاً في الفعل، ويتعصب بعضهم لبعض.

وللمفسرين في العصبية ستة أقوال.

أحدها: أنها ما كان أكثر من عشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها ما بين العشرة إلى الأربعين، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قادة. والثالث: أنها ستة أو سبعة، قاله سعيد بن جبيرة والرابع: أنها من عشرة إلى خمسة عشر، قاله مجاهد. والخامس: الجماعة، قاله ابن زيد، وابن قتيبة، والزجاج. والسادس: عشرة، قاله مقاتل. وقال الفراء: العصبية عشرة فما زاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال.

أحدهما: لفي خَطَلًا من رأيه، قاله ابن زيد. والثاني: في شَقَاءٍ، قاله مقاتل؛ والمراد به عناء الدنيا. والثالث: لفي ضلال عن طريق الصواب الذي يقتضي تعديل المحبة بيننا، لأن نفعنا له أعمى. قال الزجاج: ولو نسبوه إلى الضلال في الدين كانوا كفاراً، إنما أرادوا: إنه قَدَّمَ ابنتين صغيرين علينا في المحبة ونحن جماعة نفعنا أكثر.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ امْكُرُوهُ أَرْضًا يَحْتَٰلْ لَكُمْ وَبِهِ آيَاتُكُمْ وَكَفُّوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ قال أبو علي: قرأ ابن كثير، ونافع، والكسائي: «مبِينٌ اقْتُلُوا» بضم التنوين، لأن تحريكه يلزم لالتقاء الساكنين، فحركوه بالضم لِيَتَّبِعُوا الضمة الضمة، كما قالوا: «مَدٌّ» و«ظُلُمَاتٌ». وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، بكسر التنوين، فلم يتبعوا الضمة كما قالوا: «مَدٌّ» و«ظُلُمَاتٌ». قال المفسرون: وهذا قولهم بينهم: ﴿أَوْ امْكُرُوهُ أَرْضًا﴾ قال الزجاج: نصب «أَرْضًا» على إسقاط «في»، وأفضى الفعل إليها؛ والمعنى: أو اطرحوه أرضاً يبعد بها عن أبيه. وقال غيره: أرضاً تأكله فيها السباع.

قوله تعالى: ﴿يَحْتَٰلْ لَكُمْ وَبِهِ آيَاتُكُمْ﴾ أي: يفرغ لكم من الشغل بيوسف. ﴿وَكَفُّوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد يوسف. ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: صالحين بالتوبة من بعد قتله، قاله ابن عباس. والثاني: يصلح حالكم عند أبيكم، قاله مقاتل. وفي قصتهم نكتة عجيبة، وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب، وكذلك المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للخطايا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٢) قالوا يَتَّكِبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلٰى يُوسُفَ وَإِنَّا لَمْ نَلْصَحْهُنَّ (١٣) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفُطُونَ (١٤) قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٥) قَالُوا لَنْ أَكْذِبَ وَتَعَنَ عَصْبُهُ إِذَا أَرَادُوا لَخْتِئُونَهُ (١٦)

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يهودا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، ومقاتل. والثاني: أنه شمعون، قاله مجاهد. والثالث: روبيل، قاله قتادة، وابن إسحاق. فأما غيبة الجب، فقال أبو عبيدة: كل شيء غيَّبَ عنك شيئاً فهو غيبة، والجب: الرُكبة التي لم تطو. وقال الزجاج: الغيبة: كل ما غاب عنك، أو غيَّبَ شيئاً عنك، قال المنخَّل:

فإِن أَنَا يَوْمًا غَيَّبْتُني غَيَابَتِي

فيسيروا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ

والجب: البئر التي لم تطو؛ سميت جباً من أجل أنها قُطعت قطعاً، ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه. وقال ابن عباس: ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ أي: في ظلماته. وقال الحسن: في قعره. وقرأ نافع: «غيابات الجب» فجعل كل منه غيبة. وروى خارجة عن نافع: «غيابات» بتشديد الياء. وقرأ الحسن، وقاتدة، ومجاهد: «غِيبة الجب» بغير ألف مع إسكان الياء. وأين كان هذا الجب، فيه قولان: أحدهما: بأرض الأردن، قاله وهب. وقال مقاتل: هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب. والثاني: ببيت المقدس، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ قال ابن عباس: يأخذه بعض من يسير. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: إن أضمرتم له ما تريدون. وأكثر القراء قرووا «يلقطه» بالياء. وقرأ الحسن، وقاتدة، وابن أبي عبله بالناء. قال الزجاج: وجميع النوحين يجيزون ذلك، لأن بعض السيارة سيارة، فكأنه قال: تلتقطه سيارة بعض السيارة. وقال ابن الأنباري: من قرأ بالناء، فقد أثَّ فعل بعض، وبعض مذكر، وإنما فعل ذلك حملاً على المعنى، إذ التأويل: تلتقطه السيارة، قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السُّنْبِينَ أَخَذْتُ مَنِي

كَمَا أَخَذَ السُّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ (١٧)

أراد: رأت السنين، وقال الآخر:

طَوَّلَ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي

طَوْنُ طَوْلِي وَطَوْنُ عَرْضِي (١٨)

(١) البيت لجبر، «ديوانه» ٤٢٦، و«مجاز القرآن» ٩٨/١، و«الطبري» ٥٦٧/١٥، و«الكامل» للمبرد ٤٨٦، و«السرار»: آخر ليلة من الشهر يستمر فيها الهلال، أي: يخفي.

(٢) البيت للمعاج في ملحقات ديوانه ٨١، و«الكتاب» ١٩/١، و«مجاز القرآن» ٩٩/١، و«الطبري» ٨٧/٧، و«البيان والتبيين» ٦٠/٤، و«شواهد المغني» ٢٩٧، و«المغني» ٣٩٥/٣، و«الخرزاة» ١٦٨/٢.

أراد: اللبالي أسرع، وقال جرير:

لَمَّا أَتَى خَبَرَ الرُّؤْسِ تَوَاضَعَتْ

أراد: تواضعت المدينة، وقال الآخر:

وَتَشَرَّقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذْغَعُهُ

أراد: كما شرقت القناة.

قال المفسرون: فلما عزم القوم على كيد يوسف، قال: لأبيه: (مالك لا تأمنّا قرأ الجماعة «تأمنّا» بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم؛ قال مكي: لأن الأصل «تأمنّا» ثم أذغمت النون أوولى، وبقي الإشمام يدل على ضمه النون الأولى. والإشمام: هو ضم شفتيك من غير صوت يُسمع، فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية. وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة، ويسمى الرّوم إشماماً؛ والرّوم: صوت ضعيف يُسمع خفياً. وقرأ أبو جعفر «تأمنّا» بضم الميم. وقرأ ابن مقسم «تأمنّا» بنونين على الأصل، والمعنى: مالك لا تأمنّا على يوسف فترسله معنا، فإنه قد كبر ولا يعلم شيئاً من أمر المعاش ﴿وَرَبَّكَ لَهُ لَنَصْحُونُ﴾ فيما أشرنا به عليك؛ «أزبيله» ممّا عَدَاكَ إلى الصحراء. وقال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنهم قالوا له: أرسله معنا، فقال: إني ليخزني أن تذهبوا به، فقالوا: مالك لا تأمنّا.

قوله تعالى: ﴿يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو «نرتع ونلعب» بالنون فيهما، والعين ساكنة؛ وافقهم زيد عن يعقوب في «نرتع» فحسب.

وفي معنى «نرتع» ثلاثة أقوال.

أحدها: نلّهُ، قاله الضحاك. والثاني: نَسَعَ، قاله قتادة. والثالث: نَأْكَلُ، يقال: رتعت الإبل: إذا رعت، وأرتعتها: إذا تركتها ترعى. قال الشاعر:

وَخَبِيبٌ لِي إِذَا لَأَقَيْتُهُ

وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَخْمِي رَتَعَ<sup>(١)</sup>

أي: أكله، هذا قول ابن الأنباري، وابن قتيبة. وقرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «يرتع ويلعب» بالياء فيهما وجزم العين والباء، يعنون «يوسف». وقرأ نافع: «نرتع» بكسر العين من «نرتع» من غير بلوغ إلى الياء. قال ابن قتيبة: ومعناها: نتحارس، ويرعى بعضنا بعضاً، أي يحفظ؛ ومنه يقال: رعاك الله، أي: حفظك. وقد رويت عن ابن كثير أيضاً «نرتعي» بإثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف. وقرأ أنس، وأبو رجاء «نُرتِع» بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين، و«نلعب» بالنون. قال أبو عبيدة: أي: نرتع إيلنا.

فأما قوله: ﴿وَلَعَبُ﴾ فقال ابن عباس: نلّهو.

فإن قيل: كيف لم ينكر عليهم يعقوب ذكر اللعب؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم لم يكونوا حيثلذ أنبياء، قاله أبو عمرو بن العلاء. والثاني: أنهم عَنَوْا مباح اللعب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَخَزْنَتِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: يحزنني ذهابكم به، لأنه يفارقني فلا أراه. ﴿وَأَكَاثُ أَنْ يَأْكُلَهُ﴾ أَلَذُّهُ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «الذئب» بالهمز في الثلاثة المواضع. وقرأ الكسائي، وأبو جعفر، وشيبة بغير همز. قال أبو علي: «الذئب» مهموز في الأصل. يقال: تذاءبت الريح: إذا جاءت من كل جهة كما يأتي الذئب. وفي علة تخصيص الذئب بالذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رأى في منامه أن الذئب شد

(١) «ديوانه» ٣٤٥، «ومجاز القرآن» ١٩٧/١، «والنفاض» ٩٦٩، «والكتاب» ١٩/١، ٢٥، «والكامل» للمبرد ٤٨٦، «والطبري» ١٧/٢، «والأضداد» ٢٩٦ لابن الأنباري، «واللسان» و«التاج» سورة: «والخزانة» ١٦٦/٢.

(٢) البيت للأعشى الكبير يميون بن قيس، ديوانه: ١٢٣، «واللسان» شرق، ومعنى تشرق: تغص، وصدر القناة: أعلاها.

(٣) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري من قصيدة في «المفضليات» ١٩٠ - ٢٠٢، تعد ممن أغلى الشعر وأنفسه، وقد فضلها الأصمعي، وقال: كانت العرب تفضلها وتقدمها وتعدّها من حكمها، وكانت في الجاهلية تسميها اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال. وهو أيضاً في «الشعر والشعراء» ٣٨٤، «والخزانة» ٥٤٧/٢، ورواية الشطر الأول فيها: «ويحيي إذا لاقته».

على يوسف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن أرضهم كانت كثيرة الذئب، قاله مقاتل. والثالث: أنه خافهم عليه فكفى بذكر الذئب، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: غافلون في اللعب. والثاني: مشتغلون برعيكم.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نرى الذئب قد قصده ولا نرد عنه ﴿إِنَّا إِذَا كُنَّا بِأَمْرٍ﴾ عاجزون. قال ابن الأنباري: ومن قرأ «عصبة» بالنصب، فتقديره: ونحن نجتمع عصبة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَرْحَبْنَا إِلَيْهِ لَنُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ في الكلام اختصار وإضمار، تقديره: فأرسله معهم فلما ذهبوا. ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ أي: عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب.

### الإشارة إلى قصة ذهابهم

قال المفسرون: قالوا ليوسف: أما تشتاق أن تخرج معنا فتلعب وتتصيد؟ قال: بلى، قالوا: فسل أباك أن يرسلك معنا، قال: أفعل، فدخلوا بجماعتهم على يعقوب، فقالوا: يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا، فقال: ما تقول يا بني؟ قال: نعم يا أبت، قد أرى من إخوتي اللين واللطف، فأنأ أحب أن تأذن لي، فأرسله معهم، فلما أصرحوا، أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة، وأغلظوا له القول، وجعل يلجأ إلى هذا، فيضربه، وإلى هذا، فيؤذيه، فلما فطن لما قد عزموا عليه، جعل ينادي: يا أبتاه، يا يعقوب، لو رأيت يوسف وما ينزل به من إخوته لأخزنتك ذلك وأبكاك، يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك، وضيعوا وصيتك، وجعل يبكي بكاء شديداً. قال الضحاك عن ابن عباس: فأخذه روبيل فجلبه به الأرض، ثم جثم على صدره وأراد قتله، فقال له يوسف: مهلاً يا أخي لا تقتلني، قال: يا ابن راحيل صاحب الأحلام، قل لرؤياك تخلصك من أيدينا، ولوى عنقه ليكرها، فنادى يوسف: يا يهوذا اتق الله في، وخل بيني وبين من يريد قتلي، فأدرسته له رحمة، فقال يهوذا: يا إخوتاه، ألا أدلكم على أمرٍ هو خير لكم وأرفق به؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة، قالوا: نفعل؛ فانطلقوا به إلى الجب، فخلعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، لِمَ نزعتم قميصي؟ ردوه عليّ أستر به عورتِي ويكون كفنًا لي في مماتي؛ فأخرج الله له حجراً في البئر مرتفعاً من الماء، فاستقرت عليه قدماء. وقال السدي: علوا يدلونه في البئر، فيتعلق بشفير البئر؛ فربطوا يديه ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردوا عليّ قميصي أتورى به، فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً، فدلّوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت، فكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها؛ فلما ألقوه في الجب جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدرتهم فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة، فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام. وقال كعب: جمعوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه، فبعث الله إليه ملكاً، فحلّ عنه وأخرج له حجراً من الماء، فقعده عليه؛ وكان يعقوب قد أدرج فميص إبراهيم الذي كساه الله إياه يوم ألقى في النار في قصبة، وجعلها في عنق يوسف، فألبسه إياه الملك حيثنذ، وأضاء له الجب. وقال الحسن: ألقى في الجب، فَعَذَّبَ ماؤه، فكان يغنيه عن الطعام والشراب؛ ودخل عليه جبريل، فأنس به، فلما أمسى، نهض جبريل ليذهب، فقال له يوسف: إنك إذا خرجت عني استوحشت، فقال: إذا رهبت شيئاً فقل: يا صريح المستصرخين، ويا غوث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفي عليك شيء من أمري. فلما قالها حفته الملائكة، فاستأنس في الجب ومكث فيه ثلاثة أيام، وكان إخوته يرفعون حول الجب. وقال محمد بن مسلم الطائفي: لما ألقى يوسف في الجب، قال: يا شاهدأ غير غائب، ويا قريبأ غير بعيد، ويا غالبأ غير مغلوب، اجعل لي فرجاً بما أنا فيه؛ قال: فما بات فيه. وفي مقدار سنه حين ألقى في الجب أربعة أقوال.

أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله الحسن. والثاني: ست سنين، قاله الضحاك. والثالث: سبع عشرة، قاله ابن السائب، وروي عن الحسن أيضاً. والرابع: ثمان عشرة.



قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فيه قولان.

أحدهما: أنه إلهام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه وحي حقيقة. قال المفسرون: أوحى إليه لتخيرن إخوانك بأمرهم، أي: بما صنعوا بك وأنت عالي عليهم. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان.

أحدهما: لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: لا يشعرون بالوحي، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. فعلى الأولى يكون الكلام من صلة «لتنبتهم»؛ وعلى الثاني من صلة «وأوحينا إليه». قال حميد: قلت للحسن: أيحسد المؤمن المؤمن؟ قال: لا أبالك، مانسك بني يعقوب؟

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيُزَكِّيْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكْذَبْنَاكَ الْإِثْمُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ۖ﴾ وقرأ أبو هريرة، والحسن، وابن السميع، والأعمش: «عشاء» بضم العين.

قال المفسرون: جاؤوا وقت العتمة ليكونوا أجراً في الظلمة على الاعتذار بالكذب، فلما سمع صوتهم فزع، وقال: ما لكم يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: نتضل، قاله ابن عباس، وابن قتيبة، قال: والمعنى، يسابق بعضنا بعضاً في الرمي. والثاني: نشد، قاله السدي. والثالث: نصيد، قاله مقاتل. فيكون المعنى على الأول: نستبق في الرمي لننظر أينما سبق سهماً؛ وعلى الثاني: نستبق على الأقدام؛ وعلى الثالث: للصيد.

قوله تعالى: ﴿وَزَكَّيْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا﴾ أي: ثيابنا. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدق. وفي قوله: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: وإن كنا قد صدقنا، قاله ابن إسحاق. والثاني: لو كنا عندك من أهل الصدق لاتهمتنا في يوسف لمحبتك إياه، وظننت أنا قد كذبتك، قاله الزجاج.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَيِّدٌ ۚ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال اللغويون: معناه: بدم مكذوب فيه، والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولاً، فيقولون للكذب مكذوب، وللعلل معقول، وللجلد مجلود، قال الشاعر:

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَشْرُكُوا لِعِظَامِهِ  
لَحْماً وَلَا لِضَوَائِهِ مَغْفُوراً<sup>(١)</sup>  
أراد: عقلاً. وقال الآخر:

قَدَ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقُدْرَةٍ

بُلُغَ الْعَزَاءِ وَأَذْرَكَ الْمَجْلُودُ

يريد: أذرك الجلد. ويقولون: ليس لفلان عقد رأي، ولا معقود رأي، ويقولون: هذا ماء سكب، يريدون: مسكوباً، وهذا شراب صب، يريدون: مصبوباً، وماء غور، يعنون: غائراً، ورجل صوم، يريدون: صائماً، وامرأة نوح، يريدون: نائحة؛ وهذا الكلام مجموع قول الفراء، والأخفش، والزجاج، وابن قتيبة في آخرين. قال ابن عباس: أخذوا جدياً فذبوه، ثم غمسوا قميص يوسف في دمه، وأتوه به وليس فيه خرق، فقال: كذبتهم، لو كان أكله الذئب لخرق القميص. وقال قتادة: كان دم طيبة. وقرأ ابن أبي عبلة: «بدم كذباً» بالنصب. وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو العالية: «بدم كذب» بالبدال غير معجة، أي: بدم طري.

قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ ۖ أَيْ: زَيَّنَتْ ۖ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ غير ما تصفون ﴿فَصَبْرٌ جَيِّدٌ﴾ قال الخليل: المعنى: فشاني

(١) البيت للرأعي النميري من قصيدة له يملح بها عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة، «ديوانه» ١٣٧، «وأساس البلاغة» عقل.

صبر جميل، والذي اعتقده صبر جميل. وقال الفراء: الصبر مرفوع، لأنه عزى نفسه وقال: ما هو إلا الصبر، ولو أمرهم بالصبر، لكان نصباً. وقال قطرب: المعنى: فصبري صبر جميل. وقرأ ابن مسعود، وأبي، وأبو المتوكل: «فصبراً جميلاً» بالنصب. قال الزجاج: والصبر الجميل، لا جزع فيه، ولا شكوى إلى الناس.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَسْتَعَاذُ عَلَى مَا نَعْبُدُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: على ما تصفون من الكذب. والثاني: على احتمال ما تصفون.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرى هَذَا عَلَّمَ وَأَسْرَهُ بَضْعَةٌ لِلَّهِ عَلَيْهِمَا يَمْشُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿جَعَلَتْ سَيَّارَةً﴾ أي: قوم يسIRON ﴿فَأَرْسَلْنَا وَرَدَهُمُ﴾ قال الأخفش: أنث السيارة وذكر الوارد، لأن السيارة في المعنى للرجال. وقال الزجاج: الوارد: الذي يَرُدُّ الماء ليستقي للقوم. وفي اسم هذا الوارد قولان: أحدهما: مالك بن دُعر بن يُؤيب بن عيفا بن مِين بن إبراهيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مجلث بن رعويل، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذْ ذَكَرْتُكَ﴾ أي: أرسلها. قال الزجاج: يقال: أدليت الدلو: إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها: إذا أخرجتها. ﴿قال يا بشراي﴾ قرأه ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر: «يا بشراي» بفتح الياء وإثبات الألف. وروى ورش عن نافع «بشراي» و «محيائي» (الأنعام: ١٦٢) و «مثواي» (يوسف: ٢٣) بسكون الياء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي «يا بشرى» بآلف بغير ياء. وعاصم بفتح الراء، وحزمة، والكسائي يميلانها. قال الزجاج: من قرأ «يا بشراي» فهذا النداء تنبيه للمخاطبين، لأن البشرى لا تجيب ولا تعقل؛ فالمعنى: أبشروا، ويا أيها البشرى هذا من أوانك، وكذلك إذا قلت: يا عجباه، فكأنك قلت: اعجبوا، ويا أيها العجب هذا من حينك؛ وقد شرحنا هذا المعنى [مرد: ٦٩ و ٧٤]. فأما قراءة من قرأ ﴿يَبْشُرِي﴾ فيجوز أن يكون المعنى: يا من حضر، هذه بشرى. ويجوز أن يكون المعنى: يا بشرى هذا أوانك، على ما سبق بيانه من تنبيه الحاضرين. وذكر السدي أنه نادى بذلك أحدهم وكان اسمه بشرى. وقال ابن الأنباري: يجوز فيه هذه الأقوال، ويجوز أن يكون اسم امرأة. وقرأ أبو رجاء، وابن أبي عيلة: «يا بُشْرِي» بتشديد الياء وفتحها من غير آلف. قال ابن عباس: لما أدلى ذُلُّوه؛ تعلق يوسف بالحبل فنظر إليه فإذا غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقال لأصحابه: البشرى، فقالوا: ما وراءك؟ قال: هذا غلام في البئر، فأقبلوا يسألونه الشركة فيه، واستخرجوه من الجُبِّ، فقال بعضهم لبعض: اكتنموه عن أصحابكم لثلا يسألونكم الشركة فيه، فإن قالوا: ما هذا؟ فقولوا: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر؛ فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البئر، فنظروا، فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف، فقالوا لهم: هذا غلام أبى منا، فقال مالك بن ذعر: فأنأ اشتريه منكم، فباعوه بعشرين درهماً وحلّة ونعلين، وأسره مالك بن ذعر من أصحابه، وقال: استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَوْهُ يَتَذَكَّرُ﴾ قال الزجاج: «بضاعة» منصوب على الحال، كأنه قال: وأسروه جاعليه بضاعة. وقال ابن قتبية: أسروا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة. وفي الفاعلين لذلك قولان: أحدهما: أنهم وارِدو الحب، أسروا ابتياعه عن باقي أصحابهم، وتواصوا أنه بضاعة استبضعهم إياها أهل الماء؛ وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنهم إخوته، أسروا أمره، وباعوه، وقالوا: هو بضاعة لنا، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس أيضاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يعم الباعة والمشتريين.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَرَّزْ﴾ هذا حرف من حروف الأضداد، تقول: سرّيت الشيء، بمعنى بعته، وسرّيت، بمعنى

(١) قال ابن جرير الطبري ١٦٩/١٢، طبع البابي الحلبي: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: وأسرّ وأرد القوم المملئي دلوه ومن معه من أصحابه من رفقته السيارة أمر يوسف أنهم اشتروه خيفة منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبشعها معنا أهل الماء، وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خيراً عنه، أشبه من أن يكون خيراً عن من هو بالخبر عنه غير متصل.

اشترته. فإن كان بمعنى باعوه، ففيهم قولان: أحدهما: أنهم إخوته، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنهم السيارة، ولم يبعه إخوته، قاله الحسن، وقتادة. وإن كان بمعنى اشتروه، فإنهم السيارة.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَكْبِحِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحرام، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة في آخرين. والثاني: أنه القليل، قاله عكرمة، والشعبي. قال ابن قتيبة البخس: الخسيس الذي يُخس به البائع. والثالث: الناقص، وكانت الدراهم عشرين درهماً في العدد، وهي تنقص عن عشرين في الميزان، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿دَرَاهِمَ مَثْدُودَةٍ﴾ قال الفراء: إنما قيل: «معدودة» لِيَسْتَدَلَّ بها على القلَّة. وقال ابن قتيبة: أي: سيرة، سهل عددها لقلَّتها، فلو كانت كثيرة لثقل عددها. وقال ابن عباس: كانوا في ذلك الزمان لا يَزْنُون أقل من أربعين درهماً، وقيل: إنما لم يَزْنُوها لزهدهم فيه. وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال: أحدها: عشرون درهماً، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، وعكرمة في رواية، ونوف الشامي، وهب بن منبه، والشعبي، وعطية، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: عشرون درهماً وحُلَّة، ونعلان، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: اثنان وعشرون درهماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والرابع: أربعون درهماً، قاله عكرمة في رواية، وابن إسحاق. الخامس: ثلاثون درهماً، ونعلان، وحُلَّة، وكانوا قالوا له بالعبرانية: إما أن نُقَرَّ لنا بالعبودية، وإما أن نأخذك منهم فنقتلك، قال: بل أقر لكم بالعبودية، ذكره إسحاق بن بشر عن بعض أشياخه. قال المفسرون: اقتسموا ثمنه، فاشتروا به نعالاً وخفافاً. وكان بعض الصالحين يقول: والله ما يوسف - وإن باعه أعداؤه - بأعجب منك في بيعك نفسك بشهوة ساعة من معاصبك.

قوله تعالى: ﴿وَكَاثُرًا فِيهِ مِنَ الرَّهِيَّةِ﴾ الزهد: قلَّة الرغبة في الشيء. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنهم إخوته، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا، في هاء «فيه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى، قاله الضحاك، وابن جريج. والثاني: أنها ترجع إلى الثمن. وفي علَّة زهدهم قولان: أحدهما: رداءته. والثاني: أنهم قصدوا بُعد يوسف، لا الثمن. والثاني: أنهم السيارة الذين اشتروه. وفي علَّة زهدهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ارتابوا قلَّة ثمنه. والثاني: أن إخوته وصفوه عندهم بالخيانة والإباق. والثالث: لأنهم علموا أنه حر.

﴿وَقَالَ آلِيُّ اشْتَرَيْهِ مِنِّي بِمِائَةِ مِائَةِ مِائَةٍ أَوْ يَنْفَعَكَ أَوْ يَنْفَعَكَ أَوْ يَنْفَعَكَ﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنًا لِيُؤْشَفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ آلِيُّ اشْتَرَيْهِ مِنِّي بِمِائَةِ مِائَةٍ﴾ قال وهب: لما ذهبت به السيارة إلى مصر، وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع، فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً، وزنه ورقاً، وزنه حريراً، فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له: قطفير، وكان أمين فرعون وخازنه، وكان مؤمناً. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير من مالك بن ذعر بعشرين ديناراً، وزوجني نعل، وثوبين أبيضين، فلما رجع إلى منزله قال لامراته: أكرمي مثواه. وقال قوم: اسمه أطفير. وفي اسم المرأة قولان: أحدهما: راعيل بنت رعايل، قاله ابن إسحاق. والثاني: أزيخا بنت تملیخا، قاله مقاتل. قال ابن قتيبة: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ يعني أكرمي منزله ومقامه عندك، من قولك: ثويت بالمكان: إذا أقمت به. وقال الزجاج: أحسنني إليه في طول مقامه عندنا. قال ابن مسعود: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامراته: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾، وابنة شعيب حين قالت: ﴿يَتَأْتِيَ أَسْتَجِرَّةً﴾ [القصص: ٢٢٦]، وأبو بكر حين استخلف عمر. وفي قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ قولان: أحدهما: يكفينا إذا بلغ أمورنا. والثاني: بالربح في ثمنه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَنْخِذُوا وَلَكُمْ﴾ قال ابن عباس: تنبأه. وقال غيره: لم يكن لهما ولد، وكان العزيز لا يأتي النساء. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنًا لِيُؤْشَفَ﴾ أي: وكما أنجبنا من إخوته وأخرجنا من ظلمة الجُبِّ، مكَّنًا له في الأرض، أي: ملكناه في أرض مصر فجعلناه على خزانها. ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ﴾ قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في «ولنعلمه» لفعل مضمر هو المجتلب للام، والمعنى: مكَّنًا ليوسف في الأرض، واختصاصه بذلك لكي نعلمه من تأويل

الأحاديث. وقد سبق تفسير «تأويل الأحاديث» (يوسف: ٦). ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَلِيبٌ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: أنه غالب على ما أراد من قضائه، وهذا معنى قول ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: غالب على أمر يوسف حتى يبلغه ما أراد له، وهذا معنى قول مقاتل. وقال بعضهم: والله غالب على أمره حيث أمر يعقوب يوسف أن لا يقصّ رؤياه على إخوته، فعلموا بها، ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوه، فكادوه، ثم أراد إخوة يوسف قتلَه، فلم يقدّر لهم، ثم أرادوا أن يلتقطه بعض السيارة فيندرس أمره، فعلا أمره، ثم باعوه ليكون مملوكاً، فغلب أمره حتى ملك، وأرادوا أن يعطفوا أباهم، فأباهم، ثم أرادوا أن يغفروا يعقوب بالبكاء والدم الذي ألّفوه على القميص، فلم يخفّ عليه، ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، فنسوا ذنبهم إلى أن أقرّوا به بعد سنين فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩٧)، ثم أرادوا أن يمحوا محبته من قلب أبيه، فإزدادات، ثم أرادت أزيلخا أن تلقي عليه التهمة بقولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ (يوسف: ٢٥)، فغلب أمره، حتى شهد شاهد من أهلها، وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقى، ففسى الساقى حتى لبث في السجن بضع سنين.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣١)

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قد ذكرنا معنى الأشد في (الأنعام: ١٥٢)، واختلف العلماء في المراد به هاهنا على ثمانية أقوال: أحدها: أنه ثلاث وثلاثون سنة، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة. والثاني: ثمانين سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أربعون سنة، قاله الحسن. والرابع: بلوغ الحلم، قاله الشعبي، وربيع، وزيد بن أسلم، وابنه. الخامس: عشرون سنة، قاله الضحاك. والسادس: أنه من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، قاله الزجاج. والسابع: أنه بلوغ ثمان وثلاثين سنة، حكاه ابن قتيبة. والثامن: ثلاثون سنة، ذكره بعض المفسرين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفقه والعقل، قاله مجاهد. والثاني: النبوة، قاله ابن السائب. والثالث: أنه جعل حكيماً، قاله الزجاج، قال: وليس كل عالم حكيماً، إنما الحكيم: العالم المستعمل علمه، الممتنع به من استعمال ما جهل فيه. والرابع: أنه الإصابة في القول، ذكره الثعلبي. قال اللغويون: الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ، ويمنع منهما، ويردّ النفس عما يشينها ويعدو عليها بالضرر، ومنه: حكمة الدابة. وأصل أحكمت في اللغة: منعت، وسمي الحاكم حاكماً، لأنه يمنع من الظلم والزيغ. وفي المراد بالعلم هاهنا قولان: أحدهما: الفقه. والثاني: علم الرؤيا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف وحراسته، نثيب من أحسن عمله، واجتنب المعاصي، فننجيه من الهلكة، ونستنقذه من الضلالة فتجعلنا من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف. وفي المراد بالمحسنين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الصابرون على النوائب. والثاني: المهتدون، روي عن ابن عباس. والثالث: المؤمنون. قال محمّد بن جرير: هذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فالمراد به محمد ﷺ، والمعنى: كما فعلت بيوسف بعد ما لقي من البلاء فمكّنته في الأرض وآتيته العلم، كذلك أفلح بك وأنجيك من مشركي قومك.

﴿وَرَوَدَتْهُ الْآيَةُ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَقِيِّهِ وَعَلَّقَتْ الْأُثْرُبَ وَقَاتَ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَكَادَ اللَّهُ إِنَّهُ رَوَى أَحْسَنَ مَثَوَاتٍ إِنَّهُ لَا يُلْقِيهِ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٢)

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْآيَةُ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَقِيِّهِ﴾ أي: طلبت منه الواقعة، وقد سبق اسمها. قال

(١) قال ابن جرير الطبري ١٧٧/١٢: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى يوسف - لما بلغ أشده - حكماً وعلماً. والأشد: هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، ولا دلالة في كتاب الله ولا أثر عن رسول الله ﷺ، ولا في إجماع الأمة على أي ذلك كان، وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال ﷺ حتى تثبت حجة بوضحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حيثلو.



الزجاج: المعنى: راودته عما أراوته مما يريد النساء من الرجال. «وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ» قرأ ابن كثير: «هَيْتَ لَكَ» بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «هَيْتَ لَكَ» بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء، وهي مروية عن علي بن أبي طالب. وروى الخُلواني عن هشام عن ابن عامر مثله، إلا أنه همزه. قال أبو علي الفارسي: هو خطأ. وروي عن ابن عامر: «هَيْتَ لَكَ» بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وقتادة. قال الزجاج: هو من الهيئة، كأنها قالت: تهيأت لك. وعن ابن محيصن، وطلحة بن مصرف مثل قراءة ابن عباس؛ إلا أنها بغير همز. وعن ابن محيصن بفتح الهاء وكسر التاء، وهي قراءة أبي رزين، وحמיד. وعن الوليد بن عتبة بكسر الهاء والتاء مع الهمز، وهي قراءة أبي العالية. وقرأ ابن خثيم مثله، إلا أنه لم يهمز. وعن الوليد بن مسلم عن نافع بكسر الهاء وفتح التاء مع الهمز. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن يعمر، والجحدري: «هَيْتَ لَكَ» برفع الهاء والتاء وبياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة. وقرأ أبي بن كعب: «ها أنا لك». وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء بغير همز. قال الزجاج: وهو أجود اللغات، وأكثرها في كلام العرب، ومعناها: هلم لك، أي: أقبل على ما أدعوك إليه، وقال الشاعر:

أَبْلُغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْوَرَّاقِ إِذَا أَتَيْنَا<sup>(١)</sup>  
أَنَّ الْوَرَّاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقُ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

أي: فأقبل وتعال. وقال ابن قتيبة؛ يقال: هَيْتَ فلان لفلان: إذا دعاه وصاح به، قال الشاعر:

قَدْ رَابِنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَتَا      لَوْ كَانَ مُغْنِيًا بِهَا لَهَيَّا<sup>(٢)</sup>

أي: صار ذا سكوت. واختلف العلماء في قوله: «هَيْتَ لَكَ» بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: أنها عربية، قاله مجاهد. وقال ابن الأنباري: وقد قيل: إنها من كلام قريش، إلا أنها مما درس وقلَّ في أفواههم آخرًا، فأتى الله به، لأن أصله من كلامهم، وهذه الكلمة لا مصدر لها، ولا تصرف، ولا تنثية، ولا جمع، ولا تانيث، يقال: لاثنين: هيت لكما، وللجميع؛ هيت لكم، وللنسوة: هيت لَكُنَّ. والثاني: أنها بالسريانية، قاله الحسن. والثالث: بالحوارية، قاله عكرمة، والكسائي. وقال الفراء: يقال: إنها لغة لأهل حوران، سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها. والرابع: أنها بالقبطية، قاله السدي.

قوله تعالى: «قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ» قال الزجاج: هو مصدر، والمعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا، يقال: عدت عيادًا ومعاذًا ومعاذة. «إِنَّهُ رَبِّي» أي: إن العزيز صاحبي «أَحْسَنَ مَوَاقِي»، قال: ويجوز أن يكون «إِنَّهُ رَبِّي» يعني الله ﷻ «أَحْسَنَ مَوَاقِي» أي: تولاني في طول مُقامي.

قوله تعالى: «إِنَّهُ لَا يَخْلُقُ الظَّالِمُونَ» أي: إن فعلت هذا فختت في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم. وقيل: الظالمون هاهنا: الزناة.

«وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهُمْ يَهَا تَوَلَّوْا أَنْ دَمًا بَرَهْنًا رَيُّوهُ كَذَلِكَ يُصَرِّفُ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ»

قوله تعالى: «وَلَقَدْ هَمَّتْ يَدُوهُمْ» الهم بالشيء في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقفته ما لم يواقع. فأما هم أزليخا، فقال المفسرون: دعت إلى نفسها واستلقت له. واختلفوا في همَّ بها على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان من جنس همَّها، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير، وابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: لا يجوز في اللغة: هممت بفلان، وهمَّ بي، وأنت تريد: اختلاف الهمَّين. واحتج مَنْ نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر، ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه. قالوا: ورجوعه عما همَّ به من ذلك خوفًا من الله تعالى يمحو عنه سيئ الهمِّ، ويوجب له علوَّ المنازل، ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ: أن

(١) البيتان في مجاز القرآن ١/٣٠٥، والطبري ١٢/١٧٩، والقرطبي ٩/١٦٤، والصالح، واللسان، والتاج: هيت. وقوله: عتق، أي: ماثلون إليك ومتطرونك.

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٢١٥، واللسان: هيت، والقرطبي ٩/١٦٥، والشرط الثاني في «الصالح»: هيت. والكرّي: المستأجر.

ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة، فقالوا: ليذكر كل واحد منكم أفضل علمه. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلا بمائة دينار، فلما أتيها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة، أرعدت وقالت: إن هذا لعمل ما عملته قط، فممت عنها وأعطيتها المائة دينار، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فزال ثلث الحجر. والحديث معروف<sup>(١)</sup>، وقد ذكرته في «الحدائق»، فعلى هذا نقول: إنما همت، فترقت همتها إلى العزيمة، فصارت مصرّة على الزنى. فأما هو، فعارضه ما يعارض البشر من خَطَرَاتِ القلب، وحديث النفس، من غير عزم، فلم يلزمه هذا الهم ذنباً، فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد، فإذا لم يشرب لم يواخذ بما هجس في نفسه، وقد قال ﷺ: «عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل»<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ: «هلك المصرون»، وليس الإصرار إلا عزم القلب، فقد فرّق بين حديث النفس وعزم القلب. وسئل سفيان الثوري: أيواخذ العبد بالهمة؟ فقال: إذا كانت عزمًا. ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها عليه سيئة»<sup>(٣)</sup>. واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة، وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله: «قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ لَئِنْ رَجَعْتُ وَقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ نَصْرِفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وكل ذلك إخبار ببراءة ساحته من العزيمة على المعصية. فإن قيل: فقد سوى القرآن بين الهمتين، فلم فرقتم؟ فالجواب: أن الاستواء وقع في بداية الهمة، ثم تركزت همتها إلى العزيمة، بدليل مراديتها واستلقاتها بين يديه، ولم تعدد همتها مقامها، بل نزلت عن رتبتها، وانحل معقودها، بدليل هربه منها، ويقول: «معاذ الله»، وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم. ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل، فإنه لو كان هذا، دل على العزم، والأنبياء معصومون من العزم على الزنى. والقول الثاني: أنها همت به أن يفترشها، وهمّ بها، أي: تمناها أن تكون له زوجة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والقول الثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها، فلما رأى البرهان، لم يقع منه الهم، فقدم جواب «لولا» عليها، كما يقال: قد كنت من الهالكين، لولا أن فلاناً خلّصك، لكنت من الهالكين، ومنه قول الشاعر:

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ لئن كنت مقتولاً وتسلم عامرُ

أراد: لئن كنت مقتولاً وتسلم عامر، فلا يدعني قومي، فقدم الجواب. وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم، منهم ابن الأنباري، وقالوا: تقديم جواب «لولا» عليها شاذ مستكره، لا يوجد في فصيح كلام العرب، فأما البيت المستشهد به فمن اضطراب الشعراء، لأن الشاعر يضيق الكلام به عند اهتمامه بتصحيح أجزاء شعره، فيضع الكلمة في غير موضعها، ويقدم ما حكمه التأخير، ويؤخر ما حكمه التقديم، ويعدل عن الاختيار إلى المستقيح للضرورة، قال الشاعر:

جَزَى رُبُّهُ عَنِّي عَدِيٌّ بَنَ حَاتِمٍ بِتَرْكِي وَخِذْلَانِي جَزَاءَ مَوْثَرٍ

تقديره: جزى عني عدي بن حاتم ربه، فاضطر إلى تقديم الرب. وقال الآخر:

لَمَّا جَفَا إِخْوَانَهُ مُضْعَبًا أَدَّى بِذَاكَ الْبَيْعِ صَاعًا بِصَاعٍ

أراد: لما جفا مصعباً إخوانه، وأنشد الفراء:

طَلَبًا لَعُرْفِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى بَعْدَمَا تَنَقَّطَتْ بِي دُونِكَ الْأَسْبَابُ

فزاد تاء على «تنقطعت» لا أصل لها ليصلح وزن شعره، وأنشد ثعلب:

(١) هو في «صحيح البخاري» ٣٤٠/٤ و ٣٦٩ و ١٢/٥ و ٣٦٧/٦، ومسلم ٢٠٩٩/٤، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) رواه البخاري ١١٦/٥ و ٤٧٨/١١ ولغة: «إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم»، ورواه مسلم ١١٧/١ ولغة: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به». ورواه أيضاً أصحاب السنن الأربعة، كلهم عن أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه مسلم ١١٧/١.

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكَّلَكَ شَيْئٌ

قَالَ زَمِي الْخَفَضَ وَانْعَمِي تَبَيَضُّضِي<sup>(١)</sup>

فزاد ضاداً لا أصل لها لتكمل أجزاء البيت، وقال الفرزدق:

هُمَا تَفْلَا فِي فِيٍّ مِنْ فَمَوْنِهِمَا

عَلَى النَّايِحِ الْعَاوِي أَشَدُّ لَجَامِيَا

فزاد واواً بعد الميم ليصلح شعره. ومثل هذه الأشياء لا يحمل عليها كتاب الله النازل بالفصاحة، لأنها من ضرورات الشعراء. والقول الرابع: أنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول: راودني فمئنته فضربني، ذكره ابن الأنباري. والقول الخامس: أنه هم بالفرار منها، حكاة الثعلبي، وهو قول مردول، أفترأه أراد الفرار منها، فلما رأى البرهان، أقام عندها؟ قال بعض العلماء: كان هم يوسف خطيئة من الصغائر الجائزة على الأنبياء، وإنما ابتلاهم بذلك ليكونوا على خوف منه، وليعرفهم مواقع نعمته في الصفح عنهم، وليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة. قال الحسن: إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعبيراً لهم، ولكن لثلاث تقنطوا من رحمته. يعني الحسن: أن الحجة للأنبياء ألزم، فإذا قبل التوبة منهم، كان إلى قبولها منكم أسرع. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة أو عملها، إلا يخشى بن زكريا، فإنه لم يهم ولم يعملها»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ رَمًا بُرْهَنَ رَبِّي﴾ جواب «لولا» محذوف. قال الزجاج: المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به. قال ابن الأنباري: لزنا، فلما رأى البرهان كان سبب انصراف الزنى عنه. وفي البرهان ستة أقوال: أحدها: أنه مثل له يعقوب. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: نُودِي: يا يوسف، أتزني فتكون مثل الطائر الذي تنف ريشه فذهب يطير فلم يستطع؟ فلم يعط على النداء شيئاً، فنودي الثانية، فلم يعط على النداء شيئاً، فتمثل له يعقوب فضرب صدره، فقام، فخرجت شهوته من أنامله. وروى الضحاك عن ابن عباس قال: رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاصباً على أنامله، فأدبر هارباً، وقال: وحقك يا أبت لا أعود أبداً. وقال أبو صالح عن ابن عباس: رأى مثال يعقوب في الحائط عاصباً على شفتيه. وقال الحسن: مثل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاصباً على إبهامه أو بعض أصابعه. وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن سيرين، والضحاك في آخرين. وقال عكرمة: كل ولد يعقوب، قد ولد له اثنا عشر ولداً، إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً، فنقص بتلك الشهوة ولداً. والثاني: أنه جبريل ﷺ. روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: مثل له يعقوب فلم يزدجر، فنودي: أتزني فتكون مثل الطائر تنف ريشه؟ فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره، فوثب. والثالث: أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال لها يوسف: أي شيء تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السوأة، فقال: أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت؟ فهو البرهان الذي رأى، قاله علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، والضحاك. والرابع: أن الله بعث إليه ملكاً، فكتب في وجه المرأة بالدم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> قاله الضحاك عن ابن عباس. وروي عن محمد بن كعب القرظي: أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيها، وفي رواية أخرى عنه، أنه رآها مكتوبة في الحائط. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم، وفيها مكتوب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانْتُمْ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾<sup>(٤)</sup> [الإسراء: ٣٢] فقام هارباً، وقامت، فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد، فلما قعد إذا بكف قد بدت فيما بينهما مكتوب: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فَيُدْخِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فقام هارباً، فلما عاد، قال الله تعالى لجبريل: أدرك عبيدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل عاصباً على كفه أو أصبعه

(١) البيت في «مشكل القرآن» ٢٣٥، و«الطبري» ٢١٤/١، و«أمالى ابن السجري» ١٩٧/١، و«اللسان»: بيض، خفض.

(٢) الحديث في «الطبري» ٣٧٧/٦، ٣٧٨ موقوفاً ومرفوعاً بالفاظ مختلفة، وأورده ابن كثير ٣٦١/١ من رواية ابن أبي حاتم مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وموقوفاً، ووصف المرفوع بأنه غريب جداً، وقال بعد أن ذكر الموقوف: فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع. وذكره السيوطي في «الدر» ٢/ ٢٢ مرفوعاً وموقوفاً أيضاً، وقال: وهو أقوى إسناداً من المرفوع.

وهو يقول: يا يوسف، أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء؟<sup>١٢</sup> وقال وهب بن منبه: ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية: ﴿أَفْتَرُّهُ قَاهُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٢٣] فانصرفا، فلما عادا رجعت وعليها مكتوب: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحِطَاطِينَ﴾ ﴿كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [الأنعام: ١٠، ١١]، فانصرفا، فلما عادا عادت وعليها مكتوب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ الآية، فعاد، فعادت الرابعة وعليها مكتوب: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، فولى يوسف هارباً. والخامس: أنه سيده العزيز دنا من الباب، رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم. وقال ابن إسحاق: يقال: إن البرهان خيال سيده، رآه عند الباب فهرب. والسادس: أن البرهان أنه عليم ما أحل الله مما حرم الله، فرأى تحريم الزنى، روي عن محمد بن كعب القرظي. قال ابن قتيبة: رأى حجة الله عليه، وهي البرهان، وهذا هو القول الصحيح، وما تقدمه فليس بشيء، وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص، وقد أشرت إلى فسادها في كتاب «المعنى في التفسير». وكيف يُظن بنبي الله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر؟! هذا غاية القبح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كذلك أرنا البرهان ﴿لِيَصْرِفَ عَنْهُ الشَّوْءَ﴾ وهو خيانة صاحبه ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ ركوب الفاحشة. ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا اللَّغَلِيينَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، والمعنى: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي بفتح اللام، أرادوا: من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش. وبعض المفسرين يقول: السوء: الزنى، والفحشاء: المعاصي.

﴿وَأَسْتَبَيْنَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصُمُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن زودني عن نقيس وشهد شاهد من أهلها إن كانت قَيْصُمُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿وَلَنْ كَانَ قَيْصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَيْنَا الْبَابَ﴾ يعني يوسف والمرأة، تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج، وأرادت هي أن تسبق إمساك الباب لئلا يخرج، فأدركته فتعلقت بقميصه من خلف، فجذبت إليها، فقدت قميصه من دبر، أي: قطعت من خلفه، لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له. قال المفسرون: قطعت قميصه نصفين، فلما خرجا، ألقيا سيدهما، أي: صادقا زوجها عند الباب، فحضرها في ذلك الوقت كيد، فقالت سابقة بالقول مبرقة لنفسها من الأمر: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ قال ابن عباس: تريد الزنى ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ أي: ما جزاؤه إلا السجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تعني الضرب بالسياط، فغضب يوسف حيثئذ وقال: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي﴾. وقال وهب بن منبه: قال له العزيز حيثئذ: أختنتي يا يوسف في أهلي، وغدرت بي، وغررتني بما كنت أرى من صلاحك؟ فقال حيثئذ: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وذلك أنه لما تعارض قولاهما، احتاجا إلى شاهد يُعَلِّمُ به قول الصادق. وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان صبياً في المهد، رواه عكرمة عن ابن عباس، وشهر بن حوشب عن أبي هريرة، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك، وهلال بن يساف في آخرين. والثاني: أنه كان من خاصة الملك، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. وقال أبو صالح عن ابن عباس: كان ابن عم لها، وكان رجلاً حكيماً، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، فإن كان شئ القميص من قدامه فأنبت صادقة وهو كاذب، وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة. وقال بعضهم: كان ابن خالة المرأة. والثالث: أنه شئ القميص، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وفيه ضعف، لقوله: «من أهلها». فإن قيل: كيف وقعت شهادة الشاهد هاهنا معلقة بشرط، والشارط غير عالم بما يشرطه؟ فتنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن الشاهد شاهد بأمر قد علمه، فكانه سمع بعض كلام

(١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٢/١٩١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هُم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هُم به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى، ولا حجة للعلل قاطعة بأي ذلك من أي، والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.



يوسف وأزليخا، فعلم، غير أنه أوقع في شهادته شرطاً ليلزم المخاطبين قبول شهادته من جهة العقل والتمييز، فكانه قال: هو الصادق عندي، فإن تدبرتم ما أشرطه لكم، عقلتُم قولي. ومثل هذا قول الحكماء: إن كان القَدَرُ حقاً، فالحرص باطل، وإن كان الموت يقيناً، فالطمأنينة إلى الدنيا حمق. والجواب الثاني: أن الشاهد لم يقطع بالقول، ولم يعلم حقيقة ما جرى، وإنما قال ما قال على جهة إظهار ما يسنح له من الرأي، فكان معنى قوله: «وشهد شاهد»: أعلم ويؤمن. فقال: الذي عندي من الرأي أن نقيس القميص ليوقف على الخائن. فهذان الجوابان يدلان على أن المتكلم رجل. فإن قلنا: إنه صبي في المهد، كان دخول الشرط مصححاً لبراءة يوسف، لأن كلام مثله أعجوبة ومعجزة لا يبقى معها شك.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَيْصُصُهُ قَدْ بَيْنَ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَيْصُصُهُ﴾ في هذا الرائي والقائل: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ قولان: أحدهما: أنه الزوج. والثاني: الشاهد. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى تمزيق القميص، قاله مقاتل. والثاني: إلى قولها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾، فالمعنى: قولك هذا من كيدكن، قاله الزجاج. والثالث: إلى السوء الذي دعت إليه، ذكره الماوردي. قال ابن عباس: «إن كيدكن» أي: عملكن «عظيم» تخلطن البريء والسقيم.

﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكُ إِذْ لَكَ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ المعنى: يا يوسف أعرض. وفي القائل لهذا قولان: أحدهما: ابن عمها. والثاني: الزوج. وفي القائل له هذا قولان: أحدهما: أنه ابن عمها وهو الشاهد، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزوج، ذكره جماعة من المفسرين. قال ابن عباس: أعرض عن هذا الأمر فلا تذكره لأحد، واكمته عليها. وروى الحلبي عن عبد الوارث: «يوسف أعرض عن هذا» بفتح الراء على الخبر. قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكُ﴾ فيه قولان: أحدهما: استغفني زوجك لثلاث يعاقبك، قاله ابن عباس. والثاني: توبي من ذنبك فإنك قد أثمت. وفي القائل لهذا قولان: أحدهما: ابن عمها. والثاني: الزوج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ يعني: من المذنبين. قال المفسرون: ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدث بذلك النساء، وهو قوله: ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾، وفي عدد من قولان: أحدهما: أنهن كن أربعاً: امرأة ساقى الملك، وامرأة صاحب دواته، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب سجنه، قاله ابن عباس. والثاني: أنهن خمس: امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة السجان، وامرأة صاحب الدواة، وامرأة الأذن، قاله مقاتل. فأما العزيز، فهو بلغتهم الملك، والفتى بمعنى العبد. قال الزجاج: كانوا يسمون المملوك فتى. وإنما تكلم النسوة في حقها، طعناً فيها، وتحقيقاً لبراءة يوسف.

قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: بلغ حبه شغاف قلبها. وفي الشغاف أربعة أقوال: أحدها: أنه جلدة بين القلب والفؤاد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنه غلاف القلب، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: ولم يُرد الغلاف، إنما أراد القلب، يقال: شغفت فلاناً: إذا أصبت شغافه، كما يقال: كبده: إذا أصبت بطنه. والثالث: أنه حبة القلب وسويده. والرابع: أنه داء يكون في الجوف في الشراسيف، وأنشدوا:

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولُ الشَّغَافِ تَبْنِيهِ الْأَصَابِ<sup>(١)</sup>

ذكر القولين الزجاج. وقال الأصمعي: الشغاف عند العرب: داء يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن، والشراسيف: مقام رؤوس الأضلاع، واحدها: شرسوف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعلي بن الحسين، والحسن

(١) البيت للتأنيب اللباني، «ديوانه» ٧٩، و«مجاز القرآن» ٣٠٨/١، و«الطبري» ١١٠/١٢، و«الأملاني» للقاتي ٢٠٥/١، و«السمط» ٤٨٩، و«الصالح»، و«اللسان»، و«التاج»: شغف، و«القرطبي» ١٧٦/٩، و«الخرائفة» ٤٢٩/١.

البصري، ومجاهد، وابن محيصن، وابن أبي عبيدة: «قد شعفها» بالعين. قال الفراء: كأنه ذهب بها كل مذهب، والشَّعَف: رؤوس الجبال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكَلٍ ثَبِينٍ﴾ أي: عن طريق الرشد، لحبها إياه. والمبين الظاهر.  
﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعَصَّمَ وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا مَأْمُورٌ لِّيَصْجَنَ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ يعني: امرأة العزيز، ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه قولهن وعيبن لها، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، وابن قتبية. قال الزجاج: وإنما سمي هذا القول مكرراً، لأنها كانت أطلعتن على أمرها، واستكتمتن، فمكرن وأفشين سرها. والثاني: أنه مكر حقيقة، وإنما قلن ذلك مكرراً بها لترهين يوسف، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ﴾ قال الزجاج: أفعلت من العتاد، وكل ما اتخذته عُذَّةً لشيء فهو عتاد، والعتاد: الشيء الثابت اللازم. وقال ابن قتبية: أعتدت بمعنى أعدت. فأما المتكأ، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المجلس؛ فالمعنى: هيات لهن مجلساً، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه الوسائد اللاتي يتكئن عليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الزجاج: المتكأ: ما يُتَّكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث. والثالث: أنه الطعام، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة. قال ابن قتبية: يقال: اتكأنا عند فلان: إذا طعمنا، قال جميل بن معمر:

فَطَلَلْنَا فِي نَعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا وَشَرَبْنَا الْحَلَالَ مِنْ قُلَّةٍ<sup>(١)</sup>

والأصل في هذا أن من دَعَوْتَهُ ليطعم، أعدت له التَّكْأَةَ للمقام والطمانينة، فسمي الطعام مُتَّكأً على الاستعارة. قال الأزهري: إنما قيل للطعام: متكأ، لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا، ونُهِيت هذه الأمة عن ذلك<sup>(٢)</sup>. وقرأ مجاهد «مُتَّكأ» بإسكان التاء خفيفة، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الأُتْرُج، قاله ابن عباس، ومجاهد، ويحيى بن يعمر في آخرين، ومنه قول الشاعر:

لَتَشْرَبُ الْإِثْمَ بِالْمُؤَاوِجِ جَهَارًا وَتَرَى الْمُتَّكَأَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا<sup>(٣)</sup>

يريد: الأُتْرُج. والثاني: أنه الطعام أيضاً، قاله عكرمة. والثالث: أنه كل شيء يُحَرَّجُ بالسكاكين، قاله الضحاك. والرابع: أنه الزُّمَّارُودُ<sup>(٤)</sup>، روي عن الضحاك أيضاً. وقد روي عن جماعة أنهم فسروا المتكأ بما فسروا به المتك، فروي عن ابن جريج أنه قال: المتكأ: الأُتْرُج، وكل ما يُحَرَّجُ بالسكاكين. وعن الضحاك قال: المتكأ: كل ما يُحَرَّجُ بالسكاكين. وقرأ آخرون بين القراءتين، فقال مجاهد: من قرأ «مُتَّكأً» بالثقل، فهو الطعام، ومن قرأ بالتخفيف، فهو الأُتْرُج. قال ابن قتبية: من قرأ «مُتَّكأً» فإنه يريد الأُتْرُج، ويقال: الزُّمَّارُود. وأياً ما كان، فإني لا أحسبه سمي مُتَّكأً إلا بالقطع، كأنه مأخوذ من البَثْكَ، فأبدلت الميم منه باء، كما يقال: سَمَدُ رأسه وَسَبْدُهُ، إذا استأصله، وشر لازم، ولازب، والميم تبدل من الباء كثيراً، لقرب مخرجيهما.

قوله تعالى: ﴿وَآتَتْ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾، إنما فعلت ذلك، لأن الطعام الذي قدمت لهن يحتاج إلى السكاكين. وقيل: كان مقصودها افتضاحهن بتقطيع أيديهن كما فضحنها. قال وهب بن منبه: ناولت كل واحدة منهن أُتْرُجَةً وسكيناً، وقالت لهن: لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن، ثم قالت ليوسف: ﴿اخرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾. قال الزجاج: إن شئت ضمنت التاء من قوله: «وقالت»، وإن شئت كسرت، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء، فلثقل

(١) «ديوانه» ١٨٨، و«مشكل القرآن» ١٣٨، و«أساس البلاغة»: قلل، و«الأغاني» ٩٧/٧، و«القرطبي» ١٧٨/٩، و«شرح شواهد المغني» ١٢٦.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أكل وأنا متكأ».

(٣) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٧٨/١٢، و«اللسان»: أثم، و«التاج»: متك.

(٤) الزمَّارُود: الرقاق الملفوف باللحم، وغيره، أو هو شيء يشبه الأُتْرُج. وفي «الطبري»: الزمَّارُود، بدل: الزمَّارُود.

الضمّة بعد الكسرة. ولم يمكنه أن لا يخرج، لأنه بمنزلة العبد لها. وذكر بعض أهل العلم أنها إنما قالت: «أخرج» وأضمرت في نفسها «عليهن»، فأخبر الحق عما في النفس كأن اللسان قد نطق به، ومثله ﴿إِنَّمَا تَلَوْتُمْ لَوْحَكُمْ لَوْلَا أَلَايَةُ﴾ [الإنسان: ٢٩]، لم يقولوا ذلك، إنما أضمره، ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن: أخرج على نسوة من طبعهن الفتنة، ما فعل. وفي قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ قولان: أحدهما: أعظمته، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: حِضْنٌ، رواه الضحاك عن ابن عباس. وروى علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: حِضْنٌ مِنَ الْفَرْحِ، قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

نَأْتِي النِّسَاءَ لَدَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا<sup>(١)</sup>

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد، واختاره ابن الأنباري، وردّه بعض اللغويين، فروي عن أبي عبيدة أنه قال: ليس في كلام العرب «أكبرن» بمعنى «حِضْنٌ»، ولكن عسى أن يكن من شدة ما أعظمته حِضْنٌ، وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حَزَزْنَ أَيْدِيَهُنَّ، وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاماً، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: قطعن أَيْدِيَهُنَّ حتى ألقينها، قاله مجاهد، وفتادة. والثالث: كَلَمْنَ الْأَكْثُ وَأَبْنُ الْأَنَامِلِ، قاله وهب بن منبه.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو «حاشا» بآلف في الوصل في الموضعين، واتفقوا على حذف الألف في الوقف، وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل، والباقون حذفوا. وهذه الكلمة تستعمل في موضعين: أحدهما: الاستثناء. والثاني: التبرئة من الشر. والأصل «حاشا» وهي مشتقة من قولك: كنت في حشا فلان، أي في ناحيته. والحشا: الناحية، وأنشدوا:

بِأَيِّ الْحَشَا أَمْسَى الْخَلِيْطُ الْمُبَايِسُ

أي: بأي النواحي، والمعنى: صار يوسف في حشاً من أن يكون بشراً، لفرط جماله. وقيل: صار في حشاً مما قرفته به امرأة العزيز. وقال ابن عباس، ومجاهد: «حاش لله» بمعنى: معاذ الله. قال الفراء: و«بشراً» منصوب، لأن الباء قد استعملت فيه، فلا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالباء، فلما حذفوها أجبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه، فنصبوا على ذلك، وكذلك قوله: ﴿نَا هُكَ أَتَهْتَهُمُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء، فإذا أسقطوها، رفعوا، وهو أقوى الوجهين في العربية. قال الزجاج: قوله: الرفع أقوى الوجهين، غلط، لأن كتاب الله أقوى اللغات، ولم يقرأ بالرفع أحد. وزعم الخليل، وسيبويه، وجميع النحويين القدماء أن «بشراً» منصوب، لأنه خبر «ما»، و«ما» بمنزلة «ليس». قلت: وقد قرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، وعكرمة، ومعاذ القارئ في آخرين: «ما هذا بشر» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو السَّوَّار، «ما هذا بشري» بكسر الباء والشين مقصوراً منوناً. قال الفراء: أي: ما هذا بمشترى. وقرأ ابن مسعود: «بشراء» بالمد والهمز مخفوضاً منوناً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ قرأ أبي، وأبو رزين، وعكرمة، وأبو حيو، والجحدري: «ملك» بكسر اللام. قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ قال المفسرون: لما ذهلت عقولهن فقطعن أَيْدِيَهُنَّ، قالت لهن ذلك. فإن قيل: كيف أشارت إليه وهو حاضر بقولها: «فذلكن»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنها أشارت بـ «ذلكن» إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس. والثاني: أن في الكلام إضمار «هذا» تقديره: فهذا ذلكن. ومعنى «لمتني فيه» أي: في حبه. ثم أقرت عندهن، فقالت: ﴿وَلَقَدْ زَوَّجْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ. فَاسْتَعْمَمَ﴾ أي: امتنع.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّانِعِينَ﴾ قال الزجاج: القراءة الجيدة تخفيف «وليكونن» والوقف عليها بالألف، لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف، تقول: اضربن زيدا، وإذا وقفت قلت: اضربا. وقد قرئت «وليكونن» بتشديد

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٢/٢٥٥، و«القرطبي» ١٢/١٨٠، و«اللسان»: كبر.

النون، وأكرمها، لخلاف المصحف، لأن الشديدة لا يبدل منها شيء والصاغرون: المذلون.

﴿قَالَ رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنِ وَأَكُنْ مِنَ الْخٰسِرِينَ﴾ ٣٣ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٣٤

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ قال وهب بن منبه: لما قالت: «فلذلك الذي لمتني فيه» قلن: لا لوم عليك، قالت: فاطلبن إلى يوسف أن يسعفني بحاجتي، فقلن: يا يوسف افعل، فقالت: لئن لم يفعل لأخلدنه السجن، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾. وقرأ يعقوب: «السَّجْن» بفتح السين هاهنا فحسب. قال الزجاج: من كسر سين «السجن» فعلى اسم المكان، فيكون المعنى: نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية، ومن فتح، فعلى المصدر، المعنى: أن أسجن أحب إلي. ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أي: إلّا تعصمني ﴿أَصْبُ إِلَيْنِ﴾ أي: أمل إليهن. يقال: صبا إلى اللهو يصبو صبواً وصُبواً وصبَاءً. إذا مال. وقال ابن الأنباري: ومعنى هذا الكلام: اللهم اصرف عني كيدهن، ولذلك قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾. قال: فإن قيل: إنما كادته امرأة العزيز وحدها، فكيف قال: «كيدهن»؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة في السفن، وهو لم يخرج إلا في سفينة واحدة. والثاني: أن المكثي عنه امرأة العزيز والنسوة اللاتي عاضدنها على أمرها. والثالث: أنه عنى امرأة العزيز وغيرها من نساء العالمين اللاتي لهن مثل كيدها.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لِنَسْجُتَهُنَّ فِي حَبْرٍ﴾ ٣٥

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ في المراد بالآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شق القميص، وقضاء ابن عمها عليها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها قد القميص، وشهادة الشاهد، وقطع الأيدي، وإعظام النساء إياه، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثالث: جماله وعفته، ذكره الماوردي. قال وهب بن منبه: فأشار النسوة عليها بسجنه رجاء أن يستهوينه حين يخلو لهن في السجن، وقلن: متى سجنته قطع ذلك عنك قاله الناس التي قد شاعت، ورأوا أنك تبغضينه، وبذلك السجن لك، فلما انصرفن عادت إلى مراودته فلم يزد إلا بعداً عنها، فلما يشتت، قالت لسيدها: إن هذا العبد قد فضحني، وقد أبغضت رؤيته، فائذن لي في سجنه، فأذن لها، فسجنته وأضرَّت به. وقال السدي: قالت: إما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر بعذري، وإما أن تحبسه كما حبستني، فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف. قال الزجاج: كان العزيز أمر بالإعراض فقط، ثم تغير رأيه عن ذلك. قال ابن الأنباري: وفي معنى الآية قولان: أحدهما: «ثم بدا لهم» أي: ظهر لهم بالقول والرأي والفكر سجنه. والثاني: ثم بدا لهم في يوسف بداء، فقالوا: والله لنسجنه، فاللام جواب يمين مضمرة. فأما الحين، فهو يقع على قصير الزمان وطويله. وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: خمس سنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سنة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: إلى انقطاع القالة، قاله عطاء. الخامس: أنه زمان غير محدود، ذكره الماوردي، وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة، وإنما ذكر المفسرون قدر ما لبث.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ النَّجْنُ فَنَكَيَّاتَ قَالَ أَكْذَبُكُمْ إِنِّي أَرْنِي أَقْصِرُ خَبْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَخْلِي فَوْقَ رَأْسِي خَبْرًا تَأْكُلُ الْكَبِيرَ﴾ ٣٦

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ النَّجْنُ فَنَكَيَّاتَ﴾ قال الزجاج: فيه دليل على أنه حبس، وإن لم يُذكر ذلك. و«فتيان» جائر أن يكونا حَدَثَيْنِ أو شَيْخَيْنِ، لأنهم يسمون المملوك فتى. قال ابن الأنباري: إنما قال: «فتيان» لأنهما كانا مملوكين، والعرب تسمي المملوك فتى، شاباً كان أو شيخاً. قال المفسرون: عُمرُ ملك مصر فملَّوه، فدسوا إلى خبازه وصاحب شرايه أن يسأله، فبلغه ذلك فحبسهما، فكان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبر الأحلام، فقال أحد الفتيين: هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني. واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت كذباً، وإنما سألاه تجريباً، قاله ابن مسعود، والسدي. والثاني: أنها كانت صدقاً، قاله مجاهد، وابن إسحاق. والثالث: أن الذي صُلب منها كان كاذباً، وكان الآخر صادقاً، قاله أبو مجلز.



قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ يعني الساقى ﴿إِنِّي أَرَيْتُ﴾ أي: في النوم ﴿أَنصُرُ خَيْرًا﴾ أي: عنباً. وفي تسمية العنب خمرًا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سماه باسم ما يؤول إليه، لأن المعنى لا يلتبس، كما يقال: فلان يطبخ الآجر ويعمل الدبس، وإنما يطبخ اللين ويصنع التمر، وهذا قول أكثر المفسرين. قال ابن الأنباري: وإنما كان كذلك، لأن العرب توقع بالفرع ما هو واقع بالأصل، كقولهم: فلان يطبخ آجرًا. والثاني: أن الخمر في لغة أهل عُمان اسم للعنب، قاله الضحاك، والزجاج. قال ابن القاسم: وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها. والثالث: أن المعنى: أعصر عنب خمر، وأصل خمر، وسبب خمر، فحذف المضاف، وخلفه المضاف إليه، كقوله: ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٢٨٢]. قال أبو صالح عن ابن عباس: رأى يوسف ذات يوم الخباز والساقى مهمومين، فقال: ما شأنكما؟ قال: رأينا رؤيا، قال: قُصَّاهَا عَلَيَّ، قال الساقى: إني رأيت كأنني دخلت كرمًا فجنيت ثلاثة عناقيد عنب، فعصرتهن في الكأس، ثم أتيت به الملك فشربه، وقال الخباز: رأيت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز، فوقع طير على أعلاهن فأكل منها، ﴿نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أي: أخبرنا بتفسيره. وفي قوله: ﴿إِنَّا نُرَاكَ مِنَ الْغُثَيَيْنِ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنه كان يعود المرضى ويداويهم ويعزي الحزين، رواه مجاهد عن ابن عباس. والثاني: إنا نراك محسنًا إن أنبأتنا بتأويله، قاله ابن إسحاق. والثالث: إنا نراك من العالمين قد أحسنت العلم، قاله الفراء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا يكون مفعول الإحسان محذوفًا، كما حُذف في قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] يعني العنب والسمسم. وإنما علموا أنه عالم، لنشره العلم بينهم. والرابع: إنا نراك ممن يحسن التأويل، ذكره الزجاج. والخامس: إنا نراك محسنًا إلى نفسك بلزومك طاعة الله، ذكره ابن الأنباري.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ﴾ وَمَا عَلَّمِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَنْبَأْتُ مِلَّةَ مَا بَاءَتْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَفَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ بِصَحِيحِ الْجَنَّةِ مَا زَيَّابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَرَأَيْتَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يأتیکما طعام تُرْزَقَانِيهِ في البقطة إلا أخبرتكما به قبل أن يصل إليكما، لأنه كان يخبر بما غاب كعيسى عليه السلام، وهو قول الحسن. والثاني: لا يأتیکما طعام تُرْزَقَانِيهِ في المنام إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتیکما في البقطة، هذا قول السدي. قال ابن عباس: فقالا له: وكيف تعلم ذلك، ولست بساحر، ولا عراف، ولا صاحب نجوم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾. فإن قيل: هذا كله ليس بجواب سؤالهما، فأين جواب سؤالهما؟ فتنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه لما علم أن أحدهما مقتول، دعاهما إلى نصيهما من الآخرة، قاله قتادة. والثاني: أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما، قاله ابن جريج. والثالث: أنه ابتدأ بدعائهما إلى الإيمان بتوفيق الله. ﴿وَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾، قاله الزجاج. والرابع: أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما، فعدل عن جوابهما ليعرض عن مطالبة بالجواب، فلما ألحأ أجابهما، ذكره ابن الأنباري. فأما الملة فهي الدين. وتكرير قوله: ﴿هُم﴾ للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَتْ لَنَا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: أن الله عصمنا من الشرك. ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أي: أتباعنا الإيمان بتوفيق الله. ﴿وَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه. وقال ابن عباس: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ أن جعلنا أنبياء ﴿وَقُلْنَا لَكُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ من أهل مصر ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعم الله فيؤخذونه.

قوله تعالى: ﴿مَا زَيَّابٌ مُتَّفِقُونَ﴾ يعني: الأصنام من صغير وكبير ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أعظم صفة في المذبح ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام؟ فأما الواحد، فقال الخطابي: هو الفرد الذي لم يزل وحده، وقيل: هو المنقطع القرين، المعدوم الشريك والنظير، وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة، فإن كل شيء سواء يُدعى واحداً من جهة، غير واحد من جهات، والواحد لا يثنى من لفظه، لا يقال: واحداً. والقهار: الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالمعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت. وقال غيره: القهار: الذي قهر كل شيء فذلَّه، فاستسلم وذلَّ له.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَبَّحْتُمُهَا أُثَرٌ وَإِبَاقُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْكُفْرُ إِلَّا أَمْرٌ آلَا تُعْبَدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْنَعِي السِّجْنَ أَنَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَنَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الظُّلُمُ مِنْ رَأْسِهِ. فَمَنْ الْأَمْرُ الْأَوَّلَى فِيهِ تَشْتَقِيَانِ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إنما جمع في الخطاب لهما، لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما. وقوله: ﴿مَنْ دُونَهُ﴾ أي: من دون الله ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ﴾ يعني: الأرباب والآلهة، ولا يصح معاني تلك الأسماء للأصنام، فكانها أسماء فارغة، فكانهم يعبدون الأسماء لأنها لا تصح معانيها. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة لعبادتها. ﴿إِنْ الْكُفْرُ إِلَّا أَمْرٌ﴾ أي: ما القضاء والأمر والنهي إلا له. ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ أي: المستقيم، يشير إلى التوحيد. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أنه لا يجوز عبادة غيره. والثاني: لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا﴾ الرب هاهنا: السيد. قال ابن السائب: لما قص الساقى رؤياه على يوسف، قال له: ما أحسن ما رأيت! أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام، يبعث إليك الملك عند انقضاءها، فيردك إلى عملك، فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز: بش ما رأيت، السلال الثلاث، ثلاثة أيام، ثم يبعث إليك الملك عند انقضاءهن، فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿فَمَنْ الْأَمْرُ الْأَوَّلَى فِيهِ تَشْتَقِيَانِ﴾ أي: فرغ منه، وسيقع بكما، صدقتما أو كذبتما. فإن قيل: لم حتم على وقوع التأويل، وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه حتم ذلك لوجي آتاه من الله، وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله، فلما قال: ﴿قَضَى الْأَمْرُ﴾ دل على أنه بوجي. والثاني: أنه لم يحتم، بدليل قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾، قال أصحاب هذا الجواب: معنى «قضى الأمر»: قطع الجواب الذي التمسناه من جهتي، ولم يعن أن الأمر واقع بكما. وقال أصحاب الجواب الأول: الظن هاهنا بمعنى العلم.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكُرَنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنِي الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ يعني الساقى. وفي هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى العلم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الظن الذي يخالف اليقين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَذْكُرَنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: عند صاحبك، وهو الملك، وقل له: إن في السجن غلاماً حُبِسَ ظملاً. واسم الملك: الوليد بن الرِيَّان.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَنِي الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف لربه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن إسحاق. والثاني: فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه، وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده، قال مجاهد، ومقاتل، والزجاج، وهذا نسيان عمد، لا نسيان سهو، وعكسه القول الذي قبله.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ أي: غير ما كان قد لبث قبل ذلك، عقوبة له على تعلُّقه بمخلوق. وفي البضع تسعة أقوال: أحدها: ما بين السبع والتسع، روى ابن عباس أن أبا بكر لما ناحب<sup>(١)</sup> قريشاً عند نزول: ﴿الْمَرْءُ عَلَيْهِ الْأَرْثَمُ ﴿١﴾﴾ [الروم: ١، ٢]، قال له رسول الله ﷺ: «ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع إلى التسع»<sup>(٢)</sup>. والثاني: اثنتا عشرة سنة، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: سبع سنين، قاله عكرمة. والرابع: أنه ما بين الخمس إلى السبع، قاله الحسن. والخامس: أنه ما بين الأربع إلى التسع، قاله مجاهد. والسادس: ما بين الثلاث إلى التسع، قاله الأصمعي، والزجاج. والسابع: أن البضع يكون بين الثلاث والتسع والعشر، قاله قتادة. والثامن: أنه ما دون العشرة، قاله الفراء، وقال الأخفش: البضع: من واحد إلى عشرة. والتاسع: أنه ما لم يبلغ العقد ولا نصفه، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتيبة: يعني ما بين الواحد إلى الأربعة. وروى الأثرم عن أبي عبيدة: البضع: ما بين ثلاث

(١) ناحب: راحن، والمناحية: المراهنة. قال الجمعي: وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك (أي: الرهان).

(٢) «المستند» ١٦٨/٤ وإسناده صحيح، و«الطبري» ١٧/٢١، والترمذي ١٥٠/٢، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وخمس. وفي جملة ما لبث في السجن ثلاثة أقوال: أحدها: اثنتا عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربع عشرة، قاله الضحاك. والثالث: سبع سنين، قاله قتادة. قال مالك بن دينار: لما قال يوسف للساقى: «أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»، قيل له: يا يوسف، أتخذت من دوني وكيلاً؟ لأطيلن حبسك، فبكى، وقال: يا رب، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لإخوتي.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْثَرَ لِلرُّؤْيَا فَعَبْرَتٌ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ يعني ملك مصر الأكبر ﴿إِنِّي أَرَى﴾ يعني في المنام، ولم يقل: رأيت، وهذا جائز في اللغة أن يقول القائل: أرى، بمعنى رأيت. قال وهب بن منبه: لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في حبسه، دخل عليه جبريل إلى السجن، فبشّره بالخروج وملك مصر ولقاء أبيه، فلما أمسى الملك من ليلته، رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر، في آثارهن سبع عجاف، فأقبلت العجاف على السمان، فأخذن بأذنابهن فأكلنهن إلى القرنين، ولم يزد في العجاف شيء، ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن، ولم يزد في اليابسات شيء، فدعا أشرف قومه فقصها عليهم، فقالوا: «أَصْنَعْتَ أَكْثَرُ». قال الزجاج: والعجاف: التي قد بلغت في الهزال الغاية. والملا: الذين يرجع إليهم في الأمور ويقتدى برأيهم، واللام في قوله: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾ دخلت على المفعول للتبيين، المعنى: إن كنتم تعبرون. ثم بين باللام فقال: «الرؤيا». ومعنى عبرت الرؤيا وعبرتها: أخبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها، واشتقاقه من عبر النهر، وهو شاطئ النهر، فتأويل عبرت النهر: بلغت إلى عبره، أي: إلى شطه، وهو آخر عرضه. وذكر ابن الأنباري في اللام قولين: أحدهما: أنها للتوكيد. والثاني: أنها أفادت معنى «إلى» والمعنى: إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا.

﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَكْثَرُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَعْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَصْنَعْتَ أَكْثَرُ﴾ قال أبو عبيدة: واحداً ضغث، مكسورة، وهي ما لا تأويل له من الرؤيا تراه جماعات، تجمع من الرؤيا كما يُجمع الحشيش، فيقال: ضغث، أي: ملء كف منه. وقال الكسائي: الأضغاث: الرؤيا المختلطة. وقال ابن قتيبة: «أضغاث أحلام» أي: أخلط مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل، فيكون فيها ضروب مختلفة. وقال الزجاج: الضغث في اللغة: الحزمة والباقة من الشيء، كالبلقل وما أشبهه، فقالوا له: رؤياك أخلط أضغاث، أي: حزم أخلط، ليست برويا بيّنة، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَعْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ أي: ليس للرؤيا المختلة عندنا تأويل. وقال غيره: وما نحن بتأويل الأحلام الذي هذا وصفها بعالمين. والأحلام جمع حلم، وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح وما يبطل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ يُوْثِقُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَمَّا هُمْ بِمَلَكُوتٍ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَاكًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ يعني الذي تخلص من القتل من الفتيين، وهو الساقى، ﴿وَادَّكَرَ﴾ أي: تذكر شأن يوسف وما وصّاه به. قال الزجاج: وأصل اذكر: اذكر، ولكن التاء أبدلت منها الدال، وأدغمت الدال في الدال. وقرأ الحسن: وادّكر بالذال المشددة. وقوله: ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين، وهو الزمان الذي لبثه يوسف بعده في السجن، وقد سبق بيانه. وقرأ ابن عباس، والحسن «بعد أمة» أراد: بعد نسيان. فإن قيل: هذا يدل على أن الناسي في قوله: ﴿فَأَنسَنِي السِّبْطَ﴾ ذكر ربه، هو الساقى، ولا شك أن من قال: إن الناسي يوسف يقول: لم ينس الساقى. فالجواب: أن من قال: إن يوسف نسي، يقول: معنى قوله: «وادّكر» ذكر، كما تقول العرب: احتلب بمعنى حلب، واغندى بمعنى غدا، فلا يدل إذاً على نسيان سبقه. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: إنما لم يذكر الساقى خبر يوسف للملك حتى احتاج الملك إلى تأويل رؤياه، خوفاً من أن يكون ذكره ليوسف سبباً لذكره الذنب الذي من أجله حبس، ذكر هذا الجواب ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنشَأَكُم بِأَرْضِي﴾ أي: من جهة يوسف ﴿فَارْسُلُون﴾ أثبت الياء فيها وفي ﴿وَلَا تَقْرَؤُن﴾ [يوسف: ٦٠] ﴿أَنْ تَقْرَؤُن﴾ [يوسف: ٩٤] يعقوب في الحالين، فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع، تعظيماً، وقيل: خاطبه وخاطب أتباعه. وفي الكلام اختصار، المعنى: فارسلوه فأتى يوسف فقال: يا يوسف يا أيها الصديق. والصديق: الكثير الصدق، كما يقال فسيق، وسكير، وقد سبق بيانه [النساء: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿لَمَّا أَتَجَّعُ إِلَى النَّاسِ﴾ يعني الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه. وفي قوله: ﴿لَمَّا هُمْ يَمْكُثُونَ﴾ قولان: أحدهما: يعلمون تأويل رؤيا الملك. والثاني: يعلمون بمكانك فيكون سبب خلاصك. وذكر ابن الأنباري في تكرير «لعل» قولين: أحدهما: أن «لعل» الأولى متعلقة بالإفتاء، والثانية مبنية على الرجوع، وكلتاها بمعنى «كي». والثاني: أن الأولى بمعنى «عسى»، والثانية بمعنى «كي» فأعيدت لاختلاف المعنيين، وهذا هو الجواب عن قوله: ﴿لَمَّا هُمْ يَمْقُوتُونَ إِذَا أَتَكَلَّمُوا إِلَيْكَ أَهْلُهُمْ لَمَّا هُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]. قال المفسرون: كان سيده العزيز قد مات، واشتغلت عنه امرأته. وقال بعضهم: لم يكن العزيز قد مات، فقال يوسف للساقى: قل للملك: هذه سبع سنين مُخْصِبَات، ومن بعدهن سبع سنين شداد، إلا أن يُحْتَالَ لهن، فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره، فقال له الملك: ارجع إليه فقل له: كيف يُصْنَع؟ فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «دَابًّا» ساكنة الهمزة، إلا أن أبا عمرو كان إذا أدرج القراءة لم يهزمها. وروى حفص عن عاصم «دَابًّا» بفتح الهمزة. قال أبو علي الأكثر في «دَاب» الإسكان، ولعل الفتح لغة، ومعنى «دَابًّا» أي: زراعة متوالية على عادتكم، والمعنى: تزرعون دائبين. فتاب «دَاب» عن «دائبين». وقال الزجاج: المعنى: تدأبون دَابًّا، ودل على تدأبون «تزرعون» والداب: الملازمة للشيء والعادة. فإن قيل: كيف حكم بعلم الغيب، فقال: «تزرعون» ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه كان بروحي من الله ﷻ. والثاني: أنه بنى على علم ما علمه الله من التأويل الحق، فلم يشك. والثالث: أنه أضمر «إن شاء الله» كما أضمر إخوته في قولهم: ﴿وَنَبِيْرُ أَهْلِنَا وَمَنْحَقُظْ أَهْلَانَا﴾ [يوسف: ٦٥]، فأضمرُوا الاستثناء في نياتهم، لأنهم على غير ثقة مما وعدوا، ذكره ابن الأنباري. والرابع: أنه كالآمر لهم، فكانه قال: ازرعوا.

قوله تعالى: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُبُلِهِ﴾ فإنه أبقى له، وأبعد من الفساد. والشَّداد: المجذبات التي تشتد على الناس. ﴿يَا كُنْ﴾ أي: يُذهبن ما قدمتم لهن في السنين المخصبات، فوصف السنين بالأكمل، وإنما يؤكل فيها، كما يقال: ليل نائم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَلَا مِمَّا تَحْمِسُونَ﴾ أي: تحرزون وتذخرون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَأْتِكُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ إن قيل: لِمَ أشار إلى السنين وهي مؤنثة بـ «ذلك»؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن القاسم: أحدهما: أن السبع مؤنثة، ولا علامة للتأنيث في لفظها، فأشبهت المذكر، كقوله: ﴿الْأَسْكَاةُ تُنْفِطِرُ بِوَدِّهِ﴾ [المزم: ١٨] فذكر منطراً لِمَا لم يكن في السماء علم التأنيث، قال الشاعر:

فَلَا مُزْنَةَ وَدَدَتْ وَدَقَهَا

وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِنْقَالَهَا<sup>(١)</sup>

فذكر «أقبل» لِمَا وصفنا. والثاني: أن «ذلك» إشارة إلى الجذب، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. قال قتادة: زاده الله علم عام لم يسألوه عنه.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ يَأْتِكُ النَّاسُ﴾ فيه قولان: أحدهما: يصيبهم الغيث، قاله ابن عباس. والثاني: يغاثون بالخصب. ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يعصرون» بالياء. وقرأ

(١) البيت من شعر عامر بن جوين الطائي في «سبويه» ٢٤٠/١، و«معاني القرآن» ١٢٧/١، و«الكامل» ٦٦٠/١، و«شرح شواهد المغني» ٣١٩، و«الخرقة» ٢١/١، ٢٢.



حزمة، والكسائي بالناء، فوجَّها الخطاب إلى المستفتين. وفي قوله: «يعصرون» خمسة أقوال: أحدها: يعصرون العنب والزيت والشرات، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والجمهور. والثاني: «يعصرون» بمعنى يحتلبون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عبيد قال: تفسير «يعصرون» يحتلبون الألبان لِسَعَةِ خَيْرِهِمْ وَأَتْسَاعِ خَصْبِهِمْ، واحتج بقول الشاعر:

فَمَا عِصْمَةُ الْأَغْرَابِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ

طَعَامٌ وَلَا دَرٌّ مِنَ الْمَالِ يُفْصَرُ

أي: يُحْلَب. والثالث: ينجون، وهو من العَصَر، والعَصَر: النجاء، والعُصْرَة: المنجاة. ويقال: فلان في عُصْرَة: إذا كان في حصن لا يُقْتَر عليه، قال الشاعر:

صَادِيحاً يَسْتَفِيحُ غَيْرُ مَغَاثٍ

وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةُ الْمَنْجُودِ<sup>(١)</sup>

أي: غيائاً للمغلوب المقهور، وقال عدي:

لَوْ بَغِيْرُ الْمَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ

كُنْتُ كَالْغَضَّانِ بِالْمَاءِ اغْتِصَارِي<sup>(٢)</sup>

هذا قول أبي عبيدة. والرابع: يصيبون ما يحبون، روي عن أبي عبيدة أيضاً أنه قال: المعتصر: الذي يصيب الشيء ويأخذه، ومنه هذه الآية. ومنه قول ابن أحمر:

فَإِنَّمَا الْعَيْشُ بِرِيَّانِهِ

وَأَنْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مُغْتَصِرٌ

والخامس: يعطون ويفضلون لِسَعَةِ عَيْشِهِمْ، رواه ابن الأنباري عن بعض أهل اللغة. وقرأ سعيد بن جبير: «يُعصرون» بضم الياء وفتح الصاد. وقال الزجاج: أراد: يُطْطَرُون من قوله: ﴿وَأَرْكَنَا مِنْ الْمُتَوَرِّتِ مَاءَ حَبَابٍ﴾ [النبا: ١٤].

﴿وَقَالَ لِلْمَلِكِ أَتُؤَيِّدُ بِيَدٍ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذَا رَأَيْتَ فَتَنَةً مَاءَ بَالٍ النَّسُوءَ الَّتِي قُطِعَ لَهَا مِنْ رَبِّي يَكْفِيهِمْ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدُّنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِي قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ مَا عَلَيْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْفَزَّازِ الْفَنَّ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّنِي عَنْ نَفْسِي وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُنْفِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلْمَلِكِ أَتُؤَيِّدُ بِيَدٍ﴾ قال المفسرون: لما رجع الساقى إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه، وقع في نفسه صيحة ما قال، فقال: اتئوني بالذي عبر رؤياي، فجاءه الرسول، فقال: أجب الملك، فأبى أن يخرج حتى تبين براءته مما قُرف به، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذَا رَأَيْتَ﴾ يعني الملك ﴿فَتَنَةً مَاءَ بَالٍ النَّسُوءَ﴾ وقرأ ابن أبي عبيدة: «النسوة» بضم النون، والمعنى: فاسأل الملك أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي، وإنما أشفق أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره أو متهم بفاحشة، وأحب أن يراه بعد استقرار براءته عنده. وظاهر قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي يَكْفِيهِمْ عَلِيمٌ﴾ أنه يعني الله تعالى، وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز، والمعنى: أنه يعلم براءتي. وقد روي عن نبينا ﷺ أنه استحسّن حزم يوسف وصبره عن التسرع إلى الخروج، فقال ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ [ابن الكريم] يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم جاءني الداعي لأجبت»<sup>(٥)</sup>. وفي ذكره للنسوة دون امرأة العزيز أربعة أقوال: أحدها: أنه خلطها بالنسوة، لحسن عشرة فيه وأدب، قاله الزجاج. والثاني: لأنها زوجة ملك، فصانها. والثالث: لأن النسوة شاهدات عليها له. والرابع: لأن في ذكره لها نوع تهمة، ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي. قال المفسرون: فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف، فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز، فقال: ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكن وقصتكن ﴿إِذْ رَوَدُّنِي يُوسُفُ﴾. فإن قيل: إنما راودته واحدة، فلم جمعهن؟ فمعه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه جمعهن في السؤال ليعلم عين المراودة. والثاني: أن أزيخا راودته على نفسه، وراوده باقي النسوة على القبول منها. والثالث: أنه

(١) البيت لأبي زيد الطائي من قصيدة يرثي بها اللجج ابن أخته وكان من أحب الناس إليه، وهو في «الطبري» ٢٣٣/١٢، ومجاز القرآن ٣١٣/١، واللائقصاب ٣٩٠، والقرطبي ٢٥٥/٩، واللسان: عصر.

(٢) البيت لمدي بن زيد، في «الكتاب» ٤٦٢/١، ومجاز القرآن ٣١٤/١، والجمهرة ١٥٤/٢، واللسان، «الناج»: عصر، والعيني ٤٥٤/٤، وشواهد المغني ٢٥٥، والخزانة ٥٩٤/٣ و٤٦٠/٤ و٥٢٤.

(٣) «الترمذي» ١٣٩٢/٢ من حديث أبي هريرة، وقال: حديث حسن. ورواه البخاري ٢٧٧/٨، عن أبي هريرة بهذا الصدد بلفظ: «لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». ورواه مسلم ١٣٣/١ و١٨٣٩/٤ بنحو حديث البخاري.

جمعهم في الخطاب، والمعنى لواحدة منهم، لأنه قد يوقع على النوع وصف الجنس إذا أمن من اللبس، يدل عليه قول النبي ﷺ للنساء: «إنكن أكثر أهل النار»<sup>(١)</sup>، فجمعهم في الخطاب والمعنى لبعضهن، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿قُلْتُ كَيْفَ لِلَّهِ﴾ قال الزجاج: قرأ الحسن بتسكين الشين، ولا اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز، لأن الجمع بين ساكنين لا يجوز، ولا هو من كلام العرب. فأعلم النسوة الملك براءة يوسف من سوء، فقالت امرأة العزيز: ﴿الْفَنِّ حَصَصَ الْحَقُّ﴾ أي: برز وتبين، واشتقاقه في اللغة من الحصة، أي: بانت حصة الحق وجهته من حصة جهة الباطل. وقال ابن القاسم: «ححصص» بمعنى وضع وانكشف، تقول العرب: حصحص البعير في بروكه: إذا تمكن، وأثر في الأرض، وفرّق الحصى. وللمفسرين في ابتداء أزليخا بالإقرار قولان: أحدهما: أنها لما رأت النسوة قد برأته، قالت: لم يبق إلا أن يُقبل عليّ بالتقرير، فأقرت، قاله الفراء. والثاني: أنها أظهرت التوبة وحقت صدق يوسف، قاله الماوردي.

﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَاسِقِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال مقاتل: «ذلك» بمعنى هذا. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع وأشباهه، لقرب الخير من أصحابه، فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا، ولما كان متقضياً، أمكن أن يشار إليه بذلك، ون المتقضي كالعائب. واختلفوا في القائل لهذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوسف، وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئاً ثم تصله بالحكاية عن آخر، ونظير هذا قوله: ﴿يُؤَيِّدُ بِنَاصِيكَ بَيْنَ أَيْدِيكَ﴾ [الأعراف: ١١٠] هذا قول الملا: ﴿فَتَادَا تَأْمُرُونَ﴾ قول فرعون. ومثله: ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَافَهُمْ أَهْلًا أُولَئِكَ﴾ [النمل: ٣٤] هذا قول بلقيس: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ قول الله تعالى. ومثله: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفُوعًا﴾ [يس: ٥٢] هذا قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ وإنما يجوز مثل هذا في الكلام، لظهور الدلالة على المعنى واختلفوا، أين قال يوسف هذا؟ على قولين: أحدهما: أنه لما رجع الساقى إلى يوسف فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك، قال حينئذ: «ذلك ليعلم»، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن جريج. والثاني: أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَعْلَمُ﴾ أي: ذلك الذي فعلت من ردّي رسول الملك، ليعلم. واختلفوا في المشار إليه بقوله: «ليعلم» وقوله: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أنه العزيز، والمعنى: ليعلم العزيز أنني لم أخنه في امرأته «بِالْغَيْبِ» أي: إذا غاب عني، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. والثاني: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الملك، والمشار إليه بقوله: «لم أخنه» العزيز، والمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخن العزيز في أهله بالغيب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن المشار إليه بالشيئين، الملك، فالمعنى: ليعلم الملك أنني لم أخنه، يعني الملك أيضاً، بالغيب. وفي وجه خيانة الملك في ذلك قولان: أحدهما: لكون العزيز وزيره، فالمعنى: لم أخنه في امرأة وزيره، قاله ابن الأنباري. والثاني: لم أخنه في بنت أخته، وكانت أزليخا بنت أخت الملك، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: أن المشار إليه بقوله: «ليعلم» الله، فالمعنى: ليعلم الله أنني لم أخنه، روي عن مجاهد، قال ابن الأنباري: نُسب العلم إلى الله في الظاهر، وهو في المعنى للمخلوقين، كقوله: ﴿حَقٌّ تَمَّزَ الْجَاهِلِينَ يَنْكُرُ﴾ [محمد: ٣١]. فإن قيل: إن كان يوسف قال هذا في مجلس الملك، فكيف قال: «ليعلم» ولم يقل: لتعلم، وهو يخاطبه؟ فالجواب: أنا إن قلنا: إنه كان حاضراً عند الملك، فإنما أثر الخطاب بالياء توقيراً للملك، كما يقول

(١) هذه قطعة من حديث طويل رواه البخاري ٣٤٥/١ من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «إني أرى أكثر أهل النار»، ومسلم ٨٦/١ من حديث عبد الله بن عمر، ولفظ مسلم بتمامه: «في معشر النساء تصلفن وأكثرن من الاستغفار، فإني أرى أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهم جزلة (ذات عقل وراي): وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللمن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب متكبر» قالت: يا رسول الله! وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهنا نقصان العقل، وتمتكت الليالي ما تصلي، وتغتر في رمضان، فهنا نقصان الدين».

الرجل للوزير: إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي. وإن قلنا: إنه كان غائباً، فلا وجه لدخول التاء، وكذلك إن قلنا: إنه عنى العزيز، والعزيز غائب عن مجلس الملك حينئذ. والقول الثاني: أنه قول امرأة العزيز، فعلى هذا يتصل بما قبله، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته الآن بالكذب عليه. والثالث: أنه قول العزيز، والمعنى: ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب، فلم أغفل عن مجازاته على أمانته، حكى القولين الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْمُنَافِقِينَ﴾ قال ابن عباس: لا يصوب عمل الزناة، وقال غيره: لا يرشد من خان أمانته ويفضحه في عاقبه.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٣) وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيَوْمِ اسْتِخْلَافِي لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَصِيصٌ عَلَيْهِ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُفِصِلُ بِهِ رَحْمَتَنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ﴾ في القائل لهذا ثلاثة أقوال، وهي التي تقدمت في الآية قبلها. فالذين قالوا: هو يوسف، اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه لما قال: ﴿يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ غمزه جبريل، فقال: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أن يوسف لما قال: «لم أخنه» ذكر أنه قد همّ بها فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه لما قال ذلك، خاف أن يكون قد زغى نفسه، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله الحسن. والرابع: أنه لما قاله، قال له الملك الذي معه: اذكر ما هممت به، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله قتادة. والخامس: أنه لما قاله، قالت امرأة العزيز: ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾، قاله السدي. والذين قالوا: هذا قول امرأة العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي أني كنت راودته. والذين قالوا: هو العزيز، فالمعنى: وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف، لأنه قد خطر لي.

قوله تعالى: ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة، ويعقوب إلا رويساً: «بالسوء إلا» بتحقيق الهمزتين. وقرأ أبو عمرو، وابن شنيذ عن قبل بتحقيق الثانية وحذف الأولى. وروى نضيف عن قبل بتحقيق الأولى وقلب الثانية ياءً. وقرأ أبو جعفر، وورش، ورويس بتحقيق الأولى وتليين الثانية بين بين، مثل: «السُّوءَ عَلَاً». وروى ابن فليح بتحقيق الثانية وقلب الأولى وواواً، وأدغمها في الواو التي قبلها، فتصير وواواً مكسورة مشددة قبل همزة «إلا».

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ قال ابن الأنباري: قال اللغويون: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد. قال أبو صالح عن ابن عباس: المعنى: إلا من عصم ربي. وقيل: «ما» بمعنى «من». قال الماوردي: ومن قال: هو قول امرأة العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي في قهره لشهوته، أو في نزوعها عنه. ومن قال: هو قول العزيز، فالمعنى: إلا من رحم ربي بأن يكفيه سوء الظن، أو يشبّهه، فلا يعجل. قال ابن الأنباري: والقول بأن هذا قول يوسف، أصح، لوجهين: أحدهما: لأن العلماء عليه. والثاني: لأن المرأة كانت عابدة وثن، وما تضمنته الآية، أليق أن يكون قول يوسف من قول من لا يعرف الله ﷻ. وقال المفسرون: فلما تبين الملك عذر يوسف وعلم أمانته، قال: ﴿أَتُؤْنِسُ بِيَوْمِ اسْتِخْلَافِي لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خالصاً لي، لا يشركني فيه أحد. فإن قيل: فقد رويتم في بعض ما مضى أن يوسف قال في مجلس الملك: «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب»، فكيف قال الملك: «أتؤنس به» وهو حاضر عنده؟! فالجواب: أن أرباب هذا القول يقولون: أمر الملك بإحضاره ليقفده الأعمال في غير المجلس الذي استحضره فيه لتعبير الرؤيا. قال وهب: لما دخل يوسف على الملك، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، كان كلما كلمه بلسان، أجابه يوسف بذلك اللسان، فعجب الملك، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فقال: «إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفافاً، فذكرها له، قال: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزور زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وتجمع الطعام، فيأتيك الناس فيمتارون، وتجمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد، فقال الملك: ومن لي بهذا؟ فقال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: ويريد بقوله: ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: قد مكنتك في ملكي واتممتك فيه. وقال مقاتل: المكين: الوجه، والأمين: الحافظ.

قوله تعالى: ﴿اجْتَمَعْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِينَ﴾ أي: خزائن أرضك. وفي المراد بالخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأموال، قاله الضحاك، والزجاج. والثاني: خزائن الطعام فحسب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: وإنما سأل ذلك، لأن الأنبياء بُعثوا بالعدل، فلعلم أنه لا أحد أقوم بذلك منه. وفي قوله: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: حفيظ لِمَا وَلَيْتَنِي، عليهم بالمجاعة متى تكون، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حفيظ لما استودعني، عليهم بهذه السنين، قاله الحسن. والثالث: حفيظ للحساب، عليهم بالأسن، قاله السدي، وذلك أن الناس كانوا يَرُدُّونَ على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة. واختلفوا، هل ولَّاه الملك يومئذٍ، أم لا؟ على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ولَّاه بعد سنة، روى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله أخِي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة». وذكر مقاتل أن النبي ﷺ قال: «لو أن يوسف قال إني حفيظ عليهم إن شاء الله، لملك من وقته». قال مجاهد: أسلم الملك على يد يوسف. وقال أهل السَّيَر: أقام في بيت الملك سنة، فلما انصرفت، دعاه الملك، فتَوَّجه، وردَّاه بسيفه، وأمر له بسرير من ذهب، وضرب عليه كِلَّةٌ<sup>(١)</sup> من إسترىق، فجلس على السرير كالقمر، ودانت له الملوك، ولزم الملك بيته، وفُوِّضَ أمره إليه، وعزل قُطَيفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه، ثم إن قُطَيفير هلك في تلك الليالي، فزوَّج الملكُ يوسفَ بامرأة قُطَيفير، فلما دخل عليها، قال: أليس هذا خيراً مما تريدِينَ؟ فقالت: أيها الصَّدِيقُ لا تلمني، فإني كنت امرأة حسنة في مُلْكٍ ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، فغلبتني نفسي، فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فولدت له ابنتين، إفرائيم، وميشا، واستوسق له ملك مصر. والقول الثاني: أنه ملكه بعد سنة ونصف، حكاه مقاتل عن ابن عباس. والثالث: أنه سلَّم إليه الأمر من وقته، قاله وهب، وابن السائب. فإن قيل: كيف قال يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيطٌ عَلَيْكَ﴾ ولم يقل: إن شاء الله؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخر تمليكه، على ما ذكرنا عن النبي ﷺ. والثاني: أنه أضمر الاستثناء، كما أضمره في قولهم: ﴿وَيَنْبِرُ أَهْلَنَا﴾. والثالث: أنه أراد أن حفظي وعلمي يزيدان على حفظ غيري وعلمي، فلم يحتج هذا إلى الاستثناء، لعدم الشك فيه، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. فإن قيل: كيف مدح نفسه بهذا القول، ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع؟ فالجواب: أنه لما خلا مدحه لنفسه من بغي وتكبر، وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحبيه وجور يطله، كان ذلك جميلاً جائزاً، وقد قال نبينا ﷺ: «أنا أكرم ولد آدم على ربه»<sup>(٢)</sup>، وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت، أم بنهار». وقال ابن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته. فهذه الأشياء، خرجت مخرج الشكر لله، وتعريف المستفيد ما عند المفيد، ذكر هذا محمد بن القاسم. قال القاضي أبو يعلى: في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه، وأنه ليس من المحذور في قوله: ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: اجعلني على خزائن الأرض، قال: قد فعلت، فحذف ذلك، لأن قوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ يدل عليه، والمعنى: ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه في دفع المكروه عنه، وتخليصه من السجن، وتقريبه من قلب الملك، أقدرناه على ما يريد في أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ مِنَهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس: ينزل حيث أراد. وقرأ ابن كثير، والمفضل: «حيث نشاء» بالنون.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَصِيبُ رَحْمَتَنَا﴾ أي: نختص بنعمتنا من النبوة والنجاة ﴿مَنْ نَشَاءُ وَلَا نَشِيعُ أَجْرَ الْمُتَحِينِينَ﴾ يعني المؤمنين. يقال: إن يوسف باع أهل مصر الطعام بأموالهم، وحُلِيَّتَهُمْ، ومواشيهم، وعقارهم، وعبيدهم، ثم بأولادهم، ثم بربابهم، ثم قال للملك: كيف ترى صنْعَ ربي؟ فقال الملك: إنما نحن لك تبع، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني قد اعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم. وكان يوسف لا يَشِيعُ في تلك الأيام، ويقول: إني أخاف أن أنسى الجائع.

(١) الكِلَّةُ: ستر رقيق يخطأ شبه البيت يتوقى فيه من البعوض.

(٢) رواه الترمذي في «جامعه» ٢٠١/٢ عن أنس بن مالك عليه السلام: «أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» وقال: هذا حديث حسن غريب، وهو جزء من حديث طويل. وفي سننه الحسين بن يزيد الكوفي. قال الحافظ ابن حجر في «التفريب»: لين الحديث.



﴿وَلَا تُجِبْهُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجِبْهُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ المعنى: ما نُعطي يوسف في الآخرة، خير مما أُعطيناه في الدنيا، وكذلك غيره من المؤمنين ممن سلك طريقه في الصبر.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ روى الضيحاك عن ابن عباس قال: لما فُوض الملك إلى يوسف أمر مصر، تَلَطَّف يوسف للناس، ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام، فأمنوا به وأحبوه، فلما أصاب الناس القحط، نزل ذلك بأرض كنعان، فأرسل يعقوب ولده للميرة، وذاع أمر يوسف في الآفاق، وانتشر عدله ورحمته ورأفته، فقال يعقوب: يا بني، إنه قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً، فانطلقوا إليه وأقرنوه مني السلام، وانتسبوا له لعله يعرفكم، فانطلقوا فدخلوا عليه، فعرفهم وأنكره، فقال: من أين أقبلتم؟ قالوا: من أرض كنعان، ولنا شيخ يقال له: يعقوب، وهو يقرئك السلام، فيكي وعصر عينيه وقال: لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي، فقالوا: لا والله، ولكنا من كنعان، أصابنا الجهد، فأمرنا أبونا أن نأتيك، فقد بلغه عنك خير، قال: فكم أنتم؟ قالوا: أحد عشر أخاً، وكنا اثني عشر فأكل أحذنا الذئب، قال: فمن يعلم صدقكم؟ اتنوني بأخيكم الذي من أبيكم. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: لما دخلوا عليه كلّموه بالعبرانية، فأمر الترجمان فكلمهم ليشبه عليهم، فقال للترجمان: قل لهم: أنتم عيون، بعثكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود، فقالوا: لا، ولكنا قوم لنا أب شيخ كبير، وكنا اثني عشر، فهلك منا واحد في الغنم، وقد خلفنا عند أبنائنا أخاً له من أمه، فقال: إن كنتم صادقين، فخلّفوا عندي بعضهم رهناً، واتنوني بأخيكم، فحبس عنده شمعون. واختلفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين: أحدهما: أنه عرفهم برؤيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه ما عرفهم حتى تعرّفوا إليه، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ قال مقاتل: لا يعرفونه. وفي علّة كونهم لم يعرفوه قولان: أحدهما: أنه جاؤوه مقدّرين أنه ملك كافر، فلم يتأملوا منه ما يزول به عنهم الشك. والثاني: أنهم عاينوا من زيّه وحليته ما كان سبباً لإنكارهم. وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان لابساً ثياب حرير، وفي عنقه طوق من ذهب. فإن قيل: كيف يخفى من قد أعطي نصف الجن، وكيف يشبهه بغيره؟ فالجواب: أنهم فارقه طفلاً ورأوه كبيراً، والأحوال تتغير، وما توهّموا أنه ينال هذه المرتبة. وقال ابن قتبية: معنى كونه أعطي نصف الحسن، أن الله جعل للحسن غاية وحدّاً، وجعله لمن شاء من خلقه، إما للملائكة، أو للحرور، فجعل ليوسف نصف ذلك الحسن، فكانه كان حُسنًا مقارباً لتلك الوجوه الحسنة، وليس كما يزعم الناس من أنه أعطي هذا الحسن، وأعطي الناس كلهم نصف الحسن.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَجْ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ آلَا تَرَوْتَ أَنِّي أُرِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٥٩) فَإِن لَّر تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ يقال: جهّزت القوم تجهيزاً: إذا هيأت لهم ما يصلحهم، وجهاز البيت: متاعه. قال المفسرون: حمل لكل رجل منهم بغيراً، وقال: ﴿آلَا تَرَوْتَ أَنِّي أُرِي الْكَيْلَ﴾ أي: أنتم ولا أبخسّه، ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ يعني: المضيفين، وذلك أنه أحسن ضيافتهم. ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم، فقال: ﴿فَإِن لَّر تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِندِي﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يعني به؛ فيما بعد، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه منعهم الكيل في الحال، قاله وهب بن منبه.

﴿قَالُوا سَرَوْهُ عَنْهُ آبَاؤُا وَنَا لَنَقُولُنَّ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَرَوْهُ عَنْهُ آبَاؤُا﴾ أي: نطلبه منه، والمرادة: الاجتهاد في الطلب. وفي قوله: ﴿وَنَا لَنَقُولُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: وإنّا لجأؤوك به، وضامنون لك المجيء به، هذا مذهب الكلبي. والثاني: أنه توكيد، قاله الزجاج، فعلى هذا، يكون الفعل الذي ضمّنه عائداً إلى المرادة، فيصح معنى التوكيد. والثالث: وإنّا لمديمون المطالبة به لأبينا، ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه، وهذا غير المرادة، ذكره ابن الأنباري. فإن قيل: كيف جاز

ليوسف أن يطلب أخاه، وهو يعلم ما في ذلك من إدخال الحزن على أبيه؟ فعنه خمسة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك بأمر من الله تعالى زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه، وهذا الأظهر. والثاني: أنه طلبه لا ليحبسه، فلما عرفه قال: لا أفارقك يا يوسف، قال: لا يمكنني حبسك إلا أن أنسبك إلى أمر قطيع، قال: افعل ما بدا لك، قاله كعب. والثالث: أن يكون قصد تنبيه يعقوب بذلك على حال يوسف. والرابع: ليتضاعف سرور يعقوب برجوع ولديه. والخامس: ليعجل سرور أخيه باجتماعه به قبل إخوته. وكل هذه الأجوبة مدخولة، إلا الأولى، فإنه الصحيح. ويدل عليه ما روينا عن وهب بن منبه، قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب، قال له يعقوب: بيني وبينك هذه المسافة القريبة، ولم تكتب إليّ تعرفني؟! فقال: إن جبريل أمرني أن لا أعرفك، فقال له: سل جبريل، فسأله، فقال: إن الله أمرني بذلك، فقال: سل ربك، فسأله، فقال: قل ليعقوب: خفت عليه الذنب، ولم تؤمني؟.

﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا يَسْتَنْمُوهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَتَرَفَّفُونَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتَاتِهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «لفتيته». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «لِفَتَاتِهِ». قال أبو علي: الفتية جمع فتى في العدد القليل، والفتيان في الكثير. والمعنى: قال لغلمانهم: ﴿اجْعَلُوا يَسْتَنْمُوهُمْ﴾ وهي التي اشتروا بها الطعام ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، والرحل: كل شيء يُعَدُّ للرحيل. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَرَفَّفُونَ﴾ أي: ليعرفوها ﴿إِذَا انْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يرجعوا. وفي مقصوده بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في رحالهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه أراد أنهم إذا عرفوها، لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها، قاله الضحاك. والثالث: أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه، فردّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكمراً وتفضلاً، ذكره ابن جرير الطبري، وأبو سليمان الدمشقي. والرابع: ليعلموا أن طلبه لتؤدبهم لم يكن طمعاً في أموالهم، ذكره الماوردي. والخامس: أنه أراهم كرمه وبرّه ليكون ادعى إلى عودهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مِنَّا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفِظُونَ﴾ ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ سَبِيرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ﴾ قال المفسرون: لما عادوا إلى يعقوب، قالوا: يا أبانا، قَدِمْنَا على خير رجل، أنزلنا، وأكرمنا كرامة، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته. وفي قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ قولان قد تقدما في قوله: ﴿فَلَمَّا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ [يوسف: ٦١]. فإن قلنا: إنه لم يكِلْ لهم، فلفظ «منع» بَيِّن. وإن قلنا: إنه خوفهم منع الكيل، ففي المعنى قولان: أحدهما: حُكِمَ علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت، كما تقول للرجل: دخلت والله النار بما فعلت. والثاني: أن المعنى: يا أبانا يُمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا، فتاب «منع» عن «يُمنع». كقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَا لَهُ أَكْثَرُ﴾ [الهمزة: ٣] أي: يخلده وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْأَنْزَارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦] أي: وإذ يقول، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مِنَّا أَخَانًا نَكْتَلْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «نكتل» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي: «يكتل» بالياء. والمعنى: إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعنا الكيل.

قوله تعالى: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: لا أنتمك إلا كامني على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ خانوه. ﴿فَالله خَيْرُ حَفِظًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «حفظًا»، والمعنى: خير حفظاً من حفظكم. وقرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «حَبَرٌ حَفِظًا» بالف. قال أبو علي: ونصبه على التمييز دون الحال.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا يَسْتَعْجِلُ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُئُكَ هَٰذِهِ يَضَعُّنَا رُتَّةً إِلَىٰ رُتَّةٍ وَيَبْرِأُ أَهْلَنَا وَيَصْفِلُ أَهْلَانَا وَكَذَٰلِكَ كَيْلٌ بَيْنَهُ كَيْلٌ سَبِيرٌ﴾ ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مِنِّي ذِكْرَ اللَّهِ ثَلَاثِينَ يَدًا إِلَّا أَنْ يَمْلِكَ بِيَكُمْ فَلَمَّا مَاتُوا مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا قَوْلُ وَكِيلٍ﴾ ﴿وَقَالَ يَبْنَؤُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدْ وَأَدْخُلُوا مِنْ الْبَابِ مُتَتَرِّفَةً وَمَا أَفْنَىٰ عَنْكُمْ ذِكْرَ اللَّهِ مِنْ

شَيْءٌ إِلَّا لَكُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أوعية الطعام ﴿وَيَجِدُوا يَضَعَتَهُمْ﴾ التي حملوها ثمناً للطعام ﴿رُدَّتْ﴾. قال الزجاج: الأصل «رُودَتْ»، فأدغمت الدال الأولى في الثانية، وبقيت الراء مضمومة. ومن قرأ بكسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في: قيل، وبيع، ليدل على أن أصل الدال الكسر.

قوله تعالى: ﴿مَا بَنَيْتُ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها استفهام، المعنى: أي شيء نبغي وقد رُدَّت بضاعتنا إلينا؟ والثاني: أنها نافية، المعنى: ما نبغي شيئاً، أي: لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه، بل تكفيننا هذه في الرجوع إليه، وأرادوا بذلك تطيب قلبه ليأذن لهم بالعود. وقرأ ابن مسعود، وابن عمر، والجحدري، وأبو حيوة: «ما تبني» بالتاء، على الخطاب ليعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَهْلَنَا﴾ أي: نجلب لهم الطعام. قال ابن قتيبة: يقال: مار أهله يميزهم ميراً، وهو مائر لأهله: إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْفَظْ أَخَانَا﴾ فيه قولان: أحدهما: نحفظ أخانا بنيامين الذي ترسله معنا، قاله الأكثرون. والثاني: ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَنَزِدَاكَ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي: وفر بعير، يعنون بذلك نصيب أخيه، لأن يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من جمل بعير.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذلك كيل سريع، لا حبس فيه، يعنون: إذا جاء معنا، عجل الملك لنا الكيل، قاله مقاتل. والثاني: ذلك كيل سهل على الذي نمضي إليه، قاله الزجاج. والثالث: ذلك الذي جئناك به كيل يسير لا يقنعنا، قاله الماوردي.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَرْوُوهُ مَوْثِقَ اللَّهِ﴾ أي: تعطوني عهداً أثق به، والمعنى: حتى تحلفوا لي بالله ﴿لَأَتَيْنِي بِهِ﴾ أي: لتزُدَّنَّه إلي. قال ابن الأنباري: وهذه اللام جواب لمضمر، تلخيصه: وتقولوا: والله لأتيني به.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَمْلَأَ بِكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن يهلك جميعكم، قاله مجاهد. والثاني: أن يُحال بينكم وبينه فلا تقدرن على الإتيان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ أي: أعظوه العهد، وفيه قولان: أحدهما: أنهم حلفوا له بحق محمد ﷺ ومنزله من ربه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم حلفوا بالله تعالى<sup>(١)</sup>، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشهيد. والثاني: كفيل بالوفاء، رُوي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِيدٍ﴾ قال المفسرون: لما تجهزوا للرحيل، قال لهم يعقوب: «لا تدخلوا» يعني مصر «من باب واحد». وفي المراد بهذا الباب قولان: أحدهما: أنه أراد باباً من أبواب مصر، وكان لمصر أربعة أبواب، قاله الجمهور. والثاني: أنه أراد الطرق لا الأبواب، قاله السدي، وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس. وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خاف عليهم العين، وكانوا أولي جمال وقوة، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه خاف أن يُغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة، قاله إبراهيم النخعي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ رَبُّكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لن أدفع عنكم شيئاً قضاء الله، فإنه إن شاء أهلككم متفرقين، ومصدقه في الآية التي بعدها ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادته أن

(١) وهو الذي عليه أكثر المفسرين.



يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم. قال الزجاج: «إلا حاجة» استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها. قال ابن عباس: «قضاها» أي: أبداها وتكلم بها.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَ لَدُو عِلْمٍ لَنَا عَلَيْنَهُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: إنه حافظ لما علمناه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وإنه لدو علم أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: وإنه لعامل بما عُلِّم، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: سمي العمل علماً، لأن العلم أول أسباب العمل. والرابع: وإنه لمتيقن لوعدها، قاله الضحاك. والخامس: وإنه لحافظ لوصيتنا، قاله ابن السائب. والسادس: وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بني إلا ما قضاه الله، قاله مقاتل. والسابع: وإنه لدو علم لتعليمنا إياه، قاله الفراء.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَعْهَاءَهُ قَالَ إِنَّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يعني إخوته ﴿ءَاوَتْ إِلَيْهِ أَعْهَاءَهُ﴾ يعني بنيامين، وكان أخاه لأبيه وأمه، قاله قتادة، وضمه إليه وأنزله معه. قال ابن قتيبة: يقال: آوَيْتُ فلاناً إِلَيَّ، بمد الالف، إذا ضممته إليك، وأوَيْتُ إلى بني فلان، بقصر الالف: إذا لجأت إليهم. وفي قوله: ﴿قَالَ إِنَّي أَنَا أَخُوكَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لما دخلوا عليه حبسهم بالباب، وأدخل أخاه، فقال له: ما اسمك؟ فقال: بنيامين، قال: فما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت لاوي، فوثب إليه فاعتنقه، فقال: «إني أنا أخوك»، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وكذلك قال ابن إسحاق: أخبره أنه يوسف. والثاني: أنه لم يعترف له بذلك، وإنما قال: أنا أخوك مكان أخيك الهالك، قاله وهب بن منبه. وقيل: إنه أجلسهم كل اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحيداً يبكي، وقال: لو كان أخي حياً لأجلستني معه، فضمه يوسف إليه، وقال: إني أرى هذا وحيداً، فأجلسه معه على مائدته. فلما جاء الليل، نام كل اثنين على منام، فبقي وحيداً، فقال يوسف: هذا ينام معي. فلما خلا به، قال: هل لك أخ من أمك؟ قال: كان لي أخ من أمي فهلك، فقال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال: أيها الملك، ومن يجد أحماً مثلك؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف، وقام إليه فاعتنقه، وقال: ﴿إِنَّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يوسف ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ قال قتادة: لا تأس ولا تحزن، وقال الزجاج: لا تحزن ولا تستكبر. قال ابن الأنباري: «تبئس»: تقتل، من البؤس، وهو الضرُّ والشدة، أي: لا يلحقنك بؤس بالذي فعلوا.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يعيرون يوسف وأخاه بعبادة جدهما أبي أمهم للإصنام، فقال: لا تبئس بما كانوا يعملون من التعيير لنا، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لا تحزن بما سيعملون بعد هذا الوقت حين يسرقونك، فتكون «كانوا» بمعنى «يكونون» قال الشاعر:

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ  
لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَضْنَعًا

وقال آخر:

وَانْصَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا  
فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَدَبَائِحِ

أراد: فقد كان، وهذا مذهب مقاتل. والثالث: لا تحزن بما عملوا من حسدنا، وحرصوا على صرف وجه أبنينا عنا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق.

﴿لَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِزَّةُ لَكُمْ لَسْرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَقْدِرُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَقْدِيرُ صَوَاعِ الْمَلِكِ وَلَيْسَ جَاءَ بِهِ جُلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ قال المفسرون: أوفى لهم الكيل، وحلّل لـ «بنيامين» بعيراً باسمه كما حلّل لهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، وهي الصواع، فهما اسمان واقعان على شيء واحد، كالبُرِّ والحنطة، والمائدة والخوان. وقال بعضهم: الاسم الحقيقي: الصواع، والسقاية وصف، كما يقال: كوز، وإناء، فالاسم الخاص: الكوز. قال المفسرون: جعل يوسف ذلك الصاع مكيالاً لثلاث أكال بغيره. وقيل: كال لإخوته بذلك، إكراماً لهم. قالوا: ولما ارتحل إخوة يوسف وأمعنوا، أرسل الطلب في أثرهم، فأدركوا وحبسوا، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ قال الزجاج: أعلم مُعْلَم، يقال: أذنته بالشئ، فهو مؤذن به، أي: أعلمته، وأذنت: أكثرت الإعلام بالشئ، يعني: أنه إعلام بعد إعلام. ﴿إِنَّهَا



أَلَعَيْرُ يريد: أهل العير، فأنت لأنه جعلها للعير. قال الفراء: لا يقال: عير، إلا لأصحاب الإبل. وقال أبو عبيدة: العير: الإبل المرحولة المركوبة. وقال ابن قتيبة: العير: القوم على الإبل. فإن قيل: كيف جاز ليوسف أن يُسرق من لم يسرق؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أن المعنى: إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الحب، قاله الزجاج. والثاني: أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه، فكان غير كاذب في قوله، قاله ابن جرير. والثالث: أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف. والرابع: أن المعنى: إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم، كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافِرُ﴾ (الدخان: ٤٩) أي: عند نفسك، لا عندنا، وقول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كذبات»<sup>(١)</sup> أي: قال قولاً يشبه الكذب، وليس به.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿وَأَتَّبَعُوا عَلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: على المؤذن وأصحابه. والثاني: أقبل المنادي ومن معه على إخوة يوسف بالدعوى. ﴿مَاذَا تَقُولُونَ﴾ ما الذي ضل عنكم؟ ﴿قَالُوا نَقُولُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ قال الزجاج: الصواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصاع يذكر ويؤنث. وقد قرئ: «صياح» بياء، وقرئ: «صُوع» بغير معجمة، وقرئ: «صُوع» بعين غير معجمة مع فتح الصاد، وضمها، وقرأ أبو هريرة: «صاع الملك» وكل هذه لغات ترجع إلى معنى واحد، إلا أن الصوع، بالعين المعجمة، مصدر صغت، وُصف الإناء به، لأنه كان مصوغاً من ذهب. واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال: أحدها: أنه كان قدحاً من زبرجد. والثاني: أنه كان من نحاس، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه كان شربة من فضة مرصعة بالجواهر، قاله عكرمة. والرابع: كان كأساً من ذهب، قاله ابن زيد. والخامس: كان من مس<sup>(٢)</sup>، حكاه الزجاج. وفي صفته قولان: أحدهما: أنه كان مستطيلاً يشبه المكوك. والثاني: أنه كان يشبه الطاس.

قوله تعالى: ﴿وَلَمِنْ جَلَّةِ يَوْمٍ﴾ يعني الصواع ﴿جَلَّ يَوْمٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا يَوْمَ زَعِيمٌ﴾ أي: كفيل لمن رده بالجمل، بقوله المؤذن.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفَيْدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ يُجِدُ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قال الزجاج: «تالله» بمعنى: والله، إلا أن التاء لا يقسم بها إلا في الله ﷻ. ولا يجوز تالرحمن لأفعلن، ولا: تربي لأفعلن. والتاء تبدل من الواو، كما قالوا في وراث: تراث، وقالوا: يترن، وأصله: يوترن، من الوزن. قل ابن الأنباري: أبدلت التاء من الواو، كما أبدلت في التخمه والترات والثجاه، وأصلهن من الوخمه والوراث والوجاه، لأنهن من الوخامة والوراثه والوجه. ولا تقول العرب: تالرحمن، كما قال: تالله، لأن الاستعمال في الإقسام كثر بالله، ولم يكن بالرحمن، فجاءت التاء بدلاً من الواو في الموضع الذي يكثر استعماله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ يعنون يوسف ﴿مَّا جِئْنَا لِنُفَيْدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لننظلم أحداً أو نسرق. فإن قيل: كيف حلّفوا على علم قوم لا يعرفونهم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم قالوا ذلك، لأنهم ردّوا الدراهم ولم يستحلّوها، فالمعنى: لقد علمتم أنا ردّدنا عليكم دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع، فكيف نستحل صاعكم، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: لأنهم لما دخلوا مصر كعموا<sup>(٣)</sup> أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئاً، وكان غيرهم لا يفعل ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ المعنى: قال المنادي وأصحابه: فما جزاؤه. قال الأخفش: إن شئت رددت الكناية إلى السارق، وإن شئت رددتها إلى السرق.

(١) انظر حديث الشفاعة الطويل، البخاري ٣٠٠/٨، ومسلم ١٨٤/١، والكذبات الثلاث، قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَيِّمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبْتُمْ عَنْدًا﴾ وقوله في سارة زوجته: «أختي».

(٢) في «اللسان»: المس: النحاس.

(٣) كعم البعير: شد فاه، وقيل: شد فاه في هياجه لتلا بعض أو يأكل، والكمام: ما كعم به.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: في قولكم: ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿جَزَاءُ مَنْ يُجَدِّ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ﴾ أي: يُستعبد بذلك. قال ابن عباس: وهذه كانت سُنَّةَ آل يعقوب.

﴿بَدَأَ بِأَرْعَيْتَهُمْ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاةِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتَكَ مَتَى شَاءَ وَتُوقَفُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ عِلْمُهُ﴾ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿بَدَأَ بِأَرْعَيْتَهُمْ﴾ قال المفسرون: انصرف بهم المؤذن إلى يوسف، وقال: لا بد من تفتيش أمتعتكم، ﴿بَدَأَ﴾ يوسف ﴿بِأَرْعَيْتَهُمْ قَبْلَ وَعَاةِ أَخِيهِ﴾ لإزالة التهمة، فلما وصل إلى وعاء أخيه، قال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله لا نبرح حتى ننظر في رحله، فهو أطيب لنفسك. فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى السرقة، قاله الفراء. والثاني: إلى السقاية، قاله الزجاج. والثالث: إلى الصواع على لغة من آثته، ذكره ابن الأنباري. قال المفسرون: فاقبلوا على بنيامين، وقالوا: أي شيء صنعت؟! فضحتنا وأزريت بأبيك الصديق، فقال: وضع هذا في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالك، وقد كان يوسف أخبر أخاه بما يريد أن يصنع به.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كذلك صنعنا له، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: احتلنا له، والكيد: الحيلة، قاله ابن قتيبة. والثالث: أردنا ليوسف، ذكره ابن القاسم. والرابع: دبرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه. قال ابن الأنباري: لما دبر الله ليوسف ما دبر من ارتفاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما ظن إخوته، شبه بالكيد من المخلوقين، لأنهم يسترون ما يكيدون به عمن يكيدونه.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في الرماد بالدين هاهنا قولان: أحدهما: أنه السلطان، فالمعنى: في سلطان الملك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه القضاء، فالمعنى: في قضاء الملك، لأن قضاء الملك أن من سرق إنما يضرب ويُعْرَمُ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وبينا أنه لو أجرى أخاه على حكم الملك ما أمكنه حبسه، لأن حكم الملك الغرم والضرب فحسب، فأجرى الله على السنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق، فكان ذلك مما كاد الله ليوسف لطفاً حتى أظفهر بمراده بمشيئة الله، فذلك معنى قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. وقيل: إلا أن يشاء الله إظهار علة يستحق بها أخاه.

قوله تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَتَكَ مَتَى شَاءَ﴾ وقرأ يعقوب «يرفع درجات من يشاء» بالياء فيهما. وقرأ أهل الكوفة «درجات» بالتثنية، والمعنى: ترفع الدرجات بصنوف العطاء، وأنواع الكرامات، وأبواب العلوم، وقهر الهوى، والتوفيق للهدى، كما رفعنا يوسف. ﴿وَتُوقَفُ كُلُّ ذِي عِلْمٍ عِلْمُهُ﴾ أي: فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى، والكمال في العلم معدوم من غيره. وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: يوسف أعلم من إخوته، وفوقه من هو أعلم منه. والثاني: أنه نبه على تعظيم العلم، وبيّن أنه أكثر من أن يحاط به. والثالث: أنه تعليم للعالم المتواضع للآل يعجب.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَحْنَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِيهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكِيدَاتٍ﴾ وَأَلَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ لَأَنْتِ أَخْتُ الْغَيْبِ، فَمَا أَتَيْنِي نَتَقِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَكَادُ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعَةً فِيهِمْ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني: إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ يعنون بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون يوسف. قال المفسرون: عوقب يوسف ثلاث مرات، قال للساقى: ﴿أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فلبث في السجن بضع سنين، وقال للمعزى: ﴿يَسْلَمُ لَكُمْ أَنْ تُمْ أَخْتُهُ الْغَيْبِ﴾، فقال له جبريل: ولا حين هممت؟ فقال: ﴿وَمَا أَتَيْنِي نَتَقِينَ﴾، وقال لإخوته: «إنكم لسارقون»، فقالوا: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ﴾. وفي ما عنوا بهذه السرقة سبعة أقوال: أحدها: أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في سني المجاعة، فيطعمه للمساكين، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه سرق مكحلة لخالته، رواه أبو مالك عن ابن عباس. والثالث: أنه سرق صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه

في الطريق، فعبره إخوته بذلك، قاله سعيد بن جبير، ووهب بن منبه، وقتادة. والرابع: أن عمة يوسف - وكانت أكبر ولد إسحاق - كانت تحضن يوسف تحبه حباً شديداً، فلما ترعرع، طلبه يعقوب، فقالت: ما أقدر أن يغيب عني، فقال: والله ما أنا بباركه، فعمدت إلى منطقة إسحاق، فربطتها على يوسف تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها، فوجدوها مع يوسف، فأخبرت يعقوب بذلك، وقالت: والله إنه لي أصنع فيه ما شئت، فقال: أنت وذاك، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت، فذاك الذي عبره به إخوته، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والخامس: أنه جاءه سائل يوماً، فسرق شيئاً، فأعطاه السائل، فعبره بذلك. وفي ذلك الشيء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان بيضة، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاة، قاله كعب. والثالث: دجاجة، قاله سفيان بن عيينة. والسادس: أن بني يعقوب كانوا على طعام، فنظر يوسف إلى غرق، فخبأه، فعبره بذلك، قاله عطية العوفي، وإدريس الأودي. قال ابن الأنباري: وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة، لكنها تشبه السرقة، فعبره إخوته بذلك عند الغضب. والسابع: أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه، قاله الحسن. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عيلة: «فقد سرق» بضم السين وكسر الراء وتشديدها.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَفَ يَوْسُفُ فِي تَقْوِيهِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكلمة التي ذكرت بعد هذا، وهي قوله: ﴿أَنْتَرُ سَرًّا مَكَانًا﴾، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه، وهي قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَّكَ أَحَدٌ لَمْ يَنْبُذْ﴾، وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس، فعلى هذا يكون المعنى: أسر جواب الكلمة فلم يجبهم عليها. والثالث: أنها ترجع إلى الحجة، المعنى: فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَنْتَرُ سَرًّا مَكَانًا﴾ فيه قولان: أحدهما: سرٌ صنعاً من يوسف لما قدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أيكم، قاله ابن عباس. والثاني: سرٌ منزلة عند الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تقولون، قاله مجاهد. والثاني: بما تكذبون، قاله قتادة. قال الزجاج: المعنى: والله أعلم أسرق أخ له، أم لا. وذكر بعض المفسرين أنه لما استخرج الصواع من رحل أخيه، نفر الصواع، ثم أدناه من أذنه، فقال: إن صواعي هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه، فقال بنيامين: أيها الملك، سل صواعك عن أخي، أحي هو؟ ففره، ثم قال: هو حي، وسوف تراه، فقال: سل صواعك، من جعله في رحلي؟ ففر، وقال: إن صواعي هذا غضبان، وهو يقول: كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت؟ فغضب روبيل، وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا، فإذا مس أحدهم الآخر ذهب غضبه، فقال: والله أيها الملك لتتركنا، أو لأصيحن صبيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ما في بطنها، فقال يوسف لابنه: قم إلى جنب روبيل فامسه، ففعل الغلام، فذهب غضبه، فقال روبيل: ما هذا؟! إن في هذا البلد من ذرية يعقوب؟ قال يوسف: ومن يعقوب؟ فقال: أيها الملك، لا تذكر يعقوب، فإنه إسرائيل الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله. فلما لم يجدوا إلى خلاص أخيهم سبيلاً، سألوه أن يأخذ منهم بديلاً به، فذلك قوله: ﴿يَكُونُ الْكَافِرُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْمًا كَبِيرًا﴾ أي: في سنه، وقيل: في قدره، ﴿فَتَحَذَّ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ أي: تستعبده بدلاً عنه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: فيما مضى. والثاني: إن فعلت. ﴿قَالَ مِمَّا أَتَى﴾ قد سبق تفسيره [يوسف: ٢٣]، والمعنى: أعوذ بالله أن ناخذ بريئاً بسقيم.

﴿فَلَمَّا أَنْتَفَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَكُنْ أَتَى أَبَاكُمُ فَدَخَلَ عَلَيْكُمْ زَوْفَا مِنْ اللَّهِ وَبَيْنَ قَبْلَ مَا قَرَلْتُمْ فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أُنْبِجَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ آيٌ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَابَعْنَا إِيَّاكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْتَفَسُوا مِنْهُ﴾ أي: أيسوا. وفي هاء «منه» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، فالمعنى: يشوا من يوسف أن يخلّي سبيل أخيه. والثاني: إلى أخيه، فالمعنى: يشوا من أخيه.

قوله تعالى: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ أي: اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم، يتناجون ويتناظرون ويتشاورون، يقال: قوم نجى، والجمع أنجية، قال الشاعر:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَنِي وَأَضْطَرِبَتْ أَعْيُنُهُمْ كَالْأَرْضِ يَوْمَ

وإنما وُحِدَ «نَجِيًّا» لأنه يجري مجرى المصدر الذي يكون للثنتين والجمع والمؤنث بلفظ واحد. وقال الزجاج: انفردوا متناجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَيْفَ يُدْعَىٰ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَبِيرُهُمْ فِي الْعَقْلِ، ثُمَّ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَهُودِيٌّ، وَلَمْ يَكُنْ أَكْبَرَهُمْ سِنًا، وَإِنَّمَا كَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًا رُوَيْلٌ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ، وَمَقَاتِلُ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ شَمْعُونُ، قَالَ مُجَاهِدٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ كَبِيرُهُمْ فِي السِّنِّ وَهُوَ رُوَيْلٌ، قَالَ قَتَادَةُ، وَالسَّيِّدِي.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ أَبَاكُمُ فَدَخَلَ عَلَيْكُمْ صُوفِيًّا يَبْنِي إِلَيْهِ وَهُوَ كَثُورٌ فَنَزَلَ إِلَىٰ غَارٍ وَهُوَ كَثُورٌ مِّنْ قَبْلِ هَٰذَا فَتَرَكَكُمْ فِي يَوْمِئِذٍ ثَمَّ وَلَهُ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ عِلْمٍ﴾ قال الفراء: «ما» في موضع رفع، كأنه قال: ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف. وإن شئت جعلت «ما» صلة، كأنه قال: ومن قبل فرطتم في يوسف. قال الزجاج: وهذا أجود الوجوه، أن تكون «ما» لغوًّا.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَىٰ الْآخِرَ﴾ أي: لن أخرج من أرض مصر، يقال: يَرِحَ الرَّجُلُ بَرَاخًا: إِذَا تَنَحَّى عَنْ مَوْضِعِهِ. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْبَيْتَ﴾ قال ابن عباس: حتى يبعث إلي أن أتبه، ﴿أَوْ يَخُوكُمُ اللَّهُ إِلَهًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أو يحكم الله لي، فيردُّ أخي عليّ. والثاني: يحكم الله لي بالسيف، فأحارب من حبس أخي. والثالث: يقضي في أمري شيئًا، ﴿وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: أعدلهم وأفضلهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَّ﴾ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وابن أبي سريج عن الكسائي: «سُرِّق» بضم السين وتشديد الراء وكسرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا، لأننا رأينا المسروق في رحله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقة إلا بما علمنا من دينك، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ﴾ ثمانية أقوال: أحدها: أن الغيب هو الليل، والمعنى: لم نعلم ما صنع بالليل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وهذا يدل على أن التهمة وقعت به ليلاً. والثاني: ما كنا نعلم أن ابنك يسرق، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة، وقَتَادَةُ، ومكحول. قال ابن قتيبة: فالمعنى: لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لنأتيك به أنه يسرق فيؤخذ. والثالث: لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق، رواه عبد الوهاب عن مجاهد. والرابع: لم نعلم أنه سرق للملك شيئًا، ولذلك حكمنا باسترقاق السارق، قاله ابن زيد. والخامس: أن المعنى: قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله، ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرَّقه، قاله ابن إسحاق. والسادس: ما كنا لغير ابنك حافظين، إنما نقدر على حفظه في محضره، فإذا غاب عنا، خفيت عنا أموره. والسابع: لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بابنك ما سافرنا به، ذكرهما ابن الأنباري. والثامن: لم نعلم أنك تُصَابُّ به كما أصبَتْ بيوسف، ولو علمنا لم نذهب به، قاله ابن كيسان.

﴿وَسَقِلَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْأَمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدُوقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَقِلَ الْقَرْيَةُ﴾ المعنى: قولوا لأبيكم: سل أهل القرية ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعنون مصر ﴿وَالْأَمِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: وأهل العير، وكان قد صاحبهم قوم من الكنعانيين. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: وسل القرية والعير فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء قد تخاطبهم الأحجار والبهايم، فعلى هذا تسلم الآية من إضمار.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمَّا فَصَبِّرْ حَبِيلٌ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

(١) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في «اللسان»: نجا، وروايته فيه: «واضطرب القوم اضطراب الأرشية»، وهو غير منسوب في «مشكل القرآن» ٢٢٠، والقرطبي ٩/٢٤١. قال ابن بري: حكى القاضي الجرجاني عن الأصمعي وغيره: أنه يصف قوماً أتبعهم السير والسفر، فرقدوا على ركايبهم، واضطربوا عليها، وشد بعضهم على ناقته حذار سقوطه من عليها. وقيل: إنما ضربه مثلاً لنزول الأمر المهم.



قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ في الكلام اختصار، والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لم هذا، وقد شرحناه في أول السورة (يوسف: ١٨). واختلفوا لأي علة قال لهم هذا القول، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ظن أن الذي تخلف منهم، إنما تخلف حيلة ومكرًا ليصدّقهم، قاله وهب بن منبه. والثاني: أن المعنى: سوّلت لكم أنفسكم أن خروجكم بأخيكم يجلب نفعا، فجزّ ضرراً، قاله ابن الأنباري. والثالث: سوّلت لكم أنه سرق، وما سرق. قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف وبنيامين وأخاهما المقيم بمصر. وقال مقاتل: أقام بمصر يهوذا وشمعون، فأراد بقوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ يعني: الأربعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ أي: بشدة حزني، وقيل: بمكانهم، ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ فيما حكم علي.

﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ وَأَيُّضْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْخُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٢١)

قوله تعالى: ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب، وانفرد بحزنه، وهيج عليه ذكر يوسف ﴿وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ﴾ قال ابن عباس: يا طول حزني على يوسف. قال ابن قتيبة: الأسف: أشد الحسرة. قال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يُعط الأنبياء قبلهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَلِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب؛ إذ يقول: ﴿يَأْسَفُ عَلَيَّ يُوسُفَ﴾. فإن قيل: هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه شكا إلى الله تعالى، لا يئنه. والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى: يا رب ارحم أسفي على يوسف. وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال: نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يُعنى به غير المظهر في اللفظ، وتلخيصه: يا إلهي ارحم أسفي، أو أنت راء أسفي، وهذا أسفي، فنادى الأسف في اللفظ، والمنادى في المعنى سواء، كما قال: ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ والمعنى: يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا، قال: والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مائم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثّم ولم يشك إلا إلى ربه، فلما كان قوله: ﴿يَا أسفي﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم. وقد روي عن الحسن أن أخاه مات، فجزع الحسن جزعاً شديداً، فعوتب في ذلك، فقال: ما وجدت الله عاب على يعقوب الحزن حيث قال: ﴿يَا أسفي على يوسف﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّضْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْخُزْنِ﴾ أي: انقلبت إلى حال البياض. وهل ذهب بصره، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه ذهب بصره، قاله مجاهد. والثاني: ضعف بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء، ذكره الماوردي. وقال مقاتل: لم يُبصر بعينه ست سنين. قال ابن عباس: وقوله: ﴿من الحزن﴾ أي: من البكاء، يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه، فلما كان الحزن سبباً للبكاء، سمي البكاء حزناً. وقال ثابت البناني: دخل جبريل على يوسف، فقال: أيها الملك الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال: ما فعل، قال: ابيضت عيناه، قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد. وقال الحسن البصري: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة، وما جفت عينه، وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الكظيم بمعنى الكاظم، وهو الممسك على حزنه فلا يظهره، قاله ابن قتيبة. وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَرُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَمًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٢٢) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣) ﴿بَيْنَهُمْ أَفْهَبُوا مَفْهَسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَجِيزُوا وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢٤)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَرُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: والله، وجواب هذا القسم «لا» المضمرة التي تأويلها: تالله لا تفتأ، فلما كان موضعها معلوماً خفف الكلام بسقوطها من ظاهره، كما تقول العرب: والله أقصدك أبداً، يعنون: لا أقصدك، قال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ يَمِينُ الْوَأَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>(١)</sup>

(١) «ديوانه» ٣٢، و«الطبري» ٤٢/١٣، و«تأويل مشكل القرآن» ١٧٤، و«الصناعتين» ١٣٨، و«القرطبي» ٢٤٩/٩، و«اللسان» ١٠٠٠.

يريد: لا أبرح، وقالت الخنساء:

فَأَقْسَنْتُ أُسَى عَلَى هَالِكٍ

أرادت: لا أُسَى، وقال الآخر:

لَمْ يَشْعُرِ التُّغْشَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّ

تَالِهِ أَنْسَى مُصِيبَتِي أَبَدًا

وقرأ أبو عمران، وابن محيصن، وأبو حيوة: «قالوا بالله» بالباء، وكذلك كل قَسَم في القرآن. وأما قوله: «فتنا» فقال المفسرون وأهل اللغة: معنى «فتنا» تزال، فمعنى الكلام: لا تزال تذكر يوسف، وأنشد أبو عبيدة:

فَمَا فِتْنَتْ خَيْلٌ تُثُوبٌ وَتَدْعِي

وأنشد ابن القاسم:

فَمَا فِتْنَتْ مِنَّا رِعَالٌ كَانَتْهَا

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرْثًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّنَف، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن قتبية: يقال: أحرضه الحزن، أي: أدنفه. قال أبو عبيدة: الحرض: الذي قد أذابه الحزن أو الحب، وهي في موضع مُخْرَض. وأنشد:

إِنِّي امْرُؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي

أي: أذابني. وقال الزجاج: الحرض: الفاسد في جسمه، والمعنى: حتى تكون مدنفًا مريضاً. والثاني: أنه الذاهب العقل، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال ابن إسحاق: الفاسد العقل. قال الزجاج: وقد يكون الحرض: الفاسد في أخلاقه. والثالث: أنه الفاسد في جسمه وعقله، يقال: رجل حارص وحرض، فحارص يثني ويُجمع ويؤنث، وحرض لا يُجمع ولا يثني، لأنه مصدر، قاله الفراء. والرابع: أنه الهرم، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَو تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يعنون: الموتى. فإن قيل: كيف حلفوا على شيء يجوز أن يتغير؟ فالجواب: أن في الكلام إضماراً، تقديره: إن هذا في تقديرنا وظننا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ قال ابن قتبية: البث: أشد الحزن، سمي بذلك، لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يئس.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِلَهُ﴾ المعنى: إني لا أشكو إليكم، وذلك لما عَفَوْه بما تقدم ذكره. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كان ليعقوب أخ مؤاخ، فقال له ذات يوم: يا يعقوب، ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قَوَسَ ظهرك؟ قال: أمّا الذي أذهب بصري، فالبكاء على يوسف، وأما الذي قَوَسَ ظهري، فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال: إنما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو، ثم قال يعقوب: أي رب، أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري، وقَوَسْتَ ظهري، فاردد عليّ ريحاني أشمه شمة قبل الموت، ثم اصنع بي يا رب ما شئت، فأتاه جبريل، فقال: يا يعقوب، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر، فوعزتي لو كانا ميتين لنشترهما لك، اصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إليّ المساكين، وتدرى لم أذهبتُ بصرك، وقَوَسْتَ ظهرك، وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة، فأتاكم فلان المسكين وهو صائم، فلم تطعموه منها. فكان يعقوب بعد

(١) «ديوانها» ١٢٠.

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمي: «ديوانه» ٥٨ وقد استشهد به أبو عبيدة في «مجاز القرآن» ٣١٦/١، و«الطبري» ٣٩/١٣، و«شواهد الكشاف» ١٦٨.

(٣) البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي في «مجاز القرآن» ٣١٧/١، و«الطبري» ٤٢/١٣، و«القرطبي» ٢٥٠/٩، و«الاشتقاق» ٤٨، و«السمط» ٤٢٢، و«الصاحح»، و«اللسان»: حرض.

ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتنفد مع يعقوب، وإذا كان صائماً، أمر منادياً فنادى: من كان صائماً فليُنظَر مع يعقوب<sup>(١)</sup>. وقال وهب بن منبه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: أتدري لم عاقبتك وجبت عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا، قال: لأنك شويت عناقاً وقُتِرَت على جارك وأكلت ولم تطعمه. وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديه، وهي تخور، فلم يرحمها. فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكاً؟ فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر. والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم. والثالث: أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور. والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى، ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء. وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيماً، ولا يقدر على دفع سببه.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أعلم من سلامة يوسف ما لا تعلمون. قال ابن السائب: وذلك أن ملك الموت أتاه، فقال له يعقوب: هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال: لا. والثالث: أعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون، قاله عطاء. والرابع: أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز، طمع أن يكون هو يوسف، قاله السدي، قال: ولذلك قال لهم: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾. وقال وهب بن منبه: لما قال له ملك الموت: ما قبضت روح يوسف، تابشر عند ذلك، ثم أصبح، فقال لبنيه: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾. قال أبو عبيدة: «تحسسوا» أي: تخبروا والتجسسوا في المظان. فإن قيل: كيف قال: «من يوسف» والغالب أن يقال: تحسست عن كذا؟ فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن المعنى: عن يوسف، ولكن نابت عنها «من» كما تقول العرب: حدثني فلان من فلان، يعنون عنه. والثاني: أن «من» أوثرت للتبعض، والمعنى: تحسسوا خبراً من أخبار يوسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَجْعِ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من رحمة الله، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: من فرج الله، قاله ابن زيد. والثالث: من توسعة الله، حكاه ابن القاسم. قال الأصمعي: الروح: الاستراحة من غم القلب. وقال أهل المعاني: لا تياسوا من الروح الذي يأتي به الله، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَجْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ لأن المؤمن يرجو الله في الشدائد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَكُونُ الْغَزِيرُ مَسْأَةً وَأَهْلُنَا الْأَثَرُ رَجَحْنَا بِضَعْفٍ مُرْتَجَحٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَرِّقِينَ﴾ قال هل علمتم ما قلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جهلوك<sup>(٢)</sup> قَالُوا أَوَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَحِينَينَ<sup>(٣)</sup> قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ مَنَّكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلِينَ<sup>(٤)</sup> قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْكُمْ يَوْمَ تَفْقَرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>(٥)</sup> أَذْهَبُوا بِقِيَمِي هَذَا فَأَلْفَوْهُ عَلَى رَأْسِهِ أَيْ يَأْتِ بِبِعِيرٍ وَأَتَوْفٍ بِأَمْلِكُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فخرجوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف، فـ ﴿قَالُوا يَكُونُ الْغَزِيرُ مَسْأَةً﴾ وكانوا يسمون ملكهم بذلك، ﴿مَسْأَةً وَأَهْلُنَا الْأَثَرُ﴾ يعنون الفقر والحاجة ﴿رَجَحْنَا بِضَعْفٍ مُرْتَجَحٍ﴾. وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال: أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها كانت متاعاً رقيقاً كالحبل والغرارة<sup>(٧)</sup>، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والثالث: كانت أقطاً<sup>(٨)</sup> قاله الحسن. والرابع: كنت

(١) الحاكم في «المستدرک» ٣٤٨/٢ وقال: هكذا في سماعي بخط يد حفص بن عمر بن الزبير، وأظن الزبير وهماً من الراوي، فإنه حفص بن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ابن أخي أنس بن مالك، فإن كان كذلك فالحديث صحيح، وقد رواه إسحاق بن راهويه مسنداً ١ هـ. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٨٨/٢ من رواية ابن أبي حاتم، وقال: وهذا حديث غريب فيه تكارة. وخرجه الهيثمي في «المجمع» ٤٠/٧، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» والأوسط، عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري وهو ضعيف جداً. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في كتاب «الفرج بعد الشدة»، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) الغرارة، بكسر الغين: الجُوالق، واحدة الغرائر، وربما كان معرباً. (٣) الأقط؛ اللبن المجفف الذي لم يتزعزعه.

نعلاً وأدمًا، رواه جوير عن الضحاك. والخامس: كانت سوق المقل<sup>(١)</sup>، روي عن الضحاك أيضاً. والسادس: حبة الخضراء وصنوبر، قاله أبو صالح. والسابع: كانت صوفاً وشيئاً من سمن، قاله عبد الله بن الحارث. وفي المزجاة خمسة أقوال: أحدها: أنها القليلة. روى العوفي عن ابن عباس قال: دراهم غير طائلة، وبه قال مجاهد، وابن إسحاق، وابن قتيبة. قال الزجاج: تأويله في اللغة أن التزجية: الشيء الذي يدافع به، يقال: فلان يزجي العيش، أي: يدفع بالقليل ويكتفي به، فالمعنى: جئنا ببضاعة إنما ندافع بها ونتقوت، وليست مما يتسع به، قال الشاعر:

الزَاهِبُ الْمَاءَ الْهَجَانُ وَعَبْدَهَا      عُودًا تُزْجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا<sup>(٢)</sup>

أي: تدفع أطفالها. والثاني: أنها الرديئة، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال أبو عبيدة: إنما قيل للرديئة: مزجاة، لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها، قال: وهي من الإزجاء، والإزجاء عند العرب: السُّوق والدفع، وأنشد:

لِيَبْنِكَ عَلَى يِلْحَانٍ ضَيْفٌ مُدْفَعٌ      وَأَزْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّئِيلِ أَزْمَلًا<sup>(٣)</sup>

أي: تسوقه. والثالث: الكاسدة، رواه الضحاك أيضاً عن ابن عباس. والرابع: الرثة، وهي المتاع الخلق، رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس. والخامس: الناقصة، رواه أبو حصين عن عكرمة.

قوله تعالى: ﴿فَأَوَّيْنَا لَنَا الْكَيْلَ﴾ أي: أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: تصدَّق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، قاله سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: كان الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدَّق، وليس به. والثاني: بردُّ أخينا، قاله ابن جريج، قال: وذلك أنهم كانوا أنبياء، والصدقة لا تحل للأنبياء. والثالث: وتصدَّق علينا بالزيادة على حُفْنَا، قاله ابن عيينة، وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا ﷺ، حكاه عنه أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الماوردي، وأبو يعلى بن الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ أي: بالثواب. قال الضحاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا، لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن.

قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَآ فَعَلْتُ يَاسُوفَ وَأَخِيهِ﴾ في سبب قوله لهم هذا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبه على أنفسهم ببيعه من مالك بن ذعر، وفي آخر الكتاب: «وكتب يهوذا» فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا: هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبدٍ كان لنا، فقال يوسف عند ذلك: إنكم تستحقون العقوبة، وأمر بهم ليقتلوا، فقالوا: إن كنت فاعلاً، فاذهب بامتعتنا إلى يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته، وقال: قد كان أبونا متصل الحزن لفقد واحد من ولده، فكيف به إذا أخبر بهلكتنا أجمعين؟ فرق يوسف عند ذلك وكشف لهم أمره، وقال لهم هذا القول، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم لما قالوا: ﴿مَسَنَا وَأَهْلَنَا الْفَرُّ﴾ أدركته الرحمة، فقال لهم هذا، قاله ابن إسحاق. والثالث: أن يعقوب كتب إليه كتاباً: إن رددت ولدي، وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابغ من ولدك، فيكى، وقال لهم هذا. وفي «هل» قولان: أحدهما: أنها استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام. قال ابن الأنباري: والمعنى: ما أعظم ما ارتكبتم، وما أسمح ما آثرتهم من قطيعة الرحم وتضييع الحق، وهذا مثل قول العربي: أتدري من عصيت؟ هل تعرف من عاديت؟ لا يريد بذلك الاستفهام، ولكن يريد تفضيخ الأمر، قال الشاعر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي

- (١) السوق: طعام يتخذ من دقيق الشعير أو الحنطة المقلو، ويقال لسويق المقل: الحنّي، ولسويق النبق: القنّي، وقال أعرابي يصفه: هو عدة المسافرين وطعام المجلان، وبلغه المريض.
- (٢) البيت للأعشى في «ديوانه» ٢٩ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب، والهجان: جمع هجين، وهو الأبيض الكريم، يقال: إبل هجان، والعوذ: الحديثات التاج، وزجي الشيء: دفعه برفق، يقول: إن الممدوح يهب المائة من الإبل وعيها، تتبعها أطفالها تسعى خلفها.
- (٣) البيت في «اللسان»: رمل، أنشده ابن بري شاهداً على أن الأرملة: المرأة التي لا زوج لها.



لم يرد الاستفهام، إِنَّمَا أُرَادَ أَنْ هَذَا غَيْرُ مَرْجُوٍّ عِنْدَهُمْ. قال: ويجوز أن يكون المعنى: هل علمتم عقيب ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وهذه الآية تصديق قوله: ﴿لَتَنبَيِّنَنَّهِنَّ بِأَنبَرِهِمْ﴾. والثاني: أن «هل» بمعنى «قد» ذكره بعض أهل التفسير. فإن قيل: فالذي فعلوا بيوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سَقَوْا في حبسه ولا أرادوه؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنهم فَرَقُوا بينه وبين يوسف، فَنَعَّصُوا عيشه بذلك. والثاني: أَنَّهُمْ أَذَوْهُ بَعْدَ فَقْدِ يوسف. والثالث: أنهم سَبَّوْهُ لَمَّا قُذِفَ بِسَرَقَةِ الصَّاع. وفي قوله: ﴿إِذْ أَنشَرَّ جَهْلُوكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس. والثاني: مذنبون، قاله مقاتل. والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى. والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَآتَىٰ يُوسُفَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وابن محيصن: «إِنَّكَ» على الخبر، وقراه آخرون بهمزيين محققين، وأدخل بعضهم بينها ألفاً<sup>(١)</sup>. واختلف المفسرون، هل عرفوه، أم شَبَّهوه؟ على قولين: أحدهما: أنهم شَبَّهوه بيوسف، قاله ابن عباس في رواية. والثاني: أنهم عرفوه، قاله ابن إسحاق. وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تبسم، فشَبَّهوا ثناباه بثنابا يوسف، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه كانت له علامة كالشامة في قرنه، وكان ليعقوب مثلها، ولإسحاق مثلها، ولسارة مثلها، فلما وضع التاج عن رأسه، عرفوه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كشف الحجاب، فعرفوه، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ قال ابن الأنباري: إِنَّمَا أَظْهَرَ الْأَسْمَ، ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، فكأنه قال: أنا المظلوم المستحلُّ منه، المراد قتله، فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني، ولهذا قال: ﴿وَهَكَذَا أَخِي﴾ وهم يعرفونه، وإِنَّمَا قصد: وهذا المظلوم كظلمي.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ نَاسٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بخير الدنيا والآخرة. والثاني: بالجمع بعد الفقرة. والثالث: بالسلامة ثم بالكرامة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مَن يَتَّقِي وَيَصْبِرُ﴾ قرأ ابن كثير في رواية قبل: «من يتقي ويصبر» بياء في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بغير ياء في الحالين. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: من يتق الزنى ويصبر على البلاء. والثاني: من يتق الزنى ويصبر على العزبة. والثالث: من يتق الله ويصبر على المصائب، رويت هذه الأقوال عن ابن عباس. والرابع: يتق معصية الله ويصبر على السجن، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجر من كان هذا حاله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ نَاسٍ﴾ أي: اختارك وفَضَّلَكَ. وبماذا عنوا أنه فَضَّلَهُ فيه؟ أربعة أقوال: أحدها: بالملك، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثاني: بالصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالحلم والصفح عنه، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والرابع: بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ قال ابن عباس: لَمَذْنِبِينَ أَتَمِينَ فِي أَمْرِكَ. قال ابن الأنباري: ولهذا اختير «خاطئين» على «مخطئين»، وإن كان «أخطأ» على «السن» أكثر من «خطئ» يخطأ» لأن معنى خطئ: يخطئ، فهو خاطئ: آثم، ومعنى أخطأ يخطئ، فهو مخطئ: ترك الصواب ولم يأثم، قال الشاعر:

عَبَاذُكَ يَخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبُّ  
بِكُفِّكَ الْمَنَايَا وَالْحُسُومِ<sup>(٢)</sup>

أراد: يأثمون. قال ويجوز أن يكون أثر «خاطئين» على «مخطئين» لموافقة رؤوس الآيات، لأن «خاطئين» أشبه بما قبلها. وذكر الفراء في معنى «إن» قولين: أحدهما: وقد كنا خاطئين. والثاني: وما كنا إلا خاطئين.

(١) قال أبو جعفر ابن جرير الطبري ٥٥/١٢: والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأ بالاستفهام، لإجماع الجماعة من القرءاء عليه. وقال ابن كثير ٤٨٩/٢: والقراءة المشهورة هي الأولى، لأن الاستفهام يدل على الاستعظام، أي: أنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من ستين وأكثر، وهم لا يعرفونه، وهو مع هذا يعرفهم ويكرم نفسه، فلها قالوا على سبيل الاستفهام: ﴿وَأَنَّكَ لَآتَىٰ يُوسُفَ﴾؟

(٢) البيت غير منسوب في «اللسان»: خطأ.

قوله تعالى: ﴿لَا تُزَيِّرْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبداً. قال ابن الأنباري: إنما أشار إلى ذلك اليوم، لأنه أول أوقات العفو، وسبيل العافي في مثله أن لا يراجع عقوبة. وقال ثعلب: قد تُرَبِّ فلان على فلان: إذا عُدَّ عليه ذنوبه. وقال ابن قتيبة: لا تعير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتكم، وأصل التزيير: الإفساد، يقال: تُرَبِّ علينا: إذا أفسد، وفي الحديث: «إِذَا زُنْتُ أُمَّةً أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ، وَلَا يَثْرُبْ»<sup>(١)</sup> أي: لا يغيرها بالزنى. قال ابن عباس: جعلهم في جِلٍّ، وسأل الله المغفرة لهم. وقال السدي: لما عَرَفَهم نفسه، سألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه، وقال: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْفُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بِبَصِيرَةٍ» وهذا القميص كان في قصة من فضة معلقاً في عنق يوسف لما ألقي في الجب، وكان من الجنة، وقد سبق ذكره [يوسف: ١٨، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨].

قوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِبَصِيرَةٍ﴾ قال أبو عبيدة: يعود مبصراً. فإن قيل: من أين قطع على الغيب؟ فالجواب: أن ذلك كان بالوحي إليه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْوَيْتُ بِالْفَيْحِ أَجْمَعِينَ﴾ قال الكلبي كان أهله نحوراً من سبعين إنساناً.

﴿وَلَكَّا فَصَلَّى اللَّيْلِ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنَّا تُفِيدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَكَّا فَصَلَّى اللَّيْلِ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان. وكان الذي حمل القميص يهوذا. قال السدي: قال يهوذا ليوسف: أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنه، وأنا الآن أحمل قميصك لأسره، فجعله، قال ابن عباس: فخرج حافياً حاسراً يعدو، ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ لهم «أَبُوهُمْ» يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقرباته وولد ولده «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ». ومعنى أجد: أشم، قال الشاعر:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ  
وَلَيْسَ قَتِيقُ الْجَسَدِ مَا تَجِدُونَهُ

فإن قيل: كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر، ولم يجد ريحه من الجب وبعد خروجه منه، والمسافة هناك أقرب؟ فنه جوابان: أحدهما: أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر، وأوجده ريحه من المكان النازح عند تقضي البلاء ومجيء الفرج. والثاني: أن هذا القميص كان في قصة من فضة معلقاً في عنق يوسف على ما سبق بيانه، فلما نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب، فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص. قال مجاهد: هبت ريح فضربت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة، فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثم قال: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ». وقيل: إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير فأذن لها، فلذلك يستروح كل محزون إلى ريح الصبا، ويجد المكروبون لها رَوْحاً، وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق، قال أبو صخر الهذلي:

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهْنِجُنِي  
نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ<sup>(٣)</sup>

قال ابن عباس: وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ثمانين فرسخاً.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنَّا تُفِيدُونِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: تُجْهَلُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثاني: تَسْفُهُونَ، رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة، ومجاهد في رواية. وقال في رواية أخرى: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك. والثالث: تكذبون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك. والرابع: تَهْرَمُونَ، قاله الحسن، ومجاهد في رواية. قال ابن فارس: الْقَدُّ: إنكار العقل من هرم.

(١) البخاري ٤/٣١٠، ومسلم ٣/١٣٢٨ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٩٥٧.

والخامس: تعجزون، قاله ابن قتبية. وقال أبو عبيدة: تسفّهون وتعجزون وتلومون، وأنشد:

يَا صَاحِبِي دَعَا لَوْ مَيِّ وَتَفَنِّيْدِي  
فَلَيْسَ مَا قَاتَ مِنْ أَمْرِ بِمَرْدُوْدِي<sup>(١)</sup>

قال ابن جرير: وأصل التفنيد: الإفساد، وأقوال المفسرين تتقارب معانيها، وسمعت الشيخ أبا محمد بن الخشاب يقول: قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَفَنِّيْدِي﴾ فيه إضمار، تقديره: لأخبرتكم أنه حي.

﴿قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا، وكذلك قال السدي: هذا قول بني بنيه، لأن بنيه كانوا بمصر. وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الخطأ، قاله ابن عباس، وابن زيد. والثاني: أنه الجنون، قاله سعيد بن جبير. والثالث: الشقاء والعناء، قاله مقاتل، يريد بذلك شقاء الدنيا.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَعِيرًا ۖ قَالَ أَتَىٰ أَمْلٌ لَّكُمْ بَشِيرًا مِّنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، والسدي، والجمهور. والثاني: أنه شمعون، قاله الضحاك. فإن قيل: ما الفرق بين قوله هاهنا: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ﴾ وقال في موضع: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]؟ فالجواب: أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعاً، فدخل «أن» لتوكيد مُضَيِّ الفعل، وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ يعني القميص «عَلَىٰ وَجْهِهِ» يعني يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بَعِيرًا﴾، الارتداد: رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها. قال ابن الأنباري: إنما قال: ارتد، ولم يقل: رُدُّ، لأن هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين، كقولهم: طالت النخلة، والله أطالها، وتحركت الشجرة، والله حركها. قال الضحاك: رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن. وروى يحيى بن يمان عن سفيان قال: لما جاء البشير يعقوب، قال: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْلٌ لَّكُمْ بَشِيرًا مِّنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فيه أقوال قد سبق ذكرها قبل هذا بقليل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ سأله أن يستغفر لهم ما أتوا، لأنه نبي مجاب الدعوة. ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ في سبب تأخيرهِ لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم لانتظار الوقت الذي هو مِظَنَّةُ الإجابة، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أخرهم إلى ليلة الجمعة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. قال وهب: كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في ثيف وعشرين سنة. والثاني: إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال طاووس: فوافق ذلك ليلة عاشوراء. والثالث: إلى وقت السحر، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وابن عمر، وقتادة، والسدي، ومقاتل. قال الزجاج: إنما أراد الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء، لا أنه ضَنَّ عليهم بالاستغفار، وهذا أشبه بأخلاق الأنبياء ﷺ. والقول الثاني: أنه دفعهم عن التعجيل بالوعد. قال عطاء الخراساني: طلبُ الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى إلى قول يوسف: ﴿لَا تُزَيِّرْ عَلَيَّ كَلِمَةَ يَوْمٍ﴾ وإلى قول يعقوب: ﴿سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾. والثالث: أنه أخرهم ليسأل يوسف، فإن عفا عنهم، استغفر لهم، قاله الشعبي. وروي عن أنس بن مالك أنهم قالوا: يا أبانا إن عفا الله عنا، وإلا فلا قوة عين لنا في الدنيا، فدعا يعقوب وأمر يوسف، فلم يُجب فيهم عشرين سنة، ثم جاء جبريل فقال: إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعفا ما صنعوا به، واعتقد موافقهم من بُعد على النبوة. قال المفسرون: وكان يوسف قد بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي

(١) البيت لهانئ بن شكيم المدوني في «مجاز القرآن» ٣١٨/١، والطبري ٥٩/١٣، والقرطبي ٥٩/٩.

(٢) «الطبري» ٦٥/١٣ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قد قال أخي يعقوب: سوف استغفر لكم ربي، يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة». وسنده ضعيف، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» ٤٩٠/٢ وقال: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر، والله أعلم.

راحلة، وسأله أن يأتيه بأهله وولده. فلما ارتحل يعقوب ودنا من مصر، استأذن يوسف الملك الذي فوقه في تلقى يعقوب، فأذن له، وأمر الملا من أصحابه بالركوب معه، فخرج في أربعة آلاف من الجند، وخرج معهم أهل مصر. وقيل: إن الملك خرج معهم أيضاً. فلما التقى يعقوب ويوسف، بكيا جميعاً، فقال يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك، أما علمت أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني، خشيت أن تسلب دينك فلا نجتمع. وقيل: إن يعقوب ابتداء بالسلام، فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَمِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يعني: يعقوب وولده. وفي هذا الدخول قولان: أحدهما: أنه دخول أرض مصر، ثم قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مَعِيَ﴾ يعني البلد. والثاني: أنه دخول مصر، ثم قال لهم: ﴿ادْخُلُوا مَعِيَ﴾ أي: استوطنوها. وفي قوله: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ قولان: أحدهما: أبوه وخالته، لأن أمه كانت قد ماتت، قاله ابن عباس والجمهور. والثاني: أبوه وأمّه، قاله الحسن، وابن إسحاق. وفي قوله: ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ ءَمِينٌ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، فالمعنى: سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله، إنه هو الغفور الرحيم، هذا قول ابن جريج. والثاني: أن الاستثناء يعود إلى الأمن. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم. والثاني: أن الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر، فلا يدخلون إلا بجوارهم. والثالث: أنه يعود إلى دخول مصر، لأنه قال لهم هذا حين تلقاهم قبل دخولهم، على ما سبق بيانه. والرابع: أن «إن» بمعنى: «إذا» كقوله: ﴿إِن أَرَدْنَا نَصْنَعَكَ مِنَ التُّرَابِ﴾ [النور: ٣٣]. قال ابن عباس: دخلوا مصر يومئذ وهم ثيف وسبعون من ذكر وأنثى. وقال ابن مسعود: دخلوا وهم ثلاثة وتسعون، وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأَيُّهَا هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْمُبِينُ﴾

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَا مِنْ آيَاتِنَا مِنْ تَأْوِيلِ الْأَمْثَالِ قَابَلُ السُّكُوتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلَوْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نُوَفِّيْ مُسْلِمًا وَكَالْحَقِّي بِالصَّبْرِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ في «أبويه» قولان قد تقدما في الآية التي قبلها. والعرش هاهنا: سرير المملكة، أجلس أبويه عليه ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ يعني: أبويه وإخوته. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى يوسف، قاله الجمهور. قال أبو صالح عن ابن عباس: كان سجودهم كهنة الركوع كما يفعل الأعاجم. وقال الحسن: أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا. قال ابن الأنباري: سجدوا له على جهة التحية، لا على معنى العبادة، وكان أهل ذلك الدهر يحيي بعضهم بعضاً بالسجود والاحتناء، فحضره رسول الله ﷺ، فروى أنس بن مالك قال: «قال رجل: يا رسول الله، أحدنا يلقي صديقه، أينحي له؟ قال: لا»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: وخرُّوا لله سُجَّدًا، رواه عطاء والضحاك عن ابن عباس، فيكون المعنى: أنهم سجدوا شكرًا لله إذ جمع بينهم وبين يوسف.

قوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ أي: تصديق ما رأيت، وكان قد رآهم في المنام يسجدون له، فأراه الله ذلك في البقعة. واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها على سبعة أقوال: أحدها: أربعون سنة، قاله سلمان الفارسي، وعبد الله بن شداد بن الهاد، ومقاتل. والثاني: اثنتان وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: ثمانون سنة، قاله الحسن، والفضيل بن عياض. والرابع: ست وثلاثون سنة، قاله سعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي. والخامس: خمس وثلاثون سنة، قاله قتادة. والسادس: سبعون سنة، قاله عبد الله بن شوذب. والسابع: ثمانى عشرة سنة، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ أي: إليّ. والبَدْوُ: البَسْطُ من الأرض. وقال ابن عباس: البدو: البادية، وكانوا أهل عمود وماشية.

(١) روى الترمذي في «جامعه» ٩٧/٢، وابن ماجه في «مسننه» ١٢٢: ٢، عن أنس بن مالك ؓ قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه، أينحي له؟ قال: «لا» قال: أفيلزمه ويقله؟ قال: «لا» قال: فيأخذه بيده ويصاحه؟ قال: «نعم». وقال الترمذي: هذا حديث حسن.



قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ أي: أفسد بيننا. قال أبو عبيدة: يقال: نزغ بينهم ينزغ، أي: أفسد وهيج، وبعضهم يكسر زاي ينزغ. ﴿إِنَّ رَبِّي لَكَلِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ أي: عالم بدقائق الأمور. وقد شرحنا معنى «اللطيف» في [الأنعام: ١٠٢]. فإن قيل: قد تواتر على يوسف نعم خمسة، فما اقتصراره على ذكر السجن، وهلا ذكر الجُبِّ، وهو أصعب؟ فالجواب من وجوه: أحدها: أنه ترك ذكر الجُبِّ تكريماً، لئلا يذكر إخوته صنيعهم، وقد قال: ﴿لَا تَقْرِبْ عَلَيَّكَ الْيَوْمَ﴾. والثاني: أنه خرج من الجُبِّ إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فكانت هذه النعمة أوفى. والثالث: أن طول لبثه في السجن كان عقوبة له، بخلاف الجُبِّ، فشكر الله على عفوهِ. قال العلماء بالسَّير: أقام يعقوب بعد قدومه مصر أربعاً وعشرين سنة. وقال بعضهم: سبع عشرة سنة في أهنأ عيش، فلما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف أن يحمل إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق، ففعل به ذلك، وكان عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة، ثم إن يوسف تاق إلى الجنة، وعلم أن الدنيا لا تدوم فتتمنى الموت، قال ابن عباس، وقتادة: ولم يتمنَّ الموت نبي قبله، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يعني: ملك مصر ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقد سبق تفسيرها [يوسف: ٦]. وفي «مِنْ» قولان: أحدهما: أنها صلة، قاله مقاتل. والثاني: أنها للتبعض، لأنه لم يؤت كلَّ الملك، ولا كلَّ تأويل الأحاديث.

قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ٦]. ﴿أَنْتَ وَلِيِّيَ﴾ أي: الذي تلي أمري. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه. وكان ابن عقيل يقول: لم يتمنَّ يوسف الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة، والمعنى: توفي إذا توفيتني مسلماً، قال الشيخ: وهذا الصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَالْحَقِّقَ بِالْمِصْلَاحِ﴾ والمعنى: ألحني بلدراجتهم، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله عكرمة. والثاني: أباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك، قالوا: فلما احتضر يوسف، أوصى إلى يهوذا، ومات، فتشاحَّ الناس في دفنه، كلُّ يحبُّ أن يُدفن في محلَّته رجاء البركة، فاجتمعوا على دفنه في النيل ليمر الماء عليه ويصل إلى الجميع، فدفنوه في صندوق من رخام، فكان هنالك إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان. قال الحسن: مات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة. وذكر مقاتل أنه مات بعد يعقوب بستين.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَيْتَهُمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك، فأنزله الله عليك دليلاً على نبوتك. ﴿وَمَا كُنْتَ لَتَيْتَهُمْ﴾ أي: عند إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: عزموا على إلقائه في الحب ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف، وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا ﷺ، لأنه لم يشاهد تلك القصة، ولا كان يقرأ الكتاب، وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز، فدلَّ على أنه أخبر بوحى.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَمَا تَنْتَهُمُ عَلَيْهِ مِنْ آجُرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ قال ابن الأنباري: إن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته، فشرحها شرحاً شافياً، وهو يؤمل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالقوا ظنه، فحزن رسول الله ﷺ، فعزاه الله تعالى بهذه الآية. قال الزجاج: ومعناها: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم. ﴿وَمَا تَنْتَهُمُ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتلاوته وهدايتك إليهم ﴿مِنْ آجُرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا لَمْ يَفْعَلْ﴾ أي: ما هو إلا تذكُّر لهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم.

﴿وَكُلُّهُمْ دُونَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَى آبَائِهِمْ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ دُونَهُ﴾ أي: وكلهم ﴿دُونَهُ﴾ أي: علامة ودلالة تدلهم على توحيد الله، من أمر السموات والأرض، ﴿يَمْشُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: يتجاوزونها غير متفكرين ولا معتبرين.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المشركون، ثم في

معناها المتعلق بهم قولان: أحدهما: أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والشعبي، وقتادة. والثاني: أنها نزلت في تلبية مشركي العرب، كانوا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم النصارى، يؤمنون بأنه خالقهم ورازقهم، ومع ذلك يشركون به، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنهم المنافقون، يؤمنون في الظاهر رثاء الناس، وهم في الباطن كافرون، قاله الحسن. فإن قيل: كيف وصف المشرك بالإيمان؟ فالجواب: أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان، وإنما المعنى: أن أكثرهم، مع إظهارهم الإيمان بالسنتهم، مشركون.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: الغاشية: المججلة تغشاهم. وقال الزجاج: المعنى: يأتيهم ما يغمرهم من العذاب. والبغطة: الفجأة من حيث لم تتوقع.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ﴾ المعنى: قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أَدْعُو إليها، والطريقة التي أنا عليها، سبيلي، أي: سُتِّي ومنهجي. والسبيل تذکر وتوثق، وقد ذكرنا ذلك في [١٠٨] عمران: ١٩٥. ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين. قال ابن الأنباري: وكل مسلم لا يخلو من الدعاء إلى الله ﷻ، لأنه إذا تلا القرآن، فقد دعا إلى الله بما فيه. ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، ثم ابتداء فقال: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

قوله تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ المعنى: وقل: سبحان الله تنزيهاً له عما أشركوا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَتَّقُونَ﴾ (١٠٩)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا نزل من أجل قولهم: هلا بعث الله ملكاً، فالمعنى: كيف تعجبوا من إرسالنا إياك، وسائر الرسل كانوا على مثل حالك ﴿يُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون. والمراد بالقرى: المدن. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء، قال قتادة: لأن أهل القرى أعلم وأحلم من أهل العمود.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: المشركين المنكرين نبوتك ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بذلك. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الشرك. قال الفراء: أضيفت الدار إلى الآخرة، وهي الآخرة، لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظه، كقوله: ﴿لَمَوْ حَتَّى الْيَتِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦] والحق: هو اليقين، وقولهم: أتيتك عام الأول، ويوم الخميس.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وحفص، والمفضل، ويعقوب: «تعلمون» بالياء، وقرأ الآخرون بالياء، والمعنى: أفلا يعلمون هذا فيؤمنوا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا يَسْتَيْسِرُ الرُّسُلَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٠)

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ المعنى متعلق بالآية الأولى، فنقديه: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً، فدعوا قومهم، فكذبوهم، وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استياس الرسل، وفيه قولان: أحدهما: استياسوا من تصديق قومهم، قاله ابن عباس. والثاني: من أن نعلب قومهم، قاله مجاهد. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «كُذِّبُوا» مشددة الذال مضمومة الكاف، والمعنى: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم، فيكون الظن هاهنا بمعنى اليقين، هذا قول الحسن، وعطاء، وقتادة. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «كُذِّبُوا» خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر، لأن الرسل لا يظنون ذلك. وقرأ أبو رزين، ومجاهد، والضحاك: «كُذِّبُوا» بفتح الكاف والذال خفيفة، والمعنى: ظن قومهم أيضاً أنهم قد كذبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرًا﴾ يعني: الرسل «فننجي مَن نَشَاءُ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «فننجي» بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحفص، جميعاً عن عاصم، ويعقوب: «فَنُجِّيَ» مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين، نَجَّوْا عند نزول العذاب.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: في خبر يوسف وإخوته. وروى عبد الوارث كسر القاف، وهي قراءة قتادة، وأبي الجوزاء. ﴿عِبْرَةٌ﴾ أي: عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين: أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليك بعد استعباده، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ، قَادِرٌ عَلَى إِعْزَازِ مُحَمَّدٍ ﷺ وتعليه كلمته. والثاني: أن من تفكَّر، علم أن محمداً ﷺ مع كونه أمياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، فاستدل بذلك على صحة نبوته.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة. والثاني: ما تقدم من القصص، قاله ابن إسحاق. فعلى القول الأول، يكون معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن كان تصديقاً لما بين يديه من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ ﴿وَهُدًى﴾ بَيَاناً ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يصدِّقون بما جاء به محمد ﷺ. وعلى القول الثاني: وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته<sup>(١)</sup>.



(١) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٤٩٨/٢: وتفصيل كل شيء من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات، وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجلية، وعن الغيوب المجملية والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات وتنزهه عن مماثلة المخلوقات، فلماذا كان هدياً ورحمة لقوم يؤمنون، تهتدي به قلوبهم من النور إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويتفنون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا ويوم المعاد، فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم في الدنيا والآخرة ويوم يفوز بالريح المييفة وجوههم الناضرة، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة.





وهو فناء الدنيا. ﴿يَذَرُ الْأَثَرَ﴾ أي: يصرفه بحكمته. ﴿يُقِيمُ اللَّيْلَتِ﴾ أي: يبين الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك. وقرأ أبو رزين، وقتادة، والنخعي: «ندبر الأمر بفضل الآيات» بالنون فيها.

﴿وَقَوَّ الْأَوَى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا وَأَنْهَرَهَا وَمِنْ كُلِّ الْأَنْهَارِ جَعَلَ فِيهَا زَوَاجِينَ اثْنَيْنِ يُشْقِي الْأَيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَوَّ الْأَوَى مَدَّ الْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: بسطها على الماء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا﴾ قال الزجاج: أي جبالاً توابت، يقال: رسا الشيء يرسو رُسُوءًا، فهو راسي: إذا ثبت. و ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوَاجِينَ اثْنَيْنِ﴾ أي: نوعين. والزوج: الواحد الذي له قرين من جنسه. قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود.

قوله تعالى: ﴿يُشْقِي الْأَيْلَ النَّهَارَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤].

﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوعٌ مُّتَبَعِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوعٌ مُّتَبَعِرَاتٌ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الأرض السبخة، والأرض العذبة، تنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تنبت، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنها القرى المتجاورات، قاله قتادة، وابن قتيبة، وهو يرجع إلى معنى الأول.

قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَفَيْرٌ صِنَوَانٌ﴾ رفعاً في الكل. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان» خفضاً في الكل. قال أبو علي: من رفع، فالمعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات، وفي الأرض زرع، ومن خفض حمله على الأعناب، فالمعنى: جنّات من أعناب، ومن زرع، ومن نخيل.

قوله تعالى: ﴿صِنَوَانٌ وَفَيْرٌ صِنَوَانٌ﴾ هذا من صفة النخيل. قال الزجاج: الصنوان: جمع صنو وصُنُو، ومعناه: أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأربع. وكذلك قال المفسرون: الصنوان: النخل المجتمع وأصله واحد، وغير صنوان: المتفرق. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن جبير، وقتادة: «صُنَوَانٌ» بضم الصاد. قال الفراء: لغة أهل الحجاز «صنوان» بكسر الصاد، وتميم وقيس يضمون الصاد.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجَدٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تسقى» بالياء، «ونفضل» بالنون. وقرأ حمزة، والكسائي «تسقى» بالياء أيضاً، لكنهما أمالا القاف. وقرأ الحسن «ونفضل» بالياء. وقرأ عاصم، وابن عمر «يسقى» بالياء، «ونفضل» بالنون، وكلّهم كسر الضاد. وروى الحلبي عن عبد الوارث ضمّ الياء من «يُفَضَّلُ» وفتح الضاد، «بعضها» برفع الضاد. وقال الفراء: من قرأ «تسقى» بالياء ذهب إلى تأنيث الزرع، والجنّات، والنخيل، ومن كسر ذهب إلى النبت، وذلك كلّهُ يُسْقَى بماء واحد، وأكله مختلف حامض وحلو، ففي هذا آية. قال المفسرون: الماء الواحد: ماء المطر، والأكل: الثمر، بعضه أكبر من بعض، وبعضه أفضل من بعض، وبعضه حامض وبعضه حلو، إلى غير ذلك، وفي هذا دليل على بطلان قول الطبايعين، لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء، والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف، دلّ على مدبر قادر، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَوَدَا كَمَا تَرَبَّأْنَا لَئِي خَلَقَ جَدِيدٌ أَوَّلَتِكَ أَوَّلَتِكَ كَتَبُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوَّلَتِكَ الْأَغْطَلُ فِي أَغْطَاهُمْ وَأَوَّلَتِكَ أَحَصَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ أي: من تكذيبهم وعبادتهم ما لا ينفع ولا يضر بعدما رأوا من تأثير قدرة الله عز وجل في خلق الأشياء، فإنكارهم البعث موضع عجب. وقيل: المعنى: وإن تعجب بما وقفت عليه من القلعة المتجاورات وقدره ربك في ذلك، فعجب جحدهم البعث، لأنه قد بان لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل في القدرة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيَّأ» جميعاً بالاستفهام، غير أن أبا عمرو يمدُّ الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة، وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مدٍّ. وقرأ نافع «أَيَّأ» مثل أبي عمرو، واختلف عنه في المَدِّ، وقرأ «إِنَّا لَفِي خَلْقٍ» مكسورة على الخبر. وقرأ عاصم، وحزمة «إِذَا كُنَّا» «إِنَّا» بهمزتين فيهما. وقرأ ابن عامر «إِذَا كُنَّا تُرَابًا» مكسورة الألف من غير استفهام، «إِنَّا» بهمز ثم يمدُّ ثم بهمز على وزن: عاعنًا. وروي عن ابن عامر أيضاً «إِذَا» بهمزتين لا ألف بينهما. والأغلال جمع غُلٍّ، وفيها قولان: أحدهما: أنها أغلال يوم القيامة، قاله الأكثرون. والثاني: أنها الأعمال التي هي أغلال، قاله الزجاج.

﴿يَسْتَعْلِفُكَ بِالسَّيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ١١ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ١٢﴾ الله يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يُبْرِئُ السُّرْحَانَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ١٣ عَنِ الْقَيْنِ وَالشَّهْدَةِ الْكَبِيرِ الْمَتَّعِلِ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْلِفُكَ بِالسَّيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس. والثاني: في مشركي العرب، قاله قتادة. والثالث: في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، قاله مقاتل. وفي السبيطة والحسنة قولان: أحدهما: بالعذاب قبل العافية، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: بالشر قبل الخير، قاله قتادة. فاما: ﴿الْمَثَلَتُ﴾ فقرأ الجمهور بفتح الميم. وقرأ عثمان، وأبو رزين، وأبو مجلز، وسعيد بن جبير، وقاتدة، والحسن، وابن أبي عبله برفع الميم. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها العقوبات، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المعنى: قد تقدّم من العذاب ما هو مثله وما فيه نكال، لو أنهم انتظروا. وقال ابن الأنباري: المثَلَةُ: العقبة التي تُبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعض خلقه، من قولهم: مثل فلان بفلان، إذا شان خلقه بقطع أنفه أو أذنيه، أو سمل عينيه ونحو ذلك. والثاني: أن المثالات: الأمثال التي ضربها الله ﷻ لهم، قاله مجاهد، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ﴾ قال ابن عباس: لذنو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وإنه لشديد العقاب للمصيرين على الشرك. وقال مقاتل: لذنو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب، وإنه لشديد العقاب إذا عذب.

## فصل

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، والمحققون على أنها محكمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ «لولا» بمعنى هلاً، والآية التي طلبوها، مثل عصا موسى وناقة صالح. ولم يقتنعوا<sup>(٢)</sup> بما راوا، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي: مخوف عذاب الله، وليس لك من الآيات شيء. وفي قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن المراد بالهادي: الله ﷻ، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي، فيكون المعنى: إنما إليك الإنذار، والله الهادي. والثاني: أن الهادي: الداعي، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن الهادي: النبي ﷺ، قاله الحسن، وعطاء، وقاتدة، وابن زيد، فالمعنى: ولكل قوم نبي ينذرهم. والرابع: أن الهادي: رسول الله ﷺ أيضاً، قاله عكرمة، وأبو الضحى، والمعنى: أنت منذر، وأنت هادٍ. والخامس: أن الهادي: العمل، قاله أبو العالية. والسادس: أن الهادي: القائد إلى الخير أو إلى الشر، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت

(١) وهو الصحيح، فإنه وإن كان معنى «الظلم» كما يتبادر من سياق الآية هو الشرك، ولكن لا يترتب على هذا التفسير قبول دعوى النسخ، ذلك أن الله ﷻ وصف نفسه في الآية بأنه «شديد العقاب» كما وصف نفسه بأنه «ذو مغفرة» ومعنى هذا أنه إنما يغفر لمن رجع عن الشرك، وأتاب إلى الله، أما المصرون على الكفر، فإنه شديد العقاب لهم على كفرهم.

(٢) في نسخة: «يقتنعوا».

عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، وضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: «أنا المنذر»، وأوماً بيده إلى منكب علي، فقال: «أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي»<sup>(١)</sup>. قال المصنف: وهذا من موضوعات الرافضة. ثم إن الله تعالى أخبرهم عن قدرته، رداً على منكري البعث، فقال: «اللَّهُ يَمْلِكُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى مِنْ عِلْقَةٍ أَوْ مَضْغَةٍ، أَوْ زَائِدٍ أَوْ نَاقِصٍ، أَوْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، أَوْ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَمَا يَنْقُصُ الْأَنْحَامُ» أي: وما تنقص، «وَمَا تَزْدَادُ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: ما تفيض: بالوضع لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد: بالوضع لأكثر من تسعة أشهر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، والضحاك، ومقاتل، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: وما تفيض: بالسقوط الناقص، وما تزداد: بالولد التام، رواه العوفي عن ابن عباس، وعن الحسن كالقولين. والثالث: وما تفيض: بإراقة الدم في الحمل حتى يتضاءل الولد، وما تزداد: إذا أمسكت الدم فيعظم الولد، قاله مجاهد. والرابع: ما تفيض الأرحام: من ولده من قبل، وما تزداد: من تلده من بعد، روي عن قتادة، والسدي.

قوله تعالى: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» أي: بقدر. قال أبو عبيدة: هو يفعل من القدر. قال ابن عباس: علم كل شيء فقدره تقديراً.

قوله تعالى: «عِلَّةُ الْقَبْرِ وَالشَّهَادَةِ» قد شرحنا ذلك في [الانعام: ٦١]. و «الْكَبِيرُ» بمعنى: العظيم. ومعناه: يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو، فهو أكبر من كل كبير، لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته. ويقال: «الكبير» الذي كبر عن مشابهة المخلوقين. فأما «الْمُتَعَالَى» فقرأ ابن كثير «المتعالي» بياء في الوصل والوقف، وكذلك روى عبد الوارث عن أبي عمرو، وأثبتها في الوقف دون الوصل ابن شُبُوح عن قُتَيْبٍ، والباقون بغير ياء في الحالين. والمتعالي هو المنتزه عن صفات المخلوقين، قال الخطابي: وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه. وروي عن الحسن أنه قال: المتعالي عما يقول المشركون.

«سَوَاءٌ يَنْكَرُ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِلَيْهِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ» ﴿١٥﴾

قوله تعالى: «سَوَاءٌ يَنْكَرُ» قال ابن الأنباري: ناب «سواء» عن مُسْتَوٍ، والمعنى: مستوٍ منكم «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ» أي: أخفاه وكنمه «وَمَنْ جَهَرَ بِهِ» أعلنه وأظهره، والمعنى: أن السر والجهر سواء عنده.

قوله تعالى: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِلَيْهِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ» فيه قولان: أحدهما: أن المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب بالنهار: الظاهر المتصرف في حوائجه. يقال: سربت الإبل تسرب: إذا مضت في الأرض ظاهرة، وأنشدا: «

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ  
وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ»<sup>(٢)</sup>

أي: ذاهب. ومعنى الكلام: أن الظاهر والخفي عنده سواء، هذا قول الأكثرين. وروى العوفي عن ابن عباس: «وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ» قال: صاحب ريبة بالليل، فإذا خرج بالنهار، أرى الناس أنه بريء من الإثم. والثاني: أن المستخفي بالليل، والظاهر بالنهار: المستتر، يقال: انسرب الوحش: إذا دخل في كُناسه، وهذا قول الأخفش، وذكره قطرب أيضاً، واحتج له ابن جرير بقولهم: حَقِيقُ الشَّيْءِ: إذا أظهرته، ومنه «أَكَاذُ أَخْفِيَا» [طه: ١٥] بفتح الألف، أي: أظهرها، قال: وإنما قيل للمتواري: سارب، لأنه صار في السر مستخفياً.

(١) ابن جرير الطبري ١٠٨/١٣ وفي سنده الحسن بن الحسين العوفي الكوفي، قال أبو حاتم: لم يكن يصدق عندهم، وقال ابن عدي: لا يشبه حديثه حديث الثقات، وقال ابن حبان: يأتي عن الأثبات بالملاقات، ويروي المقلوبات. وقد ساق الذهبي هذا الحديث في ترجمته، وعده من منكراته، ثم قال: رواه ابن جرير في «تفسيره» عن أحمد بن يحيى عن الحسن بن معاذ، ومعاذ نكرة فلعل الآفة منه، وقال في ترجمة معاذ بن مسلم: مجهول وله عن عطاء بن السائب خبر باطل سقاء في الحسن بن الحسين. وذكره ابن كثير ٥٠٢/٢ من رواية ابن جرير وقال: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة.

(٢) البيت من قصيدة في «المفضليات» ٢٠٨، ومنتهاى الطلب ٢٩٥، والحماسة بشرح الرموزي ٧٢٨، واللسان: سرب. للأخفش بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي بن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، وهو فارس العصا، والعصا فرسه، وهو شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر. وقوله: فهو سارب، أي: توجه للرمي، يريد أن الناس أقاموا في موضع لا يجتربون على الثقلة إلى غيره، ونحن أعزاء نذهب حيث شئنا لا يقدر أحد على منعتنا.

﴿لَمْ مَعِيتَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَرُ سَوَاءً فَلَا مَرَّةَ لَمْ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ يَنْ وَالِ ۝ (١١)

قوله تعالى: ﴿لَمْ مَعِيتَ﴾ في هاء «له» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: إلى الملك من ملوك الدنيا، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: إلى الإنسان، قاله الزجاج. والرابع: إلى الله تعالى، ذكره ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. وفي المعقبات قولان: أحدهما: أنها الملائكة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والحسن، وقتادة في آخرين. قال الزجاج: والمعنى: للإنسان ملائكة يعقبون، يأتي بعضهم يعقب بعض. وقال أكثر المفسرين: هم الحفظة، اثنان بالنهار واثنان بالليل، إذا مضى فريق، خلف بعده فريق، ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر<sup>(١)</sup>. وقال قوم، منهم ابن زيد: هذه الآية خاصة في رسول الله ﷺ، عزم عامر بن الطفيل وأريد بن قيس على قتله، فمنعه الله منها، وأنزل هذه الآية. والقول الثاني: أن المعقبات حُرَّاس الملوك الذين يتعاقبون الحرس، وهذا مروى عن ابن عباس، وعكرمة. وقال الضحاك: هم السلاطين المشركون المحترسون من الله تعالى. وفي قوله: ﴿يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبعة أقوال: أحدها: يحرسونه من أمر الله ولا يقدرون، هذا على قول من قال: هي في المشركين المحترسين من أمر الله. والثاني: أن المعنى: يحفظهم له من أمر الله، قاله ابن عباس، وابن جبير، فيكون تقدير الكلام: هذا الحفظ مما أمرهم الله به. والثالث: يحفظونه بأمر الله، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللغويون: والباء تقوم مقام «من»، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. والرابع: يحفظونه من الجن، قاله مجاهد، والنخعي. وقال كعب: لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذَّبُون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعَوَزَاتِكُمْ، إِذَا لَتَخَطَّفَتْكُمْ الْجِنُّ. وقال مجاهد: ما من عَبْدٍ إِلَّا وَمَلَكٌ مَوْكَلٌ به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فإذا أَرَادَ شيء، قال: وراءك وراءك، إِلَّا شيء قد قضي له أن يصيبه. وقال أبو مجلز: جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام، فقال: احترس، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدَّر، فإذا جاء القدر خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنْ أَجَلَ جُئْتُ حَصِينَةً. والخامس: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: له معقبات من أمر الله يحفظونه، قاله أبو صالح، والفراء. والسادس: يحفظونه لأمر الله فيه حتى يُسَلِّمُوهُ إِلَى مَا قَدَّرَ لَهُ، ذكره أبو سليمان الدمشقي، واستدل بما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: يحفظونه من أمر الله، حتى إذا جاء القدر خَلَّوْا عَنْهُ. وقال عكرمة: يحفظونه لأمر الله. والسابع: يحفظون عليه الحسنات والسيئات، قاله ابن جريج. قال الأخفش: وإنما أَثَّتْ المعقبات لكثرة ذلك منها، نحو النسابة، والعلامة، ثم ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ: «يَحْفَظُونَهُ» لَأَنَّ الْمَعْنَى مَذْكُورٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ أَي: لَا يَسْلِبُهُمْ نِعْمَةً ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فَيَعْمَلُوا بِمَعَاصِيهِ. قَالَ مَقَاتِلٌ: وَيَعْنِي بِذَلِكَ كِفَارُ مَكَةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْوَرُ سَوَاءً﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْعَذَابُ. وَالثَّانِي: الْبَلَاءُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا مَرَّةَ لَمْ﴾ أَي: لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ وَلَا تَنْفَعُهُ الْمَعْقَبَاتُ. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ يَعْنِي: مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مِنْ وَالِ﴾ أَي: مَنْ وَلِيَ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَلَاءَ.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ۝ (١٢)

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآزِفَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ،

(١) روى البخاري ٢٨/٢، ومسلم ٤٣٩/١ عن أبي هريرة عليه السلام، أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». قال ابن كثير ٥٠٣/٢ أي: للبعد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل، وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من غير أو شر، ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، فائتان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه يحرسانه، واحد من ورائه، وآخر من قدامه. فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وركابان.



قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال قتادة: فالمسافر خاف أذاه ومشقته والمقيم يرجو منفعة. والثاني: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: خوفاً للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به، ذكره الزجاج. والرابع: خوفاً من العقاب وطمعاً في الثواب، ذكره الماوردي. وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول: إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتُ السَّحَابَ الْقِثَاءَ﴾ أي: ويخلق السحاب الثقيل بالماء. قال الفراء: السحاب، وإن كان لفظه واحداً، فإنه جمع واحدته سحابة، جعل نعتة على الجمع، كما قال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَتَغَيَّرَ حَسَانُ﴾ [الرحمن: ٧٦] ولم يقل: أخضر، ولا حسن.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ وَيُرْسِلُ الْغَوَاقِقَ فَيُجِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اسم الملك الذي يزجر السحاب، وصوته: تسبيحه، قاله مقاتل. والثاني: أنه الصوت المسموع. وإنما خُص الرعد بالتسبيح، لأنه من أعظم الأصوات. قال ابن الأنباري: وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمَّني كلامك.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِفَتِهِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، وهو الأظهر. قال ابن عباس: يخافون الله، وليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله شيء. والثاني: أنها ترجع إلى الرعد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الْغَوَاقِقَ فَيُجِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أريد بن قيس، وعامر بن الطفيل، أتيا إلى رسول الله ﷺ يريدان الفتك به، فقال: «اللهم اكفنيهما بما شئت»، فاما أريد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقت، وأما عامر فأصابته غدة فهلكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية، هذا قول الأكثرين، منهم ابن جريج<sup>(١)</sup>، وأريد هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه. والثاني: أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حدثني يا محمد عن إلهك، أياقوت هو؟ أذهب هو؟ فنزلت على السائل صاعقة فأحرقت، ونزلت هذه الآية، قاله علي<sup>(٢)</sup>. قال مجاهد: وكان يهودياً. وقال أنس بن مالك: بعث رسول الله ﷺ إلى بعض فراعنة العرب يدعوه إلى الله تعالى، فقال للرسول: وما الله، أمين ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع إليه فادعه»، فرجع، فأعاد عليه الكلام، إلى أن رجع إليه ثالثة، فبينما هما يتراجعان الكلام، إذ بعث الله سحابة حيال رأسه، فرعدت ووقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، ونزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنها في رجل أنكر القرآن وكذب رسول الله ﷺ فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: يكذبون بعظمة الله، قاله ابن عباس. والثاني: يخاصمون في الله، حيث قال قائلهم: أهو من ذهب، أم من فضة؟ على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: شديد الأخذ، قاله علي<sup>(٥)</sup>. والثاني: شديد المكر،

(١) «الطبري» ١٢٦/١٣ بنحوه، عن ابن جريج، والواحد في «أسباب النزول» ١٥٦، ١٥٧ عن ابن عباس في رواية أبي صالح وابن جريج وابن زيد، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٢/٤، وزاد نسبه لأبي الشيخ عن ابن جريج، وذكره ابن كثير ٥٠٦/٢ من رواية الطبراني مطولاً بنحوه، وفي سنده عبد العزيز بن عمران الزهري المدني، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وقال النسائي وغيره: متروك.

(٢) «الطبري» ١٢٥/١٣.

(٣) «الطبري» ١٢٥/١٣، والواحد في «أسباب النزول» ١٥٦، وفي سنده علي بن أبي سارة الشيباني، قال أبو داود: تركوا حديثه، وقال البخاري: في حديثه نظر، وقال أبو حاتم: ضعيف، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٤٢/٧، وقال: رواه أبو يعلى، والبخاري في «الأوسط»، ورجال البزار رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان وهو ثقة، وفي رجال أبي يعلى والطبراني علي بن أبي سارة وهو ضعيف.

(٤) «الطبري» ١٢٦/١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٥٢/٤ وزاد نسبه للخرائط.

شديد العداوة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: شديد العقوبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد في رواية عنه: شديد الانتقام. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة والمكر والنكال، وأنشد للأعشى:

فَنُرُجُ نَبْعَ يَهْتَرُ فِي غُضُنِ الْمَجْدِ      د، غَزِيرُ التُّدَى، شَدِيدُ الْمِحَالِ  
إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُنْفِ      ط جَزِيلاً فَلَأِنَّهُ لَا يُبَالِي<sup>(١)</sup>

وقال ابن قتيبة: شديد المكر واليد، وأصل المحال: الحيلة. والرابع: شديد القوة، قاله مجاهد. قال الزجاج: يقال: ما حلته محالاً: إذا قاوته حتى تبين له أيكما الأشد، والمحل في اللغة: الشدة. والخامس: شديد الحقد، قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسنداً من طرق، وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري، والنقاش، ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى. قال النقاش: هذا قول مُتَكَرِّرٌ عند أهل الخبر والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفة من صفات الله ﷻ. والذي اختاره في هذا ما قاله عليّ ﷺ: شديد الأخذ، يعني: أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته.

﴿لَمْ دَعَوْا لَكَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَيْطٍ كَفَتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَتَلَفَ فَاً وَمَا هُوَ بِكَافٍهُمْ وَلَا فِي سَبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَمْ دَعَوْا لَكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، قاله عليّ، وابن عباس، والجمهور، فالمعنى: له من خلقه الدعوة الحق، فأضيفت الدعوة إلى الحق، لاختلاف اللفظين. والثاني: أن الله ﷻ هو الحق، فمن دعاه دعا الحق، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: الأصنام يدعونها آلهة. قال أبو عبيدة: المعنى: والذين يدعون غيره من دونه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ أي: لا يجيبونهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَيْطٍ كَفَتِهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه العطشان يمدُّ يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغته، قاله عليّ ﷺ، وعطاء. والثاني: أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه الرجل يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبداً، قاله مجاهد. والخامس: أنه الباسط كفيه ليقبض على الماء حتى يؤدّيه إلى فيه، لا يتم له ذلك، والعرب تقول: من طلب ما لا يجد فهو القابض على الماء، وأنشدوا:

وَأَنِّي وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقاً إِلَيْكُمْ      كَقَابِضٍ مَاءٍ لَمْ تَسْفُهُ أَنَا مِلَّةُ<sup>(٣)</sup>  
أَي: لم تحمله، والشوق: الجمل، وقال آخر:  
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
هذا قول أبي عبيدة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال، لأن أصواتهم محجوبة عن الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وباطل، قاله مقاتل.

(١) «ديوانه» ٧، ٩، و«مجاز القرآن» ١/٣٢٥، و«المصط» ٩٠٧، و«القرطبي» ٩/٢٩٩، و«اللسان» و«التاج»: محل. وقال ابن جرير بعد أن أورد البيت الأول: هكذا كان ينشده معمر بن المثنى فيما حدثت عن علي بن المغيرة عنه، وأما الرواية بعد فإنهم ينشدون:

نَرُجُ نَبْعَ يَهْتَرُ فِي غُضُنِ الْمَجْدِ      د كَثِيرُ التُّدَى عَظِيمُ الْمِحَالِ  
وفسر ذلك معمر بن المثنى، وزعم أنه عن به: العقوبة والمكر والنكال.

(٢) البيت لضابن بن الحارث البرجمي، «الطبري» ١٣/١٢٩، و«مجاز القرآن» ١/٣٢٧، و«اللسان»: وسق، و«الخزانة» ٤/٨٠.

(٣) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٣/١٢٩، و«مجاز القرآن» ١/٣٢٧، و«القرطبي» ٩/٣٠٠.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: من الملائكة، ومن في الأرض من المؤمنين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾. وفي معنى سجد الساجدين كرهاً ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سجد من دخل في الإسلام بالسيف، قاله ابن زيد. والثاني: أنه سجد ظل الكافر، قاله مقاتل. والثالث: أن سجد الكاره تذلله وانقياده لما يريد الله منه من عافية ومرض وغنى وفقر.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: وتسجد ظلال الساجدين طوعاً وكرهاً، وسجودها: تمايلها من جانب إلى جانب، وانقيادها للتسخير بالطول والقصر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الظل ما كان بالعدوات قبل انبساط الشمس، والفيء ما كان بعد انصراف الشمس، وإنما سمي فيئاً، لأنه فاء، أي: رجع إلى الحال التي كان عليها قبل أن تنبسط الشمس، وما كان سوى ذلك فهو ظل، نحو ظل الإنسان، وظل الجدار، وظل الثوب، وظل الشجرة، قال حميد بن ثور:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه

وقال ليبد:

بينما الظل ظليل موزن

وقال آخر:

أيا أثلاث القاع من بطن توضح

وقيل: إن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد لله. وقد شرحنا معنى الغدو والآصال في [الأعراف: ٧].

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ لِشَيْءٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ لَالِهُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١٦)

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ إنما جاء السؤال والجواب من جهة، لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا، كان كأنهم أجابوا. ثم ألزمهم الحجة بقوله: ﴿قُلْ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ﴾ يعني: الأصنام توليتهم فعبدهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، فكيف لغيرهم؟ ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تستوي» بالثاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يستوي» بالياء. قال أبو علي: التانيث حسن، لأنه فعل مؤنث، والتذكير سائغ، لأنه تانيث غير حقيقي. ويعني بالظلمات والنور: الشرك والإيمان. ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه، فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء؟ وهذا استفهام إنكار، والمعنى: ليس الأمر على هذا، بل إذا فكروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق، وغيره لا يخلق شيئاً.

قوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: قل ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء، وقد ذكرنا في [يوسف: ٣٩] معنى الواحد القهار.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَيْضٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا

(١) «ديوانه» ٤٠، و«اللسان»: فياً.

(٢) «ديوانه» ١٨١، وروايته فيه:

فإذا ما حضر الليل أضمر

طال قرن الشمس لما طلعت

(٣) البيت لمجون ليلى: «ديوانه» ٢٢١، ولبعض الأعراب في «الزهر» ٢٦٦، وليحيى بن أبي طالب في «الأمالي» ١/ ١٢٣، و«مصارع المشاق» ٢٩٤/١، و«معجم البلدان»: قرقرى.

لِرَبِّهِمُ الْحَسَنُ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا لَاقْتَدَرُوا بِهِمْ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَفِيهَا أَلِهَادٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ وهي جمع وادٍ، وهو كل منفرج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بمبلغ ما تحمل، فإن صغر الوادي، قل الماء، وإن هو اتسع، كثر. وقرأ الحسن، وابن جبير، وأبو العالية، وأيوب، وابن يعمر، وأبو حاتم عن يعقوب: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بإسكان الدال. وقوله: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ توسع في الكلام، والمعنى: سالت مياهها، فحذف المضاف، وكذلك قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾ أي: بقدر مياهها. ﴿فَأَسْتَوَّتْ الْأَشْيَاءُ ذُبَاً نَبَاتًا﴾ أي: عالياً فوق الماء، فهذا مثل ضربه الله ﷻ. ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿رَبِّمَا يُرِيدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿تُرِيدُونَ عَلَيْهِ﴾ بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بالياء. قال أبو علي: من قرأ بالتاء، فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: ﴿أَفَاتُخَذْتُمْ﴾، ويجوز أن يكون خطاباً عاماً للكلالة، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾. ويعني بقوله: ﴿رَبِّمَا يُرِيدُونَ عَلَيْهِ﴾ ما يدخل إلى النار فيذاب من الجواهر ﴿أَتَيْفَاءً يَلِيَهُ﴾ يعني: الذهب والفضة ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يعني: الحديد والصفير والنحاس والرصاص تُتخذ منه الأواني والأشياء التي يُنتفع بها، ﴿زَيْدٌ يَنْتَفِعُ بِهَا﴾ أي: له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل، فهذا مثل آخر. وفيما ضرب له هذان المثالان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك، والعقل والجهل، فيستكن فيها، فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكّه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا يُنتفع به. والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق، كذلك الباطل، وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال، فإن الله سيبيطله. والثالث: أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المتتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما ذكر هذا، يضرب الله مثل الحق والباطل، وقال أبو عبيدة: كذلك يمثل الله الحق ويمثل الباطل. فاما الجفاء، فقال ابن قتيبة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته، يقال: أجفأت القدر بزيدها: إذا ألقته عنها. قال ابن فارس: الجفاء: ما نفاه السيل، ومنه اشتقاق الجفاء. وقال ابن الأنباري: «جفاء» أي: بالياً متفرقاً. قال ابن عباس: إذا مَسَّ الزبد لم يكن شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَبْتَغِ الْكَافِرُ﴾ من الماء والجواهر التي زال زبدُها ﴿فَيَتَكُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ فيُنتفع به ﴿كَذَلِكَ﴾ يبقى الحق لأهله.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ يعني: المؤمنين، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: الكفار. قال أبو عبيدة: استجبت لك واستجبتك سواء، وهو بمعنى: أجب. وفي الحسنی ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها الحياة والرزق، قاله مجاهد. والثالث: كل خير من الجنة فما دونها، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَاقْتَدَرُوا بِهِمْ﴾ أي: لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يُقبل منهم. وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المناقشة بالأعمال، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. وقال النخعي: هو أن يحاسب بذنبه كله، فلا يُغفر له منه شيء. والثاني: أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة. والثالث: أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب.

﴿أَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾ أي: أنت يوم تأتي الساعة ﴿وَأَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾ أي: أنت يوم تأتي الساعة ﴿وَأَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾ أي: أنت يوم تأتي الساعة ﴿وَأَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾ أي: أنت يوم تأتي الساعة ﴿وَأَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾ أي: أنت يوم تأتي الساعة ﴿وَأَنْتَ يَوْمَ تَأْتِي سَاعَ الْوَعْدِ﴾



﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٦) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾  
قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ في هذا العهد قولان: أحدهما: أنه ما عاهدكم عليه حين استخرجهم من ظهر آدم. والثاني: ما أمرهم به وفرضه عليهم. وفي الذي أمر الله به، ﷺ، أن يوصل، ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة [البقرة: ٢٧]، وقد ذكرنا سوء الحساب آنفاً.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْمَسْكِينَةِ أُولَئِكَ لَمْ تُغْنِ الْآزَارُ عَنْهُمْ وَلَا يَتَلَوَّنَا وَمَنْ صُلِحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٢) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ فَبِعَمِّي الْكَارِ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على ما أمروا به ﴿ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ أي: طلباً لرضاءه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أنمواها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال في طاعة الله. قال ابن عباس: يريد بالصلاة: الصلوات الخمس، وبالإنفاق: الزكاة.  
قوله تعالى: ﴿يَدْرُءُونَ﴾ أي: يدفعون ﴿وَالْمَسْكِينَةَ﴾. وفي المراد بهما خمسة أقوال: أحدها: يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل، قاله ابن عباس. والثاني: يدفعون بالمعروف المنكر، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: بالغفو الظلم، قاله جويرير. والرابع: بالحلم السفة، كأنهم إذا سُفِه عليهم حَلَمُوا، قاله ابن قتيبة. والخامس: بالتوبة الذنب، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ تُغْنِ الْآزَارُ﴾ قال ابن عباس: يريد: عقابهم الجنة، أي: تصير الجنة آخر أمرهم.  
قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صُلِحَ﴾ وقرأ ابن أبي عبله: «صُلِحَ» بضم اللام. ومعنى «صُلِحَ»: آمن، وذلك أن الله تعالى ألحق بالمؤمن أهله المؤمنين إكراماً له، لتقر عينه بهم. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ قال ابن عباس: بالتحية من الله والتحفة والهدايا.

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: أضمر القول هاهنا، لأن في الكلام دليلاً عليه. وفي هذا السلام قولان: أحدهما: أنه التحية المعروفة، يدخل الملك فيسلم وينصرف. قال ابن الأنباري: وفي قول المسلم: سلام عليكم، قولان: أحدهما: أن السلام: اللّهُ ﷻ، والمعنى: الله عليكم، أي: على حفظكم. والثاني: أن المعنى: السلامة عليكم، فالسلام جمع سلامة. والثاني: أن معناه: إنما سلمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا. وفيما صبرا عليه خمسة أقوال: أحدها: أنه أمر الله، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: فضول الدنيا، قاله الحسن. والثالث: الدين. والرابع: الفقر، روي عن أبي عمران الجوني. والخامس: أنه فقد المحبوب، قاله ابن زيد.

﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَيَقْعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٤)  
قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ٢٧]. وقال مقاتل: نزلت في كفار أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَلْتَمِسْهُ﴾ أي: عليهم.  
﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَغَرِخُوا بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ (٢٥)  
قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيّق. ﴿وَوَرِخُوا بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ قال ابن عباس: يريد مشركي مكة، فرحوا بما نالوا من الدنيا فطغوا وكذبوا الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بالقياس إليها ﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾ أي: كالشيء الذي يُتَمَتَّع به، ثم يفنى<sup>(١)</sup>.  
﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٦)  
قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله ﷺ مثل آيات الأنبياء.. ﴿قُلْ إِنَّكُمْ

(١) روى الإمام أحمد في «المستند» ٢٢٩/٤ عن المستورد أخيه بني فهر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبغة هذه في اليوم، فلينظر بم يرجع، وأشار إلى السبابة»، ورواه مسلم في «صحيحه» ٢١٩٣/٤.

اللَّهُ يُعِزُّ مَنْ يُشَاءُ﴾ أي: يرثه عن الهدى كما ردكم بعدما أنزل من الآيات وحرّمكم الاستدلال بها، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أي: رجع إلى الحق، وإنما يرجع إلى الحق من شاء الله رجوعه، فكانه قال: ويهدي من يشاء.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَنَبَّأَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا بدل من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى: يهدي الذين آمنوا، ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ في هذا الذكر قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: ذكر الله على الإطلاق. وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: أحدهما: أنها الحب له والأنس به. والثاني: السكون إليه من غير شك، بخلاف الذين إذا ذُكر الله اشمأزت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: «ألا» حرف تنبيه وابتداء، والمعنى: تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين، لأن الكافر غير مطمئن القلب.

قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه اسم شجرة في الجنة. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما طوبى؟ قال: شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها»<sup>(١)</sup>، وقال أبو هريرة: طوبى: شجرة في الجنة، يقول الله ﷻ لها: تفتّحي لعبدي عما شاء، فتفتّحي له عن الخيل بسروجها ولجمها، وعن الإبل بأرمتها، وعمّا شاء من الكسوة»<sup>(٢)</sup>. وقال شهر بن حوشب: طوبى: شجرة في الجنة، كل شجر الجنة منها أغصانها، من وراء سور الجنة، وهذا مذهب عطية، وشمر بن عطية، ومغيث بن سفي، وأبي صالح. والثاني: أنه اسم الجنة بالحشية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. قال المصنف: وقرأت على شيخنا أبي منصور عن سعيد بن مسجوح قال: طوبى: اسم الجنة بالهندية، ومن ذهب إلى أنه اسم الجنة عكرمة، وعن مجاهد كالكولين. والثالث: أن معنى طوبى لهم: فرح وفرة عين لهم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أن معناه: نعيم لهم، قاله عكرمة في رواية، وفي رواية أخرى عنه: نعم ما لهم. الخامس: غبطة لهم، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. والسادس: أن معناه: خير لهم، قاله النخعي في رواية، وفي أخرى عنه قال: الخير والكرامة اللذان أعطاهم الله. وروى معمر عن قتادة قال: يقول الرجل للرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيراً، وهي كلمة عربية. والسابع: حسنى لهم، رواه سعيد عن قتادة عن الحسن. والثامن: أن المعنى: العيش الطيب لهم. و«طوبى» عند النحويين: فعلى من الطيب، هذا قول الزجاج. وقال ابن الأنباري: تأويلها: الحال المستطابة والحالة المستلذذة، وأصلها: «طَبِي» فصارت الياء وأوّل لسكونها وانضمام ما قبلها كما صارت في «مؤمن» والأصل فيه «مُؤَيِّن» لأنه مأخوذ من اليقين، فغلبت الضمة فيه الياء فجعلتها وأوّل.

قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ مَا تَنَبَّأَ﴾ المآب: المرجع والمقلّب.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ أُمَمٌ أَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ أَرَبِحَانًا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن النبي ﷺ لما قال لكفار قريش: اسجدوا للرحمن، قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، وقيل لهم: إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي، هذا قول الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية، كتب عليّ ﷺ: بسم الله الرحمن

(١) «الطبري» ١٤٩/١٣، ورواه الإمام أحمد في «مسند»، وابن حبان من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وخرجه السيوطي في «الدر» ٥٩/٤ وزاد نسبة لأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخطيب في «تاريخه».

(٢) «الطبري» ١٤٧/١٣ من حديث شهر بن حوشب عن أبي هريرة. وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥١٣/٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٥٩/٤ وزاد نسبة لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) «أسباب النزول» للرازي ١٥٧ بدون سند.

الرحيم، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يوماً في الجحر يدعو، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول: يا رحمن، فولى مذبراً إلى المشركين فقال: إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إليهن! فنزلت هذه الآية، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ قال أبو عبيدة: هو مصدر ثبت إليه.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لَوْنُ الْأَمْرِ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْوَعْدَ ۚ﴾ ولقد استهزئ رسولُ بين قبائل فالتفت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي ﷺ: لو وسَّعت لنا أودية مكة بالقرآن، وسيَّرت جبالها فاحترناها، وأحييت من مات منا، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الزبير بن العوام: قالت قريش لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنزرع، أو يحيي لنا موتانا فنكلهم، أو يصير هذه الصخرة ذهباً فتغنيانا عن رحلة الشتاء والصيف فقد كان للأنبياء آيات، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الاسراء: ٥٩]. ومعنى قوله: ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ أي: شققت فجعلت أنهاراً، ﴿أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أحيوا حتى كلِّموا. واختلفوا في جواب «لو» على قولين: أحدهما: أنه محذوف. وفي تقدير الكلام قولان: أحدهما: أن تقديره: لكان هذا القرآن، ذكره الفراء، وابن قتيبة. قال قتادة: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم. والثاني: أن تقديره: لو كان هذا كله لما آمنوا ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ نَزَّلْنَا إِلَهُنَّ الْمَلَكَةَ...﴾ إلى آخر الآية [الأنعام: ١١١]، قاله الزجاج. والثاني: أن جواب «لو» مقدم، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أنزلنا عليهم ما سألوا، ذكره الفراء أيضاً.

قوله تعالى: ﴿بَلَّ لَوْنُ الْأَمْرِ جَمِيعًا﴾ أي: لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ، لم ينفع ما اقترحوا من الآيات. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أفلم يتبين، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه عكرمة أنه كان يقرؤها كذلك، ويقول: أظن الكاتب كتبها وهو ناعس، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، ومقاتل. والثاني: أفلم يعلم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقاتدة، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: ويقال: هي لغة للثَّع<sup>(٣)</sup> «يأس» بمعنى «يعلم»، قال الشاعر:

أَقُولُ لَهُمْ بِالسُّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَ نِسِي

وإنما وقع اليأس في مكان العلم، لأن في علمك الشيء وتيقنك به يأسك من غيره. والثالث: أن المعنى: قد يش الذين آمنوا أن يهدوا واحداً، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، قاله أبو العالية. والرابع: أفلم يأس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون، قاله الكسائي. وقال الزجاج: المعنى عندي: أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون، لأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم جميع الكفار، قاله ابن السائب. والثاني: كفار مكة، قاله مقاتل. فأما القارعة، فقال الزجاج: هي في اللغة: النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم. وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها عذاب من السماء، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: السرايا والطلائع التي كان يُفْهِدُها

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٧ بدون سند. وانظر ابن كثير ٥١٥/٢.

(٢) «الطبري» ١٥١/١٣ وسنده ضعيف، وأوده ابن كثير ٥١٥/٢ من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشر بن عمار، وعطية العوفي، وهما ضعيفان.

(٣) قال الطبري ١٥٣/١٣: وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحى من النسخ يقال لهم: وقبيل.

(٤) البيت لسحيم بن وثيل البريوعي في «الطبري» ١٥٣/١٣، ومجاز القرآن ٣٣٢/١، و«القرطبي» ٣٢٠/٩، و«اللسان». و«التاج»: يش، و«شواهد

الكشاف» ٢٦٨، وانظر الاختلاف في عزو البيت في «اللسان»، و«التاج»: يش. وزهد: فرس لعوف جد سحيم.



رسول الله ﷺ، قاله عكرمة. وفي قوله: ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، فالمعنى: أو تحل أنت يا محمد، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها القارعة، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قولان: أحدهما: فتح مكة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: القيامة، قاله الحسن.

﴿أَفَننْ هُوَ قَائِدٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَبْلُغُهُم مِّنَ الْقَوْلِ لَئِىْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَهُمْ يُنَادُونَ عَنِ الْبَيْتِ وَمَن يَضِلَّ اللَّهُ قَاتِلُهُ مِّنْ هَادٍ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَننْ هُوَ قَائِدٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعني: نفسه ﷻ. ومعنى القيام هاهنا: التولي لأمر خلقه، والتدبير لأرزقهم وآجالهم، وإحصاء أعمالهم للجزاء، والمعنى: أئمن هو مجازي كل نفس بما كسبت، يثيبها إذا أجسنت، ويأخذها بما جنت، كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام؟ قال الفراء: فترك جوابه، لأن المعنى معلوم، وقد بيته بعد هذا بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ كأنه قيل: كشركايمهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يسمى الله بالخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ولو سمَّوهم بشيء من هذا لكدبوا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَبْلُغُهُم مِّنَ الْقَوْلِ﴾ هذا استفهام منقطع مما قبله، والمعنى: فإن سمَّوهم بصفات الله، فقل لهم: أتنبئونه، أي: أتخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكاً، ولو كان لعلَّيمه؟ قوله تعالى: ﴿أَمْ يَبْلُغُهُم مِّنَ الْقَوْلِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم بظن من القول، قاله مجاهد. والثاني: بباطل، قاله قتادة. والثالث: بكلام لا أصل له ولا حقيقة.

قوله تعالى: ﴿لَئِىْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ قال ابن عباس: زين لهم الشيطان الكفر. قوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا عَنِ الْبَيْتِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَصُدُّوا» بفتح الصاد، ومثله في: «حم المؤمن» [غافر: ٢٧]. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وَصُدُّوا» بالضم فيهما. فمن فتح، أراد: صَدُّوا المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد صدهم الله عن سبيل الهدى.

﴿لَّمْ يَكُنْ لَّكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّ الْآخِرَةَ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنْ لَّكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو القتل، والأسر، والسقم، فهو لهم في الدنيا عذاب، وللمؤمنين كفارة، ﴿وَلَكِنَّ الْآخِرَةَ أَشَقُّ﴾ أي: أشد ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ أي: مانع يقيهم عذابه. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي: صفتها أن الأنهار تجري من تحتها، هذا قول الجمهور. وقال ثعلب: خير المثل مضمر قبله، والمعنى: فيما نصف لكم مثل الجنة، وفيما نقضه عليكم خبر الجنة ﴿أَكُلُهَا دَائِمٌ﴾ قال الحسن: يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وَزَيْلُهَا﴾ لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي: عاقبة أمرهم المصير إليها. ﴿وَالَّذِينَ مَا يَنْتَهُمُ الْكَتَبَ يَقْرَعُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُبَكِّرُ بَعْضُهُمْ قُلُوبًا إِنَّمَا يُرِيدُ أَن يُعْبِدَ اللَّهَ وَلَا يُشْرِكَ بِهِ إِلَهُ أَدْعُوا وَإِلَهُ مَنَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَا يَنْتَهُمُ الْكَتَبَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مسلمو اليهود، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: هم عبد الله بن سلام وأصحابه. والثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ. قاله قتادة. والثالث: مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى، ذكره الماوردي. والذي أنزل إليه: القرآن، فرح به المسلمون وصدَّقوه، وفرح به مؤمنو أهل الكتاب، لأنه صدَّق ما عندهم. وقيل: إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب، ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما نزل ذكره فرحوا، وكفر المشركون به، فنزلت هذه الآية. فاما



الأحزاب، فهم الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالمعاداة، وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، قاله قتادة. والثاني: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله ابن زيد. والثالث: بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد المطلب، قاله مقاتل. والرابع: كفار قريش، ذكره الماوردي. وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ذكر الرحمن والبعث ومحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوته. والثالث: أنهم عرفوا صدقه، وأنكروا تصديقه، ذكرهما الماوردي.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا رَافِعُ لِلْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم، أنزلنا عليك القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قال ابن عباس: يريد ما فيه من الفرائض. وقال أبو عبيدة: ديناً عربياً.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: في صلاتك إلى بيت المقدس: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ﴾ أن قبلتك الكعبة، قاله ابن السائب. والثاني: في قبول ما دعوك إليه من ملة آبائك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما لك من عذاب الله من قريب ينفكك ﴿وَلَا رَافِعُ﴾ يقيك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَهَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ...﴾ الآية، سبب نزولها أن اليهود عيروا رسول الله ﷺ بكثرة التزويج، وقالوا: لو كان نبياً كما يزعم، شغلته النبوة عن تزويج النساء، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الآية: أن الرسل قبلك كانوا بشراً لهم أزواج، يعني النساء، وذريته، يعني: الأولاد. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره، وهذا جواب للذين اقترحوا عليه الآيات.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله، قاله الحسن. والثاني: أنه من المقدم والمؤخر، والمعنى: لكل كتاب ينزل من السماء أجل، قاله الضحاك والفراء. والثالث: لكل أجل قدره الله ﷻ، ولكل أمر قضاء، كتاب أثبت فيه، ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاء الله في كتاب، هذا معنى قول ابن جرير.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «ويثبت» ساكنة التاء خفيفة الباء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ويثبت» مشددة الباء مفتوحة التاء. قال أبو علي: المعنى: ويثبت، فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني. واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال: أحدها: أنه عام، في الرزق، والأجل، والسعادة. والشقاوة، وهذا مذهب عمر، وابن مسعود، وأبي وائل، والضحاك، وابن جريج. والثاني: أنه الناسخ والمنسوخ، فيمحو المنسوخ، ويثبت الناسخ، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، وقتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال ابن قتيبة: «يمحو الله ما يشاء» أي: ينسخ من القرآن ما يشاء «ويثبت» أي: يبدعه ثابتاً لا ينسخه، وهو المحكم. والثالث: أنه يمحو ما يشاء، ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة، والحياة والموت، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ودليل هذا القول، ما روى مسلم في «صحيحه»<sup>(١)</sup> من حديث حذيفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة، يقول الملك الموكل: أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله تعالى، ويكتب الملك، فيقول: أشقي، أم سعيد؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، فيقول: عمله وأجله؟ فيقضي الله، ويكتب الملك، ثم تطوى الصحيفة، فلا يزداد فيها ولا ينقص منها». والرابع: يمحو ما يشاء ويثبت، إلا الشقاوة والسعادة لا يغيران، قاله مجاهد. والخامس: يمحو من جاء أجله، ويثبت من لم يجر أجله، قاله الحسن. والسادس: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها، روى عن سعيد بن جبيرة.

والسابع: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، قاله عكرمة. والثامن: يمحو من ديوان الحفظه ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، قاله الضحاك، وأبو صالح. وقال ابن السائب: القول كله يكتب، حتى إذا كان في يوم الخميس، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قولك: أكلتُ، شربت، دخلت، خرجت، ونحوه، وهو صادق، ويثبت ما فيه الثواب والعقاب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: أصل الكتاب. قال المفسرون: وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث<sup>(٢)</sup>. وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى في ثلاث ساعات يقيّن من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت»<sup>(٣)</sup>. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هما كتابان، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ﴾ أي: من العذاب وأنت حي ﴿أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ﴾ قبل أن نريك ذلك، فليس عليك إلا أن تبلغ، ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ قال مقاتل: يعني الجزاء. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله: ﴿وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ﴾ نسخ بآية السيف وفرض الجهاد، وبه قال قتادة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَكْسِبُكُمْ لَا مُعَاقِبَ لِمَكِيدِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ما يفتح الله على نبيه من الأرض، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. قال مقاتل: «أولم يروا» يعني: كفار مكة «أنا نأتي الأرض» يعني: أرض مكة «ننقصها من أطرافها» يعني: ما حولها. والثاني: أنها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والثالث: أنه نقص أهلها وبركتها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال الشعبي: نقص الأنفس والشمرات. والرابع: أنه ذهب فقهاؤها وخيار أهلها، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أنه موت أهلها، قاله مجاهد، وعطاء، وقاتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْسِبُكُمْ لَا مُعَاقِبَ لِمَكِيدِهِ﴾ قال ابن قتيبة: لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقص. وقد شرحنا معنى سرعة الحساب في سورة [البقرة: ٢٠٢].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمَ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَ عِلْمُهُ الْكُنُوزَ لِمَنْ عَقِبَ الدَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم يقصدون قتلهم، كما مكروا قريش برسول الله ﷺ ليقتلوه. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ يعين: أن مكر الماكرين مخلوق له، ولا يضر إلا بإرادته؛ وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ وتسكين له. ﴿يَعْلَمَ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير وشر، ولا يقع ضرر إلا بإذنه. ﴿وسيعلم الكافر﴾

(١) قال أبو جعفر بن جرير الطبري ١٧٠/١٣: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية، وأشبهها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن، ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره، توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ للآيات بالعقوبة، وتهديم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلِمَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَهْلٍ كِتَابٍ﴾ يعلمهم بذلك أن لقضاه فيهم أجلاً ميثاقاً في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه أو حان هلاكه، أو انقضا من رفعة، أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٧١/١٣: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره، أخبر أنه يمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فكان بيننا أن معناه: وعنده أصل الميثاق منه والممحو، وجملته في كتاب لديه.

(٣) «الطبري» ١٧٠/١٣ وفي سنده زيادة من محمد الأنصاري، قال البخاري والنسائي: منكر الحديث، وأورده السيوطي في «الدر» ٦٥/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٧٤/١٣: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يظهرون المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسول الله ﷺ للآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نُوَدُّهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ثم ويخبرهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعانئون من فعل الله بغيرائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وسيعلم الكافر». قال ابن عباس: يعني: أبا جهل. وقال الزجاج: الكافر هاهنا: اسم جنس. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «الكفار» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ عَنِ الدَّارِ﴾ أي: لمن الجنة آخر الأمر.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْنَا مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى. والثاني: كفار قريش. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهداً ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الآيات، وأبان من الدلالات على نبوتي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري، قال قتادة. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير. والخامس: أنه علي بن أبي طالب، قاله ابن الحنفية. والسادس: أنه بنيامين، قاله شمر. والسابع: أنه الله تعالى، روي عن الحسن، ومجاهد، واختاره الزجاج واحتج له بقراءة من قرأ: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» وبه قراءة ابن السميع، وابن أبي عبيدة، ومجاهد، وأبي حنيفة. ورواية ابن أبي سريج عن الكسائي: «وَمَنْ» بكسر الميم «عِنْدَهُ» بكسر الدال «عِلْمٌ» بضم الميم وكسر اللام وفتح الميم «الكتاب» بالرفع. وقرأ الحسن «وَمِنْ» بكسر الميم «عِنْدَهُ» بكسر الدال «عِلْمٌ» بكسر العين وضم الميم «الكتاب» مضاف، كأنه قال: أنزل من علم الله تعالى.



## سورة إبراهيم

[عليه السلام]

وهي مكية من غير خلاف علمناه بينهم، إلا ما روي عن ابن عباس، وقتادة أنهما قالا: سوى آيتين منها، وهما<sup>(١)</sup> قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾ والتي بعدها [إبراهيم: ٢٨، ٢٩].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْمُرِيدِ ۝ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَبِهِ لِنُكَفِّرُنَّ بِنِعْمَتِهِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ١]. وقوله: ﴿كِتَبَ﴾ قال الزجاج: المعنى: هذا كتاب، والكتاب: القرآن. وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال: أحدها: أن الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أن الظلمات: الضلالة، والنور: الهدى، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: أن الظلمات: الشك، والنور: اليقين، ذكره الماوردي. وفي قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بأمر ربهم، قاله مقاتل. والثاني: بتوفيق ربهم، قاله أبو سليمان. والثالث: أنه الإذن نفسه، فالمعنى: بما أذن لك من تعليمهم، قاله الزجاج، قال ثم بين ما الثور، فقال: ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْمُرِيدِ﴾ قال ابن الأنباري: وهذا مثل قول العرب: جلست إلى زيد، إلى العاقل الفاضل، وإنما تُعاد «إلى» بمعنى التعظيم للأمر، قال الشاعر:

إِذَا خِدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا  
دَعَوْتُ النَّبِيَّ لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي

فأعاد «دعوت» لتفخيم الأمر.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ﴾ قرا ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «الحمد لله» على البدل. وقرا نافع، وابن عامر، وأبان، والمفضل: «الحمد لله» رفعا على الاستئناف، وقد سبق بيان ألفاظ الآية.

﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي صُلٰلٍ يَبْعِلُونَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوِيٍّ ۚ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُحِلَّ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَنْهَىٰ عَنْ يَشَاءَ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمَنِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ مَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَعْبِدُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَجِبُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا﴾ أي: يؤثرونها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: يأخذون ما تعجل لهم منها تهاونا بأمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في دينه، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قد شرحناه في [آل عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ فِي صُلٰلٍ﴾ أي: في ذهاب عن الحق «بعبير» من الصواب.

(١) في الأصل: وهي.

(٢) البيان لقيس لبني: «ديوانه» ٦٩، و«الأغاني» ٩/١٩٣، وتزيين «الأسواق» ٤٨.



قوله تعالى: ﴿إِلَّا يَلْسَانٌ قَوْرٍه﴾ أي: بلغتهم. قال ابن الأنباري: ومعنى اللغة عند العرب: الكلام المنطوق به، وهو مأخوذ من قولهم: لُغَا الطائر يُلَغُو: إذا صَوَّت في الغَلَس. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، والجاحدري: ﴿إِلَّا يَلْسُنُ قَوْمِهِ﴾ برفع اللام والسين من غير ألف. وقرأ أبو الجزاء، وأبو عمران: ﴿يَلْسُنُ قَوْمِهِ﴾ بكسر اللام وسكون السين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَيْنَ يَدَيْكَ لَكَلِمٌ﴾ أي: الذي أرسل به فيفهمونه عنه. وهذا نزل، لأن قريشاً قالوا: ما بال الكتب كلها أعجمية، وهذا عربي!

قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَخْرَجْتَ قَوْمَكَ﴾ قال الزجاج: «أن» مفسر، والمعنى قلنا له: أخرج قومك. وقد سبق بيان الظلمات والنور [البقرة: ٢٥٧]. وفي قوله: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نِعَمُ الله، رواه أبي بن كعب عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن قتبية. والثاني: أنها وقائع الله في الأمم قبلهم، قاله ابن زيد، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنها أيام نِعَمِ الله عليهم وأيام نِقَمِهِ ممن كفر من قوم نوح وعاد وثمود، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ يعني: التذكير. ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على طاعة الله وعن معصيته: ﴿شُكْرٍ﴾ لأنهم. والصَّابِر: الكثير الصبر، والشُّكْر: الكثير الشكر، وإنما خص بالآيات، لانقضاء بها. وما بعد هذا مشروح في سورة [البقرة: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُحُومُكُمْ لَمَّا لَأَيْدِيكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ٧. وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَنَفِي حَمِيدٌ ٨. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩. قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأُمِرُوا بِالسَّمَاتِ وَالْأَرْضِ بِدَعْوَتِكُمْ لِيَقْفَر لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَيْ أَهْلِ شِمَى قَالُوا إِنَّا نَشْكُ إِلَّا بِشَرِّ مَا نَحْنُ نَرَى أَنْ تَصُدُّونَا عَنْمَا كَانَتْ بَعْدُ أَبَاؤُنَا فَأَنُؤُوا بِمَا نَحْنُ نَرَى مِنْ دُونِكُمْ ١٠. قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ١١. وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَنفَعَكُمْ إِلَّا نَنفَعَكُمْ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا وَلَقَدْ رَئَوْا نَبَأَ مَا مَآذِبُهُمْ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ١٢. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَنَازَعُوا إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَكُلُّكُمْ أَلْتَبِيعِينَ ١٣. وَلَسَوْفَ نَحْنُكُمْ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَتَأَتَّى وَبِئْسَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُحُومُكُمْ﴾ مذكور في [الأعراف: ١٦٧]. وفي قوله: ﴿لَمَّا لَأَيْدِيكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لئن شكرتم نعمي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن. والثاني: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. والثالث: لئن وحدتموني لأزيدنكم خيراً في الدنيا، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه كفر بالتوحيد. والثاني: كفران النعم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَنَفِي حَمِيدٌ﴾ أي: غني عن خلقه، محمود في أفعاله، لأنه إما مفضل بفعله، أو عادل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ قال ابن الأنباري: أي: لا يحصي عددهم إلا هو، على أن الله تعالى أهلكت أمماً من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعُفَّت آثارهم، فليس يعلمهم أحد إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي آفْوَاهِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنهم عَضُّوا أصابعهم غيظاً، قاله ابن مسعود، وابن زيد. وقال ابن قتبية: «في» هاهنا بمعنى: «إلى»، ومعنى الكلام: عَضُّوا عليها حقاً وغيظاً، كما قال الشاعر:

يَرُدُّونَ فِيهِ غَشْرَ الْحَسودِ<sup>(٢)</sup>

يعني: أنهم يغيظون الحسود حتى يعضّ على أصابعه العشر، ونحوه قول الهذلي:

(١) «الطبري» ١٨٤/١٣، «المسنند» ١٢١/٥، وذكره ابن كثير من رواية أحمد ٥٢٣/٢، ثم قال: ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث محمد بن أبيان به، ورواه عبد الله ابنه أيضاً موقوفاً، وهو أشبه. وذكره السيوطي في «الدر» ٧٠/٤، وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) ذكره ابن قتبية غير منسوب في «المعاني الكبير» ٨٣٤، «غريب القرآن» ٢٣٠، وشرحه بقوله: «يعني أصابع يديه العشر بعضها غيظاً عليهم وحقاً» وفي «تفسير القرطبي» ٣٤٦/٩.

قَدْ أَفْنَى أَنْفَالَهُ أَزْمُهُ فَأَصْحَى يَعْضُ عَلَيَّ الْوُظِيفَا<sup>(١)</sup>

يقول: قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض، فأصحى يعض عليّ وظيف الذراع. والثاني: أنهم كانوا إذا جاءهم الرسول فقال: إني رسول، قالوا له: اسكت، وأشاروا بأصابعهم إلى أفواه أنفسهم، ردّاً عليه وتكديفاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنهم لما سمعوا كتاب الله، عجزوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل. ردّاً لقولهم، قاله الحسن. والخامس: أنهم كذبوهم بأفواههم، وردّوا عليهم قولهم، قاله مجاهد، وقتادة. والسادس: أنه مثّل، ومعناه: أنهم كفّوا عما أمروا بقبوله من الحق، ولم يؤمنوا به. يقال: ردّ فلان يده إلى فمه، أي أمسك فلم يُجب، قاله أبو عبيدة. والسابع: ردّوا ما لوّ قبلوه لكان نعماً وأيادي من الله<sup>(٢)</sup>، فتكون الأيدي بمعنى: الأيادي، و«في» بمعنى: الباء، والمعنى: ردّوا الأيادي بأفواههم، ذكره الفراء، وقال: قد وجدنا من العرب من يجعل «في» موضع الباء، فيقول: أدلك الله بالجنة، يريد: في الجنة، وأنشدني بعضهم: وأرغب فيها عن لقبٍ ورهطٍ ولكنني عن سنّيسٍ لنستُ أرغب<sup>(٣)</sup>

فقال: أرغب فيها، يعني: بتأله، يريد: أرغب بها، وسنّيس: قبيلة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أي: على زعمكم أنكم أرسلتم، لا أنهم أقرّوا بإرسالهم. وباقي الآية قد سبق تفسيره (عود: ٦٢). ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله، أي: في توحيدهم ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ بالرسول والكتب ﴿لِيَقْرِ لَكُمْ مِنْ دُوبِكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: «من» زائدة، كقوله: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ لَوْ عَنْهُ حَيِّينَ﴾<sup>(٤)</sup> [الحاقة: ٤٧]، قال أبو ذؤيب:

جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْحُبِّ لَمَّا شَكَّرْتَهُ

وما إن جزاك الضّغف من أحدٍ قبلي<sup>(٥)</sup>

أي: أخذ. وقوله: ﴿وَنُوحِرْكُمْ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمًّى﴾ وهو الموت، والمعنى: لا يعاجلكم بالعذاب. ﴿قَالُوا﴾ للرسول: ﴿إِنْ أَنتَ﴾ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي: ليس لكم علينا فضل، والسلطان: الحجة. قالت الرسل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فاعترفوا لهم بذلك، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُذُّ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعنون: بالنبوة والرسالة، ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: ليس ذلك من قِبل أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿وَوَدَّ هَذَانَا شُبُهَاتٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: بين لنا رشدنا. والثاني: عرفنا طريق التوكل. وإنما قصّ هذا وأمثاله على نبينا ﷺ ليقنّدي بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى لهم.

قوله تعالى: ﴿لَتَكِلَنَّ الْأَظْلِمِينَ﴾ يعني: الكافرين بالرسول. وقوله: ﴿مِنْ بَدِيهِمْ﴾ أي: بعد هلاكهم. ﴿ذَلِكَ﴾ الإسكان ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ قال ابن عباس: خاف مقامه بين يدي. قال الفراء: العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما أوقعت عليه، فتقول: قد ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك، فهذا من ذاك، ومثله ﴿وَيَقْتُلُونَ رُفُقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي: رزقي إياكم.

قوله تعالى: ﴿وَنَافَ وَيَبِيدُ﴾ أثبت ياء «وعيدي» في الحالي يعقوب، وتابعه ورش في الرّضل. ﴿وَأَسْتَنْخَرُوا وَكَانَ كُلُّ جُنَدٍ عَنِيدٍ﴾<sup>(٦)</sup> يَنْ وَرَأَيْهِمْ جَهَنَّمُ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَهِيدٍ<sup>(٧)</sup> يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ يَسْمُهُمْ وَيَأْتِيهِ الْوُتَّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيَّتٍ مِنْ رَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَنْخَرُوا﴾ يعني: استنصروا. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وحמיד،

(١) البيت لصخر النفي، كما في «ديوان الهذليين» ٧٣/٢، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة ٨٣٤، و«غريب القرآن» ٢٣١. و«الأزم»: الغض الشديد، و«الوظيف»: اللزاع. يقول: «قد أفنى أصابعه فهو يعض على مفصل بين الساعد والكف».

(٢) قال أبو جعفر الطبري: وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل الآية، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود - أي القول الأول - أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فعضوا عليها غليظاً على الرسل، كما وصف الله ﷺ به إخوانهم من المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا عَزَمُوا عَلَيْكُمْ الْآثَائِلَ مِنَ الْغِيظِ﴾، فهذا هو الكلام المعروف، والمعنى المفهوم من رد اليد إلى الفم.

(٣) «الطبري» ١٨٩/١٣، غير منسوب.

(٤) «مجاز القرآن» ٤٩/١، «ديوان الهذليين» ٣٥/١، و«شرح أشعار الهذليين» ٨٨/١.

وابن مُحَيِّصَن: «واستفتحوا» بكسر التاء على الأمر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الرسل، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنهم الكفار، واستفتحاهم: سؤالهم العذاب، كقولهم: ﴿رَبَّنَا نَجِّنَا مِنْ عَذَابِ هَذِهِ الْأَيَّةِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَنَابِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيبٍ﴾ قال ابن السائب: خسر عند الدعاء، وقال مقاتل: خسر عند نزول العذاب، وقال أبو سليمان الدمشقي: يش من الإجابة. وقد شرحنا معنى الجبار والعنيد في [مرد: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿يَنْ رَوَّابِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى القُدَّام، قال ابن عباس، يريد؛ أمامه جهنم. وقال أبو عبيدة: «من ورائه» أي: قُدَّامة وأمامه، يقال: الموت من ورائك، وأنشد:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي  
والثاني: أنها بمعنى: «بَعْد»، قال ابن الأنباري: «من ورائه» أي: من بعد يأسه، فدلَّ «خاب» على اليأس، فكنى عنه، وحملت «وراء» على معنى: «بَعْد» كما قال النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَةً  
أراد: ليس بَعْدَ الله مذهب. قال الزجاج: والوراء يكون بمعنى الخَلْف والقُدَّام، لأن ما بين يديك وما قُدَّامك إذا توارى عنك فقد صار ورائك، قال الشاعر:

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنَئِيَتِي  
لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ<sup>(١)</sup>  
قال: وليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة. وسئل ثعلب: لم قيل: الوراء للأمام؟ فقال: الوراء: اسم لما توارى عن عينك، سواء أكان أمامك أو خلفك. وقال الفراء: إنما يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدهر، تقول: ورائك برد شديد. وبين يديك برد شديد. ولا يجوز أن تقول للرجل وهو بين يديك: هو ورائك، ولا للرجل ورائك: هو بين يديك.

قوله تعالى: ﴿رَبُّنِي مِنْ مَاءٍ مَكِيدٍ﴾ قال عكرمة، ومجاهد، واللغويون: الصديد: القيق والدَّم، قاله قتادة، وهو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه. وقال القرظي: هو غُسلُ أهل النار، وذلك ما يسيل من فروج الزناة. وقال ابن قتيبة: المعنى: يسقى الصديد مكان الماء، قال: ويجوز أن يكون على التشبيه، أي: ما يُسْقَى ماءً كأنه صديد<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُمْ﴾ والتجرج: تناول المشروب جرعة جرعة، لا في مرة واحدة، وذلك لشدة كراهته له، وإنما يُكره على شربه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَشْفَعُ﴾ قال الزجاج: لا يقدر على ابتلاعه، تقول: ساغ لي الشيء، وأسغته، وروى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيُكْرَهُ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دبره»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْآلُوتُ﴾ أي: هم الموت وكربه وألمه ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كل شعرة في جسده، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال سفيان الثوري: من كل عِرْق. وقال ابن جريج: تتعلق نفسه عند

(١) البيت من كلمة لسوار بن المضرب في «الكامل» ٤٤٥، وهو في «مجاز القرآن» ٣٣٧/١، و«الطبري» ١/١٦، و«الجمهرة» ١/١٧٧، و ٤٩٥/٣، و«القرظي» ٣٥/١١، و«اللسان»، و«التاج»: «ورى».

(٢) «ديوانه» ١٢، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٧٥ من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ويمدحه.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري: «ديوانه» ١٧٠.

(٤) كذا الأصل، والذي في «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٣١: أي: يسقى ماءً كأنه صديد.

(٥) «الطبري» ١٩٦/١٣، و«المسند» ٢٦٥/٥، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٢٦/٢، من رواية أحمد في «المسند» وقال: وهكذا رواه ابن جرير من حديث عبد الله بن المبارك، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث بقية بن الوليد عن صقر بن عمرو به. وذكره السيوطي في «الدرر» ٧٢/٤ وزاد نسبتاً للترمذي، والنسائي، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، والطبراني، وأبي نعيم في «الحلية» وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور».

حنجرته، فلا تخرج من فيه فتموت، ولا ترجع إلى مكانها فتجد راحة. والثاني: من كل جهة، من فوقه وتحتة، وعن يمينه وشماله، وخلفه وقُدَّامه، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها البلايا التي تصيب الكفار في النار، سماها موتاً، قاله الأخفش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِسَيِّئٍ﴾ أي: موتاً تنقطع معه الحياة. ﴿وَرَبِّكَ رَأَيْتَ﴾ أي: من بعد هذا العذاب. قال ابن السائب: من بعد الصديد ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾. وقال إبراهيم التيمي: بعد الخلود في النار. والغليظ: الشديد.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَواتُ الْبَعيدُ﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ قال الفراء: أضاف المثل إليهم، وإنما المثل للأعمال، فالمعنى: مثل أعمال الذين كفروا. ومثله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، أي: ترى وجوههم. وجعل العُصوف تابعا لليوم في إعرابه، وإنما العُصوف للريح، وذلك جائز على جهتين: إحداهما: أن العُصوف، وإن كان للريح، فإن اليوم يوصف به، لأن الريح فيه تكون، فجاز أن تقول: يوم عاصف، كما تقول: يوم بارد، ويوم حار. والوجه الآخر: أن تريد: في يوم عاصف الريح، فت حذف الريح، لأنها قد ذكرت في أول الكلام، كما قال الشاعر:

وَيُضْحِكُ عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا

إذا كَانَ يَوْمُ مُظْلِمِ الشَّمْسِ كَاسِفُ

يريد: كاسف الشمس. وروي عن سيبويه أنه قال: في هذه الآية إضمار، والمعنى: ومما نقص عليك مثل الذين كفروا، ثم ابتداء فقال: «أعمالهم كرماد». وقرأ النخعي، وابن عمر، والجحدري: «في يوم عاصف» بغير تنوين اليوم. قال المفسرون: ومعنى الآية: أن كل ما يتقرب به المشركون يحبط لا ينتفعون به، كالرماد الذي سفته الريح فلا يقدر على شيء منه، فهم لا يقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة، أي: لا يجدون ثوابه، ﴿ذَلِكَ هُوَ الصَّلَواتُ الْبَعيدُ﴾ من النجاة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَأْ يَدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن معناه: ألم تُخبر، قاله ابن السائب. والثاني: ألم تعلم، قاله مقاتل، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قال المفسرون: أي: لم يخلقهن عبثاً، وإنما خلقهن لأمر عظيم. ﴿إِنَّ يَشَأْ يَدْهِبْكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: يمتك يا معشر الكفار ويخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع، وهذا خطاب لأهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ أي: بمتنع متعذر.

﴿وَيَبْرُؤُا إِلَهُ جِمْماً فَقَالَ السَّمْعَوِيُّ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُمْ مُّثْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهْدَيْنَكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيسٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَبْرُؤُا إِلَهُ جِمْماً﴾ لفظة لفظ الماضي، ومعناه المستقبل، والمعنى: خرجوا من قبورهم يوم البعث، واجتمع التابع والمتبوع، ﴿فَقَالَ السَّمْعَوِيُّ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وهم المتبوعون: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾ قال الزجاج: هو جمع تابع، يقال: تابع وتبع، ومثل: غائب وغيب، والمعنى: تبعناكم فيما دعوتونا إليه.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُّثْنُونَ عَنَّا﴾ أي: دافعون عنا ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. قال القادة: ﴿لَوْ هَدَّنا اللَّهُ﴾ أي: لو أرشدنا في الدنيا لأرشدناكم، يريدون: أن الله أضلنا فدعوناكم إلى الضلال، ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا﴾ قال ابن زيد: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نبكي ونضرع، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيكانهم وتضرعهم، فَبَكُوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم، قالوا: تعالوا نصبر، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، فصبروا صبراً لم يُر مثله قط، فلم ينفعهم ذلك، فعندها قالوا: ﴿سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّجِيسٍ﴾. وروى مالك بن أنس



عن زيد بن أسلم قال: جَزَعُوا مائة سنة، وصبروا مائة سنة. وقال مقاتل: جزعوا خمسمائة عام، وصبروا خمسمائة عام. وقد شرحنا معنى المِجْصَن في سورة [النساء: ١٢١].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَدَّعَاكُمْ فَأَلْفَنُكُمْ وَكَأَنِّي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاتَّبَعْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَّأَ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخَتِي إِيَّكُمْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢) وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ قال المفسرون: يعني به إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرغ منه، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فحينئذ يجتمع أهل النار باللوم على إبليس، فيقوم فيما بينهم خطيباً ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ أي: وعدكم كَوْنُ هذا اليوم فَصْدَقَكُمْ ﴿وَوَدَّعَاكُمْ﴾ أنه لا يكون ﴿فَأَلْفَنُكُمْ﴾ الوعد ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: ما أظهرت لكم حُجَّةً على ما ادَّعيت. وقال بعضهم: ما كنت أملككم فأكرهكم ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لكن دعوتكم ﴿فَاتَّبَعْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوَّأَ أَنْفُسَكُمْ﴾ حيث أجبتموني من غير برهان، ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخَتِي﴾ أي: بمغيثي. قرأ حمزة «بمُصْرِخِي» فحرك الياء إلى الكسر، وحركها الباقون إلى الفتح. قال قطرب: هي لغة في بني يربوع؛ يعني: قراءة حمزة. قال اللغويون: يقال: استصرخني فلان فأصرخته، أي: استغاثني فأغثته. ﴿إِنَّ كَفَرْتُ﴾ اليوم بإشراككم إياي في الدنيا مع الله في الطاعة، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمر ربهم. وقوله: ﴿يُحَيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ قد ذكرناه في [يونس: ١٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِفُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِمَا لَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ قال المفسرون: ألم تر بعين قلبك فتعلم بإعلامي إياك كيف ضرب الله مثلاً، أي: بيّن شَبَهاً، ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قال ابن عباس: هي شهادة أن لا إله إلا الله. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: طيبة الشجرة، فترك ذكر الشجرة اكتفاءً بدلالة الكلام عليه. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها النخلة، وهو في «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، وقد رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وأنس بن مالك، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك في آخرين. والثاني: أنها شجرة في الجنة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والثالث: أنها المؤمن، وأصله الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عمله السماء. وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ فالمؤمن يذكر الله كل ساعة من النهار، رواه عطية عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾ أعلاها عالٍ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: نحو السماء، وأكلها: ثمرها. وفي الحين هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه ثمانية أشهر، قاله علي عليه السلام. والثاني: ستة أشهر، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه بُكْرَة وعشية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والرابع: أنه السنة، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مجاهد، وابن زيد. والخامس: أنه شهران، قاله سعيد بن المسيب. والسادس: أنه عُدْوَة وعشية وكل ساعة، قاله ابن جرير. فمن قال: ثمانية أشهر، أشار إلى مُدَّة حملها باطناً وظاهراً، ومن قال: ستة أشهر، فهي مدة حملها إلى حين صرامها، ومن قال: بُكْرَة وعشية، أشار إلى الاجتناء منها، ومن قال: سنة، أشار إلى أنه لا تحمل في السنة إلا مرةً، ومن قال: شهران، فهو مدة صلاحها. قال

(١) البخاري ١/١٣٠، ومسلم ٤/٢١٦٥، ولفظه عندهما: عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمَسْلَمِ، فَعِدْتُوْنِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «فَهِی النَّخْلَةُ». قَالَ الْعُلَمَاءُ: شَبَّهَ النَّخْلَةَ بِالْمَسْلَمِ فِي كَثْرَةِ خَيْرِهَا وَدَوَامِ ظِلِّهَا وَطَيِّبِ ثَمَرِهَا، وَوُجُودِهِ عَلَى الدَّوَامِ، فَإِنَّهُ مِنْ حِينٍ يَطْلُعُ ثَمَرُهَا لَا يَزَالُ يُوْكَلُ مِنْهُ حَتَّى يَبْيَسَ، وَبَعْدَ أَنْ يَبْيَسَ يَتَّخِذُ مِنْهُ مَنَافِعَ كَثِيرَةً، وَمِنْ خَشْبِهَا وَوَرَقِهَا وَأَغْصَانُهَا، فَيَسْتَعْمَلُ جَذْوَةً وَحَطْبًا وَعَصِيًّا وَمَخَاصِرَ وَحَصْرًا وَرِجَالًا وَأَوْرَانِي وَغَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ آخِرُ شَيْءٍ مِنْهَا نَوَاهَا، وَيَنْتَفِعُ بِهِ عُلَمَاءُ لِلْإِبِلِ، ثُمَّ جَمَالُ نَبَاتِهَا وَحَسَنُ هَيْئَةِ ثَمَرِهَا، فَهِيَ مَنَافِعُ كُلِّهَا، وَخَيْرُ وَجَمَالٍ، كَمَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ خَيْرُ كُلِّهِ، مِنْ كَثْرَةِ طَاعَاتِهِ وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ.

ابن المسيب: لا يكون في النخلة أكلها إلا شهرين. ومن قال: كل ساعة، أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً. قال قتادة: تؤكل ثمرتها في الشتاء والصيف. قال ابن جرير: الطلع في الشتاء من أكلها، والبلح والبُسْر والرطب والتمر في الصيف. فأما الحكمة في تمثيل الإيمان بالنخلة، فمن أوجه: أحدها: أنها شديدة الثبوت، فشبه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها. والثاني: أنها شديدة الارتفاع، فشبه ارتفاع عمل المؤمن بارتفاع فروعها. والثالث: أن ثمرتها تأتي في كل حين، فشبه ما يكسب المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت بشمرتها المجتناة في كل حين على اختلاف صنوفها، فالمؤمن كلما قال: لا إله إلا الله، صعدت إلى السماء، ثم جاءه خيرها ومنفعتاها. والرابع: أنها أشبه الشجر بالإنسان، فإن كل شجرة يقطع رأسها تنشعب غصونها من جوانبها، إلا هي، إذا قُطع رأسها يبيت، ولأنه لا تحمل حتى تلغ، ولأنها فضلة تربة آدم ﷺ فيما يروى<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَثَلُ كَيْفِ حَيْثُ كُنْجَرٍ حَيَّةٌ جَبَّتْ مِنْ قَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَيْفِ حَيْثُ﴾ قال ابن عباس: هي الشُّرك. وقوله: ﴿كُنْجَرٍ حَيَّةٌ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الحنظلة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وبه قال أنس، ومجاهد. والثاني: أنها الكافر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى العوفي عنه أنه قال: الكافر لا يقبل عمله، ولا يصعد إلى الله تعالى، فليس له أصل في الأرض ثابت، ولا فرع في السماء. والثالث: أنها الكُشْوَى<sup>(٣)</sup> رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: أنه مثل، وليست بشجرة مخلوقة، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس. والخامس: أنها الثوم، روي عن ابن عباس أيضاً. قوله تعالى: ﴿جَبَّتْ﴾ قال ابن قتيبة: استوصلت وقطعت. قال الزجاج: ومعنى اجتثت الشيء في اللغة: أخذت جثته بكمالها. وفي قوله: ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ قولان: أحدهما: ما لها من أصل، لم تضرب في الأرض عرقاً. والثاني: ما لها من ثبات. ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يصعد للكافر عمل صالح، ولا قول طيب، ولا لقوله أصل ثابت.

﴿يَجِيئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

قوله تعالى: ﴿يَجِيئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ينبتهم على الحق بالقول الثابت، وهو شهادة أن لا إله إلا الله. قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الحياة الدنيا: زمان الحياة على وجه الأرض، والآخرة: زمان المسألة في القبر، وإلى هذا المعنى ذهب البراء بن عازب، وفيه أحاديث تعضده<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن الحياة الدنيا: زمن السؤال في القبر، والآخرة: السؤال في القيامة، وإلى هذا المعنى ذهب طاووس، وقاتدة. قال المفسرون: هذه الآية وردت في فتنة القبر، وسؤال الملكين، وتلقين الله تعالى للمؤمنين كلمة الحق عند السؤال، وتشبيته إياه على الحق. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين، يضلهم عن هذه الكلمة، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من هداية المؤمن وإضلال الكافر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفَسَ كُفْرًا وَاعْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَنَكُرُ الْقَرَارَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نَفَسَ كُفْرًا﴾ في المشار إليهم سبعة أقوال: أحدها: أنهم الأفجران من قریش: بنو أمية، وبنو المغيرة، روي عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب. والثاني: أنهم منافقو قریش، رواه أبو الطفيل عن علي. والثالث: بنو أمية، وبنو المغيرة، ورؤساء أهل بدر الذين ساقوا أهل بدر إلى بدر، رواه أبو صالح

(١) هو حديث ضعيف ولفظه: «أكرموا عنكم النخلة، فإنها خلقت من فضلة طينة إبيكم آدم». رواه أبو يعلى في «مسنده»، وابن أبي حاتم، والعقيلي في «الضعفاء»، وابن عدي في «الكامل»، وابن السني وأبو نعيم معاً في «الطب»، وابن مردويه من طريق مسرور بن سعيد التميمي عن الأوزاعي عن عروة بن رويم عن علي مرفوعاً. ومسرور بن سعيد التميمي غمزه ابن حبان، وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به، وقال ابن عساكر: عروة لم يدرك علياً، والحديث غريب، والتميمي مجهول.

(٢) «الطبري» ٢١٢/١٣، من حديث حماد بن سلمة عن شعيب بن الجحاب عن أنس بن مالك، وإسناده صحيح.

(٣) الكشوثي: نبت يتعلق بالأغصان ولا عرق له في الأرض.

(٤) انظر في «الطبري» ٢١٣/١٣ - ٢١٨، وابن كثير ٥٣١/٢ - ٥٣٨ الأحاديث الواردة في ذلك، عند تفسير هذه الآية.

عن ابن عباس. والرابع: أهل مكة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والخامس: المشركون من أهل بدر، قاله مجاهد، وابن زيد. والسادس: أنهم الذين قُتلوا ببدر من كفار قريش، قاله سعيد بن جبير، وأبو مالك. والسابع: أنها عامة في جميع المشركين، قاله الحسن. قال المفسرون: وتبديلهم نعمة الله كفرًا، أن الله أنعم عليهم برسوله، وأسكنهم حرمه، فكفروا بالله وبرسوله، ودعوا قومهم إلى الكفر به، فذلك قوله: ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ ذَاكَ ابْرَآءٍ﴾ أي: الهلاك. ثم فسر الدار بقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا﴾ أي يقاسون حرها: ﴿وَيْتَسَّ الْقَرَارُ﴾ أي: بش المقر هي.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا﴾ قد بيَّناه في سورة (البقرة: ٢٢)، واللام في «لِيُضِلُّوا» لام العاقبة، وقد سبق شرحها [يونس: ٨٨]، ومن قرأ «لِيُضِلُّوا» بضم الياء، أراد: لِيُضِلُّوا الناس عن دين الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ أي: في حياتكم الدنيا، وهذا وعيد لهم. قال ابن عباس: لو كان الكافر مريضاً لا ينাম، جائعاً لا يأكل ولا يشرب، لكان هذا نعيماً يتمتع به بالقياس إلى ما يصير إليه من العذاب، ولو كان المؤمن في أنعم عيش، لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة.

﴿قُلْ لِيَعْبُدِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَحْمِلُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَعْجَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (٣٦) ﴿لِلَّهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ (٣٧) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٣٨) ﴿وَتَتَذَكَّرُونَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفَطْلُونٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٩) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٤٠) ﴿رَبِّ إِنِّي نَأْتِلُكَ كَيْدًا مِنْ الْآثِمِينَ فَتَعْنِي فَلَنَمُ مَعِيَ وَمَنْ عَصَانِي فَلَنَكُ عَنْقُورٌ نَجِيسٌ﴾ (٤١)

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيَعْبُدِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسكن ابن عامر، وحمة، والكسائي ياء «عبادي».

قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُوا الصَّلَاةَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: قل لعبادي: أقيموا الصلاة وأنفقوا، يقيموا وينفقوا، فحذف الأمران، وترك الجوابان، قال الشاعر:

فأَيُّ امرئٍ أنْتِ أَيُّ امرئٍ

إذا قيلَ في الحَرْبِ من يُقَدِّمُ

أراد: إذا قيل: من يُقدِّمُ يُقدِّمُ. ويجوز أن يكون المعنى: قل لعبادي أقيموا الصلاة، وأنفقوا، فصرف عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر. ويجوز أن يكون المعنى: قل لهم ليقيموا الصلاة، ولينفقوا، فحذف لام الأمر، لدلالة «قل» عليها. قال ابن قتيبة: والخلال مصدر خاللت فلاناً خلالاً ومخاللةً، والاسم الخلعة، وهي الصداقة..

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ أي: ذلَّلها، تجري حيث تريدون، وتركبون فيها حيث تشاؤون. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لتتضعوا بهما وتستضيئوا بضوئهما. ﴿دَائِبَيْنِ﴾ في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران. ومعنى الدؤوب: مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ لتتضعوا بمعاشركم، ﴿وَتَتَذَكَّرُونَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أن المعنى: من كل الذي سألتهموه، قاله الحسن، وعكرمة. والثاني: من كل ما سألتهموه، لو سألتهموه، قاله الفراء. والثالث: وآتاكم من كل شيء سألتهموه شيئاً، فأضمر الشيء، كقوله: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي، من كل شيء في زمانها شيئاً، قاله الأخفش. والرابع: من كل ما سألتهموه وما لم تسألوه، لأنكم لم تسألوا شمساً ولا قمرًا ولا كثيراً من النعم التي ابتدأكم بها، فاكفيتي بالأول من الثاني، كقوله: ﴿سُرَّيْلٌ يُبَيِّكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، قاله ابن الأنباري. والخامس: على قراءة ابن مسعود، وأبي رزين، والحسن، وعكرمة، وقناة، وأبان عن عاصم، وأبي حاتم عن يعقوب: من كل ما بالتونين من غير إضافة، فالعنى: آتاكم من كل ما لم تسألوه، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطبقوا الإتيان على جميعها بالعدِّ لكثرتها. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ قال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال الزجاج: الإنسان اسم للجنس يُقصد به الكافر خاصة. قوله تعالى: ﴿تَطْلُومُ كَفَّارٌ﴾ الظلوم هاهنا: الشاكر غير من أنعم عليه، والكفار: الجحود لنعيم الله تعالى.



قوله تعالى: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آيَةً﴾ قد سبق تفسيره في سورة [البقرة: ١٧٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي رِيْقَ﴾ أي: جَنَّبْنِي وإياهم، والمعنى: ثَبِّتْنِي على اجتناب عبادتها. ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ كَثِيرًا مِنْ الْآثَارِ﴾ يعني: الأصنام، وهي لا توصف بالإضلال ولا بالفعل، ولكنهم لما ضلُّوا بسببها، كانت كأنها أضلَّتْهم. ﴿فَتَنْبِئَنِي﴾ أي: على ديني التوحيد ﴿إِنَّكَ مُبِيتٌ﴾ أي: فهو على ملَّتِي، ﴿وَمَنْ عَصَاكَ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم، قاله السدي. والثاني: ومن عصاني فيما دون الشرك، قاله مقاتل بن حيان. والثالث: ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم أن تتوب عليه فتهديه إلى التوحيد، قاله مقاتل بن سليمان. وقال ابن الأنباري: يحتمل أن يكون دعا بهذا قبل أن يعلمه الله تعالى أنه لا يغفر الشرك كما استغفر لأبيه.

﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ في «مِنْ» قولان: أحدهما: أنها للتبعض، قاله الأخفش، والفراء. والثاني: أنها للتوكيد، والمعنى: أسكنت ذريتي، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: مكة، ولم يكن فيها حرث ولا ماء. عند ﴿بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ إنما سمي محرماً، لأنه يحرم استحلال حرماته والاستخفاف بحقه. فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ولم يكن هناك بيت حينئذٍ، إنما بناه إبراهيم بعد ذلك بمدة؟ فالجواب من ثلاثة وجوه: أحدها: أن الله تعالى حَرَّمَ موضع البيت منذ خلق السموات والأرض، قاله ابن السائب. والثاني: عند بيتك الذي كان قبل أن يُرْفَعَ أيام الطوفان. والثالث: عند بيتك الذي قد جرى في سابق علمك أنه يحدث هاهنا، ذكرهما ابن جرير. وكان أبو سليمان الدمشقي يقول: ظاهر الكلام يدل على أن هذا الدعاء إنما كان بعد أن بُني البيت وصارت مكة بلداً. والمفسرون على خلاف ما قال. وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد أن إبراهيم خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل وأمه هاجر ومعه جبريل حتى قدم مكة وبها ناس يقال لهم: العماليق، خارجاً من مكة، والبيت يومئذٍ ريوه حمراء، فقال إبراهيم لجبريل: أهاطنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم؛ فأنزلهما في مكانٍ من الحجر، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشاً، ثم قال: ﴿وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ الآية. وفتح أهل الحجاز، وأبو عمرو ياء «إِنِّي أَسْكَنْتُ».

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في متعلق هذه اللام قولان: أحدهما: أنها تتعلق بقوله: ﴿وَأَجْنِبْنِي رِيْقَ﴾ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ، فالمعنى: جنبهم الأصنام ليقيموا الصلاة، هذا قول مقاتل. والثاني: أنها تتعلق بقوله: ﴿أَسْكَنْتُ﴾، فالمعنى: أسكنتهم عند بيتك ليقيموا الصلاة، لأن البيت قِبلة الصلوات، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾ أي: قلوب جماعة من الناس. قال ابن الأنباري: وإنما عبّر عن القلوب بالأفئدة، لقرب القلب من الفؤاد ومجاورته، قال امرؤ القيس:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ  
غَدَاةَ الرَّجِيلِ فَلَمْ أَنْتَصِرْ<sup>(١)</sup>

وقال آخر:

كَأَنَّ فُؤَادِي كُلُّمَا مَرُّ رَاكِبٍ  
جَنَاحُ غُرَابٍ رَامَ نَهْضاً إِلَى وَغْرِ

وقال آخر:

وَأَنْ فُؤَادًا قَادَنِي لِصَبَابَةٍ  
إِلَيْكَ عَلَى طَوْلِ الْهَوَى لَصَبُورُ

يعنون بالفؤاد: القلب.

قوله تعالى: ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: تَجَنُّ إِلَيْهِمْ. وقال قتادة: تنزع إليهم. وقال الفراء: تريد هم، كما تقول: رأيت فلاناً يهوي نحوك، أي: يريذك. وقرأ بعضهم: «تهوى إليهم» بمعنى: تهواهم، كقوله: ﴿رَدِّ لَكُمْ﴾

(١) «ديوانه» ١٥٥. وقوله: ومتني بسهم، أي نظرت إلي نظرة فلم انتصر، أي: لم يبلغ حبي من قلبها ما بلغ حبا من قلبي. وقال الطوسي: سهمها هاهنا: عينها.



لأنهم: [٧٢]، أي: ردفكم. و «إلى» توكيد للكلام. وقال ابن الأنباري: «تهوى إليهم»: تنحط إليهم وتنحدر. وفي معنى هذا الميل قولان: أحدهما: أنه الميل إلى الحج، قاله الأكثرون. والثاني: أنه حُب سُكْنَى مكة، رواه عطية عن ابن عباس. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم قال: فاجعل أئمة الناس تهوي إليه، لحبّه اليهود والنصارى، ولكنه قال: من الناس.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٧٣)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: ما نخفي من الوجد بمفارقة إسماعيل، وما نعلن من الحب له. قال المفسرون: إنما قال هذا لما نزل إسماعيل الحرم، وأراد فراقه.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٧٤) رَبِّ اجْعَلْ لِي قُرْبَةً مِّنَ الْبِرِّ رَّبَّنَا تَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴿٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾ أي: بعد الكبر ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ قال ابن عباس: وُلد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين، وُوُلد له إسحاق وهو ابن مائة واثني عشرة سنة.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَائِي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «وتقبل دعائي» بياء في الوصل. وقال البزي عن ابن كثير: يصل ويقف بياء. وقال قنبل عن ابن كثير: يُشِمُّ البياء في الوصل، ولا يشتمها، ويقف عليها بالالف. الباقون: «دعاء» بغير ياء في الحالين. قال أبو علي: الوقف والوصل بياء هو القياس، والإشمام جائز، لدلالة الكسرة على البياء.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٧٦)

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال ابن الأنباري: استغفر لأبويه وهما حيّان، طمعاً في أن يُهْدَيَا إلى الإسلام. وقيل: أراد بوالديه: آدم، وحواء. وقرأ ابن مسعود، وأبي، والنخعي، والزهري: «ولولدي» يعني: إسماعيل وإسحاق، يدل عليه ذكرهما بل ذلك. وقرأ مجاهد: «ولوالدي» على التوحيد. وقرأ عاصم الجحدري: «ولولدي» بضم الواو. وقرأ يحيى بن يعمر، والجوني: «ولولدي» بفتح الواو وكسر الدال على التوحيد. «يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» أي: يظهر الجزاء على الأعمال. وقيل: معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكثفي بذكر الحساب من ذكر الناس إذ كان المعنى مفهوماً.

﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهَ عَفِيلاً عَمَّا يَفْعَلُ الْقَلِيلُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٧٧) مُهْطِعِينَ مُقْنِبِينَ رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْصِبْ اللَّهَ عَفِيلاً عَمَّا يَفْعَلُ الْقَلِيلُونَ﴾ قال ابن عباس: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، وقاتدة: «نؤخرهم» بالنون، أي: يؤخر جزاءهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: تشخص أبصار الخلائق لظهور الأحوال فلا تغمض.

قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإهطاع: النظر من غير أن يُظَرَّفَ الناظر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، وأبو الضحى. والثاني: أنه الإسراع، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: يقال: أهطع البعير في سيره، واستهطع: إذا أسرع. وفي ما أسرعوا إليه قولان: أحدهما: إلى الداعي، قاله قاتدة. والثاني: إلى النار، قاله مقاتل. والثالث: أن المُهْطِع: الذي لا يرفع رأسه، قاله ابن زيد. وفي قوله: ﴿مُقْنِبِينَ رُؤُوسِهِمْ﴾ قولان: أحدهما: رافعي رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وأبو عبيدة، وأنشد أبو عبيدة:

أَنْفَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ وَأَفْئَعَ كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئاً أَظْمَعاً<sup>(١)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٣٨/١٣، و«الطبري» ٣٧٧/٩. وأنضض رأسه: حركة كالمنقب، وأفئعه: رفعه، يقول: هُزَّ رأسه نحوي، ورفعته بآلتي كما يأمَلُ شيئاً فيه مطمع له، وهو شاهد على أن الإفتاع: هو الرفع.

وقال ابن قتيبة: المقنع رأسه: الذي رفعه وأقبل بطرفه على ما بين يديه. وقال الزجاج: رافعي رؤوسهم، ملتصقة بأعناقهم. و﴿مُهْلِكِينَ مُنَافِيهِ زُرُوسِهِمْ﴾ نصب على الحال، المعنى: ليوم تشخص فيه أبصارهم مهطعين. والثاني: ناكسي رؤوسهم، حكاه الماوردي عن المؤرج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر، فهي شاحصة. قال ابن قتيبة: والمعنى: أن نظرهم إلى شيء واحد. وقال الحسن: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفَذْتُمْ هَوَاءً﴾ الأنفذة: مساكن القلوب. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: أن القلوب خرجت من مواضعها فصارت في الحناجر، رواه عطاء عن ابن عباس. وقال قتادة: خرجت من صدورهم فنشبت في حلوقهم، فأفندتهم هواء ليس فيها شيء. والثاني: وأفندتهم ليس فيها شيء من الخير، فهي كالخزفة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: وأفندتهم منخرقة لا تعي شيئاً، قاله مرة بن سراحيل. وقال الزجاج: متخرقة لا تعي شيئاً من الخوف. والرابع: وأفندتهم جوف لا عقول لها، قاله أبو عبيدة، وأنشد لحسان:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبَ هَوَاءٍ<sup>(١)</sup>

فعلى هذا يكون المعنى: أن قلوبهم خلت عن العقول، لِمَا رَأَوْا من الهول. والعرب تسمي كل أجوف خاو: هواء. قال ابن قتيبة: ويقال: أفندتهم منخرقة من الخوف والجبن.

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ أَجْلِ قَرِيبٍ نَّجَّبَ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعَ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ أي: خوفهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني به: يوم القيامة؛ وإنما خصه بذكر العذاب، وإن كان فيه ثواب، لأن الكلام خرج مخرج التهديد للمصاة. قال ابن عباس: يريد بالناس هاهنا: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ أَجْلِ قَرِيبٍ﴾ أي: أمهلنا مؤدة يسيرة. وقال مقاتل: سألوا الرجوع إلى الدنيا، لأن الخروج من الدنيا قريب. ﴿نَّجَّبَ دَعْوَتَكَ﴾ يعني: التوحيد، فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلِ﴾ أي: حلفتم في الدنيا أنكم لا تبغون ولا تتقلون من الدنيا إلى الآخرة.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْجِدٍ آلِيَيْنَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسْجِدٍ آلِيَيْنَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: نزلتم في أماكنهم وقراهم، كالججر ومدين، والقرى التي عذب أهلها. ومعنى «ظلموا أنفسهم» أي: ضرروها بالكفر والمعصية. ﴿وَبَيَّتَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل الناجي «وَبَيَّيْن» بضم التاء. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيف عذبناهم، يقول: فكان ينبغي لكم أن تنزجروا عن المخالفة اعتباراً بمساكنهم بعدما علمتم فعلنا بهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَئِنزُولٍ مِنْهُ الْبَاطِلُ﴾ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلِّفَ وَعْدَهُ رُسُلُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنه نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، قال: لا أنتهي حتى أنظر إلى السماء، فأمر بفرخي نسر فربيا حتى سمن واستعلجا، ثم أمر بتابوت فثحت، ثم جعل في وسطه خشبة، وجعل على رأس الخشبة لحماً شديد الحمرة، ثم جوعهما وربط أرجلهما بأوتار إلى قوائم التابوت. ودخل هو وصاحب له في التابوت وأغلق بابه، ثم أرسلهما، فجعلتا يريدان اللحم، فصعدا في السماء ما شاء الله، ثم قال لصاحبه: افتح وانظر ماذا ترى؟ ففتح، فقال: أرى الأرض كأنها الدخان، فقال له: أغلق، ثم صعد ما شاء الله،

(١) «ديوانه» ٧، «ومعاجز القرآن» ٣٤٤/١، «والطبري» ٢٤١/١٣، «والقرطبي» ٣٧٧/٩، «واللسان»، «والناج»؛ هوا، جوف. والمجوف: الغالي الجوف، يريد به الجبان، وكذلك النخب والهواء.

ثم قال: افتح فانظر، ففتح، فقال: ما أرى إلا السماء، وما نزداد منها إلا بُعداً، قال: فصوب خشبتك، فصوبها، فانقضت النور تريد اللحم، فسمعت الجبال هدتها، فكادت تزول عن مراتبها. هذا قول علي بن أبي طالب. وفي رواية عنه: كانت النور أربعة. وروى الشَّيْخُ عن أشياخه: أنه ما زال يصعد إلى أن رأى الأرض يحيط بها بحر، فكانها قلعة في ماء، ثم صعد حتى وقع في ظلمة، فلم يرَ ما فوقه ولم يرَ ما تحته، ففزع، فصوب اللحم، فانقضت النور، فلما نزل أخذ في بناء الصرح. وروي عن ابن عباس أنه بنى الصرح، ثم صعد منه مع النور، فلما لم يقدر على السماء، اتخذ حصناً، فأتى الله بنيانه من القواعد. وقال عكرمة: كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والشَّاب، فرمى بسهم فعاد إليه ملطخاً بالدم، فقال: كُفِّتَ إِلَهَ السماء، وذلك من دم سمكة في بحر معلق في الهواء، فلما هاله الارتفاع، قال لصاحبه: صوب الخشب، فصوبها، فانحطت النور فظنت الجبال أنه أمر نزل من السماء فزالت عن مواضعها. وقال غيره: لما رأت الجبال ذلك، ظنه أنه قيام الساعة، فكادت تزول، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وأبو مالك. والقول الثاني: أنه يختصر، وأن هذه القصة له جرت، وأن النور لما ارتفعت تطلب اللحم إلى حيث شاء الله، نودي: يا أيها الطاغية، أين تريد؟ ففرق، ثم سمع الصوت فوقه، فنزل، فلما رأت الجبال ذلك، ظنت أنه قيام الساعة فكادت تزول، وهذا قول مجاهد. والثالث: أن المشار إليهم الأمم المتقدمة. قال ابن عباس، وعكرمة: مكرمهم: شركهم. والرابع: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ حين هموا بقتله وإخراجه. وفي قوله: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه محفوظ عنده حتى يجازيهم به، قاله الحسن، وقاتدة. والثاني: وعند الله جزاء مكرمهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية: ﴿وَلَوْ كَادَ مَكْرُهُمْ﴾ بالذال. ﴿لَتَزُولَنَّ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. وقرأ الأكثرون ﴿لَتَزُولَ﴾ بكسر اللام الأولى من «لتزول» وفتح الثانية. أراد: وما كان مكرمهم لتزول منه الجبال، أي: هو أضعف وأوهن، كذلك فسرها الحسن البصري. وقرأ الكسائي ﴿لَتَزُولَ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية، أراد: قد كادت الجبال تزول من مكرمهم، كذلك فسرها ابن الأنباري. وفي المراد بالجبال قولان: أحدهما: أنها الجبال المعروفة، قاله الجمهور. والثاني: أنها ضربت مثلاً لأمر النبي ﷺ، وثبوت دينه كثبوت الجبال الراسية، والمعنى: لو بلغ كيدهم إلى إزالة الجبال، كما زال أمر الإسلام، قاله الزجاج. قال أبو علي؛ ويدل على صحة هذا قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ تَخَلِّفُ وَعْدَهُ رُشْلَةً﴾ أي: فقد وعدك الظهور عليهم. قال ابن عباس: يريد بوعده: النصر والفتح وإظهار الدين. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع ﴿ذُو أَنْتِقَارٍ﴾ من الكافرين، وهو أن يجازيهم بالعقوبة على كفرهم.

﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ وَتَسْكُنُ يَوْمَئِذٍ آلُ الرَّسُولِ الْقَهَّارِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ﴾ وروى أبان «يوم تبدل» بالنون وكسر الدال «الأرض» بالنصب «والسموات» بخفض التاء، ولا خلاف في نصب «غير». وفي معنى تبديل الأرض قولان: أحدهما: أنها تلك الأرض، وإنما يزداد فيها وينقص منها، وتذهب أكامها وجبالها وأوديتها وشجرها، وتمدد الأديم، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «يوم تبدل الأرض غير الأرض، قال: بيسطها ويمدها مد الأديم»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تبدل بغيرها. ثم فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها تبدل بأرض غيرها بيضاء كالفضة لم يعمل عليها خطية،

(١) «الطبري» ٢٥٢/١٣، وفي مسنده جهالة، وهو جزء من حديث الصور المشهور، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١٤٦/٢ من رواية أبي القاسم الطبراني، وقال في آخره: ثم ذكره بطوله، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة. وقد اختلف فيه، فمن من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كاحمد بن حنبل، وابن أبي حاتم، وعمر بن أبي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك الحديث. وقال ابن عدي: أحاديث كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قلت (أي ابن كثير): وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه فغريب جداً. ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سائفاً واحداً فأذكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، والله أعلم.

رواه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وعطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها تُبَدَّل ناراً، قاله أبي بن كعب. والثالث: أنها تُبَدَّل بأرض من فضة، قاله أنس بن مالك. والرابع: تُبَدَّل بخبزة بيضاء، فياكل المؤمن من تحت قدميه، قاله أبو هريرة، وسعيد بن جبير، والقرظي؛ وقال غيرهم: يأكل منها أهل الإسلام حتى يُفْرغ من حسابهم. فأما تبديل السموت، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنها تُجَعَل من ذهب، قاله علي عليه السلام. والثاني: أنها تصير جناناً، قاله أبي بن كعب. والثالث: أن تبديلها: تكوير شمسها وتناثر نجومها، قاله ابن عباس. والرابع: أن تبديلها: اختلاف أحوالها، فمرة كالمُهَل، ومرة تكون كالدَّهان، قاله ابن الأنباري. والخامس: أن تبديلها أن تُطوى كطَي السَّجَل للكتاب. والسادس: أن تنشَق فلا تُظَلُّ، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّرُوا لِلَّهِ الرَّحِيمِ الْفَقَّارِ﴾ أي: خرجوا من القبور.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ﴾ سَرَابُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَنْتَفِي وَجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥١﴾ يَجْزِي اللَّهَ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكفار ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ يقال: قرنت الشيء إلى الشيء: إذا وصلته به. وفي معنى «مُقَرَّنِينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يُقَرَّنون مع الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أن أيديهم وأرجلهم قُرنت إلى رقابهم، قاله ابن زيد. والثالث: يُقَرَّن بعضهم إلى بعض، قاله ابن قتبية. وفي الأصفاد ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأغلال، قاله ابن عباس، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج، وابن الأنباري. والثاني: القيود والأغلال، قاله قتادة. والثالث: القيود، قاله أبو سليمان الدمشقي. فأما السرايل، فقال أبو عبيدة: هي القُمص، واحدها سربال. وقال الزجاج: السربال: كل ما لبس. وفي القَطْرَانِ ثلاث لغات: فتح القاف وكسر الطاء، وفتح القاف مع تسكين الطاء، وكسر القاف مع تسكين الطاء. وفي معناه قولان: أحدهما: أنه النحاس المذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه قَطْرَانُ الإبل، قاله الحسن، وهو شيء يَتَحَلَّبُ من شجر تُهَنَّا به الإبل <sup>(١)</sup>. قال الزجاج: وإنما جُعِلَ لهم القَطْرَان، لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله تعالى المبالغة في إحراقهم بغير ذلك لَقَدَّر، ولكنه حَلَّوهم ما يعرفون حقيقته. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو مجلز، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبله، وأبو حاتم عن يعقوب: «مِنْ قِطْرٍ» بكسر القاف وسكون الطاء والتنوين «أَن» بقطع الهمزة وفتحها ومدها. والقَطْر: النحاس، وأن: قد انتهى حره.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْتَفِي وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ أي: تلعوها. واللام في «يَجْزِي» متعلقة بقوله: ﴿وَرَبِّرُوا﴾

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْمَلُوا أَنفُسَهُمْ لِلَّهِ وَذِكْرٌ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ﴾

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن. والثاني: الإنذار. والبلاغ: الكفاية. قال مقاتل: والمراد بالناس: أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أي: أنزل ليُنْذَرُوا به، وليعملوا بما فيه من الحجج ﴿أَنفُسَهُمْ لِلَّهِ وَذِكْرٌ أُولَئِكَ﴾

أي: وليتعض ﴿أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ﴾



(١) يقال: هنا الإبل يهنؤها ويهتها هنا وهناء: طلاها بالهناء، وهو القطران.



## سورة الحجر

وهي مكية كلها من غير خلاف نعلمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ قد سبق بيانه [يونس: ١].

قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن القرآن هو الكتاب، جُمع له بين الاسمين. والثاني: أن الكتاب: هو التوراة والإنجيل، والقرآن: كتابنا. وقد ذكرنا في أول (يوسف) معنى المبين.

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «رُبَّمَا» مشددة. وقرأ نافع، وعاصم، وعبد الوارث «رُبَّمَا» بالتخفيف. قال الفراء: أسد وتميم يقولون: «رُبَّمَا» بالتشديد، وأهل الحجاز وكثير من قيس يقولون: «رُبَّمَا» بالتخفيف. وتيمم الزيات يقولون: «رُبَّمَا» بفتح الراء. وقيل: إنما قرئت بالتخفيف، لما فيها من التضعيف، والحروف المضاعفة قد تحذف، نحو «إِنْ» و«لَكِنْ» فإنهم قد خففوها. قال الزجاج: يقولون: رُبُّ رُجُلٍ جَاءَنِي، وَرُبُّ رُجُلٍ جَاءَنِي، وأنشد:

أزهير إن يثيب القذال فإنني

هذا البيت لأبي كبير الهذلي<sup>(١)</sup>، وفي ديوانه:

رُبُّ هَيْضَلٍ مَرَسٍ لَقَفْتُ بِهِ يَضَلِ

رُبُّ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَقَفْتُ بِهِ يَضَلِ

والهَيْضَلُ: جمع هَيْضَلَة، وهي الجماعة يُغزى بهم، يقول: لففتهم بأعدائهم في القتال. و «رُبُّ» كلمة موضوعة للتقليل، كما أن «كم» للتكثير، وإنما زيدت «ما» مع «رُبُّ» ليلها الفعل، تقول: رُبُّ رجل جاءني، وربما جاءني زيد. وقال الأخفش: أدخل مع «رُبُّ» ما، ليشكل بالفعل بعدها، وإن شئت جعلت «ما» بمنزلة «شيء»، فكانك قلت: رُبُّ شيء، أي: رُبُّ وَدَّ يَوَدُّه الذين كفروا. وقال أبو سليمان الدمشقي: «ما» هاهنا بمعنى «حين»، فالمعنى: رُبُّ حين يَوَدُّون فيه. واختلف المفسرون متى يقع هذا من الكفار، على قولين: أحدهما: أنه في الآخرة. ومتى يكون ذلك؟ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم مَنْ شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها؛ فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك الكفار، قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنُخرج كما أخرجوا، رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وذهب إليه ابن عباس في رواية وأنس بن مالك، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وإبراهيم. والثاني: أنه ما يزال الله يرحم ويشفع حتى يقول: من كان من المسلمين فليدخل الجنة، فذلك حين يَوَدُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن

(١) «ديوان الهذليين» ٨٩/٢.

(٢) «الطبري» ٢/١٤، وفي سننه خالد بن نافع الأشعري، قال الذهبي في «الميزان»: ضعفه أبو زرعة والنسائي. وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه، وقال أبو داود: متروك الحديث. قال الذهبي: وهذا تجاوز في الحد، فإن الرجل قد حدث عنه أحد بن حنبل، ومسدد، فلا يستحق الترك. والحديث ذكره ابن كثير ٥٤٦/٢ عن الطبراني من حديث خالد بن نافع الأشعري. وأورده السيوطي في «الدر» ٩٢/٤، وزاد نسبه لابن أبي عاصم في «السنن»، وابن أبي حاتم، والحاكم ومصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث والنشور».

(٣) «الطبري» ٣/١٤.

الكفار إذا عاينوا القيامة، ودُّوا لو كانوا مسلمين، ذكره الزجاج. والرابع: أنه كلما رأى أهل الكفر حالاً من أحوال القيامة يعذب فيها الكافر ويسلم من مكروهها المؤمن، ودُّوا ذلك، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أنه في الدنيا، إذا عاينوا وتبين لهم الضلال من الهدى وعلموا مصيرهم، ودُّوا ذلك، قاله الضحاك. فإن قيل: إذا قلت: إن «رب» للتقليل، وهذه الآية خارجة مخرج الوعيد، فإنما يناسب الوعيد تكثير ما يُتواعد به؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدهن: أن «ربما» تقع على التقليل والتكثير، كما يقع الناهل على العطشان والريّان، والجؤن على الأسود والأبيض. والثاني: أن أحوال القيامة وما يقع بهم من الأحوال تكثر عليهم، فإذا عادت إليهم عقولهم، ودُّوا ذلك. والثالث: أن هذا الذي حُوفوا به، لو كان مما يؤدُّ في حال واحدة من أحوال العذاب، أو كان الإنسان يخاف الندم إذا حصل فيه ولا يتقنه، لوجب عليه اجتنابه. فإن قيل: كيف جاء بعد «ربما» مستقبل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: ربما لقيت عبد الله؟ فالجواب: أن ما وعد الله حق، فمستقبله بمنزلة الماضي، يدل عليه قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكُونِي أَيْنَ مَرِّمٍ﴾ [المائدة: ١١٦] وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَحْسَبَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُرِضُوا فَلاَ قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١]، على أن الكسائي والفراء حكيا عن العرب أنهم يقولون: ربما يندم فلان، قال الشاعر:

رَبِّمَا تَجَزَّعَ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ

﴿ذَرَعُمْ يَأْكُلُوا﴾ [١] وَرَتَعُوا وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ قَسَوفَ يَلْمُونَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَرَعُمْ يَأْكُلُوا﴾ أي: دع الكفار يأخذوا حظوظهم في الدنيا، ﴿وَيَلْهَمُ الْأَمَلُ﴾ أي: ويشغلهم ما يأملون في الدنيا عن أخذ حظهم من الإيمان والطاعة ﴿قَسَوفَ يَلْمُونَ﴾ إذا وردوا القيامة وبأل ما صنعوا، وهذا وعيد وتهديد، وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السيف.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كَكَاثٍ مُّعْلَوِّمٍ﴾ [١] مَا تَسْقِي مِنْ أَمْتٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ﴾ أي: ما عذبنا من أهل قرية ﴿إِلَّا وَهِيَ كَكَاثٍ مُّعْلَوِّمٍ﴾ أي أجل موقت لا يتقدم ولا يتأخر عنه. ﴿مَا تَسْقِي مِنْ أَمْتٍ أَجَلَهَا﴾ «من» صلة، والمعنى: ما تقدم وقتها الذي قدر لها بلوغه، ولا تستأخر عنه. قال الفراء: إنما قال: «أجلها» لأن الأمة لفظها مؤنث، وإنما قال: «يستأخرون» إخراجاً له على معنى الرجال.

﴿وَقَالُوا يَكْفَىٰ أَلَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [١] لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَكْفَىٰ أَلَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث، ونوفل بن خويلد، والوليد بن المغيرة. قال ابن عباس: والذكر: القرآن. وإنما قالوا هذا استهزاء، لو أيقنوا أنه نزل عليه الذكر، ما قالوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾. قال أبو علي الفارسي: وجواب هذه الآية في سورة أخرى في قوله: ﴿مَا أَنتَ بِمُنْجِيٍّ رَّبِّكَ يَمْجُتُونَ﴾ [القلم: ٢].

قوله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾ قال الفراء: «لو ما» و «لو لا» لغتان معناهما: هلاً، وكذلك قال أبو عبيدة: هما بمعنى واحد، وأنشد لابن مقبل:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عَيْشُكُمْ

بِبَغْضٍ مَا فِيكُمْ إِذْ عَيْشُكُمْ عَوْرِي <sup>(١)</sup>  
قال المفسرون: إنما سألوا الملائكة ليشهدوا له بصدقه، وأن الله أرسله، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ما تنزل» بالتاء المفتوحة «الملائكة» بالرفع. وروى أبو بكر عن عاصم «ما تنزل» بضم التاء على ما لم يُسم فاعله. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف «ما تنزل» بالنون والزاي مشددة «الملائكة» نصباً. وفي المراد بالحق أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن. والثاني: الرسالة، قاله مجاهد. والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب. والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي.

(١) «ديوان» ٧٦، «والطبري» ١٦/١٤، «ومجاز القرآن» ٣٤٦/١، «والقرطبي» ٤/١٠، «والبحر» لأبي حيان ٤٤٢/٥، «وشواهد الكشاف» ١٢٦، «واللسان»: بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ يعني: المشركين ﴿إِنَّا نُنْظِرُونَ﴾ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ من عادة الملوك إذا فعلوا شيئاً، قال أحدهم: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة للملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء، فخطبت العرب بما تعقل من كلامها. والذكر: القرآن، في قول جميع المفسرين. وفي هاء «له» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الذكر، قاله الأكثرون. قال قتادة: أنزل الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقاً. والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، فالمعنى: ﴿وَإِنَّا لَحَافِظُونَ﴾ من الشياطين والأعداء، لقولهم: «إنك لمجنون»، هذا قول ابن السائب، ومقاتل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: رسلاً، فحذف المفعول، لدلالة الإرسال عليه. والشَّيْع: الفرق، وحكي عن الفراء أنه قال: الشيعة: الأئمة المتابعة بعضها بعضاً فيما يجتمعون عليه من أمر.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إن كل نبي قبلك كان مبتلى بقومه كما ابتليت.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ في المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشُّرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة. والثالث: التكذيب، قاله ابن جريج، والفراء. ومعنى الآية: كما سلكتنا الكفر في قلوب شيع الأولين، نُدخل في قلوب هؤلاء التكذيب فلا يؤمنوا. ثم أخبر عن هؤلاء المشركين، فقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الرسول. والثاني: القرآن. والثالث: العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مضت سنة الله في إهلاك المكذبين. والثاني: مضت سنتهم بتكذيب الأنبياء.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُؤُونَ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ عَنْ قَوْمٍ مُشْجَرُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنْ السَّمَاءِ﴾ يعني: كفار مكة ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُؤُونَ﴾ أي يصعدون، يقال: ظل يفعل كذا: إذا فعله بالنهار. وفي المشار إليهم بهذا الصعود قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس، والضحاك، فالمعنى: لو كشف عن أبصار هؤلاء فأروا باباً مفتوحاً في السماء والملائكة تصعد فيه، لما آمنوا به. والثاني: أنهم المشركون، قاله الحسن، وقتادة، فيكون المعنى: لو وصلناهم إلى صعود السماء، لم يستشعروا إلا الكفر، لعنادهم.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قرأ الأكثرون بتشديد الكاف. وقرأ ابن كثير، وعبد الوارث بتخفيفها. قال الفراء: معنى القراءتين متقارب، والمعنى: حُبْسْتُ، من قولهم: سَكَّرَتِ الرِّيحُ: إذا سكنت وركدت. وقال أبو عمرو بن العلاء: معنى «سُكِّرَتْ» بالتخفيف، مأخوذ من سُكَّرَ الشراب، يعني: أن الأبصار حارت، ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل. قال ابن الأنباري: إذا كان هذا معنى التخفيف، فسُكِّرَتْ، بالتشديد، يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد مرة. وقال أبو عبيد: «سُكِّرَتْ» بالتشديد، من السُّكُور التي تمنع الماء الجريئة، فكان هذه الأبصار مُنْعَت من النظر كما يمنع السُّكْر الماء من الجري. وقال الزجاج: «سُكِّرَتْ» بالتشديد، فسروها: أغشيت، و«سُكِّرَتْ» بالتخفيف: تحيرت وسكنت عن أن تنظر، والعرب تقول: سَكَّرَتِ الرِّيحُ تَسْكُرُ: إذا سكنت. وروى العوفي عن ابن عباس: «إنما سُكِّرَتْ أبصارنا» قال: أخذنا بأبصارنا وشبه علينا، وإنما سُجِّرْنَا. وقال مجاهد: «سُكِّرَتْ» سُدَّتْ بالسحر، فيمائل لأبصارنا غير ما ترى.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٤﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ فَنَافِثُهُمْ يُشَاقُّونَ

شَيْئًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ في البروج ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بروج الشمس والقمر، أي: منازلهما، قاله ابن عباس، وأبو عبيدة في آخرين. قال ابن قتيبة: وأسمائها: الحَمَل، والثَّور، والجُوزاء، والسَّرطان، والأسد، والسُّنبل، والميزان، والعقرب، والقوس، والجَدِّي، والدُّلو، والحوت. والثاني: أنها قصور، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال عطية: هي قصور في السماء فيها الحرس. وقال ابن قتيبة: أصل البروج: الحصون. والثالث: أنها الكواكب، قاله مجاهد، وقناة، ومقاتل. قال أبو صالح: هي النجوم العظام. قال قتادة: سُميت بروجاً، لظهورها.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهَا﴾ أي: حَسَنَّاها بالكواكب. وفي المراد بالناظرين قولان: أحدهما: أنهم المبصرون. والثاني: المعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي: حَفَظْنَاهَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا شَيْطَانٌ أَوْ يَعْلَمَ مِنْ أَمْرِهَا شَيْئاً إِلَّا اسْتِرَاقاً، ثم يتبعه الشهاب. والرجيم مشروح في (الامران: ٣٦). واختلف العلماء: هل كانت الشياطين تُرمى بالنجوم قبل مبعث نبينا ﷺ، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها لم تُرْمَ حتى بُعث ﷺ، وهذا المعنى مذكور في رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. وقد أخرج في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب<sup>(١)</sup>، وظاهر هذا الحديث أنها لم تكن قبل ذلك. قال الزجاج: ويدل على أنها إنما كانت بعد مولد رسول الله ﷺ أن شعراء العرب الذين يمثلون بالبرق والأشياء المسرعة، لم يوجد في أشعارها ذكر الكواكب المنقضة، فلما حدثت بعد مولد نبينا ﷺ، استعملت الشعراء ذكرها، فقال ذو الرُّمَّة:

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيةٍ      مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنه قد كان ذلك قبل نبينا ﷺ، فروى مسلم في «صحيحه» من حديث علي بن الحسين عن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه، إذ رمي بنجم، فاستنار، فقال: «ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم، أو يولد عظيم، قال: «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة، ولكن ريثما إذا قضى أمراً، سُبِحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سُبِحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ أَهْلَ سَمَاءٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ، وَتَخْطِفُ الْجِنُّ وَرُيُونُ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيلُونَ»<sup>(٣)</sup>. وروي عن ابن عباس أن الشياطين كانت لا تُحجب عن السموات، فلما وُلِدَ عيسى، مُنِعَتْ من ثلاث سموات، فلما وُلِدَ رسول الله ﷺ، مُنِعُوا من السموات كلها. وقال الزهري: قد كان يرمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله، ولكنها غُلِظَتْ حين بُعث ﷺ، وهذا مذهب ابن قتيبة، قال: وعلى هذا وجدنا الشعر القديم، قال بشر بن أبي خازم، هو جاهلي:

(١) البخاري ٢١٠/٢ و ٥١٣/٨، ومسلم ٣٣١/١، ولقظه في البخاري بتمامه: «عن ابن عباس ؓ قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرأتاً عجباً يهدي إلى الرشد فأما به، ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿قُلْ أَدْعِيَ إِلَهُ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن». ورواه الترمذي ١٦٧/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأورده ابن كثير ١٦٢/٢ من رواية البيهقي في «دلائل النبوة».

(٢) «ديوانه» ٣٦ طبع المكتب الإسلامي، ومجاز القرآن ٩٥/٢، والكامل للمبردة ٨٣٣، و«الأمالي» للقالبي ٦٥/٣، و«اللسان»، قصب، و«القرطبي» ٢٠٣/١٣. وقوله: في إثر عفرية: أي: شيطان، وقوله: مسوم، أي: معلم، من السومة، وهي العلامة. ومعنى الليث: كان النور كوكب مسوم متقضب في إثر عفرية في سواد الليل.

(٣) مسلم ١٧٥٠/٤ - ١٧٥١، وقد رواه المصنف بالمعنى، ورواه أحمد في «المستند» من حديث ابن عباس رقم (١٨٨٢، ١٨٨٣)، ولقظه المصنف قريب من لفظ أحمد.



وَالْعَيْرُ يَرْهَقُهَا الْعُبَارُ وَجَحَشُهَا

وقال أوس بن حجر، وهو جاهلي:

فَانْقَضَ كَالدَّرِيِّ يَتَّبِعُهُ

يَنْقَضُ خَلْفَهُمَا انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ<sup>(١)</sup>

نَقَعَ يَشُورُ تَخَالُهُ طُنْبًا<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ النَّعْمَ﴾ أي: اختطف ما سمعه من كلام الملائكة. قال ابن فارس: استرق السمع: إذا سمع مستخفياً. «تَابَعَهُ» أي: لحقه «شَهَابٌ مُبِينٌ» قال ابن قتيبة: كوكب مضيء. وقيل: «مبين» بمعنى: ظاهر يراه أهل الأرض. وإنما يسترق الشيطان ما يكون من أخبار الأرض، فأما وحى الله ﷻ، فقد صانه عنهم. واختلفوا، هل يقتل الشهاب، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه يُحرق ويخبل ولا يقتل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه يقتل، قاله الحسن. فعلى هذا القول، هل يقتل الشيطان قبل أن يخبر بما سمع، فيه قولان: أحدهما: أنه يقتل قبل ذلك، فعلى هذا، لا تصل أخبار السماء إلى غير الأنبياء. قال ابن عباس: ولذلك انقطعت الكهانة. والثاني: أنه يقتل بعد إلقائه ما سمع إلى غيره من الجن، ولذلك يعودون إلى الاستراق، ولو لم يصل، لقطعوا الاستراق.

﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا فِيهَا رَوَيْسٌ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيَشٌ وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: بسطناها على وجه الماء «وَالْقَيْتْنَا فِيهَا رَوَيْسٍ» وهي الجبال الثوابت «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا» في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الأرض، قاله الأثرون. والثاني: الجبال، قاله الفراء. وفي قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ قولان: أحدهما: أن الموزون: المعلوم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة، والضحاك. وقال مجاهد، وعكرمة في آخرين: الموزون: المقدور. فعلى هذا يكون المعنى: معلوم القدر كأنه قد وُزن، لأن أهل الدنيا لما كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه، أخبر الله تعالى عن هذا أنه معلوم القدر عنده بأنه موزون. وقال الزجاج: المعنى: أنه جرى على وزن من قدر الله تعالى، لا يجاوز ما قدره الله تعالى عليه، ولا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصاناً. والثاني: أنه عني به الشيء الذي يُوزن كالذهب، والفضة، والرصاص، والحديد، والكحل، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروي عن الحسن، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، واختاره الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيَشٌ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الأرض. والثاني: أنها الأشياء التي أنبتت. والمعاش جمع معيشة. والمعنى: جعلنا لكم فيها أرزاقاً تعيشون بها. وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه الدواب والأنعام، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثاني: الوحوش، رواه منصور عن مجاهد. وقال ابن قتيبة: الوحش، والطير، والسباع، وأشباه ذلك مما لا يرزقه ابن آدم. والثالث: العبيد والإماء، قاله الفراء. والرابع: العبيد، والأنعام، والدواب، قاله الزجاج. قال الفراء: و «مَنْ» في موضع نصب، فالمعنى: جعلنا لكم فيها المعاش، والعبيد، والإماء. ويقال: إنها في موضع خفض، فالمعنى: جعلنا لكم فيها معاش ولمن لستم له برزاقين. وقال الزجاج: المعنى: جعلنا لكم الدواب، والعبيد، وكفيتهم مؤونة أرزاقها. فإن قيل: كيف قلتم: إن «مَنْ» هاهنا للوحوش والدواب، وإنما تكون لمن يعقل؟ فالجواب: أنه لما وُصف الوحوش وغيرها بالمعاش الذي الغالب عليه أن يوصف به الناس، فيقال: للآدمي معاش، ولا يقال: للفرس معاش، جرت مجرى الناس، كما قال: ﴿يَكَايُنَا كَأَنَّا نَدْعُوهُ سَكِينَتَهُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وقال: ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجِينَةً﴾ [يوسف: ٤]، وقال: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وإن قلنا: أريد به العبيد، والوحوش، فإنه إذا اجتمع الناس وغيرهم، غلب الناس على غيرهم، لفضيلة العقل والتمييز.

﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿١٦﴾

(١) «ديوانه» ٣٧، و «تأويل مشكل القرآن» ٣٣٣، و «اللمعان الكبير» ٧٣٩/٢، و «الحيوان» ٦/٢٧٩. شبه الحمار والجحش بالكوكب المنقض في سرعة ويأخذه، وقال الجاحظ في «الحيوان» ٦/٢٧٩: وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتوه إلى بشر بن أبي خازم من قوله: «والعير يرهقها... البيت، فزعموا أنه ليس من عادتهم أن يصفوا عدو الحمار بانقضاض الكوكب، وقالوا: في شعر بشر مصنوع كثير مما قد احتملته كثير من الرواة على أنه من صحيح شعره.

(٢) «ديوانه» ٣، و «اللمعان الكبير» ٧٣٨/٢، و «غريب القرآن» ٣٣٤، و «الحيوان» ٦/٢٧٤، و «اللسان»: درأ.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شِئْنَا﴾ أي: وما من شيء ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ وهذا الكلام عام في كل شيء. وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه، أي: في حكمنا وتدبيرنا، ﴿وَمَا نَنْزِلُوهُ﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ لا يزيد ولا ينقص، فما من عام أكثر مطراً من عام، غير أن الله تعالى يصرفه إلى من يشاء، ويمنعه من يشاء.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَاذَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَلَمَّتْ بِكَوْهُ وَمَا أَشْرَ لَهُمْ يَحْذَرِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُؤْتِي وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ وقرأ حمزة؛ وخلف: «الريح». وكان أبو عبيدة يذهب إلى أن «لوايح» بمعنى ملايح، فسقطت الميم منه، قال الشاعر:

لِيُبْنِكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِبَضْرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ يَمْنَنُ طَوَّحْنُهُ الطَّوَائِحُ<sup>(١)</sup>

أراد؛ المطاوح، فحذف الميم، فمعنى الآية عنده: وأرسلنا الرياح ملقحة، فيكون هاهنا فاعل بمعنى مفعول، كما أتى فاعل بمعنى مفعول، كقوله: ﴿تَكَوَّذَايَ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق، و ﴿يَسْنُو رَأْيِيَّوْ﴾ [الحاقة: ٢١ والقارة: ٧] أي: مَرْضِيَّه، وكقولهم: ليل نائم، أي: مَنُوم فيه، ويقولون: أبقل النبت، فهو باقل، أي: مُبْقِل. قال ابن قتيبة: يريد أبو عبيدة أنها تُلْقِحُ الشجر، وتُلْقِحُ السحاب كأنها تُتَجِّه. ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه وهو يجد العرب تسمي الرياحَ لَوَاقِحَ، والريحَ لَاقِحاً، قال الطِّرِمَاح، وذكر بُرْدَا مَدَّه على أصحابه في الشمس يستظلُّون به:

قَلِيْقٌ لَأَفْنَانِ الرِّيا ح لَلْأَقِحِ مِنْهَا وَحَائِلُ<sup>(٢)</sup>  
فاللاقح: الجنوب، والحائل: الشمال، ويسمون الشمال أيضاً: عقيماً، والعقيم: التي لا تحمل، كما سُمِّوا الجنوب لَاقِحاً، قال كثير:

وَمَرَّبَسْفَسَافِ التَّرَابِ عَقِيمَهَا<sup>(٣)</sup>

يعني: الشمال. وإنما جعلوا الريح لَاقِحاً، أي: حاملاً، لأنها تحمل السحاب وتقلِّبه وتصرفه، ثم تحله فينزل، فهي على هذا حامل، ويدل على هذا قوله: ﴿حَرَجٌ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا﴾ [الأعراف: ٥٧] أي: حملت. قال ابن الأنباري: شبه ما تحمله الريح من الماء وغيره، بالولد الذي تشتمل عليه الناقة، وكذلك يقولون: حرب لاقح، لما تشتمل عليه من الشر، فعلى قول أبي عبيدة، يكون معنى «لوايح»: أنها ملقحة لغيرها، وعلى قول ابن قتيبة: أنها لاقحة نفسها، وأكثر الأحاديث تدل على القول الأول<sup>(٤)</sup>. قال عبد الله بن مسعود: يبعث الله الرياح لتلقح السحاب، فتحمل الماء، فتمجُّه ثم تمر به، فيدرُّ كما تدرُّ اللقحة. وقال الضحاك: يبعث الله الرياح على السحاب فتلقِّحه فيمتلئ ماءً. قال النخعي: تُلْقِحُ السحاب ولا تُلْقِحُ الشجر. وقال الحسن في آخرين: تُلْقِحُ السحاب والشجر، يعنون أنها تُلْقِحُ السحاب حتى يُمَطِّرَ والشجر حتى يُثْمِرَ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاذَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعين السحاب ﴿مَاءً﴾ يعني المطر ﴿فَلَمَّتْ بِكَوْهُ﴾ أي: جعلناه سُقْيَا لكم. قال الفراء: العرب مجتمعون على أن يقولوا: سقيت الرجل، فأنا أسقيه: إذا سقيته لِسَفْتِهِ، فإذا أجروا للرجل نهراً

(١) البيت لنهشل بن حري على الأصح، شاعر مخضرم، وقد ينسب إلى غيره، وصوب البغدادى نسبة إلى نهشل. وهو في «الكتاب» ١/١٤٥، و«الطبري» ٢١/١٤، و«مجاز القرآن» ٣٩٩/١، و«الشمري» ١٤٥/١، و«اللسان»، و«التاج»: طبع. و«العيون» ٤٤٣، و«شواهد الكشاف» ٦٥.

(٢) البيت للطرماح «غرب القرآن» ٢٣٦.

(٣) «غرب القرآن» ٢٣٧، و«اللسان»: سفق.

(٤) وقد روى ابن جرير الطبري ٢٢/١٤ حديثاً مرفوعاً من حديث عيسى بن ميمون عن أبي المهزوم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ: «الريح الجنوب من الجنة، وهي الريح اللواقح، وهي التي ذكر الله تعالى في كتابه، وفيها منافع للناس»، وسنده ضعيف.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء، وإلقاحها السحاب والشجر: عملها فيه.

[قالوا: أسقيته وسقيته، وكذلك السُّقيا من الغيث، قالوا فيها: سقيت وأسقيت<sup>(١)</sup>]. وقال أبو عبيدة: كل ما كان من السماء، ففيه لغتان: أسقاء الله، وسقاء الله، قال لبيد:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى

فجاء باللغتين. وتقول: سقيت الرجل ماءً وشراباً من لبن وغيره، وليس فيه إلا لغة واحدة بغير ألف، إذا كان في الشفة؛ وإذا جعلت له شرباً، فهو: أسقيته، وأسقيت أرضه، وإبله، ولا يكون غير هذا، وكذلك إذا استسقيت له، كقول ذي الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيَّةَ نَأَقَتِي

وَأَسْقِيَةَ حَتَّى كَادَ أَبُثُّهُ

إذا وهبت له إهاباً ليجعله سقاءً، فقد أسقيته إياه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ﴾ يعني: الماء المُنْزَلُ ﴿بِحَزْنٍ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بحافظين، أي: ليست خزائنه بأيديكم، قاله مقاتل. والثاني: بمانعين، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿وَتَحْنُ الْوُفُونَ﴾ يعني: أنه الباقي بعد فناء الخلق.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا لَلْمُسْتَقْرِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ رَيْكَ هُوَ بِحَرْثِهِمْ إِنَّهُمْ حِكْمٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ يقال: استقدم الرجل، بمعنى: تقدم، واستأخر، بمعنى: تأخر. وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن امرأة حساء كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ، فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول الصف لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في آخر صف، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن النبي ﷺ حَضَّ على الصف الأول، فازدحموا عليه، وقال قوم بيوتهم قاصية عن المدينة: لنبيعن دُورنا، ولنشترين دوراً قريبة من المسجد حتى ندرِك الصف المتقدم، فنزلت هذه الآية؛ ومعناها: إنما تُجْزَوْنَ على النيات، فاطمأنوا وسكنوا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وللمفسرين في معنى المستقدمين والمستأخرين ثمانية أقوال: أحدها: لتقدم في الصف الأول، والتأخر عنه، وهذا على القولين المذكورين في سبب نزولها، فعلى الأول: هو التقدُّم للتقوى، والتأخر للخيانة بالنظر، وعلى الثاني: هو التقدم لطلب الفضيلة، والتأخر للعدر. والثاني: أن المستقدمين: من مات، والمستأخرين: من هو حي لم يموت، رواه العوفي عن ابن عباس، وتخصيف عن مجاهد، وبه قال عطاء، والضحاك، والقرظي. والثالث: أن المستقدمين: من خرج من الخلق وكان. والمستأخرين: الذين في أصلاب الرجال، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عكرمة. والرابع: أن المستقدمين: من مضى من الأمم، والمستأخرين: أمة محمد ﷺ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والخامس: أن المستقدمين: المتقدمون في الخير، والمستأخرين: المبطون عنه، قاله الحسن، وقتادة. والسادس: أن المستقدمين في صفوف القتال، والمستأخرين عنها، قاله الضحاك. والسابع: أن المستقدمين: من قُتل في الجهاد، والمستأخرين: من لم يُقتل، قاله القرظي. والثامن: أن المستقدمين: أول الخلق، والمستأخرين: آخر الخلق، قاله الشعبي.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْثُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَكِنْ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْثُورٍ ﴿٢١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَجْدًا ﴿٢٢﴾﴾

(١) وفي هامش الأصل ما نصه: هذا سقط من الأصل، لأنه مكتوب بخط جديد، كان سقط منه ورقة، والحقت، ولعله غلط فأسقط ما بين «لا» «إلى»، وهو الذي وضعناه بين معقنين.

(٢) «ديوانه» ٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٥٠/١، و«نوادير أبي زيد» ٢١٣، و«الشمري» ٢٣٥/٢، و«اللسان»، و«التاج»: سقى.

(٣) «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ٥٢، و«مجاز القرآن» ٣٥٠/١، و«نوادير أبي زيد» ٢١٣، و«الطبري» ٢٢/١٤، و«التاج»: سقى.

(٤) «الطبري» ٢٦/١٤، وذكره ابن كثير من رواية ابن جرير الطبري ٥٤٩/٢، وقال: حديث غريب جداً، وفيه نكارة شديدة. وأورده السيوطي في «الدرر» ٩٦/٤، وزاد نسبته للطيب السبي، وسعيد بن منصور، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ صَلَاسٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطين اليابس الذي لم تُصبه نار، فإذا نقرته صَلَّ، فسمعت له صلصلة، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: أنه الطين المتنن، قاله مجاهد، والكسائي، وأبو عبيد. ويقال: صَلَّ اللحمُ: إذا تغيرت رائحته. والثالث: أنه طين خُلطَ برمل، فصار له صوت عند نقره، قاله الفراء. فأما الحمأ، فقال أبو عبيدة: هو جمع حَمَاءَ، وهو الطين المتغير. وقال ابن الأنباري: لا خلاف أن الحمأ: الطين الأسود المتغير الريح. وروى السدي عن أشياخه قال: بُلُّ التراب حتى صار طيناً، ثم تُرْك حتى أتنن وتغير. وفي المسنون أربعة أقوال: أحدها: المتن أيضاً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة في آخرين. قال ابن قتيبة: المسنون: المتغير الرائحة. والثاني: أنه الطين الرطب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه المصبوب، قاله أبو عمرو بن العلاء، وأبو عبيد. والرابع: أنه المخكوك، ذكره ابن الأنباري، قال: فمن قال: المسنون: المتن، قال: هو من قولهم: قد تَسَنَّى الشيء: إذا أتنن، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمْ يَتَسَنَّوْنَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وإنما قيل له: مسنون، لتقدم السنين عليه. ومن قال: الطين الرطب، قال: سمي مسنوناً، لأنه يسيل وينبسط، فيكون كالماء المسنون المصبوب. ومن قال: المصبوب، احتج بقول العرب: قد سنتت عليّ الماء: إذا صيبته. ويجوز أن يكون المصبوب على صورة ومثال، من قوله: رأيت سُنَّةَ وجهه، أي: صورة وجهه، قال الشاعر:

تُرْبِكَ سُنَّةٌ وَجْهِهِ غَيْرُ مُقَرَّرَةٍ ..... مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ<sup>(١)</sup>

ومن قال: المحكوك، احتج بقول العرب: سنتت الحجر على الحجر: إذا حككته عليه. وسمي الوَسْنُ وسناً، لأن الحديد يُحْكُ عليه. قال: وإنما كُرِّرَتْ مِنْهُ لأن الأولى متعلقة بـ «خلقنا»، والثانية متعلقة بالصلصال، تقديره: ولقد خلقنا الإنسان من الصلصال الذي هو من حمأ مسنون.

قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنازير مسيخ الإنس<sup>(٢)</sup>، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أنه أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه الضحاك أنه قال: الجانُّ أبو الجن، وليسوا بشياطين، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر. والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل. فإن قيل: ليس أبو الجن هو إبليس؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله. والثاني: أن الجانُّ أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فبينهما إذاً فرق على ما ذكرنا عن ابن عباس. قال العلماء: وإنما سمي جاناً، لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَلَلٍ﴾ يعني: قبل خَلَقَ آدم: ﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال ابن مسعود: من نار الريح الحارّة، وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم<sup>(٤)</sup>. والسُّوم في اللغة: الريح الحارّة وفيها نار، قال ابن السائب: وهي نار لا دخان لها.

﴿نَسَجَدَ لِلْمَلَائِكَةِ كُلِّمَهُمْ أَجْمَعُونَ﴾<sup>(٥)</sup> إِلَّا إِبْلِيسَ إِنَّهُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٦﴾ قَالَ إِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٧﴾

(١) البيت لذي الرّمة، «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ٨، و«القرطبي» ٢٢/١٠. والسنة: الصورة، والندب: الأثر من الجراح والقراح. وقوله: غير مفرقة، أي: غير هجينة، عفيفة، كريمة. وخال: شامة.

(٢) روى أحمد في «المسند» رقم (٢٧٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لم يمسح شيئاً فبدع له نسلأ أو هابة، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك»، وهو حديث صحيح. وروى مسلم في «صحيحه» ٢٠٥١/٤، ٢٠٥٢، عن عبد الله بن مسعود قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله القردة والخنازير، هي مما مسح؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله ﷻ لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلأ، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». وروى مسلم أيضاً ٢٠٥١/٤، من حديث ابن مسعود قال: ذكرت عند رسول الله ﷺ القردة - قال مسمر وأراء قال: والخنازير - من مسح، فقال ﷺ: «إن الله لم يجعل لمسح نسلأ ولا عقبأ، وقد كان القردة والخنازير قبل ذلك» أي: قبل مسح بني إسرائيل، فدل ذلك على أنها ليست من المسح.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢٩٤/٤، عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

(٤) روى البخاري ٢٣٨/٦، ومسلم ٢١٨٤/٤ عن أبي هريرة ؓ، ولفظ البخاري: أن النبي ﷺ قال: «فإنكم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فقطت عليهن بشمة وتسمين جزءاً كلهن مثل حرها».



قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِإِسْرَافِيلَ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِنْ يَرَوْهُ الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ يَرَوْهُ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَتَيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سُرَّيْتُمْ﴾ أي: عدلت صورته، وأتممت خلقته ﴿وَنَحْنُ يُرَىٰ مِنْ رَبِّي﴾ هذه الروح هي التي يحيا بها الإنسان، ولا نعلم ماهيتها، وإنما أضافها إليه، تشريفاً لأدم، وهذه إضافة ملك. وإنما سمي إجراء الروح فيه نفخاً، لأنها جرت في بدنه على مثل جري الريح فيه.

قوله تعالى: ﴿فَتَقَرُّوا﴾ أمر من الوقوع. وقوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قال فيه سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد. وقال المبرد: «أجمعون» يدل على اجتماعهم في السجود، فالمعنى: سجدوا كلهم في حالة واحدة. قال ابن الأنباري: وهذا، لأن «كلًا» تدل على اجتماع القوم في الفعل، ولا تدل على اجتماعهم في الزمان. قال الزجاج: وقول سيبويه أجود، لأن «أجمعين» معرفة، ولا تكون حالاً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ قال المفسرون: معناه: يلعنك أهل السماء والأرض إلى يوم الحساب. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿إِنْ يَرَوْهُ الَّذِينَ﴾ لأنه يوم له أول وليس له آخر، فجرى مجرى الأبد الذي لا يفنى، والمعنى: عليك لعنة أبداً.

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَرَوْهُ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ﴾ يعني: المعلوم بموت الخلائق فيه، فأراد أن يذيقه ألم الموت قبل أن يذيقه العذاب الدائم في جهنم.

قوله تعالى: ﴿لَأَتَيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ مفعول التزيين محذوف، والمعنى: لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه. ﴿وَلَاغْوِيَنَّهُمْ﴾ أي: ولاضلنهم. والمخلصون: الذين أخلصوا دينهم لله عن كل شائبة تناقض الإخلاص. وما أخللنا به من الكلمات هاهنا، فقد سبق تفسيرها في [الأعراف: ١٦] وغيرها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعني بقوله هذا: الإخلاص، فالمعنى: إن الإخلاص طريق إليّ مستقيم، و«عليّ» بمعنى «إليّ». والثاني: هذا طريق عليّ جوازه، لأنني بالمرصداً، فأجازيهم بأعمالهم؛ وهو خارج مخرج الوعيد، كما تقول للرجل تخاصمه: طريقك عليّ، فهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَارِكٌ بِمَا تَعْمَلُ﴾ [الفجر: ١٤]. والثالث: هذا صراط عليّ استقامته، أي: أنا ضامن لاستقامته بالبيان والبرهان. وقرأ قتادة، ويعقوب: «هذا صراطٌ عليّ» بكسر اللام ورفع الياء وتوניהا، أي: رفع.

﴿إِنْ يَبْغَىٰ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ آتَيْنَاكَ مِنَ الْقَاوِنِ﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٢﴾ لَمَّا سَمِعَتْ أَبُورَ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءً مَقْشُورٌ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَبْغَىٰ﴾ فيهم أربعة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها: أنهم المؤمنون. والثاني: المعصومون، رؤيا عن قتادة. والثالث: المخلصون، قاله مقاتل. والرابع: المطيعون، قاله ابن جرير. فعلى هذه الأقوال، تكون الآية من العام الذي أريد به الخاص. وفي المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن جرير، فيكون المعنى: ليس لك حجة في إغوائهم. والثاني: أنه القهر والغلبة، إنما له أن يغتر ويزين، قاله أبو سليمان الدمشقي. وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية، فقال: ليس لك عليهم سلطان أن تلقهم في دُنب يضيق عفوي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يعني: الذين أتبعوه.

قوله تعالى: ﴿لَمَّا سَمِعَتْ أَبُورَ﴾ وهي دركاتهما بعضها فوق بعض، قال علي ﴿٤٢﴾: أبواب جهنم ليست كأبوابكم هذه، ولكنها هكذا وهكذا وبعضها فوق بعض، ووصف الراوي عنه بيده وفتح أصابعه. قال ابن جرير: لها سبعة أبواب، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. وقال الضحاك: هي سبعة

(١) وفي نسخة: فيه أربعة أقوال، ويكون الضمير عائداً على القول.

أدراك بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر ذنوبهم ثم يُخَرَّجون، والثاني فيه النصارى، والثالث فيه اليهود، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون. قال ابن الأنباري: لما اتصل العذاب بالباب، وكان الباب من سببه، سمي باسمه للمجاورة، كتسميتهم الحدث غائطاً.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ يَنْتَهُمُ﴾ أي: من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَّقْسُورٌ﴾ والجزء: بعض الشيء.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ﴾ ﴿١٦﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَايَتِينَ ﴿١٧﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَلِّطِينَ ﴿١٨﴾ لَا يَسْمُهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُتَغَيِّرِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَغُيُوبٍ﴾ ﴿١٦﴾ قد شرحنا في سورة {البقرة: ٢ و ٢٥} معنى التقوى والجنات. فأما العيون، فهي عيون الماء، والخمر، والسلسيل، والتسنيم، وغير ذلك مما ذُكر أنه من شراب الجنة.

قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ المعنى: يقال لهم: ادخلوها بسلام، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بسلامة من النار. والثاني: بسلامة من كل آفة. والثالث: بتحية من الله. وفي قوله: ﴿ءَايَتَيْنِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: آيتين من عذاب الله. والثاني: من الخروج. والثالث: من الموت. والرابع: من الخوف والمرض.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ قد ذكرنا تفسيرها في سورة {الأعراف: ٤٣} فإن المفسرين ذكروا ما هناك ها هنا من تفسير وسبب نزول.

قوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾ منصوب على الحال، والمعنى: أنهم متوادون. فإن قيل: كيف نصب «إخواناً» على الحال، فأوجب ذلك أن التأخي وقع مع نزاع الغل، وقد كان التأخي بينهم في الدنيا؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري: فقال: ما مضى من التأخي قد كان تشويه صفاتهن وشحناء، وهذا التأخي بينهم الموجود عند نزاع الغل هو تأخي المصافاة والإخلاص، ويجوز أن يتصب على المدح، المعنى: اذكر إخواناً. فأما السرر فجمع سرير، قال ابن عباس: على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدُّرُّ والياقوت، السرير مثل ما بين عدن إلى أيلة<sup>(١)</sup>، ﴿مُتَقَلِّطِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض، حيثما التفت رأى وجهاً يحبه يقابله.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُهُمْ فِيهَا نَجَسٌ﴾ أي: لا يصيبهم في الجنة إعياء وتعب.

﴿ثُمَّ يَبْدَأُ أَتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٢١﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِزْرَاهِمَ ﴿٢٢﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا بِكُمْ رَحِيمُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَا تَوَجَّهْ إِنَّا بُشِّرْنَاكَ بِشَيْءٍ عَظِيمٍ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْدَأُ أَتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سبب نزولها ما روى ابن المبارك بإسناد له عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: طلع علينا رسول الله من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه، ونحن نضحك، فقال: «ألا أراكم تضحكون؟» ثم أدير، حتى إذا كان عند الحجر، رجع إلينا القهقري، فقال: «إني لما خرجت، جاء جبريل ﷺ، فقال: يا محمد، يقول الله تعالى: لم تقط عبادي؟ نبئ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم<sup>(٢)</sup>». وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو بتحريك ياء «عبادي» ويا «أني أنا»، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِزْرَاهِمَ﴾ ﴿٢٢﴾ قد شرحنا القصة في {هود: ٦٩} وبيننا هنالك معنى الضيف والسبب في خوفه منهم، وذكرنا معنى الوَجَّه في {الأنفال: ٢}.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِي عِيسَى﴾ أي: إنه يبلغ ويعلم.

﴿قَالَ ابْسُزْمُونِي عَلَىٰ أَنْ تُنَادِيَ إِلَيْكَ بِرَبِّكَ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُنْطَلِقِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن

(١) أيلة: مدينة على شاطئ البحرين الفسطاط ومكة تعد من بلاد الشام.

(٢) «الطبري» ٣٩/١٤ وسنده ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٥٥٣/٢ من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ١٠٢/٤، وزاد نسبتاً لابن مردويه. وجاء في «صحیح مسلم» ٢١٠٩/٤ حديث يصد هذه الآية دون سبب النزول، عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجهنم أحد، ولو يعلم الكفار ما عند الله من الرحمة ما قط من جهنم أحد».



ثلاث لغات: عَمْرٌ وَعُمَرُ وَعُمُرٌ، وهو عند العرب: البقاء. وحكى الزجاج أن الخليل وسيبويه وجميع أهل اللغة قالوا: العَمْرُ والعُمَرُ في معنى واحد، فإذا استعمل في القسم، فُتح لا غير، وإنما آثروا الفتح في القسم، لأن الفتح أخف عليهم، وهم يؤكدون القسم بـ «العَمري» و «العُمرك»، فلما كثر استعمالهم إياه، لزموا الأخف عليهم، قال: وقال النحويون: ارتفع «العُمرك» بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لَعُمْرِكَ قَسَمِي، ولَعُمْرِكَ ما أَقْسِمُ به، وحذف الخبر، لأن في الكلام دليلاً عليه. المعنى: أقسم ﴿إِنَّهُمْ لَكَايِمٌ يَمْهَرُونَ﴾. وفي المراد بهذه السكرة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الضلالة، قاله قتادة. والثاني: بمعنى الغفلة، قاله الأعمش. وقد شرحنا معنى العَمه في سورة [البقرة: ١٥]. وفي المشار إليهم بهذا قولان: أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: قوم نينا ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتَهُمُ النَّارَ﴾ يعني: صيحة العذاب وهي صيحة جبريل ﷺ. ﴿ثُمَّ رَوَّاهُ﴾ قال الزجاج: يقال: أشرقتا، فنحن مُشرقون: إذا صادفوا شروق الشمس، وهو طلوعها، كما يقال: أصبحنا: إذا صادفوا الصبح، يقال: شَرقت الشمس: إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت وصَفَتْ، هذا أكثر اللغة. وقد قيل: شَرقت وأشرقت في معنى واحد، إلا أن «مُشرقين» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِرًا﴾ قد فسرنا الآية في سورة [هود: ٨٢]. وفي المتوسمين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المتفرسون، روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَنُورَ اللَّهِ» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> قال: المتفرسون، وبهذا قال مجاهد، وابن قتيبة. قال ابن قتيبة: يقال: توسمت في فلان الخير، أي: تبينته. وقال الزجاج: المتوسمون، في اللغة: النَّظَارُ الْمُتَبَيَّنُونَ في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سِمة الشيء، يقال: توسمت في فلان كذا، أي: عرفت وسم ذلك فيه. وقال غيره: المتوسم: الناظر في السِّمة الدالة على الشيء. والثاني: المعتبرون، قاله قتادة. والثالث: الناظرون، قاله الضحاك. والرابع: المتفكرون، قاله ابن زيد، والفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَهُ﴾ يعني: قرية قوم لوط ﴿لَيْسَبِيلُ ثُبَيْرٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: لِبَطْرِيقٍ واضح، رواه نهشل عن الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والزجاج. وقال ابن زيد: لِبَطْرِيقٍ متبين. والثاني: لِبَهْلَاكٍ. رواه أبو رزق عن الضحاك عن ابن عباس، والمعنى: إنها بحال هلاكها لم تُعمر حتى الآن، فالاعتبار بها ممكن، وهي على طريق قريش إذا سافروا إلى الشام.

﴿وَلَهُ كَانَ أَحَصُّ الْأَيْكَةِ لَطَائِلِينَ﴾ ﴿فَاتَّقَنَّا يَتَهُمُ وَأَنبَأَهُ لِيَايَمٍ ثُبَيْرٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ كَانَ أَحَصُّ الْأَيْكَةِ لَطَائِلِينَ﴾ قال الزجاج: معنى «إِنَّ» واللام: التوكيد، والأيك: الشجر الملف، فالفضل بين واحده وجمعه، الهاء. فالمعنى: أصحاب الشجرة. قال المفسرون: هم قوم شعيب، كان مكانهم ذا شجر، فكذبوا شعيباً فأهلكوا بالحر كما بينا في سورة [هود: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأَهُ﴾ في المكنى عنهما قولان: أحدهما: أنهما الأيكة ومدينة قوم لوط، قاله الأكثرون. والثاني: لوط وشعيب، ذكره ابن الأنباري. وفي قوله: ﴿لِيَايَمٍ ثُبَيْرٍ﴾ قولان: أحدهما: لبطريق ظاهر، قاله ابن عباس. قال ابن قتيبة: وقيل للطريق: إمام، لأن المسافر يأتى به حتى يصير إلى الموضع الذي يريد. والثاني: لفي كتاب مستبين، قاله السدي. قال ابن الأنباري: «وإنهما» يعني: لوطاً وشعيباً بطريق من الحق يؤتم به.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَصُّ الْجَبْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿وَأَنبَأَهُمْ أَنبَأَنَا نَكَأُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَحَصُّ الْجَبْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني بهم ثمود. قال ابن عباس: كانت منازلهم بالحجر بين المدينة والشام. وفي الحجر قولان: أحدهما: أنه اسم الوادي الذي كانوا به، قاله قتادة، والزجاج. والثاني: اسم

(١) «الطبري» ٤٦/١٤، ورواه الترمذي ١٤٠/٢ من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم ٥٥٥/٢، وابن جرير، وأورد السيوطي في «الدر» ١٠٣/٤ وزاد في نسخته للبخاري في «التاريخ»، وابن السني وأبي نعيم معاً في الطب، وابن مردويه، والخطيب. وانظر الكلام على هذا الحديث في «المقاصد الحسنة» ١٩، و«فيض القدير» ١٤٤/١.



مدينتهم، قاله الزهري، ومقاتل. قال المفسرون: والمراد بالمسلمين: صالح وحده، لأنه من كُذِبَ نبياً فقد كُذِبَ الكل. والمراد بالآيات: الناقة، قال ابن عباس: كان فيها آيات: خروجها من الصخرة، ودنو نتاجها عند خروجها، وعظم خلقها فلم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعاً، ﴿كَانُوا عَنْهَا مُنْمَكِينَ﴾ لم يفكروا فيها ولم يستدلوا بها.

﴿وَكَانُوا يَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا مَابَيْنَهُنَّ ۖ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۚ﴾ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكُوتَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۚ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَتَّخِذُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ قد شرحناه في [الأمراء: ٧٤]. وفي قوله: ﴿مَابَيْنَهُنَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: آمنين أن تقع عليهم. والثاني: آمنين من خرابها. والثالث: من عذاب الله ﷻ. وفي قوله: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قولان: أحدهما: ما كانوا يعملون من نحت الجبال. والثاني: ما كانوا يكسبون من الأموال والأنعام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق ولإظهار الحق، وهو ثواب المصدق وعقاب المكذب. ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ أي: وإن القيامة لتأتي، فيجازى المشركون بأعمالهم، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ عنهم، وهو الإعراض الخالي من جنح وتوحيش. قال المفسرون: وهذا منسوخ بآية السيف. فأما: ﴿الْخَلَّاقُ﴾ فهو خالق كل شيء. و ﴿الْعَلِيمُ﴾ قد سبق شرحه [البقرة: ٢٩].

﴿وَلَقَدْ مَالَكَ سِمًا مِّنَ الثَّانِي وَالْفَرَاتِ الْعَظِيمِ ۚ لَا تَمُدُّ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنَا أَذْذِيرُ الْإِثْمِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَالَكَ سِمًا مِّنَ الثَّانِي﴾ سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البر والطيب والجواهر، فقال: المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله هذه الآية، وقال: أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل، ويدل على صحة هذا قوله: ﴿لَا تَمُدُّ عَيْنَكَ...﴾ الآية، قاله الحسين بن الفضل<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالسبع المثاني أربعة أقوال: أحدها: أنها فاتحة الكتاب، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية الأكثرين عنه، وأبو هريرة، والحسن، وسعيد بن جبيرة في رواية، ومجاهد في رواية، وعطاء، وقتادة في آخرين. فعلى هذا، إنما سُميت بالسبع، لأنها سبع آيات. وفي تسميتها بالمثاني سبعة أقوال: أحدها: لأن الله استثنى لامة محمد ﷺ، فلم يعطها أمة قبلهم، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: لأنها تُثنى في كل ركعة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: والمعنى: آتيك السبع الآيات التي تُثنى في كل ركعة، وإنما دخلت «مِنْ» للتوكيد، كقوله: ﴿وَلَمْ يَمَّا بِنَ كُلِّ الْفَرَاتِ﴾ [محمد: ١٥]. وقال ابن قتيبة: سمي «الحمد» مثاني، لأنها تُثنى في كل صلاة. والثالث: لأنها ما أثنى به على الله تعالى، لأن فيها حمد الله وتوحيده وذكر مملكته، ذكره الزجاج. والرابع: لأن فيها «الرحمن الرحيم» مرتين، ذكره أبو سليمان الدمشقي عن بعض اللغويين، وهذا على قول من يرى التسمية منها. والخامس: لأنها مقسومة بين الله تعالى وبين عبده، ويدل عليه حديث أبي هريرة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي»<sup>(٢)</sup>. والسادس: لأنها نزلت مرتين، ذكره الحسين بن الفضل. والسابع: لأن كلماتها مثناة، مثل: الرحمن الرحيم، إياك إياك، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير غير<sup>(٣)</sup>. ذكره بعض المفسرين. ومن أعظم فضائلها أن الله تعالى جعلها في

(١) الواحدي: ١٨٩.

(٢) وهو حديث قدسي رواه مسلم في «صحيحه» ٢٩٦/١، وهو بتمامه عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حبيبي عبدي، وإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿سُبْحَانَكَ يَا أَرْثَرُ﴾ قال: مجنبي عبدي - (وقال مرة: فوض إلى عبدي) - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل.

(٣) لعله اعتبر تفسير «ولا الضالين» بمعنى: وغير الضالين، فكلمة «غير» مكررة بموجب ذلك.

حَيْزٍ، والقرآن كله في حَيْزٍ، وامتنَّ عليه بها كما امتنَّ عليه بالقرآن كله. والقول الثاني: أنها السبع الطُول، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية، والضحاك. فالسبع الطُول هي: (البقرة)، و (آل عمران)، و (النساء)، و (المائدة)، و (الأنعام)، و (الأعراف)، وفي السابعة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها (يونس)، قاله سعيد بن جبير. والثاني: (براءة) قاله أبو مالك. والثالث: (الأنفال) و (براءة) جميعاً، رواه سفيان عن مسعر عن بعض أهل العلم. قال ابن قتيبة: وكانوا يرون (الأنفال) و (براءة) سورة واحدة، ولذلك لم يفصلوا بينهما. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: هي الطُول، ولا تُقْلها بالكسر، فعلى هذا، في تسميتها بالمثاني قولان: أحدهما: لأن الحدود والفرائض والأمثال تُثبت فيها، قاله ابن عباس. والثاني: لأنها تجاوز المائة الأولى إلى المائة الثانية، ذكره الماوردي. والقول الثالث: أن السبع المثاني سبع معانٍ أنزلت في القرآن: أمر، ونهي، وبشارة، وإنذار، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأخبار الأمم، قاله زياد بن أبي مريم. والقول الرابع: أن المثاني: القرآن كله، قاله طاووس، والضحاك، وأبو مالك، فعلى هذا، في تسمية القرآن بالمثاني أربعة أقوال: أحدها: لأن بعض الآيات يتلو بعضاً، فشئت الآخرة على الأولى، ولها مقاطع تفصل الآية بعد الآية حتى تنقضي السورة، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنه سمي بالمثاني لما يتردّد فيه من الثناء على الله ﷻ. والثالث: لما يتردّد فيه من ذكر الجنة، والنار، والثواب، والعقاب. والرابع: لأن الأفاضل، والأخبار، والمواعظ، والآداب، تُثبت فيه، ذكرهن ابن الأنباري. وقال ابن قتيبة: قد يكون المثاني سور القرآن كله، قصارها وطوالها، وإنما سمي مثاني، لأن الأنبياء والقصص تُثبت فيه، فعلى هذا القول، المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم. فاما قوله: ﴿يَنْ أَلْمَنَّا﴾ ففي «مين» قولان: أحدهما: أنها للتبعض، فيكون المعنى: آتيناك سبعاً من جملة الآيات التي يُثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن. والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قول: ﴿فَاجْتَبَيْنَا أَلَيْسَ مِنَّا أَلَوْسِينَ﴾ [الحج: ٣٠] لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريباً من هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: العظيم القدر، لأنه كلام الله تعالى، ووحيه. وفي المراد به هاهنا قولان: أحدهما: أنه جميع القرآن، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: أنه الفاتحة أيضاً، قاله أبو هريرة، وقد روي في حديثاً في أول تفسير (الفاتحة). قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول، يكون قد نسق الكل على البعض، كما يقول العربي: رأيت جدار الدار والدار، وإنما يصلح هذا، لأن الزيادة التي في الثاني من كثرة العدد أشبه بها ما يغاير الأول، فجوّز ذلك عطفه عليه. وعلى القول الثاني، تُثبت الشيء على نفسه لما زيد عليه معنى المدح والثناء، كما قالوا: روي ذلك عن عمر، وابن الخطاب. يريدون بآبَن الخطاب: الفاضل العالم الرفيع المنزل، فلما دخلته زيادة، أشبه ما يغاير الأول؛ فعطف عليه. ولما ذكر الله تعالى منته عليه بالقرآن، نهاء عن النظر إلى الدنيا ليستغني بما آتاه من القرآن عن الدنيا، فقال: ﴿لَا تَدْعُ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: أصنافاً من اليهود والمشرّكين، والمعنى: أنه نهاء عن الرغبة في الدنيا. وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا. والثاني: لا تحزن بما أنعمت عليهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَانَاكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ألن جانبك لهم. وخفض الجناح: عبارة عن السكون وترك التصعّب والإباء. قال ابن عباس: ارفق بهم ولا تغلظ عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ﴾ ﴿حَرْكُ يَاءِ إِنِّي﴾ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع. وذكر بعض المفسرين أن معناها منسوخ بآية السيف.

﴿كَأَنزَلْنَا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الْفُرْقَانَ عِزِينَ﴾ ﴿فَرَبِّكَ لَنَسْتَلْهُنَّ أَجْمِينَ﴾ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿قوله تعالى: ﴿كَأَنزَلْنَا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ في هذه الكاف قولان: أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبِيحًا مِّنَ الْمَنَاقِبِ﴾. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني، كما أنزلنا الكتب على

المقتسمين، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: ولقد شرفناك وكرمناك بالسبع المثاني، كما شرفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكاف بمعنى «مثل»، و «ما» بمعنى «الذي»، ذكره ابن الأنباري. والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا الْغَنِيُّ﴾، والمعنى: إني أنا النذير، أنذرتكم مثل الذي أنزل على المقتسمين من العذاب، وهذا معنى قول الفراء. فخرج في معنى «أنزلنا» قولان: أحدهما: أنزلنا الكتب، على قول مقاتل. والثاني: العذاب، على قول الفراء. وفي «المقتسمين» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم آمنوا ببعض القرآن، وكفروا ببعضه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي، استهزاء به، قاله عكرمة. والثالث: أنهم اقتسموا كتبهم، فأمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها، وآمن آخرون بما كفر به غيرهم، قاله مجاهد. والثاني: أنهم مشركو قريش، قاله قتادة، وابن السائب. فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين قولان: أحدهما: أن أقوالهم تقسمت في القرآن، فقال بعضهم: إنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، منهم الأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، وعدي بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، قاله قتادة. والثاني: أنهم اقتسموا على عقاب مكة، قال ابن السائب: هم رهط من أهل مكة اقتسموا على عقاب مكة حين حضر الموسم، قال لهم الوليد بن المغيرة: انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة حيث يمر بكم أهل الموسم، فإذا سألوكم عنه، يعني: رسول الله ﷺ، فليقل بعضهم: كاهن، وبعضكم: ساحر، وبعضكم: شاعر، وبعضكم: غاي، فإذا انتهوا إلي صدقتم، ومنهم حظلة بن أبي سفيان، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن هشام، وأبو قيس بن الوليد، وقيس بن الفاكه، وزهير بن أبي أمية، وهلال بن عبد الأسود، والسائب بن صيفي، والنضر بن الحارث، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الحجاج، وأمّية بن خلف، وأوس بن المغيرة. والثالث: أنهم قوم صالح الذين تقاسموا بالله: ﴿لَبِيتَكُمْ وَأَهْلَكُمْ﴾ [النمل: ٤٩]، فكفاه الله شرهم، قاله عبد الرحمن بن زيد. فعلى هذا، هو من القسم، لا من القسمة.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ في المراد بالقرآن قولان: أحدهما: أنه كتابنا، وهو الأظهر، وعليه الجمهور. والثاني: أن المراد به: كتب المتقدمين قبلنا. وفي «عضين» قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الأعضاء. قال الكسائي، وأبو عبيدة: اقتسموا بالقرآن وجعلوه أعضاء. ثم في ما فعلوا فيه قولان: أحدهما: أنهم عضّوه أعضاء، فأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه. والمعضي: المفروق. والتعضية: تجزئة الذبيحة أعضاء. قال علي رضي الله عنه: لا تعضية في ميراث، أراد: تفريق ما يوجب تفريقه ضرباً على الورثة كالسيف ونحوه. وقال رؤية:

وَلَيْسَ ذَيْنُ اللَّهِ بِالْمُعْضَى<sup>(١)</sup>

وهذا المعنى في رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنهم عضّوا القول فيه، أي: فرقوا، فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا كهانة، وقالوا: أساطير الأولين، وهذا المعنى في رواية ابن جريج عن مجاهد، وبه قال قتادة، وابن زيد. والثاني: أنه مأخوذ من العضو. والعضّة، بلسان قريش: السحر، ويقولون للساحرة: عاضهة. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ لعن العاضهة والمستعضهة<sup>(٢)</sup>، فيكون المعنى جعلوه سحراً، وهذا المعنى في رواية عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والفراء.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّكَ لَتَشَتَّهِنَّ أَجْمَعِينَ﴾ عَمَّا كَانُوا يَمْلِكُونَ هذا سؤال توبيخ، يُسألون عما عملوا في ما أمروا به من التوحيد والإيمان، فيقال لهم: لم عصيتم وتركتم الإيمان؟ فتظهر فضيحتهم عند تعدد الجواب. قال

(١) «ديوانه» ٨١ من أرجوزة له يمدح بها تيمناً وسعداً ونفسه، مطلعها:

دَايَسْتِ أَرَوِي وَالْدَيُونُ تَقْضَى

وهو في «مجاز القرآن» ٣٥٥/١، و«الطبري» ٦٥/١٤، و«اللسان: عضا.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه أبو يعلى، وابن عدي، من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وهما ضعيفان. وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. ١ هـ.

أبو العالية: يُسأل العبادُ كلُّهم يوم القيامة عن خَلَّتَيْن: عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿فَوَيْلٌ لَّ الَّذِينَ لَا يُشْكِلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لَاشٍ وَلَا جَبَأٌ ۖ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأنه أعلم، وإنما يقول: لم عملتم كذا؟ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنهم يسألون في بعض مواطن القيامة، ولا يسألون في بعضها، رواه عكرمة عن ابن عباس.

﴿فَاصْطَلْ بِمَا تُؤْمَرُ وَاعْرِضْ عَنِ الْمُتَكِبِينَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَاصْطَلْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فامض لما تؤمر، قاله ابن عباس. والثاني: أظهر أمرك، رواه ليث عن مجاهد. قال ابن قتبية: ﴿فَاصْطَلْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: أظهر ذلك. وأصله: الفرق والفتح، يريد: اصدع الباطل بحقك. وقال الزجاج: أظهر بما تؤمر به، أخذ ذلك من الصديق، وهو الصبح، قال الشاعر:

كَأَنَّ بِيضَاضَ غُرَّتِهِ صَدِيدِ

وقال الفراء: إنما لم يقل: بما تؤمر به، لأنه أراد: فاصدع بالأمر. وذكر ابن الأنباري أن «به» مضمرة، كما تقول: مررت بالذي مررت. والثالث: أن المراد به: الجهر بالقرآن في الصلاة، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. قال موسى بن عبيدة: ما زال رسول الله ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه. وفي قوله: ﴿وَاعْرِضْ عَنِ الْمُتَكِبِينَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اكف عن حربهم. والثاني: لا تبالي بهم، ولا تلتفت إلى لومهم على إظهار أمرك. والثالث: أعرض عن الاهتمام باستهزائهم. وأكثر المفسرين على أن هذا القدر من الآية منسوخ بآية السيف.

﴿إِنَّا كُنَّا كَالْمُسْتَهْزِئِينَ ۖ﴾ [الزمر: ١٥] الَّذِينَ يَجْمَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ سَوْفَ يَكْفُلُونَ ۖ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۖ﴾ [الزمر: ١٨] وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا كَالْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الزمر: ١٥] المعنى: فاصدع بأمرى كما كفتك المستهزئين، وهم قوم كانوا يستهزئون به وبالقرآن. وفي عددهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، وأبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، قاله ابن عباس. واسم أبي زمعة: الأسود بن المطلب. وكذلك ذكرهم سعيد بن جبير، إلا أنه قال مكان الحارث بن قيس: الحارث بن غبطة، قال الزهري: غبطة أمه، وقيس أبوه، فهو واحد. وإنما ذكرت ذلك، لثلاث يظن أنه غيره. وقد ذكرت في كتاب «التلقيح» من ينسب إلى أمه من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وسميت آبائهم ليُعرفوا إلى أي الأبوين نسبوا. وفي رواية عن ابن عباس مكان الحارث بن قيس: عدي بن قيس. والثاني: أنهم كانوا سبعة، قاله الشعبي، وابن أبي بزة، وعدهم ابن أبي بزة، فقال: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وأصرم وبعكك ابنا عبد الحارث بن السباق. وكذلك عددهم مقاتل، إلا أن قال مكان الحارث بن عدي: الحارث بن قيس السهمي، وقال: أصرم وبعكك ابنا الحجاج بن السباق.

ذَكَرَ مَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَكَفَىٰ رَسُولُهُ ﷺ أَمْرَهُمْ

قال المفسرون: أتى جبريلُ رسولُ الله ﷺ، والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمر الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يا محمد، كيف تجد هذا؟ فقال: «بئس عبد الله»، قال: قد كفيت، وأوماً إلى ساق الوليد، فمر الوليد برجلٍ يريش نبلاً له، فتعلقت شظية من نبل بلزازه، فمنعه الكبر أن يطامن لينزعها، وجعلت تضرب ساقه، ففرض ومات. وقيل: تعلق سهم بثوبه فأصاب أكله قطعه، فمات. ومر العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؟ فقال: «بئس عبد الله»، فأشار إلى أخمص رجله، وقال: قد كفيت، فدخلت شوكة في أخمصه، فانتفخت رجله ومات. ومر الأسود بن المطلب، فقال: كيف تجد هذا؟ قال: «عبد سوء»، فأشار بيده إلى عينه، فعمي وهلك. وقيل: جعل ينطح برأسه الشجر ويضرب وجهه بالشوك، فاستغاث بغلامه، فقال: لا أرى أحداً يصنع بك هذا غير نفسك، فمات وهو يقول: قتلني ربُّ محمد. ومر الأسود بن عبد يغوث، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ فقال: «بئس عبد الله»، فقال: قد كفيت، وأشار إلى بطنه، فسقى بطنه، فمات. وقيل: أصاب عينه شوك، فسالت حدقتاه. وقيل: خرج عن أهله فأصابه



السَّمُوم، فاسودَّ حتى عاد حشياً، فلما أتى أهله لم يعرفوه، فأغلقوا دونه الأبواب حتى مات. ومربه الحارث بن قيس، فقال: كيف تجد هذا؟ فقال: «عبد سوء»، فأومأ إلى رأسه، وقال: قد كُفيت، فانتفخ رأسه فمات، وقيل: أصابه العطش، فلم يزل يشرب الماء حتى انقذ بطنه. وأما أصرم وبعكك، فقال مقاتل: أخذت أحدهما الدُّبَيْلَةَ<sup>(١)</sup> والآخر ذات الجَنْبِ، فماتا جميعاً. قال عكرمة؛ هلك المستهزون قبل بدر. وقال ابن السائب: أهلكوا جميعاً في يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَبِيعُ سُدُوكَ بِمَا يَقُولُونَ ۖ﴾<sup>(٢)</sup> فيه قولان: أحدهما: أنه التكذيب. والثاني: الاستهزاء. قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: قل: سبحان الله وبحمده، قاله الضحاك. والثاني: فصل بأمر ربك، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قولان: أحدهما: من المصلين. والثاني: من المتواضعين، روى عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. وسمي يقيناً، لأنه موقن به. وقال الزجاج: معنى الآية: اعبد ربك أبداً، ولو قيل: اعبد ربك، بغير توقيت، لجاز إذا عبد الإنسان مرة أن يكون مطيعاً، فلما قال: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أمر بالإقامة على العبادة ما دام حياً<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على أعدائك، حكاه الماوردي.



(١) الدُّبَيْلَةُ: داء يجتمع في الجوف.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٢/ ٥٦٠ عند تفسير هذه الآية: ويستدل بهذه الآية الكريمة، وهي قول: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۖ﴾ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً، فيصلي بحسب حاله، كما ثبت في «صحيح البخاري»، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب». ويستدل بها على تخلفه من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، وهذا كفر وضلال وجهل، فإن الأنبياء ﷺ كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله، وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه، والله الحمد والمنة، والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل، وهو المسؤول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها، فإنه جواد كريم.

## سورة النحل

### فصل في نزولها

روى مجاهد، وعطية، وابن أبي طلحة عن ابن عباس: أنها مكية، وكذلك روي عن الحسن، وعكرمة، وعطاء: أنها مكية [كلها]. وقال ابن عباس في رواية: إنه نزل منها بعد قتل حمزة: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال في رواية: هي مكية إلا ثلاث آيات نزلن بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿يَسْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥، ٩٧]. وقال الشعبي: كلها مكية إلا قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخر الآيات [النحل: ١٢٦ - ١٢٨]. وقال قتادة: هي مكية إلا خمس آيات: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِمَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥، ٩٦]، ومن قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٢٦]. وقال ابن السائب: هي مكية إلا خمس آيات: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنْ كُنَّ رِجَالٌ لِدِيكَ لِهَاجِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٢٦]. وقال مقاتل: مكية إلا سبع آيات، قوله: ﴿ثُمَّ إِنْ كُنَّ رِجَالٌ لِدِيكَ هَاجِرُوا﴾ الآية [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الآية [النحل: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً﴾ الآية [النحل: ١١٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها [النحل: ١٢٦]. قال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل أربعون آية بمكة وبقيتها بالمدينة. وروى حماد عن علي بن زيد قال: كان يقل لسورة النحل: سورة النعم؛ يريد لكثرة تعداد النعم فيها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَقَدْ عَلِمَ بِشُرُوكِكُمْ ۖ يُزِيلُ اللَّيْلِيَّةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ۚ عَلَيْنَا مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أُنْزِلَ ۚ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۚ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾ قرأ حمزة، والكسائي بالإمالة. سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةِ﴾ [الفرج: ١]، فقال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد اقتربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء؛ قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل الله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] فاشفقوا، وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ﴾، فوثب رسول الله ﷺ، ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أتى بمعنى: يأتي، كما يقال: أتاك الخير فابشر، أي: سيأتيك، قاله ابن قتيبة، وشاهد: ﴿وَكَاذِبٌ أَصْحَابُ الْمَثَلِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰيُوسُفُ﴾ [الاسراء: ١١٦] ونحو ذلك. والثاني: أتى بمعنى: قرب، قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ذلك في قربه بمنزلة ما قد أتى. والثالث: أن «أتى» للماضي، والمعنى: أتى بعض عذاب الله، وهو: الجذب الذي نزل بهم، والجوع. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فينزل بكم مستقبلاً كما نزل ماضياً، قاله ابن الأنباري. وفي المراد بـ «أمر الله» خمسة أقوال: أحدها: أنها الساعة، وقد يخرج على قول ابن عباس الذي قدمناه، وبه قال ابن قتيبة. والثاني: خروج رسول الله ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس، يعني: أن خروجه من أمارات الساعة. وقال ابن الأنباري: أتى أمر الله من أشراف الساعة، فلا تستعجلوا قيام الساعة. والثالث: أنه الأحكام والفرائض، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والرابع: عذاب الله، ذكره ابن الأنباري. والخامس: وعيد المشركين، ذكره الماوردي.

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٥٩ بدون سند، ورواه بمعناه ابن جرير ٧٥/١٤ عن ابن جريج.

(٢) رد هذا القول ابن جرير في «تفسيره»، فقال: لا نعلم أحداً استعجل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها، بخلاف العذاب، فإنهم استعجلوه قبل كونه، استبعاداً وتكذيباً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعِزُّوهُ﴾ أي: لا تطلبوه قبل حينه، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أي: تنزيه له وبراءة من السوء عما يشركون به من الأصنام.

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يُنَزِّلُ» بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عمر، وحزمة، والكسائي: «يُنَزِّلُ» بالتشديد، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم: «يُنَزِّلُ» بالتاء مضمومة، وفتح الزاي مشددة. «الْمَلَائِكَةُ» رفع. قال ابن عباس: يريد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده. وفي المراد بالروح ستة أقوال: أحدها: الروح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: تنزل الملائكة بأمره، رواه العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: أن أمر الله كلَّه روح. قال [الزجاج]: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس بالإرشاد. والرابع: أنه الرحمة. قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أن أرواح الخلق: لا ينزل ملك إلا ومعه روح، قاله مجاهد. والسادس: أنه القرآن، قاله ابن زيد. فعلى هذا سماه روحاً، لأن الدين يحيا به، كما أن الروح تُحيي البدن. وقال بعضهم: الباء في قوله: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بمعنى: مع، فالتقدير: مع الروح، «مِنْ أَمْرِهِ» أي: بأمر، «عَلَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» يعني: الأنبياء، «أَنْ أُنْزِلُوا» قال الزجاج: والمعنى: أنزلوا أهل الكفر والمعاصي «أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أي: مُروهم بتوحيدي، وقال غيره: أنزلوا بأنه لا إله إلا أنا، أي: مروهم بالتوحيد مع تخويفهم إن لم يُبَرِّوا.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ قال المفسرون: أخذ أبي بن خلف عظماً رميمًا، فجعل يفتته ويقول: يا محمد كيف يبعث الله هذا بعدما رُم؟ فنزلت فيه هذه الآية<sup>(١)</sup>. والخصيم: المخاصم، والمبين: الظاهر الخصومة. والمعنى: أنه مخلوق من نطفة، وهو مع ذلك يخاصم وينكر البعث، أفلا يستدل بأوله على آخره، وأن من قدر على إيجاد أوله، يقدر على إعادته ثانياً؟ وفيه تنبيه على إنعام الله عليه حين نقله من حال ضعف النطفة إلى القوة التي أمكنه معها الخصام<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالْأَلَمَنَّةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ﴿وَتَحْمِلُ أَوْسَالُكُمْ إِذَا بُدِئَ رَكْعَتُهُمْ إِنْ شِئْتُمْ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَهِكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْأَلَمَنَّةُ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ الأنعام: الإبل، والبقرة، والغنم.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما استدفع به من أوبارها تتخذ ثياباً. وأخيه، وغير ذلك. روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالدفء: اللباس، وإلى هذا المعنى ذهب الأكثرون. والثاني: أنه نسلها. روى عكرمة عن ابن عباس: «فِيهَا دِفْءٌ» قال: الدفء: نسل كل دابة، وذكر ابن السائب قال: يقال: الدفء أولادها، ومن لا يحمل من الصغار، وحكى ابن فارس اللغوي عن الأموي، قال الدفء عند العرب: نتاج الإبل والألبان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْعٌ﴾ أي: سوى الدفء من الجلود، والألبان، والنسل، والركوب، والعمل عليها، وإلى غير ذلك، «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» يعني: من لحوم الأنعام.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي: زينة، «حِينَ تُرْجَعُونَ» أي: [حين] تردونها إلى مراحيها، وهو المكان الذي تأوي إليه، فترجع عظام الضروع والأشيمة، فيقال: هذا مال فلان، «وَحِينَ تَسْرَحُونَ»: ترسلونها بالغداة إلى مراعيها. فإن قيل: لم قدم الرواح وهو مؤخر؟ فالجواب: أنها في حال الرواح تكون أجمل، لأنها قد رعت، وامتلات ضروعها، وامتدت أسنمتها.

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسير الآية: ٧٧ من سورة (يس) عن مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة.

(٢) روى أحمد ٢١٠/٤، وابن ماجه رقم (٢٧٠٧) والحاكم عن بسر بن جعاش، قال: بصر رسول الله ﷺ في كفه، ثم قال: «يقول الله تعالى: ابن آدم! أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك فعدلتك مشيت بين يديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة!».

قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَوْتَالَهُمْ﴾ الإشارة بهذا إلى ما يطيق الحمل منها، والأوتال: جمع ثقل، وهو متاع المسافر. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُورْ﴾ قولان: أحدهما: أنه عام في كل بلد يقصده المسافر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أن المراد به: مكة، قاله عكرمة، والأول أصح، والمعنى: أنها تحمِلُكم إلى كل بلد لو تكلفتم أنتم بلوغه لم تبلغوه ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾. وفي معنى «شِقِّ الأنفس» قولان: أحدهما: أنه المشقة، قاله الأكثرون. قال ابن قتيبة: يقال: نحن بشق من العيش، أي: بجهد؛ وفي حديث أم زرع: «وجدني في أهل عُتَيْمَةَ بِشِقٍّ»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الشق: النصف، فكان الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه كأنه قد ذهب نصفه، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: حين مَنَ عليكم بالنعمة التي فيها هذه المرافق.

﴿وَالْحَيْلُ وَالْإِفَالُ وَالْحَمِيرُ لِرَبِّكُمَا وَزِينَةٌ وَيَخْتَلُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَالْحَيْلُ﴾ أي: وخلق الخيل ﴿وَالْإِفَالُ وَالْحَمِيرُ لِرَبِّكُمَا وَزِينَةٌ﴾ قال الزجاج: المعنى: وخلقها زينة.

### فصل

ويجوز أكل لحم الخيل، وإنما لم يُذكر في الآية، لأنه ليس هو المقصود، وإنما معظم المقصود بها: الركوب والزينة، وبهذا قال الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا تؤكل لحوم الخيل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَخْتَلُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذكر قوم من المفسرين: أن المراد به عجائب المخلوقات في السموات والأرض التي لم يُطلع عليها، مثل ما يروى: أن لله ملكاً من صفته كذا، وتحت العرش نهر من صفته كذا. وقال قوم: هو ما أعد الله لأهل الجنة فيها، ولأهل النار. وقال أبو سليمان الدمشقي: في الناس من كره تفسير هذا الحرف. وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَفِيهَا جَاوِزٌ وَكَوْشَاءٌ فَهَذِهِمُ أَهْمُومٌ﴾<sup>(٤)</sup> هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ ثَمِيمٌ<sup>(٥)</sup> يُثْمِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّيْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(٦)</sup> وَسَعَرَ لَكُمْ أَيْلًا وَالْأَنْهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّجُرُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد: إذا قصد بك ما تريد.

قال الزجاج: المعنى: وعلى الله تبين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبرهان.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا جَاوِزٌ﴾ قال أبو عبيدة: السبيل لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجمع، فكأنه قال: ومن السبيل سبيل جائر. قال ابن الأنباري: لما ذكر السبيل، دلَّ على السبيل، فلذلك قال: ﴿وَفِيهَا جَاوِزٌ﴾ كما دل الحداثان على الحوادث في قول العبدى:

وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ حَيٌّ فَهَلْ يَبْقَى عَلَيْهِنَّ السَّلَامُ

أراد: فهل يبقى على الحوادث، والسلام: الصخور، قال: ويجوز أن يكون إنما قال: ﴿وَفِيهَا﴾، لأن السبيل تؤث وتذكر، فالمعنى: من السبيل جائر. وقال ابن قتيبة: المعنى: ومن الطرق جائر لا يهتدون فيه، والجائر: العادل عن القصد، قال ابن عباس: ومنها جائر الأهواء المختلفة. وقال ابن المبارك: الأهواء والبعد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ وهو ما تشربونه، ﴿وَفِيهِ شَجَرٌ﴾ ذكر ابن الأنباري في معناه قولين: أحدهما: ومنه سقى شجر، وشرب شجر، فخلق المضاف إليه المضاف، كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَيْجَلَ﴾ [البقرة: ٤٣]. والثاني: أن المعنى: ومن جهة الماء شجر، ومن سقيه شجر، ومن ناحيته شجر، فحذف الأول، وخلفه الثاني، قال زهير:

(١) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه» ١٧٤/٢٠ بشرح العيني، ومسلم ١٨٩٦/٤ عن عائشة رضي الله عنها. وقوله: «بشق» قال أبو عبيد: هو بالفتح، والمحدثون يكسرونه، قال: وهو موضع، وقال ابن الأنباري: هو بالكسر والفتح، وهو موضع. وقال ابن أبي أوس وابن حبيب: يعني بشق: جبل قلعتهم وقلة غنمهم، وشق الجبل: ناحيته، وتفسير ابن قتيبة الذي نقله المصنف عنه، رجحه القاضي عياض واختاره غيره.

(٢) والأحاديث الصحيحة تدل على جواز أكل لحوم الخيل.







قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: المستكبرين: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﷺ؟ قال الزجاج: «ماذا» بمعنى «ما الذي». و﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الذي أنزل: أساطير الأولين، أي: الذي تذكرون أنتم أنه منزل: أساطير الأولين. وقد شرحنا معنى الأساطير في [الأنعام: ٢٥]. قال مقاتل: الذين بعثهم الوليد بن المغيرة في طرق مكة يصعدون الناس عن الإيمان، ويقول بعضهم: إن محمداً ساحر، ويقول بعضهم: شاعر، وقد شرحنا هذا المعنى في [الحجر: ٩٠] في ذكر المقتسمين.

قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ هذه لام العاقبة، وقد شرحناها في غير موضع، والأوزار: الآثام، وإنما قال: كاملة، لأنه لم يُكْفَر منها شيء بما يُصيبهم من نكبة، أو بليّة، كما يُكْفَر عن المؤمن<sup>(١)</sup>، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: أنهم أضلّوهم بغير دليل، وإنما حملوا من أوزار الأنبياء، لأنهم كانوا رؤساء يقتدى بهم في الضلالة، وقد ذكر ابن الأنباري في «مِنْ» وجهين: أحدهما: أنها للتبعض، فهم يحملون ما شَرَّوهم فيه، فأما ما ركه أولئك باختيارهم من غير تزوين هؤلاء، فلا يحملونه، فيصح معنى التبعض. والثاني: أن «مِنْ» مؤكدة، والمعنى: وأوزار الذين يضلّونهم. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ﴾ أي: بش ما حملوا على ظهورهم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال المفسرون: يعني به النمرود بن كنعان، وذلك أنه بنى صرحاً طويلاً. واختلفوا في طوله، فقال ابن عباس: خمسة آلاف ذراع، وقال مقاتل: كان طوله فرسخين، قالوا: ورام أن يصعد إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه. ومعنى «المكر» هاهنا: التدبير الفاسد. وفي الهاء والميم من «قبلهم» قولان: أحدهما: أنها للمقتسمين على عقاب مكة، قاله ابن السائب. والثاني: لكفار مكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَأَنفَ اللَّهُ يَبْكُنَّهُمْ مِنَ الْقَوَائِدِ﴾ أي: من الأساس. قال المفسرون: أرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر، وخرّ عليهم الباقي. قال السدي: لما سقط الصرح، تَبَلَّثَ أَلْسُنُ النَّاسِ مِنَ الْفَرْعِ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت «بابل»، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية، وهذا قول مردود، لأن التَّبَلُّلَ يُوجِبُ الاختلاط والتكلم بشيء غير مستقيم، فأما أن يوجب إحداث لغة مضبوطة الحواشي، فباطل، وإنما اللغات تعليم من الله تعالى. فإن قيل: إذا كان الماكر واحداً، فكيف قال: «الذين» ولم يقل: «الذي»؟، فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كان الماكر ملكاً له أتباع، فأدخلوا معه في الوصف. والثاني: أن العرب توقع الجمع على الواحد، فيقول قائلهم: خرجت إلى البصرة على البغال، وإنما خرج على بغل واحد. والثالث: أن «الذين» غير موقع على واحد معين، لكنه يراد به: قد مكر الجبارون الذين من قبلهم، فكان عاقبة مكرهم رجوع البلاء عليهم، ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري. قال: وذكر بعض العلماء: أنه إنما قال: «من فوقهم»، لينبه على أنهم كانوا تحته، إذ لو لم يقل ذلك، لاحتمل أنهم لم يكونوا تحته، لأن العرب تقول: سقط علينا البيت، وخرّ علينا الحانوت، وتداعت علينا الدار، وليسوا تحت ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَتْنَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من حيث ظنوا أنهم آمنون فيه. قال السدي: أخذوا من مأمَنهم. وروى عطية عن ابن عباس قال: خرّ عليهم عذاب من السماء. وعامة المفسرين على ما حكيناه من أنه بنيان سقط. وقال ابن قتيبة: هذا مثَل، والمعنى: أهلكهم الله، كما هلك من هُدِمَ مسكنه من أسفله، فخر عليه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْرُجُ عَنْهُمْ﴾ أي: يذلّهم بالعذاب. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمره، والكسائي، «شركائي» بضمزة وفتح الياء، وقال البرقي عن ابن كثير: «شركائي» مثل: هداي، والمعنى: أين شركائي على زعمكم؟ هلّا دفعوا عنكم! ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾ أي: تخالفون المسلمين فتعبدونهم وهم يعبدون الله، وقرأ نافع: «تشافقون» بكسر النون، أراد: تشافقوني، فحذف النون الثانية، وأبقى الكسرة تدل عليها، والمعنى: كتمت تنازعوني فيهم، وتخالقون أمري لأجلهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلَمَةً﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الملائكة، قاله ابن عباس. والثاني: الحفظة

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها».

من الملائكة، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المؤمنون. فأما «الخزي» فقد شرحناه في مواضع [آل عمران: ١٩٢] و «السوء» ما هنا: العذاب.

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ خَلَائِكُ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَئِنْ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٨ قَادَعُوا أَيْزَبَ جَهَنَّمَ خَلِيلِيكَ فِيهَا فَلَيْسَ مَوْتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ١٩

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ خَلَائِكُ أَنْفُسِهِمْ﴾ قال عكرمة: هؤلاء قوم كانوا بمكة أقرؤا بالإسلام ولم يُهاجروا، فأخرجهم المشركون كرهاً إلى بدر، فقتل بعضهم. وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال ابن قتيبة: اتقادوا واستسلموا، والتسلم: الاستسلام. قال المفسرون: وهذا عند الموت يتبرؤون من الشرك، وهو قولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وهو الشرك، فترد عليهم الملائكة فتقول: «بلى». وقيل: هذا ردُّ خزنة جهنم عليهم ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والتكذيب. ثم يقال لهم: ادخلوا أبواب جهنم، وقد سبق تفسير ألفاظ الآية [النساء: ٩٧] و [الحجر: ٤٤].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ٢٠ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَلَّا لَبِئْسَ إِلَهُ الْمُتَفَكِّهِينَ ٢١﴾ الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُوكَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٢

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أن مشركي قريش بعثوا ستة عشر رجلاً إلى عِقاب<sup>(١)</sup> مكة أيام الحج على طريق الناس، ففرقوهم على كل عَقَبَةٍ أربعة رجال، ليصدوا الناس عن رسول الله ﷺ وقالوا لهم: مَنْ أتاكم من الناس يسألكم عن محمد فليقلَّ بعضكم: شاعراً، وبعضكم: كاهناً، وبعضكم: مجنوناً، وألَّا تَزُوه ولا يراكم خَيْرٌ لكم، فإذا انتهوا إلينا، صدقناكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فبعث إلى كل أربعة منهم أربعة من المسلمين، فيهم عبد الله بن مسعود، فأمرؤا أن يكذبوهم، فكان الناس إذا مروا على المشركين، فقالوا ما قالوا، ردَّ عليهم المسلمون، وقالوا: كذبوا، بل يدعو إلى الحق، ويأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، ويدعو إلى الخير، فيقولون: وما هذا الخير الذي يدعو إليه؟ فيقولون: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا خَبَرٌ﴾ أي: أنزل خيراً، ثم فسر ذلك الخير فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ قالوا: لا إله إلا الله، وأحسنوا العمل ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: كرامة من الله تعالى في الآخرة، وهي الجنة، وقيل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ في الدنيا وهي ما رزقهم من خيرها وطاعته فيها، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ قولان: أحدهما: أنها الجنة، قاله الجمهور. قال ابن الأنباري: في الكلام محذوف، تقديره: ولنعم دار المتقين الآخرة، غير أنه لما ذُكرت أولاً، عرف معناها آخرها، ويجوز أن يكون المعنى: ولنعم دار المتقين جناتٌ عَدْنٌ. والثاني: أنها الدنيا. قال الحسن: ولنعم دار المتقين الدنيا، لأنهم نالوا بالعمل فيها ثواب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ قد شرحناه في [براءة: ١٧٢].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة «يتوفاهم» بياء مع الإمالة. وفي معنى «طَيِّبِينَ» خمسة أقوال: أحدها: مؤمنين. والثاني: طاهرين من الشرك. والثالث: زاكاة أفعالهم وأقوالهم. والرابع: طيبة فائتهم، سهَّل خروج أرواحهم. والخامسة: طيبة أنفسهم بالموت، ثقة بالثواب.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُوكَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني الملائكة «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ». وفي أي وقت يكون هذا [السلام]؟ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. قال البراء بن عازب: يسلم عليه ملك الموت إذا دخل عليه. وقال القرظي: ويقول له: الله ﷻ يقرأ عليك

(١) العقاب: جمع عَقَبَةٍ، وهي طريق في الجبل وعر.



السلام، ويشره بالجنة<sup>(١)</sup>. والثاني: عند دخول الجنة. قال مقاتل: هذا قول خزنة الجنة لهم في الآخرة، يقولون: سلام عليكم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَنَّمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿فَأَمَّا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٢١١﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي «يأتهم» بالياء، وهذا تهديد للمشركون، وقد شرحناه في [البقرة: ٢١٠] وآخر [الأنعام: ١٥٨]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ قولان: أحدهما: أمر الله فيهم، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريد: كفار الأمم الماضية، كذبوا كما كذب هؤلاء. ﴿وَمَا ظَنَّمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ والكسائي «يأتهم» بالياء، وهذا تهديد للمشركون، وقد شرحناه في [البقرة: ٢١٠] وآخر [الأنعام: ١٥٨]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ قولان: أحدهما: أمر الله فيهم، قاله ابن عباس. والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دِينِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا نَاجِدُونَ وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ النَّبِيُّ﴾ ﴿٢١٢﴾ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾ ﴿٢١٣﴾ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَبُذِلُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ﴿٢١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَرَكُوا﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دِينِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: الأصنام، أي: لو شاء ما أشركتنا ولا حرّمنا من دونه من شيء من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والحرث، وذلك أنه لما نزل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المر: ٣٠] قالوا هذا، على سبيل الاستهزاء، لا على سبيل الاعتقاد، وقيل: معنى كلامهم: لو لم يأمرنا بهذا وبذرة ما، لم نأته.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله، ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ النَّبِيُّ﴾ يعني: ليس عليهم إلا التبليغ، فأما الهداية، فهي إلى الله تعالى، وبين ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ أي: كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوه ﴿وَاجْتَنِبُوا الصَّلَافَ﴾ وهو الشيطان ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: أرشده ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ أي: وجبت في سابق علم الله، فاعلم الله ﷻ أنه إنما بعث الرسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية، ﴿فَبُذِلُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: معتبرين بآثار الأمم المكذبة. ثم أكد أن من حقت عليه الضلالة لا يهتدي، فقال: ﴿إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ أي: [إن] تطلب هدايتهم بجهدك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، «لا يهدي» برفع الياء وفتح الدال، والمعنى: من أضله، فلا هادي له، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يُهدي» بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في «يُضِلُّ» أنها بضم الياء وكسر الضاد، وهذه القراءة تحتل معنيين، ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: لا يهدي من طبعه ضالاً، وخلقه شقيّاً. والثاني: لا يهدي، أي: لا يهتدي من أضله، أي: من أضله الله لا يهتدي، فيكون معنى يهدي: يهتدي، تقول العرب: قد هدي فلان الطريق، يريدون: اهتدى.

﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ لَا يَبْتَغِ اللَّهُ بَلًا يَمُوتَ بَلًا وَعَذَابًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ ﴿يُحْيِي لَهُمُ الَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيَسْتَعْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ ﴿٢١٧﴾ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ يَكُونُ﴾ ﴿٢١٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْرِقَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجَرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٩﴾ ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين

(١) رواه ابن جرير ١٠١/١٤، وخرجه السيوطي في «الدرة» ١١٧/٤ وزاد نسه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «المنظمة»، وأبي القاسم بن منذر في كتاب «الأحوال»، والبيهقي في «شعب الإيمان».

ذِينَ، فَأَتَاهُ يَتَقَاضَاهُ، فَكَانَ فِيهَا تَكَلَّمَ بِهِ: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟! فأقسم بالله ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية. و ﴿جَعَدَ أَيْمَنُهُمْ﴾ مفسر في (المائدة: ٥٣). وقوله: ﴿يَكُنْ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ، قال الفراء: والمعنى: ﴿يَكُنْ﴾ ليعيشتهم ﴿وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَكِيدُ لَهُمُ الْاِيَّاتِ لِيُحْشَرُوا فِيهِ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون متعلقاً بالبعث، فيكون المعنى: بلى يعيشتهم فيبين لهم، ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ. وللمفسرين في قوله: ﴿إِنِّي لَأَكِيدُ لَهُمُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم جميع الناس، قاله قتادة. والثاني: أنهم المشركون، يبين لهم بالبعث ما خالفوا المؤمنين فيه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي: فيما أقسموا عليه من نفي البعث. ثم أخبر بقدرته على البعث بقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وخمزة «فيكون» رفعاً، وكذلك في كل القرآن. وقرأ ابن عامر، والكسائي «فيكون» نصباً. قال مكي بن إبراهيم: من رفع، قطعه عملاً قبله، والمعنى: فهو يكون، ومن نصب، عطفه على «يقول»، وهذا مثل قوله: ﴿وَإِذَا قَعَزَ أَمْرًا فَأَنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقد فسره في (البقرة: ١١٧). فإن قيل: كيف سمي الشيء قبل وجوده شيئاً؟ فالجواب: أن الشيء وقع على المعلوم عند الله قبل الخلق، لأنه بمنزلة ما قد عُيِّنَ وشُوهِدَ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ اختلّفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، بلال، وعمار، وصهيب، وخباب بن الارت، وعائش وجبر موليّان لقريش، أخذهم أهل مكة فجعّلوا يُعَذِّبُونَهُمْ، ليرُدُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند. والثالث: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله قتادة. ومعنى «هاجروا» في الله، أي: في طلب رضاه وثوابه ﴿بِمَا بَدَّ مَا ظَلَمُوا﴾ بما نال المشركون منهم، ﴿لَنُثَوِّبَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وفيها خمسة أقوال: أحدها: لتنزّلهم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقاتدة، فيكون المعنى: لَنُثَوِّبَنَّهُمْ دَارًا حَسَنَةً وبلدة حسنة. والثاني: لنزّلهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد. والثالث: النصر على العدو، قاله الضحاك. والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الثناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيع أنه قال: ﴿لَنُثَوِّبَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال: لسان صادق. والخامس: أن المعنى: لنحيثنّ إليهم في الدنيا، قال بعض أهل المعاني: فتكون على هذه الأقوال «لنثوبنهم»، على سبيل الاستعارة، إلا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: يعني: الجنة، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أهل مكة. ونقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءً، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخرك في الآخرة أفضل، ثم يتلو هذه الآية<sup>(١)</sup>. ثم إن الله أثنى عليهم ومدحهم بالصبر فقال: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على دينهم، لم يتركوه لأذى نالهم، وهم في ذلك واثقون بربه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا مِنْ كِتَابِ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ وَالْيَسِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكَاتِبِينَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ قال المفسرون: لما أنكر مشركو قريش نبوة محمد ﷺ وقالوا: الله أعظم من أن يكن رسوله بشراً، فهلاً بعث إلينا ملكاً! فنزلت هذه الآية، والمعنى: أن الرسل كانوا مثلك آدميين، إلا أنهم يُوحَى إِلَيْهِمْ. وقرأ حفص عن عاصم: «نوحى» بالنون وكسر الحاء. ﴿فَتَتْلُوا﴾ يا معشر المشركين ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أهل التوراة والإنجيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أهل التوراة، قاله

مجاهد. والثالث: أهل القرآن، قاله ابن زيد. والرابع: العلماء بأخبار من سلف، ذكره الماوردي. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَقْلُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا تعلمون أن الله تعالى بعث رسولا من البشر. والثاني: لا تعلمون أن محمداً رسول الله، فعلى القول الأول، جائز أن يسأل من آمن برسول الله ومن كفر، لأن أهل الكتاب والعلم بالسيرة متفقون على أن الأنبياء كلهم من البشر، وعلى الثاني إنما يسأل من آمن من أهل الكتاب، وقد روي عن مجاهد ﴿فَسْتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: عبد الله بن سلام، وعن قتادة، قال: سلمان الفارسي.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَسْتَبِثُ وَالزَّيْبُ﴾ في هذه «الباء» قولان: أحدهما: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً أرسلناهم بالبينات. والزَّيْبُ: الكتب. وقد شرحنا هذا في [آل عمران: ١٨٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وهو القرآن بإجماع المفسرين ﴿لِئَلَّا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [فيه] من حلال وحرام، ووعد ووعد ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخَيْفَ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْضِ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّنٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ رَحِيمٌ (١٧)

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ قال المفسرون: أراد مشركي مكة. ومكرهم السيئات: شركهم وتكذيبهم، وسمي ذلك مكرًا، لأن المكر في اللغة: السعي بالفساد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: ينبغي أن لا يأمنوا العقوبة، وكان مجاهد يقول: عنى بهذا الكلام نمرد بن كنعان.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أسفارهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: في منامهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحاك، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أنه جميع ما يتقلبون فيه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّنٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: على تنقص، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. قال ابن قتيبة: التَّخَوُّفُ: التنقص، ومثله التَّخَوُّنُ. يقال: تخوفته الدهور وتخوته: إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه. وقال الهيثم بن عدي: التَّخَوُّفُ: التنقص، بلغة أزد شنوءة. ثم في هذا التنقص ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تنقص من أعمالهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أخذ واحد بعد واحد، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: تنقص أموالهم ونمازهم حتى يهلكهم، قاله الزجاج. والثاني: أنه التخوف نفسه، ثم فيه قولان: أحدهما: يأخذهم على خوف أن يعاقب أو يتجاوز، قاله قتادة. والثاني: أنه يأخذ قرية لتخاف القرية الأخرى، قاله الضحاك. وقال الزجاج: يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك قرية فتخاف التي تليها، فعلى هذا، خوْفُهُم قبل هلاكهم، فلم يتربوا، فاستحقوا العذاب. قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ رَحِيمٌ﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة، وأمهل للتوبة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ يَنْفَخُ فِيهَا نَفْسًا مِّنَ أَلْمِيعِ وَالشَّامِلِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ (١٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَاكِرٍ وَالْمَلَكُوتِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٩) بِخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُرْبِهِمْ وَيَقُولُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «أولم يروا» بالياء، وقرأ حمزة، والكسائي: «تروا» بالياء، واختلف عن عاصم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ لَهُ ظِلٌّ مِنْ جِبِلٍّ أَوْ شَجَرٍ أَوْ جَسَمٍ قَائِمٍ يَنْفَخُ فِيهِ﴾ قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالياء ﴿وَاللَّهُ﴾ وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد، لأنه واحد يُراد به الكثرة، كقوله تعالى: ﴿لَسْتُمْ عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ٢١٣]. قال ابن قتيبة: ومعنى يتفأً ظلاله: يدور ويرجع من جانب إلى جانب، والفيء: الرجوع، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء، لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق. قال المفسرون: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة، كان الظل قدامك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا دنت للغروب كان على يسارك، وإنما وحد اليمين، والمراد به: الجمع، إيجازاً في اللفظ كقوله

تعالى: ﴿وَيُؤَلِّقُ الذُّبَابَ﴾ [الفر: ٤٥]، ودلت «الشمائِل» على أن المراد به الجميع، وقال الفراء: إنما وحد اليمين، وجمع الشمائِل، ولم يقل: الشَّمال، لأن كل ذلك جائر في اللغة، وأنشد:

الوَارِدُونَ وَتَنِيْمٌ فِي ذَرَى سَبِيلٍ  
قد عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيْسِ<sup>(١)</sup>  
ولم يقل: جلود، ومثله:

كُلُّوا فِي يَضْفٍ يَضْفُ بِطَنُكُمْ تَعِيْشُوا  
فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيْضٌ<sup>(٢)</sup>  
وإنما جاز التوحيد، لأن أكثر الكلام يواجه به الواحد. وقال غيره: اليمين راجعة إلى لفظ ما، وهو واحد، والشمائِل راجعة إلى المعنى.

قوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ قال ابن قتيبة: مستسلمة، منقادة، وقد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَلَطَّلَهُمْ بِالْقُدُورِ وَالْأَسَالِ﴾ [الرم: ١٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُزْ ذُرِّيَّتَكَ﴾ قولان: أحدهما: والكفار صاغرون. والثاني: وهذه الأشياء داخرة مجبولة على الطاعة. قال الأخفش: إنما ذكر من ليس من الإنس، لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل.

قوله تعالى: ﴿رَبِّكَ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَكَيْنِ﴾ الآية. الساجدون على ضربين: أحدهما: من يعقل، فسجوده عبادة. والثاني: من لا يعقل، فسجوده بيان أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق، هذا قول جماعة من العلماء، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:

يَجِيْشُ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ  
تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ<sup>(٣)</sup>

قال ابن قتيبة: حَجَرَاتُهُ، أي: جوانبه، يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت. فأما الشمس والقمر والنجوم، فالحقها جماعة بمن يعقل، فقال أبو العالية: سجودها حقيقة، ما منها غارب إلا خَرَّ ساجداً بين يدي الله ﷻ، ثم لا ينصرف حتى يُؤذَنَ له، ويشهد لقول أبي العالية، حديث أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «يا أبا ذر! تدري أين ذهب الشمس؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها ﷻ»، فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها، فكانها قد قيل لها: ارجعي من حيث جِئْتِ، فترجع إلى مطلعها فذلك مستقرها، ثم قرأ: ﴿وَاللَّسْتُ بَجَرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٢٨]. أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٤)</sup>. وأما النبات والشجر، فلا يخلو سجوده من أربعة أشياء: أحدها: أن يكون سجوداً لا تعلمه، وهذا إذا قلنا: إن الله يودعه فمهما. والثاني: أنه تَقَرُّ ظلاله. والثالث: بيان الصنعة فيه. والرابع: الانقياد لما سُخِّرَ له.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إنما أخرج الملائكة من الدواب، لخروجهم بالأجنحة عن صفة الدبيب. وفي قوله: ﴿وَمَنْ لَا يَسْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٢١] يَتَأَوَّنُ رَهْمَ مِنْ قَوَّيْهِمْ وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ قولان: أحدهما: أنه من صفة الملائكة خاصة، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام في جميع المذكورات، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿مِنْ قَوَّيْهِمْ﴾ قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أنه ثناء على الله تعالى، وتعظيم لشأنه، وتلخيصه: يخافون ربهم عالياً رفيعاً عظيماً. والثاني: أنه حال، وتلخيصه: يخافون ربهم معظمين له عالمين بعظيم سلطانه.

(١) البيت في «الطبري» ١١٧/١٤، وهو في «معاني القرآن» للفراء ٣٠٨/١ لجبر من قصيدة في هجاء تيم بن قيس، من بكر بن وائل، وهو في «ديوانه» ٣٢٥.

(٢) تقدم البيت ٤٠ وهو غير منسوب في «سيره» ١٠٨/١، و«الخلاصة» ٣٧٩/٣، و«الطبري» ٣٦١/١.

(٣) قائله زيد الخيل، وهو في «تأويل مشكل القرآن» ٣٢٢، و«الكامل» ٥٥١، و«المعاني الكبير» ٨٩٠، و«أضداد ابن الأنباري» ٢٩٥، و«حماسة ابن الشجري» ١٩، و«مجموعة المعاني» ١٩٢، والباء في قوله بجيش، متعلقة ببيت سالف هو:

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا  
وَالْبَلْقُ، جمع أبلق، وبلقاء: الفرس يرتفع تجميلها إلى الفخذين، والأكم، جمع إكام، وإكام، واحدة: أكمة، وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. قال ابن قتيبة في «المعاني الكبير»: يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، ففيها أخرى أن يضل، يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

(٤) البخاري ٤١٦/٨، ومسلم ١٣٩/١.



﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلْهَيْبِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ (٥١) وَلَمْ يَأْتِ التَّوَكُّلَ وَالْأَرْضَ وَلَهُ الْوَيْلُ وَأَصْبَأُ أَفْعَرُ اللَّهُ نَفَقُونَ﴾ (٥٢)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلْهَيْبِ اثْنَيْنِ﴾ سبب نزولها: أن رجلاً من المسلمين دعا الله في صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فترلت هذه الآية، قاله مقاتل. قال الزجاج: ذُكِرَ الإِثْنَيْنِ توكيد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْوَيْلُ وَأَصْبَأُ﴾ في المراد بالدين أربعة أقوال: أحدها: أنه الإخلاص، قاله مجاهد. والثاني: العبادة، قاله سعيد بن جبير. والثالث: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقامة الحدود، والفرائض، قاله عكرمة. والرابع: الطاعة، قاله ابن قتيبة. وفي معنى «وأصبأ» أربعة أقوال: أحدها: دائماً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، والثوري، واللغويون. قال أبو الأسود الدؤلي:

لَا أَبْتَغِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ  
يَوْمًا بِذِمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَأَصْبَأُ<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: معنى الكلام: أنه ليس من أحد يُدَانُ له ويُطَاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة. غير الله ﷻ، فإن الطاعة تدوم له. والثاني: واجباً، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خالصاً، قاله الربيع بن أنس. والرابع: وله الدين موصباً، أي: متعباً، لأن الحق ثَقِيلٌ، وهو كما تقول العرب: هَمٌّ نَاصِبٌ، أي: مُنْصَبٌ، قال النابغة:

كَلِمَتِي لَهُمْ يَا أُنَيْمَةً نَاصِبٌ  
وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ<sup>(٢)</sup>

ذكره ابن الأباري. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: له الدين، والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به وسهل عليه، أو لم يسهل، فله الدين وإن كان فيه الوصب، والوصب: شدة التعب.

﴿وَمَا يَكُم مِّن قِيعَةٍ قَبْلَ إِذَا مَنَّ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَنَّكُمْ الْفُتْرُ فَإِلَيْهِ تَحْتَبِرُونَ﴾ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كُفِّرَ الْفُتْرُ عَنْكُمْ إِذَا فُرِقَ بَيْنَكُمْ يَوْمَ تَشْرَكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ فَتَسْمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن قِيعَةٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: ما حل بكم من نعمة، من صحة في جسم، أو سعة في رزق، أو متاع من مال وولد ﴿قَبْلَ إِذَا مَنَّ اللَّهُ﴾ وقرأ ابن أبي عبيد: «فَمَنَّ اللَّهُ» بتشديد النون.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَنَّكُمْ الْفُتْرُ﴾ قال ابن عباس: يريد الأسقام، والأمراض، والحاجة.

قوله تعالى: ﴿فَالَيْهِ تَحْتَبِرُونَ﴾ قال الزجاج: «تجارون»: ترفعون أصواتكم إليه بالاستغاثة، يقال: جَارَ يَجَارُ جُؤَاراً، والأصوات مبنية على «فُعَالٍ» و «فَعِيلٍ»، فأما «فُعَالٌ» فنحو «الصُّرَاخُ» و «الْحَوَارُ»، وأما «الفَعِيلُ» فنحو «العويل» و «الرَّئِيرُ»، والفُعَالُ أكثر.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فُرِقَ بَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل النفاق. قال ابن السائب: يعني الكفار.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: ليكفروا بأننا أنعمنا عليهم، فجعلوا نعمتنا سبباً إلى الكفر، وهو كقولهم تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ رَحْمَتَكَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيُحْسِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ (يونس: ١٨٨)، ويجوز أن يكون «ليكفروا»، أي: ليجحدوا نعمة الله في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَتَسْمَعُوا﴾ تهذيب، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم.

﴿وَيَحْتَبِرُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَبِيًّا مِّن رَّحْمَتِهِ تَاللَّهِ لَشَأْنُهُ عَمَّا كُتِبَ فَتَقَرُّونَ﴾ (٥٥) وَيَحْتَبِرُونَ لِلَّهِ الْبَدَنَ شَبَحْتُمْ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٦) وَإِذَا بَرَّرَ أَحَدُهُم بِالْأَقْنِ ظَلَّ وَجْهَهُ شَوْكاً وَهُوَ كَلِيمٌ (٥٧) يَتَوَكَّى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُمُ عَلَى هَؤُلَاءِ بِدُشْرٍ فِي الْغَرَابِ آلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿وَيَحْتَبِرُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: الأوثان. وفي الذين لا يعلمون قولان: أحدهما: أنهم

(١) «مجاز القرآن» ٣٦١/١، «الطبري» ١١٨/١٤، «القرطبي» ١١٤/١٠.

(٢) «ديوانه» ٩، «مختار الشعر الجاهلي» ١٥٩، «مجاز القرآن» ١٨٤/٢، وقد فسر قوله: «ناصر» أي: ذو نصب، وبمعنى: منصب.

الجاعلون، وهم المشركون، والمعنى: لما لا يعلمون لها ضرراً ولا نفعاً؛ فمفعول العلم محذوف، وتقديره: ما قلنا، هذا قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أنها الأصنام التي لا تعلم شيئاً، وليس لها حس ولا معرفة، وإنما قال: يعلمون، لأنهم لما نحلوها الفهم، أجراها مجرى مَنْ يعقل على زعمهم، قاله جماعة من أهل المعاني. قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم، كالبحيرة والسائبة وغير ذلك مما شرحناه في [الأنعام: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّكُمْ﴾ رجع عن الإخبار عنهم إلى الخطاب لهم، وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُونَ فِيهِ الْبَنِينَ﴾ قال المفسرون: يعني: خزاعة وكنانة، زعموا أن الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: تنزه عما زعموا. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين. قال أبو سليمان: المعنى: ويتمنون لأنفسهم الذكور.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَى﴾ أي: أخبر بأنه قد وُلد له بنت ﴿عَظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ قال الزجاج: أي: متغيراً تغير مغتم، يقال لكل من لقي مكروهاً: قد اسود وجهه غمّاً وخزناً.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: يكظم شدة وجده، فلا يظهره، وقد شرحناه في سورة [يوسف: ٨٤].

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ مِنَ الْقُرْءِ﴾ قال المفسرون: وهذا صنيع مشركي العرب، كان أحدهم إذا ضرب امرأته المخاض، تورى إلى أن يعلم ما يولد له، فإن كان ذكراً، سر به، وإن كانت أنثى، لم يظهر أياماً يُدَبَّر كيف يصنع في أمرها، وهو قوله: ﴿إِنْسِيكَ عَلَى هُوبٍ﴾ فإلهاء ترجع إلى ما في قوله: ﴿مَا يَبْتَغِي بَيْتُكَ﴾، والهون في كلام العرب: الهوان. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة، والجحدري، (على هوان)، والدس: إخفاء الشيء في الشيء، وكانوا يدفنون البنات وهي حية ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ إذ جعلوا لله البنات اللاتي محلنّ منهن هذا، ونسبهن إلى الولد، وجعلوا لأنفسهم البنين.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْأَعْلَى وَهُوَ الْمَزِيدُ الْحَكِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: صفة السوء من احتياجهن إلى الولد، وكراهتهن للإناث، خوف الفقر والعار. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الصفة العليا من تنزهه وبرأته من الولد.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بشرهم ومعاصيهم، كلما وُجد شيء منهم أخذوا به ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ﴾ يعني: الأرض، وهذه كناية عن غير مذكور، غير أنه مفهوم، لأن الدواب إنما هي على الأرض. وفي قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عنى جميع ما يدب على وجه الأرض، قاله ابن مسعود. قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام، وقال السدي: المعنى: لأتحط المطر فلم تبق دابة إلا هلكت، وإلى نحوه ذهب مقاتل. والثاني: أنه أراد من الناس خاصة، قاله ابن جريج. والثالث: من الإنس والجن، قاله ابن السائب، وهو اختيار الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو منتهى آجالهم، وباقي الآية قد تقدم [الأعراف: ٣٤].

﴿وَيَحْمِلُونَ فِيهِ مَا يَكْفُرُونَ﴾ وَصِفَتْ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ النَّسِيَّ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُونَ فِيهِ مَا يَكْفُرُونَ﴾ المعنى: ويحكمون له بما يكرهونه لأنفسهم، وهو البنات، ﴿وَصِفَتْ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ أي: تقول الكذب، وقرأ أبو العالية، والنخعي، وابن أبي عبيدة: «الكذب» بضم الكاف والذال. ثم فسر ذلك الكذب بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّسِيَّ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها البنون، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل. والثاني: أنها الجزاء الحسن من الله تعالى، قاله الزجاج. والثالث: [أنها] الجنة، وذلك أنه لما وعد الله المؤمنين الجنة، قال المشركون: إن كان ما تقولونه حقاً، لندخلنّها قبلكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها فيما مضى [مرء: ٢٢]. وقال الزجاج: «لا» ردّ لقولهم، والمعنى: ليس ذلك ما وصفوا «جرم» أن لهم النار، المعنى: جرم فعلهم، أي: كسب فعلهم هذا ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ وفيه أربعة أوجه، قرأ الأكثرون: «مُفْرَطُونَ» بسكون الفاء وتخفيف الراء وفتحها، وفي معناها قولان: أحدهما: مُتْرَكُونَ، قاله ابن عباس. وقال الفراء: منسيون في النار. والثاني: مُعْجَلُونَ، قاله ابن عباس أيضاً. وقال ابن قتيبة: مُعْجَلُونَ إلى

النار. قال الزجاج: معنى «الفرط» في اللغة: المتقدم، فمعنى «مفرطون»: مقدّمون إلى النار، ومن فسرها «مُتْرَكُونَ» فهو كذلك [أيضاً]، أي: قد جُعِلُوا مقدّمين إلى العذاب أبداً، متروكين فيه. وقرأ نافع، ومحبوب<sup>(١)</sup> عن أبي عمرو، وقتيبة<sup>(٢)</sup> عن الكسائي «مُفْرَطُونَ» بسكون الفاء وكسر الراء وتخفيفها، قال الزجاج: ومعناها: أنهم أفرطوا في معصية الله. وقرأ أبو جعفر وابن أبي عملة «مُفْرَطُونَ» بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها، قال الزجاج: ومعناها: أنهم فرطوا في الدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة، وتصديق هذه القراءة «بَحْرَتِكَ عَلَى مَا قَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ» [الزمر: ٥٦]. وروى الوليد بن مسلم عن ابن عامر «مُفْرَطُونَ» بفتح الفاء والراء وتشديدها، قال الزجاج: وتفسيرها كتفسير القراءة الأولى، فالمفْرَط والمفْرَط بمعنى واحد.

﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَّهُمُ الشَّقِيظُنَّ أَنَّهِنَّ قَالُوا وَلَهُنَّ الْيَوْمَ وَلَهُنَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا إِشْبِيْنَهُمْ لَمُزٍ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ قال المفسرون: هذه تعزية للنبي ﷺ ﴿فَرَيْنَ لَّهُمُ الشَّقِيظُنَّ أَنَّهِنَّ قَالُوا وَلَهُنَّ الْيَوْمَ وَلَهُنَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن السائب، ومقاتل، كأنهما أرادا: فهو وليهم يوم تكون لهم النار. والثاني: أنه الدنيا، فالمعنى: فهو مواليتهم في الدنيا ﴿وَلَهُنَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِشْبِيْنَهُمْ لَمُزٍ﴾ يعني: الكفار ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: ما خالفوا فيه المؤمنين من التوحيد والبعث والجزاء، فالمعنى: أنزلنا بياناً لما وقع فيه الاختلاف.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَا بِهَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمُ فِي الْأَنْفَاءِ لَعِبْرَةً لِّتُفَكَّرُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِّنْ بَيْنِ قَوْمٍ وَبَيْنَ قَوْمٍ لَّيْسَ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّادِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن تَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأعنَابِ لَنَنخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَأَنبَا بِهَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: بعد يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي: يعتبرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمُ فِي الْأَنْفَاءِ لَعِبْرَةً لِّتُفَكَّرُوا﴾ قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، والكسائي: «نُسْفِيْكُمْ» بضم النون، ومثله في [المؤمنين: ٢١]. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نُسْفِيْكُمْ» بفتح النون فيهما. وقرأ أبو جعفر: «نُسْفِيْكُمْ» ببناء مفتوحة، وكذلك في [المؤمنين: ٢١] وقد سبق بيان الأنعام. وذكرنا معنى «العبرة» في [آل عمران: ١٣]، والفرق بين «سقى» و «أسقى» في [الحجر: ٢٢]. فأما قوله: ﴿بِمَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ فقال الفراء: النعم والأنعام شيء واحد، وهما جمعان، فرجع التذكير إلى معنى «النعم» إذ كان يؤدي عن الأنعام، أنشدني بعضهم:

وَطَرَابُ الْبَبَانِ الْفُفَّاحِ وَبَرْدُ

فرجع إلى اللبن، لأن اللبن والألبان في معنى؛ قال: وقال الكسائي: أراد: نسقيكم مما في بطون ما ذكرنا، وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مِثْلُ الْفُفَّاحِ تُنْفِثُ حَرَايِلُهُ

وقال المبرد: هذا فاشي في القرآن، كقوله للشمس: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨] يعني: هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وَلَا تَرْجِعْهُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَهْدِيهِمْ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ ثُلَيْمَنُ﴾ [النمل: ٣٥، ٣٦] ولم يقل: «جاءت» لأن المعنى: جاء الشيء الذي

(١) هو محمد بن الحسن بن هلال بن أبي زبيب، فيروز، أبو جعفر، أو أبو الحسن، لقبه محبوب، حدث عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن سنان الغزاز، وأخرج له البخاري، وقال ابن معين: لا بأس به.

(٢) هو أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الأزرقاني (قرية من أصبهان) إمام مقرر صالح ثقة، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي، روي عنه أنه قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على الكسائي، وقرأ الكسائي القرآن من أوله إلى آخره علي، وقال: صحبت الكسائي إحدى وخمسين سنة، وشاركته في عامة أصحابه.

(٣) الرجز غير منسوب في «الطبري» ١٤/١٣١، و«اللسان»: كند.

(٤) «الطبري» ١٤/١٣٢، و«اللسان»: نعم.

ذكرنا، وقال أبو عبيدة: الهاء في «بطونه» للبعض، والمعنى: نُسقيكم مما في بطون البعض الذي له لبن، لأنه ليس لكل الأنعام لبن، وقال ابن قتيبة: ذهب بقوله: «مما في بطونه» إلى التَّعَم، والتَّعَم تَذَكَّر وتَوَثَّن، والقَرِث: ما في الكرش، والمعنى: أن اللبن كان طعاماً، فخلص من ذلك الطعام دم، وبقي منه فرث في الكرش، وخلص من ذلك الدم ﴿بَنَّا خَالِصًا سَائِبًا لِلشَّعْرِيِّينَ﴾ أي: سهلاً في الشرب لا يشجى به شارب، ولا يَغْصُ. وقال بعضهم: سائغاً، أي: لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين فرث ودم، وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا استقر العلف في الكرش، طحنه، فصار أسفله فرثاً، وأعله دماً، وأوسطه لبناً، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الصُّرع، ويبقى الفرث في الكرش.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَنْثَبِ﴾ تقدير الكلام: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا. والعرب تضمّر «ما» كقوله: ﴿وَلَا رَأَيْتُمْ﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: ما تُم. والكناية في «منه» عائدة على «ما» المضمرة. وقال الأخفش: إنما لم يقل: «منهما» لأنه أضمر الشيء، كأنه قال: ومنها شيء تتخذون منه سكرًا. وفي المراد بالسُّكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد، وإبراهيم ابن أبي ليلى، والزجاج، وابن قتيبة. وروى عمرو بن سفيان عن ابن عباس قال: السُّكر: ما حرّم من ثمرتها، وقال هؤلاء المفسرون: وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مباحة، ثم نسخ [ذلك] بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] ومن ذكر أنها منسوخة، سعيد بن جبيرة، ومجاهد، والشعبي، والنخعي. والثاني: أن السُّكر: الخل، بلغة الحبشة، رواه العوفي عن ابن عباس. قال الضحاك: هو الخل، بلغة اليمن. والثالث: أن «السُّكر» الطُّعْم، يقال: هذا له سكر، أي: طُعْم، وأنشدوا:

جَعَلْتُ عَيْنَ الْأَنْحَرِ مِثْلَ سَكَّرٍ<sup>(١)</sup>

قاله أبو عبيدة. فعلى هذين القولين، الآية محكمة. فأما الرزق الحسن، فهو ما أُجِلَّ منهما، كالتمر والعنب، والزبيب، والخل، ونحو ذلك.

﴿وَأَرْسَىٰ رُكْنًا إِلَى الْفُلِّ أَنَا نَحْنُ مِنْ لَيْلَالِ يُونَا وَمَا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَىٰ رُكْنًا إِلَى الْفُلِّ﴾ في هذا الوحي قولان: أحدهما: أنه إلهام، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك، ومقاتل. والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس. وروى ابن مجاهد عن أبيه قال: أرسل إليها. والنحل: زنايب العسل، واحدها نحلة. و«يعرشون» يجعلونه عريشاً. وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «يعرشون» بضم الراء، وهما لغتان، يقال: «يعرش» و«يعرش» مثل «يعكف» و«يعكف». ثم فيه قولان: أحدهما: ما يعرشون من الكروم، قاله ابن زيد. والثاني: أنها سقوف البيوت، قاله الفراء. وقال ابن قتيبة: كل شيء عرش، من كرم، أو نبات، أو سقف، فهو عرش، ومعروش. وقيل: المراد بـ «مما يعرشون»: مما يبنون لهم من الأماكن التي تلقي فيها العسل، ولولا التسخير، ما كانت تأوي إليها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من الثمرات، و«كل» هاهنا ليست على العموم، ومثله قوله: ﴿تَذَكَّرْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحاف: ٢٥]. قال الزجاج: فهي تأكل الحامض، والمر، وما لا يوصف طعمه، فيحيل الله ﴿كُلِّي مِنْ ذَلِكَ عِسَلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ السُّبُل: الطُّرُق، وهي التي يطلب فيها الرعي. و«الذُّلُل» جمع ذُلُول. وفي الموصوف بها قولان: أحدهما: أنها السُّبُل، فالمعنى: اسلكي السُّبُل مُدْلَلَةً لِّكَ، فلا يتوَعَّر عليها مكان سلكته، وهذا قول مجاهد، واختيار الزجاج. والثاني: أنها النحل، فالمعنى: إنك مُدْلَلَةٌ بالتسخير لبني آدم، وهذا قول قتادة، واختيار ابن قتيبة.



قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسل: ﴿تَخْلُفُ الْوَنَمَ﴾ قال ابن عباس: منه أحمر، وأبيض، وأصفر. قال الزجاج: [يخرج] من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها، وإنما قال: من بطونها، لأن استحالة الأظعمة لا تكون إلا في البطن، فيخرج كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ في هاء الكناية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى العسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود. واختلفوا، هل الشفاء الذي فيه يختص بمرض دون غيره، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه عام في كل مرض. قال ابن مسعود: العسل شفاء من كل داء. وقال قتادة: فيه شفاء للناس من الأدوية. وقد روى أبو سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه، ثم أتى فقال: قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً، قال: «اسقه، عسلاً»، فذكر الحديث... إلى أن قال: فشفيت، إما في الثالثة، وإما في الرابعة، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله، وكذب بطن أخيك» أخرجه البخاري، ومسلم<sup>(١)</sup>. ويعني بقوله: «صدق الله»: هذه الآية. والثاني: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه، قاله السدي. والصحيح أن ذلك خرج مخرج الغالب. قال ابن الأنباري: الغالب على العسل أنه يعمل في الأدوية، ويدخل في الأدوية، فإذا لم يوافق أحاد المرضي، فقد وافق الأثرين، هذا كقول العرب: الماء حياة كل شيء، وقد نرى من يقتله الماء، وإنما الكلام على الأغلب. والثاني: أن الهاء ترجع إلى الاعتبار. والشفاء: بمعنى الهدى، قاله الضحاك. والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله مجاهد.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمُتَرِِّ لَكُمْ لَا يَمَلُّ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ أي: أوجدكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿وَيَرْزُقُكُمْ ثُمَّ يَرْزُقُكُمْ﴾ وهو أودوه، وأذونه، وهي حالة الهرم. وفي مقداره من السنين ثلاثة أقوال: أحدها: خمس وسبعون سنة، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: تسعون سنة، قاله قتادة. والثالث: ثمانون سنة، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ لَا يَمَلُّ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ قال الفراء: لكي لا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً. وقال ابن قتيبة: أي: حتى لا يعلم بعد علمه بالأمور شيئاً، لشدة هرمه. وقال الزجاج: المعنى: أن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرقاً، فيصير بعد أن كان عالماً جاهلاً، ليرىكم من قدرته، كما قيل على إمامته وإحيائه، أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل. وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: ليس هذا في المسلمين، المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله، وعقلاً، ومعرفة. وقال عكرمة: من قرأ القرآن، لم يرد إلى أرذل العمر.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رَبِّهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَلِهِ يَمْتَدُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْبَعْضِ فِي الرِّزْقِ﴾ يعني: فضل السادة على المماليك ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ يعني: السادة ﴿بِرَأْيِ رَبِّهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فعبير «ما» عن «من» لأنه موضع إيهام، تقول: ما في الدار؟ فيقول المخاطب: رجلان أو ثلاثة، ومعنى الآية: أن المولى لا يرد على ما ملكت يمينه من ماله حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء، وهو مثل ضربه الله تعالى للمشركون الذين جعلوا الأصنام شركاء له، والأصنام ملكاً له، يقول: إذا لم يكن عبيدكم معكم في الملك سواء، فكيف جعلون عبيدي معي سواء، وتعرضون لي ما تأنفون لأنفسكم منه؟! وروى العوفي عن ابن عباس، قال: لم يكونوا أشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: نزلت في نصارى نجران حين قالوا: عيسى ابن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَمَلِهِ يَمْتَدُونَ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: «تَجِدُونَ» بالتاء. وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: حُجَّتْ بهدايته. والثاني: فضله ورزقه.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَحْسِلَ لَكُمْ مِنْ أَرْبَابِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْكَائِبَةِ أَفْئَالًا لِيُؤْمِنُوا وَيُتِمَّتَ اللَّهُ فِعْلَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَسْتَدِينُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَنْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني النساء. وفي معنى «من أنفسكم» قولان: أحدهما: أنه خلق آدم، ثم خلق زوجته منه، قاله قتادة. والثاني: «من أنفسكم»، أي: من جنسكم من بني آدم، قاله ابن زيد. وفي الحفدة خمسة أقوال: أحدها: أنهم الأصهار، أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية، ومجاهد في رواية، وسعيد بن جبير، والنخعي، وأنشدوا من ذلك:

ولو أن نفسي طاعتني لأضبححت  
لها حَفْدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرُ  
ولكنها نفسٌ عليّ أبيعُ  
عيوفٌ لأصهار اللثام قذورُ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنهم الخدم، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية الحسن، وطاووس وعكرمة في رواية الضحاك، وهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنه يراد بالخدم: الأولاد، فيكون المعنى: أن الأولاد يخدمون. قال ابن قتيبة: الحفدة: الخدم والأعوان، فالمعنى: هم بنون، وهم خدم. وأصل الحَفْد: مداركة الخطو والإسراع في المشي، وإنما يفعل الخدم هذا، ف قيل لهم: حَفْدَة. ومنه يقال في دعاء الوتر: «وإليك نسعى ونحفد». والثاني: أن يراد بالخدم: المماليك، فيكون معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والرابع: [أنهم] ولد الولد، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أنهم: كبار الأولاد، والبنون: صغارهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال مقاتل: وكانوا في الجاهلية تخدمهم أولادهم. قال الزجاج: وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى جعل من الأزواج بنين، ومن يعاون على ما يحتاج إليه بسرعة وطاعة.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْكَائِبَةِ﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان.

قوله تعالى: ﴿أَفْئَالًا لِيُؤْمِنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الشريك والصاحبة والولد، فالمعنى: يصدّقون أن الله ذلك؟ قاله عطاء. والثالث: أنه الشيطان، أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة، فصدّقوا. وفي المراد بـ «نعمة الله» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التوحيد، قاله ابن عباس. والثاني: القرآن، والرسول. والثالث: الحلال الذي أحله الله لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَدِينُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا﴾ وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنها الأصنام، قاله قتادة. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿بَيْنَ السَّمَوَاتِ﴾ يعني: المطر، ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾ النبات، والثمر.

قوله تعالى: ﴿شَيْئًا﴾ قال الأخفش: جعل «شيئاً» بدلاً من الرزق، والمعنى: لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا يقدرون على شيء. قال الفراء: وإنما قال في أول الكلام: «يملك» وفي آخره: «يستطيعون»؛ لأن «ما» في مذهب: جمع لآلهتهم، فوحد «يملك» على لفظ «ما» وتوحيدها، وجمع في «يستطيعون» على المعنى، كقوله: ﴿وَتَهُنَّ مَنْ يَسْتَطِيعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوا لِلَّهِ الْأَنْثَالَ﴾ أي: لا تشبهوه بخلقه، لأنه لا يُشبه شيئاً، ولا يُشبه شيء، فالمعنى: لا تجعلوا له شريكاً. وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يعلم ضرب المثل، وأنتم لا تعلمون ذلك، قاله ابن السائب. والثاني: يعلم أنه ليس له شريك، وأنتم لا تعلمون أنه ليس له شريك، قاله مقاتل. والثالث: يعلم خطأ ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صواب ذلك من خطئه. والرابع: يعلم ما كان

ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركتم به، ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُفْنِقُ بِهِ يَمْرًا وَجَهَنًّا هَلْ يَسْتَوُونَ لِمَنْدَلٍ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زُجَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي: بَيَّنَّ شَبَهًا فِيهِ بَيَانُ الْمَقْصُودِ، وفيه قولان: أحدهما: أنه مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. فالذي ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ هو الكافر، لأنه لا خير عنده، وصاحب الرزق هو المؤمن، ابن لما عنده من الخير، هذا قول عباس، وقتادة. والثاني: أنه مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ وَلِلْأَوْتَانِ، لأنه مالك كل شيء، وهي لا تملك شيئاً، هذا قول مجاهد، والسدي. وذكر في التفسير أن هذا المثل ضُربَ يَقُومُ كَانُوا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفيهم قولان: أحدهما: أن المملوك: أبو الجوار<sup>(١)</sup>، وصاحب الرزق الحسن: سيده هشام بن عمرو، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال مقاتل: المملوك: أبو الحواجر. والثاني: أن المملوك: أبو جهل بن هشام، وصاحب الرزق الحسن: أبو بكر الصديق ﷺ، قاله ابن جريج. فأما قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ ولم يقل: يستويان، لأن المراد: الجنس. وقال ابن الأنباري: لفظ ﴿مَنْ﴾ لفظ توحيد، ومعناها معنى الجمع، ولم يقع المَثَلُ بعبد معين، ومالك معين، لكن عُيِّنَ بهما جماعة عبيد، وقوم مالكون، فلما فارق من تأويل الجمع، جمع عائدها لذلك.

قوله تعالى: ﴿لِمَنْدَلٍ لِلَّهِ﴾ أي: هو المستحق للحمد، لأنه المنعم، ولا نعمة للأصنام، يعني المشركين ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الحمد لله. قال العلماء: وصف أكثرهم بذلك، والمراد: جميعهم.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زُجَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ قد فسرنا «البكم» في [البقرة: ١٨]. ومعنى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: من الكلام، لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُثْقَلُ عَلَى وَلِيِّهِ وقربته. وفيمن أريد بهذا المَثَلُ أربعة أقوال: أحدها: أنه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالكافر هو الأبكم، والذي يأمر بالعدل [هو] المؤمن، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن التفقه في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلى بن مئنة عن ابن عباس. والثالث: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقتادة، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أن المراد بالأبكم: أبيُّ بن خلف، وبالذي يأمر بالعدل: حمزة. وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء. فيخرج على هذه الأقوال في معنى «مولاه» قولان: أحدهما: أنه مولى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس. والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو يُثْقَلُ عَلَى وَلِيِّهِ الذي يخدمه ويزينه. ويخرج في معنى «أينما تُوَجِّههُ» قولان. إن قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق. وإن قلنا: إنه الصنم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أينما يدعوه، لا يجيبه، قاله مقاتل. والثاني: أينما تُوَجِّههُ تأميله إياه ورجاه له، لا يأتيه ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلقه الصنم، كقوله: ﴿يَا وَدَّعْنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي: على السنة رسلك. وقرأ البزي عن ابن محيصن «أينما تُوَجِّههُ» بـالتاء على الخطأ. فأما قوله: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ فإن قلنا: هو رجل، فإنما كان كذلك، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه، إما لكفره وجحوده، أو ليكبره به. وإن قلنا: إنه الصنم، فلكونه جماداً. ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أي: هذا الأبكم ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو قادر على التكلم، ناطق بالحق.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُنْشِرُ الْأَسَاقِ إِلَّا كَنَجِّحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَهِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد ذكرناه في آخر [مود: ١٢٣] وسبب نزول هذه الآية أن كفار مكة سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فنزلت هذه، قاله مقاتل. وقال ابن السائب: المراد بالغيب هاهنا: قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْشِرُ الْأَسَاقِ﴾ يعني: القيامة: ﴿إِلَّا كَنَجِّحِ الْبَصَرِ﴾ واللمح: النظر بسرعة، والمعنى: إن القيامة

في سرعة قيامها وبعث الخلائق، كلمح العين، لأن الله تعالى يقول: ﴿كَانَ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ قال مقاتل: بل هو أسرع. وقال الزجاج: ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء.

﴿وَاللَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْ يَطْرُقُونَ أَنْهَاجَكُمْ﴾ لا تَقْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٨﴾ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَقْرَبُكُمْ مِنْ يَطْرُقُونَ أَنْهَاجَكُمْ﴾ قرأ حمزة «إمهايتكم» بكسر الألف والميم، وقرأ الكسائي بكسر الألف وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح الميم، وكذلك في [النور: ٦١] و [الزمر: ٦١] و [النجم: ٣٢]، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضم الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لفظه لفظ الواحد، والمراد به الجميع، وقد بيّنا علة ذلك في أول [البقرة: ٤٧]. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: جمع فؤاد. قال الزجاج: مثل: غراب وأغربة، ولم يجمع «فؤاد» على أكثر العدد، لم يقل فيه: «فؤدان» مثل غراب وغربان. وقال أبو عبيدة: وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدّم وتؤخّر، وأنشد:

صَحْمٌ تَعَلَّقَ أَشْنَأُ الدِّيَاتِ بِهِ      إِذَا الْمِؤُودُ أَمِرتُ فَوَؤُهُ حَمَلًا<sup>(١)</sup>  
[الشَّئَقُ: ما بين الفريضتين]. والمِؤُودُ أعظم من الشَّئَقِ، فبدأ بالأقل قبل الأعظم. قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهلاً بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُفْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ قال الزجاج: هو الهواء البعيد من الأرض. قوله تعالى: ﴿مَا يُفْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يمسهن عند قبض أجنتهن وبسطها أن يقعن على الأرض إلا الله، قاله الأكثرون. والثاني: ما يمسهن أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة، كما فُعل بغيرهم، إلا الله، قاله ابن السائب.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ مِنْ يَتُوكُمْ سَكًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْفُسِ يَتًّا تَنْتَفِضُوهَا يَوْمَ طَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَاعِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَتْكُمْ إِلَى جِيبِ﴾ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ نَقِيصٍ وَالْحَرَّ وَسَرَبِيلَ نَقِيصٍ بِأَسْكُمُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢١﴾ يَقْرَأُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ مِنْ يَتُوكُمْ سَكًا﴾ أي: موضعاً تسكنون فيه، وهي المساكن المتخذة من الحجر والمدر تستر العورات والحرم<sup>(٢)</sup>. وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْفُسِ يَتًّا﴾ وهي القباب والخيم المتخذة من الأدم ﴿تَنْتَفِضُوهَا﴾ أي: يخفّ عليكم حملها ﴿يَوْمَ طَعْنِكُمْ﴾ قرأ ابين كثير، ونافع، وأبو عمرو «طعنكم» بفتح العين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بتشكين العين، وهما لغتان، كالشعر والشعر، والنهر والنهر، والمعنى: إذا سافرتهم، ﴿وَيَوْمَ إِقَاعِكُمْ﴾ أي: لا تثقل عليكم في الحالين. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ يعني: الضأن ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يعني: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ يعني: المعز ﴿أَتَتْكُمْ﴾ قال الفراء: الأثاث: المتاع، لا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له. والعرب تقول: جمع المتاع أمتعة، ولو جمعت الأثاث، لقلت: ثلاثة أثاث، وأث: مثل أعة وغث لا غير. وقال ابن قتيبة: الأثاث: متاع البيت من الفرش والأكسية. قال أبو زيد: واحد الأثاث: أثانة. وقال الزجاج: يقال: قد أثَّ يَأْثُ أَثًّا: إذا صار ذا أثاث. وروى عن الخليل أنه قال: أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض، ومنه: شَرَّ أَثِيبٍ. فأما قوله: ﴿وَمِمَّا﴾ فقيل: إنما جمع بينه

(١) البيت للأخط: «ديوانه» ١٤٣، «ومجاز القرآن» ١/ ٣٦٤، «واللسان»: شئق، وفيه: وصفه بتحمل الديات وما دون الديات، فيؤيدها ليصلح بين العشائر ويحقن الدماء. وانظر رد ابن قتيبة على تفسير أبي عبيدة للأشناق في «اللسان».

(٢) حُرْمُ الرُّجُلِ: عياله ونسأوه وما يحمي.



وبين الأثاث، لاختلاف اللفظين. وفي قوله: ﴿إِلَّا يَجِيزُ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، والمعنى: ينتفعون به إلى حين الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: أنه إلى حين البلى، فالمعنى: إلى أن يبلى ذلك الشيء، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أي: ما يقيكم حر الشمس، وفيه خمسة أقوال: أحدها: أنه ظلال الغمام، قاله ابن عباس. والثاني: ظلال البيوت، [قاله ابن السائب. والثالث: ظلال الشجر، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: ظلال الشجر والجبال]<sup>(١)</sup>، قاله ابن قتيبة. والخامس: أنه كل شيء له ظل من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنُكًا﴾ أي: ما يَكُنُّكُمْ من الحرِّ والبرد، وهي الغيران والأسراب. وواحد الأكنان [كُنْ] وكل شيء وقى شيئاً وستره فهو [كُنْ]. ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرُبِيلًا﴾ وهي القميص ﴿يَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ ولم يقل: البرد، لأن ما وقى من الحر، وقى من البرد، وأنشد:

وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمُنْتُ أَرْضًا  
أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِيْنِي<sup>(٢)</sup>  
وقال الزجاج: إنما خص الحرَّ، لأنهم كانوا في مكاناتهم أكثر معاناةً له من البرد، وهذا مذهب عطاء الخراساني.

قوله تعالى: ﴿وَسَرَّيْلٌ يَّقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ يريد الدروع التي يَتَّقُونَ بها شدة الطعن والضرب في الحرب. قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ رَحْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: مثلما أنعم الله عليكم بهذه الأشياء، يتم نعمته عليكم في الدنيا ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ والخطاب لأهل مكة، وكان أكثرهم حينئذ كفاراً، ولو قيل: إنه خطاب للمسلمين، فالمعنى: لعلكم تدومون على الإسلام، وتقومون بحقه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو رجاء: «لعلكم تَسْلُمُونَ» يفتح التاء واللام، على معنى: لعلكم إذا لبستم الدروع تَسْلُمُونَ من الجراح في الحرب.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ وهذه عند المفسرين منسوخة بآية السيف. قوله تعالى: ﴿يَقْرَأُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَعَالَى﴾ وفي هذه النعمة قولان: أحدهما: أنها [المساكن] نعم الله ﷻ عليهم في الدنيا. وفي إنكارها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يقولون: هذه ورثاها [عن آبائنا]. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نِعَمَ الله: المساكن، والأنعام، وسرايل الثياب، والحديد، يعرفه كفار قريش، ثم ينكرونه بأن يقولوا: هذا كان لأبائنا ورثاها عنهم، وهذا عن مجاهد. والثاني: أنهم يقولون: لولا فلان، لكان كذا، فهذا إنكارهم، قاله عون بن عبد الله. والثالث: يعرفون أن النعم من الله، ولكن يقولون: هذه بشفاعه ألهتنا، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن المراد بالنعمة هاهنا: محمد ﷺ يعرفون أنه نبيٌّ ثم يكذبونه، وهذا مروى عن مجاهد، والسدي، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال الحسن: وجميعهم كفار، فذكر الأكثر، والمراد به الجميع. ﴿وَيَوْمَ تَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ قَالُوا لَا تَنفَعُ الْكُفْرَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّعْدَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْرَحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: يوم القيامة، وشاهد كل أمةٍ نبيُّها يشهد عليها بتصديقها وتكذيبها، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به، لأن الآخرة ليست بدار تكليف.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿الْعَذَابَ﴾ يعني: النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يؤخرون، ولا يمهلون. ﴿وَإِنَّمَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ يعني: الأصنام التي جعلوها شركاء لله في

(١) ما بين المعقنين، سقط من نسخة الرباط، واستدركناه من نسخة مكتبة راغب باشا باسطنبول.

(٢) البيت للمصنف المدي، وقد تقدم ١٠٥، ٢١٨، وهو في «الطبري» ١٥٧/١٤، و«القرطبي» ١٠/١٦٠.

العبادة، وذلك أن الله يبعث كل معبود من دونه، فيقول المشركون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ أي: نعبد من دونك. فإن قيل: فهذا معلوم عند الله تعالى، فما فائدة قولهم: «هؤلاء شركاؤنا؟» فعنه جوابان: أحدهما: أنهم لما كنتموا الشرك في قولهم: واللّه ما كنا مشركين، عاقبهم الله تعالى بإصصات الستهم، وإنطاق جوارحهم، فقالوا عند معاية ألتهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا﴾ أي: قد أقررنا بعد الجحد، وصدقنا بعد الكذب، التماساً للرحمة، وفراراً من الغضب، وكان هذا القول منهم على وجه الاعتراف بالذنب، لا على وجه إعلام من لا يعلم. والثاني: أنهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى قالوا: هؤلاء شركاؤنا، تقدير أن يعود عليهم من هذا القول روح، وأن تلزم الأصنام إجرامهم، أو بعض ذنوبهم إذ كانوا يدعون لها العقل والتميز، فأجابتهم الأصنام بما حسم طمعهم.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَوَىٰ إِلَيْهِمْ الْقَوْلُ﴾ أي: أجابوهم وقالوا لهم: ﴿إِنَّمَا لَكُمْ كُذُوبٌ﴾ قال الفراء: ردت عليهم ألتهم قولهم. وقال أبو عبيدة: «فالتقوا»، أي: قالوا لهم. يقال: ألقىت إلى فلان كذا، أي: قلت له. قال العلماء: كذبوهم في عبادتهم إياهم، وذلك أن الأصنام كانت جماداً لا تعرف عابديها، فظهرت فضيحتهم يومئذ إذ عبدوا من لم يعلم بعبادتهم، وذلك كقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مرم: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ إِلَى اللَّهِ يُؤَمِّدُ النَّارُ﴾ المعنى: أنهم استسلموا له. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون، قاله الأكثرون. ثم في معنى استسلامهم قولان: أحدهما: أنهم استسلموا [له] بالإقرار بتوحيده وربوبيته. والثاني: أنهم استسلموا لعذابه. والثاني: أنهم المشركون والأصنام كلهم. قال الكلبي<sup>(١)</sup>: والمعنى: أنهم استسلموا لتقادين لحكمه.

قوله تعالى: ﴿وَصَلَّىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: بطل قولهم أنها تشفع لهم. والثاني: ذهب عنهم ما زين لهم الشيطان أن الله شريكاً وولداً.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْمَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَرَزَقْنَاكَ عَلَىٰ أَلْجَافٍ يَنْتَابُونَ﴾ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَنُزُلًا لِلْمُسْلِمِينَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْمَذَابِ﴾ إنما نكر العذاب [الأول]، لأنه نوع خاص لقوم بأعيانهم، وعرف العذاب الثاني، لأنه العذاب الذي يعذب به أكثر أهل النار، فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل: نعوذ بالله من النار، وقد قيل: إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم، بصدهم عن سبيل الله. وفي صفة هذا العذاب الذي زيدوا أربعة أقوال: أحدها: أنها عقارب كأمثال النخل الطوال، رواه مسروق عن ابن مسعود. والثاني: أنها حيّات كأمثال الفيئة، وعقارب كأمثال البغال، رواه زر عن ابن مسعود. والثالث: أنها خمسة أنهار من صفر مذاب تسيل من تحت العرش يعذبون بها، ثلاثة على مقدار الليل، واثان على مقدار النهار، قاله ابن عباس. والرابع: أنه الزمهرير، ذكره ابن الأنباري. قال الزجاج: يخرجون من حر النار إلى الزمهرير، فيتبادرون من شدة برده إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قومه، قاله ابن عباس. والثاني: أمته، قاله مقاتل. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿وَرَزَقْنَاكَ عَلَىٰ أَلْجَافٍ يَنْتَابُونَ﴾ قال الزجاج: التبيان: اسم في معنى البيان. فاما قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فقال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم، مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

مَا تَقُولُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَعَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَدَنِ قُوَّةٍ أَنْكَنَّا لِنَحْذَرُكَ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَبْلُغَكُمْ اللَّهُ يَوْمَ وَلِيَّتَيْنِ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَبْغَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُبْدِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه شهادة أن لا إله إلا الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه الحق، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى، قاله سفيان بن عيينة. والرابع: أنه القضاء بالحق، ذكره الماوردي. قال أبو سليمان: العدل في كلام العرب: الإنصاف، وأعظم الإنصاف: الاعتراف للمعني بنعمته. وفي المراد بالإحسان خمسة أقوال: أحدها: أنه أداء الفرائض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: العفو، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: الإخلاص، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن تعبد الله كأنك تراه، رواه عطاء عن ابن عباس. والخامس: أن تكون السريرة أحسن من العلانية، قاله سفيان بن عيينة. فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِي ذِي الشَّرْكِ﴾ فالمراد به: صلة الأرحام. وفي الفحشاء قولان: أحدهما: أنها الزنى، قاله ابن عباس. والثاني: المعاصي، قاله مقاتل. وفي «الشُّركِ» أربعة أقوال: أحدها: أنه الشرك، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما لا يُعرف في شريعة ولا سُنة. والثالث: أنه ما وعد الله عليه النار، ذكرهما ابن السائب. والرابع: أن تكون علانية الإنسان أحسن من سريته، قاله سفيان بن عيينة. فأما: «الْبَغْيُ» فقال ابن عباس: هو الظلم، وقد سبق شرحه في مواضع [البقرة: ١٧٣، والأعراف: ٣٣، ويونس: ٢٣، ٩٠].

قوله تعالى: ﴿يُعِظُكُمْ﴾ قال ابن عباس: يؤذّبكم، وقد ذكرنا معنى الوعظ في [سورة النساء: ٥٨]. و «تَذَكَّرْتُمْ» بمعنى: تتعظون. قال ابن مسعود: هذه الآية أجمع آية في القرآن لخير أو لشر. وقال الحسن: والله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة [الله] إلا جمعاه، ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغي شيئاً من معصية الله إلا جمعه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في حلف أهل الجاهلية، قاله مجاهد، وقناة. والثاني: أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ. قال المفسرون: العهد الذي يجب الوفاء به، هو الذي يحسن فعله، فإذا عاهد العبد عليه، وجب الوفاء به، والوعد من العهد. «وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْتَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا» أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين، بخلاف لغو اليمين، ووكدت الشيء تأكيداً، لغة أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فيقولون: أكدته تأكيداً. وقال الزجاج: يقال: وكّدت الأمر، وأكّدت، لغتان جيدتان، والأصل الواو، والهمزة بدل منها.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَمَعْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ أي: بالوفاء، وذلك أن من حلف بالله، فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف عليه. وللمفسرين في معنى «كفيلاً» ثلاثة أقوال: أحدها: شهيداً، قاله سعيد بن جبير. والثاني: وكيلاً، قاله مجاهد. والثالث: حفيظاً مراعيّاً لعقدكم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَعَتْ غَزَلُهَا﴾ قال مجاهد: هذا فعل نساء أهل نجد، تنقض إحداهن حبلها، ثم تنفضه، ثم تخلطه بالصوف فتغزله. وقال مقاتل: هي امرأة من قريش تسمى «رَيْطَة» بنت عمرو بن كعب، كانت إذا غزلت، تنقضته. وقال ابن السائب: اسمها «رَائِطَة» وقال ابن الأنباري: اسمها رَيْطَة بنت عمرو المُرْتَة، ولقبها الجعراء، وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرّفوها بوصفها، ول يكن لها نظير في فعلها ذلك، كانت متناهية الحمق، تغزل الغزل من القطن أو الصوف فتُحَكِّمُهُ، ثم تأمر جاريتها بتقطيعه. وقال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريتها، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن، فضرّبهما الله مثلاً لناقضي العهد. و «تنقضت»، بمعنى: تنقض، كقوله: «وَكَاذِبَةٌ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ» [الأعراف: ٤٣] بمعنى: وينادي. وفي المراد بالغزل قولان: أحدهما: أنه الغزل المعروف، سواء كان من قطن أو صوف أو شعر، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه الخَبْلُ، قاله مجاهد. وقوله: «مِنْ بَدَنِ قُوَّةٍ» قال قناة: من بعد إبرام، وقوله: «أَنْكَنَّا» أي: أنقاضاً. قال ابن قتيبة: الأنكاث: ما نُقِضَ من غَزَلِ الشَّعْرِ وغيره.

وواحدها: يَنْكُثُ. يقول: لا تؤكدوا على أنفسكم الإيمان والعهد، ثم تنقضوا ذلك وتحثوا فيه، فتكونوا كامراً غزلت وضجبت، ثم تنقضت ذلك النسخ، فجعلته أنكاثاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَجْزِيَنَّهُنَّ أَجْرَهُنَّ مِمَّا كَانَتْ يَلْجَأْنَ إِلَىٰهِ عَسَافَ مَاءٍ غُرَّتُمْ بِهِ الْأَعْيُنُ عَنِ الْغَدْرِ﴾ أي: دغلاً، ومكراً، وخديعة، وكل شيء دخله عيب، فهو مدخول، وفيه دغلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ قال ابن قتيبة: لأن تكون أمة، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ زُجْرِكَ وَلَا تُفَعِّلُكَ ثَمَرَتُهُ﴾ وقال [الزجاج]: المعنى: بأن تكون أمة هي أكثر، يقال: ربا الشيء يربو: إذ كثر. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: «أرى»: أزيد عدداً. قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك، فنهوا عن ذلك. وقال الفراء: المعنى لا تغلبوا بقوم لقلتهم وكثرتكم، أو قللتكم وكثرتهم وقد غررتموهم بالإيمان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْوُكُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِكُمْ﴾ في هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكثرة، قاله سعيد بن جبير، وابن السائب، ومقاتل، فيكون المعنى: إنما يختبركم الله بالكثرة، فإذا كان بين قومين عهد، فكثر أحدهما، فلا ينبغي أن يفسخ الذي بينه وبين الأقل. فإن قيل: إذا كثرت الكثرة، فهل قيل بها؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، بأن الكثرة ليس تأنيهاً حقيقياً، فحملت على معنى التذكير، كما حملت الصبيحة على معنى الصباح. والثاني: أنها ترجع إلى العهد، فإنه دلالة الإيمان عليه، يجري مجرى المظهر، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنها ترجع إلى الأمر بالوفاء، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قد فسرناه في آخر [مود: ١١٨].  
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَصُدُّنَّ عَنْ يَشَاءٍ﴾ صريح في تكذيب القدرة، حيث أضاف الإضلال والهداية إليه، وعلفهما بمشيئته.

﴿وَلَا تَلْجِدُوا إِلَيْنَاكُمْ دَعْوَةً يَنْتَكُمُ فَتَرْزُلَ قَدَمَ بَدِّ ثَوْبَتَا وَتَذَرُوا السَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكَرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾  
﴿وَلَا تَشْفَعُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَشْفَاءُ قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما عِنْدَكَ يَفْعَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْجِدُوا إِلَيْنَاكُمْ دَعْوَةً﴾ هذا استئناف للنهي عن إيمان الخديعة. ﴿فَتَرْزُلَ قَدَمَ بَدِّ ثَوْبَتَا﴾ قال أبو عبيدة: هذا مثل يقال لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة: زلت به قدمه. قال مقاتل: ناقض العهد يَرْزُلُ في دينه كما تَرْزُلُ قَدَمُ الرَّجُلِ بعد الاستقامة. قال المفسرون: وهذا نهى للذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام ونصرة الدين عن نقض العهد، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُوا السَّوْءَ﴾ يعني: العقوبة ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يريد أنهم إذا نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، صدوا الناس عن الإسلام، فاستحقوا العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَكَرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني: في الآخرة. ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَشْفَعُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَشْفَاءُ قَلِيلًا﴾ قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ في أرض، يقال لأحدهما: «عبدان بن أشوع» وهو صاحب الأرض، وللآخر: «امرؤ القيس» وهو المدعى عليه، فهم امرؤ القيس أن يحلف، فأخبره رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. وذكر أبو بكر الخطيب أن اسم صاحب الأرض «ربيعة بن عبدان»، وقيل: «عبدان»، ففتح العين وياه معجمة باثنتين. ومعنى الآية: لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عَرَضاً يسيراً من الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم من العاجل. ﴿وَمَا عِنْدَكَ يَفْعَدُ﴾ أي: يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿بَاقٍ﴾ وقف بالياء ابن كثير في رواية عنه، ولا خلاف في حذفها في الوصل. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ» بالياء. وقرأ ابن كثير، وعاصم: «وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ» بالنون. ولم يختلفوا في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ أَجْرَهُمْ﴾ أنها بالنون، ومعنى هذه الآية: ولنجزين الذين صبروا على أمره أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا، ويتجاوز عن سيئاتهم.



﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن امرأ القيس المتقدم ذكره أقر بالحق الذي كان هم أن يحلف عليه، فنزلت فيه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾، وهو إقراره بالحق، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن ناساً من أهل التوراة، وأهل الإنجيل، وأهل الأوثان، جلسوا، فتفاضلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ اختلفوا أين تكون هذه الحياة الطيبة على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس. ثم فيها للمفسرين تسعة أقوال: أحدها: أنها القناعة، قاله علي (عليه السلام)، وابن عباس في رواية، والحسن في رواية، ووهب بن منبه. والثاني: أنها الرزق الحلال، رواه أبو مالك عن ابن عباس. وقال الضحاك: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً. والثالث: أنها السعادة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنها الطاعة، قاله عكرمة. والخامس: أنها رزق يوم بيوم، قاله قتادة. والسادس: أنها الرزق الطيب، والعمل الصالح، قاله إسماعيل بن أبي خالد. والسابع: أنها حلاوة الطاعة، قاله أبو بكر الوراق. والثامن: العافية والكفاية. والتاسع: الرضى بالقضاء، ذكرهما الماوردي. والثاني: أنها في الآخرة، قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة، وابن زيد، وذلك إنما يكون في الجنة. والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسان عن شريك.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (١٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَوْ رَّبُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ (١٩) إِنَّمَا سُلْطٰنُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (٢٠) وَإِذَا بَدَلْنَا مِثَاقَ ءَابِدَةٍ إِلَىٰ ءَابِدَةٍ مَّا يُؤْتِكَ ءَالًا لِّأَنَّكَ أَنتَ مُفْتَرٍ بِلَآءٍ كَذِبُهُ لَا يَمْلِكُونَ (٢١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: فإذا أردت القراءة فاستعذ، ومثله ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِن رَّبِّهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقوله: ﴿إِذَا تَنَبَّأْتُمُ الرُّسُلَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُرْعَتِكُمْ مَّذَّةً﴾ [المائدة: ١٢]. ومثله في الكلام: إذا أكلت، فقل: باسم الله، هذا قول عامة العلماء واللغويين. والثاني: إنه على ظاهره، وأن الاستعاذة بعد القراءة. روي عن أبي هريرة، وداد. والثالث: أنه من المقدم والمؤخر، فالمعنى: فإذا استعذت بالله فاقرا، قاله أبو حاتم السجستاني، والأول أصح.

### فصل

والاستعاذة عند القراءة سنة في الصلاة وغيرها. وفي صفتها عن أحمد روايتان: إحداهما: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها أبو بكر المروزي. والثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها حنبل. وقد بيّنا معنى «أعوذ» في أول الكتاب (ص: ١٧)، وشرحنا اشتقاق الشيطان في (البقرة: ١٤)، والرجيم في (آل عمران: ٣٦).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَكَ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في المراد بالسلطان قولان: أحدهما: أنه التسلط. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ليس له عليهم سلطان بحال، لأن الله صرف سلطانه عنهم بقوله: ﴿إِنَّا إِنْبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ إِلَّا مَنَ أَتَيْكَ مِنَ الْكَايِرِ﴾ [الحجر: ١٢]. والثاني: ليس له عليهم سلطان، لاستعاذتهم منه. والثالث: ليس له قدرة على أن يحملهم على ذنب لا يُغفر. والثاني: أنه الحجة. فالمعنى: ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي، قاله مجاهد. فاما قوله: ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾ معناه: يطيعونه. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مجاهد، والضحاك. والثاني: أنها ترجع إلى الشيطان، فالمعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله، وهذا كما يقال: صار فلان بك عالماً، أي: من أجلك، هذا قول ابن قتيبة. وقال ابن الأنباري: المعنى: والذين هم بإشراكهم إبليس في العبادة، مشركون بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ سبب نزولها أن الله تعالى كان ينزل الآية، فيعمل بها مدة، ثم ينسخها، فقال كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر من أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، ويأتيهم غداً بما هو أهون عليهم منه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والمعنى: إذا نسخنا آية بآية، إما نسخ الحكم والتلاوة، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا يُزَكِّيكَ﴾ من ناسخ ومنسوخ، وتشديد وتخفيف، فهو عليم بالمصلحة في ذلك ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أي: كاذب: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يعلمون أن الله أنزله. والثاني: لا يعلمون فائدة النسخ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل. وقد شرحنا هذا الاسم في [البقرة: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من كلامه ﴿وَالْحَقُّ﴾ أي: بالأمر الصحيح ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بما فيه من البينات فيزدادوا يقيناً.

﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ ثَبِيثٌ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ يعني: قريشاً ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ أي: آدمي، وما هو من عند الله. وفيمن أرادوا بهذا البشر تسعة أقوال: أحدها: أنه كان لبني المغيرة غلام يقال له «يعيش» يقرأ التوراة، فقالوا: منه يتعلم محمد، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة في رواية: كان هذا الغلام لبني عامر بن لؤي، وكان رومياً. والثاني: أنه فتى كان بمكة يسمى «بلعام» وكان نصرانياً أعجمياً، وكان رسول الله ﷺ يعلمه، فلما رأى المشركون دخوله إليه وخروجه، قالوا ذلك، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنه نزلت في كاتب كان يكتب لرسول الله ﷺ، فيملي عليه «سمع عليم» فيكتب هو «عزير حكيم» أو نحو هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «أي ذلك كتبت فهو كذلك»، فافتن، وقال: إن محمداً يكلل ذلك إليّ فأكتب ما شئت، روي عن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>. والرابع: أنه غلام أعجمي لامرأة من قريش يقال له: «جابر»، وكان جابر يأتي رسول الله ﷺ فيتعلم منه، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد من هذا، قاله سعيد بن جبير. والخامس: أنهم غنوا سلمان الفارسي، قاله الضحاك؛ وفيه بُعْدٌ من جهة أن سلمان أسلم بالمدينة، وهذه [الآية] مكية. والسادس: أنهم غنوا به رجلاً حداداً كان يقال له «خُتْس»<sup>(٢)</sup> النصراني، قاله ابن زيد. والسابع: أنهم غنوا به غلاماً لعامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، واسمه «يسار»، ويكنى «أبا فُكَيْهَة»، قاله مقاتل. وقد روي عن سعيد بن جبير نحو هذا، إلا أنه لم يقل: إنه كان يهودياً. والثامن: أنهم غنوا غلاماً أعجمياً اسمه «عائش»، وكان مملوكاً لحويطب، وكان قد أسلم، قاله الفراء، والزجاج. والتاسع: أنهما رجلان، قال عبد الله بن مسلم الحضرمي: كان لنا عبدان من أهل عين التمر، يقال لأحدهما: «يسار» وللآخر «جير» وكانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن الإنجيل، فربما مرَّ بهما النبي ﷺ وهما يقرآن، فيقف يستمع، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما. قال ابن الأباري: فعلى هذا القول، يكون البشر واقعاً على اثنين، والبشر من أسماء الأجناس، يعبر عن اثنين، كما يعبر «أحد» عن الاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث.

قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يُلْحِدُونَ» بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ حمزة، والكسائي: «يَلْحَدُونَ» بفتح الياء والحاء. فأما القراءة الأولى، فقال ابن قتيبة: «يُلْحِدُونَ» أي: يميلون إليه<sup>(٣)</sup>، ويزعمون أنه يعلمه، وأصل الإلحاد الميل، وقال

(١) قال ابن كثير ٥٨٧/٢: قال الزهري عن سعيد بن المسيب: الذي قال ذلك من المشركين، رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الإسلام، وافتري هذه المقالة فيحه الله.

(٢) كذا في نسخة الرباط بإهمال الحرف الأول، وفي نسخة واغب باشا الأسطنبولية: يحسن، والذي في «البحر الميعط» ٥٣٦/٥: عنس. والله تعالى أعلم.

(٣) في الأصل: يؤمنون إليه، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة ٢٤٩.

الفراء: «يُلْجِدُونَ» بضم الياء: يعترضون، ومنه قوله: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْعِصَامِ يُظْلَمْ» [الحج: ٢٥] أي: باعتراض، و«يُلْحَدُونَ» بفتح الياء: يميلون. وقال الزجاج: يُلْحَدُونَ إليه، أي: يميلون القول فيه أنه أعجمي. قال ابن قتيبة: لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، فالأعجمي: الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعرابي: هو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً.

قوله تعالى: «وَهَذَا لِسَانٌ» يعني: القرآن، «عَرِثٌ» قال الزجاج: أي: أن صاحبه يتكلم بالعربية.

قوله تعالى: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أي: الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله، كذبوا بها، «وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» أي: أن الكذب نعت لازم لهم، وعادة من عاداتهم، وهذا رد عليهم إذ قالوا: «إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ» [التحل: ١٠١]. وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب، لأنه خص به من لا يؤمن.

«مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [١٠١] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [١٠٢] أُولَئِكَ الَّذِينَ طَمَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَنَسِيَهم وَأَنْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ [١٠٣] لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ [١٠٤] ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّنَا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَرْنَا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَنُورٌ رَجِيمٌ [١٠٥] يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَحْدُولٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُلْطَفُونَ [١٠٦]

قوله تعالى: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ» قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، ومقيس بن صُباب، وعبد الله بن أنس بن خططل، وطعمة بن أبيرق، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الفاكه المخزومي. فأما قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ» فاختلفوا فيمن نزل على أربعة أقوال: أحدها: أنه نزل في عمار بن ياسر، أخذه المشركون فعذبوه، فأعطاهم ما أرادوا بلسانه، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: أنه لما نزل قوله: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمُ الْمُطَافِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» إلى آخر الآيتين اللتين في [سورة النساء: ٩٦، ٩٧] كتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى من كان بمكة، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام، فاتبعهم المشركون، فأدركوهم، فأكروهم حتى أعطوا الفتنه، فنزل «إِلَّا مَنْ أَكْثَرُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه نزل في عياش بن أبي ربيعة، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع، فرجع إليها، فأكروه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون، قاله ابن سيرين. والرابع: أنه نزل في جبر، غلام ابن الحضرمي، كان يهودياً فأسلم، فضربه سيده حتى رجع إلى اليهودية، قاله مقاتل. وأما قوله: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» فقال مقاتل: هم النفر المسمون في أول الآية. فأما التفسير، فاختلف النحاة في قوله: «مَنْ كَفَرُ» وقوله: «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ» فقال الكوفيون: جوابهما جميعاً في قوله: «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ»، فقال البصريون: بل قوله: «مَنْ كَفَرُ» مرفوع بالرد على «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ». قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون خبر «مَنْ كَفَرُ» محذوفاً، لوضوح معناه، تقديره: من كفر بالله، فالح عليه غضبان.

قوله تعالى: «وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» أي: ساكن إليه راض به. «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» قال قتادة: من أناه بإيثار واختيار. وقال ابن قتيبة: من فتح له صدره بالقبول. وقال أبو عبيدة: المعنى: من تابعت نفسه، وانبط إلى ذلك، يقال: ما ينشرح صدري بذلك، أي: ما يطيب. وجاء قوله: «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» على معنى الجميع، لأن «مَنْ» تقع على الجميع.

## فصل

الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها. وفي الإكراه المبيح لذلك عن أحمد روايتان: إحداهما: أنه يخاف على نفسه أو على بعض أعضائه التلف إن لم يفعل ما أمر به. والثانية: أن التخويف لا يكون إكراهاً حتى يُتَالِ بعذاب. وإذا

ثبت جواز «التَّيَّة» فالأفضل ألا يفعل<sup>(١)</sup>، نص عليه أحمد، في أسير خَيْر بين القتل وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف، وإن لم يصبر، فله الرخصة، فظاهر هذا، الجواز. وروى عنه الأثرم أنه سئل عن التَّيَّة في شرب الخمر فقال: إنما التَّيَّة في القول. فظاهر هذا أنه لا يجوز له ذلك. فأما إذا أكرهه على الزنى، لم يجوز له الفعل، ولم يصح إكراهه، نص عليه أحمد. فإن أكرهه على الطلاق، لم يقع طلاقه، نص عليه أحمد، وهو قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: يقع.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ في المشار إليه بذلك قولان: أحدهما: أنه الغضب والعذاب، قاله مقاتل. والثاني: أنه شرح الصدر للكفر. و«استحبوا» بمعنى: أحبوا الدنيا واختاروها على الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ أي: ويأن الله لا يريد هدايتهم. وما بعد هذا قد سبق شرحه [البقرة: ٧، والنساء: ١٥٥، والمائدة: ٦٧] إلى قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ففيه قولان: أحدهما: الغافلون عما يراد بهم، قاله ابن عباس. والثاني: عن الآخرة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها في [مرد: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت فيمن كان يُفْتَن بمكة من أصحاب رسول الله ﷺ، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أن قومًا من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة، فنزل فيهم ﴿وَيَنْ أُولَئِكَ مَأْكًا يَأْتِيهِمْ أَزْوَاجُ﴾ في قوله ﴿يَنْ أُولَئِكَ مَأْكًا﴾ [المنكيات: ١٠]، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلهم حتى نجا من نجا، وقُتِل من قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان الشيطان قد أزلَّه حتى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقَتَلَ يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بُعد، لأن المشار إليه وإن كان [قد] عاد إلى الإسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح. والرابع: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، وعبد الله بن أسيد الثقفي، قاله مقاتل. فأما قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ فقرأ الأكثرون: «فُتِنُوا» بضم الفاء وكسر التاء، على معنى: من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم. قال ابن عباس: فُتِنُوا بمعنى: غلبوا. وقرأ عبد الله بن عامر: «فُتِنُوا» بفتح الفاء والتاء، على معنى: من بعد ما فتوا الناس عن دين الله، يشير إلى من أسلم من المشركين. وقال أبو علي: من بعد ما فُتِنُوا أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية، لأن الرخصة لم تكن نزلت بعد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾ أي: قاتلوا مع رسول الله ﷺ ﴿وَمَكْرُوءًا﴾ على الدين والجهاد. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَدِيهَا﴾ في المكني عنها أربعة أقوال: أحدها: الفتنة، وهو مذهب مقاتل. والثاني: الفعلة التي فعلوها، قاله الزجاج. والثالث: المجاهدة، والمهاجرة، والصبر. والرابع: المهاجرة. ذكرهما واللذين قبلهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ قال الزجاج: هو منصوب على أحد شيئين، إما على معنى: إن ربك لغفور يوم تأتي، وإما على معنى: اذكر يوم تأتي. ومعنى ﴿تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِكَ﴾ أي: عنها. والمراد: أن كل إنسان يجادل عن نفسه. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب خوّفنا، فقال: إن لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وقع جاثيًا على ركبته، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدلي بالخلعة فيقول: يا رب أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك إلا نفسي، وإن تصديق ذلك في كتاب الله ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِكَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد شرحنا معنى [المجادل] في [مرد: ٣٢].

(١) قال الحافظ بن كثير: والأولى والأفضل أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٤ ونسبه إلى ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن كعب الأحبار.



﴿وَرَبَّ اللَّهِ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّ اللَّهِ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ في هذه القرية قولان: أحدهما: أنها مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح. والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز، فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون<sup>(١)</sup>، قاله الحسن. فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المدينة، فذلك على سبيل التمثيل، لا على وجه التفسير، وبيانه: ما روى سليم بن عذر، قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسالنهما عنه، فقالا: قُتِلَ، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَرَبَّ اللَّهِ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾، تعني حفصة: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ عند قتل عثمان رضي الله عنه. ومعنى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ أي: ذات أمن يأمن فيها أهلها أن يُغَارَ عليهم، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ أي: ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق. وقد شرحنا معنى الرغد في [البقرة: ٣٥، ٥٨]. وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: يجلب إليها من كل بلد، وذلك كله بدعوة إبراهيم عليه السلام، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بتكذيبهم رسول الله ﷺ. وفي واحد الأنعم قولان: أحدهما: أن واحدها «نعم» قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثاني: «نعمة» قاله الزجاج. قال ابن قتيبة: ليس قول من قال: هو جمع «نعم» بشيء، لأن «فُعْلَةً» لا تجمع على «أفْعُلٍ»، وإنما هو جمع «نعم»، يقال: يوم نعم، ويوم بُؤْسٍ، ويجمع «أَنْعَمًا» و«أَبْؤُسًا».

قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ وروى عبيد بن عقيل، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «والخوف» بنصب الفاء. وأصل اللُّوق إنما هو بالفم، وهذا استعارة منه، وقد شرحنا هذا المعنى في [آل عمران: ١٠٦، ١٨٥]. وإنما ذكر اللباس هاهنا تجوُّزاً، لما يظهر عليهم من أثر الجوع والخوف، فهو كقوله: ﴿وَلِبَاسُ الْقُرَى﴾ [الأعراف: ٢٦] وذلك لما يظهر على المتقي من أثر التقوى. قال المفسرون: عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام المحترقة. فأما الخوف فهو خوفهم من رسول الله ﷺ ومن سراياه التي كان يبعثها حولهم. والكلام في هذه الآية خرج على القرية، والمراد أهلها، ولذلك قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يعني به: بتكذيبهم لرسول الله ﷺ وإخراجهم إياه وما هموا به من قتله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: محمداً ﷺ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الجوع، قاله ابن عباس. والثاني: القتل بيد، قاله مجاهد. قال ابن السائب: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أي: كافرون.

﴿فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُثْرَ نِعْمَتِهِ يُفْهِمُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أُمِّلَ لِغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَ فَمَنْ أَشْطَرُ عَبْرَ كِبَاحٍ وَلَا عَاوِ فَارَتْ اللَّهُ عَقُورٌ رَجِيحٌ ﴿١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل مكة المشركون، لما اشتدت مجاعتهم، كلّم رؤسائهم رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت عاديّ الرجال، فما بال النساء والصبيان؟! فأذن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام إليهم، حكاة الثعلبي، وذكر نحوه الفراء، وهذه الآية والتي تليها مفسرتان في [البقرة: ١٧٢، ١٧٣].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَقَدْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

(١) كذا الأصل: «حتى كانوا يأكلون ما يقعدون» ولعله يقصد: ما يقعدون عليه، كالجلود، وغيرها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا كَتَبَ الْكُذِّبُ﴾ قال ابن الأنباري: اللام في «لما» بمعنى من أجل، وتلخيص الكلام: ولا تقولوا: هذه الميتة حلال، وهذه البحيرة حرام، من أجل كذبكم، وإقدامكم على الوصف، والتغرُّص لما لا أصل له، فجرت اللام هاهنا مجراها في قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لِحُبِّ الْغَيْرِ لَشِيدُونَ﴾ [المائدات: ٨] أي: وإنه من أجل حب الخير لبخيل، و «ما» بمعنى المصدر، والكذب منصوب بـ «تصف»، والتلخيص: لا تقولوا لوصف المستكم الكذب. وقرأ ابن أبي عبله: «الْكُذِّبُ»، قال ابن القاسم: هو نعت الألسنة، وهو جمع كذوب. قال المفسرون: والمعنى: أن تحليلكم وتحريمكم ليس له معنى إلا الكذب. والإشارة بقوله: ﴿هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ إلى ما كانوا يُحِلُّون ويَحَرِّمُون، ﴿لَقَدْ تَوَلَّوْا عَلَى اللَّهِ الْكُذِّبُ﴾ وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك التحليل والتحريم إلى الله تعالى، ويقولون: هو أمرنا بهذا. وقوله: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ أي: متاعهم بهذا الذي فعلوه قليل.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِحِمْلَةٍ ثُمَّ قَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ﴾ يعني به ما ذكر في [الأنعام: ١٢٦] وهو قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلِّ ذِي ظُلْمٍ﴾، ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريمنا ما حرمنا عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالبغي والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِحِمْلَةٍ﴾ قد شرحناه في سورة [النساء: ١٧]، وشرحنا في [البقرة: ١٦٠] التوبة والإصلاح، وذكرنا معنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ آنفًا.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٠﴾ وَمَآ تَنَزَّلَتْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن الأنباري: هذا مثل قول العرب: فلان رحمة، وفلان علامة، ونسابة، ويقصدون بهذا التأييد قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه، والعرب قد توقع الأسماء المبهمة على الجماعة، وعلى الواحد، كقوله: ﴿فَتَادَهُ أَتْلُكِيكَ﴾ [آل عمران: ٢٣٩]، وإنما ناداه جبريل وحده. وللمفسرين في المراد بالأمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأمة: الذي يعلم الخير، قاله ابن مسعود، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه المؤمن وحده في زمانه، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: أنه الإمام الذي يُقْتَدَى به، قاله قتادة، ومقاتل، وأبو عبيد، وهو في معنى القول الأول. فأما القانت فقال ابن مسعود: هو المطيع. وقد شرحنا [القنوت] في [البقرة: ١١٦، ٢٣٨] وكذلك الحنيف [البقرة: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال الزجاج: أصلها: لم يكن، وإنما حذف التون عند سبويه، لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنها إنما احتملت الحذف، لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين، وأنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف.

قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ انتصب بدلاً من قوله: ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرنا واحد الأنعم آنفًا، وشرحنا معنى [الاجتباء] في [الأنعام: ٨٧]. قال مقاتل: والمراد بالصراط المستقيم هاهنا: الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ فيها ستة أقوال: أحدها: أنها الذكر الحسن، قاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله الحسن. والثالث: لسان صدق، قاله مجاهد. والرابع: اجتماع الميل على ولايته، فكلهم يتولونه ويرضونه، قاله قتادة. والخامس: أنها الصلاة عليه مقرونة بالصلاة على محمد ﷺ، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: الأولاد الأبرار على الكبير، حكاه الثعلبي. وباقي الآية مفسر في [البقرة: ١٣٠].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَنْبِئَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أَنْ أَنْبِئَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ملته: دينه. وفيما أمر باتباعه من ذلك قولان: أحدهما: أنه

أمر باتباعه في جميع ملته، إلا ما أمر بتركه، وهذا هو الظاهر. [والثاني: اتباعه في التبرؤ من الأوثان، والتدين بالإسلام، قاله أبو جعفر الطبري<sup>(١)</sup>]. وفي هذه الآية دليل على جواز اتباع المفضول، لأن رسولنا أفضل الرسل، وإنما أمر باتباعه، لسبقه إلى القول بالحق.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ أي: إنما فرض تعظيمه وتحريمه، وقرأ الحسن، وأبو حيوة: «إِنَّمَا جَعَلَ» بفتح الجيم والعين «السبت» بنصب التاء «عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» والهاء ترجع إلى السبت. وفي معنى اختلافهم فيه قولان: أحدهما: أن موسى قال لهم: نفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً، فاعبدوه في يوم الجمعة، ولا تعملوا فيه شيئاً من صنعكم، فأبوا أن يقبلوا ذلك، وقالوا: لا نبغي إلا اليوم الذي فرغ فيه من الخلق، وهو يوم السبت، فجعل ذلك عليهم، وشدد عليهم فيه، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال مقاتل: لما أمرهم موسى بيوم الجمعة، قالوا: نفرغ يوم السبت، فإن الله لم يخلق فيه شيئاً، فقال: إنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أحبارهم: انتهبوا إلى أمر نبيكم، فأبوا، فذلك اختلافهم، فلما رأى موسى حرصهم على السبت، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصي. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: رأى موسى رجلاً يحمل قصياً يوم السبت، فضرب عنقه، وعكفت عليه الطير أربعين صباحاً. وذكر ابن قتيبة في «مختلف الحديث»: أن الله تعالى بعث موسى بالسبت، ونسخ السبت بالمسيح. والثاني: أن بعضهم استحلّه، وبعضهم حرّمه، قاله قتادة.

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّعْ لَهُمُ الْبَالِغِينَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا عَنِ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: نزلت مع الآية التي بعدها، وسنذكر هناك السبب. فأما السبيل، فقال مقاتل: هو دين الإسلام. وفي المراد ﴿بِالْحُكْمِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الفقه، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: النبوة، ذكره الزجاج. وفي: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ قولان: أحدهما: مواظب القرآن، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَخَدِّعْ لَهُمُ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل مكة، قاله أبو صالح. والثاني: أهل الكتاب، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿بِالْحُكْمِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: جادلهم بالقرآن. والثاني: بـ «لا إله إلا الله»، روي القولان عن ابن عباس. والثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألّن لهم جانبك، قاله الزجاج. وقال بعض علماء التفسير: وهذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح.

﴿وَلَمَّا عَابْتُهُ فَقَامُوا بِمِثْلِ مَا عُوبِتُهُ بِهِ وَلَكِنْ صَبَرْتُ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّادِقِينَ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي مَتْنٍ مِمَّا يَكْفُرُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا عَابْتُهُ فَقَامُوا بِمِثْلِ مَا عُوبِتُهُ بِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ أشرف على حمزة، فراه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: «والله لأمثلن بسبعين منهم»، فنزل جبريل، والنبي ﷺ واقف، بقوله: ﴿وَلَمَّا عَابْتُهُ...﴾ إلى آخرها، فصبر رسول الله وكفر عن يمينه، قاله أبو هريرة<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ حمزة قد شق بطنه، وجذعت أذناه، فقال: «لولا أن تحزن النساء؛ أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطيور، ولأقتلن مكانه سبعين رجلاً منهم»، فنزل قوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى

(١) ما بين المعقفين سقط من نسخة الرباط، واستدركتها من النسخة الاسطنبولية.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٥٩٢/٢ من طريق البزار، وقال: وهذا إسناد فيه ضعف، لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث.

قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. وروى الضحاك عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: «لئن ظفرت بقاتل حمزة لأمثلن به مثلة تتحدث بها العرب»، وكانت هند وآخرون معها قد مثلوا به، فنزلت هذه الآية. والثاني: أنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، ومثلوا بقتلاهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر، لنزيدن على عدتهم مرتين، فنزلت هذه الآية، قاله أبي بن كعب<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن المسلمين قالوا: لئن أمكننا الله منهم، لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات، فنزلت هذه الآية. يقول: إن كنتم فاعلين، فمثلوا بالأموات، كما مثلوا بأمواتكم. قال ابن الأنباري: وإنما سمي فعل المشركين معاقبة وهم ابتدؤوا بالمثلة، ليزدوج اللفظان، فيخف على اللسان، كقوله: ﴿وَحَرَّكَ سَيْتَهُ سَيْتَهُ يَنْفُلُهُ﴾ [الشورى: ٤٠].

### فصل

واختلف العلماء، هل هذه [الآية] منسوخة، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنها نزلت قبل (براءة) فأمر رسول الله ﷺ أن يقاتل من قاتله، ولا يبدأ بالقتال، ثم نسخ ذلك، وأمر بالجهاد، قاله ابن عباس والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: ﴿وَلَيْنَ صَبْرُكُمْ﴾ عن القتال، ثم نسخ هذا بقوله: ﴿فَاتَّقُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. والثاني: أنها محكمة، وإنما نزلت فيمن ظلم ظلاماً، فلا يحل له أن ينال من ظالمه أكثر مما ناله الظالم منه، قاله مجاهد، والشعبي، والنخعي، وابن سيرين، والثوري، وعلى هذا يكون المعنى: ولئن صبرتم عن المثلة، لا عن القتال. قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوقيفه ومعونته. وهذا أمر بالعزيمة. وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان: أحدهما: على كفار مكة إن لم يُسلموا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ولا تحزن على قتلى أحد، أنهم أفضوا إلى رحمة الله، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الضاد، وقرأ ابن كثير: «في ضيق» بكسر الضاد هاهنا وفي [النمل: ٧٠]. قال الفراء: الضيق بفتح الضاد: ما ضاق عنه صدرك، والضيق: ما يكون في الذي يضيّق ويتسع، مثل الدار والثوب وأشباه ذلك. وقال ابن قتيبة: الضيق: تخفيف ضيق، مثل: هين ولين، وهو، إذا كان على هذا التأويل: صفة، كأنه قال: لا تك في أمر ضيق من مكرهم. قال: ويقال: مكان ضيق وضيق، بمعنى واحد، كما يقال: رطل ورطل، وهذا أعجب إليّ. فأما مكرهم المذكور هاهنا، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فعلهم وعملهم. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ ما نهاهم عنه، وأحسنوا فيما أمرهم به، بالعون والنصر.



(١) أورده السيوطي في «الدرة» ١٣٣/٤ وقال: أخرجه الترمذي وحسنه، وعبد الله في «زوائد المسند»، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل».



## سورة بني إسرائيل

### فصل في نزولها

هي مكية في قول الجماعة، إلا أن بعضهم يقول: فيها مدني، فروى عن ابن عباس أنه قال: هي مكية إلا ثمان آيات: من قوله: ﴿وَلَمَّا كَذَبُوا بَعِيثُكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥]، وهذا قول قتادة. وقال مقاتل: فيها من المدني: ﴿وَقُلْ رَبِّي آتَانِي مَذَخَلٌ صِدْقٌ﴾ [الإسراء: ٨٠] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧] وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَمَّا كَانَ بِالْأَنْبِيَاءِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقوله: ﴿وَلَمَّا كَذَبُوا بَعِيثُكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] وقوله: ﴿وَلَمَّا كَذَبُوا بَعِيثُكَ﴾ [الإسراء: ٧٦] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئِنَّاكَ﴾ والتي تليها [الإسراء: ٧٤، ٧٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَوْا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ①

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن تفسير: «سبحان الله»، فقال: «تنزيه لله عن كل سوء»، وقد ذكرنا هذا المعنى في [البقرة: ٣٢].

قال الزجاج: «وأُسْرَى: بمعنى: سُرَّ عبده، يقال: أسريت وسريت: إذا سرت ليلاً». وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْلًا إِذَا يَسِرُ﴾ ② [الفجر: ٤]. وفي معنى التسييح هاهنا قولان: أحدهما: أن العرب تسبح عند الأمر المعجب، فكان الله تعالى عجب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة. والثاني: أن يكون خرج مخرج الرد عليهم، لأنه لما حدثهم بالإسراء، كذبوه، فيكون المعنى: تنزه الله أن يتخذ رسولاً كذاباً. ولا خلاف أن المراد بعبده هاهنا: محمد ﷺ. وفي قوله: ﴿وَمِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قولان. أحدهما: أنه أُسْرِيَ به من نفس المسجد، قاله الحسن، وقاتدة، ويسنده حديث مالك بن صعصعة، وهو في «الصحاحين» ③ «بيننا أنا في الحطيم» وربما قال بعض الرواة: «في الحجر». والثاني: أنه أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ ④، وهو قول أكثر المفسرين، فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام: الحرم. والحرم كله مسجد، ذكره القاضي أبو يعلى وغيره. فاما «الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» فهو بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لبُعد المسافة بين المسجدين. ومعنى ﴿بَنَوْا حَوْلَهُ﴾: أن الله أجرى حوله الأنهار، وأثبت الثمار. وقيل: لأنه مَقَرُّ الأنبياء، وَهَيَّطَ الملائكة. واختلف العلماء، هل دخل بيت المقدس، أم لا، فروى أبو هريرة أنه دخل بيت المقدس، وصلى فيه بالأنبياء ⑤، ثم أُخْرِجَ به إلى السماء. وقال خديفة بن يمان: لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه، ولا نزل عن البراق حتى أُخْرِجَ به. فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وأنتم تقولون: صعد إلى السماء؟ فالجواب: أن الإسراء كان إلى هنالك، والمعراج كان من هنالك. وقيل: إن الحكمة في ذكر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بَدْء الحديث، لاشتد إنكارهم، فلما أخبر ببيت المقدس، وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبر بمعراجه.

(١) البخاري ١٥٤/٧، ومسلم ١٥٠/١، وخرجه السيوطي في «الدرة» ١٤٠/٤ وزاد نسبت إلى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن مردويه. وقوله: «وربما قال بعض الرواة: في الحجر» قال الحافظ ابن حجر: هو شك من قتادة كما بينه أحمد عن عفان عن همام، ولفظه: «بيننا أنا نائم في الحطيم، وربما قاله قتادة: في الحجر».

(٢) حديث أم هانئ، رواه محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح، والكلبي متروك بمره ساقط، ورواه الطبراني في «الكبير» وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور. قال الهيثمي في «المجمع» ٧٦/١: متروك كذاب.

(٣) حديث أبي هريرة، رواه مسلم ١٥٧/١، وفي «مسند أحمد»، ومسلم ١٤٥/١، من حديث أنس بن مالك قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس» قال: «فربطه بالحلقة التي يربط به الأنبياء» قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين...».

قوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾ يعني: ما رأى، أي: تلك الليلة من العجائب التي أخبر بها الناس. ﴿إِنَّهُمْ هُوَ السَّيِّعُ﴾ لمقالة قريش، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمى بـ«الحدائق» أحاديث المعراج، وكرهنا الإطالة هاهنا.

﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً ۝﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عِنْدَنَا شُكْرًا ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لما ذكر في الآية الأولى إكرام محمد ﷺ، ذكر في هذه كرامة موسى. و﴿الْكِتَابَ﴾: التوراة. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: دللناهم به على الهدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هديناهم لثلاث يتخذوا. وقرأ الباقر بالياء، قال أبو علي: وهو على الانصراف إلى الخطاب بعد النية، مثل: ﴿الْحَسَدُ لِلَّهِ﴾ ثم [قال]: ﴿إِنَّا كَ نَعْبُدُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكِيلاً﴾ قال مجاهد: شريكاً. وقال الزجاج: ربّاً. قال ابن الأنباري: وإنما قيل للرب: وكيل، لكفايته وقيامه بشأن عباده، من أجل أن الوكيل عند الناس قد علم أنه يقوم بشؤون أصحابه، وتفقد أمورهم، فكان الرب وكيلاً من هذه الجهة، لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط أمر الوكيل.

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا﴾ قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري: من قرأ: «أَلَّا تَتَّخِذُوا» بالياء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمراً حذفت اعتماداً على دلالة ما سبق، تلخيصه: يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلاً، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عِنْدَنَا شُكْرًا﴾ لأنه بمعنى: اشكروني كشكركه. ومن قرأ: «لا يتخذوا» بالياء، جع النداء متصلاً بالخطاب، و«الذرية» تنتصب بالنداء، ويجوز نصبها بالاتخاذ على أنها مفعول ثانٍ، تلخيص الكلام: أن لا يتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلاً. قال قتادة: الناس كلهم ذُرِّيَّة من أنجى الله في تلك السفينة.

قال العلماء: ووجه الإنعام على الخلق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عِنْدَنَا شُكْرًا﴾ قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد لله» وإذا شرب قال: «الحمد لله»<sup>(١)</sup>. وقال غيره: كان إذا لبس ثوباً قال: «الحمد لله» فسماه الله عبداً شكوراً.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَٰهَ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوكُنَّ صَٰغِرًا ۝﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهَآ بَشَرْنَا عَلَيْهِمْ حَٰبَاكَ لَأَ أُولَىٰ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّعْهُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ فَطَبَعْنَا عُلُوبَهُمْ وَأَنذَرْتَكُمْ بِأَمْوَالِ اللَّهِ الَّتِي وَصَّيْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَٰهَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أخبرناهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: قضينا عليهم، رواه العوفي عن ابن عباس. وبه قال قتادة، فعلى الأول: تكون «إلى» على أصلها، ويكون الكتاب: التوراة، وعلى الثاني: تكون «إلى» بمعنى «على»، ويكون الكتاب: الذكر الأول.

قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي ومخالفة التوراة.

وفي مَنْ قتلوه من الأنبياء في الفساد الأول قولان: أحدهما: زكريا، قاله السدي عن أشياخه. والثاني: شعيا، قاله ابن إسحاق. فأما المقتول من الأنبياء في الفساد الثاني: فهو يحيى بن زكريا. قال مقاتل: كان بين الفسادَيْن مائتا سنة وعشر سنين. فأما السبب في قتلهم زكريا، فأنهم اتهموه بمرم، وقالوا: منه حملت، فهرب منهم، فانفتحت له شجرة فدخل فيها وبقي من رذائه هذب، فجاءهم الشيطان فدلَّهم عليه، فقطعوا الشجرة بالمنشار وهو فيها. وأما السبب في قتلهم «شعيا»، فهو أنه قام فيهم برسالة من الله ينهاهم عن المعاصي. وقيل: هو الذي هرب منهم فدخل في الشجرة

(١) ابن جرير ١٩/١٥، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٦٢/٤ وزاد نسبه إلى القرطبي، وابن المنذر، وابن أبي جاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان». وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٠٠/٣، ومسلم ٢٠٩٥/٤، والترمذي، والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشرية فيحمد الله عليها.

حتى قطعوه بالمشمار، وأن زكريا مات حنف أنفه. وأما السبب في قتلهم يحيى بن زكريا، ففيه قولان. أحدهما: أن ملكهم أراد نكاح امرأة لا تحل له، فنهاه عنها يحيى. ثم فيها أربعة أقوال. أحدها: أنها ابنة أخيه، قاله ابن عباس. والثاني: ابنته، قاله عبد الله بن الزبير. والثالث: أنها امرأة أخيه، وكان ذلك لا يصلح عندهم، قاله الحسين بن علي عليه السلام. والرابع: ابنة امرأته، قاله السدي عن أشياخه، وذكر أن السبب في ذلك: أن ملك بني إسرائيل هوي بنت امرأته، فسأل يحيى عن نكاحها، فنهاه، فحنقت أمها عى يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، وعمدت إلى ابنتها فزيتها وأرسلتها إلى الملك حين جلس على شرابه، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له، فإن أرادها على نفسها، أبت حتى يؤتى برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت ذلك، فقال: ويحك سليمان غير هذا، فقالت: ما أريد إلا هذا، فأمر، فأني برأسه والرأس يتكلم ويقول: لا تحل لك، لا تحل لك. والقول الثاني: أن امرأة الملك رأت يحيى عليه السلام وكان قد أعطي حسناً وجمالاً، فأزادته على نفسه، فأبى، فقالت لابنتها: سلي أباك رأس يحيى، فأعطاهما ما سألت، قاله الربيع بن أنس. قال العلماء بالسَّير: ما زال دم يحيى يغلي حتى قتل عليه من بني إسرائيل سبعون ألفاً، فسكن، وقيل: لم يسكن حتى جاء قاتله، فقال: أنا قتله، فقتل، فسكن.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اطَاعُوا﴾ أي: لتعظم عن الطاعة ولتبعن.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي: عقوبة أولى المرتين ﴿بَعَثْنَا﴾ أي: أرسلنا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ وفيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم جالوت وجنوده، قاله ابن عباس، وقادة. والثاني: «بختنصر»<sup>(١)</sup>، قاله سعيد بن المسيب، واختاره الفراء، والزجاج. والثالث: العمالقة، وكانوا كفاراً، قاله الحسن. والرابع: سنحاريب<sup>(٢)</sup>، قاله سعيد بن جبير. والخامس: قوم من أهل فارس، قاله مجاهد. وقال ابن زيد: سلط [الله] عليهم سابور ذا الأكتاف<sup>(٣)</sup> من ملوك فارس.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلِ بَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ذوي عدد وقوة في القتال. وفي قوله: ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: مشوا بين منازلهم، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: يتجسسون أخبارهم، ولم يكن قتال. وقال الزجاج: طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه؟ «والجوس»: طلب الشيء باستقصاء. والثاني: قتلهم بين بيوتهم، قاله الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: عاثوا وأفسدوا، يقال: جاسوا وحاسوا، فهم يجوسون ويحوسون إذا فعلوا ذلك، قاله ابن قتيبة.

فأما الخلال: فهي جمع خلل، وهو الانفراج بين الشيئين. وقرأ أبو رزين، والحسن، وابن جبير، وأبو المتوكل: «خلل الديار» بفتح الخاء واللام من غير ألف. «وكانت وعداً مفعولاً» أي: لا بد من كونه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أظفرناكم بهم. والكرّة، معناها: الرجعة والدولة، وذلك حين قتل داود جالوت وعاد ملكهم إليهم. وحكى الفراء أن رجلاً دعا على «بختنصر»؛ فقتله الله، وعاد ملكهم إليهم. وقيل: غزوا ملك بابل فأخذوا ما كان في يده من المال والأسرى.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عدداً وأنصاراً منهم. قال ابن قتيبة: التّفير والنافر واحد، كما يقال: قدير وقادر، وأصله: مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل من عشيرته وأهل بيته.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا دُيُوتَهُمْ وَيَدْخُلُوا السَّجْدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأَ مَا عَلُوا لِتَنْبِيْهِ﴾ عَنِ رَبِّكَ أَنْ يَرْحَمَكَ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَّا وَحَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ أي: وقلنا لكم إن أحسنتم فاطعمتم الله ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: عاقبة الطاعة لكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد والمعاصي ﴿فَلَهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه بمعنى: فإليها. والثاني: فعليةا. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ

(١) هو ملك الكلدانيين، أغار بحملاته على مصر وفتح القدس، وأحرقها وأجلى بني إسرائيل إلى بابل.

(٢) هو ملك آشور بن سنجور وخليفته، حمل على بلاد الكلدانيين واليهودية وأرمينية.

(٣) لقب بذلك، لأنه أمر بك أكتاف أسرى الحرب، حارب العرب أحلاف الروم.

**الْآخِرَةِ** جواب: «فإذا» محذوف، تقديره: فإذا جاء وعد عقوبة المرة الآخرة من إفسادكم، بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم، وهذا الفساد الثاني، هو قتلهم يحيى بن زكريا، وقصدهم قتل «عيسى» فرُفع، وسلَّط الله عليهم ملوك فارس والروم فقتلوهم وسبَّوهم، فذلك قوله: **﴿لِيَسْأَوْا وُجُوهَكُمْ﴾**. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: **﴿لِيَسْأَوْا﴾**. بالياء على الجمع والهمز بين الواوين، والإشارة إلى المبعوثين. وقرأ ابن عامر، وحزمة، وأبو بكر عن عاصم: «ليسوء» وجوهكم على التوحيد؛ قال أبو علي: فيه وجهان. أحدهما: ليسوء الله ﷻ. والثاني: ليسوء البعث. وقرأ الكسائي: «لنساء» بالنون، وذلك راجع إلى الله تعالى. وفيمن بعث عليهم في المرة الثانية قولان: أحدهما: بختنصر، قاله مجاهد، وقتادة. وكثير من الرواة يأبى هذا القول، ويقولون: كان بين تخريب «بختنصر» بيت المقدس، وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل. والثاني: أنطاخوس الرومي، قاله مقاتل. ومعنى **﴿لِيَسْأَوْا وُجُوهَكُمْ﴾** أي: ليدخلوا عليكم الحزن بما يفعلون من قتلكم وسبِّكم، وخصت المساءة بالوجوه، والمراد: أصحاب الوجوه، لما يبدو عليها من أثر الحزن والكآبة.

قوله تعالى: **﴿وَلْيَدْخُلُوا آلَ السَّجْدِ﴾** يعني: بيت المقدس **﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾** في المرة الأولى **﴿وَلْيَسْأَوْا﴾** أي: ليدمروا ويخربوا. قال الزجاج: يقال لكل شيء ينكسر من الزجاج والحديد والذهب: تير. ومعنى **﴿هَآ عُلُوًّا﴾** أي: ليدمروا في حال علوهم عليكم.

قوله تعالى: **﴿عَسَىٰ يُذَكِّرُ أَنْ يَرْجِعَ﴾** هذا مما وُعدوا به في التوراة. و«عسى» من الله واجبة، فرحمهم [الله] بعد انتقامه منهم، وعمر بلادهم، وأعاد نعمهم بعد سبعين سنة. **﴿وَرَأَىٰ عُدَّتُهُمْ﴾** إلى معصيتنا **﴿عَدَا﴾** إلى عقوبتهم. قال المفسرون: ثم إنهم عادوا إلى المعصية، فبعث الله عليهم ملوكاً من ملوك فارس والروم. قال قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم محمداً ﷺ، فهم في عذاب إلى يوم القيامة، فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

قوله تعالى: **﴿وَمَلَأْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾** فيه قولان: أحدهما: سجنًا، قاله ابن عباس، والضحاك، وقتادة. وقال مجاهد: يحصرون فيها. وقال أبو عبيدة، وابن قتبية: محبساً، وقال الزجاج: «حصيراً»: حبساً، أخذ من قولك: حصرت الرجل، إذا حبسته، فهو محصور، وهذا حصيره، أي: محبسه، والحصير: المنسوج، سمي حصيراً، لأنه حصرت طاقاته بعضها مع بعض، ويقال للجنب: حصير، لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض. وقال ابن الأنباري: حصيراً: بمعنى: حاصرة، فصرفت من حاصرة إلى حصير، كما صرف «مؤلم» إلى أليم. والثاني: فراشاً ومهاداً، قاله الحسن. قال أبو عبيدة: ويجوز أن تكون جهنم لهم مهاداً بمنزلة الحصير، والحصير: البساط الصغير.

**﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّلَاحَاتِ إِنَّ لَمْ أَجْزَأْ كِبِيرًا﴾** **﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَتَيْنَا لَمْ نَدَعَا أَلِيمًا﴾**

قوله تعالى: **﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْرَبُ﴾** قال ابن الأنباري: «التي» وصف للجمع، والمعنى: يهدي إلى الخصال التي هي أقوم الخصال. قال المفسرون: وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته، **﴿وَيُنِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الصَّلَاحَاتِ أَنْ لَمْ﴾** أي: بأن لهم **﴿أَجْرًا﴾** وهو الجنة، **﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾** أي: ويبشرهم بالعذاب لأعدائهم، وذلك أن المؤمنين كانوا في أدنى من المشركين، فعجل الله لهم البشري في الدنيا بعقاب الكافرين. **﴿وَيُنِيرُ الْإِنْسَانَ بِالنَّارِ دُعَاةً مُبِينَةً وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾**

قوله تعالى: **﴿وَيُنِيرُ الْإِنْسَانَ بِالنَّارِ﴾** وذلك أن الإنسان يدعو في حال الضجر والغضب على نفسه وأهله بما لا يحب أن يستجاب له كما يدعو لنفسه بالخير. **﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾** يعجل بالدعاء بالشر عند الغضب والضجر فعجله بالدعاء بالخير. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس يراد به الناس، قاله الزجاج وغيره. والثاني: آدم، فاكتمى بذكره من ذكر ولده، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه النضر بن الحارث حين قال: **﴿فَأَنبِئْ عَلَيْنَا﴾**





المفسرون: هذا كتابه الذي فيه ما عمل. وكان أبو السَّوَّارِ الْعَدَوِيُّ إذا قرأ هذه الآية قال: نشرتان وطية، أمّا ما حييت يا ابن آدم، فصحيقتك منشورة، فأُتِلَ فيها ما شئت، فإذا مُتُّ، طويت، ثم إذا بُعِثت، نُشِرت.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ وقرأ أبو جعفر: «اقرأ» بتخفيف الهمزة، وفيه إضمار، تقديره، فيقال له: اقرأ كتابك. قال الحسن: يقرؤه أمياً كان أو غير أمي، ولقد عدل عيك من جعلك حسب نفسك. وفي معنى ﴿حَيِّباً﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: محايباً. والثاني: شاهدهاً. والثالث: كافياً، والمعنى: أن الإنسان يفرض إليه حسابه، ليعلم عدل الله بين العباد، ويرى وجوب حجة الله عليه، واستحقاقه العقوبة، ويعلم أنه إن دخل الجنة، فبفضل الله، لا بعمله، وإن دخل النار، فبذنبه. قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿حَيِّباً﴾، والنفس مؤنثة، لأنه يعني بالنفس: الشخص، أو لأنه لا علامة للتأنيث في لفظ النفس، فشُبِّهت بالسماء والأرض، قال تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [الزمل: ١٨]، قال الشاعر:

[فَلَا مُزْنَةً وَدَقَّتْ وَذَقَهَا] ولا أرض أبقل إبقالها<sup>(١)</sup>

﴿مَنْ أَهْتَدَى فَلَنَمَّا يَتَذَرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ مَلَ فَلَنَمَّا يَصِلُ عَلَيْهَا وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرًا أُخْرَى وَمَا كَأَنَّ مَعْزِينَ حَتَّى يَمُتَ رَسُولًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَى فَلَنَمَّا يَتَذَرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: له ثواب اهتدائه، وعليه عقاب ضلاله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً﴾ أي: نفس وازرة ﴿وَزَرًا وَازِرَةً وَزَرًا﴾، قال ابن عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: أتبعوني وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُزِرُّ وَازِرَةً وَزَرًا﴾، قال أبو عبيدة: والمعنى: ولا تأثم أئمة أئمة أخرى. قال الزجاج: يقال: وَزَرَ، فهو وازِر، وَزَرًا، ووزَرًا، ومعناه: أثم إثمًا. وفي تأويل هذه الآية وجهان: أحدهما: أن الأثم لا يؤخذ بذنب غيره. والثاني: أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسان بالإثم، لأن غيره عَمِلَهُ، كما قال الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا مُبَازَةً عَلَيَّ أَثَرَهُ﴾ [الزعر: ٢٢]. ومعنى ﴿حَتَّى يَمُتَ رَسُولًا﴾ أي: حتى يُبَيِّنَ ما به نَعَذَّبُ، وما من أجله نُذَلُّ الجنة.

### فصل

قال القاضي أبو يعلى: في هذا دليل على أن معرفة الله لا تجب عقلاً، وإنما تجب بالشرع، وهو بعثة الرسل، وأنه لو مات الإنسان قبل ذلك، لم يقطع عليه بالنار. قال: وقيل معناه: أنه لا يعذب في ما طريقه السمع إلا بقيام حجة السمع من جهة الرسول، ولهذا قالوا: لو أسلم بعض أهل الحرب في دار الحرب ولم يسمع بالصلاة والزكاة ونحوها، لم يلزمه قضاء شيء منها، لأنها لم تلزمه إلا بعد قيام حجة السمع، والأصل فيه قصة أهل قُبَاء حين استداروا إلى الكعبة ولم يستأنفوا، ولو أسلم في دار الإسلام ولم يعلم بفرض الصلاة، فالواجب عليه القضاء، لأنه قد رأى الناس يصلون في المساجد بأذان وإقامة، وذلك دعاء إليها.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَرْسَلْنَا مُرْثَقِينَ فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَانَ رِيبَكَ بِذُنُوبٍ صَاحِبِهِ خَيْرٌ بِصِبرِكَ

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادته لذلك قولان: أحدهما: ما سبق لهم في قضائه من الشقاء. والثاني: عنادهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم.

قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا مُرْثَقِينَ﴾ قرأ الأكثرون: «أمرنا» مخففة، على وزن «فَعَلْنَا»، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أمرنا مترفين بالطاعة، ففسقوا، هذا مذهب سعيد بن جبير. قال الزجاج: ومثله في الكلام: أمرتك فعصيتي، فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر. والثاني: «كثرتنا» يقال: أمرت الشيء وأمرته، أي: كثرت، ومنه قولهم: مُهَرَّةٌ مأمورة، أي: كثيرة التناج، يقال: أمر بنو فلان يأمرهم أمراً: إذا كثروا، هذا قول أبي عبيدة، وابن

(١) قاله عامر بن جوين؛ شاعر جاهلي، كان خليعاً فائقاً، وشريفاً وفياً، والبيت في «الكتاب» ٢٠٥/١، و«مجاز القرآن» ٦٧/٢، و«الطبري» ١٥٣/١٨، و«القرطبي» ٢٨٩/١٢، و«المعني» ٤٢٦/٢، و«شواهد المعني» ٣١٣، و«الخزانة» ٢١/١. والشاهد فيه حذف التاء من «أبقلت» لأن الأرض بمعنى المكان، فكانت قال: ولا مكان أبقل يقالها، والمزنة: السحابة، والودق: المطر.

قتيبة. والثالث: أن معن «أَمَرْنَا»: أَمَرْنَا، يقال: أمرت الرجل، بمعنى: أمرته، والمعنى: سَلَطْنَا مترفياً بالإمارة، ذكره ابن الأنباري. وروى خازجة عن نافع: «أمرنا» ممدودة، مثل «أَمَتَا»، وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير، وهي قراءة ابن عباس، وأبي الدرداء، وأبي رزين، والحسن، والضحاك، ويعقوب. قال ابن قتيبة: وهي اللغة العالية المشهورة، ومعناه: كَثَرْنَا، أيضاً. وروى ابن مجاهد أن أبا عمرو قرأ: «أَمَرْنَا» مشددة الميم، وهي رواية أبان عن عاصم، وهي قراءة أبي العالية، والنخعي، والجحدري. قال ابن قتيبة: المعنى: جعلناهم أمراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «أَمَرْنَا» بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة. فأما المترفون، فهم المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسعة العيش، والمفسرون يقولون: هم الجبارون والمسئطون والملوك، وإنما خص المترفين بالذكر، لأنهم الرؤساء، ومن عداهم تبع لهم.

قوله تعالى: ﴿فَنَسُوا نَبَا﴾ أي: تمردوا في كفرهم، لأن الفسق في الكفر: الخروج إلى أفحشه. وقد شرحنا معنى «الفسق» في [البقرة: ٢٦، ١٩٧].

قوله تعالى: ﴿نَحْوَ عَلَيَّا الْقَوْلُ﴾ قال مقاتل: وجب عليها العذاب. وقد ذكرنا معنى «التدمير» في [الأعراف: ١٣٧].  
قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنِّي الْقُرُونُ﴾ وهو جمع قرن. وقد ذكرنا اختلاف الناس فيه في [الأنعام: ٦]، وشرحنا معنى «الخبير» و«البصير» في [البقرة]. قال مقاتل: وهذه الآية تخويف لأهل مكة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالَةَ عَمَلًا لَمْ يَفْعَلْ مَا نَشَاءُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] وَنَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [١٩]

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَالَةَ﴾ يعني: من كان يريد بعمله الدنيا، فعبر بالنتع عن الاسم، ﴿عَمَلًا لَمْ يَفْعَلْ مَا نَشَاءُ﴾ من عَرَضَ الدنيا، وقيل: من البسط والتقتير، ﴿لِمَنْ يُرِيدُ﴾ فيه قولان: أحدهما: لمن نريد هلكته، قاله أبو إسحاق الفزاري. والثاني: لمن نريد أن نجعل له شيئاً، وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا، ويبان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قُدِّرَ له، ثم يدخل النار في الآخرة. وقال ابن جرير: هذه الآية لمن لا يوقن بالمعاد. وق ذكرنا معنى «جهنم» في [البقرة: ٢٠٦]، ومعنى: «يصلوها» في سورة [النساء: ١٠]، ومعنى «مذموماً مدحوراً» في [الأعراف: ١٨].

قوله تعالى: ﴿وَنَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ يعني: الجنة ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيًا﴾ أي: عمل لها العمل الذي يصلح لها، وإنما قال: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ لأن الإيمان شرط في صحة الأعمال، ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً. وشكر الله عز وجل لهم: ثوابه إياهم، وثناؤه عليهم.

﴿كُلًّا نُّبَدِّلُ هَؤُلَاءَ بِهَؤُلَاءَ وَمَا كَانَ عَقَابُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [٢٠] أَظْهَرَ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [٢١] لَا يَحْصِيَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخِرَ فَتَقَعْدُ مَذْمُومًا مَدْحُورًا [٢٢]

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّبَدِّلُ هَؤُلَاءَ بِهَؤُلَاءَ﴾ قال الزجاج: «كلاً» منصوب بـ«نبدل»، «هؤلاء» بدل من «كل»، والمعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء ﴿وَمِنَ عَقَابِ رَبِّكَ﴾. قال المفسرون: كلاً نعطي من الدنيا، البر والفاجر، والعطاء هاهنا: الرزق، والمحظور: الممنوع، والمعنى: أن الرزق يعم المؤمن والكافر، والآخرة للمؤمنين خاصة. ﴿أَظْهَرَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وفيما فضلوا فيه قولان: أحدهما: الرزق، منهم مقل، ومنهم أكثر. والثاني: الرزق والعمل، فمنهم موقف لعمل صالح، ومنهم ممنوع من ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْصِيَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخِرَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين. والمخذول: الذي لا ناصر له، والخذلان: ترك العون. قال مقاتل: نزلت حين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة أبياته.

﴿وَمَنْ رَّبُّكَ أَلَا تَعْبُدُنَا إِلَّا إِيَّاهُ وَنُؤْمِنُ بِكَ كَمَا نُؤْمِنُ بِكَ﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِى صَغِيرًا [٢٤] زَكَّرُوا أَهْلَهُ بِمَا فِي نُفُوسِهِمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُمْ كَانَ لِأَكْثَرِهِمْ عَذَابًا [٢٥]

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَّبُّكَ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أمر ربك. ونقل عنه الضحاك أنه قال: إنما

هي «ووصى ربك» فالتصقت إحدى الواوین به «الصاد»<sup>(١)</sup>، وكذلك قرأ أبيّ بن كعب، وأبو المتوكل، وسعيد بن جبیر: «ووصى»، وهذا على خلاف ما انعقد عليه الإجماع، فلا يلتفت إليه. وقرأ أبو عمران، وعاصم الجحدري، ومعاذ القارئ: «وقضاء ربك» بقاف وضاد بالمد والهمز والرفع وخفض اسم الرب. قال ابن الأنباري: هذا القضاء ليس من بابي الحتم والوجوب، لكنه من باب الأمر والفرض، وأصل القضاء في اللغة: قطع الشيء بإحكام وإتقانه، قال الشاعر يرثي عمر:

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

بوائق في أكمامها لم تفتق<sup>(٢)</sup>

أراد: قطعها محكماً لها.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: وأمر بالوالدين إحساناً، وهو البر والإكرام، وقد ذكرنا هذا في [البقرة: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَلْنَاهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يلغن» على التوحيد. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يلغان» على التنية. قال الفراء: جعلت «يلغن» فعلاً لأحدهما وكُتبت عليهما «كلاهما». ومن قرأ «يلغان» فإنه ثنى، لأن الوالدين قد ذُكرا قبل هذا، فصار الفعل على عددهما، ثم قال: «أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» على الاستئناف، كقوله: ﴿فَتَمَوَّا وَمَسَّوْا﴾ [المائدة: ٧١] ثم استأنف فقال: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَنَّا أَمْرٌ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أف» بالكسر من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب، والمفضل: «أف» بالفتح من غير تنوين، وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: «أف» بالكسر والتنوين. وقرأ أبو الجوزاء، وابن يعمر: «أف» بالرفع والتنوين وتشديد الفاء. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم، الجحدري، وحמיד بن قيس: «أفأ» مثل «تعمسا». وقرأ أبو عمران الجوني، وأبو السماك العدوي: «أف» بالرفع من غير تنوين مع تشديد الفاء، وهي رواية الأصمعي عن أبي عمرو. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «أف» بإسكان الفاء وتخفيفها، قال الأخفش: وهذا لأن بعض العرب يقول: أف لك، على الحكاية والرفع قبيح، لأنه لم يجر بعده لام. وقرأ أبو العالية، وأبو حصين الأسدي: «أفي» بتشديد الفاء وبياء. وروى ابن الأنباري أن بعضهم قرأها: «إف» بكسر الهمزة<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: فيها سبع لغات، الكسر بلا تنوين، ويتنوين، والضم بلا تنوين، ويتنوين، والفتح بلا تنوين، ويتنوين، واللغة السابعة لا تجوز في القراءة: «أفي» بالياء، هكذا قال الزجاج. وقال ابن الأنباري: في «أف» عشرة أوجه. «أف» لك، بفتح الفاء، و«أف» بكسرها، و«أفأ» لك بالنصب والتنوين على مذهب الدعاء كما تقول: «وَيْلًا» للكافرين، و«أف» لك، بالرفع والتنوين، وهو رفع باللام، كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١١]، و«أفو» لك، بالخفض والتنوين، تشبيهاً بالأصوات، كقولك: «صو» و«مو»، و«أفها» لك، على مذهب الدعاء أيضاً، و«أفي» لك، على الإضافة إلى النفس، و«أف» لك، بسكون الفاء، تشبيهاً بالأدوات، مثل: «كم» و«هل» و«بل»، و«إف» لك، بكسر الالف. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللخوي، قال: وتقول: «أف» منه، و«أفأ»، و«أف»، و«أف»، و«أفأ»، و«أف»، و«أفي» مضاف، و«أفها»، و«أفأ» بالالف، ولا تقل: «أفي» بالياء فإنه خطأ.

فأما معنى «أف» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه وسخ الظفر، قاله الخليل. والثاني: وسخ الأذن، قاله الأصمعي.

(١) الخبر رواه ابن جرير ٦٣/١٥ عن الضحاك، وفي سنده أبو إسحاق الكوفي، وهو عبد الله بن مسيرة الحارثي، ضعفه ابن معين: وأحمد بن حنبل، والنسائي، والدارقطني، وقال ابن أبي حاتم: ليس بشيء، وقال ابن حبان: لا يصلح الاحتجاج بخبره، وشمس الراوي عن أبي إسحاق هذا - وإن كان ثقة - موصوف بالتلبس وقد عمن في هذا الخبر.

(٢) البيت من قصيدة تروى للشماخ كما في «حماسة أبي تمام» ١٠٩٠/٣ بشرح التبريزي، و«زهر الآداب» ٩٨٦، وتروى أيضاً لمزود بن ضرار كما في «البيان والبيان» ٣٦٤/٣، وتروى لجزء بن ضرار. قال التبريزي: وقال أبو ريش: الذي عندي أنه لمزود أخيه، وفي «الأغاني» ١٥٩/٩: أن هذا الشعر للجن قاله قبل أن يقتل عمر بثلاث، فكان ذلك نعيلاً له قبل أن يقتل. والبواقي: جمع باقة وهي الداهية والبلية، وفي «الحماسة»: بوائج، وهي رواية «اللسان»: بوج. والبواقي: البواقي.

(٣) في «القرطبي» ٢٤٣/١٥: «إف» لك، بكسر الهمزة.



والثالث: قلامة الظفر، قاله ثعلب. والرابع: أن «الأف» الاحتقار والاستصغار، من «الأف» والأفب عند العرب: القلّة، ذكره ابن الأنباري. والخامس: أن «الأف» ما رفعته من الأرض من عود أو قصبه، حكاه ابن فارس اللغوي. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: معنى «الأف»: الثن، والتضجر، وأصلها: نفخك الشيء يسقط عليك من تراب ورماد، وللمكان تريد إمالة الأذى عنه، فقلت لكل مستقل. قال المصنف: وأما قولهم: «أف»، فقد جعلها قوم بمعنى «أف»، فروي عن أبي عبيد أنه قال: أصل «الأف» و«الثف»: الوسخ على الأصابع إذا فتلته. وحكى ابن الأنباري فرقا، فقال: قال اللغويون: أصل «الأف» في اللغة: وسخ الأذن. و«الثف»: وسخ الأظفار، فاستعملتها العرب فيما يكره ويستقذر ويضجر منه. وحكى الزجاج فرقا آخر، فقال: قد قيل: إن «أف»: وسخ الأظفار، و«الثف»: الشيء الحقيق، نحو وسخ الأذن، أو الشظية تؤخذ من الأرض، ومعنى «أف»: الثن، ومعنى الآية: لا تقل لهما كلاماً تتبرّم فيه بهما إذا كبراً وأستا، فينبغي أن تتولى من خدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخدمتك، «وَلَا تَنْهَرُهُمَا» أي: لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يدك عليهما، يقال: نهّرتُه أنهرته نهراً، وانتهرته انتهاراً، بمعنى واحد. وقال ابن فارس: نهّرت الرجل وانتهرته، مثل: زجرته. قال المفسرون: وإنما نهى عن أذاهما في الكبر، وإن كان منياً عنه على كل حالة، لأن حالة الكبر يظهر فيها منهما ما يضجر ويؤذي، وتكثر خدمتهما.

قوله تعالى: «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» أي: ليئناً لطيفاً أحسن ما تجد. وقال سعيد بن المسيّب: قول العبد المذنب للسيد اللفظ.

قوله تعالى: «وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ» أي: ألنّ لهما جانبك متذللاً لهما من رحمتك إياهما. وخفض الجناح قد شرحناه في [الحجر: ٨٨]. قال عطاء: جناحك: يداك، فلا ترفعهما على والديك. والجمهور يضمنون الذال من «الذّل». وقرأ أبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبیر، وقتادة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبلة: بكسر الذال. قال الفراء: الذّل: أن تتذلّل لهما، من الذل، والذل: أن تتذلّل ولست بذليل في الخدمة، والذلّ والذلة: مصدر الذليل، والذلّ، بالكسر: مصدر الذلول، مثل الدابة والأرض. قال ابن الأنباري: من قرأ «الذّل»، بكسر الذال، جعله بمعنى الذلّ، بضم الذال، والذي عليه كبراء أهل اللغة أن الذلّ من الرجل: الذليل، والذلّ من الدابة: الللول.

قوله تعالى: «وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتُ صَبِيْرًا» أي: مثل رحمتها إياي في صغري حتى رباني. وقد ذهب قوم إلى أن هذا الدعاء المطلق نسخ منه الدعاء لأهل الشرك بقوله: «مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالْزَّيْنِ أَسْتَوُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ» [التوبة: ١١٣]، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، ومقاتل. قال المصنف: ولا أرى هذا نسخاً عند الفقهاء، لأنه عام دخله التخصيص، وقد ذكر قريباً مما قلته ابن جرير.

قوله تعالى: «وَرَبُّكَ أَكْبَرُ بِمَا فِي سُوءِكَ» أي: بما تضمرون من البرّ والعقوق، فمن بدت منه بادرة وهو لا يضجر المعقوق، غفر له ذلك، وهو قوله: «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ» أي: طائعين لله، [وقيل]: بارّين، وقيل: توابين، «فَلَنْ يَكُنَّ لَكُمْ عَذَابٌ غَلِيْظٌ»، في الآواب عشرة أقوال: أحدها: أنه المسلم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه التواب، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبیر، والضحاك، وأبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: هو التائب مرة بعد مرة. وقال الزجاج: هو التواب المقلع عن جميع ما نهاه الله عنه، يقال: قد أب يؤوب أوباً، إذا رجع. والثالث: أنه المسيّح، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس. والرابع: أنه المطيع لله تعالى، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والخامس: أنه الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر الله منه، قاله عبيد بن عمير. والسادس: أنه المثبّل إلى الله تعالى بقلبه وعمله، قاله الحسن. والسابع: المصلّي، قاله قتادة. والثامن: هو الذي يصلّي بين المغرب والعشاء، قاله ابن المنكبر. والتاسع: الذي يصلّي صلاة الضحى، قاله عون العُقيلي. والعاشر: أنه الذي يذنب سراً ويتوب سراً، قاله السدي.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ عَنْهُمْ إِلَّا ذِكْرُ النَّارِ﴾ وَلَا يَذَّرُ ذِكْرًا ﴿إِنَّ الْمَذْيُونَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿وَمَا تَرْضَى عَنْهُمْ آيَةٌ مِنْ رَبِّكَ نَجْمًا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَسْرُورًا﴾ ﴿٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَذَكَّرُ أَفَرَىٰ حَقًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قرابة الرجل من قبل أبيه وأمه، قاله ابن عباس، والحسن، فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال. أحدها: أن المراد به: يرثهم وصلتهم. والثاني: النفقة الواجبة لهم وقت الحاجة. والثالث: الوصية لهم عند الوفاة. والثاني: أنهم قرابة الرسول، قاله علي بن الحسين عليه السلام، والسدي. فعلى هذا، يكون حقهم: إعطاؤهم من الخمس، ويكون الخطاب للوالة.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَسِيرِينَ وَالَّذِينَ فِي الْأَسْبَابِ﴾ قال القاضي أبو يعلى: يجوز أن يكون المراد: الصدقات الواجبة، يعني: الزكاة، ويجوز أن يكون الحق الذي يلزمه إعطاؤه عند الضرورة إليه. وقيل: حق المسكين، من الصدقة، وابن السبيل، من الضيافة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْذُرُوا فِي التَّبْذِيرِ﴾ في التبذير قولان: أحدهما: أنه إنفاق المال في غير حق، قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>، وابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كله في حق، ما كان مبذراً، ولو أنفق مُدّاً في غير حق، كان مبذراً. قال الزجاج: التبذير: النفقة في غير طاعة الله، وكانت الجاهلية تنحر الإبل وتبذر الأموال تطلب بذلك الفخر والشُّمعة، فأمر الله ﷻ بالنفقة في وجهها فيما يقرب منه. والثاني: أنه الإسراف المتلّف للمال، ذكره الماوردي. وقال أبو عبيدة: المبذر: هو المُسرف المُفسد العاث.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَلَكَيْنِ كَانُوا مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ أي: جاحداً لنعمه. وهذا يتضمن أن المسرف كفور للنعم.

قوله تعالى: ﴿زَيْنًا تَرْضَىٰ عَنْهُمْ﴾ في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين تقدّم ذكرهم من الأقارب والمساكين وأبناء السبيل، قاله الأكثرون، فعلى هذا في علّة هذا الإعراض قولان: أحدهما: الإعصار، قاله الجمهور. والثاني: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، قاله ابن زيد. وعلى هذا في الرحمة قولان. أحدهما: الرزق، قاله الأكثرون. والثاني: أنه الصلاح والتوبة، هذا على قول ابن زيد. والثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وإما تعرضن عنهم لتكذيبهم، قاله سعيد بن جبير. فتحتمل إذا الرحمة وجهين: أحدهما: انتظار النصر عليهم. والثاني: الهداية لهم. والثالث: أنهم ناس من مُزينة جاؤوا يستحملون رسول الله ﷺ، فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، فبكروا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء الخراساني. والرابع: أنها نزلت في خيَّاب، وبلال، وعُمّار، ومهجع، ونحوهم من الفقراء، كانوا يسألون رسول الله ﷺ فلا يجد ما يعطيهم، فيعرض عنهم ويسكت، قاله مقاتل. فعلى هذا القول والذي قبله تكون الرحمة بمعنى الرزق.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا نِّيَسُورًا﴾ قال أبو عبيدة: ليناً هيناً، وهو من اليسر. وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العذبة الحسنة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد. والثاني: أنه القول الجميل، مثل أن يقول: رزقنا الله وإياك، قاله ابن زيد؛ وهذا على ما تقدّم من قوله. والثالث: أنه المداراة لهم باللسان، على قول من قال: هم المشركون، قاله أبو سليمان الدمشقي؛ وعلى هذا القول، تحتمل الآية النسخ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿٣١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَتَّىٰ إِذَا قُتِلُوا عَنْ تَرُدُّهُمْ وَإِذَا قُتِلُوا كَانَ خَطَاكُمْ كَبِيرًا ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ سبب نزولها: أن غلاماً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال، إن أمي تسألك كذا وكذا، قال: ﴿ما عندنا اليوم شيء﴾، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه، وجلس في البيت حاسراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. وروى جابر بن عبد الله نحو هذا، فزاد فيه: فأذن بلال للصلاة،

(١) «الأدب المفرد» للبخاري ٥٣٣/١، وابن جرير ٧٣/١٥، والحاكم ٣٦١/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وخرجه السيوطي في «الدر» ١٧٧/٤ وزاد نسبته إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) «الأدب المفرد» ٥٣٤/١، وابن جرير: ٧٣/١٥.

(٣) نسبة السيوطي في «الدر» ١٧٨/٤ لابن جرير، ولم نقف عليه.

وانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب الصحابة، فدخل عليه بعضهم، فأروه غريانا، فنزلت هذه الآية، والمعنى: لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك، ﴿وَلَا تَسْطِطْ كُلَّ الْبَسْطِ﴾ في الإعطاء والنفقة ﴿فَتَقْعَدَ مَوَلُوكَ﴾ تلوم نفسك ويلومك الناس، ﴿تَحْشُرُوا﴾ قال ابن قتيبة: تَحْشُرُكَ العِطَةُ وتقطعك كما يَحْشِرُ السفر البعير فيبقى منقطعاً به. قال الزجاج: المحسور: الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء، فالمعنى: فتقعد وقد بلغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صيرت بمنزلة من قد حَسِر. قال القاضي أبو يعلى: وهذا الخطاب أريد به غيرُ رسول الله ﷺ، لأنه لم يكن يدخِر شيئاً لغد، وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه، وقد كان كثير من فضلاء الصحابة يتفقون جميع ما يملكون، فلم ينهم الله، لصحة يقينهم، وإنما نهى من خيف عليه التحسر على ما خرج من يده، فأما من وثق بوعد الله تعالى، فهو غير مراد بالآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُ الْزَرْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيّق، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِمَا دُونَ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ حيث أجرى أرزاقهم على ما علم فيه صلاحهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنُوا﴾ قد فسرناه في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿كَانَ خَطَا كَبِيرًا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «خَطَاء» مكسورة الخاء ساكنة الطاء مهموزة مقصورة. وقرأ ابن كثير، وعطاء: «خِطَاء» مكسورة الخاء ممدودة مهموزة. وقرأ ابن عامر: «خَطَا» بنصب الخاء والطاء وبالهزة من غير مدّ. وقرأ أبو رزين كذلك، إلا أنه مدّ، وقرأ الحسن، وقتادة: «خَطَاء» بفتح الخاء وسكون الطاء مهموز مقصور. وقرأ الزهري، وحמיד بن قيس: «خِطَا» بكسر الخاء وتنوين الطاء من غير همز ولا مدّ. قال الفراء: الخطء: الإثم، وقد يكون في معنى «خَطَا» كما قالوا: «قَتَبٌ» و«قَتَبٌ» و«حَذَرٌ» و«حَذَرٌ» و«نَجَسٌ» و«نَجَسٌ»، والخطء، والخِطَاء، والخِطَاء، ممدود: لغات. وقال أبو عبيدة: خَطِطْتُ وَأَخْطَأْتُ، لغتان. وقال أبو علي: قراءة ابن كثير «خِطَاء»، يجوز أن تكون مصدر «خاطأ» وإن لم يسمع «خاطأ» ولكن قد جاء ما يدل عليه، أنشد أبو عبيدة:

الْخِطَاءُ وَالْخِطَاءُ وَالْخِطَاءُ

وقال الأخفش: خَطِطَ يَخْطِطُ بمعنى «أَذْنَبَ» وليس بمعنى «أَخْطَأَ»، لأن «أَخْطَأَ»: فيما لم يصنعه عمداً، تقول فيما أتيت عمداً: «خَطِطْتُ»، وفيما لم تعمده: «أَخْطَأْتُ». وقال ابن الأنباري: «الخِطَاء»: الإثم، يقال: قد خَطِطَ يَخْطِطُ: إذا أثم، وأَخْطَأَ يَخْطِطُ: إذا فارق الصواب. وقد شرحنا هذا في [يوسف: ٩١] عند قوله: ﴿وَأَن كُنَّا لَخِطِيئينَ﴾  
﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ﴾ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْشُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، والحسن: بالمد. قال أبو عبيدة: وقد يمد «الزنا» في كلام أهل نجد، قال الفرزدق:

أَبَا حَاضِرٍ مِّنْ يَزِينُ يُغَرِّفُ زِنَاؤَهُ  
وَمَنْ يَشْرِبِ الْخُرْطُومَ يُضَيِّحُ مُسْغَرًا<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً:

أَخْضِبْتَ فَعَلَّكَ لِلزَّوْنِاءِ وَلَمْ تُكُنْ  
يَوْمَ اللَّقَاءِ لَتَخْضِبِ الْأَبْطَالَا<sup>(٢)</sup>

وقال آخر:

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا نَقُولُ كَمَا  
كَانَ الزَّوْنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ<sup>(٣)</sup>

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٧، و«الجمهرة» ٣/ ٢٢٥، و«اللسان» و«التاج»: زني.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٧.

(٣) البيت للناطقة الجعدي: «ديوانه» ٢٣٥ طبع المكتب الإسلامي، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٧٨، و«أمالى المرتضى» ١/ ٢١٦، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» ١٦٥، و«اللسان»: زني. وقوله: «كان الزنا فريضة الرجم» مقلوب، والأصل: كان الرجم فريضة الزنا.



قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قد ذكرناه في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الدال مع الجيم، والإظهار جيد بالغ، إلا أن الجيم من وسط اللسان، والدال من طرف اللسان، والإدغام جائز، لأن حروف وسط اللسان تقرب من حروف طرف اللسان. ووليّه: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي، فالسلطان وليّه. وللمفسرين في السلطان قولان: أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الولي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ ينصره ويُنصِفُه في حقّه، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «فلا يسرف» بالياء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالياء. وفي المشار إليه في الآية قولان: أحدهما: أنه وليّ المقتول. وفي المراد بإسرافه خمسة أقوال: أحدها: أن يقتل غير القاتل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أن يقتل اثنين بواحد، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن يقتل أشرف من الذي قُتل، قاله ابن زيد. والرابع: أن يمثل، قاله قتادة. والخامس: أن يتولى هو قتل القاتل دون السلطان، ذكره الزجاج. والثاني: أن الإشارة إلى القاتل الأول، والمعنى: فلا يسرف القاتل بالقتل تعدياً وظلماً، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُنْشَرَكِينَ﴾ أي: مُعَانًا عليه. وفي هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الولي، فالمعنى: إنه كان منصوراً بتمكينه من القود، قاله قتادة، والجمهور. والثاني: أنها ترجع إلى المقتول، فالمعنى: إنه كان منصوراً بقتل قاتله، قاله مجاهد. والثالث: أنها ترجع إلى الدم، فالمعنى: إن دم المقتول كان منصوراً، أي: مطلوباً به. والرابع: أنها ترجع إلى القتل، ذكر القولين الفراء.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْشَرَكِينَ﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وهو عام فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس. قال الزجاج: كل ما أمر الله به وإنهى عنه فهو من العهد.

قوله تعالى: ﴿كَانَ مَسْئُولًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: مسؤولاً عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أي: أتموه ولا تبخسوا منه.

قوله تعالى: ﴿وَرُؤُوسَ الْفُقَرَاءِ﴾ فيه خمس لغات: أحدها: «قُسطاس»، بضم القاف وسينين، وهذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم هاهنا وفي [الشعراء: ١٨٢]. والثانية: كذلك، إلا أن القاف مكسورة، وهذه قراءة حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم. قال الفراء: هما لغتان. والثالثة: «قسطاص»، بصادين. والرابعة: «قسطاس»، بصاد قبل الطاء وسين بعدها، وهاتان مرويتان عن حمزة. والخامسة: «قُسطان»، بالنون. قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: القسطاس: الميزان، روميّ معرّب، ويقال: «قُسطاس» و«قُسطاس».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَرِّمٌ﴾ أي: ذلك الوفاء خير عند الله وأقرب إليه، «وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أي: عاقبة في الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ قال الفراء: أصل «تَقَفْتُ» من القيافة، وهي: تتبّع الأثر، وفيه لغتان: قَفًا يَقْفُو، وقاف يقوف، وأكثر القراء يجعلونها من «قفوت»، فيحرك الفاء إلى الواو ويجزم القاف كما تقول: لا تَدْعُ. وقرأ معاذ القارئ: «لا تَقْفُ»، مثل: تَقُلْ، والعرب تقول: قَفْتُ أثره، وقَفُوت، ومثله: عاث وعثا، وقَاعُ الجملُ الناقة، وقعاها: إذا ركبها. قال الزجاج: من قرأ بإسكان الفاء وضم القاف من: قاف يقوف، فكانه مقلوب من قفا يقفو، والمعنى واحد، تقول: قفوت الشيء أقفوه قفوا: إذا تبعت أثره. وقال ابن قتيبة: «لا تقف»، أي: لا تتبّعه الظنون والحَدَسُ، وهو من القفاء مأخوذ، كأنك تقفّر الأمور، أي: تكون في أقفاها وأواخرها تتبّعها، والقائف: الذي







قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحجاب: هو الأكنة على قلوبهم، قاله قتادة. والثاني: أنه حجاب يستره فلا ترونه؛ وقيل: إنها نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن؛ قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل امرأة أبي لهب، فحجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يأتونه ويمرّون به، ولا يرونه. والثالث: أنه منْعُ الله ﷻ إياهم عن آذاه، حكاه الزجاج. وفي معنى ﴿مَسْتُورًا﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى ساتر؛ قال الزجاج: وهذا قول أهل اللغة. قال الأخفش: وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول، كما تقول: إنك مشووم علينا، وميمون علينا، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من «شَأَمَهُمْ» و«يَمَنَّهُمْ». والثاني: أن المعنى: حجاباً مستوراً عنكم لا ترونه، ذكره الماوردي. وقال ابن الأنباري: إذا قيل: الحجاب: هو الطبع على قلوبهم، فهو مستور عن الأبصار، فيكون «مستوراً» باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ قد شرحناه في [الأنعام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ دَكَّرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ حَتْمًا﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿وَلَئِنْ عَلَّ أَذْيَرَهُ﴾ قال أبو عبيدة: أي: على أعقابهم، ﴿نُفُورًا﴾ وهو: جمع نافر، بمنزلة قاعد وقُعود، وجالس وجُلوس. وقال الزجاج: تحتل مذهبين: أحدهما: المصدر، فيكون المعنى: ولأولاً نافرين نفوراً. والثاني: أن يكون «نفوراً» جمع نافر. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم المشركون، وهذا مذهب ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَتَحْنُ أَكَلُوا بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ قال المفسرون: أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن يتخذ طعاماً ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك، ودخل عليهم رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التوحيد، وكانوا يستمعون ويقولون فيما بينهم: هو ساحر، هو مسحور، فنزلت هذه الآية: ﴿فَتَحْنُ أَكَلُوا بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾، أي: يستمعونه، والباء زائدة. ﴿إِنَّهُمْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَلَئِنْ هُمْ يَخْرُجُوا﴾ قال أبو عبيدة: هي مصدر من «تَجَيَّثُ» واسم منها، فوصف القوم بها، والعرب تفعل ذلك، كقولهم: إنما هو عذاب، وأنتم غم، فجاءت في موضع «متناجين». وقال الزجاج: والمعنى: وإذا هم ذرو نجوى، وكانوا يستمعون من رسول الله ﷺ، ويقولون بينهم: هو ساحر، وهو مسحور، وما أشبه ذلك من القول.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون ﴿إِنْ تَنْتَحِرْتُمْ﴾ أي: ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي سحر فذهب بعقله، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مخدوعاً مغروراً، قاله مجاهد. والثالث: له سحر، أي: رثة؛ وكلُّ دابة أو طائر أو بشر يأكل فهو: مسحور ومسحر، لأن له سحراً، قال لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلُنَا فِيمَ نَحْنُ فَلِنُنَّا

عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحَرِ<sup>(١)</sup>

وقال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُرْصِدِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ

وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ<sup>(٢)</sup>

أي: نُعَذَى، لأن أهل السماء لا يأكلون، فأراد أن يكون ملكاً. فعلى هذا يكون المعنى: إن تتبعون إلا رجلاً له سحر، خلقه الله كخلقكم، وليس بملك، وهذا قول أبي عبيدة.

قال ابن قتيبة: والقول قول مجاهد، [أي: مخدوعاً، لأن السحر حيلة وخديعة، ومعنى قول لبيد «المسحر»: المعلل، وقول امرئ القيس: «وَنُسْحَرُ» أي: نُعَلَّلُ، وكأننا نُخَدَعُ، والناس يقولون: سحرنتي بكلامك، أي: خدعتني، ويدل عليه قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾، لأنهم لو أرادوا رجلاً ذا رثة، لم يكن في ذلك مثلاً ضربه، فلما أرادوا مخدوعاً - كأنه بالخديعة سحر - كان مثلاً ضربه، وكأنهم ذهبوا إلى أن قوما يعلمونه ويخدعونهم.

(١) «ديوانه» ٥٦، و«مجاز القرآن» ٣٨١/١، و«البيان والتبيين» ١٨٩/١، و«الحیوان» ٢٢٩/٥، و«الطبري» ٩٦/١٥، و«القرطبي» ٣٧٣/١٠، و«اللسان»: سحر.

(٢) «ديوانه» ٩٧، و«مجاز القرآن» ٣٨٢/١، و«البيان والتبيين» ١٨٩/١، و«الحیوان» ٢٢٩/٥، و«الطبري» ٩٦/١٥، و«أمالی المرتضى» ٥٧٧/١، و«اللسان»: سحر. وفي «الديوان»: «أَرَانَا مَوْضِعِينَ...» والإيضاح: ضرب من السير السريع.

قال المفسرون: ومعنى ﴿صَرُّوْا لَكَ الْأَمَّاكَلْ﴾ بَيَّنُّوا لَكَ الْأَشْيَاءَ، حتى شبهوك بالساحر والشاعر والمجنون ﴿فَصَلُّوْا﴾ عن الحق، ﴿فَلَا يَسْتَلِيمُوْنَ سَبِيْلَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يجدون سبيلاً إلى تصحيح ما يعيبونك به. والثاني: لا يستطيعون سبيلاً إلى الهدى، لأننا طبعنا على قلوبهم. والثالث: لا يأتون سبيل الحق، لثقله عليهم؛ ومثله قولهم: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، يعنون: أنا مبغض له، فنظري إليه يثقل، ذكرهن ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا﴾ قرأ ابن كثير: «أينذا» بهمزة ثم يأتي بياء ساكنة من غير مدّ، «أينذا» مثله، وكذلك في كل القرآن. وكذلك روى قالون عن نافع، إلا أن نافعاً كان لا يستفهم في «أينذا»، كان يجعل الثاني خبراً في كل القرآن، وكذلك مذهب الكسائي، غير أنه يهمز الأولى همزتين. وقرأ عاصم، وحزمة بهمزتين في الحرفين جميعاً، وقرأ ابن عامر: «إذا كُنَّا» بغير استفهام بهمزة واحدة «أئنا» بهمزتين يمد بينهما مدة.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التراب، ولا واحد له، فهو بمنزلة اللُّقَاق والحُطَام، قاله الفراء، وهو مذهب مجاهد. والثاني: أنه العظام ما لم تتحطم، والرُّفَات: الحُطَام، قاله أبو عبيدة. وقال الزجاج: الرُّفَات: التراب. والرُّفَات: كل شيء حُطِمَ وكُسِرَ، و«حَلَقًا جَوِيدًا» في معنى مجدداً.

قوله تعالى: ﴿أَوْ حَلَقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الموت، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، والأكثر. والثاني: أنه السماء والأرض والجبال، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] ما يكبر في صدوركم، من كل ما استعظموه من خلق الله تعالى، قاله قتادة. فإن قيل: كيف قيل لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَيِّدًا﴾ وهم لا يقدرون على ذلك؟ فنحن جوابان: أحدهما: إن قدرتم على تغيير حالاتكم، فكونوا حجارة أو أشد منها، فإننا نمتكم، وننفذ أحكامنا فيكم، ومثل هذا قولك للرجل: اصعد إلى السماء فإنني لاحقك. والثاني: تصوّروا أنفسكم حجارة أو أصلب منها، فإننا سنبيدكم، قال الأحوص:

إِذَا كُنْتُ عَزْهَاءَ عَنِ اللَّيْهِي وَالصُّبِّي

فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصُّخْرِ جَلَمًا<sup>(١)</sup>

معناه: فتصوّر نفسك حَجَرًا، وهؤلاء قوم اعترفوا أن الله خالقهم، وجعلوا البعث، فأعلموا أن الذي ابتدأ خلقهم هو الذي يحييهم.

قوله تعالى: ﴿فَنَسْفَعُكُمْ بِإِلَهِكُمْ لُؤْلُؤًا﴾ قال قتادة: يحركونها تكذيباً واستهزاء. قال الفراء: يقال: أنفض رأسه: إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل. وقال ابن قتيبة: المعنى: يحركونها، كما يحرك الآيس من الشيء والمُسْتَبْعَدُ [له] رأسه، يقال: نَفَضْتُ سِنَهُ: إذا تحركت.

قوله تعالى: ﴿وَيُثْرَوْنَ مَقَرَّ مَوْءٍ﴾ يعنون البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب. ثم بين متى يكون فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يعني: من القبور بالنداء الذي يُسمعكم، وهو النفخة الأخيرة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أي: تجيبون. قال مقاتل: يقوم إسماعيل على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور في قرن، فيقول: أيتها العظام البالية، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها الشعور المتفرقة، وأيتها العروق المتقطعة، اخرجوا إلى فصل القضاء لتُجْزَأَ بأعمالكم، فيسمعون الصوت، فيستعجلون إليه. وفي معنى ﴿يَحْكُمُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: بأمره، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد. والثاني: يخرجون من القبور وهم يقولون: سبحانك وبحمدك، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن معنى ﴿يَحْكُمُونَ﴾: بمعرفته، وطاعته، قاله قتادة: قال الزجاج: تستجيبون مُقَرِّين أنه خالقكم. والرابع: تجيبون بحمد الله لا بحمد أنفسكم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْظُرُونَ إِنْ لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في هذا الظن قولان: أحدهما: أنه بمعنى اليقين. والثاني: أنه على أصله. وأين ينظرون أنهم لبثوا قليلاً؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بين النفختين، ومقداره أربعون سنة، ينقطع في ذلك

(١) البيت في «الأغاني» ١٥/١٠٠، و«طبقات ابن سلام» ٥٣٩، و«الشعر والشعراء» ٥٠١، و«زهر الآداب» ١/٣٥٠، و«مصارح المشاق» ٦٢، ورجل عزهارة وعزهاة: وهو الذي لا يقرب النساء ويتقبض عنهن ويعرض، من زهر أو كبر، أو أفة من الضعف والاستكانة لعين أو سطوتهن على الرجال، وصخرة جلعد: شديدة مجمعة صلبة.



العذاب عنهم، فيرون لبثهم في زمان الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: في الدنيا، لعلمهم بطول اللبث في الآخرة، قاله الحسن. والثالث: في القبور، قاله مقاتل. فعلى هذا إنما قصر اللبث في القبور عندهم، لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظم عذاباً من عذاب القبور. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين، لأنهم يجيئون المنادي وهم يحمدون الله على إحسانه إليهم، ويستقلون مدة اللبث في القبور، لأنهم كانوا غير معذبين.

﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة، بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية. قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن رجلاً من الكفار شتم عمر بن الخطاب، فهم به عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل؛ والمعنى: وقل لعبادي المؤمنين يقولوا الكلمة التي هي أحسن. واختلفوا فيمن تقال له هذه الكلمة على قولين: أحدهما: أنهم المشركون، قال الحسن: تقول له: يهديك الله، وما ذكرنا من سبب نزول هذه الآية يؤيد هذا القول. وذهب بعضهم إلى أنهم أمروا بهذه الآية بتحسين خطاب المشركين قبل الأمر بقتالهم، ثم نسخت هذه الآية بآية السيف. والثاني: أنهم المسلمون، قاله ابن جرير. والمعنى: وقل لعبادي يقول بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاوراة والمخاطبة. وقد روى مبارك عن الحسن قال: «التي هي أحسن» أن يقول له مثل قوله، ولكن يقول له: يرحمك الله، ويغفر الله لك. قال الأخفش: وقوله: ﴿يَقُولُوا﴾ مثل قوله: ﴿يُؤَيِّمُوا الصَّلَاةَ﴾، وقد شرحنا ذلك في سورة [إبراهيم: ٣١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يُفسد ما بينهم، والعدو المبین: الظاهر العداوة.

﴿زَكَرَ أَتَمَرَ يَكْرُ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤)

قوله تعالى: ﴿زَكَرَ أَتَمَرَ يَكْرُ﴾ فيمن خطب بهذا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُ﴾ فينجيكم من أهل مكة، ﴿إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكُمْ﴾ فيسلطهم عليكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إن يشأ يرحمكم بالتوبة، أو يعذبكم بالإقامة على الذنوب، قاله الحسن. والثاني: أنهم المشركون. ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: إن يشأ يرحمكم، فيهديكم للإيمان، أو إن يشأ يعذبكم، فيميتكم على الكفر، قاله مقاتل. والثاني: أنه لما نزل القحط بالمشركين فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَكَيْفَ عَمَّا أَفْعَدْنَاكَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٥٥) [الدخان: ١٢] قال الله تعالى: ﴿زَكَرَ أَتَمَرَ يَكْرُ﴾ من الذي يؤمن، ومن [الذي] لا يؤمن، ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُ﴾ فيكشف القحط عنكم ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُكُمْ﴾ فيتركه عليكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي. قال ابن الأنباري: و«أو» هاهنا دخلت لسعة الأمرين عند الله تعالى، وأنه لا يردّ عنهما، فكانت ملحقة ب«أو» المبيحة في قولهم: جالس الحسن، أو ابن سيرين، يعنون: قد وسعنا لك الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: كفيلاً تُؤخذ بهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: حافظاً وريثاً، قاله الفراء. والثالث: كفيلاً بهدایتهم وقادراً على إصلاح قلوبهم، ذكره ابن الأنباري. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذا منسوخ بآية السيف.

﴿وَرَبُّكَ أَتَمَرَ يَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾ (٥٥)

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَتَمَرَ يَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لأنه خالقهم، فهدى من شاء، وأضل من شاء، وكذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليماً، وجعل عيسى روحاً، وأعطى سليمان ملكاً جسيماً، ورفع محمداً ﷺ فوق السموات، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ويجوز أن يكون المفضلون أصحاب الكتب، لأنه ختم الكلام بقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا﴾.

وقد شرحنا معنى «الزبور» في سورة [النساء: ١٦٣].

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَضَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُوكُمْ كَتَفَ النَّفَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ

الرَّسِيلَةَ أَهْمُ أَقْرَبُ وَرَبُّهُمْ رَحِيمٌ وَتَحَاوَرُوا عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا إِلَيْنَ رَعَيْنَهُ فَمَنْ دُونَهُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن نفرأ من العرب كانوا يعبدون نفرأ من الجن، فأسلم الجن والنفر من العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، روي عن ابن مسعود. والثاني: أن المشركين كانوا يعبدون الملائكة، ويقولون: هي تشفع لنا عند الله، فلما ابتلوا بالقحط سبع سنين، قيل لهم: «ادعوا الذين زعمتم»، قاله مقاتل، والمعنى: قل ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلى غيركم.

قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُوا الْآلِينَ يَدْعُونَ﴾ في المشار إليهم به «أولئك» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الجن الذين أسلموا<sup>(١)</sup>. والثاني: الملائكة. وقد سبق بيان القولين. والثالث: أنهم المسيح، وعزير، والملائكة، والشمس، والقمر، قاله ابن عباس. وفي معنى «يدعون» قولان: أحدهما: يعبدون، أي: يدعونهم آلهة، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أنه بمعنى يتضرعون إلى الله في طلب الوسيلة. وعلى هذا يكون قوله: «يدعون» راجعاً إلى «أولئك»، ويكون قوله: «يبتغون» تاماً للكلام. وعلى القول الأول: يكون «يدعون» راجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: «يبتغون» وصفاً لـ «أولئك» مستأنفاً. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن: «تدعون» بالثاء. قال ابن الأنباري: فعلى هذا، الفعل مردود إلى قوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾. ومن قرأ «يدعون» بالياء، قال العرب: تنصرف من الخطاب إلى الغيبة إذا أمن اللبس. ومعنى «يدعون»: يدعونهم آلهة. وقد فسرنا معنى «الوسيلة» في [المائدة: ٣٥]. وفي قوله: ﴿أَتَدْعُوا الْآلِينَ يَدْعُونَ﴾ ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن يكون «أيهم» مرفوعاً بالابتداء، وخبره «أقرب»، ويكون المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون إلى الله به. والثاني: أن يكون «أيهم أقرب» بدلاً من الواو في «يبتغون»، فيكون المعنى: يبتغي أيهم هو أقرب الوسيلة إلى الله، أي: يتقرب إليه بالعمل الصالح.

﴿وَلَنْ يَنْ قَرَّبَهُ إِلَّا مَنْ مَلَكَهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِسْمَةِ أَوْ مَعَهُمَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْ قَرَّبَهُ إِلَّا مَنْ مَلَكَهَا﴾ «إن» بمعنى «ما»، والقرية الصالحة هلاكها بالموت، والعاصية بالعذاب، والكتاب: اللوح المحفوظ، والمسطور: المكتوب.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآيَاتِنَا تُمُودُ النَّفَاةِ مُبِيرَةٌ فَلَقَلُّوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ سبب نزولها فيه قولان: أحدهما: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا<sup>(٢)</sup>، فقبل له: إن شئت أن تستاني بهم لعلنا نجتبي منهم، وإن شئت نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من كان قبلهم، قال: «لا، بل أستاني بهم»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: قد ذكرناه عن الزبير في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرمع: ٢١]، ومعنى الآية: وما مَنَعَنَا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين، يعني: أن هؤلاء سألوا الآيات التي استوجب بتكذيبها الأولون العذاب، فلم يرسلها لئلا يكذب بها هؤلاء، فيهلكوا<sup>(٤)</sup> كما هلك أولئك، وسنة الله في الأمم أنهم إذا سألوا الآيات ثم كذبوا بها عذبهم.

قوله تعالى: ﴿وَآيَاتِنَا تُمُودُ النَّفَاةِ مُبِيرَةٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بينة، يريد: مُبَصَّراً بها. قال ابن الأنباري: ويجوز أن

(١) روى البخاري ٣٠١/٨، ومسلم ٢٣٢٦/٤ من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله: ﴿أَتَدْعُوا الْآلِينَ يَدْعُونَ﴾ إلّا يُهْمُ الرَّبِّهِ الْجَوْبَةُ: قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء يدينهم. قال الحافظ ابن حجر: أي: استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وروى الطبري من وجه آخر عن ابن مسعود، فزاد فيه: والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية. اهـ.

(٢) في الأصل: فيزرعون.

(٣) «مسند أحمد» ٩٦/٤ وإسناده صحيح، وفيه: «وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا» بدل «فيزرعوا». وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٧/٣، و«التاريخ» ٣/ ٥٢ وقال: وهكذا رواه السائي عن جرير.

(٤) في الأصل: فيهلكون.

تكون مبصرة، ويصلح أن يكون المعنى: مُبصر مشاهدوها، فنسب إليها فعل غيرها تجوؤاً، كما يقال: لا أرىك هاهنا، فأدخل حرف النهي على غير المنهي عنه، إذ المعنى: لا تحضر هاهنا، حتى إذا جئت لم أرك فيه. ومن قرأ: «مبصرة» بفتح الميم والصاد، فمعناه: المبالغة في وصف الناقة بالتيان، كقولهم: «الولد منجبة».

قوله تعالى: ﴿فَقُلُّوا إِنَّا لَأَنفُسِكُمْ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: فجددوا بها. وقال الأخفش: بها كان ظلمهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَرْسِلُ بِالْأَكْبَرِ إِلَّا تَقْوِيَةً﴾ أي: نخوف العباد ليتعظوا. وللمفسرين في المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: أنها الموت الذريع<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. والثاني: معجزات الرسل جعلها الله تعالى تخويفاً للمكذبين. والثالث: آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي. والرابع: تقلب أحوال الإنسان من صغر إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب، ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي، ونسب القول الأخير منها إلى إمامنا أحمد رحمته الله.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْمَقُ بِأَلْتَيْنِ وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَا إِلَهِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْفُرْقَانِ وَخَوَّفَهُمْ فَقَا بِرَيْدُهُمْ إِلَّا طَائِفَتًا كَثِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحْمَقُ بِأَلْتَيْنِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أحاط علمه بالناس، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الربيع بن أنس. وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس، يعني: أهل مكة، أن يفتحها لرسوله ﷺ. والثاني: أحاطت قدرته بالناس، فهم في قبضته، قاله مجاهد. والثالث: حال بينك وبين الناس أن يقتلوك، لتبلغ رسالته، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَا إِلَهِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ في هذه الرؤيا قولان: أحدهما: أنها رؤيا عين، وهي ما رأى ليلة أسري به من العجائب والآيات. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، وقتادة، وأبو مالك، وأبو صالح، وابن جريج، وابن زيد في آخرين. فعلى هذا يكون معنى الفتنة: الاختبار، فإن قوماً آمنوا بما قال، وقوماً كفروا. قال ابن الأنباري: المختار في هذه الرؤية أن تكون بقطعة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلاناً رؤية، ورأيت رؤيا، إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين. والثاني: أنها رؤيا منام<sup>(٣)</sup>. ثم فيها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ كان قد أرى أنه يدخل مكة، هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فنجل قبل الأجل، فردّه المشركون، فقال أناس: قد ردّد، وكان حدثنا أنه سيدخلها، فكان رجوعهم ففتنهم، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. وهذا لا ينافي حديث المعراج، لأن هذا كان بالمدينة، والمعراج كان بمكة. قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما ذكره ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتنوا برؤيا عينه، والمنافقين بالمدينة افتتنوا برؤيا نومه. والثاني: أنه أرى بني أمية على المنابر، فساء ذلك، فقيل له: إنها الدنيا يُعْطَرُونَهَا، فُسِّرِي عَنْهُ<sup>(٥)</sup>. فالفتنة هاهنا: البلاء، رواه علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن قد ذكره عامة

(١) وما روي من أنه ﷺ قال: «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبة ميخلة محزنة» فهو ضعيف، رواه أبو يعلى، والبخاري، قال الزين العراقي، وتبعه الهيثمي: وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف.

(٢) الموت الذريع: أي: السريع الفاشي، لا يكاد الناس يتدافعون.

(٣) روى البخاري ٣٠١/٨ من ابن عباس رضي الله عنه «وَمَا جَعَلْنَا أَرْثِيَا إِلَهِكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ» قال: هي رؤيا عين أراها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. قال الحافظ ابن حجر ٣٠٢/٨: زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث: وليست رؤيا منام. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري ١١٣/١٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به رؤيا رسول الله ﷺ ما أرى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به. قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عني الله ﷻ بها. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أرىناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنة للناس، يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام لما أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا لسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في غيهم، وكفراً إلى كفرهم.

(٤) والعوفي ضعيف. قال ابن كثير ٤٩/٣: وهو غريب ضعيف.



المفسرين. وروى ابن الأنباري أن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله ﷺ قوماً على منابر، فسُئِلَ ذلك عليه، وفيه نزل: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾، قال: ومعنى قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: إلا بلاء للناس. قال ابن الأنباري: فمن ذهب إلى أن الشجرة وجمال رآهم النبي ﷺ في منامه يصعدون على المنابر، احتج بأن الشجرة يكتن بها عن المرأة لتأنيها، وعن الجماعة لاجتماع أغصانها. قالوا: ووقعت اللعنة هؤلاء الذين كنى عنهم بالشجرة. قال المفسرون: وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: وما جعلنا الرؤيا والشجرة إلا فتنه للناس. وفي هذه الشجرة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها شجرة الرُّقُوم، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، والجمهور. وقال مقاتل: لما ذكر الله تعالى شجرة الرُّقُوم، قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً يخوفكم بشجرة الرُّقُوم، أستم تعلمون أن النار تحرق الشجر؟ ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجر، فهل تدرون ما الرُّقُوم؟ فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ: إن الرُّقُوم بلسان بَزْر: التمر والزُّبد، فقال أبو جهل: يا جارية ابغينا تمراً وزُبدًا، فجاءته به، فقال لمن حوله: تَزُقُّمُوا من هذا الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾. قال ابن قتيبة: كانت فتنتهم بالرؤيا قولهم: كيف يذهب إلى بيت المقدس، ويرجع في ليلة؟ وبالشجرة قولهم: كيف يكون في النار شجرة؟. وللعلماء في معنى «الملعونة» ثلاثة أقوال: أحدها: الملعونة، قاله ابن عباس. والثاني: الملعون أكلها؛ ذكره الزجاج وقال: إن لم يكن في القرآن لعننا فيه لمن أكلها؛ قال: والعرب تقول لكل طعام مكروه وضار: ملعون؛ فاما قوله: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ فالمعنى: التي ذكرت في القرآن، وهي مذكورة في قوله: ﴿إِنَّ سَكْرَتَ الرَّقُومِ ﴿٣٢﴾ طَعَامُ الْأَشْيَرِ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]. والثالث: أن معنى «الملعونة»: المُبْعَدَة عن منازل أهل الفضل، ذكره ابن الأنباري. والقول الثاني: أن الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر، يعني: الكشوث<sup>(٢)</sup>، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن الشجرة كناية عن الرجال على ما ذكرنا عن سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَيَخَوْفُهُمْ﴾ قال ابن الأنباري: مفعول «يخوفهم» محذوف، تقديره: ونخوفهم العذاب، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ أي: فما يزيدهم التخوف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا﴾؛ وقد ذكرنا معنى الطغيان في [البقرة: ١٥]، وذكرنا هناك تفسير قوله: ﴿وَرَأَوْا فَلَنَا لِلشَّيْطَانِ أَشْجُلُوا لَأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَرَأَوْا فَلَنَا لِلشَّيْطَانِ أَشْجُلُوا لَأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْرَاهِيمَ﴾ قَالَ أَرَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لأَخْتِيقَنَّ دَرَجَتَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَخَذُ مِنْهُمْ جَهَنَّمَ جَزْأً وَكُرْ جَزْأً مَوْفُورًا ﴿٣٣﴾ وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَلَتْ بَيْنَهُمْ بِصُوتِكَ وَلَقِيلَ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَشَارَكُهُمْ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَوَّلِ وَآخِرِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَسْجُدْ﴾ قرأه الكوفيون: بهزتين. وقرأه الباقون: بهزلة مطوَّلة؛ وهذا استفهام إنكار، يعني به: لم أكن لأفعل.

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال الزجاج: «طيناً» منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز، المعنى: لمن خلقته من طين. والثاني: على الحال، المعنى: أنشأته في حال كونه من طين. ولفظ «قَالَ أَرَيْتَكَ» جاء هاهنا بغير حرف عطف، لأن المعنى: قال أسجد لمن خلق طيناً، وأرايتك، وهي في معنى: أخبرني، والكاف ذكرت في المخاطبة

(١) روى البخاري ٣٠٢/٨ عن ابن عباس: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الرُّقُوم. قال الحافظ ابن حجر: وهذا هو الصحيح، وقره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفساً من التابعين. وقال أبو جعفر بن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: عني بها شجر الرُّقُوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت (الشجرة الملعونة) عطفًا بها على الرؤيا، فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن، إلا فتنه للناس، فكانت فتنهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداه من ارتداه وتبادي أهل الشرك في شركهم حين أخبرهم رسول الله ﷺ بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أسري به، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل للشجر، فكيف تنبت فيها؟

(٢) قال الجوهري: الكشوث: نبت يتعلق بأغصان الشجر، من غير أن يضرب بعرق في الأرض، قال الشاعر:

هوَ الْكُشُوثُ فَلَا أَضَلُّ وَلَا وَرَقٌ وَلَا نَسِيمٌ وَلَا يَلُّ وَلَا تَمَسُّو



توكيداً، والجواب محذوف، والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كَرَّمْتُ عليّ، لم كَرَّمْتُهُ عليّ وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟ فحذف هذا، لأن في الكلام دليلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍ: «أَخَّرْتَنِي» بَيَاءٌ فِي الْوَصْلِ. وَوَقَّفَ ابْنُ كَثِيرٍ بِأَلْيَاءٍ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَكَسَائِي بِغَيْرِ يَاءٍ فِي وَصْلٍ وَلَا فِي وَقْفٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا تُحْسِنُ كِتَابَتَهُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: لَأَسْتَوِلِّيَنَّ عَلَيْهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْفَرَاءُ. وَالثَّانِي: لَأُضِلَّيَهُمْ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ. وَالثَّالِثُ: لَأَسْتَصِلَّهُمْ؛ يُقَالُ: اخْتَنَكَ الْجَرَادُ مَا عَلَى الْأَرْضِ: إِذَا أَكَلَهُ؛ وَاخْتَنَكَ فَلَانٌ مَا عِنْدَ فَلَانٍ مِنَ الْعِلْمِ: إِذَا اسْتَقْصَاهُ، فَالْمَعْنَى: لَأَقُوْدُنَّهُمْ كَيْفَ شِئْتُ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ قَتِيْبَةٍ. فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ عَلِمَ الْغَيْبَ. فَقَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ فِي سُورَةِ [النساء: ١١٩].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ عَصَمَهُمْ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾ هَذَا اللَّفْظُ يَتَضَمَّنُ إِنِّظَارَهُ؛ «فَمَنْ يَكَعُ»، أَي: تَبِعَ أَمْرَكَ مِنْهُمْ، يَعْنِي: ذُرِيَّةَ آدَمَ. وَالْمَوْفُورُ: الْمَوْفُورُ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ: يُقَالُ: وَقُرْتُ مَا لِي عَلَيْهِ، وَوَقَرْتُهُ، بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْرِزُّ مَنْ أَسْطَلَمْتُ مِنْهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ: اسْتَحَفَّ، وَمِنْهُ تَقُولُ: اسْتَفَرَزْتَنِي فَلَانٌ. وَفِي الْمَرَادِ بِصَوْتِهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كُلُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْغَنَاءُ وَالْمَزَامِيرُ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَ عَلَيْهِمُ﴾ أَي: صَاحَ «بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ» وَاحْتَشَمَهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْإِغْرَاءِ؛ يُقَالُ: أَجْلَبَ الْقَوْمُ وَجَلَّبُوا: إِذَا صَاحُوا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَائِدِكَ؛ فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْبَاءُ زَائِدَةً. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ: وَالرَّجُلُ: الرَّجَالَةُ؛ يُقَالُ: رَاجِلٌ وَرَجُلٌ، مِثْلُ تَاجِرٍ وَتَجَرٍ، وَصَاحِبٍ وَصَحْبٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ خَيْلٍ تَسِيرُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ رَجُلٍ يَسِيرُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ لَهُ خَيْلًا وَرَجُلًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. وَرَوَى حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «يَخِيْلُكَ وَرَجُلُكَ» بِكسْرِ الْجِيمِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي رَزِينٍ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: رَجُلٌ رَجِلٌ: لِلرَّاجِلِ، وَيُقَالُ: جَاءَنَا حَافِيًا رَجَلًا. وَقَرَأَ ابْنُ السَّمِيعِ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ» بَرَفْعِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ مَفْتُوحَةً وَيَأْلَفُ بَعْدَهَا. وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَعُكْرَمَةُ: «وَرَجُلِكَ» بِكسْرِ الرَّاءِ وَتَخْفِيفِ الْجِيمِ مَعَ أَلْفٍ.

قوله تعالى: ﴿وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمَا مَا كَانُوا يَحْرُمُونَهُ مِنْ أَنْعَامِهِمْ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: الْأَمْوَالُ الَّتِي أَصِيبَتْ مِنْ حَرَامٍ، قَالَ مُجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: الَّتِي أَنْفَقُوهَا فِي مَعَاصِي اللَّهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ. وَالرَّابِعُ: مَا كَانُوا يَذْبَحُونَ لَأَهْلَتِهِمْ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ. فَأَمَّا مِشَارَكَتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الْأَوْلَادِ، فَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ أَوْلَادُ الزَّوْنِ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ. وَالثَّانِي: الْمَوْوَدَّةُ مِنْ أَوْلَادِهِمْ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ تَسْمِيَةُ أَوْلَادِهِمْ عِبِيدًا لِأَوْتَانِهِمْ، كَعَبْدِ شَمْسٍ، وَعَبْدِ الْعَزَى، وَعَبْدِ مَنْفٍ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالرَّابِعُ: مَا مَجَّسُوا وَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا، وَصَبَّغُوا مِنْ أَوْلَادِهِمْ غَيْرَ صِبْغَةِ الْإِسْلَامِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

قوله تعالى: ﴿وَعِدْنَهُمْ﴾ قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُنَبِّئُهُمْ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [النساء: ١٢٠]. وَهَذِهِ الْآيَةُ لَفْظُهَا لَفْظُ الْأَمْرِ، وَمَعْنَاهَا التَّهْدِيدُ، وَمِثْلُهَا فِي الْكَلَامِ أَنْ تَقُولَ لِلْإِنْسَانِ: أَجْهِدْ جِهْدَكَ فَسَتَرَى مَا يَنْزِلُ بِكَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: إِذَا تَقَدَّمَ الْأَمْرُ نَهْيٌ عَمَّا يُؤْمَرُ بِهِ، فَمَعْنَاهُ التَّهْدِيدُ وَالْوَعْدُ، تَقُولُ لِلرَّجُلِ: لَا تَدْخُلَنَّ هَذِهِ الدَّارَ؛ فَإِذَا حَاولَ أَنْ يَدْخُلَهَا قُلْتَ: ادْخُلْهَا وَأَنْتَ رَجُلٌ، فَلَسْتَ تَأْمُرُهُ بِدُخُولِهَا، وَلَكِنْ تَنْوَعِدُهُ وَتَهْدِيهِ، وَمِثْلُهُ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» [تصلت: ٤٠]، وَقَدْ نَهَوْنَا أَنْ يَفْعَلُوا بِالْمَعَاصِي. وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: هَذَا أَمْرٌ مَعْنَاهُ التَّهْدِيدُ، تَقْدِيرُهُ: إِنْ فَعَلْتَ هَذَا عَاقِبَتَكَ وَعَذْبَتَكَ، فَنَقُلْ إِلَى لَفْظِ الْأَمْرِ عَنِ الشَّرْطِ، كَقَوْلِهِ: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ» [الكهف: ٢٩].

(١) أَي: بِغَيْرِ يَاءٍ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

(٢) فِي «الطَّبْرِيِّ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: «وَأَتَيْنَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ» قَالَ: خَيْلُهُ: كُلُّ رَاكِبٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ وَرَجُلُهُ: كُلُّ رَاجِلٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

قوله تعالى: ﴿إِن يَدَايَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قد شرحناه في [الحجر: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَكُنْ يَرْبِكَ وَكِيلًا﴾ قال الزجاج: كفى به وكيلا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس.

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرِيكُمْ لَكُمْ أَلْفَاكٌ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ بِكُمْ رَيْبًا﴾ ﴿١٧﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَهُ فَلَمَّا جَنَحُوا إِلَى آلِ الْيَمِّ أَغْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَافِرًا ﴿١٨﴾ أَفَأَمْسَتْ أَنْ يَحْيِيَكُمْ يَمِّ جَابِ الْيَمِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿١٩﴾ أَمْ أَمْسَتْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنْ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ يَمَّا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا يَوْمَ يَمَسُّكُمْ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرِيكُمْ لَكُمْ أَلْفَاكٌ﴾ أي: يسيرها. قال الزجاج: يقال: زجبت الشيء، أي: قدمته. (١٧).

قوله تعالى: ﴿لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: في طلب التجارة. وفي «من» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها زائدة. والثاني:

أنها للتبعيض. والثالث: أن المفعول محذوف، والتقدير: ليتبعوا من فضله الرزق والخير، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ بِكُمْ رَيْبًا﴾ هذا الخطاب خاص للمؤمنين، ثم خاطب المشركين فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْيَمِّ﴾ يعني: خوف العرق «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ» أي: يفضل من يدعون من الآلهة، إلا الله تعالى. ويقال: ضلَّ بمعنى غاب، يقال: ضلَّ الماء في اللَّبْنِ: إذا غاب، والمعنى: أنكم أخلصتم الدعاء [للله]، ونسيتم الأنداد. وقرأ مجاهد، وأبو المتوكل: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ» بالياء. ﴿فَلَمَّا جَنَحُوا إِلَى آلِ الْيَمِّ أَغْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والإخلاص «وَكَانَ الْإِنْسَانُ» يعني الكافر «كَافِرًا» بنعمة ربِّه. ﴿أَفَأَمْسَتْ أَنْ يَحْيِيَكُمْ يَمِّ جَابِ الْيَمِّ﴾ إذا خرجتم من البحر «أَنْ يَحْيِيَكُمْ يَمِّ جَابِ الْيَمِّ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «نخسف بكم» «أو نرسل» «أن نعيدكم» «نفرسل» «نغرقكم» بالنون في الكل. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، بالياء في الكل. ومعنى «يَحْيِيَكُمْ يَمِّ جَابِ الْيَمِّ»، أي: نغيثكم ونذهبكم في ناحية البر، والمعنى: إن حكيم نافذ في البر نفوذه في البحر، «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحاصب: حجارة من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه الريح العاصف تحصب، قاله أبو عبيدة، وأنشد للفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطَنِ مَشْهُورٍ (٢٢)

وقال ابن قتيبة: الحاصب: الريح، سميت بذلك لأنها تَحْصِبُ، أي: ترمي بالحصى، وهي الحصى الصغار. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الحاصب: الريح التي فيها الحصى. وإنما قال في الريح: «حاصباً» ولم يقل: «حاصبة» لأنه وصف لزم الريح ولم يكن لها مذكّر تنتقل إليه في حال، فكان بمنزلة قولهم: «حائض» للمرأة، حين لم يُقَلْ: رجل حائض. قال: وفيه جواب آخر، وهو أن نعت الريح عُرِي من علامة التأنيث، فأشبهت بذلك أسماء المذكر، كما قالوا: السماء أمطر، والأرض أنبت. والثالث: أن الحاصب: التراب الذي فيه حصباء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أي: مانعاً وناصراً.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْسَتْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: في البحر «تَارَةً أُخْرَى» أي: مرّة أخرى، والجمع: تارات. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنْ الرِّيحِ﴾ قال أبو عبيدة: هي التي تقصف كل شيء. قال ابن قتيبة: القاصف: [الريح التي] تقصف الشجر، أي: تكسره.

قوله تعالى: ﴿فَيُغْرِقْكُمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر، وشيبة، ورويس: «فتغرقكم» بالناء، وسكون الغين، وتخفيف الزاء. وقرأ أبو الجوزاء، وأيوب: «فيغرقكم» بالياء، وفتح الغين، وتشديدها (٢٣). وقرأ أبو رجاء مثله، إلا أنه بالناء، «يَمَّا كَفَرْتُمْ»، أي: بكفركم حيث نجوتم في المرة الأولى، «ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عُذْرًا يَوْمَ يَمَسُّكُمْ يَمِّ جَابِ الْيَمِّ» قال ابن

(١) كذا الأصل، «قدمته» والذي في كتب اللغة والتفسير «دفعت برفق»، وانظر ما ذكره المؤلف عند قوله تعالى: ﴿وَيَحْيِيكُمْ يَمِّ جَابِ الْيَمِّ﴾ ٧١٥.

(٢) «ديوانه» ٢٦٢، و«مجاز القرآن» ١/٣٨٥، و«الكامل» ٢/٧٧٢، و«الطبري» ١٥/١٢٤، و«القرطبي» ١٠/٢٩٢.

(٣) أي: تشديد الزاء.

قتيبة: أي: من يتبع بدمائكم، أي: يطالبنا. قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: ربح العذاب أربع، اثنتان في البر، واثنتان في البحر، فاللثان في البر: الصرصر، والعقيم، واللثان في البحر: العاصف، والقاصف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي مَادَّ﴾ أي: فضللناهم. قال أبو عبيدة: «وكرّمنا» أشد مبالغة من «أكرمنا». وللمفسرين فيما فضّلوا به أحد عشر قولاً: أحدها: أنهم فضّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومَلَك الموت، وأشباههم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المراد: المؤمنين منهم، ويكون تفضيلهم بالإيمان. والثاني: أن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس. وقال بعض المفسرين: المراد بهذا التفضيل: أكلهم بأيديهم، ونظافة ما يقتاتونه، إذ الجن يقتاتون العظام والرثوث. والثالث: فضّلوا بالعقل، روي عن ابن عباس. والرابع: بالنطق والتمييز، قاله الضحاك. والخامس: بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء. والسادس: بأن جعل محمداً ﷺ منهم، قاله محمد بن كعب. والسابع: فضّلوا بالمطاعم واللذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم. والثامن: بحسن الصورة، قاله يمان. والتاسع: بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير. والعاشر: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي. والحادي عشر: بأن جعلت اللّٰحى للرجال، والدواب للنساء، ذكره الثعلبي. فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر المُهان؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرّم بالنعم الوافرة. والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصّفة على جماعتهم، كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوله تعالى: ﴿وَحَلَلْنَاهُمْ فِي آلِهِ﴾ على أكباد رطبة، وهي: الإبل، والخيول، والبغال، والحمير، (و) في «وَالْبَحْرِ» على أعواد يابسة، وهي: السفن. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: الحلال. والثاني: المستطاب في الذوق. قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على لفظه، وأنهم لم يفضّلوا على سائر المخلوقات. وقد ذكرنا عن ابن عباس أنهم فضّلوا على سائر الخلق غير طائفة من الملائكة. وقال غيره: بل الملائكة أفضل. والثاني: أن معناه: وفضّلناهم على جميع من خلقنا. والعرب تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع، كقوله: ﴿يُلْقَوْنَ أَسْمَوعًا وَكَأَنَّهُمْ يُدْفِقُونَ دُرًى﴾ [الشعراء: ٢٢٣]. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله ﷻ من الملائكة الذين عنده»<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِإِسْمِ مِمَّنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَأُولَٰئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُ وَلَا يُطْلَبُونَ فَتِيكَ﴾ (٧١) وَنَ كَانَتْ فِي هَؤُلَاءِ أَعْيُنٌ مِّمَّنْ فِي الْآخِرَةِ أَعْيُنٌ وَأَعْمَلُ سَيِّئًا (٧٢)

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِإِسْمِ مِمَّنْ﴾ والمراد به: يوم القيامة. وقرأ الحسن البصري: «يوم يدعوا» بالياء «كُلُّ» بالنصب. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم يدعى» بياء مرفوعة، وفتح العين، ويعدّها ألف، «كُلُّ» بالرفع. وفي المراد بإمامهم أربعة أقوال: أحدها: أنه رئيسهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وروى عنه سعيد بن جبير أنه قال: إمام هدى، أو إمام ضلالة. والثاني: عملهم، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وأبو العالية. والثالث: نبئهم، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومجاهد في رواية. والرابع: كتابهم، قاله عكرمة، ومجاهد في رواية. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه كتابهم الذي فيه أعمالهم، قاله قتادة، ومقاتل. والثاني: كتابهم الذي أنزل عليهم، قاله الضحاك، وابن زيد. فعلى القول الأول يقال: يا مَتَّبِعِي موسى، يا مَتَّبِعِي عيسى، يا مَتَّبِعِي محمداً، ويقال: يا مَتَّبِعِي رؤساء الضلالة. وعلى الثاني: يا من عمل كذا وكذا. وعلى الثالث: يا أُمَّة موسى، يا أُمَّة عيسى، يا أُمَّة محمد. وعلى الرابع: يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل القرآن. أو يا صاحب الكتاب الذي فيه عمل كذا وكذا.

(١) عزاه الحافظ في «تخرّيج أحاديث الكشاف» ١٠٠ للبيهقي في «الشعب» من رواية حماد بن سلمة عن أبي الهيثم عن أبي هريرة موقوفاً. وأبو الهيثم بتشديد الزاي المكسورة التميمي البصري، اسمه يزيد، وقيل: عبد الرحمن بن سفيان، قال الحافظ في «التقريب»: متروك. ورواه ابن ماجه ٢/ ١٣٠١، من طريق أبي الهيثم عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «المؤمن أكرم على الله ﷻ من بعض ملائكته»، وهو ضعيف، لم ينفذ أبي الهيثم.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَاكَ يَقْرَءُ كِتَابَهُمْ﴾ معناه: يقرؤون حسانتهم، لأنهم أخذوا كتبهم بأيمانهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطْلُبُونَ قَبِيلًا﴾ أي: لا يتقصون من ثوابهم بقدر القليل، وقد بيّناه في سورة [النساء: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أَعْمَى هُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ مفتوحتي الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسر الميمين. وقرأ أبو عمرو: ﴿في هذه أعمى﴾ بكسر الميم، ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ بفتحها. وفي المشار إليها بهذه قولان: أحدهما: أنها الدنيا، قاله مجاهد. ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: من كان في الدنيا أعمى عن معرفة قدرة الله في خلق الأشياء، فهو عمّا وُصف له في الآخرة أعمى، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: من كان في الدنيا أعمى بالكفر، فهو في الآخرة أعمى، لأنه في الدنيا تقبل توبته، وفي الآخرة لا تقبل، قاله الحسن. والثالث: من عمي عن آيات الله في الدنيا، فهو عن الذي غيب عنه من أمور الآخرة أشدّ عمى. والرابع: من عمي عن نعم الله التي بينها في قوله: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمْ الْغَلَقَ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿تَفْصِيلًا﴾ فهو في الآخرة أعمى عن رشاده وصلاحه، ذكرهما ابن الأنباري. والخامس: من كان فيها أعمى عن الحجة، فهو في الآخرة أعمى عن الجنة، قاله أبو بكر الوراق. والثاني: أنها النعم. ثم في الكلام قولان. أحدهما: من كان أعمى عن النعم التي ترى وتشاهد، فهو في الآخرة التي لم تُر أعمى، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: من كان أعمى عن معرفة حق الله في هذه النعم المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولم يؤدّ شكرها، فهو فيما بينه وبين الله مما يتقرب به إليه أعمى ﴿وَأَسْكَلُ سَيْلًا﴾، قاله السدي. قال أبو علي الفارسي: ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أي: أشدّ عمى، لأنه كان في الدنيا يمكنه الخروج عن حُمَاهُ بالاستدلال، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماء. وقيل: معنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طريق الثواب، وهذا كله من عمى القلب. فإن قيل: لم قال: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ولم يقل: أشدّ عمى، لأن العمى خلقة بمنزلة الحُمرة، والخُرقة، والعرب تقول: ما أشدّ سواد زيد، وما أبيض زرق عمرو، ولما يقولون: ما أسود زيداً، وما أزرق عمراً؟ فالجواب: أن المراد بهذا العمى عمى القلب، وذلك يتزايد ويحدث منه شيء بعد شيء، فيخاف الخلق اللزامة التي لا تزيد، نحو عمى العين، واليباض، والحمرة، ذكره ابن الأنباري.

﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ عَنِ الَّتِي أُوحِيََا إِلَيْكَ لِتَقْرَأَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَاغْتَدُّوكَ خَيْلًا ۖ وَلَوْلَا أَنْ نَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرَكُنَ إِلَيْنَا سَيْئًا قَبِيلًا ۖ﴾ (٧٤) إِذَا لَأَدْفَنَّاكَ ضَعْفَ الْحَبْوَةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۖ﴾ (٧٥) وَلَنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَبِيلًا ۖ﴾ (٧٦) سَنَّةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسِتْنَانَا تَحْوِيلًا ۖ﴾ (٧٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرّم واديننا كما حرّمت مكة، فأبى ذلك، فأقبلوا يكثرّون مسألته، وقالوا: إنا نحب أن نعرف العرب فضلنا عليهم، فإن خشيت أن يقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا، فقل: الله أمرني بذلك، فامسك رسول الله ﷺ [عنهم]، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وروى عطية عن ابن عباس أنهم قالوا: أجلنا سنة، ثم نُسلم ونكسر أصنامنا، فهم أن يؤجلهم، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نكفّ عنك إلا بأن تُؤمّ بالكهنتا، ولو بأطراف أصابعك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ما عليّ لو فعلت والله يعلم إني لكاره؟﴾ فنزلت هذه الآية. قاله سعيد بن جبير، وهذا باطل لا يجوز أن يُظنّ برسول الله ﷺ، ولا ما ذكرنا عن عطية من أنه هم أن يُنظرهم سنة، وكل ذلك مُحال في حقه وفي حق الصحابة أنهم رَوَوْا عنه. والثالث: أن قريشاً خلّوا برسول الله ليلة إلى الصباح يكلمونه ويفحّمونه، ويقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله من ذلك، ونزلت هذه الآية، قاله قتادة. والرابع: أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: اطرد عنك سقاط الناس، ومواليهم، وهؤلاء الذين راثحتهم راحة الضأن، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، حتى نجالسك



وَتُسَبِّحُ حَنَكُ، فَهَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ إِسْلَامُهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ، حَكَاهُ الزَّجَاجُ؛ قَالَ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: كَادُوا يَفْتَنُونَكَ، وَدَخَلَتْ «إِنْ» وَالْإِلَامُ لِلتَّوَكُّيدِ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَإِنَّمَا قَالَ: «لِيَفْتَنُونَكَ»، لِأَنَّهُ فِي إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مُخَالَفَةً لِحُكْمِ الْقُرْآنِ.

قوله تعالى: ﴿لِنَقُتِلَنَّكَ أَيُّ: لِنَخْتَلِقَنَّ عَيْنًا غَيْرَ﴾ وهو قولهم: قل الله أمرني بذلك، ﴿وَإِذَا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَأَخْذُوكَ خَيْلًا﴾ أي: وَالْوَكَّ وَصَافُوكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ﴾ على الحق، لِعَصَمَتْنَا يَاكَ ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِ﴾ أي: هَمَمْتَ وَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى مِرَادِهِمْ ﴿سَيِّئًا قِيلًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ حِينَ سَكَتَ عَنْ جَوَابِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْفَعْلُ فِي الظَّاهِرِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَفِي الْبَاطِنِ لِلْمُشْرِكِينَ، وَتَقْدِيرُهُ: لَقَدْ كَادُوا يُرْكَنُونَكَ إِلَيْهِمْ، وَيَنْسَبُونَ إِلَيْكَ مَا يَشْتَبَهُونَهُ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَانْسَبِ الْفَعْلَ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ عِنْدَ أَمَنِ النَّبِيِّ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: كَدْتَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ الْيَوْمَ، يَرِيدُ: كَدْتَ تَفْعَلُ فَعْلًا يَقْتُلُكَ غَيْرُكَ مِنْ أَجْلِهِ؛ فَهَذَا مِنَ الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ. وَشَبِيهَ بِهَذَا قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وَقَوْلُ الْقَاتِلِ: لَا أَرَيْتَكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

قوله تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقَنَّكَ﴾ المعنى: لو فعلت ذلك الشيء القليل ﴿لَأَذَقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ أي: ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ ﴿وَضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿الْمَمَاتِ﴾، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ الشَّاعِرُ:

[تُبَيِّنْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ] وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْبُ الْمَجْلِسِ<sup>(١)</sup>

أي: أَهْلُ الْمَجْلِسِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضِعْفُ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعْصُومًا، وَلَكِنَّهُ تَخْوِيفٌ لِأَمَّتِهِ، ثَلَاثًا يَرْكَنُ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَسَدَتْهُ الْيَهُودُ عَلَى مُقَامِهِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَرِهُوا قُرْبَهُ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَنْبِيَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالُوا: فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَذِهِ بَارِضُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنَّ أَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ الشَّامَ، فَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَاتِّبِ الشَّامَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْخَصَ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ: لَمَّا قَالَتْ لَهُ الْيَهُودُ هَذَا، صَدَّقَ مَا قَالُوا، وَغَزَا غَزْوَةَ تَبُوكَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الشَّامَ، فَلَمَّا بَلَغَ تَبُوكَ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٣)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ الْمُشْرِكُونَ أَهْلَ مَكَّةَ هَمُّوا بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِالْخُرُوجِ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ إِخْبَارًا عَمَّا هَمُّوا بِهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هَمُّ أَهْلِ مَكَّةَ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ مَكَّةَ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ مَا نُورِظُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَفَّهُمْ عَنْ إِخْرَاجِهِ حَتَّى أَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ. وَقِيلَ: مَا لَبِثُوا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ بَيِّدِرَ. فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ: الْيَهُودُ، وَالْأَرْضُ: الْمَدِينَةُ. وَعَلَى الثَّانِي: هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَالْأَرْضُ: مَكَّةَ. وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى «الاسْتَفْزَاة» أَنْفًا [الإسراء: ٦٤]، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا: الْقَتْلُ، لِإِخْرَاجِهِ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا، رَوَى عَنْ الْحَسَنِ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْقَكَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «خَلْقَكَ». وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَجُمُزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «خَلْفَكَ». قَالَ الْأَخْفَشُ «خَلْفَكَ» فِي مَعْنَى خَلْقِكَ، وَالْمَعْنَى: لَا يَلْبَثُونَ بَعْدَ خُرُوجِكَ ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ أَيُّ: لَوْ أَخْرَجُوكَ لِاسْتِصْلَانِهِمْ بَعْدَ خُرُوجِكَ بِقَلِيلٍ، وَقَدْ جَازَاهُمْ اللَّهُ عَلَى مَا هَمُّوا

(١) البيت لعدي بن ربيعة في «الأنالي» ٩٥/١، و«الحماسة» ٩٢٩/٢، ومعنى قوله: «نبئت أن النار بعدك أوقدت»: أنه كان لا توقد بحضرته نار، لعظم ناره وعمومه بطعامه، وقيل: إنه أراد نار الحرب التي كانت تارت بينهم بقتل كليب فركبت أحقاباً.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في «التفسير» ٥٣/٣: وهذا القول ضعيف، لأن هذه الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك.

(٣) قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر خبر عبد الرحمن بن غنم عن اليهودي: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَكُم بِدِينِ الْكُفَرِ﴾، ولقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ مِنَ الْكُفْرِ أَوْسَارًا﴾، وغزاها ليفتنس ويستقم من قتل أهل مائة من أصحابه، والله أعلم.

به، فقتل صناديد المشركين بيد، وقتل من اليهود بني قريظة، وأجلى النضير. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا يَلْبَثُونَ على خلافك ومخالفتك، فسقط حرف الخفض. وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «خُلَافُكَ» بضم الخاء، وتشديد اللام، ورفع الفاء.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفراء: نصب السُّنَّة على العذاب المُضْمِر، أي: يَعْذِبُونَ كَسُنَّتْنَا فيمن أَرْسَلْنَا. وقال الأخفش: المعنى: سَنَّا سُنَّةً. وقال الزجاج: انتصب بمعنى «لا يلبثون» وتأويله: إِنَّا سَنَّا هذه السُّنَّة فيمن أَرْسَلْنَا قبلك أنهم إذا أخرجوا نبيهم أو قتلوه، لم يلبث العذاب أن ينزل بهم.

﴿أَيُّ الصَّلَاةِ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿أَيُّ الصَّلَاةِ﴾ أي: أَدْعَا ﴿لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي: عند دُلُوكها. وذكر ابن الأنباري في «اللام» قولين: أحدهما: أنها بمعنى «في». والثاني: أنها مؤكدة، كقوله: ﴿رَوْقٌ لَّكُمْ﴾ [النمل: ٧٢]. وقال أبو عبيدة: دُلُوكها: من عند زوالها إلى أن تغيب. وقال الزجاج: مِثْلُهَا وقت الظهيرة دُلُوك، ومِثْلُهَا للغروب دُلُوك. وقال الأزهري: معنى «الدُّلُوك» في كلام العرب: الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار: دالكة، وإذا أفلت: دالكة، لأنها في الحالين زائلة. وللمفسرين في المراد بالدُّلُوك هاهنا قولان: أحدهما: أنه زوالها نصف النهار. روى جابر بن عبد الله قال: دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج رسول الله ﷺ وقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس»<sup>(١)</sup>؛ وهذا قول ابن عمر، وأبي برزة، وأبي هريرة، والحسن، والأزهري. قال الأزهري: لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، فيكون المعنى: أتم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل فيها الأولى، والعصر، وصلاتا غسق الليل، وهما العشاءان، ثم قال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، فهذه خمس صلوات. والثاني: أنه غروبها، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، والنخعي، وابن زيد، وعن ابن عباس كالقولين. قال الفراء: ورأيت العرب تذهب في الدُّلُوك إلى غيبوبة الشمس، وهذا اختيار ابن قتيبة، قال: لأن العرب تقول: دَلَّكَ النجم: إذا غاب؛ قال ذو الرمة:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهُا نَجُومٌ وَلَا بِالْأَفْلَاقِ الدُّوَالِكِ<sup>(٣)</sup>

وتقول في الشمس: دلكت بِرَّاحٍ<sup>(٤)</sup>، يريدون: غربت، والناظر قد وضع كَفَّهُ على حاجبه ينظر إليها، قال الشاعر:

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنَقًا أَذَقَهَا بِالرَّاحِ كَنِي تَرْخَلَفًا<sup>(٥)</sup>

فشيها بالمريض [في] الدَّنَف، لأنها قد هَمَّتْ بالغروب كما قارب الدَّنَف الموت، وإنما ينظر إليها من تحت

(١) رواه الطبري: ١٣٧/١٥، عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله، ورواه أيضاً عن نُبَيْحِ الْعَنَزِيِّ عن جابر بن عبد الله، ونُبَيْحِ الْعَنَزِيِّ: مجهول.

(٢) رواه ابن جرير ١٣٤/١٥، والحاكم ٣٦٣/٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «المجمع» ٥١/٧ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وخرجه السيوطي في «الدر» ١٩٥/٤ وزاد نسبه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه، من طرق عن ابن مسعود.

(٣) «ديوان» ٥١١ طبع المكتب الإسلامي، وفهرست القرآن ٢٦٠، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠، و«البحر المحيط» ٦٨/٦، و«اللسان»، و«التاج»: ذلك. مصابيح: يعني الإبل تصبح في مباركها، والأفلاق: الغائبات، يقال: أفل النجم: إذا غاب، والدوالك: يقال: دلكت الشمس: إذا غابت أو دنت للمنيب.

(٤) برّاح، بفتح الباء: اسم للشمس، ومن كسر الباء، فإنه يعني أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها لينظر.

(٥) البيت للمعراج، «ديوانه» ٨٢، و«تهذيب الألفاظ» ٣٩٣، و«مجاز القرآن» ٣٨٨/١، و«غريب القرآن» ٢٦٠، و«الطبري» ١٣٧/١٥، و«تفسير القرطبي» ٣٠٣/١٠. و«الجمهرة» ٢١٨/٢، وفي «اللسان»: زحلف. يقال للشمس إذا مالت للمنيب، وزالت عن كبد السماء نصف النهار: قد ترحلت.

الكف ليعلم كم بقي لها إلى أن تغيب، ويتوقى الشعاع بكفه. فعلى هذا، المراد بهذه الصلاة: المغرب. فأما غسق الليل، فظلاله. وفي المراد بالصلاة المتعلقة بغسق الليل ثلاثة أقوال: أحدها: العشاء، قاله ابن مسعود. والثاني: المغرب، قاله ابن عباس. قال القاضي أبو يعلى: فيحتمل أن يكون المراد ببيان وقت المغرب، أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل. والثالث: المغرب والعشاء، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقَرَأَنَ الْفَجْرَ﴾ المعنى: وأقم قراءة الفجر. قال المفسرون: المراد به: صلاة الفجر. قال الزجاج: وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، حين سُميت الصلاة قرآناً. قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَاجِدْ﴾ قال ابن عباس: فَصَّلْ بالقرآن. قال مجاهد، وعلقمة، والأسود: التهجد بعد النوم. قال ابن قتيبة: تهجدت: سهرت، وهجدت: نمت. وقال ابن الأنباري: التهجد هاهنا بمعنى: التيقظ والسهر، واللغويون يقولون: هو من حروف الأضداد؛ يقال للناثم: هاجد ومتهجد، وكذلك للساهر، قال النابغة: وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ  
لَرَبْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا  
عَبَدَ الْإِلَٰهَ صَرُورَةً مُتَهَجِّدٍ  
وَلَخَالَه رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ<sup>(٢)</sup>  
يعني بالمتهجد: الساهر، وقال ليبد:

قَالَ هَجْدْنَا فَقَدْ طَالَ الشُّرَى  
أَي: نَوْنًا. وقال الأزهري: المتهجد: القائم إلى الصلاة من النوم. وقيل له: متهجد، لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال: تَحْرُجُ وتَأْتُم.

قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ النافلة في اللغة: ما كان زائداً على الأصل. وفي معنى هذه الزيادة في حقه قولان: أحدهما: أنها زائدة فيما فُرض عليه، فيكون المعنى: فريضة عليك، وكان قد فرض عليه قيام الليل، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: أنها زائدة على الفرض، وليست فرضاً؛ فالمعنى: تطوعاً وفضيلة. قال أبو أمامة، والحسن، ومجاهد: إنما النافلة للنبي ﷺ خاصة. قال مجاهد: وذلك أنه قد غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما زاد على فرضه فهو نافلة له وفضيلة، وهو لغيره كفارة<sup>(٣)</sup>. وذكر بعض أهل العلم؛ أن صلاة الليل كانت فرضاً عليه في الابتداء، ثم رُخِّصَ له في تركها، فصارت نافلة. وذكر ابن الأنباري في هذا قولين: أحدهما: يقارب ما قاله مجاهد، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا تنفّل لا يقدر له أن يكون بذلك ماحياً للذنوب، لأنه قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وغيره إذا تنفّل كان راجياً، ومقدّراً محو السيئات عنه بالتنفل، فالنافلة لرسول الله ﷺ زيادة على الحاجة، وهي لغيره

(١) «المسند» ٢٣٨/١٣، وابن ماجه ٢٢٠/١، والنسائي ٢٤١/١، والترمذي ١٤١/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد في «المسند» ١٧٢/١٢، و«البخاري» ٣٠٢/٨، ومسلم ٤٥٠/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة» قال: «وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» قال أبو هريرة: أقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقَرَأَنَ الْفَجْرَ﴾ بِدَرْجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِّنْهُنَّ مَّا كَانَ مَشْهُودًا.

(٢) «البيان في «ديوانه» ٣١، و«مختار الشعر الجاهلي» ١/١٨٦، و«أضداد ابن الأنباري» ٥٢، والأشعث: الذي دب في رأسه الشيب، والضرورة: الذي لم يلبس مطلقاً، أو الذي لم يتزوج.

(٣) «ديوانه» ١٨٢، و«الافتقار» ١٨٤، و«الخزانة» ٢/٢٨، و«أضداد ابن الأنباري» ٥١، و«أضداد الحلبي» ٦٧٩، و«اللسان»: هجد، وسرى، وصلة البيت قبله:

وَسَجُودٍ مِّنْ سُبُحَاتِ الْكَرَى  
عَاطِفِ الْتَمَرِ مَضِي الْمُبِذَلِ  
والمجود: الذي يجهد من الناس وغيره، وقوله: عاطف التمر؛ يريد عطف تمرته وثناها فنام، وصدق المبتذل، أي: جلد قوي لا يغير عند ابتداء نفسه ولا يسقط. قال ابن السدي في شرح البيتين: وصف نفسه بالجلد في السفر، وكثرة السهر حتى يتأذى رفيقه بذلك، فيقول له: علّنا ننام ونستريح... قد قدرنا على ما تريد، ووصلنا إلى ما نحب، إن غفل عنا الدهر ولم يفسد علينا أمرنا، قَلِمَ نجهد أنفسنا بطول الشرى، ونمنع أحييتنا للذي الكرى؟!

(٤) «المسند» ٢٩١/٣، والترمذي ١٤٢/٢، وقال: حديث حسن صحيح، ونقله ابن كثير في «تفسيره» ٥٨/٣، وأقر تصحيح الترمذي إياه، وصححه أيضاً الشيخ أحمد شاكر. وفي سننه قابوس بن أبي ظبيان الجني، ليه الحافظ في «التقريب».

مفتقر إليها، ومأمول بها دفع المكروه. والثاني: أن النافلة للنبي ﷺ وأمه، والمعنى: ومن الليل فتعبدوا به بإفلة لكم، فخطوب النبي ﷺ بخطاب أمه.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ «عسى» من الله واجبة، ومعنى «يبعثك» يقيمك ﴿مَقَامًا تَحْمَدُوهَا﴾ وهو الذي يحمده لأجله جميع أهل الموقف. وفيه قولان: أحدهما: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والحسن، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. والثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة. روى أبو وائل عن عبد الله أنه قرأ هذه الآية، وقال: يُقْعَد على العرش، وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس، وليث عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّيَ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وقرأ الحسن، وعكرمة، والضحاك، وحميد بن قيس، وقنادة، وابن أبي عتبة بفتح الميم في «مُدْخَل» و«مُخْرَج». قال الزجاج: المدخل، بضم الميم: مصدر أدخلته مُدْخَلًا، ومن قال: مُدْخِلٌ صِدْقٌ، فهو على أدخلته، فدخل مُدْخِلٌ صِدْقٌ، وكذلك شرح «مُخْرَجٌ» مثله. وللمفسرين في المراد بهذا المدخل والمخرج أحد عشر قولاً: أحدها: أدخلني المدينة مُدْخِلٌ صِدْقٌ، وأخرجني من مكة مخرج صِدْقٌ. روى أبو ظبيان عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه هذه الآية. وإلى هذا المعنى ذهب الحسن في رواية سعيد بن جبير، وقنادة، وابن زيد. والثاني: أدخلني القبر مُدْخِلٌ صِدْقٌ، وأخرجني منه مُخْرَجٌ صِدْقٌ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أدخلني المدينة، وأخرجني إلى مكة، يعني: لفتحها، زواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أدخلني مكة مُدْخِلٌ صِدْقٌ، وأخرجني منها مخرج صِدْقٌ، فخرج منها آمناً من المشركين، ودخلها ظاهراً عليها يوم الفتح، قاله الضحاك. والخامس: أدخلني مُدْخِلٌ صِدْقٍ الْجَنَّةِ، وأخرجني مخرج صِدْقٍ من مكة إلى المدينة، رواه قنادة عن الحسن. والسادس: أدخلني في النبوة والرسالة، وأخرجني منها مخرج صِدْقٌ، قاله مجاهد، يعني: أخرجني مما يجب عليّ فيها. والسابع: أدخلني في الإسلام، وأخرجني منه، قاله أبو صالح، يعني: من أداء ما وجب عليّ فيه إذا جاء الموت. والثامن: أدخلني في طاعتك، وأخرجني منها، أي: سالماً غير مقصّر في أداؤها، قاله عطاء. والتاسع: أدخلني الغار، وأخرجني منه، قاله محمد بن المنكدر. والعاشر: أدخلني في الدين، وأخرجني من الدنيا وأنا على الحق، ذكره الزجاج. والحادي عشر: أدخلني مكة، وأخرجني إلى حُتَيْنٍ، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وأما إضافة الصِدْقِ إلى المُدْخِلِ والمُخْرَجِ، فهو مدح لهما. وقد شرحنا هذا المعنى في سورة (يونس: ٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَعْمَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿سُلْطَانًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التسلط على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود، قاله الحسن. والثاني: أنه الحجة البيّنة، قاله مجاهد. والثالث: التملك العزيز الذي يَهْرَبُ به العصاة، قاله قنادة. وقال ابن الأنباري: وقوله: ﴿تَنْبِيْراً﴾ يجوز أن يكون بمعنى مُنْصَرّاً، ويصلح أن يكون تأويله ناصراً.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ أَبْطُلٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الحق: الإسلام، والباطل: الشرك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الحق: القرآن، والباطل: الشيطان، قاله قنادة. والثالث: أن الحق: الجهاد، والباطل: الشرك، قاله ابن جريج. والرابع: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام، قاله مقاتل. ومعنى «زَهَّقَ»: بَطَلَ واضمحَلَّ. وكلُّ شيء هلك وبَطَلَ فقد زَهَّقَ. وَزَهَّقَتْ نَفْسُهُ: تَلَفَتْ. وروى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ

(١) في «صحيح البخاري» عن ابن عمر قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جنّاً، كل أمة تتبع نبيّها، تقول يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فلذلك يوم يبعث الله المقام المحمود. قال الحافظ ابن حجر في «تفريخ أحاديث الكشاف»: وفي الباب عن أنس عند البخاري في التوحيد، وعن ابن مسعود عند النسائي والحاكم، وله طريق آخر عند أحمد والحاكم مطولاً، وعن كعب بن مالك عند الحاكم، وأصله عند مسلم، وعن جابر عند أحمد والحاكم، واختلف في وصله وإرساله عن الزهري عن علي بن الحسين، وعن أبي سعيد عند الترمذي وابن ماجه، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند ابن مردويه.



دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنهما ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً»<sup>(١)</sup>.  
فإن قيل: كيف قلتم: إن «زهق» بمعنى يظَل، والباطل موجود معمول عليه عند أهله؟ فالجواب: أن المراد من بطلانه وهلكته: وضوح عيبه، فيكون هالكاً عند المتدبر الناظر.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْضَى الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ «من» هاهنا لبيان الجنس، فجميع القرآن شفاء. وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال: أحدها: شفاء من الضلال، لما فيه من الهدى. والثاني: شفاء من السقم، لما فيه من البركة. والثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام. وفي «الرحمة» قولان: أحدهما: النعمة. والثاني: سبب الرحمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنهم يكفرون به، ولا ينتفعون بمواعظه، فيزيد خسارهم.

﴿وَإِذَا أَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَرْضَ نَقَاً يَحْيَاهُ وَإِنَّا سَأَلَ النَّارَ كَانَ يَتُوسَا﴾ ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ مِمَّا عَلَى شَاكِكِيهِ مَرِيضٌ أَعْلَمَ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ قال ابن عباس: الإنسان هاهنا: الكافر، والمراد به الوليد بن المغيرة. قال المفسرون: وهذا الإنعام: سعة الرزق، وكشف البلاء. ﴿وَنَقَاً يَحْيَاهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «ونأى» على وزن «نعى» يفتح النون والهمزة. وقرأ ابن عامر: «نأ» مثل «باع». وقرأ الكسائي، وخلف عن سليم عن حمزة: «وناء» بإمالة النون والهمزة. وروى خلاد عن سليم: «نئي» يفتح النون، وكسر الهمزة؛ والمعنى: تباعد عن القيام بحقوق النعم، وقيل: تعظم وتكبر. ﴿وَإِنَّا سَأَلَ النَّارَ﴾ أي: نزل به البلاء والفقر ﴿كَانَ يَتُوسَا﴾. أي: قنوطاً شديد اليأس، لا يرجو فضل الله.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مِمَّا عَلَى شَاكِكِيهِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: على ناحيته، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير. قال الفراء: الشاكلة: الناحية، والجديلة، والطريقة، سمعت بعض العرب يقول: وعبد الملك إذ ذاك على جديلته، وابن الزبير على جديلته، يريد: على ناحيته. وقال أبو عبيدة: على ناحيته وخليقتة. وقال ابن قتيبة: على خليقتة وطبيعته، وهو من الشكل. يقال: لست على شكلي، ولا شاكلي. وقال الزجاج: على طريقتة، وعلى مذهبه. والثاني: على نيته؛ قاله الحسن، ومعاوية بن قرة. وقال الليث: الشاكلة من الأمور: ما وافق فاعله. والثالث: على دينه، قاله ابن زيد. وتحرير المعنى أن كل واحد يعمل على طريقته التي تشاكل أخلاقه، فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند النعم واليأس عند الشدة، والمؤمن يعمل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، والله يجازي الفريقين. وذكر أبو صالح عن ابن عباس: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ بِهِ وَجَدْتُمْهُ﴾ [التوبة: ٥]، وليس بشيء.

﴿وَنَسْأَلُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَسْأَلُكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ مرّ بناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح؟ فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمداً عن

(١) البخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ١٤٠٨/٣، والترمذي ١٤٢/٢ من طرق عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نعيم عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود...

(٢) «المستند» ٢٥٤/٥، والبخاري ٣٠٣/٨، ومسلم ٢١٥٢/٤، والترمذي ١٤٢/٢، وانظر ابن كثير ٦٠/٣ في الكلام على سبب نزول هذه الآية. وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن المنذر وابن حبان وصححه عن ابن عباس ﷺ قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل؟ فقال: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿وَنَسْأَلُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ قالوا: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا العروا، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْكُتُبُ مِثْلَ مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ لَفَنَدْنَاهُ نَجْمًا زَاكِيًا وَلَكِنْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ﴾ ﴿٨٥﴾.

ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي؛ سلوه عن فتية فُقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها، ففسّر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس. وفي المراد بالروح هاهنا ستة أقوال: أحدها: أنه الروح الذي يحيا به البدن، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. وقد اختلف الناس في ماهية الروح، ثم اختلفوا هل الروح النفس، أم هما شيان فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة؟ فأما السلف، فإنهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول حي، علموا أن السكوت عما لم يُحَظَّ بحقيقة علمه أولى. والثاني: أن المراد بهذا الروح: ملك من الملائكة على خلقه هائلة، روي عن علي عليه السلام، وابن عباس، ومقاتل. والثالث: أن الروح: خلق من خلق الله ﷻ صورهم على صور بني آدم، رواه مجاهد عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله الحسن، وقتادة. والخامس: أنه القرآن، روي عن الحسن أيضاً. والسادس: أنه عيسى ابن مريم، حكاه الماوردي. قال أبو سليمان الدمشقي: قد ذكر الله تعالى الروح في مواضع من القرآن، فغالب ظني أن الناقلين نقلوا تفسيره من موضعه إلى موضع لا يليق به، وظنوه مثله، وإنما هو الروح الذي يحيى به ابن آدم. وقوله: ﴿وَمِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من علمه الذي منع أن يعرفه أحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ أَلَيْهِمْ إِلَّا نُفُوسًا﴾ في المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: أنهم جميع الخلق، علمهم قليل بالإضافة إلى علم الله عز وجل، ذكره الماوردي. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟ فالجواب: أن ما أوتيته الناس من العلم، وإن كان كثيراً، فهو بالإضافة إلى علم الله قليل.

﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو شئنا لمحوناه من القلوب والكتب، حتى لا يوجد له أثر، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ أي: لا تجد من يتوكل [علينا] في رد شيء منه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن الله رحمتك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. وقال ابن الأنباري: المعنى: لكن رحمة من ربك تمنع من أن تُسَلَبَ القرآن، وكان المشركون قد خاطبوا نساءهم من المسلمين في الرجوع إلى دين آبائهم، فهدّهم الله ﷻ بسلب النعمة، فكان ظاهر الخطاب للرسول، ومعنى التهديد للامة. وقال أبو سليمان: ﴿ثم لا تجد لك به﴾ أي: بما نفعله بك، من إذهاب ما عندك «وكيلاً» يدفعنا عما نريد بك. وروي [عن] عبد الله بن مسعود أنه قال: يسرى على القرآن في ليلة واحدة، فيجيء جبريل من جوف الليل، فيذهب به من صدورهم ومن بيوتهم، فيصبحون لا يقرؤون آية، ولا يحسنونها<sup>(١)</sup>. ورد أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً»<sup>(٢)</sup>، وحديث ابن مسعود مروي من طريق جسان، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٣/١٣ من رواية الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال: «وليزعن القرآن من بين أظهركم، يسرى عليه ليلاً، فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى في الأرض منه شيء»، وقال الحافظ: وسنده صحيح، لكنه موقوف.

(٢) البخاري ١٧٤/١، ومسلم ٢٠٥٨/٤ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، «ولفظه في البخاري: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ للناس رؤوساً جهالاً فاستلوا فانقرضت علم فضلوا وأضلوا».

(٣) روى ابن ماجه رقم (٤٠٤٩) بسند قوي عن حليفه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «فيدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نكاح ولا صدقة، ويُيسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير، والمجنون، يقولون: أدركنا أبامنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله» فنحن نقولها»، فقال له صلة: ما تنفي عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نكاح ولا صدقة، فأعرض عنه حليفه، ثم ردما عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حليفه، ثم أجبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثاً. قال في «الزوائد»: إسناده صحيح.

﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ قال المفسرون: هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال: «لو شئنا قلنا مثل هذا». والجيش الذي طُلب منهم: كلام له نظم كنظم القرآن، في أعلى طبقات البلاغة. والظهير: المعين.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَنَّى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا الْآرِضُ بِنُورٍ ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكِ جَنَّةٌ مِّنْ ثَمَرٍ ذِي عِجْلٍ وَنُحِبُّ فَتَنْزِلَ عَلَيْنَا نَارٌ مِّنَ السَّمَاءِ كَمَا زُيِّنَتْ عَلَيْنَا مِن قَبْلُ أَوْ تَأْتِي بَالِهَةٍ وَنُلْقِيكَ قَبِيلًا ۝٩١ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ثَعْلَبٍ أَوْ تَرْقَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنَزِّلَ عَلَيْنَا لَكُنَا نَعْرِضُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلُكُمْ ۝٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في هذه السورة [الإسراء: ٤١]، والمعنى: من كل مثل من الأمثال التي يكون بها الاعتبار ﴿فَأَنَّى أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ أي: جحوداً للحق وإنكاراً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا الْآرِضُ بِنُورٍ ۝٩٠﴾ سبب نزول هذه الآية وما يتبعها، أن رؤساء قريش، كعتبة، وشيبة، وأبي جهل، وعبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث في آخرين، اجتمعوا عند الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعدوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تعتدوا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك، فجاهدناهم سريعاً، وكان حريضاً على رشدكم، فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وفرّقت الجماعة، فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب مالاً، جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا، سؤدناك علينا، وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك قد غلب عليك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نُبْرِثَكَ منه، أو نُعْذَرَ فِيك. فقال رسول الله ﷺ: «إن تقبلوا مِنِّي [ما جئتكم به]، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه»<sup>(١)</sup> عليّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم». قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل مِنّا ما عَرْضْنَا، فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيّق بلاداً ولا أشد عيشاً مِنّا، سل لنا ريك يُسِيرَ لنا هذه الجبال التي ضيّقت علينا، ويُجْري لنا أنهاراً، ويبعث من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول: أحق هو؟ فإن فعلت صدقناك، فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت، وقد أبغلتكم ما أرسلت به؟» قالوا: قَسَلُ رَبِّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَلَكًا يَصْذُوكَ، وسله أن يجعل لك جناناً، وكنوزاً، وقصوراً من ذهب وفضة تغنيك؛ قال: «ما أنا بالذي يسأل ربه هذا؟» قالوا: فأسقط<sup>(٢)</sup> السماء [علينا] كما زعمت بأن ربك إن شاء فعل؛ فقال: «ذلك إلى الله ﷻ»، فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، وقال عبد الله بن أبي أمية: لا أؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، وترقى فيه وأنا أنظر، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك، فانصرف رسول الله ﷺ حزينا لما رأى من مبادئهم إياه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ...﴾ الآيات، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَنْزِلَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «حتى تُفْجَر» بضم التاء، وفتح الفاء، وتشديد الجيم مع الكسرة. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «حتى تُفْجَر» بفتح التاء، وتسكين الفاء، وضم الجيم مع التخفيف. فمن ثقل، أراد كثرة الانفجار من البينوع، ومن خفف، فلأن البينوع واحد. فأما البينوع: فهو عين ينوع الماء منها؛ قال أبو عبيدة: هو يقع، من نبع الماء، أي: ظهر وفار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكِ جَنَّةٌ﴾ أي: بستان ﴿فَتَنْزِلَ الْآنْهَرُ﴾ أي: تفتحها وتجريها ﴿جَلَلَهَا﴾ أي: وسط تلك الجنة. قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ﴾ وقرأ مجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وحמיד، والجحدري: «أو تُسْقَطُ» بفتح التاء، ورفع القاف «السما» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿كَيْسًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «كَيْسًا» بتسكين السين في جميع القرآن إلا

(١) في الأصل: تردوا. في الأصل: فسقط، والتصحيح من «الطبري»، و«ابن كثير»، و«الدر».

(٢) في الأصل: تردوا.



في [الروم: ٤٨] فَإِنَّهُمْ حَرَكُوا السِّينَ. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم بتحريك السين في الموضعين، وفي باقي القرآن بالتسكين. وقرأ ابن عامر هاهنا بفتح السين، وفي باقي القرآن بتسكينها. قال الزجاج: من قرأ «كِسْفًا» بفتح السين، جعلها جمع كِسْفَةٍ، وهي: القطعة، ومن قرأ «كِسْفًا» بتسكين السين، فكانهم قالوا: أَسْقَطُهَا طَبَقًا عَلَيْنَا؛ واشتقاقه من كَسَفْتُ الشَّيْءَ: إِذَا غَطَّيْتَهُ، يعنون: أَسْقَطُهَا عَلَيْهَا قطعة واحدة. وقال ابن الأنباري: من سَكَنَ قال: تأويله: سترًا وتغطية، من قولهم: قد انكسفت الشمس: إذا غطاها ما يحول بين الناظرين إليها وبين أنوارها.

قوله تعالى: ﴿أَزْ نَأَىٰ يَأْتِيهِ اللَّهُ وَالْمَلَكُوتُ بَيِّنًا﴾ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: عيانًا، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن جريج، ومقاتل. وقال أبو عبيدة: معناه. مقابلة، أي: معاينة، وأنشد للأعشى:

نُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبْؤُوا بِمِثْلِهَا      كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قِيلُهَا<sup>(١)</sup>

أي: قابِلَتُهَا. ويروى: وَجْهَتُهَا [يعني بدل: يسرتها]. والثاني: كفيلاً أنك رسول الله، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء، قال: القليل، والكفيل، والزعيم، سواء؛ تقول: قبلت، وكفلت وزعمت. والثالث: قبيلة، كل قبيلة على جذتها، قاله الحسن، ومجاهد. فأما الزخرف، فالمراد به الذهب، وقد شرحنا أصل هذه الكلمة في [يونس: ٢٤]، و«ترقى»: بمعنى «تصعد»؛ يقال: رَقَيْتُ أَرَقَى رُقْيًا.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ نَزْلُ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ قال ابن عباس: كتاباً من رب العالمين إلى فلان يصبح عند كل واحد منا يقرؤه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «قل». وقرأ ابن كثير، وابن عامر: «قال»، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والشام، ﴿قُلْ كُنْتُ إِلَّا بِنُورٍ رَسُولًا﴾، أي: أن هذه الأشياء ليست في قوى بشر. فإن قيل: لِمَ اقتصر على حكاية «قالوا» من غير إيضاح الرد؟ فالجواب: أنه لما خصهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِيُنْزِلَ إِلَيْكُمُ الْوَحْيُ وَالْحِكْمُ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ فلم يكن في وسعهم، عجزهم، فكانه يقول: قد أوضحت لكم بما سبق من الآيات ما يدل على نبوتي، ومن ذلك التحدي بمثل هذا القرآن، فأما عَنَتُكُمْ فليس في وسعي، ولأنهم الخوا عليه في هذه الأشياء، ولم يسألوه أن يسأل ربه، فرد قولهم بكونه بشراً، فكفى ذلك في الرد.

﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَنِيَّ رَسُولًا﴾ ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكُوتٌ يَسْتَوُونَ﴾ ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: وما منهم من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو البيان والإرشاد في القرآن ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [أي: إلا] قولهم في التعجب والإنكار: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَنِيَّ رَسُولًا؟﴾ وفي الآية اختصار، تقديره: هلا بعث الله ملكاً رسولاً، فأجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَكُوتٌ يَسْتَوُونَ﴾ أي: مستوطنين الأرض. ومعنى الطمأنينة: السكون؛ والمراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ قد فسرناه في [الرعد: ٤٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ يَمَّا يَدْعُو خَيْرًا مِّمَّنْ دُعِيَ﴾ قال مقاتل: حين اختص الله محمداً بالرسالة.

﴿وَمَنْ يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلَّ فَلَنْ يَجِدَ لَمْ أُوتِ الْوَيْلَةَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ دُجُومِهِمْ عُنَاً وَبَيْنَا وَمَنْ نَأْتِيَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا جَاءَتْ رُدَّتْهُمْ سَجِيرًا﴾ ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَوَلَا كُنَّا عَظَمَاءَ وَرُفَعَاءَ أَوَلَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمِينَ إِلَّا كُفْرًا﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْتَكْمَلُنَّ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَدْعُ اللَّهَ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو بالياء في الوصل، وحذفها في الوقف. وأثبتها

(١) «الطبري» ١٦٢/١٥. وهو في ملحق «ديوان الأعشى» ٢٥٦ برواية «شواهد الكشاف» ٢٤٧، «واللسان»: قبل. وعجز البيت في «الإصلاح» ١٦٠، «فتح الباري» ٢٩٨/٨.



يعقوب في الوقف، وحذفها الأكثرون في الحاليتين. «من يهد الله» قال ابن عباس: من يرد الله هداً ﴿فَهُوَ أَلْفُتَيْتٌ وَنَّ يُضِلُّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يمشيهم على وجوههم، وشاهده ما روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أنس بن مالك أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجله في الدنيا، قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المعنى: ونحشرهم مسحوبين على وجوههم، قاله ابن عباس. والثالث: نحشرهم مسرعين مبادرين، فعبر بقوله: «على وجوههم» عن الإسراع، كما تقول العرب: قد مرَّ القوم على وجوههم: إذا أسرعوا، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصَمًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: عمياً لا يرون شيئاً يَسْرُهُمْ، وبكماً لا ينطقون بحجة، وصماً لا يسمعون شيئاً يَسْرُهُمْ، قاله ابن عباس. وقال في رواية: عمياً عن النظر إلى ما جعل لأوليائه، وبكماً عن مخاطبة الله، وصماً عما مدح به أوليائه، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن هذا الحشر في بعض أحوال القيامة بعد الحشر الأول. قال مقاتل: هذا يكون حين يقال لهم: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيصرون عمياً بكماً صماً لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابن عباس: أي: سكنت. قال المفسرون: وذلك أنها تأكلهم، فإذا لم تبق منهم شيئاً وصاروا فحماً ولم تجد شيئاً تأكله، سكنت، فيعادون خلقاً جديداً، فتعود لهم. وقال ابن قتيبة: يقال: خبت النار: إذا سكن لهبها. فاللهب يسكن، والجمر يعمل، فإن سكن اللهب، ولم يطقأ الجمر، قيل: خمدت تَخْمُدُ خُمُوداً، فإن طُففت ولم يبق منها شيء، قيل: خمدت تَهْمُدُ هُمُوداً. ومعنى ﴿وَيَذْنَهُمْ سَوِيًّا﴾: ناراً تسعر، أي: تلهب. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الإسراء: ٤٩] إلى قوله: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: على أن يخلقهم مرة ثانية، وأراد به مثلهم إياهم، وذلك أن مثل الشيء مساو له، فجاز أن يعبر به عن نفس الشيء، يقال: مثلك لا يفعل هذا، أي: أنت، ومثله قوله: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِي مَا آمَنَمُ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿وَيَذْنَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلَ لَا رَبَّ فِيهِ﴾ يعني: أجل البعث ﴿فَأَكِلَ الظَّالِمُونَ لِمَا كُفِّرُوا﴾ أي: جحوداً بذلك الأجل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ قال الزجاج: المعنى: لو تملكون أنتم، قال المتلئس:

وَلَوْ غَيْرُ أَخَوَالِي أَزَادُوا نَقِصَ صَرِي

نَصَبْتُ لَهُمْ قَوْقُ الْعِرَانِينَ مِيسَمًا<sup>(٢)</sup>

المعنى: لو أراد غير أخوالي. وفي هذه الخزائن قولان: أحدهما: خزائن الأرزاق. والثاني: خزائن النعم، فيخرج في الرحمة قولان: أحدهما: الرزق. والثاني: النعمة. وتحرير الكلام: لو ملكتم ما يملكه الله ﷻ لأمسكنكم عن الإنفاق خشية الفاقة. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ يعني: الكافر ﴿فَكُتُورًا﴾ أي: بخيلاً مُنْسِكًا؛ يقال: قَتَرٌ يَقْتَرُ، وَقَتَرٌ يَقْتَرُ: إذا قَصَّرَ في الإنفاق. وقال الماوردي: لو ملك أحد من المخلوقين من خزائن الله تعالى، لما جاد كجود الله تعالى، لأمرين: أحدهما: أنه لا بد أن يُمسِكَ منه لفقته ومنفعته. والثاني: أنه يخاف الفقر، والله تعالى منزّه في جوده عن الحالين. ثم إن الله تعالى ذكر إنكار فرعون آيات موسى، تشبيهاً بحال هؤلاء المشركين، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ شِعْرَ الْكَاسِ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها بمعنى المعجزات والدلالات، ثم اتفق جمهور المفسرين على سبع آيات منها، وهي: يده، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، واختفوا في الآيتين الأخريتين على ثمانية أقوال. أحدها: أنهما لسانه والبحر الذي فلق له، رواه العوفي عن ابن عباس؛ يعني بلسانه: أنه كان فيه عقدة فحلها الله تعالى له. والثاني: البحر والجبل الذي نُتِقَ فوقهم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: السُّنُونُ ونقص الثمرات، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، وقتادة. وقال الحسن: السُّنُونُ ونقص الثمرات آية واحدة. والرابع: البحر والموت أرسل عليهم، قاله الحسن، ووهب. والخامس: الحَجَرُ والبحر، قاله سعيد بن جبير. والسادس: لسانه وإلقاء العصا مرتين عند فرعون، قاله الضحاك. والسابع: البحر والسُّنُونُ، قاله محمد بن كعب. والثامن: ذكره [محمد بن إسحاق عن] محمد بن كعب أيضاً،

فذكر السبع الآيات الأولى، إلا أنه جعل مكان يده البحر، وزاد الطمسة والحجر، يعني قوله: ﴿أَلَيْسَ عَلَىٰ أَنْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٤٨٨]. والثاني: أنها آيات الكتاب، روى أبو داود السجستاني من حديث صفوان بن عسال، أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر لا تقل: إنه نبي، فإنه لو سمع ذلك، صارت له أربعة أعين؛ فأتياه، فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال: «لا تشاركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشوا بالبريء إلى السلطان ليقتله، ولا تسخرُوا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تقربُوا من الرِّحف، وعليكم خاصة يهود ألا تغدُوا في السبت»، قال: فقَبَلَا يده، وقالوا: نشهد أنك نبي<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِتْرَ مَا يَشَاءُ لِيُخَالِفَ بِإِذْنِهِ لُجُومَ النَّاسِ ۚ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُدْعُوهُنَّ لِيَكُونَ مِنكُم مِّن شَرِكٍ ۚ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنتَ بِهَؤُلَاءِ إِلَّا رَجُلٌ كَذَّابٌ ۚ فَأَرَادَ أَن يَسْتَرْفِعَهُ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ ۚ وَمِن مَّعْمَرٍ جَمِيعًا ۚ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنِيَ إِسْرَءِيلُ ۚ فَكُتِبَ الْأَرْضُ لِمُوسَىٰ إِذْ أَتَاهُ ۚ وَأَمَّا الْكُفْرُ فَهُوَ سَرْمَدٌ ۚ وَلِكُلِّ قَوْمٍ لَّعْنَةٌ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿فَكُتِبَ لِيُخَالِفَ بِإِذْنِهِ لُجُومَ النَّاسِ﴾ [يونس: ٤٨٨]. فاسأل: على معنى الأمر لرسول الله ﷺ. وإنما أمر أن يسأل من آمن منهم عما أخبر [به] عنهم، ليكون حجة على من لم يؤمن منهم. وقرأ ابن عباس: «فَسَأَلَ بني إسرائيل»، [على معنى] الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل. ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ أي: لأحسبك ﴿يُدْعُوهُنَّ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: مخدوعاً، قاله ابن عباس. والثاني: مسحوراً قد سُحِرَتْ، قاله ابن السائب. والثالث: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، هذا مروى عن الفراء، وأبي عبيدة. فقال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ علي ﷺ بضمها، وقال: والله ما عَلِمَ عدو الله، ولكن موسى هو الذي عَلِمَ، فبلغ ذلك ابن عباس، فاحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَعَدُوا بِهَا وَأَسْخَفْنَاهَا أَفَأُصْحَبُ أَيِّ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [النمل: ١٤]. واختار الكسائي وثعلب قراءة علي ﷺ وقد رويت عن ابن عباس، وأبي رزين، وسعيد بن جبير، وابن يعمر. واحتج من نصرها بأنه لما نَسَبَ موسى إلى أنه مسحور، أعلمه بصحة عقله بقوله: «لقد علمت»، والقراءة الأولى أصح، لاختيار الجمهور، ولأنه قد أبان موسى من المعجزات ما أوجب علم فرعون بصدقه، فلم يرد عليه إلا بالتعلل والمدافعة، فكأنه قال: لقد علمت بالدليل والحجة ما أنزل هؤلاء، يعني الآيات. وقد شرحنا معنى «البصائر» في [الأعراف: ٢٠٣].

قوله تعالى: ﴿وَلِيَّ لُجُومٍ﴾ قال أكثر المفسرين: الظن هاهنا بمعنى العلم، على خلاف ظن فرعون في موسى، وسوى بينهما بعضهم، فجعل الأول بمعنى العلم أيضاً. وفي الميثور ستة أقوال: أحدها: أنه الملعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: المغلوب، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: الناقص العقل، رواه يمين بن مهراز عن ابن عباس. والرابع: المهلك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الزجاج: يقال: بُر الرجل، فهو ميثور؛ إذا هلك. والخامس: الهالك، قاله مجاهد. والسادس: الممنوع من الخير؛ تقول العرب: ما بُرِكَ عن هذا، أي: ما منعك، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَرْفِعَهُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: فرعون أراد أن يستفزع بني إسرائيل من أرض مصر. وفي معنى «يستفزعهم» قولان: أحدهما: يستأصلهم، قاله ابن عباس. والثاني: يستخفهم حتى يخرجوا، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية. قال العلماء: وفي هذه الآية تنبيه على نصرة رسول الله ﷺ، لأنه لما خرج موسى فطلبه فرعون، هلك فرعون وملك موسى، وكذلك أظهر الله نبيه بعد خروجه من مكة حتى رجع إليها ظاهراً عليها.

(١) كذا ذكر المؤلف الحديث من رواية أبي داود السجستاني عن صفوان بن عسال، ولم نره في «سنن أبي داود» عن صفوان، بل هو في «مسند أحمد» ٤/٢٣٩، و«سنن الترمذي» ٩٨/٢، والنسائي، وابن ماجه رقم (٣٧٠٥). ولغظه في الترمذي: فقبِلُوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فما منعكم أن تبصروني؟» قالوا: إن داود ﷺ دعا ربه أن لا يزال من فرثه نبي، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود. وقال الترمذي في آخره: هذا حديث حسن صحيح. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٦٧/٣: وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة - أحد الرواة - في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون، والله أعلم. اهـ. وأما الذي في «سنن أبي داود» فهو من حديث ابن عمر في قصة رقم (٢٦٤٧): فدوننا - يعني من النبي ﷺ - فقبلنا يده، وجاء مختصراً برقم (٥٢٣٣)، وهو في «سنن أبي داود» أيضاً رقم (٥٢٢٥) من حديث زارع وكان في وفد عبد القيس قال: لما قدمنا المدينة، فجعلنا نتبادر من رواحلتنا فنقبل يد النبي ﷺ ورجله... الحديث.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا بَلَدُ بَلَدٍ﴾ أي: من بعد هلاك فرعون ﴿لَنَبْنِي لَكَ بَلَدًا آخَرَ﴾، وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: فلسطين والأردن، قاله ابن عباس. والثاني: أرض وراء الصَّين، قاله مقاتل. والثالث: أرض مصر والشام. قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: القيامة ﴿جِئْنَا بِكَ لَيْسًا﴾ أي: جيمعاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن قتيبة. وقال الفراء: لَيْسًا، أي: مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا. وقال الزجاج: اللقيف: الجماعات من قبائل شتى. ﴿وَيُلْقِي أَرْزَاقَهُ بِالْحَقِّ زُلْزَلًا وَثَبَاتًا وَلَا تُنْزِلُ إِلَّا أَرْزَاقَهُ إِلَّا مُمْسِكًا وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ وَفَرَّقْنَا قُرْطَنَهُ لِلْقَرَامِ عَلَى الْكَافِ عَنِ مَكِّي وَزَلَّزْنَاهُ لَنَزِيكٍ ﴿فَلَمْ يَأْمُرُوا بِهِ أَوْ لَا تَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ أَلَيْسَ أَوْثَرُ الْوَلَمِ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُرُونَ وَزَيْدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُلْقِي أَرْزَاقَهُ﴾ الهاء كناية عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والَّذِينَ المستقيم، فهو حَقٌّ، ونزوله حق، وما تضمنه حق. وقال أبو سليمان الدمشقي: «وبالحق أنزلناه» أي: بالتوحيد، «وبالحق نزل» يعني: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي.

قوله تعالى: ﴿وَفَرَّقْنَا قُرْطَنَهُ﴾ قرأ علي عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس: وأبو رزين، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والأعرج، وأبو رجاء، وابن محيصن: «فرَّقناه» بالتشديد. وقرأ الجمهور بالتخفيف. فأما قراءة التخفيف، ففي معناها ثلاثة أقوال: أحدها: بَيْنَا حلاله وحرامه، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: فرقنا فيه بين الحق والباطل، [قاله الحسن]. والثالث: أحكمناه وفصلناه، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، قاله الفراء. وأما المشددة، فمعناها: أنه أنزل متفرقاً، ولم ينزل جملة واحدة. وقد بينّا في أول كتابنا هذا مقدار المدة التي نزل فيها.

قوله تعالى: ﴿لِلْقَرَامِ عَلَى الْكَافِ عَنِ مَكِّي﴾ قرأ أنس، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وأبو رجاء، وأبان عن عاصم، وابن محيصن: بفتح الميم، والمعنى: على ثُودَة وترسل ليتدبروا معناه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَأْمُرُوا بِهِ أَوْ لَا تَتَوَسَّلُوا﴾ هذا تهديد لكفار [أهل] مكة، والهاء كناية عن القرآن. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَوْثَرُ الْوَلَمِ﴾ وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس من أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم الأنبياء عليهم السلام، قاله ابن زيد. والثالث: طلاب الدِّين، كأبي ذر، وسلمان، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو، قاله الواحدي. وفي هاء الكناية في قوله: ﴿فَلَمْ يَأْمُرُوا بِهِ أَوْ لَا تَتَوَسَّلُوا﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن، والمعنى: من قبل نزوله. والثاني: ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن زيد. فعلى الأولى ﴿إِنَّا يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن. وعلى قول ابن زيد ﴿إِنَّا يَسْأَلُ عَلَيْهِمْ﴾ ما أنزل إليهم من عند الله.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ اللام هاهنا بمعنى «على». قال ابن عباس: قوله «للأذقان» للوجوه. قال الزجاج: الذي يَخْرُجُ وهو قائم، إنما يَخْرُجُ لوجهه، والدِّقْن: مُجْتَمِع اللَّحْيَيْنِ، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يَخْرُجُ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الدِّقْن. وقال ابن الأنباري: أول ما يلقى الأرض من الذي يَخْرُجُ قبل أن يَصُوبَ جبهته ذقنه، فلذلك قال: «للأذقان». ويجوز أن يكون المعنى: يَخْرُجُونَ للوجوه، فاكتمى بالدقن من الوجه كما يُكتمى بالبعض من الكل، وبالنوع من الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ نَزَّهَا اللهُ تعالى عن تكذيب المكذِّبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم، واللام دخلت للتوكيد. وهؤلاء قوم كانوا يسمعون أن الله باعث نبيّاً من العرب، ومُنَزَّل عليه كتاباً، فلما عاينوا ذلك، حمدوا الله تعالى على إنجاز الوعد، ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كرر القول ليدل على تكرار الفعل منهم. ﴿وَزَيْدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: يزيدهم القرآن تواضعاً. وكان عبد الأعلى التيمي يقول: من أوتي من العلم ما لا يُكفيه، لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله تعالى نعت العلماء فقال: «إِنَّ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ...» إلى قوله: «يكون».

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخْلُفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ ذَلِكَ سَبِيلُ اللَّهِ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ لَكُمْ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ وِثْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَكَرَّةً تَكْبَرًا﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾ الآية. هذه الآية نزلت على سببين. نزل أولها إلى قوله: ﴿الْحُسْنَى﴾

على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ تهجد ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: «يا رحمن، يا رحيم»، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهاً واحداً، فهو الآن يدعو إلهين اثنين: الله، والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة، يعنون: مسيلة، فأنزل الله هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ كان يكتب في أول ما أوحى إليه: باسمك اللهم، حتى نزل: ﴿إِنَّكَ مِنْ شَيْئَيْنِ وَلَئِنَّ مَسْرُودَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٠]، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه، فما الرحمن؟ فنزلت هذه الآية، قاله ميمون بن مهران. والثالث: أن أهل الكتاب قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتقول ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك. فأما قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فنزل على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالقرآن بمكة، فيسب المشركون القرآن ومن أتى به، فخفض رسول الله ﷺ صوته بعد ذلك حتى لم يسمع أصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقرائك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافُ يَهَا﴾ عن أصحابك، فلا يسمعون، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الأعرابي كان يجهر في التشهد ويرفع صوته، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة. والثالث: أن رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة عند الصفا، فجهر بالقرآن في صلاة الغداة، فقال أبو جهل: لا تفتّر على الله، فخفض النبي ﷺ صوته، فقال أبو جهل للمشركين: ألا ترون ما فعلت بآبن أبي كبشة؟! رددته عن قراءته، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. فأما التفسير، فقله: ﴿فَلْيُأْذَعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ المعنى: إن شئتم فقولوا: يا الله، وإن شئتم فقولوا: يا رحمن، فإنهما يرجعان إلى واحد، ﴿أَبَا مَا تَدْعُوا﴾ المعنى: أي أسماء الله تدعوا؛ قال الفراء: و«ما» قد تكون صلة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَهُمْ نَكَوْبٌ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وتكون في معنى: «أي» معادة لما اختلف لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الصلاة الشرعية. ثم في المراد بالكلام ستة أقوال: أحدها: لا تجهر بقرائك، ولا تخافت بها، فكأنه نهي عن شدة الجهر بالقراءة، وشدة المخافتة، قاله ابن عباس. فعلى هذا في تسمية القراءة بالصلاة قولان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن يكون المعنى: فلا تجهر بقراءة صلاتك. والثاني: أن القراءة بعض الصلاة، فنابت عنها، كما قيل لعيسى: كلمة الله، لأنه بالكلمة كان. والثاني: لا تصل وراءه للناس، ولا تدعها مخافة الناس، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: لا تجهر بالتشهد في صلاتك، روي عن عائشة في رواية، وبه قال ابن سيرين. والرابع: لا تجهر بفعل صلاتك ظاهراً، ولا تخافت بها شديد الاستتار، قاله عكرمة. والخامس: لا تحسّن علانيته، وتيسر سريرتها، قاله الحسن. والسادس: لا تجهر بصلاتك كلها، ولا تخافت بجمعها، فاجهر في صلاة الليل، وخافت في صلاة النهار، على ما أمرناك به، ذكره القاضي أبو يعلى. والقول الثاني: أن المراد بالصلاة: الدعاء، وهو قول عائشة، وأبي هريرة، ومجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافُ يَهَا﴾ المخافتة: الإخفاء، يقال: صوت خفيت. ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أي: اسلك بين الجهر والمخافتة طريقاً. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نُسخَت هذه الآية بقوله: ﴿وَالَّذِينَ رَزَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِكَ قَصُورًا وَخِفَةً وَذُنُوبُهُمْ كَالْجَبْرِ مِنْ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال ابن السائب: نُسخَت بقوله: ﴿فَأَصْلَحْ بِمَا قُومِرَ﴾ [الحجر: ٩٤]؛ وعلى التحقيق، وجود النسخ هاهنا بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «في الملك» بكسر الميم. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الَّذِينَ﴾ قال مجاهد: لم يحالف أحداً، ولم يبتغ نصر أحد؛ والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالة أحد لذلك يلحقه، فهو مستغن عن الولي والنصير. ﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْتَغِي﴾ أي: عظمه تعظيماً تاماً.



(١) أخرجه ابن جرير الطبري ١٨٢/١٥ عن مكحول أن النبي ﷺ كان يتعهد بمكة... إلخ، وهو مرسل.

(٢) «الطبري» ١٨٤/١٥، وأحمد في «المستند» ٢١٥/١، والبخاري ٣٠٧/٨، ومسلم.



## سورة الكهف

### فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أن سورة (الكهف) مكية، وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وقتادة. وهذا إجماع المفسرين من غير خلاف نعلمه، إلا أنه قد روي عن ابن عباس، وقتادة أن منها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَأَمِيرٌ نَقَّصَكَ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال مقاتل: من أولها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُودًا﴾ [الكهف: ٨] مدني، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] الأيتان. مدنية، وباقيةا مكي. وروى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حفظ عشر آيات من أول (الكهف) ثم أدرك الدجال لم يضره، ومن حفظ خواتيم سورة (الكهف) كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ يَدَّبَّ إِلَهُ آتِزَ عَلَى عِبَادِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِزًّا ۝ فِيمَا يَنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ تَتَكَبَّرُ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَثُرَتْ كَلِمَةُ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسُكَ عَلَى أَنْتَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قد شرحناه في أول «الفاتحة». والمراد بعبده هاهنا: محمد ﷺ، وبالكتاب: القرآن، تملّح بإنزاله، لأنه إنعام على الرسول خاصة، وعلى الناس عامة. قال العلماء باللغة والتفسير: في هذه الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أنزل على عبده الكتاب ﴿فِيمَا﴾ أي: مستقيماً عدلاً. وقرأ أبو رجاء، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، والنخعي، والأعمش: ﴿فِيمَا﴾ بكسر القاف، وفتح الياء، وقد فسرناه في [الأنعام: ١٦١].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِزًّا﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافاً، وقد سبق بيان العوج في [آل عمران: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿يُنذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: عذاباً شديداً، ﴿مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾ أي: من عنده، ومن قبيله، والمعنى: لينذر الكافرين ﴿وَيُنَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنة. ﴿تَتَكَبَّرُ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي: مقيمين، وهو منصوب على الحال. ﴿وَيُنذِرُ﴾ بعذاب الله ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون حين قالوا: الملائكة بنات الله، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ بذلك القول ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿كَثُرَتْ﴾ أي: عظمت ﴿كَلِمَةُ﴾ الجمهور على النصب. وقرأ ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وأبو رزين، وأبو رجاء، ويحيى بن يعمر، وابن محيصن، وابن أبي عبة: «كلمة» بالرفع. قال الفراء: من نصب، أضمر: كُبريت تلك الكلمة كلمة، ومن رفع، لم يضر شيئاً، كما تقول: عظمت قولك. وقال الزجاج: من نصب، فالمعنى: كبرت مقالاتهم: اتخذ الله ولداً كلمة، و«كلمة» منصوب على التمييز. ومن رفع، فالمعنى: عظمت كلمة هي قولهم: اتخذ الله ولداً.

(١) ذكره بهذا اللفظ السيوطي في «الدرر» ٢٠٩/٤ من رواية أبي عبيد، وابن مردويه، عن أبي الدرداء ﷺ. وروى أحمد في «المسند» ٤٤٩/٤، ومسلم في «صحيحه» ٥٥٥/١، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٣٢٣) عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة (الكهف) عصم من الدجال» ورواه أحمد ٤٤٦/٤ عن أبي الدرداء بلفظ: «من قرأ عشر آيات من آخر الكهف...» ورواه مسلم وأبو داود من حديث قتادة به، ورواه الترمذي ١١٢/٢ عن أبي الدرداء بلفظ: «من قرأ ثلاث آيات من أول (الكهف) عصم من فتنه الدجال» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْ قَوْمِهِمْ﴾ أي: إنها قول بالفم لا صحة لها، ولا دليل عليها، ﴿إِنْ يَقُولُ﴾ أي: ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾. ثم عاتبه على حُزْنِهِ لفوت ما كان يرجو من إسلامهم، فقال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ نَقْصَ نَفْسِكَ﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وقَتَادَةُ: «بَاخَعُ نَفْسِكَ» بكسر السين، على الإضافة. قال المفسرون واللغويون: فلعلك مهلك نفسك، وقاتل نفسك، وأنشد أبو عبيدة لذي الرِّمَّة:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجِدُ نَفْسَهُ      لِشَيْءٍ نَحَشَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ<sup>(١)</sup>

أي: نَحَشَهُ. فَإِنْ قِيلَ: كيف قال: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ﴾ والغالب عليها الشك، والله عالم بالأشياء قبل كونها؟ فالجواب: أنها ليست بشك، إنما هي مقدرة تقدير الاستفهام الذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتل نفسك؟! لا ينبغي أن يطول أساك على إعراضهم، فإن من حَكَمْنَا عليه بالشَّقْوَةِ لا تجدي عليه الحسرة، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ﴾ أي: من بعد توليهم عنك ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿أَسْفًا﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: حَزَنًا، قاله ابن عباس، وابن قتيبة. والثاني: جَزَعًا، قاله مجاهد. والثالث: غَضَبًا، قاله قتادة. والرابع: نَدَمًا، قاله السدي. وقال أبو عبيدة: نَدَمًا وَتَلَهُفًا وَأَسَى. قال الزجاج: الأسف: المبالغة في الحزن، أو الغضب، يقال: قد أسف الرجل، فهو أسيف، قال الشاعر:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا      يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُخَضَّبًا<sup>(٢)</sup>

وهذه الآية يشير بها إلى نهى رسول الله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه لئلا يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

﴿وَإِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ﴾ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: العلماء، رواه مجاهد عن ابن عباس. فعلى هذين القولين تكون «ما» في موضع «مَنْ» لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأنباري. والثالث: أنه ما عليها من شيء، قاله مجاهد. والرابع: النبات والشجر، قاله مقاتل. وقول مجاهد أمم، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن، وغير ذلك. فإن قيل: قد نرى بعض ما على الأرض سَمِجًا وليس بزينة. فالجواب: أنا إن قلنا: إن المراد [به] شيء مخصوص، فالمعنى: إنا جعلنا بعضها على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص. وإن قلنا: هم الرجال أو العلماء، فلعبادتهم أو لدلائلهم على خالقهم. وإن قلنا: النبات والشجر، فلأنه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية. وإن قلنا: إنه عام في كل ما عليها، فلكونه دالًّا على خالقه، فكأنه زينة الأرض من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ أي: لنختبر الخلق، والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلى، قال ابن الأنباري: من قال: إن «ما على الأرض» يعني به النبات، قال: الهاء والميم ترجع إلى سكان الأرض المشاهدين للزينة، ومن قال: «ما على الأرض» الرجال، ردَّ الهاء والميم على «ما» لأنها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيُّهم أحسن عملًا، هذا، أم هذا. قال الحسن: أيُّهم أزهد في الدنيا. وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوال في سورة [معد: ٤٧]. ثم أعلم الخلق أنه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ قال الزجاج: الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الصعيد: التراب، ووجه الأرض. فأما الجُرْزُ، فقال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أرض جُرْزُ، وجُرْزُ. وأسد تقول: جَرَزَ، وجُرْزَ، وتميم تقول: أرض جُرْزُ، وجُرْزُ، بالتخفيف، وقال أبو عبيدة: الصعيد الجُرْزُ: الغليظ الذي لا يُنْبِتُ شيئًا. ويقال للسَّيَّةُ الْمُجْبِيَّةُ: جُرْزُ، ويسنون أجواز، لجوديتها، وقلة مطرها، وأنشد:

(١) ديوانه طبع المكتب الإسلامي صفحة (٣٣٨)، و«الطبري» ١٥/١٩٤، و«مجاز القرآن» ١/٣٩٣، و«القرطبي» ١٠/٣٤٨، و«الصحاح» و«الترغيب والالتباس» و«التاج»: بئع، وفتح الباري ٨/٣٠٨.

(٢) قاتله الأعشى الكبير ميمون بن قيس: «ديوانه» ١١٥، و«اللسان»: أسف. والأسف: الحزين والغضبان ولا يكاد يسمن، لأن الحقد يأكله.

فَلَمَّا جَازَوْهُمُ السُّنُونَ الْأَجْرَازُ<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: الجز: الأرض التي لا ينبت فيها شيء، كأنها تأكل النبت أكلًا. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الجز: [الأرض] التي لا يبقى بها نبات، تحرق كل نبات يكون بها. وقال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستوية لا نبات فيها ولا ماء.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ١٠ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ١١ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُوهُمْ أَهْلُوا حِسَابًا أَمْ لَا﴾ ١٣

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ نزلت على سبب قد ذكرناه عند قوله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال ابن قتيبة: ومعنى «أم حسبت»: أحسبت. فأما «الكهف» فقال المفسرون: هو المغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر، فهو غار. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الكهف بمنزلة الغار في الجبل. فأما الرقيم، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه لوح من رصاص كانت فيه أسماء الفتية مكتوبة ليعلم من اطلع عليهم يوماً من الدهر ما قصتهم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية. وقال السدي: الرقيم: صخرة كُتِبَ فيها أسماء الفتية، وجُعِلَتْ في سُورِ المدينة. وقال مقاتل: الرقيم: كتاب كتبه رجلان صالحان، وكانا يكتمان إيمانهما من الملك الذي فَرَّ منه الفتية، كتبا أمر الفتية في لوح من رصاص، ثم جعلاه في تابوت من نحاس، ثم جعلاه في البناء الذي سَدُّوا به باب الكهف، فقالا: لعل الله أن يُظْلِعَ على هؤلاء الفتية أحداً، فيعلمون أمرهم إذا قرؤوا الكتاب. وقال الفراء: كُتِبَ في اللوح أسماؤهم، وأنسابهم، ودينهم، ومن كانوا. قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: الرقيم: الكتاب، وهو فعيل بمعنى مفعول، ومنه: كتاب مرقوم، أي: مكتوب. والثاني: أنه اسم القرية التي خرجوا منها، قاله كعب. والثالث: اسم الجبل، قاله الحسن، وعطية. والرابع: أن الرقيم: الدواء، بلسان الروم، قاله عكرمة ومجاهد في رواية. والخامس: اسم الكلب، قاله سعيد بن جبير. والسادس: اسم الوادي الذي فيه الكهف، قاله قتادة، والضحاك.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قال المفسرون: معنى الكلام: أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا؟! قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم، فإن خلق السموات والأرض وما بينهما أعجب من قصتهم. وقال ابن عباس: الذي آتيتك من الكتاب والسنة والعلم، أفضل من شأنهم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ قال الزجاج: معنى: أَوَى إليه: صاروا إليه، وجعلوه مأواهم. والفتية: جمع فتى، مثل غلام وغلمة، وصبي وصبية. و«فيلة» من أسماء الجمع، وليس ببناء يقاس عليه؛ لا يجوز غراب وغرنة، ولا غني وغنية. وقال بعض المفسرين: الفتية: بمعنى الشبان. وقد ذكرنا عن القتيبي أن الفتى: بمعنى الكامل من الرجال، ويثناه في قوله تعالى: ﴿وَيَنْتَظِرُكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ [النساء: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ أي: من عندك ﴿رِزْقًا﴾ أي: رزقاً ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أصلح لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أرشدنا إلى ما يقرئنا منك. والمعنى: هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد. والرشد والرشد، والرشد: نقيض الضلال.

### تلخيص قصة أصحاب الكهف

اختلف العلماء في بُدُو أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براع له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبدون، ورجل منهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنهم قد ذُكِرُوا، فبكوا وتَعَوَّذُوا بالله من الفتنة،

فضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسد عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النّوم، وكلّبهم قد غشيه ما غشيههم. ثم إن رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتباً أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس في البنيان، وقالوا: لعل الله يُطلع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم، هذا قول ابن عباس. وقال عبيد بن عمير: قدّهم قومهم فطلبوهم، فعَمَى الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدّناهم في شهر كذا، في سنة كذا، في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: لِيَكُونَنَّ لهذا شأن. والثاني: أن أحد الحواريين جاء إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها، فقيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له، فكره أن يدخلها، فأتى حماماً قريباً من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعلقه فتية من أهل المدينة، فجعل يخبرهم عن خبر السماء والأرض، وخبر الآخرة، فأمنوا به وصدّقوه، حتى جاء ابن الملك يوماً بامرأة، فدخل معها الحمام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبّه ودخل، فمات وماتت المرأة في الحمام، فأتى الملك، فقيل له: إن صاحب الحمام قتل ابنك، فالتبس فهر، فقال: من كان يصحبه؟ فسُمي له الفتية، فالتبسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحب لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فتزورنا أيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل [الكهف] أربع، فقال قائل للملك: أليس قلت: إن قدرْتُ عليهم قتلْتُهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتى يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل، هذا قول وهب بن منبه. والثالث: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشرافهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم، هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يجده، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السموات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربُّنا ربُّ السموات والأرض، فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، هذا قول مجاهد. وقال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفرّدوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم.

### فصل

فأما سبب بعث أصحاب الكهف من نومهم، فقال عكرمة: جاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، فاختلّفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يُبعث الروح والجسد. وقال قائل: يبعث الروح وحده، والجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فسق اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس المسوح، وقعد على الرماد، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف. وقال وهب بن منبه: جاء راعٍ قد أدركه المطر إلى الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتحه، ورد الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغد. وقال ابن السائب: احتاج صاحب الأرض التي فيها الكهف أن يبني حظيرة لغنمه، فهدم ذلك السدّ، فبنى به، فانفتح باب الكهف. وقال ابن إسحاق: ألقى الله في نفس رجل من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان فيبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين ينزعان تلك الحجارة، فنزعاهما، وفتحا باب الكهف، فجلسوا فرحين، فسلم بعضهم على بعض لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئاً يكرهونه، إنما هم على هيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم في طلبهم، فصلّوا، وقالوا ليمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع، ما نذكر به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتكر فيها، وخرج فرأى الحجارة قد نزعَت عن باب الكهف، فعجب، ثم مرَّ مستخفياً متخوفاً أن يراه أحد فيذهب به إلى الملك، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب، وخيّل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجب ويقول: لعلّي نائم؛ فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على [وجه] الأرض من يذكر عيسى إلا قُتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعل هذه ليست المدينة التي أعرف، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران، وأخرج ورفاً



فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجبون، ويتشاورون، وقالوا: إن هذا قد أصاب كنزاً، ففَرَّقَ منهم، وظَنَّهُم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة بي إليه، فقالوا له: من أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، شاركناه فيه وإلا أتينا بك إلى السلطان فيقتلك، فلم يدر ما يقول، فطرحوا كسائه في عنقه وهو يبكي ويقول: فُرق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، فأتوا به إلى رجلين كانا يدبران أمر المدينة، فقالوا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزاً، ولكن هذه ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقول لكم، قال مجاهد: وكان ورق أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل، فقالوا: من أنت، وما اسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه، فقالوا له أحدهما: أظن أنك تسخر منا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار؟ إني سأمر بك فتعذب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز، فقال يملixa: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس، وإنما هذا ملك كان منذ زمان طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال: والله ما يصدقني أحد بما أقوله، لقد كُتبت فينا، وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فهرينا منه عشية أمس فقمنا، فلما انتبهنا خرجت أشترى لأصحابي طعاماً، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنوا لإبطائه عليهم أنه قد أخذ، فبينما هم يتخفون ذلك، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنوا أنهم رُسل دقيانوس، فقاموا إلى الصلاة، وسَلَّمَ بعضهم على بعض، فسبق يملixa إليهم وهو يبكي، فبكوا معه، وسأله عن شأنه، فأخبرهم خبره، وقصَّ عليهم النبأ كله، فعرفوا أنهم كانوا نياماً بأمر الله تعالى، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث؛ ونظر الناس في المسطور الذي فيه أسماءهم وقصتهم، فعجبوا، وأرسلوا إلى ملكهم، فجاء، واعتنق القوم، وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السلام، حفظك الله، وحفظ ملكك، فبينما الملك قائم، رجعوا إلى مضاجعهم، وتوَفَّى الله عزَّ وجلَّ أنفسهم، فأمر الملك أن يُجعل لكل واحد منه تابوت من ذهب، فلما أُمسوا رأهم في المنام، فقالوا: إنا لم نُخلِّق من ذهب وفضة، ولكن خُلِّقنا من تراب، فاتركنا كما كُنَّا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله ﷻ منه، وحجبه الله عز وجل حين خرجوا من عندهم بالرَّعب، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم، وأمر الملك فُجِعِل على باب الكهف مسجدٌ يصلُّ فيهِ، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتى كلُّ سنة. وقيل: إنه لما جاء يملixa ومعه الناس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشِّرهم، فإنهم إن رأوكم معي أَرعَبتموهم، فدخل فبشَّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آيةٌ بعثنا الله لكم.

قوله تعالى: ﴿فَفَرَّقَ عَلَيْنَا مَا أَذَانُهُمْ﴾ قال الزجاج: المعنى: أنماهم ومنعناهم السمع، لأن النائم إذا سمع انتبه. و﴿عَدَدًا﴾ منصوب على ضربين: أحدهما: على المصدر، المعنى: تُعَدُّ عدداً. والثاني: أن يكون نعتاً للسنين، المعنى: سنين ذات عدد، والفائدة في ذِكْر العدد في الشيء المعداد، تأكيد كثرة الشيء، لأنه إذا قلَّ فُهِم مقداره، وإذا كَثُر احتيج إلى أن يُعَدَّ العدد الكثير. ﴿ثُمَّ بَشَّرَهُمْ﴾ من نومهم، يقال لكلُّ مَنْ خرج من الموت إلى الحياة، أو من النوم إلى الانتباه، مبعوث، لأنه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرف والانبعاث. وقيل: معنى ﴿بَشَّرَهُمْ﴾: أن يبعثهم. لا يمكن فيها شهور ولا أيام، إنما هي كاملة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ أَتَى لِلْزَّيِّنِ﴾ قال المفسرون: أي: لنرى. وقال بعضهم: المعنى: لتعلموا أنتم. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والنخعي: «لَيْعَلَمْ» بضم الياء، على ما لم يُسم فاعله «أيُّ الحزبين»، ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف. ﴿أَحْصَى لِمَا لَيْسَ لَهُمْ﴾ أي: لنعلم أهؤلاء أحصى للآمد أو هؤلاء، فكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر. قال قتادة: لم يكن للفريقين عليم بلبثهم، لا لمؤمنهم، ولا لكافرينهم. قال مقاتل: لما بُعثوا زال الشك وعُرفت حقيقة

اللبث. وقال القاضي أبو يعلى: معنى الكلام: بعثناهم ليطهر المعلوم في اختلاف الحزين في مدة لبثهم، لما في ذلك من العبرة.

﴿هَٰؤُلَاءِ نِعَمٌ عَلَيْكَ تَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّمِمْ فِتْيَةً آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّتْهُمْ هُدًى ۖ وَرَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُوبُهُمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ نِعَمٌ عَلَيْكَ تَبَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: خبر الفتية ﴿وَالْحَقُّ﴾ أي: بالصدق.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّتْهُمْ هُدًى﴾ أي: ثبثناهم على الإيمان، ﴿وَرَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُوبُهُمْ﴾ أي: ألهمناها الصبر ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم دقيانوس ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، فعصم الله هؤلاء حتى عصوا ملكهم. وقال الحسن: قاموا في قومهم فدعواهم إلى التوحيد. وقيل: هذا قولهم بينهم لما اجتمعوا خارج المدينة على ما ذكرنا في أول القصة. فأما الشطط، فهو الجور. قال الزجاج: يقال: شَطَّ الرجل، وأَشْطَطَ: إذا جار. ثم قال الفتية: ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾ يعنون الذين كانوا في زمن دقيانوس ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ أي: عبدوا الأصنام ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على عبادة الأصنام ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ أي: بِحُجَّةٍ. وإنما قال: «عليهم» والأصنام مؤنثة، لأن الكفار نحلوها العقل والتميز، فجرت مجرى المذكرين من الناس.

قوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ نِعَمٌ عَلَيْكَ تَبَاهُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أن له شريكاً؟

﴿إِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَمْذُوكَ إِلَّا اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ إِلَى اللَّهِ كُفَّيْكُمْ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا ۖ وَرَىٰ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوَّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ ۖ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: هذا [قول] يملخوا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال لهم: وإذ اعزلتموهم، أي: فارقتموهم، يريد: عبدة الأصنام، ﴿وَمَا يَمْذُوكَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون، إلا الله، فإن القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادة الله، هذا قول عطاء الخراساني، والفراء. والثاني: وما يعبدون غير الله؛ قال قتادة: هي في مصحف عبد الله: «وما يعبدون من دون الله»، وهذا تفسيرها.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: اجعلوه ماواكم، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: ييسط عليكم من رزقه، ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «مِرْقًا» بكسر الميم، وفتح الفاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «مِرْفًا» بفتح الميم، وكسر الفاء. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «مِرْفًا» بفتح الميم وكسر الفاء، في كل مرقق ارتفعت به، ويكسرون مرفق الإنسان، والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعاً. قال ابن الأنباري: معنى الآية: ويهيئ لكم بدلاً من أمركم الصَّعب مرفقاً، قال الشاعر:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرِبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى ظَهْيَانٍ<sup>(١)</sup>

معناه: فليت لنا ماء زمزم. قال ابن عباس: «ويهيئ لكم»: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف.

قوله تعالى: ﴿وَرَىٰ الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ﴾ المعنى: لو رأيتهما لرأيت ما وصفنا. ﴿تَزَوَّرَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تَزَوَّرَ» بتشديد الزاي. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «تَزَوَّرَ» خفيفة. وقرأ ابن عامر: «تَزَوَّرَ» مثل: «تَحَمَّرَ». وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وأبو رجاء، والجدري: «تَزَوَّرَ» بإسكان الزاي، وبالف ممدودة بعد الواو من غير همزة، مشددة الراء. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل، وابن السميع: «تَزَوَّرَ» بهمزة قبل الراء،

(١) البيت للأحول الكندي في «اللسان» و«التاج»: طها، و«البحر» ١٠٧/٦، و«روح المعاني» ٢٠٤/١٥.

مثل: «تَرْوَعِرُ». وقرأ أبو الجوزاء، وأبو السماك: «تَرْوَرُ» بفتح التاء والزاي وتشديد الواو المفتوحة خفيفة الراء، مثل: «تَكْوَرُ»، أي: تميل وتعدل. قال الزجاج: أصل «تزاور»: تنزاور، فأدغمت التاء في الزاي، و«تَقْرِضُهُمْ» أي: تعدل عنهم وتتركهم، وقال ذو الرمة:

إِلَى طَمْسُنٍ يَفْرِضُنْ أَجْوَارَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ<sup>(١)</sup>

يفرضن: يتركن. وأصل القرض: القطع والتفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أقرضني درهماً، أي: اقطع لي من مالك درهماً. قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بنات نعش في أرض الروم، فكانت الشمس تميل عنهم طالعةً وغاربةً لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم. ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح، ونسيم الهواء، فقال: «وَمَنْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ» قال أبو عبيدة: أي: [في] مُتَّسَعٍ، والجميع: فَجَوَاتٍ، وفجاء، بكسر الفاء. وقال الزجاج: إنما صرّف الشمس عنهم آية من الآيات، ولم يرض قول من قال: كان كهفهم بإزاء بنات نعش.

قوله تعالى: «ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» يشير إلى ما صنعه بهم من اللطف في هدايتهم، وصرف أذى الشمس عنهم، والرعب الذي ألقى عليهم حتى لم يقدر الملك الظالم ولا غيره على أذاهم. «من آيات الله» أي: من دلائله على قدرته ولطفه. «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَمَّهِدْ» هذا بيان أنه هو الذي تولى هداية القوم، ولولا ذلك لم يهتدوا.

«وَقَسْبَهُمْ أَقْبَضًا وَهُمْ رُقُودًا وَنَقَّلَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُضًّا»<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: «وَقَسْبَهُمْ أَقْبَضًا» أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظاً. قال الزجاج: الأيقاظ: المنتبهون، واحدهم: يَقِظٌ، وَيَقْظَانِ، والجميع: أيقاظ؛ والرقود: النيام. قال الفراء: واحد الأيقاظ: يَقْظٌ، وَيَقْظٌ. قال ابن السائب: وإنما يُحَسِّبُونَ أيقاظاً، لأن أعينهم مفتحة وهم نيام. وقيل: لتقلّبهم يميناً وشمالاً. وذكر بعض أهل العلم: أن وجه الحكمة في فتح أعينهم، أنه لو دام ظنّهم للذابت.

قوله تعالى: «وَنَقَّلَهُمْ» وقرأ أبو رجاء: «وَنَقَّلَهُمْ» بقاء مفتوحة، وسكون القاف، وتخفيف اللام المكسورة. وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة: «وَنَقَّلَهُمْ» مثلها، إلا أنه بالنون. «ذَاتَ الْيَمِينِ» أي: على أيمنهم وعلى شمائلهم. قال ابن عباس: كانوا يقلّبون في كل عام مرتين، ستة أشهر على هذا الجنب، وستة أشهر على هذا الجنب، لثلا تأكل الأرض لحومهم. وقال مجاهد: كانوا ثلاثمائة عام على شئ واحد، ثم قلبوا تسع سنين.

قوله تعالى: «وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ» أخبر أن الكلب كان على مثل حالهم في النوم، وهو في رأي العين منتبه. وفي الوصيد أربعة أقوال: أحدها: أنه الفئاء فئاء الكهف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والفراء. قال الفراء: يقال: الوَصِيدُ والأَصِيدُ لغتان، مثل الإكفاف والوكاف. وأرخت الكتاب وورّخت، ووكدت الأمر وأكّدت؛ وأهل الحجاز يقولون: الوَصِيدُ، وأهل نجد يقولون: الأَصِيدُ، وهو: الحظيرة والفئاء. والثاني: أنه الباب، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. وقال ابن قتيبة: فيكون المعنى: وكلهم باسط ذراعيه بالباب، قال الشاعر:

بِأَرْضٍ قَضَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلِيٌّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ<sup>(٣)</sup>

والثالث: أنه الصعيد، وهو التراب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية عنهما. والرابع: أنه عتبة الباب، قاله عطاء. قال ابن قتيبة: وهذا أعجب إليّ، لأنهم يقولون: أوصد بابك، أي: أغلقه، ومنه قوله: «إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَدَةٌ» [الهمزة: ٨]، أي: مُطَبَّقَةٌ مُّغْلَقَةٌ، وأصله أن تلتصق الباب بالعتبة إذا أغلقته، ومما يوضح هذا أنك إذا جعلت الكلب بالفئاء، كان خارجاً من الكهف، وإن جعلته بعتبة الباب،

(١) ديوانه طبع المكتب الإسلامي ٤٠٣، و«مجاز القرآن» ٣٩٦/١، و«الطبري» ٢١١/١٥، و«مشرّف والفوارس»: موضعان بنجد كما في «معجم ما استعجم».

(٢) البيت لعبيد بن وهب العبسي، وهو في «غريب القرآن» ٢٦٥، و«البحر المحيط» ٩٣/٦، و«القرطبي» ٣٥١/١٠، ٣٧٣.

أمكن أن يكون داخل الكهف، والكهف وإن لم يكن له باب وعتبة، فإنما أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستعير.

قوله تعالى: ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [وقرأ الأعمش، وأبو حصين: «لَوْ اطَّلَعْتَ» بضم الراء] ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبة لهم ﴿وَلَمَّيْتُمْ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «وَلَمَّيْتُمْ» خفيفة مهموزة. وقرأ ابن كثير، ونافع: «وَلَمَّيْتُمْ» مشددة مهموزة، ﴿رُفِصًا﴾ [أي]: فرعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالوعب لئلا يدخل إليهم أحد. وقيل: إنهم طالت شعورهم وأظفارهم جداً، فلذلك كان الرائي لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاة الزجاج.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِسِئَاءَ لُؤَا بِيئِهِمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعَذِّبُوكُمْ وَإِنَّهُمْ إِذَا ابْعَثُوا أَحَدًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذكرنا، بعثناهم من تلك النومة ﴿لِسِئَاءَ لُؤَا بِيئِهِمْ﴾ أي: ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم، فيفيد تساؤلهم اعتبار المعتبرين بحالهم. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ أي: كم مرَّ علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ وذلك أنهم دخلوا غُدوةً، وبعثهم الله في آخر النهار، فلذلك قالوا: «يوماً»، فلما رأوا الشمس قالوا: «أو بعض يوم» ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ قال ابن عباس: القائل لهذا يملixa رئيسهم، ردَّ علم ذلك إلى الله تعالى. وقال في رواية أخرى: إنما قاله مكسلينا، وهو أكبرهم. قال أبو سليمان: وهذا يوجب أن تكون نفوسهم قد حدثتهم أنهم قد لبثوا أكثر مما ذكروا. وقيل: إنما قالوا ذلك، لأنهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جداً.

قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ قال ابن الأنباري: إنما قال: «أحدكم»، ولم يقل: واحدكم، لئلا يلتبس البعض بالممدوح المعظم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، ولا يقولون: رأيت واحد القوم، إلا إذا أرادوا المعظم، فأراد بأحدكم: بعضهم، ولم يُرد شريفهم.

قوله تعالى: ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾، قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: «بِوَرِقِكُمْ» الراء مكسورة خفيفة. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم ساكنة الراء. وعن أبي عمرو: «بورقكم» مدغمة يُشِيها شيئاً من الثقل؛ قال الزجاج: تصوير كافاً خالصة. قال الفراء: الورق لغة أهل الحجاز، وتميم يقولون: الؤرق، وبعض العرب يكسرون الواو، فيقولون: الؤرق. قال ابن قتيبة: الؤرق: الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم، يدل ذلك على ذلك حديث عَرْفَجَةَ أنه اتخذ أنفاً من وُرُقٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقوس، ويقال: هي اليوم طرسوس. قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ وللمفسرين في معناه ستة أقوال: أحدها: أحلُّ ذبيحة، قاله ابن عباس، وعطاء، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، فكانوا يذبحون للطواغيت، وكان فيهم قوم يُخفون إيمانهم. والثاني: أحلُّ طعاماً، قاله سعيد بن جبيرة؛ قال الضحاك: وكانت أكثر أموالهم غصباً. وقال مجاهد: قالوا لصاحبهم: لا تبتغ طعاماً فيه ظلم ولا غصب. والثالث: أكثر، قاله عكرمة. والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادة. والخامس: أطيب، قاله ابن السائب، ومقاتل، والسادس: أرخص، قاله يمان بن رباب. قال ابن قتيبة: وأصل الزكاء: النماء والزيادة.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ أي: بما تأكلونه. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: ليدقق النظر فيه، وليحتل لئلا يُطْلَع عليه. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي: ولا يُخْبِرَنَّ أحداً بمكانكم. ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يظللوا ويُسرفوا عليكم، ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾

(١) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٢٣٢)، والنسائي ١٦٣/٨، والترمذي في «جامعه» ٢٠٩/١ عن عرفة بن ساعد قال: أصيب أنفي يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذت أنفاً من وُرُقٍ، فأتني عليّ، فأمرني رسول الله ﷺ أن أخذ أنفاً من ذهب. قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أنهم شقوا أنفانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجة لهم. اهـ.



وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: يقتلوكم، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: يقتلوكم بالرجم. والثاني: يرموكم بأيديهم، استنكاراً لكم، قاله الحسن. والثالث: بالسّتم شتماً لكم، قاله مجاهد، وابن جريج.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُبَدِّلُكُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ أي: يردوكم في دينهم، ﴿وَلَنْ تُقْلِعُوا إِذَا بَكَرْتُمْ﴾ أي: إن رجعتم في دينهم، لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرَا عَلَيْهِمْ لَيْلَمَا أَتَى وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَسْتَرْعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَتَتَّخِذُوا عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: وكما أنماهم ويعتاهم، أطلعنا وأظهرنا عليهم. قال ابن قتية: وأصل هذا أن من عثر بشيء وهو غافل، نظر إليه حتى يعرفه، فاستعير العثار مكان التبيين والظهور، ومنه قول الناس: ما عثرت على فلان بسوء قط، أي: ما ظهرت على ذلك منه.

قوله تعالى: ﴿لَيْلَمَا﴾ في المشار إليهم بهذا العلم قولان: أحدهما: أنهم أهل بلدهم حين اختصموا في البعث، فبعث الله أهل الكهف ليعلموا ﴿أَنَّهُ وَعَدَ أَقْوَى﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقًّا﴾ وأن القيامة لا شك فيها، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنهم أهل الكهف، بعثناهم ليروا بعد علمهم أن وعد الله حق، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَسْتَرْعُونَ﴾ يعني: أهل ذلك الزمان. قال ابن الأنباري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنى: إذ تنازعوا. وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد. فقال المسلمون: بنى عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا؛ وقال المشركون: بنى عليهم بنياناً، لأنهم من أهل سُنَّتِنَا، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: بُعث الأجساد والأرواح، وقال بعضهم: بُعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالى بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة. والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل. والرابع: أنهم تنازعوا في قدر مكنتهم. والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا﴾ أي: استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو ذلك الزمان، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أنهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهف، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ﴾ قال ابن قتية: يعني المطاعين والرؤساء، قال المفسرون، وهم الملك وأصحابه المؤمنون اتخذوا عليهم مسجداً. قال سعيد بن جبير: بنى عليهم الملك بيعة.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْهُمْ كَذِبَةٌ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبٌ رَجْمًا بِالْقَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَرَأَيْنَاهُمْ كَذِبًا قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَلْمِزُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ إِلَّا رَجَاءَ ظُهُورِهِمْ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝١٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ۝١٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَذَكَرَ رَبُّكَ إِذَا تَبَيَّنَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَجْمًا ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ قال الزجاج: «ثلاثة» مرفوع بخبر الابتداء، المعنى: يقول الذين تنازعوا في أمرهم: [هم] ثلاثة. وفي هؤلاء القائلين قولان: أحدهما: أنهم نصارى نجران، ناظروا رسول الله ﷺ في عِدَّةِ أهل الكهف، فقالت الملكية: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت اليعقوبية: هم خمسة سادسهم كلبهم، وقالت النسطورية: هم سبعة وثامنهم كلبهم، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنهم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْقَيْبِ﴾ أي: ظناً غير يقين، قال زهير:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَنْبُكُمْ

وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ<sup>(١)</sup>

فأما دخول الواو في قوله: ﴿وَرَأَيْنَاهُمْ كَذِبًا﴾ ولم تدخل فيما قبل هذا، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أن دخولها

وخرجها واحد، قاله الزجاج. والثاني: أن ظهور الواو في الجملة الثامنة<sup>(١)</sup> دلالة على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنها مرادة فيما قبل، وإنما حذفت تخفيفاً، ذكره أبو نصر في «شرح اللمع». والثالث: أن دخولها يدل على انقطاع القصة، وأن الكلام قد تمّ، ذكره الزجاج أيضاً، وهو قول مقاتل بن سليمان، فإن الواو تدل على تمام الكلام قبلها، واستئناف ما بعدها؛ قال الثعلبي: فهذه واو الحكم والتحقيق، كأن الله تعالى حكى اختلافهم، فتم الكلام عند قوله: ﴿وَقُولُوا سَبْعَةٌ﴾، ثم حكم أن ثامنهم كلبهم. وجاء في بعض التفسير أن المسلمين قالوا عند اختلاف النصارى: هم سبعة، فحقّق الله قول المسلمين. والرابع: أن العرب تعطف بالواو على السبعة، فيقولون: ستة، سبعة، وثمانية، لأن العقد عندهم سبعة، كقوله: ﴿الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ...﴾ إلى أن قال في الصفة الثامنة: ﴿وَالْكَاثِرُونَ عَنِ النَّسْكِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صفة الجنة: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي صفة النار: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٣]، لأن أبواب النار سبعة، وأبواب الجنة ثمانية، ذكر هذا المعنى أبو إسحاق الثعلبي. وقد اختلف العلماء في عددهم على قولين: أحدهما: أنهم كانوا سبعة، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانية، قاله ابن جريج، وابن إسحاق. وقال ابن الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿وَنَامَتْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السخاء حاتم، والشعر زهير، أي: السخاء سخاء حاتم، والشعر شعر زهير. وأما أسماؤهم، فقال هُثَيْمٌ: مكسلمينا، ويمليخا، وطرينوس، وسدينوس، وسرينوس، ونواسس، ويرانوس، وفي التفسير خلاف في أسمائهم فلم أطل به. واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان لراع مرّوا به فتبعهم الراعي والكلب، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أنهم مرّوا بكلب فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟! لا تخشوا جانبي أنا أحبّ أجباء الله، فناموا حتى أحرسكم، قاله كعب الأحبار. وفي اسم كلبهم أربعة أقوال: أحدها: قطمير، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اسمه الرقيم، وقد ذكرناه عن سعيد بن جبيرة. والثالث: قطمور، قاله عبد الله بن كثير. والرابع: حُمران، قاله شعيب الجبائي. وفي صفته ثلاثة أقوال: أحدها: أحمر، حكاه الثوري. والثاني: أصفر، حكاه ابن إسحاق. والثالث: أحمر الرأس، أسود الظهر، أبيض البطن، أبلق الذنب، ذكره ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَتَمَّ يَعْتَنِيهِمْ﴾ حرك الباء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون.

قوله تعالى: ﴿مَا يَمْلِكُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس. قال عطاء: يعني بالقليل: أهل الكتاب. قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، هم سبعة، إن الله عدّهم حتى انتهى إلى السبعة.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُحَارِبْ فِيهِمْ إِلَّا رِفَاقَهُمْ﴾ قال ابن عباس، وقتادة: لا تُحَارِبْ أَحَدًا، حسبك ما قصصت عليك من أمرهم. وقال ابن زيد: لا تُحَارِبْ فِي عِدَّتِهِمْ إِلَّا مَرَاءً ظَاهِرًا أَنْ تَقُولَ لَهُمْ: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون: وقيل: «إلا مرءاً ظاهراً» بحجة واضحة، حكاه الماوردي. والمرء في اللغة: الجدل؛ يقال: ماري يُماري مُماراة ومِراء، أي: جادل. قال ابن الأنباري: معنى الآية: لا تجادل إلا جدال متيقّن عالم بحقيقة الخبر، إذ الله تعالى ألقي إليك ما لا يشوبه باطل. وتفسير المرء في اللغة: استخراج غضب المعادل، من قولهم: مَرَيْتُ الشاة: إذا استخرجت لبنها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ أي: في أصحاب الكهف، ﴿وَمِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يعني: من أهل الكتاب. قال الفراء: أتاه فريقان من النصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم، فُهي عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سبب نزولها أن قريشاً سألو النبي ﷺ عن ذي القرنين، وعن الروح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فسُئِلَ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. ومعنى الكلام: ولا تقولن لشيء: إني فاعل ذلك غداً، إلا أن تقول: إن شاء الله، فحذف القول.

(١) أي في قوله تعالى: ﴿وَنَامَتْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن الأنباري: معناه: واذكر ربك بعد تقضي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله - إذا صلى - حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة. وللمفسرين في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: إذا نسي الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم أو شهر أو سنة، قاله سعيد بن جبير، والجمهور. والثاني: أن معنى «إذا نسي» إذا غضبت، قاله عكرمة، قال ابن الأنباري: وليس ببعيد، لأن الغضب يُتبع النسيان. والثالث: إذا نسي الشيء فاذكر الله ليدرك إياه، حكاه الماوردي.

### فصل

وفائدة الاستثناء أن يخرج الحالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسلم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه. ولا تختلف الرواية عن أحمد أنه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعتاق، وأنه إذا قال: أنت طالق إن شاء الله، وأنت حر إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك؛ وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك. وأما اليمين بالله تعالى؛ فإن الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر، لأن الطلاق والعتاق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علّق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع من جهته، بخلاف سائر الأيمان، لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلق بأفعال مستقبلية. وقد اختلف في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يصح الاستثناء إلا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمد نحو هذا، وبه قال أكثر الفقهاء. والثاني: أنه يصح ما دام في المجلس، قاله الحسن وطاووس، وعن أحمد نحوه. والثالث: أنه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وقال ابن جرير الطبري: الصواب للإنسان أن يستثنى ولو بعد حثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه الله في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فاما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه، ومن قال: له ثيابا ولو بعد سنة، أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «يهديني ربّي» بياء في الوصل [دون] الوقف. وقرأ ابن كثير بياء في الحاليين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي بغير ياء في الحاليين. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عسى أن يعطيني ربّي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد وأدّل من قصة أصحاب الكهف، ففعل الله له ذلك، وآتاه من علم غيوب المرسلين ما هو أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، هذا قول الزجاج. والثاني: أن قريشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحاب الكهف، قال: «غداً أخبركم» كما شرحنا في سبب نزول هذه الآية<sup>(١)</sup>، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ أي: عسى أن يعرفني جواب مسائلكم قبل الوقت الذي حدّدته لكم، ويعجل لي من جهته الرشد، هذا قول ابن الأنباري.

﴿لَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «ثلاثمائة سنين» منوناً. وقرأ حمزة، والكسائي: «ثلاثمائة سنين» مضافاً غير منون. قال أبو علي: العدد المضاف إلى الأحاد قد جاء مضافاً إلى الجميع، قال الشاعر:

وَمَا زَوَّدْنِي غَيْرَ سَخِي عِمَامَةٍ وَخَمْسِيٍّ مِنْهَا قِسِيٍّ وَزَائِفٍ<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الكلام قولان: أحدهما: أنه حكاية عما قال الناس في حقهم، وليس بمقدار لبثهم، قاله ابن عباس، واستدل عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾، وكذلك قال قتادة، وهذا قول أهل الكتاب.

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» ٧١/٣ من رواية محمد بن إسحاق مطولاً.

(٢) البيت لمزود كما في «الصحاح» و«اللسان»: ماي، ومجمع البيان ١٤٤/١٥.

والثاني: أنه مقدار ما لبثوا، قاله عبيد بن عمير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد؛ والمعنى: لبثوا هذا القدر من يوم دخلوه إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله تعالى: ﴿سِنِينَ﴾ قال الفراء، وأبو عبيدة، والكسائي، والزجاج: التقدير: سنين ثلاثمائة. وقال ابن قتيبة: المعنى: أنها لم تكن شهوراً ولا أياماً، وإنما كانت سنين. وقال أبو علي الفارسي: «سنين» بدل من قوله: «ثلاثمائة». قال الضحاك: نزلت: ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا: أياماً، أو شهوراً، أو سنين؟ فنزلت: «سنين» فذلك قال: «سنين»، ولم يقل: سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأَزَادُوا سِنِيًّا﴾ يعني: تسع سنين، فاستغنى عن ذكر السنين بما تقدّم من ذكرها. ثم أعلم أنه أعلم بقدر مدة لبثهم من أهل الكتاب المختلفين فيها، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ قال ابن السائب: قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة، فقد عرفناها، وأما التسع، فلا علم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إن للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فرد الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُوا﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غير الله. وقيل: إنما زاد التسع، لأنه تفاوت ما بين السنين الشمسية والسنين القمرية، حكاها الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ يَدَيَّ وَأَسْمِعْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه على مذهب التعجب، فالمعنى: ما أسمع الله به وأبصر، أي: هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم، هذا قول الزجاج، وذكر أنه إجماع العلماء. والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أبصر يديّين الله وأسمع، أي: بصر بهدى الله وسمع، فترجع الهاء إما على الهدى، وإما على الله ﷻ، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِيَ﴾ أي: ليس لأهل السموات والأرض من دون الله من ناصر، ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ﴾ ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمه. وقرأ ابن عامر: «ولا تشرك» جزماً بالفاء، والمعنى: لا تشرك أيها الإنسان.

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَكًا ۖ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ يَرْجُونَ وُجْهَهُمْ وَلَا تَقَدْ عَيْنُكَ عَنْهُمْ ذِيْنَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَغْنَانَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاكَ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْآنًا ۝١١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ في هذه التلاوة قولان: أحدهما: أنها بمعنى القراءة. والثاني: بمعنى الاتباع. فيكون المعنى على الأول: اقرأ القرآن، وعلى الثاني: اتبعه واعمل به. وقد شرحنا في «الأنعام: ١١٥» معنى ﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَتِهِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَكًا﴾ قال مجاهد، والفراء: ملجأ. وقال الزجاج: مغديلاً عن أمره ونهيه. وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاء.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ سبب نزولها أن المؤلفه قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذوهم، فقالوا: يا رسول الله: لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عتاً، - يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف - جلسنا إليك، وأخذنا عنك، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسول الله ﷺ يلتمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، قال: «الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمّتي، معكم المحيا ومعكم الممات» هذا قول سلمان الفارسي<sup>(١)</sup>. ومعنى قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: احبسها معهم على أداء الصلوات ﴿وَالْقُدْرَةِ وَالنَّصِيحَةِ﴾. وقد فسرنا هذه الآية في «الأنعام: ٥٢» إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَدْ عَيْنُكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تصرف بصرك

(١) «الطبري» ٢٣٦/١٥، وأسباب النزول: للواحد ١٧١، «القرطبي» ٣٩١/١٠، «الدور» ٢١٩/٤، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٨١/٣ من رواية الطبراني، وقد تقدم الحديث بنحوه ٤٤٠ فارجع إليه.



إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف؛ وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريداً لزينة الدنيا قط، فأمر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَ مَنَّا أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ سبب نزولها أن أمية بن خلف الجمحي، دعا رسول الله ﷺ إلى طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هو عيينة وأشباهه. ومعنى: «أغفلنا قلبه»: جعلناه غافلاً. وقرأ أبو مجلز: «من أغفلنا» بفتح اللام، ورفع باء القلب. «عن ذكْرنا»: عن التوحيد والقرآن والإسلام، «وَأَنبَغَ هَوْنُهُ» في الشرك. «وَكَاكَ أَمْرُهُ قَوْلًا» فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه أفرط في قوله، لأنه قال: إِنَّا رُؤُوسُ مَضْرٍ، وإن نُسَلِّمُ يُسَلِّمُ النَّاسَ بَعْدَنَا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضياعاً، قاله مجاهد. وقال أبو عبيدة: سَرَفًا وتضييعاً. والثالث: نَدَمًا، حكاه ابن قتيبة عن أبي عبيدة. والرابع: كان أمره التفريط، والتفريط: تقديم العجز، قاله الزجاج.

﴿وَقُلِ الْآخِذِينَ مِن ذِكْرِكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَفَاقُوا يَمُوكَ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ يَفْسُ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْآخِذِينَ مِن ذِكْرِكَ﴾ قال الزجاج: وقل الذي أتيتكم به، الحق من ربكم. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه وعيد وإنذار، وليس بأمر، قاله الزجاج. والثالث: أن معناه: لا تنفعون الله بإيمانكم، ولا تضرونه بكفركم، قاله الماوردي. وقال بعضهم: هذا إظهار للغنى، لا إطلاق في الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيئنا، وأعدنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ مَنَّكَ﴾ [يوسف: ٣١]. فأما الظالمون، فقال المفسرون: هم الكافرون. وأما السُّرَادِقُ، فقال الزجاج: السُّرَادِقُ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ، نحو الشُّقَّةِ في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيء. وقال ابن قتيبة: السُّرَادِقُ: الحُجْرَةُ التي تكون حول الفسطاط. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السُّرَادِقُ فارسي معرب، وأصله بالفارسية سَرَادَاژ، وهو الدَّهْلِيز، قال الفرزدق:

تَمَنَّيْتَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ

تَرَكْتُ لَهُم قَبْلَ الضَّرَابِ السُّرَادِقَا<sup>(٣)</sup>

وفي المراد بهذا السُّرَادِقُ قولان: أحدهما: أنه سُرَادِقُ من نار، قاله ابن عباس. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُذُرٍ كُنْتُ، كُلُّ جِدَارٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس، قال: السُّرَادِقُ: لسان من النار، يخرج من النار فيحيط بهم حتى يفرغ من حسابهم. والثاني: أنه دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظِّلُّ ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في [المرسلات: ٣٠]، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَسْتَفِيضُوا﴾ أي: مما هم فيه من العذاب وشدة العطش ﴿يَفَاقُوا يَمُوكَ كَالْمُهْلِ﴾ وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنه ماء غليظ كزُرْدِي الزيت، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه كل شيء أذيب حتى انماح، قاله ابن مسعود. وقال أبو عبيدة، والزَّجَاجُ: كل شيء أذبه من نحاس أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مُهْل. والثالث: قيح دم أسود كعكر الزيت، قاله مجاهد. والرابع: أنه القُضَّة والرصاص يذابان، روي عن مجاهد أيضاً. والخامس: أنه الذي انتهى حرُّه، قاله سعيد بن جبيرة. والسادس: [أنه] الصَّدِيد، ذكره ابن الأنباري. قال مُغِيثُ بْنُ سُمَيٍّ: هذا الماء هو ما يسيل من عَرَقِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي الْآخِرَةِ وَيَكَاثُهُمْ، وما يجري منهم من دم وقيح، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنم، فتطبخه جهنم، فيكون أول ما يُفَاثُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ. والسابع: أنه الرماد الذي يُفَضُّ عَنْ الْحَبْزَةِ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الثُّورِ، حكاه ابن الأنباري.

(١) «أسباب النزول» ١٧٢، «القرطبي» ٣٩٢/١٠، «الدر» ٢٢٠/٤.

(٢) قال ابن جرير الطبري: عن ابن عباس: فمن شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر.

(٣) «ديوانه» ٥٨٦/٢، «المعرب» ٢٠٠.

(٤) رواه أحمد في «المستد» ٢٩٣ من حديث دراج أبي السمع عن أبي الهيثم، ورواه الترمذي في «جامعه» ٨٢/٢، وابن جرير الطبري في «تفسيره» ١٥/٢٣٩ من حديث رثلين بن سعد عن دراج عن أبي الهيثم، ورثلين بن سعد ضعيف، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ الْوُجُوهَ﴾ قال المفسرون: إذا قُرِّبَ إليه سقطت فروة وجهه فيه. ثم ذمّه، فقال: ﴿وَيْسَكُ الشَّرَابِ وَسَلَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: منزلاً، قاله ابن عباس. والثاني: مجتمعاً، قاله مجاهد. والثالث: مثكاً. قاله أبو عبيدة، وأنشد لأبي ذؤيب:

إِنِّي أَرَقْتُ فِيهِ اللَّيْلَ مُرْتَفَقًا      كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّبَابُ مَذْبُوحٌ<sup>(١)</sup>

وذبحه: انفجاره؛ قال الزجاج: «مرتفقاً» منصوب على التمييز؛ ومعنى مرتفقاً: مثكاً على اليرفق. والرابع: ساءت مجلساً؛ قاله ابن قتيبة. والخامس: ساءت مطلباً للرفق، لأن من طلب رفقاً من جهتها، غدِمه، ذكره ابن الأنباري. ومعاني هذه الأقوال تتقارب. وأصل اليرفق في اللغة: ما يُرْتَفَقُ به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلِّدُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُفْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَوْمَ الثَّوَابِ وَوَسَّلتُ مُرْتَفَقًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال الزجاج: خبر «إن» هاهنا على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون على إضمار: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ منهم، ولم يحتاج إلى ذكر: «منهم» لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه محيط بعمل غير المؤمنين. والثاني: أن يكون خبر «إن»: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، فيكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ قد فصل به بين الاسم وخبره، لأنه يحتوي على معنى الكلام الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا. والثالث: أن يكون الخبر: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، بمعنى: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ. قال المفسرون: ومعنى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعاً، بل نُجَازِيه عليها بالثواب. فأما الأساور، فقال الفراء: في الواحد منها ثلاث لغات: إسوار، ويسوار، وسُوار؛ فمن قال: إسوار، جمعه أساور، ومن قال: يسوار أو سُوار، جمعه أسورة، وقد يجوز أن يكون واحد أسورة وأساور: يسوار؛ وقال الزجاج: الأساور جمع أسورة، وأسورة جمع يسوار، يقال: يسوار اليد، بالكسر، وقد حكى: سُوار. قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور في اليد والتيجان على الرؤوس، جعل الله ذلك لأهل الجنة. قال سعيد بن جبير: يُحَلَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِثَلَاثَةِ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْأَسَاوِرِ، وَوَاحِدٌ مِنْهُمْ بِثَلَاثَةِ<sup>(٣)</sup> مِنْ لَوْلُؤٍ وَيَوَاقِيتٍ. فأما: «السُّنْدُسُ» والاستبرق، فقال ابن قتيبة: السُّنْدُسُ: رقيق الديباج، والإسترق ثخينه. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: السُّنْدُسُ: رقيق الديباج، لم يختلف أهل اللغة في أنه معرَّب، قال الراجز:

وليلة من الليالي جندس      لون حواشيها كلون السُّنْدُسِ

والإسترق: غليظ الديباج، فارسي معرَّب، وأصله إسترقة. وقال ابن دريد: إسترقة، ونقل من العجمية إلى العربية، فلو حُقِرَ «إسترق»، أو كُسِرَ، لكان في التحقير «أُتِيرِق»، وفي التكسير «أَبَارِق» بحذف السين، والتاء جميعاً. قوله تعالى: ﴿مُتَّكِفِينَ فِيهَا﴾ الاتكاء: التحامل على الشيء. قال أبو عبيدة: والأرائك: الفُرُش في الجبال، ولا تكون الأريكة إلا بحجلة وسرير. وقال ابن قتيبة: الأرائك: السُّرُر في الجبال، واحدها: أريكة. وقال ثعلب: لا تكون الأريكة إلا سريراً في قُبَّةٍ عليه سُوراه ومتاعه؛ قال ابن قتيبة: السُّور، مفتوح الشين، وهو متاع البيت. وقال الزجاج: الأرائك: الفُرُش في الجبال. قال: وقيل: إنها الفُرُش، وقيل: الأميرة، وهي على الحقيقة: الفُرُش كانت في جبال لهم.

﴿وَأَقْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِثَمَرٍ لَبَنًا دَرَسًا﴾ ﴿كُلَّا لَمَنَّهُنِ الْكَوْكِيسُ فَكُلَا وَلَهُنَّ فِيهَا أَنْهَارٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَهُنَّ فِيهَا سَائِرٌ وَنَخْلٌ وَهِيَ فِيهَا جَنَّةٌ مُنْقَلَبٌ﴾ ﴿وَمَا أَظُنُّ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ تَبَدُّلاً أَبَدًا﴾ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾

(١) «ديوان الهذليين» ١/١٠٤، و«شرح أشعار الهذليين» ١/١٢٠، و«مجاز القرآن» ١/٤٠٠، و«الطبري» ١٥/٢٤١، و«القرطبي» ١٠/٣٩٥، و«الكشاف» ٢/٢٨٩، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: صوب، و«شواهد المغني» ٧٢. والصاب: شجرة مؤن.

(٢) في الأصل: ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَرْتُ لَمْ تُنْكَلْ رِجَالِي﴾ روى عطاء عن ابن عباس، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي وتركهما، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، وكان الآخر زاهداً في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، حتى نفد ماله، ففرضهما الله ﷻ مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرتة النعمة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن المسلم لما احتاج، تعرض لأخيه الكافر، فقال الكافر: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقته في سبيل الله، فقال الكافر: لكنني ابتعت به جناناً وغنماً، وبقراً، والله لا أعطيتك شيئاً أبداً حتى تتبع ديني، ثم أخذ بيد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه. وقال مقاتل: اسم المؤمن يملحها، واسم الكافر قرطس، وقيل: قرطس، وقيل: هذا المثل [ضرب] لعينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿وَحَفَنَّا بِتَحْلِ الْحَفِّ: الإحاطة بالشيء، ومنه قوله: ﴿حَافِرَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْمَرْثِ﴾ [النمر: ١٧٥]. والمعنى: جعلنا النخل مغطياً بها. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَبْعًا﴾ إعلام أن عمارتهما كاملة.

قوله تعالى: ﴿كُلَّا لَمَنْكَيْنِ مَأْتِ أَكْلُهُمَا﴾ قال الفراء: آتتا، لأن «كلتا» ثنتان لا تُفرد واحدتهما، وأصله: «كُلٌّ»، كما تقول للثلاثة: «كُلٌّ»، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمع، وجاز توحيد على مذهب «كُلٌّ»، وتأنيته جائز للتأنيث الذي ظهر في «كلتا»، وكذلك فاعل بـ«كلا» و«كلتا» و«كُلٌّ»، إذا أضفتهم إلى معرفة وجاء الفعل بعدهن، فوحد واجمع، فمن التوحيد قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْدًا﴾ [مریم: ٩٦]، ومن الجمع: ﴿وَكُلُّ أَرْوَةٍ ذَوِيهِ﴾ [النمل: ٨٧]، والعرب قد تفعل ذلك أيضاً في «أي» فيؤثنون ويذكرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَقَسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [القمان: ٣٤]، ويجوز في الكلام «بأيت أرض»، وكذلك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ويجوز في الكلام «في أيّ آيت»، قال الشاعر:

بأي بلاء أم بأية نعمة

قال ابن الأنباري: «كلتا» وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإن لفظه لفظ واحدة مؤنثة، فغلب اللفظ، ولم يستعمل المعنى ثقة بمعرفة المخاطب به؛ ومن العرب من يؤثر المعنى على اللفظ، فيقول: «كلتا الجنتين آتتا أكْلُهُما»، ويقول آخرون: «كلتا الجنتين آتى أكْلُهُ»، لأن «كلتا» تفيد معنى «كُلٌّ»، قال الشاعر:

وكلتاها قد خط لي في صحيفتي

يعني: وكلّهما قد خط لي، وقد قالت العرب: كلكم ذاهب، وكلكم ذاهبون. فوحدوا لللفظ «كُلٌّ» وجمعوا لتأويلها. وقال الزجاج: لم يقل «آتتا»، لأن لفظ «كلتا» لفظ واحدة، والمعنى: كل واحدة منهما آتت أكْلها ﴿وَكُلٌّ تَطْلِيلٌ﴾ أي: لم تنقص ﴿يَتَهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ فأعلمنا أن شربهما كان من ماء نهر، وهو من أغزر الشرب. وقال الفراء: إنما قال: «فَجَّرْنَا» بالتشديد، وهو نهر واحد، لأن النهر يمتد، فكان النهر فيه كله. قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبله: «وَفَجَّرْنَا» بالتخفيف. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل: «خللها». وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «نَهْرًا» بسكون الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَمْ يَعْني: للأخ الكافر ﴿ثَمَرٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «وكان له ثمر»، وأحيط بثمره» بضمّتين. وقرأ عاصم: «وكان له ثَمَرٌ»، وأحيط بثمره» بفتح التاء والميم فيهما. وقرأ أبو عمرو: «ثَمَرٌ» و«بثمره» بضمّة واحدة وسكون الميم. قال الفراء: الثَمَرُ، بفتح التاء والميم: المأكول، وبضمّها: المال. وقال ابن الأنباري: الثَمَرُ، بالفتح: الجمع الأول، والثَمَرُ، بالضم: جمع الثَمَرِ، يقال: ثَمَر، وثَمَر، كما يقال: أسد، وأسُد، ويصلح أن يكون الثَمَرُ جمع الثَمَار، كما يقال: جمار وحُمُر، وكتاب وكُتُب؛ فمن ضمّ، قال: الثَمَرُ أعم، لأنها تحتل الثمار المأكولة، والأموال المجموعة. قال أبو علي الفارسي: وقراءة أبي عمرو: «ثَمَرٌ» يجوز أن تكون جمع ثمار، وكتّاب، وكتّيب، فتخفف، فيقال: كُتِب، ويجوز أن يكون «ثَمَرٌ» جمع ثَمرة، كَبَدَنَة وبُدُن، وخَشَبَة، وخُشْب. ويجوز أن يكون «ثَمَرٌ» واحداً، كعُتِق، وطُئِب. وقد ذكر المفسرون في قراءة من ضم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المال الكثير من صنوف الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذهب، والفضة، قاله مجاهد. والثالث:

أنه جمع ثمرة، قال الزجاج: يقال: ثَمَرَة، وثَمَار، وثمر. فإن قيل: ما الفائدة في ذِكر الثَمَر بعد ذِكر الجَنَّتَيْنِ، وقد عُلِمَ أن صاحب الجنة لا يخلو من ثمر؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لم يكن أصل الأرض ملكاً له، وإنما كانت له الثمار، قاله ابن عباس. والثاني: أن ذِكر الثَمَر دليل على كثرة ما يملك من الثمار في الجنتين وغيرهما، ذكره ابن الأنباري. والثالث: إنا قد ذكرنا أن المراد بالثمر الأموال من الأنواع، وذكرنا أنها الذهب، والفضة، وذلك يخالف الثمر المأكول؛ قال أبو علي الفارسي: من قال: هو الذهب، والوَرِق، فإنما قيل لذلك: ثَمُر على التناول، لأن الثمر نماء في ذي الثمر، وكونه هاهنا بالجنى أشبه من الذهب والفضة. ويقوي ذلك: «وَلُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَفْتَقَ فِيهَا»، والإنفاق من الوَرِق، لا من الشجر.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِمَسْجُودٍ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ بِحَاوِيَةٍ﴾ أي: يراجعه الكلام ويجاوبه. وفيما تحاورا فيه قولان: أحدهما: أنه الإيمان والكفر. والثاني: طلب الدنيا، وطلب الآخرة. فأما «النفر» فهم الجماعة، ومثلهم: القوم والرهط، ولولا واحد لهذه الألفاظ من لفظها. وقال ابن فارس اللغوي: [النفر: عدة رجال من ثلاثة إلى العشرة. وفيمن أراد بَنَفَره ثلاثة أقوال: أحدها: عبيده، قاله ابن عباس. والثاني: ولده، قاله مقاتل. والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر؛ وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه؛ ﴿قَالَ مَا أَطْلُتُ أَنْ يَبْدَ هَؤُلَاءِ أَهْلًا﴾ أنكر فناء الدنيا، وفناء جنته، وأنكر البعث والجزاء بقوله: ﴿وَمَا أَطْلُتُ النَّكَاحَ فَآهَمَةً﴾ وهذا شك [منه] في البعث، ثم قال: ﴿وَلَكِنْ رُودَتْ لِيَ رَيْقٍ﴾ أي: كما تزعم أنت. قال [ابن عباس]: يقول: إن كان البعث حقاً ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾ قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «خيراً منها»، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «خيراً منهما» بزيادة ميم على الشنية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام. قال أبو علي: الأفراد أولى، لأنه أقرب إلى الجَنَّة المفردة في قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، والشنية لا تمتنع، لتقدم ذِكر الجَنَّتَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿مُتَقَلِّبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيعطيني في الآخرة أفضل منه.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَقٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رِيحًا﴾ ﴿لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ رَبِّي﴾ ﴿أَمَّا﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَعَلَٰ مِنْكَ مَالًا وَلَوْلَا﴾ ﴿فَمَنْ رَبِّيَ أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَمِيمًا زَلَقًا﴾ ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤًا غُورًا فَلَنْ لَا تَسْتَطِيعَ لَهَا طَلِبًا﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: خلق أباك آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نَظْفَقٍ﴾ يعني: ما أنشئ هو منه، فلما شك في البعث كان كافراً.

قوله تعالى: ﴿لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وقالون عن نافع: «لكنَّ هو الله ربِّي»، بإسقاط الألف في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ نافع في رواية المُسَيَّبِي بإثبات الألف وصلًا ووقفًا. وأثبت الألف ابن عامر في الحاليين. وقرأ أبو رجاء: «لكنَّ» بإسكان النون خفيفة من غير ألف في الحاليين. وقرأ ابن يعمر: «لكنَّ» بتشديد النون من غير ألف في الحاليين. وقرأ الحسن: «لكنَّ أنا هو الله ربِّي» بإسكان نون «لكنَّ» وإثبات «أنا». قال الفراء: فيها ثلاث لغات: لكنَّا، ولكنَّ، ولكنَّ بالهاء، أنشدني أبو ثروان:

وتزْمِينَنِي بِالطَّرْفِ أَي أَنْتَ مَذْنِبٌ وَتَغْلِيْنَنِي لَكِنْ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة: مجازه: لكن أنا هو الله ربِّي، ثم حُذفت الألف الأولى، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى فشُدَّت. قال الزجاج: وهذه الألف تُحذف في الوصل، وتثبت في الوقف، فأما من أثبتا في الوصل كما ثبتت في الوقف، فهو على لغة من يقول: أنا قمْتُ، فأثبت الألف، قال الشاعر:



أَنَا سَيِّفُ الْعَاشِيَةِ فَاغْرِفُونِي

[خَمِيداً قَدْ تَذَرَيْتُ السَّنَامَا] (١)

وهذه القراءة جيدة، لأن الهمزة قد حذفت من «أنا»، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ﴾ أي: وهلاً؛ ومعنى الكلام التوبيخ. قال الفراء: ﴿مَا سَأَلَ اللَّهُ﴾ في موضع رفع، إن شئت رفعته بإضمار هو، يريد: [هو] ما شاء الله؛ وإن شئت أضمرت فيه: ما شاء الله كان؛ وجاز طرح جواب الجزاء، كما جاز في قوله: ﴿إِنِ اسْتَكْبَرْتَ أَتَقْبَلُكَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ليس له جواب، لأنه معروف. قال الزجاج: وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الاختيار النصب بغير تنوين على النفي، كقوله: ﴿لَا رَبَّ إِلَّا هُوَ﴾ [الكهف: ٢٦]، ويجوز: «لا قوة إلا بالله» على الرفع بالابتداء، والخبر «بالله»، المعنى: لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَىٰ﴾ قرأ ابن كثير: «إن ترني أنا» ويؤتيني خيراً» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء فيهما وصلًا ووقفًا. ﴿أَنَا أَقْلٌ﴾ وقرأ ابن أبي عبلة: «أنا أقْل» برفع اللام. قال الفراء: «أنا» هاهنا عماد إن نصبت «أقْل»، واسم إذا رفعت «أقْل» (٢)، والقراءة بهما جائز.

قوله تعالى: ﴿فَقَسَىٰ رَبِّي أَن يُوَفِّيَ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿وَوَيْلٌ لَّهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العذاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك. وقال أبو صالح عن ابن عباس: ناراً من السماء (٣). والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابن زيد. والثالث: مراعي من السماء، واحدها: حسبانة، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. قال الثَّضَرُّ بن شُمَيْل: الحُسابان: سهام يرمي بها الرجل في جوف قصبة تُنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة، فعلى هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مراعي من عذابه، إما حجارة أو برداً أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب. والرابع: أن الحسابان: الحساب، كقوله: ﴿الْأَشْمُسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسل عليها عذاب حساب ما كسبت يدها، هذا قول الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَتَصَيِّحُ صَيِّحًا زَلًّا﴾ (٤) أَوْ يُصَيِّحُ مَاوَهَا غَوْرًا قال ابن قتيبة: الصعيد: الأملس المستوي، والزَّلُّ: الذي تَزَلُّ عنه الأقدام، والغَوْر: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماء غَوْر، ومياه غَوْر، ولا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، كما يقال: رجل نَوْم، ورجل صَوْم، ورجل فطر، ورجال نَوْم، [ونساء نَوْم]، ونساء صَوْم. ويقال للنساء إذا نُحِنَ: نَوْح، والمعنى: يذهب ماوها غائراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها. ﴿فَلَنَ سَتَطِيعُ لَكَ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثر تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأزضية. وقال ابن الأنباري: «غوراً» إذا غَوْر، فسقط المضاف، وخلفه المضاف إليه، والمراد بالطلب هاهنا: الوصول، فقام الطلب مقامه لأنه سببه. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل: «غَوْرًا» برفع الغين والواو [الأولى] جميعاً، [وواو بعدها].

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَنْصَحَ يَقْلَبُ كَلْبَهُ عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلَغْتَ لَرَأْسُكَ رَبِّيَ لَعَلَّ﴾ (٥) وَلَمْ تَكُنْ لَرَأْسُكَ يَصْرُوتُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (٦) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٧)

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ أي: أحاط الله العذاب بشمره، وقد سبق معنى الشمر. ﴿فَأَنْصَحَ يَقْلَبُ كَلْبَهُ﴾ أي: يضرب بيد على يد، وهذا فعل النادم، ﴿عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا﴾ أي: في جنته، وفي «ها هنا» بمعنى «على». ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خالية ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ والعروش: السقوف؛ والمعنى: أن حيطانها قائمة والسقوف قد تهدمت فصارت في قرارها، فصارت الحيطان كأنها على السقوف. ﴿وَيَقُولُ بَلَغْتَ لَرَأْسُكَ رَبِّيَ لَعَلَّ﴾ فأخبر الله تعالى أنه لما سلبه ما أنعم به عليه، وحقق ما أنذره [به] أخوه في الدنيا، ندم على شركه حين لا تنفعا الندامة. وقيل: إنما يقول هذا في

(١) «الطبري» ٢٤٧/١٥، «القرطبي» ٤٠٥/١٠، و«خزانة الأدب» ٣٩٠/٢.

(٢) وكذلك قال الطبري ٢٤٨/١٥.

(٣) في نسخة الرباط: نازل من السماء.

القيامة ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ يَمَنَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «ولم تكن» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولم يكن» بالياء. والفتحة. الجماعة ﴿يَضْرِبُونَ﴾ أي: يمتعونه من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: «الولاية» بفتح الواو ﴿وَاللَّهُ الْحَقُّ﴾ خفضاً. وقرأ حمزة: «الولاية» بكسر الواو، والله الحق بكسر القاف أيضاً. وقرأ أبو عمرو بفتح الواو، ورفع «الحق»، ووافقه الكسائي في رفع القاف، لكنه كسر «الولاية»، قال الزجاج: معنى الولاية في [مثل] تلك الحال: تبين نصرة ولي الله. وقال غيره: هذا الكلام عائد إلى ما قبل قصة الرجلين. فأما من فتح واو «الولاية» فإنه أراد الموالاة والنصرة، ومن كسر، أراد السلطان والملك على ما شرحنا في آخر [الأنفال: ٧٢]. فعلى قراءة الفتح، في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنهم يتوكلون الله تعالى في القيامة، ويؤمنون به، ويتبرؤون مما كانوا يعبدون، قاله ابن قتيبة. والثاني: هنالك يتولى الله أمر الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين. وعلى قراءة الكسر، يكون المعنى: هنالك السلطان لله. قال أبو علي: من كسر قاف «الحق»، جعله من وصف الله ﷻ، ومن رفعه جعله صفة للولاية. فإن قيل: لم نعت الولاية وهي مؤنثة بالحق وهو مصدر؟ فنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري: أحدهما: أن تأنيثها ليس حقيقياً، فحملت على معنى النصر؛ والتقدير: هنالك النصر لله الحق، كما حملت الصبيحة على معنى الصباح في قوله: ﴿وَأَعَدَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا لَاصْبِيحَةَ﴾ [هود: ٦٧]. والثاني: أن الحق مصدر يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والاثنتان والجمع، فيقال: قولك حق، وكلمتك حق، وأقولكم حق. ويجوز ارتفاع الحق على المدح للولاية، وعلى المدح لله تعالى بإضمار «هو».

قوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابٍ﴾ أي: هو أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه، وهذا على تقدير أنه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.

قوله تعالى: ﴿وَحَبَّرَ عُقْبًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «عُقْبًا» مضمومة القاف. وقرأ عاصم، وحمزة: «عُقْبًا» ساكنة القاف. قال أبو علي: ما كان [على] «قُئِلَ» جاز تخفيفه، كالعُنُق، والظُنْب. قال أبو عبيدة: العُقْب، والعُقْب، والعُقْبى، والعاقبة، بمعنى، وهي الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿وَأَضْرِبَ لَهُم مَّثَلًا لِّلْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبَ لَهُم مَّثَلًا لِّلْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: في سرعة نفاذها وذهابها، وقيل: في تصرف أحوالها، إذ مع كل فرحة ترحه، وهذا مفسر في سورة [يونس: ٢٤] إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾. قال الفراء: الهشيم: كل شيء كان رطباً فيس. وقال الزجاج: الهشيم: النبات الجاف. وقال ابن قتيبة: الهشيم من النبات: المتفتت، وأصله من هشمت الشيء: إذا كسرت، ومنه سمي الرجل هاشماً. و﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ تنسفه. وقرأ أبي، وابن عباس، وابن أبي بلة: «تَذْرِيهِ» برفع التاء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة. وقرأ ابن مسعود كذلك، إلا أنه فتح التاء. والمقتدر: مُقْتَدِرٌ، من قَدَرْتُ. قال المفسرون: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مُقْتَدِرًا﴾

﴿الْمَالِ وَالْأَنْفُسَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَالْآٰلِآَتِ الْمُبِينٰتِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

قوله تعالى: ﴿الْمَالِ وَالْأَنْفُسَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ هذا رد على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أن ذلك مما يَتَزَيَّنُّ به في الدنيا، [لا] مما ينفع في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَالْآٰلِآَتِ الْمُبِينٰتِ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»؛ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن عجزتم عن الليل أن تكابده، وعن العدو أن تجاهده، فلا تعجزوا عن قول «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فقولوها: فإنهن الباقيات الصالحات»<sup>(١)</sup>، وهذا قول

ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك. وسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات، فقال هذه الكلمات، وزاد فيها: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن المسيب، ومحمد بن كعب القرظي مثله سواء. والثاني: «أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوة إلا بالله»، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها الصلوات الخمس، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم. والرابع: الكلام الطيب، رواه العوفي عن ابن عباس. والخامس: هي جميع أعمال الحسنات، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يُخَيِّرُ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَافِكَ﴾ أي: أفضل جزاء ﴿يُخَيِّرُ أَمَلًا﴾ أي: خير مما تؤملون، لأن آمالكم كواذب، وهذا أمل لا يكذب.

﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٣)</sup> وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُدْعَاؤُنَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَخِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهُ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٦﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «ويوم تُسِيرُ» بالتاء «الجبال» رفعاً. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «تُسِيرُ» بالنون «الجبال» نصباً. وقرأ ابن محيصن: «ويوم تُسِيرُ» بفتح التاء وكسر السين وتسكين الياء «الجبال» بالرفع. قال الزجاج: «ويوم» منصوب على معنى: اذكر، ويجوز أن يكون منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تُسِيرُ الجبال. قال ابن عباس: تُسِيرُ الجبال عن وجه الأرض، كما يُسِيرُ السحاب في الدنيا، ثم تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها.

قوله تعالى: ﴿وَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ وقرأ عمرو بن العاص، وابن السميع، وأبو العالية: «وترى الأرض بارزة» برفع التاء والضاد. وقرأ أبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه فتح ضاد «الأرض». وفي معنى «بارزة» قولان: أحدهما: [ظاهرة] فليس عليها شيء من جبل أو شجر أو بناء، قاله الأكثرون. والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْتَهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿لَمْ تُغَادِرْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: فلم تُخَلِّفْ، يقال: غادرت كذا: إذا خلفته، ومنه سمي الغدير، لأنه ماء تُخَلِّفُهُ السيول. وروى أبان: «فلم تغادر» بالتاء.

قوله تعالى: ﴿وَغَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَمًا﴾ إن قيل: هذا أمر مستقبل، فكيف غُرِبَ [عنه] بالماضي؟ فالجواب: أن ما قد علم الله وقوعه، يجري مجرى المعاین، كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وفي معنى قوله: ﴿صَمًا﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿لَمْ أَثَرًا صَمًا﴾ [طه: ٦٤]، قاله مقاتل. والثاني: أن المعنى: وغرضوا على ربك مصفوفين، هذا مذهب البصريين. والثالث: أن المعنى: وغرضوا على ربك صفوفاً، فتاب الواحد عن الجميع، كقوله: ﴿لَمْ نُخَيِّرْكُمْ يَتِيمًا﴾ [الحج: ٥]. والرابع: أنه لم يَغِبْ عن الله منهم أحد، فكانوا كالصف الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. وقد قيل: إن كل أمة وزمرة صف.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فيه إضمار «فيقال لهم». وفي المخاطبين بهذا قولان: أحدهما: أنهم الكل. والثاني: الكفار، فيكون اللفظ عامّاً، والمعنى خاصّاً. وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مفسر في [الأنعام: ٩٤]. وقوله: ﴿وَزَعَمْتُمْ﴾ خطاب للكفار خاصة، والمعنى: زعمت في الدنيا ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ للبعث، والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكتاب الذي سيطر فيه ما تعمل الخلائق قبل وجودهم،

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٢٢٥/٤ من رواية أحمد، وابن جرير، وابن المنذر عن عثمان رضي الله عنه.

(٢) أورده السيوطي في «الدرر» ٢٢٥/٤ من رواية ابن مردويه عن علي رضي الله عنه.

قاله ابن عباس. والثاني: أنه الحساب، قاله ابن السائب. والثالث: كتاب الأعمال، قاله مقاتل. وقال ابن جرير: وضع كتاب أعمال العباد في أيديهم، فعلى هذا، الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ قال مجاهد: [هم] الكافرون. وذكر بعض أهل العلم أن كل مجرم ذكر في القرآن. فالمراد به: الكافر.

قوله تعالى: ﴿مُتَفَيِّقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿يَمَّا فِيهِ﴾ من الأعمال السيئة ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَلَّنَا﴾ هذا قول كل واقع فيهلكة. وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَبَادُرُ صَيْعَةً وَلَا كِبَرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ هذا على ظاهره في صغير الأمور وكبيرها؛ وقد روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة. وقد يوثق أن المراد بذلك صفائر الذنوب وكبائرها، وليس كذلك، إذ ليس الضحك والتبسم، مجزئيهما من الذنوب، وإنما المراد أن التبسم من صفار الأفعال، والضحك فعل كبير، وقد روى الضحاك عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة: القهقهة بذلك؛ فعلى هذا يكون ذنباً من الذنوب لمقصود فاعله، لا لنفسه. ومعنى «أحصاها»: عدّها وأثبتها، والمعنى: وُجِدَتْ مُحْصَاةٌ. ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ أي: مكتوباً مُثَبَّتاً في الكتاب، وقيل: رأوا جزاءه حاضراً. وقال أبو سليمان: الصحيح عند المحققين أن صفائر المؤمنين الذين وعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنما يعفى عنها في الآخرة بعد أن يراها صاحبها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَطِيرُ رُكُوكَ أَحَدًا﴾ قال أبو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزداد في سيئات الكافر. وقيل: إن كان للكافر فعل خير، كعتق رقبة، وصدقة، خُفِّفَ عنه به من عذابه، وإن ظلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، نصار الحق لله. ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكِبَرُ، فقال: ﴿وَلَا تَلْنَا﴾ أي: اذكر ذلك. وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قولان: أحدهما: أنه من الجن حقيقة، لهذا النص؛ واحتج قائلوا هذا بأن له ذرية - وليس للملائكة ذرية - وأنه كَفَرَ، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر. والثاني: أنه كان من الملائكة، وإنما قيل: «من الجن»، لأنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن، قاله ابن عباس؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: خرج عن طاعة ربه، تقول العرب: فسقت الرُّطبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه عن أمر ربه، قال الزجاج: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا. والثالث: فسق عن ردّ أمر ربه، حكاه الزجاج عن قطرب.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَسْتَدُلُّهُمْ ذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ﴾ [أي]: توالونهم بالاستجابة لهم؟! قال الحسن، وقتادة: ذريته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. قال مجاهد: ذريته: الشياطين، ومن ذريته زَلْتَبُور صاحب راية إبليس بكل سوق، وثبر، وهو صاحب المصائب، والأعور صاحب الرياء، وميسوط صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس، فلا يوجد لها أصل، وداسم صاحب الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله، فهو يأكل معه إذا أكل، قال بعض أهل العلم: إذا كانت خطيئة الإنسان في كِبَر فلا تَرْجُوهُ، وإن كانت في شهوة فارجه، فإن معصية إبليس كانت بالكِبَر، ومعصية آدم بالشهوة.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بشس الاتخاذ للظالمين بدلاً. والثاني: بشس الشيطان. والثالث: بشس الشيطان والفرية، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿مَا أَتَّبَعْتُمْ خَلْقَ الْأَشْمَكِ وَالْأَرْضِ﴾ وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «ما أشهدناهم» بالنون والألف. وفي المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: إبليس وذريته. والثاني: الملائكة. والثالث: جميع الكفار. والرابع: جميع الخلق؛ والمعنى: إني لم أشأورهم في خلقهن؛ وفي هذا بيان للفناء عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة.



قوله تعالى: ﴿وَلَا خَلْقَ أَشْيِهِمْ﴾ أي: ما أشهدت بعضهم خلق بعض، ولا استعنت ببعضهم على إيجاد بعض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ مُخَيِّدَ الْمُضِلِّينَ﴾ [يعني: الشياطين] ﴿عَصَا﴾ أي: أنصاراً وأعواناً. والعَصْدُ يستعمل كثيراً في معنى العون، لأنه قِوَام [اليد]، قال الزجاج: والاعتصاد: التقوي وطلب المعونة، يقال: اعتصدت بفلان، أي: استعنت به. وفي ما نفى اتخاذهم عصداً فيه قولان: أحدهما: أنه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلين، قاله مجاهد. والثاني: أنه خلق السموات والأرض، قاله مقاتل. وقرأ الحسن، والجاحدري، وأبو جعفر: «وما كنت» بفتح التاء.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۖ ﴿٥٢﴾ وَرَدَّ الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَهَا مَصْرِفًا ۖ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ وقرأ حمزة: «نقول» بالنون، يعني: يوم القيامة ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ أضاف الشركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: لم يجيبوهم، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون والشركاء. والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة. وفي معنى (مُوبِقًا) ستة أقوال: أحدها: مَهْلِكًا، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقال ابن قتيبة: مَهْلِكًا بينهم وبين ألهتهم في جهنم، ومنه يقال: أَوْبَقْتُهُ ذَنْبُهُ، [أي: أهلكته]. قال الزجاج: [المعنى]: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي: يهلكهم، فالمُوبِقُ<sup>(١)</sup>: المهلك، يقال: وَبِقٌ، يَبِيقُ، وَيَابِقٌ، وَيَقًا، وَوَبَقًا، وَوُوبَقًا، فهو وابق؛ وقال الفراء: جعلنا تواصلهم في الدنيا مُوبِقًا، أي: مَهْلِكًا لهم في الآخرة، فالْبِيقُ، على هذا القول؛ بمعنى التواصل، كقوله تعالى: «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» [الأنعام: ٩٤] على قراءة من ضم النون. والثاني: أن المُوبِقُ: واد عميق يُفَرِّقُ به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، قاله عبد الله بن عمرو. والثالث: أنه واد في جهنم، قاله أنس بن مالك، ومجاهد. والرابع: أن معنى المُوبِقُ: العداوة، قاله الحسن. والخامس: أنه المَحْبِسُ، قاله الربيع بن أنس. والسادس: أنه المُؤْعِدُ، قاله أبو عبيدة. قال ابن الأنباري: إن قيل: لم قال: «مُوبِقًا» ولم يقل: «مُوبِقًا»، بضم الميم، إذ كان معناه عذاباً مُوبِقًا؟ فالجواب: أنه اسم موضوع لمَحْبِسٍ في النار، والأسماء لا تؤخذ بالقياس، فيُعلم أن «مُوبِقًا»: مُفْعِل، من أوبقه الله: إذا أهلكه، فتفتح الميم، كما تفتح في «مُؤْعِد» و«مُؤَلَّد» و«مُخَيِّد» إذا سَمِيت الشخص بهنً.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ الْمَجْرِمُونَ النَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تنفِيط حقاً عليهم. والمراد بالمجرمين: الكفار. ﴿فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُوَافِقُوهَا﴾ أي: داخلوها. ومعنى الواقعة: ملابسة الشيء بشدة ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَهَا مَصْرِفًا﴾ أي: مغدلاً؛ والمَصْرِفُ: الموضع الذي يُصْرَفُ إليه، وذلك أنها أحاطت بهم من كل جانب، فلم يقدرُوا على الهَرَبِ. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئًا جَدَلًا ۖ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَكَفَرُوا بَعْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۖ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في [بني إسرائيل: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْئًا جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان: أحدهما: أنه النَّضْرُ بن الحارث، وكان جداله في القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: أبي بن خلف، وكان جداله في البعث حين أتى بعظم قد رَمَ، فقال: أيقدر الله على إعادة هذا؟! قاله ابن السائب. قال الزجاج: كل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ قال المفسرون: يعني: أهل مكة ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهو: محمد ﷺ، والقرآن، والإسلام ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ وهو: أنهم إذا لم يؤمنوا عذبوا. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

(١) في الأصل: «فالموضع» بدلاً من كلمة «فالموبق»، ولعله سهو من الناسخ.

أحدهما: ما منعهم من الإيمان إلا طلب أن تأتيهم سُنة الأولين، قاله الزجاج. والثاني: وما منع الشيطان الناس أن يؤمنوا إلا لأن تأتيهم سُنة الأولين، أي: منعهم رُشدَهُم لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابن الأنباري. والثالث: ما منعهم إلا أنني قد قُدرت عليهم العذاب. وهذه الآية فيمن قُتل بيدر وأُحد من المشركين، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ذكر ابن الأنباري في «أوه» [هاهنا] ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى الواو. والثاني: أنها لوقوع أحد الشيتين، إذ لا فائدة في بيانه. والثالث: أنها دخلت للتبعيض، أي: أن بعضهم يقع به هذا، وهذه الأقوال الثلاثة قد أسلفنا بيانها في قوله ﴿يَقْتُلْ﴾: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

قوله تعالى: ﴿قُبُلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «قُبُلًا» بكسر القاف وفتح الباء. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «قُبُلًا» بضم القاف والباء. وقد بيَّنا علَّة القراءتين في [الأنعام: ١١١]. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «قُبُلًا» بوزن قُبِيل. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل «قُبُلًا» بفتح القاف من غير ياء، قال ابن قتيبة: أراد استثنافاً. فإن قيل: إذا كان المراد بسُنة الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾؟ فالجواب: أن سُنة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قُبُلًا أفاد القتل يوم بدر. قال مقاتل: «سُنة الأولين»: عذاب الأمم السالفة؛ «أو يأتيهم العذاب قُبُلًا»، أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر.

﴿وَمَا تُرِيدُ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا مَبْشِرِينَ وَنَذِيرِينَ وَمُجِدِّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْتِ لِتُدْخِلُوا بِهِ لِقَاءَ وَاعْتَدُوا مَا بَيْنَ وَمَا أَنْزَلُوا هُزُؤًا ۖ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِلَّا حَسَلاً عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفَىٰ آفَاتِهِمْ وَقَدْ وَكَّلْنَا لَهُمُ الْقُدْرَةَ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَتَوْا ۖ وَرَبُّكَ الْقَوِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يَوَدُّهُمْ إِمَّا كَسَبُوا لَعَلَّ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا ۝ ٥٧ ۖ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ ۖ أَفَلَا تَعْلَمُونَ لَمَّا ظَلَمْنَا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝ ٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمُجِدِّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْتِ﴾ قال ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم. وجدَّاهم بالباطل: أنهم الزموا أن يأتي بالآيات على أهوائهم ﴿لِيُدْخِلُوا بِهِ لِقَاءَ﴾ أي: لِيُبْطِلُوا ما جاء به محمد ﷺ. وقيل: جدَّاهم: قولهم: ﴿لَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَعًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿لَوْذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، ونحو ذلك ليُبطِلُوا به ما جاء في القرآن من ذُكر البعث والجزاء. قال أبو عبيدة: ومعنى «لِيُدْخِلُوا» لِيُزِيلُوا ويذهبوا، يقال: مكان ذَخُض، أي: مَزَلٌ لا يثبت فيه قدم ولا حافر.

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَدُوا مَا بَيْنَ﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أَنْزَلُوا﴾ أي: خُوفوا به من النار والقيامة ﴿هُزُؤًا﴾ أي: مهزوءاً به. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في [البقرة: ١١٤]. و﴿ذُكِّرَ﴾ بمعنى: وعُظ. وآيات ربه: القرآن، وإعراضه عنها: تهاونه بها. ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ﴾ أي: ما سلف من ذنوبه؛ وقد شرحنا ما بعد هذا في [الأنعام: ٢١] إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَدْعَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ وهو: الإيمان والقرآن ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾ هذا إخبار عن علمه فيهم.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْقَوِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يعاجلهم بالعقوبة. ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ للبعث والجزاء ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ قال الفراء: الموثل: المنجى، وهو الملجأ في المعنى، لأن المنجى ملجأ، والعرب تقول: إنه لَيُؤَاتِلُ إلى موضعه، أي: يذهب إلى موضعه، قال الشاعر:

لَا وَاءَ لَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْنَهَا

يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

وَقَدْ أَخَالِسُ رَبِّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ

أي: ما يتنجو. وقال ابن قتيبة: المولجأ: الملجأ. يقال: وآل فلان إلى كذا: إذا لجأ. فإن قيل: ظاهر هذه الآية يقتضي أن تأخير العذاب عن الكفار برحمة الله، ومعلوم أنه لا نصيب لهم في رحمته. فعنه جوابان: أحدهما: [أن]

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٦٩/١٥، و«القرطبي» ٨/١١، و«اللسان»: وآل.

(٢) ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩، و«الطبري» ٢٦٩/١٥، و«مجاز القرآن» ٤٠٨/١، و«القرطبي» ٨/١١.

الرحمة هاهنا بمعنى النعمة، ونعمة الله لا يخلو منها مؤمن ولا كافر. فأما الرحمة التي هي الغفران والرضى، فليس للكافر فيها نصيب. والثاني: أن رحمة الله محظورة على الكفار يوم القيامة، فأما في الدنيا، فإنهم ينالون منها العافية والرزق.

قوله تعالى: ﴿وَبَلَّغْنَا الْكُرُوفَ﴾ يريد: التي قصصنا عليك ذكرها، والمراد: أهلها، ولذلك قال: ﴿أَفَلَا تَكْتَنَهُمْ﴾ والمراد: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب. قال الفراء: قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ معناه: بعدما ظلموا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ لِقَاءَ رَسُولِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. والثاني: أن يكون وقتاً، فالمعنى: لوقت هلاكهم. وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام، وهو مصدر مثل الهلاك. وقرأ حفص عن عاصم بفتح الميم وكسر اللام، ومعناه: لوقت إهلاكهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَسْبَحُ حَتَّى أَتِيَنَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا شَبَّاهُمَا فَتَوَخَّاهُمَا فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ إِنَّا غَدَاؤُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَبِّئُكَ الْحَوْتَ وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَّ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ...﴾ الآية، سبب خروج موسى ﷺ في هذا السفر، ما روى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فغضب الله عز وجل عليه إذ لم يردِّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك؛ قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة، وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جزية الماء، فصار عليه مثل الطاق<sup>(١)</sup>. فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتهاه: آتينا غداؤنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم يجد موسى النصيب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال فتاه: «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ...» إلى قوله: «عَجَبًا»، قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتهاه عجباً، فقال موسى: «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّئُكَ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا» قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا هو مسجى بشوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام<sup>(٢)</sup>! مَنْ أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى، إني على علمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ لَا تَعْلَمُهُ عِلْمِيهِ، وأنت على علمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمُكَ لَا أَعْلَمُهُ؛ فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً؛ فقال له الخضر: فَإِنْ أَتْبَعْتَنِي فَلَا تُسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخْبِرَكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا؛ فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت سفينة فكلّموهم أن يحملوهم، فغرفوا الخضر فحملوه بغير نَوَلٍ<sup>(٣)</sup>؛ فلما ركبا في السفينة لم يبقاً إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نَوَلٍ عمدت إلى سفينتيهما «أَخْرَفْتَهُمَا لِتَغْرِبَ أَهْلَهُمَا...» إلى قوله: «عَجَبًا»؟! قال: وقال رسول الله ﷺ: «كَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نَسِيانًا»، وجاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه فقتله، فقال له موسى: «أَفَلَاكَ نَفْسًا رَكِبْتَ» إلى قوله: «يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ» فقال الخضر بيده [هكذا]<sup>(٤)</sup>،

(١) الطاق: عقد البناء، وجمعه: طيقان، وأطواق - وهو الأزعج (بيت بيني طولاً، أو السفك) - وما عقد أهلاء من البناء وبقي ما تحته خالياً.

(٢) أي: من أين السلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السلام. قال العلماء: «أَنَّى» تأتي بمعنى: أين، ومتى، وحيث، وكيف.

(٣) أي: بغير أجر، والنول والنوال: المطاء.

(٤) قوله: فقال الخضر بيده هكذا، أي: أشار بيده فأقامه، وهذا تعبير بالفعل عن القول، وهو شائع.

فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناكم فلم يطعمونا، ولم يضيّفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَزَّلْتَ عَلَيْهِمْ أَجْرًا﴾! ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ...﴾ الآية. هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين»<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا إسناده في كتاب «الحداثق» فآثرنا الاختصار هاهنا. فأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿وَلَاذْ قَالَتْ مُوسَىٰ﴾ المعنى: واذكر ذلك. وفي موسى قولان: أحدهما: أنه موسى بن عمران، قاله الأكثرون. ويدل عليه ما روي في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله<sup>(٢)</sup>، أخبرني أبي بن كعب... فذكر الحديث الذي قدمناه آنفاً<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه موسى بن ميثا، قاله ابن إسحاق، وليس بشيء، للحديث الصحيح الذي ذكرناه. فأما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف. وإنما سمي فتاه، لأنه كان يلازمه، ويأخذ عنه العلم، ويخدمه. ومعنى ﴿لَا أَتَّبِعُ﴾: لا أزال. وليس المراد به: لا أزول، لأنه إذا لم يُزَلْ لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرخ توذي أمانةً  
وتحمل أخرى أفرحتك الودائع<sup>(٤)</sup>

أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله بقاء الخضر فيه، قال قتادة: بحر فارس، وبحر الروم، فبحر الروم نحو المغرب، وبحر فارس نحو المشرق. وفي اسم البلد الذي بمجمع البحرين قولان: أحدهما: إفريقية، قاله أبي بن كعب. والثاني: طنجة، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْصِىْ حُفْبًا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجلز، وقتادة، والجدري، وابن يعمر: «حُفْبًا» بإسكان الكاف. قال ابن قتيبة: الحُفْب: الدهر، والجُفْب: السُّنُون، واحداثها حُفْبَة، ويقال: حُفْبٌ وحُفْبٌ، كما يقال: قُفْلٌ وقُفْلٌ، وهُزْؤٌ وهُزْؤٌ، وكُفْؤٌ وكُفْؤٌ، وأُكْلٌ وأُكْلٌ، وسُخْتُ وسُخْتُ، ورُغْبٌ ورُغْبٌ، ونُكْرٌ ونُكْرٌ، وأُذُنٌ وأُذُنٌ، وسُخِقٌ وسُخِقٌ، وبُعْدٌ وبُعْدٌ، وشُغْلٌ وشُغْلٌ، وثُلْثٌ وثُلْثٌ، وعُذْرٌ وعُذْرٌ، ونُذْرٌ ونُذْرٌ، وعُمرٌ وعُمرٌ. وللمفسرين في المراد بالحُفْب هاهنا ثمانية أقوال: أحدها: أنه الدهر، قاله ابن عباس. والثاني: ثمانون سنة، قاله عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة. والثالث: سبعون ألف سنة، قاله الحسن. والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهد. والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مقاتل بن حيان. والسادس: أنه ثمانون ألف سنة. كل يوم ألف سنة من عدد الدنيا. والسابع: أنه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفراء. والثامن: الحُفْب عند العرب وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة. ومعنى الكلام: لا أزال أسير، ولو احتجت أن أسير حُفْبًا.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاه ﴿جَمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ يعني: البحرين ﴿نَسِيًا حَوْتَهُمَا﴾ وكانا قد تزودا حوتاً مالحاً في زَبِيلٍ<sup>(٥)</sup> فكانا يصيبان منه عند الغداء والعشاء، فلما انتھيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بلل البحر. وقيل: توضع يوشع من عين الحياة فانتضخ على الحوت الماء، فعاش، فتحرك في المكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود حوتاً مالحاً، فإذا فقدته وجدت الرجل. وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي. وإنما قيل: «نسيا حوتهما» توسعاً في الكلام، لأنهما جميعاً تزودا، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنما نسيه أحدهم. قال الفراء: ومثله قوله: ﴿يَتَجَرَّ مِنْهُمَا الْفَرَسُ وَالْكَرْمَلُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج ذلك من الملح، لا من العذب. وقيل: نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فلذلك أضيف النسيان إليهما.

(١) البخاري ١٥٣/١ و٣٠٨/٦ و٣١٠/٨، ومسلم ١٨٤٧/٤، ورواه الترمذي ١٤٣/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) قوله: كذب عدو الله، قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة، إنما قاله مبالغة في إنكار قوله: لمخالفته قول رسول الله ﷺ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس، لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تتراد بها حقائقها.

(٣) البخاري ٣١٠/٨، ومسلم ١٨٤٧/٤.

(٤) البيت لبهس العذري في «اللسان»: فرح.

(٥) الزَبِيل: الفَقَّة، والجمع: زُبُلٌ ومثله الزَّبِيل، والزَّبِيل، والجمع: زنايل.



قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مسلماً ومذهباً. قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يس حتى يكون صخرة. وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً. وقد ذكرنا في حديث أبي بن كعب أن الماء صار مثل الطاق على الحوت.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَنَا﴾ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوت، أصابهما ما يصيب المسافرين من النَّصَب، فدعا موسى بالطعام، فقال: ﴿وَلَيْسَ غَدَاةَ نَا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة. والنَّصَب: الإعياء. وهذا يدل على إباحة إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتعب، ولا يكون ذلك شكوى. ﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك ﴿فَلَمَّا كُنَّا فِي الْغُوتِ﴾ فيه قولان: أحدهما: نسيئُ أن أخبرك خبر الحوت. والثاني: نسيئ حمل الحوت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَيْنَاهُ﴾ قرأ الكسائي: «أنسانيه» بإمالة السين [مع كسر الهاء]. وقرأ ابن كثير: «أنسانيه» بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء. وروى حفص عن عاصم: «أنسانيه إلا» بضم الهاء [في الوصل].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوت. وفي التَّخَذُ قولان: أحدهما: أنه الحوت، ثم في المخبر عنه قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يُري عجباً، ويُحدث عجباً. والثاني: أنه لما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾، قال: اعجبوا لذلك عجباً، وتنبهوا لهذه الآية. والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: «في البحر» فقال موسى: عجباً، لما شوهده من الحوت. ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري. والثاني: [أن] المُخْبِر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت. والقول الثاني: أن المتخذ موسى، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً، فدخل في المكان الذي مرَّ فيه الحوت، فرأى الخضر. وروى عطية عن ابن عباس قال: رجع موسى إلى الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقي الخضر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدالة على مطلوبنا، قرأ ابن كثير: «نبغي» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، بياء في الوصل. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء في الحالين.

قوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا﴾ قال الزجاج: أي: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقصّان الأثر، والقصص: اتّباع الأثر.

قوله تعالى: ﴿فَرَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ يعني: الخضر. وفي اسمه أربعة أقوال: أحدها: اليسع، قاله وهب، ومقاتل. والثاني: الخضر بن عاميا. والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابن المنادي. والرابع: بليا بن ملكان، ذكره علي بن أحمد النيسابوري. فاما تسميته بالخضر، ففيه قولان: أحدهما: أنه جلس في فروة بيضاء فاخضرت، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والفروة: الأرض اليابسة. والثاني: أنه كان إذا جلس اخضر ما حوله، قاله عكرمة. وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضر ما حوله. وهل كان خضر نبياً، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكر بن الأنباري، وقال: كثير من الناس يذهب إلى أنه كان نبياً<sup>(٢)</sup>، وبعضهم يقول: كان عبداً صالحاً. واختلف العلماء هل هو باقي إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي، وكان الحسن يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا

(١) روى الإمام أحمد في «المستند» عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ في الخضر قال: «إنما سمي خضراً، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من تحته خضراء» وجاء في «صحيح البخاري» ٣٠٩/٦ عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». قال ابن كثير: والمراد بالفروة هاهنا: الحشيش اليابس، وهو الهشيم من النبات.

(٢) قال ابن كثير ٩٩/٣ عند قوله تعالى على لسان الخضر ؑ: ﴿وَمَا كُنَّا عَنْ أَنْعَمَ﴾: وما فعلته عن أمري، لكني أمرت به، ووقفت عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر ؑ، مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿فَرَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾. وقال الآلوسي في «روح المعاني» ٢٩٣/١٥: الجمهور على أنه نبي.

(٣) أي: معطوف على الصبر، والنحويون يسمون حروف العطف: حروف النسق.

بثوبه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿أَرْقَبًا لِّتَرْقَ أَهْلَهَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «لِتَرْقَ» بالثاء «أهْلَهَا» بالنصب. وقرأ حمزة، والكسائي: «لِتَرْقَ» بالياء «أهْلَهَا» برفع اللام. «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا»، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منكر، قاله مجاهد. وقال الزجاج: عظيماً من المنكر. والثاني: عجباً، قاله قتادة، وابن قتيبة. والثالث: داهية، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَيْبْتُ﴾ في هذا النسيان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على حقيقته، وأنه نسي، روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ الْأَوَّلَى كَانَتْ نَسِيَانًا مِنْ مُوسَى»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام، قاله أبي بن كعب، وابن عباس. والثالث: أنه بمعنى التَّرك. فالمعنى: لا تؤاخذني بما تركته مما عاهدتك عليه، ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُرَفِّقْ﴾ قال الفراء: لا تُعجلني. وقال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: لا تُغشيني. قال أبو زيد: يقال: أرفقته عسراً: إذا كلفته ذلك. قال الزجاج: والمعنى: عاملني باليسر، لا بالعسر.

قوله تعالى: ﴿فَاطْلُقْ﴾ يعني: موسى والخضر. قال الماوردي: يحتمل أن يوشع تأخر عنهما، لأن الإخبار عن اثنين، ويحتمل أن يكون معهما ولم يذكر لأنه تَبَّح لموسى، فاقصر على حكم المتبوع.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَبَّيَّا عَلَيْنَا﴾ اختلفوا في هذا الغلام هل كان بالغاً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن بالغاً، قاله ابن عباس، ومجاهد، والأكثر. والثاني: أنه كان شاباً قد قبض على لحيته، حكاه الماوردي عن ابن عباس أيضاً، واحتج بأن غير البالغ لم يَجِرْ عليه قلم، فلم يستحق القتل. وقد يُسَمَّى الرجلُ غلاماً، قالت ليلى الأخيلية تملح الحجاج:

[شَفَّاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بِهَا]

غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقِنَاءَ سَقَاهَا<sup>(٢)</sup>

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اقتلع رأسه، وقد ذكرناه في حديث أبي. والثاني: كسر عنقه، قاله ابن عباس. والثالث: أضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿أَمَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ قرأ الكوفيون، وابن عامر: «زَكِيَّةً» بغير ألف، والياء مشددة. وقرأ الباقون بالألف من غير تشديد. قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القاسية، والقسيّة. وللمفسرين فيها ستة أقوال: أحدها: أنها التائبة، روي عن ابن عباس أنه قال: الزكية: التائبة، [وبه] قال الضحاك. والثاني: أنها المسلمة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: أنها الزكية النامية، قاله قتادة. وقال ابن الأنباري: القومية في تركيبها. والخامس: أن الزكية: المطهرة، قاله أبو عبيدة. والسادس: أن الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يوجب قتلها، قاله الزجاج. وقد فَرَّق بعضهم بين الزاكية، والزكِيَّة، فروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: الزاكية: التي لم تذنّب قطّ، والزكية: التي أذنبت ثم تابت. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدِّين.

قوله تعالى: ﴿يَتَرَى نَجْمًا﴾ أي: بغير قتل نفس ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «نُكْرًا» خفيفة في كل القرآن، إلا قوله: ﴿إِلَّا مَنَ وَنُكْرًا﴾ [الفر: ٦٦]، وخفف ابن كثير أيضاً: «إلى شيء نُكْر». وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «نُكْرًا» «وإلى شيء نُكْر» مثقل. والمخفف إنما هو من المثقل، كالعُتْق، والعُتْق، والنُّكْر، والنُّكْر، قال الزجاج: والمعنى: لقد أتيت شيئاً نكراً. ويجوز أن يكون معناه: جئت بشيء نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نكراً، و«نُكْرًا» أقل منكراً من قوله: «إمراً» لأن تغريق مَنْ في السفينة كان عنده أنكر من قتل نفس واحدة.

(١) هذه قطعة من الحديث الطويل الذي تقدم سابقاً في ٨٥٩ - ٨٦٠.

(٢) الأغاني طبع الدار ٢٤٨/١١، «القرطبي» ٢١/١١، «البحر المحيط» ١٥٠/٦، «روح المعاني» ٣١٠/١٥، وقوله:

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَنْبُجُ أَقْصَى دَائِهَا فَنَشْفَاهَا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَزْأَقُلُّ لَكَ﴾. إن قيل: لم ذكر «لك» هاهنا، واختزله من الموضع الذي قبله؟ فالجواب: أن إثباته للتوكيد، واختزله لوضوح المعنى، وكلاهما معروف عند الفصحاء. تقول العرب: قد قلت لك: اتق الله. وقد قلت لك: يا فلان اتق الله، وأنشد ثعلب.

قد كنت حذرْتُكَ آل المضطِّلِق  
وقلت: يا هذا أطعُنِي وأنظِلِق  
فقوله: يا هذا، توكيد لا يختل الكلام بسقوطه. وسمعت الشيخ أبا محمد الخشاب يقول: وقره في الأول، فلم يواجه بكاف الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.

قوله تعالى: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخ وإنكار ﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾ وقرأ كذلك معاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، والأعرج، إلا أنهم شدّدوا النون. قال الزجاج: ومعناه: إن طلبت صحتك فلا تتابعني على ذلك. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبلة، ويعقوب: ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾ بفتح التاء من غير ألف. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، والأعمش كذلك، إلا أنهم شدّدوا النون. وقرأ أبو رجاء، وأبو عثمان النهدي، والنخعي، والجحدري: ﴿تُصِجْنِي﴾ بضم التاء، وكسر الحاء، وسكون الصاد والباء. قال الزجاج: فيهما وجهان: أحدهما: لا تتابعني في شيء ألتسمه منك. يقال: قد أصبح المهر: إذا انقاد. والثاني: لا تصحني علماً من علمك. ﴿فَدَلَّتْ مِن لَدُنِّي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿من لدني﴾ مثقل. وقرأ نافع: ﴿من لدني﴾ بضم الدال مع تخفيف النون. وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿من لدني﴾ بفتح اللام مع تسكين الدال. وفي رواية أخرى عن عاصم: ﴿لدني﴾ بضم اللام وتسكين الدال. قال الزجاج: وأجودها تشديد النون، لأن أصل «الذن» الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نوناً، ليسلم سكون النون الأولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النون ثم تضيف إلى نفسك، فتقول: من لدني، كما تقول: عن زيد وعني. فأما إسكان دال «لدني» فإنهم أسكنوها، كما تقول في عضد: عضد، فيحذفون الضم. قال ابن عباس: يريد: إنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، يعني: أنك قد أخبرتني أنني لا أستطيع معك صبراً.

قوله تعالى: ﴿فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أنطاكية، قاله ابن عباس. والثاني: الأبلّة، قاله ابن سيرين. والثالث: باجروان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَسْتَظْمَأْ أَهْلَهَا﴾ أي سألهم الضيافة ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا﴾ روى المفضل عن عاصم: «يُضَيَّفُوهُمَا» بضم الياء الأولى وكسر الضاد وتخفيف الياء الثانية. وقرأ أبو الجوزاء كذلك، إلا أنه فتح الياء [الأولى] وقرأ الباقون: «يُضَيَّفُوهُمَا» بفتح الضاد وتشديد الياء الثانية وكسرها. قال أبو عبيدة: ومعنى يضيّفوهما: ينزلوهما منزل الأضياف، يقال: ضيفت أنا، وأضافني الذي يُنزلني. وقال الزجاج: يقال: ضيف الرجل: إذا نزلت عليه، وأضفته: إذا أنزلته وقرّنته. وقال ابن قتيبة: [يقال]: ضيفت الرجل: إذا أنزلته منزلة الأضياف، ومنه هذه الآية، وأضفته: أنزلته، وضيّفته: نزلت عليه. وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «كانوا أهل قرية لثاماً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حائطاً. قال ابن فارس: وجمعه جُدُر، والجذر: أصل الحائط. ومنه حديث الزبير: «ثم دع الماء يرجع إلى الجُدُر»<sup>(٢)</sup>، والجيدر: القصير.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاض» بآلف ممدودة، وضاد معجمة؛ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «ينقاض» بآلف ومدة وضاد غير معجمة، وكله بلا تشديد. قال الزجاج: فمعنى: ينقض: يسقط بسرعة، وينقاض - غير معجمة: ينشق طولاً، يقال: انقاضت سيّته: إذا انشقت. قال ابن مقسم: انقاضت سيّته، وانقاضت - بالصاد، والضاد - على معنى واحد. فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟ فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل، ويريد: لأن هيئته في التهوي للوقوع قد ظهرت كما يظهر

(١) رواه مسلم ١٨٥٢/٤ بلفظ «حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً» وهو قطعة من حديث طويل.

(٢) في البخاري ٢٢٧/٥: «اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر» وهو في «النسائي» ١٣٩/٨، وهو جزء من حديث طويل.



من أفعال المرئيين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت صورتان واحدة، وقد أضافت العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوزاً، قال الله ﷻ: ﴿وَلَكِنَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الاعراف: ١٥٤]، والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه، وقال: ﴿كَذَلِكَ عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، وأنشدوا من ذلك:

إِنْ دَفَرْنَا يَلْفُ ثَنَلِي بِجَنَلٍ  
وقال آخر:

يُرِيدُ الرُّمَحُ صَلَزَ أَبِي بَرَاءِ  
وقال آخر:

ضَحِكُوا وَالدَّهْرُ عَنْهُمْ سَاكَتْ  
وقال آخر:

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى  
وهذا كثير في أشعارهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْصَىٰ كَيْفَ﴾ أي: سواء، لأنه وجده مائلاً. وفي كيفية ما فعل قولان: أحدهما: أنه دفعه بيده فقام. والثاني: هدمه ثم قعد بينه، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَتَّخَذْتَ» بكسر الخاء، غير أن أبا عمرو كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «لَا تَتَّخَذْتَ» وكلهم أدغوا، إلا حفصاً عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير. قال الزجاج: يقال: تَخَذَ يَتَّخِذُ في معنى: اتَّخَذَ يَتَّخِذُ. وإنما قال له هذا، لأنهم لم يضيفوهما.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: الخضر ﴿هَذَا﴾ يعني: الإنكار عَلَيَّ ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: هو المفروق بيننا. قال الزجاج: المعنى: هذا فراق بيننا، أي: فراق اتصالنا، وكرر «بين» توكيداً، ومثله في الكلام: أخزى الله الكاذب مني ومنك. وقرأ أبو رزين، وابن السميع، وأبو العالية، وابن أبي عبله: «هذا فِرَاقُ» بالتثنية «بيني وبينك» بنصب النون.

قال ابن عباس: كان قول موسى في السفينة والغلام، لرثه، وكان قوله في الجدار، لنفسه، لطلب شيء من الدنيا ﴿أَنَا السَّيْفُ فَكَانَتْ لِسَكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَدَّاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ﴿وَأَنَا الْفُلُّ فَكَانَ آتَاؤُهُ مُمْسِكِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿وَأَنَا الْيَدَارُ فَكَانَ لِقَلَمَيْنِ يَمْتَمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَبَعُ كَثْرَ لَهَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْهَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنَّا عَنْ آيَاتِهِ أَتَوِيلَ مَا لَمْ تَنْطَلِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

﴿كَانَتْ لِسَكِينٍ﴾ في المراد بمسكنتهم قولان: أحدهما: أنهم كانوا ضعفاء في أكسابهم. والثاني: في أبدانهم. وقال كعب: كانت عشرة إخوة، خمسة زمنى، وخمسة يعملون في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلها ذات عيب، يعني بخرقها، ﴿وَكَانَ وَدَّاهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أمامهم، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «وكان أمامهم مَلِكٌ». والثاني: خلفهم؛ قال الزجاج: وهو أجود الوجهين. فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبره، فأعلم الله تعالى الخضر خبره.

(١) البيت غير منسوب في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ٢٦/١١، و«المالي المرتضى» ٥٥/٤، و«الصناعتين» ٢١٤، و«اللسان» و«التاج»: دهر، وقد نسبه الألوسي في «روح المعاني» ٦/١٦ إلى حسان بن ثابت ولم نجده في ديوانه.

(٢) البيت في «تأويل مشكل القرآن» ١٠٠، و«مجاز القرآن» ٤١٠/١، ونسبه محققه للجارثي، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«الصناعتين» ٢١٢، و«اللسان»: رود، و«القرطبي» ٢٦/١١، ونسب الزمخشري في «الكشاف» ٣٩٨/٢ للراعي.

(٣) الراجز غير منسوب في «مجاز القرآن» ٣٠٣/١، و«تأويل مشكل القرآن» ٧٩، و«الطبري» ٢٨٩/١٥، و«القرطبي» ١٥٢/٩، و«اللسان» و«التاج»: شكا.

قوله تعالى: ﴿يَأْخُذْ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أي: كل سفينة صالحة. وفي قراءة أبيّ [بن كعب]: «كُلُّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ». قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها فانتصروا بها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ﴾ روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ: «وَأما الغلام فكان كافراً». وروى أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرقت أبويه طفيلان وكفرة»<sup>(١)</sup>. قال الربيع بن أنس: كان الغلام على الطريق لا يمر به أحد إلا قتله أو غصبه، فیدعو ذلك عليه وعلى أبويه. وقال ابن السائب: كان الغلام لصاً، فإذا جاء من يطلبه حلف أبواه أنه لم يفعل.

قوله تعالى: ﴿فَنَحْشِيَنَّهُ﴾ في القائل لهذا قولان: أحدهما: الله عز وجل. ثم في معنى الخشية المضافة إليه قولان: أحدهما: أنها بمعنى: العلم. قال الفراء: معناه: فعلنا. وقال ابن عقيل: المعنى: فعلنا فعل الخاشي. والثاني: الكراهة، قاله الأخفش، والزجاج. والثاني: أنه الخضر، فتكون الخشية بمعنى الخوف للأمر المتوهم، قاله ابن الأنباري. وقد استدلل بعضهم على أنه من كلام الخضر بقوله: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾. قال الزجاج: المعنى: فأراد الله، لأن لفظ الخبر عن الله تعالى هكذا أكثر من أن يحصى. ومعنى ﴿يُبْدِلُهُمَا﴾: يحملهما على الرُّحْم، وهو الجهل. قال أبو عبيدة: «يُبْرِهِنُهُمَا»: يغشيهما. قال سعيد بن جبیر: خشينا أن يحملهما حُبّه على أن يدخلنا في دينه. وقال الزجاج: فرحا به حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاء الله<sup>(٢)</sup>، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره، خير له من قضائه فيما يحب.

قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: «أَنْ يُبْدِلَهُمَا» بالتخفيف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿حَبْرًا بَيْنَهُ رُكُوءٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ديناً، قاله ابن عباس. والثاني: عملاً، قاله مقاتل. والثالث: صلاحاً، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «رُحْمًا» ساكنة الحاء، وقرأ ابن عامر: «رُحْمًا» مثقلة. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقرأ ابن عباس، وابن جبیر، وأبو رجاء: «رُحْمًا» بفتح الراء، وكسر الحاء. وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أوصل للرحم وأبّر للوالدين، قاله ابن عباس، وقتادة. وقال الزجاج: أقرب عطفاً، وأمس بالقربة. ومعنى الرُّحْم والرُّحْم في اللغة: العطف والرحمة، قال الشاعر:

وكيف بظلم جارية  
ومنها اللين والرُّحْم<sup>(٣)</sup>

والثاني: أقرب أن يُرْحَمَ به، قاله الفراء. وفيما بُدِّلَ به قولان: أحدهما: جارية، قاله الأكثرون. وروى عطاء عن ابن عباس، قال: أبدلها به جارية ولدت سبعين نبياً. والثاني: غلام مسلم، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَأَنَّا لِنَبْلُوهُمَا فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَيُّهَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، قال مقاتل: واسمها: أصرم، وصريم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ذهباً وفضة، رواه أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن، وعكرمة، وقتادة: كان مالا. والثاني: أنه كان لوحاً من ذهب، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو ينضب، عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يشعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها،

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ٢٠٥٠/٤، وأبو داود في «سننه» رقم (٤٧٠٥)، والترمذي في «جامعه» ١٤٤/٢، وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٣٧/٤ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد المستند»، وابن مردويه.

(٢) في «الطبري»، وابن كثير عن قتادة: فليرض امرؤ بقضاء الله.

(٣) البيت غير منسوب في «مجاز القرآن» ٤١٣/١، و«القرطبي» ٣٧/١١، و«اللسان» و«التاج»: رحم.

(٤) رواه الترمذي: ١٤٤/٢ من حديث مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، ورواه الحاكم أيضاً عن أبي الدرداء.

أنا الله الذي لا إله إلا أنا، محمد عبدي ورسولي؛ وفي الشق الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن الأنباري: فسُمي كنزاً من جهة الذهب، وجعل اسمه هو المغلب. والثالث: كنز علم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: صُحِف فيها عِلْم، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي. قال ابن الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحته مثل الكنز، لأنه يُتَعَجَّل من نفعه أفضل مما يُنال من الأموال. قال الزجاج: والمعروف في اللغة: أن الكنز إذا أُفرد، فمعناه: المال المدفون المدخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالاً، مكتوب فيه علم، على ما روي، فهو مال وعِلْم عظيم.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال ابن عباس: حُفِظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاحاً. وقال جعفر بن محمد عليه السلام: كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء. وقال مقاتل: كان أبوهما ذا أمانة.

قوله تعالى: ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾ قال ابن الأنباري: لما كان قوله: «فأردت» «وأردنا» كل واحد منهما يصلح أن يكون خبراً عن الله ﷻ، وعن الخضر، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، ويزيلها عن غيره، ويكشف البُغية من اللفظتين الأوليين. وإنما قال: «فأردت» «فأردنا» «فأراد ربك»، لأن العرب تؤثر اختلاف الكلام على اتِّفَاقه مع تساوي المعاني، لأنه أعذب على الألسن، وأحسن موقعاً في الأسماع، فيقول الرجل: قال لي فلان كذا، وأبائي بما كان، وخبرني بما نال. فاما «الأشد» فقد سبق ذكره في مواضع «الأنعام: ١٥٢، ويوسف: ٢٢، والإسراء: ٣٤» ولو أن الخضر لم يُقِم الحائط لنقص وأخذ ذلك الكنز قبل بلوغهما.

قوله تعالى: ﴿رَحِمَهُ يَنْ رَّبُّكَ﴾ أي: رحمهما الله بذلك. ﴿وَمَا قَلَّلَهُ عَنْ أَمْرِي﴾ قال قتادة: كان عبداً مأموراً<sup>(١)</sup>.

فاما قوله: ﴿قَطَعُ﴾ فإن «استطاع» و«اسطاع» بمعنى واحد.

﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْيَتَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿إِنَّا مَكِّنَّا لَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَنْابِتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِّحًا﴾ ﴿فَاتَّبَعُوا سَبِّحًا﴾ ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الْكَلْبِ وَبَدَا نَزَرُهُ فِي عَيْنَيْ حَمْرٍ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْيَتَيْنِ لِمَا أَنْ تُدَبِّبَ وَإِنَّا أَنْ تَنْجِدَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا مَن ظَلَمَ سَوْفَ نَجْزِيهِ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ يَمَازِيهِمْ عَذَابًا لِّكُلِّ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ لِّفَسْفَىٰ وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ إِنِّمَّا﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْيَتَيْنِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرَّجُلِ﴾<sup>(٢)</sup> [الإسراء: ٢٨٥]. واختلفوا في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال: أحدها: عبد الله، قاله علي عليه السلام، وروي عن ابن عباس أنه عبد الله بن الضحاك. والثاني: الإسكندر، قاله وهب. والثالث: عيَّاش، قاله محمد بن علي بن الحسين. والرابع: الصعب بن جابر بن القلمس، ذكره ابن أبي خيثمة. وفي علّة تسميته بذِي القرنين عشرة أقوال: أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنه فهلك، فغير زماناً، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فذالك قرناه، قاله علي عليه السلام. والثاني: أنه سمي بذِي القرنين، لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. والرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتد من السماء إلى الأرض وأخذ بقرني الشمس، فقَصَّ ذلك على قومه، فسُمي بذِي القرنين. والخامس: لأنه مَلَك الروم وفارس. والسادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين، رويت هذه الأقوال الأربعة عن وهب بن منبه. والسابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر، قاله الحسن. قال ابن الأنباري: والعرب تسمي الضفيرتين من الشعر غديرتين، وجميرتين، وقرنين؛ قال: ومن قال: سمي بذلك لأنه ملك فارس والروم، قال: لأنهما عاليان على جانبيين من الأرض يقال لهما: قرنان. والثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف. والتاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس، وهو حي. والعاشر: لأنه سلك الظلمة والنور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو إسحاق الثعلبي. واختلفوا هل كان

(١) وهذا يدل على أنه كان نبياً، وأن ما صدر منه كان بوحى من الله ﷻ. قال الطبري: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته، عن رأيي ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي به.

(٢) انظر القول الثاني في الصفحة (٨٢٩).





[الحاقة: ٥١] ﴿وَبَيْنَ الْيَمِينِ﴾ [البينة: ٥] ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [النحل: ٣٠] قال أبو علي الفارسي: المعنى: فله جزءا الخلال الحسنى، لأن الإيمان والعمل الصالح خلال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: «جزاء» بالنصب والتنوين؛ قال الزجاج: وهو مصدر منصوب على الحال، المعنى: فله الحسنى مَجْزِيًا بها جزءا. وقال ابن الأنباري: وقد يكون الجزء غير الحسنى إذا تأوّل الجزء بأنه الثواب؛ والحسنى: الحسننة المكتسبة في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدّم من الحسنات.

قوله تعالى: ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرًا يَسْرًا﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.

﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّدًا﴾ ٨٩ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوِيٍّ لَّزٍ يَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا يَسْرًا﴾ ٩٠ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ ٩١

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّدًا﴾ ٨٩ ﴿أي: طريقاً آخر يوصله إلى المشرق. قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قوماً في أسرابٍ عراءٍ، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معاشهم مما أحرقت الشمس. وبلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليه بنیان، فيقال: إنهم الزنج. قال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يترافعون كما يترافى الوحش. وقرأ الحسن، ومجاهد، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: ﴿مَطْلَعُ الشَّمْسِ﴾ بفتح اللام. قال ابن الأنباري: ولا خلاف بين أهل العربية في أن المَطْلِع، والمَطْلَعُ كلاهما يعنى بهما المكان الذي تطلع منه الشمس. ويقولون: ما كان على فَعْلٍ يَفْعُل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المَفْعُل، كقولهم: المَذْخَل، للدخول، والموضع الذي يُدْخَل منه، إلا أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع، وهي: المَطْلِع، والمَسْكِن، والمَنْشِك، والمَشْرِيق، والمَغْرِب، والمسجِد، والمنْبِت، والمَجْزِر، والمَفْرِق، والمَسْفِط، والمَهْجِل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسة من هؤلاء الأحد عشر حرفاً سُمع فيهن الكسر والفتح: المَطْلِع، والمَطْلَع. والمَنْشِك، والمَنْسَك. والمَجْزِر، والمَجْزَر. والمَسْكِن، والمَسْكَن. والمنْبِت، والمنْبِت؛ فقرأ الحسن على الأصل من احتمال المَفْعُل الوجهين الموصوفين [بفتح العين وكسرهما]، وقراءة العامة على اختيار العرب وما كثر على ألسنتها، وخصت المَوْضِع بالكسر، وآثرت المصدر بالفتح. قال أبو عمرو: المَطْلِع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمَطْلَع، بالفتح: الطَّلوع؛ قال ابن الأنباري: هذا هو الأصل، ثم إن العرب تسع فتجعل الاسم نائباً عن المصدر، فيقروون: ﴿حَتَّىٰ مَطْلِعَ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطَّلوع؛ ويقراء من قرأ ﴿مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ بالفتح على أنه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسم للموضع الذي يدخل منه.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها. والثاني: أنبع سبباً كما أنبع سبباً. والثالث: كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم. والرابع: أن المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك؛ ثم استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عنده ومعه من الجيوش والعدد. وحكى أبو سليمان الدمشقي: «بما لديه» أي: بما عند مطلع الشمس. وقد سبق معنى الخُبْر [الكهف: ٦٨].

﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّدًا﴾ ٩١ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ٩٢ ﴿قَالُوا يَبْنَدا الْقَرْيَتَيْنِ لَآ يَأْجُوزُ وَمَنْجُجٌ مُّقْدِرُونَ فِي الْآرْضَيْنِ فَبَلِّغْ لَكَ خَبْرًا عَلَىٰ أَنْ تَعْمَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ سَلَامًا﴾ ٩٣ ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَبْرٌ فَأَمْسَوْنِي بِقَوْلٍ أَجْمَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ٩٤ ﴿مَأْوِي رَبِّ لِمَ لِيذِي حَقًّا إِذَا سَأَلْتَهُ بَيْنَ السَّدَيْنِ قَالَ أَنْفَخُوا حَقًّا إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ مَأْوِي أَفَرَأَيْتَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ ٩٥ ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَبَأًا﴾ ٩٦ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي إِذَا جَاءَ وَعَدَ رَبِّي جَعَلَهُ دُخَانًا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ٩٧

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْجِ سَيِّدًا﴾ ٩١ ﴿أي: طريقاً ثالثاً بين المَشْرِيقِ والمَغْرِبِ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ﴾ قال وهب بن منبه: هما جبلان منيفان في السماء، من ورائهما البحر، ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض التُّرك مما يلي بلاد أرمينية. وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: الجبلان من قِبَل أرمينية وأذربيجان. واختلف القراء في «السَّدَيْنِ»

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم بفتح السين. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي بضمها. وهل المعنى واحد، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه واحد. قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسداً ما وراءه، فهو سداً، وسداً، نحو: الضعف، والضعف، والفقر والفقر. قال الكسائي، وثعلب: السد والسد لغتان بمعنى واحد، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: أنهما يختلفان. وفي الفرق بينهما قولان: أحدهما: أن ما هو من فعل الله تعالى فهو مضموم، وما هو من فعل الآدميين فهو مفتوح، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو عبيدة. قال الفراء: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين. والثاني: أن السد، بفتح السين: الحاجز بين الشيتين، والسد، بضمها: الغشاوة في العين، قاله أبو عمرو بن العلاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ مِنْ دُونِهَا﴾ يعني: أمام السدين ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يَفْقَهُونَ قَوْلًا» بفتح الياء، أي: لا يكادون يفهمونه. قال ابن الأنباري: قال اللغويون: معناه أنهم يفهمون بعد إبطاء، وهو كقوله: «وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» [البقرة: ٧١]. قال المفسرون: وإنما كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غير لغتهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «يَفْقَهُونَ» بضم الياء، أراد: يُفْهِمُونَ غيرهم. وقيل: كَلَّمَ ذا القرنين عنهم مترجمون ترجموا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُجَ وَمَاجُجَ﴾ هما: اسمان أعجميان، وقد همزهما عاصم. قال الليث: الهمز لغة رديئة. قال ابن عباس: يأجوج رجل، ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح ﷺ، يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار. وقال علي ﷺ: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفطر في الطول، ولهم من الشعر ما يواريه من الحر والبرد. وقال الضحاك: هم جبل من الترك. وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير، فجاء ذو القرنين فضرب السد، فبقيت خارجه. وروى شقيق عن حذيفة، قال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف» أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر بين يديه من ضلبه كل قد حمل السلاح؛ قلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لَنَا، قال: «هم ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأرز؛ قلت: يا رسول الله: وما الأرز؟ قال: شجر بالشام، طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء؛ وصنف منهم عرضه وطوله سواء، عشرون ومائة ذراع، وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفتش أحدهم أذنه، ويلتحف بالأخرى ولا يمزون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمهم بالشام، وساقنتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط، قاله وهب بن منبه. والثاني: أنهم كانوا يأكلون الناس، قاله سعيد بن عبد العزيز. والثالث: يُخْرِجون إلى الأرض الذين شكوا منهم أيام الربيع، فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه إلى أرضهم، قاله ابن السائب. والرابع: كانوا يقتلون الناس، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ جَعَلَ لَكَ خَرَجًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «خَرَجًا» بغير ألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «خراجاً» بألف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة، والليث. والثاني: أن الخَرَجَ: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه، قاله أبو عمرو بن العلاء. قال المفسرون: المعنى: هل نُخرج إليك من أموالنا شيئاً كالجعل لك؟

قوله تعالى: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ وقرأ ابن كثير: «مَكَّنِّي» بنونين، وكذلك هي في مصاحف مكة. قال الزجاج: من قرأ: «مَكَّنِّي» بالتشديد، أدغم النون في النون لاجتماع النونين. ومن قرأ: «مَكَّنِّي» أظهر النونين، لأنهما من كلمتين،

(١) أورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار عن حذيفة ﷺ.

الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر. وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان: أحدهما: أنه العِلْمُ بالله؛ وطلب ثوابه. والثاني: ما ملك من الدنيا. والمعنى: الذي أعطاني الله خير مما تبذلون لي.

قوله تعالى: ﴿فَأَعْيُونُهُمْ يَفْهُوَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الرجال، قاله مجاهد، ومقاتل. والثاني: الآلة، قاله ابن السائب. فأما الرِّدْمُ، فهو: الحاجز؛ قال الزجاج: والرِّدْمُ في اللغة أكبر من السدِّ، لأن الرِّدْمَ: ما جُعِلَ بعضه على بعض، يقال: ثوب مُرْدَمٌ: إذا كان قد رُقِعَ رقعة فوق رقعة.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتِيَ ذَبِرَ اللَّيْلِ﴾ قرأ الجمهور: «ردماً أتوني» أي: أعطوني. وروى أبو بكر عن عاصم: «ردم» أي: يتوني» بكسر التثوين، أي: جيئوني بها. قال ابن عباس: أحملوها إليّ. وقال مقاتل: أعطوني. وقال الفراء: المعنى: إيتوني بها، فلما أقيت الياء زيدت ألف. فأما الزُّبُرُ، فهي: القِطْعُ، واحدها: زُبْرَةٌ؛ والمعنى: فأتوه بها فبناه، ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاءَ﴾ وروى أبان «إذا سَوَى» بتشديد الواو من غير ألف. قال الفراء: ساوى وسَوَى سواء. واختلف القُرَاءُ في ﴿الصُّدْفَيْنِ﴾ فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «الصُّدْفَيْنِ» بضم الصاد والذال، وهي: لغة جُمَيْر. وروى أبو بكر والمفضل عن عاصم: «الصُّدْفَيْنِ» بضم الصاد وتسكين الذال. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، بفتح الصاد والذال جميعاً، وهي لغة تميم، واختارها ثعلب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن عمر: «الصُّدْفَيْنِ» بفتح الصاد ورفع الذال. وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والزهري، والجحدري برفع الصاد وفتح الذال. قال ابن الأنباري: ويقال: صُدْفٌ، على مثال نُفَرٍ، وكل هذه لغات في الكلمة. قال أبو عبيدة: الصُّدْفَانِ: جُنْبَا الجبل. قال الأزهري: يقال لجانبى الجبل: صُدْفَانِ، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتتلاقهما. قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم، ووضع عليها المنافخ، ثم ﴿فَقَالَ أَتَفْهَمُونَ﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَلَكَ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاء ترجع إلى ما بين الصدفين ﴿فَأَرَأَيْتُمْ﴾ أي: كالتار، لأن الحديد إذا أحمي بالفحم والمنافخ صار كالتار، ﴿فَقَالَ أَتَأْتُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «أتوني» ممدودة، والمعنى: أعطوني. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «إيتوني» مقصورة؛ والمعنى: جيئوني به أفرغه عليه. وفي القِطْر أربعة أقوال: أحدها: أنه النحاس، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقناة، والفراء، والزجاج. والثاني: أنه الحديد الذائب، قاله أبو عبيدة. والثالث: الصُّفْر المَذَاب، قاله مقاتل. والرابع: الرصاص، حكاه ابن الأنباري. قال المفسرون: أذاب القِطْر ثم صبَّه عليه، فاختلط والتصق ببعضه ببعض حتى صار جبلاً صلباً من حديد وقطر. قال قناة: فهو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا﴾ أصله: فما «استطاعوا» فلما كانت التاء والطاء من مخرج واحد أحبوا التخفيف فحذفوا. قال ابن الأنباري: إنما تقول العرب: استطاع، تخفيفاً، كما قالوا: سوف يقوم، وسيقوم، فاستقوا الفاء.

قوله تعالى: ﴿أَن يَظْهَرُوا﴾ أي: يعلوه؛ يقال: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وأملسه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَمْ يَكُنْ﴾ من أسفل، لشدة وصلاته. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السدَّ كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعودون إليه، فيرونه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله ﷻ أن يبعثهم على الناس، حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، ويستثنى، فيعودون إليه وهو كهيشته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس» وذكر باقي الحديث<sup>(١)</sup>؛ وقد ذكرت هذا الحديث بطوله وأشباهه في كتاب «الحقائق» فكرهت التطويل هاهنا.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة ﷺ، وثمة الحديث: «فينشقق الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهية الدم، فيقولون: فهزنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعت الله عليهم نغفاً (دود يكون في أنوف الإبل والغنم) في رقايمهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم»، ورواه الترمذي في «جامعه» ١٤٤/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، وإنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا، ورواه ابن ماجه في «سننه» رقم (٤٠٨٠) قال في =

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ لَمَّا فَرَّغَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ بِنْيَانِهِ قَالَ هَذَا. وفيما أشار إليه قولان: أحدهما: أنه الرُّمْدُ، قاله مقاتل؛ قال: فالمعنى: هذا نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي عَلَى الْمُسْلِمِينَ لَثَلَا يَخْرُجُوا إِلَيْهِمْ. والثاني: أنه التمكن الذي أدرك به عمل السد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: القيامة. والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَمَعَكُمْ دَكَّاءٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دَكَّا» متوناً غير مهموز ولا ممدود. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «دكَّاء» ممدودة مهموزة بلا تنوين. وقد شرحنا معنى الكلمة في [الأعراف: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ وَعَدَ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: بالثواب والعقاب.

﴿وَرَزَّكَ بِصَبْرٍ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَحْرٍ وَنُفِخَ فِي الْأُصْوَارِ فَمَنْ هَمَزَ ۖ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ۖ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَلَاظٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَزَّكَ بِصَبْرٍ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَحْرٍ﴾ في المشار إليهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يأجوج ومأجوج. ثم في المراد بيومئذ قولان. أحدهما: أنه يوم انقضى أمر السد، تركوا يموج بعضهم في بعض من ورائه مختلطين لكثرتهم؛ وقيل: ماجوا متعجبين من السد. والثاني: أنه يوم يخرجون من السد تركوا يموج بعضهم في بعض. والثاني: أنهم الكفار. والثالث: أنهم جميع الخلائق: الجن والإنس يموجون حيارى. فعلى هذين القولين، المراد باليوم المذكور يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الْأُصْوَارِ﴾ هذه نفخة البعث. وقد شرحنا معنى «الصور» في [الأنعام: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أعين قلوبهم ﴿فِي غَلَاظٍ﴾ أي: في غفلة ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: عن توحيدي والإيمان بي وكتابي ﴿وَكَاذِبٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكراحتهم ما يُنْذِرُونَ به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

﴿أَفَنَسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَذَكَّرُوا فِي آيَاتِنَا أَفَنَسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَسَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أفظنُّ المشركون ﴿أَنْ يَتَذَكَّرُوا فِي آيَاتِنَا﴾ في هؤلاء العباد ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشياطين، قاله ابن عباس. والثاني: الأصنام، قاله مقاتل. والثالث: الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات من دونه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ دُونِ﴾ فتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو. وجواب الاستفهام في هذه الآية محذوف، وفي تقديره قولان: أحدهما: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء، كلا بل هم أعداء لهم يتبرؤن منهم. والثاني: أن يتخذوهم أولياء ولا أغضب ولا أعاقبهم. وروى أبان عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَفَحَسْبُ» بتسكين السين وضم الباء، وهي قراءة علي عليه السلام، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن عمر، وابن محيصن؛ ومعناها: أفكيفهم أن يتخذوهم أولياء؟ فاما التزلُّ ففيه قولان: أحدهما: أنه ما يهيبُ للضيف والعسكر، قاله ابن قتيبة. والثاني: أنه المتزل، قاله الزجاج.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۖ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَخْمَارَهُمْ يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۖ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ﴾

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم القسيسون والرهبان، قاله علي عليه السلام، والضحاك. والثاني: اليهود والنصارى، قاله سعد بن أبي وقاص.

= [الزوائد]: عنه: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وروى البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فرمى يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها، فقالت زينب: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبيث». وانظر (صحيح مسلم) ٢٢٥٤/٤ وما ذكر فيه من فتنة يأجوج ومأجوج.



قوله تعالى: ﴿أَتَمَنَّا﴾ منصوب على التمييز، لأنه لما قال: «بالأخسرين» كان ذلك مبهماً لا يدل على ما خسروه، فيبين ذلك في أي نوع وقع.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ سَكَتَ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم، فرؤساؤهم يعلمون الصحيح، ويؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلدون بغير دليل. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَرِيمَتِهِمْ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعث والجزاء، وذلك أنهم بكفروهم برسول الله ﷺ والقرآن، صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿فَحَبَّلَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: بطل اجتهدهم، لأنه خلا عن الإيمان ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ وقرأ ابن مسعود، والجحدري: «فلا يُقيم» بالياء. وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إنما يثقل الميزان بالطاعة، وإنما توزن الحسنات والسيئات، والكافر لا طاعة له. والثاني: أن المعنى: لا يُقيم لهم قُدْرًا. قال ابن الأعرابي في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزن، أي: قُدْر، لخسسته. فالمعنى: أنهم لا يُعتد بهم، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشروب فلا يزن جناح بموضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾»<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه قال: «فلا نقيم لهم» لأن الوزن عليهم لا لهم؛ ذكره ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت من بطلان عملهم وخسرة قدرهم، ثم ابتداء فقال: ﴿جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التصغير لهم، وجزاؤهم جهنم، فأضمرت واو الحال.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ أي: بكفروهم واتخاذهم ﴿مَائِيكَ﴾ التي أنزلتها ﴿وَرَسُولِي هُزْأً﴾ أي: مهزوءاً به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ قال ابن الأنباري: كانت لهم في علم الله قبل أن يُخلقوا. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «جَنَّا الْفِرْدَوْسِ أَرْبَع، ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حَلِيَّتُهُمَا وَأَنْبِئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»<sup>(٢)</sup>. وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجر أنهار الجنة، فإذا سألتكم الله تعالى فاسألوه الفردوس»<sup>(٣)</sup>. قال أبو أمامة: الفردوس سرّة الجنة. قال مجاهد: الفردوس: البستان بالرومية. وقال كعب، والضحاك: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ»: جَنَاتُ الْأَعْنَابِ. قال الكلبي، والفراء: الفردوس: البستان الذي فيه الكرم. وقال المبرد: الفردوس فيما سمعت من كلام العرب: الشجر الملتف، والأغلب عليه العنب. وقال ثعلب: كل بستان يحوط عليه فهو فردوس، قال عبد الله بن رواحة:

فِي جَنَانِ الْفِرْدَوْسِ لَيْسَ يَخَافُو

نَ خَرُوجاً عَنْهَا وَلَا تَحْوِيلَا

وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قال الزجاج: الفردوس أصله رومي أعرب، وهو البستان، كذلك جاء في التفسير، وقد قيل: الفردوس تعرفه العرب، وتسمي الموضع الذي فيه كرم: فردوساً. وقال أهل اللغة: الفردوس

(١) ذكره الحافظ في «الفتح» ٣٢٤/٨ من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة ؓ بلفظ «الطويل العظيم الأكل الشروب». وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٥٤ من رواية ابن عدي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليؤتى يوم القيامة بالطويل العظيم الأكل الشروب، فلا يزن عند الله تبارك وتعالى جناح بموضة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾». ورواه البخاري ٣٤٢/٨، ومسلم ٢١٤٧/٤ عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بموضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾».

(٢) لفظه في البخاري ٤٧٩/٨، ومسلم ١٦٣/١ من حديث أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ قال: «جَنَاتُ مِنْ فِضَّةٍ، أَنْبِئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ، أَنْبِئُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِءَاءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي رواية الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني في أول هذا الحديث: «جَنَاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَع، ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ... إلخ».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»، والترمذي ٧٦/٢، وأورده السيوطي في «الدر» وزاد نسبته لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم، والبيهقي في «البعث»، وابن مردويه. ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَفَجَّرَ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

مذكر، وإنما أنت في قوله تعالى: ﴿يَرْثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] لأنه عنى به الجنة. وقال الزجاج: وقيل: الفردوس: الأودية التي تنبت ضروراً من النبت، وقيل: هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية، قال: والفردوس أيضاً بالسريانية كذا لفظه: فردوس، قال: ولم نجد في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وبیت حسان:

فَلِإِنَّ نَوَابِ اللُّو كُلَّ مُوَحِّدٍ      جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُحَلَّدُ<sup>(١)</sup>

وقال ابن الكلبي بإسناده: الفردوس: البستان بلغة الروم، وقال الفراء: وهو عربي أيضاً، والعرب تسمي البستان الذي فيه الكرم فردوساً. وقال السدي: الفردوس أصله بالنبطية «فرداسا». وقال عبد الله بن الحارث: الفردوس: الأعتاب. وقد شرحنا معنى قوله: ﴿نُزُلًا آتًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَخَوَّنَا عَنْهَا جَوْلًا﴾ قال الزجاج: لا يريدون عنها تحوُّلاً، يقال: قد حال من مكانه جَوْلًا، كما قالوا في المصادر: صَغُرَ صَغَرًا، وَعَظُمَ عَظْمًا، وعادني حُبُّها عَوْدًا؛ قال: وقد قيل أيضاً: إن الجَوْلَ: الجيلة، فيكون المعنى: لا يحتالون مَنَزَلًا غيرها. فإن قيل: قد علم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبتغون عنها جَوْلًا؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثَا بَيْتِلَهِ مَدَدًا﴾<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِأُولِي إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. ومعنى الآية: لو كان ماء البحر مداداً يَكْتُبُ به. قال مجاهد: [والمعنى]: لو كان البحر مداداً للقلم، والقلم يكتب. وقال ابن الأنباري: سمي المداد مداداً لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء. وقرأ الحسن، والأعمش: «مداداً لكلمات ربي» بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾، قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «تنفد» بالتاء. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ينفد» بالياء. قال أبو علي: التانيث أحسن، لأن المُسْنَدَ إليه الفعلُ مؤنث، والتذكير حسن، لأن التانيث ليس بحقيقي، وإنما لم تنفد كلمات الله، لأن كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق على صفاته النفاذ، ﴿وَلَوْ جِثَا بَيْتِلَهِ﴾ أي: بمثل البحر «مَدَدًا» أي: زيادة؛ والمدد: كل شيء زاد في شيء. فإن قيل: لم قال في أول الآية: «مداداً» وفي آخرها: «مداداً» وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: لما كان الثاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أنت على الفعل، والفعل، كقوله: ﴿نُزُلًا﴾ «هُزُؤًا» «جَوْلًا» كان قوله: «مَدَدًا» أشبه بهؤلاء الألفاظ من المداد، واتفاق المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتام السجع والشر، أخف على اللسان، وأحلى موقعاً في الأسماع، فاختلقت اللفظتان لهذه [العلّة]. وقد قرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو رجا، وقتادة، وابن محيصن: «ولو جثنا بمثله مداداً» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع. وقراءة الأولين آتية حجة، وأوضح منهاجاً.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ قال ابن عباس: علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يُقَرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أكرم بالوحي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ سبب نزولها أن جندب بن زهير الغامدي<sup>(٥)</sup> قال لرسول الله ﷺ: إني أعمل

(١) «ديوانه» ١٥٠، و«البحر» ١٦٨/٦، و«روح المعاني» ٤٧/١٦، و«اللسان» و«التاج»: فردس.

(٢) قد مر تفسيره.

(٣) في الأصل و«القرطبي»: «العامري» وما أثبتاه من «الإصابة»، وأسباب النزول للواحدي، وكتب التفسير.

العمل [لله تعالى] فإذا اطلع عليه سرّني، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما روئي فيه» فنزلت فيه هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال طاووس: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب الجهاد [في سبيل الله] وأحب أن يرى مكاني، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرّني ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: «فَنَ كَانَتْ رَجَا» قولان: أحدهما: يخاف، قاله ابن قتبية. والثاني: يأمل، وهو اختيار الزجاج. وقال ابن الأنباري: المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربه. قال المفسرون: وذلك يوم البعث والجزاء. «فَلْيَمْلِكْ عَمَلًا مَّنَ لَمَّا» لا يرائي به «وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» قال سعيد بن جبير: لا يرائي. قال معاوية بن أبي سفيان: هذه آخر آية نزلت من القرآن<sup>(٤)</sup>.



(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن ابن عباس ١٧٢ بدون سند.

(٢) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٢ عن طاووس بدون سند. وقد ذكره الطبري في «تفسيره» ٤٠/١٦ من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاووس مرسلًا، وذكره ابن كثير في «التفسير» ١٠٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن طاووس مرسلًا بنحوه، وأورده السيوطي في «الدرة» ٤/٢٥٥ كذلك عن طاووس مرسلًا، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، والطبراني، والحاكم. وقال السيوطي في آخره: وأخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي، موصولاً عن طاووس عن ابن عباس.

(٣) الواحدي ١٧٢ عن مجاهد بدون سند.

(٤) قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١١٠/٣: وهذا أثر مشكل، فإن هذه الآية، آخر سورة (الكهف) و(الكهف) كلها مكة، ولعل معاوية أراد أنه لم يتزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها، بل هي مثبتة محكمة، فاشتبه ذلك على بعض الرواة، فروى بالمعنى على ما فهمه، والله أعلم.

## سورة مريم

وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه. وقال مقاتل: هي مكية غير سجدها، فإنها مدنية. وقال هبة الله المفسر: هي مكية غير آيتين منها، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَإِثْمِهِمْ خَلْفٌ﴾ والتي تليها [مريم: ٥٩، ٦٠].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّافِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْصَ ۝ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرَىٰ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاهُ يَحْوِيَا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتْ أَمْرًا يَاقَرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرَبِّیْ وَرِثٌ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۚ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿كَهَيْصَ ۝﴾ قرأ ابن كثير: «كهيعص ذُكِرَ» بفتح الهاء والياء وتبيين الدال التي في هجاء «صاد». وقرأ أبو عمرو: «كهيعص» بكسر الهاء وفتح الياء ويدغم الدال في الدال، وكان نافع يلفظ بالهاء والياء بين الكسر والفتح، ولا يدغم الدال التي في هجاء «صاد» في الدال من «ذُكِرَ». وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي، بكسر الهاء والياء، إلا أن الكسائي لا يبين الدال، وعاصم يبينها. وقرأ ابن عامر، وحزمة، بفتح الهاء وكسر الياء ويدغمان. وقرأ أبي بن كعب: «كهيعص» برفع الهاء وفتح الياء. وقد ذكرنا في أول «البقرة» ما يشتمل على بيان هذا الجنس. وقد خصص المفسرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من أسماء الله تعالى، قاله الأكثرون. ثم اختلف هؤلاء في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوال: أحدها: أنه من اسم الله الكبير. والثاني: من الكريم. والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والرابع: أنه من الملك، قاله محمد بن كعب. فأما الهاء، فكلهم قالوا: هي من اسمه الهادي إلا القرظي فإنه قال: من اسمه الله. وأما الياء، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من حكيم. والثاني: من رحيم. والثالث: من أمين، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. فأما العين، ففيها أربعة أقوال: أحدها: أنها من عليم. والثاني: من عالم. والثالث: من عزيز، رواها أيضاً سعيد [بن جبيرة] عن ابن عباس. والرابع: أنها من عدل، قاله الضحاك. وأما الصاد، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها من صادق. والثاني من صدوق، رواهما سعيد [بن جبيرة] أيضاً عن ابن عباس. والثالث: من الصمد، قاله محمد بن كعب. والقول الثاني: أن «كهيعص» قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وروى عن علي عليه السلام أنه قال: هو اسم من أسماء الله تعالى. وروى عنه أنه كان يقول: [يا كهيعص اغفر لي. قال الزجاج: والقَسَمَ بهذا والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا علم أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات الله فدعا بها، فكأنه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنه قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهج، النية فيها الوقف. والثالث: أنه اسم للسورة، قاله الحسن، ومجاهد. والرابع: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتفق المباني كما اتفقت العلل؟ فقد أجاب عنه ابن الأنباري، فقال: حروف المعجم التسعة والعشرون تجري مجرى الرسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتفاق الألفاظ واستواء الأوزان، كما يستقبحون ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيرون بعض الكلم ليختلف الوزن وتتغير المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسن وأحلى في الأسماع.

قوله تعالى: ﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ قال الزجاج: الذُكُر مرفوع بالمضمر، المعنى: هذا الذي نتلو عليك ذُكُر رحمة ربك عبده. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير؛ المعنى: ذُكِرَ ربك عبده بالرحمة، و«ذكرى» في موضع نصب. قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ النداء هاهنا بمعنى الدعاء. وفي علة إخفائه لذلك ثلاثة أقوال: أحدها: ليبعد عن



الرياء، قاله ابن جريج. والثاني: لثلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر، قاله مقاتل. والثالث: لثلا يعاديه بنو عمه، ويظنون أنه كره أن يلوا مكانه بعده، ذكره أبو سليمان الدمشقي. وهذه القصة تدل على أن المستحب إسرار الدعاء، ومنه الحديث: «إنكم لا تدعون أصم»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَفَنَ الْقَتْلُ مِنِّي» وقرأ معاذ القارئ، والضحاك: «وَهُنْ» بضم الهاء، أي: ضُف. قال الفراء وغيره: وَهَنَ العظم، وَهِنَ، بفتح الهاء وكسرهما؛ والمستقبل على الحالين كليهما: يَهِن. وأراد أن قوة عظامه قد ذهبت لكبره؛ وإنما خصَّ العظم، لأنه الأصل في التركيب. وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه.

قوله تعالى: «وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا» يعني: انتشر الشيب فيه، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وهذا من أحسن الاستعارات. «وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ» أي: بدعائي إياك «رَبِّ شَيْئًا» أي: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب، لأنك قد عودتني الإجابة؛ يقال: شقي فلان بكذا؛ إذا تعب بسببه، ولم ينل مراده.

قوله تعالى: «وَإِنِّي خِفْتُ آلَ مَرْيَمَ» يعني: الذين يلونه في النسب، وهم بنو العم والعصبة «بَيْنَ رَوَّيَ» أي: من بعد موتي، وفي ما خافهم عليه قولان: أحدهما: أنه خاف أن يرثوه، قاله ابن عباس. فإن اعترض عليه معترض، فقال: كيف يجوز لني أن ينفَس على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته؟ فعنه جوابان. أحدهما: أنه لما كان نبياً، والنبى لا يرث، خاف أن يرثوا ماله فيأخذوا ما لا يجوز لهم. والثاني: أنه غلب عليه طبع النشر، فأحب أن يتولَّى ماله ولده، ذكرهما ابن الأنباري. قلت: وبيان هذا أنه لا بد أن يتولَّى ماله وإن لم يكن ميراثاً، فأحب أن يتولاه ولده. والقول الثاني: أنه خاف تضييعهم للدين ونبذهم إياه، ذكره جماعة من المفسرين. وقرأ عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن جبير، ومجاهد، وابن أبي شريح عن الكسائي: «خَفْتُ» بفتح الخاء وتشديد الفاء على معنى «قُلْتُ»؛ فعلى هذا يكون إنما خاف على علمه ونبوته ألا يورثا فيموت العلم. وأسكن ابن شهاب الزهري باء «الموالي».

قوله تعالى: «بَيْنَ رَوَّيَ» أسكن الجمهور هذه الباء، وفتحها ابن كثير في رواية قبل. وروى عنه شبيل: «ورأي» مثل «عصاي».

قوله تعالى: «فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ» أي: من عندك «وَلَا تَنَالْنِي» ولداً صالحاً يتولاني.

قوله تعالى: «يَرْثِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوبَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة: «يَرْثِي وَيَرِثُ» برفعهما. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يَرْثِي وَيَرِثُ» بالجزم فيهما. قال أبو عبيدة: من قرأ بالرفع، فهو على الصفة للولي؛ فالمعنى: هب لي ولياً وارثاً، ومن جزم، فعلى الشرط والجزاء، كقولك: إن وهبته لي ورثني. وفي المراد بهذا الميراث أربعة أقوال: أحدها: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال أبو صالح. والثاني: يرثني العلم، ويرث من آل يعقوب المُلْك، فأجابه الله تعالى إلى ورائة العلم دون المُلْك، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: يرثني نبوتي وعلمي، ويرث من آل يعقوب النبوة أيضاً، قاله الحسن. والرابع: يرثني النبوة، ويرث من آل يعقوب الأخلاق، قاله عطاء. قال مجاهد: كان زكريا من ذرية يعقوب، وزعم الكلبي أن آل يعقوب كانوا أخواله، وأنه ليس بيعقوب أبي يوسف. وقال مقاتل: هو يعقوب بن ماثان، وكان يعقوب هذا وعمران - أبو مريم - أخوين. والصحيح: أنه لم يرد ميراث المال لوجوه: أحدها: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»<sup>(٢)</sup>. والثاني: [أنه] لا يجوز أن يتأسف نبي الله على مصير ماله بعد موته إذا

(١) هو جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» ٩٤/٦، ومسلم ٢٠٧٦/٤ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولفظه في البخاري: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سمع قريب». ومعنى «اربعوا على أنفسكم»: ارفقوا بأنفسكم، واخفصوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان بعد من يخاطبه لسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سمع قريب.

(٢) رواه البخاري ٤/١٢، ومسلم ١٣٧٩/٣، بلفظ: «لا نورث ما تركناه صدقة». ورواه الترمذي باللفظ الذي ذكره المؤلف: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وصل إلى وارثه المستحق له شرعاً. والثالث: أنه لم يكن ذا مال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ «أن زكريا كان نجاراً»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَجْمَلَهُ رَبُّ رَضِيًّا﴾ قال اللغويون: أي: مرضياً، فصرف عن مفعول إلى فاعل، كما قالوا: مقتول وقتيل.

﴿يُزَكِّرُنَا إِنَّا بُشِّرُكَ بِبُكْرَةٍ أَمْ يَكُنْ لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا ۖ﴾ قَالَ رَبُّ أَنَّهُ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قَائِمًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۖ ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰذَا قَدِ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُن شَيْئًا ۖ ﴿٩﴾ قَالَ رَبُّ أَمْ يَكُنْ لِي مَائِدَةٌ قَالَ مَائِدَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۖ ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۖ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يُزَكِّرُنَا إِنَّا بُشِّرُكَ﴾ في الكلام إضمار، تقديره: فاستجاب الله له فقال: «يا زكريا إنا نبشرك». وقراء حمزة: «بُشِّرُكَ» بالتخفيف. وقد شرحنا هذا في [آل عمران: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَيِّئًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لم يُسَمَّ يحيى قبله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، وابن زيد، والأكثر. فإن اعترض معترض، فقال: ما وجه المذحة باسم لم يُسَمَّ به أحد قبله، ونرى كثيراً من الأسماء لم يُسَبَّح إليها؟ فالجواب: أن وجه الفضيلة أن الله تعالى تولى تسميته، ولم يكل ذلك إلى أبيه، فسماه باسم لم يُسَبَّح إليه. والثاني: لم تلد العواقر مثله ولداً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيراً. والثالث: لم نجعل له من قبل مثلاً وشيئاً، قاله مجاهد. فعلى هذا يكون عدم الشبه من حيث أنه لم يعص ولم يهجم بمعضية. وما بعد هذا مفسر في [آل عمران: ٣٩] إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ أَمْرًا قَائِمًا﴾. وفي معنى «كانت» قولان: أحدهما: أنه توكيد للكلام، فالمعنى: وهي عاقرة، كقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم. والثاني: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدث ذلك بها، ذكرهما ابن الأنباري، واختار الأول.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «عَتِيًّا» و«بُكْرًا» [مریم: ٥٨] و«صَلِيًّا» [مریم: ٧٠] بضم أوائلها. وقرأ حمزة، والكسائي، بكسر أوائلها، وافقهما حفص عن عاصم، إلا في قوله: «بُكْرًا» فإنه ضم أوله. وقرأ ابن عباس، ومجاهد: «عُتِيًّا» بالسين. قال مجاهد: «عَتِيًّا» هو قُحُولُ الْعَظَم. وقال ابن قتيبة: أي: يُسَا؛ يقال: عَتَا وَعَسَا بمعنى واحد. قال الزجاج: كل شيء انتهى، فقد عَتَا يَعْتُو عَتِيًّا، وَعُتُوًّا، وَعُسُوًّا، وَعُتِيًّا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قيل لك من هبة الولد على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰذَا قَدْ خَلَقْ يَحْيَىٰ عَلَىٰ سَهْلٍ. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري: «هَيْنَ» بإسكان الياء. ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أوجدتك. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «خَلَقْنَاكَ». وقرأ حمزة، والكسائي: «خَلَقْنَاكَ» بالنون والالف. ﴿وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ المعنى: فخلق الولد، كخلقك. وما بعد هذا مفسر في [آل عمران: ٣٩]، إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال الزجاج: «سَوِيًّا» منصوب على الحال، والمعنى: تُمَنِّعُ عن الكلام وأنت سَوِيٌّ. قال ابن قتيبة: أي: سليماً غير أخرس.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وهذا في صبيحة الليلة التي حملت فيها امرأته ﴿مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: من مصلاه، وقد ذكرناه في [آل عمران: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه كتب إليهم في كتاب، قاله ابن عباس. والثاني: أوماً برأسه ويديه، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ أي: صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه في [آل عمران: ٣٩]، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومه فيأمرهم بالصلاة بكرة وعشيّاً، فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة إشارة.

﴿يَبْتَغِيْ خُذِ الْكِتٰبَ بِقُوَّةٍ وَمَا يَنْتَهِ الْحُكْمُ صَبِيْٓٔا ۝ وَحَنَآءًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكٰوَةً ۝ وَكَانَ نَفِيْٓٔا ۝ وَبَرًّا بِوٰلَدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبٰرًا عٰصِيًّا ۝﴾ وَرَسَلْنٰمُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ يَوْمَ يَمُوْتُ وَيَوْمَ يَحْيٰ ۝ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِيْ﴾ قال الزجاج: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: يا يحيى ﴿خُذِ الْكِتٰبَ﴾ يعني: التوراة، وكان مأموراً بالتمسك بها. وقال ابن الأنباري: المعنى: اقبل كُتُبُ الله كُلُّهَا إيماناً بها واستعمالاً لأحكامها. وقد شرحنا في [البقرة: ٦٣] معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْتَهِ الْحُكْمُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفهم، قاله مجاهد. والثاني: اللب، قاله الحسن، وعكرمة. والثالث: العِلْمُ، قاله ابن السائب، والرابع: حفظ التوراة وعلمها، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقد زدنا هذا شرحاً في سورة يوسف: [٢٣]. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن [من] قبل أن يحتلم، فهو ممن أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيْٓٔا. فأما قوله: ﴿صَبِيْٓٔا﴾ ففي سنة يوم أُوتِيَ الْحُكْمَ قولان: أحدهما: أنه سبع سنين، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: ثلاث سنين، قاله قتادة، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَحَنَآءًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ قال الزجاج: أي: وآتيناه حناناً. وقال ابن الأنباري: المعنى: وجعلناه حناناً لأهل زمانه. وفي الحنان ستة أقوال: أحدها: أنه الرحمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، والفراء، وأبو عبيدة: وأنشد:

تَحَنَّنَ عَلَيَّ هَذَاكَ الْمَلِيْكَ

قال: وعامة ما يُسْتَعْمَلُ في المنطق على لفظ الاثنين، قال طرفة:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِيْ بَعْضُنَا

قال ابن قتبية: ومنه يقال: تحنن عليّ، وأصله من حنين الناقة على ولدها. وقال ابن الأنباري: لم يختلف اللغويون أن الحنان: الرحمة، والمعنى: فعلنا ذلك رحمةً لأبويه، وتزكيةً له. والثاني: أنه التعطف من ربّه عليه، قاله مجاهد. والثالث: أنه اللين، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: البركة، وروي عن ابن جبيرة أيضاً. والخامس: المحبة، قاله عكرمة، وابن زيد. والسادس: التعظيم، قاله عطاء بن أبي رباح. وفي قوله: ﴿وَزَكٰوَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها العمل الصالح، قاله الضحاك، وقاتدة. والثاني: أن معنى الزكاة: الصدقة، فالتقدير: إن الله تعالى جعله صدقة تصدق بها على أبويه، قاله ابن السائب. والثالث: أن الزكاة: التطهير، قاله الزجاج. والرابع: أن الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادة في الخير على ما وُصف ودُكر، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ نَفِيْٓٔا﴾ قال ابن عباس: جعلته يَتَّقِيْني، ولا يعدل بي غيري.

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوٰلَدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه بَرًّا بوالديه، والبر بمعنى: البار؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسناً إليهما.

والقصي بمعنى: العاصي. وقد شرحنا معنى الجبار في [هود: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَرَسَلْنٰمُ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السلام المعروف من الله تعالى. قال عطاء: سلام عليه مِنِّي في هذه الأيام؛ وهذا اختيار أبي سليمان. والثاني: أنه بمعنى: السلامة، قاله ابن السائب. فإن قيل: كيف خصّ التسليم عليه بالأيام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟ فالجواب: أن المراد باليوم الجين والوقت، على ما بينا في قوله: ﴿أَيُّوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنََكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. قال ابن عباس: وسلام عليه حين وُلِدَ. وقال الحسن البصري: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى: أنت خير مني، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خير مني، سلم الله عليك، وأنا سلمتُ على

(١) أورده السيوطي في «الدرر» ٤/٢٦٠ من رواية أبي نعيم، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس ؓ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْتَهِ لِحُكْمٍ صَبِيْٓٔا﴾ قال: أعطى الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين.

(٢) البيت للمطرية، «ديوانه» ٢٢٢، و«الكامل» ٣٤٨، و«مجاز القرآن» ٣/٢، و«القرطبي» ١١/٨٨، و«الطبري» ١٦/٣٨، و«البحر المحيط» ٦/١٧٧، و«اللسان» و«التاج»: حنن.

(٣) «ديوانه» ٢٠٨، و«مجاز القرآن» ٣/٢، و«الكتاب» ١٤٦، و«الكامل» ٣٤٨، و«الطبري» ١٦/٣٨، و«الجمهرة» ٣/٤٤٩، و«الشتنمري» ١/١٧٤، و«القرطبي» ١١/٨٧، و«البحر المحيط» ٦/١٧٧، و«اللسان» و«التاج»: حنن.

نفسی. وقال سعید بن جبیر مثله، إلا أنه قال: أثنى الله عليك، وأنا أثبت على نفسي. وقال سفیان بن عیینة: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر لم يره، فخص الله تعالى يحيى فيها بالكرامة والسلامة في المواطن الثلاثة.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٦ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧ ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ ٢٠ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْكَمَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ٢١

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ﴾ قال أبو عبيدة: تنحّت واعتزلت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خير من الغربي.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ﴾ يعني: أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: ستراً وحاجزاً وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ضربت ستراً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الشمس أظلمتها، فلم يرها أحد منهم، وذلك مما سترها الله به، و[روى] هذا المعنى عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها اتخذت حجاباً من الجدران، قاله السدي عن أشياخه. وفي سبب انفرادها عنهم قولان: أحدهما: [أنها] انفردت لتظهر من الحيض وتمتشط، قاله ابن عباس. والثاني: لتفلي راسها، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريل في قول الجمهور. وقال ابن الأنباري: صاحب روحنا، وهو جبريل. والروح بمعنى: الرُّوح والفرح، ثم تضم الراء لتحقيق مذهب الاسم، وإبطال طريق المصدر، ويجوز أن يُراد بالروح هاهنا: الوحي وجبريل صاحب الوحي. وفي وقت مجيئه إليها ثلاثة أقوال: أحدها: وهي تغتسل. والثاني: بعد فراغها، ولبسها الثياب. والثالث: بعد دخولها بيتها. وقد قيل: المراد بالروح هاهنا: [الروح] الذي خلق منه عيسى، حكاه الزجاج، والماوردي، وهو مضمون كلام أبي بن كعب فيما سنذكره عند قوله: ﴿فَعَمَلَتْهُ﴾. قال ابن الأنباري: وفيه بُعد، لقوله: ﴿تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾، والمعنى: تصوّر لها في صورة البَشَر التام الخُلُقَة. وقال ابن عباس: جاءها في صورة شاب أبيض الوجه جعد ققط حين طرّ شارب. وقرأ أبو نهيك: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ بفتح الراء، من الرُّوح.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿المعنى: إِنْ كُنْتَ تَتَّقِي الله، فستنتهي بتعوّذي منك، هذا هو القول عند المحققين. وحكي عن ابن عباس أنه كان في زمانها رجل اسمه تقي، وكان فاجراً، فظنه إياه، ذكره ابن الأنباري، والماوردي. وفي قراءة عليّ ؑ، وابن مسعود، وأبي رجاء: «إلا أن تكون تقيّاً».

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لِيَهَبَ لَكِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «لأهب لك» بالهمز. وقرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: «ليهب لك» بغير همز. قال الزجاج: من قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلني ليهب، ومن قرأ «لأهب» فالمعنى: أرسلت إليك لأهب لك. وقال ابن الأنباري: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلت رسولي إليك لأهب لك.

قوله تعالى: ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ أي: طاهراً من الذنوب. والبيغي: الفاجرة الزانية. قال ابن الأنباري: وإنما لم يقل: «بغيّة» لأنه وصف يغلب على النساء، فقلماً تقول العرب: رجل بغيّ، فيجري مجرى حائض، وعافر. وقال غيره: إنما لم يقل: «بغيّة» لأنه مصروف عن وجهه، فهو «فعل» بمعنى: «فاعل». ومعنى الآية: ليس لي زوج، ولستُ بزانية، وإنما يكون الولد من هاتين الجهتين. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ قد شرحناه في قصة زكريا، والمعنى: أنه يسير عليّ أن أهب لك غلاماً من غير أب. ﴿وَلَنَجْكَمَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أب. قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلَنَجْكَمَ﴾ لأنها عاطفة لما بعدها على كلام مضمّر محذوف، تقديره: قال ربُّكِ خلّقه عليّ هين لننفعك به، ولنجعل له عبرة.



قوله تعالى: ﴿وَرَمَتْهُ يَتَّى﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكَاكَ أَنْتَ مَقْضِيًّا﴾ أي: وكان خلقه أمراً محكوماً به، مفرغاً عنه، سابقاً في علم الله تعالى كونه.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٖ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ٢٢ فلجأها المخاض إلى جِئِجِجِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكَئِنْ نَسِيًا مَنِيًّا ٢٣ فَادْبَحَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤ وَهَرَزَ إِلَيْكِ جِئِجِجِ النَّخْلَةِ شَلِقِطٌ عَلَيْكَ رُطْبًا حَبِيًّا ٢٥ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَعَيْنًا عَلِيمًا فَإِمَّا تَرَوُنَّ مِنَ النَّبَرِ لَهَاجًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى. وفي كيفية حملها له قولان: أحدهما: أن جبريل نفخ في جيب درعها، فاستمر بها حملها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. قال السدي: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقاً من قدامها، فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها. والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل من فيها، قاله أبي بن كعب. وفي مقدار حملها سبعة أقوال. أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعت في الحال، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٖ﴾، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباز به. والثاني: أنها حملته تسع ساعات، وضعت من يومها، قاله الحسن. والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبير. وابن السائب<sup>(١)</sup>. والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ووضعت في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان. والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية، حكاه الزجاج. والسادس: في ستة أشهر، حكاه الماوردي. والسابع: في ساعة واحدة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهٖ﴾ يعني بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيداً. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبل: «قاصياً». قال ابن إسحاق: مشت ستة أميال. قال الفراء: القصي والقاصي بمعنى واحد. وقال غير الفراء: القصي والقاصي بمنزلة الشهيد والشاهد. وإنما بُدلت، فراراً من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج.

قوله تعالى: ﴿فَلَجَأَهَا الْمَخَاضُ﴾ وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي، وعاصم الجحدري: «المخاض» بكسر الميم. قال الفراء: المعنى: فجاء بها المخاض، فلما أُلقيت الباء، جُعِلَتْ في الفعل ألفاً، ومثله: ﴿إِنَّمَا غَدَاةً﴾ [الكهف: ٦٢] أي: بغدائنا، ومثله: ﴿أَتَوْنِي زُرَّ لَكَلِيٍّ﴾ [الكهف: ٩٦] أي: بزير الحديد. قال أبو عبيدة: أفلها من جاءت هي، وأجاءها غيرها. وقال ابن قتية: المعنى: جاء بها، وألجأها، وهو من حيث يقال: جاءت بي الحاجة إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاض: الحمل. وقال غيره: المخاض: وجع الولادة. ﴿إِلَى جِئِجِجِ النَّخْلَةِ﴾ وهو ساق النخلة، وكانت نخلة يابسة في الصحراء، ليس لها رأس ولا سعف. قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا الْيَوْمِ، أو هذا الأمر. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وخلف، وحفص: «مِثُّ» بكسر الميم. وفي سبب قولها هذا قولان: أحدهما: أنها قالت حياة من الناس. والثاني: لئلا يأتوا بقدفها.

قوله تعالى: ﴿وَكُئِنْ نَسِيًا مَنِيًّا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، بكسر النون، وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «نَسِيًا» بفتح النون. قال الفراء: وأصحاب عبد الله يقرؤون: «نَسِيًا» بفتح النون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجسر والجسر، والوتر والوتر، والفتح أحب إليّ. قال أبو علي الفارسي: الكسر على اللغتين. وقال ابن الأنباري: من كسر النون قال: النسي: اسم لما يُنسى، بمنزلة البغض اسم لما يُبغض، والسب اسم لما يُسب. والنسي بفتح النون: اسم لما يُنسى أيضاً على أنه مصدر ناب عن الاسم، كما يقال: الرجل ذئف، وذئف. فالمكسور: هو الوصف الصحيح، والمفتوح: مصدر سدّ مسدّ الوصف. ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنى، كما يقال: الرطل والرطل. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿نَسِيًا مَنِيًّا﴾ خمسة أقوال: أحدها: يا ليتني لم أكن شيئاً، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثاني: «وكننت نسياً منسياً» أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة. قال الفراء: النسي: ما تلقى المرأة من خرق

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» ١١٦/٣: المشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر.

اعتلاها. وقال ابن الأنباري: هي خرق الحيض تلقىها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها. والثالث: [أنه من] السقط، قاله أبو العالية، والربيع. والرابع: أن المعنى: يا ليتني لا يُدري من أنا، قاله قتادة. والخامس: أنه الشيء التافه يرتحل عنه القوم، فيهنو عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابن السائب. وقال أبو عبيدة: الزنسي، والمنسي: ما ينسى من أداة وعصا. يعني أنه ينسى في المنزل، فلا يرجع إليه لاحترار صاحبه إياه. وقال الكسائي: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذكر لم يُطلب.

قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَنْ تَحْتِهَا» بفتح الميم، والتاء. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مِنْ تَحْتِهَا» بكسر الميم، والتاء. فمن قرأ بكسر الميم، ففيه وجهان: أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة. وقيل: كانت على نَشْر، فتادها الملك أسفل منها. والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها. قال ابن عباس: كلُّ ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكلُّ ما خفضت إليه طرفك، فهو تحتك. ومن قرأ بفتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران. وكان الفراء يقول: ما خاطبها إلا الملك على القراءتين جميعاً.

قوله تعالى: ﴿فَدَّ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه النهر الصغير، قاله جمهور المفسرين، واللغويون، قال أبو صالح، وابن جريج: هو الجدول بالسريانية. والثاني: أنه عيسى كان سرياً من الرجال، قاله الحسن، وعكرمة، [وابن زيد]. قال ابن الأنباري: وقد رجح الحسن عن هذا القول إلى القول الأول، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غلاماً سرياً أو سويماً من الغلمان، وقلماً تقول العرب: رأيت عندك نبيلاً، حتى يقولوا: رجلاً نبيلاً. فإن قيل: كيف ناسب تسليتها أن قيل: لا تحزني. فهذا نهر يجري؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنها حزنت لجذب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام والشراب والماء الذي تنطهر به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً، وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج، فأجرى الله تعالى لها نهراً، فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرطب من الشجرة اليابسة، فكان ذلك آية تدل على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَهَزَجَ إِلَيْكَ﴾ الهزُّ: التحريك. والباء في قوله تعالى: ﴿يَمْنَعُ أَلْتَحَلَّى﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها زائدة مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدَدْ يَنْبَغِ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: ١٥] قال الفراء: فليمدد سبباً. والعرب تقول: هزّه، وهز به، وخذ الخطام، وخذ بالخطام، وتعلّق زيدا، وتعلّق به. وقال أبو عبيدة: هي مؤكدة، كقول الشاعر:

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(١)</sup>

والثاني: أنها دخلت على الجذع لتلصقه بالهز، فهي مفيدة للإصاق، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿تَسَاقُطُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَسَاقُطُ» بالتاء مشددة السين. وقرأ حمزة، وعبد الوارث: «تَسَاقُطُ» بالتاء مفتوحة مخففة السين. وقرأ حفص عن عاصم: «تَسَاقُطُ» بضم التاء وكسر القاف مخففة السين. وقرأ يعقوب، وأبو زيد عن المفضل: «يَسَاقُطُ» بالياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف. فهذه القراءات المشاهير. وقرأ أبيّ بن كعب، وأبو حيوة: «تَسَقُطُ» بفتح التاء وسكون السين ورفع القاف. وقرأ عبد الله بن عمرو، وعائشة، والحسن: «يَسَاقُطُ» بآلف وتخفيف السين ورفع الياء وكسر القاف. وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «يُسْقِطُ» برفع الياء وكسر القاف مع سكون السين وعدم الألف. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنه بالتاء. وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر مثله، إلا أنه بالنون. وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبة: «يُسْقِطُ» بالياء مفتوحة مع سكون السين ورفع القاف. وقرأ أبو السماك العدوي، وابن حزام: «تَسَاقُطُ» بتاءين مفتوحين وبآلف. وقال الزجاج: من قرأ «يَسَاقُطُ» فالمعنى: يتساقط، فادغمت التاء في السين. ومن قرأ «تَسَاقُطُ»، فكذلك أيضاً، وأنت لأن لفظ النخلة يؤنث. ومن قرأ «تَسَاقُطُ» بالتاء والتخفيف، فإنه حذف من «تَسَاقُطُ» اجتماع

(١) هذا الشطر من الرجز لراجز من بني جملة، وهو في «الاقطاب» ٤٥٨، و«شواهد المغني» ١١٤٠، و«الخزانة» ١٥٩/٤.

التأمين. ومن قرأ «يُساقط» ذهب إلى معنى: يُساقط الجذع عليك. ومن قرأ «نُساقط» بالنون، فالمعنى: نحن نُساقط عليك، فنجعل لك آية، والنحويون يقولون: إن «رطباً» منصوب على التمييز إذا قلت: يسَاقط أو يتساقط، المعنى: يتساقط الجذع رطباً. وإذا قلت: تسَاقط بالتاء، فالمعنى: تساقط النخلة رطباً.

قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ﴾ قال الفراء: الجَنِّي: المجتني، وقال ابن الأنباري: هو الطريُّ، والأصل: مجنؤ، صُرف من مفعول إلى فاعيل، كما يقال: قديد، وطبيخ. وقال غيره: هو الطريُّ بغباره: ولم يكن لتلك النخلة رأس، فأنبته الله تعالى، فلما وضعت يدها عليها، سقط الرطب رطباً. وكان السلف يستحبون للنساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلْ﴾ أي: من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من النهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بولادة عيسى عليه السلام. قال الزجاج: يقال: قررت به عيناً أقر، بفتح القاف في المستقبل، وقررت في المكان أقر، بكسر القاف، و«عيناً»: منصوب على التمييز. وروى ابن الأنباري عن الأصمعي أنه قال: معنى «وَقَرِّي عَيْنًا»، ولتبرد دمعتك، لأن دمة الفرح باردة، ودمة الحزن حارة. واشتقاق «قَرِّي» من القُرور، وهو الماء البارد. وقال لنا أحمد بن يحيى: تفسير «قَرِّي عَيْنًا» بلغت غاية أملك حتى تقر عينك من الاستشراق إلى غيره، واحتج بقول عمرو بن كلثوم:

بِیومِ کَرِیهِةٍ ضَرِباً وَطَعْناً  
أَقْرَبَهُ مَوَالِیکَ الْعِیُونَا<sup>(١)</sup>

أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهن، فقرت عينهم من تطلع إلى غيره.

قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، وابن السميع، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «تَرَيَنَّ» بهزمة مكسورة من غير ياء. أي: إن رأيت من البشر أحداً فقولي؛ وفيه إضمار تقديره: فسألك عن أمر ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: صمتاً، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك، والضحاك؛ وكذلك قرأ أبي بن كعب، وأنس بن مالك، وأبو رزین العقيلي: «صمتاً» مكان قوله: «صوماً». وقرأ ابن عباس: صياماً<sup>(٢)</sup>. والثاني: صوماً عن الطعام والشراب والكلام، قاله قتادة. وقال ابن زيد: كان المجتهد من بني إسرائيل يصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام، إلا من ذكر الله ﷻ. قال السدي: فأذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت. قال ابن مسعود: أُمِرَتْ بالصمت، لأنها لم تكن لها حُجَّة عند الناس، فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها مما يُبْرئ به ساحتها. وقيل: كانت تُكَلِّم الملائكة ولا تكلم الإنس. قال ابن الأنباري: الصوم في لغة العرب على أربعة معانٍ، يقال: صوم لترك الطعام والشراب، وصوم للصمت، وصوم لضرب من الشجر، وصوم للذوق النعام. واختلف العلماء في مقدار سنِّ مريم يوم ولادتها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهب بن منبه. والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيد بن أسلم. والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتل.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ قَالُوا يَسْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذُ هَوًى مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَكَانَتْ أُمُّكَ بَيِّتًا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْهَدْيِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْأَمَلِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أتتهم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نفاسها. وقال في رواية الضحاك: انطلق قومها يطلبونها، فلما رأته حملت عيسى فتلقتهن به، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾. فإن قيل: «أتت به» يغني عن «تحمله» فلا فائدة للتكرير. فالجواب: أنه لما ظهرت منه آيات، جاز أن يتوهم السامع «فأتت به» أن يكون ساعياً على قدميه، فيكون سعيه آية كمنطقه، فقطع ذلك التوهم، وأعلم أنه كسائر الأطفال، وهذا مثل قول العرب: نظرت إلى فلان بعيني، فنمراً بذلك نظر العطف والرحمة، وأثبتوا [أنه] نظر عَيْن. وقال ابن السائب: لما دخلت على قومها بكوا، وكانوا قوماً صالحين؛ و﴿قَالُوا يَسْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيًّا﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

(١) «مختار الشعر الجاهلي» ٣٦٢/٢، «اللسان»: قرر.

(٢) وفي النسخة الإستانبولية: وقرأ ابن مسعود: «وصياماً»، والذي في «البحر المحيط» و«روح المعاني»: وقرأ زيد بن علي «صياماً».

أحدهما: شيئاً عظيماً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. قال الفراء: الفرّيُّ: العظيم، والعرب تقول: تركته يفري الفرّيُّ، إذا عمل فأجاد العمل فَفَضَّلَ الناس، قيل هذا فيه، قال النبي ﷺ: «فما رأيت عبقرياً يفري فرّيَّ عمر»<sup>(١)</sup>. والثاني: عَجَباً فافقاً، قاله أبو عبيدة. والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله الزبيدي.

قوله تعالى: ﴿يَتَاخَتُّ هَرُونَ﴾ في المراد بهارون هذا خمسة أقوال: أحدها: أنه أخ لها من أمها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: كان من أبيها وأمها. والثاني: أنها كانت من بني هارون، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال السدي: كانت من بني هارون أخي موسى ﷺ، فُسِّيت إليه، لأنها من ولده. والثالث: أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل، فشبهوها به في الصلاح، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وقتادة، ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا: أَلَسْتُمْ تَقْرَؤُونَ: ﴿يَتَاخَتُّ هَرُونَ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسئون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(٢)</sup>. والرابع: أن قوم هارون كان فيهم فُسَّاق وزُنَّاء، فنسبوا إليهم، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه رجل من فُسَّاق بني إسرائيل شَبَّهوها به، قاله وهب بن منبه. فعلى هذا يخرج في معنى «الأخت» قولان: أحدهما: أنها الأخت حقيقة. والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيدُ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوؤُكُيُوعَ﴾ يعنون: عمران ﴿أَمراً سَوّاً﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ﴾ حنة ﴿بِفَيْءٍ﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟!

قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ﴾، أي: أومأت ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى فتكلّم. وقيل المعنى: أشارت إليه أن كلّموه. وكان عيسى قد كلّمها حين أنت قومها، وقال: يا أمّاه ابشري فلإني عبد الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلّموه، تعجّبوا من ذلك، ﴿وَقَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ وفيها<sup>(٣)</sup> أربعة أقوال: أحدها: أنها زائدة، فالمعنى: كيف نكلّم صبيّاً في المهد؟! والثاني: أنها في معنى: وقع، وحدث. والثالث: أنها في معنى الشرط والجزاء، فالمعنى: من يكن في المهد صبيّاً، فكيف نكلّمه؟! حكاها الزجاج، واختار الأخير منها؛ قال ابن الأنباري: وهذا كما تقول: كيف أعظم من كان لا يقبل موعظتي؟! أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء. والرابع: أن «كان» بمعنى: صار، قاله قطرب. وفي المراد بالمهد قولان: أحدهما: جِثْرُهَا، قاله نوّف، وقتادة، والكلبي، والثاني: سرير الصبي المعروف، حكاها الكلبي أيضاً. قال السدي: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرُّضَاع، وأقبل عليهم بوجهه، فقال: إني عبد الله. قال المفسرون: إنما قدّم ذكر العبودية، لِيُبَيِّنَ قول من ادّعى فيه الربوبية. وفي قوله: ﴿مَا أَتَيْنِي﴾ أَلَكْتُبُ أسكن هذه الياء حمزة. وفي معنى الآية قولان. أحدهما: أنه آتاه الكتاب وهو في بطن أمه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقيل: علم التوراة والإنجيل وهو في بطن أمه. والثاني: قضى أن يؤتيني الكتاب، قاله عكرمة. وفي «الكتاب» قولان: أحدهما: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي يَتِيماً﴾ هذا وما بعده إخبار عما قضى الله له وحكم له به ومنحه إِيَّاه مما سيظهر ويكون. وقيل: المعنى: يؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً إذا بلغت؛ فحلّ الماضي محلّ المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُوحَيُّسَى﴾ [المائدة: ١١٦]. وفي وقت تكليمه لهم قولان: أحدهما: أنه كلّمهم بعد أربعين يوماً. والثاني: في يومه. وهو مبنيٌّ على ما ذكرنا من الزمان الذي غابت عنهم فيه مريم.

(١) البخاري ٣٦٧/٧، ومسلم ١٨٦٢/٤، ومعناه: لم أر سيداً يعمل عمله ويقطع قطعه.

(٢) وعلى هامش نسخة الرباط: أخرجه مسلم في «صحيحه» ومن طريقه البخاري في «شرح السنة» في كتاب الاستئذان في باب التسمية باسم النبي ﷺ اه. وهو في مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء (١٨٦٥/٣) بمعناه، ورواه أحمد في «المسند» ٤/٢٥٢، ولفظه قريب من رواية المصنف، ورواه الترمذي في «التفسير» (١٤٤/٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور؛ زاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٣) أي: لفظة «كان».



قوله تعالى: ﴿وَجَمَلْنِي مَبَارَكًا إِنَّ مَا كُنْتُ﴾ روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ في هذه الآية قال: «نفاعاً حيثما توجهت»<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: معلماً للخير. وفي المراد «بالزكاة» قولان: أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابن السائب. والثاني: الطهارة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾ قال ابن عباس: لما قال هذا، ولم يقل: «بوالدي» علموا أنه ولد من غير بشر. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: متعظماً «شقيفاً» عاصياً لربه «وَأَسْلَمَ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ» قال المفسرون: السلامة علي من الله يوم وُلِدْتُ حتى لم يضرني شيطان. وقد سبق تفسير الآية (مريم: ١٥). فإن قيل: لم ذكر هاهنا «السلام» بألف ولام، وذكره في قصة يحيى بلا ألف ولام؟ فنه جوابان: أحدهما: أنه لما جرى ذكر السلام قبل هذا الموضوع بغير ألف ولام، كان الأحسن أن يرد ثانية بألف ولام، هذا قول الزجاج. وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف يجوز أن يعطف هذا وهو قول عيسى، على الأول وهو قول الله ﷻ؟! وقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: عيسى إنما يتعلم من ربه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه والصقه بنفسه، ويجوز أن يكون الله ﷻ عرّف السلام الثاني لأنه أتى بعد سلام قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصد به اتباع اللفظ المحكي، لأن المتكلم، له أن يغير بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبد الله: أنا رجل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رجل منصف. والجواب الثاني: أن سلاماً والسلام لغتان بمعنى واحد، ذكره ابن الأنباري.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢١) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢٢) وَلِلَّهِ رَبِّي وَرَبُّكَ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٢٣)

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قال الزجاج: أي، ذلك الذي قال: إني عبد الله، هو ابن مريم، لا ما تقول النصراني: أنه ابن الله، وأنه إله.

قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحزمة، والكسائي: «قول الحق» برفع اللام. وقرأ عاصم، وابن عامر، ويعقوب: بنصب اللام. قال الزجاج: من رفع «قول الحق» فالمعنى: هو قول الحق، يعني هذا الكلام؛ ومن نصب، فالمعنى: أقول قول الحق. وذكر ابن الأنباري في الآية وجهين: أحدهما: أنه لما وُصف بالكلمة جاز أن يُنعت بالقول. والثاني: أن في الكلام إضماراً، تقديره: ذلك نبا عيسى، ذلك النبا قول الحق.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكون. قال قتادة: ائتمرت اليهود فيه والنصارى، فزعم اليهود أنه ساحر، وزعم النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة. قرأ أبو مجلز، ومعاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو رجاء: «تمترون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: أن يتخذ ولداً. و«مِنْ» مؤكدة تدل على نفي الواحد والجماعة، لأن للقاتل أن يقول: ما اتخذت فرساً، يريد: اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتخذت فرسين ولا أكثر، يريد: اتخذت فرساً واحداً؛ فإذا قال: ما اتخذت من فرس، فقد دل على نفي الواحد والجميع.

قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبله: «فيكون» بالنصب، وقد ذكرنا وجهه في [البقرة: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ رَبِّي وَرَبُّكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَأَنَّ اللَّهَ» بنصب الألف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «وإن الله» بكسر الألف. وهذا من قول عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قوله: «وَأَوْسِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» وبأن الله ربي؛ ومن كسر، ففيه وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ والثاني: أن يكون مستأنفاً.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَعْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٤) أَمْسَحَ يَوْمَ وَأَبْصَرَ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الْغَالِبُونَ أَيَّامَ فِي صَلَاتِهِمْ يُبَيِّنُ (٢٥) وَأَبْدَرَهُمْ يَوْمَ الْقِسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ وَمَنْ لَا يَوْمِيَّةٌ (٢٦) إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا بِرَحْمَتِنَا (٢٧)

(١) في «الطبري» وابن كثير: عن مجاهد: نفاعاً. وقال السيوطي في «الدرر»: ٢٧٠/٤: أخرج الإسماعيلي في «معجمه» وأبو نعيم في «الحلية» وابن لال في «مكارم الأخلاق»، وابن مردويه، وابن النجار في «تاريخه» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قول عيسى ﷺ: وجعلني مباركاً أينما كنت، قال: جعلني نفاعاً للناس أينما توجهت».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال المفسرون: «مِنْ» زائدة، والمعنى: اختلفوا بينهم. وقال ابن الأنباري: لما تمسك المؤمنون بالحق، كان اختلاف الأحزاب بين المؤمنين مقصوراً عليهم. وفي الأحزاب قولان: أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، فكانت اليهود تقول: إنه لغير رُشد<sup>(١)</sup>، والنصارى تدعي فيه ما لا يليق به. والثاني: أنهم فِرَق النصارى، قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقولهم في المسيح ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من حضورهم ذلك اليوم للجزاء. قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأُبَصِّرْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر؛ فالمعنى: ما أسمعه وأبصرهم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حين لم يسمعهم ذلك لأنهم شاهدوا من أمر الله ما لا يحتاجون معه إلى نظر وفكر فعلموا الهدى وأطاعوا، هذا قول الأكثرين. والثاني: أسمع بحدثهم اليوم، وأبصر كيف يصنع بهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿فِي سَكَلٍ لِّئِنْ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾ أي: خوف كَثَر مَكَّة ﴿يَوْمَ الْقِسْرَةِ﴾ يعني: يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يُحسِن، والمقصر إذ لم يُزِد من الخير. وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قيل: يا أهل الجنة، فيشربون<sup>(٢)</sup> وينظرون، وقيل: يا أهل النار، فيشربون وينظرون، فيجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت؛ ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْقِسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يَهُتُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال المفسرون: فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار. ومن موجبات الحسرة، ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة، حتى إذا دَنَوْا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها، نودوا: أن اصرفوهم عنها، لا نصب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رَجَعُ الْأَوَّلُونَ بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن نرى ما أرىنا كان أهون علينا؛ قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلَّوْتُمْ بارزتموني بالعظام، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجلستم الناس ولم تُجلُّوني، تركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب<sup>(٤)</sup>». ومن موجبات الحسرة ما روي عن ابن مسعود قال: ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، ثم يقال: يعني لهؤلاء: لو عملتم، ولأهل الجنة: لولا أن من الله عليكم. ومن موجبات الحسرة: قطع الرجاء عند إطباق النار على أهلها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال ابن الأنباري: «قُضي» في اللغة بمعنى: أُنقِضَ وأُحْكِمَ، وإنما سُمي الحاكم قاضياً، لإتقانه وإحكامه ما ينفذ. وفي الآية اختصار، والمعنى: إذ قضي الأمر الذي فيه هلاكهم. وللمفسرين في الأمر قولان: أحدهما: أنه ذبح الموت، قاله ابن جريج، والسدي. والثاني: أن المعنى: قُضي العذاب لهم، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عما يصنع بهم ذلك اليوم ﴿وَمَنْ لَا يَهْتُونَ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُمِيت سَكَّانَهَا فنرثها ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت. فإن قيل: ما

(١) يقال: هذا ولد رُشد؛ إذا كان لكاح صحيح، ويقال في ضده: ولد زنية.

(٢) يشربون: يرفعون رؤوسهم إلى المتأدي.

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٩/٣، وَابْنُ خَالٍ ٣٢٥/٨، وَمُسْلِمٌ ٢١٨٨/٤، وَالتِّرْمِذِيُّ ١٤٤/٢ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٢٧١/٤ وَزَادَ نِسْبَةَ لِسَعِيدِ بْنِ مَسْرُورٍ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَالتَّسَانِي، وَأَبُو يَعْلَى، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ حَبَانَ، وَابْنُ مَرْوَةَ.

(٤) ذَكَرَهُ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» بَابِ التَّرْهيبِ مِنَ الرِّبَا مِنْ رِوَايَةِ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْكَبِيرِ» وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

الفائدة في «نحن» وقد كفت عنها «إنا»؟ فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظم: «إنا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأن الفعل مضاف إليه حقيقة. فإن قيل: فلم قال: «ومن عليها» وهو يرث الأدميين وغيرهم؟ فالجواب: أن «من» تختص أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السوالين ابن الأنباري.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ نَبِيًّا ١١ إِذْ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٢﴾ ١١ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٢ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٣ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٤ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٥ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٦ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٨ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ١٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢١ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٢ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٣ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٤ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٥ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٦ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٨ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٢٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣١ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٢ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٣ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٤ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٥ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٦ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٨ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٣٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤١ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٢ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٣ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٤ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٥ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٦ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٧ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٨ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٤٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ٥٠

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اذكر لقومك قصته. وقد سبق معنى الصديق (في النساء: ٦٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعْكَ شَيْءٌ﴾ أي: لا يدفع عنك ضرراً.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْوَلَدِ﴾ بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ﴾ أي: لا تُطععه فيما يأمر به من الكفر والمعاصي. وقد شرحنا معنى «كان» آنفاً.

﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً، فهو «فعل» بمعنى «فاعل».

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَسْكَ عَذَابُ رَبِّكَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ قال مقاتل: في الآخرة؛ وقال غيره: في الدنيا، ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَابِعًا﴾ أي: قريباً في عذاب الله، فجرت المقارنة مجرى الموالاة. وقيل: إنما طمع إبراهيم في إيمان أبيه، لأنه حين خرج من النار قال له: نِعْمَ الْإِلَهِ إِلَهَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ، فحينئذ أقبل يعظه، فأجابه أبوه: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَكْفُرُونَ﴾ أي: أترك عبادتها أنت؟ ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ عَنْ عِبَادَةِ إِلَهِكَ وَسْمَها﴾ لا تتركها. وفيه قولان: أحدهما: بالشتيم والقول، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: بالحجارة حتى تتباعد عني، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْني مِثْلَ﴾ فيه قولان: أحدهما: اهجرني طويلاً، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والفرأء، والأكثرون. قال ابن قتيبة: اهجرني حيناً طويلاً، ومنه يقال: تَمَلَّيْتُ حَبِيْبَكَ. والثاني: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلان ملئ بكذا وكذا: إذا كان مضطجعاً به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافر، وأنت سليم من أذي، قاله ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكرهه، وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته. والثاني: أنه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حق المصيرين على الكفر، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانَتْ بِحَيْثُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لطيفاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، والزجاج. والثاني: رحيماً، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: باراً عودني منه الإجابة إذا دعوته، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرَضْنا عَنْكُمْ﴾ أي: وأنتننى عنكم، ﴿وَمَا تَدْعُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام. وفي معنى «تَدْعُونَ» قولان: أحدهما: تَعْبُدُونَ. والثاني: أن المعنى: وما تدعونه رباً، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبده ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: أرجو أن لا أشقى عبادته كما شقيتم الأصنام، لأنها لا تنفعهم ولا تُجيب دعاءهم ﴿فَلَمَّا أَتَوْكُمْ﴾ قال المفسرون: هاجر عنهم إلى أرض الشام، فوهب الله له إسحاق ويعقوب، فأنس الله وحشته عن فراق قومه بأولاد كرام. قال أبو سليمان: وإنما وهب له إسحاق ويعقوب بعد إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا﴾ أي: وكلاً من هذين. وقال مقاتل: «وكلاً» يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ قال المفسرون: المال والولد والعلم والعمل، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ قال ابن قتيبة: أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويشتون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَتَدْنِيَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ﴿٥١﴾ وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: «مُخْلَصًا» بكسر اللام. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بفتح اللام. قال الزجاج: المُخْلَص، بكسر اللام: الذي وحّد الله، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دُوسَة، والمُخْلَص، بفتح اللام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدُّوس.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ قال ابن الأنباري: إنما أعاد «كان» لتفخيم شأن النبي المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَتَدْنِيَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي: من ناحية الطُّور، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زَبِير. قال ابن الأنباري: [إنما] خاطب الله العرب بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القيلة وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتِّساعاً عند انكشاف المعنى، لأن الوادي لا يَدُّ لَهُ فيكون له يمين. وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلماذا قال: «الأيمن»، ولم يُرد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: مناجياً، فعبر «فَعِيل» عن «مُفَاعِل» كما قالوا: فلان خليطي وعشيري. يعنون: مخالطي ومُعاشري. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: «وَقَرَّبَهُ» قال: حتى سمع صريف القلم حين كتب له في الألواح.

قوله تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ أي: من نعمتنا عليه إذا أجبنا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ هذا عام فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس. وقال مجاهد: لم يعد ربه بوعد قط إلا وفى له به. فإن قيل: كيف خُصَّ بصدق الوعد إسماعيل، وليس في الأنبياء من ليس كذلك؟ فالجواب: أن إسماعيل عانى [في الوفاء] بالوعد ما لم يعاناه غيره من الأنبياء، فأثني عليه بذلك. وذكر المفسرون: أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة فيها لهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أقام حَوْلًا، قاله ابن عباس. والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله الرقاشي. والثالث: ثلاث أيام، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى قومه، وهم جُرْهُم. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ قال مقاتل: يعني: قومه. وقال الزجاج: أهله: جميع أمته. فأما الصلاة والزكاة، فهما العبادتان المعروفتان.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه في السماء الرابعة، روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة<sup>(٢)</sup>، وبهذا قال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وأبو العالية. والثاني: أنه في السما السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن

(١) في عبارة الأصل هنا تقديم وتأخير، وهذا نصها: [وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ] أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته ويشتون عليهم، قال ابن قتيبة: فوضع اللسان مكان القول، لأن القول يكون باللسان. أمّا وابن قتيبة لم يقل سوى هذه العبارة: «أي: ذكرنا حسناً في الناس مرتفعاً»، فقدّمنا جملة «قال ابن قتيبة» على قوله، حتى تستقيم العبارة.

(٢) البخاري ٢١٧/٦، ومسلم ١٥٠/١.

(٣) وعلى هامش نسخة الرباط بخط مغربي: أخرج الحاكم في «المستدرک» - وقال الذهبي: إسناده مظلم لا تقوم به حجة - عن الحسن بن سمره أنه قال: كان نبي الله إدريس أبيض طويلاً، ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من



الجنة في السماء الرابعة. والرابع: أنه في السماء السابعة، حكاها أبو سليمان الدمشقي<sup>(١)</sup>. وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم؛ فأجبه ملك الموت، فاستأذن الله في خلته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصحبه، فلما عرفه، قال: إني أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيبني الموت، فلعلني أعلم ما شدته فأكون له أشد استعداداً؛ فأوحى الله إليه أن اقض روحه ساعة ثم أرسله، ففعل، ثم قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشد ممّا بلغني عنه، وإني أحب أن تريني النار، قال: فحمله، فأراه إياها؛ قال: إني أحب أن تريني الجنة، فأراه إياها، فلما دخلها وطاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتى يكون الله تعالى يُخرجني؛ فبعث الله ملكاً فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقص عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد ذُقتُهُ، وقال: ﴿وَلَكُمْ مَنَازِلُ إِلَّا زَوَاجُهُمْ﴾ [مريم: ٧١]، وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: ﴿وَمَا لَهُمْ إِنَّمَا يَسْتَرْجِعُونَ﴾ [الحجر: ٤٨]، فوالله لا أخرج حتى يكون الله يُخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل، وبأمري فعل، فخلّ سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟! فقد ذكر ابن الأباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود؛ وامتاع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم. والثاني: أن ملكاً من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفني عند ملك الموت؟ قال: سأكلّمه فيك، فيفرك بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السماء، فلقي ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة عين؟! فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة. والثالث: أن إدريس مشى يوماً في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهم خفف ثقلها عمن يحملها، يعني به الملك الموكّل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷻ عن ذلك، فقال: إن عبيدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرّها، فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلّة، فأذن له، فكان مما قال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخّر أجلي، فقال: إن الله لا يؤخّر نفساً إذا جاء أجلها، ولكن أكلّمه فيك، فما كان مستطيعاً أن يفعل بأحد من بني آدم فعل بك، ثم حمله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: إن لي إليك حاجة صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخّر أجله، قال: ليس ذاك إليّ، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، ولا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، فقال: إني أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق، فما أراك تجده إلا ميتاً، فوالله ما بقي من أجله شيء، فرجع الملك فرآه ميتاً. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وكعب في آخرين<sup>(٤)</sup>. فهذا القول والذي قبله يدلان على أنه ميت، والقول الأول يدل على أنه حيّ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبِهِمْ إِذْ جَاءُوا رَسُولَهُمْ فَاسْلَمُوا﴾ [النساء: ٦٩] وَمِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُوَّةٌ بِأَن يُدْخِلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِمْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

الآخرى، وكان في صدره نكتة بياض من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتنائهم في أمر الله، رفعه إلى السماء السادسة [فهر] حيث يقول: ﴿وَرَبُّكَ مَنَّانٌ﴾ [النبي: ٢٣]، فهذا يدل على فرض صحته أنه رفع حياً، والله أعلم أتى ذلك كان. اهـ. والحديث في «المستدرک» ٥٤٩/٢.

(١) والقول الأول هو الصحيح.

(٢) ذكر السيوطي في «الدرر» ٢٧٤/٤ بهذا المعنى غيراً طويلاً، من رواية ابن المنذر عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي ﷺ، والله أعلم بصحته.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٤/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر نحوه: هذا من أخبار كعب من الإسرائيليات، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

وَأَمَّا وَعِلِّمْ سَلَامًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالَّتِي لَا تَبْطُلُ ﴿٦١﴾ إِنَّكَ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ فِيهَا بَكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ﴿٦٣﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٤﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِاتِّرَافِكَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيْئًا ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَنكُرُ لَهُ شَيْئًا ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ﴾ يعني الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يعني إبراهيم، لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: هؤلاء كانوا ممن أُرشدنا، ﴿وَأَجْمَعَيْنَا﴾ أي: واصطفينا.

قوله تعالى: ﴿خَرُوجًا مُّجْزَئًا﴾ قال الزجاج: «سُجْدًا» حال مقدرة، المعنى: خروا مقدّرين السجود، لأن الإنسان في حال خروعه لا يكون ساجدًا، ف«سُجْدًا» منصوب على الحال، وهو جمع ساجد ﴿وَرَبِّكَ﴾ معطوف عليه، وهو: جمع بال، فقد بين الله تعالى أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا ويكفّون من خشية الله.

قوله تعالى: ﴿فَطَلَفَ مِنْ بَيْنِهِمْ خَلْفٌ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ١٦٩]. وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: اليهود والنصارى، قاله السدي. والثالث: أنهم من هذه الأمة، يأتون عند ذهاب صالح أمة محمد ﷺ يتبارزون بالزنا، يئز بعضهم على بعض في الأزقة زناة، قاله مجاهد، وقناة.

قوله تعالى: ﴿أَنشَأُوا الْفُكْرَةَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، والحسن البصري: «الصلوات» على الجمع. وفي المراد بإضاعتهم إياها قولان: أحدهما: أنهم أخروها عن وقتها، قاله ابن مسعود، والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والقاسم بن مخيمرة. والثاني: تركوها، قاله القرظي، واختاره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا الْكُفْرَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر، والزنا، واللهو، وما شاكل ذلك مما يقطع عن أداء فرائض الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللقاء مجرد الرؤية، وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية. وفي المراد بهذا الغي ستة أقوال: أحدها: أنه وادٍ في جهنم، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال كعب. والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد. والخامس: أنه الشر، قاله ابن زيد، وابن السائب. والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْقَوْنَ آسَافًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: مجازاة الآثام، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تاب من الشرك، وآمن بمحمد ﷺ، قاله مقاتل. والثاني: تاب من التقصير في الصلاة، وآمن من اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: «جنات» برفع التاء. وقرأ الحسن البصري، والشعبي، وابن السميع: «جنة عدن» على التوحيد مع رفع التاء. وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل الناجي: «جنة عدن» على التوحيد مع نصب التاء. وقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ وَالَّتِي لَا تَبْطُلُ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهي غائبة عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: آتياً، قال ابن قتيبة: وهو «مفعول» في معنى «فاعل»، وهو قليل أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به. وقال الفراء: إنما لم يقل: آتياً، لأن كل ما أتاك، فأتت تأتية؛ ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت علي خمسون سنة؟ والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابن الأنباري. وقال ابن جريج: «وعده» ها هنا: موعوده، وهو الجنة، و«مأْتِيًا»: يأتيه أولياؤه.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٨/٤ من رواية ابن مردويه عن طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التخالف عند شرب الخمر، قاله مقاتل. والثاني: ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، قاله الزجاج. وقال ابن الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطروح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ قال أبو عبيدة: السلام ليس من اللغو، والعرب تستثني الشيء بعد الشيء وليس منه، وذلك أنها تضمير فيه، فالمعنى: إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً. وقال ابن الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه، وفي ذلك تأكيد للمعنى المقصود، لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فليس يسمعون لغواً البتة، وكذلك قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ لَغْوًا﴾ [الشعراء: ٧٧]، إذا لم يخرج من عداوتهم لي غير رب العالمين، فكلهم عدو. وفي معنى هذا السلام قولان: أحدهما: أنه تسليم الملائكة عليهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسمعون إلا ما يسلمهم، ولا يسمعون ما يؤثمهم، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرْفُثْهُمْ فِيهَا بَكَرَةً وَعَيشًا﴾ قال المفسرون: ليس في الجنة بكرة ولا عيشة، ولكنهم يؤتون برزقهم - على مقدار ما كانوا يعرفون - في الغداة والعشي. قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله لهم ذلك. وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء أعجب به، فأخبر الله أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشيّاً على قدر ذلك الوقت، وليس ثم ليل ولا نهار، وإنما هو ضوء وثور. وروى الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿بَكَرَةً وَعَيشًا﴾ فقال: ليس في الجنة ليل ولا نهار، هم في نور أبداً، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾

قوله تعالى: ﴿ثَوْرٍ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وقاتدة، وابن أبي عبله: بفتح الواو وتشديد الراء. قال المفسرون: ومعنى «نورث»: نعطي المساكين التي كانت لأهل النار - لو أمتوا - للمؤمنين. ويجوز أن يكون معنى «نورث»: نعطي، فيكون كالميراث لهم من جهة أنها تملك مستأنف. وقد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِآيٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر: «وما ينزل» بياء مفتوحة. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قال: «يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الملك أبطأ على رسول الله ﷺ ثم أتاه، فقال: لعلي أبطأ، قال: «قد فعلت»، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تسوكون، ولا تقصون أظفاركم، ولا تنقون براجمكم، فنزلت الآية، قاله مجاهد. قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع، تبدو إذا جمعت، وتغض إذا بسطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجتين راجبة. والثالث: أن جبريل احتبس عن النبي ﷺ حين سألته [قومه] عن قصة أصحاب الكهف، وذو القرنين، والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب، فأبطأ عليه، فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة، فلما نزل جبريل قال له: «أبطأت عليّ - حتى ساء ظني، واشتقت إليك»، فقال جبريل: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة، وقاتدة، والضحاك<sup>(٢)</sup>. وفي سبب احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ قولان: أحدهما: لامتناع أصحابه من كمال النظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهد. والثاني: لأنهم سألوه عن قصة أصحاب الكهف، فقال: «غداً أخبركم»، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورة [الكهف: ٢٤]. وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوال: أحدها: خمسة عشر يوماً؛ وقد ذكرناه في [الكهف] عن ابن عباس. والثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: اثنتا عشرة ليلة،

(١) رواه أحمد في «المسند» رقم (٢٠٤٣)، والبخاري ٣٢٦/٨، والترمذي ١٤٥/٢، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٧٨/٤ وزاد نسبه لمسلم، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنه، وعند أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم زيادة في آخر الحديث: «فكان ذلك الجواب لمحمد ﷺ ولم نجد الحديث في «صحيح مسلم» كما قال السيوطي.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٣، وذكره ابن كثير ١٣٠/٣ مختصراً من رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة، وقال: هو غريب.

قاله مجاهد. والرابع: ثلاثة أيام، حكاة مقاتل. والخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاة الشعبي. وقيل: إن سورة (الضحى) نزلت في هذا السبب. والمفسرون على أن قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قول جبريل. وحكى الماوردي: أنه قول أهل الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما ننزل هذه الجنان إلا بأمر الله. وقيل: ما ننزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله. وفي قوله: ﴿وَمَا يَكُنْ أَيْدِيَا وَمَا خَلَقْنَا﴾ قولان: أحدهما: ما بين أيدينا: الآخرة، وما خلفنا: الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل. والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدنيا، وما خلفنا: من الآخرة، فهو عكس الأول، قاله مجاهد. وقال الأخفش: ما بين أيدينا، قبل أن نُخلَق، وما خلفنا: بعد الفناء. وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما بين الدنيا والآخرة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: ما بين الفخيتين، قاله مجاهد، وعكرمة، وأبو العالية. والثالث: حين كَوْنُنَا، قاله الأخفش. قال ابن الأنباري: وإنما وُحِدَ ذلك، والإشارة إلى شيئين، أحدهما: «ما بين أيدينا» والثاني: «ما خلفنا»، لأن العرب توقع ذلك على الاثنين والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا﴾ النسيء، بمعنى الناسي. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبداً للوحي عنك، قاله ابن عباس. وقال مقاتل: ما نسيك عند انقطاع الوحي عنك. والثاني: أنه عالم بما كان ويكون، لا ينسى شيئاً، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُهُ﴾ أي: وتُحْدِه، لأن عبادته بالشرك ليست عبادة، ﴿وَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي: اصبر على توحيده؛ وقيل: على أمره ونهيهِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَكُنْ لَكَ سَيِّئًا﴾ روى هارون عن أبي عمرو أنه كان يُدغم «هل تعلم»، وجهه أن سبويه يجيز إدغام اللام في التاء والتاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء، لأن آخر مخرج من اللام قريب من مخارجهن. قال أبو عبيدة: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان، بعضهم يُبين لام «هل»، وبعضهم يدغمها. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: مثلاً وشبهاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: هل تعلم أحداً يسمى «الله» غيره، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: هل تعلم أحداً يستحق أن يقال له: خالق وقادر، إلا هو، قاله الزجاج.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ سَيِّئًا﴾ أولاً يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٧٧﴾ فَوَيْلٌ لَكَ لِتَحْسَبَهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَتَحْسَبَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا ﴿٧٨﴾ ثُمَّ لَتَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٧٩﴾ ثُمَّ لَتَبُذَّبَنَّ أَفْئِدَتُهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ جِثًّا ﴿٨٠﴾ وَلَكِنْ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدَهُمَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتًّا مَقْضِيًّا ﴿٨١﴾ ثُمَّ لَتَنُجَّى الَّذِينَ آمَنُوا وَلَنُذْذِرَنَّ الْفَاطِلِينَ يَوْمَ بَيْتِكَ ﴿٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ سبب نزولها أن أبي بن خلف أخذ عظماً بالياً، فجعل يفتنه بيده ويذريه في الريح ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَتَكُنَّ لَأَفْجَحُ حَيًّا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين جوابه؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها ابن الأنباري: أحدها: أن ظاهر الكلام استفهام، ومعناه معنى جحد وإنكار، تلخيصه: لستُ مبعوثاً بعد الموت. والثاني: أنه لما استفهم بهذا الكلام عن البعث، أجابه الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ﴾، فهو مشتمل على معنى: نعم، وأنت مبعوث. والثالث: أن جواب سؤال هذا الكافر في [يس: ١٧٨] عند قوله تعالى: ﴿وَصَرَّيْنَا لَكَ تَوَكُّلاً﴾، ولا يُنكر بُعد الجواب، لأن القرآن كله بمنزلة الرسالة الواحدة، والسورتان مكيتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بفتح الذال مشددة الكاف. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «يَذْكُرُ» ساكنة الذال خفيفة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل الناجي: «أَوَلَمْ يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ» بياء وتاء. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن: «يَذْكُرُ» بياء من غير تاء ساكنة



الذال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى: **أَوَّلَا يَتَذَكَّرُ** هذا الجاحد **أَوَّلَ** خلقه، فيستبدل بالابتداء على الإعادة؟ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْصُرَنَّهُمْ﴾ يعني: المكذِّبين بالبعث ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾ أي: مع الشياطين، وذلك أن كل كافر يُحْشَرُ مع شيطانه في سلسلة، ﴿فَنُفِخَ فِي سُورَةٍ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ قال مقاتل: أي: في جهنم، وذلك أن حول الشيء يجوز أن يكون داخله، تقول: جلس القوم حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيِّفين به. وقيل: يجثون حولها قبل أن يدخلوها. فأما قوله: ﴿جَنَّتَا﴾ فقال الزجاج: هو جمع جاثٍ، مثل قاعِدٍ وقعودٍ، وهو منصوب على الحال، والأصل ضم الجيم، وجاء كسرهما إتباعاً لكسرة الثاء. وللمفسرين في معناه خمسة أقوال: أحدها: قعوداً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عباس أيضاً. فعلى هذا هو جمع جثوة<sup>(١)</sup> وهي المجموع من التراب والحجارة. والثالث: جنَّتَا على الرُّكْب، قاله الحسن، ومجاهد، والزجاج. والرابع: قياماً، قاله أبو مالك. والخامس: قياماً على رُكْبِهِم، قاله السدي، وذلك لضيق المكان بهم.

قوله تعالى: ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لنأخذن من كل فرقة وأمة وأهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمهم له معصية، والمعنى: أنه يُبَدَأُ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جُزْماً، والرؤوس القادة في الشر. قال الزجاج: وفي رفع «أَيُّهُمْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الاستئناف، ولم تعمل: «لَنَنْزِعَنَّ» شيئاً، هذا قول يونس. والثاني: أنه على معنى الذي يقال لهم: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا؟ قاله الخليل، واختاره الزجاج، وقال: التأويل: لنزعهن الذي من أجل عُتُوِّه يُقال: أَيُّ هَؤُلَاءِ أَشَدُّ عِتِيًّا؟ وأنشد:

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَنِ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبَيْتُ لَا حَرَجَ وَلَا مَحْرُومَ<sup>(٢)</sup>

المعنى: أبيت بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم. والثالث: أن «أَيُّهُمْ» مبنية على الضم، لأنها خالفت أخواتها، فالمعنى: أَيُّهُمْ هو أفضل. وبيان خلافها لأخواتها أنك تقول: اضرب أَيُّهُمْ أفضل، ولا يَحْسُنُ، اضرب مَنْ أَفْضَلُ، حتى تقول: من هو أفضل، ولا يَحْسُنُ: كُلُّ ما أطيب، حتى تقول: ما هو أطيب، ولأخذ ما أفضل، حتى تقول: الذي هو أفضل، فلما خالفت «ما» و«مَنْ» و«الذي» بُنِيَتْ على الضم، قاله سيويه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَزَلَّ بِهَا صِلِيًّا﴾ يعني: أن الأولى بها صِلِيًّا الذين هم أَشَدُّ عِتِيًّا، فَيُبْتَدَأُ بهم قبل أتباعهم. و«صِلِيًّا»: منصوب على التفسير، يقال: صَلَّى النار يصلاها: إذا دخها وقاسى حَرَّها.

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْزُكَ إِلَّا وَارِدًا﴾ في الكلام إضمار تقديره: وما منكم أحد إلا وهو واردها. وفيمن غني بهذا الخطاب قولان: أحدهما: أنه عام في حق المؤمن والكافر، هذا قول الأكثرين. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية للكفار. وأكثر الروايات عنه كالقول الأول. قال ابن الأنباري: ووجه هذا أنه لما قال: «لَنَخْضِرَنَّهُمْ» وقال: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ كان التقدير: وإن منهم، فأبدلت الكاف من الهاء، كما فعل في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءَ﴾ [الإنسان: ٢٢] المعنى: كان لهم، لأنه مردود على قوله: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر:

سَلَّطْتُ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَاصْبَحْتُ غَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةُ مَحْرُومٍ<sup>(٣)</sup>

أراد: طلابها. وفي هذا الورد خمسة أقوال: أحدها: أنه الدخول. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الورد: الدخول لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار - أو قال: لجهنم - ضجيجاً من بردهم»<sup>(٤)</sup>. وروي عن ابن عباس أنه سأله نافع بن الأزرق عن هذه الآية، فقال:

(١) مثله الجيم.

(٢) البيت في «القرطبي» ١١/ ١٣٣، و«روح المعاني» ١٦/ ١١٠ وروايت فيهما: ولقد أبيت من الفتاة، ولفظه في نسخة الرباط:

ولقد أتيت على الفتاة بمنزل فأتيت لا حرج ولا محروم

المعنى: أتيت... إلخ.

(٣) البيت تقدم ٣٩٣.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» عن جابر بن عبد الله، قال الحافظ ابن كثير: غريب ولم يخرجوه، وذكر السيوطي في «الدر» ٤/ ٢٨٠ وزاد نسبه لعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».



ومعنى الكلام: نحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَكَلَّا لَأَكْفُرَنَّ عَنْكُمْ﴾ وقد بينا معنى القرن في [الأنعام: ٦] وشرحنا الأثاث في [النحل: ٨٠]. فاما قوله تعالى: ﴿وَرَبِّهَا﴾ فقرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «ورثيا» بهمة بين الراء والياء في وزن: «رعياء»؛ قال الزجاج: ومعناها: منظراً من «رأيت». وقرأ نافع، وابن عامر: «رثياً» بياء مشددة من غير همز، قال الزجاج: لها تفسيران: أحدهما: أنها بمعنى الأولى. والثاني: أنها من الرثي، فالمعنى: منظرهم مرتب من النعمة، كأن النعيم بيّن فيهم. وقرأ ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي سريج عن الكسائي: «رثياً» بالزاي المعجمة مع تشديد الباء من غير همز. قال الزجاج: ومعناها: حسن هيئتهم.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَبِئْسَ الْمَكَانُ﴾ وَبَزِيدُ اللَّهِ الْيَوْمَ أَهْتَدُوا هُدًى وَابْتَلَيْتُ الصَّالِحِينَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي: في الكفر والعمى عن التوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ قال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه الخبر، والمعنى: أن الله تعالى جعل جزاء ضلالتهم أن يتركه فيها. قال ابن الأنباري: خاطب الله العرب بلسانها، وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر، يقول أحدهم: إن زارنا عبد الله فلنكرمه، يقصد التوكيد، ويثبته على أني ألزم نفسي إكراهه؛ ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء على معنى: قل يا محمد: مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَاللَّهُمَّ مَدِّ لَهُ فِي النَّعْمِ مَدًّا<sup>(١)</sup>. قال المفسرون: ومعنى مَدَّ اللَّهُ تعالى له: إمهاله في العي. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني الذين مَدَّم في الضلالة. وإنما أخبر عن الجماعة، لأن لفظ «مَنْ» يصلح للجماعة. ثم ذكر ما يوعدون فقال: ﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾ يعني: القتل، والأسر ﴿وَبِئْسَ الْمَكَانُ﴾ يعني: القيامة وما يُعَدُّوا فيها من الخلود في النار ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ يعني: الآخرة، أهم، أم المؤمنون؟ لأن مكان هؤلاء الجنة، ومكان هؤلاء النار، ﴿وَيَعْلَمُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يعني: يعلمون بالنصر والقتل من «أَضَعُفُ جُنْدًا» جندهم، أم جند رسول الله ﷺ. وهذا ردٌ عليهم في قولهم: ﴿يَأْتِي الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَبَاتًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَبَزِيدُ اللَّهِ الْيَوْمَ أَهْتَدُوا هُدًى﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: ويزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد إيماناً. والثاني: يزيدهم بصيرةً في دينهم. والثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيماناً، فكلما نزلت سورة زاد إيمانهم. والرابع: يزيدهم إيماناً بالناسخ والمنسوخ. والخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ. قال الزجاج: المعنى: إن الله تعالى يجعل جزاءهم أن يزيدهم يقيناً، كما جعل جزاء الكافر أن يمدّه في ضلالتهم.

قوله تعالى: ﴿وَابْتَلَيْتُ الصَّالِحِينَ﴾ قد ذكرناها في سورة [الكهف: ٤٦]. قوله تعالى: ﴿وَحَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ المرء هاهنا مصدر مثل الرد، والمعنى: وخيرٌ رداً للثواب على عاملها، فليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ۖ أَلَمْ يَلْعَلِ الْغَيْبُ أَرْقَضَهُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ كَلَّا سَكَتَ لَكُمْ مَا يَقُولُ وَنَسَىٰ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ وَرَبُّهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن حَبَّاب [بن الأرت] قال: كنت رجلاً قيناً [أي: حداداً] وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضه، فقال: [لا] والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت، ثم بُعثت. قال: فإني إذا مِتُّ ثم بُعثت جنتني ولي ثُمَّ مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله تعالى: ﴿فَكَرَدًا﴾<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروي عن الحسن. والمفسرون على الأول.

قوله تعالى: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: بفتح الواو. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الواو. وقال الفراء: وهما لغتان، كالعدم، والعلم، وليس يجمع، وقيس تجعل الولد جمعاً،

(١) في النسخة الاستبولية: فاللهم مد له في العمر مدًّا.

(٢) «البخاري» ٣٢٦/٨، ومسلم ٢١٥٣/٤، ورواه أحمد في «المستد» ١١٠/٥، «الترمذي» ١٤٥/٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والولد، بفتح الواو، واحداً. وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد في الجنة على زعمكم. والثاني: في الدنيا. قال ابن الأنباري: وتقدير الآية: أرايته مصيباً؟

قوله تعالى: ﴿الْمَلْعَ اللَّيْبَ﴾ قال ابن عباس في رواية: أعلم ما غاب عنه حتى يعلم أفي الجنة هو، أم لا؟ وقال في رواية أخرى: أنظر في اللوح المحفوظ؟

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَقَدُّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟ قاله ابن عباس. والثاني: أم قدم عملاً صالحاً، فهو يرحوه؟ قاله قتادة. والثالث: أم عهد إليه أنه يدخله الجنة؟ قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال والولد. ويجوز أن يكون معنى «كَلَّا» أي: إنه لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند الله عهداً. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثبات قوله عليه لنجاسته به، ﴿وَنُنَدِّي لِمَنْ الْأَمْثَابِ مَدًّا﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعض. وقرأ أبو العالية الرياحي، وأبو رجاء العطاردي: «سيكتب» «ويرثه» بياء مفتوحة.

قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان: أحدهما: نرثه ما يقول أنه له في الجنة، فنجعله لغيره من المسلمين، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء. والثاني: نرث ما عنده من المال، والولد، ياهلكنا إياه، وإبطال ملكه، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة. قال الزجاج: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعله لغيره.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا قَدًّا﴾ أي: لا مال ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَهُ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبَيْعَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ ﴿فَلَا تَحْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالَهُ﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿يَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما قدرُوا، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا مِنَّا بِمُؤَدِّينَ﴾ [القصاص: ٦٣] لأنها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يكذبونهم ويلعنونهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ قال الزجاج: في معنى هذا الإرسال وجهان: أحدهما: خلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من القبول منهم. والثاني: وهو المختار: سلطناهم عليهم، وقبضناهم لهم بكفرهم. ﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً حتى يركبوا المعاصي. وقال الفراء: ترعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها. قال ابن فارس: يقال: أزه على كذا: إذا أغراه به، وأزث القدر: غلث.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم. وزعم بعضهم أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا﴾ في هذا المعداد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أنفاسهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال طاووس، ومقاتل. والثاني: الأيام، والليالي، والشهور، والسنون، والساعات، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أنها أعمالهم، قاله قطرب.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نُحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ﴾ ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نُحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضهم: هذا متعلق بقوله: «ويكونون عليهم ضداً، يوم نحشر المتقين» وقال بعضهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتقين، وهم الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معصيته. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «يوم يحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين «وَيُسَوِّقُ» بياء مفتوحة ورفع السين. وقرأ أبي بن كعب، والحسن البصري، ومعاذ القاري، وأبو المتوكل الناجي: «يوم يُحْشَرُ» بياء مرفوعة وفتح الشين «المتقون» رفعاً «وَيُسَاقُ»



بألف وياء مرفوعة «المجرمون» بالواو على الرفع. والوفد: جمع وافد، مثل: ركب، وزاكب، وصخب، وصاحب. قال ابن عباس، وعكرمة، والفراء: الوفد: الركبان. قال ابن الأنباري: الركبان عند العرب: ركب الإبل. وفي زمان هذا الحشر قولان: أحدهما: أنه من قبورهم إلى الرحمن، قاله علي بن أبي طالب. والثاني: أنه بعد الحساب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُودًا﴾ قال ابن عباس، وأبو هريرة، والحسن: عطاشاً. قال أبو عبيدة: الورد: مصدر الوزود. وقال ابن قتيبة: الورد: جماعة يردون الماء، يعني: أنهم عطاش، لأنه لا يرد الماء إلا العطشان. وقال ابن الأنباري: معنى قوله: «زوداً»: واردين.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي: لا يشفعون، ولا يُشَفِّعُ لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال الزجاج: جائز أن يكون «من» في موضع رفع على البدل من الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً؛ وجائز أن يكون في موضع نصب على استثناء ليس من الأول، فالمعنى: لا يملك الشفاعة المجرمون، ثم قال: «إلا» على معنى «لكن» ﴿مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فإنه يملك الشفاعة. والعهد هاهنا: توحيد الله والإيمان به. وقال ابن الأنباري: تفسير العهد في اللغة: تقدمه أمر يُعْلَمُ ويُحْفَظُ، من قولك: عهدت فلاناً في المكان، أي: عرفته، وشهدته.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ ﴿تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَغَضَبَ لِلْجِبَالِ هَذَا﴾ ٩٠ ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَتَى الرَّحْمَنُ عِندًا﴾ ٩٣ ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ عِندًا﴾ ٩٤ ﴿وَكُلُّهُمْ مَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ يعني: اليهود، والنصارى، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ أي: شيئاً عظيماً من الكفر. قال أبو عبيدة: الإذ، والتكر: الأمر المتناهي العظم.

قوله تعالى: ﴿تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «تكاد» بالتاء. وقرأ نافع، والكسائي: «يكاد»، بالياء. وقرأ جميعاً: «ينفطرن» بالياء والتاء مشددة الطاء، وافقهما ابن كثير، وحفص عن عاصم في «ينفطرن»، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «ينفطرن» بالنون. وقرأ حمزة، وابن عامر في (مريم) مثل أبي عمرو، وفي (عسق: ٥) مثل ابن كثير. ومعنى: «ينفطرن منه»: يقاربن الانشقاق من قولكم. قال ابن قتيبة: وقوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ أي: سقوطاً.

قوله تعالى: ﴿أَن دَعَا﴾ قال الفراء: من أن دعا، ولأن دعوا. وقال أبو عبيدة: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاء الصوت، وأنشد:

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحاً وَإِنْ تَغِبَ تَجِدُهُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ أي: ما يصلح له، ولا يليق به اتخاذ الولد، لأن الولد يقتضي مجانسة، وكل متخذ ولدأ يتخذ من جنسه، والله تعالى منزّه عن أن يجانس شيئاً، أو يجانسه، فمحال في حقه اتخاذ الولد، ﴿إِنْ كُلُّ﴾ ٩٣ أي: ما كل ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَتَى الرَّحْمَنِ﴾ يوم القيامة ﴿عِندًا﴾ ذليلاً خاضعاً. والمعنى: أن عيسى وعزيراً والملائكة عبيد له. قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دلالة على أن الوالد إذا اشترى ولده، لم يبق ملكه عليه، وإنما يعتق بنفس الشراء، لأن الله تعالى نفى البتوة لأجل العبودية، فدل على أنه لا يجتمع بتوة ورب.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ﴾ أي: علم عددهم ﴿وَعَدَّاهُمْ عِدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ مَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ بلا مال، ولا نصير يمنع. فإن قيل: لآية علّة وحّد في «الرحمن» و«آتيه» ونجم في العائد في

«أحصاهم»، و«عدهم». فالجواب: أن لكل لفظ توحيد، وتأويل جمع، فالتوحيد محمول على اللفظ، والجمع مصروف إلى التأويل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ١١١﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ١١٢ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرِينٍ هَلْ يَحْشُرُهُمْ رَبُّكَ أَفَ كَرًا ١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال ابن عباس: نزلت في علي عليه السلام، وقال معناه: يحبهم، ويحببهم إلى المؤمنين. قال قتادة: يجعل لهم وُدًّا في قلوب المؤمنين. ومن هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحيوه، فينادي جبريل في السموات: إن الله يحب فلاناً فأحيوه، فيلقى جبه على أهل الأرض فيحبُّه، وذكر في البغض مثل ذلك<sup>(١)</sup>». وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ﷻ، إلا أقبل الله ﷻ بقلوب أهل الإيمان إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَنصَرَفْ كَيْدَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني: القرآن. قال ابن قتيبة: أي، سهلناه، وأنزلناه بلغتك. واللَّدُّ، جمع أَلَدٌ، وهو الحَصَمُ الجَدِل.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ هذا تخويف لكفار مكة ﴿هَلْ يَحْشُرُهُمْ رَبُّكَ أَفَ كَرًا﴾ قال الزجاج: أي: هل ترى، يقال: هل أحسست صاحبك، أي: هل رأيته؟ والرُّكُز: الصوت الخفي؛ وقال ابن قتيبة: الصوت الذي لا يُفْهَم، وقال أبو صالح: حركة، [والله تعالى أعلم].



(١) «البخاري» ٢٢٠/٦ و ٣٨٦/١٠، وليس فيه ذكر البغض مثل ذلك، ورواه «مسلم» ٢٠٣٠/٤، ولفظه عنده بتمامه: «إن الله إذا أحب عبداً، دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً، فأحيه، قال: فيحيه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحيوه، فيحيه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً، دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض».

## سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى ﴿٢﴾ تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَاسْتَدْرَجَ الْأُفْلَ ﴿٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَرَشَ اسْتَدْرَجَ ﴿٤﴾ لَمْ يَأْمُرْ بِالْقُرْآنِ وَفِي السَّمْعِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الْأَرْتِى ﴿٥﴾ وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾

وهي مكية كلها بإجماعهم. وفي سبب نزول (طه) ثلاثة أقوال. أحدها: أن رسول الله ﷺ كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله [علي] <sup>(١)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه القرآن صلى هو وأصحابه فأطال القيام، فقالت قريش: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك <sup>(٢)</sup>. والثالث: أن أبا جهل، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدي، قالوا لرسول الله ﷺ: إنك لتشقى بترك ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل <sup>(٣)</sup>. وفي «طه» قراءات. قرأ ابن كثير، وابن عامر: «طه» بفتح الطاء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الطاء والهاء. وقرأ نافع: «طه» بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب؛ كذلك قال خلف عن المسيبي. وقرأ أبو عمرو: بفتح الطاء وكسر الهاء، وروى عنه عباس مثل حمزة. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية: بكسر الطاء وفتح الهاء. وقرأ الحسن: «طه» بفتح الطاء وسكون الهاء. وقرأ الضحاك، ومورق: «طه» بكسر الطاء وسكون الهاء. واختلفوا في معناها على أربعة أقوال: أحدها: أن معناها: يا رجل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة؛ واختلف هؤلاء بأي لغة هي، على أربعة أقوال: أحدها: بالنبطية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير في رواية، والضحاك. والثاني: بلسان عك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: بالسريانية، قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في رواية، وقادة. والرابع: بالحبشية، قاله عكرمة في رواية. قال ابن الأنباري: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى. والثاني: أنها حروف من أسماء. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها من أسماء الله تعالى. ثم فيها قولان: أحدهما: أن الطاء من اللطيف، والهاء من الهادي، قاله ابن مسعود، وأبو العالية، والثاني: أن الطاء افتتاح اسمه «طاهر» و«طيب» والهاء افتتاح اسمه «هادي» قاله سعيد بن جبير. والقول الثاني: أنها من غير أسماء الله تعالى. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطاء من طابة، وهي مدينة رسول الله ﷺ، والهاء من مكة، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أن الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار. والثالث: أن الطاء في حساب الجمل تسعة، والهاء خمسة، فتكون أربعة عشر. فالمعنى: يا أيها البدر ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، حكى القولين الثعلبي. والثالث: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد شرحنا معنى كونه اسماً في فاتحة (مريم). وقال القرطبي: أقسم الله بظوله وهدايته؛ وهذا القول قريب المعنى من الذي قبله. والرابع: أن معناه: طأ الأرض بقدميك، قاله مقاتل بن حيان <sup>(٤)</sup>. ومعنى قوله ﴿لَتَشْقَى﴾: لتتعب وتبلغ من الجهد ما قد بلغت، وذلك أنه اجتهد في العبادة وبالع، حتى إنه كان يراوح بين قدميه لطول القيام، فأمر بالتخفيف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٨٨/٤ من رواية البزار عن علي <sup>(١)</sup>.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٤، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨٩/٤ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٤.

(٤) قال أبو جعفر بن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذَكَّرَ﴾ قال الأخفش: هو بدل من قوله: «لتشقى»، ما أنزلناه إلا تذكرة، أي: عظة.

قوله تعالى: ﴿تَزِيلًا﴾ قال الزجاج: المعنى: أنزلناه تنزيلاً، و﴿أَنْتَ﴾ جمع العُلَيَّا، تقول: سماءُ عُلَيَّا، وسموات عُلَيَّا، مثل الكُبَرَى، والكُبَر. فاما «الثرى» فهو التراب الندي، والمفسرون يقولون: أراد الثرى الذي تحت الأرض السابعة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَهَرُوا بِأَلْقَائِهِ﴾ أي: ترفع صوتك ﴿وَإِنَّهُمْ يَكْمُنُكَ﴾ والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصوت، فإن الله يعلم السر. وفي المراد به السر وأخفى: خمسة أقوال: أحدها: أن السر: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعدد وسيكون، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: أن السر: ما حدثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أن السر: العمل الذي يُبهر الإنسان من الناس، وأخفى منه: الوسوسة، قاله مجاهد. والرابع: أن معنى الكلام: يعلم إسرار عباده، وقد أخفى سره عنهم فلا يُعلم، قاله زيد بن أسلم، وابنه. والخامس: يعلم ما أسره الإنسان إلى غيره، وما أخفاه في نفسه، قاله الفراء.

﴿وَقُلْ أَنْتَ هَذَا حَدِيثٌ مُؤَيَّدٌ﴾ ١ إِذْ رَأَى تَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ٢ ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُؤَيَّدٍ﴾ ٣ إِنْ أَنَا رَبُّكَ فَخَلَعَ نَعْيَكَ ٤ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ٥ وَأَنَا أَخَفَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ٦ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاقْبَلْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلْكَافِرِينَ ٧ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِشَجَرٍ كُلِّ ثَمَرٍ إِذَا أَفْتَحْنَا بِهَا شَجَرَهُ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَاهُ ٨

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَنْتَ هَذَا حَدِيثٌ مُؤَيَّدٌ﴾ ١ هذا استفهام تقرير، ومعناه: قد أتاك. قال ابن الأنباري: وهذا معروف عند اللغويين أن ثاني «هل» معبرة عن «قد»، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللهم هل بلغت؟»<sup>(١)</sup>، يريد: قد بلغت. قال وهب بن منبه: استأذن موسى شعبياً ﷺ في الرجوع إلى والدته، فأذن له، فخرج بأهله، فؤله في الطريق في ليلة شتية، ففدح فلم يُور الزناد، فبينما هو في مزاولة ذلك، أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق؛ وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في كتاب «الحقائق» فكرهنا إطالة التفسير بالقصص، لأن غرضنا الاختصار على التفسير ليسهل حفظه<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: رأى نوراً، ولكن أخبر بما كان في ظن موسى. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأته ﴿امْكُثُوا﴾ أي: أقيموا مكانكم. وقرأ حمزة: «لِأَهْلِهِ امْكُثُوا» بضم الهاء هاهنا وفي [القصص: ٢٩]. ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ قال الفراء: إني وجدت، يقال: هل آنستُ أحداً، أي: وجدت؟ وقال ابن قتيبة: «آنستُ» بمعنى أبصرت. فاما القَبَسُ، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة.

قوله تعالى: ﴿وَأُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ قال الفراء: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر. قال ابن الأنباري: يجوز أن تكون: «على» هاهنا بمعنى «عند»، وبمعنى «مع»، وذكر أهل التفسير أنه كان قد ضلَّ الطريق، فلمع أن النار لا تخلو من مُوقد. وحكى الزجاج: أنه ضل عن الماء، فرجا أن يجد من يهديه الطريق أو يدلّه على الماء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُؤَيَّدٍ﴾ يعني: النار ﴿نُودِيَ بِمُؤَيَّدٍ﴾ ٣ إِنْ أَنَا رَبُّكَ ٤ إِنَّمَا كَرَّرَ الْكُنَايَةَ، لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإزالة الشبهة، ومثله ﴿وَبَرَأْنَا إِلَيْكَ الْأَلْبُسَ﴾ [الحجر: ٨٩]. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «أَنِّي» بفتح الألف والياء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إِنِّي» بكسر الألف، إلا أن نافعاً فتح الياء. قال الزجاج: من قرأ: «أَنِّي أنا» بالفتح، فالمعنى: نودي [بأنِّي أنا ربك، ومن قرأ بالكسر، فالمعنى: نودي] يا موسى، فقال الله: إِنِّي أَنَا رَبُّكَ.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٤٥٨/٣ عن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «يا أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام، قال: «أي يوم هذا؟» قالوا: قال: «أي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «فإن مءاءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمه يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، فأعادهما مراراً، ثم رفع رأسه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت»، قال ابن عباس ؓ: فوالذي نفسي بيده، إنها لوصيته إلى أمته، «فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفراً يضرب بعضهم رقاب بعض»، ورواه أحمد في «المسند» ومسلم بلفظ آخر.

(٢) ذكره بطوله السيوطي في «الدرر» ٢٩٠/٤ من رواية أحمد في «الزهدي»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه.



قوله تعالى: ﴿فَاتْلَعْ نَمَلِكُ﴾ في سبب أمره بخلعهما قولان: أحدهما: أنهما كانا من جلد حمار ميت، رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعكرمة. والثاني: أنهما كان من جلد بقرة ذكيت، ولكنه أمر بخلعهما ليباشر تراب الأرض المقدسة، فتناله بركتها، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في [المائدة: ٢١] عند قوله: ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ قوله تعالى: ﴿طَوًى﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طوى وأنا» غير مُجْزَأَةٍ<sup>(٢)</sup>. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «طَوًى مُجْزَأَةٍ»<sup>(٣)</sup>، وكلهم ضم الطاء. وقرأ الحسن، وأبو حية: «طَوًى» بكسر الطاء مع التنوين. وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو: «طَوًى» بكسر الطاء من غير تنوين. قال الزجاج: في «طَوًى» أربعة أوجه: طَوًى، بضم أوله من غير تنوين وبتنوين. فمن نَوَّه، فهو اسم للوادي. وهو مذكَّر سمي بمذكَّر على فُعْلٍ نحو حُطِّمَ وضُرِّدَ، ومن لم ينوَّه ترك صرفه من جهتين: إحداهما: أن يكون معدولاً عن طَوًى، فيصير مثل «عَمَرَ» المعدول عن عامر، فلا ينصرف كما لا ينصرف «عَمَرَ». والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعة، كقوله: ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصر: ٣٠]، وإذا كُيِّرَ ونَوَّه فهو مثل يعي. والمعنى: المقدَّس مرَّةً بعد مرَّةً، كما قال عدي بن زيد:

أَعَاذِلْ، إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ  
عَلَيَّ طَوًى مِنْ غَيْبِكَ الْمُتَرَدِّدِ<sup>(٤)</sup>

أي: اللوم المكرر عليّ؛ ومن لم ينوَّه جعله اسماً للبقعة. [ولللمفسرين في معنى «طَوًى» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الوادي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «طَوًى»: طِإ الوادي، رواه عكرمة عن ابن عباس، وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنه قدَّس مرتين، قاله الحسن، وقتادة.]

قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ أي: اصطفيْتُكَ. وقرأ حمزة، والمفضل: «وَأَنَا» بالنون المشددة «اخترناك» بالفتح. ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُرْسَخُ﴾ أي: للذي يوحي. قال ابن الأنباري: الاستماع هاهنا محمول على الإنصات، المعنى: فأنصت لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ أي: وحُدني، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيه قولان: أحدهما: أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة، سواء كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين. وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفار لها غير ذلك»، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٥)</sup>. والثاني: أقم الصلاة لتذكركني فيها، قاله مجاهد. وقيل: إن الكلام مردود على قوله: ﴿فَاسْتَمِعْ﴾، فيكون المعنى: فاستمع لما يوحي، واستمع لذكرتي. وقرأ ابن مسعود: وأبي بن كعب، وابن السميع: «وأقم الصلاة للذكرى» بلامين وتشديد الذال.

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أَخْفِيَا﴾ أكثر القراء على ضم الألف. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن علي: أكاد أخفيها من نفسي، قال الفراء: المعنى: فكيف أظهركم عليها؟ قال الميرد: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى مِنْ نَفْسِي، أي: لم أطلع عليه أحداً. والثاني: أن الكلام تم عند قوله: «أكاد»، وي بعده مضمّر تقديره: أكاد آتي بها، والابتداء: أخفيها، قال ضايع البرجمي:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْسَنِي  
تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالِيْلَهُ<sup>(٦)</sup>

أراد: كدت أفعل. والثالث: أن معنى «أكاد»: أريد، قال الشاعر:

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٦/١ وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، وحيد هو ابن علي الأعرج الكوفي، منكر الحديث، وذكره الطبري ١٤٤/١٦ وقال: في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

(٢) أي: غير مصروقة.

(٣) «الطبري» ١٤٥/١٦، و«مجاز القرآن» ١٦/٢، و«اللسان»: طوى، و«التاج»: نثى.

(٤) رواه البخاري في كتاب «مواقيت الصلاة»، باب من نسي صلاة فليصل، ورواه مسلم ٤٧٧/١، وأبو داود رقم (٤٤٢).

(٥) «الطبري» ١٥٢/١٦، و«القرطبي» ١٨٣/١١، و«البحر» ٢٣٣/٦.

كَادَتْ وَكَذُتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ

لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى<sup>(١)</sup>

معناه: أرادت وأردت، ذكرهما ابن الأنباري. فإن قيل: فما فائدة هذا الإخفاء الشديد؟ فالجواب: أنه للتحذير والتخويف، ومن لم يعلم متى يهجم عليه عدوه كان أشد حذراً. وقرأ سعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء العطاردي، وحמיד بن قيس: «أخفيها» بفتح الألف. قال الزجاج: ومعناه: أكاد أظهرها، قال امرؤ القيس:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا تَخْفُو

وَإِنْ تَتَّبِعُوا الْحَرْبَ لَا تَنْفُذُ<sup>(٢)</sup>

أي: إن تدفنوا الداء لا تظهره. قال: وهذه القراءة أبين في المعنى، لأن معنى: «أكاد أظهرها»: قد أخفيها وكادت أظهرها. «لَتَجْزِيَنَّ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَتْ» أي: بما تعمل. «وَلَتَجْزَى» متعلق بقوله: «إن الساعة آتية» لتجزي، ويجوز أن يكون على «أقم الصلاة للذكرى» لتجزي.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ أي: من لا يؤمن بكونها، والخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع أمته، ﴿وَأَتَتْهُ هَوًى﴾ أي: مُرادُه وخالف أمر الله ﷻ، ﴿فَكَذَّبَ﴾ أي: فَتَهْلِكَ، قال الزجاج: يقال: رَدَى يَرْدَى: إذا هلك.

﴿وَمَا تِلْكَ يَبِينُكَ يَتُومَنُ﴾ ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَوَكُفُّوا عَلَيْهَا وَأَفْشُ بِهَا عَلَى عَنِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ١٨ قَالَ أَلَيْهَا يَتُومَنُ ١٩ فَالْقَنَافَا إِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَتْ ٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَهْتَفْ سَتُحِيدُهَا سِيرَتُهَا الْأُولَى ٢١ وَأَسْمُكُمْ يَدُوكَ إِنْ جَنَّاكَ تَخْرُجُ بَيْعَةً مِنْ غَيْرِ مَوْءَاةٍ أُخْرَى ٢٢ لِزَيْكٍ مِنْ ءَايَتِنَا الْكُبْرَى ٢٣

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَبِينُكَ﴾ قال الزجاج: «تلك» اسم مبهم يجري مجرى «التي»، والمعنى: ما التي يبينك؟

قوله تعالى: ﴿أَوَكُفُّوا عَلَيْهَا﴾ التوكُّفُ: التحامل على الشيء ﴿وَأَفْشُ بِهَا﴾ قال الفراء: أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي: قال الزجاج: واشتقاقه من أتى أحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان. والمأرب: الحاجات، واحدها: مأربة، ومأربة. وروى قتيبة، وورش: «مأرب» بإمالة الهمزة. فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: «وما تلك يبينك» وهو يعلم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن لفظه لفظ الاستفهام، ومجره مجرى السؤال، ليجيب المخاطب بالإقرار به، فثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد، ومثله في الكلام أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء، فتضع عليه شيئاً من الصبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: ألسنت قد اعترفت بأنه ماء؟ فثبت عليه الحجة، هذا قول الزجاج. فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرَّر موسى أنها عصا لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حيَّة، فوقع المُعْجِزُ بها بعد التثبيت في أمرها. والثاني: أنه لما أطلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم، أراد أن يوانسه ويخفف عنه يثقل ما كان فيه من الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فإن قيل: قد كان يكفي في الجواب أن يقول: «هي عصاي»، فما الفائدة في قوله: «أتوكُّفُّا عليها» إلى آخر الكلام، وإنما يُشرَح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أجاب بقوله: «هي عصاي»، فقليل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جواباً عن سؤال ثانٍ، قاله ابن عباس، وهب. والثاني: أنه إنما أظهر فوائدها، وبيَّن حاجته إليها، خوفاً [من] أن يأمره بإلقائها كالنملين، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنه بيَّن منافعها لئلا يكون عابثاً بحملها، قاله الماوردي. فإن قيل: فلم اقتصر على ذكر بعض منافعها ولم يُبَيِّن الشرح؟ فعنه [ثلاثة] أجوبة: أحدها: أنه كره أن يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعها. والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التعداد. والثالث: أنه اقتصر على اللازم دون العارض. وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهى الثمار<sup>(٣)</sup>. وفي جنسها

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ١٥١/١٦، و«القرطبي» ١٨٤/١١، و«اللسان» و«التاج»: كود.

(٢) البيت لامرؤ القيس، «ديوانه» ١٨٦، و«الطبري» ١٥٠/١٦، و«مجاز القرآن» ١٧/٢، و«القرطبي» ١٨٢/١١، و«اللسان» و«التاج»: خفا. وقوله: لا تُخْفِيه، بفتح النون: أي: لا تُظْهِره، وكذا قرئ قوله تعالى: ﴿أَكَاذِبُ أَثْبَتًا﴾ أي: أظهرها.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» ١٤٥/٣: وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المأرب التي أبهت، فقليل كانت تضيء بالليل، وتحرس له الغنم إذا نام،

قولان: أحدهما: أنها كانت من آس الجنة. قاله ابن عباس. والثاني: [أنها] كانت من عوسج. فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: «أخرى» ولم يقل: «أخر»؟ فالجواب: أن المآرب في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَكُونُونَ﴾ قال المفسرون: ألقاها، ظناً منه أنه قد أمر برفضها، فسمع حساً فالتفت فإذا هي كأعظم ثعبان تمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، فهرب منها. وفي وجه الفائدة في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان: أحدهما: لثلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون. والثاني: ليريه أن الذي أبعثك إليه دون ما أريتك، فكما ذللت لك الأعظم وهو الحية، أدلت لك الأدنى. ثم إن الله تعالى أمره بأخذها وهي على حالها حيّة، فوضع يده عليها فعادت عصاً، فذلك قوله: ﴿سَتَجِدَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ قال الفراء: طريقته، يقول: تردّها عصى كما كانت. قال الزجاج: «وسيرتها» منصوبة على إسقاط الخافض وإفضاء الفعل إليها، المعنى: سئيدها إلى سيرتها. فإن قيل: إنما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مرّة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنه يقول في [الأعراف: ١٠٧]: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ مُبِينٌ﴾، وهانها: «حية»، وفي مكان آخر: ﴿كَأَنَّهُ جَذَّةٌ﴾ [النمل: ٢٠]، والجأن ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟ فالجواب: أن صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحية اسم يقع على الصغير والكبير والذكر والأنثى. وقال الزجاج: خلّفها خلّق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركتها وخففتها كاهتزاز الجأن وخففتها. قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُهُ يَذَكُ إِلَى جَنْحِكَ﴾ قال الفراء: الجناح من أسفل العضد إلى الإبط. وقال أبو عبيدة: الجناح ناحية الجنب، وأنشد:

أَسْمُهُ لَلصَّادِرِ وَالْجَنَاحِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ بَيْضَةً مِنْ فَرْجِ سَوْءٍ﴾ أي: من غير برص «آية أخرى» أي: دلالة على صدق سوى العصا. قال الزجاج: ونصب «آية» على معنى: آتينك آية، أو نؤتيك [آية].

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ لَدُنَّا الْكِبَرَى﴾. إن قيل: لم يقل: «الكبر» فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه كقوله: ﴿مَتَارِبُ أُخْرَى﴾ وقد شرحناه، هذا قول الفراء. والثاني: أن فيه إضمار تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى. وقال أبو عبيدة: فيه تقديم وتأخير، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا. والثالث: إنما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثعلبي.

﴿أَهَبَ لِي فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ<sup>(١٨)</sup> قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي<sup>(١٩)</sup> وَيَرِّحْ لِي أَمْرِي<sup>(٢٠)</sup> وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي<sup>(٢١)</sup> يَقْفَهُوا قَوْلِي<sup>(٢٢)</sup> وَلَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي<sup>(٢٣)</sup> هَؤُلَاءِ أَخِي<sup>(٢٤)</sup> أَشَدُّ بِؤْسًا<sup>(٢٥)</sup> وَأَشْرَكَ<sup>(٢٦)</sup> فِي أَمْرِي<sup>(٢٧)</sup> كَيْ سَمِعَكَ كَبِيرًا<sup>(٢٨)</sup> وَتَذَكَّرَكَ كَبِيرًا<sup>(٢٩)</sup> إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَعِيرًا<sup>(٣٠)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ أي: جاوز الحد في العصيان.

قوله تعالى: ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ قال المفسرون: ضاق موسى صدرًا بما كلف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه للحق حتى لا يخاف فرعون وجنوده. ومعنى قوله: ﴿وَيَرِّحْ لِي أَمْرِي﴾: ﴿سَهِّلْ عَلَيَّ مَا بَعَثْتَنِي لَهُ. وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي﴾ قال ابن تقيّة: كانت فيه رتة<sup>(٣١)</sup>. قال المفسرون: كان فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغير، فجر<sup>(٣٢)</sup> لحية فرعون بيده، فهمّ بقتله، فقالت له آسية: إنه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، فأخذ موسى جمره فوضعها في فيه فأحرق لسانه وصار فيه عقدة،

١ - ويفرّسها تصغير شجرة تظله، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى صبرورثها ثعباناً، فما كان يفرّ منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية، وكذلك قول بعضهم: إنها كانت لأدم عليه السلام، وقول الآخر: إنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة.

(١) الرجز غير منسوب في: «الطبري» ١٦/١٥٧، ومجاز القرآن ٢/١٨، و«القرطبي» ١١/١٩١.

(٢) الرتة، بالضم: عجلة في الكلام، وقيل: أناة، وقيل: هو أن يقلب اللام ياء.

(٣) في الأصل: فعد، وسنأتي بعد قليل «جر».

فسأل خَلَّها ليفهموا كلامه<sup>(١)</sup>. وأما الوزير، فقال ابن قتيبة: أصل الوزارة من الوزر وهو الجمل، كان الوزير قد حمل عن السلطان الثقل. وقال الزجاج: اشتقاقه من الوزر، والوزر: الجبل الذي يُحتصم به لينجى من الهلكة، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه. ونصب «هارون» من جهتين: إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فيتصب «وزيراً» على أنه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون «هارون» بدلاً من قوله: «وزيراً»، فيكون المعنى: اجعل لي وزيراً من أهلي، [ثم] أبدل هارون من وزير؛ والأول أجود. قال الماوردي: وإنما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيراً، لأنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألة. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح ياء «أخي».

قوله تعالى: ﴿أَتَذَكَّرُ بِهِ نَبِيِّي﴾ قال الفراء: هذا دعاء من موسى، والمعنى: أشدُّ به يا ربُّ أزرِي، وأشركه يا ربُّ في أمري. وقرأ ابن عامر: «أشدد» بالالف مقطوعة مفتوحة، «وأشركه» بضم الألف، وكذلك يبتدئ بالالفين. قال أبو علي: هذه القراءة على الجواب والمجازاة، والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قبله دعاء، ولأن الإشارك في النبوة لا يكون إلا من الله ﷻ. قال ابن قتيبة: والأزر: الظهر، يقال: آزرت فلاناً على الأمر، أي: قوّيته عليه وكنت له فيه ظهراً.

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكُوا فِي أُمْرِ﴾ أي: في النبوة معي ﴿كَيْ تَسْجَلَ﴾ أي: نصلي لك ﴿وَتَذَكَّرَ﴾ بالسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نعمك ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِمَا يَبْغِيكَ﴾ أي: عالماً إذ خصصتنا بهذه النعم.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَى﴾ وَقَدْ مَنَّ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى﴾ أَوْ تَقْبِضُهُ فِي الْكَافِرِينَ قَاتِلِيهِ فِي الْبَرِّ قَاتِلِيهِ أَيْمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ مَدُّو لِي وَصَدُّو لَمْ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلَوُصَّحَ عَلَى عَيْتِي ﴿إِذْ تَتَقَبَّلُ لِنَفْسِكَ فَقَوْلُ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَحَمَتِكَ إِنَّ إِلَهَ أَيْمِكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَفَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّا فِتْنًا فَلَيْتَ مَسِينٍ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يٰمُوسَى ﴿وَأَمْلَكْنَاهُ لِقَايَ ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَلَوْكَ بِأَيِّتِي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: طَلِبَتَكَ، وهو: «فعل» من «سألت»، أي: أعطيت ما سألت.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمنا عليك ﴿مَرَّةً أُخْرَى﴾ قبل هذه المنة. ثم بين متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرًا يٰمُوسَى﴾ أي: ألهمناها ما يلهم مما كان سبباً لنجاتك، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنْ أَتَقْبِضُهُ فِي الْكَافِرِينَ﴾ وقذف الشيء: الرمي به. فإن قيل: ما فائدة قوله: «ما يوحى» وقد علم ذلك؟ فقد ذكر عنه ابن الأنباري جوابين: أحدهما: أن المعنى: أوحينا إليها الشيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنها ليست بنبي، وذلك أنها ألهمت. والثاني: أن «ما يوحى» أفاد توكيداً، كقوله: ﴿فَنَسَّهَا مَا غَشَى﴾ [النجم: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ أَيْمٌ﴾ قال ابن الأنباري: ظاهر هذا الأمر، ومعناه معنى الخبر، تأويله: يلقيه [اليَمُّ]، ويجوز أن يكون البحر مأموراً بآلته ركبها الله تعالى فيه، فسمع وعقل، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار. فاما الساحل، فهو: شط البحر. ﴿يَأْخُذُهُ مَدُّو لِي وَصَدُّو لَمْ﴾ يعني: فرعون. قال المفسرون: اتخذت أمه تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى وأحكمت بالقار شقوق التابوت، ثم ألقت في النيل، وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون، فبينما هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية، إذا بالتابوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذه، فلما فتحوه رأوا صبيّاً من أصبح الناس وجهاً؛ فلما رآه فرعون أحبه حبّاً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾، [قال أبو عبيدة: ومعنى «القيتُ عليك» أي: جعلتُ لك مَحَبَّةً مِنِّي]. قال ابن عباس: أحبه وحبه إلى خلقه، فلا يلقاه أحد إلا أحبه من مؤمن وكافر. وقال قتادة: كانت في عينه ملاحه، فما رآه أحد إلا حبه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوُصَّحَ عَلَى عَيْتِي﴾ وقرأ أبو جعفر: «ولُصَّح» بسكون اللام والعين والإدغام. قال قتادة: لثغدي على

(١) وقد استجاب الله له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَى﴾.



محبتي وإرادتي. قال أبو عبيدة: على ما أريد وأجب. قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غُذِيَ فلان على عيني، أي: على المحبة مني. وقال غيره: لثَرَبِي وتغذي بمرأى مني، يقال: صنع الرجل جاريته، إذا ربَّاهَا؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولتَصْنَعْ على عيني، قَدَرْنَا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ لأن هذا كان من أسباب تربيته على ما أراد الله ﷻ. فأما أخته، فقال مقاتل: اسمها مريم. قال الفراء: وإنما اقتصر على ذكر المشي، ولم يذكر أنها مشت حتى دخلت على آل فرعون فدلَّتْهم على الظَّنِّ<sup>(١)</sup>، لأن العرب تجتزئ بحذف كثير من الكلام، ويقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿أَنَا أَنشَأْتُكُمْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْكَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢٥]، ولم يقل: فأرسل حتى دخل على يوسف. قال المفسرون: سبب مشي أخته أن أمه قالت لها: قُضِيَ، فأتبعت موسى على أثر الماء، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأة، فقالت لهم أخته: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ أي: يُرْضِعُهُ ويضمه إليه، فقبل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنَّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله: ﴿وَرَجَعْتُكَ إِلَى مَدْيَنَ﴾ أي: رددناكِ إليها ﴿كَتَفَرْنَا عَنْهُ﴾ بك وبرؤيتك. ﴿وَقُلْتُ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقضى عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ﴿فَنَجَّيْتُكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقْتَلَ به، فنجاه الله بأن هرب إلى مَدْيَنَ، ﴿وَوَفَّقَكَ فَرَّادًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: اختبرناكِ اختباراً، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أخلصناكِ إخلاصاً، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثالث: ابتليناكِ ابتلاءً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال الفراء: ابتليناكِ بنعم القتل ابتلاءً. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: الفتون: وقوُّه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثم لقاءه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرَّه لحية فرعون حتى هَمَّ بقتله، ثم تناوله الجمرة بدل الدُّرَّةِ، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مَدْيَنَ خائفاً؛ وكان ابن عباس يقصُّ هذه القصص على سعيد بن جبيرة، ويقول له عند كل ثلاثة: وهذا من الفُتُونِ يا ابن جبيرة؛ فعلى هذا يكون «فَتَنَّاكَ» خلَّصناكِ من تلك المحن كما يُفْتَنُ الذهب بالنار فيخلص من كل خبث. والفتون: مصدر.

قوله تعالى: ﴿تَلَيْتُ سِينًا﴾ تقدير الكلام: فخرجت إلى أهل مدين. ومدين: بلد شعيب، وكان على ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى. وقيل: مدين: اسم رجل، وقد سبق هذا [الأعراف: ٩٦]. وفي قدر لبشه هناك قولان: أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: ثمان وعشرون سنة، عشر منهنَّ مهر امرأته، وثمان عشرة أقام حتى وُلِدَ له، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ﴾ أي: جئت لميقاتٍ قَدَرْتُهُ لمجيئكِ قبل خَلْقِكَ، وكان ذلك على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يوحى فيه إلى الأنبياء، هذا قول الأكثرين. وقال الفراء: «على قَدَرٍ» أي: على ما أراد الله به من تكليمه.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْتُكَ بِإِنْفَى﴾ أي: اصطفيتُك واختصصتك، والاصطناع: اتخاذ الصنيعة، وهو الخير تسديه إلى إنسان. وقال ابن عباس: اصطفيتك لرسالتي ووحْيي ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَحْرَقَ بِنَاتِي﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها العصا واليد. وقد يُذكر الاثنان بلفظ الجمع. والثاني: العصا واليد وحلُّ العُقْدَةِ التي ما زال فرعون وقومه يعرفونها، ذكرهما ابن الأنباري. والثالث: الآيات التسع. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْأُكَ﴾ قال ابن قتيبة: لَا تَضْعُفُ وَلَا تَفْشُرُ؛ يقال: وَتَى بني في الأمر؛ وفيه لغة أخرى: وَتَى، يُونَى. وفي المراد بالذكر هاهنا قولان: أحدهما: أنه الرسالة إلى فرعون. والثاني: أنه القيام بالفرائض والتسبيح والتهليل.

﴿أَذْهَبَا إِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّكَ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُبْرِئَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَبْعَثَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ رَأَيْتُ﴾ ﴿فَأَيُّهُمَا قَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَرْحُبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالنَّاسُ لَمَكْرُهُ﴾ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْمَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَوْلُكَ﴾

(١) الظن: العاطفة على ولد غيرها المرغمة له في الناس وغيرهم للذكر والأُنثى.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَكَ فِرْعَوْنَ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذهاب، التوكيد. وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَفَنَ﴾ (طه: ٢٤).

قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «لئنا» بإسكان الياء، أي: لطيفاً رفيقاً. وللمفسرين فيه خمسة أقوال: أحدها: قولاً له: قل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، رواه خالد بن معدان عن معاذ، والضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنه قوله: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا رَبُّكَ﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَنَّا ﴿﴾ [الزاعزعات]، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. والثالث: كُنْيَاهُ، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي. فاما اسمه، فقد ذكرناه في [البقرة: ٤٩]. وفي كنيته أربعة أقوال: أحدها: أبو مُرَّة، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أبو العباس. والرابع: أبو الوليد، حكاهما الثعلبي. والقول الرابع: قولاً له: إِنْ لَكَ رَبًّا، وَإِنْ لَكَ مَعَادًا، وَإِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةٌ وَنَارًا، قاله الحسن. والخامس: أَنْ الْقَوْلَ اللَّيْنُ: أَنْ مُوسَى أَنَاهُ، فَقَالَ لَهُ: تَوْثِنْ بِمَا جِئْتُ بِهِ وَتَعْبِدْ رَبَّ الْعَالَمِينَ، عَلَى أَنَّ لَكَ شَبَابَكَ فَلَا تَهْرَمَ، وَتَكُونَ مَلِكًا لَا يُنْزَعُ مِنْكَ حَتَّى تَمُوتَ، فَإِذَا مِتَّ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا جَاءَ هَامَانَ، أَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ مُوسَى، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ لَكَ رَأْيًا، أَنْتَ رَبُّ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَرْبُوبًا؟! فَقَلْبُهُ عَنْ رَأْيِهِ، قَالَ السَّيِّدِي. وَحَكِي عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: إِلَهِي هَذَا رَفَقَكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا إِلَهٌ، فَكَيْفَ رَفَقَكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنْتَ إِلَهٌ.

قوله تعالى: ﴿لَلَّهُ يَذَّكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ قال الزجاج: «لَعَلَّ» في اللغة: تَرَجُّ وَطَمَعٌ، تقول: لَعَلِّي أَصِيرَ إِلَى خَيْرٍ، فخطب الله ﷻ العباد بما يعقلون. والمعنى عند سيويه: اذْهَبَا عَلَى رَجَائِكُمَا وَطَمَعِكُمَا. والعلم من الله تعالى من وراء ما يكون، وقد عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَخْشَى، إِلَّا أَنَّ الْحُجَّةَ إِنَّمَا تَجِبُ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ وَالْبِرْهَانِ، وَإِنَّمَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا تَدْرِي أَتَقْبَلُ مِنْهَا، أَمْ لَا، وَهَمَّ يَرْجُونَ وَيَطْمَعُونَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ، وَمَعْنَى «لَعَلَّ» مَتَّصِرٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى تَصَوُّرِ ذَلِكَ تَقُومُ الْحُجَّةُ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَمَذْهَبُ الْفَرَاءِ فِي هَذَا: كَيْ يَتَذَكَّرُ. وَرَوَى خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ عَنْ مَعَاذٍ قَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ لِيُخْرِجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَى، لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَإِنَّهُ تَذَكَّرَ وَخَشِيَ لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغُرُقُ. وَقَالَ كَعْبٌ: وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ كَعْبٌ، إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ: فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا، وَسَأَقْسِي قَلْبَهُ فَلَا يُؤْمِنُ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: كَانَ هَارُونُ يَوْمُئِذٍ غَائِبًا بِمِصْرَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَارُونَ أَنْ يَتَلَقَّى مُوسَى، فَتَلَقَّاهُ عَلَى مَرَحَلَةٍ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَتِيَ فِرْعَوْنَ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مَعِيَ؛ فَعَلَى هَذَا يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حِينَ التَّقْيَا قَالَا: رَبُّنَا إِنَّمَا نَخَافُ. قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْقَائِلُ لِذَلِكَ مُوسَى وَحْدَهُ؛ وَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشُّبْنَةِ لَمَّا ضَمَّ إِلَيْهِ هَارُونَ، فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَوَقَّعَ الشُّبْنَةَ عَلَى الْوَاحِدِ، فَتَقُولُ: يَا زَيْدُ قَوْمًا، يَا حَرَسِيَّ اضْرِبَا عَقْبَهُ.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَفْزَعَ عَلَيْهِنَا﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميع، وابن يعمر، وأبو العالية: «أَنْ يُفْرِطَ» برفع الياء وكسر الراء. وقرأ عكرمة، وإبراهيم النخعي: «أَنْ يَفْزَعَ» بفتح الياء والراء. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن محيصن: «أَنْ يَفْزَعَ» برفع الياء وفتح الراء. قال الزجاج: المعنى، أَنْ يَبَادِرَ بِعَقُوبَتِنَا، يُقَالُ: قَدْ فَرَطَ مِنْهُ أَمْرٌ، أَيْ: قَدْ بَدَّرَ؛ وَقَدْ أَفْرَطَ فِي الشَّيْءِ: إِذَا اشْتَطَّ فِيهِ؛ وَفَرَطَ فِي الشَّيْءِ: إِذَا قَصُرَ؛ وَمَعْنَاهُ كُلُّهُ: التَّجَدُّدُ فِي الشَّيْءِ، لِأَنَّ الْفَرَطَ فِي اللُّغَةِ: الْمُتَجَدُّدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يَفْزَعَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ أَحَدُهُمَا: يَسْتَعْصِي، قَالَه مُقَاتِلٌ. وَالثَّانِي: يَجَاوِزُ الْحَدَّ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْنَا. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: نَخَافُ أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نَبْلُغَهُ كَلَامَكَ وَأَمْرَكَ.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أَيْ: بِالنَّصْرَةِ وَالْعَوْنِ «أَتَيْتُ» أَقْوَالُكُمْ «وَأَرَأَيْتُمْ» أَفْعَالُكُمْ. قَالَ الْكَلْبِيُّ: أَسْمِعْ جَوَابَهُ لَكُمْ، وَأَرَى مَا يَفْعَلُ بِكُمْ.

(١) رواه أحمد في «المستند» ٣١٣/٤، والبخاري ٤١٤/١١، ومسلم ١٧٩٢/٤ من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وله روايات أخرى بأطول منه في «الصحيحين» من حديث سهل، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، والفرط والفاطرد: هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى فرطكم على الحوض: سابقكم إليه كالمهيج له.

قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ مَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلّ عنهم ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾ وكان يستعملهم في الأعمال الشاقة، ﴿وَقَدْ جَنَّبَكَ بِأَيِّهِ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: هي العصا. قال مقاتل: أظهر اليد في مقام، والعصا في مقام.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ﴾ قال مقاتل: على مَنْ آمَنَ بالله. قال الزجاج: وليس يعني به التحيّة، وإنما معناه: أن مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ، سَلِمَ من عذاب الله وسخطه، والدليل على أنه ليس بسلام، أنه ليس بابتداء لقاء وخطاب.

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُنْصِتُ﴾ (١) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٢) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٣) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْصُرُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٤) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَانِ (٦) وَمِنَّا خَلَقْنَاهُمْ وَمِنْهَا يُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٧) ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ في الكلام محذوف معناه معلوم، وتقديره: فأتياه فأدّيا الرسالة. قال الزجاج: وإنما لم يقل: فأتياه، لأن في الكلام دليلاً على ذلك، لأن قوله: «فمن ربكما» يدل على أنهما أتياه وقالاه.

قوله تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى كُلَّ شَيْءٍ صورته، فخلق كُلَّ جنس من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورة البهائم، وصورة البعير لا كصورة الفرس، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبیر. والثاني: أعطى كل ذكر وزوجه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال السدي، فيكون المعنى: أعطى كُلَّ حيوان ما يشاكله. والثالث: أعطى كل شيء ما يُضْلِحُه، قاله قتادة. وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: هدى كيف يأتي الذَّكْرُ الأنثى، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبیر. والثاني: هدى للمنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: هدى كل شيء إلى معيشته، قاله مجاهد. وقرأ عمر بن الخطاب، وابن عباس، والأعمش، وابن السميع، ونصير عن الكسائي: «أعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، بفتح اللام. فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟ فالجواب: أنه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلا بد من خالتي وهادي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (١) اختلفوا فيما سأل عنه من حال القرون الأولى على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه سألهم عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم، إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، هذا مذهب مقاتل. وقال غيره: أراد: إني رسول، وأخيار الأمم علم غيب، فلا علم لي بالغيب. والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عُبدت الأصنام، ولم لم يُعبد الله إن كان الحق ما وصفت؟! والثالث: أن مراده: ما لها لا تُعبث ولا تُحاسب ولا تجازى؟! فقال: عَلِمَهَا عند الله، أي: عَلِمَ أعمالها. وقيل: الهاء في «عَلِمَهَا» كتابة عن القيامة، لأنه سألهم عن بعث الأمم، فأجابه بذلك. وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أراد: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَبْصُرُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ وقرأ عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>، وعاصم الجحدري، وقاتدة، وابن محيصن: «لا يُبْصِلُ» بضم الياء وكسر الصاد، أي: لا يضيّعه. وقرأ أبو المتوكّل، وابن السميع: «لا يُبْضِلُ» بضم الياء وفتح الصاد. وفي هذه الآية تأكيد للجزاء على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربي ولا ينسى ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم. وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مهاداً». وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «مهداً» بغير ألف. والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخل لأجلكم في الأرض طُرُقاً تسلكونها، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر. وهذا آخر الإخبار عن موسى. ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافاً مختلفة في الألوان والطعوم، كل صنف

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ يعني: فرعون ﴿هَآئِنَا مَظَاهِرُ﴾ يعني: التسع الآيات، ولم ير كل آية لله، لأنها لا تخصي، ﴿فَلْيَكُذِّبْ﴾ أي: نسب الآيات إلى الكذب، وقال: هذا سحر ﴿وَأَنَّ﴾ أن يؤمن ﴿فَقَالَ أَهْنُتُمَا لِيخْرِجَنِي مِنَ أَرْضِي﴾ يعني: مصر ﴿بِسِحْرِكُ﴾ أي: تريد أن تغلب على ديارنا بسحرك فتملكها وتخرجنا منها ﴿فَلْيَأْتِنَاكَ بِبَحْرِ مَيِّدٍ﴾ أي: فلينقلبلر ما جئت به من السحر بمثله ﴿فَنَجْعَلَ لِبَنَاتِكُ مَوْعِدًا﴾ أي: اضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاناً ﴿لَّا تَخْلِفْنَ﴾ أي: لا نجاوزهُ ﴿فَنَحْنُ وَلَا أَنْتُ مَكَاٰنٌ﴾ وقيل: المعنى: اجعل بيننا وبينك موعداً مكاناً نتواعد لحضورنا ذلك المكان، ولا يقع منا خلاف في حضوره. ﴿سُوءِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي بكسر السين. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحزمة، وخلف، ويعقوب: ﴿سُوءِي﴾ بضمها. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكّل؛ وابن أبي عبيدة: ﴿مَكَانًا﴾ سَوَاءً بالمد والهمز والنصب والتثنية وفتح السين. وقرأ ابن مسعود مثله، إلا أنه كسر السين. قال أبو عبيدة: هو اسم للمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر. ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ قرأ الجمهور برفع الميم. وقرأ الحسن، ومجاهد، [وقتادة]، وابن أبي عبيدة، وهبيرة عن حفص بن حفص بنصب الميم. وفي هذا اليوم أربعة أقوال: أحدها: يوم عيد لهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس لهم، قاله الثالث: يوم النوروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والرابع: يوم سوق لهم، قاله سعيد بن جبیر. وأما رفع اليوم، فقال البصريون: التقدير: وقتٌ موعدكم يومُ الزينة، فتاب الموعد عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقت إذا ظهر. فاما نصبه، فقال الزجاج: المعنى: موعدكم يقع يوم الزينة، ﴿وَأَنَّ يَحْشُرَ النَّاسُ﴾ موضع «أن» رفع، المعنى: موعدكم حشر الناس ﴿ضَحَى﴾ أي: إذا رأيتم الناس قد حُشروا ضحى. ويجوز أن تكون «أن» في موضع خفض عطفاً على الزينة، المعنى: موعدكم يوم الزينة ويوم حشر الناس ضحى. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: ﴿وَأَن تَحْشُرَ﴾ بناء مفتوحة ورفع الشين ونصب «الناس». وعن ابن مسعود، والنخعي: ﴿وَأَن يَحْشُرَ﴾ بالياء المفتوحة ورفع الشين ونصب «الناس». قال المفسرون: أراد بالناس: أهل مصر، وبالضحى: ضحى اليوم، وإنما علّفه بالضحى، ليتكامل ضوء الشمس واجتماع الناس، فيكون أبلغ في الحجة وأبعد من الريبة. ﴿فَنَزَّلَ فِرْعَوْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: تولى عن الحق الذي أمر به. والثاني: أنه انصرف إلى منزله لاستعداد ما يلقى به موسى، ﴿فَنَجَّعَ كَيْدَهُ﴾ أي: مكره وحيلته ﴿ثُمَّ أَنَّى﴾ أي: حضر الموعد. ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ أي: للسحرة. وقد ذكرنا عددهم في [الأعراف: ١١٤].



قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على «الزمكم الله ويلا» ويجوز أن يكون على النداء، كقوله تعالى: ﴿يَهْلِكُنَا مِنْ بَعَثَانٍ مِنْ مَرْقَدَانٍ﴾ [يس: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قال ابن عباس: لا تشركوا معه أحداً.

قوله تعالى: ﴿فَيَسْحَرُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فَيَسْحَرُكُمْ» بفتح الياء، من «سحت». وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «فَيُسْحَرُكُمْ» بضم الياء، من «أسحت». قال الفراء: وسُحِت أكثر، وهو الاستئصال، والعرب تقول: سحت الله، وأسحته، قال الفرزدق:

وَعَصُفُ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ  
مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا<sup>(١)</sup>

هكذا أنشد البيت الفراء، والزجاج. ورواه أبو عبيدة: «إِلَّا مُسْحَتٌ أَوْ مُجْلَفٌ» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿فَنَنْتَعِزُّهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم في أمر موسى، وتشاوروا ﴿وَأَسْرُوا النَّجُونَ﴾ أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه. وقيل: من موسى وهارون. وقيل: «أسرؤا» هاهنا بمعنى «أظهروا». وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: إن كان هذا ساحراً، فإننا سنغلبه، وإن يكن من السماء كما زعمتم، فله أمره، قاله قتادة. والثاني: أنهم لما سمعوا كلام موسى قالوا: ما هذا بقول ساحر، ولكن هذا كلام الرب الأعلى، فعرفوا الحق، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانته، وإلى موسى وعصاه، فنكسوا على رؤوسهم، وقالوا إن هذان لساحران، قاله الضحاك، ومقاتل. والثالث: أنهم ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ...﴾ الآية، قاله السدي. واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ فقرأ أبو عمرو ابن العلاء: «إِنَّ هَٰذَيْنِ» على إعمال «إِنَّ» وقال: إني لأستحيي من الله أن أقرأ «إِنَّ هَٰذَانِ». وقرأ ابن كثير: «إِنَّ» خفيفة «هَٰذَانِ» بتشديد النون. وقرأ عاصم في رواية حفص: «إِنَّ» خفيفة «هَٰذَانِ» خفيفة أيضاً. وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «إِنَّ» بالتشديد «هَٰذَانِ» بآلف ونون خفيفة. فأما قراءة أبي عمرو، فاحتجاجة في مخالفة المصحف بما روي عن عثمان وعائشة، أن هذا من غلط الكاتب على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٢)</sup> في سورة [النساء: ١٦٢]. وأما قراءة عاصم، فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى: ﴿وَرَأَى النَّاسَ لَمَّ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك:

نَكَلْتُكَ أَمْكُ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا  
خَلَّتْ عَلَيْهِ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

أي: ما قتلت إلا مسلماً. قال الزجاج: ويشهد لهذه القراءة، ما روي عن أبي بن كعب أنه قرأ: «ما هذان إلا ساحران»، وري عنه: «إِنَّ هَٰذَانِ إِلَّا ساحران»، ورويت عن الخليل: «إِنَّ هَٰذَانِ» بالتخفيف، والإجماع على أنه لم يكن أحد أعلم بالنحو من الخليل. فأما قراءة الأكثرين بتشديد «إِنَّ» وإثبات الألف في قوله: «هَٰذَانِ» فروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب. وقال ابن الأنباري: هي لغة لبني الحارث بن كعب، وافقتها لغة قريش. قال الزجاج: وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب، وهو رأس من رؤوس الرواة: أنها لغة لكثانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا:

فَأَطْرَقَ إِظْرَاقُ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى  
مَسَاغَا لِنَابَاءِ الشُّجَاعِ لَصَمَمًا<sup>(٣)</sup>

(١) «ديوانه» ٥٥٦، و«الطبري» ١٧٨/١٦، و«مجاز القرآن» ٢١/٢، و«شرح المفصلية» ٣٩٦، و«الجمهرة» ١٠٧/٢، و«اللسان» و«التاج»: جلف، سحت، و«القرطبي» ٢١٥/١١، و«الغزاة» ٣٤٧/٢، ويروى «إِلَّا مسحت أو مجلف» كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة. ومن رواه كذلك، جعل معنى «لم يدع»: لم يتقار، أو يقر، أو يستقر، ومن رواه «إِلَّا مسحتاً» جعل «لم يدع» بمعنى: لم يترك، لم يبق، ورفع قوله: «أو مجلف» بإضمار، كأنه قال: أو هو مجلف. ومال مسحوت، ومسحت: مُدَقَّب به، مهلك. والمجلف: الذي بقيت منه بقية. يريد: لم يترك إلا شيئاً متناصلاً هالكاً، أو شيئاً بقيت منه بقية.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ لحن، وأن عثمان رضي الله عنه قال: إن في المصحف لحناً يستقيمه العرب بألسنتها، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه. انظر الجزء (٢٥٢/٢ - ٢٥٣) من هذا التفسير، فإنك تجد في التعليق على هذا الخبر كلاماً طويلاً، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ السخاوي، والطبري، وغيرهم، في رد ما نسب إلى عثمان رضي الله عنه.

(٣) البيت للمتلسم، وهو في «الطبري» ١٨٠/١٦، و«القرطبي» ٢١٧/١١، و«اللسان»: صمم، ومعنى: أطرق: سكت فلم يتكلم وأرغى عينيه ينظر إلى =

ويقول هؤلاء: ضربته بين أذناه. وقال النحويون القدماء: هاهنا هاء مضمرة، المعنى: إنه هذان لساحران. وقالوا أيضاً: إن معنى «إِنَّ»: نعم «هذان لساحران»، وينشدون:

وَيَقُولَنَّ شَيْبٌ قَدْ عَلَا  
كَ وَقَدْ كَبِرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: والذي عندي، وكنتُ عرضته على عالما محمد بن يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد، فقبلاه، وذكرنا أنه أجود ما سمعناه في هذا، وهو أن «إِنَّ» قد وقعت موقع «نعم»، والمعنى: نعم هذان لهما الساحران، يلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة. وأستحسن هذه القراءة، لأنها مذهب أكثر القراء، وبها يُقرأ. وأستحسن قراءة عاصم، والخليل، لأنهما إمامان، ولأنهما وافقا أبيّ بن كعب في المعنى. ولا أجيز قراءة أبي عمرو لخلاف المصحف. وحكى ابن الأنباري عن الفراء قال: «ألف» «هذان» هي ألف «هذا» والنون فرقت بين الواحد والثنية، كما فرقت نون «الذين» بين الواحد والجمع.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَكُمُ﴾ وقرأ أبان عن عاصم: «ويذهب» بضم الياء وكسر الهاء. وقرأ ابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن عمرو، وأبو رجاء العطاردي: «ويذهب» بالطريقة بآلف ولام، مع حذف الكاف والميم. وفي الطريقة قولان: أحدهما: بدينكم المستقيم، رواه الضحاك عن ابن عباس. وقال أبو عبيدة: بسُتَيْكُم ودينكم وما أنتم عليه، يقال: فلان حسن الطريقة. والثاني: بأمثلكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: بأولي العقل، والأشراف، والأسنان. وقال الشعبي: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال الفراء: الطريقة: الرجال الأشراف، تقول العرب للقوم الأشراف: هؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم. فأما «المثلى» فقال أبو عبيدة: هي تأنيث الأمثل. تقول في الإناث: خذ المثلى منهما، وفي الذكور: خذ الأمثل. وقال الزجاج: ومعنى المثلى والأمثل: ذو الفضل الذي به يستحق أن يقال: هذا أمثل قومه؛ قال: والذي عندي أن في الكلام محذوفاً، والمعنى: يذهب بأهل طريقتكم المثلى، وقول العرب: هذا طريقة قومه، أي: صاحب طريقتهم.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوا كَيْدَكُمْ﴾ قرأ الأكثرون: «فأجمعوا» بقطع الألف من «أجمعت». والمعنى: ليكن عزمكم مجمعاً عليه، لا تختلفوا فيختل أمركم. قال الفراء: والإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت على الخروج، وأجمعت الخروج، تريد: أزمعت، قال الشاعر:

يَا لَيْتَ شِغْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ  
هَلْ أَغْدُوْنَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعٌ<sup>(٢)</sup>

يريد: قد أحكم وعزم عليه. وقرأ أبو عمرو: «فأجمعوا» بفتح الميم من «جمعت»، يريد: لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جتم به. فأما كيدهم، فالمراد به: سحرهم، ومكرهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا صَفًّا﴾ أي: مُضْطَفِّين مجتمعين، ليكون أنظم لأمرهم، وأشدَّ لهيبتهم. قال أبو عبيدة: «صفاً» أي: صفوفاً. وقال ابن تقيّة: «صفاً» بمعنى: جمعاً. قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صفّاً، كلُّ ألف ساحر صفٌّ. قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُنْزِلَ الْيَوْمَ مِنِّي سَمْعٌ﴾ قال ابن عباس: فاز من غلب.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمُونُ لَنَا أَن لَّيْلٌ قَدْ أَفْلَحَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ قَالَ بَلْ أَفْلَحُوا إِذَا جَاءَهُمْ وَصِيَّتُهُمْ بِحَبْلِ لَّيْلِ مِنْ سُحُورِهِمْ فَاصْبِرْ فِي قَبْوِهِمْ. حَيْفَ مَوْسَى ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّا صَنَعُوا كَيْدًا مُّكْرَهُمْ وَلَا يُبْلِغُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَفَّ ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَهْقًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَؤُلَاءِ وَمَوْسَىٰ ﴿قَالَ آمَنْتُ لَهُ بِقَوْلِ أَن مَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكِيدٌ لَّكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَقْطِعَنَّ مِنْ خِلفِ وَأَمْلِيَّتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَقَلَّبَنَّ إِنَّا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَقْبَىٰ﴾

= الأرض، والشجاع: ضرب من الحيات. وساعاً: اسم مكان، من ساع يسوع: إذا دخل ونفذ. وصمم: عض ونيب فلم يرسل ما عض. والبيت جارٍ على لغة بني الحارث بن كعب، ومن لك لثهم. والشاهد فيه أن قوله: «لناباه» مثني مجرور اللام، وقد جاء بالآلف.

(١) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات، وهو في «القرطبي» ٢١٨/١١، و«روح المعاني» ٢٠١/١٦، و«اللسان»: أنن، وقيله.

بَكَّرَتْ عَلَيَّ عَوَازِلِي  
يَلْحَنُ لِي نَسِي وَأَلْهَمُهُ نَسِي

أي: إنه قد كان كما تظن.

(٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء ٤٧٣/١ غير منسوب، وهو في «الطبري» ١٨٣/١٦، و«القرطبي» ٢٢١/١١، و«اللسان»: جمع.

﴿بَلْ آتَوْنَا﴾ قال ابن الأنباري: دخلت «بل» لمعنى: جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تَوَلَّمت وُجِدَتْ مشتملة على: إما أن تلقى، وإما أن لا تلقى.

قوله تعالى: ﴿وَعَصَيْتَهُمْ﴾ قرأ الحسن، وأبو رجاء العطاردي، وأبو عمران الجوني، وأبو الجوزاء: «وَعَصَيْتُهُمْ» برفع العين.

قوله تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ﴾ وقرأ أبو رزین العقيلي، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، والحسن، وقتادة، والزهري، وابن أبي عبلة: «تُخِيلُ» بالتاء، «إليه» أي: إلى موسى. يقال: خُيِّلَ إليه: إذا شُبَّهَ له. وقد استدلل قوم بهذه الآية على أن السحر ليس بشيء. وقال: إنما خُيِّلَ إلى موسى، فالجواب: أنا لا ننكر أن يكون ما رآه موسى تخيلاً، وليس بحقيقة، فإنه من الجائز أن يكونوا تركوا الزئبق في سلوخ الحيات حتى جرت، وليس ذلك بحيات. فأما السحر، فإنه يؤثر، وهو أنواع. وقد سَجَرَ رسول الله ﷺ حتى أثر فيه<sup>(١)</sup>، .....

(١) فقد روى البخاري في «صحيحه» ١٩٢/١٠، ومسلم في «صحيحه» ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه! جانني رجلاً، فقعد أحدهما عند راسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوع (أي: مسحور) قال: من طبعه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، قالت: فأتانا رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه - ثم قال: «يا عائشة والله لكان ماها نقاعة الحناء، ولكن نخلها رؤوس الشياطين، قالت: فقلت: يا رسول الله أفلا أحرقة؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله، وكرهت أن أثير على الناس شراً، فأمرت بها فدفتت». وفي رواية للبخاري ١٩٩/١٠: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» بدل «حتى كان يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله»، وهي موضحة ومبيّنة لما قبلها. وحديث السحر هذا، رواه أحمد في «المسند»، والنسائي، وابن سعد، والحاكم، وعبد بن حميد، وابن مردويه، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وغيرهم. وقال الإمام ابن القيم في «بدائع الفوائد» بما حاصله: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلق بالقبول بينهم، لا يختلفون في صحته، وقد أنكره كثير من أهل الكلام، وقابلوه بالكذب، وقولهم هذا مسرود عند أهل العلم، وقد اتفق أصحاب «الصحيحين» على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنة والحديث والتاريخ، والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين. ثم قال ابن القيم: وقد دل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ سِحْرِ الْأَكْثَرِ فِي الْفُلِّ﴾ وحديث عائشة (المقدم ذكره) على تأثير السحر، وأن له حقيقة، وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم، وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة، وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك، وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة، والسلف، واتفق عليه الفقهاء، وأهل التفسير والحديث...

ثم قال: والسحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً - أصابه في بدنه - شفاء الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء... اهـ.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٧٤/١٤: قال المازري رحمه الله: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات حقيقة السحر، وأن له حقيقة حقيقية غيره من الأشياء الثابتة، خلافاً لمن أنكره ونفى حقيقته وأضاف ما يقع من إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما يُعَلَّم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يُكْفَرُ به، وأنه يفرق بين المرم وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفت وأخرجت، وهذا كله يطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال - ثم قال -: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجوز به يمنع الثقة، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجوز ما قام الدليل بخلافه باطل، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يمت بسببها، ولا كان مفضلاً من أجلها، وهو مما يعرض للبشر، فغير بعيد أن يخيّل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له.

قال النووي: قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبيّنة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث: «حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن» - ويروى «يخيّل إليه» - أي: يظهر له من نشاطه ومقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخلّة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء من الروايات من أنه يخيّل إليه فعل شيء لم يفعله، ونحوه، فمحمول على التخييل بالبصر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعنًا لأهل الفضالة، والله أعلم... اهـ.

وقد نقل نحو كلام الإمام النووي الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» شرح صحيح البخاري ١٨٨/١٠، ثم قال عند قوله تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ﴾ ما يحرم قبحاً كثيراً ١٩١/١٠: هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل، ولا حجة له بها، لأن هذه الآية وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحروهم كذلك (أي تخيلاً) ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل... اهـ.

وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» ١٩٣/١٠: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله. قال الحافظ: فوقع الشق الأول كما في الحديث الصحيح، (وهو أنه أخير)، قال: واستدل ابن القصار =

ولعن العاضهة<sup>(١)</sup>، وهي الساحرة.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَسَّ فِي نَفْسِهِ جِغَةً مَوْتًا﴾ قال ابن قتيبة: أضمر في نفسه خوفاً. وقال الزجاج: أصلها «جِوْفَة» ولكن الواو قبلت ياء لانكسار ما قبلها. وفي خوفه قولان: أحدهما: أنه خوف الطبع البشري. والثاني: أنه لما رأى سحرهم من جنس ما أراهم في العصا، خاف أن يلتبس على الناس أمره، ولا يؤمنوا، فقيل له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بِالظَّفَرِ وَالْعَلْبَةِ. وهذا أصح من الأول.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْبِنِكَ﴾ يعني: العصا ﴿تَلَقَّفْ﴾ وقرأ ابن عامر: «تَلَقَّفْ مَا» برفع الفاء وتشديد القاف. وزوى حفص عن عاصم: «تَلَقَّفْ» خفيفة. وكان ابن كثير يشدد التاء من «تَلَقَّفْ» يريد: «تَلَقَّفْ». وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جببر، وأبو رجاء: «تَلَقَّمْ» بالميم. وقد شرحناها في [الأعراف: ١١٧]، ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «كيد سحر». وقرأ الباقر: «كيد ساحر» بألف، والمعنى: إن الذي صنعوا كيد ساحر، أي: عمل ساحر. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «إنما صنعوا كيد» بنصب الدال. ﴿وَلَا يَفْلَحُ الْكَافِرُ﴾ قال ابن عباس: لا يسعد حيثما كان. وقيل: لا يفوز. وروى جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أخذتم الساحر فاقتلوه، ثم قرأ ﴿وَلَا يَفْلَحُ الْكَافِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ قال: لا يأمن حيث وجد»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: «آمَنْتُمْ لَهُ» على لفظ الخبر. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «آمَنْتُمْ لَهُ» بهزئة ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «آمَنْتُمْ لَهُ» بهزتين الثانية ممدودة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكَيْدٌ كَرِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد معلّمكم. قال الكسائي: الصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلّمه، قال: جئت من عند كبير.

= بأن الذي أصابه من السحر كان من جنس المرض بقوله ﷺ في الحديث: «أما أنا فقد شفاني الله». وقال الحافظ: ولم ينقل عنه ﷺ في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به. اهـ.

فقد تبين مما سبق من كلام العلماء أن السحر له حقيقة، وإلا لما أمر الله تعالى بالاستعاذة منه في سورة (الفلق) بقوله: ﴿وَيَا أَعْيُنَ النَّاسِ انظُرُوا إِلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ﴾ وهي السواحر التي يسحر وينش في القعد كما قال المفرون، وأنه مرض تسلط على جسده بكية الأمراض، وقد مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً حتى أغمى عليه، وكان يقول - كما «الصحيجين» -: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، وقد ابتلي في قومه، وقاسى صنوفاً من الأذى. فإن احتج أحد على منع السحر بقوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ يَمْشِيكَ بَيْنَ الْكَاثِرِينَ﴾ فغنه جوابان كما قال المصنف ابن الجوزي رحمه الله، أحدهما: أنه عصمه من القتل والأسر وتلف الجمل، فأما عوارض الأذى، فلا تمنع عصمة الجمل. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ يَمْشِيكَ بَيْنَ الْكَاثِرِينَ﴾ من أواخر ما نزل بالمدينة. وقد سحر وأوذى قبل نزول هذه الآية. وإن احتج آخر بقوله تعالى: ﴿وَوَكَالَ الْغُلَامُوكَ إِن تَشْعُرُوا﴾ فذلك مقالة الظالمين، ومرادهم: من سحر حتى جن وأصبح زائل العقل لا يعقل ما يقول، فإن المسحور الذي لا يقنع، هو الذي فسده عقله بحيث لا يدري ما يقول، فهو المجنون - والمسلمون لا يقولون بمقالة الظالمين المفترين - فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس، فإنه لا يمنع ذلك من اتباعه، وقولهم: سحر الأنبياء يتنافى مع حماية الله لهم، مردود، فإنه سبحانه وتعالى كما يحميهم ويصونهم يبتليهم ويختبرهم، فيزيدهم ذلك رغبة في درجاتهم، ونبل كرامتهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَفْلَحُ الْكَافِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ مناه: لا يسعد الساحر حيث كان، ولا يفوز، وليس معنى «لا يفلح»: لا يستطيع السحر، بل إذا سحر فلا يفلح، ولا يأمن حيث وجد، فذلك عدم فلاحه. هذا ما عليه جمهور المسلمين، من المفسرين والمحدثين، والفقهاء المحققين، وهو أنه عليه الصلاة والسلام، سحر وأثر في جسده، ولم يؤثر في عقله، وذلك لا يقدح في مقام النبوة والرسالة.

ومن الناس من يحاول أن يرد بعض النصوص الصحيحة - لقصور فهمه - ظناً منه أنه بذلك لا يدع مجالاً للطعن في رسالة النبي ﷺ، ولكن العلماء المحققين تلمّزوا هذه النصوص بالقبول، ويؤثروا وجه الحق فيها بعد علم ودراية، وتمحيص وتحقيق، فعلى المسلم أن يرجع في تفسير النصوص إلى أربابها، والمحققين من أصحابها، مخافة أن تزول به القدم، والله تعالى تكفل بحفظ شريعته، ورسالة نبيه، فقال في كتابه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكَ الْبُرْهَانَ وَذَكَرْنَا لَكَ لَمْ لِكَيْتُورٍ﴾ وقضى لهذا الدين أناساً قال في حقهم رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»، والله تعالى ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) تقدم ٧٧٧ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الحديث: أن رسول الله ﷺ «لعن العاضهة والمستضفة»، وهو حديث ضعيف. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٩٤: رواه أبو يعلى، وابن عدي من حديث ابن عباس، وفي إسناده زعمة بن صالح عن سلمة بن هرام، وهما ضعيفان، وله شاهد عند عبد الرزاق من رواية عن ابن جريج عن عطاء. اهـ كلام ابن حجر. ومعنى العاضهة والمستضفة: الساحرة والمبتسرة.

(٢) ذكره ابن كثير ١٥٨/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن جندب بن عبد الله البجلي، وقال: وقد روى أصله الترمذي موقوفاً ومرفوعاً.



قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ الْاِتِّخَالِ﴾ «في» بمعنى «على»، ومثله: ﴿أَمْ لَمْ سَلِّ بِسَمْعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨].  
 ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها السحرة ﴿إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا لَكُمْ﴾ ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدام، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على تركهم الإيمان به؟ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ يعنون اليد والعصا. فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: «جاءنا» وإنما جاءت عامة لهم ولغيرهم. فالجواب: أنهم لما كانوا بآبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حق غيرهم أيقن وأوضح، وكانوا هم لمعرفته أخص. وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ وجهان ذكرهما الفراء، والزجاج: أحدهما: أن المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات، وعلى الذي فطرنا. والثاني: أنه قسم، تقديره: وحق الذي فطرنا.

قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَائِرٌ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع. وأصل القضاء: عمل بإحكام ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قال الفراء: «إنما» حرف واحد، فلهذا نصب: «الحياة الدنيا». ولو قرأ قارئ برفع «الحياة» لجاز، على أن يجعل «ما» في مذهب «الذي»، كقولك: إن الذي تقضي هذه الحياة الدنيا. وقرأ ابن أبي عبيدة، وأبو المتوكل: «إنما تقضي» بضم التاء على ما لم يسم فاعله، «الحياة» برفع التاء. قال المفسرون: والمعنى: إنما سلطانتك ومملكك في هذه الدنيا، لا في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لَيَغْفِرَ لَنَا﴾ يعنون الشرك ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيانا على السحر. فإن قيل: كيف قالوا: أكرهتنا، وقد قالوا: «إن لنا لأجراً»، وفي هذا دليل على أنهم فعلوا السحر غير مكرهين؟ فعتنه أربعة أجوبة: أحدها: أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر، قاله ابن عباس. قال ابن الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يعلموا أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السحر، هو الإكراه على تعلمه في أول الأمر. والثاني: أن السحرة لما شاهدوا موسى بعد قولهم ﴿إِنَّا لَأَجْرًا﴾ ورأوا ذكره الله تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسحر، وحذروا أن يظهر عليهم فيطلع على ضعف صناعتهم، فتفسد معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراه على السحر. والثالث: أنهم خافوا أن يغلبوا في ذلك الجمع، فيفقد ذلك في صنعتهم عند الملوك والسُّوق<sup>(١)</sup>، وأكرههم فرعون على فعل السحر. والرابع: أن فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السحر، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ أي: خير منك ثواباً إذا أطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً إذا عصي، وهذا جواب قوله: ﴿إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾؛ وهذا آخر الإخبار عن السحرة.

﴿إِنَّهُمْ مِّنْ يَّأْتِ رَبَّهُمْ جَحِيمًا وَإِنَّمَا لَمْ يَجَهَّمْ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي جَنَّتْ عَنْهُ تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۖ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مِّنْ يَّأْتِ رَبَّهُمْ جَحِيمًا﴾ يعني: مشركاً ﴿وَإِنَّمَا لَمْ يَجَهَّمْ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه. [أنشد ابن الأنباري في مثل هذا المعنى قوله:

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي شَقَامًا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمٌ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ قال ابن عباس: قد أدَّى الفرائض، ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي﴾ يعني: درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض. والعلی، جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى. قال ابن الأنباري: وإنما قال: «فأولئك»، لأن «مَنْ» تقع بلفظ التوحيد على تأويل الجمع. فإذا غلب لفظها، وحُدِّدَ الراجح إليها، وإذا بُيِّنَ تأويلها، جُمع المصروف إليها.

(١) السُّوق: جمع سوقة، وهم بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك، ومن لم يكن ذا سلطان.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من النسخة الاستنبولية، والبيت في «القرطبي» ٢٢٧/١١. و«اللسان»: طعم.

قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَاءَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: تطهر من الكفر والمعاصي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِيَاكُوبَ فَأَتَتْهُمْ لَهْمٌ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخَفَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتَتْهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشِيَتْهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَٰذِهِ ﴿٧٩﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ مَّدْوَرِكٍ وَوَعَدْنَاكَ حَاجِبَ السُّورِ الْأَيْمَنَ وَفَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْاَلَمَنَ وَالسَّلَوىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُّوْا مِّنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْلُقُوا فِيهِ قَبِيْلَ عَلَيْكُمْ غَضَبِيْ وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِيْ فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَلَئِنْ لَّفَقَاْ لِمَنِ تَابَ وَءَامَنَ وَحَمَلَ صَليْحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِيَاكُوبَ﴾ أي: سِر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَأَتَتْهُم لَهْمٌ طَرِيقًا﴾ أي: اجعل لهم طريقاً ﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ قرأ أبو المتوكل، والحسن، والنخعي، «يَبَسًا» بإسكان الباء. وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وابن السيف: «يابساً» بالفتح. قال أبو عبيدة: اليبس، متحرك الحروف، بمعنى اليابس، يقال: شاة يبس، أي: يابسة ليس لها لبن. وقال ابن قتيبة: يقال لليابس: ييس، وييس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾ قرأ الأكثرون بالفتح. وقرأ أبان، وحمة عن عاصم: «لا تخف». قال الزجاج: من قرأ «لا تخاف»، فالمعنى: لست تخاف، ومن قرأ «لا تخف»، فهو نهي عن الخوف. قال الفراء: قرأ حمزة: «لا تخف» بالجزم، ورفع «ولا تخشى» على الاستئناف، كقوله تعالى: ﴿يُؤَلِّمُ الْاَذْيَازَ ثُمَّ لَا تُفْرِكُ﴾ [آل عمران: ١١١] استأنف بهم، فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله: «ولا تخش» الجزم وإن كانت فيه الياء، كان صواباً. قال ابن قتيبة: ومعنى «دَرَكًا» لاحقاً. قال المفسرون: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركننا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: من فرعون ﴿وَلَا تُخَفَىٰ﴾ غرقاً في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ قال ابن قتيبة: لحقهم. وروى هارون عن أبي عمرو: «فأتبهم» بالتشديد. وقال الزجاج: تبع الرجل الشيء، وأتبعه، بمعنى واحد. ومن قرأ بالتشديد، ففيه دليل على أنه أتبعهم ومعه الجنود. ومن قرأ «فأتبهم»، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللفظ، وجائز أن لا يكون، إلا أنه قد كان معهم. ﴿فَفَشِيَتْهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: فغشيهم من ماء البحر ما غرقهم. وقال ابن الأباري: ويعني بقوله: «ما غشيهم» البعض الذي غشيهم، لأنه لم يغشهم كل ماؤه. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وأبو رجاء، والأعمش: «فغشاهم من اليم ما غشاهم» بالفتح فيهما مع تشديد الشين وحذف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَٰذِهِ﴾ أي: [ما] أرشدهم حين أوردتهم موارد الهلكة. وهذا تكذيب له في قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ اأَرْشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَاكَ حَاجِبَ السُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ لأخذ التوراة. وقد ذكرنا في [سريم: ٥٢] معنى: «الأيمن»، وذكرنا في [البقرة: ٥٧] «المن والسلى».

[قوله تعالى: ﴿كُلُّوْا﴾ أي: وكلنا لهم: كلوا].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْلُقُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تطروا في نعمي [تظلموا]. والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين. والثالث: لا تدخروا منه لأكثر من يوم وليلة.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: فتجب لكم عقوبي. والجمهور قرؤوا «فيحل» بكسر الحاء ﴿وَمَنْ يَحْمِلْ﴾ بكسر اللام. وقرأ الكسائي: «فيحل» بضم الحاء «ومَنْ يَحْمِلْ» بضم اللام. قال الفراء: والكسر أحب إلي، لأن الضم من الحلول، ومعناه: الوقوع، ويحل بالكسر، يجب، وجاء التفسير بالوجوب، لا بالوقوع.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَفَقَارٌ﴾ الغفار: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، فكلمنا تكررت ذنوبهم تكررت مغفرتهم، وأصل الغفر: الستر، وبه سمي [زُبَيْر] الثوب: غفراً، لأنه يستر سداه. فالفغار: الستار للذنوب عباده، المسبل عليهم ثوب عطفه.

قوله تعالى: ﴿لِمَنِ تَابَ﴾ قال ابن عباس: لمن تاب من الشرك ﴿وَمَنْ﴾ أي: وعُد الله وصدته، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

أدَّى الفرائض. وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ ثمانية أقوال: أحدها: علم أن لعمله هذا ثواباً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لم يشكك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: علم أن ذلك توفيق من الله [له]، رواه عطاء عن ابن عباس. والرابع: لزم السنة والجماعة، قاله سعيد بن جبير. والخامس: استقام، قاله الضحاك. والسادس: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة. والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم. والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النبي ﷺ، قاله ثابت البناني.

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْلِكَ بِمُوسَى ﴾ (٨٦) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٧﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن  
بَعْدِكَ وَأَسْلَمْنَا النَّامِرِيُّ ﴿٨٨﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لِمَ يَبْعَثُ رَبُّكَ رِجْلًا نَحْنُ خَيْرُ مِمَّنْ بَعَثَ لَكُمُ الْفِهْرَ أَمْ  
أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٩﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا آوَارًا مِن رِّبَاةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا  
فَكَذَّبْتَ آلَى النَّامِرِيِّ ﴿٩٠﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَرَّارًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى فَتَنَى ﴿٩١﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ بَرَجْعَ إِلَىٰ بَيْتِهِمْ  
قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا تَفْعًا ﴿٩٢﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفْجَلُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ قال المفسرون: لما نجى الله تعالى بني إسرائيل وأغرق فرعون، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتاب من عند الله، فيه الحلال والحرام والفرائض، فأوحى الله [إليه يَعْذُ] أنه ينزل عليه ذلك في الموضوع الذي كلمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطور لأخذ التوراة، ففجّل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وأمرهم بلحاقه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلة عن قومك، ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ﴾ أي: هؤلاء ﴿عَلَيَّ﴾ أي: وأنا، وقرأ أبو رزين العقيلي، وعاصم الجحدري: «على إثري» بكسر الهمزة وسكون الشاء. وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وابن يعمر، برفع الهمزة وسكون الشاء. وقرأ أبو رجاء، وأبو العالية: بفتح الهمزة وسكون الشاء. والمعنى: هم بالقرب مني يأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ أي: لتزداد رضئى، ﴿قَالَ فَإِنَّا فَدَّ قَوْمُكَ﴾ قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحنة، واختبرناهم.

قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ عَلَيْكَ آيَاتِهِ﴾ أي: من بعد انطلائك من بينهم ﴿وَأُصْلِحَ الْكَاثِرُ﴾ أي: كان سبباً لإصلاحهم. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن السميع: ﴿وَأُصْلِحَهُمْ﴾ برفع اللام. وقد شرحنا في [البقرة: ٥٢] سبب اتخاذ السامري المعجل، وشرحنا في [الأعراف: ١٥٠] معنى قوله تعالى: ﴿عَصَيْنَ أَمْرًا﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَذْكُرْكُمْ رَحْمَةً وَدًّا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: إعطاء التوراة. والثاني: قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ السَّكُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْأَكْفَرُونَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ...﴾ الآية. [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَلِيَّ لَقَارٍ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢]. والثالث: النصر والظفر.

قوله تعالى: ﴿أَنطَلَقَ عَلَيْكُمُ الْمَهْدُ﴾ أي: مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَن يُبَدِّلَ عَلَيْكُمْ عَصَبٌ مِّن رِّبَكُمُ﴾ أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فَأَخْلَقْنَاهُمْ ثَوْبِيذً﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنه إن فُكَّهم الله من ملكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، وقيموا الصلاة، وينصروا الله ورسله. ﴿فَأَلَّوْا مَا أَخْلَقْنَا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: بكسر الميم، وقرأ نافع، وعاصم: بفتح الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الميم. قال أبو علي: وهذه لغات. وقال الزجاج: المُلْكُ، بالضم: السلطان والقدرة. والمُلْكُ، بالكسر: ما حوته اليد. والمُلْكُ، بالفتح: المصدر، يقال: ملكت الشيء أملكه ملكاً. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما كنا نملك الذي اتَّخَذَ منه العجلُ، ولكنها كانت زينة آل فرعون، فقدفناها، قاله ابن عباس. والثاني: بطاقتنا، قاله قتادة، والسدي. والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البليَّة، قاله ابن زيد. والرابع: لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماوردي. فيخرج فيمن قال هذا لموسى قولان: أحدهما: أنهم الذين لم يعبدوا العجل. والثاني: عابده.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا جُمَلًا أَزْوَاجًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «حُمَلْنَا» بضم الحاء وتشديد الميم. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «حملنا» خفيفة. والأوزار: الأثقال. والمراد بها: حلي آل فرعون الذي كانوا استعاروه منهم قبل خروجهم من مصر. فمن قرأ «حُمَلْنَا» بالتشديد،



فالمعنى: حَمَلْنَا [ها] موسى، أَمَرْنَا باستعارتها من آل فرعون، ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: طرحناها في الحفيرة. وقد ذكرنا سبب قذفهم إياها في سورة البقرة: ٥٧.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ألقى حلياً كما ألقوا. والثاني: ألقى ما كان معه من تراب حافر فرس جبريل. وقد سبق شرح القصة في البقرة: ٥٧، وذكرنا في (الأعراف: ١٤٨) معنى قوله تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ هذا قول السامري ومن وافقه من الذين افْتَنُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المشار إليه بالنسيان قولان: أحدهما: أنه موسى. ثم في المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أن هذا إلهه، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: فنسي موسى الطريق إلى ربه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: فنسي موسى إلهه عندهم، وخالفه في طريق آخر، قال قتادة. والثاني: أنه السامري، والمعنى: فنسي السامري إيمانه وإسلامه، قاله ابن عباس. وقال مكحول: فنسي، أي: فترك السامري ما كان عليه من الدين. وقيل: فنسي أن العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً. فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ من إخبار الله ﷻ عن السامري. وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان: أحدهما: أنه السامري. والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أفلا يرون أنه لا يرجع ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ إِنَّمَا قُتِلْتُ بِدَمِي وَإِنَّكُمْ مِنَ الزَّاهِقِينَ وَأَلِيمُوا أَمْرِي﴾ ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِطِغْيَى وَلَا يَأْتِيكَ إِلَيَّ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى ﴿يَقُولُ إِنَّمَا قُتِلْتُ بِدَمِي﴾ أي: ابتليتم ﴿وَرَأَى رَبَّكُمْ الزَّاهِقِينَ﴾ لا العجل، ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِيبَتَيْنِ﴾ أي: لن نزال مقيمين على عبادة العجل ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فلما رجع موسى ﴿قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة العجل ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «ألا تتبعني» بياء في الوصل ساكنة، ويقف ابن كثير بالياء، وأبو عمرو بغير ياء. وروى إسماعيل بن جعفر عن نافع: «ألا تتبعني أفعصيت» بياء منصوبة. وروى قالون عن نافع مثل أبي عمرو سواء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بغير ياء في الوصل، والوقف. والمعنى: ما منعتك من اتباعي. «ولاء» كلمة زائدة. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين، وتفارقههم. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أن تناجزهم القتال، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: في الإنكار عليهم، قال مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وهو قوله في وصيته إياه: ﴿أَتَخْلَفُنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِيحُ﴾ قال المفسرون: ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه. وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في (الأعراف: ١٥٠) فأكثفي بذلك، وقد شرحنا هناك معنى «يا ابن أم» واختلاف القراء فيها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيكَ إِلَيَّ﴾ أي: بشعر رأسي. وهذا الغضب كان لله ﷻ، لأنه وقع في نفسه أن هارون عصى الله بترك اتباع موسى.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي: إن فارقتهم واتبعتك ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: باتباعي إياك ومن معي من المؤمنين. والثاني: بقتالي لبعضهم ببعض. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قولان: أحدهما: لم ترقب قولي لك: ﴿أَتَخْلَفُنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِيحُ﴾. والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَعُ﴾ ﴿قَالَ بَعَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْرَأُوا بِوَيْهِ فَقَبَضْتُ فَبَعَثْتُ مِنْ أَمْرِ الرُّسُولِ فَجَذَبْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ﴿قَالَ فَأَدَّبْتُ فَإِنَّكَ لَ فِي الْحَيَوَاتِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّكَ لَكَ مَوْعِدَا لَنْ نَخْلَعَكَ وَنَنْظُرُ إِلَيْكَ إِلَهِيكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ مَا كُنَّا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبُقَنَّهُ فِي أَنْجَارٍ نَسْفَا﴾ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾



قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يُسْكَرُ﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي دعاك إلى ما صنعت؟ قال ابن الأنباري: وبعض اللغويين يقول: الخطب مشتق من الخطاب. المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟ واختلفوا في اسم السامري على قولين: أحدهما: موسى أيضاً، قاله وهب بن منبه، وقال: كان ابن عم موسى بن عمران. والثاني: ميخا، قاله ابن السائب. وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس. والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى «سامرة»، قاله قتادة. وفي بلدة قولان: أحدهما: كرمان، قاله سعيد بن جبير. والثاني: باجرما، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وقرأ حمزة والكسائي: «تَبَصَّرُوا»، بالتاء. فعلى قراءة الجمهور أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءة خاطب الجميع. قال أبو عبيدة: علمت ما لم تعلموا. قال: وقوم يقولون: بصرت، وأبصرت سواء، بمنزلة أسرع، وسرعت. وقال الزجاج: يقال: بصُر الرجل يبصُر. وهذا صار علماً بالشيء، وأبصر يبصر: إذا نظر. قال المفسرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريل على فرس، فألقي في نفسي: أن أقبض من أثرها ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾، وقرأ أبي بن كعب، والحسن، ومعاذ القارئ: «قبضة» بالصاد. وقال الفراء: والقبض بالكف كلها، والقبضة - بالصاد - بأطراف الأصابع. قال ابن قتيبة: ومثل هذا: الخضم بالضم كله، والقضم بأطراف الأسنان، والنضج أكثر من النضج، والرجز: العذاب، والرجس: التنت، والهلاس في البدن، والسلاس في العقل، والغلط في الكلام، والغلت في الحساب، والخصر: الذي يجد البرد، والخرص: الذي يجد البرد، والجوع، والنار الخامدة: التي قد سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، والهامة: التي طفت فذهبت البتة، والشكد: العطاء ابتداءً، فإن كان جزءاً فهو شكد، والمائح: الذي يدخل فيملاً الدلو، والماتح: الذي يترعاه.

قوله تعالى: ﴿تَنَبَّأْتَهَا﴾ أي: فقدفتها في العجل. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: «فنبذتها» بالإدغام ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما حدثك ﴿سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أي: زينت لي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿أَتَمَنَّا﴾ أي: من بيننا ﴿قَالَتْ لَكَ فِي الْحَيَوةِ﴾ أي: ما دمت حياً ﴿أَنْ تَقُولَ لَا يَسَاسٌ﴾ أي: لا أمس ولا أمس، فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع، لا يمس أحداً، ولا يمس أحداً، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: «لا مساس»، وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التفسير، بأرض الشام يقولون ذلك. وحكي أنه إن مس واحد من غيرهم واحداً منهم، أخذتهما الحصى في الحال.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا لَكَ مَوْعِدٌ﴾ أي: لعذابك يوم القيامة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ أي: لن يتأخر عنك. ومن كسر لام «تخلف» أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَآ إِلَهِكَ﴾ يعني: العجل ﴿الَّذِي ظَلَمْتَ﴾ قال ابن عباس: معناه: أقمت عليه. وقال الفراء: معنى «ظلمت»: فعلتته نهاراً. وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وابن يعمر: «ظلمت» برفع الظاء. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «ظلمت» بكسر الظاء. وقال الزجاج: «ظلمت» و«ظلمت» بفتح الظاء، وكسرهما، فمن فتح، فالأصل فيه: «ظلمت» ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ: «ظلمت» بالكسر، حوّل كسرة اللام على الظاء. ومعنى ﴿عَاقِبًا﴾ مقيماً، ﴿لَتُحْرِقَنَّهُ﴾ قرأ الجمهور: «لنحرقه» بضم النون وفتح الحاء وتشديد الراء، وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وابن يعمر: «لنحرقه» بفتح النون وسكون الحاء وزفع الراء مخففة. وقرأ أبو هريرة، والحسن، وقتادة: «لنحرقه» برفع النون وإسكان الحاء وكسر الراء مخففة. قال الزجاج: إذا شدد، فالمعنى: نحرقه مرة بعد مرة. وتأويل «لنحرقه»: لنبردته، يقال: حرقت أحرق وأحرق: إذا بردت الشيء. والتسف: التدزية. وجاء في التفسير: أن موسى أخذ العجل فذبحه، فسال منه دم، لأنه كان قد صار لحماً ودماً، ثم أحرقة بالنار، ثم ذراه في البحر، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿إِنَّمَا إِلَآ الْوَحْدَ لَا إِلَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحق العبادة، لا العجل، ﴿وَبِعَ كُلِّ شَيْءٍ عِندَنَا﴾ أي: وسع علمه كل شيء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرَهُ ﴿١٠٠﴾ خَلِيلَيْنِ

فِيهِ وَسَاءَ لَمَن يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءُ ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَخْفَتُونَ يَتَنَبَّهُونَ إِن لَّيْسَتْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَشْتَخِطُّكُمْ طَرِيقَةً إِن لَّيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿مِنَ آيَاتِهِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: من أخبار من مضى، والذكر هاهنا: القرآن ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿فَأَنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري: ﴿يُحْمَلُ﴾ برفع الباء وفتح الحاء وتشديد الميم، ﴿وَزُرْقًا﴾ أي: إنما ﴿خَلِيلِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَاءَ لَمَن﴾ قال الزجاج: المعنى: وساء الوزر لهم يوم القيامة ﴿حَمَلًا﴾، و﴿حَمَلًا﴾ منصوب على التمييز.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ قرأ أبو عمرو: «ننفخ» بالنون، وقرأ الباقون من السبعة: «ينفخ» بالياء، على ما لم يسم فاعله. وقرأ أبو عمران الجوني: «يوم ينفخ» بياء مفتوحة ورفع الفاء، وقد سبق بيانه. ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «ويحشر» بياء مفتوحة ورفع الشين. وقرأ ابن مسعود، والحسن، وأبو عمران: «ويحشر» بياء مرفوعة وفتح الشين «المجرمون» بالواو. قال المفسرون: والمراد بالمجرمين: المشركون. ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: غمياً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن قتيبة: يبيض العيون من الغمى، قد ذهب السواد، والناظر. والثاني: زُرْق العيون من شدة العطش، قاله الزهري. والمراد: أنه يشوه خَلْقَهُمْ بسواد الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ يَتَنَبَّهُونَ﴾ أي: يسار بعضهم بعضاً ﴿إِن لَّيْسَتْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: ما لبثتم إلا عشر ليال. وهذا على طريق التقليل، لا على وجه التحديد. وفي مرادهم بمكان هذا اللبث قولان: أحدهما: القبور. ثم فيه قولان: أحدهما: أنهم عَتَوْا طول ما لبثوا فيها، روى أبو صالح عن ابن عباس: إن لبثتم بعد الموت إلا عشرًا. والثاني: ما بين الفختين، وهو أربعون سنة، فإنه يخفف عنهم العذاب حيثئذ، فيستقلُّون مدة لبثهم لهول ما يعانئون، حكاه علي بن أحمد النيسابوري. والقول الثاني: أنهم عَتَوْا لبثهم في الدنيا، قاله الحسن، وقاتدة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَشْتَخِطُّكُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أعقلهم، وأعدلهم قولاً ﴿إِن لَّيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فنسي القوم مقدار لبثهم لهول ما عانوا.

﴿وَسْتَأْتِيكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعَ لَهُ إِلَّا هَسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَىٰ لَهُمْ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ بَعَثَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عَلِمَا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْبَئِيسِ الْقَبِيرِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَسْتَلِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمَوْ مَوْتُهُ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْذَرُونَ لِمَنْ ذَكَرَ ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّىٰ اللَّهُ أَلَمَكَ الْحَقُّ وَلَا تَجِدُ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَسْتَأْتِيكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ سبب نزولها أن رجالاً من ثقيف أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد! كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ قال المفسرون: النسف: التذرية. والمعنى: يصيرها رملاً تسيل سيلاً، ثم يصيرها كالصوف المنفوش، تطيرها الرياح فتستأصلها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾ قال ابن قتيبة: القاع من الأرض: المستوي الذي يعلوه الماء، والصفصاف: المستوي أيضاً، يريد: أنه لا نبت فيها.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ ﴿١٠٧﴾ في ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالعوَج: الأودية، وبالأمت: الروابي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: العوج: الانخفاض، والأمت، الارتفاع، وهذا مذهب الحسن. وقال ابن قتيبة: الأمت: التَبَكُّ. والثاني: أن العوج: التميل، والأمت: الأثر مثل الشراك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن العوج: الصدع، والأمت، الأكمة.

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٧٤/٤ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: ﴿وَسْتَأْتِيكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ قال الفراء: أي: يتبعون صوت الداعي للحشر، لا عَوَجَ لهم عن دعائه: لا يقدرون أن لا يتبعوا.

قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِ الْأَشْوَاثُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وظء الأقدام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد في رواية، واختاره الفراء، والزجاج. والثاني: تحريك الشفا بغير نطق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهد. وقال أبو عبيدة: الصوت الخفي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ يعني: لا تنفع أحدًا ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: إلا شفاعته من أذن له الرحمن، أي: أذن أن يُشْفَعَ له، ﴿وَرَحِمَى كَمْ قَوْلَآ﴾ أي: ورصي للمشفع فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا من أهل: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي. وقد شرحنا هذه الآية في سورة [البقرة: ٢٥٥]. وفي هاء «به» قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل. والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ قال الزجاج: «عَنَت» في اللغة: خضعت، يقال: عنا يعن: إذا خضع، ومنه قيل: أجدت البلاد عنوةً: إذا أخذت غلبةً، وأخذت بخضوع من أهلها. والمفسرون على أن هذا في يوم القيامة، إلا ما روي عن طلق بن حبيب: هو وضع الجبهة والأنف والكفين والركبتين وأطراف القدمين على الأرض للسجود. وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿أَلَعَلَّ الْيَوْمَ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ قال ابن عباس: خَسِرَ من أشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْلِكْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ «مِنْ» هاهنا للجنس. وإنما شرط الإيمان، لأن غير المؤمن لا يُقْبَلُ عمله، ولا يكون صالحاً، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف. وقرأ ابن كثير: «فَلَا يَخَفُ» على النهي.

قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يخاف أن يُظْلَمَ فيزاد في سيئاته، ولا أن يُهْضَمَ من حسناته، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا يخاف أن يُظْلَمَ فيزاد من ذنب غيره، ولا أن يُهْضَمَ من حسناته، قاله قتادة. والثالث: أن لا يخاف أن يؤاخذ بما لم يعمل، ولا يُنتَقَصَ من عمله الصالح، قاله الضحاك. والرابع: لا يخاف أن لا يُجْزَى بعمله، ولا أن يُنْقَصَ من حَقِّه، قاله ابن زيد. قال اللغويون: الهضم: النقص، تقول العرب: هضمْتُ لك من حَقِّي، أي: حَظَّطْتُ، ومنه: فلان هضم الكُشْحِينَ، أي: ضامر الجنين، ويقال: هذا شيء بهضم الطعام، أي: ينقص ثقله. وفرق بعض المفسرين بين الظلم والهضم، فقال: الظلم: منع الحق كله، والهضم: منع البعض، وإن كان ظُلماً أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: وكما بيئنا في هذه السورة، أنزلناه، أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: بيئنا فيه ضروب الوعيد. قال قتادة: يعني: وقائعه في الأمم المكذبة.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون سبباً لاتقائهم الشرك بالاتعاظ بمن قبلهم ﴿أَوْ يُخْدِثَ لَهُمْ﴾ أي: يجدد لهم القرآن، وقيل: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتباراً، فيذكروا به عقاب الأمم، فيعتبروا. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري: «أو تُخْدِثُ» بنون مرفوعة.

قوله تعالى: ﴿تَتَكَلَّى اللَّهُ﴾ أي: جلَّ عن إلحاد الملحدين وقول المشركين في صفاته، ﴿أَلَيْكَ﴾ الذي بيده كل شيء، ﴿أَلْحَقْ﴾ وقد ذكرناه في [يونس: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ الْفَرْقَانَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ بالسورة والآي فيتلوها عليه، فلا يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً لطم امرأته، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تطلب القصاص، فجعل

(١) قال السيوطي في «الدرر»: ٣٠٩/٤: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ الْفَرْقَانَ﴾ بِن قِيلَ أَنْ يُفَضَّحَ إِلَيْكَ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا تَجْعَلْ حَتَّى يَنْبِيَهُ لَكَ.

رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية، فوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى: ﴿الْيَمَالُ قَوْمُكَ عَلَىٰ﴾ (النساء: ٣٤)، قاله الحسن البصري<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَخَيْتٌ﴾ وقرأ ابن مسعود، والحسن، ويعقوب: «تَقْضِي» بالنون وكسر الضاد وفتح الياء «وَحْي» ينصب الياء. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه<sup>(٢)</sup>، هذا على القول الأول. والثاني: لا تقرأ أصحابك حتى نبين لك معانيه، قاله مجاهد، وقتادة. والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: زِدْنِي قرآنًا<sup>(٣)</sup>، قاله مقاتل. والثاني: فهمًا. والثالث: حفظًا، ذكرهما الثعلبي.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَاقِصٍ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَدَافُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَقُ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوْا لِلَّهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَكَاذِبُ هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ الْمُنَادِ وَمَلَكَ لَا يَبْلَى ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَكُمَا سَوَاتِرُهُمَا وَطُفِقَا بِيَحْيَا مَعَهَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ وَصَوَّىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَقَوَّى ﴿٢١﴾ ثُمَّ اجْتَنَبَتْ رَبَّهُ قَاتِبَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿٢٢﴾ قَالَ آمِطَا يَتَاهَا جِيْمًا بِمَعْنَى لِيُغْنِيَا عَنْكُم مِّنْ هَذِي فَمَنْ أَتَيْتُمْ هَذِي فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَقْرَبُ عَنْ وَغَرِي فَإِنَّ لَهُ مَبِيشَةً ضَنْكًا وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿٢٦﴾ وَكَذَلِكَ يُخْرِجُ مِنَ أَسْرَفٍ وَلَمْ يَكُنْ بِأَبْنَيْ رَبِّكَ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأَلَمٌ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أنهم إن نقضوا العهد، فإن آدم قد عاهدنا إليه ﴿فَقَوَّى﴾ وفي هذا النسيان قولان: أحدهما: أنه الترك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ترك ما أمر به. والثاني: أنه من النسيان الذي يخالف الذكر، حكاه الماوردي. وقرأ معاذ القارئي، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «فَقَسَّى» برفع النون وتشديد السين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ عَزْمًا﴾ العزم في اللغة: توطيئ النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به. والثاني: صبرًا، قاله قتادة، ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عما نهي عنه. والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزمًا في العود إلى اللذنب، ذكره الماوردي. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره (البقرة: ٣٤) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال المفسرون: المراد به نصب الدنيا وتبعها من تكلف الحرث والزرع والعجن والخبز وغير ذلك. قال سعيد بن جبيرة: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعمل عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه. قال العلماء: والمعنى: فتشقيًا؛ وإنما لم يقل: فتشقيًا، لوجهين: أحدهما: أن آدم هو المخاطب، فاكتمى به، ومثله: ﴿عَمِ الْآبِيَيْنِ وَنَحْنُ إِلَيْكَ يَدٌ﴾ (ق: ١٧)، قاله الفراء. والثاني: أنه لما كان آدم هو الكاسب، كان التعب في حقه أكثر، ذكره الماوردي.

(١) «الطبري» ٥٨/٥، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٤ وزاد نسيه إلى القريائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) قال ابن كثير ١٦٧/٣: وقوله: ﴿وَلَا تَسْبُلُ بِالْأَنْزَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَخَيْتٌ﴾ كقوله تعالى في سورة: (لا أقسم بيوم القيامة): ﴿لَا تَقْرَأُ بِهِ إِلَاكَ بِسْمِ اللَّهِ﴾ (١) ﴿إِلَّا عَنَّا جَمْعٌ وَذِكْرًا﴾ (٢) ﴿فَلَا تَقْرَأُ تِلْكَ فُتُوحَةً﴾ (٣) ثُمَّ ﴿إِلَّا عَنَّا بَيِّنَةً﴾ (٤) قال: وثبت في «المصحيح» من ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني أنه ؓ، كان إذا جاء جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لتلايش عليه، فقال: ﴿لَا تَقْرَأُ بِهِ إِلَاكَ بِسْمِ اللَّهِ﴾ (٥) ﴿إِلَّا عَنَّا جَمْعٌ وَذِكْرًا﴾ (٦) ﴿فَلَا تَقْرَأُ تِلْكَ فُتُوحَةً﴾ (٧) أي: أن نجتمع في صدرك، ثم نقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئًا، ثم قال: وقال في هذه الآية: ﴿وَلَا تَسْبُلُ بِالْأَنْزَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْضَىٰ إِلَيْكَ وَخَيْتٌ﴾ أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراء بعده.

(٣) قال ابن كثير ١٦٧/٣: قال ابن عيينة رحمه الله: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله ﷻ. وقال الألوسي في «روح المعاني»: واستدل بالآية على فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب زيادته.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ ﴿١١٥﴾ قرأ أبي بن كعب: «لا تُجَاع ولا تُعْرِى» بالتاء المضمومة والالف. «وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «وَأَنَّكَ» مفتوحة الألف. وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وَأَنَّكَ» بكسر الألف. قال أبو علي: من فتح، حملة على أن لك أن لا تجوع، وأن لك أن لا تظما، ومن كسر، استأنف.

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمى الرجل ظمًا، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى «وَلَا تَضْحَكُ» لا تبرز للشمس فيصيبك حرها، لأنه ليس في الجنة شمس.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلَادِ﴾ أي: على شجرة من أكل منها لم يمُتْ «وَمَلِكُ لَا يَبْكُ» جديده ولا يفنى. وما بعد هذا مفسر في [الأعراف: ٢٢]. وفي قوله تعالى: ﴿فَقَوَّيْ﴾ قولان: أحدهما: ضلَّ طريق الخلود حيث أراد من قبل المعصية. والثاني: فسد عليه عيشه، لأن معنى الغي: الفساد. قال ابن الأنباري: وقد غلط بعض المفسرين، فقال: معنى «غوى»: أكثر مما أكل من الشجرة حتى بشم، كما يقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبن أمه فبشم فكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين: أحدهما: أنه لا يقال من البشم: غَوَى يَغْوِي، وإنما يقال: غَوَى يَغْوِي. والثاني: أن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذُكِّرُوا بِالشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] يدل على أنهما لم يكثرَا، ولم تتأخر عنهما العقوبة حتى يصلا إلى الإكثار. قال ابن قتيبة: فنحن نقول في حق آدم: عصى وغوى كما قال الله ﷻ، ولا نقول: آدم عاصٍ وغاوٍ، كما تقول لرجل قطع ثوبه وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا نقول: هذا خياط، حتى يكون معاوداً لذلك الفعل، معروفاً به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَنَى رَبُّكَ﴾ قد بينا الاجتناء في [الأنعام: ٨٧] «فَنَابَ عَلَيْهِ وَهْدَى» أي: هداة للتوبة. «قَالَ أَهْبَا» في المشار إليهما قولان: أحدهما: آدم وإبليس، قاله مقاتل. والثاني: آدم وحواء، قاله أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله تعالى: ﴿بِمُكْرٍ يُعَيِّنُ عَدُوًّا﴾ آدم وذريته، وإبليس وذريته، والحية أيضاً<sup>(١)</sup>؛ وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٣٦]. قوله تعالى: ﴿فَمَنْ آتَى هَذَا﴾ أي: رسولي وكتابي «فَلَا يَفْضِلْ وَلَا يَشْفِ» قال ابن عباس: من قرأ القرآن وآتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووفاه سوء الحساب، ولقد ضمن الله لمن آتبع القرآن أن لا يَفْضِلْ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ قال عطاء: عن موعظتي. وقال ابن السائب: عن القرآن ولم يؤمن به ولم يتبعه. قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال أبو عبيدة: معناه: معيشة ضيقة، والضنك يوصف به الأنثى والذكر بغير هاء، وكل عيش أو مكان أو منزل ضيق، فهو ضنك، وأنشد:

وَأَنْ نَزُولُوا بِضَنْكِكَ فَنَأْزِلُ<sup>(٢)</sup>

وقال الزجاج: الضنك أصله في اللغة: الضيق والشدة. وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال: أحدها: أنها عذاب القبر، روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون ثقيلاً ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. ومن ذهب إلى أنه عذاب القبر ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، والسدي. والثاني: أنه ضخطة القبر حتى تختلف أضلاعه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: شدة عيشه في النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال

(١) انظر التعليق الذي في الصفحة ٥٦.

(٢) هذا جزء من عجز بيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسي، وهو في «مجاز القرآن» ٣٢/٢، و«الطبري» ٢٢٥/١٦، و«القرطبي» ٢٥٨/١١، ومختار الشعر الجاهلي ٣٨٨/١، والبيت بتمامه:

إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرَزُ وَإِنْ يُسَلِّحُوا أَشَدُّ وَإِنْ يُلْفُوا بِضَنْكِكَ أَتَزِلُ  
وفي «اللسان» مادة «ضنك»: الضنك: الضيق من كل شيء، الذكر والأنثى فيه سواء، ومعيشة ضنك: ضيقة، وفي التنزيل: «قَالَ لَمْ مَعِيشَةً ضَنْكًا»، أي: غير حلال.

(٣) «الطبري» ٢٢٨/١٦، وأسباب النزول للواحدي ١٧٤، وأورده السيوطي في «الدر» ٣١١/٤، وهو حديث ضعيف، وذكره ابن كثير ١٦٩/٣ وقال: رفعه منكر جداً.

الحسن، وقتادة، وابن زيد. قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم. والرابع: أن المعيشة الضنك: كسب الحرام، روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضنك: أن تضيق عيه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها. قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث، وبه قال عكرمة. والخامس: أن المعيشة الضنك: المال الذي لا يتقي الله صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس. فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال: أحدها: القبر. والثاني: الدنيا. والثالث: جهنم. وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «أعمى» ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ بفتح الميمين. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسرهما. وقرأ نافع بين الكسر والفتح. ثم في هذا العمى للمفسرين قولان: أحدهما: أعمى البصر، روى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا أخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي. والثاني: أعمى عن الحجة، قاله مجاهد، وأبو صالح. قال الزجاج: معناه: فلا حجة له يهتدي بها، لأنه ليس للناس على الله حجة بعد الرسل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿أَنْتَكَ أَتَيْنَا نَفْسِيَّهَا﴾ أي: فتركناها ولم تؤمن بها؛ وكما تركناها في الدنيا تترك اليوم في النار. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما ذكرنا ﴿نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ أي: أشرك، ﴿وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ﴾ من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر ﴿وَأَنزِلُ﴾ لأنه يذوم.

﴿أَلَمْ يَدْرِهِمْ كَمْ آمَلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّعُولِ﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزُلَمَاءٍ وَاجِلٌ مِّنْهُ لَيَسِّرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَمَلَكٌ لِّرَبِّكَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَدْرِهِمْ﴾ أي: أفلم يتبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكتنا من الأمم؛ وكانت قريش تتجبر وترى مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾. وروى زيد عن يعقوب: «أفلم تهدي بالنون».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى انقضاء آجالهم ﴿لَكَانَ لِزُلَمَاءٍ﴾ أي: لكان العذاب لازماً، أي: لازماً لهم. والزماء: مصدر. وصف به العذاب. قال الفراء وابن قتيبة: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى: ولولا كلمة وأجل مسعى لكان لازماً. قوله تعالى: ﴿فَأَمِيرٌ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله تعالى نبيه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم فيهم بالقتل، ونسخ بآية السيف إطلاق الصبر.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ له بالحمد له والثناء عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: يريد الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ الآناء: الساعات، وقد بيناها في [ال عمران: ١١٣]، ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فصلِّ. وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال: أحدها: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد. والرابع: أول الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المعنى: وسبِّح أطراف النهار. قال الفراء: إنما هما طرفان، فخرجا مخرج الجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَتَدَّ صَفَتْ فَلَوْ كُنَّا﴾ [التحریم: ٤]. وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الظهر، قاله قتادة؛ فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر: أطراف النهار، لأن وقتها عند الزوال، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني. والثاني: أنها صلاة المغرب وصلاة الصبح، قاله ابن زيد؛ وهذا على أن الفجر في ابتداء الطرف الأول، والمغرب في انتهاء الطرف الثاني. والثالث: أنها الفجر والظهر والعصر؛ فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الأول، والظهر والعصر من الطرف الثاني، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَمَلَكٌ رَّبَّنَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: «ترضى» بفتح التاء. وقرأ الكسائي، وأبو بكر عن عاصم بضمها. فمن فتح، فالمعنى: لملك ترضى ثواب الله الذي يعطيك. ومن ضمها، ففيه وجهان: أحدهما: لملك ترضى بما تعطى. والثاني: لعل الله أن يرضاك.

﴿وَلَا تَمُدَّدْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَرِيرٌ وَابِقٌ ۖ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْلَحٍ عَلَيْنَا لَا تَشْتَاكَ رِزْقًا نَحْنُ رِزْقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّدْ عَيْنَكَ﴾ سبب نزولها، ما روى أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل ضيف برسول الله ﷺ، فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً، فقال: قل له: إن رسول الله ﷺ يقول: «بمعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب»، فأتيته فقلت له ذلك، فقال اليهودي: والله لا أبيع ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «والله لو باعني أو أسلفني لقضيتي، وإنني لأمين في السماء أمين في الأرض، انهب بدرعي الحديد إليه»، فنزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا<sup>(١)</sup>. قال أبي بن كعب: من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حشرات على الدنيا. وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر [الحج: ٢٨٨].

قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ الدُّنْيَا﴾ قرأ ابن مسعود، والحسن، والزهري، ويعقوب: «زَهْرَةَ» بفتح الهاء. قال الزجاج: وهو منصوب بمعنى «متعنا»، لأن معنى «متعنا»: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة، ﴿لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم. وقال ابن قتيبة: لنختبرهم. قال المفسرون: زهرة الدنيا: بهجتها وغضارتها وما يروق الناظر منها عند رؤيته، وهو من زهرة النبات وحسنه.

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ حَرِيرٌ وَابِقٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ثوابه في الآخرة. والثاني: القناعة. قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ﴾ قال المفسرون: المراد بأهله: قومه ومن كان على دينه، ويدخل في هذا أهل بيته. قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: واصبر على الصلاة ﴿لَا تَشْتَاكَ رِزْقًا﴾ أي: لا تكلفك رزقاً لنفسك ولا لخلقنا، إنما نأمرك بالعبادة ورزقك علينا، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: وحسن العاقبة لأهل التقوى. وكان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا، ثم يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، وتتلوه هذه الآية. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّنَا أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۖ وَكَوْنًا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُخْزَى ۖ قُلْ كُلُّ مُرْتَبِعٍ فَرِيسٌ مُسْتَعْلُونَ مَنْ أَصْحَبُ الضَّرِيطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَكَى ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا. ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّنَا﴾ أي: كآيات الأنبياء، نحو الناقة والعصا، ﴿أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «تأتهم» بالثاء. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يأتهم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: أولم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب من أخبار الأمم التي أهلكناها لما سألوا الآيات ثم كفروا بها، فما يؤمنهم أن تكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك؟! ﴿وَكُونًا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ في الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله مقاتل. والثاني: إلى الرسول، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ أي: هلا. ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدعونا إلى طاعتك ﴿فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ أي: نعمل بمقتضاها ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَنُخْزَى﴾ في جهنم. وقرأ ابن عباس، وابن السميع، وأبو حاتم عن يعقوب: «نُذِلَّ» و«نُخْزَى» برفع النون فيهما، وفتح الدال. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿كُلُّ﴾ منا ومنكم ﴿مُتَرَبِّعٌ﴾ أي: نحن نترتب بكم العذاب في الدنيا، وأنتم تترتبون بنا الدوائر ﴿فَرِيسٌ﴾ أي: فانتظروا ﴿مُسْتَعْلُونَ﴾ إذا جاء أمر الله ﴿مَنْ أَصْحَبُ الضَّرِيطِ السَّوِيِّ﴾ أي: الذين المستقيم ﴿وَمَنِ اهْتَكَى﴾ من الضلالة، أنحن، أم أنتم؟ وقيل: هذه منسوخة بآية السيف، وليس بشيء.



(١) «الطبري» ٢٣٥/١٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٣١٢/٤ وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وابن راهويه، والبخاري، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخراطي في «مكارم الأخلاق»، وأبي نعيم في «المعرفة» عن أبي رافع.

## سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ❶ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَذِّلُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ❷  
 لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ❸ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ  
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❹ بَلْ قَالُوا أَضَلَّتْ أَعْيُنُنَا أَمْ لَنَا بَصَرٌ أَمْ قُلُوبُنَا أَمْ نَسُوا الْآيَاتِ الْأُولَى  
 ❺ مَا آمَنَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ قُرْبَى أَهْلِكْنَاهَا أَفَهُمْ يَعْمُونَ ❻ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ  
 لَا تَعْلَمُونَ ❼ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ❽ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمِنْ نَصَائِهِ أَهْلَكْنَاهُ  
 السَّافِرِينَ ❾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ❿﴾  
 وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف تعلمه.

قوله ﴿اَقْتَرَبَ﴾: افتعل، من القرب، يقال: قَرُبَ الشيء، واقترب. وهذه الآية نزلت في كفار مكة. وقال  
 الزجاج: اقترب للناس وقت حسابهم. وقيل: اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى «من». والمراد بالحساب: محاسبة الله  
 لهم على أعمالهم. وفي معنى قُرْبَى قولان: أحدهما: أنه آت، وكلُّ آتٍ قريب. والثاني: لأن الزمان - لكثرة ما مضى  
 وقلة ما بقي - قريب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأمل له. وقيل: «اقترب للناس» عام،  
 والغفلة والإعراض خاص في الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَذِّلُ﴾، وفي هذا الذكر ثلاثة  
 أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عباس: فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: ﴿تُخَذِّلُ﴾ إلى إنزاله له، لأنه أنزل شيئاً بعد  
 شيء. والثاني: أنه ذكر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاية أبو سليمان الدمشقي. وقال النقاش: هو ذكر من رسول الله،  
 وليس بالقرآن. والثالث: أنه رسول الله، بدليل قوله في سياق الآية: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، قاله الحسن بن الفضل.  
 قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة عما يُراد بهم. قال الزجاج: المعنى: إلا استمعوه لآعين لاهية  
 قلوبهم؛ ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: «يلعبون». وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن أبي عبله: «لا هية» بالرفع.  
 قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَأُ النَّجْوَى﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، يعني المشركين. ثم بيّن من هم فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾  
 أي: أشركوا بالله. «والذين» في موضع رفع على البدل من الضمير في «وأسروا». ثم بيّن سرهم الذي تناجوا به  
 فقال: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي، فليس بملك؛ وهذا إنكار لنبوته. وبعضهم يقول: «أسروا» هاهنا  
 بمعنى: أظهروا، لأنه من الأضداد.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّيْحَرَ﴾ أي: أفتقبلون السحر ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه يسخر؟! يعنون أن متابعة محمد ﷺ  
 متابعة السحر. ﴿قُلْ رَبِّي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «قل ربّي». وقرأ حمزة،  
 والكسائي، وحفص عن عاصم: «قال ربّي»، وكذلك هي في مصاحب الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبي ﷺ أنه  
 قال: يعلم القول، أي: لا يخفى عليه شيء يقال في السماء والأرض، فهو عالم بما أسررتهم. ﴿بَلْ قَالُوا﴾، قال  
 الفراء: ردّ «بل» على معنى تكذيبهم، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم، لأن معناه الإخبار عن الجاحدين، وأعلم أن  
 المشركين كانوا قد تحيروا في أمر رسول الله ﷺ، فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به يسخر،  
 وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة تُرى في المنام؛ وقد شرحناها في [يوسف: ٤٤]، وبعضهم



يقول: افتراء، أي: اختلقه، وبعضهم يقول: هو شاعر فليأتنا بآية كالناقة والعصا، فافترحوا الآيات التي لا إهمال بعدها.

قوله تعالى: ﴿هَآءَا مَآئِكَ قَبْلَهُمْ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿هَٰؤُلَاءِ قَرِيبٌ﴾ وصف القرية، والمراد أهلها، والمعنى: أن الأمم التي أهلكك بتكذيب الآيات، لم يؤمنوا بالآيات لما أنتمهم، فكيف يؤمن هؤلاء؟! وهذه إشارة إلى أن الآية لا تكون سبباً للإيمان، إلا أن يشاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِسَالًا﴾ هذا جواب قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَيْحٌ لِلَّذِينَ﴾ قرأ الأكثرون: «ويوحى» بالياء. وروى حفص عن عاصم: «فُوحى» بالنون. وقد شرحنا هذه الآية في (النحل: ٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ يعني الرسل ﴿جَسَدًا﴾ قال الفراء: لم يقل: أجساداً، لأنه اسم الجنس. قال مجاهد: وما جعلناهم جسداً ليس فيهم روح. قال ابن قتيبة: ما جعلنا الأنبياء قبله أجساداً لا تأكل الطعام ولا تموت فجعله كذلك. قال المبرد وثعلب جميعاً: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخباراً، فمعنى الآية: إنما جعلناهم جسداً ليأكلوا الطعام. قال قتادة: المعنى: وما جعلناهم جسداً إلا ليأكلوا الطعام.

قوله تعالى: ﴿فَمَآبِئْسَ لَهُمُ مَّقَابِلُ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذبيهم ﴿فَأَجْبَسْنَاهُمْ وَمِنْ شَأْنِهِ﴾ وهم الذين صدقهم ﴿وَأَمْلَكْنَا السُّرْيَانَ﴾ يعني: أهل الشرك؛ وهذا تخويف لأهل مكة. ثم ذكر مثله عليهم بالقرآن فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: فيه وينكم، قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم. والثالث: فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رجة أو عذاب، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَقُولُونَ﴾ ما فضلناكم به على غيركم.

﴿وَكَمْ فَصَنَّا مِنْ قَرِيبٍ كَانَتْ طَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَصْحَرْنَا بِأَسَآءٍ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿لَا تَرْكَبُوا وَأْتِجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَبْرَأَ إِلَهُكُمَا طَالِبِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَمِيمًا خَبِيرِينَ﴾

ثم حوِّفهم فقال: ﴿وَكَمْ فَصَنَّا﴾ قال المفسرون واللغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصم: الكسر. وقوله: ﴿كَانَتْ طَالِمَةً﴾، أي: كافرة، والمراد: أهلها ﴿ثُمَّ أَصْحَرْنَا بِأَسَآءٍ﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَكْفُرُونَ﴾ أي: يغدّون، وأصل الرُّكُوع: تحريك الرُّجُلين؛ يقال: رَكَضْتُ الفَرَسَ: إذا أغدّيته بتحريك رجله فعدا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكَبُوا﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم: ﴿وَأَتِجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾، أي: إلى نعمكم التي أنرفتكم، وهذا توبيخ لهم. وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: تُسألون من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم، قاله قتادة. والثاني: تُسألون عن قتل نبيكم، قاله ابن السائب. فلما أيقنوا بالعذاب ﴿قَالُوا يَبْرَأَ إِلَهُكُمَا طَالِبِينَ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبينا. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾، أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي ﴿قَالُوا يَبْرَأَ إِلَهُكُمَا طَالِبِينَ﴾ قولهم يُردّدونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَمِيمًا خَبِيرًا﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيوف ﴿خَبِيرِينَ﴾، أي: ميتين كخمود النار إذا طُفِئَتْ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَبْذِلَهُمْ لَوَلَّوْا أَفْعَدْنَا مِنْ لَدُنَّا أَنْ كُنتُمْ قٰٓئِلِينَ﴾ ﴿بَلْ نَقْذِرُ الْبَٰلَ عَلَى الْبَٰلِغِينَ فَإِذَا هُوَ رَٰقِقٌ وَّلَكُمْ لَوَالٍ وَمَا تَصِفُونَ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَبَيْنَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا بِرِضَا رَبِّهِ وَلَا يَتَّخِذُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ حِطًّا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا يُخْفُونَ﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُعْمَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا يُخْفُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا يُخْفُونَ﴾ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ مِّنْ مِّقْدَرٍ لَّئِنْ لَّمْ يَدْعُوا لَنُغْنِيَنَّ عَنْهُمْ شَيْئًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَمَعِينَ﴾ أي: لم نخلق ذلك عبثاً، إنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيّتنا ليعتبر الناس بخلقه، فيعلموا أن العبادة لا تصلح إلا لخالقه، لنجازي أوليائنا، ونعذب أعداءنا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين لما قالوا: الملائكة بنات الله والآلهة بناته، نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن نصارى نجران قالوا: إن عيسى ابن الله، فنزلت هذه الآية. قاله مقاتل. وفي المراد باللهو ثلاثة أقوال: أحدها: الولد، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي. قال الزجاج: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولدًا لهوً نلَّهَى به. والثاني: المرأة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: اللعب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ قال ابن جريج: لا نتخذنا نساءً أو ولدًا من أهل السماء، لا من أهل الأرض. قال ابن قتيبة: وأصل اللهو: الجماع، فكُنِيَ عنه باللهو، كما كُنِيَ عنه بالسُرُّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لا نتخذناه من عندنا، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره. وفي قوله: ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلَيْنَا﴾ قولان: أحدهما: أن «إِنْ» بمعنى «مَا»، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. والثاني: أنها بمعنى الشرط. قال الزجاج: والمعنى: إن كنا نفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله؛ قال: والقول الأول قول المفسرين، والثاني قول النحويين، وهم يستجيدون القول الأول أيضاً، لأن «إِنْ» تكون في موضع النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إن كنت لصالحاً، معناه: ما كنت إلا صالحاً.

قوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فإنه باطل ﴿نَقَرُ يَوْمَ يَأْتِي﴾ أي: نسلط الحق وهو القرآن ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ وهو كذبهم ﴿يَكِيدُمُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب، وهو مقتل ﴿فَإِذَا هُوَ رَاقٍ﴾ أي: زائل ذاهب. قال المفسرون: والمعنى: إنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل، ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: من وصفكم الله بما لا يجوز ﴿وَلَكُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: هم عبيده ومُلْكُهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني: الملائكة. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يرجعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لا ينقطعون، قاله مجاهد. وقال ابن قتيبة: لا يعيرون، والحير: المنقطع الواقف إعياء وكلالاً. والثالث: لا يملؤون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَقْرَأُونَ﴾ قال قتادة: لا يسمعون. وسئل كعب: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي، جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس، ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتكلم وأنت تنفس؟! فكذاك جعل لهم التسييح. ثم إن الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَدُّوا إِلَهُهٖ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لأن أصنامهم من الأرض هي، سواء كانت من ذهب أو فضة أو خشب أو حجارة ﴿هُمْ﴾ يعني: الآلهة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يُحْيُونَ الموتى. وقرأ الحسن: «يُنْشَرُونَ» بفتح الياء وضم الشين. وهذا استفهام بمعنى المجحد، والمعنى: ما اتخذوا آلهة تنشر ميتاً. ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا﴾ يعني: السماء والأرض ﴿إِلَٰهَةٌ﴾ يعني: معبودين ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قال الفراء: سوى الله. وقال الزجاج: غير الله.

قوله تعالى: ﴿لَنَسَنَّا﴾ أي: لخبرنا وبطلنا وهلك من فيهما، لوجود التمانع بين الآلهة، فلا يجري أمر العالم على النظام، لأن كل أمر صدر عن اثنين فصاعداً لم يسلم من الخلاف.

قوله تعالى: ﴿لَا يَنْتَلِ عَنَّا يَقُولُ﴾ أي: عما يخكم في عباده من هدي وإضلال، وإعزاز وإذلال، لأنه المالك للخلق، والخلق يسألون عن أعمالهم؛ لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم. ولما أبطل ﴿لَنَّا﴾ أن يكون إله سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَنَسَنَّا﴾، أبطل ذلك من حيث الأمر فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَدُّوا مِنْ دُونِهِ إِلَٰهَةً﴾ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ﴿فَلْ هَآؤُا يَهْتَفِكُمْ﴾ على ما تقولون، ﴿هَٰذَا يَكُوفُ مِنْ رَبِّي﴾ يعني: القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿وَيَكُوفُ مَنْ قَبْلِي﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتب التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحد منها أن الله أمر باتخاذ إله سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به. قال الزجاج: قيل لهم: هاتوا برهانكم بأن رسولاً من الرسل أخبر أمته بأن لهم إلهاً غير الله!.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس. والثاني: التوحيد، قاله مقاتل ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن التفكير والتأمل وما يجب عليهم من الإيمان.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِيَ إِلَيْهِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا مُبْهَجَةً بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَنْشَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَنِي وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهٌ مِنْ دُونِي فَلْنَكْفُرْ بِهِمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: «مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى» قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إِلَّا نُوحَى» بالنون؛ والباقون بالياء. قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٢٥) في القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم مشركو قريش، قاله ابن عباس. وقال ابن إسحاق: القائل لهذا النضر بن الحارث. والثاني: أنهم اليهود، قالوا: إن الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة، قاله قتادة. فعلى القولين، المراد بالولد: الملائكة، وكذلك المراد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾، والمعنى: بل عباد أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾، أي: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به. وقال ابن قتيبة: لا يقولون حتى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما قَدَّمُوا من الأعمال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عاملون، ﴿وَلَا يَنْشَعُونَ﴾ يوم القيامة، وقيل: لا يستغفرون في الدنيا ﴿إِلَّا لِمَنْ أَرَادَنِي﴾ أي: لِمَنْ رضي عنه، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون. وقال الحسن: يرتعدون. ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة. قال الضحاك في آخرين: هذه خاصة لإبليس، لم يَدْعُ أحد من الملائكة إلى عبادة نفسه سواء؛ قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا قول من قال: إنه من الملائكة، فإن إبليس قال ذلك للملائكة الذين هبطوا معه إلى الأرض، ومن قال: إنه ليس من الملائكة<sup>(١)</sup>، قال: هذا على وجه التهديد، وما قال أحد من الملائكة ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَوْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَمَّا كُنْتُمْ هَيَّكُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا تُخَفُّوهُ طَائِفًا وَهُمْ عَنْ إِلَيْهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أولم يعلموا. وقرأ ابن كثير: «أَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا» بغير واو بين الألف واللام، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة، ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال أبو عبيدة: السموات جمع، والأرض واحدة، فخرجت صفة لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد والعرب تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحد؛ والرتق مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث سواء، ومعنى الرتق: الذي ليس فيه ثقب. قال الزجاج: المعنى: كانتا ذواتي رتق، فجعلهما ذوات فتق، وإنما لم يقل: «ارْتَقَيْنِ» لأن الرتق مصدر. وللمفسرين في المراد به ثلاثة أقوال: أحدها: أن السموات كانت رَتْقًا لا تُنْطَر، وكانت الأرض رَتْقًا لا تُنْبِت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة، ومجاهد في رواية، والضحاك في آخرين. والثاني: أن السموات ولأرض كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة. والثالث: أنه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعة، ومن السماء ست سموات فصارت سبعة، رواه السدي عن أشياخه، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن أبي عبله، وحמיד بن قيس: «كُلُّ شَيْءٍ حَيًّا» بالنصب. وفي هذا الماء قولان: أحدهما: أنه الماء المعروف، والمعنى: جعلنا الماء سبباً لحياة كل حي، قاله الأكثرون. والثاني: أنه النطفة، قاله أبو العالية.

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَارٍ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ أَدَمَ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ: لَمْ يَكُنْ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرَفَةَ عَيْنٍ نَفْثَ، وَإِنَّ لِأَصْلِ الْجَنِّ، كَمَا أَنَّ أَدَمَ أَصْلُ الْبَشَرِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ قد فسرناه في [النحل: ١٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرواسي ﴿وَجِبَالًا﴾، قال أبو عبيدة: هي المسالك. قال الزجاج: الفيجاج جمع فَج، وهو كل منحرق بين جبلين، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طرقا. قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طُرُقًا كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار. قال المفسرون: وقوله: ﴿سَبِيلًا﴾ تفسير للفيجاج، ويبان أن تلك الفيجاج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفَج غير نافذ. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَاءً﴾ أي: هي للأرض كالسقف. وفي معنى ﴿مَحْفُوظًا﴾ قولان: أحدهما: بالنجوم من الشياطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: محفوظاً من الوقوع إلا بإذن الله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿عَنَّا كِتَابًا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها، قال الفراء: وقرأ مجاهد: ﴿عَن آيَتِهَا﴾ فوحده، فجعل السماء بما فيها آية؛ وكلُّ صواب.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِي فَلَكٍ﴾ قال ابن قتيبة: الفلك: مدار النجوم الذي يضمها، وسماه فلكاً، لاستدارته. ومنه قيل: فلانة المغزل، وقد فلكَ ثدي المرأة. قال أبو سليمان: وقيل: إن الفلك - كهية الساقية من ماء - مستديرة دون السماء وتحت الأرض، فالأرض وسطها، والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار يجرون في الفلك، وليس الفلك يُديرها. ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يَجْرُونَ. قال الفراء: لما كانت السباحة من أفعال الآدميين، ذُكرت بالنون، كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]، لأن السجود من أفعال الآدميين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لَشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفْيَانٍ يَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْحَيْرِ وَشَنَاءِ وَإِنَّا نُرْجِعُونَ﴾ ﴿وَإِذَا رَمَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْذَوْنَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَدْعُرُ الرِّحَىٰ هُمْ كَافِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لَشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ﴾ سبب نزولها أن ناساً قالوا: إن محمداً لا يموت، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: ما خلدنا قبلك أحداً من بني آدم؛ والخلد: البقاء الدائم. ﴿أَفْيَانٍ يَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ يعني: مشركي مكة، لأنهم قالوا: ﴿نَرَىٰ بِرَبِّ الْمَوْتُونَ﴾ [الطور: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْحَيْرِ﴾ قال ابن زيد: نخبركم بما تحبون لننظر كيف شكركم، وبما تكرهون لننظر كيف صبركم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ [قرأ ابن عامر: «ترجعون» بناء مفتوحة. وروى ابن عباس عن أبي عمرو: «يرجعون» بياء مضمومة. وقرأ الباقون بناء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَمَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال ابن عباس: يعني المستهزئين، وقال السدي: نزلت في أبي جهل، مر به رسول الله، فضحك وقال: هذا نبي بني عبد مناف. وإن بمعنى «ملا» ومعنى ﴿هُزُوءًا﴾ مهزوءاً به ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم، وفيه إضمار «يقولون»، ﴿وَهُمْ يَدْعُرُ الرِّحَىٰ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن، فكفروا بالرحمن.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَؤِيرِكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿وَقُلُوبُكَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ أَنْتَارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُصْرَفُونَ﴾ ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿لَقَدْ أَسْتَهْزَأَ بِرُسُلِ بْنِ قَبِيلِكَ فَهَاقَ بِالَّذِي سَخَّرَوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وقرأ أبو رزین العُقيلي، ومجاهد، والضحاك: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» بفتح الخاء واللام ونصب النون. وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب. وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النضر بن الحارث، وهو الذي قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: آدم ﷺ، قاله سعيد بن جبیر، والسدي في آخرين. والثالث: أنه اسم جنس، قاله علي بن أحمد النيسابوري؛ فعلى هذا يدخل النضر بن الحارث وغيره في هذا وإن كانت الآية نزلت فيه. فأمّا من قال: أريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنه خُلِقَ عجولاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا



يقول: لما طلع آدم على هذا المعنى، وُجد في أولاده، وأورثهم العَجَل. والثاني: خلق بعَجَل، استعجل بحلقة قبل غروب الشمس من يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة، قاله مجاهد. فأما من قال: هو اسم جنس، ففي معنى الكلام قولان: أحدهما: خُلِقَ عَجُولاً، قال الزجاج: خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثُر منه اللعب: إنما خلقت من لعب، يريدون المبالغة في وصفه بذلك. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: خلقت العجلة في الإنسان، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ فيه قولان: أحدهما: ما أصاب الأمم المتقدمة؛ والمعنى: إنكم تسافرون فترون آثار الهلاك في الماضين، قاله ابن السائب. والثاني: أنها القتل ببدنه، قاله مقاتل. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ أثبت الباء في الحاليين يعقوب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: القيامة. ﴿وَيَقُولُونَ كَذِبًا﴾ جوابه محذوف، والمعنى: لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا، ﴿حِينَ لَا يَكُونُ﴾ أي: لا يدفعون ﴿وَيُجَاهِدُونَ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ أي: يُمنعون مما نزل بهم، ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ يعني: الساعة ﴿بَفْجَاءٍ﴾ فجأة ﴿فَتَنبَهُنَّ﴾ تحيرهم؛ وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَلَا يَسْتَظْهِرُونَ رَدْعًا﴾ أي: صرفها عنهم، ولا هم يُمهلون لتوبة أو معذرة. ثم عزى نيته، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَشِيرُ رَسُولِي بَيْنَ قَبَائِكَ﴾ أي: كما فعل بك قومك ﴿فَمَقَّ﴾ أي نزل ﴿وَالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من الرسل ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني: العذاب الذي كانوا استهزؤوا به.

﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ١٩ ﴿أَمْ هُمْ مَالِهَةٌ تَتَّبِعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَظْهِرُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ ٢٠ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ٢١ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ٢٢ ﴿لَكِنَّ مَسْتَهْزِئَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ بِتَوَلَّيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٢٣

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرُكُمْ﴾ المعنى: قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم من بأس الرحمن إن أراد إزاله بكم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن كلامه ومواعظه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفتكرون ولا يعتبرون. ﴿أَمْ هُمْ مَالِهَةٌ تَتَّبِعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم؟ وهاهنا تم الكلام. ثم وصف آلهتهم بالضعف، فقال: ﴿لَا يَسْتَظْهِرُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ والمعنى: من لا يقدر على نصر نفسه عما يُراد به، فكيف ينصر غيره؟ ١٩.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار، وهو قول ابن عباس. والثاني: أنهم الأصنام، قاله قتادة. وفي معنى ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: يُجَارُونَ، رواه العوفي عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: والمعنى: لا يجيرهم منّا أحد، لأن المجير صاحب لجاره. والثاني: يُمنعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: يُنصرون، قاله مجاهد. والرابع: لا يُصْحَبُونَ بخير، قاله قتادة. ثم بين اغترارهم بالإمهال، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاعثروا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قد شرحناه في [الرعد: ٤١]، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحال، وهو نقص الأرض، والمعنى: ليسوا بغالبين، ولكنهم المغلوبون. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ﴾ أي: أخوفكم ﴿بِالْوَحْيِ﴾ أي: بالقرآن، والمعنى: إنني ما جئت به من تلقاء نفسي، إنما أُمِرْتُ فبلغت، ﴿وَلَا يُسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ وقرأ ابن عامر: ﴿وَلَا يُسْمِعُ﴾ بالتاء مضمومة «الصُّمُّ» نصبا. وقرأ ابن يعمر، والحسن: ﴿وَلَا يُسْمَعُ﴾ بضم الياء وفتح الميم «الصُّمُّ» بضم الميم. شبه الكفار بالصُّم الذين لا يسمعون نداء مناديهم؛ ووجه التشبيه أن هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصُّم لا يفيدهم صوت مناديهم. ﴿لَكِنَّ مَسْتَهْزِئَةً﴾ أي: أصابتهم «فَقَحَّةٌ» قال ابن عباس: طرف. وقال الزجاج: المراد أدنى شيء من العذاب، ﴿يَقُولُ بِتَوَلَّيْنَا﴾ والويل يتادي به كل من وقع فيهلكة.

﴿وَنُفِخَ فِي السُّورِ الْأَوَّلِ يُومُ الْفِتْنَةِ فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ٢٤

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ قال الزجاج: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسط، والقسط: العدل، وهو مصدر يوصف به، يقال: ميزان قسط، وميزانان قسط، وموازين قسط. قال الفراء: القسط من صفة الموازين وإن كان موحدًا، كما تقول: أنتم عدل، وأنتم رضى. وقوله: ﴿يُؤَيِّرُ الْقِسْمَةَ﴾ وفي يوم القيامة: سواء. وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أول [الأعراف: ٨]. فلن قيل: إذا كان الميزان واحدًا، فما المعنى بذكر الموازين؟ فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة، سميت موازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص محسن من إحسانه، ولا يزداد مسيء على إساءته ﴿وَإِنْ كُنْتَ تَفْتَكِلُ حَسْبًا﴾ أي: وزن حبة. وقرأ نافع: «مثقال» برفع اللام. قال الزجاج: ونصب «مثقال» على معنى: وإن كان العمل مثقال حبة. وقال أبو علي الفارسي: وإن كان الطلامة مثقال حبة، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾. قال: ومن رفع، أسند الفعل إلى المثقال، كما أسند في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتَ دُو عُسْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ بِهَا﴾ أي: جنتا بها. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحמיד: «أتينا» ممدودة، أي: جازينا بها. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على وجهين: أحدهما: التمييز. والثاني: الحال. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذَكَرًا لِلنَّبِيِّينَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ آلِهَةٍ سَفِيحُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَعَدْنَا ذِكْرًا بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة التي فرق بها بين الحلال والحرام، قاله مجاهد، وقتادة، والثاني: البرهان الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون، قاله ابن زيد. والثالث: النصر والنجاة لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَضِيَاءَ﴾ روى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يرى الواو زائدة؛ قال الزجاج: وكذلك قال بعض النحويين أن المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أن الواو لا تزداد ولا تأتي إلا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هَذَى وَوُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]. قال المفسرون: والمعنى هم استضاءوا بالتوراة حتى اهتدوا بها في دينهم. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرًا لِلنَّبِيِّينَ﴾ أنهم يذكرونه ويعملون بما فيه. ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يخافونه ولم يروه، قاله الجمهور. والثاني: يخشون عذابه ولم يروه، قاله مقاتل. والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحد، قاله الزجاج. والرابع: يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس كخوفهم إذا كانوا بين الناس، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم عاد إلى ذكر القرآن، فقال: ﴿وَعَدْنَا﴾ يعني: القرآن. ﴿وَكُنَّا﴾ لمن تذكّر به، وعظة لمن اتعظ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: كثير الخير ﴿فَأَنذَرْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمْ تَكُونُوا﴾ أي: جاحدون؟! وهذا استفهام توبيخ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ﴾ ﴿٢١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقُلُوبُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا مَرْثَا مَرْثَا مَا نَعْبُدُكَ إِلَّا فِرْعَوْنُ وَآبَاءُ نَحْنُ عَابِدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مَدِينًا ﴿٢٦﴾ فَعَجَّلْتُمْ أَجْدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ تَقْلَهُمْ إِلَهًا يَرْتَدُّ عَنْهُمْ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ أي: هُده. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والثاني: آتيته ذلك في العلم السابق، قاله الضحاك عن ابن عباس. والثالث: من قبل موسى وهارون، قاله الضحاك. وقد أشرنا إلى قصة إبراهيم في [الأنعام: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ﴾ أي: علمنا أنه موضع لإتياء الرشد. ثم بين متى أتاه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ الْقُلُوبُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ يعني: الأصنام. والتمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهًا بخلق من خلق الله تعالى، وأصله من مثلث الشيء بالشيء: إذا شبهته به. وقوله: ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا﴾ أي: على عبادتها ﴿عَاكِفُونَ﴾ أي: مقيمون، فأجابوه أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فافتدوا بهم، فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلال مبين، ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ يعنون: أجاد أنت، أم لاعب!؟

قوله تعالى: ﴿لَا كَيْدَ أَسْنَدُ﴾ الكيد: احتيال الكائد في ضرر المكيد. والمفسرون يقولون: لا كيدنها بالكسر ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا﴾ أي: تذهبوا عنها، وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون إليه ولا يخلفون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق، قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال ميراً منهم: ﴿وَنَآلُوا لَكَيْدَ أَسْنَدُ﴾، فسمعه رجل منهم، فافشاه عليه، فرجع إلى بيت الأصنام، وكانت - فيما ذكره مقاتل بن سليمان - اثنتين وسبعين صنماً من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فكسرها، ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فذلك قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ قرأ الأكثرون: «جُودًا» بضم الجيم. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، والأعمش، والكسائي: «جُودًا» بكسر الجيم. وقرأ أبو رجا العطاردي، وأيوب السخيتاني، وعاصم الجحدري: «جُودًا» بفتح الجيم. وقرأ الضحاك، وابن يعمر: «جُودًا» بفتح الجيم من غير ألف. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيوة، وابن وثاب: «جُودًا» بضم الجيم من غير ألف. قال أبو عبيدة: أي: مستأصلين، قال جرير:

بَنِي الْمَهْلَبِ جَدُّ اللّٰهُ دَابِرُهُمْ      اُنْسُوا زَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفٌ<sup>(١)</sup>

أي: لم يبقَ منهم شيء، ولفظ «جُودًا» يقع على الواحد والاثنتين والجميع من المذكر والمؤنث. وقال ابن قتيبة: «جُودًا» أي: فتاتاً، وكلُّ شيء كسرته فقد جُدَّدته، ومنه قيل للسويق: الجليذ. وقرأ الكسائي: «جُودًا» بكسر الجيم على أنه جمع جُودٍ، مثل ثَقِيلٍ وثَقَالٍ، وَخَفِيفٍ وَخِفَافٍ. والجُودُ بمعنى: المجدود، وهو المكسور. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّمْ يَكُنْ﴾ أي: كسر الأصنام إلا أكبرها. قال الزجاج: جائز أن يكون أكبرها في ذاته، وجائز أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه، ﴿لَتَلْمِزَنَّ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الصنم. ثم فيه قولان. أحدهما: لعلهم يرجعون إليه فيشاهدونه، هذا قول مقاتل. والثاني: لعلهم يرجعون إليه بالتهمة، حكاة أبو سليمان الدمشقي. والثاني: أنها ترجع إلى إبراهيم. والمعنى: لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحجة عليهم، قاله الزجاج.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَظِيمِ النَّارِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿قَالُوا مَا أَفَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا فَتَّبَلَّوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ﴿٢٢﴾

فلما رجعوا من عيدهم ونظروا إلى آلهتهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أي: قد فعل ما لم يكن له فعله، فقال الذي سمع إبراهيم يقول: «لا كيدن أصنامكم»: «سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدْعُهُمْ» قال الفراء: أي: يعيبيهم؛ تقول للرجل: لئن ذكرتني لتندم، تريد: بسوء.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا بِهِ عَلَىٰ عَظِيمِ النَّارِ﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأثروا به خفية. قال أبو عبيدة: تقول العرب إذا أظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس.

قوله تعالى: ﴿لَتَلْمِزَنَّ يَشْهَدُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثاني: يشهدون أنه فعل ذلك، قاله السدي. والثالث: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمد بن إسحاق. قال المفسرون: فانطلقوا به إلى نمرود، فقال له: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٢١﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُهُمْ هَذَا غضب أن تُعبد معه الصغار، فكسرها، ﴿فَتَّبَلَّوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ من فعله بهم؟! وهذا إلزام للحجة عليهم بأنهم جماد لا يقدر على النطق. واختلف العلماء في وجه هذا القول من إبراهيم عليه السلام على قولين: أحدهما: أنه وإن كان في صورة الكذب، إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له، لا يصلح أن يكون إلهاً، ومثله قول الملوك لداود: ﴿إِنَّ هَذَا أَجْنَبِيٌّ﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَمْ يَنْعَ وَتَسْؤَنَ نَجْمَهُ﴾



وَلَيْ تَجِدَ ﴿مَنْ: ٢٣﴾، ولم يكن له شيء، فجري هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل، وأنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب؛ ومثل هذا لا تسميه العرب كذباً. والثاني: أنه من معارض الكلام؛ فروي عن الكسائي أنه [كان] يقف عند قوله تعالى: ﴿بَلْ فَكِلَا﴾ ويقول معناه: فعله من فعله، ثم يبتدئ ﴿كَيُفُّمْ هَذَا﴾. قال الفراء: وقرأ بعضهم: ﴿بَلْ فَعِلَهُ﴾ بتشديد اللام، يريد: فعله كبيرهم هذا. وقال ابن قتيبة: هذا من المعارض، ومعناه: إن كانوا ينطقون، فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] أي: سأسقم، ومثله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ١٧٤] قال ابن عباس: لم ينس، ولكنه من معارض الكلام، والمعنى: لا تؤاخذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿إِذْ شَرَوْا الْيَعْرَابَ﴾ [مِن: ٢١]، ومثله ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمَسُّوا هَٰؤُلَاءِ﴾ [سبا: ٢٤]، والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً. فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف من الكشف وأحسن من التصريح. وروي أن قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون، فلما صلدوا، خالف رجل في بعض الليل إلى عكم صاحبه، فأخذ منه بزاً وجعله في عكمه، فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان، رأى عكمه يشول، وعكم صاحبه يشول، فأنشأ يقول:

عكم تغشى بعض أعكام القوم  
لَمْ أَرِ عَكُمْ سَارِقاً قَبْلَ الْيَوْمِ

فخون صاحبه بوجه هو أطف من التصريح. قال ابن الأنباري: كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث، ومعنى قول النبي ﷺ: «كذب إبراهيم ثلاث كليات»<sup>(١)</sup>: قال قولاً يشبه الكذب في الظاهر، وليس بكذب. قال المصنف: وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه، وأنه من المعارض، والمعارض لا تدم، خصوصاً إذا احتج إليها، روى عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في المعارض لمنسوحة عن الكذب»<sup>(٢)</sup> وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما يسرني أن لي بما أعلم من معارض القول مثل أهلي ومالي، وقال النخعي: لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف، وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: «إن الجنة لا تدخلها الجاهل»<sup>(٣)</sup>، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْأَنُهَا إِنَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وروي عنه ﷺ أنه كان يمازح بلالاً، فيقول: «ما أخت خالك منك؟»، وقال لامرأة: «مَنْ زَوْجُكَ؟» فسئته له، فقال: «الذي

(١) رواء البخاري ٢٧٧/٦، ومسلم ١٨٤/٤، ولفظه عند مسلم بتمامه: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث - كليات، ثنتين في ذات الله، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ نَكْتَلُكُمْ كَيْفُكُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعها سارة وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبره أنك اغتني فإني اغتني في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه وأما بعض أهل الجبار، أثناء فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم ﷺ إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن يسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أيد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأولىين، فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فللك الله أن لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، وهذا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيته بيطان ولم تأتني بلسان، فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رأها إبراهيم ﷺ انصرف، فقال لها: مهيم؟ قالت: غيراً، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٨٠/٦: وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعارض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك للظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص التبة، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح. اهـ.

(٢) رواء البخاري في «الأدب المفرد» ٣٣٤/٢ من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: سمعت عمران بن حصين إلى البصرة، فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر، وقال: إن في معارض الكلام لمنسوحة عن الكذب. قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: قال البيهقي: رواء دارود بن الزريقان عن عمران بن حصين مرفوعاً، قال: والموقوف هو الصحيح، وكذا هو المرفوع ابن عدي. قال البيهقي: وروي من وجه آخر ضعيف - يعني جداً - مرفوعاً. ثم قال: وبالجملة فقد حسن العراقي هذا الحديث، ورد على الصنفاني حكمه عليه بالوضوح. اهـ. والمعارض: ما يحدث عن الكذب، والمنسوحة: السعة.

(٣) رواء عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، ورواه الترمذي في «المشائل» عن عبد بن حميد عن الحسن أيضاً، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٨٨ عن الحسن، وزاد نسبه لابن المنذر، والبيهقي في «البعث»، وأورده أيضاً من رواية البيهقي في «الشعب»، والطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها.



في عينيه بياض<sup>(١)</sup>، وقال لرجل: «إنا حاملوك على ولد ناقة<sup>(٢)</sup>»، وقال له العباس: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كل خير أرجوه من ربي»، وكان أبو بكر حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سألوه أحد: من هذا بين يديك؟ يقول: هاد يهديني. وكانت امرأة ابن رواحة قد رأت مع جارية له، فقالت له: وعلى فراشي أيضاً؟! فجدد، فقالت له: فاقرا القرآن، فقال:

وفينا رسول الله يَغْلُو كِتَابَهُ  
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ  
إذا انشَقَّ مشهورٌ مِنَ الصُّبْحِ طَالِعِ  
إذا استثقلت بالكافرين المَضَاجِعُ

فقالت: آمنت بالله، وكذبت بصري، فأتى رسول الله ﷺ، فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع. وعرض شريح ناقة لبيعهما فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاوها<sup>(٣)</sup>؟ قال: إذا رأيتهما في الإبل عرفت مكانها، علّق سوطك وسير، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، [فاستصرها] فلم يَز شيئاً مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئاً مما وصفتها به، قال: ما كذبتك، قال: أقلني، قال: نعم، وخرج شريح من عند زياد وهو مريض، فقبل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقبل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصية، وينهى عن النوح. وأخذ محمد بن يوسف حجراً المدري فقال: العن علياً، فقال: إن الأمير أمرني أن العن علياً محمد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله. وأمر بعض الأمراء صعبعة بن صوحان بلعن علي، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي، ثم قال: إن [هذا] الأمير قد أبى إلا أن العن علياً، فالعنوه، لعنه الله. وامتنحت الخوارج رجلاً من الشيعة، فجعل يقول: أنا من علي ومن عثمان بري. وخطب رجل امرأة وتحتة أخرى، فقالوا: لا تزوجك حتى تطلق امرأتك، فقال: اشهدوا أنني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادّعوا أنه قد طلق، فقال: أما تعلمون أنه كان تحتي فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلقتها، ثم فلانة فطلقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلقت ثلاثاً. وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال:

أنا ابنُ الذي لا يُنْزَل الدهرُ قدرُهُ  
تري الناسَ أفواجاً إلى ضوءِ ناره  
وإن نزلت يوماً فسوف تعود  
فمنهم قيام حولها وقعود

فظنّ الطائف أنه ابن بعض الأشراف بالبصرة، فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو ابن باقلاني. ومثل هذا كثير.

﴿فَرَجَعُوا إِلَيْ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ <sup>(٧)</sup> ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءُ يَبْعَثُونَ ﴿١٥﴾ فَكَانَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَكُن لَكُمْ رُسُلٌ كَمَا تَتَّبِعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَمْلَا تَقُولُونَ ﴿١٧﴾  
قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَيْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: رجع بعضهم إلى بعض. والثاني: رجع كل منهم إلى نفسه متفكراً.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: حين عبدتم من لا يتكلم، قاله ابن عباس. والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهب بن منبه. والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهب أيضاً. والرابع: لإبراهيم حين اتهمتموه والفس في يد كبير الأصنام، قاله ابن إسحاق، ومقاتل. والخامس: أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فاسألوها، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ﴾ وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة: «نكسوا» برفع النون وكسر الكاف مشددة. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «نكسوا» بفتح النون والكاف مخففة. قال أبو عبيدة: «نكسوا»: قَلَبُوا، تقول: نكست فلاناً على رأسه: إذا قهرته وعلوته. ثم في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة

(١) ذكره ملا علي القاري في «شرح الشامل» للترمذي من رواية ابن أبي حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم النهري.

(٢) رواه الترمذي في «الشامل» عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ، فقال: «إني حاملك على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال: «وهل لك الإبل إلا التوق؟».

(٣) الشجاء: السرعة في السير.

أقوال: أحدها: أدركتهم حيرة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾، قاله قتادة. والثاني: رجعوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنها لا تنطق، قاله ابن قتيبة. والثالث: انقلبوا على إبراهيم يحتجون عليه بعد أن أقروا له ولاموا أنفسهم في تهمة، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق، فحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة، فقال موبخاً لهم: ﴿أَنْتُمْ تَدْعُونِ إِلَى دِينِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هذا حث لهم على عبادة من يملك النفع والضّر، ﴿أَفَبَى لَكُمْ﴾ قال الزجاج: معناه: التّن لكم؛ فلما ألزمهم الحجة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾. وذكر في التفسير أن نمرود استشارهم، بأيّ عذاب أعدّ به، فقال رجل: حرّقه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَائِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿لَقَدْ يَنْبَأُ كُونِي بَرّاً وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ وَيَنْصُرُهُ وَلَوْ إِلَى الْأَرْضِ الْآخِرِ بَرّاً فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْفُتُوحَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْزَكَاةَ وَكَاتَبْنَا لَكَ عَيْنِينَ ﴿٧٣﴾ قوله تعالى: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، لأنه يعيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَائِلِينَ﴾ أي: ناصريها.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أنهم حسبوا إبراهيم عليه السلام في بيت ثم بنوا له خيراً طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل منيف، ونادى منادي الملك: أيها الناس احتطبوا لإبراهيم، ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير، فمن تخلف ألقى في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول: إن ظفرك بكذا لأحتطب لنار إبراهيم، حتى إذا كاد الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الخير وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرّها، ثم بنوا بيتاً شامخاً، وبنوا فوقه منجنيقاً، ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ فقفزوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾<sup>(١)</sup>. فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال: ﴿حسبي من سؤالي علمه بحالي﴾<sup>(٢)</sup>، فقال الله ﷻ: ﴿يَنْبَأُ كُونِي بَرّاً وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، فلم تبق نار على وجهه الأرض يومئذ إلا طفت وطئت أنها غثيت. وزعم السدي أن جبريل هو الذي ناداه. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها. قال السدي: فأخذت الملائكة بضبعي<sup>(٣)</sup> إبراهيم فأجلسوه على الأرض، فإذا عين من ماء عذب، وورد أحمر، ونرجس. قال كعب ووهب: فما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام، وقال غيرهما: أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميص من الجنة وطفنفة من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه. وإن أزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فنقب، فإذا إبراهيم في روضة تهترأ وثيابه تندى، وعليه القميص وتحت الطنفسة والملك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم، إن إلهك الذي بلغت قدرته هذا لكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي

(١) روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: حسينا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ قَدِ جُمِعُوا لَكُمْ فَكُفِّرْتُمْ وَكُادُمْ إِيَّانَا حَسْبَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار: ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾.

(٢) حديث: ﴿حسبي من سؤالي علمه بحالي﴾ رواه ابن جرير مختصراً، وفي سنده جهالة، وذكره المجولوني في «كشف الخفاء» من رواية البهوي عن كعب الأحبار، ورواه كثير من المفسرين عن أبي بن كعب موقوفاً، ولعله من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع، وقال ابن عراق في «فتاوى الشريعة» ١/ ٢٥٠: قال ابن تيمية: موضوع اهـ. وهذا الخبر لا يصح، لأنه يشير إلى ترك الدعاء، مع أن الدعاء عبادة، وقد جاءت الآيات والأحاديث بالأمر به، والحض عليه.

(٣) الضئج، يسكن الباء: العضد.

حتى خرج، فقال: من الذي رأيته معك؟ قال: ملك أرسله إليّ ربّي ليؤتني، فقال نمrod: إني مقرب لإلهك قرباناً لما رأيته من قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكفّ عن إبراهيم. قال المفسرون: ومعنى ﴿كُفِّي بَرَكًا﴾ أي: ذات برد ﴿وَسَلَامًا﴾ أي: سلامة. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق بالنار ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أن الله تعالى سلط البعوض عليهم حتى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدة في دماغ نمrod حتى أهلكته، والمعنى: أنهم كادوه بسوء، فانقلب السوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي: من نمrod وكيدته ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بن هارن بن تارح، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرض العراق إلى الشام. وكانت سارة مع إبراهيم في قول وهب. وقال السدي: إنما هي ابنة ملك حرّان، لقيها إبراهيم فتزوجها على أن لا يغيرها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم. فأما قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان: أحدهما: أنها أرض الشام، وهذا قول الأكثرين. وبركها: أن الله عزّ وجل بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخصب والثمار والأنهار. والثاني: أنها مكة، رواه العوفي عن ابن عباس. والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، وفي معنى النافلة قولان: أحدهما: أنها بمعنى الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكانه سأل واحداً، فأعطى اثنين، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والفراء. والثاني: أن النافلة بمعنى العطية، والمراد بها: إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد، وعطاء.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. قال أبو عبيدة: «كلُّ» يقع خبره على لفظ الواحد، لأن لفظه لفظ الواحد، ويقع خبره على لفظ الجميع، لأن معناه معنى الجميع.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾ أي: رؤوساً يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِآيَاتِنَا﴾ أي: يَدْعُونَ الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ قال ابن عباس: شرائع النبوة. وقال مقاتل: الأعمال الصالحة، ﴿وَلِإِسْرَافَ آلِكَانُوزٍ﴾ قال الزجاج: حذف الهاء من «إقامة الصلاة» قليل في اللغة، تقول: أقام إقامة، والحذف جائز، لأن الإضافة عوض من الهاء.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَقْلًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرَارِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَى إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَمِيقِينَ ﴿٧٤﴾ وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ قال الزجاج: انتصب «لوط» بفعل مضمر، لأن قبله فعلاً، فالمعنى: وأوحينا إليهم وآتيناه لوطاً. وذكر بعض النحويين: أنه منصوب على «واذكر لوطاً»، وهذا جائز، لأن ذكر إبراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى: واذكر. قال المفسرون: لما هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤنفكة على مسيرة يوم وليلة أو نحو ذلك من إبراهيم، فبعثه الله نبياً. فأما «الحكم» ففيه قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن عباس. والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل. وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سورة يوسف: [٢٢]. وأما «القرية» هاهنا، فهي سدوم، والمراد أهلها، والخباث: أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذكور وقطع السبيل، إلى غير ذلك مما قد ذكره الله ﷻ عنهم في مواضع [مود: ٧٨، والحجر: ٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَادْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: بانجاهه من بينهم.

﴿رَبُّنَا إِذْ كَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَعْلَمْنَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ والمعنى: واذكر نوحاً، وكذلك ما يأتيك من ذكر الأنبياء ﴿إِذْ كَادَىٰ﴾ أي: دعا على قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط. فأما الكرب العظيم، فقال ابن عباس: هو الغرق وتكذيب قومه. قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوء. وقيل: «من» بمعنى «على».



﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُنَّا لَهُنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِيَكُمْ يَوْمَ تَخْرُجُ مِنْكُمْ وَلَكُنَّا لَهُمْ مَوْجِبَ السُّبُورِ ﴿٨٠﴾ وَسُلَيْمَانَ أَلْمَحَ عَاصِمَةَ تَجَرَى مِنْهُ الْوَادِي إِلَى الْآرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمَا كُنَّا بِغَائِبِينَ مِّنْ يُخَوِّصُ لَمْ يَخَوِّصْكُمْ عَمَّا كُنَّا فِيهِ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه كان عبداً، قاله ابن مسعود، ومسروق، وشريح. والثاني: كان زرعاً، قاله قتادة. ﴿إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: رَعَتْ لِيلاً، يقال: نَفِثَتِ الْغَنَمُ بِاللَّيْلِ، وهي إِبِلُ نَفَثَ وَنَفَاشَ وَنَفَاشَ، والواحد: نَافِثٌ، وَسَرَحَتْ وَسَرَبَتْ بالنهار. قال قتادة: النَّفْثُ بِاللَّيْلِ، وَالْهَمَلُ بِالنَّهَارِ. وقال ابن السكيت: النَّفْثُ: أن تَتَشَرَّ الْغَنَمُ بِاللَّيْلِ تَرعى بلا راعٍ.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن رجلين كانا على عهد داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتلفتت الغنم فوقعت في الحرث فلم يبق منه شيئاً، فاخصموا إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق أصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من ألبانها ومنافعها، ويُقْبِلُ أَصْحَابُ الْغَنَمِ عَلَى الْكَرْمِ، حتى إذا كان كليله نفثت فيه الغنم، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داود: قد أصبغت القضاء، ثم حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع، لأن الاثنين جمع، هذا قول الفراء. والثاني: أنهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبيدة: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمَا﴾ على التثنية. ومعنى «شاهدين»: أنه لم يَبْغِ عَمَّا مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْءٌ. ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ يعني: القضية والحكومة. وإنما كُنِيَ عنها، لأنه قد سبق ما يدل عليها من ذِكْرِ الْحُكْمِ، ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿إِلَيْنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانه. قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضاة قد هلكوا، ولكنه أثنى على سليمان لصوابه، وعَدَّر داود باجتهاده.

### فصل

قال أبو سليمان الدمشقي: كان قضاء داود وسليمان جميعاً من طريق الاجتهاد، ولم يكن نصّاً، إذ لو كان نصّاً ما اختلفا. قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف الناس في الغنم إذا نفثت ليلاً في زرع رجل فأفسدته، فمذهب أصحابنا أن عليه الضمان، وهو قول الشافعي، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا ضمان عليه ليلاً ونهاراً، إلا أن يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهر الآية يدل على قول أصحابنا، لأن داود حكم بالضمان، وشرع مَنْ قَبْلُنَا شَرَعَ لَنَا مَا لَمْ يَنْبُتْ نَسْخُهُ. فإن قيل: فقد ثبت نسخ هذا الحكم، لأن داود حكم بدفع الغنم إلى صاحب الحرث، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف أنه لا يجب على من نفثت غنمه في حرث رجل شيء من ذلك؛ قيل: الآية تضمنت أحكاماً، منها وجوب الضمان وكيفيته، فالنسخ حصل على كيفيته، ولم يحصل على أصله، فوجب التعلق به، وقد روى حرام بن محيصة عن أبيه: أن ناقةً للبراء دخلت حائط رجل فأفسدت، فقاضى رسول الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسَخَرْنَا الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعَ دَاوُدَ. قال أبو هريرة: كان إذا سَبَّحَ أَجَابَتْهُ الْجِبَالُ وَالطَّيْرُ بِالتَّسْبِيحِ وَالدُّعْرِ، وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسبَّحت حتى يشتاق هو فيسبِّح. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: لذلك. قال الزجاج: المعنى: وكُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مَا نُرِيدُ.

(١) رواه أحمد في «المسنَد» ٢/٢٩٥، وأبو داود في «سننه» رقم (٣٥٦٩ - ٣٥٧٠)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٣٣٢). قال ابن كثير: وقد علل هذا الحديث، قال: وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب «الأحكام»، وبالله التوفيق.





منازل أيوب وفيها ولده وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمد الله، وقال لإبليس وهو يظنه قيّمه في ماله: لو كان فيك خير لقبضك معهم، فأنصرف خائباً، فقيل له: كيف رأيت عبدي أيوب؟ قال: يا ربّ سلّطني على جسده فسوف ترى، قيل له: قد سلّطتك على جسده، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه مثل النار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفاً من الله تعالى، فلما نزل به البلاء لم يبك مخافة الجزع، وبقي لسائه للذكر، وقلبه للمعرفة والشكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنه خرج في جميع جسده ثآليل كالآليات الغنم، ووقعت به حكة لا يملكها، فحكّ بأظفاره حتى سقطت، ثم بالمسوح، ثم بالحجارة، فأنتن جسمه وتقطّع، وأخرجته أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كُناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمها رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه<sup>(١)</sup>. وزوى أبو بكر القرشي عن الليث بن سعد، قال: كان ملك يظلم الناس، فكلمه في ذلك جماعة من الأنبياء، وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟! لا طيلئ بلاءك<sup>(٢)</sup>. واختلفوا في مدة لبثه في البلاء على أربعة أقوال: أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>، والثاني: سبع سنين، قاله ابن عباس، وكعب، ويحيى بن أبي كثير. والثالث: سبع سنين وأشهر، قاله الحسن. والرابع: ثلاث سنين، قاله وهب، وفي سبب سؤاله العافية ستة أقوال: أحدها: [أنه] اشتهى إداماً، فلم تُصبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها، فلما علم ذلك، قال: ﴿سَقَى الْفَرْ﴾، رواه الضحاك عن ابن عباس، والثاني: أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله، فلما انتهى أجل البلاء، يسّر له الدعاء، فاستجاب له، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن نفرأ من بني إسرائيل نفروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم، فعند ذلك قال: ﴿سَقَى الْفَرْ﴾، قاله نوف البكالي. وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجداً ريحاً، فقالا: لو كان الله علم منه خيراً ما بلغ به كل هذا، فما سمع شيئاً أشدّ عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنّي لم أبت ليلة شعبان وأنا أعلم مكان جائع فضدّني، فضدّق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنّي لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عارٍ فضدّني، فضدّق وهما يسمعان، فخرّ ساجداً، ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله ﷻ ما به. والرابع: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليذبح أيوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟! ثم طردها عنه، فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام له ولا شراب ولا صديق، خرّ ساجداً وقال: ﴿سَقَى الْفَرْ﴾، قاله الحسن. والخامس: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عفوان شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصبّ عليه من البلاء ما سمعته، حتى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أني معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: ﴿سَقَى الْفَرْ﴾، قاله إبراهيم بن شيان القرميسي فيما حدّثنا به عنه. والسادس: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هجران ربّه، فقال: ﴿سَقَى الْفَرْ﴾، ذكره الماوردي، فإن قيل: أين الصبر، وهذا لفظ الشكوى؟ فالجواب: أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنما المذموم الشكوى إلى الخلق<sup>(٤)</sup>، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحَرْقَ إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. قال سفيان بن عيينة: وكذلك من شكّا إلى الناس، وهو في شكواه راضي بقضاء الله، لم يكن ذلك جزءاً، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ لجبريل في مرضه: «أجلدني مغموماً وأجلدني مكروباً»، وقوله: «بل أنا وأرأساه»<sup>(٥)</sup>.

- (١) روى هذا الخبر وهب بن منبه في قصة طويلة ساقها ابن جرير الطبري في «التفسير» ٦٥/١٧. قال ابن كثير ١٨٨/٣: وقد روي عن وهب بن منبه في غيره قصة طويلة ساقها ابن جرير، وابن أبي حاتم بالسند عنه، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين، وفيها غرابة.
- (٢) ذكر نحو هذا الخبر السيوطي في «الدرر» ٣٢٧/٤ من رواية ابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني، ولعله من الإسرائيليات.
- (٣) ذكره ابن كثير ١٨٩/٣ من رواية ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك وقال: رفع هذا الحديث غريب جداً.
- (٤) من المتفق عليه أن أيوب ﷺ كان غايه في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك، وقد ابتلي في ماله وولده وجسده، فصرير والتجأ إلى الله تعالى، فلذلك قول الله فيه: ﴿وَأَرْبَبْ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَيْسَ الْفَرْ وَكَتَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ﴾ فكشف الله تعالى ما به.
- (٥) رواه البخاري في «صحيحه» ١٠٥/١٠ من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو جزء من حديث طويل.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبَتُهُ أَهْلُكُمْ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمَثَلُهُمْ مَثَرَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدنيا، قاله ابن مسعود والحسن، وقادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فنبشروا له، وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات. والثاني: أنهم كانوا قد غُيِّبوا عنه ولم يموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة، رواه هشام عن الحسن، والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرة، وآتاه مثلهم في الدنيا، قاله نوف، ومجاهد. والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرة، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنِّي عِندًا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمةً مِنِّي عندنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنِّي عِندًا﴾ أي: عظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، فليقل: إنه قد أصاب من هو خيرٌ مِنِّي.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبَتُهُ أَهْلُكُمْ﴾ اختلفوا هل كان نبياً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري، ومجاهد. ثم اختلف أرباب هذا القول في علته تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسُمِّي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: أنه تكفل للنبى بقومه أن يكفيه أمرهم وقيامه ويقضي بينهم بالعدل، ففعل، فسُمِّي: ذا الكفل، قاله مجاهد. والثالث: أن ملكاً قُتل في يوم ثلاثمائة نبى، وفُرض منه مائة نبى، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسُمِّي: ذا الكفل، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنه كان نبياً، قاله الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. قال عطاء: أوحى الله تعالى [إلى] نبى من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يقطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسُمِّي: ذا الكفل. وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ في الكفل: «أنه كان رجلاً لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائباً، ومات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل؟» والحديث معروف<sup>(٢)</sup>، وقد ذكرته في «الحداثي»، فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن يقال له: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا. وإذا قلنا: إنه نبى، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى، فوافقتي، وقال: ليس هذا بذلك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنَ الَّذِينَ﴾ أي: على طاعة الله وترك معصيته، ﴿وَأَذَلَّنَهُمْ فِي رَحْمَتِي﴾ في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الجنة، قاله ابن عباس. والثاني: النبوة، قاله مقاتل. والثالث: النعمة والمواولة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَكَاذِبَتُهُ أَهْلُكُمْ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمَثَلُهُمْ مَثَرَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدنيا، قاله ابن مسعود والحسن، وقادة. وروى أبو صالح عن ابن عباس: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فنبشروا له، وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات. والثاني: أنهم كانوا قد غُيِّبوا عنه ولم يموتوا، فآتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة، رواه هشام عن الحسن، والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرة، وآتاه مثلهم في الدنيا، قاله نوف، ومجاهد. والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرة، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنِّي عِندًا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمةً مِنِّي عندنا، ﴿وَرَحْمَةً مِنِّي عِندًا﴾ أي: عظة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، فليقل: إنه قد أصاب من هو خيرٌ مِنِّي.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبَتُهُ أَهْلُكُمْ﴾ اختلفوا هل كان نبياً، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري، ومجاهد. ثم اختلف أرباب هذا القول في علته تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسُمِّي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: أنه تكفل للنبى بقومه أن يكفيه أمرهم وقيامه ويقضي بينهم بالعدل، ففعل، فسُمِّي: ذا الكفل، قاله مجاهد. والثالث: أن ملكاً قُتل في يوم ثلاثمائة نبى، وفُرض منه مائة نبى، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسُمِّي: ذا الكفل، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنه كان نبياً، قاله الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. قال عطاء: أوحى الله تعالى [إلى] نبى من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يقطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسُمِّي: ذا الكفل. وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ في الكفل: «أنه كان رجلاً لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائباً، ومات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل؟» والحديث معروف<sup>(٢)</sup>، وقد ذكرته في «الحداثي»، فجعله الثعلبي أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأن ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن يقال له: ذو الكفل، ولأن الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمان طويل يعالج فيه الصبر عن الخطايا. وإذا قلنا: إنه نبى، فإن الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى، فوافقتي، وقال: ليس هذا بذلك.

(١) قال ابن كثير ١٩٠/٣: وأما ذو الكفل، فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبى.

(٢) رواه أحمد في «المستند» من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن كثير ١٩١/٣: وهذا الحديث لم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وإسناده غريب.

بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبى منهم الكثير، فأراد النبي والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلّمه حتى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهانئاً غيري من الأنبياء، فألحقوا عليه، فخرج مغاضباً للنبي والملك ولقومه، هذا مروى عن ابن عباس؛ وقد زدناه شرحاً في (يونس: ٩٨). والثاني: أنه عاني من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا صبوراً، وما ظنُّ أن هذا الفعل يوجب عليه ما جرى من العقوبة، ذكره ابن الأنباري، وقد روي عن وهب بن منبه، قال: لما حُملت عليه أثقال النبوة، ضاق بها ذراً ولم يصبر، فقذفها من يده وخرج هارباً<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه لما أوعدهم العذاب، فتابوا ورفّع عنهم، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً؟ فانصرف مغاضباً لقومه، عاتياً على ربه. وقد ذكرنا هذا في [يونس: ٩٨]. والثاني: أنه خرج مغاضباً لربه، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، والشعبي، وعروة. وقال أبو بكر النقاش: المعنى: مغاضباً من أجل ربه، وإنما غضب لأجل تمردهم وعصيانهم. وقال ابن قتبية: كان مغيظاً عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم، مشتتاً أن ينزل العذاب بهم، فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومه.

قوله تعالى: ﴿فَنَظَرُ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وقرأ يعقوب: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بضم الباء وتشديد الدال وفتحها. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وابن أبي ليلى: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بياء مرفوعة مع سكون القاف وتخفيف الدال وفتحها. وقرأ أبو عمران الجوني: ﴿يُقَدَّرُ﴾ بياء مفتوحة وسكون القاف وكسر الدال خفيفة. وقرأ الزهري، وابن يعمر، وحמיד بن قيس: ﴿نُقَدَّرُ﴾ بتون مرفوعة وفتح القاف وكسر الدال وتشديدها. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. قال الفراء: معنى الآية: فظن أن لن نقدر عليه ما قدرنا من العقوبة، والعرب تقول: قَدَر، بمعنى: قَدَّر، قال أبو صخر:

وَلَا عَائِدًا ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكَ مَا تَقْدِيرُ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ<sup>(٢)</sup>

أراد: ما تقتدر، وهذا مذهب الزجاج. والثاني: فظن أن لن نصيّق عليه، قاله عطاء. قال ابن قتبية: يقال: فلان مُقَدَّر عليه، ومُقَدَّر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿نُقَدِّرُ عَلَيْهِ بِذُنُوبِهِ﴾ [النجم: ١٦] أي: صَيَّقُ عليه فيه. قال النقاش: والمعنى: فظن أن لن يصيّق عليه الخروج، فكأنه ظن أن الله قد وسّع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤدّن له في الخروج. والثالث: أن المعنى: فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رواه عوف عن الحسن. وقال ابن زيد، وسليمان التيمي: المعنى: أظنُّ أن لن نُقَدِّرَ عليه؛ فعلى هذا الوجه يكون استفهاماً قد حُذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدل على أنه من القدرة، ولا يتصور إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظنُّ عجزنا، فأين يهرب منا؟

قوله تعالى: ﴿فَكَادَ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والأشرون. والثاني: أن حوتاً جاء فابتلع الحوت الذي هو في بطنه، فنادى في ظلمة حوت، ثم في ظلمة حوت، ثم في ظلمة البحر، قاله سالم بن أبي الجعد. والثالث: أنها ظلمة الماء، وظلمة معى السمكة، وظلمة بطنها، قاله ابن السائب. وقد روى سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس: فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين»<sup>(٣)</sup>. قال الحسن: وهذا اعتراف [من] يونس بذنبه وتوبه من خطيئته.

(١) لعله من الإسرائيليات التي نقلها وهب بن منبه، وقد تقدم أمثال ذلك.

(٢) «شرح أشعار الهذليين» ٩٥٨/٢، «الترطفي» ٣٣٢/١١.

(٣) رواه بهذا اللفظ ابن السني عن أبي يعلى، وفي سننه عمرو بن الحصين، وهو ضعيف جداً، ورواه أحمد، والتزمي، والنسائي، والحاكم وصححه، بلطف «دعوة ذي النون، إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت»: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له، وهو حديث حسن.



قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي: أجبناه ﴿وَقَبَّلْنَاهُ يَنْفَرًا﴾ أي: من الظلمات ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إذا دعونا. وروى أبو بكر عن عاصم أنه قرأ: «نُجِّي المؤمنين» بنون واحدة مشددة الجيم؛ قال الزجاج: وهذا لحن لا وجه له، وقال أبو علي الفارسي: غلط الراوي عن عاصم، ويدل على هذا إسماعيل الباء من «نُجِّي» ونصب «المؤمنين»، ولو كان على ما لم يُسم فاعله ما سكن الباء ولرفع «المؤمنين».

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ ﴿١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا ولد ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: أفضل من بقي حياً بعد ميت. قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْوَهَّابَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وقتادة. والثاني: أنه كان في لسانها طول، وهو: البذاء، فأصلحت، قاله عطاء. وقال السدي: كانت سليطة فكف عنه لسانها. والثالث: أنه كان خلقتها سيئاً، قاله محمد بن كعب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ﴾ أي: يبادرون في طاعة الله. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: زكريا، وامرأته، ويحيى. والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿وَيَذُرُونَا﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن محيصن: «ويدعوننا» بنون واحدة. قوله تعالى: ﴿رَبِّهَا رَبِّهَا﴾ أي: رغباً فيما عندنا، ورهباً منا. وقرأ الأعمش: «رُغْباً ورُهْباً» بضم الراءين وجرم الغين والهاء، وهما لغتان مثل النخل، والنخل، والسقم، والسقم، «وَكَاؤُنَا خَشْيُونَا» أي: متواضعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَحْصَاكُمْ فِيهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه مخرج الولد، والمعنى: منعه مما لا يحل. وإنما وُصِفَتْ بالعفاف لأنها قُذِفَتْ بالزنا. والثاني: أنه جيب درعها. ومعنى الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق، فهو يسمى فرجاً. وهذا أبلغ في الثناء عليها، لأنها إذا منعت جيب درعها، فهي لنفسها أمنع.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنا جبريل، فنفخ في درعها، فأجرنا فيها روح عيسى كما تجري الرياح بالنفخ. وأضاف الروح إليه إضافة الملك، للتشريف والتخصيص ﴿وَجَعَلْنَاهَا نَافِثَةً﴾ قال الزجاج: لما كان شأنها واحداً، كانت الآية فيها آية واحدة، وهي ولادة من غير فحل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: «آيتين» على التثنية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ قال ابن عباس: المراد بالآمة هاهنا: الذين. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، وهو معنى قول مقاتل. والثاني: أنهم الأنبياء ﷺ، قاله أبو سليمان الدمشقي. ثم ذكر أهل الكتاب، فذمهم بالاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَنَقُصُّوا أَسْمَاءَهُمْ﴾ أي: اختلفوا في الدين، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» أي: شيئاً من الفرائض وأعمال البر «فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ» أي: لا تجحداً ما عمل، قاله ابن قتبية، والمعنى: أنه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿وَلَنَا لَهُ كَبِيرُونَ﴾ ذلك، نأمر الحفظة أن يكبروه لنجاسته به.

﴿وَكُودُهُمْ عَلَىٰ قَرِيْبَةٍ أَمَلَكْنَاهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿وَإِذَا فُجِعَتْ بِأَجْحُجٍ وَأَجْحُجٍ وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿وَاقْرَبِ الْقَوْمَ الْأَعَزَّ إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِذْنِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وحرام» بالالف. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَحَرَّمَ» بكسر الحاء من غير ألف، وهما لغتان. يقال: حَرَّمَ مرفوعة منوثة. وقرأ سعيد بن جبيرة: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء وسكن الراء وفتح الميم من غير تنوين ولا ألف. وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة، والضحاك: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء والميم وكسر الراء من غير تنوين ولا ألف. وقرأ سعيد بن المسيب، وأبو مجلز، وأبو رجاء: «وَحَرَّمَ» بفتح الحاء وضم الراء ونصب الميم من غير ألف. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ﴾ قولان: أحدهما: واجب، قاله ابن عباس، وأنشدوا في معناه:

فَلَا حَرَامًا لَا أَرَى الدَّفْعَ بِأَكْبَرٍ عَلَى شَجْوِهِ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو<sup>(١)</sup>

أي: واجب. والثاني: أنه بمعنى العزم، قاله سعيد بن جبيرة. وقال عطاء: حتم من الله. والمراد بالقرية: أهلها. ثم في معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: واجب على قرية أهلكتها أنهم لا يتوبون، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: واجب عليها أنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عباس نحوه. والثالث: أن «لا» زائدة، والمعنى: حرام على قرية مهلكة أنهم يرجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج، وابن قتيبة في آخرين. والرابع: أن الكلام متعلق بما قبله، لأنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ﴾ أعلمنا أنه قد حُرِّمَ قبول أعمال الكفار؛ فمعنى الآية: وحرام على قرية أهلكتها أن يُتَقَبَّلَ منهم عمل، لأنهم لا يتوبون، هذا قول الزجاج. فإن قيل: كيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟ فالجواب: أن المعنى: مُنِعُوا من ذلك، كما يُمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحْتَ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ ابن عامر: «فُتِّحَتْ» بالشديد، والمعنى: فُتِحَ الردم عنهم ﴿وَمِنْ بَيْنِ كَلِّ حَدَبٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل نشز من الأرض وأكمة ﴿يَسْلُوكُ﴾ من السلان: وهو مقاربة الخط مع الإسراع، كمشي الذئب إذا بادر، والعلَّان مثله. وقال الزجاج: الحدَّبُ: كل أكمة، وَيَسْلُوكُونَ: يُسْرِعُونَ. وقرأ أبو رجاء المطاردي، وعاصم الجحدري: «يَسْلُون» بضم السين. وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ﴾ قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى ياجوج ومأجوج، قاله الجمهور؛ والثاني: إلى جميع الناس؛ فالمعنى: وهم يُحْشَرُونَ إلى الموقف، قاله مجاهد. والأول أصح. فإن قيل: أين جواب «حتى»؟ ففيه قولان: أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ والواء في قوله تعالى: «واقرب» زائدة، قاله الفراء. قال: ومثله ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَيْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ حَبْلٌ مِّن مَّحْنٍ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]، المعنى: نادينا. وقال عبد الله بن مسعود: الساعة من الناس بعد ياجوج ومأجوج، كالحامل المتئم، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولدها ليلاً أو نهاراً. والثاني: أنه قول محذوف في قوله: ﴿يَكُونُ﴾، فالمعنى: حتى إذا فُتِحَ ياجوج ومأجوج واقرب الوعد، قالوا: يا ويلنا. قال الزجاج: هذا قول البصريين. فأما «الْوَعْدُ الْحَقُّ» فهو القيامة.

(١) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي الجاهلي، كما في «اللسان»: حرم، وهو في «غريب القرآن» ٢٨٨، ونسب للخنساء في «تفسير القرطبي» ٣٤٠/١١، و«البحر المحيط» ٣٣٩/٦، وفروح المغاني ٨٤/١٧، وفيها جميعاً: ..... بكيت على صخر، ولا يوجد البيت في ديوانها.

(٢) تقدم الكلام على ياجوج ومأجوج في سورة (الكهف: ٩٤). قال ابن كثير: وهم من سلالة آدم ﷺ، بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث، أي أبي الترك، والترك شُرَفة منهم تُركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين، قال: وقد حكى النووي في «شرح مسلم» عن بعض الناس أن ياجوج ومأجوج خلقوا من متي خرج من آدم فاختلف بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواء، قال: وهذا قول غريب جداً، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب، لما عندهم من الأحاديث المفتعلة، والله أعلم. وهم إذا خرجوا من السد يعبثون في الأرض فساداً، ويهلكون الحرث والنسل، وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية، انظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٩٥ - ١٩٧.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هِيَ﴾ في «هي» أربعة أقوال: أحدها: أن «هي» كناية عن الأبصار، والأبصار تفسير لها، كقول الشاعر:

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَلَمْتَنِي  
فذكر الظئنة، وقد كنى عنها في «العمرو أبيها». والثاني: أن «هي» [ضمير فصل، و] «عَادًا» ويصلح في موضعها «هو»، ومثله قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، وقوله: ﴿فَلَيْسَ لَنَا نَمَى الْأَبْصَرُ﴾ [الحج: ٤٦]، وأنشدوا:

بِشُوبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدَرَاهِمٍ  
فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَا هُنَا رَأْسُ<sup>(١)</sup>  
ذكرهما الفراء. والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزة واقفة، يعني: من قريبها، كأنها آتية حاضرة، ثم ابتداء فقال: ﴿شَخْصَةً﴾، ذكره الثعلبي. والرابع: أن «هي» كناية عن القصة، والمعنى: القصة أن أبصارهم شاخصة في ذلك اليوم، ذكره علي بن أحمد النسابوري. قال المفسرون: تشخص أبصار الكفار من هول يوم القيامة، ويقولون: ﴿يَوْنَنَا قَدْ كُنَّا﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا. ثم خاطب أهل مكة فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعمر بن عبد العزيز: «حَطَب» بالطاء. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وابن السميع: «حَضَب» بالضاد المعجمة المفتوحة. وقرأ عروة، وعكرمة، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة: «حَضَبُ جَهَنَّمَ» بإسكان الضاد المعجمة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو حيو، ومعاذ الفارسي: «حَضَب» بكسر الحاء مع تسكين الضاد المعجمة. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «حَضَب» بفتح الحاء وبضاد غير معجمة ساكنة. قال الزجاج: من قرأ «حَضَبُ جَهَنَّمَ» فمعناه: كل ما يرمى به فيها، ومن قرأ «حَطَب» فمعناه: ما تؤد به، ومن قرأ بالضاد المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النار وتذكي به. قال ابن قتيبة: الحَضَب: ما ألقي فيها، وأصله من الحَضْبَاء، وهو: الحصى، يقال: حصبت فلاناً: إذا رميته، حَضْباً، بتسكين الصاد، وما رَمَيْتَ به فهو حَضَب، بفتح الصاد.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿لَهَا وَرُدُّتْ﴾ أي: داخلون. ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُوكًا﴾ يعني: الأصنام ﴿إِلَٰهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَّا وَرَدُّهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهة ما دخلوا النار. والثاني: أنه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النار. والثالث: أنه إشارة إلى الآلهة وعابديها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ﴾ قد شرحنا معنى الزفير في [هود: ١٠٦]. وفي علّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوضع في مسامعهم مسامير من نار، ثم يُغْدَفون في توابيت من نار مقلعة عليهم، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ في حديث طويل. وقال ابن مسعود: إذا بقي في النار مَنْ يَخْلُدُ فِيهَا جُعِلُوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحدهم أن في النار أحداً يعذب غيره<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن السماع أُنْس، والله لا يحب أن يؤنسهم، قاله عون بن عمارة. والثالث: إنما لم يسمعوا لشدة غلبان جهنم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّوْنَ﴾ لا يَسْمَعُونَ حِسَابَهَا وَمَنْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يَوْمَ تَقْرَى السَّكَّةُ كُلِّي السَّيْلِ لِلْكُفْرِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعَذِّبُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْهِنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ فِي الشُّكِّ وَإِنَّكُمْ لَفِي الدَّيْرِ الْأَرْضِ يَرِيهَا عِبَادٌ عِبَادُ اللَّهِ لَئِنْ فِ هَذَا لَبَلَاءٌ لِقَوْمٍ عَصَيْتُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(١) البيت غير منسوب في «الطبري» ٩٢/١٧، و«البحر» ٣٤٠/٦، و«القرطبي» ٣٤٢/١١، و«روح المعاني» ٨٥/١٧.

(٢) ما بين المعقفين، زيادة من «روح المعاني».

(٣) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ٥٢/١، و«الطبري» ٩٣/١٧، و«البحر» ٣٤٠/٦، و«روح المعاني» ٨٥/١٧.

(٤) «الطبري» ٩٥/١٧، وذكره السيوطي في «الدرر» وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، والطبراني، والبيهقي في «البعث» من عبد الله بن مسعود.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾. سبب نزولها أنه لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ شق ذلك على قريش، وقالوا: شتم آلهتنا، فجاء ابن الزبير، فقال: ما لكم؟ قالوا: شتم آلهتنا، قال: وما قال؟ فأخبروه، فقال: ادعوه لي، فلما دعي رسول الله ﷺ، قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة، أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: «لا، بل لكل من عبد من دون الله»، فقال ابن الزبير: خُصِصَتْ وربُّ هذه البنية، ألسنتُ تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح، وأن عزيزاً عبد صالح، فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى تعبد عيسى، وهذه اليهود تعبد عزيزاً، فضج أهل مكة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال الحسين بن الفضل: إنما أراد بقوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام دون غيرها، لأنه لو أراد الملائكة والناس، لقال: «وَمَنْ»، وقيل: «إِنَّ» بمعنى: «إِلَّا»، فتقديره: إلا الذين سبقت لهم مِنَّا الحسنى، وهي قراءة ابن مسعود، وأبي نهيك، فإيهما قرأ: «إِلَّا الذين». وروى عن علي بن أبي طالب أنه قرأ هذه الآية، فقال: أنا منهم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن<sup>(٢)</sup>. وفي المراء «بالحسن» قولان: أحدهما: الجنة، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: السعادة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنَّا﴾ أي: عن جهنم، وقد تقدم ذكرها «تَعْبُدُونَ» والبعد: طول المسافة، والحسب: الصوت تسمعه من الشيء إذا مرَّ قريباً منك. قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيب أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة.

قوله تعالى: ﴿لَا يُخْزِنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وقرأ أبو رزين، وقاتدة، وابن أبي عبلة، وابن محيصن، وأبو جعفر الشيزري عن الكسائي: «لَا يُخْزِنُهُمُ» بضم الياء وكسر الزاي. وفي الفزع الأكبر أربعة أقوال: أحدها: أنه النفخة الأخيرة، رواه العوفي عن ابن عباس؛ وبهذه النفخة يقوم الناس من قبورهم، ويدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَنُلْقِيهِمُ النَّارَ الْكَلْبَ﴾. والثاني: أنه أطباق النار على أهلها، رواه سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنه ذبح الموت بين الجنة والنار، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن جريج. والرابع: أنه حين يؤمر بالعبد إلى النار، قاله الحسن البصري. وفي مكان تلقى الملائكة لهم قولان: أحدهما: إذا قاموا من قبورهم، قاله مقاتل. والثاني: على أبواب الجنة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ فيه إضمار: «يقولون» هذا يومكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّكَنَةَ﴾<sup>(٣)</sup> وقرأ أبو العالية، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر: «تَطْوِي» بقاء مضمومة «السما» بالرفع؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿كَلَّيَ السَّجِّلِ لِلْكَتِّبِ﴾ قرأ الجمهور: «السَّجِّلِ» بكسر السين والجيم وتشديد اللام. وقرأ الحسن، وأبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، ومحبيب عن أبي عمرو: «السَّجِّلِ» بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة. وقرأ أبو السماك كذلك، إلا أنه فتح الجيم.

قوله تعالى: «الكتاب» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «الكتاب». وقرأ حمزة، والكسائي وجفص عن عاصم: «الكتب» على الجمع. وفي السجل أربعة أقوال: أحدها: أنه ملك، قاله علي بن أبي طالب، وابن عمر، والسدي. والثاني: أنه كاتب كان لرسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن السجل

(١) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٥، و«الطبري» ٩٧/١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٣٨/٤، وزاد نسبه لأبي داود في «تاسخه»، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني من وجه آخر عن ابن عباس. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن الزبير خطأ كبير، لأن الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جماد لا تعقل، ليكون ذلك ترويحاً وتوبيخاً لعابديها، ولهذا قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فكيف يورد على هذا المسيح والعزير وتوحيها ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده؟! وقد أسلم ابن الزبير بعد ذلك، واعتلّ عما كان يهاجي به المسلمين أولاً.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» من رواية ابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن مردويه عن النعمان بن بشير.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاوَاتُ بَيْمَةً».

(٤) رواء الطبري ١٧/١٠٠، ورواه أبو داود، والنسائي، وغيرهما، قال ابن كثير ٣/٢٠٠ لا يصح، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان =



بمعنى: الرجل، روى أبو الجوزاء عن ابن عباس، قال: السجل، هو الرجل. قال شيخنا أبو منصور اللغوي: وقد قيل: «السجل» بلغة الحبشة: الرجل. والرابع: أنه الصحيفة. رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والفراء، وابن قتيبة<sup>(١)</sup>. وقرأت على شيخنا أبي منصور، قال: قال أبو بكر، يعني: ابن دريد: - السجل: الكتاب، والله أعلم؛ ولا ألقت إلى قولهم: إنه فارسي معرب، والمعنى: كما يطوى السجل على ما فيه من كتاب. و«اللام» بمعنى «على». وقال بعض العلماء: المراد بالكتاب: المكتوب، فلما كان المكتوب يطوي بانطواء الصحيفة، جعل السجل كأنه يطوي الكتاب. ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثُمِّدْهُمْ﴾ الخلق هاهنا مصدر، وليس بمعنى المخلوق. وفي معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة غراة غرلاً، كذلك نعيدهم يوم القيامة؛ روى عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة غرلاً كما خلُقوا، ثم قرأ: كما بدأنا أول خلق نعيده»<sup>(٢)</sup>؛ وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد. والثاني: أن المعنى: إنا نهلك كل شيء كما كان أول مرة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن السماء تمطر أربعين يوماً كمني الرجال، فينبتون بالمطر في قبورهم، كما ينبتون في بطون أمهاتهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والرابع: أن المعنى: قُذِرَتْنَا على الإعادة قُذِرَتْنَا على الابتداء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله تعالى: «نعيده» بمعنى: وعدنا هذا وعداً، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: قادرين على فعل ما نشاء. وقال غيره: إنا كنا فاعلين ما وَعَدْنَا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أن الزبور جميع الكتب المنزلة من السماء، والذِّكْر: أم الكتاب الذي عند الله، قاله سعيد بن جبير في رواية، ومجاهد، وابن زيد، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية ابن جبير، فإنه قال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، والذِّكْر: الذي في السماء. والثاني: أن الزبور: الكتب، والذِّكْر: التوراة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أن الزبور: القرآن، والذِّكْر: التوراة والإنجيل، قاله سعيد بن جبير في رواية. والرابع: أن الزبور: زبور داود، والذِّكْر: ذِكْر موسى، قاله الشعبي. وفي الأرض المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون. والثاني: أرض الدنيا، وهو منقول عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السائب. وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّهَا عِساوَى الْفَصْلَيْنِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم أمة محمد ﷺ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية: ترث أمة محمد أرض الدنيا بالفتح. والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابن السائب. والثالث: أنه عام في كل صالح، قاله بعض فقهاء المفسرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَلْآيَاتِ﴾ يعني: القرآن ﴿لَلْآيَاتِ﴾ أي: لكفاية؛ والمعنى: أن من اتبع القرآن وعمل به، كان القرآن بلاغه إلى الجنة. وقوله تعالى: ﴿لَقَوْمٍ عَصِيدِينَ﴾ قال كعب: هم أمة محمد ﷺ الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: هذا عام للبرِّ والفاجر، فمن آمن به تمت

= في «سنن أبي داود»، منهم شيخنا الحافظ المزي، قال: وقد تصدَّى ابن جرير للإنكار على هذا الحديث، وردّه أتم ردّاً، وقال: لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل، وكتب النبي ﷺ معروفون، وليس فيهم أحد اسمه السجل، قال: وصدق رحمه الله في ذلك، وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث، قال: والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة.

(١) وهو الصواب، كما ذكر ابن كثير.

(٢) رواه البخاري ٢٧٥/٦، ومسلم ٢١٩٤/٤، ولفظه عند مسلم: عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قام فبنا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تمحشرون إلى الله حفاة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ ثُمِّدْهُمْ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾». وفي «الصحاحين» من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً غرلاً، قلت: يا رسول الله: النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٠٧/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعناً، وإنما بعث رحمة».

له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صُرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَقُلْ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذَيْتُمْ أَزِيدُ أَوْ يَبِيدَ مَا يُعَذِّبُ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَذَيْتُمْ لَكُمُ فَتْنَةً أَوْ مَنَعَكُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ أُولَٰئِكَ هُمُ السَّاعُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ بِطَوْلِكَ وَارْزُقْنَا الرَّحْمَنَ الْمُسْتَعَانَ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ قال ابن عباس: فهل أنتم مخلصون له العبادة؟ قال أهل المعاني: هذا استفهام بمعنى الأمر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا ولم يؤمنوا ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ في معنى الكلام قولان: أحدهما: نأبذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استوتينا في العلم بذلك، وهذا من الكلام المختصر، قاله ابن تقيية. والثاني: أعلمتكم بالوحي إلي لتستروا في الإيمان به، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَذَيْتُمْ﴾ أي: وما أدرى ﴿أَقْرَبُ أَمْ يَبِيدُ مَا يُعَذِّبُ﴾ بنزول العذاب بكم. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ﴾ وهو ما يقولونه للنبي ﷺ: ﴿مَنْ هَذَا الرَّعْدُ﴾ [يس: ٤٨]، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارهم أن العذاب لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ فِتْنَةً لَّكُمْ﴾ في هاء ﴿لَعَلَّه﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما أذنهم به، قاله الزجاج. والثاني: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعل تأخير العذاب عنكم فتنة، قاله ابن جرير، وأبو سليمان الدمشقي. ومعنى الفتنة

ها هنا: الاختبار، ﴿وَمَنَعَكُمْ لَكُمْ﴾ أي: تستمتعون إلى انقضاء آجالكم. ﴿قُلْ رَبِّ﴾ وروى حفص عن عاصم: ﴿قَالَ رَبِّ﴾ ﴿أَعْمُرْ﴾ قرأ أبو جعفر: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بضم الباء. وروى زيد عن يعقوب: ﴿رَبِّي﴾ بفتح الياء ﴿أَحْكَمْ﴾ بقطع الهمزة وفتح

الكاف ورفع الميم. ومعنى ﴿أَعْمُرْ بِطَوْلِكَ﴾ أي بعذاب كفار قومي الذي نزوله حق، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدر وفيما بعده من الأيام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق. ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي: من

كذبكم وباطلكم<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن عامر، والمفضل عن عاصم: «يصفون» بالياء. فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم بغير الحق؟ فالجواب: أن المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنه استعجل النصر عليهم.



= روى الدارمي ٩/١ عن أبي صالح مرسلاً قال: كان النبي ﷺ يناديهم يقول: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهلكة وقد وصله الحاكم ٣٥/١ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ووافقه الذهبي.

(١) ذكر ابن كثير ٢٠٢/٣ من رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقتل.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٠٩/١٧: وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي استعنت عليهم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله: ﴿عَلَّ مَنَّا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ﴿أَتَاوَكُ الْخَيْبَرُ وَأَنْتُمْ تُبَيِّرُونَ﴾ وقولكم: ﴿بَلَّ أَفْقَيْنَهُ بَلَّ مَوْشَايَ﴾ وفي كذبكم على الله جل ثناؤه، وقيلكم: ﴿أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، فإنه حين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعميل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

## سورة الحج

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْوُنَهَا نَدْعُلُ كُلَّ مِرْصَمَةٍ مِمَّا أَرْضَعْتَ وَنَضَعُ كُلَّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ يَعْرِىٰ عَلَيْهِ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِضُلْمٍ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤﴾﴾

### فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَبْغِ اللَّهُ عَلَنَ حَرْبٍ﴾، والتي تليها [الحج: ١٢، ١٣]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ...﴾ إلى آخر الأربع [الحج: ٥٣ - ٥٧]. وقال عطاء بن يسار: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿هَذَانِ حَصَنَانِ﴾ واللذان بعدها [الحج: ٢٠ - ٢٢]. وقال أبو سلميان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿وَيَبْتَغِرُ الْمُخِيزِينَ﴾ [الحج: ٣٨] وسائرهما مكِّي. وقال الثعلبي: هي مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿هَذَانِ حَصَنَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْمُفِيدِ﴾ [الحج: ٢٠ - ٢٥]. وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأن فيها مكياً، ومدنياً، وحضرياً، وسفرياً، وحربياً، وسلمياً، وليلياً، ونهارياً، وناسخاً، ومنسوخاً؛ فأما المكِّي، فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها. وأما المدني، فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين. وأما الليلي، فمن أولها إلى آخر خمس آيات. وأما النهاري، فمن رأس خمس [آيات] إلى رأس تسع. وأما السفري، فمن رأس تسع إلى اثني عشرة. وأما الحضري، فإلى رأس العشرين [منها]، نسب إلى المدينة، لقرب مدته.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: احذروا عقابه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة. وفي وقت هذه الزلزلة قولان: أحدهما: أنها يوم القيامة بعد النشور. روى عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ أنه قرأ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: تدرون أي يوم ذلك؟ فإنه يوم ينادي الرَّبُّ ﷻ آدم ﷺ: ابعث بعثاً إلى النار، فذكر الحديث<sup>(١)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم، فابعث بعث النار، فيقول: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، فحيث يشيب المولود، وتضع كل ذات حمل حملها، وقرأ الآية<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ: قِيَامُهَا، يعني أنها تُقَارِبُ قِيَامَ السَّاعَةِ، وتكون معها. وقال الحسن، والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها تكون في الدنيا قبل القيامة، وهي من أشراط الساعة، قاله علقمة، والشعبي، وابن جريج. وروى أبو العالية عن أبي بن كعب، قال: ست آيات قبل القيامة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فينما هم كذلك إذ تائرت النجوم، فينما هم كذلك

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/٤٣٢، والترمذي ١٤٦/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الطبري ١٧/١١١، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/٤٣٣، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين ﷺ.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والبخاري ٨/٣٣٥، ومسلم ١/٢٠١ وله بقية عندهما، ورواه الطبري ١٧/١١٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/٣٤٤، وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) واختار ذلك ابن جرير الطبري وغيره، واحتجوا على ذلك بأحاديث، انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٠٤ - ٢٠٥ عند تفسير هذه الآية، فقد ذكر الأحاديث التي تدل على أن الزلزلة تكون يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور.

إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت، واضطربت، ففزع الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب، والطير، والوحش، فماج بعضهم في بعض، فقالت الجن للإنس: نحن نأتاكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحور، فإذا هي نار تآجج، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض إلى الأرض السابعة، والسماء إلى السماء السابعة، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الرياح فماتوا<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: هذه الزلزلة قبل النفخة الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله، فيفزعون فزعاً شديداً فيشيب الصغير، وتضع الحوامل.

قوله تعالى: ﴿شِقْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يوصف لعظمه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَزُولُ﴾ يعني الزلزلة ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ فيه قولان: أحدهما: تسلو عن ولدها، وتركه، قاله ابن قتيبة. والثاني: تُشَقَّل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رواحة:

يذهل الخليل عن خليله

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عبة: ﴿تَذْهَلُ﴾ برفع التاء وكسر الهاء «كُلُّ» بنصب اللام. قال الأخفش: وإنما قال: «مرضعة»، لأنه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصفة فيما نرى، لقال: «مرضع». قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حبل.

قوله تعالى: ﴿وَرَى الَّذِينَ سُكَّرُوا﴾ وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن يعمر، «وُثِرَى» بضم التاء ومعنى «يسكاري»: من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَّرٍ﴾ من الشراب، والمعنى: ترى الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمرُّ بهم، يضطربون اضطراب السكاران من الشراب. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «سُكَّرُوا» بفتح السين، وهي قراءة ابن مسعود. قال الفراء: وهو وجه جيد، لأنه بمنزلة الهلكي والمجرحى. وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن السميع: «سَكَّارَى» بفتح السين والراء وإثبات الألف، ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليل على أن سكرهم من خوف علامه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ مَنَ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث<sup>(٢)</sup>. وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كلما نزل شيء من القرآن كذب به، قاله ابن عباس. والثاني: أنه زعم أن الملائكة بنات الله، قاله مقاتل. والثالث: أنه قال: لا يقدر الله على إحياء الموتى، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعْ عَلِرَ﴾ أي: إنما يقوله بإغواء الشيطان، لا بعلم ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ ما يسؤل له ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى «المريد» في سورة النساء: ١١٧.

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ «كُتِبَ» بمعنى: قُضِيَ والهاء في «عليه» وفي «تولاه» كناية عن الشيطان. ومعنى الآية: قضى على الشيطان أنه يُضِلُّ مَنْ اتَّبَعَهُ. وقرأ أبو عمران الجوني: «كُتِبَ» بفتح الكاف «أنه» بفتح الهمزة «فإنه» بكسر الهمزة. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وابن أبي ليلى، والضحاك، وابن يعمر: «إنه» بكسر الهمزة. وقد يتأ معنى «السعير» في سورة النساء: ١١٠.

﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَهِتِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نَّارٍ ثُمَّ مِن طُفْلَةٍ ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَيُخَوِّفَكُمْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّ أَحْسَنَ مَسَاسِي ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَبُوءُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْضِهِ الْقَوْمِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَائِلَةً فَإِنَّا أَنزَلْنَاهَا عَلَى الْهَاءِ أَهْرَاقَتْ وَتَرَى وَالْكَبْشَ مِن كُلِّ رَاجٍ يَبْجِجُ ۝ ذَٰلِكَ يَأْنِ أَنَّهُ هُوَ لَقِيَ وَأَنْتُمْ نَحْيَى الْمَوْتُ وَلَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝﴾

(١) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/٦٣ عند قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَشَدُّ بَاطِلًا﴾، وفي سنده الحسين بن واقد. قال الحافظ في «التقريب»: ثقة له أوهام، وذكره ابن كثير ٤/٤٧٥ من رواية ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» للسيوطي ١٥٠ من رواية ابن أبي حاتم، و«الدرر» ٤/٣٤٤.



قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ﴾ أي: في شك من القيامة ﴿فَلَنَّا خَلَقْتُمْكَ مِّن نُّورٍ﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثُمَّ مِّن نَّفْثَةٍ﴾ يعني: خلق ولده، والمعنى: إن شككتم في بعثكم فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقاً بين الابتداء والإعادة. فاما النطفة، فهي المني. والعلة: دم عبيط جامد. وقيل: سميت علة لربوبيتها وتعلقها بما تمر به، فإذا جفت فليست علة. والمضغة: لحمه صغيرة. قال ابن قتيبة: وسميت بذلك، لأنها بقدر ما يُمضغ، كما قيل: غرفة لقدر ما يُعَرَف.

قوله تعالى: ﴿مُخَلَّفٌ وَغَيْرُ مُخَلَّفَةٍ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أن المخلفة: ما خلق سويًا، وغير المخلفة: ما ألحقه الأرحام من النطف، وهو دم قبل أن يكون خلقًا، قاله ابن مسعود. والثاني: أن المخلفة: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه<sup>(١)</sup>، وهو الذي يولد حيًا لتام، وغير المخلفة: ما سقط غير حي لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه، هذا معنى قول ابن عباس. والثالث: أن المخلفة: المصورة، وغير المخلفة: غير مصورة، قاله الحسن. والرابع: أن المخلفة وغير المخلفة: السقط، تارة يسقط نطفة وعلة، وتارة قد صور بعضه، وتارة قد صور كله، قاله السدي. والخامس: أن المخلفة: التامة، وغير المخلفة: السقط، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿لَنَبِيٍّ لَّكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: خلقناكم لنبيين لكم ما تأتون وما تدرن. والثاني: لنبيين لكم في القرآن بُدُوْا خَلْقِكُمْ، وتنقل أحوالكم. والثالث: لنبيين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقليب أحوال خلقكم. والرابع: لنبيين لكم أن البعث حق. وقر أبو عمران الجوني، وابن أبي عبيدة: «لنبيين لكم» بالياء.

قوله تعالى: ﴿وَيُفَرِّقُ فِي الْأَرْحَامِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: «وَيُفَرِّقُ بِيَاءٍ مَرْفُوعَةٍ وَفَتْحَ الْقَافِ وَرَفَعَ الرَّاءِ». وقرأ أبو الجوزاء، وأبو إسحاق السبيعي: «وَيُفَرِّقُ بِيَاءٍ مَرْفُوعَةٍ وَيَكْسِرُ الْقَافَ وَنَسَبَ الرَّاءِ». والذي يُفَرِّقُ في الأرحام، هو الذي لا يكون سقطًا، ﴿إِنَّ أَجَلَ سَيِّئٍ﴾ وهو أجل الولادة ﴿ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ قال أبو عبيدة: هو في موضع «أطفال»، والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] أي: ظهراء، وأنشد:

فَقُلْنَا اسْلِمُوا إِنَّا أَخَوَكُم  
قد برئت من الإحن الصدور<sup>(٢)</sup>  
وأنشد أيضاً:

فِي خَلْقِكُمْ عَظَمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(٣)</sup>

وقال غيره: إنما قال: «طفلاً» فوَحَّدَ، لأن الميم في قوله تعالى: ﴿تُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلَّت على الجميع، فلم يحتاج إلى أن يقول: أطفالاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْلَعُوا﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نَعْمَرُكُمْ لتبلغوا أشدكم، وقد سبق معنى «الأشد» [الأنعام: ١٥٣]، ﴿وَنَعْمَكُم مِّن يُّوْسُفَ﴾ من قبل بلوغ الأشد ﴿وَنَعْمَكُم مِّن يُّرْدُ إِلَى أَذْلَى الْأُمُورِ﴾ وقد شرحناه في [النحل: ٧٠] ثم إن الله تعالى دلَّهم على إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَائِلَةً﴾ قال ابن قتيبة: أي: ميتة يابسة، ومثله: همدت النار: إذا طفت فذهبت.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا أَنزَلْنَاهَا عَلَيْهَا آتَاءً﴾ يعني: المطر ﴿أَمْعَزَتِ﴾ أي: تحركت للنبات، وذلك أنها ترتفع عن النبات

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) البيت للمعاصي بن مرداس، وهو في «مجاز القرآن» ٧٩/١، ٤٤/٢، و«الأغاني» ٦٢/١٣، و«الإصابة» رقم (٤٥١١)، و«الاستيعاب» ١٠١/٣، و«الخزانة» ٧٣/١، و«الشمس» ١٠١/٢.

(٣) تقدم ٢٩٩، فأنظره هناك.

إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ﴾ أي: ارتفعت وزادت. وقال المبرد: أراد: اهتز نباتها وربا، فحذف المضاف. قال الفراء: وقرأ أبو جعفر المدني: «وربات» بهمزة مفتوحة بعد الباء. فإن كان ذهب إلى الربيثة الذي يحرس القوم، أي: أنه يرتفع، وإلا، فهو غلط.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَتَ مِنْ كُلِّ رَجُلٍ رَجُلًا﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن يهيج، أي: يسر، وهو فعيل في معنى فاعل.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمر ذلك كما وصف لكم. والأجود أن يكون موضع «ذلك» رفعاً، ويجوز أن يكون نصباً على معنى: فعل الله ذلك بأنه هو الحق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ أي: ولتعلموا أن الساعة «مآية»

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ١٠ فَإِنَّ عَظَمَةَ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ يُؤْلَفُهُ يَوْمَ الْقِسْمَةِ عَذَابُ الْعَرْقِ ١١ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلِمُ لِلْعَبِيدِ ١٢

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ قد سبق بيانه. وهذا مما نزل في النضر أيضاً. والهدى: البيان والبرهان.

قوله تعالى: ﴿فَأَنَّى عَظُمَ﴾ العطف: الجانب. وعظفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي. قال الزجاج: «ثاني» منصوب على الحال، ومعناه: التنوين، معناه: ثانياً عطفه. وجاء في التفسير: أن معناه: لا وياً عنقه، وهذا يوصف به المتكبر، والمعنى: ومن الناس من يجادل بغير علم متكبراً.

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ﴾ أي: ليصير أمره إلى الضلال، فكأنه وإن لم يقدّر أنه يضل، فإن أمره يصير إلى ذلك، «لَمْ» في الدُّنْيَا خِزْيٌ وهو ما أصابه يوم بدر، وذلك أنه قُتل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره (ابن: ١٧٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْغِ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ﴾ وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن ناساً من العرب كانوا يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: نحن على دينك، فإن أصابوا معيشة، وتنجت خيئتهم، وكذلك نساؤهم الغلمان أطمأنوا وقالوا: هذا دين حق، وإن لم ينجر الأمر على ذلك قالوا: هذا دين سوء، فيقبلون عن دينهم، فنزلت هذه الآية، هذا معنى قول ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال الأكثرون. والثاني: أن رجلاً من اليهود أسلم فذهب بصره وماله وولده، فشتام بالإسلام، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أقلني فقال: «إن الإسلام لا يقال». فقال: إني لم أصب في ديني هذا خيراً، أذهب بصري ومالي وولدي، فقال: «يا يهودي: إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب»، فنزلت هذه الآية، رواه عطية عن أبي سعيد الخدري<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْغِ اللَّهُ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْفِلْ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ذَلِكَ هُوَ الْفُسْكَانُ الْأَيْمَنُ ١١ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَمَا لَا يَضُرُّهُمْ وَأَنَّ الْفُتْنَةَ هِيَ الضَّلَالَةُ الْبُعِيدُ ١٢ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ أَلَمُوكَ وَلَيْسَ أَلَمُوكَ ١٣ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ قال مجاهد، وقتادة: «على شك»، قال أبو عبيدة: كل شاك في شيء فهو على حرف لا يثبت ولا يدم. وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكن منه، فشبه به الشاك، لأنه قلّب في دينه على غير ثبات، ويوضحه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ أي: رخاء وعافية «اطْمَأَنَّ بِهِ» على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجذب وقلة مال «أُنْفِلْ عَلَى وَجْهِهِ» أي: رجع عن دينه إلى الكفر. والمعنى: انصرف إلى وجهه الذي توجه منه، وهو الكفر<sup>(٣)</sup>، «خَيْرٌ الدُّنْيَا» حيث لم يظفر بما أراد منها، «و» خسر «الْآخِرَةَ» بارتداده عن الدين. وقرأ أبو رزين

(١) رواه البخاري ٣٣٦/٨، والطبري ١٧/١٢٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٦/٤ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي ١٧٦ عن عطية عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٦/٤ عن ابن مردويه من طريق عطية عن أبي سعيد الخدري.

(٣) قال ابن كثير ٢٠٩/٣: وقال عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم: هو المنافق إن صلحت له دنياه، أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه، وتغيرت، =

العقيلي، وأبو مجلز، ومجاهد، وطلحة بن مصرف، وابن أبي عبة، وزيد عن يعقوب: «خاير الدنيا» بألف قبل السين، وينصب الراء «والآخرة» بخفض التاء. «يَدْعُوا» هذا المرتد، أي: يعبد ﴿مَا لَا يَعْزُرُ﴾ إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنْفَعُهُ﴾ إن أطاعه ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق ﴿يَدْعُوا لَمَنْ شَرُّهُ﴾ قال بعضهم: اللام صلة، والمعنى: يدعو من ضره. وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير، والمعنى: يدعو من لضره ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾، قال: وشرح هذا أن اللام لليمين والتوكيد، فحقها أن تكون أول الكلام، فقدّمت لتجعل في حقها، قال السدي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه. فإن قيل: فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟ فالجواب: أنه لا نفع من قبله أصلاً، غير أنه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ ذُو الْعَرْشِ﴾ قال ابن قتيبة: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل. ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبِّهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْتَظِرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَكِيدُ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أَلَّا اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجَوسَ وَالنُّصَارَىٰ﴾ ﴿أَشْرَكَوا بِاللَّهِ بِفَعْلٍ يَنْتَهِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ قال مقاتل: نزلت في نفر من أسد، وغطفان، قالوا: إنا نخاف أن لا ينصر محمد، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود<sup>(١)</sup> وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزة الثمالي، والسدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأن أرزاقهم ما اتسعت، وقد شرحنا القصة في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّ النَّاسِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ عَلَى حَرْفٍ﴾. وفي هاء «ينصره» قولان: أحدهما: أنها ترجع على «مَنْ»، والنصر: بمعنى الرزق، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد. قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: مَنْ ينصرني نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها، قال الراعي:

إذا أبصر الشهر الحرام فردعي

بلاد تميم وأنضري أذن عابري

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>، فالمعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً، رواه التميمي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>، وبه قال عطاء، وقادة. قال ابن قتيبة: وهذه كناية عن غير المذكور، وكان قوم من المسلمين لشدة حقنهم على المشركين يستبطلون ما وعد الله رسوله من النصر، وآخرون من المشركين، يريدون اتباعه، ويخشون أن لا يتم أمره، فقال هذه الآية للفرقيين. ثم في معنى [هذا] النصر قولان: أحدهما: أنه الغلبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنه الرزق، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

= اقلب، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، فإن أصابه فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر اهـ. نعوذ بالله من ذلك.

(١) ذكره الطبري ١٢٨/١٧ بدون سند.

(٢) «مجاز القرآن» ٤٦/٢، و«الجمهرة» ٣٥٩/٢، و«اللسان» و«التاج»: نصر.

(٣) قال ابن جرير الطبري ١٢٨/١٧: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك، قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه، وذلك أن الله تعالى ذكره قوماً يعبدونه على حرف، وأنهم يطمنون بالدين إن أصابوا خيراً في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصبيهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخاً لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق، وإذا كان الواجب أن يكون ذلك مقبب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن إذا كان ذلك كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمداً ﷺ وأمه في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطايها وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بحبل إلى سماء فوقه، إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاض من بعض ما قضى الله فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهبن كيداً - اختناقه كذلك - ما يفيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب، فكذلك استعجاله نصر الله محمداً ودينه، لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يجعل قبل حينه. اهـ.

(٤) رواه الطبري ٢٢٦/١٧. وقال ابن كثير بعد أن نقل كلام ابن عباس هذا ورجحه: وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى، وأبلغ في التحكم، فإن المعنى: من كان يظن أن الله ليس ينصر محمداً ودينه، فليذهب ليقبّل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَنْصُرَنَّ رَسُولَنَا وَلَآئِكَ آيَاتُنَا وَبَيْنَهُمْ وَالْآخِرَةُ﴾ الآية. ولهذا قال: ﴿فَلْيَنْتَظِرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَكِيدُ﴾ يعني: من شأن محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسِّدْ بِسَبِّ إِلَى السَّمَاءِ﴾ في المراد بالسماء قولان: أحدهما: سقف بيته، والمعنى: فليشدد حبلاً في سقف بيته، فليختنق به ﴿ثُمَّ يُقْلَعُ﴾ الحبل ليموت مختنقاً، هذا قول الأكثرين. ومعنى الآية: ليعصور هذا الأمر في نفسه لا بأنه يفعله، لأنه إذا اختنق لا يمكنه النظر والعلم. والثاني: أنها السماء المعروفة، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر، قاله ابن زيد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَیْقَطَعُ﴾ قرأ أبو عمرو، وابن عامر: «ثم لیقطع» [ثم لیقضوا] [الحج: ٢٩] بكسر اللام. زاد ابن عامر «ولیوفوا» [الحج: ٢٩] «ولیطوفوا» [الحج: ٢٩] بكسر اللام أيضاً. وكسر ابن كثير لام «ثم لیقضوا» فحسب. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء [أو] ثم، قال الفراء: من سکن فقد خفف، وكل لام أمر وصلت بواو أو فاء، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم. قال أبو علي: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يُؤْمِنُ كَيْدُمْ﴾ قال ابن قتية: المعنى: هل تُذهبن حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدم من آيات القرآن ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَتَّبِعُهُ﴾ أي: يقضي ﴿بِوَمِ الْقِيَمَةِ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والآخرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَذَلِكَ حَقٌّ عَلَيْنَا الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٢٢﴾  
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾  
أي: ألم تعلم. وقد بيّنا في سورة [الحل: ٢٩] معنى السجود في حق من يعقل، ومن لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ الْأَلْبَابِ﴾ يعني: الموحدين الذين يسجدون لله. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الكفار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلمهم، قاله مقاتل. والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثير من الناس أبى السجود، فحق عليه العذاب، لتركه السجود، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: من يُشَقِّهِ الله فما له من مُسْعِدٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ﴾ في خلقه من الكرامة والإهانة<sup>(١)</sup>.

﴿ ١٧٧ ﴾ مَكَانٍ خَصَّانِ اِتَّخِصُّوْا فِي رَيْبِهِمْ ۖ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قَطَعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ اَلْحَمِيْمُ ﴿ ١٧٨ ﴾ يَصْهَرُ بِهٖ مَا فِيْ بُطُوْنِهِمْ ۖ وَالْجُلُوْدُ ﴿ ١٧٩ ﴾ وَهُمْ مُّقْمِعُونَ ۖ مِّنْ حٰدِيْهِ ﴿ ١٨٠ ﴾ كَلِمًا اَرَادُوْا اَنْ يَخْرُجُوْا مِنْهَا مِنْ حَمِيْمٍ اُعِيْدُوْا فِيْهَا وَذُقُوْا عَذَابَ ٱلْعَرِيْنِ ﴿ ١٨١ ﴾

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَ حَصَنَاتٍ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذر<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد، وآمنا بنبيكم وما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا، ثم كفرتم به حسداً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وقناة. والثالث: أنها في جميع المؤمنين، والكفار، وإلى هذا المعنى ذهب

(١) «الطبري» ١٧/١٢٦، و«الدر» ٤/٣٤٧.

(۲) قال ابن كثير: أخرج ابن أبي حاتم عن علي عليه السلام أنه قيل له: إن هاهنا رجلاً يتكلم في المشيئة، فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله كما يشاء، أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: فيمرضك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شئت، أو حيث شاء؟ قال: بل حيث يشاء، قال: والله لو قلت غير ذلك لضررت الذي فيه عنك باليسف.

(٣) البخاري ٣٣٧/٨، والطبري ١٣١/١٧، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٤٨/٤ وزاد فيه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٤) «الطبري» ١٣٢/١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٨/٤ وزاد نسبه لابن مردويه.





ابن كثير وقف بيباء، وأبو عمرو بغير ياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، والمسيبي عن نافع بغير ياء في الحاليتين. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن العاكف والبادي يستويان في سكنتى مكة والنزول بها، فليس أحدهما أحقّ بالمنزّل من الآخر، غير أن لا يُخْرَج أحدٌ من بيته، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد؛ ومذهب هؤلاء أن كراء دور مكة وبيعها حرام، هذا على أن المسجد: الحرم كله. والثاني: أنهما يستويان في تفضيله وحرمة وإقامة المناسك به، هذا قول الحسن، ومجاهد. و[منهم] من أجاز بيع دور مكة، وإليه يذهب الشافعي، وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجد الحرم، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْدْ فِيهِ بِالْحُكَامِ﴾ الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد، والباء زائدة، كقوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَتْ بِاللَّهْقَنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وأنشدوا:

بِرِوَادِ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ  
المعنى: وأسفله ينبت المرخ؛ وقال آخر:  
هُنَّ الْحَرَائِرُ لَارِبَاتٍ أَخْمِرَةٌ  
وقال آخر:

نَحْنُ بَنُو جَعْفَةَ أَرِبَابُ الْفُلَجِ  
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ<sup>(١)</sup>

هذا قول جمهور اللغويين. قال ابن قتيبة: والباء قد تزداد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿أَتَرَأَى بِأَيْدِي رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ﴿وَمُرْزَىٰ إِلَيْكَ يَجْعَلُ الْخَلْقَ﴾ [مريم: ٢٤] ﴿وَأَيُّكُمْ أَلْفَقُوتٌ﴾ [القم: ٦] ﴿تَلْقَوُا إِلَيْهِمُ بِالْكُرْبَةِ﴾ [المتنعة: ١] ﴿عِنَّا يَتَرَبَّعُ﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزداد «من»، كقوله تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [النار: ٥٧]، وتزداد «اللام» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِزَيْبِهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، والكاف، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و«عن»، كقوله تعالى: ﴿يَحْيَا الْقَوْمَ عَنْ أَرْوَاهُ﴾ [النور: ٦٣]، و«إن»، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مُلْكِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، و«إن» الخفيفة، كقوله تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ تَكُنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، و«ما»، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِحُّنَّ ثَلَاثِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و«الواو»، كقوله تعالى: ﴿وَتَكَلَّمَ لِلنَّبِيِّينَ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤]. وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال: أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: هو عمل سيئة؛ فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إحداد بظلم<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة. والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء. والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضاً. والخامس: استحلال الحرام تعمدًا، قاله ابن جريج. فإن قيل: هل يؤاخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعل؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه إذا همّ بذلك في الحرم خاصة، عوقب، هذا مذهب ابن مسعود، فإنه قال: لو أن رجلاً همّ بخطيئة، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أن رجلاً همّ بقتل مؤمن عند البيت، وهو ب «عَدْوِ آبَيْنِ»، أذاه الله في الدنيا من عذاب أليم. وقال الضحاك: إن الرجل ليهمّ بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى، فتكتب عليه ولم يعملها. وقال مجاهد: تضاعف السيئات بمكة، كما تضاعف الحسنات. وسئل الإمام أحمد: هل تكتب السيئة

(١) البيت للأحول البشكري واسمه يعلى، وهو في «مجاز القرآن» ٤٨/٢، و«الطبري» ٧٢/١٦ و١٣٨/١٧، و«الجمهرة» ٤٥/١، ٤١٤/٣، و«اللسان»: شت، شبه، و«الاقتضاب» ص ٥٧، و«القرطبي» ٣٦/١٢. والشت: ضرب من الشجر، والمرخ: شجر كثير الوري سريع، والشبهان: نبت يشبه الشام، أو ضرب من الغضاء، والشاهد في البيت زيادة الباء في كلمة «بالمرخ».

(٢) هو في «مجاز القرآن» ٤/١، و«الجمهرة» ٤١٤/٣، و«الصالح»، و«اللسان»، و«التاج»: سور، و«القرطبي» ١٥٨/١، و«شواهد المغني» ١١٦ و«الخرائفة» ٦٦٨/٣.

(٣) البيت لراجز من بني جملة، وهو في «مجاز القرآن» ٥٦/٢، و«الاقتضاب» ص ٤٥٨، و«شواهد المغني» ص ١١٤، و«الخرائفة» ١٥٩/٤.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٥١/٤ من رواية سعيد بن منصور، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «احتكار الطعام بمكة إحداد بظلم».

أكثر من واحدة؟ فقال: لا، إلا بمكة لتعظيم البلد. وأحمد على هذا يرى فضيلة المجاورة بها؛ وقد جاور جابر بن عبد الله، وكان ابن عمر يقيم بها. والثاني: أن معنى: «ومن يرد»: من يعمل. قال أبو سليمان الدمشقي: هذا قول سائر من حفظنا عنه.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتَ لَطَّافِينَ الْقَلَامِينَ وَالرَّكْعَ الشُّجُورَ ١٢٦ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ١٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَارِ مَقُومَتِهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْإِنْسِ الْفَقِيرِ ١٢٨ ثُمَّ لَيَقْسُضُوا نَفْسَهُمْ وَلَيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ ١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابن عباس: جعلنا. وقال مقاتل: دللناه عليه. وقال ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أن «بؤأنا» في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى «رَدَفْ لَكُمْ» [النمل: ٧٢] أي: ردفكم. وقد شرحنا كيفية بناء البيت في [البقرة: ١٢٩].

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك <sup>(١)</sup> ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ حَرَكْ هذه الباء، نافع وحفص عن عاصم. وقد شرحنا الآية في [البقرة: ١٢٥]. وفي المراد بـ «القائمين» قولان: أحدهما: القائمون في الصلاة، قاله عطاء، والجمهور. والثاني: المقيمون بمكة، حكى عن قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال المفسرون: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله تعالى أن يؤذن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن، وعليّ البلاغ، فعلا على جبل أبي قبيس، وقال: يا أيها الناس! إن ربكم قد بنى بيتاً، فحجُّوه، فاسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن سبق في علم الله أن يحج، فأجابوه: لبيك اللهم لبيك <sup>(٢)</sup>. والأذان بمعنى النداء والإعلام، والمأمور بهذا الأذان، إبراهيم في قول الجمهور، إلا ما روي عن الحسن أنه قال: المأمور به محمد ﷺ. والناس هاهنا: اسم يعم جميع بني آدم عند الجمهور، إلا ما روي العوفي عن ابن عباس أنه قال: عنى بالناس أهل القيلة. واعلم أن من أتى البيت الذي دعا إليه إبراهيم، فكأنه قد أتى إبراهيم، لأنه أجاب نداه. وواحد الرجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى: يأتوك مشاةً. وقد روي أن إبراهيم وإسماعيل حجاً ماشيين، وحج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً من المدينة إلى مكة، والنجائب نقاد معه. وحج الإمام أحمد ماشياً مرتين أو ثلاثاً <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبناً على ضُمر من طول السفر. قال الفراء: «ويأتين» فعل للنوق. وقال الزجاج: «يأتين» على معنى الإبل. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة: «يأتون» بالواو.

قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد. وقد ذكرنا تفسير الفج عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِجَاجاً﴾ [الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي: ليحضرُوا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: التجارة، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: منافع الآخرة، قاله سعيد بن المسيب، والزجاج في آخرين. والثالث: منافع الدارين جميعاً، قاله مجاهد. وهو أصح، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع. وفي الأيام المعلومات ستة أقوال: أحدها: أنها أيام العشر <sup>(٤)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عمر، وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال

(١) قال ابن كثير: هذا فيه تبرع وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به من قريش في البعثة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

(٢) قال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف، والله أعلم، قال: وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة. اهـ.

(٣) من المتفق عليه أن الحج جائز ركباً ومشياً، وقد اختلف في الأفضل منهما، فقال بعضهم: المشي أفضل، وقال جمهور الفقهاء: الركوب أفضل، اقتداءً بالنبي ﷺ، ولأنه أعون على القيام بوظائف مناسك الحج، فمن هنا تعلم أن من حج بالطائرة مثلاً، ووجد الراحة، وقام بالمناسك كاملة، أفضل ممن ذهب إلى الحج ماشياً وحصل له مشقة، فضرر، أو لم يستطع القيام بالمناسك على الوجه الكامل.

(٤) أي عشر ذي الحجة، وقد قال رسول الله ﷺ في فضلها: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» (يعني عشر ذي الحجة) قالوا: =

الحسن، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والشافعي. والثاني: تسعة أيام من العشر، قاله أبو موسى الأشعري. والثالث: يوم الأضحى وثلاثة أيام بعده، رواه نافع عن ابن عمر، ومقسم عن ابن عباس. والرابع: أنها أيام التشريق، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء الخراساني، والنخعي، والضحاك. والخامس: أنها خمسة أيام، أولها يوم التروية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والسادس: ثلاثة أيام، أولها يوم عرفة، قاله مالك بن أنس. وقيل: إنما قال: «معلومات»، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها. قال الزجاج: والذكر هاهنا يدل على التسمية على ما يُنحر، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾؛ قال القاضي أبو يعلى: ويحتمل أن يكون الذكر المذكور هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدَّم الواجب لأجل التمتع والقران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار وتكبير التشريق، لأن الآية عامّة في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنهَا﴾ يعني: الأنعام التي تُنحر؛ وهذا أمر إباحة. وكان أهل الجاهلية لا يستحلّون أكل ذبائحهم، فأعلم الله ﷻ أن ذلك جائز، غير أن هذا إنما يكون في الهدى المتطوّل به، فأما دم التمتع والقران، فعندنا<sup>(١)</sup> أنه يجوز أن يأكل منه، وقال الشافعي: لا يجوز<sup>(٢)</sup>، وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: من كل الهدى يؤكل، إلا ما كان من فداء أو جزاء أو نذر<sup>(٣)</sup>. فأما «البائس» فهو ذو البؤس، وهو شدة الفقر.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْعُنَّهَا نَجَسُهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: حلق الرأس، وأخذ الشارب، ونسف الإبط، وحلق العانة، وقص الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: مناسك الحج، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو قول ابن عمر. والثالث: حلق الرأس، قاله مجاهد. والرابع: الشعر والظفر، قاله عكرمة. والقول الأول أصح، لأن الثفت: الوسخ، والقذارة: من طول الشعر والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذها به. والحاج مغتبر شعث لم يذهن، ولم يستحدّ، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامه بالخلق، والقلم، وقص الأظفار، ولبس الثياب، ونحو ذلك، فهذا قضاء نفثه. قال الزجاج: وأهل اللغة لا يعرفون الثفت إلا من الضفير، وكأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَبْشُرُوا نَذْرَهُمْ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «ولْيَبْشُرُوا» بتشكين اللام وتشديد الفاء. قال ابن عباس: هو نحر ما نذروا من البُدن. وقال غيره: ما نذروا من أعمال البر في أيام الحج، فإن الإنسان ربما نذر أن يتصدق إن رزقه الله رؤية الكعبة، وقد يكون عليه نذور مطلقة، فالأفضل أن يؤدّيها بمكة.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْأَلُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا هو الطواف الواجب، لأنه أمر به بعد الذبح، والذبح إنما يكون في يوم النحر، فدل على أنه الطواف المفروض. وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أقوال: أحدها: لأن الله تعالى أعتقه من الجابرة. روى عبد الله بن الزبير، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمي الله البيت العتيق، لأن الله أعتقه من الجابرة، فلم يظهر عليه جبّار قط»<sup>(٤)</sup>. وهذا قول مجاهد، وقتادة. والثاني: أن معنى العتيق: القديم، قاله الحسن، وابن زيد.

١ - يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري في «صحيحه» ٣٨٢/٢، وأبو داود رقم (٢٤٣٨) واللفظ له.

(١) أي: معاشر الحنابلة.

(٢) وكذلك قال الإمام النووي في «الروضة» ١٩١/٣ طبع المكتب الإسلامي، لأنه دم واجب، ولكن الحنابلة - كما ذكر المصنف - أجازوا أن يأكل من هدي التمتع والقران، وهو قول الحنفية بناءً على أصلهم أن دم التمتع والقران، دم نسك، لا دم جبران. وقد صح أن أزواج النبي ﷺ تمتن معه في حجة الوداع، وأدخلت عائشة ﷺ الحج على العمرة حين حاضت فصار تارة، ثم ذبح ﷺ عنهن البقر فأكلن من لحمها، وثبت أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام أمر من كل بدنة بفضة فجعلت في قدر فأكل ﷺ هو وعلي بن أبي طالب ﷺ من لحمها، وشربا من مرقها. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٩٢/٥: والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدى من غير فرق بين ما كان منه تطوعاً وما كان فرضاً، لعدم قوله تعالى: ﴿تَسْلُوا مِنهَا﴾ ولم يفصل.

(٣) في البخاري تعليقاً عن ابن عمر ﷺ: لا يؤكل من جزاء الصيد والنذر، ويؤكل مما سوى ذلك، قال الحافظ ابن حجر: ووصله ابن أبي شيبة بمعناه.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلًا. قال ابن كثير: وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن سهل المحاربي =



والثالث: لأنه لم يملك قط، قاله مجاهد في رواية، وسفيان بن عيينة. والرابع: لأنه أعتق من الغرق زمان الطوفان، قاله ابن السائب. وقد تكلمنا في هذه السورة في «البقضاء» و«وليوفوا» و«وليطوفوا».

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمُ إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ فَلَا تَحْتَبُوا الْحَيْسَ مِنَ الْآثِمِ وَأَحْتَبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٢﴾ حَفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ السَّمَاءُ فَتَخَفَتْهُ الْعُقَدُ أَوْ نَهَى يَدَ الرِّيحِ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْكُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ ﴿٢٤﴾ لَكُرٍّ فِيهَا مَنَفْعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْمَقْبُورِ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، يعني: ما ذكر من أعمال الحج ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ فيجتنب ما حرم الله عليه في الإحرام تعظيماً لأمر الله. قال الليث: الحرمة: ما لا يحل انتهاكه. وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب القيام به، وحرمة التضييق فيه.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآثِمُ﴾ وقد سبق بيانه (المائدة: ١) ﴿إِلَّا مَا يَتَلَّ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه، يعني [به]: ما ذكر في (المائدة: ٣) من المنخقة وغيرها. وقيل: وأحلت لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنه حرام.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْتَبُوا الْحَيْسَ﴾ أي: دعوه جانباً، قال الزجاج: و«من» هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن. وقد شرحنا معنى الرجس في (المائدة: ٩٠). وفي المراد بقول الزور أربعة أقوال: أحدها: شهادة الزور، قاله ابن مسعود. والثاني: الكذب، قاله مجاهد. والثالث: الشرك، قاله أبو مالك. والرابع: أنه قول المشركين في الأنعام: هذا حلال، وهذا حرام، قاله الزجاج، قال: وقوله تعالى: ﴿حَفَاءَ اللَّهِ﴾ منصوب على الحال، وتأويله: مسلمين لا يُسَبِّحُونَ إلى دين غير الإسلام. ثم ضرب الله مثلاً للمشرك، فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿سَجِيٍّ﴾، والسحيق: البعيد. واختلفوا في قراءة «فتخطفه» فقرأ الجمهور: «فتخطفه» بسكون الخاء من غير تشديد الطاء. وقرأ نافع: بتشديد الطاء. وقرأ أبو المتوكل، ومعاذ القاري: بفتح التاء والحاء وتشديد الطاء ونصب الفاء. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران (الجوني): بكسر التاء والحاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وقرأ الحسن، والأعمش: بفتح التاء وكسر الخاء وتشديد الطاء ورفع الفاء. وكلهم فتح الطاء. وفي المراد بهذا المثل قولان: أحدهما: أنه شبه المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يَجُرُّ من السماء، قاله قتادة. والثاني: أنه شبه حال المشرك في أنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا دفع ضر يوم القيامة، بحال الهاري من السماء، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرناه ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْكُ اللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشعائر في (البقرة: ١٥٨). وفي المراد بها هاهنا قولان: أحدهما: أنها البدن. وتعظيمها: استحسانها، واستسمانها ﴿لَكُرٍّ فِيهَا مَنَفْعٌ﴾ قبل أن يُسَمِّيَهَا صاحبها هدياً، أو يشعرها ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسم عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك. وقال عطاء بن أبي رباح: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيء من ذلك أو اضطررتم إلى شرب ألوانها ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو أن تُنَحَّرَ. والثاني: أن الشعائر: المناسك ومشاهدة مكة؛ والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجل مسمى، وهو الخروج من مكة، رواه أبو رزين عن ابن عباس. وقيل: لكم فيها منافع من الأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى، وهو انقضاء أيام الحج.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتناب الرجس وقول الزور، وتعظيم الشعائر. وقال الفراء: «فإنها» يعني الفعلة ﴿بِمَنْ تَقَوَّى الْقُلُوبِ﴾، وإنما أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَحِلُّهَا﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿إِلَّا الْبَيْتِ﴾ يعني: عند البيت، والمراد به: الحرم كله، لأنها

عن عبد الله بن صالح به، وقال: إن كان صحيحاً. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٥٧/٤، وزاد نسبه للبخاري في «تاريخه»، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الأول؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم مجل الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَقْنَرِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَكِدٌ فَلَهُ سَلَامٌ وَسَبْحٌ وَالْمُحْسِنِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ۚ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين، وقرأ الباقون بفتحها. فمن فتح أراد المصدر، من نَسَكَ يَنْسِكُ، ومن كسر أراد مكان النَّسَك كالمجلس والمطعم. ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْمَتِهِ الْأَقْنَرِ﴾، وإنما خص ببيعة الانعام، لأنها المشروعة في القرب. والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَكِدٌ فَلَهُ سَلَامٌ﴾ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواء ﴿فَلَهُ سَلَامٌ﴾ أي: انقادوا واخلعوا. وقد ذكرنا معنى الإخبات في [مود: ٢٣] وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

﴿وَالَّذِينَ جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ لَكَ فِيهَا حَبْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۚ فَإِذَا وَجِئْتَ جُنُوبَهَا فَكَلِّهَا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحَوْمِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ الْقَرَوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكَ لِشُكْرِكُمْ اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَيَسِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر برفع الدال. قال الفراء: يقال: بُذِنَ وبُذْنٌ، والتخفيف أجود وأكثر، لأن كل جمع كان واحده على «فَعْلَةٍ» ثم ضُمَّ أول جمعه، خُفِّفَ، مثل أَكَمَةٍ وأَكْمٌ، وأَجَمَةٍ وأَجْمٌ، وخَشَبَةٍ وخَشْبٌ. وقال الزجاج: «البُذْن» منصوبة بفعل مضمر يفسره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البُذْنَ؛ وإن شئت رفعتها على الاستئناف، والنصب أحسن؛ ويقال: بُذِنَ وبُذْنٌ ويَذْنَةٌ، مثل قولك: ثُثِرَ وثُثْرٌ وثُثْرَةٌ؛ وإنما سُمِّيَتْ بُذْنَةً، لأنها تَبُذْنُ أي: تسمن. وللمفسرين في البُذْن قولان: أحدهما: أنها الإبل والبقر، قاله عطاء. والثاني: الإبل خاصة، حكاها الزجاج، وقال: الأول قول أكثر فقهاء الأمصار. قال القاضي أبو يعلى: البذنة: اسم يختص الإبل في اللغة، والبقرة تقوم مقامها في الحكم، لأن النبي ﷺ جعل البذنة عن سبعة والبقرة عن سبعة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لَكَ مِنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾ أي: جعلنا لكم فيها عبادة لله، من سَوَّقِهَا إلى البيت، وتقليدها، وإشعارها، ونحرها، والإطعام منها، ﴿لَكَ فِيهَا حَبْرٌ﴾ وهو النفع في الدنيا والأجر في الآخرة، ﴿فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: على نحرها، ﴿صَوَافَّ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة: «صَوَافٍ» بالنون. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو العالية، والضحاك، وابن يعمر: «صَوَافِي» بالياء. قال الزجاج: «صَوَافٍ» منصوبة على الحال، ولكنها لا تنوِّن لأنها لا تنصرف؛ أي: قد صَفَّتْ قوائمه، والمعنى: اذكروا اسم الله عليها في حال نحرها، والبعر يُنَحَّرُ قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك. ومن قرأ: «صَوَافٍ» فالصافن: التي تقوم على ثلاث، والبعر إذا أرادوا نحره، تُعْمَلُ إحدى يديه، فهو الصافن، والجميع: صوافن. هذا ومن قرأ: «صَوَافِي» بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيره: خوالص، أي: خالصة لله لا تشركوا به في التسمية على نحرها أحداً. ﴿فَإِذَا وَجِئْتَ جُنُوبَهَا﴾ أي: إذا سقطت إلى الأرض، يقال: وَجِبَ الحائط وجبةً، إذا سقط. وَوَجِبَ القلب وَجِباً؛ إذا تحرك من فزع. واعلم أن نحرها قياماً سُنَّةً، والمراد بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمر بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ وقرأ الحسن: «وَالْمُعْتَرَّ» بكسر الراء خفيفة. وفيهما ستة أقوال: أحدها: أن القانع: الذي يَسَال، والمعتَر: الذي يتعرَّض ولا يسأل، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير،

(١) روى مسلم في (صحيحه) ٩٥٥/٢ عن جابر رضي الله عنه قال: نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البذنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة. وفي رواية لأحمد، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان مع النبي ﷺ لحضرة الأضحية، فذبحنا البقرة عن سبعة، والبعر عن عشرة. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٨٥/٥: ويشهد له ما في «الصحيحين» من حديث رافع بن خديج أنه ﷺ قسم فعدل عشرة من الغنم بغير.

واختاره الفراء. والثاني: أن القانع: المتعفف، والمعتر: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والنخعي. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أن القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتر: الذي يتعرض لك ويُلِمُّ بك ولا يسأل، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد: القانع: جارك الذي يقنع بما أعطيته، والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل، وهذا مذهب القرظي. فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي. ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده. والرابع: القانع: أهل مكة، والمعتر: الذي يعتر بهم من غير أهل مكة، رواه خصيف عن مجاهد. والخامس: القانع الجار وإن كان غنياً، والمعتر: الذي يعتر بك، رواه ليث عن مجاهد. والسادس: القانع: المسكين السائل، والمعتر: الصديق الزائر، قاله زيد بن أسلم. قال ابن قتيبة: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً: إذا سأل، وقَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً: إذا رضي، ويقال في المعتر: اعترني واعتراني وعَرَاني. وقال الزجاج: مذهب أهل اللغة أن القانع: السائل، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً: إذا سأل، فهو قانع، قال الشماخ:

لَمَالُ الْمَرْءِ يُضْلِحُهُ فَيُغْنِي  
مَفَاقِرَهُ أَعْفُ مِنَ الْقُنُوعِ<sup>(١)</sup>  
أي: من السؤال؛ ويقال: قَنَعَ قَنَاعَةً: إذا رضي، فهو قَنَعَ، والمعتر والمعترى واحد.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ نعمة منا عليكم لتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون ﴿لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا.  
قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَهُ اللَّهُ لُحُومُهَا﴾ وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وابن أبي عبله، ويعقوب: «لَنْ تَنَالِ اللَّهُ لُحُومُهَا» بالتاء «ولكن تناله التقوى منكم» بالتاء أيضاً. سبب نزولها أن المشركين كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء ينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: لن تُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها، وإنما يُرفع إليه التقوى؛ وهو ما أُريد به وجهه منكم. فمن قرأ «تناله التقوى» بالتاء، فإنه أنت للفظ التقوى. ومن قرأ: «يناله» بالياء، فلأن التقوى والتقى واحد. والإشارة بهذه الآية إلى أنه لا يقبل اللحوم والدماء إذا لم تكن صادرة عن تقوى الله، وإنما يقبل ما يتقونه به، وهذا تنبيه على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نيّة صحيحة.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا﴾ قد سبق تفسيره [الحج: ٢٧]، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أي: على ما بين لكم وأرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجّه، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا. ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني: المؤمنين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ عَنِ الْآلَيْنِ أَمْثَرُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَثِيرٍ ﴿١٨﴾ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِثْمِهِمْ ظُلُمًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِهِمْ لَقَدْ يُرِيدُ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَأَنْفُسُ الَّذِينَ فَتِنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَمُورٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ عَنِ الْآلَيْنِ أَمْثَرُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف، وهذا على مصدر «دفع». وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «إن الله يدافع» «بألف» «ولولا دفع» بغير ألف، وهذا على مصدر «دافع»، والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم. قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حزبه. وال «خَوَّان» يقال من الخيانة، والمعنى: أن من ذكر غير اسم الله، وتقرب إلى الأصنام بذيبحته، فهو خَوَّان.

قوله تعالى: ﴿أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِثْمِهِمْ ظُلُمًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «أُوذِنَ» بفتح الألف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: «أُوذِنَ» بضمها.

(١) «مجاز القرآن» ٥١/٢، «الطبري» ١٦٨/١٧، «القرطبي» ٦٤/١٢، «اللسان»: قنع.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣٦٣/٤ رواية ابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.



قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر التاء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: بفتحها. قال ابن عباس: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فيقول لهم: «اصبروا، فإني لم أؤمر بالقتال» حتى هاجر رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وهي أول آية أنزلت في القتال<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: هم ناس خرجوا من مكة مهاجرين، فأدركهم كفار قريش، فأذن لهم في قتالهم. قال الزجاج: معنى الآية: أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا. «يَأْتِيَهُمْ ظُلُمًا» أي: بسبب ما ظلموا. ثم وعدهم النصر بقوله: «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصَرُّعِهِ لَقَدِيرٌ» ولا يجوز أن تقرأ بفتح «إن» هذه من غير خلاف بين أهل اللغة، لأن «إن» إذ كانت معها اللام، لم تفتح أبداً. وقوله: «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ» معناه: أخرجوا للتوحيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ قد فسرناه في [البقرة: ٢٥٥].

قوله تعالى: ﴿لَهَيْمُتْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع: «لَهَيْمُتْ» خفيفة، والباقون بتشديد الدال. فأما الصوامع، ففيها قولان: أحدهما: أنها صوامع الرهبان، قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وابن زيد. والثاني: أنها صوامع الصابئين، قاله قتادة، وابن قتيبة. فأما البيع، فهي جمع بيعة، وهي بيع النصارى. وفي المراد بالصلوات قولان: أحدهما: مواضع الصلوات. ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كنائس اليهود، قاله قتادة، والضحاك، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللخوي، قال: قوله: «وَصَلَّوْا» هي كنائس اليهود، وهي بالعبرانية «صلوتا». والثاني: أنها مساجد الصابئين، قاله أبو العالية. والقول الثاني: أنها الصلوات حقيقة، والمعنى: لولا دفع الله عن المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصلوات في المساجد، قاله ابن زيد. فأما المساجد، فقال ابن عباس: هي مساجد المسلمين. وقال الزجاج: معنى الآية: لولا دفع بعض الناس ببعض لهيئت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد. وفي قوله: «يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَ اللَّهِ» قولان: أحدهما: أن الكناية ترجع إلى جميع الأماكن المذكورة، قاله الضحاك. والثاني: إلى المساجد خاصة، لأن جميع المواضع المذكورة، الغالب فيها الشرك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَسْمُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَشْرُؤُهُ﴾ أي: من ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال الزجاج: هذه صفة ناصريه. قال المفسرون: التمكنين في الأرض: فصرتهم على عدوهم، والمعروف: لا إله إلا الله، والمنكر: الشرك. قال الأكثرون: وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ. وقال القرطبي: هم الولاة.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عِزَّةُ الْأُمُورِ﴾ أي: إليه مرجعها، لأن كل ملك يتظل سوى ملكه.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ تُرِجَ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٧﴾ وَقَوْمٌ لُوطٌ ﴿١٨﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَلْبَسْنَا لِلْكَافِرِينَ ثُغْرًا أَخَذْنَاهُمْ كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٩﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُ مِعْطَلَةٌ وَاقْعَرٌ مَشِيدٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ﴾ أي: بالعذاب «كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أثبت الباء في «نكير» يعقوب [في الحالين]، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف [أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك]؟ والمعنى: [إن] أنكرت عليهم أبلغ إنكار، وهذا استظهار معناه التقرير.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ قرأ أبو عمرو: «أهْلَكْنَاهَا» بالتاء، والباقون: «أهْلَكْنَاهَا» بالنون.

قوله تعالى: ﴿يَبْنَؤُ مِعْطَلَةٌ﴾ قرأ ابن كثير، [وعاصم]، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «ويشرو» مهموز. وروى ورش عن نافع بغير همز، والمتنهي: أوكم بشر معطلة، أي: متبركة «وَقَعَرٌ مَشِيدٌ» فيه قولان: أحدهما: مجصص، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال الزجاج: أصل الشيد: الجص والثورة، وكل ما بني بهما

(١) «أسباب النزول» للواحدي صفحة ١٧٧ بدون سند، وذكره كثير من المفسرين هكذا بدون سند. وذكره ابن كثير في «البيان والنهاية» ١٦٤/٣ في بيعة الغبة الثانية من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك.



أو بأحدهما فهو مشيد. والثاني: طويل، قاله الضحاك، ومقاتل. وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطل أيضاً ليس فيه سناكن.

﴿أَنلَرُ يَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَادَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ وَسَتَجْزِيكَ وَالْعَذَابُ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّنَّا تَعْدُونَ ۖ وَكَأَنَّ مِنْ قَرِيبٍ آتَيْنَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ نَّذِيرًا فَخُذْهَا وَلَكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَنلَرُ يَبِيرُوا﴾ قال المفسرون: أفلم يبر قومك في أرض اليمن والشام ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا نظروا آثار من هلك ﴿أَوْ ءَادَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم المكذبة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ قال الفراء: الهاء في قوله: ﴿فإنها﴾ عماد، والمعنى: أن أبصارهم لم تعم، وإنما عميت قلوبهم. وأما قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فهو تأكيد، لأن القلب لا يكون إلا في الصدر. ومثله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿يَبِيرُ بِجَنَاحِهِ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَسَتَجْزِيكَ وَالْعَذَابُ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث القرشي. وقال غيره: هو قولهم له: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا، فأنزله بهم يوم بدر، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّنَّا تَعْدُونَ﴾ من أيام الدنيا. قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿تَعْدُونَ﴾ بالياء. وقرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: ﴿يَعْدُونَ﴾ بالياء. فإن قيل: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾؟ فعه جوابان. أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، فقبل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كآلف سنة من سني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟! فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء. والثاني: وإن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيرها في القدرة، إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال، هذا قول الزجاج.

﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٩ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٣٠ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝٣١﴾

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني به [الرزق] الحسن في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بغير الف. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ بالف. قال الزجاج: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ أي: ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يعبثون وأنه لا جنة ولا نار. قال: وقيل في التفسير: مُعَاجِزِينَ: معانين، وليس هو بخارج عن القول الأول؛ و﴿مُعْجِزِينَ﴾ تأويلها: أنهم كانوا يعجزون من أتبع النبي ﷺ ويشطرونهم عنه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّاهُ أَنِلَى الشَّيْطَانُ فِي أَهْنِيهِ فَكَسَّخَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ جَعَلَهُ اللَّهُ ءَايَةً ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٣٢ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الشَّائِلِينَ لَفِي شِقَاقِ بَيْسٍ ۝٣٣ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَكَنَادٍ ۝٣٤ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٥ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي رِيبَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوِيْرٌ عَذِيبٌ ۝٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ﴾ الآية. قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه سورة (النجم) قرأها حتى بلغ قوله: ﴿أَنزَلْنَاهُ الْكُتُبَ وَالْقُرْآنَ ۝١﴾ وَنَزَّاهُ النَّالَةَ الْأُخْرَى ۝٢﴾ فالتقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتن لترجي؛ فلما سمعت قريش بذلك فرحوا، فاتاه جبريل، فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، فنزلت هذه الآية تطيباً لقلبه، وإعلاماً له أن

الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا. قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح<sup>(١)</sup>، لأن رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا يَهُو﴾ [فصلت: ٢٦]. قال: وفي معنى «تمنى» قولان: أحدهما: تلا، قاله الأكثرون<sup>(٢)</sup>، وأنشدوا:

تَمْنَى كِتَابَ اللّٰهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ      وَآخِرَهُ لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

تَمْنَى كِتَابَ اللّٰهِ آخِرَ لَيْلِهِ      تَمْنَى دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِشْلِ<sup>(٤)</sup>  
والثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله ﷺ تمنى يوماً أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فالتقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمناه، قاله محمد بن كعب القرظي<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ أي: يُبْطِلُهُ وَيُذْهِبُهُ ﴿ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ قال مقاتل: يُحْكِمُهَا مِنَ الْبَاطِلِ.

قوله تعالى: ﴿لَيَحْمَلَ﴾ اللام متعلقة بقوله: «اللقى الشيطان» والفتنة هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشك والنفاق. ﴿وَالْقَائِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجافية عن الإيمان. ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاق دائم، والشقاق: غاية العداوة.  
قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهو التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون. وقال السدي: التصديق بنسخ الله.

(١) قال ابن كثير ٢٢٩/٣: قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرائق، ولكننا من طرق مرسله، ولم أرها مستندة من وجه صحيح، والله أعلم، وسرد ابن كثير بعض الروايات في هذه القصة، ثم قال في آخرها: وكلها مراسلات، ومقطعات والله أعلم. اهـ. والحق أن روايات هذه القصة معلة بالإرسال والضعف والجهالة، وليس فيها رواية صحيحة تصلح للاحتجاج، بل فيها ما لا يليق بمقام النبوة والرسالة، وذكر في معظمها أن الشيطان تكلم على لسان رسول الله ﷺ بما فيه مدح لأصنام المشركين بهذه الجملة الباطلة: «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» وكيف يكون مثل ذلك مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ؟! وذلك مما يدل على عدم صحة مثل هذه الروايات سنداً ومتناً. ومن تكلم من العلماء على هذه القصة وبين بطلانها بكلام طويل، القاضي أبي بكر ابن العربي، والقاضي عياض، والشوكاني، والألوسي، وغيرهم.

(٢) قال الإمام ابن القيم في «إغاثة اللهافت» ٩٣/١ في فصل الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن - بعد أن عدّد وجوهاً -: ومنها أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي، إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، ثم قال: والسلف كلهم على أن المعنى: إلا إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، ثم قال: فإذا كان هذا فعلمه مع الرسل ﷺ، فكيف بغيرهم؟! ولهذا يغلط القارئ تارة، ويخلط عليه القراءة، ويشوشها عليه، فيخطئ عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه، فإذا حضر عند القراءة، لم يعد منه القارئ هذا أو هذا، وربما جمعها له، فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله تعالى منه. اهـ. وقال الإمام ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٧/١٩٠ بعد ما ذكر عن الضحاك أن معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسُخُّ﴾: التلاوة والقراءة: وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ إِلَيْنَا﴾ على ذلك، لأن الآية التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه، فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾، يقول تعالى: فَيُذْهِبُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ من ذلك على لسان نبيه ويطله. اهـ.

فهذا هو المعنى المراد من الآية الكريمة، وليس فيها إلا أن الشيطان يلقي عند تلاوة النبي ﷺ للقرآن ما يفتن به الذين في قلوبهم مرض، ولكن أعداء الإسلام ما فتتوا دائماً يفسون في هذا الدين ما ليس منه، وما لم يقله رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، فيذكرون ما لا يليق بمنصب النبوة ومقام الرسالة، كما فعلوا في كثير من الآيات الواردة في غير نبينا محمد ﷺ، كيوسف، وأيوب، وداود، وسليمان، فيذكرون في تفسيرها من الإسراء إيليات التي لا يجوز نسبتها لأحد الناس، فضلاً عن نبي مرسل، أو رسول مقدم، فليتبني المسلمون لذلك، وليأخذوا التفسير من العلماء المحققين حتى لا يروموا الأنبياء والمرسلين فيما هم منه معصومون.

(٣) «مجاز القرآن» ٥٤/٢، «واللسان»، «والنجاح»: مني.

(٤) «مجاز القرآن» ٥٤/٢، «واللسان»، «والنجاح»: مني.

(٥) هذه الرواية من جملة الروايات التي تكلم عليها العلماء المحققون، وبينوا بطلانها، وأنه لا يجوز نسبتها إلى أحد الناس، فضلاً عن رسول الله ﷺ المعصوم. وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: تأملوا فتح الله أغلاق النظر عنكم إلى قول الرواة - الذين هم بجهلهم أعداء على الإسلام أكثر ممن صرح بعداوتهم - إن النبي ﷺ لما جلس مع قريش تمنى أن لا ينزل عليه من الوحي، فكيف يجوز لمن معه أدنى مسكة أن يخطر بباله أن النبي ﷺ أثر وصل قومه على وصل ربه، وأراد أن لا يقطع أنه بهم بما ينزل عليه من عند ربه من الوحي الذي كان حياة جسده وقلبه، وأسس وحشته، وغاية أمنيته، وكان رسول الله ﷺ أجود الناس، فإذا جاءه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة، أنؤثر على هذا مجالسته للأعداء؟!.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَآتَىٰ﴾ إشارة إلى نسخ ما يلقي الشيطان؛ فالمعنى: ليعلموا أن نسخ ذلك وإبطاله حق من الله ﴿فَيُؤَيِّدُوا﴾ بالنسخ ﴿فَتَحِيَّتُ لَمْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذل. ثم بين بباقي الآية أن هذا الإيمان والإخبارات إنما هو بلطف الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿فِي رِزْقِهِ يَنْتُ﴾ أي: في شك. وفي هاء «منه» أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى قوله: تلك الخرائيق العلى<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها ترجع إلى سجوده في سورة (النجم). والقولان عن سعيد بن جبير، فيكون المعنى: إنهم يقولون: ما باله ذكر آلهتنا ثم رجع عن ذكرها؟ والثالث: أنها ترجع إلى القرآن، قاله ابن جريج. والرابع: أنها ترجع إلى الذين، حكاه الثعلبي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمُ الْسَاعَةُ﴾ وفيها قولان: أحدهما: القيامة تأتي مَنْ تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن. والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي. والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك. وأصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له، وأنشدوا:

عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ  
إِنَّ النِّسَاءَ بِمَثَلِ عُقْمِ<sup>(٣)</sup>

وسميت الريح العقيم بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسحاب الممطر، فقليل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير. فعلى قول من قال: هو يوم بدر، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك. والثاني: لأنهم لم يُنظَرُوا فيه إلى الليل، بل قُتِلُوا قبل المساء، قاله ابن جريج. والثالث: لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى بن سلام. وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة. والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.

﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ يَمِيزُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا قُلُوبُهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥٧ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْنَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا إِنَّكَ اللَّهُ لَهْوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٨ لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ ٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَمِيزُ﴾ من غير منازع ولا مدع ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها. ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: من مكة إلى المدينة. وفي الرزق الحسن قولان: أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس. والثاني: رزق الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ وقرأ ابن عامر: «قُتِلُوا» بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ﴾ [وقرأ نافع بفتح الميم] «رِضْوَانِهِ» يعني: الجنة. والمدخل يجوز أن يكون مصدراً، فيكون المعنى: ليدخلنهم إدخالاً يكرمون به فيرضونه؛ ويجوز أن يكون بمعنى المكان. و«مدخل» بفتح الميم على تقدير: فيدخلون مدخلاً. ﴿وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ببيانهم ﴿خَبِيرٌ﴾ عنهم.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لِيَمِزَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ

(١) مضى الكلام على قصة الخرائيق قبل قليل، وأنها باطلة.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٩٢/١٧: وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته، وذلك أن ذلك من ذكر قوله: ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ أَنَّ الْوَحْيَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أقرب منه ممن ذكر قوله: ﴿يَسْمَعُ اللَّهُ مَا يُخْفِيَ الصَّوْتُ﴾ والهاء من قوله: «أنه» من ذكر القرآن، فإلحاق الهاء في قوله: ﴿فِي رِزْقِهِ يَنْتُ﴾ بالهاء من قوله: ﴿إِنَّهُ لَآتَىٰ﴾ أولى من إلحاقها بـ «ما» التي في قوله: ﴿يَسْمَعُ اللَّهُ مَا يُخْفِيَ الصَّوْتُ﴾ مع بعد ما بينهما. اهـ.

(٣) «اللسان»، و«التاج»: عقم.







تأكلون ما قتله الله<sup>(١)</sup> ١٩ يعنون: الميتة. فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: «فلا يُتَازَعَنَّكَ في الأمر»؟. فقد أجاب عنه الزجاج، فقال: المراد: النهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعهم، كما تقول للرجل: لا يخاصمك فلان في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلئك فلان، فهو بمنزلة: لا تجادلته، ولا يجوز هذا في قولك: لا يضربك فلان وأنت تريد: لا تضربه، [ولكن] لو قلت: لا يضاربك فلان، لكان كقولك: لا تضارب، ويدل على هذا الجواب قوله: «وإن جُندَلوك»

قوله تعالى: «وَأَدْعُ إِلَكَ رَبِّكَ» أي: إلى دينه والإيمان به<sup>(٢)</sup>. و«جادلوك» بمعنى: خاصموك في أمر الذبائح، «فَقُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِمَّا تَعْبُدُونَ» من التكذيب، فهو يجازيكم به. «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» أي: يقضي بينكم «فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من الدين، أي: تذهبون إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون؛ وهذا أدب حسن علمه الله عباده ليردوا به من جادل على سبيل التعنت، ولا يجيبوه، ولا يناظروه.

### فصل

قال أكثر المفسرين: هذا نزل قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ بآية السيف. وقال بعضهم: هذا نزل في حق المنافقين، كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتات تدل على شركهم، ثم يجادلون على ذلك، فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

قوله تعالى: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» هذا استفهام يراد به التقرير؛ والمعنى: قد علمت ذلك، «إِنَّ ذَلِكَ» يعني ما يجري في السموات والأرض «فِي كِتَابٍ» يعني: اللوح المحفوظ<sup>(٣)</sup>، «إِنَّ ذَلِكَ» أي: علم الله بجميع ذلك «عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» سهل لا يتعذر عليه العلم به.

«وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرْزُقْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» ﴿١٧﴾ «وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغِي تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ مَكَادُوتٍ يَسْطُورُ بِالَّذِي تَلَوْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذِكْرِ النَّارِ وَعَصَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعُ النَّصِيرَ» ﴿١٨﴾

قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ» يعني: كفار مكة «مَا لَمْ يَرْزُقْ بِهِ سُلْطَنًا» أي: حجة «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» أنه آله، «وَمَا لِلظَّالِمِينَ» يعني: المشركين «مِن نَّصِيرٍ» أي: مانع من العذاب. «وَإِذَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» يعني القرآن؛ والمنكر هاهنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثر الإنكار من الكراهة، وتعبيس الوجوه، معروف عندهم. «مَكَادُوتٍ يَسْطُورُ» أي: يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنف والشدة. «قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ ذِكْرِ النَّارِ» أي: بأشد عليكم وأكره إليكم من سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: «النَّارُ» أي: هو النار.

«يَتَّبِعُهَا النَّاسُ مِثْلَ مَثَلٍ فَاذْهَبْ لَكَ مِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يُغْنِيُوا ذِكْبًا وَلَوْ أَحْسَنُوا لَمْ يَلْبِسْهُمْ إِلَهُاتُ الْبَشَرِ سَيَبْقَىٰ فَتَعْلَمُ أَلَّنَّ لِيَالِيَهُمْ هَٰؤُلَاءِ مَا يَدْعُوا بِهِ سُلْطَنًا وَمَا لِي بِهِمْ عِلْمٌ وَلَا أَنزَلْنَا لَهُمْ الْكِتَابَ فَهُمْ يَحْكُمُونَ بَيْنَهُمْ أَنزَلَ لَهُمُونَا سُلْطَنًا لَّئِيْلَ مَا يَحْكُمُونَ» ﴿١٩﴾ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَٰؤُلَاءِ هُمْ يَحْكُمُونَ بَيْنَكُمْ وَلَٰكِن تَتَّبِعُوا آلَ اللَّهِ فَيَحْكُمُوا بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ هُوَ أَكْبَرُ» ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: «يَتَّبِعُهَا النَّاسُ مِثْلَ مَثَلٍ» قال الأخفش: إن قيل: أين المثل؟ فالجواب: أنه ليس هاهنا مثل، وإنما

(١) رواه الطبري بنحو ١٦/٨، ١٧، وذكره السيوطي في «الدر» ٤٢/٣، في سورة [الأنعام: ١٢٢] عند قوله تعالى: «وَلَا تَأْسَؤْا بِمَا لَمْ يَرْزُقْكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَبُّكُمْ يُنَزِّلُ السُّحُوفَ فِيهَا مَاءً فَتَنُوتُ فِيهِ الْكُنُوزَ فَتَأْكُلُونَ مِنْهَا وَيَشْرَبُونَ» وقد تقدم نحو ذلك ٤٦٥.

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٧/١٩٩: يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بالأكل إلا ما ذبحوه بعد اتباعك، وبعد التصديق بما جنتهم به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان، وتبرؤوا منها، إنك لعل طريق مستقيم، غير زائل عن محبة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك، وهم الضلال عن قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعهم وعبادتهم الآلهة.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٤٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة - قال: - وعرشه على الماء».

المعنى: يا أيها الناس ضُرب لي مثل، أي: شَبَّت بي الأوثان ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ لهذا المثل. وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدها معي فاستمعوا حالها؛ ثم بيّن ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وابن أبي عبة: «يدعون» بالياء المفتوحة. وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء وعاصم الجحدري: «يُدْعُونَ» بضم الياء وفتح العين، يعني: الأصنام، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ والذباب واحد، والجمع القليل: أذبة، والكثير: الذَّبَاب، مثل: غراب وأغربة وغربان؛ وقيل: إنما خص الذباب لمهائته واستقذاره وكثرته. ﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا﴾ يعني: الأصنام ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ أي: لخلقها، ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمْ﴾ يعني: الأصنام؛ قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم بالزعران فيجف، فيأتي الذباب فيختلسه. وقال ابن جرير: كانوا إذا طيَّبوا أصنامهم عجنوا طيبهم بشيء من الحلواء، كالعسل ونحوه، فيقع عليها الذباب فيسلبها إياه، فلا تستطيع الآلهة ولا مَنْ عَبدَها أن يمنعه ذلك. وقال السدي: كانوا يجعلون للآلهة طعاماً، فيقع الذباب عليه فيأكل منه. قال نعلب: وإنما قال: ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ﴾ فجعل أفعال الآلهة كأفعال آدميين، إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتُخاطب، كقوله: ﴿يَتَأَيَّمُوا لَكُنْ لَأَدْعُلُوْا مَسْكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨] لما خاطبهم جعلهم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وقد بيَّنا هذا المعنى في [الأعراف: ١٩١] عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْلُقْ﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْعَكِ الطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن الطالب: الصنم، والمطلوب: الذباب، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: الطالب: الذباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم، والمطلوب: الصنم يطلب الذباب منه سلب ما عليه، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الطالب: عابد الصنم يطلب التقرب بعبادته، والمطلوب: الصنم، هذا معنى قول الضحاک، والسدي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يقهر ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يرام.  
﴿اللَّهُ يَصْطَلِي بِكَ الْكَلْبَكَةَ رَسُولًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي بِكَ الْكَلْبَكَةَ رَسُولًا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ﴿وَمَنْ النَّاسِ﴾ الأنبياء المرسلين، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالة العباد «بَصِيرٌ» بمن يتخذة رسولا. وزعم مقاتل أن هذه الآية نزلت حين قالوا: ﴿أَمْزِلْ عَلَيْنَا الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الإشارة إلى الذين اصطفاهم؛ وقد بيَّنا معنى ذلك في آية الكرسي [البقرة: ٢٥٥].

﴿يَتَأَيَّمُوا لَهَا﴾ مَأْتُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَحَسْبُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِمْ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ وَلَهُ أَيْكُمُ الْإِسْلَامُ هُوَ سَعَتُكُمُ الْتَّسْلِيمُ بَيْنَ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِدَةً عَلَى النَّاسِ فَاذْكُرُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَعَمَّ الْمَوْلَى وَفَعَّ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ قال المفسرون: المراد صلوا، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: وخذوه ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ يريد: أبواب المعروف ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

(١) قال ابن جرير الطبري ٢٠٣/١٧: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب، وهو الآلهة، أن تستقد من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه، والمطلوب: الذباب.  
قال: وإنما قلت: هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فإن يكون ذلك خيراً عما هو به متصل، أشبه من أن يكون خيراً عما هو به منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريباً من ذلك عِدَّتْها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل لي مثل في العبادة، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه، لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السموات والأرض، ومالك جميع ذلك، والمحيي من أودت، والمميت ما أودت ومن أودت؟! إن فاعل ذلك لا شك أنه في غاية الجهل.

## فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من (الحج) واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة؛ فروي عن عمر، وابن عمر، وعُمَار، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وابن عباس، أنهم قالوا: في (الحج) سجدتان، وقالوا: فضلت هذه السورة على غيرها بسجدين، وبهذا قال أصحابنا، وهو مذهب الشافعي رحمته الله. وروي عن ابن عباس أنه قال: في (الحج) سجدة، وبهذا قال الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبيرة، وإبراهيم، وجابر بن زيد، وأبو حنيفة وأصحابه، ومالك؛ ويدل على الأول ما روى عقبه بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله أفى (الحج) سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما<sup>(١)</sup>.

## فصل

واختلف العلماء في عدد سجود القرآن، فروي عن أحمد روايتان، إحداهما: أنها أربع عشرة سجدة. وبه قال الشافعي. والثانية: أنها خمس عشرة، فزاد سجدة (ص: ٢٤). وقال أبو حنيفة: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخر (الحج) وأبدل منها سجدة (ص: ٢٤).

## فصل

وسجود التلاوة سنّة، وقال أبو حنيفة: واجب. ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبيرة الإحرام والسلام، خلافاً لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي. ولا يجزئ الركوع عن سجود التلاوة، وقال أبو حنيفة: يجزئ. ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي، نص عليه أحمد رحمته الله. وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات، خلافاً للشافعي. قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ في هذا الجهاد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه فعل جميع الطاعات، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنه جهاد الكفار، قاله الضحاك. والثالث: أنه جهاد النفس والهوى، قاله عبد الله بن المبارك. فأما حتى الجهاد، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجد في المجاهدة، واستيفاء الإمكان فيها. والثاني: أنه إخلاص النية لله تعالى. والثالث: أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله تعالى.

## فصل

وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة، واختلفوا في ناسخها على قولين: أحدهما: قوله: ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. والثاني: قوله: ﴿تَأْتُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التنابؤ: ١٦]. وقال آخرون: بل هي مُحْكَمَةٌ، ويؤكد القولان الأولان في تفسير حق الجهاد، وهو الأصح، لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه. والحرَج: الضيق، فما من شيء وقع الإنسان فيه إلا وجد له في الشرع مخرجاً بتوبة أو كفارة أو انتقال إلى رخصة ونحو ذلك. وروي عن ابن عباس أنه قال: الحرَج: ما كان على بني إسرائيل من الإصر والشدائد، وضعه الله عن هذه الأمة.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ أَيْكُمْ﴾ قال الفراء: المعنى: وسع عليكم كملّة أبيكم، فإذا ألقيت الكاف نصبت، ويجوز النصب على معنى الأمر بها، لأن أول الكلام أمر وهو قوله: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ والزموا ملّة أبيكم. فإن قيل: هذا

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، من حديث عبد الله بن لهيعة به، وقال الترمذي: ليس بقوي. قال ابن كثير: وفي هذا نظر، فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع، وأكثر ما تقموا عليه تدليس، ثم قال ابن كثير: وقد رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «الْمُرَاسِيلِ» عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَضَّلْتُ سُورَةَ الْحَجِّ عَلَى سَائِرِ الْقُرْآنِ بِسَجْدَتَيْنِ»، ثم قال أبو داود: وقد أسند هذا، يعني من غير هذا الوجه، ولا يصح. قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: حدثني ابن أبي داود، حدثنا يزيد بن عبد الله، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو، حدثنا حصن بن غياث، حدثني نافع، قال: حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية، وقال: إن هذه فضلت بسجدين، قال: وروى أبو داود، وابن ماجه، من حديث الحارث بن سعيد المُقَنِّي عن عبد الله بن مُثَنٍّ عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ أقرأ خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان، قال ابن كثير: فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً.

الخطاب للمسلمين، وليس إبراهيم أباً لكلّهم. فالجواب: أنه إن كان خطاباً عاماً للمسلمين، فهو كالأب لهم، لأن حرمة وحقه عليهم كحق الوالد، وإن كان خطاباً للعرب خاصة، فإبراهيم أبو العرب قاطبة، هذا قول المفسرين. والذي يقع لي أن الخطاب لرسول الله ﷺ، لأن إبراهيم أبوه، وأمة رسول الله ﷺ داخله فيما خوطب به رسول الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَنُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ في المشار إلى قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ قولان: أحدهما: من قبل إنزال القرآن سَمَّاهُمْ بهذا في الكتب التي أنزلها. والثاني: ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي: في أم الكتاب، وقوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في القرآن. والثاني: أنه إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَمِنْ دُرَيْتِنَا أَنَّهُ مُسْلِمٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ فالمعنى: من قَبْلُ هذا الوقت، وذلك في زمان إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقت حين قال: ﴿وَمِنْ دُرَيْتِنَا أَنَّهُ مُسْلِمٌ﴾، هذا قول ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ الرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكم وسَمَّاهُمْ ليكون الرسول، يعني محمداً ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه قد بلغكم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [البقرة: ١٤٣] إلى قوله: ﴿وَأَتَاكَ الرَّكُوزُ﴾ قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ قال ابن عباس: سَلَّوه أن يَغْصِمَكُم من كل ما يُسْخَطُ وَيُكْرَهُ. وقال الحسن: تمسكوا بدين الله<sup>(١)</sup>. وما بعد هذا مشروح في [الأنفال: ٤٠].



(١). قال ابن كثير: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾ أي: اعتضدوا بالله، وتركوا عليه، وتأيدوا به، ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: حافظكم، وناصركم، ومظفركم على أعدائكم، ﴿وَمِنْ دُرَيْتِنَا أَنَّهُ مُسْلِمٌ لَكَ﴾ يعني: نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء. وقال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُرَيْتِنَا أَنَّهُ مُسْلِمٌ لَكَ﴾: فنعلم الولي الله لمن فعل ذلك منكم، فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حتى جهاده، واعتصم به، ونعم النصير، يقول: ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء.



## سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَ بِعَهْدِهِمْ ذَعْوَةً ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْآخِرَ دُونَ هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

سورة المؤمنون مكية في قول الجميع.

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات»، رواه الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه»<sup>(١)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل الملوك»<sup>(٢)</sup>. قال الفراء: «قد» هاهنا يجوز أن تكون تأكيداً للفلاح المؤمنين، ويجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال، لأن «قد» تقرب الماضي من الحال حتى تلحقه بحكمه، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة، قبل حال قيامها، فيكون معنى الآية: إن الفلاح قد حصل لهم وإنهم عليه في الحال. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: «قد أفلح» بضم الألف وكسر اللام وفتح الحاء، على ما لم يُسم فاعله. قال الزجاج: ومعنى الآية: قد نال المؤمنون البقاء الدائم في الخير. ومن قرأ: «قد أفلح» بضم الألف، كان معناه قد أصبحوا إلى الفلاح. وأصل الخشوع في اللغة: الخضوع والتواضع. وفي المراد بالخشوع في الصلاة أربعة أقوال: أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود. روى أبو هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فنكس رأسه<sup>(٣)</sup>. وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار، وقتادة، والثاني: أنه ترك الالتفات في الصلاة، وأن تلين كنفك للرجل المسلم، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والثالث: أنه السكون في الصلاة، قاله مجاهد، وإبراهيم، والزهري. والرابع: أنه الخوف، قاله الحسن. وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الشك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الباطل، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: المعاصي، قاله الحسن. والرابع: الكذب، قاله السدي. والخامس: الشتم والأذى الذي كانوا يسمعون من الكفار، قاله مقاتل. قال الزجاج: واللغو: كل لعب ولهو، وكل معصية فهي مطرحة مُلغاة. فالمعنى: شغلهم الجد فيما أمرهم الله به عن اللغو.

(١) هو جزء من حديث طويل رواه الحاكم ٣٩٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: سئل عبد الرزاق (أحد الرواة) عن شيخه ذا وهو يونس بن سليم فقال: أظنه لا شيء، والحديث رواه أحمد في «المسند»، والترمذي في «الضعيف» ١٤٦/٢، والنسائي، وهو ضعيف، لأن في سنده عندهم، يونس بن سليم، هو مجهول. وقد ذكر هذا الحديث السيوطي في «الدرر» ٢/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والعقيلي، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن كثير ٢٣٨/٣ من رواية البزار عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، قال ابن كثير: ثم قال البزار: لا تعلم أحداً رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وهو شيخ مقدم الموت.

(٣) رواه الحاكم ٣٩٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح لولا خلاف فيه على محمد (يعني محمد بن سيرين) فقد قيل عنه مرسل، ولم يخرجاه. وتعبه الذهبي فقال: الصحيح أنه مرسل، ورواه ابن جرير الطبري ٢/١٨ عن محمد بن سيرين وعطاء بن أبي رباح مرسل.



عباس.. والثاني: أنه استواء الشباب، قاله ابن عمر، ومجاهد. والثالث: أنه خروج الأسنان والشعر، قاله الضحاك، فقيل له: ليس يولد وعلى رأسه الشعر؟ فقال: وأين العانة والإبط؟ والرابع: أنه إعطاء العقل والفهم، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: استحق التعظيم والثناء. وقد شرحنا معنى «تبارك» في [الأعراف: ٥٤]، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المصورين والمقدرين. والخلق في اللغة: التقدير. وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وعنده عمر، إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا آدَمَ﴾، فقال عمر: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: «لقد خُتِمَتْ بما تكلمت به يا ابن الخطاب»<sup>(١)</sup>. فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]؟ فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا موجد سوى الله، ويكون بمعنى التقدير، كقول زهير:

[ولأنت تَفْري ما خَلَقْتَ] وَغَـ  
ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْري<sup>(٢)</sup>

فهذا المراد هاهنا، أن بني آدم قد يصورون ويقدرّون ويصنعون الشيء، فالله خير المصورين والمقدرين. وقال الأخفش: الخالقون هاهنا هم الصانعون، فالله خير الخالقين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّنْكَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما ذكر من تمام الخلق ﴿لَيْتُنَّ﴾ عند انقضاء آجالكم. وقرأ أبو رزين العقيلي، وعكرمة، وابن أبي عبلة: «لمائتون» بألف. قال الفراء: والعرب تقول لمن لم يمت: إنك مائت عن قليل، وميت، ولا يقولون للميت الذي قد مات: هذا مائت، إنما يقال في الاستقبال فقط، وكذلك يقال: هذا سيّد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه يسودهم عن قليل، قلت: هذا سائد قومه عن قليل، وكذلك هذا شريف القوم، وهذا شارف عن قليل، وهذا الباب كلّ في العربية على ما وصفت لك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ رِيًّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ يَوْمَ ۖ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْكَةً كُبِرَةً ۖ وَإِنَّمَا تَأْكُلُونَ ۖ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِينَاءَ ثَبُتُ بِاللَّغْوِ وَصَبَغَ لِلْأَكْلِينَ ۖ

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: السموات السبع، قال الزجاج: كل واحدة طريقة. وقال ابن تينة: إنما سميت «طرائق» بالطارق، لأن بعضها فوق بعض، يقال: طارقت الشيء: إذا جعلت بعضه فوق بعض. قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما غفلنا عنهم إذ بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب. والثاني: ما كنا تاركين لهم بغير رزق، فأنزلنا المطر. والثالث: لم نغفل عن حفظهم من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعلمه الله، وقال مقاتل: بقدر ما يكفيهم للمعيشة<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً﴾ هي معطوفة على قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾. وقرأ أبو مجلز، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي: «وشجرة» بالرفع. والمراد بهذه الشجرة: شجرة الزيتون. فإن قيل: لماذا خص هذه الشجرة من بين الشجر؟ فالجواب من أربعة أوجه: أحدها: لكثرة انتفاعهم بها، فذكرهم من نعيمها ما يعرفون، وكذلك خص النخيل والأعناب في الآية الأولى، لأنهما كانا جُلَّ ثمار الحجاز وما والاها، وكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/٥ من رواية ابن أبي شبيب، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن صالح أبي الخليل قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُتْفَرٍ مِّنْ طِينٍ ۖ﴾ إلى قوله: ﴿أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ قال عمر: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقال: «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر».

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «شرح ديوان زهير» ٩٤، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٦٥/١، و«الطبري» ١١/١٨، و«القرطبي» ١١٠/١٢، و«اللسان» و«التاج»: خلق.

(٣) قال ابن كثير: يذكر تعالى نعمته على عبده التي لا تعد ولا تحصى، في إزاله القطر من السماء بقدر، أي: بحسب الحاجة، لا كثير فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه والسقي والشرب والانتفاع به، حتى أن الأرض التي تحتاج ماء كثيراً لزروعها، ولا تحتمل إزاله المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، ثم قال: فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور. وقال ابن جرير الطبري في تمام الآية: ﴿رِيًّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ يَوْمَ ۖ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكننا في الأرض لقادرون أن نذهب به فتهلكوا أيها الناس عطشاً وتغرب أرضوكم فلا تثبت زرعاً ولا غرساً، وتهلك مواشيتكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جارية.



والثاني: لأنهم لا يكادون يتعاهدونها بالسقي، وهي تُخرج الشمرة التي يكون منها الدُّهن. والثالث: أنها نبتت بالماء الذي هو ضد النار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادة لها. والرابع: لأن أول زيتونة نبتت بذلك المكان فيما زعم مقاتل.

قوله تعالى: ﴿طُورِ سِينَةَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طور سيناء» مكسورة السين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، مفتوحة السين، وكلهم مدّها. قال الفراء: العرب تقول: سَيْناء، بفتح السين في جميع اللغات، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون السين. قال أبو علي: ولا تنصرف هذه الكلمة، لأنها جُعِلت اسماً لبُقعة أو أرض، وكذلك «سينين»، ولو جُعِلت اسماً للمكان أو للمنزل أو نحو ذلك من الأسماء المذكرة لَصُرَتْ، لأنك كنت قد سَمِيتَ مذكراً بمذكر. والطُّور: الجبل. وفي معنى «سَيْناء» خمسة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الحسن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال الضحاك: «الطور»: الجبل بالسريرية، و«سَيْناء»: الحسن بالنبطية. وقال عطاء: يريد: الجبل الحسن. والثاني: أنه المبارك، رواه العوفي عن ابن عباس. والثالث: أنه اسم حجارة بعينها، أضيف الجبل إليها لوجودها عنده، قاله مجاهد. والرابع: أن طور سيناء: الجبل المشجّر، قاله ابن السائب. والخامس: أن سيناء: اسم المكان الذي به هذا الجبل، قاله الزجاج؛ قال الواحدي: وهو أصح الأقوال؛ قال ابن زيد: وهذا هو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَبَتُّ بِاللَّهُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «تَبَّتْ» برفع التاء وكسر الباء. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بفتح التاء وضم الباء. قال الفراء: وهما لغتان: تبَّت، وأنبتت، وكذلك قال الزجاج: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد، قال زهير:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ<sup>(٧)</sup>  
 قال: ومعنى «تَنَبَّتْ بِالذُّهْنِ»: تنبت ومعها دهن، كما تقول: جاني زيد بالسيف، أي: جاني ومعها السيف. وقال  
 أبو عبيدة: معنى الآية: تنبت الدهن، والباء زائدة، كقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْكَافِ يُطْلَقْ﴾ [الحج: ٢٥] وقد بينّا هذا  
 لمعنى هناك.

قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٌ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وإبراهيم النخعي، والأعمش: «صِبْغًا» بالنصب. وقرأ ابن السميع: «وَصِبْغًا» بآلف مع الخفض. قال ابن قتيبة: الصَّبْغُ مِثْلُ الصَّبَاغِ، كما يقال: دَبِغَ وَدَبَاغٌ، وَلَيْسَ وَلَيْتَاسٌ. قال لمفسرون: والمراد بالصَّبْغِ هاهنا: الزيت، لأنه يُلَوَّنُ الخَبَرَ إذا عُسِسَ فيه، والمراد أنه إدام يُصَبَّغُ به.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْثَمِ لَعِزَّةً شَاقِيَةً﴾ وَمَا فِي بَطُونِهَا وَلَكِنَّ فِيهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً ﴿وَمِنَهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَعَلَى الْفُلَاكِ حَكْلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾  
 قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْثَمِ لَعِزَّةً شَاقِيَةً﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «سَاقِيَكُمْ» بفتح  
 لنون. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بضمها. وقد شرحنا هذا في [النحل: ٦٦]  
 لى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ فِيهَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً﴾ يعني: في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنَهَا تَأْكُلُونَ﴾ من  
 حومها وأولادها والكسب عليها.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ﴾ يعني: الإبل خاصة ﴿وَعَلَىٰ الْفَالِقِ تَحْمِلُونَ﴾ فالإبل تحمل في البر، والسفن تحمل في البحر. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ بِغَيْرِ اعْتِدَالٍ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ فَقَالَ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَجْعَلُ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَكُمُ يُرِيدُ أَنْ يُفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَطَرَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَا سَمِعْتُمْ بِهِذَا فِي مَاءِ الْآبَاتِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا جَعَلُ يَوْمِهِ جَزَاءً فَرَعَصُوا بِهِ حَتَّىٰ جِئَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ ﴿١٤﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَسْمِعِ الْكَافِرَ بِأَعْيُنِنَا وَوَعَيْنَا فَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرُنَا

(١) قال ابن جرير الطبري ١٤/١٨: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سينا اسم أضيف إليه الطور، يعرف به، كما قيل: جبلا طيحا، فأضيفا إلى طيحا، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه: حسن، لكان الطور مثنوئا، وكان قوله: «سيناء» من نعمته، على أن سينا بمعنى: مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعمت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بللك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سينا معنى مبارك.

(٢) البيت في «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» ١١١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢٣٩/١، و«الطبري» ١٤/١٨، و«القرطبي» ١٦٦/١٢، و«اللسان»، و«النار»: نبت.



وَقَارَ الشَّوْكَ فَاسْتَلَفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا بِإِيْمِهِمْ مُتَّفِقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَنْهَتْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَالِكِ فَقُلْ تَقَدَّرَ لِلَّهِ الَّذِي يَخْتَارُ مِنَ الْقَوِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلَ مَا رَزَقْتَ خَيْرَ الْمَرْبُوعِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَبَشِيرِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِيُونَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَتَيْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ الْآخِرَةِ وَأُفٍّ لِقَوْمِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ يَغْلِبْكُمْ إِنْ كُنَّا إِنْكَارًا لَكُمْ لَعَلَّيْتُمْ ﴿٣٤﴾ أَيْبُذْكُمْ أَكْثَرَ إِنْكَارًا وَمِمَّا رَزَقْنَاكُمْ وَغُلَبْنَاكُمْ فَمَنْ يَمُنُّونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَخْتَرْنَاهُ عَلَى آلِهِ كَذِيبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَبَنَّ نَائِبِيهِ ﴿٣٩﴾ فَلَاخَذْتُمُ الصِّبْيَةَ وَالْحَقُّ لَنَجْعَلَنَّهُمْ غُصَّةً بَعْدَ الْغُصَّةِ لِلْقَوِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِيُونَ ﴿٤١﴾ مَا نَسَبْنَاهُ مِنْ آثِهِمْ أَهْلًا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَدْرَأُ كُلَّ مَا جَاءَهُمْ أَنَّهُمْ رَسُولُنَا كَذَّبُوا فَأَتَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَصَحَّفْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَثْنَا لِقَوْمِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ قال المفسرون: هذا تعزية لرسول الله ﷺ بذكر هذا الرسول الصابر ليتأسى به في صبره، وليعلم أن الرسل قبله قد كُذِّبوا.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمُتَّعَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يعلوكم بالفضيلة، فيصير متبوعاً، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ أن لا يُعِدَّ شيء سواه ﴿لَأَرْزَلْنَا مَلَائِكَةً﴾ تبلغ عنه أمره، لم يرسل بشراً ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعوننا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي مَا بَيْنَنَا وَالْأَوَّلِينَ﴾. فاما الجنة فمعناها: الجنون. وفي قوله: ﴿حَقٌّ جَيْنٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه الموت، فتقديره: انتظروا موته. والثاني: أنه وقت منكر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ وقرأ عكرمة، وابن محيصن: ﴿قال رب﴾ بضم الباء، وفي القصة الأخرى [المؤمنون: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ وقرأ يعقوب: «كذَّبوني» بياء، وفي القصة التي تليها أيضاً: «فاتقوني» [المؤمنون: ٥٢] «أَنْ يَخْضُرُونِي» [المؤمنون: ٩٨] «رَبِّ ارْجِعُونِي» [المؤمنون: ٩٩] «وَلَا تَكْلُمُونِي» [المؤمنون: ١٠٨] أثبتهم في الحالين يعقوب، والمعنى: انصُرني بتكذيبهم، أي: انصُرني بإهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قد شرحناه في [مرد: ٣٧] إلى قوله: ﴿فَاسْتَلَفَ فِيهَا﴾ أي: أدخل في سفينتك ﴿بَيْنَ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من كل» بكسر اللام من غير تنوين. وقرأ حفص عن عاصم: «من كل» بالتنوين. قال أبو علي: قراءة الجمهور إضافة «كل» إلى «زوجين»، وقراءة حفص تؤول إلى زوجين، لأن المعنى: من كل الأزواج زوجين.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْزُقْنِي مِثْلَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «مِثْلًا» بضم الميم. وروى أبو بكر عن عاصم فتحها. والمنزَّل، بفتح الميم: اسم لكل ما نزلت به، والمنزَّل، بضمها: المصدر بمعنى الإنزال؛ تقول: أنزلته إنزالاً ومُنزَّلاً. وفي الوقت الذي قال فيه نوح ذاك قولان: أحدهما: عند نزوله في السفينة. والثاني: عند نزوله من السفينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في قصة نوح وقومه ﴿لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا﴾ أي: وما كنا ﴿لَبَشِيرِينَ﴾ أي: لمختبرين إياهم بإرسال نوح إليهم. ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا مَآخِيُونَ﴾ يعني عاداً ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ وهو هود، هذا قول الأكثرين؛ وقال أبو سلمان الدمشقي: هم ثمود، والرسول صالح. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿أَيْبُذْكُمْ أَكْثَرَ﴾ قال الزجاج: موضع «أنكم» نصب على معنى: أَيْبُذْكُمْ [أنكم] مخرجون إذا مِثْم، فلما طال الكلام أعيد وَثَر «أَنْ» كقوله: ﴿أَلَمْ يَسْلَمُوا أَنْهُمْ مَنْ يُكَادُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْبَأَهُمْ أَنَّ لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

قوله تعالى: ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «هِيَاتَ هِيَاتَ» بفتح التاء فيهما في الوصل، وإسكانها في الوقف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وهارون عن أبي عمرو: «هِيَاتَا هِيَاتَا» بالنصب والتنوين. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وأبو حيوة

الحضرمي، وابن السميع: «هيهات هيهات» بالرفع والتنوين. وقرأ أبو العالية، وقتادة: «هيهات هيهات» بالخفض والتنوين. وقرأ أبو جعفر: «هيهات هيهات» بالخفض من غير تنوين، وكان يقف بالهاء. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وسعيد بن جبير، وعكرمة: «هيهات هيهات» بالرفع من غير تنوين، وقرأ معاذ القارئي، وابن يعمر، وأبو رجاء، وخارجة عن أبي عمرو: «هيهات هيهات» بإسكان التاء فيها. وفي «هيهات» عشر لغات قد ذكرنا منها سبعة عن القراء، والثامنة: «إيهات»، والتاسعة: «إيهان» بالنون، والعاشرة: «إيهاء» بغير نون، ذكرهن ابن القاسم؛ وأنشد الأحوص في الجمع بين لغتين منهن:

تَذَكَّرُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصُّبَا

وَهِيَهَاتِ هِيَهَاتاً إِلَيْكَ رَجَوْعُهَا<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: فأما الفتح، فالوقف فيه بالهاء، تقول: «هيهاء» إذا فتحت ووقفت بعد الفتح، فإذا كسرت ووقفت على التاء كنت ممن يتوّن في الوصل، أو كنت ممن لا يتوّن، وتأويل «هيهات»: البعد لما توعدون. وإذا قلت: «هيهات ما قلت»، فمعناه: بعيد ما قلت. وإذا قلت: «هيهات لما قلت»، فمعناه: البعد لما قلت. ويقال: «أيهات» في معنى «هيهات»، وأنشدوا:

وَأَيَّهَاتِ أَيَّهَاتِ الْعَقِيْقُ وَمَنْ بِهِ

وَأَيَّهَاتِ وَصَلٌ بِالْعَقِيْقِ نَوَاصِلُهُ<sup>(٢)</sup>

قال أبو عمرو بن العلاء: إذا وقفت على «هيهات» فقل: «هيهاء». وقال الفراء: الكسائي يختار الوقف بالهاء، وأنا اختار التاء.

قوله تعالى: ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ قرأ ابن مسعود، وابن أبي عيلة: «ما تُوْعَدُونَ» بغير لام. قال المفسرون: استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالاً منهم للتفكير في بدو أمرهم وقُدرة الله على إيجادهم، وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبداً، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يعنون: ما الحياة إلا ما نحن فيه، وليس بعد الموت حياة. فإن قيل: كيف قالوا: ﴿تَمُوتُ وَحَيَاتُكُمْ﴾ وهم لا يقرّون بالبعث؟ فعنه ثلاثة أجوبة ذكرها الزجاج: أحدها: نموت ويحيا أولادنا، فكأنهم قالوا: يموت قوم ويحيا قوم. والثاني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع، لا للترتيب. والثالث: ابتداءنا موت في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم نموت.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنون الرسول. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [مود: ٧، النحل: ٣٨] إلى قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ قال الزجاج: معنا: عن قليل، و«ما» زائدة بمعنى التوكيد.

قوله تعالى: ﴿لَيُصِيبَنَّ الَّذِينَ﴾ أي: على كفرهم، ﴿فَلَاخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم. قال المفسرون: صاح بهم جبريل صيحة رجفت لها الأرض من تحتم، فصاروا لشدة غثاء. قال أبو عبيدة: الغثاء: ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل. ونحو ذلك مما لا يُنتفع به في شيء. وقال ابن قتيبة: المعنى: فجعلناهم هلكى كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد والقَمْش<sup>(٣)</sup>، لأنه يذهب ويتفرق. وقال الزجاج: الغثاء: الهالك والبالى من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيت مخالطاً زبده. وما بعد هذا قد سبق شرحه [المحر: ٥] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «تترى كلماً» منونة والوقف بالالف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمره، والكسائي: بلا تنوين، والوقف عند نافع وابن عامر بالف. وروى هبيرة، وحفص عن عاصم، أنه يقف بالياء؛ قال أبو علي: يعني بقوله: يقف بالياء، أي: بالياء مُمالة. قال الفراء: أكثر العرب على ترك التنوين، ومنهم من نوّن. قال ابن قتيبة: والمعنى: تتابع بفترة بين كل رسولين، وهو من التواتر، والأصل: وتَرَى، فقلبت الواو تاءً كما قلبوها في التتوى والتخمة. وحكى الزجاج عن الأصمعي أنه قال: معنى واترث الخبر: أتبع بعضه بعضاً، وبين الخبرين هبة. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم: تواترث كُتبي إليك، يعنون: اتصلت من غير انقطاع، فيضعون التواتر في موضع الاتصال، وذلك غلط، إنما التواتر مجيء الشيء ثم انقطاعه ثم مجيئه، وهو

(١) «القرطبي» ١٢/١٢٢، وفيه: ... وأيهات نيل بالمعنى نواصله.

(٢) «القرطبي» ١٢/١٢٢، وفيه: ... وأيهات نيل بالمعنى نواصله.

(٣) القَمْش: الرديء من كل شيء، وما كان على وجه الأرض من فئات الأشياء، ويقال لردالة الناس: قماش.

التفاعل من الوتر، وهو الفرد، يقال: واطرث الخبر، أثبتت بعضه بعضاً، وبين الخبرين هُنيئة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَاءً﴾ أصلها «وترى» من المواتر، فأبدلت التاء من الواو، ومعناها: متقطعة متفاوتة، لأن بين كل نبيين دهرًا طويلاً. وقال أبو هريرة: لا بأس بقضاء رمضان تترى، أي: منقطعاً. فإذا قيل: واطر فلان كتبه، فالمعنى: تابعها، وبين كل كتابين فترة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتَاءً﴾ أي: أهلكنا الأمم بعضهم في إثر بعض ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتمثل بهم في الشرِّ ولا يقاله في الخير: جعلته حديثاً.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلًا وَجَاءَهُمْ هُتُورٌ وَيَأْتِيَانَا سُلْطَانٌ شَيْبٌ ١٥﴾ إلَّا رُفُوعًا ١٦ ﴿فَأَنزَلْنَاهُ فَوْقًا عَلَيْنَ ١٧﴾ فَقَالُوا أَتَرْثُونَ إِشْرِينَ ١٨ وَيَكُلُّ مِمَّا لَنَا غَيْرُ ١٩ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَاهُ فَوْقًا عَلَيْنَ﴾ أي: عن الإيمان بالله وعبادته ﴿وَكَاذِبًا قَوْمًا عَلَيْنَ﴾ أي: قاهرين للناس بالبغي والتجاوز عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَدِيْرٌ﴾ أي: مطيعون. قال أبو عبيدة: كل من دان لملك فهو عابد له.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَمَّا كَلَّمَهُ بِعَدْوَرٍ ٢١﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ٢٢ وَأَوَّاهُمَا إِلَى رَبِّهِمْ فَذَاتَ قُرْبَى ٢٣ وَمَعِينٍ ٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، أعطيتها جملة واحدة بعد غرق فرعون ﴿لَمَلَّهُمْ﴾ يعني: بني إسرائيل، والمعنى: لكي يهتدوا.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبيدة: «آيتين» على التشنية، وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ [الأنبياء: ٩١] <sup>(١)</sup>. وقد سبق شرحه.

قوله تعالى: ﴿وَوَاقَّهُمَا يَاوِيَانِ﴾ أي: جعلناهما يأويان ﴿إِلَّا رُبُّوْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة،

والكسائي: «رُبوة» بضم الراء. وقرأ عاصم، وابن عامر: بفتحها. وقد شرحنا معنى الربوة في [البقرة: ٢٦٥]، ﴿ذَاتَ قُرْبَى﴾

أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها، والمعنى: ذات موضع قرار. وقال الزجاج: أي: ذات مستقر ﴿وَمَعِينٍ﴾ وهو الماء

الجاري من العيون. وقال ابن قتيبة: «ذات قرار» أي: يُستقرُّ بها للعمارة، «ومعين» هو الماء الظاهر، ويقال: هو مُعْغُول

من العين، كأنَّ أصله مَغْيُون، كما يقال: ثوب مَخِيْط، وِبُرٌّ مَكِيْل. واختلف المفسرون في موضع هذه الربوة الموصوفة

على أربعة أقوال: أحدها: أنها دمشق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن سلام، وسعيد بن المسيب.

والثاني: أنها بيت المقدس، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وعن الحسن كالقولين. والثالث: أنها الرملة من

أرض فلسطين، قاله أبو هريرة. والرابع: مصر، قاله وهب بن منبه، وابن زيد، وابن السائب <sup>(٢)</sup>. فأما السبب الذي

لأجله أوتيتا إلى الربوة، فقال أبو صالح عن ابن عباس: فُوتَ مريم بابنها عيسى من ملكهم، ثم رجعت إلى أهلها بعد

اثنتي عشرة سنة. قال وهب بن منبه: وكان الملك أراد قتل عيسى.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٥﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أَنتُمْ وَجَدَ ٢٦ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ٢٧

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ذِكْرًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قِرْحُونٌ ٢٨﴾ فَذَرَوْهُ فِي عَذْرَبَةٍ حَتَّىٰ يَبْرُكَ ٢٩ ﴿يَسْتَسْتَوُونَ أَنَا نُبْذُهُمْ يَوْمَ مَالٍ وَبَيْنَ ٣٠﴾

تَكْبِجٍ لَّهُمْ فِي الْفَيْزِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ٣١﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة في آخرين: يعني بالرسول هاهنا محمداً ﷺ

(١) قال ابن كثير ٢٤٦/٣: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم ﷺ أنه جعلها آية للناس، أي: حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى. اهـ.

(٢) قال الطبري: وأولى الأقوال بتأويل ذلك أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة، لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى

يُؤْتِيهِ. وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين. وقال ابن كثير عن القول الرابع الذي قاله وهب بن منبه: وهو بعيد جداً. ثم قال: وأقرب الأقوال في

ذلك ما رواه الموهبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَوَاقَّهُمَا يَاوِيَانِ﴾ قال: «وَوَاقَّهُمَا» إلَّا رُبُّوْهُ فَذَاتَ قُرْبَى وَمَعِينٍ. قال: المعين: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله

تعالى: ﴿فَدَجَّلَ لُبِّي بُنْيَامَ تُحَكِّيْكَ سَكِينًا﴾ وكذا قال الضحاك وقتادة ﴿إِلَّا رُبُّوْهُ فَذَاتَ قُرْبَى وَمَعِينٍ﴾: هو بيت المقدس، فهذا - والله أعلم - هو الأظهر، لأنه المذكور في الآية الأخرى، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، وهذا أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار.

وحده، وهو مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجميع، ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا، وإلى هذا المعنى ذهب ابن قتبية، والزجاج<sup>(١)</sup>، والمراد بالطيبات: الحلال. قال عمرو بن شرحبيل: كان عيسى ﷺ يأكل من غَزَلِ أُمِّهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُنْكَرُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «وَأَنَّ» بالفتح وتشديد النون. وافق ابنُ عامر في فتح الألف، لكنه سَكَنَ النون. وقرأ عاصم، وحمة، والكسائي: «وَأَنَّ» بكسر الألف وتشديد النون. قال الفراء: من فتح، عطف على قوله: ﴿إِنِّي يَمَّا تَمَلُّونَ عَلَيْهِ﴾ وبأنَّ هذه أُنْكَرُكم، فموضعها خفض لأنها مردودة على «ما»؛ وإن شئت كانت منصوبة بفعل مضمر، كأنك قلت: واغلموا هذا؛ ومن كسر استأنف. قال أبو علي الفارسي: وأما ابن عامر، فإنه خفف النون المشددة، وإذا خُفِّفَتْ تعلق بها ما يتعلق بالمشددة. وقد شرحنا معنى الآية والتي بعدها في [الأنبياء: ٩٢] إلى قوله: ﴿زُبُرًا﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني: ﴿زُبُرًا﴾ برفع الزاي وفتح الباء. وقرأ أبو الجوزاء، وابن السميع: ﴿زُبُرًا﴾ برفع الزاي وإسكان الباء. قال الزجاج: من قرأ ﴿زُبُرًا﴾ بضم الباء، فتأويله: جعلوا دينهم كُتُبًا مختلفة، جمع زُبُور. ومن قرأ ﴿زُبُرًا﴾ بفتح الباء، أراد قِطْعًا.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَزِمَهُمْ قِسْوَةٌ﴾ أي: بما عندهم من الدين الذي ابتدعوه مُعْجِبُونَ، يرون أنهم على الحق. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله مجاهد. والثاني: أنهم أهل الكتاب ومشركو العرب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي فِي غَمَرَاتِهِمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب: «في غمراتهم» على الجمع. قال الزجاج: في غماتهم وخيرتهم، «حَقٌّ حِينَ» أي: إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب. قال مقاتل: يعني كفار مكة.

### فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أنها منسوخة بآية السيف. والثاني: أن معناها التهديد، فهي محكمة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي حَسِبُوكُم بِطَانَةَ اللَّهِ يَسْلُونَ الْبَاءَ الْمَرْفُوعَةَ وَكُسِرَ الْمِيمِ﴾. وقرأ أبو عمران الجوني: «نَمُدُّهُمْ» بنون مفتوحة ورفع الميم. قال الزجاج: المعنى: أيحسبون أن الذي نمدهم به «ين تَالِي وَيَتَّبِعُ» مجازاة لهم؟ إنما هو استدراج، «تُتَابَعُ لَمْ فِي الْقِيَرِ» أي: نساوع لهم به في الخيرات. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وأيوب السخيتاني: «يُسَارِعُ» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهما فتحا الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «يُسْرِعُ» بياء مرفوعة وسكون السين ونصب الراء من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿بَلَى لَا يَتَّبِعُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن ذلك استدراج لهم.

(١) ذكر الطبري أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْبَاءَ الْمَرْفُوعَةَ وَكُسِرَ الْمِيمِ﴾، كما تقول في الكلام للرجل الواحد: كُتِّوا عنا أفاعك، وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ الْأُنْثَى﴾ والمراد رجل واحد. وقال القرطبي: قال بعض العلماء: والخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ وأنه أقامه مقام الرسل، وقال: قال الزجاج: هذه مخاطبة للنبي ﷺ، ودل الجمع على أن الرسل كلهم كذا أمروا، أي: كلوا من الحلال. وقال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء ﷺ بهذا أتم القيام، وجمعوا بين كل خير قولاً وعملاً، ودلالة ونصحة، فجزاهم الله عن العباد خيراً، قال: وقال الحسن البصري في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا﴾ قال: أما والله ما أمركم بأصغركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حاضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه.

(٢) وفي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة مرفوعاً: دعا بعث الله نبياً إلا وهي الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم» وأنا كنت أرحاها على قرايط لأهل مكة. وفي «الصحيح» أيضاً أن داود ﷺ كان يأكل من كسب يده. وفي «صحيح مسلم» ٧٠٣/٢ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الْبَاءَ الْمَرْفُوعَةَ وَكُسِرَ الْمِيمِ﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتَّبِعُوا تِلْكَ الْآيَةَ﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وهذي بالحرام، فإني يستجاب لذلك».



﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَجَالِبُونَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنْتُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغْزَاتِ وَهُمْ لَمْ يَشْفِقُوا ﴿٦١﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وقد شحرننا هذا المعنى في قوله: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(١)</sup> [الأنبياء: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا﴾ وقرأ عاصم الجحدري: «يأتون ما أتوا» بقصر همزة «أتوا». وسألت عائشة رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقالت: يا رسول الله، أهم الذين يُدنيون وهم مشفقون؟ فقال: «لا، بل هم الذين يصلون وهم مشفقون، ويصومون وهم مشفقون، ويتصدقون وهم مشفقون أن لا يتقبل منهم»<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: فمعنى «يوتون»: يُعطون ما أعطوا وهم يخافون أن لا يتقبل منهم، «أَنْتُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ» أي: لأنهم يوقنون أنهم يرجعون. ومعنى «يأتون»: يعملون الخيرات وقلوبهم خائفة أن يكونوا مع اجتهداهم مقصرين، «أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغْزَاتِ» وقرأ أبو المتوكل، وابن السميع: «يُسْرِعُونَ» برفع الياء وإسكان السين وكسر الراء من غير ألف. قال الزجاج: يقال: أسرعت وسارعت في معنى واحد، إلا أن «سارعت» أبلغ من «أسرعت»، «وَهُمْ لَمْ يَشْفِقُوا» أي: من أجلها، وهذا كما تقول: أنا أكرم فلاناً لك، أي: من أجلك. وقال بعض أهل العلم: الوجه المذكور هاهنا واقع على مُضْمَر.

﴿وَلَا تَكُنْ نَفْسًا وَّاهِيًا وَّكَذَّابًا كَذِبًا يَطْلُقُ بِالنِّسْبَةِ وَهُوَ لَا يَطْلُقُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرْقٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَهْلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّعِينَ بِالْعِزِّ إِذَا هُمْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَمَّ نَصَرًا لَكُمْ أَنْ تَضُرُّوهُ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آفَاقِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُنْكَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ سِيمًا تَمْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ نَفْسًا وَّاهِيًا وَّكَذَّابًا كَذِبًا﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿يَطْلُقُ بِالنِّسْبَةِ﴾ قد أثبت فيه أعمال الخلق، فهو ينطق بما يعملون ﴿وَهُوَ لَا يَطْلُقُونَ﴾ أي: لا يُنْقِصُونَ من ثواب أعمالهم. ثم عاد إلى الكفار، فقال: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرْقٍ مِنْ هَذَا﴾ قال مقاتل: في غفلة عن الإيمان بالقرآن. وقال ابن جرير: في عمى عن هذا القرآن. قال الزجاج: يجوز أن يكون إشارة إلى ما وصف من أعمال البر في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْمَغْزَاتِ﴾، فيكون المعنى: بل قلوب هؤلاء في عمية من هذا؛ ويجوز أن يكون إشارة إلى الكتاب، فيكون المعنى: بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق وأعمالهم مُخَصَّصَةٌ فيه. فخرج في المشار إليه بـ«هذا» ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن. والثاني: أعمال البر. والثالث: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَهْلِكُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أعمال سيئة دون الشرك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: خطايا من دون ذلك الحق، قاله مجاهد. وقال ابن جرير: من دون أعمال المؤمنين وأهل التقوى والخشية. والثالث: أعمال غير الأعمال التي ذكروا بها سيعملونها، قاله الزجاج. والرابع: أعمال - من قبل الحين الذي قدر الله تعالى أنه يعذبهم عند مجيئه - من المعاصي، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿هُمْ لَهَا عِلُونَ﴾ إخبار بما سيعملونه من أعمالهم الخبيثة التي كُتبت عليهم لا بدَّ لهم من عملها<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتَرَفِّعِينَ﴾ أي: أغنياءهم ورؤساءهم، والإشارة إلى قريش. وفي المراد «بالعذاب» قولان: أحدهما: ضرب السيوف يوم بدر، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. والثاني: الجوع الذي عُذِّبُوا به سبع سنين، قاله ابن السائب. و«يَخْتَصِمُونَ» بمعنى: يصيحون. ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَمَّ نَصَرًا لَكُمْ﴾ أي: لا تستغيثوا من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا

(١) قال ابن كثير ٣/٣٤٨: أي: هم مع إيمانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون منه، وجلون من مكروه بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأما.

(٢) رواه أحمد في «المستند»، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدر» ١١/٥ وزاد نسبه للقرطبي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي الدنيا في «نعت الخافضين»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) قال ابن كثير: أي: قد كُتبت عليهم الأعمال السيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحق عليهم كلمة العذاب. اهـ.

فُتْرُونَ أَي: لا تمنعون من عذابنا. ﴿فَقَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْزَلُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَكُنْتُ عَلَى أَتَقْلِبُكُمْ نَكُوصُونَ﴾ أي: ترجعون وتتأخرون عن الإيمان بها، ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ منصوب على الحال. وقوله: ﴿بِهِ﴾ الكناية عن البيت الحرام، وهي كناية عن غير مذكور؛ والمعنى: إنكم تستكبرون وتفخرون بالبيت والحرم، لأنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحداً، ونحن أهل بيت الله وولائته، هذا مذهب ابن عباس وغيره. قال الزجاج: ويجوز أن تكون الهاء في «به» للكتاب، فيكون المعنى: تحدث لكم تلاوته عليكم استكباراً.

قوله تعالى: ﴿سَمِيرًا﴾ قال أبو عبيدة: معناه: تَهْجُرُونَ سَمَاراً، والسامر بمعنى السَّامَر، بمنزلة طفل في موضع أطفال، وهو من سَمَرَ الليل. وقال ابن قتيبة: «سامراً» أي: متحدثين ليلاً، والسمر: حديث الليل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن محيصن: «سُمَرًا» بضم السين وتشديد الميم وفتحها، جمع سامر. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «سَمَارًا» برفع السين وتشديد الميم وألف بعدها.

قوله تعالى: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «تَهْجُرُونَ» بفتح التاء وضم الجيم. وفي معناها أربعة أقوال: أحدها: تهجرون ذُكْرَ الله والحق، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: تهجرون كتاب الله تعالى ونبيه ﷺ، قاله الحسن. والثالث: تهجرون البيت، قاله أبو صالح. وقال سعيد بن جبير: كانت قريش تُسَمِّرُ حول البيت، وتفخر به ولا تطوف به. والرابع: تقولون هُجْراً من القول، وهو اللغو والهذيان، قاله ابن قتيبة. قال الفراء: يقال: قد هَجَرَ الرجل في منامه: إذا هذى، والمعنى: إنكم تقولون في رسول الله ﷺ ما ليس فيه وما لا يَقُصُّه. وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن محيصن، ونافع: «تَهْجُرُونَ» بضم التاء وكسر الجيم. قال ابن قتيبة: وهذا من الهُجْر، وهو السُّبُّ والإفحاش من المنطق<sup>(١)</sup>، يريد سبهم للنبي ﷺ ومن أتبعه. وقرأ أبو العالية، وعكرمة، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك: «تَهْجُرُونَ» بتشديد الجيم ورفع التاء، قال ابن الأنباري: ومعناها معنى قراءة ابن عباس.

﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ أَن لَّرَ بآيَاتِ مآبَاهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَر لَر يَرْفَعُونَ رُسُومَهُمْ فَهُمْ لَمْ يُذَكِّرُوا ﴿٦٨﴾ أَر يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ وَكَذَّبُوا لِحَقِّ كَذِبُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني: القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبير على صدق رسولهم ﴿أَر جَآءَهُمْ مَا لَر بآيَاتِ مآبَاهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ المعنى: ليس قد أرسل الأنبياء إلى أممهم كما أرسل محمد ﷺ؟! ﴿أَر لَر يَرْفَعُونَ رُسُومَهُمْ﴾ هذا توبيخ لهم، لأنهم عرفوا نسبه وصدقه وأمانته صغيراً وكبيراً ثم أعرضوا عنه. والجَنَّةُ: الجنون، ﴿بَلْ جَآءَهُم بِالْحَقِّ﴾ يعني القرآن.

﴿وَلَوْ أَنبَغَ الْحَقُّ أَهْوَاهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٠﴾ أَر تَتْلَاهُمْ حَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِينَ ﴿٧١﴾ وَلَئِكَ لَتَعْرِفَنَّهُ إِلَىٰ مِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّا لَلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ بِالْآخِرَةِ عَنَ الْآخِرَةِ لَنَارِكُونَ ﴿٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنبَغَ الْحَقُّ أَهْوَاهُمْ﴾ في المراد بالحق قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ، قاله مجاهد، وابن جريج، والسدي في آخرين. والثاني: أنه القرآن، ذكره الفراء، والزجاج. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو جعل الله لنفسه شريكاً كما يحبون. وعلى الثاني: لو نزل القرآن بما يحبون من جعل شريك لله ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ أي: بما فيه شرفهم وفخرهم، وهو القرآن ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي: قد تولوا عما جاءهم من شرف الدنيا والآخرة. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ» فهم عن ذكراهم مُعْرِضُونَ، بألف فيهما. ﴿أَر تَتْلَاهُمْ﴾ عما جنتهم به ﴿حَرْجًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «حَرْجًا» بغير ألف [فخرج] بألف. وقرأ ابن عامر: «خَرْجًا فخرج» بغير ألف في الحرفين. وقرأ حمزة، والكسائي: «خَرَجًا» بألف [فخرج] بألف في الحرفين. ومعنى «خَرْجًا»: أجراً ومالاً، ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ﴾ أي: فما يعطيك

(١) في «غريب القرآن»: وهو السب والإفحاش من المنطق.

رُبَّكَ مِنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ ﴿حَبْرٌ وَمَوْ حَبْرُ الزَّيْفِ﴾ أي: أفضل من أعطى؛ وهذا على سبيل التنبيه لهم أنه لم يسألهم أجراً، لا أنه قد سألهم. والتائب: العادل؛ يقال: نَكَبَ عن الطريق، أي: عَدَلَ عنه.

﴿وَلَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِرُونَ بِالْأَعْمَارِ عَنِ الصَّيْرِ لِلْكَبِيرِ﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ مُرٍّ لَلَّغْنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْمَذَابِ فَمَا اسْتَكَادُوا لَيْسَهُمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ مُرٍّ﴾ قال ابن عباس: الضَّرُّ هاهنا: الجوع الذي نزل بأهل مكة حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم أعطني على قریش بسنين كميني يوسف»<sup>(١)</sup>، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه الضَّرَّ، وأنهم قد أكلوا القِدَّ<sup>(٢)</sup> والعظام، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، وهو العذاب المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْمَذَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم بدر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه الجوع الذي أصابهم، قاله مقاتل. والثالث: بابٌ من عذاب جهنم في الآخرة، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُونَ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ: «مبسون» بفتح اللام. وقد شرحنا معنى المُبْس في [الأنام: ٤٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَأَوْدَأُ مِنَّا وَكَفُّوا تُرَاكُمَا بِعِظْمَانَا أَأَنَّا لَبِئْسُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ رُجِدْنَا يُخْرُجُ وَابِعَاكُمَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لَّيْسَ الْأَرْضُ وَمِنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قال المفسرون: يريد أنهم لا يشكرون أصلاً.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم من الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: هو الذي جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما ترون من صنعه؟ وما بعد هذا-ظاهر إلى قوله: ﴿قُلْ لَّيْسَ الْأَرْضُ﴾ أي: قل لأهل مكة المكذِّبين بالبعث: لَيْسَ الْأَرْضُ وَمِنْ فِيهَا مِنْ الْخَلْقِ ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بحالها، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو: «الله» بغير ألف هاهنا، وفي اللذين بعدها بالف. وقرأ الباقون: «الله» في المواضع الثلاثة. وقراءة أبي عمرو على القياس. قال الزجاج: ومن قرأ: «سيقولون الله» فهو جواب السؤال، ومن قرأ «الله» فجيء أيضاً، لأنك إذا قلت: مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ؟ فقلت: لزيد، جاز، لأن معنى «مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ؟»: لمن هي؟ وقال أبو علي الفارسي: من قرأ «الله» في الموضعين الآخرين، فقد أجاب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ. وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «سيقولون الله» «الله» «الله» بالف فيهن كلهن. قال أبو علي الأهوازي: وهو في مصاحف أهل البصرة بالف فيهن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن من قدر على خَلْقِ ذَلِكَ ابتداءً، أقدر على إحياء الأموات؟!

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكِ الْمَتَجِّ وَرَبُّ الْكَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَوْ يُجِيرُ وَلَا يُحَاكُمُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْعِرُونَ ﴿٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: تتقون عبادة غيره. والثاني: تخشون عذابه. فأما الملكوت، فقد

شرحناه في [الأنام: ٧٥].

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٩، وذكره السيوطي في «الدر» ١٢/٥، وأصله في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ دعا على قریش حين استمصوا فقال: «اللهم أعني عليهم بضع كسج يوسف».

(٢) قال في «اللسان»: القِدُّ: السير الذي يَتَدُّ من الجلد، وذكر كثير من المفسرين أنهم أكلوا العلهز، وهو الوبر والدمل.



قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُجِبِرْ وَلَا يُجَارَ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع [من] السوء من شاء، ولا يمنع منه من أراد به سوء، يقال: أجزت فلاناً أي: حميته، وأجزت عليه أي: حميت عنه.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَ تُسْحَرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أتى تُخَدَعُونَ وتُضَرَفُونَ عن هذا؟  
﴿بَلْ أَنْتُمْ بِالْآلِيِّ وَلَنْتُمْ لَكُذِبُونَ﴾ ١٥ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِلَهِ إِذَا لَدَّكَ كُلُّ لَيْلٍ يَمَّا خَلَقَ وَلَمْ لَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٦ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ تَتَكَلَّمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٧

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِالْآلِيِّ﴾ أي: بالتوحيد والقرآن ﴿وَلَنْتُمْ لَكُذِبُونَ﴾ فيما يُضَيِّفُونَ إلى الله من الولد والشريك: ثم نفاهما عنه بما بعد هذا إلى قوله: ﴿إِنَّا لَدَّكَ كُلُّ لَيْلٍ يَمَّا خَلَقَ﴾ أي: لا نفرد بخلقه ولم يرض أن يُضاف خَلَقَهُ وإنعامه إلى غيره، ولمنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خَلَقَ ﴿وَلَمْ لَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: غلب بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عالم» بالخفض. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عالم» بالرفع. قال الأخفش: الجر أجود، ليكون الكلام من وجه واحد، والرفع، على أن يكون خبر ابتداء محذوف، ويقوّيه أن الكلام الأول قد انقطع.

﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا رَسَّيَ مَا يُوعَدُونَ﴾ ١٨ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْرِ الْأَعْيُنِينَ ١٩ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تَرْيَا مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ٢٠ أَدْفَعُ بِلَئِي مَنِ آمَنَ السَّيِّئَةَ عَنْ أَقْلَمِ يَمَّا يَصِفُونَ ٢١ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ٢٢ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ٢٣

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا رَسَّيَ﴾ وقرأ أبو عمران الجوني، والضحاك: «ترئيتي» بالهمز بين الراء والنون من غير ياء. والمعنى: إن أرئيتي ما يوعدون من القتل والعذاب، فاجعلني خارجاً عنهم ولا تهلكني بهلاكهم؛ فأراه الله تعالى ما وعدهم بيدر وغيرها، ونجّاه ومن معه.

قوله تعالى: ﴿أَدْفَعُ بِلَئِي مَنِ آمَنَ السَّيِّئَةَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: ادفع إساءة المسيء بالصفح، قاله الحسن. والثاني: ادفع الفحش بالسلام، قاله عطاء، والضحاك. والثالث: ادفع الشرّك بالتوحيد، قاله ابن السائب. والرابع: ادفع المنكر بالموعظة، حكاه الماوردي. وذكر بعض البفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿مَنْ أَقْلَمُ يَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: بما يقولون من الشرّك والتكذيب؛ والمعنى: إنّنا نجازيهم على ذلك. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾ أي: الجأ وامتنع ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ قال ابن قتيبة: هو نخسها وطغنها، ومنه قيل للعائب: همزة، كأنه يطعن ويتنخس إذا عاب. وقال ابن فارس: الهمز كالغصن، يقال: همزت الشيء في كفي، ومنه الهمز في الكلام، لأنه كأنه يضغظ الحرف، وقال غيره: الهمز في اللغة: الدفع، وهمزات الشياطين: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَحْضُرُونَ﴾ أي: أن يشهدوا؛ والمعنى: أن يصيبوني بسوء، لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء. ثم أخبر أن هؤلاء الكفار المنكرين للبعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند الموت بالآية التي تلي هذه، وقيل: هذا السؤال منهم للملائكة الذين يقبضون أرواحهم. فإن قيل: كيف قال: «ارجعون» وهو يريد: «ارجعني»؟، فالجواب: أن هذا اللفظ تعرفه العرب للعظيم الشأن، وذلك أنه يخبر عن نفسه [فيه] بما تخبر به الجماعة، كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ ٢٤، فجاء خطابه كإخباره عن نفسه، هذا قول الزجاج.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ٢٥ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ مَوْ قَالِبُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْجٌ ٢٦ إِنَّ يَوْمَ يَصْعَوْنَ ٢٧ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ٢٨ فَمَنْ تَلَاثَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَوَلَّوْنَ ٢٩ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ٣٠ تَلَوَّحَ بِجُوهِهِمُ النَّارُ وَعَمَّ فِيهَا كَالِحَاتُ ٣١

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال ابن عباس: فيما مضى من عمري؛ وقال مقاتل: فيما تركت من العمل الصالح.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يرجع إلى الدنيا ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: مسأله الرجعة ﴿كَلِمَةٌ مَوْ قَالِبُهَا﴾ أي: هو كلام لا



فائدة له فيه ﴿وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: أمامهم وبين أيديهم ﴿بِرِزْخٍ﴾ قال ابن قتيبة: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة، وكل شيء بين شيئين فهو برزخ. وقال الزجاج: البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو هاهنا: ما بين موت الميت وبعثه.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الشُّرُورِ﴾ في هذه النفخة قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أنها الثانية، رواه عطاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَسْأَلُ بِمُنْهَرٍ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: لا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتقاطعون بها، لأن الأنساب لا تنقطع يومئذ، إنما يُرْفَعُ التواصل والتفاخر بها. وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: لا يتساءلون بالأنساب أن يترك بعضهم لبعض حقه. والثاني: لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه، لاشتغال كل واحد بنفسه. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً من أي قبيل أنت، كما تفعل العرب لتعرف النسب فتعرف قدر الرجل. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الأعراف: ٨] إلى قوله: ﴿تَلَفَّحُوا وَجُوهَهُمُ النَّارَ﴾ قال الزجاج: تلفح وتلفح بمعنى واحد، إلا أن التلفح أعظم تأثيراً، والكالـح: الذي قد تشمرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى [من] رؤوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه. وقال ابن مسعود: قد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشيط بالنار. وروى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال في هذه الآية: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ شفته» (١).

﴿أَلَمْ تَكُنْ مَآئِنِي تَتْلُو عَلَيَّ كُتُبَهُمْ﴾ قَالَ رِثَاءٌ عَلَيَّتْ شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا صَالِكِينَ ﴿١٠٦﴾ رِثَاءٌ أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْشَرْنَا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا يَكْفُرُونَ رِثَاءٌ مَآئِنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَخَذْتُمُوهُمْ سِرًّا حَتَّى أَتَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا إِنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ ﴿١١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ المعنى: ويقال لهم: ألم تكن ﴿مَآئِنِي تَتْلُو عَلَيَّ﴾ يعني: القرآن. ﴿قَالُوا رِثَاءٌ عَلَيَّتْ شِقْوَتُنَا﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «شِقْوَتُنَا» بكسر الشين من غير ألف، وقرأ عمرو ابن العاص، وأبو رزين العقيلي، وأبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه بفتح الشين. وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والأعمش، وحزمة، والكسائي: «شَقَاوَتُنَا» بآلف مع فتح الشين والقاف؛ وعن الحسن، وقناة كذلك، إلا أن الشين مكسورة. قال المفسرون: أقر القوم بأن ما كُتِبَ عليهم من الشقاء منعهم الهدى. قوله تعالى: ﴿رِثَاءٌ أَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من النار. قال ابن عباس: طلبوا الرجوع إلى الدنيا ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى الكفر والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿أَخْشَرْنَا﴾ قال الزجاج: تباعدوا تباعد سخط، يقال: خَسَأْتُ الْكَلْبَ أَخْشَوهُ: إذا زجرته ليتباعد. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ أي: في رفع العذاب عنكم. قال عبد الله بن عمرو: إن أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاماً، فلا يجيبهم، ثم يقول: ﴿إِنَّكُمْ تَكْلُمُونَ﴾ [الزعر: ٧٧]، ثم ينادون ربهم ﴿رِثَاءٌ أَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُمْ تَكْلُمُونَ﴾ ثم ينادون ربهم ﴿رِثَاءٌ أَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ فيدعهم مثل عمر الدنيا، ثم يرد عليهم ﴿أَخْشَرْنَا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان، إلا الزفير والشهيق. ثم بيّن الذي لأجله أخسأهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أَنَّهُ» بفتح الهمزة ﴿كَانَ قَوْمًا يَكْفُرُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين.

(١) زيادة من «اللسان».

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٣٩٥/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من رواية أبي السمع دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري روى عنه، قال الحافظ في «التقريب» عن دراج أبي السمع: صدوق في حديثه، عن أبي الهيثم ضعيف. والحديث رواه أحمد في «المستدرک»، والترمذي وقال: حسن غريب. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٦/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة النار»، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُ﴾ قال الزجاج: الأجود إدغام الذال في التاء لقرب المخرجين، وإن شئت أظهرت، لأن الذال من كلمة والتاء من كلمة، وبين الذال والتاء في المخرج شيء من التباعد.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِتًا﴾ قرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وأبو حاتم عن يعقوب: «سُخْرِتًا» بضم السين هاهنا وفي [ص: ١٢٣]، تابعهم المفضل في [ص: ١٢٢]. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: بكسر السين في السورتين. ولم يختلف في ضم السين في الحرف الذي في [الزخرف: ٣٢]. واختار الفراء الضم، والزجاج الكسر. وهل هما بمعنى؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان ومعناهما واحد، قاله الخليل، وسيبويه، ومثله قول العرب، بحر نُجَيْيٍّ وَلُجَيْيٍّ، وكوكبٌ دُرِّيٌّ ودُرِّيٌّ. والثاني: أن الكسر بمعنى الهمز، والضم بمعنى: السُخْرَة والاستعباد، قاله أبو عبيدة، وحكاه الفراء، وهو مروى عن الحسن، وقناة. قال أبو علي: قراءة من كسر أرجح من قراءة من ضم، لأنه من الهزة، والأكثر في الهزة كسر السين. قال مقاتل: كان رؤوس كفار قريش كأبي جهل وعقبة [والوليد] قد اتخذوا فقراء أصحاب رسول الله ﷺ كعمار وبلال وخبّاب وصهيب سُخْرِيًّا يستهزئون بهم ويضحكون منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتُوكُمْ ذِكْرِي﴾ أي: أنساكم الاشتغال بالاستهزاء بهم ذكري، فنسب الفعل إلى المؤمنين وإن لم يفعلوه، لأنهم كانوا السبب في وجوده، كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [إبراهيم: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: على أذاكم واستهزائكم «أَنَّهُمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أَنَّهُمْ» بفتح الألف. وقرأ حمزة، والكسائي: «إِنَّهُمْ» بكسرها. فمن فتح «أَنَّهُمْ» فالمعنى: جزيتهم بصبرهم الفؤاد، ومن كسر «إِنَّهُمْ»، استأنف.

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدِدَ بَيْنَ﴾ ﴿قَالُوا لَيْتَنَا يُوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَتَنَّا بِالْعَادِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَوْبَرِ﴾ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ قرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قال كم لبستم» وهذا سؤال الله تعالى للكافرين. وفي وقته قولان: أحدهما: أنه يسألهم يوم البعث. والثاني: بعد حصولهم في النار. وقرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «قل كم لبستم» وفيها قولان: أحدهما: أنه خطاب لكل واحد منهم، والمعنى: قل يا أيها الكافر. والثاني: أن المعنى: قولوا، فأخرجه مخرج الأمر للواحد، والمراد الجماعة، لأن المعنى مفهوم. وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي يدغمون ثاء «لبستم»، والباقيون لا يدغمونها؛ فمن أدغم، فلتقارب مخرج التاء والتاء، ومن لم يدغم، فلتباين المخرجين. وفي المراد بالأرض قولان. أحدهما: أنها القبور، والثاني: الدنيا. فاحقر القوم ما لبثوا لما عاينوا من الأهوال والعذاب فقالوا: ﴿لَيْتَنَا يُوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ﴾ قال الفراء: والمعنى: لا ندري كم لبثنا. وفي المراد بالعادين قولان: أحدهما: الملائكة، قاله مجاهد. والثاني: الحُساب، قاله قتادة. وقرأ الحسن، والزهري، وأبو عمران الجوني، وابن يعمر: «العادين» بتخفيف الدال.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «قال إن لبستم». وقرأ حمزة، والكسائي: «قل إن لبستم» على معنى: قل أيها السائل عن لبثهم. وزعموا أن في مصحف أهل الكوفة «قل» في الموضعين، فقرأهما حمزة، والكسائي على ما في مصاحفهم، أي: ما لبثتم في الأرض ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن مكثهم في الأرض وإن طال، فإنه مُتَنَاءٍ، ومكثهم في النار لا يتناهى. وفي قوله: ﴿لَوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: لو علمتم قدر لبثكم في الأرض. والثاني: لو علمتم أنكم إلى الله ترجعون، فعملتم لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أي: أفظننتم ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: للعبث؛ والعبث في اللغة: اللعب، وقيل: هو الفعل لا لغرض صحيح، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم: «لا تُرْجَعُونَ» بضم التاء. وقرأ حمزة، والكسائي بفتحها. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عمّا يَصِفُ به الجاهلون من الشُّرك والولد، ﴿أَلَمَلِكُ﴾ قال الخطابي: هو التام

المُلك الجامع لأصناف المملوكات. وأما المالك: فهو الخالص المُلْك. وقد ذكرنا معنى «الحق» في (يونس: ٣٢).  
 قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَرْثَى الْكَرِيمُ﴾ والكريم في صفة الجماد بمعنى: الحسن. وقرأ ابن محيصن: «الكرِيم» برفع الميم، يعني الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُرْهَنَ كَرْمٌ بِهِ﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليل؛ وقال بعضهم: معناه: فلا برهان له به.  
 قوله تعالى: ﴿فَالِئْمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: جزاؤه عند ربه<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري في تفسير تمام السورة: ﴿إِنَّهُ لَا يَسْلُجُ الْكَثِيرَةَ﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعْتِزْ وَأَعْتِزْ وَأَعْتِزْ وَأَعْتِزْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك وترك عقابي على ما اجترمت، وأنت خير الراحمين، يقول: وقل: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه. اهـ.

## سورة النور

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ لِّتُنذِرَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ وَاللَّيْثُ وَالْوَرْدُ الْآخِرُ وَلَتَشْهَدَ عَلَيْهِمَا جَلِيفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

وهي مدنية كلها بإجماعهم.

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تُنْزِلُوهُنَّ الْغُرَفَ وَلَا تَعْلُمُوهُنَّ الْكُتَابَ، وَعَلِمُوهُنَّ الْمَغْزَلَ<sup>(١)</sup> وَسُورَةُ الثَّوْرِ<sup>(٢)</sup>»، يعني: النساء.

قوله تعالى: ﴿سُورَةُ﴾ قرأ الجمهور بالرفع. وقرأ أبو رزین العقيلي، وابن أبي عبلة، ومحبوب عن أبي عمرو: «سورة» بالنصب. قال أبو عبيلة: من رفع، فعلى الابتداء. وقال الزجاج: هذا قبيح، لأنها نكرة، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ صفة لها، وإنما الرفع على إضمار: هذه سورة، والنصب على وجهين، أحدهما على معنى: أنزلنا سورة، وعلى معنى: أنزل سورة.

قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتشديد. وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري، ونافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة بالتخفيف. قال الزجاج: من قرأ بالتشديد، فعلى وجهين: أحدهما: على معنى التكثير، أي: إننا فرضنا فيها فروضاً، والثاني: على معنى: بيئاً وفصلنا ما فيها من الحلال والحرام؛ ومن قرأ بالتخفيف، فمعناه: ألزمتكم العمل بما فُرض فيها. وقال غيره: مَنْ شَدَّدَ، أَرَادَ: فَضَّلْنَا فَرَائِضَهَا، وَمَنْ خَفَّفَ، فَمَعْنَاهُ: فَضَّلْنَا مَا فِيهَا.

قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ القراءة المشهورة بالرفع. وقرأ أبو رزین العقيلي، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة، وعيسى بن عمر: «الزانية» بالنصب. واختار الخليل وسيبويه الرفع اختيار الأكثرين. قال الزجاج: والرفع أقوى في العربية، لأن معناه: من زنى فاجلدوه، فتأويله الابتداء، ويجوز النصب على معنى: اجلدوا الزانية. فأما الجلد، فهو ضرب الجلد؛ يقال: جلدته: إذا ضربت جلده، كما يقال: بطنه: إذا ضربت بطنه. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزانية والزاني إذا كانا حرين بالغين بكرين، ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾.

(١) في الأصل: وعلموهن الغزل، والتصحيح من «المستدرک» للحاكم الذي نقل عنه المؤلف.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٣٩٦/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي فقال: قلت: بل موضوع، وأتته عبد الوهاب بن الضحاك، قال أبو حاتم: كذاب. وهذا الخبر رواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه»، وفي سنده محمد بن إبراهيم الشامي، وهو منكر الحديث ومن الرضاعين، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في «الملل المتناهية في الأحاديث الواهية» وقال: لا يصح، محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث، وقد ألف العلامة المحدث شمس الحق العظيم أبادي رسالة سماها «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان» طبعها المكتب الإسلامي، ذكر فيها مؤلفها أن القول المحقق جواز تعليم الكتابة للنسوان، وذكر أحاديث عدم الجواز، منها حديث الحاكم، وابن حبان، اللذين تقدم ذكرهما، وغيرهما، ونقل أقوال العلماء فيها، ثم قال: وأحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات، ولم يصحح العلماء واحداً منها، ما عدا الحاكم أباً عبد الله، وتساهله في التصحيح معروف، وتصحيحه متعقب عليه، ولا يؤخذ كلامه في التصحيح إلا إذا وافق الحفاظ الآخرون في تصحيحه، ثم قال: وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء البالغات المشتبهات بواسطة النساء الأخريات، أو بواسطة محارمهن، أما البنات غير البالغات وغير المشتبهات فيتعلمن ممن شئن. ومن أراد الزيادة في ذلك، فليرجع إلى رسالة «عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان»، فإن المؤلف وفي الموضوع حقه فيها.



## فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله: هذه الآية تقتضي وجوب الجَلْدِ على الْبِكْرِ وَالْتَّيِّبِ. وقد روي عن رسول الله ﷺ في حق الْبِكْرِ زيادة على الْجَلْدِ بتفريب عام، وفي حق التَّيِّبِ زيادة على الْجَلْدِ بالرجم بالحجارة. فروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةِ وَتَفْرِيبُ عَامٍ، وَالتَّيِّبُ بِالتَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةِ وَرَجْمُ بِالْحِجَارَةِ»<sup>(١)</sup>. وممن قال بوجوب النَّفْيِ في حق الْبِكْرِ أَبُو بَكْرٍ، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن عمر، وممن بعدهم عطاء، وطاووس، وسفيان، ومالك، وابن أبي ليلى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وممن قال بالجمع بين الْجَلْدِ والرجم في حق التَّيِّبِ علي بن أبي طالب، والحسن البصري، والحسن بن صالح، وأحمد، وإسحاق. قال: وذهب قوم من العلماء إلى أن المراد بِالْجَلْدِ المذكور في هذه الآية: الْبِكْرُ، فأما التَّيِّبُ، فلا يجب عليه الْجَلْدُ، وإنما يجب الرجم، روي عن عمر، وبه قال النخعي، والزهرى، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة، ومالك، وروي عن أحمد رواية مثل قول هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، والضحاك، وابن يعمر، والأعمش: «يَأْخُذْكُمْ» بالياء، ﴿يَا رَافَةَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمره، والكسائي: «رَافَةَ» بإسكان الهمزة. وقرأ أبو المتوكل، ومجاهد، وأبو عمران الجوني، وابن كثير: بفتح الهمزة وقصرها على وزن رَعَفَةٍ. وقرأ سعيد بن جبير، والضحاك، وأبو رجاء العطاردي: «رَافَةَ» مثل سَامَةَ وكَاثِبَةٍ. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا تأخذكم بهما رافة، فتخففوا الضرب، ولكن أوجعهما، قاله سعيد بن المسيب، والحسن، والزهرى، وقناة. والثاني: لا تأخذكم بهما رافة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها، قاله مجاهد، والشعبي، وابن زيد في آخرين.

## فصل

اختلف العلماء في شدة الضرب في الحدود، فقال الحسن البصري: ضرب الزنى أشد من القذف، والقذف أشد من الشُّرب، ويضرب الشارب أشد من ضرب التعزير، وعلى هذا مذهب أصحابنا. وقال أبو حنيفة: التعزير أشد الضرب، وضرب الزنى أشد من ضرب الشارب، وضرب الشارب أشد من ضرب القذف. وقال مالك: الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح.

(١) رواه أحمد في «المسند» ١٣/٥، ومسلم ١٣١٦/٣، وأبو داود رقم (٤٤١٥)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، كلهم من حديث عبادة بن الصامت ؓ، ونلفظه عند مسلم: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلوا هني، دخلوا هني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والتَّيِّبُ بِالتَّيِّبِ جلد مائة والرجم». قال ابن كثير: وللعلماء فيه تفصيل ونزاع، فإن الزاني لا يخلو، إما أن يكون بكراً، وهو الذي لم يتزوج، أو محصناً، وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرٌّ بالغ عاقل، فأما إذا كان بكراً لم يتزوج، فإن حده مائة جلدة، كما في الآية، ويزاد على ذلك أن يغرب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإن عنده أن التغريب إلى رأي الإمام، إن شاء غرب، وإن شاء لم يغرب، وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، إن ابني هذا كان عفيفاً (يعني أجيئاً) على هذا، فزني بامرأت، فانتدبت ابني منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقفين بينكما بكتاب الله تعالى، الوليدة والغنم رد عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس (الرجل من أسلم) إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» ففندا عليها فاعترفت فرجمها، قال: وفي هذا دلالة على تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكراً لم يتزوج.

وقال ابن كثير أيضاً: وأما إذا كان محصناً وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرٌّ بالغ عاقل، فإنه يرجم، وذلك للأحاديث الواردة في «الصحيحين» وغيرهما في الرجم، ثم قال: وقد أمر رسول الله ﷺ برجم هذه المرأة وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير لما زنت مع الأجير، قال: ورجم رسول الله ﷺ ماعزاً، والغامدية، وكل هؤلاء لم ينقل عن رسول الله ﷺ أنه جلدتم قبل الرجم، وإنما وردت الأحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والألفاظ بالاعتصار على رجمهم، وليس فيها ذكر الجلد، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء، وإليه ذهب أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، رحمهم الله. وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أنه يجب أن يجمع على الزاني المحصن بين الجلد للآية، والرجم للسنة، كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؓ، لما أتى بسراجة وكانت قد زنت وهي محصنة، فجلدها يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، فقال: جلدها بكتاب الله، ورجمها بسنة رسول الله ﷺ. قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٨٩/١١: وقال جماهير العلماء: الواجب الرجم وحده، ثم قال: قالوا: وحديث الجمع بين الجلد والرجم وهو حديث عبادة المتقدم منسوخ، فإنه كان أول الأمر. اهـ.

## فصل

فأما ما يُضْرَب من الأعضاء، فنقل الميموني عن أحمد في جلد الزاني، قال: يجرد، ويعطى كل عضو حقه، ولا يضرب وجهه ولا رأسه. ونقل يعقوب بن بختان<sup>(١)</sup>: لا يُضْرَب الرأس ولا الوجه ولا المذاكير، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: لا يُضْرَب إلا في الظهر. وقال الشافعي: يُتَّقَى الفرج والوجه.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ فيه قولان. أحدهما: في حكمه، قاله ابن عباس. والثاني: في طاعة الله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَشَهَدَ عَلَيْهِمَا ظَافَةٌ مِنَ الْمَوْتِينَ﴾ قال الزجاج: القراءة بإسكان اللام، ويجوز كسرهما. والمراد بعذابهما ضربهما. وفي المراد بالطائفة هاهنا خمسة أقوال: أحدها: الرجل فما فوقه، زواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال النخعي: الواحد طائفة. والثاني: الاثنان فصاعداً، قاله سعيد بن جبيرة، وعطاء، وعن عكرمة كالقولين. قال الزجاج: والقول الأول على غير ما عند أهل اللغة، لأن الطائفة في معنى جماعة، وأقل الجماعة اثنان. والثالث: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. والرابع: أربعة، قاله ابن زيد. والخامس: عشرة، قاله الحسن البصري.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَةٌ﴾ قال عبد الله بن عمرو: كانت امرأة تسافح، وتشترط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وقال عكرمة: نزلت في بغايا، كُنْ بِمَكَّةَ، ومنهن تسع صواحب رايات، وكانت يبوتهن تسمى في الجاهلية: المواخير، ولا يدخل عليهن إلا زانٍ من أهل القبيلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: الزاني من المسلمين لا يتزوج من أولئك البغايا إلا زانية ﴿أَوْ شَرِكَةً﴾ لأنهن كذلك كن ﴿وَالزَّانِيَةُ﴾ منهن ﴿لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾<sup>(٤)</sup>، ومذهب أصحابنا أنه إذا زنى بامرأة، لم يجز له أن يتزوجها إلا بعد التوبة منها<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «وَحَرَّمَ الله ذَٰلِكَ» بزيادة اسم الله ﷻ مع فتح حروف «حَرَّمَ». وقرأ زيد بن علي: «وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ» بفتح الحاء وضم الزاء مخففة. ثم فيه قولان. أحدهما: أنه نكاح الزواني، قاله مقاتل. والثاني: الزنا، قاله الفراء.

﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ يَزْنُونَ تَحْصِينًا فَلْيَدْرُسُوهُنَّ لِمَنَ جَلَدَ وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَسْلَمُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْنُونَ يَزْنُونَ تَحْصِينًا﴾ شرائط الإحصان في الزنى الموجب للرجم عندنا أربعة: البلوغ، والحرية، والعقل، والوطء في نكاح صحيح. فأما الإسلام، فليس بشرط في الإحصان، خلافاً لأبي حنيفة. ومالك. وأما شرائط إحصان القذف فأربع: الحرية، والإسلام، والعفة، وأن يكون المقدوف ممن يجامع مثله. ومعنى الآية: يرمون المحصنات بالزنا، فاكتمى بذكره المتقدم عن إعادته. ﴿ثُمَّ لََّ يَأْزَا﴾ على ما رمَوْهُنَّ به ﴿يَزْنِيَهُنَّ﴾ عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك ﴿فَلْيَدْرُسُوهُنَّ﴾ يعني القاذفين.

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بختان، أبو يوسف، سجع من الإمام أحمد، ترجمته في «طبقات الخنابلة» ١/ ٤١٥.

(٢) رواه أحمد في «المستند»، والنسائي، والطبري، والحاكم وصححه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٦/٥ وزاد نسبه لمعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»، وأبي داود في «تساخه».

(٣) ذكره بنحوه الطبري عن ابن عباس.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٨/ ٧٥: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع: الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشتركات ذوات الرايات، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك، أنه لم يُنْصَرْ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا، أو بمشركة تستحل. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي ما دامت كذلك حتى تستتاب، فإن تاب، صح العقد عليها، وإلا فلا، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة، لقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. اهـ.

## فصل

وقد أفادت هذه الآية أنَّ على القاذف إذا لم يُقِمَّ البيِّنة الحدَّ وردَّ الشهادة وثبوتُ الفُسق. واختلفوا هل يُحَكِّمُ بفسقه وردَّ شهادته بنفس القذف، أم بالحدِّ؟ فعلى قول أصحابنا: إنه يُحَكِّمُ بفسقه وردَّ شهادته إذا لم يُقِمَّ البيِّنة، وهو قول الشافعي. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا يُحَكِّمُ بفسقه، وتقبل شهادته ما لم يُقِمَّ الحدَّ عليه.

## فصل

والتعريض بالقذف - كقوله لمن يخاصمه: ما أنت بزائر، ولا أمك زانية - يوجب الحدَّ في المشهور من مذهبننا. وقال أبو حنيفة: لا يوجب الحدَّ. وحدُّ العبد في القذف نصف حدِّ الحرِّ، وهو أربعون، قِالُه الجماعة، إلا الأوزاعي فإنه قال: ثمانون. فأما قاذف المجنون، فقال الجماعة: لا يُحدُّ. وقال الليث: يُحدُّ. فأما الصبيِّ، فإن كان مثله يجامع أو كانت صبيَّةً مثلهما يجامع، فعلى القاذف الحدَّ. وقال مالك: يُحدُّ قاذف الصبيَّة التي يجامع مثلهما، ولا يُحدُّ قاذف الصبيِّ. وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا يُحدُّ قاذفهما. فإن قذف رجلٌ جماعةً بكلمة واحدة، فعلى حدِّ واحد، وإن أفرد كلَّ واحد بكلمة، فعليه لكل واحد حدٌّ، وهو قول الشعبي، وابن أبي ليلى؛ وقال أبو حنيفة وأصحابه: عليه حدٌّ واحد، سواء قذفهم بكلمة أو بكلمات.

## فصل

وحدُّ القذف حقٌّ لأدعي، يصح أن يبرئ منه، ويعفو عنه. وقال أبو حنيفة: هو حقُّ الله. وعندنا [أنه] لا يستوفى إلا بمطالبة المقدوف، وهو قول الأكثرين. وقال ابن أبي ليلى: يحده الإمام وإن لم يطالب المقدوف. قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ أي: من القذف ﴿وَلَسَلُوا﴾ قال ابن عباس: أظهروا التوبة؛ وقال غيره: لم يعودوا إلى قذف المُخَصَّنات. وفي هذا الاستثناء قولان: أحدهما: أنه نسخ حدُّ القذف وإسقاط الشهادة معاً، وهذا قول عكرمة، والشعبي، وطائوس، ومجاهد، والقاسم بن محمد، والزهري، والشافعي، وأحمد. والثاني: أنه يعود إلى الفسق فقط، وأما الشهادة، فلا تُقبل أبداً، قاله الحسن، وشريح، وإبراهيم، وقتادة. فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله: «أبداً»؛ وعلى القول الأول وقع الاستثناء على جميع الكلام، وهذا أصح، لأن المتكلم بالفاشحة لا يكون أعظم جرماً من راكمها، فإذا قبلت شهادة المقدوف بعد ثبوته، فالرامي أيسر جرماً، وليس القاذف بأشدَّ جرماً من الكافر، فإنه إذا أسلم قبلت شهادته<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٣) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٤) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٥) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٦) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٧) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٩) ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ وَكَذَّبُوا بِهَا فَوَيْلٌ لِلَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (١٠)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْزَانِيَةَ﴾ سبب نزولها أن هلال بن أمية وجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه، فلم يُهَجه حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: إني جئت أهلي، فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني، ففكر رسول الله ﷺ ما جاء به، واشتد عليه، فقال سعد بن عباد: الآن يَضْرِبُ رسولُ الله ﷺ هلالاً ويُبطل شهادته، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه [إذا] نزل عليه الوحي، فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وفي حديث آخر أن الرجل الذي قذفها به

(١) قال ابن كثير: واختلف العلماء في هذا الاستثناء، هل يعود إلى الجملة الأخيرة فقط، فترفع التوبة الفسق فقط، ويبقى مردود الشهادة دائماً وإن تاب، أو يعود إلى الجملتين الثانية والثالثة؟ وأما الجدل فقد ذهب وانقضى سواء تاب أو أصر ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف. قال: فذهب الإمام أحمد، ومالك، والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضاً. وقال الإمام أبو حنيفة: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبداً، قال: ومن ذهب إليه من السلف، القاضي شريح، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير، ومكحول، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر. وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه أنه قد قال البهتان، فحينئذ تقبل شهادته، والله أعلم. اهـ.

(٢) رواه أحمد في «المستند»، وهو في «الطبري» ٨٢/٨٢، ٨٣، وأسباب النزول للواحي ١٨٠. قال ابن كثير: ورواه أبو داود عن الحسن بن علي عن -

شريك بن سحماء، وأن رسول الله ﷺ قال لهلال حين قذفها: «اتنني بأربعة شهداء، وإلا فحدّ في ظهرك»، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>، فنسخ حكم الجلد في حق الزوج القاذف.

### فصل في بيان حكم الآية

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا، لزمه الحدّ، وله التخلّص منه بإقامة البيّنة، أو باللّعان، فإن أقام البيّنة لزمها الحدّ، وإن لاعنها، فقد حقّق عليها الزنا، ولها التخلّص منه باللّعان؛ فإن نكل الزوج عن اللعان، فعليه حدّ القذف، وإن نكلت الزوجة، لم تحدّ، وحُبست حتى يُلاعِن أو تُقَرَّ بالزنا في إحدى الروايتين، وفي الأخرى: يُخلّى سبيلها. وقال أبو حنيفة: لا يُحدّ واحد منهما، ويُحبس حتى يُلاعِن. وقام مالك، والشافعي: يجب الحدّ على الناكل منهما.

### فصل

ولا تصح الملاعة إلا بحضرة الحاكم. فإن كانت المرأة خفّرة، بعث الحاكم من يُلاعِن بينهما. وصفة اللعان أن يبدأ الزوج فيقول: أشهد بالله إنني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا، أربع مرات، ثم يقول في الخامسة: ولعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تقول الزوجة أربع مرات: أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزنا، ثم تقول: وغضب الله عليها إن كان من الصادقين. والسنة أن يتلاعنا قياماً، ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة: اتق الله فإنها المؤجبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت إلى الغضب. فإن كان بينهما ولد، اقتصر نفيه عن الأب إلى ذكره في اللعان، فيزيد في الشهادة: وما هذا الولد ولدي، وتزيد هي: وإن [هذا] الولد ولده.

### فصل

واختلف الفقهاء في الزوجين اللذين يجري بينهما اللعان، فالمشهور عن أحمد كل زوج صح قذفه صح لعانه، فيدخل تحت هذا المسلم والكافر والحر والعبد، وكذلك المرأة، وهذا قول مالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يجوز اللعان بين الحر والأمة، ولا بين العبد والحرّة، ولا بين الذميين، أو إذا كان أحدهما ذمياً؛ ونقل حرب عن أحمد نحو هذا، والمذهب هو الأول. ولا تختلف الرواية عن أحمد أن فرقة اللعان لا تقع بلعان الزوج وحده. واختلف هل تقع بلعانهما من غير فرقة الحاكم على روايتين. وتحريم اللعان مؤبد، فإن أكذب الملاحن نفسه لم تحلّ له زوجته أيضاً، وبه قال عمر، وعلي، وابن مسعود؛ وعن أحمد روايتان، أصحهما: هذا، والثانية: يجتمعان بعد التكذيب، وهو قول أبي حنيفة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَّمَّ شُهَدَاؤُكَ إِلَّا أَنْفُكَ﴾ وقرأ أبو المتوكل. وابن يعمر، والنخعي: «تكن» بالفاء.

قوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «أربع» بفتح العين. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: برفع العين. قال الزجاج: من رفع «أربع»، فالمعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدّ القذف أربع؛ ومن نصب، فالمعنى: فعليهم أن يشهد أحدهم أربع.

قوله تعالى: ﴿وَالْقِسْطُ﴾ قرأ حفص عن عاصم: «والخامسة» نصباً، حملاً على نصب «أربع شهادات».

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ قرأ نافع، ويعقوب، والمفضل: «أن لعنة الله» و«أن غضب الله» بتخفيف النون فيهما وسكونهما ورفع الهاء من «لعنة» والباء من «غضب» إلا أن نافعاً كسر الضاد من «غضب» وفتح الباء.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُهَا عَنِ﴾ أي: ويدفع عنها «الْعَذَابُ» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] الحدّ. والثاني: الحبس.

ذكرهما ابن جرير. والثالث: العار.

١ - يزيد بن هارون به مختصراً، ثم قال: ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة، وذكر منها الحديث الذي ذكره المصنف بعد هذا. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٢١/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، والطبراني، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(١) البخاري ٣٤١/٨، والترمذي ١٤٨/٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢/٥ وزاد نسبه لابن ماجه.



قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: ستره ونعمته. قال الزجاج: وجواب «لولا» هاهنا، متروك؛ والمعنى: لولا ذلك لنال الكاذب منكم عذاب عظيم. وقال غيره: لولا فضل الله لبين الكاذب من الزوجين فأقيم عليه الحد، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على من رجع عن المعاصي بالرحمة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما فرض من الحدود<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْكِ وَالَّذِي يُؤْتِي كِبَرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (٢) لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ (٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَقْسِمُونَهُ هَئِنَّا نَمُوتُ وَإِنَّا كَاذِبُونَ (٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُتَّكِلُونَ زُلْفَى أَنْ تَكُنْ مِنْكُمْ شِئْءٌ مُبْتَدَأٌ هَذَا بُتْنٌ عَالِيمٌ (٦) يُطِغْمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَقْرُدُوا لِيُنْزِلَهُ آدَنًا إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ (٧) وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفُ يَوْمٍ وَفِي ذَلِكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَهْدٌ رَجِيمٌ (١٠)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أجمع المفسرون؛ أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة عائشة. وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة. وقد ذكرنا حديث الإفك في كتاب «الحقائق» وفي كتاب «المغني في التفسير» فلم نطل بذكره، لأن غرضنا اختصار هذا الكتاب ليُحفظ<sup>(٢)</sup>. فأما الإفك، فهو الكذب، والعُصبة: الجماعة. ومعنى قوله: ﴿يُطِغْمُكُمْ﴾ أي: من المؤمنين. وروى عروة عن عائشة أنها قالت: هم أربعة: حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبيّ [بن سلول]، ومسطح بن أثانة، وحمنة بنت جحش، وكذلك عدّهم مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لعائشة وصفوان بن المعطل، وقيل: لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعائشة؛ والمعنى: إنكم تؤجرون فيه<sup>(٤)</sup>، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: من العُصبة الكاذبة ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِفْكِ﴾ أي: جزاء ما اجترح من الذنب على قدر خوضه فيه، ﴿وَالَّذِي يُؤْتِي كِبَرَهُ مِنْهُمْ﴾ قرأ ابن عباس، وأبو رزين، وعكرمة، ومجاهد، وابن أبي عبيدة، والحسن، ومحبوب عن أبي عمرو، ويعقوب: «كُتِبَ» بضم الكاف. قال الكسائي: وهما لغتان. وقال ابن قتيبة: كِبَرُ الشيء: مُعْظَمُهُ<sup>(٥)</sup>. ومنه هذه الآية. قال قيس بن الخطيم يذكر امرأة:

(١) قال ابن جرير الطبري ٨٦/١٨: يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عوّاد على خلقه بطفه وعلوّه، حكيم في تدبيره إياهم وسياسته لهم، لمعالجكم بالمعقوبة على معاصيكم، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم، وترك فضيحتكم بها عاجلاً، رحمةً من بكم، وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه، وانتبهوا عن التقدّم مما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك اكتفاءً بمعرفة السامع المراد منه. اهـ.

(٢) حديث الإفك مشهور، رواه أحمد في «المسند»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما»، والترمذي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عائشة ؓ، وهو حديث طويل، وهذه الآيات العشر نزلت في شأن عائشة ؓ حين رماها أهل الإنك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والغربة التي غار الله ﷻ لها ولبيه ؓ فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن صيانة لمرسول الرسول ﷺ، وكان الذين جاؤوا بالإنك عصبة، يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإنك منهم، هو الذي بدأ بالخوض فيه، وهو عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعهم ويستوثب ويذمهم وشيعته، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزوه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر وعائشة ؓ تقول: ﴿فَصَبْرٌ جَبَلٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَحْكُمُونَ﴾ حتى نزل القرآن براءتها، فقال رسول الله ﷺ لعائشة: «أبشري فقد أنزل الله براءتك»، وكانت السيدة عائشة الصديقة تقول: «والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً ينزل، ولشأنني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر ينزل، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في اليوم رؤيا يبرئني الله بها». وقد روى قصة الإنك مطولة الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٣٤٢/٨ - ٣٧٥، وابن كثير في «التفسير» ٢٦٨/٣، وغيرهما.

(٣) وفي «صحيح البخاري» ٣٤٣/٨ عن عروة عن عائشة ؓ: ﴿وَالَّذِي يُؤْتِي كِبَرَهُ﴾. قالت: عبد الله بن أبيّ بن سلول. اهـ. وهو الذي بدأ بالخوض فيه، وأذاعه وأشاعه، فله عذاب عظيم على ذلك.

(٤) قال ابن كثير: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾، أي: يا آل أبي بكر، بل هو خير لكم، أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين ؓ حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولهذا لما دخل عليها ابن عباس ؓ وعنها وهي في سياق الموت قال لها: أبشري فإنك زوجة رسول الله ﷺ، وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك، ونزلت براءتك من السماء. اهـ.

(٥) نقل في «اللسان» هذا القول عن ابن السكيت، وفي «غريب القرآن»: ﴿وَالَّذِي يُؤْتِي كِبَرَهُ﴾ أي: مُعْظَمُهُ.

تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْعَرِفُ<sup>(١)</sup>

وفي المتوَلَّى لذلك قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن أبي، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وعروة عن عائشة، وبه قال مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال المفسرون: هو الذي أشاع الحديث، فله عذاب عظيم بالنار. وقال الضحاك: هو الذي بدأ بذلك. والثاني: أنه حسان<sup>(٢)</sup>؛ روى الشعبي أن عائشة قالت: ما سمعت أحسن من شعر حسان، وما تمثلك به إلا رجوت له الجنة؛ فقيل: يا أم المؤمنين، أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي قَوْلُكَ كَذَبُوا مِنْهُمْ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ فقالت: أليس قد ذهب بصره؟ وروى عنها مسروق أنها قالت: وأني عذاب أشد من العمى، ولعل الله أن يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره، تعني: حسان بن ثابت. ثم إن الله عز وجل أنكر على الخائضين في الإفك بقوله: ﴿وَلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ أي: هلاً إذ سمعتم أيُّها العُصبة الكاذبة ذُفَّتْ عائشة ﴿طَرَفَ الْيَمِينِ﴾ من الغُصبة الكاذبة، وهم حسان ومسطح و﴿الْمُؤَيَّنَتُ﴾ وهي: حمنة بنت جحش ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: بأسمائهم. والثاني: بأخواتهم. والثالث: بأهل دينهم، لأن المؤمنين كنفس واحدة، ﴿وَقَالُوا هَذَا إِلَهُ مِثْلُ آي: كذب يَبْن. وجاء في التفسير أن أبا أيوب الأنصاري قالت له أمه: ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة؟! فقال: هذا إفك مبين، أكنيت يا أمه فاعلته؟ قالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منك؛ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا جَدَّو﴾ أي: هلاً جاءت الغُصبة الكاذبة على قذفهم [عائشة] ﴿بِأَرْبَعٍ شَهْلَةٍ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «بأربعة» متونة؛ والمعنى: يشهدون بأنهم عابنوا ما رموها به ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمْ الْكَذِبُونَ﴾. ثم ذكر القاذفين فقال: ﴿وَلَا قَسَلُ اللَّهِ يَتَكَبَّرُ وَرَمَتْهُ﴾ أي: لولا ما من [الله] به عليكم، ﴿لَسَكَّرَ﴾ أي: لأصابكم ﴿فِي مَا أَفْسَرْتُمْ﴾ أي: أخذتم وخضتم ﴿فِيهِ﴾ من الكذب والقذف ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابهم فيه العذاب فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوهُ﴾ وكان الرجل منهم يلقي الرجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقاه بعضهم من بعض. وقرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِذْ تَلَقَّوهُ﴾ بناء واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة؛ وقرأ معاوية، وابن السميع مثله، إلا أنهما فتحا التاء والقاف. وقرأ ابن مسعود: «تَلَقَّوهُ» بناءين مفتوحتين مع نصب اللام وتشديد القاف. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، ومجاهد، وأبو حيو: «تَلَقَّوهُ» بناءً واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف. وقال الزجاج: «تَلَقَّوهُ»: يُلْقِيه بعضهم إلى بعض وتَلَقَّوهُ: ومعناه: إذ تُسرعون بالكذب، يقال: وَلَقَى يَلْقَى: إذا أسرع في الكذب وغيره، قال الشاعر:

جاءت بِوَعْنَسٍ مِنَ الشَّامِ تَلِقُ<sup>(٥)</sup>

أي: تُسرع. وقال ابن قتيبة: «تَلَقَّوهُ» أي: تَقْبَلُونَهُ، ومن قرأ: «تَلَقَّوهُ» أخذه من الوَلَق، وهو الكذب.

(١) ديوانه ١٧، و«مختار الشعر الجاهلي» ٥٦٤/٢، و«غريب القرآن» ٣٠١، و«اللسان» و«التاج»: كبر، قال يعقوب: معناه: تنشئ، وقيل: معناه: تنقص من وقته خصرها.

(٢) قال ابن جرير الطبري ٨٩/١٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسيرة، أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحثهم، عبد الله بن أبي بن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت، كان تولى كبر ذلك الأمر. اهـ. وقال ابن كثير ٣/٢٧٢: والأكثر على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله تعالى ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد. اهـ.

(٣) قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِلَهُ مِثْلُ آي: كذب ظاهر على أم المؤمنين ﷺ، فإن الذي وقع لم يكن ريبة، وذلك أن منجيء أم المؤمنين رابية جبهة على راحلة صفوان بن المطلب في وقت الظهيرة والجيش بكامله يشاهدون ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان هذا الأمر فيه ريبة، لم يكن هذا جبهة، ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستورا، فتبين أن ما جاء به أهل الإفك مما رُموا به أم المؤمنين، هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة، والصفة الخاسرة. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة، كمسطح، وحمنة بنت جحش، فأما من خاض فيه من المتناقضين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يمارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين، يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه. اهـ.

(٥) الرجز في «الطبري» ٩٨/١٨، و«القرطبي» ٢٠٤/١٢، و«اللسان»: ولق.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: من غير أن تعلموا أنه حق ﴿وَتَحْسَبُوهُ﴾ يعني: ذلك القذف ﴿هَيْئًا﴾ أي: سهلاً لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الوزر<sup>(١)</sup>. ثم زاد عليهم في الإنكار فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾ أي: ما يحل وما ينبغي لنا ﴿أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ وهو يحتمل التنزيه والتعجب. وروت عائشة أن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟ فقال: «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا...» الآية، فنزلت الآية. وقد روينا آنفاً أن أمه ذكرت له ذلك، فنزلت الآية المتقدمة. وروى عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ذلك قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، ف قيل للناس: هلا قلتم كما قال سعد؟!

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ أي: ينهاكم الله ﴿أَنْ تَعُدُّوا لِنِيبِهِ﴾ أي: إلى مثله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لأن من شرط الإيمان ترك قذف المحصنة. ﴿وَيُنَبِّئُكُمُ اللَّهُ الْآيَاتِ﴾ في الأمر والنهي. ثم هدد القاذفين بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَخِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ أي: يحبون أن يفسدوا القذف بالفاحشة، وهي الزنى ﴿فِي آيَاتِهِ﴾ مَاتُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدنيا. يعني: الجلد ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ عذاب النار. وروت عُمرة عن عائشة قالت: لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر، فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة، فضربوا حدَّهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جلد عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحفصة بنت جحش<sup>(٣)</sup>، فأما الثلاثة فتابوا، وأما عبد الله فمات مناقفاً؛ وبعض العلماء يُنكر صحة هذا، ويقول: لم يضرب أحداً.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شَرُّ مَا خُصِّمَ فيه وما يتضمن من سخط الله ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك<sup>(٤)</sup>، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لعاقبكم فيما قلتم لعائشة. قال ابن عباس: يريد: مسطحاً، وحسان، وحفصة. ﴿يَتْلُو آيَاتِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ لَمَعَةٍ أَلَبًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه لكم قذف عائشة. وقد سبق شرح «خطوات الشيطان» وبيان «الفحشاء والمنكر» [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

قوله تعالى: ﴿مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة: «ما زكى» بتشديد الكاف. وفيمن خوطب بهذا قولان: أحدهما: أنه عام في الخلق. والثاني: أنه خاص للمتكلمين في الإفك. ثم في معناه أربعة أقوال: أحدها: ما اهتدى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ما أسلم، قاله ابن زيد. والثالث: ما صلح، قاله مقاتل. والرابع: ما طهر، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ أي: يطهر من يشاء من الإثم بالتوبة والغفران؛ فالمعنى: وقد شئت أن أتوب عليكم، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ علم ما في نفوسكم من التوبة والندامة.

﴿وَلَا يَأْتِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعْيُ أَنْ يُوَفَّقُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالَّذِينَ هَمَزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْمَلُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يَجِبُونَ أَنْ يَبْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ﴾ وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو جعفر، وابن أبي عبة: «ولا يأت» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام وتشديد اللام على وزن يَتَعَلَّ. قال المفسرون: سبب نزولها أن أبا بكر الصديق كان ينفق على مسطح لقربته وفقره، فلما خاض في أمر عائشة قال أبو بكر: والله لا أنفق عليه [شيئاً أبداً، فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup>.

(١) وفي «الصحيحين»: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب».

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة. (٣) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٤٧٥).

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذب الذين جاؤوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علم الغيوب، يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلال رسول الله ﷺ فتهلكوا. اهـ.

(٥) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت عندما نزلت الآيات العشر في برامتها: فلما أنزل الله هذا في برامتي، قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقربته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾

فأما الفضل، فقال أبو عبيدة: هو الفضل، والسعة: الجدة. قال المفسرون: والمراد به: أبو بكر.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُّؤْذَا﴾ قال ابن قتيبة: معناه: أن لا يؤتوا، فحذف «لا». فأما قوله: ﴿أُولَى الْقُرْبَى﴾ فإنه يعني بسطحاً، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً. قال المفسرون: فلما سمع أبو بكر ﴿أَلَا تَحْجُرُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾ قال: بلى يا رب، وأعاد نفقته على مسطح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْبُوتُ الْمُخَصَّصَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لِمُنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٤) يَوْمَ يُؤْصِرُ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ وَيَنْهَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٣٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْبُوتُ الْمُخَصَّصَاتِ﴾ يعني: العفاف ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ عن الفواحش، ﴿لِمُنَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي: عذبوا بالجلد، وفي الآخرة بالنار. واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في عائشة خاصة. قال خصيف: سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية، فقلت: من قذف محصنة لعنه الله؟ قال: لا، إنما أنزلت هذه الآية في عائشة خاصة<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها في أزواج النبي ﷺ خاصة، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها في المهاجرات. قال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أن المرأة كانت إذا خرجت إلى المدينة مهاجرة، قذفها المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنما خرجت تفجر، فنزلت هذه الآية. والرابع: أنها عامّة في أزواج النبي ﷺ وغيرهن، وبه قال قتادة وابن زيد<sup>(٣)</sup>. فإن قيل: لم اقتصر على ذكر المحصنات دون الرجال؟ فالجواب: [أن] من رمى مؤمنة فلا بد أن يرمي معها مؤمناً، فاستغني عن ذكر المؤمنين، ومثله: ﴿سَرَّيْلٌ يَنْصِبُكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أراد: والبرد، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «يشهد» بالياء؛ وهو إقرارها بما تكلموا به من الفرية. قال أبو سليمان الدمشقي: وهؤلاء غير الذين يُخْتَمُ على أفواههم. وقال ابن جرير: المعنى: أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْصِرُ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ وَيَنْهَهُمُ الْحَقَّ﴾ أي: حسابهم العدل، وقيل: جزاءهم الواجب. وقرأ مجاهد، وأبو الجوزاء، وحמיד بن قيس، والأعمش: «دينهم الحق» برفع القاف ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين، فإذا كانت القيامة علم حيث لا يفعه.

﴿الْقَبِيضَ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ وَلَئِيكَ مُرْتَبَاتٌ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣٦)

قوله تعالى: ﴿الْقَبِيضَ لِلْخَبِيثِينَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: الكلمات الخبيثات لا يتكلم بها إلا الخبيث من الرجال والنساء، والكلمات الطيبات لا يتكلم بها إلا الطيبون من الرجال والنساء. والثاني: الكلمات الخبيثات إنما تلصق بالخبيثين من الرجال والنساء، فأما الطيبات والطيبون، فلا يصلح أن يقال في حقهم إلا الطيبات. والثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال. والرابع: الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال، وكذلك الطيبات. ﴿وَأُولَئِكَ﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿مُرْتَبَاتٌ﴾ أي: منزّهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ من الفرية ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

﴿وَبِأَيِّ آلَاءِ اللَّهِ يَشْكُرُونَ لَا تَذْكُرُوا يَوْمًا غَيْرَ يُؤْتِيكُمْ حَقَّ تَسْتَأْذِنُوا وَلَسْلَمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ﴾ (٣٧) فَإِنْ

وَأَتَوْكُمْ أَنْ يُّؤْذَا أُولَى الْقُرْبَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تَحْجُرُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الصفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً.

(١) «الطبري» ١٠٣/١٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٥/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني.

(٢) «الطبري» ١٠٤/١٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٥/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها. اهـ. وقال ابن كثير: وهو الصحيح، ويعضد المصوم ما جاء في «المصحيحين» من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: وما هن؟ يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».



لَرَّجِدُوا فِيهَا أَعْمَاءً فَلَا تَدْخُلُونَهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ ذكر أهل التفسير أن سبب نزولها أن امرأة من الأنصار جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>؛ فقال أبو بكر بعد نزولها: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن، فنزل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ...﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. ومعنى قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوتاً ليست لكم. واختلف القراء في باء البيوت، فقرأ بعضهم بضمها، وبعضهم بكسرها. وقد بينا ذلك في [البقرة: ١٨٩].

قوله تعالى: ﴿حَتَّى قَسَتْ آيَاتُهُ﴾ قال الفراء: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: حتى تسلموا وتستأنسوا. قال الزجاج: «وتستأنسوا» في اللغة، بمعنى تستأذنوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان: الاستعلام، تقول: أذنته بكذا، أي: أعلمته، وأنست منه كذا، أي: علمت منه، ومثله: ﴿فَإِنْ مَأْسَمْتُمْ مِنْهُمْ مُشْتَكَاً﴾ [النساء: ٦] أي: علمتم. فمعنى الآية: حتى تستعلموا، يريد أهلها أن تدخلوا، أم لا؟ قال المفسرون: وصفة الاستعلام أن تقول: السلام عليكم، أأدخل؟ ولا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان، لهذه الآية، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أن الاستئذان خير فتأخذون به، قال عطاء: قلت لابن عباس: استأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد؟ قال: أيسرك أن ترى منهن عورة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن.

قوله تعالى: ﴿إِنْ لَرَّجِدُوا فِيهَا أَعْمَاءُ﴾ أي: إن وجدتموها خالية. ﴿فَلَا تَدْخُلُونَهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ أي: إن ردوكم فلا تقفوا على أبوابهم وتلازموا، ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ يعني: الرجوع خير لكم وأفضل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ قَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

### فصل

وهل هذه الآية منسوخة، أم لا؟ فيها قولان: أحدهما: أن حكمها عام في جميع البيوت، ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يُستأذنون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾، هذا مروى عن الحسن، وعكرمة. والثاني: أن الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان للدار أهل، والثانية وردت في بيوت لا ساكن لها، والإذن لا يتصور من غير إذن، فإذا بطل الاستئذان، لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى، وهذا أصح.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فيها خمسة أقوال: أحدها: أنها الخانات والبيوت المنيئة للسابلة ليأووا إليها، ويؤروا امتعتهم، قاله قتادة. والثاني: أنها البيوت الخربة، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول، قاله عطاء. والثالث: أنها بيوت مكة، قاله محمد بن الحنفية. والرابع: حوانيت التجار التي بالأسواق، قاله ابن زيد. والخامس: أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن، قاله ابن جريج. فيخرج في معنى «المتاع» ثلاثة أقوال: أحدها: الأمتعة التي تباع وتشترى. والثاني: إلقاء الأذى من الغائط والبول. والثالث: الانتفاع بالبيوت لانتقاء الحر والبرد.

(١) «الطبري» ١/٨٨، وأسباب النزول للواحدي ١٨٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٨/٥ وزاد نسبه للقرطبي.

(٢) ذكره الوحيد في «أسباب النزول» ١٦٨ بدون سند.

(٣) قال ابن كثير: هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمرهم أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، قال: وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له، وإلا انصرف، كما ثبت في «الصحیح» أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثاً فلم يؤذن له انصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن نيس يستأذن؟ ائذنا له، فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إني استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف».

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَحَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعَاتِ غَيْرِ أُولَى الْأَرْزَاقِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْنِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ﴾ في «من» قولان: أحدهما: أنها صلة. والثاني: أنها أصل، لأنهم لم يؤمروا بالغض مطلقاً، وإنما أمروا بالغض عما لا يحل. وفي قوله: ﴿وَحَفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: عما لا يحل لهم، قاله الجمهور. والثاني: عن أن ترى، فهو أمر لهم بالاستتار، قاله أبو العالية، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الغض وحفظ الفروج ﴿أَزْكَى لَكُمْ﴾ أي: خير وأفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في الأبصار والفروج (٣١). ثم أمر النساء بما أمر به الرجال.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي: لا يظهرونها لغير محرم. وزينتهن على ضربين. خفية كالسوارين والقرطين والدملج والقلائد ونحو ذلك، وظاهرة وهي المشار إليها بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وفيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الثياب، رواه أبو الأحوص عن ابن مسعود؛ وفي لفظ آخر قال: هو الرداء. والثاني: أنها الكف والخاتم والوجه. والثالث: الكحل والخاتم، رواهما سعيد بن جبير عن ابن عباس. والرابع: القلبان، وهما السواران والخاتم والكحل، قاله المسور بن مخرمة. والخامس: الكحل والخاتم والخضاب، قاله مجاهد. والسادس: الخاتم والسوار، قاله الحسن. والسابع: الوجه والكفان، قاله الضحاك. قال القاضي أبو يعلى: والقول الأول أشبه (٣٢)، وقد نص عليه أحمد، فقال: الزينة الظاهرة: الثياب، وكل شيء منها عورة حتى الظفر (٣٣)، ويفيد هذا تحريم النظر إلى شيء من الأجنبيات لغير عذر، فإن كان لعذر مثل أن يريد أن يتزوجها أو يشهد عليها، فإنه ينظر في الحالين إلى وجهها خاصة؛ فأما النظر إليها لغير عذر، فلا يجوز لا لشهوة ولا لغيرها، وسواء في ذلك الوجه والكفان وغيرهما من البدن. فإن قيل: فلم لا تبطل الصلاة بكشف وجهها؟! فالجواب: أن في تغطيته مشقة، فمفي عنه.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ وهي جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والمعنى: ولْيَلْبِسْنَ مَقَانِيَهُنَّ ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ ليسترن بذلك شعورهن وقرطين وأعناقهم. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وإبراهيم النخعي، والأعمش: «على جُيُوبِهِنَّ» بكسر الجيم، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخفية، وقد سبق بيانها ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: لا يَضَعْنَ الجلباب والخمار إلا لأزواجهن.

(١) قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يعضوا من أبصارهم عما حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا ما أباح لهم النظر إليه، وأن يعضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً، كما روى مسلم في «صحيحه» عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظر النجاة، فأمرني أن أصرف بصري. وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليس لك الآخرة». وفي «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيكم والجلوس على الطرقات» قالوا: يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقها» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «فرض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الوجه والكفان، يدخل في ذلك - إذا كان كذلك -: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب.

(٣) وقال غيره من الأئمة: الوجه والكفان ليسا بعورة، فيجوز للمرأة أن تظهرهما، وهذا مقيد بما إذا لم يكن على الوجه والكفين شيء من الزينة، أما ما يضعه النساء في زماننا من الأصباغ على وجوههن وأكفهن بقصد التجمل، ويظهرن به أمام الرجال في الطرقات، فلا شك في تحريمه عند جميع الأئمة. ثم الوجه والكفان وإن لم يكونا عورة عند بقية الأئمة، فليس معنى ذلك أنه يجب كشفهما عندهم، أو أنه سنة وسترهما بدعة، بل معناه أنه يجوز كشفهما، وذلك إذا امتن الفتنة. ثم إن سترهما مشروع وهو الأحسن والأكمل، وخاصة في مثل زماننا، فلنا لا نرى ذلك المجتمع المذهب الذي يصغي لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ وَحَفَظُوا فُرُوجَهُنَّ﴾ والكثير من الناس لا يدرك معنى قوله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عندما سأله عن نظر النجاة: «أصرف بصرك وقوله لم علي صلى الله عليه وسلم: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة» والاحتياط في مثل هذا الأمر أفضل، صوتاً للنساء، وحفظاً لعفافهن، وأن يستعففن خير لهن.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْبِهْنَ﴾ يعني: المُسلمات. قال أحمد: لا يَجِلُّ للمسلمة أن تكشف رأسها عند نساء أهل الذمة<sup>(١)</sup>، واليهودية والنصرانية لا تقبلان المسلمة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ﴾ قال أصحابنا: المراد به: الإمام دون العبيد. وقال أحاب الشافعي: يدخل فيه العبيد، فيجوز للمرأة عندهم أن تظهر لمملوكها ما تُظهر لمحارمها، لأن مذهب الشافعي أنه مُحَرَّم لها، وعندنا أنه ليس بمحرّم، ولا يجوز أن ينظر إلى غير وجهها وكفّهما، وقد نص أحمد على أنه لا يجوز أن ينظر إلى شعر مولاته. قال القاضي أبو يعلى: وإنما ذكر الإمام في الآية، لأنه قد يظن الظأن أنه لا يجوز أن تبدي زينتها للإماء، لأن الذين تقدّم ذُكرهم أحرار، فلما ذكر الإمام زال الإشكال.

قوله تعالى: ﴿أَوْ الشَّيْبِيعَ﴾ وهم الذين يتبعون القوم ويكونون معهم لإرفاقهم إياهم، أو لأنهم نَشَرُوا فيهم. وللمفسرين في هذا التابع ستة أقوال: أحدها: أنه الأحق الذي لا تشبهه المرأة ولا يغار عليه الرجل، قاله قتادة، وكذلك قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء. والثاني: أنه العنّين، قاله عكرمة. والثالث: المختن كان يتبع الرجل يخدمه بطعامه، ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. والرابع: أنه الشيخ الفاني. والخامس: أنه الخادم، قالهما ابن السائب. والسادس: أنه الذي لا يكثر بالنساء، إما لكبر أو لهرم أو لصغر، ذكره ابن المنادي من أصحابنا. قال الزجاج: «غَيْرِ» صفة للتابعين. وفيه دليل على أن قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ﴾ معناه: «غَيْرِ أُولَى الْإِرَةِ مِنْ الرِّجَالِ» والمعنى: ولا يبدن زينتهن لمماليكهن، ولا لثبّاعهن، إلا أن يكونوا غير أولي الإرية، والإرية: الحاجة، ومعناه: غير ذوي الحاجات إلى النساء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ الْطِفْلِ﴾ قال ابن قتية: يريد الأطفال، بدليل قوله: ﴿لَرَّ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ السَّاءِ﴾ أي: لم يعرفوها<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ يَافِئَهُنَّ﴾ أي: بإحدى الرجلين على الأخرى ليضرب الخلخال فيعلم أن عليها خلخالين<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن كثير: يعني تظهر بزينة أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن رجالهن، وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، لأنهن لا يمتنعن من ذلك مانع، فاما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتتجرع عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تباهر المرأة المرأة تمنعها لزوجهما كأنه ينظر إليها» أخرجاه في «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود ؓ.

(٢) وفي الصحيح من حديث الزهري عن عائشة ؓ أنها أن مختناً كان يدخل على أهل رسول الله، وكانوا يملكون من غير أولي الإرية، فدخل النبي ﷺ وهو يمت امرأة، يقول: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول الله ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما هاتنا لا يدخلن عليكم» فأخرجه، فكان بالبداء يدخل كل يوم جمعة ليستطعم. وروى الإمام أحمد في «المسند» عن أم سلمة أنها قالت: دخل عليها رسول الله ﷺ وعندها مختن، وعندها عبد الله بن أبي أمية - يعني أخاه - والمختن يقول: يا عبد الله إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بانية خيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، قال: فسمعه رسول الله ﷺ، فقال لأم سلمة: «لا يدخلن هذا عليك» وهو في «الصحيحين» من حديث هشام بن عروة. ورواه أحمد بنحوه عن عائشة ؓ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أرى هذا يعلم ما هاتنا، لا يدخلن عليكم هذا فنجبره، ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي عن أم سلمة ؓ».

(٣) قال ابن كثير: يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهم الرخيم، وتعتفن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيراً لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله، فاما إذا كان مرافقاً أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدبره، ويفرق بين الشوهاة والحسنة، فلا يمكن من الدخول على النساء، وقد ثبت في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياكم والدخول على النساء» قيل: يا رسول الله، أفرأيت الحمى؟ قال: «الحمى الموت».

(٤) قال ابن كثير: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها، ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه، فنهى الله المومنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة تظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعْنَ يَافِئَهُنَّ﴾ إلى آخره، ومن ذلك أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها، قال: وقد روى الترمذي عن أبي موسى الأشعري ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «كل حين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا» يعني زانية، قال: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود، والنسائي من حديث ثابت بن عمار به. وقال: ومن ذلك أيضاً أنهم يمتنعن عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج. اهـ. وقال ابن كثير في تمة الآية: وقوله: ﴿وَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ حَيْسًا إِنَّهُ الْقَوُّمُ تَلَكَّرَ فَلَمَحُوا﴾ أي: افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة، والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الذميمة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه، والله تعالى هو المستعان. اهـ.

- (١) قال ابن كثير: اشتملت هذه الآيات الكريمات النبوية، على جمل من الأحكام المحكمة، والأوامر العظيمة، فقله تعالى: ﴿لَا تَزَوَّجُوا الْيَتَامَىٰ مِنكُم﴾ إلى آخره، هذا أمر التزويج، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أحسن للبصر وأحصن للفرج»، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أخرجه في «الصحاحين» من حديث ابن مسعود. وقد جاء في «السنن» من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا الولود، تناسلوا فإني مياؤم بكم الأم يوم القيامة». اهـ.
- (٢) روى الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه بسند حسن من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأذى، والغاصم الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله».
- وروى ابن جرير الطبري عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ يَزَوِّجْ فَعَرَفْتُمُوهُمْ﴾. وقال الطبري في تمام الآية: ﴿وَأَنْتُمْ كَيْفَ تَعْلَمُونَهُمْ﴾ يقول جل شأده: والله واسع الفضل، جواد بعبادها، فزوجوا إماءكم، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله إن كانوا فقراء، عليم، يقول: هو ذو علم بالفقير منهم والغني، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتديرهم. اهـ.
- (٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود ؓ بلفظ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أحسن للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».
- (٤) الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٤٥/٥ من رواية ابن السكن في «معركة الصحابة».



فقال: اذهب يا أبا أمية فاستعن به في مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو أخَّرْتَهُ حتى يكون في آخر النجوم، فقال: يا أبا أمية: إني أخاف أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْكَلِمَاتِ﴾<sup>(١)</sup>، قال عكرمة: وكان ذلك أول نجم أضيء في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِفْكَ﴾ روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سفيان عن جابر، قال: كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وكان له جارتان، مُعَاذَةُ ومُسَيِّكَةُ، فكان يكرههما على الزنا، ويأخذ منهما الضريبة، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤاجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت مُعَاذَةُ لمسيكة: إن هذا الأمر الذي نحن فيه إن كان خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن ندعه، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وزعم مقاتل أنها نزلت في ست جوارٍ كُنَّ لعبد الله بن أبي، مُعَاذَةُ، ومُسَيِّكَةُ، وأميمة، وقُتَيْلَةُ، وعمرة، وأروى. فأما الفتيات، فهن الإماء. والبغاء: الزنا. والتحصن: التعفف. واختلفوا في معنى ﴿إِنْ أَرَدَنَ نَحْصًا﴾ على أربعة أقوال: أحدها: أن الكلام ورد على سبب، وهو الذي ذكرناه، فخرج النهي عن صفة السبب، وإن لم يكن شرطاً فيه. والثاني: إنه إنما شرط إرادة التحصن، لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، فأما إذا لم ترد المرأة التحصن، فإنها تبغي بالطبع. والثالث: أن «إِنْ» بمعنى «إِذَا»، ومثله: ﴿وَذَرُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُقْضِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ﴿وَأَنْتُمْ أَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. والرابع: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَيَّامَكُمْ﴾ ﴿إِنْ أَرَدَنَ نَحْصًا﴾ ولا تُكْرِهُوا فتياتكم على البغاء ﴿لَتَنْتَفِرُوا عَرْضَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾ وهو كسبهن وبيع أولادهن ﴿وَمَنْ يَكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ إِكْرَاهَهُنَّ عَفْوٌ﴾ للمكْرَهَاتِ ﴿زَيْدٌ﴾ وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني، وجعفر بن محمد: «من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قوله تعالى: ﴿أَيَّامٍ مُبَيَّنَّاتٍ﴾ قرأ ابن عامر، وأهل الكوفة غير أبي بكر، وأبان: «مبيِّنات» بكسر الياء في الموضعين في هذه السورة [النور: ٤٣، ٤٦]، وآخر سورة [الطلاق: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ أي: شياً من حالهم بحالكم أيها المكذَّبون، وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق المكذِّبين قبلهم.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيه قولان: أحدهما: هادي أهل السموات والأرض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أنس بن مالك، وبيان هذا أن النور في اللغة: الضياء، وهو الذي تصل به الأبصار إلى مُبْصِرَاتِهَا، فورد النور مضافاً إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يهدي المؤمنين ويبين لهم ما يهتدون به، والخلائق بنوره يهتدون<sup>(٥)</sup>. والثاني: مدبِّر السموات والأرض، قاله مجاهد، والزجاج. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وابن السميع: «اللَّهُ نُورٌ» بفتح النون والواو وتشديدها ونصب الراء «السموات» بالخفض «والأرض» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله ﷻ، قال ابن عباس: مَثَلُ هَذَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ. والثاني: أنها ترجع إلى المؤمن، فتقديره: مَثَلُ نُورِ الْمُؤْمِنِ، قاله أبي بن كعب. وكان أبي وابن

(١) فوه السيوطي في «الدر» ٤٦/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٧، والسيوطي في «الدر» ٤٦/٥، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مرفوعة، من طريق أبي سفيان، عن جابر ﷺ.

(٣) هكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٧ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٤٦/٥ ونسبه لسعيد بن منصور، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير عن عكرمة.

(٤) وفي «الصحيحين» عن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن... الحديث».

مسعود يقرآن: «مثل نور من آمن به». والثالث: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، قاله كعب. والرابع: أنها ترجع إلى القرآن، قاله سفيان. فأما المشكاة، ففيها ثلاثة أقوال: أحدها أنها في موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأنبوب، والمصباح: الضوء، قاله ابن عباس. والثاني: أنها القنديل، والمصباح: الفتيلة، قاله مجاهد. والثالث: أنها الكوة التي لا منفذ لها، والمصباح: السراج، قاله كعب، وكذلك قال الفراء: المشكاة: الكوة التي ليست بنافذة. وقال ابن قتيبة: المشكاة: الكوة بلسان الحبشة. وقال الزجاج: هي من كلام العرب<sup>(١)</sup>، والمصباح: السراج. وإنما ذكر الزُّجاجة، لأن النُّور في الزُّجاجة أشد ضوءاً منه في غيره. وقرأ أبو رجاء العطاردي، وابن أبي عبلة: «في زُّجاجة الزُّجاجة» بفتح الزاي فيهما. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: بكسر الزاي فيهما. قال بعض أهل المعاني: معنى الآية: كمثل مصباح في مشكاة، فهو من المقلوب. فأما الدُّرِّيُّ، فقرأ أبو عمرو، والكسائي، وأبان عن عاصم «دُرِّيٌّ» بكسر الدال وتخفيف الياء ممدوداً مهموزاً. قال ابن قتيبة: المعنى على هذا: إنه من الكواكب الدُّراريء، وهي اللاتي يَدْران عليك، أي: يطلعن. وقال الزجاج: هو مأخوذ من درأ يدرأ: إذا اندفع منقضاً فتضاعف نوره، يقال: تدارأ الرجلان: إذا تدافعا. وروى المفضل عن عاصم كسر الدال وتشديد الياء من غير همز ولا مد، وهي قراءة عبد الله بن عمر، والزهرري. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «دُرِّيٌّ» بضم الدال وكسر الراء وتشديد الياء من غير مد ولا همز، وقرأ عثمان بن عفان، وابن عباس، وعاصم، الجحدري: «دُرِّيٌّ» بفتح الدال وكسر الراء ممدوداً مهموزاً. وقرأ أبي كعب، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مدً ولا همز. وقرأ ابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، وابن يعمر: بفتح الدال وكسر الراء مهموزاً مقصوراً. قال الزجاج: الدُّرِّيُّ: منسوب إلى أنه كالدر في صفاته وحسنه. وقال الكسائي: الدُّرِّيُّ: الذي يشبه الدر، والدُّرِّيُّ: جارٍ، والدُّرِّيُّ: يلتصق، وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم، والوليد بن عتبة عن ابن عامر: بضم الدال وتخفيف الياء مع إثبات الهمزة والمد، قال الزجاج: فالنحويون أجمعون لا يعرفون الوجه في هذا؛ وقال الفراء: ليس هذا بجائز في العربية، لأنه ليس في الكلام «فُعِيل» إلا أعجمي، مثل مُرَيْق، وما أشبهه. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: المُرَيْق: العُصْفَر، أعجمي معرَّب، وليس في كلامهم اسم على زنة فُعِيل. قال أبو علي: وقد حكى سيبويه عن أبي الخطاب: كوكب دُرِّيٌّ: من الصفات، ومن الأسماء: المُرَيْق: العُصْفَر.

قوله تعالى: «تَوَقَّدَ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بالتاء المفتوحة وتشديد القاف ونصب الدال، يريدان المصباح، لأنه هو الذي يوقد. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يُوقَدُ» بالياء مضمومة مع ضم الدال، يريدون المصباح أيضاً. وقرأ حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «تَوَقَّدَ» بضم التاء والدال، يريدون الزجاجة، قال الزجاج: والمقصود: مصباح الزجاجة، فحذف المضاف.

قوله تعالى: «مِنْ شَجَرَةٍ» أي: من زيت شجرة، فحذف المضاف، يدلُّك على ذلك قوله: «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَوِّي»؛ والمراد بالشجرة هاهنا: شجرة الزيتون، ويَرْكُثُها من وجوه، فإنها تجمع الأُذْمَ والدُّهْنَ والوقود، فيوقد بحطب الزيتون، ويُغَسَّلُ برماده الإبريسم، ويُستخرج دهنه أسهل استخراج، ويورق غصنه من أوله إلى آخره. وإنما حُصِّتْ بالذكر هاهنا دون غيرها، لأن دهنها أصفى وأضوأ.

قوله تعالى: «لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بين الشجر، فهي خضراء ناعمة لا تصيبها

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربة الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أثار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه، في قلوب المؤمنين، مثل إشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة، لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالقوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: «يَا مَسْبُحٌ» وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: «أَلَيْسَ فِي كِتَابِكَ» يعني أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاجة، وذلك مثل القرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أثار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها، بالكوكب الدري، فقال «أَلَيْسَ فِي كِتَابِكَ» وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه «كَانَ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ». اهـ.

الشمس، قاله أبي بن كعب، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنها في الصحراء لا يُظَلُّها جبل ولا كهف، ولا يواربها شيء، فهو أجود لزيتها، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والزجاج. والثالث: أنها من شجر الجنة، لا من شجر الدنيا، قاله الحسن<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ أي: يكاد من صفائه يُضيء قبل أن تصببه النار بأن يوقد به. ﴿ثُمَّ عَلَى نُورٍ﴾ قال مجاهد: النار على الزيت. وقال ابن السائب: المصباح نور، والزجاجة نور. وقال أبو سليمان الدمشقي: نور النار، ونور الزيت، ونور الزجاجة<sup>(٢)</sup>، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لنور القرآن. والثاني: لنور الإيمان. والثالث: لنور محمد ﷺ. والرابع: لدينه الإسلام<sup>(٣)</sup>.

### فصل

فأما وجه هذا المَثَل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه شبه نور محمد ﷺ بالمصباح النير؛ فالمشكاة جوف رسول الله ﷺ، والمصباح النور الذي في قلبه، والزجاجة قلبه، فهو من شجرة مباركة، وهو إبراهيم ﷺ، سماه شجرة مباركة، لأن أكثر الأنبياء من صلُّه ﴿لَا شَرْقِيَّ وَلَا غَرْبِيَّ﴾ لا يهودي ولا نصراني، يكاد محمد ﷺ يبيِّن للناس أنه نبي ولو لم يتكلَّم. وقال القرطبي: المشكاة: إبراهيم، والزجاجة: إسماعيل، والمصباح: محمد، صلى الله عليه وعليهم وسلم. وقال الضحاك: شبه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزجاجة، ومحمداً ﷺ بالمصباح<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه شبه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح، فالمشكاة: قلبه، والمصباح: نور الإيمان فيه. وقيل: المشكاة: صدره، والمصباح: القرآن والإيمان اللذان في صدره، والزجاجة: قلبه، فكانه مما فيه من القرآن والإيمان كوكب مضيء تَوَقَّد من شجرة، وهي الإخلاص، فمثل الإخلاص عنده كشجرة لا تصببها الشمس، فكذلك هذا المؤمن قد احترس من أن تصببه الفتنة، فإن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، فقلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدئاً على هدئٍ كما يكاد هذا الزيت يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مته اشتد نوره، فالمؤمن كلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة. والثالث: أنه شبه القرآن بالمصباح يُستضاء به ولا ينقص، والزجاجة: قلب المؤمن، والمشكاة: لسانه وفمه، والشجرة المباركة: شجرة الوحي، تكاد حُجج القرآن تتضح وإن لم تُقرأ. وقيل: تكاد حُجج الله تضيء لمن فكَّر فيها وتدبَّرها ولو لم ينزل القرآن، ﴿ثُمَّ عَلَى نُورٍ﴾ أي: القرآن نور من الله لخلقه مع ما قد قام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: ويبيِّن الله الأشباه للناس تقريباً إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك قول من قال: إنها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية، وإنما قلنا: ذلك أولى بمعنى الكلام، لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجرة شرقياً غريباً، كان زيت لا شك أجود وأصفى وأضوأ. اهـ. وقال ابن كثير بعد أن سرد عدة أقوال: وأولى هذه الأقوال أنها في مستوى من الأرض في مكان فسيح باو ظاهر ضاح للشمس تفرقه من أول النهار إلى آخره، ليكون ذلك أصفى لزيتها والطف، كما قال غير واحد، قال: ولهذا قال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَنَزَّلْهُ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لفضوه إشراق الزيت. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: نور النار ونور الزيت حين اجتماعهما أضاء، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعهما فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن من يشاء من عباده. اهـ. فعلى هذا الضمير يعود على القرآن، وهو الصواب.

(٤) هذا تأويل، وليس تفسيراً لظاهر الآيات. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: ويمثل الله الأمثال والأشياء للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة ومما في هذه الآية من الأمثال، ﴿وَاللَّهُ يَكْفِي عَنْهُ غُلُوبَكُمْ﴾ يقول: والله يضرب الأمثال وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لما ذكر تعالى هذا مثلاً لنور هداه في قلب المؤمن، ختم الآية بقوله: ﴿وَنَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال. اهـ.

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذُنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ (١) يَسَّالُ لَا تَلْهِيهِمْ يَحْدُو وَلَا يَسْبَحُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَأَنَّ السَّلَاةَ وَالِائِكَ الْأَكْثَرُ يَخَافُونَ تَوَكُّلاً فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٢) يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣)

قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ قال الزجاج: «في» من صلة قوله: «كمشكاة»، فالمعنى: كمشكاة في بيوت؛ ويجوز أن تكون متصلة بقوله: «يسبح له فيها» فتكون فيها تكريراً على التوكيد؛ والمعنى: يسبح لله رجال في بيوت. فإن قيل: المشكاة إنما تكون في بيت واحد، فكيف قال: «في بيوت»؟ فغنه جواباً: أحدهما: أنه من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختتم بالجمع، كقوله: ﴿ يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا مَلَكَتُ الرَّسَّاتُ ﴾ [الطلاق: ٢١]. والثاني: أنه راجع إلى كل واحد من البيوت، فالمعنى: في كل بيت مشكاة. وللمفسرين في المراد بالبيوت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: بيوت أزواج رسول الله ﷺ (١)، قاله مجاهد. والثالث: بيت المقدس، قاله الحسن (٢). فأما ﴿ أُذُنَ ﴾ فمعناه: أمر. وفي معنى ﴿ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ قولان: أحدهما: أن تعظم، قاله الحسن، والضحاك. والثاني: أن تثني، قاله مجاهد، وقناة. وفي قوله: ﴿ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ ﴾ قولان: أحدهما: توحيده؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يثني فيها كتابه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ يَسْبَحُ ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «يُسَبِّحُ» بكسر الباء؛ وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بفتحها. وقرأ معاذ القارئ، وأبو حيو: «يُسَبِّحُ» بقاء مرفوعة وكسر الباء ورفع الحاء. وفي قوله: ﴿ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا ﴾ قولان: أحدهما: أنه الصلاة. ثم في صلاة العُدُوِّ قولان: أحدهما: أنها صلاة الفجر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: صلاة الضحى، روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلا غواص، ثم قرأ ﴿ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾. وفي صلاة الأصال قولان: أحدهما: أنها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. والثاني: صلاة العصر، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنه التسبيح المعروف، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿ يَسَّالُ لَا تَلْهِيهِمْ ﴾ أي: لا تشغلهم ﴿ يَحْدُو وَلَا يَسْبَحُ ﴾ (٣) قال ابن السائب: الثُّجَّار: الجلابون، والباعة: المقيمون. وقال الواقدي: التجارة هاهنا بمعنى الشراء. وفي المراد يذكر الله ثلاثة أقوال: أحدها: الصلاة المكتوبة، قاله ابن عباس، وعطاء. وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال ابن عمر: فيهم نزلت ﴿ يَسَّالُ لَا تَلْهِيهِمْ يَحْدُو وَلَا يَسْبَحُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ والثاني: عن القيام بحق الله، قاله قناة. والثالث: عن ذكر الله باللسان، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿ وَكَأَنَّ السَّلَاةَ ﴾ أي: أداؤها لوقتها وإتمامها. فإن قيل: إذا كان المراد يذكر الله الصلاة، فما معنى إعادتها؟ فالجواب: أنه يبين أنهم يقيمونها بأدائها في وقتها.

قوله تعالى: ﴿ تَتَلَبَّ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والنشور، ازداد بصيرة برؤية ما وعده به؛ ومن كان قلبه على غير ذلك، رأى ما يوقن معه بأمر القيامة، قاله الزجاج.

(١) وهذا أيضاً تأويل، فإن المقصود من البيوت هنا: المساجد.

(٢) والقول الأول هو الصواب. قال ابن كثير: لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب، وذلك كالتفصيل، مثلاً، ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله تعالى من الأرض، وهي بيوت التي يُعبد فيها وتُوحَّد، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذُنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ أي: أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها. اهـ. وقد ورد في فضل بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وأحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً يشتهي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة» وروى ابن ماجه في (مسند) بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من بنى مسجداً كمنهض قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة»، والأحاديث في ذلك كثيرة.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملأ يبعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باقي، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَا تَلْهِيهِمْ يَحْدُو وَلَا يَسْبَحُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَأَنَّ السَّلَاةَ وَكَأَنَّ الْأَكْثَرُ ﴾ أي: يقدمون طاعته ورامده ومحبه على مرادهم ومحبته. اهـ.



والثاني: أن القلوب تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تتقلب، تنظر من أين يؤتون كتبهم، أين قبل اليمين، أم من قبل الشمال؟ وأي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين، أم ذات الشمال؟ قاله ابن جرير. والثالث: تتقلب القلوب فتبلغ إلى الحناجر، وتتقلب الأبصار إلى الزرق بعد الكحل والعمى بغد النظر.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهم﴾ المعنى: يسبحون الله ليجزيهم ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: ليجزيهم بحسناتهم. فأما مساوئهم فلا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدهم مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم ﴿وَاللَّهُ يَزِدُّ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قد شرحناه في الآل عمران: [٢٧].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أََعْمَلهم كَرَامٍ يَفْتَعُو بِحَسَبِهِ الظَّالِمَانِ مَاءً حَمَاقًا إِذَا جَاءَهُم مَّاءٌ يَمُدُّهُ شَيْئًا وَجَدَ اللَّهُ عِندَهُ فَوَقَّعَهُ جِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أَر كَلَّمْت في بحر لُجِّي يَفْتَعُهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ. سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضًا فَوْق بَعْضٍ إِذَا أُنْفَجَ يَكْدُمُ لَر يَكْدُمُ يَرَاهَا وَنَ لَر يَحْمِلُ اللَّهُ لَهُ قُرًا فَمَا لَهُ مِن قُورٍ ﴿١٥﴾

ثم ضرب الله مثلاً للكفار فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أََعْمَلهم كَرَامٍ﴾ قال ابن قتيبة: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيته في أول النهار وآخره، وهو يرفع كل شيء، والقيعة والقاع واحد. وقرأ أبي بن كعب، وعاصم الجحدري، وابن السميع: «بقيعات». وقال الزجاج: القيعة جمع قاع، مثل جار وجيرة، والقيعة والقاع: ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب، والآل مثل السراب، إلا أنه يرتفع وقت الضحى - كالماء - بين السماء والأرض يحسبه الظمان - وهو الشديد العطش - ماء، حتى إذا جاء إلى موضع السراب رأى أرضاً لا ماء فيها، فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله - كظن الذي يظن السراب ماء - وعمله قد حبط.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ اللَّهُ عِندَهُ﴾ أي: قديم على الله ﴿فَوَقَّعَهُ جِسَابَهُ﴾ أي: جازاه بعمله؛ وهذا في الظاهر خبر عن الظمان، والمراد به الخبر عن الكافر.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مفسر في [البقرة: ٢٠٢].

قوله تعالى: ﴿أَر كَلَّمْت﴾ في هذا المثل قولان: أحدهما: أنه لعمل الكافر، قاله الجمهور، واختاره الزجاج. والثاني: أنه مثل لقلب الكافر في أنه لا يتفعل ولا يتصرف، قاله الفراء. فأما اللُّجِّي، فهو العظيم اللُّجَّة، وهو العميق ﴿يَفْتَعُهُ﴾ أي: يعلو ذلك البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي: من فوق الموج موج، والمعنى: يتبع الموج موج، حتى كان بعضه فوق بعض، ﴿مِّن فَوْقِهِ﴾ أي: من فوق ذلك الموج ﴿سَحَابٌ﴾. ثم ابتداء فقال: ﴿ظَلَمْتُ﴾ يعني: ظلمة البحر، وظلمة الموج [الأول، وظلمة الموج] الذي فوق الموج، وظلمة السحاب. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: «سحاب ظلمات» مضافاً ﴿إِذَا أُنْفَجَ يَكْدُمُ﴾ يعني: إذا أخرجها مخرج، ﴿لَر يَكْدُمُ يَرَاهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يرها، الحسن، واختاره الزجاج. قال: لأن في دون هذه الظلمات لا يرى الكف؛ وكذلك قال ابن الأنباري: معناه: لم يرها البتة، لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمات على أن الرؤية معدومة، فبان بهذا الكلام أن «يَكْدُمُ» زائدة للتوكيد، بمنزلة «ما» في قوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَكِيبٌ﴾ [المؤمنون: ٤٠]. والثاني: أنه لم يرها إلا بعد الجهد، قاله المبرد. قال الفراء: وهذا كما تقول: ما كدت أبلغ إليك، وقد بلغت، قال الفراء: وهذا وجه العربية.

### فصل

فأما وجه المثل، فقال المفسرون: لما ضرب الله للمؤمن مثلاً بالتور، ضرب<sup>(١)</sup> للكافر هذا المثل بالظلمات؛ والمعنى: أن الكافر في حيرة لا يهتدي لرشد. وقيل: الظلمات: ظلمة الشرك وظلمة المعاصي. وقال بعضهم: ضرب الظلمات مثلاً لعمله، والبحر اللُّجِّي لقلبه، والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة، والسحاب للرئين والختم على قلبه، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة.

(١) في الأصل: وضرب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ فيه قولان. أحدهما: ديناً وإيماناً، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: هداية، قاله الزجاج.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ صَفَاتٌ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَلِلَّهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلِلَّهِ الْكَسْبُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد تقدم تفسيره [البقرة: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ أي: وتسبح له الطير ﴿صَفَاتٌ﴾ أي: باسطات أجنحتها في الهواء. وإنما خص الطير بالذكر، لأنها تكون بين السماء والأرض إذا طارت، فهي خارجة عن جملة مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ﴾ أي: من الجملة التي ذكرها ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ قال المفسرون: الصلاة، لبني آدم، والتسبيح، لغيرهم من المخلوق. وفي المشار إليه بقوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ قولان. أحدهما: أنه الله تعالى، والمعنى: قد علم الله صلاة المصلي وتسبيحه، قاله الزجاج. والثاني: أنه المصلي والمُسَبِّح. ثم فيه قولان: أحدهما: قد علم المصلي والصلاة، وتسبيحه، أي: قد عرف ما كلف من ذلك. والثاني: قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه، أي: علم أن ذلك لله تعالى وحده. وقرأ قتادة، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ برفع العين وكسر اللام «صلاته وتسبيحه» بالرفع فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَابِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَقٍ فَیُغِیْبُ يَدَهُ مِنْ بَشَاءٍ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ لِيُكَادَ يَرْفُوهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤١﴾ يَلْبَسُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا﴾ أي: يسوقه ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة. والسحاب لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجمع، فلهذا قال: ﴿يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ رُكَّامًا﴾ أي: يجعل بعض السحاب فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدَّكَ﴾ وهو المطر. قال الليث: الودق: المطر كله شديدته وهيته.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِلَابِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك: «من خِلَابِهِ». والخِلَال: جمع خَلَل، مثل: جبال وجبل. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ مفعول الإنزال محذوف، تقديره: وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ بَرْدًا، فاستغنى عن ذكر المفعول للدلالة عليه. «وَمِنْ» الأولى، لابتداء الغاية، لأن ابتداء الإنزال من السماء، والثانية: للتبويض، لأن الذي ينزله الله بعض تلك الجبال، والثالثة، لتبيين الجنس، لأن جنس تلك [الجبال] جنس البرد؛ قال المفسرون: وهي جبال في السماء مخلوقة من برد. وقال الزجاج: معنى الكلام: وينزل من السماء من جبال برد فيها، كما تقول: هذا خاتم في يدي من حديد، المعنى: هذا خاتم حديد في يدي.

قوله تعالى: ﴿فَيُغِیْبُ يَدَهُ﴾ أي: بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فيضربه في زرع وثمره. والسنا: الضوء، ﴿يَذْهَبُ﴾ وقرأ مجاهد، وأبو جعفر: «يُذْهِبُ» بضم الياء وكسر الهاء. ﴿يَلْبَسُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارُ﴾ أي: يأتي بهذا، ويذهب بهذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقلب ﴿لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي: دلالة لأهل البصائر والمقول على وحدانية الله وقدرته.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «والله خالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» وفي الماء قولان: أحدهما: أن الماء أصل كُلِّ دَابَّةٍ. والثاني: أنه النطفة، والمراد به: جميع الحيوان المشاهد في الدنيا. وإنما قال: «فمنهم» تغليبا لما يعقل. وإنما لم يذكر الذي يمشي على أكثر من أربع، لأنه في رأي العين كالذي يمشي على أربع، وقيل: لأنه يعتمد في المشي على أربع. وإنما سُمِّيَ السائر على بطنه ماشياً، لأن كُلَّ سائر مستمرٌّ يقال له: ماشٍ وإن لم يكن حيواناً، حتى إنه يقال: قد مشى هذا الأمر، هذا قول الزجاج. وقال أبو عبيدة: إنما هذا على سبيل التشبيه بالماشي، لأن المشي لا يكون على البطن، إنما يكون لمن له قوائم، فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له، جاز ذلك، كما يقولون: أكلت خبزاً ولبناً، ولا يقال: أكلت لبناً.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا عَائِثَةَ بِنْتِ نَجْدٍ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَلَا تَدْعُ إِلَىٰ شِرْكٍ ۚ إِنَّكَ إِذًا مِّنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ أَوْ أَصَابًا مِّنَ الْمَوَاقِيتِ أَوْ سَحَابًا مِّنَ الْغَمَامِ قَالُوا هَذَا سُحُبُ الْمَوَدَّةِ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْمُنذِرُ ۚ وَإِن يَدْعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيَحْكُرَنَّ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ وَإِن يَدْعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيَحْكُرَنَّ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ وَإِن يَدْعُوا إِلَىٰ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيَحْكُرَنَّ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ قال المفسرون: نزلت في رجل من المنافقين يقال له: بشر كان بينه وبين يهودي حكومة، فدعا اليهودي المنافق إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، فقال المنافق لليهودي: إن محمداً يحيف علينا، ولكن بيني وبينك كعب بن الأشرف، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: من بعد قولهم: آمنا ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ يعني: المُنْغَرَضِينَ عن حكم الله ورسوله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَا دُعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَرَسُولِهِ﴾ ليحكم بينهم ﴿إِنَّا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّثْرُونَ﴾ ومعنى الكلام: أنهم كانوا يُغرضون عن حكم الرسول عليهم. لعلهم أنه يحكم بالحق؛ وإن كان الحق لهم على غيرهم، أسرعوا إلى حكمه مذعنين، لثقتهم أنه يحكم بالحق. قال الزجاج: والإذعان في اللغة: الإسراع مع الطاعة، تقول: قد أذعن لي، أي: قد طاعوني لما كنت أتمسه منه.

قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيَحْكُرَنَّ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفر ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: شكوا في القرآن؟ وهذا استفهام ذم وتوبيخ، والمعنى: إنهم كذلك، وإنما ذكره بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ في ذمهم، كما قال جرير في المدح:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا [وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ يُطَوِّن رَاحًا]<sup>(٢)</sup>

أي: أنتم كذلك. فاما الحيف، فهو: الميل في الحكم؛ يقال: حاف في قضيته، أي: جار، ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: لا يظلم الله ورسوله أحداً، بل هم الظالمون لأنفسهم بالكفر، والإعراض عن حكم الرسول. ثم نعت المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّا فِرْقٌ مِّنْهُمْ مُّثْرُونَ﴾ قال الفراء: ليس هذا بخبر ماضٍ، وإنما المعنى: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا أن يقولوا سمعنا. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: «إنما كان قول المؤمنين» بضم اللام. وقرأ أبو جعفر، وعاصم الجحدري، وابن أبي الليلى: «ليحكم بينهم» برفع الياء وفتح الكاف. وقال المفسرون والمعنى: سمعنا قول رسول الله ﷺ وأطعنا أمره، وإن كان ذلك فيما يكرهونه.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْشُرُ اللَّهُ﴾ أي: فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَنْتَقِ﴾ فيما بعد أن يعصيه. وقر ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وورش عن نافع: «ويَنْتَقِ» موصولة بياء. وروى قالون عن نافع: «ويَنْتَقِ فأولئك» بكسر الهاء لا يبلغ بها الياء. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «ويَنْتَقِ» جزماً.

﴿وَأَسْمُوا لِلَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَنْزِلَ عَلَيْهِمْ لِقَاءٌ مِّنْ رَبِّهِمْ لِيَخْرِجَهُمْ قُلُوبُهُمْ مِّنَ غَمٍّ مِّنْهُمْ مَّعْرُوفَةً﴾ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْبَلِيغُ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا لِلَّهِ﴾ قال المفسرون: لما نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراحتهم لحكم الله، قالوا للنبي ﷺ: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى حكمك؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وقد بيَّنا معنى ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، ﴿لِيَنْزِلَ عَلَيْهِمْ لِقَاءٌ مِّنْ رَبِّهِمْ لِيَخْرِجَهُمْ قُلُوبُهُمْ مِّنَ غَمٍّ مِّنْهُمْ مَّعْرُوفَةً﴾ هذا ثمام الكلام؛ ثم قال: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ قال الزجاج: المعنى: أمثل من قَسَمِكُم الذي لا تصدقون فيه طاعةً معروفة. قال ابن قتيبة: وبعض النحويين يقول: الضمير فيها: لتكون منكم طاعة معروفة، أي: صحيحة لا نفاق فيها.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٨ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ والتي بعد ما بدون سند.

(٢) «ديوانه» ٩٨، و«مجاز القرآن» ١١٨/٢، و«القرطبي» ٢٩٤/١٢.

(٣) ذكره بنحوه مختصراً السيوطي في «الدر» ٥٤/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس ؓ.



قوله تعالى: ﴿كَانَ تَوَكُّلاً﴾ هذا خطاب لهم، والمعنى: فإن تتولوا، فحذف إحدى التاءين. ومعنى التولي: الإعراض عن طاعة الله ورسوله، ﴿فَلَمَّا طَوَّيَ﴾ يعني: الرسول ﴿مَا جُلَّ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا جُمِلْتُ﴾ من الطاعة؛ وذكر بعض المفسرين أن هذا منسوخ بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ﴾ يعني: رسول الله ﷺ ﴿تَهْتَدُوا﴾، وكان بعض السلف يقول: من أتمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أتمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة، لقوله: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا عَمَلَهُمُ الَّذِينَ اسْتَفْظَنُوا فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وَأَمَّا الْكُفْرُ وَأَمَّا الْأَكْذَابُ وَالْأَمْرُ بِالْإِسْلَامِ لَكُمْ تَرْجُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا يَنْكُرُوا﴾ روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار، رمنهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمته، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبني أمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ﷻ؟! فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. قال أبو العالية: لما أظهر الله ﷻ رسوله على جزيرة العرب، وضعوا السلاح وأمنوا، ثم قبض الله نبيه، فكانوا أمنين كذلك في إماره أبي بكر، وعمر، وعثمان، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة، فأدخل الله ﷻ عليهم الخوف، فغيروا، فغيّر الله تعالى ما بهم<sup>(٢)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن هذا الوعد وعده الله أمّة محمد في التوراة والإنجيل. وزعم مقاتل أن كفار مكة لما صدّوا رسول الله ﷻ والمسلمين عن العمرة عام الحديبية، قال المسلمون: لو أن الله تعالى فتح علينا مكة، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أي: لينجعلهم يخلفون من قبلهم، والمعنى: ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها. وعلى قول مقاتل: المراد بالأرض مكة.

قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وقرأ أبو بكر عن عاصم: «كما استخلف» بضم التاء وكسر اللام؛ يعني: بني إسرائيل، وذلك أنه لما هلكت الجبابرة بمصر، أورثهم الله أرضهم وديارهم وأمواهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ وهو الإسلام، وتمكينه: إظهاره على كل دين، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو بكر، وأبان، ويعقوب: «وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ» بسكون الباء وتخفيف الدال ﴿بِمَا يَرْضَى لَهُمْ﴾ لأنهم كانوا مظلومين مقهورين<sup>(٣)</sup>، ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ هذا استئناف كلام في الثناء عليهم، ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بهذه النعم، أي: من جحد حقها. قال المفسرون: وأول من كفر بهذه النعم قتلة عثمان.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» ٤٠١/١ قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في «الدرر» ٥٥/٥، وزاد نسبة لابن المنذر، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، والضياء في «المختارة» عن أبي بن كعب.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٨، وذكره السيوطي في «الدرر» ٥٥/٥ عن عبد بن حديد، وابن أبي حاتم.

(٣) قال ابن كثير: هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس، والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً فيهم، وقد فعله تبارك وتعالى، وله الحمد والمنة، فإنه ﷻ لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وغيره من جزيرتي العرب وأرض اليمن بكاملها، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر وإسكندرية، وهو المقوقس، وملوك عُمان، والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله ﷻ، واختار له ما عنده من الكرامة، قام بالأمير بعده خليفته أبو بكر الصديق، فلم يمت ما وهى بعد موته ﷻ. وأخذ جزيرة العرب ومهلها، وبعث جبريل الإسلام إلى بلاد فارس صبيحة خالد بن الوليد، ففتحوا طرفاً منها وقتلوا خلقاً من أهلها، وجيشاً آخر صبيحة أبي عبيدة، ومن اتبعه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثاً صبيحة عمرو بن العاص ﷻ إلى بلاد مصر، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليقهما من أراضي حوران وما والاها، وتوفاه الله ﷻ، واختار له ما عنده من الكرامة، ورزى على أهل الإسلام بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق، فقام بالأمير بعده قياماً تاماً، لم يدر الفلك بعد الأنبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكاملها وديار مصر إلى آخرها وأكثر إقليم فارس، وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام، وانحدر إلى القسطنطينية، وأتفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة. ثم لما كانت الدولة العثمانية (دولة عثمان بن عفان) امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاريها، فتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك.



﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا شِعْجِرَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نُهْمُ أَتَّارًا وَلَيْسَ الْعَصِيرُ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قرأ ابن عامر، وحزمة عن عاصم: «لا يحسبن» بالياء وفتح السين. وقرأ الباقون: بالياء وكسر السين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَسْتَقِيمُونَ ۝٥٨﴾ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثٌ مِّنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَبَيْنَ نَقَعِ اللَّيْلِ عَلَى الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفَاتٌ عَلَيْكُمْ بَضْعَتُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾ وَلَا يَجْعَلْ لَّكُمْ الْغُلَامَ عَلَيْكُمْ قَلِيلًا فَلْيَسْتَنَدُوا كَمَا اسْتَنَدَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ بَكَامًا فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ يَدَيْهُنَّ عَلَى مُدْرِيحَتَيْ رِءُسِهِمْ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦١﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَقِيمُونَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ وبه غلاماً من الأنصار يقال له: مُذَلِّج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله، وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أسماء بنت مرثد<sup>(٢)</sup> كان لها غلام، فدخل عليها في وقت كرهته، فأنت رسول الله ﷺ، فقالت: إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حالة نكرها، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وفيهم قولان. أحدهما: أنه أراد الذكور دون الإناث، قاله ابن عمر. والثاني: الذكور والإناث، رواه أبو حصين عن أبي عبد الرحمن<sup>(٤)</sup>. ومعنى الكلام: ليستأذنكم ممالئكم في الدخول عليكم. قال القاضي أبو يعلى: والأظهر أن يكون المراد: المعيد الصغار والإماء الصغار، لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين؟!

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ وقرأ عبد الوارث: «الحُلُم» بإسكان اللام ﴿يُنْكِرُ﴾ أي: من أحراركم من الرجال والنساء ﴿ثَلَاثُ مَرَّاتٍ﴾ أي: ثلاثة أوقات؛ ثم بيّنها فقال: ﴿مِن قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ﴾ وذلك لأن الإنسان قد بيّست عريانياً، أو على حالة لا يحب أن يُطلع عليه فيها ﴿وَبَيْنَ نَقَعِ اللَّيْلِ عَلَى الظَّهِيرَةِ﴾ أي: القائلة ﴿وَمِن بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ﴾ حين يأوي الرجل إلى زوجته، ﴿ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «ثلاث عورات» برفع الثاء من «ثلاث»، والمعنى: هذه الأوقات هي ثلاث عورات، لأن الإنسان يضع فيها ثيابه، فربما بدت عورته. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ثلاث عورات» بنصب الثاء؛ قال أبو علي: وجعلوه بدلاً من قوله: «ثلاث مرّات» والأوقات ليست عورات، ولكن المعنى: أنها أوقات ثلاث عورت، فلما حذف المضاف أعرب [بإعراب المحذوف]. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والأعمش: «عَوَرَاتٍ» بفتح الواو، ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ يعني: المؤمنين الأحرار ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: الخدم والغلمان ﴿جُنَاحٌ﴾ أي: حرج ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد مضي هذه

الأنثى وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى وولد ملكه بالكلية، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جداً، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان، ووجي الجراج من المشرق والمغرب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها» قال ابن كثير: فيها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، ففسل الله الإيمان به ورسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا. اهـ.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن ابن عباس بدون سند.

(٢) في الأصل: أسماء بنت مرشد، وما أثبتناه من «الإصابة» وبعض كتب التفسير.

(٣) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ عن مقاتل بدون سند، وخرجه بنحوه السيوطي في «الدرة» ٥٥/٥ من رواية ابن أبي خاتم عن مقاتل بن حيان.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني به الذكور والإناث، لأن الله عم بقوله: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ جميع أملاك أيماننا، ولم يخص منهم ذكراً ولا أنثى، فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل. اهـ.

## فصل

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٦٨/١٨ عن الضحاك، وهو عند الواحدي في «أسباب النزول» ١٨٩ بدون سند.

يتحرّجون من أكل ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكة، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. والخامس: أنها نزلت في إسقاط الجهاد عن أهل الزّمانة المذكورين في الآية، قاله الحسن، وابن زيد. فعلى القول الأول يكون معنى الآية: ليس عليكم في الأعمى حرج أن تأكلوا معه، ولا في الأعرج، وتكون «على» بمعنى «في»، ذكره ابن جرير. وكذلك يخرج [معنى الآية] على كل قول بما يليق به. وقد كان جماعة من المفسرين يذهبون إلى أن آخر الكلام «ولا على المريض حرج» وأن ما بعده مستأنف لا تعلق له به، وهو يقوّي قول الحسن، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت الأولاد. والثاني: البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال غيرهم، فيكون الخطاب لأهل الرجل ولده وخادمه ومن يشتمل عليه منزله، ونسبها إليهم لأنهم سگانها. والثالث: أنها بيوتهم، والمراد أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأن بيت المرأة كبيت الرجل. وإنما أباح الأكل من بيوت القربان المذكورين، لجريان العادة ببذل طعامهم لهم؛ فإن كان الطعام وراء جرز، لم يجز هتك الحرز.

قوله تعالى: ﴿أَنْزَ مَا مَلَكَتْهُ مَكَائِدُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوكيل، لا بأس أن يأكل اليسير، وهو معنى قول ابن عباس. وقرأها سعيد بن جبير، وأبو العالية: «مَلَكَتُمْ» بضم الميم وتشديد اللام مع كسرهما على ما لم يسم فاعله، وفسرها سعيد فقال: يعني القهرمان الذي بيده المفاتيح. وقرأ أنس بن مالك، وقتادة، وابن يعمر: «مِفْتَاحَهُ» بكسر الميم على التوحيد. والثاني: بيت الإنسان الذي يملكه، وهو معنى قول قتادة. والثالث: بيوت العبيد، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿أَنْزَ صَدِيقِكُمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه في الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً، وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فقال: تحرّجت أن أكل من طعامك بغير إذنك، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وكان الحسن وقتادة يريان الأكل من طعام الصديق بغير استئذان جائزاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ في سبب نزول هذه [الآية] ثلاثة أقوال: أحدها: أن حياً من بني كنانة يقال لهم: بنو ليث كانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده؛ فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة والضحاك<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن قوماً من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فنزلت هذه الآية، ورخص لهم أن يأكلوا جميعاً أو أشتاتاً، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن المسلمين كانوا يتحرّجون من مؤاكلة أهل الضّرّ خوفاً من أن يستأثروا عليهم، ومن الاجتماع على الطعام، لاختلاف الناس في مآكلهم وزيادة بعضهم على بعض؛ فوسّع عليهم، وقيل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتاً﴾ أي: متفرقين، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بيوت أنفسكم، فسلموا على أهاليكم وعيالكم، قاله جابر بن عبد الله، وطاووس، وقتادة. والثاني: أنها المساجد، فسلموا على من فيها، قاله ابن عباس. والثالث: بيوت الغير؛ فالمعنى: إذ دخلتم بيوت غيركم فسلموا عليهم، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

(١) «الطبري» ١٨/١٦٩، وهو عند الواحدي في «أسباب النزول» بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» بنحو ٨٥/٥.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٥٨/٥ من رواية الثعلبي عن ابن عباس.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي عن قتادة والضحاك بدون سند، وذكره الطبري عن قتادة، والسيوطي في «الدر» من رواية عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) «الطبري» ١٨/١٧٢، و«أسباب النزول» للواحدي ١٩٠، وذكره السيوطي في «الدر» ٥٨/٥ وزاد نسبه لابن المنذر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضهم على بعض، قال: وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ ولم يخص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: بعضكم على بعض، فكان معلوماً إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معني به جميعها، مساجدها وغير مساجدها. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا كُفِرْتُمْ فَتَقَرُّوا﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على المصدر، لأن قوله: ﴿فَقُلُوا﴾ بمعنى: فحيوا وليحيي بعضكم بعضاً تحية، ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ قال مقاتل: مباركة بالأجر، ﴿وَلِيُخْبِرَ﴾ أي: حسنة.

﴿إِنَّا الْكَاذِبُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنَّا كَانُوا مَعَكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ثُمَّ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَقْبِلُوهُمُ الَّذِينَ يَسْتَقْبِلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَقْبَلُوكَ لَيَعْنُ شَكَابُهُمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُفِرْتُمْ﴾ يعني: مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أي: على أمر طاعة يجتمعون عليها، نحو الجهاد والجمعة والعيد ونحو ذلك ﴿ثُمَّ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَقْبِلُوهُمُ﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم يحيي رسول الله ﷺ حيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن شاء منهم، فالأمر إليه في ذلك. قال مجاهد: وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لخروجهم عن الجماعة إن رأيت لهم عذراً.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًّا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّا إِنَّا اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَىٰ لَبِئْسَ ثَوْبًا بَدِئْتُمْ فِيهَا وَعِلْوًا لَّأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه نهي عن التعرض لإسقاط رسول الله ﷺ، فإنه إذا دعا على شخص فدعوته موجبة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم أمروا أن يقولوا: يا رسول الله، ونهوا أن يقولوا: يا محمد، قاله سعيد بن جبير، وعلقمة، والأسود، وعكرمة، ومجاهد. والثالث: أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخير إذا دعاهم، حكاه الماوردي. وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «دعاء الرسول نبيكم» بياء مشددة ونون قبل الباء.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ﴾ التسلل: الخروج في خفية. واللؤاد: أن يستتر بشيء مخافة من يراه. والمراد بقوله «قد يعلم» التهديد بالمجازاة. قال الفراء: كان المنافقون يشهدون الجمعة فيذكرهم رسول الله ﷺ وبعيهم بالآيات التي أنزلت فيهم، فإن خفي لأحدهم القيام قام، فذلك قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًّا﴾ أي: يلوذ هذا بهذا، أي: يستتر ذا بذا<sup>(٦٢)</sup>. وإنما قال: «الواد» لأنها مصدر «لاوذت»، ولو كان مصدراً لـ «لذت» لقلت: لذت لباداً، كما تقول: قُمتُ قِياماً. وكذلك قال ثعلب: وقع البناء على لاوذة ملاوذة، ولو بني على لاوذة، لقلت: لباداً. وقيل: هذا كان في حفر الخندق، كان المنافقون ينصرفون عن غير أمر رسول الله ﷺ مخفين.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، قاله مجاهد. والثاني: إلى رسول الله ﷺ، قاله قتادة. وفي «عن» قولان: أحدهما: [أنها] زائدة، قاله الأخفش. والثاني: أن معنى «يخالفون»: يعرضون عن أمره. وفي الفتنة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة، قاله ابن عباس. والثاني: بلاء في الدنيا، قاله مجاهد. والثالث: كفر، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: القتل في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم في الآخرة<sup>(٦٣)</sup>.

(١) في الأصل: تحيوا ويحيي.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى وذكر: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه تستراً وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله ﷺ، فإن الله يعلم ذلك، ولا يخفى عليه، فليكن من يفعل ذلك منكم - الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله ﷺ إلا بإذنه - أن تصيبهم فتنة من الله، أو يصيبهم عذاب أليم فيطعن على قلوبهم فيكفروا بالله. اهـ.

(٣) قال ابن كثير في قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال =



قوله تعالى: ﴿قَدْ يَلْمُزُكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: ما في أنفسكم، وما تنطوي عليه ضمائركم من الإيمان والنفاق؛ وهذا تنبيه على الجزاء على ذلك<sup>(١)</sup>.



= والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قيل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنًا من كان، كما ثبت في «الصححين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد» أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا وظاهرًا ﴿إِنْ تُبَيِّنْهُمْ فَيَشْنُقْ﴾ أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿وَإِنْ تُبَيِّنْهُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ أي: في الدنيا يقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك. اهـ.

وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٩٠/٤ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يعمن فيها وهو يلتهن منها، وأنا أخذ بحمركم من النار وأنتم تقولون من يدي».

(١) قال ابن جرير الطبري: ﴿قَدْ يَلْمُزُكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك. ثم قال ابن جرير في تلمذ السورة: ﴿وَيُزَكِّهِمْ﴾ يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ﴿فَيُزَكِّهِمْ﴾ يقول: فيخبرهم حينئذ ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم ﴿وَأَلَّهُمْ يَعْزَكَبُونَهُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم، وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موثوق كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه. اهـ.

## سورة الفرقان

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ يُنْزِلُ الْمُنْزِلَ وَلَهُ يَكُنْ لَكُمْ شَرِيفٌ فِي السَّمَوَاتِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ دَعَّمَهُ تَفْثِيرًا ﴿٢﴾ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة في آخرين: هي مكية. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

قوله تعالى: ﴿بَارَكَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤]. والفرقان: القرآن، سمي فرقاناً، لأنه فُرق به بين الحق والباطل. والمراد بعبد: محمد ﷺ، فيه قولان: أحدهما: أنه كناية عن عبده، قاله الجمهور. والثاني: عن القرآن، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ [أي]: مخوفاً من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿فَقَدَّمَهُ تَفْثِيرًا﴾ فيه ثلاث أقوال. أحدها: سؤاه وهيباه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت. والثاني: قَدَّرَ له ما يصلحه ويُقيمه. والثالث: قَدَّرَ له تقديرًا من الأجل والرُّزْق. ثم ذكر ما صنعه المشركون، فقال: ﴿وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ يعني: الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أي: دفع ضرر، ولا جبر نفع، لأنها جماد لا قدرة لها، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ أي: لا تملك أن تميت أحداً، ولأن تحيي أحداً، ولا أن تبعث أحداً من الأموات؛ والمعنى: كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة مَنْ يقدر على ذلك كله؟ ١٩.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولَىٰ أَكْتَبَهَا فِيهِ ثَمَلٌ عَلَيْهِمْ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَقُورًا رَجِيًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي قريش؛ وقال مقاتل: هو قول النضر بن الحارث من بني عبد الدار ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي: ما هذا، يعنون القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ أي: كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَآخِرُونَ﴾ قال مجاهد: يعنون اليهود؛ وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضاً، وكان الثلاثة من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ قال الزجاج: المعنى: فقد جاؤوا بظلم وزور، فلما سقطت الباء، أفضى الفعل فنصب، والزور: الكذب. ﴿وَقَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولَىٰ﴾ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين؛ وقد بيَّنا ذلك في [الأنعام: ٢٥]. قال المفسرون: والذي قال هذا هو النضر بن الحارث. ومعنى ﴿أَكْتَبَهَا﴾ أمر أن تُكْتَبَ له. وقرأ ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وطلحة بن مصرف: «أَكْتَبَهَا» برفع التاء الأولى وكسر الثانية، والابتداء على قراءتهم برفع الهمزة، ﴿فِيهِ ثَمَلٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تُفَرَّأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنه لم يكن كاتباً، ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: عُدة وعشياً. ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَنْزَلَهُ﴾ يعني: القرآن ﴿الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾ أي: لا يخفى عليه شيء ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِي فِي الْأَنْبَاءِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مَلَكًا فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٦﴾ أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني المشركين ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشراً يأكل الطعام ويمشي في الطُّرُق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة؛ والمعنى: أنه ليس بملك ولا ملك، لأن الملائكة لا تأكل، والملوك لا تتبدل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساوياً للبشر لا يتميز عليهم بشيء؛ وإنما جعله الله بشراً ليكون مجانساً للذين أرسل إليهم، ولم يجعله ملكاً يمتنع من المشي في الأسواق، لأن ذلك من فعل الجبابرة، ولأنه أمر بدعائهم، فاحتاج أن يمشي بينهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ مَلَكًا﴾ وذلك أنهم قالوا له: سل ربك أن يعث معك ملكاً يصدقك ويجعل لك جناتاً وقصوراً وكنوزاً، فذلك قوله: ﴿أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كِتَابٌ﴾ أي: ينزل إليه كنز من السماء ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: بستان يأكل من ثماره. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «يأكل منها» بالياء، يعنون النبي ﷺ. وقرأ حمزة، والكسائي: «ناكل» بالنون، قال أبو علي: المعنى: يكون له علينا مزية في الفضل بأكلنا من جنته. وباقى الآية مفسر في (بني إسرائيل: ٤٧).

قوله تعالى: ﴿أَنْظِرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ﴾ حين مثلك بالمسحور، وبالكاهن والمجنون والشاعر ﴿فَضَلُّوا﴾ بهذا عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يستطيعون مخرجاً من الأمثال التي ضربوها، قاله مجاهد، والمعنى أنهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجة وبرهاناً. وقال الفراء: لا يستطيعون في أمرك حيلة. والثاني: سبيلاً إلى الطاعة، قاله السدي.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا ﴿٩﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَعَتَدْنَا لِإِمْنٍ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا سَوِيرًا ﴿١٠﴾ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ تَكَاثُفٍ يَبْسُوفُ يَمُوتُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزُفِيرًا ﴿١١﴾ وَلَئِذَا أَلْفَا مِنْهَا مَنَاجِبًا ضَبًّا مَقْرَيْنَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٢﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجَنًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٣﴾﴾

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاه خيراً مما قالوا في الدنيا، وهو قوله: ﴿خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني: لو شئت لأعطيتك في الدنيا خيراً مما قالوا، لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. ﴿وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «ويجعل لك قصوراً» برفع اللام. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «ويجعل» بجزم اللام. فمن قرأ بالجزم، كان المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات ويجعل [لك] قصوراً. ومن رفع، فعلى الاستئناف [المعنى]: ويجعل لك قصوراً في الآخرة. وقد سبق معنى «أَعْتَدْنَا» [النساء: ٣٧] ومعنى «السَّوِيرُ» [النساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ تَكَاثُفٍ يَبْسُوفُ﴾ قال السدي عن أشياخه: من مسيرة مائة عام. فإن قيل: السعير مذكر، فكيف قال: «إِذَا رَأَوْهُمْ»؟ فالجواب: أنه أراد بالسعير النار.

قوله تعالى: ﴿يَبْسُوفُ لَهَا تَغِيْظًا﴾ فيه قولان: أحدهما: غَلِيَانٌ تَغِيْظٌ، قاله الزجاج. قال المفسرون: والمعنى أنها تتغيظ عليهم، فيسمعون صوت تغيظها وزفيرها كالغضببان إذا غلا صدره من الغيظ. والثاني: يسمعون فيها تغيظ المعدبين وزفيرهم، حكاه ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِذَا أَلْفَا مِنْهَا مَنَاجِبًا ضَبًّا مَقْرَيْنَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الرُّجُح<sup>(١)</sup> على الرُّمَح، وهم قد قُرنوا مع الشياطين والثُّبُور: الهلكة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن السميع: «ثُبُورًا» بفتح الشاء.





أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتعاط به ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ قال ابن عباس: هلكى. قول في زوايه أخرى، البُور: [في] لغة أزد عُمان: الفاسد. قال ابن قتيبة: هو من بارٍ بُبور: إذا هلك ويطلق، يقال: بار الطعام: إذا كَسَد، وبارت الأيتم: إذا لم يُرْعَب فيها، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من بُور الأيتم، قال: وقال أبو عبيدة: يقال: رجل بُور، وقوم بُور، لا يُجَمَع ولا يُثْنَى، واحتج بقول الشاعر:

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي رَازِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ<sup>(١)</sup>

وقد سمعنا بـ «رجل بائر» ورأيناهم ربما جمعوا «فاعلاً» على «فعل»، نحو عائذ وعوذ، وشارف وشرف. قال المفسرون: فيقال للكفار حينئذٍ ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ﴾ أي: فقد كَذَّبكم المعبودون في قولكم: إنهم آلهة. وقرأ سعيد بن جبير، ومجاهد، ومعاذ القارئ، وابن شنبوذ عن قبل: «بما يقولون» بالياء؛ والمعنى: كَذَّبكم بقولهم: ﴿سَبَّحَكَ مَا كَانَ يَلْبَنِي تَا...﴾ الآية؛ هذا قول الأكثرين. وقال ابن زيد: الخطاب للمؤمنين؛ فالمعنى: فقد كَذَّبكم المشركون بما تقولون: إن محمداً رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وجهان: أحدهما: فما يستطيع المعبودون صرفاً للعذاب عنكم ولا نصراً لكم. والثاني: فما يستطيع الكفار صرفاً لعذاب الله عنهم ولا نصراً لأنفسهم. وقرأ حفص عن عاصم: «يستطيعون» بالياء؛ والخطاب للكفار. وحكى ابن قتيبة عن يونس البصري أنه قال: الصَّرف: الحيلة من قولهم: إنه ليصرف.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ نَفْسًا﴾ أي: بالشُّرك ﴿نَفْسًا﴾ في الآخرة. وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وأبو الجوزاء [وقتادة]: «يدقه» بالياء ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: شديداً. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال الزجاج: في الآية محذوف، تقديره: وما أرسَلنا قبلك رُسلاً من المرسلين، فحذفت «رسلاً» لأن قوله: ﴿وَمِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ يدل عليها.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِلَهُهُمْ لِأَكْثَرِ الطَّاغُوتِ وَيَشْرُونَ فِي الْآسَافِ﴾ أي: إنهم كانوا على مثل حالك، فكيف تكون بذعاً منهم؟! فإن قيل: لم كُسر «إلَهُم» هاهنا، وفتحت في قوله: ﴿أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾ [براءة: ٥٤] فقد بيَّنا هنالك عِلَّةَ فتح تلك؛ فأما كسر هذه، فذكر ابن الأنباري فيه وجهين: أحدهما: أن تكون فيها واو حال مضمرة، فكسرت بعدها «إِنَّ» للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإلَهُم ليأكلون الطعام، فأضمرت الواو هاهنا كما أضمرت في قوله: ﴿أَزْهَمَ قَالُوا﴾ [الأعراف: ٤]، والتأويل: أو وهم قائلون. والثاني: أن تكون كُسر لإضمار «مَنْ» قبلها، فيكون التقدير: وما أرسَلنا قبلك مِنَ المرسلين إلا مَنْ إنهم ليأكلون، قال الشاعر:

فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ وَأَخَّرَ يَشْنِي دَمْعَةُ الْعَيْنِ بِالْمَهْلِ<sup>(٢)</sup>

أراد: مَنْ دمعهُ.

قوله تعالى: ﴿وَصَلَّاتُنَا بِمَنَافِقِكُمْ لِيَجِدَ بُشْرًا﴾ الفتنه: الابتلاء والاختبار. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه افتتان الفقير بالغني، يقول: لو شاء لجعلني غنياً، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح، قاله الحسن. والثاني: ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فإذا أراد الشريف أن يُسَلِّمَ فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره، قاله ابن السائب. والثالث: أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباع محمد من موالينا وذُللتنا، قاله مقاتل. فعلى الأول: يكون الخطاب بقوله: ﴿أَنْتَصِرُونَ﴾ لأهل البلاء. وعلى الثاني: للرؤساء، فيكون المعنى: أنصبرون على سبق الموالي والأتباع. وعلى الثالث: للفقراء؛

(١) البيت لعبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِي قاله حين أسلم عند فتح مكة، وهو في «مجاز القرآن» ٧٣/٢، و«غريب القرآن» ٣١١، و«الطبري» ١٨/١٩١، و«القرطبي» ١١/١٣، و«اللسان» و«التاج»: بور.

(٢) المهمل: التودة والسكينة، والبيت لذي الرمة وهو في «معاني القرآن» ٣٨٤، وروايته في «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي ص ٥٧٠: فظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ وَأَخَّرَ يَشْنِي غُبْرَةُ الْعَيْنِ بِالْمَهْمَلِ

فالمعنى: أنصبرون على أذى الكفار واستهزائهم، والمعنى: قد علمتم ما وُعد الصابرون، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ لَا بُشْرَىٰ لِلْمَجْرِمِينَ وَيقُولُونَ جِبْرًا مُّحْجَرًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَةً تَنْثَوْرًا﴾ ﴿أَسْحَبٌ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي: لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُةُ﴾ فكانوا رُسلًا إلينا وأخبرونا بصدقك، ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا أنك رسول، ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: تكبروا حين سألوا هذه الآيات ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ قال الزجاج: العتو في اللغة: مجاوزة القدر في الظلم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ﴾ فيه قولان: أحدهما: عند الموت. والثاني: يوم القيامة. قال الزجاج: وانتصب اليوم على معنى: لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة، و«يَوْمَئِذٍ» مؤكّد لـ «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَكُةَ»؛ والمعنى أنهم يُمتنعون البُشرى في ذلك اليوم؛ ويجوز أن يكون «يوم» منصوباً على معنى: اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر فقال: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾، والمجرمون هاهنا: الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ جِبْرًا مُّحْجَرًا﴾ قرأ قتادة، والضحاك، ومعاذ القارئ: «حُجْرًا» بضم الحاء. قال الزجاج: وأصل الحجر في اللغة: ما حجرت عليه، أي: منعت من أن يُوصل إليه، ومنه حَجَر القضاة على الأيتام. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنهم الملائكة يقولون للكفار: جبراً محجوراً، أي: حراماً محرماً. وفيما حرّموه عليهم قولان: أحدهما: البُشرى، فالمعنى: حرام محرّم أن تكون لكم البُشرى، قاله الضحاك، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أن تدخلوا الجنة، قاله مجاهد. والثاني: أنه قول المشركين إذا عاينوا العذاب، ومعناه الاستعانة من الملائكة، روي عن مجاهد أيضاً. وقال ابن فارس: كان الرجل إذا لقي مَنْ يخافه في الشهر الحرام، قال: جبراً، أي: حرام عليك أذاً، فإذا رأى المشركون الملائكة يوم القيامة، قالوا: جبراً محجوراً، يظنون أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ قال ابن قتيبة: أي: قَصَدْنَا وَعَمَدْنَا، والأصل أن من أراد القدوم إلى موضع عمَد له وقصده.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [أي] من أعمال الخير ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَةً﴾ لأن العمل لا يُقَبَّل مع الشُّرك<sup>(٢)</sup>. وفي الهباء خمسة أقوال: أحدها: أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوة مثل الغبار، قاله عليّ رضي الله عنه، والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، واللغويون؛ والمعنى أن الله أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء. والثاني: أنه الماء المُهراق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس. والرابع: أنه الشر الذي يطير من النار إذا أضرمت، فإذا وقع لم يكن شيئاً، رواه عطية عن ابن عباس. والخامس: أنه ما يسطع من حوافر الدواب، قاله مقاتل. والمتشور: المتفرّق.

قوله تعالى: ﴿أَسْحَبٌ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضل منزلاً من المشركين ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾

(١) قال ابن كثير: يقول الله: لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلِي فلا يخالفون لفعلت، ولكني قد أردت أن أبلي العباد بهم وأبليكم بهم، وفي «صحيح مسلم» عن عياض بن حمار عن رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومبتلي بك». وفي «المستند» عن رسول الله ﷺ: «لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة». وفي «الصحيح» أنه عليه أفضل الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو عبداً رسولاً، فاختار أن يكون عبداً رسولاً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أخبر الله تعالى أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء، وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصاً وعلى الشريعة المرفوعة فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معاً فتكون أبعد من القبول حيثئلاً. اهـ.

قال الزجاج: المَقِيلُ المُقام وقت القائلة، وهو النوم نصف النهار. وقال الأزهري: القيلولة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم. وقال ابن مسعود، وابن عباس: لا يتصف النهار من يوم القيامة حتى يُقِيلَ أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأُنْمَاءُ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا ﴿١٥﴾ أَلَمَكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبْرُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُورُ لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأُنْمَاءُ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا ﴿١٥﴾﴾ هذا معطوف على قوله: ﴿وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُورُ لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾. قال ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «تَشْقَى» بالتشديد، فادغموا التاء في الشين، لأن الأصل: تتشقق. قال الفراء: المعنى: تتشقق السماء عن الغمام، وتنزل فيه الملائكة، و«على» و«عن» و«الباء» في هذا الموضع بمعنى واحد، لأن العرب تقول: رميت عن القوس، وبالقوس، وعلى القوس؛ والمعنى واحد. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: تتشقق السماء وعليها غمام، كما تقول: ركب الأمير بسلحه، وخرج بشيابه، وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة. قال ابن عباس: تتشقق السماء عن الغمام، وهو الغيم الأبيض، وتنزل الملائكة في الغمام. وقال مقاتل: المراد بالسماء: السموات، تتشقق عن الغمام، وهو غمام أبيض كهية الضباب، فتتنزل الملائكة عند انشقاقها. وقرأ ابن كثير: «وَنُزِّلَ» بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، واللام مضمومة، و«الملائكة» نصباً. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «وَنُزِّلَ» بنون واحدة مفتوحة ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب «الملائكة». وقرأ ابن يعمر: «وَنُزِّلَ» بفتح النون واللام والزاي والتخفيف «الملائكة» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿أَلَمَكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبْرُ لِلرَّحْمَنِ﴾ قال الزجاج: المعنى: المُلْكُ الذي هو المُلْكُ حقاً للرحمن<sup>(١)</sup>. فاما العسير، فهو الصعب الشديد يشتد على الكفار، ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن أبي بن خلف كان يحضر [عند] رسول الله ﷺ ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عُقبة بن أبي مُعَيْط عن ذلك، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن عُقبة دعا قوماً فيهم رسول الله ﷺ لطعام فأكلوا، وأبى رسول الله ﷺ أن يأكل، وقال: «لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، فشهد بذلك عُقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف، وكان خليلاً له، فقال: صبوت يا عُقبة؟ فقال: لا والله، ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عُقبة كان خليلاً لأُمَيَّة بن خلف، فأسلم عُقبة، فقال أُمَيَّة: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر وارتد لرضى أُمَيَّة، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي<sup>(٤)</sup>. فاما الظالم [المذكور] هاهنا، فهو الكافر، وفيه قولان: أحدهما: أنه أبي بن خلف، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: عُقبة بن أبي مُعَيْط، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. قال عطاء: يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين، ثم تنبتان، فلا يزال هكذا كلما نبت يده أكلها ندامة على ما فعل.

قوله تعالى: ﴿لَيْتَنِي أَخَذْتُ﴾ الأكثرون يسكنون «يا ليتني»، وأبو عمرو يحركها؛ قال أبو علي: والأصل التحريك، لأنها بإزاء الكاف التي للخطاب، إلا أن حرف اللين تكره فيه الحركة، ولذلك أسكن من أسكن؛ والمعنى: ليتني اتبعته فاتخذت معه طريقاً إلى الهدى.

(١) وفي «الصحیح»: «أن الله تعالى يطوي السموات بيمينه، ويأخذ الأرضين بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أنا الديان، أين ملوك الأرض، أين الجبارون، أين المتكبرون».

(٢) «الطبري» ٨/١٩، وأسباب النزول، للواحيدي ١٩١، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٨/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) «الطبري» ٨/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٦٩/٥ وزاد نسبه للقرطبي، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) «الطبري» ٨/١٩، وأسباب النزول، للواحيدي ١٩١.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَبَّأُ لِرَبِّهِمْ أَفَلَا تَأْمَنُونَ﴾ في المشار إليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عن أبي بن خلف، قاله ابن عباس. والثاني: عقبة بن أبي معيط، قاله أبو مالك. والثالث: الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أمية بن خلف، قاله السدي. فإن قيل: إنما يمكن من يخاف المبادأة أو يحتاج إلى المداجاة، فما وجه الكناية؟ فالجواب: أنه أراد بالظالم: كل ظالم، وأراد بفلان: كل من أطيع في معصية الله وأرضي بسخط الله، وإن كانت الآية نزلت في شخص، قاله ابن قتيبة. قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَصَلَّيْنا عَنْ الْأَصْنَمِ﴾ أي: صرفني عن القرآن والإيمان به ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ مع الرسول، وهاتنا تم الكلام. ثم قال الله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني: الكافر ﴿عَدُوًّا﴾ يتبرأ [منه] في الآخرة. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكُنَّا لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني: الكافر ﴿عَدُوًّا﴾ يتبرأ [منه] في الآخرة. ﴿وَنَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ يعني محمداً ﷺ، وهذا عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة؛ فالمعنى: ويقول الرسول يومئذ. وذهب آخرون، منهم مقاتل، إلى أن الرسول قال ذلك شاكياً من قومه إلى الله تعالى حين كذبوه<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن كثير، ونافع، ولأبو عمرو: «إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا بِتَحْرِيرِ الْبَاءِ؛ وَأَسْكَنَهَا عَاصِمَ، وَابْنَ عَامِرَ، وَحُمَزَةَ، وَالْكَسَائِيَّ. وَفِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَهْجُورًا﴾ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَتْرُوكًا لَا يُلْتَفَتُونَ إِلَيْهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِقَاتِلَ. وَالثَّانِي: هَجَرُوا فِيهِ، أَيِ: جَعَلُوهُ كَالْهَيْدِيَّانِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: فَلَانٌ يَهْجُرُ فِي مَنْامِهِ، أَيِ: يَهْذِي، قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْهَجْرُ: عَمَّا لَا يُسْتَفْعَى بِهِ مِنَ الْقَوْلِ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: فَعَزَاهُ اللَّهُ ﷻ، فَقَالَ: ﴿وَكُنَّا لِلْإِنْسَانِ﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا، أَيِ: كَمَا جَعَلْنَا لَكَ أَعْدَاءَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِكَ، جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِ؛ وَالْمَعْنَى: لَا يَكْبُرُونَ هَذَا عَلَيْكَ، فَلَمْ بِالْأَنْبِيَاءِ أَسْوَءَ، ﴿وَكُنَّا بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ يَمْنَعُكَ مِنْ عَدُوِّكَ. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالباء في قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ زائدة؛ فالمعنى: كفى ربك هادياً ونصيراً.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِسَبْإٍ إِلَّا جُنتِكَ وَالْحَقِّ وَآمَنَ سَبِيْرًا﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ جُحُومِهِمْ إِنْ جَهَنَّمَ أَوْلَتْكَ شَرًّا مَكَانًا وَأَسْأَلَ سَبِيلًا ﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ أَيِ: كَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالزَّبُورُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿كَذَلِكَ﴾ أَيِ: أُنْزِلْنَاهُ كَذَلِكَ مُتَفَرِّقًا، لِأَن مَعْنَى مَا قَالُوا: لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ مُتَفَرِّقًا؟ فَقِيلَ: إِنَّمَا أُنْزِلْنَاهُ كَذَلِكَ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أَيِ: لِنُقَوِّي بِهِ قَلْبَكَ فَتَزِدَادَ بَصِيرَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَحَادَةٍ، فَكَانَ أَقْوَى لِقَلْبِهِ وَأَنُورَ لِبَصِيرَتِهِ وَأَبْعَدَ لاسْتِحْشَاهُ، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيْلًا﴾ أَيِ: أُنْزِلْنَاهُ عَلَى التَّرْتِيلِ، وَهُوَ التَّمَكُّثُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَجَلَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يعني المشركين ﴿بِسَبْإٍ﴾ يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿إِلَّا جُنتِكَ وَالْحَقِّ﴾ أَيِ: بِالَّذِي هُوَ الْحَقُّ لَتَرَدُّ بِهِ كَيْدُهُمْ ﴿وَأَمَنَ سَبِيْرًا﴾ مِنْ مَكْلَهُمْ؛ وَالتفسير: الْبَيَانُ وَالْكَشْفُ. قَالَ مِقَاتِلُ: ثُمَّ أَخْبَرَ بِمُسْتَقْرَمِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ جُحُومِهِمْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَرُّ خَلْقٍ لَللَّهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَسُولٌ مِمَّنْ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ﴾ أَيِ: مِنْزَلًا وَمُصِيرًا ﴿وَأَسْأَلَ سَبِيلًا﴾ دِينًا وَطَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ شَاهِدًا هَارُونَ وَبِزْرًا ﴿فَقُلْنَا أَنْهَبَا إِلَى الْقُرْآنِ الَّذِي كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَمَرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا﴾ وَفَرَّقْنَا بَيْنَ لَنَا كَذِبُوا الرَّسُولَ أَفَرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ مَآبَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿وَعَادًا وَنُوحًا وَأَصْحَابَ الْمَوْءِدِ بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ وَكُلًّا ضَرَفْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا نَبِّئْنَا تَنْبِيْرًا﴾

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿يَتَنَبَّأُ لِرَبِّهِمْ أَفَلَا تَأْمَنُونَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصْغَوْنَ لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يُوْفَى...﴾ الْآيَةُ [فصلت: ٢٦]، فَكَانُوا إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَكْثَرُوا اللَّفْظَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ حَتَّى لَا يَسْمَعُونَهُ، فَهَذَا مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرَكَّ الْإِيمَانَ بِهِ وَتَرَكَّ تَصْدِيقَهُ، مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرَكَّ تَنْبِيْرَهُ وَتَفْهَمَهُ، مِنْ هِجْرَانِهِ، وَتَرَكَّ الْعَمَلَ بِهِ وَامْتَالَ أَوَامِرَهُ وَاجْتَنَبَ زَوَاجِرَهُ، مِنْ هِجْرَانِهِ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ شَرِّ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُودَةٍ مِنْ غَيْرِهِ، مِنْ هِجْرَانِهِ. قَالَ: فَسَالِ اللَّهُ الْكَرِيمُ الْمَنَانُ، الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يَخْلُصَنَا مِمَّا يَسْخَطُهُ، وَيَسْتَعْمِلُنَا فِيمَا يَرْضَاهُ مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ وَالْقِيَامِ بِمَقْصَدَاتِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ وَرِضَاهُ إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَابٌ. اهـ.



قوله تعالى: ﴿أَفَمَا إِلَى الْفُتُورِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾. إن قيل: إنما عاينوا الآيات بعد [وجود] الرسالة، فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات؟ فالجواب: أنهم كانوا مكذّبين أنبياء الله وكُتِبَ المتقدمة، ومن كَذَبَ نبيّاً فقد كَذَبَ سائر الأنبياء، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرَّسُولَ﴾، وقال الزجاج: يجوز أن يكون المراد به نوح وحده، وقد ذكر بلفظ الجنس، كما يقال: فلان يركب الدواب، وإن لم يركب إلا دابة واحدة؛ وقد شرحنا هذا في [مود: ٥٩] عند قوله: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُمْ﴾. وقد سبق معنى التدمير [الأعراف: ١٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ في الرِّسِّ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بشر كانت تسمى الرِّسَّ، قاله ابن عباس في رواية العوفي. وقال في رواية عكرمة: هي بشر بأذربيجان. وزعم ابن السائب أنها بشر دون اليمامة. وقال السدي: بشر بأنطاكية. والثاني: أن الرِّسَّ قرية من قرى اليمامة، قاله قتادة. والثالث: أنها المَعْدِن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وفي تسميتها بالرِّسِّ قولان: أحدهما: أنهم رَسُّوا نبيهم في البئر، قاله عكرمة. قال الزجاج: رَسُّوه، أي: دَسُّوه فيها. والثاني: أن كل رَكِيَّة لم تطو فهي رَسٌّ، قاله ابن قتيبة. واختلفوا في أصحاب الرِّسِّ على خمسة أقوال: أحدها: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبيّاً من ولد يهوذا بن يعقوب، فحضروا له بشرّاً والقوه فيها، فهلكوا، قاله عليّ عليه السلام. والثاني: أنهم قوم كان لهم نبيّ يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جبيرة. والثالث: أنهم كانوا أهل بئر يتزلون عليها، وكانت لهم مواشٍ، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعبياً، فتماذوا في طغيانهم، فانهارت البئر، فحُصِفَ بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم الذين قتلوا حبيباً النجار، قتلوه في بئر لهم، وهو الذي قال: ﴿يَقْوِيهِمْ أَنْبِئُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ٢٠]، قاله السدي. والخامس: أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه، وأول من عمل السحر نساؤهم، قاله ابن السائب <sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَفُرُوزًا﴾ المعنى: وأهلكنا قروناً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَيْبَرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرِّسِّ. وقد سبق بيان القُرْن [الأنعام: ٦]. وفي هذه القصص تهديد لقريش.

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمُتِلَ﴾ أي: أعذرنا إليه بالموعظة وإقامة الحُجَّة ﴿وَكَلَّا تَبَرَّأَ﴾ قال الزجاج: التَّبَرُّع: التدمير، وكل شيء كسره وفتته فقد تَبَرَّعَ، وكُسارته: التَّبَرُّع، ومن هذا قيل لمكسور الزجاج: التَّبَرُّع، وكذلك تَبَرَّعَ الذهب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْفُرْقَةِ الَّتِي أُتِطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَكَلَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُرُوكَ﴾ ١٠١ ﴿وَلَا رَأَوْهُ إِلَّا بِخُذُولِهِ إِلَّا هُزُوا أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ١٠٢ ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ ١٠٣ ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ١٠٤ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَفْقَهُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ١٠٥

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ يعني كفار مكة ﴿عَلَى الْفُرْقَةِ الَّتِي أُتِطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾ يعني قرية قوم لوط التي رُميت بالحجارة ﴿أَكَلَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا﴾ في أسفارهم فيعتبروا؟ ثم أخبر بالذي جرّاهم على التكذيب، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُرُوكَ﴾ أي: لا يخافون بعثاً، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: الذي عليه أهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير، فركبوا المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا رَأَوْهُ إِلَّا بِخُذُولِهِ﴾ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوا﴾ أي: مهزوءاً به. ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء: ﴿أَمَّا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ١٠٢ ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي: ليصرفنا عن عبادة آلِهَتِنَا ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: على عبادتها؛ قال الله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلَّ﴾ أي: من أخطأ طريقاً عن الهدى، أهم، أم المؤمنون. ثم عَجِبَ نبيّ من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَةً﴾ قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر. وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئاً إلا ركب. وقال ابن قتيبة: المعنى: يتَّبِعْ هواه ويدع الحق، فهو له كالإله.

(١) واختار ابن جرير الطبري أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي: حفيظا يحفظه من اتباع هواه. وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة بآية القتال.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ يعني أهل مكة؛ والمراد: يسمعون سماع طالب الإنهام ﴿أَوْ يَقُولُونَ﴾ ما يعاينون من الحجج والأعلام ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْثَمِ﴾ وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان: أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول. والثاني: أنه ليس لها هَمٌّ إلا المأكَل والمشرب.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَصْلٌ سَیِّئٌ﴾ لأن البهائم تهتدي لمراعيا وتنفذ لأربابها وتقبل على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٥٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ شُؤْرًا ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَدَنَ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا وَنُخْرِجَهُ مِنَّا حَلَقًا أَنْعَمًا وَأَنَاقًا ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَذُورًا ﴿٦٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٦١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَحَذِّثْهُمْ بِهِ جَهَنَّمَ كَذِبًا ﴿٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى فعل ربك. وقال الزجاج: معناه: ألم تعلم، فهو من رؤية القلب، ويجوز أن يكون من رؤية العين، فالمعنى: ألم تر إلى الظل كيف مَدَّ رُبُّكَ؟ والظلُّ من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتاً دائماً لا يزول ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فالشمس دليل على الظل، فلولا الشمس ما عُرف أنه شيء، كما أنه لولا الثور ما عُرفت الظلمة، فكل الأشياء تُعرف بأضدادها.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ يعني: الظل ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: سريعاً، قاله ابن عباس. والثاني: خفياً، قاله مجاهد. وفي وقت قبض الظل قولان: أحدهما: عند طلوع الشمس يُقبض الظل وتُجمع أجزاءه المنسطة بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئاً فشيئاً. والثاني: عند غروب الشمس تُقبض أجزاء الظل بعد غروبها، ويخلف كل جزء منه جزءاً من الظلام.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: ساتراً بظلمته، لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتُشتمل عليها اشتمال اللباس على لابسِه ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة، ومنه يوم السبت، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة، وكان الفراغ منه في يوم السبت، فقل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم ولا تعملوا فيه شيئاً، فسمي يوم السبت، أي: يوم الراحة<sup>(١)</sup>، وأصل السبت: التَّخَمُّدُ، ومن تَمَدَّد استراح. وقال ابن الأنباري: أصل السبت: القَطْعُ؛ فالمعنى: وجعلنا النوم قَطْعاً لأعمالكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ شُؤْرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عباس. والثاني: تُنشر الرُّوح باليقظة كما تُنشر بالبعث، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٧] إلى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ يعني: المطر. قال الأزهرى: الطَّهُّورُ في اللغة: الطاهر المَطْهُر. والطَّهُّور ما يُطَهَّر به، كالوضوء الذي يُتَوَضَّأُ به، والفطور الذي يُفْطَر عليه.

قوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو جعفر: «مَيِّتًا» بالتشديد. قال الزجاج: لفظ البلدة مؤنث، وإنما قيل: «مَيِّتًا» لأن معنى البلدة والبلد سواء. وقال غيره: إنما قال: «مَيِّتًا»، لأنه أراد بالبلدة المكان. وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت [الأعراف: ٥٧]، ومعنى: ﴿وَنُخْرِجُهُ﴾ [الحجر: ٢٤]. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، والضحاك، والأعمش، وابن أبي عبلة: «وَنُخْرِجُهُ» بفتح النون. فأما الأناسي، فقال الزجاج: هو جمع

(١) الذي في «صحيح مسلم» ٢١٤٩/٤: «خلق التربة يوم السبت». الحديث. وقال الحافظ المنائي في شرحه لهذا الحديث: وفيه ردُّ زعم اليهود أنه ابتداء في خلق العالم يوم الأحد، وفرغ يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، قالوا: ونحن نستريح كما استراح الرب، وهذا من غباوتهم وجهلهم، إذ التعب لا يتصور إلا على حادث، ﴿إِنَّا قَوْلًا لِّشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ يَكُنُ﴾ [٥١] - اهـ.

إنسي، مثل كرسِيّ وكراسي؛ ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الباء بدلاً من النون، الأصل: أناسين مثل سراحين<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو مجلز، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وأناسي» بتخفيف الياء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ يعني المطر ﴿يَتَنَبَّه﴾ مرة لهذه البلدة، ومرة لهذه ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي: ليفكروا في نعم الله عليهم فيحمده. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ خفيفة الذال. قال أبو علي: يَذْكُرُ في معنى يتذكر، ﴿فَأَنَّى أَكْثَرُ﴾ التائب إلا كُفِّرُوا وهم الذين يقولون: مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا، كفروا بنعمة الله<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَغَنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِكْرًا﴾ المعنى: إنا بعثناك إلى جميع القرى لعظم كرامتك، ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾، وذلك أن كفار مكة دَعَوْهُ إلى دين آبائهم، ﴿وَجَهَنَّمُ يَوْمَ﴾ أي بالقرآن ﴿جَهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: تاماً شديداً.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَمِلُّ بِالْمَلْحِ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجَعَلَ تَحْتَهُمَا مِجْرًا﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ زَوْجُكَ قَدِيرًا﴾ ﴿وَيَسْأَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال الزجاج: أي: خلّى بينهما؛ تقول: مرّجت الدابة وأمرجتها: إذا خلّيتها ترعى، ومنه الحديث: «مَرَجَتْ يهودهم وأماناتهم»<sup>(٣)</sup> أي: اختلطت. قال المفسرون: والمعنى أنه أرسلهما في مجاريهما، فما يلتقيان، ولا يختلط المِلْحُ بالعذب، ولا العذب بالمِلْح، وهو قوله: ﴿هَذَا﴾ يعني: أحد البحرين ﴿عَذْبٌ﴾ أي: طيب؛ يقال: عَذْبُ الماء يَعْذُبُ عُذُوبَةً، فهو عَذْبٌ. قال الزجاج: والفُرَاتُ صفة للعذب، وهو أشد الماء عُذُوبَةً، والأجاج صفة للملح، وهو: المرُّ الشديد المرارة. وقال ابن قتيبة: هو أشد الماء ملوحة، وقيل: هو الذي يُخالطه مرارة، ويقال: ماءٌ يَلِج، ولا يقال: مالح، والبرزخ: الحاجز. وفي هذا الحاجز قولان: أحدهما: أنه مانع من قدرة الله تعالى، قاله الأكثرون. قال الزجاج: فهما في رأى العين مختلطتان، وفي قبرة الله منفصلان لا يختلط أحدهما بالآخر. قال أبو سليمان الدمشقي: ورأيت عند عبّادان من سواد البصرة الماء العذب يتحدر في دجلة نحو البحر، ويأتي المَدُّ من البحر، فيلتقيان، فلا يختلط أحد المائين بالآخر، يرى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة، فيأتي المستقي فيغرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء، وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد. والثاني: أن الحاجز: الأرض واليَّس، وهو قول الحسن؛ والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ تَحْتَهُمَا مِجْرًا﴾ قال الفراء: أي: حراماً محرماً أن يغلب أحدهما صاحبه. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ أي: من الطُفَّة بَشَرًا، أي: إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: ذا نسب وصِهْر. قال علي عليه السلام: النَّسَبُ: ما لا يحل نكاحه، والصُّهْرُ: ما يحلُّ نكاحه. وقال الضحاك: النسب سبع، وهو قوله: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾، والصُّهْرُ خمس، وهو قوله: ﴿وَأَنَّهُنَّكُمُ الْأَخْتِ أَرْشَمَنَكُم...﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أُمَّلَيْكُمْ﴾ النساء: ٢٣. وقال طاووس: الرِّضَاعَةُ من الصُّهْر. وقال ابن قتيبة: «نَسَباً» أي: قرابة النَّسَب، «وصِهراً» أي: قرابة النكاح. وكل شيء من قِبَل الزوج، مثل الأب والأخ، فهم الأحماء، واحدهم حمأ، مثل: قَفَأٌ، وَحْمُوٌ مثل أبُو، وَحْمٌ مهموز ساكن الميم، وَحْمٌ مثل أب. وَحْمَةُ المرأة: أُمُّ زوجها، لا لغة فيها غير هذه وكل شيء من قِبَل المرأة، فهم الأختان. والصُّهْرُ يجمع ذلك كله. وحكى ابن فارس عن الخليل، أنه قال: لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، ولأهل بيت المرأة إلا أصهار. ومن العرب من يجعلهم

(١) سراحين جمع سِرْحَان، وهو الذئب.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من الليل: «أنتلرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بالله كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

(٣) هو جزء من حديث طويل، أخرجه أبو داود في «سننه» رقم (٤٣٤٢)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٩٥٧)، والحاكم في «مستدرکه» ٤/٣٥٥ وصححه، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يأتي زمان يفرل فيه الناس غريلة، ويبقى حالة من الناس قد مَرَجَتْ يهودهم وأماناتهم (أي فسدت) واختلّفوا فكانوا هكذا... وشبك بين أصابعه - قالوا: فكيف تأمرنا يا سول الله، قال: تأخّلون ما تعرفون، وتذعنون ما تكترون، وتقبلون على أمر غاضتكم، وتذعنون أمر عانتكم».



أصهاراً كلَّهم. والصَّهْر: إذابة الشيء. وذكر الماوردي أن المناكح سُمِّيَتْ صِهْرًا، لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صُهر.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مُعِينًا للشيطان على ربه، لأن عبادته للأصنام معاونة للشيطان. والثاني: مُعِينًا للمشركين على أن لا يؤخِّدوا الله تعالى. والثالث: مُعِينًا على أولياء ربه. والرابع: وكان الكافر على ربه هَيِّنًا ذليلاً، من قولك: ظَهَرْتُ بفلان، إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه. قالوا: والمراد بالكافر هاهنا أبو جهل.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٥٦ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَٰهًا مِثْلًا مِثْلِي ٥٧ ﴿وَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِ﴾ ٥٨ ﴿لَا يَمُوتُ وَنَحْيُ بِمَدِيدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يُدْفِنُ بِعَالَمِهِ خَيْرًا﴾ ٥٩ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَتَنَّا بِهِ خَيْرًا﴾ ٦٠ ﴿وَلَقَدْ قِيلَ لَهُمْ أَتَجْعَلُونَ لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ٦١

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن وتبليغ الوحي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وهذا تأكيد لصدقه، لأنه لو سألهم شيئاً من أموالهم لأتهموه، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾ معناه: لكن من شاء ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَٰهًا مِثْلًا مِثْلِي﴾ بإتفاق ماله في مرضاته، فَعَلَّ ذلك، فكانه قال: لا أسألكم لنفسي. وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه (إلى عمران: ١٥٩، البقرة: ٣٠، الأعراف: ٥٤) إلى قوله: ﴿فَتَنَّا بِهِ خَيْرًا﴾، و«به» بمعنى: «عنه» قال [عَلَقَمَةُ بن عَبْدِة]:

فَلَمَّا تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلَمَّانِي  
بَصِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَلِيْبٌ<sup>(١)</sup>

وفي هاء «به» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله ﷻ. والثاني: إلى اسمه الرحمن، لأنهم قالوا: لا نعرف الرَّحْمَن. والثالث: إلى ما ذكر من خَلَقَ السموات والأرض وغير ذلك. وفي «الخير» أربعة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الله ﷻ، والمعنى: سلني فانا الخبير، قاله مجاهد. والثالث: [أنه] القرآن، قاله شمر. والرابع: مُسْلِمَةُ أهل الكتاب، قاله أبو سليمان، وهذا يخرج على قولهم: لا نعرف الرَّحْمَن، فقيل: سَلُوا مُسْلِمَةَ أهل الكتاب، فإن الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمه الرحمن، فعلى هذا، الخطاب للنبي ﷺ والمراد سواه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قال المفسرون: إنهم قالوا: لا نعرف الرَّحْمَن إلا رحمن البمامة، فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «يَأْمُرُنَا» بالياء، أي: لِمَا يَأْمُرُنَا به محمد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: لا نسجد للرَّحْمَن الذي تأمرنا بالسجود له، ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر الرحمن ﴿نُفُورًا﴾ أي: تباعداً عن الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا يَرَبًّا وَجَعَلَ فِيهَا يَرَبًّا﴾ ٦٢ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَرَّ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ٦٣

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا يَرَبًّا﴾ قد شرحناه في [الحجر: ١٦]. والمراد بالسراج: الشمس. وقرأ حمزة، والكسائي: «سُرْجًا» بضم السين والراء وإسقاط الألف. قال الزجاج: أراد: الشمس والكواكب العظام؛ ويجوز «سُرْجًا» بتسكين الراء، مثل رُشِلَ ورُشِلَ. قال الماوردي: لما اقترن بضوء الشمس وهج حرِّها، جعلها لأجل الحرارة سراجاً، ولما عدم ذلك في القمر جعله نوراً.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: أن كل واحد منهما يخالف الآخر في اللون، فهذا أبيض، وهذا أسود، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وابن أبي نجيع عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثاني: أن كل واحد منهما يَخْلُفُ صاحبه، رواه عمرو بن قيس الملائي عن مجاهد، وبه قال ابن زيد وأهل اللغة، وأنشدوا قول زهير:

(١) «ديوانه» ١١، «ومشكل القرآن» ٤٢٧، «والقرطبي» ٦٣/١٣، «وأدب الكاتب» ٥٠٥، والأذواء: جمع ذاء.



بِهَا الْحَسِينُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيَيْنِ خِلْفَةً أَي: إِذَا ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ جَاءَتْ طَائِفَةٌ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَكِرَ﴾ أَي: يَتَعَطَّ وَيُعْتَبِرُ بِاخْتِلَافِهِمَا. وَقَرَأَ حَمْزَةً: «يَذْكُرُ» خفيفة الدال مضمومة الكاف، وهي في معنى: يَذْكُرُ، «أَوْ أَرَادَ» شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا.

﴿وَيَكَاذِبُ الْإِنْسَانُ عَلَى آلِئْسَى هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٤﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقَرُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَكَاذِبُ الْإِنْسَانُ عَلَى آلِئْسَى هَوْنًا﴾ وَقَرَأَ عَلِيٌّ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَابْنُ السَّمِيعِ: «يُبْشُونَ» برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد. وقال ابن قتيبة: إِنَّمَا نَسِبُهُمْ إِلَيْهِ لِاصْطِفَائِهِ إِيَّاهُمْ، كَقَوْلِهِ: «نَاكَأَ اللَّهُ» [الأعراف: ٧٣]، ومعنى «قَوَامًا»: مَشِيًّا رَوِيدًا<sup>(٢)</sup>. ومنه يقال: أَحْبَبْتُ حَبِيبَكَ هَوْنًا<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: يَمْشُونَ بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ. «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» أَي: سَدَادًا. وقال الحسن: لَا يَجْهَلُونَ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل بن حيان: «قَالُوا سَلَامًا» أَي: قَوْلًا يَسْلُمُونَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ. وَهَذِهِ آيَةٌ مُحْكَمَةٌ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ. وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِلْكَفَّارِ: لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ غَيْرُ السَّلَامِ، ثُمَّ نُسِخَتْ بِآيَةِ السَّيْفِ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: كُلٌّ مِنْ أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ فَقَدْ بَاتَ، نَامَ أَوْ لَمْ يَنْمَ؛ يُقَالُ: بَاتَ فَلَانَ قَلْعًا، إِنَّمَا الْمَبِيتُ إِدْرَاكُ اللَّيْلِ.

قوله تعالى: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ مُتَقَارِبٌ مَعَانِيهَا: أَحَدُهَا: دَائِمًا، رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(٥)</sup>. وَالثَّانِي: مُوجِعًا، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: مُلِحًّا، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ؛ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَا يَفَارِقُ. وَالرَّابِعُ: هَلَاكًا، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْغَرَامَ فِي اللُّغَةِ: أَشَدُّ الْعَذَابِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَزَوَّمُ النَّسَارَ وَزَوَّمُ الْجِفَا  
رَكَائِنَا عَذَابًا وَكَائِنَا غَرَامًا<sup>(٦)</sup>  
قَالَ الزَّجَّاجُ:

قوله تعالى: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ أَي: بِشَرِّ مَوَاضِعِ الْإِسْقَامَةِ هِيَ.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَفْقَرُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: «يَقْتُرُوا» مُفْتَوِحَةً الْيَاءَ مَكْسُورَةً

- (١) «شرح ديوان زهير» ٥، و«غريب القرآن» ٣١٤، و«مجاز القرآن» ٨٠/٢، و«الطبري» ٣٢/١٩، و«القرطبي» ٦٥/١٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ١/٢٢٨، و«اللسان» و«التاج»: تخلف. واليدين: جمع أعين وعيناء: يقر الوحش، سميت بذلك لسعة أعينها. والآرام: جمع رَم، وهو الظبي الخالص البياض. وخِلْفَةٌ: يخلف بعضها بعضاً. والأطلاء: جمع الطلاء، وهو الولد من ذوات الظلف. والمجمم: المريض.
- (٢) قال ابن كثير: أَي: جَعَلَهُمَا يَتَعَابَدَانِ تَوْقِيَةً لِعِبَادَةِ عِبَادِهِ ﷺ، فَمَنْ قَاتَهُ عَمَلٌ فِي اللَّيْلِ اسْتَدْرَكَهُ فِي النَّهَارِ، وَمَنْ قَاتَهُ عَمَلٌ فِي النَّهَارِ اسْتَدْرَكَهُ فِي اللَّيْلِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْطِ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ سَيِّئُ النَّهَارِ، وَيَسْطِ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ سَيِّئُ اللَّيْلِ». اهـ.
- (٢) قال ابن كثير: وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ كَالْمَرْضَى تَمْشِيًا وَرِيَاءً، فَقَدْ كَانَ سَيِّدٌ وَلَدَ أَدَمَ ﷺ إِذَا مَشَى كَانَمَا يَنْحَرُّ مِنْ حَبِّبٍ، وَكَأَنَّمَا الْأَرْضُ تَطْوِي لَهُ. قَالَ: وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ السَّلَفِ الْمَشْيَ بِتَضَعُّفٍ وَتَضَعُّعٍ، قَالَ: وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِالْهَوْنِ هُنَا: السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْتَوْنُ، وَاتَّوَمَّا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، فَمَا أَحْرَكُمْ مِنْهَا فَنُفِلُوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَاتَمُوا» اهـ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
- (٤) هُوَ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ كَمَا فِي «الْأَدَبِ الْمَعْرُودِ» لِلْخَارِجِيِّ: «أَحْبَبُ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا، عَصَى أَنْ يَكُونَ بِغَيْبِكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَضُ بِغَيْبِكَ هَوْنًا مَا، عَصَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبِكَ يَوْمًا مَا» وَلَمْ يَبْتَ فِي الْمَرْفُوعِ، وَاضْأَفَةً «مَا» إِلَى الْهَوْنِ نَفِيدَ التَّخْفِيلِ، وَالْمَعْنَى: أَحَبُّ حَبِيبِكَ حَبًّا مُقْتَصِدًا لَا إِفْرَاقَ فِيهِ، أَي: لَا تَسْرِفُ فِي الْحُبِّ وَالْبَغْضِ، فَهِيَ أَنْ يَصِيرَ الْحَبِيبُ بَغْضًا، وَالْبَغِضُ حَبًّا، فَلَا تَكُنْ مَسْرِفًا فِي الْحُبِّ فَتَنْدَمَ، وَلَا فِي الْبَغْضِ فَتَأْسَفَ.
- (٥) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» ٤٤٥/٥ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مَقْرَنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَبَّ رَجُلٌ رَجُلًا عَنْدهُ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمَسْبُوبُ يَقُولُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنْ مَلَكََا بَيْنَكُمَا يَدَبٌ عَنْكَ، كُلَّمَا شَتَمْتَ هَذَا قَالَ لَهُ: بَلِ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ، وَإِنَّا قَالَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: لَا، بَلِ لَكَ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ»، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَاسْتَدَاهُ حَسَنٌ.
- (٦) ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٧٧/٥ مِنْ رَوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ.
- (٧) الْبَيْتُ لِشَرِّ بْنِ أَبِي خَازِمٍ كَمَا فِي «مَجَازِ الْقُرْآنِ» ٨٠/٢، و«الطبري» ٣٦/١٩، و«البحر» ٥١٣/٦، و«روح المعاني» ٤١/١٩، و«اللسان»، و«التاج»: غَرَمَ. وَنَسَبَهُ فِي «اللسان» لِلرُّومِاحِ.

التاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «يَقْتُثِرُوا» بفتح الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: «يُقْتَرُوا» بضم الياء وكسر التاء. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أن الإسراف: مجاوزة الحد في النفقة، والإقتار: التقصير عما لا بُدَّ منه، ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب: كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتى. والثاني: [أن] الإسراف: الإنفاق في معصية الله وإن قلَّ، والإقتار: منع حق الله تعالى، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقناة، وابن جريج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ﴾ يعني الإنفاق ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: بين الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ أي: عدلاً؛ قال ثعلب: القوام، بفتح القاف: الاستقامة والعدل، وبكسرهما: ما يدوم عليه الأمر ويستقر<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهْكًا ﴿٧١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذُّنْبِ أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»، فأنزل الله تعالى تصديقها ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا... آخَرَ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو نخبرنا أن لِمَا عَمِلْنَا كَفَارَةً، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَحِيمًا﴾، أخرجه مسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن وحشياً أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرتني حتى أسمع كلام الله، فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جوارى حتى أسمع كلام الله»، قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزني، فهل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطاً، فعلي لا أعمل صالحاً، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فدعاه فتلاها عليه، فقال: ولعلي ممن لا يشاء [الله]، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيَّ أَفْسِهِمْ لَا تَقْتُلُوا رِجْمَةَ اللَّهِ﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>؛ وهذا وحشي هو قاتل حمزة؛ وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر، وهو بعيد الصحة، والمحفوظ في إسلامه غير هذا، وأنه قدِمَ مع رسل الطوائف فأسلم من غير اشتراط<sup>(٥)</sup>. وقوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ معناه: يُعْبُدُونَ. وقد سبق بيان قتل النفس بالحق في [الأنعام: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل: «يَلْقَى» برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة. قال ابن عباس: يَلْقَى جزاء. وقال مجاهد، وعكرمة: هو وادٍ في جهنم. وقال ابن قتية: يَلْقَى عقوبة، وأنشد:

[جَزَى اللَّهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى  
غُفُورًا] والمُعْشُوقُ لَهُ أَثَامٌ<sup>(٦)</sup>

قال الزجاج: وقوله: ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ جزماً على الجزاء. قال أبو عمرو الشيباني: يقال: قد لقيت أثام ذلك، أي: جزاء ذلك، وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه: يلقى جزاء الأثام. قال سيبويه: وإنما جزم ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ لأن مضاعفة العذاب لُقي الأثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام بين ذلك، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتصر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرغصاً فيهما، ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتصر مذمومين، لأن ما أذن الله في فعله، فغير مستحق فاعله الذم. اهـ.

(٢) رواه البخاري ٣٧٨/٨، ومسلم ٩٠/١.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١١٣/١، ورواه البخاري ٤٢٢/٨ سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبَايِعُوا عَلَيَّ أَفْسِهِمْ...﴾ [الزمر: ٥٣].

(٤) هكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٣.

(٥) انظر البخاري بشرح «الفتح» ٢٨٤/٧.

(٦) البيت لبهاء بن قيس الكناني، كما في «غريب القرآن» ٣١٥، و«مجاز القرآن» ٨١/٢، و«الطبري» ٤٠/١٩، و«اللسان»؛ أثم، ونسبه إلى شافع الليثي.

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمُ بِنَا فِي دِيَارِنَا  
لأن الإتيان هو الإلمام، فجزم «تُلْمِمُ» لأنه بمعنى «تأتي». وقرأ الحسن: «يُضَعَّفُ»، وهو جيد بالغ؛ تقول: ضاعفت الشيء وضَعَفْتُهُ. وقرأ عاصم: «يُضَاعَفُ» بالرفع على تفسير «يَلْتَقِ أُنَامًا» كأن قائلًا قال: ما لقي الأنام؟ فقل: يُضَاعَفُ للأثم العذاب. وقرأ أبو المتوكل، وقتادة، وأبو حيو: «يُضَعَّفُ» برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف. وقرأ أبو حصين الأسدي، والعمرى عن أبي جعفر مثله، إلا أن العين مكسورة، و«العذاب» بالنصب.  
قوله تعالى: ﴿وَيُخَلِّدُ﴾ وقرأ أبو حيو، وقتادة، والأعمش: «ويُخَلِّدُ» برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم شددوا اللام.

### فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة؛ وفي ناسخها ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكية، والتي في «النساء» مدنية. والثاني: أنها نسخت بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]. والثالث: أن الأولى نسخت بالثانية، وهي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾. والقول الثاني: أنها محكمة؛ والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا. وفساد القول الأول ظاهر، لأن القتل لا يوجب تخليدًا عند الأكثرين؛ وقد بيّنه في سورة [النساء: ٩٣]، والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه، والاستثناء ليس بنسخ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ قال ابن عباس: قرأنا على عهد رسول الله سنتين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ثم نزلت ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ فما رأيت رسول الله ﷺ فرح بشيء فرحه بها، وبـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ [الفتح: ١].  
قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ يَدُّ الْأَشْيَاءِ خَيْرٌ مِنْ يَدِّكُمْ﴾ اختلغا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبذل الله شركهم إيمانًا، وقتلهم إمساكًا، وزناهم إحصانًا؛ وهذا يدل على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أن هذا يكون في الآخرة، قاله سلمان ﷺ، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين. وقال عمرو بن ميمون: يبذل الله سيئات المؤمنين إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي. وعن الحسن كالقولين. وروي عن الحسن أنه قال: ودَّ قوم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب؛ فقل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ لِلَّهِ يَدُّ الْأَشْيَاءِ خَيْرٌ مِنْ يَدِّكُمْ﴾، ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليه صغار ذنوبه وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا، كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة»، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٣).

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٣﴾

(١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ٧٧/١٣، و«مجمع البيان» ١٩/١٢٢، و«البحر» ٦/٥١٥، و«روح المعاني» ٤٤/١٩.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥ من رواية ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٨٤: رواه الطبراني من رواية علي بن زيد عن يوسف بن مهراز، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقي رجاله ثقات. وقد جاء في صحيح البخاري ٤٤٨/٨ أن رسول الله ﷺ قال عندما نزلت سورة (الفتح): «لقد أنزلت علي الليلة سورة لم ي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، ورواه أحمد في «المستد»، والترمذي، والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ١٧٧/١ ولفظه بتمامه عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا كذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها هاهنا» فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. ورواه الطبري ٤٧/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٩/٥، وزاد نسبه لأحمد، وهناد، والترمذي، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي ذر ﷺ.



وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّرُوا عَلَيْهَا سُوءًا وَعَمِيقًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزِلِكُمْ وَدُرِّيَاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لُفَّتَيْنِ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة. وقال ابن عباس: يعني: ممن لم يقتل ولم يزن، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فإني قد قدمتهم وفضلتهم على من قاتل نبي واستحل محارمي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ عَلَى اللَّهِ مَنَاسِكًا﴾ قال ابن الأنباري: معناه: من أراد التوبة وقصد حقيقتها، فينبغي له أن يريد الله بها ولا يخلط بها ما يفسدها؛ وهذا كما يقول الرجل: من تجر فإنه يتجر في البرء. ومن ناظر فإنه يناظر في النحو، أي: من أراد ذلك، فينبغي أن يقصد هذا الفن؛ قال: ويجوز أن يكون معنى [هذه] الآية: ومن تاب وعمل صالحاً، فإن ثوابه جزاءه يعظم له عند ربه الذي أراد بتوبته، فلما كان قوله: ﴿فَإِنَّهُ يُؤْثِرُ عَلَى اللَّهِ مَنَاسِكًا﴾ يؤدي عن هذا المعنى، كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرجل: إذا تكلمت فاعلم أنك تكلم الوزير، أي: تكلم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ كَرِيمٌ فَتَقَاتَى وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ [يونس: ٦١]، أي: فإني أتوكل على من ينصرتني ولا يسلمني. وقال قوم: معنى الآية: فإنه يرجع إلى الله مرجعاً يقبله منه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: أنه الضم؛ روى الضحاك عن ابن عباس أن الزور صنم كان للمشركين. والثاني: أنه الغناء، قاله محمد بن الحنفية، ومكحول؛ وروى ليث عن مجاهد قال: لا يسمعون الغناء. والثالث: الشرك، قاله الضحاك، وأبو مالك. والرابع: لعب كان لهم في الجاهلية، قاله عكرمة. والخامس: الكذب، قاله قتادة، وابن جريج. والسادس: شهادة الزور، قاله علي بن أبي طلحة. والسابع: أعياد المشركين، قاله الربيع بن أنس. والثامن: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالبلغو هاتنا خمسة أقوال: أحدها: المعاصي، قاله الحسن. والثاني: أذى المشركين إياهم، قاله مجاهد. والثالث: الباطل، قاله قتادة. والرابع: الشرك، قاله الضحاك. والخامس: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه، قاله مجاهد. وقال محمد بن علي: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها.

قوله تعالى: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مَرُّوا حُلُمَاءَ، قاله ابن السائب. والثاني: مَرُّوا مُعْرِضِينَ عنه، قاله مقاتل. والثالث: أن المعنى: إذا مَرُّوا بالبلغو جاوزوه، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخَوِّرُوا عَلَيْهَا سُوءًا وَعَمِيقًا﴾ قال ابن قتيبة: لم يتغافلوا عنها كأنهم صُمُّ لم يسمعوها، عمي لم يروها. وقال غيره من أهل اللغة: لم يشتوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يسمعوها ولم يروها، وإن لم يكونوا خرواً حقيقة؛ تقول العرب: شتمت فلاناً فقام يبيكي، وقعد يندب، وأقبل يعتذر، وظلَّ يتحير، وإن لم يكن قام ولا قعد.

قوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزِلِكُمْ وَدُرِّيَاتِنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿وَدُرِّيَاتِنَا﴾ على الجمع. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَدُرِّيَاتِنَا﴾ على التوحيد، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ وقرأ ابن

(١) قال ابن جرير الطبري: وأصل الزور: تحسين الشيء وصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يحسن ترجيح الصوت حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضاً قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور. قال: فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً، ولا غناء، ولا كذباً، ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله حم في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل. اهـ. وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا أَنْبِئُكُمْ بِكَبِيرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَهَقُّ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مَكْتَبًا فَجَسَّ فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يَكْرَهُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَ سَكَتَ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدهم بأنهم إذا مروا بالبلغو مروا كراماً، واللفظ في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقيح، فسب الإنسان الإنساناً بالباطل الذي لا حقيقة له، من اللغو، ودكر النكاح بصريح اسمه مما يستقيح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تنظيم المشركين لكهنتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقيح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه - إذا كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو - أن يقال: غني به بعض ذلك دون بعض، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. اهـ.



مسعود، وأبو حيو: «قُرَاتٌ أَغْنَيْنِي» يعنون: من يعمل بطاعتك فتقرّ به أعيننا في الدنيا والآخرة. وسئل الحسن عن قوله: «قُرَّةُ أَعِين» في الدنيا، أم في الآخرة؟ قال: لا، بل في الدنيا، وأي شيء أَقْرُّ لعين المؤمن من أن يرى زوجته وولده يطيعون الله، والله ما طلب القوم إلا أن يُطاع الله فتقرّ أعينهم. قال الفراء: إنما قال: «قُرَّةٌ» لأنها فعل، والفعل لا يكاد يُجمع، ألا ترى إلى قوله: «وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» [الفرقان: ١٤] فلم يجمعه؛ والقُرَّة مصدر، تقول: قرّت عينه قُرَّةً، ولو قيل: قُرَّة عين أو قُرَات أعين كان صواباً. وقال غيره: أصل القُرَّة من البرّد، لأن العرب تتأذى بالحرّ، وتستروح إلى البرّد.

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا لِلنَّبِيِّينَ إِمَامًا» فيه قولان: أحدهما: اجعلنا أئمة يقتدى بنا، قاله ابن عباس. وقال غيره: هذا من الواحد الذي يراد به الجمع، كقوله: «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الشعراء: ١٦]، وقوله: «وَأَنبَأَهُمُ عَذْرَ لِي» [الشعراء: ٧٧]. والثاني: اجعلنا مؤتمنين بالمؤمنين مقتدين بهم، قاله مجاهد؛ فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب، فيكون المعنى: واجعل المؤمنين لنا إماماً<sup>(١)</sup>.

﴿أُولَئِكَ يَجْزِيكَ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [٧٥] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لِّكَ﴾ [٧٦] ﴿وَمَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٧٧] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٧٨] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٧٩] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٠] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨١] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٢] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٣] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٤] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٥] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٦] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٧] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٨] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٨٩] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٠] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩١] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٢] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٣] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٤] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٥] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٦] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٧] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٨] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [٩٩] ﴿قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ﴾ [١٠٠]

قوله تعالى: «أُولَئِكَ يَجْزِيكَ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» قال ابن عباس: يعني الجنة. وقال غيره: الغرفة: كل بناء عالٍ مرتفع، والمراد غرف الجنة، وهي من الزّيرجد والدُّرّ والياقوت، «بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكَ رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لِّكَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «وَلَقَدْ جَاءَكَ رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لِّكَ» بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «وَلَقَدْ جَاءَكَ رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لِّكَ» بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، «بَيِّنَاتٍ وَسَلَامًا» قال ابن عباس: يُحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّلام، ويرسل إليهم الرّبّ ﷻ بالسَّلام. وقال مقاتل: «تَحِيَّةٌ» يعني السَّلام، «وسلاماً» أي: سلّم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما يصنع بكم! قاله ابن عباس. والثاني: أي وزن يكون لكم عنده؛ نقول: ما عبأ بفلان، أي: ما كان له عندي وزن ولا قَدْر، قاله الزجاج. والثالث: ما يعبا بعبادكم، قاله ابن قتيبة. وفي قوله: «قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ» أربعة أقوال: أحدها: لولا إيمانكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: لولا عبادتكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: لولا دعاؤه إياكم لتعبده، قاله مجاهد؛ والمراد نفع الكلّ، لأن الله تعالى غير محتاج. والرابع: لولا توحيدكم، حكاه الزجاج. وعلى قول الأكثرين ليس في الآية إضمار؛ وقال ابن قتيبة: فيها إضمار تقديره: ما يعبا بعبادكم لولا ما تدعونونه من الشريك والولد، ويوضح ذلك [قوله]: «مَسَرَّقٌ يَكْفُرُ لِرَأْسِهِ» يعني: العذاب، ومثله قول الشاعر:

مَنْ شَاءَ فَلْيَسْرِ النَّفْسُ فِي هُوَةٍ  
ضَنْكٍ وَلَكِنْ مَنْ لَّهُ بِالْمَضِيِّ<sup>(٣)</sup>

أي: بالخروج من المضيق. وهل هذا خطاب للمؤمنين، أو للكفار؟ فيه قولان. فاما قوله تعالى: «قُلْ مَا يَكْفُرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِآيَاتِهِ» فهو خطاب لأهل مكة حين كذبوا رسول الله ﷺ، «مَسَرَّقٌ يَكْفُرُ لِرَأْسِهِ» يعني: تكذيبكم «لِرَأْسِهِ» أي: عذاباً لازماً [لكم]؛ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قتلهم يوم بدر فقتلوا يومئذ، واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم، وهذا مذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومجاهد في آخرين. والثاني: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثالث: أن الزّمام: القتال، قاله ابن زيد.

(١) قال ابن كثير: وقال غيره: اجعلنا هداة مهتدين دعاة إلى الخير، فأجروا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متدياً إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مأباً. اهـ. وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

(٢) قال ابن كثير: أولئك يُبَيِّنُونَ فِيهَا بِالنَّحْيَةِ وَالْإِكْرَامِ، ويلقون التّوقير والاحترام، فلمهم السَّلام وعليهم السَّلام، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ».

(٣) «مشكل القرآن»: ٣٣٩، «واللسان»: دلا، وأيضا في «اللسان» و«التاج»: ضيق، «ورواية الشطر الأول فيهما: مَنْ شَاءَ يَدْنِي النَّفْسُ فِي هُوَةٍ».

## سورة الشعراء

وهي مكية كلها، إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿وَالشَّعْرَاءُ يَلْعَبُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها، قاله ابن عباس، وقناة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس١﴾ تِلْكَ مَائِكَتُ الْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٢﴾ لَكَ يَتَجَشَّعُ نَسْلُكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لِمَا خَضِبِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعَذِّبٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَارٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرِهْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُ هَٰؤُلَاءِ لَوْلَا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿طس١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «طسّم» بفتح الطاء وإدغام النون من هجاء «سين» عند الميم. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبان، والمفضل: «طسّم» و«طيس» بإمالة الطاء فيهما. وأظهر النون من هجاء «سين» عند الميم حمزة هاهنا وفي (القصص). وفي معنى «طسّم» أربعة أقوال: أحدها: أنها حروف من كلمات، ثم فيها ثلاثة أقوال: أحدها: [ما] رواه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت «طسّم» قال رسول الله ﷺ: «الطاء: طور سيناء، والسين: الاسكندرية، والميم: مكة»<sup>(١)</sup>. والثاني: [أن] الطاء: طيبة، وسين: بيت المقدس، وميم: مكة، [رواه الضحاك عن ابن عباس]. والثالث: الطاء: شجرة طوبى، والسين: سدره المنتهى، والميم: محمد ﷺ، قاله جعفر الصادق. والثاني: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقد بيّنا كيف يكون مثل هذا من أسماء الله تعالى في فاتحة مريم. وقال القرطبي: أقسم الله بظوله وسنائه وملكه. والثالث: أنه اسم للسورة قاله مجاهد. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة، وأبو روق<sup>(٢)</sup>. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [المائدة: ١٥، الكهف: ٦] إلى قوله: ﴿إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ والمعنى: لعلك قاتل نفسك لتركههم الإيمان. ثم أخبر أنه لو أراد أن ينزل عليهم ما يضطربهم إلى الإيمان لفعل، فقال: ﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: ﴿إِنْ شَأْ يُنْزَلْ﴾ بالياء فيهما، ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءٌ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لِمَا خَضِبِينَ﴾ جعل الفعل أولاً للأعناق، ثم جعل «خاضعين» للرجال، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون. وقيل: لما وصف الأعناق بالخضوع، وهو من صفات بني آدم، أخرج الفعل مخرج الأدميين كما بيّنا في قوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَايَتْهُمُ لِي سَجْدِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]، وهذا اختيار أبي عبيدة. وقال الزجاج: قوله: ﴿فَظَلَّتْ﴾ معناه: فَتَنَّتْ، لأن الجزء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل، كقولك: إن تأتني أكرمتك، معناه: أكرمك؛ وإنما قال: «خاضعين» لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها، وذلك أن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، كما قال الشاعر:

رَأَتْ مَرَّ السَّيْرِ أَخْذُنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهِلَالِ<sup>(٣)</sup>

(١) لم يذكر المفسرون أن معنى هذه الحروف ورد في المرفوع، إلا ما ذكر الطبرسي من علماء الإمامية الشيعية في تفسيره «مجمع البيان» حيث قال: وروي عن ابن الحنفية عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ ... فذكره من غير سند، فعمل المصنف نقل هذا المعنى عنه أو من نقل عنه. وقد نقل القرطبي هذا المعنى من كلام عبد الله بن محمد بن عقيل، ولم يذكره مرفوعاً، وذكر السيوطي في «الدر» ٨٢/٥ عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿طس١﴾ قال: الطاء من ذي الطول، والسين من القدوس، والميم من الرحمن، وكذلك ذكر الألوسي في «تفسيره» ٥٢/١٩.

(٢) قال ابن كثير عن الحروف التي في أوائل السور: وقال آخرون: بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، قال: وقد حكى هذا المذهب الرازي في «تفسيره» عن المبرد وجميع من المحققين، قال: وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في «كشافه» ونصره أتم نصر، قال: وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو الحجاج المزي وحكا له في ابن تيمية. اهـ.

(٣) البيت لجبر، «ديوانه» ٤٢٦، و«مجاز القرآن» ٨٣/٢ و«الطبري» ٦٢/١٩، و«اللسان»: خضع. و«السرار»: الليلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر.

فلما كانت السّتون لا تكون إلا بمرّ، أخبر عن السنين، وإن كان أضاف إليها المرور. قال: وجاء في التفسير أنه يعني بالأعناق كبراءهم ورؤساءهم. وجاء في اللغة أن أعناقهم جماعاتهم؛ يقال: جاءني عُقْنُ من الناس، أي: جماعة. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [الآياء: ٢] إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ﴾ يعني المكذّبين بالبعث ﴿كَرَّ أَنْفُسُنَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿يَنْتَجِ كَيْهٍ﴾ قال ابن قتيبة: من كل جنس حسن. وقال الزجاج: الزوج: النوع، والكريم: المحمود.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تدل على وحدانية الله وقدرته ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ يُؤْمِنُ فِي عِلْمِ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ المتنقم من أعدائه ﴿الْكَرِيمُ﴾ بأوليائه. ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوْعِدٌ أَنْ يَتَّقُوا﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ ﴿وَلَا يَبْلُغُنِي إِسْرَائِيلُ﴾ ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوْعِدٌ أَنْ يَتَّقُوا﴾ ﴿قَالَ كَلَّا فَإِنِّي أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ﴿فَأَنبَأَ هَارُونَ بِقَوْلِهِمْ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ نَرْسِلْكَ فِيْنَا مِنْ غُرَقٍ سَبِينَ﴾ ﴿وَقَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْغِيَّةَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قَالَ فَعَلْنَاكَ إِنَّا وَفَّاءُ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَنَزَعْتُمْ مِنْكُمْ لَنَا خِفَتِكُمْ فَوَعَدَ لِي رَبِّي شُكْلًا يَجْعَلُنِي مِنَ السَّرَّاسِ﴾ ﴿وَلَكَ يَوْمَ تَنْتَهِ عَنَّا عَذَابٌ بِحَسْبِ إِسْرَءِيلَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّكَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ واتل هذه القصة على قومك.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يَكْذِبُونَ﴾ ياء «يَكْذِبُونَ» محذوفة، ومثلها «أَنْ يَقْتُلُونَ» [الشعراء: ١٤] «سَبِينَ» [الشعراء: ٦٢] «فَهَرُ يَحْيَى» [الشعراء: ٧٨] «وَسَبِينَ» [الشعراء: ٧٩] «فَهَرُ يَحْيَى» [الشعراء: ٨٠] «ثَرَّ يَحْيَى» [الشعراء: ٨١] «كَذَّبُوا» [الشعراء: ١١٧] «وَالْيَهُودُ» [الشعراء: ١٠٨] فهذه ثمان آيات أثبتن في الحاليين يعقوب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ أي بتكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَبْلُغُنِي إِسْرَائِيلُ﴾ للتعقّد التي كانت بلسانه. وقرأ يعقوب: «وَيَضِيقُ» ولا يَنْطَلِقُ بنصب القاف فيها، «فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ» المعنى: ليُعيني، فحذف، لأن في الكلام دليلاً عليه. «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَوْعِدٌ أَنْ يَتَّقُوا» وهو القتل الذي وكزه فقصى عليه؛ والمعنى: ولهم عليّ دعوى ذنب «فَأَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِ» به. «قَالَ كَلَّا» وهو ردع وزجر عن الإقامة على هذا الظن؛ والمعنى: لن يقتلوك لأنّي لا أسلّطهم عليك، «فَأَنبَأَ» يعني: أنبت وأخوك «فَأَنبَأْتُ» وهي: ما أعطاهما من المعجزة «إِنَّا» يعني نفسه ﴿مَعَكُمْ﴾ فأجراهما مجرى الجماعة «مُسْتَمِعُونَ» نسمع ما تقولان وما يحييونكما به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن قتيبة: الرسول يكون بمعنى الجميع، كقوله: «هَذَا كَلَامِي» [الحجر: ٦٨] وقوله: «ثُمَّ نَحْنُ بِكُمْ بِطَلَا» [الحج: ٥]. وقال الزجاج: المعنى: إِنَّا رسالَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أي: ذوو رسالة رب العالمين، قال الشاعر:

لَقَدْ كَذَّبَ الْوَائِسُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ  
أي: برسالة.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ المعنى: بأن أرسل «مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ» أي: أظلفهم من الاستعباد، فاتّياه فبلغاه الرسالة، ف «قَالَ أَلَمْ نَرْسِلْكَ فِيْنَا مِنْ غُرَقٍ سَبِينَ» أي: صبياً صغيراً «وَلَكِنَّتَ فِيْنَا مِنْ غُرَقٍ سَبِينَ» وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: ثمان عشرة سنة، قاله ابن عباس. والثاني: أربعون سنة، قاله ابن السائب. والثالث: ثلاثون سنة، قاله مقاتل، والمعنى: فجازيتنا على أن ربّيناك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً، وهو قوله: «وَقَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ» وهي قتل النفس. قال الفراء: وإنما نُصِبَتْ الفاء، لأنها مرة واحدة، ولو أريد بها مثل الجلسة والمشية جاز كسرهما. وفي قوله: «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قولان: أحدهما: من الكافرين لنعمتي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وعطاء، والضحاك، وابن زيد. والثاني: من الكافرين بإلهك، كتبت معنا على ديننا الذي تعيب، قاله الحسن، والسدي. فعلى الأول: وأنت من الكافرين الآن.

(١) عبارة ابن الجزي في كتاب «النشر في القراءات العشر» ٣٢٣/٢: «أنبت الياء في جميعها يعقوب في الحاليين».

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في «مجاز القرآن» ٨٤/٢، و«غريب القرآن» ٣١٦، و«الطبري» ٦٥/١٩، و«القرطبي» ٩٣/١٣، و«اللسان» و«التاج»: رسل.



وَقَوْلُهَا وَالرَّكَاثُ سَائِرَةٌ  
وَجَفَنُهَا مَنْ ذَمَّوْهَا شَرْقُ<sup>(٢)</sup>  
تَتَرَكْنَا هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

﴿قَالَ رَفِيعٌ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَفِيعٌ وَمَا بَيْنَهُمَا الْآلِهَةُ قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَنَجْزِيَّ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ قَوْلُونَ ﴿٤٢﴾ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَفِيعٌ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ سَأَلَهُ عَنْ مَا هِيَ مَنْ لَا مَا هِيَ لَهُ، فَأَجَابَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ مَصْنُوعَاتِهِ (٣). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَالثَّانِي: إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن كفر فرعون وتعمده وطغيانه وجسوده في قوله: ﴿يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه: ﴿هَٰؤُلَاءِ لَكُمْ مِنِّي إِلَّا مَقَرٌّ وَمَقَارُهُ﴾ وكانوا يجحدون الصانع جلا وعلا، ويستقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون، فلما قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال له فرعون: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ قال ابن كثير: هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَسَنُزَكِّيكَ بُرْسِينَ﴾ **﴿قَالَ رَبُّ الْآلَةِ أَفْصَلُ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَٰذَا﴾** قال: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين: **﴿قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَمَا يَهْتَمُّ بِهِ﴾** أي: خالق جميع ذلك وغالكة والمتصرف فيه



أن ما تعابونه كما تعابونه، فذلك<sup>(١)</sup>، فأيقنوا أن<sup>(٢)</sup> رب العالمين رب السموات والأرض. **﴿قَالَ﴾** يعني: فرعون **﴿وَلَيْتَ حَوْلَهُ﴾** من أشراف قومه **﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾** معجباً لهم. فإن قيل: فأين جوابهم؟ فالجواب: أنه أراد: ألا تستمعون قول موسى؟ فردّ موسى، لأنه المراد بالجواب، ثم زاد في البيان بقوله: **﴿رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ الْأُولَى﴾**، فأعرض فرعون عن جوابه ونسبه إلى الجنون، فلم يخول موسى بقول فرعون، واشتغل بتأكيد الحجة، فـ **﴿قَالَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ﴾** أي: إن كنتم ذوي عقول، لم يخف عليكم ما أقول.

**﴿قَالَ لَيْتَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرَ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْخَرِينَ﴾** **﴿١﴾** قَالَ أَوَلَمْ يَجْعَلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّهِ **﴿٢﴾** قَالَ قَاتِلْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ **﴿٣﴾** فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ **﴿٤﴾** وَنَجَّى يَدَهُ إِذَا هِيَ بِنَاصِيَ الْعَاقِلِينَ **﴿٥﴾** قَالَ لِلشَّيْطَانِ هَوِّنْ عَلَىَّ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَلِيمٌ **﴿٦﴾** يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ **﴿٧﴾** قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخْلَعْ وَأَمْسِكْ فِي اللَّيَالِي حَتَّىٰ نَمُوتَ **﴿٨﴾** يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلَيْهِ **﴿٩﴾** فُجُيعَ السَّحَابَةِ لِيَقْنَتَ يَوْمَ مَلَأُوهُ **﴿١٠﴾** وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ **﴿١١﴾** لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَابَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْقَائِلِينَ **﴿١٢﴾** فَلَمَّا جَاءَهُ السَّحَابُ قَالَوا لِيُرَوْا إِيَّاهُ لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْقَائِلِينَ **﴿١٣﴾** قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ إِذَا لَيْتَ الْمُفْرِينَ **﴿١٤﴾** قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلَمْ أَنْتُمْ تُلْقُوا **﴿١٥﴾** قَالُوا جَاءَلَكُمْ وَصَصْتَهُمْ وَقَالُوا بَعْرَ وَرَوْحَ إِنْ نَحْنُ الْعَالِيُونَ **﴿١٦﴾** فَأَلْقَى مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ مَأْثَرٍ **﴿١٧﴾** فَأَلْقَى السَّحَابَ سَحَابًا **﴿١٨﴾** قَالُوا مَاءًا رَيبُ الْقَائِلِينَ **﴿١٩﴾** رَبِّ مُوسَىٰ وَعَصْرُونَ **﴿٢٠﴾**

قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَجْعَلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّهِ﴾** أي: بأمر ظاهر تعرف به صدقي أنسجني؟ وما بعد هذا مفسر في ١٠٧٠ أعراف: إلى قوله: **﴿فُجُيعَ السَّحَابَةِ لِيَقْنَتَ يَوْمَ مَلَأُوهُ﴾** وهو يوم الزينة، وكان عيداً لهم، **﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾** يعني أهل مصر. وذهب ابن زيد إلى أن اجتماعهم كان بالاسكندرية.

قوله تعالى: **﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَابَ﴾** قال الأكثرون: أرادوا سحرة فرعون؛ فالمعنى: لعلنا نتبعهم على أمرهم. وقال: بعضهم: أرادوا موسى وهارون، وإنما قالوا ذلك استهزاء. قال ابن جرير: ولعل هاهنا بمعنى «كي». وقوله<sup>(٣)</sup>: **﴿بَعْرَ وَرَوْحَ﴾** أي: بعظته<sup>(٤)</sup>.

**﴿قَالَ مَسْتَشِرٌّ لَمْ يَلَمْ أَنَا مَادَنَ لَكُمْ إِنْ لَمْ لَكِرْكُمْ أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْنَا لَوْلَا فَسَوْفَ تَقُولُونَ لَأَقْبَلَنَّ إِلَيْنَا وَنُكَلِّمُنَّ مِنْ خَلْفِ الْأُمَمِ﴾** **﴿١﴾** قَالُوا لَا خَيْرَ إِلَّا لَكَ رَبَّنَا مُتَّبِعُونَ **﴿٢﴾** إِنْ نَحْنُ نَخْلَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَلَعْنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ **﴿٣﴾** قوله تعالى: **﴿فَلَسَوْفَ تَقُولُونَ﴾** قال الزجاج: اللام دخلت للتركيد.

قوله تعالى: **﴿لَا خَيْرَ﴾** أي: لا ضرر. قال ابن قتبية: هو من ضارّه يَضُورُهُ وَيَضِيرُهُ؛ بمعنى: ضره. والمعنى: لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا، لأننا نقبل إلى ربنا في الآخرة مؤملين غفرانه.

قوله تعالى: **﴿أَنْ كُنَّا﴾** أي: لأن كنا **﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** بآيات موسى في هذه الحال. **﴿وَلَوْجَدْنَا إِنْ مَوْسَىٰ أَنْ أَسْرَ بِسَادَتِ الْكُرْثِيِّ﴾** **﴿١﴾** فَأَرْسَلَ رُحُوسَ فِي السَّمَاوَاتِ حَتَّىٰ **﴿٢﴾** إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ **﴿٣﴾** وَلَهُمْ لَكَاظِمُونَ **﴿٤﴾** وَلَهُمْ جَمِيعُ خَلْقِهِ **﴿٥﴾** فَخَرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ **﴿٦﴾** وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ **﴿٧﴾** كَذَلِكَ وَأَرْسَلْنَاهَا بِقِيَامِ يَوْمِ **﴿٨﴾** قوله تعالى: **﴿إِنْ لَمْ تَشْعُرْ﴾** أي: يتبعكم فرعون وقومه.

قوله تعالى: **﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾** المعنى: وقال فرعون إن هؤلاء، يعني بني إسرائيل **﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾** قال ابن قتبية: أي: طائفة. قال الزجاج: والشردمة في كلام العرب: القليل. قال المفسرون: وكانوا ستمائة ألف، وإنما استقلهم بالإضافة إلى جنده، وكان جنده لا يحصى.

قوله تعالى: **﴿وَلَهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾** تقول: غاظني الشيء، إذا أغضبك. قال ابن جرير: وذكر أن غيظهم كان لقتل

= وإله لا شريك له، هو الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحوانات ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير، وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون **﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾** أي: إن كانت لكم قلوب موفقة، وأبصار نافذة. اهـ.

(١) في نسخة الرباط: «أن ما تعابونه كما يعابونه فكذلك»، وفي نسخة الإستانبولى: «أن ما تعابونه فكذلك» والتصحيح من «الطبري».

(٢) في الأصل: أنه.

(٣) في الأصل: تقول.

(٤) أقسموا بعزة فرعون، وهي من أيمان الجاهلية.

الملائكة من قَتَلْتُمْ من أبكارهم. قال: ويحتمل أن غيظهم لذهابهم بالعواري التي استعاروها من حُلِيِّهم، ويحتمل أن يكون لفراقهم إياهم وخروجهم من أرضهم على كُرِه منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ حَزَنًا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «حَازِرُونَ» بغير الف. وقرأ الباقون: «حَازِرُونَ» بآلف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أن الحاذر: المستعد، والحذر: المتيقظ. وجاء في التفسير أن معنى حاذرين: مُؤَدُّون، أي: دُؤو أداة، وهي السلاح، لأنها أداة الحرب. والثاني: أنهما لغتان معناهما واحد؛ قال أبو عبيدة: يقال: رجل حَازِرٌ وحَازِرٌ وحَازِرٌ. والمقام الكريم: المنزل الحسن. وفي قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ قولان. أحدهما: كذلك أفعل بمن عصاني، قاله ابن السائب. والثاني: الأمر كذلك، أي: كما وصفنا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وذلك أن الله تعالى رَدَّمهم إلى مصر بعد غرق فرعون، وأعطاهم ما كان لفرعون وقومه من المساكن والأموال. وقال ابن جرير الطبري: إنما جعل ديار آل فرعون مُلْكًا لبني إسرائيل ولم يَرُدِّدْهم إليها لكنه جعل مساكنهم الشام.

﴿فَاتَّبَعُوهُمْ شُرَافِيكَ﴾ ﴿فَلَمَّا تَرَا الْجَمَانِيَّ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَنَذْكُرَنَّ﴾ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِي﴾ ﴿فَأَرْحَبْنَا آلَ مُوسَىٰ أَن يُضِرَّ بِمَصَالِكَ الْبَحْرِ فَانْقَلَبْ﴾ ﴿كَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمُ الْآخَرِينَ﴾ ﴿وَأَجَعْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهِوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: لحقوهم ﴿شُرَافِيكَ﴾ أي: حين شَرَقَت الشمس، أي: طلعت، يقال: أَشْرَقْنَا: دخلنا في الشروق، كما يقال: أَمْسِينَا وَأَصْبَحْنَا. وقرأ الحسن، وأيوب السخيتاني: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ بالتشديد.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَا الْجَمَانِيَّ﴾ وقرأ أبو رجاء، والنخعي، والأعمش: «تَرَايَ» بكسر الراء وفتح الهمزة، أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِي﴾ أي: سيدلني على طريق النجاة. قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبْ﴾ فيه إضمار «فَضْرَبَ فَانْقَلَبْ»، أي: انشَقَّ الماء اثني عشر طريقاً ﴿كَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء انفرد منه. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «كُلُّ فِلْقٍ» باللام، «كَالطَّوْدِ» وهو الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمُ الْآخَرِينَ﴾ أي: قَرَّبْنَا الْآخَرِينَ من الغرق، وهم أصحاب فرعون. وقال أبو عبيدة: «أَرْزَلْنَا» أي: جمعنا. قال الزجاج: وكلا القولين حسن، لأن جمعهم تقرب بعضهم من بعض، وأصل الرِّزْلَى في كلام العرب: الضَّرْبُ. وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو رجاء، والضحاك، وابن يعمر: «أَرْزَلْنَا» بقاء، وكذلك قرأوا: «وَأَرْزَلْنَا الْجِنَّ» [الشعراء: ٩٠] بقاء [أيضاً].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يعني: في إهلاك فرعون وقومه عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لم يكن أكثر أهل مصر مؤمنين، إنما آمنت آسية، وخربيل<sup>(١)</sup> مؤمن آل فرعون، وفَتَّة الماشطة، ومريم - امرأة دَلَّت موسى على عظام يوسف -، هذا قول مقاتل. وما أخللنا به من تفسير كلمات في قصة موسى، فقد سبق بيانها، وكذلك ما يُفقد ذِكره في مكان، فهو إما أن يكون قد سبق، وإما أن يكون ظاهراً، فتنبه لهذا.

﴿وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ تَبَاً إِزْمِيرٌ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَشْجَارًا فَنَظَّلُ مَا عَلَيْكِنَّ﴾ ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ ﴿أَوْ يَفْقَهُوكم أَوْ يَضُرُّونَ﴾ ﴿قَالُوا لَا وَجْدَ ءَاتِيَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿أَنْتُمْ وَكِبَاؤُكُمْ﴾ ﴿الْأَلْسُنُونَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْمَلَائِكِينَ﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْمِئِنُّ وَيَسْئِرُ﴾ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ ﴿وَالَّذِي يُبَسِّئُ ثُمَّ يُحْيِي﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَ﴾ والمعنى: هل يسمعون دعاءكم. وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» ٥٧/٢٤: واسمه، قيل: شمعان، بشين معجمة، وقيل: خربيل، بخوا معجمة مكسورة وراء مهملة ساكنة، وقيل: حزيل، بحاء مهملة وزاي معجمة، وقيل: حبيب.

البحردي: «هل يُسمعونكم» بضم الياء وكسر الميم، «إِذْ تَدْعُونَهُ» قال الزجاج: إن شئت بيّنت الذال، وإن شئت أدمعتها في التاء وهو أجود في العربية، لقرب الذال من التاء.

قوله تعالى: «أَوْ يَفْتُرُكُمْ» أي: إن عبدتموهم «أَوْ يَصْرُوكُمْ» إن لم تعبدوهم؟ فأخبروا عن تقليد آبائهم.

قوله تعالى: «فَأَنتُمْ عَدُوٌّ لِّيَ» فيه وجهان: أحدهما: أن لفظه لفظ الواحد والمراد به الجميع؛ فالمعنى: فإنهم أعداء لي. والثاني: فإن كلَّ معبود لكم عدوٌّ لي. فإن قيل: ما وجه وصف الجهاد بالعداوة؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن معناه: فإنهم عدوٌّ لي يوم القيامة إن عبدتهم. والثاني: أنه من المقلوب؛ والمعنى: فإني عدوٌّ لهم، لأن مَنْ عاديتَه عاداك، قاله ابن قتبية<sup>(١)</sup>. وفي قوله: «إِلَّا رَبَّ الْكَافِرِينَ» قولان: أحدهما: أنه استثناء من الجنس، لأنه عليم أنهم كانوا يعبدون الله مع آلهتهم، قاله ابن زيد. والثاني: أنه من غير الجنس؛ والمعنى: لكن رب العالمين ليس كذلك<sup>(٢)</sup>، قاله أكثر النحويين.

قوله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ فَهوَ يُحْيِيهِ» أي: إلى الرشد، لا ما تعبدون، «وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُهُ وَيَسْتَبِيهِ» أي: هو رازقي الطعام والشراب<sup>(٣)</sup>. فإن قيل: لم قال: «مرضت»، ولم يقل: «أمرضتني»؟ فالجواب: أنه أراد الثناء على ربه فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «أمرضني» لعدَّ قومه ذلك عيباً، فاستعمل حُسن الأدب؛ ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: «كَأَرَدْتُ» [الكهف: ٦٧]، وفي الخير المحض: «كَأَرَادَ رَبُّكَ» [الكهف: ٨٢]. فإن قيل: فهذا يرثه قوله: «وَالَّذِي يُشِيتُ». فالجواب: أن القوم كانوا لا يُنكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله ﷻ، فأضافه إبراهيم إلى الله ﷻ، وقوله: «ثُمَّ يُحْيِيهِ» يعني للبعث، [وهو]<sup>(٤)</sup> أمرٌ لا يُجرون به، وإنما قاله استدلالاً عليهم؛ والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لإصححة قلبي فيما خالفتكموني فيه.

قوله تعالى: «وَالَّذِي أَمْسَعَ أَنْ يَخْفِيَ لِي خَيْطِي» يعني: ما يجري على مثلي من الزلل، والمفسرون يقولون: إنما عنى الكلمات الثلاث التي ذكرناها في [الأنبياء: ٦٣]، «يَوْمَ الْيَوْمِ» يعني: يوم الحشر والحساب؛ وهذا احتجاج على قومه أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن فعل هذه الأفعال.

«رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقِيقَ بِالْمُتَحَلِّينَ» [٨٢] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٣] وَلَمَّا عَلِمْتُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا كُنْتُ فَعْلَمٌ وَأَعِزِّ لَأَيُّ لَأَيُّ كَذِبٍ مِنَ الْغَائِبِينَ [٨٤] وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْفَخُونَ [٨٥] يَوْمَ لَا يَفْقَهُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ [٨٦] إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٧]

قوله تعالى: «هَبْ لِي حُكْماً» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: اللَّبَّ<sup>(٥)</sup>، قاله عكرمة. والثالث: الفهم والعلم، قاله مقاتل. وقد بيّنا قوله: «وَالْحَقِيقَ بِالْمُتَحَلِّينَ» في سورة يوسف: [١٠١]، وبيّنا معنى «لِسَانَ صِدْقٍ» في [إبراهيم: ٤١]، والمراد بالآخرين: الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: «وَأَعِزِّ لَأَيُّ» قال الحسن: بلغني أن أمه كانت مسلمة على دينه، فلذلك لم يذكرها. فإن قيل: فقد قال: «وَأَعِزِّ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ» [إبراهيم: ٤١]. قيل أكثر الذُّكر إنما جرى لأبيه، فيجوز أن يسأل الغفران لأمه وهي مؤمنة، فأما أبوه فلا شك في كفره. وقد بيّنا سبب استغفاره لأبيه في [إبراهيم: ٤١]، وذكرنا معنى الخزفي في [آل عمران: ١٩٧].

قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُونَ» يعني: الخلائق.

قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [٨٧] فيه ستة أقوال: أحدها: سليم من الشُّرك، قاله الحسن، وابن زيد. والثاني: سليم من الشُّك، قاله مجاهد. والثالث: سليم، أي: صحيح، وهو قلب المؤمن، لأن قلب الكافر والمنافق مريض، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: أن السُّليم في اللغة: اللدب، فالمعنى: كاللدب من خوف الله تعالى، قاله

(١) قال ابن كثير: أي: إن كانت هذه الأصنام شيئاً، ولها تأثير، فلتخلص إليّ بالمساءة، فإني عدوٌّ لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها. اهـ.

(٢) زيادة من «روح المعاني».

(٣) قال ابن كثير: أي: هو خالقي ورازقي بما سخر ويُسّر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء وأحيا به الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد، وأنزل الماء عنها زلاً لا يسقي مما خلق أنعاماً وأناسٍ كثيراً. اهـ.

(٤) زيادة ليست في الأصل.

(٥) أي: العقل.



الجنيد. والخامس: سليم من آفات المال والبنين، قاله الحسين بن الفضل. والسادس: سليم من البدعة، مُطْمَئِنٌّ على السنة، حكاها الثعلبي.

﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا السَّنِينَ ۝ وَبَرَزَ لِلْجَنِّمْ لِقَاوُنَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرِفُهُمْ أَوْ يَتَّبِعُهُمْ ۝ تَكْفِيرًا ۝ يَا هُمْ وَالْقَائِدَ ۝ وَخَوْدُ إِلَيْسَ أَجْعُونَ ۝ قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَأَلَّوْا إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ سَأَلْتُمْ رَبَّ الْمَلَكِينَ ۝ وَمَا أَسْلَمْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝ قَالَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ قَالُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَمَّا الرَّفِيرُ أَزْجَمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْنَا السَّنِينَ ۝﴾ أي: قُرِئَتْ إليهم حتى نظروا إليها، ﴿وَبَرَزَ لِلْجَنِّمْ﴾ أي: أظهرت ﴿لِقَاوُنَ﴾ وهم الضالون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ على وجه التوبيخ ﴿إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝﴾ من دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصْرِفُهُمْ أَوْ يَتَّبِعُهُمْ أَي: يمنعونكم من العذاب، أو يمتنعون منه.

قوله تعالى: ﴿تَكْفِيرًا﴾ قال السدي: هم المشركين. قال ابن قتيبة: أُلْقُوا على رؤوسهم، وأصل الحرف «كُيِّبُوا» من قولك: كُيِّبْتُ الإِنَاءَ، فابْدَلْ من الباء الوسطى كافاً، استتقلاً لاجتماع ثلاث باءات، كما قالوا: «كُفِّمُوا» من «الكُفَّة»، والأصل: «كُفِّمُوا». وقال الزجاج: معناه: طُرِحَ بعضُهم على بعض، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب، كأنه إذا ألقي بِنَكْبٍ مرَّةً بعد مرَّةٍ حتى يَسْتَقِرَّ فيها. وفي الغاوين ثلاثة أقوال: أحدها: المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: الشياطين، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: الآلهة، قاله السدي. ﴿وَخَوْدُ إِلَيْسَ﴾ أتباعه من الجن والإنس. ﴿قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝﴾ يعني: هم وأهلهم، ﴿تَأَلَّوْا إِن كُنَّا﴾ قال الفراء: لقد كُنَّا. وقال الزجاج: ما كُنَّا إلا في ضلال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ سَأَلْتُمْ﴾ أي: نَحْنُ لَكُمْ بالله في العبادة، ﴿وَمَا أَسْلَمْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ۝﴾ فيهم قولان: أحدهما: الشياطين. والثاني: أولوهم الذين اقتدوا بهم، قال عكرمة: إبليس وابن آدم القاتل.

قوله تعالى: ﴿قَالَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ ۝﴾ هذا قولهم إذا شفع الأنبياء والملائكة والمؤمنون. وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله ﷻ: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي [في النار]: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم؟»<sup>(١)</sup>. والحميم: القريب الذي تَوَدُّهُ وَيُودُّكَ والمعنى: ما لنا من ذي قرابة يُهَيِّمُهُ أمرنا، ﴿قَالُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ﴾ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لتحلُّ لنا الشفاعة كما حَلَّتْ للموحِّدين.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ ثُجَّ الْمُرْسِيِّينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ تُجَّ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ ثُجَّ﴾ قال الزجاج: القوم مذكورون، والمعنى: كَذَّبَتْ جماعة قوم نوح. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ تُجَّ﴾ كانت الأخوة من جهة النَّسَبِ بينهم، لا من جهة الدين، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله بتوحيده وطاعته، ﴿إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝﴾ على الرسالة فيما بيني وبين ربكم<sup>(٢)</sup>. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: على الدعاء إلى التوحيد.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَتَكْتُمُ الْآزْدَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ إِنْ حَسِبْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ۝ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ نَبْشُجُ نَكُورًا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۝﴾

(١) هذا الحديث ذكره الطبرسي من الإمامية الشيعية في تفسير «مجمع البيان» ولم يعزِّه لأحد، بل قال: وفي الخبر المأثور عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ ... فذكره، واستدركنا الزيادة التي بين القوسين منه، ولعل المصنف رحمه الله نقله عن الطبرسي أو ممن نقله عنه، وكذلك ذكره القرطبي في تفسيره عن جابر ولم يعزِّه لأحد، ولم نره، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: هذا إخبار من الله ﷻ عن عبده ورسوله نوح ﷺ، وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض بعدما عبدت الأصنام والأنداد، فيعته الله ناهياً عن ذلك ومحذراً من وويل عقابه، فكذب قوم فاستمروا على ما هم عليه من الفعالي الخبيثة في عبادتهم أصنامهم مع الله تعالى، ونزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل، فلهمنا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ ثُجَّ الْمُرْسِيِّينَ ۝﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ تُجَّ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَي: ألا تخافون الله في عبادتكم غيره؟ ﴿إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝﴾ أَي: إني رسول من الله إليكم، آمين فيما بعثني الله به، أبلفكم رسالات ربي ولا أزيد فيها ولا أنقص منها.



قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَارِهُونَ﴾ وقرأ يعقوب بفتح الهمزة وتسكين التاء وضم العين: «وَأَتْبَاعُكَ الْأَرْدَلُونَ»، وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الحاكّة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: الحاكّة والأساكفة، قاله عكرمة. والثالث: المساكين الذين ليس لهم مال ولا عزّ، قاله عطاء. وهذا جهل منهم، لأن الصناعات لا تضرّ في باب الديانات.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلِيْ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لم أعلم أعمالهم وصنائعهم، ولما أكلف ذلك، إنما كلف أن ادعواهم، «إِنْ حَسَابُهُمْ» فيما يعملون ﴿وَلَا عَلَى رَبِّكَ لَوْ تَضَرَّعْتَ﴾ بذلك ما عبتهم في صنائعهم، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي: ما أنا بالذي لا أقبل إيمانهم لزعمكم أنهم الأردلون. وفي قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ مِنَ الْمُتَّوْبِينَ﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: من المستومنين، قاله الضحاك. والثاني: من المضروبين بالحجارة، قاله قتادة. والثالث: من المقتولين بالرّجم، قاله مقاتل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ﴿فَأَنفَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ تَمَامًا وَمَجِيئًا وَمَن مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَأَنفَحَتْهُ وَنَمَّوْا فِي الْفَلَكِ الْمَشْهُورِ﴾ ﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَيْنَ الْبَاقِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قوله تعالى: ﴿فَأَنفَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: افض بيني وبينهم قضاء، يعني: بالعذاب ﴿وَمَجِيئًا وَمَن مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من ذلك العذاب. والفلك قد تقدم بيانه [البقرة: ١٦٤]. والمشحون: المملوء، يقال: شحنت الإناء: إذا ملأته؛ وكانت سفينة نوح قد ملئت من الناس والطير والحيوان كلّها، ﴿ثُمَّ أَفْرَقْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بعد نجات نوح ومن معه ﴿الْبَاقِينَ﴾.

﴿كَتَبَ عَادَ التَّرْسِيلَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَئِزَّ﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ دَجْوَةٍ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ لَمَّا كُنَّ فِي الْحُكْمِ﴾ ﴿وَلَا يَكْفُرْنَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَئِزَّ﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْفُرْنَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَئِزَّ﴾ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَتَّبِعُونَ كُلَّ دَجْوَةٍ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ لَمَّا كُنَّ فِي الْحُكْمِ﴾ وقر عاصم الجحدري، وأبو حيو، وابن أبي عبله: «بِكُلِّ رَجْعٍ» بفتح الراء. قال الفراء: هما لغتان. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المكان المرتفع؛ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: بكل شرف. قال الزجاج: هو في اللغة: الموضع المرتفع من الأرض. والثاني: أنه الطريق، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثالث: الفج بين الجبلين، قاله مجاهد. والآية: العلامة. وفيما أراد بهذا البناء ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أراد: تبون مالا تسكنون، رواه عطاء عن ابن عباس؛ والمعنى أنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثاً. والثاني: بروج الحمام، قاله سعيد بن جبيرة، ومجاهد. والثالث: أنهم كانوا يبنون في المواضع المرتفعة ليُسرفوا على المارة فيسخرها منهم ويغيبوا بهم، وهو معنى قول الضحاك.

قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُدُونَ مَكَانًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قصور مشيّدة، قاله مجاهد. والثاني: مصانع الماء تحت الأرض، قاله قتادة. والثالث: بروج الحمام، قاله السدي<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿لَمَكُمُ تَخْلُدُونَ﴾ قولان: أحدهما: كأنكم تخلدون؛ قاله ابن عباس، وأبو مالك. والثاني: كيما تخلدوا، قاله الفراء، وابن قتيبة. وقرأ عكرمة، والنخعي، وقتادة، وابن يعمر: «تُخْلَدُونَ» برفع التاء وتسكين الخاء وفتح اللام مخففة. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو حصين: «تُخْلَدُونَ» بفتح الخاء وتشديد اللام.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ المعنى: إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم؛ وإنما أنكر عليهم ذلك، لأنه صدر عن ظلم، إذ لو ضربوا بالسيف أو بالسوط في حق ما ليموا. وفي قوله: ﴿عَذَابُكَ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ قولان: أحدهما: ما عذبوا به في الدنيا. والثاني: عذاب جهنم.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مُصْنَعَة، والعرب تسمي كل بناء مصنعاً، وجاز أن يكون ذلك البناء كان قصوراً وحصوناً مشيّدة، وجاز أن يكون كان مأخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل، فالصواب أن يقال فيه ما قاله الله أنهم كانوا يتخذون مصانع. اهـ.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوْتَعْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَارِثِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُودِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافِئِهِ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ آيَةٌ ﴿١٤٣﴾ فَلَا تُخْلُوا اللَّهَ وَآلِيَهُمْ ﴿١٤٤﴾ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَجَرٍ إِنَّ لَجَرِي إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْمَلَكُوتِ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: «خُلُقُ» بفتح الخاء وتسكين اللام؛ قال ابن قتيبة: أرادوا اختلافتهم وكذبهم، يقال: خَلَقْتُ الحديثَ اختلقته، أي: افتعلته، قال الفراء: والعرب تقول للخرافات: أحاديث الخُلُق. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، [وخلف، ونافع]: «خُلُقُ الأولين» بضم الخاء واللام. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وعاصم الجحدري: «خُلُقُ» برفع الخاء وتسكين اللام؛ والمعنى: عادتهم وشأنهم. قال قتادة: قالوا [له]: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون، ولا بعث لهم ولا حساب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُودِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ أي: على ما نفعله في الدنيا.

﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِمَإْمُونٍ ﴿١٤١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٢﴾ وَزُدُّعٍ وَنَحْلٍ طَلَمَهَا فَهْيَسِيرٌ ﴿١٤٣﴾ وَتَنَجُّونَ مِنْ الْجِبَالِ يُّرُوكَ قَرِيرَهُ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّبِيِّينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هُمْ بِمَإْمُونٍ﴾ أي: فيما أعطاكم الله في الدنيا ﴿مَإْمُونٍ﴾ من الموت والعذاب.

قوله تعالى: ﴿طَلَمَهَا فَهْيَسِيرٌ﴾ الطَّلَعُ: الثمر. وفي الهضيم سبعة أقوال. أحدها: أنه الذي قد أُنِعَ وبلغ، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه الذي يتهشم تهشماً، قاله مجاهد. والثالث: أنه الذي ليس له نوى، قاله الحسن. والرابع: أنه المذنب من الرطب، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: اللين، قاله قتادة، والفراء. والسادس: أنه الخمل الكثير الذي يركب بعضه بعضاً، قاله الضحاك. والسابع: أنه الطَّلَعُ قبل أن ينشَقَّ عنه [القشر] وينفتح، يريد أنه منضَّم مُكْتَمَرٌ، ومنه قيل: رجل أهضَمُ الكُشْحَيْنِ، إذا كان منضَّمهما، قاله ابن قتيبة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَتَنَجُّونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّرُوكَ قَرِيرَهُ﴾ ﴿١٤٤﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «قَرِيرَهُ». وقرأ الباقون: «فَارِهِينَ» بآلف. قال ابن قتيبة: «قَرِيرَهُينَ»: أشيرين يطيرين، ويقال: الهاء فيه مبدلة من حاء، أي: قَرِيرَجِين، والفرح» قد يكون السورور، وقد يكون الأشُر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُبْئِي الْقَرِيرِينَ﴾ [القصاص: ٧٦] أي: الأشيرين، ومن قرأ: «فَارِهِينَ» فهي لغة أخرى، يقال: قَرَّةٌ وفارَةٌ، كما يقال: قَرِحٌ وفارِحٌ، ويقال: «فَارِهِينَ» أي: حاذِقَيْنِ؛ قال عكرمة: حاذِقَيْنِ بنحتها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ النَّبِيِّينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ قال ابن عباس: يعني: المشركين. وقال مقاتل: هم التسعة الذي عقروا الناقة.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٤٧﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٨﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ نَاقَةٌ كَلَّا يَمْرُؤٌ وَلَكِنْ يَمْرُؤٌ يَوْمَ تُنْفَخُ ﴿١٤٩﴾ وَلَا تَسْمَعُوا أَمْرًا مِنْكُمْ قَلِيلًا إِنَّ يَوْمَ الْعَظِيمِ عَظِيمٌ ﴿١٥٠﴾ فَهَمَزُوا فَأَصْبَحُوا نَدِيدِينَ ﴿١٥١﴾ فَالْعَذَابُ الَّذِي لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كُنْتُمْ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٣﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ النَّبِيَّانِ ﴿١٥٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٥﴾ إِنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ آيَةٌ ﴿١٥٦﴾ فَلَا تُخْلُوا اللَّهَ وَآلِيَهُمْ ﴿١٥٧﴾ وَمَا اسْتَأْذَنَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَجَرٍ إِنَّ لَجَرِي إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْمَلَكُوتِ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ قال الزجاج: أي: ممن له سحر، والسحر: الرثة، والمعنى: أنت شر مثلنا. وجائز أن يكون من المفعّلين من السحر؛ والمعنى: ممن قد سحر مرّة بعد مرّة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا يَمْرُؤٌ﴾ أي: حظٌ من الماء. قال ابن عباس: لها شرب معروف لا تحضره معها، ولكم شرب

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لبنه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتجنّعه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقص منه، من رطوبته ولينه، إما بمسّ الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فاعل. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعلّلون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربّاً ولا ملكاً فطيمك ونعلم أنك صادق فيما تقول، قال: والمسحر: المفعّل من السحرة، وهو الذي له سحرة. اهـ.

لا تحضر معكم، فكانت إذا كان يومهم حضروا الماء فاقسموه، وإذا كان يومها شرب الماء كله. وقال قتادة: كانت إذا كان يوم شربها، شربت ماءهم أول النهار، وسقتهم اللبن آخر النهار. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبله: «لها شرب» بضم الشين.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيرًا﴾ قال ابن عباس: ندموا حين رأوا العذاب على عقرها، وعذابهم كان بالصيحة. ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْمَلَأَيْنِ﴾ ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ﴿قَالُوا لَنْ لَرْتَنَ يَلُوطَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنِّي لَمَلَكٌ مِنَ الْقَالِينَ﴾ ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلَىٰ مَيْمًا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا عَجْرًا فِي النَّدِيرِ﴾ ﴿ثُمَّ ذَرَأْنَا الْآخَرِينَ﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا مُكْرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَكِنَّ رَبَّكَ مُوَدِّعٌ لِّلْجِدِّ﴾ ﴿١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ﴾ وهو جمع ذكر ﴿مِنَ الْمَلَأَيْنِ﴾ أي: من بني آدم، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قال الزجاج: وقرأ ابن مسعود: «ما أصلح لكم رؤسكم من أزواجكم» يعني به الفروج. وقال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أديار الرجال.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: ظالمون معتدون. ﴿قَالُوا لَنْ لَرْتَنَ يَلُوطَ﴾ أي: لئن لم تسكت عن نهينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا. ﴿قَالَ إِنِّي لَمَلَكٌ﴾ يعني: إتيان الرجال ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: من المبيضين، يقال: قَلَيْتُ الرجل: إذا أبغضته.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ يَحْيَىٰ وَأَهْلَىٰ مَيْمًا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عقوبة عملهم، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ وقد ذكرناهم في (مود: ٨٠)، ﴿إِلَّا عَجْرًا﴾ يعني: امراته ﴿فِي النَّدِيرِ﴾ أي: الباقيين في العذاب. ﴿ثُمَّ ذَرَأْنَا الْآخَرِينَ﴾ ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ بِالْحَسَفِ وَالْحَضْبِ﴾ وهو قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني الحجارة.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ ﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَلَأَيْنِ﴾ ﴿١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «أصحاب لَيْكَةِ هاهنا، وفي (متن: ١٣) بغير همز والتاء مفتوحة؛ وقرأ الباقر: «الأيكة» بالهمز فيهما والالف. وقد سبق هذا الحرف [الحجر: ٧٨]. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ إن قيل: لم يقل: أخوهم، كما قال في [الأعراف: ٨٥]؟ فالجواب: أن شعيباً لم يكن من نسل أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: أخوهم، وإنما أرسل إليهم بعد أن أرسل إلى مدين، وهو من نسل مدين، فلذلك قال هناك: أخوهم، هذا قول مقاتل بن سليمان. وقد ذكرنا في سورة (مود: ٩٤) عن محمد بن كعب القرظي، أن أهل مدين عذبوا بعداب الظلة، فإن كانوا غير أصحاب الأيكة كما زعم مقاتل، فقد تساؤوا في العذاب، وإن كان أصحاب مدين هم أصحاب الأيكة<sup>(١)</sup>، وهو مذهب ابن جرير الطبري كان حذف ذكر الأخ تخفيفاً، والله أعلم.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿وَوُثِّقُوا الْفُسْطَاسَ السَّتَفِيمَ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبُوا النَّاسَ شَيْئًا هُمْ وَلَا تَحْسَبُوا فِي الْأَرْضِ مُقِيمِينَ﴾ ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَلْبَسَكُمْ أَزْوَاجَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل، يقال: أخسرت الكيل والوزن: إذا نقصته. وقد ذكرنا القسطاس في [بني إسرائيل: ٣٥].

(١) قال ابن كثير: هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: أخوهم شعيب، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتفت كالنخلة، كانوا يمدونها، فلهاذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسِينَ﴾ لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، إنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسباً. قال: ومن الناس من لم يظن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيباً بعث الله إلى اثنين، ومنهم من قال: ثلاث أمم. اهـ. فأهل مدين، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، هم قوم شعيب، وما ذكر في بعض الأحاديث أن أصحاب الأيكة وقوم مدين اثنتان بعث الله إليهما شعيباً، قال ابن كثير: هو غريب، وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشي، ولهذا وعظ هؤلاء، وأمر بؤفاء المكيا والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل على أنهم أمة واحدة. اهـ.



قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخْلَقُكُمْ وَالْجِبِلَّ﴾ أي: خلق الجبلة. وقيل: المعنى: واذكروا ما نزل بالجبلة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾. وقرأ الحسن، وأبو مجلز، وأبو رجاء، وابن يعمر، وابن أبي عبله: «والجبلة» برفع الجيم والباء جميعاً مشددة اللام. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وعاصم الجحدري: بكسر الجيم وتسكين الباء وتخفيف اللام. قال ابن قتيبة: الجبلة: الخلق، يقال: جبِل فلان على كذا، أي: خلق، قال الشاعر:

وَالْمَمُوتُ أَعْظَمُ حَدَثٍ مِمَّا يُمُوتُ عَلَى الْجِبِلَّةِ<sup>(١)</sup>

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَإِنْ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿فَأَسْوَطَ عَلَيْنَا كَيْفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْرَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْرٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَكِنْ رَكَدَتْ لَهُمُ الرَّحِيظُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَسْوَطَ عَلَيْنَا كَيْفًا﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن قتيبة: أي قطعة ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾، و«كَيْسَفٌ» جمع «كَيْسَفَةٌ» [كما] يقال: يَطْلَعُ وَيَقْطَعُ.

قوله تعالى: ﴿رَبِّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: من نقصان الكيل والميزان؛ والمعنى: إنه يُجازيكم إن شاء، وليس عذابكم بيدي، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْرَ الظُّلَّةِ﴾ قال المفسرون: بعث الله عليه حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة أظلمتهم من الشمس، فوجدوا لها برداً، ونادى بعضهم بعضاً: حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسل الله عليهم ناراً، فكان ذلك من أعظم العذاب. والظلة: السحابة التي أظلمتهم.

﴿وَلَقَدْ لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ ﴿بِلِسَانٍ عَرَفُوهُ مُبِينٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ لَنِيَ نُذُرَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿أَوَّلَ يَكُنْ لَمْ يَأْتِ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَمًا يَوْرَ الْبَرِّ﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجِينَ﴾ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ﴾ يعني القرآن ﴿لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحُفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: نَزَّلَ بِهِ خَفِيفاً «الرُّوحُ الْأَمِينُ» بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَحُمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «نَزَّلَ» مُشَدَّدَةُ الزَّايِ «الرُّوحُ الْأَمِينُ» بِالنَّصْبِ. وَالْمُرَادُ بِالرُّوحِ الْأَمِينِ: جَبْرِيلُ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَى وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ، ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ: نَزَلَ عَلَيْكَ فَوَعَا قَلْبَكَ، فَتُبْتُ، فَلَا تَنْسَاهُ أَبَداً.

قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ أي: ممن أنذر بآيات الله المكذِّبين، ﴿بِلِسَانٍ عَرَفُوهُ مُبِينٍ﴾ قال ابن عباس: بلسان قریش ليفهموا ما فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَنِيَ نُذُرَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: «زُيِّرَ» بِتَسْكِينِ الْبَاءِ. وَفِي هَاءِ الْكُنْيَةِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ؛ وَالْمَعْنَى: وَإِنْ ذُكِرَ الْقُرْآنُ وَخَبِرَهُ، هَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ<sup>(٣)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَعُودُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَه مَقَاتِلُ. وَالزُّيِّرُ: الْكُتُبُ.

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ يَكُنْ لَمْ يَأْتِ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَمًا يَوْرَ الْبَرِّ﴾ ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَعَاصِمٌ، وَحُمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «أَوَّلَ يَكُنْ لَمْ يَأْتِ» بِالْبَاءِ «آيَةً» بِالنَّصْبِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: «تَكُنْ» بِالتَّاءِ «آيَةً» بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو الْجَوْنِي، وَقَتَادَةُ: «تَكُنْ» بِالتَّاءِ «آيَةً» بِالنَّصْبِ قَالَ الزَّجَّاجُ: إِذَا قُلْتَ: «يَكُنْ» بِالْبَاءِ، فَلَا اخْتِيَارَ نَصْبِ «آيَةً» وَيَكُونُ «أَنْ» اسْمُ كَانٍ، وَيَكُونُ «آيَةً» خَبَرُ كَانٍ، الْمَعْنَى: أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ عُلَمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَقٌّ، وَأَنْ نُبُوَّتُهُ حَقٌّ؟ «آيَةً» أَي: عَلَامَةٌ مُوضِحَةٌ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَدُوا ذِكْرَ النَّبِيِّ ﷺ مَكْتُوباً عَنْدهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ. وَمَنْ قَرَأَ «أَوْ لَمْ يَكُنْ» بِالتَّاءِ «آيَةً» جَمَلَ «آيَةً» هِيَ الْاسْمُ، وَأَنْ يَعْلَمَهُ خَيْرٌ «تَكُنْ». وَيَجُوزُ أَيْضاً «أَوْ

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٣٢٠، و«مجمع البيان» ١٧٨/١٩، «القرطبي» ١٢٦/١٣ وفيه «فيما» بدل «مما».

(٢) قال ابن جرير الطبري ١٦١/١٥: اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿كَيْفًا﴾ فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين، وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿كَيْفًا﴾ بفتح السين، ثم قال: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ بسكون السين، لأن الذين سألو رسول الله ﷺ ذلك، لم يقصدوا في سألته إياه ذلك أن يكون بحذ معلوم من الوقع، إنما سألو أن يسقط عليهم السماء وتطعم، وبذلك جاء التأويل أيضاً عن أهل التأويل. اهـ.

(٣) وهو الصواب.



لم تكن، بالتاء آية، بالنصب، كقوله: ﴿ثُمَّ لَوْ كُنْتَ فَتَاهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣] وقرأ الشعبي، والضحاك، وعاصم الجحدري: «أَنْ تَعْلَمَهُ» بالتاء. قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا: إن هذا لزمأنه، وإننا لنجد في التوراة صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقه (١).

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَيْتِ الْأَعْمَاجِ﴾ قال الزجاج: هو جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم: الذي لا يُفْصَح، وكذلك الأعجمي؛ فاما المعجمي: فالذي من جنس العجم، أفصح أولم يُفْصَح.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: لو قرأه عليهم أعجمي لقالوا: لا نفقه هذا، فلم يؤمنوا.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ﴾ (١٣) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (١٤) ﴿فَبِآيِهِمْ بُفِتَّةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) ﴿يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (١٦) ﴿أَوَلَمْ نَكُنَّا بِسَمْعِهِمْ سَمْعِينَ﴾ (١٧) ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَتَنَبَّهُوا رَبَّيْنَ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٩) ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَمْ نُذِقُوا﴾ (٢١) ﴿وَكُذِّبُوا وَمَا عَمَّا ظَنُّوا﴾ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ قد شرحناه في [الحجر: ١٢]. والمجرمون هاهنا: المشركون.

قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال الفراء: المعنى: كي لا يؤمنوا. فاما العذاب الاليم، فهو عند الموت.

﴿يَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ عند نزول العذاب: أي: مؤخرون لنؤمن ونصدق. قال مقاتل: فلما أوعدهم رسول الله ﷺ بالعذاب، قالوا: فمتى هو؟ تكذيباً به (٢)، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَكُنَّا بِسَمْعِهِمْ سَمْعِينَ﴾ (١٧).

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ تَتَنَبَّهُوا رَبَّيْنَ﴾ (١٨) قال عكرمة: عُمُر الدنيا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٩) أي: من العذاب. ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ﴾ بالعذاب في الدنيا ﴿إِلَّا لَمْ نُذِقُوا﴾ يعني: رسلاً تنذرهم العذاب. ﴿وَكُذِّبُوا﴾ أي: موعظة وتذكيراً.

﴿وَمَا تَزَكَّ بِهِنَّ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٠) ﴿وَمَا يَلْبَسُنَّ إِلَّا الثَّيْلَ﴾ (٢١) ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُونَ﴾ (٢٢)

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَزَكَّ بِهِنَّ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٠) سبب نزولها أن قريشاً قالت: إنما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على [لسان] محمد، فتزلت هذه الآية، قاله مقاتل (٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَلْبَسُنَّ إِلَّا الثَّيْلَ﴾ (٢١) أي: أن ينزلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يأتوا به من السماء، لأنهم قد جيل بينهم وبين السَّمْعِ بالعتائكة والشُّهْبِ. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ أي: عن الاستماع للوحي من السماء ﴿لَمَعَرُونَ﴾ فكيف ينزلون به؟ وقال عطاء: عن سماع القرآن لمحجوبون، لأنهم يُزْجَمُونَ بالنجوم.

﴿فَلَا تُلَاقَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتُمْ مِنَ الْمَلَكِيِّتِ﴾ (٢٣) ﴿وَأَنْزَلَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٤) ﴿وَلَخَفِضَ جَنَاحَكَ لِئِنْ أَمَّكَ مِنَ الْمُتَكِبِينَ﴾ (٢٥) ﴿فَإِنَّ عَصْرَكَ لَقَدْ أَقْبَىٰ مِنْ بَرِيءٍ مَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٦) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْبِ الرَّحِيمِ﴾ (٢٧) ﴿الَّذِي يَرِيكَ جِبْنَ نَقَمٍ﴾ (٢٨) ﴿وَتَقَبَّلَكَ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٢٩) ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْغَلِيظُ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُلَاقَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا خَرَفْتُمْ﴾ قال ابن عباس: يحلِّد به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت من دوني إلهاً لعذبتك.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٣) روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿وَأَنْزَلَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢٣) فقال: «يا مغشّر قريش: اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفيّة عمّة رسول الله ﷺ لا أغني

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقال ابن كثير: أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك، أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها، والمراد: المدلول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم، كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي عن أدركه منهم ومن شاكلهم، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَدْعُوَكُمْ إِلَى الْكِتَابِ وَالْحَيَاةِ النَّاصِحَةِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. اهـ.

(٢) في [مجمع البيان] للطبرسي: «تكذيباً له» ولعل المصنف رحمه الله نقل قول قتادة هذا من الطبرسي، أو من نقل عنه الطبرسي.

(٣) وهو كذلك في [مجمع البيان] للطبرسي.

عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليمان ما شئت ما أغني عنك من الله شيئاً<sup>(١)</sup>. وفي بعض الألفاظ: «سألوني من مالي ما شئتم»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «غير أن لكم رجماً سألها ببلالها»<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله: «عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبُونَ»: رهطك الأدينين. «فَإِنَّ عَصْرَكَ» يعني: العشيبة «فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» من الكفر. «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ»<sup>(٤)</sup> أي: ثق به وفوض أمرك إليه، فهو عزيز في نعمته، رحيم لم يجعل بالعقوبة. وقرأ نافع، وابن عامر: «فَتَوَكَّلْ» بالفاء، وكذلك [هوا] في مصاحف أهل المدينة والشام. «الَّذِي يَرْبِكَ جِئْنَا نَقُومُ»<sup>(٥)</sup> فيه ثلاثة أقوال: أحدها: حين تقوم إلى الصلاة، قاله ابن عباس، ومقاتل، والثاني: حين تقوم من مقامك، قاله أبو الجوزاء. والثالث: حين تخلو، قاله الحسن.

قوله تعالى: «وَتَقَبَّلَكَ» أي: ونرى تقبلتك «فِي السَّجْدِ» وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: وتقبلتك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: وتقبلتك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة؛ والمعنى: يراك وحدك ويراك في الجماعة، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة. والثالث: وتصرفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

«هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الْفَلَاكُ» تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيرٍ ﴿١١١﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَذِبُوتٌ ﴿١١٢﴾

قوله تعالى: «هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الْفَلَاكُ» هذا رد عليهم حين قالوا: إنما يأتيه بالقرآن الشياطين. فأما الأفاك فهو الكذاب، والأثيم: الفاجر، قال قتادة: وهم الكهنة.

قوله تعالى: «يُلْقُونَ السَّمْعَ» أي: يلقون ما سمعوه من السماء إلى الكهنة. وفي قوله: «وَأَكْتَرُهُمْ كَذِبُوتٌ» قولان: أحدهما: أنهم الشياطين. والثاني: الكهنة.

«وَالشَّعْرَةَ يَبْلُغُهُمُ الْقَارُونَ ﴿١١٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١١٤﴾ وَأَتَتْهُمْ يُقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١١٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ وَأَسْتَصِرُّوهُ بِمَا ظَلَمُوا أَلَيْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيرٌ ﴿١١٦﴾»

قوله تعالى: «وَالشَّعْرَةَ يَبْلُغُهُمُ الْقَارُونَ» وقرأ نافع: «يَتَّبِعُهُمْ» بسكون التاء، والوجهان حسنان، يقال: تَبِعْتُ وأتبعته، مثل حقرت واحتقرت. وروى العوفي عن ابن عباس، قال: كان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ قد تهاجبا، فكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، فقال الله: «وَالشَّعْرَةَ يَبْلُغُهُمُ الْقَارُونَ»<sup>(٦)</sup>. وفي رواية أخرى عن ابن عباس، قال: هم شعراء المشركين. قال مقاتل: منهم عبد الله بن الزُّبَيْرِ، وأبو سفيان بن حرب، وهيرة بن أبي وهب المخزومي في آخرين، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد، وقالوا الشعر، فاجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويؤوون عنهم<sup>(٧)</sup>. وفي الفاويز ثلاثة أقوال: أحدها: الشياطين، قاله مجاهد، وقاتدة. والثاني: السفهاء، قاله الضحاك. والثالث: المشركون، قاله ابن زيد.

(١) رواه البخاري ٣٨٦/٨، ومسلم ١٩٢/١، والطبري ١١٩/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٩٥/٥ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» وفي «الدلائل».

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» بهذا اللفظ ١٩٢/١.

(٣) رواه مسلم أيضاً بهذا اللفظ ١٩٢/١، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ٨٠/٣: «بلالها» ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرهما، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء، وقال: قال القاضي عياض: رويته بالكسر، قال: ورايت للخطابي أنه بالفتح، وقال صاحب «المطالع»: رويته بكسر الباء وفتحها، من بله يبله، والبلال الماء. ومعنى الحديث: سألها، شبهت قطعة الرحم بالحارة، ووصلها بإطافء الحرارة ببرودة، قال: ومنه: بلوا أرحامكم، أي: صلبوها. اهـ.

(٤) زيادة من «القرطبي».

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله، قول من قال: تأويله: ويرى تقبلتك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وترجع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه، ثم قال: فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقبلتك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس. ثم قال في تلمة الآية: وقوله: «إِنَّهُ هُوَ الْكَيْفِيُّ الْكَلِيمُ» يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تلاتك يا محمد وذكرك في صلاتك ما تلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من تقبلت فيها معك مؤتماً بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإذن برأى من ربك وسمع. اهـ.

(٦) الطبري ١٢٧/١٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٩٩/٥ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٧) ذكر قول مقاتل هذا الطبرسي في «مجمع البيان». وعبد الله بن الزبير أسلم بعد ذلك، وكذلك أبو سفيان.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٥﴾﴾ هذا مثل بمن يهيم في الأودية؛ والمعنى أنهم يأخذون في كل فن من لغو وكذب وغير ذلك؛ فيمدحون بباطل ويذمّون بباطل، ويقولون: فعلنا، ولم يفعلوا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن عباس: لما نزل ذم الشعراء، جاء كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، أنزل الله هذا وهو يعلم أننا شعراء، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله ﷺ وذموا من هجاه<sup>(٣)</sup>، ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم. وقال ابن زيد: وذكروا الله في شعرهم. وقيل: المراد بالذكر: الشعر في طاعة الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنصَرُوا﴾ أي: من المشركين ﴿مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا﴾ لأن المشركين بدؤوا بالهجاء. ثم أوعد شعراء المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وهجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قال الزجاج: «أي» منصوبة بقوله: «ينقلبون» لا بقوله: «سيعلم»، لأن «أيًا» وسائر أسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها. ومعنى الكلام: إنهم ينقلبون إلى نار يخلدون فيها. وقرأ ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وأبو المتوكل، وأبو رجاء: «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» بناءً من مفتوحين وبقافين على كل واحدة منهما نقطتان وتشديد اللام فيهما. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» بالفاء فيهما وبنونين ساكنين وبتاءين. وكان شريح يقول: سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصر.



(١) قال ابن كثير: قال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها، مرة في شتية فلان، ومرة في مديحة فلان. قال: قال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل، ويذم قومًا بباطل. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذه السورة مكية، فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الأنصار؟! وفي ذلك نظر، ولم يتقدم - أي في سبب النزول - إلا مراسلات لا يعتمد عليها، والله أعلم. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع وعمل صالحًا وذكر الله كثيرًا في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ - فإن الحسنات يذهبن السيئات - وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه، كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم:

يسا رسول المملوك إن لسانني  
راتق ما فتققت إذ أنا بـور  
إذ أجاري الشيطان فسي سنن الغي  
ي ومن مال ميله مشبور

قال: وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه، وأكثروا له هجاء، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ، وكان يمدح رسول الله ﷺ بعدما كان يهجو، ويتولاه بعدما كان قد عاداه، ثم قال ابن كثير: ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَفَلُوا أَنفُسَهُمْ وَكَرَرُوا﴾ كبرك: قيل: معناه: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم، وقيل: في شعرهم، قال: وكلاهما صحيح مكرر لما سبق. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها، ولا يسكن لهبها. اهـ. وقال ابن كثير: والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم. اهـ. وفي «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

## سورة النمل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ تُبَيِّنُ ۝ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُعِشُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَمْ أَغْنَاهُمْ فِتْنَتَا لَمْ يَمْنَحُوا ۝ لَوْلَاكَ الَّذِينَ هُمْ سَوَاءُ الْمَكَايِدِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِزُونَ ۝ وَلَوْلَاكَ لَكَلَّى الْفُرْقَانَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي فَاتَسْتُ نَارًا مَكَايِدُكِ مِنِّيَا يَحْيَىٰ أَوْ مَايَكُم بِشَاهِبٍ قَبَسٍ لَمَلَكُ تَطَلُّوْكَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿طَسَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عنه، قال: هو اسم الله الأعظم. والثاني: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والثالث: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكِتَابٍ تُبَيِّنُ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن أبي عبله: «وكتاب مبين» بالرفع فيهما.

قوله تعالى: ﴿وَبُشْرَى﴾ أي: بشرى بما فيه من الثواب للمصدقين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَمْ أَغْنَاهُمْ﴾ أي: حبيبتنا إليهم قبيح فعلهم. وقد بيننا حقيقة التزيين والعمه في [البقرة: ١٥، ٢١٢]. وسوء العذاب: شديده.

قوله تعالى: ﴿هُمْ الْآخِزُونَ﴾ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَاكَ لَكَلَّى الْفُرْقَانَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُلْقَى عليك فَتَقْلَقُهُ أنت، أي: تأخذه. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر إذ قال موسى.

قوله تعالى: ﴿بِشَاهِبٍ قَبَسٍ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، ويعقوب إلا زيدياً؛ «بشهاب» بالتثنية. وقرأ الباقون على الإضافة غير متوّن. قال الزجاج: من نَوْنِ الشَّهَابِ، جعل القبس من صفة الشهاب، وكل أبيض ذي نور، فهو شهاب. فأما من أضاف، فقال الفراء: هذا مما يضاف إلى نفسه إذا اختلفت الأسماء، كقوله: ﴿وَلَمَّا زَاوَى الْآخِرَةَ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال ابن قتيبة: الشَّهَابُ: النار، والقَبَسُ: النار تُقْبَسُ، يقال: قَبَسْتُ النار قَبْساً، واسم ما قَبَسْتُ: قَبَسٌ.

قوله تعالى: ﴿تَطَلُّوْكَ﴾ أي: تستدفنون، وكان الزمان شتاء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ أي: جاء موسى النار، وإنما كان نوراً فاعتقده ناراً، ﴿يُورِكَ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: قُدْسَ مَنْ فِي النَّارِ، وهو الله ﷻ، قاله ابن عباس، والحسن، والمعنى: قُدْسَ مَنْ نَادَاهُ مَنْ النَّارُ، لا أن الله ﷻ يَحُلُّ في شيء. والثاني: أن «مَنْ» زائدة؛ والمعنى: بوركت النار، قاله مجاهد. والثالث: أن المعنى: بُورِكَ على من في النار، أو فيمن في النار؛ قال الفراء: والعرب تقول: باركه الله، وبارك عليه، وبارك فيه، بمعنى واحد، والتقدير: بُورِكَ من في طلب النار، وهو موسى، فحذف المضاف. وهذه تحية من الله تعالى لموسى بالبركة، كما حيى إبراهيم بالبركة على السنة الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَبِّحْتَ اللَّهُ وَرَكَّبَتْ عَلَيْكَ أَهْلُ الْآيَاتِ﴾ [عود: ١٣]. فخرج في قوله: ﴿يُورِكَ﴾ قولان: أحدهما: قُدْسَ. والثاني: من البركة. وفي قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ثلاثة

(١) انظر التعليق الذي في أول سورة (الشعراء) وما قاله العلماء عن الحروف التي في أوائل السور.

(٢) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: «إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به وأتبعه وصدقته وحمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وأتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيراً وشرها والجنة والنار. اهـ».



أقوال: أحدها: الملائكة، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: موسى والملائكة، قاله محمد بن كعب. والثالث: موسى؛ فالمعنى: بُوركَ فيمن يطلبها، وهو قريب منها.

﴿يَمُوتُ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْمَرْبُّ الْحَكِيمُ﴾ (١) وَأَلْتِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْمِئًا وَكَرَّ بِمِقْبَلِ يَهُوشَافَاطَ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْكَ الْمُرْسَلُونَ (٢) إِلَّا مَنْ ظَلَرَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِلَى غُفُورٍ رَحِيمٍ (٣) وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَدَيْكَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَبِعِ مَبْتَغِيكَ إِنْ رَعَوْنَ وَفُؤَادَهُمْ إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ قِيَفُونَ (٤) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْجَرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٥) وَحَمَدُوا بِهَا وَسَقَفْتَنَّهُمْ أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الْمُفْسِدِينَ (٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ الهاء عماد في قول أهل اللغة؛ وعلى قول السدي: هي كناية عن المنادي، لأن موسى قال: من هذا الذي يناديني؟ ف قيل: «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ».

قوله تعالى: ﴿وَأَلْتِي عَصَاكَ﴾ في الآية محذوف، تقديره: فألقاها فصارت حية، الفراء: الجان: الحية التي ليست بالعظيمة ولا بالصغيرة.

قوله تعالى: ﴿وَكَّرَّ بِمِقْبَلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: لم يلتفت، قاله قتادة. والثاني: لم يرجع، قاله ابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: وأهل النظر يرون أنه مأخوذ من العقب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْكَ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: لا يخافون عندي. وقيل: المراد: في الموضع الذي يوحى إليهم فيه، فكانه نبيه على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من حية. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَرَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استثناء صحيح، قاله الحسن، و قتادة، ومقاتل، والمعنى: إلا من ظلمَ منهم فإنه يخاف. قال ابن قتيبة: علم الله تعالى أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خِيفَةً مِنْ ذَنْبِهِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي وَكَّرَهُ، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَرَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: توبة وندماً، فإنه يخاف، وإني غفور رحيم. والثاني: أنه استثناء منقطع، والمعنى: لكن من ظلمَ فإنه يخاف، قاله ابن السائب، والزجاج<sup>(١)</sup>. وقال الفراء: «مَنْ» مستثناة من الذين تُركوا في الكلام، كأنه قال: لا يخاف لدي المرسلون، إنما الخوف على غيرهم، إلا من ظلمَ، فتكون «مَنْ» مستثناة. وقال ابن جرير: في الآية محذوف، تقديره: إلا من ظلمَ، فمن ظلمَ ثم بَدَّلَ حُسْنًا. والثالث: أن «إِلَّا» بمعنى الواو، فهو كقوله: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، حكاه الفراء عن بعض النحويين، ولم ير ضه. وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة، والضحاك، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» بفتح الهمزة وتخفيف اللام. وللمفسرين في المراد بالظلم هاهنا قولان: أحدهما: المعاصي. والثاني: الشرك. ومعنى «حُسْنًا»: توبة وندماً. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو رجاء، والأعمش، وابن السميع، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «حُسْنًا» بفتح الحاء والسين. «بَعْدَ سُوءٍ» أي: بعد إساءة. وقيل: الإشارة بهذا إلى أن موسى وإن كان [قد] ظلم نفسه بقتل القبطي، فإن الله يغفر له، لأنه ندم على ذلك وتاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ الْجَيْبُ حَيْثُ جَيْبٌ مِنَ الْقَمِيصِ، أي: قُطِع. قال ابن جرير: إنما أمر بإدخاله يده في جيبه، لأنه كان عليه حينئذٍ مِذْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ لَيْسَ لَهَا كُمٌ. والشَّوْءُ: الْبَرَسُ.

قوله تعالى: ﴿فِي تَبِعِ مَبْتَغِيكَ﴾ (٢) قال الزجاج: «فِي» مِنْ صِلَةٍ قَوْلُهُ: «وَأَلْتِي عَصَاكَ» «وَأَدْخَلَ يَدَكَ»، فَالتَّأْوِيلُ أَظْهَرَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي تِسْعِ آيَاتٍ. «فِي» بِمَعْنَى «مِنْ» فَتَأْوِيلُهُ: مِنْ تِسْعِ آيَاتٍ؛ تَقُولُ: خَذْ لِي عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فِيهَا فَحْلَانِ، أَيْ: مِنْهَا فَحْلَانِ. وَقَدْ شَرَحْنَا الْآيَاتِ فِي [بَنِي إِسْرَائِيلَ: ١٠١].

(١) قال ابن كثير: هذا استثناء منقطع، وفيه إشارة عظيمة للبشر، وذلك أن من كان على عمل سيء، ثم أفلح عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلِيْلَ لَقَدْ أَتَى عَلَى الْكَافِرِينَ لَئِنْ كَانَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَخَلِّقُ أَفْعَالًا﴾ [طه: ٨٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَذَكَّرْهُ أَرَىٰ بَلَاءٍ ثُمَّ يَخْلَعْهُ﴾ [النساء: ١١٠]، والآيات في هذا كثيرة جداً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير عن الآيات التسع: وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي: هي: يده، وعصاه، والسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ثم قال: وهذا القول ظاهر جللي حسن قوي. اهـ. وقد ذكر الله ﷻ في هذه الآيات آيتين من تسع آيات، وهما العصا واليد، وَفِيَّ الْآيَاتِ الْبَاقِيَاتِ فِي سُورَةِ [الأعراف: ١٣٣] وفصلها.

قوله تعالى: ﴿إِنْ رَجَعْتَ إِلَىٰ قَوْمِي﴾ أي: مُرْسِلاً إلى فرعون وقومه، فحذف ذلك لأنه معروف. ﴿فَمَا جَاءَهُمْ إِلَّا بِمِثَرٍ﴾ أي: بينة واضحة، وهو كقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوْسَىٰ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا يَشَاءُ﴾ [الإسراء: ٥٩] وقد شرحناه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا﴾ أي: هذا الذي نراه عياناً ﴿مِثَرٌ مُّثَبِّتٌ﴾. ﴿وَمَعَدُوا بِهَا﴾ أي: أنكروها ﴿وَأَسْبَقَتُنَّهَا﴾ أنفسهم ﴿أَنَّهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، ﴿عَلَّمَانَا﴾ أي: شركاً ﴿وَعَلَّوْنَا﴾ أي: تكبراً. قال الزجاج: المعنى: وجحدوا بها ظُلماً وعُلُوّاً، أي: ترتعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَ لِمُوسَىٰ آلِهَ إِلَهِكُمْ فَخَلَّاهُ عَنْ كَبِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَرَبِّ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰهَا أَتَانَسَ عِلْمًا مِّنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْغَفْلُ الْغِيثُ﴾ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَىٰهَا أَتَمَلُّ أَعْمَلُوا مِثْلَكُمْ لَا يَحْمِلُنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَهُنُودٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَنَبَسَرْ مَا جَاءَكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْفِعْهُ أَنْ أَشْكُرَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ رَحْمَتِكَ وَأَعْلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِّنْ رَّبِّكَ﴾ ﴿يَا دَاوُدَ الصَّلَاةَ﴾ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾ قال المفسرون: علماً بالقضاء وبكلام الطير والدواب وتسيح الجبال ﴿وَقَالَ لِمُوسَىٰ آلِهَ إِلَهِكُمْ فَخَلَّاهُ﴾ بالنبوة والكتاب وإلانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿عَلَىٰ كَبِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال مقاتل: كان داود أشد تعبدًا من سليمان، وكان سليمان أعظم ملكًا منه وأظن.

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ﴾ أي: ورث نبوته وعلمه ومملكه، وكان لداود تسعة عشر ذكراً، فخص سليمان بذلك، ولو كانت وراثته مال لكان جميع أولاده فيها سواء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يعني سليمان لبني إسرائيل ﴿يَتَىٰهَا أَتَانَسَ عِلْمًا مِّنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ قرأ أبي بن كعب: ﴿عَلَّمْنَا﴾ بفتح العين واللام. قال القراء: ﴿مِّنْطِقَ الطَّيْرِ﴾: كلام الطير كالمنطق إذا فهم، قال الشاعر:

عَجِبْتُ لَهَا أَنَّى يَكُونُ غِنَاوُهَا      فَصَبِحاً وَلَمْ تَفْعَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا<sup>(١)</sup>

ومعنى الآية: فهمنا ما تقول الطير. قال قتادة: والنمل من الطير. ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال الزجاج: أي: من كل شيء يجوز أن يؤتاه الأنبياء والناس. وقال مقاتل: أعطينا الملك والنبوة والكتاب والرياح ومنطق الطير، وسخرت لنا الجن والشياطين. وروى جعفر بن محمد عن أبيه، قال: أعطي سليمان ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعاً سنة وستة أشهر، وملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع، وأعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء، وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة، فذلك قوله: ﴿عِلْمًا مِّنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أعطينا ﴿هُوَ الْغَفْلُ الْغِيثُ﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا. ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ أي: جمع له كل صنف من جنده على حدة، وهذا كان في مسير له، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال مجاهد: يُحْبَسُ أولُهم على آخرهم. قال ابن قتيبة: وأصل الوزع: الكف والمنع. يقال: وزعت الرجل، أي كففته، ووزع الجيش: الذي يكفهم عن التفرق، ويرد من شد منهم.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا﴾ أي: أشرقوا ﴿عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ﴾ وفي موضعه قولان: أحدهما: أنه بالطائف، قاله كعب. والثاني: بالشام، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف: ﴿نَمْلَةٌ﴾ بضم الميم؛ أي: صاحبت بصوت، فلما كان ذلك الصوت مفهوماً عبر عنه بالقول؛ ولما نطق النمل كما ينطق بنو آدم، أجري

(١) البيت لحمد بن ثور، وهو في «اللسان» و«التاج»: ففر؟ ويعني بالمنطق بكاءها.

(٢) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الواحدي، من طريق محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه، وذكره السيوطي أيضاً في «الدر» ١٠٣/٥ ونسبه للحاكم ثم قال: قال الذهبي: هذا باطل.

(٣) قال ابن كثير: ومن قال من المفسرين: إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها.

مجرى الآدميين، ف قيل: ﴿أَنْخُلُوا﴾، وألهم الله تلك النملة معرفة سليمان مُعْجِزاً له، وقد ألهم الله النمل كثيراً من مصالحها تزيد به على الحيوانات، فمن ذلك أنها تكسر كل حَبَّة تَدْخُرُهَا قِطْعَتَيْنِ لثَلَا ثَلَاثَتِ، إلا الكُزْبَرَةَ فإنها تكسرها أربع قطع، لأنها ثَبَّتَتْ إِذْ كُسِرَتْ قِطْعَتَيْنِ، فسبحان من ألهمها هذا! وفي صفة تلك النملة قولان: أحدهما: أنها كانت كهيئة النعجة، قال نوف الشامي<sup>(١)</sup>: كان النمل في زمن سليمان بن داود كأمثال الذئب. والثاني: كانت نملة صغيرة. ﴿أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وعاصم الحذري: «مَسَكِنَكُمْ» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ﴾ الخطم الكسر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «لَيَخْطِمَنَّكُمْ» بغير ألف بعد اللام. وقرأ ابن مسعود: «لَا يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون. وقرأ عمرو بن العاص، وأبان: «يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة. وقرأ أبو المتوكل، وأبو مجلز: «لَا يَخْطِمَنَّكُمْ» بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً. وقرأ ابن السميع، وابن عمر، وعاصم الجحدري: «يُخْطِمَنَّكُمْ» برفع الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون. والخطم: الكسر، والخطام: ما تحطّم. قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قولان: أحدهما: وأصحاب سليمان لم يشعروا كلام النملة، قاله ابن عباس. والثاني: وأصحاب سليمان لا يَشْعُرُونَ بمكانكم، لأنها علمت أنه ملك لا بغي فيه، وأنهم لو علموا بالنمل ما تَوَطَّؤُوهُمْ، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا﴾ قال الزجاج: «ضاحكاً» منصوب، حال مؤكدة، لأن «تبسم» بمعنى «ضحك». قال المفسرون: تبسم تعجباً ممّا قالت، وقيل: من ثنائها عليه. وقال بعض العلماء: هذه الآية من عجائب القرآن، لأنها بلفظة «يا» نادت «أيها» نهبت «النمل» عيّنت «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نصّت «لا يحطمنكم» حذّرت «سليمان» خصّصت «وجنوده» عمّت «وهم لا يشعرون» عذرت.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي﴾ قال ابن قتيبة: ألهمني، أصل الإيزاع: الإغراء بالشيء، يقال: أوزعته بكذا، أي: أغريته به، وهو مُوزَعٌ بكذا، ومُوَلَّعٌ بكذا. وقال الزجاج: تأويله في اللغة: كُفِّنِي عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك؛ والمعنى: كُفِّنِي عَمَّا يُبَاعِدُ مِنْكَ، ﴿وَأَنْ أَتَمَّلَ﴾ أي: وألهمني أن أعمل ﴿مَسْلُحًا رَضَةً﴾ قال المفسرون: إنما شكر الله ﷻ لأن الريح أبلغت إليه صوتها ففهم ذلك.

﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ ١٠ لَعَلَّيْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْنِبَنَّ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١١ فَكَذَّبْتُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ فَقَالَ أَفَعَلْتَ بِمَا لَمْ يُحْمَلْ بِهِ وَبَشْتِئَكَ مِنْ سُلَيْمٍ يَكْفِي بَيْنِي ١٢ إِنْ يَدَّبْتُ أَمْرًا تَلِيكَهُمْ وَأَوَيْتَ مِنْ كُلِّ مَنَورٍ وَلَمَّا عَرَّسَ عَقِيظًا ١٣ وَبَدَّتْهَا وَقُومَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ فَصَدَّ عَنْهُمُ السَّبِيلَ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ١٤ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّنَةِ وَالْأَرْضَ وَبَعْلَهُ مَا تُغْنَوْنَ وَمَا تُمْلِكُونَ ١٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٦

قوله تعالى: ﴿وَتَقَعَّدَ الظَّيْرَ﴾ التقفد: طلب ما غاب عنك؛ والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير؛ والظير اسم جامع للجنس، وكانت الظير تصحب سليمان في سفره يُظَلُّهُ بأجنحتها ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، والكسائي: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ بفتح الياء. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة بالسكون، والمعنى: ما للهدهد [لا أراه]؟! تقول العرب: ما لي أراك كئيباً، أي: ما لك؟ فهذا من المقلوب الذي معناه معلوم. قال المفسرون: لما فصل سليمان عن وادي النمل، وقع في قفر من الأرض، فعضش الجيش فسالوه الماء، وكان الهدهد يدلُّه على الماء، فإذا قال له: ها هنا الماء، شققت الشياطين الصَّخْرَ وفجرت العيون قبل أن يضربوا أبنتهم، وكان الهدهد يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج، فطلبه يومئذ فلم يجده. وقال بعضهم: إنما طلبه لأن الظير كانت تُظَلُّهُمُ من الشمس، فأخلَّ الهدهد بمكانه، فطلعت الشمس عليهم من الخلل.

(١) هو نوف بن فضالة الحبيري البجلي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «الصحاحين»، وكان راوياً للقصص، وهو ابن زوجة كعب الأبحار، توفي سنة ٩٥ هـ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ كَآنَ﴾ قال الزجاج: معناه: بل كان.

قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: نتف ريشه، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: نتفه وتشميسه، قاله عبد الله بن شداد. والثالث: شد رجله وتشميسه، قاله الضحاك. والرابع: أن يطليه بالقطران ويشمسّه، قاله مقاتل بن حيان. والخامس: أن يودعه القفص. والسادس: أن يفرّق بينه وبين إلفه، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَبِئْتَنِي﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿لَبِئْتَنِي﴾ بنونين، وكذلك هي في مصاحفهم. فأما السلطان، فهو الحجة، وقيل: العُذر. وجاء في التفسير أن سليمان لما نزل في بعض مسيره، قال الهدهد: إنه قد اشتغل بالنزول فارتفع أنا إلى السماء فأنظر إلى طول الدنيا وعرضها، فارتفع فرأى بستاناً لبقيس، فمال إلى الخُصرة فوقع فيه، فإذا هو بهدهد قد لقيّه، فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان، فمن أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكها امرأة يقال لها: بلقيس، فهل أنت مُطلق معي حتى ترى مُلكها؟ قال: أخاف أن يتفقّدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء، قال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه المُلكة، فانطلق معه، فنظر إلى بلقيس وملكها، ﴿فَكَتَّ غَيْرَ بِبَيِّدٍ﴾ قرأ الجمهور بضم الكاف، وقرأ عاصم بفتحها، وقرأ ابن مسعود: ﴿فَتَمَكَّتْ﴾ بزيادة تاء، والمعنى: لم يلبث إلا يسيراً حتى جاء، فقال سليمان: ما الذي أبطأ بك؟ ﴿فَقَالَ أَطَعْتُ مَا تَمَ حُطَّ بِدِي﴾ أي: علمت شيئاً من جميع جهاته مما لم تعلم [به] ﴿وَيَحْتَكُّكَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿سَبَاً﴾ نصباً غير مصروف، وقرأ الباقون خفضاً منوئاً. وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجل من العرب<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: هي أرض باليمن يقال لها: مأرب. وقال أبو الحسن الأخفش: إن شئت صرفت ﴿سَبَاً﴾ فجعلته اسم أبيهم، أو اسم الحي، وإن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة، أو اسم الأرض. قال الزجاج: وقد ذكر قوم من النحويين أنه اسم رجل. وقال آخرون: الاسم إذا لم يُذكر ما هو لم يُصرف؛ وكلا القولين خطأ، لأن الأسماء حقها الصّرف، وإذا لم يُعلم هل الاسم للمذكر أم للمؤنث، فحقه الصّرف حتى يُعلم أنه لا ينصرف، لأن أصل الأسماء الصّرف. وقول الذين قالوا، هو اسم رجل: غلط، لأن سبأ هي مدينة تُعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فمن لم يصرفه جعله اسم مدينة، ومن صرفه فلأنه اسم البلد، فيكون مذكراً سمي بمذكّر.

قوله تعالى: ﴿يَبْكُ الْيَمِينُ﴾ أي: بخبر صادق، ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ قال الزجاج: معناه: من كل شيء يعطاه الملوك ويؤتاه الناس. والعرش: سرير الملك. قال قتادة: كان عرشها من ذهب، قوائمه من جوهر مكلّل باللؤلؤ، وكان أحد أبويها من الجن، وكان مؤشّر أحد قدميها مثل خافر الدابة. وقال مجاهد: كان قدماها كحافر الحمار. وقال ابن السائب: لم يكن بقدميها شيء، إنما وقع الجن فيها عند سليمان بهذا القول، فلمّا جعل لها الصرح بان له كذبهم. قال مقاتل: كان ارتفاع عرشها ثمانين ذراعاً في عرض ثمانين، وكانت أمّها من الجن. قال ابن جرير: وإنما صار هذا الخبر عُذراً للهدهد، لأن سليمان كان لا يرى لأحد في الأرض مملكة سواه، وكان مع ذلك يحبّ الجهاد، فلمّا دلّه الهدهد على مملكةٍ لغيره، وعلى قومٍ كفّرة يجاهدهم، صار ذلك عُذراً له.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ قرأ الأكثرون: ﴿أَلَا﴾ بالتشديد. قال الزجاج: والمعنى: وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، أي: قصدهم لئلا يسجدوا. وقرأ ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والزهري، وقاتادة، وأبو العالية، وحמיד الأعرج، والأعمش، وابن أبي عبيدة، والكسائي: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ مخففة، على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيكون في الكلام إضمار «هؤلاء» ويكتفى منها بـ «يا»، ويكون الوقف «ألا يا» والابتداء «اسجدوا»؛ قال الفراء: فعلى هذه القراءة هي سجدة، وعلى قراءة من شدّد لا ينبغي لها أن تكون سجدة. وقال أبو عبيدة: هذا أمر من الله مستأنف، يعني: ألا يا أيّها الناس اسجدوا. وقرأ ابن مسعود، وأبيّ: «هؤلاء يسجدوا» بهاء.

(١) روى الترمذي في «سننه» ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل: يا رسول الله! وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب... الحديث». قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن. ورواه الطبري ٧٦/٢٢. وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة فروة بن مسيك عن هذا الحديث: وأخرجه ابن سعد، وأبو داود، والترمذي، وابن السكن مطوّلاً ومختصراً.



قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّكُونِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: المُسْتَرِّ فِيهِمَا، وهو من حَبَّأْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَخْفَيْتَهُ، ويقال: حَبَّأْتُ السَّمَوَاتِ: المَطَرُ، وَحَبَّأْتُ الْأَرْضِ: النَّبَاتُ. وقال الزجاج: كل ما حَبَّأْتَهُ فَهُوَ حَبٌّ، فَالْحَبُّ: كُلُّ مَا غَابَ؛ فَالْمَعْنَى: يَعْلَمُ الْغَيْبَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وقال ابن جرير: «فِي» بِمَعْنَى «وَمِنْ»، فَتَقْدِيرُهُ: يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ السَّمَوَاتِ.

قوله تعالى: ﴿وَيَمْلَأُ مَا خَفُونَ وَمَا مَلِئُونَ﴾ قرأ حفص [عن] عاصم، والكسائي بالتاء فيهما. وقرأ الباقون بالياء. قال ابن زيد: من قوله: ﴿أَمَلْتُ﴾ إلى قوله: ﴿الطَّيْرِ﴾ كلام الهمد. وقرأ الضحاك، وابن محيصن: «الْعَظِيمُ» برفع الميم.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٧) أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَالْقَائِلَةُ لَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهُي إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ كَرِيمٌ ﴿٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١٠﴾ أَلَا تَتْلُوا عَلَيَّ زُكْرِي سُلَيْمَانَ ﴿١١﴾

فلما فرغ الهمد من كلامه ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما قلت ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وإنما شك في خبره، لأنه أنكر أن يكون لغيره في الأرض سلطان. ثم كتب كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهمد وقال: ﴿أَذْهَبَ بِكَتَبِي هَكَذَا فَالْقَائِلَةُ لَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي: «فَالْقَائِلَةُ» موصولة بياء. وقرأ أبو عمرو، وعاصم، وأبو جعفر، وحزمة: «فَالْقَائِلَةُ» بسكون الهاء، وروى قالون عن نافع كسر الهاء من غير إشباع؛ ويعني إلى أهل سبأ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أغرض. والثاني: انصرف، ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: ماذا يردون من الجواب. فإن قيل: إذا تولى عنهم فكيف يعلم جوابهم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المعنى: ثم تولى عنهم مستتراً من حيث لا يرونك، فانظر ماذا يردون من الجواب، وهذا قول وهب بن منبه. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: فانظر ماذا يرجعون ثم تولى عنهم، وهذا مذهب ابن زيد. قال قتادة: أتاهم الهمد وهي نائمة فالتقى الكتاب على نحرها فقرأته وأخبرت قومها. وقال مقاتل: حمله في منقاره حتى وقف على رأس المرأة، فرفرف ساعة والناس ينظرون، فرفعت رأسها فالتقى الكتاب في جحرها، فلما رأت الخاتم أزعجت وخضعت وخضع من معها من الجنود. واختلفوا لأي علة سمته كريماً على سبعة أقوال: أحدها: لأنه كان مختوماً، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: لأنها ظنته من عند الله ﷻ، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أن معنى قولها: «كريم»: حسن ما فيه، قاله قتادة، والزجاج. والرابع: لكريم صاحبه، فإنه كان ملكاً، ذكره ابن جرير. والخامس: لأنه كان مهيأً، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والسادس: لتسخير الهمد لحمله، حكاه الماوردي. والسابع: لأنها رأت في صدره «بسم الله الرحمن الرحيم»، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ أي: إن الكتاب من عنده ﴿وَلَقَدْ﴾ أي: وإن المكتوب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١٠) أَلَا تَتْلُوا عَلَيَّ زُكْرِي سُلَيْمَانَ ﴿١١﴾ لا تكبروا. وقرأ ابن عباس: «تَتْلُوا» بغين معجمة «وَأَتُونِي سُلَيْمَانَ» أي: منقادين طائعين. ثم استشارت قومها، ف ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ يعني الأشراف، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر قائداً، كل رجل منهم على عشرة آلاف. وقال ابن عباس: كان معها مائة ألف قيل (١)، مع كل قيل مائة ألف. وقيل: كانت جنودها ألف ألف ومائتي ألف.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُنُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَائِلَةً بِأَنْتُمْ حَتَّى تَسْهَبُوا﴾ (١٢) قَالُوا عَنْ أَوْلَادِ قَوْمٍ وَلَوْلَا بَلَدٌ شَدِيدٌ وَالْأَمْرُ إِلَيْنَا فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا مَكَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آوِلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِلَى مُرْسَلَةٍ إِلَهُمْ بِهِمْ يَوْمَ فَتَاطَرُوا يَوْمَ يَرْجِعُ الْكُرْسِيُّ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَتُنُونِي فِي أَمْرِي﴾ أي: يبنون لي ما أفعل، وأشيروا علي. قال الفراء: جعلت المشورة قُنْيَا، وذلك جائر لسعة اللغة.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتُ قَائِلَةً بِأَنْتُمْ﴾ أي: فاعلته ﴿حَتَّى تَسْهَبُوا﴾ أي: تَحْضُرُونَ؛ والمعنى: إلا بحضوركم

(١) القيل، بفتح فسكون: ملك من ملوك جُمَيْرِ دُونِ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ، وجمعه أقوال، وأقوال.

ومشورتكم. ﴿قَالُوا تَحَنُّنًا لِأُولَئَا قَوْمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم أرادوا القُوَّةَ في الأبدان. والثاني: كثرة العدد والبأس والشجاعة في الحرب. وفيما أرادوا بذلك القول قولان: أحدهما: تفويض الأمر إلى رأيها. والثاني: تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم. ثم قالوا: ﴿وَالْأَثَرُ إِلَيْهِ﴾ أي: في القتال وتركه. ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: إذا دخلوها غنوة عن قتال وغلبة.

قوله تعالى: ﴿أَسْكُدُوا﴾ أي: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ أي: أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الأمر. ومعنى الكلام: أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم ودخوله بلادها.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من تصديق الله تعالى لقولها، قاله الزجاج. والثاني: من تمام كلامها؛ والمعنى: وكذلك يفعل سليمان وأصحابه إذا دخلوا بلادنا، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ قال ابن عباس: إنما أُرْسِلَت الهدية لتعلم أنه إن كان نبياً لم يرد الدنيا، وإن كان ملكاً فسيروضي بالخمل، وأنها بعثت ثلاث لبنات من ذهب في كل لينة مائة رطل؛ وياقوتة حمراء طولها شبر مثقوبة، وثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، والبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف الذكر من الأنثى، ثم كتبت إليه: إني قد بعثت إليك بهديتي فاقبلها، وبعثت إليك بياقوتة طولها شبر، فأدخل فيها خيطاً واختم على طرفي الخيط بخاتمك، وقد بعثت إليك ثلاثين وصيفاً وثلاثين وصيفة، فميز بين الجواري والغلمان؛ فجاء أمير الشياطين فأخبره بما بعثت إليه، فقال له: انطلق فافرش على طريق القوم من باب مجلسي ثمانية أميال في ثمانية أميال [لبنات] من الذهب؛ فانطلق، فبعث الشياطين، فقطعوا اللبن من الجبال وطلوه بالذهب وفرشوه، ونصبوا في الطريق أساطين الياقوت الأحمر، فلما جاء الرُّسل، قال بعضهم لبعض: كيف تدخلون على هذا الرجل ثلاث لبنات، وعنده ما رأيتم؟ فقال رئيسهم: إنما نحن رُّسل، فدخلوا عليه، فوضعوا اللبن بين يديه، فقال: أتمدُّونني بما؟ ثم دعا ذرَّةً<sup>(١)</sup> فربط فيها خيطاً وأدخلها في ثقب الياقوتة حتى خرجت من طرفها الآخر<sup>(٢)</sup>، ثم جمع بين طرفي الخيط فختم عليه ودفعها إليهم، ثم ميز بين الغلمان والجواري، هذا كله مروى عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: جعلت لباس الغلمان للجواري ولباس الجواري للغلمان، فميزهم ولم يقبل هديتها. وفي عدد الوصائف والوصفاء خمسة أقوال: أحدها: ثلاثون وصيفاً وثلاثون وصيفة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، قاله وهب. والثالث: مائتا غلام ومائتا جارية، قاله مجاهد. والرابع: عشرة غلمان وعشر جوار، قاله ابن السائب. والخامس: مائة وصيف ومائة وصيفة، قاله مقاتل. وفي ما ميزهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أمرهم بالوضوء، فبدأ الغلام من مرفقه إلى كفه، وبدأت الجارية من كفها إلى مرفقها، فميزهم بذلك، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أن الغلمان بدؤوا بغسل ظهور السواعد قبل بطونها، والجواري على عكس ذلك، قاله قتادة. والثالث: أن الغلام اغترف بيده، والجارية أفرغت على يدها، قاله السدي. وجاء في التفسير أنها أمرت الجواري أن يكلمن سليمان بكلام الرجال، وأمرت الرجال أن يكلموه كلام النساء، وأرسلت قَدْحاً تسأله أن يملأها ماءً ليس من [ماء] السماء ولا من ماء الأرض، فأجرى الخيل وملاء من عرقها<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتَأْتِرُهُمْ بِمِصْرٍ آلِهَتُهُمْ﴾ أي: بقَبُولِ أم برد. قال ابن جرير: وأصل [بم]، بما، وإنما أسقطت الألف لأن العرب إذا كانت [ما] بمعنى [أي] ثم وصلوها بحرف خافض، أسقطوا ألفها، تفرقاً بين الاستفهام والخبر، كقوله: ﴿مَهْ يَسْأَلُونَ﴾ [الب: ١] و﴿قَالُوا يَم كُنْ﴾ [النساء: ٩٧]، وربما أثبتوا فيها الألف كما قال الشاعر:

(١) الذرَّة: صغار النمل، واحده ذرَّة.

(٢) وفي بعض التفاسير: فجاءت الأرض فأخذت شجرة في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر.

(٣) قال ابن كثير: والله أعلم أكان ذلك، أم لا، وأكثر ماخوذ من الإسرائيليات، والظاهر أن سليمان ﷺ لم ينظر إلى ما جاؤوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه.

(٤) قال الألويسي عن مثل هذه الأخبار: وكل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكنبه، والله أعلم.

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنَا لَنِيْمَ ﴿١﴾ كَخَنَزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِهِ ﴿٢﴾  
 ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُبْتَلَنًا قَالَ ائْتِدُونَنِي بِسَالٍ مَّا عَنِتَّ إِلَهُكُمْ مَّا جَاءَ مِنْكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ فِرْعَوْنُ﴾ ﴿٣﴾ أَرْجِعْ إِلَيْنِي فَلَنَأَيِسَنَّهُمْ بِمِثْرِ لَا  
 يَكُنْ لَكُمْ يَمًا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئُ الْآلَاءُ إِلَيْكُمْ يَأْتِي بِعَرَفِهَا قَدْ أَنْتُمْ سَلِيلُكُمْ ﴿٥﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْكَلْبِ أَنَا  
 إِلَيْكَ بِهِ قَدْ أَنْتُمْ مِّنْ مَّقَالِكَ وَلِيَّ عَلَيْهِ قَوِيُّ آمِينَ ﴿٦﴾ قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَ عِلْمٍ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِمِثْرِ لَا يَكُنْ لَكُمْ يَمًا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا  
 مُتَسَوِّغًا عِنْدَ قَالٍ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَكُمْ أَفَشْكُرُوا أَمْ أَكْفَرُوا وَمَنْ شَكَرَ فَلَنَّا يَشْكُرَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَزِيزٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾  
 قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُبْتَلَنًا﴾ قال الزجاج: لما جاء رسولها، ويجوز: فلما جاء برها.

قوله تعالى: ﴿اِئْتِدُونَنِي بِسَالٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «اِئْتِدُونَنِي» بنونين وياء في الوصل. وروى  
 المسيبي عن نافع: «اِئْتِدُونِي» بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم، وابن عامر،  
 والكسائي: «اِئْتِدُونَنِي» بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة: «اِئْتِدُونِي» بـال» بنون واحدة مشددة ووقف على الياء.  
 قوله تعالى: ﴿مَّا عَنِتَّ إِلَهُكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «فما آتان  
 الله» بكسر النون من غير ياء. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وحفص عن عاصم: «آتَانِي» بفتح الياء. وكلهم فتحوا التاء غير  
 الكسائي، فإنه أمالها من «آتاني الله»، وأمال حمزة: «أنا آتيتك به» أشم النون شيئاً من الكسر، والمعنى: فما آتاني الله،  
 أي: من النبوة والملك «خَيْرٌ مِّمَّا مَاتَكُمْ» من المال «بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ فِرْعَوْنُ» يعني إذا أهدى بعضكم إلى بعض فرح،  
 فأمّا أنا فلا، ثم قال للرسول: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْنِي فَلَنَأَيِسَنَّهُمْ بِمِثْرِ لَا يَكُنْ﴾ أي: لا طاقة «لَكُمْ يَمًا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا» يعني بلدتهم.  
 فلما رجعت رسلها إليها بالخبر، قالت: قد علمت أنه ليس بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك  
 قومي لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب، ووكّلت به حرساً يحفظونه، وشخصت إلى  
 سليمان في اثني عشر ألف ملك، تحت يدي كل ملك منهم ألف. وكان سليمان مهياً لا يُتَدَأُ بشيء حتى يسأل عنه،  
 فجلس يوماً على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر  
 فرسخ، وقد كان بلغه أنها احتاطت على عرشها قبل خروجها، ف «قَالَ يَبْنَئُ الْآلَاءُ إِلَيْكُمْ يَأْتِي بِعَرَفِهَا»، وفي سبب طلبه له  
 خمسة أقوال: أحدها: ليعلم صدق الهدد، قاله ابن عباس. والثاني: ليجعل ذلك دليلاً على صدق نبوته، لأنها خلّفته  
 في دارها واحتاطت عليه، فوجدته قد تقدّمها، قاله وهب بن منبه<sup>(١)</sup>. والثالث: ليختبر عقلها وفطنتها، أتعرفه أم تُنكره،  
 قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: لأن صفته أعجبته، فخشي أن تُسلم فيحرم عليه مالها، فأراد أخذه قبل ذلك، قاله قتادة.  
 والخامس: ليربها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْكَلْبِ﴾ قال أبو عبيدة: العفريت من كل جنّ أو إنس: الفائت المبالغ الرئيس. وقال ابن  
 قتيبة: العفريت: الشديد الوثيق. وقال الزجاج: العفريت: النافذ في الأمر، المبالغ فيه مع خبث ودهاء. وقرأ أبي بن  
 كعب، والضحاك، وأبو العالية، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «قَالَ عِفْرِيتٌ» بفتح العين وكسر الراء. وروى ابن  
 أبي شريح عن الكسائي: «عِفْرِيتٌ» بفتح الياء وتخفيفها؛ وروي عنه أيضاً تشديدها وتنوين الهاء على التانيث. وقرأ ابن  
 مسعود، وابن السميع: «عِفْرَاءٌ» بكسر العين وفتح الراء وبالف من غير ياء.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنْتُمْ مِّنْ مَّقَالِكَ﴾ أي: من مجلسك؛ ومثله ﴿فِي مَقَارِ آمِينَ﴾ [الدخان: ٥١]. وكان سليمان  
 يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: إلى نصف النهار. ﴿وَرَأَى مَكِيلٌ﴾ أي: على حملة  
 «قَوِيٌّ». وفي قوله: ﴿آمِينَ﴾ قولان: أحدهما: أمين على ما فيه من الجوهر والدّر وغير ذلك، قاله ابن السائب.  
 والثاني: أمين لا آتيتك بغيره بدلاً منه، قاله ابن زيد. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. «قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَ عِلْمٍ مِّنَ الْكِتَابِ»  
 وهل هو إنسي أم ملك؟ فيه قولان: أحدهما: إنسي، قاله ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح. ثم فيه أربعة أقوال:  
 أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل، واسمه أصف بن برخيا، قاله مقاتل. قال ابن عباس: دعا أصف - وكان أصف يقوم

(١) البيت لحسان بن ثابت، «ديوانه» ١٤٣، «الطبري» ١٥٦/١٩، «القرطبي» ٢٠٠/١٣.

(٢) وهذا هو أولى الأقوال بالصواب كما قال ابن جرير الطبري.

على رأس سليمان بالسيف - فبعث الله الملائكة فحملوا السريز تحت الأرض يَحْدُونَ الأرضَ خَدًّا، حتى انخرقت الأرض بالسريز بين يدي سليمان. والثاني: أنه سليمان عليه السلام، وإنما قال له رجل: أنا أتيتك به قبل أن يترد إليك طرْفك، فقال: هابت، قال: أنت النبي ابن النبي، فإن دعوت الله جاءك، فدعا الله فجاءه، قاله محمد بن المكندر. والثالث: أنه الخضر، قاله ابن لهيعة<sup>(١)</sup>. والرابع: أنه عابد خرج يومئذ من جزيرة في البحر فوجد سليمان فدعا فأتي بالعرش، قاله ابن زيد. والقول الثاني: أنه من الملائكة. ثم فيه قولان: أحدهما: أنه جبريل عليه السلام. والثاني: ملك من الملائكة أيد الله به سليمان، حكاهما الثعلبي. وفي العلم الذي عنده من الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم الله الأعظم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقادة، والجمهور. والثاني: أنه علم كتاب سليمان إلى بلقيس. والثالث: أنه علم ما كتب الله لبني آدم، وهذا على أنه ملك، حكى القولين الماوردي. وفي قوله: ﴿قِيلَ لَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: قبل أن يأتيتك أقصى ما تنظر إليه، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: قبل أن ينتهي طرفك إذا مددته إلى مداه، قاله وهب. والثالث: قبل أن يترد طرفك حسيراً إذا أدمت النظر، قاله مجاهد. والرابع: بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرف، قاله الزجاج. قال مجاهد: دعا فقال: يا ذا الجلال والإكرام. وقال ابن السائب: إنما قال: يا حي يا قيوم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ في الكلام محذوف، تقديره: فدعا الله [فأتى] به، فلما رآه، يعني: سليمان مُسْتَعِزّاً عندكم أي: ثابتاً بين يديه ﴿قَالَ هَذَا﴾ يعني: التمكن من حصول المراد.

قوله تعالى: ﴿أَتُنْكِرُكُمْ أَكْثَرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أشكر على السريز إذ أتيت به، أم أكفر إذا رأيته من هو دوني في الدنيا أعلم مني، قاله ابن عباس. والثاني: أشكر ذلك من فضل الله عليّ، أم أكفر نعمته بترك الشكر له، قاله ابن جرير.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: نكروا لها عرشها، فلا يتفكر من تسخير سليمان وذريته بعده، فأسأوا الشاء عليها وقالوا: إن في عقلها شيئاً، وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان [أن] يختبر عقلها بتكبير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح. قال ابن قتيبة: ومعنى «نكروا»: غيروا، يقال: نكرت الشيء فتنكر، أي: غيرته فتغير. وللمفسرين في كيفية تغييره ستة أقوال: أحدها: أنه زيد فيه ونقص منه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنهم جعلوا صفائح الذهب التي كانت عليه مكان صفائح الفضة، وصفائح الفضة مكان صفائح الذهب، والياقوت مكان الزبرجد، والذبر مكان اللؤلؤ، وقائمتي الزبرجد مكان قائمتي الياقوت، قاله ابن عباس أيضاً. والثالث: أنهم نزعوا ما عليه من فصوصه وجواهره، روي عن ابن عباس أيضاً. والرابع: أنهم جعلوا ما كان منه أحمر أخضر، وما كان أخضر أحمر، قاله مجاهد. والخامس: أنهم جعلوا أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره، وزادوا فيه، ونقصوا منه، قاله قتادة. والسادس: أنهم جعلوا فيه تماثيل السمك، قاله أبو صالح. وفي قوله: ﴿كأنه هو﴾ قولان: أحدهما: أنها لما رآته جعلت تعرف وتذكر، ثم قالت في نفسها: من أين يخلص إلى ذلك وهو في سبعة آيات والحرس حوله؟ ثم قالت: كأنه هو، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وقال قتادة: شبهته بعرشها. وقال السدي: وجدت فيه ما تعرفه فلم تتذكر، ووجدت فيه ما تتكره فلم تثبت، فلذلك قالت: كأنه هو. والثاني: أنها عرفته، ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا [عليها]، فلو أنهم قالوا: هذا عرشك، لقلت: نعم، قاله مقاتل. قال المفسرون: فقيل لها: فإنه عرشك، فما أغنى عنك إغلاق الأبواب؟ وفي قوله: ﴿وَأُوتِيَا



أَلَيْسَ ﴿ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّهُ قَوْلُ سُلَيْمَانَ، قَالَه مُجَاهِدٌ. ثُمَّ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ بِاللَّهِ وَقَدَرْتَهُ عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْمَرَّةِ. وَالثَّانِي: أَوْتِنَا الْعِلْمَ بِإِسْلَامِهَا وَمَجِيئِهَا طَائِعَةً مِنْ قَبْلِ مَجِيئِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ لِلَّهِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ بَلْقَيْسَ، فَإِنَّهَا لَمَّا رَأَتْ عَرْشَهَا، قَالَتْ: قَدْ عَرَفْتُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ بِصِدْقَةِ نَبْوَةِ سُلَيْمَانَ بِالْآيَاتِ الْمَتَّقِمَةِ، تَعْنِي أَمْرَ الْهَدْدِ وَالرُّسُلِ الَّتِي بُعِثَتْ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَكُنَّا مُسْلِمِينَ مُتَقَادِّينَ لِأَمْرِكَ قَبْلَ أَنْ نَجِيءَ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ قَوْمِ سُلَيْمَانَ، حَكَاهُ الْمَاورِدِي.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَقْنَا مَا كَانَتْ تُبَدِّلُ مِنْ دِينِ آبَائِهَا، وَالْمَعْنَى: وَصَدَقْنَا أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالَ: وَقَدْ قِيلَ: صَدَقْنَا سُلَيْمَانَ، أَي: مَنَعْنَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: صَدَقْنَا عَنْ الْإِيمَانِ الْعَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا، لِأَنَّهَا نَشَاتٌ وَلَمْ تَعْرِفْ إِلَّا قَوْمًا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ، وَيُبَيِّنُ عِبَادَتَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا كُنَّا مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَابْنُ أَبِي عِلَّةٍ: «أَنَّهَا كَانَتْ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: أَمَرَ الشَّيَاطِينُ فَبَنَوْا لَهُ صَرْحًا كَهَيْئَةِ السُّطْحِ مِنْ زَجَاجٍ. وَفِي سَبَبِ أَمْرِهِ بِذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَرِيَهَا مُلْكًا هُوَ أَعَزُّ مِنْ مُلْكِهَا، قَالَه وَهْبُ بْنُ مَثْنَةَ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى قَدَمَيْهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهَا كَشْفَهَا، لِأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنْ رَجَلُهَا كَحَافِرِ الْحِمَارِ، فَأَمَرَ أَنْ يُيَاسَّ لَهَا بَيْتٌ مِنْ قَوَارِيرِ فَوْقَ الْمَاءِ، وَوُضِعَ سَرِيرُ سُلَيْمَانَ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ، هَذَا قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ. وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُخْتَبِرَهَا كَمَا اخْتَبَرْتَهُ بِالْوَصَائِفِ، وَالْوَصَفَاءِ، ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. فَأَمَّا الصَّرْحُ، فَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: هُوَ الْقَصْرُ، وَجَمَعَهُ: صُرُوحٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ:

[عَلَى طَرَفِي كَنْحُورِ الرُّكَا ب] تَخَسَّبُ أَعْلَامُهُنَّ الصُّرُوحَا<sup>(١)</sup>

قَالَ: وَيُقَالُ: الصَّرْحُ بِلاَ طٍ اتَّخَذَ لَهَا مِنْ قَوَارِيرٍ، وَجُعِلَ تَحْتَهَا مَاءٌ وَسَمَكٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَتْ بَرَكَةٌ مِنْ مَاءٍ ضَرَبَ عَلَيْهَا سُلَيْمَانَ قَوَارِيرٍ. وَقَالَ مِقَاتِلٌ: كَانَ قَصْرًا مِنْ قَوَارِيرِ بَنِي عُلَى الْمَاءِ وَتَحْتَهُ السَّمَكُ.

قوله تعالى: ﴿حَبِطَتْ لُحْيَتُهُ﴾ وَهِيَ: مَعْظَمُ الْمَاءِ ﴿وَكُنْتُ عَنْ سَاقِهَا﴾ لِدُخُولِ الْمَاءِ، فَنَادَاهَا سُلَيْمَانَ ﴿إِنَّهُ صَرَحٌ مُرَوَّءٌ﴾ أَي: مَمْلُوءٌ ﴿وَمِنْ قَوَارِيرٍ﴾ أَي: مِنْ زَجَاجٍ؛ فَعَلِمْتُ حِينَئِذٍ أَنَّ مُلْكَ سُلَيْمَانَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، ذُ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أَي: بِعِبَادَةِ غَيْرِكَ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: ظَلَمْتُ فِي سُلَيْمَانَ أَنَّهُ يَرِيدُ تَغْرِيقَهَا فِي الْمَاءِ، فَلَمَّا عَلِمْتُ أَنَّهُ صَرَحٌ مُرَوَّءٌ قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الظَّنِّ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا سُلَيْمَانَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ رَدَّهَا إِلَى مَمْلَكَتِهَا وَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً وَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَنَّهَا وَلَدَتْ مِنْهُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ زَوَّجَهَا بِبَعْضِ الْمُلُوكِ وَلَمْ يَتَزَوَّجَهَا<sup>(٣)</sup> هُوَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِهِمُ أَنْهَارًا مِنْ مِائِدَاتِهِمْ وَأَنْ أَوْبَدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ يَنْقُورٌ لِرِ سَتَعْمَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْمَسَةِ لَوْلَا سَتَعْمَلُونَ اللَّهُ لَمَلَكُمْ تَرْحُوتُ<sup>(٥)</sup> قَالُوا الْمَرْبَا بِكَ وَيَمْنُ مَلَكٌ قَالَ لَمَلَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُتَعَبُونَ<sup>(٦)</sup> ﴿

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ أَي: مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ قَوْلُهُمْ: ﴿أَتَمَلُّوكَ أَنْتَ صَلِيمًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ...﴾ الْآيَاتِ [الاعراف: ٧٥ - ٨٠]. وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَوْلُ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ: الْحَقُّ مَعِيَ.

قوله تعالى: ﴿لِرِ سَتَعْمَلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ وَذَلِكَ حِينَ قَالُوا: إِنْ كَانَ مَا أَتَيْنَا بِهِ حَقًّا فَاتِنًا بِالْعَذَابِ. وَفِي السَّيِّئَةِ

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في «ديوان الهذليين» ١٣٦/٧، و«غريب القرآن» ٣٢٥، و«اللسان» و«التاج»: صرح.

(٢) قال ابن كثير في «التفسير»: والغرض أن سليمان اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة ليرىها عظمة سلطانه وتمكته، فلما رأت ما أتاه الله وجلالة ما هو فيه، وتبصّرت في أمره، انقادت لأمر الله تعالى، وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، وأسلمت لله ﷻ وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أَي: بِمَا سَلَفَ مِنْ كُفْرٍ وَشُرْكٍ وَعِبَادَتِهَا وَقَوْمِهَا لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ شَيْكِنَ يَوْمَ رَبِّ الْكَافِرِينَ﴾ أَي: مُتَابِعَةً لِدِينِ سُلَيْمَانَ فِي عِبَادَتِهِ وَحِدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا. اهـ.

(٣) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٤/٢ بعد أن ذكر القولين: والأول أشهر وأظهر. وقال الآلوسي في «روح المعاني» ١٨٩/١٩: والمشهور أنه تزوجها، وإليه ذهب جماعة من أهل الأخيار.

والحسنة قولان: أحدهما: أن السيئة: العذاب، والحسنة: الرحمة، قاله مجاهد. والثاني: [أن] السيئة: البلاء، والحسنة: العافية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْ: هَلَّا﴾ سَتَقِفِرُونَ اللَّهَ ﴿مِنَ الشَّرِّ﴾ لَمَّا كُنْتُمْ تُرْسُونَ ﴿فَلَا تَعْذِبُون﴾. ﴿قَالُوا الْمَكْرُئَةُ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: تطيرنا وتشاء منا ﴿بِإِك﴾، فأدغمت التاء في الطاء، وأثبتت الألف، ليسلم السكون لِمَا بعدها. وقال الزجاج: الأصل: تطيرنا، فأدغمت التاء في الطاء، واجتلبت الألف لسكون الطاء؛ فإذا ابتدأت قلت: أطيرنا، وإذا وصلت لم تذكر الألف وتسقط لأنها ألف وصل، [وإنما] تطيروا به، لأنهم قحطوا وجاعوا، ف ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مَلِكُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقد شرحنا هذا المعنى في الأعراف: ٤١٣١. وفي قوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: تختبرون بالخير والشر، قاله ابن عباس. والثاني: تصرفون عن دينكم، قاله الحسن. والثالث: تبتلون بالطاعة والمعصية، قاله قتادة.

﴿وَكَانَ فِي اللَّيْلَةِ﴾ رَقِطٌ يَقْدِرُ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَضِلُّونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَاحِبُونَ ﴿٤٩﴾ وَكَرَرُوا مَكْرًا وَكَرَرُوا مَكْرًا وَمَنْ لَا يَشْعُرْ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ يَبُوءُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي إِتَمَمْنَا وَكَانُوا يَقْنُونَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي اللَّيْلَةِ﴾ وهي الحجر التي نزلها صالح ﴿يَقْدِرُ رَقِطٌ يَقْدِرُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد: في أرض الحجر، وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدماء ويبيون على الأموال والفروج، وهم الذين عملوا في قتل الناقة. وروي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح قالا: كان فسادهم كسر الدراهم والدنانير، ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أحلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ أي: لنقتلن صالحاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾ ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «لنبيئته وأهله ثم لنقولن» بالتاء فيهما. وقرأ مجاهد، وأبو رجاء، وحמיד بن قيس: «لنبيئته» بياء وتاء مرفوعتين «ثم لنقولن» بياء مفتوحة وقاف مرفوعة وواو ساكنة ولام مرفوعة ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي: لولي دمه إن سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي: ما حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام، والمهلك يجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع. وروى أبو بكر، وأبان عن عاصم: بفتح الميم واللام، يريد الهلاك؛ يقال: هلك يهلك مهلكاً. وروى عنه حفص، والمفضل: بفتح الميم وكسر اللام، وهو اسم المكان، على معنى: ما شهدنا موضع هلاكهم؛ فهذا كان مكرمهم، فجازاهم الله عليه فأهلكهم. وفي صفة إهلاكهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهن الملائكة بالحجارة فقتلتهن، [قاله ابن عباس. والثاني: رماه الله بصخرة فقتلتهن، قاله قتادة. والثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدت باب الغار، قاله ابن زيد. والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ﴾ قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «أنا دمرناهم» بفتح الألف. وقرأ الباقون بكسرها. فمن كسر استأنف، ومن فتح، فقال أبو علي: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون بدلاً من ﴿عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>. والثاني: أن يكون محمولاً على مبتدأ مضمرة، كأنه قال: هو أننا دمرناهم.

قوله تعالى: ﴿فَبَلَكَ يَبُوءُهُمْ خَاوِيَةً﴾ قال الزجاج: هي منصوبة على الحال؛ المعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية. ﴿وَلَوْلَا إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَئُوكُمُ الْفِتْنَةَ وَأَنْتُمْ مُبِرُونَ ﴿٥٤﴾ لَيْسَ لَكُمُ الْإِكْرَالُ هَهُنَا مِنْ دُونِ الْإِكْرَالِ هَهُنَا بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِمَهَلِهِمْ﴾ ﴿٥٥﴾ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَلْعَنُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَمَّا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي إِتَمَمْنَا فَدَرَرْنَاهَا مِنَ الْقُنُوبِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَئُوكُمُ الْفِتْنَةَ وَأَنْتُمْ مُبِرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وأنتم تعلمون أنها فاحشة. والثاني: وبعضكم يبصر بعضاً.

(١) في الأصل: عاقبة أمرهم.





فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَوَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ أَمْ يَدْعُوا لِلْحَاقِّ لَمَّا جَاءَ  
 يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْثُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَوَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۚ أَمْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ لَا يَمْلِكُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 الْقَتْبُ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَتَّقُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْيَوْمَ مَا كَانُوا يَعْتَمُونَ ﴿٦٧﴾ بَلْ أَكْذَبُكَ بَعْثُهُمْ فِي الآخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۖ بَلْ هُمْ فِيهَا عَمَوْنَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أُنْزِلُوا لِنُعْرَفُ ۖ أَيْنَا لَنُعْرَفُ ۖ لَقَدْ جِئُوا مِنْ شَيْءٍ عَجَبٍ ۚ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ جِئُوا مِنْ شَيْءٍ عَجَبٍ ۚ وَمَا تَدْرِيْنَ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ يُبْدِيهَا فِي  
 الْأَرْضِ فَانظُرُوا ۚ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧١﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّنْ يَنْسَوْنَ ۚ ﴿٧٢﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدٌّ لَكُمْ ۖ بَشَرِ الْأَوَىٰ يُسْتَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ مُدَارِيَةً عَلَىٰ النَّاسِ ۖ وَلَئِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ  
 ﴿٧٥﴾ وَلَئِنْ رَأَيْتَ مُدَارِيَةً مَّا كُنْتُمْ مُدْرِكِينَ ﴿٧٦﴾ وَمَا مِنْ عَاقِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ وهو: المكروب المجهود؛ ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ يعني الضر<sup>(١)</sup> ﴿وَيَرْسِلْكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يهلك قرناً وينشئ آخرين<sup>(٢)</sup>، و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بمعنى تتفكرون. وقرأ أبو عمرو بالياء، والباقون بالتاء. ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يُرشدكم إلى مقاصدكم إذا سافرتم ﴿فِي ظُلُمَاتٍ لَّيْلٍ وَالنَّجْوَى﴾ وقد بيَّناها في [الأنعام: ٩٧، ٩٣] وشرحنا ما يليها من الكلمات فيما مضى [الأعراف: ٥٧ ويونس: ٤] إلى قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ﴾ يعني مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ﴾ أي: متى يبعثون بعد موتهم.

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَذْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بَلْ أَذْرَكَ» قال مجاهد: «بَلْ» بمعنى «أم» والمعنى: لم يُذْرِكْ عَلَيْهِمْ، وقال الفراء: المعنى: هل أدرك عَلَيْهِمْ عِلْمُ الْآخِرَةِ؟ فعلى هذا يكون المعنى: إنهم لا يقفون في الدنيا على حقيقة العِلْمِ بِالْآخِرَةِ. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «بَلْ إِذَا ذَرَكْتَ» على معنى: بَلْ تَذَارِكُ، أي: تتابع وتلاحق، فأدغمت التاء في الدال. ثم في معناها قولان: أحدهما: بَلْ تكامل عَلَيْهِمْ يوم القيامة لأنهم مبعوثون، قاله الزجاج. وقال ابن عباس: ما جهلوه في الدنيا، عَلِمُوهُ فِي الْآخِرَةِ. والثاني: بَلْ تَذَارِكُ ظَنُّهُمْ وَحُدُوسُهُمْ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْآخِرَةِ، فتارة يقولون: إنها كائنة، وتارة يقولون: لا تكون، قاله ابن قتيبة. وروى أبو بكر عن عاصم: «بَلْ أَذْرَكَ» على وزن افعل من أدركت.

قوله تعالى: ﴿بَلِّغْهُمْ فِي سَلَكِ مَتَّعًا﴾ أي: بل هم اليوم في شك من القيامة ﴿بَلِّغْهُمْ مِنْهَا عَمْرًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: من علمها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النحل: ١٢٧، المؤمنون: ٣٥، ٨٢] إلى قوله: ﴿فَتَىٰ هَذَا آيَاتُ﴾ يعنون: العذاب الذي تعدنا. ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَوْفٌ لَّكُمْ﴾ قال ابن عباس: قُرْبٌ لكم. وقال ابن قتيبة: تَبَعُكُمْ، واللام زائدة، كأنه قال: رَوْفُكُمْ. وفي ما تبعهم مما استعملوه قولان: أحدهما: يوم بدر. والثاني: عذاب القبر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَدَّكَ أَحَدُنَا نَارًا كَامِنًا﴾ قال مقاتل: على أهل مكة حين لا يعجل عليهم بالعذاب. قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَسَلَّمَ مَا ثَكُرُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تخفيه ﴿وَمَا يُثْمِرُونَ﴾ بالسنتهم من عداوتك وخلافك؛ والمعنى أنه يجازيهم عليه: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أي: وما من جملة غائبة، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ؛ والمعنى: إنَّ عِلْمَ ما يستعملونه من العذاب بَيَّنَّ عند الله وإن غاب عن الخلق.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَأْتِيكِ إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ لَهْدَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْبِضُ

(۱) قال ابن كثير: ينبت تعالى أنه هو المدعو عند الشفاعة المرجو عند التوازل، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْكُمُ الشُّرُفُ فِي الْبَحْرِ شَيْئًا مِّنْ تَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَآ تَسْكُمُ الشُّرُفُ إِلَّا وَجْهٌ يُعْرَضُونَ﴾ وهكذا قال هاهنا: ﴿أَتَنْ يُجِيبُ الْمُسْتَظِيرَ لَآ تَعَاذُ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضم المضطرين سواه؟.

(٢) قال ابن كثير: أي أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل وقوماً بعد قوم، ولو شاء لأوجدتهم كلمهم في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلمهم أجمعين كما خلق آدم من تراب، ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يبيت أحداً حتى تكون وفاة الجميع في وقت واحد، لكانت تحقيق عنهم الأرض وتضييق عليهم معاشهم وأكسابهم وتضييق بعضهم ببعض، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة، ثم يكثرهم غاية الكثرة ويلداهم في الأرض ويجعلهم قروناً بعد قرون وأماً بعد أم حتى ينقضي الأجل وتفرغ البرية، كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدمهم عدّاً، ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ يَوْمَئِذٍ الَّتِي تُنْظَرُ إِلَيْهَا دَهْرٌ وَجَعَلْتُ أَشْرَهُ وَيَجْعَلُكُمْ خَلْقًا آخَرِينَ أَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ أَيْ يَدْرُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَعْدَ هَذَا، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ هُوَ الْمُنَزَّدُ بِفَعْلِ ذَلِكَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ اهـ.



يَتَّبِعُهُمْ بِحُكْمٍ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ النَّاصِتِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ وَلَا تَبْصُرُ الْبَصَرَ وَلَا تَمْسُكُ الْمَقَالِيدَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي السُّبُلِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِلَّا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَاثِرُونَ بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ لِّرَبِّكَ﴾ وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه، فلو أخذوا به لسلموا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يعني بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمٍ﴾ وقرأ أبو المتوكّل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: ﴿بِحُكْمِهِ﴾ بكسر الحاء وفتح الكاف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ﴾ قال المفسرون: هذا مثلٌ ضربه الله للكفار فشبههم بالموتى.

قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ السَّمْعَ الْأَعْمَى﴾ وقرأ ابن كثير: «ولا يسمع الصَّم» بفتح ميم «يسمع»، وضم ميم «الصَّم».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: أن الصَّم إذا أدبروا عنك ثم ناديتهم لم يسمعون، فكذلك الكافر. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي السُّبُلِ﴾ أي: [ما أنت] بمُرشد من أعماء الله عن الهدى، ﴿إِنْ تَسْمَعُ﴾ إسماع إفهام ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ «وقع» بمعنى «وجب». وفي المراد بالقول ثلاثة أقوال: أحدها: العذاب، قاله ابن عباس. والثاني: الغضب، قاله قتادة. والثالث: الحُجَّة، قاله ابن قتيبة. ومتى ذلك؟ فيه قولان: إذا لم يأمرُوا بمعروف، ولم ينهوا عن منكر، قاله ابن عمر، وأبو سعيد الخدري. والثاني: إذا لم يُرجِ صلاحهم، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وهو معنى قول أبي العالية. والإشارة بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ إلى الكفار الذين تخرج الدابة عليهم. وللمفسرين في صفة الدابة أربعة أقوال: أحدها: أنها ذات وبر وريش، رواه حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: ذات زغب وريش لها أربع قوائم. والثاني: أن رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيل<sup>(٢)</sup>، وصدورها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرة، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مَفْصِلَيْنِ اثنا عشر ذراعاً، رواه ابن جريج عن أبي الزبير. والثالث: أن وجهها وجه رجل، وسائر خلقها كخلق الطير، قاله وهب. والرابع: أن لها أربع قوائم وزغباً وريشاً وجناحين، قاله مقاتل. وفي المكان الذي تخرج منه خمسة أقوال: أحدها: من الصفا. روى حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ [أنه] قال: «بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، تضطرب الأرض تحتهم، وينشق الصفا ممّا يلي المسمى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو منها رأسها، ملئمة ذات وبر وريش، لن يدركها طالب، ولن يفوتها هارب»<sup>(٣)</sup>. وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «طولها ستون ذراعاً»<sup>(٤)</sup>. وكذلك قال ابن مسعود: تخرج من الصفا. وقال ابن عمر: تخرج من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وقال عبد الله بن عمر: تخرج الدابة فيمَسُّ رأسها السحاب ويرجلاها في الأرض ما خرجتا. والثاني: أنها تخرج من شِعْبِ أَجِيَاد، روي عن النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>، وعن ابن عمر مثله. والثالث: تخرج من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس. والرابع: من بحر سدوم، قاله وهب بن منبه. والخامس: أنها تخرج بتهامة بين الصفا والمروة، حكاه الزجاج. وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «تخرج الدابة معها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجלו وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر»<sup>(٦)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه: مؤمن، وتسم الكافر

(١) «الطبري» ١٥/٢٠، قال ابن كثير: ورواه ابن جرير من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وأن ذلك في زمن عيسى ابن مريم وهو يطوف بالبيت، ثم قال: وإسناده لا يصح.

(٢) بكسر الهمزة وضمها: ذكر الأوعال.

(٣) هو الحديث الذي تقدم من رواية ابن جرير الطبري الذي قال فيه ابن كثير: إسناده لا يصح.

(٤) ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» عن حذيفة مرفوعاً ولم يذكر من رواه، والله أعلم.

(٥) ذكره السيوطي في «الدرة» ١١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة ﷺ.

(٦) رواه الطبري: ١٥/٢٠ وفي مسنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه الترمذي ١٥٠/٢ وحسنه، وذكره السيوطي في «الدرة» ١١٦/٥ وزاد نُسبته لأحمد، وأبي داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة ﷺ.

بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر<sup>(١)</sup>، وتصرخ ثلاث صرخات يسميها من بين الخافقين<sup>(٢)</sup>، وقال حذيفة بن أسيد: إن للدابة ثلاث خرجات، خرجة في بعض البوادي ثم تنكتم، وخرجة في بعض القرى ثم تنكتم، فبينما الناس عند أشرف المساجد - يعني المسجد الحرام - إذ ارتفعت الأرض، فانطلق الناس هرباً، فلا يفوتونها، حتى إنها لتأتي الرجل وهو يصلي، فتقول: أنتعود بالصلاة، والله ما كنت من أهل الصلاة، فتخطمته، وتجلو وجه المؤمن<sup>(٣)</sup>. وقال عبد الله بن عمرو: إنها تنكث في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه، وتنكث في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه، فيعرف الناس المؤمن والكافر، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَكَلَّمَهُمْ﴾ قرأ الأكثرون بتشديد اللام، فهو من الكلام. وفيما تكلمهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، قاله قتادة، والثاني: تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام، قاله السدي. والثالث: تقول: هذا مؤمن، وهذا كافر، حكاه الماوردي. وقرأ ابن أبي عبله، والجحدري: بتسكين الكاف وكسر اللام [وفتح التاء]، فهو [من] الكلام؛ قال ثعلب: والمعنى: تجرحهم. وسئل ابن عباس عن القراءتين، فقال: كل ذلك والله فعله، تكلم المؤمن، وتكلم الفاجر والكافر، أي: تجرحه.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي بفتح الهمزة، وكسرهما الباقون؛ فمن فتح أراد: تكلمهم بأن الناس، وهكذا قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «تكلمهم بأن الناس» بزيادة باء مع فتح الهمزة؛ ومن كسر، فلأن معنى «تكلمهم»: تقول لهم: إن الناس، والكلام قول.

﴿وَلَمَّا رَفَعَ الْقَوْلَ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا يَمَنَّ يُكَلِّمُ بِلَاغَتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِمَا عَلَّمَا أَنَا كُنْتُمْ تَسْمُونَ﴾ ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يُلْقُونَ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ لُوطٍ لِّشِكْوَىٰ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ الفوج: الجماعة من الناس كالزمرة، والمراد به: الرؤساء والمتبعون في الكفر، حشروا وأقيمت الحجة عليهم. وقد سبق معنى ﴿يُوزَعُونَ﴾ [التمل: ١٧]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو﴾ إلى موقف الحساب ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾! هذا استفهام إنكار عليهم ووعيد لهم، ﴿وَلَمْ تُحِطُوا بِمَا عَلَّمَا﴾ فيه قولان. أحدهما: لم تعرفوها حتى معرفتها. والثاني: لم تحيطوا علماً ببطلتانها. والمعنى: إنكم لم تفكروا في صحتها، ﴿أَنَّا كُنْتُمْ تَسْمُونَ﴾ في الدنيا فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه!؟

قوله تعالى: ﴿وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ قد شرحناه آنفاً [التمل: ٨٢] ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يُلْقُونَ﴾ بحجة عن أنفسهم. ثم احتج عليهم بالآية التي تلي هذه. ومعنى قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: يبيصر فيه لابتغاء الرزق.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ فَتَرَىٰ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ لَأَمِّنَ شَاةَ اللَّهِ وَكُلُّ أُنثَىٰ دَاخِرِينَ﴾ ﴿وَرَى الْجِبَالِ تَحْشِبًا جَايِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الْفَلَكُ أَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا وَهَمَ مِنْ فَرَجٍ يَوْمَئِذٍ أَمِئْتُونَ﴾ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ وَكُفِّرَتْ وَبُرْهِنَتْ فِي الْآثَارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ﴾ قال ابن عباس: هذه النسخة الأولى.

(١) ذكره الطبرسي في مجمع البيان من رواية حذيفة مرفوعاً بهذا اللفظ، ولم ينسبه لأحد، ورواه الطبري من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً بلفظ: نيم الناس: مؤمن، وكافر، أما المؤمن فترك وجهه كأنه كوكب دُرِّيٌّ، وتكتب بين عينيه: مؤمن، وأما الكافر فتنتك بين عينيه نكتة سوداء: كافر، وإسناده لا يصح، كما قال ابن كثير.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ١٧/٥ من رواية ابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٣) رواه الطبري ١٤/٢٠ من طريقين عن حذيفة بن أسيد مرفوعاً، ورواه أبو داود الطيالسي مرفوعاً من حديث حذيفة بن أسيد، وذكره السيوطي في «الدر» ١١٦/٥ من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

(٤) رواه الطبري ١٥/٢٠ بمعناه عن عبد الله بن عمر مرفوعاً وروى الفقرة الأخيرة منه، وهي قوله: «ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج» عن عبد الله بن عمرو، وذكره السيوطي في «الدر» بمعناه ١١٥/٥ من رواية عبد بن حميد عن عبد الله بن عمرو.

قوله تعالى: ﴿فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [قال المفسرون: المعنى: فيفزع مَنْ في السموات ومن في الأرض]، والمراد أنهم ماتوا، بلغ بهم الفزع إلى الموت. وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الشهداء، قاله أبو هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. والثاني: جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت، ثم إن الله تعالى يميّتهم بعد ذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور وغيرهن، وكذلك مَنْ في النار، لأنهم خلّقوا للبقاء، ذكره أبو إسحاق ابن شاقلا من أصحابنا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ﴾ أي: من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا «آتَوْهُ» وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «آتَوْهُ» بفتح التاء مقصورة، أي: يأتون الله يوم القيامة «ذَخِيرِينَ» قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: صاغرين. قال أبو عبيدة: «كُلُّ» لفظه لفظ الواحد، ومعناه يقع على الجميع، فهذه الآية في موضع جمع.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَى لِبَالٍ﴾ قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نُفِخ في الصُّور، تُجَمَعُ الجبالُ وتُسَيَّرُ، فهي لكثرتها تُحَسَبُ «جَايِدَةً» أي: واقفة «وَبِهِ تَمُرُّ» أي: تسير سير السحاب، وكذلك كُلُّ جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفاً وهو يسير، لكثرت، قال الجعديّ يصف جيشاً:

بِأَرْعَنَ يَشُلُّ الطُّرُودَ تُحَسَّبُ أَنَّهُمْ  
وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرُّكَّابُ تُهْمَلِجُ<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على المصدر، لأن قوله: ﴿وَرَزَى لِبَالٍ تَحَسَّبُ جَايِدَةً﴾ دليل على الصنعة، فكانه قال: صنع الله ذلك صنعا، ويجوز الرفع على معنى: ذلك صُنْعُ الله. فأما الإتيان، فهو في اللغة: إحكام الشيء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «يفعلون» بالياء. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي بالتاء.

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قد شرحنا الحسنة والسيئة في آخر [الأنعام: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿لَهُ خَيْرٌ نِتَانًا﴾ فيه قولان: أحدهما: فله خير منها يصل إليه، وهو الثواب، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة. والثاني: فله أفضل منها، لأنه يأتي بحسنة فيعطى عشر أمثالها، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْزِلْ يَنْزِلْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مَنْ يَنْزِلْ يَنْزِلْ» مضافاً. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: «مَنْ يَنْزِلْ» بالتثنية «يومئذٍ» بفتح الميم. وقال الفراء: الإضافة أعجب إليّ في العربية، لأنه فزع معلوم، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] فصيّرهُ معرفة، فإذا أضفت مكان المعرفة كان أحب إليّ. واختار أبو عبيدة قراءة التثنية وقال: هي أعم التأويلين، فيكون الأمن من جميع فزع ذلك اليوم. قال أبو علي الفارسي: إذا نَوَّنَ جاز أن يُعْنَى به فزع واحد، وجاز أن يُعْنَى به الكثرة، لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة اللفاظ، كقوله: ﴿إِنَّ أَكْثَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمَيِّتِ﴾ [لقمان: ١٩]، وكذلك إذا أُضِيفَ جاز أن يُعْنَى به فزع واحد، وجاز أن يُعْنَى به الكثرة؛ وعلى هذا القول، القراءتان سواء، فإن أريد به الكثرة، فهو شامل لكل فزع يكون يوم القيامة، وإن أريد به الواحد، فهو المشار إليه بقوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقال ابن السائب: إذا أطبقت النَّارُ على أهلها فَرَعُوا فَرَعَةً لم يَفْزَعُوا مثلها، وأهل الجَنَّةِ آمَنُوا من ذلك الفزع.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ قال المفسرون: هي الشُّركُ «فَكُنْتُ رُجُومُهُمْ» يقال: كَبِنْتُ الرجل: إذا ألقيته لوجهه؛ وتقول لهم حَزَنَةُ جهنم: «هَلْ تُحْزَنُونَ» إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: إِلَّا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا من الشُّرك.

﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أُعْبِدَ رَبُّكَ هَكَذَا أَلْبَدَ الَّذِي حَرَمَهَا وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ وَارْتَرْتُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شاقلا البزار الحنبلي المتوفى (٣٦٩ هـ) ترجمته في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى ١٢٨/٢.

(٢) البيت للناطقة الجعدي. وهو في «مشكل القرآن» ٥، و«الطبري» ٢٠/٢١، و«مجمع البيان» ٢٠/٢٥٧، و«القرطبي» ١٣/٢٤٢، و«البحر» ٧/١٠٠.



أَفْتَدَىٰ قَلْبًا يَّهْتَدِي لِقَيْدِهِ وَمَنْ صَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِّلْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أُبْرِئُكُمْ مِّنْ سَبِيحَةِ رَبِّكَ هَكَذَا الْبَلَدُ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴿٩٣﴾ وَقُرْ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِي: «التي حَرَّمَهَا»، وهي مكة، وتحريمها: تعظيم حرمتها بالمنع من القتل فيها والسبي والكف عن صيدها وشجرها<sup>(١)</sup>، «وَلَمْ كُنْ شَيْءٌ» لأنه خالفه ومالكه، «وَأُورِثُ أَنْ أَكُونَ مِنَ السَّالِفِينَ» أي: من المخلصين لله بالتوحيد، «وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ» عليكم «مَنْ أَفْتَدَىٰ قَلْبًا يَّهْتَدِي لِقَيْدِهِ» أي: فله ثواب اعتدائه «وَمَنْ صَلَّ» أي: أخطأ [طريق] الهدى «فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ» أي: ليس عليّ إلا البلاغ؛ وذكر المفسرون أن هذا منسوخ بآية السيف. «وَقُلْ لِّلْمُتَدَبِّرِينَ» أي: قُلْ لِمَنْ ضَلَّ: الحمد لله الذي وَقَفْنَا لِقَبُولِ مَا امْتَنَعْتُمْ مِنْهُ «سَبِيحَةُ رَبِّكَ» ومتى يريهم؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيها<sup>(٢)</sup> ثلاثة أقوال: أحدها: أن منها الدخان وانشقاق القمر، وقد أراهم ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: سيريكم آياته [فتعرفونها]<sup>(٣)</sup> في السماء، وفي أنفسكم، وفي الرزق، قاله مجاهد. والثالث: القتل بيد، قاله مقاتل. والثاني: سيريكم آياته في الآخرة فتعرفونها على ما قال في الدنيا، قاله الحسن.

قوله تعالى: «وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَصَلُّونَ»<sup>(٤)</sup> وقُرْ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تعملون» بالتاء، على معنى: قل لهم. وقُرْ الباقر بالياء، على أنه وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.



(١) قال ابن كثير: وقوله: «الَّذِي حَرَّمَهَا» أي: الذي إنما صارت حراماً شرعاً وقدراً بتحريمه لها، كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَمُضُّ شَوْكَةٌ، وَلَا يَنْفَرُ صَيْدٌ، وَلَا يَنْتَقِطُ لِقَطْعَتُهُ إِلَّا مِنْ حَرْفِهَا، وَلَا يَخْتَلِي خِلَافُهَا...» الحديث بتمامه. اهـ. وهو في «البخاري» ٤٢/٤، و«مسلم» ٩٨٦/٢. ومعنى «لَا يَمُضُّ شَوْكَةٌ» لا يقطع، وقوله: «وَلَا يَخْتَلِي خِلَافُهَا» الخلا: الرطب من النبات، واختلاؤه: قطعه واحتشاشه.

(٢) أي: الآيات. (٣) زيادة من الطبري.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَصَلُّونَ»: يقول تعالى ذكروه: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغزو، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال: يقول تعالى ذكروه لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فرتي من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوك بالذل والغزي. اهـ.



## سورة القصص

وهي مكية كلها غير آية منها، وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥] فإنها نزلت عليه وهو بالجحفة في وقت خروجه للهجرة، هذا قول ابن عباس. وروي عن الحسن، وعطاء، وعكرمة: أنها مكية كلها. وزعم مقاتل: أن فيها من المدني ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ يَوْمُونَ﴾ (٥١) [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]. وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥] نزلت بالجحفة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مَسَّةٌ ١﴾ إِنَّكَ كَائِدُ الْكَلْبِ الثَّيْنِ ١ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ مَوْسَى وَفَرَعُونَ وَالْحَقُّ لِقَوْمٍ يَوْمُونَ ١ إِنَّ فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَكَمَلْ أَفْهَكُ شَيْئًا يَسْتَفْهِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذَّيْبُ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَفْهِفُ الْكَلْبُ الْوَرِيثَ ١ وَرَأَيْدُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَفْهِفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَعْمَلَهُمْ أَيْمَةً وَتَعْمَلَهُمْ الْوَرِيثَ ١ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَى وَفَرَعُونَ وَتَنْزَلَ وَتَعْمَلَهُمْ أَيْمَةً مِنْهُمْ تَأْكُلُوا أَيْمَتَهُمْ ١﴾

قوله تعالى: ﴿مَسَّةٌ ١﴾ قد سبق تفسيره (الشعراء).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: طغى وتجبّر في أرض مصر ﴿وَكَمَلْ أَفْهَكُ شَيْئًا﴾ أي: فزقا وأصنافا في خدمته ﴿يَسْتَفْهِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنو إسرائيل، واستضعافه إياهم: استعبادهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْكَلْبِ بِالْقَتْلِ وَالْعَمَلِ بِالْمَعَاصِي﴾. يَذَّيْبُ آبَاءَهُمْ ﴿وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ، وَالزَّهْرِيُّ، وَابْنُ مَحِيصَنٍ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «يَذَّيْبُ» بفتح الياء وسكون الذال خفيفة.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْدُ أَنْ تَنْزَلَ﴾ أي: تنجم ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَفْهِفُوا﴾ وهم بنو إسرائيل، ﴿وَتَعْمَلَهُمْ أَيْمَةً﴾ يقتدى بهم في الخير، وقال قتادة: وُلَاةٌ وَمُلُوكًا ﴿وَتَعْمَلَهُمْ الْوَرِيثَ﴾ لملك فرعون بعد عرقه. قوله تعالى: ﴿وَرَأَى وَفَرَعُونَ وَتَنْزَلَ وَتَعْمَلَهُمْ أَيْمَةً﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «وَرَأَى» بياء مفتوحة وإمالة الألف التي بعد الراء «فرعون وهامان وجنودهما» بالرفع. ومعنى الآية: أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل، فكانوا على وجل منهم، فأراهم الله ما كانوا يخذرون.

﴿وَأَرْحَمَ إِلَهَ أَرْمُوسَ أَنْ أَرْحَمَ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ كَالْقَبْرِ فِي الْبَيْتِ وَلَا تَحْزَنُ وَلَا تَحْزَنُ إِنَّا رَأَيْنَا إِلَهَ الْبَيْتِ وَمَا يَطُورُ مِنَ الْوَرِيثِ ١﴾ فَالْقَطْلُ مَا لَ فَرَعُونَ لِكُنْ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا لِكِ فَرَعُونَ وَتَنْزَلَ وَتَعْمَلَهُمْ أَيْمَةً كَانُوا خَطِيطِينَ ١ وَقَالَ أَمْرُكُ فَرَعُونَ قَرْنٌ عَنِّي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَنِّي أَنْ يَفْعَمَ أَوْ تَنْجِدَهُمْ وَلَكِ وَمَنْ لَا يَشْعُرُ ١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَرْحَمَ إِلَهَ أَرْمُوسَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إلهام، قاله ابن عباس. والثاني: أن جبريل أتاه بذلك، قاله مقاتل. والثالث: أنه كان رؤيا منام، حكاه الماوردي. قال مقاتل: واسم أم موسى «يوخابد».

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْحَمَ﴾ قال المفسرون: كانت امرأة من القوابل مصافية لأم موسى، فلما وضعت تولت أمرها ثم خرجت فزأها بغض العيون فجأروا ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أمأه هذا الحرس بالباب، قلقت موسى في خرقه ووضعت في التثور وهو مشجر، فدخلوا ثم خرجوا، فقالت لأخته: أين الصبي، قالت: لا أدري، فسمعت بكاءه من التثور فاطلعت وقد جعل الله النار بزدًا وسلامًا<sup>(١)</sup>، فأرضعته بعد ولادته ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر، فلما

(١) هذه القصة ذكرها بعض المفسرين مصدرة بكلمة «روي»، ولم يذكروا من خرجها ولا عن رويت عنه، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم.

خافت عليه صنعت له التابوت<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ قولان: أحدهما: إذا خِفْتِ عليه القتل، قاله مقاتل. والثاني: إذا خِفْتِ [عليه] أن يصيح أو يبكي فيسمع صوته، قاله: ابن السائب. وفي قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ قولان: أحدهما: أن يفرق، قاله ابن السائب. والثاني: أن يضيع، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. وقال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما أفصحك! فقالت: أوبعد هذه الآية فصاحة وهي قوله: ﴿وَأَوْحَيَّا إِلَهُ أَرْمُوتَ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّبِي فِي آلِيهِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ بِكَ الزَّمِيلَ﴾ جمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين ويشارتين!

قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط: إصابة الشيء من غير طلب. والمراد بآل فرعون: الذين تولوا أخذ التابوت من البحر. وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال: أحدها: جوارى امرأة فرعون، قاله السدي. والثاني: ابنة فرعون، قاله محمد بن قيس. والثالث: أعوان فرعون، قاله ابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿يَكُونُ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ أي: ليصير بهم الأمر إلى ذلك، لا أنهم أخذوه لهذا، وهذه اللام تسمى لام العاقبة، وقد شرحناها في [يونس: ١٨٨]. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: ليكون لهم عَدُوًّا في دينهم وحرزاً لما يصنعه بهم. والثاني: عَدُوًّا لرجالهم وحرزاً على نساءهم، فقتل الرجال بالفرق، واستعبد النساء. ﴿وَقَالَتْ أَمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من بني إسرائيل تزوجها فرعون: ﴿فَرَأَتْهُ عَيْنٌ﴾ قال الزجاج: رفع ﴿فَرَأَتْهُ عَيْنٌ﴾ على إضمار «هو». قال المفسرون: كان فرعون لا يولد له إلا البنات، فقالت: ﴿عَيْنٌ أَنْ يَنْفَعَنِي﴾ فنصيب منه خيراً ﴿أَوْ تَنْجِدُنِي وَلَدًا﴾، ﴿وَقَدْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. والثاني: أن هلاكهم على يديه، قاله قتادة. والثالث: لا يشعر بنو إسرائيل أن التقطاه، قاله محمد بن قيس. والرابع: لا يشعرون أنني أفعل ما أريد لا ما يريدون، قاله محمد ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوتَ قَرِيضًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَزَقْنَا عَلَى قَلْبِهَا لَنُكُوتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَالَتْ لِأَخَوْتَيْهِ قُصِيصٍ فَصَبَتْ بِهِ عَنْ جُذْبٍ وَهَمٍّ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴿وَحَمَلْنَا عَلَيْهِ الْفَرَاغَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيرَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى آيَتِهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَسَلَّمَ أَكْ وَهَذَا أَتَوْهُ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوتَ قَرِيضًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك. والثاني: أصبح فؤادها قَرِيضًا، رواه الضحاك عن ابن عباس، وهي قراءة أبي رزين، وأبي العالية، والضحاك، وقاتدة، وعاصم الجحدري، فإنهم قرؤوا: «قَرِيضًا» بزي معجمة. والثالث: فارغاً من وحينا بنسيانه، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: فارغاً من الحزن، يعلمها أنه لم يقتل، قاله أبو عبيدة. قال ابن قتبية: وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿لَوْلَا أَنْ رَزَقْنَا عَلَى قَلْبِهَا؟! وهل يُرَبِّطُ إِلَّا على قلب الجازع المحزون؟!﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى موسى. ومتى أرادت هذا؟ فيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه حين فارقه؛ روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس [أنه] قال: كادت تقول: يا بَيْتَاهُ. قال قتادة: وذلك من شدة وجدها. والثاني: حين حَمَلَتْ لِرِضَاعِهِ ثم كادت تقول: هو ابني، قاله السدي. والثالث: أنه لما كَبُرَ وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَقُولُونَ: موسى بن فرعون، كادت تقول: لا بل هو ابني، قاله ابن السائب. والقول الثاني: أنها ترجع إلى الوحي؛ والمعنى: إن كادت لتُبْدِي بالوحي، حكاه ابن جرير.

(١) والفتة في اليم - أي البحر - وهو النيل. قال ابن جرير الطبري: وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أرم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده، أن تلقى في اليم، وجاز أن تكون خائفته عليه بعد أشهر من ولادها إياه، وأني ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أي، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه. قال: واليم الذي أمرت أن تلقى فيه هو النيل. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ يقول: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معنى ذلك: وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَّبَّنَا عَلَيَّهَا﴾ قال الزجاج: المعنى: لولا ربطنا على قلبها، والربط: إلهام الصبر وتشديد القلب وتقويته.

قوله تعالى: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَائِبِينَ﴾ أي: من المُصْذِقِينَ بوعده الله. ﴿وَقَالَتْ لِأَتْخِيهَ قُصِيَّةً﴾ قال ابن عباس: قضى أثره واطلبيته هل تسمعين له فخرًا، [أي]: أحي هو، أو قد أكلته الدواب؟ ونسيت الذي وعدنا الله فيه. وقال وهب: إنما قالت لأخته: قضيب، لأنها سمعت أن فرعون قد أصاب صبيًا في تابوت. قال مقاتل: واسم أخته: مريم. قال ابن قتيبة: ومعنى «قضيب»: قضى أثره واتباعه ﴿فَبَصَّرَتْ بِهٖ عَنْ جُثِيٍّ﴾ أي: عن بُغْدٍ منها عنه وإعراض، لئلا يَفْطِنُوا، والمجانبة من هذا. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز: ﴿عَنْ جَنَابٍ﴾ بفتح الجيم والنون وبالف بعدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: ﴿عَنْ جَانِبٍ﴾ بفتح الجيم وكسر النون وبينهما ألف. وقرأ قتادة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: ﴿عَنْ جَنْبٍ﴾ بفتح الجيم وإسكان النون من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: وهم لا يشعرون أنه عدو لهم، قاله مجاهد. والثاني: لا يشعرون أنها أخته، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْفَرَاغَ﴾ وهي جمع مُزْهِجٍ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْدَّهٗ عَلَى أُمِّهِ﴾ وهذا تحريم منع، لا تحريم شرع. قال المفسرون: بقي ثمانية أيام ولياليهن، كلما أتى بمُزْهِجٍ لم يقبل لديها، فأهملهم ذلك واشتد عليهم ﴿فَقَالَتْ﴾ لهم أخته: ﴿هَلْ أَذْكَرُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ فقالوا لها: نعم، من تلك؟ فقالت: أُمِّي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن هارون. فلما جاءت قبِلَ لديها. وقيل: إنها لما قالت: ﴿وَقَدْ لَمْ تَصِحُّوْكُمْ﴾ قالوا: لعليّ تعرفين أهله، قالت: لا، ولكني إنما قلت: وهم للملك ناصحون.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ قد شرحناه في [طه: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ أُنْكَ وَعَدَ اللَّهُ﴾ برؤ ولدها ﴿حَقًّا﴾ وهذا علم عيان ومشاهدة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله وعدنا أن يرده إليها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاسَتْهُ وَأَسْتَوَىٰ مَكَانًا وَحَدَّثَ كَذَلِكَ قَبْرِي الْمُنْعِيْنِ ۖ وَخَلَّ الْمَدِيْنَةَ عَلَىٰ حِينٍ عَقَلَهُ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ مَّوَلَوِهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَلِيٍّ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ۖ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَقَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْفَقِيرُ الرَّجِيْهُ ۖ قَالَ رَبِّ يَمَّا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ لَمَّا أَكْرَمْتَ ظَهْرَكَ لِلْمُنْعِيْنِ ۖ﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قد فسرنا هذه الآية في سورة [يوسف: ٢٢]، وكلام المفسرين في لفظ الآيتين متقارب، إلا أنهم فرّقوا بين بلوغ الأشد وبين الاستواء؛ فأما بلوغ الأشد، فقد سلف بيانه [الأنعام: ١٥٢]. وفي مدة الاستواء لهم قولان: أحدهما: أنه أربعون سنة، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد. والثاني: ستون سنة، ذكره ابن جرير. قال المفسرون: مكث عند أمه حتى فطمته، ثم رثته إليهم، فنشأ في حجر فرعون وامرأته واتخذها ولداً.

قوله تعالى: ﴿وَخَلَّ الْمَدِيْنَةَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها مصر. والثاني: مدينة بالقرب من مصر. قال السدي: ركب فرعون يوماً وليس عنده موسى، فلما جاء موسى ركب في إثره فأدركه المقيّل في تلك المدينة. وقال غيره: لما توهم فرعون في موسى أنه عدوّه أمر بإخراجه من مدينته، فلم يدخل إلا بعد أن كبر، فدخلها يوماً ﴿عَلَىٰ حِينٍ عَقَلَهُ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وفي ذلك الوقت أربعة أقوال: أحدها: أنه كان يوم عيد لهم، وكانوا قد اشتغلوا فيه بلهوهم، قاله عليّ عليه السلام. والثاني: أنه دخل نصف النهار، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة. والثالث: بين المغرب والعشاء، قاله وهب بن منبه. والرابع: أنهم لما أخرجوه لم يدخل عليهم حتى كبر، فدخل على حين غفلة عن ذكره، لأنه قد نسي أمره، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: من أصحابه من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ مَّوَلَوِهِ﴾ أي: من أعدائه من القبط، والعدو يُذكر للواحد وللجمع. قال الزجاج: وإنما قيل في الغائب: «هذا» و«هذا»، على جهة الحكاية للحضرة؛



والمعنى: أنه إذا نظر إليهما الناظر قال: هذا مِنْ شيعته، وهذا مِنْ عَدُوِّهِ. قال المفسرون: وإنَّ القبطي كان قد سَحَر الإسرائيلي أن يحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَاسْتَنْصَرَهُ﴾ أي: فاستنصره، ﴿فَوَكَزَهُ﴾ قال الزجاج: الوَكَزُ: أن يضربه بجميع كَفِّهِ. وقال ابن قتيبة: «فوكزه» أي: لكَّزَهُ، يقال: وَكَزْتُهُ وَلَكَزْتُهُ وَلَهَزْتُهُ، إذا دَفَعْتُهُ، ﴿فَفَقَعَ عَلَيْهِ﴾ أي: قتله؛ وكلُّ شيء فرغْتَ منه فقد قضيتَه وقضيت عليه. وللمفسرين فيما وكزه به قولان: أحدهما: كَفَّهُ، قاله مجاهد. والثاني: عَصَلَهُ، قاله قتادة.. فلَمَّا مات القبطي ندم موسى لأنه لم يرد قتله، و﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: هو الذي هُوِيَ غَضْبِي حتى ضَرَبْتُ هذا، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِابْنِ آدَمَ﴾ ﴿ثُمَّ لَئِنْ لَمْ يَدَعْ عِدَاؤُهُ﴾ ثم استغفر ذُ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي: بقتل هذا، ولا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يُؤْمَرَ. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَمَلًا بِالْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عباس: عوناً للكافرين. وهذا يدلُّ على أن الإسرائيلي الذي أعانهُ موسى كان كافراً.

﴿فَأَمْسَحَ فِي اللَّيْلِ حَافِئًا يَرْقُبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَعْرِضُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَتَوَيْتُ بُيُوتَ رَبِّكَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْشِي عَدُوٌّ أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ قَتْلًا بِالْأَمْسِ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَدْعُو قَالَ يَمْشِي الْمَلِكُ فَأَنْتُمْ بَكٍ يَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحَ فِي اللَّيْلِ﴾ وهي التي قتل بها القبطي ﴿حَافِئًا﴾ على نفسه ﴿يَرْقُبُ﴾ أي: ينتظر سوءاً يتاله منهم ويخاف أن يقتل به ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ﴾ وهو الإسرائيلي ﴿يَسْتَعْرِضُهُ﴾ أي: يستغيث به على قبطي آخر أراد أن يسخره أيضاً ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ في ماء الكتابة قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القبطي. والثاني: إلى الإسرائيلي، وهو أصح. فعلى الأول يكون المعنى: ﴿إِنَّكَ لَتَوَيْتُ﴾ بتسخيرك وظلمك. وعلى الثاني فيه قولان: أحدهما: أن يكون الغوي بمعنى المغوي، كالأليم والوجيع بمعنى المؤلم والموجع؛ والمعنى: إنك لمُضِلٌّ حين قتلت بالأمس رجلاً بسببك، وتدعوني اليوم إلى آخر. والثاني: أن يكون الغوي بمعنى الغاوي؛ والمعنى: إنك غاوي في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ أي: بالقبطي ﴿قَالَ يَمْشِي﴾ هذا قول الإسرائيلي من غير خلاف علمناه بين المفسرين؛ قالوا: لَمَّا رأى الإسرائيلي غضب موسى عليه حين قال [له]: ﴿إِنَّكَ لَتَوَيْتُ بُيُوتَ رَبِّكَ﴾ ورأه قد هم أن يَبَاشِرَ بالفرعوني، ظنَّ أنه يريدُه فخاف على نفسه ذُ ﴿قَالَ يَمْشِي أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ وكان قوم فرعون لم يعلموا من قاتِلِ القبطي، إلا أنهم اتَّزوا إلى فرعون فقالوا: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً مِنَّا فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لأخذ لكم حَكْمَكم، فبينما هم يطوفون ولا يدرون من القاتل، وقعت هذه الخصومة بين الإسرائيلي والقبطي في اليوم الثاني، فلَمَّا قال الإسرائيلي لموسى: ﴿أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ قَتْلًا بِالْأَمْسِ﴾ انطلق القبطي إلى فرعون فأخبره أن موسى هو الذي قتل الرجل، فأمر بقتل موسى، فلم يزل بذلك رجل من شيعه موسى فاتاه فأخبره، فذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَدْعُو قَالَ يَمْشِي الْمَلِكُ فَأَنْتُمْ بَكٍ يَقْتُلُوكَ﴾ فأتاه الجبار، فقال السدي: هو القتال، وقد شرحناه في [مرد: ٥٩]، وأقصى المدينة: آخرها وأبعدها، ويسمى، بمعنى يُسْرِع. قال ابن عباس: وهذا الرجل هو مؤمن آل فرعون، وسيأتي الخلاف في اسمه في سورة [المومن: ٢٨]. فأتاه الملا، فهم الوجوه من الناس والأشراف. وفي قوله: ﴿يَأْتِيُونَكَ بِكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يتشاورون فيك ليقتلوك، قاله أبو عبيدة. والثاني: يهْؤُون بك، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، قاله الزجاج.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَلَمَّا وَجَّهَ نَجْمَهُ يَلْقَاهُ مَنَازِكُهُ قَالَ عَنَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْأَنْكَبِ يَسْقُوتُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذَوَا قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَئِي حَتَّى يَصْدِرَ الرِّجَاءُ وَأُبْرَأَا شَيْخَ كَبِيرٍ﴾ ﴿فَقَالَ لَهُمَا تَرَى أَنَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبَى يَدْعُوكَ لِتَجْزِيَنَا أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَصَصُ قَالَ لَا تَخَفْ جُئْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّ اسْتَنْجِرًا إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَنْجَرْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿قَالَ إِنَّهُ أَرِيدُ أَنْ أُكَلِّمَكَ﴾

(١). كذا الأصل، والذي في «اللسان» عن الزجاج: الوَكَزُ: أن يضرب بجمع كَفِّهِ، وهو كذلك في كتب اللغة.



إِخْدَى أَبْنَى مَتَنِي عَلَى أَنْ تَأْجُرِي تَمَنِي جَمِيعَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَيَسَّكَ أَيُّهَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدُوكَ عَلَى اللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَخَرَجَ مِنْهَا﴾ أي: من مصر ﴿حَافِيًا﴾ وقد مضى تفسيره [القصة: ١٨].

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنَ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني المشركين أهل مصر. ﴿وَلَكِنَّ تَوَمَّةً تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: تجاه مَدْيَنَ ونحوها، وأصله: اللقاء، وزيدت فيه التاء، قال الشاعر:

[أَمَلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ]

أي: عن لائقك. قال المفسرون: خرج خائفًا بغير زاد ولا ظُهر<sup>(١)</sup>، وكان بين مصر ومَدْيَنَ مسيرة ثمانية أيام، ولم يكن له بالطريق عِلْمٌ، فـ ﴿قَالَ عَمَّن رَجُلٍ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ النَّبِيِّ﴾ أي: قَضَاهُ. قال ابن عباس: لم يكن له عِلْمٌ بالطريق إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِ بِهِ. وقال السدي: بعث الله له مَلَكًا فَدَلَّهُ، قالوا: ولم يكن له في طريقه طعام إلا ورق الشجر، فورد ماء مَدْيَنَ وخَضِرَةُ الْبَقْلِ تَتَرَاءَى فِي بَطْنِهِ مِنَ الْهَزَالِ؛ وَالْأُمَّةُ: الجماعة، وهم الرعاة، ﴿يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَيَجِدُ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: مِنْ سِوَى الْأُمَّةِ ﴿أَمْرَاتَيْنِ﴾ وهما ابنتا شعيب؛ قال مقاتل: واسم الكبرى: صُبُورًا<sup>(٢)</sup> والصغرى: عبرا ﴿تَذُودَانِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: تَكْفَأَانِ غَنَمَهُمَا، فحذف الغنم اختصاراً. قال المفسرون: وإنما فعلتا ذلك لِيَفْرُغَ النَّاسُ وَتَخْلُوَ لَهُمَا الْبُشْرُ، قال موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا؟﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا شَيْءَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وابن يعمر، وابن السميع: ﴿لَا نَسْقِي﴾ برفع النون ﴿حَتَّى يَضِيرَ الرِّعَاءُ﴾ وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: ﴿يَضِيرُ﴾ بفتح الياء وضم الدال، أي: حتى يرجع الرِّعَاءُ. وقرأ الباقر: ﴿يُضِيرُ﴾ بضم الياء وكسر الدال، أرادوا: حتى يَزُودُ الرِّعَاءُ غَنَمَهُمْ عَنِ الْمَاءِ. والرِّعَاءُ: جمع راعٍ، كما يقال: صاحب وصحاب. وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: ﴿الرِّعَاءُ﴾ بضم الراء، والمعنى: نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿وَأَبْرَأَا صَبِيحَ صَبِيحٍ﴾ لا يقدِّرُ أَنْ يَسْقِي مَاشِيَتَهُ مِنَ الْكِبَرِ؛ فَلِذَلِكَ اخْتَجَجْنَا نَحْنُ إِلَى أَنْ نَسْقِي، وكان على تلك البُشْرُ صخرة عظيمة، فإذا فرغ الرِّعَاءُ مِنْ سَقْيِهِمْ أَعَادُوا الصَّخْرَةَ، فتأتي المرأتان إلى فضول حياض الرِّعَاءِ فَتَسْقِيَانِ غَنَمَهُمَا. ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ موسى. وفي صفة ما صنع قولان: أحدهما: أنه ذهب إلى بئر أخرى عليها صخرة لا يقتلعها إلا جماعة من الناس، فاقتلعها وسقى لهما، قاله عمر بن الخطاب<sup>(٣)</sup>، وشريح. والثاني: أنه زاحم القوم على الماء، وسقى لهما، قاله ابن إسحاق، والمعنى: سقى غنمهما لأجلهما. ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ أي: انصرف ﴿إِلَى الْبَيْتِ﴾ وهو ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا بِاللَّامِ بِمَعْنَى إِلَى، فَتَقْدِيرُهُ: إِنِّي إِلَى مَا ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وأراد بالخير: الطعام<sup>(٤)</sup>. وحكى ابن جرير أنه أسمع المرأتين هذا الكلام تعريضاً أن تُظْلِمَهُمَا. ﴿لَهَاجَتُهُ إِسْتَدْبَاهُهَا﴾ المعنى: فلما شربتا غنمهما رَجَعَتَا إِلَى أَبِيهِمَا فاخبرتهما خبر موسى، فبعث إحداهما تدعو موسى. وفيها قولان: أحدهما: الصغرى. والثاني: الكبرى. فجاءته ﴿تَمَشِي عَلَى أَسْتَحْيَاكُمُ﴾ قد سترت وجهها بِكُمُ دَرَعَهَا. وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مشي مَنْ لَمْ يَعْتَدِ الْخُرُوجَ وَالْدُخُولَ. والثاني: لأنها دعت له لتكافئه، وكان الأجمل عندها أن تدعوه من غير مكانة. والثالث: لأنها رسول أبيها.

(١) البيت للراعي النمرى، وهو في «غريب القرآن» ٣٣١، و«المصاح» و«اللسان» و«التاج»: لقي.

(٢) الظُّهْر: الدابة التي يُرَكَّبُ ظُهْرُهَا مِنْ جَمَلٍ وَنَحْوِهِ.

(٣) في الآلوسي: صفوراء، وقيل: صفوريا. وفي «الكشاف» اسم الكبرى: صفراء، واسم الصغرى: صفيراء، والله أعلم بذلك، ولا يتعلق بمعرفة اسميهما حكم شرعي.

(٤) قال السيوطي في «الدرة» ١٢٤/٥: أخرج القرطبي، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن موسى ﷺ لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطبق رفعا إلا عشرة رجال، فإذا هو بأمرأتين، قال: ما خطبكما، فحدثتا، فأتى الصخرة فرفعها وحده، ثم استقى، فلم يستق إلا دلوًا واحدًا حتى رويت الغنم... الحديث بطوله، وقد ذكره ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن أبي شيبة مختصراً هكذا، وقال: إسناده صحيح.

(٥) قال ابن كثير: قال ابن عباس: سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فما وصل إلى مدين حتى سقطت نعل قدميه، وجلس في الظل وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه لاصق بظهوره من الجوع، وإن خضرة البقل لتري من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق ثمره.

قوله تعالى: ﴿يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ قال المفسرون: لما سمع موسى هذا القول كرهه وأراد أن لا يتبعها، فلم يجد بدًّا للجهد الذي به من اتباعها، فتبعها، فكانت الريح تضرب ثوبها فصفص بعض جسدها، فناداها: يا أمة الله، كونني خلفي وذلّني الطريق<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: جاء موسى شعبياً ﴿وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ﴾ أي: أخبره بأمره من حين ولد والسبب الذي أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَحْتَفِ بِمَوْتِ الْقَوَمِ الْأَقْلَابِيِّينَ﴾ أي: لا سلطان لفرعون بأرضنا وللسنا في مملكته. ﴿فَأَتَتْ إِحْدَهُمَا﴾ وهي الكبرى: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَعِزَّةٌ﴾ أي: اتّخذها أجيراً ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَعِزَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ أي: خير من استعملت على عملك من قوّي على عملك وأدّى الأمانة؛ وإنما سمّته قوّياً، لرفعه الحجر عن رأس البئر، وقيل: لأنه استقى بدلو لا يقلّها إلا العدد الكثير من الرجال، وسمّته أميناً، لأنه أمرها أن تمشي خلفه. وقال السدي: قال لها شعب: قد رأيت قوّته، فما يدريك بأمانته؟ فحدثته. قال المفسرون: فرغب فيه شعب، فقال له: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِمَكَ﴾ أي: أزوجك ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي جِجَعٌ﴾ قال الفراء: تأجرني وتأجرني، بضم الجيم وكسرهما، لغتان. قال الزجاج: والمعنى: تكون أجيراً لي ثماني سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ أي: فذلك تفضل منك، وليس بواجب عليك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: في العشر ﴿سَعِدْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْفَالِاحِينَ﴾ أي: في حسن الصّحبة والوفاء بما قلت. ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: ذلك الذي وصفت وشرطت عليّ فلك، وما شرطت لي من تزويج إحداهما فلي، فالأمر كذلك بيننا. وتم الكلام هاهنا. ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ يعني: الثماني والعشر. قال أبو عبيدة: «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّأَتْ﴾ أي: أتممت<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا تُدْرِكُ عَلَى﴾ أي: لا سبيل عليّ؛ والمعنى: لا تعدد عليّ بأن تُلزمني أكثر منه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ قال الزجاج: أي: والله شاهدنا على ما عقد بعضنا على بعض. واختلف العلماء في هذا الرجل الذي استأجر موسى على أربعة أقوال: أحدها: أنه شعيب نبي الله ﷺ، وعلى هذا أكثر أهل<sup>(٣)</sup> التفسير، وفيه أثر عن النبي ﷺ يدل عليه<sup>(٤)</sup>، وبه قال وهب، ومقاتل. والثاني: أنه صاحب مدين، واسمه يثرى، قاله ابن عباس. والثالث: رجل من قوم شعيب، قاله الحسن. والرابع: أنه يثرون ابن أخي شعيب، رواه عمر بن مرة عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وبه قال ابن السائب<sup>(٥)</sup>. واختلفوا في التي تزوّجها موسى من الابنتين على قولين: أحدهما: الصغرى، روي عن ابن عباس. والثاني: الكبرى، قاله مقاتل. وفي اسم التي تزوّجها ثلاثة أقوال: أحدها: صفوريا، حكاه أبو عمران الجوني. والثاني: صفورة، قاله شعيب الجبائي. والثالث: صبورا، قاله مقاتل.

(١) قال السيوطي في تمة الحديث الذي تقدم من رواية القرطبي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن عمر بن الخطاب ؓ: «فرجعت المرأتان إلى أبيهما، فحدثتا، وتولّى موسى ﷺ إلى الظل فقال: ﴿زَيْتُ إِيَّيْنَا لَزَيْتُ إِيَّيْنَا مِنْ خَيْرٍ قَوِيٍّ﴾ قال: ﴿لَمَّا تَمَّتْ إِحْدُهُمَا تَتَنَّى عَلَى أَسْوَحَتِكُ﴾ واضحة ثوبها على وجهها ليست بسلع من الناس خراجة ولاجة، ﴿فَأَتَتْ إِيَّكَ أَيَّ يَتَعَرَّكَ يَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها موسى ﷺ، فقال: امشي خلفي وانتمي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك تنصف جسدك... إلخ. وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم مختصراً إلى قوله: خراجة ولاجة، وقال: هذا إسناد صحيح. وقال: قال الجوهرى: السلف من الرجال: الجسور، ومن النساء: الجريفة السليطة، ومن النوق: الشديدة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذا وقد دلّ الدليل على أن موسى ﷺ إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما، قال: وقال البخاري: عن سعيد بن جبير قال: سألت يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على خير العرب فأسأله، فقدمت على ابن عباس ؓ فسأله، فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. اهـ.

(٣) زيادة ليست في الأصل.

(٤) من رواية ابن أبي حاتم عن عتية بن المنذر، وسنده ضعيف.

(٥) قال ابن كثير: وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل من هو على أقوال: أحدها: أنه شعيب النبي ﷺ الذي أرسل إلى أهل مدين، وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء. قال: وقال آخرون: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، قال: وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى ﷺ بمدة طويلة، لأنه قال لقومه: ﴿وَرَبَّنَا قَدْ لَوِيَ بَيْنَكُمْ يَتِيمٌ﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل ﷺ بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى ﷺ مدة طويلة تزيد على أربعين سنة كما ذكره غير واحد، قال: وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة، إنما هو - والله أعلم - احتراز من هذا الإشكال، ثم من المعوّذ لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى، لم يصح إسناده، قال: ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه يثرون، والله أعلم. اهـ.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَظِئِ النَّارِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَىٰ آتَا اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ أَنْتَ إِلَّا عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَازِلُهَا سَبَأَ كُلُّهَا بِجَانِّهَا وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْشِي عَلَىٰ آقِلٍ وَلَا تَحَفٍّ فَلَمَّا بَلَغَ مِنْ الْأَيْمَنِ عَنَانُهُ يَدَكُ فِي جَيْبِكَ خُزَّجَ نَصَافَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ فَذَلِكَ بِرُؤْسَانِ مِنْ ذَلِكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَنَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٢﴾ وَأَخَىٰ هَارُونَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٣﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّدِنَا أَتُنَافِئَانِ بَيْنَ الْفِيلِ وَالْغَنَاقِ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى، قال: «أوفاهما وأطيهما» (١). قال مجاهد: مكث بعد قضاء الأجل عندهم عشرين سنة (٢). وقال وهب بن منبه: أقام عندهم بعد أن أدخل عليه امرأته سنين (٣)، وقد سبق تفسير هذه الآية (ط: ١٠) إلى قوله: ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «جذوة» بكسر الجيم. وقرأ عاصم بفتحها. وقرأ حمزة، وخلف، والوليد عن ابن عامر بضمها، وكلها لغات. قال ابن عباس: الجذوة: قطعة حطب فيها نار، وقال أبو عبيدة: قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهب، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة، قال ابن مقل: «جَزَلُ الْجَذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِيرٍ» (٤)

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا والذي قد نَجَّرَ، ومنه رجل داعر، أي: فاسد.

قوله تعالى: ﴿ نُودِيَ مِنْ شَظِئِ النَّارِ ﴾ وهو: جانبه ﴿ الْأَيْمَنِ ﴾ وهو الذي عن يمين موسى ﴿ فِي الْبُقْعَةِ ﴾ وهي القطعة من الأرض ﴿ الْمُبَارَكَةِ ﴾ بتكليم الله موسى فيها ﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي: من ناحيتها، وفي تلك الشجرة قولان: أحدهما: [أنها] شجرة العناب، قاله ابن عباس. والثاني: عوسجة، قاله قتادة، وابن السائب، ومقاتل. وما بعد هذا قد سبق بيانه (النمل: ١٠) إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْأَيْمَنِ ﴾ أي: من أن ينالك مكروه.

قوله تعالى: ﴿ أَنْتَهُ يَدُكَ ﴾ أي: أدخلها، ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ قد فسرنا الجناح في (ط: ٢٢) إلا أن بعض المفسرين خالف بين تفسير اللغطين، فشرحناه. وقال ابن زيد: جناحه: الذراع والعُضد والكُف. وقال الزجاج: الجناح هاهنا: العضد، ويقال لليد كلها: جناح. وحكى ابن الأنباري عن الفراء أنه قال: الجناح هاهنا: العصا. قال ابن الأنباري: الجناح للإنسان مشبه بالجناح للطائر، ففي حال تشبه العرب رجلي الإنسان بجناحي الطائر، فيقولون: قد مضى فلان طائراً في جناحيه، يعنون ساعياً على قدميه، وفي حال يجعلون العضد منه بمنزلة جناحي الطائر، كقوله: ﴿ وَأَضْمَمَ يَدُكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾، وفي حال يجعلون العضد بمنزلة الجناح، لأن الإنسان يدفع بها عن نفسه كدفع الطائر عن نفسه بجناحه، كقوله: ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّقَبِ ﴾، وإنما يوقع الجناح على هذه الأشياء تشبيهاً واستعارة، كما يقال: قد قُصَّ جناح الإنسان، وقد قُطعت يده ورجله: إذا وقعت به جائحة أبطلت تصرفه؛ ويقول الرجل للرجل: أنت يدي ورجلي، أي: أنت من به أصيل إلى محايي، قال جرير:

مَسْأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتُ إِلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي (٥)

(١) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل: أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٢٦/٥ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة في «المصنف» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال ابن كثير: وقد يستفاد هذا أيضاً من الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ أي: الأكمل منها، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: وهذا القول لم أره لغيره، وقد حكاه عنه ابن أبي حاتم، وابن جرير، فالح أعلم. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٢٧/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) في النسخة الإستنبولية: ستين.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١٠٣، و«الطبري» ٧٠/٢٠، و«مجمع البيان» ٢٨٤/١٠، و«القرطبي» ٢٨١/١٣، و«اللسان» و«التاج»: دعر. والجذا جمع جذوة.

(٥) ديوانه ٩٨.

وقالت امرأة من العرب ترثي زوجها الآخر:

يا عصمتي في الثائبات ويا  
لا ضنئت وجهاً كنت ضائنه  
رُكْنِي [الأغر] ويا يدي اليمنى  
أبدأ ووجهك في الشرى يَبْلَى

فأما الرَّهْب، فقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «مِنَ الرَّهْب» بفتح الراء والهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من الرَّهْب» بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص [وأبان] عن عاصم: «من الرَّهْب» بفتح الراء وسكون الهاء [وهي قراءة ابن مسعود، وابن السميع]. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وقتادة: بضم الراء والهاء. قال الزجاج: الرَّهْب، والرَّهْب بمعنى واحد، مثل الرُّشْد، والرَّشْد. وقال أبو عبيدة: الرَّهْب والرَّهْبَة بمعنى الخوف والفرق. وقال ابن الأنباري: الرَّهْب، والرَّهْب، والرَّهْب، مثل الشُّغْل، والشُّغْل، والشُّغْل، والبُخْل، والبُخْل، وتلك لغات ترجع إلى معنى الخوف والفرق. وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما هرب من الحيَّة أمره الله أن يَضُمَّ إليه جناحه ليذهب عنه الفزع. قال ابن عباس: المعنى: اضمم يدك إلى صدرك من الخوف ولا خوف عليك. وقال مجاهد: كلُّ مَنْ فَزَعَ فَضَمَّ جناحه إليه ذهب عنه الفزع. والثاني: أنه لما هاله بياض يده وشعاها، أمر أن يُدْخِلَهَا في جيبه، فعادت إلى حالتها الأولى. والثالث: أن معنى الكلام: سَكَنَ رَوْعَكَ، وثَبَّتْ جَأَشَكَ. قال أبو علي: ليس يراد به الضَّمُّ بين الشَّيْئَيْنِ، إنما أمر بالعزم [على ما أمر به] والجد فيه، ومثله: اشدد حيازيمك للموت.

قوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «فَذَانُكَ» بالتشديد. وقرأ الباقون: «فَذَانُكَ» بالتخفيف. قال الزجاج: التشديد تشية «ذلك»، والتخفيف تشية «ذاك»، فجعل اللام في «ذلك» بدلاً من تشديد النون في «فَذَانُكَ»، ﴿وَمَكَانِي﴾ أي: بيانان اثنان. قال المفسرون: «فَذَانُكَ» يعني العصا واليد، حُجَّتَانِ من الله لموسى على صِدْقِهِ، ﴿وَمَكَانِي﴾ أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعون<sup>(١)</sup>. وقد سبق تفسير ما بعد هذا [الشعراء: ١٤] إلى قوله: ﴿هُوَ أَقْصَىٰ مِنِّي لِسَانًا﴾ أي: أحسن بياناً، لأن موسى كان في لسانه أثر الجمرة التي تناولها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ قرأ الأكثرون: «رِدْءًا» بسكون الدال ويعددها همزة. وقرأ أبو جعفر: «رِدَا» بفتح الدال وألف بعدها من غير تنوين ولا همز؛ وقرأ نافع كذلك إلا أنه نون. وقال الزجاج: الرِّدْءُ: العون، يقال: ردأته أردوه رِدْءًا: إذا أعنته.

قوله تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ قرأ عاصم، وحمزة: «يُصَدِّقُنِي» بضم القاف. وقرأ الباقون بسكون القاف. قال الزجاج: من جزم «يُصَدِّقُنِي» فعلى جواب المسألة: أَرْسِلْهُ يُصَدِّقُنِي؛ ومن رفع، فالمعنى: رِدْءًا مُصَدِّقًا لي. وأكثر المفسرين على أنه أشار بقوله: «يُصَدِّقُنِي» إلى هارون؛ وقال مقاتل بن سليمان: لكي يُصَدِّقُنِي فرعون.

قوله تعالى: ﴿سَنُثَبِّتُكَ أَجْرَكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: سنعينك بأجرك، ولفظ الثَبُّد على جهة المثل، لأن اليد قوامها عَضْدُهَا، وكل مُعِين فهو عَضْدٌ، ﴿وَجَعَلْ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً بَيِّنَةً. وقيل للزَّيْتِ: السَّليط، لأنه يُسْتَضَاءُ به؛ والسُّلْطَانُ: آيِنُ الْحُجَجِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ أي: يقتل ولا أذى. وفي قوله: ﴿فَبَايَعْنَا﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أن المعنى: تمتنعان منهم بآياتنا وحُجَجِنَا فلا يَصِلُونَ إلَيْكُمَا. والثاني: أنه متعلق بما بعده، فالمعنى: بآياتنا أنتمَا وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا الغالبون، أي: تَغْلِبُونَ بآياتنا. والثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: ونجعل لكمَا سُلْطَانًا بآياتنا فلا يَصِلُونَ إلَيْكُمَا.

﴿لَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ أَلَّا هَذَا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ قَالَ مُوسَىٰ رَدِّهِ أَعْلَمَ بِمَن جَاءَهُ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ النَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٧﴾ قوله تعالى: ﴿هَذَا هَذَا﴾ أي: ما هذا الذي جئتُنا به إلا سحر افتريته مِن قِيلِ نَفْسِكَ ولم تُبَيِّنْ به

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ وَمَكَانِي﴾ يعني إلقاء العصا وجعلها حية تسعى، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دليلان قاطعان واضحيان على قدرة الفاعل المختار وصحة نبوة من جرى هذا الخارق على يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي: وقومه من الرؤساء والكبراء والأبنا، ﴿يَوْمَ كَانُوا قُلُوبًا قَاتِلِينَ﴾ أي: خارجين عن طاعة الله مخالفين لأمره ودينه. اهـ.



﴿وَمَا سَكَنَّا بِهَذَا﴾ الذي تدعوننا إليه ﴿بِهَذَا فِي مَابَيْنَا الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّهِ أَكْبَرُ﴾ وقال موسى: «قال موسى» بلا واو، وكذلك هي في مصاحفهم ﴿يَمَنْ جَاءَهُ الْهُدَى﴾ أي: هو أعلم بالمحج منّا، ﴿وَمَنْ كَفَرَ لَمْ عَقِبَهُ النَّارُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف، [والمفضل]: «يكون» بالياء، والباقون بالتاء.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي أَخْلَقْتُ الْإِنْسَانَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ فَأَوْذِي لِي يَهْتَكِرْ عَلَى الطَّلِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَكُمْ لَأَطْلُعَ إِلَهُ إِلَى مُوسَى وَإِلَى لَأَطْلُعُهُ مِنْ الْكَلْبِيِّينَ ٧٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَخُشُوهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنًّا أَنَّهُمْ إِلَاسًا لَا يُرْجَعُونَ ٧٩﴾ فَأَعَدُّهُ وَخُشُوهُ فَتَبَدَّدَهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٨٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَكْفُرُونَ إِلَّا الْكَافِرَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ٨١﴾ وَأَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَمَكَّةٌ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُورِينَ ٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَوْذِي لِي يَهْتَكِرْ عَلَى الطَّلِينِ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: اصنع لي الأجر ﴿فَلْيَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ أي: قصرًا عاليًا. وقال الزجاج: الصَّرح: كل بناء متسع مرتفع. وجاء في التفسير أنه لما أمر هامان - وهو وزيره - ببناء الصَّرح، جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع، فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بانيان أحد قط، فلما تم ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء، فردت وهي متلطخة بالدم، فقال: قد قتلت إله موسى <sup>(١)</sup>، فبعث الله تعالى جبريل فضربه بجناحه <sup>(٢)</sup> فقطعه ثلاث قطع، ف وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، و وقعت قطعة أخرى في البحر، وأخرى في المغرب <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ لَأَطْلُعَ إِلَهُ إِلَى مُوسَى﴾ أي: أصعد إليه وأشرف عليه ﴿وَإِلَى لَأَطْلُعُهُ﴾ يعني موسى ﴿مِنْ الْكَلْبِيِّينَ﴾ في أدعائه إلهاً غيبي. وقال ابن جرير: المعنى: أظن موسى كاذباً في ادعائه أن في السماء رباً أرسله. ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَخُشُوهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: بالباطل والظلم ﴿وَظَنًّا أَنَّهُمْ إِلَاسًا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبعث للجزاء. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ برفع الياء؛ وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً﴾ أي: في الدنيا ﴿آيَةً﴾ أي: قادة في الكفر يأتهم بهم العتاة ﴿يَكْفُرُونَ إِلَّا الْكَافِرَ﴾ لأن من أطاعهم دخلها؛ و﴿يُنصَرُونَ﴾ بمعنى: يُمنعون من العذاب. وما بعد هذا مفسر في [مود: ٦٠، ٢٩٩].  
قوله تعالى: ﴿مِنْ الْمَقْبُورِينَ﴾ أي: من المبعدين الملعونين؛ قال أبو زيد: يقال: قُبِحَ الله فلاناً، أي: أبعد من كل خير. وقال ابن جريج: معنى الآية: وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى، ثم استقبل الكلام، فقال: هم من المقبورين <sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَدِ مَا أَحْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ وَمَعْدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٨٣﴾ وَكَانَ يَحَاطُّ الْقُرُونَ إِذْ قَسَيْتَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٨٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مَا كُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ يَحَاطُّ الطُّورَ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّنْ هُمْ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٨٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُنصِبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ آيَاتِهِمْ فَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ وَكَلِمَتَكَ مِنْ الْقُرُونِ ٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْ بَدِ مَا أَحْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ﴾ أي: ليصروا به ويهتدوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ يَحَاطُّ الْقُرُونَ﴾ قال الزجاج: أي: وما كنت بجانب الجبل الغربي.  
قوله تعالى: ﴿إِذْ قَسَيْتَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ أي: أحكمتنا الأمر معه بإرساله إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

(١) ذكر هذا الخبر بنحوه القرطبي في «تفسيره»، ولم يخرجه لأحد، وذكره الطبري مختصراً عن السدي، وكذلك السيوطي من رواية ابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) أي: فضرب الصرح بجناحه.

(٣) قال القرطبي بعد أن ذكره: والله أعلم بصحة ذلك.

(٤) قال ابن كثير: أي: وشيع الله لعنتهم ولعنة ملوكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المبعين لرسله، كما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة الأنبياء وأتباعهم، كذلك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُورِينَ﴾.



والثاني: موسى وهارون، قاله مجاهد؛ فعلى هذا هو من قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة. والثالث: محمد وعيسى<sup>(١)</sup>، قاله قتادة؛ فعلى هذا هو من قول اليهود الذين لم يؤمنوا بنبيينا. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «سِخْرَان» وفيه ثلاثة أقوال. أحدها: التوراة والفرقان، قاله ابن عباس، والسدي. والثاني: الإنجيل والقرآن، قاله قتادة. والثالث: التوراة والإنجيل، قاله أبو مجلز، وإسماعيل ابن أبي خالد. ومعنى الكلام: كلُّ سِخْرٍ منهما يقوِّي الآخر، فنُسبَ التظاهر إلى السخرين توسُّعاً في الكلام، «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ عَلِيمُونَ» يعنون ما تقدَّم ذكره على اختلاف الأقوال، فقال الله لنبيه «قُلْ لَكُمْ مَكَّةَ» فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا «أي: من التوراة والقرآن، «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أَنَّهُمَا سَاحِرَانِ. «فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» أي: فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن، «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُعْمِلُكُمْ أَهْوَاءَهُمْ» أي: أنَّ ما ركبه من الكفر لم يحملهم عليه حُجَّةٌ، وإنما آثروا فيه الهوى «وَمَنْ أَضَلُّ» أي: ولا أحد أضلُّ «مَنْ أَتَىٰ مَوْتَهُ يَمُوتْهُ يَغْتَرِ مُدَىٰ» أي: بغير رشاد ولا بيان جاء «بِرَبِّكَ اللَّهُ». «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقُرْآنَ» وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وابن يعمر: «وَصَلَّانَا» بتخفيف الصاد. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم قريش، قاله الأكثرون، منهم مجاهد. والثاني: اليهود، قاله رافعة القرظي. والمعنى: أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً، ويُخبر عن الأمم الخالية كيف عُذِّبُوا لعلمهم يتعظون. «الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ» وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: مسلمو أهل الإنجيل، روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن أربعين من أصحاب النجاشي قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فشهدوا معه أحدًا، فنزلت فيهم هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والثالث: مسلمو اليهود، كعبد الله بن سلام وغيره، قاله السدي.

قوله تعالى: «مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن «مُّمَّ يَدُ» في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى محمد ﷺ، لأن ذكره كان مكتوباً [عندهم] في كتبهم، فآمنوا به، والثاني: إلى القرآن. قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّا بِلَا عِلْمٍ» يعني القرآن «قَالُوا آمَنَّا بِدِينِهِ»، «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل نزول القرآن «شُعْلِيلِينَ» أي: مُخْلِصِينَ لله مصدِّقين بمحمد، وذلك لأن ذكره كان في كتبهم فآمنوا به «أَوَّلِكَ يُؤْتِنُ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ» في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم مؤمنو أهل الكتاب، وهذا قول الجمهور، وهو الظاهر<sup>(٣)</sup>، وفيما صبروا عليه قولان: أحدهما: أنهم صبروا على الكتاب الأوَّل، وصبروا على اتِّباعهم محمداً، قاله قتادة، وابن زيد. والثاني أنهم صبروا على الإيمان بمحمد قبل أن يُبْعَثَ، ثم على اتِّباعه حين بُعث، قاله الضحاك. والقول الثاني: أنهم قوم من المشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فصبروا على الأذى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: «وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْآثِرَةَ» فيه أقوال قد شرحناها في [الرعد: ٢٢].

قوله تعالى: «وَلَا سَكْرًا لَّغَوًا» فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: الأذى والسَّبُّ، قاله مجاهد. والثاني: الشرك، قاله الضحاك. والثالث: أنهم قوم من اليهود آمنوا، فكانوا يسمعون ما غيَّر اليهود من صفة رسول الله ﷺ فيكروهون ذلك ويُعْرِضُونَ عنه، قاله ابن زيد. وهل هذا منسوخ، أم لا؟ فيه قولان. وفي قوله: «وَقَالُوا لَنَا آثَرُكَ وَلَكُمُ آثَرُكُمْ» قولان: أحدهما: لنا ديننا ولكم دينكم. والثاني: لنا جِلْمُنَا ولكم سَهْمُكُمْ. «سَلَّمَ عَلَيْكُمْ» قال الزجاج: لم يريدوا التحية، وإنما أرادوا: بيننا وبينكم المُتَارَكَةُ، وهذا قبل أن يؤمَّرَ المسلمون بالقتال. وذكر المفسرون أنَّ هذا منسوخ بآية السيف. وفي قوله: «لَا يَتَّبِعُنَا الْجَاهِلِينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: لا نتبعي دين الجاهلين. والثاني: لا نطلبُ مجاورتهم. والثالث: لا نريد أن نكون جُهَلَاءَ.

(١) قال ابن كثير: وهذا فيه بُعْدٌ، لأن عيسى لم يجر له ذكر هاهنا، والله أعلم. اهـ.

(٢) قال السيوطي في «أسباب النزول» ٢١٠: رواه الطبراني في «الأوسط» بسند فيه من لا يُعرف عن ابن عباس ﷺ.

(٣) عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ولادرك النبي ﷺ فآمن به وأتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أتى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له إمة فغلبها فأحسن غلبها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران» متفق عليه، واللفظ لمسلم. وذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٣/٥، وزاد نسبته لأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْكَذَّابَ مَكَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ تُنْكِنُ لَهُمْ حَرَمًا مَائِنًا يَجِيءُ إِلَيْهِ فَمَنْ ثَرَتْ كُلُّ شَيْءٍ وَزَقَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَصْحَابَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهُمْ فَيَلَفَتْ مَسَكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَدْوِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا خَنَّا الْأَوَّلِينَ (٥٨) ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّارِكِينَ﴾ (النوبة: ١١٣)، وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعنه: «قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أن تُعيرني نساء قريش، يقرن: إنَّما حمله على ذلك الجزع، لأفرت بها عينك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (١). قال الزجاج: أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب. وفي قوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قولان: أحدهما: من أحببت هدايته. والثاني: من أحببته لقرباته. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يُرشد لِدِينِهِ من يشاء ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: من قدر له الهدى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْكَذَّابَ مَكَكَ﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي. هم ناس من قريش قالوا ذلك (٢). وقال في رواية ابن أبي مليكة: إن الحارث بن عامر بن نوفل قال ذلك (٣). وذكر مقاتل أن الحارث بن عامر قال لرسول الله ﷺ: إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي تَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ يَمْنَعُنَا أَنْ نَتَّبِعَ [الهدى] معك مخافة أن تتخطفنا العرب من أرضنا (٤)، يعنون مكة. ومعنى الآية: إن أتبعناك على دينك خِفْنَا العرب لمخالفتنا إياها. والتخطف: الانتزاع بسرعة؛ فردَّ الله عليهم قولهم، فقال: ﴿أَوَلَمْ تُنْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا﴾ أي: أو لم نسكنهم حَرَمًا ونجعل مكاناً لهم، ومعنى ﴿مَائِنًا﴾: ذو أمن يأمن فيه الناس، وذلك أن العرب كان يُغيّر بعضها على بعض، وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسبي والغارة، أي: فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن؟ ﴿يَجِيءُ﴾ [قرأ نافع: تُجْبَى] بالتمام، أي: تُجمع إليه وتُحمل من [كل] النواحي الشمرات، ﴿وَزَقَا مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: مِنْ عِنْدِنَا ﴿وَلَكِنَّ أَصْحَابَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فكيف هو الذي فعل بهم ذلك فيشكرونها. ومعنى الآية: إِذَا كُنْتُمْ آمِنِينَ فِي حَرَمِي تَأْكُلُونَ رِزْقِي وَتَعْبُدُونَ غَيْرِي، فكيف تخافون إِذَا عَدَيْتُمُونِي وَأَمْتَمَ بِي؟ ثم خوفهم عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ بَطَرَتْ مَعِيشَتُهُمْ﴾ قال الزجاج: «معيشتها» منصوبة بإسقاط «في»، والمعنى: بَطَرَتْ في معيشتها، والبطر: الطغيان في التعمه. قال عطاء: عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام.

قوله تعالى: ﴿فَيَلَفَتْ مَسَكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَدْوِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافرين وماز الطريق يوماً أو ساعة، والمعنى: لم تُسكن من بعدهم إلا سُكُونًا قليلاً ﴿وَكُنَّا خَنَّا الْأَوَّلِينَ﴾ أي: لم يخلفهم أحد بعد هلاكهم في منازلهم، فبقيت خراباً غير مسكونة.

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ٥٥/١، ولفظه: «لولا أن تُعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأفرت بها عينك» وليس عند مسلم كلمة «نساء». وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٥، وزاد نسبة لعبد بن حديد، والترمذي، وابن أبي حاتم، وإن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وقد انفرد مسلم بروايته بهذا اللفظ مختصراً، ورواه البخاري في «صحيحه» ٣٨٩/٨، ومسلم في «صحيحه» ٥٤/١ بأطول منه باختلاف يسير في روايتهما: عن سعيد بن المسيب عن أبيه: قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: «أي هم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليها ويُمِدِّدُهَا بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «فوالله لأستغفرن لك ما لم أله عهده» فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلشَّارِكِينَ...﴾ وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، واللفظ للبخاري. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٢/٣ وزاد نسبة لابن أبي شيبة، وأحمد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبى الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل».

(٢) رواه الطبري ٩٤/٢٠، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٤/٥، وزاد نسبة لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) رواه الطبري ٩٤/٢٠، وأورده السيوطي في «الدر» ١٣٤/٥، وزاد نسبة للنسائي، وابن المنذر. وذكر الحافظ ابن كثير عن رواية النسائي عن ابن أبي مليكة، قال: قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس، ولم يسمه منه.

(٤) ذكر هذا المعنى الطبرسي في «مجمع البيان» ولم ينسبه لمقاتل ولا غيره، بل ذكره بلفظ «وقيل». وذكره القرطبي عن ابن عباس، ولم يذكر من رواه عنه، والله أعلم.





قال المفسرون: خفيت عليهم الحجج، وسُميت أنباء، لأنها أخبار يُخبر بها. قال ابن قتيبة: والمعنى: عُمُوا عنها - من شدة الهول - فلم يُحيوا، والانباء هاهنا: الحجج.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا بَسَآةَ لَّوْنَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجّة، قاله الضحاك. والثاني: أن المعنى: سكتوا فلا يتساءلون في تلك الساعة، قاله الفراء. والثالث: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً من ذنوبه، حكاه الماوردي. ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشُّرك ﴿وَأَمَّنَ﴾ أي: صدّق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَتَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ و«عسى» من الله واجب.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَكَلَّىٰ عَنْهَا بِشُرْكَانَ ۖ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَكُونُ مَدْرُؤُهُمْ وَمَا يُعْلِمُونَ﴾ ﴿وَقَرَأَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ روى العمري عن ابن عباس في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: كانوا يجعلون لألهتهم خير أموالهم في الجاهلية. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿لَوْلَا زَوْجٌ هَذَا لَأَكْرَهُهُ عَلَىٰ زَوْجِي بَيْنَ الْقَرَيْنَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزعرور: ٣١) والمعنى أنه لا تُبْعَثُ الرسل باختيارهم. قال الزجاج: والوقف الجيد على قوله: «ويختار» وتكون «ما» نفعياً؛ والمعنى: ليس لهم أن يختاروا على الله؛ ويجوز أن تكون «ما» بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: ويختار الذي لهم فيه الخيرة ممّا يتعبدون به ويدعونه إليه (١)؛ قال الفراء: والعرب تقول لما تختاره: أعطني الخيرة والخيرة والخيرة، قال ثعلب: كلها لغات.

قوله تعالى: ﴿مَا تَكُنْ مَدْرُؤُهُمْ﴾ أي: ما تُخفي من الكفر والعداوة ﴿وَمَا يُعْلِمُونَ﴾ بالسّهم. قوله تعالى: ﴿لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ [أي]: يَحْمَدُهُ أولياؤه في الدنيا وَيَحْمَدُونَهُ في الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ وهو الفصل بين الخلائق. والسرد: الدائم.

﴿قُلْ أَوْشَرْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿قُلْ أَوْشَرْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِظُلُمٍ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ زَعَمَ بِهِ جَمَلَ لَكُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَتَشْكُرُنَّ فِيهِ وَلَتَنْفَعُنَّ مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿وَزَعَنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع فهم وقبول فتستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى؟! ومعنى ﴿تَشْكُرُونَ فِيهِ﴾: تستريحون من الحركة والنَّصب ﴿أَمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة؟! ثم أخبر أن الليل والنهار رحمة منه. وقوله: ﴿لَتَشْكُرُنَّ فِيهِ﴾ يعني في الليل ﴿وَلَتَنْفَعُنَّ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: لتلتبسوا من رزقه بالمعاش في النهار ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الذي أنعم عليكم بهما.

قوله تعالى: ﴿وَزَعَنَّا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: حجتكم على ما كنتم تعبدون من دوني ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: علموا أنه لا إله إلا هو ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من الشركاء.

﴿إِنْ قَرْنُوا كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْتِيَنَّهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاسِدُهُ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَوَاءً وَلَئِنْ قَرْنُوا لَأَقُولَنَّ قَوْلَهُمْ لَا تَقْرَبُوا اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِيسِينَ﴾ ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

(١) ذكره السيوطي في أسباب النزول ١٩٣ من رواية ابن المنذر عن قتادة، والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: وقد اختار ابن جرير أن «ما» هاهنا بمعنى الذي، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة، قال: وقد احتج بهذا السلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضاً، فإن المقام في بيان أفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك، ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَكَلَّىٰ عَنْهَا بِشُرْكَانَ﴾ أي: من الأصنام والأنقاد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً. اهـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي: من عشيرته؛ وفي نسبه إلى موسى ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان ابن عمه، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عبد الله بن الحارث، وإبراهيم، وابن جريج. والثاني: ابن خالته، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه كان عمّ موسى، قاله ابن إسحاق<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: «قارون» اسم أعجمي لا ينصرف، ولو كان «فاعولاً» من العربية من «قرئت الشيء» لانصرف.

قوله تعالى: ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه جعل لِيَنْفِي جُنَاحاً على أن تقذف موسى بنفسها، ففعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت، فأخبرته بقصتها، فكان هذا بغية، قاله ابن عباس. والثاني: أنه بغى بالكفر بالله تعالى، قاله الضحاك. والثالث: بالكبر، قاله قتادة. والرابع: أنه زاد في طول ثيابه شبراً، قاله عطاء الخراساني، وشهر بن حوشب. والخامس: أنه كان يخدم فرعون فتعدى على بني إسرائيل وظلمهم، حكاه الماوردي. وفي المراد بمفاته قوله: أحدهما: أنها مفاتيح الخزائن التي تفتح بها الأبواب، قاله مجاهد، وقاتدة. وروى الأعمش عن خيشمة قال: كانت مفاتيح قارون وقرستين بغلاً، وكانت من جلود، كل مفتاح مثل الأصبع. والثاني: أنها خزائنه، قاله السدي، وأبو صالح، والضحاك. قال الزجاج: وهذا الأشبه أن تكون مفاته خزائن ماله؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة. قال أبو صالح: كانت خزائنه تُحمل على أربعين بغلاً.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَزَّلَنَّ فِي سَكَبٍ﴾ أي: تثقلهم وتُميلهم. ومعنى الكلام: لتُنْزِلُ العَصْبَةَ، فلَمَّا دخلت الباء في «العَصْبَةَ» انفتحت التاء، كما تقول: هذا يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ، وهذا يَذْهَبُ الْأَبْصَارَ، وهذا اختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجاج في آخرين. وقال بعضهم: هذا من المقلوب، وتقديره: ما إن العَصْبَةَ لَتَنُوءَ بمفاته، كما يقال: إنها لَتَنُوءَ بها عجيزتها، أي: هي تنوء بعجيزتها، وأنشدوا:

قَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَمَا أَلَوْكَ إِلَّا مَا أَطِيتُ<sup>(٢)</sup>

أي: فديت بنفسي وبمالي نفسه، وهذا اختيار أبي عبيدة، والأخفش. وقد يَنُوءُ معنى العَصْبَةَ في سورة (يوسف: ٨)، وفي [المراد بها] هاهنا] ستة أقوال: أحدها: أربعون رجلاً، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: ما بين الثلاثة إلى العشرة، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: خمسة عشر، قاله مجاهد. والرابع: فوق العشرة إلى الأربعين، قاله قتادة. والخامس: سبعون رجلاً، قاله أبو صالح. والسادس: ما بين الخمسة عشر إلى الأربعين، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ في القائل له قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون من قومه، قاله السدي. والثاني: أنه قول موسى له، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: لا تأشُرْ، ولا تَبْطَرْ، قال الشاعر:

وَلَسْتُ بِمُفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّتَنِي وَلَا جِنَازَ مَن صَرَفَهُ الْمُتَحَوِّلُ<sup>(٣)</sup>

أي: لست بأشِير، فأما السُرور، فليس بمكروه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وقرأ أبو رجاء، وأبو حيوة، وعاصم الجحدري، وابن أبي عبيدة: «الفارجين» [بألف].

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ أي: اطلب فيما أعطاك الله من الأموال. وقرأ أبو المتوكل، وابن السمين: «وَأَتَيْنَا» بتشديد التاء وكسر الباء بعدها وعين ساكنة غير معجمة ﴿أَلَدَّ الْأَخْرَجَ﴾ وهي: الجنة؛ وذلك يكون بإنفاقه في رضى الله تعالى وشكر المُنعم به ﴿وَلَا تَنَسَّ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن يعمل في الدنيا للأخرة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أن يُقَدِّم الفضل ويُمسك ما يُغْنِيه، قاله الحسن. والثالث: أن يستغني بالحلال عن الحرام، قاله قتادة. وفي معنى: ﴿وَأَتَيْنَا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال حكاه

(١) قال ابن كثير: قال ابن جريج: وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم.

(٢) البيت في «مجاز القرآن» ٧٩/٢، و«الطبري» ١٠٨/٢٠.

(٣) البيت لهذبة بن حشْرَم المَدَنِي، وهو في «غريب القرآن» ٣٣٥، و«البحر المحيط» ١٣٢/٧، و«القرطبي» ٣١٣/١٣، و«الكامل» ١٢٤٨/٣، و«عيون

الأخبار» ١٧٦/٢، ٢٨١، و«حاشية البحر» ١٢٠، و«حاشية ابن الجري» ١٣٧.



الماوردي: أحدها: أغبط فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك. والثاني: أخير فيما افترض عليك كما أحسن في إنعامه إليك. والثالث: أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ فتعمل فيها بالمعاصي.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندَ رَبِّي أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّن مَّا أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ يعني المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندَ رَبِّي﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: على علم عندي بصناعة

الذهب، رواه أبو صالح عن ابن عباس: قال الزجاج: وهذا لا أصل له، لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له.

والثاني: برضى الله عني، قاله ابن زيد<sup>(٢)</sup>. والثالث: على خير عِلْمَهُ الله عندي، قاله مقاتل. والرابع: إنما أُعطيته لفضل

علمي، قاله الفراء. قال الزجاج: ادّعى أنه أُعطي المال لعلمه بالتوراة. والخامس: على علم عندي بوجوه المكاسب،

حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ﴾ يعني قارون ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ﴾ في الدنيا حتى كذبوا

رسولهم ﴿مِن مَّا أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا﴾ للاموال. وفي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يسألون ليعلم ذلك من قِبلهم وإن سئلوا سؤال توبيع، قاله الحسن. والثاني: أن الملائكة تعرفهم بسيماهم

فلا تسألهم عن ذنوبهم، قاله مجاهد. والثالث: يدخلون النار بغير حساب، قاله قتادة. وقال السيدي: يعذبون ولا

يسألون عن ذنوبهم.

﴿فَتَخَرَّجَهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِئْسَ مَا أُوتُوا﴾ فَمَنْهُ إِذْ لَدُو حَظَّ عَظِيمٍ ﴿٧٨﴾

﴿وَكَلَّالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَيْسَ لَهُم مَّا أُوتِيَ قَوْمٌ مِّن قَبْلِ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن مَّا وَصَلَ مَصْلَحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَخَرَّجَهُ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ قال الحسن: في ثياب حمر وصفر؛ وقال عكرمة: في ثياب مُعَصْفَرَةٍ.

وقال وهب بن منبه: خرج على بغلة شبيهة عليها سرج أحمر من أزجوان، ومعه أربعة آلاف مقاتل، وثلاثمائة وصيفة

عليهن الحلبي والزينة على بغال بيض. قال الزجاج: الأزجوان في اللغة: صبح أحمر.

قوله تعالى: ﴿لَدُو حَظَّ﴾ أي: لَدُو نصيب واخر من الدنيا. [وقوله]: ﴿وَكَلَّالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال ابن

عباس: يعني الأبحار من بني إسرائيل، وقال مقاتل: الذين أُوتوا العلم بما وعدَّ الله في الآخرة قالوا للذين تَمَتُّوا ما

أوتى [قارون]: ﴿وَلَيْسَ لَهُم مَّا أُوتِيَ قَوْمٌ مِّن قَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: ما عنده من الجزاء ﴿خَيْرٌ لِّمَن مَّا وَصَلَ﴾ مما أُعطي قارون<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾ قال أبو عبيدة: لا يوقف لها ويوزنها. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبله: ﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾

بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف. وفي المشار إليها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

والثاني: أنها الجنة، والمعنى: لا يعطاها في الآخرة إلا الصابرون على أمر الله، قاله ابن السائب. والثالث: أنها

الكلمة التي قالوها، وهي قولهم: ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾، قاله الفراء<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاك الله به وجرمه وشمله، كما أحسن الله إليك فوسَّع عليك منه وبسط لك فيها. وقال

ابن كثير: أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك.

(٢) قال ابن كثير: وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندَ رَبِّي﴾ قال: لولا

رضى الله عني ومعرفته بقضائي، ما أُعطيني هذا المال، وقرأ ﴿أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِن قُرُونٍ مِّن مَّا أَشَدَّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمًّا...﴾

الآية، قال: وهكذا يقول من نقل علمه إذا رأى من توسَّع الله عليه، لولا أن يمتحن ذلك لنا. أُعطي. أم. وقال ابن جرير الطبري: ولولا كان الله يوقل

الأموال من يوقته لفضل فيه وغيره، ورضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالاً، لأن من كان الله عنه

راضياً، فمحال يهلك الله وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساعطاً. أم.

(٣) قال ابن كثير: أي جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة غير مما ترون، قال: كما جله في الحديث الصحيح: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ فَوْجًا مِّنْ عَبْدِهِ﴾ أعدت

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، افروا إن شئتم: ﴿كَذَلِكَ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَدَأَ فَخَرَّجَنَاهُم مِّنْ ظُلُمَاتٍ إِلَىٰ نُورٍ بِإِذْنِهِ﴾

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ يقول: ولا يلقيها، أي: لا يوقف لقبيل هذه الكلمة، وهي قوله: ﴿خَيْرٌ لِّمَن مَّا وَصَلَ﴾ وتقول:



فَنَسَفْنَا بِهِ أَهْلَ الْأَرْضِ مِمَّا حَكَاهُ لَهُ مِنْ فَقْدِ يُحْيِيهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُتَعَمِّينَ ﴿٨٧﴾ وَأَمْسَحَ إِلَيْكَ تَتَمَتُّوا مَكَانَهُ بِالْأَمْنِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُكَ اللَّهُ بِسُطِّ الرَّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَتَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَعَسَ أَنْ نَقُتِلَ وَأَنْ نَبْلُغَ الْكُمُورَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿فَحَسَبْنَا بِهِ وَيَدَارُ الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup> لَمَّا أَمَرَ قَارُونَ الْبَنِيَّ بِقَذْفِ مُوسَى عَلَى مَا سَبَقَ شَرْحُهُ [القصص: ٤٧] غَضِبَ مُوسَى فَدَعَا عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ فَمَرَهَا؛ فَقَالَ مُوسَى: يَا أَرْضُ خُذِيهِ، فَاخْذِيهِ حَتَّى غَيَّبْتِ سَرِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَاشِدَهُ بِالرَّحْمِ، فَقَالَ: خُذِيهِ، فَاخْذِيهِ حَتَّى غَيَّبْتِ قَدَمَيْهِ؛ فَمَا زَالَ يَقُولُ: خُذِيهِ، حَتَّى غَيَّبْتِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: يَا مُوسَى مَا أَفْظَكَ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ اسْتَغَاثَ بِي لَأَعْنَتَهُ<sup>(٢)</sup>. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَحَسِبْتُ بِهِ الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى. وَقَالَ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ: إِنَّهُ يُخَسَفُ بِهِ كُلُّ يَوْمٍ قَامَةً، فَيَقْبَلُ بِهِ الْأَرْضُ السُّفْلَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فَلَمَّا هَلَكَ قَارُونَ قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ: إِنَّمَا أَهْلَكَهُ مُوسَى لِیَأْخُذَ مَالَهُ وَدَارَهُ، فَحَسَبَتْ اللَّهُ بَدَارَهُ وَمَالَهُ بَعْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانُوا مِنَ الْمُتَذَكِّرِينَ﴾ أي: من الممتمنين ممّا نزل به. ثم أعلمنا أن المتمنين مكانه ندموا على ذلك التمني بالآية التي تلي هذه. وقوله: ﴿لَتَصَفَّ بِهَا﴾ الأكثرون على ضم الخاء وكسر السين. وقرأ يعقوب، والوليد عن ابن عامر، وحفص، وأبان عن عاصم: بفتح الخاء والسين، فأما قوله: ﴿وَيْكَ﴾ فقال ابن عباس: معناه: ألم تر، وكذلك قال أبو عبيدة، والكسائي. وقال الفراء: ﴿وَيْكَ﴾ أي: ففي كلام العرب تقريظ، كقول الرجل: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه، أنشدني بعضهم:

وَيْتُكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُخْـ      جَبَّ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْشَ عَيْنَ خُـ

وقال ابن الأنباري: في قوله: «وَيْتُكَ أَنَّهُ» ثلاثة أوجه. إن شئت قلت: «وَيْتُكَ» حرف، و«أَنَّهُ» حرف؛ والمعنى: ألم تر أَنَّهُ، والدليل على هذا قول الشاعر:

مَسْأَلَتَانِي الطَّلَاقُ أَنْ رَأَيْتَانِي  
وَيْتَكَ أَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَسَبٌ يُخْرُ  
وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ (وَيْتَكَ) حَرْفًا، وَ(أَنَّهُ) حَرْفًا. وَالْمَعْنَى: وَيْلَكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ، فَحُذِفَتِ اللَّامُ، كَمَا قَالُوا: قَمِ لَا أَبَاكَ،  
يُرِيدُونَ: لَا أَبَاكَ، وَأَنْشَدُوا:

إِبْرَاهِيمَ الَّذِي لَا يُدْأَنِي مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفُنِي»<sup>(١٠)</sup>  
 أراد: لا أبالك، تحذف اللام. والثالث: أن يكون «وَيَ» حرفاً، و«كَأَنَّ» حرفاً، فيكون معنى «وَيَ» التعجب، كما تقول: وَيَ لِمَ فعلت كذاً وكذا، ويكون معنى «كَأَنَّ»: أَظَنُّه وأعلمه، كما تقول في الكلام: كَأَنَّكَ بِالْفَرَجِ قَدْ أَقْبَلْ، فمغناها: أَقْبَلَ الْفَرَجُ مُقْبِلًا. وإنمعه وصلوا الياء بالكاف في قوله: «وَيَكُنَّ» لأنَّ الكلام بهما كُثِرَ، كما جعلوا «يَبْتَغُونَ» في

(٣) وذكره البيهقي في «الكنز» ١/ ٣٨٨، من رواة أبي حاتم من طريق قتادة عن سفيان بن عيينة عن «الفتح»: «رواه الطبري في التلخيص» عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «فكر لنا في فركه». (٤) البيهقي في «الكنز» ١/ ٣٨٨، من رواة أبي حاتم من طريق قتادة عن سفيان بن عيينة عن «الفتح»: «رواه الطبري في التلخيص» عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «فكر لنا في فركه». (٥) البيهقي في «الكنز» ١/ ٣٨٨، من رواة أبي حاتم من طريق قتادة عن سفيان بن عيينة عن «الفتح»: «رواه الطبري في التلخيص» عن طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «فكر لنا في فركه».

المصحف حرفاً واحداً، وهما حرفان [طه: ٩٤]. وكان جماعة منهم يعقوب، يقفون على «وَيْلَكَ» في الحرفين، ويتدوون «آن» و«أَنَّهُ» في الموضوعين. وذكر الزجاج عن الخليل أنه قال: «وَيْ» مفصولة من «كَأَنَّ»، وذلك أَنَّ القوم تنذموا فقالوا: «وَيْ» متندمين على ما سلف منهم، وكلُّ مَنْ نذِمَ فاطهر ندامته قال: وَيْ. وحكى ابن قتيبة عن بعض العلماء أَنَّهُ قال: معنى «ويكأن»: رحمة لك، بلغة جَمِير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بالرحمة والمعافة والإيمان ﴿لَعَسَفَ بَنَّا﴾.

﴿بَنَّا﴾ الدَّارُ الْآخِرَةُ يَحْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمُؤَيَّةُ لِلْمُؤَيَّنِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالْكَفَرِ فَلَا يَجْزِي الذِّكْرَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿بَنَّا﴾ الدَّارُ الْآخِرَةُ يعني الجنة ﴿يَحْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ وفيه خمسة أقوال: أحدها: أَنَّهُ البُغْيُ، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الشَّرَفُ والعِزُّ، قاله الحسن. والثالث: الظُّلُمُ، قاله الضحاك. والرابع: الشُّرْكُ، قاله يحيى بن سلام. والخامس: الاستكبار عن الإيمان، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ فيه قولان: أحدهما: العمل بالمعاصي، قاله عكرمة. والثاني: الدُّعَاءُ إلى غير عبادة الله قاله ابن السائب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَيَّةُ لِلْمُؤَيَّنِينَ﴾ أي: العاقبة المحمودة لهم.

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قد فسرناه في سورة [النمل: ٨٩].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَجْزِي الذِّكْرَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يريد الذين أشركوا ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾ أي: إلَّا جزاء عملهم من الشُّرْكِ، وجزاؤه الثَّار.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ﴾ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونْ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ مِلَّةِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْوَحْيَ وَأَنْذَرُكَ إِلَى رُبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْفُتُورُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ قال مقاتل: خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً، فمضى من وجهه إلى المدينة فصار في غير الطريق مخافة الظُّلُبِ؛ فلما أَمِنَ رجع إلى الطريق فنزل الجُحْفَةَ بين مكة والمدينة، فعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده، فأتاه جبريل فقال: أنتشاق إلى بلدك ومولدك؟ قال: نعم؛ قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاهُ﴾، فنزلت هذه الآية بالجُحْفَةِ<sup>(٣)</sup>. وفي معنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فرض عليك العمل بالقرآن، قاله عطاء بن أبي رباح، وابن قتيبة. والثاني: أعطاك القرآن، قاله

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، ثم قال: وإذا كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تنمَّوا مكان قارون وموضع من الدنيا بالأسس، يقولون لما عابوا ما أحل الله به من نعمته: ألم تر يا هذا أن الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده فيؤسِّع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه، كما كان يسر من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه ﴿وَيُذَكِّرُ﴾ يقول: ويضيِّق على من يشاء من خلقه ذلك ويقرِّض عليه لا لهوانه ولا لسخيوط عمله. اهـ. وقد ضعف ابن جرير قول من قال: معناه: «ويذكرك أن»، وقال ابن كثير: والظاهر أنه قوي، ولا يشكل على ذلك إلَّا كتابته في المصاحف مصلة «ويكأن» وقال: والكتابة أمر وضعي اصطلاحى، والمرجع إلى اللفظ العربي، والله أعلم. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعبادة المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي: ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً بهم، ولا تساداً فيهم. اهـ. وروى ابن جرير الطبري عن علي عليه السلام: قال: إن الرجل ليعجب من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله: ﴿بَنَّا﴾ الدَّارُ الْآخِرَةُ يَحْمِلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْمُؤَيَّةُ لِلْمُؤَيَّنِينَ ﴿٨٣﴾. اهـ. قال ابن كثير: وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاؤل على غيره، فإن ذلك مَلُومٌ، كما ثبت في «الصحيح» من النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «إنه أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَإِنَّا إِذَا أَحَبَّ ذَلِكَ لِمَجْدَرِ التَّجَمُّلِ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ رِدَائِي حَسَنًا، وَتَمْلِي حَسَنَةً، أَمَّنِ الْكِبَرُ ذَلِكَ؟» فقال: «لا، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ».

(٣) ذكر ذلك القرطبي في «تفسيره» عن مقاتل أيضاً، وخرجه السيوطي في «الدرر» ١٣٩/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك بنحوه. وقال ابن كثير بعد أن أورد رواية ابن أبي حاتم عن الضحاك: وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكياً، والله أعلم. اهـ.

مجاهد. والثالث: أنزل عليك القرآن، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة: وفي قوله: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ أربعة أقوال: أحدها: إلى مكة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية، والضحاك. قال ابن قتيبة: مَعَادُ الرَّجُل: بلده، لأنه يتصرف [في البلاد] ويتصرف في الأرض<sup>(١)</sup> ثم يعود إلى بلده. والثاني: إلى معادك من الجنة، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الحسن، والزهري. فإن اعتُرض على هذا فقيل: الرُّدُّ يقتضي أنه قد كان فيما رُدَّ إليه؛ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه لما كان أبوه آدم في الجنة ثم أخرج، كان كأنَّ ولده أخرج منها، فإذا دخلها فكأنه أُعيد. والثاني: أنه دخلها ليلة المعراج، فإذا دخلها يوم القيامة كان ردًّا إليها، ذكرهما ابن جرير. والثالث: أن العرب تقول: رجع الأمر إلى كذا، وإن لم يكن له كُؤن فيه قط، وأنشدوا:

[وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُرُوبِهِ] يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ<sup>(٣)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَلِلَّهِ تَرْجِعُ الْأَمْوَالُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. والثالث: لَرَأَدُكَ إِلَى المَوْتِ، رواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس، وبه قال أبو سعيد الخدري<sup>(٤)</sup>. والرابع: لَرَأَدُكَ إِلَى القيامة بالبعث، قاله الحسن، والزهري، ومجاهد في رواية، والزجاج<sup>(٥)</sup>. ثم ابتدأ كلاماً يَرُدُّ به على الكفار حين نسبوا النبي ﷺ إلى الضلال، فقال: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾؛ والمعنى: قد علم أنني جئت بالهدى، وأنكم في ضلال مبين. ثم ذكَّره نعمته، فقال: ﴿وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: أن تكون نبياً وأن يوحى إليك القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ قال الفراء: هذا استثناء منقطع، والمعنى: إلا أن ربك رجحك فانزله عليك ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: عَوْنًا لهم على دينهم، وذلك أنهم دَعَوْهُ إلى دين آبائهم فأمر بالاحتراز منهم؛ والخطاب بهذا وأمثاله له، والمراد أهل دينه لتألَّ يظاهروا الكُفَّار ولا يوافقوهم. قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا ما أريد به وجهه، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الثوري. والثاني: إلا هو، قاله الضحاك، وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ﴿وَلِلَّهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة<sup>(٦)</sup>.



(١) زيادة من «مشكل القرآن».

(٢) رواه الطبري: ١٢٤/٢٠ وفي سنده ضعف.

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في «ديوانه» ١٦٩، و«البحر» ٤٤٤/٨، و«اللسان» و«التاج»: حور.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث وُلدت. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وجه الجمع بين هذه الأقوال، أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿إِذَا جَاءَ فَهَمُّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة: أنه أجل رسول الله ﷺ نعمي إليه، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووافقه عمر على ذلك وقال: لا أعلم منها غير الذي تعلم، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لَرَأَدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ بالموت، وتارة يوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاءه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين: الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله، وأفصح خلق الله، وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهـ.

(٦) قال ابن جرير الطبري: وإليه تردون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالعدل فيجازي مؤمنكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم. اهـ.

## سورة العنكبوت

## فصل في نزولها

روى العوفي عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، وقتادة، وعطاء، وجابر بن زيد، ومقاتل. وفي رواية عن ابن عباس أنها مدنية. وقال هبة الله [ابن سلامة] المفسر: نزل من أولها إلى رأس العشر بمكة، وبقاياها بالمدينة. وقال غيره عكس هذا: نزل العشر بالمدينة، وبقاياها بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿آلۡهٖ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْسَا وَهُمْ لَا يُفْشِرُونَ ۚ﴾ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ لَأَرْبَابٌ شَرٌّ مِنْكَ الْكَافِرِينَ ۚ﴾ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ السَّاعَاتِ أَنْ يَسْفُحُوا سَكَّةَ مَا يَحْكُمُونَ ۚ﴾ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَغْتَبِلَ مِنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ حَتَّى تُهَاجِرُوا﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما أمر بالهجرة، كتب المسلمون إلى إخوانهم بمكة أنه لا يغتبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا، فخرجوا نحو المدينة فأدركهم المشركون فردوهم، فأنزل الله ﷻ من أول هذه السورة عشر آيات، فكتبوا إليهم بخير ونهيم بما نزل فيهم، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قائلنا، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم، فغنم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِحُوا﴾ [النحل: ١١٠]، هذا قول الحسين، والشعبي<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعدب في الله ﷻ، قاله عبد الله بن عبيد بن عمير<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في يهجع مولى عمر بن الخطاب حين قُتل بدير، فجزع عليه أبواه وامراته، فأنزل الله تعالى في أبيه وامراته هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يريد بالناس: الذين آمنوا بمكة، كعياش بن أبي ربيعة، وعمار بن ياسر، وسلمة بن هشام، وغيرهم. قال الزجاج: لفظ الآية استخبار، ومعناه معنى التقرير والتوبيخ؛ والمعنى: أحسب الناس أن يتركوا بأن يقولوا: آمنا، ولأن يقولوا: آمنا، أي: أحسبوا أن يفتنع منهم بأن يقولوا: إنا مؤمنون، ولا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ أي: لا يختبرون بما يعلم به صدق إيمانهم من كذبه. وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: لا يفتنون في أنفسهم بالقتل والتعذيب، قاله مجاهد. والثاني: لا يبتلون بالأوامر والنواهي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: ابتليناهم واختبرناهم، ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فليَرِنَّ الله الذين صدَّقوا في إيمانهم عند البلاء إذا صبروا لقضائه، وليَرِنَّ الكاذبين في إيمانهم إذا شكروا عند البلاء، قاله مقاتل. والثاني: فليَمَيِّزَنَّ، لأنه [قد] عِلِمَ ذلك مِنْ قَبْلُ، قاله أبو عبيدة. والثالث: فليُظْهِرَنَّ ذلك حتى يوجد معلوماً، حكاه الثعلبي<sup>(٤)</sup>. وقرأ علي بن أبي طالب، وجعفر بن محمد: «فَلْيُعْلِمَنَّ الله» و«لْيُعْلِمَنَّ الكاذبين» و«لْيُعْلِمَنَّ الله الذين آمنوا و«لْيُعْلِمَنَّ المنافقين» [المكيت: ١١] بضم الياء وكسر اللام.

(١) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ ١٢٩/٢٠ عَنْ الشَّعْبِيِّ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَجَاتِ» ١٤١/٥، وَزَادَ نَسْبَةَ لَعْبَدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنَ الْجَنْدَرِ، وَابْنَ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ.

(٢) «الطبري» ١٢٩/٢٠، وأورده السيوطي في «الدر» ١٤١/٥، وزاد نسبة لابن سعد، وابن أبي حاتم، وابن عساکر.

(٣) ذكره الواحدي في «أسياب النزول» ١٩٥ عن مقاتله بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٢٧: ذكره الثعلبي عن مقاتله قال: وسببه إلى مقاتله في أول كليمه.

[illegible]



قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَبِيبٌ﴾ أي: أنحسب ﴿الَّذِينَ يَمْلِكُونَ الشَّيْئَاتِ﴾ يعني الشُّرك ﴿إِنْ يَسْقُوتُوا﴾ أي: يفتوتونا ويُعجزونا ﴿مَنْ مَّا يَكْمُرُ﴾ أي: بشس ما حكموا لأنفسهم حين ظنوا ذلك. قال ابن عباس: عنى بهم الوليد بن المغيرة، وأبا جهل، والعاص بن هشام، وغيرهم.

﴿مَنْ كَانَ يَرْثُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَمَنْ جَهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْثُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ قد شرحناه في آخر (الكهف) ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ يعني الأجل المضروب للبعض، والمعنى: فليعمل لذلك اليوم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لغا يقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يعمل. ﴿وَمَنْ جَهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: إن ثوابه إليه يرجع.

قوله تعالى: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: لنُبطللَّها حتى تصير بمنزلة ما لم يُعمل ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَمْلِكُونَ﴾ أي: بأحسن أعمالهم، وهو الطاعة، ولا نجزيهم بمساوي أعمالهم.

﴿وَرَوْيَاتُ الْإِنْسَانِ بِرَأْيِهِ حَسَنًا وَإِنْ جَهَدَكَ لِشْرِكٍ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَّا مَرْجِعُكُمْ فَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوْيَاتُ الْإِنْسَانِ بِرَأْيِهِ حَسَنًا﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز: وعاصم الجحدري: «إحساناً» بالفتح. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء: «حَسَنًا» بفتح الحاء والسين. روى أبو عثمان التَّهْدِي عن سعد بن أبي وقاص، قال: في أنزلت هذه الآية، كنت رجلاً بَرًّا بِأُمِّي، فلَمَّا أَسْلَمْتُ قَالَتْ: يا سعدا ما هذا الذِّين الذي قد أحدثت، لَتَدَعَنَّ دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا أَكُلْ وَلَا أَشْرَبْ حَتَّى أَمُوتَ فَتُغَيَّرَ بِي فَيَقَالَ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ، قُلْتُ: لَا تَفْعَلِي يَا أُمُّهُ، إِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا لَشَيْءٍ، قَالَ: فَمَكُثْتُ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَا تَأْكُلُ، فَاصْبَحْتُ قَدْ جُهِدْتُ، ثُمَّ مَكُثْتُ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لَا تَأْكُلُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: تَعْلَمِينَ وَاهِ يَا أُمُّهُ لَوْ كَانَتْ لِي مِائَةُ نَفْسٍ فَخَرَجْتُ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لَشَيْءٍ، فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَكَلْتُ، فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>. وقيل: لَمَّا نَزَلَتْ فِي عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَقَدْ جَرَى لَهُ مَعَ أُمِّهِ نَحْوُ هَذَا<sup>(٢)</sup>. وذكر بعض المفسرين أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَالتِّي فِي (لُقْمَانَ: ١٥) وَفِي (الْأَحْقَافِ: ١٥) نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ سَعْدِ<sup>(٣)</sup>. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قَرَأَ: «حُسْنًا» فَمَعْنَاهُ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يَفْعَلَ بِوَالِدَيْهِ مَا يَحْسُنُ، وَمَنْ قَرَأَ: «إِحْسَانًا» فَمَعْنَاهُ: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ يُحْسِنَ إِلَى وَالِدَيْهِ، وَكَانَ «حُسْنًا» أَعْمٌ فِي الْبَرِّ. ﴿وَإِنْ جَهَدَكَ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَجَازٌ هَذَا الْكَلَامُ مَجَازُ الْمُخْتَصَرِ الَّذِي فِيهِ ضَمِيرٌ، وَالْمَعْنَى: وَقُلْنَا لَهُ: وَإِنْ جَاهَدَكَ.

قوله تعالى: ﴿لِشْرِكٍ بِ﴾ معناه: لشرك بي شريكاً لا تَعْلَمُهُ لِي وَلَيْسَ لِأَحَدٍ بِذَلِكَ عِلْمٌ، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ أي: فِي زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ مِقَاتِلُ: «فِي» بِمَعْنَى «مَعَ».

﴿وَمَنْ آتَاكَ مِنْ بَقُولِ مَا تَلَافَى اللَّهُ فَإِذَا أَوْذَى بِاللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ اللَّهُ وَلَكِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ يَقُولُ إِنْآ كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَلَعَلَّكَ اللَّهُ الْبَرُّ﴾ ﴿وَلَعَلَّكَ اللَّهُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٩﴾

قال: ولهمنا قال هاهنا: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿١٠﴾ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه. والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة. اهـ.

(١) رَوَاهُ بِهَذَا السِّيَاقِ الْوَاحِدِي فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ١٩٥ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عِثْمَانَ التَّهْدِي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي سُورَةِ (لُقْمَانَ) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيِّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ وَانْقِطَاعٌ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ١٦٥/٥ فِي سُورَةِ (لُقْمَانَ) وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِأَبِي يَحْيَى، وَابْنُ مَرْدُودٍ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ (الْمُنَكَّبَاتِ) ١٥٠/٢ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ: أَنْزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ، فَذَكَرَ قِصَّتَهُ، وَقَالَتْ أُمُّ سَعْدٍ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْبَرِّ، وَاهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ، قَالَ: فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَطْعَمُوهَا شَجَرُوا قَاهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَرَوْيَاتُ الْإِنْسَانِ بِرَأْيِهِ حَسَنًا وَإِنْ جَهَدَكَ لِشْرِكٍ بِمَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. الآية. وَمَعْنَى: شَجَرُوا قَاهَا: فَتَحَوْهُ، وَهَذَا الْحَدِيثُ قَالَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَرَوَاهُ بَنُوهُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتَّسَانِي.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكَشَافِ» ٤٧: ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا الْعِلْمِي بِدُونِ سَنَدٍ، وَالْوَاحِدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَالتَّبْرِيْ عَنْ السَّيِّدِ.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكَشَافِ» ١٢٧: ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ، وَالتَّبْرِيْ، وَالرَّاقِدِيُّ هَكَذَا بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَالْقِصَّةُ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ. اهـ. يَعْنِي بِهِ الْحَدِيثُ الَّذِي تَقَدَّمَ: أَنْزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ ...

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَاذَا أَفَعَا اللَّهُ﴾ اختفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: نزلت في قوم كانوا يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم وأموالهم افتتوا، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>. والثالث: نزلت في ناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أودوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا إلى الشرك، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والرابع: أنها نزلت في عيَّاش بن أبي ربيعة، كان أسلم، فخاف على نفسه من أهله وقومه، فخرج من مكة هارباً إلى المدينة، وذلك قبل قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجزعت أمه فقالت لأخويه أبي جهل والحارث ابني هشام - وهما أخواه لأمه -: والله لا أوي بيتاً ولا أكل طعاماً ولا أشرب شراباً حتى تأتياي به، فخرجا في طلبه فظفرا به، فلم يزايا به حتى تابعهما وجاءا به إليها، فقيدهن، وقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد، ثم أقبلت تجلبد بالسَّيَاط وتعذبه حتى كفر بمحمد ﷺ جَزَعاً من الضَّرْب، فنزلت [فيه] هذه الآية، ثم هاجر بَعْدُ وحَسُنَ إسلامه، هذا قول ابن السائب، ومقاتل. وفي رواية عن مقاتل أنهما جلدها في الطريق مائتي جلدة، فتيراً من دين محمد، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَرَدَىٰ فِي اللَّهِ﴾ أي: ناله أذى أو عذاب بسبب إيمانه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أي: ما يصيبه من عذابهم في الدنيا ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الآخرة، وإنما ينبغي للمؤمن أن يصبر على الأذى في الله تعالى لِمَا يَرْجُو من ثوابه<sup>(٥)</sup> ﴿وَلَكِنَّ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني دولة للمؤمنين ﴿يَقُولُونَ﴾ يعني المنافقين للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ على دينكم، فكذبهم الله ﷻ وقال: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من الإيمان والنفاق. وقد فسرنا الآية التي تلي هذه في أول السورة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِن خَطَايَهُمْ مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ ﴿وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ أَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْفَيْصَةِ عَنْمَا كَانُوا يَقْرَأُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ يعنون: ديننا. قال مجاهد: هذا قول كفار قريش لمن آمن من أهل مكة، قالوا لهم: لا بُعَثَ نحن ولا أنتم فأتبعونا، فإن كان عليكم شيء فهو علينا.

قوله تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ﴾ قال الزجاج: هو أمر في تأويل الشرط والجزاء، يعني: إن اتَّبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم. وقال الأخفش: كأنهم أمروا أنفسهم بذلك. وقرأ الحسن: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ بكسر اللام. قال ابن قتيبة: الواو زائدة، والمعنى: لنحمل خطاياكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ أي: فيما ضمنوا من حمل خطاياهم.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْمِلْ أَثْقَالَهُمْ﴾ أي: أوزار أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أي: أوزاراً مع أوزارهم، وهي أوزار الذين أضلُّوهم، وهذا كقوله: ﴿لْيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِثَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥] ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْفَيْصَةِ﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَقْرَأُونَ﴾ من الكذب على الله ﷻ، وقال مقاتل: عن قولهم: نحن الكفلاء بكل بُعْثَة تصيبكم من الله ﷻ.

(١) ذكره الواحدي بدون سند ١٩٦، وهو في «الطبري» بأطول منه ١٣٣/٢٠ عن عكرمة عن ابن عباس مستنداً، وذكره السيوطي في «أسباب النزول» بنحو رواية الطبري ٢٠٥/٢، وزاد نسبة لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ١٣٢/٢٠، وذكره السيوطي في «الدرة» ١٤٢/٥، وزاد نسبة للفرغاني، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) «الطبري» ١٣٢/٢٠.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ٤٧: ذكر القصة بطولها الثعلبي بدون سند، والواحدي عن ابن الكلبي، ورواها الطبري من طريق أسباط عن السدي بتغيير يسير ولم يسم الحارث، فقال: ومعه رجل من بني عامر.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بالسنتهم ولم يثبت في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا، اعتضوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ النَّاسِ مَن يَقُولُ مَاذَا أَفَعَا اللَّهُ إِذَا أَرَدَىٰ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ ثم قال: قال ابن عباس: يعني فتنة أن يرتد عن دينه إذا أودى في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف. اهـ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١﴾ فَلَبِثَتْهُ وَأَصْحَبُ السِّفِينِ وَجَمَلَتِهَا ءَايَةُ الْغَلِيظِ ﴿٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ في هذه القصة تسلية للنبي ﷺ حيث أعلم أن الأنبياء قد ابتلوا قبله، وفيها وعيد شديد لمن أقام على الشرك، فإنهم وإن أمهلوا، فقد أمهل قوم نوح أكثر ثم أخذوا.

قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ اختلفوا في عمر نوح على خمسة أقوال: أحدها: بُعث بعد أربعين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهزبان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عُمره ألف سنة وعشرين سنة، قاله كعب الأحبار. والثالث: أنه بُعث وهو ابن خمسين وثلاثمائة، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة، قاله عون بن أبي شداد<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة، [ودعاهم ثلاثمائة سنة]<sup>(٣)</sup> ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. وقال وهب بن منبه: بُعث لخمسين سنة. والخامس: أن هذه الآية بيّنت مقدار عُمره كُلِّه، حكاه الماوردي<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، فهلاً قال: تسعمائة وخمسين؟ فالجواب: أن المراد به تكثير العدد، وذكر الألف أفخم في اللفظ، وأعظم للعدد. قال الزجاج: تأويل الاستثناء في كلام العرب: التوكيد، تقول: جاءني إخوانك إلا زيدا، فتؤكد أن الجماعة جاؤا، وتنقص زيدا. واستثناء نصف الشيء قبيح جداً لا تتكلم به العرب، وإنما تتكلم بالاستثناء كما تتكلم بالنقصان، تقول: عندي درهم يتقص قيراطاً، فلو قلت: يتقص نصفه، كان الأولى أن تقول: عندي نصف درهم، ولم يأت الاستثناء في كلام العرب إلا قليل من كثير.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الموت، روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ قال: «الموت»<sup>(٦)</sup>. والثاني: المطر، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، وقاتدة. قال ابن قتيبة: هو المطر الشديد. والثالث: الغرق، قاله الضحاك. قال الزجاج: الطوفان من كل شيء: ما كان كثيراً مطيافاً بالجماعة كلها، فالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة: طوفان، وكذلك القتل الذريع، والموت الجارف: طوفان.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: كافرون.

قوله تعالى: ﴿وَجَمَلَتِهَا﴾ يعني السفينة، قال قتادة: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي. قال أبو سليمان الدمشقي: وجائر أن يكون أراد: الفعلة التي فعلها بهم من الغرق «ءَايَةُ»، أي عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ [بعدمهم].

﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِمْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ إِنَّمَا مَبْدُوتٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا وَتَعْلَمُونَ إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ مَبْدُوتٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ بِتِلْكَ رِزْقًا فَأَبْتُوا عَنِ اللَّهِ الْإِزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَسُ الْبَيْتِ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا﴾ قال الزجاج: هو معطوف على نوح، والمعنى: أرسلنا إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني عبادة الله «خَيْرٌ لَّكُمْ» من عبادة الأوثان، ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما هو خير لكم

(١) قال السيوطي في «الدرر» ١٤٣/٥: أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث الله نوحاً وهو ابن أربعين سنة، ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا.

(٢) قال ابن كثير عن هذا القول: غريب رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

(٣) زيادة من تفسير ابن كثير.

(٤) قال ابن كثير: وهذا قول غريب، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً.

(٥) قال ابن كثير: وقول ابن عباس أقرب، والله أعلم اهـ. يريد به القول الأول هنا.

(٦) رواه الطبري: ٥١/١٣، وفي سننه المنهال بن خليفة العجلي، وهو ضعيف، وفيه الحجاج بن أرقطه، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، والحديث ذكره ابن كثير ٢٤٠/٢ من رواية ابن مردويه بنحوه، وقال عنه: حديث غريب. اهـ.



مما هو شر لكم؛ والمعنى: ولكنكم لا تعلمون. ﴿إِنَّمَا تَقْبَلُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ قال القراء: «إنما» في هذا الموضع حرف واحد، وليست على معنى «الذي»، وقوله: ﴿وَتَقْلَقُونَ إِنْكَا﴾ مردود على «إنما»، كقولك: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا. وقال مقاتل: الأوثان: الأصنام. قال ابن قتيبة: واحدها وثن، وهو ما كان من حجارة أو حصص.

قوله تعالى: ﴿وَتَقْلَقُونَ إِنْكَا﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل: «وتختلقون» بزيادة تاء. ثم فيه قولان: أحدهما: تختلقون كذباً في زعمكم أنها آلهة. والثاني: تصنعون الأصنام<sup>(١)</sup>؛ والمعنى: تعبدون أصناماً أنتم تصنعونها. ثم بين عجزهم بقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ أي: لا يقدرون على أن يرزقوكم ﴿فَاسْتَفِئُوا عِنْدَ اللَّهِ رِزْقَ﴾ أي: فاطلبوا من الله، فإنه القادر على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْذِبُوا﴾ هذا تهديد لقريش ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أَئِمَّةٌ مِنَ بَنِيكُمْ﴾ والمعنى: فأهلكوا. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُعِيدُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿وَمَا أَشْرَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «يَرَوُا»] بالياء وقرأ حمزة، والكسائي: بالياء. [وعن عاصم كالقراءتين]. وعنى بالكلام كفار مكة ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ أي: كيف يخلقهم ابتداء من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضعة إلى أن يتم الخلق ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: ثم هو يعيده في الآخرة عند البعث. وقال أبو عبيدة: مجازة: أو لم يروا كيف استأنف الله الخلق الأول ثم يعيده. وفيه لغتان: أبداً وأعاد، وكان مُبدئاً ومُعِيداً، وبدأ وعاد، وكان بادئاً وعائداً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني الخلق الأول والخلق الثاني. قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: انظروا إلى المخلوقات التي في الأرض، وابحثوا عنها هل تجدون لها خالقاً غير الله، فإذا علموا أنه لا خالق لهم سواه، لزمهم الحجة في الإعادة، وهو قوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُعِيدُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ أي: ثم الله ينشئهم عند البعث نشأة أخرى. وأكثر القراء قرووا: «النشأة» بتسكين الشين وترك المد. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «النشأة» بالمد.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه في الآخرة بعد إنشائهم. والثاني: أنه في الدنيا. ثم فيه خمسة أقوال حكاهما الماوردي: أحدها: يعذب من يشاء بالحرص، ويرحم من يشاء بالقلعة. والثاني: يعذب بسوء الخلق ويرحم بحسن الخلق. والثالث: يعذب بمتابعة البدعة، ويرحم بملزمة السنة. والرابع: يعذب بالانقطاع إلى الدنيا، ويرحم بالإعراض عنها. والخامس: يعذب من يشاء بغيض الناس له، ويرحم من يشاء بحب الناس له.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: تُردُّون. ﴿وَمَا أَشْرَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ فيه قولان حكاهما الزجاج: أحدهما: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أهل السماء بمعجزين في السماء. والثاني: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا لو كنتم في السماء. وقال قطرب: هذا كقولك: ما يفوتني فلان لا هاهنا ولا بالبصرة، أي: ولا بالبصرة لو صار إليها. قال مقاتل: والخطاب لكفار مكة؛ والمعنى: لا تسبقون الله حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة. ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: قريب ينفعكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينعمكم من الله.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: بالقرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الرحمة قولان: أحدهما: الجنة، قاله مقاتل. والثاني: العفو والمغفرة، قاله أبو سليمان. قال ابن جرير: وذلك في الآخرة عند رؤية العذاب.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك قول من قال: معناه: وتصنعون كذباً.





مَنْ مَرَّ بِهِمْ. والثاني: لَفَّ القميص على اليد، وجُرَّ الإزار، وحُلَّ الأزار، والحذف والرمي بالبندق، ولعب الحمام، والصنوبر، في خصال أخر رواها ميمون بن مهران عن ابن عباس. والثالث: أنه الضراط، رواه عروة عن عائشة، وكذلك فسره القاسم بن محمد. والرابع: أنه إتيان الرجال في مجالسهم، قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد<sup>(١)</sup>. وهذه الآية [تدل] على أنه لا ينبغي للمجتمعين أن يتعاشروا إلا على ما يقرب من الله ﷻ، ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزم واللعب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾ أي: بتصديق قولي في العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا مِنْهُمْ بِالْبَشِيرِ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ١٧ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ فِيهَا فَاسْتَجِبْ لَهُمْ وَأَهْلُهَا إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ النَّارِ ١٨ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلًا لُوطًا مِنْهُمْ وَمَضَى بِهِمْ ذَرْبًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنَ الْقَرِيِّ ١٩ إِنَّا مُزِيلُونَ عَنْكَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجَالًا يَكُونُ السَّمَاءُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٢٠ وَلَقَدْ رُكِّنَّا بِهِمَا ذَاتَ يَمِينٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢١

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ يعنون قرية لوط.

قوله تعالى: ﴿لَنُجِيبَنَّ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «لَنُجِيبَنَّ» وإِنَّا مُنْجُونَكَ بتشديد الحرفين، وخففتها حمزة، والكسائي. وروى أبو بكر عن عاصم «لَنُجِيبَنَّ» مشددة، وإِنَّا مُنْجُونَكَ مخففة ساكنة النون. وقد سبق شرح ما أخللنا بذكره [عود: ٧٧] إلى قوله: ﴿إِنَّا مُزِيلُونَ عَنْكَ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجَالًا﴾ وهو الخضب والخسف.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رُكِّنَّا بِهِمَا﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: أنها الفعلة التي فعل بهم؛ فعلى هذا في الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحجارة التي أدركت أوائل هذه الأمة، قاله قتادة. والثاني: الماء الأسود على وجه الأرض، قاله مجاهد. والثالث: الخبر عما صنع بهم. والثاني: أنها القرية؛ فعلى هذا في المراد بالآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها آثار منازلهم الحرة، قاله ابن عباس. والثاني: أن الآية في قريبهم إلى الآن أن أساسها أعلاها وسقفها أسفلها، حكاه أبو سليمان الدمشقي. والثالث: أن المعنى: تركناها آية، تقول: إن في السماء آية، تريد أنها هي الآية، قاله الفراء.

﴿وَلَمَّا مَكَانَهُمْ شَعِيرًا فَقَالَ بَنُوهُمْ أَتَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَبُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٢٢ فَكَذَّبُوهُ فَخَذَقْنَاهُمْ لِقَعَّةٍ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جثيين ٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَارْتَبُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قال المفسرون: اخشوا البعث الذي فيه جزاء الأعمال.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاجِدِهِمْ وَرَزَقَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْنَاهُمْ فَصَدَّوْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبِيرِينَ ٢٤ وَفُتِّرَتْ وَفُضِّرَتْ وَقَفَعَتْ لَافِتَاتٌ مَرْمُوسَاتٌ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٢٥ تَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَوْنَ أَنْ لَنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْ الْفِتْنَةُ مِنْ خَفَاةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ آخَرْنَا وَمَا كَانُوا يَنْظُرُونَ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ قال الزجاج: المعنى: وأهلكتنا عادًا وثمودًا، لأن قبل هذا ﴿فَخَذَقْنَاهُمْ لِقَعَّةٍ﴾

= وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا في كتاب «السمت»، وابن المنذر، والشاشي في «مستند»، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن عساکر، عن أم هانئ بنت أبي طالب ؓ. وفي «المستند» والترمذي «يخذفون»، بالخاء المعجمة، وكذلك هو في «الدرر»، وفي الأصل «يخذفون» بالخاء المعجمة، والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً، والخذف - بالخاء المعجمة - رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبائكك وترمي بها، أو تتخذ يخذقة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الخذف - بالخاء المعجمة - وقال عنه: «إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو، وإنه يفتك العين ويكسر السر» متفق عليه.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: وتخذفون في مجالسكم المأثرة بكم، وتسفرون منهم، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله ﷺ. اهـ. يريد به حديث أم هانئ.

(٢) في النسخة الاستبوابية: ولا ينبغي أن يجتمعوا على الهزل واللعب.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ تَوَكَّلْتُ لَكُمْ مِنْ مَسْكِينِهِمْ﴾ أي: ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالجحاز اليمن آية في هلاكهم، ﴿وَكَاثُرًا مُتَبَصِّرِينَ﴾ قال الفراء: أي: ذوي بصائر. وقال الزجاج: أتوا ما أتوه وقد تبين لهم أن عاقبته عذابهم. وقال غيره: كانوا عند أنفسهم مستبصرين، يظنون أنهم على حق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا بِفَيْتَةٍ﴾ أي: ما كانوا يفوتون الله أن يفعل بهم ما يريد.

قوله تعالى: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُودِهِمْ﴾ أي: عاقبتنا بتكذيبه ﴿فَإِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ يعني قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني ثموداً وقوم شعيب ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون وأصحابه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ يعني قوم نوح وفرعون ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالإقامة على المعاصي.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَكْهَرِيِّ أَخَذَتْ يَتِيمًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَتِيمَ الْفَكْهَرِيِّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١) إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا الْأَثْمَلُ تَضَرَّيْكَ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْمَلُهَا إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني الأصنام يتخذها المشركون أولياء يرجون نفعها ونصرها، فمثلهم في ضعف احتياهم ﴿كَمَثَلِ الْفَكْهَرِيِّ أَخَذَتْ يَتِيمًا﴾ (١) قال ثعلب: والعنكبوت أنثى، وقد يذكرها بعض العرب، قال الشاعر:

[على مَطَالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ] كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْنَتَاهَا (٢)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: هو عالم بما عبده من دونه، لا يخفى عليه ذلك؛ والمعنى أنه يجازيهم على كفرهم. ﴿وَقَالُوا الْأَثْمَلُ﴾ يعني أمثال القرآن التي شبه بها أحوال الكفار؛ وقيل: «تلك» بمعنى «هذه»، و«الضَّالُّونَ»: الذين يضلون عن الله ﷻ.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (١) فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ أَتَىٰ إِيَّاكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَبَ الْمَسْكُونَةِ ﴿٢٩﴾ السَّمَكَةُ تَنْتَعِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَكِينَ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: للحق، ولإظهار الحق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمَكَةَ تَنْتَعِي عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ في المراد بالصلاة قولان: أحدهما: أنها الصلاة المعروفة، قاله الآثرون. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ لَمْ تَنْتَعِ صَلَاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا» (٣). والثاني: أنَّ المراد بالصلاة: القرآن، قاله ابن عمر؛ ويدل على هذا قوله: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِسَلَاةٍ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقد شرحنا معنى الفحشاء والمنكر فيما سبق [البقرة: ١٦٨، النحل: ٩٠]. وفي معنى هذه الآية

(١) قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخافهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ووزقهم ويتسكون بهم في الشداد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتسكن ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه يتمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها. اهـ.

(٢) البيت غير منسوب في «مجمع البيان» ٣٦٣/٢٠، و«البحر المحيط» ١٥٢/٧، و«روح البيان» ١٤٠/٢٠، و«اللسان» و«التاج»: عنكب. قال في «التاج»: هكذا: جبل.

(٣) هذا الحديث رواه الطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق ليث بن أبي سليم عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً، وهو حديث ضعيف، من أجل ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه الطبري من رواية ابن عباس موقوفاً عليه، ومن رواية ابن مسعود موقوفاً عليه أيضاً، وهو الصواب. قال ابن كثير: والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقنادة، والأعمش، وغيرهم. اهـ. فالحديث إذن ضعيف السند في المرفوع. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض فتاويه: هذا الحديث ليس بثابت عن النبي ﷺ، لكن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما ذكر الله في كتابه، وبكل حال فالصلاة لا تزيد صاحبها بعداً، بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب إلى الله من وإن كان فاسقاً. اهـ. فكانه ما يشير إلى تضعيفه عنه أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ لما قيل له: إن فلاناً يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال: «استهنا ما تقول» أو قال: «استمتعه» صلاته، رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان، وغيرهم، وسنده صحيح. يريد عليه الصلاة والسلام أن الصلاة إذا كانت على الوجه الأكمل، تنهى صاحبها عن الفحشاء، ولا تزيد بعداً، بل تزيد قرباً منه.



للعلماء ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإنسان إذا أدّى الصلاة كما ينبغي وتدبّر ما يتلو فيها، نهته عن الفحشاء والمنكر، هذا مقتضاها وموجبها. والثاني: أنها تنهاه ما دام فيها. والثالث: أن المعنى: ينبغي أن تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر.

قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: وَلَذِكْرُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَكْبَرُ من ذِكْرِكُمْ إِيَّاهُ، رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثاني: وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَفْضَلُ من كل شيء سواه، وهذا مذهب أبي الدرداء، وسلمان، وقناة. والثالث: وَلَذِكْرُ اللَّهِ في الصلاة أَكْبَرُ ممَّا نهاك عنه من الفحشاء والمنكر، قاله عبد الله بن عون. والرابع: وَلَذِكْرُ اللَّهِ الْعَبْدَ - ما كان في صلاته - أَكْبَرُ من ذِكْرِ الْعَبْدِ لِلَّهِ، قاله ابن قتيبة.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَلَهُنَّ وَلَهُمْ رِجْدٌ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في التي هي أحسن ثلاثة أقوال: أحدها: أنها لا إله إلا الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: أنها الكُفُّ عنهم إذا بذلوا الجزية، فإن أبَوْا قوتلوا، قاله مجاهد. والثالث: أنها القرآن والدُّعاء إلى الله بالآيات والحُجج.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين نصبوا الحرب وأبَوْا أن يؤدُّوا الجزية، فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يُسَلِّمُوا أو يُعْطُوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لِمَنْ أَدَّى الجزية منهم إذا أخبركم بشيء ممَّا في كتبهم ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية]. وقد روى أبو هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية]<sup>(٢)</sup>.

## فصل

واختلف في نسخ هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها نسخت بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ مَكَرَتْ﴾ [التوبة: ٢٩] قاله قتادة، والكلبي. والثاني: أنها ثابتة الحكم، وهو مذهب ابن زيد.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَنفَرُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَقْلُكُمُ يَمِينُكُمْ إِذَا لَزَمْتَ أَنْ تَبُولُوا﴾ ﴿بَلْ هُمْ كَاذِبُونَ يَسْتَنْتِ فِي سُوءِ الْيَمِينِ أَوْفُوا أَلْفَاظَكُمْ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْقَلِيلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أنزلنا الكتاب عليهم ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٤٦/٥ من رواية ابن السني، وابن مردويه، والديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما، والله أعلم. وذكر الطبري هذا المعنى في «التفسير» من قول ابن عباس. قال ابن كثير: وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس، وروي أيضاً عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وغيرهم، واختاره ابن جرير. اهـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ١٢٩/٨. قال ابن كثير: إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه، فهنا لا نقدم على تكذيبه، لأنه قد يكون حقاً، ولا تصديقه، فلمله أن يكون باطلاً، ولكن نؤمن به إيماناً جمللاً معلقاً على شرط، وهو أن يكون منزلاً، لا مبدلاً ولا مؤولاً. وقال أيضاً: ثم ليُعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل، وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحاً. اهـ. وقال ابن كثير: قال البخاري عن ابن عباس: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتبكم الذي أنزل إليكم على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يُسَبَّ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بطلوا وغُيِّروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم من مسالمتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. وقال ابن كثير أيضاً: قال البخاري: وقال أبو البجان: أخبرنا شبيب عن الزهري، أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رجلاً من قريش بالمدينة وذكر كتب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المعذنين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبول عليه الكذب، قال ابن كثير: معناه: أنه يقع منه الكذب لفة من غير قصد، لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن، وفيها أشياء موضوعة، ومكذوبة، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون بهذه الأمة العظيمة، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة لا يعلمها إلا الله ﷻ، ومن منحه الله تعالى علماً بذلك كلِّ بحسبه، والله الحمد والمنة. اهـ.



يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنْ بِدَى﴾ وهم الذين أسلموا ﴿وَمَا يَجْعَلُ يَتَابِعَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ قال قتادة: إنما يكون الجحد بعد المعرفة. قال مقاتل: وهم اليهود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشَاءُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: مجازة: ما كنت تقرأ قبله كتاباً، و«مين» زائدة. فاما الهاء في «قَبْلِهِ» فهي عائدة إلى القرآن. والمعنى: ما كنت قارئاً قبل الوحي ولا كتاباً، وهكذا كانت صفته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب<sup>(١)</sup>، وهذا يدل على أن الذي جاء به من عند الله تعالى. قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَأَرْثَابُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لو كنت قارئاً كتاباً لشك اليهود فيك، ولقالوا: ليست هذه صفته في كتابنا. والظالمون: الذين يأتون بالباطل، وفيهم هاهنا قولان: أحدهما: كفار قريش، قاله مجاهد. والثاني: كفار اليهود، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ في المكي عنه قولان: أحدهما: أنه النبي محمد ﷺ، ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أن المعنى: بل وجدنا أهل الكتاب في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أمي، آيات بيّنات في صدورهم، وهذا مذهب ابن عباس، والضحاك، وابن جريج. والثاني: أن المعنى: بل محمد ذو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، لأنهم يجدونه بنعته وصفته، قاله قتادة. والثاني: أنه القرآن، والذين أوتوا العلم: المؤمنون الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده. وإنما أعطي الحفظ هذه الأمانة، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء، وهذا قول الحسن. وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان: أحدهما: المشركون، قاله ابن عباس. والثاني: كفار اليهود، قاله مقاتل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْمِكْنَتِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿وَيُفَصِّلُ الْفُتُورَ﴾ ﴿يُفْصِّلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني كفار مكة ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قرا نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «آيات» على الجمع. وقرا ابن كثير، وحذرة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «آية» على التوحيد. وإنما أرادوا: كآيات الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو القادر على إرسالها، وليست بيدي. وزعم بعض علماء التفسير أن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ منسوخ بآية السيف. ثم بين الله ﷻ أن القرآن يكفي من الآيات التي سألوها بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْمِكْنَتِ﴾ ١٩ وذكر يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ بكتب قد كتبوها، فيها بعض ما يقول اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: «كفى بها حمالة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاء به نبئهم إلى قوم غيرهم»، فنزلت: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتُ الْمِكْنَتِ﴾ آخر الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَرٌ بِاللَّهِ﴾ قال المفسرون: لما كذبوا بالقرآن نزلت: ﴿قُلْ كَفَرٌ بِاللَّهِ بَنِي وَيَسْعَمُ شَيْدًا﴾ يشهد لي أنني رسوله، ويشهد عليكم بالكذب، وشهادة الله له: إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ قال ابن عباس: بغير الله. وقال مقاتل: بعبادة الشيطان.

(١) قال ابن كثير: ومن زعم من متأخري الفقهاء، كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله»، وإنما حمله على ذلك رواية في «صحيح البخاري»: «ثم أخذ فكتب»، وهذه محمولة على الرواية الأخرى: «ثم أمر فكتب»، ولهذا اشدت الكبر من فقهاء المشرق والمغرب على من قال يقول الباجي، وتبرؤوا منه. ثم قال ابن كثير: وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة، فضعف لا أصل له. اهـ.

(٢) روى الطبري ٧/٢١، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٢٨: رواه الطبري، وأبو داود في «المراسيل» من طريق يحيى بن جعدة. وقال ابن حجر في «التقريب» عن جعدة: ثقة وقد أرسل عن ابن مسعود ونحوه. وذكر هذا الخبر السيوطي في «الدر» ١٤٨/٥، وزاد نسبه للدارمي، وابن المنذرة، وابن أبي حاتم، عن يحيى بن جعدة ﷺ. وأورد السيوطي في «الدر» أيضاً من رواية الإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه من طريق يحيى بن جعدة عن أبي هريرة ﷺ بنحوه.

﴿وَيَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَكَ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بِنَّةٌ وَهَمٌ لَا يَبْشُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ وَلَئِنْ جَهَنَّمُ لَسَاطِئُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾  
 قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ﴾ قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿فَأَمْلِئْ عَلَيْنَا حِجَاوَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] (١).

وفي [الأجل] المسمى أربعة أقوال: أحدها: أنه يوم القيامة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: أجل الحياة إلى حين الموت، وأجل الموت إلى حين البعث، قاله قتادة. والثالث: مدة أعمارهم، قاله الضحاك. والرابع: يوم بدر، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ يعني العذاب. وقرأ معاذ القارئ، وأبو نهيك، وابن أبي عبله: «وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ» بالياء «بِنَّةٌ وَهَمٌ لَا يَبْشُرُونَ» بإتيانه.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ جَهَنَّمُ لَسَاطِئُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: جامعة لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا﴾ قرأ ابن كثير: بالنون. وقرأ نافع: بالياء. فمن قرأ بالياء، أراد الملك الموكل بعذابهم؛ ومن قرأ بالنون، فلأن ذلك لما كان بأمر الله تعالى جاز أن يُنسب إليه. ومعنى «مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: جزاء ما عملتم من الكفر والتكذيب.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَبِعَةِ فَإِنِّي فَأَعَذُّنَا ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا يُجْرُونَ مِنْ حَتَّىٰ إِذَا أَنتَهَوْا خَلِيلِينَ فِيهَا يَمْشُونَ حُرًّا الْعَالَمِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن ذَٰلِكَ لَا يَحْصِي رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَافٍ أَعْلَمِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «يَا عِبَادِي» بتحريك الياء. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بإسكانها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَبِعَةِ﴾ وقرأ ابن عامر وحده: «أرضي» بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه خطاب لمن آمن [أي] أهل مكة، قيل لهم: «إن أرضي» يعني المدينة «واسعة»، فلا تجاوروا الظلمة في أرض مكة، قاله أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال مقاتل: نزلت في ضُعفاء مُسلمي مكة، [أي]: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان، فأرض المدينة واسعة. والثاني: أن المعنى: إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرجوا منها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عطاء. والثالث: إن رزقي لكم واسع، قاله مطرف بن عبد الله.

قوله تعالى: ﴿فَأَعَذُّنَا﴾ أثبت فيها الياء يعقوب في الحاليين، وحذفها الباقر. قال الزجاج: أمرهم بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله إلى حيث تنهياً لهم العبادة؛ ثم خوفهم بالموت لتنهون عليهم الهجرة، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ المعنى: فلا تقيموا في دار الشرك خوفاً من الموت ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فنجزىكم بأعمالكم، والأكثرون قرووا: «تُرْجَعُونَ» بالياء على الخطاب؛ وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء.

قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» بالياء، أي: لَنُنَزِّلَنَّهُمْ. وقرأ حمزة، والكسائي، [وخلف]: «لَنُنَزِّلَنَّهُمْ» بالياء، [وهو] من: نويت بالمكان، إذا أقمت به. قال الزجاج: [يقال]: ثوى الرجل: إذا أقام، وأثوته: إذا أنزلته منزلاً يقيم فيه.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن ذَٰلِكَ لَا يَحْصِي رِزْقَهَا﴾ قال ابن عباس: لما أمرهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى المدينة، قالوا: يا رسول الله، نخرج إلى المدينة وليس لنا بها عقار ولا مال؟ فمن يؤننا ويطعمنا؟ فنزلت هذه الآية (٢). قال

(١) الطبري ٢٣٢/٩ من سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء. وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَافَتْكَ هَٰذَا قَوْمُ النَّبِيِّ بْنِ عِيسَى فَاتَمْلِئْ عَلَيْنَا حِجَاوَةً مِّنَ السَّمَاءِ لَوْ أَتَيْنَا بِمَلَكٍ أَلِيمٍ» فنزلت: «وَمَا كُنَّا اللَّهُ يَهْدِيَنَّهُمْ وَأَتَىٰ نَبِيُّهُمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ مُؤْمِنُهُمْ وَهُمْ يَسْتَفْهِرُونَ ﴿٥٣﴾».

(٢) ذكر ذلك بعض المفسرين بدون سند، والله أعلم. وقد ذكر المفسرون في سبب نزولها حديثاً ضعيفاً عن ابن عمر، وقد أورده السيوطي في «الدر» ١٤٩/٥ قال: أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساکر بسند ضعيف عن ابن عمر ؓ قال: خرجت مع -

ابن قتية: ومعنى الآية: كم من دابة لا ترفع شيئاً لغد، قال ابن عيينة: ليس شيء يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة. قال المفسرون: وقوله: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ أي: حيثما توجهت ﴿وَلِيَاكُم﴾ أي: ويرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ﴿وَوَعَدَ الْكَافِرِينَ﴾ لقولكم: لا نجد ما نتفق بالمدينة ﴿الْمَكِيدَةِ﴾ بما في قلوبكم.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَمَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿لَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ زَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ يعني كفار مكة، وكانوا يؤثرون بأنه الخالق والرازق؛ وإنما أمره أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على إقرارهم، لأن ذلك يلزمهم الحجة فيوجب عليهم التوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله مع إقرارهم بأنه الخالق. والمراد بالأكثر: الجميع.

﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْفٌ وَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿إِنَّا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعْوَا اللَّهِ خَلَصِينَ لَهُ الْيَمِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلَيَسْتَعْمُوا فَسُوقَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْفٌ﴾ والمعنى: وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي عن قليل ﴿وَلِكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يعني الجنة ﴿لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ قال أبو عبيدة: اللام في ﴿لِهِيَ﴾ زائدة للتوكيد، والحيوان والحياة واحد؛ والمعنى: لهي دار الحياة التي لا موت فيها، ولا تنغيص يشوبها كما يشوب الحياة في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لو علموا لرغبوا عن الفاني في الباقي، ولكنهم لا يعلمون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَكِبُوا فِي الْفُلِ﴾ يعني المشركين ﴿دَعْوَا اللَّهِ خَلَصِينَ لَهُ الْيَمِينَ﴾ أي: أفردوه بالدعاء. قال مقاتل: والذين بمعنى التوحيد؛ والمعنى أنهم لا يدعون من يدعونه شريكاً له ﴿فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ﴾ أي: خلصهم من أهوال البحر، وأفضوا ﴿إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ في البر، وهذا إخبار عن عنادهم. ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ هذه لام الأمر، ومعناه التهديد والوعيد كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [نصت: ٤٠]؛ والمعنى: ليَجِدُوا نعمة الله في إنجائه إياهم ﴿وَلَيَسْتَعْمُوا﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي بإسكان اللام على معنى الأمر؛ والمعنى: ليتمتعوا بباقي أعمارهم ﴿فَسُوقَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم. وقرأ الباقون بكسر اللام في ﴿لَيَسْتَعْمُوا﴾، فجعلوا اللامين بمعنى «كي»، فتقديره: لكي يكفروا، ولكي يمتنعوا، فيكون معنى الكلام: إذا هم يُشْرِكُونَ ليكفروا وليتمتعوا، أي: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يمتنعون به في العاجلة من غير نصيب لهم في الآخرة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا وَمَتَّعْنَاهُ النَّاسَ مِنْ قَوْمِهِمْ أَتْيَابًا لِيُطِيلُوا يَوْمَهُمْ وَيُنْعِمَ اللَّهُ بِكَفَرِهِمْ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني كفار مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَأْمُونًا﴾ يعني مكة؛ وقد شرحنا هذا المعنى في [القسم: ٥٧] ﴿وَمَتَّعْنَاهُ النَّاسَ مِنْ قَوْمِهِمْ﴾ أي: أن العرب ينسب بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون ﴿أَتْيَابًا لِيُطِيلُوا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: الشرك، قاله قتادة. والثاني: الأصنام، قاله ابن السائب. والثالث: الشيطان، قاله مقاتل. قوله تعالى: ﴿يَوْمَهُمْ﴾ ﴿يَوْمَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعاصم الجحدري: ﴿تَوْمَهُمْ﴾ ويُنْعِمَ الله تكفروهم بالناء فيهما.

رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر، ويأكل، فقال لي: يا ابن عمر مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهي يا رسول الله، قال: «لكني أشتهي، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، كيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سبتهم ويضعف اليقين؟» قال: فوالله ما برحنا ولا رما حتى نزلت: ﴿وَكَلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ رِزْقُهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا رِزْقًا وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ أَتْيَابًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يلمني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، إلا وإني لا أكثر ديناراً ولا درهماً، ولا أدرع رزقاً لغد. قال ابن كثير: وهذا حديث غريب، وأبو المطوف الجزري ضعيف اه، يعني أحد رجال السند، وهو الجراح بن منهل الجزري.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَقَرَّبُ إِلَهُ﴾ يعني: محمداً والإسلام؛ وقيل: بإنعام الله عليهم حين أطعمهم وأمنهم ﴿يَكْتُرُونَ﴾، و﴿وَنَزَّلْنَا ظُلُمًا عَلَى الْقُرُونِ عَلَى اللَّهِ حَكِيمًا﴾ أي: زعم أن له شريكاً وأنه أمر بالفواحش ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ يعني محمداً والقرآن ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لَلْكَاذِبِينَ﴾؟! وهذا استفهام بمعنى التقرير، كقول جرير: وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحٌ<sup>(١)</sup>



## سورة الروم

وهي مَكِّيَّة كُلُّهَا بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْتَّ ۝ غَلَبَ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْعَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿غَلَبَ الرُّومُ﴾ ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فشق ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأن فارس لم يكن لهم كتاب وكانوا يجحدون البيعة ويعبدون الأصنام، والروم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، فإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فنزلت هذه الآية، فخرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، فقال: الله أنزل هذا، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، فقال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فقالوا: الوسط من ذلك ست، فوضعوا الرهان، وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم، فلاموه وقالوا: هلاً أقررتها كما أقرها الله! لو شاء أن يقول: ستاً، لقال: فلماً كانت سنة ست، لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان، فلماً كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس<sup>(١)</sup>. وروى ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿الْتَّ ۝ غَلَبَ الرُّومُ ۝﴾ ناحب<sup>(٢)</sup> أبو بكر قريشاً، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع<sup>(٣)</sup> والتسع<sup>(٤)</sup>». وذكر بعضهم أنهم ضربوا الأجل خمس سنين<sup>(٥)</sup>، وقال بعضهم: ثلاث سنين، فقال رسول الله ﷺ: «إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع»، فخرج أبو بكر فقال لهم: أزايدكم في الخطر وأمد في الأجل إلى تسع سنين، ففعلوا، فقهرهم أبو بكر، وأخذ رهانهم<sup>(٦)</sup>. وفي الذي تولى وضع الرهان من المشركين قولان: أحدهما: أبي بن خلف، قاله قتادة. والثاني: أبو سفيان بن حرب، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ وقرأ أبي بن كعب، والضحاك، وأبو رجاء، وابن السميع: «في أداني الأرض» بألف مفتوحة الدال؛ أي: أقرب الأرض أرض الروم إلى فارس. قال ابن عباس: وهي طرف الشام. وفي اسم هذا المكان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الجزيرة، وهي أقرب أرض الروم إلى فارس، قاله مجاهد. والثاني، أذرعات وكسكر<sup>(٧)</sup>، قاله عكرمة. والثالث: الأردن وفلسطين، قاله السدي.

(١) ذكره بنحوه الترمذي في التفسير ١٥٠/٢ عن تيار بن مكرم، والطبري ١٧/٢١ عن عكرمة، وذكره البغوي والخازن، وأورده السيوطي في «الدرر» ٥/ ١٥١ وعزاه إلى الترمذي، وزاد نسبه للدارقطني في «الأفراد»، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن تيار بن مكرم الأسلمي.

(٢) المناحية: المخاطرة والمراعاة.

(٣) كذا الأصل: «فإن البضع ما بين السبع والتسع» والذي في «الطبري»، و«الترمذي»: «فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع».

(٤) ذكره بنحوه الطبري ١٧/٢١، و«الترمذي» ١٥٠/٢، عن ابن عباس ؓ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس. ورواه الطبري عن عبد الله بن عمرو من قوله، والله أعلم.

(٥) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢١.

(٦) ذكره بنحوه الطبري ١٨/٢١.

(٧) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: كسكر: معناه: عامل الزرع، وهي كورة واسعة تنسب إليها الفراريج الكسكورية، لأنها تكثر بها جداً، وقال: قصبتها اليوم «واسط» القصبة التي بين الكوفة والبصرة، وكانت قصبتها قبل أن يمطر الحجاج واسطاً. خسرو سابور. قال: وسُميت كسكر بكسكر بن طهمورث الملك الذي هو أصل الفرس، وقال آخرون: معنى كسكر: بلد الشعير، بلغة أهل هراة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني الروم ﴿زُرْتُ بَعْدَ غَلَبِهِمْ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو رجاء، وعكرمة، والأعمش: ﴿غَلَبَهُمْ﴾ بتسكين اللام؛ أي: من بعد غلبة فارس إياهم. والعَلَبُ والغَلَبَةُ لغتان، ﴿سَكَنُوا﴾ فارس ﴿فِي يَضْعَ مِينَةٍ﴾ في الضَّعْ تسعة أقال قد ذكرناها في [يوسف: ٤٢] قال المفسرون: وهي هاهنا سبع سنين، وهذا من علم الغيب الذي يدل على أن القرآن حق، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل أن تغلب الروم ومن بعد ما غلبت؛ والمعنى أن غلبة الغالب وخذلان المغلوب، بأمر الله وقضائه ﴿وَيُؤَيِّدُ﴾ يعني يوم غلبت الروم فارس ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَقْصُرُ اللَّهُ﴾ للروم. وكان اللقاء الفريقين في السنة السابعة من غلبة فارس إياهم، فغلبتهم الروم، وجاء جبريل يخبر بنصر الروم على فارس، فوافق ذلك يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية.

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْغَيْبِ الَّذِي وَعَدَ عَنْ الْآخِرَةِ مَرَّ غَيِّبُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أي: وعد الله ذلك وعداً ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أن الروم يظهرهم على فارس ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله لا يخلف وعده في ذلك. ثم وصف كفار مكة، فقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْغَيْبِ الَّذِي﴾ قال عكرمة: هي المعاش. وقال الضحاك: يعلمون ببيان قصورها وتشريق أنهارها. وقال الحسن: يعلمون متى زرعهم و[متى] حصادهم، ولقد بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينثر الدرهم بظفرك فيخبرك بوزنه ولا يحسن يصلي.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ مَرَّ غَيِّبُونَ﴾ لأنهم لا يؤمنون بها. قال الزجاج: وذكرهم ثانية يجري مجرى التوكيد، كما تقول: زيد هو عالم، وهو أوكد من قولك: زيد عالم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ قال الزجاج: معناه: أو لم يتفكروا فيعلموا، فحذف «فيعلموا» لأن في الكلام دليلاً [عليه]. ومعنى ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا للحق، أي: لإقامة الحق ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الجزاء ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ المعنى: لكافرون بقاء ربهم، فقدّم الباء، لأنها متصلة بـ «كافرون»، وما اتصل بخبر «إن» جاز أن يقدم قبل اللام، ولا يجوز أن تدخل اللام بعد مضي الخبر من غير خلاف بين النحويين، لا يجوز أن تقول: إن زيدا كافر لباه، لأن اللام حقها أن تدخل على الابتداء أو الخبر، أو بين الابتداء والخبر، لأنها تؤكد الجملة. وقال مقاتل في قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: للسموات والأرض أجل ينتهيان إليه، وهو يوم القيامة، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ﴾ أي: البعث ﴿لَكَاذِبُونَ﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَمَاتَتْ مُلُوكُهُمْ بِالْإِنْتِنَاءِ فَمَا كَانَ اللَّهُ يُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَرَأَوْا السَّوْءَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أو لم يسافروا فينظروا مضارع الأمم قبلهم كيف أهلکوا بتكذيبهم فيعتبروا.

قوله تعالى: ﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ﴾ أي: قلبوها للزراعة، ومنه قيل للبقرة: مثيرة. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو حنيفة: «وَأَثَرُوا الْأَرْضَ» بمد الهمزة وفتح الثاء مرفوعة الراء، ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: أكثر من عمارة أهل مكة، لطول أعمار أولئك وشدة قوتهم ﴿وَمَاتَتْ مُلُوكُهُمْ بِالْإِنْتِنَاءِ﴾ أي: بالدلالات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ يُظْلِمَهُمْ﴾ بتعذيبهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر والتكذيب؛ ودل هذا على أنهم لم يؤمنوا فأهلكوا. ثم أخبر عن عاقبتهم فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَرَأَوْا السَّوْءَ﴾ يعني الخلعة السيئة؛ وفيها قولان: أحدهما: أنه العذاب، قاله الحسن. والثاني: جهنم، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿أَن كَذَّبُوا﴾ قال الفراء: معناه: لأن كذبوا فلما أُلقيت اللام كان نصباً. وقال الزجاج: لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم. وقيل: السَّوْءُ مصدر بمنزلة الإساءة؛ فالمعنى: ثم كان التكذيب آخر أمرهم، أي: ماتوا على

ذلك، كأن الله تعالى جازاهم على إساءتهم أن طبع على قلوبهم حتى ماتوا على التكذيب عقوبة لهم. وقال مكي بن أبي طالب النحوي: «عاقبة» اسم كان، و«السوأي» خبرها، و«أن كذبوا» مفعول من أجله؛ ويجوز أن يكون «السوأي» مفعولة بـ «أساؤوا»، و«أن كذبوا» خبر كان؛ ومن نصب «عاقبة» جعلها خبر «كان»، و«السوأي» اسمها، ويجوز أن يكون «أن كذبوا» اسمها. وقرأ الأعمش: «أساؤوا السوء» برفع «السوء».

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يخلقهم أولاً، ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «تُرْجَعُونَ» بالتاء؛ فعلى هذا يكون الكلام عائداً من الخبر إلى الخطاب. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تُرْجَعُونَ» بالياء، لأن المتقدم ذكره غيبة، والمراد بذكر الرجوع: الجزاء على الأعمال، والخلق بمعنى المخلوقين، وإنما قال: «يُعِيدُهُ» على لفظ الخلق.

﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِئُ الْمُجْرِمُونَ ۖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا يُشْرِكُونَ ۚ كَفِيرِينَ ۝ وَبِمَنْ نَقُومُ السَّاعَةَ يُرْمَىٰ يَنْفَرُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يُبْلِئُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قد شرحنا الإبلاس في [الأنعام: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ أي: [من] أولئهم التي عبدوها ﴿شُفَعَاتٌ﴾ في القيامة ﴿وَكَانُوا يُشْرِكُونَ﴾ يتبرؤون منها وتبرأ منهم.

قوله تعالى: ﴿يُرْمَىٰ يَنْفَرُونَ﴾ وذلك بعد الحساب ينصرف قوم إلى الجنة، وقوم إلى النار.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ الروضة: المكان المخضّر من الأرض؛ وإنما خصّ الروضة، لأنها كانت أعجب الأشياء إلى العرب؛ قال أبو عبيدة: ليس شيء عند العرب أحسن من الرياض المغشّبة ولا أطيب ريحاً، قال الأعشى:

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُغَشَّبَةٌ      خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَاطِلٌ  
يُؤْمَأُ بِأَطْيَبِ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ      وَلَا بِأَخْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الْأَصْلُ<sup>(١)</sup>

قال المفسرون: والمراد بالروضة: رياض الجنة. وفي معنى «يُحْبَرُونَ» أربعة أقوال: أحدها: يُكْرَمُونَ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: يُنْعَمُونَ، قاله مجاهد، وقتادة. قال الزجاج: والخبرة في اللغة: كل نعمة حسنة. والثالث: يفرحون، قاله السدي. وقال ابن قتيبة: «يُحْبَرُونَ»: يُسْرُونَ، والخبرة: السرور. والرابع: أن الخبر: السماع في الجنة، فإذا أخذ أهل الجنة في السماع، لم تبق شجرة إلا وودت، قاله يحيى بن أبي كثير. ومثل يحيى بن معاذ: أي الأصوات أحسن؟ فقال: مزامير أنس، في مقاصير قدس، بالحاء تحميد، في رياض تمجيد ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ۝﴾ [القدر: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ﴾ أي: هم حاضرون العذاب أبداً لا يخفّف عنهم.

﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۖ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِندَ نَجْمٍ الْخَبِيرِ ۝ وَحِينَ تَضَعُونَ الظُّلُمَاتِ فَعِندَ الْبَيْتِ مِنَ الْآلِ وَحِينَ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْنِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝﴾

ثم ذكر ما تدرك به الجنة ويتباعد به من النار فقال: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ قال المفسرون: المعنى: فصلوا لله حين تُمسون، أي: حين تدخلون في المساء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ أي: تدخلون في الصباح، و﴿تَضَعُونَ الظُّلُمَاتِ﴾ الظلمة، وهي وقت الزوال، و﴿وَعِندَ نَجْمٍ الْخَبِيرِ﴾ أي: وسبحوه عشيّاً. وهذه الآية قد جمعت الصلوات الخمس، فقله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ يعني [به] صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ يعني به صلاة الفجر، و﴿وَعِندَ نَجْمٍ الْخَبِيرِ﴾ يعني [به] العصر، و﴿حِينَ تَضَعُونَ الظُّلُمَاتِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: يحمده أهل السموات وأهل الأرض ويصلون له.



قوله تعالى: ﴿يَتَنَبَّأُ بِغَدِّ زَيْنَبَآ﴾ أي: يجعلها مُنْبِئَةً بعد أن كانت لا تُنْبِئُ، وتلك حياتها ﴿وَكَذَلِكَ نُنْشِئُ الْغُرُفَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تُخْرَجُونَ» بضم التاء، وفتحها حمزة والكسائي؛ والمراد: تخرجون يوم القيامة من الأرض، أي: كما أحيا الأرض بالنبات يُحييكم بالبعث.

قوله تعالى: ﴿رَبِّمَآبِينِي﴾ أي: من دلائل قدرته ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّنۡ تُرَابٍ﴾ يعني آدم، لأنه أصل البشر ﴿ثُمَّ إِذَا تَسَمَّرُ﴾ من لحم ودم، يعني ذريته ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ أي: تنبسطون في الأرض.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ آيَاتًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن المعنى: جعل لكم آياتاً مثلكم، ولم يجعلهن من غير جنسكم، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿تَشْكُرُوا لَهَا﴾ أي: لتأواوا إلى الأزواج ﴿وَعَمَلٌ بَيْنَكُمْ مِدَّةً وَحَمَةً﴾ وذلك أن الزوجين يتوآدان ويتراحمان من غير رجم بينهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكره من صنعه ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ في قدرة الله وعظمته.

قوله تعالى: ﴿وَأَنخَلَفُ الْقَيْنُكُم﴾ يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك ﴿وَالْوَيْكُ﴾ لَأَنَّ الخلق بين أسود وأبيض وأحمر، وهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: المراد باختلاف الألسنة: اختلاف النغمات والأصوت، حتى إنه لا يشته صوت أخوين من أب وأم، والمراد باختلاف الألوان: اختلاف الصُّور، فلا تشته صورتان مع التشاكل [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَالَمِينَ] قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحَمْزة، [والكسائي]، وأبو بكر عن عاصم: «للعالمين» بفتح اللام. وقرأ حفص عن عاصم: «للعالمين» بكسر اللام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَاسِكٌ يَّاتِلُ وَالْنَّهَارَ﴾ أي: نومكم. قال أبو عبيدة. المنام من مصادر النوم، بمنزلة قام يقوم قياماً ومقاماً، وقال يقول مقالاً. قال المفسرون: وتقدير الآية: منامكم بالليل ﴿وَأَيُّهَا أَنتُمْ بَيْنَ فَضْلَيْهِ﴾ وهو طلب الرزق بالنهار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع اعتبار [وتذكراً] وتدبُّر. ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ قال اللغويون: إنَّما حذف «أن» لدلالة الكلام عليه، وأنشدوا:

وما الدُّفُرُ إلا تارتان فتارةً  
أموتُ وأخرى ابتغى العيش أكدح<sup>(١)</sup>

ومعناه: فتارة أموتُ فيها]، وقال طرفة:

أَلَا أَيْهَذَا الزَّاجِرِ أَحْضَرَ الْوَعَى

أراد: أن أحضر. وقد شرحنا معنى الخوف والطمع في رؤية البرق في سورة [الرعد: ١٢].

(١) البيت لثميم بن مقبل، وقد سبق تخريجه ٢٨٨، وهو أيضا في «الطبري» ٣٣/٢١، و«البحر» ١٦٧/٧، و«روح المعاني» ٢٩/٢١، و«اللسان» و«التاج»: كدم.

(٢) البت لطرفة بن عبد البكري من معلقته، وهو في «الطبري» ٣٣/٢١، و«روح المعاني» ٢٩/٢١، ومختار الشعر الجاهلي ١/٣١٧.



قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّكَّةَ وَالْأَرْضَ﴾ أي: تدوما قائمتين ﴿يَأْمُرُهُ﴾، ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ وهي نفخة إسرائيل الأخيرة في الصُّور بأمر الله ﷻ ﴿يَنْ الْأَرْضِ﴾ أي: من قبوركم ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها. وما بعد هذا قد سبق بيانه [البقرة: ١١٦، المكنوت: ١٩] إلى قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَالِيَهُ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن الإعادة أهون عليه من البداية، وكلُّ هَيْنٍ عليه، قاله مجاهد، وأبو العالية. والثاني: أن «أهون» بمعنى «هين»، فالمعنى: وهو هين عليه، وقد يوضع «أفعل» في موضع «فاعل»، ومثله قولهم في الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير، قال الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
وقال معن بن أوس المزني:

لَعَنَمُوكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجِلُ  
أي: وإني لَوْجِل، وقال غيره:

أَصْبَحْتُ أَمْنُحُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي  
وأشددوا أيضاً:

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ  
أي: بواحد، هذا قول أبي عبيدة، وهو مروى عن الحسن، وقتادة. ولقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران

الجوني، وجعفر بن محمد: «وهو هين عليه». والثالث: أنه خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم، فمن قَلَر على الإنشاء كان البعث أهون عليه، هذا اختيار الفراء، والمبرد، والزجاج، وهو قول مقاتل. وعلى هذه الأقوال الثلاثة تكون الهاء في «عليه» عائدة إلى الله تعالى. والرابع: أن الهاء تعود على المخلوق، لأنه خلقه نطفة ثم علقه ثم مضغه، ويوم القيامة يقول له كن فيكون، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو اختيار قطرب.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْئَلُ الْأَعْلَى﴾ قال المفسرون: أي: له الصفة العليا ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهي أنه لا إله غيره. قوله تعالى: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ سبب نزولها أن أهل الجاهلية كانوا يلثون فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل<sup>(٥)</sup>. ومعنى الآية: بين لكم أيها المشركون شبهاً، وذلك الشبه «يَنْ أَنْفُسِكُمْ»، ثم بيّنه فقال: ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا يَنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من عبيدكم ﴿يَنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ من المال والأهل والعبيد، أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي: أنتم وشركاؤكم من عبيدكم سواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: كما تخافون أمثالكم من الأحرار، وأقرباءكم كالآباء والأبناء؟ قال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً؟ وقال غيره: تخافونهم أن يقاسموكم أموالكم كما يفعل الشركاء والمعنى: هل يرضى أحدكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء الأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما بينا هذا المثل ﴿فَنَقِصْ

(١) «ديوانه» ٧١٤، و«مجاز القرآن» ١٢١/٢ والطبري ٣٧/٢١، و«الكامل» ٦٩٧.

(٢) البيت في «الطبري» ٣٧/٢١، و«الحامسة البصرية» ١٤٢، و«الكامل» ٦٩٦، و«الآداب» ٣٩٩. قال الشيخ أحمد محمد شاكر في تعليقه على «الآداب»: «وتغلبوا بالغين المعجزة في الروايات كلها، وحكى التبريزي أن في رواية: «تعدوا بالغين المعجزة».

(٣) البيت للأحوص، وهو في «مجاز القرآن» ١٢١/٢، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«الخرائفة» ٢٤٨/١، و«الكتاب» ١٩٠/١، و«السطح» ٢٥٩. وكان الشطر الثاني من البيت في الأصل: «قسم إليك مع الصلود لأميل». قال الشنتمري في «الكتاب» في تعليقه على البيت: الشاهد فيه نصب قوله: «قسماً» ونصبه على المصدر المؤكد لما قبله من الكلام الدال على القسم، لأنه لما قال: «إني لأمنحك الصلود، وإني إليك لأميل» علم أنه محقق مقسم، فقال: «قسماً» مؤكداً لذلك. اهـ.

(٤) البيت في «مجاز القرآن» ١٦/٢، و«الطبري» ٣٧/٢١، و«القرطبي» ٢١/١٤، و«التاج»: وحد.

(٥) ذكره ابن كثير من رواية أبي القاسم الطبراني عن ابن عباس ؓ، وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي في «الدر» ١٥٥/٥ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس ؓ.

الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿عَنْ اللَّهِ﴾ عن الله. ثم بين أنهم إنما اتبعوا الهوى في إشرافهم، فقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِخَيْرٍ عَلَيْهِمْ قَسْرٌ﴾ أي: هتدي من أصل الله. وهذا يدل على أنهم إنما أشركوا بإضلال الله إليهم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ أي: مانعين من عذاب الله.

﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الذي أثبت لكم ولكم أكثر الناس لا يعلمون ﴿١٥﴾ ﴿مُتَّبِعِينَ لِمَا أَنْفَعَهُمْ وَأَقْصَوْا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل جزيب بما لديهم ﴿١٦﴾ وإذا من الناس من دعوا منهم ثيبين إليه ثم إذا آذاهم بيته رجعوا فإذا فرق منهم بيهم يشركون ﴿١٧﴾ ليكفروا بما آتاهم فتمنعوا فسوف تعلمون ﴿١٨﴾ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ﴿١٩﴾ وإذا أدركنا الناس رجعوا إلينا وإن نصبتهم سننهم بما قدمت أيديهم إذا هم يقطون ﴿٢٠﴾ أولئك برا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿٢١﴾ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿٢٢﴾ فأتى ذا القرنه حاتم والسكينة وآمن السبيل ذلك خير للذين يريدون رمة الله وأولئك هم المفلحون ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَفَرَّقَ وَجْهَكَ﴾ قال مقاتل: أخلص دينك الإسلام ﴿لِلدِّينِ﴾ أي: للتوحيد. وقال أبو سليمان الدمشقي: استقم بدينك نحو الجهة التي وجهك الله إليها. وقال غيره: سد عملك. والوجه: ما يتوجه إليه، وعمل الإنسان ودينه: ما يتوجه إليه لتسديده وإقامته.

قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ قال الزجاج: الحنيف: الذي يميل إلى الشيء ولا يرجع عنه، كالحنف في الرجل، وهو ميلها إلى خارجها خلقة، لا يقدر الأحنف أن يرد حنفة. وقوله: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾ منصوب، بمعنى: أتبع فطرة الله، لأن معنى «فأفم وجهك»: أتبع الدين القيم، وأتبع فطرة الله، أي: دين الله. والفطرة: الخلقة التي خلق الله عليها البشر. وكذلك قوله ﴿١٥﴾: «كل مولود يولد على الفطرة»<sup>(١)</sup>، أي: على الإيمان بالله. وقال مجاهد في قوله: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلام، وكذلك قال قتادة. والذي أشار إليه الزجاج أصح، وإليه ذهب ابن قتيبة، فقال: فرق ما بيننا وبين أهل القدر في هذا الحديث، أن الفطرة عندهم: الإسلام، والفطرة عندنا: الإقرار بالله والمعرفة به، لا الإسلام، ومعنى الفطرة: ابتداء الخلقة، والكل أقروا حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولست واجداً أحداً إلا وهو مقر بأن له صانعاً ومدبراً وإن عبد شيئاً دونه وسماه بغير اسمه؛ فمعنى الحديث: إن كل مولود في العالم على ذلك العهد وذلك الإقرار الأول، وهو الفطرة، ثم يهود اليهود أبناءهم، أي: يعلمونهم ذلك، وليس الإقرار الأول مما يقع به حكم ولا ثواب؛ وقد ذكر نحو هذا أبو بكر الأثرم، واستدل عليه بأن الناس أجمعوا على أنه لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، ثم أجمعوا على أن اليهودي إذا مات له ولد صغير ورثه، وكذلك النصراني والمجوسي، ولو كان معنى الفطرة الإسلام، ما ورثه إلا المسلمون، ولا دُفن إلا معهم؛ وإنما أراد بقوله ﴿١٥﴾: «كل مولود يولد على الفطرة» أي: على تلك البداية التي أقروا له فيها بالوحدانية حين أخذهم من صلب آدم، فمنهم من جحد ذلك بعد إقراره<sup>(٢)</sup>. ومثل هذا الحديث حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: إني خلقت عبادي

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ١٩٧/٣ عن أبي هريرة ؓ، ولفظه بتمامه: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدهاء» وذكره السيوطي في «الجامع الصغير» بلفظ: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يمرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، وعزاه لأبي يعلى في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «السنن» عن الأسود بن سريح. ورواه البخاري ١٧٦/٣، ومسلم ٢٠٤٧/٤ عن أبي هريرة ؓ بلفظ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة... الحديث، ولفظه في «مسلم» بتمامه: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: «واقروا إن شئتم: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...﴾ الآية. وأوردته السيوطي في «الدرر» بهذا اللفظ ١٥٥/٥، وزاد نسبته، لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة ؓ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٩٧/٣: وقد اختلف السلف في المراد بالفطرة في هذا الحديث على أقوال كثيرة، ثم قال: وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة: الإسلام، قال: قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب: اقروا إن شئتم: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وبحديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم... الحديث، وقد روى غيره فزاد فيه «حنفاء مسلمين» ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ﴾، لأنها إضافة مدح، وقد أمر نبيه بلزومها، فلمل أنها الإسلام. وقال الحافظ: وقد قال أحمد: من مات أبواه =

حنفاء»<sup>(١)</sup>، وذلك أنه لم يدعهم يوم الميثاق إلا إلى حرف واحد، فأجابوه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَدْرِي لَخَاتِي اللَّهُ﴾ لفظه لفظ النفي، ومعناه النهي؛ والتقدير: لا تبدلوا خلق الله. وفيه قولان: أحدهما: أنه خصاء البهائم، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه. والثاني: دين الله، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والنخعي في آخرين. وعن ابن عباس وعكرمة كالفولين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْبَيْتُ الْقُدْسُ﴾ يعني التوحيد المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ يعني كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

قوله تعالى: ﴿ثُبِّينَ إِلَيْهِ﴾ قال الزجاج: زعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم منيبين، لأن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم تدخل معه فيها الأمة. ومعنى «منيبين»: راجعين إليه في كل أمر، فلا يخرجون عن شيء من أمره. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [البقرة: ٣، الأنعام: ١٥٩] إلى قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ ثُبِّينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه القحط، والرحمة: المطر. والثاني: أنه البلاء، والرحمة: العافية، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ وهم المشركون. والمعنى: إن الكل يلتجئون إليه في شدائدهم، ولا يلتفت المشركون حيثنوا إلى أوثانهم.

قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ﴾ قد شرحناه في آخر [النكوت: ٦٧]، وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب لهم بعد الإخبار عنهم. قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرْزَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على هؤلاء المشركين ﴿سُلْطَانًا﴾ أي: حُجَّةً وكتاباً من السماء ﴿فَهُوَ يَنْكُبُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالشرك؟! وهذا استفهام إنكار، معناه: ليس الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ قال مقاتل: يعني كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ وهي المطر. والسيئة: الجوع والقحط. وقال ابن قتيبة: الرحمة: النعمة، والسيئة: المصيبة. قال المفسرون: وهذا الفرح المذكور هاهنا، هو فرح البطر الذي لا شكر فيه، والقنوط: اليأس من فضل الله، وهو خلاف وصف المؤمن، فإنه يشكر عند النعمة، ويرجو عند الشدة؛ وقد شرحناه في [بني إسرائيل: ٢٦] إلى قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني إعطاء الحق ﴿حَبِيرٌ﴾ أي: أفضل من الإمساك ﴿لَلَّذِينَ يَرِيدُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: يطلبون بأعمالهم ثواب الله.

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رِزْقٍ لِيَرَوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ دَكَّوْنٍ يُرِيدُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ﴾ آلله الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَفَعَكُمْ ثُمَّ يُسَبِّحُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الشِّرْكِونَ آلله

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ في هذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أن الرِّبَا هاهنا: أن يهدي الرجل للرجل الشيء يقصد أن يثيبه عليه أكثر من ذلك، هذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وطاوس، [والضحاك]، وقتادة، والقرظي. قال الضحاك: فهذا ليس فيه أجر ولا وزر. وقال قتادة: ذلك الذي لا يقبله الله ولا يجزي به، وليس فيه وزر. والثاني: أنه الرِّبَا المحرم، قاله الحسن البصري. والثالث: أن الرجل يُعطي قرابته المال ليصير به غنياً، لا يقصد بذلك ثواب الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي. والرابع: أنه الرجل يُعطي من يخدمه لأجل خدمته، لا لأجل الله تعالى، قاله الشعبي.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رِزْقٍ لِيَرَوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ وقرأ نافع، ويعقوب: [«لَتَرَبُّوا»] بالتاء وسكون الواو، أي: [في] اجتلاب أموال الناس، واجتذابها ﴿فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يزكو ولا يضاعف، لأنكم قصدتم زيادة

وهما كافران حكم بإسلامه، واستدل بحديث الباب، فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام، قال: وحكى محمد بن نصر أن آخر قول أبي أحمد، أن المراد بالفطرة: الإسلام، ثم قال: وقال ابن القيم: سبب اختلاف العلماء في معنى الفطرة في هذا الحديث، أن القدرية كان يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليسا بقضاء الله، بل مما ابتدأ الناس إحداه، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام، ولا حاجة لذلك، لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية، لأن قوله: «فأبوا يهودانه... إلخ»، مخمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى، ومن ثم احتج عليهم مالك بقوله في آخر الحديث: «الله أعلم بما كانوا عاملين». اهـ.

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ٢١٩٧/٤ عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبة: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جعلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً، حلال (أي: قال الله: كل مال... إلخ) وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عزهم وعجبهم، إلا بقايا من أهل الكتاب (المراد بهم: الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل)، وقال: إنما بعثتك لأبليتك وأبليتي بك... إلخ الحديث.

الْعَوَاضَ، وَلَمْ تَقْضُوا الْقُرْبَى. ﴿وَمَا يَنْبَغُ مِنْ ذِكْرِ﴾ أي: ما أعطيت من صدقة لا تطلبون بها المكافأة، إنما تريدون بها ما عند الله، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ قال ابن قتيبة: الذين يجدون التضعيف والزيادة. وقال الزجاج: أي: ذوو الأضعاف من الحسنات، كما يقال: رجل مُقْوٍ، أي: صاحب قُوَّة، ومُؤمِر: صاحب يسار.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَاقْبِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْعَقُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال: أحدها: نقصان البركة، قاله ابن عباس. والثاني: ارتكاب المعاصي، قاله أبو العالية. والثالث: الشرك، قاله قتادة، والسدي. والرابع: قحط المطر، قاله عطية. فأما البر؛ فقال ابن عباس: البر: البرية التي ليس عندها نهر. وفي البحر قولان: أحدهما: أنه ما كان من المدائن والقرى على شط نهر، قاله ابن عباس. وقال عكرمة: لا أقول: بحركم هذا، ولكن كل قرية عامرة. وقال قتادة: المراد بالبر: أهل البوادي، وبالبحر: أهل القرى. وقال الزجاج: المراد بالبحر: مدن البحر التي على الأنهار، وكل ذي ماء فهو بحر. والثاني: أن البحر: الماء المعروف. قال مجاهد: ظهور الفساد في البر: قتل ابن آدم أخاه، وفي البحر: ملك جائر يأخذ كل سفينة غصباً<sup>(١)</sup>. وقيل لعطية: أي: فساد في البحر؟ فقال: إذا قل المطر قل القوص.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ أي: بما عملوا من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقاتدة، وابن محيصن، وروح [عن يعقوب]، وقنبل عن ابن كثير: «لِيُذِيقَهُمْ» بالنون ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: جزاء بعض أعمالهم؛ فالقحط جزاء، ونقصان البركة جزاء، ووقوع المعصية منهم جزاء معجل لمعاصيهم أيضاً. قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين أذيقوا الجزاء. ثم في معنى رجوعهم قولان. أحدهما: يرجعون عن المعاصي، قاله أبو العالية. والثاني: يرجعون إلى الحق، قاله إبراهيم. والثاني: أنهم الذين يأتون بعدهم؛ فالمعنى: لعله يرجع من بعدهم، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: الذين كانوا قبلكم؛ والمعنى: انظروا إلى مساكنهم وأثارهم ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ المعنى: فأهلكوا بشركهم<sup>(٢)</sup>. ﴿فَاقْبِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ أي: أقم قصدك لاتباع الدين ﴿الْقَيِّمِ﴾ وهو الإسلام المستقيم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ يعني [يوم] القيامة لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم، لأن الله تعالى قد قضى كونه ﴿يَوْمَئِذٍ يُصْعَقُونَ﴾ أي: يتفرون إلى الجنة والنار.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنَسِفِهِمْ بِمَهْدُونَ﴾ ﴿يَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: جزاء كفره ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَأَنَسِفِهِمْ بِمَهْدُونَ﴾ أي: يؤطشون. وقال مجاهد: يسؤون المضاجع في القبور، قال أبو عبيدة: ﴿مَنْ﴾ يقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث، ومجازها هاهنا مجاز الجميع، ولْيَمَهْدَ بمعنى يكتسب ويعمل ويستعد.

﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ أَنْ يَرْسِلَ أَرْبَعًا بَشِيرَاتٍ وَلِيُذِيقَهُنَّ دَحِيمَهُ وَلِيَجْعَلَ أَلْفَكَ بِأَمْرِهِ وَيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ جَرَمُوا وَكَاتَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذمهم، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر، والبر عند العرب: الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخص جل ثناؤه الخير عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فلذلك على ما وقع عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً، وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار، فتأويل الكلام إذن: إذا كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر بما كسبت أيدي الناس، أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذمهم لئيبه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، ألم نهلكهم بمذابنا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم؟ كان أكثرهم مشركين، يقول: فعلنا ذلك بهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم. اهـ.



قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبْرِئِينَ﴾ تبشّر بالمطر ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وهو الغيث والخصب ﴿وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكَ﴾ في البحر بتلك الرياح ﴿وَيَأْمُرَهُ﴾ ﴿وَلِتَنْفُثُوا﴾ بالتجارة في البحر ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو الرزق؛ وكلّ هذا بالرياح.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالْيَنَّتِ﴾ أي: بالدلالات على صيدهم ﴿فَانْتَفَيْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أي: عذبنا الذين كذبوهم ﴿وَكُنَّا حَقًّا عَلَيْنَا﴾ أي: واجباً هو أوجه على نفسه ﴿نَضْرُؤُا الْمُؤْمِنِينَ﴾ إنجاؤهم مع الرسل من عذاب المكذّبين.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا يَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَعْلَمُ كَيْفَ تَقَرَّى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ إِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ ﴿وَلَنْ كَاوُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْزُلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَلِيئِينَ﴾ ﴿فَانْظُرْ إِلَى مَا لَكَرَ رَحِمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُنَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفًا لَطَلَّوْا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿فَأَنَّا لَا تَشِيعُ الْمَوْتُ وَلَا تَشِيعُ الْأَعْلَى إِذَا كَانُوا مَرِيضِينَ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْمُنَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ شِيعَ إِلَّا مَنْ يُوْنُ يَأْتِينَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِيعَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفَسِّرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَمْ يَشَأُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاسِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَاسِ وَلَكِنْ كُنْتُمْ كَاثِرُونَ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش: ﴿يُرْسِلُ الرُّيحَ﴾ بغير الف.

قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي: تُزعجه ﴿يَبْسُطُهُ﴾ الله ﴿فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ إن شاء بسطه مسيرة يوم أو يومين أو أقل أو أكثر ﴿وَيَعْلَمُ كَيْفَ﴾ أي: قطعاً متفرقة. والأكثرون فتحوا سين ﴿كَيْفًا﴾؛ وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابن عامر، وأبو جعفر، وابن أبي عبله: بتسكينها؛ قال أبو علي: يمكن أن يكون مثل ميذرة ويذر، فيكون معنى القراءتين واحداً ﴿فَتَقَرَّى الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خَلِيلِهِ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية: ﴿مِنْ خَلِيلِهِ﴾؛ وقد شرحناه في [النور: ٤٣] ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ أي: بالودق؛ ومعنى ﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾ يفرحون بالمطر، ﴿وَلَنْ كَاوُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْزُلَ عَلَيْهِمْ﴾ المطر ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ وفي هذا التكرير ثلاثة أقوال: أحدها: أنه للتأكيد، كقوله: ﴿سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، قاله الأخفش في آخرين. والثاني: أن ﴿قَبْلَ﴾ الأولى للتنزيل، والثانية للمطر، قاله قطرب. قال ابن الأنباري: والمعنى: مِنْ قَبْلِ نزول المطر، مِنْ قَبْلِ المطر، وهذا مثلما يقول القائل: أتيتك من قبل أن تتكلم، من قبل أن تطمنن في مجلسك، فلا تُشكر الإعادة، لاختلاف الشيتين. والثالث: أن الهاء في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ ترجع إلى الهدى وإن لم يتقدم له ذكّر، فيكون المعنى: كانوا يفتنون من قبل نزول المطر، من قبل الهدى، فلما جاء الهدى والإسلام زال الفتون، ذكره ابن الأنباري عن أبي عمر الدوري وأبي جعفر بن قادم. والمبلسون: الآيسون. وقد سبق الكلام في هذا [الأنعام: ٤٤]. ﴿فَانْظُرْ إِلَى مَا لَكَرَ رَحِمَتِ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «إلى أثر». وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلى آثار» على الجمع. والمراد بالرحمة هاهنا: المطر، وأثرها: النبت؛ والمعنى: انظر إلى حسن تأثيره في الأرض ﴿كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ﴾ أي: كيف يجعلها تثبت بعد أن لم يكن فيها نبت. وقرأ عثمان بن عفان، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني، وسليمان التيمي: «كيف تُخَيِّ» بقاء مرفوعة مكسورة الياء «الأرض» بفتح الضاد.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ [أي: ريحاً] باردة مُضِرَّة، والريح إذا أتت على لفظ الواحد أريد بها العذاب، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول عند هبوب الريح: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها رياحاً» <sup>(١)</sup> ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفًا﴾ يعني

(١) قال الإمام النووي في «الأذكار»: وروى الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه «الأم» بإسناده عن ابن عباس ؓ قال: ما هبَّت الريح إلا جئت النبي ﷺ على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها غلباً، اللهم اجعلها رياحاً، ولا تجعلها رياحاً...». وقال الشيخ محمد بن حلان الصديقي الشافعي في كتابه «الفتوحات الربانية على الأذكار النورية» في هذا الحديث: قال الحافظ: (أي ابن حجر) بعد تخريج: هذا حديث حسن. أخرجه البيهقي في «المعرفة»، قال: وشيخ الشافعي ما عرفه، وكنت أظن ابن يحيى، لكن لم يذكره في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موق، قال الحافظ: لابن عباس حديث آخر، ثم أخرج من طريق الطبراني في كتاب «الدعاء» أيضاً عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا هاجت الريح استقبلها وجهاً على ركبتيه وقال: «اللهم اجعلها... إلخ» فذكر الحديث مثله إلى قوله: «ريحاً» وزاد: «اللهم إني أسألك من خير هذه الريح، وخير ما يُرسل به، وأعوذ بك -

النبت، والهاء عائدة إلى الأثر. قال الزجاج؛ المعنى: فرأوا النبت قد اصفرّ وجفّ ﴿لَطَلُوا مِنْ بَعْدِهِ يُكْفَرُونَ﴾ ومعناه: كَيَظَلُّنَّ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء، فهم يستبشرون بالغيث، ويكفرون إذا انقطع عنهم الغيث وجفّ النبت. وقال غيره: المراد برحمة الله: المطر. و﴿ظَلُّوا﴾ بمعنى صاروا. «من بعده» أي: من بعد اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة. وما بعد هذا مفسّر في سورة [النمل: ٨٠، ٨١] إلى قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ وقد ذكرنا الكلام فيه في [الأنفال: ٦٦]، قال المفسرون: المعنى: خلقكم من ماء ذي ضَعْف، وهو المنيّ ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ يعني ضعف الطفولة قوّة الشباب، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قوّة الشباب ضعف الكبر، وشيئة، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: من ضعف وقوّة وشباب وشيئة ﴿وَهُوَ أَلْفَيْدٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿أَلْفَيْدٌ﴾ على ما يشاء. ﴿وَبِوَيْتٍ يُقَامُ السَّاعَةُ﴾ قال الزجاج: الساعة في القرآن على معنى الساعة التي تقوم فيها القيامة، فلذلك لم تُعرف أيّ ساعة هي.

قوله تعالى: ﴿يُسَيِّرُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يَحْلِفُ المشركون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿عَبْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يَقُولُونَ﴾ قال ابن قتيبة: يقال: أفلك الرجل: إذا غُيِلَ به عن الصدق، فالمعنى أنهم قد كذّبوا في هذا الوقت كما كذّبوا في الدنيا. وقال غيره: أراد الله تعالى أن يفضحهم يوم القيامة بين المؤمنين، فحلفوا على شيء يبين للمؤمنين كذبهم فيه، ويستدلّون على كذبهم في الدنيا. ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلَهُمَ وَالْإِنْسَانُ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. والثاني: المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَاقِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن فيه تقديماً وتأخيراً، تقديره: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والإيمان بالله، قاله ابن جريج في جماعة من المفسرين. والثاني: أنه على نظمه. ثم في معناه قولان: أحدهما: لقد لبّستم في علم الله، قاله الفراء. والثاني: لقد لبّستم في خبر الكتاب، قاله ابن قتيبة. قوله تعالى: ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَاقِ﴾ أي: اليوم الذي كنتم تُنْكِرُونَهُ ﴿وَلَكِنَّا كُنْزٌ لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الدنيا أنه يكون. ﴿يَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدْرَتُهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لا تَنْفَعُ» بالثاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي. بالياء، لأن التانيث غير حقيقي. قال ابن عباس: لا يُقْبَلُ من الذين أشركوا عُذْر ولا توبة. قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ حَسَنَتْهُمْ صَايَ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتَ إِلَّا مُبْتَطَلُونَ﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿فَاسْتَبْرَأْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَسَنَتْهُمْ صَايَ﴾ أي: كعصا موسى وبده ﴿يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتَ إِلَّا مُبْتَطَلُونَ﴾ أي: ما أنتم يا محمد وأصحابك ﴿وَلَا مُبْتَطَلُونَ﴾ أي: أصحاب أباطيل، وهذا بيان لعنادهم. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون الآيات ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله؛ فالسبب في امتناع الكفار من التوحيد، الطّبع على قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبْرَأْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك وإظهارك على عدوك ﴿حَقٌّ﴾. ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ﴾ وقرأ يعقوب إلا روحاً وزيداً: ﴿يَسْتَخِفُّكَ﴾ بسكون النون. قال الزجاج: لا يستفترئك عن دينك ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾ أي: هم ضلال شاكّون. وقال غيره: لا يؤتون بالبعث والجزاء<sup>(١)</sup>. وزعم بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة.



= من شرها وما تُرسل به، قال الحافظ: أخرجه مسند في «مسند الكبير»، وفي سننه جبر بن عبد الله، وهو ضعيف، وجده عبيد الله - بالتصغير - ابن العباس، وفي نسخة من «المسند»: حسين بن قيس أبو علي المرجي، وهو ضعيف أيضاً، وقد اعتضد بالمناجعة. اهـ. والحديث في «مسند الشافعي» (٤٧) وفيه ابن أبي يحيى، وهو إبراهيم بن أبي يحيى الأسلمي الذي يروي عن العلاء بن راشد، منهم.

(١) قال ابن كثير: ﴿فَاسْتَبْرَأْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم، وجعله العاقبة لك ولعن اتباعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه، وليس فيما سواه هدى يُتَّبَع، بل الحق كله منحصر فيه. اهـ.

## سورة لقمان

وهي مكية في قول الأكثرين. وروي عن عطاء أنه قال: هي مكية سوى آيتين منها نزلنا بالمدينة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ والتي بعدها [لقمان: ٢٧، ٢٨]؛ وروي عن الحسن أنه قال: إلا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله: ﴿الَّذِينَ يُمِئُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [لقمان: ٤٤]، لأن الصلاة والزكاة مدينتان<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرِ لَهَوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ عَلَيْهِ وَيَحْتَذِهَا هُزُولاً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافٌ فَنُفِثْهُ يَعْزَابُ الْمَيْمِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ وَهُوَ الْقَزِيرُ الْكَاسِمُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِخَيْرٍ عَمَلٍ تَوَنَّى وَالْفَنِّ فِي الْأَرْضِ رَوَى أَن يُبَدِّلَ يَكْمَ رَيْتَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ نَبْعٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ إِذْ أَشْكُرَ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَلَوْ قَالَ لَقَمَنُ لِأَيُّهِمْ وَهُوَ يُعْطَاهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ وقرأ حمزة وحده: «ورحمته» بالرفع. قال الزجاج: القراءة بالنصب على الحال؛ والمعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة؛ ويجوز الرفع على إضمار «هو هدى ورحمة» وعلى معنى: «تلك هدى ورحمة». وقد سبق تفسير مفتتح هذه السورة [البقرة: ١ - ٥] إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرِ لَهَوَ الْحَدِيثِ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية مغنية<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: نزلت في شراء القيان والمغنيات<sup>(٣)</sup>. وقال ابن السائب ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان تاجراً إلى فارس، فكان يشتري أخبار الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وفي المراد بلهو الحديث أربعة أقوال: أحدها: [أنه] الغناء. كان ابن مسعود يقول: هو الغناء والذي لا إله إلا هو، يُردّها ثلاث مرات<sup>(٥)</sup>؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقناة. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: اللهو: الطبل<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنه ما ألهى عن الله، قاله الحسن، وعنه مثل القول الأول. والثالث: أنه الشُّرك، قاله الضحاك. والرابع: الباطل، قاله عطاء<sup>(٧)</sup>. وفي معنى «يشترى» قولان: أحدهما: يشتري بماله؛ وحديث النضر

(١) من المعلوم أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء، كما في «صحيح البخاري» وغيره، والزكاة فرضت بالمدينة، فلعل القائل بذلك يريد أن إيجابها مما تحقق بالمدينة، أو أنها فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت بعد الهجرة، إلا الصحيح، فكان ذلك تمام فرضيتها.

(٢) «الطبري» ٦٣/٢١ من رواية العوفي عن ابن عباس بمعناه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٥، وزاد نسيب للقرطبي، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) «الطبري» ٦٢/٢١ عن مجاهد بمعناه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٦٠/٥، وزاد نسيب لآدم، والبيهقي في «سننه» عن مجاهد.

(٤) أسباب النزول، للواحدي ١٩٧ عن الكلبي ومقاتل بدون سند.

(٥) «الطبري» ٦١/٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ١٥٩/٥ مختصراً، وزاد نسيب لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) «الطبري» ٦٣/٢١ عن مجاهد.

(٧) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كل ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه، أو رسوله، لأن الله تعالى عمّ بقوله: (لهو الحديث) ولم يخص بعضاً دون بعض، فذلك على عموم، حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك. اهـ.



يعضده. والثاني: يختار ويستحب، قاله قتادة، ومطر<sup>(١)</sup>. وإنما قيل لهذه الأشياء: لهُو الحديث، لأنها تُلهي عن ذكر الله.

قوله تعالى: «لِيُضِلَّ» المعنى: ليصير أمره إلى الضلال. وقد بيَّنَّا هذا الحرف في [الحج: ٢٩]. وقرأ أبو رزين، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وأبو جعفر: «لِيُضِلَّ» بضم الياء، والمعنى: لِيُضِلَّ غيره، وإذا أَضَلَّ غيره فقد ضَلَّ هو أيضاً.

قوله تعالى: «وَتَخَذَهَا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «وَتَخَذَهَا» برفع الذال. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بنصب الذال. قال أبو علي: من نصب عطف على «لِيُضِلَّ» «وَتَخَذَهَا» ومن رفع عطفه على «من يشتري» «وتتخذ». وفي المشار إليه بقوله: «وَتَخَذَهَا» قولان: أحدهما: أنها الآيات. والثاني: السبيل. وما بعد هذا مفسر في مواضع قد تقدَّمت [الإسراء: ٤٦، الأنعام: ٢٥، البقرة: ٢٥، الرعد: ٢، النحل: ١٥، الشعراء: ٢٧]، إلى قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْدَنَ الْحِكْمَةَ» وفيها قولان: أحدهما: الفهم والعقل، قاله الأكثرون. والثاني: النبوة. وقد اختلف في نبوته على قولين: أحدهما: أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقاتدة. والثاني: أنه كان نبياً، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي. هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف، إلا أن هذا ممَّا تفرَّد به عكرمة؛ والقول الأول أصح<sup>(٢)</sup>. وفي صناعته ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان خياطاً، قاله سعيد بن المسيب. والثاني: راعياً، قاله ابن زيد. والثالث: نجاراً، قاله خالد الربيعي. فاما صفته، فقال ابن عباس: كان عبداً حبشياً. وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان أسود من سودان مصر. وقال مجاهد: كان غليظ الشفتين مشقق القدمين، وكان قاضياً على بني إسرائيل.

قوله تعالى: «إِنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ» المعنى: وقلنا له: أن اشكر لله [على] ما أعطاك من الحكمة «وَمَنْ يَنْكُرْ فَإِنَّا نَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أي: إنما يفعل لنفسه «وَمَنْ كَفَرَ» النعمة، فإن الله لغني عن عبادة خلقه.

«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَلَلَتْ أُمُّهُ وَهَتْ عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْهِ إِلَى الصَّبَرِ» وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَمْرُوفًا وَاتَّقِ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَبَشِّرْكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾ يَتَّبِعُ إِنَّمَا لِنَافِكَ إِشْقَالٌ حَبْرٌ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُودِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَبَاسٌ خَيْرٌ ﴿٦﴾ يَتَّبِعُ أَمِيرٌ فَكَلِمَةً وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الشُّكْرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا آصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ الْأَثَرِ ﴿٧﴾

قوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ» قال مقاتل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا ذلك في [المنكوت: ٨].

قوله تعالى: «حَلَلَتْ أُمُّهُ وَهَتْ عَلَى وَهْنٍ» وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وَهَتْ عَلَى وَهْنٍ» بفتح الهاء فيهما. قال الزجاج: أي: ضغفاً على ضعف. والمعنى: لزمها بحملها إياه أن تضعف مرةً بعد مرة. وموضع «أن» نصب به «وصينا»؛ المعنى: ووصينا الإنسان أن أشكر لي ولوالديك، أي: وصينا به بشكرنا وشكر والديه.

قوله تعالى: «وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ» أي: فطامه يقع في انقضاء عامين. وقرأ إبراهيم النخعي، وأبو عمران، والأعمش: «وَفَصَّلَهُ» بفتح الفاء. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرف، وعاصم

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال: معناه: الشراء الذي هو بالثمن، وذلك أن ذلك هو أظهر معنيته، قال: فإن قال قائل: وكيف يشتري لهو الحديث؟ قيل: يشتري ذات لهو الحديث، أو ذا لهو الحديث، فيكون مشترياً لهو الحديث. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: اختلف السلف في لقمان، هل كان نبياً، أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين، الأكثرون على الثاني (يعني أنه لم يكن نبياً) ثم ذكر بعض الآثار، منها ما هو مصرح فيه بنفي كونه نبياً، ومنها ما هو مشعر بذلك، وفي بعضها ما يشعر أنه كان عبداً قد مسَّه الرق، فقال: وكونه عبداً قد مسَّه الرق يتنافي كونه نبياً، لأن الرسل كانت تبث في أحساب قومها، قال: ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبياً، قال: وإنما ينقل كونه نبياً عن عكرمة إن صح السند إليه، قال: فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً، قال: وجابر هذا، هو ابن يزيد الجمعي، وهو ضعيف، والله أعلم. ثم قال ابن كثير: والذي رواه سعيد بن أبي هريرة عن قتادة في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْدَنَ الْحِكْمَةَ» أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبياً، ولم يوح إليه. اهـ، فهذا يدل على أنه كان عبداً صالحاً، ولم يكن نبياً.



الجحدري، وقناة؛ «وَقَضَلُهُ» بفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف. والمراد: التنبيه على مشقة الولادة بالرضاع بعد الحمل.

قوله تعالى: ﴿وَرَيْنَ جَهْدَكَ﴾ قد فسرنا ذلك في سورة [المنكوت: ٨] إلى قوله: ﴿وَصَاحِبَتُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ قال الزجاج: أي: مُصَاحِبًا معروفًا، تقول صاحبه مُصَاحِبًا وَمُصَاحِبَةً؛ والمعروف: ما يُستحسن من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِّنْ أَنْبَاءِ الْإِنِّ﴾ أي: مَنْ رَجَعَ إِلَيَّ؛ وأهل التفسير يقولون: هذه الآية نزلت في سعد، وهو المخاطب بها. وفي المراد بمن أناب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصديق، قيل لسعد: اتَّبِعْ سَبِيلَهُ فِي الْإِيمَانِ، هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء<sup>(١)</sup>. وقال ابن إسحاق: أسلم على يدي أبي بكر [الصديق]: عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله ابن السائب. والثالث: مَنْ سلك طريق محمد وأصحابه، ذكره الثعلبي<sup>(٢)</sup>. ثم رجع إلى الخبر عن لقمان فقال: ﴿يَتَّبِعْ﴾. وقال ابن جرير: وجه اعتراض هذه الآيات بين الخيرين عن وصية لقمان أن هذا ممَّا أوصى به لقمان ابنه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وقرأ نافع وحده: «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» برفع اللام. وفي سبب قول لقمان لابنه هذا قولان: أحدهما: أن ابن لقمان قال لأبيه: أرايت لو كانت حبة في قعر البحر أكان الله يعلمها؟ فأجابه بهذه الآية، قاله السدي. والثاني: أنه قال: يا أبت إن عملك الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فأجابه بهذا، قاله مقاتل. قال الزجاج: من قرأ برفع الميثقال مع تأنيث «تَكُ» فلا تُلْ «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» من خردل» راجع إلى معنى: خردلة، فهي بمنزلة: إِنْ تَكُ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ؛ ومن قرأ: «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» فعلى معنى: إِنْ تَكُ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ «مِثْقَالُ حَبَّةٍ» وعلى معنى: إِنْ قَعَلَهُ الْإِنْسَانُ وَإِنْ صَغُرَتْ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ. وقد يثبت معنى «مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» في [الأنبياء: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ قال قتادة: في جبل. وقال السدي: هي الصخرة التي تحت الأرض السابعة، ليست في السموات ولا في الأرض<sup>(٣)</sup>. وفي قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: يعلمها الله، قاله أبو مالك. والثاني: يُظهرها، قاله ابن قتيبة. والثالث: يأت بها الله في الآخرة للجزاء عليها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ قال الزجاج: لطيف باستخراجها «خَيْرٌ» بمكانها. وهذا مثل لأعمال العباد. والمراد أن الله تعالى يأتي بأعمالهم يوم القيامة، مَنْ يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

قوله تعالى: ﴿وَأَسِرَّ عَنْ مَّا آصَابَكَ﴾ أي: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأذى. وبإقاي الآية مفسر في [آل عمران: ١٨٦].

﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنْ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾ وَأَقْبِذْ فِي شَيْكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمُيَسِّرِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَيِّرْ خَذَكَ لِلنَّاسِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: «تُصَيِّرُ» بتشديد العين من غير ألف. وقرأ نافع، [وأبو عمرو]، وحمزة، والكسائي: بألف من غير تشديد. قال الفراء: هما لغتان، ومغناهما: الإعراض عن الكبر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وابن السمين، وعاصم الجحدري: «وَلَا تُصَيِّرُ» بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف. وقال الزجاج: معناه: لا تُعْرِضْ عن الناس تكبراً؛ يقال: أصاب البعير صَعَرَ: إذا أصابه داء يَلْوِي منه عُثْفُهُ. وقال ابن عباس: هو الذي إذا سُلِمَ عليه لوى عُثْفُهُ كالمستكبر. وقال

(١) ذكره الواحدي في (أسباب النزول) ١٨٩.

(٢) قال الألوسي في (روح المعاني): والظاهر هو الميم. وقال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِّنْ أَنْبَاءِ الْإِنِّ﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ أنها صخرة تحت الأرضين السبع، قال: وذكره السدي بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك، ويروى هذا عن عطية الموفى وأبي مالك والثوري واليهال بن عمرو، وغيرهم، وهذا - والله أعلم - كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تعلّق ولا تكذب، والظاهر - والله أعلم - أن المراد أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيديها ويظهرها بلطف علمه. اهـ.

أبو العالية: ليكن الغني والفقير عندك في العلم سواء. وقال مجاهد: هو الرجل يكون بينه وبين أخيه الجنة<sup>(١)</sup>، فيراه فيعرض عنه. وباقى الآية مفسر في [بني إسرائيل: ٣٧] وبعضه في سورة [النساء: ٣٦].  
قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَتِّكَ﴾ أي: ليكن مشيك قصداً، لا تخيلاً ولا إسراعاً. قال عطاء: امش بالوقار والسكينة.

قوله تعالى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: انقص منه. قال الزجاج: ومنه قولهم: غضضت بصري، وفلان يغض من فلان، أي: يقصر به. ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ قرأ أبو المتوكل، وابن أبي عبيدة: «أَنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ» بفتح الهمزة. ومعنى «أنكر»: أقبح؛ نقول: أتاناً فلان بوجه منكراً، أي: قبيح. وقال المبرد: تأويله: أن الجهر بالصوت ليس بمحمود، وأنه داخل في باب الصوت المنكر. وقال ابن قتيبة: عَرَفَهُ فُتِحَ رَفْعُ الْأَصْوَاتِ فِي الْمَخَاطَبَةِ وَالْمُلَاحَاةِ<sup>(٢)</sup> بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية. قال ابن زيد: لو كان رفع الصوت خيراً، ما جعله الله للحمير. وقال سفيان الثوري: صياح كل شيء تسبيح لله ﷻ، إلا الحمار، فإنه ينهق بلا فائدة. فإن قيل: كيف قال: «لَصَوْتُ» ولم يقل: «لأصوات الحمير»؟ فالجواب: أن لكل جنس صوتاً، فكانه قال: إن أنكر أصوات الأجناس صوت هذا الجنس.  
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجِدُ فِي اللَّهِ مَغْيِرَ طَيْرٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّا قَدِ افْتَرَيْنَا مَا أَزَلَّ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ أَنَّا نَدْعُو مَا نَشَاءُ رَبَّنَا عَلَيمٌ أَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: أوسع وأكمل ﴿نِعَمَهُ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «نِعْمَتُهُ»، أرادوا جميع ما أنعم به. وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «نِعْمَتُهُ» على التوحيد. قال الزجاج: هو ما أعطاهم من توحيدهم. وروى الضحاك عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «أما ما ظهر: فالإسلام، وما سوى الله من خلقك، وما أفضل عليك من الرزق. وأما ما بطن: فستر مساوي عملك، ولم يفضحك»<sup>(٣)</sup>. وقال الضحاك: الباطنة: المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَوَّلُ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ هو متروك الجواب، تقديره: أفشّبونه؟

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہُ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾ نَعْتُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٤٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْمَلَأْتُ اللَّهَ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْكَلِيمُ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وقتادة: «وَمَنْ يُسَلِّم» بفتح السين وتشديد اللام. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُہُ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح، لأنه تسلية عن الحزن، وذلك لا يتنافى الأمر بالقتال. وما بعد هذا قد تقدم تفسير ألفاظه في مواضع [هود: ٤٨، النجوت: ٦١، البقرة: ٢٦٧] إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: أرايت قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أُرِيتُمْ مِنْ إِلَهِ إِلَّا كَلِيلًا﴾ [الاسراء: ٨٥]، إيانا يريد، أم قومك؟ فقال: «كَلَّا»،

(١) قال في «تاج العروس»: «أجن»: الجنة بالكسر لغة في الإجنة، وقد أنكرها الأصمعي والفراء وابن الفرج، وفي «الصالح»: ولا تقل: جنة، قال الزبيدي: قلت: والحق أنها لغة قليلة. اهـ. والإجنة: الحقد.

(٢) الملاحاة: المخاصمة والمنازعة.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٦٧/٥ من رواية البيهقي في «شعب الإيمان» عن عطاء عن ابن عباس بمعناه، ومن رواية ابن مردويه، والبيهقي، والدلمي، وابن النجار عن ابن عباس، والله أعلم. وذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس من قوله، أنه قرأها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ وفسرها بالإسلام، وذكر البغوي والخازن نحو هذا المعنى موقفاً على ابن عباس. وقال الآلوسي في «روح المعاني» بعد أن ذكر هذين الحديثين مرفوعين: فإن صح ما ذكر، غير جازم بهما، والله أعلم.

فقالوا: ألسنت تلتو فيما جاءك أننا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال: «إنها في علم الله قليل»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المشركين قالوا في القرآن: إنما هو كلام [يوشك أن] ينفذ وينقطع، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: لو كانت شجر الأرض أقلاماً، وكان البحر ومعه سبعة أبحر مِداداً - وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله - لتكسرت الأقلام ونفذت البحور، ولم تنفذ كلمات الله، أي: لم تنقطع<sup>(٣)</sup>. فاما قوله: «وَالْبَحْرُ» فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «وَالْبَحْرُ» بالرفع، ونصبه أبو عمرو. وقال الزجاج: من قرأ: «وَالْبَحْرُ» بالنصب، فهو عطف على «ما»؛ المعنى: ولو أن ما في الأرض، ولو أن البحر؛ والرفع حسن على معنى: والبحر هذه حاله. قال البيهقي: ومعنى «يَمْدُدُ مِنْ بَعْدِهِ»: يزيد فيه؛ يقال: مَدَّ قِذْرَكَ، أي: زِدْ في ماها، وكذلك قال ابن قتيبة: «يَمْدُدُ» من المِداد، لا من الإمداد، يقال: مَدَدْتُ دَوَاتِي بِالْمِدادِ، وأمددته بالمال والرجال.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْتَيْنَ وَجَدُّوَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٦١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ إِلَى يَمِينِهِ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦٤﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ خُلُوصًا لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَخْشَوْنَ إِلَّا النَّارَ فَنَسَوْهُمْ مَقْنَصَةً وَمَا يَحْصُرُهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ إِلَّا كُلٌّ خَسَارٌ كَغَوَّارٍ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْثُبُكُمْ إِلَّا كَفْتَيْنَ وَجَدُّوَ﴾ سبب نزولها أن أبي بن خلف في آخرين من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقه، مضغة، عظاماً، لحماً، ثم تزعم أننا بُعِثَ خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة؟! فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup> ومعناها: ما خلقكم أيها الناس جميعاً في القدرة إلا كخلق نفس واحدة، ولا يَعْثُبُكُمْ جميعاً في القدرة إلا كبعث نفس واحدة، قاله مقاتل. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره (ال عمران: ٢٧، الرعد: ٢، الحج: ٦٢) إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَرِفُ إِلَى يَمِينِهِ﴾ قال ابن عباس: من ينعمه جريان الفلك ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: لِيُرِيَكُمْ من صنعته عجائبه في البحر، وابتغاء الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ قال مقاتل: أي: لكل صبور على أمر الله ﴿شَكُورٍ﴾ في نعمه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ يعني الكفار؛ وقال بعضهم: هو عام في الكفار والمسلمين ﴿مَوَجٌ كَاطِلٌ﴾ قال ابن قتيبة: وهي جمع ظُلة، يراد أن بعضه فوق بعض، فله سوادٌ من كثرته.

(١) «الطبري» ٨١/٢١ وفي سنده رجل مجهول، وذكره ابن كثير من رواية ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد، شيخ لعبد الرزاق، مجهول، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال ابن كثير: وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية، لا مكية، والمشهور أنها مكية، والله أعلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ١٦٧/٥، وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(٢) «الطبري» ٨١/٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٨/٥ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وأبي نصر السجزي في «الإبانة» عن قتادة.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن عظمت وكبرياته وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحسانها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرُ يَدْفَعُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آبْحَرٍ مَا يَفِدْتُ كُنْتُ أَفْقَرُ﴾ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً، وجعل البحر مِداداً، وأمد سبعة أبحر معه فكتب بها كلمات الله الدالة على عظمت وصفاته وجلاله، لتكسرت الأقلام ونفذ ماء البحر ولو جاء أمثالها مِداداً، قال: وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة، ولم يرد الحصر، ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطاً بالعالم كما يقوله من تلقاء من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَقَدْ أَفْقَرْتُ لَوْلَا أَنْ تَنَدَّ كُنْتُ رَبِّي وَلَوْ بَشًا يَنْتَلُو مَدًا﴾، فليس المراد بقوله: «بمثله» آخر فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله جراً، لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته. اهـ.

(٤) قال الألوسي في «روح المعاني» ٩١/٢١: وعن مقاتل أن كفار قريش قالوا: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، علقه، مضغة، لحماً، فكيف يبعثنا خلقاً جديداً في ساعة واحدة؟! فنزلت، قال: وذكر النقاش أنها نزلت في أبي بن خلف، وأبي الأسود، ونبيه ومنه ابني الحجاج، وذكر في سبب نزولها فيهم نحو ما ذكر، ثم قال الألوسي: وعلى كون سبب النزول ذلك قيل: المعنى أنه تعالى سمع بقولهم ذلك، بصير بما يضررونه، وهو كما ترى. اهـ. وذكر مثل هذا القول الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل، والله أعلم.



قوله تعالى: ﴿وَدَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْاٰیٰتِ﴾ وقد سبق شرح هذا [يونس: ٢٢] والمعنى أنهم لا يذكرون أصنامهم في شداقدهم إنما يذكرون الله وحده. وجاء في الحديث أن عكرمة بن أبي جهل لما هرب يوم الفتح من رسول الله ﷺ ركب البحر فأصابتهم ريح عاصف، فقال أهل السفينة: أغلصوا، فإن أكلتكم لا تُغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: ما هذا الذي تقولون؟ فقالوا: هذا مكان لا ينفع فيه إلا الله، فقال: هذا إله محمد الذي كان يدعونإ إليه، لكن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، ارجعوا بنا، فرجع فأسلم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مؤمن، قاله الحسن. والثاني: مقتصد في قوله، وهو كافر، قاله مجاهد. يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه وإن كان مضميراً للشرك. والثالث: أنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد، قاله مقاتل. فأما «الخَنَار» فقال الحسن: هو الغدّار. قال ابن قتيبة: الخَنَر: أقيج الغدر وأشدّه.

﴿يَكَايِلُ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ رِيكًا وَلَخَسُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْتَرِكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَمُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُودُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرَكَّبُ عَلَیْهَا الْأَرْحَامُ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَايِلُ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ رِيكًا﴾ قال المفسرون: هذا خطاب لكفار مكة. وقوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ أي: لا يقضي عنه شيئاً من جنايته ومظالمه. قال مقاتل: وهذا يعني به الكفار. وقد شرحنا هذا في [البقرة: ٤٨]. قال الزجاج: وقوله: ﴿هُوَ جَارٍ﴾ جاءت في المصاحف بغير ياء، والأصل «جاري» بضممة وتثوين. وذكر سيويه والخليل أن الاختيار في الوقف هو «جاري» بغير ياء، هكذا وقف الفصحاء من العرب ليعلموا أن هذه الباء تسقط في الوصل. وزعم يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقف بياء، ولكن الاختيار أتباع المصحف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: بالبعث والجزاء. ﴿فَلَا تَعْتَرِكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ بزيئتها عن الإسلام والتزود للآخرة ﴿وَلَا يَمُرُّكُمْ بِاللَّهِ﴾ أي: بحلمه وإمهاله ﴿الْعُرُودُ﴾ يعني: الشيطان، وهو الذي من شأنه أن يغرّر. قال الزجاج: «الْعُرُود» على وزن القُعود، وقُعود من أسماء المبالغة، يقال: فلان أكُول: إذا كان كثير الأكل، وضُروب: إذا كان كبير الضُرب، فقليل للشيطان: غرور، لأنه يغرّر كثيراً. وقال ابن قتيبة: العُرور بفتح الغين: الشيطان، ويضمها: الباطل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل البادية جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا مُجْدِب، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: «إن الله ﷻ عنده علم الساعة» متى تقوم، لا يعلم سواه ذلك ﴿يُنْزَلُ الْغَيْثُ﴾ وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر: «وَيُنْزَلُ» بالتشديد، فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، أليلاً أم نهاراً ﴿وَيَمُتُّ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ لا يعلم سواه ما فيها، أذكراً أم أنثى، أبيض أم أسود ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ أخيراً أم شراً ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأي مكان<sup>(٣)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبى بن كعب، وابن أبي عتبة: «بأيّة أرض» بشاء

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة عكرمة: وقد أخرج قصة مجيء موصولة، الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: .... فذكرها. اهـ.

(٢) «الطبري» ٨٧/٢١، وأورده السيوطي في «الدرة» ١٦٩/٥، وزاد نسبه للقرطبي، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ١٩٩ بدون سند، وكذلك البغوي في «التفسير» وغيره.

(٣) قال ابن كثير: هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها، فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب ﴿لَا يَكُنْ لَكُمْ رِشْوَةٌ﴾ ولا مَرٌّ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقته تعالى سواء، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى، أو شقياً أو سعيداً، علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غداً في دنياها وآخرها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ في بلد أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، قال: وهذه شبيهة بقوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ سَفَائِغَ الْغَيْبِ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية. ثم قال: وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب، قال: فروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ﴾





## سورة السجدة

وتسمى سورة المضاجع، وهي مكية بإجماعهم

وقال الكلبي: فيها من المدني ثلاث آيات، أولها قوله: ﴿أَتَمَنَّا كَانَ مُؤْمِنًا...﴾ [السجدة: ١٨] وقال مقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ الآية [السجدة: ١٦]. وقال غيرهما: فيها خمس آيات مدنيات، أولها ﴿نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ...﴾ [السجدة: ١٦].<sup>(١)</sup>

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ ٢ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِثَ بِهِ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَارَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ ٣ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٤ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ إِلَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥﴾

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال مقاتل: المعنى: لا شك فيه أنه تنزيل ﴿مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون، يعني المشركين ﴿أَفَنُفِثَ بِهِ﴾ محمد من تلقاء نفسه، ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِشِدَارَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ ٣ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني العرب الذين أدركوا رسول الله ﷺ لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ. وما بعده قد سبق تفسيره [الأعراف: ٥٤] إلى قوله: ﴿مَّا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يعني الكفار؛ يقول: ليس لكم من دون عذابه من ولي، أي: قريب يمنعكم فيرد عذابه عنكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم ﴿إِلَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنوا.

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ٦ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَبِيبِ ٧ وَاللَّهُدَى الْغَرِيبِ ٨ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ٩ ثُمَّ جَعَلَ لَكُلٍّ مِنْ شَلَلَةٍ مِنْ نَسْلٍ مِنْ تَأْوِيلِهِ ١٠ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ في معنى الآية قولان: أحدهما: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ الملك ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة آدمي. والثاني: يذير أمر الدنيا مدة أيام الدنيا، فينزّل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وذلك في [يوم] القيامة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كآلف سنة. وقال مجاهد: يقضي أمر ألف سنة في يوم واحد، ثم يلقيه إلى الملائكة، فإذا مضت قضى لآلف سنة أخرى، ثم كذلك أبداً. وللمفسرين في المراد بالأمر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوحي، قاله السدي. والثاني: القضاء، قاله مقاتل. والثالث: أمر الدنيا. و«يعرج» بمعنى يصعد. قال الزجاج: يقال: عَرَجْتُ فِي السَّلْمِ أَعْرُجُ، وَعَرَجَ الرَّجُلُ يَعْرُجُ: إذا صار أعرج. وقرأ معاذ القارئ، وابن السميع، وابن أبي عبيدة: «ثُمَّ يُعْرَجُ إِلَيْهِ» بياء مرفوعة وفتح الراء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يُعْرَجُ» بياء مفتوحة وكسر الراء. وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «ثُمَّ تُعْرَجُ» بياء مفتوحة ورفع الراء.

(١) روى البخاري في «صحيحه» في كتاب الجمعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الذِّكْرُ ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [السجدة: ١] وقيل أنه قلّ الإنسي، ورواه مسلم أيضاً.

(٢) قال في «المصباح»: عرج في شيء عرجاً من باب تعب: إذا كان من علة لازمة، فهو أعرج، والأنثى عرجاء، فإن كان من علة غير لازمة، بل من شيء أصابه حتى غمز في شيء، قيل: عَرَجَ يَعْرجُ، من باب قتل، فهو عارج.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: جعله حسناً. والثاني: أحكم كل شيء، روى عن ابن عباس، وبالأول قال قتادة، وبالثاني: قال مجاهد. والثالث: أحسنه، لم يتعلمه من أحد، كما يقال: فلان يُحسِن كذا: إذا علمه، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: أن المعنى: ألهم خلقه كل ما يحتاجون إليه، كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم، قاله الفراء. والخامس: أحسن إلى كل شيء خلقه، حكاه الماوردي. وفي قوله: «خلقته» قراءة ثان: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «خلقته» ساكنة اللام. وقرأ الباقون بتحريك اللام. وقال الزجاج: فتحها على الفعل الماضي، وتسكينها على البدل، فيكون المعنى: أحسن خلق كل شيء خلقه. وقال أبو عبيدة: المعنى: أحسن خلق كل شيء، والعرب تفعل مثل هذا، يقدمون ويؤخرون.

قوله تعالى: ﴿وَبِئَاءَ خَلْقِ الْإِنسَانِ﴾ يعني آدم، ﴿فَرَجَعَكَ نَسْلَهُ﴾ أي: ذريته وولده؛ وقد سبق شرح الآية [المؤمنون: ١٢]. ثم رجع إلى آدم فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وقد سبق بيان ذلك [الحجر: ٢٩]. ثم عاد إلى ذريته فقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَنْصَارَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أي: بعد كونكم نطفاً.

﴿وَقَالُوا أَوَآءَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ لَوْ أَنَّا لَنَبِي خَلَقِي جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿قُلْ يَوَفَّيْكُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني منكري البعث ﴿أَوَآءَا صَلَّلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين، وجعفر بن محمد، وأبو رجا، وأبو مجلز، وحמיד، وطلحة: «صَلَّلْنَا» بضاد معجمة مفتوحة وكسر اللام الأولى. قال الفراء: صَلَّلْنَا وَضَلَّلْنَا لغتان، والمعنى: إذا صارت عظامنا ولحومنا تراباً كالأرض؛ تقول: ضَلَّ الماء في اللَّيْن، وضل الشيء في الشيء: إذا أخفاه وغلب عليه. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو حيوة، وابن أبي عبله: «صَلَّلْنَا» [بضم] الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى وكسرها. وقرأ الحسن، وقتادة، ومعاذ القارئ: «صَلَّلْنَا» بضاد غير معجمة مفتوحة، وذكر لها الزجاج معنيين: أحدهما: أَثْنَأُ وَتَغَيَّرْنَا وَتَغَيَّرَتْ صُورُنَا؛ يقال: ضَلَّ اللحم وأصل: إذا اتن وتغير. والثاني: صِرْنَا من جنس الصَّلَّة، وهي الأرض اليابسة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا لَنَبِي خَلَقِي جَدِيدٍ﴾!؟ هذا استفهام إنكار. قوله تعالى: ﴿الَّذِي وَلَّىٰ كُلَّ يَوْمٍ يَكْفُ الْأَرْضَ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يوم الجزاء. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ أي: مطأطئوها حياةً وندماً، ﴿رَبَّنَا﴾ فيه إضمار «يقولون ربنا» ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: عَلِمْنَا صِحَّةَ مَا كُنَّا بِهِ مَكْذِبِينَ «فَانْجِعْنَا» إلى الدنيا؛ وجواب «لو» متروك، تقديره: لو رأيت حالهم لرأيت ما يُعتبر به، ولشاهدت العَجَب.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فَذَرُونَا يَمَّا نَبِيئُهُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذَرُونَا عَذَابَ الْخُلْدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي: وجب وسبق؛ والقول هو قوله لإبليس ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنِّي وَمَنْ يَمَكُّ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ [ص: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من كفار الفريقين. ﴿فَذَرُونَا يَمَّا نَبِيئُهُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ قال مقاتل: إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة: فذوقوا العذاب. وقال غيره: إذا اضطربوا فيها قيل لهم: ذوقوا بما نسيتم، أي: بما تركتم العمل لقاء يومكم هذا، ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ أي: تركناكم من الرحمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: سقطوا على وجوههم ساجدين. وقيل: المعنى: إنما يؤمن بفرائضنا من الصلوات الخمس الذين إذا ذُكِّرُوا بها بالأذان والإقامة خَرُّوا سُجَّدًا.

قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ اختلفوا فيمن نزلت وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم على أربعة أقوال: أخذها: أنها نزلت في المتهجدين بالليل؛ روى معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ في قوله: «تتجافى جنوبهم» قال: «قيام العبد من الليل»<sup>(١)</sup>. وفي لفظ آخر أنه قال لمعاذ: «إن شئت أنبأتك بأبواب الخير»، قال: قلت: أجل يا رسول الله، قال: «الصَّومُ جُئَةٌ، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله»، ثم قرأ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾<sup>(٢)</sup>. وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة، وابن زيد أنها في قيام الليل. وقد روى العوفي عن ابن عباس قال: تتجافى جنوبهم لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكرون الله ﷻ. والثاني: أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يصلُّون ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثالث: أنها نزلت في صلاة العشاء [كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتى يصلُّوها، قاله ابن عباس. والرابع: أنها صلاة العشاء] والصبح في جماعة، قاله أبو الدرداء، والضحاك. ومعنى «تتجافى»: ترتفع. والمضاجع جمع مضجع، وهو الموضع الذي يضطجع عليه. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه ﴿وَلَمَعًا﴾ في رحمته [وثوابه] ﴿وَمِمَّا زَكَّاهُمْ يَفُوقُونَ﴾ في الواجب والتطوع. ﴿فَلَا تَمَلَّمْ فَسَّ تَأْخُفِي لَهُمْ﴾ وأسكن ياء «أخفي» حمزة، ويعقوب. قال الزجاج: في هذا دليل على أن المراد بالآية التي قبلها: الصلاة في جوف الليل، لأنه عمل يستسرُّ الإنسان به، فجعل لفظ ما يُجَازَى به «أخفي» لهم، فإذا فتحت ياء «أخفي»، فعلى تأويل الفعل الماضي، وإذا أسكتها، فالمعنى: ما أخفي أنا لهم، إخبار عن الله تعالى؛ وكذلك قال الحسن البصري: أخفي لهم، بالخفية خفية، وبالعلائية علانية. وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أقرؤوا إن شئتم» ﴿فَلَا تَمَلَّمْ فَسَّ تَأْخُفِي لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مِنْ فِرَّةٍ أَعْيَنَ﴾ وقرأ أبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو عبد الرحمن السلمي، والشعبي، وقتادة: «من فُرَاتٍ أَعْيَنَ» [بالف] على الجمع.

(١) رواه أحمد في «المسند» ٢٢٢/٥ من حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل ﷺ، وفي سننه ضعف. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: رواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسله بقيتاً. وكذلك رواه الطبري ١٠٣/٢١، وأورده السيوطي في «الدر» ١٧٥/٥ وزاد فيه لابن مردويه عن معاذ ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣١: رواه أحمد، وابن أبي شيبه، وإسحاق، والحاكم من رواية أبي وائل عن معاذ في أثناء حديث مرفوع قال: «وصلاة الرجل في جوف الليل» ثم قرأ «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ». اهـ. يريد به الرواية التي بعد هذه، وأبو وائل لم يثبت سماعه من معاذ.

(٢) هو جزء من حديث طويل، رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» ٤١٣/٢ من حديث حبيب بن أبي ثابت والحكم بن عتيبة، عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم»: وميمون بن أبي شبيب لم يسمع من معاذ. والحديث رواه الطبري ١٠٢/٢١ مختصراً كما ساقه المؤلف عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ، ورواه مطولاً بنحو رواية الحاكم أحمد في «المسند» ٢٣١/٥، والترمذي في «جامعه» ٨٦/٢، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٩٧٣) من رواية معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث هو الحديث التاسع والعشرون من «الأربعين النووية» وقد قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث في كتابه «جامع العلوم والحكم»: وفيما قاله الترمذي رحمه الله نظر من وجيهين، أحدهما: أنه لم يثبت سماع أبي وائل من معاذ وإن كان قد أدركه بالسُّرِّ، والثاني: أنه قد رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ، خرجه الإمام أحمد مختصراً - يريد به الحديث الذي قبل هذا - ثم قال: قال الدارقطني: وهو أشبه بالصواب، لأن الحديث معروف من رواية شهر على اختلاف عليه فيه، قلت - أي الحافظ ابن رجب الحنبلي -: رواية شهر عن معاذ مرسله بقيتاً، وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه، قال: وقد خرجه الإمام أحمد من رواية شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، وخرجه الإمام أحمد أيضاً من رواية عروة بن الزُّهَّال أو الزُّهَّال بن عروة، وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمع عروة ولا ميمون من معاذ، قال: وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة، والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ١٧٥/٥ وزاد نسيته لابن نصر في كتاب الصلاة، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ بن جبل ﷺ. اهـ. ولیمض فقرات الحديث شواهد، والله أعلم.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٩٦/٨، ومسلم في «صحيحه» ٢١٧٤/٤، ورواه الترمذي ١٥١/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠٥/٢١، وذكره السيوطي في «الدر» ١٧٦/٥ وزاد نسيته، لابن أبي شيبه، وأحمد وهناد كلاهما في «الزهدة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن الأباري عن أبي هريرة ﷺ.



﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَايِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١) أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَعْتَكِبُونَ (٣) وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَقِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَأَعْلَمَهُم بِرَحْمَتِ رَبِّهِمْ (٤) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِبُونَ (٥)

قوله تعالى: ﴿أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَايِقًا﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الوليد بن عتبة بن أبي مُعيط قال لعلي بن أبي طالب: أنا أحدُ منك سنناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت هذه الآية (١)، فعنى بالمؤمن علياً، وبالفاسق الوليد، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومقاتل. والثاني: أنها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل، قاله شريك.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لا يستوي المؤمنون والكافرون (٢)؛ ويجوز أن يكون لاثنتين، لأن معنى الاثنتين جماعة؛ وقد شهد الله بهذا الكلام لعلي عليه السلام بالإيمان وأنه في الجنة، لقوله: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾. وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف: «جنة المأوى» على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ وقرأ الحسن، والنخعي، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «نُزُلًا» بتسكين الزاي. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الحج: ٢٢] إلى قوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَقِّ﴾ وفيه ستة أقوال: أحدها: أنه ما أصابهم يوم بدر، رواه مسروق عن ابن مسعود، وبه قال قتادة، والسدي. والثاني: سنون أخذوا بها، روه أبو عبيدة عن ابن مسعود، وبه قال النخعي. وقال مقاتل: أخذوا بالجوع سبع سنين. والثالث: مصائب الدنيا، قاله أبي بن كعب، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة، وأبو العالية، والحسن، وقاتدة، والضحاك. والرابع: الحدود، رواه عكرمة عن ابن عباس. والخامس: عذاب القبر، قاله البراء. والسادس: القتل والجوع، قاله مجاهد (٣).

قوله تعالى: ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ أي: قُبِلَ العذاب الأكبر؛ وفيه قولان: أحدهما: أنه عذاب يوم القيامة، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه القتل بيدر، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَأَعْلَمَهُم بِرَحْمَتِ رَبِّهِمْ﴾ قال أبو العالية: لعلمهم يتوبون. وقال ابن مسعود: لعلَّ مَنْ بقي منهم يتوب. وقال مقاتل: لكي يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد فسرناه في [الكهف: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِبُونَ﴾ قال زيد بن ربيع (٤): هم أصحاب القدر. وقال مقاتل: هم كفار مكة انتقم الله منهم بالقتل بيدر، وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ (١٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَدُورُ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (١٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُفَصِّلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَمَّا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٠، عن ابن عباس عليه السلام، وفي سنده ضعف. وقال السيوطي في «أسباب النزول» ١٧٤: وأخرج ابن عدي، والخطيب في «تاريخه» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثله، وذكره ابن جرير الطبري في «التفسير» ١٠٧/٢١ عن عطاء بن يسار بمثله، وفي سنده جهالة. وذكره السيوطي عن عطاء بن يسار، وزاد نسبة لابن إسحاق. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣١ بعد أن أخرجه من رواية ابن مردويه والواحدي عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس: وله طريق أخرى عند ابن مردويه من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. اهـ.

(٢) وكذلك قال أكثر المفسرين.

(٣) قال ابن جرير الطبري ١١٠/٢١: وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء، أصابهم، إما شدة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخص الله تعالى ذكره إذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا، بالقتل، والجوع، والشدة، والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَقِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى: مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما وما يخل بأهلها مما يتبلى الله به عباده ليتوبوا إليه. اهـ.

(٤) كذا الأصل، والذي في «الطبري»، و«البحر»: «يزيد بن ربيع».

أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ الْفُتُورِ يَشْتُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَخَرَجُوا مِنْهَا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ وَتَقُولُوكَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيصْنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ سَتَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿فَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: فلا تكون في مرية من لقاء موسى ربّه، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: من لقاء موسى ليلة الإسراء، قاله أبو العالية، ومجاهد، وقتادة، وابن السائب. والثالث: فلا تكن في شك من لقاء الأذى كما لقي موسى، قاله الحسن. والرابع: لا تكن في مرية من تلقّي موسى كتاب الله بالرضى والقبول، قاله السدي. قال الزجاج: وقد قيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب، فتكون الهاء للكتاب. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: من لقاء موسى الكتاب، فأضيف المصدر إلى ضمير الكتاب، وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به، وتنبية على الأخذ بمثل هذا الفعل. وفي قوله: ﴿وَعَمَلْنَاهُ هَٰذَا﴾ قولان: أحدهما: الكتاب، قاله الحسن. والثاني: موسى، قاله قتادة. ﴿وَعَمَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَيِّمَةً﴾ أي: قادة في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون الناس إلى طاعة الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ [قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم. وقرأ حمزة، والكسائي: ﴿لَمَّا بكسر اللام خفيفة. وقرأ ابن مسعود: ﴿بِمَا﴾ بياء مكان اللام؛ والمراد: صبرهم] على دينهم وأذى عدوهم ﴿وَكُنَّا نُرَآهُمْ يَخِيزُونَا بِوَعْدِهِمْ﴾ أنها من الله ﷻ، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء. والثاني: أنهم قوم صالحون سوى الأنبياء. وفي هذا تنبيه لقريش أنكم إن أطعتم جعلت منكم أئمة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ويحكم؛ وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء وأممهم. والثاني: المؤمنون والمشركون. ثم خوّف كفار مكة بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿نَهْدِ﴾ بالنون. وقد سبق تفسيره في [طه: ١٢٨]. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني المطر والسييل ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ وهي التي لا تئبت - وقد ذكرناها في أول [الكهف: ٨] - فإذا جاء الماء أنبت فيها ما يأكل الناس والأنعام. ﴿وَتَقُولُوكَ﴾ يعني كفار مكة ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه ما فتح يوم بدر؛ روى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: يوم بدر فتح للنبي ﷺ، فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم بعد الموت. والثاني: أنه يوم القيامة، وهو يوم الحكم بالثواب والعقاب، قاله مجاهد. والثالث: أنه اليوم الذي يأتيهم فيه العذاب في الدنيا؛ قاله السدي. والرابع: فتح مكة، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة<sup>(٢)</sup>؛ وقد اعترض على هذا القول، فقيل: كيف لا ينفع الكفار إيمانهم يوم الفتح، وقد أسلم جماعة منهم وقُبل إسلامهم يومئذ؟! فنعته جوابان: أحدهما: لا ينفع من قُتل من الكفار يومئذ إيمانهم بعد الموت؛ وقد ذكرناه عن ابن عباس. وقد ذكر أهل السير أنَّ خالداً دخل يوم الفتح من غير الطريق التي دخل منها رسول الله ﷺ، فلقيه صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو في آخرين فقاتلوه، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل، وانهزموا، فلما ظهر رسول الله ﷺ قال: «ألم أنه عن القتال؟» فقيل: إن خالداً قُتل فقاتل<sup>(٣)</sup>. والثاني: لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان، لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَهْلَقَ

(١) رواه الطبري ١١٢/٢١ مطولاً من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعاً، وذكره ابن كثير في «التفسير» ٤٦٣/٣ من رواية الطبراني به مرفوعاً، وأورده السيوطي في «الدر» ١٧٩/٥ وزاد نسبة للضياء في «المختارة» عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم؟ يعنون العذاب، يدل على أن ذلك معناه قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيصْنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾، ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة ويعدّه، ولو كان معنى قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ على ما قاله من قال: يعني به فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أن الله قد تاب على كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه. قال: وقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيصْنُهُمْ﴾ يقول لئيبه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: يوم الحكم ومجيء العذاب لا ينفع من كفر بالله وبياتة إيمانهم الذي يُحدثونه في ذلك الوقت. وقال: وقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. اهـ.

(٣) ذكره ابن هشام ٤٠٧/٢ عن ابن إسحاق بدون سند، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٩٧/٤ من رواية الطبراني بنحوه.

بآيه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: يقال: آمنتُ فلاناً إيماناً، فعلى هذا يكون المعنى: لا يدفع هذا الأمانُ عنهم عذابُ الله. وهذا القول الذي قد دافعنا عنه ليس بالمختار، وإنما بيتاً وجهه لأنه قد قيل. وقد خرج بما ذكرناه في الفتح قولان: أحدهما: أنه الحكم والقضاء، وهو الذي نختاره. والثاني: فتح البلد. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ أي: انتظر عذابهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ بك حوادث الدهر<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السيف.



(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١٤٠٨/٣ بلفظ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن» وأخرجه ابن هشام في «السيرة» عن ابن إسحاق معضلاً، ولكن وصله ابن جرير الطبري، ورواه أبو داود عن ابن إسحاق بإسناد آخر له عن ابن عباس، وفي سننه رجل مجهول، وله عن أبي داود إسناد ثالث ورجاله ثقات، لكن لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٦٦ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ أي: أعرض عن هؤلاء المشركين، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك، وسينصرك على من خالفك، إنه لا يخلف الميعاد. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ أي: أنت منتظر وهم منتظرون، ويترصون بكم الدوائر، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله في نصرك وتأييدك، وسيجدون غيباً ما ينتظرون فيك وفي أصحابك من وبيل عقاب الله لهم وحلول عذابه بهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل. اهـ.

## سورة الأحزاب

### وهي مدنيّة بإجماعهم

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَنفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَا يُوَحِّثُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُودِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَنْظُرُونَ مِنْهُنَّ أَهْلِيكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبب نزولها أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قَدِمُوا على رسول الله ﷺ في المودعة التي كانت بينهم، فنزلوا على عبد الله بن أبيّ، ومعتب بن قُشير، والجَدُّ بن قيس، فتكلّموا فيما بينهم، وأتوا رسول الله ﷺ فدَعَوْهُ إلى أمرهم وعرضوا عليه أشياء كرهها، فنزلت هذه الآية، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. قال مقاتل: سألوا رسول الله ﷺ أن يَرْفُضَ ذِكْرَ اللّاتِ والعُزَّى ويقول: إِنَّ لَهَا شَفَاعَةً، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَنَزَلَتْ [هذه] الآية<sup>(١)</sup>. وقال ابن جرير: ﴿وَلَا تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَنفَرُونَ﴾ الذين يقولون: اطرد عنا أتباعك من ضعفاء المسلمين، ﴿وَالنَّافِقِينَ﴾ فلا تقبل منهم رأياً. فإن قيل: ما الفائدة في أمر الله تعالى رسوله بالتقوى، وهو سيّد المتّقين؟! فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن المراد بذلك استدامة ما هو عليه. والثاني: الإكثار مما هو فيه. والثالث: أنه خطاب ووجه به، والمراد أمته. قال المفسرون: وأراد بالكافرين في هذه الآية: أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، وبالمنافيقين: عبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطُعْمَةُ بن أُبَيْرِق. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ٨١] إلى قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُودِهِ﴾ وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المنافيقين كانوا يقولون: لمحمد قلبان، قلب معنا، وقلب مع أصحابه، فأكذبهم الله تعالى، ونزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها نزلت في جميل بن مَعْمَرٍ الفهري - كذا نسبة جماعة من المفسرين. وقال الفراء: جميل بن أسد، ويكنى: أبا مَعْمَرٍ. وقال مقاتل: أبو مَعْمَرٍ بن أنس الفهري - وكان لبيباً حافظاً لِمَا سَمِعَ، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلَمَّا كَانَ يَوْمَ بدر وهُزِمَ المشركون وفيهم يومئذٍ جميل بن معمر، تلقَّاهُ أَبُو سَفْيَانَ وهو معلقٌ إحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: ما حال الناس؟ فقال: انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرتُ إِلَّا أَنَّهُمَا فِي رِجْلَيْ، فَعَرَفُوا [يومئذٍ] أنه لو كان له قلبان لَمَّا نَسِيَ نعله في يده<sup>(٣)</sup>؛ وهذا قول جماعة من المفسرين. وقد قال الزهري في هذا قولاً عجيباً، قال: بلَعْنَا أن ذلك في زيد بن حارثة ضُربَ له مثل يقول: ليس ابنُ رجلٍ آخر ابْنَكَ<sup>(٤)</sup>. قال الأخفش: «من» زائدة في قوله: «من قلبين». قال الزجاج: أكذب الله ﷻ هذا الرجل الذي قال: لي

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بغير سند، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٢: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

(٢) «الطبري» ١١٨/٢١، وفي سنده قابوس بن أبي طيبان، قال الحافظ أبو حنيفة: «التقريب»: فيه لين. ورواه الترمذي في «جامعه» ١٥١/٢ وقال: حديث حسن، وفي سنده أيضاً قابوس بن أبي طيبان، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤١٥/٢، وضححه، ولكن قال الذهبي في تعقيبه عليه: قلت: قابوس ضعيف. وأورد الحديث السيوطي في «الدر» ١٨٠/٥، وزاد نسبة لأحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس ﷺ.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره الطبري ١١٨/٢١، مختصراً عن ابن عباس أنها نزلت في رجل من قريش يسمى من قُفَيْه: ذا القلّين، وذكر عن مجاهد أن رجلاً من بني فهر قال: إن في قلبي جوفين... الخ، وذكره السيوطي في «الدر» ١٨٠/٥، من رواية ابن أبي حاتم مختصراً عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له: جميل بن معمر.

(٤) ذكره الطبري ١١٩/٢١، عن الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري. وأورده السيوطي في «الدر» ١٨١/٥ من



قلبان، ثم قرر بهذا الكلام ما يقوله المشركون وغيرهم ممّا لا حقيقة له، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنِ تَطْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ أَتُنَبِّئُكُمْ﴾ فاعلم الله تعالى أن الزوجة لا تكون أمّاً، وكانت الجاهلية تطلق بهذا الكلام، وهو أن يقول لها: أنت عليّ كظهر أمي، وكذلك قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنَا﴾ أي: ما جعل من تدعونه ابناً - وليس بولد في الحقيقة - ابناً ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي: نسب من لا حقيقة لنسبه قول بالفم لا حقيقة تحته ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ أي: لا يجعل غير الابن ابناً ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي: للسبيل المستقيم<sup>(١)</sup>. وذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنِ تَطْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ﴾ نزلت في أوس بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة. ومعنى الكلام: ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهنّ كأمهاتكم في التحريم، إنّما قولكم معصية، وفيه كفارة، وأزواجكم لكم حلال؛ وسنشرح هذا في سورة (المجادلة) إن شاء الله. وذكرنا أن قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنَا﴾ نزل في زيد بن حارثة، أعنته رسول الله ﷺ وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش قال اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَحْسَنُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَنُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُمْ أَمْهَاتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَعْلَمُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ قال ابن عمر: ما كنّا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَحْسَنُ﴾ أي: أعدل، ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ أي: إن لم تعرفوا آباءهم ﴿فَاِخْوَنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم، فليقل أحدكم: يا أخي، ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: بنو عمكم. ويجوز أن يكون «مواليكم» أولياءكم في الدين. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فيما أخطأتم به قبل النّهي، قاله مجاهد؛ والثاني: في دعائكم من تدعونه إلى غير أبيه وأنتم تزونه كذلك، قاله قتادة. والثالث: فيما سهوتم فيه، قاله حبيب بن أبي ثابت. فعلى الأول يكون معنى قوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: بعد النّهي. وعلى الثاني والثالث: ما تعمّدت في دعاء الرجل إلى غير أبيه.

رواية عبد الرزاق، وابن جرير الطبري عن الزهري، وكذا قال مجاهد، وقاتة، وابن زيد: إنها نزلت في زيد بن حارثة ﷺ. قال الطبري: وأولى الأنوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال: لرجل في جوفه قلبان يعقب بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس، وجائز أن يكون ذلك تكليفاً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكليفاً لمن سمي القرشي الذي ذكر أنه سُمي ذا القلبين من دُعي، وأي الأمرين كان، فهو نفي من الله عن خلفه من الرجال أن يكونوا بثلث الصفة. اهـ.

(١) قال ابن كثير في هذه الآيات: ﴿جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلَيْنِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ إلى آخره: يقول تعالى موطناً قبل المقصود المنوي أمراً معروفاً حياً، وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا نصير زوجته التي يظهر منها بقوله: أنت عليّ كظهر أمي له، كذلك لا بصير الدعي ولداً للرجل إذا تبناه دعاء، أبناً له، فقال: ﴿كَانَ جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلَيْنِ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنِ تَطْلَهُرُونَ مِنْهُنَّ أَتُنَبِّئُكُمْ﴾ كقوله ﷺ: ﴿كَانَ حَرَكُ أَتُنَبِّئُكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَلَدَيْهِ...﴾ الآية، ثم قال: وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنَا﴾ هذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة ﷺ مولى النبي ﷺ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ إِلَيْنَا﴾ كما قال تعالى في أثناء السورة: ﴿وَكَانَ حَسْبُكَ مَا تَسْأَلُنِي لِجَلَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَكَانَتِ الْأَنْفُسُ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وقال هاهنا: ﴿ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ يعني: تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقياً، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ قال سعيد بن جبير: «يقول الحق» أي: العدل، وقال قتادة: «وهو يهدي السبيل» أي: الصراط المستقيم. اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١ بدون سند، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٨١/٥، من رواية الفريابي، وابن أبي شيبه، وابن المنذر، عن مجاهد ﷺ.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٣٩٧/٨، ومسلم في ١٨٨٤/٤، وأخرجه الترمذي، والنسائي، من طرق، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠١، وأوردته السيوطي في «الدرر» ١٨١/٥ وزاد نسبه لابن أبي شيبه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: أحق، فله أن يحكم فيهم بما يشاء، قال ابن عباس: إذا دعاهم إلى شيء، ودعتهم أنفسهم إلى شيء، كانت طاعته أولى من طاعة أنفسهم؛ وهذا صحيح، فإن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، والرسول يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْنَاهُ أَهْلَهُمْ﴾ أي: في تحريم نكاحهن على التأيد، ووجوب إجلالهن وتعظيمهن؛ ولا تجري عليهن أحكام الأمهات في كل شيء، إذ لو كان كذلك لَمَا جاز لأحد أن يتزوج بناتهن، ولَوُرِّثَ المسلمون، ولجازت الخلوة بهن<sup>(٢)</sup>. وقد روى مسروق عن عائشة أن امرأة قالت: يا أمّاه، فقالت: لست لك بأُم؛ إنما أنا أُم رجالكم<sup>(٣)</sup>؛ فإن بهذا الحديث أن معنى الأمومة تحريم نكاحهن فقط. وقال مجاهد: ﴿وَأَرْزُقْنَاهُ أَهْلَهُمْ﴾ وهو أب لهم. وما بعد هذا مفسر في آخر (الأنفال) إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ والمعنى أن ذوي القربات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يَرثُوا بالإيمان والهجرة كما كانوا يفعلون قبل النسخ<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ تَقْعَلُوا إِلَيَّ أَوْلِيَاكُمْ مَعْرُوفًا﴾ [وهذا استثناء ليس من الأول، والمعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفاً] جائز، وذلك أن الله تعالى لَمَّا نسخ التوارث بالحلف والهجرة، أباح الوصية للمعاقدين، فلإنسان أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلثه. فالمعروف هاهنا: الوصية.

قوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ يعني نسخ الميراث بالهجرة وردّه إلى ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ أي: مكتوباً.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَبَيْنَ نُوْحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ ابْنِ مَرْيَمَ وَآخِذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا عَظِيمًا﴾ لَيْسَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا رِزْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجَرُّوهُمْ فَلَمْ يَنَالُوا لَهَا شَيْئًا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ المعنى: واذكر إذا أخذنا ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ أي: عهدهم؛ وفيه قولان: أحدهما: أخذ ميثاق النبيين: أن يصدق بعضهم بعضاً، قاله قتادة. والثاني: أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، ويصدق بعضهم بعضاً، وأن ينصحووا لقومهم، قاله مقاتل. وهذا الميثاق أخذ منهم حين أخرجوا من ظهر آدم كالذر. قال أبي بن كعب: لَمَّا أَخَذَ مِيثَاقَ الْخَلْقِ خَصَّ النَّبِيِّينَ بِمِيثَاقٍ آخَرَ<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: لِمَ خَصَّ الأنبياء الخمسة بالذكر دون غيرهم من الأنبياء؟ فالجواب: أنه تَبَّ بذلك على فضلهم، لأنهم أصحاب الكتب والشرائع؛ وقَدِّمَ نَبِيَّنا ﷺ بيانا لفضله عليهم.

(١) قال ابن كثير: قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم كان مقبلاً على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُوْثِقُكَ حَتَّى يَمُوتَكَ فِيمَا شِجَرَتُهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى مِمَّا قَتَلْتُمْ وَيَكْفُرُوا بِمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ قال: وفي الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين» قال: وفي «الصحيح» أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله! والله أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ: «لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال: يا رسول الله! والله لانت أحب إليّ من كل شيء حتى من نفسي، فقال ﷺ: «الآن يا عمر» ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. قال: وقال البخاري عند هذه الآية الكرسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، أقروا إن شئتم» ﴿الَّذِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فأما مؤمن ترك ماله لغيره حبسه من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتي فأنما مولاه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَأَرْزُقْنَاهُ أَهْلَهُمْ﴾ أي: في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع، وإن سمي بعض العلماء بناتهن: أخوات المؤمنين، كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في «المختصر» وهو من باب إطلاق العبارة، لا إثبات الحكم، ثم قال: وهل يقال لمعاوية وأمّاله: خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنه، ونص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يقال ذلك، قال: وهل يقال لهن: أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر السالم تغليظاً؟ فيه قولان، صح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لا يقال ذلك، وهذا أصح الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه. اهـ.

(٣) أورده السيوطي في «الدرر» ١٨٢/٥ بنحوه من رواية ابن سعد، وابن المنذر، والبيهقي في «سننه» عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) قال ابن كثير: أي القربات أولى بالتوارث من المهاجرين والأنصار، قال: وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالحلف والمواخاة التي كانت بينهم، كما قال ابن عباس وغيره: كان المهاجري يرث الأنصاري دون قرباته وذوي رحمه للأخوة التي آخى بينهما رسول الله ﷺ، وكذا قال سعيد بن جبير وغير واحد من السلف والخلف. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن أولي العزم الخمسة (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم) وفيه الأنبياء: أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله تعالى، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق. اهـ.

قال قتادة: كان نبينا أول النبيين في الخلق<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿يَتَنَفَّسُ عَظِيمًا﴾ أي: شديداً على الوفاء بما حُمِّلوا. وذكر المفسرون أن ذلك العهد الشديد: اليمين بالله ﷺ. ﴿لَيْسَ لَكَ صِدْقٌ﴾ يقول: أخذنا ميثاقهم لكي نسأل الصادقين، وهم الأنبياء ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغهم. ومعنى سؤال الأنبياء - وهو يعلم صدقهم - تبكيت مكذبيهم. وهاهنا تم الكلام. ثم أخبر بعد ذلك عمّا أعدّ للكافرين بالرسول.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُودٌ﴾ وهم الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ أيام الخندق.

### الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، ساروا إلى خيبر، فخرج نفر من أشرفهم إلى مكة فألّبوا قريشاً ودعّوهم إلى الخروج لقتاله، ثم خرجوا من عنده فأتوا غطفان وسُليم، ففارقوهم على مثل ذلك. وتجهزت قريش ومن تبعهم من العرب، فكانوا أربعة آلاف، وخرجوا يقودهم أبو سفيان، ووافتهم بنو سُليم بـ «مر الظهران»، وخرجت بنو أسد، وفزارة، وأشجع، وبنو مرة، فكان جميع من وافى الخندق من القبائل عشرة آلاف، وهم الأحزاب؛ فلما بلغ رسول الله ﷺ خروجهم من مكة، أخبر الناس خبرهم، وشاورهم، فأشار سلمان بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح «سُلع»<sup>(٢)</sup>، وجعل سلماً خلف ظهره؛ ودسّ أبو سفيان بن حرب حبيّ ابن أخطب إلى بني قريظة يسألهم أن يقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ويكونوا معهم عليه، فأجابوا، واشتد الخوف، وعظّم البلاء، ثم جرت بينهم مناوشة وقتال، وحُصِر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة حتى خلس إليهم الكرب، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد أسلم، فمشى بين قريش وقريظة وغطفان فخدّل بينهم، فاستوحش كل منهم من صاحبه، واعتلّت قريظة بالسبت فقالوا: لا نقاتل فيه، وهبّت ليلة السبت ريح شديدة، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخُفّ والحافر، وأجذب الجنّاب<sup>(٣)</sup>، وأخلفتنا قريظة، ولقينا من الريح ما تُرون، فارتجلوا فإني مرتجل؛ فأصبحت العساكر قد أفسّحت كلها<sup>(٤)</sup>. قال مجاهد: والريح التي أرسلت عليهم هي الصّبا<sup>(٥)</sup>، حتى أكفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم. والجنود: الملائكة، ولم تقاتل يومئذ<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن الملائكة جعلت تغلّق أوتادهم وتطفئ نيرانهم وتكبّر في جوانب عسكرهم، فاشتدت عليهم، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿لَمْ تَزَوْكَا﴾ وقرأ النخعي، والجدري، والجوني، وابن السميع: «لم يَزَوْهَا» بالياء «وَكَانَ اللَّهُ يَمَامَةً بَصِيرًا» وقرأ أبو عمرو: «[يعملون]» بالياء.

(١) هذا الكلام ذكره بعضهم عن قتادة موقوفاً عليه، ورواه ابن جرير الطبري ١٢٥/٢١، من طريق سعيد بن بشير الأزدي عن قتادة مرسلًا قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث» وسعيد بن بشير الأزدي، ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»، والحديث ذكره ابن كثير ٤٦٩/٣، من رواية ابن أبي حاتم من حديث بشير بن سعيد قال: حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث، فبدأ بي قبلهم» ثم قال ابن كثير: وسعيد بن بشير فيه ضعف، قال: ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا، وهو الأشبه، قال: ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم. وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث» رواه أبو نعيم في «الدلائل»، وابن أبي حاتم في «تفسيره» وابن لال، ومن طريقه الديلمي، كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعاً. اهـ. وسعيد بن بشير ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر، وللحديث رواية أخرى من حديث ميسرة الفجر بلفظ: «كنت نبياً وأم بين الروح والجسد» وهو صحيح الإسناد، أخرجه أحمد، والبخاري في «تاريخه» وأبو نعيم في «الحلية» والحاكم وصححه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ولكن ليس معناه كما يتوهم بعض الناس أن نبينا محمداً ﷺ كان موجوداً بذاته قبل آدم، وأن ذاته خلقت قبل الدوات، ومن يقول بذلك فلنأخذ بما يعتمد على أحاديث غير صحيحة في هذا الموضوع.

(٢) قال في «معجم البلدان»: سُلعٌ: جبل يسوق المدينة.

(٣) قال في «الصالحات»: الجنّاب، بالفتح: الفناء، وما قُرب من محلّه القوم، والجمع أخبث.

(٤) أَفْسَحَ القَوْمُ وَتَشَمَّرُوا وَتَشَمَّرُوا: ذهبوا واقتربوا.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالْعُصْبَا وَأَهْلِكَتْ هَاذِ بِالذُّبُورِ» رواه أحمد، والبخاري، ومسلم. والصّبا: الريح تهب من مطلع الشمس، والذُّبور: الريح تهب من جهة المغرب، تقابل الصّبا.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٤٧٠/٣، و«سيرة ابن هشام» ٢١٤/٢ «والبداية والنهاية» لابن كثير ٩٢/٤.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۝ هَٰذَا الَّذِي بَشَّرْنَا الْمُنَافِقِينَ ۝ وَذَٰلِكَ نَجْزِي السَّيِّئِينَ ۝ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي: من فوق الوادي ومن أسفله ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مالت وعذلت، فلم تنظر إلى شيء إلا إلى عدوها مقيلاً من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ وهي جمع حَنْجَرَةٍ. والحَنْجَرَةُ: جوف الخُلُقُوم. قال قتادة: شَخَصَتْ عن مكانها، فلولا أَنَّهُ ضاق الخُلُقُوم عنها أن تخرج لخرجت. وقال غيره: المعنى أنهم جَبُنُوا وَجَزَع أكثرهم؛ وسبيل الجبان إذا اشتدَّ خوفه أن تنتفخ رثته فيرتفع حينئذ القلب إلى الحَنْجَرَةِ، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس والفراء. وذهب ابن قتيبة إلى أن المعنى: كادت القلوب تبلغ الخُلُقُوم من الخوف وقال ابن الأنباري: «كاد» لا يُضَمَّر ولا يُعْرَف معناه إذا لم يُنْطَق به.

قوله تعالى: ﴿وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ قال الحسن: اختلفت ظنونهم، فظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يستأصلون، وظن المؤمنون أنه يُنْصَر. قرأ ابن كثير، والكسائي، وحفص عن عاصم: «الظُّنُونَا» والرسولُ «الْأَحْزَابُ: ٦٦» و«السَّيِّئَا» [الأحزاب: ٦٧] بالفتح إذا وقفوا عليهن، ويطرحها في الوصل. وقال هيبرة عن حفص عن عاصم: وصل أو وقف بالفتح. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بالالف فيهن وصلًا ووقفًا. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بغير الف في وصل ولا وقف. قال الزجاج: والذي عليه خُذَّاق النحويين والمُتَّبِعُونَ السُّنَّة من قُرَّائهم أن يقرؤوا: «الظُّنُونَا» ويقفون على الألف ولا يصلون؛ وإنما فعلوا ذلك، لأن أواخر الآيات عندهم فواصل يُبَيِّنون في آخرها الألف في الوقف.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا الَّذِي﴾ أي: عند ذلك ﴿بَشَّرْنَا الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: اخبروا بالقتال والحصر ليتبين المُخْلِص من المنافق ﴿وَرَزَّلْنَا﴾ أي: أزعجوا وحركوا بالخوف، فلم يوجدوا إلا صابرين. وقال الفراء: حُرِّكُوا إلى الفتنة تحريكاً، فغصموا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الشُّرك، قاله الحسن. والثاني: النفاق، قاله قتادة، ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال المفسرون: قالوا يومئذ: إن محمداً يَعِدُنَا أن نفتح مدائن كسرى وقبصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله! هذا والله الغرور. وزعم ابن السائب أن قاتل هذا معتب بن قُشَيْر.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْكُلَ الْيَرْبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَاتَّخِذُوا صَبْرًا فَقَالُوا هَٰذَا الَّذِي بَشَّرْنَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَكُلُوا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْهُ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ وَلَا عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَلَا تَنْتَهِونَ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا يَرْبُؤَ إِلَّا يَرْبُؤَ وَلَا يَرْبُؤُا إِلَّا يَرْبُؤَ ۝ وَلَوْ دُخِيتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْقَابِهِمْ ثُمَّ سَمِعُوا الْفَيْسَةَ لِاتِهِمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ لَهُمْ لَبَدَّلَا صَدْرَهُمْ ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عِنْدَ اللَّهِ بِكُودًا لَا يَبْلُغُونَ الْأَنْبَاءَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا يَرْبُؤَ إِلَّا يَرْبُؤَ وَلَا يَرْبُؤُا إِلَّا يَرْبُؤَ ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِثُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنَّا لَا نَسْمِعُ لِمَنْ يُشْفِقُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ يعني من المنافقين. وفي القائلين لهذا منهم قولان: أحدهما: عبد الله بن أبي وأصحابه، قاله السدي. والثاني: بنو سالم من المنافقين، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَأْكُلُ الْيَرْبَ﴾ قال أبو عبيدة: يَثْرِب: اسم أرض، ومدينة النبي ﷺ في ناحية منها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ وقرأ حفص عن عاصم: «لَا مَقَامَ» بضم الميم. قال الزجاج: من ضمَّ الميم، فالمعنى: لا إقامة لكم؛ ومن فتحها، فالمعنى: لا مكان لكم تقيمون فيه. وهؤلاء كانوا يثبطون المؤمنين عن النبي ﷺ. قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوا﴾ أي: إلى المدينة، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج بالمسلمين حتى عسكروا بـ«سَلْعٍ»، وجعلوا الخندق بينهم وبين القوم، فقال المنافقون للناس: ليس لكم هاهنا مقام، لكثرة العدو، وهذا قول الجمهور. وحكى

(١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: يثرب: قال أبو القاسم الزجاجي: مدينة رسول الله ﷺ. وقال: وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي ﷺ. وقال ابن كثير في «الضيق»: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْكُلُ الْيَرْبَ﴾ يعني المدينة، كما جاء في «الصحيح»: «أريت دار هجرتك، أرض بين حرتين، قلبه وفلي (وهي واحقادي) أنها هجر، فإذا هي يثرب» وفي لفظ «المدينة»، ثم قال: فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن البراء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى، إنما هي طابة، إنما هي طابة»، تفرد به الإمام أحمد، وفي إسناده ضعف، والله أعلم، قال: ويقال: إنما كان أصل تسميتها يثرب ببرجل نزلها من العماليق يقال له: يثرب. اهـ.



الماوردي قولين [آخرين]: أحدهما: لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن. والثاني: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ﴿وَسَتَنذِرُكَ نَصْرُكَ مِنْهُمْ النَّيْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو حارثة، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج. وقال السدي: إنما استأذنه رجلان من بني حارثة. والثاني: بنو حارثة، وبنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يُونُسَ عَزَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: خالية، فقد أمكن من أراد دخولها، وأصل العورة: ما ذهب عنه السر والحيض، فكان الرجال يستر وحفظ للبيوت، فإذا ذهبوا أغورت البيوت، تقول العرب: أغور منزلي: إذا ذهب ستره، أو سقط جداره، وأغور الفارس: إذا بان منه موضع خلل للضرب والطعن، يقول الله: ﴿وَمَا مِنْ بَرَةٍ﴾ لأن الله يحفظها، ولكن يريدون الفرار. وقال الحسن، ومجاهد: قالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا مما يلي العدو، ولا نأمن على أهلنا، فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾ يعني المدينة؛ والأقطار: النواحي والجوانب، واحدها: قُطر، ﴿ثُمَّ سِئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والضحاك، والزهري، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ برفع السين وكسر الباء من غير همز. وقرأ أبي بن كعب، ومجاهد، وأبو الجوزاء: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ برفع السين ومدّ الواو بهمة مكسورة بعدها. وقرأ الحسن، وأبو الأشهب: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ برفع السين وسكون الواو من غير مدّ ولا همز. وقرأ الأعمش، وعاصم الجحدري: ﴿ثُمَّ سِئِلُوا﴾ بكسر السين ساكنة الباء من غير همز ولا واو. ومعنى: ﴿سِئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾، أي: سئلوا فعلها؛ [والفتنة: الشرك، ﴿لَا تَوْفَا﴾] قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿لَا تَوْفَا﴾ بالقصر، أي: لقصدها، ولفعلوها. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: ﴿لَا تَوْفَا﴾ بالمد، أي: لأعطوها. قال ابن عباس في معنى الآية: لو أن الأحزاب دخلوا المدينة ثم أمرهم بالشرك لأشركوا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلاً، قاله قتادة. والثاني: وما تلبثوا بالمدينة بعد الإجابة إلا يسيراً حتى يعذبوا، قاله السدي. وحكى أبو سليمان الدمشقي في الآية قولاً عجيباً، وهو أن الفتنة هاتنا: الحرب، والمعنى: ولو دخلت المدينة على أهلها من أقطارها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الحرب لأنوفاً مباشرين، وما تلبثوا - يعني الجيوش الداخلة عليهم بها - إلا قليلاً حتى يُخرجهم منها؛ وإنما منعهم من القتال معك ما قد تداخلهم من الشك في دينك<sup>(١)</sup>؛ قال: وهذا المعنى حفظه من كتاب الواقدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَاذَبُوا اللَّهَ يَوْمَ يَوْمِهِ﴾ في وقت معاهدتهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ناس غابوا عن وقعة بدر، فلمّا علموا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة قالوا: لئن شهدنا قتالاً لثقاتلن، قاله قتادة. والثاني: أنهم أهل العقبة، وهم سبعون رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله ونصرة رسوله، قاله مقاتل. والثالث: أنه لما نزل بالمسلمين يوم أحد ما نزل، عاهد الله معتب بن قُشير وثعلبة بن حاطب: لا نولّي دُبُرًا قط، فلمّا كان يوم الأحزاب نافقا، قاله الواقدي، واختاره أبو سليمان الدمشقي، وهو أليق ممّا قبله. وإذا كان الكلام في حق المنافقين، فكيف يُطلق القول على أهل العقبة كلّهم!

(١) روى ابن جرير الطبري عن قتادة أن الفتنة: الشرك، وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد أن الفتنة: الشرك، وكذلك قال البيهقي والحاذا، وقال ابن كثير: الفتنة: هي الدخول في الكفر. وقال الشوكاني في «فتح القدير» الفتنة هنا: إما القتال في المصيبة كما قال الضحاك، أو الشرك بالله والرجعة إلى الكفر الذي يظنونهم ويظهرون خلافه كما قاله الحسن. وقال الألويسي في «روح المعاني»: الفتنة: أي القتال كما قال الضحاك، ثم قال: كأنه شبه الفتنة المطلوب اتباعهم فيها بأمر نفيس يطلب منهم بذله، ونزل إيطاعتهم واتباعهم بمنزلة بذل ما سئلوه وإعطاه، ثم قال: والمراد: أنهم لو سألهم غيرك القتال وهم في أشد حال وأعظم لبالي، لأسرعوا جداً، فضلاً عن الصلح باختلاف بيوتهم مع صلحتهم كما فعلوا الآن، قال: والحاصل أن طلبهم الإذن في الرجوع ليس لاختلاف بيوتهم، بل لتفاهتهم وكراهتهم نصرتك. اهـ.

(٢) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني أبو عبد الله الواقدي، من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: متروك مع سعة علمه. له تصنيف كثيرة، منها «تفسير القرآن».

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ أي: يُسألون عنه في الآخرة. ثم أخبر أن الفرار لا يزيد في آجالهم، فقال: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فُرِّقْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَنْتَعُونَ﴾ بعد الفرار في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهو باقي آجالكم. ثم أخبر أن ما قدره عليهم لا يُدفع، بقوله: ﴿هَذَا الَّذِي بَعِثْنَاكَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجبركم ويمنعكم منه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوًّا﴾ وهو الإهلاك والهزيمة والبلاء ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحَةً﴾ وهي النصر والعافية والسلامة ﴿وَلَا يَحْذَرُونَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَكِفًا وَلَا نَصِيرًا﴾ أي: لا يجدون موالياً ولا ناصراً يمنعهم من مُراد الله فيهم.

﴿قَدْ بَعَلَ اللَّهُ الْمُتَوَفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ لِقَاؤُكُمْ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْرُؤُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنِّي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ لِقَاؤُكُمْ سَلَفُكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَيْحَةَ عَلَى الْخَبَرِ أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا فَلَاحِظُ اللَّهِ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَيِّنًا ﴿١٩﴾ يَسْتَوُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَكِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كِبَرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَعَلَ اللَّهُ الْمُتَوَفِينَ مِنْكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رجلاً انصرف من عند رسول الله ﷺ يوم الأحزاب، فوجد أخاه لأمه وأبيه وعنده شياء ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا ورسول الله بين الرماح والسيوف؟! فقال: هلم إلي، لقد أحيط بك وبصاحبك؛ والذي يُخلفُ به لا يستقبلها محمداً أبداً، فقال له: كذبت، والذي يُخلفُ به، أما والله لأخبرن رسول الله ﷺ بأمرك، فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل بهذه الآية إلى قوله: ﴿يَسِيرُ﴾، هذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>. والثاني: أن عبد الله بن أبي مُعَتَبٍ بن قُصَيْرٍ والمنافقين الذين رجعوا من الخندق إلى المدينة، كانوا إذا جاءهم منافق قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين في العسكر أن اثبتوا بالمدينة فإننا ننتظركم - يبطونهم عن القتال - وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُدًّا، فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب<sup>(٢)</sup>. والمعوق: المشط؛ تقول: عاقني فلان، واعتاقني، وعوقني: إذا منعك عن الوجه الذي تريده. وكان المنافقون يعوقون عن رسول الله ﷺ نُضَارَهُ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المنافق الذي قال لأخيه ما ذكرناه في قول ابن زيد. والثاني: أنهم اليهود دعوا إخوانهم من المنافقين إلى ترك القتال، قاله مقاتل. والثالث: أنهم المنافقون دعوا المسلمين إليهم عن رسول الله ﷺ، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ أي: لا يحضرون القتال في سبيل الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ للرياء والسُّمعة من غير احتساب، ولو كان ذلك [القليل]<sup>(٤)</sup> لله لكان كثيراً.

قوله تعالى: ﴿أَيْحَةَ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال. المعنى: لا يأتون الحرب إلا تعذيراً<sup>(٥)</sup>، بخلاء عليكم. وللمفسرين فيما شحوا به أربعة أقوال: أحدها: أشحة بالخير، قاله مجاهد. والثاني: بالنفقة في سبيل

(١) ذكره الطبري ١٣٩/٢١، عن ابن زيد، وأورده السيوطي في «الدر» ١٨٨/٥، من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(٢) ذكره الألوسي في «تفسيره» مختصراً عن ابن السائب بدون سند.

(٣) قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال الواحدي: قال المفسرون: هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يبطون أنصار النبي ﷺ. اهـ. يقال: أنصار، ونضار، كما في «اللسان».

(٤) زيادة من «تفسير البغوي».

(٥) قال في «اللسان»: والتعذير في الأمر: التفسير فيه، وأعذر: قُصِّرَ ولم يبلغ وهو يُرَى أنه بالغ. وعذر الرجل فهو معذر: إذا اعتذر ولم يأت بعذر. وقوله ﷺ: ﴿يَبِغِ الْكُفْرَ مِنْ الْأَحْزَابِ﴾ هم الذين لا عذر لهم ولكن يتكفون عذراً، قال: قال الأزهرى: ويكون المعذرون بمعنى المقصدين على مفغلين من التعذير وهو التفسير. اهـ. وقال ابن جرير الطبري: ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾، قال: يقول تعالى ذكروه للمؤمنين: ولو كانوا أيضاً فيكم ما نفَعُوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلاً، يقول: إلا تعذيراً، لأنهم لا يقاتلون حبة ولا رجاء ثواب. اهـ.

الله. والثالث: بالغنيمة، روي عن قتادة. وقال الزجاج: بالظفر والغنيمة. والرابع: بالقتال معكم، حكاه المارودي<sup>(١)</sup>. ثم أخبر عن جبينهم فقال: ﴿إِذَا جَاءَ الْقَوْمَ﴾ أي: إذا حضر القتال ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ يَنْ كِدُورَانَ عَيْنِ الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ الَّذِي دَنَا مَوْتُهُ وَغَشِيَتْهُ أَسْبَابُهُ، فَإِنَّهُ يَخَافُ وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ وَيَشْخَصُ بَصَرُهُ فَلَا يَنْظُرُ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ الْقَتْلَ. ﴿إِذَا ذَهَبَ لَئِقَوْمٌ سَلَفُكُمْ﴾ قال الفراء: أذوكم بالكلام في الأمن ﴿يَأْتِيَنَّ جِدَادُ﴾ سليطة ذرية<sup>(٢)</sup>، والعرب تقول: صلفوكم، بالصاد، ولا يجوز في القراءة؛ وهذا قول الفراء. وقد قرأ بالصاد أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبيدة في آخرين. وقال الزجاج: معنى «سلفوكم»: خاطبوكم أشد مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب سلاق: إذا كان بليغاً في خطبته ﴿أَشِجَّةٌ عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: خاطبوكم وهم أشجّة على المال والغنيمة. قال قتادة: إذا كان وقت قسمة الغنيمة، بسطوا الستهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم أحقّ بها منّا؛ فأما عند البأس، فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند الغنيمة، فأشجّ قوم. وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغنيمة. والثاني: على المال أن يُنفقوه في سبيل الله تعالى. والثالث: على رسول الله ﷺ بظفّره.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَصِفُوا﴾ أي: هم وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمنين، لنفاقهم ﴿فَلَمَحَ اللَّهُ أَعْيُنَهُمْ﴾ قال مقاتل: أبطل جهادهم، لأنه لم يكن في إيمان ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ بَيِّنًا﴾. ثم أخبر عنهم بما يدل على جبنهم، فقال: ﴿يَحْزَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أي: يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، ﴿وَلَكِنْ يَأْتِي الْأَحْزَابَ﴾ [أي]: يرجعوا إليهم كثرة ثانية للقتال ﴿يُودُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْتُ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: يتمنّوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم، ﴿يَسْتَلُوكَ عَنْ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: ودّوا لو أنّهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، قرأاً وجنباً؛ وقيل: بل يسألون شماتة بالمسلمين وفرحاً بتكباتهم ﴿وَلَوْ كُنَّا فَكُنَّا فِيكُمْ﴾ أي: لو كانوا يشهدون القتال معكم ﴿مَتَا قُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ فيه قولان: أحدهما: إلا رمية بالحجارة، قاله ابن السائب. والثاني: إلا رياء من غير احتساب، قاله مقاتل. ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة صالحة. والمعنى: لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر [مع] كما صبر يوم أُحُد حتى كُتِرَت رِيعَتُهُ وَشُجَّ جَبِينُهُ وَقُتِلَ عُمُهُ، وآساكم مع ذلك بنفسه. وقرأ عاصم: «أسوة» بضم الألف، والباقون بكسر الألف؛ وهما لغتان. قال الفراء: أهل الحجاز وأسّد يقولون: «أسوة» بالكسر، وتميم وبعض قيس يقولون: «أسوة» بالضم. وخصّ الله تعالى بهذه الأسوة المؤمنين، فقال: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ والمعنى أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله [واليوم الآخر]؛ وفيه قولان: أحدهما: يرجو ما عنده من الثواب والنعيم، قاله ابن عباس. والثاني: يخشى الله ويخشى البعث، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ أي: ذكراً كثيراً، لأن ذاكر الله متّبع لأوامره، بخلاف الغافل عنه<sup>(٣)</sup>. ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وفي ذلك الوعد قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ [الآية، البقرة: ٢١٤] فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، قاله ابن عباس، وقاتلة في آخرين. والثاني: أن رسول الله ﷺ وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الجيرة، ذكره المارودي وغيره.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخص وصفهم من معاني الشح بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشجّة على المؤمنين بالغنيمة، والخير، والنفقة في سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين. اهـ.

(٢) أي: فاشعة. وفُزِبَ اللسان: حدّته.

(٣) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التماسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه ﷻ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، قال: ولهذا قال تعالى للذين تغلبوا وتضعضعوا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشأنه؟! ولهذا قال تعالى: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾. اهـ.





قاله مجاهد والثالث ففمنهم من قضى نذره الذي كان نذر، قاله أبو عبيدة. فيكون النخب على القول الأول: الأجل؛ وعلى الثاني: العهد؛ وعلى الثالث: التلوي. وقال ابن قتبية: «قضى نخبه» أي: قُتل، وأصل النخب: النذر، كان قوماً نذروا<sup>(١)</sup> أنهم إن لقوا العدو قاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله عليهم، فقتلوا، فقيل: فلان قضى نخبه، أي: قُتل، فاستعير النخب مكان الأجل، لأن الأجل وقع بالنخب، وكان النخب سبباً له، ومنه قيل للعطية: «من»، لأن من أعطى فقد من. قال ابن عباس: ممن قضى نخبه: حمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النضر وأصحابه. وقال ابن إسحاق: «فوتهم من قضى نخبه» من استشهد يوم بدر وأحُد، «ووتهم من يظفر» ما وعد الله من نصره، أو الشهادة على ما مضى عليه أصحابه «وما بدلوا» أي: ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم عليه، كما غير المنافقون.

قوله تعالى: ﴿يَخْرِي اللَّهُ الْفَلَاقِينَ يَهْدِيهِمْ﴾ وهم المؤمنون الذين صدقوا فيما عاهدوا [الله] عليه ﴿وَمَلَأَ بَاطِنَهُمْ﴾ بنقض العهد ﴿إِنْ شَاءَ﴾ وهو أن يجتهدهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا، فيخرجهم من النفاق إلى الإيمان، فيغفر لهم. ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني الأحزاب، صدّهم ومنعهم عن الظفر بالمسلمين ﴿يَغْطِيهِمْ﴾ أي: لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا ﴿أَوْ يَتَأَلَّوْا خِيراً﴾ أي: لم يظفروا بالمسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً، فخطبوا على استعمالهم ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءَ﴾ بالربح والملائكة<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ أي: عاونوا الأحزاب، وهم بنو قريظة، وذلك أنهم نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وصاروا مع المشركين يداً واحدة.

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل العلم بالسيرة أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الخندق وضع عنه اللأمة واغتسل، فتبلى له جبريل، فقال: ألا أراك وضعت اللأمة، وما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة؟ إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة فأني عاهد إليهم فمزّل بهم حصونهم<sup>(٣)</sup>؛ فدعا علياً فدفع لواءه إليه، ويعدّ بلائاً فنادى في الناس: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا ببني قريظة<sup>(٤)</sup>، ثم سار إليهم فحاصرهم خمسة عشر يوماً أشد الحصار، وقيل عشرين ليلة<sup>(٥)</sup>، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أُرْسِلْ إلينا أبا ثابة بن عبد المنذر، فأرسله إليهم، فشاؤروه في أمرهم، فأشار إليهم بيده: إنه الذبح، ثم ندم فقال: جئت الله ورسوله، فانصرف فارتبط في المسجد حتى أنزل الله توبته<sup>(٦)</sup>، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم رسول الله محمد بن مسلمة، وكُتِفُوا، ونُحُوا ناحية، وجُعِلَ النساء والذرية ناحية. وكلّمت الأوس رسول الله ﷺ أن يهبهم لهم، وكانوا حلفاءهم، فجعل رسول الله ﷺ الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ؛

(١) الذي في «فهرس القرآن»: وكان قوم نذروا.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءَ﴾، أي: لم يحتاجوا إلى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم، بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأمر جنده، قال: ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأمر جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وفي «الصحاحين» عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». قال ابن كثير: وفي قوله ﷺ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءَ﴾ إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبين قريش، وهكذا وقع بعدها، لم يغزهم المشركون، بل غزاهم المسلمون في بلادهم، قال ابن كثير في تمة الآية: قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ فِتْنًا عِزْرًا﴾ أي: بمحوه وقوته وقهم خائنين لم ينالوا خيراً، وأمر الله الإسلام وأهله، وصدق وعده، ونصر رسوله وعبده، فله الحمد والممنة. اهـ.

(٣) ذكره بنحو ابن هشام في «السيرة» ٢٣٣/٢، وذكره ابن كثير في «النبأ والنهاية» بنحو ١١٦/٤ من رواية محمد بن إسحاق. وأمر جبريل للنبي ﷺ بالمسير ثابت في «الصحاح البخاري» ٣١٣/٧ من حديث عائشة رضي الله عنها. ورواه أحمد في «المسند» ٥٦/٦، ١٣١، ٢٤١، ٢٨٠ من حديث عائشة أيضاً.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصحاح» ٣١٣/٨، ومسلم ١٣٩١/٨ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وللفظ مسلم: نادى فتيماً رسول الله ﷺ يترنم انصرف الأحزاب: «أَنْ لَا يَصِلُوا أَحَدَ الظُّفْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرْيَظَةَ». الحديث.

(٥) الذي في «مسند أحمد» «الطبري»، وأخبره ابن هشام: أن رسول الله ﷺ حاصره خمسة وعشرين ليلة.

(٦) ذكر هذا الخبر بنحو الطبري في «التفسير»، وابن هشام في «السيرة» ٢٣٦/٢، وابن كثير في «التفسير» ٣٠٠/٢ من رواية الزهري مرسلات، وانظر «البيان والنهاية» لابن كثير ١٢٠/٤.

(۶) روی مسلم فی (صحیحہ) ۱۱۰۴/۲ عن جابر بن عبد اللہ رضی اللہ عنہ قال: دخل أبو بکر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً يباه لم يؤذن لأحد. يتعذّر به ابنُ ۱.

أحدهما: أنه خيرهن بين الطلاق والمقام معه، هذا قول عائشة رضي الله عنها. والثاني: أنه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن، أو اختيار الآخرة فيمسكنهن، ولم يغيرهن في الطلاق، قاله الحسن، وقتادة. وفي سبب تخييره إياهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن سألته زيادة الثقة. والثاني: أنهن آذنه بالغيرة. والقولان مشهوران في التفسير. والثالث: أنه لما خير بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة، أمر بتخيير نسائه ليكون على مثل حاله، حكاه أبو القاسم الصيمري. والمراد بقوله: «أَمَتَكُمْ»: مُتعة الطلاق. والمراد بالسُّراح: الطلاق، وقد ذكرنا ذلك في [البقرة: ٢٣١]. والمراد بالدار الآخرة: الجنة. والمُخسِنات: المؤثرات للآخرة. قال المفسرون: لما اختزنه أنابهن الله ﷻ ثلاثة أشياء: أحدها: التفضيل على سائر النساء بقوله: «أَتَيْنَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ»، والثاني: أن جعلهن أمهات المؤمنين، والثالث: أن حظر عليه طلاقهن والاستبدال بهن بقوله: «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ» [الأحزاب: ٥٢]. وهل أبيح له بعد ذلك التزويج عليهن؟ فيه قولان سيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: «مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ» أي: بمعصية ظاهرة. قال ابن عباس: يعني النشوز وسوء الخلق «فَيُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» أي: يجعل عذاب جرمها في الآخرة كعذاب جرمين، كما أنها تؤتى أجرها على الطاعة مرتين. وإنما ضعف عقابهن، لأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة ما لا يشاهد غيرهن، فإذا لم يمتنعن استحققن تضعيف العذاب، ولأن في معصيتهن أذى لرسول الله ﷺ؛ وجرم من آذى رسول الله ﷺ أكبر من جرم غيره.

قوله تعالى: «وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» أي: وكان عذابها على الله هيناً. «وَمَنْ يَنْتَ» أي: تُطع، «وَرَأَيْنَا» قد سبق بيانه [النساء: ٣٧]، والرزق الكريم: الحسن، وهو الجنة. ثم أظهر فضيلتهن على النساء بقوله: «أَتَيْنَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» قال الزجاج: لم يقل: كواحدة من النساء، لأن «أحداً» نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة. قال ابن عباس: يريد: ليس قدركن عندى مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أتت أكرم علي، وثوابكن أعظم [إن أنفقن]، فشرط عليهن التقوى بياناً أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى، لا بنفس اتصالهن برسول الله ﷺ.

قوله تعالى: «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أي: لا تليين بالكلام «فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» أي: فُجور؛ والمعنى: لا تقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتك له؛ والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة، لأن ذلك أبعد من الطمع في الرية. «وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا» أي: صحيحاً عفيفاً لا يطمع فاجراً<sup>(١)</sup>. «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» قرأ نافع، وعاصم إلا أبان، وهيرة، والثوليد بن مسلم عن ابن عامر: «وَقَرْنَ» بفتح القاف، وقرأ الباقون بكسرها. قال الفراء: من قرأ بالفتح، فهو من قَرَزَتْ في المكان، فحُفَّت، كما قال: «ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا» [طه: ٩٧]، ومن قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: قَرَّ في منزلك. وقال ابن قتيبة: من قرأ بالكسر، فهو من الوقار، يقال: وَقَرَّ في منزله يَقَرُّ وقوراً. ومن قرأ بنصب القاف جعله من القوار. وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل: «وَأَقَرْنَ» بإسكان القاف وبرأين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله مثله، إلا أنهما كسرا الراء الأولى. قال المفسرون: ومعنى الآية: الأمر لهن بالتوقر والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن<sup>(٢)</sup>.

منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً، حوله نسائه، واجماً، ساكناً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أصحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة (يريد زوجته) سألني النفقة، فقلت إليها فوجأت عنقها (طعنت عنقها) فضحك رسول الله ﷺ. وقال: فمن حولي كما ترى يسألني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة بجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة بجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلن شهرًا، أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجِعُوا فِي الْمَخَالِقِ» حتى بلغ «فَتَحْشِي بَيْنَكُمْ لَبَرٌ عَظِيمًا» قال: فبدأ بمأثرة فقال: «يا عائشة إني أريد أن أمرض عليك امرأة أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله، فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله استشير أبوي؟! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: «لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها»، إن الله لم يبعثي مُعْتَصِماً ولا مُتَعْتِماً (أي: لم يبعثني مشدداً على الناس ولا طالباً لأهليهم) ولكن بعثني معلماً ميسراً. ولقد أورد هذا الحديث السيوطي في «الدرر» ١٩٤/٥، وزاده نسبه لأحمد، والنسائي، وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه. وانظر «صحيح مسلم» باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ١١٥٥/٢ - ١١١٣.

(١) قال ابن كثير: ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترغيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» أي: الزَّمْنَ يُبَيِّنُ كُنَّ فلا تخرجن لغير حاجة، قال: ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْتَغُوا﴾ قال أبو عبيدة: التبرج: أن يبرزن محاسنهن. وقال الزجاج: التبرج: إظهار الزينة وما يستدعى به شهوة الرجل. وفي «الجمالية الأولى» أربعة أقوال. أحدها: أنها كانت بين إدريس ونوح، وكانت ألف سنة، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها كانت على عهد إبراهيم عليه السلام، وهو قول عائشة رضي الله عنها. والثالث: بين نوح وآدم، قاله الحكم. والرابع: ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، قاله الشعبي<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: وإنما قيل: «الاولى»، لأن كل مقدم أول، وكل متقدم أولى، فتأويله: أنهم تقدموا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وفي صفة تبرج الجاهلية الأولى ستة أقوال. أحدها: أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج، قاله مجاهد. والثاني: أنها مشية فيها تكسر وتفتخ، قاله قتادة. والثالث: أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح. والرابع: أن المرأة منهن كانت تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي. والخامس: أنها كانت تلقي الخمار عن رأسها ولا تشده، فيرى قُرطها وقلائدها، قاله مقاتل. والسادس: أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال، لا توراري جسدها، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ وفيه للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: الشرك، قاله الحسن. والثاني: الإثم، قاله السدي. والثالث: الشيطان، قاله ابن زيد. والرابع: الشك. والخامس: المعاصي، حكاهما الماوردي. قال الزجاج: الرِّجْس: كل مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة. ونصب «أهل البيت» على وجهين: أحدهما: على معنى: أعني أهل البيت، والثاني: على النداء، فالمعنى: يا أهل البيت. وفي المراد بأهل البيت هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهن في بيته، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل. ويؤكد هذا القول أن ما قبله ويحده متعلق بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى أرياب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنث بالنون، فكيف قيل: «عنكم» ويظهركم؟ فالجواب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن، فغلب المذكر. والثاني: أنه خاص في رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه وفاطمة والحسن والحسين، قاله أبو سعيد الخدري. وروي عن أنس وعائشة وأم سلمة نحو ذلك. والثالث: أنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه<sup>(٣)</sup>، قاله الضحاك. وحكى الزجاج أنهم نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال الذين هم آله؛ قال: واللغة تدل على أنها للنساء والرجال جميعاً، لقوله: «عنكم» بالميم، ولو كانت للنساء، لم يجر إلا «عنكن» ويظهركن.

- كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخروجن قبلات» (تاركات للطيب والأدهان) وفي رواية: «ويبرهنن خير لهن». اهـ. ومن الحوائج الشرعية: الخروج للحج والعمرة، وزيارة الوالدين، وعيادة المرضى، وغير ذلك.
- (١) رواه الطبري ٤/٢٢ من عكرمة عن ابن عباس، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٩/٨ من رواية ابن أبي حاتم وقال: إسناده قوي. وأروده السيوطي في «الدرر» ١٩٧/٥ وزاد نسبة لابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
- (٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبي أن يبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجاز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، ليكون معنى ذلك: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام. فإن قال قائل: أو في الإسلام جاهلية حتى يقال: عن بقوله (الجاهلية الأولى) التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية، ثم قال: وجاز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح، وجاز أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الأخيرة ما بين عيسى ومحمد، قال: وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل، فالصواب أن يقال في ذلك كما قال الله، إنه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى. اهـ.
- (٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت هاهنا، لأنهم سبب نزول هذه الآية، قال: وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح، ثم قال: وقال عكرمة: من شاء باهله أنها نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير: فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن؛ فصحيح، وإن أريد أنهم للمراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر، فإنه قد روت أحاديث تدل على أن المراد أهم من ذلك. وسرد بعض تلك الأحاديث ثم قال: الذي لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم دخلات في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: ﴿وَأَنكِرُوا مَا يَكْفُرُ فِي يَدَيْكُمْ مِنَ الرِّجْسِ أَنَّىٰ كَانَ أَزْوَاجُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ﴾، فقيايته أحق بهذه التسمية. اهـ. وفي «صحيح مسلم» ١٨٧٣/٤ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما بعدي إلا أيها الناس، فإني لما بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك ليمك ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فغفلوا بكتاب الله واستمسكوا به، فبحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حسين: ومن أهل بيتي يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيتي؟ قال: نساؤه من أهل بيتي، ولكن أهل بيتي من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.



قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا مُطَهَّرِينَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من الشُّرك، قاله مجاهد. والثاني: من السُّوء، قاله قتادة. والثالث: من الإثم، قاله السدي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه تذكير لهنَّ بالنِّم. والثاني: أنه أمرٌ لهنَّ بحفظ ذلك. فمعنى ﴿وَاذْكُرْنَ﴾: واحفظنَّ ﴿مَا يَتْلُو فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن. وفي الحكمة قولان: أحدهما: أنها السُّنة، قاله قتادة. والثاني: الأمر والنهي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ أي: ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التي تثلّى فيها آياته ﴿حَيْرًا﴾ بكن إذ اختاركن الرسول.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَوَكِّلِينَ وَالْمُتَوَكِّلَاتِ وَالذَّكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله ﷺ قُلْنَ: ما له ليس يُذكر إلا المؤمنون، ولا تُذكر المؤمنات بشيء؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن أُمَّ سَلَمَةَ قالت: يا رسول الله يُذكر الرجال ولا تُذكر النساء؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، ونزل قوله: ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن أُمَّ عُمَارَةَ الأنصارية قالت: قلت: يا رسول الله بابي وأمي ما بال الرجال يُذكرون، ولا تُذكر النساء؟ فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>. وذكر مقاتل بن سليمان أن أُمَّ سَلَمَةَ وأُمَّ عُمَارَةَ قالتا بذلك، فنزلت [هذه] الآية في قولهما. والرابع: أن الله تعالى لما ذكر أزواج رسوله دخل النساء المُسلمات عليهن فقلْنَ: دُكِرْنَ ولم تُذكر، ولو كان فينا خيرٌ دُكِرنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٥)</sup>. والخامس: أن أسماء بنت عُمَيْس لما رجعت من الحبشة دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قُلْنَ: لا، فأتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: «ومم ذلك»؟ قالت: لأنهن لا يُذكرن بخير كما يُذكر الرجال، فنزلت هذه الآية، ذكره مقاتل بن حيَّان<sup>(٦)</sup>. وقد سبق تفسير ألفاظ الآية في مواضع [القرة: ٤٥، ١٠٩، ١٢٩، ١٨٤ - آل عمران: ١٧، يوسف: ٨٨، الأنبياء: ٩١، آل عمران: ١٩١، الأحزاب: ٣١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ إِذَا قُتِيَ اللَّهُ رُسُلُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِزْيَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ رُسُلَهُ فَقَدْ هَلَّا خِلَافًا شَدِيدًا ﴿١٥٠﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَكْمَلَتْ عَلَيْهِ أَسْبَابَ رُزْغِكَ وَالَّذِي اللَّهُ يَخْتَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَيَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَخْشَاهُ فَلَمَّا قُتِيَ زَيْدُ بْنُ حَارِثٍ وَكَانَ رُزْغُكَهَا لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْزَاقِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنُفُوسٍ وَلَا مُمْتَةٍ...﴾ الآية، في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فقالت: لا أرضاه، ولسْتُ بِتَاكِحَةٍ، فقال رسول الله ﷺ: «بلى فانكحيه، فأبى، فأنزلت هذه الآية. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة،

(١) رواه الطبري ١٠/٢٢ وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: فيه لين. وذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٠/٥ وزاد نسبه للطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري ١٠/٢٢، ورواه أحمد في «المستد» عن أم سلمة، وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٠٠/٥. وزاد نسبة للنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني عن أم سلمة.

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ٤/٢١٥، وَالحَاكِمُ ٢/٣٠٠ وَصَحَّحَهُ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢/١١٢ وَزَادَ نَسْبَتَهُ لَعَلِّ بْنِ مَنصُورٍ، وَعَبْدَ الرِّزَّاقِ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالتَّبْرَانِيُّ.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٠٠/٥ من رواية الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، والطبراني، وابن مردويه عن أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها.

(٥) «الطبري» ١٠/٢٢، وذكره السيوطي في «الدرر» من رواية ابن سعد عن قتادة.

(٦) ذكره الواحدى فى «أسباب النزول» ٢٠٤ بدون سند.

والجمهور<sup>(١)</sup>. وذكر بعض المفسرين أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضىا وسلمًا<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: والمراد بالمؤمن: عبد الله بن جحش، والمؤمنة: زينب بنت جحش. والثاني: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعيط، وكانت أول امرأة هاجرت، فوهبت نفسها لرسول الله ﷺ، فقال: «قد قبلتك»، وزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالوا: إنما أردنا رسول الله، فزوجها عبده! فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. والأول عند المفسرين أصح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَعَىٰ اللَّهُ رَسُولُهُ أَنرًا﴾ أي: حَكَمًا بذلك «أَنْ تَكُونَ» وقرأ أهل الكوفة: «أَنْ يَكُونَ» بالياء «لَهُمْ لَخَيْرَةٌ» وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «الْخَيْرَةُ» بإسكان الياء؛ فجمع في الكناية في قوله: «لَهُمْ»، لأن المراد جميع المؤمنين والمؤمنات، والخَيْرَةُ: الاختيار، فأعلم الله ﷻ أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله. فلما زوجها رسول الله ﷺ زيداً مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى منزل زيد فنظر إليها وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، ف وقعت في قلبه، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، وفطن زيد، فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها<sup>(٤)</sup>. وقال بعضهم: أتى رسول الله ﷺ منزل زيد، فرأى زينب، فقال: «سبحان مقلب القلوب»، فسمعت ذلك زينب، فلما جاء زيد ذكرت له ذلك، فعلم أنها قد وقعت في نفسه، فأتاه فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها<sup>(٥)</sup>. وقال ابن زيد: جاء رسول الله ﷺ إلى باب زيد - وعلى الباب يثمر من شعر - فرفعت الريح السَّترَ، فرأى زينب، فلما وقعت في قلبه كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله أريد فراقها، فقال له: «اتق الله»<sup>(٦)</sup>. وقال مقاتل: لما فطن زيد لتسبيح رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كِبَرًا، فهي تَعْظُم عليّ وتؤذي بلسانها، فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله». ثم إن زيداً طلقها بعد ذلك، فانزل الله تعالى: ﴿وَرَدَّ تَقُولَ لِلَّذِي أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ<sup>(٧)</sup> بِالْإِسْلَامِ وَأَنفَضَ عَلَيْكَ بِالْعَقْرِ

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: في أمرها فلا تطلقها «وَنَحْنُ فِي نَفْسِكَ» أي: تُسِرُّ وتُضْمِر في قلبك «مَا اللَّهُ مُبْدِي» أي: مُظْهِره؛ وفي أربعة أقوال: أحدها: حُبَّها، قاله ابن عباس. والثاني: عهد عهده الله إليه أنَّ زينب ستكون له زوجة، فلما أتى زيد يشكوها، قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، وأخفى في نفسه ما الله مبدية، قاله علي بن الحسين<sup>(٨)</sup>. والثالث: إشارته لطلاقها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلقها زيد تزوجتها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ النَّاسُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه خشي لوم الناس أن يقولوا: أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم نكحها.

- (١) رواء الطبري ١١/٢٢. من رواية العوفي عن ابن عباس، وابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه عن مجاهد وقتادة، وذكره السيوطي في «الدر» عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
- (٢) ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند.
- (٣) رواء الطبري ١٢/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٠١/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن ابن زيد. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٤: رواء الثعلبي بهذا بغير سند.
- (٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي بدون سند. اهـ. وكذلك ذكر مثل هذا المعنى الخازن والبغوي وغيرهما بدون سند.
- (٥) وهذا أيضاً من المرسلات والمنقطعات التي ليس لها سند صحيح، وقد أورد مثلها السيوطي في «الدر» من طريق عبد بن حميد، وابن المنذر، عن عكرمة، ومن طريق ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن خُبَّان.
- (٦) رواء الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.
- (٧) ذكره بنحوه الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» عن الثعلبي بدون سند.
- (٨) رواء الطبري ١٣/٢٢. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق السدي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «الفتح»: وهو أوضح سياقاً وأصح إسناداً إليه. اهـ. وقال الألوسي في «تفسيره» عن هذا المعنى: وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين، كالزهرى، ويكر بن العلاء، والقشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي، وغيرهم. اهـ. وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر قبل قليل، وهو قوله: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ أي: أولى أن تخشى في كل الأحوال. وليس المراد أنه لم يخش الله في هذه الحال، ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلق، قيل له: الله أحق أن تخشى منهم. قالت عائشة: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولو كنتم شيئاً من الوحي لكنتم<sup>(١)</sup>.

### فصل

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله ﷺ من حُبها وإيثاره طلاقها. وإن كان ذلك شائعاً في التفسير<sup>(٢)</sup>. قالوا: وإنما عوتب في هذه القصة على شيئين: أحدهما: أنه أخبر بأنها ستكون زوجة له، فقال لزيد: «أمسك عليك زوجك» فكنتم ما أخبره الله به من أمرها حياة من زيد أن يقول له: إن زوجتك ستكون امرأتي؛ وهذا يخرج على ما ذكرنا عن علي بن الحسين، وقد نصره الثعلبي، والواحدي. والثاني: أنه لما رأى اتصال الخصومة بين زيد وزينب، ظن أنهما لا يتفقان وأنه سيفارقها، وأضمر أنه إن طلقها تزوجها صلةً لرحمها، وإشفاقاً عليها، لأنها كانت بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب، فعاتبه الله على إضمار ذلك وإخفائه حين قال لزيد: «أمسك عليك زوجك»، وأراد منه أن يكون ظاهره وباطنه عند الناس سواء كما قيل له في قصة رجل أراد قتله: هلاً أومات إلينا بقتله؟ فقال: «ما ينبغي لنبئ أن تكون له خاتنة الأعين»<sup>(٣)</sup>، ذكر هذا القول القاضي أبو يعلى رحمة الله عليه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَّ زَيْدٌ نِسَاءَ وَطَرًا﴾ قال الزجاج: الوطر: كل حاجة لك فيها همّة، فإذا بلغها البالغ قيل: قد قضى وطره، وقال غيره: قضاء الوطر في اللغة: بلوغ مثتهى ما في النفس من الشيء، ثم صار عبارة عن الطلاق، لأن الرجل إنما يطلق امرأته إذا لم يبق له فيها حاجة. والمعنى: لما قضى زيد حاجته من نكاحها ﴿وَزَوَّجْتُكَهَا﴾، وإنما ذكر

(١) رواه الطبري بهذا اللفظ: ١٣/٢٢ من قول الحسن، ورواه أيضاً عن عائشة بلفظ: لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً ما أرحي إليه من كتاب الله لكنتم ﴿وَيُحْيِي فِي تَقْلِيدِكَ مَا اللَّهُ يُبْدِي وَيُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ ورواه الترمذي: ١٥٣/٢ بنحوه وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٠٢/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن عائشة. وروى مسلم في «صحيحه» ١٦٠/١ عن عائشة ﷺ قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتباً شيئاً ما أنزل عليه لكنتم هذه الآية: ﴿لَوْ تَقَوَّلَ لَدُنِّي أَقْنَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْهِ أَسْبَغَ عَلَيْكَ دِينَهُ وَإِنَّ اللَّهَ يُخْفِي فِي تَقْلِيدِكَ مَا اللَّهُ يُبْدِي وَيُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿وَيُحْيِي فِي تَقْلِيدِكَ مَا اللَّهُ يُبْدِي وَيُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾: ذكر ابن أبي حاتم والطبري هاتين آثاري عن بعض السلف ﷺ أسبغاً أن تضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها. اهـ. يريد بذلك أمثال «فوقعت في قلبه» و«سبحان مقلب القلوب».

وقال الحافظ ابن حجر المصنفي ٤٠٣/٨ بعدما ذكر أن الآية نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة مختصراً كما في حديث البخاري، ثم ذكر حديثاً للبخاري في كتاب التوحيد أطول منه، وليس فيها ما تقدم من أنها وقعت في قلبه، وغير ذلك، قال: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها ساقاً واضحة حسناً، ولفظه: بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجه زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ، فزوجها إياه، ثم أعلم الله ﷻ نبيه ﷺ بعد أنهما من أزواجه، فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله ﷺ أن يمسك زوجته وأن يتي الله، وكان يخشى الناس أن يعيروا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه وكان قد تبى زيداً. ثم قال ابن حجر: ووردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم، والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، قال: والذي أوردته هو المعتمد، ثم قال: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، قال: والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا يبلغ في الإبطال منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، قال: ووقع ذلك من إمام المسلمين، ليكون أدعى لقبولهم، قال: وإنما وقع الخطي في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم. وقال الألوسي في «تفسيره»: وللقصص كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، منه ما أخرجه ابن سعد والحاكم من محمد بن يحيى بن حبان، ثم قال: وفي «شرح المواقف»: أن هذه القصة مما يجب صيانة النبي ﷺ عن مثله. اهـ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وروى أحمد، ومسلم، والنسائي، من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذكروا علي» قال: فانتظت، فقلت: يا زينب أبشري أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة - حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدهما، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن. قال ابن حجر: وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهراً بغير رضاه، قال: وفيه أيضاً اختيار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء، أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة، ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله ﷻ يسر الله له ما هو الأظفر له والأمنع دنياً وأخرى. اهـ.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٢٦٨٣) (٤٣٥٩) من حديث أحمد بن المفضل قال: ثنا أسباط بن نصر، قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد... فذكره، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» ٢٩٨/٤ من رواية البيهقي من حديث أحمد بن المفضل به نحوه، ورواه النسائي في «المحاربة».

قضاء الوطر هاهنا ليّين أن امرأة المتبنّي تجلّ وإن وطئها، وهو قوله: ﴿لَكِنْ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُتَبَنِّي حَرَجٌ فِي أَنْوَاجِ أَدْعَائِهِمْ إِنْ أَقْتَمُوا مِنْهُمْ وَطَرًا﴾؛ والمعنى: زوجناك زينب - وهي امرأة زيد الذي تبنيته - لكيلا يُظنّ أن امرأة المتبنّي لا يحلّ نكاحها. وروى مسلم في أفرادهِ من حديث أنس بن مالك قال: لما انقضت عدّة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «افعب فأذكّرها عليّ»، قال زيد: فانطلقت، فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، لأن رسول الله ﷺ ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكضت على عقيب، وقلت: يا زينب، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربّي، فقامت إلى مسجدّها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن<sup>(١)</sup>. وذكر أهل العلم أن من خصائص رسول الله ﷺ أنه أجز له التزويج بغير مهر ليخلص قُصد زوجته الله دون العوض، وليخفف عنه، وأجز له التزويج بغير ولي، لأنه مقطوع بكفاهته، وكذلك هو مستغن في نكاحه عن الشهود. وكانت زينب تفاخر نساء النبي ﷺ وتقول: زوّجكنّ أهلوكنّ، وزوّجني الله ﷻ<sup>(٢)</sup>.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُودًا﴾ (٥٨) ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٥٩) ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٦٠)

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ قال قتادة: فيما أحلّ الله له من النساء.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ هي منصوبة على المصدر، لأن معنى «ما كان على النبي من حرج»: سرّ الله سنّة واسعة لا حرج فيها. والذين خلّوا: هم النّبِيُّونَ؛ فالمعنى: أن سنّة الله في التّوسعة على محمد فيما فرض له، كسته في الأنبياء الماضين. قال ابن السائب: هكذا سنّة الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبع مائة امرأة وثلاثمائة سُرّة<sup>(٣)</sup>، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُودًا﴾ أي: قضاء مقضياً. وقال ابن قتيبة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ معناه: لا حرج على أحد فيما لم يخرم عليه. ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٥٩) لا يخافون لائمة الناس وقولهم فيما أجلّ لهم. وباقي الآية قد تقدم بيانه [النساء: ٦].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ قال المفسرون: لمّا تزوّج رسول الله ﷺ زينب، قال الناس: إن محمداً قد تزوّج امرأة ابنه، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، والمعنى: ليس باب لزيد فتخرّم عليه زوجته ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ قال

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ١٠٤٨/٢، ورواه أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه»، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠١/٥ وزاد نسبه لابن سعد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) رواه البخاري رحمه الله ٢٤٨/١٣ عن أنس بن مالك ﷺ قال: فكانت زينب تغفر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكنّ أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٠١/٥ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن أنس ﷺ.

(٣) كذا الأصل، والذي في «مجمع البيان» للطبرسي، والخازن عكس ما هاهنا: وكان لسليمان ثلاثمائة امرأة، وسبع مائة سُرّة. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٣١/٦: وقد حكى وهب بن منبه في «المبتدأ» أنه كان لسليمان ألف امرأة، ثلاثمائة مهيبة، وسبع مائة سُرّة، ونحوه مما أخرج الحاكم في «المستدرک» من طريق أبي مشر عن محمد بن كعب قال: بلغنا أنه كان لسليمان ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة صريحة، وسبع مائة سُرّة. اهـ.

(٤) والذي في «صحيح البخاري» ٣٣٠/٦ في كتاب أحاديث الأنبياء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فائداً يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يفل، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقّيه، فقال للنبي ﷺ: طوّ قلالها لجاهلها في سبيل الله. وفي بعض روايات البخاري تسعين، ووجهها البخاري على سبعين، قال الحافظ ابن حجر: وعند مسلم سبعين. وأخرج الإسماعيلي والنسائي عن أبي الزناد، قال: مائة امرأة، ورواه أحمد وأبو عروانة من طريق هشام عن ابن سيرين فقال: مائة امرأة، قال: ومن طريق جعفر بن ربيعة عن الأخرج: مائة امرأة أو تسع وتسعون على الشك. قال الحافظ ابن حجر: فمحصل الروايات ستون، وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومائة، والجمع بينهما أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري، أو بالعكس، وأما السبعون، فللمبالغة، وأما التسعون والمائة، فكان دون المائة فوق التسعين، فمن قال: تسعون ألفي الكسر، ومن قال: مائة، جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر، قال: وأما قول بعض الشراح: ليس في ذكر القليل نفي الكثير، وهو من مفهوم العدد، وليس بحجة عند الجمهور، فليس بكافي في هذا المقام، وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين، والله أعلم. اهـ.

(٤) رواه الترمذي ١٥٢/٢ عن عائشة ﷺ.



الزجاج: من نصبه، فالمعنى: ولكن كان رسول الله، وكان خاتم النبيين؛ ومن رفعه، فالمعنى: ولكن هو رسول الله؛ ومن قرأ: «خاتم» بكسر التاء، فمعناه: وختم النبيين؛ ومن فتحها، فالمعنى: آخر النبيين. قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيين، لجعلت له ولداً يكون بعده نبياً<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَكَانَ مُحَمَّدٌ لَمْ أَحْزَيْنَ بِجَالِكَ» نهي أن يقال بعد هذا: زيد ابن محمد، أي: لم يكن أباه وإن كان قد تبناه، فإنه ﷺ لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه ﷺ ولد له: القاسم، والطاهر، من خديجة ﷺ، فماتوا صغاراً، وولد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطية، فمات أيضاً رضيعاً، وكان له ﷺ من خديجة أربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فمات في حياته ﷺ ثلاث، وتأنخت فاطمة ﷺ حتى أصيبت به ﷺ، ثم ماتت بعده لسنة أشهر، قال: وقوله تعالى: «وَلَكِنْ رُسُلُ اللَّهِ وَكَافَرُوا أَنْتُمْ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْكُمْ كَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَيْثُ يَجْمَعُ وَكَافَرُوا» قال: فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كان رسول نبي، ولا يتعكس، قال: وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة ﷺ. اهـ. وذكر ابن كثير كثيراً من الأحاديث التي تدل على ختم النبوة والرسالة به ﷺ، منها ما أخرجه البخاري في «صحيحه» ٤/٤٠٨، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٧٩١، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ مَثَلِي وَمِثْلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَعَمِلَ النَّاسُ يَطْفُونَ بِهِ وَيَعْبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبَةَ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» واللفظ للبخاري. ومنها ما رواه مسلم في «صحيحه» ١/٣٧١، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ أَهْطِيتُ جَمِيعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْوَراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَاثِمَةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ، وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صحيحه» ٤/٤٠٤، ومسلم في «صحيحه» ٤/١٨٢٨، عن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ لِي أَسْمَاءٌ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكَفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ» واللفظ لمسلم - والعاقب: الذي ليس بعده نبي - وغير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على ختم باب النبوة برسولنا ونبينا محمد ﷺ.

قال ابن كثير: والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد: إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشریف لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، قال: وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب، أفاك، دجال، ضال، مضل، ولو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والتمزيجات، فكلها محال وضلال عند أولي الأبصار، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وجي، أنها كاذبان ضالان، لعنهما الله، وكذلك كل مدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، هذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون معروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإنكاف والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: «هَلْ أَتَيْتُمْ عَلَى شَيْءٍ مُذْكَرٍ كَذِبَ الْفُتُولِ» تَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ كَذِبٍ لَيْسَ لَهُ قِيَمَةٌ... الآية، قال: وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للمعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصولات الله وسلامه عليهم دائماً مستمراً ما دامت الأرض والسموات. اهـ.

هذا وقد ظهر في هذا القرن (القرن الثالث عشر الهجري) دجال في «قاديان» إحدى بلاد باكستان يدعى النبوة، يسمى: ميرزا غلام أحمد (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هـ) وأتباعه يسمون أنفسهم «الأحمدية» نسبة إلى دجال قاديان، وهم المعروفون عندنا بالقادينيين، وهم يعتبرون ميرزا غلام أحمد القادياني إمام هذا الزمان، والمسيح الموعود، ويدعون أن النبوة لا تنتقل، وأن إمامهم من جملة الأنبياء، ويفسرون قوله تعالى: «وَكَاذِبُ الْكَاذِبِينَ» بأنه طابعهم، وليس آخرهم، وأن كل نبي يظهر بعده ﷺ تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه، مخالفين بذلك تفسير الصحابة والتابعين والمفسرين والمجتهدين والفقهاء والمحدثين وجهود المسلمين من السلف والخلف، ويستشهدون بقول مسيحيهم المزعوم في كتاب «ملفوظات أحمدية» صفحة (٢٩٠): أن المزمع به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمه ﷺ ويقول مسيحيهم بناءً على ذلك مدعياً الرسالة في كتابه «التبليغ» صفحة (٤٣ - ٤٥): «أرسلني ربي لدعوة الخلق، وأتاني من آيات بيته لأدعو خلقه إلى دينه، فطوبى للذين يقبلونني ويذكرون الموت أو يطلبون الآيات وبعد رؤيتها يؤمنون» والحق أنه رسول من قبل دولة الانكليز، يدل على ذلك قوله في كتابه «ضرورة الإمام» صفحة (٣٨) في تفسير قوله تعالى: «لِيُخَيِّرُوا اللَّهُ وَأَخِيضُوا أَرْزُقُوا وَلِي الْأَمْرِ يَكُنْ»: المراد من أولي الأمر جسمانيات الملك (ملك بريطانيا) وروحانيات إمام الزمان (يعني نفسه) وإن الشخص الجسماني الذي لا يخالفنا في مقاصدنا، ويمكننا أن نحصل لنا منه الفائدة الدينية فهو يكون مئاً، ولذلك فنيصحتي لجماعتي هي أن يعلّموا ملك الانكليز من أولياء أمرهم ويطيعوم بصدق القلب، لأن هؤلاء لا يخرجوننا في مقاصدنا الدينية. اهـ. ويقول منير الحسيني من أتباعه في دمشق في شرح كلامه هذا في كتابه «الجماعة الأحمدية والانكليز» صفحة (١٨): ومن هذا الكلام الواضح يفهم كل قارئ أن المسيح الموعود ﷺ (يريد دجال قاديان) بين حكماً من أحكام القرآن المجيد، وهو إطاعة غير المسلمين إذا منحوا الحرية الدينية سواء أكانوا انكليزاً أم غير انكليز، وبما أن الانكليز كانوا في وقته ﷺ هم الحاكمين، كانوا لا يتعرضون للدين، لذلك قال بوجود طاعتهم. ويقول المسيح الكذاب مبيهاً نعمة الانكليز عليه وعلى أتباعه في كتابه «بركات الخلافة» صفحة (٦٥): «إن إحسان الحكومة الانكليزية إلينا هو كبير ونحن نعيش براحة واطمئنان كبيرين، وتتم مقاصدنا، إن أعظم مقصد لنا هو إشاعة الدين (دين دجال قاديان) ولأجل تنميم هذا المقصد نجد كل حرية، ويمكننا التبليغ في كل ركن من المملكة (الانكليزية) حيث نشاء، وإذا ذهبنا للتبليغ في الممالك الأخرى، فهناك أيضاً تساعدنا الحكومة البريطانية». اهـ كلام هذا الدجال، وهو واحد من الذين ظهروا، وسيظهر أمثاله، وذلك مصداق قول نبينا محمد ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» ٤/٢٢٤٠ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ دُجَالُونَ كُذُوبُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿١١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٣﴾ فَيَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا﴾ قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبداً. وقال ابن السائب: يقال: «ذُكِرَ كثيراً» بالصلوات الخمس. وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ قال أبو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل. وللمفسرين في هذا التسبيح قولان: أحدهما: أنه الصلاة، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بكرة: صلاة الفجر. واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العصر، قاله أبو العالية، وقتادة. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء. قاله ابن السائب. والثالث: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ في صلاة الله علينا خمسة أقوال: أحدها: أنها رحمته، قاله الحسن. والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية. والرابع: كرامته، قاله سفيان. والخامس: بركته، قاله أبو عبيدة. وفي صلاة الملائكة قولان: أحدهما: أنها دعائهم، قاله أبو العالية. والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل. وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الضلالة والهدى، قاله ابن زيد. والثاني: الإيمان والكفر، قاله مقاتل. والثالث: الجنة والنار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَيَحْيِيهِمْ﴾ الهاء والميم كناية عن المؤمنين. فأما الهاء في قوله: ﴿يَلْقَوْنَهُ﴾ ففيها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: تحييتهم من الله يوم يلقونه سلام. وروى صهيب عن النبي ﷺ «أن الله يسلم على أهل الجنة». والثاني: تحييتهم من الملائكة يوم يلقون الله: سلام، قاله مقاتل. وقال أبو حمزة الثمالي: تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة، وتبشرونهم حين يخرجون من قبورهم. والثالث: تحييتهم بينهم يوم يلقون ربهم: سلام، وهو أن يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن الهاء ترجع إلى ملك الموت، وقد سبق ذكره في ذكر الملائكة. قال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال له: ربك يقرئك السلام<sup>(٢)</sup>. وقال البراء بن عازب: في قوله: ﴿فَيَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ قال: ملك الموت، ليس مؤمن

(١) رواه البخاري معلقاً ٤١٧/١٣، قال: وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «قال الله تعالى: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه». ورواه أحد في «المسند» عن أبي هريرة ﷺ، وابن ماجه في «مسنده» رقم ٣٧٩٢ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه ابن حبان في «صحيحه» وهو في «موارد الظمان» للحافظ البيهقي صفحة ٥٦٧، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٤٩٦/١ عن أبي الدرداء ﷺ، ووافقه الذهبي. والأحاديث في فضل الذكر كثيرة، منها ما رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم بسند صحيح عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أنبتكم بغير أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله». ومنها ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات». ومنها ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت». وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أنشئت به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى»، رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله تعالى بركة، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله تعالى فيه، كانت عليه من الله بركة» - أي: نقص وتبعة وحسرة - رواه أبو داود، وهو حديث صحيح. والآيات والأحاديث والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جداً، وفي هذه الآية الكريمة حث على الإكثار من ذلك، وقد صنف العلماء في الأذكار المتعلقة بآثار الليل والنهار مصنفات كثيرة، ومن أحسنها في ذلك كتاب «الأذكار» للإمام النووي رحمه الله، وقد اختصره شيخ الإسلام ابن تيمية وسماه بـ «الكلم الطيب» وطبعه المكتب الإسلامي طباعة جيدة محققة، ليكون في متناول أيدي الناس - وخاصة الشباب منهم - وليجدوا بذلك عوناً لهم على ذكر الله ﷻ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٥ من رواية المروزي في «الجنائز» وابن أبي الدنيا وأبي الشيخ عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

يقبض روحه إلا سلم عليه<sup>(١)</sup>. فاما الأجر الكريم، فهو الحسن في الجنة<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٥٠ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا﴾ ٥١ ﴿وَنَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٢ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ ٥٣ ﴿وَنَذِيرًا﴾ ٥٤ ﴿أَي: منيرًا بالنار لمن كذبك﴾ ٥٥، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ ٥٦: أي: إلى توحيده وطاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ ٥٧: أي: بأمره، لا أنك فعلته من تلقاء نفسك ﴿وَسِرَاجًا مُبِينًا﴾ ٥٨: أي: أنت لمن أتبعك «سراجاً»، أي: كالسراج المضيء في الظلمة يهتدى به.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ ٥٣: وهو الجنة. قال جابر بن عبد الله: لما أنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ ٥٣... الآية [الفتح] قال الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٤: قد سبق في أول السورة.

قوله تعالى: ﴿وَدَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ ٥٦: لا تجازهم عليه ﴿وَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ٥٧: في كفاية شرهم<sup>(٥)</sup>؛ وهذا منسوخ بآية السيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنَاتِ نَرَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُوهُنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَمَرْجُوهُنَّ سِرَاجًا مُبِينًا﴾ ٥٨ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ٥٩<sup>(٦)</sup> قال الزجاج: معنى «نَكْخِشُ» تزوجتم. ومعنى «تَمْسُوهُنَّ» تقربوهن. وقرأ حمزة، والكسائي: «تَمَسَّوهُنَّ» بالف.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُهُمْ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ الظاهر أن المراد - والله أعلم - تحيتهم، أي من الله تعالى يوم يلقونه: سلام، أي: يسلم عليهم، كما قال عليه السلام: ﴿لَا يَنْزِلُ مِنْ رَبِّي جَبَرٌ﴾ ٥٥، قال: وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا لَكُمْ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَتَانِحِ وَالْمَلَأْدِ وَالْمَنَاطِرِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾ ٥٨.

(٣) روى أحمد في «المسند» والبخاري في «صحيحه» عن عطاء بن يسار رضي الله عنه، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٥٠ ﴿وَجَزَاءً لِلأَمِينِ﴾ أنت عبيد ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري عن عكرمة والحسن البصري قالوا: لما نزلت ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ أُمَّ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٦ قال: ﴿يَتَّبِعُ اللَّهُ أُمَّ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٦: أي: لا يتركهم، وإنما تتركهم، هنيئاً لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل: ﴿لَيُتَّبِعَنَّ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا حَتَّىٰ﴾... الآية، وأنزل في سورة (الأحزاب): ﴿وَنَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٢ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ ٥٣.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ ٥٧ يقول: وفوض إلى الله أمورك، وتوكل به، فإنه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمر، وقضاؤه، ﴿وَكُنْ بِأَمْرٍ نَكِيرًا﴾ ٥٨ يقول: وحسبك بالله فيما بأمرورك، وحافظاً لك وكائناً. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة، منها إبطال النكاح على العقد وحده، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها، وقد اختلفوا في النكاح، هل هو حقيقة في العقد وحده، أو في الوطء، أو فيهما؟ على ثلاثة أقوال، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده، إلا في هذه الآية، فإنه استعمل في العقد وحده، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنَاتِ نَرَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها، وقوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ خرج منجوز الغالب، إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتانية في ذلك بالاتفاق. وقد استدلل ابن عباس رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعلي بن الحسين زين العابدين، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَكْخِشُ الْمُؤْمِنَاتِ نَرَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ فعقب النكاح بالطلاق، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله، وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رحمهم الله تعالى، قال: وذهب مالك وأبو حنيفة ورحمهما الله تعالى إلى صحة الطلاق قبل النكاح فيما إذا قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، فعندهما متى تزوجها طلقته منه، واختلفا فيما إذا قال: كل امرأة أتزوجها فهي طالق، فقال مالك: لا تطلق حتى يمين المرأة، وقال أبو حنيفة رحمه الله: كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه. قال: فاما الجمهور، فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية، قال: وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك»، رواه أحمد وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، قال: وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمصور بن مخزومة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا طلاق قبل النكاح». اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدْوٍ مَنَعْتُمْهَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الطَّلَاقُ قَبْلَ الْمَسِيسِ وَالْخُلُوةِ فَلَا عِدَّةَ<sup>(١)</sup>؛ وَعِنْدَنَا<sup>(٢)</sup> أَنَّ الْخُلُوةَ تَوْجِبُ الْعِدَّةَ وَتَقَرَّرُ الصَّدَاقُ، خِلَافًا لِلشَّافِعِيِّ.

قوله تعالى: ﴿فَتَقَرَّبُوهُنَّ﴾ المراد به من لم يُسَمَّ لها مهرًا، لقوله في [البقرة: ٢٣٦]: ﴿أَوْ تَقَرَّبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ وقد بينَّا المتعة هنالك، وكان سعيد بن المسيَّب وقادة يقولان: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَتَقَرَّبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْهُنَّ سَرَكَأً جَيِّلاً﴾ أي: من غير إضرار. وقال قتادة: هو طلاقها طاهراً من غير جماع. وقال القاضي أبو يعلى: الأظهر أن هذا التيسير ليس بطلاق، لأنه قد ذكر الطلاق، وإنما هو بيان أنه لا سبيل له عليها، وأن عليه تخليتها من يده وجبالة.

## فصل

واختلف العلماء فيمن قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، ثم تزوجها؛ فعندنا أنها لا تطلق، وهو قول ابن عباس، وعائشة، والشافعي، واستدل أصحابنا بهذه الآية، وأنه جعل الطلاق بعد النكاح. وقال سماك بن الفضل: «النكاح عقد، والطلاق يخلُّها، فكيف يخلُّ عقد لم يُعقد؟ فجعل بهذه الكلمة قاضياً على «صنعاء». وقال أبو حنيفة: يتعقد الطلاق، فإذا وُجد النكاح وقع. وقال مالك: يتعقد ذلك في خصوص النساء، وهو إذا كان في امرأة بعينها، ولا يتعقد في عمومهن. فأما إذا قال: إن ملكت فلانة فهذا حراً، فقيه عن أحمد روايتان.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَّا فَأِنَّهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَنَكَاتِ عَلَيْكَ وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَكَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠ قَرِيبٌ مِّنْ نَّفَاةٍ مِّنْهُنَّ وَتَوَعَّبَ لِقَاءِ رَبِّكَ مِنْ نَفَاةٍ وَوَيْتَنَ ابْنُكَ مِنْ نَفَاةٍ فَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥١ يَحْزَنكَ وَرِثَتُكَ مِمَّا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَهْدِي لِمَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥٢ لَا يَحِلُّ لَكَ الْفِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ لَوْ أَصْبَحْتَ حَسْبُكَ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ ذكر الله تعالى أنواع الأنكحة التي أحلها له، فقال: ﴿أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أَجْرَهُنَّ﴾ أي: مهورهن، وهن اللواتي تزوجتهن بصدّق. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الجوّاري ﴿وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي: رُدَّ عليك من الكفار، كصفية وجوزيرة، فإنه اعتقهما وتزوجهما ﴿وَنَكَاتِ عَلَيْكَ وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ﴾ يعني نساء قريش ﴿وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ﴾ يعني نساء بني زُهرة<sup>(٣)</sup> ﴿اللَّتِي هَاجَرْنَ مَكَكَ﴾ إلى المدينة. قال القاضي أبو يعلى: «ولظاهر» هذا يدلُّ على أن من لم تهجر معه من النساء لم يحلَّ له نكاحها. وقالت أم هانئ: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه بغيره، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿اللَّتِي هَاجَرْنَ مَكَكَ﴾، قالت: فلم أكن لأجلَّ له، لأنِّي لم أهاجر معه، كنت من الطَّلَاق<sup>(٤)</sup>؛ وهذا يدلُّ من مذهبي أنَّ تخصيصه بالمهاجرات قد أوجب حظر من لم تهجر. وذكر

(١) قال ابن كثير: هذا أمر مجمع عليه بين العلماء أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها، فتتزوج في فورها من شاءت، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها، فإنها تعدت منه أربعة أشهر وعشراً وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضاً. اهـ.

(٢) أي: معاشر الحاتلة.

(٣) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَنَكَاتِ عَلَيْكَ وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ وَنَكَاتِ خَلَّتِكَ﴾ الآية: هذا عدل وسط بين الإفراط والتفريط فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعداً، واليهود يتزوج أحداهن بنت أخيه وبنت أخته، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهم إفراط النصارى - فأباح بنت العم والعمة، وبنت الخال والخالة - وتحريم ما فرطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت، وهذا شنيع فظيع. اهـ.

(٤) روى ابن جرير الطبري: ٢٠/٢٢ من طريق السدي عن أبي صالح عن أم هانئ رضي الله عنها، والسيدي وأبو صالح ضعيفان. ورواه الترمذي في «جامعه» ٢/ ١٥٣ به وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٢٠، به، وصححه، ووافقه الذهبي، والحديث أخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٥ وقال: روى الترمذي، والحاكم، وابن أبي شيبه، وإسحاق، والطبري، والطبراني، وابن أبي حاتم، كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عن أم هانئ، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٨/٥، وزاد نسبت لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن مردويه، والبيهقي. قال ابن كثير: وقد روى ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ بنحوه.





أبو رزين<sup>(١)</sup>. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: تطلّق من تشاء من نسائك، وتُمسِك من تشاء من نسائك، قاله ابن عباس. والثاني: تترك نكاح من تشاء، وتُنكِح من نساء أمّتك من تشاء، قاله الحسن. والثالث: تغزّل من شئت من أزواجك فلا تأتيها بغير طلاق، وتأتي من تشاء فلا تغزّلها. قاله مجاهد. والرابع: تقبّل من تشاء من المؤمنات اللواتي يَهَيّن أنفسهنّ، وتترك من تشاء، قاله الشعبي، وعكرمة. وأكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة لرسول الله ﷺ مصاحبة نساؤه كيف شاء من غير إيجاب القسمة عليه والتسوية بينهما، غير أنه كان يسوّي بينهما<sup>(٢)</sup>. وقال الزُّهري: ما عَلِمْنَا رسول الله ﷺ أرجأاً منهنّ أحداً، ولقد أواهنّ كلّهنّ حتى مات. وقال أبو رزين: أوى عائشة، وأم سلمة، وحفصة، وزينب، وكان قسّمه من نفسه وماله فيهنّ سواء. وأرجأ سودة، وجويرية، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وكان يقسّم لهنّ ما شاء. وكان أراد فراقهنّ فقلن: اقسّم لنا ما شئت، ودعنا على حالنا. وقال قوم: إنّما أرجأ سودة وحدها لأنها وهبت يومها لعائشة، فتوفي وهو يقسّم لثمان.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّى﴾ أي: تضم، ﴿وَمَنِ ابْنَتَيْ يَمَنَ عَزَّتْ﴾ أي: إذا أردت أن تُؤوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ أي: لا مَلِيلَ عليك بلْؤم ولا عَثَبٌ ﴿وَلَكَّ أَذَقَهُ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيّرناك في صحبتهنّ أقرب إلى رضاهنّ. والمعنى: إنهنّ إذا عَلِمْنَ أنَّ هذا أمر من الله، كان أطيب لأنفسهنّ. وقرأ ابن محيصن، وأبو عمران الجوني: «أن تُقَرَّ بضم التاء وكسر القاف «أَعْيُنُهُنَّ» بنصب النون. «وَبَرَضَتِ يَمًا» أَيَّتَهُنَّ كَلَّهُنَّ» أي: بما أعطيتهن من تقريب وتأخير<sup>(٣)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من الميل إلى بعضهنّ<sup>(٤)</sup>. والمعنى: إنّما خيّرناك تسهيلاً عليك.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ﴾ كلّهم قرأ: «لَا يَحِلُّ» بالياء، غير أبي عمرو، فإنه قرأ بالناء؛ والتأنيث ليس بحقيقي، إنّما هو تأنيث الجمع، فالقراءتان حستانان. وفي قوله: ﴿يَنْبَغُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد نسائك اللواتي خيّرتهنّ فاخترن الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، وقادة في آخرين، وهُنَّ السَّع، فصار [مقصوراً] عليهنّ ممنوعاً من غيرهن. وذكر أهل العلم أن طلاقه لحفصة وعزّمه على طلاق سودة كان قبل التخيير<sup>(٥)</sup>. والثاني: من بعد الذي أحلّلنا لك، فكانت الإباحة بعد نساؤه مقصورة على المذكور في قوله: ﴿إِنَّا أَسْلَمْنَاكَ لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ قاله أبي بن كعب، والضحاك. والثالث: لا تحلّ لك النساء غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات، وتحلّ لك المسلمات، قاله مجاهد.

(١) قال الحافظ ابن حجر في تخرجه الكشف: ١٣٥: أخرجه ابن أبي شيبة من رواية رزين، قال: وهذا مرسل. اهـ. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٥ بدون سند وقال: وقال قوم... إلخ.

(٢) قال ابن كثير: ولهذا ذهب طائفة من العلماء من الشافعية وغيرهم إلى أنه لم يكن القسم واجباً عليه ﷺ، واحتجوا بهذه الآية الكريمة، قال: وقال البخاري عن معاذ بن عائشة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنِ ابْنَتَيْ يَمَنَ عَزَّتْ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ فقالت: كنت أقول: إن كان ذلك إلّي فإني لا أريد يا رسول الله أن أرتب عليك أحداً. قال ابن كثير: فهذا الحديث عنها يدل على أن المراد من ذلك عدم وجود القسم، وحديثها الأول - يعني: «أرى ريك يسارع في هواك» - يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات، قال: ومن هاهنا اختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عنده أنه مخير فيهن، إن شاء قسم، وإن شاء لم يقسم، قال: وهذا الذي اختاره حسن جيد قوي، وفيه جمع بين الأحاديث. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحرج في القسم، فإن شئت قسمت، وإن شئت لم تقسم، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت، ثم مع هذا إن تقسم لهن اختياراً منك، لا أنه على سبيل الوجوب، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك، واعترفن بمثلك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهما، وإتصافك لهن، وعذلك فيهن. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: أي: من الميل إلى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه. اهـ. وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي بسند جيد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقسم بين نساؤه فيقول: «اللهم هلا قسمي فيما أمك فلا تلمني فيما تملك ولا أمك». هذا بالنسبة له ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ بالنسبة لغيره فيما رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وفيه ساقط».

(٥) قال ابن كثير: فأما قضية سودة، ففي «الصحيح» عن عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها: وهي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ حَاغَتْ مِنْ بَيْتِهَا فَتُزَوَّجُ أَوْ إِفْرَاسًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا...﴾ الآية، وأما قضية حفصة، فروى أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» من طرق عن عمر أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها، قال: وهذا إسناد قوي. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن تطلق زوجاتك وتستبدل بهن سواهن<sup>(١)</sup>، قاله الضحاك. والثاني: أن تبدل بالمسلمات المشركات، قاله مجاهد في آخرين. والثالث: أن تعطي الرجل زوجته وتأخذ زوجته، وهذه كانت عادة للجاهلية، قاله أبو هريرة، وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعني الإمام. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إلا أن تملك بالسبي، فيحل لك وطؤها وإن كانت من غير الصنف الذي أحلته لك؛ وإلى هذا أوما أبي بن كعب في آخرين. والثاني: إلا أن تصيب يهودية أو نصرانية فتطأها بملك اليمين، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثالث: إلا أن تبدل أمك بأمة غيرك، قاله ابن زيد. قال أبو سليمان الدمشقي: وهذه الأقوال جائزة، إلا أننا لا نعلم أن رسول الله ﷺ نكح يهودية ولا نصرانية بتزويج ولا ملك يمين، ولقد سبى ربحانة القرظية فلم يذن منها حتى أسلمت.

### فصل

اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذه الآية على قولين: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، وهذا مروى عن علي، وابن عباس، وعائشة، وأم سلمة، وعلي بن الحسين، والضحاك. وقالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أجل له النساء<sup>(٢)</sup>، قال أبو سليمان الدمشقي: يعني نساء جميع القبائل من المهاجرات وغير المهاجرات. والقول الثاني: أنها محكمة؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أن الله تعالى أثنى نساءه حين اخترته بأن قصره عليهن، فلم يحل له غيرهن، ولم ينسخ هذا، قاله الحسن، وابن سيرين، وأبو أمامة بن سهل، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن المراد بالنساء هاهنا: الكافرات، ولم يجوز له أن يتزوج كافرة، قاله مجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وجابر بن زيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبَاتٍ لَئِنْ دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْصَرِفُوا وَلَا تَسْتَمْتِمِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِ مِنْ الْكَافِرِينَ وَإِنَّا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَا فَتَنَلُوهُنَّ مِنْ رَبِّهِمْ جَاءَ ذَلِكَكُمْ أَهْلُهُمْ وَلَقَدْ يَكُونُ مَعَهُنَّ وَلَدٌ وَمَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا آيَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...﴾ الآية<sup>(٤)</sup>. في سبب نزولها ستة أقوال: القول الأول: أخرجاه في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم،

(١) قال ابن كثير: فنهاه عن الزيادة عليهن إن طلق واحدة منهن واستبدل غيرها بها إلا ما ملكت يمينه. اهـ.

(٢) رواه أحمد في «المستدرك» والترمذي في «جامعه» والنسائي في «سننه» عن عائشة.

(٣) قال ابن كثير: ذكر غير واحد من العلماء، كابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وابن جرير، وغيرهم، أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ، ورضى عنهن على حسن صميمهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خيرهن رسول الله ﷺ كما تقدم في الآية، فلما اخترن رسول الله ﷺ، كان جزاؤهن أن الله تعالى قصره عليهن، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن، أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبه حسنهن، إلا الإمام والسراي. فلا حرج عليه فيهن، ثم إنه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج، لتكون البينة لرسول الله ﷺ عليهن، وذكر ابن كثير بعض الأدلة على ذلك، ثم قال: وذلك قوله تعالى: ﴿تَزَوَّجْتُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ بَيْنَهُنَّ﴾ الآية، قال: فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة، كآيية عدة الوفاة في (البقرة) الأولى ناسخة للتي بعدها، والله أعلم. قال: وقال آخرون: بل معنى الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَغْيُ﴾ أي: من بعد ما فكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحلنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالات، والوامة، وما سوى ذلك من أصناف النساء، فلا يحل لك. وذكر بعض أقوال السلف في ذلك، ثم قال: واختار ابن جرير رحمه الله أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء، وفي النساء اللواتي في عصمتهم وكن نسماً، قال: وهذا الذي قاله جريد، ولعله مراد كثير من حكيتا عنه من السلف، فإن كثيراً منهم روي عنه هذا وهذا، ولا منافاة، والله أعلم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: هذه آية الحجاب، وفيها أحكام وآداب شرعية، وهي مما وافق تنزيلها قول عمر بن الخطاب ﷺ، كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عنه أنه قال: وافقت ربي ﷺ في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخلفت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَدْرُونَ﴾ ثم قلت: يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو حجبتن، فأنزل الله آية الحجاب، وقلت لأزواج النبي ﷺ لما تمالأن عليه في الغيرة: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْجِسًا فَمَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْجِسًا فَارْجُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ يَرْجُوْنَ أَنْ يَبْلُغْنَ إِلَى آبَائِكُمْ يَكُونُنَّ فِي سَبِيلِكُمْ﴾ فنزل كذلك. قال: وفي رواية لمسلم ذكر أسارى بدر، وهي قضية رابعة. اهـ.

فقطعوا ثم جلسوا يتحدثون، فأخذ كآته يتهى للمقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام، وقعد ثلاثة، فجاء رسول الله ﷺ فدخل فلذا القوم جلوس، فرجع، وإنهم قاموا فانطلقوا، وبحث فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، وذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، وأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن ناساً من المؤمنين كانوا يتحشرون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك<sup>(٢)</sup>، ثم يأكلون ولا يخرجون، فكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثالث: أن عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله! إن نساءك يدخل عليهن البز والفاجر، فلو أمرتهن أن يَحْتَجِينَ، فنزلت آية الحجاب، أخرجه البخاري من حديث أنس، وأخرجه مسلم من حديث ابن عمر، كلاهما عن عمر<sup>(٤)</sup>. والرابع: أن عمر أمر نساء رسول الله ﷺ بالحجاب، فقالت زينب: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا! فنزلت الآية. قاله ابن مسعود<sup>(٥)</sup>. والخامس: أن عمر كان يقول لرسول الله ﷺ: احجب نساءك، فلا يفعل، فخرجت مؤدّة ليلة، فقال عمر: قد عرفناك يا مؤدّة - حرصاً على أن ينزل الحجاب - فنزل الحجاب، رواه عكرمة عن عائشة<sup>(٦)</sup>. والسادس: أن رسول الله ﷺ كان يطعم معه بعض أصحابه، فأصاب يد رجل منهم يد عائشة، وكانت معهم، فكره النبي ﷺ ذلك، فنزلت آية الحجاب، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَبَ يُؤْذَنُ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ﴾ أي: أن تُدْعُوا إليه ﴿مَعَ تَطَوُّرٍ﴾ أي: منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾. قال الزجاج: موضع «أن» نصب؛ والمعنى: إلا بأن يؤذن لكم، أو لأن يؤذن، و«غير» منصوبة على الحال؛ والمعنى: إلا أن يؤذن لكم غير متظرين. وإثباته: نُصِّحَهُ ويلوغه.

قوله تعالى: ﴿فَانْتَرُوا﴾ أي: فاخرجوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا مُتَتَابِعِينَ لِحُومٍ﴾ المعنى: ولا تدخلوا مستأنسين، أي: طالبي الأنس لحديث، وذلك أنهم كانوا يجلسون بعد الأكل فيحدثون طويلاً، وكان ذلك يؤذيه، ويستحيي أن يقول لهم: قوموا، فعلمهم الله الأدب، فذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَتَّبِعِي مِنَ الْغَيْبِ﴾ أي: لا يترك أن يبين لكم ما هو الحق ﴿وَلَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾ أي: شيئاً يُسْتَمْتَع به ويُتَمَتَّع به من آلة المنزل ﴿فَسُئِلْتُمْ مِنْ دُونِهِ جَابِ دَلِيلِكُمْ أَطْهَرُ﴾ أي: سؤالكم إياهنّ المتاع من وراء حجاب أطهر ﴿لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الرؤية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء. قال أبو عبيدة: وكان من خروف الزوائد. والمعنى: ما لكم أن تؤذوا رسول الله ﷺ ﴿وَلَا أَنْ تَنْكِبُوا أَرْجُلَكُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَ﴾.

- (١) البخاري ٤٠٦/٨، ٤٠٧، ومسلم ١٠٥٠/٢، ورواه ابن جرير الطبري بنحو ٢٧/٢٢، وأورده السيوطي في «الدر» ٢١٣/٥، وزاد نسبتاً لأحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن أنس ﷺ.
- (٢) أي: إلى أن يضيغ الطعام.
- (٣) ذكره البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس بدون سند.
- (٤) البخاري ٤٠٦/٨، ومسلم ١٨٦٥/٤ وهو طرف من حديث أوله: «وافقت ربي في ثلاث...» وقد تقدم.
- (٥) «الطبري» ٤٠/٢٢ من طريق عطاء بن السائب، عن أبي وائل عن ابن مسعود، وذكره السيوطي في «الدر» ٢١٤/٥ من رواية ابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٧: رواه التلميذ من رواية مجاهد عن الشعبي.
- (٦) رواه الطبري ٤٠/٢٢ من طريق عروة عن عائشة، قال ابن كثير: هكذا وقع في هذه الرواية، والمشهور أن هذا كان بعد نزول الحجاب، كما رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ﷺ قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأى عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فأنكفات راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتشبهني يده يرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله! إنني خرجت لبعث حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إلي، ثم رفع عنه وإن الرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكم أن تخرجن لحاجتكن»، وقال ابن كثير: هذا لفظ البخاري. اهـ. وقال ابن كثير أيضاً: فقله تعالى: ﴿لَا تَسْكُرُوا لِلَّهِ﴾ حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة، فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة، قال: ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إياكم والدخول على النساء... الحديث»، قال: ثم استثنى من ذلك فقال تعالى: ﴿إِلَّا أَبَ يُؤْذَنُ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فِي بَيْتٍ مَعَهُمْ قَدْ تَطَوَّعْتُمْ﴾. قال: قال مجاهد وقناة وغيرهما، أي: غير متحينين نفضجه واستواءه، أي: لا ترقبوا الطعام إذا طبخ حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا ما يكرهه الله ويلمه، قال: وهذا دليل على تحريم التطفل، وهو الذي تسميه العرب: «الضيغ». اهـ.
- (٧) رواه الطبري ٢٩/٢٢ من مجاهد مرسلًا، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٦: رواه ابن أبي شبة والطبري من طريق مجاهد مرسلًا.





فقال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك<sup>(٢)</sup> على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على [آل] إبراهيم، إنك حميد مجيد»، أخرجه البخاري ومسلم<sup>(٣)</sup>. ومعنى قوله «قد علمنا التسليم عليك»: ما يقال في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». وذهب ابن السائب إلى أن معنى التسليم: سلّموا ليما يأمركم به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في الذين طعنوا على رسول الله ﷺ حين اتخذ صفية بنت خبيّ، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: نزلت في المصوّرين، قاله عكرمة<sup>(٥)</sup>. والثالث: في المشركين واليهود والنصارى، وصفوا الله بالولد وكذبوا رسوله وشجّوا وجهه وكسروا ربايعته وقالوا: مجنون شاعر ساحر كذاب<sup>(٦)</sup>. ومعنى أذى الله: وصفه بما هو منزّه عنه، وعصائه<sup>(٧)</sup>؛ ولعنهم في الدنيا: بالقتل والجلاء، وفي الآخرة: بالنار.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن عمر بن الخطاب رأى جارية متبرّجة فضربها وكفّ ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو، فخرجوا إليه فأذّوه، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الرّثّة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها؛ وإنما كانوا يؤذون الإماء، غير أنه لم تكن الأمة تُعرّف من الحرة، فشكون ذلك إلى أزواجهنّ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(٩)</sup>. والثالث: أنها نزلت فيمن تكلم في عائشة وصفوان بن المعطل بالإفك، قاله الضحاك<sup>(١٠)</sup>. والرابع: أن ناساً من المنافقين آذوا علي بن أبي طالب، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(١١)</sup>. قال المفسرون: ومعنى الآية: يرمونهم بما ليس فيهم.

(١) ما بين المعنيين زيادة من «البخاري» و«مسلم» من حديث كعب بن عجرة.

(٢) في حديث كعب بن عجرة في البخاري ومسلم: «اللهم بارك».

(٣) البخاري ٤١٠/٨ ومسلم ٣٠٥/١، ولهذا الحديث صيغ أخرى بألفاظ مختلفة تراجع في محلها من كتب الحديث، انظر «فتح الباري» ١٢٨/١١ - ١٤٧. قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية - ﴿إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - أن الله سبحانه وتعالى آخر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملا الأعلى بأنّه يشي عليه عند الملائكة المقرّبين، وأن الملائكة تصلي عليه، قال: ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً. اهـ. وقال ابن كثير أيضاً: ذهب الشافعي رحمه الله إلى أنه يجب على المصلي أن يصلي على رسول الله ﷺ في التشهد الأخير، فإن تركه لم تصح صلاته، ثم قال: وقد روينا وجوب ذلك والأمر بالصلاة كما هو ظاهر الآية ومفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن مسعود، وأبو مسعود البديري، وجابر بن عبد الله، ومن التابعين: الشعبي، وأبو جعفر الباقر، ومقاتل بن حيان، قال: وإليه ذهب الشافعي، لا خلاف عنه في ذلك ولا بين أصحابه أيضاً، قال: وإليه ذهب الإمام أحمد أخيراً فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي، وبه قال إسحاق بن راهويه، والفقهاء الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن المؤاز المالكي رحمه الله، ثم قال: وللقول بوجوبه ظواهر الحديث والله أعلم. قال: وما يؤيد ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحهما» عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يمجّد الله، ولم يصلي على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «جعل الله له من دماء قتاله أو لعن»؛ «إذا صلى أحدهم فليبدأ بتمجيد الله ﷻ والثناء عليه، ثم ليصل على النبي، ثم ليدع بما شاء». اهـ.

(٤) رواه الطبري: ٤٥/٢٢ من رواية عطية الموقفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٠/٥، وزاد نسبه لابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ.

(٥) ذكره البغوي عن عكرمة بدون سند، وقال ابن كثير: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نزلت في المصوّرين. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.

(٦) ذكر هذا المعنى البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٠/٥ من رواية ابن المنذر عن ابن جريج قال: آذوا الله فيما يدعون معه، وآذوا رسول الله ﷺ قالوا: إنه ساحر مجنون. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء، ومن آذاه فقد كذى الله، كما أن من أطاعه فقد أطاع الله. اهـ.

(٧) ومن إلهاء تعالى، ما جاء في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر أثلب ليله ونهاره» ومعنى هذا أن الجاهلية كانوا يقولون: يا غيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا، فيسندون أفعال الله تعالى إلى الدهر ويسبونه، وإنما الفاعل لذلك هو الله ﷻ.

(٨) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٧، ٢٠٨ عن عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٩) الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن الضحاك والسدي والكلبي بدون سند.

(١٠) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٠/٥ من رواية ابن جرير عن ابن عباس قال: أنزلت في عبد الله بن أبي نواس معه تذفوا عائشة ﷺ.

(١١) الواحدي في «أسباب النزول» ٢٠٨ عن مقاتل بدون سند، وكذلك البغوي.

﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَأَزِيدَنَّكَ رِيسَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ بِذِيكَ عَلَيْهِنِ مِنْ جَلِيلِيهِنَّ ذَلِكَ أَدَّبَهُ أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَاقِبَتَا رَجِيمًا ٥٩﴾ ﴿لَنْ تَرَى بَيْنَهُ الْمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَتُفَرِّقَنَّ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠﴾ ﴿لَتُؤْمِنَنَّ أَتَيْنَا تُقْفَرُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا لَتُتَبِّلَنَّ ٦١﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ خُلُوعًا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ قُلْ لَأَزِيدَنَّكَ...﴾ الآية، سبب نزولها أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل، فإذا رآوا المرأة عليها فتاح تركوها وقالوا: هذه حرة، وإذا رآوها بغير فتاح قالوا: أمة، فأدبها، فنزلت هذه الآية، قاله السدي<sup>(١)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿بِذِيكَ عَلَيْهِنِ مِنْ جَلِيلِيهِنَّ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن قتية: يلبس الأزدية. وقال غيره: يغطين رؤوسهن ووجوههن ليعلن أنهن حرائر ﴿ذَلِكَ أَدَّبَهُ﴾ أي: أخرى وأقرب ﴿أَنْ يُعْرِفَنَّ﴾ أنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَى بَيْنَهُ الْمُتَّقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: فجور، وهم الزناة ﴿وَالْمُرْجُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ بالكذب والباطل، يقولون: أتاكم العدو، وقتلت سراياكم وهزمت ﴿لَتُفَرِّقَنَّ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لتسلطنك عليهم بأن نامرك بقتالهم. قال المفسرون: وقد أغري بهم، فقيل له: ﴿جَعَدَ الْكَافِرُ وَالْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]، وقال يوم الجمعة «أخرج يا فلان من المسجد فإنك منافق، قم يا فلان فإنك منافق»<sup>(٣)</sup> ﴿ثُمَّ لَا يَجْعَلُونَكَ فِيهَا﴾ أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى يهلكوا، ﴿لَتُؤْمِنَنَّ﴾ منصوب على الحال؛ أي: لا يجاورونك إلا وهم ملعونون ﴿أَتَيْنَا تُقْفَرُوا﴾ أي: وجدوا وأدركوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِلُوا لَتُتَبِّلَنَّ﴾ معنى الكلام: الأمر، أي: هذا الحكم فيهم، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سن في الدين ينافقون الأنبياء ويرجون بهم أن يفعل بهم هذا.

﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا بِدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَنَّ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٤﴾ ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٦٥﴾ ﴿يَوْمَ تَقُفُّ أَرْجُلُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا اللَّهُ لَعَنَّا اللَّهُ وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا ٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَةًنَا فَاقْبَلُوا السَّيِّئَاتِ ٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَا مِنْكَ الْغَلَاظَ وَالْعَنَمَ لَمَّا كَبُرَ ٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ قال عروة: الذي سأله عنها عتبة بن ربيعة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا بِدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يُعلمك أمر الساعة ومتى تكون؟ والمعنى: أنت لا تعرف ذلك؛ ثم قال: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾. فإن قيل: هل قال: قريبة؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه أراد الظرف، ولو أراد صفة الساعة بعينها، لقال: قريبة، هذا قول أبي عبيدة. والثاني: أن المعنى راجع إلى البعث، أو إلى مجيء الساعة. والثالث: أن تأنيث الساعة غير حقيقي، ذكرهما الزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيان ألفاظه [البقرة: ١٥٩، النساء: ١٠، الإسراء: ٤٩]. فاما قوله: ﴿وَأَلَمْنَا الرُّسُلَا﴾ فقال الزجاج: الاختيار الوقف بالفاء، لأن أواخر الآي وفواصلها تجري مجرى أواخر الآيات، وإنما خطبوا بما يعقلونه من الكلام المؤلف ليدل بالوقف بزيادة الحرف أن الكلام قد تم؛ وقد أشرنا إلى هذا في قوله: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَةًنَا﴾ أي: أشرافنا وعظماءنا. قال مقاتل: هم المظلمون في غزوة بدر. وكلهم قرأوا: «سادتنا» على التوحيد، غير ابن عامر، فإنه قرأ: «ساداتنا» على الجمع مع كسر التاء، ووافقه المفضل، ويعقوب، إلا أبا حاتم ﴿فَأَقْبَلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عن سبيل الهدى، ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِغَيْرِ مَعْرُوفٍ وَأَعْتَدْنَا لَنَا جُزَاءً وَكَبَرَةًنَا﴾ أي: ضعفي عذابنا، ﴿وَالْعَنَمَ لَمَّا كَبُرَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «كثيراً» بالثاء. وقرأ عاصم، وابن عامر: «كبيراً» بالباء. وقال أبو علي: الكثرة أشبه بالجرار المتكررة من الكبر.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٢٢/٥ من رواية ابن أبي حاتم عن السدي. وذكره الواحدي في «أسياب النزول» ٢٠٨ عن السدي بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى أمراً رسول الله ﷺ، أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدين عليهن من جلابيهن، ليميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإمام، قال: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقناة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد، وهو بمنزلة الإزار اليوم، وقال: قال الجوهري: الجلباب: الملحفة.

(٣) هو جزء من حديث طويل رواه الطبري ١٠/١١، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس، وفي سننه الحسين بن عمرو العتري، وهو ضعيف.



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مَادُوا مُوسَى فَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجَيْهَا ۖ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَبَيِّضْ لَكُمْ دُورَكُمْ وَمِنْ بَطْنِ اللَّهِ فَقَدْ قَارَ فَرًّا عَظِيمًا ۖ﴾ ﴿٧١﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مَادُوا مُوسَى﴾ أي: لا تؤذوا محمداً كما أذى بنو إسرائيل موسى فينزل بكم ما نزل بهم. وفي ما آذوا به موسى أربعة أقوال: أحدها: أنهم قالوا: هو أكر، فذهب يوماً يغتسل، ووضع ثوبه على حجر، ففرا الحجر بشوبه، فخرج في طلبه، فأروه فقالوا: والله ما به من بأس. والحديث مشهور في الصحاح كلها من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «وقد فكرته بإسناده في المغني» والمعدن<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: والأدرك: عظيم الخصميتين. والثاني: أن موسى صعد الجبل ومعه هارون، فمات هارون، فقال بنو إسرائيل: أنت قتلت، فأذوه بذلك، فأمر الله تعالى الملائكة فحملته حتى مرت به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو إسرائيل أنه مات، فبرأه الله من ذلك، قاله علي<sup>(٢)</sup>. والثالث: أن قارون استأجر بني<sup>(٣)</sup> لتقذف موسى بنفسها على ملا من بني إسرائيل فعصمها الله وبصر موسى من ذلك. قاله أبو العالية<sup>(٤)</sup>. والرابع: أنهم رموه بالسحر والجنون، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجَيْهَا﴾ قال ابن عباس: كان عند الله حظاً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه. «وقد بينا معنى الوجيه في (الغفران: ٤٥)»<sup>(٥)</sup>. وقرأ ابن مسعود والأعمش، وأبو حنيفة: «وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ» بالتثنية والياء. وكسر اللام. قوله تعالى: ﴿فُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: صواباً، قاله ابن عباس. والثاني: صادقاً، قاله الحسن: والثالث: عدلاً، قاله السدي. والرابع: تحضداً، قاله ابن قتيبة. ثم في المراد بهذا القول ثلاثة أقوال: أحدها: أنه (لا إله إلا الله)، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: أنه العدل في جميع الأقوال والأعمال، قاله قتادة. والثالث: في شأن زينب وزيد، ولا تنسوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يصلح، قاله مقاتل بن حيان.

قوله تعالى: ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ فيه قولان. أحدهما: يتقبل حسناتكم، قاله ابن عباس. والثاني: يزكي أفعالكم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ قَارَ فَرًّا عَظِيمًا﴾ أي: قال الخبير وظفر به.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۖ﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ ﴿٧٣﴾

(١) روى البخاري في صحيحه ٣١٢/٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حياً، شبراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فألقه من نكه من بني إسرائيل فقال: ما يستر هذا الشعر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما آفة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يزيه ما قالوا لموسى، ففعل يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر مما يشوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: قومي حجر، ثيابي حجرة، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل فأروه هرباً أحسن ما خلق الله، وأبره ما يقولون، وقام حجر فأخذ بثوبيه، فلبسه وطق بالحجر ضرباً بمصاه، فوالله إن بالحجر لنبتاً من أثر ضربته ثلاثاً، أو أربعاً أو خمساً، فلذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مَادُوا مُوسَى فَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجَيْهَا ۖ﴾» قال ابن كثير عن هذا الحديث بعدما ذكره في «تفسيره»: وهذا سياق حسن مطول، قال: وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٢٢٣/٥، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن أبي هريرة.

(٢) «الطبري» ٥٢/٢٢، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤١١/٨: «وروى أحمد بن منيع في «مسنده» والطبري، وابن أبي حاتم، بإسناد قوي عن علي رضي الله عنه... فذكره، وأورد السيوطي في «الدرر» ٢٢٣/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن علي رضي الله عنه. قال ابن كثير: وجاز أن يكون ملا هو المراد بالأذى، وجزاء أن يكون الأول هو المراد، فلا قول أولى من قول الله ﷻ، قال ابن كثير: قلت: يحتل أن يكون الكل مراداً، وأن يكون معه غيره والله أعلم. اهـ. وقال الحافظ ابن حجر: وما في «الصحيح» أصح من هذا، لكن لا مانع أن يكون للشيء سببان فأكثر كما تقدم تقريره غير مرة. اهـ.

(٣) في الأصل: بنية. وفي «اللسان» والتاج مادة «بنه»: ولا يقال للمرء: بنية.

(٤) روى السيوطي في «الدرر» ١٣٦/٥ من رواية ابن أبي شيبة في «المصنف». وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قال ابن كثير: «وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجَيْهَا» أي: له وجاهة وجاءه عند وجهه. قال: قال الحسن البصري: كان مستحباً للبيعة عند الله، وقاله غيره من السلف: لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، ولكن منع الروية لمدى الله ﷻ، قال: وقال بعضهم: تامل وجهه العظيمة عند الله، أنه شفع في أخيه هارون أن يرسله الله معه، فأجاب الله سؤاله فقال: ﴿وَرَبِّكَ لَمِنْ رَحِيمٍ إِنَّهُ عَنِ عَذَابٍ يُقَالُ﴾. اهـ.



قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدتْها أثابها، وإن ضيَّعتها عَذَّبها، فكرهت ذلك؛ وعرضها على آدم فقَبِلها بما فيها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>؛ وكذلك قال سعيد بن جبيرة: عُرِضَت الأمانة على آدم فقيل له: تأخذها بما فيها، إن أطعتْ غفرتْ لك، وإن عصيتْ عَذَّبْتُكَ، فقال: قَبِلْتُ، فما كان إلَّا كما بين صلاة العصر إلى أن غَرَبَت الشمس حتى أصاب الذَّنْب<sup>(٢)</sup>. وممن ذهب إلى أنها الفرائض قتادة، والضحاك، والجمهور. والثاني: أنها الأمانة التي يَأْتُمَن الناس بعضهم بعضاً عليها. روى السدي عن أشياخه أن آدم لَمَّا أراد الحج قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبَت، وقال للأرض: فأبَت، وقال للجبال: فأبَت، فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وتجيء وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قتل قابيلَ هابيلَ، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ وهو ابن آدم، فما قام بها<sup>(٣)</sup>. وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين أن آدم لَمَّا حضرته الوفاة قال: يا ربِّ، من استخلف من بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكلُّ أباهَا غير ولده. وللمفسرين في المراد بَعَرَض الأمانة على السموات والأرض قولان: أحدهما: أن الله تعالى رَغِبَ العقل في هذه الأعيان، وأفهمهنَّ خطاباً، وأنطقهنَّ بالجواب حين عرضها عليهنَّ، ولم يُرد بقوله: «أَبَيِّنَ» المخالفة، ولكنَّ أَبَيِّنَ لِلخَشْيَةِ والمخافة، لأنَّ العَرَض كان تَخْييراً لا إلزاماً، و«أَشْفَقْن» بمعنى خِفْنَ منها أن لا يُوَدِّعْنَهَا فيلحقهنَّ العقاب، هذا قول الأكثرين. والثاني: أن المراد بالآية: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن، وفي المراد بالإنسان أربعة أقوال: أحدها: آدم في قول الجمهور. والثاني: قابيل في قول السدي. والثالث: الكافر والمنافق، قاله الحسن. والرابع: جميع الناس، قاله ثعلب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَانْتَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ظَلُومًا لنفسه، غَرًّا بأمر ربِّه، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: ظَلُومًا لنفسه، جَهُولًا بعاقبة أمره، قاله مجاهد. والثالث: ظَلُومًا بمعصية ربِّه، جَهُولًا بعقاب الأمانة، قاله ابن السائب. وذكر الزجاج في الآية وجهاً يخالف أكثر الأقوال، وذكر أنه موافق للتفسير فقال: إن الله تعالى اتَّمتن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، واتَّمتن السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأَمَّا السموات والأرض فقالتا: ﴿إِنِّي نَاكِحَتَاكَ﴾ [قصص: ٤١]، وأَعْلَمْنَا أن من الحجارة ما يَهْبِط من خَشْيَةِ الله، وأن الشمس والقمر والنجوم والجبال والملائكة يسجُدون لله، فعَرَفْنَا الله تعالى أنَّ السموات والأرض لم تحتل الأمانة، لأنها أدَّتْها، وأداؤها: طاعة الله وترك معصيته، وكلُّ من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كلُّ من أثم فقد احتل الإثم<sup>(٤)</sup>، وكذلك قال الحسن: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أي: الكافر والمنافق حَمَلَهَا، أي: خانها ولم يُطِيعها؛ فأَمَّا من أطاع، فلا يُقال: كان ظَلُومًا جَهُولًا.

قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال ابن قتيبة: المعنى: عَرَضْنَا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيُعَذِّبهم الله، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يعود عليهم بالرحمة والغفرة إن وقع منهم تقصير في الطاعات<sup>(٥)</sup>.



(١) «الطبري» ٥٤/٢٢، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٤، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد» عن ابن عباس.

(٢) «الطبري» ٥٤/٢٢ عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٥/٢٢٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد»، والحاكم وصححه، عن ابن عباس.

(٣) روى هذا الخبر مطولاً الطبري ٥٦/٢٢، ٥٧ من رواية السدي في غير ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

(٤) قال الألوسي عن قول الزجاج هذا: ولا يخفى بُعْده، ولم تُر في المأثور ما يؤيده. اهـ.

(٥) قال الألوسي في تمة الآية: «وَكَاذِبًا عَنَّا نَجْيًا» أي: مبالغاً في الغفوة والرحمة حيث تاب على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم فرطاتهم، وأثابهم بالفوز العظيم على طاعتهم، نَسأل الله تعالى أن يتوب علينا ويغفر لنا ويثيبنا بالفوز العظيم، إنه - جل جلاله وعم نواله - غفور رحيم. اهـ.

## سورة سبا

## وهي مكية بإجماعهم

وقال الضحاك، وابن السائب، ومقاتل: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿وَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبا: ٦].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ❶ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَصْعَدُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ❷ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ❸ ﴿يَخْزِعُ الَّذِينَ مَأْمُرُوا الصَّلَاةَ أَطَاعَتِكُمْ وَرَزَقْنَا كَرِيمًا﴾ ❹ ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا فِئْتَانًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ❺ ﴿وَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أُوتُوا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدُ﴾ ❻

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة، فيقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْغُرْنَ﴾ [طاهر: ٣٤] ❶. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من بذر أو مطر أو كنز أو غير ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونبات وغير ذلك ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من مطر أو رزق أو ملك ﴿وَمَا يَصْعَدُ فِيهَا﴾ من ملك أو عمل أو دعاء. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني منكرو البعث ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ أي: لا نبعث ❷.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ الْغَيْبِ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «عالم الغيب» بكسر الميم؛ وقرأ نافع، وابن عامر: برفعها. وقرأ حمزة، والكسائي: «علام الغيب» بالكسر ولام قبل الألف. قال أبو علي: من كسر، فعلى معنى: الحمد لله عالم الغيب؛ ومن رفع، جاز أن يكون «عالم الغيب» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هو عالم الغيب، ويجوز أن يكون ابتداء، خبره ﴿لَا يُعْزِبُ عَنْهُ﴾؛ و«علام» أبلغ من «عالم». وقرأ الكسائي وحده: «لا يُعْزِبُ» بكر الزاي؛ وهما لغتان.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ وقرأ ابن السميع، والنخعي، والأعمش: «ولا أصغر من ذلك ولا أكبر» بالنصب فيهما.

قوله تعالى: ﴿يَخْزِعُ الَّذِينَ مَأْمُرُوا﴾ قال الزجاج: المعنى: بلى ورثي لتأنيثكم المجازاة. وقال ابن جرير: المعنى: أثبت مثقال الذرة وأصغر منه في كتاب مبین، ليخزي الذين آمنوا، وليرى الذين أوتوا العلم.

قوله تعالى: ﴿مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، ويعقوب، [والمفضل]: «مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ» رفعا؛

(١) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، والحاكم في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ❶ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ❷ قال: ثم قال ﷻ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدى، قال: وقوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهم مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والمناد، قال: فأحدها في سورة يونس ﷻ، وهي قوله تعالى: ﴿وَسَيُفْلِحُ الْغَاثُ قُلْ إِلَىٰ رَبِّي أُنْمِئْتُ رَنَّا أَشْرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ﴾ ❶ والثانية هي: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ والثالثة في سورة (التغابن) وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ يَسْتَأْذِنُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ وَكَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ﴾ ❷ فقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾. اهـ.



الطير أُوْبِي [معه]. قال ابن عباس: كانت الطير تسبح معه إذا سبح، وكان إذا قرأ لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته وبكت لبكائه. وقال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سُبْحِي، وللطير أُجِيبِي، ثم يأخذ هو في تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن. فلا يرى الناس منظرأ أحسن من ذلك، ولا يسمعون شيئاً أطيّب منه.

قوله تعالى: ﴿وَأَلَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ أي: جعلناه ليئاً. قال قتادة: سحر الله له الحديد بغير نار، فكان يسويه بيده، لا يدخله النار، ولا يضره بحديدة، وكان أول من صنع الدروع، وكانت قبل ذلك صفائح.

قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ قال الزجاج: معناه: وقلنا له: اعمل، ويكون في معنى «لأن يعمل» «سَيَقْنَتُ» أي: دروعاً سابغات، فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف. قال المفسرون: كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجبن يعمل به ما يشاء، فيعمل الدرع في بعض يوم فيبيعه بمال كثير، فيأكل ويتصدق. والسابغات: الدروع الكوامل التي تغطي لباسها حتى تفضل عنه فيجرها على الأرض. ﴿وَقَدَرُ فِي السَّوَادِ﴾ أي: اجعله على قدر الحاجة. قال ابن قتيبة: السرد: التسج، ومنه يقال لصانع الدروع: سراد ورزاد، تبدل من السنين الزاي، كما يقال: سراط<sup>(١)</sup> ورزراط. وقال الزجاج: السرد في اللغة: تقدمة الشيء إلى الشيء تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعاً. ومنه قولهم: سرّد فلان الحديث. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: عدل المسمار في الحلقة ولا تصفره فيقلق، ولا تعظمه فتتفصم الحلقة، قاله مجاهد. والثاني: لا تجعل حلقة واسعة فلا تقى صاحبها، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْمَلُوا مَلَكًا﴾ خطاب لداود وآله.

﴿وَلْيَسْتَنَ الرِّيحَ غَدُومًا شَرًّا وَرَوَّاحًا شَرًّا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَافِئُ رِيحًا وَمَن يَبِغْ يَتَّبِعْ عَنْ أَمْرِنَا نَفْثَةً مِّنْ عَذَابِ السَّيْرِ ۝ يَمْكُورُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْدِثٍ وَتَضَلُّلٍ لَّيْفَاقٍ كَلْبُوبٍ وَقَدِيرٍ رَّاسِبَةٍ أَعْمَلُوا مَا كَادُوا شَكْرًا وَقِيلَ لِّمَن يَكِيدُ الشُّكُورَ ۝ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمَ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَهُ فَمَّا خَرَّ تَتَنَبَّأَ لِلْمَنُ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْقَتْبَ مَا لَكُم مِّنْ شَأْنٍ فِي الْعَذَابِ الْمُبِينِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَنَ الرِّيحَ﴾ قرأ الأكثرون بنصب الرّيح على معنى: وسحرنا لسليمان الرّيح. وروى أبو بكر، والمفضل عن عاصم: «الرّيح» رفعاً، أي: له تسخير الرّيح. وقرأ أبو جعفر: «الرّياح» على الجمع. «غُدُومًا شَرًّا» قال قتادة: تغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار، وتروح مسيرة شهر إلى آخر النهار، فهي تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين. قال الحسن: لما شغلت نبي الله سليمان الخيل عن الصلاة فغفرها<sup>(٢)</sup>، أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الرّيح، فكان يغدو من دمشق فيقليل باضططر وبينهما مسيرة شهر للمسرّع، ثم يروح من إصطخر فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للمسرّع.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال الزجاج: القطر: الثّجاس، وهو الصّفر، أذيب مذ ذاك وكان قبل سليمان لا يذوب. قال المفسرون: أجرى الله لسليمان عين الصّفر حتى صنع منها ما أراد من غير نار، كما ألين لداود الحديد بغير نار، فبقيت تجري ثلاثة أيام ولياليهنّ كجري الماء؛ وإنما يعمل الناس اليوم مما أعطي سليمان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجَبِّ﴾ المعنى: وسحرنا له من الجن ﴿مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَافِئُ رِيحًا﴾ أي: بأمره؛ سحرهم الله له، وأمرهم بطاعته؛ والكلام يدل على أن منهم من لم يسحر له ﴿وَمَن يَبِغْ يَتَّبِعْ﴾ أي: يغدو ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعة

(١) في الأصل: صراط، وما أثبتناه من «هزب القرآن» ٣٥٤، و«البحر» ٧/ ٢٥٥، و«اللسان»: زراط.

(٢) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الرّيح له تحمل بساطه، غدوماً شهر ورواحها شهر. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري في سورة [ص: ٢٣] عند قوله تعالى: ﴿فَلْيَكُنْ مِنَّا وَأَشْرِقْ وَالْأَخْطَابُ﴾: واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعتاقها، فقال بعضهم: معنى ذلك: أنه عقرها وضرب أعتاقها، وقال آخرون: جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حباً لها، ونقل ذلك عن ابن عباس، ثم قال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ (يريد سليمان) لم يكن إن شاء الله يملذب حيواناً بالعرق، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أن اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها. اهـ. وسياقي ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى من سورة (ص).



سليمان ﴿يَذْكُرُهُ مِنْ عَذَابِ النَّاصِيَةِ﴾: وهل هذا في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الآخرة، قاله الضحاك. والثاني: في الدنيا، قاله مقاتل. وقيل: إنه كان مع سليمان مَلَكٌ بيده سوط من نار، فمن زاغ من الجن ضربه الملك بذلك السوط. ﴿يَعْلَمُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ تَحِيَّتٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المساجد، قاله مجاهد، وابن قتيبة. والثاني: القصور، قاله عطية. والثالث: المساجد والقصور، قاله قتادة. وأما التماثيل، فهي الصُور؛ قال الحسن: ولم تكن يومئذ محرمة<sup>(١)</sup>؛ ثم فيها قولان: أحدهما: أنها كانت كالطواويس والعقبان والنسور على كرسيه ودرجات سريره لكي يهابها من أراد الذنوب منه، قاله الضحاك. والثاني: أنها كانت صُورُ النَّبِيِّينَ والملائكة لكي يراهم الناس مصورين، فيعبدوا مثل عبادتهم ويتشبهوا بهم، قاله ابن السائب. وفي ما كانوا يعملونها منه قولان: أحدهما: من النحاس، قاله مجاهد. والثاني: من الرُّخام والشَّبه<sup>(٢)</sup>، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَّانُ كَلْبُورٍ﴾ الجفان: جمع جفنة، وهي القصعة الكبيرة؛ والجوابي: جمع جابية، وهي الحوض الكبير يُجَبَى فيه الماء، أي: يُجمع. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «كالجوابي» بياء، إلا أن ابن كثير ثبت الباء في الوصل والوقف، وأبو عمرو يثبتها في الوصل دون الوقف. قال الزجاج: وأكثر القراء على الوقف بغير ياء، وكان الأصل الوقف بالياء، إلا أن الكسرة تنوب عنها. قال المفسرون: كانوا يصنعون [له] القِصَاع كحياض الإبل، يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

قوله تعالى: ﴿وَقُدُّورٌ رَاسِيَتٌ﴾ أي: ثوابت؛ يقال: رسا يرسو: إذا ثبت. وفي علّة ثبوتها في مكانها قولان: أحدهما: أن أثنائها منها<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أنها لا تُنْزَلُ لِعِظَمِهَا، قاله ابن قتيبة. قال المفسرون: وكانت القُدُّور كالجبال لا تحرك من أماكنها، يأكل من القُدُّور ألف رجل.

قوله تعالى: ﴿أَفَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا دَارَ لَهُ شُكْرًا﴾ المعنى: وقلنا: اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَى النَّوَى﴾ يعني على سليمان. قال المفسرون: كانت الإنس تقول: إن الجن تعلم الغيب الذي يكون في غد، فوقف سليمان في محرابه يصلي متوكئاً على عصاه، فمكث كذلك حولاً والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة ولا تعلم بموته حتى أكلت الأرض<sup>(٥)</sup> عصا سليمان، فخرّ فعلموا بموته، وعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن سليمان سأل الله تعالى أن يعمي على الجن موته، فأخفاه الله عنهم حولاً. وفي سبب سؤاله قولان: أحدهما: لأن الجن كانوا يقولون للإنس: إِنَّا نَعْلَمُ الغيب، فأراد تكذيبهم. والثاني: لأنه كان قد بقي من عمارة بيت المقدس بقية. فأما «دَابَّةُ الْأَرْضِ» فهي: الأَرَضَةُ. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «دَابَّةُ الْأَرْضِ» بفتح الراء. المُنْسَاءُ: قال الزجاج: وإنما سُمِّيَتْ مُنْسَاءً، لأنه يُنْسَأُ بها، أي: يُظْرَدُ ويُزَجَر. قال الفراء: أهل الحجاز لا يهزمون المُنْسَاءُ، وتميم وفصحاء قيس يهزمونها.

(١) قال الألوسي: وإنما هي في شرعنا حرام، ولا فرق عتلتا بين أن تكون الصورة ذات ظل، وأن لا تكون كذلك. اهـ.

(٢) الشَّبه والثَّيْبُ: ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفى، مني به، لأنه إذا فعل به ذلك أشبه الذهب بلونه.

(٣) الأثاني: الحجارة التي تُصَبُّ وتُجَمَلُ القُدُّور عليها.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أَفَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا دَارَ لَهُ شُكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم: اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما أنعم عليكم من النعم التي عَصَمَكُمْ بها عن سائر خلقه، مع الشكر له على سائر نعمه التي عَصَمَكُمْ بها عن سائر خلقه. اهـ. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعلمه الله ﷻ شكر، وأفضل الشكر الحمد. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: الشكر: تقوى الله تعالى والعمل الصالح، قال ابن كثير: وهذا يقال لمن هو متبسط بالفعل، قال: وقد كان آل داود ﷺ كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولاً وعملاً.

(٥) الأَرْضُ: جمع أَرَضَة، وهي دوية تأكل الخشب.

(٦) قال ابن كثير: يذكر الله تعالى كيفية موت سليمان ﷺ، وكيف عسى الله موته على الجانِّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئاً على عصاه - وهي منسأة كما قال ابن عباس ﷺ، ومجاهد، والحسن، وقاتدة، وغير واحد - مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض وهي الأَرَضَةُ ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ أي: سقط ﴿يَبْتَغِي الْجَنَّةَ﴾ أي: ظهرت، وانكشف للناس أنهم لا يعلمون الغيب، ولو علموا ﴿مَا لَيْثُوا فِي اللَّعَابِ الْكُفِيِّ﴾ أي: ما عملوا مستعجزين وهو ميت وهم يظنونونه حياً. وقيل: تبينت الجن، أي: علمت، لأنها كانت تتوهم باستمرارها السمع أنها تعلم الغيب، فعلمت حيثئذ خطأها في ظنّها. وروى رويس عن يعقوب: ﴿يَبْتَغِي﴾ برفع التاء والياء وكسر الياء.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرٍّ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ رَبُّهُ غَفُورٌ ۝١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمِ وَيَدْلَتْهُمْ يُخْتَبِتُهُمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْطِلٍ حَمَطٍ وَأَنْثَلٍ وَشَقَوقٍ مِنْ سِنْدٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ۝١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَا عَائِينَ ۝١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَزَفَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَهُهُمْ فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا قَرِيفًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِيَعْلَمَ مَنْ يُؤْتِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي حَقٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ۝٢١﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرٍّ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾<sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «في مساكينهم». وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «مسكينهم» بفتح الكاف من غير ألف. وقرأ الكسائي، وخلف: «مسكينهم» بكسر الكاف، وهي لغة. قال المفسرون: المراد بسبا هاهنا: القبيلة التي هم من أولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ وقد ذكرنا في سورة (النمل: ٢٢) الخلاف في هذا، وأن قوماً يقولون: هو اسم بلد، وليس باسم رجل<sup>(٢)</sup>. وذكر الزجاج في هذا المكان أن من قرأ: «لِسَبَا» بالفتح وترك الضم، جعله اسماً للقبيلة. ومن صرف وكسر ونون، جعله اسماً للحي و اسماً لرجل؛ وكلّ جائز حسن. و«آيَةٌ» رفع، اسم «كان»، و«جَنَّتَانِ» رفع على نوعين: أحدهما: أنه بدل من «آية»، والثاني: على إضمار، كأنه لما قيل: «آية»، قيل: الآية جَنَّتَانِ.

### الإشارة إلى قصتهم

ذكر العلماء بالتفسير والسيرة أن بلقيس لما ملكت [قومها] جعل قومها يقتلون على ماء وادبيهم، فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكتها وانطلقت إلى قصرها فزلته، فلما كثر الشر بينهم وندموا، أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى ملكتها، فأبت: فقالوا: لتُرجِعِي أو لنقتُلَنَّكِ، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، فقالوا: فإنا نطيعك، فجاءت إلى وادبيهم - وكانوا إذا مطروا أتاه السيل من مسيرة أيام - فأمرت به، فسُدَّ ما بين الجبلين بمُسْتَاة<sup>(٣)</sup>، وحبسَت الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبثت من دونه بركة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عِدَّة أنهارهم، فكان الماء يخرج بينهم بالسوية، إلى أن كان من شأنها مع سليمان ما سبق ذكره (النمل: ٢٩-٤٤)، وبثوا بعدها على حالهم. وقيل: إنما بنوا ذلك البنيان لئلا يغشى السيل أموالهم فيهلكها، فكانوا يفتحون من أبواب السد ما يريدون، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه، وكانت لهم جَنَّتَانِ عن يمين وادبيهم وعن شماله، فأخصبت أرضهم، وكثرت فواكههم، وإن كانت المرأة لتُمَرِّ بين الجنتين والميكتل على رأسها، فترجع وقد امتلأ من الثمر ولا تمس بيدها شيئاً منه، ولم يكن [يرى] في بلادهم حية ولا عقرب ولا بعوضة ولا ذباب ولا برغوث، ويمر الغريب ببلدتهم وفي ثيابه القمل، فيموت القمل لطيب هوائها. وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ أي: هذه بلدة طيبة، أو

(١) قال ابن كثير: كانت سبا ملوك اليمن وأهلها، وكانت التابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم وأوضاعهم وأرزاقهم ووزوعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والفرق في البلاد أيدي سبا، شذر مذر.

(٢) روى الترمذي في «مسننه» ١٥٤/٢ عن فروة بن مسيك المرادي قال: قال رجل يا رسول الله، وما سبا؟ أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب... الحديث»، ورواه أحمد والطبري وهو حديث حسن، وقد سبق تخريجه صفحة (١٠٤٤). وأورد السيوطي في «الدر» ٢٣١/٥ وزاد نسب لعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(٣) قال في «المصباح» مادة «ستن»: «المُسْتَاة»: حائط يُبنى في وجه الماء، ويسمى السد.

بلدتكم بلدة طيبة، ولم تكن سبخة<sup>(١)</sup> ولا فيها ما يؤذي ﴿وَرَبِّ غَفُورٌ﴾ أي: والله رب غفور، وكانت ثلاثة عشرة قرية، فبعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًا، فكذبوا الرُّسل، ولم يُفِرُّوا بِنِعْمِ الله، فذلك قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن الحق، وكذبوا أنبياءهم<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أن العَرِم: الشديد، رواه علي بن أبي طالب عن ابن عباس. وقال ابن الأعرابي: العَرِم: السَّيل الذي لا يُطاق. والثاني: [أنه] اسم الوادي، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والضحاك، ومقاتل، والثالث: أنه المُسَنَّا، قاله مجاهد، وأبو ميسرة، والفراء، وابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: العَرِم: جمع عَرَمَة، وهي: السُّكَّر والمُسَنَّا. والرابع: أن العَرِم: الجُرَذ الذي نقب عليهم السُّكَّر، حكاه الزجاج. وفي صفة إرسال هذا السيل عليهم قولان: أحدهما: أن الله تعالى بَعَثَ على سيكرهم دابةً من الأرض فنقبت فيه نقبًا، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال قتادة والضحاك في آخرين: بعث الله عليهم جُرَذًا يسمَّى الخُلْد - والخُلْد: الفأر الأعمى - فنقبه من أسفله، فأغرق الله [به] جَنَاتَهُمْ، وخَرَّبَ به أرضهم. والثاني: أنه أرسل عليهم ماءً أحمر، أرسله في السد فنسف هدمه وحفر الوادي، ولم يكن الماء أحمر من السد، وإنما كان سيلاً أرسل عليهم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَذَلُّهُمْ يَخْبِتُهُمْ﴾ يعني اللتين تطعمان الفواكه. ﴿جَنَّتَيْنِ ذَرَأَتْ أُكُلِي خَطَرٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمة، والكسائي: «أُكُلٍ» بالتنوين. وقرأ أبو عمرو: «أُكُلٍ» بالإضافة. وخفف الكاف ابن كثير ونافع، وثقلها الباقون. أمَّا الأُكُل، فهو الثمر. وفي المراد بالخط ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الأراك، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور؛ فعلى هذا، أكله؛ ثمره؛ ويسمى ثمر الأراك: البربر. والثاني: أنه كل شجرة ذات شوك، قاله أبو عبيدة، والثالث: أنه كل نبت قد أخذ طعاماً من المرارة حتى لا يمكن أكله، قاله المبرد والزجاج. فعلى هذا القول، الخط: اسم للمأكول، فيحسن على هذا قراءة من نَوَّن الأُكُل؛ وعلى ما قبله، هو اسم شجرة، والأُكُل ثمرها، فيحسن قراءة من أضاف. فأما الأَثَل، ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الطَّرَفاء<sup>(٣)</sup>، قاله ابن عباس. والثاني: أنه السَّمَر<sup>(٤)</sup>، حكاه ابن جرير. والثالث: أنه شجر يشبه الطَّرَفاء إلا أنه أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿وَتَقْوَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ قَلِيلٌ﴾ فيه تقديم، وتقديره: وشيء قليل من سدر، وهو شجر التَّبَق<sup>(٥)</sup>. والمعنى أنه كان الخط والأَثَل في جنتهم أكثر من السدر. قال قتادة: بينا شجرهم من خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ﴾ أي: ذلك التبديل جزيناكم ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ وَكَلَّ جُنُودُكَ إِلَّا الْكُفْرُ﴾. فإن قيل: قد يجازى المؤمن والكافر، فما معنى هذا التخصيص؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن المؤمن يُجْزَى ولا يُجْازَى، فيقال في أفصح اللغة: جزى الله المؤمن، ولا يقال: جزاه، لأن «جزاء» بمعنى كافأه، فالكافر يُجْازَى بسببته مثلها، مكافأة له، والمؤمن يُزَاد في الثواب ويُفَضَّل عليه، هذا قول الفراء. والثاني: أن الكافر ليست له حسنة تكفر ذنوبه، فهو يُجْازَى

(١) أرض سبخة: أي: ملحة.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم، وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله، كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿تَوَخَّشْتُ مِنْ سَيِّئِكُمْ يَوْمَ يَأْتِيَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ آمَنَةً تَنْلِكُهُمْ وَأُورِثَتْ بَيْنَ كَلِّ قَوْمٍ وَقَدْ عَرِثَ عَظِيمٌ﴾ وتبدلتها وقومها فتبدلت للقيس بن ذؤيب الله وتبين لهم القبط أنقلبهم صدقهم عن القليل فهم لا يعتدوا<sup>(١)</sup>. اهـ.

(٣) قال في «القاموس» الطرفاء: شجر، وهي أربعة أصناف، منها الأَثَل، الواحدة طرفاء وطرفة، وقال في «المصباح»: قال سيبويه: الطرفاء واحد وجميع. قال في «اللسان»: قال أبو حنيفة (يعني الذئبوري): الطرفاء: من المضاء، وهذبه مثل هذب الأَثَل، وليس له خشب، وإنما يخرج عصباً سمحاً في السماء، وقد تجمخص بها الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره.

(٤) قال في «المصباح»: السَّمَر، وزان زجل وسبع: شجر الطلح، وهو نوع من البضاء، الواحدة سَمرة، وبها سُمي.

(٥) قال في «المصباح»: وإذا أطلق السدر في الغسل، فالمراد: الورق المطحون، والسدر نوعان: أحدهما ينبت في الأرياف فينتج بوزقه في الغسل، وثمرته طيبة، والآخر ينبت في البر ولا ينتج بوزقه في الغسل، وثمرته غفصة، قال: وقد تقدم في حرف الزاي أن الزعرور ثمرته تنبت في البر، وهي بهله الصفة، فيجوز أن يكون هو التَّبَق البري. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: وتقول: ﴿وَتَقْوَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ قَلِيلٌ﴾ قال: لما كان أجود هذه الأشجار المبدل هو السدر، قال: ﴿وَتَقْوَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ قَلِيلٌ﴾ فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة، والناظر الحسنة، والظلال المعيقة، والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل.

بجميع الذنوب، والمؤمن قد أحبطت حسناته سيئاته، هذا قول الزجاج. وقال طاووس: الكافر يُجازى ولا يُغفر له، والمؤمن لا يُناقش الحساب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسِرٍّ﴾؛ والمعنى: كان من قصصهم أننا جعلنا بينهم ﴿وَبَيْنَ الْفَرَى أَلَى بَرَكَتِكَ فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup> وهي: قرى الشام؛ وقد سبق بيان معنى البركة فيها [الأنبياء: ٧١]، هذا قول الجمهور. وحكى ابن السائب أن الله تعالى لما أهلك جنتيهم قالوا للرسول: قد عرفنا نعمة الله علينا، فلئن رد إلينا ما كنا عليه لنغيبك عباداً شديدة، فرد عليهم النعمة، وجعل لهم قرى ظاهرة، فعادوا إلى الفساد وقالوا: باعد بين أسفارنا، فمزقوا.

قوله تعالى: ﴿فَرَى ظَهْرَهُ﴾ أي: متواصلة ينظر بعضها إلى بعض. ﴿وَقَدْ رَأَى فِيهَا أَسْرَارًا﴾ فيه قولان. أحدهما: أنهم كانوا يفتقدون فيقولون في قرية، ويروحون فيبيتون في قرية، قاله المحسن، وقتادة. والثاني: أنه جعل ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ والمعنى: وقلنا لهم: سيروا فيها ﴿لِيَأْتِيَ وَيَأْتِيَ﴾ أي: ليلاً ونهاراً ﴿بِأَيِّنٍ﴾ من مخاوف السفر من جوع أو عطش أو سحر أو تعب. وكانوا يسرون أربعة أشهر في أسان، فبطروا النعمة وملوها كما مل بنو إسرائيل المن والسلوى ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَوِّعْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بَعْدَ» بتشديد العين وكسرها. وقرأ نافع، وعاصم، وحزمة: «بَاعِدْ» بآلف وكسر العين. وعن ابن عباس كالقراءتين. قال ابن عباس: إنهم قالوا: لو كانت جثثنا أبعد ممّا هي، كان أجدر أن يشتت جثثها. قال أبو سليمان الدمشقي: لما ذكروهم الرسل يعم الله، أنكروا أن يكون ما هم فيه نعمة، وسألوا الله أن يُباعد بين أسفارهم. وقرأ يعقوب: [«رَبَّنَا» برفع الباء] «بَاعِدْ» بفتح العين والدال، جعله فعلاً ماضياً على طريق الإخبار للناس بما أنزل الله ﷻ بهم. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن [السلمي]، وأبو رجاء، وابن السميع، وابن أبي عبيدة: «بَعْدَ» برفع العين وتخفيفها وفتح الدال من غير ألف، على طريقة الشكاية إلى الله ﷻ. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: «بُوعِدَ» برفع الباء ويواو ساكنة مع كسر العين.

قوله تعالى: ﴿وَوَلَّكُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالكسر وتكذيب الرسل. والثاني: بقولهم: «بَعْدَ» بين أسفارنا. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم يتحدثون بما فعل بهم ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ أي: فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق، لأن الله لما غرق مكانهم وأذهب جثثهم تبددوا في البلاد، فصارت العرب تتمثل في الفرقة بسياً<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما فعل بهم ﴿لَآيَاتٍ﴾ أي: لآياتاً ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمه<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ «عليهم» بمعنى «فيهم»، وصدق في ظنه أنه ظن بهم أنهم يتبعونه إذ اغواهم، فوجدهم كذلك. وإنما قال: ﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا ضَلَّتْهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] بالظن، لا بالعلم، فمن قرأ: «صَدَّقَ» بتشديد الدال، فالمعنى: حقق ما ظنه فيهم بما فعل بهم؛ ومن قرأ بالتخفيف، فالمعنى: صدق عليهم في ظنه بهم<sup>(٥)</sup>. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم أهل سبا. والثاني: سائر المطيعين لإبليس.

(١) قال السيوطي في «الدر» ٢٣٣/٥: وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن طاووس «وَقَدْ جَرَى إِلَّا الْكَفَرُ» قال: هو المناقشة في الحساب، ومن نوقش الحساب غُذِبَ، وهو الكافر لا يغفر له.

(٢) قال ابن كثير: يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغلبة والعيش الهنيء والرغد والبلاد الرخيّة، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث أن مسافرتهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثماراً، ويقبل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: جعلناهم حديثاً للناس، وسماً يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم وفرّق تسليم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، تفرقوا في البلاد ما هنا وما هنا، قال: ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبا، وأباي سبا، وتفرقوا شذر مذر. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: إن في هذا الذي حلّ بهؤلاء من النعمة والعلاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوها من الكفر والأنام، لعبرة ودلالة لكل عبيد صبار على المصائب، شكور على النعم. اهـ. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/ ٢٢٩٥ عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابه سوءاً شكر فكان خيراً له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له».

(٥) قال ابن كثير: لما ذكر الله تعالى قصة سبا وما كان من أمرهم في أتباعهم الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن أتبع الهوى وخالف =



قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قد شرحناه في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. قال الحسن: والله ما ضربهم بعضاً ولا قهرهم على شيء، إلا أنه دعاهم إلى الأمان والغرور.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: ما كان تسلطاناً إياه إلا لنعلم المؤمنين من الشاكين. وقرأ الزهري: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ بياء مرفوعة على ما لم يسم فاعله. وقرأ ابن يعمر: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ بفتح الياء. وفي المراء يعلمه هاهنا ثلاثة أقوال قد شرحناها في أول (العنكبوت). ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من الشك والإيمان ﴿حَافِظٌ﴾، وقال ابن قتيبة: والحفيظ بمعنى الحافظ. قال الخطابي: وهو قبيح بمعنى فاعل، كالقدير، والعليم، فهو يحفظ السموات والأرض بما فيها لمتقى مدة بقائها، ويحفظ عباده من المهالك، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويعلم نياتهم، ويحفظ أوليائهم عن موقعة الذنوب، ويحرسهم من مكاييد الشيطان.

﴿قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ يَتَقَالُ دَرَجَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهِمْ مِنْ شَرِّكَ وَمَا لَكُمْ فِيهِمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أدرك له حق إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو الحق الكبير ﴿١﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا إِلَهِكُمْ زَعَمْتُمْ﴾ المعنى: قل للكفار: ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لتنجعوا عليكم بِنِعْمَةٍ، أو يكشفوا عنكم بليّة. ثم أخبر عنه فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ يَتَقَالُ دَرَجَاتٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من خير وشر ونفع وضرر ﴿وَمَا لَكُمْ فِيهِمْ مِنْ شَرِّكَ﴾ لم يشاركونا في شيء من خلقهما، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ أي: وما لله ﴿وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: من الآلهة ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ أي من معين على شيء. ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ بفتح الالف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ برفع الالف. وعن عاصم كالقراءتين. أي: لا تنفع شفاعته ملك ولا نبي حتى يؤذن له في الشفاعة<sup>(١)</sup>، وقيل: حتى يؤذن له فيمن يشفع. وفي هذا رد عليهم حين قالوا: إن هذه الآلهة تشفع لنا. ﴿حَقٌّ إِنْ فَرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ الأكثرون: ﴿فَرِغَ﴾ بضم الفاء وكسر الزاي. قال ابن قتيبة: خُفِّفَ عنها الفزع. وقال الزجاج: معناه: كُثِفَ الفزع عن قلوبهم. وقرأ ابن عامر، ويعقوب، وآبان: ﴿فَرِغَ﴾ بفتح الفاء والزاي، والفعل لله ﷻ. وقرأ الحسن، وقتادة، وابن يعمر: ﴿فَرِغَ﴾ بالراء غير معجمة، وبالغين معجمة، وهو بمعنى الأول، لأنها فرغت من الفزع. وقال غيره: بل فرغت من الشك والشرك. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. وقد دلّ الكلام على أنهم يفزعون لأمر يطرأ عليهم من أمر الله، ولم يذكره في الآية، لأن إخراج الفزع يدل على حصوله. وفي سبب فزعهم قولان: أحدهما: أنهم يفزعون لسماع كلام الله تعالى. روى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَلَصلةً كَجَزْءِ السَّلْسَلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيَصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جَبْرِيلُ، فَإِذَا جَاءَهُمْ جَبْرِيلُ فَرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا جَبْرِيلُ: مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: الْحَقُّ، فَيَنَادُونَ: الْحَقُّ الْحَقُّ»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ»<sup>(٣)</sup>، كأنه سلسلة على صفوان<sup>(٤)</sup>، فإذا فَرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا: للذي قال الحق<sup>(٥)</sup> ﴿وَهُوَ الْحَقُّ الْكَبِيرُ﴾<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنهم يفزعون من قيام

الرشاد والهدى، فقال: ﴿وَلَقَدْ سَدَدَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ فَتْرَهُ﴾ قال: قال ابن عباس وغيره: هذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام، ثم قال: ﴿أَنذَرْتَهُ كَذَلِكَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ وقال: ﴿ثُمَّ أَتَيْنَاهُم بِآيَاتٍ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ وَمِنْ حَقِّهِمْ لَوْنٌ مُّخْتَلِفٌ وَأَنزَلْنَا إِلَهُكُمُ الْمَائِدَةَ وَفَضَّلْنَا الْإِسْلَامَ وَالْأَيَّاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ. اهـ.

(١) قال ابن كثير: ثبت في «الصحاحين» من غير وجه عن رسول الله ﷺ - وهو سيد ولد آدم وأكبر شقيق عند الله تعالى - أنه حين يقوم المقام المحمود يشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال: «فأسجد له تعالى فيذني ما شاء أن يذني، ويفتح عليّ بمحامد لا أحصياها الآن، ثم يقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل سميع، وصل سمعه، واشفع تشفع... الحديث يتناهى.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٣٨)، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٣٦/٥، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العلامة»، وابن مردويه، والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أي: ترواحاً وتغاشماً واتحاداً لحكمه.

(٤) أي: حجر أملس.

(٥) أي: للذي قال القول الحق، وهو الله سبحانه وتعالى.

(٦) رواه البخاري في «صحيحه» ٤١٤/٨ عن أبي هريرة ﷺ، ورواه عنه أيضاً أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.



وجه الحقمتهم وهم لا يخلقون ولا يبرؤون؛ ﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبية؛ والمعنى: ارتدعوا عن هذا القول، وتنبهوا عن ضلالتكم، فليس الأمر على ما أنتم عليه<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) ﴿وَقُلُوبُكَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩) قُل لَّكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ لَا تَسْتَعِزُّونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقِيمُونَ﴾ (٢٠)

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: عامة لجميع الخلائق. وفي الكلام تقديم، تقديره: وما أرسلناك إِلَّا للناس كافة. وقيل: معنى «كافة للناس»: تكفهم عما هم عليه من الكفر، والهيا في للمبالغة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَقُلُوبُكَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب الذي يعدهم به في يوم القيامة؛ وإنما قالوا هذا، لأنهم يُنكرون البعث، ﴿قُل لَّكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه يوم الموت عند النزع والسياق، قاله الضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقُلُوبُ نَافِثَةٌ لَّأَنَّهَا لَا يَكْفُرُ إِلَّا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَتَعْلَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢١) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٢) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٣) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٤) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٥) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٦) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٧) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٨) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٢٩) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِمْ هُمْ أُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ الْأُولَٰئِكَ﴾ (٣٠)

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي مكة ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعنون التوراة والإنجيل، وذلك أن مؤمني أهل الكتاب قالوا: إن صفة محمد في كتابنا، فكفر أهل مكة بكتابهم. ثم أخبر عن حالهم في القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْقُلُوبُ نَافِثَةٌ﴾ يعني مشركي مكة ﴿مَوْفُوتٌ عَنْ رُبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي: يرد بعضهم على بعض في الجدل واللوم. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَغْفِرُوا﴾ وهم الأنبياء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المتبوعون فقالوا: ﴿أَنَّهُمْ كَذَّبُوا عَنِ الْكُنْهِ﴾ أي: منعناكم عن الإيمان ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ به الرسول؟ ﴿بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ بترك الإيمان - وفي هذا تنبيه الكفار على أن طاعة بعضهم لبعض في الدنيا تصير سبباً للعداوة في الآخرة - فرد عليهم الأنبياء فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرَ الْآلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: بل مكركم بنا في الليل والنهار. قال الفراء: وهذا مما تتوسع فيه العرب لوضوح معناه، كما يقولون: ليله قائم، ونهاره صائم، ففضيف الفعل إلى غير آدميين، والمعنى لهم. وقال الأخفش: وهذا كقوله: ﴿مِنْ قَرِينِكَ إِلَيْهِ أَخْرَجَكَ﴾ [محمد: ١٣]، قال جرير:

لقد لُمتنا يا أم غنيلان في السرى  
ورقت وما لبث المطيبي بنائم<sup>(٣)</sup>  
وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وعاصم الجحدري: «بل مكركم بفتح الكاف والراء «الليل والنهار» برفعهما. وقرأ ابن يعمر: «بل مكركم بإسكان الكاف ورفع الراء وتنوينها «الليل والنهار» بنصبهما.

(١) قال ابن كثير في تنمة الآية: ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ﴾ أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له، ﴿الْقُرْآنَ الْمَكِيدَ﴾ أي: ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء، وغلبت كل شيء، الحكيم في أنفاله وأقواله وشرعه وقدره، تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيراً، والله أعلم. اهـ.

(٢) وهو تأويل بعيد، وإن كان أصلها من الكف بمعنى المنع، والمراد هنا أن الله تعالى أرسله إلى جميع الخلائق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جِيئًا﴾ وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيُظْهِرَ لَهُ مَا لَكُنَّ يَكْتُمُونَ﴾ (١٠١)، وروى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فليما رجل من امتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة». وفي «صحيح مسلم»: «وبعثت إلى كل أمة وأمره»، أي: إلى الجن والإنس. وهذا من جملة ما امتاز به نبينا محمد ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنه: إن الله فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس، فم فضل على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ وقال النبي ﷺ: «فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس».

(٣) «ديوانه» ٥٥٤، و«مجاز القرآن» ٢٧٩/١، و«الطبري» ٩٨/٢٢، و«مجمع البيان» ٢٢/٢١٠.









هذه، وتفسيرها ظاهر<sup>(١)</sup>. ثم أخبر أنهم لم يقولوا ذلك عن بيته، ولم يكذبوا محمداً عن يقين، ولم يأتهم قبله كتاب ولا نبي يخبرهم بفساد أمره، فقال: ﴿وَمَا ءَالَيْتُمْ مِنْ كَثَرِ يَدْرُسُونَهَا﴾ قال قتادة: ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد؛ وهذا محمول على الذين أنذرهم نبينا [محمد] ﷺ؛ وقد كان إسماعيل نذيراً للعرب. ثم أخبر عن عاقبة المكذبين قبلهم مخوفاً لهم، فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني الأمم الكافرة، ﴿وَمَا بَلَغُوا مَقَارَ مَا ءَالَيْتُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما بلغ كفار مكة معشار ما أتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة والمال وطول العمر، قاله الجمهور. والثاني: ما بلغ الذين من قبلهم معشار ما أعطينا هؤلاء من الحجة والبرهان. والثالث: ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم، حكاها الماوردي. والمعشار: العشر. والتكثير: اسم بمعنى الإنكار. قال الزجاج: والمعنى: فكيف كان تكيري؛ وإنما حذفت الياء، لأنه آخر آية.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جُنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد<sup>(٢)</sup>. قل إن ربي يقذف بالحق علمهم الغيوب<sup>(٣)</sup>. قل جآه الحق وما بيدي الباطل وما بيدي<sup>(٤)</sup>. قل إن ضللت فإني أضل على نفسي وإن اهتديت فإني أهدى إلى ربي إنه سيحقر رب<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ﴾ أي: أمركم وأوصيكم ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ وفيها ثلاثة أقوال. أحدها: أنها «إله إلا الله»، رواه ليث عن مجاهد. والثاني: طاعة الله، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثالث: أنها قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُ﴾، قاله قتادة. والمعنى: أن التي أعطاكم بها، قيامكم وتشميركم لطلب الحق، وليس بالقيام على الأقدام<sup>(٦)</sup>. والمراد بقوله: «متى» أي: يجتمع اثنان فيتناظران في أمر رسول الله ﷺ. والمراد بـ «فردى»: أن يتفكر الرجل وحده، ومعنى الكلام: ليتفكر الإنسان منكم وحده، وليخل بغيره، وليناظر، وليستشير، فيستدل بالمصنوعات على صانعها، ويصدق الرسول على أتباعه، ويثقل الرجل لصاحبه: هل لم تلتصاق هل رأينا بهذا الرجل جنة قط، أو جرنا عليه كذبا قط. وتم الكلام عند قوله: ﴿شُرُ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جُنَّةٍ﴾، وفيه اختصار تقديره: ثم تتفكروا لتعلموا صحة ما أمرتكم به وأن الرسول ليس بمجنون، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾. والمعنى: ما أسألكم شيئا؛ ومثله قول القائل: ما لي في هذا فقد وهبته لك، يريد: ليس لي فيه شيء<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: يلقي الوحي إلى أنبيائه ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ وقرأ أبو رجاء: «عَلَّمَ» بنصب الميم. ﴿قُلْ جآه الحق﴾ وهو الإسلام والقرآن. وفي المراد بالباطل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيطان، لا يخلق أحداً ولا يبعثه، قاله قتادة<sup>(٩)</sup>. والثاني: أنه الأصنام، لا تبدئ خلقاً ولا تحيي، قاله الضحاك. وقال أبو سليمان: لا يتبدئ الصنم

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّا قَالُوا مَا كُنَّا إِلَّا رِجَالٌ يُدْعَوْنَ أَن يَسْجُدُوا لَكَ كَمَا سَبَّحُوا بِحَمْدِكَ رَبَّنَا مَا كُنَّا إِلَّا نَفْسٌ مُتَّفِقَةٌ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَنَا بَلَدٌ مِثْلُ مَا كُنَّا لَا يَسْجُدُوا إِلَّا بِحُرِّيَّتٍ﴾.

(٢) قال ابن كثير: يقول الله تبارك وتعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: إنما أمرتكم بواحدة، وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَى وُفِّرَتْ شُرُ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْلِحُكُمْ مِنْ جُنَّةٍ﴾ أي: تقوموا قياماً خالصاً لله ﷻ من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون؟ فيصحب بعضكم بعضاً.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٤١٥/٨ عن ابن عباس ﷺ قال: سجد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قرش، قالوا: مالك؟ قال: «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو يصحبكم أو يسبكم أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك لهذا جمعنا، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يُدَى لَهْبٍ﴾.

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبين الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من أجل على إنفادكم عذاب الله وتخوفكم به بأسه، وتصيحتي لكم في أمري ليأكم بالإيمان بالله والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به، قال: وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلاً تشبهوني وتظنوا أنني إنما دعوتكم إلى أتباعي لمال أخذه منكم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل هاتنا: إيليس، أي: إنه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك، قال: وهذا وإن كان حقاً، ولكن ليس هو المراد هاتنا، والله أعلم. اهـ.

من عنده كلاماً فيُجاب، ولا يردُّ ما جاء من الحقُّ بحُجَّة. والثالث: أنه الباطل الذي يُضادُّ الحقُّ؛ فالمعنى: ذهب الباطل بمجيء الحقِّ، فلم تبقَ منه بقيةٌ يُقيل بها أو يُدبر أو يُبدئ أو يعيد، ذكره جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكَ فَإِنَّمَا أَنِضَلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالتني على نفسي، وذلك أن كُفَّار مكَّة زعموا أنه قد ضلَّ حين ترك دين آبائه ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتَ فِيمَا يُؤْتِيكَ إِلَىٰ رَحْمَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا مَآئِمَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَكُمُ اتِّخَاذُكَ مِنْ مَّكَانٍ يَبِينُ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْعَنَبِ مِنْ مَّكَانٍ يَبِينُ ﴿٥٣﴾ وَجَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغْنَا﴾ في زمان هذا الفرع قولان: أحدهما: أنه حين البعث من القبور، قاله الأكثرون. والثاني: أنه عند ظهور العذاب في الدنيا، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال سعيد بن جبير: هو الجيش الذي يُخسف به بالبيداء، يبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقوا<sup>(١)</sup>، وهذا حديث مشروح في التفسير، وأن هذا الجيش يؤمُّ البيت الحرام لتخريبه، فيُخسف بهم<sup>(٢)</sup>. وقال الضحاك وزيد بن أسلم: هذه الآية فيمن قُتل يوم بدر من المشركين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ المعنى: فلا قُوَّةَ لهم، أي: لا يُمكنهم أن يفوتونا ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من مكانهم يوم بدر، قاله زيد بن أسلم. والثاني: من تحت أقدامهم بالخسف، قاله مقاتل. والثالث: من القبور، قاله ابن قتبية. وأين كانوا، فهُم من الله قريب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: حين عاينوا العذاب ﴿مَآئِمَّا بِهِ﴾. في هاء الكناية أربعة أقوال: أحدها: أنها تعود إلى الله ﷻ، قاله مجاهد. والثاني: إلى البعث، قاله الحسن. والثالث: إلى الرسول، قاله قتادة، والرابع: إلى القرآن، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَكُمُ اتِّخَاذُكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «الْتَّأَوُّشُ» غير مهموز. وقرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالهمز. قال الفراء: من همز جعله من «نَأَشْتُ»، ومن لم يهمز، جعله من «تُشْتُ»، وهما متقاربان؛ والمعنى: تناولتُ الشيء، بمنزلة: ذُتْتُ الشيء وذَامُنْتُ: إذا جَبْتَهُ؛ وقد تناوش

(١) «الطبري» ١٠٧/٢٢.

(٢) ذكر الطبري عند تفسير هذه الآية ١٠٧/٢٢ حديثاً طويلاً عجيباً لا يصح، عن الجيش الذي يخسف به، ونصه بتمامه: حدثنا عصام بن رُوَاد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربيعي بن جراح، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السفياث من الوادي اليابس في قُوْرِهِ ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين، جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض «بابل» في المدينة الملعونة، والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويقتلون بها مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كِش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية من الكوفة، فتلق ذلك الجيش منها على الفتنين فيقتلونهم لا يُفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحلِّي جيشه التالي بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام وليالها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبْذُرْهُمْ، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة (سبأ): ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ...﴾ الآية، ولا يفلت منهم إلا رجلان، أحدهما بشير، والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين». اهـ. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وحكى ابن جرير عن بعضهم قال: إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس ﷺ، قال: ثم أورد في ذلك حديثاً موضعاً بالكلية (يريد هذا الحديث)، قال: ثم لم يبقَ على ذلك، هذا أمر عجيب غريب منه. اهـ. ولكن قال الطبري بعد هذه الرواية: حدثنا محمد بن خلف السعلاني، قال: سألت رُوَاد بن الجراح عن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري عن منصور عن ربيعي عن حذيفة عن النبي ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا، قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا، قلت: فقرأني عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت: فما قصته؟ فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرأه وتسمعه، قلت لهم: هاوِ، فقرأوه عليَّ ثم ذهبوا فحلُّوا به عني، أو كلام هذا معناه. اهـ. فهذا يدل على أن الطبري نفسه يراه غريباً.

وقد روى البخاري في «صحيحه» ٢٨٤/٤ حديث الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف به: عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض (مكان معروف بين مكة والمدينة) يخسف بأولهم وآخرهم»، قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم ثم يُعثون على نياتهم»، ولكن لا علاقة لهذا الحديث بتفسير هذه الآية، ولذلك قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بذلك (أي بوقت الفرع): يوم القيامة، وهو الطامة العظمى. اهـ.

القَوْمُ في القتال: إذا تناول بعضهم بعضاً بالرَّماح، ولم يتدانوا كُلُّ التداني، وقد يجوز همز «التَّائِش» وهي من «نُشْتُ» لانضمام الواو، مثل قوله: ﴿وَإِذَا أَرْسِلُ أَيْتًا﴾ [المرسلات: ١١]. وقال الزجاج: من همز «التَّائِش» فلانَ واو التَّائِش مضمومة، وكُلُّ واو مضمومة ضُمَّتْها لازمة، إن شئت أبدلت منها همزة، وإن شئت لم تبدل، نحو: أدور<sup>(١)</sup>. وقال ابن قتيبة: معنى الآية: وأنى لهم التَّائِشُ لِمَا أرادوا بلوغه وإدراك ما طلبوا من التَّوبَةِ ﴿يَنْتَكِبِينَ﴾ وهو الموضع الذي تُقْبَل فيه التَّوبَةُ. وكذلك قال المفسرون: أنى لهم بتناول الإيمان والتَّوبَةِ وقد تركوا ذلك في الدنيا والدنيا قد ذهبت؟! قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ في هاء الكناية أربعة أقوال قد تقدَّمت في قوله: ﴿أَمَّا بِهِ﴾ [سبا: ٥٢]. ومعنى ﴿يَنْتَكِبِينَ﴾ أي: في الدنيا من قبل معاينة أهوال الآخرة ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْقَيْبِ﴾ أي: يَرْمُونَ بِالظَّنِّ ﴿يَنْتَكِبِينَ﴾ وهو بعدهم عن العلم بما يقولون. وفي المراد بمقاتلتهم هذه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم يَطْنُون أنهم يَرُدُّون إلى الدنيا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه قولهم في الدنيا: لا بعث لنا ولا جنة ولا نار، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه قولهم عن رسول الله ﷺ: هو ساحر، هو كاهن، هو شاعر، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لَهُمُ الْيُسْرَى﴾ أي: يسهل عليهم ما يشتهون<sup>(٢)</sup>، قاله السدي. والسادس: حيل بين الجيش الذي خرج لتخريب الكعبة وبين ذلك بأن خُسف بهم، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَمَا قُوتِلَ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو عمران: «كما قُوتِلَ» بفتح الفاء والعين ﴿وَأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلٍ﴾ قال الزجاج: أي: بمن كان مذهبهم مذهبهم<sup>(٤)</sup>. قال المفسرون: والمعنى: كما قُوتِلَ بنظرانهم من الكفار من قبل هؤلاء، فإنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون. وقال الضحاك: هم أصحاب القيل حين أرادوا خراب الكعبة ﴿لَهُمْ كَأَثَرُ فِي شَيْءٍ﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿مُتَمِّمٍ﴾ أي: مُوَقِّعٍ لِلرَّيْبِ وَالثَّغْمَةِ<sup>(٥)</sup>.



(١) قال في «الصالح» مادة «دور»: الدار مؤنثة، وأدى العدد: أَدُوْرُ، فالهمزة فيه شُبُهَةٌ من واو مضمومة، ولك أن لا تهمز.

(٢) قال ابن كثير: وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله، قال: وقال مجاهد: ﴿وَيَسِّرْ لَهُمُ الْيُسْرَى﴾ من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل، قال: وررر نحوه عن ابن عمر، وابن عباس، والربيع بن أنس، قال: وهو قول البخاري وجماعة، ثم قال: والصحيح أنه لا منافاة بين القولين، فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة ففنعوا منه. اهـ.

(٣) هذا التأويل متعلق بما ذكر في حديث الجيش الذي يخسف به عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ إِذْ نَزَعْنَا فَلَا فَرْسَكَ﴾ وقد علمت أنه لا يصح.

(٤) قال ابن كثير: أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس الله تَمَنُّوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: أي: كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلها لم يُقْبَل منهم الإيمان عند معاينة العذاب، وقال: قال قتادة: ليأكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بُعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه. اهـ.



## سورة فاطر

وتسمى سورة الملائكة، وهي مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَ الْأَجْنَاحِ مَثْنٍ وَثُلُثٌ وَرَبِّعٌ بَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما مبتدئاً على غير مثال. قال ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم أعرباين في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، أي: ابتدأتهما<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ وروى الحلبي والقزاز عن عبد الوارث: «جاعل» بالرفع والتنوين «الملائكة» بالنصب «رُسُلًا» يرسلهم إلى الأنبياء وإلى ما شاء من الأمور «أُولَ الْأَجْنَاحِ مَثْنٍ وَثُلُثٌ وَرَبِّعٌ» أي: أصحاب أجنحة «مَثْنٍ وَثُلُثٌ وَرَبِّعٌ» فبعضهم له جناحان، وبعضهم [له] ثلاثة، وبعضهم له أربعة، و«بَزِيدٌ فِي الْخَلْقِ» فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه زاد في خلق الملائكة الأجنحة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: يزيد في الأجنحة ما يشاء، رواه عباد بن منصور عن الحسن، وبه قال مقاتل<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه الخلق الحسن، رواه عوف عن الحسن. والرابع: أنه حُسن الصوت، قاله الزهري، وابن جريج. والخامس: الملاحة في العنين، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أي: من خير ورزق. وقيل: أراد بها المطر «فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبلة: «فَلَا مُمْسِكٌ لَهُ». وفي الآية تنبيه على أنه لا إله إلا هو، إذ لا يستطيع أحد إمساك ما فتح وفتح ما أسك<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَلْزَمَ الْكُفُورُ وَلَنْ يُكْفِزَهُ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَلِلَّهِ اللَّهُ رَجْعُ الْأُمُورِ﴾ (١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْغُرُورُ الَّذِينَ لَا يَرْزُقُكُمْ إِلَّا اللَّهُ فَارْزُقُوهُمْ كَمَا عَدُوا فَأَنذَرُوا عَذَابًا إِنَّمَّا يَدْعُوا بَرْدًا بَرْدًا لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٣)

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قال المفسرون: الخطاب لأهل مكة، «واذكروا» بمعنى «احفظوا»، ونعمة الله عليهم: إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم. «هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ» وقرأ حمزة والكسائي: «غَيْرِ اللَّهِ» بخفض الراء؛ قال أبو علي: جعلناه صفة على اللفظ، وذلك حسن لإتباع الجر. وهذا استفهام تقرير وتوبيخ؛ والمعنى: لا خالق سواه «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» من «الْأَرْضِ» النبات. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأنعام: ٩٥، آل عمران: ١٨٤، البقرة: ٢١٠، لقمان: ٢٣] إلى قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: إنه يريد هلاككم «فَأَنذَرُوا عَذَابًا» أي: أنزلوه من أنفسكم منزلة الأعداء، وتجنبوا طاعته «إِنَّمَا يَدْعُوا حَرِبَهُ» أي: شيعته إلى الكفر «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ».

﴿أَمَنْ زَيْنَ لَمْ يَسْأَلْهُ عَلَيْهِ فَوَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٤) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ سَحَابًا مَسْفُتَةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْشُّعُورُ﴾ (٥)

(١) قال ابن كثير: وقال ابن عباس: «أيضاً»: «فاطر السموات والأرض» أي: بديع السموات والأرض، قال: وقال الضحاك: كل شيء في القرآن «فاطر السموات والأرض» فهو خالق السموات والأرض. اهـ.

(٢) وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود: قال: «لَقَدْ كَانَ مِنْ تِلْكَ رِيَّةِ الْكُفْرِ» قال: رأى جبيل في صورته له ستانة جناح.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

قوله تعالى: ﴿أَقْمَنَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup> اختلفوا فمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي جهل ومشركي مكة، قاله ابن عباس. والثاني: في أصحاب الأهواء والجلل التي خالفت الهدى، قاله سعيد بن جبير. والثالث: أنهم اليهود والنصارى والمجوس، قاله أبو قلابة<sup>(٢)</sup>. فإن قيل: أين جواب «أَقْمَنَ زَيْنٌ له؟» فالجواب من وجهين ذكرهما الزجاج: أحدهما: أن الجواب محذوف؛ والمعنى: أَقْمَنَ زَيْنٌ له سوء عمله كمن هداه الله؟ ويدل على هذا قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. والثاني: أن المعنى: أَقْمَنَ زَيْنٌ له سوء عمله فأضله الله ذهب نفسك عليهم حسرات؟! ويدل على هذا قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾. وقرأ أبو جعفر: «فلا تذهب» بضم التاء وكسر الهاء «نفسك» بنصب السين. وقال ابن عباس: لا تغتم ولا تهلك نفسك حسرة على تركهم الإيمان.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَبَّهْ صَبَاحًا﴾ أي: تزعجه من مكانه؛ وقال أبو عبيدة: تجمعه وتجيء به، و«سُبْحَانَهُ» بمعنى «نسوقه»؛ والعرب قد تضع «فَعَلْنَا» في موضع «فَعَلْ»، وأنشدوا:

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا  
مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَقْنُوا<sup>(٣)</sup>  
المعنى: يطبروا ويدفئوا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْكُتُبُ﴾ وهو الحياة. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: كما أحيا الله الأرض بعد موتها يُحيي الموتى يوم البعث. روى أبو رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله: كيف يُحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «هل مررت بوادي أهلك مَخْلًا، ثم مررت به يهتز خَضِرًا؟» قلت: نعم، قال: «فكذلك يُحيي الله الموتى، وتلك آيته في خلقه»<sup>(٤)</sup>. والثاني: كما أحيا الله الأرض الميتة بالماء، كذلك يُحيي الله الموتى بالماء. قال ابن مسعود: يرسل الله تعالى ماء من تحت العرش كميئ الرجال، قال: فتنبت لُحمانهم وجُسمانهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ هذه الآية. وقد ذكرنا في [الأعراف: ٥٧] نحو هذا الشرح.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من كان يريد العزة بعبادة الأوثان ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾، قاله مجاهد. والثاني: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله، قاله قتادة. وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ كُلَّ يَوْمٍ: أَنَا الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيَطِيعِ الْعَزِيزَ»<sup>(٦)</sup>. والثالث: من كان يريد عِلْمَ الْعِزَّةِ لِمَنْ هِيَ، فإنها لله جميعاً، قاله الفراء<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، والنخعي، والجحدري،

(١) قال السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٥: أخرج ابن جرير من طريق جوير عن الضحاك رحمته الله قال: أنزلت هذه الآية ﴿أَقْمَنَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ سَكَا﴾ حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل ابن هشام، فهدى الله عمر رحمته الله، وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

وقال في «أسباب النزول» ١٨٥: أخرج جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية... فذكره بنحوه.

(٢) قال السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٥: أخرج ابن أبي حاتم عن أبي قلابة أنه سئل عن هذه الآية ﴿أَقْمَنَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ سَكَا﴾: أهم مثلاً هؤلاء الذين يصنعون؟ قال: ليس هم، إن هؤلاء ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه، إن أتى الزنى فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل اليهود والنصارى والمجوس... إلخ.

(٣) سبق تخريج البيت ٥٠٩، وهو أيضاً في «مجاز القرآن» ١٥٢/٢، و«اللسان» و«التاج»: أذن.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسنَد» ١١/٤ من حديث حماد بن سلمة قال: أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن حُدَس عن عمه أبي رزين العقيلي. قال ابن كثير: ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به، ثم قال: ورواه أحمد أيضاً بسند آخر قال: حدثنا علي بن إسحاق، أنبأنا ابن المبارك، أنبا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليمان بن موسى، عن أبي رزين العقيلي... فذكره بنحوه. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٤٥/٥، وزاد نسبة للطبرسي، وعبد بن حديد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأنساب والصفات» عن أبي رزين العقيلي رحمته الله.

(٥) ذكره الطبرسي في «معجم البيان» بدون سند.

(٦) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فله العزة جميعاً دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: من كان يحب أن يكون عزيزاً في الدنيا والآخرة، فليلتزم طاعة الله تعالى، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعاً. اهـ.

والشيزري عن الكسائي: «يُضَعَدُ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ» وهو توحيدُهُ وَذِكْرُهُ <sup>(١)</sup> «وَالْعَمَلُ الطَّيِّبُ يَرْفَعُهُ» قال علي بن المديني: الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم <sup>(٢)</sup>. وفي هاء الكناية في قوله: «يرفعه» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفع الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ، قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك. وكان الحسن يقول: يُعْرَضُ الْقَوْلُ عَلَى الْفِعْلِ، فَإِنْ وَافَقَ الْقَوْلُ الْفِعْلُ قِيلَ، وَإِنْ خَالَفَ رُدَّ. والثاني: أنها ترجع إلى العمل الصالح، فالمعنى: والعمل الصالح، يرفعُهُ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ، فهو عكس القول الأول، وبه قال أبو صالح، وشهر بن حوشب. فإذا قلنا: إن الكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ هو التوحيد، كانت فائدة هذا القول أنه لا يُقْبَلُ عَمَلٌ صَالِحٌ إِلَّا مِنْ مُوَحِّدٍ. والثالث: أنها ترجع إلى الله ﷻ؛ فالمعنى: والعمل الصالح يرفعُهُ الله إليه، أي: يَقْبَلُهُ، قاله قتادة.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّاتِ» قال أبو عبيدة: يمحرون: بمعنى: يكتسبون ويجتريحون. ثم في المشار إليهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة، قاله أبو العالية. والثاني: أنهم أصحاب الرؤيا، قاله مجاهد، وشهر بن حوشب. والثالث: أنهم الذين يعملون السيئات، قاله قتادة، وابن السائب. والرابع: أنهم قاتلو الشُّرك، قاله مقاتل <sup>(٣)</sup>. وفي معنى «يُزَوَّرُ» قولان: أحدهما: يَظْلُمُ، قاله ابن قتيبة. والثاني: يَفْسُدُ، قاله الزجاج.

«وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُفٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» <sup>(٤)</sup> وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَأَتْ سَائِغٌ شَرَابَهُ وَهَذَا يَطْعُ لَبَاجٍ وَبَيْنَ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَشْتَرُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِيَتَفَرَّقَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ <sup>(٥)</sup> يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رُكْنَكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ <sup>(٦)</sup> إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِإِصْرِكُمْ وَلَا بَيْنَتَكُمْ مِثْلَ خَبِيرٍ <sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» يعني آدم «ثُمَّ مِنْ نُفُفٍ» يعني نسله «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أي: أصنافًا، ذكورًا وإناثًا، قال قتادة: زَوْجٌ بَعْضُهُمْ بَعْضٌ.

قوله تعالى: «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» أي: ما يطول عمر أحد «وَلَا يُنْقَضُ» وقرأ الحسن، ويعقوب: «يُنْقَضُ» بفتح الباء وضم القاف «مِنْ عُمرِهِ» في هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها كناية عن آخر، فالمعنى: ولا يُنْقَضُ من عمر آخر؛ وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في آخرين <sup>(٨)</sup>. قال الفراء: وإنما كنى عنه كونه الأول، لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول، كأنه قال: ولا يُنْقَضُ من عمر مُعَمَّرٍ، ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه؛ والمعنى: ونصف آخر. والثاني: أنها ترجع إلى المُعَمَّرِ المذكور؛ فالمعنى: ما يذهب من عمر هذا المُعَمَّرِ يوم أو ليلة إلّا وذلك مكتوب؛ قال سعيد بن جبير: مكتوب في أول الكتاب: عمره كذا وكذا سنة، ثم يُكْتُبُ أسفل من ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة، إلّا أن ينقطع عُمرُهُ؛ وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة

(١) قال ابن كثير: وقوله: «إِلَّا بِعِلْمِهِ تَلَكُّرُ الْكَلِمَةِ» يعني الذكر والتلاوة والدعاء، قاله غير واحد من السلف.

(٢) الذي في «الطبري»: عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قوله: «إِلَّا بِعِلْمِهِ تَلَكُّرُ الْكَلِمَةِ» قال: الكلام الطيب: ذِكْرُ اللَّهِ، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عليه ذِكْرُ اللَّهِ فقد به إلى الله، ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه، رُدَّ كلامه على عمله فكان أولى به. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّاتِ» قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وشهر بن حوشب: هم المراءون بأعمالهم، يعني يمحرون بالناس، يوهمون أنهم في طاعة الله تعالى، وهم بغضاء إلى الله ﷻ، يراءون بأعمالهم «وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»، قال: وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المشركون، ثم قال ابن كثير: والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى، ولهذا قال تعالى: «ثُمَّ كُنَّا شَوِيعَةً وَنُكَّرَ أُولَئِكَ هُوَ يُزَوَّرُ» أي: يفسد ويطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهي، فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وقلبات لسانه، وما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى رداءها، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، قال: فالمراني لا يروج أمره ويستمر إلا على غيبي، أما المؤمنون المتشككون، فلا يروج ذلك عليهم، بل يكشف لهم عن قريب، قال: وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية. اهـ.

(٤) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال عنه ابن كثير: وهو كما قال.



(٤) قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الأحياء، وللكافرين وهم الأموات، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مِّنْ كَانَ مَبِيتًا فَاجْتَبَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَكُمُ نُورًا يَمْشِي



إفهامه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُشْمِعٍ فَنَ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>(١)</sup> وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والجحدري: ﴿بِمُشْمِعٍ مَنَ﴾ على الإضافة؛ يعني الكفار، شبههم بالموتى، ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> قال بعض المفسرين: نُسخ معناها بآية السيف<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي: ما من أمة إلا قد جاءها رسول<sup>(٤)</sup>. وما بعد هذا قد سبق بيانه آن  
عمران: ١٨٤، الحج: ٤٤ إلى قوله: ﴿كَذَٰبٌ كَانَتْ تَكْبِيرُ﴾<sup>(٥)</sup> أثبت فيها الباء في الحالين يعقوب، وافقه في الوصل ورش.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَرِمَاقٌ آثَانٌ وَالذَّوَابُّ وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٦)</sup> كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ﴾ أي: ومِمَّا خَلَقْنَا مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ. قال ابن قتيبة: الْجُدَدُ: الْخُطُوطُ وَالطَّرَاقُ تكون في الجبال، فبعضها ببيض، وبعضها حمر، وبعضها غرايب سود، والغرايب جمع غريب، وهو الشديد السواد، يقال: أسود غريب، وتماثل الكلام عند قوله: «كذلك»، يقول: من الجبال مختلف ألوانه<sup>(٨)</sup>، ﴿وَرِمَاقٌ آثَانٌ وَالذَّوَابُّ وَالْأَنْعَامُ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ أي: كاختلاف الثمرات. قال الفراء: وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وسود غرايب، لأنه يقال: أسود غريب، وقلما يقال: غريب أسود. وقال الزجاج: المعنى: ومن الجبال غرايب سود، وهي ذوات الصخر الأسود. وقال ابن دريد: الغريب: الأسود، أحسب أن اشتقاقه من الغراب. وللمفسرين في المراد بالغرايب ثلاثة أقوال: أحدها: الطرائق السود، قاله ابن عباس. والثاني: الأودية السود، قاله قتادة. والثالث: الجبال السود، قاله السدي. ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماء بالله عز وجل. قال ابن عباس: يريد: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني<sup>(٩)</sup>. وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله. وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾<sup>(١٠)</sup> لِيُزِيدَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ<sup>(١١)</sup> وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُعَدًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ<sup>(١٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يعني قراء القرآن، فأنشئ عليهم بقراءة القرآن؛ وكان مطرّف يقول: هذه آية القراء. وفي قوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ قولان: أحدهما: يقرؤون. والثاني: يتبعون. قال أبو عبيدة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بمعنى ويقيمون، وهو إدامتها لمواقيتها وحدودها.

يو. في آثان كَن تَنَزَّلُ فِي الْكَلْبَتِ لَيْسَ بِخَالِجٍ تَنَزَّلُ قَالَ: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْحَابِ وَالْكَافِرِينَ وَالصَّالِحِينَ هَلْ يَسْتَوُونَ تَنَزَّلُ؟﴾ فالْمُؤْمِنُونَ بِصِيرٍ سَمِعَ فِي نَوْرٍ، يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ بِهِ الْحَالُ فِي الْجَنَاتِ ذَاتِ الظَّلَالِ وَالْعِيُونِ، وَالْكَافِرُ أَعْمَى وَأَصَمٌ فِي ظُلُمَاتٍ يَمْشِي لَا خُرُوجَ لَهُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ فِي غِيٍّ وَضَلَالَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَفْضِيَ بِهِ ذَلِكَ إِلَى الْحُرُورِ وَالسُّمُومِ وَالْحَمِيمِ وَظُلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِي وَلَا كَرِيم. اهـ.

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُشْمِعٍ فَنَ فِي الْقُبُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من إحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وواضح حججه. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يُزِيلْكَ رَبُّكَ إِلَيْهِمْ لَنُفَعَهُمْ رِسَالَتَهُ، وَلَمْ يَكَلِّفْكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَيْهِ، فَأَمَّا امْتَدَادُهُمْ وَقَبُولُهُمْ مِنْكَ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُ اللَّهِ لَا يَدُكَ وَلَا يَدُ غَيْرِكَ مِنَ النَّاسِ، فَلَا تَذْهَبُ تَفْسِكُ طَلِبُهُمْ حَسْرَاتٍ إِنْ هُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: أي: وما من أمة خلعت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر، وأزاح عنهم الغل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوبَ فَبُهِتَ الَّذِينَ اللَّهُ وَعِنْدَهُمْ مِّنْ فَتْنَةٍ قَالُوا اللَّهُ وَمَنْ نَزَّلَهُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ...﴾ الآية، قال: والآيات في هذا كثيرة. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: ﴿كَذَٰبٌ كَانَتْ تَكْبِيرُ﴾: فانظر يا محمد كيف كان تغييرهم بهم، وحلول عقوبتي بهم.

(٥) في «غريب القرآن»: ألوانها.

(٦) قال ابن كثير: أي: إنما يخشاه حق خشية العلماء العارفين به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كان المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكبر. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يَتَجَوَّعُونَ بِحَدَرِكُ﴾ قال الفراء: هذا جواب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾. قال المفسرون: والمعنى: يرجون بفعلهم هذا تجارة لن تفسد ولن تهلك ولن تكسب. أي: جزاء أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال ابن عباس: سوى الثواب ما لم ترعين ولم تسمع أذن. فأما الشكور، فقال الخطابي: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة، فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويُعطي الجزيل من النعمة، ويرضى باليسير من الشكر؛ ومعنى الشكر المضاف إليه: الرضى بيسير الطاعة من العبد، والقبول له، وإعظام الثواب عليه؛ وقد يحتمل أن يكون معنى الثناء على الله بالشكور ترغيب الخلق في الطاعة قلت أو كثرت، لئلا يستقلوا القليل من العمل، ولا يتركوا اليسير منه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذَنْ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ جئت عند دخولها يحلونها فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ﴿٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ في ﴿ثُمَّ﴾ وجهان: أحدهما: أنها بمعنى الواو، والثاني: أنها للترتيب. والمعنى: أنزلنا الكتب المتقدمة، ثم أورثنا الكتاب. ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم أمة محمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الأنبياء وأتباعهم، قاله الحسن. وفي الكتاب قولان: أحدهما: أنه اسم جنس، والمراد به الكتب التي أنزلها الله ﷻ، وهذا يخرج على القولين. فإن قلنا: الذين اصطفوا أمة محمد، فقد قال ابن عباس: إن الله أورث أمة محمد ﷺ كل كتاب أنزله. وقال ابن جرير الطبري: ومعنى ذلك: أورثهم الإيمان بالكتب كلها - وجميع الكتب تأمر باتباع القرآن - فهم مؤمنون بها عاملون بمقتضاها؛ واستدل على صحة هذا القول بأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه: ﴿وَاللَّهُ أَنْحَا إِلَيْنَا مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ واتباعه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ فعلمنا أنهم أمة محمد، إذ كان معنى الميراث: انتقال شيء من قوم إلى قوم، ولم تكن أمة على عهد نبينا انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته. فإن قلنا: هم الأنبياء وأتباعهم، كان المعنى: أورثنا كل كتاب أنزل على نبي ذلك النبي وأتباعه. والقول الثاني: أن المراد بالكتاب القرآن<sup>(١)</sup>. وفي معنى «أورثنا» قولان: أحدهما: أعطينا، لأن الميراث عطاء، قاله مجاهد. والثاني: أخزنا، ومنه الميراث، لأنه تأخر عن الميت؛ فالمعنى: أخزنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناه هذه الأمة، إكراماً لها، ذكره بعض أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه صاحب الصغائر؛ روى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»<sup>(٢)</sup>. وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في هذه الآية، قال: «كلهم في الجنة»<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه الذي مات على كبيرة ولم يثب منها، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنه الكافر، رواه عمرو بن دينار عن ابن عباس، وقد رواه ابن عمر مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. فعلى هذا يكون الاصطفاة لجملة من أنزل عليه الكتاب، كما قال: ﴿وَرَأَيْتُمْ لَوَازِكَ الْبَاقِ وَالْقَوِيَّ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: لشرف لكم، وكم من مكرم لم يقبل الكرامة! والرابع: أنه المنافق، حكى عن الحسن<sup>(٥)</sup>. وقد روي عن الحسن أنه قال: الظالم: الذي ترجح

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يقول تعالى: ثم جعلنا القاتمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة. اهـ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٣٩: رواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أنس بن مالك عن عبد الله الحارثي عن سمع عمر، فذكره موقوفاً. وذكره السيوطي في «الدرر» من رواية سعيد بن منصور، وزاد نسبه لابن أبي شيبه، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفاً، ولم يثبت في المرفوع.

(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ عنه بلفظ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة» قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وفي إسناده من لم يسم، ثم قال: ومعنى قوله: «بمنزلة واحدة» أي: في أنهم من هذه الأمة وأنهم من أهل الجنة وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة. اهـ. والحديث قد رواه ابن جرير الطبري بنحو حديث أحمد، وللحديث شواهد يشد بعضها بعضاً. ورواه بنحو الترمذي وقال: هذا حديث غريب حسن، وقد أورده السيوطي في «الدرر» ٢٥١/٥ عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وزاد نسبه للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٥٢/٥ من رواية ابن مردويه عن عمر مرفوعاً، والله أعلم.

(٥) قال ابن كثير: والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، وهو اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضاً. اهـ. يريد بذلك أمثال حديث أبي سعيد الخدري وغيره.

سَيِّئَاتِهِ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَالْمُقْتَصِد: الَّذِي قَدْ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ، وَالسَّابِق: مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ. وَرَوَى عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّهُ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: سَابِقُنَا أَهْلَ جِهَادِنَا، وَمُقْتَصِدُنَا أَهْلَ حَضْرَانَا، وَظَالِمُنَا أَهْلَ بَدُونِنَا<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ﴾ وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَالْجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ السَّمِيعِ: «سَبَاقٌ» مِثْلُ: «فَعَالٌ» وَ«بِالْخَيْرَاتِ» أَيُّ: بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَى الرَّحْمَةِ ﴿يَاذُنُ اللَّهِ﴾ أَيُّ: بِإِرَادَتِهِ وَأَمْرِهِ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يَعْنِي إِيْرَانَهُمُ الْكِتَابَ<sup>(٢)</sup>. ثُمَّ أَخْبَرَ بِثَوَابِهِمْ، فَجَمَعَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾<sup>(٣)</sup> قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ وَحْدَهُ: «يَدْخُلُونَهَا» بَضْمِ الْبَاءِ؛ وَفَتْحِهَا الْبَاقُونَ، وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «وَلَوْ لَوُلُوا» بِالنَّصْبِ. وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ كَانَ يَهْمِزُ الْوَاوَ الثَّانِيَةَ وَلَا يَهْمِزُ الْأُولَى؛ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ كَانَ يَهْمِزُ الْأُولَى وَلَا يَهْمِزُ الثَّانِيَةَ. وَالْآيَةُ مَفْسُورَةٌ فِي سُورَةِ [الْحَج: ١٢٣]. قَالَ كَعْبٌ: تَحَاكَّتْ مَنَاجِبُهُمْ وَرُبَّ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ أُعْطُوا الْفَضْلَ بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿وَقَالُوا لَمَعَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٤)</sup> الَّذِي لَطَمْنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ قَفْلِهِ لَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا ثَقُوبٌ<sup>(٥)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْنِ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَاثِبٍ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا تَتَذَكَّرُونَ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَهَلْ كُنَّا نَذِيرُهُمْ فَذُقُوا لِمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ عَذَابٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ غَيْبٌ السَّعَاتِ وَالْأَرْضُ لِلَّهِ عَلَيْهِ يَذَابُ السُّدُورِ﴾<sup>(٦)</sup> هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقَهُ فِي الْأَرْضِ مَنَ كَرَّ فَعَلَيْهِ كَثُورٌ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا<sup>(٧)</sup>.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَمَّا يَقُولُونَ عِنْدَ دُخُولِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمَعَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ الْحَزْنَ وَالْحُزْنَ وَاحِدٌ، كَالْبُخْلِ وَالْبُخْلِ. وَفِي الْمَرَادِ بِهَذَا الْحُزْنِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْحُزْنُ لَطُولُ الْمَقَامِ فِي الْمَحْشَرِ. رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَمَّا السَّابِقُ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الْمُقْتَصِدُ، فَيَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ حَزِينٌ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ»، فَهُوَ الْحُزْنُ وَالْغَمُّ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَمَعَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾<sup>(٨)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْجُوعُ، رَوَاهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَيْضًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، [وَلَا يَصِحُّ]، وَبِهِ قَالَ شَمْرُ بْنُ عَطِيَّةٍ<sup>(٩)</sup>. وَفِي لَفْظٍ عَنْ شَمْرٍ أَنَّهُ قَالَ: الْحُزْنُ: هُمُ الْحُزْبُ فِي الدُّنْيَا. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ حُزْنُ النَّارِ، رَوَاهُ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١٠)</sup>. وَالرَّابِعُ: حُزْنُهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى ذُنُوبٍ سَلَفَتْ مِنْهُمْ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١١)</sup>. وَالْخَامِسُ: حُزْنُ الْمَوْتِ، قَالَهُ عَطِيَّةٌ<sup>(١٢)</sup>. وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَغَيْرِهَا<sup>(١٣)</sup>، وَمِنْ الْقَبِيحِ تَخْصِيسُ هَذَا الْحُزْنِ بِالْخُبْزِ وَمَا شَبَّهَهُ، وَإِنَّمَا حُزِنُوا عَلَى ذُنُوبِهِمْ وَمَا يُوْجِبُهُ الْخَوْفُ.

(١) ذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٢٥٢/٥ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ مَوْقُوفًا.

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: سُبُوقُ هَذَا السَّابِقِ مِنْ سَبْقِهِ بِالْخَيْرَاتِ يَا ذُنُ اللَّهِ، هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي فَضَّلَ بِهِ مَنْ كَانَ مُقْتَصِرًا مِنْ مَنَزَلِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ مِنَ الْمُقْتَصِدِ وَالظَّالِمِ لِنَفْسِهِ. اهـ.

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُصْطَفِينَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ الْمَنْزِلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَاوَاهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ، أَيُّ: جَنَّاتُ الْإِقَامَةِ يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَقَدْ رَمَهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ ﴿يَسْتَوُونَ فِيهَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ دُمُورٍ وَلَوْ لَوُلُوا﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَبْلُغُ الْحَلِجَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ» ﴿وَلَا تُسْأَلُ فِيهَا حَرٌّ﴾ وَلِهَذَا كَانَ مُحْظَرًا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَأَبَاحَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ» قَالَ: «هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ». اهـ.

(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٢٥١/٥، وَزَادَ نَسْبَهُ لِلْفَرَايِبِيِّ، وَعَبْدُ بْنُ حَنِيدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالتَّبْرَانِيُّ، وَالحَاكِمُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنُ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) لَمْ نَرِ الْحُزْنَ بِمَعْنَى الْجُوعِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَرْفُوعًا وَلَا مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٢٥٣/٥ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ شَمْرٍ بْنِ عَطِيَّةٍ مِنْ قَوْلِهِ.

(٦) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ ١٣٨/٢٢.

(٧) «الطَّبْرِيُّ» ١٣٨/٢٢، وَذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٢٥٣/٥، وَزَادَ نَسْبَهُ لِعَبْدِ بْنِ حَنِيدٍ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) ذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الدَّرِّ» ٢٥٣/٥ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حَنِيدٍ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) «الطَّبْرِيُّ» ١٣٨/٢٢.

(١٠) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمْ بِمَا أَكْرَمَهُمْ بِهِ، أَنَّهُمْ قَالُوا =

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَحْنَا﴾ أي: أنزلنا ﴿نَارَ الْمُقَامَةِ﴾ قال الفراء: المقامة هي الإقامة، والمقامة: المجلس، بالفتح لا غير، قال الشاعر:

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٌ وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَغْدَاءِ تَأْوِيلٌ<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿مِنْ ضَلَالِهِ﴾ قال الزجاج: أي: بتفضله، لا بأعمالنا. والنصب: التعب. واللغوب: الإعياء من التعب. ومعنى «لغوب»: شيء يُلْغِبُ؛ أي: لا تتكلف شيئاً نَعَتَى منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفْضَنَ عَلَيْهِمْ قِسْمُؤُنَا﴾ أي: لا يهلكون فيستريحوا مما هم فيه<sup>(٢)</sup>، ومثله: ﴿فَوَكَّرَ مَوْنٌ فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [التقصم: ٥١].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ بَجَرَى كُلِّ كَفُورٍ﴾ وقرأ أبو عمرو: «يُجْزَى» بالياء «كُلُّ» برفع اللام. وقرأ الباقر: «تَجْزَى» بالنون «كُلُّ» بنصب اللام.

قوله تعالى: ﴿وَقَمَّ يَصْكُرُونَ نِيًّا﴾ وهو افتعال من الصراخ: والمعنى: يستغيثون، فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مَسَلِّ مَكِيلًا﴾ أي: نوحك ونطيعك ﴿عَبْرَ الَّذِي كُنَّا نَسَلُّ﴾ من الشُّرك والمعاصي؛ فويُخْهِمُ الله تعالى بقوله: ﴿أَوَّلَ نَعْمَتِكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: معناه التقرير، وليس باستفهام؛ والمعنى: أول نعمتكم عُمْراً يتذكر فيه من تَذَكَّر؟ وفي مقدار هذا التعمير أربعة أقوال: أحدها: أنه سبعون سنة، قال ابن عمر: هذه الآية تعبير لأبناء السبعين. والثاني: أربعون سنة. والثالث: ستون سنة، رواهما مجاهد عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>، وبالأول منهما قال الحسن، وابن السائب. والرابع: ثمانين سنة، قاله عطاء، ووهب بن منبه، وأبو العالية، وقادة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُونَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشيب، قاله ابن عمر، وعكرمة، وسفيان بن عيينة؛ والمعنى: أو لَمْ نَعْمُرْكُمْ حتى شَيْبْتُمْ؟. والثاني: النبي ﷺ، قاله قتادة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل<sup>(٤)</sup>. والثالث: موت الأهل والأقارب. والرابع: الحتمى، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا﴾ يعني: العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَاصِرٍ﴾ أي: من مانع يمنع عنهم. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [المائدة: ٧] إلى قوله: ﴿خَلَقْتَ فِي آتَايُنَا﴾ وهي الأمّة التي خَلَقْتَ مِنْ قَبْلُهَا وراة فيمن تقلّمها ما ينبغي أن نعتبر به ﴿فَنَ كَرَّ قَمَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: جزاء كفره<sup>(٥)</sup>.

حين دخلوا الجنة: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا أَتَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾ قال: وخوف دخول النار من الحزن، والجزع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى الطعام من الحزن، ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حملوه على إذهاب الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عمّوا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحملهم على إذهاب عنهم جميع معاني الحزن. اهـ.

(١) البيت لسلامة بن جندل كما في مجاز القرآن ١٠/٢، والطبري ١٤٠/٢٢، واللسان: «التاج»: أوب.

(٢) قال ابن كثير: لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء، شرع في بيان مال الأشقياء فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمِئُورًا﴾ كما قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ قال: وثبت في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون» وقال ﷺ: ﴿وَنَارًا يَبْكُوكَ يَفْضَنُ عَلَيْهَا رَبُّهُ قَالَ إِنَّكَ تَعْبُرُونَ﴾ فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَا يَفْضَنُ عَلَيْهِمْ قِسْمُؤُنَا وَلَا يَنْفُتُ مِنْهُمْ رَبُّنَا﴾ كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ النَّجْمَ فِي عِلَاقِهِمْ كَالْهَيْدَةِ لَا يَنْفُتُ عَنْهُمْ وَمَنْ يَمُوتُ يَمُوتُ﴾ وقال جل وعلا: ﴿كُلَّمَا نَفَثَ فِي رِيشِهِمْ مَيِّمًا﴾، ﴿فَذُوقُوا نَارَ رَبِّكُمْ لَا عِلَاقَ لَهُمْ﴾، ثم قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ بَجَرَى كُلِّ كَفُورٍ﴾ أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق. اهـ.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ قال: «أهل الله ﷻ إلى امرئ أشرف عمره حتى بلغ ستين سنة»، ورواه أحمد وغيره، ولما كان هذا هو العمر الذي يعمر الله تعالى إلى عباده به وينزع به عنهم الملل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمّة. وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ عاش ثلاثاً وستين سنة.

(٤) وروى الطبري قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُونَ﴾ قال: التلويح. النبي. وقرأ: ﴿هَكَذَا تَدْرِي مِنَ الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ﴾، قال ابن كثير: وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيان عنه أنه قال: احتج عليهم بالمعمر والرسول، قال: وهذا اختيار ابن جرير، وهو الأظهر، لقوله تعالى: ﴿وَنَارًا يَبْكُوكَ يَفْضَنُ عَلَيْهَا رَبُّهُ قَالَ إِنَّكَ تَعْبُرُونَ﴾ لَقَدْ جَسَّدَ لِمَنْ وَلَكِنْ أَكْرَمَهُمْ فَقِي كَرِيمًا﴾ أي: لقد بينا لكم الحق على السنة الرسل فأيتهم وخالفتم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير في تمة الآية: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا نِيًّا﴾ أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين، فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزله في الجنة وزاد أجره وأجبه خاله وباراه رب العالمين. اهـ.



﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ لَهُنَّ اتِّفَاتٍ كُنَّا نَسُكُّهَا عَنْ يَمِينَيْهِمْ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا عِزًّا ۖ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أُنْسِكُمْ مِنْ أَمْرِ بَيْنِ يَدَيْهِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا غَفُورًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ المعنى: أخبروني عن الذين عبدتم من دون الله واتخذتموهم شركاء بزعمكم، بأي شيء أوجبتم لهم الشراكة في العبادة؟ أبشيء خلقوه من الأرض، أم شاركوا خالق السموات في خلقها؟ ثم عاد إلى الكفار فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُنَّا﴾ يأمرهم بما يفعلون ﴿فَهُمْ عَلَى يَمِينَيْهِمْ﴾ ١٩ ﴿قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةُ، وَحَفْصُ عَنْ عَاصِمٍ: «عَلَى بَيْتُهُ» عَلَى التَّوْحِيدِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ: «بَيْنَاتٍ» جَمْعًا. وَالْمُرَادُ: الْبَيَانُ بِأَنَّ مَعَ اللَّهِ شَرِيكَاً ١٩ ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُوا الْقَلِيلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَعِدُ بِمُصَافَاةٍ﴾ أَيْ أَنَّ الْأَصْنَافَ تَشْفَعُ لَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عِقَابَ. وَقَالَ مَقَاتِلٌ: مَا يَعِدُ الشَّيْطَانُ الْكُفَّارَ مِنْ شَفَاعَةِ الْأَلْهَةِ إِلَّا بَاطِلًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال والذهاب والوقوع. قال الفراء: ﴿وَلَئِنْ﴾ بمعنى «ولو»، و«إِنْ» بمعنى «ما»، فالتقدير: ولو زالتا ما أمسكهما من أحد. وقال الزجاج: لَمَّا قَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، كَادَتِ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ وَالْجِبَالُ أَنْ تَزُولَ وَالْأَرْضُ أَنْ تَنْشَقَّ، فَامْسَكَهَا اللَّهُ ﷻ، وَأَمَّا وَحْدُ «الْأَرْضِ» مَعَ جَمْعِ «السَّمَوَاتِ»، لِأَنَّ الْأَرْضَ تَدُلُّ عَلَى الْأَرْضِيِّينَ. ﴿وَلَئِنْ زَالَا﴾ تَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: زَوَالُهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَالثَّانِي: أَنْ يُقَالَ تَقْدِيرًا: وَإِنْ لَمْ تَزُولَا، وَهَذَا مَكَانٌ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْجَلْمَ فِيهِ، لِأَنَّهُ لَمَّا أَمْسَكَهُمَا عِنْدَ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (مریم: ٨٨)، حَلَّمَ فَلَمْ يُعْجَلْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ ٢٠.

﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْتِهِمْ لَيْتَ جَلَّتْ عَنْهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُوا أَهْدَى مِنْ إِمْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۖ ﴿٢٠﴾ أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْيُنِنَا فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَحْدِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَحْوِيلًا ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْتِهِمْ﴾ يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل إرسال محمد ﷺ ﴿لَيْتَ جَلَّتْ عَنْهُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: رسول ﴿لِيَكُونُوا أَهْدَى﴾ أي: أَصْوَبَ وَبَيِّنًا ﴿وَمِنْ إِمْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني: اليهود والنصارى والصابئين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: تباعدًا عن الهدى، ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عتوا على الله وتكبروا عن الإيمان به ٢٠. قال الأخفش: نصب «استكباراً» على البذل من النفور. قال الفراء: المعنى: فعلوا ذلك استكباراً ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، فأضيف المكر إلى السَّيِّئِ، كقوله: ﴿رَأَيْتُمْ لَقَى النَّبِيِّ ﷺ﴾ [الحاقة: ٥١]، وتصديقه في قراءة عبد الله: ﴿وَمَكْرًا سَيِّئًا﴾، والهمزة في «السَّيِّئِ» مخفوضة، وقد جزمها الأعمش وحمزة، لكثرة الحركات؛ قال الزجاج: وهذا عند النحويين الحَذَاقِ لَحْنٌ، إِنَّمَا يَجُوزُ فِي الشُّعْرِ اضْطِرَارًا. وقال أبو جعفر النحاس: كان الأعمش يقف على «مَكْرَ السَّيِّئِ» فيترك الحركة، وهو وقف حسن تام، فحُطِلَ الراوي؛ فروى أنه كان يَحْدِلُ الإعراب في الوصل،

(١) أي: الإتيان ببينة تدل بأن مع الله شريكاً، قال الألوسي: وهو ضرب من التهكم. قال ابن جرير الطبري: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُنَّا﴾ فَهُمْ عَلَى يَمِينَيْهِمْ ١٩ يقول: أم أتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلنا عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام ﴿فَهُمْ عَلَى يَمِينَيْهِمْ﴾، فهم على برهان ما أمرتهم فيه من الإشراك ١٩ وقال ابن كثير: وقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُنَّا﴾ فَهُمْ عَلَى يَمِينَيْهِمْ ١٩ أي: أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُوا الْقَلِيلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَعِدُ بِمُصَافَاةٍ﴾ أي: بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور. اهـ. وقال الألوسي: والمعنى أن عبادة هؤلاء إما بالمثل، ولا عقل يحكم بصحة عبادة من لا يخلق جزءاً ما من الأرض دلالة شرك في السماء، وإما بالمثل، ولم توث المشركين كتاباً في الأمر بعبادة هؤلاء. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض من أمره وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال ﷻ: ﴿يَسْبِكُ الصَّكَّةَ أَنْ تَفْصَحَ عَنْ الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا يُبْدِي السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِهِ﴾ ﴿وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أُنْسِكُمْ مِنْ أَمْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حلِيمٌ غَفُورٌ، أي: يرى عباده وهم يَكْفُرُونَ به ويعصونه وهو يُخَلِّمُ فَيُغْفِرُ وَيُظِلُّ وَيُؤْجِلُ وَلَا يُعْجِلُ، ويستر آخرين ويغفر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ كَيْدًا غُفُورًا﴾. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استكبروا عن اتباع آيات الله ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ أي: ومكروا بالناس في صدمع إياهم عن سبيل الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: وما يعود ويال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم. اهـ.



## سورة يس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مَكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: إنها مَكِّيَّة إلا آية منها، وهي قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [يس: ٤٥]. والثاني: أنها مدنية، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: ليس بالمشهور.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسَ ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْكَرِيمِ ٥ لِشَدِيدِ قَوَمًا مَّا أَنْذَرَ ٦ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٧

وفي قوله: ﴿يَسَ ١﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن معناها: يا إنسان، بالحشية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومقاتل. والثاني: أنها قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أن معناها: يا محمد، قاله ابن الحنفية، والضحاك. والرابع: أن معناها: يا رجل، قاله الحسن. والخامس: اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء: «يَسَن» بفتح الياء وكسر النون. وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، ابن أبي عبلة: بفتح الياء والنون جميعاً. وقرأ أبو حصين الأسدي: بكسر الياء وإظهار النون. قال الزجاج: والذي عند أهل العربية أن هذا بمنزلة افتتاح السُّور، وبعض العرب يقول: «يَسَنَ والقرآن» بفتح النون، وهذا جائز في العربية لوجهين: أحدهما: أن «يس» اسم للسورة، فكأنه قال: ائْتِ يَسَ، وهو على وزن هابيل وقابيل لا ينصرف. والثاني: أنه فُتح لالتقاء الساكنين، والتسكين أجود، لأنه حرف هجاء.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ٢﴾ هذا قَسَم، وقد سبق معنى «الحكيم» [البقرة: ٣٢]، قال الزجاج: وجوابه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾؛ وأحسن ما جاء في العربية أن يكون ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ خبر «إِنَّ»، ويكون قوله: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾ خبراً ثانياً، فيكون المعنى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ويجوز أن يكون «على صِرَاطٍ» من صلة «الْمُرْسَلِينَ»، فيكون المعنى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ أُرْسِلُوا عَلَى طَرِيقَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْكَرِيمِ ٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تنزيل» برفع اللام. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تنزيل» بنصب اللام. وعن عاصم كالقراءتين. قال الزجاج: من قرأ بالنصب، فعلى المصدر، على معنى: نَزَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَنْزِيلًا، ومن قرأ بالرفع، فعلى معنى: الذي أَنْزَلَ إِلَيْكَ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ. وقال الفراء: من نصب، أراد إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تَنْزِيلًا حَقًّا مُنْزَلًا، ويكون الرفع على الاستئناف، كقوله: ذلك تنزيل العزيز. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رزين، وأبو العالية، والحسن، والجحدري: «تنزيل» بكسر اللام. وقال مقاتل: هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه، الرحيم بخلقه.

قوله تعالى: ﴿لِشَدِيدِ قَوَمًا مَّا أَنْذَرَ ءَابَاؤُهُمْ ٦﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها نفي، وهو قول قتادة والزجاج في الأكثرين. والثاني: أنها بمعنى «كما»، قاله مقاتل. وقيل: هي بمعنى «الذي». قوله تعالى: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ ٧﴾ أي: عن حُجُج التوحيد وأدلة البعث.

(١) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل سورة [البقرة]، وسورة [طه] وانظر التعليق الذي في أول سورة [العنكبوت]. وكلمة (يس) هنا من الحروف المقطعة أمثال (طه) وغيرها، وقد قال ابن جرير الطبري في تفسير كلمة (طه) بعدما ذكر في معناها عدة أقوال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه، قول من قال: معناه: يا رجل، وتأويل الكلام: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لنشقى، ما أنزلناه عليك فكأنك ما لا طاقة لك به من العمل. اهـ. وكلمة (يس) هنا معناها قريب من (طه) كأنه قال: يا رجل والقرآن الحكيم إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بوحى الله ﷻ إلى عباده، يريد به محمداً ﷺ.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ آفَافًا فَهُمْ إِلَىٰ الْآفَافِ قَوْمٌ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا مِنْ خَلْقِهِمْ سَخًا فَاغْبِثَتْهُمْ لَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَذِيَ الرِّجْلَ الْخَالِيَةَ فِيهِ فَنَذِرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ فيه قولان: أحدهما: وجب العذاب. والثاني: سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق من القدر بذلك. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ آفَافًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مثل، وليس هناك غُلٌّ حقيقة، قاله أكثر المحققين، ثم لهم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مثل لمنعهم عن كل خير، قاله قتادة. والثاني: لحبسهم عن الإنفاق في سبيل الله، بمرانع كالأغلال، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثالث: لمنعهم من الإيمان بالله، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أنها موانع حسيّة منعت كما يمنع الغُلُّ؛ قال مقاتل بن سليمان: حلف أبو جهل لئن رأى النبي ﷺ يصلي ليذمّته، فجاه وهو يصلي، فرفع حجراً فبيّست يده والتصق الحجر بيده، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم الخبر، فقام رجل منهم فأخذ الحجر، فلما دنا من رسول الله ﷺ طمس الله على بصره فلم يره، فرجع إلى أصحابه فلم يبصروهم حتى نادوه، فنزل في أبي جهل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ آفَافًا...﴾ الآية، ونزل في الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا﴾. والقول الثالث: أنه على حقيقته، إلا أنه وصفت لما سيئله الله تعالى بهم في النار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ إِلَىٰ الْآفَافِ﴾ قال الفراء: «فهي» كناية عن الإيمان، ولم تذكر، لأن الغُلَّ لا يكون إلا في اليمين والعنق جامعا لهما، فاكفّني بذكر أحدهما عن صاحبه. وقال الزجاج: «هي» كناية عن الأيدي، ولم يذكرهما إيجازاً، لأن الغُلَّ يتضمن اليد والعنق، وأنشد:

وما أدري إذا يَمُنْتُ أرضاً

أريدُ الخيرَ أيُّهما يَلِينِي<sup>(٢)</sup>

وإنما قال: أيُّهما، لأنه قد علم أن الخير والشّر معروضان للإنسان. قال الفراء: وأسفل اللَّخَيْنِ، والمُفْمَحُ: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. قال أبو عبيدة: كُلُّ رَافِعٍ رَأْسَهُ فَهُوَ مُقَامِحٌ وَقَامِحٌ، والجمع: قِمَاحٌ، فإن فعل ذلك بإنسان فهو مُقْمَحٌ، ومنه هذه الآية. وقال ابن قتيبة: يقال: بَعِيرٌ قَامِحٌ، وإِلَّ قِمَاحٌ: إذا رَوَيْتَ من الماء قَمَمَحَتْ، قال الشاعر - وذكر سفينة -:

ونحنُ على جَوَانِبِهَا قُعُودٌ

نَغْضُ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ الْقِمَاحِ<sup>(٣)</sup>

وقال الأزهري: المراد أن أيديهم لما غُلَّت عند أعناقهم، رَفَعَتْ الأغلال أذقائهم ورؤوسهم، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إيَّاه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَبَاطًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بفتح السين، والباقون: بضمها، وقد تكلمنا على الفرق [بينهما] في [الكهف: ٩٤]. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج عن الكفر. والثاني: حجبناهم عن أذى رسول الله ﷺ بالظلمة لما قصدوه بالأذى.

(١) قال الحافظ ابن حجر في تخریج الکشاف، ١٣٩، ١٤٠: رواه ابن إسحاق في «السيرة» في كلام طويل، قال: رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الدلائل» مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، أَوْ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: «إِنِّي أَعَاهَدُ اللَّهَ لَأَجْلِسَ غَدًا لِمُحَمَّدٍ بِحَجْرٍ مَا أَطِيقُ حَمْلَهُ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَحْتُ بِرَأْسِهِ...» فَذَكَرَ نَحْوَهُ إِلَى قَوْلِهِ: «فَقَدْ بَيَّسْتُ يَدَاهُ عَلَى حَجَرِهِ حَتَّى قَلَفَ الْحَجَرُ بَيْنَ يَدَيْهِ». وَقَدْ ذَكَرَ سَبَبَ التَّزْوِيلِ هَذَا مُخْتَصَرًا الطَّبْرِيُّ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَنَنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا لَأَفْعَلَنَّ وَلَا فَعَلَنَّ، فَأَنْزَلَتْ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَامِهِمْ آفَافًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ قَالَ: فَكَانُوا يَقُولُونَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: أَيْنَ هُوَ؟ أَيْنَ هُوَ؟ لَا يَبْصُرُهُ. أِهْ. وَأَصْلُهُ فِي «البيخاري» ٥٥٧/٨ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْ لَمْ يَنْقُضْ اللَّهُ بِالنَّاسِ كَيْدَهُمْ لَافْتَحْنَا لَخَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ وَسَيَّاتِي ذَلِكَ فِي مَحَلٍّ مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لَخَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ وَسَيَّاتِي ذَلِكَ فِي مَحَلٍّ مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

(٢) تقدم البيت ١٠٥ وتخریجه ٢١٨، وهو أيضاً في «معاني القرآن» ٣٣١، ومشكل القرآن ١٧٦، و«الطبري» ١٥١/٢٢.

(٣) البيت يُشِيرُ بِنِ أَبِي خَازِمٍ الْأَسَدِيِّ، وَهُوَ فِي «مَجَازِ الْقُرْآنِ» ١٥٧/٢، وَغَرِيبِ الْقُرْآنِ ٣٦٣، وَ«القرطبي» ٨/١٥، وَ«البحر المحیط» ٣٢٤/٧، وَ«روح المعاني» ١٩٧/٢٢، وَ«الصالح» وَ«اللسان»، وَ«التاج»: قمع.



قوله تعالى: ﴿فَأَعَشَيْنَهُم﴾ قال ابن قتبية: أغشينا عيونهم وأعميناهم عن الهدى. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، ويحيى بن يعمر: «فأعشيناهم» بعين غير معجمة. ثم ذكر أن الإنذار لا ينفعهم لإضلاله ليأثم بالآية التي بعد هذه. ثم أخبر عن ينفعه الإنذار بقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي: إنما ينفع إنذارك ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾ ﴿الزَّكْرَ﴾ وهو القرآن، فعمل به ﴿وَرَحِمَى الرَّحْمَنِ بِالْقَبْرِ﴾ وقد شرحناه في (الأنبياء: ٤٩)، والأجر الكريم: الحسن، وهو الجنة. ﴿إِنَّا نَحْنُ مُوقِدُوهُ﴾ للبعث ﴿وَنَكْشُ مَا قَدَّمُوا﴾ من خير وشر في دنياهم. وقرأ النخعي، والجحدري: «وَنَكْشُ» بياء مرفوعة وفتح التاء «وَأَتَّارُهُم» برفع الراء. وفي آثارهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنها خطاهم بأرجلهم، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة. قال أبو سعيد الخدري: شكك بنو سلمة إلى رسول الله ﷺ بغد منازلهم من المسجد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَنَكْشُ مَا قَدَّمُوا وَآتَّارَهُمْ﴾، فقال النبي ﷺ: «عليكم منازلكم، فإنما نكش آثاركم»<sup>(١)</sup>، وقال قتادة وعمر بن عبد العزيز: لو كان الله مغفلاً شيئاً، لأغفل ما تعفَى الرياح من أثر قدم ابن آدم. والثاني: أنها الخطأ إلى الجمعة، قاله أنس بن مالك<sup>(٢)</sup>. والثالث: ما أتروا من سنة حسنة أو سيئة يفعل بها بعدهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره الفراء، وابن قتبية، والزجاج<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ وقرأ ابن السميع، وابن أبي عبله: «وكل» برفع اللام، أي: من الأعمال «أَحْصَيْنَتْهُ» أي: حفظناه ﴿وَقَدْ إِمَارَتَيْنِ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَأَنْزَيْتَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَزْنَ﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتَّقِيتُمْ مَكَذِبُهُمْ فَفَزَعْنَا بِإِلَهِكُمْ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا مَا أَتَى إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِذْ أَتَتْهُ إِلَّا تَكْوِينٌ ﴿١٧﴾ قَالُوا رَبَّنَا بَعَثَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْكَلِمَ الثَّانِيَةَ ﴿١٩﴾ قَالُوا إِنَّا نَطْلُقُكُمْ يَوْمَ نُنْزِلُكُمْ مِنْكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴿٢٠﴾ بَلْ أَتَتْهُمُ قَوْمٌ مُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَيْتَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ المعنى: صف لأهل مكة مثلاً؛ أي: شيئاً. وقال الزجاج: المعنى: مثل لهم مثلاً «أَحْصَيْنَتْ الْقُرْيَةَ» وهو بدل من مثل، كأنه قال: اذكر لهم أصحاب القرية. وقال عكرمة، وقتادة: هذه القرية هي أنطاكية<sup>(٤)</sup>. ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتَّقِيتُمْ﴾ وفي اسميهما ثلاثة أقوال: أحدها: صادق وصدوق، قاله ابن عباس، وكعب. والثاني: يوحنا ويولس، قاله وهب بن منبه. والثالث: تومان ويولس، قاله مقاتل.

(١) رواه الترمذي ١٥٥/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه الطبري ١٥٤/٢٢، والحاكم ٤٢٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الواحدي في (أسباب النزول) ٢٠٩، وأورد السيوطي في (الدر) ٢٦٠/٥، وزاد نسبة لعبد الرزاق، والبخاري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أبي سعيد الخدري ﷺ. قال ابن كثير: وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية، فالحق أعلم. اهـ. والحديث رواه مسلم في (صحيحه) ٤٦٢/١ دون سبب النزول من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن يتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم: «إني قد بلغني أنكم تريدون أن تتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم».

(٢) قال الحافظ السيوطي في (الدر) ٢٦٠/٥: أخرجه ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك في قوله: ﴿وَنَكْشُ مَا قَدَّمُوا وَآتَّارَهُمْ﴾ قال: هذا في الخطو يوم الجمعة. اهـ. وروى الترمذي في (جامعه) عن أوس بن أوس الثقفي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام واستمع ولم يُلغ، كان له بكل خطوة يخطوها عمل سنة، أجر صيامها وقيامها» وقال: حديث حسن. ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وابن خزيمة وابن حبان في (صحيحهما) وهو حديث صحيح.

(٣) روى مسلم في (صحيحه) ٧٥٥/٢ عن جرير بن عبد الله الجبلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُر في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء»، ومن سُر في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء. وروى مسلم في (صحيحه) ١٢٥٥/٣ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

(٤) قال ابن كثير: ذكر أبو سعيد الخدري ﷺ وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعث عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، قال: ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نُوحِيَ الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْنا أَنْتَ الْفَرُوقُ الْأَلِفُ﴾ قال: فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بتشديد الزاي، قال ابن قتيبة: المعنى: قَوِّينَا وَشَدَّدْنَا، يقال: تعَزَّزَ لحمُ التَّاقَةِ إذا صَلَّبَ. وقرأ أبو بكر، والمفضل عن عاصم: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ خفيفة، قال أبو علي: أراد: فَعَلَّيْنَا. قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريين، وهو وصي عيسى عليه السلام. قال وهب: وأوحى الله إلى شمعون يُخْبِرُهُ خبر الاثنين ويأمره بِنَصْرَتِهِمَا، فانطلق يؤمُّهُمَا. وذكر الفراء أن هذا الثالث كان قد أرسل قبلهما؛ قال: ونراه في التنزيل كأنه بعدهما، وإنما المعنى: فعَزَّزْنَا بالثالث الذي قبلهما، والمفسرون على أنه إنما أرسل لنصرتهم، ثُمَّ إِنَّ الثَّالِثَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ ثَانِيٍّ، فَأَمَّا إِذَا سَبَقَ الْاِثْنَيْنِ فَهُوَ أَوَّلُ، وَإِنِّي لَأَتَعْجَبُ مِنْ قَوْلِ الْفَرَاءِ. واختلف المفسرون فيمن أرسل هؤلاء الرُّسُلَ على قولين: أحدهما: أن الله تعالى أرسلهم، وهو ظاهر القرآن، وهو مروى عن ابن عباس، وكعب، وهب. والثاني: أن عيسى أرسلهم، وجاز أن يُضَافَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهُمْ رُسُلُ رَسُولِهِ، قَالَه قَتَادَةُ، وَابْنُ جَرِيرٍ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي: ما لكم علينا فضل في شيء ﴿وَمَا أَتَزَكَّى الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لم يُنْزَلْ كِتَابًا وَلَمْ يُرْسَلْ رَسُولًا. وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَّعْنَا بِكُمْ﴾ وذلك أن المطر حُسبَ عنهم، فقالوا: إِنَّمَا أَصَابَنَا هَذَا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿لَئِنْ لَوْ تَتَّبِعُوا﴾ أي: تسكتوا عنا ﴿لَتَرَجَحَّكُمْ﴾ أي: لَنَفَضَلَكُم. ﴿قَالُوا طَاعَكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تُؤْمَرُونَ﴾ معكم بكفركم، لا بنا ﴿لَئِنْ دُكِّرْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير: «أَيْنَ دُكِّرْتُمْ» بهمة واحدة بعدها ياء، وافقه أبو عمرو، إلا أنه كان يَمُدُّ. قال الأخفش: معناه: حيث دُكِّرْتُمْ، أي: وُعِظْتُمْ وَخُوفْتُمْ، وهذا استفهام جوابه محذوف، تقديره: أئن دُكِّرْتُمْ تطيَّرتُم بنا؟! وقيل: أئن دُكِّرْتُمْ قُلْتُم هذا القول؟ والمسرِّفون هاهنا: المشرِّكون.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ قَالَ يَعْقُوبُ أَنْبَعُوهُ الرَّسُولَيْنِ ﴿أَنْبَعُوهُ مِنْ لَا يَسْتَكْفُرُ أَتَرَكْتُمْ مَثَلَهُمْ﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ رُجُوعِي ﴿وَأَخْبَذَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ إِنَّ يَزِيدَ الرَّحْمَنُ يَضَعُ لَا تُغْنِي عَنْهُ شَفَاعَتُهُمْ سَبِيلًا وَلَا يُؤْذِنُ لِمَنْ فِي إِيَّاهُ أَنْ يَكُنِيَ مِثْلَهُ مُبِينٌ ﴿إِذْ أَاتَتْكُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُوا﴾ قِيلَ أَتَحِلُّ لِمَنْتُمْ قَالَ يَلَيْتُ قُوِي يَعْلَمُونَ ﴿يَا عَفْرَى لِي رَبِّي وَحَلَكُنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ﴾ وَمَا أَتَزَكَّى عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنُودِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَمَا كُنَّا مُزِيلِينَ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ واسمه حبيب النجار، وكان مجذوماً، وكان قد آمن بالرُّسُلِ لَمَّا وردوا القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية، فلَمَّا بلغه أنَّ قومه قد كَذَّبُوا الرُّسُلَ وهُمُوا بِقَتْلِهِمْ، جاء يسعي، فقال ما قصه الله علينا إلى قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يعني الرُّسُلَ، فأخذه ورفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتَّبِعُهُمْ؟ فقال: ﴿وَمَا لِي﴾ أسكن هذه البياض حمزة، وخلف، ويعقوب ﴿لَا أَتَّبِعُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي ﴿وَإِلَيْهِ رُجُوعُونَ﴾ عند البعث، فيجزىكم بكفركم؟! فإن قيل: لِمَ أضاف الفِطْرَةَ إلى نفسه والبعث إليهم وهو يعلم أنَّ الله قد فطرهم جميعاً كما يبعثهم جميعاً؟ فالجواب: أن إيجاد الله تعالى نعمه يوجب الشُّكْرَ، والبعث في القيامة وعيدٌ يوجب الرُّجُوعَ، فكانت إضافة النعمة إلى نفسه أظهر في الشُّكْرَ، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ في الرُّجُوعَ. ثم أنكر عبادة الأصنام بقوله: ﴿وَأَخْبَذَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ﴾ يعني أنه لا شفاعة لهم فُتْنِي، أثبت هاهنا البياض في الحالين يعقوب، وورش، والمعنى: لا يخلصوني من ذلك المكروه. ﴿إِذْ لِي إِذَا﴾ فتح هذه البياض نافع، وأبو عمرو. قوله تعالى: ﴿إِذْ أَاتَتْكُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ فتح هذه البياض أهل الحجاز وأبو عمرو. وفيمن خاطبهم بإيمانه قولان: أحدهما: أنه خاطب قومه بذلك، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه خاطب الرُّسُلَ. ومعنى ﴿فَاسْمَعُوا﴾: أشهدوا لي بذلك، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: المعنى: فاسمعوا مِنِّي. وأثبت ياء ﴿فَاسْمَعُوا﴾ في الحالين يعقوب. قال ابن مسعود: لَمَّا

(١) قال ابن كثير: ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ﷺ، لا من جهة المسيح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتَّبِعُوا مَثَلَنَا فَعَزَّزْنَا بِالنَّبِيِّ إِلَهُكُمْ لِيَكُونَ لَكُمْ رَسُولٌ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ﴾ قال: ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام، والله تعالى أعلم، قال: ثم لو كانوا رسل المسيح، لما قالوا: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾. اهـ.

خاطب قومه بذلك، وطفوه بأرجلهم. وقال السدي: رمّوه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي.

قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ لَمَّا قَتَلُوهُ فَلَقِيَ الله، قيل له: «ادْخُلِ الْجَنَّةَ»، فَلَمَّا دَخَلَهَا ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها مع «غَفَرَ» في موضع مصدر؛ والمعنى: بغفران الله لي. والثاني: أنها بمعنى «الذي»، فالمعنى: ليتهم يعلمون بالذي غَفَرَ لي [بما] رَبِّي فيؤمنون، فنصحبهم حيًّا وميتًا. فَلَمَّا قَتَلُوهُ عَجَّلَ اللهُ لَهُمُ الْعَذَابَ، فذلك قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ يعني قوم حبيب ﴿مِنْ بَيْنِهِ﴾ أي: من بعد قتله ﴿مِنْ جُنْدٍ يَتَوَكَّلُ السَّمَكُ﴾ يعني الملائكة، أي: لم ينتصر منهم بجند من السماء ﴿وَمَا كُنَّا﴾ نُنْزِلُهُمْ عَلَى الْأُمَمِ إِذَا أَهْلَكْنَاهُمْ. وقيل: المعنى: ما بعثنا إليهم بعده نبيًّا، ولا أنزلنا عليهم رسالة. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قال المفسرون: أخذ جبريل عليه السلام بعضًا من باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة واحدة، فإذا هم ميتون لا يسمعون لهم حسًّا، كالنَّارِ إِذَا طُفِثَتْ، وهو قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ كَافِرُونَ﴾ أي: ساكنون كهية الرماد الخامد<sup>(١)</sup>.

﴿يُخَصِّرُ عَلَى الْبِلَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿وَلَنْ كُلُّ لَمَّا يَجِيعَ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَيَّنَتْ أَعْيُنُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبَ فِيهَا مِنَ الْعُودِ﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿سَبَّحَنَ لِلَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿يُخَصِّرُ عَلَى الْبِلَادِ﴾ قال الفراء: المعنى: يا لها حَسْرَةٍ عَلَى الْعِبَادِ. وقال الزجاج: الحَسْرَةُ أَنْ يَرْكَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ التُّدْمِ مَا لَا نَهَايَةَ لَهُ حَتَّى يَبْقَى قَلْبُهُ حَسِيرًا. وفي المتحسر على العباد قولان: أحدهما: أنهم يتحسرون على أنفسهم، قاله مجاهد والزجاج: استهزاؤهم بالرُّسُلِ كَانَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ. وقال أبو العالية: لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ، قَالُوا: يَا حَسْرَتَنَا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، كَيْفَ لَنَا بِهِمْ الْآنَ حَتَّى نُؤْمِنَ. والثاني: أنه تحسر الملائكة على العباد في تكذيبهم الرُّسُلَ، قاله الضحاك. ثم خَوَّفَ كُفَّارَ مَكَّةَ فَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ فَيَعْتَبِرُوا وَيَخَافُوا أَنْ نَعْجَلَ لَهُمُ الْهَلَاكَ كَمَا عَجَّلَ لِمَنْ أَهْلَكَ قَبْلَهُمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا؟ قال الفراء: وَأَلْفَ ﴿أَنَّهُمْ﴾ مفتوحة، لأن المعنى: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ وَقَدْ كَسَرَهَا الْحَسَنُ، كَأَنَّهُ لَمْ يُوقِعِ الرُّوَيْةَ عَلَى «كَمْ»، فَلَمْ يَوْقِعْهَا عَلَى «أَنْ»، وَإِنْ اسْتَأْنَفَتْهَا كَسَرَتْهَا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا﴾ وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة: «لَمَّا» بالتشديد، «جَمِيعَ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ» أي: إن الْأُمَمَ يُحْضَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجَازُونَ بِأَعْمَالِهِمْ<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: من قرأ «لَمَّا» بالتخفيف، فـ «ما» زائدة مؤكدة، والمعنى: وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ، ومعناه: وما كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ. ومن قرأ «لَمَّا» بالتشديد، فهو بمعنى «إِلَّا»، تقول: «سَأَلْتُكَ لَمَّا فَعَلْتَ» و«إِلَّا فَعَلْتَ». «وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَبَيَّنَتْ» وقرأ نافع: «الْمَيْتَةُ» بالتشديد، وهو الأصل، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز؛ و«آيَةٌ» مرفوعة بالابتداء، وخبرها «لهم»، ويجوز أن يكون خبرها «الارض الميتة»؛ والمعنى: وعلامة تدلُّهم عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْتَعِثُ الْمَوْتَى أَحْيَاءً: الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ.

قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ يعني ما يُقَاتَلُ مِنَ الْحَبُوبِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ يعني فِي الْأَرْضِ.

قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «عَمِلَتْهُ» بهاءً. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «عَمِلَتْ» بغير هاءٍ. والهاء مُبْتَنِيَةٌ فِي مَصَاحِفِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ، وَمَحْذُوفَةٌ مِنْ مَصَاحِفِ أَهْلِ الْكُوفَةِ. قال الزجاج: موضع «ما» خفض؛ والمعنى: لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمِمَّا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ؛ ويجوز أن يكون «ما» نفيًّا؛ المعنى: ولم تعمله

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ كَافِرُونَ﴾: فإذا هم هالكون.

(٢) قال ابن كثير: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، قال: ومعنى هذا كقوله جل وعلا: ﴿وَرَأَوْا كُلَّ لَمَّا يَرْجِعُهُمْ رَبُّهُمُ أَنْفُسَهُمْ﴾. اهـ.



أيديهم، وهذا على قراءة من أثبت الهاء، فإذا حُذفت الهاء، فالاختيار أن تكون «ما» في موضع خفض، وتكون بمعنى «الذي»، فيحسُن حذف الهاء؛ وكذلك ذكر المفسرون القولين، فمن قال بالأول، قال: لياكلوا ممّا عملت أيديهم، وهو الغُروس والحُروث التي تعبوا فيها، ومن قال بالثاني، قال: لياكلوا ما ليس من صنّهم، ولكنه من فعل الحق ﷻ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ الله تعالى فيؤخّده؟ ثم نَرَهُ نفسه بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَفْوَاحَ كُلَّهَا﴾ يعني الأجناس كلها ﴿وَمِمَّا تُنِيتُ الْأَرْضُ﴾ من الفواكه والحبوب وغير ذلك ﴿وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهم الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من دواب البر والبحر وغير ذلك ممّا لم يَقِفُوا على علمه.

﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَلِيلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٨) وَالْقَمَرَ تَدْرِيهِ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْوَةِ الْقَدِيرِ (٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُ لَهُمْ أَلِيلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي: وعلامة لهم تدل على توحيدنا وقدرتنا الليل نَسْلَخُ منه النهار؛ قال الفراء: نرمي بالنهار عنه، و«منه» بمعنى «عنه». وقال أبو عبيدة: نُخْرِجُ منه النهار ونَمِيزُهُ منه فتجيء الظلمة، قال الماوردي: وذلك أن النهار يتداخل في الهواء فيضيء، فإذا خرج منه أظلم. وقوله: ﴿إِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: داخلون في الظلام. ﴿وَالشَّمْسُ﴾ أي: وأَيَّاهُ لهم الشمس ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: إلى موضع قرارها؛ روى أبو ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: ﴿مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ﴾، وقال: ﴿أَنَّهُ تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا، فَتَسْتَأْذِنُ فِي الطَّلُوعِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا﴾<sup>(١)</sup>. والثاني: أَنَّ مُسْتَقَرَّهَا مَغْرِبُهَا لَا تَجَاوِزُهُ وَلَا تَقْصُرُ عَنْهُ، قاله مجاهد. والثالث: لوقت واحد لا تعدُّه، قاله قتادة. وقال مقاتل: لوقت لها إلى يوم القيامة. والرابع: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مُسْتَقَرِّهَا الذي لَا تَجَاوِزُهُ، ثم ترجع إلى أوَّل منازلها، قاله ابن السائب. وقال ابن قتيبة: إلى مُسْتَقَرٍّ لَهَا، وَمُسْتَقَرُّهَا: أَقْصَىٰ مَنَازِلِهَا فِي الْغُرُوبِ، [وذلك] لأنها لَا تَزَالُ تَتَقَدَّمُ إِلَى أَقْصَىٰ مَغَارِبِهَا، ثم ترجع. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وعلي بن الحسين، والشيزري<sup>(٢)</sup> عن الكسائي: «لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا» والمعنى أنها تجري أبداً، لَا تُثَبِّتُ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٢١٤/٦ و٤١٦/٨ و١٣/٣٥٠، ومسلم ١٣٩/١، والترمذي ١٥٥/٢. قال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٢٢٣/٥ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العلامة»، وابن مردويه، والبيهقي في «الاسماء والصفات» عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال ابن كثير: في معنى قوله تعالى: «لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» قولان: أحدهما: أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش ما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخلوقات، لأنه سقفا، والقول الثاني: أن المراد بمسقرها، هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكوز ويستهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني. وقال الامام النووي في «شرح مسلم» ٢/١٩٥: وأما قوله ﷺ في الحديث الآخر في الشمس: «مستقرها تحت العرش فتخترُ ساجدة»: فهذا مما اختلف المفسرون فيه، فقال جماعة بظاهر الحديث، قال الواحدي: وعلى هذا القول، إذا غربت كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع من مغربها، وقال قتادة ومقاتل: معناه: تجري إلى وقت لها وأجل لا تعدُّه، قال الواحدي: وعلى هذا مسقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا، وهذا اختيار الزجاج، وقال الكلبي: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مسقرها الذي لَا تَجَاوِزُهُ ثم ترجع إلى أوَّل منازلها، واختار ابن قتيبة هذا القول، والله أعلم. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش: أنها تستقر تحته استقراراً لَا تحيط به نحن، ويحتمل أن يكون المعنى: أو علم ما سألته عن مستقرها تحت العرش في كتاب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها، فينقطع دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها، وليس في سجدتها كل ليلة تحت العرش ما يعين عن دورانها في سيرها. قلت (أي الحافظ ابن حجر): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار: وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار السير الدائم المبرر عنه بالجري، والله أعلم. قال الامام النووي في «شرح مسلم»: وأما سجود الشمس، فهو تشبيهُ وإدراك بخلق الله تعالى فيها، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قال ابن العربي: أنكر قوم سجودها، وهو صحيح ممكن، وتأوَّلوه قوم على ما هي عليه من التسخير الدائم، قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة، أو تسجد بصورة الحال، فيكون عبارة عن الزيادة في الانقياد والخضوع في ذلك الحين. وقال ابن حجر: قال ابن بطال: استئذان الشمس معناه أن يخلق فيها حياة يورث القول عندها، لأن الله قادر على إحياء الجباد والموات، قال: وقال غيره: يحتمل أن يكون الاستئذان أسند إليها مجازاً، والمراد من هو موكل بها من الملائكة. اهـ.

(٢) هو عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي، قال ابن الجزري في «طبقات القراء»: أخذ القراءة عرضاً وسامعاً عن الكسائي، وله عدة انفرادات.



قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ ﴿تَقْدِيرُ الْقَرْنِ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْقَلْبِ﴾ بِمَا يَقْدُرُ.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «وَالْقَمَرُ» بِالرَّفْعِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمَزَةُ، وَالْكَسَانِيُّ: «وَالْقَمَرَ» بِالنَّصْبِ. قَالَ الزَّجَاجُ: مَنْ قَرَأَ بِالنَّصْبِ. فَالْمَعْنَى: وَقَدْزْنَا الْقَمَرَ قَدْزْنَاهُ مَنَازِلَ، وَمَنْ قَرَأَ بِالرَّفْعِ، فَالْمَعْنَى: وَأَيَّةُ لَهُمُ الْقَمَرُ قَدْزْنَاهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، وَقَدْزْنَاهُ «الْخَبَرُ»<sup>(١)</sup>. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَمَنَازِلُ الْقَمَرِ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنَزِلًا يَنْزِلُهَا مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ سَمَّيْنَاهَا فِي سُورَةِ [يونس: ٥]، فَإِذَا صَارَ إِلَى آخِرِ مَنَازِلِهِ، دَقَّ فَعَادَ كَالْعُرْجُونِ، وَهُوَ عَوْدُ الْعِذْقِ الَّذِي تَرَكْتَهُ الشَّمَارِيخُ<sup>(٢)</sup>، فَإِذَا جَفَّ وَقَدَّمَ يُشَبِّهُ الْهَلَالَ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «وَالْقَدِيمُ» هَاهُنَا: الَّذِي قَدْ أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ، شَبَّهِ الْقَمَرَ آخِرَ لَيْلَةٍ يَطْلُعُ بِهِ. قَالَ الزَّجَاجُ: وَتَقْدِيرُ «عُرْجُونٍ»: قُعْلُونٌ، مِنْ الْإِنْعِرَاجِ. وَقَرَأَ أَبُو مَجْلَزٍ، وَأَبُو رَجَاءٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيِّ، وَابْنُ السَّمِيعِ: «كَالْعُرْجُونِ» بِكَسْرِ الْعَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي السَّمَاءِ، كَانَ أَحَدُهُمَا بَيْنَ يَدَيِ الْآخَرِ، فَلَا يَشْتَرِكَانِ فِي الْمَنَازِلِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: لَا يُشَبِّهُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا ضَوْءَ الْآخَرِ، قَالَه مُجَاهِدٌ. وَالثَّلَاثُ: لَا يَجْتَمِعُ ضَوْءُ أَحَدِهِمَا مَعَ الْآخَرِ، فَإِذَا جَاءَ سُلْطَانُ أَحَدِهِمَا ذَهَبَ سُلْطَانُ الْآخَرِ، قَالَه قَتَادَةُ؛ فَيَكُونُ وَجْهَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ اتَّصَلَ الضَّوُّ، لَمْ يُعْرِفِ اللَّيْلُ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَيْلَ سَابِقِ النَّهَارِ﴾ وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكَّلِ، وَأَبُو الْجَوَازِ، وَأَبُو عِمْرَانَ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ: «سَابِقِ» بِالتَّنْوِينِ «النَّهَارَ» بِالنَّصْبِ، وَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: لَا يَتَقَدَّمُ اللَّيْلُ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ النَّهَارِ. وَالثَّانِي: لَا يَأْتِي لَيْلٌ بَعْدَ لَيْلٍ مِنْ غَيْرِ نَهَارٍ فَاصِلٍ بَيْنَهُمَا. وَبَاقِي الْآيَةِ مَفْسَّرٌ فِي سُورَةِ [الأنبياء: ٣٣].

﴿وَمَا يَهُدِّيهِمْ إِلَّا رَحْمَةُ رَبِّنَا وَمَتَّعْنَا إِيَّاهُ جِبِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَهُدِّيهِمْ إِلَّا رَحْمَةُ رَبِّنَا﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «دُرِّيَّاتِهِمْ» عَلَى الْجَمْعِ؛ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ مِنَ السَّبْعَةِ: «دُرِّيَّتُهُمْ» عَلَى التَّوْحِيدِ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: أَرَادَ: فِي سَفِينَةِ نُوحٍ، فَانْسَبَ الدُّرِّيَّةُ إِلَى الْمُخَاطَبِينَ، لِأَنَّهُمْ مِنْ جَنْسِهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: دُرِّيَّةُ النَّاسِ. وَقَالَ الْفَرَاءُ: أَيُّ: دُرِّيَّةٌ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ، فَجَعَلَهَا دُرِّيَّةً لَهُمْ، وَقَدْ سَبَقَتْهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ حَمْلُ الْأَنْبِيَاءِ فِي أَصْلَابِ الْأَبَاءِ حِينَ رَكِبُوا السَّفِينَةَ، وَمِنَ قَوْلِ الْعَبَّاسِ:

بَلْ نَظَفَتْ تَرْكِبُ السُّفِينِ وَقَدْ

قال المفضل بن سلمة: الدُّرِّيَّةُ: النَّسْلُ، لِأَنَّهُمْ مِنْ ذُرَاهِمِ اللَّهِ مِنْهُمْ، وَالدُّرِّيَّةُ أَيْضًا: الْأَبَاءُ، لِأَنَّ الدُّرَّ وَقَعَ مِنْهُمْ، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ، وَمِنَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿دُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]؛ وَالْمَشْحُونُ: الْمَمْلُوءُ.

قوله تعالى: ﴿وَسَقَلْنَا لَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: وَمِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، وَهِيَ السُّفْنُ، رَوَى هَذَا الْمَعْنَى سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا ذِكْرُ مِثْلِهِ بِأَنَّ خَلْقَ الْخَشَبِ الَّذِي تُعْمَلُ مِنْهُ السُّفُنُ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا الْإِبِلُ، خَلَقَهَا لَهُمْ لِلرُّكُوبِ فِي الْبَرِّ مِثْلَ السُّفُنِ الْمُرْكُوبَةِ فِي الْبَحْرِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعُكْرَمَةُ، وَعَنْ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ كَالْقَوْلَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أنها قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

(٢) الشماريخ: الشعب التي على العذق، واحدها شمرخ وشمرخ، وكل غصن له شعب فهي شماريخ، والشمرخ: الذي عليه بسر وأصله في العذق.

(٣) البيت للمباس بن عبد المطلب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شعر يملح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في «اللسان» و«التاج»: نسر. قال ابن الأثير: يريد (أي بالنسر) الصنم الذي كان يعبد قوم نوح، على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأشباه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عنى بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: ﴿وَلَنْ نَسْأَلَنَّهُمْ فَلَاصِحٌ لَّهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أن الفرق معلوم أنه لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر. اهـ. وقال ابن كثير: ويقوَّى هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا: ﴿إِنَّا لَمَّا كُنَّا آلَهُ مَحْشَرًا لَّكُنَّا لَكَ ذَلِيلًا ﴿١﴾ وَنَسِيتُكَ ذِكْرًا وَمِنَ الْآيَةِ ﴿٢﴾﴾. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَكُمْ﴾ أي: لا مُغْنِيَتْ ولا مُجِيرَ ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾ أي: ينجون من الغرق، يقال: أنقذه واستقذه: إذا خلّصه من المكروه، ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ المعنى: إلا أن نرحمهم ونمنعهم إلى آجالهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ يعني الكُفَّار ﴿انْفِقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: «ما بين أيديكم»: ما مضى من الذنوب، «وما خلفكم»: ما يأتي من الذنوب، قاله مجاهد. والثاني: «[ما بين أيديكم]»<sup>(١)</sup> ما تقدّم من عذاب الله للأهم، «وما خلفكم» من أمر الساعة، قاله قتادة. والثالث: «ما بين أيديكم» من الدنيا، «وما خلفكم» من عذاب الآخرة. قاله سفيان. والرابع: «ما بين أيديكم» من أمر الآخرة، «وما خلفكم» من أمر الدنيا فلا تَغْتَرُّوا بها، قاله ابن عباس والكلبي. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أي: لتكونوا على رجاء الرحمة من الله. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: إذا قيل لهم هذا، أعرضوا؛ ويدلّ على هذا المحذوف قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِن مَّيْمَنٍ﴾ أي: من دالة تدل على صدق الرسول.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِقُوا﴾ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَلِعُم مِّن لَّوْ بَشَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنَشَرْنَا إِلَّا فِي سَكَلٍ ثُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَظِيلُونَ تَوَصِيَةً وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَيُفْعَلُ فِي السَّوَادِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِكْرَامُ رَبِّهِمْ يَمْسُكُونَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّائِنَا مِن مَّوَدَّنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَمَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٢﴾ إِنْ كُنَّا إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ سَبِيحًا وَلَا مَجْرُومًا إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ إِنْ أَسْحَبَ الْجَنَّةُ الْيَمْنَ فِي شُكُلٍ فَكَيْفَهُنَّ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ وَأَوَّجَعُ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرْبَابِ مُتَّكِئُونَ ﴿٢٦﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَكُمْ مَاءٌ يَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَبِّهِمْ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِقُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال: أحدها: في اليهود، قاله الحسن. والثاني: في الزنادقة، قاله قتادة. والثالث: في مشركي قريش، قاله مقاتل؛ وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين النصيب الذي زعمتم أنه لله من الحرث والأنعام، فقالوا: ﴿أَنْطَلِعُم مِّن لَّوْ بَشَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾. وقال ابن السائب: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين، قال: اذهب إلى ربك فهو أولى بك مني، ويقول: قد منعه الله، أطمعه أنا؟<sup>(٢)</sup> ومعنى الكلام أنهم قالوا: لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نُطْعِمُهُمْ؛ وهذا خطأ منهم، لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضاً، ليلو الغني بالفقير فيما فرض له في ماله من الزكاة، والمؤمن لا يعترض على المشيئة، وإنما يوافق الأمر. وقيل: إنما قالوا هذا على سبيل الاستهزاء. وفي قوله: ﴿إِنْ أَنَشَرْنَا إِلَّا فِي سَكَلٍ ثُبِينٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه من قول الكفار للمؤمنين، يعنون: إنكم في خطيئنا أتباع محمد. والثاني: أنه من قول الله للكفار لما ردّوه من جواب المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون القيامة؛ والمعنى: متى إنجاز هذا الوعد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ يعنون محمداً وأصحابه. ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي النفخة الأولى. و﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بمعنى يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الباء والخاء وتشديد الصاد. وروي عن أبي عمرو اختلاس حركة الخاء. وقرأ عاصم، وابن عامر، والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الباء وكسر الخاء. وعن عاصم كسر الباء والخاء. وقرأ نافع بسكون الخاء وتشديد الصاد. وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي: يَخِصِّمُ بعضهم بعضاً. وقرأ أبي بن كعب: «يختصمون» بزيادة تاء؛ والمعنى أن الساعة تأتيهم أغفل ما كانوا عنها وهم متشاغلون في متصرفاتهم وبيعهم وشرائهم، ﴿فَلَا يَسْتَظِيلُونَ تَوَصِيَةً﴾ قال مقاتل: أعجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يعودون من الأسواق إلى منازلهم؛ فهذا وصف ما يُلْقُونَ في النفخة الأولى. ثم ذكر ما يُلْقُونَ في النفخة الثانية

(١) زيادة ليست في الأصل.

(٢) ذكر هذا المعنى الخازن في «تفسيره»، ولم ينسب لابن السائب ولا غيره، بل قال: قيل: كان العاص بن وائل إذا سأله مسكين... إلخ، والله أعلم. قال الأكرسي: وظاهر ما تقدم يقتضي أنها نزلت في كفار مكة، أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله تعالى، وهو عام في الإطعام وغيره، فأجابوا بنفي الإطعام الذي لم يزلوا يفتخرون به، دلالة على نفي غيره بالطريق الأولى. اهـ.

فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَعْدَالِ﴾ يعني القبور؛ ﴿إِلَّا رَيْبَهُمْ يَسْئَلُونَ﴾ أي: يخرجون بسرعة<sup>(١)</sup>، وقد شرحنا هذا المعنى في سورة الأنبياء: ٩٦. ﴿قَالُوا يَوَدُّكَ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾<sup>(٢)</sup> وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، والضحاك، وعاصم الجحدري: «من بعثنا» بكسر الميم والثاء وسكون العين. قال المفسرون: إنما قالوا هذا، لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين. قال أبي بن كعب: ينامون نومة قبل البعث، فإذا بعثوا قالوا هذا.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ في قائل هذا الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول المؤمنين، قاله مجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى. قال قتادة: أول الآية للكافرين، وآخرها للمؤمنين. والثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن. والثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرنا به المرسلون أننا نبعث ونجازى، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: «من مرقدنا» هو وقف التمام، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت «مرقدنا» على معنى: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هذا الذي كنا راكدين فيه؟ ويكون في قوله: «ما وعد الرحمن» أحد إضمارين، إما «هذا»، وإما «حق»، فيكون المعنى: حَقٌّ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر النفخة الثانية، فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿إِنْ أَمْسَحَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ﴾ يعني في الآخرة ﴿فِي شُغْلٍ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «في شُغْلٍ» بلسكان الغين. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «في شُغْلٍ» بضم الشين والغين. وقرأ أبو هريرة، وأبو رجاء، وأيوب السخيتاني: «في شُغْلٍ» بفتح الشين والغين. وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وعكرمة، والضحاك، والنخعي، وابن يعمر، والجحدري: «في شُغْلٍ» بفتح الشين وسكون الغين<sup>(٥)</sup>، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن شغلهم اقتضاض العذاري، رواه شقيق عن ابن مسعود، ومجاهد عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاك. والثاني: ضرب الأوتار، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>؛ وعن عكرمة كالتقولين، ولا يثبت هذا القول. والثالث: النعمة، قاله مجاهد. وقال الحسن: شغلهم: نعيمهم عما فيه أهل النار من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَنَكْبَهُنَّ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وقتادة، وأبو الجوزاء، والنخعي، وأبو جعفر: «فَنَكْبَهُنَّ». وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أن بينهما فرقا. فاما «فاكهون» ففيه أربعة

(١) روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أُبَيِّثُ، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أُبَيِّثُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أُبَيِّثُ، ثم يُنْزَلُ الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل» قال: «وليس من الإنسان شيء إلا يبلو، إلا عظماً واحداً وهو عَجَبُ الذنْبِ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» متفق عليه، واللفظ لـمسلم، ومعنى قول أبي هريرة: «أُبَيِّثُ»: امتنع عن الجواب لأنني لا أدري ما هو الصواب. «وعجب الذنب» هو العظم الذي في أسفل الصلب، وهو رأس القصص، ويقال له: «عجم» بالميم، وهو أول ما يخلق من آدمي، وهو الذي يبقى من الإنسان ليعاد تركيب الخلق عليه.

(٢) قال ابن كثير: يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كُذِّبُوا به في محشرهم ﴿قَالُوا يَوَدُّكَ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾؟ قال: وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قيلهم: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾؟ دليل على أنهم كانوا يمن بعثهم من مرقدهم جهلاً، ولذلك من جهلهم استنبطوا، ومحال أن يكونوا استنبطوا ذلك إلا من غيرهم ممن خالفت صفته صفته في ذلك. اهـ. قال ابن كثير: وهذا أصح، وذلك كقوله تبارك وتعالى في (الصفافات): ﴿قَالُوا يَوَدُّكَ مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ عَنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُفْرًا بِهِ لَكُذِّبُوا<sup>(١)</sup> وقس الله ﷻ: ﴿وَنَزِمَ نَزْمُ النَّاسِ بِقَرْنِ الْمُتَشَبِّهِينَ مَا يَشَاءُ غَيْرُ سَاعِدٍ كَذَلِكَ كَلِمَاتُ يَوَدُّكَ<sup>(٢)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْيَوْمَ وَالْآخِرِينَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُفَرْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>(٣)</sup>﴾. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وفي قوله: «هذا» وجهان، أحدهما: أن تكون إشارة إلى «ما» ويكون ذلك كلاماً مبتدأً بعد تنافي الخبر الأول بقوله: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فنكون «ما» حيثي مرفوعة بـ«هذا»، ويكون معنى الكلام: هذا وَعْدُ الرَّحْمَنِ، وصدق المرسلون؛ والوجه الآخر: أن تكون من صفة المرقد، وتكون خفضاً رداً على المرقد، وعند تمام الخبر الأول؛ فيكون معنى الكلام: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا؟ ثم يبتدأ الكلام فيقال: ما وعد الرحمن، بمعنى: بَعَثَكُمْ وَعْدُ الرَّحْمَنِ، فنكون «ما» حيثي رفعاً على هذا المعنى. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والغين، أو بضم الشين وسكون الغين، بأي ذلك قرأه القارئ فهو مصيب، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قراء الأمصار مع تقارب معنيهما، قال: وأما قراءته بفتح الشين والغين، فغير جائزة عندي، لإجماع الحجة من القراء على خلافها. اهـ.

(٦) قال ابن كثير: وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عنه: ﴿فِي شُغْلٍ فَنَكْبَهُنَّ﴾ أي: بسماع الأوتار، قال: وقال أبو حاتم: لعله غلط من المستمع، وإنما هو انتقاض الأبكار. اهـ. والانتقاض والانتقاض بمعنى واحد.

أقوال: أحدها: فَرَحُون، قاله ابن عباس. والثاني: مُعَجَّبُونَ، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك، ومقاتل. والرابع: ذوو فاكهة، كما يقال: فلان لا يرى تائبر، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما «فَكِهُون» ففيه قولان: أحدهما: أن الفَكِه: الذي يفتكه، تقول العرب للرجل إذا كان يفتكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفَكِه بكذا، ومنه يقال للمُزاح: فُكَاة، قاله أبو عبيدة. والثاني: فَكِهين بمعنى فَرَحين، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن فَاكِهين وفَكِهين بمعنى واحد، كما يقال: حَافِرٌ وَحَافِرٌ، قاله الفراء. وقال الزجاج: فَاكِهون وفَكِهون بمعنى فَرَحين. وقال أبو زيد: الفَكِه: الطيب النفس الضحوك، يقال: رجل فَاكِه وفَكِه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي حَزَنَهُ﴾ يعني حلالهم ﴿فِي ظِلِّهِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «فِي ظِلِّهِ». قال الفراء: الظلال جمع ظل، والظلل جمع ظلة، وقد تكون الظلال جمع ظلة أيضاً، كما يقال: حُتْلَةٌ وَحُتْلٌ؛ فإذا كثرت فهي الخلال والجلال والقلال. قال مقاتل: والظلال: أكنان القصور. قال أبو عبيدة: والمعنى أنهم لا يَضْحَكُونَ. فأما الأرائك، فقد بيّناها في سورة [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَأْ يَدْعُونَ﴾ قال ابن قتيبة: ما يَتَمَنُّونَ، ومنه يقول الناس: هو في خير ما ادعى، أي: ما تَمَنَّى، والعرب تقول: ادع ما شئت، أي: تَمَن ما شئت. وقال الزجاج: هو مأخوذ من الدعاء؛ والمعنى: كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. وقوله: «سَلِّمْ» بدل من «ما»؛ المعنى: لهم ما يتمنون سلام، أي: هذا مئى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم<sup>(٢)</sup>. و«قَوْلًا» منصوب على معنى: سلام يقوله الله قولاً. قال أبو عبيدة: «سلام» رفع على «لهم»؛ فالمعنى: لهم فيها فاكهة ولهم فيها سلام. وقال الفراء: معنى الكلام: لهم ما يدعون مسلماً خالص، ونصب القول، كأنك قلت: قاله قولاً، وإن شئت جعلته نصباً من قوله: ولهم ما يدعون قولاً، كقولك: عِدَّة من الله. وقرأ ابن مسعود، وأبى بن كعب، والجاحدي: «سلاماً قولاً» بنصبها جميعاً.

﴿وَأَسْتَرْزُوا إِلَهُ النَّجْمِ﴾ ٥٩ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ إِلَّا لَكُمْ يَسْتَعِزُّ مَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ أَسْأَلْتُمُ الْمَلَائِكَةَ خِيَالاً أَنْ يَقُولُوا تَعْبُدُوا اللَّهَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٦٢ ﴿أَصْلَحُوا إِلَهُ يَمَا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾ ٦٣

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَرْزُوا إِلَهُ النَّجْمِ﴾ ٥٩ قال ابن قتيبة: أي: انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم، يقال: ميزت الشيء من الشيء: إذا عزلته عنه، فانماز وامتاز، وميزته فتميز. قال المفسرون: إذا اختلط الإنسان والجن في الآخرة، قيل: ﴿وَأَسْتَرْزُوا إِلَهُ النَّجْمِ﴾، فيقال للمجرمين: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟﴾ أي: ألم أركم، أو أوصيكم؟ «وتعبدوا» بمعنى تطيعوا، والشيطان هو إبليس، زين لهم الشرك فاطاعوه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة، أخرج أبيكم من الجنة. ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «وَأَنْ أَعْبُدُونِي» بضم النون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة: «وَأَنْ أَعْبُدُونِي» بكسر النون؛ والمعنى: وحدوني «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» يعني التوحيد. ﴿وَلَقَدْ أَسْأَلْتُ الْمَلَائِكَةَ خِيَالاً أَنْ يَقُولُوا تَعْبُدُوا اللَّهَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٦٢ وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: «جِبْلًا» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: «جِبْلًا» بضم الجيم وتسكين الباء مع تخفيف اللام. وقرأ نافع، وعاصم: «جِبْلًا» بكسر الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، والزهرى، والأعمش: «جِبْلًا» بضم الجيم والباء مع تشديد اللام. وقرأ عبد الله بن عمرو، وابن السميع: «جِبْلًا» بكسر الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. وقرأ سفيان بن جبیر، وأبو المتوكل، ومعاذ القارئ: «جِبْلًا» برفع الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو العالية: وابن يعمر: «جِبْلًا» بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام. وقرأ أبو عمران الجوني، وعمرو بن دينار: «جِبْلًا» مكسورة الجيم مفتوحة الباء وبالف. ومعنى الكلمة كيف تصرّفت في هذه اللغات: المخلوق والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضلّ منكم

(١) قال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ بالآلف «فَكِهُون» لأن ذلك هو القراءة المعروفة. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي أن يكون «سَلِّمْ» خيراً لقوله: ﴿وَلَمْ تَأْ يَدْعُونَ﴾ فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدعون، وذلك هو سلام من الله عليهم. اهـ.



خَلَقًا كَثِيرًا ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ﴾؟؛ فالمعنى: قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعقلوا ذلك؟! وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر: «أفلم يكونوا يعقلون» بالياء فيهما، فإذا أذنوا إلى جهنم قيل لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا ﴿أَسْمَلُوهَا﴾ أي: قاسوا حرها.

﴿الَّذِينَ خَفِرَتْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّمَا أَدِيبُوا رَبُّهُمْ أَزْلَمُوا﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِحِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَّمْ يُزَكِّهْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفِرَتْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «يُخْتَم» بياء مضمومة وفتح التاء ﴿وَكُلَّمَا﴾ قرأ ابن مسعود: «وَلِكُلَّمَا» بزيادة لام مكسورة وفتح الميم وواو قبل اللام. وقرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبيدة: «لِكُلَّمَا» بلام مكسورة من غير واو قبلها وينصب الميم؛ وقرأوا جميعاً: «وَلِشَهَادَةِ أَرْجُلِهِمْ» بلام مكسورة وينصب الدال. ومعنى «تَخَفَرَتْ»: تطبع عليها، وقيل: منعها من الكلام هو الختم عليها، وفي سبب ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنهم لما قالوا: ﴿وَاللَّهُ رَئِيسًا مَا كُنَّا مُفْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ختم الله على أفواههم ونطقت جوارحهم، قاله أبو موسى الأشعري. والثاني: ليعلموا أن أعضاءهم التي كانت أعواناً لهم على المعاصي صارت شهوداً [عليهم]. والثالث: ليعرفهم أهل الموقف، فيتميزوا منهم بذلك. والرابع: لأن إقرار الجوارح بأبلغ في الإقرار من نطق اللسان، ذكره الماوردي. فإن قيل: ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاماً ونطق الرجل شهادة؟ فالجواب: أن اليد كانت مباشرة والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى، وقول الفاعل على نفسه إقرار بما فعل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ولو نشاء لأذهبنا أعينهم حتى لا يبدوا لها شق ولا جفن. والمطموس: الذي لا يكون بين جفنيه شق، «فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ» أي: فتبادروا إلى الطريق ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ [أي]: فكيف يبصرون وقد أعيننا أعينهم؟! وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وأبو رجاء: «فَاسْتَبَقُوا» بكسر الباء «فَأَنَّى يُبْصِرُونَ» بالتاء. وهذا تهديد لأهل مكة، وهو قول الأكثرين. والثاني: ولو نشاء لأضللناهم وأعميناهم عن الهدى، فَأَنَّى يُبْصِرُونَ الحق؟! رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: ولو نشاء لفقنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم وجوئنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فابصروا رشدهم، فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ولم أفعل ذلك بهم؟! روي عن جماعة منهم مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِحِهِمْ﴾ وروى أبو بكر عن عاصم: «على مكائاتهم»؛ وقد سبق بيان هذا [البقرة: ٦٥]، وفي المراد بقوله: «لَمَسَخْنَاهُمْ» أربعة أقوال: أحدها: لأهلكتناهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأقعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لجعلناهم حجارة، قاله أبو صالح، ومقاتل. والرابع: لجعلناهم قرده وخنازير لا أرواح فيها، قاله ابن السائب. وفي قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: فما استطاعوا أن يتقدموا ولا أن يتأخروا، قاله قتادة. والثاني: فما استطاعوا مضياً مضيئاً عن العذاب، ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ، قاله الضحاك. والثالث: مضيئاً من الدنيا ولا رجوعاً إليها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُزَكِّهْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ حمزة: «نُنَكِّسُهُ» مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية؛ والباقون: بفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد<sup>(١)</sup>؛ وعن عاصم كالقراءتين. ومعنى الكلام: من يُظِلُّ عمره نُنَكِّسْ خَلْقَهُ، فنجعل مكان القوة الضعف، وبدل الشباب الهرم، فنرده إلى أرذل العمر. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «أفلا تعقلون» بالتاء، والباقون بالياء. والمعنى: أفلا يعقلون أن مَنْ فعل هذا قادر على البعث؟!

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ ﴿يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِي الْقُلُوبَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ قال المفسرون: إن كفار مكة قالوا: إنَّ هذا القرآن شِعْر وإن محمداً شاعر،

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فإيهما قرأ القارئ فمصيب. غير أن التي عليها عامة قراء الكوفيين أصعب إليّ، لأن التكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فلذلك تأييد للتشديد. اهـ.

فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي: ما يتسهّل له ذلك. قال المفسرون: ما كان يَتَرَنّ له بيت شعر، حتى إنه روي عنه ﷺ أنه تمثّل يوماً فقال:

«كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشُّنَيْبِ لِمَمَرٍ نَاهِيًا»

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما قال الشاعر:

«كَفَى الشُّنَيْبِ وَالْإِسْلَامُ لِمَمَرٍ نَاهِيًا»<sup>(١)</sup>

أشهد أنك رسول الله، ما علمك الله الشعر، وما ينبغي لك<sup>(٢)</sup>. ودعا يوماً عبّاس بن مرداس فقال: «أنت القائل: أَنْجَعَلْ نَهْجِي وَنَهَبَ الْعَبِيَّ دَبِيبَ الْأَنْعَرِ وَغِيَيْنَةَ؟»<sup>(٣)</sup>

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي، لم يقل كذلك، فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «لَا يَضُرُّكَ بَأْيُهُمَا بَدَأْتَ» فقال أبو بكر: والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغي لك الشعر<sup>(٤)</sup>. وتمثّل يوماً، فقال:

«وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْهُ بِالْأَخْبَارِ»<sup>(٥)</sup>

فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إِنِّي لَسْتُ بِشاعر، ولا ينبغي لي»<sup>(٦)</sup>. وإنما مُنِعَ من قول الشعر،

(١) البيت لسحيم عبد بني الحساس، وهو في «ديوانه» ١٦، و«مجمع البيان» ٣٧/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٤٥/٧، و«القرطبي» ٥٢/١٥، و«اللسان»: نهى، وهو بتمامه:

عُمَيْرَةٌ وَفَعْنٌ نَجَّهَزَتْ غَادِيَا كَفَى الشُّنَيْبِ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَمَرِ نَاهِيَا

(٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن البصري قال: إن رسول الله ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت «كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً» فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً» قال أبو بكر أو عمر ﷺ: أشهد أنك رسول الله، يقول تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. اهـ. وهذا الحديث مرسل، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. والحديث ذكره السيوطي في «الدرة» ٢٦٨/٥ من رواية ابن أبي حاتم، وزاد نسبه لابن سعد، والمرزباني في «معجم الشعراء» عن الحسن ﷺ مرسلًا أن النبي ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت.

(٣) البيت لعباس بن مرداس، وهو في «البحر المحيط» ٣٤٥/٧، و«القرطبي» ٥٢/١٥، و«فروع المعاني» ٤٥/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: نهب، وصوابه موزونًا:

أَنْجَعَلْ نَهْجِي وَنَهَبَ الْعَبِيَّ دَبِيبَ الْأَنْعَرِ وَغِيَيْنَةَ وَالْأَنْعَرُ؟

(٤) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية البيهقي في «الدلائل»، وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٦٨/٥ من رواية ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد أن النبي ﷺ قال لعباس بن مرداس: «أرأيت قولك: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة... إلخ، وفيه انقطاع، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، ويقال له: عبد الله بن ذكوان المدني، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب».

(٥) البيت لطرفة بن العبد البكري، وهو في «مختار الشعر الجاهلي» ٣٢٣/١، و«مجمع البيان» ٤٥/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٤٥/٧، و«القرطبي» ١٥/٢١، ونصه بتمامه:

سُبَيْدِي لَسْتُ الْإِيَامَ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة ﷺ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثّل فيه بيت طرفة «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»، وذكره السيوطي في «الدرة» ٢٦٨/٥ من رواية ابن أبي شيبة عن عائشة ﷺ بهذا اللفظ. قال ابن كثير: وهكذا رواه النسائي في «اليوم والليلة» من طريق إبراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها، قال: ورواه الترمذي والنسائي أيضاً من حديث المقدم بن شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة ﷺ كذلك، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ. والحديث رواه الطبري في «التفسير» ٢٧/٢٣، من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: قيل لعائشة ﷺ: هل كان رسول الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثّل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: «إني والله ما أنا بشاعر ولا ينبغي لي» وذكره السيوطي في «الدرة» ٢٦٨/٥ بهذا اللفظ عن عائشة وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأورده أيضاً من رواية ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يتمثّل من الأشعار «ويأتيك بالأخبار من لم تزود». اهـ. قال ابن كثير: وثبت في الصحيح أنه ﷺ تمثّل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة ﷺ، ولكن تبعاً لقول أصحابه ﷺ، فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون:

لَا هُمْ لَسُوا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصُدُّنَا وَلَا صُلِّبْنَا  
فَأَنْزَلْنِ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَنَبَّيْتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقُيْنَا  
إِنْ الْأَلْسَى قَدِ بَغَا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا قِتْلِنَا أَبِينَا

ويرفع صوته ﷺ بقوله: «أبينا» ويمدّها... قال: وكذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في تحور العدو:

أَنَا الشَّيْبِيُّ لَا كَسَلُوبَ أَنَا ابْنُ عَبِيدِ السَّمَطِ لَسَلْبِ

لثلا تدخل الشبهة على قوم فيما أتى به من القرآن فيقولون: قوي على ذلك بما في طبعه من الفطنة للشعر.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ إلا موعظة ﴿وَوَعَّاظٌ مُّنتَبِهٌ﴾ فيه الفرائض والسُنن [والأحكام].

قوله تعالى: ﴿يُنذِرُ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «لِيُنذِرَ» بالياء، يعنون القرآن. وقرأ نافع، وابن عامر، ويعقوب: «لِيُنذِرَ» بالتاء، يعنون النبي ﷺ، أي: لِيُنذِرَ يا محمد بما في القرآن. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وابن السميع: «لِيُنذِرَ» بياء مرفوعة وفتح الذال والراء جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: حي القلب حي البصر، قاله قتادة. والثاني: من كان عاقلاً، قاله الضحاك. قال الزجاج: من كان يُعْقَل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت في ترك النذير. والثالث: مهتدياً، قاله السدي وقال مقاتل: من كان مهتدياً في علم الله. والرابع: من كان مؤمناً، قاله يحيى بن سلام؛ وهذا على المعنى الذي قد سبق في قوله: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [فاطر: ١٨]، ويجوز أن يريد: إنما ينفع إنذارك من كان مؤمناً في علم الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْيَى الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ معناه: يجب. وفي المراد بالقول قولان: أحدهما: أنه العذاب. والثاني: الحجة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْفُسَهُمْ لَهَا سَلَكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْعَزُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾

ثم ذكرهم قدرته فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْفُسَهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون المعنى: مما عملناه بقوتنا وقدرتنا، وفي اليد القدرة والقوة على العمل، فستعار اليد فتوضع موضعها، هذا مجاز للعرب يحتمله هذا الحرف، والله أعلم بما أراد. وقال غيره: ذكر الأيدي هاهنا يدل على انفراده بما خلق، والمعنى: لم يشاركنا أحد في إنشائنا؛ والواحد ميتا إذا قال: عملت هذا بيدي، دل ذلك على انفراده بعمله. وقال أبو سليمان الدمشقي: معنى الآية: مما أوجدناه بقدرتنا وقوتنا؛ وهذا إجماع أنه لم يرد هاهنا إلا ما ذكرنا.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَهَا سَلَكُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ضابطون، قاله قتادة، ومقاتل. قال الزجاج: ومثله في الشعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا  
أملك رأس البعير إن نَفَسَا<sup>(١)</sup>

أي: لا أضبط رأس البعير. والثاني: قادرون عليها بالتسخير لهم، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي: سخرناها، فهي ذليلة لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: الركوب: ما يركبون، والحلوب: ما يخلبون. قال الفراء: ولو قرأ قارئ: «فمنها رُكُوبُهُمْ»، كان وجهاً، كما تقول: منها أكلهم وشربهم وركوبهم. وقد قرأ بضم الراء الحسن، وأبو العالية، والأعمش، وابن يعمر في آخرين. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة: «رُكُوبُهُمْ» بفتح الراء والباء وزيادة تاء مرفوعة. قال المفسرون: يركبون من الأنعام الإبل، ويأكلون الغنم، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا

لكن قالوا: هذا وقع اتفاقاً من غير فصل لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه، قال: وكذلك ما ثبت في «الصحيحين» عن جندب بن عبد الله ؓ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غار فكبكت أصبعه، فقال ﷺ:

مَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعُ دُمَيْتٍ      وفي سبيل الله ما لقيت

قال ابن كثير: وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما علم شعراً ولا ينفي له، فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُتُورُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيبٍ ﴿٧٦﴾﴾ وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش، ولا كهانة ولا مفتعل، ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال، قال: وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً. ثم قال ابن كثير: على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت ؓ، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ؓ وأمثالهم وأضرابهم ؓ أجمعين، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ثم قال: وقد روى أبو داود، من حديث أبي بن كعب، وبريدة بن الحصيب، وعبد الله بن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر جحماً». اهـ.

(١) البيت للربيع بن منبغ الفزاري، وهو في «البحر المحيط» ٣٤٧/٧، و«روح المعاني» ٤٧/٢٣.

مَنْعَهُ مِنْ الْأَصَوافِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ وَالنَّسْلِ ﴿وَسَكَرَتْ﴾ [مِنْ] الْبَانِهَاءِ، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رَبَّ هَذِهِ الثَّمَعِ فَيُوحِدُونَهُ؟ ثُمَّ ذَكَرَ جَهْلَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ﴾ (١) أَي: لَتَمْنَعَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفَهُمْ﴾ أَي: لَا تَقْدِرُ الْأَصْنَامُ عَلَى مَنَعِهِمْ مِنْ أَمْرِ أَرَادَهُ اللَّهُ بِهِمْ ﴿وَهُمْ﴾ يَعْنِي الْكَفَّارَ ﴿لَهُمْ﴾ يَعْنِي الْأَصْنَامَ ﴿جُنُدٌ مُخَضَّرُونَ﴾ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ. أَحَدُهَا: جُنْدٌ فِي الدُّنْيَا مُحَضَّرُونَ فِي النَّارِ، قَالَ الْحَسَنُ. وَالثَّانِي: مُخَضَّرُونَ عِنْدَ الْحِسَابِ، قَالَ مُجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: الْمَشْرُكُونَ جُنُدٌ لِلْأَصْنَامِ، يَغْضِبُونَ لَهَا فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَا تَسْوَقُ إِلَيْهِمْ خَيْرًا وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ شَرًّا، قَالَ قَتَادَةُ (٢). وَقَالَ مَقَاتِلُ: الْكَفَّارُ يَغْضِبُونَ لِلْإِلَهِةِ وَيُخَضَّرُونَ فِي الدُّنْيَا. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُمْ لِلْأَصْنَامِ يَنْتَصِرُونَ، وَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَهُمْ. وَالرَّابِعُ: هُمْ جُنُدٌ مُخَضَّرُونَ عِنْدَ الْأَصْنَامِ يَعْبُدُونَهَا، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ يَعْنِي قَوْلَ كُفَّارِ مَكَّةَ فِي تَكْذِيبِكَ ﴿إِنَّا تَعْلَمُ مَا يُبْصِرُونَ﴾ فِي ضَمَائِهِمْ مِنْ تَكْذِيبِكَ ﴿وَمَا يُخْلِفُونَ﴾ بِالسَّتَمِ مِنْ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: إِنَّا نُنَبِّئُكَ وَنَجَازِيهِمْ.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيضٌ نَجِسٌ﴾ (٣) وَصَرَّفَ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطَى الْوَلَدُ وَهُوَ رَمِيمٌ (٤) فَلَا يُحْيِيهِ إِلَّا الَّذِي أَنْشَأَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٥) الَّذِي جَعَلَ لَكَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتَهُ ثَوْدُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَنَ أَنَّ خَلْقَ يَنْفَعُهُ بَلْ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٧) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨) فَسَبِّحْ لِلَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٩)

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، أَخَذَ عَظْمًا مِنَ الْبَطْحَاءِ فَفَتَّ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّخِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَى؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، يُحْيِيكَ اللَّهُ ثُمَّ يُخْيِيكَ ثُمَّ يَدْخُلُكَ نَارُ جَهَنَّمَ»، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (١). وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ، جَرَى لَهُ نَحْوُ هَذِهِ الْقِصَّةِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢). وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَأَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ جَرَتْ لَهُ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٣). وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، قَالَ الْحَسَنُ (٤). وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ أَبِي بْنُ خَلْفٍ الْجُمَحِيُّ (٥)، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ جَرَتْ لَهُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْجَهْمُورُ، وَعَلَيْهِ الْمَفْسُورُونَ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: التَّعَجُّبُ مِنْ جَهْلِ هَذَا الْمُخَاصِمِ فِي إِنْكَارِهِ الْبَيْتِ؛ وَالْمَعْنَى: أَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ فَيَتَفَكَّرُ فِي بَدَنِ خَلْقِهِ فَيَتَرَكَّ خُصُومَتَهُ؟ وَقِيلَ: هَذَا تَنْبِيهُ لَهُ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ حَيْثُ أَنْشَأَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَصَارَ مُجَادِلًا. ﴿وَصَرَّفَ لَنَا مَثَلًا﴾ فِي إِنْكَارِ الْعَثِ بِالْعَظْمِ الْبَالِي حِينَ فَتَّ يَدَهُ، وَتَعَجَّبَ مِمَّنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُخْيِيهِ ﴿وَكَيْفَ خَلَقْتَهُ﴾ أَي: نَبِيَّ خَلَقْنَا لَهُ،

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قَتَادَةُ أَوَّلَى عِنْدَنَا بِالْصَوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَشْرُكِينَ عِنْدَ الْحِسَابِ تَبَيَّرَ مِنْهُمْ الْأَصْنَامُ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُونَ لَهَا جُنْدًا حَيْثُ؟ وَلَكِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا لَهُمْ جُنْدٌ يَغْضِبُونَ لَهُمْ وَيَقَاتِلُونَ دُونَهُمْ، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَهَذَا الْقَوْلُ حَسَنٌ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جُرَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. اهـ.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ ٣٠/٢٣ مِنْ رَوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَرْسَلًا، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ رَوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَصَحَّحَهُ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٦٩/٥، وَزَادَ نُسْبَةَ لِابْنِ الْمُنْذَرِ، وَالْإِسْمَاعِيلِيِّ فِي «مَجْمَعِهِ»، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَيْتِ»، وَالْقِزَّالِيُّ فِي «الْمُخْتَارَةِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ ٣١/٢٣ مِنْ رَوَايَةِ حُطَيْبِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا مُنْكَرٌ، لِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ.

(٤) ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٧٠/٥ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ مَرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

(٥) وَهَكَذَا ذَكَرَهُ الشُّوكَانِيُّ فِي «فَتْحِ الْقُدِيرِ» عَنْ الْحَسَنِ وَلَمْ يَسْتَدِ لَهُ أَحَدٌ.

(٦) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ: ٣٠/٢٣ مِنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ، وَالْوَالِدِيَّ فِي «أَسْبَابِ الزَّلْزَلَةِ» ٢٠٩ مِنْ طَرِيقِ حَصِينٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكَشَافِ» ١٤٠: رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» مِنْ طَرِيقِ حَصِينٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ. وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٦٩/٥ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ مَرْدَوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمِنْ رَوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ مَتَّوْرٍ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْبَيْتِ» عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَمِنْ رَوَايَةِ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ جُرَيْرٍ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ مُجَاهِدٍ، وَمِنْ رَوَايَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ جُرَيْرٍ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ عَنْ قَتَادَةَ، وَمِنْ رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ السَّيِّدِيِّ، وَمِنْ رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حَكِيمَةَ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ، سَوَاءٌ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَنٍ خَلْفٍ، أَوْ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، أَوْ فِيهِمَا، فَهِيَ عَامَةٌ فِي كُلِّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَيْتَ، قَالَ: وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ لِلْجِنْسِ، يَمَعُ كُلِّ مُنْكَرٍ لِلْبَيْتِ. اهـ.



أي: تَرَكَ النَّظَرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ إِذْ خَلَقَ مِنْ نُظْفَةٍ ﴿قَالَ مَنْ يُبْنِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ١٩ أي: بالية، يقال: رَمَّ الْعَظْمُ، إِذَا بَلِيَ، فَهُوَ رَمِيمٌ، لَأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ فَاعِلِهِ، وَكُلُّ مَعْدُولٍ عَنْ وَجْهِهِ وَوزنه فهو مصروف عن إعرابه، كقوله: ﴿وَمَا كَأَنَّ أَثَرِي بِفِيكَ﴾ [مریم: ٢٨]، فَاسْقَطَ الْهَاءَ لِأَنَّهُا مَصْرُوفَةٌ عَنْ «بَاغِيَةٍ»؛ فَمَاسَ هَذَا الْكَافِرُ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى بِقُدْرَةِ الْخَلْقِ، فَانْكَرَ إِحْيَاءَ الْعَظْمِ الْبَالِي لِأَنَ ذَلِكَ لَيْسَ فِي مَقْدُورِ الْخَلْقِ. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾ أي: ابْتَدَأَ خَلْقَهَا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْإِعَادَةِ ﴿عَلِيمٌ﴾. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَرَادَ الرُّنُودَ الَّتِي تُورِي بِهَا الْأَعْرَابُ مِنْ شَجَرِ الْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ. فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَالَ: «الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ»، وَلَمْ يَقُلْ: الشَّجَرِ الْخُضْرُ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الشَّجَرَ جَمْعٌ، هُوَ يُوَثُّ وَيَذْكَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَتَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٣]، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا أَشْرَقَ مِن تَحْتِهَا نُورٌ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، فَقَالَ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ﴾ وَقَرَأَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ: «يَقْدِيرُ» بِيَاءٍ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ ﴿عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَّهْمٍ﴾ ١٩ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ؛ وَالْمَعْنَى: مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ الْعَظِيمِ، قَدَرَ عَلَى هَذَا الْيَسِيرِ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ فَسَّرْنَا مَعْنَى «أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَّهْمٍ» فِي «بَنِي إِسْرَائِيلَ: ٩٩»؛ ثُمَّ أَجَابَ هَذَا الِاسْتِفْهَامَ فَقَالَ: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ يَخْلُقُ خَلْقًا بَعْدَ خَلْقٍ. وَقَرَأَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَالْحَمْسَنُ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ: «وَهُوَ الْخَالِقُ» ﴿الْقَلِيمُ﴾ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ. وَالْمَلَكُوتُ وَالْمُلْكُ وَاحِدٌ. وَبَاقِي السُّورَةِ قَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٣٢، ١١٧، الأنعام: ٧٥].



(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقُولُ تَعَالَى مَبْنِيًّا عَلَى قُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَالنُّجُومِ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَرِمَالٍ وَبِحَارٍ وَقَفَارٍ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَمُرْشِدًا إِلَى الْاسْتِدْلَالِ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَادِ بِخَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْ لَّهْمٍ﴾ ١٩ أي: مِثْلَ الْبَشَرِ فَيُعِيدُهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ ١٩ قَالَ: وَهَذِهِ آيَةُ الْكَرِيمَةِ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «أَوَّلُ نَبِيٍّ أُنْزِلَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَكِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقُهُمْ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَةَ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَاهُنَا: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْقَلِيمُ﴾ ١٩ إِنَّمَا أَشْرَفُ إِذَا أَرَادَ حَقِيقًا أَنْ يَقُولَ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ ١٩ أي: إِنَّمَا بِأَمْرِ بِالشَّيْءِ أَمْرًا وَاحِدًا لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكَرُّرٍ وَتَأْكِيدٍ. اهـ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَسْبِحُنَ الَّذِي يَسْبِغُ لَكُمُ الْمَاءَ لِكُلِّ ذِي نَفْسٍ وَمِنْهُ حَيَاتُكُمْ وَمَوْتُكُمْ﴾ ١٩ أي: تَنْزِيهِهُ وَتَقْدِيسُهُ وَتَبَرُّهُ مِنَ السُّوءِ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ الْمَبَادِ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، وَهُوَ الْعَادِلُ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ. اهـ.

## سورة الصفات

وهي مَكِّيَّة كُلُّهَا بِإِجْمَاعِهِمْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَبَتُّوا﴾ ① ﴿فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَبَتُّوا﴾ ② ﴿إِنَّ إِلَهُهُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ③ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ ④

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَبَتُّوا﴾ ① فيها قولان: أحدهما: أنها الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقناة، والجمهور. قال ابن عباس: هم الملائكة صُفُوفٌ في السماء، لا يَعْرِفُ مَلَكٌ مِنْهُمْ مَنْ إِلَى جَانِبِهِ، لَمْ يَلْتَمِثْ مِنْذُ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ. وقيل: هي الملائكة تُصَفُّ أَجْنَحَتَهَا فِي الْهَوَاءِ وَاقِفَةً إِلَى أَنْ يَأْمُرَهَا اللهُ ﷻ بِمَا يَشَاءُ. والثاني: أنها الطَّيْرُ، كقوله: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾ [النور: ٤١]، حكاه الثعلبي. وفي الزاجرات قولان: أحدهما: أنها الملائكة التي تَزُجِرُ السُّحَابَ، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: أنها زاجر القرآن وكلُّ ما ينهى ويزجر عن القبيح، قاله قناة<sup>(١)</sup>. وفي التاليات ذكرُ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى، قاله ابن مسعود، [والحسن]، والجمهور. والثاني: أنهم الرسل، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: ما يُتلى في القرآن من أخبار الأمم، قاله قناة. وهذا قَسَمٌ بهذه الأشياء، وجوابه: ﴿إِنَّ إِلَهُهُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ③. وقيل: معناه: وربُّ هذه الأشياء إله واحد.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ قال السدي: المَشَارِقُ ثلاثمائة وستون مَشْرِقًا، والمَغَارِبُ مِثْلُهَا، على عدد أيام السنة. فإن قيل: لِمَ ترك ذكرَ المَغَارِبِ؟ فالجواب: أن المَشَارِقَ تُدُلُّ على المَغَارِبِ، لأن الشُّرُوقَ قَبْلَ الْغُرُوبِ.

﴿إِنَّا زَيْنَا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا بِنْتَهُ الْكَوَكِبِ﴾ ⑤ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ⑥ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْفَخْرَ يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ⑦ مُخَوِّرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاسِعٌ ⑧ إِلَّا مَنْ حَفِظَ لِحَفَظَةِ قَائِمَةٍ يَهَابُ تَائِبٌ ⑨

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيْنَا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا﴾ يعني التي تلي الأرض، وهي أدنى السموات إلى الأرض ﴿بِنْتَهُ الْكَوَكِبِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، والكسائي: «بِزَيْنَةِ الْكَوَاكِبِ» مضافاً، أي: بحُسْنِهَا وَضُوءِهَا. وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: «بِزَيْنَةٍ» مَنْوُتَةٌ وخفض «الكواكِبِ» [وجعل «الكواكِبِ»] بدلاً من الزينة لأنها هي، كما تقول: مررت بأبي عبد الله زيد؛ [فالمعنى: إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالْكَوَاكِبِ. وقرأ أبو بكر عن عاصم: «بِزَيْنَةٍ» بالتثنية وينصب «الكواكِبِ»]؛ والمعنى: زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِأَنَّ زَيْنَا الْكَوَاكِبِ فيها حين ألقيناه في منازلها وجعلناها ذات نور. قال الزجاج: ويجوز أن يكون «الكواكِبِ» في النُّصْبِ بدلاً من قوله: «بِزَيْنَةٍ» لأن قوله: «بِزَيْنَةٍ» في موضع نصب. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو نهيك، وأبو حصين الأسدي في آخرين: «بِزَيْنَةٍ» بالتثنية «الكواكِبِ» برفع الباء؛ قال الزجاج: والمعنى: إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِأَنَّ زَيْنَتَهَا الْكَوَاكِبُ وبأن زَيْنَتِ الْكَوَاكِبِ. ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: وَحَفِظْنَاهَا حِفْظًا. فأمَّا المارد، فهو العاتي، وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧].

(١) قال ابن جرير الطبري: والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا، ما قال مجاهد ومن قال: هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره ابتداءً قَسَمَ بنوع من الملائكة، وهم الصَّافُونَ بِإِجْمَاعٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ، فَلَنْ يَكُونَ الَّذِينَ بَعْدَهُ قَسَمًا بِسَائِرِ أَصْنَافِهِمْ أَشْبَهَ. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي: من المخلوقات، ورب المَشَارِقِ، أي: هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب، قال: واكتفى بذكر المَشَارِقِ عن المَغَارِبِ لدلالتهما عليه، وقد صرح بذلك في قوله ﷻ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا الَّذِي أُنْزِلُ فِي السَّمَاءِ الْمَاءَ فَالْتَرَى السَّيْلَ يَنْزِلُ﴾ وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ﴾ يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر. اهـ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قال الفراء: «لا» هاهنا كقوله: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ النَّبِيِّينَ﴾ لا يَبْقُونَ بِهِ. [الشراء: ٢٠٠، ٢٠١]؛ ويصلح في «لا» على هذا المعنى الجزم، فإن العرب تقول: ربطت الفرس لا يَنْقَلِث. وقال غيره: لكي لا يَسْمَعُوا إلى الملا الأعلى، وهم الملائكة الذين في السماء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف: «لَا يَسْمَعُونَ» بتشديد السين، وأصله: يَسْمَعُونَ، فأدغمت التاء في السين. وإنما قال: «إِلَى الْأَعْلَى الْأَعْلَى» لأن العرب تقول: سمعت فلاناً، وسمعت من فلان، وإلى فلان. ﴿وَيَقْدُرُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ بالشُّبِّ «دُحُورًا» قال قتادة: أي: قدفاً بالشُّبِّ. وقال ابن قتيبة: أي: طرذاً، يقال: دَحَرْتُهُ دَحْرًا ودُحُورًا، أي: دفعته. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رجاء، وأبو عبد الرحمن، والضحاك، وأيوب السختياني، وابن أبي عملة: «دُحُورًا» بفتح الدال. وفي «الواصب» قولان: أحدهما: أنه الدائم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقاتدة، والفراء، وابن قتيبة. والثاني: أنه الموجه، قاله أبو صالح، والسدي. وفي زمان هذا العذاب قولان: أحدهما: أنه في الآخرة. والثاني: [أنه] في الدنيا، فهم يُخْرَجُونَ بالشُّبِّ وَيُجْلَوْنَ إلى الثَّقَةِ الأولى في الصُّور.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَلِيفَ الْخَلْفَةَ﴾ قرأ ابن السميع: «خَطَفَ» بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها. وقرأ أبو رجاء، والجحدري: بكسر الخاء والطاء جميعاً والتخفيف. قال الزجاج: خَطَفَ وخَطِطَ، بفتح الطاء وكسرها، يقال: خَطَفْتُ أَخِطَفُ، وخَطِطْتُ أَخِطُطُ: إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز «إِلَّا مَنْ خَطَفَ» بفتح الخاء وتشديد الطاء، ويجوز «خَطَفَ» بكسر الخاء وفتح الطاء؛ والمعنى: اختطف، فأدغمت التاء في الطاء، وسقطت الألف لحركة الخاء؛ فمن فتح الخاء، ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في «اختطف»، ومن كسر الخاء، فليسكونها وسكون الطاء. فأما من روى [«خِطَفَ»] بكسر الخاء والطاء، فلا وجه لها إلا وجهاً ضعيفاً جداً، وهو أن يكون على إتباع الطاء كسرة الخاء. قال المفسرون: والمعنى: إلّا مَنْ اختطف الكلمة من كلام الملائكة مُسَارَقَةً ﴿فَأَبْتَرَهُ﴾ أي: لَحِقَهُ ﴿بِهَاتِ ثَابِتٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي كوكب مُضيء، يقال: أَتَوَّبَ نَارَكَ، أي: أَضِيئَهَا، والثُّقُوبُ: ما تُذَكِّي به النار.

﴿نَاسْتَفْتِيهِمْ أَمْ أَمْدُ خَلْقًا أَمْ مَن خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿وَإِنَّا ذَكَّرُوا لَا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿وَإِنَّا نَزَّلْنَاهُ بِتَنْزِيلٍ﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا وَخَلَقْنَا لَكُمْ أَنْفُسًا وَأَلْهَكُمُ الْغَيِّبُ الْغَيْبُ﴾ قُلْ تَمَّ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿فَلَمَّا هِيَ بَرْجَةٌ وَنِدَاءٌ فَقَامَ بَنُو إِسْرَءِيلَ فَذَاكَ يَوْمٌ يَبْظُرُونَ﴾ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الْقِسْفِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿لَتَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْجُرَهُمْ وَمَا كَانُوا بِبَيْدٍ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَالْعُدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَنَّةِ ﴿وَقَوْمٌ قَبِلُوا إِلَهُهُمُ مُنْتَفِلُونَ﴾ بَلْ هُوَ الْبَظْمُ مُتَنَفِّلُونَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿نَاسْتَفْتِيهِمْ﴾ أي: فَسَلُّهُمْ سؤال تقرير ﴿أَمْ أَمْدُ خَلْقًا﴾ أي: أَحْكُمُ صَنَعَةً ﴿أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: أَمْ مَن عَدَدْنَا خَلْقَهُ مِنَ الملائكة والشیاطين والسموات والأرض، قاله ابن جرير. والثاني: أَمْ مَن خَلَقْنَا قبلهم من الأمم السالفة، والمعنى: إنهم ليسوا بأقوى من أولئك وقد أهلكناهم بالتكذيب، فما الذي يؤمن هؤلاء؟ ثم ذكر خلق الناس فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: أي: لاصق لازم، والباء تبدل من الميم لقرب مَخْرَجِهِمَا. قال ابن عباس: هو الطين الحرُّ الجيد اللزق. وقال غيره: هو الطين الذي يَنْشَفُ عنه الماء وتبقى رطوبته في باطنه فيُلَصَّقُ باليد كالشمع. وهذا إخبار عن تساوي الأصل في خلقهم وخلق مَن قبلهم؛ فمن قدر على إهلاك الأقوياء، قدر على إهلاك الضعفاء.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ «بل» معنا: ترك الكلام الأول والأخذ في الكلام الآخر، كأنه قال: دع يا محمد ما مضى. وفي «عَجِبْتَ» قراءتان: قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «بَلْ عَجِبْتَ» بفتح التاء. وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقاتدة، وأبو مجلز، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي في آخرين: «بَلْ عَجِبْتَ» بضم التاء، [واختارها الفراء]. فمن فتح، أراد: بل عَجِبْتَ يا محمد، ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ هم. قال ابن السائب: أَنْتَ تَعْجَبُ منهم، وهم يَسْخَرُونَ منك. وفي ما عجب منه قولان: أحدهما: من الكفار إذ لم يؤمنوا بالقرآن. والثاني: إذ كفروا بالبعث. ومن ضم، أراد

الإخبار عن الله ﷻ أنه عَجِبَ، قال الفراء: وهي قراءة عليّ، وعبد الله، وابن عباس، وهي أحبُّ إليّ؛ وقد أنكر هذه القراءة قوم، منهم شريح القاضي، فإنه قال: إن الله لا يَعَجِبُ، إنما يَعَجِبُ مَنْ لا يَعْلَمُ. قال الزجاج: وإنكار هذه القراءة غلط، لأن العَجَبَ من الله خلاف العَجَبِ من الآدميين، وهذا كقوله: ﴿وَيُنَكِّرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿سَخَّرَ اللَّهُ يَنْهَمَ﴾ [التوبة: ٧٩]، وأصل العَجَبِ في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما يُنَكِّرُهُ وَيَقِلُّ مِنْهُ، قال: قد عَجِبْتُ من كذا، وكذلك إذا فَعَلَ الْآدَمِيُّونَ ما يُنَكِّرُهُ اللَّهُ ﷻ، جاز أن يقول: عَجِبْتُ، والله قد عَلِمَ الشيء قبل كونه. وقال ابن الأنباري: المعنى: جازيتهم على عجبهم من الحق، فسَمَى الجزءاء على الشيء باسم الشيء الذي له الجزءاء، فسَمَى فعله عَجَبًا وليس بِعَجَبٍ في الحقيقة، لأن المتعجب يدهش ويتحير، والله عزَّ وجلَّ قد جَلَّ عن ذلك؛ وكذلك سَمَى تعظيم الثواب عَجَبًا، لأنه إنما يَتَعَجَّبُ من الشيء إذا كان في النهاية، والعرب تسمي الفعل باسم الفعل إذا دانا من بعض وجوهه وإن كان مخالفاً له في أكثر معانيه، قال عدي:

ثُمَّ أَضْحَكُوا لِعِيبِ الدُّفْرِ بِهْمِ

[وَكَذَلِكَ الدُّفْرُ يُودِي بِالرِّجَالِ] (١)

فجعل إهلاك الدهر وإفساده لعباً، وقال ابن جرير: من ضم التاء، فالمعنى: بل عَظُمَ عندي وكَثُرَ اتِّخَاذُهُمْ لي شريكاً وتكذيبهم تنزيلي. وقال غيره: إضافة العَجَبِ إلى الله على ضربين: أحدهما: بمعنى الإنكار والذم، كهذه الآية، والثاني: بمعنى الاستحسان والإخبار عن تمام الرضى، كقوله ﷻ: ﴿عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَأْنِ لَيْسَ لَهُ صَبْرَةٌ﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿رَأَى الْكُفْرَ لَا يَرْجُو﴾ (٣) أي: إذا عُظِمَا بِالْقَرَأَنَ لَا يَذْكُرُونَ وَلَا يَتَعَطُونَ. وقرأ سعيد بن جبير، والضحاك، وأبو المتوكل، وعاصم الجعفري، وأبو عمران: «ذُكِرُوا» بتخفيف الكاف. ﴿رَأَى الْكُفْرَ لَا يَرْجُو﴾ قال ابن عباس: يعني انشاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ قال أبو عبيدة: يَسْتَسْخِرُونَ وَيَسْخَرُونَ سواء. قال ابن قتيبة: يقال: سَخَّرَ وَاسْتَسَخَّرَ، كما يقال: قَرَّرَ وَاسْتَقَرَّرَ، وَعَجِبَ وَاسْتَعَجَبَ، ويجوز أن يكون: يسألون غيرهم من المشركين أن يَسْخَرُوا من رسول الله (٣)، كما يقال: اسْتَعْتَبْتُهُ، أي: سأله الثمني، واستَوْهَبْتُهُ، أي: سأله الهبة، واستَعَفَيْتُهُ: سأله العفو. ﴿وَقَالُوا إِنَّا هَذَا﴾ انشاق القمر ﴿إِلَّا يَسْخَرُ مِنَّا﴾ أي: بَيِّنْ لِمَنْ تَأْمَلُ أَنَّهُ سَخِرَ. ﴿أَوَلَا يَنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦]. ﴿أَوَلَا يَنْتَظِرُونَ﴾ هذه ألف الاستفهام دخلت على حرف العطف، كقوله: ﴿أَوَلَا يَنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وقرأ نافع، وابن عامر: «أَوَلَا يَنْتَظِرُونَ» بسكون الواو هاءنا وفي [الواقعة: ٤٨]. ﴿قُلْ نَسَمٌ﴾ أي: نَعَمٌ تُبْعَثُونَ ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرْتُمْ﴾ أي: صَاغِرْتُمْ. ﴿فَأَنَّا مِنْ زَجْرَةٍ وَكَيْدَةٍ﴾ أي: فَأَنَّا قِصَّةُ الْبَعثِ صَبِيحَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ إِسْرَافِيلَ، وهي نفخة البعث، وَسُمِّيَتْ زَجْرَةً، لأن مقصودها الزَجْرُ ﴿فَأَنَّا نُمْ يَنْتَظِرُونَ﴾ قال الزجاج: أي: يُخَيِّتُونَ وَيُحْيَوْنَ وَيُبْعَثُونَ بِصَرَاءٍ يَنْتَظِرُونَ، فإذا عَايَنُوا بَعْثَهُمْ، ذَكَرُوا إِبْرَافِيلَ الرَّسُلَ عَنْ الْبَعثِ، ﴿وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمَ الْآزِينِ﴾ (٤) أي: يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فنقول للملائكة: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَضَاءِ﴾ الذي يُفْضَلُ فِيهِ بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْمُسِيءِ؛ ويقول الله ﷻ يومئذٍ للملائكة: ﴿اخْشَرُوا﴾ أي: اجتمعوا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من حيث هم، وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: أنه عامٌّ في كل ظالم. وفي أزواجهم أربعة أقوال: أحدها: أمثالهم وأشباههم، وهو قول عمر، وابن عباس، والنعمان بن بشير، ومجاهد في آخرين. وروي عن عمر قال: يُخَشَّرُ صَاحِبُ الرِّبَا مع صَاحِبِ الرِّبَا، وصَاحِبُ الرِّبَا مع صَاحِبِ الرِّبَا، وصَاحِبُ الْخَمْرِ مع صَاحِبِ الْخَمْرِ. والثاني: أنَّ

(١) البيت لعدي بن زيد البجلي، وهو في «الأغاني» طبعة الدار ١٣٥/٢.

(٢) روى أحمد في «المسنَد» ١٥١/٤ من حديث ابن لهيعة عن أبي عشة عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيُعْجِبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَ لَهُ صَبْرَةٌ»، قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة»: ولشَّام في «فوائد» والقضاعي في «مسنَد» من حديث ابن لهيعة: حدثنا أبو عشة عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيُعْجِبُ مِنَ الشَّابِّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ صَبْرَةٌ» قال: وكذا هو عند أحمد وأبي يعلى، وسنده حسن، قال: وضعفه شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) في فتاويه لأجل ابن لهيعة. اهـ. والحديث ذكره الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر، قال الحافظ المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: وكذا رواه أبو يعلى عن عقبة بن عامر (أي الجهمي) قال: قال الهيثمي: وإسناده حسن، وضعفه ابن حجر في «فتاويه» وضعفه ابن لهيعة. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿رَأَى الْكُفْرَ لَا يَرْجُو﴾ يقول: «وَأَنَا وَأَوَّلُ حِجَّةٍ مِنْ حِجَجِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَدَلَالَةٍ عَلَى نُبُوَّةِ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ يَسْتَسْخِرُونَ» يقول: يستسخرون. اهـ.



أزواجهم، المشركاء، قاله الحسن. والثالث: أشياعهم، قاله قتادة. والرابع: قرناؤهم من الشياطين الذين أضلّوهم، قاله مقاتل. وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا بِعَيْنٍ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: الأصنام، قاله عكرمة، وقاتادة. والثاني: إبليس وحده، قاله مقاتل. والثالث: الشياطين، ذكره المارودي وغيره.

١١٨٥ قوله تعالى: ﴿فَأَمْدُومُ إِلَىٰ مِرْطٍ لِّلْجِيمِ﴾ أي: دَلُّوهم على طريقها؛ والمعنى: اذهبوا بهم إليها. قال الزجاج: يقال: هَدَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا دَلَّيْتَهُ، وَهَدَيْتُ الْعُرُوسَ إِلَىٰ زَوْجِهَا، وَأَهْدَيْتُ الْهَدِيَّةَ، فَإِذَا جَعَلْتَ الْعُرُوسَ كَالْهَدِيَّةِ، قُلْتَ: أَهْدَيْتُهَا.

قوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ﴾ أي: احبسوهم ﴿إِنَّمَا تَسْأَلُونَ﴾ وقرأ ابن السميع: «أَنَّهُمْ» بفتح الهمزة. قال المفسرون: لَمَّا سَبَقُوا إِلَى النَّارِ حُسِبُوا عِنْدَ الصَّرَاطِ، لِأَنَّ السَّوَالَ هُنَاكَ. وَفِي هَذَا السَّوَالَ سِتَّةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ سَأَلُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَالثَّانِي: عَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، رَوَى جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّالِثُ: عَنْ خَطَايَاهُمْ، قَالَ الضَّحَّاكُ وَالرَّابِعُ: سَأَلَهُمْ خِزْنَةُ جَهَنَّمَ: ﴿أَلَمْ يَأْكُرُوا نَارًا﴾ [المك: ٨] وَنَحْوَ هَذَا، قَالَه مُقَاتِلٌ. وَالخَامِسُ: أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ، ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَالسَّادِسُ: أَنَّ سَوَالَهُمْ قَوْلَهُ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَأْمُرُونَ﴾ ١٩ [ذكره المارودي]. قَالَ الْمَفْسُرُونَ: الْمَعْنَى: مَا لَكُمْ لَا يَنْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا؟ وَهَذَا جَوَابُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: «نَحْنُ جَمِيعٌ مُّشْكِرُونَ» [الفر: ٤٤]، فَقِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ تَوْبِيخًا. وَالْمُسْتَسْلِمُ: الْمُتَقَادُّ الدَّلِيلُ؛ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ مُتَقَادُونَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ.

﴿وَأَقْبَلْ بِشْغَمٍ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسْتَلُونَ﴾ ٢٠ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ٢١ قَالُوا بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٢٢ وَمَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ٢٣ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ٢٤ فَأَعْرَضْتُمْ عَنْ الْيَمِينِ ٢٥ فَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٢٦ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ٢٧ إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ٢٨ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهِنَا لِشَاعِرٍ نَجْنُومُ ٢٩ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ٣٠ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ٣١ وَمَا تَجَزَّوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَسْمَلُونَ ٣٢ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ٣٣ أُولَئِكَ لَمْ يَرَوْا رِزْقَ رَبِّهِمْ فَوَكَّدُوا وَهُمْ مُكْرَمُونَ ٣٤ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ ٣٥ عَلَىٰ حُرُوفٍ مُّثْقَلِينَ ٣٦ يَلْقَا عَلَيْهِمْ بَكَائِينَ مِنْ مَّعِينٍ ٣٧ يَبْتَئِثُ لَشَّوْبِينَ ٣٨ لَا يَبْهَتُهُمْ غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَرُونَ ٣٩ وَبَعْدَهُمْ قَصِيرَةٌ ٤٠ الظَّرْفُ عَيْنٌ ٤١ كَانَتْهُمْ يَبْسُ مَكْرُونَ ٤٢

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلْ بِشْغَمٍ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْإِنْسُ عَلَى الشَّيَاطِينِ. وَالثَّانِي: الْإِتْبَاعُ عَلَى الرُّؤَسَاءِ ﴿يَسْتَلُونَ﴾ تَسَالُ تَوْبِيخٍ وَتَأْنِيْبٍ وَلَوْ، فَيَقُولُ الْإِتْبَاعُ لِلرُّؤَسَاءِ: [لِمَ] غَرَرْتُمُونَا؟ وَيَقُولُ الرُّؤَسَاءُ: لِمَ قِيلَ لَكُمْ مَنَّا؟ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا﴾ يَعْنِي الْإِتْبَاعُ لِلْمُتَبَوِّعِينَ ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: كُنْتُمْ تَقْهَرُونَا بِقُدْرَتِكُمْ عَلَيْنَا، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَعَزُّ مِنَّا، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَتَضَلُّونَا عَنْهُ، قَالَه الضَّحَّاكُ. وَقَالَ الزَّجَاجُ: تَأْتُونَنَا مِنْ قِبَلِ الدِّينِ فَتَخْدَعُونَا بِأَقْوَى الْأَسْبَابِ. وَالثَّالِثُ: كُنْتُمْ تَوْتَفُونَ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ بِأَيْمَانِكُمْ، فَتَأْتُونَا مِنْ قِبَلِ الْإِيمَانِ الَّتِي تَخْلِفُونَهَا، حَكَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ. فَيَقُولُ الْمُتَبَوِّعُونَ لَهُمْ: ﴿بَلْ لَرَّ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أَي: لَمْ تَكُونُوا عَلَى حَقِّ فَضْلِكُمْ عَنْهُ، إِنَّمَا الْكُفْرُ مِنْ قِبَلِكُمْ. ﴿وَمَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْقَهْرُ. وَالثَّانِي: الْحُجَّةُ. فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى الْأَوَّلِ: وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ قُوَّةٍ نَقْهَرُكُمْ بِهَا وَنُكْرِهُكُمْ عَلَى مُتَابَعَتِنَا، وَعَلَى الثَّانِي: لَمْ نَأْتِكُمْ بِحُجَّةٍ عَلَى مَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ كَمَا أَتَى الرَّسُلَ.

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أَي: فَوَجِثَ عَلَيْنَا كَلِمَةُ الْعَذَابِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿لَأَنذَرْتُكُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الاعراف: ١٨] ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ الْعَذَابَ جَمِيعًا نَحْنُ وَأَنْتُمْ، ﴿فَأَعْرَضْتُمْ﴾ أَي: أَضَلَّلْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بِدَعَائِكُمْ إِلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كَاغُ غَوِينَ﴾. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْإِتْبَاعِ وَالْمُتَبَوِّعِينَ يَقُولُهُ: ﴿فَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، وَالْمُجْرِمُونَ هَاهُنَا: الْمُشْرِكُونَ، ﴿إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَي: قَوْلُوا هَذِهِ الْكَلِمَةَ ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَي: يَتَعَظَّمُونَ عَنْ قَوْلِهَا، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهِنَا لِشَاعِرٍ﴾ الْمَعْنَى: أَتَشْرِكُ عِبَادَةَ الْهَيْتَا [لِشَاعِرٍ] أَي: لِأَتْبَاعِ شَاعِرٍ؟ يَعْنُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَزَادَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلْ﴾ أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالُوا، بَلْ ﴿جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالْقُرْآنُ، ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ؛ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ أَتَى بِمَا أَنْزَلَ بِهِ. ثُمَّ خَاطَبَ الْمُشْرِكِينَ بِمَا بَعْدَ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يَعْنِي الْمُوَحِّدِينَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ: إِنَّكُمْ لَذَاهِبُونَ إِلَّا زَيْدًا. وَفِي مَا اسْتَنْتَاهُمْ مِنْهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ

الجزاء على الأعمال، فالمعنى: إنّا لا نؤاخذهم بسوء أعمالهم، بل نَغْفِرُ لهم، قاله ابن زيد. والثاني: من دون العذاب؛ فالمعنى: فإنهم لا يذوقون العذاب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَتَيْكَ لَمْ يَرْقُ مَعْلُومٌ﴾ (١) فيه قولان: أحدهما: أنه الجنة، قاله قتادة. والثاني: أنه الرزق في الجنة، قاله السدي. فعلى هذا، في معنى «معلوم» قولان: أحدهما: أنه بمقدار الغدا والعشي، قاله ابن السائب. والثاني: أنهم حين يشتهونه يُؤْتُونَ به، قاله مقاتل. ثم بيّن الرزق فقال: ﴿فَرَزَكَ﴾ [وهي جمع فاكهة] وهي الثمار كلها، وظلها وبياضها ﴿وَهُمْ تُكْرِمُونَ﴾ بما أعطاهم الله. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الحجر: ٤٧] إلى قوله: ﴿يُكَافَأُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ يُؤْتُونَ﴾ قال الضحاك: كلُّ كأس ذُكِرَتْ في القرآن، فإنما عُني بها الخمر، [قال أبو عبيدة: الكأس: الإناء بما فيه، والمعين: الماء الطاهر الجاري. قال الزجاج: الكأس: الإناء الذي فيه الخمر، ويقع الكأس على كل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس. والمعين: الخمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون].

قوله تعالى: ﴿بَيْضَةً﴾ قال الحسن: خمر الجنة أشدُّ بياضاً من اللبن. قال أبو سليمان الدمشقي: ويدل على أنه أراد بالكأس الخمر، أنه قال: «ببضاء»، فأثت، ولو أراد الإناء على انفراده، أو الإناء والخمر، لقال: أبيض. وقال ابن جرير: إنما أراد بقوله: «ببضاء» الكأس، ولأنثت الكأس أثنت الببضاء.

قوله تعالى: ﴿لَذَرُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لذيفة، يقال: شراب لذاذ: إذا كان طيباً. وقال الزجاج: أي: ذات لذة<sup>(١)</sup>. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: ليس فيها صداع، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: ليس فيها وجع بطن، [رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن زيد]. والثالث: ليس فيها صداع رأس، قاله قتادة. والرابع: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبيرة. والخامس: لا تتغاث عقولهم، قاله السدي. وقال الزجاج: لا تتغاث عقولهم فتذهب بها ولا يُصيبهم منها وجع. والسادس: ليس فيها إثم، حكاه ابن جرير. والسابع: ليس فيها شيء من هذه الآفات، لأن كلَّ مَنْ ناله شيء من هذه الآفات، قيل: قد غالته غَوْل، فالصواب أن يكون نفي القول عنها يعم جميع هذه الأشياء، هذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُؤْذُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي: بكسر الزاي هاهنا وفي [الواقعة: ١٩]. وفتح عاصم الزاي هاهنا، وكسرها في [الواقعة: ١٩]. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: بفتح الزاي في السورتين. قال الفراء: فمن فتح، فالمعنى: لا تذهب عقولهم بشربها. يقال للسكران: تزيّف ومزوف؛ [ومن]<sup>(٢)</sup> كسر، ففيه وجهان: أحدهما: لا يُؤْذُونَ شرايبهم، أي: هو دائم أبداً. والثاني: لا يسكرون، قال الشاعر:

لَعَمْرِي لَيْسَ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ  
لَيْسَ السُّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبِجَرَا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَكُمْ قَصِيرٌ الْكَزْبِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم النساء قد قصرن ظرفهن على أزواجهن فلا يُنْظَرْنَ إلى غيرهم. وأصل القصر: الحبس، قال ابن زيد: إنّ المرأة منهم لتقول لزوجها: وعِزّة ربّي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي. والثاني: أنهم قد قصرن ظرف الأزواج عن غيرهن، لكمال حُسْنهن، سمعته من الشيخ أبي محمد ابن الخشاب النحوي. وفي العين ثلاثة أقوال: أحدها: حسان العيون، قاله مجاهد. والثاني: عظام الأعين، قاله السدي، وابن زيد. والثالث: كبار العيون حسانها، وواحدتهن عَيْناء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿كُلُّهُمْ يَبْصُرُ نَكْوَنَ﴾ (٢) في المراد بالبَيض هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللؤلؤ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والثاني: بَيضُ النعام، قاله الحسن، وابن زيد، والزجاج. قال جماعة من

(١) قال ابن كثير: وقوله ﴿لَذَرُ﴾ [لَذَرُ لَشِيرِينَ] أي: طعمها طيب كلونها، قال: وطيب الطعم دليل على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك. اهـ.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) البيت للأبيّرد الراعي من بني مَعْمَل، كما في «مجاز القرآن» ١/١٦٩، و«الطبري» ٢٣/٥٥، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: نزف.

أهل اللغة: والعرب تُشَبَّه المرأة الحسناء في بياضها وحُسن لونها بِبَيْضَةِ النَّعْماء، وهو أحسن ألوان النساء، وهو أن تكون المرأة بيضاء مُشْرِبةً صُفْرَةً. والثالث: أنه البَيض حين يُقْشَر قبل أن تَمْسَهُ الأيدي، قاله السدي، وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، وابن جرير<sup>(١)</sup>. فأما المكنون، فهو المصون. فعلى القول الأول: هو مكنون في صدقوه، وعلى الثاني: هو مكنون بربش النعام، وعلى الثالث: هو مكنون بقشره.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٦) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٧﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لَيْنَ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا قَدْ تَوَلَّيْتُكَ وَوَعَلْتُكَ إِنَّمَا كَذِبٌ لَخْوَثٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوِّينَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْلَا يَتَمَتُّ رَقِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٦٢﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلُ وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْعَظِيمِ ﴿٦٤﴾ لِيُنْثِلَ هَذَا قَلْبَ الْعَمَلِ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني أهل الجنة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أحوال كانت في الدنيا<sup>(٢)</sup>. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ (٥٦) فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الصَّاحِب في الدنيا. والثاني: أنه الشريك، روي عن ابن عباس. والثالث: أنه الشيطان، قاله مجاهد. والرابع: أنه الأخ؛ قال مقاتل: وهما الأخوان المذكوران في سورة [الكهف: ٣٢] في قوله: ﴿وَأَنْزَلَتْ لَهُمْ مَثَلًا يُذَكِّرِينَ﴾؛ والمعنى: كان لي صاحب أو أخ يُنْكَرُ البعث، ﴿يَقُولُ أَهْلَكَ لَيْنَ الْمَصْدِقِينَ﴾ (٥٨) قال الزجاج: هي مخففة الصاد، من صدَّق يصدق فهو مصدَّق، ولا يجوز هاهنا تشديد الصاد. قال المفسرون: والمعنى: أَتَيْتُكَ لَيْنَ الْمَصْدِقِينَ بالبعث؟ وقرأ بكر بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة: «المُصْدِقِينَ» بتشديد الصاد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَذِبٌ لَخْوَثٍ﴾ أي: مَجْرُيُونَ بأعمالنا؛ يقال: دَنَتْهُ بِمَا صَنَعَ، أي: جازيته. فأحبُّ المؤمنين أن يَرَى قَرِينَهُ الكافر، فقال لأهل الجنة: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي: هل تَحْبُونَ الاطلاع إلى النَّارِ لِتَعْلَمُوا أَيْنَ مَنْزِلَتُكُمْ من منزلة أهلها؟ وقرأ ابن عباس، والضحاك، وأبو عمران، وابن يعمر: «هل أنتم مُظْلِمُونَ» بآسكان الطاء وتخفيفها «فَأُطْلِعَ» بهمزة مرفوعة وسكون الطاء. وقرأ أبو رزين، وابن أبي عبيدة: «مُظْلِمُونَ» بكسر النون. قال ابن مسعود: أُطْلِعَ ثم التفت إلى أصحابه فقال: لقد رأيتُ جماجم القوم تغلي؛ قال ابن عباس: وذلك أن في الجنة كُورٌ ينظر منها أهلها إلى النار.

قوله تعالى: ﴿قَرَأَهُ﴾ يعني قرينه الكافر ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ أي: في وسطها. وقيل: إنما سمي الوسط سواءً، لاستواء المسافة منه إلى الجوانب. قال خُلَيْد القُضْرِي: والله لولا أَنَّ الله عَرَفَهُ إِثَّاه، ما عرفه، لقد تَغَيَّرَ جِزْرُهُ وَبَيَّضُهُ<sup>(٣)</sup>. فعند ذلك ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرَوِّينَ﴾ (٦٠) قال المفسرون: معناه: والله ما كِدْتَ إِلَّا تُهْلِكُنِي؛ يقال: أَرَدَيْتُ فَلَانًا، أي: أَهْلَكْتَهُ. ﴿وَلَوْلَا يَتَمَتُّ رَقِي﴾ أي: إِنْعَامُهُ عَلَيَّ بِالْإِسْلَامِ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٦٢) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إذا دُخِيَ الموت<sup>(٤)</sup>، قال أهل الجنة: ﴿أَفَمَا تَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ (٦٢) إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَ التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾؟ فيقال لهم: لا؛ فعند ذلك قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْعَظِيمِ﴾ (٦٤)، فيقول الله تعالى: ﴿لِيُنْثِلَ هَذَا قَلْبَ الْعَمَلِ﴾ (٦٥)، قاله ابن السائب. وقيل: يقول ذلك للملائكة.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شُبَّهَتْ في بياضهن وأنهن لم يسهن قبل أزواجهن إسن ولا جان بياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المَحْ قبل أن تَمْسَهُ يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون، فأما القشرة العليا، فإن الطائر يسهها، والأيدي تبشرها، والعمى يلقاها، والعرب تقول لكل مصون: مكنون، ما كان ذلك الشيء، لولوا كان، أو بياضاً، أو متاعاً. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون منها، وذلك من حديثهم على شرايهم واجتماعهم في تاديبهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على الشَّرَرِ والخدَم بين أيديهم يَسْعَوْنَ ويَجِثُونَ بكل خير عظيم من مأكَل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اهـ.

(٣) قال في اللسان: أي: لونه وهيته.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٣٢٥/٨، ومسلم في «صحيحه» ٢١٨٨/٤ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشترئون (أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي) وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشترئون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيلنح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلوه فلا موت، ويا أهل النار خلوه فلا موت، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَلْوَدَّعَ يَوْمَ تَكْتَرُ إِذْ يَقُولُ الْأَشْرَرُ رَبِّمْ فَعَلَّوْا رَبِّمْ لَا يَرْجُونَ﴾ (٦٥) وأشار يده إلى الدنيا، واللفظ لمسلم.

والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾، قاله مقاتل. وقال أبو سليمان الدمشقي: إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام، لأنه قد عِلِمَ أَنَّهُمْ لَيَسُوا بِمَيِّتِينَ، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سروراً. والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان يُكرهه، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ هَذَا﴾ يعني النعيم الذي ذُكِرَ في قوله: ﴿أُوْزِلَتْكَ لَمْ يَرْقُ مَعْلُومٌ﴾ [الصفات: ٤١] ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾، وهذا ترغيب في طلب ثواب الله ﷻ بطاعته<sup>(١)</sup>.

﴿أَذَلَّ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزُّرْقَمِ﴾ [١] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٢] ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [٣] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [٤] ﴿فَأَنَّهُمْ لَآكُلُونَهَا فَنَنَادُوا مِنِّي أَلْطُوفُ﴾ [٥] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَكَ مِثْلَ نَجَمٍ﴾ [٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأُولِ الْجَحِيمِ﴾ [٧] ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ آتَآتَاهُمْ سَاعَاتٍ﴾ [٨] ﴿فَهُمْ عَلَى مَا تَدَّرِجُ فِيهِ رَهِقُونَ﴾ [٩] ﴿وَلَقَدْ سَبَّلَ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ﴾ [١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ ثَمُودَ﴾ [١١] ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ [١٢] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [١٣]

﴿أَذَلَّ خَيْرٌ﴾ يشير إلى ما وصف لأهل الجنة ﴿نُزْلاً﴾ قال ابن قتيبة: أي: رزقاً، ومنه: إقامة الأنزال، وأنزال الجنود: أرزأها. وقال الزجاج: النزل هاهنا: الرِّيع<sup>(٢)</sup>، والفضل، يقال: هلهل طعام له نزل ونُزِل، بتسكين الزاي وضمها؛ والمعنى: أذلك خير في باب الأنزال التي تَنْقُوتُ ويمكن معها الإقامة، أم نُزِل أهل النار؟ وهو قوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزُّرْقَمِ﴾؟<sup>(٣)</sup> واختلف العلماء هل هذه الشجرة في الدنيا، أم لا؟ فقال قطرب: هي شجرة مَرَّة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: الزُّرْقَم: ثمرة شجرة كريمة الطعم. وقيل: إنها لا تُعرف في شجر الدنيا، وإنما هي في النار، يُكره أهل النار على تناولها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٢] يعني للكافرين. وفي المراد بالفتنة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لما ذكر أنها في النار، افتشوا وكذبوا، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجر؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>. وقال السدي: فتنة لأبي جهل وأصحابه. والثاني: أن الفتنة بمعنى العذاب، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن الفتنة بمعنى الاختبار، اختبروا بها فكذبوا، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [٣] أي: في قعر النار. قال الحسن: أضلها في قعر النار، وأغصانها ترتفع إلى ذركاتها. ﴿طَلْعُهَا﴾ أي: ثمرها، وسُمِّيَ طَلْعاً، لطلوعه ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾. فإن قيل: كيف شَبَّهَها بشيء لم يُشاهد؟ فنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه قد استقر في النفوس قُبْحُ الشياطين - وإن لم تُشاهد - فجاز تشبيهها بما قد عِلِمَ قُبْحُه، قال امرؤ القيس:

أَبْقِئْتُ لِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِجِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنِّيَابِ أَغْوَإِ<sup>(٥)</sup>

قال الزجاج: هو لم ير القوم ولا أنيابها، ولكن التمثيل بما يُسْتَفْتَحُ أبلغ في باب المذكر أن يُمَثَّلَ بالشياطين، وفي باب المؤنث أن يشبَّه بالقوم. والثاني: أن بين مكة واليمن شجر يسمى: رؤوس الشياطين، فشَبَّهَها بها، قاله ابن السائب. والثالث: أنه أراد بالشياطين: حَيَاتُ لها رؤوس ولها أعراف، فشَبَّهَ طلعها برؤوس الحَيَاتِ، ذكره

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لَيْسَ هَذَا لَيْتَلَيْتَ الْعَمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

(٢) قال في «اللسان»: الرِّيع: النماء والزينة.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم، خير، أم ما أعددت لأهل النار من الزُّرْقَمِ؟

(٤) روى ابن جرير الطبري عن قتادة قال: لما ذكر شجرة الزُّرْقَمِ افتتن الكلمة فقالوا: يتبكم صاحبكم هنا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر؟ فأنزل الله ما تسمعون أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم عُذِيَّتْ بالنار ومنها خلقت. وأورد السيوطي في «الدرر» ٢٧٧/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) «ديوانه» ٣٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٩/١، و«مجمع البيان» ٦٢/٢٣، و«روح المعاني» ٨٧/٢٣، و«اللسان»: غول.



الزجاج. قال الفراء: والعرب تسمي بعض الحيات شيطاناً، وهو حية ذو عُرْف قبيح الوجه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا﴾ أي: من ثمرها ﴿فَمَا لَوْ بَيْنَا الْبَطْرُونَ﴾ وذلك أنهم يُكْرَهُونَ على أكلها حتى تمتلئ بطونهم<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَيْبٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لخلطاً من الماء الحار يشربونه عليها. قال أبو عبيدة: تقول العرب: كل شيء خلطته بغيره فهو مشوب. قال المفسرون: إذا أكلوا الرُّقُومَ ثم شربوا عليه الحميم، شاب الحميم الرُّقُومَ في بطونهم فصار شوباً له. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجَهُمْ﴾ أي: بعد أكل الرُّقُومَ وشرب الحميم ﴿لَأَكْلَى لَبَحٍ﴾ وذلك أن الحميم خارج من الجحيم، فهم يوردونه كما تورد الإبل الماء، ثم يُرْدُونَ إلى الجحيم؛ ويدل على هذا قوله: ﴿يَطْرُقُونَ بِهَا مِنْ حَيْبٍ مَكِينٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]. و﴿الْقَوْلَا﴾ بمعنى وجدوا. و﴿يَهْرُونَ﴾ مشروح في [هود: ٧٨]، والمعنى أنهم يتبعون آباءهم في سرعة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَقَدْ حَكَّ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل هؤلاء المشركين ﴿أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ يعني الموحدين، فإنهم نجوا من العذاب. قال ابن جرير: وإنما حُسن الاستثناء، لأن المعنى: فانظر كيف أهلكنا المُنذَرِينَ إِلَّا عباد الله.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَمَّ الْعَمِلُونَ﴾ وَنَحْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِنْ الْأَبَايَةِ﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْغَايَةِ﴾ إِنْ كَذَّابٌ فَجَزَى الْمُتَحِينِينَ ﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي: دعانا. وفي دعائه قولان: أحدهما: أنه دعا مستنصراً على قومه. والثاني: أن<sup>(٣)</sup> ينجيه من الغرق ﴿فَلْيَمَّ الْعَمِلُونَ﴾ نحن؛ والمعنى: إنا أنجيناه وأهلكنا قومه. وفي ﴿الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قولان: أحدهما: [أنه] الغرق. والثاني: أذى قومه. ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِنْ الْأَبَايَةِ﴾ [وذلك] أن نسل [أهل] السفينة انقروا غير نسل ولده، فالتاس كلهم من ولد نوح<sup>(٤)</sup>. ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي: تركنا عليه ذكراً جميلاً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ وهم الذين جاؤوا بعده إلى يوم القيامة. قال الزجاج: وذلك الذكر الجميل قوله: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْغَايَةِ﴾ وهم الذين جاؤوا من بعده؛ والمعنى: تركنا عليه أن يصلّي عليه في الآخرين إلى يوم القيامة. ﴿إِنْ كَذَّابٌ فَجَزَى الْمُتَحِينَةَ﴾ قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الشاء الحسن في العالمين.

﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِيهِ لِبَرَزِيْهِ﴾ إِذْ جَاءَهُ دُرِّيُّ بْنُ قَلْبَرٍ سَلِيمٌ ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَرِيْبِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ أَيْفَكَ إِلَهَهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿مَا تَعْلَمُكَ رَبِّيَ الْغَايَةِ﴾ فَتَكَرَّرَ تَقَرُّرُهُ فِي التَّجْوِيْهِ ﴿قَالَ إِنْ سَتَيْتُمْ﴾ قَتَلُوا عَنْهُ مُلْكِيَّيْنِ ﴿قَرَأَ إِلَهُ الْهَيْمَنَةِ فَقَالَ لَا تَأْكُلُونَ﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿قَرَأَ عَلَيْهِمْ حَمْرًا بِأَلْيَسِينَ﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْتَدُّونَ ﴿قَالَ أَمْتَعِدُونَ مَا نَحْنُكُمْ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿قَالُوا إِنَّا لَمُ بَنَاتٍ فَالْقَوِيُّ فِي الْجَحِيْمِ﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْقَلِيْنَ ﴿وَقَالَ إِنْ يَدْعُبُ إِلَّا رَبِّيَ سَبِّحِيْنَ﴾ رَبِّيَ حَبَّ لِي مِنَ الْغُلْيَةِ ﴿فَنَشَرْنَاهُ وَعَلَيْنَا حَيْبٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِيهِ لِبَرَزِيْهِ﴾ أي: من أهل دينه وملتته. والهاء في «شيعته» عائدة على نوح في قول الأكثرين؛ وقال ابن السائب: تعود إلى محمد ﷺ، واختاره الفراء<sup>(٥)</sup>. فإن قيل: كيف يكون من شيعته، وهو قبله؟

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَيْبٍ الْبَطْرُونَ﴾ ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبيض منها، ولا أفتح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها، ما قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكُمْ سُلَامٌ إِلَّا مِنْ رَبِّهِ وَلَا يَبِيْءُ وَلَا يَخِيْءُ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَأَكْلُوا نَائِبَةً مِّنْ حَائِلٍ﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آبائهم ضلالاً عن قصد السبيل، غير سالكين محبة الحق ﴿ثُمَّ عَنَّا تَكْوِيْمٌ يَّهْرُونَ﴾ يقول: فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم ليقضوا آثارهم وسئهم. اهـ.

(٣) في الأصل: «أنه».

(٤) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقى من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، فغضب الله تعالى لغضبهم عليهم، ولهذا قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَمَّ الْعَمِلُونَ﴾ أي: فلنعم المقيمون له، و﴿نَحْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ وهو التكذيب والأذى، و﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ مِنْ الْأَبَايَةِ﴾. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعته محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: ﴿وَرَكْنَا نُوْحًا عَلَى الْكَلْبِ دُرِّيَّتَهُ﴾ بمعنى أننا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم. اهـ. وقال الألوسي: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِيهِ﴾ أي: ممن شايع نوحاً وتابعه في أصول =

فالجواب: أنه مثل قوله: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١]، فجعلها ذُرِّيَّتَهُمْ وقد سبقتهم، وقد شرحنا هذا فيما مضى [يس: ٤١].  
قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: صدق الله وأمن به ﴿يَقْلِبُ سُلَيْمٍ﴾ من الشُّرك وكلَّ دَسٍّ، وفيه أقوال ذكرناها في [الشعراء: ٨٩].  
قوله تعالى: ﴿مَاذَا سَبَّحُوا؟﴾ هذا استفهام توبيخ، كأنه ويخهم على عبادة غير الله. ﴿أَفَلَا يَكْفُرُونَ؟﴾ أي: أتأفكون إنكأ وتعبدون آلهة سوى الله؟ ﴿مَا لَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٧] إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ كأنه قال: فما ظنكم أن يصنع بكم؟ ﴿تَنْظُرُونَ فِي الثُّجُورِ﴾ [١٨] فيه قولان: أحدهما: [أنه] نظر في علم النجوم، وكان القوم يتعاطون علم النجوم، فعاملهم من حيث هم، وأراهم أنني أعلم من ذلك تعلمون، لئلا يتكبروا عليه ذلك. قال ابن المسيب: رأى نجماً طالعاً، فقال: إني مريض غداً. والثاني: أنه نظر إلى النجوم، لا في علمها. فإن قيل: فما كان مقصوده؟ فالجواب: أنه كان لهم عيد، فأراد التخلف عنهم ليكيّد أصنامهم، فاعتلّ بهذا القول.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ من معاريف الكلام. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: سأسقم، قاله الضحاك. قال ابن الأنباري: أغلته الله ﷻ أنه يمتحنه بالسقم إذا طلع نجم يعرفه، فلما رأى النجم، علم أنه سيقم. والثاني: إني سقيم القلب عليكم إذ تكهنتم بنجوم لا تضر ولا تنفع، ذكره ابن الأنباري. والثالث: أنه سقم لعلّ عرضت له، حكاه الماوردي. وذكر السدي أنه خرج معهم إلى يوم عيدهم، فلما كان ببعض الطريق، ألقى نفسه وقال: إني سقيم اشتكي رجلي<sup>(١)</sup>، ﴿قَتَلُوا عَنْهُ مِائَتِينَ﴾ [١٩] قَرَأَ إِلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: مال إليها - وكانوا قد جعلوا بين يديها طعماً لتبارك فيه على زعمهم - ﴿فَقَالَ﴾ إبراهيم استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ وقوله: ﴿ضَرَبْنَا بِالْيَمِينِ﴾ في اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: أنها اليد اليمنى، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>. والثاني: بالقوة والقدرة، قاله السدي، والفراء. والثالث: باليمين التي سبقت منه، وهي قوله: ﴿وَاللَّهُ لَكَيِّدٌ أَصْدَكُ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، حكاه الماوردي. قال الزجاج: «ضَرَبْنَا» مصدر؛ والمعنى: فمال على الأصنام يضربها ضرباً باليمين؛ وإنما قال: «عليهم»، وهي أصنام، لأنهم جعلوها بمنزلة ما يُمَيِّز. ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزُوقُونَ﴾ [٢٠] قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء. وقرأ حمزة، والمفضل عن عاصم: «يَزُوقُونَ» برفع الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء. وقرأ ابن السميع، وأبو المتوكل، والضحاك: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وكسر الزاي وتخفيف الفاء. وقرأ ابن أبي عبيدة، وأبو نهيك: «يَزُوقُونَ» بفتح الياء وسكون الزاي وتخفيف الفاء<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: أعرب القراءات فتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زيف الطعام، وهو ابتداء عذو الطعام، يقال: زَفَ الطعام يَزِفُ؛ وأما ضم الياء، فمعناه: يصيرون إلى الرُفيف، وأنشدوا:

[تَمْنَى حُصَيْنٌ أَنْ يَسُودَ جِذَاعُهُ] فاضحى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَفْهَرَ<sup>(٤)</sup>

= الدين «يَزُوقُونَ» وإن اختلفت فروع شريعتهما، أو ممن شايعة في التصلب في دين الله تعالى ومصايرة المكذبين، قال: ونقل هذا عن ابن عباس. قال: وزعم الفراء إلى أن ضمير «شيعته» لنبيينا محمد ﷺ، قال: والظاهر ما أشرنا إليه، وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقادة والسدي، قال: وقُلما يقال للمعتد: هو شيعته للمتأخر. اهـ.

(١) قال ابن كثير: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أذف خروجهم إلى عيد لهم، فأحب أن يختلي بأهلهم ليكرها، فقال لهم كلاماً هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ﴿قَتَلُوا عَنْهُ مِائَتِينَ﴾ [١٩] قال: قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يليهم به فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: ضعيف، قال ابن كثير: فأما الحديث الذي رواه ابن جرير عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات، ننتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ نَحْكُمُكُمْ حَكْمَ اللَّهِ﴾ وقوله في سارة: «هي أختي» قال: فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يُدْمُ فاعله، حاشاً وكلأ ولئلا، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من الممارض لمقصود شرعي ديني، كما جاء في الحديث: «إن في الماريض لمدوحة عن الكذب». اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى، ولها تركهم جذافاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة (الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك. اهـ. وقال الألوسي: ﴿قَرَأَ نَحْنُ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾، أي: باليد اليمنى كما روي عن ابن عباس، قال: وتقيد الضرب باليمين، للدلالة على شدته وقوته، لأن اليمين أقوى الجارحين وأشدّها في الغالب، قال: وقوة الآلة تقتضي شدة الفعل وقوته. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء. اهـ.

(٤) البيت للمُجَبَّل السُّدِّي كما في «الطبري» ٧٤/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: قهر، جلع، روي: قد أذلَّ وأفهَرَ، مبنياً للمجهول.

أي: صار إلى القهر. وأما كسر الزاي مع تخفيف الفاء، فهو من: وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ يُسْرِعُ، ولم يُعْرِفه الكسائي ولا الفراء، وعَرَفَهُ غيرهما. قال المفسرون: بلغهم ما صنع إبراهيم، فأسرعوا، فلَمَّا انْتَهَوْا إليه، قال لهم محتجاً عليهم: «أَتَبْكُونَ مَا تَنْجُونَ» بأيديكم «وَاللَّهِ خَلَقَكُمْ وَنَا قَمَلُونَ» (١٩)، قال ابن جرير: في «ما» وجهان: أحدهما: أن تكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم [وَعَمَلَكُمْ]. والثاني: أن تكون بمعنى «الذي»، فيكون المعنى: والله خلقكم [وَخَلَقَ الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام<sup>(١)</sup>]. وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة [للـه]. فلَمَّا لَزَمَتْهُمْ الْحُجَّةُ «قَالُوا إِنَّا لَمَرْبُّونَا» وقد شرحنا قصته في سورة [الأنبياء: ٥٢ - ٧٤]، وبيننا معنى الجحيم في [البقرة: ١١٩]، والكيد الذي أرادوا به: إحراقه. ومعنى قوله: «فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ» أن إبراهيم عليهم السلام حيث سلمه الله من كيدهم وحل الهلاك بهم<sup>(٢)</sup>. «وَقَالَ» يعني إبراهيم «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي» في هذا الذهاب قولان: أحدهما: أنه ذاهب حقيقة، وفي وقت قوله هذا قولان: أحدهما: أنه حين أراد هجرة قومه؛ فالمعنى: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى حيث أمرني ربي [سَيِّدِي] إلى حيث أمرني، وهو الشام، قاله الأكثرون. والثاني: حين أُلقي في النار، قاله سليمان بن صرد؛ فعلى هذا، في المعنى قولان: أحدهما: ذاهب إلى الله بالموت، سيهدين إلى الجنة. والثاني: [ذاهب] إلى ما قضى [به] ربي، سيهدين إلى الخلاص من النار. والقول الثاني: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي بقلبي وعملي ونيتي، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. فلما قِيم الأرض المقدسة، سأل ربه الولد فقال: «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» (٢٠) أي: ولدًا صالحًا من الصالحين، فاجتزأ بما ذكر عما ترك، ومثله: «وَكَاثُرًا فِيهِ مِنَ الرَّحِيمِينَ» [يوسف: ٢٠]، فاستجاب له، وهو قوله: «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ» (٢١) وفيه قولان: أحدهما: أنه إسحاق. والثاني: أنه إسماعيل. قال الزجاج: هذه البشارة تدل على أنه مبشّر بآبٍ ذَكَرَ، وأنه يبقى حتى يتهي في السن ويوصف بالعلم.

«فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ» قَالَ يَأْتِي أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجْدَتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّمَ لِلْحَبِيبِ (٢٣) وَفَدَيْنَاهُ بِذِيئَابِهِ (٢٤) قَدْ صَدَّقَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٥) إِنَّكَ هَذَا لَمَوْ الْبَتَّاءُ الْبَيْنُ (٢٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِيئَابِهِ عَظِيمٍ (٢٧) وَرَكَّعْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٢٨) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٢٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٣٠) إِنَّمَا يَنْتَظِرُ الْوَيْلَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ بَيْنًا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَوَعَدْنَاهُ إِيَّاهُ وَنَاوَلْنَاهُ لِقَائِهِ يُبَاشِرُ (٣٣)

قوله تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن المراد بالسعي هاهنا: العمل، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المشي، والمعنى: مشى مع أبيه، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: بلغ أن يُنصَرَفَ معه ويُعِينَهُ. قال ابن السائب: كان ابن ثلاث عشرة سنة. والثالث: أن المراد بالسعي: العبادة، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا، يكون قد بلغ.

قوله تعالى: «إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ» أكثر العلماء على أنه لم ير أنه ذبحه في المنام، وإنما المعنى أنه أَمِرَ في المنام بذبحه، ويدل عليه قوله: «أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ». وذهب بعضهم إلى أنه رأى أنه يعالج ذبحه، ولم ير إراقة الدَّم. قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حَقٌّ، إذا رأوا شيئاً، فعلوه. وذكر السدي عن أشياخه أنه لما بَشَّرَ جبريلُ سارة بالولد، قال إبراهيم: هو إذاً لله ذبيح، فلَمَّا فَرَّغَ مِنْ بَيْنَانِ الْبَيْتِ، أتى في المنام، فقيل له: أَزَفَ بَنَدُوكَ<sup>(٤)</sup>. واختلفوا في الذبيح على قولين: أحدهما: [أنه] إسحاق، قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأنس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، [ومسروق]، وعبيد بن عمير، والقاسم ابن أبي بَزَّة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير. وهؤلاء يقولون: كانت هذه القصة بالشام. وقيل: طويت له

- (١) قال ابن كثير: والأول أظهر، لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد» عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربيع بن جراح عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً قال: «إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعه» اهـ.
- (٢) قال ابن جرير الطبري: يقول الله: «فَجَعَلْنَاهُمْ» أي: فجعلنا قوم إبراهيم «الْأَسْفَلِينَ» يعني الأدنى حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقلناه مما أرادوا به من الكيد. اهـ.
- (٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِي» يقول: وقال إبراهيم لما أهلكه الله على قومه ونجاه من كيدهم: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي» يقول: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله، أي: إلى الأرض المقدسة، ومقارنهم فمعتزلهم لعبادة الله. اهـ.
- (٤) ذكر ذلك البهوي في «تفسيره» بدون سند والله أعلم.

الأرض حتى حمله إلى المَنَحَرِ بِجَنَّتٍ فِي سَاعَةٍ. والثاني: أنه إسماعيل، قاله ابن عمر، وعبد الله بن سلام، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، والشعبي، ومجاهد، ويوسف بن مهران، وأبو صالح، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن سابط<sup>(١)</sup>. واختلفت الرواية عن ابن عباس، فروى عنه عكرمة أنه إسحاق، وروى عنه عطاء، ومجاهد، والشعبي، وأبو الجوزاء، ويوسف بن مهران أنه إسماعيل، وروى عنه سعيد بن جبير كالقولين. وعن سعيد بن جبير، وعكرمة، والزهري، وقتادة، والسدي روايتان. وكذلك عن أحمد رحمته الله روايتان. ولكل قوم حُجَّةٌ ليس هذا موضعها، وأصحابنا ينصرون القول الأول<sup>(٢)</sup>.

### الإشارة إلى قصة الذَّبْحِ

ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالسِّيَرِ والتفسير أن إبراهيم لما أراد ذبح ولده، قال له: انطلق فَتَقَرَّبْ قَرِيبًا إِلَى اللَّهِ رحمته الله، فَأَخَذَ سِكِّينًا وَخَبَلًا، ثُمَّ انْطَلَقَ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَا بَيْنَ الْجِبَالِ، قَالَ لَهُ الْغَلَامُ: يَا أَبَتِ أَيْنَ قَرِيبَانَا؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَقَالَ لَهُ: اشْدُدْ رِبَاطِي حَتَّى لَا اضْطَرِبَ، وَاكْتَفَفْ عَنِّي ثِيَابَكَ حَتَّى لَا يَنْتَضِحَ عَلَيْكَ مِنْ دَمِي فَتَرَاهُ أُمِّي فَتَحْزَنَ، وَأَسْرَعَ مَرَّ السَّكِينِ عَلَى خَلْقِي لِيَكُونَ أَهْوَنَ لِلْمَوْتِ عَلَيَّ، فَإِذَا آتَيْتُ أُمِّي فَأَقْرَأَ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنِّي؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ يَقْبَلُهُ وَيَبْكِي وَيَقُولُ: نَعَمْ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بُنَيَّ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ رحمته الله، ثُمَّ [إِنَّهُ] أَمَرَ السَّكِينِ عَلَى خَلْقِهِ فَلَمْ يَخْلُكْ شَيْئًا<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَمَّا أَمَرَهَا عَلَى خَلْقِهِ انْقَلَبَتْ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَ: انْقَلَبْتُ، قَالَ: اطْلُعْ بِهَا طَلْعُنَا. وَقَالَ السَّدي: ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ صَفِيحَةً مِنْ نُحَاسٍ؛ وَهَذَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، بَلْ مَنَعَهَا بِالْقُدْرَةِ أَبْلَغَ. قَالُوا: فَلَمَّا طَلَعْنَ بِهَا، نَبَيْتُ، وَعَلِمَ اللَّهُ مِنْهُمَا الصَّدْقَ فِي التَّسْلِيمِ، فَتَوَدَّى: يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرُّوْيَا، هَذَا فِدَاءُ ابْنِكَ؛ فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ، فَإِذَا جَبْرِيلُ مَعَهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَكْتَ﴾ لَمْ يَقُلْ لَهُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْمُوَامَرَةِ فِي أَمْرِ اللَّهِ رحمته الله، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الرُّأْيِ. وَقَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَاةَ، وَخَلَفَ: «مَاذَا تُرِي» بِضَمِّ التَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ؛ وَفِيهَا قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: مَاذَا تُرِينِي مِنْ صَبْرِكَ أَوْ جَوَازِكَ، قَالَهُ الْفَرَاءُ. وَالثَّانِي: مَاذَا تُبَيِّنُ، قَالَهُ الزَّجَاجُ؛ وَقَالَ غَيْرُهُ: مَاذَا تُشِيرُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَتَمَلَّ مَا تُؤْمَرُ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَفْعَلْتُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ ذَبْحِي ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ عَلَى الْبَلَاءِ.

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي «تَقْرِيبِ التَّهْلِيلِ»: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابِطٍ، وَيُقَالُ: ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. اهـ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُكْرِمُكَ بِكَلِمَةٍ كَبِيرَةٍ﴾. وَهَذَا الْغَلَامُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ رحمته الله، فَإِنَّ أَوَّلَ وَلَدٍ بُشِّرَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ رحمته الله، وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: بَلْ فِي نَصِّ كِتَابِهِمْ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ رحمته الله وَلَدَ لِإِبْرَاهِيمَ رحمته الله سِتُّ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَوُلِدَ إِسْحَاقُ وَغُضِّزَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تِسْعَ وَتِسْعُونَ سَنَةً، قَالَ: وَعِنْدَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ وَحِيدَهُ، وَفِي نَسْخَةِ أُخْرَى: «يُكْرِمُهُ» قَالَ: فَأَقْبَحُوا مَا هُنَا كَذِبًا وَبُهْتَانًا إِسْحَاقَ، قَالَ: وَلَا يَجُوزُ هَذَا، لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِنَصِّ كِتَابِهِمْ، قَالَ: وَإِنَّمَا أَقْبَحُوا إِسْحَاقَ لِأَنَّهُ أَبُوهُمْ، وَإِسْمَاعِيلُ أَبُو الْعَرَبِ، فَحَسَدُوهُمْ فَزَادُوا ذَلِكَ، وَحَرَّفُوا «وَحِيدَهُ» بِمَعْنَى «الَّذِي لَيْسَ عِنْدَكَ غَيْرُهُ»، فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ ذُوبًا بِهِ رِيَاءُهُ إِلَى مَكَّةَ، وَهُوَ تَأْوِيلُ وَتَخْرِيفُ بَاطِلٌ، فَإِنَّهُ لَا يَقَالُ: وَحِيدَكَ إِلَّا لِمَنْ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ، قَالَ: وَأَيْضًا فَإِنَّ أَوَّلَ وَلَدِهِ، لَهُ مَعْرُفَةٌ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَوْلَادِ، فَلَا مَرَّ بِذَبْحِهِ أَبْلَغَ فِي الْإِتْلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ، قَالَ: وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْحَاقُ، وَحَكِي ذَلِكَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ، حَتَّى نَقَلَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رحمته الله أَيْضًا. ثُمَّ قَالَ: وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَمَا أَظُنُّ ذَلِكَ تُقْبَلُ إِلَّا عَنْ أَجَابِرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَخَذَ ذَلِكَ مُسْلِمًا مِنْ غَيْرِ حِجَّةٍ، قَالَ: وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ شَاهِدٌ وَمُرشدٌ إِلَى أَنَّ إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ ذِكْرَ الْبَشَارَةِ بِغَلَامٍ حَلِيمٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ الذَّبِيحَ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَكُرِّمْتَ بِإِسْحَاقَ يَكَايُنُ الصَّالِحِينَ﴾. وَقَالَ: وَلَمَّا بَشَّرَتْ الْمَلَائِكَةُ إِبْرَاهِيمَ بِإِسْحَاقَ غَلَامًا: ﴿إِنَّا بَيِّنَّا لَكَ بِكَلِمَةٍ كَبِيرَةٍ﴾. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ رحمته الله: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ بَعْدِهِ إِسْحَاقَ﴾. مِنْ سُورَةِ «هُودَ» [٧١] أَي: بَوْلَدَ لَهَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَعَقِبَ نَسْلًا، فَإِنَّ يَعْقُوبَ وَلَدَ إِسْحَاقَ، قَالَ: وَمِنْ هَاهُنَا اسْتَدْلُ مِنْ اسْتَدْلَ بِهِذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَ إِنَّمَا هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ هُوَ إِسْحَاقَ، لِأَنَّهُ وَقَعَتِ الْبَشَارَةُ بِهِ، وَأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ يَعْقُوبُ، قَالَ: فَكَيْفَ يُؤْمَرُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِهِ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ وَلَمْ يُولَدْ لَهُ بَعْدُ يَعْقُوبُ الْمَوْعُودُ بِوُجُودِهِ، وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا لَا خُلْفَ فِيهِ؟ قَالَ: فَيَمْتَنِعُ أَنْ يُؤْمَرَ بِذَبْحِهِ هَذَا وَالْحَالَةَ هَذِهِ، قَالَ: فَتَمَيَّنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ إِسْمَاعِيلَ. قَالَ: وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الِاسْتَدْلَالِ وَأَصَحِّهِ وَأَبْيَنِهِ، وَاللهُ الْحَمْدُ. اهـ.

وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ قِيَمٍ الْجَوْزِيَّةُ فِي «الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ»: إِسْمَاعِيلُ هُوَ الذَّبِيحُ عَلَى الْقَوْلِ الصَّوَابِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ إِسْحَاقَ، فَمُرْدُودٌ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا، وَنَقَلَ عَنْ شَيْخِهِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُتَلَفًى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ فِي كِتَابِهِمْ، لِأَنَّهُ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ يَكْرَهُ، وَفِي لَفْظِ: «وَحِيدَهُ» وَقَدْ حَرَّفُوا ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ. اهـ.

(٣) ذَكَرَ نَحْوُ هَذَا الْمَعْنَى الْبُغْوِيُّ وَالْحَازَنُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِدُونِ سَنَدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.



قوله تعالى: ﴿ثَلَاثًا أَسْلَمًا﴾ أي: استسلمًا لأمر الله ﷻ فأطاعا ورضيا، وقر علي، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، والأعمش، وابن أبي عتبة: «فلما سَلِمَا» بتشديد اللام من غير همز قبل السين، والمعنى: سَلِمَا لأمر الله ﷻ. وفي جواب بقوله: «فلما أَسْلَمَا» قولان: أحدهما: أن جوابه: «ونادينا»، والواو زائدة، قاله القراء. والثاني: أن الجواب محذوف لأن في الكلام دليلاً عليه؛ والمعنى: فلما فعل ذلك، سَعِدَ وأُجِرِلَ ثوابه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَتَكَلَّمَ لِلنَّبِيِّينَ﴾ قال ابن قتبية: أي: صَرَعَهُ على جبينه فصار أحد جبينيه على الأرض، وهما جبينان، والجهة بينهما، وهي ما أصاب الأرض في السجود، والناس لا يكادون يفرقون بين الجبين والجهة، فالجهة مسجد الرجل الذي يصيبه نَدَبُ السُّجُود، والجبينان يكتفانها، من كل جانب جبين.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّبْنَاهُ﴾ قال المفسرون: نودي من الجبل: ﴿أَنْ يَكْرِهِيَهُ ۖ﴾ ١٥٠ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: قد عَلِمْتُ ما أَمَرْتُ، وذلك أنه قصد الذَّبْحَ بما أمكنه، وطاوعه الابن بالتمكين مع الذَّبْح، إلا أن الله ﷻ صرف ذلك كما شاء، فصار كأنه قد ذَبَحَ وإن لم يتحقق الذَّبْح. والثاني: أنه رأى في المنام معالجة الذَّبْح، ولم ير إراقة الدَّم، فلما قَعَلَ في اليقظة ما رأى في المنام، قيل له: «قد صَدَقْتَ الرُّؤْيَا». وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، والجاحدي: «قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا» بتخفيف الدال، وهاتنا تم الكلام. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا﴾ أي: كما ذَكَّرْنَا من العفو من ذبح ولده ﴿تَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٥١. ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ بَقِيَّتَا الْيَتِيمَ﴾ ١٥٢ في ذلك قولان: أحدهما: النعمة البَيْتَةُ، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: الاختبار العظيم، قاله ابن زيد، وابن قتبية. فعلى الأول، يكون قوله هذا إشارة إلى العفو عن الذَّبْح. وعلى الثاني، يكون إشارة إلى امتحانه بذبح ولده.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّبْنَاهُ﴾ يعني: الذَّبْحَ ﴿يَذْبَحُ﴾ وهو بكسر الدال: اسم ما ذُبِحَ، ويفتح الدال: مصدر ذَبَحْتُ، قاله ابن قتبية. ومعنى الآية: خلصناه من الذَّبْحِ بأن جعلنا الذَّبْحَ فداءً له. وفي هذا الذَّبْحِ ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان كبشاً أقرن قد رعى في الجنة قبل ذلك أربعين عاماً، قاله ابن عباس في رواية مجاهد، وقال في رواية سعيد بن جبير: هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فَتَقَبَّلَ منه، كان في الجنة حتى قُذِيَ به. والثاني: أن إبراهيم قذى ابنه بكبشين أبيضين أعينين أقرنين، رواه أبو الطفيل عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: [أنه] ما قُذِيَ إلا بتيس من الأروى<sup>(٢)</sup>، أهبط عليه من ثبير، قاله الحسن<sup>(٣)</sup>. وفي معنى «عَظِيمٍ» أربعة أقوال: أحدها: لأنه كان قد رعى في الجنة، قاله ابن عباس، وابن جبير. والثاني: لأنه ذُبِحَ على دين إبراهيم وسُنَّته، قاله الحسن. والثالث: لأنه مُتَقَبَّلٌ، قاله مجاهد. وقال أبو سليمان الدمشقي: لما قرّبه ابن آدم، رُفِعَ حياً، فرعى في الجنة، ثم جُعِلَ فداءً للذَّبْحِ، فقَبِلَ مرتين. والرابع: لأنه عظيم الشخص والبركة، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَرَكَّبْنَا عَلَيْهِ﴾ قد فسرناه في هذه السورة [الصفات: ٧٨].  
قوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَاهُ بِمَنْحَقٍ﴾ من قال: إن إسحاق الذَّبِيحُ، قال: بُشِّرَ إبراهيم بنبوة إسحاق، وأُتِيَ إسحاق بصبره

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا تَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٥١ أي: هكذا تصرف عن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾ ١٥٢ قال: وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافاً لطائفة من المعتزلة، قال: والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام فصح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، قال: وإنما كان المقصود من شرعه أولاً، إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ بَقِيَّتَا الْيَتِيمَ﴾ ١٥٢ أي: الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بليح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى، مقاداً لطاعته، قال: ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَوَكَّلْنَاهُ بِمَنْحَقٍ﴾ ١٥٢ اهـ.

(٢) (الذي في «الطبري» وابن كثير) من رواية أبي الطفيل عن علي عليه السلام قال: كبش أبيض أقرن أعين.

(٣) الأروى: الوحول.

(٤) قال ابن كثير في «التاريخ» بعد أن ذكر نحواً من هذا: ثم غالب ما هاتنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات، وفي القرآن كفاية عما جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر، وأنه قُذِيَ بليح عظيم، قال: وقد ورد في الحديث أنه كان كبشاً. اهـ. وقال في «التفسير»: والصحيح الذي عليه الأكثر أن يذبح بكبش. اهـ. و«ثير»: جبل بمكة.

النبوة، وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة، وبه قال قتادة، والسدي<sup>(١)</sup>. ومن قال: الذبيح إسماعيل، قال: بشر الله إبراهيم بولد يكون نبياً بعد هذه القصة، جزاء لطاعته وصبره، وهذا قول سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ يعني بكثرة ذريتهما، وهم الأسباط كلهم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ أي: مطيع لله ﴿وَعَالِمٌ﴾ وهو العاصي له. وقيل: الْمُحْسِنُ: المؤمن، والظالم: الكافر.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٥٠﴾ وَجَبَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٥١﴾ وَنَمَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١٥٢﴾ وَأَلَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ السِّتِينَ ﴿١٥٣﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٥٤﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٥٥﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْقَائِلِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ إِلَهَنَا لَوْنُ الْمُزْطَلِكِ ﴿١٥٩﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴿١٦١﴾ وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٦٢﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُّخْضَرُونَ ﴿١٦٤﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٥﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٦٦﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٦٧﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْقَائِلِينَ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ أي: أنعمنا عليهما بالنبوة. وفي «الكرْبِ الْعَظِيمِ» قولان: أحدهما: استبعاد فرعون وبلاؤه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: الغرق، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَنَمَرْنَاهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: [أنه] يرجع إلى موسى وهارون وقومهما. والثاني: [أنه] يرجع إليهما فقط، فجميعاً، لأن العرب تذهب بالرئيس إلى الجمع، لجنوده وأتباعه، ذكرهما ابن جرير. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الأنبياء: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَإِنَّ إِلَهَنَا لَوْنُ الْمُزْطَلِكِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، قاله الأكثرون. والثاني: أنه إدريس، قاله ابن مسعود، وقاتدة، وكذلك كان يقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «وإن إدريس» مكان «إبراهيم».

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: ألا تخافون الله فتوحّدونه وتعبّدونه؟! ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الرب، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقال الضحاك: كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف، فبينما هو جالس، إذ مرّ أعرابي قد ضلّت ناقته وهو يقول: من وجد ناقه أنا بعلها؟ فتبعه الضبيان يصيحون به: يا زوج الناقة، يا زوج الناقة، فدعاه ابن عباس فقال: ويحك، ما عنيّت ببعليها؟ قال: أنا ربها، فقال ابن عباس: صدق الله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ رباً. وقال قتادة: هذه لغة يمانية. والثاني: أنه اسم صنم كان لهم، قاله الضحاك، وابن زيد. وحكى ابن جرير أنه به سُمّيّت «بعلبك». والثالث: أنها امرأة كانوا يعبدونها، حكاه محمد بن إسحاق<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «الله ربكم» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: «الله» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُّخْضَرُونَ﴾ التار، ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين لم يكذبوه، فإنهم لا يُخْضَرُونَ التار.

(١) قال ابن كثير في «التاريخ»: وقد قال بأنه إسحاق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم، قال: وإنما أخلوّه - والله أعلم - من كتب الأخبار أو صحف أهل الكتاب، قال: وليس في ذلك حديث صحيح عن المصنوع حتى تنرك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، قال: ولا يفهم هذا القرآن، بل المفهوم، بل المنطوق، بل النص عند التأمل على أنه إسماعيل، قال: وما أحسن ما استدلل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل وليس بإسحاق من قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمَا بِإِسْحَاقَ بْنِ وَكَلٍ وَإِسْحَاقَ يَتَقَرَّبُ﴾ قال: فكيف البشارة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قيل أن يولد له؟ هذا لا يكون لأنه يناقض البشارة المتقدمة، والله أعلم.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿لَوْنُ الْمُزْطَلِكِ﴾ يقول جل ثناؤه: لمرسل من المرسلين ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ يقول حين قال لقومه من بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم فتخافونه وتحذرون عقوبته على عبادتكم رباً غير الله وإلهاً سواه ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾؟ يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق؟! ثم قال ابن جرير: وللبل في كلام العرب أرجه، يقولون لرب الشيء: هو بئله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربها، ويقولون لزوج المرأة: بعلها، ويقولون لما كان من الغروس والزرع مستغنياً بماء السماء ولم يكن شيئاً بعل. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أي: أتعبدون صنماً ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٣﴾؟ أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

## الإشارة إلى القصة

ذكر أهل العلم بالتفسير والسيرة أنه لما كثرت الأحداث بعد قبض حزقيل النبي ﷺ، وعُبدت الأوثان، بعث الله تعالى إليهم إلياس. قال ابن إسحاق: وهو إلياس بن تشبي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، فجعل يدعوهم فلا يسمعون منه، فدعا عليهم بحبس المطر، فجهدوا جهداً شديداً، واستخفى إلياس خوفاً منهم على نفسه. ثم إنه قال لهم يوماً: إنكم قد هلكتم جهداً، وهلكت البهائم والشجر بخطاياكم، فاخرجوا بأصنامهم وأدعواها، فإن استجابت لكم، فالأمر كما تقولون، وإن لم تفعل، علمتم أنكم على باطل فتزعتم عنه، ودعوت الله ففرج عنكم، فقالوا: أنصفت، فخرجوا بأصنامهم وأوثانهم، فدعوا فلم يستجب لهم، فعفروا ضلالهم، فقالوا: ادع الله لنا، فدعا لهم، فأرسل المطر وعاشت بلادهم، فلم ينزعوا عما كانوا عليه، فدعا إلياس ربّه أن يقضه إليه ويربّحه منهم، فقيل له: اخرج يوم كذا إلى مكان كذا، فما جاءك من شيء فاركنه ولا تهنّ، فخرج، فأقبل قرس من نار، فوثب عليه، فانطلق به، وكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذّة المظعم والمشرّب، فطار في الملائكة، فكان إنسياً ملكياً، أرضياً سماوياً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «إلياسين» موصولة مكسورة الألف ساكنة اللام، فجعلوها كلمة واحدة؛ وقرأ الحسن مثلهم، إلا أنه فتح الهمزة. وقرأ نافع، وابن عامر، وعبد الوارث، ويعقوب إلا زياداً: «إل ياسين» مقطوعة، فجعلوها كلمتين. وفي قراءة البوصل قولان: أحدهما: أنه جُنع لهذا النبي وأُمَّته المؤمنين به، وكذلك يُجمع ما يُنسب إلى الشيء بلفظ الشيء، فتقول: رأيت المهالبة، تريد: بني المهلب، والمسامعة، تريد: بني مسمع. والثاني: أنه اسم النبي وحده، وهو اسم عبراني، والعجمي من الأسماء قد يُقفل به هكذا، [كما] تقول: ميكال وميكائيل، ذكر القولين الفراء والزجاج. فأما قراءة من قرأ: «إل ياسين» مفصولة، ففيها قولان: أحدهما: أنهم آل هذا النبي المذكور، وهو يدخل فيهم، كقوله ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى»<sup>(٢)</sup>، فهو داخل فيهم، لأنه هو المراد بالدعاء. والثاني: أنهم آل محمد ﷺ، قاله الكلبي: وكان عبد الله بن مسعود يقرأ:

(١) ذكر نحو هذا المعنى مطولاً الطبري في «تفسيره» من رواية ابن إسحاق عن وهب بن منبه وغيره، وذكر نحوه ابن كثير في «التفسير» وقال في «التاريخ»: هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته. وقال في «التاريخ»: ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة، والله أعلم. اهـ.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٨٦/٣، باب صلاة الإمام ودعائه لأصحاب الصدقة، وهو في «البخاري» أيضاً ١٤٥/١١ باب هل يصلى على غير النبي ﷺ، ورواه مسلم ٧٥٧/٢ ولفظه بتمامه عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقته قال: «اللهم صل على آل أبي أوفى». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٨٦/٣: قوله «على آل أبي أوفى» يريد أبا أوفى نفسه، لأن الآل يطلق على ذات الشيء، كقوله ﷺ في قصة أبي موسى (الأشعري): «لقد أوتي مزاراً من مزارير آل داود» قال: واسم أبي أوفى: علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي، شهد هو وابنه عبد الله بيعة الرضوان تحت الشجرة، وعمر عبد الله إلى أن كان آخر من مات من الصحابة بالكوفة، وذلك سنة سبع وثمانين. قال ابن حجر: واستدل به (أي الحديث) على جواز الصلاة على غير الأنبياء، قال: وكرهه مالك والجمهور، قال: قال ابن التين: وهذا الحديث يعكّر عليه، قال: وقد قال جماعة من العلماء: يدعو أخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعاء، لهذا الحديث، قال: وأجاب الخطابي عنه قديماً بأن أصل الصلاة: الدعاء، إلا أنه يختلف بحسب المدعول، فصلاة النبي ﷺ على أمته: دعاء لهم بالمغفرة، وصلاة أمته عليه: دعاء له بزيادة القربى والزلفى، ولذلك كان لا يليق بغيره. انتهى. قال: واستدل به على استحباب دعاء أخذ الزكاة لمعطياها، قال: وأوجه بعض أهل الظاهر، وحكاة الحنابلة وجهاً لبعض الشافعية، وتعمّب بأنه لو كان واجباً لعلمه النبي ﷺ السعة، ولأن سائر ما يأخذه الإمام من الكفارات والديون وغيرهما لا يجب عليه فيها الدعاء، فكذلك الزكاة، قال: وأما الآية (يريد قوله تعالى: ﴿وَعَدَ يَنْ أَنْزِلَهُمْ سِدْقَهُمْ﴾) فلا يجوز مطلقاً استقلالاً، فقال الإمام الثوري في «شرح مسلم» ١٨٥/٧: قال أصحابنا: لا يصلى على غير الأنبياء إلا تبعاً، لأن الصلاة في لسان السلف مخصصة بالأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم، قال: واختلف أصحابنا في النبي عن ذلك هل هو نهي تنزيه، أم محرم، أو مجرد أدب؟ على ثلاثة أوجه، الأصح الأشهر أنه مكروه، قال: واتفقوا على أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعاً لهم في ذلك، فيقال: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وفُرُجته وأتباعه» لأن السلف لم يمنعوا منه، وقد أمرنا به في التشهد وغيره. اهـ.

وقال ابن حجر في «الفتح» ١٤٦/١١، في حكم الصلاة على الأنبياء من المؤمنين: اختلف فيه، فقيل: لا تجوز إلا على النبي ﷺ خاصة، وحكي عن مالك، قال: وقالت طائفة: لا تجوز مطلقاً استقلالاً، وتجوز تبعاً فيما ورد فيه النص أو الحق به، لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْمِلُوا دُكَّةَ الْكَافِرِينَ﴾ كدعاهم بغيركم تبعاً قال: ولأنه لما علمهم السلام قال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ولما علمهم الصلاة قصر ذلك عليه وعلى أهل بيته. قال: وهذا القول اختاره القرطبي في «المفهم» وأبو المعالي من الحنابلة، قال: وقالت طائفة: تجوز تبعاً مطلقاً، ولا تجوز استقلالاً، قال: وهذا قول =

«سلام على آذراسين» وقد بينّا مذهبه في أن إلياس هو إدريس. فإن قيل: كيف قال: «إدراسين» وإنما الواحد إدريس، والمجموع إدريسي، لا إدراش ولا إدراسي؟ فالجواب: أنه يجوز أن يكون لغة، كإبراهيم وإبراهام، ومثله: «فَذَنبِي وَمَنْ نَضُرُّ الْحَبِيبِينَ قَدِي»<sup>(١)</sup>

وقرأ أبي بن كعب، وأبو نعيم: «سلام على ياسين» بحذف الهزة واللام<sup>(٢)</sup>.  
﴿وَلَنْ لَوْكَ لِمَنْ الرِّسَالَيْنِ﴾ إِذْ جِيئَتْهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعُونَ ﴿١٣٣﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْفَتَرَيْنِ ﴿١٣٤﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٥﴾ وَلَئِكَ لَثَرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِلَّا أَفَلَا تَقُولُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ جِيئَتْهُ﴾ «إذ» هاهنا لا يتعلق بما قبله، لأنه لم يُرْسَلْ إِذْ نُجِّي، ولكنه يتعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد إذ نُجِّيناهُ<sup>(٣)</sup>. وقد تقدم تفسير ما بعد هذا [الشعر: ١٧١] إلى قوله: ﴿وَلَئِكَ لَثَرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾<sup>(٤)</sup> هذا خطاب لأهل مكة، كانوا إذا ذهبوا إلى الشام وجازوا، مروا على قرى قوم لوط صباحاً ومساءً، ﴿أَفَلَا تَقُولُونَ﴾ فتعجبون؟!

﴿وَلَنْ يُؤْتِيَ لِمَنْ الرِّسَالَيْنِ﴾ إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٨﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣٩﴾ فَالْقَعَةُ أَلْكُوثُ وَهُوَ مَيْمٌ ﴿١٤٠﴾ فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانِ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤١﴾ لَكِنَّتُمْ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَرِيهِ يَمُوتُونَ ﴿١٤٢﴾ تَبَدَّدَتْهُ بِالْمَرَّةِ وَهُوَ سَاقِطٌ ﴿١٤٣﴾ وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَبْقِيَيْنِ ﴿١٤٤﴾ وَارْتَمَكْتُهُ إِذْ يَأْتِيهِ آلُؤُفٌ أَزْوَاجٌ ﴿١٤٥﴾ فَاسْتَمَاتُوا مَتَعْنَتُهُمْ إِذْ جِيئَ ﴿١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَتَى﴾ قال المبرد: تأويل «أتى»: تبعه؛ وقال أبو عبيدة: فزع؛ وقال الزجاج: هرب؛ وقال بعض أهل المعاني: خرج ولم يؤدّن له، فكان بذلك كالهارب من مولاة. قال الزجاج: والفلك: السفينة، والمشحون: المملوء، وساهم بمعنى [قارع]، «مِنَ الْمُدْحَضِينَ» أي: المغلوبين؛ قال ابن قتيلة: يقال: أذخض الله حجتَهُ، فَدَحَضَتْ، أي: أزالها [فزال]، وأصل الدحض: الزلزل.

### الإشارة إلى قصته

قد شرحنا بعض قصته في آخر (يونس) وفي (الأنبياء: ٨٦) على قدر ما تحتمله الآيات، ونحن نذكر هاهنا ما تحتمله. قال عبد الله بن مسعود: لما وعد يونسُ قومه بالعذاب بعد ثلاث، جأروا إلى الله ﷻ واستغفروا، فكف عنهم العذاب، فانطلق مغاضباً حتى انتهى إلى قوم في سفينة، فعرفوه فحملوه، فلما ركب السفينة وقفت، فقال: ما لسفيتكم؟ قالوا: لا ندري، قال: لكنّي أدري، فيها عبد أتى من ربّه، وإنها والله لا تسير حتى تُلْقَوْهُ، فقالوا: أما أنت يا نبيّ الله فوالله لا نُلقِيكَ، قال: فاقترعوا، فمن قرع قلبيع، فاقترعوا، فقرع يونس، فأبوا أن يُمَكِّنُوهُ مِنَ الْوُقُوعِ، فعادوا إلى

أبي حنيفة وجماة، قال: وقالت طائفة: تكره استطلاعاً لا تبعاً، قال: وهي رواية عن أحمد، قال: وقال النووي: هو خلاف الأولى، قال: وقالت طائفة: تجوز مطلقاً، قال: وهو مقتضى صنع البخاري، فإنه صلّى بالآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَرَسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾، ثم علّق الحديث الدال على الجواز مطلقاً، وعقبه بالحديث الدال على الجواز تبعاً، ثم قال الحافظ ابن حجر: وقال ابن القيم: المختار أن يصلّي على الأنبياء والملائكة وأزواج النبي ﷺ وأهله وذريته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال، وتكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً، ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه، كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفرداً في بعض الأحيان من غير أن يتخذ شعاراً، لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ يقول ذلك لهم وهم من أدّى زكاته إلا نادراً. اهـ.

(١) الرجز لحيد الأرقط كما في «المصاح» و«اللسان»: قند، و«القرطبي» ١١٨/١٥.

(٢) قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك حتمنا قرامة من قرأه ﴿سَلَّمَ عَلَى إِلَهِ يَكِينٌ﴾ بكسر ألفها، على مثال «إدراسين» لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة، بأن عليه سلاماً، لا على آله، فذلك السلام في هذا الموضع، ينبغي أن يكون على إلياس، كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك، ثم قال: فإن ظن طان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غثى عن الزيادة فيه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط ﷺ أنه بعث إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فأنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلّهم بأنواع من العقوبات وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة متنة قيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها سبيل مقيم يمرّ بها المسافرين ليلاً ونهاراً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَئِكَ لَثَرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ و﴿وَلَئِكَ لَثَرُونَّ عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ﴾ ١٣٧: أي: أفلا تعجبون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟!

(٤) قال ابن جرير الطبري: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم إذ أتى إلى الفلك المشحون. اهـ.



الْقُرْعَة حَتَّى قَرَعَ يُونُس ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَقَالَ طَاوُوسُ: إِنَّ صَاحِبَ السَّفِينَةِ هُوَ الَّذِي قَالَ: إِنَّمَا يَمْنُهَا أَنْ تَسِيرَ أَنْ فَيَكُنْ رَجُلًا مَشْهُومًا، فَاقْتَرَعُوا لِنَلْقَى أَحَدَنَا، فَاقْتَرَعُوا، فَقَرَعَ يُونُس ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَكُلَّ اللَّهُ بِهِ حَوْتًا، فَلَمَّا أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ التَّقْمَةُ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَضُرَّهُ وَلَا يَكْلِمَهُ، وَسَارَتِ السَّفِينَةُ حِينَئِذٍ. وَمَعْنَى التَّقْمَةِ: ابْتَلَعَهُ. ﴿وَقَوْلاً مُلِيمٌ﴾ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: أَيُّ: مُلْتَبِئٌ، يُقَالُ: أَلَامَ الرَّجُلُ: إِذَا أَتَى ذَنْبًا يُلَامُ عَلَيْهِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

[تَعُدُّ مَعَاوِرًا لَا عُذْرَ فِيهَا] وَمَنْ يَخْذُلْ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ كَانَتْ مِنَ الْمَرْسُوحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مِنَ الْمُضْلِينَ، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبیر. والثاني: مِنَ الْعَابِدِينَ، قاله مجاهد، وهب بن منبه. والثالث: قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، قاله الحسن. وروى عمران القحطان عن الحسن قال: والله ما كانت إلا صلاة أحدتها في بطن الحوت؛ فعلى هذا القول، يكون تسيحه في بطن الحوت. وجمهور العلماء على أنه أراد: لولا ما تقدم له قبل التقام الحوت إياه من التسييح، ﴿لَئِنْ فِي بَطْنِهِ إِلَّا يَوْمَ يُنْفَخُ﴾<sup>(٣)</sup> قال قتادة: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة، ولكنه كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله تعالى بذلك<sup>(٤)</sup>. وفي قدر مكثه في بطن الحوت خمسة أقوال: أحدها: أربعون يوماً، قاله أنس بن مالك، وكعب، وأبو مالك، وابن جريج، والسدي. والثاني: سبعة أيام، قاله سعيد بن جبیر، وعطاء. والثالث: ثلاثة أيام، قاله مجاهد، وقاتدة. والرابع: عشرون يوماً، قاله الضحاك. والخامس: بعض يوم، التقمه ضحى، وبذره قبل غروب الشمس، قاله الشعبي<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَبَدَّلَتْ﴾ قال ابن قتيبة: أَيُّ: الْفَتْنَاءُ وَالْعَرَاءُ وهي الأرض التي لَا يَتَوَارَى فِيهَا بِشَجَرٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَكَأَنَّهُ مِنْ عَرِي الشَّيْءِ.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْلاً مَقِيرٌ﴾ أَيُّ: مريض؛ قال ابن مسعود: كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش. وقال سعيد بن جبیر: أوحى الله تعالى إلى الحوت أن ألقه في البر، فألقاه لا شعر عليه ولا جلد ولا ظفر. قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْنَتَا عَلَيْهِ شَجَرَتَا يَنْ يَطْفَيْنِ﴾<sup>(٦)</sup> قال ابن عباس: هو القرع، وقد قال أمية بن أبي الصلت قبل الإسلام: فَأَنْبَتَ يَطْفِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ نَوَلَا اللَّهُ أُلْفِي صَاحِبَا<sup>(٧)</sup>

قال الزجاج: كل شجرة لا تنبت على ساق وإنما تمتد على وجه الأرض نحو القرع والبطيخ والحنظل، فهي يقطين، واشتقاقه من: قَطَنَ بالمكان: إِذَا أقام، فهذا الشجر ورقه كله على وجه الأرض، فلذلك قيل له: يقطين. قال ابن مسعود: كان يستظل بها ويصيب منها فيسبى عليها، فأوحى الله إليه: أتبكي على شجرة أن ييسب، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم؟! قال يزيد بن عبد الله بن قسيط: قَيْضُ [الله] له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشياً فيشرب من لبنها حتى نبت لحمه. فإن قيل: ما الفائدة في إنبات شجرة اليقطين عليه دون غيرها؟ فالجواب: أنه خرج كالفرخ على ما وصفنا، وجلده قد ذاب، فأدنى شيء يمر به يؤذيه، وفي ورق اليقطين خاصية، وهو أنه إذا ترك على شيء، لم يقربه ذباب، فأنته الله ليغطي ورقها ويمنع الذباب ريحه أن يسقط عليه فيؤذيه<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى بَاقَةِ آلِ يَاقَةَ آلَيْهِ﴾ اختلّفوا، هل كانت رسالته قبل التقام الحوت إياه، أم بعد ذلك؟ على قولين: أحدهما: أنها كانت بعد نبد الحوت إياه، على ما ذكرنا في [يونس: ٩٨]، وهو مروي عن ابن عباس. والثاني:

(١) التبت لام حمير بن سلمى الحنفي، وهو في «غريب القرآن» ٢٢٢، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لوم.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَوْلَا أَنْتُمْ﴾ يعني يونس «كَانَ» مِنَ الْمُضْلِينَ لله قبل البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿لَئِنْ فِي بَطْنِهِ إِلَّا يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ يقول: لبقى في بطنه إلى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوساً، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء فأنقذه ونجّاه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير، بعد أن ذكر هذه الأقوال: والله أعلم بمقدار ذلك. اهـ.

(٤) البيت في «الطبري» ١٠٣/٢٣، و«مجمع البيان» ٨٤/٢٣، و«البحر المحيط» ٣٧٥/٧.

(٥) قال ابن كثير: وذكر بعضهم في القرع فوائد: منها سرعة نباه، وتظليل ورقه لكبره ونعمته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة تغذية لعمه، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بله وقشره أيضاً، قال: وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب اللبأ ويتبعه من حواشي الصفحة. اهـ.

أنها كانت قبل التقام الحوت له، وهو قول الأكثرين، منهم الحسن، ومجاهد، وهو الأصح. والمعنى: وكنا أرسلناه إلى مائة ألف، فلما خرج من بطن الحوت، أمر أن يرجع إلى قومه الذين أرسل إليهم<sup>(١)</sup>. وفي قوله: ﴿أَوْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «بل» قاله ابن عباس، والفراء. والثاني: أنها بمعنى الواو، قاله ابن قتيبة. وقد قرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «ويزيدون» من غير ألف. والثالث: أنها على أصلها، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم، إذا رأيتم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون. وفي زيادتهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم كانوا مائة ألف يزيدون عشرين ألفاً، رواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً. والثالث: مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً، رواه عن ابن عباس. والرابع: أنهم كانوا يزيدون سبعين ألفاً، قاله سعيد بن جبير، ونوف.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَشْؤُوا﴾ في وقت إيمانهم قولان: أحدهما: عند معاينة العذاب. والثاني: حين أرسل إليهم يونس ﴿فَتَقْتُلُهُمْ إِنْ حِينٍ﴾ إلى منتهى آجالهم.

﴿فَاسْتَشْؤُوا أَرْبَعَةَ الْبَنَاتِ وَلَهُنَّ الْبُتُورُ﴾ ١٠٠ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ١٠١ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ لَا يَكْفُرُوا بِآيَاتِهِ﴾ ١٠٢ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْمَلَائِكَةَ الْقَوْلَ إِذْ دَخَلُوا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ١٠٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٠٤ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٠٥ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٠٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٠٧ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٠٨ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٠٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٠ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١١ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٢ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٣ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٤ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٥ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٦ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٧ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٨ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١١٩ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَنَاتِ﴾ ١٢٠

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَشْؤُوا﴾ أي: سل أهل مكة سؤال توبيخ وتقرير، لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله. ﴿وَهُنَّ شَاهِدُونَ﴾ أي: حاضرون. ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ﴾ أي: كذبهم ﴿لَقَوْلُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْمَلَائِكَةَ الْقَوْلَ﴾ حين زعموا أن الملائكة بناته.

قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ قال الفراء: هذا استفهام فيه توبيخ لهم، وقد تطرح ألف الاستفهام من التوبيخ، ومثله: ﴿أَذْهَبْتُمْ بِكُنُوزِكُمْ﴾ [الاحقاف: ٢٠]، وأذهبتهم يستفهم بها ولا يستفهم، ومعناها واحد. وقرأ أبو هريرة، وابن المسيب، والزهري، وابن جهماز عن نافع، وأبو جعفر، وشيبة: «وانهم لكاذبون اضطفي» بالوصل غير مهموز ولا ممدود؛ قال أبو علي: وهو على [وجه] الخبر، كأنه قال: اضطفي البنات على البنين كما يقولون، كقوله: ﴿ذُنُّ إِبْنِكُ أَتَى الْكَبِيرَ﴾ [الدخان: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٢١ ﴿لِلَّهِ بِالْبَنَاتِ وَلَا نَفْسِكُمْ بِالْبَنِينَ؟﴾ ١٢٢ ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ﴾ ١٢٣ ﴿أَيُّ حُجَّةٍ بَيْنَهُ﴾ ١٢٤ ﴿عَلَى مَا تَقُولُونَ﴾ ١٢٥ ﴿فَأَتُوا بِكُنُوزِكُمْ﴾ ١٢٦ ﴿الَّذِي فِيهِ حُجَّتُكُمْ﴾ ١٢٧ ﴿وَجَمَلُوا بَيْنَهُنَّ الْخَيْلَ﴾ ١٢٨ ﴿فِي ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ﴾ ١٢٩ ﴿أَحَدُهَا﴾ ١٣٠ ﴿أَنَّهُمْ قَالُوا﴾ ١٣١ ﴿هُوَ إِبْلِيسُ أَخُوهُمْ﴾ ١٣٢ ﴿رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ﴾ ١٣٣ ﴿وَهُوَ قَوْلُ الزَّانِقَةِ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ ١٣٤ ﴿الْخَيْرُ مِنَ اللَّهِ﴾ ١٣٥ ﴿وَالشَّرُّ مِنَ اللَّهِ﴾ ١٣٦ ﴿وَالثَّانِي﴾ ١٣٧ ﴿أَنَّهُ كَفَّارٌ قَرِيشِيٌّ قَالُوا﴾ ١٣٨ ﴿الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ﴾ ١٣٩ ﴿وَالْحِجَّةُ صِنْفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقَالُ لَهُمْ﴾ ١٤٠ ﴿الْحِجَّةُ﴾ ١٤١ ﴿قَالَ﴾ ١٤٢ ﴿مَجَاهِدٌ﴾ ١٤٣ ﴿أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ﴾ ١٤٤ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَزَوَّجَ إِلَى الْجَنِّ فَخَرَجَتْ مِنْ بَيْنِهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ١٤٥ ﴿قَالَ قَتَادَةُ﴾ ١٤٦ ﴿وَابْنُ السَّائِبِ﴾ ١٤٧ ﴿فَخَرَجَ فِي مَعْنَى الْحِجَّةِ قَوْلَانِ﴾ ١٤٨ ﴿أَحَدُهُمَا﴾ ١٤٩ ﴿أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ١٥٠ ﴿وَالثَّانِي﴾ ١٥١ ﴿الْجَنُّ﴾ ١٥٢ ﴿فَعَلَى الْأَوَّلِ﴾ ١٥٣ ﴿يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ﴾ ١٥٤ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ ١٥٥ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ﴾ ١٥٦ ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ ١٥٧ ﴿وَعَلَى الثَّانِي﴾ ١٥٨ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ ١٥٩ ﴿إِنَّ الْجَنِّ أَنْفُسُهَا لَمُحْضَرُونَ﴾ ١٦٠ ﴿الْحَسَابُ﴾ ١٦١.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٦٢ ﴿يَعْنِي الْمُؤَحِّدِينَ﴾ ١٦٣ ﴿وَفِيمَا اسْتَشْنَوْا مِنْهُ قَوْلَانِ﴾ ١٦٤ ﴿أَحَدُهُمَا﴾ ١٦٥ ﴿أَنَّهُمْ اسْتَشْنَوْا مِنْ حُضُورِ النَّارِ﴾ ١٦٦ ﴿قَالَ مَقَاتِلٌ﴾ ١٦٧ ﴿وَالثَّانِي﴾ ١٦٨ ﴿مِمَّا يَصِفُ أَوْلَئِكَ﴾ ١٦٩ ﴿وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ السَّائِبِ﴾ ١٧٠.

(١) قال ابن كثير: قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً، أمر بالتقود إليهم بعد خروجه من الحوت فصداقهم كلهم. اهـ.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٠٤/٢٣، والترمذي ١٥٥/٢ وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في «الدرر» ٢١٩/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الاحضار في هذه السورة إنما عُنِيَ به الاحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِكْرُ﴾ يعني المشركين ﴿وَمَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ من دون الله، ﴿مَا أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبّدون ﴿يَقْتَتِلُونَ﴾ أي: بمضغّلين أحداً، ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَنِيمِ﴾ أي: مَنْ سبق له في علم الله أنه يدخل النار.

﴿وَمَا يَأْتِي إِلَّا لَمْ يَمُتْ مَمْلُومٌ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٨٠﴾

ثم أخبر عن الملائكة بقوله: ﴿وَمَا يَأْتِي﴾ والمعنى: ما مِنَّا مَلَكٌ ﴿إِلَّا لَمْ يَمُتْ مَمْلُومٌ﴾ أي: مكان في السموات مخصوص يعبد الله فيه، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ﴾ قال قتادة: صفوف في السماء. وقال السدي: هو الصلاة. وقال ابن السائب: صفوفهم في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: المُصَلُّون. والثاني: المنزهون لله عَنِ السُّوءِ. وكان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه وقال: يا أيها الناس استوتوا، فإنما يريد الله بكم هَذِي الملائكة، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ. ثم عاد إلى الإخبار عن المشركين، فقال: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ اللام في «يَقُولُونَ» لام توكيد؛ والمعنى: وقد كان كفار قريش يقولون قبل بعثة النبي ﷺ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ أي: كتابًا ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: مثل كتب الأولين، وهم اليهود والنصارى، ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُسَلِّينَ﴾ أي: لأخلصنا العبادة لله ﷻ. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ فيه اختصار، تقديره: فلَمَّا آتَاهُمْ مَا طَلَبُوا، كفروا به، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم، وهذا تهديد لهم. ﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كُنْهًا﴾ أي: تقدّم وعَدْنَا للمُرسَلِينَ بنصرهم. والكلمة قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْيُنِكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿إِنَّهُمْ لَمُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿وَلَقَدْ جُنُكْنَا﴾ يعني حزبنا المؤمنين ﴿لَمُ الْقَتِيلُونَ﴾ بالْحُجَّةِ أَيْضًا وَالْظَّفَرُ. ﴿فَنَزَلْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّى جِيءَ﴾ أي: حتى تنقضي مُدَّةُ إِمهالهم. وقال مجاهد: حتى نأمرَك بالقتال؛ فعلى هذا، الآية مُحْكَمَةٌ. وقال في رواية: حتى الموت؛ وكذلك قال قتادة. وقال ابن زيد: حتى القيامة؛ فعل هذا، يتطرق نسخها. وقال مقاتل بن حيان: نسخها آية القتال.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ﴾ أي: انظر إليهم إذا نزل العذاب. قال مقاتل بن سليمان: هو العذاب ببدن؛ وقيل: أنبصر حالهم بقلبك ﴿فَسَوْفَ يُبَيِّرُونَ﴾ ما أنكروا، وكانوا يستعجلون بالعذاب تكذيباً به، فقيل: ﴿أَفَعَدَّيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [١٩]، ﴿فَإِنَّا نَزَّلْنَا﴾ يعني العذاب. وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: ﴿فَإِنَّا نَزَّلْنَا﴾ برفع النون وكسر الزاي وتشديدها ﴿وَسَاحِرِهِمْ﴾ أي: بفنائهم وناحيتهم. والساحة: فناء الدار. قال الفراء: العرب تكتفي بالساحة والعقوة من القوم، فيقولون: نزل بك العذاب ويساحتك. قال الزجاج: فكان عذاب هؤلاء القتل ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: بُسْ صَبَاحُ الَّذِينَ أَتَدْرُوا العذاب<sup>(٢)</sup>. ثم كرّر ما تقدم توكيداً لوعده بالعذاب، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَنْهُمْ...﴾ الآية. ثم نزه نفسه عن قولهم بقوله: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ﴾ قال مقاتل: يعني عَزَّةٌ مَنْ يتعزّز من ملوك الدنيا.

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: من اتّخاذ النساء والأولاد. ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ فيه وجهان: أحدهما: تسليّمه عليهم إكراماً لهم. والثاني: إخباره بسلامتهم. ﴿وَلَحْدَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هلاك المُشْرِكِينَ ونُصْرَةِ الأنبياء والمرسلين<sup>(٣)</sup>.

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٣٧١/١ عن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «فعلنا على الناس ثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء».

(٢) قال ابن كثير: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُسَبِّحِينَ﴾ أي: فبئس الصباح صباحهم، قال: ولهذا ثبت في «الصحيحين» عن أنس بن مالك ؓ قال: صَبَّحَ رسول الله ﷺ خير، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيم وراوا الجيش رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين». اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: ﴿وَلَحْدَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذِكْرَهُ. والحمد لله ربّ الثقلين الجني والإنس خالصاً دون ما سواه، لأن كل نعمة لعباده، فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمته عناهم، بل كلّها من يَدِهِ ومن عنده. اهـ.

## سورة ص

ويقال لها: سورة داود، وهي مَكِّيَّة [كُلُّهَا] بإجماعهم

فأما سبب نزول أولها، فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن قريشاً شَكَّوْا رسولَ الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟ فقال: «يا عم، إنما أريد منهم كلمة تَدُلُّ لهم بها العرب وتؤدِّي إليهم الجزية بها العجم»، قال: كلمة؟ قال: «كلمة واحدة»، قال: ما هي؟ قال: «لا إله إلا الله»، فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ فنزلت فيهم: ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ كَلِمًا إِلَّا تَخْلُتُ﴾<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾<sup>(٢)</sup> بِلِ اللّٰهِ كُتِبَ فِي عِزِّ وَشَاقِ ﴿١﴾ كَرَّ أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ بِن قَرِيْن قَادَا وَلَات جِيْن مَاسِ ﴿٢﴾

واختلفوا في معنى «ص» على سبعة أقوال: أحدها: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه بمعنى: صَدَقَ محمدٌ، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: صَدَقَ الله، قاله الضحاك. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: معناه: صادق فيما وَعَدَ. وقال الزجاج: معناه: الصادقُ الله تعالى. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، أقسم الله به، قاله قتادة. والخامس: أنه اسم حَيَّةٍ رأسها تحت العرش ودُنْبُهَا تحت الأرض السفلى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، وقال: أظنه عن عكرمة. والسادس: أنه بمعنى: حَادِثُ القرآن، أي: انظر فيه، قاله الحسن، وهذا على قراءة من كسروا، منهم ابن عباس، [وَالْحَسَنُ]، وابن أبي عبيدة. قال ابن جرير: فيكون المعنى: صَادِقٌ بِعَمَلِكَ الْقُرْآنِ<sup>(٣)</sup>، أي: عَارِضُهُ. وقيل: عَارِضُهُ على عملك<sup>(٤)</sup>، فانظر أين هو [منه]. والسابع: أنه بمعنى: صَادَقَ محمدٌ قُلُوبَ الْخَلْقِ واستمالها حتى آمَنُوا به وأَحْبَبُوهُ، حكاه الثعلبي<sup>(٥)</sup>، وهذا على قراءة من فتح، وهي قراءة أبي رجاء، وأبي الجوزاء، وحמיד، ومحبوب عن أبي عمرو. قال الزجاج: والقراءة «صَادَقَ» بتسكين الدال، لأنها من حروف التَّهَجِّي. وقد فُرِثَ بالفتح وبالكسر؛ فمن فتحها، فعلى ضربين: أحدهما: لالتقاء الساكنين. والثاني: على معنى: أَتْلُ «صَادَقَ»، ويكون [صَادَقَ] اسماً للسورة لا ينصرف؛ ومن كسر، فعلى ضربين: أحدهما: لالتقاء الساكنين أيضاً. والثاني: على معنى: صَادَقَ القرآنَ بعملك، من قولك: صَادَى يُصَادِي: إذا قَابَلَ وعَادَلَ، يقال: صَادَيْتُهُ: إذا قَابَلْتُهُ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ في المراد بالذكر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشُّرْفُ، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي. والثاني: البيان، قاله قتادة. والثالث: التذكير، قاله الضحاك<sup>(٧)</sup>. فإن قيل: أين جواب القسم بقوله: ﴿ص وَالْقُرْآنِ﴾

(١) روله أحمد، والترمذي ١٥٥/٢ عن ابن عباس، وقال الترمذي: هنا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في مستدركه ٤٣٢/٢ وصححه، ووافقه الذهبي. ورواه الطبري ١٢٥/٢٣، والواحدي: ٢٠٩، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٩٥/٥، وزاد نسبه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس.

(٢) في الأصل: صَادَقَ بعملك القرآن، ولعله سهو من الناسخ، وقد كتب على الصواب بعد قليل، وما أثبتاه من «الطبري» وكتب التفسير «واللسان»: صدي. (٣) تقدم الكلام على الحروف التي في أوائل السور في التعليق الذي في أول سورة (العنكبوت) وغيرها بما أغنى عن إعادته هاهنا، وقد تكلم المصنف على ذلك في أول سورة (البقرة).

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قُرْآنُ الأمصار مستغنية فيهم، وأنها حروف هجاء لأسماء المسمايات، فَيُفَرِّقُ إعراب الأسماء والأدوات والأصوات، فَيُسَكِّنُ بهنَّ مسالكهنَّ، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بيانها فيما مضى. اهـ.

(٥) رجح الطبري القول الثالث، وهو أنه بمعنى التذكير، قال: لأن الله تعالى أتبع ذلك قوله: ﴿بِلِ اللّٰهِ كُتِبَ فِي عِزِّ وَشَاقِ﴾ فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذِكْراً لعباده ذَكَّرَهم به، وأن الكُتَابَ من الإيمان به في عِزِّ وشَاق. اهـ. وقال ابن كثير: إن في هذا القرآن لذكرى لمن يتدبَّر وعبرة لمن يعيتر، وإنما لم يتنوع به الكافرون، لأنهم ﴿بِلِ عِزِّ﴾ أي: استكبار عنه وحمية ﴿وَبِشَاقِ﴾ أي: ومخالفة له ومعاندة ومفارقة. اهـ.



وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ فَعِنْدَهُ خَمْسَةٌ أُجُوبَةٌ: أحدها: أن «صَرَ» جواب لقوله: «والقرآن»، فـ «صَرَ» في معناها، كقولك: وَجِبَ والله، نَزَلَ والله، حَقَّ والله، قاله الفراء، وتعلب. والثاني: أن جواب «صَرَ» قوله: ﴿كَرَّ أَهْلُكَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾، ومعناه: لَكُمْ، فلما طال الكلام، حذفت اللام، ومثله: ﴿وَالنَّجَّيْنَ وَصَحَّهَا ۝﴾ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [الشعر: ١ و٩]، فإن المعنى: لقد أَفْلَحَ، غير أنه لما اعترض بينهما كلام، تبعه قوله: «قد أَفْلَحَ»، حكاه الفراء، وتعلب أيضاً. والثالث: أنه قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ﴾ [ص: ١٤]، حكاه الأخفش. والرابع: أنه قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَافُ أَهْلَ النَّارِ ۝﴾ [ص: ٦٤]، قاله الكسائي، وقال الفراء: لا نجده مستقيماً في العربية، لتأخره جداً عن قوله: «والقرآن». والخامس: أن جوابه محذوف، تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأثر كما يقول الكُفَّار، ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿بَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فِي رِزْقٍ وَيُقَافَى ۝﴾، ذكره جماعة من المفسرين، وإلى نحوه ذهب قتادة<sup>(١)</sup>. والجزء: الحِمْيَةُ والتكبر عن الحق. وقرأ عمرو بن العاص، وأبو رزين، وابن يعمر، وعاصم الجحدري، ومحبوب عن أبي عمرو: «في غِرْوٍ» بغين معجمة وراء غير معجمة. والشقاق: الخلاف والعداوة لرسول الله ﷺ، وقد سبق بيان الكلمتين مشروحاً [البقرة: ١٣٨، ٢٠٦]. ثم خوفهم بقوله: ﴿كَرَّ أَهْلُكَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾ يعني الأمم الخالية «قَادِرًا» عند وقوع الهلاك بهم. وفي هذا النداء قولان: أحدهما: أنه الدعاء. والثاني: الاستغاثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحِينَ﴾ وقرأ الضحاك، وأبو المتوكل، وعاصم الجحدري، وابن يعمر: «ولاتَ حِينَ» بفتح التاء ورفع النون. قال ابن عباس: ليس حين يرويه فرار. وقال عطاء: في لغة أهل اليمن «لاتَ» بمعنى «ليس». وقال وهب بن منبه: هي بالسريانية. وقال الفراء: «لاتَ» بمعنى «ليس»، والمعنى: ليس بحين فرار. ومن القراء من يخفف «لاتَ»، والوجه الضبط، لأنها في معنى «ليس»، أنشدني المفضل:

تَذَكَّرْتُ حُبَّ لَيْلَى لَا تَحِينَ

وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا<sup>(٢)</sup>

قال ابن الأنباري: كان الفراء والكسائي والخليل وسيبويه والأخفش وأبو عبيدة يذهبون إلى أن التاء في قوله: «ولاتَ» منقطعة من «حين»، قال: وقال أبو عبيدة: الوقف عندي على هذا الحرف «ولا»، والابتداء «تحين» ثلاث حُجج: إحداهن: أن تفسير ابن عباس يشهد لها، لأنه قال: ليس حين يَرَوْهُ فرار؛ فقد عَلِمَ أَنَّ «ليس» هي أخت «لا» وفي معناه. والحجة الثانية: أننا لا نجد في شيء من كلام العرب «ولاتَ»، إنما المعروفة «لا». والحجة الثالثة: أن هذه التاء، إنما وجدناها تلحق مع «حين» ومع «الآن» ومع «أوآن»، فيقولون: كان هذا تحين كان ذلك، وكذلك: «تأوآن»، ويقال: اذهب تَلَانً، ومنه قول أبي وجزة السعدي:

السَّاطِفُونَ تَحِينُ مَا مِنْ عَاطِفٍ

وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانٌ مَا مِنْ مُطْعِمٍ<sup>(٣)</sup>

وذكر ابن قتيبة عن ابن الأعرابي أن معنى هذا البيت: «العاطفونة» بالهاء، ثم تبدئ: «حينَ ما مِنْ عَاطِفٍ»؛ قال ابن الأنباري: وهذا غلط، لأن الهاء إنما تُقَحَّمُ على التَّوْنِ في مواضع القَطْعِ والسُّكُونِ، فأما مع الاتصال، فإنه غير موجود. وقال علي بن أحمد التيسابوري: التحوينون يقولون في قوله: «ولاتَ» هي «لا» زيدت فيها التاء، كما قالوا: ثُمَّ وَثُمْتُ، وَرَبُّ وَرَثَتِي، وأصلها هاءٌ وَصِلَتْ بِ«لا»، فقالوا: «لا»، فلما وَصَلُوهَا، جعلوها تاءً؛ والوقف عليها بالتاء عند الزجاء، وأبي علي، وعند الكسائي بالهاء، وعند أبي عبيد الوقف على «لا»<sup>(٤)</sup>. فأما المَنَاصُ، فهو الفرار. قال الفراء: التَّوَصُّصُ في كلام العرب: التأخُّرُ والتَّوَصُّصُ: التَّوَصُّصُ، قال امرؤ القيس:

(١) وهو الذي رجحه الطبري في «تفسيره».

(٢) البيت في «الطبري» ١٢٢/٢٣، و«مجمع البيان» ٩٥/٢٣، و«القرطبي» ١٤٧/١٥.

(٣) البيت في «مشكل القرآن» ٤٠٤، و«الطبري» ١٢٣/٢٣، و«اللسان» و«التاج»: حين.

(٤) قال ابن كثير: وهذه الكلمة وهي «ولاتَ» هي «لا» التي للفتي زيدت معها التاء كما تزداد في «ثم» فيقولون: «ثمنت» و«رب» فيقولون: «رئت» - وهي مفصولة (يعني كلمة «لا»، والوقف عليها، قال: ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن خنيز أنها متصلة بـ «حين» «ولات تحين مناص» قال: والمشهور الأول، قال: ثم قرأ الجمهور بنصب «حين» تقديره: وليس العين حين مناص. اهـ.

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتَقْصُرُ عَنْهَا عَظُوَّةً وَتَبْصُوصُ<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة: التناص، مصدر ناص يتوص، وهو المنجى والفوز.

﴿وَيَعْبَرُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُذْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَكُنْىُ عَجَابٌ ﴿وَأَنطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ أَنْ أَمشُوا وَآسِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَكُنْىُ بُرَادٌ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَتْمَلُكُ ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنَيْنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابٌ ﴿أَرْ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿أَرْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرَوْا فِي الْآسَنِيبِ ﴿جُنْدُ مَا هَآئِلِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبَرُوا﴾ يعني الكفار ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُذْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني رسولا من أنفسهم يُذِئِرُهُم النَّارَ. ﴿أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لأنه دعاهم إلى الله وحده وأبطل عبادة آلهتهم؛ وهذا قولهم لما اجتمعوا عند أبي طالب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: «أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وهي «لا إله إلا الله»، فقاموا يقولون: «أَجْمَلُ الْآلِهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا»، ونزلت هذه الآية فيهم<sup>(٢)</sup>. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الذي] يقول محمد من أن الآلهة إله واحد ﴿لَكُنْىُ عَجَابٌ﴾ أي: لأمُرٌ عَجَبٌ. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن السميع: «عَجَابٌ» بتشديد الجيم. قال اللغويون: العُجَاب والعُجَاب والعُجَاب بمعنى واحد، كما تقول: كَبِيرٌ وَكُبَارٌ وَكُبَارٌ، وَكَبِيرٌ وَكُرَامٌ وَكُرَامٌ، وَطَوِيلٌ وَطَوَالٌ وَطَوَالٌ؛ وأنشد الفراء:

جَاؤُوا بِصُنْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبِ أَزْهَقِ الْعَيْنَيْنِ طَوَالَ الذَّنْبِ<sup>(٣)</sup>

قال قتادة: عجب المشركون أن دُعي الله وَحْدَهُ، وقالوا: أَيْسَمُعُ لِجَاحَتَانِ جَمِيعًا إِلَهُ وَاحِدًا؟!

قوله تعالى: ﴿وَأَنطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون: لما اجتمع أشرف قريش عند أبي طالب وشكوا إليه رسول الله ﷺ على ما سبق بيانه، نفروا من قول: «لا إله إلا الله»، وخرجوا من عند أبي طالب، فذلك قوله: ﴿وَأَنطَلَقَ الْكَلَّا مِنْهُمْ﴾. والانطلاق: الذهاب بسهولة، ومنه طلاقَةُ الوجه. والملا: أشرف قريش. فخرجوا يقول بعضهم لبعض: «أَمشُوا». و﴿أَنْ﴾ بمعنى «أي»؛ فالمعنى: أي: امشُوا. قال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى: انطلقوا بأن امشُوا، أي: انطلقوا بهذا القول. وقال بعضهم: المعنى: انطلقوا يقولون: امشُوا إلى أبي طالب فاشكوا إليه ابن أخيه، ﴿وَأَسِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُمْ﴾ أي: اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﴿لَكُنْىُ بُرَادٌ﴾ أي: لأمُرٌ يَرَادُ بِنَا. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي جاء به محمد من التوحيد ﴿فِي آلِهَةِ الْآخِرَةِ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: النصرانية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد، وبه قال محمد بن كعب القرظي، ومقاتل. والثاني: أنها ملَّة قريش، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال قتادة. والثالث: اليهودية والنصرانية، قاله الفراء، والزجاج؛ والمعنى أن اليهود أشركت بغيري، والنصارى قالت: ثالث ثلاثة، فلهذا أُنْكِرَتِ التوحيد. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جاء به محمد ﷺ ﴿إِلَّا أَتْمَلُكُ﴾ أي: كذب. ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾ يعنون القرآن. «عليه» يعنون رسول الله ﷺ، ﴿مِنْ بَيْنَيْنَا﴾ أي: كيف خُصَّ بهذا دوننا وليس بأعلانا نَسْبًا ولا أعظمنا شَرَفًا؟! قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أي: من القرآن؛ والمعنى أنهم ليسوا على يقين مما يقولون، إنما هم شاكُّون ﴿بَلْ لَمَّا﴾ قال مقاتل: «لَمَّا» بمعنى «لم» كقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْعُلُ الْإِنْسُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]. وقال غيره: هذا تهديد لهم؛ والمعنى أنه لو نزل بهم العذاب، علموا أن ما قاله محمد حق. وأثبت ياء ﴿عَذَابٌ﴾ في الحالين يعقوب. قال الزجاج: ولما دَلَّ قولهم: ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾ على حسدهم له، أعلم الله ﷻ أن المُلْك والرسالة إليه، فقال: ﴿أَرْ عِنْدَهُ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾! قال المفسرون: ومعنى الآية: أبأيديهم مفاتيح النبوَّة فيضعونها حيث

(١) «ديوانه» ١٧٧، و«غريب القرآن» ٣٧٦، و«الطبري» ١٢٠/٢٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ١٢٧/١، و«الصاحح» و«اللسان» و«التاج»: بوض.

(٢) تقدم تخريج الحديث في أول السورة حيث ذكر المصنف هناك سبب نزول هذه الآيات من أول السورة إلى هنا، وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٤١: «وروى الترمذي والنسائي وابن حبان وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم، من طريق يحيى بن عمار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ؓ قال: مرض أبو طالب فجاهته قريش وجاء النبي ﷺ... الحديث».

(٣) البيت في «مجمع البيان» ٩٤/٢٣.

شاؤوا؟ والمعنى: ليست بأيديهم، ولا مُلْكُ السموات والأرض لهم، فإن ادَّعَوْا شيئاً من ذلك ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ قال سعيد بن جبيرة: أي: في أبواب السماء. وقال الزجاج: فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ﴾ أي: هُمُ جُنْدٌ. والجُنْد: الأتباع، فكانه قال: هُمُ أتباعٌ مقلدون ليس فيهم عالمٌ راشد. و﴿هَؤُلَاءِ﴾ زائدة، و﴿هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى بدر. والأحزاب: جميع مَنْ تقدَّمهم من الكفار الذين تحزَّبوا على الأنبياء. قال قتادة: أخبر الله نبيّه وهو بمكة أنه سيَهْزِمُ جُنْدَ المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر.

﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَكَانَ وَرَعُونَ دُرُ الْأَرْوَاحِ ۖ وَكُفُّوا أَعْيُنَهُمْ عَنْ نُوحٍ ۖ وَرَأَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ ۚ وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلٌ نَّجَّاهُ مَعَ ذِي الْأَرْوَاحِ ۚ إِنَّ كُلًّا لِّإِلَهِ كَذِبٌ ۚ الرُّسُلُ فَحَقَّ عُقَابُ ۚ وَمَا يُنْظَرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِغَرَةٌ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّطْبُوعٍ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾<sup>(١)</sup> قال أبو عبيدة: قَوْمٌ من العرب يؤثنون «القوم»، وقوم يذكرون، فإن احتجَّ عليهم بهذه الآية، قالوا: وقع المعنى على العشيرة، واحتجُّوا بقوله: ﴿لَا إِنَّا نَذْكُرُ﴾<sup>(٢)</sup> [عبس: ١١]، قالوا: والمضمر مذكَّر.

قوله تعالى: ﴿وَرَعُونَ دُرُ الْأَرْوَاحِ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه كان يعذَّبُ الناس بأربعة أوتاد يشدُّهم فيها، ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشدُّه، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وكذلك قال الحسن، ومجاهد: كان يعذَّبُ الناس بأوتاد يؤتدُّها في أيديهم وأرجلهم. والثاني: أنه ذو البناء المُحْكَم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الضحاک، والقرطبي، واختاره ابن قتيبة، قال: والعرب تقول: هُمُ في عزٍّ ثابت الأوتاد، ومُلْكٌ ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد، وأصل هذا، أن البيت [من بيوتهم] يثبَّت بأوتاد، قال الأسود بن يَغْفَر:

لَوَلَدَ عَنُوهَا فِيهَا بِأَنْعَمَ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأُتَادِ<sup>(٣)</sup>

والثالث: أن المراد بالأوتاد: الجنود، رواه عطية عن ابن عباس، وذلك أنهم كانوا يشدُّون مُلْكه ويُقَوُّون أمره كما يقوِّي الوتد الشيء. والرابع: أنه كان يبني مناراً يذبح عليها الناس. والخامس: أنه كان له أربع أسطوانات، فيأخذ الرَّجُلَ فيمُدُّ كُلَّ قَائِمَةٍ إِلَى أسطوانة فيعذِّبه، روي القولان عن سعيد بن جبيرة. والسادس: أنه كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعبُ له عليها، قاله عطاء، وقاتدة<sup>(٤)</sup>. ولَمَّا ذَكَرَ المَكْذِبِينَ، قال: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ فأعلمنا أن مشركي قريش من هؤلاء، وقد عذَّبوا وأهلكوا، ﴿فَحَقَّ عُقَابُ﴾<sup>(٥)</sup>، أثبت الباء في الحاليين يعقوب. ﴿وَمَا يُنْظَرُ﴾ أي: وما ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿إِلَّا صِغَرَةٌ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّطْبُوعٍ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها النفخة الأولى، قاله مقاتل. والثاني: النفخة الأخيرة، قاله ابن السائب<sup>(٦)</sup>. وفي الفَوَاقِ قراءتان: قرأ حمزة، وخلف، والكسائي: بضم الفاء. وقرأ الباقون:

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حلَّ بهم من العذاب والشكَّال والنفقات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال: وقد تقدمت قصصهم بسوطة في أماكن متعددة. اهـ.

(٢) البيت في «غريب القرآن» ٣٧٧، و«البحر المحيط» ٣٨٦/٧، و«القرطبي» ١١٥/١٥، و«المفضليات» ٢١٧. ومعنى «عَنُوهَا»: أقاموا، يقال: عَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا وكَلَا.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عَنِي بِذَلِكَ الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما لِلْعَبْ كَانَ يُلْقَبُ بِهِ، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد (وشمود. وقوم لوط) قود ذكرنا أخبار كلِّ هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا، قال: ﴿وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ يعني: وأصحاب النيفضة. اهـ.

(٤) في الأصل: فكيف كان عقاب، ولعل المصنف رحمه الله اشتبهت عليه هذه الآية بآية سورة [الرعد: ٣٢]. قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوكون بهم سبيلهم ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ﴾ يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله ﴿فَحَقَّ عُقَابُ﴾ يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ أي: كانوا أكثر منكم، وأشدَّ قوة، وأكثر أموالاً وأولاداً، فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لَمَّا جاء أمر ربك، قال: ولهذا قال ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عُقَابُ ۚ﴾ فجعل علَّةً إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل، فليحذر المخاطبون من ذلك أشدَّ الحذر. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وهذه الصيحة، هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى إسرائيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع، إلا من استثنى الله ﷻ. اهـ.

يفتحها. وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو معنى قول الفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: والمعنى: ما لها من راحة ولا إفاقة، وأصله من الإفاقة في الرضاع إذا ارتضعت البهيمة أمها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «العيادة قَدْرُ فُوقِ نَاقَةٍ»<sup>(١)</sup>. ومن يفتح الفاء، فهي لغة جيدة عالية. وقال ابن قتيبة: الفُوق والفُوق واحد، وهو أن تُحَلَبِ النَاقَةُ وتُتَرَكُ ساعة حتى تُنْزَلَ شيئاً من اللبن، ثم تُحَلَب، فما بين الحَلَبَيْنِ فُوق، فاستعير الفُوق في موضع المكث والانتظار. وقال الزجاج: الفُوق: ما بين حلَبَتَيِ النَاقَةِ، وهو مشتق من الرُجُوع، لأنه يَعُودُ اللَّبَنُ إلى الضَّرْعِ بين الحَلَبَتَيْنِ، يقال: أفاق من مرضه، أي: رَجَعَ إلى الصَّحَّةِ. والثاني: أن مَنْ فتحها، أراد: ما لها من راحة، ومن ضَمَّها، أراد: فُوقِ النَاقَةِ، قاله أبو عبيدة. وللمفسرين في معنى الكلام أربعة أقوال: أحدها: ما لها من رجعة، ثم فيه قولان: أحدهما: مالها من ترداد، قاله ابن عباس، والمعنى أن تلك الصيحة لا تُكَرَّرُ. والثاني: ما لها من رجوع إلى الدنيا، قاله الحسن، وقتادة، والمعنى أنهم لا يعودون بعدوا إلى الدنيا. قاله الحسن، وقتادة، والمعنى أنهم لا يعودون بعدوا إلى الدنيا. والثاني: ما لهم منها من إفاقة، بل تُهْلِكُهم، قاله ابن زيد. والثالث: مالها من قُتُور ولا انقطاع، قاله ابن جرير. والرابع: ما لها من راحة، حكاه جماعة من المفسرين.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾<sup>(٢)</sup> أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عِدَّةَ مَا وَدَّ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّلَبُ ﴿٣﴾ إِنَّا سَخَرْنَا لِهَاجِلٍ مَعَهُمْ يَبِينُ وَالنَّارِ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٤﴾ وَالطَّيْرِ حَشْرَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّلَبٌ ﴿٥﴾ وَكَذَبَكَ مُلْكُهُمْ وَاتَّيَسَّرَ الْحَكْمَةُ وَقَصَلُ لِلطَّيْرِ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا﴾ في سبب قولهم هذا قولان: أحدهما: أنه لما ذُكِرَ لهم ما في الجنة، قالوا هذا، قاله سعيد بن جبير، والسدي. والثاني: أنه لما نزل قوله: ﴿فَأَنَّا مَن أَوْفَى كَتَبْنَا بِسَمَائِلِنَا؟﴾<sup>(١)</sup> يقولون ذلك تكديباً له، قاله أبو ٢٧، قالت قريش: زعمت يا محمد أننا نؤتي كتبنا بشمائنا؟ فعجل لنا قِطْعًا، يقولون ذلك تكديباً له، قاله أبو العالية، ومقاتل<sup>(٢)</sup>. وفي المراد بالقِطْعِ أربعة أقوال: أحدها: أنه الصحيفة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. قال الفراء: القِطْعُ في كلام العرب: الصُّكُّ، وقال أبو عبيدة: القِطْعُ: الكتاب، والقِطُوط: الكتب بالجواز، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، ومقاتل، وابن قتيبة. والثاني: أن القِطْعَ: الحساب، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه القضاء، قاله عطاء الخراساني، والمعنى أنهم لما وُعِدُوا بالقضاء بينهم، سألوا ذلك. والرابع: أنه النصيب، قاله سعيد بن جبير<sup>(٣)</sup>. [قال الزجاج: القِطْعُ: النصيب، وأصله: الصحيفة يُكْتَبُ للإنسان<sup>(٤)</sup> فيها شيء يَصِلُ إليه، واشتقاقه من قَطَطْتُ، أي: قَطَعْتُ، فالنصيب: هو القطعة من الشيء. ثم في هذا القول للمفسرين قولان: أحدهما: أنهم سألوه نصيبهم من الجنة، قاله سعيد بن جبير. والثاني: سألوه نصيبهم من العذاب، قاله قتادة. وعلى جميع الأقوال، إنما سألوا ذلك استهزاءً، لتكذيبهم بالقيامة. ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من تكذيبهم وأذاهم؛ وفي هذا قولان: أحدهما: أنه أَمِرَ بالصبر، سلوكاً لطريق أولي العزم، وهذا مُحْكَم. والثاني: أنه منسوخ بآية السيف فيما زعم الكلبي.

(١) هذا الحديث ذكره الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «العيادة فُوقِ نَاقَةٍ» ولم يتكلم عليه الحافظ المناوي في «فيض القدير» شرح الجامع الصغير، بشيء، بل قال: ورواه عنه التلمذي بلا سند. اهـ.

(٢) ذكر هذين القولين الطبرسي في «مجمع البيان» كما هما هنا بدون سند، وكذلك ذكر هذا المعنى البيهقي والخازن بدون سند.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صحتهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا، استهزاءً بوعيد الله، قال: وإنما قلنا: إن ذلك كذلك، لأن القِطْعَ هو ما وصفت من الكتب بالجواز والحطوط، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ فكان معلوماً بذلك أن سألهم ما سألوا النبي ﷺ، لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم، لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاءً وكان فيه إرسول الله ﷺ أذى، أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿عَجَلْ لَنَا قِطْعًا﴾ بيان أي القِطُوط إرادتهم، لم يكن لنا توجيه ذلك إلى أنه معني به القِطُوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا: إن مناسلتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر. اهـ.

(٤) في الأصل: الإنسان.



قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا دَاوُدَ﴾ في وجه المناسبة بين قوله: «اصبر» وبين قوله: «وَإِذْ ذَكَرْنَا دَاوُدَ» قولان أحدهما: أنه أمر أن يتقوى على الصبر بذكر قوة داود على العبادة والطاعة. والثاني: أن المعنى: عرفهم أن الأنبياء ﷺ مع طاعتهم - كانوا خائفين مني، هذا داود مع قوته على العبادة، لم يزل باكياً مستغفراً، فكيف حالهم مع أفعالهم؟! فاما قوله: ﴿فَإِذَا الْآيَةُ﴾ فقال ابن عباس: هي القوة في العبادة. وفي «الصحاح» من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ»<sup>(١)</sup>. وفي الأواب أقوال قد ذكرناها في [بني إسرائيل: ٢٥]. ﴿لَمَّا سَفَرْنَا لِحِبَالِ مَمَّا يُبَيِّنُ﴾ قد ذكرنا تسبيح الجبال معه في [الأنبياء: ٧٩]، وذكرنا معنى العشي في مواضع مما تقدم [آل عمران: ٤١]، [الأنعام: ٥٣]، وذكرنا معنى الإشراق في [الحجر: ٧٣] عند قوله: ﴿شَرِيفٌ﴾. قال الزجاج: الإشراق: طلوع الشمس [واضاعتها]. وروي عن ابن عباس أنه قال: طَلَبْتُ صَلَاةَ الضُّحَى، فلم أجدها إلا في هذا الآية. وقد ذكرنا عنه أن صلاة الضُّحَى مذكورة في [النور: ٣٦] في قوله: ﴿بِالْفَلَدِ وَالْأَصَالِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ﴾ وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبيدة: «وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ» بالرفع فيهما، أي: مجموعة إليه، تسبح الله معه ﴿كُلُّ لَهْرٍ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى داود، أي: كلُّ لداود ﴿وَأَبَى﴾ أي: رجَّع إلى طاعته وأمره، والمعنى: كلُّ له مُطِيع بالتسبيح معه، هذا قول الجمهور. والثاني: [أنها] ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كلُّ مسبح لله، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَا مَلَكَهُ﴾ أي: قوينا. وفي ما شُدَّ به مُلْكُهُ قولان: أحدهما: أنه الحرس والجنود؛ قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة سنة وثلاثون ألف رجل. والثاني: أنه هَبَّيَّةُ أَلَيْفٍ له في قلوب الناس؛ وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُ أَلْحَمَّةً﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الفهم، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد. والثاني: الصواب، قاله مجاهد. والثالث: السُّنَّة، قاله قتادة. والرابع: النبوة، قاله السدي. وفي فصل الخطاب أربعة أقوال: أحدها: علَّم القضاء والعدل، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: بيان الكلام، روي عن ابن عباس أيضاً. وذكر الماوردي أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود. والثالث: قوله «أما بعد»، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري، والشعبي. والرابع: تكليف المدعي البيِّنة، والمدَّعي عليه البيمين، قاله شريح، وقاتدة؛ وهو قول حسن، لأن الخصومة إنما تُفصل بهذا.

﴿وَمَلَّ أَنْتَكَ نَبَاُ الْخَصَمِ إِذْ سَرَوْا الْحَرَابَ﴾ إِذْ سَلُّوا عَلَى دَاوُدَ فَرَجَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَيْنَ بَعْضَا عَلَى بَعْضٍ فَامْكُرْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُطِطْ وَأَعِدْنَا إِلَى سَوَاءِ الصَّرِيطِ ﴿١٤﴾ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَسْعَ رَغْبَتُهُ تَجَمُّعٌ وَلَيْ تَجَمُّعٌ وَاجِدَةٌ فَقَالَ أَكُونِيَا وَعَزِّي فِي الْخِلَاطِ ﴿١٥﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاطُّهِ وَإِنَّ كَيْدَ بَيْنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ نَأْتَهُمْ وَعَلَى دَاوُدَ أَلَمَّا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّ رَأْسَهُ وَأَنَابَ ﴿١٦﴾ فَفَعَلْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿١٧﴾ يَدَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْنَاهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَامْكُرْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَبُّوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَلَّ أَنْتَكَ نَبَاُ الْخَصَمِ﴾ قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاك فاستمع له نقضض عليك. واختلف العلماء في السبب الذي امتحن لأجله داود ﷺ بما امتحن به على خمسة أقوال: أحدها: أنه قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو وِدْتُ أَنَّكَ أعطيتني مثله، فقال الله تعالى: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم؟ قال: نعم، فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة، فأراد أن يأخذها فطارت، فذهب ليأخذها، فرأى امرأة تغتسل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال السدي<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه ما

(١) رواه البخاري في (صحيحه) ١٤/٣، ومسلم ٨١٦/٢ باختلاف يسير في الفاظه، والحديث رواه أيضاً أبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم.

(٢) رواه الطبري من رواية العوفي عن ابن عباس ١٤٦/٢٣ والعوفي ضعيف، ورواه عن السدي بنحو ١٤٧/٢٣.

زال يجتهد في العبادة حتى برز له قرناؤه من الملائكة وكانوا يصلون معه ويسعدونه بالبكاء، فلما استأنس بهم، قال: أخبروني بأي شيء أنتم موكلون؟ قالوا: ما نكتب عليك ذنباً، بل نكتب صالح عملك ونثبتك ونوفقك ونصرف عنك الشؤم، فقال في نفسه: ليت شعري، كيف أكون لو خلوني ونفسي؛ وتمنى أن يخلى بينه وبين نفسه ليتعلم كيف يكون، فأمر الله تعالى قرنائه أن يعتزلوه ليتعلم أنه لا غناء به عن الله ﷻ، فلما فقدهم، جدد واجتهد ضعفت عبادته إلى أن ظن أنه قد غلب نفسه، فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه، فأرسل إليه طائراً من طيور الجنة، فسقط في محرابه، فقطع صلاته ومد يده إليه، فتنحى عن مكانه، فأثبته بصره، فإذا امرأة أوريا، هذا قول وهب بن منبه<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه تذاكر هو وبني إسرائيل، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطلق ذلك، فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة الزبور، فإذا حمامة من ذهب، فأهوى إليها فطارت، فتبعها فرأى المرأة، رواه مطر عن الحسن<sup>(٢)</sup>. والرابع: أنه قال لبني إسرائيل حين ملك: والله لأغدِلنَّ بينكم، ولم يستن، فابتلي، رواه قتادة عن الحسن. والخامس: أنه أعجبه كثرة عمله، فابتلي، قاله أبو بكر الوراق<sup>(٣)</sup>.

### الإشارة إلى قصة ابتلائه

قد ذكرنا عن وهب أنه قال: كانت الحمامة من طيور الجنة. وقال السدي: تصوّر له الشيطان في صورة حمامة. قال المفسرون: إنه لما تبع الحمامة، رأى امرأة في بستان على شطّ بركة لها تغتسل، وقيل: بل على سطح لها، فعجب من حسنها، فحانت منها التفاتة فرأت ظله، فنقضت شعرها، فغطى بدنّها، فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها، فقيل: هذه امرأة أوريا، وزوجها في غزاة، فكتب داود إلى أمير ذلك الجيش أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا، وقدمه قبل التابوت، وكان من قدم على التابوت لا يحلّ له أن يرجع حتى يفتّح عليه أو يستشهد، ففعل ذلك، ففتّح عليه، فكتب إلى داود يخبره، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، ففتّح له، فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فقتل في المرأة الثالثة، فلما انقضت عدّة المرأة تزوّجها داود، فهي أم سليمان، فلما دخل بها لم<sup>(٤)</sup> يلبث إلّا يسيراً حتى بعث الله ﷻ ملكين في صورة إنسيين، وقيل: لم يأتهم الملكان حتى جاء منها سليمان وشبّ، ثم أتياه فوجدها في محراب عبادته، فمتعهما الحرس من الدخول إليه، فتسورا المحراب عليه؛ وعلى هذا الذي ذكرناه من القصة أكثر المفسرين<sup>(٥)</sup>، وقد روى نحوه العوفي عن ابن عباس، وروي عن الحسن، وقاتدة، والسدي، ومقاتل في آخرين. وذكر جماعة من المفسرين أن داود لما نظر إلى المرأة، سأل عنها، وبعث زوجها إلى الغزاة مرة بعد مرة إلى أن قُتل، فتزوّجها؛ وروي مثلاً [هذا] عن ابن عباس، ووهب، والحسن في جماعة. قال المصنّف: وهذا لا يصح من طريق النقل، ولا يجوز من حيث المعنى، لأن الأنبياء منزّهون عنه. وقد اختلف المحققون في ذنبه الذي عُوتب عليه على أربعة أقوال: أحدها: أنه لما هويها، قال لزوجها: تحوّل لي عنها، فعُوتب على ذلك. وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما زاد داود على أن قال لصاحب المرأة: أكفّلنيها وتحوّل لي عنها؛ ونحو ذلك روي عن ابن مسعود<sup>(٦)</sup>. وقد حكى أبو سليمان

(١) ذكر الطبري ١٤٩/٢٣ بسند فيه جهالة من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه، والله أعلم.

(٢) رواه الطبري ١٤٨/٢٣ من رواية مطر عن الحسن، ومطر هو ابن لهما الوراق، أبو رجاء، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ.

(٣) قال ابن كثير عن تفسير هذه الآية: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه، قال: ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، وي زيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرّد علمها إلى الله ﷻ، فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً. اهـ. وخير يزيد الرقاشي، ذكره بطوله الطبري في «تفسيره» من رواية ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو خير لا يصح سنده كما قال الحافظ ابن كثير.

(٤) في الأصل: فلم.

(٥) وقد رأيت قول ابن كثير قبل قليل: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتّباعه.

(٦) «الطبري» ١٤٤/٢٣، وذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٣/٥ من رواية عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ومن رواية ابن جرير عن ابن مسعود.

الدمشقي أنه بعث إلى أوريا فأقدمه من غزاته، فأدناه وأكرمه جدًّا، إلى أن قال له يوماً: أنزل لي عن امرأتك؛ وانظر أي امرأة شئت في بني إسرائيل أزوجكها، أو أي أمة شئت أبتاعها لك، فقال: لا أريد بامرأتي بديلاً؛ فلما لم يُجبه إلى ما سأل، أمره أن يرجع إلى غزاته. والثاني: أنه تمتى تلك المرأة حلاًلاً، وحدثت نفسه بذلك، فاتفق غزو أوريا وهلاكه من غير أن يسعى في سبب قتله ولا في تعريضه للهلاك، فلما بلغه قتله، لم يَجْزَعْ عليه كما جزع على غيره من جُنْدِه، ثم تزوج امرأته، فغوتب على ذلك. وذنبُ الأنبياء ﷺ وإن صغرَتْ، فهي عظيمة عند الله ﷻ. والثالث: أنه لما وقع بصره عليها، أشبع النَّظْرَ إليها حتى عَلِقَتْ بقلبه<sup>(١)</sup>. والرابع: أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة، فخطبها داود مع علمه بأن أوريا قد خطبها، فتزوجها، فاغتم أوريا، وعاتب الله تعالى داود إذ لم يتركها لخطبها الأول؛ واختار القاضي أبو يعلى هذا القول، واستدل عليه بقوله: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾، قال: فدلَّ هذا على أن الكلام إنما كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدَّم تزوج الآخر، فغوتب داود ﷺ لشئني ينبغي للأنبياء التَّزْهُ عنهم، أحدهما: خطبته على خطبته غيره، والثاني: إظهار الجزص على التزويج مع كثرة نسائه، ولم يعتقد ذلك معصية، فعاتبه الله تعالى عليها؛ قال: فأما ما روي أنه نظر إلى المرأة فهويها وقدم زوجه للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: إنما قال: «الْخَصْمُ» بلفظ الواحد، وقال: «تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» بلفظ الجماعة، لأن قولك: خصم، يَصْلُحُ للواحد والاثنتين والجماعة والذكر والأنثى، تقول: هذا خصم، وهي خصم، وهما خصم، وهم خصم؛ وإنما يصلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول: خَصَمْتُهُ أَخْصِمُهُ خَصْماً. والمحراب هاهنا كالغرفة، قال الشاعر:

رَيْثَةُ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا      لَمْ أَلْقَها أَوْ أُرْتَقِي سُلْماً<sup>(٣)</sup>

و«تَسَوَّرُوا» يدل على علو. قال المفسرون: كانا ملكين، وقيل: هما جبريل وميكائيل ﷺ، أتياه لينبها على التوبة. وإنما قال: «تَسَوَّرُوا» وهما اثنان، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، والاثنتان فما فوقهما جماعة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ قال الفراء: يجوز أن يكون معنى «تَسَوَّرُوا»: دَخَلُوا، فيكون تكراراً؛ ويجوز أن تكون «إِذ» بمعنى «لَمَّا»، فيكون المعنى: إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ لَمَّا دَخَلُوا، وَلَمَّا تَسَوَّرُوا إِذْ دَخَلُوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَزَعَ يَدَيْهِ﴾ وذلك أنهما أتيا على غير صفة مجيء الخصوم، وفي غير وقت الحكومة، ودخلا تَسَوَّرًا من غير إذن<sup>(٤)</sup>. وقال أبو الأحوص: دَخَلَا عليه وكُلُّ واحد منهما آخذ برأس صاحبه. و«خَصَمَانِ» مرفوع بإضمار «نَحْنُ»، قال ابن الأنباري: [المعنى]: نحن كخصمين، ومثل خصمين، فسقطت الكاف، وقام الخصمان مقامهما، كما تقول العرب: عبد الله القمر حسناً، وهم يريدون: مثل القمر، قالت هند بنت عتبة ترثي أباهما وعمها:

(١) وكذلك يتره عن مثل هذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال المصنف قبل قليل.

(٢) قال القاضي عياض في «الشفاء»: وأما قصة داود ﷺ، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين، قال: ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، قال: والذي نص الله عليه قوله: ﴿وَكَلَّ دَاوُدُ أَمَّا تَنْتَهُ فَاسْتَقَرَّ بِمَنْزِلِهِ رَكْبًا وَأَتَانِ﴾ وقوله فيه: ﴿أَوَّلًا﴾، فمعنى (نشأ) أي: اختبرناه، و(أواب) قال قتادة: مطيع، قال: وهذا التفسير أولى، قال: قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد على أن قال للرجل: أنزل لي عن امرأتك وأكفنيها، فعاتبه الله على ذلك وتبَّه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا. ثم قال: وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر، وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال: قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. اهـ. وقال الخازن في «تفسيره»: اعلم أن من خصه الله بنبوته، وأكرمه برسالته، وشرفه على كثير من خلقه، واثمته على وحيه، وجعله واسطة بينه وبين خلقه، لا يليق أن يُنسب إليه ما لو نسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأئمة ذلك. اهـ. قال الخازن: وقال الإمام فخر الدين الرازي: حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق، وإلى الطمع في زوجته، قال: وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بمعاقل أن يظن بداود ﷺ هذا. اهـ. وقال القاضي البيضاوي: وما قيل: أنه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها (يعني امرأته)، هراء واقتراء. اهـ.

(٣) البيت لرواح اليمين: وهو في «مجاز القرآن» ١/١٤٤، و«الأغاني» ٦/٢٣٧، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: حرب. وقد سبق البيت صفحة ١٩١.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَنَزَعَ يَدَيْهِ﴾ إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره، وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين، قد تسَوَّرَا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما. اهـ.

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخْوَيْنِ كَالْ  
أَسَدَيْنِ فِي عَيْلٍ يَجِيدُ الـ  
صَفْرَيْنِ لَا يَتَذَلَّلَا  
رُفَحَيْنِ حَظِيَّيْنِ فِي

مُضْنَيْنِ أَوْ مِنْ رَاهِمَا  
مُذْمَعَيْنِ عَزَواهُمَا  
نِ وَلَا يُبَاحُ حِمَامُهُمَا  
كَبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهِمَا<sup>(١)</sup>

أرادت: ومثل أسدين، ومثل صقرين، فأسقطت مثلاً وأقامت الذي بعده مقامه، ثم صرف الله ﷻ النون والألف في «بتضننا» إلى «نحن» المضمر، كما تقول العرب: نحن قوم شرف أبونا، ونحن قوم شرف أبوهم، والمعنى واحد. والحق هاهنا: العدل. «ولا تشطط» أي: لا تتجر، يقال: شط وأشط: إذا جار. وقرأ ابن أبي عبله: «ولا تشطط» بفتح التاء وضم الطاء. قال الفراء: وبعض العرب يقول: شططت علي في السوم، وأكثر الكلام «أشططت» بالألف، وشططت الدار: تباعدت.

قوله تعالى: «وَأَقْبَتَآ لَكَ سَوَآءَ الْفَرِطِ» أي: إلى قصد الطريق<sup>(٢)</sup>؛ والمعنى: أحمِلْنَا عَلَى الْحَقِّ. فقال داود: تَكَلَّمَا، فقال أحدهما: «إِنَّ هَذَا أَخِي» قال ابن الأنباري: المعنى: قال أحد الخصمين اللذين شُبَّهَ الْمَلَكَانِ بِهِمَا: إِنَّ هَذَا أَخِي، فأضمر القول لوضوح معناه «لَمْ يَتَّعْ وَتَعَوَّ نَجَّةً» قال الزجاج: كُني عن المرأة بالنَّجَّة. وقال غيره: العرب تشبَّه النساء بالنعاج، وتورِّي عنها بالشاء والبقر. قال ابن قتيبة: ورى عن ذكر النساء بذكر النعاج، كما قال عترة: يَا شَاءَ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرَمْتُ عَلَيَّ وَلَيْسَتْهَا لَمْ تَحْرُمَ<sup>(٣)</sup> يعرض بجارية، يقول: أي حيد أنت لمن حل له أن يصيدك! فأما أنا، فإن حُرْمَةَ الْجَوَارِ قَدْ حَرَمْتُكَ عَلَيَّ. وإنما ذَكَرَ الْمَلَكُ هَذَا الْعَدَدَ لِأَنَّهُ عَدَدُ نِسَاءِ دَاوُدَ.

قوله تعالى: «وَلَيْ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ» فتح الياء حفص عن عاصم، وأسكنها الباقون. «فَقَالَ أَكْهَلِيَّ» قال ابن قتيبة: أي: ضُمَّهَا إِلَيَّ وَاجْعَلْنِي كَأَهْلِهَا. وقال الزجاج: انزَلْ أَنْتَ عَنْهَا وَاجْعَلْنِي أَنَا أَكْهَلُهَا. قوله تعالى: «وَعَزَّيْ فِي الْخِطَابِ» أي: غلبني في القول. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين [العقيلي]، والضحاك، وابن يعمر، وابن أبي عبله: «وعازني» بآلف، أي: غَالَبَنِي. قال ابن مسعود، وابن عباس في قوله «وَعَزَّيْ فِي الْخِطَابِ»: مَا زَادَ عَلَى أَنْ قَالَ: انزَلْ لِي عَنْهَا. وروى العوفي عن ابن عباس قال: إِنْ دَعَوْتُ دَعَا كَانَ أَكْثَرُ، وَإِنْ بَطَشْتُ وَتَطَشْتُ كَانَ أَشَدَّ مِنِّي. فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ الْمَلَكُ هَذَا، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ مَوْجُوداً عَنْدهمَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا: إِنَّمَا هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ وَالتَّشْبِيهِ بِقِصَّةِ دَاوُدَ، وَتَقْدِيرُ كَلَامِهِمَا: مَا تَقُولُ إِنْ جَاءَكَ خَصْمَانِ فَقَالَ كَذَا وَكَذَا؟ وَكَانَ دَاوُدَ لَا يَرَى أَنْ عَلَيْهِ تَبَعَةٌ فِيمَا فَعَلَ، فَتَبَّهَ اللَّهُ بِالْمَلَكَيْنِ. وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ [له] وَنَبَّهَ عَلَى خَطِيئَتِهِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّمَا أَنْ الْمَعْنَى: نَحْنُ كَحَضَمَيْنِ.

قوله تعالى: «قَالَ» يعني داود «لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسَوَالِ تَعْيِكَ إِنْ يَكُونُ» قال الفراء: أي: بِسْوَآلِهِ نَعَجْتُكَ، لِإِذَا أَلْقَيْتَ الْهَاءَ مِنَ السَّوَالِ، أَضَفْتَ الْفِعْلَ إِلَى النَّعْجَةِ، وَمِثْلُهُ: «لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاؤِ الْخَيْرِ» [نصحت: ٤٩]، أي: مِنْ دُعَاؤِهِ بِالْخَيْرِ، فَلَمَّا أَلْقَى الْهَاءَ أَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَلْقَى مِنَ الْخَيْرِ الْبَاءَ، وَأَنْشَدُوا:

قَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا  
عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ<sup>(٤)</sup>

أي: بِتَسْلِيمِ عَلَى الْأَمِيرِ.

(١) الأبيات في «شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام» ١٣٠، و«الأغاني» «ثقافة» ٢١٢/٤. حُسْنٌ، مِنْ بَابِ نَصَرَ، كَأَحْسَ، وَأَصْلُ «رَاهِمَا» وَرَاهِمَا، فَخَفَّتْ فِيهِ الْهَمْزَةُ.

(٢) أي: بَحِثْ لَا تَعْمِلْ مِنَ الْحَقِّ أَصْلًا.

(٣) البيت من معلقته، وهو في «ديوانه» ١٥٢، و«مشكل القرآن» ٢٠٦، و«العمدة» ٢٨١/١، و«مختار الشعر الجاهلي» ٣٧٨/١، و«شرح شواهد المغني» ٢٥٢.

(٤) البيت غير منسوب في «معاني القرآن» ١٠٠، وانظر خبر الأعرابي قائل البيت لعمن بن زائدة في «بحر الأداب» ٢٩٣/٣.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَنْجُو﴾ أي: لِيَضْمُهَا إِلَى نَجَاجِهِ. قال ابن قتيبة: المعنى: بسؤال نعتك مضمومةً إلى نجاجه، فاختصر. قال: ويقال «إلى» بمعنى «مع». فإن قيل: كيف حكم داود قبل أن يسمع كلام الآخر؟ فالجواب: أن الخصم الآخر اعترف، فحكم عليه باعترافه، وحذف ذكر الاعتراف اكتفاءً بفهم السامع، والعرب تقول: أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال، أي: فاتجرت فكسبت، ويؤدّل عليه قول السدي: إن داود قال للخصم الآخر: ما تقول؟ قال: نعم، أريد أن أخذها منه فأكمل بها نجاجي وهو كاره، قال: إذا لا ندعك، وإن رُمْتُ هذا ضررنا منك هذا - ويشير إلى أنفه وجهته - فقال: أنت يا داود أحق أن يضرب هذا منك حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا إلا واحدة، فنظر داود فلم ير أحداً، فعرف ما وقع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ كِبِيرًا مِّنَ اللَّطَلَاءِ﴾ يعني الشركاء، واحدهم: خليط، وهو المخالط في المال وإنما قال هذا، لأنه ظنهما شريكين، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: فإنهم لا يظلمون أحداً، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» زائدة، والمعنى: وقليل هم، وقيل: المعنى: هم قليل، يعني الصالحين الذين لا يظلمون.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَلَ دَاوُدُ﴾ أي: أيقن وعلم ﴿أَنَّمَا فَتَنَّا﴾ فيه قولان: أحدهما: اختبرناه. والثاني: ابتليناه بما جرى له من نظره إلى المرأة وافتتانه بها<sup>(١)</sup>. وقرأ عمر بن الخطاب: «أَنَّمَا فَتَنَّا» بتشديد التاء والنون جميعاً. وقرأ أنس بن مالك، وأبو رزين، والجنس، وقتادة، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: «أَنَّمَا فَتَنَّا» بتخفيف التاء والنون جميعاً، يعني المَلَكِين، قال أبو علي الفارسي: يريد: صمداً له. وفي سبب علمه وتنبيهه على ذلك ثلاثة أقوال: أحدها: أن المَلَكِين أفصحوا له بذلك، على ما ذكرناه عن السدي. والثاني: أنهما عرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فعلم أنه غني بذلك، قاله وهب. والثالث: أنه لما حكم بينهما، نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك، ثم صعدا إلى السماء وهو ينظر، فعلم أن الله تعالى ابتلاه بذلك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتَى رَّبَّهُ﴾ قال المفسرون: لما فطن داود بذنبه خَرَّ رَاكِعاً، قال ابن عباس: أي: ساجداً، وعبر عن السجود بالركوع، لأنهما بمعنى الانحناء. وقال بعضهم: المعنى: فخر بعد أن كان راکعاً.

## فصل

واختلف العلماء هل هذه من عزائم السجود؟ على قولين: أحدهما: ليست من عزائم السجود، قاله الشافعي. والثاني: أنها من عزائم السجود، قاله أبو حنيفة. وعن أحمد روايتان<sup>(٢)</sup>. قال المفسرون: فبقي في سجوده أربعين ليلة، لا يرفع رأسه إلا لوقت صلاة مكتوبة أو حاجة لا بُدَّ منها، ولا يأكل ولا يشرب، فأكلت الأرض من جبينه، ونبت العُشْبُ من دموعه، ويقول في سجوده: ربّ داود، زَلْ داود زَلَّةً أبعدَ ممّا بين المشرق والمغرب. قال مجاهد: نبت البقل من دموعه حتى غطّى رأسه، ثم نادى: ربّ قريح الجبين وجَمَدَتِ العينُ وداود لم يَرْجِعْ إليه في خطيئته شيء، فنودي: اجائع فَنُظِّعْ، أم مريض فَنُشْفَى، أم مظلوم فَنُصَرِّحْ لك؟ فَتَحَبَّ نَحِيحاً هاج كل شيء نَبَت، فعند ذلك غفر له<sup>(٣)</sup>. وقال ثابت البناني: اتخذ داود سبع حشايا من شَعْر وحشاش من الرَّمَاد، ثم بكى حتى أنفذها دموعاً، ولم يشرب شرباً إلا ممزوجاً بدموع عينيه<sup>(٤)</sup>. وقال وهب بن منبه: نودي: يا داود ارفع رأسك فإننا قد غَفَرْنَا لَكَ، فرفع رأسه وقد زَمِنَ

(١) تقدم القول في مثل هذا لا يليق بالأنبياء ﷺ، والصواب هو القول الأول وهو أنه بمعنى اختبرناه.

(٢) قال ابن كثير: اختلف الأئمة في سجدة (ص) هل هي من عزائم السجود؟ على قولين، الجديد من مذهب الشافعي ﷺ: أنها ليست من عزائم السجود، بل هي سجدة شكر، قال: والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث أيوب عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ أنه قال في السجدة في (ص): ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها، قال: ورواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي في «تفسيره» من حديث أيوب به، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) ذكر هذا المعنى السيوطي في «الدرر» ٣٠٣/٥ من رواية أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب ﷺ، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: يونس بن خباب الأسدي الكوفي: صدوق يخطئ ورمي بالرفض. اهـ.

(٤) ذكره السيوطي من رواية أحمد عن ثابت البناني، والله أعلم.

وصار مرعشاً. فأما قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ فمعناه: رَجَعَ مِنْ ذَنْبِهِ تَائِباً إِلَى رَبِّهِ، ﴿فَنَقَرْنَا لَهُ ذَلِكُمْ﴾ يعني الذَّنْبَ ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لُزْلَةً﴾ [قال ابن قتيبة]: أي: تقدّم وقُرْبَة.

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَنَاجِبَ﴾ قال مقاتل: حُسْنُ مَرْجِعٍ، وهو ما أعدَّ الله له في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَرْضِ﴾ والمعنى: وقلنا له يا داود ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ أي: صَيَّرْنَاكَ ﴿خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تُدِيرُ أَمْرَ الْعِبَادِ مِنْ قِبَلِنَا بِأَمْرِنَا، فكانك خليفة عنا ﴿فَأَنفَكْ بَيْنَ الْأُخْرَىٰ﴾ أي: بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لا تُولِ مع ما تشتهي إذا خالف أمر الله ﷻ ﴿يُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن دينه <sup>(١)</sup> ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوة، وابن يعمر: ﴿يَصِلُونَ﴾ بضم الباء.

قوله تعالى: ﴿يَا سُوَيْدُ بْنُ جَبَالٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بما تَرَكُوا العمل ليوم الحساب، قاله السدي. قال الزجاج: لما تركوا العمل لذلك اليوم، صاروا بمنزلة الناسين. والثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي: تَرَكُوا القضاء بالعدل، وهو قول عكرمة <sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿وَأَرَجَعْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَرَجَعْنَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ مَا ظَنَنَّا أَن لَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ الْأَرْضِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي: عَبَثًا ﴿ذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ذلك خُلِقَ لِغَيْرِ شَيْءٍ، وإنما خُلِقَ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. ﴿أَرَجَعْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إِنَّا نَغْطِي فِي الْآخِرَةِ مَا تَغْطُونَ، فنزلت هذه الآية <sup>(٣)</sup>. وقال ابن السائب: نزلت في الستة الذين تبارزوا يوم بدر، عليٌّ ؑ، وحمزة ؑ، وعبيدة بن الحارث ؑ، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة <sup>(٤)</sup>، فذكر أولئك بالفساد في الأرض لِعَمَلِهِمْ فِيهَا بِالْمَعَاصِي، وسَمَّى الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُتَّقِينَ لِاتَّقَاهُمْ الشَّرَّ، وَحُكْمُ الْآيَةِ عَامٌ.

قوله تعالى: ﴿كَتَبُ﴾ أي: هذا كتاب، يعني القرآن، وقد بيَّنا معنى بَرَكَتِهِ في سورة [الأنعام: ٩٢]. ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ أي: يَتَذَكَّرُ بِآيَاتِهِ ﴿بِالنَّاءِ خَفِيفَةُ الدَّالِ﴾ أي: لِيَتَفَكَّرُوا فِيهَا فَيَتَقَرَّرَ عِنْدَهُمْ صِحَّتُهَا ﴿وَلِيَتَذَكَّرُ﴾ بما فيه من المواعظ ﴿أُولَٰئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾، وقد سبق بيان هذا [الرعد: ١٩] <sup>(٥)</sup>.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الصِّدْقِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالنَّبِيِّ الصَّغِيرَةِ لِدَاوُدَ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَمْرِ عَنْ زَيْنِ رَجُلٍ فَكَرِهْتُ بِالْحِمَابِ﴾ رَدُّهَا عَلَى تَطْلُقِ مَسْئَلِ الشُّرَيْكِ وَالْأَعْيَانِ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِإِخْوَتِي مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَن يَكُونُوا عَلَىٰ الْأَرْضِ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنِّي وَأَمْرٍ وَأَنَا يَتُوبُ إِلَىٰ رَبِّهِ عَصَاؤًا فَفَتَنَّا أَتَى الْأَوَّابَ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رَهَآةً حَيْثُ أَصَابَ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿وَأَخْرَيْنَ مَغْرِبِينَ فِي الْأَعْيَادِ﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَانْتَبْهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لُزْلَةً وَسَخَّرْنَا مَنَاجِبَ﴾ وَأَذْكُرُ جَسَدًا أَوَّابٌ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُحْسٍ وَعَذَابٍ ﴿أَرَكُنَّ بِرِجَالِكَ هَذَا مُغْتَالٌ بَارِدٌ وَشَرٌّ﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُمْ وَمَنْ تَحْتَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذُكْرَىٰ لِأُولَى الْأَنْبِيَاءِ ﴿وَعَذَابُ يَوْمِكَ يُنْفَخُ كَأَنْفَابِ يَوْمٍ وَلَا تَحْشَىٰ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَاحِدًا نِعَمَ الصِّدْقِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

(١) قال ابن كثير: هذه وصية من الله ﷻ لولاء الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يبدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، قال: وقد تَوَعَّدَ تبارك وتعالى من ضلَّ عن سبيله وتأسى يوم الحساب بالوعد الأكيد والعذاب الشديد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ يَا سُوَيْدُ بْنُ جَبَالٍ يقول تعالى ذكره: وإن الذين يميلون عن سبيل الله وذلك الحق الذي شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله. اهـ.

(٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي عن مقاتل بدون سند، وكذلك ذكره الخازن والألوسي بدون سند ولم ينسبه لأحد، قال الألوسي: وأنت تعلم أن العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص السبب.

(٤) ذكر سبب النزول هذا السيوطي في «الدر» ٣٠٨/٥ من رواية ابن عساکر عن ابن عباس ؓ في قوله: ﴿أَرَجَعْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: «الذين آمنوا»: علي، وحمزة، وعبيدة بن الحارث، والمفسدين في الأرض: عتبة، وشيبة، والوليد، قال: وهم الذين تبارزوا يوم بدر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: ﴿يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾ يقول: وليعتبر أولو العقول والحجج ما في هذا الكتاب من الآيات فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، ويتشبهوا إلى ما دلَّهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يَعْمَ الْكَبْدُ﴾ يعني به سليمان<sup>(١)</sup>. وفي الآواب أقوال قد تقلدت في [بني إسرائيل: ٢٥] أَلْيَقُهَا بهذا المكان أنه رَجَّاعٌ بالثوبة إلى الله تعالى ممَّا يقع منه من السَّهْو والعَفْلة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ﴾ وهو ما بعد الرُّوَال ﴿الْمَكِينَتُ﴾ وهي الخيل. وفي معنى الصَّافَنَات قولان: أحدهما: أنها القائمة على ثلاث قوائم، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رَجْل، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد، وابن زيد، واختاره الزجاج، وقال: هذا أكثر قيام الخيل إذا وقفت كأنها تراوح بين قوائمها، قال الشاعر:

إِلِفَ الصُّفُونِ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ  
يَمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلَاثِ كَسِيرًا<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنها القائمة، سواء كانت على ثلاث أو غير ثلاث، قال الفراء: على هذا رأيت العرب، وأشعارهم تدلُّ على أنه القيام خاصة. وقال ابن قتيبة: الصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَقُومَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُونًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>، أي: يُدِيمُونَ الْقِيَامَ لَهُ<sup>(٤)</sup>. فَأَمَّا الْجِيَادُ، فهي السَّرَاعُ فِي الْجَزْيِ. وفي سبب عرضها عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه عَرَضَهَا لأنه أراد جهاد عدوِّه، قاله علي بن أبي طالب ﷺ. والثاني: أنها كانت من دواب البحر. قال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة. وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً ذات أجنحة. وقال ابن زيد: أخرجتها له الشياطين من البحر. والثالث: أنه ورَّثها من أبيه داوود ﷺ، فَعُرِضَتْ عليه، قاله وهب بن منبه، ومقاتل. والرابع: أنه غزا جيشاً، فظفر به وغنمها، فدعا بها فَعُرِضَتْ عليه، قاله ابن السائب. وفي عددها أربعة أقوال: أحدها: ثلاثة عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: عشرون ألفاً، قاله سعيد بن مسروق. والثالث: ألف فرس، قاله ابن السائب، ومقاتل. والرابع: عشرون فرساً، وقد ذكرناه عن إبراهيم التيمي<sup>(٥)</sup>. قال المفسرون: ولم تزل تُعَرِّضُ عليه إلى أن غابت الشمس، ففاتته صلاة العصر، وكان مهيباً لا يبتدئه أحد بشيء، فلم يذْكُرْوه، ونسي هو، فلَمَّا غابت الشمسُ ذَكَرَ الصلاة، ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ فتح الباء<sup>(٦)</sup> أهل الحجاز وأبو عمرو ﴿حُبَّ الْكَلْبِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المال، قاله سعيد بن جبيرة، والضحاك. والثاني: حُبُّ الخيل، قاله قتادة والسدي. والقولان يرجعان إلى معنى واحد، لأنه أراد بالخير الخيل، وهي مال. وقال الفراء: العرب تسمي الخيل: الخير. قال الزجاج: وقد سَمَّى رسولُ الله ﷺ زَيْدَ الخيل: زَيْدَ الخير<sup>(٧)</sup>، ومعنى «أَحْبَبْتُ»: آثَرْتُ حُبَّ الْخَيْرِ على ذِكْرِ رَبِّي؛ وكذلك قال غير الزجاج: «عن» بمعنى «على». وقال بعضهم: يحتمل المعنى: فَشَعَّلَنِي عَنْ ذِكْرِ رَبِّي. وقال أبو عبيدة: ومعنى [الكلام]: أَحْبَبْتُ حُبًّا، ثم أضاف الحُبَّ إلى الخير. وقال ابن قتيبة: سَمَّى الْخَيْلَ خَيْرًا، لِمَا فِيهَا مِنْ

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَجَّعْنَا لِقَاوَةَ شَيْتَانٍ﴾ ابنه ولدًا ﴿يَعْمَ الْكَبْدُ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إِنَّهُ أَرَادَ﴾ يقول: إنه رجَّاع إلى طاعة الله، تواب إليه مما يكرهه منه، وقيل: إنه عُنِيَ به أنه كثير الذكر لله والطاعة. اهـ. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان، أي نبياً، كما قال ﷺ: ﴿وَوَجَّعْنَا شَيْتَانًا دَاوُدَ﴾ أي في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر. اهـ.

(٢) البيت في [مجمع البيان] ١١١/٢٣، و[البحر المحيط] ٣٨٨/٧، و[القرطبي] ١٥/١٩٣، و[روح المعاني] ٢٣/١٧٢، و[اللسان] و[التاج] صفح.

(٣) لم نره بهذا اللفظ، ورواه الترمذي ١٠٠/٢ من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ بلفظ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَمَثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وقال: هذا حديث حسن، قال: وفي الباب عن أبي أمامة، ورواه أبو داود رقم (٥٢٢٩). من حديث معاوية بلفظ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» ورواه أحمد في [المستد] ٩١/٤ بلفظ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمَثُلَ لَهُ عِبَادُ اللَّهِ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وهو حديث صحيح.

(٤) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ﴾ أي: إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات، قال: قال مجاهد: وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، قال: والجياد: السراع، قال: وكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

(٥) ذكر القول الرابع الطبري ٢٣/١٥٤ عن إبراهيم التيمي، وذكره السيوطي في [الدرة] ٣٠٩/٥، وزاد نسبه للفرابي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي ﷺ.

(٦) يعني الباء من كلمة «إِنِّي».

(٧) قال الحافظ ابن حجر في [الإصابة] في ترجمة زيد الخيل: وقد في سنة تسع، وسماه النبي ﷺ: زيد الخير، قال: وروى ابن شاهين من طريق بشير مولى بني هاشم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ، فأقبل راكب حتى أتانا، فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع أسالك عن خصلتين، فقال: «ما اسمك؟» قال: أنا زيد الخيل، قال: بل أنت زيد الخير، سل، قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد... الحديث. قال ابن حجر: وأخرجه ابن عدي في ترجمة بشير (يعني بشير مولى بني هاشم) وضعفه. اهـ. وكان زيد الخيل شاعراً خطيباً شجاعاً كريماً، يكنى أبا مكنف ﷺ.

الخَيْر. والمفسرون على أن المراد بذكر ربه: صلاة العصر، قاله علي، وابن مسعود، وقتادة في آخرين. وقال الزجاج: لا أدري هل كانت صلاة العصر مفروضة، أم لا! إلا أن اعتراضه الخيل شغلَه عن وقت كان يذكر الله فيه ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قال المصنف: وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يجز لها ذكر، ولا أحسبهم أعطوا في هذا الفكر حَقَّه، لأن في الآية دليلاً على الشمس، وهو قوله: «بالعشي» ومعناه: عُرِضَ عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب، ولا يجوز الإضمار إلا أن يجري ذكر، أو دليل ذكر فيكون بمنزلة الذكر؛ وأما الحجاب، فهو ما يحجبها عن الأبصار<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رُدُّوهُآ عَلَيَّ﴾ قال المفسرون: لما شغلَه عَرْضُ الخيل عليه عن الصلاة، فصلَّاهَا بعد خروج وقتها، اغْتَمَّ وغضب، وقال: «رُدُّوهُآ عَلَيَّ»، يعني: أعيِدُوا الخيلَ عَلَيَّ ﴿تَطْفِقُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: أقبل ﴿مَسَّكًا﴾ قال الأخفش: أي: يَمْسَحُ مَسْحًا. فأما السُّوق، فجمع ساق، مثل دُور ودَار. وهمز السُّوق ابن كثير، قال أبو علي: وغير الهمز أحسن منه. وقرأ أبو عمران الجوني، وابن محيصن: «بالسُّوق» مثل الرُّؤوس. وفي المراد بالمسح هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ضربها بالسيف. روى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿تَطْفِقُ مَسَّكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قال: «بالسيف»<sup>(٢)</sup>. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: مسح أعناقها وسوقها بالسيف. وقال الحسن، وقتادة، وابن السائب: قطع أعناقها وسوقها، وهذا اختيار السدي، ومقاتل، والفراء، وأبي عبيدة، والزجاج، وابن قتيبة، وأبي سليمان الدمشقي، والجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حَبًّا لها، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: مسحها بيده، وهذا اختيار ابن جرير<sup>(٤)</sup>، والقاضي أبي يعلى. والثالث: أنه كَوَّى سوقها وأعناقها وجبها في سبيل الله تعالى، حكاه الثعلبي. والمفسرون على القول الأول، وقد اعترضوا [على] القول الثاني، وقالوا: أي مناسبة بين شغلها إِيَّاهُ عن الصلاة وبين مسح أعرافها حَبًّا لها؟! ولا أعلم قوله: «حَبًّا لها» يثبت عن ابن عباس. وحملوا قول مجاهد «مَسَحَهَا بيده» أي: تَوَلَّى ضَرْبَ أعناقها. فإن قيل: فالقول الأول يفسد بأنه لا ذنب للحيوان، فكيف وجه العقوبة إليه وقصد التَّشْفِي بقتله، وهذا يشبه فِعْلَ الجَبَّارِينَ، لا فِعْلَ الأنبياء؟ فالجواب: أنه لم يكن لِيَفْعَلَ ذلك إلا وقد أُبْحِحَ له، وجائز أن يُبَّاحَ له ما يُنْتَعَمُ منه في شرعنا، على أنه إذا ذبحها كانت قرباناً، وأكل

(١) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَقَالَ إِيَّا أَجَبْتُ حَتَّى لَقِيَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، ثم قال ابن كثير: والذي يَقَعُّ به أنه لم يتركها عمداً، بل نسياناً، كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق من صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب، قال: وذلك ثابت في «الصحيحين» من غير وجه، قال: من ذلك حديث جابر ﷺ قال: جاء عمر ﷺ يوم الخندق بعدما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها» فقال: فقمنا إلى بطحان، فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلَّى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. اهـ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٥ من رواية الطبراني في «الأوسط»، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه عن أبي بن كعب ﷺ. قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩٩/٨: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه سعيد بن بشير، وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، قال: وبقي رجاله ثقات. اهـ. وقد ضعف سعيد بن بشير الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) قال البيهقي في «تفسيره»: ﴿تَطْفِقُ مَسَّكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، قال: هذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين، قال: وكان ذلك مباحاً له، لأن نبي الله ﷺ لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنوب آخر. اهـ. وقال ابن كثير: قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيما إذا كان غضباً لله تعالى، بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، قال: ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عَوْضَهُ ﷻ ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره رُخَاءً حيث أصاب، غَدَوْهَا شهر ورواحها شهر، قال: فهذا أسرع وخير من الخيل. اهـ. وقال الشوكاني في «فتح القدير» عن هذا القول: وهذا أولى بسياق الكلام، فإنه ذكر أنه أتربها على ذكر ربه حتى فاتته صلاة العصر، ثم أمرهم بردها عليه ليعاتب نفسه بإفساد ما ألهاه عن ذلك، وما صله عن عبادة ربه، وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه. اهـ. وقال آخرون غير هذا، منهم: الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري، وسيأتي في التعليق الذي بعد هذا، والله أعلم.

(٤) قال ابن جرير الطبري ١٥٦/٢٣: حشني علي قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن علي (يعني ابن أبي طلحة) عن ابن عباس قوله: ﴿تَطْفِقُ مَسَّكًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حَبًّا لها، قال الطبري: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليُذْبَح حيواناً بالعرقبة (يعني ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف) وبهلك ماله من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باستغاله بالنظر إليها. اهـ.



لحمها جائز، فما وقع تفريط. قال وهب بن منبه: لما ضرب سوقها وأعناقها، شكر الله تعالى له ذلك، فسخر له الريح مكانها، وهي أحسن في المنظر، وأسرع في السير، وأعجب في الأخذوثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي: ابتليناه وامتحاناه بسلب ملكه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ﴾ أي: على سريره ﴿جَنَاحًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس، والجمهور. وفي اسم ذلك الشيطان ثلاثة أقوال. أحدها: ضحخر، رواه العوفي عن ابن عباس. وذكر العلماء أنه كان شيطاناً مريداً لم يسخر لسليمان. والثاني: آصف، قاله مجاهد، إلا أنه ليس بالمؤمن الذي عنده الاسم الأعظم، إلا أن بعض ناقلي التفسير حكى أنه آصف الذي عنده علم من الكتاب، وأنه لما فتن سليمان سقط الخاتم من يده فلم يثبت، فقال آصف: أنا أقوم مقامك إلى أن يتوب الله عليك، فقام في مقامه، وسار بالسيرة الجميلة، وهذا لا يصح، ولا ذكره من يوثق به. والثالث: حقيق، قاله السدي؛ والمعنى: أجلسنا على كرسيه في ملكه شيطاناً. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: رجع. وفيما رجع إليه قولان: أحدهما: تاب من ذنبه، قاله قتادة. والثاني: رجع إلى ملكه، قاله الضحاك. وفي سبب ابتلاء سليمان بهذا خمسة أقوال: أحدها: أنه كانت له امرأة يقال لها: جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، ففضى بينهم بالحق، إلا أنه ود أن الحق كان لأهلها، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً، وأوحى الله تعالى إليه أنه سيصيبك بلاء، فكان لا يدري آياتيه من السماء، أو من الأرض، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: أن زوجته جرادة كانت أثر النساء عنده، فقالت له يوماً: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وإنني أجب أن تقضي له، فقال: نعم، ولم يفعل، فابتلي لأجل ما قال، قاله السدي. والثالث: أن زوجته جرادة كان قد سبها في غزاة له، وكانت بنت ملك فأسلمت، وكانت تبكي عنده بالليل والنهار، فسألها عن حالها، فقالت: أذكر أبي وما كنت فيه، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري فأتسل بها، [ففعل]، فكانت إذا خرج سليمان، تسجد له هي ولولدها [أربعين صباحاً، فلما علم سليمان، كسر تلك الصورة، وعاقب المرأة ولولدها] ثم تضرع إلى الله تعالى مستغفراً مما كان في داره، فسلب الشيطان على خاتمه، [هذا قول وهب بن منبه. والرابع: أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان، احتجب<sup>(١)</sup> عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي ولم تتصف مظلوماً من ظالم؟ فسلب الشيطان على خاتمه]، قاله سعيد بن المسيب. والخامس: أنه قارب امرأة من نساته في الحيض أو غيره، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والقول الثاني: أن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه: أنه ولد [له ولد] فاجتمعت الشياطين، فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد، لم نفك من البلاء، فسيبنا أن نقول ولده أو نخبله، فعلم بذلك سليمان، [فأمر السحاب] فحمله، وعذا ابنه في السحاب خوفاً من الشياطين، فعاتبه الله تعالى على تخوفه من الشياطين، ومات الولد، فألقى على كرسيه ميتاً جسداً، قاله الشعبي. والمفسرون على القول الأول<sup>(٣)</sup>.

ونحن نذكر قصة ابتلائه على قول الجمهور.

(١) في الأصل: احتجب.

(٢) قال ابن كثير بعد أن ذكر بعض هذه الروايات في سبب ابتلاء سليمان عليه السلام: وهذه كلها من الإسرائيلية، ثم ذكر أن من أنكرها ما رواه ابن أبي حاتم من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وسرد الرواية بطولها بنحو القول الأول الذي ذكره المؤلف هنا في سبب ابتلاء سليمان عليه السلام، ولكن بأطول منه. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٤٣: وأما ما يحكى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام، فإعلم بصحته، ثم قال: روى النسائي من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وإسناده قوي، وكذلك قال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣١٠/٥: وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوي عن ابن عباس عليه السلام: قال: أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلافة فأعطى لجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نساته إليه. وسرد القصة بطولها. قال ابن كثير بعد أن سرد هذا القول بطوله من رواية ابن أبي حاتم: إسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس عليه السلام - إن صح عنه - من أهل الكتاب، قال: وفيهم طائفة لا يعتدون بنوبة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، قال: ولهذا كان في هذا السياق منكرات، من أشدها ذكر النساء، فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلب على نساء سليمان، بل عصمهن الله ﷻ منه تشريفاً وتكريماً لنبيه ﷺ، قال: وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين، قال: وكلها متلفة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اهـ.

(٣) يريد به القول الأول الذي ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَنَاحًا﴾ قال: وفي قولان. أحدهما: أنه شيطان، قاله ابن عباس والجمهور.

### الإشارة إلى ذلك

اختلف العلماء في كيفية ذهاب خاتم سليمان على قولين: أحدهما: أنه كان جالساً على شاطئ البحر، فوقع منه في البحر، قاله علي عليه السلام. والثاني: أن شياطيناً أخذته، وفي كيفية ذلك أربعة أقوال: أحدها: أنه دخل ذات يوم الحمام ووضع الخاتم تحت فراشه، فجاء الشيطان فأخذه وألقاه في البحر، وجعل الشيطان يقول: أنا نبي الله، قاله سعيد بن المسيب. والثاني: أن سليمان قال للشيطان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فأعطاه إياه، فنبذه في البحر، فذهب ملك سليمان، وقعد الشيطان على كرسيه، قاله مجاهد. والثالث: أنه دخل الحمام، ووضع خاتمته عند أوثق نساته في نفسه، فأتاها الشيطان فتمثل لها في صورة سليمان وأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان، طلبه منها، فقالت: قد دفعته إليك، فهرب سليمان، وجاء الشيطان فجلس على ملكه، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنه دخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمته فألقاه الشيطان في البحر، فذهب ملك سليمان، وألقي على الشيطان شئبه، قاله قتادة. فأما قصة الشيطان، فذكر أكثر المفسرين أنه لما أخذ الخاتم رمى به في البحر، وألقي عليه شئبه سليمان، فجلس على كرسيه، وتحكم في سلطانه. وقال السدي: لم يلقه في البحر حتى فر من مكان سليمان. وهل كان يأتي [نساء] سليمان؟ فيه قولان: أحدهما: أنه لم يقدر عليهن، قاله الحسن، وقاتة. والثاني: أنه كان يأتيهن في زمن الحيف، فأنكرهن، قاله سعيد بن المسيب، والأول أصح<sup>(١)</sup>. قالوا: وكان يقضي بقضايا فاسدة، ويحكم بما لا يجوز، فأنكره بنو إسرائيل، فقال بعضهم لبعض: إنا أن تكونوا قد ملكتم أنفسكم، وإنا أن يكون ملككم قد ملك، فذهبوا إلى نساءه فأسأروهن، فذهبوا، فقلن: إنا والله قد أنكرنا ذلك؛ فلم يزل على حاله إلى أن انقضى زمن البلاء. وفي كيفية بغد الشيطان عن مكان سليمان أربعة أقوال: أحدها: أن سليمان وجد خاتمته فتختم به، ثم جاء فأخذ بناصية الشيطان، قاله سعيد بن المسيب. والثاني: أن سليمان لما رجع إلى ملكه وجاءته الرّيح والطّير والشيّاطين، فرّ الشيطان حتى دخل البحر، قاله مجاهد. والثالث: أنه لما مضى أربعون يوماً، طار الشيطان من مجلسه، قاله وهب. والرابع: أن بني إسرائيل لما أنكروه، أتوه فأحذقوا به، ثم نشرُوا التّوراة فقرأوا، فطار من بين أيديهم حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت، قاله السدي. وفي قدر مكث الشيطان قولان: أحدهما: أربعون يوماً، قاله الآكثرون. والثاني: أربعة عشر يوماً، حكاه الثعلبي. وأما قصة سليمان عليه السلام، فإنه لما سلب خاتمته، ذهب ملكه، فانطلق هارباً في الأرض. قال مجاهد: كان يستظلم فلا يظلم، فيقول: لو عرفتموني أعطيتموني، أنا سليمان، فيطردونه، حتى أعطته امرأة حوتاً، فوجد خاتمته في بطن الحوت. وقال سعيد بن جبير: انطلق سليمان حتى أتى ساحل البحر، فوجد صيادين قد صادوا سمكاً كثيراً وقد أنتن عليهم بعضه، فأتاهم يستظلم، فقالوا: اذهب إلى تلك الحيتان فخذ منها، فقال: لا، أظعموني من هذا، فأبوا عليه، فقال: أظعموني فلأني سليمان، فوثب إليه رجلٌ منهم فضره بالعصا غصباً لسليمان، فأتى تلك الحيتان فأخذ منها شيئاً، فشق بطن حوت، فإذا هو بالخاتم. وقال الحسن: ذكر لي أنه لم يؤوه أحدٌ من الناس، ولم يُعرف أربعين ليلةً، وكان يأوي إلى امرأة مسكينة، فبينما هو يوماً على شط نهر، وجد سمكة، فأتى بها المرأة فشقتها فإذا بالخاتم. وقال الضحاك: اشترى سمكة من امرأة فشق بطنها فوجد خاتمته. وفي المدة التي سلب فيها الملك قولان: أحدهما: أربعون ليلةً، كما ذكرنا عن الحسن. والثاني: خمسون ليلةً، قاله سعيد بن جبير. قال المفسرون: فلما جعل الخاتم في يده، ردّ الله عليه بهاءه وملكه، فأظلمت الطّير، وأقبل لا يستقبله جني ولا طائر ولا حجر ولا شجر إلّا سجد له، حتى انتهى إلى منزله. قال السدي: ثم أرسل إلى الشيطان، فجاء به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه وأقل، وختم عليه بخاتمته، ثم أمر به فألقي في البحر، فهو فيه إلى أن تقوم الساعة. وقال وهب: جاب<sup>(٢)</sup> صخرةً فأدخله فيها، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم قذفه في البحر.

(١) وقد رأيت قبل قليل كيف قال ابن كثير: فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمه الله تعالى منه تشريعاً وتكريماً لنبيه عليه السلام، قال: وقد رويت هذه القصة عن جماعة من السلف، ثم قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله أعلم بالصواب. اهـ.

(٢) جاب: قطع.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ فتح الياء<sup>(١)</sup> نافع، وأبو عمرو. وفيه قولان: أحدهما: لا يكون لأحد بعدي، قاله مقاتل، وأبو عبيدة. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ عِفْرِينَ مِنَ الْجِنِّ تَغْلَتْ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾، فَردَّدْتُهُ خَاسِتًا»<sup>(٢)</sup>. والثاني: لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني في حياتي، كما فعل الشيطان الذي جلس على كرسيه، قاله الحسن، وقناة<sup>(٣)</sup>. وإنما طلب هذا المَلِكُ، ليعلم أنه قد غُفِرَ له، ويعرف منزلته بإجابة دعوته، قاله الضحاك. ولم يكن في مُلْكِهِ حين دعا بهذا الرِّيحِ ولا الشَّيَاطِينِ ﴿فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾<sup>(٤)</sup> وقرأ أبو الجوزاء، وأبو جعفر، وأبو المتوكل: «الرِّيحَ» على الجمع.

قوله تعالى: ﴿رِيحًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُطْبِعة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والضحاك. والثاني: أنها الطَّيْبَةُ، قاله مجاهد. والثالث: اللَّيْثَةُ، مأخوذ من الرِّخَاوَةِ، قاله اللُّغَوِيُّونَ. فإن قيل: كيف وصفها بهذا بعد أن وصفها في سورة [الأنبياء: ٨١] بأنها عاصفة؟ فالجواب: أن المفسرين قالوا: كان يأمر العاصف تارة ويأمر الرِّخَاءَ أخرى. وقال ابن قتيبة: كأنها كانت تشتدُّ إذا أراد، وتلين إذا أراد.

قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَسَآءَ﴾ أي: حيث قصد وأراد. قال الأصمعي: تقول العرب: أصاب فلان الصَّوَابَ فأخطأ الجواب، أي: أراد الصَّوَابَ.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَيْنِ﴾ أي: وسحَرْنَا له الشَّيَاطِينِ ﴿كُلَّ بَنَاءٍ﴾ يبنون له ما يشاء ﴿وَعَرَّاسٍ﴾ يغوصون له في البحار فيستخرجون الدرَّ<sup>(٥)</sup>، ﴿وَالْأَخْرَيْنَ﴾ أي: وسحَرْنَا له آخرين، وهم مَرَكَةُ الشَّيَاطِينِ، سحَرهم له حتى قرَّتهم في الأصفاة ليكفرهم. قال مقاتل: أوتقهم في الحديد. وقد شرحنا معنى ﴿مُفَرِّقِينَ فِي الْأَسْفَادِ﴾ في سورة نبي الله إبراهيم ﷺ [إبراهيم: ٤٩]. ﴿هَذَا عَلَاقًا﴾ المعنى: قُلْنَا له: هذا عطاؤنا. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه جميع ما أعطي، ﴿فَأَنزَلْنَا أَوْ أَسْرَكْنَا﴾ أي: أعْطِ مَنْ شِئْتَ من المال، وَاَمْنَعْ مَنْ شِئْتَ. والمَنْ: الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه. والثاني: أنه إشارة

(١) أي: ياء بعدي.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢٩/٦، ٤٢٠/٨، ومسلم: ٣٨٤/١، والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣١٣/٥، وزاد نسبه لعبد بن حميد، والنسائي، والحكيم الترمذي في «نوارد الأصول»، وابن مردويه عن أبي هريرة ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وقوله: «تَغْلَتْ عَلَيَّ» أي: تعرَّض لي فلتت، أي: بنته، وقوله: «البارحة» أي: الليلة الخالية الزائلة، قال: والبارح: الزائل، قال: ويقال من بعد الزوال إلى آخر النهار: البارحة، قال: وقوله: «فذكرت دعوة أخي سليمان» أي: قوله: ﴿وَمَنْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ قال: وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ كان يقدر على ذلك، إلا أنه تركه رعاية لسليمان ﷺ، قال: ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريد لا في هذا القدر فقط، قال: واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم، قال: وأما قوله: ﴿إِنَّمَا يَنْتَظِرُ هَوَ وَرَيْطُهُمْ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُمْ﴾ فالمراد: الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم، قال: وتُعْجَبُ بأن نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية، بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مفيد بحال رؤيتهم لنا، قال: ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، قال: ويحتمل العموم، وهو الذي فهمه أكثر العلماء، حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن، أبطلنا شهادته، واستدل بهذه الآية. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: قوله: ﴿قَالَ تَوَيْتُ أَفْتِزُ لِي وَتَبَّ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ يقول تعالى ذكره: قال سليمان راجعاً إلى ربه: رب استر عليّ ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك فلا تعاقبني به ﴿وَتَبَّ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَائِي﴾ لا يسلبني أحد كما سلبني قبل هذه الشيطان. اهـ. وقال ابن كثير: قال بعضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي، كما كان من قضيّة الجسد الذي أُلقي على كرسيه، لا أنه يحجر على مَنْ بعده من الناس، قال: والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكاً لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، قال: وهذا هو ظاهر السياق من الآية، وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: فاستجيبا له دعاءه فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فسخرنا له الريح.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَالْقَيْنِ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَرَّاسٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وسحَرْنَا له الشَّيَاطِينِ فسلَّطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها، يستعملها فيما شاء من أعماله، من بَنَاءٍ وغَوَاصٍّ، فالبُناةُ منها يصنعون محارِبَ وتُمائيلَ، والغَاصَّةُ يستخرجون له الثُّمَلِ من البحار، وآخرون ينتحون له جفائاً وقدرأً، والمردة في الأغلال مَقْرُونُونَ. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله جل جلاله: ﴿وَالْقَيْنِ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَرَّاسٍ﴾ أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محارِبَ وتُمائيلَ وجفائاً كالجواب وقدر وراسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، قال: وطائفة غوامص من البحار يستخرجون ما فيها من اللؤلؤ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها. اهـ.

إلى الشياطين المسحّرين له؛ فالمعنى: فامتنُ على مَنْ شئت بإطلاقه، وأمسيك مَنْ شئت منهم. وقد روي معنى القولين عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿يَتَرَحَّبُ﴾ قال الحسن: لا تبعّة عليك في الدنيا ولا في الآخرة. وقال سعيد بن جبير: ليس عليك حساب يوم القيامة. وقيل: في الكلام تقليد وتأخير، تقديره: هذا عطاؤنا بغير حساب فامتنُ أو أمسيك<sup>(١)</sup>. وما بعد هذا قد سبق تفسيره [سبا: ٣٧، الرعد: ٢٩، الأنبياء: ٨٣]<sup>(٢)</sup> إلى قوله: ﴿مَسَى السَّيْلُ﴾ وذلك أن الشيطان سلط عليه، فأضاف ما أصابه إليه.

قوله تعالى: ﴿يُتَسَبَّحُ﴾ قرأ الأكثرون بضم النون وسكون الصاد؛ وقرأ الحسن، وابن أبي عبيدة، وابن السميع، والجاحدي، ويعقوب: بفتحهما. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما سواء. قال الفراء: هما كالرشد والرشد، والعُدْم والعُدْم، والحُزْن والحُزْن؛ وكذلك قال ابن قتيبة، والوجليج. قال المفسرون: والمراد بالنصب: الضُّر الذي أصابه. والثاني: أن التَّسْبِيحَ بتسكين الصاد: الشُّرء وتحريكها: الإعياء؛ قاله أبو عبيدة. وقرأت عائشة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو عمارة عن حفص: «تُسَبَّب» بضم النون والصاد جميعاً. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو الجوزاء، وهبيرة عن حفص: «تُسَبَّب» بفتح النون وسكون الصاد<sup>(٣)</sup>. وفي المراد بالعذاب قولان: أحدهما: أنه العذاب الذي أصاب جسده. والثاني: أنه أخذ ماله وولده.

قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ﴾ أي: اضرب الأرض ﴿بِرِجْلِكَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومنه: رَكَضْتُ الفَرَسَ<sup>(٥)</sup>. فَرَكَضَ فَنَبَعَثَ عَيْنُ ماءٍ، فذلك قوله ﷺ: ﴿هَذَا مَسْئَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾. قال ابن قتيبة: الْمُغْتَسَلُ: الماء، وهو الغسل أيضاً. قال الحسن: رَكَضَ بَرَجْلَهُ فَنَبَعَثَ عَيْنٌ [فاغْتَسَلَ منها، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً، ثم رَكَضَ بَرَجْلَهُ فَنَبَعَثَ عَيْنٌ] فَشَرِبَ منها؛ وعلى هذا جمهور العلماء أنه رَكَضَ رَكَضَتَيْنِ فَنَبَعَثَ له عينان، فاغْتَسَلَ من واحدة، وشرب من الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ يَدَكَ عَنْهَا﴾ كان قد حَلَفَ لئن شفاء الله لَيَجْلِدَنَّ زَوْجَتَهُ مائة جلدَةٍ<sup>(٦)</sup>. وفي سبب هذه اليمين ثلاثة أقوال: أحدها: أن إبليس جلس في طريق زوجه أيوب كأنه طيب، فقالت له: يا عبد الله: إن هاهنا إنساناً مهتلياً، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم، إن شاء شفيته، على أن يقول إذا برأ: أنت شفيتني، فجاءت فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، لله عليّ إن شفاني أن أجلبدك مائة جلدَةٍ، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>. والثاني: أن إبليس لقيها

(١) قال ابن جرير الطبري: أخبر تعالى أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخير له الريح والشياطين قال: ثم قال عز ذكره: هذا الذي أعطيتك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك، عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهب من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك، ثم قال: والله لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿مَكَأَنَّكَ تَكُنُّنَ أَوْ أَتَيْكَ يَتَرَحَّبُ﴾ أي: هذا الذي أعطيتك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا، فأعطى من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك منها فقلت، فهو جازر لك، احكم بما شئت فهو صواب. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لئيبه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَذْكُرْ﴾ أيضاً يا محمد ﷺ: ﴿هَذَا الْوَيْلُ إِذْ تَأْتَاكَ رِيحٌ﴾ مستقيماً به فيما نزل به من البلاء يا رب ﷻ مَسَى السَّيْلُ يَتَسَبَّبُ. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك حديثنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك الضم في النون والسكون في الصاد. اهـ.

(٤) قال القاسمي: أي: استجينا له وقتنا: اركض بركلك، أي: اعد بها وامش قد برئت وشفيت من مرضك وقوي جسمك وضح بذكك ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ مَكَأَنَّكَ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ أي: ماء تغتسل به وتشرب منه، قال: والإشارة إلى عين أو نهر أو نحوهما. وقال الطبري: فاغْتَسَلَ وشرب، ففرجنا عنه ما كان فيه من البلاء، ووهبنا له الله من زوجة وولد ﴿وَنُظِّمَ مَعَهُمْ رَمَقٌ يَنَّا﴾ له ﴿وَرَدَّكَ﴾ يقول: وتذكيراً لأولي العقول ليعتبروا بها فيعتقوا. اهـ.

(٥) في «الصحيح» و«اللسان»: وركضت الفرس برجلي: إذا استعنتت ليعتقوا، ثم كثر حتى قيل: رَكَضَ الفَرَسُ: إذا غدا، وليس بالأصل، والصواب: رَكَضَ الفَرَسُ، على ما لم يُسَمَّ فاعله، فهو مَرَكُوضٌ.

(٦) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَرَدَّ يَدَكَ عَنْهَا فَتَنَّا فَنَبَعَثَ يَدُ وَلَا تَحْتَفَ﴾ وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته - قيل: باغت ضغيرتها بغضراً فأطعمته إياه - فلأمها على ذلك وحلف إن شفاء الله تعالى ليعسرنها مائة جلدَةٍ، وقيل لغير ذلك من الأسباب، فلما شفاء الله ﷻ وعافاه، ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والثبقة والإحسان أن تقابل بالضررب، فأنشأ الله ﷻ أن يأخذ ضغناً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برئت يمينه وخرج من حنّته ذوقه ينلوه، قال: وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وإناب إليه. اهـ.

(٧) ذكره السيوطي في «الدرر» ٣١٦/٥ من رواية أحمد في «الزهدي»، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ.



فقال: إني أنا الذي فعلتُ بأَيُّوبَ ما به، وأنا إله الأرض، وما أخذته منه فهو بيدي، فانطلقني أريك، فمشى بها غير بعيد، ثم سَحَرَ بَصَرَهَا، فأراها وادياً عميقاً فيه أهلها وولدها ومألها، فأنت أَيُّوبَ فأخبرته، فقال: ذاك الشيطان، ويحك كيف رَعَى قَوْلَهُ سَمْعُكَ؟ والله لئن شغاني الله ﷻ لأَجْلِدَنَّكَ مائة، قاله وهب بن منبه. والثالث: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: لِيَذْنُبْ لي هذه وقد بَرَأَ؛ فأخبرته، فَحَلَفَ لِيَجْلِدَنَّهَا، وقد ذكرنا هذا القول في سورة (الأنبياء: ٨٣) عن الحسن. فأما الضُّعْفُ، فقال الفراء: هو كُلُّ ما جمعه من شيءٍ ومثلِ الحُزْمَةِ الرُّطْبَةِ، قال: وما قام على سياق واستطال ثم جمعته، فهو ضِعْفٌ. وقال ابن قتيبة: هو الحُزْمَةُ من الخلال والعيدان. قال الزجاج: هو الحُزْمَةُ من الحشيش والزَّيْحَانِ وما أشبهه. قال المفسرون: جزي الله زوجته بحسن صبرها أن أفناه في ضربها فسَهَّلَ الأمر، فجمع لها مائة عود، وقيل: مائة سنبله، وقيل: كانت أسلاً<sup>(١)</sup>، وقيل: من الإذخير<sup>(٢)</sup>، وقيل: كانت شماريح، فضربها بها ضربة واحدة ولم يَحْنُثْ في يمينه. وهل ذلك خاصٌّ له، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عامٌّ، وبه قال ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، [وابن أبي ليلى]. والثاني: أنه خاصٌّ لأَيُّوبَ، قاله مجاهد.

### فصل

وقد اختلف الفقهاء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة، فقال مالك، والليث بن سعد: لا يبرأ، وبه قال أصحابنا. وقال أبو حنيفة والشافعي: إذا أصابه في الضربة الواحدة كل واحد منها، فقد برأ، واحتجوا بعموم قصة أَيُّوبَ عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِقاً﴾ أي: على البلاء الذي ابتلياه به<sup>(٣)</sup>.

﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (١) إِنَّا اخْتَصَيْنَاهُمْ بِمَالِكَةٍ وَكَرَى النَّارَ (٢) وَلَهُمْ عِنْدَنَا كِنٌ الْمُصْطَفَيْنِ الْآخِيَارِ (٣) وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ (٤) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكْرٍ (٥) جَنَّتٍ عَدْنٍ مِّنْهُنَّ لَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْآيَاتُ (٦) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَتَرَابٍ (٧) وَعِدْنَهُمْ قَصِيرَتِ الطَّرِيقِ أَتْرَابَ (٨) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٩) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ (١٠)

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾ وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحמיד، وابن محيصن، وابن كثير: «عبدنا»، إشارة إلى إبراهيم، وجعلوا إسحاق ويعقوب عطفاً عليه، لأنه الأصل وهما ولداه، والمعنى: أذكر صبرهم، فإبراهيم ألقى في النار، وإسحاق أضجع للذبح<sup>(٤)</sup>، ويعقوب صبر على ذهاب بصره وابتلى بفقد ولده؛ ولم يذكر إسماعيل معهم، لأنه لم يَتَبَلَّى كما ابتلوا<sup>(٥)</sup>. ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾ يعني القوة في الطاعة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين والعلم. قال ابن جرير: وذُكِرَ الأيدي مثل، وذلك لأن باليد البطش، وبالبطش تعرف قوة القوي، فلذلك قيل للقوي: ذو يد؛ وعنى بالبصر: بصر القلب، وبه ثنال معرفة الأشياء. وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وابن أبي عبيدة: «أولي الأيدي» بغير ياء في الحاليين. قال الفراء: ولها وجهان: أحدهما: أن يكون القارئ لهذا أراد الأيدي، فحذف الياء، وهو صواب، مثل الجوار والمناد. والثاني: أن يكون من القوة والتأييد، من قوله: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا اخْتَصَيْنَاهُمْ﴾ أي: اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين، فأفردناهم بمفردة من خصال الخير؛ ثم أبان

- (١) قال في «الصالح»: الأسفل: شجر، ويقال: كل شجر له شوك طويل فتوكله أسفل.
- (٢) قال في «المصباح»: الإذخر، بكسر الهمزة والخاء: نبات معروف ذكي الريح، وإذا جفأ ابيض.
- (٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ سَابِقاً﴾ يقول: إنا وجدنا أَيُّوبَ سَابِقاً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول في معصيته ﴿وَيَمَّ تَتَبَعَهُ رَبُّهُ﴾ يقول: إنه إلى طاعة الله مقبل، وإلى رضا رجا. اهـ.
- (٤) هذا على رأي من قال بأن اللبث هو إسحاق، وبذلك قال المصنف، وقد رجح ذلك الطبري، وقد تقدم أن الصواب في ذلك أن الذبح إسماعيل ﷺ، لا إسحاق، وعليه الجمهور.
- (٥) قال ابن كثير: يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل حياته المرسلين وأتباعه العابدين ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (١) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع، والقوة في العبادة والبصيرة النافذة. اهـ.

عنها بقوله: ﴿ذَكَرَى الدَّارَ﴾. وفي المراد بالدار هاهنا قولان: أحدهما: الآخرة. والثاني: الجنة. وفي الذكرى قولان: أحدهما: أنها من الذِّكْر، فعلى هذا يكون المعنى: أَخْلَصْنَاهُمْ بِذِكْرِ الآخرة، فليس لهم ذِكْر غيرها، قاله مجاهد، وعطاء، والسدي. وكان الفضيل بن عياض رحمه الله عليه يقول: هو الخوف الدائم في القلب. والثاني: أنها التذكير، فالمعنى أنهم يَذْعُرُونَ الناس إلى الآخرة وإلى عبادة الله تعالى، قاله قتادة. وقرأ نافع: «بِخَالِصَةِ ذِكْرِ الدَّارِ»، فأضاف «خالصة» إلى «ذِكْرِ الدَّارِ» قال أبو غلي: تحتل قراءة من نوّن وجهين: أحدهما: أن تكون «ذكرى» بدلاً من «خالصة»، والتقدير: أَخْلَصْنَاهُمْ بِذِكْرِ الدَّارِ، والثاني: أن يكون المعنى: أَخْلَصْنَاهُمْ بِأَنْ يَذْكُرُوا الدَّارَ بالتأنيب للآخرة والزُّهْد في الدنيا. ومن أضاف: فالمعنى: أَخْلَصْنَاهُمْ بِإِخْلَاصِهِمْ ذِكْرَى الدَّارَ بالخوف منها. وقال ابن زيد: أَخْلَصْنَاهُمْ بِأَفْضَلِ مَا فِيهِ الْجَنَّةُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَنَّا لَيْنَ الْمَطْلُوعِينَ﴾ أي: من الذين اتخذهم الله صَفْوَةً فَصَّاهُمْ من الأدناس ﴿الْأَخْيَارِ﴾ الذين اختارهم. ﴿وَأَذْكُرْهُمْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ أي: أذكرهم بفضلهم وصبرهم لِيَسْلُكَ طَرِيقَهُمْ. وَأَنبِئْهُمْ نَبِيَّ، واسمه أعجمي معرب، وقد ذكرناه في [الأنعام: ٨٥]، وشرحنا في سورة [الأنبياء: ٨٥] قصة ذي الكفل، وتكلمنا في [البقرة: ١٢٥] في اسم إسماعيل، وزعم مقاتل أن إسماعيل هذا ليس بابن إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي: شرف وثناء جميل يَذْكُرُونَ به أبداً ﴿وَأَنَّ لِلشَّيْثِينَ لَحَنَ مَنَاقِبَ﴾ أي: حُسْنَ مَرْجِعٍ يرجعون إليه في الآخرة. ثم بيّن ذلك المَرْجِعَ، فقال: ﴿جَنَّتِي عَذْوَى مُنْعَمَةً لِّمَنَ الْأَكْبَرِ﴾<sup>(٢)</sup> قال الفراء: إنما رُفِعَتْ «الأبواب» لأن المعنى: مفتحة لهم أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة، فيقولون: مرتت على رَجُلٍ حَسَنَ الْعَيْنِ، قَبِيحَ الْأَنْفِ، والمعنى: حسنة عينه، قبيح أنفه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلْبَيْتِ مِنْ الْأَوَّلَى﴾<sup>(٣)</sup> [النازعات: ٣٩] والمعنى: مأواه. وقال الزجاج: المعنى: مُفْتَحَةٌ لهم الأبواب منها، فالألف واللام للتعريف، لا للبدل. قال ابن جرير: والفائدة في ذِكْرٍ تفتيح الأبواب، أن الله ﷻ أخبر عنها أن أبوابها تُفْتَحُ لهم بغير فتح سَكَّانها لها بيد، ولكن بالأمر، قال الحسن: هي أبواب تكلم، فتكلم: انفتحت، انغلق.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَ رَبِّكَ أَكْزَبُ﴾ قد مضى بيانه في [الصافات: ٤٨]. قال الزجاج: والأترب: اللواتي أسنأنهنَّ واحدةً وهُنَّ في غاية الشباب والحُسن.

قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا نُوْعِدُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> قرأ أبو عمرو، وابن كثير بالياء. والباقون بالناء.

قوله تعالى: ﴿لِيُؤْزِرَ السَّيِّئَ﴾ اللام بمعنى «في». والثَّغَاد. الانقطاع. قال السدي: كلُّما أَخِذَ مِنْ رِزْقِ الْجَنَّةِ شَيْءٌ، عاد مَثَلُهُ.

﴿هَذَا وَرَبِّكَ لِلطَّيْفِينَ لَنَرَّ مَنَاقِبَ﴾<sup>(٥)</sup> جَهَنَّمَ يَمْلِكُهَا وَلَقَدْ الْهَمَّ<sup>(٦)</sup> هَذَا قَلْبُكَ وَفَوْهُ حَيِّرٌ وَعَصَاقٌ<sup>(٧)</sup> وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْجُحٌ<sup>(٨)</sup> هَذَا فَرَجٌ مُنْعَمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجاً يَوْمَ<sup>(٩)</sup> إِلَهُمْ صَلَوا النَّارَ<sup>(١٠)</sup> قَالُوا بَلْ أَنشَرْنَا لَمْ مَرَجاً بِكُمْ أَنشَرْنَا قَدْ مَشَوْا لَنَا يَكُنُ النَّارُ<sup>(١١)</sup> قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَهُ عَذَابًا عَظِماً فِي النَّارِ<sup>(١٢)</sup> وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِيسَالاً كَمَا نَنْدَرُ مِنَ النَّارِ<sup>(١٣)</sup> أَفَعَذَابُهُمْ سَخِرَ أَمْ رَغَبَتْ عَنْهُمْ<sup>(١٤)</sup> الْأَنْبِيَاءُ<sup>(١٥)</sup> إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَجْمٍ أَقْبَلِ النَّارَ<sup>(١٦)</sup> قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنِّي إِذَا أَتَيْتُكُمْ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَرَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا<sup>(١٧)</sup> الْعَزِيزُ الْقَدِيرُ<sup>(١٨)</sup>

قوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ المعنى: هذا الذي ذكرناه ﴿وَرَبِّكَ لِلطَّيْفِينَ﴾ يعني للكافرين. ﴿لَنَرَّ مَنَاقِبَ﴾<sup>(١٩)</sup>، ثم بيّن ذلك

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتثنية أن يقال: معناه: إنا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ هي ذِكْرُ الدَّارِ الآخرة، فعملوا لها في الدنيا فاعطوا الله وراقبوه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي: هذا الذي ذكرناه من صفة الجنة، هي التي وعدنا لعباده المطيعين الذين يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذكروه بقوله: ﴿هَذَا﴾ الذي وصفت لهؤلاء المتقين، قال: ثم استأنف جل وعز الخبير عن الكافرين به الذين طغوا عليه ويقولوا فقال: ﴿وَرَبِّكَ لِلطَّيْفِينَ﴾ وهم الذين تمردوا على ربهم ففَضُّوا أمره مع إحصائهم إليهم ﴿لَنَرَّ مَنَاقِبَ﴾، يقول: لَشَرَّ مَرْجِعٍ ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا. اهـ.

بقوله: ﴿جَهَنَّمَ﴾ والمِهَاد: الفراش. ﴿هَذَا فَلْيَذوقوه﴾ قال الفراء: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: هذا حميمٌ وعَسَاقٌ فَلْيَذوقوه؛ وإن شئتَ جعلتَ الحميم مستأنفاً، كأنك قلتَ: هذا فَلْيَذوقوه، ثم قلتَ: منه حميمٌ، ومنه عَسَاقٌ، كقول الشاعر:

حَتَّى إِذَا مَا أَضَاءَ الصُّبْحُ فِي غَلَسٍ      وَغَوِيزَ السَّفَلِ مَلُويٍّ وَمَخْضُودٍ<sup>(١)</sup>

فأما الحميم، فهو الماء الحارّ. وأما العَسَاق، ففيه لغتان، قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: بالتشديد، وكذلك في (عم يتساءلون: ٢٥)، تابعهم المفضل في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقرأ الباقر بالتخفيف. وفي العَسَاق أربعة أقوال: أحدها: الزمهرير، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال مجاهد: العَسَاق لا يستطيعون أن يذوقوه من برده. والثاني: أنه ما يجري من صديد أهل النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال عطية، وقتادة، وابن زيد. والثالث: أن العَسَاق: عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ مِنْ حَيٍّ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَسْتَنْقِعُ، فَيُوتِي بِالْأَدَمِيِّ فَيُغَمَسُ فِيهَا غَمَسَةً، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام، وَيَجُرُّ لَحْمَهُ جَرَّ الرَّجُلِ ثَوْبَهُ، قاله كعب. والرابع: أنه ما يسيل من دموعهم، قاله السدي. قال أبو عبدة: العَسَاق: ما سال، يقال: عَسَقَتِ العين والجرح. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن قتيبة قال: لم يكن أبو عبدة [يذهب] إلى أن في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتفاق يقع بين اللغتين، وكان [غيره] يزعم أن العَسَاق: البارد المُنْتِن بلسان الترك. وقيل: فَعَالٌ، من عَسَقَ يَغَسِقُ؛ فعلى هذا يكون عربياً. وقيل في معناه: إنه الشديد البرد، يخرق من برده. وقيل: هو ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ﴾ قرأ أبو عمرو، والمفضل: «وَأَخْرَجَ» بضم الهمزة من غير مدٍّ، فجعما لأجل نعتة بالأزواج، وهي جمع. وقرأ الباقر بفتح الألف ومدّه على التوحيد، واحتجوا بأن العرب تنعت الاسم إذا كان فعلاً بالقليل والكثير؛ قال الفراء: تقول: عذابُ فلانٍ ضروبٌ شتى، وضربان مختلفان؛ وإن شئتَ جعلتَ الأزواج نعتاً للحميم والفَسَاق والآخر، فهنّ ثلاثة، والأشبه أن تجعله صفة لواحد. وقال الزجاج: من قرأ «وَأَخْرَجَ» بالمدِّ، فالمعنى: وعذاب آخر «مِنْ شَكْلِهِ» أي: مثلي الأول. ومن قرأ: «وَأَخْرَجَ»، فالمعنى: وأنواعٌ آخر، لأن قوله: ﴿أَزْوَاجٌ﴾ بمعنى أنواع. وقال ابن قتيبة: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ» أي: مِنْ نَحْوِهِ، «أَزْوَاجٌ» أي: أصناف. وقال ابن جرير: «مِنْ شَكْلِهِ» أي: مِنْ نَحْوِ الْحَمِيمِ. قال ابن مسعود في قوله: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ﴾: هو الزمهرير. وقال الحسن: لما ذكر الله تعالى العذاب الذي يكون في الدنيا، قال: «وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ» أي: وآخر لم ير في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَذَا قَوْلَ الرِّبَّانِيَةِ لِلْقَادَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْكُفْرِ إِذَا جَاؤَهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ. وقيل: بل هو قول الملائكة لأهل النار كلما جاؤهم بأمة بعد أمة<sup>(٤)</sup>. والفوج: الجماعة من الناس، وجمعه: أفواج. والمُتَقَدِّمُ: الدّاخل في الشيء رمياً بنفسه. قال ابن السائب: إنهم يُضْرَبُونَ بِالْمَقَامِعِ، فَيُلْقَوْنَ أَنْفُسَهُمْ فِي النَّارِ وَيَتَّبِعُونَ فِيهَا خَوْفاً مِنْ تِلْكَ الْمَقَامِعِ. فلما قالت الملائكة ذلك لأهل النار، قالوا: ﴿لَا مَرَجَ لِيهِمْ﴾، فأنصل الكلام كأنه قول واحد، وإنما الأول من قول الملائكة، والثاني من قول أهل النار؛ وقد بيّنا مثلاً هذا في قوله: ﴿لِيَعْلَمَ أَتَى لَمْ أَتَهُ بِالْقَبْرِ﴾ [يوسف: ٥٢]. والمَرْحَبُ والرَّحْبُ: السَّعَةُ. والمعنى: لا أَسَعَتْ بِهِمْ مَسَاكِنُهُمْ. قال أبو عبدة: تقول العرب للرجل: لا مَرْحَباً [بك] أي: لا رَحْبَتٌ عَلَيْكَ الْأَرْضُ. وقال ابن قتيبة: معنى قولهم: «مَرْحَباً وَأَهْلَاءُ» أي: آتَيْتَ رُحِيّاً، أي: سَعَةً، وَأَهْلَاءُ، أي: آتَيْتَ

(١) البيت من شواهد الفراء، وهو في (معاني القرآن: ١٩٣)، و(الطبري: ١٧٦/٢٣)، والغلس: ظلام آخر الليل. والملوي: الياض النابل.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، قال: لأن ذلك هو الأغلب من معنى الشقوق، وإن كان للآخر وجه صحيح. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَنْتَ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أن الألف من العذاب، قال: وقال غيره: كالزمهرير والسموم وشراب الحميم وأكل الرُّقُوم والصمود والهوى، إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتفردة، قال: والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: وقوله ﴿هَذَا قَوْلَ الرِّبَّانِيَةِ لِلْقَادَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْكُفْرِ إِذَا جَاؤَهُمْ بِالْأَنْبِيَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا تَكُنْتُمْ أَتَى لَكُمْ أَنْتَ﴾ يعني بدل السلام يتلادون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض.

أَهْلًا لَا غُرَبَاءَ، فائتس ولا تستوحش، وسهلاً، أي: أتيت سهلاً لا حزناً، وهو في مذهب الدعاء، كما تقول: لَقِيتَ خَيْرًا. قال الزجاج: «وَمَرْحَبًا» منصوب بقوله: رَحِبْتَ بِلَاذِكْ مَرْحَبًا، وصادفت مَرْحَبًا، فأدخلت «لا» على ذلك المعنى. قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَأَلُوا النَّارَ﴾ أي: داخلوها كما دخلناها، ومُقاسون حَرِّهَا. فأجابهم القوم، فـ ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ فَلَمْ تَمْنُوا لَنَا﴾. إن قلنا: إن هذا قول الأتباع للرؤساء، فالمعنى: أنتم زُيْتُمْ لنا الكفر؛ [وإن قلنا: إنه قول الأئمة المتأخرة للأئمة المتقدمين، فالمعنى: أنتم شرعتم لنا الكفر] وبدأنتم به قبلنا، فدخلتم النار قبلنا ﴿فَقَسَّ الْأَفْكَارُ﴾ أي: بشس المُسْتَقَرَّ والمنزل. ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ أي: مَنْ سَنَّهُ وشرعه ﴿فَرَدُّهُ هَذَاكَ ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ وقد شرحناه في [الأعراف: ٢٨]. وفي القائلين لهذا قولان: أحدهما: أنه قول جميع أهل النار، قاله ابن السائب. والثاني: قول الأتباع. قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني أهل النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَيْكًا كَمَا نَعُدُّ مِنْ النَّارِ﴾ قال المفسرون: إذا دخلوا النار، نظروا فلم يَرَوْا مَنْ كَانَ يَخْلُفُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فيقولون ذلك. قال مجاهد: يقول أبو جهل في النار: أين صُهِيب، أين عَمَار، أين خَبَاب، أين بلال؟

قوله تعالى: ﴿أَفَقَدْ كُنْتُمْ سِخْرِيًّا﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «مِنْ الْأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ» بالوصل على الخبر؛ أي: [إِنَّا] اتَّخَذْنَاهُمْ، وهؤلاء يبتدون بكسر الهمزة. وقرأ الباقون بقطع الالف وفتحها على معنى الاستفهام، وهؤلاء يبتدون بفتح الهمزة. وقال الفراء: وهذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ، والمعنى أنهم يَؤْيُخُونَ أنفسهم على ما صنعوا بالمؤمنين. و«سِخْرِيًّا» يُقْرَأُ بضم السين وكسرها. وقد شرحناها في آخر سورة [المؤمنين: ١١٠] ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ أي: وهم مَعَنَّا في النار ولا نراهم؟ وقال أبو عبيدة: «أَمْ» هاهنا بمعنى «بَلْ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ قال الزجاج: [أي]: إن الذي وصفناه عنهم لَحَقٌّ. ثم بيّن ما هو، فقال: هو «تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ»<sup>(١)</sup> وقرأ أبو الجوزاء، وأبو الشعثاء، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: «تَخَاصُّمُ» برفع الصاد وفتح الميم، وكسر اللام من «أَهْلِ» وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وأبو المتوكل، وابن السميع: «تَخَاصُّمُ أَهْلِ» بفتح الصاد والميم ورفع اللام.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ<sup>(٣)</sup> مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْآتِكِ إِذْ يَخْصِيصُونَ<sup>(٤)</sup> إِنْ يُؤَيِّنُ إِلَيَّ إِلَّا أَنَا أَنَا تَذِيرٌ تُبِينُ<sup>(٥)</sup> إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَنَرَيْنِ طِينِ<sup>(٦)</sup> فَإِذَا سَوَّيْتُهُم وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ<sup>(٧)</sup> فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا<sup>(٨)</sup> إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ<sup>(٩)</sup> قَالَ إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ<sup>(١٠)</sup> قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينِ<sup>(١١)</sup> قَالَ فَانْهَجْ بَيْنَا فَإِنَّكَ تَرِيعُ<sup>(١٢)</sup> وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ<sup>(١٣)</sup> قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ<sup>(١٤)</sup> قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ<sup>(١٥)</sup> إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ<sup>(١٦)</sup> قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُخَيِّرُهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(١٧)</sup> إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ<sup>(١٨)</sup> قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ<sup>(١٩)</sup> لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَمَحَكُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(٢٠)</sup> قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ<sup>(٢١)</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ<sup>(٢٢)</sup> وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ نَبَأَ بَعْدَ جِبِ<sup>(٢٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> النَّبَأُ: الْخَبَرُ. وفي المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس، ومجاهد، والجمهور. والثاني: أنه البعث بعد الموت، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>، «أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ»<sup>(٤)</sup> أي: لا تتفكرون فيه فتعلمون صِدْقِي فِي بُرْهَانِي، وَأَنْ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الْمَاضِينَ لَمْ أَغْلَمْهُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ. ويدل على هذا المعنى قوله: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْآتِكِ﴾ يعني الملائكة «إِذْ يَخْصِيصُونَ» في شأن آدم حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] والمعنى: إِنِّي مَا عَلِمْتُ هَذَا إِلَّا بِوَحْيٍ، «إِنْ يُؤَيِّنُ إِلَيَّ» أي: ما يوحى إليَّ «إِلَّا أَنَا أَنَا تَذِيرٌ تُبِينُ»

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض، ولعن بعضهم لبعض، لَحَقٌّ لا مرية فيه ولا شك. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتكم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: هذا القرآن خبر عظيم. اهـ.



[أي]: **إِلَّا أَنِّي نَبِيٌّ أُتِيرُكُمْ وَأُبَيِّنُ لَكُمْ مَا تَأْتُونَهُ وَتَجْتَنِبُونَهُ<sup>(١)</sup>**. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ هذا متصل بقوله: «يَخْتَصِمُونَ»، وإنما اعترضت تلك الآية بينهما. قال ابن عباس: اختصموا حين شُوروا في خُلُق آدم، فقال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهذه الخصومة منهم إنما كانت مُناظرةً بينهم. وفي مُناظرتهم قولان: أحدهما: أنه قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنهم قالوا: لَنْ يَخْلُقَ اللهُ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَكْرَمَ مِنْهُ وَأَعْلَمَ، قاله الحسن؛ هذا قول الأكثر من المفسرين. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رَأَيْتُ رَبِّي ﷻ، فقال لي: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ، قال: فِي الْكُفَّارَاتِ وَالدرجات، فَأَمَّا الْكُفَّارَاتِ، فإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ<sup>(٢)</sup>، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. وَأَمَّا الدَّرَجَاتِ، فإِنْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامَ<sup>(٣)</sup>».

قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَكَبَّرْتَ﴾ أي: اسْتَكْبَرْتَ بنفسك حين أَبَيْتَ السُّجُودَ ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي: من قوم يتكبرون فتكبرت عن السُّجُودِ لِكَوْنِكَ من قوم يتكبرون؟<sup>١</sup>  
قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي: مرجومٌ بِالذَّمِّ وَاللُّعْنِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ أَتَيْنَاهُ﴾ وهو وقت النَّفْثَةِ الْأُولَى، وهو حين موت الخلائق. وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَنْفُسُ فِي الْوُجُوهِ﴾ يعني: فَوْعَرَتِكَ. وما أخللنا به في هذه القصة فهو مذكور في [الأعراف: ١٢] و[الحجر: ٣٤] وغيرهما مما تقدم.

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَمَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا الْوَعْدُ﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿فَمَا كَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا الْوَعْدُ﴾ بِتَحْسِينٍ ﴿١﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحى إليّ ربي فعملني ذلك، يقول: فني إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله، وتنزيل من عنده، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعائته، ولكني علمت ذلك بأخبار الله إياي به. اهـ.  
(٢) السَّبَرَاتِ: جمع سَبْرَةٍ يسكنون الباء، وهي الغداة الباردة.

(٣) لهذا الحديث طرق متعددة، وروايات مختلفة ذكرها السيوطي في [الدرر: ٣١٩/٥ - ٣٢٠]، وقد رواه أحمد في [المستدرك: ٢٤٣/٥] مطولاً من حديث عبد الرحمن بن عياش الحضرمي عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل ﷺ قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعاً، فثوب بالصلاة وصلى وتجوّز في صلاته، فلما سلم قال: «كما أنتم على مصالكم»، ثم أتبل إلينا فقال: «إني سأحدثكم ما جئني عنكم الغداة، إني قمت من الليل لفصليت ما قدر لي، فنصت في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي ﷻ في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدري فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: لا أدري يا رب، قال: يا محمد فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: لا أدري يا رب، فرأيت وضع كفه بين كفتي حتى وجدت برد أنامله بين صلدي، فتجلى لي كل شيء، وعرفت، فقال: يا محمد فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قلت: في الكُفَّارَاتِ، قال: وما الكُفَّارَاتُ؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات، وجلس في المساجد بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء عند الكريهات، قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم تفرقت فيهم مفتون، وأسألك حيّك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك» وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فأدرسوها وتعلموها». قال ابن كثير: فهو حديث المنام المشهور، قال: ومن جملة يقطعة، فقد غلط، قال: وهو في [السنن] من طرق، قال: وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال: حسن صحيح، قال: وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن، فإن هذا قد فُسِّرَ، وأما الاختصاص الذي في القرآن، فقد فُسِّرَ بعد هذا، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِ الْأَعْلَى خَلِيفَةٌ لِي يَوْمَ يُنْفَخُ الْوُجُوهُ بِرُؤُوسِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٥]، قال ابن كثير: «فَإِنَّ الْمَلَأَ الْأَعْلَى كَقَوْلِهِمْ أَجْمَعُونَ ﴿١﴾ إِلَّا الْإِسْلَامَ اسْتَكْبَرُوا كَأَنَّهُمْ الْكُفْرَانُ ﴿٢﴾ قَالَ يُبَيِّنُ مَا مَثَلَهُ أَنْ تَسْجُدَ لِي فَقَدْ تَكَبَّرَ...» [الآيات. اهـ.]. وقد شرح هذا الحديث الحافظ ابن رجب الحنبلي في رسالة سماها «اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملا الأعلى» وقال عنه بعد ما ذكره من رواية أحمد في [المستدرك] عن معاذ بن جبل ﷺ: «وخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، قال (يعني الترمذي): وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا؟ فقال: هذا حديث حسن صحيح. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: قلت: وفي إسناده اختلاف، وله طرق متعددة، وفي بعضها زيادة، وفي بعضها نقصان، ثم قال: ففي الحديث دلالة على أن النبي ﷺ لم يكن من عاده تأخير صلاة الصبح إلى قريب طلوع الشمس، وإنما كانت عاداته التغلغل بها، وكان أحياناً يسفر بها عند انتشار الضوء على وجه الأرض، قال: وأما تأخيرها إلى قريب طلوع الشمس، فلم يكن من عاده، قال: ولهذا اعتذر لهم عنه في هذا الحديث، قال: وفي الحديث دلالة على أن من أخر الصلاة إلى آخر الوقت لعذر أو غيره، وخاف خروج الوقت في الصلاة إن طوّلها، أن يخفّفها حتى يدرّكها كلها في الوقت، قال: وفي حديث معاذ دليل على أن من رأى رؤيا تسره فإنه يقبضها على أصحابه وإخوانه المحييين له، ولا سيما إن تضمنت رؤياه بشاراً لهم وتعليةً لما ينفعهم، قال: وقد كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر يقول لأصحابه: «من رأى منكم الليلة رؤيا...»، قال: وفيه أيضاً أن من استقل نومه في نهجده بالليل حتى رأى رؤيا تسره، فإن في ذلك بشرى له، قال: وفيه دلالة على أن الملا الأعلى وهم الملائكة أو المقربون منهم يختصمون فيما بينهم ويتراجعون القول في الأعمال التي تقرب بني آدم إلى الله ﷻ وتكفر بها عنهم خطاياهم... إلى غير ما هنالك من الفوائد، ومن أراد الزيادة، فليرجع إلى رسالته «اختيار الأولى في شرح حديث اختصاص الملا الأعلى» فإنها ثبته في هذا الباب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (١) قرأ عاصم إلا حسنون عن هبيرة، وحمزة، وخلف، وزيد عن يعقوب: «فالحق» بالرفع في الأول ونصب الثاني، وهذا مروى عن ابن عباس، ومجاهد؛ قال ابن عباس في معناه: فأنا الحق وأقول الحق؛ وقال غيره: خبر الحق محذوف، تقديره: الحق مثنى. وقرأ محبوب عن أبي عمرو بالرفع فيهما؛ قال الزجاج: من رفعهما جميعاً، كان المعنى: فأنا الحق والحق أقول. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: بالنصب فيهما. قال الفراء: وهو على معنى قولك: حقاً لا يتنك، ووجود الألف واللام وطرحهما سواء، وهو بمنزلة قولك: حمداً لله. وقال مكّي بن أبي طالب: انتصب الحق الأول على الإغراء، أي: أتبعوا الحق، واسمعوا والزمو الحق. وقيل: هو نصب على القسم، كما تقول: الله لأفعلن، فتنصب حين حذف الجار، لأن تقديره: فبالحق؛ فأما الحق الثاني، فيجوز أن يكون الأول، وكرره تأكيداً، ويجوز أن يكون منصوباً بـ «أقول» كأنه قال: وأقول الحق. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، [والأعمش]: «فالحق» بكسر القاف «والحق» بنصبها. وقرأ أبو عمران [الجوني] بكسر القافين جميعاً. وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو نهيك: «فالحق» بالنصب «والحق» بالرفع.

قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ أي: من نفسك وذريتك. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَئِنْ﴾ أي: على تبليغ الوحي ﴿وَمَا آتَا مِنَ التَّكْوِينِ﴾ أي: لم أنكلف إتيانكم من قبل نفسي، إنما أمرت أن آتيكم، ولم أقل القرآن من تلقاء نفسي، إنما أوحى إليّ<sup>(١)</sup>. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو، يعني القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَلَقَدْ كُفِّرْنَا﴾ يا معاشر الكفار ﴿بِآيَاتِ﴾ أي: خبر صدق القرآن ﴿بَعْدَ جِيْنٍ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بعد الموت. والثاني: يوم القيامة<sup>(٢)</sup>، روى عن ابن عباس، وبالأول يقول قتادة، وبالثاني يقول عكرمة. والثالث: يوم بدر، قاله السدي، ومقاتل. وقال ابن السائب: من بقي إلى أن ظهر أمر رسول الله ﷺ علم ذلك، ومن مات غلبه بعد الموت. وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك.



- (١) قال ابن كثير: ﴿وَمَا آتَا مِنَ التَّكْوِينِ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله تعالى به ولا ابتني زيادة عليه، بل ما أمرت به آتيته، لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما ابتني بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة، قال: قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله ﷻ قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَئِنْ آتَا مِنَ التَّكْوِينِ﴾ (١) قال: أخرجه من حديث الأعمش به. اهـ.
- (٢) قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين، فإن من مات فقد دخل في حكم القيامة، قال: وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُفِّرْنَا بِآيَاتِ جِيْنٍ﴾ (٢) قال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين. اهـ.

## سورة الزمر

### وتسمى سورة الغَرْف

### فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وجابر بن زيد. وروي عن ابن عباس أنه قال: فيها آيتان نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] قوله: ﴿يَعِيبَاوَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الزمر: ٥٣]. وقال مقاتل: فيها من المدني ﴿قُلْ يَعِيبَاوَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]. وفي رواية أخرى عنه قال: فيها آيتان مدينتان ﴿يَعِيبَاوَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الزمر: ٥٣] وقوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال بعض السلف: فيها ثلاث آيات مدينت ﴿قُلْ يَعِيبَاوَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَلَقَ مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٥) قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: الكتاب هاهنا القرآن، ورفع «تنزيل» من وجهين: أحدهما: الابتداء، ويكون الخبر «مِنْ اللَّهِ»، فالمعنى: نزل من عند الله. والثاني: على إضمار: هذا تنزيل الكتاب؛ و«مُخْلِصًا» منصوب على الحال؛ فالمعنى: فاعبد الله موحدًا لا تُشْرِكْ به شيئاً.

قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ يعني: الخالص من الشُّرك، وما سواه ليس بدين الله الذي أمر به؛ [وقيل]: المعنى: لا يستحقُّ الدينَ الخالصَ إلا الله. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة، ويدخل في هؤلاء اليهود حين قالوا: ﴿عِزُّ رَبِّنا أَكْبَرُ﴾ والنصارى لقولهم: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وجميع عُبَاد الأصنام، ويدلُّ عليه قوله بعد ذلك: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤].

قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أي: يقولون ما نعبدهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: لِيُشَفِّعُوا لَنَا إِلَى اللَّهِ. والزُّلْفَى: القُرْبَى، وهو اسم أقيم مقام المصدر، فكانه قال: لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ تَقْرِيبًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين أهل الأديان فيما كانوا يختلفون فيه من أمر الدين. وذُهب قوم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا وجه لذلك. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يُرْشِدُ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ. في قوله: إِنَّ الْآلِهَةَ تَشْفَعُ ﴿كَفَّارٌ﴾ أي: كافر بآخِذًاها آلهة، وهذا إخبار عمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية (٢). ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [أي]: على ما يزعم من ينسب ذلك إلى الله ﴿لَأَصْطَلَقَ﴾ أي: لا اختار ممَّا يخلُق. قال مقاتل: أي: من الملائكة (٣).

(١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وافقوا على حلف الباء من ﴿يَعِيبَاوَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا ما انفرد به أبو العلاء عن رويس من إثباتها وقفًا، فخالف سائر الناس كما مر في المرسوم.

(٢) قال ابن كثير: وقوله ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَلَقَ مَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون، قال: وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، قال: وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال ﴿لَوْ أَرَادَ أَنْ تَنْتَهِىَ فَمَا لَأَتَّخِذْتَهُ مِنْ دُونِنا كَمَا تَقْتَضِي﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الْإِتِّقَاتُ وَكَانَ فَاتًا أَوَّلَ النَّبِيِّينَ﴾ (١) قال: كل هذا من باب الشرط، قال: ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم. اهـ.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ إِلَهُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلُ وَسَحَرَ السَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْعَلُ لَكُم مِّنْهُ مَوَازِينَ﴾ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [أي]: لم يخلقهما لغير شيء. ﴿يَكُونُ إِلَهُ عَلَى النَّهَارِ﴾ قال أبو عبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا. قال ابن قتيبة: وأصل التَّكْوِين: اللَّفْظُ، ومنه كَوُرُ العِمَامَةِ. وقال غيره: التَّكْوِين: طَرْحُ الشيء بعضه على بعض. ﴿وَسَحَرَ السَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلهما للسَّير على ما أراد ﴿كُلَّ يَوْمٍ يَجْعَلُ لَكُم مِّنْهُ مَوَازِينَ﴾ أي: إلى الأجل الذي وقَّت الله للدنيا. وقد شرحنا معنى العزيز في [البقرة: ١٢٩] ومعنى العَفَّار في [طه: ٤٨٢].

﴿خَلَقَ مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنثَمَةِ نَسَبًا أَرْوَاحَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَضُرُّوهُ﴾ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: قَبْلَ خَلْقِكُمْ جعل منها زوجها، لأنَّ حَوَاءَ خُلِقَتْ قَبْلَ الذَّرِيَّةِ، ومثله في الكلام أن تقول: قد أعطيتك اليوم شيئاً، ثُمَّ الذي أعطيتك أمس أكثر؛ هذا اختيار الفراء. وقال غيره: ثم أخبركم أنه خلق منها زوجها ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنثَمَةِ﴾ أي: خَلَقَ ﴿نَسَبًا أَرْوَاحَ﴾، وقد بيَّناها في سورة [الناس: ١٤٣]. ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُفُلاً ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مَضْغًا ثُمَّ عَظْماً ثُمَّ لَحْماً ثُمَّ أَنَبْتَ الشَّعْرَ، إلى غير ذلك من تَقَلُّبِ الأحوال إلى إخراج الأطفال، هذا قول الجمهور. وقال ابن زيد: خَلْقًا فِي الْبُطُونِ مِّن بَعْدِ خَلْقِكُمْ فِي ظَهْرِ آدَمَ.

قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظُلْمَةُ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةُ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةُ الْمَيْمَةِ<sup>(١)</sup>، قاله الجمهور، وابن زيد معهم. وقال أبو عبيدة: إنها ظُلْمَةُ صُلْبِ الْآبِ، وَظُلْمَةُ بَظَنِ الْمَرَاةِ، وَظُلْمَةُ الرَّحِمِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَن تَضُرُّوهُ﴾ أي: من أين تُضُرُّونَ عن طريق الحق بعد هذا البيان؟!

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِبِئَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِنْ رَيْتُمْ مُرْجِعَكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِنَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ أي: عن إيمانكم وعبادتكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِبِئَادِهِ الْكُفْرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يرضاه للمؤمنين، قاله ابن عباس. والثاني: لا يرضاه لأحد وإن وقع بإرادته، وفرق بين الإرادة والرضا، وقد أشرنا إلى هذا في [البقرة: ٢٠٥] عند قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ﴾. ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يرضى ذلك الشكر لكم<sup>(٢)</sup>، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَرَلَهُ نَسَمَةٌ مِّنْهُ نَسِئًا مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْتَادًا لِّعِيسَىٰ عَنِ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: في عتبة بن ربيعة، قاله عطاء. والثاني: في أبي حذيفة بن المغيرة، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. والضَّرُّ: البلاء والشدة. ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعاً إليه من شركه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَرَلَهُ﴾ أي: أعطاه وملَّكه ﴿نَسَمَةً مِّنْهُ﴾ بعد البلاء الذي أصابه، كالصَّحَّة بعد المرض، والغنى بعد الفقر ﴿نَسِئًا﴾ أي: ترك ما كان يدعو إليه، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله تعالى. والثاني: نسي الضر الذي [كان] يدعو [الله] إلى كشفه. والثالث: نسي الله الذي [كان] يتضرع إليه. قال الزجاج: وقد تدلُّ «ما» على الله ﷻ، كقوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا عَبَدُ﴾ ﴿٩﴾ [الكافرون: ٢٣]. وقال الفراء: ترك ما كان يدعو إليه. وقد سبق معنى الانتاد [البقرة: ٢٢] ومعنى ﴿يُحِيلُ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩].

(١) المشيمة وزان كريمة: غشاء ولد الإنسان، وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الوليد: المشيمة والكيس والغلاف.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شُكْرَكُمْ له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكفى عن الشكر ولم يُذَكَّر، وإنما ذُكِرَ الفعل الدال عليه. وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٣] بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً. اهـ.

(٣) ذكر سبب النزول هذا؟ البغوي والخازن بدون سند.



قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَنَّعَ بِكَرِّكَ﴾ لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد، ومثله: ﴿فَنَسْتَعْرِضُكَ فَسَوْفَ تَمْلِكُونَ﴾ [النحل: ٥٥].  
 ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ مَائَةَ أَلْيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوَّلَ الْأَلْبَابِ﴾ (١) قُلْ يَحْيَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢)

قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، وأبو جعفر، والمفضل عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أَمَنْ» بالتخفيف؛ وقرأ الباقون: بالتشديد. فأما المشددة، فمعناها: هذا الذي ذكّرنا خير، أَمَنْ هو قانت؟ والأصل في «أَمَنْ»: أَمُّ مَنْ، فأدغمت الميم في الميم. وأما المخففة، ففي تقديرها ثلاثة أوجه: أحدها: أنها بمعنى النداء. قال الفراء: فسرها الذين قرؤوا بها فقالوا: يا مَنْ هو قانت، وهو وجه حسن، والعرب تدعو بالالف كما تدعو بياء، فيقولون: يا زيد أقبل، و: أُرَيْدُ أقبل، فيكون المعنى: أنه ذكّر الناسي الكافر، ثم قصّ قصة الصالح بالنداء، كما تقول: فلان لا يصوم ولا يصلي، فيا مَنْ يصرم أبشُر. والثاني: أن تقديرها: أَمَنْ هو قانت كمن ليس بقانت؟ والثالث: أَمَنْ هو قانت كمن جعل الله أنداداً؟ وقد ذكرنا معنى القنوت في [البقرة: ١٦٦]. ومعنى «مئة أليال» في [آل عمران: ١١٣].

قوله تعالى: ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ يعني في الصلاة (١). وفيمن نزلت فيه هذه الآية خمسة أقوال: أحدها: أنه أبو بكر الصديق، رواه عطاء عن ابن عباس (٢). والثاني: عثمان بن عفان، قاله ابن عمر (٣). والثالث: عمار بن ياسر، قاله مقاتل (٤). والرابع: ابن مسعود، وعمار، وصهيب، وأبو ذر، قاله ابن السائب (٥). والخامس: أنه رسول الله ﷺ، حكاه يحيى بن سلام (٦).

قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذاب الآخرة. وقد قرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عباس، وعروة، وسعيد بن جبيرة، وأبو رجاء، وأبو عمران: «يَحْذَرُ عَذَابَ الْآخِرَةِ» بزيادة «عذاب». «وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ» فيها قولان: أحدهما: أنها المغفرة، قاله ابن السائب. والثاني: الجنة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ أَنْ مَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ حَقٌّ وَالَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ؟﴾ وباقي الآية قد تقدم في [الرعد: ١٩] (٧)، وكذلك قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قد تقدم في [النحل: ٢٠]. وفي قوله: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ قولان: أحدهما: أنه حثّ لهم على الهجرة من مكّة إلى حيث يأمنون. والثاني: أنها أرض الجنة رغبهم فيها. «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ» الذين صبروا لأجل الله تعالى على ما نالهم «بِغَيْرِ حِسَابٍ» أي: يُعْطَوْنَ عَطَاءً كَثِيرًا أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُحَسَبَ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ، لا على قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.

(١) قال ابن كثير: يقول ﷺ: أَمَنْ هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً؟ لا يستون عند الله، كما قال تعالى: ﴿لَبِسُوا سَوَآتٍ مِنْ أَعْلَى الْكَلْبِ أُنْثَى قَالِمَةً يَكُونُ يَكُونُ اللَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقال تبارك وتعالى هاهنا: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ مَائَةَ أَلْيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ أي: في حال سجوده وفي حال قيامه، ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة، ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون. اهـ.

(٢) الواحدي في «أسباب النزول»، والبغوي في «الضبير» بدون سند.

(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٢٢٣/٥: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساکر عن ابن عمر ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ مَائَةَ أَلْيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾... الآية، قال: ذاك عثمان بن عفان، وفي لفظ: نزلت في عثمان بن عفان. وذكر سبب النزول هذا الواحدي والبغوي والخازن عن ابن عمر بدون سند.

(٤) الواحدي في «أسباب النزول» عن مقاتل بدون سند، وقال السيوطي في «الدرر» ٢٢٣/٥: أخرج ابن سعد في «طبقاته»، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتَ مَائَةَ أَلْيَلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ قال: نزلت في عمار بن ياسر.

(٥) قال السيوطي في «الدرر» ٢٢٣/٥: أخرج جوير عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت هذه الآية في ابن مسعود، وعمار، وسالم مولى خليفة ﷺ. وذكر البغوي عن الكلبي بدون سند أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان. وذكر الألوسي عن مقاتل بدون سند أن المراد بمن هو قانت: عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر.

(٦) ذكره الألوسي عن يحيى بن سلام بدون سند. والآية عامة في كل من اتصف بما تقدم.

(٧) قال ابن كثير: أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل له أنداداً ليضل عن سبيله ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ أَوَّلَ الْأَلْبَابِ﴾ أي: إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل، والله أعلم. اهـ.



قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ قال ابن عباس: سبق في علم الله أنه في النار. فإن قيل: كيف اجتمع في هذه الآية استفهامان بلا جواب؟ قيل: أما الفراء، فإنه يقول: هذا مما يُراد به استفهام واحد، فسبق الاستفهام إلى غير موضعه فردّ إلى موضعه الذي هو له، فيكون المعنى: أفأنت تثقّد من في النار من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب؟ ومثله: ﴿أَيَذَكِّرُ الْكَافِرَ إِذَا يَمُتُ وَكَثُرَ رَبِّاكَ وَعَظَمْنَا أَكْرَهَ مَخْرُجَتِكَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] فردّ «أَنْتُمْ» مرتين، والمعنى: أَيْذَكِّرُكُمْ أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ إِذَا مِتُّمْ؟ ومثله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاكُمْ﴾ ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] فردّ «تَحْسَبَنَّ» مرتين، والمعنى: لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ. وقال الزجاج: يجوز أن يكون في الكلام محذوف، تقديره: أفمن حَقَّ عليه كلمة العذاب فيتخلص منه أو ينجو، أفأنت تنقذه؟ قال المفسرون: أفأنت تخلّصه مما قُدِّرَ له فتجعله مؤمناً؟ والمعنى: ما تقدّر على ذلك. قال عطاء: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَفَوْا﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو جعفر: «لَكِنَّ» بتشديد النون [وفتحها]. قال الزجاج: والغُرْف: هي المنازل الرفيعة في الجنة، «وَمِنْ قَوْفَهَا عَرْقٌ» أي: منازل أرفع منها. «وَعَدَ اللَّهُ» منصوب على المصدر؛ فالمعنى: وعدهم الله غرفاً وعداً. ومن قرأ: «وَعَدَ اللَّهُ» بالرفع؛ فالمعنى: ذلك وَعْدُ اللَّهِ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَبُوعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاءً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال الشعبي: كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ فَمِنْ السَّمَاءِ يَنْزِلُ «سَلَكَهُ يَنَبُوعٌ» قال ابن قتيبة: أي: أدخله فجعله ينابيع، أي: عُيُونًا تَنْبُوعٌ، «ثُمَّ يَهِيجُ» أي: يَنْبَسُ. قال الأصمعي: يقال للنبت إذا تَمَّ جفافه: قد هَاجَ يَهِيجُ هَيْجًا. فأما الحُطَاءُ، فقال أبو عبيدة: هو ما يَبَسَ فَتَحَاتْ مِنَ النَّبَاتِ، ومثله الرُّفَات. قال مقاتل: هذا مَثَلٌ ضُرِبَ لِلدُّنْيَا، بينما ترى النبت أخضر، إذ تَغَيَّرَ فَيَبَسَ ثُمَّ هَلَكَ، وكذلك الدُّنْيَا وزينتها. وقال غيره: هذا البيان للدلالة على قدرة الله ﷻ.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ يَنْزِلُ مِنْ رَبِّهِ قَوْلًا لَيْقِينِي قُلُوبُهُمْ يَنْزِلُ اللَّهُ أَوَّلَ الْيَوْمِ فِي صَلَاتِهِ يَوْمَئِذٍ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ قال الزجاج: جوابه متروك، لأن الكلام دالٌّ عليه، تقديره: أفمن شَرَحَ الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ؟ ويُنْزَلُ على هذا قوله: ﴿قَوْلًا لَيْقِينِي قُلُوبُهُمْ﴾؛ وقد روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقلنا: يا رسول الله وما هذا الشرح؟ فذكر حديثاً قد ذكرناه في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (٣) [الأنعام: ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: اليقين، قاله ابن عباس. والثاني: كتاب الله يأخذ به ويتبهي إليه، قال قتادة. والثالث: البيان، قاله ابن السائب. والرابع: الهدى، قاله مقاتل. وفيمن نزلت هذه الآية؟ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأبي بن خلف، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثاني: في علي وحزمة

(١) في الأصل: الدلالة.

(٢) قال ابن كثير في تمة الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نصرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، قال: والشاب يعود شيخاً هرمًا كبيراً ضعيفاً، وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير، قال: وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعاً وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاً.

(٣) انظر ٤٦٦، والحديث بشامه: روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فقيل له: يا رسول الله، وما هذا الشرح؟ قال: «نور يقدفه الله في القلب فيفتح القلب» قالوا: فهل لذلك من أماره؟ قال: «نعم» قيل: وما هي؟ قال: «الإجابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله». رواه الطبري من طريقين عن عبد الله بن مسعود، وكلاهما ضعيف، وذكره ابن كثير في «التفسير» مرسلًا ومتصلًا، وقال: فهذه طرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضاً، وقد قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه الثعلبي والحاكم والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن مسعود، وفيه أبو فروة الرهاوي، فيه كلام، ثم ذكر أنه رواه الحكيم الترمذي في «نوار الأصيل» وفي سننه رجل ضعيف. اهـ.



وأبي لهب وولده، قاله عطاء. والثالث: في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لَّيْقٌ لِّقُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قد بينّا معنى القساوة في [البقرة: ٧٤]. فإن قيل: كيف يقسو القلب من ذكر الله ﷻ؟ فالجواب: أنه كلما تليّ عليهم ذكر الله الذي يكذبون به، قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عن الإيمان به. وذهب مقاتل في آخرين إلى أن «مِن» هاهنا بمعنى «عَنْ»، قال الفراء: كما تقول: أَتَيْتُ عَنْ طَعَامِ أَكَلْتُهُ، وَمِنْ طَعَامِ أَكَلْتُهُ؛ وإنما قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، لأنهم جعلوه كذباً فأقْسَى قُلُوبُهُمْ؛ ومن قال: قَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْهُ، أراد: أَعْرَضَتْ عَنْهُ. [وقد] قرأ أبي بن كعب، وابن أبي عبيدة، وأبو عمران: «قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» مكان قوله: «مِن».

﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا تُتْلَاهُ ثَلَاثًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ زَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن؛ وقد ذكرنا سبب نزولها في أول (يوسف)<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُّتَنَبِّهًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن بَعْضَهُ يُشَبِّهُ بَعْضًا فِي الْآيِ وَالْحُرُوفِ، فالآية تشبه الآية، والكلمة تشبه الكلمة، والحَرْفُ يُشَبِّهُ الْحَرْفَ. والثاني: أن بَعْضَهُ يَصْدُقُ بَعْضًا، فليس فيه اختلاف ولا تناقض. وإنما قيل له: «مُتَنَبِّهًا» لأنه كُرِّرَتْ فِيهِ الْقَصَصُ وَالْفَرَائِضُ وَالْحُدُودُ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ. فإن قيل: ما الحكمة في تكرار القصص، والرواية قد كانت تكفي؟ فالجواب: أن وفود العرب كانت تَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقْرَهُنَّ الْمُسْلِمُونَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ كَافِيًا لَهُمْ، وَكَانَ يَتَّحَى إِلَى الْقِبَالِ الْمَضْرُوقَةُ بِالسُّورِ الْمُخْتَلَفَةِ، فَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْأَنْبَاءُ وَالْقَصَصُ مَثَنَاءً مَكْرُورَةً، لَوَقَعَتْ قِصَّةُ مُوسَى إِلَى قَوْمٍ، وَقِصَّةُ عِيسَى إِلَى قَوْمٍ، وَقِصَّةُ نُوحٍ إِلَى قَوْمٍ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُشِيرَ هَذِهِ الْقَصَصُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَيُلْقِيَهَا إِلَى كُلِّ سَمْعٍ. فأمّا فائدة تكرار الكلام من جنس واحد، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْمَكَّةَ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وقوله: ﴿لَا أَقْبُدُ مَا فَتَّيْتُكُمْ﴾ [الكافرون]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَكَ قَائِلٌ﴾ [النبي: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا يَوْمَ الْآزِلِ﴾ [الانشقاق: ١٧، ١٨] فنسذكرها في سورة (الرحمن) ﷻ.

قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: تَأْخُذُهُمْ قَشَعِرِيَّةٌ، وَهُوَ تَغْيِيرُ حَدَثٍ فِي جِلْدِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْوَجَلِ. وروى العباس بن عبد المطلب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، تَحَاثَّتْ قُلُوبُهُ كَمَا يَتَحَاثُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا»<sup>(٣)</sup>. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: تَقْشَعِرُّ مِنْ وَعِيدِهِ، وَتَلِينُ عِنْدَ وَعْدِهِ، قَالَهُ السَّيِّدِي. والثاني: تَقْشَعِرُّ مِنَ الْخَوْفِ، وَتَلِينُ مِنَ الرَّجَاءِ. والثالث: تَقْشَعِرُّ الْجُلُودُ لِإِعْظَامِهِ، وَتَلِينُ عِنْدَ تَلَاوَتِهِ، ذَكَرَهُمَا الْمَاورِدِي. وقال بعض أهل المعاني: مفعول الذِّكْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ محذوف، لأنه معلوم؛ والمعنى: تَطْمَتُّ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ الْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ. قال قتادة: هَذَا نَعَتْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، تَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ [وَتَلِينُ قُلُوبُهُمْ]، وَلَمْ يَنْتَعِمُوا بِذَهَابِ عُقُولِهِمْ وَالْغَشْيَانِ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذَا فِي أَهْلِ الْبَدْعِ، وَهَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ. وَقَدْ رَوَى أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عَمْرٍو بِرَجُلٍ سَاقِطٍ مِنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ يُصِيبُهُ هَذَا، قَالَ: إِنَّا لَنَخْشَى اللَّهَ ﷻ، وَمَا نَسْقُطُ. وَقَالَ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: جِئْتُ أَبِي، فَقَالَ لِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: وَجَدْتُ قَوْمًا، مَا رَأَيْتُ خَيْرًا مِنْهُمْ قَطُّ، يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ فَيُرْعَدُ وَاحِدُهُمْ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﷻ، فَقَعْدَتْ مَعَهُمْ، فَقَالَ: لَا تَقْعُدْ مَعَهُمْ بَعْدَهَا [أَبْدًا]، قَالَ: فَأَرَانِي كَأَنِّي لَمْ يَأْخُذْ ذَلِكَ مِنِّي، فَقَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو الْقُرْآنَ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَتْلَوَانِ الْقُرْآنَ فَلَا يُصِيبُهُمَا هَذَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أَفَتَرَى أَنَّهُمْ أَخْشَى اللَّهَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: فَرَأَيْتَ ذَلِكَ كَذَلِكَ. وَقَالَ عِكْرَمَةُ: سَمِعْتُ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ: هَلْ كَانَ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْهُمْ كَانُوا

(١) ذكر سبب النزول هذا الخازن بدون سند، والله أعلم. (٢) انظر ٦٧٩.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٢٦/٥ من رواية الحكيم الترمذي في «نوازل الأصول» عن العباس بن عبد المطلب ﷺ، وقد ذكره في «الجامع الصغير» أيضاً من رواية يسموه في «فوائده»، والطبراني في «الكبير»، قال الحافظ المنائي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: وكلنا رواه البزار والبيهقي في «الشعب» عن العباس بن عبد المطلب، قال: قال المنطري والعراف: سنده ضعيف، قال: وبينه البيهقي فقال: فيه أم كلثوم بنت العباس ﷺ، لم أعرّفها، وبقي رجاله ثقات.



يبيكون. وقال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجَدَّتِي أسماء بنت أبي بكر، كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تعالى، تَذْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتَقْشَعُرُ جُلُودُهُمْ. فقلت لها: إِنَّ نَاسًا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن، خَرُّ أَحَدُهُمْ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وكان جَوَابُ يُرْعَدُ عند الذِّكْرِ، فقال له إبراهيم النخعي: إن كنت تملكه، فما أبالي أن لا اعتد بك، وإن كنت لا تملكه، فقد خالفت مَنْ كان قبلك<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله مقاتل. والثاني: أنه ما يُنْزَلُ بالمؤمنين عند تلاوة القرآن من اقشعرار الجلود عند الوعيد، ولينها عند الوعد، قاله ابن الأنباري.

﴿أَمَّنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوَاءٌ أَلْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّخَذَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْفَزْزَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِجَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوَاءٌ أَلْعَذَابُ﴾ أي: شِدَّتُهُ. قال الزجاج: جوابه محذوف، تقديره: كَمْ يَدْخُلُ الجنة؟ وجاء في التفسير أن الكافر يُلْقَى في النار مغلولاً، ولا يتهيأ له أن يتقيها إلا بوجهه. ثم أخبر عما يقول الخزنة للكفار بقوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاء كسبكم.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل كفار مكة ﴿فَاتَّخَذَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: وهم آمنون غافلون عن العذاب، ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْفَزْزَ﴾ يعني الهوان والعذاب، ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ولكنهم لا يعلمون ذلك. ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: وَصَفْنَا لَهُمْ ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل شبه يشبه أحوالهم.

قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ قال الزجاج: «عربياً» منصوب على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه، فذكر «قرآنًا» تأكيداً، كما تقول: جاءني زيد رجلاً صالحاً، وجاءني عمرو إنساناً عاقلاً، فذكر رجلاً وإنساناً تأكيداً.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِي عِجَجٍ﴾ روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: غير مخلوق. وقال غيره: مستقيم غير مختلف<sup>(٢)</sup>.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ذِيكُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاوِرُونَ وَذِيكُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّكَ مِثْلُ ولِيِّهِمْ مُنْذَرٌ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ثم بيَّنه فقال: ﴿ذِيكُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاوِرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مختلفون، يَتَنَازَعُونَ وَيَتَشَاوِرُونَ فِيهِ، يقال: رجلٌ شَكِسَ. وقال البيهقي: الشُّكْسُ من الرجال: الضُّيْقُ الخُلُق. قال المفسرون: وهذا مثل

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ يَلْبِثُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، الهميم العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ثُمَّ يَلْبِثُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمة ولطفه، فهم يخافون لغيرهم من الفجار من وجوه. أحدها: أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك نغمت الآيات من أصوات القينات. والثاني: أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سُجُودًا وَكَبُّوا بِأَدْبٍ وَخَشْيَةٍ وَرَجَاءٍ وَحُبِّهِ وَفَهِمُوا وَعَلِمُوا، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرُفِعَ صَوْتُهُمْ لَمْ يَلْبِثُوا عَلَيْهِمْ بَلْ يَذْكُرُونَهُمْ أَنَّهُمْ أَنِيبٌ رَاكِعُونَ﴾ وَإِنَّمَا يَذْكُرُونَهُمْ أَنَّهُمْ أَنِيبٌ رَاكِعُونَ ﴿٢٨﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَكُنْ عَنْدهمْ تَفَوُّهُ وَتَفَوُّهُ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَلَيْكَ إِذَا نَادَوْا بِمَا كُنْتَ تَرْفَعُ يَوْمَ نَدْعُوكَ عَلَيْهَا فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا دُخِلَ عَلَيْهِمْ خِلَعٌ فَضَالَتْ عَنْهُمْ آيَاتُهُمْ يَخِصِّمُونَ فِيهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لآمين عنها، بل مضغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها، فلها إنما يعملون بها ويسجدون خاشعين عن بصيرة، لا عن جهل ومتابعة لغيرهم. والثالث: أنهم يلزمون الأدب عند سماعها، كما كان الصحابة ﷺ عند سماعهم كلام الله تعالى، من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلبث مع قلوبهم إلى ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلمون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي: هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا كس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، قال: وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد. اهـ.

ضربه الله للمؤمن والكافر، فإن الكافر يعبدُ آلهةً شتى، فمثله بعيد يملكه جماعة يتنافسون في خدمته، ولا يقدر أن يبلغ رضاهم أجمعين؛ والمؤمن يعبدُ الله وحده، فمثله بعيد لرجل واحد، قد عِلِمَ مقاصده وعَرِفَ الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاكس الخلطاء فيه، فذلك قوله: «سَلَامًا لِرَجُلٍ» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو إلا عبد الوارث في غير رواية القَزَّاز، وأبان عن عاصم: «ورجلاً سالماً» بآلف وكسر اللام وبالنصب والتنوين فيهما؛ والمعنى: ورجلاً خالصاً لرجلٍ قد سلِمَ له من غير مُنازع. ورواه عبد الوارث إلا القَزَّاز كذلك، إلا أنه رفع الاسمين، فقال: «ورجُلٌ سَالِمٌ لِرَجُلٍ» وقرأ ابن أبي عبة: «سَلِمٌ لِرَجُلٍ» بكسر السين ورفع الميم. وقرأ الباقر: «ورجلاً سَلَمًا» يفتح السين واللام [وبالنصب] فيهما والتنوين. والسَلَم، يفتح السين واللام، معناه الصُّلح، والسَلَم، بكسر السين مثله. قال الزجاج: من قرأ: «سَلَمًا» وسَلَمًا» فهما مصدران وُصِفَ بهما، فالمعنى: ورجلاً ذا سَلَمٍ لرجلٍ، فالمعنى: ذا سَلَمٍ؛ والسَلَم: الصُّلح، والسَلَم، بكسر السين مثله. وقال ابن قتيبة: [من قرأ]: «سَلَمًا لِرَجُلٍ» أراد: سَلِمَ إليه فهو سَلِمٌ له. وقال أبو عبيدة: السَلَم والسَلَم الصُّلح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا يستويان، لأن الخالص لمالكٍ واحدٍ يَسْتَحِقُّ من معرفته وإحسانه ما لا يستحقُّه صاحب الشركاء المتشاكسين. وقيل: لا يستويان في باب الرّاحة، لأن هذا قد عرف الطريق إلى رضا ماله، وذاك متحير بين الشركاء. قال ثعلب: وإنما قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ولم يَقُلْ: مَثَلَيْنِ، لأنهما جميعاً ضَرِبَا مَثَلًا واحداً، ومثله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ مَرْيَمَ وَآلِهَا مَاءً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ولم يَقُلْ: آيتين، لأن شأنهما واحد. وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿أَلَمْ نَدِّ لَهُ﴾ أي: له الحمد دون غيره من المعبودين ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والمراد بالأكثر الكل. ثم أخبر نبيه بما بعد هذا الكلام أنه يموت، وأن الذين يكذبونه يموتون، وأنهم يجتمعون للخصومة عند الله ﷻ، المُحِقُّ والمُبْطِلُ، والمظلوم والظالم. وقال ابن عمر: نزلت هذه الآية وما ندري ما تفسيرها، وما نرى أنها نزلت إلا فينا وفي أهل الكتابين، حتى قُتِلَ عثمان، فعرُفَتْ أنها فينا نزلت. وفي لفظ آخر: حتى وقعت الفتنة بين علي ومعاوية<sup>(٢)</sup>.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ لَمْ يَأْتِ بِشَاهِدَةٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾ يُكْفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بأن دعا له ولداً وشريكاً ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ﴾ وهو التوحيد والقرآن ﴿الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: مقامٌ للنجاحدين؟! وهذا استفهام بمعنى التقرير، يعني: إنه كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه رسول الله ﷺ، قاله علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد. ثم في الصِّدْق الذي جاء به قولان: أحدهما: أنه «لا إله إلا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال [سعيد] بن جبیر. والثاني: [أنه] القرآن، قاله قتادة. [وفي الذي صَدَّقَ به ثلاثة أقوال. أحدها: أنه رسول الله ﷺ أيضاً، هو جاء بالصدق، وهو صدق به، قاله ابن عباس، والشعبي. والثاني: أنه أبو بكر، قاله علي بن

(١) في «فتح الباري» ٤٢٢/٨: وعن أبي عبيدة: «ورجلاً سالماً»، الرجل سالم وسَلِمَ واحد، وهو من الصلح. فعلى هذا التفسير، السَلَم: مصدر أريد به اسم الفاعل.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّكَ بِرَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ جَدِيدٌ﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصِّدْق ﷺ عند موت الرسول ﷺ حتى تحقّق الناس موته مع قوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَكُنَّ نَجَاتٌ أَوْ كُذِّلَ أَنْتَقَبَكُمْ عَلَى أَفْقَانٍ﴾ وَمَنْ يَغْلِبْ عَلَى عَيْنِهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَكُونُ اللَّهُ الْكَافِرَ ﴿٣٢﴾ قال: ومعنى هذه الآية: إنكم ستفلقون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله ﷻ فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذّبين، قال: ثم إن هذه الآية وإن كان سياها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة. اهـ.

أبي طالب. والثالث: أنهم المؤمنون، قاله قتادة، والضحاك، وابن زيد. والقول الثاني: [أن] الذي جاء بالصدق: أهل القرآن، وهو الصدق الذي يُجيئون به يوم القيامة، وقد أدوا حقه، فهم الذين صدقوا به قاله مجاهد. والثالث: أن الذي جاء بالصدق الأنبياء، قاله الربيع، فعلى هذا، يكون الذي صدق به: المؤمنون. والرابع: أن الذي جاء بالصدق: جبريل، وصدق به: محمد، قاله السدي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: الذين اتقوا الشرك<sup>(٢)</sup>؛ وإنما قيل: «هم»، لأن معنى «الذي» معنى الجمع، كذلك قال اللغويون، وأنشد أبو عبيدة، والزجاج:

فَلَمَّا السَّيِّئُ حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ، كُلُّ الْقَوْمِ، يَا أُمَّ خَالِدٍ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ المعنى: أعطاهم ما شاؤوا ليكفر عنهم ﴿أَسْوَاَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، أي: ليستر ذلك بالمغفرة ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ بمحاسن أعمالهم، لا بمساوئها.

﴿الَّذِينَ يَكْفِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَيُجْزِيهِمْ وَهُوَ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ﴾ الآية<sup>(٤)</sup>. والمراد بعبد هاهنا: محمد ﷺ. وقرأ حمزة، والكسائي: «عِبَادَةُ» على الجمع، وهم الأنبياء، لأن الأمم قصدتهم بالسوء؛ فالمعنى أنه كما كفى الأنبياء قبلك، يكفيك. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبو عمران الجوني: «يكافي» مثبته الياء «عَبْدُو» بكسر الدال والهاء من غير ألف. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، والشعبي مثله، إلا أنهم أثبتوا الألف في «عِبَادُو». وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش: «يكافي» بالتنوين، «عِبَادَةُ» على الجمع. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء العطاردي: «يكافي» بياء مرفوعة قبل الكاف وياء ساكنة بعد الفاء «عِبَادَةُ» على الجمع. ﴿وَيُجْزِيهِمْ﴾ أي: بالذين يعبدون من دونه، وهم الأصنام. ثم أعلم بما بعد هذا أن الإضلال والهداية إليه تعالى، وأنه منتقم ممن عصاه. ثم أخبر أنهم مع عبادتهم، يؤثرون أنه الخالق. ثم أمر أن يُحتج عليهم بأن ما يعبدون لا يملك كشف ضر ولا جلب خير. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «كاشفات ضره» و«ممسكات رحمته» منوئاً. والباقون: «كاشفات ضره» و«ممسكات

رحمته» على الإضافة.

﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى أَعْمَالِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من يأتيه عذاب يُخزيه ويحل عليه عذاب مُقيم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنِ افْتَكَرَ وَلَنْفَسِيهِ وَمَنْ سَلَ قَائِمًا يُضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَلَى أَعْمَالِكُمْ﴾ ذكر بعض المفسرين أنها والآية التي تليها نُسخَت بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لجميع الخلق ﴿وَالْحَقِّ﴾ ليس فيه باطل. وتام الآية مفسر في آخر [يونس: ٤١٠٨]، وذكروا أنه منسوخ بآية السيف.

(١) قال ابن جرير الطبري: والضراب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ وَبَدَّلَ بِهَا الْبِرَّ﴾ كل من دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله، والعمل بما اتبع به رسوله ﷺ من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنًا من كان من نبي الله وأتباعه. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وإداء فرائضه واجتناب معاصيه فخاف عقابه. اهـ.

(٣) البيت للأشهب بن ربيعة، وهو في «الكتاب» ٩٦/١، و«مجاز القرآن» ١٩٠/٢، و«مشكل القرآن» ٢٨١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: فلج.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٣٢٨/٥: أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفرن عن شتم أهلكنا أو لنامرئها لتخبلنك، فنزلت: ﴿وَيُجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾.

(٥) البيت للأشهب بن ربيعة، وهو في «الكتاب» ٩٦/١، و«مجاز القرآن» ١٩٠/٢، و«مشكل القرآن» ٢٨١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: فلج.

(٦) قال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٣٢٨/٥: أخرج عبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة قال: قال لي رجل: قالوا للنبي ﷺ: لتكفرن عن شتم أهلكنا أو لنامرئها لتخبلنك، فنزلت: ﴿وَيُجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾.



﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهِا وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَوْتِهِا فِيمَسِكُ إِلَهِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَةَ إِلَهَ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَّيَقْوَرٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١)

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهِا﴾ أي: يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ حِينَ مَوْتِ أَجْسَادِهَا ﴿وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ﴾ أي: ويتوَكَّلُ التي لَمْ تَمُتْ ﴿فِي مَوْتِهِا﴾. ﴿فِيمَسِكُ﴾ أي: عن الجسد [والنفس] ﴿إِلَهِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ وقرا حمزة، والكسائي: ﴿قَضَىٰ﴾ بضم القاف وفتح الباء، «الموت» بالرفع. ﴿وَيُرْسِلُ الْآخِرَةَ﴾ إلى الجسد ﴿إِلَهَ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء العُمُر ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَّيَقْوَرٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في أمر البعث<sup>(١)</sup>. وروى [سعيد] بن جبيرة عن ابن عباس قال: تلقي أرواح الأحياء وأرواح الأموات في المنام، فيتعارفون ويتساءلون، ثم تُرَدُّ أرواح الأحياء إلى أجسادها، فلا يخطأ بشيء منها، فذلك قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَكُنْ لَّيَقْوَرٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقال ابن عباس في رواية أخرى: في ابن آدم نفس وروح، فبالنفس العقل والتمييز، وبالروح النفس والتحريك، فإذا نام العبد، قَبَضَ اللَّهُ نَفْسَهُ ولم يَقْبِضْ روحه. وقال ابن جريج: في الإنسان روح ونفس، بينهما حاجز، فهو تعالى يَقْبِضُ النَّفْسَ عند النوم ثم يَرُدُّهَا إلى الجسد عند الانتباه، فإذا أراد إماتة العبد في نومه، لم يَرُدِّ النَّفْسَ وَقَبِضَ الرُّوحَ. وقد اختلف العلماء، هل بين النفس والروح فرق؟ على قولين قد ذكرتهما في «الوجوه والنظائر»، وزدث هذه الآية شرحاً في باب التوقي في كتاب «النظائر». وذهب بعض العلماء إلى أن التوقي المذكور في حق التائم هو نومه، وهذا اختيار الفراء وابن الأنباري؛ فعلى هذا، يكون معنى توقي التائم: قبض نفسه عن التصرف، وإرسالها؛ إطلاقها باليقظة للتصرف.

﴿أَرِ أَخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَقُولُونَ﴾ (١٢) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَمْ يَمَلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٣)

قوله تعالى: ﴿أَرِ أَخْذُوا﴾ يعني كُفَّار مَكَّةَ. وفي المراد بالشُّفَعَاءِ قولان: أحدهما: أنها الأصنام، زعموا أنها تشفع لهم في حاجاتهم، قاله الأكثرون. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. ﴿قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾ من الشفاعة ﴿وَلَا يَقُولُونَ﴾ أنكم تعبدونهم؟ وجواب هذا الاستفهام محذوف، تقديره: أولئك كانوا بهذه الصفة تتخذونهم؟ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً﴾ أي: لا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٤) قُلْ أَلَيْسَ بِاللَّهِ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيْهِ الْقَسَبُ وَالشَّهَادَةُ أَنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ يَكُونُ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّمَا لَمْ يَسْتَأْذِنُوا مَا كَسَبُوا وَسَاءَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: انقبضت عن التوحيد، قاله ابن عباس، ومجاهد. والثاني: استكبرت، قاله قتادة. والثالث: تفرت، قاله أبو عبيدة، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون. وما بعد هذا قد تقدم تفسيره [الأنعام: ١٤، ٧٣، البقرة: ١٧٣، الرعد: ١٨] إلى قوله: ﴿وَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾. قال السدي: ظنوا أن أعمالهم حسنة، فبدت لهم سيئات. وقال غيره: عملوا أعمالاً ظنوا أنها تنفعهم، فلم تنفع مع شركهم. قال مقاتل: ظهر لهم حين بُعِثُوا ما لم يحتسبوا أنه نازل بهم؛ فهذا القول يحتمل وجهين: أحدهما: أنهم كانوا يرجون القرب من الله بعبادة الأصنام، فلما عُوقِبُوا عليها، بدا لهم ما لم يكونوا يَحْتَسِبُونَ. والثاني: أن البعث والجزاء لم يكن في حسابهم.

(١) قال ابن كثير: قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَلْهَىٰ إِلَهٌ بَنِيكُمْ وَلَهُمْ مَا جَنَّتْهُمُ بِأَنفُسِهِمْ يَوْمَ يَقْبِضُهُمْ إِلَهٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَهُ رَبِّكُمْ ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ كَيْفَ تَقُولُونَ﴾ (١٥) وَمَنْ أَتَاوَرَقَهُ يَسْأَلُهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ لَكُمْ الْمَوْتُ تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْهِ وَكَمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى، قال: وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْإِنْسَانُ حِينَ مَوْتِهِا وَالَّذِي لَمْ يَمُتْ فِي مَوْتِهِا فِيمَسِكُ إِلَهِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَةَ إِلَهَ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. اهـ.



وروي عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت وقال: أخشى هذه الآية أن يبدو لي ما لا أحسب.

قوله تعالى: ﴿وَسَاقٍ بِهِمْ﴾ أي: نزل بهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ما كانوا يَتَكَبَّرُونَ ويكذبون به.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَاكُمْ إِذَا حَوَّلَهُ مُنْقَذَةٌ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أَنُؤْتِيهِ عَلَىٰ عِلْمٍ مِّن لَّيٍّ فَنُشَاءُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨)   
 قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُجِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُجْعِنِينَ ﴿١٠﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَاكُمْ﴾ قال مقاتل: هو أبو حذيفة بن المغيرة، وقد سبق في هذه السورة نظيرها (الزمر: ٨). وإنما كتني عن النعمة بقوله: ﴿أُؤْتِيهِ﴾، لأن المراد بالنعمة: الإنعام. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عندي، أي: على خير عِلْمِهِ الله عندي. وقيل: على علم من الله بأنني له أهل، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هِيَ﴾ يعني النعمة التي أنعم [الله] عليه بها ﴿فَنُشَاءُ﴾ أي: بلوى يُقَالُ بها العبد لِشُكْرٍ أو كُفْرٍ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أن ذلك استدراج لهم وامتحان. وقيل: بل هي أي: المقالة التي قالها «فتنة». ﴿قَدْ قَالُوا﴾ يعني تلك الكلمة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا أُؤْتِيهِ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الأمم الماضية، قاله السدي. والثاني: قارون، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ أي: ما دفع عنهم العذاب ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: من الكفر. والثاني: من عبادة الأصنام. والثالث: من الأموال. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: جزاء سيئاتهم، وهو العذاب. ثم أورد كُفَّارَ مَكَّةَ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُجِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُجْعِنِينَ﴾ أي: إنهم لا يُعْجِزُونَ الله ولا يُفوتونه. قال مقاتل: ثم وعظهم لِيَعْلَمُوا وحدانيته حين مُطِرُوا بعد سبع سنين، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في بسط الرزق وتقديره ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿قُلْ يَكِيدَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢)   
 وَيُنِيرُوا لِكُلِّ نَبِيٍّ نَبِيَّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْكَذَٰبُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِمَّا شِئْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْكَذَٰبُ بَعَثْنَا نَارًا وَلَا تَنْصُرُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكِيدَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن ناساً من المشركين كانوا قد قَتَلُوا فَاكْتَرُوا، وَزَنُوا فَاكْتَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا: إِنَّ الذي تدعو إليه لَحَسَنٌ، لو نُخْرِجُنَا أَنْ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في عِيَّاش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونَفَرٍ من المسلمين كانوا قد أسلموا، ثم عَذَّبُوا فافْتَنُوا، فكان أصحاب رسول الله يقولون: لا يَقْبَلُ الله من هؤلاء صَرْفًا ولا عَذْلًا، قوم تركوا دينهم بعذاب عَذْبِهِ! فنزلت هذه الآية، فكتبها عمر إلى عِيَّاش والوليد وأولئك النَّفَرِ، فأسلموا وهاجروا؛ وهذا قول ابن عمر<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في وحشي؛ وهذا القول ذكرناه مَشْرُوحاً في آخر [الفرقان: ٦٨] عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قالوا: يزعم محمد أَنَّ مَنْ عَبَدَ الْأَوْثَانَ وَقَتَلَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله لم يُغْفَرْ لَهُ، فكيف نُهَاجِرُ ونُسَلِّمُ وقد فَعَلْنَا ذَٰلِكَ؟! فنزلت هذه الآية؛ وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(٤)</sup>. ومعنى «أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ» ارتكبوا الكبائر. والقنوط بمعنى اليأس<sup>(٥)</sup>. ﴿وَيُنِيرُوا﴾ بمعنى ارجعوا إلى الله من الشُّرْكِ والذُّنُوبِ،

(١) رواه البخاري ٤٢٢/٨ من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، و«الطبري» ٤١/١٩، وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذلك رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١، ورواه البخاري أيضاً ٣٨٠/٨ في سورة الفرقان مختصراً. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٧٧/٥، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٥/٢٤، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب بدون سند.

(٣) قال السيوطي في «الدر» ٣٣٠/٥: أخرج الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند فيه لين عن ابن عباس... الخ.

(٤) «الطبري» ١٤/٢٤، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١١ عن ابن عباس بدون سند، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٣١/٥، وزاد نسبته لابن مردويه عن ابن عباس.

(٥) قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب =

﴿وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ أي: أخلصوا له التوحيد. و﴿تُنْصَرُونَ﴾ بمعنى تُمْنَعُونَ. و﴿وَأَسْلِمُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ قد بيّناه في قوله: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسِنًا﴾ [الأعراف: ١٤٥].

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ التَّخْلِفِينَ﴾ (٥٦) أو تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أو تَقُولَ بَيْنَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْشِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩)

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ قال المبرد: المعنى: بإدروا قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ، وَحَذَرًا مِنْ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ. وقال الزجاج: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها هذا القول ومعنى ﴿بِحَسْرَةٍ﴾ يا ندامتا ويا حزنا. والنحس: الاحتمام على ما فات. والألف في «يا حسرتا» هي [ياء] المتكلم، والمعنى: يا حسرتي<sup>(١)</sup>، على الإضافة. قال الفراء: والعرب تحوّل الياء إلى الألف في كل كلام معناه الاستغاثة ويخرج على لفظ الدعاء، وربما أدخلت العرب الهاء بعد هذه الألف، فيخفصونها مرّةً، ويرفعونها أخرى. وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو الجوزاء: «يا حسرتي» بكسر التاء، على الإضافة إلى النفس. وقرأ معاذ القارئ، وأبو جعفر: «يا حسرتاي»، بألف بعد التاء وياء مفتوحة. قال الزجاج: وزعم الفراء أنه يجوز «يا حسرتاة» على كذا، بفتح الهاء، و«يا حسرتاه» بالضم والكسر، والنحويون أجمعون لا يجيزون أن تُثَبِّتَ هذه الهاء مع الوصل.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: في طاعة الله تعالى، قاله الحسن. والثاني: في حق الله، قاله سعيد بن جبير. والثالث: في أمر الله، قاله مجاهد، والزجاج. والرابع: في ذُكْر الله، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: في قُرْب الله؛ روي عن الفراء أنه قال: الْجَنْبُ: القُرْب، أي: في قُرْب الله وجواره؛ يقال: فلان يعيش في جَنْب فلان، أي: في قُرْبِهِ وجواره؛ فعلى هذا يكون المعنى: [على] ما فَرَّطْتُ في طلب قُرْب الله تعالى، وهو الجنة. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ التَّخْلِفِينَ﴾ أي: وما كنتُ إِلَّا من المستهزئين بالقرآن وبالمؤمنين في الدنيا. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ أي: أرشدني إلى دينه ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ الشُّرْك؛ فيقال لهذا القائل: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ قال الزجاج: و«بلى» جواب النفي، وليس في الكلام لفظ النفي، غير أن معنى «لو أن الله هداني»: ما هُديتُ، فقليل: «بلى قد جاءتك آياتي». وروى ابن أبي سريج [عن الكسائي]: «جاءتك»، «فكذبت»، «واستكبرت»، و«كنت»، بكسر التاء فيهن، مخاطبةً للنفس. ومعنى «استكبرت»: تكبرت عن الإيمان بها.

﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَوْتٌ لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠) وَيَسْمِعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقُوا (٦١)

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ فزعموا أن له ولداً وشريكاً ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾. وقال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا، وإن شئنا لم نفعل. وباقى الآية قد ذكرناه آنفاً [الزمر: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْمِعُ اللَّهُ الَّذِينَ أَتَقُوا﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بمفاضاتهم». قال الفراء: وهو كما قد تقول: قد تبين أمر القوم وأمورهم، وارتفع الصوت والأصوات، والمعنى واحد. وفيها للمفسرين ثلاثة أقوال. أحدها: بفضائلهم، قاله السدي. والثاني: بأعمالهم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثالث: بفوزهم من النار. قال المبرد: المَفَازة: مَفْعَلَةٌ من الفوز، وإن جُمع فحسن، كتولك: السعادة والسعادات، والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم، أي: بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة.

= منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زيد البحر، قال: ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة، لأن الشرك لا يغير لمن لم يتب منه، وسرد بعض الأحاديث المتعلقة بهذه الآية التي تدل على سعة رحمة الله وفضله، ثم قال: وهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع الذنوب مع التوبة، قال: ولا يقطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب الرحمة واسع، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَسْمَعْ أَنَّهُ اللَّهُ هُوَ يُبَلِّغُ الْكُفَّةَ مِنْ بَابِهِ﴾ وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَسْمَلْ شَوْأَ أَوْ يَتَكَلَّمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَفْزِزِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفْوَكَ كَيْفَا﴾ (٦١). ثم ذكر عدة أحاديث في نفي القنوط، واعتقاد أن الله تعالى غفور رحيم لمن تاب إليه وأتاب.

(١) في الأصل: «يا حسرتا».

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ٦٢ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَخْلُقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مفاتيحها وخزائنها، لأن مالك المفاتيح مالك الخزان، واحدها: إقليد، وجمع على غير واحد، كما قالوا: مذكائر جمع ذكر، ويقال: هو فارسي معرب. [وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد: المفتاح، فارسي معرب]، قال الراجز:

لَمْ يُؤْذِمَا الدِّيكَ بِصَوْتِ تَغْرِيدٍ وَلَمْ تُعَالِجْ غَلَقاً بِأَفْلِيدٍ

والمقليد: لغة في الإقليد، والجمع: مقاليد. وللمفسرين في المقاليد قولان: أحدهما: المفاتيح، قاله ابن عباس. والثاني: الخزان، قاله الضحاك. وقال الزجاج: تفسيره أن كل شيء في السموات والأرض، فهو خالقه وفتح باب. قال المفسرون: مفاتيح السموات: المطر، ومفاتيح الأرض: النبات.

﴿قُلْ أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ٦٣ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَعَبَرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «تأمروني أعبد» مخففة، غير أن نافعاً فتح الباء، ولم يفتحها ابن عامر. وقرأ ابن كثير: «تأمروني» بتشديد النون وفتح الباء، وقرأ الباقون بسكون الباء. وذلك حين دعوه إلى دين آباءه ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ أي: فيما تأمرون.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولقد أوحى إليك لئن أشركت لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، وكذلك أوحى إلى الذين من قبلك. قال أبو عبيدة: ومجازها مجاز الأمرين اللذين يُخَبَّرُ عن أحدهما وَيُكْفَى عن الآخر، قال ابن عباس: هذا أدب من الله تعالى لنبيه ﷺ وتهديد لغيره، لأن الله ﷻ قد عصمه من الشرك. وقال غيره: إنما خاطبه بذلك، ليُعرف من دونه أن الشرك يُحِيطُ الأعمال المتقدمة كلها ولو وقع من نبي. وقرأ أبو عمران، وابن السميع، ويعقوب: «لَتُحِطَنَّ» بالنون، «عَمَلُكَ» بالنصب. ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي: وحّد.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَعَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٦٥

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ سبب نزولها أن رجلاً من أهل الكتاب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم، بلغك أن الله تعالى يَحْمِلُ الخلاق على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>. [وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» نحوه عن ابن مسعود<sup>(٢)</sup>. وقد فسرنا أول هذه الآية في «الإنعام» ٩١] قال ابن عباس: هذه الآية في الكفار، فَمَا مَنْ آمَنَ بأنه على كل شيء قدير، فقد قَدَرَ الله حَقَّ قَدْرِهِ. ثم ذكر عظمته بقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟»<sup>(٣)</sup>؛ وأخرجنا من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ ﷻ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثم يأخذُ بِيَدِهِ الْيَمَنِ، ثم يقول: أنا

(١) الرجز في «المعرب» للجواليقي ٢٠.

(٢) روى سبب النزول هذا بهذا اللفظ الواحد في «أسباب النزول» ٢١٢ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو في «الصحيحين» دون سبب النزول.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٢٣/٨، ومسلم ٢١٤٨/٤ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، ورواه الطبري ٢٧/٢٤، والحديث أورده السيوطي في «الدرر»، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والدارقطني في «الأسماء والصفات» عن عبد الله بن مسعود ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في قوله: «حتى بدت نواجذه»: وليس ذلك منافياً للحديث الآخر أن ضحكه كان تبساً كما سيأتي في تفسير سورة (الأحقاف). اهـ.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٢٣/٨، ومسلم ٢١٤٨/٤، ورواه الطبري ٢٧/٢٤، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٣٥/٥، وزاد نسبه لابن المنذر، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي هريرة ﷺ.







عاصم، وحمرة، والكسائي: بالتخفيف. وفي هذه الواو ثلاثة أقوال<sup>(١)</sup>: أحدها: أنها زائدة، روي عن جماعة من اللغويين منهم الفراء. والثاني: أنها واو الحال؛ فالمعنى: جاؤوها وقد فُتحت أبوابها، فدخلت الواو لبيان أن الأبواب كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفت من قصة أهل النار لبيان أنها كانت مُغلقة قبل مجيئهم، ووجه الحكمة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أهل الجنة جاؤوها وقد فُتحت أبوابها ليستعجلوا السرور والفرح إذا رأوا الأبواب مفتحة، وأهل النار يأتونها وأبوابها مُغلقة ليكون أشدَّ لحراً، ذكره أبو إسحاق ابن شافلا من أصحابنا<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن الوقوف على الباب المغلق نوعٌ ذلٌّ، فصيّن أهل الجنة عنه، وجعل في حق أهل النار، ذكره لي بعض مشايخنا. والثالث: أنه لو وَجَدَ أهل الجنة بابها مُغلقةً لأثّر انتظارُ فتحه في كمال الكرم، ومن كمال الكرم غلّق باب النار إلى حين مجيء أهلها، لأن الكريم يعجل المثوبة، ويؤخر العقوبة، وقد قال ﷺ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُمْ إِنْ سَكَرْتُمْ وَأَمْسَمْتُمْ﴾ [النساء: ٤١٧]؛ قال المصنف: هذا وجهٌ خطر لي. والقول الثالث: أن الواو زيدت، لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، والعرب تعطف في العدد بالواو على ما فوق السبعة على ما ذكرناه في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَاتَّخَذُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، حكى هذا القول والذي قبله الثعلبي. واختلف العلماء أين جواب هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أن الجواب محذوف، قاله أبو عبيدة، والمبرّد، والزجاج في آخرين. وفي تقدير هذا المحذوف قولان. أحدهما: أن تقديره: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ...﴾ إلى آخر الآية... سَعِدُوا، قاله المبرّد. والثاني: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿فَادْخُلُوهَا حَلِيلِينَ...﴾ دخلوها، وإنما حُذِف، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا اختيار الزجاج. والقول الثاني: أن الجواب: قال لهم خزنتها، والواو زائدة، ذكره الأخفش، قال: ومثله في الشعر:

فَإِذَا ذَلِكَ بِأَكْبَشِشَةٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٍ بِخَيَالٍ<sup>(٣)</sup>

أي: فإذا ذلك. والثالث: الجواب: حتى إذا جاؤوها فُتحت أبوابها، والواو زائدة، حكاه الزجاج عن قوم من أهل اللغة. وفي قوله: ﴿يُتَبَّرُ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أنهم إذا انتهوا إلى باب الجنة وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحدهما، فلا يبقى في بطونهم أدنى ولا قذى إلا خرج، ويفتسلون من الأخرى، فلا تغيّر جلودهم ولا تتسع أشعارهم أبداً، حتى إذا انتهوا إلى باب الجنة قال لهم عند ذلك خزنتها: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ يَبْنَؤُكُمْ﴾، رواه عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ<sup>(٤)</sup>، وقد ذكرنا في [الأعراف: ٤٤] نحوه عن ابن عباس. والثاني: طاب لكم المقام، قاله ابن عباس. والثالث: طِبُّهُمْ بطاعة الله، قاله مجاهد. والرابع: أنهم طُيِّبُوا قبل دخول الجنة بالمغفرة، واقتُص من بعضهم لِبَعْض، فلَمَّا هُذِبُوا قالت لهم الخَزَنَةُ: طِبُّهُمْ، قاله قتادة. والخامس: كنتم طيبين في الدنيا، قاله الزجاج. فلَمَّا دخلوها قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُوكُمْ بِالْجَنَّةِ وَالْأَرْضِ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَّرُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي: نَتَجَدُّ فيها من المنازل ما نشاء. وحكى أبو سليمان الدمشقي أن أُمَّة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم، فينزلون منها حيث شاؤوا، ثم تنزل الأمم بعدهم فيها، فلذلك قالوا: ﴿نَتَبَّرُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾؛ يقول الله ﷻ: ﴿يَنعَمُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: نَغْمُ ثَوَابِ الْمُطِيعِينَ في الدنيا الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَرَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: أي مُخْلِقِينَ به، يقال: حَفَّ القومُ بفلان: إذا أخذوا به؛

(١) وهي الواو في قوله تعالى: ﴿وَوُحِّشَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لِمَنْ خَرَجْتَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عمر بن حمدان بن شافلا البزار الحنبلي، جليل القدر، كثير الرواية، حسن الكلام في الأصول والفروع، توفي رحمه الله سنة (٣٦٩ هـ).

(٣) البيت لنتيم بن مقبل، «ديوانه» ٢٥٩ من تصديده مطلقاً:

سَابِئِلٌ بِكُحْبَشَةٍ دَارِسٌ الْأَطْلَالِ

وهو في الطبري ٣٦/٢٤، «المصاح» و«اللسان» و«التاج»: لِمَم. ورواية البيت في الديوان: إِلَّا كَلِمَةً... وَالْحَلَمَةُ: المَرَّةُ من «حَلَمَ»: إذا رأى شيئاً في المنام، وقال ابن بري: قوله: «فَإِذَا وَذَلِكَ» مبتدأ، والواو زائدة، كذا ذكره الأخفش، ولم يكن خبره.

(٤) «الطبري» ٣٥/٢٤. وذكره السيوطي في «الدر» ٣٤٢/٥، وزاد نسبه لابن المبارك في «الزهد»، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، والبيهقي في «البعث»، والضياء في «المختارة» عن علي ﷺ.

ودخلت «مِنْ» للتوكيد، كقولك: ما جاءني من أحد. ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قال السدي، ومقاتل: بأمر ربهم. وقال بعضهم: يُسَبِّحُونَ بالحمد له حيث دخل الموحدون الجنة. وقال ابن جرير: التَّسْبِيحُ هاهنا بمعنى الصلاة. قوله تعالى: ﴿وَقُفُّوا يَلَيْتَهُمْ﴾ أي: بين الخلائق ﴿وَالْحَيَّ﴾ أي: بالعدل ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا قول أهل الجنة شُكْرًا لله تعالى على إنعامه. قال المفسرون: ابتدأ الله ذِكْرَ الْخَلْقِ بِالْحَمْدِ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختم<sup>(١)</sup> غاية الأمر - وهو استقرار الفريقين في منازلهم - بالحمد لله بهذه الآية، فنبّه على تحميده في بداية كُلِّ أَمْرٍ وخاتمته.



## سورة المؤمن

قال أبو سليمان الدمشقي: ويقال لها: سورة الطُّؤُل<sup>(١)</sup>. وهي مَكِّيَّة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آيتين نزلتا بالمدينة: قوله: ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي عَائِتِ اللَّهِ﴾ والتي بعدها [المؤمن: ٣٥، ٣٦]. قال الزجاج: وذكر أن الحواميم كلها نزلت بمكة. قال ابن قتيبة: يقال: إن «حَم» اسم من أسماء الله أضيفت هذه السورة إليه، كأنه قيل: سُورَةُ الله، لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا، فقيل: آل حاميم، وإن كان القرآن كله سُورَ الله، وإن هذا كما يقال: بَيْتُ الله، وَحَرَمُ الله، وَنَافَةُ الله، قال الكمي:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً  
تَأُولُهَا مِنَّا نَقِيٌّ وَمُغْرِبٌ<sup>(٢)</sup>  
وقد تجعل «حَم» اسماً للسورة، ويدخل الإعراب ولا يُضَرَفُ، ومن قال هذا في الجميع: الحواميم، كما يقال: «طَس» والطواسين. وقال محمد بن القاسم الأنباري: العرب تقول: وقع في الحواميم، وفي آل حميم، أنشد أبو عبيدة:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللّٰوَاتِي طُوِلَتْ  
وَبِمَثَانٍ تُنْثِيَتْ فَكُرِّرَتْ  
وبالحواميم اللّٰوَاتِي سُبِعَتْ  
وَبِمَثْنَيْنِ بَغْدَهَا قَدْ أُنْثِيَتْ  
وَبِالطَّوَّاسِينِ اللّٰوَاتِي تُلْثَتْ  
[وبالمفصل اللّٰوَاتِي فُضِّلَتْ]<sup>(٣)</sup>

فمن قال: وقع في آل حاميم، جعل حاميم اسماً لِكُلِّهِنَّ؛ ومن قال: وقع في الحواميم، جعل «حَم» كأنه حرف واحد بمنزلة قاييل وهابيل. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللخوي قال: من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب أن تقول: قرأت آل حاميم. وفي حديث ابن مسعود «إذا وقعت في آل حَم»<sup>(٤)</sup> وقعت في روضات دوثات<sup>(٥)</sup>، وقال الكمي:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً  
يَسْمُوهُ الْخَنَزُ الْزَيْجَرُ

﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴿٢﴾

وفي ﴿حَم﴾ أربعة أقوال: أحدها: قَسَمَ أَقْسَمَ الله به وهو من أسمائه ﷻ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. قال أبو سليمان: وقد قيل: إن جواب القَسَمِ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ﴾ [المؤمن: ١٠]. والثاني: أنها حروف من أسماء الله ﷻ، ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن «الر» و«حَم» و«نُون» حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: أن الحاء مفتاح اسمه «حميد»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، قاله أبو العالية. والثالث: أن الحاء مفتاح كل اسم لله ابتداءه حاء، مثل «حكيم»، و«حليم»، و«حي»، والميم مفتاح كل اسم له، ابتداءه ميم مثل «ملك»، و«متكبر» و«مجيد»، حكاه أبو سليمان الدمشقي. وروي نحوه عن عطاء الخراساني. والثالث: أن معنى «حَم» قُضِيَ ما

(١) ويقال لها أيضاً: سورة غافر.

(٢) البيت في «الكتاب» ٣٠/٢، و«مجاز القرآن» ١٩٣/٢، و«غريب القرآن» ٣٦، و«الطبري» ٤٠/٢٤، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: عرب.

(٣) «مجاز القرآن» ٧/١ والزيادة بين المعقفين منه.

(٤) كذا في الأصول وكتب التفسير، وفي «النهاية» و«اللسان» و«التاج»: «قرأت آل حاميم» بدل «وقعت في آل حاميم».

(٥) قال السيوطي في «الدرر» ٣٤٤/٥: أخرج أبو عبيد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا وقعت في الحواميم وقت في روضات أتاقت فيهن.

هو كائن، رواه أبو صالح عن ابن عباس. ورُوي عن الضحاك والكسائي مثل هذا كأنهما أرادا<sup>(١)</sup> الإشارة إلى حُم، بضم الحاء وتشديد الميم. قال الزجاج: وقد قيل في «حَم»: حُم الأمر. والرابع: أن «حَم» اسم من أسماء القرآن، قال قتادة. وقرأ ابن كثير: «حَم» بفتح الحاء؛ وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي: بكسرهما؛ واختلف عن الباين. قال الزجاج: أما الميم، فساكنة في قراءة القراء كلهم إلا عيسى بن عمر، فإنه فتحها؛ وفتحها على ضريين. أحدهما: أن يجعل «حَم» اسماً للشورة، فينصبه ولا ينونه، لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل. والثاني: على معنى: اتل حَم؛ والأجود أن يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للشورة، ويكون حكاية حروف الهجاء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي: هذا تنزيل الكتاب. والتَّوْبُ: جمع تَوْتَة، وجائز أن يكون مصدراً من تاب يُتَوَّب تَوْباً. والطَّوْل: القُضْل. قال أبو عبيدة: يقال: فلان ذو طَوْل على قومه، أي: ذو قُضْل. وقال ابن قتيبة: يقال: طُلَّ عليَّ يرحمك الله، أي: تَفَضَّل. قال الخطابي: ذو: حرف النسبة، والنسبة في كلامهم على ثلاثة أوجه. بالياء، كقولهم: أسدي، وبكري، والثاني: على الجمع، كقولهم: المهالبة، والمسامعة، والأزارقة، والثالث: بـ «ذي» وذات، كقولهم: رجل مال، أي: ذو مال، وكيش صاف، أي: ذو صوف، وناقة ضامر، أي: ذات ضمر؛ فقوله: ذو الطَّوْل، معناه: أهل الطَّوْل والقُضْل.

﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْزِلُ تِلْكَ فِي أَلْبَانِهِ﴾ ❶ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَخَذَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ❷ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَذِبُكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ❸

قوله تعالى: ﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: ما يُخاصم فيها بالكذب لها ودفعها بالباطل ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وباتي الآية في (آل عمران: ١٩٦)؛ والمعنى: إن عاقبة أمرهم إلى العذاب كعاقبة مَنْ قَبْلَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ فيه قولان: أحدهما: ليقتلوه، قاله ابن عباس، وقاتدة. والثاني: ليحبسوه ويعذبوه، ويقال للأسير: أخِذْ، حكاة ابن قتيبة. قال الأخفش: وإنما قال: «ليأخذوه» فجمع على الكل، لأن الكل مدكر ومعناه معنى الجماعة. وما بعد هذا مفسر في [الكهف: ٥٦] إلى قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ أي: عاقبتهم وأهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل الذي حَقَّ على الأمم المكذبة ﴿حَقَّتْ كَذِبُكَ﴾ بالعذاب، وهي قوله: ﴿لَأَنزِلَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] على الذين كفروا من قومك. وقرأ نافع، وابن عامر: ﴿حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، ﴿أَنَّهُمْ﴾ قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ❶ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ❷﴾ وَقِهِمُ السَّعْيَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّعْيَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ❸

ثم أخبر بفضل المؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الصَّلَاحَ﴾ وهم أربعة أملاك، فإذا كان يوم القيامة جعلوا ثمانية ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ قال وهب بن منبه: حَوْلَ العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة ليس فيهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبحه الآخر. وقال غيره: الذين حول العرش هم الكروبيون وهم سادة الملائكة. وقد ذكرنا في السورة المتقدمة معنى قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولون: رَبَّنَا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ قال الزجاج: هو منصوب على التمييز. وقال غيره: المعنى: وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشُّرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ وهو

(١) في الأصل: أراد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، قال: وقد بيَّنا ذلك في قوله: ﴿آلَهُ﴾ ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في ﴿حَم﴾ وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجى قولاً واحداً، اهـ.



دين الإسلام. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَرَهْمُ السَّيِّئَاتِ﴾ قال قتادة: يعني العذاب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَوْنَ لَمَقَّةَ اللَّهِ أَكْبَرَ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُنْفَخَتُ إِلَى الْأَيْمَنِ فَتُكْفَرُونَ﴾ ١٠ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَانِ أَرْبَعَيْنِ أُنْفَخْتَنَ فَاغْتَرَفْنَا بِدُثُونِنَا فَأَهْلُوا إِلَيْنَا خُرُوجًا قَالُوا إِنَّكُمْ بِأَنفُسِكُمْ بِئْسَ شَرِكٌ ١١ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلِنْ شَارَكَ بِهِ تَوَلَّيْتُمْ فَأَلْهَمَكُمْ اللَّهُ الْعِلَى الْكَبِيرَ﴾ ١٢

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَادَوْنَ لَمَقَّةَ اللَّهِ﴾ قال المفسرون: لما رأوا أعمالهم وأدخلوا النار مقتولاً أنفسهم لسوء فعلهم، فناداهم مُنادٍ: لَمَقَّةُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿إِذْ تُنْفَخَتُ إِلَى الْأَيْمَنِ فَتُكْفَرُونَ﴾ أكبرُ من مقتكم أنفسكم. ثم أخبر عما يقولون في النار بقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَانِ أُنْفَخْتَنَ وَأَحْيَيْنَا أُنْفَخْتَنَ﴾ وهذا مثل قوله: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَيْنَاكُمْ ثُمَّ تُبْسِكُمْ ثُمَّ يُبْسِكُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وقد فسرناه هناك.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ أي: من النار إلى الدنيا لنعمل بالطاعة ﴿وَبَيْنَ سَبِيلٍ﴾؟ وفي الكلام اختصار، تقديره: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك؛ وقيل لهم: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني العذاب الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ أي: إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم، وإن جعل له شريكاً آمستم، ﴿فَأَلْهَمَكُمْ اللَّهُ﴾ فهو الذي حكم على المشركين بالنار. وقد بيّن في سورة [البقرة: ٢٥٥] معنى العلي، وفي [الرعد: ٩] معنى الكبير.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ١٣ قَادَعُوا اللَّهَ غُلُوبَةً لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ١٤ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ ١٥ يَوْمَ هُمْ بَبْرُوتٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ١٦ الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١٧

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: مصنوعاته التي تدلُّ على وحدانيته وقدرته. والرزق هاهنا: المطر، سمي رزقاً، لأنه سبب الأرزاق. و﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بمعنى يتعظ، و﴿يُنِيبُ﴾ بمعنى يرجع إلى الطاعة. ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال: ﴿قَادَعُوا اللَّهَ غُلُوبَةً لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: موحدين.

قوله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ قال ابن عباس: يعني رافع السموات. وحكى الماوردي عن بعض المفسرين قال: معناه: عظيم الصفات.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: خالقه ومالكه.

قوله تعالى: ﴿يَلْقَى الرُّوحَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: النبوة. والقولان مرويان عن ابن عباس. وبالأول قال ابن زيد، وبالثاني قال السدي. والثالث: الوحي، قاله قتادة. وإنما سمي القرآن والوحي روحاً، لأن قوام الدين به، كما أن قوام البدن بالروح. والرابع: جبريل، قاله الضحاك. والخامس: الرحمة، حكاه إبراهيم الحربي.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ أَمْوَةٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من قضائه، قاله ابن عباس. والثاني: بأمره، قاله مقاتل. والثالث: من قوله، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني الأنبياء. ﴿لِيُنْزِلَ﴾ في المشار إليه قولان: أحدهما: أنه الله ﷻ. والثاني: النبي الذي يوحى إليه. والمراد بـ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: يوم القيامة. وأثبت ياء «التلاقي» في الحالين ابن كثير ويعقوب، وأبو جعفر وافقهما في الوصل؛ والباقيون بغير ياء في الحالين، وفي سبب تسميته بذلك خمسة أقوال: أحدها: أنه يلتقي فيه أهل السماء والأرض، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس. والثاني: يلتقي فيه الأولون والآخرين، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: يلتقي فيه الخلق والخلق، قاله قتادة ومقاتل. والرابع: يلتقي المظلوم والظالم، قاله ميمون بن مهران. والخامس: يلتقي المرء بعمله، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ بَبْرُوتٌ﴾ أي: ظاهرون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾. فإن قيل: فهل يخفى عليه منهم اليوم شيء؟ فالجواب: أن لا، غير أن معنى الكلام التهديد بالجزاء؛ وللمفسرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا

يُخْفَى عَلَيْهِ مِمَّا عَمِلُوا شَيْءٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: لَا يَسْتَرُونَ مِنْهُ بِجَبَلٍ وَلَا مَدَرٍ، قَالَ قَتَادَةُ. وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمَعْنَى: أَكْبَرَهُمْ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ لَا يُخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ أَلَمُكَ الْيَوْمَ﴾ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا يَقُولُهُ اللَّهُ ﷻ بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلَائِقِ. وَاخْتَلَفُوا فِي وَقْتِ قَوْلِهِ لَهُ عَلَى قَوْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: [أَنَّهُ] يَقُولُهُ عِنْدَ فَنَاءِ الْخَلَائِقِ إِذَا لَمْ يَبْقَ مُجِيبٌ، فَيَرُدُّهُ عَلَى نَفْسِهِ يَقُولُ: ﴿إِلَّا الْوَحِيدَ الْقَهَّارَ﴾، قَالَه الْأَكْثَرُونَ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَقُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَفِيهِمْ يُجِيبُهُ حِينَئِذٍ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُجِيبُ نَفْسَهُ وَقَدْ سَكَتَ الْخَلَائِقُ لِقَوْلِهِ، قَالَه عَطَاءٌ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ يُجِيبُونَهُ يَقُولُونَ: ﴿إِلَّا الْوَحِيدَ الْقَهَّارَ﴾ قَالَه ابْنُ جَرِيرٍ.

﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍّ وَلَا لَشَيْءٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ يَتَلَمَّ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا خُفِيَ السُّدُورُ ﴿١٩﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَه الْجُمْهُورُ. قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: وَسُمِيتِ الْقِيَامَةُ بِذَلِكَ لِقُرْبِهَا، يُقَالُ: أَرَفْتُ شَخْصًا فَلَانٌ، أَيْ: قُرْبٌ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَوْمُ حُضُورِ الْمَنِيَّةِ، قَالَه قُطْرُبٌ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرْتَقِي إِلَى الْحَنَاجِرِ فَلَا تَخْرُجُ وَلَا تَعُودُ، هَذَا عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَعَلَى الثَّانِي: الْقُلُوبُ هِيَ النُّفُوسُ تَبْلُغُ الْحَنَاجِرَ عِنْدَ حُضُورِ الْمَنِيَّةِ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: وَ﴿كَظِيمٌ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْحَالُ مَحْمُولَةٌ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ لَا يُقَالُ لَهَا: كَاطِمِينَ، وَإِنَّمَا الْكَاطِمُونَ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ؛ فَالْمَعْنَى: إِذْ قُلُوبُ النَّاسِ لَدَى الْحَنَاجِرِ فِي حَالِ كَظْمِهِمْ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: «كَاطِمِينَ» أَيْ: مَغْمُومِينَ مَمْتَلِثِينَ خَوْفًا وَحُزْنًا، وَالكَاطِمُ: الْمُخْمِيكُ لِلشَّيْءِ عَلَى مَا فِيهِ؛ وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى هَذَا عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَالْكَظِيمُ الْقَتِيطُ﴾ [العمدة: ١٣٤]. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يَعْنِي الْكَافِرِينَ ﴿وَمِنْ حِمٍّ﴾ أَيْ: قَرِيبٍ يَنْفَعُهُمْ ﴿وَلَا شَيْءٍ يُطَاعُ﴾ فِيهِمْ فَتَقَبَّلَ شَفَاعَتَهُ. ﴿يَتَلَمَّ حَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: الْخَائِنَةُ وَالْحَيَانَةُ وَاحِدٌ. وَلِلْمَفْسُورِينَ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ قَتَمَرًا بِهَ الْمَرَأَةِ فَيُرِيهِمْ أَنَّهُ يُغَضُّ بَصَرَهُ، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ غَفْلَةً لَحَظَّ إِلَيْهَا، فَإِنْ خَافَ أَنْ يَقْطُنُوا لَهُ غَضُّ بَصَرِهِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ نَظَرَ الْعَيْنَ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ، قَالَه مُجَاهِدٌ. وَالثَّالِثُ: الْغَمَزُ بِالْعَيْنِ، قَالَه الضَّحَّاكُ وَالسَّيِّدِي. قَالَ قَتَادَةُ: هُوَ الْغَمَزُ بِالْعَيْنِ فِيمَا لَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَلَا يَرْضَاهُ. وَالرَّابِعُ: النَّظَرَةُ بَعْدَ النَّظَرَةِ، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خُفِيَ السُّدُورُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: مَا تُضْمِرُهُ مِنَ الْفِعْلِ أَنْ لَوْ قَدَّرْتَ عَلَى مَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: الْوَسُوسَةُ، قَالَه السَّيِّدِي. وَالثَّالِثُ: مَا يُبْرِهُ الْقَلْبَ مِنْ أَمَانَةٍ أَوْ خِيَانَةٍ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ رَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَفَوْا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُمْ قَوْمٌ شَدِيدُوا الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَهُ فِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَكَذَّبُوا فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَاسْتَخَيِّرُوا لَكُمْ ذُرِّيَّهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ أَيْ: يَحْكُمُ بِهِ فَيَجْزِي بِالْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ مِنَ الْآلِهَةِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «تَدْعُونَ» بِالنَّاءِ، عَلَى مَعْنَى: قُلْ لَهُمْ: ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ أَيْ: لَا يَحْكُمُونَ بِشَيْءٍ وَلَا يُجَاوِزُونَ بِهِ؛ وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ ﷻ بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ حَقٌّ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ وَيَقْضِي مَنْ كَانَ حَيًّا، وَأَيْدِ ذَلِكَ بِذِكْرِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، لِأَنَّهُمَا إِنَّمَا يَشْتَانُ لِحَقِّ، قَالَه أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ. وَمَا بَعْدَ هَذَا قَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُهُ [يوسف: ١٠٩] وَبَعْضُهُ ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَوْمَ الْأَرْفَةِ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: وَسُمِيتَ بِذَلِكَ لِإِفْتِرَائِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ﴾ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ﷻ: ﴿تَقَرَّبَ إِلَيْنَا بِمَا كَانُوا﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَدُّ قُوَّةً فَلا تَسْتَكْبِرُوا﴾ وَقَالَ جَل جلاله: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ يَبْتَغِي دُونَهُ الْوَحِيدَ كَذَّبُوا...﴾ الآية. اهـ.

(٢) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَلَمَّ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا خُفِيَ السُّدُورُ﴾ يَخْبِرُ ﷻ عَنْ عِلْمِهِ التَّامِّ الْمَحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، دَقِيقِهَا وَلَطِيفِهَا، لِيَحْذَرُ النَّاسُ عِلْمَهُ لِيَهْمُ فَيَسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ، وَيَتَّقُوهُ حَقَّ الْقَوَاءِ، وَيَرَاتِقُوهُ مِرَاقِبَةً مَن يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنَّ ﷻ يَعْلَمُ الْعَيْنَ الْخَائِنَةَ وَإِنْ أَبَدَتْ أَمَانَةً، وَيَعْلَمُ مَا تَطْوِي عَلَيْهِ خِيَابِ الصُّدُورِ مِنَ الصَّمَاتِ وَالسَّرَائِرِ. اهـ.

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ ﴿٢٦﴾ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «أَشَدُّ مِنْكُمْ» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، وهو على الانصراف من الغيبة إلى الخطاب، «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ» أي: من عذاب الله «بِشَيْءٍ وَاقٍ» بقي العذاب عنهم. ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم «وَأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...» إلى آخر الآية. ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا. وأراد بقوله: «أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ» أعيادوا القتل عليهم كما كان أولاً، قاله ابن عباس. وقال قتادة: كان فرعون قد كَفَّ عن قتل الولدان، فلما بَعَثَ الله موسى، أعاد عليهم القتل ليصُدَّهم بذلك عن متابعة موسى.

قوله تعالى: «وَمَا كُنْزُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أي: إنه يذهب باطلاً ويحقيق بهم ما يريد الله ﷻ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُكْذِرٍ لَا يَأْتِيَنَّ يَوْمَ الْقِسَافِ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٩﴾ يَقُولُ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَهَرْنَا فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَفْقَرُ إِلَيَّ لَأَكْفُرَنَّ عَنْكُمْ يَوْمَ الْآخِرَةِ ﴿٣١﴾ وَيَقُولُ يَوْمَ الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ قَالَ لَوْ مِنْ هَؤُلَاءِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَدْ زَلَمْتُ فِي شَيْءٍ وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكْتَ فَذُنُوبُكَ أَنْ يَبْعَكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٣﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ وإنما قال هذا، لأنه كان في خاصة فرعون مَنْ يَمْنَعُهُ مِنْ قَتْلِهِ خوفاً من الهلاك «وَلْيَدْعُ رَبَّهُ» الذي يزعم أنه أرسله فليمنعه من القتل «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ» أي: عبادتكم إياي «أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَأَنْ» بغير ألف. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي: «أَوْ» أن» بآلف قبل الواو، على معنى: إن لم يبدل دينكم أوقع الفساد، إلا أن نافعاً وأباً عمرو قرأ: «يُظْهِرُ» بضم الباء «الفساد» بالنصب. وقرأ الباقون: «يُظْهِرُ» بفتح الباء «الفساد» بالرفع، والمعنى: يظهر الفساد بتغيير أحكامنا، فجعل ذلك فساداً بزعمه؛ وقيل: يقتل أبناءكم كما تفعلون بهم. فلما قال فرعون هذا، استعاض موسى بربه فقال: «إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ» قرأ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر: «عُذْتُ» مبيئة الذال، وأدغمها أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف «بَيْنَ كُلِّ مُكْذِرٍ» أي: متعظم عن الإيمان فقصد فرعون قتل موسى، فقال حينئذٍ «رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...» وفي الآل هاهنا قولان: أحدهما: [أنه] بمعنى الأهل والنسب؛ قال السدي ومقاتل: كان ابن عم فرعون، وهو المراد بقوله: «رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» [القصص: ٢٠]. والثاني: أنه بمعنى القبيلة والعشيرة؛ قال مقاتل ومقاتل: كان قبطياً. وقال قوم: كان إسرائيلياً، وإنما المعنى: قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون؛ وفي اسمه خمسة أقوال: أحدها: حزيل، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: حبيب، قاله كعب. والثالث: سمعون، بالسين المهملة، قاله شعيب الجبائي. والرابع: جبريل<sup>(١)</sup>. والخامس: شمعان. بالشين المعجمة، روي عن ابن إسحاق، وكذلك حكى الزجاج «شمعان» بالشين، وذكره ابن ماكولا بالشين المعجمة أيضاً. والأكثر على أنه آمن بموسى لما جاء. وقال الحسن: كان مؤمناً قبل مجيء موسى<sup>(٢)</sup>، وكذلك امرأة فرعون. قال مقاتل: كتم إيمانه من فرعون مائة سنة.

قوله تعالى: «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» أي: لأن يقول «رَبِّيَ اللَّهُ» وهذا استفهام إنكار «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أي: بما يدل على صدقه، «وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ» أي: لا يضركم ذلك «وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

(١) في الأصل: جبرك، والتصحيح من كتب الضمير.

(٢) قال ابن كثير: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون، قال: قال السدي: كان ابن عم فرعون، قال: ويقال: إنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام، قال: واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً، لأن فرعون أنفل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى ﷺ، قال: ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يماجل بالقوبة لأنه منهم.

يَعِدُّكُمْ» من العذاب.. وفي «بعض» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «كل»، قاله أبو عبيدة، وأنشد للبيد:

تَرَاكَ أَنْكِسَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها  
أَوْ يَغْتَلِقْ بَغْضَ النَّفُوسِ حَمَاهَا<sup>(١)</sup>

أراد: كلُّ النفوس. والثاني: أنها صِلَة؛ والمعنى: يُصِيبُكُم الذي يَعِدُّكُمْ، حُكي عن الليث. والثالث: أنها على أصلها، ثم في ذلك قولان: أحدهما: أنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا، فدخل ذكر البعض لأنهم على أحد الحالين. والثاني: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، فصار هلاكهم في الدنيا بعض الوعد، ذكرهما الماوردي. قال الزجاج: هذا باب من النظر يذهب فيه المناظر إلى إلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثله قول الشاعر:

قَدْ يُنْذِرُكَ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ  
وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزُّلْ<sup>(٢)</sup>

ولما ذكر البعض ليجب الكل، لأن البعض من الكل، ولكن القائل إذا قال: أقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يُقدَّر الخصم أن يدفعه، فكان المؤمن قال لهم: أقل ما يكون في صدقه أن يُصِيبَكُم بعض الذي يَعِدُّكُمْ، وفي بعض ذلك هلاككم؛ قال: وأما بيت لبيد، فإنه أراد ببعض النفوس: نفسه وحدها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا يوفق للصواب ﴿مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المشرك، قاله قتادة. والثاني: أنه السفاك للدم، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عالين في أرض مصر ﴿فَمَنْ يَضُرُّكَ﴾ أي: من يَمْنَعُنَا ﴿مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه؛ والمعنى: لا تتعرضوا للعذاب بالتكذيب وقتل النبي؛ فقال فرعون عند ذلك: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ لنفسي ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ أي: أدعوكم إلا إلى طريق الهدى في تكذيب موسى والإيمان بي، وهذا يدل على أنه انقطع عن أجواب المؤمنين. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّخِذُ عَلَيْكُمْ بَبْرًا﴾ قال الزجاج: أي: مثل يوم حزب حزب؛ والمعنى: أخاف أن تُقيموا على كفركم فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم المكذبة رسلاً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ النَّادِ﴾ قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «النَّادِ» بغير ياء. وأثبت الباء في الوصل والوقف ابن كثير، ويعقوب، واقفهم أبو جعفر في الوصل. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وابن جبر، وأبو العالية، والضحاك: «النَّادِ» بتشديد الدال. قال الزجاج: أما إثبات الباء فهو الأصل، وحذفها حسن جميل، لأن الكسرة تدل على الياء، وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال، ومن قرأ بالتشديد، فهو من قولهم: نَدَّ فلان، ونَدَّ البعير: إذا هرب على وجهه، ويدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ يَرَى الَّذِينَ يَنُفُّونَ﴾ [ص: ٣٤]؛ قال أبو علي: معنى الكلام: إني أخاف عليكم عذاب يوم النَّد. قال الضحاك: إذا سمع الناس زفير جهنم وشهيقها نَدُّوا فِرَاراً منها في الأرض، فلا يتوجهون قطراً من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة، فيرجعون من حيث جاؤوا. وقال غيره: يؤمر بهم إلى النار فينزلون ولا عاصم لهم. فأما قراءة التخفيف، فهي من النَّداء، وفيها للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه عند نفخة الفزع ينادي الناس بعضهم بعضاً، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يأمر الله ﷻ إسرائيل بالنفخة الأولى فيقول: انْفُخْ نَفْخَةَ الْفَزَعِ، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فتسير

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته، وهو في «ديوانه» ٣١٣، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٠٥، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» ٥٧٣، و«مختار الشعر الجاهلي» ٢/ ٣٩٤، و«اللسان» بعض.

(٢) البيت للقطامي، وهو في «البحر المحيط»: ٤٦١/ ٧.

(٣) قال ابن كثير: هذا إخبار من الله ﷻ عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّخِذُ عَلَيْكُمْ بَبْرًا﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كفروا بنوح وصاد وشموه والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف جل بهم بأس الله وما رده عنهم راد، ولا صدّه عنهم صاد ﴿وَقَالَ اللَّهُ بَرِّئٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: إنما أهلكتهم الله تعالى بظنهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فانفذ فيهم قدره، ثم قال: ﴿وَيَتَقَرَّبُ إِلَهُ الْإِنسَانِ إِلَهُ الْإِنسَانِ﴾ يعني يوم القيامة. اهـ.



الجبال، وتُزجُّ الأرض، وتذهلُ المراضعُ، وتضعُ الحواملُ، ويولِّي الناسُ مذبرين ينادي بعضهم بعضاً [وهو قوله: «يَوْمَ التَّنَادِ»<sup>(١)</sup>]. والثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضاً كما ذكر في [الأعراف: ٤٤، ٥٠]، وهذا قول قتادة. والثالث: أنه قولهم: يا حسرتنا! يا ويلتنا، قاله ابن جريج. والرابع: أنه ينادي فيه كلُّ أناسٍ بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

قوله تعالى: «يَوْمَ تُرْوَى مَرْيَمُ» فيه قولان: أحدهما: حرباً من النار. والثاني: أنه انصرفهم إلى النار.

قوله تعالى: «مَا لَكُمْ يَنْ أَلَّهِ مِنْ عَائِشَةٍ» أي: من مانع.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ» وهو يوسف بن يعقوب، ويقال: إنه ليس به، وليس بشيء.

قوله تعالى: «مِنْ قَبْلُ» أي: مِنْ قَبْلِ موسى «بِالْبَيِّنَاتِ» وهي الدلالات على التوحيد، كقوله: «وَأَرْيَاكَ تَتَفَرَّقُونَ خَيْرٌ...» الآية [يوسف: ٣٩]، وقال ابن السائب: البيّنات: تعبير الرؤيا وشقُّ القميص، وقيل: بل بعثه الله تعالى بعد موت ملك مصر إلى القبط.

قوله تعالى: «فَأَرْيَاكَ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ» أي: من عبادة الله وحده «حَقٌّ إِذَا هَلَكَ» أي: مات «فَلْتَرَنَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» أي: إنكم أقمتهم على كفرهم وظننتم أن الله لا يجدد إيجاب الحجة عليكم «كَذَلِكَ» أي: مثل هذا الضلال «يُعْزِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» أي: مُثْرِكٌ «مُتْرَكٌ» أي: شاكٌّ في التوحيد وصدق الرُّسل<sup>(٢)</sup>.

«الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي عَائِشَةِ اللَّهِ بِمَنْ سُلْطَنَ أَنْتَهُمْ كَبَّرَ مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْلُعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ»<sup>(٣)</sup> وَقَالَ رَقْرَقٌ يَهْتَكِرُ آتِي لِي سَمَرًا لَعَلِّي أَتْلُعَ الْأَسْتَبَ<sup>(٤)</sup> أَتَبَّ السَّمَرَاتِ فَاطْلُعُ لِكُلِّ لِكُلِّ مَوْسَمٍ وَكَانِي لَأُظْهِرَ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِيَرْغَبُونَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: «الَّذِينَ يَجَادِلُونَ» قال الزجاج: هذا تفسير المسرف المرتاب، والمعنى هُم الذين يجادلون في آيات الله. قال المفسرون: يجادلون في إبطالها والتكذيب بها بغير سلطان، أي: بغير حجة أنتهم من الله. «كَبَّرَ مَقَامًا» أي: كَبَّرَ جَدَالَهُمْ مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، والمعنى: يَمَقِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَمَقِّتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ الجِدَالِ. «كَذَلِكَ» أي: كما طلع الله على قلوبهم حتى كذبوا وجادلوا بالباطل، يطلع «عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ» عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وتوحيده. وقد سبق بيان معنى الجَبَّارِ في [هود: ٥٩]. وقرأ أبو عمرو: «على كُلِّ قَلْبٍ» بالتونين، وغيره من القراء السبعة يُضَيِّفُهُ. وقال أبو علي: المعنى: يطلع على جملة القلب من المتكبر. واختار قراءة الإضافة الزجاج، قال: لأن المتكبر هو الإنسان، لا القلب. فإن قيل: لو كانت هذه القراءة أصوب لتقدم القلب على الكل؟ فالجواب: أن هذا جائز عند العرب، قال الفراء: تقدم هذا وتأخره واحد، سمعت بعض العرب يقول: هو يرجل شعره يوم كل جمعة، يريد: كلَّ

(١) هذا جزء من حديث الصور الطويل، وقد ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» - عند قوله تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ الْكُتُوبُ» من سورة [الأنعام: ٧٣] - بطوله من رواية الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه «المطولات» ثم نقل عن الطبراني قوله عقب الحديث: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعشه شواهد في الأحاديث المنقولة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمر بن علي الفلام، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قال ابن كثير: قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجهه كثيرة قد أفردها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك، ثم قال ابن كثير: وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، قاله أعلم. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٣٣٩/٥ - ٣٤٢ بطوله، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وعلي بن سعيد في كتاب «الطاعة والعصيان»، وأبي يعلى، وأبي الحسن القنطاري في «المطولات»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي موسى المديني في «المطولات»، وأبي الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «البعث والنشور» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْيُونُسَ» يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى عليه الصلاة والسلام، وهو يوسف عليه الصلاة والسلام، كان عزيز أهل مصر وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي، ولهذا قال تعالى: «فَأَرْيَاكَ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكَ فَلْتَرَنَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» أي: يستعمل قسماً طامعين: «يَنْ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا» وذلك لكفرهم وتكذيبهم «كَذَلِكَ يُعْزِلُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُتْرَكٌ» أي: كمالكم هذا يكون حال من يضل الله لإسرافه في أفعاله وأرتباب قلبه.

يوم الجمعة، والمعنى واحد. وقد قرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «على قلب كل متكبر» بتقديم القلب. قال المفسرون: فلما وعظ المؤمنُ فرعونَ وزجره عن قتل موسى، قال فرعونُ لوزيره: «يَهْتَكُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا» وقد ذكرناه في [القصاص: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ قال ابن عباس وقتادة: يعني أبوابها. وقال أبو صالح: طرفها. وقال غيره: المعنى: لعلِّي أبلغ الطرق من سماء إلى سماء. وقال الزجاج: لعلِّي أبلغ ما يؤديني إلى السموات. وما بعد هذا مفسر في [القصاص: ٣٨] (١) إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ما وصفنا ﴿زَيْنُ لَيْزَعُونَ سَوْءَ عَمَلِهِ وَضَدٌ﴾ عن سبيل الهدى. قرأ عاصم، وحزمة والكسائي: «وَضَدٌ» بضم الصاد، والباقون بفتحها، ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ في إبطال آيات موسى ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: في بطلان وخسران.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَّبِعُونَ آيَاتَكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ يَقْوِي إِيمَانًا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِنْهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْفَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

ثم عاد الكلام إلى نصيحة المؤمن لقومه، وهو قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ آيَاتَكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ أي: طريق الهدى، ﴿يَقْوِي إِيمَانًا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ﴾ يعني الحياة في هذه الدار متاع يُمتنع بها أياماً ثم تنقطع ﴿وَالَّذِي الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ التي لا زوال لها (٢). ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها الشرك، ومثلها جهنم، قاله الأكثرون. والثاني: المعاصي، ومثلها: العقوبة بمقدارها، قاله أبو سليمان الدمشقي. فعلى الأول، العمل الصالح: التوحيد، وعلى الثاني هو [على] الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يَدْخُلُونَ» بضم الياء. وقرأ نافع، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: بالفتح، وعن عاصم كالقراءتين. وفي قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قولان: أحدهما: أنهم لا تبعه عليهم فيما يُغفون في الجنة، قاله مقاتل. والثاني: أنه يُصَبَّ عليهم الرزق صَبًّا بغير تقدير، قاله أبو سليمان الدمشقي.

﴿وَيَقْوِي مَا يَدْعُوكُمْ إِلَى الْحَيَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ وَلَأَنَّا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَرِيزِ الْفَنَرِ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْرُسْ أَمْرَتِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَعِيدٌ بِالْإِسْكَادِ ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَبِيحَاتٍ مَا مَكْرُورًا وَمَا يَفَالِ فِرْعَوْنَ سَوْءَ الْمَذَابِ﴾ أَنَاذُ يَمْزُجُونَ عَلَيْهَا غُدُرًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقْوِي مَا يَدْعُوكُمْ﴾ أي: مآلكم، كما تقول: مالي أراك حزيناً، معناه: مآلك، ومعنى الآية: أخبروني كيف هذه الحال، أَدْعُوكم ﴿إِلَى الْحَيَاةِ﴾ من النار بالإيمان، ﴿وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾ أي: إلى الشرك الذي يوجب النار! ثم فسّر الدَّعْوَتَيْنِ بما بعد هذا. ومعنى ﴿لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: لا أعلم هذا الذي ادَّعُوهُ شريكاً له. وقد سبق بيان ما بعد هذا [البقرة: ١٢٠، ط: ٨٢] إلى قوله: ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ليس له استجابة دعوة، قاله السدي. والثاني: ليس له شفاعة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَرَّجَعْنَا، والمعنى أنه يجازينا بأعمالنا. وفي المُسْرِفِينَ قولان قد ذكرناهما عند قوله: ﴿مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعنه وتمرده وإفترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحاً - وهو القصر العالي المنيف الشاق - وكان اتخاذه من الأجر المضروب من الطين المشوي، كما قال تعالى: ﴿فَأَنزِلْ لِي يَهْتَكُنَ عَلَى الظُّلُمِ فَكَيْفَ لِي صَرْحًا﴾.

(٢) قال ابن كثير: يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الأعلى فقال لهم: ﴿يَتَّبِعُونَ آيَاتِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ لا كما كذب فرعون في قوله: ﴿وَمَا آيَاتِي إِلَّا سَبِيلُ الْقُرْآنِ﴾ ثم زُجِّدَ في الدنيا التي قد آثروها على الأخرى وصدّتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿يَقْوِي إِيمَانًا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ﴾ أي: قليلة زائلة فانية، عن قريب تذهب وتضمحل ﴿وَالَّذِي الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ أي: الدار التي لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها، بل، إما نعيم، وإما جحيم. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني، وأبو جاء: ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ﴾ بفتح الذال وتخفيفها وتشديد الكاف وفتحها؛ وقرأ أبي بن كعب، وأيوب السخنياني: بفتح الذال والكاف وتشديدهما جميعاً. أي: إذا نزل العذاب بكم، ما أقول لكم في الدنيا من النصيحة؟! ﴿وَأَنْتُمْ آمَرْتُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: أرذته<sup>(١)</sup>، وذلك أنهم تواعدوه لمخالفتي دينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعَمَادِ﴾ أي: بأوليائه وأعدائه. ثم خرج المؤمن عنهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه، ونجا مع موسى لما عبر البحر، فذلك قوله: ﴿فَوَقَّعَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ أي: ما أرادوا به من الشر ﴿وَصَاقَ يَكَّالٍ فِرْعَوْنَ﴾ لما لجوا في البحر ﴿سُوَّءَ الْعَذَابِ﴾ قال المفسرون: هو الفرق<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن مسعود وابن عباس: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يُعْرَضُونَ على النار كل يوم مرتين فيقال: يا آل فرعون هذه داركم. وروى ابن جرير قال: حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير، قال: حدثنا حماد بن محمد البلخي قال: سمعت الأوزاعي، وسأله رجل، فقال: رأينا طيوراً<sup>(٤)</sup> تخرج من البحر فتأخذ ناحية الغرب بيضاً، فزجاً فزجاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً، قال: وقطعتم إلى ذلك؟ قال: نعم، قال: إن تلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يُعْرَضُونَ على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت ريشها وصارت سواده، فينبئ عليها من الليل رياش بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو ويعرضون<sup>(٥)</sup>.

(١) قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فسذكرون أيها القوم - إذا عايتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما لقيتموه - صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار، ثم قال: وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ آمَرْتُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يقول: وأسلم أمري إلى الله وأجمله إليه وأتوكل عليه فإنه الكافي من توكل عليه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَصَاقَ يَكَّالٍ فِرْعَوْنَ سُوَّءَ الْعَذَابِ﴾ وهو الفرق في اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّ ألماً، وأعظمه نكالاً.

(٣) قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قال: ولكن هنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ، وقد قال الامام أحمد: ثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النضر - ثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص - ثنا سعيد - يعني أباه - عن عائشة ؓ أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة ؓ إليها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت عائشة ؓ: فدخل رسول الله ﷺ عليّ فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا»، من زعم ذلك؟ قالت: هذه اليهودية لا أضنع معها شيئاً من المعروف إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال ﷺ: «كذبت يهودية، وهم على الله أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة» ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه محمراً عيناؤه وهو ينادي بأعلى صوته: «القبر كقطع الليل المظلم، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكتم كثيراً وضحكتم قليلاً، أيها الناس استعملوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق» قال: وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجها، قال: وروى أحمد ومسلم: ثنا يزيد، ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ؓ قالت: قالت لها: وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة ؓ ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له، فقال ﷺ: «لا» قالت عائشة ؓ: ثم قال أن رسول الله ﷺ بعد ذلك: «وانه أوحى إلي أنكم تشفون في قبوركم» قال: وهذا أيضاً على شرطهما. قال: فيقال: فبما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ قال: والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غُدُوًّا وَعَشِيًّا في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال نالها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فاما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها. قال: وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بلبن، قال: وما يدل على ذلك ما رواه الامام أحمد: ثنا عثمان بن عمر، ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول: أشعربت أنكم تشفون في قبوركم؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إنما يفتن يهود» قالت عائشة ؓ: فليتنا ليالي، ثم قال رسول الله ﷺ: «أشعربت أنه أوحى إلي أنكم تشفون في القبور؟» وقالت عائشة ؓ: فكان رسول الله ﷺ بعد يستدعي من عذاب القبر، قال: وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد، وحرملة، كلاهما عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به. قال: وقد يقال: إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، قال: ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها، فلما أوحى إلى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه، استعاذ منه، والله سبحانه وتعالى أعلم. قال: وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة ؓ أن يهودية دخلت عليها فقالت: نعوذ بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة ؓ رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال ﷺ: «نعم عذاب القبر حق» قالت عائشة ؓ: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا نعوذ من عذاب القبر. قال ابن كثير: فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرّر عليه، قال: وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي، قال: فلعلهما قضيتان، والله سبحانه أعلم، قال: وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً.

(٤) في الأصل: «طيراً» وانتصوب من «الطيري».

(٥) في الأصل: «طيراً» وانتصوب من «الطيري».

على النار غدوًا وعشيًا، لثم ترجع إلى وكورها<sup>(١)</sup>، فذلك دأبها<sup>(٢)</sup> في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله ﷻ: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. وقد روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذْ مَاتَ حُرِّضَ عَلَيْهِ مَقْعُهُ بِالْقِدَاءِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ [أَهْلِ] الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ [أَهْلِ] النَّارِ»، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة<sup>(٣)</sup>. وهذه الآية تدل على عذاب القبر، لأنه بين ما لهم في الآخرة فقال: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ أَذْخِلُوا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، [وأبو عمرو]، وأبو بكر وأبان عن عاصم: «الساعة اذخلوا» بالضم وضم الخاء على معنى الأمر لهم بالدخول، والابتداء على قراءة هؤلاء بضم الألف. وقرأ الباقر: بالقطع مع كسر الخاء على جهة الأمر للملائكة بإدخالهم، وهؤلاء يبتدون بفتح الألف.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ قِيُولُ الْمُعَذِّبِينَ لِمِذَا اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ كُفَّارَكُمْ يَبْغَىٰ فَعَلَهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّ كُلَّ فِيهَا إِلَهٌ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْوَسَاةِ<sup>(٥)</sup> وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُحْثِفُوا عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ<sup>(٦)</sup> قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ<sup>(٧)</sup> إِنَّآ لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ<sup>(٨)</sup> يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعُونَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ<sup>(٩)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾ المعنى: واذكر لقومك يا محمد إذ يختصمون، يعني أهل النار، والآية مفسرة في [سورة] [إبراهيم: ٢١]، والذين استكبروا هم القادة. ومعنى ﴿إِنَّا كُلَّ فِيهَا إِلَهٌ قَدْ حَكَّمَ﴾ أي: نحن وأنتم، ﴿بَيْنَ الْوَسَاةِ﴾ أي: قضى هذا علينا وعليكم<sup>(٥)</sup>. ومعنى قول الخزنة لهم: ﴿فَادْعُوا﴾ أي: نحن لا ندعو لكم ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: إن ذلك يبطل ولا ينفع<sup>(٦)</sup>. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن ذلك بإثبات حُججهم. والثاني: بإهلاك عدوهم. والثالث: بأن العاقبة تكون لهم. وفصل الخطاب: أن نصرهم حاصل لا بد منه، فتارة يكون بإعلاء أمرهم كما أعطى داود وسليمان من المُلْك ما قهر به كل كافر، وأظهر محمداً ﷺ على مكذبيهم، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذبيهم بعد وفاة الرسل، كسليطه بختصر على قُتلة يحيى بن زكريا. وأما نصرهم يوم يقوم الأشهاد، فإن الله منجيهم من العذاب، وواحد الأشهاد شاهد، كما أن واحد الأصحاب صاحب. وفي الأشهاد ثلاثة أقوال: أحدها: الملائكة، شهداء للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالكذب، قاله مجاهد، والسدي. قال مقاتل: وهم الحفظة من الملائكة. والثاني: الملائكة والأنبياء، قاله قتادة. والثالث: أنهم أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح، قاله ابن زيد<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «نَنْفَعُ» بالناء، والباقر بالياء: «لأن المعذرة والاعتذار بمعنى». ﴿الظَّالِمِينَ مَعُونَتُهُمْ﴾ أي: لا يُقْبَلُ منهم إن اعتذروا ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعد من الرَّحمة. وقد بينا في [الرد: ٢٥] أن «لهم» بمعنى «عليهم»، و«سوء الدار»: النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهِنْدَ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَٰهِيلَ الْكِتَابَ<sup>(١)</sup> هَدَىٰ وَذَكَرَ لِيَ الْأَوَّلَى الْأَوَّلَى<sup>(٢)</sup> فَاصْبِرْ لِرَبِّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَفْتَرِ لِلذَّوْلِكَ وَسَخَّرَ بِحَسْبِ رَبِّكَ بِالْعَمَلِ وَالْإِبْكَارِ<sup>(٣)</sup> إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَتَغَيَّرُ سُلْطَانُ أَهْلِهِمْ إِنْ فِي

(٢) في الأصل: «دأبهم» والتصويب من «الطبري».

(٤) رواه البخاري ١٩٣/٣، ومسلم ٢١٩٩/٤.

(١) زيادة من «الطبري».

(٣) زيادة من «البخاري» ومسلم.

(٥) قال ابن جرير الطبري «إِنَّ كُلَّ فِيهَا إِلَهٌ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْوَسَاةِ» بفصل قضائه، فاسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم متقلون. اهـ.

(٦) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يقول: قد دَعَا، وما دعاوهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا يفهم ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: اخرجوا فيها ولا تكلمون. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب. اهـ.

(٧) قال ابن كثير: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل. اهـ.







قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: حوائجكم في البلاد<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَغْنَىٰ عَنْهُمْ اللَّهُ تَنكِيرًا﴾ استفهام توبيخ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ في «ما» قولان: أحدهما: أنها للنفي. والثاني: [أنها] للاستفهام، ذكرهما ابن جرير<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: [أنهم] الأمم المكذبة، قال الجمهور؛ ثم في معنى الكلام قولان. أحدهما: أنهم قالوا: نحن أعلم منهم لن نُبْعَثَ ولن نُحَاسَبَ، قاله مجاهد. والثاني: فرحوا بما كان عندهم أنه عِلْمٌ<sup>(٤)</sup>، قاله السدي. والقول الثاني: أنهم الرُّسل؛ والمعنى: فرح الرُّسل لما هلك المكذبون ونَجَوْا بما عندهم من العلم بالله إذ جاء تصديقه، حكاه أبو سليمان وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَوَافَقَ بِهِمْ﴾ يعني بالمكذِّبين العذاب الذي كانوا به يستهزون<sup>(٥)</sup>. والبأس: العذاب. ومعنى ﴿سَكَتَ اللَّهُ﴾: أنه سَنَّ هذه السُّنة في الأمم، أي: أن إيمانهم لا ينفعهم إذا رأوا العذاب، ﴿وَوَحَّيَ هَٰذَا الْكُفْرُ﴾. فإن قيل: كأنهم لم يكونوا خاسرين قبل ذلك؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن «خسر» بمعنى «هلك»، قاله ابن عباس. والثاني: أنه إنما بَيَّنَّ لهم خُسْرَانَهُمْ عند نزول العذاب، قاله الزجاج.



(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَلَا تَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ يقول: وتلبغوا بالعمولة على بعضها - وذلك الإبل - حاجة في صدوركم لم تكونوا بالغيها لولا هي إلا بشئ لأفْس، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَقَسِيلُ الْفَالِجَةِ إِلَىٰ بَلْوَىٰ لَمْ تَكُونُوا بِبَلْوَىٰ إِلَّا بِشَيْءٍ الْأَفْسَىٰ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: يقول: فأغنى جميع الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها توحيد الله وتدعون من دونه إلهاً. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول في قديم الدهر وماذا حلَّ بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروا في الأرض وجمعوا من الأموال، قال: فما أغنى عنهم ذلك شيئاً، ولا ردَّ عنهم ذرةً من بأس الله، قال: وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات، لم يلتفتوا إليهم ولا أقبلوا عليهم، واستغفروا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

(٤) الذي في «الطبري» وابن كثير: عن السدي: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بهيالتهم.

(٥) قال ابن كثير: ﴿وَوَافَقَ بِهِمْ تَنكِيرًا﴾ أي يكذبون ويستبعدون وقوعه. ثم قال في تسمية الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَٰئِسًا﴾ أي: عابثوا وقوع العذاب بهم ﴿فَالَمَّا رَأَوْا بَٰئِسًا وَاللَّهُ وَفَّقَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: وَفَّقَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَشْكُرُونَ؛ أي: وَفَّقَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَشْكُرُونَ، ولكن حيث لا تُقال العثرات ولا تنفع المعذرة، قال: وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق: ﴿كَأَنَّهُ أَتَىٰ لَٰهُ إِلَٰهَ إِلَّا إِلَٰهِي مَا كُنْتُ بِهِ بِرًا يَسْتَكْبِلُ مِنِّي مِنَ السَّيْلِ﴾ قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَقَعَتْ عَصِيَّتُهُمْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ يُدْرِكُهُمْ فِيهَا كَافَّةً﴾ أي: فلم يقبل الله منه، لأنه قد استجاب لبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال: ﴿وَأَشْفَذُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْجُوا الْفِتْنَةَ﴾ قال: وهكذا قال تعالى هاهنا: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ لَيْلَتَهُمْ إِسْرَهُمْ كَمَا رَأَوْا بَٰئِسًا شَكَتَ إِلَهُهُ إِلَيْهِ قَدْ كُنْتَ فِي عِبَادِهِ﴾ أي: هذا حكم الله في جميع من تاب عند معارضة العذاب أنه لا يقبل، قال: ولهذا جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ» أي: فإذا فرغ وبلغت الروح الحجرية وعابن الملك، فلا توبة حينئذٍ، قال: ولهذا قال تعالى: ﴿وَوَحَّيَ هَٰذَا الْكُفْرُ﴾. اهـ.

## سورة السجدة

مَكِّيَّة [كُلُّهَا] يَاجْمَاعُهُمْ، وَيُقَالُ لَهَا: سَجْدَةُ الْمُؤْمِنِ، وَيُقَالُ لَهَا: الْمَصَابِيحُ<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الْثَلَاثِ

﴿حَدَّثَنَا تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كُنْتُ فُضِّلْتُ بِإِيتَائِهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ نَبِّئِكُمْ وَلَقَدْ فَاعَلْنَا أَكْثَرَهُمْ فَهَمٌ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَفِي مَا كُنَّا نَقْرُؤُا مِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمَلْ إِنَّا نَحْنُ غَمِلُونَ ﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ إِلَهُ رَجْدٍ فَاسْتَعِينُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ﴿٥﴾ وَذَلَّلَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ قال الفراء: يجوز أن يرتفع ﴿تَنْزِيلٌ﴾ بـ ﴿حَدَّثَنَا﴾، ويجوز أن يرتفع بإضمار ﴿هذا﴾. وقال الزجاج: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ مبتدأ، وخبره، ﴿كُنْتُ فُضِّلْتُ بِإِيتَائِهِ﴾، هذا مذهب البصريين. و﴿قُرْآنًا﴾ منصوب على الحال، المعنى: بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ فِي حَالِ جَمْعِهِ، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لِمَنْ يَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿فَاعْمَلْ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿فَهَمٌ لَا يَسْمَعُونَ﴾ تكبراً عنه، ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ﴾ أي: في أغلبية فلا نفقه قولك. وقد سبق بيان ﴿الْأَكْثَرِ﴾ والْوَقَرُ في [الأنعام: ٢٥]. ومعنى الكلام: إِنَّا فِي تَرْكِ الْقَبُولِ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يَفْهَمُ، ﴿وَمِنَ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ أي: حاجزٌ في التَّحَلُّةِ وَالذِّينِ. قال الأخفش: و﴿مِنَ﴾ هَاهُنَا لِلتَّوَكُّيدِ. قوله تعالى: ﴿فَاغْمَلْ﴾ فيه قولان: أحدهما: اعمل في إبطال أمرنا إِنَّا عاملون على إبطال أمرك. والثاني: اغْمَلْ على وِبْنِكَ إِنَّا عاملون على ديننا. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: لولا الوحي لَمَّا دعوتكم. ﴿فَاسْتَعِينُوا إِلَيْهِ﴾ أي: تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، واستغفروه من الشرك<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا يشهدون أن ﴿إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والمعنى: لا يظهرون أَنفُسَهُمْ مِنَ الشَّرْكِ بِالتَّوْحِيدِ. والثاني: لا يؤمنون بالزكاة ولا يُقَرُّونَ بِهَا، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لا يزكُّون أعمالهم، قاله مجاهد، والربيع. والرابع: لا يتصدقون، ولا يُنْفِقُونَ فِي الطَّاعَاتِ، قاله الضحاك، ومقاتل. والخامس: لا يُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، قال ابن السائب: كانوا يُحْجُونَ ويعتمرون ولا يزكُّون<sup>(٣)</sup>.

(١) ويقال لها: فُضِّلْتُ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكلبين المشركين: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾، لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المغترين، إِنَّمَا إِلَهُ وَاحِدٌ، ﴿فَاسْتَعِينُوا إِلَيْهِ﴾ أي: اخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل ﴿وَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ﴾ أي: لسالف الذنوب، ثم قال: ﴿وَذَلَّلَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: دمار لهم وهلاك عليهم.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم، قال: وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَمِمَّنْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين غنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ مراد به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله، لم يكن لقوله: ﴿وَمِمَّنْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، قال: وفي إتيان الله قوله: ﴿وَمِمَّنْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما ينشئ عن الزكاة في هذا الموضع معني بها زكاة الأموال. وقال ابن كثير: ﴿وَذَلَّلَ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال قتادة: الذين يمنعون زكاة أموالهم، قال: وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، قال: وفيه نظر، لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد، قال: وهذه الآية مكية، اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به في ابتداء البعثة، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ قال: فاما الزكاة ذات النُّسْبِ والمقادير، فإنما بُيِّنَ أمرها بالمدينة، قال: ويكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس، وفُضِّلَ شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً، والله أعلم. اهـ.



قوله تعالى: ﴿عَبْرَ مَنُوتٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص.

﴿قُلْ أَنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَجَعَلَ لَهَا أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ تَحْتِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمُوتًا وَإِلَافًا سَوَاءً لِلنَّاسِ لَئِنْ أَتَاهُمْ أَمَةٌ أَوْ سَاقِطَةٌ أَوْ كَوْنُهَا ظِلٌّ أَمَّا لِنَاسٍ خَلَا سَوَاءٌ سَوَاءً يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٢﴾ فَتَضَعُهُنَّ بِسَبْعِ سَعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَجَعَلْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابن عباس: في يوم الأحد والاثنين، وبه قال عبد الله بن سلام، والسدي، والأكثر. وقال مقاتل: في يوم الثلاثاء والأربعاء. وقد أخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «خَلَقَ اللهُ ﷻ التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس»، وهذا الحديث يخالف ما تقدم، وهو أصح<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهَا أَنْدَادًا﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٢] و﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل ما ذكر ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابت من فوق الأرض، ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ بالأشجار والثمار والحبوب والأنهار، وقيل: البركة فيها: أن ينمي فيها الزرع، فتخرج الحبة حبات، والنواة نخلة ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَمُوتًا﴾ قال أبو عبيدة: هي جمع قوت، وهي الأرزاق وما يحتاج إليه. وللمفسرين في هذا التقدير خمسة أقوال: أحدها: أنه شقق الأنهار وغرس الأشجار، قاله ابن عباس. والثاني: أنه قسم أرزاق العباد والبهائم، قاله الحسن. والثالث: أقواتها من المطر، قاله مجاهد. والرابع: قدر لكل بلدة ما لم يجعله في الأخرى كما أن ثياب اليمن لا تصلح إلا بـ «اليمن» والهروية بـ «هراة»، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة، قاله عكرمة، والضحاك. والخامس: قدر البر لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، واللذرة لأهل قطر، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في ثمة أربعة أيام. قال الأخفش: ومثله [أن] تقول: تزوجت أمس امرأة، واليوم ثنتين، وإحدهما التي تزوجتها أمس. قال المفسرون: يعني: الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام.

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ﴾ قرأ أبو جعفر: «سواء» بالرفع. وقرأ يعقوب، وعبد الوارث: «سواء» بالجر. وقرأ الباقر من العشرة بالنصب. قال الزجاج: من قرأ بالخفض، جعل «سواء» من صفة الأيام؛ فالمعنى: في أربعة أيام مستويات تأتت؛ ومن نصب، فعلى المصدر؛ فالمعنى: استوت سواء واستواء؛ ومن رفع، فعلى معنى: هي سواء. وفي قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ وجهان: أحدهما: للساكنين القوت، لأن كلاً يطلب القوت ويسأله. والثاني: لمن يسأل: في كم خلقت الأرض؟ فيقال: خلقت في أربعة أيام سواء، لا زيادة ولا نقصان.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قد شرحناه في [البقرة: ٢٩] ﴿وَجَعَلَ دُخَانًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه لما خلق

(١) ولفظ الحديث بتمامه عند مسلم ٢١٤٩/٤: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله ﷻ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ﷺ بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل». وهذا الحديث من أفراد مسلم كما ذكر المؤلف رحمه الله، وقد رواه الإمام أحمد في «المستد» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك رواه النسائي في «التفسير» وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وقال الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث في «التفسير»، بعد ما أورده: وهذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم» وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة سمعه من كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعاً، وقد حرر ذلك البيهقي. اهـ. والحديث سند صحيح، ومن صححه الشوكاني في «فتح القدير»، وإنما تكلم عليه بعض العلماء من جهة منه، ورأوا أنه معارض للقرآن، والذي صحح الحديث سنداً ومتناً رأى أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام، وخلق الأرض وحدها في يومين، والحديث بين أن الله خلق ما في الأرض في سبعة أيام، ويحتمل أن تكون هذه الأيام السبعة، غير الأيام الستة التي ذكرها الله في خلق السموات والأرض، ويحتمل لا تعارض، وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها، والله تعالى أعلم.



قوله تعالى: ﴿فِي آيَاتِهِ نَحْسَاتٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «نَحْسَاتٍ» بإسكان الحاء؛ وقرأ الباقون: بكسرها. قال الزجاج: من كسر الحاء، فواحدُهن «نَحْسٌ»، ومن أسكنها، فواحدُهن «نَحْسٌ»؛ والمعنى: مشؤمات<sup>(١)</sup>. وفي أول هذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: غداة يوم الأحد، قاله السدي. والثاني: يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. والثالث: يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام. والخزني: الهوان.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نَسُودٌ فَهُدَيْتَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: بَيَّنَّا لهم، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة. وقال قتادة: بَيَّنَّا لهم سبيل الخير والشر. والثاني: دَعَوْنَاهُمْ، قاله مجاهد. والثالث: دَلَّلْنَاهُمْ على مذهب الخير، قاله الفراء. قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَعَبُوا أَلَمِي﴾ أي: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَعَدَّتْهُمْ صِغْفُؤُ الْمَذَابِ الْمُنُونِ﴾ أي: ذي الهوان، وهو الذي يُهِنُهُمْ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١١ ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٢ ﴿وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ١٣ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ١٤ ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ يَنْزِلَ إِلَيْكُمْ أَنْزَارُكُمْ فَانْصَرَفْتُمْ مِنَ الْمَغْرِبِ لَنْ تُنصَرَفُوا فَآلَيْكُمْ مَوْتُكُمْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْإِنشَاءِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ ١٥

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ وقرأ نافع: «نَحْشَرُ» بالنون «أعداء» بالنصب.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُخْبَسُ أولُهم على آخرهم ليتلاحقوا. ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا﴾ يعني النار التي حُشِرُوا إليها ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾، وفي المراد بالجلود ثلاثة أقوال: أحدها: الأيدي والأرجل. والثاني: الفروج، روى عن ابن عباس. والثالث: أنه الجلود نفسها، حكاه الماوردي. وقد أخرج مسلم في أفرادهِ من حديث أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون ممَّ أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا رب ألم تُجزني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فلاني لا أُجِيرُ عليَّ إلاَّ شهداء مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتِبين شهوداً، قال: فيُخْتَمُ على فيه، فيقال لأركانهِ<sup>(٣)</sup>: أنطقي، قال: فتَنطِقُ بأعماله، قال: ثُمَّ يُخَالِي بيْنَهُ وبينَ الكلام، فيقول: بُغْدًا لَكُنَّ وَسُخْفًا، فَنَعْنُكَ كُنْتُ أَنَاضِلُ<sup>(٤)</sup>».

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: ممَّا نطق. وهاهنا تم الكلام. وما بعده ليس من جواب الجلود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ﴾ روى البخاري ومسلم في «الصحاحين» من حديث ابن مسعود قال: كنْتُ مستترًا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشيٌّ وخثانيٌّ ثقفِيَّان، أو ثقفِيٌّ وخثانيٌّ قرشيَّان،

البرد جلدًا، كقوله تعالى: ﴿يَبِيعُ سِمْيَرٌ بَكِيْرٍ﴾ أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج، قال: ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق مصرصرًا لقوة صوت جريهِ. اهـ.

(١) وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي آيَاتِهِ نَحْسَاتٌ﴾ قال: أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب، قال ابن جرير: وقال آخرون: عنى بذلك المشاييم، قال: وقال آخرون: معنى ذلك: أيام ذات شر، وقال آخرون: النحسات: الشداد. ثم قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بها: أيام مشاييم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقال الثوري: دعوتاهم ﴿فَأَسْتَعَبُوا أَلَمِي عَلَى الْمَذْنِ﴾ أي: بقرناهم، وبَيَّنَّا لهم، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعفروا ناقة الله تعالى التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم ﴿فَأَعَدَّتْهُمْ صِغْفُؤُ الْمَذَابِ الْمُنُونِ﴾ أي: بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلاً وهواناً وعذاباً ونكالاً ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: من التكذيب والجحود ﴿وَنَزَّلْنَا الذِّكْرَ آتَانَا﴾ أي: من بين أظهرهم لم يمسه سوء، ولا نالهم من ذلك ضرر، بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله ﷻ. اهـ.

(٣) أي: جوارحه.

(٤) أي: أدافع وأجادل. والحديث في «صحيح مسلم» ٤/ ٢٢٨٠ عن أنس بن مالك رَوَاهُ النسائي وغيره.



كثيراً شخماً يطونهم، قليلٌ فقهٌ قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترؤن الله يسمعُ كلامنا هذا؟ فقال الآخرون: إنا إذا رفعنا أصواتنا سَمِعَهُ، وإن لم ترفع لم يسمع، وقال الآخر: إن سمع منه شيئاً سمعه كُلُّه، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِينُونَ أَنْ يَنْهَكَ عَلَيْكُمْ سَمْعَكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ الْخَافِينَ﴾<sup>(١)</sup>. ومعنى «تسترون»: تستخفون «أن يشهد» أي: من أن يشهد عليكم سَمْعُكُمْ لأنكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم، ولا تظنون أنها تشهد «ولكن ظننتم أن الله لا يملكُ كبيراً ومَن سَمَلُونَ» قال ابن عباس: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا، ولكنه يعلم ما يظهر، «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ سَمِعْتُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>. «فَإِنْ يَصِيرُوا» أي: على النار، فهي مسكنهم، «وَأَنْ يَسْتَعِينُوا» أي: يسألوا أن يرجع لهم إلى ما يحبون، لم يرجع لهم<sup>(٣)</sup>، لأنهم لا يستحقون ذلك. يقال: أعطني فلان، أي: أرضاني بعد إسقاطه إياي. واستعنته، أي: طلبت منه أن يعطيني، أي: يرضى.

قوله تعالى: ﴿وَوَفَّيْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ﴾ أي: سببنا لهم قرآن من الشياطين «فَوَرَّيْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ما بين أيديهم: من أمر الآخرة أنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب، وما خلفهم: من أمر الدنيا، فزَيَّنَا لهم اللذات وجمع الأموال وترك الإنفاق في الخير. والثاني: ما بين أيديهم: من أمر الدنيا، وما خلفهم: من أمر الآخرة، على عكس الأول. والثالث: ما بين أيديهم: ما فعلوه، وما خلفهم: ما عزموا على فعله. وباقي الآية [قد تقدم تفسيره (الإسراء: ١٦، الأعراف: ٢٨)].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> فَلْيَذِيقُوا الْعَذَابَ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَثْمَالُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ جَزَاءُ عَمَلِكُمْ اللَّهُ النَّارُ لَكُمْ فِيهَا دَارُ الْخَالِدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي: لا تسمعه «وَالْغَوْا فِيهِ» أي: عارضوه باللغو، وهو الكلام الخالي عن فائدة. وكان الكفار يوصي بعضهم بعضاً: إذا سمعتم القرآن من محمد وأصحابه فارفعوا أصواتكم حتى تلبسوا عليهم قولهم. وقال مجاهد: والغوا فيه بالمكاء والصفير والتخيل من القول على رسول الله ﷺ إذا قرأ «لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ» فيسكتون...

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ عَمَلِكُمْ اللَّهُ﴾ يعني العذاب المذكور. وقوله: ﴿النَّارُ﴾ بدل من الجزاء «لَكُمْ فِيهَا دَارُ الْخَالِدِ» أي: دار الإقامة. قال الزجاج: النار هي الدار، ولكنه كما تقول: لك في هذه الدار. دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها، قال الشاعر:

أخو رغائبٍ يعطيها ويسألها      يابى الظلّامة منه النّوّلُ الرّؤفُ<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري ٤٣٢٠/٨، ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه أحمد في «المسنَد» رقم (٣٦١٤) و(٢٨٧٥) و(٤٠٤٧) واللفظ له، والترمذي: ١٥٢/٢ وقال: حديث حسن، والطبري: ١٠٩/٢٤، والواحدي في «أسباب النزول» ٢١٣، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٢/٥، وزاد نسيه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٢٠٦/٤ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»، ورواه أحمد في «المسنَد» عن جابر بلفظ: «لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قوماً قد أراحهم سوء ظنهم بالله، فقال الله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ أَنَّى كُنْتُمْ؟﴾» وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٢/٥، وزاد نسيه للطبراني، وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن ماجه، وابن حبان، وابن مردويه عن جابر رضي الله عنه.

(٣) عبارة الطبري: ﴿وَأَنْ يَسْتَعِينُوا﴾ وإن يسألوا العتني، وهي الرجعة لهم إلى الدين يحبون «لَهُمْ فِي النَّارِ» فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة أهد.

(٤) البيت لأعشى بأهله من مريته المفصلة المشهورة يرثي بها أخاه لأنه المشر بن وهب، ومظلمها: قَسَدٌ جَاءَ مِنْ غُلٍّ أَنْبَاءُ أَنْبُؤُنَا... إلخ لا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ

وهي في «الأصمعيات» ٨٩ و«جمهرة أشعار العرب»، و«مختارات ابن الشجري»، و«أمالي الشريف المرتضى»، و«خزانة الأدب» ٨٩/١، والرغائب: العطايا الواسعة، والنوّل: الكثير النوافل، أي: العطايا، والرؤف: السيد، لأنه يزدفر بالأموال في الخعالات مطبقاً لها. وفي «اللسان»: زفر، وقوله: «منه» مؤكدة للكلام، والمعنى: يابى الظلّامة لأنه النّوّلُ الرّؤفُ، كما في قوله تعالى: ﴿يُخَيِّرُ لَكُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ والسخر، بفتحين وبضمين: السخرية.



﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ آمَنَّا مِنَ الْغُوثِ وَالْأَغَاثِ يَجْعَلُهُمْ ثَمَنًا تَقْدِيرًا يُكُونُ مِنَ الْأَسْفَلِ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ إِلَٰهَكَ أَعْلَمُ بِالْمُنَافِقِينَ ﴿١٦١﴾ رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا فَتَنَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ الْأَوَّلُ وَلَا تَحْمِلُوا وَلَا تَحْمِلُوا بِالْمَنَةِ إِلَى كُنُفِهِمْ فَوَعَدُونَ ﴿١٦٢﴾ تَحْنُ أَرَأَيْتُمْ أَكُفْرَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَوُونَ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿١٦٣﴾ تَزَلُّونَ غَوًى رَبِّعِمْ ﴿١٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما دخلوا النار ﴿رَبَّنَا آتِنَا الَّذِينَ نُسَلُّونَا﴾ وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: ﴿أَرْزَانَا﴾ يسكون الراء. قال المفسرون: يغنون إبليس وقابيل، لأنهما سنا المعصية، ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا﴾ يَكُونَانِ مِنَ الْأَفْدَانِ أي: في الدرك الأسفل، وهو أشد عذاباً من غيره. ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [أي: وحده] ﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصديق، ومجاهد، والثاني: على طاعة الله وأداء فرائضه، قاله ابن عباس، والحسن، وقادة. والثالث: على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية، والسدي<sup>(١)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربُّنا الله، والملائكة بناتُه، وهؤلاء شفعائنا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربُّنا الله، وعزيرُ ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربُّنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا. وقال أبو بكر: ربُّنا الله وحده، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ أي: بأن لا تخافوا. وفي وقت نزولها عليهم قولان: أحدهما: عند الموت، قاله ابن عباس، ومجاهد؛ فعلى هذا في معنى «لا تخافوا» قولان: أحدهما: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، قاله مجاهد. والثاني: لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، قاله عكرمة، والسدي. والقول الثاني: تنزل عليهم إذا قاموا من القبور، قاله قتادة؛ فيكون معنى «لا تخافوا»: أنهم يبشرونهم بزوال الخوف والحزن يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم، والمعنى: نحن [الذين] كنا ننولكم في الدنيا، لأن الملائكة تنول المؤمنين وتحبهم لما ترى من أعمالهم المرفوعة إلى السماء، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: ونحن معكم في الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. وقال السدي: هم الحفظة على ابن آدم، فذلك قالوا: ﴿تَحْنُ أُولَئِكَ﴾ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؛ وقيل: هم الملائكة الذين يأتون لقبض الأرواح<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. ﴿تُزَلَّ﴾ قال الزجاج: معناه: أبشروا بالجنة تتزولونها [تُزَلَّ]. وقال الأخفش: لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أنزلناه تُزَلَّ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْمَسْنُونَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِاللَّهِ فِي أَحْسَنٍ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٢١﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ وَإِنَّمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٣﴾﴾

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٦٥/١ عن سفیان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم» والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣٦٣/٥، وزاد نسبة لأحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، والبخاري في «تاريخه»، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الواحد في «أسباب النزول» ٢١٣ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: وقرئ تعالى: ﴿تَنْزِيلُ عَلَيْهِمُ الْغُيُوتَ﴾ قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه: يعني عند الموت قالين ﴿أَلَا تَحْشَآؤْنَ﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم: أي: مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلقتهم من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه ﴿وَأَنْبِئُوا بِالْحَقِّ﴾ كَثْرَ مُسْكِنٍ فيشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، قال: وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَقُولُ لِرُوحِ الْمُؤْمِنِ: اخْرُجِي أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ كُنْتَ تَعْمُرُهُ، اخْرُجِي إِلَى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَرُبِّ غَيْرِ غُضْبَانٍ. اهـ»

(٤) قال ابن كثير: وقوله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِالْآخِرَةِ﴾ أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أوليائك أي: قرنائكم في الحياة الدنيا نسألكم ونوقدكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك تكون معكم في الآخرة، نونس منكم الوحشة في القبور، وعند الفضة في الصور، ونؤتمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُنَّ أَشْتَكُمُ﴾ أي: في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقر به العين ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْرُونَ﴾ أي: مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ فيمن أريد بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المؤذنون. روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نزلت في المؤذنين»<sup>(١)</sup>، وهذا قول عائشة، ومجاهد، وعكرمة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثالث: أنه المؤمن أجاب الله إلى ما دعاه، ودعا الناس إلى ذلك ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في إجابته، قاله الحسن. وفي قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ثلاثة أقوال. أحدها: صلى ركعتين بعد الأذان، وهو قول عائشة، ومجاهد، وروى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ قال: الأذان ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال: الصلاة بين الأذان والإقامة. والثاني: أدى الفرائض وقام لله بالحقوق، قاله عطاء. والثالث: صام وصلى، قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ لِلْفَسَنَةِ وَلَا أَلَيْتُهُ﴾ قال الزجاج: «لا» زائدة مؤكدة؛ والمعنى: ولا تستوي [الحسنة] والسَّيِّئَةُ. وللمفسرين فيها ثلاثة أقوال. أحدها: أن الحسنة: الإيمان، والسَّيِّئَةُ: الشُّرك، قاله ابن عباس. والثاني: الجُلْمُ والفُحْشُ، قاله الضحاك. والثالث: الثُّغُورُ والصَّبْرُ، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وذلك كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، فإذا فعلت ذلك صار بينك وبينه عداوة كالصديق القريب. وقال عطاء: هو السَّلام على من تعاديه إذا لَقِيْتَهُ. قال المفسرون: وهذه الآية منسوخة بآية السَّيف<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُرٌّ حَظْلٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ما يُعْطَاهَا. قال الزجاج: ما يُلْقَى هذه القُفْلَةُ: وهي دفع السَّيِّئَةِ بالحسنة ﴿إِلَّا أَلَيْتُ صَبْرًا﴾ على كظم الغيظ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُرٌّ حَظْلٌ عَظِيمٌ﴾ من الخير. وقال السدي: إِلَّا ذُو جَدٍّ. وقال قتادة: الحَظْلُ العظيم: الجنة؛ فالمعنى: ما يُلْقَاهَا إِلَّا مَنْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ النَّاسِ نَعْبٌ﴾ قد فسرناه في [الأعراف: ٢٠٠]<sup>(٥)</sup>.

(١) الذي في كتب التفسير وأسباب النزول عن عائشة وعكرمة موقوفاً عليهم أن هذه الآية نزلت في المؤذنين، وقد قال السيوطي في «الدرر» ٥/ ٣٦٤: أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾. اهـ. ولم نر رواية جابر بن عبد الله التي ذكرها المؤلف في المرفوع، والله أعلم. وقد قال ابن كثير في «التفسير»: والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم، قال: فأما حال نزول هذه الآية، فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكلية، لأنها مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أراه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامة فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾، ثم قال ابن كثير: فالصحيح إذن أنها عامة، كما قال عبد الرزاق عن يعمر بن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله. اهـ.

وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ويجاب عن هذا بأن الآية مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة، والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً لنزولها دخولاً أولياً، فكل من جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو تادية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته، ولا أكثر ثواباً من عمله. اهـ.

وقال الخازن في «تفسيره»: وقيل: إن كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية، قال: والدعوة إلى الله مراتب، الأولى: دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثانية: دعوة العلماء، والثالثة: دعوة المجاهدين في سبيل الله، والرابعة: دعوة المؤمنين إلى الصلاة، قال: فهم أيضاً دعاء إلى الله تعالى وإلى طاعته.

(٢) والصحيح أنها عامة في كل ذلك.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿فَمَا أَلَيْتُ صَبْرًا﴾ عَدَاةٌ قَاتِلَةٌ حَقِيْبَةٌ يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد، من دَفْعِ سَيْتَةِ الْمَسِيءِ إِلَيْكَ بِأَحْسَانِكَ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِهِ إِلَيْهِ، فيصير المسيء إليك الذي يبنيك وبينه عداوة، كأنه من ملاحظته إياك وَيَرَى لَكَ، ولي لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، قال: والحميم: هو القريب. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا أَلَيْتُ صَبْرًا﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يُشَقُّ عَلَى النَّفْسِ، ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا دُرٌّ حَظْلٌ عَظِيمٌ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، قال: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم. اهـ.

(٥) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَرْغَبُكَ مِنَ النَّاسِ نَعْبٌ قَاتِلٌ عَظِيمٌ﴾ أي: إن شيطان الإنس ربما يندفع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن، فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخاله الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه، كَفَّ عَنْكَ وَرَدَّ كَيْدَهُ، قال: وقد كان رسول الله ﷺ إذا

﴿وَمِن مَّا يَدْعُو النَّبِيُّ وَالرُّسُلَ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْكَنْتُمْ مَا لِلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسْكِنُونَ لَمْ يَأْتِلِمْ وَرَأَيْتُمْ أَنَّهَا لِلَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِن مَّا يَدْعُو أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أُنْزِلْنَا عَلَيْهَا أَفْزَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الْأَرْضَ لَحَيَاةٌ لِّمَنِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَسْكَنْتُمْ﴾ [أي: تكبروا عن التوحيد والعبادة] ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة ﴿يُسْكِنُونَ﴾ أي: يصلون. و«يسأمون» بمعنى يَمَلُّون. وفي موضع السجدة قولان: أحدهما: أنه عند قوله: «يسأمون»، قاله ابن عباس، ومسروق، وقتادة، واختاره القاضي أبو يعلى، لأنه تمام الكلام. والثاني: [أنه] عند قوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، روي عن أصحاب عبد الله، والحسن، وأبي عبد الرحمن.

قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّا يَدْعُو أَنَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً﴾ قال قتادة: غبراء منهشمة. قال الأزهري: إذا يَبَسَّتْ الْأَرْضُ وَلَمْ تُنْمَطِرْ، قِيلَ: خُشَعَتْ.

قوله تعالى: ﴿أَفْزَرَتْ﴾ أي: تحركت بالثبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ أي: عُلَتْ، لأن النبت إذا أراد أن يَظْهَرَ ارتفعت له الأرض؛ وقد سبق بيان هذا [الحج: ٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَلِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup> إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِنُوزٌ عَرِيزٌ ﴿٣٨﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ قال مقاتل: نزلت في أبي جهل<sup>(٣)</sup>. وقد شرحنا معنى الإلحاد في [النحل: ١٠٣]؛ وفي المراد به هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه وضع الكلام على غير موضعه، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه المكاء والصفير عند تلاوة القرآن، قاله مجاهد. والثالث: أنه التكذيب بالآيات، قاله قتادة. والرابع: أنه المعاندة، قاله السدي. والخامس: أنه المثل عن الإيمان بالآيات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا﴾ هذا وعيد بالجزاء ﴿أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَلِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وهذا عام. غير أن المفسرين ذكروا فيمن أريد به سبعة أقوال: أحدها: أنه أبو جهل وأبو بكر الصديق، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثاني: أبو جهل وعمار بن ياسر، قاله عكرمة<sup>(٥)</sup>. والثالث: أبو جهل ورسول الله ﷺ، قاله ابن السائب،

قام إلى الصلاة يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»، قال: وقد قلنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة (الأعراف) عند قوله تعالى: ﴿خُذِ الزُّبْرَ الْأَمْزِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْكَلْبِ﴾<sup>(٦)</sup> وَإِنَّا بِفَرْقَتِكَ مِنَ الْكَافِرِينَ نَزَعَ فَاسْتَوَى بِأَقْرَبِ سَبْعِ عَشْرَ ﴿٣٨﴾ وفي سورة (المؤمنين) عند قوله: ﴿أَتَقَرَّقِي وَأَتِي فِي أَمْسٍ ثَلَاثِينَ نَحْنُ أَقْلَمُ بِمَا يَسْمُوتُ﴾<sup>(٧)</sup> وَقَدْ رُبَّ مُضِلٍّ أَعْدَى إِلَيْهِ مِنْ مُّزَيِّنٍ الْكَافِرِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَعْرَضَ بَلَدٌ رَبِّكَ عَنْهُ

يريد بذلك الآية التي قبل قوله: ﴿إِنْ أَسْكَنْتُمْ﴾... الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِن مَّا يَدْعُو النَّبِيُّ وَالرُّسُلَ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ وقد حذفها المؤلف ولم يفسرها لوضوح معناها. قال القرطبي في «تفسيره»: هذه الآية آية سجدة بلا خلاف، واختلفوا في موضع السجود منها، فقال مالك: موضعه: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأنه متصل بالأمر، وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله: «تعبدون»، وقال ابن وهب والشافعي: موضعه ﴿وَمَنْ لَا يَتَّقُونَ﴾ لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال، وبه قال أبو حنيفة، وكان ابن عباس يسجد عند قوله: «يسأمون»، وقال ابن عمر: اسجدوا بالآخرة منهما، وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وإبراهيم النخعي وأبي صالح ويحيى بن وثاب، وطلحة وزيد اليامين (نسبة إلى يامة بطن من همدان) والحسن وابن سيرين، وكان أبو وائل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله: «يسأمون» قال ابن العربي: والأمر قريب. اهـ. وقال الخازن في «تفسيره»: فصل: وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة، وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء، وهما وجهان لأصحاب الشافعي، أحدهما: أنه عند قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وهو قول ابن مسعود والحسن، وحكاها الرازمي عن أبي حنيفة وأحمد، لأن ذكر السجدة قبله، والثاني وهو الأصح عند أصحاب الشافعي وكذلك نقله الرازمي: أنه عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يَتَّقُونَ﴾ وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة، وحكاها الزمخشري عن أبي حنيفة، لأن عنده يتم الكلام. اهـ.

- (٢) ذكر ذلك البيهقي عن مقاتل بدون سند.  
(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٣٦٦/٥ أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ؓ في قوله: ﴿أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَلِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال: أبو جهل بن هشام، ﴿أَمْ مَن يَأْتِي مَلِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قال: أبو بكر الصديق ؓ.  
(٤) قال السيوطي في «الدرر» ٣٦٦/٥ أخرج ابن عساكر عن عكرمة ؓ في قوله: ﴿أَفَنُيْلَقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي مَلِكًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل.



ومقاتل. والرابع: أبو جهل وعثمان بن عفان، حكاه الثعلبي. والخامس: أبو جهل وحزمة، حكاه الواحدي. والسادس: أبو جهل وعمر بن الخطاب. والسابع: الكافر والمؤمن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ قال الزجاج: لفظه الأمر، ومعناه الوعيد والتهديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ يعني القرآن، ثم أخذ في وصف الذِّكْر؛ وَتَرَكَ جواب «إِنَّ»، وفي جوابها هاهنا قولان: [أحدهما]: أنه «أَوَّلُكَ بِكَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ»، ذكره الفراء. والثاني: أنه متروك، وفي تقديره قولان: أحدهما: إن الذين كفروا بالذِّكْر لما جاءهم كفروا به. والثاني: إن الذين كفروا يجازون بكفرهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَكُمْ عَذَابٌ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: مَنَعَ من الشيطان لا يجد إليه سبيلاً، قاله السدي. والثاني: كريم على الله، قاله ابن السائب. والثالث: مَنَعَ من الباطل، قاله مقاتل. والرابع: يمتنع على الناس أن يقولوا مثله، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطُلُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: التكذيب، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: الشيطان. والثالث: التبديل، روي عن مجاهد. قال قتادة: لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً. وقال مجاهد: لا يدخل فيه ما ليس منه. وفي قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: بين يَدَيْ تزييه، وبعد نزوله. والثاني: أنه ليس قبله كتاب يُبَيِّنُهُ، ولا يأتي بعده كتاب يُبَيِّنُهُ. والثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم، ولا في إخباره عما تأخر.

﴿مَا يَقَالَ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ وَدُوٌّ عِقَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَكَوَّ جَعَلْتَهُ قُرْآنًا عَجَبًا ﴿٤٤﴾ لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَتْ مَائِكَتُهُ مَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرَةٌ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَأُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿مَا يَقَالَ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قد قيل فيمن أُرْسِلَ قَبْلَكَ: ساحر وكاهن ومجنون، وكُذِّبُوا كما كُذِّبَتْ، هذا قول الحسن، وفتادة، والجمهور. والثاني: ما تُخْبِرُ إِلَّا بما أخبر الأنبياء قَبْلَكَ من أن الله غفور، وأنه ذو عقاب، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَكَوَّ جَعَلْتَهُ﴾ يعني الكتاب الذي أنزل عليه «قُرْآنًا عَجَبًا» أي: بغير لغة العرب «لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَتْ مَائِكَتُهُ» أي: هلأ بُيِّنَتْ آيَاتُهُ بالعربية حتى نفهمه؟ «مَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عمر، وحفص عن عاصم: «عجمي» [بهززة] ممدودة. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «العجمي» بهزنتين، والمعنى: أكتاب أعجمي ونبي عربي؟ وهذا استفهام إنكار؛ أي: لو كان كذلك لكان أشد لتكذيبهم. «قُلْ هُوَ» يعني القرآن «لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى» من الضلالة «وَبُشْرَةٌ» للشكوك والأوجاع. «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» الضم، فهم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم. «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أي: ذو عذاب. قال قتادة: صموا عن القرآن وعصوا عنه «أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ» أي: إنهم لا يسمعون ولا يفهمون كالذي يُبَادِي من بعيد.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ ذِكْرًا وَلَا كَلِمَةً سَبَخَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَوِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٧﴾ مِّنْ عِلٍّ صُلْبًا وَلَقَدْ قَسَمْتَ إِنَّهُمْ لَبِغْلٌ قَاتِلَةٌ وَمَا رَبُّكَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ هذه تسلية لرسول الله ﷺ، والمعنى: كما آمن بكتابك قومٌ وكذب به قومٌ، فكَذَلِكَ كتاب موسى، «وَلَا كَلِمَةً سَبَخَتْ مِنْ رَبِّكَ» في تأخير العذاب إلى أجل مسمى وهو القيامة «لَقَوِيَ بَيْنَهُمْ» بالعذاب الواقع بالمكذِّبين «وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ» من صدقك وكتابك، «مُرِيبٍ» أي: شوق لهم الرئية.

﴿إِنَّ إِلَهَهُمُ إِلَهُكُمْ﴾ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ شَرْعِيٍّ مِنْ أَكْثَرِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ إِنَّهُمْ شُرَكَاءُ قَالُوا مَا أَذْنُكَ مَا مِثْلُ مَا سَمِعَ ﴿٤٩﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيٍّ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَهُمُ إِلَهُكُمْ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: أخبرنا عن الساعة إن كنت رسولاً كما



تزعج، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>. ومعنى الآية: لا يَتَلَمَّ قيامها إلا هو، فإذا سُئِلَ عنها فَعَلِمَها مردوداً إليه. وَمَا تُخْرِجُ مِنْ ثَمَرَةٍ قَرَأَ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «من ثمرة». وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «من ثمرات» على الجمع «مِنْ أَكْثَامِهَا» أي: أوعيتها. قال ابن قتيبة: أي: من المواضع التي كانت فيها مستورة، وغلاف كل شيء؛ كُتْمُهُ، وإنما قيل: كُتْمُ القميص، من هذا. قال الزجاج: الأكمام: ما غَطَّى<sup>(٢)</sup>، وكلُّ شجرة تُخْرِجُ ما هو مُكْتَمٌ فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة: ما غَطَّى جُفَارَها من السَّعْفِ والليف والجذع، وكلُّ ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، فالظلمة كُتْمُها قشرها، ومن هذا قيل للقلنسوة: كُتْمٌ، لأنها تُغَطِّي الرأس، ومن هذا كُتْمُ القميص، لأنها يَغْطِيَانِ اليدين<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ الذين كنتم تزعمون ﴿قَالُوا ۖ أَذُنُكَ﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: أعلمناك، وقال مقاتل: أسمعنك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه من قوم المشركين؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ بَأَنَّ لَكَ شَرِيكاً، فيتبرؤون يومئذٍ مما كانوا يقولون، هذا قول مقاتل. والثاني: [أنه] من قول الألهة التي كانت تُعْبَدُ؛ والمعنى: ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ لَهم بما قالوا، قاله الفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: بطل عنهم في الآخرة ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ أي: يعبدون في الدنيا، ﴿وَعَطَّرُوا﴾ أي: أيقنوا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ نَجِيٍّ﴾ وقد شرحنا المنحصر في سورة [النساء: ١٢١].

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاؤِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَدْعُو قُرْطُومًا﴾ <sup>(١)</sup> وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ عَذَابٍ مَسَّاهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ <sup>(٢)</sup> وَلَئِذَا أَقْنَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ عُقْرَهُ وَنَا بِحَايِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاؤٍ عَرِيضٍ <sup>(٣)</sup> قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ <sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾ قال المفسرون: المراد به الكافر؛ فالمعنى: لا يَمَلُّ الكافر ﴿مِنْ دُعَاؤِ الْخَيْرِ﴾ أي: من دعائه بالخير، وهو المال والعافية. ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ وهو الفقر والشدة؛ والمعنى: إذا اختبر بذلك ينس من رَوْحِ الله، وقَطَنَ من رحمته. وقال أبو عبيدة: اليؤوس، فَعُولٌ من يأس<sup>(١)</sup>، والقُتُوط، فَعُولٌ من قَطَط.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: خيراً وعافية وغيثاً، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا واجب لي بعملتي وأنا محقوق به، ثم يَشْكُ في البعث فيقول: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: لست على يقين من البعث ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ يعني الجنة، أي: كما أعطاني في الدنيا يعطيني في الآخرة ﴿لَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لنُخَبِّرَنَّهُمْ بمساوئ أعمالهم. وما بعده قد سبق [إبراهيم: ١٧، الإسراء: ٨٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَنَا بِحَايِيهِ﴾ قَرَأَ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «ونأى» مثل «نعى». وقرأ ابن عامر: «وناء» مفتوحة النون ممدودة والهمزة بعد الألف. وقرأ حمزة: «نشى» مكسورة النون والهمزة<sup>(٢)</sup>. ﴿فَذُو دُعَاؤٍ عَرِيضٍ﴾ قال الفراء، وابن قتيبة: معنى العريض: الكثير، وإن وصفته بالطول أو بالعرض جاز في الكلام. ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: خلاف للحق ﴿بَعِيدٍ﴾ عنه؟ وهو اسم؛ والمعنى: فلا أحد أضل منكم. وقال ابن

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير»: وقد روي أن المشركين قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فخبرنا متى تقوم الساعة؟ فنزلت. وقد تقدم في سورة [الأعراف: ١٨٧] عند قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ فِي النَّارِ إِنْ كُنَّ مُرْسَةً قُلْ إِنَّا وَلِيُّهَا وَإِلَٰهُكُمْ وَفِيَّ إِلَّا هُوَ﴾ قولان في سبب نزولها: أحدهما: أن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت، والثاني: أن قريشاً قالت: يا محمد بيننا وبينك قرابة فينبئ لنا متى الساعة؟ فنزلت، وقد قال ابن جرير الطبري هناك: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة؛ فأنزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكون كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان. اهـ.

(٢) عبارة «اللسان»: وقال الزجاج في قوله: «ذات الأكمام» قال: عنى بالأكمام ما غطَّى...

(٣) في الأصل: اليد، والتصريح من «اللسان».

(٤) في «معجم القرآن»: «يؤوس» فعول من يست؛ وفي «اللسان»: قال سيبويه: يَسُّ يَتَأَسُّ ويَأَسُّ يَتَيْسُّ لغتان ثم يَرْغَبُ منهما لغة.

(٥) سبق ذكره القراءات في قوله تعالى: ﴿وَلَئِذَا أَقْنَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ عُقْرَهُ وَنَا بِحَايِيهِ﴾ في سورة [الإسراء: ٨٣].

جبرير: معنى الآية: [لَنْتُمْ كَفَرْتُمْ بِهِ، أَلَسْتُمْ فِي شِقَاقٍ لِلْحَقِّ وَبُعِدَ عَنِ الصَّوَابِ]؟ فجعل مكان هذا باقي الآية.

﴿سُرِّيهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمَ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١)

إِنَّهُمْ فِي رِزْوَانٍ لِقَاءِ رَبِّهِمْ آآ إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: في الأفاق: فتح أقطار الأرض، وفي أنفسهم: فتح مكة، قاله الحسن، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنها في الأفاق: وقائع الله في الأمم الخالية، وفي أنفسهم: يوم بدر، قاله قتادة، ومقاتل. والثالث: أنها في الأفاق: إمساك القطر عن الأرض كلها، وفي أنفسهم: البلايا التي تكون في أجسادهم، قاله ابن جريج. والرابع: أنها في الأفاق: آيات السماء كالشمس والقمر والنجوم، وفي أنفسهم: حوادث الأرض، قاله ابن زيد. وحكي عن ابن زيد أن التي في أنفسهم: سبيل الغائط والبول، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج من مكانين. والخامس: أنها في الأفاق: آثار مَنْ مَضَى قَبْلَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ، وفي أنفسهم: كونهم خُلِقُوا نَظْفًا ثُمَّ عَلِقُوا ثُمَّ مُضَعًا ثُمَّ عِظَامًا إِلَى أَنْ يُقْلُوا إِلَى الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، قاله الزجاج (١).

قوله تعالى: ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى جميع ما دعاهم إليه الرسول. وقال ابن جبرير: معنى الآية: حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا على محمد وأوحينا إليه من الوعد له بأننا مظهرو دينه على الأديان كلها. ﴿أَوْلَمَ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: أَوْلَمَ يَكْفِي بِهِ أَنَّهُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ قال الزجاج: المعنى: أَوْلَمَ يَكْفِيهِمْ شَهَادَةُ رَبِّكَ؟ ومعنى الكفاية هاهنا: أنه قد بَيَّنَّ لَهُمْ مَا فِيهِ كَفَايَةٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَتَثْبِيتِ رِسَالِهِ (٢).



(١) قال ابن كثير: ﴿سُرِّيهِمْ مَا بَيْنَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية في الأفاق من الفتحاح وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، قال مجاهد والحسن والسدي: ودلائل في أنفسهم، قالوا: وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حَلَّتْ بِهِمْ، نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه، وخذل فيها الباطل وحزبه، ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاق والهيئات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريع الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى، وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحلوه أن يجرزها ولا يتعداها. اهـ.

(٢) قال ابن كثير في تلمة الآية: وقوله تعالى: ﴿آآ إِنَّهُمْ فِي رِزْوَانٍ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ أي: في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هند لا يعيرون به، وهو كائن لا محالة، وواقع لا ريب في، قال: ثم قال تعالى مَقْرَراً أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿آآ إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طغي علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو. اهـ.

## سورة حم عسق

## واسمها سورة الشورى

وهي مكيّة، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة قالا: إلا أربع آيات نزلن بالمدينة، أولها: ﴿قُلْ لَا أَشْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ أَجْرًا﴾ [الشورى: ٢٣]. وقال مقاتل: فيها من المديني قوله: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَبْدُءُ اللَّهُ بِعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الشورى: ٢٣] إلى قوله: ﴿يَذَاتُ الشُّدُورِ﴾ [الشورى: ٢٤] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الشورى: ٣٩] إلى قوله: ﴿ذِينَ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ لَمْ يَأْتِ فِي السُّورَتَيْنِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَكُوتُ يَنْفَقِرْنَ مِنْ قَرْعِهِ ۝ وَاللَّيْلُ يَسْجُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَتَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝﴾ قد سبق تفسيره [المؤمن].

قوله تعالى: ﴿عَسَقٌ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قَسَمَ أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه حروف من أسماء؛ ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أن العين عِلْمُ الله، والسين سناؤه، والقاف قُدرته، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثاني: أن العين فيها عذاب، والسين فيها مسخ، والقاف فيها قذف، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثالث: أن الحاء من حرب، والميم من تحويل مُلك، والعين من عدو مقهور، والسين استئصال بسنتين كسني يوسف، والقاف من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء. والرابع: أن العين من عالم، والسين من قُدوس، والقاف من قاهر، قاله [سعيد] بن جبيرة. والخامس: أن العين من العزيز، والسين من السلام، والقاف من القادر، قاله السدي. والثالث: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه كما أوحيتْ ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ إلى كل نبي، كذلك نوحها إليك، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كذلك نوحى إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى مَنْ قَبْلَكَ، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أن ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ نزلت في أمر العذاب، فقيل: كذلك نُوحِي إليك أن العذاب نازلٌ بمن كَذَّبَكَ كما أوحينا ذلك إلى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، قاله مقاتل. والرابع: أن المعنى: هكذا نوحى إليك، قاله ابن جرير. وقرأ ابن كثير: «يُوحَى» بضم الياء وفتح الحاء. كأنه إذا قيل: من يوحى؟ قيل: الله. وروى أبان عن عاصم: «نوحى» بالنون وكسر الحاء. «تَكَادُ السَّمَكُوتُ يَنْفَقِرْنَ» قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحزمة: «تَكَادُ» بالتاء «يَنْفَقِرْنَ» بياء وتاء مفتوحة وفتح الطاء وتشديدها. وقرأ نافع، والكسائي: «يَكَادُ» بالياء «يَنْفَقِرْنَ» مثل قراءة ابن كثير. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تَكَادُ» بالتاء «يَنْفَقِرْنَ» بالنون وكسر الطاء وتخفيفها، أي: يَشَقَّقْنَ «مِنْ قَرْعِهِ» أي: من فوق الأرضين من عَظَمَةِ الرَّحْمَنِ؛ وقيل: من قول المشركين: «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا». ونظيرها [التي] في [سرم: ٩٠]. «وَاللَّيْلُ يَسْجُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» قال بعضهم: يصلون بأمر ربهم؛ وقال بعضهم: ينزهونه عما لا يجوز في صفته، «وَتَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ» فيه قولان: أحدهما: أنه أراد المؤمنين، قاله قتادة، والسدي. والثاني: أنهم كانوا يستغفرون للمؤمنين، فلما ابتلي هاروت

(١) قال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: واختلفوا في ﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝﴾ فقيل: معناها: حُمدٌ، أي: قضي، وقيل: إن «ح» حمله، و«م» مجده، و«ع» علمه، و«س» سناء، و«ق» قدرته، أقسم الله بها، وقيل غير ذلك منها هو متكلف متعسف لم يدل عليه دليل، ولا جاءت به حجة ولا شبهة حجة، قال: وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك ما لا أصل له. اهـ. وقد تقدم الكلام على أوائل الحروف في (العنكبوت) وغيرها بما فيه كفاية.

وماروت استغفروا لِمَن في الأرض. ومعنى استغفارهم: سألهم الرزق لهم، قاله ابن السائب. وقد زعم قوم منهم مقاتل أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، وليس بشيء، لأنهم إنما يستغفرون للمؤمنين دون الكفار، فلفظ هذه الآية عام، ومعناها خاص، ويدل على التخصيص قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، لأن الكافر لا يستحق أن يستغفر له.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني كفار مكة اتَّخَذُوا آلَهُ فَعَبَدُوا مِنْ دُونِهِ؛ ﴿اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حافظ لأعمالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: لم نوكلك بهم فتوخذ بهم. وهذه الآية عند جمهور المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا يصح.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْبَلْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتَةِ فِي رَحْمَةٍ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذْنَا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالَتْ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ما ذكرنا ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ ليفهموا ما فيه ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ يعني مكة، والمراد: أهلها<sup>(١)</sup>، ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْبَلْعِ﴾ أي: وتنذرهم يوم الجمع، وهو يوم القيامة، يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وأهل السموات والأرضين ﴿لَا رَبَّ فِيهِ﴾ أي: لا شك في هذا الجمع أنه كان، ثم بعد الجمع يتفرقون، وهو قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾. ثم ذكر سبب افتراقهم فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، كقوله: ﴿لَجَعَلَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٢٥] ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتَةِ فِي رَحْمَةٍ﴾ أي: في دينه ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ وهم الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم منه. ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذْنَا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: بل اتخذ الكافرون من دون الله ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يعني آلهة يتولونهم ﴿قَالَتْ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي: ولي أوليائه، فليأخذوه ولياً دون الآلهة؛ وقال ابن عباس: وليك يا محمد وولي من أتبعك.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْثَمِيزِ أَزْوَاجًا يَدْخُرُكُمْ فِيهِ لِيَسْئَلَكُمْ عَنْهُمْ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿لَمْ يَخْلُقْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عِلْمٌ﴾ ﴿شَرَحَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَجَلٌ مُسَمًّى لِقَاضِي بَيِّنَاتٍ وَلِلَّهِ الدِّينُ أَرْوُفُوا الْكَتَبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنِى شَاكٍ مِنْهُ مُرْسٍ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من أمر الدين؛ وقيل: بل هو عام ﴿فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ فيه قولان. أحدهما: علمه عند الله. والثاني: هو يحكم فيه. قال مقاتل: وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وأمن بعضهم، فقال الله: أنا الذي أحكم فيه. ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ الذي يحكم بين المختلفين، هو ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في مهماتي، ﴿وَالَّذِي أُنِيبُ﴾ أي: أرجع في المعاد. ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ﴾ قد سبق بيانه [الأنعام: ٤١٤]، ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من مثل خَلْقِكُمْ ﴿أَزْوَاجًا﴾ نساء، ﴿وَمِنَ الْأَنْثَمِيزِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ذكوراً، وإناثاً، والمعنى أنه خلق لكم الذكر، والأنثى من الحيوان كله، ﴿يَدْخُرُكُمْ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: يخلقكم، قاله السدي. والثاني: يُعِيشُكُمْ، قاله مقاتل. والثالث: يكثركم، قاله الفراء. [وفي قوله] ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ قولان: أحدهما: أنها على أصلها، قاله الأكثرون. فعلى هذا في هاء الكناية

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: واضحاً جلياً بيناً ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ وهي مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من سائر البلاد شرقاً وغرباً، قال: وسيت مكة أم القرى، لأنها أشرف من سائر البلاد، لأمة كثيرة مذكورة في مواضعها، قال: ومن أرجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: إن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزرة في سوق مكة: فوالله إنك لنخبر أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنه أخرجت منك ما خرجت قال ابن كثير: هكذا رواية الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث الزهري به، وقال الترمذي: حسن صحيح.



ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى بطون الإناث وقد تقدم ذكر الأزواج، قاله زيد بن أسلم. فعلى هذا يكون المعنى: يخلقكم في بطون النساء، وإلى نحو هذا ذهب ابن قتيبة، فقال: يخلقكم في الرِّجَم أو في الرُّوج<sup>(١)</sup>، وقال ابن جرير: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام. والثاني: أنها ترجع إلى الأرض، قاله ابن زيد؛ فعلى هذا يكون المعنى: يذركم فيما خلق من السموات والأرض. والثالث: أنها ترجع إلى الجعل المذكور؛ ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: يعيشكم فيما جعل من الأنعام، قاله مقاتل. والثاني: يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الأزواج، قاله الواحدي. والقول الثاني: أن «فيه» بمعنى «به»؛ والمعنى: يكثركم بما جعل لكم، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: ليس كهو شيء، والعرب تقيم المثل مقام النفس، فتقول: ينفي لا يقال له هذا، أي: أنا لا يقال لي هذا. وقال الزجاج: الكاف مؤكدة، والمعنى: ليس مثله شيء. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الزمر: ٦٣، الرعد: ٢٦]. إلى قوله: ﴿فَرَجَّ لَكُمْ﴾ أي: بين وأوضح ﴿يَوْمَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام، قاله قتادة. والثاني: تحريم الأخوات والأمهات، قاله الحكم. والثالث: التوحيد وترك الشرك.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: من القرآن وشرائع الإسلام، قال الزجاج: المعنى: وشرع الذي أوحينا إليك وشرع لكم ما وصَّى به إبراهيم وموسى وعيسى<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿أَنْ أَقْبِلُوا الَّذِينَ﴾ تفسير قوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾، وجائز أن يكون تفسيراً لـ ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ ولقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولقوله: ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾<sup>(٣)</sup> به إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى، فيكون المعنى: شرع لكم وللمن قبلكم إقامة الذين وترك الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرسل. وقال مقاتل: ﴿أَنْ أَقْبِلُوا الَّذِينَ﴾ يعني التوحيد ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي: لا تختلفوا ﴿كَبَرَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عظم على مشركي مكة ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمد من التوحيد.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَخْتَصِمُ إِلَيْهِ﴾ أي: يصطفي من عباده لإدنيه ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ إلى دينه ﴿مَنْ يَنْشَأُ﴾ أي: يرجع إلى طاعته. ثم ذكر افتراقهم بعد أن أوصاهم بترك الفرقة، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: من بعد كثرة علمهم للبغي. والثاني: من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال. والثالث: من بعد ما جاءهم القرآن، بغيضاً منهم على محمد ﷺ. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير المكذبين من هذه الأمة إلى يوم القيامة، ﴿لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ﴾ بإنزال العذاب على المكذبين ﴿وَلَنْ الَّذِينَ أَرَادُوا إِلْحَادَ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿يَوْمَ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد أنيائهم ﴿لَنْ يَسْأَلَ يَوْمَ﴾ أي: من محمد ﷺ.

﴿فَلِلَّهِ قَادَعٌ وَاسْتَقَمَ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تُلَاحِظْ أَمْوَالَهُمْ وَقُلْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْمَلُ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنْ أَعْمَلَنَّ وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٤)</sup> وَالَّذِينَ يَخْتَلِفُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جُحُودُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ قَادَعٌ﴾ قال الفراء: المعنى: فإلى ذلك، تقول: دعوت إلى فلان، ودعوت لفلان، وذلك بمعنى «هذا»؛ وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن السائب. والثاني: أنه التوحيد، قاله مقاتل<sup>(٦)</sup>.

(١) قال القرطبي: أو في الزوج، أي: يخلقكم في بطون الإناث. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿فَرَجَّ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام، وهو نوح عليه السلام، وآخرهم وهو محمد ﷺ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وهذه الآية انضمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية (الأحزاب) عليهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ يَتْلُوهُمْ ذَلِكَ وَمِنْ نَحْنُ الْوَحِيدُ وَمُوسَى وَهَارُونُ ابْنِي مَرْيَمَ...﴾ الآية، قال: والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾<sup>(١)</sup> وفي الحديث: «نحن معشر الأنبياء أولاد غلات ديننا واحد» أي: القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومانعهم، فتقوله جل جلاله: ﴿يَكُنْ جَمْعًا بَيْنَكُمْ بَرَكَةً وَرَحْمَةً﴾. اهـ.

(٣) في الأصل: «ما وصى».

(٤) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى وذكره: ﴿فإلى ذلك الذين الذي شرع لكم، ووصى به نوحاً، وأوصاهم إليك يا محمد، فافع عباد الله، واستقم على =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِغْ أُمَّهَآئُكُمْ﴾ يعني أهل الكتاب، لأنهم دعوه إلى دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمِزْتُ لَأَكْذِلَ بَيْنَكُمْ﴾ قال بعض النحويين: المعنى: أميزت كي أغدِل. وقال غيره: المعنى: أميزت بالعدل. وتقع «أميزت» على «أن»، وعلى «كي»، وعلى «اللام»؛ يقال: أميزت أن أعدل، وكي أعدل، ولاعدل. ثم في ما أميز أن يَغْدِلَ فيه قولان: أحدهما: في الأحكام إذا تراعفوا إليه. والثاني: في تبليغ الرسالة.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رُبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ أي: هو إلهنا وإن اختلفنا، فهو يجازينا بأعمالنا، فذلك قوله: ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا﴾ أي: جزاؤها. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ قال مجاهد: لا خصومة بيننا وبينكم.

### فصل

وفي هذه الآية قولان: أحدهما: أنها اقتضت الاختصار على الإنذار، وذلك قبل القتال، ثم نزلت آية السيف فنسختها، قاله الأكثرون. والثاني: أن معناها: إن الكلام - بعد ظهور الحجج والبراهين - قد سقط بيننا، فعلى هذا هي مُحْكَمَةٌ، حكاها شيخنا علي بن عبيد الله عن طائفة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي آلِهِ﴾ أي: يُخَاصِمُونَ في دينه، قال قتادة: هم اليهود، قالوا: كتابنا بَلَّ كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، فنحن خير منكم. وعلى قول مجاهد: هم المشركون، طعموا أن تعود الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ أي: من بعد إجابة الناس إلى الإسلام؛ ﴿مَجْهُدُكُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: خصومتهم باطلة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَمَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۖ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: الَّذِينَ يَمَارُؤُكَ فِي السَّاعَةِ لَيْ سَكَلٍ بَعِيدٍ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِمَا يَكُونُ مِنْكُمْ﴾ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفِثْ مِنْهُ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: لم ينزله لغير شيء، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس، وقاتدة، والجمهور. والثاني: أنه الذي يوزن به، حكى عن مجاهد. ومعنى إنزاله: إلهام الخلق أن يعملوا به، وأمر الله ﷻ إياهم بالإنصاف، وسُمي العدل ميزاناً، لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخلق. وتام الآية مشروح في [الأحزاب: ٦٣].

قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ لأنهم لا يخافون ما فيها، إذ لم يؤمنوا بكونها، فهم يطلبون قيامها استبعاداً واستهزاء، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون ﴿بِهَا﴾ لأنهم يعلمون أنهم مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ، ولا يدرون ما يكون منهم، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي: أنها كائنة لا محالة. ﴿آلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُؤُكَ فِي السَّاعَةِ﴾ أي: يخاصمون في كونها ﴿لَيْ سَكَلٍ بَعِيدٍ﴾ حين لم يتفكروا، فعملوا قدرة الله على إقامتها. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِمَا يَكُونُ مِنْكُمْ﴾ قد شرحنا معنى [اسمه] «اللطيف» في [الأنعام: ١٠٣]. وفي عباده هاهنا قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون. والثاني: أنه عام في الكل. ولطفه بالفاجر: أنه لا يهلكه. ﴿يُرْزَقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوسع له الرزق.

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عمل الآخرة، يقال: فلان يحرت للدين، أي: يعمل لها ويجمع المال؛ فالمعنى: من أراد بعمله الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: نُضَاعِفْ لَهُ الحسنات. قال

العمل به، ولا تُرْعَ عنه، وأثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. اهـ.

وقال ابن كثير: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة كل منها منفصلة عن التي قبلها، حُكِمَ برأسها، قال: قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكروسي، فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه، قال: وقوله: ﴿يَذَلِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أي: فالذي أوحينا إليك من الدين الذي وطينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار الشبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس إليه، قال: وقوله ﷻ: ﴿وَأَسْتَفْتِمُ كَمَا كُنْتُ أُرَوِّدُ﴾ أي: واستم أنت ومن أتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله ﷻ. اهـ.

المفسرون: من أراد العمل لله بما يرضيه، أعانه الله على عبادته، ومن أراد الدنيا مؤثراً لها على الآخرة لأنه غير مؤمن بالآخرة، يؤته منها، وهو الذي قسم له، ﴿وَمَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حِسْبٍ﴾ (١) لأنه كافر بها لم يعمل لها (٢).

## فصل

اتفق العلماء على أن أول هذه الآية إلى «حرثه» مُحْكَم، واختلفوا في باقيها على قولين: أحدهما: [أنه] منسوخ بقوله: ﴿عَجَلْنَا لَهُمُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ (الإسراء: ٤١٨)، وهذا قول جماعة منهم مقاتل. والثاني: أن الآيتين مُحْكَمَتَانِ متفقتان في المعنى، لأنه لم يقل في هذه الآية: نؤته مراده، فعلم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد، وهذا موافق لقوله: ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾، ويحقق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر ومعناها معنى الخبر، وذلك لا يدخله النسخ، وهذا مذهب جماعة منهم قتادة.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ سَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِحَ رِيشُ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣) ترى الظالمين مشفقين بما كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٤) ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ آجُرٌ إِلَّا الْقَوْدَةُ فِي الْقُرَى وَمَنْ يَتَرَفَّ حَسَنَةً زِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٥) أَمْ يَقُولُونَ أَتَنَزَّلُ عَلَى الْغَنَاءِ كَانَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ الْكِتَابَ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لُغَةٌ قَبْلَ هَٰذَا يَوْمَئِذٍ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ الْكِتَابُ فَقَدْ كُذِّبَتْ قُلُوبُهُمْ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْوَيْدِ فَتَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٦) وَنَحْنُ اللَّهُ الْبَاطِلُ وَنَحْنُ الْمَقْضِيُّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يعني كفار مكة؛ والمعنى: أَلَهُمْ آلِهَةٌ ﴿سَرَعُوا﴾ أي: ابتدعوا ﴿لَهُمْ﴾ ديناً لم يأذن به الله (١) (٢) ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ وهي: القضاء السابق بأن الجزاء يكون في القيامة ﴿لَفُتِحَ رِيشُ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ في الدنيا بنزول العذاب على المكذبين. والظالمون في هذه الآية والتي تليها: يراد بهم المشركون. والإشفاق: الخوف. والذي كَسَبُوا: هو الكفر والتكذيب، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يعني جزاءه. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ما تقدم ذكره من الجنات ﴿الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: «ذلك» بمعنى: هذا الذي أخبركم به بشرى يبشر الله بها عباده. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمره، والكسائي: «يُبَشِّرُ» بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ آجُرٌ﴾ في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بمكة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس (٣). والثاني: أنه لما قَدِمَ المدينة كانت ثنوية نوابٍ وليس في يده سعة، فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله به، وليس في يده سعة، فاجتمعوا له من أموالكم ما لا يضرهم، ففعلوا ثم أتوه به، فنزلت هذه الآية، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً (٤). والثالث: أن المشركين اجتمعوا في مجمع لهم، فقال بعضهم لبعض: أئرون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة (٥). والهاء في «عليه» كناية عما جاء به من الهدى. وفي الاستثناء هاهنا قولان: أحدهما: أنه من الجنس، فعلى هذا يكون سائلاً

(١) قال ابن كثير: أي: ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همّ البتة بالكليّة، حرمه الله الآخرة، والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه التبة بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، قال: والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مقلدة بالآية التي في «يَسِّرْ» وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْغَنَاءَ فَلْيَسْعَ لَمْ يَكُنْ لَهُ رِيشٌ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَسْكُنُهَا فُنْوَكَ وَنَحْنُ اللَّهُ الْبَاطِلُ وَنَحْنُ الْمَقْضِيُّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الإسراء: ٨١).

(٢) قال ابن كثير: وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ سَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القيم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والمبادات الباطلة والأموال الفاسدة. اهـ.

(٣) قال السيوطي في «الدرر»: ٦/٦: أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس ؓ قال: نزلت هذه الآية بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لَهُمْ بِمُحَمَّدٍ﴾ ﴿لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعني على ما أَدْعَوْكُمْ إِلَيْهِ ﴿آجُرًا﴾ عوضاً من الدنيا ﴿إِلَّا التَّوْبَةُ﴾ في القرآن فيكم.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٣ عن ابن عباس بدون سند. (٥) وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٣ عن قتادة بدون سند.



أجراً. وقد أشار ابن عباس في رواية الضحاك إلى هذا المعنى، ثم قال: نُسخَت هذه بقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ فَهَوَ لَكُمْ...﴾ الآية [سبا: ٤٧]، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل. والثاني: أنه استثناء من غير الأول، لأن الأنبياء لا يسألون على تبليغهم أجراً؛ وإنما المعنى: لكُنِّيْ أذكُرْكم المَوَدَّةَ في القُرْبَى، وقد روى هذا المعنى جماعة عن ابن عباس، منهم العوفي، وهذا اختيار المحققين، وهو الصحيح، فلا يتوجه النسخ أصلاً<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالقُرْبَى خمسة أقوال: أحدها: أن معنى الكلام: إِنْ أَنْ تَوَدُّونِي لِقَرَابَتِي مِنْكُمْ، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد في الأكثرين، قاله ابن عباس: ولم يكن بطنٌ من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة. والثاني: [لَا] أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتِي، قاله علي بن الحسين، وسعيد بن جبير، والسدي. ثم في المراد بقربابته قولان: أحدهما: علي وفاطمة ولولدها، وقد روه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنهم الذين تَحَرَّم عليهم الصدقة ويُقَسَّم فيهم الحُمُس، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. والثالث: أن المعنى: إِنْ أَنْ تَوَدُّوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يَقْرِبُكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، قاله الحسن، وقتادة. والرابع: إِنْ أَنْ تَوَدُّونِي، كما تَوَدُّون قَرَابَتَكُمْ، قاله ابن زيد. والخامس: إِنْ أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتَكُمْ وَتَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، حكاه الماوردي. والاول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْرَقْ﴾ أي: مَنْ يَخْتَلِبُ ﴿حَسَنَةً زِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي: نُضَاعِفْهَا بِالْوَحْدَةِ عَشْرًا فَصَاعِدًا. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، والجاحلدي: ﴿يَزِدْ لَهُ بِالْيَاءِ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ﴾، ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل حتى يضاعفه. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل يقول كفار مكة ﴿أَنَّهُ عَلَى اللَّهِ حُكْمٌ﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله! ﴿فَإِنَّ يَسِّرَ اللَّهُ يَخْتَرِ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ فَيُنْسِيكَ الْقُرْآنَ، قاله قتادة. والثاني: يَرْبِطُ عَلَى قَلْبِكَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ فَلَا يَشُقُّ عَلَيْكَ قَوْلُهُمْ: إِنَّكَ مُفْتَرٍ، قاله مقاتل، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُ اللَّهُ الْبَاطِلُ﴾ قال الفراء: ليس بمردود على ﴿يَخْتِمُ﴾ فيكون جزماً، وإنما هو مستأنف، ومثله مما حُذِفَتْ منه الواو، ﴿وَيَسِّرُ الْإِنْسَانَ يَأْخُذْ﴾ [الإسراء: ٤١]. وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير. تقديره: والله يمحو الباطل. وقال الزجاج: الوقف عليها «ويمحوها» بواو وألف؛ والمعنى: والله يمحو الباطل على كل حال، غير أنها كُتِبَتْ فِي الْمَصَاحِفِ بِغَيْرِ وَاوٍ، لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين، فكتب على الوصل، ولفظ الواو ثابت؛ والمعنى: ويمحو الله الشُّرْكَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِمَا أَنْزَلَهُ مِنْ كِتَابِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْمَلُ عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَتَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ وَلَوْ سَئَلْتُ اللَّهَ الزُّقْلَ لَمَّا يَدَّوهُ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَرْزُقُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِبَيَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ قد ذكرناه في [براءة: ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: من خير وشر. قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء، على الإخبار عن المشركين والتهديد لهم. ويستجيب بمعنى يُجِيب. وفيه قولان. أحدهما: أن الفعل

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معنا: قل لا أسألكم عليه أجراً يا معشر قريش، إلا أن توفوني في قرايتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم. اهـ. وقال ابن كثير: وقوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ لَبِزًا إِلَّا التَّوْبَةَ فِي الشَّرِّ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تمطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شرككم مني، وتندروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تصبروني فلا توفوني بما بيني وبينكم من القرابة. اهـ.

(٢) قال السيوطي في «الدرر»: ٧/٦: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ لَبِزًا إِلَّا التَّوْبَةَ فِي الشَّرِّ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت موتهم؟ قال: «علي وفاطمة ولولدها» وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» وقال: في سند حسين الأشعري ضعيف ساقط، قال: وقد عارضه ما هو أولى منه، ففي البخاري من رواية طاووس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية، فقال سعيد بن جبير: قرئ آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عَجَلْتُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ... الحديث. قال ابن كثير: ولا ننكر الوصلة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبئين للسنن النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كآلِ عباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وفريته، ﷺ أجمعين. اهـ.





الذُّنُوبَ ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذنوبهم، فيُجِيبهم من الهلاك. ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُخَيَّلُونَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «وَيَعْلَمُ» بالرفع على الاستئناف وقطعه من الأول؛ وقرأ الباقون بالنصب. قال الفراء: هو مردود على الجزم، إلا أنه صُرف، والجزم إذا صُرف عنه معطوفه نُصب. وللمفسرين في معنى الآية قولان: أحدهما: ويعلم الذين يخاصمون في آيات الله حين يؤخذون بالفرق أنه لا ملجأ لهم. والثاني: أنهم يعلمون بعد البعث أنه لا مهرب لهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿مَا أُرِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أعطيت من الدنيا فهو متاع تَمَتُّعون به، ثم يزول سريعاً، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَلَئِنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا للكافرين، لأنه إنما أعد لهم في الآخرة العذاب.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (١) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٢) وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ لَهُمُ الشَّيْءُ يَتَّبِعُوهُ الْيَقِينَ (٣) وَكَرُوا سِتْرَهُ سِتْرًا مِمَّا ظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ يَفْضَلُ عَنْهُمْ قَوْلُ كَذِبٍ (٤) وَلَكِنْ اتَّصَرَّ بِدَلِيلِهِ فَأُوتِيَكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٥) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ يَذْكُرُونَ أَلَّا تَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ خِزْيٌ أَوْ تَكْلَفٌ (٦) لَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧) وَلَكِنْ صَبَرُوا وَعَفَىٰ رَبُّكَ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٨)

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «كبير الإثم» على التوحيد من غير ألف، والباقون بألف. وقد شرحنا الكبائر في سورة [النساء: ٣١] (١). وفي المراد بالفواحش هاهنا قولان: أحدهما: الزنا. والثاني: موجبات الحدود.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: يَغْفِرُونَ عَنْهُمْ ظَلَمَهُمْ طلباً لثواب الله تعالى (٢). ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: أجابوه فيما دعاهم إليه. ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يتشاورون فيه [بينهم]. وقال الزجاج: المعنى أنهم لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه (٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ لَهُمُ الشَّيْءُ يَتَّبِعُوهُ الْيَقِينَ﴾ (٤) اختلَفوا في [هذا] اليقين على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بغي الكفار على المسلمين. قال عطاء: هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وَغَفُوا عليهم، ثم مكَّنهم الله منهم فانتصروا. وقال زيد بن أسلم: كان أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين بمكة، فرقة كانت تُؤدِّي فتَعَفُو عن المشركين، وفرقة كانت تُؤدِّي فتنتصر، فأنشأ الله ﷻ عليهم جميعاً، فقال في الذين لم ينتصروا: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، وقال في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ لَهُمُ الشَّيْءُ يَتَّبِعُوهُ الْيَقِينَ﴾ (٥). أي: من المشركين. وقال ابن زيد: ذكر المهاجرين، وكانوا صنفين، صنفاً عفا، وصنفاً انتصر، فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، فبدأ بهم، وقال في المنتصرين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ لَهُمُ الشَّيْءُ يَتَّبِعُوهُ الْيَقِينَ﴾ (٦). أي: من المشركين؛ وقال: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ وهم الأنصار؛ ثم ذكر الصنف الثالث فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا اسَاءَ لَهُمُ الشَّيْءُ يَتَّبِعُوهُ الْيَقِينَ﴾ (٧) من المشركين. والثاني: أنه بغي المسلمين على المسلمين خاصة. والثالث: أنه عام في جميع البغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين.

## فصل

واختلف في هذه الآية علماء الناسخ والمنسوخ، فذهب بعض القائلين بأنها في المشركين إلى أنها منسوخة بآية السيف، فكانهم يشيرون إلى أنها أثبتت الانتصار بعد بغي المشركين، فلما جاز لنا أن نبدأهم بالقتال، دلَّ على أنها منسوخة. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان: أحدهما: أنها منسوخة بقوله: ﴿وَلَكِنْ صَبَرُوا وَعَفَىٰ رَبُّكَ﴾ [الشورى: ٤٣] فكانها نبَّهت على مدح المنتصر، ثم أعلمنا أن الصبر والغفران أمدح، فبان وجه النسخ. والثاني: أنها محكمة، لأن الصبر

(١) انظر ٢٧٥.

(٢) قال ابن كثير: أي: سَجَّيْهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سَجَّيْهم الانتقام من الناس.

(٣) قال ابن كثير: أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليعتصروا بأمرهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَتَاوَلْتُمْ بِهِمُ الْكُفْرَ...﴾ الآية، قال: ولهذا كان ﷺ يتشاورهم في الحروب ونحوها ليطلب بذلك قلوبهم، قال: وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الرقعة حين طعن جمل الأمر بعده شوري في سنة ثَمَر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، فاجتمع رأي الصحابة كلهم ﷺ على تقديم عثمان عليهم، رضي الله عنه.

والغفران فضيلة، والانتصار مباح، فعلى هذا تكون محكمة، [وهو الأصح]. فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية - وظاهرها مدح المنتصر - وبين آيات الحث على العفو؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أنه انتصار المسلمين من الكافرين، وتلك رتبة الجهاد كما ذكرنا عن عطاء. والثاني: أن المنتصر لم يخرج عن فعل أبيح له، وإن كان المعفو أفضل، ومن لم يخرج من الشرع بفعله، حسن مدحه. قال ابن زيد: جعل الله المؤمنين صنفين، صنف يعفو، فبدأ بذكره، وصنف يتنصر. والثالث: أنه إذا بغى على المؤمن فاسق، فلائله اجترأ الفساق عليه، وليس للمؤمن أن يذل نفسه، فينبغي له أن يكسب شوكه العصاة لتكون الجزاء لأهل الدين. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فيجترأ عليهم الفساق، فإذا قلدروا عفوًا. وقال القاضي أبو يعلى: هذه الآية محمولة على من تعدى وأصر على ذلك، وآيات العفو محمولة على أن يكون الجاني نادماً.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا سَيِّئًا يَبْلُغُونَ﴾ قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح، إذا قال له كلمة أجابه بمثلها من غير أن يعتدي. وقال مقاتل: هذا في القصاص في الجراحات والدماء. ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ فلم يقتص ﴿وَأَمْلَحَ﴾ العمل ﴿فَأَكْبَرُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَافِلِينَ﴾ يعني من بدأ بالظلم. وإنما سمي المجازاة سيئة، لما بيننا عند قوله: ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ ﴿فَمَنْ أَغْدَقَ عَلَيْكُمْ فَأَقْدَرُوا عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٩٤]. قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم من كان أجراً على الله، فلا يقوم إلا من عفا. ﴿وَلَكِنْ أَسْمَرَ بَدْءَ ظُلُمٍ﴾ أي: بعد ظلم الظالم إياه، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول، ونظيره: ﴿وَمِنْ دَعَا الْخَيْرِ﴾ [نصفت: ٤٩] و﴿يُسْأَلُ فَجَعَلَ﴾ [ص: ٢٤]، يعني المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: من طريق إلى لزوم ولا حد، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ أي: يبتدئون بالظلم ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: يعملون فيها بالمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ صَبَرْ﴾ فلم ينتصر ﴿وَعَفَا إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَكِنْ عَزِيزٌ أَلْمُورِ﴾ وقد شرحناه في لآل عمران: ١٨٢.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَزَى الْقَافِلِينَ﴾ لَمَّا رَأَى الْعَذَابَ يُقُولُكَ هَلْ إِلَى مَرَّةٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿وَزَنَّهُمْ يَمْرَضُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَمُوتُوا مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْمُتَعَذِّبِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الْقَافِلِينَ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه. ﴿وَزَى الْقَافِلِينَ﴾ يعني المشركين ﴿لَمَّا رَأَى الْعَذَابَ﴾ في الآخرة يسألون الرجعة إلى الدنيا ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَّةٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾؟ ﴿وَزَنَّهُمْ يَمْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار ﴿حَتَّى يَمُوتُوا﴾ أي: خاضعين متواضعين ﴿وَمِنْ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وفيه أربعة أقوال. أحدها: من طرف ذليل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. وقال الأخفش: ينظرون من عين ضعيفة. وقال غيره: «من» بمعنى «الباء». والثاني: يسارقون النظر، قاله قتادة، والسدي. والثالث: ينظرون ببعض العين، قاله أبو عبيدة. والرابع: أنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم، لأنهم قد حُشروا غُصياً، فلم يروها بأعينهم، حكاه الفراء، والزجاج. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الأنعام: ١٢، مود: ٣٩] إلى قوله: ﴿يَصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يمعنونهم من عذاب الله.

﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١٨٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ خَلِيفَةً إِلَّا عَلَيْهِ إِلَّا الْكَلْبُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَيَّ بِهَا وَإِنْ هُمُوهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٨٣﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا إِنشَاءً وَمَنْ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ أَلَمْ تَكُنْ أَوْ يَرْجِعُهُمْ دُكْرًا وَكَانَ غَيْبًا إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي: اجيبوه، فقد دعاكم برسوله ﴿يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: لا يقدر أحد على رده ودفعه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ تلجؤون إليه، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ قال مجاهد:



من ناصر ينضركم. وقال غيره: من قُدرة على تغيير ما نزل بكم<sup>(١)</sup>. ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ لحفظ أعمالهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ أي: ما عليك إلا أن تبلغهم. وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿وَرِئَاءَ إِذَا أَقْنَأَ الْإِنْسَانُ مِثْلَ رَحْمَةِ فَرْحٍ بِهَا﴾ قال المفسرون: المراد به: الكافر؛ والرحمة: الغنى والصحة والمطر ونحو ذلك، والسَّيِّئَةُ: المرض والفقر والقحط [ونحو ذلك]. والإنسان هاهنا: اسم جنس، فلذلك قال: ﴿وَلَنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمَتْ آيَاتُهُمْ﴾ أي: بما سلف من مخالفتهم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ بما سلف من النعم. ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ﴾ أي: له التصرف فيها بما يريد، ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ يعني البنات ليس فيه ذكر، كما وهب للوط عليه السلام، فلم يولد له إلا البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَرَ﴾ يعني البنين ليس معهم أنثى، كما وهب لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فلم يولد له إلا الذكور. ﴿أَوْ بَرُوجُهُمْ﴾ يعني الإناث والذكور. قال الزجاج: ومعنى «ببروجهم»: يقرنهم. وكل شيئين يقرن أحدهما بالآخر، فهما زوجان، ويقال لكل واحد منهما: زوج، تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني اثنين. وفي معنى الكلام للمفسرين قولان: أحدهما: أنه وضع المرأة غلاماً ثم جارية ثم غلاماً ثم جارية، قاله مجاهد والجمهور. والثاني: [أنه] وضع المرأة جاريةً وغلاماً توأمين، قاله ابن الحنفية. قالوا: وذلك كما جُمع لمحمد ﷺ، فإنه وهب له بنين وبنات، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ لا يولد له، كيحیی بن زكريا عليه السلام. وهذه الأقسام موجودة في سائر الناس، وإنما ذكروا الأنبياء تمثيلاً.

﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا رَحِيماً أَوْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بِحَبَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّكَذِّبٍ أَوْحِيَّا إِلَيْكَ رُحْمًا مِّنْ أَمْرًا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِيَمِينِهِ عِبَادًا وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿إِنْ يَرِئِدْ أَنْ يَسْتَنْصِيتَهُ﴾ ﴿يَرْطِلُ اللَّهُ الْوَيْلَ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ آتَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا رَحِيماً﴾ قال المفسرون: منب نزولها أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه إن كنت نبياً صادقاً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال لهم: «لم ينتظر موسى إلى الله»، ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. والمراد بالوحي هاهنا: الوحي في المنام. ﴿أَوْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بِحَبَابٍ﴾ كما كلم موسى<sup>(٣)</sup>. ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ قرأ نافع، وابن عامر: «يُورْسِلُ» بالرفع «فَيُوحِي» بسكون الياء. وقرأ الباقون: «يُورْسِلُ» بنصب اللام «فيوحي» بتحريك الياء، والمعنى: «أو يرسل رسولاً» كجبرائيل «فيوحي» ذلك الرسول إلى المرسل إليه «بإذنه» ما يشاء. قال مكي بن أبي طالب: من قرأ «أو يرسل» بالنصب، عطفه على معنى قوله: «إلا رحماً» لأنه بمعنى: إلا أن يوحي. ومن قرأ بالرفع، فعلى الإبتداء، كأنه قال: أو هو يرسل. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية محمولة على أنه لا يكلم بشراً إلا من وراء حجاب في دار الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما أوحينا إلى الرُّسُل ﴿أَوْحِيَّا إِلَيْكَ﴾، وقيل: الواو عطف على أول السورة، فالمعنى: كذلك نوحى إليك وإلى الذين من قبلك. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحِيَّا إِلَيْكَ رُحْمًا مِّنْ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس: هو القرآن. وقال

(١) قال ابن كثير: لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأحوال والأمور العظام الهائلة، حذر منه، وأمر بالاستعداد له فقال: ﴿أَنْتَجِبُوا إِلَيْكُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّحَابُ وَتَكُونُ السَّحَابُ﴾ أي: إذا أمر بكونه، فإنه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع، قال: وقوله ﷻ: ﴿مَا لَكُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّحَابُ وَتَكُونُ السَّحَابُ﴾ أي: ليس لكم حصن تحصنون فيه، ولا مكان يستتركم وتتغرون فيه فتفنيون عن بصره تبارك وتعالى، بل هو محيط بكم يعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ من إلا إليه ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّحَابُ وَتَكُونُ السَّحَابُ﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿إِلَّا تَذَكَّرُ﴾ ﴿٥١﴾. اهـ.

(٢) ذكر سبب النزول هذا الواحد في أسباب النزول ٢١٤ بدون سند، وكذلك ذكره البغوي والخازن وغيرهما بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: حديث أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنتظر إليه، فإن لن تؤمن لك حتى تعمل ذلك، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللَّهُ إِلَّا رَحِيماً﴾ لم أجده. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ﷻ، وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في رُوح النبي ﷺ شيئاً لا يمتارى فيه أنه من الله ﷻ، كما جاء في «صحيح ابن حبان» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوحِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ رُزْقَهَا وَأَجَلُهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الْعُلُوبَةِ» قال: وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بِحَبَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الروية بعد التكلم فحجب عنها. ثم قال: وقوله ﷻ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.



مقاتل: وَخِياً بِأَمْرِنَا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ وذلك أنه لم يكن يعرف القرآن قبل الوحي ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه بمعنى الدعوة إلى الإيمان، قاله أبو العالية. والثاني: أن المراد به شرائع الإيمان ومعالمه، وهي كلها إيمان؛ وقد سُمِّي الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذا اختيار ابن قتيبة، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة. والثالث: أنه ما كان يعرف الإيمان حين كان في المهد وإذ كان طفلاً قبل البلوغ، حكاه الواحدي. والقول ما اختاره ابن قتيبة، وابن خزيمة، وقد اشتهر في الحديث عنه ﷺ أنه كان قبل النبوة يوحد الله، ويُبْقِض اللَّاتَ والعزى، وَيُحْجُجُ ويعتمر، ويتبع شريعة إبراهيم ﷺ. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: من زعم أن النبي ﷺ كان على دين قومه، فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل ما ذُبِح على النُّصُب؟ وقال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعين سنة. ومعناه: أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين إسماعيل، من ذلك حج البيت، والختان، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنين، ودية النفس مائة من الإبل، والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصُّهر. وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويعيها. وكان لا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده على لسانه، فذلك قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [يعني القرآن] ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ يعني شرائع الإيمان؛ ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار بالله، لأن آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحججون له [البيت] مع شركهم. قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن. والثاني: إلى الإيمان. ﴿تُورَا﴾ أي: ضياءً ودليلاً على التوحيد ﴿تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ﴾ [من عبادنا] إلى دين الحق<sup>(٢)</sup>. ﴿وَالَّذِكَ تَهْدِي﴾ أي: تَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو الإسلام<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: هو وخياً بأمرنا.

(٢) قال البغوي في تفسيره: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ قبل الوحي ﴿مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال: وقال محمد بن خزيمة: الإيمان في هذا الموضع: الصلاة، ودليله قوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ قال: وأهل الأصول على أن الأنبياء ﷺ كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ولم يبتن له شرائع دينه. اهـ.

وقال ابن كثير: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: على التفصيل الذي شرع لك في القرآن. اهـ. وقال الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى إليه، فقال: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ أي: أي شيء هو؟ لأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك أدخل في الإعجاز وأدلى على صحة نبوته، قال: ومعنى ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع ولا يهتدي إلى معالمها، قال: وخص الإيمان، لأنه رأسها وأساسها، قال: وقيل: أراد بالإيمان هنا: الصلاة، قال بهذا جماعة من أهل العلم، منهم إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال واحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يعني الصلاة، فسمّاها إيماناً، قال: وذهب جماعة إلى أن الله سبحانه لم يبعث نبياً إلا وقد كان مؤمناً به، وقالوا: معنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو النخل إلى الإيمان. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِكَ﴾ أي: يا محمد ﴿تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الحق القويم، ثم قال في تمة الآية: ثم فسره بقوله تعالى: ﴿صِرَاطُ اللَّهِ﴾ أي: شرعه الذي أمر به الله ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا فِئْءٌ وَلاَ كُفْءٌ وَنَافِثٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه ﴿إِلَّا إِلَهُ اللَّهِ تَعَالَى﴾ أي: ترجع الأمور فيفسلها ويحكم فيها، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. اهـ.

## سورة الزخرف

### وهي مكية ياجماعهم

وقال مقاتل: هي مكية، إلا آية، وهي <sup>(١)</sup> قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ أَرْسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْهَيْمِ

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّمَا فِي أَرْكِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلُّ حَكِيمٍ ۝ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَأَعْلَجْنَا أَسَدًا مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَعْنَى مَثَلِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْغَلِيْبُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن: ١١]. ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسم بالقرآن. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ قال سعيد بن جبير: أنزلناه. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [النساء: ٨٢، يوسف: ٢] إلى قوله: ﴿وَلَئِنْ﴾ يعني القرآن ﴿فِي أَرْكِ الْكِتَابِ﴾ قال الزجاج: أي: في أصل الكتاب، وأصل كل شيء: أمه، والقرآن مُثَبَّتٌ عند الله ﷻ في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿لَعَلُّ﴾ أي: رفيع. وفي معنى الحكيم قولان: أحدهما: مُحْكَمٌ، أي: ممنوعٌ من الباطل، قاله مقاتل. والثاني: حاكمٌ لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الكفر بالنار، ذكره أبو سليمان الدمشقي، والمعنى: إن كُذِّبْتُمْ به يا أهل مكة فإنه عندنا شريفٌ عظيمٌ المَحَلُّ.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: نُحْمِلُ عَنْكُمْ فلا نذكركم صفحاً، أي: إعراضاً، يقال: صَفَحْتُ عَنْ فلان: إذا عرضت عنه، والأصل في ذلك أن تُولِيَهُ صَفْحَةَ عُنُقِكَ، قال كُثَيْبٌ يصف امرأة: صَفُوحاً فَمَا تُلْفَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ

أي: مُعْرِضَةً بوجهها، يقال: صَرَيْتُ عَنْ فلان كذا: إذا أمسكته وأضربت عنه. ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «أن كنتم» بالنصب <sup>(٣)</sup>، أي: لأن كنتم قوماً مسرفين. وقرأ نافع، وحزمة، والكسائي: «إن كنتم» بكسر الهمزة. قال الزجاج: وهذا على معنى الاستقبال، أي: إن تكونوا مسرفين نَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ. وفي المراد بالذِّكْر قولان: أحدهما: أنه ذِكرُ العذاب، فالمعنى: أفنميك عن عذابكم وترككم على كفركم؟! وهذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، والسدي. والثاني: أنه القرآن، فالمعنى: أفنميك عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمنون به؟! وهو معنى قول قتادة، وابن زيد. وقال قتادة: «مُسْرِفِينَ» بمعنى مشركين. ثم أعلم نبيه أني قد بعثت رُسُلًا فَكُذِّبُوا فأهلكك المكذبين بالآيات التي تلي هذه.

قوله تعالى: ﴿أَسَدًا مِنْهُمْ﴾ أي: من قريش ﴿بَطْشًا﴾ أي: قُوَّةٌ ﴿وَمَعْنَى مَثَلِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سبق وصف عقابهم فيما أنزل عليك. وقيل: سبق تشبيه حال أولئك بهؤلاء في التكذيب، فستقع المشابهة بينهم في الإهلاك. ثم أخبر عن جهلهم حين أقروا بأنه خالق السموات والأرض ثم عبدو غيره بالآية التي تلي هذه؛ ثم التي تليها مفسرة في [طه: ٥٣] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: لكي تهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ

(١) في الأصل: وهو.

(٢) «غريب القرآن» ٣٩٥، «واللسان» و«التاج»: صفح. وفي «غريب القرآن» و«التاج»: «إلا بخيلة» بدل «بخيلة».

(٣) أي: بفتح الهمزة.

الْفَالِكِ وَالْأَنْتَمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١١﴾ لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ تُمْ تَذْكُرُوا يَتِمَّةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِلَّا إِلَهُ رَبِّنَا لَمُقْتَلُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَرَىٰ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدَّرُ﴾ قال ابن عباس: يريد أنه ليس كما أنزل على قوم نوح بغير قدر فأغرقهم، بل هو بقدر ليكون نافعاً. ومعنى «انشرنا» أحيينا.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر: «تَخْرُجُونَ» بفتح التاء. وضم الراء؛ والباقون بضم التاء وفتح الراء. وما بعد هذا قد سبق [يس: ٣٦، ٤٢] إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ قال أبو عبيدة: هاء التذكير لـ «ما». ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا يَتِمَّةَ رَبِّكُمْ﴾ إذ سخر لكم ذلك المركب في البر والبحر، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أي: مطبقين، قال ابن قتيبة: يقال: أنا مقرن لك، أي: مطبق لك، ويقال: هو من قولهم: أنا قرن لفلان: إذا كنت مثله في الشدة، فإن قلت: أنا قرن لفلان - بفتح القاف - فمعناه: أن تكون مثله بالسخر. وقال أبو عبيدة: «مقرنين» أي: ضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان، أي: ضابط له.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا إِلَهُ رَبِّنَا لَمُقْتَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ أي: راجعون في الآخرة<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ مِنَّا مِثْلَ بَنَاتِكُمْ بِإِذْنِنَا ﴿١٥﴾ وَإِذَا بُعْثَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ الرَّحْمَنُ مِثْلًا نَحْنُ لَعَدُوٌّ مُّسَوِّدٌ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٦﴾ أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً﴾ أنا الجعل هاهنا، فمعناه: الحكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بنات الله؛ والمعنى: جعلوا له نصيباً من الولد، قال الزجاج: وأنشدني بعض أهل اللغة بيتاً يدل على أن معنى «جزء» معنى الإناث - ولا أدري البيت قديم أو مصنوع -:

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ، يَوْمًا، فَلَا عَجَبٌ  
أَي: أَتَتْ، وَلِدَتْ أُنثَى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحوداً ليعم الله ﷻ ﴿مُبِينٌ﴾ أي: ظاهر الكفر. ثم أنكر عليهم فقال: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ مِنَّا مِثْلَ بَنَاتِكُمْ﴾ وهذا استفهام توبيخ وإنكار ﴿وَأَصْفَكُمُ﴾ أي: أخلصكم ﴿بِإِذْنِنَا﴾. ﴿وَإِذَا بُعْثَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ الرَّحْمَنُ مِثْلًا﴾ أي: بما جعل لله شبهها، وذلك أن ولد كل شيء شبهه وجنسه. والآية مفسرة في النحل: [٥٨].

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: «يُنْشَأُ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين؛ وقرأ الباقون: بفتح الياء وسكون النون. قال المبرد: تقديره: أو يجعلون من ينشأ ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ قال أبو عبيدة: الحلية: الجلى. قال المفسرون: والمراد بذلك: البنات، فإنهن ربيّن في الحلي. والخصام بمعنى المخاصمة، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ حجة. قال قتادة: قلما تتكلم امرأة بخجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وقال بعضهم: هي الأصنام.

﴿وَجَعَلُوا لِلنَّيْكَاتِ الَّذِينَ هُنَّ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنِ شَاءَ أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَخَطٌ مِّنْ دُونِهِمْ وَنَسُوا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ مَا يَنْشِئُكُمْ كِتَابًا فِيْنَ قَبْلِهِمْ فَهُمْ بِهِ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَثَرِ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نَدَّيْهِمْ مُّتَمَدِّنُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوعًا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أَثَرِ وَإِنَّا عَلَىٰ مَا نَدَّيْهِمْ مُّتَمَدِّنُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَوَلَمْ يَجْعَلْ يَدَايَ وَمَا نَدَّيْهِمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلُوا بِهِ كَاذِبُونَ ﴿٢٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

(١) روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً، ثم قال: «سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِلَّا إِلَهُ رَبِّنَا لَمُقْتَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم بمؤن علينا سفرنا هذا، وإطرعاً لنا بفضله، اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وُعْثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهم، وزاد فيهن «آيرون تائبون، عابدون، لربنا حامدون».

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٣٩٦، و«القرطبي» ٦٩/١٦، و«البحر المحیط» ٨/٨، و«اللسان» و«التاج»: جزاً.

(٣) قال في «غريب القرآن» قتلًا عن الزجاج: معني «إن أجزاء» أي: أئتت، أي: أنت بآنى.

- (١) في الأصل: عن عباده بات.
- (٢) ذكر هذا الحديث البيهقي في «تفسيره» عن الكلبي ومقاتل بدون سند، وهو مقطوع. وذكره الخازن أيضاً من غير سند، ولم يعزّه لأحد.
- (٣) في الأصل: بقولهم.
- (٤) في الأصل: «لو شاء الله ما عبدهناهم»، ولفظ الآية كما أثبتناه.
- (٥) قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: ﴿أَمْ أَنَاءِثٌ عَشِيَّةٌ يَوْمَ بُرْءٍ أَفْتَنَ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من قبل شركهم ﴿فَهُمْ يَدْعُونَ بِنِسْبِهِمْ﴾ أي فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك، كقوله ﷺ: ﴿أَمْ أَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَنْتَكِبُونَ﴾ أي: لم يكن ذلك. اهـ.
- (٦) قال ابن كثير: أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة، قال: والمراد بها الدين هاهنا وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَدْعُونَ إِلَهًا إِلَّا هُوَ يُشْرِكُونَ﴾، قال: وقولهم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُمْ﴾ أي: وراهم ﴿فَتُحَدِّثُونَ﴾ قال: دعوى منهم بلا دليل. اهـ.
- (٧) قال ابن كثير: بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقاتلتهم: ﴿كَذَلِكَ سَأَلْنَاهُ لَدُنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: وراهم ﴿فَتُحَدِّثُونَ﴾ قال: وهكذا قال هاهنا: ﴿وَكَذَلِكَ سَأَلْنَاهُ لَدُنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَنزَلُوا بِحُكْمِ رَبِّكَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما اتقنوا لذلك، لسوء قصدهم



﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴿٣٨﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ بَلْ مَنَعْتَ هَكَذَا وَآيَاتِهِمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٤٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَارِهِونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ قال الزجاج: البراء بمعنى البريء، والعرب تقول للواحد: أنا البراء منك، وكذلك للآخرين والجماعة، وللذكر والأنثى، يقولون: نحن البراء منك والخلاء منك، لا يقولون: نحن البراء ان منك، ولا البراءون منك، وإنما المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذو البراء منك، كما يقال: رجل عدل، وامرأة عدل. وقد بينا استثناء إبراهيم ربه ﷺ مما يعبدون عند قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني كلمة التوحيد، وهي «لا إله إلا الله» ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ أي: فيمن يأتي بعده من ولده، فلا يزال فيهم موحد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد كلهم إذا سمعوا أن آباهم تبرأ من الأصنام ووحد الله ﷻ. ثم ذكر نعمته على قريش فقال: ﴿بَلْ مَنَعْتَ هَكَذَا وَآيَاتِهِمْ﴾ والمعنى: إِنِّي أَجَزَلْتُ لَهُمُ النِّعَمَ وَلَمْ أَعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ وهو القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ وهو محمد ﷺ، فكان ينبغي لهم أن يقابلوا النِّعَمَ بالطاعة للرسول، فخالفوا. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ﴾ يعني قريشاً في قول الأكثرين. وقال قتادة: هم اليهود. و﴿الْحَقُّ﴾ القرآن.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَن قَسَمَاتِ يَدَيْهِمْ مَّيِّسَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفَعَلْنَا بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْعًا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ لِيُؤْيِسَهُمُ سَفْهُاً مِّن فِتْنَةٍ وَمَعَاجٍ عَلَيْهَا يُظْهِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلِيُؤْيِسَهُمُ الْوَيْدَ وَمُرُرًا عَلَيْهَا يَبْكُونَ ﴿٤٥﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلٌّ لِّذَلِكَ لَمَّا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أما الفريقان، فمكة والطائف، قاله ابن عباس، والجماعة؛ وأما عظيم مكة، ففيه قولان: أحدهما: الوليد بن المغيرة القرشي، رواه العوفي وغيره عن ابن عباس، [وبه قال قتادة، والسدي]. والثاني: عتبة بن ربيعة، قاله مجاهد. وفي عظيم الطائف خمسة أقوال: أحدها: حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: مسعود بن عمرو بن عبيد الله، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أنه أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي، رواه ليث عن مجاهد، وبه قال قتادة. والرابع: [أنه] ابن عبد ياليل<sup>(١)</sup>، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والخامس: كنانة بن عبد [بن]<sup>(٢)</sup> عمرو بن عمير الطائفي، قاله السدي. فقال الله ﷻ رداً عليهم وإنكاراً: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني النبوة، فيضعونها حيث شاؤوا، لأنهم اعترضوا على الله بما قالوا<sup>(٣)</sup>. ﴿عَن قَسَمَاتِ يَدَيْهِمْ مَّيِّسَتَهُمُ﴾ المعنى أنه إذا كانت الأرزاق بقدر الله، لا بحول المحتال - وهو دون النبوة - فكيف تكون النبوة؟! قال قتادة: إنك لتلقى ضعيف الحيلة عبي اللسان قد بسيط له الرزق، وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان<sup>(٤)</sup> وهو مقنن عليه.

ومكابرتهم للحق وأمله. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا آلَوْا لِقَائِهِ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْغَيَاةُ﴾ أي: من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي: كيف بادوا وهلكوا وكيف نجي الله المؤمنين. اهـ.

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليفه إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قريش في نسبها وملعبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَقْبَلُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي﴾ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»، أي: جعلها دائمة في ذمته يقتدي به فيها من هداة الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها. اهـ.

(٢) هو كنانة بن عبد ياليل الثقفي، شاعر جاهلي، من أهل الطائف (في الحجاز)، كان رئيس ثقيف في زمانه، مدح النعمان بن المنذر، وأدرك الإسلام، وقدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف بعد حصار الطائف، فأسلم الوفد إلا كنانة، فتوجه إلى بلاد الروم فمات فيها.

(٣) زيادة من «الطبري» و«القرطبي».

(٤) قال ابن كثير: قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أي: ليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم نبأً، وأطهرهم أصلاً. اهـ.

(٥) كذا الأصل «بسيط اللسان» والذي في الطبري «سليط اللسان».

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: بالغنَى والفقر. والثاني: بالحرية والرقي ﴿لِنَجْزِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَسْعَى﴾ وقرأ ابن السميع، وابن محيصن: «سُخْرِيّاً» بكسر السين. ثم فيه قولان: أحدهما: يستخدم الأغنياء الفقراء بأموالهم، فَيَلْتَمِزُ قِوَامَ الْعَالَمِ، وهذا على القول الأول. والثاني: ليملك بعضهم بعضاً بالأموال فيَتَخَذُونَهُمْ عِبِيداً، وهذا على الثاني<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْتُ رَبَّكَ﴾ فيها قولان: أحدهما: الثبوتُ خير من أموالهم التي يجمعونها، قاله ابن عباس. والثاني: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: لولا أن يجتمعوا على الكفر، قاله ابن عباس. والثاني: على إثارة الدنيا على الدين، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِيُوشِقَ سُفْهًا مِّنْ فَضْلِهِ﴾ لهوان الدنيا عندنا. قال الفراء: إن شئت جعلت اللام في «لِيُوشِقَ» مكررة، كقوله: ﴿يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الْكُفْرِ الْكَرَّارِ وَقَالَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وإن شئت جعلتها بمعنى «على»، كأنه قال: جَعَلْنَا لَهُمْ عَلَى بُيُوتِهِمْ، تقول للرجل: جعلتُ لك لقومك الأعطية، أي: جعلتها من أجلك لهم. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «سُفْهًا» على التوحيد. وقرأ الباقون: «سُفْهًا» بضم السين والقاف جميعاً. قال الزجاج: والسُّفْه واحد يدلُّ على الجمع؛ فالمعنى: جعلنا لبيت كل واحد منهم سُفْهًا من فَضْلةٍ وَفَضْلٍ، وهي الدَّرَجَة والمعنى: وجعلنا معارج من فَضْلةٍ، وكذلك ﴿وَلِيُوشِقَ أَبْوَيْكَ﴾ أي: من فَضْلةٍ وَوَسْرَةٍ أَي: من فَضْلةٍ.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يَغْلُوبُونَ، يقال: ظَهَرْتُ عَلَى الْبَيْتِ: إِذَا غَلَوْتَ سَطْحَهُ.

قوله تعالى: ﴿وَوُحِّدْنَا﴾ وهو الذهب؛ والمعنى: ويجعل لهم مع ذلك ذهباً وَغْنَى ﴿وَإِن كُفِّرْ كُلٌّ لِّمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ المعنى: لَمَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وما زائدة وقرأ عاصم، وحمزة: «لَمَّا» بالتشديد، فجعله بمعنى «إلا»؛ والمعنى: إِنَّ ذَلِكَ يُمْتَنَعُ بِهِ قَلِيلاً ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ خاصة لهم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَن يَشَأْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لِّمَن شِئْنَا فَهَوَ لِمَن قَرِئَ﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَسْتَدْرِئُهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمُتَرَقِّينَ قُلْتُ الْقُرْآنَ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَكْثَرُ فِي الْعَذَابِ مُتَوَكِّفُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَن تَشْمِيعُ الشَّمْعِ أَوْ تَهْدِي السَّمَاءَ وَمَن كَانَتْ فِي سَكَلِي شَيْبٍ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَشَأْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يُعْرِضُ، قاله الضحاك عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والفراء، والزجاج. والثاني: يَتَمَّ، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عطاء، وابن زيد. والثالث: أَنَّهُ الْبَصَرُ الضَّعِيفُ، حكاه الماوردي. وقال أبو عبيدة: تُظَلِّمُ عَيْنَهُ عَنْهُ. وقال الفراء: من قرأ: «يَعِشُ»، فمعناه: يُعْرِضُ، ومن نصب الشين،

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَعَن كَسَنَ يَتَمَّ يَتَمَّ يَتَمَّ﴾ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يقول تعالى ذِكْرُه: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسلاً، ومن أردنا صديقاً، ونشغل من أردنا خليلاً، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، وهذا مملوكاً ﴿لِنَجْزِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَسْعَى﴾.

وقال ابن كثير: قال الله ﷻ مبيناً أنه قد فاءت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والمقولات والفهوم وغير ذلك من القرى الظاهرة والباطنة فقال: ﴿فَعَن كَسَنَ يَتَمَّ يَتَمَّ يَتَمَّ﴾ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... الآية، قال: وقوله جئت عظمت: ﴿لِنَجْزِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَسْعَى﴾ قيل: معناه: ليسر بعضهم بعضاً في الأعمال، لاجتماع هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، قاله السدي وغيره، وقال قتادة والضحاك: ليملك بعضهم بعضاً.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَرَفَعْتُ رَبَّكَ حَقَّ رَبِّكَ يَتَمَّ يَتَمَّ يَتَمَّ﴾ يقول تعالى ذِكْرُه: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا. اهـ. وقال ابن كثير: أي: ورحمة الله خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَإِن كُفِّرْ كُلٌّ لِّمَا مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذِكْرُه: وما كل هذه الأشياء التي ذكرت، من السفق من الفضة والمعارج والأبواب والشُر من الفضة والزخرف، إلا ممتع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذِكْرُه: وَزَيْن الدار الآخرة وبها وما عند ربك للمتقين - الذين اتقوا الله تخافوا عقابه، فجدوا في طاعته وحذروا معاصيه - خاصة، دون غيرهم من خلق الله. اهـ. وفي «الصحيحين» عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا فِي آتِيَةِ اللَّعِبِ وَالْفَقْهَةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَابِهِمَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ». وروى الترمذي عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَمُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَالِإِثْمِ شَرِيَةً مَّاءَهُ» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أراد: يَغْم عنه؛ قال ابن قتبية: لا أرى القول إلا قول أبي عبيدة، ولم نر أحداً يجيز «عَشَوْتُ عن الشيء»: أعرضت عنه، إنما يقال: «تَعَاشَيْتُ عن كذا»، أي: تغافلت عنه، كأنني لم أره، ومثله: تعاميتُ، والعرب تقول: «عَشَوْتُ إلى النار»: إذا استدلت إليها بصر ضعيف، قال الحطيئة:

مَتَى تَأْتِيهِ تَغَشُّو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُرْقِدٍ<sup>(١)</sup>

ومنه حديث ابن المسيب: «أن إحدى عينيه ذهب، وهو يَغْشُو بالأخرى»، أي: يُبْصِرُ بها بصرأ ضعيفاً. قال المفسرون: «وَمَنْ يَغْشُو عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» فلم يَخَفْ عقابه ولم يلتفت إلى كلامه «فَقَبَضَ لَهُ» أي: نسب له «شَيْطَاناً» فجعل ذلك جزاءه «فَقَوَّ لَهُ قَرِينَ» لا يفارقه<sup>(٢)</sup>. «وَأَتَتْهُمْ» يعني الشياطين «لِيَسْأَلُوهُمْ» يعني الكافرين، أي: يمنعونهم عن سبيل الهدى؛ وإنما جمع، لأن «مَنْ» في موضع جمع، «وَيَحْصُرُونَ» يعني كفار بني آدم «أَتَتْهُمْ» على هدى. «حَوَّ إِذَا جَاءَكَ» وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «جاءنا» واحد، يعني الكافر. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «جاءنا» بالفتن على الثنية، يعنون الكافر وشيطانه. وجاء في التفسير أنهما يُجْعَلَانِ يَوْمَ الْبَعْثِ في سلسلة، فلا يفترقان حتى يُصَيَّرَهما الله إلى النار، «قَالَ» الكافر للشيطان: «بَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الشَّرِيقَيْنِ» أي: بعد ما بين المشرقين؛ وفيهما قولان: أحدهما: أنهما مشرق الشمس في أقصر يوم في السنة، ومشرقها في أطول يوم، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه أراد المشرق والمغرب، فغلب ذكر المشرق، كما قالوا: سُنَّةُ الْعَمْرَيْنِ، يريدون: أبا بكر وعمر، وأنشدوا من ذلك:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْنَاكُمْ

يريد: الشمس والقمر؛ وأنشدوا:

فَبَصُرَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْجِرَاقُ لَنَا

يريد: الجزيرة والموصل، [وهذا اختيار الفراء، والزجاج].

قوله تعالى: «يَنْتَسِ الْقَرِينُ» أي: أنت أيها الشيطان. ويقول الله ﷻ يومئذ للكفار: «وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ» أي: أشركتم في الدنيا «أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» أي: لن ينفعكم الشراكة في العذاب، لأن لكل واحد منه الحظ الأوفر. قال المبرد: مُبِعُوا روح النَّاسِ، لأن النَّاسِ يُسَهِّلُ الْمُصِيبَةُ، وأنشد للخنساء أخت صخر بن مالك في هذا المعنى:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ

وقرأ ابن عامر: «إِنَّكُمْ» بكسر الالف. ثم أخبر عنهم بما سبق لهم من الشقاوة بقوله: «أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْفَتْرَ... الآية.

﴿فَأِنَّا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ١١ أَوْ تُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿١٢﴾ فَاسْتَمِعْ يَا ذِي الْقُرْبَىٰ إِلَيْكَ إِنَّا كَلَّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَائِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: «﴿فَأِنَّا نَذْهَبُ بِكَ﴾» قال أبو عبيدة: معناها: فإن نَذْهَبَنَّ؛ وقال الزجاج دخلت «ما» توكيداً للشرط، ودخلت النون الثقيلة في «نَذْهَبَنَّ» أيضاً؛ والمعنى: إِنَّا نَنْتَقِمُ مِنْهُمْ إِنْ تَوَفَّيْتَ أَوْ تُرِيَّتْكَ مَا وَعَدْنَاهُمْ وَعَدْنَاكَ فِيهِمْ

(١) «ديوانه» ١٦١، «ومجاز القرآن» ٢/٢٠٤، «وفريب القرآن» ٣٩٨، «والكتاب» ١/٤٤٥، «والخزانة» ٣/٦٦٢، «ودروح المعاني» ٢٥/٧٤، «والصالح» و«اللسان» و«التاج»: عشا.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: «وَمَنْ يَغْشُو عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» أي: يتعمى ويتغافل ويعرض «عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» قال: والعشا في العين: ضعف بصرها، والمراد هاهنا: عشا البصيرة «فَقَبَضَ لَهُ شَيْطَاناً» فهو لَمْ قَرِينَ» كقوله تعالى: «وَمَنْ يُكَافِئِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُتَزَيِّينَ قُلُوبُهُ مَأْمُورَةٌ وَفُضِّلَ بِهِمْ وَكَانَتْ سَمِيرًا ﴿١٥﴾». اهـ.

(٣) البيت للفرزدق، «ديوانه» ٥١٩، «والكامل» ١٢٤، «والطبري» ٢٥/٧٤.

(٤) البيت غير منسوب في «الطبري» ٢٥/٧٤، «والصالح» و«اللسان» و«التاج»: وصل.

(٥) «ديوانها» ٨٤، «والكامل» ١٥، «والبحر المحيط» ٨/١٧، «ودروح المعاني» ٢٥/٧٧، والثاني: التصغير.







الساحر فيهم عظيماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنهم قالوه على جهة الاستهزاء، قاله الحسن. والثالث: أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُهْذَوُونَ﴾ أي: مؤمنون بك. فدعا موسى، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا. وقد ذكرنا ما تركناه هاهنا في [الأعراف: ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿تَجَرَّى مِنْ وَحْيٍ﴾ أي: من تحت قصوري<sup>(١)</sup> ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي وشدة ملكي؟ ﴿أَنَا أَنَا خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: أراد: بل أنا خير. وحكى الزجاج عن سيبويه والخليل أنهما قالوا: عطف «أنا» بـ «أَمْ» على «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» [فكانه قال: أفلا تبصرون] أم أنتم بصرأ؟ لأنهم إذا قالوا: أنت خير منه، فقد صاروا عنده بصراء. قال الزجاج: والمهين: القليل؛ يقال: شيء مهين، أي: قليل. وقال مقاتل: «مهين» بمعنى ذليل ضعيف<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَتِيمٌ﴾ أشار إلى عقدة لسانه التي كانت به ثم أذهبها الله عنه، فكانه عيره بشيء قد كان وزال، ويدل على زواله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَرَبْتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ [طه: ٣٦]، وكان في سؤاله: ﴿وَأَسْأَلُ عُقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]. وقال بعض العلماء: ولا يكاذ يبين الحجة ولا يأتي ببيان يفهم<sup>(٣)</sup>. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا «أَلْقَى عَلَيْهِ أَسَاوِرَهُ مِنْ ذَهَبٍ» وقرأ حفص عن عاصم: «أَسْوِرَةٌ بغير ألف. قال الفراء: واحد الأساورة: إشوار، وقد تكون الأساورة جمع أسورة، كما يقال في جمع الأنثية: الأساقى، وفي جمع الأكرع: الأكارع، وقال الزجاج: يصلح أن تكون الأساورة جمع الجمع تقول: أسورة وأساورة، كما تقول: أقوال وأقاول، ويجوز أن تكون جمع إشوار، وإنما صرفت أساورة، لأنك ضمنت الهاء إلى أساور، فصار اسماً واحداً، وصار له مثال في الواحد، نحو «علانية». قال المفسرون: إنما قال فرعون هذا، لأنهم كانوا إذا سؤدوا الرجل منهم سؤروه يسوار. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلِكُ مَقَرِّيْنِ﴾ فيه قولان: أحدهما: متابعين، قاله قتادة. والثاني: يمشون معه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ قال الفراء: استفرهم؛ وقال غيره: استخف أحلامهم وحملهم على خفة الجلم بكيدة وغروره ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ في تكذيب موسى. ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ قال ابن عباس: أغضبونا. قال ابن قتيبة: الأسف: الغضب، يقال: أيسف أسف أسفاً، أي: غضبت<sup>(٤)</sup>. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَفاً﴾ أي: قوماً تقدموا. وقرأها أبو هريرة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وحמיד الأعرج: «سلفاً» بضم السين وفتح اللام، كان واحدته سلفة من الناس، مثل القطعة، يقال: تقدمت سلفة من الناس، أي: قطعة منهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «سلفاً» بضم السين واللام، وهو جمع «سلف»، كما قالوا: حشَب وحشِب، وقَمَر وقَمِر، ويقال: هو جمع «سليف»، وكلُّه من التقدم. وقال الزجاج: «السليف» جمع قد مضى؛ والمعنى: جعلناهم سلفاً متقدمين ليحفظ بهم الآخرون.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَارٌ﴾ أي: عيرة [وعظة].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَوْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرد وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها ﴿الَّذِينَ لِي مُلْكٌ مِثْرٌ وَكَذِبُوا الْآلِهَتِمْ تَجَرَّى مِنْ وَحْيٍ﴾.

(٢) قال ابن كثير: يعني فرعون - لعنه الله - بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام، قال: وقد كذب في قوله هذا كذباً بيتاً واضحاً، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، قال: ويعني بقوله: «مهين» كما قال سفيان: حقير، وقال قتادة والسدي: يعني ضعيف، قال: وقال ابن جرير: يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَلَا يَكَاذُ يَتِيمٌ﴾ افتراء أيضاً (يعني من فرعون لعنه الله) فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله ﷻ أن يحلَّ عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، قال: وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله: ﴿قَدْ أَرَبْتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ قال: ويتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلان والإفهام، قال: فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذمُّ عليها، قال: وفرعون وإن كان يفهم وله عقل، فهو يدرى هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء. اهـ.

(٤) قال ابن جرير الطبري: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ قال: أغضبونا ﴿انْتَفَقْنَا مِنْهُمْ﴾ يقول: انتقمنا منهم بما جل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقتهم جميعاً في البحر. اهـ.

قَوْمٌ حَاصِرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَكُنَّا نَسَاءَ لِحَمَلِكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَوَلَّيُوا لِسَانَ قَوْلِهِمْ فَلَا تَعْتَدُ بِهَا وَالْيَهُودُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا صُدِّقْتُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَالطَّيِّبِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاتَّخَذَ الْأَعْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوِيلًا لِّذَلِكُمْ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آلِ يَاسِينَ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا صُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبيري رسول الله ﷺ حين نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية [الأنبياء: ٩٨] وقد شرحنا القصة في سورة [الأنبياء: ١٠١] <sup>(١)</sup>. والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مثلاً لألهتهم وشبهوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت ذكر الأصنام، لأنها عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فالزموه عيسى، وضربوه مثلاً لأصنامهم، لأنه معبود النصارى. والمراد بقومه المشركون. فأما ﴿يَصُدُّونَ﴾ فقرأ ابن عامر، ونافع، والكسائي: بضم الصاد، وكسرهما الباقون؛ قال الزجاج: ومعناها جميعاً: يَصُدُّونَ، ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يُغْرِضُونَ. وقال أبو عبيدة: من كسر الصاد، فمجازها: يَصُدُّونَ، ومن ضمها، فمجازها: يَغْدِلُونَ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَلَيْسَ خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ خَيْرٌ أَزْهَرُ هُوَ﴾ المعنى: ليست خيراً منه، فإن كان في النار لأنه عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فقد رضي أن تكون ألهتنا بمنزلته. ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ذكروا عيسى إلا ليجادلوك به، لأنهم قد علموا أن المراد بـ «حَصَبِ جَهَنَّمَ» ما اتخذوه من الموات <sup>(٢)</sup> ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ حَاصِرُونَ﴾ أي: أصحاب خصومات <sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾ أي: آية وعبرة ﴿لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعرفون به قدرة الله على ما يريد، إذ خلقه من غير أب. ثم خاطب كفار مكة، فقال: ﴿وَكُنَّا نَسَاءَ لِحَمَلِكُمْ مَلَائِكَةً﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: لَجَعَلْنَا بدلاً منكم ﴿مَلَائِكَةً﴾؛ ثم في معنى «يَخْلُفُونَ» ثلاثة أقوال: أحدها: يخلف بعضهم بعضاً، قاله ابن عباس. والثاني: يخلفونكم ليكونوا بدلاً منكم، قاله مجاهد. والثالث: يخلفون الرُّسُلَ فيكونون رسلاً إليكم بدلاً منهم، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أن المعنى: ﴿وَكُنَّا نَسَاءَ لِحَمَلِكُمْ مَلَائِكَةً﴾ أي: قَلَبْنَا الْخَلْقَةَ فَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ مَلَائِكَةً يَخْلُفُونَ مَنْ ذَهَبَ مِنْكُمْ، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَوَلَّيُوا لِسَانَ قَوْلِهِمْ﴾ في هاء الكناية قولان: أحدهما: [أنها] تَرْجِعُ إِلَى عِيسَى ﷺ. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: نزول عيسى من أشراط الساعة يُعَلِّمُ به قُرْبَاهَا، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي. والثاني: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى، قاله ابن إسحاق. والقول الثاني: أنها تَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ، قاله الحسن، وسعيد بن جبيرة. وقرأ الجمهور: «لَعَلَّمْ» بكسر العين وتسكين اللام؛ وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وحמיד، وابن محيصن: بفتحهما <sup>(٤)</sup>. قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين، فالمعنى أنه يُعَلِّمُ به قُرْبُ السَّاعَةِ، ومن فتح العين واللام، فإنه بمعنى العلامة والدليل <sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ١٧٥، ٢١٤، وذكره البغوي بدون سند قال: قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبيري مع النبي ﷺ في شأن عيسى ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وكذلك ذكره الخازن بدون سند، وقد ذكر المفسرون ذلك في سورة [الأنبياء: ١٠١]، وانظر ٩٤٥ من كتابنا هذا.

(٢) عبارة البغوي والخازن: وقد علموا أن المراد من قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هؤلاء الأصنام.

(٣) روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن جرير الطبري عن أبي أمامة ﷺ بسند صحيح قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا صَرَّوْهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيرُونَ﴾.

(٤) في الأصل: بفتحها، والتصويب من كتب التفسير.

(٥) قال ابن كثير: تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكهم والأبرص وغير ذلك من الأقسام، قال: وفي هذا نظر، قال: وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبيرة أن الضمير في «وإنه» عائد على القرآن، قال: بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره، قال: ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَزِيدُونَ بَدَلًا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنْ ظُلْمٍ﴾ أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَيَوْمَ الْوَيْدَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حُكْمٌ﴾ قال: ويؤيد هذا المعنى القراءة =

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ﴾ أي: فلا تشكَّنْ فيها ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيَّ﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أنا عليه ﴿يَرْبُطُ تَسْتَقِيمَ﴾. ﴿وَلَكَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قد شرحنا هذا في [البقرة: ٨٧]. ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ وفيها قولان: أحدهما: النبوة، قاله عطاء، والسدي. والثاني: الإنجيل، قاله مقاتل. ﴿وَلَا يَنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَحْكُمُونَ فِيهِ﴾ [أي: من أمر دينكم؛ وقال مجاهد: ﴿بَعْضَ الَّذِي تَحْكُمُونَ فِيهِ﴾ من تبديل التوراة؛ وقال ابن جرير: من أحكام التوراة. وقد ذهب قوم إلى أن البعض هاهنا بمعنى الكل. وقد شرحنا ذلك في [ختم المؤمن: ٢٨]؛ قال الزجاج: والصحيح أن البعض لا يكون في معنى الكل، وإنما يبين لهم عيسى بعض الذي اختلفوا فيه مما احتاجوا إليه؛ وقد قال ابن جرير: كان بينهم اختلاف في أمر دينهم ودنياهم، فبين لهم أمر دينهم فقط. وما بعد هذا قد سبق بيانه [النساء: ١٧٥، مريم: ٢٧] إلى قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يعني كفار مكة.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [يَمِيدًا لَا حَوْثَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿أَنْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِغَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَّةُ الَّتِي أَوْفَرْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ﴾ أي: في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لأن الخلَّة إذا كانت في الكفر والمعصية صارت عداوة يوم القيامة؛ وقال مقاتل: نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ يعني الموحدين<sup>(١)</sup>. فإذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد ﴿يَمِيدًا لَا حَوْثَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرفع الخلائق رؤوسهم، فيقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، فينكس الكفار رؤوسهم<sup>(٢)</sup>. قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يا عبادي» بإثبات الياء في الحاليين وإسكانها، وحذفها في الحاليين ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص، والمفضل عن عاصم، وخلف. وفي أزواجه قولان: أحدهما: زوجاتهم. والثاني: قرناؤهم. وقد سبق معنى ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِغَارٍ﴾ قال الزجاج: واحدها صِغْفَرٌ، وهي القُضْعَةُ. والأكواب، واحدها: كُوبٌ، وهو إناء مستدير لا غُرَّةَ له؛ قال الفراء: الكُوبُ [الكوز]<sup>(٣)</sup> المستدير الرأس الذي لا أذن له، وقال عدي: مُتَّكِئًا تَضْفِئُ أَبْوَابَهُ

وقال ابن قتيبة: الأكواب: الأباريق التي لا غُرَى لها. وقال شيخنا أبو منصور اللغوي: وإنما كانت بغير غُرَى ليُشرب الشارب من أين شاء، لأن العُرَّة تَرُدُّ الشارب من بعض الجهات.

قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ﴾ وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «تشتيه» بزيادة هاء. وحذف الهاء كإثباتها في المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ الْأَعْيُنُ﴾ يقال: لَزِدْتُ الشَّيْءَ، واستلذذته، والمعنى: ما من شيء اشتتهه نفس أو استلذته

= الأخرى ﴿وَلَهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: أمانة ودليل على وقوع الساعة، قال: قال مجاهد: ﴿وَلَهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة، قال: هكذا روي عن أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن، وقنادة، والضحاك، وغيرهم، قال: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم ﷺ قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقيماً. اهـ.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله، فإنه دائم بدمائه، قال: وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿إِنَّا أَنْقَذُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْتَ وَمَنْ دُونَهُ بِبَيْتِكُمْ فِي الْحَيَاقِ الْأُنْجِيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْنَهُمُ الْبُرُكُ وَتَوَارَبَكُمْ النَّارُ وَتَأْوِيلُكُمْ النَّارُ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَمِيدًا لَا حَوْثَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه، قال: ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها. اهـ.

(٣) زيادة من «اللسان».

(٤) البيت لعدي بن زيد، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٠٦، و«القرطبي» ١٦/١١٤، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: كُوبٌ.



عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين، وتعام النعيم الخلود، لأنه لو انقطع لم يقب. ﴿وَلَكَ لَكِنَّةٌ﴾ يعني التي ذكرها في قوله: ﴿أَنخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ﴿الَّتِي أَوْفَتْهُمَا﴾ قد شرحنا هذا في [الأعراف: ٤٣] عند قوله: ﴿أَوْفَتْهُمَا﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾ يعني الكافرين، ﴿لَا يُفَعَّرُ﴾ أي: لا يُخَفَّفُ ﴿عَنْهُمْ رَفْعٌ فِيهِ﴾ يعني في العذاب ﴿يُسْأَلُونَ﴾ قال ابن قتيبة: يسألون من رحمة الله. وقد شرحنا هذا في [الأنعام: ٤٤] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ أي: ما عذبناهم على غير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بما جَنَوْا عليها. قال الزجاج: والبصريون يقولون: «هم» هاهنا فصل، كذلك يسمونها، ويسمونها الكوفيون: العباد.

قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبًا يَكْتُمُ﴾ وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام، وابن مسعود، وابن يعمر: [يا مال] بغير كاف مع كسر اللام. قال الزجاج: وهذا يسميه النحويون: [الترخيم]، ولكني أكرها لمخالفة المصحف. قال المفسرون: يَدْعُونَ مَالِكًا خَاوَنَ النَّارِ فيقولون: ﴿يَقْبِضُ عَلَيْكَ رَبُّكَ﴾ [أي: لِيُجْزَاكَ]؛ والمعنى: أنهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيستريحوا من العذاب؛ فيسكت عن جوابهم مدة، فيها أربعة أقوال: أحدها: أربعون عاماً، قاله عبد الله بن عمرو، ومقاتل. والثاني: ثلاثون سنة، قاله أنس. والثالث: ألف سنة، قاله ابن عباس. والرابع: مائة سنة، قاله كعب. وفي سكوته عن جوابهم هذه المدة قولان: أحدهما: أنه سكت حتى أوحى الله إليه أن أجبه، قاله مقاتل. والثاني: لأن بُعد ما بين النداء والجواب أخزى لهم وأذل. قال الماوردي: فَرَّدَ عَلَيْهِم مَالِكٌ فقال: ﴿إِنَّكَ تَكْتُمُونَ﴾ أي: مقيمون في العذاب. ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: أرسلنا رسلنا بالتوحيد ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد: كُلُّكُمْ ﴿كَرِهُونَ﴾ لما جاء به محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْرًا أَثَرًا﴾ في «أم» قولان: أحدهما: أنها للاستفهام. والثاني: بمعنى «بل». والإبرام: الإحكام. وفي هذا الأمر ثلاثة أقوال: أحدها: المَكْرُ برسول الله ﷺ ليقثلوه أو يُخْرِجوه حين اجتمعوا في دار الندوة؛ وقد سبق بيان القصة [الأنفال: ٣٠]، قاله الآثرون. والثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة. والثالث: أنه: إبرام أمرهم يُنجيهم من العذاب، قاله الفراء. ﴿إِنَّمَا مَرِئُونَ﴾ أي: مُخَيَّمُونَ أمراً في مجازاتهم. ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ بِرَفْعِهِمْ﴾ هو ما يسرونه من غيرهم ﴿وَيَحْمِلُهُمْ﴾ ما يتناجون به بينهم ﴿بَلَى﴾ والمعنى: إِنَّا نَسْمَعُ ذَلِكَ ﴿وَرُسُلَنَا﴾ يعني [من] الحَفَظَةِ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ﴾. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلزَّحَرَيْنِ وَلَدٌ﴾ في «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى الشرط؛ والمعنى: إن كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم<sup>(٢)</sup>، فعلى هذا في قوله: ﴿هَئَانَا أَوَّلُ الْمَيْدِينَ﴾ أربعة أقوال: أحدها: فانا أول الجاحدين، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن أعرابيين اختصما إليه، فقال أحدهما: إن هذا كانت لي في يده أرض، فعبديها، فقال ابن عباس: الله أكبر، فانا أول العابدين الجاحدين أن الله ولدأ. والثاني: فانا أول من عبَدَ الله مخالفاً لقولكم، هذا قول مجاهد. وقال الزجاج: معناه: إن كنتم تزعمون للرحمن ولدأ، فانا أول الموحدين.

(١) في الأصل: يعبثنا، والتصويب من كتب الضمير.

(٢) قال ابن كثير: ﴿لَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِحَقِّ كَرِهُونَ﴾ أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله، ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه وتصعد عن الحق وتباه، ويتغص أهله، ففودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لا تنفعكم الندامة. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كَانَ لِلزَّحَرَيْنِ وَلَدٌ﴾ فانا أول المؤمنين؛ أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأنني عبد من عبيده مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض هذا لكان هذا، ولكن هذا مستع في حقه تعالى، قال: والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال ﷺ ﴿قُلْ أَنَا أَن يَخْشَى وَلَكِنْ لَأَسْطَقِي مَا يَخْلُقُ مَا يَكُنْ شَيْئاً مَرَّةً اللَّهُ أَوَّلُ الْوَحْدِ الْفَهْرُ﴾. اهـ.





قومه عن الإيمان. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «وَقِيلَ» بنصب اللام؛ وفيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه أضمر معها قولاً، كأنه قال: وقال قِيلَ، وشكا شكواه إلى رَبِّهِ. والثاني: أنه عطف على قوله: «أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ يَرْهَقُمْ» وقِيلَ؛ فالمعنى: ونَسْمَعُ قِيلَهُ، ذكر القولين الفراء، والأخفش. والثالث: أنه منصوب على معنى: وعنده عِلْمُ الساعة وَيَعْلَمُ قِيلَهُ، لأن معنى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»: يَعْلَمُ الساعة وَيَعْلَمُ قِيلَهُ، هذا اختيار الزجاج. وقرأ عاصم، وحمة: «وَقِيلَهُ» بكسر اللام والهاء حتى تبلغ إلى الياء؛ والمعنى: وعنده عِلْمُ الساعة وَعِلْمُ قِيلِهِ. وقرأ أبو هريرة، وأبو رزين، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء، والجحدري، وقتادة، وحמיד: برفع اللام؛ والمعنى: ونداؤه هذه الكلمة: يا رب؛ ذكر عِلَّةُ الخفض والرفع الفراء والزجاج.

قوله تعالى: «فَأَصْحَقَ عَنْهُمْ» أي: فأغرض عنهم «وَقُلْ سَأَلْتُكُمْ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قُلْ خيراً بدلاً من شرهم، قاله السدي. والثاني: ازْدَدَ [عليهم] معروفاً، قاله مقاتل. والثالث: قُلْ ما تَسَلَّمُ به من شرهم، حكاه الماوردي. «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يَكْفُرُونَ عاقبة كفرهم. والثاني: أنك صادق. والثالث: حلول العذاب بهم، وهذا تهديد لهم: «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ»<sup>(١)</sup>. وقرأ نافع، وابن عامر: «تَعْلَمُونَ» بالتاء. ومن قرأ بالياء، فعلى الأمر للنبي ﷺ بأن يخاطبهم بهذا، قاله مقاتل؛ فنسخت آية السيف الإعراض والسلام.



(١) قال ابن كثير: «فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ» هذا تهديد من الله تعالى لهم. قال: ولهذا أحلَّ بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، قال: وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام في المشرق والمغرب، والله أعلم.

## سورة الدخان

وهي مكيّة كلها باجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمِّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ٣ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٥ أَمْرًا يَنْزِلُ ٦ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٧ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٨ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٩ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ١٠ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَالْآخِرُ ١١ رَبُّكُمْ الْأَوَّلُ ١٢ كُلُّ هُمْ فِي سَكْنٍ يُلْمَعُونَ ١٣﴾

قوله ﴿حَمِّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢﴾ قد تقدم بيانه [المؤمن، والزخرف]، وجواب القسم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، والهاء كتابة عن الكتاب، وهو القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ وفيها قولان: أحدهما: أنها ليلة القدر، وهو قول الأكثرين. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: أنزل القرآن من عند الرحمن ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في السماء الدنيا، ثم أنزل نجوماً. وقال مقاتل: نزل القرآن كله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا. والثاني: أنها ليلة النصف من شعبان، قاله عكرمة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوفين عقابنا<sup>(٢)</sup>. ﴿فِيهَا﴾ أي: في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُّ﴾ أي: يُفصل<sup>(٣)</sup>. وقرأ أبو المتوكل، وأبو نهيك، ومعاذ القاري: ﴿يُفْرَقُ﴾ بفتح الباء وكسر الراء «كُلٌّ» بنصب اللام ﴿أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: مُحْكَم. قال ابن عباس: يَكْتَبُ من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال، حتى الحاج، وإنك لتري الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى. وعلى ما روي عن عكرمة أن ذلك في ليلة النصف من شعبان، والرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها، فروي عن عكرمة أنه قال: في ليلة القدر، وعلى هذا المفسرون<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَمْرًا يَنْزِلُ﴾ قال الأخفش: «أمرًا» و«رحمة» منصوبان على الحال؛ المعنى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ آمْرِينَ آمراً وراحمين رحمة. قال الزجاج: ويجوز أن يكون منصوباً بـ «يُفْرَقُ» بمنزلة يُفْرَقُ قَرْقاً، لأن «أمرًا» بمعنى «قَرْقاً». قال الفراء: ويجوز أن تُنصب الرحمة بوقوع «مرسلين» عليها، فتكون الرحمة هي النبي ﷺ. وقال مقاتل: «مرسلين» بمعنى منزّلين هذا القرآن، أنزلناه رحمةً لِمَنْ آمَنَ به. وقال غيره: «أَمْرًا يَنْزِلُ﴾ أي: إِنَّا نَأْمُرُ بِنَسْخِ مَا يُنسخ من

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر. وقال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزل في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾ وكان ذلك في شهر رمضان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، ثم قال: ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد النجمة، فإن نص القرآن أنها في رمضان.

(٢) قال ابن كثير: وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أي: معلّمين الناس ما يفهم ويضرم شرعاً لتقوم حجة الله على عباده.

(٣) قال ابن كثير: وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٥﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون إلى آخرها، قال: وهكذا روي عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد من السلف. اهـ. وكذلك ذكر غيره من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٥﴾ يعود على الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن، وهي ليلة القدر، وهو الحق الذي لا مدخل عنه، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان، فحجته في ذلك بعض الآثار الضعيفة التي لا تقوم بها حجة، ومن ذلك تعلم خطأ الدعاء الذي يقرؤه بعض الناس في ليلة النصف من شعبان: «... إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرّم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم...» فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، هي ليلة القدر المقصودة في هذه السورة، وليست ليلة النصف من شعبان.

(٤) قال ابن كثير: والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل أنيكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى» قال: فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. اهـ.

اللوح<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّا كُنَّا مُتَسِلِينَ﴾ الأنبياء، ﴿رَحْمَةً﴾ مِنَّا بِخَلْقِنَا ﴿رَبِّ السَّمَكَاتِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «رب» بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «رب» بكسر الباء. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿بَلْ هُمْ﴾ يعني الكفار ﴿فِي سُلُوكِهِمْ﴾ مما جنتهم به ﴿يَلْمِزُونَ﴾ به.

﴿فَارْتَبَتْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّوْا بَحْثُونُ﴾ ﴿إِنَّا كَانِمْوُا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِضُونَ ﴿١٠﴾

﴿فَارْتَبَتْ﴾ أي: فانتظر ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ اختلفوا في هذا الدخان ووقته على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] دخان يجيء قبل قيام الساعة، فروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام»<sup>(٢)</sup>. وروى عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوث على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمك الليلة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: طلع الكوكب ذو الذئب، فخشيت أن يطرق الدخان<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى مروى عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، والجسن. والثاني: أن قريشاً أصابهم جوع، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دخاناً من الجوع؛ فروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق، قال: كنا عند عبد الله، فدخل علينا رجل، فقال: جئتكم من المسجد وتركتم رجلاً يقول في هذه [الآية] ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: يغشاهم يوم القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبهم منه كهيئة الزكام؛ فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، إنما كان [هذا] لأن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فقالوا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَانِمْوُا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾، فكشف عنهم، ثم عادوا إلى الكفر، فأخذوا يوم بدر، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾<sup>(٤)</sup>، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وابن السائب، ومقاتل. والثالث: أنه يوم فتح مكة لما حُجبت السماء بالغبرة، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هَذَا عَذَابٌ﴾ أي: يقولون: هذا عذاب. ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ فيه قولان: أحدهما: الجوع. والثاني: الدخان ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ بمحمد ﷺ والقرآن. ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: من أين لهم التذكّر والاتعاظ بعد نزول هذا

(١) عبارة الطبرسي في «مجمع البيان» والشوكاني في «فتح القدير»: إننا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ.

(٢) فكر الطبري ينحوي عن عبد الله بن مسعود موقوفاً عليه من رواية أبي الضحى عن مسروق قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاضاً عند أبواب كندة يقص ويزعج أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام... إلخ.

(٣) «الطبري» ١١٣/٢٥، قال ابن كثير: وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس... فذكره، قال: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس... حبر الأمة وترجمان القرآن، قال: وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين... أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والنحasan وغيرهما التي أوردوها بما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَارْتَبَتْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: بين واضح يراه كل أحد، قال: وعلى ما فسر به ابن مسعود... (أي في الحديث الذي بعد هذا من رواية البخاري ومسلم عن مسروق) إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. اهـ.

قال الشوكاني في «فتح القدير»: قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح (يريد بذلك سند رواية ابن أبي حاتم)، وكذا صححه السيوطي، ولكن ليس فيه أنه سبب نزول الآية، قال: وقد عرفت أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يترأى لقريش من الجوع، وبين كون الدخان من آيات الساعة وهلاماتها وأشراتها، فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك، وليس فيها أنه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها، والواجب التمسك بما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، قال: وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجح أنه الدخان الذي هو من أشرط الساعة، كabin كثير في «تفسيره» وغيره، قال: وهكذا يندفع قول من قال: إنه الدخان الكائن يوم فتح مكة، متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله: ﴿فَارْتَبَتْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، قال: فإن هذا لا يعارض ما في «الصحيحين» على تقدير صحة إسناده، مع احتمال أن يكون أبو هريرة... ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح أنه المراد بالآية، قال: ولهذا لم يصرح بأنه سبب نزولها. اهـ.

(٤) ذكره البخاري بالفاظ مختلفة: ٣٩٤/٨، ٤٢٠، ٤٤٠، ورواه مسلم أيضاً، وذكره السيوطي في «الدر» ٢٨/٦، وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل».



البلاء، ﴿و﴾ حالهم أنه ﴿قد جاءهم رسول مبين﴾ أي: ظاهر الصدق؟! ﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ عَنْهُ﴾ أي: أعرضوا ولم يقبلوا قوله ﴿وَقَالُوا مَتَىٰ نَحْنُ﴾ أي: هو معلّم يعلمه بشر مجنون بادعائه النبوة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أي: زماناً يسيراً. وفي العذاب قولان: أحدهما: الضّر الذي نزل بهم كُشف بالخصب، هذا على قول ابن مسعود قال مقاتل: كشفه إلى يوم بدر. والثاني: أنه الدخان، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ فيه قولان: أحدهما: إلى الشرك، قاله ابن مسعود. والثاني: إلى عذاب الله؛ قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبُطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ وقرأ الحسن، وابن يعمر، وأبو عمران: «يَوْمَ نُبْطِشُ» بفتح الطاء «الْبَطْشَةُ» بالرفع. قال الزجاج: المعنى: واذكر يومَ نُبْطِش، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: «منتقمون»، لأن ما بعد «إِنَّا» لا يجوز أن يعمل فيما قبلها. وفي هذا اليوم قولان: أحدهما: يوم بدر، قاله ابن مسعود، وأبي بن كعب، وأبو هريرة، وأبو العالية، ومجاهد، والضحاك. والثاني: يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن. والبطلن: الأخذ بقوة.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِلَىٰ لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَهَ إِلَهَيْكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِلَىٰ عَذَابٍ يَرَىٰ وَزَيْكُ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْرِضُوا ﴿٢١﴾ فَقَدَا رَبُّهُ أَنْ هَتَّكَاهُ قَوْمٌ يَجْرُمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَتَىٰ يَمِينَا لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّشْعَبُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتَّزَلَىٰ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ يَحْتَدُّ مَغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَتَمَعُوا كَأَنَّهُمْ فِيهَا فَكَيِّهَةٌ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتلينا ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قومك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بإرسال موسى إليهم ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وهو موسى بن عمران. وفي معنى «كريم» ثلاثة أقوال: أحدها: حسن الخلق، قاله مقاتل. والثاني: كريم على ربه، قاله الفراء. والثالث: شريف وسيط النسب، قاله أبو سليمان.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَذُوا﴾ أي: بأن أذوا ﴿إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أذوا إلي ما أَدْعُوكُم إليه من الحق باتباعي، روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس. فعلى هذا ينتصب «عبد الله» بالنداء. قال الزجاج: ويكون المعنى: أن أذوا إلي ما أَمْرُكُمْ به يا عباد الله. والثاني: أرسلوا معي بني إسرائيل، قاله مجاهد، وفتادة، والمعنى: أطلقوهم من تسخيركم، وسلموهم إلي. ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تقفروا عليه، قاله ابن عباس. والثاني: لا تعتوا عليه<sup>(١)</sup>، قاله فتادة. والثالث: لا تعظموا عليه، قاله ابن جريج ﴿إِلَىٰ مَا يَكُنْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة تدل على صدقي. فلما قال هذا تواعدوه بالقتل فقال: ﴿وَإِلَىٰ عَذَابٍ يَرَىٰ وَزَيْكُ أَنْ تَرْجُمُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه رجم القول، قاله ابن عباس؛ فيكون المعنى: أن يقولوا: شاعر أو مجنون. والثاني: القتل، قاله السدي. ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْرِضُوا ﴿٢١﴾﴾ أي: فاتركوني لا معي ولا علي، فكفروا ولم يؤمنوا، ﴿فَقَدَا رَبُّهُ أَنْ هَتَّكَاهُ قَوْمٌ يَجْرُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ من فتح «أَنْ»، فالمعنى: بأن هؤلاء؛ ومن كسر، فالمعنى: قال: إن هؤلاء، وإن «بَعْدَ الْقَوْلِ مَكْسُورَةٌ». وقال المفسرون: المنجرون هاهنا: المشركون. فأجاب الله دعاءه، وقال: ﴿فَأَتَىٰ يَمِينَا لَيْلًا﴾ يعني بالمؤمنين ﴿إِنَّكُمْ مُّشْعَبُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه؛ فأعلمهم أنهم يتبعونهم، وأنه سيكون سبباً لغرقهم. ﴿وَاتَّزَلَىٰ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾ أي: ساكتاً على حاله بعد أن انفرد لك، ولا تأمره أن يرجع كما كان حتى يدخله فرعون وجنوده. والرّهو: مشي في سكون. قال فتادة: لما قطع موسى البحر، عطف يضرب البحر بعصاه ليلتهم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، ف قيل [له]: ﴿وَاتَّزَلَىٰ الْبَحْرَ رَهَوًا﴾، أي كما هو - طريقاً يابساً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَحْتَدُّ مَغْرَقُونَ﴾ أخبره الله ﷻ بغرقهم لِيُظْمِنَ قلبه في ترك البحر على حاله. ﴿كَذَرَكُوا﴾ أي:

(١) كذا الأصل: «لا تفتروا» بتامين، والذي في الطبري عن قتادة: «لا تبتغوا».

(٢) قال ابن كثير: وقوله ﷻ: ﴿وَاتَّزَلَىٰ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ يَحْتَدُّ مَغْرَقُونَ﴾ ذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاز هو وبني إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حلاًلاً بينهم وبين فرعون فلا يصل إليهم، فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكتاً، ويشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركاً ولا يخشى. اهـ.

بعد غرقهم ﴿مِنْ جَنَّتِي﴾ وقد فسرنا الآية في [الشعراء: ٥٧]. فأما «النعمة» فهو العيش اللين الرغد. وما بعد هذا قد سبق بيانه [يس: ٥٥] إلى قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ﴾ أي: على آل فرعون؛ وفي معناه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الحقيقة؛ روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا وَلَهُ فِي السَّمَاءِ بَابَانِ، بَابٌ يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ، وَبَابٌ يَنْزِلُ مِنْهُ رِزْقُهُ، فَإِذَا مَاتَ بَكِيََا عَلَيْهِ» وتلا ﷺ هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال علي رضي الله عنه: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مُصَلِّاهُ مِنَ الْأَرْضِ وَمُصْعِدُ عَمَلِهِ مِنَ السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup>، وإن آل فرعون لم يكن لهم في الأرض مُصَلِّيٌ وَلَا فِي السَّمَاءِ مُصْعِدُ عَمَلٍ، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وإلى نحو هذا ذهب ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. وقال ابن عباس: الحُمرَةُ التي في السماء: بكاؤها. وقال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، فقليل له: أو تَبْكِي؟ قال: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالكروك والسجود؟! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسيحه وتكبيره فيها ذَوِي كَذَوِي النحل<sup>(٣)</sup>؟ والثاني: أن المراد: أهل السماء وأهل الأرض، قاله الحسن، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَصْعَدَ لَكُمُ السَّمَاءُ﴾ [محمد: ٤]، أي: أهل الحرب. والثالث: أن العرب تقول إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم: أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ له، وَكَسَفَتِ الْقَمَرَ لِفَقْدِهِ، وَكَثَبَ الرِّيحُ وَالبَرَقُ وَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة، وليس ذلك بكذب منهم، لأنهم جميعاً متواطئون عليه، والسامع له يعرف مذهب القائل فيه؛ وَيُثَبِّتُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: أَظْلَمَتِ الشَّمْسُ: كَادَتْ تُظْلِمُ، وَكَسَفَتِ الْقَمَرَ: كَادَ يُكْسِفُ، ومعنى «كاد»: هَمٌّ أَنْ يَفْعَلَ وَلَمْ يَفْعَلْ؛ قال ابن مفرغ يري رجلاً:

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي غَمَامَةٍ<sup>(٤)</sup>

وقال الآخر:

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ - تُبْكِي عَلَيْكَ - نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ<sup>(٥)</sup>

أراد: الشمس طالعة تبكي عليه، وليست مع طلوعها كاسفة النجوم والقمر، لأنها مظلمة، وإنما تكيف بضوئها، فنجوم الليل بادية بالنهار، فيكون معنى الكلام: إن الله لما أهلك قوم فرعون لم يترك عليهم بال، ولم يجزع جازع، ولم يوجد لهم قفد، هذا كله كلام ابن قتيبة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَا بِكَ بِإِسْرَافٍ مِنَ الْمَذَابِ الْغُلِيِّينَ﴾ (١٥) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الشَّرِيفِينَ (١٦) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى التَّلَوِينِ (١٧) وَهَآؤُنْتَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ لِّقَوْمٍ (١٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (١٩) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٢٠) قَالُوا يَا أَيُّهَا إِنَّا كُنْهَ صَدِيقِينَ (٢١) أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٢٢) وَمَا عَلَّمْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيَجِيبَ (٢٣) مَا عَلَّمْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٤) إِنْ يَوْمَ الْقَبْرِ يَسْتَنَفِهُ أَجْمَعُونَ (٢٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْتَ عَنْ مَوْتٍ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٢٦) إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٢٧)

قوله تعالى: ﴿مِنْ الْمَذَابِ الْغُلِيِّينَ﴾ يعني قتل الأبناء واستخدام النساء والتعب في أعمال فرعون، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ أي: جباراً. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ عليمه الله فيهم على عالمي زمانهم، ﴿وَهَآؤُنْتَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ كأنفراق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلى، إلى غير ذلك ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ لِّقَوْمٍ﴾ أي: نعمة ظاهرة. ثم رجع إلى ذكر كفار مكة، فقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ (١٩) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ يعنون التي تكون في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾

(١) رواه الترمذي في «سننه» ١٥٨/٢ من حديث موسى بن عبيدة عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرقاشي يصفهان في الحديث. والحديث ذكره السيوطي في «الدر» ٣٠/٦، وزاد نسبه لابن أبي الدنيا في «ذكر الموت»، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية»، والخطيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٣١/٦ من رواية ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر من طريق السيب بن رافع عن علي رضي الله عنه.

(٣) أورده السيوطي في «الدر» ٣٠/٦ من رواية عبد بن حميد، وأبي الشيخ في «المعظمة» عن مجاهد بنحوه.

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ الجعفي، وهو في «مشكل القرآن» ١٢٨، و«الإشهاد» للأبياري ٤٢٤، و«الأغاني» ١٨/١٨٧.

(٥) البيت لجبريل يري عمر بن عبد العزيز، «ديوانه» ٣٠٤، و«مشكل القرآن» ١٢٨، و«الصحاح»، و«اللسان»، و«التاج»: بكى. ورواية البيت في «الديوان»:

فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ

أي: بميعوثين، ﴿فَأَتُوا بِآثَارِهِ﴾ أي: ابعثوهم لنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في البعث. وهذا جهل منهم من وجهين: أحدهما: أنهم قد رأوا من الآيات ما يكفي في الدلالة؛ فليس لهم أن ينتظروا. والثاني: أن الإعادة للجزاء؛ وذلك في الآخرة، لا في الدنيا. ثم خوفهم عذاب الأَمَم قَبْلَهُمْ، فقال: ﴿أَنْتُمْ حَرُّ﴾ أي: أشد وأقوى ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؟! أي: ليسوا خيراً منهم. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أدري تُبَّعاً، نبي، أو غير نبي»<sup>(١)</sup>. وقالت عائشة: لا تُسَبِّحُوا تُبَّعاً فإنه كان رجلاً صالحاً، ألا ترى أن الله تعالى دَمَّ قَوْمَهُ ولم يَذْمَهُ<sup>(٢)</sup>. وقال وهب: أسلم تُبَّعٌ ولم يُسَلِّمْ قَوْمَهُ، فلذلك ذكر قومه ولم يذكر. وذكر بعض المفسرين أنه كان يعبُد النار، فأسلم ودعا قومه - وهم جَمِيرٌ - إلى الإسلام، فكذَّبوه. فأما تسميته بـ «تُبَّع» فقال أبو عبيدة: كل ملك من ملوك اليمن كان يسمَّى «تُبَّعاً»، لأنه يُتَّبَعُ صاحبه، فموضع «تُبَّع» في الجاهلية موضعُ الخليفة في الإسلام، وقال مقاتل: إنما سُمِّيَ تُبَّعاً لكثرة أتباعه، واسمه: مُلْكِيكُرب<sup>(٣)</sup>. إنما ذكر قوم تُبَّع، لأنهم كانوا أقرب في الهلاك إلى كفار مكة من غيرهم. وما بعد هذا قد تقدم [الأنبياء: ١٦، الحجر: ٨٥] إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ وهو يوم يُفْصَلُ الله ﷻ بين العباد ﴿بِقِسْطِهِمْ﴾ أي: ميعادهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ يأتيه الأولون والآخرون. ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يُنْفَعُ قريب قريباً، قاله مقاتل. وقال ابن قتبية: لا يُغْنِي ولي عن وليه بالقرابة أو غيرها. والثاني: لا يُنْفَعُ ابنُ عَمٍّ ابنُ عَمِّه، قاله أبو عبيدة. ﴿وَلَا هُمْ يُصْرَوْنَ﴾ أي، لا يُنْتَعَمُونَ من عذاب الله، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم في بعض.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ ١٢٧ ﴿لَعَلَّامُ الْأَثِيرِ﴾ ١٢٨ ﴿كَالْمُهَلِّ بِقُلَى الْبَطُونِ﴾ ١٢٩ ﴿كَغَلِي الْحَبِيرِ﴾ ١٣٠ ﴿خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ﴾ ١٣١ ﴿لَكَ سَوَاءُ الْحَبِيرِ﴾ ١٣٢ ﴿ثُمَّ مَسَّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَبِيرِ﴾ ١٣٣ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ١٣٤ ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تُمَرُّونَ﴾ ١٣٥ ﴿إِنَّ النَّارَ فِي مَقَامِ آبِئِنِ﴾ ١٣٦ ﴿فِي جَنَّتٍ وَغُيُبٍ﴾ ١٣٧ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ١٣٨ ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ١٣٩ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينٌ﴾ ١٤٠ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابُ الْحَبِيرِ﴾ ١٤١ ﴿فَلَا يَنْزِلُ فِي ذَلِكَ هَوًى الْغُورُ الْمَطِيرُ﴾ ١٤٢ ﴿إِنَّمَا يَنْزِلُ فِيهَا لَمَلُهُمْ يَتَكَفَّرُونَ﴾ ١٤٣ ﴿فَارْتَقِبْ إِتْمَانَهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ ١٤٤

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ﴾ ١٢٧ قد ذكرناها في [الصفات: ٦٢]. و«الأثيم»: الفاجر؛ وقال مقاتل: هو أبو جهل. وقد ذكرنا معنى «المُهَلِّ» في [الكهف: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿بِقُلَى الْبَطُونِ﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «يغلي» بالياء؛ والباقون: بالتاء. فمن قرأ [«تغلي»] بالتاء، فلتأنيث الشجرة؛ ومن قرأ بالياء، حملة على الطعام. قال أبو علي الفارسي: ولا يجوز أن يُحْمَلَ الْعَلْيُ عَلَى الْمُهَلِّ. لأن المهل ذكر للتشبيه في الذؤب، وإنما يغلي ما شُبَّه به ﴿كَغَلِي الْحَبِيرِ﴾ ١٣٠ وهو الماء الحار إذا اشتدَّ غَلْيَانُهُ.

قوله تعالى: ﴿خَذُوهُ﴾ أي: يقال للزبانية: خذوه ﴿فَأَعْتَلُوهُ﴾ وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، ويعقوب: بضم التاء؛ وكسرهما الباقيون؛ قال ابن قتبية: ومعناه: قُودوه بالعُنْف، يقال: جيء بفلان يُعْتَلُّ إلى السلطان، و﴿سَوَاءُ الْحَبِيرِ﴾: وسط النار. قال مقاتل: الآيات في أبي جهل يضربه الملك من خُزَّانِ جهنم على رأسه بمقعدة من حديد فتشَّبُّ عن دماغه، فيجري دماغه على جسده، ثم يَصُبُّ الملك في الثَّقْب ماءً حَمِيماً قد انتهى حَرُّه، فيقع في بطنه، ثم يقول [له] الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ هذا توبيخ له بذلك؛ وكان أبو جهل يقول: أنا أعزُّ قريش وأكرمها. وقرأ الكسائي: ﴿ذُقْ أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة؛ والباقيون: بكسرها. قال أبو علي: من كسرهما، فالمعنى: أنت

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ١٤٨: رواه الثعلبي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: والمعروف بهذا الإسناد: «ما أدري العيني هو، أم لا؟ وما أدري أعزير نبي، أم لا؟» أخرجه أبو داود، والحاكم، لكن قال: «فرو القرنين» بدل «عزير» قال: قال الدارقطني: تفرد به عبد الرزاق، وغيره أرسله. اهـ.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٥٠ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصححه، ووافقه الذهبي. قال ابن كثير: وكأنه - والله أعلم - كان كافراً ثم أسلم وتابع دين الكلبي على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح ﷺ، وحج البيت في زمن الجرهميين وكساء الملاء والوصلات من الحرير والجبر ونحوه ستة آلاف بدنة، وعظمه وأكرمه ثم عاد إلى اليمن. اهـ.

(٣) الذي في «القرطبي»: وقال الكلبي: تبع: هو أبو كرب أسعد بن ملكيكر.

العزیز فی زعمک، ومن فتح، فالمعنى: بأنك. فإن قيل: كيف سُمي بالعزیز وليس به؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قيل ذلك استهزاء به، قاله سعيد بن جبیر، ومقاتل.. والثاني: أنت العزیز [الكريم] عند نفسك، قاله قتادة. والثالث: أنت العزیز في قومك، الكريم على أهلک، حكاه الماوردي. ويقول الخزّان لأهل النار: ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (٥٨) أي: تشكون في كونه. ثم ذكر مستقرّ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (٥٩) قرأ نافع، وابن عامر: ﴿فِي مَقَامٍ بَظْمِ الْمِيمِ﴾ والباقون: بفتحها. قال الفراء: المقام، بفتح الميم: المكان، وبضمها: الإقامة.

قوله تعالى: ﴿أَمِينٌ﴾ أي: آمينوا فيه الخير والحوادث. وقد ذكرنا «الجَنَاتِ» في [البقرة: ٣٥] و[ذكرنا] معنى «الْعُيُونِ» ومعنى «مُتَقَابِلِينَ» في [الحجر: ٤٥، ٤٧] وذكرنا «السُّنْدُسَ وَالْإِسْتَبْرَقَ» في [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما وصفنا ﴿وَرَزَجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ قال المفسرون: المعنى: قرّناهم بهنّ، وليس من عقد التزويج. قال أبو عبيدة: المعنى: جعلنا ذكور أهل الجنة أزواجاً ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ من النساء، تقول للرجل: زوّج هذه النعل الفرد بالنعل الفرد، أي: اجعلهما زوجاً، والمعنى: جعلناهم اثنين اثنين. وقال يونس: العرب لا تقول: تزوّج بها، إنما يقولون: تزوّجها. ومعنى ﴿وَرَزَجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: قرّناهم. وقال ابن قتيبة: يقال: زوّجته امرأة، وزوّجته بامراً. وقال أبو علي الفارسي: والتزويج على ما قال يونس، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَزَجْنَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وما قال: زوّجناك بها. فأما الحور، فقال مجاهد: الحور: النساء النقيات البياض. وقال الفراء: الحوراء: البيضاء من الإبل؛ قال: وفي «الحور العين» لغتان: حور عين، وجير عين، وأنشد:

أزمانَ عِيناءَ مرورِ المسير  
وحوراءَ عِيناءَ مِنَ العِينِ الجير  
وقال أبو عبيدة: الحوراء: الشديدة بياض العين، الشديدة سواد سوادها. وقد بيّنا معنى «العِين» في [الصافات: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكَحَةٍ مُّزَيَّجَةٍ﴾ (٦٠) فيه قولان: أحدهما: آمنين من انقطاعها في بعض الأزمنة. والثاني: آمنين من الثّم من الأسقام والآفات.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْآلُونَ الْأُولَى﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها بمعنى «سوى»، فتقدير الكلام: لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا؛ ومثله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله: ﴿حَكِيمٌ فِيهَا مَا كَانَتِ الْأَنْفُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] أي: سوى ما شاء لهم ربك من الزيادة على مقدار الدنيا، هذا قول الفراء، والزجاج. والثاني: أن السعداء حين يموتون يصيرون إلى الروح والريحان وأسباب من الجنة يزوّن منازلهم منها، وإذ ماتوا في الدنيا، فكانهم ماتوا في الجنة، لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها، قاله ابن قتيبة. والثالث: أن «إِلَّا» بمعنى «بغداد»، كما ذكرنا في أحد الوجوه في قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وهذا قول ابن جرير (١).

قوله تعالى: ﴿فَضَلَّ يَنْ رَبِّكَ﴾ أي: فعل الله ذلك بهم فضلاً منه (٢). ﴿فَأَنَّا يَسْتَرْزِقُهُ﴾ أي: سهلناه، والكناية عن القرآن ﴿يَسْلُكُ﴾ أي: بلغه العرب ﴿لَمَلَهُمْ يَنْكَرُونَ﴾ أي: لكي يتعظروا فيؤمنوا، ﴿فَأَنزَيْتُ﴾ أي: انتظر بهم العذاب ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَابُونَ﴾ هلاكك (٣)؛ وهذه عند أكثر المفسرين منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.



(١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبداً، كما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت في صورة كيش أملح فيوقف بين الجنة والنار، ثم يلبس ثم يقال: يا أهل الجنة غلوه فلا موت، ويا أهل النار غلوه فلا موت».

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَوَكَّلْنَاهُ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضَلَّ يَنْ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ووفى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار، تفضلاً يا محمد من ربك عليهم، وإحسانه منه إليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، قال: ولولا تفضله عليهم بصفحة لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يذهب عذاب الجحيم؛ ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكرهه. اهـ.

(٣) قال ابن كثير: ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند، قال الله تعالى لرسوله ﷺ مُسَلِّياً له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذب بالمطب والهلاك ﴿فَأَنزَيْتُ﴾ أي: انتظر ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَابُونَ﴾ أي: فيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، فإنها لك وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن أتبعكم من المؤمنين. اهـ.



## سورة الجاثية

## وتسمى سورة الشريعة

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وهو قول الحسن، [وعكرمة]، ومجاهد، وقتادة، والجمهور. وقال مقاتل: هي مكية كلها. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: هي مكية إلا آية، وهي قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الجاثية: ١٤].

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ نَزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَانٍ ۝٤ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ وَإِنْ تَنْتَهِوا عَنْ ظُلْمِ اللَّهِ وَالْحَقِّ فَإِنَّ حَبِيبَ اللَّهِ وَكَانِيئِهِ يَوْمُئِذٍ ۝٦ وَإِلَىٰ كُلِّ أُمَّاةٍ آيَاتٌ ۝٧ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ نَارَ سَمَّمَائِهِمْ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ مَآئِينَا شَيْئًا أَخَذْنَا مَرْزُوقًا ۝٩ أَوَّلَتْكَ لَمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝١٠ مِنْ دَرَائِمِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا بُقْعَىٰ عَنْهُمْ مَآ كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ رَبَّهُمْ لَمْ عَذَابٌ يَنْجِي آلِيَهُ ۝١٢ اللَّهُ أَلْوَىٰ سَخِرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَيَلْبَسُوا مِنْ فُضْلِهِ وَلَكُمْ نَارُكَ تَنْكُرُونَ ۝١٣ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا يَوْمَئِذٍ ۝١٤ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿حَمْدٌ ۝١ نَزِيلَ الْكِتَابِ﴾ قد شرحناه في أول (المؤمن).

قوله تعالى: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَانٍ ۝٤﴾ أي: من تراب ثم من نطفة إلى أن يتكامل خلق الإنسان ﴿وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَانٍ﴾ أي: وما يفرق في الأرض من جميع ما خلق على اختلاف ذلك في الخلق والصور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تدل على وحدانيته. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿آيَاتٍ﴾ رفعا ﴿وَصَفِيرِ الْيَنْبَغِ ۝١٢﴾ رفعا أيضا. وقرأ حمزة، والكسائي: بالكسر فيهما. والرزق هاهنا بمعنى المطر.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: هذه حجج الله ﴿تَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَبِيبٍ بَعَدَ اللَّهِ﴾ أي: بعد حديثه ﴿وَمَا يَكِينِيهِ﴾ يؤمن هؤلاء المشركون؟!

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ كُلِّ أُمَّاةٍ آيَاتٌ ۝٧﴾ روى أبو صالح عن ابن عباس أنها نزلت في النضر بن الحارث<sup>(١)</sup> وقد بينا معناها في [الشعر: ٢٢٢]، والآية التي تليها مفسرة في [لقمان: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ مَآئِينَا شَيْئًا﴾ قال مقاتل: معناه: إذا سمع. وقرأ ابن مسعود: «وإذا علم» برفع العين وكسر اللام وتشديدها.

قوله تعالى: ﴿أَخَذْنَا مَرْزُوقًا ۝٩﴾ أي: سخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت: ﴿إِنَّ سَخِرَكَ الرُّزُقُ ۝٩﴾ طَعَامُ الْآيِيرِ ۝٩ [الدخان: ٢٣، ٢٤] فدعا بتمر وزُبد، وقال: تَزَقَّمُوا فما يَعِدْكُمْ محمد إلا هذا. وإنما قال: ﴿أَوَّلَتْكَ لَمْ﴾ لأنه رد الكلام إلى معنى «كل». ﴿مِنْ دَرَائِمِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ قد فسرناه في [إبراهيم: ١٦] ﴿وَلَا يَبْقَىٰ عَنْهُمْ مَآ كَسَبُوا شَيْئًا﴾ من الأموال، ولا ما عبدوا من الآلهة.

قوله تعالى: ﴿هَذَا هُدًى﴾ يعني القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به، ﴿لَمْ عَذَابٌ يَنْجِي آلِيَهُ﴾ قرأ ابن كثير، وحفص عن

(١) قال البيهقي: ﴿وَإِلَىٰ كُلِّ أُمَّاةٍ آيَاتٌ ۝٧﴾ كَذَّابٌ صاحب إثم، يعني النضر بن الحارث. وقال الألوسي: والآية نزلت في أبي جهل، وقيل في النضر بن الحارث، وكان يشتري حديث الأعاجم ويشغل به الناس عن استماع القرآن، قال: لكنها عامة كما هو مقتضى «كل»، ويدخل من نزلت فيه دخولا أوليا. اهـ.





الَّذِينَ يُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنِيطُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَكُرَّ تَكْوَنُ مَا إِنِيتِ تَكَلَّ عَلَيْكَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ هُونَ﴾ قد شرحناه في [الفرقان: ٤٣]. وقال مقاتل: نزلت هذه الآية في الحارث بن قيس السهمي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ عَلَىٰ طَيْرٍ﴾ أي: على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي<sup>(٢)</sup> ﴿وَنَحْنُ عَلَىٰ سَبِيلٍ﴾ أي: طبع عليه فلم يسمع الهدى ﴿وَرَىٰ﴾ على ﴿قلبه﴾ فلم يَقُولِ الْهُدَى. وقد ذكرنا الغشاة والختم في [البقرة: ٧]. ﴿فَمَنْ يَهْدِي رَبُّ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: مَنْ يَهْدِي رَبُّ بَعْدَ اللَّهِ؟ أي: مَنْ يَهْدِي رَبُّ بَعْدَ اللَّهِ؟ ﴿فَتَعَرَّفُوا قُدْرَتَهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>. وما بعد [هذا] مفسر في سورة [المؤمنون: ٣٧]<sup>(٤)</sup> إلى قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغُكَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ: أَي: اختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما قالوه عن علم، إنما قالوه شاكين فيه. ومن أجل هذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿لَا تَسُبُّوا الْفُقَرَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَقِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>، أي: هو الذي يُهْلِكُكُمْ، لا ما توهمونه من مرور الزمان. وما بعد هذا ظاهر، وقد تقدم بيانه [البقرة: ٢٨، الشورى: ٧] إلى قوله: ﴿يَحْشُرُ الْبَاطِلُونَ﴾ يعني المكذبين الكافرين أصحاب الأباطيل؛ والمعنى: يظهر خسرائهم يومئذ. ﴿وَرَبِّي كُلُّ شَيْءٍ﴾ قال الفراء: ترى أهل كل دين ﴿جَانِبُهُ﴾ قال الزجاج: أي: جالسة على الركب، يقال: قد جثا فلان جُثْوًا: إذا جلس على ركبته، ومثله: جذا يجذو. والجذو أشد استيفازاً من الجُثْو، لأن الجُذْو: أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه. قال ابن قتيبة: والمعنى أنها غير مطمئنة.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ نَدْعُ إِلَىٰ كِتَابِنَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتابها الذي فيه حسناتها وسيئاتها، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنه حسابها<sup>(٦)</sup>، قاله الشعبي، والفراء، وابن قتيبة. والثالث: كتابها الذي أنزل على رسوله، حكاه الماوردي. ويقال لهم: ﴿الَّذِينَ يُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كتاب الأعمال الذي تكتبه الحفظة، قاله ابن السائب. والثاني: اللوح المحفوظ، قاله مقاتل: والثالث: القرآن، والمعنى أنهم يقرؤونه فيدلُّهم ويُذَكِّرُهُمْ، فكانه يُنِيطُ عليهم، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي: بكتبتها وإثباتها. وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ، من اللوح المحفوظ، تَسْتَنْسِخُ الْمَلَائِكَةُ كُلَّ عَمَلٍ مَا يَكُونُ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا مِنْ أَصْلٍ. قال الفراء: يرفع الملكان العمل كله،

(١) ذكر سبب النزول هذا القرطبي بدون سند، قال: قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، لأنه كان يعبد ما تنوء نفسه. اهـ. وقال الألويسي: والآية نزلت على ما روي عن مقاتل في الحارث بن قيس السهمي، كان لا يهوى شيئاً إلا ركبها، قال: وحكمها عام، قال: وفيها من دُم اتباع هوى النفس ما فيها. اهـ.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ عَلَىٰ طَيْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية. اهـ.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿فَمَنْ يَهْدِي رَبُّ بَعْدَ اللَّهِ﴾ ١٩ يقول تعالى ذكره: فمن يوقه لإصابة الحق وإبصار محجة الرشاد بعد إضلال الله إياه؟ ١٩ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً؟ اهـ.

(٤) في الأصل: «المؤمن».

(٥) رواه بهذا اللفظ مسلم في [صحيحه] ١٧٦٣/٤ عن أبي هريرة ؓ. قال الامام النووي في [شرح مسلم]: أي لا تسبوا فاعل النوازل، فإنكم إذا سبتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومزنها، قال: وأما الدهر الذي هو الزمان، فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى، قال: ومعنى «فإن الله هو الدهر» أي: فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم. اهـ. وقال ابن كثير: قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»: كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة، قالوا: يا خيبة الدهر، فيستندون تلك الأفعال إلى الدهر، ويسبونه، قال: وإنما فاعلها هو الله تعالى، فكانهم إنما سبوا الله ﷻ لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلذلك نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار، لأن الله تعالى هو الدهر الذي يمتونه ويستندون إليه تلك الأفعال. قال ابن كثير: هذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. اهـ. وللحديث ألفاظ أخر، منها ما رواه أحمد في [المستند] والبخاري ومسلم في [صحيحهما] وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، اقتلب ليله ونهاره».

(٦) في الأصل: «حسناتها» والتصويب من «غريب القرآن».



فَبَيَّنْتُ لِلَّهِ مِنْهُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ، وَيَطْرَحُ مِنْهُ اللَّغْوُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: نَسْتَسْنِخُ مَا تَكْتُبُهُ الْحَفْظَةَ، وَيُثَبِّتُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي رَمْيِهِ﴾ قَالَ مِقَاتِلٌ: فِي جَنَّتِهِ.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ عَائِلًا﴾ فيه إضمار، تقديره: فيقال لهم ألم تكن آياتي، يعني آيات القرآن ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْكَ﴾ ﴿فَاسْتَكْبَرُوا بِهَا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾؟ قال ابن عباس: كافرين.

[illegible]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ رَعَدَ اللَّهِ بِالْبَيْتِ حَقٌّ﴾ أي: كائن ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ قرأ حمزة: «والساعة» بالنصب «لا رَبَّ يَها» أي: كائنة بلا شك ﴿فَلَمَّ مَا تَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي: أنكرتموها ﴿إِنْ نُنْظِرُ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: ما نعلم ذلك إلا ظناً وحذساً، ولا نستيقن كونها. وما بعد هذا قد تقدم [الزمر: ٤٨] إلى قوله: ﴿وَنُذِيعُ الْيَوْمَ نَسْكَرُ﴾ أي: نترككم في النار ﴿كَأَنِّي سِيرُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: كما تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم <sup>(١)</sup>. ﴿ذَلِكُمُ الَّذِي فَعَلْنَا بَكُمْ﴾ ﴿بِأَنَّكُمْ أَتَيْتُمُ الْمَوْتَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾ أي: مهزوءاً بها ﴿وَعَزَّزْتُ الْمُنَافِقِينَ﴾ حتى قلت: إنه لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «لا يُخْرَجُونَ» بفتح الياء وضم الراء. وقرأ الباقر: «[[لا يُخْرَجُونَ]] بضم الياء وفتح الراء ﴿وَنَبَأُ﴾ أي: من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله ﷻ، لأنه ليس بحين توبة ولا اعتذار.

قوله تعالى: ﴿لَهُ الْكِبَرِيَّةُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: السُّلطان، قاله مجاهد. والثاني: الشَّرَف، قاله ابن زيد. والثالث: العَظَمَة، قاله يحيى بن سلام، والزجاج<sup>(٢)</sup>.



(١) ثبت في «صحیح مسلم» ٤/ ٢٢٧٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أكرمك وأسؤدك؟» (أي أجعلك سيداً على غيرك) وأزودك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذكرك ترأساً (أي تكون رئيس القوم) وترينح؟ (أي: تأخذ الصرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الفتيمة، أي أخذت ربع أموالهم. ومعناه: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؟) فيقول: بلى، قال: فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتي (أي: أنمتك الرحمة كما امتنعت من طاعتي).

(٢) قال ابن كثير: ﴿لَهُ الْكِبَرِيُّ فِي السَّكِينَةِ وَالْكَرِيمِ﴾ قال: قال مجاهد: يعني السلطان، أي: هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه، قال: وقد ورد في الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: العظمة إزاري، والكبرياء رداي، فمن نازعني واحدا منهما أسكته ناري». ثم قال في تمة الآية: ﴿وَمَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ الْكِبْرِيَاءَ وَالْمَلِكِيَّةَ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يماثل ﴿الْكِبَرِيَّةَ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو. اهـ.

## سورة الأحقاف

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ﴾ تَهْلِلُ الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ التَّهْلِيلِ لِلْكِتَابِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَبِإِلْمٍ مُسْتَعْتَبٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذُنُوا مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَنُوحُونَ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُنَزِّلُونَ عَلَيْنَا مِنْ كُنْهٍ سَكِينَةٍ ﴿٣﴾

### فصل في نزولها

روى العوفي وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وروي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالوا: فيها آية مدنية، وهي قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]. وقال مقاتل: نزلت بمكة غير آيتين: قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] وقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] نزلتا بالمدينة. وقد تقدم تفسير فاتحتها [المومن، الحجر: ٨٥] إلى قوله: ﴿وَلَبِئْسَ تَسْنِيٌّ﴾ وهو أجل فناء السموات والأرض، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ مفسر في (فاطر: ٤٠) إلى قوله: ﴿أَتَنُوحُونَ بِكِتَابٍ﴾، وفي الآية اختصار، تقديره: فإن ادَّعَوْا أن شيئاً من المخلوقات صنعت ألهتهم، فقل لهم: إيتوني بكتاب ﴿يَنْقُلُ هَذَا﴾ أي: من قَبْلِ الْقُرْآنِ فيه برهان ما تدَّعون من أن الأصنام شركاء الله، ﴿أَوْ أَتُنَزِّلُونَ عَلَيْنَا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الشيء يشيره مستخرجه، قاله الحسن. والثاني: بَقِيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ تُوَثِّرُ عَنْ الْأَوَّلِينَ، قاله ابن قتيبة، وإلى نحوه ذهب الفراء، وأبو عبيدة. والثالث: علامة من عِلْمٍ، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأيوب السخيتاني، ويعقوب: «أَثَرُهُ» بفتح الهمزة، مثل شجرة. ثم ذكروا في معناها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحُطُّ، قاله ابن عباس؛ وقال: هو حُطُّ كانت العرب تحُطُّ في الأرض، قال أبو بكر بن عياش: الحُطُّ هو العِيافة. والثاني: أو عِلْمٌ تَأْتِرُونَهُ عَنْ غَيْرِكُمْ، قاله مجاهد. والثالث: خاصَّةٌ مِنْ عِلْمٍ، قاله قتادة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن يعمر: «أَثَرُهُ» بسكون الهمزة من غير ألف بوزن نَظَرَةٌ<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: قرئت «أَثَرُهُ» و«أَثَرُهُ»، وهي لغات، ومعنى الكل: بَقِيَّةٌ مِنْ عِلْمٍ، ويقال: أو شيء مأثور من كتب الأولين، فمن قرأ «أَثَرُهُ» فكانه أراد مثل قوله: «الْحُطَّةُ» [الصافات: ١٠] و«الرَّحْمَةُ» [الأعراف: ٧٨]. وقال الزبيدي: الأثر: البَقِيَّةُ؛ والأثر، مصدر أثره يَأْثُرُهُ، أي: يذكُرُهُ ويرويه، ومنه: حديثُ مأثور.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ وَمَنْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ مَا نَشَاءُ يُنَزِّلُ قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَكْبَرُ مِمَّا يُفَعِّسُونَ فِيهِ كُنْ بِهِ سَمِيحًا يَتَى وَيَنْتَكِرُوا وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾ يعني الأصنام<sup>(٣)</sup> ﴿وَمَنْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ لأنها جماد لا تسمع، فإذا قامت

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثر: البقية من علم، قال: لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. اهـ.

(٢) قال ابن جرير: والقراءة التي لا أستجيز غيرها «أَوْ أَتُنَزِّلُونَ عَلَيْنَا» بالألف، لإجماع قراء الأمصار عليها. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وأبي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله ألهة «لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَهٌ يَوْمَ الْحِسَابِ» يقول: لا يجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك.

القيامة صارت الآلهة أعداء لعابديها في الدنيا<sup>(١)</sup>. ثم ذكر [بما] بعد هذا أنهم يسمون القرآن سحراً وأن محمداً افتراه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْكُمُوا لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لا تقدرّون على أن تؤثروا عني عذابه، أي: كيف أفترى من أجلكم وأنتم لا تقدرّون على دفع عذابه عني؟! ﴿هُوَ أَكْبَرُ بِمَا تُشْعُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب والقول بأنه سحر ﴿كَانَ مِنْ شَيْبِئِ بَنِي وَنَكْرٍ﴾ أن القرآن جاء من عند الله ﴿وَهُوَ الْقَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ في تأخير العذاب عنكم. وقال الزجاج: إنما ذكر هاهنا القرآن والرحمة ليُعلمهم أنّ من أتى ما أتيت ثم تاب فإن الله تعالى غفور له رحيم به.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُرْسِلُ إِلَهُ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿قُلْ أَنزَلَهُ أَنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ. قَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ لِكُلِّ آلَةٍ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْقَلِيلِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاِ الرُّسُلِ﴾ أي: ما أنا بأول رسول<sup>(٢)</sup>. والبذع والبديع من كل شيء: المبتدأ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وقرأ ابن يعمر، وابن أبي عبله: «ما يفعل» بفتح الياء، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه أراد بذلك ما يكون في الدنيا. ثم فيه قولان: أحدهما: [أنه] لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ، رأى في المنام أنه هاجر إلى أرض ذات نخيل وشجر وماء، فقصّها على أصحابه، فاستبشروا بذلك لما يلقون من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا بُرْهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى تُهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾، يعني لا أدري، أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا؟ ثم قال: «إنما هو شيء رأيته في منامي، وما «أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُرْسِلُ إِلَهُ»، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup> وكذلك قال عطية: ما أدري هل يتركني بمكة أو يخرجني منها. والثاني: ما أدري هل أخرج كما أخرج الأنبياء قبلي، أو أقتل كما قُتلوا، ولا أدري ما يفعل بكم، أتعدّون أم تؤخرون؟ أتصدّقون أم تُكذّبون؟ قاله الحسن. والقول الثاني: أنه أراد ما يكون في الآخرة<sup>(٤)</sup>. روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية، نزل بعدها ﴿لِيُغَيِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢٢] وقال: ﴿لِيُغَيِّرَ الْفُتُورَيْنِ وَالْشُّرُوبَيْنِ جَنَّتْ...﴾. الآية [الفتح: ٥] فأعلم ما يفعل به وبالمؤمنين<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن المشركين فرحوا عند نزول هذه الآية وقالوا: ما أمرونا وأمر محمد إلا واحد، ولولا أنه ابتدئ ما يقوله لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنزل<sup>(٦)</sup> قوله: ﴿لِيُغَيِّرَ لَكَ اللَّهُ...﴾ الآية [الفتح: ٢٢]، فقال الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، فماداً يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِيُغَيِّرَ الْفُتُورَيْنِ وَالْشُّرُوبَيْنِ جَنَّتْ...﴾ الآية [الفتح: ٥]؛ وممن ذهب إلى هذا القول أنس، وعكرمة، وقتادة، وروى عن الحسن ذلك.

(١) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَمَنْ عَنِ ذَٰلِكَ لَظُلُومٌ عَظِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وألهمهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، قال: وإنما عني بوضفها بالغفلة تمثيلها بالإنسان السامي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه، قال: وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثهم عندما ينزل بهم من الجوائح والمصائب. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أي لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظر له حتى تستكروني وتستبعدون بعثي إليكم، فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم. اهـ.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٥ هكذا بدون سند عن أبي صالح عن ابن عباس. وكذلك ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند، والله أعلم.

(٤) قال ابن كثير: قال أبو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ قال: أما في الآخرة، فمعاذ الله، وقد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي؟ ولا أدري أيخسف بكم أو ترثون بالحجارة؟ قال: وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير الطبري، وإنه لا يجوز غيره، قال: ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن أتبعه، وأما في الدنيا، فلم يدرك ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا، أيؤمنون، أم يكفرون فيعملون فيستأصلون بكفرهم؟ اهـ.

(٥) رواه بنحوه مختصراً الطبري ٧/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨/٦ بنحوه، وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ.

(٦) في الأصل: فنزلت.

(٧) هكذا ذكره البغوي والخازن بدون سند، وذكره بنحوه مختصراً أحمد في «المسند» والبخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنبِئْتُكُمْ إِنَّ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿وَكُفِّرْتُ بِهِ﴾ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وفيه قولان: أحدهما: أنه عبد الله بن سلام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أنه موسى بن عمران ؑ، قاله الشعبي، ومسروق. فعلى القول الأول يكون ذلك المثل صلة، فيكون المعنى: وشهد شاهد من بني إسرائيل عليه، أي: على أنه من عند الله، ﴿قَامَنَّ﴾ الشاهد، وهو ابن سلام ﴿وَأَسْكَنَهُمْ﴾ يا معشر اليهود. وعلى الثاني يكون المعنى: وشهد موسى على التوراة التي هي مثل القرآن أنها من عند الله، كما شهد محمد على القرآن أنه كلام الله، ﴿قَامَنَّ﴾ مَنْ آمَنَ بِمُوسَى وَالتَّوْرَةِ ﴿وَأَسْكَنَهُمْ﴾ أَنْتُمْ يَا معشر العرب أن تؤمنوا بمحمد والقرآن. فإِنْ قِيلَ: أَيْنَ جَوَابُ «إِنْ»؟ قِيلَ: هُوَ مُضْمَرٌ؛ وَفِي تَقْدِيرِهِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنْ جَوَابُهُ: فَمَنْ أَضَلَّ مِنْكُمْ، قَالَه الْحَسَنُ. وَالثَّانِي: أَنْ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَاأَمَنَ، أَنْتُمْ تَوَافُونَ؟ قَالَه الزَّجَّاجُ. وَالثَّالِثُ: أَنْ تَقْدِيرُهُ: أَنْتُمْ تَوَافُونَ عَقُوبَةَ اللَّهِ؟ قَالَه أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَاسِيُّ. وَالرَّابِعُ: أَنْ تَقْدِيرُهُ: أَفَمَا تَهْلِكُونَ؟ ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ. وَالخَامِسُ: مَنْ الْمُحِقُّ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَمَنْ الْمُطِيعُ؟ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ. وَالسَّادِسُ: أَنْ تَقْدِيرُهُ: أَلَيْسَ قَدْ ظَلَمْتُمْ؟ وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَحْذُوفِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَيَفْزَحُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيرٌ﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ: كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَوَحَّعَهُ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَاسَا عَرَبِيًّا يُشِيرُ إِلَى ظُلْمٍ لِمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا فَلَا حَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أُولَئِكَ أَحَبُّ الْجَنَّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَوَضْعُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْضِعْنِي أَفَ الْجَنَّةِ أَمْ قَعِ الْجَهَنَّمَ عَلَى وَجْهِ الْوَلَدِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي لِي بِنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنْفَعُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِينَ كَانُوا يُوْعَدُونَ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: أن الكفار قالوا: لو كان دين محمد خيراً ما سبقنا إليه اليهود، فنزلت هذه الآية، قاله مسروق. والثاني: أن امرأة ضعيفة البصر أسلمت، وكان الأشراف من قريش يهزؤون بها ويقولون: والله لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هذه إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الزناد. والثالث: أن أبا ذر الغفاري أسلم واستجاب به قومه إلى الإسلام، فقالت قريش: لو كان خيراً ما سبقونا إليه، فنزلت هذه الآية، قاله أبو المتوكل. والرابع: أنه لما اهدت مُرَيَّةُ وَجْهَئَهُ وَأَسْلَمَتْ، قالت أَسَدُ وَعُظْفَانُ: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رِءَاءُ الشَّاءِ، يعنون مُرَيَّةَ وَجْهَئَهُ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب. والخامس: أن اليهود قالوا: لو كاد دين محمد خيراً ما سبقتمونا إليه، لأنه لا عِلْمَ لَكُمْ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ حَقًّا لَدَخَلْنَا فِيهِ، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ وَقَالَ: [هُوَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ؛ وَمَنْ قَالَ: هِيَ مَكِّيَّةٌ، قَالَ:] هُوَ قَوْلُ الْمُشْرِكِينَ. فَقَدْ خَرَجَ فِي «الَّذِينَ كَفَرُوا» قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ. وَالثَّانِي: الْيَهُودُ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ أَي: لَوْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ خَيْرًا «مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ». فَمَنْ قَالَ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ: أَرَادُوا: إِنَّا أَعَزُّ وَأَفْضَلُ؛ وَمَنْ قَالَ: هُمُ الْيَهُودُ، [قَالَ:] أَرَادُوا: لَأَنَا أَعْلَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ﴾ أَي: بِالْقُرْآنِ ﴿فَسَيَفْزَحُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيرٌ﴾ أَي: كَذِبٌ مُتَقَدِّمٌ، يَعْنُونَ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا﴾ أَي: مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ التَّوْرَةَ. وَفِي الْكَلَامِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فَلَمْ يَهْتَدُوا، لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَهْتَدُوا بِالتَّوْرَةِ. ﴿إِمَامًا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ ﴿وَوَحَّعَهُ﴾ عَطَفَ عَلَيْهِ «وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ» الْمَعْنَى: مُصَدِّقٌ لِلتَّوْرَةِ ﴿لِمَا نَاسَا عَرَبِيًّا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ؛ الْمَعْنَى: مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَرَبِيًّا؛ وَذَكَرَ «لِسَانًا» تَوْكِيداً، كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي زَيْدٌ رَجُلًا صَالِحًا، تَرِيدُ: جَاءَنِي زَيْدٌ صَالِحًا.

قوله تعالى: ﴿يُشِيرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قَرَأَ عَاصِمٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «يُشِيرُ» بِأَلْيَاءٍ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَيَعْقُوبُ: «يُشِيرُ» بِأَلْيَاءٍ. وَعَنْ ابْنِ كَثِيرٍ كَالْقَرَاءَتَيْنِ. وَ«الَّذِينَ ظَلَمُوا» الْمُشْرِكُونَ «وَيُشِيرُ» أَي: وَهُوَ يُشِيرُ «إِلَى الْمُحْسِنِينَ» وَهُمْ الْمُوَحِّدُونَ يَبْشُرُهُمُ بِالْجَنَّةِ. وَمَا بَعْدَ هَذَا قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ [فصلت: ٣٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يُؤَلِّفُ خُسَنًا﴾ وَقَرَأَ



عاصم، وحمزة، والكسائي: «إحساناً» بآلف. «حَلَمَتْهُ أُمُّ كَرْهًا» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «كَرْهًا» يفتح الكاف؛ وقرأ الباقون: بضمها. قال الفراء: والنحويون يستحبون الضم هاهنا، ويكروهون الفتح، للعلّة التي بيّناها عند قوله: «وَقَرَأَ كَرْهًا لَكُمْ» [البقرة: ٢١٦]. قال الزجاج: والمعنى: حملته على مشقة «وَوَضَعَتْهُ» على مشقة<sup>(١)</sup>. «وَوَضَعَتْهُ» أي: فطامه. وقرأ يعقوب: «وَفَضَّلَهُ» يفتح الفاء وسكون الصاد من غير ألف «لَتَلَوْنُ شَهْرًا»<sup>(٢)</sup>. قال ابن عباس: «وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا» يريد به شدة الطلق. واعلم أن هذه المدة قد رثت لأقل الحمل وأكثر الرضاع؛ فأما الأشد، ففيه أقوال قد تقدّمت؛ واختار الزجاج أنه بلوغ ثلاث وثلاثين سنة، لأنه وقت كمال الإنسان في بدنه وقوّته واستحكام شأنه وتمييزه<sup>(٣)</sup>. وقال ابن قتيبة: أشدّ الرجل غير أشدّ اليتيم، لأن أشدّ الرجل: الاكتهال والخنكة وأن يشتدّ رأيه وعقله، وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة، وأشدّ الغلام: أن يشتدّ خلقه ويتأهّل بآبائه<sup>(٤)</sup>. وقد ذكرنا بيان الأشد في [الأنعام: ١٥٣] وفي [يوسف: ٢٢] وهذا تحقيقه. واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: [أنها] نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة، فنزلوا منزلاً فيه سذرة، ففقد رسول الله ﷺ في ظلّها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال [له]: مَنْ الرَّجُلُ الَّذِي فِي ظِلِّ السُّدْرَةِ؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال: هذا والله نبيّ، وما استظلّ تحتها أحد بعد عيسى إلا محمداً نبيّ الله، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضره، فلما نبيّ رسول الله ﷺ - وهو ابن أربعين سنة وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة - صدّق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: ربّ أوْزِغْني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وبه قال الأكثرون؛ قالوا: فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، دعا الله ﷻ بما ذكره في هذه الآية، فأجابه الله، فأسلم والداه وأولاده ذكورهم وإناثهم، ولم يجتمع ذلك لغيره من الصحابة. والقول الثاني: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد شرحنا قصته في سورة [المنكبوت: ٤٨]، وهذا مذهب الضحاك، والسدي<sup>(٦)</sup>. والثالث: أها نزلت على العموم، قاله الحسن. وقد شرحنا في سورة [النمل: ١٩] معنى قوله: «أَوْزِغْني».

قوله تعالى: «وَأَنْ أَحْمَلَ صَليماً زَمَنَةً» قال ابن عباس: أجابه الله - يعني أبا بكر - فأعتق تسعة من المؤمنين كانوا يُعذّبون في الله ﷻ، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، واستجاب له في ذرّيته فأمنوا، «إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ» أي: رجعت إلى كل ما تُحبّ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنَّبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يَتَقَبَّلُ» و«يَتَجَاوَزُ» بالياء المضمومة فيهما. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف: «تَتَقَبَّلُ» و«تَتَجَاوَزُ» بالنون فيهما. وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو عمران الجوني: «يَتَقَبَّلُ» و«يَتَجَاوَزُ» بياء

(١) قال ابن كثير: «حَلَمَتْهُ أُمُّ كَرْهًا» أي: قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعباً من رحم وغشيان وثقل وكرب، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة «وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا» أي: بمشقة أيضاً من الطلق وشدة. اهـ.

(٢) «وَوَضَعَتْهُ لَتَلَوْنُ شَهْرًا» قال ابن كثير: وقد استدل عليّ ﷺ بهذه الآية مع التي في لقمان «وَوَضَعَتْهُ فِي عَامَيْنِ» وقوله تبارك وتعالى: «وَأُولَئِكَ الَّذِينَ تَنَّبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، قال: وهو استنباط قوي صحيح، قال: ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. اهـ.

(٣) «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ» قال ابن كثير: أي: قوي وشب وارْتَجَلَ «وَنَبَّيْنَاهُ سَنَةً» أي: تنامى عقله وكمل فهمه وحلمه. اهـ.

(٤) في النسخة الاستبوية: بَيَانُهُ، والذي في [اللسان] و[التاج]: ويتبيّ شبهه.

(٥) هكذا ذكره الواحدي بتمامه في «أصناف النزول» ٢١٦ من رواية عطاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه بدون سند. وقال السيوطي في «الدر» ٤٠/٦: أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه «وَوَضَعَتْهُ لَتَلَوْنُ شَهْرًا» إلى قوله: «وَعَدَ الْيَتِيمَ إِلَى كَأَنَّهُ يُؤَدُّهُ».

(٦) قال البغوي: قال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقال الخازن: قيل: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص.

(٧) قال ابن كثير: «إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَلَئِنْ مِنَ التَّيْبِينَ» قال: وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدّد التوبة والإنابة إلى الله ﷻ ويعزم عليها. اهـ.

مفتوحة فيهما، يعني أهل هذا القول.. والأحسن بمعنى الحسن. ﴿فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة من يتجاوز عنهم، وهم أصحاب الجنة. وقيل: «في» بمعنى «مع». ﴿وَعَدَ الْوَيْدِي﴾ قال الزجاج: هو منصوب، لأنه مصدر مؤكد لما قبله، لأن قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقُولُ﴾ يعني الوعد، لأنه وعدهم القبول بقوله: ﴿وَعَدَ الْوَيْدِي﴾، يؤكد ذلك قوله: ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: على السنة الرُّسُل في الدنيا<sup>(١)</sup>.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّحْمَةِ أَنِ لَكُمْ أَفْدَانِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَى الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهَذَا يَسْتَيْشَانُ اللَّهُ وَيَلْكَ مَا يَنْ لَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيْنِ وَالْإِنْدِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ﴾ ﴿وَلَكِنْ دَخَلَتْ بَيْنَ عَمَلُوا وَلِيَوْمِهِمْ أَعْمَلْتُمْ وَهُمْ لَا يَتْلَوْنَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ لَيْبَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ بِهَا قَالُوا بَلْ نَحْنُ نَحْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ يَقُولُ الْخَقِ وَيَا كُنْتُمْ نَفْسُونَ﴾ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّحْمَةِ أَنِ لَكُمْ أَفْدَانِي﴾ قرأ أبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أف لكما» بالخفض من غير تنوين. وقرأ ابن كثير، وابن عامر: بفتح الفاء. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم: «أف» بالخفض والتنوين. وقرأ ابن يعمر: «أف» بتشديد الفاء مرفوعة منوثة. وقرأ حميد، والجدري: «أفأ» بتشديد الفاء وبالنصب والتنوين. وقرأ عمرو بن دينار: «أف» بتشديد الفاء وبالرفع من غير تنوين. وقرأ أبو المتوكل، [وعكرمة]، وأبو رجاء: «أف لكما» بإسكان الفاء خفيفة. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «أفني» بتشديد الفاء وياء ساكنة مُمالة. وروي عن ابن عباس أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قُبِلَ إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام، وهو يأبى، وعلى هذا جمهور المفسرين. وقد روي عن عائشة أنها كانت تُنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن، وتُخلف على ذلك وتقول: لو شئت لسميت الذي نزلت فيه. قال الزجاج: وقول من قال: إنها نزلت في عبد الرحمن، باطل بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾، فاعلم الله أن هؤلاء لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن؛ والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق. وروي [عن] مجاهد أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وعن الحسن [أنها] نزلت في جماعة من كفار قريش قالوا ذلك لأبائهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَى الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾<sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: مضت القرون فلم يرجع منهم أحد، قاله مقاتل. والثاني: مضت القرون مكذبة بهذا، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا يَسْتَيْشَانُ اللَّهُ﴾ أي: يدعوان الله له بالهدى، ويقولان له: ﴿وَيَلْكَ مَا يَنْ لَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ الذي تقولان ﴿إِلَّا أَسْطُورُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقد سبق شرحها [الأنعام: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ﴾ يعني الكفار ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم قضاء الله أنهم من أهل النار ﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي: مع أمم. فذكر الله تعالى في الآيتين قُبِلَ هذه من برِّ والديه وعَمِلَ بوصية الله ﷻ، ثم ذكر من لم يَعْمَلْ بالوصية ولم يُطِعه ربه ولا والديه، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَيْرِينَ﴾ وقرأ ابن السميع، وأبو عمران: «أنهم» بفتح الهمزة. ثم قال: ﴿وَلَكِنْ دَخَلَتْ بَيْنَ عَمَلُوا﴾ أي: منازل ومراتب بحسب ما اكتسبوه من إيمان وكفر، فيفاضل أهل الجنة في الكرامة، وأهل

(١) قال ابن كثير: قال الله ﷻ: ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ تَقُولُ تَتَّقِلَ تَهُنَّ لَحْمٌ مَا يَمْلَأُ وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئِهِمْ فِي أَحْصَى الْجَنَّةِ﴾ أي: هؤلاء المتصفون بما ذكرنا، التائبون إلى الله، المنيبون إليه، المستغرقون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين تَقْبِلُ عنهم أحسن ما عملوا، وتتجاوز عن سيئاتهم، فتغفر لهم الكثير من الزُّلُم، وتَقْبِلُ منهم اليسير من العمل «في أصحاب الجنة» أي: هم في جملة أصحاب الجنة، قال: وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله ﷻ من تاب إليه وإناب، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَسَبَتْ أَلْسِنُ كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّحْمَةِ أَنِ لَكُمْ أَفْدَانِي﴾ هذا عام في كل من قال هذا، قال: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ، فقله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، قال: وروي العوفي عن ابن عباس ﷺ أنها نزلت في ابن أبي بكر الصديق ﷺ، قال: وفي صفة هذا نظر، والله تعالى أعلم، قال: وقال ابن جرير عن مجاهد: نزلت في عبد الله بن أبي بكر ﷺ، قاله ابن جريج، وقال آخرون: عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، وهذا أيضاً قول السدي، قال: وإنما هذا عام في كل من عاق والديه وكذب بالحق فقال للوالديه: أف لكما، عفيهما. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِلرَّحْمَةِ أَنِ لَكُمْ أَفْدَانِي﴾ أي: ان أبنت ﴿وَقَدْ خَلَى الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾.

النار في العذاب ﴿وَلِيُؤْهِمَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو: «وَلِيُؤْهِمَهُمْ» بالياء، وقرأ الباقون: بالنون؛ أي: جزاء أعمالهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ المعنى: واذكر لهم يوم يعرض ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى أَثَارِ أَذْهَبْتُمْ﴾ أي: ويقال لهم: أذهبتم، قرأ ابن كثير: «أَذْهَبْتُمْ» بهمة مطولة<sup>(١)</sup>. وقرأ [ابن عامر]: «أَذْهَبْتُمْ» بهمزة. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «أَذْهَبْتُمْ» على الخبر، وهو توبيخ لهم. قال الفراء والزجاج: [العرب] تونج بالالف ويغير الألف، فتقول: أَذْهَبْتُ وفعلت كذا؟! و: ذهبت ففعلت؟! قال المفسرون: والمراد بطيبتهم: ما كانوا فيه من اللذات مشتغلين بها عن الآخرة مُعْرِضِينَ عن شكرها. ولما ويخبرهم الله بذلك، أثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب نعيم العيش ولذته ليتكامل أجروهم ولئلا يلهيهم عن معادهم. وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خَصْفَةٍ وبعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، فقال: يا رسول الله: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سُرر الذهب وفُرش الديباج والحريز؟! فقال ﷺ: «يا عمر، إن أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيباتهم، وهي وشيكة الانقطاع، وإنَّا أَخْرَجْنَا لَنَا طَيِّبَاتِنَا»<sup>(٢)</sup>. وروى جابر بن عبد الله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشتريت لحماً فاشتريته، فقال: أو كلتما اشتيتت اشتريت يا جابر؟! أما تخاف هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾<sup>(٣)</sup>. وروي عن عمر أنه قيل له: لو أمرت أن تصنع لك طعاماً ألين من هذا، فقال: إني سمعت الله عير أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.

قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تتكبرون عن عبادة الله والإيمان به.

﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّ لَنَا عَلَيْكَ عَذَابَ قَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قالوا: أجبنا لئنفاكنا عن مآلينا فآلينا بما نعدنا إن كنت من الصديقين ﴿١٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطَرٌّ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ تَذَمَّرُ كُلُّ قَوْمٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا بَرَّةَ إِلَّا مَسْكَنَهُمْ كَذَلِكَ تَجْرِي الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادَ﴾ يعني هوداً ﴿إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ﴾ قال الخليل: الأحقاف: الرمال العظام. وقال ابن قتيبة: واحد الأحقاف: جُفْ، وهو من الرَّمْل: ما أشرف من كُثبانها واستطال وانحنى. وقال ابن جرير: هو ما استطال من الرَّمْل ولم يبلغ أن يكون جَبَلًا. واختلفوا في المكان الذي سُمِّي بهذا الاسم على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبل بالشام، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنه واد، ذكره عطية. وقال مجاهد: هي أرض. وحكى ابن جرير أنه واد بين عُمان ومهرة. وقال ابن إسحاق: كانوا ينزلون ما بين عُمان وحَضْرَمَوْت، واليمن كله. والثالث: أن الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشَّحْر، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ النَّذُرُ﴾ أي: قد مضت الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِ هود وَمِنْ بَعْدِهِ بإنذار أممها ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾؛ والمعنى: لم يُبْعَثْ رسولٌ قَبْلَ هود ولا بعده إِلَّا بِالْأَمْرِ بعبادة الله وحده. وهذا كلام اعترض بين إنذار هود وكلامه لقومه. ثم عاد إلى كلام هود فقال: ﴿إِنَّ لَنَا عَلَيْكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِئَافِكَا﴾ أي: لتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالإفك.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هو يَعْلَمُ متى ياتيكم العذاب. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني ما يوعدون في قوله: «بما نعدنا» ﴿عَارِضًا﴾ أي: سحب يعرض من ناحية السماء. قال ابن قتيبة: العارض: السحاب. قال المفسرون: كان المطر

(١) قال في «إتحاف فضلاء البشر»: وقرأ ابن كثير والداودي عن هشام من طريق النهرواني ورويس بهمزة مفتحة فمسألة مع عدم الفصل.

(٢) روه الحاكم في «المستدرک» من حديث ابن عباس ﷺ وقال: صحيح على شرط مسلم، ورواه ابن ماجه في «مسننه» بنحوه من حديث ابن عباس أيضاً بإسناد صحيح، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك ﷺ بنحوه.

(٣) ذكره بنحوه البغوي والخازن من رواية جابر بن عبد الله عن عمر بدون سند.

(٤) قال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هوداً بالأحقاف، قال: والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة. اهـ.

قد حُسِنَ عن عاد، فساق الله إليهم سحابة سوداء، فلما راوها فرحوا و﴿قَالُوا هَذَا عَارِشٌ مِثْرَانٌ﴾، فقال لهم هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾، ثم بين ما هو فقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فنشأت الريح من تلك السحابة، ﴿تُدِيرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: تُهْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ مَرَّتَ بِهِ من الناس والدواب والأموال. قال عمرو بن ميمون: لقد كانت الريح تحتل القطعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة، ﴿فَأَسْبَحُوا﴾ يعني عاداً ﴿لَا يَرَى إِلَّا مَسْكَنَهُمْ﴾ قرا عاصم، وحمزة: ﴿لَا يَرَى﴾ برفع الياء إلا مساكينهم برفع النون. وقرأ علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقناة، والجحدري: ﴿لَا تُرَى﴾ بناء مضمومة. وقرأ أبو عمران، وابن السميع: ﴿لَا تُرَى﴾ بناء مفتوحة إلا مسكنهم على التوحيد. وهذا لأن السكّان هلكوا، فقبل: أصبحوا. وقد غطتهم الريح بالرمل فلا يرون.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمًا وَانْمَرًا وَاقْنَدًا فَمَا اعْتَقَ عَنْهُمْ سَتَرُهُمْ وَلَا ابْصَرْتُمْ وَلَا أَنْذَرْتُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْعَدُونَ بَايَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْإِنْتِ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ ﴿١٨﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٩﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال ﴿١٧﴾: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾ في «إِن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «لَمْ»، فتقديره: فيما لم نمكنكم فيه، [قاله<sup>(١)</sup> ابن عباس، وابن قتيبة. وقال الفراء: هي بمنزلة «ما» في الجحد، فتقدير الكلام: في الذي لم نمكنكم فيه]. والثاني: أنها زائدة؛ والمعنى: فيما مكناكم فيه، وحكاها ابن قتيبة أيضاً. ثم أخبر أنه جعل لهم آلات الفهم، فلم يتدبروا بها، ولم يتفكروا فيما يدلهم على التوحيد. قال المفسرون: والمراد بالآفدة: القلوب؛ وهذه الآلات لم ترد عنهم عذاب الله<sup>(٢)</sup>. ثم زاد كفار مكة في التخوف، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ كديار عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم من الأمم المهلكة ﴿وَصَرَّفْنَا الْإِنْتِ﴾ أي: بيّناها ﴿لَكُمْ﴾ يعني أهل القرى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عن كفرهم. وهاتان محذوف، تقديره: فما رجعوا عن كفرهم. ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ أي: منعه من عذاب الله ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾؟ يعني الأصنام التي تقربوا بعبادتها إلى الله على زعمهم؛ وهذا استفهام إنكار، معناه: لم ينصروهم ﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ أي: لم ينفعوهم عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني دعاءهم الآلهة ﴿إِفْكُهُمْ﴾ أي: كذبهم. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن يعمر، وأبو عمران: ﴿وَذَلِكَ أَفْكُهُمْ﴾ بفتح الهمزة وقصرها وفتح الفاء وتشديدها ونصب الكاف. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، وأبو رزين، والشعبي، وأبو العالية، والجحدري: ﴿أَفْكُهُمْ﴾ بفتح الهمزة وقصرها ونصب الكاف والفاء [وتخفيفها]. قال ابن جرير: أي: أضلهم. وقال الزجاج: معناها: صرّفهم عن الحق فجعلهم ضلالاً. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: ﴿أَفْكُهُمْ﴾ بفتح الهمزة ومدّها وكسر الفاء وتخفيفها ورفع الكاف، أي: مضلهم.

﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَنْقَرُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كَتَبْنَا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مَوْعِدٍ مَّضِدًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَٰك طَرِيقٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٢١﴾ يَنْقَرُونَ أَيْبُونَا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَيُجْرِكُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي سَلَٰكٍ بُيُوتٍ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ ونسخ الله ﷻ بهذه الآية كفار قريش بما آمنت به الجِنُّ. وفي سبب صرفهم إلى النبي ﷺ ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم صُرفوا إليه بسبب ما حدث من رجهم بالشُّهْب. روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد

(١) في الأصل: قال، والصوب من كتب التفسير.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم تعطكم مثله ولا قريباً منه، وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وآفدة ﴿فَمَا اعْتَقَ عَنْهُمْ سَتَرُهُمْ وَلَا ابْصَرْتُمْ وَلَا أَنْذَرْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إِذْ كَانُوا يَجْعَدُونَ بَايَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾ أي: وأحاط بهم العذاب والشكّال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، أي: فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة. اهـ.





فيه قولان. قال عطاء: كان بين أولئك الجن اليهودية، فلذلك قالوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾.

قوله تعالى: ﴿لَجِبُوا دَائِيَ اللَّهِ﴾ يعنون محمداً ﷺ. وهذا يدل على أنه أُرْسِلَ إلى الجن والإنس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ﴾ «مِنْ» هاهنا صلة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ يَمْتَعِزَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup> أي: لا يُعْجِزُ الله تعالى ﴿وَلَنْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: أنصار يمعنونه

من عذاب الله تعالى ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لا يجيبون الرُّسُلَ ﴿فِي سَكَلِي ثُبِينِ﴾.

﴿أُولَئِكَ بَرَرُوا أَنْ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا يَنْقُذْ عَنْ أَنْ يُخَيِّجَ الْكَافِرَ بَلْ إِنْ كُنْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup> وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿قَاتِلُوا كَمَا صَبَرُوا أُولَئِكَ الْعَزَمَ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا سَتَعِجَلُ لَكُمْ كَانْتُمْ يَوْمَ يَرْوُكَ مَا يُوعَدُونَ لَكُمُ الْبَيْتُ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَارٍ بَلْ كُنْتُمْ بِهَذَا كَافِرِينَ كَذِبًا أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْقَدِيرَ الْقُدِيرُ﴾<sup>(٥)</sup>

ثم احتج على إحياء الموتى بقوله: ﴿أُولَئِكَ بَرَرُوا...﴾ إلى آخر الآية. والرؤية هاهنا بمعنى العلم<sup>(٤)</sup>. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ أي: لم يُعْجِزْ عن ذلك؛ يقال: عَيَّ فلانٌ بأمره، إذا لم يَهْتَدِ له ولم يُقَدَّرْ عليه. قال الزجاج: يقال: عَيَّيتُ بالامرء، إذا لم تعرف وجهه، وأعييتُ، إذا تعبت.

قوله تعالى: ﴿يَنْقُذُ﴾ قال أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة مؤكدة. وقال الفراء: العرب تُدْخِلُ الْبَاءَ مَعَ الْجَمْعِ، مثل قولك: ما أَطْلُكُ بقاتم، وهذا قول الكسائي، والزجاج. وقرأ يعقوب: ﴿يَقْدِرُ﴾ بياء مفتوحة مكان الباء وسكون القاف ورفع الراء من غير ألف. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿كَمَا صَبَرُوا أُولَئِكَ الْعَزَمَ﴾ أي: ذُو الْحَزْمِ وَالصَّبْرِ؛ وفيهم عشرة أقوال: أحدها: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليه وسلم، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَعَطَاءُ الْخِرَاسَانِيُّ، وَابْنُ السَّائِبِ. والثاني: نوح، وهود، وإبراهيم، ومحمد، صلى الله عليه وسلم، قاله أبو العالية الرياحي. والثالث: أنهم الذين لم تُصِبْهُمْ فَتَنَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، قاله الحسن. والرابع: أنهم العرب من الأنبياء، قاله مجاهد، والشعبي. والخامس: أنهم إبراهيم، وموسى، ودَّادُ، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلى الله عليه وسلم، قاله السدي. والسادس: أن منهم إسماعيل، ويعقوب، وأيوب، وليس منهم آدم، ولا يونس، ولا سليمان، قاله ابن جريج. والسابع: أنهم الذين أُمِرُوا بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ، قاله ابن السائب، وحكي عن السدي. والثامن: أنهم جميع الرُّسُلِ، فإن الله لم يُنْعِثْ رَسُولًا إِلَّا كَانَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ، قاله ابن زيد، واختاره ابن الأنباري، وقال: «مِنْ» دَخَلَتْ لِلتَّجْنِيسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، كما تقول: قد رأيتُ الثيابَ مِنَ الْحَزْمِ وَالْجِبَابِ مِنَ الْقُرَى. والتاسع: أنهم الأنبياء الثمانية عشر المذكورون في سورة (الأنعام: ٨٣ - ٨٦)، قاله الحسين بن الفضل. والعاشر: أنهم جميع الأنبياء إِلَّا يونس، حكاه الثعلبي<sup>(٥)</sup>.

(١) قال ابن كثير: فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم وعيدهم، وهي سورة (الرحمن)، قال: ولهذا قال: ﴿لَجِبُوا دَائِيَ اللَّهِ وَكَافِرًا بِهِ﴾.

(٢) وصحة الآية: ﴿وَلَنْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ أي: ويقمكم من عذابه الأليم، قال ابن كثير: وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء صالحهم أن يُجَارُوا من عذاب النار يوم القيامة، ثم قال: والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، قال: وقد استدل بعضهم لهذا بقوله ﷺ: ﴿لَنْ يَتَّبِعَنَ إِنْ شِئْنَهُمْ وَلَا يَجُنَّ﴾ قال: وفي هذا الاستدلال نظر، قال: وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿وَلَنْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ قَاتِلُوا كَمَا صَبَرُوا أُولَئِكَ الْعَزَمَ مِنْ الرُّسُلِ، فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، قال: وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا: فولا بشيء من آلائك ربنا نكذبُ فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتنَّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم. اهـ.

(٣) وأول الآية: ﴿وَلَنْ يَكُنْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾.

(٤) قال ابن كثير: يقول تعالى: أو لم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستعدون لقيام الأجساد يوم المعاد، أن الله الذي خلق السموات والأرض ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ أي: ولم يكثره خلقهم، بل قال لها كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة محبة خائفة وجليلة، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟.

(٥) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعدد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، قال: قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي (الأحزاب) و(الشورى).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَمَّْا﴾ يعني العذاب. قال بعض المفسرين: كان النبي ﷺ ضَجِرَ بعض الضَّجَرِ، وأحب أن ينزل العذاب بمن أبي من قومه، فأمر بالصبر.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ يَوْمَ يَرْؤُهَا رُؤُوسُهُمْ أَنِ يُغْرَبُ﴾ أي: من العذاب ﴿لَزَّ يَلْئُوهَا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً يَوْمَ نَبْأِهَا﴾ لأن ما مضى كأنه لم يكن وإن كان طويلاً. وقيل: لأن مقدار مكنتهم في الدنيا قليل في جناب مكنتهم في عذاب الآخرة. وهاهنا تم الكلام. ثم قال: ﴿بَلِّغْ﴾ أي: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ عن الله إليكم. وفي معنى وصف القرآن بالبلاغ قولان: أحدهما: أن البلاغ بمعنى التبليغ. والثاني: أن معناه: الكفاية، فيكون المعنى: ما أخبرناهم به لهم فيه كفاية وغنى. وذكر ابن جرير وجهاً آخر، وهو أن المعنى: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ذلك بُتِّ بلاغ، أي: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى آجالهم، ثُمَّ حَذَفْتُ «ذَلِكَ بُتِّ» اكتفاءً بدلالة ما ذُكِرَ في الكلام عليها. وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «بَلِّغْ» بكسر اللام وتشديدها وسكون الغين من غير ألف.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل، وابن محيصن: «يَهْلِكُ» بفتح الياء وكسر اللام، أي: عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن أمر الله ﷻ!؟<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بمذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره وخرجوا عن طاعته وكفروا به! قال: ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين. اهـ.

## سورة محمد ﷺ

وفيها قولان: أحدهما: [أنها] مدنية، قاله الأكثرون، منهم مجاهد، ومقاتل. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنها مدنية، إلا آية منها نزلت عليه بعد حجه حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: ﴿وَكَايْنِ يَنْ قَرِيْبِهِ مَيَّ أَشَدُّ قُوَّةً يَنْ قَرِيْبِكَ﴾ [محمد: ١٣]. والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك، والسدي.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الْخَمَرِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَحَ أَهْلُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَسْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ فَإِذَا لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَرَى الْإِقَابَ ۚ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَصِمُوا شَرْكَهُمُ الرَّقَابَ فَمَا تَبَدَّلُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَّا غَيَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ أَمْرًا مِمَّا بَدَّ وَهُمْ مِنْهُ أَوْ يُسَاءَلُ عَنْ ذَلِكَ لَغَفْلَةً ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَتَبْلُوَنَّهُمْ بَعْضَكُم بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا لَنُؤْتِيَنَّهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُلٌّ فَلَن يُبَدِّلَ أَمْثَلَهُمْ ۖ سَيَجِدُكُمْ فِي سَبِيلِهِمْ وَيُضْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ لَمَّا عَرَفْنَاكُمْ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: بتوحيد الله ﴿وَصَدُّوا﴾ الناس عن الإيمان به، وهم مشركو قريش، ﴿أَصْلَحَ أَهْلُهُمْ﴾ أي: أبطلها، ولم يجعل لها ثواباً، فكأنها لم تكن؛ وقد كانوا يُظلمون الطعام، ويصلون الأرحام، ويتصدقون، ويفعلون ما يعتقدونه قربةً. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني أصحاب محمد رسول الله ﷺ. ﴿وَأَسْلَحَ بَالَهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود: ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والرَّاي وتشديدها. وقرأ أبي بن كعب، ومعاذ القارئ: ﴿أَنْزَلَ﴾ بهمزة مضمومة مكسورة الرَّاي. وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: ﴿نَزَّلَ﴾ بفتح النون والرَّاي وتخفيفها، ﴿كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي: غفرها لهم ﴿وَأَسْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم، قاله قتادة، والمبرد.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: معناه: الأمرُ ذلك، وجائز أن يكون: ذلك الإضلال، لأتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحق، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: كذلك يبين أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين كهذا البيان.

قوله تعالى: ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾ إغراء؛ والمعنى: فاقتلوه، لأن الأغلب في موضع القتل ضرب العنق<sup>(١)</sup> ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَصِمُوا شَرْكَهُمُ الرَّقَابَ﴾ أي: أكثرتم فيهم القتل ﴿فَنَشُدُّوا الرَّقَابَ﴾ يعني في الأسر؛ وإنما يكون الأسر بعد المبالغة في القتل. و﴿الرَّقَابَ﴾ اسم من الإيقاع؛ تقول: أوثقتُه إيقاعاً ووثاقاً، إذا شددت أسره لئلا يُفْلِتَ ﴿فَمَا تَبَدَّلُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَّا غَيَّرُوا الْقَوْلَ﴾، ومثله: سَقِيًّا، ورَغِيًّا، وإنما هو سُقِيَّت ورُعِيَّت. وقال الزجاج: إِمَّا مَنَّتُمْ عَلَيْهِمْ بعد أن تأسروهم مَتًّا، وإِمَّا أَطْلَقْتُمُوهُمْ بِفِدَاءٍ.

## فصل

وهذه الآية محكمة عند عامة العلماء. وممن ذهب إلى أَنَّ حُكْمَ الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ بَاقٍ لَمْ يُنْسَخْ: ابنُ عمر، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، وأحمد، والشافعي. وذهب قوم إلى نسخ الْمَنِّ وَالْفِدَاءِ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا لِلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وممن ذهب إلى هذا ابن جريج، والسدي، وأبو حنيفة. وقد أشرنا إلى القولين في [براءة: ٥].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَصْنَعَ الْمَرْءُ أَزْوَاجًا﴾ قال ابن عباس: حتى لا يبقى أحد من المشركين. وقال مجاهد: حتى لا

(١) قال ابن كثير: يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: ﴿فَمَا تَبَدَّلُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَّا غَيَّرُوا الْقَوْلَ﴾ أي: إذا واجهتموهم فاحصوهم حصداً بالسيف. اهـ.

(٢) في الأصل: «اتَّقُوا» بدل «فاتقوا».



يكون دينٌ إلّا دين الإسلام. وقال سعيد بن جبير: حتى يخرج المسيح. وقال الفراء: حتى لا يبقى إلّا مُسلمٌ أو مُسلمٌ. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: حتى يضع أهل الحرب سلاحهم؛ قال الأعشى:

وَأَغْدَذْتُ لِنَحْرٍ أَوْزَارَهَا: رِمَاحاً طَوَّالاً وَخَيْلاً ذُكُوراً<sup>(١)</sup>

وأصل «الوزر» ما حملته، فسمي السلاح «أوزاراً» لأنه يُحمل، هذا قول ابن قتيبة. والثاني: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركن وقبائح أعمالهم بأن يُسلموا ولا يُعبدوا إلّا الله، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذُكرنا ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرْتُمْ﴾ بإهلاكهم أو تعذيبهم بما شاء ﴿وَلَكِنْ﴾ أمركم بالحرب ﴿يَتَّبِعُكُمْ يَتَّبِعُكُمْ﴾ فيُصيب المؤمن ويكرمه بالشهادة، ويُخزي الكافر بالقتل والعذاب.

قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُمْ قِيَارًا﴾ قرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم: «فُتِلُوا» بضم القاف وكسر التاء؛ والباقون: «قَاتَلُوا» بآلف.

قوله تعالى: ﴿سَيِّدِي﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: يهديهم إلى أرشد الأمور، قاله ابن عباس. والثاني: يحقق لهم الهداية، قاله الحسن. والثالث: إلى مُحاجة منكر ونكير. والرابع: إلى طريق الجنة، حكاهما الماوردي. وفي قوله: ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ قولان: أحدهما: عرفهم منازلهم فيها فلا يستدلّون عليها ولا يُخطئونها، هذا قول الجمهور، منهم مجاهد، وقتادة، واختاره الفراء، وأبو عبيدة. والثاني: طيَّبها لهم، رواه عطاء عن ابن عباس. قال ابن قتيبة: وهو قول أصحاب اللغة، يقال: طعامٌ معرّف، أي: مطيَّب. وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن محيصن: «عَرَفَهَا لَهُمْ» بتخفيف الراء<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتَّبِعُكُمْ يَتَّبِعُكُمْ﴾ وَتَبِعُوا أَتَانَاكُمْ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَالْمَلَكُ أَتَاهُمْ﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَرُهًا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاجْبَلْ أَتَاهُمْ ﴿أَلَمْ يَرَوْا فِي الْأَرْضِ قِيَارًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَشْهَارُ﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَرُهًا وَمَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَحِمِلُوا الصَّلِاحَاتِ جَنَّتِ نَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْهَارُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿وَكُلٌّ مِّنْ قَرْنٍ مِّنْ قَرْنٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْنِكَ الْآلِهَةِ أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أَفَن كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنَ لَمْ سَوَّ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَعُوا أَهْلَهُمْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: تَتُوبَا دِينَهُ وَرَسُولَهُ ﴿يَتُوبَا﴾ على عدوكم ﴿وَتَبِعُوا أَتَانَاكُمْ﴾ عند القتال. وروى المفضل عن عاصم: «وَتَبِعُوا» بالتخفيف. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ قال الفراء: المعنى: فأتاهم الله، والدُّعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي. قال ابن قتيبة: هو من قولك: تَعَسْتُ، أي: عَثَرْتُ وَسَقَطْتُ. وقال الزجاج: التَّعَسُّ فِي اللُّغَةِ الانْحِطَاطُ وَالتَّهَوُّرُ. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الكهف: ١٠٥، يوسف: ١٠٩] إلى قوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهلكهم [الله: ٣] ﴿وَالْكَافِرِينَ أَشْهَارُ﴾ أي: أمثال تلك العاقبة. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعله بالمؤمنين من النصر، وبالكافرين من الدمار ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: وليهم. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْهَارُ﴾<sup>(٣)</sup> أي: إن الأنعام تأكل وتُشرب، ولا تُدرى ما في غد، فكَذَلِكَ الْكَافِرُ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْآخِرَةِ. وَالْمُتَوَّي: الْمُنْزِل. ﴿وَكُلٌّ مِّنْ قَرْنٍ مِّنْ قَرْنٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْنِكَ الْآلِهَةِ أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ والمراد بقريته: مكة؛ وأضاف القوة والإخراج إليها، والمراد أهلها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَن كَانَ عَلَى يَتْنٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه رسول الله ﷺ، قاله أبو العالية. والثاني: أنه

(١) «ديوانه» ٩٩، و«غريب القرآن» ٤٠٩، و«القرطبي» ٢٢٩/١٦، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: وزر.

(٢) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: سيوفى الله تعالى ذكره للعمل بما يرى ويحب هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله ﴿يَتَّبِعُكُمْ يَتَّبِعُكُمْ﴾ ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة ﴿يَتَّبِعُكُمْ يَتَّبِعُكُمْ﴾ يقول: ويدخلهم الله جنته عرفها ويبيئها لهم، قال: حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا لا يشك عليه ذلك. اهـ. وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وثقوا أدن لهم في دخول الجنة، والذي نفسي بيده إن أحلهم بمنزله في الجنة أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا».

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا فِي الْأَرْضِ قِيَارًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم.

(٤) وأول الآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُم وَالْمَلَكُ أَتَاهُمْ﴾. (٥) وأول الآية: ﴿وَكُلٌّ مِّنْ قَرْنٍ مِّنْ قَرْنٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْنِكَ الْآلِهَةِ أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكَهُمْ﴾.

المؤمن، قاله الحسن. وفي «البيئة» قولان: أحدهما: القرآن، قاله ابن زيد. والثاني: الدين، قاله ابن السائب. ﴿كَانَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ﴾ يعني عبادة الأوثان، وهو الكافر ﴿وَأَتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ بعبادتها<sup>(١)</sup>.

﴿نَتْلُ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي رُفِعَ النَّفُورُ فِيهَا أَنْتَرٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْتَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْفَرْ طَعْمُهُ وَأَنْتَرٌ مِنْ حَمَرٍ لَذَّوْ لِلشَّيْءِ وَأَنْتَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَنْفُورٌ مِنْ زَيْتٍ كَمَنْ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿نَتْلُ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي رُفِعَ النَّفُورُ﴾ أي: صفتها، وقد شرحناه في [الرعد: ٣٥]. و«المتفون» عند المفسرين: الذين يتفنون الشرك. و«الآسين» المتغير الرِّيح، قاله أبو عبيدة، والزجاج. وقال ابن قتيبة: هو المتغير الرِّيح والطَّعم، و«الآجن» نحوه. وقرأ ابن كثير: «غير آسين» بغير مد. وقد شرحنا قوله ﴿لَذَّوْ لِلشَّيْءِ﴾ في [الصفات: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ أي: من عسل ليس فيه عكر ولا كدر كعسل أهل الدنيا.

قوله تعالى: ﴿كَانَ هُوَ خَلِيلٌ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء: أراد: مَنْ كَانَ فِي هَذَا النِّعِيمِ، كمن هو خالد في النار؟!<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: حاراً شديد الحرارة. و«الأمعاء» جميع ما في البطن من الحوايا<sup>(٤)</sup>.

﴿وَنَوْمُهُمْ مَنِ اسْتَمَعَ إِلَيْكَ حَقٌّ إِذَا رَجَعُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ مَاذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ الَّذِي طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ ﴿٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتُمْ لَكُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَنَوْمُهُمْ مَنِ اسْتَمَعَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين. وفيما يستمعون قولان: أحدهما: أنه سماع خطبة رسول الله ﷺ يوم الجمعة. والثاني: سماع قوله على عموم الأوقات، فاما ﴿لِلَّذِينَ أُوتُوا الْآيَةَ﴾، فالمراد بهم: علماء الصحابة.

قوله تعالى: ﴿مَاذَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ قال الزجاج: أي: ماذا قال الساعة، وهو من قولك: استأنفت الشيء: إذا ابتدأته، وروضة أنف: لم تُرْعَ، أي: لها أول يُرْعَى، فالمعنى: ماذا قال في أول وقت يقرب منا. وحَدَّثَنَا عن أبي عمر غلام ثعلب أنه قال: معنى «أنفاً» مَذْ سَاعَة. وقرأ ابن كثير، في بعض الروايات عنه: «إِنْفًا» بالقصر، وهذه قراءة عكرمة، وحמיד، وابن محيصن. قال أبو علي: يجوز أن يكون ابن كثير توهم، مثل حاذِر وحذِر، وفاكِه وفكِه. وفي استفهامهم قولان: أحدهما: لأنهم لم يَقُولُوا ما يقول، ويذُلُّ عليه باقي الآية. والثاني: أنهم قالوه استهزاء.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم المسلمون، قاله الجمهور. والثاني: قومٌ من أهل الكتاب كانوا على الإيمان بأبنائهم وبمحمد ﷺ، فلما بُعث محمدٌ ﷺ آمنوا به، قاله عكرمة. وفي الذي زادهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ. والثاني: قول الرسول. والثالث: استهزاء المنافقين زاد المؤمنين هُدًى، ذكرهن الزجاج. وفي معنى الهدى قولان: أحدهما: أنه العلم. والثاني: البصيرة. وفي قوله: ﴿وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي. والثاني: اتِّقَاءُ الْمُنْسُوخِ وَالْعَمَلِ بِالنَّاسِخِ، قاله عطية. والثالث: أعطاهم التقوى مع الهدى، فأتقوا معصيته خوفاً من عقوبته، قاله أبو سليمان الدمشقي<sup>(٦)</sup>. و«يَنْظُرُونَ» بمعنى ينتظرون، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وأبو الأشهب، وحמיד: «إِنْ تَأْتِيَهُمْ» بكسر الهزعة من غير ياء بعد التاء. والأشراط: العلامات؛ قال أبو عبيدة: الأشراط: الأعلام، وإنما سُمِّيَ الشُّرْطُ - فيما تَرَى - لأنهم أعلموا أنفسهم. قال المفسرون: ظهور النبي ﷺ من

(١) يقول تعالى: ﴿أَتَمَنَّ كَذَّاءٌ عَلَى يَتِيمٍ مِنْ زَيْنٍ﴾. أي: على بصيرة وبقين في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة ﴿كَانَ زَيْنٌ لَمْ سَوْهُ عَلَيْهِ وَأَتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ﴾؟! أي: ليس هذا كهذا، كقوله تعالى: ﴿أَتَمَنَّ يَتِيمٌ أَنَّ أَهْلَ الْإِلَهِ يَنْزِلَ لَكَ مِنْ أَمْرِ﴾، ١٩، وكقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَعْمَى الْكَلْبِ وَأَعْمَى النَّجْدِ أَلَمْ تَسْمَعْ أَلَمْ تَسْمَعْ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: ليس هؤلاء كهؤلاء، وليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات. اهـ.

(٣) قال ابن جرير: وقوله: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْلَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وسقي هؤلاء الذين هم خلود في النار ماء قد انتهى حره، فقطع ذلك الماء من شدة حره أمعاهم. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: والذين قصدوا الهداية، وقَّعهم الله تعالى لها، فهداهم إليها، وثبتهم عليها، وزادهم منها ﴿وَكَانَتْهُمْ تُقُوهُمْ﴾ أي: ألهمهم رشدهم. اهـ.

أشراط الساعة، وانشقاق القمر والدخان وغير ذلك<sup>(١)</sup>. «فَأَنذَرْتُكُمْ أَي: فمن أين لهم ﴿إِذَا جَاءَهُمْ﴾ الساعة ﴿وَذَكَّرْتَهُمْ﴾؟ قال قتادة: أتى لهم أن يذكروا ويتوبوا إذا جاءت! »

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَلِكِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالَّذِينَ يَلْمِزُوكُمْ فِي أَمْثَلِ مَا كَانُوا يَلْعَنُونَ﴾ وَتَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَنَشِقِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ حَرْبًا لَّهُمْ ﴿٣١﴾

قوله تعالى: «فَأَنذَرْتُكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال بعضهم: أثبت على علمك، وقال قوم: المراد بهذا الخطاب غيره؛ وقد شرحنا هذا في فاتحة (الأحزاب). وقيل: إنه كان يضيق صدره بما يقولون، فقيل له: اغلظ أنه لا كاشف لما بك إِلَّا الله. فأما قوله: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَلِكِ» فإنه كان يستغفر في اليوم مائة مرة<sup>(٢)</sup>، وأمر أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات إكراماً لهم لأنه شفيح مجاب<sup>(٣)</sup>. «وَالَّذِينَ يَلْمِزُوكُمْ فِي أَمْثَلِ مَا كَانُوا يَلْعَنُونَ» فيه ثلاثة أقوال: أحدها: متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: متقلبكم في أصلاب الرجال إلى أرحام النساء، ومقامكم في القبور، قاله عكرمة. والثالث: «متقلبكم» بالنهار ومثواكم» أي: ما أوامكم بالليل، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ» قال المفسرون: سألوا ربهم أن ينزل سورة فيها ثواب القتال في سبيل الله، اشتياقاً منهم إلى الوحي وجرصاً على الجهاد، فقالوا: «لولا» أي: هلا، وكان أبو مالك الأشجعي يقول: «لا» هاهنا صلة، فالمعنى: لو أنزلت سورة، شوقاً منهم إلى الزيادة في العلم، ورغبة في الثواب والأجر بالاستكثار من الفرائض. وفي معنى «مُحْكَمَةٌ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها التي يُذَكَّر فيها القتال، قاله قتادة. والثاني: أنها التي يُذَكَّر فيها الحلال والحرام. والثالث: التي لا منسوخ فيها، حكاهما أبو سليمان الدمشقي. ومعنى قوله: «وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ» أي: فُرِضَ فيها الجهاد. وفي المراد بالمرض قولان: أحدهما: النفاق، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور. والثاني: الشك، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ» أي: يَشْخَصُونَ نحوك بأبصارهم ينظرون نظراً شديداً كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت، لأنهم يكرهون القتال، ويخافون إن قعدوا أن يتبين نفاقهم. «فَأُولَئِكَ لَهُمْ» قال الأصمعي: معنى قولهم في التهديد: «أُولَئِكَ لَكَ» أي: وَلِيكَ وَقَارِيكَ ما تكروه. وقال ابن قتبية: هذا وعيد وتهديد، تقول للرجل - إذا أردت به سوءاً، ففَاتَكَ - أُولَئِكَ لَكَ، ثم ابتداء، فقال: «طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ...» وقال سيبويه والخليل: المعنى: طاعة وقول معروف أمثل. وقال الفراء: الطاعة معروفة<sup>(٥)</sup> في كلام العرب، إذا قيل لهم: افعلوا كذا، قالوا: سَمِعُ طَاعَةً، فوصف [الله] قولهم قبل أن تنزل السورة أنهم يقولون: سَمِعُ طَاعَةً، فإذا نزل الأمر كرهوا. وأخبرني حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال الله تعالى: «فَأُولَئِكَ لَهُمْ»، ثم قال: «لَهُمْ» أي: للذين آمنوا منهم «طَاعَةً»، فصارت «أُولَئِكَ» وعيداً

(١) قال ابن كثير: فبعضة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة، لأنه خاتم الرسل الذين أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين، قال: وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤت به قبله، قال: ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة، ونبي الملحمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه، والعاقب الذي ليس بعده نبي. اهـ. وروى البخاري في «صحيحه» عن سهل بن سعد ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، بالوسطى والي تليها: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

(٢) روى مسلم في «صحيحه» عن الأغر بن يسار المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» والمراد بليغان: أن يفتر عن الذكر الذي في شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه الأمر ما عد ذلك ذنباً فاستغفر منه. وروى البخاري في «صحيحه» عن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» قال: «ومن قالها في النهار موثقاً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موثق بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

(٣) روى أحمد في «مسنده» من حديث شعبة عن عاصم الأحول قال: سمعت عبد الله بن سرجس قال: أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال ﷺ: «فولك» فقلت (أي شعبة): استغفر لك؟ قال: «نعم ولكم»، وقرأ: «وَاسْتَغْفِرْ لِذَلِكِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ». قال ابن كثير: ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الأحول به.

(٤) والقول الثالث أولى كما قال ابن كثير. (٥) في الأصلين: مرفوعة.



لِمَنْ كَرِهَهَا، واستأنف الطاعة بـ «لهم»؛ والأول عندنا كلام العرب، وهذا غير مردود، يعني حديث أبي صالح. وذكر بعض المفسرين أن الكلام متصل بما قبله، والمعنى: فأولى لهم أن يطيعوا وأن يقولوا معروفاً بالإجابة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ قال الحسن: جَدُّ الأمر. وقال غيره: جَدُّ رسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد، وَلَزِمَ فرض القتال، وصار الأمر معروفاً عليه. وجواب «إذا» محذوف، تقديره: فإذا عَزَمَ الْأَمْرُ نَكَلُوا؛ يَدُلُّ على المحذوف ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ أي: في إيمانهم وجهادهم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من المعصية والكرامة.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (١١) أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَسَنَهُمُ اللَّهُ فَاَسْتَفْزَعُوا وَأَعَمَّ أَبْصَرَهُمْ (١٢) أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (١٣) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَأَ لَهُمْ (١٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيلُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ يَسِّرُ سَبِيلَهُ (١٥) فَكَيفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَصْرِيخُونَ وَيُجْهِدُهُمْ وَادَّبَهُمْ (١٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (١٧)

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ في المخاطب بهذا أربعة أقوال: أحدها: المنافقون، وهو الظاهر. والثاني: منافقو اليهود، قاله مقاتل. والثالث: الخوارج، قاله بكر بن عبد الله المزني. والرابع: قريش، حكاة جماعة منهم الماوردي. وفي قوله: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى الإعراض. فالمعنى: إن أعرضتم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن تعودوا إلى الجاهلية يقتل بعضكم بعضاً، ويغير بعضكم على بعض، ذكره جماعة من المفسرين. والثاني: أنه من الولاية لأمر الناس، قاله القرطبي. فعلى هذا يكون معنى «أن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ»: بالجور والظلم. وقرأ يعقوب: «وتَقَطَّعُوا» بفتح التاء والطاء وتخفيفها وسكون القاف (١). ثم دَمَّ من يريد ذلك بالآية التي بعد هذه. وما بعد هذا قد سبق [النساء: ٨٢] إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ «أم» بمعنى «بل»، وذكر الأقفال استعارة، والمراد أن القلب يكون كالبيت المُقْفَل لا يَصِلُ إليه الهدى. [قال مجاهد]: الزان أيسر من الطنوع، والطنوع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله. وقال خالد بن معدان: ما مِنْ آدمي إِلَّا وله أربع أعين، عَيْنَانِ في رأسه لِذُنْيَاهُ وما يُضِلُّه من معيشته، وعَيْنَانِ في قَلْبِهِ لِذُنْيِهِ وما وَعَدَ الله من الْعَيْبِ، فإذا أراد الله بعد خيراً أبصرَ عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ أي: رَجَعُوا كُفَّاراً؛ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله ابن عباس، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنهم اليهود، قاله قتادة، ومقاتل. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ مَا وَضَّحَ لَهُمُ الْحَقُّ. ومن قال: هم اليهود، قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ وصفُ رسولِ الله ﷺ ونعته في كتابهم. ومعنى زَيْنَ، ﴿وَأَمْلَأَ لَهُمْ﴾ قرأ أبو عمرو، وزيد عن يعقوب: «وأَمْلَأَ لَهُمْ» بضم الهمزة وكسر اللام وبعدها ياء مفتوحة. وقرأ يعقوب إلا زيدا، وأبان عن عاصم كذلك، إلا أنهم أسكنوا الياء. وقرأ الباقون بفتح الهمزة واللام. وقد سبق معنى الإجماع [آل عمران: ١٧٨، الأعراف: ١٨٣].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ قال الزجاج: المعنى: الأمرُ ذلك، أي: ذلك الإضلال بقولهم ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ وفي الكارهين قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، فعلى هذا في معنى قوله: ﴿سَطِيلُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ﴾ ثلاثة

(١) أي: وتقطعوا الأرحام. قال ابن كثير: وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض، وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأعمال وبذل الأموال، قال: وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسن بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة. أمه: روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه». وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله». وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك» ثم قال رسول الله ﷺ: «الرحموا إن شئتم» ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (١١) أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَسَنَهُمُ اللَّهُ فَاَسْتَفْزَعُوا وَأَعَمَّ أَبْصَرَهُمْ (١٢).

(٢) رواء الطبري ٥٧/٢٦ وفي سنده ضعف.



أقول: أحدهما: في الشُّعُود عن نُصْرَةِ محمد ﷺ، قاله السدي. والثاني: في المَلِّ إليكم والمظاهرة على محمد ﷺ. والثالث: في الارتداد بعد الإيمان، حكاهما الماوردي. والثاني: أنهم اليهود، فعلى هذا في الذي أطاعوهم فيه قولان: أحدهما: في أن لا يصدِّقوا شيئاً من مقالة رسول الله ﷺ، قاله الضحاك. والثاني: في كُتْم ما عَلِمُوهُ من بُيُوتِهِ، قاله ابن جريج<sup>(١)</sup>. ﴿وَاللَّهُ يَمَسُّكُمْ إِسْرَارًا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، والوليد عن يعقوب: بكسر الألف على أنه مصدر أسررتُ؛ وقرأ الباقون: بفتحها على أنه جمع سرٌّ، والمعنى أنه يَعْلَم ما بين اليهود والمنافقين من السُّرِّ. قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ؟﴾ أي: فكيف يكون حالهم حينئذٍ؟ وقد بيَّنا في [الأنفال: ٥٠] معنى قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَصَكِّرُوا رِضْوَانَكُمْ﴾ أي: كَرِّهُوا ما فيه الرِّضْوَان، وهو الإيمان والطاعة. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَتَهُمْ﴾ (٣٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا لَمَسَهُمْ فَلَمَرْتَهُمْ يُسَبِّحُكُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣١) وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَتَبْلُوا لِبَارِكِكُمْ (٣٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرِّسَالَ مِنْ بَدٍ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُنَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْطِ بِأَعْمَلِهِمْ (٣٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْبِسُوا أَنْفُسَكُمْ أَلَّا تَكُونُوا مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ كَذَّابٌ فَلَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ (٣٥) قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: نفاق ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَتَهُمْ﴾ قال الفراء: أي لن يُبَدِّلَ الله عدائوتهم ويُغضِبهم لمحمد ﷺ. وقال الزجاج: أي: لن يُبَدِّلَ عدائتهم لرسوله ﷺ ويُظهِرُهُ على نفاقهم<sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَا لَمَسَهُمْ﴾ أي: لَعَرَفْنَاكُم، تقول: قد أَرَيْتُكَ هذا الأمر، أي: قد عَرَفْتُكَ إِيَّاهُ، المعنى: لو نشاء لَجَعَلْنَا على المنافقين علامة، وهي السِّيمَاء ﴿فَلَمَرْتَهُمْ يُسَبِّحُكُمْ﴾ أي: بتلك العلامة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: في فحوى القول، فدلَّ بهذا على أن قول القائل وفعله يدلُّ على نيَّته. وقول الناس: قد لَحَنَ فلانٌ، تأويله: قد أخذ في ناحية عن الصواب، وَعَدَّلَ عن الصواب إليها، وقول الشاعر:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَلَسَحَنُ أَخِيَا  
نَأْ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَخْنًا<sup>(٣)</sup>

تأويله: خير الحديث من مثله هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعَرَّفُ قولها في أنحاء قولها. قال المفسرون: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في فحوى الكلام ومعناه ومقصدته، فإنهم يتعرَّضون بتهجين أمرك والاستهزاء بالمسلمين. قال ابن جرير: ثم عرَّفه الله إِيَّاهُمْ.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: وَلَتَعَامِلَنَّكُمْ معاملةً الْمُخْتَبِرِ بأن تأمرهم بالجهاد ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء؛ وقد شرحنا هذا في [المكيت: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوا لِبَارِكِكُمْ﴾ أي: نُظْهِرُهَا ونُكْشِفُهَا لِإِيَّاهُ من يأبى القتال ولا يَضْرِبُ على الجهاد. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بإيلاء «حتى يَعْلَمَ» بإيلاء «وَتَبْلُوا» بإيلاء فيهن. وقرأ معاذ القارئ، وأيوب السخيتاني: «أخياركم» بإيلاء جمع «خير»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [الآية<sup>(٥)</sup>] اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنها في الْمُطَّوِّعِينَ

(١) قال ابن كثير: أي: ما لَوْوهم وتناصحوهم في الباطن على الباطل، قال: وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَمَسُّكُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: ما يَسْرُونَ وما يخفون، والله مطلع على عوالم به، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْشِرُونَ﴾. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْفَتَهُمْ﴾ (٣٠)؟ أي: أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضح أمرهم ويبيِّله حتى يفهمهم ذرؤ البصائر، قال: وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة (براعة) فيبين فيها فضائحتهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، قال: ولهذا كانت تسمى «الفاضحة»، قال: والأصناف جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقاتلين بنصره. اهـ.

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، وهو في «البيان والبيان» ١/١٤٧، و«الأمالي» ٥/١، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج»: لحن. قال في «اللسان»: تأويله: وخير الحديث من مثل هذه الجارية ما كان لا يعرفه كلُّ أحد، إنما يُعَرَّفُ أمرها في أنحاء قولها.

(٤) قال في «اللسان»: ورجلٌ غَيَّرَ وَخَيَّرَ، مشدود ومخفف، وامرأةٌ خَيْرَةٌ وَخَيْرَةٌ، والجمع أخيارٌ وَخَيْرٌ. وتامها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرِّسَالَ مِنْ بَدٍ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُنَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْطِ بِأَعْمَلِهِمْ﴾.

يوم بدر، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الحارث بن سويد، ووجوح الأنصاري، أسلما ثم ارتدّا، فتاب الحارث ورجع إلى رسول الله ﷺ، وأبى صاحبه أن يرجع حتى مات، قاله السدي. والثالث: أنها في اليهود، قاله مقاتل. والرابع: أنها في قريظة [والنضير]، ذكره الواحدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبِيلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا في مَبِيلُهَا على أربعة أقوال: أحدها: المعاصي والكبائر، قاله الحسن. والثاني: الشك والثفاق، قاله عطاء. والثالث: الرياء والشُّعْعة، قاله ابن السائب. والرابع: بِالْمَنْ<sup>(٤)</sup>، وذلك أن قوماً من الأعراب قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أتيناك طائعين، فلنا عليك حق، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]، هذا قول مقاتل<sup>(٥)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: وهذا يدل على أن كُلَّ مَنْ دخل في قُرْبَةِ لم يَجُزْ له الخروج منها قبل إتمامها، وهذا على ظاهره في الحج، فأما في الصلاة والصيام، فهو على سبيل الاستحباب<sup>(٦)</sup>.

﴿فَكَتَبَرْنَا إِلَى السَّلَِّ وَأَنْشُرُ الْأَعْرُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْكَوْهُ أَعْمَلَكُمْ﴾<sup>(٧)</sup> إِنَّمَا كَلِمَةُ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَلَهُوَ لَكِنَّ قُرْبِيْنَا وَتَنْفَعُوا يَرْكَوْهُ لِمُرُومِكُمْ وَلَا يَسْطَلِكُمْ أَمْرُكُمْ<sup>(٨)</sup> إِنْ يَسْطَلِكُمْ مِمَّا يَخُونُكُمْ تَبَخَّلُوا وَخَسِرَ أَصْفَانُكُمْ<sup>(٩)</sup> هَآئِنْتَ هَآؤَآءُ تَنْدَعُونَ لِيُفِيَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَنْصَحُكُمْ مَنْ يَبْعَلُ وَمَنْ يَبْعَلْ فَلَا يَبْعَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْشُرُ الْفُقَرَاءُ وَلَنْ تَبْرَأُوا يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا عَرَبَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَسْلَمَكُمْ<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَكَتَبَرْنَا﴾ أي: فلا تَضَعُوهَا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وحفص عن عاصم: «إلى السَّلَم» بفتح السين؛ وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: بكسر السين، والمعنى: لا تَدْعُوا الكفار إلى الصلح ابتداء. وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز طلب الصلح من المشركين، ودلالة على أن النبي ﷺ لم يدخل مكة صلحاً، لأنه نهاه عن الصلح.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْشُرُ الْأَعْرُونَ﴾ أي: أنتم أعرأُ منهم، والحُجَّةُ لكم، وأَجِرُ الأمرُ لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات<sup>(١١)</sup> ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعز والِنَصْرَة ﴿وَلَنْ يَرْكَوْهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لن يَنْقُصَكُمْ ولن يَظْلِمَكُمْ، يقال: وَرَثَتِي حَقِّي، أي: بَحْثَتْنِي. قال المفسرون: المعنى: لن يَنْقُصَكُمْ من ثواب أعمالكم شيئاً. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْطَلِكُمْ أَمْرُكُمْ﴾<sup>(١٢)</sup> أي: لن يَسْأَلَكُمْ مِمَّا كُفَّهَا.

قوله تعالى: ﴿يَخُونُكُمْ﴾ قال الفراء: يُجْهِدُكُمْ. وقال ابن قتيبة: يُلْجِعُ عليكم بما يوجهه في أموالكم ﴿تَبَخَّلُوا﴾، [يقال: أخفاني بالمسألة والخف: إذا ألح. وقال السدي: إن يسألكم جميع ما في أيديكم تبخلوا]. ﴿وَخَسِرَ أَصْفَانُكُمْ﴾ وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن عباس، وابن يعمر: «وَيُخْرِجُ» بياء مرفوعة وفتح الراء «أَصْفَانُكُمْ» بالرفع. وقرأ أبي بن كعب، وأبو رزين، وعكرمة، وابن السميع، وابن محيصن، والجحدري: «وَتُخْرِجُ» بشاء مفتوحة ورفع الراء،

(١) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند.

(٢) قال ابن كثير: يخبر تعالى عمن كفر وصعد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى، أنه لن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه، ويخسرهما يوم معادها، وسيحبط الله عمله فلا يشبهه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه برده مقال بعوضة من خير، بل يحبط ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يلذهن السيئات. اهـ.

(٣) والآية بتمامها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْيَوْمَ أُكْلِيتُ الْوَشَلُ لَا تَبِيلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾.

(٤) قال الشوكاني في «فتح القدير»: والظاهر النهي عن كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كأنما ما كان من غير تخصيص بنوع معين. اهـ.

(٥) ذكره البغوي عن مقاتل بدون سند.

(٦) روى أحمد والبيهقي بسند جيد عن أم هانئ ؓ أن رسول الله ﷺ شرب شرباً، فناولها لتشرب، فقالت: إني كنت صائمة، ولكني كرهت أن أُرَدَّ سؤرك، فقال: «إن كان قضاء من رمضان، فاقضي يوماً مكانه، وإن كان تطوعاً، فإن شئت فاقضي، وإن شئت فلا تقضي».

(٧) قال ابن كثير: ﴿فَكَتَبَرْنَا﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ﴾ أي: إلى المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قُرْبَتكم وكثرة عددكم وعددكم، قال: ولهذا قال: ﴿فَكَتَبَرْنَا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَِّ وَأَنْشُرُ الْأَعْرُونَ﴾ أي: في حال حُلُومكم على عدوكم، قال: فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جمع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صدّه كفار قريش عن مكة ودَعَوْهُ إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم ﷺ إلى ذلك. اهـ.

(٨) والآية بتمامها: ﴿إِنَّمَا كَلِمَةُ الدُّنْيَا لَوْبٌ وَلَهُوَ لَكِنَّ قُرْبِيْنَا وَتَنْفَعُوا يَرْكَوْهُ لِمُرُومِكُمْ وَلَا يَسْطَلِكُمْ أَمْرُكُمْ﴾.

«أضغائنكم» بالرفع. وقرا ابن مسعود، والوليد عن يعقوب: «ونُخرج» بنون مرفوعة وكسر الراء، «أضغائنكم» بنصب النون، أي: يُظهر بُغْضَكم وعداوتكم لله ولرسوله ﷺ، ولكنه فرض عليكم يسيراً. وفيمن يضاف إليه هذا الإخراج وجهان: أحدهما: إلى الله ﷻ. والثاني: البخل، حكاهما الفراء. وقد زعم قوم أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، وليس بصحيح، لأننا قد بينّا أن معنى الآية: إن يسألكم جميع أموالكم، والزكاة لا تنافي ذلك.

قوله تعالى: ﴿مَكَانَتَهُ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِشَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني ما فرض عليكم في أموالكم ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلْ﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: على نفسه بما ينفعها في الآخرة ﴿وَاللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ عنكم وعن أموالكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفَكْرَةُ﴾ إليه وإلى ما عنده من الخير والرحمة، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ أطوع له منكم ﴿فَلَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ بل خيراً منكم. وفي هؤلاء القوم ثمانية أقوال: أحدها: أنهم العجم، قاله الحسن. وفيه حديث يرويه أبو هريرة قال: لما نزلت ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ كان سلمان إلى جنب رسول الله ﷺ، فقالوا<sup>(١)</sup>: يا رسول الله، مَنْ هؤلاء الذين إذا تولّينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله ﷺ [يده] على منكب سلمان، فقال: «هذا وقوم»، والذي نفسي بيده، لو أن الذين معلقاً بالثرثرا لتناولوه رجال من فارس<sup>(٢)</sup>. والثاني: فارس والروم، قاله عكرمة. والثالث: من يشاء من جميع الناس، قاله مجاهد. والرابع: يأتي بخلق جديد غيركم، وهو معنى قول قتادة. والخامس: كندة والنخع، قاله ابن السائب. والسادس: أهل اليمن، قاله راشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جبير، وشريح بن عبيد. والسابع: الأنصار. قاله مقاتل. والثامن: أنهم الملائكة، حكاها الزجاج وقال: فيه بُعْدٌ [لأنه] لا يقال للملائكة «قَوْمٌ»، إنما يقال ذلك للآدميين؛ قال: وقد قيل: إن تولّى أهل مكة استبدل الله بهم أهل المدينة، وهذا [معنى] ما ذكرنا عن مقاتل<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: فقال.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٦٦/٢٦، وفي سنده مسلم بن خالد المعزومي المعروف بالزنجي، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: قبه صدوق كثير الأوهام، وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن جرير وابن أبي حاتم، وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، ورواه عنه غير واحد، وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم، والله أعلم. ورواه الترمذي في «سننه» ١٥٨/٢، وفي سنده جعفر بن عبد الله بن نجيح، قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» ٦٧/٦، وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي هريرة ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٥٢: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، وله طرق عنه وعن غيره. ورواه البخاري في «صحيحه» ٤٩٢/٨، ومسلم ١٩٧٢/٤ بسبب نزول سورة (الجمعة)، ولفظه عند مسلم: عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة (الجمعة) فلما قرأ: ﴿وَتَاخَرُونَ مِنْهُمْ لَنَا بِأَحْقَوْا بِهِمْ﴾ قال رجل: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعهم النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، قال: وفيما سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لثاله رجال من هؤلاء»، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي بعض طرق الحديث عند أبي نعيم عن أبي هريرة أن ذلك كان عند نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ قال: ويحتمل أن يكون ذلك صدر عند نزول كل من الآيتين (بريد آية سورة «الجمعة» وآية سورة «محمد»). اهـ. والحديث رواه مسلم في «صحيحه» دون سبب النزول عن أبي هريرة بلنظ: «لو كان الذين عند الثريا للهب به رجل من فارس (أو قال: من أبناء فارس) حتى يتناولوه». ورواه أحمد في «المسنند» عن أبي هريرة بلنظ: «لو كان العلم معلقاً بالثرثرا لتناولوه ناس من أولاد فارس» وفي سنده شهر بن حوشب، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام كما قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله تعالى ذكره: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تتولّوا أيها الناس عن هذا الدين الذي جاءكم به محمد ﷺ فترتدوا راجعين عنه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾، يقول: يهلككم، ثم يجيء بقوم آخرين غيركم بدلاً منكم، يصدقون به، ويمملون بشراعه ﴿فَلَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، يقول: ثم لا يبخلوا بما أمروا به من النفقة في سبيل الله، ولا يضيّعون شيئاً من حدود دينهم، ولكنهم يقومون بذلك كله على ما يؤمرون به. اهـ.

## سورة الفتح

وهي مدنيّة كلّها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ وَبِعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتَ تَعْتَصِمُ ﴿٢﴾ وَمَا أَتَى بِمَا يَفْعَلُ بِكَ وَلَا يَكْرَهُ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾...﴾ [الآية] سبب نزولها أنه لما نزل قوله: ﴿وَمَا أَتَى بِمَا يَفْعَلُ بِكَ وَلَا يَكْرَهُ﴾ [الاحقاف: ١٩] قال اليهود: كيف نثبّع رجلاً لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي المراد بالفتح أربعة أقول: أحدها: أنه كان يوم الحديبية، قاله الأكثرون. قال البراء بن عازب: نحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان<sup>(٢)</sup>. وقال الشعبي: وهو فتح الحديبية، غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهديّ محلّه، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكّن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام. قال مجاهد: يعني بالفتح ما قضى الله له من نحر الهديّ بالحديبية وحلّق رأسه. وقال ابن قتيبة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ أي: قضينا لك قضاء عظيماً، ويقال للقاضي: الفتح. قال الفراء: والفتح قد يكون صلحاً، ويكون أخذ الشيء عنوةً، ويكون بالقتال. وقال غيره: معنى الفتح في اللغة: فتح المنغلق، والصلح الذي يجعل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعلّداً حتى فتحه الله تعالى.

### الإشارة إلى قصة الحديبية<sup>(٣)</sup>

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى في النوم كأن قاتلاً يقول [له]: لَتَدْخُلَنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمين، فأصبح فحدث الناس برؤياه، وأمرهم بالخروج للعمرة<sup>(٤)</sup>؛ فذكر أهل العلم بالسيرة أنه خرج واستنفر أصحابه للعمرة،

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٧ من رواية عطاء عن ابن عباس بدون سند.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٤٠/٧ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية». وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: «ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان» يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات، فقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ المراد بالفتح هنا: الحديبية، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتّب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وغيرهما، ثم تبعته الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح. ثم قال: وأما قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَأَكْمَلْتُمْ فَتْحَكُمْ قُرَيْشًا﴾ فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح، لأنها هي التي وقعت فيها المغنمات الكثيرة للمسلمين، قال: وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾... الآية، فقال رجل: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: «أي والذي نفسي بيده إنه الفتح»، ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية، قال: وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ قال: صلح الحديبية، وغفر له ما تقدم وما تأخر، وتبايعوا بيعة الرضوان، وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله. قال: وأما قوله تعالى: ﴿تَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ فَتْحًا قُرَيْشًا﴾ فالمراد بالحديبية. وأما قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ وقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد به فتح مكة باتفاق، قال: فيها ما يرفع الإشكال وتجتمع الأقوال بحسن الله تعالى. اهـ.

(٣) المُدَنِيَّة: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت بئر عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، أو بشجرة حذباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل.

(٤) قال الواحدي: قال المفسرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية كأنه هو وأصحابه حلّقوا وقصّروا، فأخبر بذلك



وذلك في سنة ست، ولم يخرج بسلام إلا السيوف في القُرب. وساق هو وأصحابه البُذَن، فصلَّى الظهر بـ «ذي الحليفة»، ثم دعا بالبُذَن فجلَّلت، ثم أشعرها وقلَّدها، وفعل ذلك أصحابه، وأحرم ولَّي، فبلغ المشركين خروجُه، فأجمع رأيهم على صدِّه عن المسجد الحرام، وخرجوا حتى عسكروا بـ «بَلَدَح»<sup>(١)</sup>، وقَدَّموا مائتي فارس إلى كُراع الغميم، وسار رسولُ الله ﷺ حتى دنا من الحديبية؛ قال الزجاج: وهي بئر، فسَمَّى المكان باسم البئر؛ قالوا: وبينها وبين مكة تسعة أميال، فوقفت يَدَا راحلته، فقال المسلمون: حَلَّ حَلَّ<sup>(٢)</sup> يَزْجرونها، فَأَبَتْ، فقالوا: خَلَّاتِ القُضَاء<sup>(٣)</sup> - والخَلَاءُ في النَّاقَةِ مثل الجِراحِ في الفَرَس - فقال: «مَا خَلَّاتُ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً فِيهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثم جَرَّهَا فقامت، فوَلَّى راجِعاً عَوْدَهُ على بُذَنه حتى نزل على تَمَدٍ من أَثْمَادِ الحديبية قليل الماء<sup>(٤)</sup>، فانتزع سهماً من كنانته فغرزَه فيها، فجاشت لهم بالرَّوَاء<sup>(٥)</sup>، وجاءه بُذَيْلُ بن ورقاء في ركب فسَلَّمُوا وقالوا: جئناكَ من عند قومك وقد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، يُقْسِمُونَ، لَا يَخْلُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبَيْتِ حتى تُبَيِّدَ خَضِرَاءَهُمْ<sup>(٦)</sup>، فقال رسولُ الله ﷺ: «لَمْ نَأْتِ لِقَاتِ أَحَدٍ إِنَّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتِلُنَا»، فَرَجَعَ [بِدَيْلٍ] فَأَخْبَرَ قُرَيْشاً، فبعثوا عروة بن مسعود، فكَلَّمَهُ بنحو ذلك، فأخبر قُرَيْشاً، فقالوا: نَرُدُّهُ مِنْ عَامِنَا هَذَا، وَيَرْجِعُ مِنْ قَابِلٍ فَيَدْخُلَ مَكَةَ وَيَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فأرسل رسولُ الله ﷺ عثمان بن عفان، قال: «اذْهَبْ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَاتِ أَحَدٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا زُؤَاراً لِهَذَا الْبَيْتِ»، معنا الهدى ننحدره وننصرف، فأتاهم فأخبرهم، فقالوا: لَا كَانَ هَذَا أَبَداً، وَلَا يَدْخُلُهَا الْعَامَ، وَيَلْغُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، فقال: «لَا تَنْزَحْ حَتَّى تُنَاجِرْهُمْ»، فذاك حين دعا المسلمين إلى بيعة الرضوان، فبايعهم تحت الشجرة<sup>(٧)</sup>. وفي عددهم يومئذ أربعة أقوال: أحدها: ألف وأربعمائة، قاله البراء، وسلمة بن الأكوع، وجابر، ومعتل بن يسار. والثاني: ألف وخمسمائة، روي عن جابر أيضاً، وبه قال قتادة. والثالث: ألف وخمسمائة وخمس وعشرون، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: ألف وثلاثمائة، قاله عبد الله بن أبي أوفى. قال: وَضَرَبَ يومئذِ رسولُ الله ﷺ بِشِمَالِهِ على يَمِينِهِ لِعُثْمَانَ، وقال: إِنَّهُ ذَهَبَ فِي حَاجَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَجَعَلَتْ الرُّسُلُ تَخْتَلِفُ بَيْنَهُمْ، فَأَجْمَعُوا عَلَى الصُّلْحِ، فَبِعَثُوا سَهِيلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عَدَةَ رَجُلًا، فَصَالَحَهُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي [براء: ٧]، فَأَقَامَ بِالْحَدِيبَةِ بِضْعَةَ عَشْرَ يَوْمًا، ويقال: عشرين ليلة، ثم انصرف، فَلَمَّا كَانَ بِـ «ضُبَّجَانَ»<sup>(٨)</sup> نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ ذُنُوبًا وَأَنَا فَتَاكُمْ﴾، فقال جبريل: يَهَيْئْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَتَاهُ الْمُسْلِمُونَ. والقول الثاني: أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَةَ، رواه مسروق عن عائشة، وبه قال السدي. وقال بعض مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا: إِنَّمَا وُعِدَ بِفَتْحِ مَكَةَ بِهَذِهِ الْآيَةِ. والثالث: أَنَّهُ فَتَحَ خَيْبَرَ، قاله مجاهد، والعوفي وعن أنس بن مالك كالتولين. والرابع: أَنَّهُ الْقَضَاءُ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، قاله مقاتل. وقال غيره: حَكَّمْنَا لَكَ بِإِظْهَارِ دِينِكَ وَالثَّوْبَةِ عَلَى عَدُوِّكَ.

= أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذاك، فلما رجعوا من الحديبية ولم يدخلوها مكة، فقال المنافقون: والله ما حلقنا، ولا قَصَرْنَا، وَلَا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. اهـ.

- (١) قال في «معجم البلدان»: «بلدح»: آخره حاء مهملة والدال قبله: واو قبل مكة من جهة المغرب.
- (٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: حل حل، بفتح المهملة وسكون اللام: كلمة يقال للثقة إذا تركت الشيء. قال الخطابي: إن قلت: «حل» واحدة، فالسكون، وإن أعدتها، نُؤْتَتْ في الأولى، وسُكِّنَتْ في الثانية. قال: حكى غيره السكون فيهما والتنوين، كنظيره في: «بيع بخ» يقال: خَلَّحْتُ فَلَانًا: إِذَا أَرْجَعْتَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ. اهـ.
- (٣) قال الحافظ ابن حجر: القُضَاءُ، بفتح القاف بعدها مهملة ومدّ: اسم ناقة رسول الله ﷺ، وزعم الداودي أنها كانت لا تسبق، فقيل لها: القُضَاءُ، لأنها بلغت من السبق أقصاء.
- (٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: التَّد: حفيرة فيها ماء مشمود، أي قليل، قال: وقوله: قليل الماء، تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول: إن التَّد: الماء الكثير. قال: وقيل: التَّد: ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف.
- (٥) قال في «اللسان»: وماء رَوَاءَ، ممدود مفتوح الراء، أي: غَذَبَ.
- (٦) قال في «اللسان»: وقولهم: أباد الله خضراءهم، أي سوادهم ومُنَظَّمَهُمْ.
- (٧) حديث قصة الحديبية، ذكره أهل السير، وهو في «مسند أحمد» و«صحيح البخاري» وأبي داود، والنسائي، وابن جرير، وغيرهم مختصراً ومطولاً، بالفاظ مختلفة، وانظر «صحيح البخاري» ٥/٢٤١، و٧/٣٤٨، و«البداية والنهاية» لابن كثير ٤/١٧٣، و«الدر المنثور» ٦/٧٦، و«تفسير ابن كثير» ٤/١٩٤.
- (٨) قال في «معجم البلدان»: ضُبَّجَان: جبل بناحية تهامة.



قوله تعالى: ﴿طَلَبْتُمْ دَابِرَهُ السُّوءِ﴾<sup>(١)</sup> قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بضم السين؛ والباقون: بفتحها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الوعد بإدخالهم الجنة وتكفير سيئاتهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿قُرْآنًا عَظِيمًا﴾ لهم؛ والمعنى: أنه حكم لهم بالفوز، فلذلك وعدهم إدخال الجنة.

قوله تعالى: ﴿الطَّائِفَاتِ بِاللَّهِ طَرَجَ السُّوءِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنهم ظنوا أن الله شريكاً. والثاني: أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه. والثالث: أنهم ظنوا به حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو يهزم ولا يعود ظافراً. والرابع: أنهم ظنوا أنهم ورسول الله ﷺ بمنزلة واحدة عند الله. والخامس: ظنوا أن الله لا يبعث الموتى. وقد بينا معنى «دائرة السوء» في [براءة: ٩٨]. وما بعد هذا قد سبق بيانه [الفتح: ٤، الأحزاب: ٤٥] إلى قوله: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَيُؤْمِنُوا» بالياء «وَيُعَزُّرُوهُ وَيُؤْفِرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ» كلهن بالياء؛ والباقون: بالتاء؛ على معنى: قل لهم: إنا أرسلناك، لتؤمنوا. وقرأ علي بن أبي طالب: وابن السميع: «وَيُعَزُّرُوهُ» بزاءين. وقد ذكرنا في [الأعراف: ١٥٧] معنى «وَيُعَزُّرُوهُ» عند قوله: ﴿وَيُعَزُّرُوهُ وَنَصْرُوهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْفِرُوهُ﴾ أي: يعظموه ويبجلوه. واختار كثير من القراء الوقف هاهنا، لاختلاف الكناية فيه وفيما بعده.

قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ هذه الهاء ترجع إلى الله ﷻ<sup>(٢)</sup>. والمراد بتسبيحه هاهنا: الصلاة له. قال المفسرون: والمراد بصلاة البكرة: الفجر، وبصلاة الأصل: باقي الصلوات الخمس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ يَابِعُونَكَ﴾ يعني بيعة الرضوان بالحديبية. وعلى ماذا يابعوه؟ فيه قولان: أحدهما: أنهم يابعوه على الموت، قاله عبادة بن الصامت. والثاني: على أن لا يفروا، قاله جابر بن عبد الله. ومعناها مقارب، لأنه أراد: على أن لا تفروا ولو مثم. وسميت بيعة، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، وكان العقد مع رسول الله ﷺ، فكانهم يابعوا الله ﷻ، لأنه ضمن لهم الجنة بوفائهم. «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» فيه أربعة أقوال: أحدها: يد الله في الوفاء فوق أيديهم. والثاني: يد الله في الثواب فوق أيديهم. والثالث: يد الله عليهم في المنة بالهداية فوق أيديهم بالطاعة، ذكر هذه الأقوال الزجاج. والرابع: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم، ذكره ابن جرير، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿مَنْ نَكَتْ﴾ أي: نقض ما عقده من هذه البيعة ﴿فَلَنَمَّا يَنْكَثَ عَلٰى نَفْسِهِ﴾ أي: يرجع ذلك النقص عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup> من البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبان عن عاصم: «فسنؤتيه» بالنون. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بالياء «لَجَرًا عَظِيمًا» وهو الجنة. قال ابن السائب: فلم ينكث العهد منهم غير رجل واحد يقال له: الجذ بن قيس، وكان منافقاً<sup>(٤)</sup>.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَعْلَوْنَا فَنَشْتَفِقُ لَكَ بِقَوْلِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ مَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ شَيْءٌ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ مَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَقْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ آلِهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ لَكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَتْنَا عَلَيْكَ السُّوءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُرًّا ۝١٢ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣ وَلَقَدْ مَلَكَ السَّمْعَوِيُّ وَالْأَزْدِيُّ بِغَيْرِ لِسَنِ يَكْفَهُ وَمَقْرُبٌ مِّنْ بَيْتَاءَ وَكَانَ اللَّهُ عَزُومًا تَجِيمًا ۝١٤﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ قال ابن إسحاق: لما أراد العمرة استنفر من حول المدينة من أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه، خوفاً من قومه أن يعرضوا له بحرب أو بصد، فتناقل عنه كثير منهم، فهم الذين

(١) هذه الفقرة من الآية الكريمة تنسب لقوله تعالى: ﴿الطَّائِفَاتِ بِاللَّهِ طَرَجَ السُّوءِ﴾ الذي سيأتي بعد قليل، وكان حق المؤلف أن يذكرها في محلها، ولعله ذكرها هنا ليتكلم عن الخلاف في قراءتها فقط، لأنه لم يرد أن يفسرها في محلها حيث قال: وقد بينا معنى «دَابِرَةُ السُّوءِ» في [براءة].

(٢) وذكر ابن جرير عن قتادة أن في بعض القراءات: «وسبِّحوا الله بكرة وأصيلاً».

(٣) قال الألوسي في «روح المعاني»: قرأ الجمهور «عليه» بكسر الهاء كما هو الشائع، وضمها حفص هنا. ثم قال: وحسن الضم في الآية، للتوصل به إلى تخفيف لفظ الجلالة الملائم لتخفيف أمر العهد المشعر به الكلام. اهـ.

(٤) ونقل الزمخشري في «الكشاف» نحوه عن جابر بن عبد الله ﷺ، والذي في «صحيح مسلم» ١٤٨٣٣٣ عن جابر: قبايعناه، غير جدّ بن قيس اختبا تحت بطن بعيره. ولا يبي: يعلى: قبايعناه كلنا إلا الجذ بن قيس، فإنه اختبا تحت بطن بعيره، فهذا ليس فيه أنه بايع ونكث، بل فيه أنه لم يبايع أصلاً.

عن الله بقوله: ﴿سَيُؤَلِّقُ اللَّهُ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، قال أبو صالح [عن ابن عباس]: وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع والدليل وأسلم. قال يونس النحوي: الدليل في عبد القيس ساكن الباء. والدُول من حنيفة ساكن الواو، والدُّلِيل في كنانة رهط أبي الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup>. فأما المخلفون، فإنهم تخلّفوا مخافة القتل. ﴿سَقَلْنَاكُمْ أَمْرًا وَأَقْلَبْنَاكُمْ أَيْ: خَفْنَا عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أَيْ: ادْعُ [الله] أَنْ يُغْفِرَ لَنَا تَخَلُّفَنَا عَنْكَ ﴿يَقُولُونَ يَا أَيُّسَّرَ مَا هَؤُلَاءِ مَا يَدْعُونَ لَهُمْ﴾ أَيْ: مَا يَبَالُونَ اسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ أَمْ لَمْ تُسْتَغْفَرْ لَهُمْ.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ضَرًّا» بضم الضاد؛ والباقون: بالفتح. قال أبو علي: «الضَّرُّ» بالفتح: خلاف النفع، وبالضم: سوء الحال، ويجوز أن يكونا لغتين كالْفَقْرُ والفقر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلّفهم يدفع عنهم الضَّرَّ، ويعجل لهم النفع سلامة أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنه إذا أراد بهم شيئاً، لم يغيّر أحد على دفعه [عنهم]، ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَمَلُّونَ خَبِيرًا﴾ من تخلّفهم وقولهم عن المسلمين أنهم سيهلكون، وذلك قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾ أَيْ: تَوَهَّمْتُمْ ﴿أَنْ لَنْ يَغْلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَهْلِيهِمْ﴾ أَيْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى المدينة، لاستئصال العدو إياهم، ﴿وَرَبُّكَ فَلَيْسَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وذلك من ترين الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ قد ذكرناه في [الفرقان: ١٨].  
﴿سَيُؤَلِّقُ اللَّهُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَكَاثِرِكُمْ إِنْ أَنْطَلَقْتُمْ دُونَكُمْ تَنَائِمًا يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ فَلَئِنْ تَنَبَّأْتُمْ بِكَلِمَتِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِيَوْمِ يَأْتِي السَّحَابَ بِغُلَامٍ يَدْعُو بِاللَّهِ يُرْفَعُ فِي شَبَابٍ وَلَهُ عِلْمٌ كَمَا عَلَّمَ اللَّهُ مُتَكَلِّفِينَ﴾

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿سَيُؤَلِّقُ اللَّهُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلّفوا عن الحديبية ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَكَاثِرِكُمْ﴾ وذلك أنهم لما انصرفوا عن الحديبية بالصلح وعدّهم الله فتح خير، وخصّ بها من شهد الحديبية فانطلقوا إليها، فقال هؤلاء المخلفون: ﴿دُونَكُمْ تَنَائِمًا﴾، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «أَنْ» يبدّلوا كَلِمَ الله بكسر اللام. وفي المعنى قولان: أحدهما: أنه مواعيد الله بغنيمة خير لأهل الحديبية خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أمر الله نبيه أن لا يسير معه منهم أحد، وذلك أن الله وعده وهو بالحديبية أن يفتح عليه خير، ونهاه أن يسير معه أحد من المتخلفين، قاله مقاتل. وعلى القولين: قصدوا أن يجيز لهم رسول الله ﷺ ما يخالف أمر الله، فيكون تبديلاً لأمره.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ فيه قولان. أحدهما: قال: إن غنائم خير لمن شهد الحديبية، وهذا على القول الأول. والثاني: قال: لن تتبعونا، وهذا قول مقاتل. ﴿فَسَيُؤَلِّقُونَ بَلْ تَحْسُدُونَهَا﴾ أَيْ: يمنعكم الحسد من أن تُصيب معكم الغنائم.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ إِنْ يَخِفُّونَ مِنْكُمْ يَفِخُوا مِنْكُمْ إِنْ يَحْسَبُوا الْحَرْبَ خِفَاءً﴾

قوله تعالى: ﴿سِتْرَةٌ إِنْ يَخِفُّونَ مِنْكُمْ يَفِخُوا مِنْكُمْ﴾ المعنى: إن كنتم تريدون الغزو والغنيمة فستدعون إلى جهاد قوم ﴿أُولَئِكَ يَفِخُوا﴾. وفي هؤلاء القوم ستة أقوال: أحدها: أنهم فارس، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وابن أبي ليلى، وابن جريج في آخرين. والثاني: فارس والروم، قاله الحسن، ورواه ابن أبي نجيع عن مجاهد. والثالث: أنهم أهل الأوثان، رواه ليث عن مجاهد. والرابع: أنهم الروم، قاله كعب. والخامس: أنهم هوازن وغطفان، وذلك يوم حنين، قاله سعيد بن جبير، وقتادة. والسادس: بنو حنيفة يوم البمامة، وهم أصحاب مسيلة الكذاب، قاله الزهري، وابن السائب، ومقاتل<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: خلافة أبي بكر في هذه بيعة مؤكدة. وقال رافع بن خديج: كنّا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دُعِيَ أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فلمّا أنعم الله عليهم. وقال بعض أهل

(١) قال أبو العباس المبرد: الدؤلي مضمومة الدال مفتوحة الواو من الدليل بضم الدال وكسر الباء: وهو دابة.

(٢) قال ابن كثير: اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم، الذين هم أولي بأس شديد على أقوال، ثم قال: وعن مجاهد: هم رجال أولو بأس شديد، قال: ولم يعين فرقة، وبه يقول ابن جريج، وهو اختيار ابن جرير. اهـ.



(۸) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ۷/ ۳۴۵ رواه ابن سعد بإسناد صحيح.

قوله تعالى: ﴿قَتَلُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والمعنى: عَلِمَ أَنَّهُمْ مُخْلِصُونَ ﴿فَأَنزَلْنَا السَّيْفَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني الظُّمَانِيَّةَ وَالرُّضَى حَتَّى بَايَعُوا عَلَى أَنْ يَقَاتِلُوا وَلَا يَفِرُوا ﴿وَأَنبَتَهُمْ﴾ أي: عَوَّضَهُمْ عَلَى الرُّضَى بِقَضَائِهِ وَالصَّبْرَ عَلَى أَمْرِهِ ﴿فَتَمَّا قَرِيبًا﴾. وهو خيبر، ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ أي: من خيبر، لأنها كانت ذات عقار وأموال. فأمَّا قوله بعد هذا: ﴿وَعَدَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ فقال المفسرون: هي الفُتُوح التي تُفْتَح على المسلمين إلى يوم القيامة. ﴿فَمَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ فيها قولان: أحدهما: أنها غنيمة خيبر، قاله مجاهد، وقادة، والجمهور. والثاني: أنه الصِّلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِي أَتَابِينَ عَنْكُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود همُّوا أن يغتالوا عيال المسلمين الذين خلفوهم في المدينة، فكفَّهم الله عن ذلك، قاله قتادة. والثاني: أنهم أسد وغطفان جاؤوا لينصروا أهل خيبر، فقذَّبَ الله في قلوبهم الرُّعْبَ، فانصرفوا عنهم، قاله مقاتل. وقال الفراء: كانت أسد وغطفان [مع أهل خيبر، فقصدهم رسول الله ﷺ فصالحوه واخلوا بينه وبين خيبر. وقال غيرهما: بل هُمَّت أسد وغطفان] باغتيال [أهل] المدينة، فكفَّهم الله عن ذلك. والثالث: أنهم أهل مكة كفَّهم الله بالصِّلح، حكاهما الثعلبي وغيره. ففي قوله: «عنكم» قولان: أحدهما: أنه على أصله، قاله الأكثرون. والثاني: عن عيالكم، قاله ابن قتيبة، وهو مقتضى قول قتادة. ﴿وَلَتَكُنَّ مَكَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها الفُتُوح التي فَعَلَهَا بِكُمْ مِنْ كَفَّ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ كَانَتْ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَوَلِّي حِرَاسَتِهِمْ فِي مَشْهَدِهِمْ وَمَعِيهِمْ. والثاني: أنها خيبر كان فتحها علامةً للمؤمنين في تصديق رسول الله ﷺ فيما وعدهم به.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: طريق التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ والتَّفْوِضِ إِلَيْهِ، وهذا على القول الأول. والثاني: يَزِيدُكُمْ هُدًى بِالتَّصَدِيقِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فيما جاء به من وعد الله تعالى بالفتح والغنيمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفَرِّقُوا﴾ المعنى: وعدكم الله مَغَانِمَ أُخْرَى؛ وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها ما فُتِحَ للمسلمين بعد ذلك. روى سماك الحنفي عن ابن عباس ﴿وَلَا تُفَرِّقُوا لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا﴾ قال: ما فتح لكم من هذه الفُتُوح، وبه قال مجاهد. والثاني: أنها خيبر، رواه عطية، والضحاك عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد. والثالث: فارس والروم، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الحسن، وعبد الرحمن بن أبي ليلى. والرابع: مكة، ذكره قتادة، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِلَهُ يَهْدِيكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أحاط بها علماً أنها ستكون من فُتُوحكم. والثاني: حَفِظَهَا لَكُمْ وَمَنْعَهَا مِنْ غَيْرِكُمْ حَتَّى تَفْتَحُوهَا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا لَكُمُ الْيَمَّنَ كَرَّوْا﴾ هذا خطاب لأهل الحديبية، قاله قتادة؛ والذين كفروا مشركو قريش. فعلى هذا يكون المعنى: لو قاتلوكم يومَ الحديبية ﴿لَوَلَوْ أَلْبَسْتُمْ﴾ لما في قلوبهم من الرُّعْبِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَيَكَاةَ﴾ لأن الله قد خذَلَهُمْ. قال الزجاج: المعنى: لو قاتلكم من لم يقاتلك لُصِرَتْ عَلَيْهِ، لأن سُنَّةَ اللَّهِ الثُّبُورَ لأوليائه. ﴿وَسُنَّةَ اللَّهِ﴾ منصوبة على المصدر، لأن قوله: ﴿لَوَلَوْ أَلْبَسْتُمْ﴾ معناه: سَنَّ اللَّهُ ﷻ خِذْلَانَهُمْ سُنَّةً. وقد مرَّ مَثَلٌ هَذَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْكُمُ﴾ [النساء: ٢٤]، وقوله: ﴿سُنَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ روى أنس بن مالك أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غزوة<sup>(٢)</sup> النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سِلْماً<sup>(٣)</sup>، فاستحياهم، وأنزل الله

(١) قال ابن جرير: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد، وهو أن الذي أتاهم الله من سيرهم ذلك مع الفتح القريب: المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، وذلك أن المسلمين لم يغموا بعد الحديبية غنيمة، ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله ﷺ بالحديبية إليها من فتح خيبر وغانماتها. اهـ.

(٢) المؤزَّة: هي الفُتُوح، أي: يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليمكنوا من غدرهم والفتك بهم.

(٣) قال الامام النووي في «شرح مسلم» ١٨٧/١٢: «سِلْماً» ضبطوه بوجهين: أحدهما: سَلْماً، والثاني: سَلْماً، قال الحميدي: ومعناه: الصِّلح. قال القاضي في «المشارق»: هكذا ضبطه الأكثرون، قال فيه وفي الشرح: والرواية الأولى أظهر. والمعنى: أسرهم. والسلم: الأسر. وجزم الخطابي بفتح اللام والسبب، قال: والمراد به: الاستسلام والإذعان، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَوْا إِلَهُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ أي: الانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنتين.

هذه الآية<sup>(١)</sup>. وروى عبد الله بن مغفل قال: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد؟» أو «هل جعل لكم أحد أماناً؟» قالوا: اللهم لا، فخلّى سبيلهم، ونزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فأتوه بائني عشر فارساً من الكفار، فأرسلهم<sup>(٣)</sup>، وقال مقاتل: خرجوا يقاتلون رسول الله ﷺ، فهزمهم النبي ﷺ بالطعن والنبل حتى أدخلهم بيوت مكة. قال المفسرون: ومعنى الآية: إن الله تعالى ذكر وثته إذ حجز بين الفريقين فلم يقتتلا حتى تم الصلح بينهم. وفي بطن مكة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحديبية، قاله أنس. والثاني: وادي مكة، قاله السدي. والثالث: التعيم، حكاه أبو سليمان الدمشقي. فأما «مكة» فقال الزجاج: «مكة» لا تنصرف لأنها مؤنثة، وهي معرفة، ويصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق «بكة»، والميم تبدل من الباء، يُقال: ضربة لازم، ولازب، ويصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم: امتك الفصيل ما في ضرع الناقة: إذا مصّ مصاً شديداً حتى لا يبقى فيه شيئاً، فيكون سمي بذلك لشدة الازدحام فيها؛ قال: والقول الأول أحسن. وقال قطرب: مكة من تَمَكَّتْ المَخْ: إذا أكلته. وقال ابن فارس: تَمَكَّتْ العظم: إذا أخرجت مَخَّه، والتمكك: الاستقصاء؛ وفي الحديث: «لا تَمَكُّوا على غُرمائكم»<sup>(٤)</sup>. وفي تسمية «مكة» أربعة أقوال: أحدها: لأنها مثابة يؤمها الخلق من كل فج، وكأنها هي التي تجذبهم إليها، وذلك من قول العرب: امتك الفصيل ما في ضرع الناقة. والثاني: أنها سُميت (مكة) من قولك: بَكَت الرجل: إذا وضعت منه ورَدَدْتَ نخوته<sup>(٥)</sup>، فكانها تَمَكُّ مَنْ ظلم فيها، أي: تُهلكه وتُقصه، وأنشدوا: يا مَكَّةُ، الفاجر مُكِّي مَكَّا ولا تُمَكِّي مَذْجاً وعَكَّا<sup>(٦)</sup>

والثالث: [أنها] سُميت بذلك لجهد أهلها. والرابع: لقلة الماء بها. وهل مكة وبكة واحد؟ قد ذكرناه في [آل عمران: ٩٦]. قوله تعالى: «مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» أي: بهم؛ يقال: ظَفَرْتُ بفلان، وظَفَرْتُ عليه. قوله تعالى: «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» قرأ أبو عمرو: [يعملون] بالياء؛ والباقون: بالياء. «هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَى مَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ يَحِلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَرَّ تَلْمُؤُهُمْ أَنْ تَطْفُوهُمْ فَتُضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَمَذَّنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٥ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ اللَّيْمَةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ لِلَّهِ سَكِينَةً عَنِ رُسُولِهِ وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلِمَةً أَقْرَبَى وَكُنَّا لَمَعًا بِهَا وَأَهْلُهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝١٦»

قوله تعالى: «هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني أهل مكة «وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أن تطوفوا به وتحلوا من عُمرتكم «وَالْمَدَى» قال الزجاج: أي: وصلوا الهدى «مَكُوفًا» أي: محبوساً «أَنْ يَبْلُغَ يَحِلُّهُ» قال المفسرون: «مَحَلُّهُ» مَنْحَرُهُ، وهو حيث يَجْلُ نَحْرُهُ «وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ» وهم المستضعفون بمكة «لَرَّ تَلْمُؤُهُمْ» أي: لم تعرفوهم «أَنْ تَطْفُوهُمْ» بالقتل. ومعنى الآية: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمنات بالقتل، وثوقوا بهم ولا تعرفونهم، «فَتُضَيِّبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ» وفيها أربعة أقوال: أحدها: إثم، قاله ابن زيد. والثاني: غُرم

- = والجمع، قال ابن الأثير: هذا هو الأشبه بالقصة، فإنهم لم يؤخذوا صلحاً، وإنما أخذوا قهراً، وأسلموا أنفسهم عجزاً، قال: وللقول الآخر وجه، وهو أنه لما لم يجر معهم قتال، بل عجزوا عن دفعهم والنجاة منهم، فرضوا بالأسر، فكانهم قد صلحوا على ذلك. اهـ.
- (١) رواه مسلم ١٤٤٣/٢٦، والطبري ٩٤/٢٦، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٥/٦، وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس بن مالك ﷺ.
- (٢) رواه الطبري ٩٤/٢٦ وإسناده حسن، والحاكم ٤٦٠/٢، وصححه، والواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٨/٦ وزاد نسبه لأحمد، والنسائي، وأبي نعيم في «الدلائل»، وابن مردويه، عن عبد الله بن مغفل ﷺ.
- (٣) «الطبري» ٩٤/٢٦ وهو مرسل، وذكره السيوطي في «الدر» ٧٥/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد عن قتادة.
- (٤) هذا الحديث ذكره ابن الأثير في «النهاية» في غريب الحديث، ولم نره في كتب الحديث.
- (٥) كانت العبارة في الأصل هكذا (تَمَكَّت الرجل: إذا أردت نخوته) وقد صوبناها كما ترى نقلاً عن المصنف كما مر سابقاً عن الزبيدي وقطرب، ومن كتب اللغة.
- (٦) الرجز غير منسوب في «اللسان» و«التاج»: مكك.

الدِّية، قاله ابن إسحاق. والثالث: كفارة قتل الخطأ، قاله ابن السائب. والرابع: عيب يقتل مَنْ هو على دينكم، حكاية جماعة من المفسرين. وفي الآية محذوف، تقديره: لأدخلكم من عامكم هذا؛ وإنما حُلْتُ بينكم وبينهم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمِهِ﴾ أي: في دينه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهل مكة، وهم الذين أسلموا بعد الصلح ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ قال ابن عباس: لو تفرّقوا. وقال ابن قتيبة، والزجاج: لو تميّزوا. قال المفسرون: لو انماز المؤمنون من المشركين ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والسبي بأيديكم. وقال قوم: لو تزيّل المؤمنون من أصلاب الكفار لعذبنا الكفار. وقال بعضهم: قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لكلامين: أحدهما: «لولا رجال»، والثاني: «لو تزيّلوا»، وقوله: ﴿إِذْ جَعَلْنَا﴾ من صلة قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾. والحمية: الأتفة والجبرية. قال المفسرون: وإنما أخذتهم الحمية حين أراد رسول الله ﷺ دخول مكة، فقالوا: يدخلون علينا [وقد قتلوا] أبناءنا وإخواننا فتحدث العرب بذلك! والله لا يكون ذلك، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلم يدخلهم ما دخل أولئك فيخالفوا الله في قتالهم. وقيل: الحمية ما تداخل سهيل بن عمرو من الأتفة أن يكتب في كتاب الصلح ذكر «الرحمن الرحيم» وذكر «رسول الله» ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْقَوْمِ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: «لا إله إلا الله»، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبيرة، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد في آخرين، وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(١)</sup>؛ فعلى هذا يكون معنى: «الزهمهم»: حَكَمَ لهم بها، وهي التي تنفي الشرك. والثاني: «لا إله إلا الله والله أكبر»، قاله ابن عمر. وعن علي بن أبي طالب كالقولين. والثالث: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، قاله عطاء بن أبي رباح. والرابع: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، قاله عطاء الخراساني. والخامس: «بسم الله الرحمن الرحيم» قاله الزهري. فعلى هذا يكون المعنى أنه لما أبى المشركون أن يكتبوا هذا في كتاب الصلح، ألزمه الله المؤمنين ﴿وَكَاذِبًا أَحَقُّ بِهَا﴾ من المشركين ﴿و﴾ كانوا «أهلها» في علم الله تعالى.

﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَائِيَّتَ مِائَتَيْنِ رُؤُوسَكُمْ وَمَقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ قِيلَ مَا لَمْ تَمَلُّوا فَعَمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَمَّا قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَبِالنَّحْيِ لِطَهْرِهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَكِنَّ بِاللَّهِ سُبُطًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ قال المفسرون: سبب نزلها أن رسول الله ﷺ كان أري في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلاً يقول له: ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ ورأى كأنه هو وأصحابه يدخلون مكة وقد حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا إلى الحديبية حسيبوا أنهم يدخلون مكة في عامهم ذلك، فلما رجعوا ولم يدخلوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟! فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>، فدخلوا في العام المقبل. وفي قوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ستة أقوال: أحدها: أن «إن» بمعنى «إذ»، قاله أبو عبيدة، وابن

(١) روى الترمذي في مسنده ١٥٩ قال: حدثنا الحسن بن قزعة البصري، حدثنا سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْقَوْمِ﴾ قال: «لا إله إلا الله» قال الترمذي: هنا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. اهـ. وثوير بن أبي فاختة ضعيف، ورواه الطبري ٢٦/ ١٠٤ بنفس السند، وذكره السيوطي في «الدر» ٨٠/ ٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه، والبيهقي في «الاسماء والصفات»، عن أبي بن كعب مرفوعاً، وذكر السيوطي أيضاً من رواية ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً، ومن رواية ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع مرفوعاً.

(٢) روى سبب النزول هذا البيهقي والخازن هكلاً بغير سند. ورواه الطبري ١٠٧/ ٢٦ من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ إلى آخر الآية، قال: قال لهم النبي ﷺ: «إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسكم ومقصرين»، فلما نزل بالحديبية، ولم يدخل ذلك العام، طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: ﴿لَقَدْ مَدَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿وَتَشَاقُّوهُ﴾ إني لم أره يدخلها هذا العام، وليجن ذلك.

وروى الطبري أيضاً من طريق ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله: ﴿الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ قال: أرى بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نهر بالحديبية: أين رؤيا محمد ﷺ. وذكره السيوطي في «الدر» ٨٠/ ٦ وزاد نسبه للفرجاني، وعبد بن حديد، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل» عن مجاهد.





وعبد الرحمن وسعد وسعيد وأبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سَيَكُونُ﴾ أي: علامتهم ﴿في وجوههم﴾، وهل هذه العلامة في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه قولان: أحدهما: في الدنيا. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السُّمْتُ الحسن، قاله ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة؛ وقال في رواية مجاهد: أما إنه ليس بالذي ترون، ولكنه سيما الإسلام وَسَمْتُهُ وَخُشُوعُهُ، وكذلك قال مجاهد: ليس بِنَدَبٍ التراب في الوجه، ولكنه الخُشُوع والوقار والتواضع. والثاني: أنه نَدَى الظُّهور وترى الأرض، قاله سعيد بن جبير. وقال أبو العالية: لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال الأوزاعي: بلغني أنه ما حَمَلَتْ جباههم من الأرض. والثالث: أنه السُّهُوم<sup>(٢)</sup>، فإذا سهم وجه الرجل من الليل أصبح مُصْفَرًّا. قال الحسن البصري: ﴿سَيَكُونُ﴾ في وجوههم: الصُّفْرَة؛ وقال سعيد بن جبير: أثر السهر؛ وقال شمر بن عطية: وهو تَهَيُّج في الوجه من سهر الليل. والقول الثاني: أنها في الآخرة<sup>(٣)</sup>. ثم فيه قولان: أحدهما: أن مواضع السجود من وجوههم يكون أشدَّ وجوههم بياضاً يوم القيامة، قاله عطية العوفي، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، والزهري. وروى العوفي عن ابن عباس قال: صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة. والثاني: أنهم يُعَيِّنُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أثر الظُّهور<sup>(٤)</sup>، ذكره الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: صِفَتُهُم؛ والمعنى أن صفة محمد ﷺ وأصحابه ﴿فِي الْكَرْبَةِ﴾ هذا. فأما قوله: ﴿وَيَكُونُ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن هذا المَثَل المذكور أنه في التوراة هو مَثَلُهُم في الإنجيل. قال مجاهد: مَثَلُهُم في التوراة والإنجيل واحد. والثاني: أن المتقدم مَثَلُهُم في التوراة فأما مَثَلُهُم في الإنجيل فهو قوله: ﴿كَرَّجَ﴾، وهذا قول الضحَّاك، وابن زيد<sup>(٥)</sup>. والثالث: أن مَثَلُهُم في التوراة والإنجيل كَرَّج، ذكر هذه الأقوال أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ سَطَفًا﴾ وقرأ ابن كثير، وابن عامر: [سَطَفًا] بفتح الطاء والهمزة. وقرأ نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: «سَطَفًا» بسكون الطاء. وكلهم يقرأ بهَمْزة مفتوحة. وقرأ أبي بن كعب، وأبو العالية، وابن أبي عبل: «سَطَفًا» بفتح الطاء [وبالمد] والهمزة وبالف. قال أبو عبيدة: أي: فراخه يقال: أسطا الزُّرْعُ فهو مُسْطَطي؛ إذا أفرخ ﴿قَاتَرَهُ﴾ أي: ساواه، وصار مثل الأم. وقرأ ابن عامر: «فَأَزَرَهُ» مقصورة الهمزة مثل قَعْلَهُ. وقال ابن قتيبة: أزره: أعانه وقواه ﴿فَاسْتَقَلَّتْ﴾ أي: غَلَطَ ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ﴾ وهي جمع «ساق»، وهذا مَثَلٌ ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ إذ خرج وحده، فأَيَّدَه بأصحابه، كما قَوَّى الطَّائِفَة من الزُّرْع بما نبت منها حتى كَثُرَتْ<sup>(٦)</sup> وَغَلَطَتْ واستحكمت. وقرأ ابن كثير: «على سَوْفِهِ» مهموزة؛ والباقيون: بلا همزة. وقال قتادة: في الإنجيل: سَيَخْرُجُ قَوْمٌ يَنْبُتُونَ نَبَاتَ الزُّرْعِ<sup>(٧)</sup>. وفيمن أريد بهذا المَثَل قولان: أحدهما: أن أصل الزُّرْع: عبد المطلب ﴿أَخْرَجَ سَطَفًا﴾: أخرج محمداً ﷺ ﴿قَاتَرَهُ﴾: بأبي بكر ﴿فَاسْتَقَلَّتْ﴾: بعمر ﴿فَاسْتَوَى﴾: بعثمان ﴿عَلَى سَوْفِهِ﴾: علي بن طالب، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أن المراد بالزُّرْع:

(١) اللغة لا تحتمل هذا التأويل، وليس مع الحسن نقل ثبت عن رسول الله ﷺ. ومبارك بن فضالة الراوي عن الحسن موصوف بالتدليس.

(٢) قال في «اللسان»: الشَّامُ والشَّامُ: الصُّمْر وتغير اللون وقُبُولُ الشَّقَاتَيْنِ. سَهَمٌ: بالفتح، يَنْهَمُ شُهَامًا وشُهَامًا، وسَهَمٌ أيضاً، بالضم، يَنْهَمُ شُهَامًا فيهما، وشُهْمٌ يَنْهَمُ، فهو مَسْهُومٌ: إذا ضَمُرَ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذي وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، قال: ولم يخص ذلك على وقت دون وقت، قال: وإذا كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهداه ورحمته وسَمْتُهُ وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغُرَّة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود. اهـ.

(٤) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلِينَ من أثر الوضوء» واللفظ لـمسلم.

(٥) وهو الذي اختار ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما. (٦) كذا الأصل، وفي «غريب القرآن»: حتى كَثُرَتْ.

(٧) قال ابن كثير: أي: فكل ذلك أصحاب رسول الله ﷺ آزره وأَيَّدوه ونصروه، فهم معه كالشَّطَط مع الزرع.

(٨) هنا تأويل بعيد، وليس تفسيراً لظاهر لفظ القرآن، وقد ذكر مثل هذا المعنى السيوطي في «الدرر» ٨٣/٦ من رواية ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عباس، والله أعلم بصحته، وكذلك الخبر الذي بعد هذا من رواية الضحَّاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن، والأولى في ذلك أن يكون هذا مثلاً لأصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل على العموم، ولا شك أن هؤلاء أفضل من غيرهم، فهم داخلون بطريق الأولى.

محمد<sup>(١)</sup> ﷺ ﴿أَفَرَجَ شَفَعَهُ﴾: أبو بكر ﴿فَأَزَدَهُ﴾: بعمر ﴿فَأَسْتَفْلَظَ﴾: بعثمان ﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوءِهِ﴾: بعلي. ﴿يُسَبِّحُ الرَّزْمُ﴾: يعني المؤمنين ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ وهو قول عمر لأهل مكة: لا يُعْبَدُ الله سِوَاَ بعد اليوم، رواه الضحاك عن ابن عباس، ومبارك عن الحسن.

قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ أي: إِنَّمَا كَثَرَهُمْ وَقَوَّاهُمْ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ. وقال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية. وقال ابن إدريس: لا أَمَنْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ ضَارَعُوا الْكُفَّارَ، يعني الرافضة، لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ تَغْفِرَ وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال الزجاج: في «مِنْ» قولان: أحدهما: أن يكون تخليصاً للجنس من غيره، كقوله: ﴿فَأَجْكِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، ومثله أن تقول: أَنْفَقَ مِنَ الدَّرَاهِمِ، أي: اجعل نفقتك من هذا الجنس. قال ابن الأنباري: معنى الآية: وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، أي: من جنس الصحابة. والثاني: أن يكون [هذا] الوَعْدُ لِمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: «محمد».

(٢) ولا يجوز لمسلم أن يظن في الصحابة رضوان الله عليهم، أو يتعرض لهم بسوء، أو يضمر في قلبه بغضاً لأحد منهم، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحداكم اتفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وروى مسلم عن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أصحابي أمّة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتاهم ما يوعدون»، أي من الفتن.

(٣) قال ابن كثير في تمة الآية: ﴿تَغْفِرُ﴾ أي لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي ثواباً جزيلاً، ورزقاً كريماً، قال: ووعد الله حقاً وصدق، لا يخلف ولا يبذل، وكل من اقتنى أثر الصحابة ﷺ، فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ﷺ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس ماوَاهم، وقد فعل. اهـ.

## سورة الحجرات

### وهي مدنيّة بإجماعهم

روى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله أعطاني السبع الطول»<sup>(١)</sup> مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني مكان الزبور المثاني، وفضلتي ربّي بالمفضل»<sup>(٢)</sup>. أما السبع الطول فقد ذكرناها [«عند قوله»]<sup>(٣)</sup>؛ «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّنْزِيلِ» [الحجر: ٨٧]. وأما المئون، فقال ابن قتيبة: هي ما ولي الطول، وإنما سميت بالمئين، لأن كل سورة تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثاني: ما ولي المئين من السور التي دون المائة، كأن المئين مَبَادٍ، وهذه مَثَانٍ، وأما الْمُفْضَلُ، فهو ما يلي المثاني من قصار السور، وإنما سميت مُفْضَلًا لِقَصَرِهَا وكثرة الفُضُول فيها بسطر: بسم الله الرحمن الرحيم. وقد ذكر الماوردي في أول «تفسيره» في المُفْضَل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه من أول سورة (محمد) إلى آخر القرآن، قاله الأكثرون. والثاني: من سورة (قاف) إلى آخره، حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة. والثالث: من (الضحى) إلى آخره، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّزِ أَنْزِلَهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ

- (١) السبع الطول، بضم الطاء وفتح الواو، جمع «الطولى» مثل «الكبرى» و«الجبرى». قال ابن جرير الطبري: والسبع الطول: «البقرة»، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس؛ في قول سعيد بن جبير، قال: وإنما سميت هذه السور: السبع الطول، لطولها على سائر سور القرآن. اهـ. وقال ابن كثير: قال سعيد ابن جبير: بين فيهن الفرائض والحدود والقصص والأحكام، وقال ابن عباس بين الأشكال والخبر والبيبر. اهـ.
- (٢) أخرجه البخاري في «التفسير» بإسناد الثعلبي عن ثوبان رضي الله عنه، وفيه ضعف، ورواه أحمد في «المسند» ١٠٧/٤، و«الطبري» ١٠٠/١ عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن طريق أبي داود الطيالسي عن أبي العوام عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة، وإسناده صحيح. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٥٨ من حديث واثلة، وقال: رواه أحمد، والطبراني بنحوه.
- (٣) زيادة ليست في الأصل.

- (٤) قال ابن كثير في أول سورة (ق) هذه السورة هي أول الحزب المفصل، وقيل: من (الحجرات)، قال: وأما ما يقول العوام: إنه من (عم) فلا أصل له، ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم فيما نعلم، قال: والدليل على أن هذه السورة (يعني سورة (ق)) هي أول المفصل، ما رواه أبو داود في «سننه»: «باب تحزيب القرآن» ثم قال: حدثنا مسدد، أخبرنا قُرْآن (الأصل: قرأب وهو خطأ) ابن تمام - ح - وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، ثنا سليمان بن حبان، وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى، عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده، قال عبد الله بن سعيد: حدثني أوس بن حذيفة، ثم اتفقا، قال: قدما على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فتزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في ثبّة له، قال مسدد: وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا، قال أبو سعيد: قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام، فأكثر ما يحدثنا ﷺ ما لقي من قومه قريش، ثم يقول ﷺ: «لا سواء (في ابن كثير: لا أسماء) وفي «تهذيب السنن» لا أنسى» وكلاهما خطأ) وكنا مستضعفين مستقلين، قال مسدد: بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجلاً بيننا وبينهم، نُدال عليهم، ويُدالون علينا، فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة، قال ﷺ: «إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكروه أن أجيء حتى أتمه» قال أوس (يعني ابن حنيفة) سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده. قال ابن كثير: رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به. قال: ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن - هو ابن يعلى الطائفي - به، ثم قال ابن كثير: إذا علم هذا، فإنا عدت ثمانياً وأربعين سورة، فالتى بعدهن سورة (ق) بيانه: «ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء، و«خمس»: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، و«سبع»: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل. و«تسع»: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والتور، والفرقان. و«إحدى عشرة»: الشعراء، النمل، القصص، والمنكوت، والبروم، ولقمان، وآل عمران، والأحزاب، وسبا، وفاطر، ويس. وثلاث عشرة: الصافات، وهن، والزمر، وخافز، وحم السجدة، وحم عسق، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات. ثم بعد ذلك الحزب المفصل، كما قاله الصحابة رضي الله عنهم، قال: فتمين أن أوله سورة (ق) وهو الذي قلنا، وله الحمد والمنة. اهـ.



صَوَّبَ النَّبِيُّ وَلَا يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ سَمْعِكُمْ يَتَعَنَّ أَنْ تَحِطَّ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَفْعُشُونَ أَمْوَالَهُمْ هِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ لِلْعَقَبَةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال: أحدها: أن رجلاً من بني تميم قَدِمُوا على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أَمَرُ القَعْقَاعِ بْنِ مَعْبُدٍ، وقال عمر: أَمَرُ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، فقال أبو بكر: ما أردتُ إلا خِلَافِي، وقال عمر: ما أردتُ خِلَافَكَ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾، فما كان عمر يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ [بعد هذه الآية] حتى يستفهمه، رَوَاهُ عبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup>. والثاني: أن قوماً ذَبَحُوا قبل أن يُصَلِّيَ رسولُ الله ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، فَأَمَرَهُمْ رسولُ الله ﷺ أَنْ يُعِيدُوا الذَّبْحَ، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنها نزلت في قوم كانوا يقولون: لو أنزلَ اللهُ فِي كَذَا وَكَذَا فَكَّرَهُ اللهُ ذَلِكَ، وَقَدَّمَ فِيهِ، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. والرابع: [أنها] نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسولَ الله ﷺ، قاله ابن السائب<sup>(٤)</sup>. وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة<sup>(٥)</sup>. وروى العوفي عنه قال: نُهِيَ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ كَلَامِهِ<sup>(٦)</sup>. وروى عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية قالت: لا تصوموا قبل أن يصومَ نبيكم<sup>(٧)</sup>. ومعنى الآية على جميع الأقوال: لا تعجلوا بقول أو فعل قبل أن يقولَ رسولُ الله ﷺ أو يفعل. قال ابن قتيبة: يقال فلانٌ يقدِّم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه، أي: يُعَجِّلُ بالأمر والنهي دونه. فأما «تقدَّموا» فقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو رزين، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والضحاك وابن سيرين، وقتادة، وابن يعمر، ويعقوب: بفتح التاء والدال؛ وقرأ الباقر: بضم التاء وكسر الدال. قال الفراء: كلاهما صواب، يقال: قَدَّمْتُ، وَتَقَدَّمْتُ؛ وقال الزجاج: كلاهما واحد؛ فأما «بين يدي الله ورسوله» فهو عبارة عن الأمام، لأن ما بين يدي الإنسان أمامه؛ فالمعنى: لا تقدَّموا قَدَّامَ الأمير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن أبا بكر وعمر رفعَا أصواتهما فيما ذكرناه آنفاً في حديث ابن الزبير، وهذا قول ابن أبي مليكة<sup>(٨)</sup>. والثاني: [أنها] نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان

(١) رَوَاهُ البخاري في «صحيحه» ٤٥٤/٨ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، باب: «إِنَّ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ مِنْ رِوَايَةِ الْمُحَرَّرِينَ أَحَدَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ» ما دون قوله: «فما كان عمر يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ حتى يستفهمه» فإنه ذكره في الباب الذي قبله من سورة الحجرات ٤٥٢/٨ باب: «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ قَرْنَ صَوْتِ النَّبِيِّ...» الآية من حديث ابن أبي مليكة، ثم قال: قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، يريد بذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ قَرْنَ صَوْتِ النَّبِيِّ...» الآية. والحديث ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢١٨ بسنده، دون قول ابن الزبير: «فما كان عمر يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ حتى يستفهمه» وأورده السيوطي في «الدرة» ٨٣/٦ بنحوه من رواية البخاري، وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٢) ذكره الطبري عن الحسن بن سعيد بن سند ١١٧/٢٦، وأورده السيوطي في «الدرة» ٨٤/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٣) رَوَاهُ الطبري ١١٧/٢٦ عن قتادة، وذكره السيوطي في «الدرة» ٨٤/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) ذكره الألويسي بمعناه بغير سند ولم يعزه لأحد.

(٥) رَوَاهُ الطبري ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرة» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الحلية» عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٦) «الطبري» ١١٦/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرة» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٧) ذكره السيوطي في «الدرة» ٨٤/٦ من رواية الطبراني في «الأوسط» وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

(٨) رَوَاهُ البخاري في «صحيحه» ٤٥٢/٨ باب: «لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ قَرْنَ صَوْتِ النَّبِيِّ...» الآية، من حديث نافع عن ابن أبي مليكة قال: كاذب الخيثران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعَا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأفزع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر ببرجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتُ إلا خِلَافِي، قال: ما أردتُ خِلَافَكَ، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...» الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسْمِعُ رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر. اهـ. وفي رواية الترمذي: وما ذكر ابن الزبير جده، وفي رواية الطبري: وما ذكر ابن الزبير جده، يعني أبا بكر. اهـ. والحديث أورده السيوطي في «الدرة» ٨٤/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، والطبراني عن ابن أبي مليكة.

جَهْوَريَّ الصَّوْت، فربما كان إذا تكلم تأذى رسول الله ﷺ بصوته، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الجهر بالصَّوْت في المخاطبة، قاله الأكثرون. والثاني: لا تَدْعُو باسمه: يا محمد، كما يدعو بعضكم بعضاً، ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله، وهو معنى قول سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ قال ابن قتيبة: لئلا تَحْبَطَ. وقال الأخفش: مَخَافَةٌ أَنْ تَحْبَطَ. قال أبو سليمان الدمشقي: وقد قيل معنى الإحباط هاهنا: نقص المَنْزِلَة، لا إسقاط العمل من أصله كما يسقط بالكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُفَعِّقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿لَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ تألى أبو بكر أن لا يكلم رسول الله ﷺ إلا كآخي السَّرار، فأنزل الله في أبي بكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُفَعِّقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾، والغَضُّ: النَّقْصُ<sup>(٢)</sup> كما بينا عند قوله: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُوا﴾ [النور: ٣٠]. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ﴾ قال ابن عباس: أخلصها ﴿لِلنَّعْوَى﴾ من المعصية. وقال الزجاج: اختبر قلوبهم فوجدهم مُخلصين، كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب والفضة، أي: اختبرتهما بأن أذبتهما حتى خُلصا، فعلمت حقيقة كل واحد منهما. وقال ابن جرير: اختبرها بامتحانها إيَّاهَا، فاصطفاها وأخلصها لِلنَّعْوَى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادَوْنَكَ مِنَ قَوْمِكَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَقُولُكَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادَوْنَكَ مِنَ قَوْمِكَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَقُولُكَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن بني تميم جازوا إلى رسول الله ﷺ فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا، فَإِنْ مَدَّخْنَا زَيْنَ وَإِنْ دَخَّنَا شَيْنَ، فخرج وهو يقول: «إنما ذلكم الله»، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاحرك، فقال: «ما بالشعر بُعِثْتُ ولا بالفحار أُمِرْتُ، ولكن هاتوا»، فقال الزبيرقان بن بدر لشاب منهم: قُمْ فاذْكُرْ قُضْلَكَ وَفَضْلَ قَوْمِكَ، فقام فذكر ذلك، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس، فأجابه: وقام شاعرهم، فأجابه حسان، فقال الأقرع بن حابس: والله ما أدري ما هذا الأمر؟! تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر، ثم دنا فأسلم، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وارتفعت الأصوات وكثر اللَّغَط عند رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله في آخرين<sup>(٣)</sup>. وقال ابن إسحاق: نزلت في جُفَاء بني تميم، وكان فيهم الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبيرقان بن بدر، [وقيس بن عاصم المنقرقي]، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام، وهما نهشلان، والقعقاع بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع<sup>(٤)</sup>. والثاني: أن رسول الله ﷺ بعث سرَّيَّه إلى بني النضير، وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما عَلِمُوا بِذَلِكَ هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالهم يُقَدِّمُونَ الدُّراري، فَقَدِمُوا وقت الظهيرة

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢١٨ بِغَيْرِ سَنَدٍ، وَلَمْ يَرْوَهُ لِأَحَدٍ. وَحَدَّثَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بِنِ شِمَاسٍ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ٤٥٤/٨ مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَنَاءَ فُوجِدَ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مَتَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلَ النَّبِيَّ ﷺ فَاجْتَبَاهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى (يَعْنِي ابْنَ أَنَسٍ) فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبَشَارَةِ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: «أَذْهَبَ إِلَيْهِ قَتْلٌ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبَنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٨٤/٦ وَزَادَ نَسْبَهُ لِأَحْمَدَ، وَأَبَى يَمْلِي فِي مَجْمَعِ الصَّحَابَةِ، وَابْنِ الْمَنَظَرِ، وَالطَّبْرَانِيِّ، وَابْنِ مَرْدَوَيْهِ، وَابْنِ أَبِي حَتْمٍ فِي «الدَّلَالِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢١٩ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِغَيْرِ سَنَدٍ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَفْخِيرِ الْكُشَافَةِ»: وَأَخْرَجَهُ الْبَزَارُ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ قَرَىٰ صَوْتِ الْكُفْرِ﴾ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْتَ أَلَّا أَكْلِمَكَ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، قَالَ: وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْمَدْخَلِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ يُفَعِّقُونَ...﴾ آيَةً، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَكْلِمُكَ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ ﷻ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٣) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢٢٠ مَطْوُلاً، مِنْ رِوَايَةِ مَعْلَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَكَمِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَفِي سَنَدِهِ مَعْلَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَاسِطِيُّ، ضَعْفُ الدَّارِقُطِيِّ وَغَيْرِهِ، وَقَالَ ابْنُ عَدِي: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٢١٩ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بِغَيْرِ سَنَدٍ.

ورسول الله ﷺ قائل، فجعلوا ينادون يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.  
والثالث: أن ناساً من العرب قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبياً نكن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جناحه، فجاؤوا، فجعلوا ينادون يا محمد، يا محمد، فنزلت هذه الآية، [قاله زيد بن أرقم]<sup>(٢)</sup>.  
فأما «الحجرات» فقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن السلمي، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، [وأبو جعفر، وشيبة]: بفتح الجيم؛ وأسكنها أبو رزين، وسعيد بن المسيب، وابن أبي عبله؛ وضمها الباقون. قال الفراء: وجه الكلام أن تُضمّ الحاء والجيم، وبعض العرب يقول: الحُجرات والرُّكبات، وربما خففوا فقالوا: «الحُجرات»، والتخفيف في تميم، والتثقيب في أهل الحجاز. وقال ابن قتيبة: واحد الحُجرات حُجرة، مثل ظُلْمة وظُلُمات. قال المفسرون: وإنما نادوا من وراء الحُجرات، لأنهم لم يعلموا في أي الحُجَر رسول الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: لكان الصبر خيراً لهم. وفي وجه كونه خيراً لهم قولان: أحدهما: لكان خيراً لهم فيما قَدِموا له من فداء ذراريهم، فلو صَبَرُوا خَلَّى سَبِيلَهُمْ بِغَيْرِ فِدَاءٍ، قاله مقاتل. والثاني: لكان أحسنَ لآدابهم في طاعة الله ورسوله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَظُّورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب منهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَتَصِفُوهُمْ عَلَى مَا مُلِّمْتُمْ تَدْرِيْنَ ۚ﴾ وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنُرْسِلْكُمْ وَاللَّهُ حَبِّبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَقْنَا فِي قُلُوبِكُمْ ذِكْرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْوَعْصِيَانِ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ ﴿٦﴾ فَضَلَّكَ يَنَ اللَّهُ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ نزلت في الوليد بن عتبة، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق لِيُثْبِتَ صدقاتهم، وقد كانت بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فسار بعض الطريق، ثم خاف فرجع فقال: إنهم قد منعوا الصدقة وأرادوا قتلي، فصرف رسول الله ﷺ البعث إليهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. وقد ذكرتُ القصة في كتاب «المُغني» وفي «الحدث» مستوفاة، وذكرْتُ معنى «تَبَيَّنُوا» في سورة [النساء: ٩٤]، والثَّابِّي: الخبر، و«أَنْ» بمعنى «ثلاثاً»، والجهالة هاهنا: أن يجهل حال القوم، «فَتَصِفُوهُمْ عَلَى مَا مُلِّمْتُمْ» من إصابتهم بالخطأ «تَدْرِيْنَ». ثم خوفهم فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: إن كَذَّبْتُمُوهُ أخبره الله فافتضحتم، ثم قال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: متى تخبرونه فيه بالباطل «لَنُرْسِلْكُمْ» أي: لَنَوْفِقْكُمْ فِي عَقَبٍ. قال ابن قتيبة: وهو الضَّرُّ والفساد. وقال غيره: هو الإثم والهلاك، وذلك أن المسلمين لما سَمِعُوا أن أولئك القوم قد كَفَرُوا قالوا: ابْعَثْ إليهم يا رسول الله واغْزِهِمْ واقتُلْهُمْ؛ ثم خاطب المؤمنين فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ إلى قوله: «وَالْوَعْصِيَانِ»، ثم عاد إلى الخبر عنهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ أي: المهتدون إلى محاسن الأمور، «فَضَلَّكَ يَنَ اللَّهُ» قال الزجاج: المعنى: ففعل بكم ذلك فضلاً أي: للفضل والنعمة.

﴿وَلَنَ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَسْلِمُوا بِهِمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَتَبَيَّنُوا أَلِيَّ تَبَيَّ حَتَّىٰ يَرَىٰ مِنَّا أَنَّهُ بِأَن قَاتَلَتْ فَأَسْلَمُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَمُوا أَن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِمِينَ ۚ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَسْلِمُوا بَيْنَهُمَا لِحَرِّكَ وَتَقَرَّوْا اللَّهُ لَمَلَكُ رَّحْمُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنَ طَائِفَتَانِ...﴾. الآية، في سبب نزولها قولان: أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه ابن مردويه من رواية إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناده تالف.

(٢) رواه الطبري ١٢١/٢٦، وذكره السيوطي في «الدرر» ٨٦/٦ وزاد نسبه لابن راهويه، ومسدد، وأبي يعلى، والطبراني، وابن أبي حاتم عن زيد بن أرقم.

(٣) ذكره الراحي في «أسباب النزول» ٢٢٢ بغير سند، ورواه الطبري من حديث أم سلمة، وفي سننه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، ورواه أحمد في «المستد» من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه ابن إسحاق، والطبراني من حديث أم سلمة، وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف. قال: ونحوه رواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي. وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر. قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، قال: ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في «مستد» من رواية ملك بن المصطلق وهو الحارث بن ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين، ثم قال: وكذا ذكر غير واحد من السلف، منهم ابن أبي ليلى، ويزيد بن رومان، والضحاك، ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عتبة، والله أعلم.



«الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: قيل لرسول الله ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فركب حماراً وانطلق معه المسلمون يمشون، فلما أتاه النبي ﷺ، قال: إليك عني، فوالله لقد آذاني نكث حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيّب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجلاً من قومه، وغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضربٌ بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنه أنزلت فيهم ﴿وَكَانَ طَائِفَتَانِ﴾ الآية<sup>(١)</sup>. وقد أخرجنا جميعاً من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ خرج يعود سعد بن عباد، فمرّ بمجلس فيهم عبد الله بن أبي، وعبد الله بن رواحة، فحضر ابن أبي وجهه بردائه، وقال: لا تغبروا علينا، فذكر الحديث، وأن المسلمين والمشركين واليهود استبوا<sup>(٢)</sup>. وقد ذكرت الحديث بطوله في «المغني» و«الحدائق». وقال مقاتل: وقف رسول الله ﷺ على الأنصار وهو على حمار له، فبال الحمار، فقال عبد الله بن أبي: أف، وأمسك على أنفه، فقال عبد الله بن رواحة: والله لهُوَ أطيّب ريحاً منك، فكان بين قوم ابن أبي وابن رواحة ضرب بالنعال والأيدي والسَّعَف، ونزلت هذه الآية. والقول الثاني: أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مُماراة في حقّ بينهما، فقال أحدهما: لآخذنَّ حقِّي قنوة، وذلك لكثرة عشيرته، ودعاه الآخر ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ، فلم يزل الأمر بينهما حتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: المراد بالطائفتين: الأوس والخزرج؛ اقتتلوا بالعصي بينهم. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «اقتلا» على فعل اثنين مذكرين. وقرأ أبو المتوكل الناجي، وأبو الجون، وابن أبي عتبة: «اقتلتنا» بناءً وألف بعد اللام على فعل اثنين مؤنثتين. وقال الحسن وقاتدة والسدي «فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا» بالدعاء إلى حكم كتاب الله ﷻ والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فَإِنْ بَقِيَ إِحْدَاهُمَا﴾ طلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح، ﴿فَقَتِلُوا آلَ تَيْيٍ حَقَّ قَتْلِهِمْ﴾ أي: تَزَجَّ ﴿مَلِكٌ أَمْرَ اللَّهِ﴾ أي: إلى طاعته في الصلح الذي أمر به.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلُوا﴾ أي: اعدلوا في الإصلاح بينهما<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال الزجاج: إذا كانوا متفقين في دينهم رجّعوا باتفاقهم إلى أصل النسب، لأنهم لأدم وجواء، فإذا اختلفت أديانهم افرقوا في النسب<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْيَرَكُمَا﴾ قرأ الأكثرون: [بين أخويكم] بياء على التثنية، وقرأ أبي بن كعب، ومعاوية، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، [وقتادة]، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عتبة، ويعقوب: [بين إخوانكم] بناءً مع كسر الهمزة على الجمع. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، والشعبي، وابن سيرين: [بين إخوانكم] بالنون وألف قبلها. قال قتادة: ويعني بذلك الأوس والخزرج.

﴿يَتَّخِذُ الْآلِينَ مَثَلًا لَا يَخْشَى قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَصَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسَاءُ عَصَى أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَنِاتِ إِشْرَ الْأَنفُسِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَمِنْ الظَّالِمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَخْشَى قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ هذه الآية نزلت على ثلاثة أسباب؛ فاما أولها إلى قوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾

(١) رواه البخاري ٢١٨/٥، ومسلم ١٤٢٤/٣، وذكره السيوطي في «الدرة» ٩٠/٦، والحديث رواه أيضاً أحمد في «المسند» وابن جرير الطبري في «التفسير»، وذكره السيوطي في «الدرة» ٩٠/٦، وزاد نسخة لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) رواه البخاري ١٧٣/٨، ومسلم ١٤٢٤/٣.

(٣) ذكره السيوطي في «الدرة» ٩٠/٦ من رواية عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة قال: ذكر لنا هذه الآية نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مباراة... الخ.

(٤) ونسمة الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: إن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقيسط اهـ. وهو العدل، وروى مسلم في «صحيحه» ١٤٥٨/٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكُلْنَا يَدِيهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَّوْا».

(٥) قال ابن كثير، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي: جميع إخوة في الدين، كما قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» وفي «الصحيح»: «والله في عون العبد ما كان في عون أخيه» وفي «الصحيح» أيضاً: «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله» والأحاديث في هذا كثيرة. قال: وفي «الصحيح»: «مثل المؤمنين في توادهم وتواضعهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحسنى والنهرا». وفي «الصحيح» أيضاً: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه ﷺ. اهـ.



فنزلت على سبب، وفيه قولان: أحدهما: أن ثابت بن قيس بن شماس جاء يوماً يريد الدُّنُو من رسول الله ﷺ، وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبت مجلساً، فجلس مُخَضَّباً، ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان. فقال ثابت: أنت ابن فلانة!! فذكر أمّا له كان يعبر بها في الجاهلية، فأغضى الرجل ونكس رأسه، ونزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْعَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمَّ أَنْ يُكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أن وفد تميم استهزؤوا بقراء أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا من رثالة حالهم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك ومقاتل<sup>(٢)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ نِسَاءٍ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن نساء رسول الله ﷺ عيّن أم سلمة بالْقَصْر، فنزلت هذه [الآية]، قاله أنس بن مالك<sup>(٣)</sup>. وزعم مقاتل أن عائشة استهزأت من قَصْر أم سلمة. والثاني: أن امرأتين من أزواج رسول الله ﷺ سخرتا من أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، وكانت أم سلمة قد خرجت ذات يوم وقد ربطت أحد طرفي جلبابها على حَقْوِها، وأرخت الطرف الآخر خلفها، ولا تعلم، فقالت إحداهما للآخرى: انظري، ما خلّفت أم سلمة كأنه لسان كلب، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن صفية بنت حيّ بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن النساء يعيّرُنني ويقولن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله ﷺ: «هَلَّا قُلْتِ: إن أبي هارون، وإن عمّي موسى، وإن زوجي محمد» فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ فنزلت على سبب، وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة ولهم ألقاب يُدْعَوْنَ بها، فجعل الرجل يدعو الرجل بلقبه، فقليل له: يا رسول الله: إنهم يكرهون هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله أبو جيرة بن الضحاك<sup>(٦)</sup>. والثاني: أن أبا ذر كان بينه وبين رجل منازعة، فقال له الرجل: يا ابن اليهودية، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله الحسن. والثالث: أن كعب بن مالك الأنصاري كان بينه وبين عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي كلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي، فنزلت فيهما ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، قاله مقاتل. وأما التفسير، فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْعَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: لا يستهزئ غنيّ بفقر، ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يُسْتَر عليه، ولا ذو حَسَبٍ بثلثم الحَسَب، وأشابه ذلك ممّا ينتقصه به، عسى أن يكون عند الله خيراً [منه]. وقد بيّنا في [البقرة: ٥٤] أن القوم اسم الرجال دون النساء، ولذلك قال: ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ نِسَاءٍ﴾ و«تَلْمِزُوا» بمعنى تَعْيَبُوا، وقد سبق بيانه [التوبة: ٥٨]. والمراد بالأنفُس هاهنا: الإخوان. والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم. والتنابر: التفاعل من التَبَر، وهو مصدر، والتَبَر الاسم. والألقاب جمع لقب، وهو اسم يُدعى به الإنسان سوى الاسم الذي سُمّي به. قال ابن قتيبة: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا تتداعوا بها. و«الألقاب» و«الأنبا» واحد، ومنه الحديث: «تَبَرُّهُمُ الرَّافِضَةُ» أي: لِقَبْهِمْ<sup>(٧)</sup>. وللمفسرين في المراد بهذه الألقاب أربعة أقوال: أحدها: تعبير التائب بسببئات قد كان عملها، رواه عطية العوفي عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنه تسميته بعد إسلامه بدينه قبل الإسلام، كقوله

- (١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ بغير سند ولم يعزه لأحد. وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بدون سند. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند.
- (٢) ذكر البغوي والخازن عن الضحاك بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٩١/٦ من رواية ابن أبي حاتم عن مقاتل.
- (٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» عن أنس بن مالك بغير سند، وكذلك البغوي والخازن.
- (٤) ذكره الألويسي بغير سند ولم يعزه لأحد.
- (٥) ذكره البغوي والخازن في «التفسير»، والواحدي في «أسباب النزول» عن عكرمة عن ابن عباس بلا سند.
- (٦) رواه الترمذي ١٥٩/٢ وقال: حديث حسن، ورواه الطبري ١٣٢/١٦، والواحدي في «أسباب النزول»، وأورده السيوطي في «الدر» ٩١/٦ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري في «الآداب المفردة»، والنسائي، وابن ماجه، وأبي يعلى، وابن المنذر، والبغوي في «معجمه»، وابن حبان، والثيراني في «الألقاب»، والطبراني، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي جيرة بن الضحاك.
- (٧) قال ابن قتيبة في «غريب القرآن»: ومت قيل في الحديث: «قوم تَبَرُّهُمُ الرَّافِضَةُ» أي لِقَبْهِمْ، قال الفقيه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي في مقلمة كتابه «الصواعق المحرقة» في الرد على أهل البدع والزندقة. أخرج الدارقطني عن علي عن النبي ﷺ: «سَيَأْتِي من يعدي قوم لهم نيز يقال لهم: الرافضة». الحديث، ولم نعر عليه، والله أعلم بصحته.
- (٨) «الطبري» ١٣٣/٢٦.



قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِمَقَرِّ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ قال المفسرون: هو ما تكلم به مما ظنّه من السوء بأخيه المسلم، فإن لم يتكلّم به فلا بأس، وذهب بعضهم إلى أنه يائم بنفس ذلك الظن وإن لم ينطق به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقرأ أبو رزين، والحسن، والضحاك، وابن سيرين، وأبو رجاء، وابن يعمر: بالحاء. قال أبو عبيدة: التجسس والتجسس واحد، وهو التَّبَحُّثُ، ومنه الجاسوس. وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال: التجسس، بالجيم: البحث عن غورات الناس، وبالحاء: الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وغوراتهم؛ فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عتبة تقطر لحيته خمرًا، فقال: إنا نُهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيء نأخذ به.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَبِهُنَّ عَنْكُم مِّنْ بَعْضِكُمْ بِظَهَرِ الْغَيْبِ بِمَا يَسُوهُ﴾. وقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ سئل ما الغيبة؟ قال: «ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قال: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ. قال: «إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَيْبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ»<sup>(١)</sup>. ثم ضَرَبَ اللَّهُ لِلْغَيْبَةِ مَثَلًا، فَقَالَ: «أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» وقرأ نافع «مَيْتًا» بالتشديد. قال الزجاج: وبيانه أن ذَكَرَكَ بِسُوءٍ مِنْ لَمْ يَحْضُرْ، بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ لَحْمِهِ وَهُوَ مَيْتٌ لَا يُجَسَّسُ بِذَلِكَ. قال القاضي أبو يعلى: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم المسلم محظور، ولأن النفوس تعافه من طريق الطَّعْنِ، فينبغي أن تكون الغيبة بمَنْزِلَتِهِ فِي الْكَرَاهَةِ.

قوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «فَكَرِهْتُمُوهُ» برفع الكاف وتشديد الراء. قال الفراء: أي: وقد كرهتموه فلا تفعلوه، ومن قرأ «فَكَرِهْتُمُوهُ» أي: فقد بُغِضَ إِلَيْكُمْ، والمعنى واحد. قال الزجاج: والمعنى: كما تكرهون أكل لحمه ميتًا، فكذلك تجنّبوا ذِكْرَهُ بِالسُّوءِ غَائِبًا.

قوله تعالى: ﴿وَالْتَوَىٰ اللَّهُ﴾ أي: فِي الْغَيْبَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿تَوَّابٌ﴾ به.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَقَوْلُهُ فِي الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَفْسَحْ لَهُ: أَنْتَ ابْنُ فَلَانَةٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]<sup>(٢)</sup>. والثاني: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِاللَّا أَفْصَدُ عَلَى ظَهْرِ الْكُعْبَةِ فَأَذَّنَ، وَأَرَادَ أَنْ يُذِلَّ الْمُشْرِكِينَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَذَّنَ، قَالَ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ أُسَيْدًا قَبْلَ الْيَوْمِ، وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ: أَمَا وَجَدَ مُحَمَّدٌ غَيْرَ هَذَا الْغُرَابِ الْأَسْوَدَ مُؤَذِّنًا؟! وَقَالَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو: إِنْ يَكْرَهُ اللَّهُ شَيْئًا يَغْيِرُهُ، وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَمَا أَنَا فَلَا أَقُولُ شَيْئًا، فَإِنِّي إِنْ قُلْتُ شَيْئًا لَتَشْهَدَنَّ عَلَيَّ السَّمَاءُ، وَلَتُخْبِرَنَّ عَنِّي الْأَرْضُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>. والثالث: أَنَّ عَبْدًا أَسْوَدَ مَرَضَ فَعَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قُبِضَ فَتَوَلَّى غَسْلَهُ وَتَكْفِينَهُ وَدَفَنَهُ، فَأَثَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الصَّحَابَةِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ يَزِيدُ بْنُ شَجَرَةَ<sup>(٤)</sup>. فَأَمَّا الْمُرَادُ بِالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، فَأَدَمٌ وَحَوَّاءُ. وَالْمَعْنَى: إِنَّكُمْ تَتَسَاوَوْنَ فِي النِّسْبِ؛ وَهَذَا زَجْرٌ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ. فَأَمَّا الشُّعُوبُ، فَهِيَ جَمْعُ شَعْبٍ. وَهُوَ الْحَيُّ الْعَظِيمُ، مِثْلُ مُضَرَ وَرَبِيعَةَ، وَالْقَبَائِلُ دُونَهَا، كَبَكْرٍ مِنْ رَبِيعَةَ، وَتَمِيمٍ مِنْ مُضَرَ، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْمَفْسُورِينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ. وَرَوَى عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: يَرِيدُ بِالشُّعُوبِ: الْمَوَالِي، وَبِالْقَبَائِلِ: الْعَرَبُ. وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: الشُّعُوبُ: أَهْلُ الْجِبَالِ الَّذِينَ لَا يَغْتَرُّونَ

(١) رواه أبو داود في «سننه» (رقم ٤٨٧٤)، والترمذي في «جامعه» ١٥/٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن جرير ١٣٧/٢٦. وأورده السيوطي في «الدرر» ٩٤/٦. وزاد نسبة لابن أبي شيبة، وعبد بن حديد، وابن المنذر، وابن مردويه، كلهم عن أبي هريرة ؓ. ورواه مسلم في «صحيحه» ٤/٢٠٠. ولفظه: عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّبِعُوا مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَيْبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ». أَي: قُلْتَ فِيهِ الْبُهْتَانَ، وَهُوَ الْبَاطِلُ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٣ بلا سند، ولم يعزه لأحد، وذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بلا سند أيضاً. وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ذكره الثعلبي ومن قبله عن ابن عباس بغير سند.

(٣) ذكره. الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٤ عن مقاتل.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٥٩: هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.





كان معه اعتقاد وتصديق بالقلب، فآخَرَجَ الله هؤلاء من الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لَمْ تُصَدِّقُوا، إنما أسلمتم تعوذاً من القتل، وقال مقاتل: «ولمَّا» بمعنى «ولم» يدخل التصديق في قلوبكم<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَيِّنُوا لِلَّهِ دِينَكُمْ﴾ قال ابن عباس: إن تُخْلِصُوا الإيمان ﴿لَا يَنْتَكِرُ﴾ قرأ أبو عمرو: «يَا إِيَّاكُمْ» بآلف وهمز؛ وروي عنه بآلف ساكنة مع ترك الهزمة: وقرأ الباقون: «يَلَيْتُكُمْ» بغير ألف ولا همز. فقرأه أبي عمرو من أَلَتْ يَالَيْتُ، وقراءة الباقين من لَات يَلَيْتُ، قال الفراء: وهما لغتان، قال الزجاج: معناهما واحد. والمعنى: لا يَنْقُصُكُمْ. وقال أبو عبيدة: فيها ثلاث لغات: أَلَتْ يَالَيْتُ، تقديرها: أَفْكَ يَأْفُكُ، وَأَلَاتْ يَلَيْتُ، تقديرها: أَقَالَ يَقِيلُ، وَلَاتْ يَلَيْتُ، قال روية:

وَلَيْلَةٌ ذَاتَ نَسِيٍّ سَرِيئَتْ وَلَمْ يَلِشْنِي عَنْ سُرَاهَا لَيْتٌ  
قوله تعالى: ﴿يَنْ أَعْلَيْكُمْ﴾ أي: من ثوابها. ثم نعت الصادقين في إيمانهم بالآية التي تلي هذه<sup>(٢)</sup>. ومعنى: ﴿يَرْكَابُوا﴾ يَشْكُوا. وإنما ذكر الجهاد، لأن الجهاد مع رسول الله ﷺ كان فرضاً في ذلك الوقت، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ﴾ [في إيمانهم]. فلما نزلت هاتان الآيتان أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون [هذه الآية].  
قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَمْلِكُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ و«عَلِمَ» بمعنى «أعلم»، ولذلك دخلت الباء في قوله: «بدينكم» والمعنى: أتخبرون [الله] بالذين أنتم عليه؟ أي: هو عالمٌ بذلك لا يحتاج إلى إخباركم؛ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْتَرْوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ قالوا: أسلمنا ولم نُفَاتِكْ<sup>(٣)</sup> [والله أعلم].



(١) قال ابن كثير: يقول تعالى منكراً على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادَّعَوْا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكّن الإيمان في قلوبهم بعد ﴿قَالِ الْكَافِرُ مَنًّا ثُمَّ لَا يَنْتَصِرُ﴾ وَلَكِنْ قَوْلًا لِنَاكَ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ قال: وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال: ويدل عليه حديث جبريل ﷺ حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه. اهـ.

(٢) الرجز في مجاز القرآن ٢/٢٢١، والطبري ٢/١٥، ٢/٢٦، ١٤٣، والصحاح واللسان والتاج: ليت.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ آفَةٌ عَلَيْهِمْ وَأَلَاءُ اللَّهِ وَسِعْلُهُمْ ثُمَّ لَمْ يَرْكَابُوا وَتَهَنَّدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْشَبَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ﴾.

(٤) قال الحافظ السيوطي في «الدر» ١٠٠/٦: أخرج ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن أبي أوفى أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿يَسْتَرْوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾ الآية، قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» ١١٢/٧: رواه الطبراني في «الكبير» والأوسط، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة، ولكنه منلس، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره ابن كثير عن البزار من طريق أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ثم قال: قال البزار: لا نعلم يروى إلا من هذا الوجه، ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبد الله غير هذا الحديث. وذكره السيوطي في «أسباب النزول» من رواية النسائي والبزار وابن مردويه عن ابن عباس، ومن رواية سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن سعيد بن جبير، ومن رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن. والله أعلم اهـ.

## سورة ق<sup>(١)</sup>

### ويقال لها: سورة الباسقات

روى العوفي [وغيره] عن ابن عباس أنها مكِّيَّة، وكذلك قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. وحكي عن ابن عباس وقتادة أن فيها آية مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية [ق: ٣٨].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجَّبُوا أَنْ جَاءَهُمْ سُورَةٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَاطٌّ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيعٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ق﴾ قرأ الجمهور بإسكان الفاء، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «قاف» بنصب الفاء، وقرأ أبو رزين، وقتادة: «قاف» برفع الفاء. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «قاف» بكسر الفاء. وفي «ق» خمسة أقوال: أحدها: أنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثاني: أنه جبل من زَبَرَجْدَة خضراء، قاله أبو صالح عن ابن عباس. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: خَلَقَ اللَّهُ جِبَلًا يقال له: «ق» محيط بالعالم، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله ﷻ أن يزلزل قرية، أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية. وقال مجاهد: هو جبل محيط بالأرض. وروى عن الضحاك أنه من زمردة خضراء، وعليه كَتَفًا<sup>(٢)</sup> السماء، وخُضْرَة السماء منه. والثالث: أنه جبل من نار في النار، قاله الضحاك في رواية عنه عن ابن عباس. والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة. والخامس: أنه حرف من كلمة. ثم فيه خمسة أقوال. أحدها: أنه افتتاح اسمه «قدير»، قاله أبو العالية. والثاني: أنه افتتاح أسمائه: القدير والقاهر والقريب ونحو ذلك، قاله القرطبي. والثالث: أنه افتتاح «قُضِيَ الأمر»، وأنشدوا:

قُلْنَا لَهَا قُضِيَ فَقَالَ ثَقَافُ<sup>(٣)</sup>

معناه: أقف، فاكثفت بالقاف من «أقف»، حكاية جماعة منهم الزجاج. والرابع: قف عند أمرنا ونهينا، ولا نَعُدُّهُمَا، قاله أبو بكر الوراق. والخامس: قُلْ يا محمد، حكاية الثعلبي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قال ابن عباس، وابن جبير: المَجِيد: الكريم. وفي جواب هذا القسم أربعة أقوال: أحدها: أنه مُضْمَر، تقديره: تقديره، لَيَبْتَغُنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ. قاله الفراء، وابن قتيبة، ويدلُّ عليه قول الكفار: ﴿هَذَا مِنْ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾.

(١) وهي أول المفصل على الصحيح، وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة (الحجرات) فليراجع، وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع، لاشتغالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والمعاقب والترغيب والترهيب.

(٢) في الأصلين: كَتَفًا بالناء وهو تصحيف.

(٣) الرجز في «الطبري» ١٤٧/٢٦، و«القرطبي» ١٧/٢، و«اللسان»: وقف.

(٤) قال ابن كثير: روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿ق﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكان هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، إما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زناقتهم ليسون به على الناس أمر دينهم، كما اتري في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأمنتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالمهد من قَدَم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النَّقَاد فيهم، وشربهم الخمر، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزُه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كلبه، فليس من هذا القبيل والله أعلم، قال: وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين، وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، وعلى الله الحمد والمِنَّة، ثم قال: والذي ثبت عن مجاهد أن ﴿ق﴾ حرف الهجاء، فقول: ﴿قَم، قَم، قَم، قَم، قَم﴾ ونحو ذلك. قال: وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة (البقرة) اهـ. وقد ذكرنا نحن الكلام على ذلك في أول سورة (الشعراء) فليراجع.

عَجِبَ. والثاني: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى: [قاف] والقرآن المجيد لقد عَلِمْنَا، فحُذِثَ الَلَامُ لَأَنَّ مَا قَبْلُهَا عَوَضَ مِنْهَا، كقوله: ﴿وَالنَّاسُ وَخَصْهَا... قَدْ أَفْلَحَ﴾ [النسر: ١-٩] أي: لقد أَفْلَحَ، أجاز هذا القول الزجاج. والثالث: أنه قوله: ﴿هَذَا يَلِيظُ مِنْ قَوْلِي﴾، حكى عن الأخفش. والرابع: أنه في سورة أخرى، حكاه أبو سليمان الدمشقي، ولم يبين في أي سورة.

قوله تعالى: ﴿يَا عِجْبًا﴾ مفسر في [ص: ٤] إلى قوله: ﴿هَئِئْهُ عِجْبٌ﴾ أي: مُعْجِبٌ. ﴿أَوَدَا وَشَنَا﴾ قال الأخفش: هذا الكلام على جواب، كأنه قيل لهم: إنكم ترجعون، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً؟ وقال غيره: تقدير الكلام: قَ والقرآن لِيُشَبِّهُنَّ، فقال: أنذا متنا وكنا تراباً؟ والمعنى: أَتُبْعَثُ إِذَا كُنَّا كَذَلِكَ؟! وقال ابن جرير: لَمَّا تَعَجَّبُوا مِنْ وَعِيدِ اللَّهِ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فقالوا: هذا شيء عجيب، كان كأنه قال لهم: ستعلمون إذا بُعِثْتُمْ مَا يَكُونُ حَالُكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ مُحَمَّدًا، فقالوا: أنذا متنا وكنا تراباً؟!

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾ أي: رَدُّ إِلَى الْحَيَاةِ ﴿بَعِيدٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لا يكون. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكل من لحومهم ودمائهم وأشعارهم إذا ماتوا، يعني أن ذلك لا يَغْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ، ﴿وَعَدْنَاكَ﴾ مع عَلِمْنَا بِذَلِكَ ﴿كَتَبَ حَبِيطٌ﴾ أي: حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ، وهو اللوح المحفوظ قد أثبت فيه ما يكون. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ وهو القرآن. والمريخ: المختلط، قال ابن قتيبة: يقال: مَرَجَ [أمر] الناس، وَمَرَجَ الدِّينُ، وأصل هذا أن يَفْلُقَ الشيء، ولا يستقر، يقال: مَرَجَ الخاتم في يدي: إذا قلق، للهزال. قال المفسرون: ومعنى اختلاط أمرهم: أنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ مرة: ساحر، مرة: شاعر، مرة: مُعَلِّمٌ، ويقولون للقرآن مرة: سحر، مرة: مُفْتَرَى، مرة: رَجَزٌ، فكان أمرهم ملتبساً مختلطاً عليهم.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ١ ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَهْجًا﴾ ٢ ﴿وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ٣ ﴿وَرَزَقْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَبَلَاتٍ وَحَبَّ الْقَمْصِيدِ﴾ ٤ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ٥ ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ لَلْفُرُوجِ﴾ ٦ ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوْحٍ وَأَحْصَى الرَّاسِ وَتَمُودَ﴾ ٧ ﴿وَعَادَ وَفِرْعَوْنَ وَخَوَانَ لُوطَ﴾ ٨ ﴿وَأَحْصَى الْأَبْنَاءَ وَقَوْمٌ نُوْحٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ٩ ﴿أَفَمِنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ١٠  
ثم دلهم على قدرته على البعث بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: من صدوع وشقوق. والزوج: الجنس. والبهيج: الحسن، قاله أبو عبيدة. وقال ابن قتيبة: البهيج: الذي يَنْهَجُ به.

قوله تعالى: ﴿تَبَيَّرَ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ١١ ﴿قال الزجاج: أي: فعلنا ذلك لِنَبْصُرَ وَنَدُلَّ عَلَى الْقُدْرَةِ. والمنيب: الذي يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَيَفْكَرُ فِي قُدْرَتِهِ.﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو المطر ﴿مُبَارَكًا﴾ أي: كثير الخير، فيه حياة كل شيء، ﴿فَأَلْبَسْنَا بِهِ جَبَلَاتٍ﴾ وهي البساتين ﴿وَحَبَّ الْقَمْصِيدِ﴾ أراد: الحَبَّ الحَصِيدَ، فأضافه إلى نفسه، كقوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [لق: ١٦] فالْحَبْلُ هو الوريد، وكما يقال: صلاة الأولى، يراد: الصلاة الأولى، ويقال: مسجد الجامع، يراد: المسجد الجامع، وإنما تضاف هذه الأشياء إلى أنفسها لاختلاف لفظ اسمها، وهذا قول الفراء، وابن قتيبة. وقال غيرهما: أراد حَبَّ التَّبْتِ الحَصِيدِ. ﴿وَالنَّخْلَ﴾ أي: وأثبتنا النخل: ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ و«بُسُوقها» طولها. قال ابن قتيبة: يقال: بَسَقَ الشيء يَبْسُقُ بُسُوقًا: إذا طال، والنضيد: المنضود بعضه فوق بعض، وذلك قبل أن يَفْتَحَ، فإذا انشَقَّ جُفْتُ طَلْعِهِ وَفَرَّقَ فَلَيْسَ بِنَضِيدٍ.

قوله تعالى: ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: أنبئنا هذه الأشياء للرزق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بالمطر ﴿بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ لَلْفُرُوجِ﴾ من القبور. ثم ذكر الأمم المكذبة بما بعد هذا، وقد سبق بيانه إلى قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: وجب عليهم عذابي. ﴿أَفَمِنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ هذا جواب لقولهم: ذلك رَجْعٌ بَعِيدٌ. والمعنى: أعجزنا عن ابتداء الخلق، وهو الخلق الأول، فنعيا بالبعث وهو الخلق الثاني؟! وهذا تقرير لهم، لأنهم اعترفوا أنه الخالق، وأنكروا البعث ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي: في شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ بِهِ قَسْمُهُ وَرَبُّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ (٢) مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ (٣) وَمَعَاتٍ سَكَرٌ الْقَوَى يَلْمِزُ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَحِيدٌ (٤) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٥) وَمَعَاتٍ كُلِّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَازِعٌ (٦) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَفَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَيِيدٌ (٧) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني ابن آدم ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُسَوِّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ أي: ما تحدّثه به نفسه. وقال الزجاج: نعلم ما يُكِنُّه في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي: بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الحبل هو الوريد، وإنما أضافه إلى نفسه لما شرحناه آنفاً في قوله: ﴿رَبِّهِ لَمَّيِّدٌ﴾ [ق: ٩] قال الفراء: والوريد: عِرْقٌ بين الحُلُقُومِ والعِلْبَاوَيْنِ. وعنه أيضاً قال: عرق بين اللَّبَّةِ والعِلْبَاوَيْنِ. وقال الزجاج: الوريد: عِرْقٌ في باطن العُنُقِ، [وهما وريدان]، والعِلْبَاوَانِ: العَصْبَتَانِ الصَّفْرَاوَانِ في مَثْنِ العُنُقِ، واللَّبَّتَانِ: مَجْرَى الْفَرْطِ في العُنُقِ. وقال ابن الأنباري: اللَّبَّةُ حيث يتذبذب الْفَرْطُ مِمَّا يَقْرُبُ من شحمة الأذن. وحكى بعض العلماء أن الوريد: عِرْقٌ متفرّق في البدن مُخَالِطٌ لجميع الأعضاء، فلَمَّا كانت أبعاض الإنسان يحجب بعضها بعضاً، أَعْلَمَ أن عِلْمَهُ لا يحجب شيئاً. والمعنى: ونحن أقرب إليه حين يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ، وهما الملكان الموكَّلتان بابن آدم يتلقَّيانِ عَمَلَهُ (١). وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ أي: يأخذان ذلك ويُثَبِّتانه ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ كاتب الحسنات ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ كاتب السيئات. قال الزجاج: والمعنى: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، فدلَّ أحدهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَ  
ذَلِكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ (٢)

وقال آخر:

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مِنْهُ وَالْإِدِي  
بَرِيئاً، وَمِنْ أَجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي (٣)

المعنى: كنت منه بريئاً. وقال ابن قتيبة: الْقَعِيدُ بمعنى قاعد، كما يقال: «قدير» بمعنى «قادر»، ويكون القعيد بمعنى مُقَاعِدٍ، كالأكيل والشَّريب بمنزلة: الْمُؤَاكِلِ وَالْمُشَارِبِ.

قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ﴾ يعني الإنسان، أي: ما يتكلّم من كلام فيَلْفُظُهُ، أي: يَرْمِيهِ مِنْ فَمِهِ، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ أي: حافظ، وهو الملك الموكَّل به، إمّا صاحب اليمين، وإمّا صاحب الشمال ﴿عَيْنٌ﴾ قال الزجاج: العتيد: الثابت للأزم، وقال غيره: العتيد: الحاضر معه أينما كان. وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى يَسَارِهِ، فَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِينٌ عَلَى كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا لَهُ صَاحِبُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً، وَأَرَادَ صَاحِبُ الشَّمَالِ أَنْ يَكْتُبَهَا، قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: أَمْسِكْ، فَيُمْسِكُ عَنْهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ، فَإِنْ اسْتَغْفَرَ مِنْهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ» (٤). وقال ابن عباس: جَعَلَ اللَّهُ

(١) قال ابن كثير: وقوله ﷻ: ﴿وَرَبُّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم، فإنما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع، تعالى الله وتقدس. ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: «وأنا أقرب إليه من حبل الوريد» وإنما قال: ﴿وَرَبُّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ كما قال في المحضر: ﴿وَرَبُّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِزُّنَ﴾ (٥) يعني ملائكته. وكما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ الْوَكَارُ وَكَأَنَّهُ لَحُطُونٌ﴾ (٦) قال: فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن، بإذن الله ﷻ، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك، قال: فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، قال: وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ أي مترصد. اهد. وقد سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وأوضحه في كتابه «شرح حديث النزول».

(٢) سبق تخريج البيت في ٥٨٠ و ١١٥٢، وانظر «اللسان»: قعد.

(٣) البيت لمعمر بن أحمز بن العمرد الباهلي، أو للأزرق بن طرفة، وهو في «الكتاب» ٢٨٠/١، ومعاني القرآن ٤٥٨/١، و«مجاز القرآن» ١٦١/٢، و«شواهد الكشاف» ١٢٨، و«الصحاح»، و«اللسان» و«التاج»: حول.

(٤) رواه البغوي والعليني من طريق حماد بن سلمة عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة وفيه ضعف، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه ومن رواية بشر بن نمير عن القاسم نحوه، وأخرجه الطبراني من رواية ثور بن يزيد عن القاسم نحوه، وروى أبو نعيم في «الحلية» وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عياش، عن حاصم بن رجا عن عروة بن روم عن القاسم عن أبي أمامة، وعند الطبري من طريق علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة قال: دخل عثمان بن عفان على =



على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار. واختلفوا هل يكتبان جميع أفعاله وأقواله على قولين: أحدهما: أنهما يكتبان عليه كل شيء حتى أتيته في مرضه، قاله مجاهد. والثاني: أنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر [عليه]، أو يؤزر، قاله عكرمة. فأما مجلسهما، فقد نطق القرآن بأنهما عن اليمين وعن الشمال، وكذلك ذكرنا في حديث أبي أمامة. وقد روى عليّ كرم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «إن مقعد ملكيك على ثنيتيك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعينك»<sup>(١)</sup> وروي عن الحسن والضحاك قالا: مجلسهما تحت الشعر على الحنك.

قوله تعالى: ﴿وَبَيَّنَّا سَكْرَةَ الَّتِي﴾ وهي غمرته وشِدْته التي تَغشى الإنسان وتَغلب على عقله وتُدْله على أنه ميت، ﴿بِالْحَقِّ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أن معناه: جاءت بحقيقة الموت. والثاني: بالحق من أمر الآخرة، فأبانت للإنسان ما لم يكن بيناً له من أمر الآخرة. ذكر الوجهين الفراء، وابن جرير. وقرأ أبو بكر الصديق ﷺ: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾، قال ابن جرير: ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: أن يكون الحق هو الله تعالى، فيكون المعنى: وجاءت سكرة الله بالموت. والثاني: أن تكون السكرة هي الموت، أضيفت إلى نفسها، كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَوْ حَقٌّ الْيَتِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، فيكون المعنى: وجاءت السكرة الحق بالموت، بتقديم «الحق». وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «وجاءت سكرات» على الجمع «الحق بالموت» بتقديم «الحق». وقرأ أبي بن كعب، وسعيد بن جبيرة: «وجاءت سكرات الموت» على الجمع «بالحق» بتأخير «الحق».

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: فيقال للإنسان حينئذ: «ذلك» أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنْتَ يَتَهُ حَيِّدٌ﴾ أي: تهرب وتفر<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: تكره.

قوله تعالى: ﴿وَفُيِّعَ فِي أَشْرٍ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمَ الرَّيْدِ﴾ أي: يوم وقوع الوعيد. قوله تعالى: ﴿مَتَّحًا سَائِرٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن السائق: ملك يسوقها إلى مَحْشَرها، قاله أبو هريرة<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه قرينها من الشياطين، سمي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها. وفي الشهيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ملك يشهد عليها بعملها، قاله عثمان بن عفان، والحسن. وقال مجاهد: المَلَكُ: سائق، وشهيد. وقال ابن السائب: الذي كان يكتب عليه السيئات، والشهيد: الذي كان يكتب الحسنات. والثاني: أنه العمل يشهد على الإنسان، قاله أبو هريرة. والثالث: الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله، قاله الضحاك. وهل هذه الآيات عامة، أم خاصة؟ فيها قولان: أحدهما: أنها عامة، قاله الجمهور. والثاني: خاصة في الكافر، قاله الضحاك، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَفَقَدْ كُنْتَ﴾ أي: ويقال له: ﴿أَفَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم. وفي المخاطب بهذه الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافر، قاله ابن عباس، وصالح بن كيسان في آخرين. والثاني: أنه عام في البر والفاجر، قاله حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، واختاره ابن جرير. والثالث: أنه النبي ﷺ، وهذا قول ابن زيد<sup>(٤)</sup>. فعلى القول الأول يكون المعنى: لقد كنت في غفلة من هذا اليوم في الدنيا بكفرك به؛ وعلى الثاني: كنت غافلاً عن أهوال القيامة، ﴿فَكَفَنَّا عَنْكَ غَمَامًا﴾ الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك. وقيل معناه: أريناك ما كان مستوراً

= رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم مع العبد ملك؟... الحديث. وقد ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٤/٦ من رواية الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي أمامة ﷺ.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ١٠٣/٦ عن علي موقوفاً قال: أخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن علي قال: لسان الإنسان قلم الملك، وريقه مداد. وذكره مرفوعاً من رواية أبي نعيم، والدبليسي عن معاذ بن جبل ﷺ: «إن الله لطف الملكين الحافظين حتى أجلسهما على التاجلين وجعل لسانه قلمهما، وريقه مدادهما» والله أعلم.

(٢) قال ابن كثير: أي: هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

(٣) قال ابن كثير: هذا هو الظاهر من الآية الكريمة، وهو اختيار ابن جرير.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُني بها البر والفاجر، لأن الله أتبع هذه الآيات قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْإِنسَانَ مَا نُسُوهُ يَدُّ تَشْتُرُ﴾ والإنسان في هذا الموضع بمعنى الناس كلهم، غير مخصوص بهم بعضهم دون بعض، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أن معنى قوله: ﴿وَبَيَّنَّا سَكْرَةَ الَّتِي﴾ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ يَتَهُ حَيِّدٌ﴾، وإذا كان ذلك كذلك، كانت بينة صحة ما قلنا. اهـ.

عنك؛ وعلى الثالث: لقد كنت قبل الوحي في غفلة عما أوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي ﴿فَمَرَكْ أَيَّامَ حَودٍ﴾ وفي المراد بالبصر قولان: أحدهما: البصر المعروف، قاله الضحاك. والثاني: العلم، قاله الزجاج. وفي قوله: «اليوم» قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله الأكثرون. والثاني: أنه في الدنيا، وهذا على قول ابن زيد. فأما قوله: «حديث» فقال ابن قتيبة: الحديد بمعنى الحاذ. أي: فأنت ثاقب البصر. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فبصرك حديثاً إلى لسان الميزان حين تُوزَنُ حسناتك وسيئاتك، قاله مجاهد. والثاني: أنه شاخص لا يطرف لمعاينة الآخرة، قاله مقاتل. والثالث: أنه العلم النافذ، قاله الزجاج.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ۖ أَلِيًّا ۚ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ صَنَّارٍ عِنْدِي ۖ مَنَاجٍ لِلتَّغَيَّرِ مُتَوَرِّطِينَ ۖ أَلَيْسَ جَمَلٌ مَّعَ اللَّهِ إِنَّهَا مَآخَرٌ تَأْتِيهِمْ فِي اللَّيْلِ الْبَاسِ ۖ قَالَتْ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَفْغَيْتُمُ اللَّكْنَ كَآنَ فِي سَكَنٍ مُّبِينٍ ۖ قَالُوا لَا تَخْصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكَ بِالْوَيْدِ ۖ مَا يُبَيِّنُ الْقَوْلَ لَدَيْ رَبِّمَا أَنَا بِطَلِكُمْ لَافٍ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ قال مقاتل: هو ملكه الذي كان يكتب عمله السعي في دار الدنيا، يقول لربه: قد كتبت ما وكلفتني به، فهذا عندي مُعَدٌّ حاضرٌ من عمله الخبيث، فقد أتيتك به ويعمله. وفي «ما» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «من» قاله مجاهد. والثاني: أنها بمعنى الشيء، فتقديره: هذا شيء لديّ عتيذ، قاله الزجاج. وقد ذكرنا معنى العتيذ في هذه السورة (ق: ١٨)، فيقول الله تعالى: ﴿أَلِيًّا فِي جَهَنَّمَ﴾ وفي معنى هذا الخطاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مخاطبة للواحد بلفظ الخطاب للاثنتين، قال الفراء: والعرب تأمر الواحد والقوم بأمر الاثنين، فيقولون للرجل: وملك أرحلاه وأزجراها، سمعتها من العرب، وأنشدني بعضهم:

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لَا تَخْصِمَانَا  
وَأَنْشَدَنِي أَبُو نُزَوَانَ:

فَلَمَّا تَزَجَّرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ  
وَنَرَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ، لِأَنَّ أَمْنَى أَعْوَانَ الرَّجُلِ فِي إِبْلِهِ وَغَنَمِهِ اثْنَانِ، وَكَذَلِكَ الرَّفْقَةُ أَدْنَى مَا تَكُونُ ثَلَاثَةٌ، فَجَرَى الْكَلَامُ عَلَى صَاحِبِهِ، أَلَا تَرَى الشَّعْرَ أَكْثَرَ شَيْءٍ قِيلاً: يَا صَاحِبِي وَيَا خَلِيلِي. قال امرؤ القيس:

خَلِيلِي مُرًّا بِِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ  
نَمَّ قَالَ:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا  
وَجَذْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِبْ<sup>(١)</sup>  
فرجع إلى الواحد، وأول كلامه اثنان، وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل، وقال: «ألياً» خطاب للخازن، يعني خازن النار. والثاني: أنه فعل ثُنْيٍ توكيداً، كأنه لما قال: «ألياً»، ناب عن أَلْتِي، وكذلك: قَفَا تَبْلِكُ<sup>(٥)</sup>، معناه: قَفَّ وَقَفَّ، فلما ناب عن فعلين، ثُنْيٍ، قاله المبرد. والثالث: أنه أمر للملكين، يعني السائق والشهيد، وهذا اختيار الزجاج. فأما «الكفار»، فهو أَشَدُّ مُبَالَعَةً مِنَ الْكَافِرِ. و «العتيد» قد فسرناه في (هود: ٥٩).

(١) البيت لمُفَرَّسٍ بِنِ وَيُحْيَى الْأَسَدِي، وهو في «مشكل القرآن» ٢٢٤، و«الطبري» ١٦٥/٢٦، و«الصاحح»، و«اللسان» و«التاج»: جزز، ونسبه الجوهري ليزيد ابن الطرية. وقوله: «فقلت لصاحبي» أراد بالصاحب من يحتطب له، يقول لصاحبه: لا تحبسا عن شيء اللحم بأن تقلع أصول الحطب وعروقه، بل اكتفِ بقطع الشجق فو أسهل وأسرع.

(٢) البيت في «مشكل القرآن» ٢٢٥، و«الطبري» ١٦٥/٢٦، وقوله: «وإن تدعاني» أي: إن تركتاني حيث عرضي معن يؤذيني، وإن زجرتاني انزعجت وصبرت.

(٣) في الأصل: اِطْيَبْ، والتصويب من «الديوان».

(٤) «ديوانه» ٤١، و«الطبري» ١٦٦/٢٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٤٣/١. و«اللبنات»: جمع لبنانة، وهي الحاجة، والطارق: الذي يأتي ليلاً، يعني أنها طيبة الريح وإن لم تمش طيباً، وخاصة في الوقت الذي تتغير فيه الأنواء.

(٥) جزء من أول بيت في معلقة امرئ القيس، والبيت بتمامه:

قَفَا تَبْلِكُ بِسْ وَتُكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ  
يَسْطِطُ السَّوَى بِسْ السُّخُولِ فَسَوْزِلِ

قوله تعالى: ﴿مَنْعَ لِلتَّيْرِ﴾ في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: الزكاة المفروضة، قاله قتادة. والثاني: أنه الإسلام، يمنع الناس من الدخول فيه، قاله الضحاك، ومقاتل، وذكر أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، منع بني أخيه عن الإسلام<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه عام في كل خير من قول أو فعل، حكاه الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْعَ﴾ أي: ظالم لا يُقَرُّ بالتوحيد<sup>(٣)</sup> ﴿مُرْسِي﴾ أي: شاك في الحق، من قولهم: أراب الرجل: إذا صار ذا ريب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ تَبَنَّى﴾ فيه قولان: أحدهما: شيطانه، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقاتدة، والجمهور. وفي الكلام اختصار تقديره: إن الإنسان ادعى على قرينه من الشياطين أنه أضله فقال: ﴿رَبَّنَا مَا لَلتَّيْرِ﴾ أي: لم يكن لي قوة على إضلاله بالإكراه، وإنما طغى هو بضلاله. والثاني: أنه الملك الذي كان يكتب السيئات. ثم فيما يدعيه الكافر على الملك قولان: أحدهما: [أنه] يقول: زاد عليّ فيما كتب، فيقول الملك: ما أطغيته، أي: ما زدته عليه، قاله سعيد بن جبيرة. والثاني: أنه يقول: كان يُعجلني عن التوبة، فيقول: ربنا ما أطغيته، هذا قول الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي صَلَاتِهِ غَيْرٌ﴾ أي: بعيد من الهدى، فيقول الله تعالى: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّْ﴾. في هذا الخصام قولان: أحدهما: أنه اعتذارهم بغير عذر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه خصامهم مع قرنائهم الذين أغوؤهم، قاله أبو العالية. فاما اختصاصهم فيما كان بينهم من المظالم في الدنيا، فلا يجوز أن يُهمل، لأنه يوم التناصف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَتَنَّا إِبْرَاهِيمَ بِالْقَبْرِ﴾ أي: قد أخبرتكم على السن الرُّسل بعذابي في الآخرة لمن كفر. ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ما يُبَدِّلُ [القول] فيما وعدته من ثواب وعقاب، قاله الأكثرون. والثاني: ما يُكَدِّبُ عندي ولا يغيّر القول عن جهته، لأنّي أعلم الغيب وأعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتهم، هذا قول ابن السائب واختيار الفراء وابن قتيبة، ويدل عليه أنه قال تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّْ﴾ ولم يقل: ما يُبَدِّلُ قلبي ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فأزيد على إساءة المُسيء، أو أنقص من إحسان المُحسن.

﴿يَوْمَ تَقُولُ لِمَنْهُمْ هَلْ اسْتَلَقْتُمْ وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ وَأَلْقَيْتُ الْحَصَى لِلسَّيِّئِينَ عَرَّيْتُهُمْ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ مَن حَفِظَ الرَّحْمَنَ وَالْيَتِيمَ وَبَكَى شَيْبًا ﴿ادْخُلُوا مِنكُمْ فِي ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ لَمْ تَأْتِكُمْ دِينًا وَوَعَدْنَا مَرْيَمَ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْصِيٍّ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُثُوبٍ﴾ فَأَمَّا عَلَى مَا يُقُولُونَ وَسَتَجِدُ مُحَمَّدَ رَبَّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ﴾

﴿يَوْمَ تَقُولُ لِمَنْهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «يَوْمَ نقول» بالنون المفتوحة وضم القاف. [وقرأ نافع، وأبو بكر، والمفضل عن عاصم: «يَوْمَ يقول» بالياء المفتوحة وضم القاف]. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وعبد الوارث عن أبي عمرو: «يَوْمَ يُقال» بياء مضمومة وفتح القاف وإثبات ألف. قال الزجاج: وانتصاب «يَوْمَ» على وجهين: أحدهما: على معنى: ما يُبَدِّلُ القول لَدَيَّْ في ذلك اليوم. والثاني: على معنى: وأنذرتهم يَوْمَ نقولُ لهم. فأما فائدة سؤاله إياها، وقد علم هل امتلأت أم لا، فإنه توبيخ لمن أدخلها. وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله: ﴿لَا تَأْكُلُ أَرْضُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٨]. وفي قولها: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ قولان عند أهل اللغة: أحدهما: أنها تقول ذلك بعد امتلائها، فالمعنى: هل بقي في موضع لم يمتلئ؟ أي: قد امتلأت. والثاني: أنها تقول تعظيماً على من عصى الله

(١) ذكره البغوي والخازن في «تفسيريهما» بنحوه بغير سند ولم يمزوا لأحد.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أنه كل حق وجب لله تعالى أو لأدمي في ماله، قال: والخير في هذا الموضع هو المال، وإنما قلنا: ذلك هو الصواب من القول، لأن الله تعالى ذكره عم بقوله: ﴿مَنْعَ لِلتَّيْرِ﴾ أنه يمنع الخير، ولم يخص من شيء دون شيء، فذلك على كل خير يمكن منعه طالبا. اهـ.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: «معتد» يقول: معتد على الناس بلسانه، بالبداء والفحش في المنطق، ويبدء بالسطوة والبطش ظلماً. اهـ. وقال ابن كثير: «معتد» أي: فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد، قال: وقال قتادة: معتد في منطق وسيره وأمره. اهـ.

تعالى، وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهَا أَنْ تَمِيزَ وَتَخَاطِبَ، كما جَعَلَ فِي النَّمْلَةِ أَنْ قَالَتْ: «أَذْنُلُوا سَنَكُنَّكُمْ» [النمل: ١٨] وفي المخلوقات أَنْ تَسْبِحَ بِحَمْدِهِ.

قوله تعالى: «وَأَرْسَلْنَا لِمَنْ لَمْ يَلْمِزْ» [١٩] أي: قُرِبتَ لِلْمُتَّقِينَ [الشرك] «فَرَّ بِيَوْمِهِ» أي: جُعِلَتْ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ حيث يراها أَهْلُ الْمَوْقِفِ، ويقال لهم: «هَذَا» الذي ترونه «مَا تُؤْمَكُونَ» وقرأ عثمان بن عفان، وابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن: «يُؤَعِدُونَ» بالياء «بِكُلِّ أَرَأَيْ» وفيه أقوال قد ذكرناها في [بني إسرائيل: ٢٥]. وفي «حَفِيطٌ» قولان: أحدهما: الحافظ لذنوبه حتى يرجع عنها، قاله ابن عباس. والثاني: الحافظ لأمر الله تعالى، قاله مقاتل.

قوله تعالى: «مَنْ حَقَّ الرَّحْمَنُ وَالَّتِي» <sup>(١)</sup> قد بَيَّنَّاهُ في [الأنبياء: ٤٩] «وَيَكَلِّبُ ثِيْبًا» أي: راجع إلى طاعة الله عن معصيته. «أَتَعْلَمُوا» أي: يقال لهم: أدخلوا الجنة «بِسَلْوَةٍ» وذلك أنهم سلموا من عذاب الله، وسلموا فيها من الغموم والتغير والزوال، وسلم الله وملائكته عليهم «ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» في الجنة، لأنه لا موت فيها ولا زوال. «فَمَنْ مَّا يَنْكَرُ» وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسائلهم، فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم ما لم يسألوا، فذلك قوله: «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ». وللمفسرين في المراد بهذا المزيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النظر إلى الله ﷻ؛ روى علي بن النبي ﷺ عن النبي ﷺ في قوله: «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» قال: يتجلى لهم <sup>(٢)</sup>. وقال أنس بن مالك في قوله: «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»: يتجلى لهم الرب تعالى في كل جمعة <sup>(٣)</sup>. والثاني: أن السحاب يُمُرُّ بأهل الجنة، فيمطرهم الحور، فتقول الحور: نحن اللواتي قال الله ﷻ: «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ»، حكاية الزجاج. والثالث: أن الزيادة على ما تمتوه وسألوا مما لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر، ذكره أبو سليمان الدمشقي. ثم خَوْفُ كَفَارِ مَكَّةَ بما بعد هذا إلى قوله: «فَتَقَبَّوْا فِي الْبَلَدِ» قرأ الجمهور «فَتَقَبَّوْا» بفتح النون والقاف مع تشديدها. وقرأ أبي بن كعب، وابن عباس، والحسن، وابن السميع، ويحيى بن يعمر كذلك، إلا أنهم كسروا القاف على جهة الأمر تهذؤاً. وقرأ عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وقتادة، وابن أبي عبيدة، وعبيد عن أبي عمرو: «فَتَقَبَّوْا» بفتح القاف وتخفيفها. قال الفراء: ومعنى «فَتَقَبَّوْا»: ساروا في البلاد، فهل كان لهم من الموت «مِنْ عَجِيرٍ» فأضمرت «كان» هاهنا، كقوله: «أَمَلَكْنَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ» [محمد: ١٣] أي: فلم يكن لهم ناصر. ومن قرأ «فَتَقَبَّوْا» بكسر القاف، فإنه كالوعيد؛ والمعنى: اذهبوا في البلاد وجئوا فهل من الموت من محيص؟ وقال الزجاج: «تَقَبَّوْا» طَوْقُوا وَتَشَوَّوْا، فلم تَرَوْا مَحِصًا مِنَ الْمَوْتِ. قال امرؤ القيس:

لَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَنَاقِ حَتَّى

رَضِيتُ مِنَ الْعَزِيمَةِ بِالْإِيَّابِ <sup>(٤)</sup>

فَأَمَّا الْمَحِصُ فَهُوَ الْمَغْدِلُ؛ وقد استوفينا شرحه في سورة [النساء: ١٢١].

قوله تعالى: «إِنْ فِي ذَلِكَ» يعني الذي ذكره من إهلاك القرى «لَذِكْرٌ لَكُم» أي: تذكرة وعظة «لِئِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْقُلُوبُ» قال ابن عباس: أي: عقل. قال الفراء: وهذا جائز في اللغة أن تقول: مالك قلب، وما معك قلبك، تريد العقل. وقال ابن قتيبة: لما كان القلب موضعاً للعقل كنى به [عنه]. وقال الزجاج: المعنى: لمن صرف قلبه إلى التفهم «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ» أي: استمع وبني «وَقَوَّ شَهِيدٌ» أي: وقلبه فيما يسمع. وقال الفراء: «وهو شهيد» أي: شاهد ليس بغائب.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ» ذكر المفسرون أن اليهود قالت: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وما بينهما في ستة أيام، آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فلذلك لا نعمل فيه شيئاً، فنزلت هذه الآيات،

(١) قال ابن كثير: أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله ﷻ، كقوله ﷻ: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

(٢) ذكره الألوسي في «روح المعاني» ١٧٣/٢٧ من رواية البيهقي في «الروية» والديلمي عن علي بن النبي ﷺ في قوله تعالى: «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» قال: يتجلى لهم الرب ﷻ.

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» ١٧٣/٢٧ من رواية ابن المنذر وجماعة عن أنس أنه قال في ذلك أيضاً: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة.

(٤) «ديوان» ٩٩، و«مجاز القرآن» ٢/٢٢٤، و«الطبري» ١٧٦/٢٦، و«مختار الشعر الجاهلي» ٨٠/١، و«اللسان» و«التاج»: نقب. وفي «الديوان»: «وقد طوفت» بدل «لقد نقبت».



فأكذبهم الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا مَسْكَنَيْنِ لَتُورِ﴾<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: والتعجب: الإعياء.

قوله تعالى: ﴿فَاضْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من بهتهم وكذبهم. قال المفسرون: ونسخ معنى قوله: «فاضبر» بآية السيف، ﴿وَسَيَحِبُّ بِحَدِّ رَبِّكَ﴾ أي: صل بالثناء على ربك والتنزيه [له] مما يقول المنيطلون ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ وهي صلاة الفجر. ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ فيها قولان: أحدهما: صلاة الظهر والعصر، قاله ابن عباس. والثاني: صلاة العصر، قاله قتادة. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جرير بن عبد الله، قال: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر، فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ حِينَئِذَا كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ»<sup>(٢)</sup> في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا. وقرأ: ﴿وَسَيَحِبُّ بِحَدِّ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة الليل كله، أي وقت صلى منه، قاله مجاهد. والثاني: صلاة العشاء، قاله ابن زيد. والثالث: صلاة المغرب والعشاء، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ الشُّجُورَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، وخلف: بكسر الهمزة؛ وقرأ الباقون بفتحها. قال الزجاج: من فتح ألف «أدبار» فهو جمع دُبر، ومن كسرهما فهو مصدر: أدبر يُدبر إدباراً. وللمفسرين في هذا التسييح ثلاثة أقوال: أحدها: أنه<sup>(٤)</sup> الركعتان بعد صلاة المغرب، روي عن عمر، وعلي، والحسن بن علي، وأبي هريرة، والحسن، ومجاهد، والشعبي، والنخعي، وقاتدة في آخرين، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه<sup>(٥)</sup> النوافل بعد المفروضات، قاله ابن زيد. والثالث: أنه التسييح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات، رواه مجاهد عن ابن عباس. وروي عن أبي الأحوص أنه قال في جميع التسييح المذكور في هاتين الآيتين كذلك.

﴿وَأَسْبِغْ يَوْمَ يَدَا الْكَاذِبِ﴾<sup>(٦)</sup> يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْكَاذِبِ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١٢﴾ نَحْنُ أَكْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَسْبِغْ يَوْمَ يَدَا الْكَاذِبِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «ينادي المنادي» بياء في الوصل. ووقف ابن كثير بياء، ووقف نافع وأبو عمرو بغير ياء. ووقف الباقون ووصلوا بياء. قال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: واستمع حديث يوم ينادي المنادي. قال المفسرون: والمنادي: إسماعيل، يقف على صخرة بيت المقدس فينادي: يا أيها الناس هلموا إلى الحساب، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء؛ وهذه هي النفخة الأخيرة. والمكان القريب: صخرة بيت المقدس. قال كعب ومقاتل: هي قرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلاً. وقال ابن السائب: بانني عشر ميلاً. قال الزجاج: ويقال: إن تلك الصخرة في وسط الأرض<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ وهي [هذه] النفخة الثانية «بِالْحَقِّ» أي: بالبعث الذي لا شك فيه ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: نُميت في الدنيا ونُحيي للبعث ﴿وَأِنَّا الْكَاذِبِ﴾ بعد البعث، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: «تَشَقَّقُ» بتشديد الشين؛ وقرأ الباقون بتخفيفها: ﴿سِرَاعًا﴾ أي: فيخرجون منها سراعاً. ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هيئ. ثم عزى نبيّه فقال: ﴿نَحْنُ أَكْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في تكذيبك، يعني كفار مكة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ قال ابن عباس: لم تبعث لتجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكراً،

(١) ذكره الطبري عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٠/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وابن المنذر عن قتادة، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن الحسن وقاتدة.

(٢) «لا تضامون» يجوز ضم التاء وفتحها. وهو بتشديد الميم من الضم، أي: لا ينضم بعضهم إلى بعض، ولا يقول: أرنه، بل كل ينفر برويته. وروي بتخفيف الميم من الضم، وهو الظلم، يعني: لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضهم دون بعض، بل تستون كلكم في رؤيته تعالى.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٥٨/٨، ومسلم ٤٣٩/١، ورواه أحمد في «المستند» وأصحاب «السنن» عن جرير بن عبد الله.

(٤) في الأصل: أنها.

(٥) ذكره البيهقي عن مقاتل بغير سند، والهازم بغير سند ولم يعزه لأحد، وذكره ابن جرير الطبري ١٨٣/٢٦ عن قتادة عن كعب الأحبار مطولاً، ومختصراً عن بريدة. ولورده السيوطي في «الدر» ١١٠/٦ من رواية ابن عساكر والواسطي في «فضائل بيت المقدس» عن يزيد بن جابر.

وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم؛ وأنكر الفراء هذا القول فقال: العرب لا تقول: «فَعَالٌ مِنْ أَفْعَلْتُ» لا يقولون: «خَرَّاجٌ يريدون «مُخْرِجٌ» ولا «دُخَالٌ» يريدون «مُدْخِلٌ»، إنما يقولون «فَعَالٌ» من «فَعَلْتُ»، وإنما الجَبَّارُ هنا في موضع السلطان من الجبرية، وقد قالت العرب في حرف واحد: «دَرَاكٌ» من «أَذْرَكْتُ» وهو شاذ، فإن جعل هذا على هذه الكلمة فهو وجه. وقال ابن قتيبة: «يَجْبَرُ» أي: بمسلط، والجَبَّارُ: المليك، سُمِّيَ بذلك لِتَجْبِرَهُ، يقول: لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمَلِكٍ مُسَلِّطٍ. قال اليزيدي: لَسْتُ بِمَسْلُطٍ فَتَقْهَرُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ. وقال مقاتل: لِنَقْتُلَهُمْ. وذكر المفسرون أن قوله: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: «تَذَكَّرْ بِالَّذِينَ مِنْ أَلْفُزَانٍ» أي: فَعِظْ بِهِ «مَنْ يَخَافُ وَعِيدِي» [وقرأ يعقوب: «وعيدي» بياء في الحالين]، أي: ما أوعدتُ مَنْ غَصَانِي مِنَ الْعَذَابِ<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن كثير: «تَذَكَّرْ بِالَّذِينَ مِنْ أَلْفُزَانٍ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِي» أي: بلغ أنت رسالة ربك، فإنما يتذكر من يخاف الله وعيده، ويرجو وعده كقوله تعالى: «إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَمَا عَلَيْكَ الْوَيْلُ مِنْ أَلْفُزَانٍ» وقوله جل جلاله: «تَذَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ۚ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسْلِمٍ»، «لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسْلِمٍ» وَلَكِنْ عَلَيْكَ مَذْهَبٌ وَلَتَجِدَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُشَاءُ»، «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»، ولهذا قال تعالى هاهنا: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ تَذَكَّرْ بِالَّذِينَ مِنْ أَلْفُزَانٍ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِي» اهـ.

## سورة الذاريات

### مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتُ ذُرَّاءُ﴾ ١ ﴿فَالْحَاقِلَاتُ فُكْرًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُزَيَّاتُ بُرْءًا﴾ ٣ ﴿فَالْمُكْسِتَاتُ لَافِقًا﴾ ٤ ﴿وَالَّذِينَ لَوْعٌ﴾ ٥ ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحُبُوبِ﴾ ٦ ﴿إِنَّا نَحْنُ غَدَاةٌ مِّنْ أَمَلٍ﴾ ٧ ﴿يَوْمَ مُمْ عَلَى النَّارِ يُقَنَّنُونَ﴾ ٨ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِكُمْ تَسْتَمِيلُونَ﴾ ٩ ﴿إِنَّ السَّمَوَاتِ فِي يَدَيْهِ جَنَّتِ وَجُودٌ﴾ ١٠ ﴿مَلِيذِينَ مَا هَانَتْهُمْ رَعْمُهُمْ لَيْسَ لَهُمْ كَاثِرٌ وَقَدْ خَشِعُوا﴾ ١١ ﴿كَأَنَّهُمْ قُلُوبٌ مِّنْ لَّيْلِ لَّا يَسْجُدُونَ﴾ ١٢ ﴿وَالْأَشْجَارُ أَثْمَارُهُمْ يُسْتَفْزَرُونَ﴾ ١٣ ﴿وَقَدْ أُنْزِلَتْهُمْ حَقٌّ لِلَّسَالِ وَالْخُرُوبِ﴾ ١٤ ﴿وَفِي الْأَرْضِ مَائِدَاتُ الْيَتِيمِينَ﴾ ١٥ ﴿وَفِي الْأَفْئِدَةِ آفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ١٦ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ١٧ ﴿وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ يَتْلُو مَا أَكُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ١٨

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتُ ذُرَّاءُ﴾ ١ يعني الرِّيح، يقال: ذَرَّتْ الرِّيحُ الترابَ تَذْرُوهُ ذُرْوًا: إذا فَرَّقَتْه. قال الزجاج: يقال: ذَرَّتْ فهي ذارية، وأذَرَتْ فهي مُذَرِّية، بمعنى واحد. ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾، مجرور على القسم، المعنى: أخلف بالذاريات وهذه الأشياء، والجواب ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ٤، قال قوم: المعنى: وربُّ الذاريات، وربُّ الجاريات.

قوله تعالى: ﴿فَالْحَاقِلَاتُ فُكْرًا﴾ ٢ يعني السحاب التي تحمل وقرها من الماء. ﴿فَالْمُزَيَّاتُ بُرْءًا﴾ ٣ يعني السفن تجري ميسرة [في الماء] جرياً سهلاً. ﴿فَالْمُكْسِتَاتُ لَافِقًا﴾ ٤ يعني الملائكة تقسم الأمور على ما أمر الله به<sup>(١)</sup>. قال ابن السائب: والمقسّمات أربعة، جبريل، وهو صاحب الوحي والغلظة، وميكائيل، وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل، وهو صاحب الصور واللّوح، وعزرائيل، وهو قابض الأرواح. وإنما أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته. ثم ذكر المُقَسِّم عليه فقال: ﴿إِنَّا مَا تُوعَدُونَ﴾ ٥ أي: من الثواب والعقاب يوم القيامة ﴿لَصَادِقٌ﴾ ٤ أي: لحق. ﴿وَالَّذِينَ لَوْعٌ﴾ ٥ فيه قولان: أحدهما: الحساب. والثاني: الجزاء ﴿لَوْعٌ﴾ ٥ أي: لكائن. ثم ذكر قسماً آخر فقال: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْحُبُوبِ﴾ ٦ وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين: «الحَبْكُ» بكسر الحاء والباء جميعاً. وقرأ عثمان بن عفان، والشعبي، وأبو العالية، وأبو حيوة: «الحَبْكُ» بكسر الحاء وإسكان الباء. وقرأ أبيُّ بن كعب، وابن عباس وأبو رجاء، وابن أبي عبيدة: «الحُبُوكُ» برفع الحاء وإسكان الباء. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة: «الحَبْكُ» بفتح الحاء والباء جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وأبو الجوزاء، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «الحَبْكُ» بفتح الحاء وكسر الباء. ثم في معنى «الحبك» أربعة أقوال: أحدها: ذات الخلق الحسن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. والثاني: البُنيان المُثَقَّن، قاله مجاهد. والثالث: ذات الرينة، قاله سعيد بن جبيرة. وقال الحسن: حُبْكُهَا: نُجُومُهَا. والرابع: ذات الطرائق، قاله الضحاك واللفويون<sup>(٢)</sup>. وقال الفراء: الحَبْكُ: تَكْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ كَالرَّمْلِ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ السَّاكِنَةُ، والماء القائم إذا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ، والشَّعْرَةُ الجَفْدَةُ تَكْشَرُهَا حُبْكٌ، وواحد الحُبْكُ: جِباكَ وَحِيكَة. وقال الزجاج: أهل اللغة يقولون: الحُبْكُ: الطرائق الحسنة، والمَحْبُوكُ في اللغة: ما أجيد عمله، وكل ما تراه من الطرائق

(١) قال السيوطي في «الدرر» ١١١/٦: أخرجه عبد الرزاق، والرياحي، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف» والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» من طرق عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتُ ذُرَّاءُ﴾ ١ قال: الرياح ﴿فَالْحَاقِلَاتُ فُكْرًا﴾ ٢ قال: السحاب ﴿فَالْمُزَيَّاتُ بُرْءًا﴾ ٣ قال: السفن ﴿فَالْمُكْسِتَاتُ لَافِقًا﴾ ٤ قال: الملائكة.

(٢) قال ابن كثير: وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء، كما قال ابن عباس عليه السلام، فإنها من حسنها مرتفعة شفافه صفيقة شديدة البهاء، متسعة الأرجاء، أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات.

في الماء وفي الرَّمْل إذا أصابته الرِّيح فهو حُبْك. وروي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: هذه هي السماء السابعة. ثم ذكر جواب القَسَم الثاني، قال: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَبِئْسَ قَوْلُ غُلَّابٍ﴾ في أمر محمد ﷺ، بعضكم يقول: شاعر، وبعضكم يقول: مجنون. وفي القرآن [بعضكم] يقول: سِخْر، وبعضكم يقول: كَهانة وَرَجَز، إلى غير ذلك. ﴿يُؤْثِقُكَ عَنْهُ مَنَ أَيْكُ﴾ أي: يُضَرِّفُ عن الإيمان [به] مَن ضَرَفَ [فَحَرَمَهُ]، [والهَاء في «عنه» عائدة إلى القرآن، وقيل: يُضَرِّفُ عن هذا القول، أي: من أجله وسببه عن الإيمان من ضَرَفَ]. وقرأ قتادة: «مَنْ أَفَكَ» بفتح الالف والفاء. وقرأ عمرو بن دينار: «مَنْ أُولَكَ» بفتح الالف وكسر الفاء. ﴿يُؤَلِّمُ الْفَرَصُونَ﴾ قال الفراء: يعني [لَعْن] الكذَّابون الذين قالوا: إن النبي ﷺ ساحر وكذَّاب وشاعر، خَرَصُوا ما لا علم لهم به. وفي رواية العوفي عن ابن عباس: أنهم الكهنة. وقال ابن الأنباري: والقتل إذ أخبر عن الله به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ﴾ أي: في عمى وجهالة بأمر الآخرة: ﴿سَاهَوْنَ﴾ أي: غافلون. والسَّهْو: الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه. ﴿يَسْتَأْذِنُ أَيَّامَ الْآزِينِ﴾ أي: يقولون: يا محمد متى يومُ الجزاء؟! تكذيباً منهم واستهزاء. ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى أَنْفَارٍ﴾ قال الزجاج: «اليوم» منصوب على معنى: يقع الجزاء يومُ هُمْ على النَّارِ ﴿يَنْفَتُونَ﴾ أي: يُحَرِّقُونَ ويُعَذِّبُونَ، ومن ذلك يقال للحجارة الشُّود التي كانها قد أحرقت بالنار: القَيْن.

قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا﴾ المعنى: يقال لهم: ذوقوا ﴿وَيَنْتَكِرُ﴾ وفيها قولان: أحدهما: تكذيبكم، قاله ابن عباس. والثاني: حريقكم، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: هاهنا تم الكلام، ثم انتشف، فقال: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ قال المفسرون: يعني الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا استهزاء. ثم ذكر ما وعد الله لأهل الجنة فقال: ﴿إِنَّكَ الْمُنْتَفِئِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنُحُورٍ﴾ وقد سبق شرح هذا [البقرة: ٢٥، الحجر: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿الْمُتَنَبِّئِينَ﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، فالمعنى: في جَنَاتٍ وعيون في حال أخذ ﴿مَا أَنْتُمْ بِهِ﴾ قال المفسرون: أي ما أعطاهم الله من الكرامة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قُلُوبَ كَيْفَ تُحْسِنِينَ﴾ في أعمالهم. وفي الآية وجه آخر: ﴿الْمُتَنَبِّئِينَ مَا أَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: عاملين بما أمرهم به من الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قُلُوبَ كَيْفَ﴾ أن تفرض الفرائض عليهم، ﴿تُحْسِنِينَ﴾ أي: مطيعين، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية مسلم البطين<sup>(١)</sup>. ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا قُلُوبَ كَيْفَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَهْجُرُوا﴾ والهُجُوع: التَّوَمُّ بالليل دون النهار<sup>(٢)</sup>. وفي «ما» قولان: أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: أحدهما: كانوا يسهرون قليلاً من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: هو ما بين المغرب والعشاء. والثاني: كانوا ما ينامون قليلاً من الليل. واختار قوم الوقف على قوله: «قليلاً» على معنى: كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتداء فقال: «من الليل ما يهجمون» على معنى نفي النوم عنهم البتة، وهذا مذهب الضحَّاك، ومقاتل. والقول الثاني: أن «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلاً من الليل الذي يهجمونه، وهذا مذهب الحسن، والأحف بن قيس، والزهرري، وعلى هذا يحتمل أن تكون «ما» زائدة.

قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَنْفَارِ هُمْ يَسْتَفْتُونَ﴾ وقد شرحناه في [آل عمران: ١٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا﴾ أي: نصيب، وفيه قولان: أحدهما: أنه ما يَصِلُونَ به رَجِماً، أو يَقْرُونَ به ضيقاً، أو يحملون به كلاً، أو يَعِينُونَ به محروماً، وليس بالزكاة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزكاة، قاله قتادة، وابن سيرين.

(١) رواه ابن جرير ١٩٦/٢٦ وفي سننه ضعف وانقطاع، وذكره ابن كثير عن عثمان بن أبي شيبة بسند حسن. وقد رد ابن كثير على ابن جرير هذا التفسير الذي أورده في «تفسيره» واقتصار عليه بقوله: والذي فسر به ابن جرير، فيه نظر، لأن قوله تبارك وتعالى: ﴿الْمُتَنَبِّئِينَ﴾ حال من قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا﴾ فالمفتون في حال كونهم في الجنان والعيون آخذين ما أتاهم ربهم، أي: من النعم والسور والنبطة. وقوله ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قُلُوبَ كَيْفَ﴾ أي: في الدار الدنيا ﴿يُسْتَفْتُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَتَانِي مِنْهُنَّ حَبِيبَاتٌ مِمَّنْ شَقِقَتْ﴾ والآية للآية.

(٢) روى أحمد في «المستدرك» والترمذي وابن ماجه في «استنها» بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس عليه (أي: ذهبوا)، مسرعين إليه فكانت فيمن انجفل، فلما تبين وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام».



قوله تعالى: ﴿لَتَلَوَّلِيَّ﴾ وهو الطالب. وفي: «المَحْرُوم» ثمانية أقوال: أحدها: أنه الذي ليس له سهم في شيء المسلمين، وهو المحارف<sup>(١)</sup>، قاله ابن عباس. وقال إبراهيم: هو الذي لا سهم له في الغنيمة. والثاني: أنه الذي لا ينمي له شيء، قاله مجاهد، وكذلك قال عطاء: هو المحروم في الرزق والتجارة. والثالث: أنه المسلم الفقير، قاله محمد بن علي. والرابع: أنه المتعفف الذي لا يسأل شيئاً، قاله قتادة، والزهري. والخامس: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله الحسن بن محمد ابن الحنفية. والسادس: أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيد. والسابع: أنه المملوك، حكاه الماوردي. والثامن: أنه الكلب، روي عن عمر بن عبد العزيز. وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم. وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفف لا يسأل - ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل - ثم يتحفظ بالمتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروماً من قتل نفسه حين لم يسأل، ومن قبل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفطن له متيقظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْأَرْضِ مَيْتٌ﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك ﴿لَتَرْفِقَنَّ﴾ بالله ﷻ الذين يعرفونه بصنعه. ﴿رَبِّ أُنْثَى﴾ آيات إذ كنتم نطفاً، ثم عظاماً، ثم علقاً، ثم مضغاً، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف، ثم اختلاف الصور والألوان والطباع، وتقويم الأدوات، والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم. وتم الكلام عند قوله: «وفي أنفسكم»، ثم قال: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أُنْثَى﴾ وقرأ أبي بن كعب، وحמיד، وأبو حصين الأسدي: «أَزْزَأَكُمْ» براء ساكنة وبالف بين الزاي والقاف. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو نهيك: «ارزؤكم» بفتح الزاء وكسر الزاي وبالف بينهما. وعن ابن محيصن<sup>(٣)</sup> كهاتين القراءتين. وفيه قولان: أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور. والثاني: الجنة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. وفي قوله: ﴿مَا تَوْعَدُونَ﴾ قولان: أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمهر مجازة: عند من في السماء رزؤكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضْمِر، قال نابغة [ذياب]:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أُنْثَى

يُقَفِّعُ خَلْفَ رَجُلَيْنِ بِشْنٍ<sup>(٤)</sup>

أراد: كأنك جمل من جمال بني أنثى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ قال الزجاج: يعني ما ذكره من أمر الآيات والرزق وما توعدون وأمر النبي ﷺ ﴿يُنْزِلُ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يُنْزِلُ» برفع اللام. وقرأ الباقون بنصب اللام. قال الزجاج: فمن رفع «يُنْزِلُ» فهي من صفة الحق، والمعنى: إنه لَحَقُّ يُنْزِلُ نطقكم؛ ومن نصب فعلى ضربين: أحدهما: أن يكون في موضع رفع، إلا أنه لما أُضيف إلى «أَنْ» فُتِح. والثاني: أن يكون منصوباً على التأكيد، على معنى: إنه لَحَقُّ حَقّاً يُنْزِلُ نطقكم، وهذا الكلام كما تقول: إنه لَحَقُّ كما أنك تتكلم.

﴿هَلْ أَنْتَ حَبِثٌ بِرَبِّهِمُ الْمَكْرُومِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَأَى إِلَهُهُمُ فَبَهِتَ بِمِثْلِ سَيِّدٍ (٢٦) فَذَرَاهُمْ أَهْلَهُمْ قَالُوا لَا خَفَافَ لَهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْثُ وَبَشِّرُوهُمْ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ (٢٧) فَأَقْبَلَتْ أُمْرَأَتُهُ فِي صَرَرٍ فَصَكَّتْ (٢٨)

(١) قال في «الصحاح»: ورجل محارف، بفتح الحاء، وهو خلاف قولك: مبارك، وقد حورف كسب فلان: إذا شدد عليه في معاشه، كأنه ميل برزقه عنه.

(٢) قال ابن جرير الطبري: ﴿رَبِّ أُنْثَى﴾ أيضاً أيها الناس آيات وعبر لتلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تظنون في ذلك فتصنعوا فيه فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم؟

(٤) تقدم البيت ٥٥٨.

(٣) في الأصل: «محيصن».

وَجَعَلَهَا رَقَاتٍ جَوْرٍ عَقِيمٌ ﴿١٦﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا إِنَّا أَنْتِلَاكَ لَكَ قَوْمٌ نَجْرِينَ ﴿١٩﴾ لِيَرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٢٠﴾ مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِينَ ﴿٢١﴾ فَأَنْزَلْنَاهَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢﴾ مَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَرَكَّعَا ذَبَابًا بِأَيْدِي اللَّيْلِ يَصَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ صَبَإٍ لِزَيْمِ الْمَكْرُورِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ «هل» بمعنى «قد» في قول ابن عباس، ومقاتل، فيكون المعنى: قد أتاك فاستمع نقضه عليك، وضيغه: هم الذين جاؤوا بالبشرى. وقد ذكرنا عددهم في [هود: ٧٠]، وذكرنا هناك معنى الضيف. وفي معنى «المكرورين» أربعة أقوال: أحدها: لأنه أكرمهم بالعجل، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: بأن خدمهم هو وامراته بأنفسهما، قاله السدي. والثالث: أنهم مكرمون عند الله، قاله عبد العزيز بن يحيى. والرابع: لأنهم أضياف، والأضياف مكرمون، قاله أبو بكر الوراق.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَنَلَاكَ قَدِ ذَكَرْنَاهُ فِي [هود: ٧٠].

قوله تعالى: ﴿قَوْمٌ شُكْرُونَ﴾ قال الزجاج: ارتفع على معنى: أنتم قومٌ مذكرون. وللمفسرين في سبب إنكارهم أربعة أقوال: أحدها: لأنه لم يعرفهم، قاله ابن عباس. والثاني: لأنهم سلموا عليه، فأنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض، قاله أبو العالية. والثالث: لأنهم دخلوا [عليه] من غير استئذان. والرابع: لأنه رأى فيهم صورة البشر وصورة الملائكة.

قوله تعالى: ﴿رَأَى لَكَ آهْلِيكَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عدل إليهم في حقيقته، ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك.

قوله تعالى: ﴿فَمَلَّةٌ يَمْشِي سَبِيلَ﴾ وكان مشوياً ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ قال الزجاج: والمعنى: فقربه إليهم ليأكلوا منه، فلم يأكلوا، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ ١٩ على التكثير، أي: أمركم في ترك الأكل مما أنكره<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قد شرحناه في [هود: ٧٠]، وذكرنا معنى: «غلام عليم» في [الحجر: ٥٤]. ﴿فَأَبَنتَ لَهُمْ أَمْزَاجَهُمْ﴾ وهي: سارة. قال الفراء وابن قتيبة: لم تُقبل من موضع إلى موضع، وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني، وأقبل يصيح ويتكلم، أي: أخذ في ذلك، والصرّة: الصيحة. وقال أبو عبيدة: الصرة: شدة الصوت. وفيما قالت في صحتها قولان: أحدهما: أنها تأوّهت، قاله قتادة. والثاني: أنها قالت: يا ويلتا، ذكره الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَصَكَتَ رَجَعَهَا﴾ فيه قولان: أحدهما: لطمت وجهها، قاله ابن عباس. والثاني: ضربت جبينها تعجباً، قاله مجاهد. ومعنى الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض<sup>(٢)</sup>. ﴿وَقَاتَكَ جَحْرٌ﴾ قال الفراء: هذا مرفوع بإضمار «أتيلد عجوزاً». وقال الزجاج: المعنى: أنا عجوز عقيم، فكيف إله؟ وقد ذكرنا معنى «العقيم» في [هود: ٧٢]. ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ أنك ستلدين غلاماً، والمعنى: إنما نخبرك عن الله ﷻ وهو حكيم عليم يقدّر أن يجعل العقيم ولوداً، فعلم [حيثئذ] إبراهيم أنهم ملائكة. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مفسر في [الحجر: ٥٧].

قوله تعالى: ﴿جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو الأجر.

قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ قد شرحناه في [هود: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِينَ﴾ قال ابن عباس: للمسرّكين.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَاهَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الآية.

[هود: ٨٢].

(١) قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾: تُلغف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: تأنيمكم بطعام. بل جاء به بسرعة وخفاء، رأى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فني سمين مشوي. فقربه إليهم، لم يضعه، وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تفضل وتحسن وتصدق فأفعل.

(٢) قال في، «اللسان»: الصك: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامة بأي شيء كان، صكه يصكه صكاً.

﴿قَا وَهَآءَا فِيهَا عَذَابٌ يُعَذِّبُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهو لوط وابنتاه، وصفهم الله ﷻ بالإيمان والإسلام، لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿وَرَزَقْنَا فِيهَا آيَةً﴾ أي: علامة للخائفين من عذاب الله تذلُّهم على أن الله أهلهم. وقد شرحنا هذا في المنكبات: ٢٥ وبَيَّنَّا الْمَكْنَى عنها.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٨﴾ نَوَكَّ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِيرُ أَوْ جَحْوُ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّهَتْهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَفِي هَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْأُتْبِيِّ ﴿٣٢﴾ وَفِي نُوحٍ إِذْ قَالَ لَهُمْ تَتَّبِعُوا حَتَّىٰ جَاءَ فِرْعَوْنَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٣٣﴾ قَا اسْتَطْلَعُوا مِنْ بَيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٣٤﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٥﴾ وَالشَّامَةُ بَيْنَهُمَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالْأَرْضُ فَرَشَتْهَا فِئَمَ الْمَهْدُونَ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَجُلَيْنِ لَتَلَكَّرَ فِيْهِمُ لَكْرٌ ﴿٣٨﴾ فَرَأَوْا إِلَى اللَّهِ إِيَّيْكَ لَكْرٌ مِنْهُ لِيُبَيِّنَ ﴿٣٩﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَّا رَأَىٰ لَكْرٌ مِنْهُ لِيُبَيِّنَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ أي: وفيه أيضاً آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة ظاهرة ﴿نَوَكَّ﴾ أي: أعرض ﴿بِرُكْبِهِ﴾ قال مجاهد: بأصحابه. وقال أبو عبيدة: «بركته» و «بجانيه» سواء، إنما هي ناحيته ﴿وَقَالَ سِيرُ﴾ أي: وقال لموسى: هذا ساحر ﴿أَوْ جَحْوُ﴾ وكان أبو عبيدة يقول: «أو» بمعنى الواو. فأما «اليم» فقد ذكرناه في (الأعراف: ١٣٦) و «مليم» في (الصافات: ١٤٢).

قوله تعالى: ﴿وَفِي هَادٍ﴾ أي: في إهلاكهم آية أيضاً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (١) وهي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تُلْقِحُ شَجراً ولا تَحُولُ مطراً، وإنما هي للإهلاك. وقال سعيد بن المسيب: هي الجَنُوبُ. ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: من أنفسهم وأموالهم، ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْأُتْبِيِّ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي. قال الفراء: الرَّمِيمُ: نبات الأرض إذا بَيَسَ وَبَيَسَ. وقال الزجاج: الرَّمِيمُ: الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم. ﴿وَفِي نُوحٍ﴾ آية أيضاً ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ تَتَّبِعُوا حَتَّىٰ جَاءَ فِرْعَوْنَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ في قولان: أحدهما: أنه قيل لهم: تَتَّبِعُوا في الدنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهتدوا لهم. والثاني: أن صالحاً قال لهم بعد عقر الناقة: تَتَّبِعُوا ثلاثة أيام؛ فكان الجين وقت فناء آجالهم، ﴿فَتَتَّبِعُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ قال مقاتل: عصوا أمره ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل. وقرأ الكسائي وحده: «الصَّعْقَةُ» [يسكون العين من غير ألف]؛ وهي الصَّوْت الذي يكون عن الصاعقة.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ في قولان: أحدهما: يَرَوْنَ ذلك عياناً. والثاني: وهم يَنْتَظِرُونَ العذاب، فاتاهم صيحة يوم السبت.

قوله تعالى: ﴿قَا اسْتَطْلَعُوا مِنْ بَيَارٍ﴾ في قولان: أحدهما: ما استطاعوا نُهوضاً من تلك الصَّرعَة. والثاني: ما أطاقوا ثُبوتاً لعذاب الله ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ﴾ قرأ أبو عمرو إلا عبد الوارث، وحمزة، والكسائي: بخفض الميم، وروى عبد الوارث رفع الميم، والباقون بنصبها. قال الزجاج: من خفض القوم فالمعنى: وفي قوم نوح آية، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ فإن معناه: أهلكناهم، فيكون المعنى: وأهلكنا قوم نوح، والأحسن - والله أعلم - أن يكون محمولاً على قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ وَجُودُهُ فَبَدَّهَتْهُمُ فِي الْيَمِّ﴾ لأن المعنى: أغرقناه، وأغرقنا قوم نوح. ﴿وَالشَّامَةُ بَيْنَهُمَا﴾ المعنى: وبيننا السماء بينهما ﴿بَبَيِّنَةٍ﴾ أي بقوة، وكذلك قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسائر المفسرين واللغويين: «بأيدي» أي بقوة. وفي قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُونَ﴾ خمسة أقوال: أحدها: لموسعون الرزق بالمطر، قاله الحسن. والثاني: لموسعون السماء، قاله ابن زيد. والثالث: لقادرون، قاله ابن قتيبة. والرابع: لموسعون ما بين السماء والأرض، قاله الزجاج. والخامس: لذو سعة لا يضيق عما يريد، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشَتْهَا فِئَمَ الْمَهْدُونَ﴾ قال الزجاج: هذا عطف على ما قبله منصوب بفعل مضمر

(١) وهي الديور، فقد روى مسلم في (صحيحه) ٦١٧/٢ عن عبد الله بن عباس ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالديور».



محذوف يدل عليه قوله: «فرشناها»، فالمعنى فرشنا الأرض فرشناها ﴿فَتَمَّ الْتَهْدُونَ﴾ أي: فيعم الماهدون نحن. قال مقاتل: «فرشناها» أي: بسطانها مسيرة خمسمائة عام، وهذا بعيد، وقد قال قتادة: الأرض عشرون ألف فرسخ<sup>(١)</sup>، والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿زَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَّمْنَا نَدَبَيْنِ﴾، أي: صنفين ونوعين كالذكر والأنثى، والبر والبحر، والليل والنهار، والحلو والمر، والثور والظلمة، وأشباه ذلك ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَدْعُونِ﴾ فتعلموا أن خالق الأزواج واحد. ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوبة من ذنوبكم؛ والمعنى: اغربوا مما يوجب العقاب من الكفر والعصيان إلى ما يوجب الثواب من الطاعة والإيمان.

﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنَّ﴾ ﴿أَتَوَسَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿قَوْلَ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلَكٍ﴾ ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيِّنِ﴾ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا يَحِلُّ ذُنُوبُ أَحْسَنِمْ فَلَا يَسْتَعْمِلُونَ﴾ ﴿قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما كذبت قومك وقالوا: ساحر أو مجنون، كانوا من قبلك يقولون للأنبياء.

قوله تعالى: ﴿أَتَوَسَّوْا بِهِمْ﴾ أي: أوصى أولهم آخرهم بالكذب! وهذا استفهام توبيخ. وقال أبو عبيدة: اتواطوا عليه فأخذ بعضهم من بعض!؟

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي يحملهم الطغيان فيما أعطوا من الدنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة. ﴿قَوْلَ عَنَّهُمْ﴾ فقد بلغتهم ﴿فَمَا أَنْتَ﴾ عليهم ﴿يَلْمُوزُ﴾ لأنك قد أدبت الرسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة، ولهم في ناسخها قولان: أحدهما: أنه قوله: ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. والثاني: آية السيف. وفي قوله: «وذكر» قولان: أحدهما: عطف، قاله مقاتل. والثاني: ذكرهم بأيام الله وعذابه ورحمته، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أثبت الباء في «يعبدون» و «يطيعون» و «لا يستعملون» في الحاليين يعقوب. واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: إلا لأمرهم أن يعبدوني، قاله علي بن أبي طالب، واختاره الزجاج. والثاني: إلا ليقرروا بالعبودية طوعاً وكرهاً، قاله ابن عباس؛ وبيان هذا قوله: ﴿وَكَيْفَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيُقَرُّوا لِلَّهِ﴾ [الزعر: ١٨٧]. والثالث: أنه خاص في حق المؤمنين. قال سعيد بن المسيب: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني. وقال الضحاك، والفراء، وابن قتيبة: هذا خاص لأهل طاعته، وهذا اختيار القاضي أبي يعلى فإنه قال: معنى هذا الخصوص لا العموم، لأن البهائم والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، فكذلك الكفار يخرجون من هذا بدليل قوله: ﴿وَلَكِنَّ دَرَاكًا لِيَهْتَمَّ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فمن خلق للشقاء ولجهنم، لم يخلق للعبادة. والرابع: إلا ليعضدوا إليّ ويتذلّلوا. ومعنى العبادة في اللغة: الذل والانقياد. وكلُّ الخلق خاضعٌ ذليلٌ لقضاء الله ﷻ لا يملك خروجاً عما قضاه الله ﷻ، هذا مذهب جماعة من أهل المعاني.

قوله تعالى: ﴿فَمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ أي: أن يطيعوا أحداً من خلقي، لأنني أنا الرزاق. وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله، ومن أطعم عياله أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا ابن آدم: استطعتك فلم تطعمني»، أي: لم تطعم عبيدي<sup>(٢)</sup>. فأمّا ﴿الرَّزَّاقُ﴾ فقرأ الضحاك، وابن محيصن: «الرازق» بوزن «العالم». قال الخطابي: هو المشكّل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها. ﴿الْكَلْبِينَ﴾ الشديد القوة الذي لا تنقطع قوته ولا يلحقه في

(١) ليس في هذا خبر عن الشارح، وإنما هو ضرب من الظن وال تخمين.

(٢) وهو قطعة من حديث طويل رواه مسلم في «صحيحه» ١٩٩٠/٤، ونصه: عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعطني، قال: يا رب كيف أهولك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبيدي فلاناً مرض فلم تعد، أما علمت أنك لو عدته لوجعني؟ قلت: يا ابن آدم استطعتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمتك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعتك عبيدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استنبتك فلم تسقي، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبيدي فلان فلم تسقه، أما إنك لم تسقيه ووجدت ذلك عندي».



أفعاله مَشَقَّة. وقد روى قتبية عن الكسائي أنه قرأ: «المتين» بكسر النون. وكذا قرأ أبو رزين، وقتادة، وأبو العالية، والأعمش. قال الزجاج: «دُو الْقُوَّة المتين» أي: ذو الاقتدار الشديد، ومن رفع «المتين» فهو صفة الله ﷻ، ومن خفضه جعله صفة للقوة، لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، فهو كقوله: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» [البقرة: ٢٧٥].

قوله تعالى: «إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» يعني مشركي مكة «ذُنُوبًا» أي: نصيباً من العذاب «يُنْثَلُ ذُنُوبُ أَصْحَابِهِمُ» الذين أهلكوا، كقوم نوح وعاد وثمود. قال الفراء: الذُّنُوبُ في كلام العرب: الدَّلُؤُ العظيمة، ولكن العرب تذهب بها إلى النَّصِيب والحِطُّ: <sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

لَنَا ذُّنُوبٌ وَلَكُمُ ذُّنُوبٌ      فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ <sup>(٢)</sup>  
والذُّنُوبُ يُذَكَّرُ ويؤنث. وقال ابن قتيبة، أصل الذُّنُوب: الدَّلُو العظيمة، وكانوا يَسْتَقُونَ، فيكون لكل واحد ذُّنُوبٌ، فيجعل «الذُّنُوب» مكان «الحِطُّ والنَّصِيب».

قوله تعالى: «فَلَا يَسْتَمْلُونَ» أي: بالعذاب إن أُخْرُوا إلى يوم القيامة، وهو يومهم الذي يوعدون، ويقال: هو يوم بدر.



(١) وتام كلام الفراء: وبذلك أتى الضمير، فإن للذين ظلموا حِطًّا من العذاب كما نزل بالذين من قبلهم.

(٢) البيت في مسماني القرآن» الورقة ٣١٣، و«الطبري» ٢٧/٤٤، و«البحر» ٨/١٣٢، و«اللسان» و«التاج»: ذنب. والقلب: البثر.

## سورة الطور

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٌ ٢ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ٣ وَالْيَتَّى أَلَمْتُورُ ٤ وَالْعَقِفَ الرَّوْعُ ٥ وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَاقِعٌ ٧ مَا لَمْ يَنْ دَافِعٌ ٨ يَوْمَ تُنْفَخُ أَلْسِنُهُمْ مَوْزًا ٩ وَيَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ قَوْلًا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي حُوزِهِ يَلْعَمُونَ ١٢ يَوْمَ يَدْعُوتُ لِكُلِّ نَارٍ جَهَنَّمُ دَعَا ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٥ أَصْلَحْنَا قَاصِرًا أَوْ لَا تَصِيرُوا سِوَاهُ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ١﴾ هذا قسم بالجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى ﷺ، وهو بأرض مدين لإواسمه زبيراً<sup>(١)</sup>. ﴿وَكَتَبَ مَسْطُورٌ ٢﴾ أي: مكتوب، وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه اللوح المحفوظ، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: كتب أعمال بني آدم، قاله مقاتل، والزجاج. والثالث: التوراة. والرابع: القرآن، حكاهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ﴾ قال أبو عبيدة: الرُّقُّ: الزُّرْق. فأما المنشور: فهو المبسوط.

قوله تعالى: ﴿وَالْيَتَّى أَلَمْتُورُ ٤﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بيت في السماء. وفي أي سماء هو؟ [فيه] ثلاثة أقوال: أحدها: [أنه] في السماء السابعة، رواه أنس عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وحديث مالك بن صعصعة الذي أخرج في «الصححين» يدل عليه<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنه في السماء السادسة، قاله علي بن أبي حمزة<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه في السماء الدنيا، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس: هو حيال الكعبة يحجُّه كلُّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه حتى تقوم الساعة، يسمى الضُّراح. وقال الربيع بن أنس: كان البيت المعمور مكان الكعبة في زمان آدم، فلما كان زمن نوح أمر الناس بحجِّه، فعصوه، فلما طغى الماء رُفِعَ فجُعِلَ بحذاء البيت في السماء الدنيا<sup>(٦)</sup>. والثاني: أنه البيت الحرام، قاله الحسن. وقال أبو عبيدة: ومعنى «المعمور»: الكثير الغاشية.

قوله تعالى: ﴿وَالْعَقِفَ الرَّوْعُ ٥﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه السماء، قاله علي بن أبي حمزة والجمهور. والثاني: العرش، قاله الربيع.

(١) قال ابن كثير: يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، وأنه لا دافع له عنهم. قال: فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى، قال: وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً، إنما يقال له جبل. اهـ.

(٢) روى ابن جرير الطبري ١٧/٢٧ من حديث حماد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» ورواه الحاكم ٤٦٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ١١٦/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) حديث مالك بن صعصعة رواه البخاري في «صحيحه» ٢١٩/٦، ومسلم ١٥٠/١ وهو حديث طويل، والشاهد منه هنا قوله ﷺ: «فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحباً به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحباً بك من ابن نبي، فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، آخر ما عليهم...» واللفظ للبخاري.

(٤) رواه ابن جرير الطبري ١٦/٢٧ وفي سنده خالد بن عرعة وهو مجهول، وهو معارض للحديث الصحيح.

(٥) ذكره السيوطي في «الدرر» ١١٧/٦ ونسبه إلى ابن المنذر، والمقيلي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وضيف إسناده. وقال ابن كثير: والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة، والله أعلم.

(٦) والقول الأول، وهو أن البيت المعمور في السماء السابعة هو الصواب كما ثبت ذلك في «الصححين» وغيرهما.

قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه بحر تحت العرش ماؤه غليظ يُمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً فينبئون في قبورهم، قاله علي عليه السلام. والثاني: أنه بحر الأرض<sup>(١)</sup>، ذكره الماوردي. وفي ﴿السَّجُورِ﴾ أربعة أقوال: أحدها: المملوء، قاله الحسن، وأبو صالح، وابن السائب، وجميع اللغويين<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموقد، قاله مجاهد، وابن زيد. وقال شمر بن عطية: هو بمنزلة الثنور المسجور. والثالث: أنه اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، قاله أبو العالية. وروي عن الحسن قال: تسجر، يعني البحار، حتى يذهب ماؤها، فلا يبقى فيها قطرة. وقول هذين يرجع إلى معنى قول مجاهد. وقد نقل في الحديث «أن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً، فتزاد في نار جهنم»<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن «السجور» المختلط عذبه ببلحه، قاله الربيع بن أنس. فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدرته على أن تعذيب المشركين حتى، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾<sup>(٤)</sup> أي: لكائن في الآخرة. ثم بين متى يقع، فقال: ﴿وَمِمَّا تَخَوُّوا أَلْتَسَكُم مَوْرًا﴾<sup>(٥)</sup> وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: تدور دَوْرًا، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج. والثاني: تحرُّك تحرُّكاً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة. وقال أبو عبيدة: «تمور» أي: تكفأ، وقال الأعشى:

كَأَنَّ مَشْيَئَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتْهَا مَوْرُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلٌ<sup>(٦)</sup>

والثالث: يمجج بعضها في بعض لأمر الله تعالى، قاله الضحاك. وما بعد هذا قد سبق بيانه [التمل: ٨٨] إلى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْمِزُونَ﴾<sup>(٧)</sup> أي: يخوضون في حديث محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، ويلهون بذكره، فالويل لهم. ﴿وَمِمَّا يُدْعَوْنَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: يُدفعون، يقال: دَعَعْتُهُ أَدْعُهُ، أي: دفعته، ومنه قوله: ﴿يُدْعَى الْيَتِيمُ﴾ [الساكن: ٢]. قال ابن عباس: يُدفع في أعناقهم حتى يردوا النار. وقال مقاتل: تُغلُّ أيديهم إلى أعناقهم وتُجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعون إلى جهنم على وجوههم، حتى إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: ﴿هَٰذَا النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكَذِّبُونَ﴾<sup>(٨)</sup> في الدنيا «أَصْبَحَ هَذَا» العذاب الذي ترون؟ فإنكم زعمتم أن الرُّسل سحرة ﴿لَمْ أَتَهُمْ إِلَّا بِبُحْرَانٍ﴾<sup>(٩)</sup> النار؟ فلما ألقوا فيها قال لهم خزنتها: ﴿أَصْلَحُوا﴾. وقال غيره: لما نسبوا محمداً ﷺ إلى أنه ساحر يغطي على الأبصار بالسحر، ويخو عند رؤية النار بهذا التوبيخ، وقيل: ﴿أَصْلَحُوا﴾ أي: قاسوا شدتها «فَأَصْبَحُوا» على العذاب ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ دَعْوَاهُمْ﴾ الصبر والجزع ﴿إِنَّمَا يَجْرُونَ﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ فكذلك يَمَّا ءَاتَتْهُمْ رَحْمَةٌ وَوَقَّعَتْهُمْ رَحْمَةُ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَٰذَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> مَكْرِهِمْ عَلَى سُوءٍ مُّصَوِّفَةٍ وَرَضَتْهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿١١﴾

ثم وصف ما للمؤمنين بما بعد هذا، وقوله: ﴿فَنُكَبِّهِمْ﴾ قرئت بألف وبغير ألف، وقد شرحناها في [يس: ٥٥]، ﴿وَوَقَّعَتْهُمْ﴾ أي: صرف عنهم و [الحجيم] مذكور في [البقرة: ١١٩]. ﴿كُلُوا﴾ أي: يقال لهم: كُلُوا ﴿وَاشْرَبُوا هَٰذَا﴾ تأمنون حدوث المرض عنه. قال الزجاج: المعنى: ليهينكم ما صرتم إليه، وقد شرحنا هذا في سورة [النساء: ٤]. ثم ذكر حالهم عند أكلهم وشربهم، فقال: ﴿مُكْرَبِينَ عَلَىٰ سُورٍ﴾ وقال ابن جرير: فيه محذوف تقديره: على نمارق على سُورٍ، وهي جمع سرير ﴿مُصَوِّفَةٍ﴾ قد وُضع بعضها إلى جنب بعض. وباقى الآية مفسر في سورة [الدخان: ٥٤].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ آلَيْنَا إِنَّا جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْكُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>(١٢)</sup> وَكَفَرُوا وَكَفَرُوا بِمَا يَتَّبِعُونَ ﴿يَتَّبِعُونَ فِيهَا كَلَامًا لَا تَعُو فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾<sup>(١٣)</sup> وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلْفَانُ لَهُمَا كَأَنَّهُمْ لَوُؤْلُؤُ مَكْرُونٍ ﴿١٤﴾ وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَلَّوْنَ ﴿١٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي آهَالِنَا مُشْفِقِينَ ﴿١٦﴾ فَنَسِيَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾

(١) وهو قول الجمهور، والأول لا يصح.

(٢) لم نقف على هذا الحديث مستنداً فيما بين أيدينا من المصادر، وقد أورده بعض المفسرين كالمصنف بلا سند.

(٣) «ديوانه»، ٥٥، و«مجاز القرآن»، ٢٣١/٢، و«الطبري»، ٢٧/٢٠، و«مختار الشعر الجاهلي»، ٩٧/٢، و«اللسان» و«التاج»: مور. وفي «الديوان»: «مُرٌّ بدل مور».

(٤) «مُرٌّ».

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «وَاتَّبَعْتَهُمْ» بالتاء «ذُرِّيَّتَهُمْ» واحدة ﴿يَوْمَ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ واحدة أيضاً. وقرأ نافع: «وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» واحدة «بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعاً. وقرأ ابن عامر: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» «بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» جمعاً في الموضعين. واختلفوا في تفسيرها على ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناها: اتبعتهم ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمان الحقنا بهم [ذُرِّيَّاتِهِمْ] من المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلِّغوا أعمال آبائهم، تكرمةً من الله تعالى لأبائهم المؤمنين باجتماع أولادهم معهم. وروى هذا المعنى سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُمْ بإيمان، أي: بلغت أن آمنث، ألحقنا بهم ذُرِّيَّتَهُمْ الصغار الذين لم يبلِّغوا الإيمان. وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. ومعنى هذا القول، أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء، [لأن الولد يُحكم له بالإسلام تبعاً لوالده. والثالث: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ» بإيمان الآباء] فأدخلناهم الجنة، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْتَنَّهُمْ﴾ قرأ نافع: وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بالهمزة وفتح اللام. وقرأ ابن كثير: «وما أَلْتَنَاهُمْ» بكسر اللام. وروى ابن شنبوذ عن قنبل عنه «وما أَلْتَنَاهُمْ» بإسقاط الهمزة مع كسر اللام. وقرأ أبو العالية، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بإسقاط الهمزة مع فتح اللام. وقرأ ابن السميع «وما أَلْتَنَاهُمْ» بمد الهمزة وفتحها. وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «وما وَلْتَنَاهُمْ» بواو مفتوحة من غير همزة وينصب اللام. وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل: «وما أَكْتَنَّهُمْ» مثل جَعَلْتَهُمْ. وقد ذكرنا هذه الكلمة في [المحرات: ١٤٠] والمعنى: ما نَقَضْنَا الآباء بما أعطينا الذُرِّيَّةَ. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَنٌ بعمله لا يؤاخذ أحدٌ بذنب أحد. وقيل: هذا الكلام يختص بصفة أهل النار، وذلك الكلام قد تم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: هي الزيادة على الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: يتعاطون ويتداولون، وأنشد الأخطل:

نَارَ غُصْنِهِ طَيِّبَ الرِّيحِ السُّمُولِ وَقَدْ صَاخَ الدُّجَا جُ وَحَانَتْ وَفَعَةُ السَّارِي<sup>(١)</sup>

قال الرَّجَّاج: يتناول هذا الكأس من يد هذا، وهذا من يد هذا. فأما الكأس فقد شرحناها في [الصفات: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿لَا تَلَوْا فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «لَا تَلَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ» نصباً، وقرأ الباقون: «لَا تَلَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ» رفعاً منوئاً. قال ابن قتيبة: أي: لا تذهب بقولهم فيلغوا ويترفوا فيأثموا، كما يكون ذلك في خمر الدنيا. وقال غيره: التائيم: تفعيل من الإثم، يقال: أثمه: إذا جعله ذا إثم. والمعنى أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين. ﴿وَيَلْوُكُ عَلَيْهِمْ لِلْخِدْمَةِ﴾ «وَلَمَّا لَهْمُ كَأْتِيهِمْ» في الحُسْن والبياض ﴿لَوْلَوْ تَكُونُ﴾ أي: مصونٌ لَمْ تَمَسَّ الأيدي. وسئل رسول الله ﷺ فقيل: يا نبي الله، هذ الخادم، فكيف المخدم؟ فقال: «إِنَّ فَضْلَ المَخْدُومِ عَلَى الخَادِمِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البدر عَلَى سائر الكواكب»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِسُّهُمْ عَلَى بَيْتِهِمْ يَسْكَتُونَ﴾ قال ابن عباس: يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من الخوف والتعب، وهو قوله: ﴿فَأَنَارُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِيهِ أَهْلًا﴾ أي: في دار الدنيا ﴿شُفِيقِينَ﴾ أي: خائفين من العذاب، ﴿فَسَرَّ اللَّهُ مَلَكًا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّنا عَذَابَ السُّورِ﴾ أي: عذاب النار. وقال الحسن: السُّمُومُ من أسماء جهنم. وقال غيره: سُمُومُ جهنم: وهو ما يوجد من نَفْحِهَا وَحَرِّهَا، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ﴾ أي: نوحده ونُخْلِصُ له ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ وقرأ نافع، والكسائي: «أنه» بفتح الهمزة. ورفي معنى «البر» ثلاثة أقوال: أحدها: الصادق فيما وعد، رواه أبو صالح عن

(١) «ديوانه» ١١٦، ومجاز القرآن ٢/٢٣٢، والطبري ٢٧/٢٨.

(٢) روى ابن جرير الطبري ٢٩/٢٧ عن قتادة قوله: ﴿وَيَلْوُكُ عَلَيْهِمْ وَلَمَّا لَهْمُ كَأْتِيهِمْ لَوْلَوْ تَكُونُ﴾ ذكر لنا «أن رجلاً قال: يا نبي الله هذا الخادم، فكيف المخدم؟ قال: «والذي نفس محمد بيده، إن فضل المخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وهو مرسل، وأورده السيوطي في «الدر» ١١٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر وقال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٦٠: رواه عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة به.



ابن عباس. والثاني: اللطيف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: العطوف على عباده المحسن إليهم الذي عَمَّ بِيَرَهُ جميع خلقه، قاله أبو سليمان الخطابي.

﴿تَذَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِمَعْتَرِكِ يَكَاهِنُ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (١) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَقَّصُ بِهِ رَبَّ السَّمَوْنَ ﴿٢﴾ قُلْ تَرَىٰ مَا أَنَا فِئْتَمَلُكُمْ مِنْكُمُ الْغَائِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْتُمْ بِإِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٦﴾ قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرَ﴾ أي: فَعِظْ بِالْقُرْآنِ ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَعْتَرِكِ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوة ﴿يَكَاهِنُ﴾ وهو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويُخْبِرُ عَمَّا فِي غَدٍ مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ. والمعنى: إنما تَنطِقُ بِالوَحْيِ لَا كَمَا يَقُولُ [فِيكَ] كَفَارِ مَكَّةَ. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي: هو شاعر. وقال أبو عبيدة: «أَمْ» بمعنى «بل»، قال الأخطل:

كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِسَوَائِطٍ  
لَمْ يَسْتَفْهِمُ، إِنَّمَا أَوْجِبَ أَنَّهُ رَأَى.

قوله تعالى: ﴿تَرَقَّصُ بِهِ رَبَّ السَّمَوْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الموت، قاله ابن عباس. والثاني: حوادث الدهر، قاله مجاهد، قال ابن قتيبة: حوادث الدهر وأوجاعه ومصائبه، و«السَّمَوْنَ» الدهر، قال أبو ذؤيب:

أَمِنْ السَّمَوْنَ وَرَبِّهِ نَسْتَوْجِعُ  
وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ<sup>(١)</sup>

هكذا أنشدناه أصحاب الأصمعي عنه، وكان يذهب إلى أن السَّمَوْنَ الدَّهْرُ، قال: وقوله: «وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ» يدلُّ على ذلك، كأنه قال: «أَمِنْ الدَّهْرِ وَرَبِّهِ نَسْتَوْجِعُ؟!» قال الكسائي: العرب تقول: لَا أَكْلَمُكَ آخِرَ السَّمَوْنَ، أي: آخِرَ الدَّهْرِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَىٰ مَا أَنَا فِئْتَمَلُكُمْ مِنْكُمُ الْغَائِبِينَ﴾ أي: انتظروا بي ذلك ﴿فِئْتَمَلُكُمْ مِنْكُمُ الْغَائِبِينَ﴾ أي: من المُتَظَرِّينَ عذابكم، فعذبوا يوم بدر بالسيف. وبعض المفسرين يقول: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، إذ لا تضاد بين الآيتين.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَنْتُمْ بِإِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ قال المفسرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام، وهي العُقُول، فازرى الله بخلوهم، إذ لم تُشِيرْ لَهُمْ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعُقُول؟! فقال: تلك عُقُولُ كَادَهَا بَارِئُهَا، أي: لَمْ يَضَحَّهَا التَّوْفِيقُ. وفي قوله: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ» وقوله: ﴿أَمْ هُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنهما بمعنى «بل»، قاله أبو عبيدة. والثاني: بمعنى ألف الاستفهام، قاله الزجاج؛ قال: والمعنى: أَتَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِتَرْكِ الْقَبُولِ مِمَّنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَيَأْتِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْذَّلَالِ، أَمْ يَكْفُرُونَ طُغْيَانًا وَقَدْ ظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ؟! وقال ابن قتيبة: المعنى: أَمْ تَذَلُّهُمْ عَقُولُهُمْ عَلَى هَذَا؟! لَأَنَّ الْجِلْمَ يَكُونُ بِالْعَقْلِ، فكني عنه به.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: افتعل القرآن من تلقاء نفسه؟ والتَّعْوِيلُ: تكلف القول، ولا يستعمل إلا في الكذب ﴿بَلْ﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالقرآن، استكباراً. ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ في نظمه وحسن بيانه. وقرأ أبو رجاء، وأبو نهيك، ومورق العجلي، وعاصم الجحدري: «بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» بغير تنوين ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أن محمداً نقوله.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (١) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوْنَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُحِيطُونَ ﴿٣﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُبُ مِثْلَيْ سُلَيْمَانَ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٤﴾ أَمْ تَنْظُرُونَ آخِرَ فَعْمٍ مِنْ تَقَرُّرٍ تُثْقَلُونَ ﴿٥﴾ أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ فَهَمْ يَكْنِئُونَ ﴿٦﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ السَّكِيدُونَ ﴿٧﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ رَبِّ خَالِقٍ؟ والثاني: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ آبَاءٍ وَلَا أُمَّهَاتٍ، فهم كالجماد لا يعقلون؟ والثالث: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ كَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ أي: إنهم ليسوا بأَشْدَّ خُلُقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لأنها خُلِقَتْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وهم خُلِقُوا مِنْ آدَمَ، وآدَمُ مِنْ تَرَابِيدٍ. والرابع: أَمْ

(١) سبق تخریج البيت ٤٥٠.

(٢) البيت مطلع مرثية الجيلة، وهو في «ديوانه» ١/١، و«غريب القرآن» ٤٢٥، و«المفضليات» ٤٢١، و«ديوان الهلليين» ١/١، و«اللسان» و«التاج»:

خُلِقُوا لغير شيء؟ فتكون «مِنْ» بمعنى اللام. والمعنى: ما خُلِقُوا عَبَثًا فلا يؤمرون ولا يُنهَوْنَ.

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فلذلك لا يأتَمرون ولا ينتهون؟ لأن الخالق لا يؤمر ولا يُنهى.

قوله تعالى: ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالحق، وهو توحيد الله وقدرته على البعث.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: المطر والرِّزْق، قاله ابن عباس. والثاني: الثَّبُوة،

قاله عكرمة. والثالث: عِلْم ما يكون من الغيب، ذكره الثعلبي. وقال الزجاج: المعنى: أعندهم ما في خزائن رَيْكَ من العِلْم، وقيل: من الرِّزْق، فهم مُعْرِضُونَ عَنْ رَبِّهِمْ لاستغنائهم؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُّونَ﴾ قرأ ابن كثير: «المُضْطَرُونَ» بالسین. وقال ابن عباس: المُسْلَطُونَ<sup>(١)</sup>. قال أبو عبيدة: «المُضْطَرُونَ»: الأرباب. يقال: تَسطَرَّتْ عليّ، أي: اتَّخَذْتَنِي حَوْلًا، قال: ولم يأت في كلام العرب اسم على «مُضْطَرِعِل» إلا خمسة أسماء: مُهْمِن، ومُخْبِر، ومُسْطِر، ومُتَبَيِّر، ومُتَبَيِّر؛ فالْمُهْمِن: الله الناظر الْمُحْصِي الذي لا يفوته شيء؛ ومُخْبِر: جبل؛ والمُسْطِر: المسْلَط؛ ومُتَبَيِّر: يَبْطِر؛ والمُتَبَيِّر: الذي يخرج من أرض إلى أرض، يقال: يَبْطِر: إذا خرج من بلد إلى بلد، قال امرؤ القيس:

أَلَا هَلْ أَنَا مَاءٌ، وَالْحَوَادِثُ جَمْعٌ      بَأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ ابْنَ تَمْلِكَ بَيَّقَرَا<sup>(٢)</sup>

قال الزجاج: المسيطرون: الأرباب المسْلَطُونَ، يقال: قد تَسطَرَّ علينا وتَسطَرَّ: بالسین والصاد، والأصل السین، وكل سین بعدها طاء، فيجوز أن تُقلب صادًا، تقول: سطر واطر، وسطا علينا واطا. قال المفسرون: معنى الكلام: أم هم الأرباب فيفعلون ما شاؤوا ولا يكونون تحت أمر ولا نهى؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيٌ: مَرْفُوعٌ وَمُضْعَدٌ إِلَى السَّمَاءِ ﴿بَسْتَبَيِّنُونَ﴾ آي: عليه الرُّوحِي، كقوله: ﴿فِي جُدُوعِ الْتَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فالمعنى: يستمعون [الرُّوحِي] فيعلمون أَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ ﴿تِلْكَ أَسْمَاءُ﴾ إن ادَّعى ذلك ﴿يَسْأَلُنِي﴾ أي، بِحُجَّةٍ واضحة كما أتى محمد بِحُجَّةٍ على قوله. ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَئْتُ وَلَكُمُ الْبَئْتُ﴾ هذا إنكار عليهم حين جعلوا الله البنات. ﴿أَمْ تَتَّكِبُ أَفْرَأَهُمْ مِنْ مُنْقَرٍ مُنْقَرٍ﴾ آي: هل سألتهم أجرًا على ما جئت به، فاتقلمهم ذلك الذي تطلبه منهم فمنعهم عن الإسلام؟ والمُفْرَم بمعنى الغُرم، وقد شرحناه في [براءة: ٩٨].

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿تَنَزَّلُ بِهِ رَبِّي الْمَوْتُونَ﴾؛ والمعنى: أعندهم الغيب؟ وفيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، ﴿فَنَمَّ بَيْنَهُمْ﴾ ما فيه ويخبرون الناس. قاله ابن عباس. والثاني: أعندهم عِلْمُ الغيب فيعلمون أن محمداً يموت قبلهم ﴿فَنَمَّ بَيْنَهُمْ﴾ أي، يحكمون فيقولون: ستفترِّك. والكتاب: الحكم؛ ومنه قول النبي ﷺ: «سأقضي بينكما بكتاب الله»<sup>(٣)</sup> آي: بِحُكْمِ اللَّهِ ﷻ؛ وإلى هذا المعنى: ذهب ابن قتية.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ وهو ما كانوا عزموا عليه في دار النَّدوة؛ وقد شرحنا ذلك في قوله: ﴿وَإِذْ يَسْكُرُ يَكُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] ومعنى ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ هم الْمَجْزِيُّونَ بكيدهم، لأن ضرر ذلك عاد عليهم فقتلوا بيدٍ وغيرها. ﴿أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِزٌّ أَفْوَ﴾ أي أَلَهُمْ إله يرزقهم ويحفظهم غير الله؟ والمعنى أن الأصنام ليست بأكهة، لأنها لا تنفع ولا تدفع. ثم نزه نفسه عن شركهم بباقي الآية.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٤٦٣/٨ عن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خَلَقُوا الْمَشْرَاقَ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ آي: ﴿أَمْ هَدَّاهُمْ خَزَائِنَ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْقَائِلُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير.

(٢) «ديوانه» ٣٩٢، و«اللسان» و«التاج»: بقر. و«تلك»: أم.

(٣) هو قطعة من حديث أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب «السنن» من حديث أبي هريرة، ولفظه عند مسلم ١٣٢٤/٣: عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا: إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال: أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله، فقال الخصم الآخر وهو أقره منه: نعم فاقض بيننا بكتاب الله، واثبت لي، فقال رسول الله ﷺ: «قل: قال: إن ابني كان عسيفاً (أجيراً) على هذا فزني بامراته، وإني أخبرت أن علي ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أنها على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن علي امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأقض بينكما بكتاب الله، الوليدة والغنم رد (مردودة إليك) وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» قال: فنفا عليها فاعترفت، فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت.

﴿إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ١١٠﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ١١١ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١١٢ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١١٣ وَأَصْبَحَ لُكْمٌ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ١١٤ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ١١٥﴾

ثم ذكر عنادهم فقال: ﴿إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ والمعنى: لو سقط بعض السماء عليهم لَمَا انتهوا عن كفرهم، ولَقَالُوا: هذه قطعة من السحاب قد رُكِمَ بعضه على بعض. ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي خَلَّ عنهم ﴿حَتَّى يَلْقُوا﴾ قرأ أبو جعفر «يَلْقُوا» بفتح الباء والقاف ويسكون اللام من غير ألف ﴿يَوْمَهُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم موتهم. والثاني: يوم القيامة. والثالث: يوم النُّفْخَةِ الأولى.

قوله تعالى: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قرأ عاصم، وابن عامر: «يُصْعَقُونَ» برفع الباء، من أَصْعَقَهُمْ غيرُهُمْ؛ والباقون بفتحها، من صعقوهم. وفي قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ قولان: أحدهما: يموتون. والثاني: يُغشى عليهم، كقوله: ﴿وَحَرَّ مَوْجِيَّ صَوْقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهذا يخرج على قول من قال: هو يوم القيامة، فإنهم يُغشى عليهم من الأحوال. وذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، ولا يصح، لأن معنى الآية الوعيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ هذا اليوم الأول؛ والمعنى: لا ينفعهم مكرهم ولا يدفع عنهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: يُمنعون من العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي، قبل ذلك اليوم؛ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه عذاب القبر، قاله البراء، وابن عباس. والثاني: عذاب القتل يوم بدر، وروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل. والثالث: مصائبهم في الدنيا، قاله الحسن، وابن زيد. والرابع: عذاب الجوع، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون ما هو نازل بهم. ﴿وَأَصْبَحَ لُكْمٌ رَبِّكَ﴾ أي: لما يحكم به عليك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ قال الزجاج: فإنك بحيث نراك ونحفظك ونرعاك، فلا يصلون إلى مكروهك. وذكر المفسرون: أن معنى الصبر نُسخ بآية السيف، ولا يصح، لأنه لا تضاد. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: صلِّ الله حين تقوم من منامك، قاله ابن عباس. والثاني: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك» حين تقوم من مجلسك، قاله عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهد في آخرين. والثالث: قُلْ: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» حين تقوم في الصلاة، قاله الضحاك. والرابع: سَبِّحْ الله إذا قُمْتَ من نومك، قاله حسان بن عطية. والخامس: صلِّ صلاة الظهر إذا قُمْتَ من نوم القائلة، قاله زيد بن أسلم<sup>(١)</sup>. والسادس: اذْكُرْ الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال مقاتل: صلِّ المغرب وصلِّ العشاء ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ قرأ زيد عن يعقوب، وهارون عن أبي عمرو، والجعفي عن أبي بكر: «وإدبار النجوم» بفتح الهمزة؛ و [قرأ] الباقيون بكسرهما. وقد شرحناها في [٤٠]؛ والمعنى: صلِّ له في إدبار النجوم، أي: حين تَدْبِر، أي: تغيب بضوء الصُّبْح. وفي هذه الصلاة قولان: أحدهما: أنها الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ صلاة الفجر، رواه عليٌّ عليه السلام عن النبي ﷺ، وهو قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنها صلاة الغداة، قاله الضحاك، وابن زيد.



(١) رجح هذا القول ابن جرير الطبري في «تفسيره».

(٢) أخرجه مسند في «مسنده»، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر» ١١٠/٦ من علي بن أبي طالب قال: سألت رسول الله ﷺ عن إدبار النجوم والسجود، فقال: «إدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: الركعتان قبل الغداة».

## سورة النجم

### وهي مَكِّيَّة بإجماعهم

إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حُكِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ أَنَّهُمَا قَالَا إِلَّا آيَةُ مِنْهَا، وَهِيَ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ كِبِيرَ الْأَثَرِ﴾ [النجم: ٣٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ مِقَاتِلٌ؛ [قال]: وهذه أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بِمَكَّةَ.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا مَنَعَكَ سَاجِدًا وَمَا عَوَىٰ ۝ ۞ وَمَا يُطِيعُ عَنِ الْحَمَىٰ ۝ إِن مَوْءَاظٌ يَّوْمِي ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝﴾ هذا قسم. وفي المراد بالنجم خمسة أقوال: أحدها: أنه الثريا، رواه العوفي عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(١)</sup>. قال ابن قتيبة: والعرب تسمي الثريا - وهي ستة أنجم - نجماً. وقال غيره: هي سبعة، فسته ظاهرة، وواحد خفي يمتحن به الناس أبصارهم. والثاني: الرجوم من النجوم، يعني ما يرمى به الشياطين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه القرآن نزل نجوماً متفرقة، قاله عطاء عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد. وقال مجاهد: كان ينزل نجوماً ثلاث آيات وأربع آيات ونحو ذلك. والرابع: نجوم السماء كلها، وهو مروى عن مجاهد أيضاً. والخامس: أنها الزهرة: قاله السدي. فعلى قول من قال: النجم: الثريا، يكون «هوى» بمعنى «غاب»؛ ومن قال: هو الرجوم، يكون هويهاً في رمي الشياطين، ومن قال: القرآن، يكون معنى «هوى»: نزل، ومن قال: نجوم السماء كلها، ففيه قولان: أحدهما: أن هويهاً أن تغيب. والثاني: أن تنتشر يوم القيامة. قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر هذه السورة كلها بفتح أو آخر آياتها. وقرأ أبو عمرو ونافع بين الفتح والكسر. وقرأ حمزة والكسائي ذلك كله بالإمالة.

قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ سَاجِدًا﴾ هذا جواب القسم؛ والمعنى: ما ضلَّ عن طريق الهدى، والمراد به: رسول الله ﷺ. ﴿وَمَا يُطِيعُ عَنِ الْحَمَىٰ ۝﴾ أي: ما يتكلم بالباطل. وقال أبو عبيدة: «عن» بمعنى الباء. وذلك أنهم قالوا: إنه يقول القرآن من تلقاء نفسه. ﴿إِنْ مَوْءَاظٌ يَّوْمِي﴾ أي: ما القرآن «إِلَّا رَمَى» من الله «يَوْمِي» وهذا مما يحتج به من لا يجيز للنبي أن يجتهد، وليس كما ظنوا، لأن اجتهد الرأي إذا صدر عن الوحي، جاز أن يُنسب إلى الوحي.

﴿عَلَّمَ شَيْدُ الْقُرَىٰ ۝ دُورَ مَرَوْ قَاسَتَوَىٰ ۝ ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَرَدَ أَنْ يَضْحَكَ فَامْلَأَهُ خَبِيرًا ۝ مَا أَكْثَرَ الْفَوَاحِشَ مَا رَأَىٰ ۝ ۞ فَنَسْتَبْرِئُهُ عَلَىٰ مَا بَرَأَ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزَلَ افْرِئ ۝ ۞ عِنْدَ بَيْتِهِ الشُّعَرَىٰ ۝ ۞ عِنْدَهَا جَنَّةٌ لِّلْأَوَّي ۝ ۞ إِذْ يَنْشَى الْغَسَّادُ مَا يَشْقَىٰ ۝ ۞ مَا رَأَى الْبَصِيرَ وَمَا كَانَ لِأَنْ يَرَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبَرَىٰ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ شَيْدُ الْقُرَىٰ ۝﴾ وهو جبريل عليه السلام، قال ابن قتيبة: وأصل هذا من «قوى الجبل» وهي طاقاته، الواحدة: قُوَّةٌ. «دُورَ مَرَوْ» أي: ذو قُوَّة، وأصل المِرَّة: القتل. قال المفسرون: وكان من قُوَّته أنه قلع قريات لوط وحملها على جناحه فقلبها، وصاح بشمود فأصبحوا خامدين.

قوله تعالى: ﴿فَنَسْتَبْرِئُهُ عَلَىٰ مَا بَرَأَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: فاستوى جبريل، وهو يعني النبي ﷺ؛ والمعنى: أنهما استويا بالأفق الأعلى لما أسري برسول الله ﷺ، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>. والثاني: فاستوى جبريل، وهو - يعني جبريل -

(١) قال ابن كثير: وكلما روي عن سفيان الثوري، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) قال ابن كثير: وقد قال ابن جرير هاهنا قولاً لم أره لغيره، ولا حكاة هو من أحد، وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى: «فَنَسْتَبْرِئُهُ» أي هذا الشيد القوى ذو المِرَّة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى، أي: استويا جميعاً بالأفق الأعلى، وذلك ليلة الإسراء، كذا قال. ولم يوافق أحد على ذلك، ثم شرع يوجه ما قال من حيث العربية، فقال: وهو كقولهم: ﴿هَذَا كَأَنَّ رَبَّنَا لَفِطْرٌ﴾ فنعطف بالأبواب على المكاني في «كنا» من غير إظهار «نحن» فكذلك قوله: ﴿فَنَسْتَبْرِئُهُ﴾ وهو، قال: وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشد:



بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يَتَمَثَّلُ لرسول الله ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل، وأحب رسول الله ﷺ أن يراه على حقيقته، فاستوى في أفق المَشْرِيقِ، فملاً الأفق؛ فيكون المعنى: فاستوى جبريل بالأفق الأعلى في صورته، هذا قول الزَّجَّاج. قال مجاهد: والأفق الأعلى: هو مَظِلُّع الشمس. وقال غيره: إنما قيل له: «الأعلى» لأنه فوق جانب المَغرب في صعيد الأرض لا في الهواء.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قال الفراء: المعنى: ثم تَدَلَّى فدنا، ولكنه جائز أن تقدّم أي الفعلين شئت إذا كان المعنى فيهما واحداً، فنقول: قد دنا فَقَرَّبَ، وَقَرَّبَ فدنا، وشتم فأساء، وأساء فشتم، ومنه قوله: ﴿اَقْتَرَبَ السَّاعَةُ وَانْتَقَبَ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١٨]، المعنى - والله أعلم -: انشق القمر واقتربت الساعة. قال ابن قتبية، المعنى: تَدَلَّى فدنا، لأنَّه تَدَلَّى لِلدُّنُو، ودنا بالتدلي. وقال الزجاج: دنا بمعنى قَرَّبَ، وتدلى: زاد في القَرَبِ، ومعنى اللفظتين واحد. وقال غيرهم: أصل التَدَلَّى: التَّوَلَّى إلى الشيء حتى يقرب منه، فوضع موضع القَرَبِ. وفي المشار إليه بقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا ثَلَاثَةَ اقْوَالٍ أَحَدُهَا: أَنَّهُ ﷺ. روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث شريك بن أبي نمر عن أنس بن مالك قال: «دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى»<sup>(١)</sup>. وروى أبو سلمة عن ابن عباس: «ثم دنا» قال: دنا ربه فتدلى، وهذا اختيار مقاتل. قال: دنا الرَّبُّ من محمد ليلة أُسْرِي به، فكان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى. وقد كشفت هذا الوجه في كتاب «المعني» ويثبت أنه ليس كما يخطر بالبال من قَرَبِ الأجسام وقطع المسافة، لأن ذلك يختص بالأجسام، واللّه منزّه عن ذلك. والثاني: أنه محمد دنا من ربّه، قاله ابن عباس، والقرظي. والثالث: أنه جبريل. ثم في الكلام قولان: أحدهما: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فنزل إلى رسول الله ﷺ، قاله الحسن، وقادة. والثاني: دنا جبريل من ربّه ﷺ فكان منه قَابَ قَوْسَيْنِ أو أدنى، قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين: «فكان قاد قوسين» بالدال. وقال أبو عبيدة: القَابُ والقَادُ: القَدْر. وقال ابن فارس: القَابُ: القَابُ: بل القَابُ: ما بين المَقْبُضِ والسَّيَةِ، ولكل قوس قَابَان. وقال ابن قتبية: سَيَةِ الْقَوْسِ: ما عُوْطِفَ من طَرَفَيْهَا. وفي المراد بالقوسين قولان: أحدهما: أنها القوس التي يرمى بها، قاله ابن عباس، واختاره ابن قتبية، فقال: قَدَّرَ قوسين. وقال الكسائي: أراد بالقوسين: قوساً واحداً. والثاني: أن القوس: الذراع؛ فالمعنى: كان بينهما قَدَّرَ ذراعين، حكاه ابن قتبية، وهو قول ابن مسعود، وسعيد بن جبير، والسدي. قال ابن مسعود: دنا جبريل منه حتى كان قَدَّرَ ذراع أو ذراعين.

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ فيه قولان: أحدهما: إنها بمعنى «بل»، قاله مقاتل. والثاني: أنهم خوطبوا على لغتهم؛ والمعنى: كان على ما تقدرونه أنتم قَدَّرَ قوسين أو أقل، هذا اختيار الزَّجَّاج.

الم تر أن النّبع يصبّ عوده ولا يستوي والخروج المنقصف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه، لكن لا يساعده المعنى على ذلك، فإن هذه الرؤية لجبريل، لم تكن ليلة الإسراء، بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل ﷺ، وتدلى إليه فاتقرب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الإسراء. وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل ﷺ أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة «آل عمران» ثم فتر الوحي... حتى تبدي له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبصار في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاتقرب منه وأوصى إليه عن الله ﷻ ما أمره به، ففرغ عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة، وجلالة قدره، وعلو مكانه عند خالقه الذي بهت إليه. اهـ.

(١) حديث شريك أخرجه البخاري في «صحيحه» ٣٩٩/١٣، وذكر مسلم ١٤٨/١ قطعة منه، ثم قال: تقدم وأخر وزاد وتقص. وقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث أوهاج أنكرها عليه الحفاظ، وغلطوه فيها... منها ما نقله ابن كثير من الحفاظ أبي بكر البيهقي أنه قال: في حديث شريك زيادة تفرد بها على مله من زعم أنه ﷺ رأى الله ﷻ يعني قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا الْجَبَّارُ رَبَّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قال البيهقي: وقول عائشة وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح. قال الحفاظ ابن كثير: وهذا الذي قاله البيهقي رحمه الله في هذه المسألة هو الحق، فإن أبا ذر قال: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «نور أشي أراه» وفي رواية «رأيت نوراً» أخرجه مسلم. وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ إنما هو جبريل ﷺ كما ثبت ذلك في «الصحيحين» عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا، نلت. وهذا القول هو الصواب وما عنده من الأقوال لا يصح. وإذا أردت الاطلاع على بقية ما أخطأ فيه شريك في هذا الحديث فانظر «شرح مسلم» ٢/٢١٠، وفتح البازي ١٣/٤٠٢، ٤٠٥.

قوله تعالى: ﴿تَأْوِيهِ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْىٰ﴾ (١) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أوحى الله إلى محمد كِفاحاً<sup>(١)</sup> بلا واسطة، وهذا على قول من يقول: إنه كان في ليلة المعراج. والثاني: أوحى جبريل إلى النبي ﷺ ما أوحى الله إليه، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أوحى [الله] إلى جبريل ما يوحيه، روي عن عائشة رضي الله عنها، والحسن، وقائدة.

قوله تعالى: ﴿مَا كَتَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (٢) قرأ أبو جعفر، وهشام عن ابن عامر، وأبان عن عاصم: «ما كَذَّب» بتشديد الدال؛ وقرأ الباقون بالتخفيف. فمن شَدَّدَ أراد: ما أنكر فؤاده ما رآه عينه؛ ومن خَفَّفَ أراد: ما أوهمه فؤاده أنه رأى، ولم يرَ، بل صدَّق<sup>(٣)</sup> الفؤاد رؤيته. وفي الذي رأى قولان: أحدهما: أنه رأى ربه ﷻ، قاله ابن عباس، [وأنس] والحسن، وعكرمة<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه رأى جبريل في صورته التي خُلِقَ عليها، قاله ابن مسعود وعائشة.

قوله تعالى: ﴿أَفْتَنَّمُوهُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وخلف، ويعقوب: «أَفْتَنَّمُوهُ». قال ابن قتيبة: معنى «أَفْتَنَّمُوهُ»: أفتجادلونه، من الجراء، ومعنى «أَفْتَنَّمُوهُ»: أفتنجدونه.

قوله تعالى: ﴿رَلَقَهُ رَهًا تَرَّةً لَفَرَّيَ﴾ (٥) قال الزجاج: أي: رآه مرة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمد ربه؛ وبيان هذا أنه تردَّد لأجل الصلوات مراراً، فرأى ربه في بعض تلك المرات مرة أخرى. قال كعب: إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين. وقد روي عن ابن مسعود أن هذه الرؤية لجبريل أيضاً، رآه على صورته التي خُلِقَ عليها<sup>(٦)</sup>. فأما يذرة المُنْتَهَى، فالسُّدْرَةُ: شجرة النَّبَقِ، وقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تَبْقُهَا مِثْلُ لِقَالِ هَجَرٍ، وَوَزَقُهَا مِثْلُ أَذَانِ الْفَيْلَةِ»<sup>(٧)</sup>. وفي مكانها قولان: أحدهما: أنها فوق السماء السابعة، وهذا مذكور في «الصحاحين» من حديث مالك بن صعصعة<sup>(٨)</sup>. قال مقاتل: وهي عن يمين العرش. والثاني: أنها في السماء السادسة، أخرجه مسلم في أفرادهِ<sup>(٩)</sup> عن ابن مسعود، وبه قال الضحاك. قال المفسرون: وإنما سُمِّيَتْ يذرة المُنْتَهَى، لأنه إليها مُنْتَهَى ما يُضَعَّد به من الأرض، فيُقبَض منها، وإليها ينتهي ما يُهْبَط به من فوقها فيُقبَض منها، وإليها ينتهي عِلْم جميع الملائكة.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا﴾ وقرأ معاذ القارئ، وابن يعمر، وأبو نهيك: «عِنْدَهُ» بهاء مرفوعة على ضمير مذكَّر ﴿جَنَّةٍ الْكُلُوبِ﴾ قال ابن عباس: هي جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال الحسن: هي التي يصير إليها أهل الجنة. وقال مقاتل: هي جنة إليها تأوي أرواح الشهداء. وقرأ سعيد بن المسيَّب، والشعبي، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو العالية: «جَنَّةُ الْمَأْوَى» بهاء صحيحة مرفوعة. قال ثعلب: يريدون أَجَنَّهُ، وهي شاذة. وقيل: معنى «عندها»: أدركه المبيت، يعني رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَنْشَأُ الْيُذُرَةُ مَا يَنْشَأُ﴾ (١٠) روى مسلم في أفرادهِ من حديث ابن مسعود قال: غَشِيَهَا قَرَأَشٌ مِنْ ذَهَبٍ<sup>(١١)</sup>. وفي حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا غَشِيَتْهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَتْهَا، تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا»<sup>(١٢)</sup>. وقال الحسن، ومقاتل: تَغَشَّاها الملائكة أمثال الغُرَبَانِ حين يَقَعْنَ على الشجرة. وقال الضحاك: [غَشِيَهَا] نور ربِّ العالمين.

(١) كِفاحاً، أي: مواجهة. (٢) في الأصل: صدقة.

(٣) روى مسلم في (صحيحه) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «مَا كَتَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ» (١) «رَلَقَهُ رَهًا تَرَّةً لَفَرَّيَ» (٢) قال: رآه بفؤاده مرتين. قال ابن كثير: وكلنا رواه سالك عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وكلنا قال أبو صالح والسدي وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين، قال: وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، قال: وهي محمولة على العقيدة بالفؤاد، قال: ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، قال: وقول البغوي في «تفسيره»: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر، والله أعلم.

(٤) وهو الذي عليه أكثر المحققين. قال ابن كثير: هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء.

(٥) رواه البخاري في (صحيحه) ١٦٤/٧، ومسلم ١٥٠/١، وهو جزء من حديث الإسراء الطويل.

(٦) البخاري ١٦٤/٧، ومسلم ١٥٠/١.

(٧) (١٥٧/١).

(٨) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ولا يعارض قوله: إنها في السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة، لأنه يحمل على أن أصلها في السادسة وأعضاؤها وفروعها في السابعة، وليس في السادسة منها إلا أصل سابقها.

(٩) هذا اللفظ في رواية ثابت الباني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مسلم في (صحيحه) ١٤٦/١.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: ما عدلَ بصرُ رسول الله ﷺ يميناً ولا شمالاً ﴿وَمَا لَكَ﴾ أي: ما زاد ولا جاوز ما رأى؛ وهذا وصف أدبه ﷺ في ذلك المقام. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ فيه قولان: أحدهما: [لقد] رأى من آياتِ رَبِّهِ الْعِظَام. والثاني: لقد رأى من آياتِ رَبِّهِ [الآية] الْكُبْرَى<sup>(١)</sup> وللمفسرين في المراد بما رأى من الآيات ثلاثة أقوال: أحدها: أنه رأى رفراً أخضر من الجنة قد سدَّ الأفق، قاله ابن مسعود. والثاني: أنه رأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السماوات، قاله ابن زيد. والثالث: أنه رأى من أعلامِ رَبِّهِ وأدلته [الأعلام والأدلة]<sup>(٢)</sup> الْكُبْرَى، قاله ابن جبر<sup>(٣)</sup>.

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ وَنَوَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿إِنْ مِنْ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا آتَمَّ وَتَابَا ذَكَرَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأُنْثَى وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفُتَى﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَنَى ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ وَكَرَّ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿

قال الزجاج: فلما قصَّ الله تعالى هذه الأقاصيص قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ المعنى: أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها هل لها من القدرة والعظمة التي وُصف بها ربُّ الْعِزَّة شيء؟ فأما «اللات» فقرا الجمهور بتخفيف التاء، وهو اسم صنم كان لثقيف اتخذوه من دون الله، وكانوا يشتقون لأصنامهم، من أسماء الله تعالى، فقالوا من «الله»: اللات، ومن «العزى»: العزى. قال أبو سليمان الخطابي: كان المشركون يتعاطون «الله» اسماً لبعض أصنامهم، فصرفه الله إلى اللات صيانةً لهذا الاسم ودباً عنه. وقرا ابن عباس، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، والضحاك، وابن السميع، ومجاهد، وابن يعمر، والأعمش، وورش عن يعقوب<sup>(٤)</sup>: «اللات» بتشديد التاء؛ ورد في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد أن رجلاً كان يُلْتُ السَّوْق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره فعبده. وقال الزجاج: زعموا أن رجلاً كان يُلْتُ السَّوْق ويبيعه عند ذلك الصنم، فسُمِّي الصنم: اللات. وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، فيقول: «الللة»؛ وهذا قياس، والأجود الوقوف بالتاء، لاتباع المصحف. وأما «العزى» ففيها قولان: أحدهما: أنها شجرة لغطفان كانوا يعبدونها، قاله مجاهد. والثاني: صنم لهم، قاله الضحاك. قال: وأما «مناة» فهو صنم لهذيل وخزاعة يعبداه أهل مكة. وقال قتادة: بل كانت للأنصار. وقال أبو عبيدة: كانت اللات والعزى ومناة أصناماً من حجارة في جوف الكعبة يعبدونها. وقرا ابن كثير: «ومناة» ممدودة مهموزة. فأما قوله: ﴿الثَّالِثَةَ﴾ فإنه نعت لـ «مناة»، هي ثالثة الصنمين في الذكر، و«الأخرى» نعت لها. قال الثعلبي: العرب لا تقول للثالثة: الأخرى، وإنما الأخرى نعت للثانية؛ فيكون في المعنى وجهان: أحدهما: أن ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَتَابِثٌ أُخْرَى﴾ (طه: ١٨) ولم يقل، آخر، قاله الخليل. والثاني: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا تقديره: أفرايتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة، قاله الحسين بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ﴾ قال ابن السائب: إن مشركي قريش قالوا للأصنام والملائكة: بناتُ الله، وكان الرجل منهم إذا بُشِّرَ بالأنثى كره، فقال الله تعالى مُنْكَراً عليهم: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾؟! يعني الأصنام وهي [بنات] في أسمائها. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ قرا عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «ضِيزَى» بكسر الضاد من غير همز؛ وافقهم ابن كثير [في] كسر الضاد، لكنه همز. وقرا أبيُّ بن كعب، ومعاذ القارئ: «ضِيزَى»

(١) قال في «البحر المحيط»: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قيل: «الكبرى» مفعول «رأى» أي: رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آياتِ رَبِّهِ، أي: حين رقي إلى السماء رأى عجائب الملكوت، وتلك بعض آياتِ الله. وقيل: «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفة لـ «آياتِ رَبِّهِ»، ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة، وحسن ذلك هنا، كونها فاصلة كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ عند من جعلها صفة لـ «آياتِ رَبِّهِ».

(٢) زيادة من «الطبري».

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ كقوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا، قال: وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة إلى أن الروية تلك الليلة لم تقع، لانه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس. اهـ.

(٤) في النسخة الاستنبولية: وروى عن يعقوب.

بفتح الضاد من غير همز. قال الزجاج: الضيبي في كلام العرب: الناقصة الجائرة، يقال: ضاهه يضيئه إذا نقصه خفه، ويقال: ضَاهَهُ يَضَاهُهُ<sup>(١)</sup> بالهمز. وأجمع النحويون أن أصل ضيبي: ضَوْرِي، وَحُجَّتُهُمْ أَنَهَا نُقِلَتْ مِنْ «فَعَلَى» مِنْ ضَوْرِي إِلَى ضِيْبِي، لتسليم الياء، كما قالوا: أبيض وبيض، وأصله: بَوْضٌ، فنُقِلَتْ الضَّمَّةُ إِلَى الكسرة. وقرأت على بعض العلماء باللغة: في «ضيبي» لغات يقال: ضيبي، وضوري، وضوْري، وضَارِي على «فَعَلَى» مفتوحة؛ ولا يجوز في القرآن إلا «ضيبي» بياء غير مهموزة؛ وإنما لم يقل النحويون: إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام «فَعَلَى» صفة، إنما يعرفون الصَّفات على «فَعَلَى» بالفتح، نحو سَكَرَى وَغَضِبَى، أو بالضم، نحو حُبَلَى وَفُضِلَى.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ﴾ يعني الأوثان ﴿إِلَّا أَشْمَاءٌ﴾ والمعنى: إن هذه الأوثان التي سمَّوها بهذه الأسماء لا معنى تحتها، لأنها لا تضر ولا تنفع، فهي تسميات ألقيت على جمادات، ﴿مَّا أَتَرَكَ اللَّهُ يَمَانِي سُلْطَانٍ﴾ أي: لم يُنْزَلْ كتاباً فيه حُجَّةٌ بما يقولون: إنها آلهة. ثم رجع إلى الإخبار عنهم بعد الخطاب لهم فقال: ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾ في أنها آلهة، ﴿إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾<sup>(٢)</sup> وهو ما زين لهم الشيطان، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وهو البيان بالكتاب والرسول، وهذا تعجب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وُضوح البيان. ثم أنكر عليهم تَمَنِّيهم شفاعتها فقال: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني الكافر ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من شفاعاة الأصنام، ﴿فَلْيَلِ الْأَمْرَ وَالْأَوَّلُ﴾<sup>(٣)</sup> أي لا يملك فيهما أحد شيئاً إلا بإذنه. ثم أكد هذا بقوله: ﴿وَكَمْ يَنُكِّلُ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾ فجمع في الكناية، لأن معنى الكلام الجمع ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ في الشفاعاة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَرَحْمَةً﴾؛ والمعنى أنهم لا يشفعون إلا لمن رضي الله عنهم.

﴿إِنْ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ بِالْآخِرَةِ لَيْسُوا مِنَ اللَّهِ بِشَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَخْلَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً<sup>(٥)</sup> فَأَعْرِضْ عَنْ مَن قَوْلِكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَا نُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا<sup>(٦)</sup> ذَلِكَ سَبَلُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ إِنْ رَأَوْكَ هُوَ أَعْلَمُ مِنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَمْتَدَى<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِنْ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: بالبعث ﴿لَيْسُوا مِنَ اللَّهِ بِشَيْءٍ﴾ وذلك حين زعموا أنها بنات الله، ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ بذلك، ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ما يستطيعون أنها إناث ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ أي: لا يقوم مقام العلم<sup>(٨)</sup>؛ فالحق هاهنا بمعنى العلم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن قَوْلِكَ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن؛ وهذا عند المفسرين منسوخ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ سَبَلُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ قال الزجاج: إنما يعلمون ما يحتاجون إليه في معاشهم، وقد نبذوا أمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْثَرُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ الآية؛ والمعنى أنه عالم بالفرقين فيجازيهم. ﴿وَلَقَدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَعْرِىَ الَّذِينَ اسْتَفْوا بِمَا عَمِلُوا وَيَعْرِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٩)</sup> الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّهُ إِنْ رَأَوْكَ هُوَ أَكْثَرُ بِكُمْ إِذْ أَنْتُمْ كَرِهَ الْأَرْضَ وَإِنَّهُ أَمَّا أَجِنَّةٌ فِي بَطُونِ أَمْهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكَوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَمْتَدَى<sup>(١٠)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا إخبار عن قُدرته وَسَعَةِ مُلكه، وهو كلام معترض بين الآية الأولى وبين قوله: ﴿لَيَعْرِىَ الَّذِينَ اسْتَفْوا﴾ لأن اللام في «ليجزى» متعلقة بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهما، جازى كُلًّا بما يستحقه، وهذه لام العاقبة، وذلك أن علمه بالفرقين أدَّى إلى جزائهم باستحقاقهم، وإنما يَغْيِرُ على مُجازاة الفرقيين إذا كان واسع المُلك، فلذلك أخبر به في قوله: ﴿وَلَقَدْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. قال المفسرون: و «أسأوا» بمعنى أشركوا، و «أحسنوا» بمعنى وحّدوا. والحسنى: الجنة. والكبائر مذكورة في سورة [النساء: ٣١]. وقيل: كبائر الإثم: كُلُّ ذَنْبٍ حُتِمَ بِالنَّارِ، والفواحش: كُلُّ ذَنْبٍ فِيهِ الْحَذَرُ. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وخلف:

(١) في الأصل: ضاهه يضيئه بالهمز، والتصويب من كتب اللغة.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسوا، ولا تجسوا، ولا تتاجسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تبايروا، وكونوا عباد الله إخواناً».

(٣) ما بين المقفين زيادة سقطت من الأصل.



يَجْتَنِبُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَاللَّمَمَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمُقَارَبَةُ لِلشَّيْءِ. وفي المراد به هاهنا ستة أقوال: أحدها: ما أَلْمُوا به من الإثم والفواحش في الجاهلية، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام، قاله زيد بن ثابت. والثاني: أن يُلَمَّ بالذَّنْبِ مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. والثالث: أنه صِغارُ الذُّنُوبِ، كَالنَّظَرَةِ وَالْقُبْلَةِ وما كان دون الرُّنَا، قاله ابن مسعود، وأبو هريرة، والشعبي، ومسروق، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَقَّهُ مِنَ الرُّنَا، فَرْنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرَ، وَرْنَا اللِّسَانَ التُّطْقَ، وَالنَّفْسَ تَشْتَهِي وَتَمْتَنِي، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُهُ الْقُرْجُ»<sup>(١)</sup>، فَإِنْ تَقَدَّمَ بِقُرْجِهِ كَانَ الرُّنَا، وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ. والرابع: أنه ما يَهْمُ به الإنسان، قاله محمد ابن الحنفية. والخامس: أنه ألم بالقلب، أي: خَطَرٌ، قاله سعيد بن المسيَّب. والسادس: أنه النَّظَرُ من غير تعمد، قاله الحسين بن الفضل. فعلى القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَقْعَرَةِ﴾ قال ابن عباس: لِمَنْ فعل ذلك ثم تاب، وهاهنا تمَّ الكلام. ثم قال: ﴿هُوَ أَكْبَرُ يَكُونُ﴾ يعني قبل خلقكم ﴿إِذَا أَنْشَأَكَ رَبُّكَ الْأَرْضِينَ﴾ يعني آدم ﷺ ﴿وَرَأَى أَنْتَ أَجْنَةً﴾ جمع جِنِينٍ؛ والمعنى أنه عِلِمٌ ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون، ﴿فَلَا تَرْكُؤًا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تشهدوا لها أنها زكية بريئة من المعاصي. وقيل: لا تمدحوها بحسن أعمالها. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أن اليهود كانوا إذا هلك لهم صبي، قالوا: صديق، فنزلت هذه الآية، هذا قول عائشة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ناساً من المسلمين قالوا: قد صُلِّينا وضمنا وفعلنا، يُزْكَونَ أَنْفُسَهُمْ، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْتَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: عمل حسنة وارعوى عن معصية، قاله علي رضي الله عنه. والثاني: أخلص العمل لله، قاله الحسن. والثالث: اتقى الشرك فآمن، قاله الثعلبي.

﴿أَنْزَيْتَ اللَّيْلَ تَوَكَّلْ﴾<sup>(٣)</sup> وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى<sup>(٤)</sup> أَعْنَدُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرٌّ<sup>(٥)</sup> أَمْ لَمْ يَبْنَأْ يَمًا فِي صُحُفٍ مَوْسَى<sup>(٦)</sup> وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَكَّلَ<sup>(٧)</sup> أَلَّا تَزِرَ وَزِرَةً وَرِثَ لَئِي<sup>(٨)</sup> وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى<sup>(٩)</sup> وَأَنْ سَعِيَهُمْ سَوْفَ بَرَى<sup>(١٠)</sup> ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ<sup>(١١)</sup> الْأَكْثَى<sup>(١٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَنْزَيْتَ اللَّيْلَ تَوَكَّلْ﴾<sup>(٣)</sup> اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، وكان قد تبع رسول الله ﷺ على دينه، فغيره بعض المشركين، وقال: تركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ﷻ ففعل، فأعطاه بعض الذي ضمن له، ثم يخجل ومنعه، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وابن زيد. والثاني: أنه النضر بن الحارث أعطى بعض فقراء المسلمين خمس قلائص حتى ارتد عن إسلامه. وضمن له أن يخجل عنه إثم، قاله الضحاك. والثالث: أنه أبو جهل، وذلك أنه قال: واللّه ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، قاله محمد بن كعب القرظي. والرابع: أنه العاص بن وائل السهمي، وكان ربماً وافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور، قاله السدي. ومعنى «تَوَكَّلْ»: أعرض عن الإيمان. ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أطاع قليلاً ثم عصى. قاله ابن عباس. والثاني: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع ثم أكدى بالانقطاع، قاله مجاهد. والثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم منع، قاله الضحاك. والرابع: أعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم قطع، قاله مقاتل. قال ابن قتبية: ومعنى «أَكْثَى»: قطع، وهو من كُذِيَ الرِّكْبَةِ، وهي الصَّلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يش من حفرها، فقطع الحفر، فقليل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره، أو أعطى ولم يُيَمِّ: أَكْثَى.

قوله تعالى: ﴿أَعْنَدُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بَرٌّ﴾<sup>(٥)</sup> فيه قولان: أحدهما: فهو يرى حاله في الآخرة، قاله الفراء. والثاني: فهو يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة وغيرها، قاله ابن قتبية.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْنَأْ يَمًا فِي صُحُفٍ مَوْسَى﴾<sup>(٦)</sup> يعني التوراة، ﴿وَابْرَاهِيمَ﴾ أي: وصحف إبراهيم. وفي حديث

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢/١١، ومسلم ٢٠٤٦/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٦ عن ثابت بن الحارث الأنصاري وفي سننه ابن لهيعة، وفكره السيوطي في «الدر» ١٢٨/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي نعيم في «المعرفة»، وابن مردويه عن ثابت بن الحارث الأنصاري.

أبي ذر عن النبي ﷺ «أن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف»<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: ﴿الَّذِي وَكَّلَ﴾ قرأ سعيد بن جبير، وأبو عمران الجوني، وابن السميع اليماني «وَكَّى» بتخفيف الفاء.  
 قال الزجاج: قوله: «وَكَّى» أبلغ من «وَكَّى»، لأن الذي أمحن به من أعظم المحن. وللمفسرين في الذي وكَّى عشرة أقوال: أحدها: أنه وكَّى عمله يومه بأربع ركعات في أول النهار، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه وكَّى في كلمات كان يقولها. روى سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سَمَى الله إبراهيم خليله [الذي وكَّى]؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿قَسْبَحَنَّا اللَّهَ حِينَ تَشْرُوكَ وَحِينَ تَقْسِيحُونَ﴾» وختم الآية [الروم: ٢٧]<sup>(٣)</sup>. والثالث: أنه وكَّى الطاعة فيما فعل بانه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال القرطبي. والرابع: أنه وكَّى ربّه جميع شرائع الإسلام، روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس. والخامس: أنه وكَّى ما أمر به من تبليغ الرسالة، روى عن ابن عباس أيضاً. والسادس: أنه عمل بما أمر به، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وقال مجاهد: وكَّى ما فُرض عليه. والسابع: أنه وكَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي: ﴿أَلَا نُرِذُّ زُرَّةً وَنُرِذُّ لُثْرَةَ﴾ وما بعدها، وهذا مروي عن عكرمة، ومجاهد، والنخعي. والثامن: وكَّى شأن المناسك، قاله الضحاك. والتاسع: أنه عاهد أن لا يسأل مخلوقاً شيئاً، فلما كُذِف في النار قال له جبريل، ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا<sup>(٤)</sup>، فوكَّى بما عاهد، ذكره عطاء بن السائب. والعاشر: أنه أدّى الأمانة، قاله سفيان بن عيينة. ثم بين ما في صحفهما فقال: ﴿أَلَا نُرِذُّ زُرَّةً وَنُرِذُّ لُثْرَةَ﴾<sup>(٥)</sup> أي: لا تخجل نفس حاملّة جمل أخرى، والمعنى: لا تؤخذ بإثم غيرها. «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» قال الزجاج: هذا في صحفهما أيضاً. ومعناه: ليس للإنسان إلا جزاء سعيه، إن عمل خيراً جُزي عليه خيراً، وإن عمل شراً جُزي شراً. واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال: أحدها: أنها منسوخة بقوله: «وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان»<sup>(٦)</sup> [الطور: ٢١] فأدخل الأبناء الجَنَّة بصلاح الآباء، قاله ابن عباس، ولا يصح، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تنسخ. والثاني: أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأئمة فلهم ما سَعَوْا وما سعى غيرهم، قاله عكرمة، واستدل بقول النبي ﷺ للمرأة التي سألت: إن أبي مات ولم يحج، فقال: «حجّي عنه»<sup>(٧)</sup>. والثالث: أن المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأما المؤمن، فله ما سعى وما سعى له، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أنه ليس للإنسان إلا ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل، فجاز أن يزيد الله ﷻ ما يشاء، قاله الحسين بن الفضل. والخامس: أن معنى «ما سعى»: ما نوى، قاله أبو بكر الورّاق. والسادس: ليس للكافر من الخير إلا ما عمله في الدنيا، فيُثاب عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ذكره الثعلبي. والسابع: أن اللام بمعنى «على»، فتفديده: ليس على الإنسان إلا ما سعى. والثامن: أنه ليس له إلا سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيل قرابة وولد يترحم عليه وصديق، وتارة يسعى في خدمة الدين والعبادة، فيكتسب محبة أهل الدين، فيكون ذلك سبباً حصل بسعيه، حكى

(١) قال السيوطي في «الدر»: ٣٤١/٦: أخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف... إلخ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٧٣/٢٧ وفي سننه جعفر بن الزبير الباهلي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه، وذكره السيوطي في «الدر»: ١٢٩/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والشيрази في «الألقاب» والديلمي بسند ضعيف عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد في «المسند»: ٣٣٩/٣ عن معاذ بن أنس، وابن جرير الطبري ٧٣/٢٧، وفي سننه زيان بن فائد وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر»: ١٥٤/٥ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدعوات» عن معاذ بن أنس رضي الله عنه.

(٤) قد تقدم الكلام على هذا الأثر ٩٣٤ فانظر فيه.

(٥) قراءة حفص «وَالَّذِينَ تَزَيَّجْتُمْ» وهذه قراءة ابن عامر.

(٦) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ونسبه: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي أدرته فريضة الله في الحج شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، قال: «فحجّي عنه».

القولين شيخنا علي بن عبيد الله الزاغوني<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ سَعَيْتُمْ سَوَافٍ يَرَىٰ﴾ في قولان: أحدهما: سوف يُعَلِّمُ، قاله ابن قتيبة. والثاني: سوف يرى العبد سعيه يوم القيامة، أي: يرى عمله في ميزانه، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿يُحِزُّهُ﴾ الهاء عائدة على السعي ﴿الْحِزَّةُ الْأَوَّلَى﴾ أي: الأكل الأول.

﴿وَأَنْ لَّكَ رَبِّكَ الشُّبُهَاتُ﴾ وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ وَلَعِينًا﴾ وَأَنْتَ خَلَقَ الرَّزْمِيَّ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿مِنْ ثُلُفُو إِفَاتِنِ﴾ وَأَنْ عَلَيَّ الشَّاةُ الْآخَرَى ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَفْقَى وَأَقْنَى﴾ وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ النَّعْرَى ﴿وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادَا الْأَوَّلَى﴾ وَكُنُوا مَا أَفْقَى ﴿وَقَدْ نُجِ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَلْفَنَى﴾ وَالْمُؤَنِّكَ أَهْوَى ﴿فَقَسَّهَا مَا عَشَى﴾ فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ تَشَاوَى ﴿وَأَنْ لَّكَ رَبِّكَ الشُّبُهَاتُ﴾ أي: مُتَتَى العباد ومرجعهم. قال الزجاج: هذا كله في صحف إبراهيم وإسحق.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ قالت عائشة: مرَّ رسول الله ﷺ بقوم يضحكون، فقال: «لو تَفْلَمُونَ ما أَفْلَمَ لَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا، وَلِبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ ﷺ بِهذه الآية، فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: مَا خَطَبُوتُ أَرْبَعِينَ خُطْوَةً حَتَّى أَتَانِي جَبْرِيلُ، فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ فَقَلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: وَأَنْتَ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى»<sup>(٢)</sup>، وفي هذا تنبيه على أن جميع الأعمال بقضاء الله وقدره حتى الضحك والبكاء. وقال مجاهد: أَضْحَكَ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَأَبْكَى أَهْلَ النَّارِ. وقال الضحاك: أَضْحَكَ الْأَرْضَ بِالنبات، وَأَبْكَى السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَمَاتٌ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَعِينًا﴾ لِلْبَيْتِ ﴿وَأَنْتَ خَلَقَ الرَّزْمِيَّ﴾ أي: الصَّنْفَيْنِ ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ ﴿مِنْ ثُلُفُو إِفَاتِنِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِذَا تَرَأَى فِي الرَّجْمِ، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ. وَالثَّانِي: إِذَا تُخْلَقُ وَتُقَدَّرُ. ﴿وَأَنْ عَلَيَّ الشَّاةُ الْآخَرَى﴾ وَهِيَ الْخَلْقُ الثَّانِي لِلْبَيْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿وَأَنْتَ هُوَ أَفْقَى﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَغْنَى بِالْكَفَايَةِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: بِالْمَعِيشَةِ، قَالَه الضَّحَّاكُ. وَالثَّالِثُ: بِالْأَمْوَالِ، قَالَه أَبُو صَالِحٍ. وَالرَّابِعُ: بِالْقَنَاعَةِ، قَالَه سَفِيَّانٌ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَقْنَى﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَرْضَى بِمَا أُعْطِيَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: أَخْدَمَ، قَالَه الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ الْقَوْلَيْنِ. وَالثَّالِثُ: جَعَلَ لِلْإِنْسَانِ قِيَّةً، وَهُوَ أَصْلُ مَالٍ، قَالَه أَبُو عُبَيْدَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ هُوَ رَبُّ النَّعْرَى﴾ قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: هُوَ الْكَوْكَبُ الَّذِي يُظَلِّعُ بَعْدَ الْجُوزَاءِ، وَكَانَ نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَهَا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ أَهْلَكَ عَادَا الْأَوَّلَى﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَعَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «عَادَا الْأَوَّلَى» مَثْوًةٌ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «عَادَا لَوْلَى» مُوصُولَةٌ مَدْعُومَةٌ. ثُمَّ فِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ قَوْمُ هُودٍ، وَكَانَ لَهُمْ عَقَبٌ فَكَانُوا عَادَا الْآخَرَى، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ. وَالثَّانِي: أَنَّ قَوْمَ هُودٍ هُمْ عَادَا الْآخَرَى، وَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ عَادِ الْأَوَّلَى، قَالَه كَعْبُ الْأَحْبَارِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَفِي «الْأَوَّلَى» لَفَاتٌ، أَجُودَهَا سَكُونُ اللَّامِ وَإِثْبَاتُ الْهَمْزِ، وَالثَّانِي تَلْهِيقُهَا فِي الْجُودَةِ ضَمُّ اللَّامِ وَطَرَحُ الْهَمْزَةِ، وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: لَوْلَى، يُرِيدُ: الْأَوَّلَى، فَتَطْرَحُ الْهَمْزَةُ لِتَحْرَكَ اللَّامُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نُجِ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَلْفَنَى﴾ مِنْ غَيْرِهِمْ، لَطُولُ دَعْوَةِ نُوحٍ إِلَيْهِمْ، وَعَتَوْهُمْ، ﴿وَالْمُؤَنِّكَ﴾ فَرَى قَوْمُ لُوطٍ ﴿أَهْوَى﴾ [أي]: أَسْقَطَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ أَنْ رَفَعَهَا، وَاتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِالْحِجَارَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَقَسَّهَا﴾ أَي: أَلْبَسَهَا ﴿مَا عَشَى﴾ يَعْنِي الْحِجَارَةَ ﴿فَإِنِّي مَالَهُ رَبِّكَ تَشَاوَى﴾ هَذَا خُطَابٌ لِلْإِنْسَانِ، لَمَّا عَدَّدَ اللَّهُ مَا فَعَلَهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ قَالَ: فَبَإَيِّ نِعَمٍ رَبُّكَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَشْكُرُكَ؟ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَبَإَيِّ آلَاءٍ رَبِّكَ تَكْذِبُ يَا وَلِيدَ، يَعْنِي [الوليد] بِنِ الْمَغِيرَةِ.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِمَّنْ أُنْذِرُ الْأَوَّلَى﴾ أَرَيْتَ الْآيَةَ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ﴾ أَوْنِ هَذَا الْمَلِكِ تَجَبُّونَ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ ﴿فَاصْبِرُوا لِلَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾

(١) هو علي بن عبيد الله بن نصر بن السري البغدادي مؤرخ فقيه من أعيان الحنابلة، قال ابن رجب: كان متفنتاً في علوم شتى من الأصول والفروع والحديث والوعظ وصنف في ذلك كله. توفي سنة ٥٢٧هـ.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٣٠ من رواية ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه القرآن، نذيرٌ بما أنذرت الكتبُ المتقدمة، قاله قتادة. والثاني: أنه رسول الله ﷺ، نذيرٌ بما أنذرت به الأنبياء، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ الْآيَةَ﴾ (٤٧) أي: دنت القيامة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَافِيَةٌ﴾ (٤٨) فيه قولان: أحدهما: إذا غشيت الخلق شدائدُها وأحوالُها لم يكشفها أحد ولم يردها، قاله عطاء، وقاتدة، والضحاك. والثاني: ليس لعلمها كاشف دون الله، أي: لا يعلم علمها إلا الله، قاله الفراء، قال: وتأنيت «كاشفة» كقوله: ﴿فَهَلْ رَزَقْنَا لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةِ﴾ (١) [الحاقة: ٨]، يريد: من بقاء؛ والعافية والباقية والناحية كُلُّه في معنى المصدر. وقال غيره: تأنيت «كاشفة» على تقدير: نفس كاشفة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا لِلنَّاسِ﴾ قال مقاتل: يعني القرآن ﴿تَكْذِيبٌ﴾، ﴿وَتَضْمُكٌ﴾ استهزاء ﴿وَلَا يَكُونُ﴾ مما فيه من الوعيد؟! ويعني بهذا كفار مكة، ﴿وَأَنْتُمْ سَوِيدُونَ﴾ (١١) فيه خمسة أقوال: أحدها: لاهون، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قاله الفراء والزجاج. قال أبو عبيدة: يقال: دغ عنك سُمُودك، أي: لهُوك. والثاني: مُعْرِضُونَ، قاله مجاهد. والثالث: أنه الغناء، وهي لغة يمانية، يقولون: اشمُد لنا، أي: تَعَنَّ لِن، رواه عكرمة عن ابن عباس. وقال عكرمة: هو الغناء بالجمريَّة. والرابع: غافلون، قاله قتادة. والخامس: أشيروا يَطُرون، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه سُجود التلاوة، قاله ابن مسعود. والثاني: سُجود الفرض في الصلاة. قال مقاتل: يعني بقوله: «فأسجدوا»: الصلوات الخمس. وفي قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ قولان: أحدهما: أنه التوحيد. والثاني: العبادة (٢).



(١) الآية في التلاوة: ﴿فَهَلْ رَزَقْنَا لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةِ﴾ وقد سوغ المتقدمون حذف الواو والفاء عند ذكر الآية للاستدلال، انظر «الرسالة» للشافعي ٣٦١ بتحقيق العلامة أحمد شاكر رحمه الله.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فأسجدوا لله أيها الناس في صلاتكم دون من سواه من الآلهة والأنداد، وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا له، فأخلصوا له العبادة والسجود، ولا تجعلوا له شريكاً في عبادتكم إياه. وروى البخاري في «صحيحه» ٤٧٢/٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. وروى البخاري أيضاً عن ابن مسعود قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالَّذِينَ﴾ قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً وأبته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأبته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف.



## سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿اَنزَلْنَاهُ السَّاعَةَ اَلَمْ نَشَقِّ الْقَمَرَ ۝١ وَلَٰن يَرَوْا آيَةً يُرْشَوْنَ بِمُرْشَاهُمْ لِيُبْلَا أُمُورُهُمْ رَبَّهُمْ لَنَلْبَسُنَّ فِيهِمْ مَرْدَجًا ۝٢ حَكَمًا بَلِيغًا لِّمَا تَتَى الدُّرُّ ۝٣﴾.

وهي مكية بإجماعهم، وقال مقاتل: مكية غير آية ﴿سَبِّحْ لِلْمُتَمِّعِ﴾ [القمري: ٤٤-٤٥]، وحكي عنه أنه قال: إلا ثلاث آيات، أولها: ﴿اَنزَلْنَاهُ السَّاعَةَ اَلَمْ نَشَقِّ الْقَمَرَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ﴾ [القمري: ٤٤-٤٥]، قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إن فعلت ثوبتون؟» قالوا: نعم، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي: «يا فلان يا فلان اشهدوا»، وذلك بمكة قبل الهجرة<sup>(١)</sup>. وقد روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»<sup>(٢)</sup>. وقد روى حديث الانشقاق جماعة، منهم عبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم، وابن عباس، وأنس بن مالك<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا جميع المفسرين، إلا أن قوماً شذّبوا فقالوا: سيئشق يوم القيامة. وقد روى عثمان بن عطاء عن أبيه نحو ذلك، وهذا القول الشاذ لا يقام الإجماع، ولأن قوله: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ﴾ لفظ ماضٍ، وحمل لفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل، وليس ذلك موجوداً<sup>(٤)</sup>. وفي قوله: ﴿وَلَٰن يَرَوْا آيَةً يُرْشَوْنَ بِمُرْشَاهُمْ﴾ دليل على أنه قد كان ذلك. ومعنى ﴿اَنزَلْنَاهُ﴾: دَنَتْ؛ و ﴿السَّاعَةَ﴾ القيامة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، تقديره: انشق القمر واقتربت الساعة. وقال مجاهد: انشق القمر فصار فرقتين، ثبتت فرقة، وذهبت فرقة وراء الجبل. وقال ابن زيد: لما انشق القمر كان يرى نصفه على قُتَيْقَمَانَ، والنصف الآخر على أبي قُبَيْس - قال ابن مسعود: لما انشق القمر قالت قريش: سحرهم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفَّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله ﷻ: ﴿اَنزَلْنَاهُ السَّاعَةَ اَلَمْ نَشَقِّ الْقَمَرَ ۝١﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰن يَرَوْا آيَةً﴾ أي: آية تدلهم على صدق الرسول، والمراد بها هاهنا: انشقاق القمر ﴿يُرْشَوْنَ بِمُرْشَاهُمْ﴾ عن التصديق ﴿وَيُرْشَوْنَ بِمُرْشَاهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ذاهب، من قولهم: مَرَّ الشَّيْءُ وَاسْتَمَرَّ: إذا ذهب، قاله مجاهد، وقتادة، والكسائي، والفراء؛ فعلى هذا يكون المعنى: هذا سحر، والسحر يذهب ولا يثبت. والثاني: شديد قوي، قاله أبو العالية، والضحاك، وابن قتيبة، قال: وهو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: القُتْلُ<sup>(٦)</sup>. والثالث: دائم، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا﴾ يعني كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَاهُ السَّاعَةَ﴾ ما زَيْنَ لهم الشيطان ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن كُلَّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ بأهله، فالخير يستقرُّ بأهل الخير، والشر يستقرُّ بأهل

(١) رواه البخاري ٤٦٤/٦ بمعناه مختصراً، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٦ ونسبه إلى أبي نعيم في «الحلية» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس.

(٢) البخاري ٤٧٤/٨، ومسلم ٢١٥٨/٤.

(٣) حديث عبد الله بن عمر رواه مسلم والترمذي والبيهقي. وحديث حذيفة أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» وابن جرير، وابن مردويه. وحديث جبير بن مطعم رواه أحمد والبيهقي. وحديث ابن عباس رواه البخاري في «صحيحه». وحديث أنس بن مالك رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٤) في الأصل: موجود.

(٥) رواه الواحدي في «أسياب النزول» ٢٢٧، وابن جرير الطبري ٨٥/٢٧، وذكره السيوطي في «الدر» ١٣٣/٦ وزاد نسبه لابن المنثور، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل» من طريق مسروق عن ابن مسعود ﷺ.

(٦) في الأصل: القتل، وهو تصحيف، والتصويب من «غريب القرآن».

الشر، قاله قتادة. والثاني: لكل حديث مُنتهى وحقبة، قاله مقاتل. والثالث: أن قرار تكذيبهم مستقر، وقرار تصديق المصدقين مستقر حتى يعلموا حقيقة الثواب والعقاب، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة ﴿بِآيَاتِ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من أخبار الأمم المكذبة في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُرَذَّحٌ﴾ قال ابن قتيبة: أي: مُتَعَطِّ ومُتَهَي.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةً بَلِغَةً﴾ قال الزجاج: هي مرفوعة لأنها بدل من «ما»، فالمعنى: ولقد جاءهم حكمة بالغة [وإن شئت رفعتها بإضمار: هو حكمة بالغة]. و «ما» في قوله: ﴿فَمَا تَنْي الْأَنْدَرُ﴾ جائز أن يكون استفهاماً بمعنى التوبيخ، فيكون المعنى: أي شيء تُغني النذر؟! وجائز أن يكون نفيًا، على معنى، فليست تُغني النذر. قال المفسرون: والمعنى: جاءهم القرآن وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية، فما تُغني النذر إذا لم يؤمنوا؟!.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ ① خُشْعًا أَصْرَمَرُ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبَاءِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَبِرٌ ② مُهْطِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاذِبُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرٍ ③

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ قال الزجاج: هذا وقف التمام، و ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾. وقال مقاتل: فتولَّى عنهم [إلى] يوم «يَدْعُ الدَّاعِ» أثبت هذه الباء في الحاليين يعقوب؛ ووافقه أبو جعفر، وأبو عمرو في الوصل، وحذفها الأكثرون في الحاليين. و «الدَّاعِ»: إسرافيل ينفخ النفخة الثانية. ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ وقرأ ابن كثير: «نُكْرٍ» خفيفة؛ أي: إلى أمر فظيع. وقال مقاتل: «النُّكْرُ» بمعنى المنكر، وهو القباية، وإنما يُنكرونه إعظاماً له. والتولي المذكور في الآية منسوخ عند المفسرين بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿خُشْعًا أَصْرَمَرُ﴾ قرأ أهل الحجاز، وابن عامر، وعاصم: «خُشْعًا» بضم الخاء وتشديد الشين من غير ألف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «خَاشِعًا» بفتح الخاء وألف بعدها وتخفيف الشين. قال الزجاج المعنى: يخرجون خُشْعًا، و «خَاشِعًا» منصوب على الحال، وقرأ ابن مسعود: «خَاشِعَةً»؛ ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والتأنيث والجمع؛ تقول: مررت بشبانٍ حَسَنٍ أَوْجُهُمْ، وجسانٍ أَوْجُهُمْ، وحَسَنَةٍ أَوْجُهُمْ، قال الشاعر:

وَسَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ

مِنْ إِسَادٍ بَنِي زُرَّارٍ بَنِي مَعَدٍ ④

قال المفسرون: والمعنى أن أبصارهم ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب. والأحداث: القبور، وإنما شبههم بالجراد المنتشر، لأن الجراد لا جهة له يَقْصِدُهَا، [فهو أبدأً مختلف بعضه في بعض]، فهم يخرجون فزعين ليس لأحد منهم جهة يَقْصِدُهَا. والدَّاعِ: إسرافيل. وقد أثبت ياء «الدَّاعِ» في الحاليين ابن كثير، ويعقوب؛ تابعتها في الوصل نافع، وأبو عمرو؛ والباقون بحذفها في الحاليين. وقد بينا معنى «مُهْطِينَ» في سورة [إبراهيم: ٤٣] والعير: الصَّعْب الشديد.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا بَحْتُونَ وَزَادُوا ⑤ فَنَدَعَا رَبَّنَا أَنِ مَلَأُوا فَنَصَبَ ⑥ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاوُ مُنْتَبِرِينَ ⑦ وَبَعَثْنَا الْأَرْضَ عُرْوًا فَالْتَقَى السَّمَاءُ عَلَى أَمْرِ قَدِيرٍ ⑧ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَرْحِ وَدُسِرَ ⑨ تَحَرَّى بِأَفْئِدَتِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ ⑩ وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا بِمَاوُ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ⑪ فَكَيْفَ كَانَ عَلَايَ وَنَذَرُ ⑫ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ⑬ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَلَايَ وَنَذَرُ ⑭ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مَرْمَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُنْتَبِرٍ ⑮ نَبِّحُ النَّاسَ أَجْمَعًا فَنَحَلُ شَقِيرَ ⑯ فَكَيْفَ كَانَ عَلَايَ وَنَذَرُ ⑰

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أهل مكة ﴿قَوْمٌ نُوحٍ فكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا بَحْتُونَ وَزَادُوا﴾ قال أبو عبيدة: افتعل من زَجِر. قال المفسرون: زجره عن مقالته ﴿فَنَدَعَا﴾ عليهم نوح ﴿رَبَّنَا﴾ بـ ﴿أَنِ مَلَأُوا فَنَصَبَ﴾ أي: فأنصبهم لي مَن كُذِّبني. قال الزجاج: وقرأ عيسى بن عمر النحوي: «أَنِ» بكسر الألف، وفسرها سيويه فقال: هذا على إرادة القول، فالمعنى: قال: إني مغلوب؛ ومن فتح، وهو الوجه، فالمعنى: دعا ربّه بـ ﴿أَنِ مَلَأُوا﴾.

(١) البيت للمحارب بن دوس الإيادي، ويروى لأبي داود الإيادي «هاشم القرطبي» ١٢٩/١٧. وهو في «الطبري» ٩٠/٢٧. والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» الورقة ٣١٧ قال: إذا تقدم الفعل قبل اسم مؤنث وهو له، أو قبل جمع مؤنث، مثل الانتصار والأعمار وما أشبهها، جاز تأنيث الفعل وتذكيره وجمعه.

قوله تعالى: ﴿فَنَحْنُ أَرْبَابُ السَّمَاءِ﴾ قرأ ابن عامر «فَنَحْنُ» بالتشديد. فأما المُنْهَر، فقال ابن قتيبة: هو الكثير السريع الانصباب، ومنه يُقال: هَمَر الرجل: إذا أكثر من الكلام وأسرع. وروى عليّ عليه السلام أن أبواب السماء فُتحت بالماء من المجرة، وهي شَرْجُ السماء. وعلى ما ذكرنا من القصة في [مود: ٤٤] أن المطر جاءهم، يكون هو المراد بقوله: ﴿فَنَحْنُ أَرْبَابُ السَّمَاءِ﴾ قال المفسرون: جاءهم الماء من فوقهم أربعين يوماً، وفُجرت الأرض من تحتهم عيوناً أربعين يوماً. «فَالْتَقَى الْمَاءُ» وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري: «الماءان» بهمة ألف ونون مكسورة. وقرأ ابن مسعود: «المایان» بياء وألف ونون مكسورة من غير همز. وقرأ الحسن، وأبو عمران: «الماوان» بواو وألف وكسر النون. قال الزجاج: يعني بالماء: ماء السماء وماء الأرض، ويجوز الماءان، لأن اسم الماء اسم يجمع ماء الأرض وماء السماء.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: كان قَدَرُ ماء السماء كَقَدَرِ ماء الأرض، قاله مقاتل. والثاني: قد قَدَر في اللوح المحفوظ، قاله الزجاج. فيكون المعنى: على أمر قد قُضي عليهم، وهو الفرق.

قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ يعني نوحاً ﴿عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ وَوُثْرِ﴾ قال الزجاج. أي: على سفينة ذات الواج. قال المفسرون: ألواحها: خشباتها العريضة التي منها جُمعت. وفي الدُّسُر أربعة أقوال: أحدها: أنها المسامير، رواه الوالبي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والقرظي، وابن زيد. وقال الزجاج: الدُّسُر: المسامير والشُّرُط التي تُشَدُّ بها الألواح، وكل شيء نحو السُّنَمِر أو إدخال شيء في شيء بقوة وشدة قَهَر فهو دَسَر، يقال: دَسَرْتُ المسمار أَدَسَرُهُ وَأَدَسِرُهُ. والدُّسُر: واحداً دَسَار، نحو حِمَار، وَحُمَر. والثاني: أنه صُدِر السفينة، سُمِّي بذلك لأنه يَدُسُّ الماء، أي: يدفعه، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن وعكرمة؛ ومنه الحديث في العنبر أنه شيء دسره البحر، أي: دفعه<sup>(١)</sup>. والثالث: أن الدُّسُر: أضلاع السفينة، قاله مجاهد. والرابع: أن الدُّسُر: طرفاها وأصلها، والألواح: جانبها، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بِمَنْظَرٍ وَمَرَأَى مِنَّا ﴿جَزَاءً﴾ قال الفراء: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كُفِّر به. وفي المراد بـ «مَنْ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله تعالى، وهو مذهب مجاهد، فيكون المعنى: عوقبوا الله وكُفِّرهم به. والثاني: أنه نوحٌ كُفِّر به وَجِدَ أمره، قاله الفراء. والثالث: أن «مَنْ» بمعنى «ما»؛ فالمعنى: جزاء لما كان كُفِّر من نعم الله عند الذين أغرقهم، حكاه ابن جرير. وقرأ قتادة: «لِمَنْ كَانَ كَفَرٌ» بفتح الكاف والفاء.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهُ﴾ في المشار إليها قولان: أحدهما: أنها السفينة، قال قتادة: أبقاها الله على الجودي حتى أدرَكها أوائل هذه الأمة. والثاني: أنها القَعْلَة، فالمعنى: تركنا هذه القَعْلَة وأمر سفينة نوح آية، أي: علامة ليعتبر بها، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وأصله مُدْتَكِر، فأبدلت التاء دالاً على ما بيَّنا في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ بِمَا أَنَّمَا﴾ [يوسف: ٤٥]. قال ابن قتيبة: أصله: مُدْتَكِر، فأدغمت التاء في الدال، ثم قُلِبَت دالاً مشددة. قال المفسرون: والمعنى: هل من متدكّر يعتبر بذلك؟ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ وفي هذه السورة «وَنُذْر» ستة مواضع، أثبت الياء فيها في الحاليين يعقوب، تابعه في الوصل ورش، والباقيون بحذفها في الحاليين. وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ استفهام عن تلك الحالة، ومعناه التعظيم لذلك العذاب. قال ابن قتيبة: والنُّذْر هاهنا جمع نذير، وهو بمعنى الإنذار، ومثله التَّكْيِير بمعنى الإنكار. قال المفسرون: وهذا تخويف لمشركي مكة. ﴿وَلَقَدْ بَرَّكَ الْفَرَّانَ﴾ أي: سَهَّلْنَاهُ ﴿لِلَّذِكْرِ﴾ أي: للحفظ والقراءة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: من ذاكر يذكره ويقرؤه؛ والمعنى: هو الحث على قراءته وتعلُّمه<sup>(٢)</sup> قال سعيد بن جبير: ليس من كتب الله كتاب يُقرأ كُلُّه ظاهراً إلا القرآن. وأما الرُّيح الصَّرصر، فقد ذكرناها في [حم السجدة].

(١) قال الشيخ محمد السفاريني في «شرح ثلاثيات مستند الإمام أحمد»: جاء في الحديث عن ابن عباس عليه السلام: مثل رسول الله ﷺ من زكاة العنبر؟ فقال: إنما هو شيء دسره البحر.

(٢) قال ابن كثير: ﴿وَلَقَدْ بَرَّكَ الْفَرَّانَ لِلَّذِكْرِ﴾ أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراد، ليذكر الناس، كما قال: ﴿يَكْتُبُ أَرْزَاقَهُ إِلَيْكَ مَكْرَهُ لِقَدَرًا يَنْبَغِي وَيَنْذَكِّرُ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾ وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ يَسْتَرْشِدُ لِسُلَيْكَ يُنْذِرُ بِهِ النَّفُوسَ وَنُذْرٌ بِهِ قَوْلًا لَكَ﴾ قال مجاهد: ﴿وَلَقَدْ بَرَّكَ الْفَرَّانَ لِلَّذِكْرِ﴾ يعني مؤثراً =

قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ نَخْتِمُ نَسْتَمِرُّ﴾ قرأ الحسن: «في يوم» بالتثنية، على أن اليوم ممنوع بالتحسين. والمستمر: الدائم الشوم، استمر عليهم بنحوه. وقال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم. وقيل: إنه كان يوم أربعاء في آخر الشهر<sup>(١)</sup>. ﴿تَبَيَّنَ النَّاسُ﴾ أي: تفلهم من الأرض من تحت أقدامهم فتصرعهم على رقابهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد، فـ ﴿كَانَهُمْ أَصْبَارٌ تَلْوُ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميع: «أعجز نخل» برفع الجيم من غير ألف بعد الجيم. وقرأ ابن مسعود، وأبو مجلز، وأبو عمران: «كانهم عجز نخل» بضم العين والجيم. ومعنى الكلام: كأنهم أصول نخل ﴿شَقِيرٌ﴾ أي: متقلع. وقال الفراء: المنقعر: المنقعر من النخل. قال ابن قتيبة: يقال: قعرته فاققر، أي قلعه فسقط. قال أبو عبيدة: والنخل يذكر ويؤنث، فهذه الآية على لغة من ذكر، وقوله: ﴿أَعْبَارُ نَخْلٍ حَارِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٨] على لغة من أنث. وقال مقاتل: شبههم حين وقعوا من شدة العذاب بالنخل الساقطة التي لا رؤوس لها، وإنما شبههم بالنخل لظولهم، وكان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً.

﴿وَلَقَدْ بَرَأَ الْفَرَادَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ كَذَبَتْ مُرُوهُ بِالْأَثَرِ ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ نَحْنُ وَجَدْنَا نَفْسَهُمْ إِنْآ إِنَّا لَنَبِيٍّ مَلَكٍ وَشَرِّهِمْ﴾ لَأَنَّى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَثِيرِ﴾ إِنْآ مَرِيلُوا النَّاقَةَ فَنَنَّا لَهُمْ قَارِئَتِهِمْ وَأَمَلَرَهُمْ وَبَيَّنَّتْهُمُ أَنْ اللَّاءَ فَنَنَّا بَيْنَهُمْ كُلَّ ذَرِيَةٍ مُخْضَرَةٍ قَادَرًا سَالِحًا قَتْلَانِ فَفَرَّ ﴿كَذَّبَ كَانَ عَلَيْنَا وَنَذِيرٌ﴾ إِنْآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَجَدَتْهُمُ كَاشِبِينَ النَّخْلِ ﴿وَلَقَدْ بَرَأَ الْفَرَادَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ مُرُوهُ بِالْأَثَرِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه جمع نذير. وقد بينا أن من كذب نبياً واحداً فقد كذب الكل. والثاني: أن النذر بمعنى الإنذار كما بينا في قوله: ﴿كَذَّبَ كَانَ عَلَيْنَا وَنَذِيرٌ﴾؛ فكانهم كذبوا الإنذار الذي جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ نَحْنُ﴾ [قال الزجاج: هو منصوب بفعل مضمر والذي ظهر تفسيره، المعنى: أنتع<sup>(٢)</sup> بشراً ميتاً (وجداً)]، قال المفسرون: قالوا: هو آدمي ومثلنا، وهو واحد فلا نكون له تبعاً ﴿إِنْآ إِذَا﴾ إن فعلنا ذلك ﴿لَنَبِيٍّ مَلَكٍ﴾ أي: خطئاً وذهاب عن الصواب ﴿وَشَرِّهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: جنون. قال ابن قتيبة: هو من: تَسَعَّرَتْ<sup>(٣)</sup> النار؛ إذا تهبث، يقال: ناقة مسعورة، أي: كأنها مجنونة من النشاط. وقال غيره: لَنَبِيٍّ شِقَاءٌ وَعَنَاءٌ لِأَجْلِ مَا يُلْزَمُنَا مِنْ طَاعَتِهِ. ثم أنكروا أن يكون الوحي بآتيه فقالوا: ﴿لَأَنَّى الذِّكْرُ؟﴾ أي: أنزل الوحي ﴿عَلَيْنَا مِنْ بَيْنَانَا؟﴾ أي: كيف خص من بيننا بالنبوة والوحي؟ ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَثِيرٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه المرح المتكبر، قاله ابن قتيبة. والثاني: البطر، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ قرأ ابن عامر وحزمة: «سيعلمون» بالياء «غداً» فيه قولان: أحدهما: يوم القيامة، قاله ابن السائب. والثاني: عند نزول العذاب بهم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنْآ مَرِيلُوا النَّاقَةَ﴾ وذلك أنهم سألوا صالحاً أن يظهر لهم ناقة من صخرة، فقال الله تعالى: ﴿إِنْآ مَرِيلُوا النَّاقَةَ﴾ أي: مخرجوها كما أرادوا ﴿فَنَنَّا لَهُمْ﴾ أي: رحمة واختياراً ﴿قَارِئَتِهِمْ﴾ أي فانتظر ما هم صانعون ﴿وَأَمَلَرَهُمْ﴾ على ما يصبك من الأذى، ﴿وَبَيَّنَّتْهُمُ أَنْ اللَّاءَ فَنَنَّا بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين ثمود وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، فذلك قوله: ﴿كُلَّ ذَرِيَةٍ مُخْضَرَةٍ يَحْضَرُهُ صَاحِبُهُ وَيَسْتَحِفُّهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَادَرًا سَالِحًا﴾ واسمه قدار بن سالف ﴿قَتْلَانِ﴾ قال ابن قتيبة: تعاطى عقر الناقة ﴿فَفَرَّ﴾ أي: قتل؛ وقد بينا هذا في [الأعراف: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿إِنْآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَبِيحَةً وَجَدَتْهُمُ﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم؛ وقد أشرنا إلى قصتهم في [مرد: ٦١]

١ - قراءته، وقال السدي: يسرنا تلاوته على الألسن. وقال الضحاك عن ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ. وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال محمد بن كعب القرظي: فهل منجز عن المعاصي؟

(١) الشوم من مقدمات الجاهلية المقيمة التي أبطلها الإسلام، وما يروى مرفوعاً من أن «يوم الأربعاء يوم نخس مستمر» فلا يصح منه شيء.

(٢) في الأصل: اتبع، والتصويب من «القرطبي». (٣) في الأصل: تسعر، والتصويب من «غريب القرآن».





«وتولون» بالباء، ويعني بالجمع: جمع كفار مكة «وَيُولُونَ الذُّبُرَ» ولم يقل: الأدبار، وكلاهما جائز؛ قال الفراء: ومثله أن يقول: إن فلاناً لكثير الدُّينار والدُّرهم. وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب، فكانت الهزيمة يوم بدر.

قوله تعالى: «وَالسَّاعَةُ أَذَنٌ» قال مقاتل: هي أظفح «وَأَمْرٌ» من القتل. قال الزجاج: ومعنى الذّاهية: الأمر الشديد الذي لا يهتدي لدوائه؛ ومعنى «أَمْرٌ»: أشدّ مرارة من القتل والأسر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي سَكَلٍ وَشَعْرٍ﴾ (١٧) يَوْمَ يُسْعَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهمْ دُورُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا رَجَدٌ كَلَجٍ بِالْبَصَرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٢١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ نَعْلَمُوهُ فِي الزَّبْرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُنْتَظَرٍ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْفَائِزِينَ فِي جَنَّتِهِ رَبِّهِ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٢٥﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي سَكَلٍ وَشَعْرٍ﴾ (١٧) في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن مشركي مكة جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يُخاصمون في القدر، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ انفرد بإخراجه مسلم من حديث أبي هريرة<sup>(١)</sup> وروى أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذه الآية نزلت في القدرية»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن أشقف نجران جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم خصماء الله»، فنزلت: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بِقَدَرٍ﴾، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَشَعْرٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: الجنون. والثاني: العناء. وقد ذكرناهما في صدر السورة. والثالث: أنه نار تشتعل عليهم، قاله الضحاك. فأما «سَقَرٌ» فقال الزجاج: هي اسم من أسماء جهنم لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة. وقرأت على شيخنا أبي منصور قال: سَقَرٌ: اسم نار الآخرة أعجمي، ويقال: بل هو عربي، من قولهم: سَقَرْتُهُ الشمس: إذا أذاخته، سميت بذلك لأنها تذيب الأجسام. وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ مُنَادٍ فَنَادَى نَدَاءً يَسْمَعُهُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: أَيْنَ خُصْمَاءُ اللَّهِ؟ فَتَقُومُ الْقَدَرِيَّةُ فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿دُورُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾ (١٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾»<sup>(٣)</sup>، وإنما قيل لهم: «خُصْمَاءُ اللَّهِ» لأنهم يُخاصمون في أنه لا يجوز أن يُقدَّر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها. وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: قال: واللّه لو أن قديراً صام حتى يصير كالجمل، ثم صلى حتى يصير كالوتر، ثم أخذ ظملاً وزوراً حتى دُبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه في سَقَرٍ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. (٤) وروى مسلم في أفراداه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس: كل شيء بقدر حتى وضع يدك على خذك. وقال الزجاج: معنى «بِقَدَرٍ» أي: كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كُلُّ شَيْءٍ» بفعل مضمر؛ المعنى: إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَنَا بِقَدَرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا رَجَدٌ﴾ قال الفراء: أي: إلا مرة واحدة، وكذلك قال مقاتل: مرة واحدة لا مشنوية لها. وروى عطاء عن ابن عباس قال: يريد: إن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. وقال ابن السائب: المعنى: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كلمح البصر. ومعنى اللُّمَحُّ بالبصر: النظر بسرعة. «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية «فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ» أي مُنْطَعٍ «وَكُلَّ شَيْءٍ نَعْلَمُوهُ» يعني الأمم. وفي «الزَّبْرِ» قولان: أحدهما: أنه كُتِبَ الْحَفْظَةُ. والثاني: اللُّوحُ المحفوظ. «وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ» أي: من الأعمال المتقدمة «مُنْتَظَرٍ» أي: مكتوب، قال ابن قتيبة: هو «مُقْتَعَلٌ» من «سَطَرْتُ» إذا كتبت، وهو مثل «مُسْطَوْر».

(١) ٢٠٤٦/٤، ورواه أحمد في «المستند»، والترمذي، وابن ماجه، والواحدي في «أسباب النزول» ٢٢٨، وابن جرير الطبري، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٦/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره السيوطي في «الدرر» ١٣٧/٦ ونسبه إلى ابن عدي، وابن مردويه، والديلمي، وابن عساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) ذكره بنصه الخازن في «تفسيره» نقلاً عن المؤلف، وذكر السيوطي في «الدرر» ١٣٨/٦ نحوه عن ابن عباس رضي الله باطول منه من رواية ابن مردويه.

(٤) «صحيح مسلم» ٢٠٤٥/٤، والكيس: ضد العجز، وهو النشاط والحلق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه. والحديث رواه أيضاً أحمد في «المستند».

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ قال الزجاج: المعنى: في جنات وأنهار، والاسم الواحد يدلُّ على الجميع، فيجتزأ به من الجميع. أنشد سيويه والخليل:

يَبْهَا جَيْفُ الْحَسْرَى، فَأَمَّا عِظَامُهَا  
يريد: وأما جلودها، ومثله:

فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا<sup>(١)</sup>

ومثله:

كُلُّوا فِي نِضْفٍ بَظَرِكُمْ تَعْيُتُوا<sup>(٢)</sup>

وحكى ابن قتيبة عن الفراء أنه وُحِدَ لأنه رأسُ آية، فقابل بالتوحيد رؤوس الآي، قال: ويقال: التَّهَرُّ: الضَّيَاء والسَّعة، من قولك: أَنَهَزْتُ الطَّعْنَ: إِذَا وَسَّعْتُهَا، قال قيس بن الخطيم يصف طعنة:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنَهَزْتُ فَشَقَّهَا  
يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا<sup>(٣)</sup>

أي: أوسعتُ فَشَقَّهَا. قلت: وهذا قول الضحاك. وقرأ الأعمش «وَنَهْرٍ».

قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي: مَجْلِسٍ حَسَنٍ؛ وقد نَبَّهْنَا عَلَى هذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢]. فَأَمَّا الْمَلِيكُ، فقال الخطابي: الْمَلِيكُ: هو المالك، وبناءٌ فَعِيلٌ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الوصف، ويكون الْمَلِيكُ بمعنى الْمَلِكِ، ومنه هذه الآية. والمُقْتَدِرُ مشروح في [الكهف: ٤٥].



(١) تقدم تخريجه ٢٩٩.

(٢) سبق الرجز ٢٩٩.

(٣) سبق الشطر ١٣٣ و ٥٠٥ والبيت بكامله ٧٨٠.

(٤) «ديوانه» ٨، و«غريب القرآن» ٤٣٥، و«مشكل القرآن» ١٣٢، و«الصحيح»، و«اللسان» و«التاج»: نهر.

## سورة الرحمن

وفي نزولها قولان: أحدهما: أنها مكية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، ومقاتل، والجمهور، إلا أن ابن عباس قال: سوى آية، وهي قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرحمن: ٢٩]. والثاني: أنها مدنية، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال ابن مسعود.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾  
قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال مقاتل: لما نزل قوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٠] قال كفار مكة: وما الرَّحْمَنُ؟! فأنكروه وقالوا: لا نعرف الرَّحْمَنَ، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أنكروه هو الذي ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾. وفي قوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ قولان: أحدهما: علّمه محمداً، وعلّم محمداً أمته، قاله ابن السائب. والثاني: يسر القرآن، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس، فالمعنى: خلق الناس جميعاً، قاله الأكثرون. فعلى هذا، في «البيان» ستة أقوال: أحدها: النطق والتّمييز، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. والثاني: الحلال والحرام، قاله قتادة. والثالث: ما يقول وما يُقال له، قاله محمد بن كعب. والرابع: الخير والشر، قاله الضحاك. والخامس: [طرق] الهدى، قاله ابن جريج. والسادس: الكتابة والخط، قاله يمان. والثاني: أنه آدم، قاله ابن عباس، وفتادة. فعلى هذا في «البيان» ثلاثة أقوال: أحدها: أسماء كل شيء. والثاني: بيان كل شيء. والثالث: اللغات. والقول الثالث: أنه محمد ﷺ، علّمه بياناً ما كان وما يكون، قاله ابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ أي: بحساب ومنازل، لا يَغْدُوْنَهَا، وقد كَشَفْنَا هذا المعنى في [الأنعام: ٩٦]. قال الأخفش: أضمر الخبر، وأُظْهِرَ - والله أعلم - أراد: يَجْرِيَانِ بِحُسْبَانٍ.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝﴾ في النجم قولان: أحدهما: أنه كُلُّ نَبْتٍ ليس له ساق، وهو مذهب ابن عباس، والسدي، ومقاتل، واللّغويين. والثاني: أنه نَجْمُ السَّمَاءِ، والمُراد به: جميعُ النُّجُوم، قاله مجاهد. فأما الشَّجَرُ: فكلُّ ما له ساق. قال الفراء: سُجُودُهُمَا: أنَّهُمَا يَسْتَقِيلَانِ الشَّمْسَ إذا أشرقت، ثم يَمِيلَانِ معها حتى يَنْكَسِرَ النّْيءُ. وقد أشرت في [الحل: ٤٩] إلى معنى سُجُودٍ ما لا يَغْفِلُ. قال أبو عبيدة: وإنما نبي فعلهما على لفظهما.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ۝﴾ وإنما فعل ذلك ليحيا الحيوان وتمتد الأنفاس، وأجرى الرّيح بينها وبين الأرض، كيما يتروح<sup>(٣)</sup> [الخلق]. ولولا ذلك لماتت الخلائق كَرْبَاءً.

قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه العَدْلُ، قاله الأكثرون، منهم مجاهد والسدي

(١) قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذِكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بضرركم به ما فيه رضا وريكم، وعزركم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم وعملكم بما أمركم به، وتجنبكم ما يسخط عليكم فتسجّوا بذلك جزيل ثوابه، وتنجوا من أليم عقابه. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقول الحسن هاهنا أحسن وأقوى، لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها. اهـ.

(٣) في الأصل: يتروح.



واللغويون. قال الزجاج: وهذا لأن المعادلة: مُوازنة الأشياء. والثاني: أنه الميزان المعروف، ليتناصف الناس في الحقوق، قاله الحسن، وقتادة، والضحاك. والثالث: أنه القرآن، قاله الحسين بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَطْفَؤُا﴾ ذكر الزجاج في «أن» وجهين: أحدهما: أنها بمعنى اللام؛ والمعنى: لنلا تطفؤوا. والثاني: أنها للتفسير، فتكون «لا» للتهي؛ والمعنى: أي: لا تطفؤوا، أي لا تجاوزوا العذل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَيِّرُوا الْيَمِينَ﴾ قال ابن قتيبة، أي: لا تنقصوا الوزن. فأما الأنام، فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الناس، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثاني: كل ذي رُوح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي، والفراء. والثالث: الإنس والجن، قاله الحسن، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكَيْهَةٌ﴾ أي، ما يُتفكّه [به] من ألوان الشمار. ﴿وَالْتَقَلْ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ والأكمام: الأوعية والغُلْف؛ وقد استوفينا شرح هذا في [حم السجدة: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ﴾ يريد: جميع الحبوب، كالبر والشعير وغير ذلك. وقرأ ابن عامر: «والحَبُّ» بنصب الباء «ذا العصف» بالالف «والرَّيْحَانُ» بنصب النون. وقرأ حمزة، والكسائي إلا ابن أبي سُرَيْج، وخلف: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ بخفض النون؛ وقرأ الباقون بضم النون. وفي «العصف» قولان: أحدهما: أنه بين الزُّرْع وورقه الذي تعصفه الرياح، قاله ابن عباس. وكذلك قال مجاهد: هو ورق الزُّرْع، قال ابن قتيبة: العصف: ورق الزُّرْع، ثم يصير إذا جفَّ ويس وديس تبناً. والثاني: أن العصف: المأكول من الحب، حكاه الفراء. وفي «الرَّيْحَانُ» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرُّزْق، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبيرة، والسدي. قال الفراء: الرَّيْحَانُ في كلام العرب: الرُّزْق، تقول: خرجنا نطلب رَيْحَانُ الله، وأنشد الزجاج للتَّوْبَرِ بن تَوَلْب:

سَلامُ الإِلهِ وَزِيحَاتُهُ وَزَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ وَرَزْ

والثاني: أنه خُضرة الزُّرْع، رواه الوالي عن ابن عباس. قال أبو سليمان الدمشقي: فعلى هذا، سُمِّي رَيْحَاناً، لاستراحة النَّفْسِ بالنظر إليه. والثالث: أنه رَيْحَانُكم هذا الذي يُسَمُّ، روى العوفي عن ابن عباس قال: «الرَّيْحَانُ»: ما أنبتت الأرض من الرَّيْحَانِ، وهذا مذهب الحسن، والضحاك، وابن زيد. والرابع: أنه ما [لم] يؤكل من الحب، والعصف: المأكول منه، حكاه الفراء.

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن قيل: كيف خاطب اثنين، وإنما ذكر الإنسان وحده؟ فنه جوابان ذكرهما الفراء: أحدهما: أن العرب تخاطب الواحد بفعل الاثنين كما بيَّنا في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. والثاني: أن الذكر أريد به: الإنسان والجان، فجرى الخطاب لهما من أول السورة إلى آخرها. قال الزجاج: لما ذكر الله تعالى في هذه السورة ما يذلل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والأرض، خاطب الجن والإنس قال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها مُنعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم. وقال ابن قتيبة: الآلاء: النعم، واحدها: آلاء، مثل: قنأ، وإلأ، مثل: يعى.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ١ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣ رَبُّ الْغَفِيِّ ٤ رَبُّ الْمَغْفِيِّ ٥ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦ مَرْجَ الْبَحْرِ يَبْسُجَانِ ٧ يَبْسُجَانِ بَرْجٌ لَا يَبْغِيَانِ ٨ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٩ مَرْجَ يَبْسُجَانِ ١٠ وَالْمَرْجَاتُ ١١ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٢ وَلَهُ الْغَوَايِرُ الْأَنْشَاءُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ١٣ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٤

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني آدم «من صَلْصَلٍ» قد ذكرنا في [الحجر: ٢٦، ٢٧] الصَّلْصَال والجَانَّ، فأما قوله: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ فقال أبو عبيدة: خلق من طينٍ يابس لم يُطْبَخ، فله صوت إذا نُقِر، فهو من يَبْسُج كالفَخَّار. والفَخَّار: ما

(١) البيت في «غريب القرآن» ٤٣٧، و«الطبري» ١٢٣/٢٧، و«القرطبي» ١٥٧/١٧، و«الصحاح»، و«اللسان»، و«التاج»: روح، وبعده:

فَمِمَّا يُنْزَلُ رِزْقُ الْمَرْبِ

فَأَخْبَاهُ الْبِلَادُ وَطَابَ الشَّجَرُ

طَبِخَ بِالنَّارِ. فَأَمَّا المَارِجُ، فقال ابن عباس: هو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهب. وقال مجاهد: هو المختلط بعُضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقِدَتْ. وقال مقاتل: هو لهب النار الصافي من غير دخان. وقال أبو عبيدة: المَارِجُ: خَلَطَ من النار. وقال ابن قتيبة: المَارِجُ: لهب النار، من قولك: قد مَرَجَ الشيءُ: إذا اضطرب ولم يستقر. وقال الزجاج: هو اللَّهَبُ المختلط بسواد النار. فإن قيل: قد أخبر الله تعالى عن خَلْقِ آدم ﷺ بالفاظ مختلفة، فتارة يقول: ﴿عَلَّكُم مِّنْ ثَرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وتارة: ﴿مِن مَّسْكٍ خَلَّيْطٍ﴾ [الصافات: ١١]، وتارة: ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، وتارة: ﴿مِن حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٩]؛ فالجواب: [أن الأصل التراب فجعل طيناً، ثم صار كالحمل المسنون، ثم صار صلصالاً كالْفَخَّارِ، هذه أخبار عن حالات أصله. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿فِي أَيِّ مَّالَةٍ نَّكَلْنَا نَكَلًا بَآئِنًا﴾ [الجواب: أن ذلك التكرير لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها. قال ابن قتيبة: من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار [للتخفيف والإيجاز، لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره] في المقام على فنٍّ واحدٍ، يقول القائل منهم: واللَّهِ لا أفعله، ثم واللَّهِ لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أَنْ يفعلهُ، كما يقول: واللَّهِ أفعلهُ، بإضمار «لا» إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجل: اغْجَلْ اغْجَلْ، وللرامي: ارم ارم، قال الشاعر:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَهُ وَكَمْ وَكَمْ<sup>(١)</sup>

وقال الآخر:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيَّنَ أَيَّنَا<sup>(٢)</sup>

وربما جاءت الصِّفَةُ فأرادوا توكيدها، واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنها كلمة واحدة، فغيروا منها حرفاً ثم اتبعوها الأولى، كقولهم: عَظْشَانُ نَظْشَانُ، وَشَيْطَانُ لَيْطَانُ، وَحَسَنُ بَسَنُ. قال ابن دريد: ومن الإتيان: جائع نائع، ومليح قريح، وقبيح شقيح، وشحيح نخيح، وخبيث نبيث، وكثير بثير: وسبغ لئغ، وسائغ لائغ، وحقير فقير، وضئيل بئيل، وخضر مضر<sup>(٣)</sup>، وعفريت نفريت، وثقة بقة، وكن إن، وواحد فاحد، وحائر بائر، وسنح لمح. قال ابن قتيبة: فلما عدَّد الله تعالى في هذه السورة نعماءه، وأدَّكَرَ عِبَادَهُ آله، ونَبَّهَهُمْ على قُدْرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين، لِيُفْهَمَ النِّعَمُ وَيُتَرَقَّ بِهَا، كقولك للرجل: ألم أبولك منزلاً وكنْتَ طريداً؟ أفنكبرُ هذا؟ ألم أحج بك وأنت صرورة<sup>(٤)</sup>؟ أفنكبرُ هذا؟ وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها [ثم] قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟ لَنَجِّنَ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رِذَاءً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مَرَّةٍ ﴿فِي أَيِّ مَّالَةٍ نَّكَلْنَا نَكَلًا بَآئِنًا﴾ [١٤]، إلَّا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذبُ فلك الحمد»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ قرأ أبو رجاء، وابن أبي عبة: «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» بالخفض، وهما مشرق الصَّيْفِ ومشرق الشتاء ومغرب الصَّيْفِ ومغرب الشتاء للشمس والقمر جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أرسل العذب والمِلْحَ وخلَّاهما وجعلهما: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾، ﴿يَتَّبِعُهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز

(١) الرجز غير منسوب في «مشكل القرآن» ١٨٣ وفيه:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وهو أيضاً في «أمالي المرتضى» ٨٤/١ و«الصناعين» ١٤٤، و«المصاحي» ١٧٧.

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص، «عيوانه» ١٤٢، و«مشكل القرآن» ١٤٣، و«مختارات ابن الشجري» ٣٩/٢، و«الشعر والشعراء» ٢٢٤/١.

(٣) قال في «اللسان»: مضر: أخذ الشيء خُضراً يَضُرُّ وخُضراً مَضِيراً، أي: غصاً طرياً.

(٤) في «اللسان»: صرر: ورجل صرور وصرورة: لم ينج قط.

(٥) رواه الترمذي ١٦١/٢، والحاكم في «المستدرک» ٧٣/٢ من حديث الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر ﷺ... وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حدث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد. قلت: وزهير بن محمد هذا وإن أخرج له الشيخان فقد قال البخاري كما في «التلخيص» ٣/٣٤٩: ما روى عنه أهل الشام، فإنه متاكير، وما روى عنه أهل البصرة فإنه صحيح، قلت: وهذا الحديث مما رواه عنه الوليد بن مسلم وهو من أهل الشام.

من قدرة الله تعالى: ﴿لَا يَبْيِغَانِ﴾ أي: لا يختلطان فيبغني أحدهما على الآخر. وقال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام. قال الحسن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ يعني [بحر] فارس والروم، بينهما برزخ، يعني الجزائر؛ وقد سبق بيان هذا في [الفرقان: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال الزجاج: إنما يخرج من البحر اللؤلؤ، وإنما جمعهما، لأنه إذا خرج من أحدهما فقد أخرج منهما، ومثله: ﴿وَجَمَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]. قال أبو علي الفارسي: أراد: يخرج من أحدهما، فحذف المضاف. وقال ابن جرير: إنما قال «منهما» لأنه يخرج من أصداف البحر عن قطر السماء. فأما اللؤلؤ والمرجان، ففيهما قولان: أحدهما: أن المرجان: ما صغر من اللؤلؤ، واللؤلؤ: العظام، قاله الأكثرون. منهم ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والفراء. وقال الزجاج: اللؤلؤ: اسم جامع للحب الذي يخرج من البحر، والمرجان: صغاره. والثاني: أن اللؤلؤ: الصغار، والمرجان: الكبار، قاله مجاهد، والسدي، ومقاتل. قال ابن عباس: إذا أمطرت السماء، فتحت الأصداف أفواهاها، فما وقع فيها من مطر فهو لؤلؤ؛ قال ابن جرير: حيث وقعت قطرة كانت لؤلؤة. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: ذكر بعض أهل اللغة أن المرجان أعجمي معرب. قال أبو بكر، يعني ابن دريد: ولم أسمع فيه بفعل منصرف، وآخر به أن يكون كذلك. قال ابن مسعود: المرجان: الخرز الأحمر. وقال الزجاج: [المرجان] أبيض شديد البياض. وحكى القاضي أبو يعلى أن المرجان: ضرب من اللؤلؤ كالقضباني.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكَمَرُ﴾ يعني السفن ﴿الْمُنْتَثَثُ﴾ قال مجاهد: هو ما قد رُفِعَ قَلْعُهُ من السفن دون ما لم يُرْفَعَ قَلْعُهُ. قال ابن قتيبة: هُنَّ اللواتي أنشئن، أي: ابتدئ بهنَّ ﴿فِي الْبَحْرِ﴾، وقرأ حمزة: «الْمُنْتَثَثُ»، فجعلهن اللواتي ابتدأن، يقال: أنشأت السحابة تُمطر: إذا ابتدأت، وأنشأ الشاعر يقول. والأعلام: الجبال، وقد سبق هذا [التورى: ٣٢].

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَاوٌ﴾ ﴿وَبَيْنَ يَمِينِهِ وَبَيْنَهُ دُورُ الْمَلَكِ وَالْإِكْرَارِ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَيْكًا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَيْكًا تَكْذِبَانِ﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَاوٌ﴾ أي: على الأرض، وهي كناية عن غير المذكور، «فان»: أي، هالك. ﴿وَبَيْنَ يَمِينِهِ وَبَيْنَهُ دُورُ الْمَلَكِ وَالْإِكْرَارِ﴾ قال أبو سليمان الخطابي: الجلال: مصدر الجليل، يقال: جليل بين الجلالة والجلال. والإكرام: مصدر أكرم يُكْرَمُ إكراماً؛ والمعنى أن الله تعالى مستحق أن يُجَلَّ ويُكْرَمَ، ولا يُجْحَد ولا يُكْفَر به؛ وقد يحتمل أن يكون المعنى: أنه يُكْرَم أهل ولايته ويرفع درجاتهم؛ وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين - وهو الجلال - مضافاً إلى الله تعالى بمعنى الصفة له، والآخر مضافاً إلى الغيب بمعنى الفعل منه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْلُ الْفَقْرِ وَأَقْلُ الْفَقْرِ﴾ [المدثر: ٥٦]. فانصرف أحد الأمرين إلى الله وهو المغفرة، والآخر إلى العباد وهو التقوى.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المعنى أن الكل يحتاجون إليه فيسألونه وهو غني عنهم ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ مثل أن يُحيي ويُميت، ويُعزِّز ويُذل، ويشفي مريضاً، ويُعطي سائلاً، إلى غير ذلك من أفعاله. وقال الحسين بن الفضل: هو سَوَقُ المقادير إلى المواقيت. قال مقاتل: وسبب نزول هذه الآية أن اليهود قالت: إن الله لا يقضي في يوم السبت شيئاً، فنزلت: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

﴿سَتَرُ لَكُمْ آيَةَ الْفَقْرِ﴾ ﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رَيْكًا تَكْذِبَانِ﴾ ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿يَسْتَلْهُمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

قوله تعالى: ﴿سَتَرُ لَكُمْ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «سَتَرُ» بنون مفتوحة. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، والأعشى، وحمزة، والكسائي، وعبد الوارث: [«سَيَرُ»] بياء مفتوحة. وقرأ ابن السميع، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، وعاصم الجحدري، عن عبد الوارث: «سَيَرُ» بضم الياء وفتح الراء. قال الفراء: هذا وعيد من الله تعالى، لأنه لا يشغله شيء عن شيء، تقول للرجل الذي لا شغل له: قد فرغت لي؛ قد فرغت تشمتني؟! أي: قد أخذت في هذا وأقبلت عليه؟! قال الزجاج: الفراغ في اللغة على ضربين. أحدهما: الفراغ من شغل. والآخر:

القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي: قد زال شغلي به، وتقول: سأنتفخ لفلان، أي: سأجعله قصدي، ومعنى الآية: ستفقد لحسابكم. فأما «الْقَلَان» فهما الجن والإنس، سُميا بذلك لأنهما ثقل الأرض.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَنْذُرًا﴾ أي: تخرجوا؛ يقال: نفذ الشيء من الشيء: إذا خلص منه، كالسهم ينفذ من الرمية؛ والأقطار: النواحي والجوانب. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، قاله ابن عباس. والثاني: إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض فاهربوا وأخرجوا منها؛ والمراد: أنكم حينما كنتم أدرككم الموت، هذا قول الضحاك ومقاتل في آخرين. والثالث: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا؛ وإنما يقال لهم هذا يوم القيامة، ذكره ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿لَا تَنْذُرُ إِلَّا بِنُطْقِي﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تنفذون إلا في سلطان الله وملكه، لأنه مالك كل شيء، قاله ابن عباس. والثاني: لا تنفذون إلا بحجة، قاله مجاهد. والثالث: لا تنفذون إلا بملك، وليس لكم ملك، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ عَلَيْكَ﴾ فثنى على اللفظ. وقد جمع في قوله: ﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ على المعنى. فأما «الشواظ» ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لهب النار، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار. والثاني: الدخان، قاله سعيد بن جبير. والثالث: النار المحضة، قاله الفراء. وقال أبو عبيدة: هي النار التي تأجج لا دخان فيها، ويقال: شواظ وشواظ. وقرأ ابن كثير بكسر الشين؛ وقرأ أيضاً هو وأهل البصرة: «ونحاس» بالخفض، والباقون برفعهما. وفي «النحاس» قولان: أحدهما: أنه دخان النار، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، والفراء وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، ومنه قول الجعدي يذكر امرأة:

نُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيلِ — طَلَمَ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا<sup>(١)</sup>

وذكر الفراء في السليط ثلاثة أقوال: أحدها: أنه دهن السنام، وليس له دخان إذا استُصيح به. والثاني: أنه دهن السمسم. والثالث: الزيت. والثاني: أنه الصُفْر المُذاب يُصَبُّ على رؤوسهم، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقاتة. قال مقاتل: والمراد بالآية: كفار الجن والإنس، يرسل عليهما في الآخرة لهب النار والصُفْر الذائب، وهي خمسة أنهار تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار نهار الدنيا<sup>(٢)</sup>، ﴿فَلَا تَنْفِرَانِ﴾ أي: فلا تمتعان من ذلك.

﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٧) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٨) ﴿فَيَرْجِي لَّا يَحْشَلُ عَنْ دَلِيلِهِ إِشْرًا وَلَا جَبَانًا﴾ (٩) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (١٠) ﴿يَعْرِفُ الْغَائِبُونَ بِسِتْمِهِمْ يَتَوَخَّذُ بِالزَّيْسِ وَالْأَقْدَمِ﴾ (١١) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (١٢) ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُتَمَرِّضُونَ﴾ (١٣) ﴿يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ رَجِيمٍ آوٍ﴾ (١٤) ﴿فَإِنِّي مَالِكٌ بِرَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (١٥)

قوله تعالى: ﴿إِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي: انفرجت من المجرة لتزول من فيها يوم القيامة «فَكَانَتْ وَرْدَةً» وفيها قولان: أحدهما: كلون الفرس الوردة، قاله أبو صالح، والضحاك. وقال الفراء: الفرس الوردة، تكون في الربيع وردة إلى الصُفرة، فإذا اشتد الحر كانت وردة حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة، فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل؛ وكذلك قال الزجاج: «فَكَانَتْ وَرْدَةً» أي: كلون فرس وردة؛ والكُميت: الورد يتلون، فيكون لونه في الشتاء خلاف لونه في الصيف، ولونه في الصيف خلاف لونه في الشتاء، فالسماء تتلون من الفزع الأكبر. وقال ابن قتيبة: المعنى: فكانت حمراء في لون الفرس الورد. والثاني: أنها وردة النبات؛ وقد تختلف ألوانها، إلا أن الأغلب عليها الحمرة، ذكره الماوردي. وفي الدهان قولان: أحدهما: أنه واحد، وهو الأديم الأحمر، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جمع دهن، والدَّهْن تختلف ألوانه بخضرة وحمرة وصُفرة، حكاه البيهقي، وإلى نحوه ذهب

(١) البيت في معجاز القرآن ٢/ ٢٤٥، وغريب القرآن ٤٣٨، والطبري ٢٧/ ١٤١، واللسان والتاج: نحس.

(٢) هذا الخبر لا سند له، ورواه مقاتل - وهو ابن سليمان الأزدي المفسر - كذبوه وهجروه ورموه بالتهميم كما في «الطريق».





وقال قتادة: البطائن: هي الظواهر بلغة قوم. وكان الفراء يقول: قد تكون البطانة ظاهرة، والظاهرة بطانة، لأن كل واحد منهما قد يكون وجهاً، والعرب تقول: هذا ظَهَرُ السماء، وهذا بَطْنُ السَّمَاءِ، لظاهرها، وهو الذي نراه، وقال ابن الزبير يعيب قَتْلَ عثمان: خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم الله كل قتل، ونجا منهم من نجا تحت بطون الكواكب. يعني هربوا ليلاً؛ فجعلوا ظهور الكواكب بطوناً، وذلك جائز في العربية. وأنكر هذا القول ابن قتيبة جداً، وقال: إنما أراد الله أن يعرفنا - من حيث نفهم - فضل هذه الفُرُش وأن ما ولي الأرض منها إستَبْرَقٌ، وإذا كانت البطانة كذلك، فالظاهرة أعلى وأشرف. وهل يجوز [لأحد] أن يقول لوجه مصل: هذا بطانته، ولما ولي الأرض منه: هذا ظهارته (١)؟ وإنما يجوز هذا في ذي الوجهين المتساويين، تقول لما وليك من الحائط: هذا ظَهَرُ الحائط، ويقول جارك لما وليه: هذا ظَهَرُ الحائط، وكذلك السماء ما وليتنا منها: ظَهَر، وهي لِمَنْ قَوْفُهَا: بَطْن (٢). وقد ذكرنا الإستبرق في [سورة] [الكهف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا كَتَبْنَا دَاوُدَ﴾ قال أبو عبيدة: أي: ما يُجتنى قريب لا يُعني الجاني.

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَلْسِنُهَا﴾ قد شرحناه في [الصفات: ٤٨]. وفي قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَلْسِنُهَا﴾ قولان: أحدهما: أنها تعود إلى الجنتين وغيرهما مما أعد لصاحب هذه القصة، قاله الزجاج. والثاني: أنها تعود إلى الفُرُش، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَلْمِزُكَ أَتَمَّ﴾ قرأ الكسائي بضم الميم، والباقون بكسرهما، وهما لغتان: يَطْمِئُ وَيَطْمُتُ، مثل يَفْكِفُ وَيَفْكُفُ. وفي معناه قولان: أحدهما: لم يَتَقَضَّضْهُنَّ؛ والظن: التَّكَاحُ بالثديمة، ومنه قيل للحائض: طامِئٌ، قاله الفراء. والثاني: لَمْ يَمَسَّنَّهُنَّ؛ يقال: ما طَمَّتْ هذا البعيرَ حَبْلٌ [قَطُّ]، أي: ما مَسَّهُ، قاله أبو عبيد. قال مقاتل: وذلك لأنهن خُلِفْنَ من الجنة؛ فعلى قوله، هذا صفة الحور. وقال الشعبي: هُنَّ من نساء الدنيا لَمْ يَمَسَّنَّهُنَّ مذ أنشئن خَلُقْنَ. وفي الآية دليل على أن الجنَّ يَغْسَى المرأة كالإنسي.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْ أَلْكَوُتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال قتادة: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان. وذكر الزجاج أن أهل التفسير وأهل اللغة قالوا: هُنَّ في صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان (٣) صغار اللؤلؤ، وهو أشدُّ بياضاً. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: «الياقوت» فارسيٌّ معربٌ، والجمع «اليواقيت»، وقد تكلمت به العرب، قال مالك بن نويرة البرنوعي:

لَنْ يُلْزِمَ اللَّؤْمُ تَاَجَ قَدْ حُبِبَتْ بِهِ  
مِنَ الزُّرْجَادِ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّقَبِ (٤)

قوله تعالى: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال الزجاج، أي: ما جزاء مَنْ أَحْسَنَ في الدنيا إلا أن يُحَسَّنَ إليه في الآخرة. وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: «لا إله إلا الله» وعَمِلَ بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة. وروى أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، وقال: «هل تدرون ما قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن ربكم يقول: هل جزاء مَنْ أَتَعَنَّا عليه بالتوحيد إلا الجنة» (٥)!

﴿وَمِنْ دُونِنَا مَنَّا﴾ فَإِنَّ رَبَّنَا نَكْذِبَانِ ﴿١٦﴾ مَذْهَبَانِ ﴿١٧﴾ فَإِنَّ رَبَّنَا نَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾ فَبِمَا عَيْنَانِ تَصْلَحَانِ ﴿١٩﴾

(١) في الأصل «بطانته»، والتصويب من «غريب القرآن». (٢) في «غريب القرآن»: وهو لمن فوقها - من الملائكة - بطن.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دوي في السماء، لكل امرئ منه زوجتان تثنان، يرى مع سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب».

(٤) البيت في «المعرب» ٣٥٦.

(٥) رواه البغوي في «تفسيره» وفي إسناده ضعف، وذكره السيوطي في «الدرة» ١٤٩/٦ وزاد نسبه للحكيم الترمذي في «توابع الأصول» والديلمي في «مسند الفردوس» وابن النجار في «تاريخه» عن أنس بن مالك ﷺ. وقال السيوطي في «الدرة» ١٤٩/٦: أخرجه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» وضعفه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال: «ما جزاء من أتممت عليه بالتوحيد إلا الجنة». قال: وأخرج عبد حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قوله: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هل جزاء من أتممت عليه ممن قال: لا إله إلا الله في الدنيا إلا الجنة في الآخرة».

يَأْتِي مَالَهُ زَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ فِيمَا نَكْتُمُ وَنَقُولُ زُكْرَانٌ ﴿٧٨﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ فِيمَا خَيْرٌ حَسَانٌ ﴿٨٠﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨١﴾ سَوْرٌ مَقْصُورَتٌ فِي الْخِيَارِ ﴿٨٢﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨٣﴾ لَمْ يَلِيْنَنَّ إِشْقَاهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٨٤﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨٥﴾ مُتَكِينٌ عَلَى رَقَبٍ خَصِرٍ وَبَقَرَةٍ حَسَانٍ ﴿٨٦﴾ يَأْتِي مَالَهُ زَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٨٧﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِ الْأَكْبَرِ ﴿٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال الزجاج: المعنى: ولَمَنْ خاف مقام ربه جنتان، وله من دونهما جنتان. وفي قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ قولان: أحدهما: دونهما في الدرج، قاله ابن عباس. والثاني: دونهما في الفضل كما روى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿جنتان من ذهب وجنتان من فضة﴾<sup>(١)</sup>؛ وإلى نحو هذا ذهب ابن زيد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿مُدَّاهَنَتَانِ﴾ قال ابن عباس [وابن الزبير]: خضراوان من الرِّي. وقال أبو عبيدة: من خضرتهما قد اسودتا. قال الزجاج: يعني أنهما خضراوان تضرب خضرتهما إلى السواد، وكل نبت أخضر فتمام خضرته ورويه أن يضرب إلى السواد.

قوله تعالى: ﴿نَضَّاجَتَانِ﴾ قال أبو عبيدة: فَوَازَتَانِ. وقال ابن قتيبة: تفوران، و«النضج» أكثر من «النضغ». وفيما يفوران به أربعة أقوال: أحدها: بالمسك والكافور، قاله ابن مسعود. والثاني: بالماء، قاله ابن عباس. والثالث: بالخيز والبركة، قاله الحسن. والرابع: بأنواع الفاكهة، قاله سعيد بن جبيرة.

قوله تعالى: ﴿وَنَقْلٌ وَرُكْنٌ﴾ قال ابن عباس: نَخْلُ الْجَنَّةِ: جذوعها زمرد أخضر، وكرْبُها: ذهب أحمر<sup>(٢)</sup>، وسَعْفُها: كُسوة أهل الجنة، منها مَقْطَعَاتُهُمْ وحُلُلُهُمْ. وقال سعيد بن جبيرة: نخل الجنة: جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، ورطبها كالدلاء أشد بياضاً من اللبن، والين من الرُّيد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَمٌ<sup>(٣)</sup>. قال أبو عبيدة: الكرانييف: أصول السَّعَفِ الغلاظ، الواحدة: كَرْزَاقَةٌ<sup>(٤)</sup>. وإنما أعاد ذكر النخل والرمان - وقد دخلا في الفاكهة - لبيان فضلها كما ذكرنا في قوله: ﴿وَنَزْلَهُ حَكِيمٌ وَرُسُلُهُ وَجَنِّيْلٌ وَمِكْنَلٌ﴾ [البقرة: ٩٨]، هذا قول جمهور المفسرين واللُّغَوِيِّين. وحكى الفراء والزجاج أن قوماً قالوا: ليسا من الفاكهة؛ قال الفراء: وقد ذهبوا مذهباً، ولكن العرب تجعلهما فاكهة. قال الأزهري: ما علمتُ أحداً من العرب قال في النخيل والكروم وثمارها: إنها ليست من الفاكهة، وإنما قال من قال، لِقَلَّةِ عِلْمِهِ بكلام العرب، فالعرب تذكرُ أشياء جملة ثم تحُصُّ شيئاً منها بالتسمية تنبيهاً على فضل فيه، كقوله: ﴿وَجَنِّيْلٌ وَمِكْنَلٌ﴾ [البقرة: ٩٨]؛ فمن قال: ليسا من الملائكة كفر، ومن قال: ثمر النخل والرمان ليسا من الفاكهة جهل.

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجنان الأربع: ﴿خَيْرَتٌ﴾ يعني الحور. وقرأ معاذ القارئ، وعاصم الجحدري، وأبو نهيك؛ «خَيْرَاتٌ» بتشديد الباء. قال اللغويون: أصله «خَيْرَاتٌ» بالتشديد، فُخِّفَ، كما قيل: هَيِّنْ لَيْنٌ. وَهَيِّنْ لَيْنٌ. وروى أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ حَسَنُ الْوُجُوهِ»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾ قد بيَّنا في سورة [الدخان: ٥٤] معنى الحور. وفي المقصورات قولان: أحدهما: المحبوسات في الجبال، قاله ابن عباس، وهو مذهب الحسن، وأبي العالية، والقرظي، والضحاك، وأبي صالح. والثاني: المقصورات الطرف على أزواجهن، فلا يرفعن طرفاً إلى غيرهم، قاله الربيع. وعن مجاهد كالقولين. والأول أصح، فإن العرب تقول: امرأة مَقْصُورَةٌ وقَصِيرَةٌ وقَصُورَةٌ: إذا كانت ملازمة خدرها، قال كثير:

لَعَمْرِي لَقَدْ حَبَّبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ  
إِلَيَّ، وَمَا تَذَرِي بِذَاكَ الْقَصَصَائِرِ<sup>(٦)</sup>

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٧٩/٨ ومسلم ١٦٣/١ ولفظه يتشابه: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

(٢) قال في «النهاية»: وفي صفة نخل الجنة: كَرْبُها ذهب، وهو بالتحريك أصل السف، وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع كالمراقي.

(٣) المعجم بالتحريك: النوى، الواحدة: عجمة، مثل قصبة وقصب.

(٤) كَرْزَاقَةٌ: بكسر الكاف وضمة.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ١٥٨/٢٧ وفي سننه ضعف، وذكره السيوطي في «الدرر» ١٥٠/٦ وزاد نسبه للطبراني، وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها.

(٦) البيهقي في «غريب القرآن» ٤٤٣، و«القرظي» ١٨٩/١٧، و«البحر» ١٨٩/٨، و«اللسان» و«التاج»: قصر.

عَتَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحَجَالِ، وَلَمْ أَرُ  
وَبَعْضُهُمْ يَنْشُدُهُ: قَصُورَةٌ، وَقَصُورَاتٌ؛ وَالبَحَاتِرُ الْقَصَارُ. وَفِي «الْخِيَامِ» قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْبُيُوتُ. وَالثَّانِي: خِيَامُ  
تَضَافُ إِلَى الْقَصُورِ. وَقَدْ رَوَى الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [أَنَّهُ] قَالَ: «إِنَّ  
لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مَجْوُفَةٍ، طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ  
[الْمُؤْمِنُونَ]، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(١)</sup>. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ: الْخِيَامُ: دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وَقَالَ  
ابْنُ عَبَّاسٍ: الْخِيْمَةُ: لَوْلُؤَةٌ وَاحِدَةٌ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخٍ فِي أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ مِصْرَاعٍ مِنْ ذَهَبٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ﴾ وَقَرَأَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ مُحَيْصِنٍ: «عَلَى رَفَارَفٍ» جَمْعُ  
غَيْرِ مَصْرُوفٍ. وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ مِثْلَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ صَرَفُوا «رَفَارَفٍ» قَالَ ثَعْلَبٌ: إِنَّمَا لَمْ  
يَقُلْ: أَخْضَرُ، لِأَنَّ الرَّفْرَفَ جَمْعٌ، وَاحِدَتُهُ: رَفْرَفَةٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يَس: ٨٠] وَلَمْ  
يَقُلْ: الْخَضِرُ، لِأَنَّ الشَّجَرَ جَمْعٌ، تَقُولُ: هَذَا حَصَى أَيْضُ، وَحَصَى أَسْوَدٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَحَقُّ عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ مَا شِئْتُ  
بِهَرَجَابٍ مَا دَامَ الْأَرَاكُ بِهِ خُضْرًا<sup>(٢)</sup>

وَاخْتَلَفَ الْمَفْسُورُونَ فِي الْمَرَادِ بِالرَّفْرَفِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا فَضُولُ الْمَحَابِسِ [وَالْبُسْطُ]، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ  
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ: الْفُرْشُ وَالْبُسْطُ. وَحَكَى الْفَرَّاءُ، وَابْنُ قَتَيْبَةَ: أَنَّهَا الْمَحَابِسُ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ النِّقَاشُ:  
الرَّفْرَفُ: الْمَحَابِسُ الْخُضْرُ فَوْقَ الْفُرْشِ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ  
جَبْرِ. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا الرِّسَالُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَبْقَرِيَّ حَسَّانٍ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الزُّرَّابِيُّ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ،  
وَابْنُ زَيْدٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: الْعَبْقَرِيُّ: الطَّنَافِسُ النَّحَّانُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبُسْطِ: عَبْقَرِيٌّ.  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ الذَّبْيَاجُ الْغَلِيطُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ. قَالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُ الْعَبْقَرِيِّ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُ صِفَةٌ لِكُلِّ مَا يُؤَلِّغُ فِي وَصْفِهِ، وَأَصْلُهُ  
أَنْ عَبَقَرُ: بَلَدٌ كَانَ يَوْشَى فِيهِ الْبُسْطُ وَغَيْرُهُ، فَتُسَبَّ كُلُّ شَيْءٍ جَيِّدٌ إِلَيْهِ، قَالَ زُهَيْرٌ:

بَحْنِيلٌ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ  
جَدِيدُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْمِلُوا<sup>(٤)</sup>

وَقَرَأَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ مُحَيْصِنٍ: «وَعَبَاقِرِيٌّ» بِالْفُ مَكْسُورَةٍ الْقَافُ مَفْتُوحَةٌ الْيَاءُ مِنْ غَيْرِ  
تَنْوِينٍ؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: وَلَا وَجْهَ لِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، لِأَنَّ الْجَمْعَ الَّذِي بَعْدَ أَلْفِ حُرْفَانِ، نَحْوُ: مَسَاجِدَ وَمِفْتَاحٍ، لَا  
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِثْلُ عَبَاقِرِيٍّ، لِأَنَّ مَا جَاوَزَ الثَّلَاثَةَ لَا يُجْمَعُ بِيَاءِ التَّسْبِ، فَلَوْ جَمَعْتَ «عَبْقَرِيٌّ» كَانَ جَمْعُهُ «عِبَاقِرَةٌ»،  
كَمَا أَنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ «مُهَلْبِيٌّ» كَانَ جَمْعُهُ «مُهَالْبِيٌّ»، وَلَمْ تَقُلْ: «مُهَالْبِيٌّ»، قَالَ: فَإِنْ قِيلَ: «عَبْقَرِيٌّ» وَاحِدٌ، وَ«حَسَّانٍ»  
جَمْعٌ، فَكَيْفَ جَازَ هَذَا؟ فَالْأَصْلُ أَنَّ وَاحِدَ هَذَا «عَبْقَرِيَّةٌ» وَالْجَمْعُ «عَبْقَرِيٌّ»، كَمَا تَقُولُ: ثَمَرَةٌ، وَتَمَرٌ، وَلَوْزَةٌ، وَلَوْزٌ،  
وَيَكُونُ أَيْضًا «عَبْقَرِيٌّ» اسْمًا لِلْجَنَسِ. وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو عِمْرَانَ: «وَعَبَاقِرِيٌّ» بِالْفُ مَعَ التَّنْوِينِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَبْرَكُ أَنْتَ رَبُّكَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ ذَكَرَ «الْإِسْمَ» صِلَةً، وَالْمَعْنَى: تَبَارَكَ رَبُّكَ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ  
أَصْلٌ. قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: الْمَعْنَى: تَفَاعُلٌ مِنَ الْبَرَكَةِ، أَيْ: الْبَرَكَةُ ثَنَالٌ وَتُكْتَسَبُ بِذِكْرِ اسْمِهِ. وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى «تَبَارَكَ» فِي  
[الْأَعْرَافِ: ٥٤]، وَذَكَرْنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَعْنَى ﴿وَيُذِى لِمَلَكُلٍ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٢٧]، وَكَانَ ابْنُ عَامِرٍ يَقْرَأُ: «ذُو الْجَلَالِ» وَكَذَلِكَ  
هِيَ فِي مِصَاحِفِ أَهْلِ الشَّامِ؛ وَالْبَاقُونَ: «ذِي الْجَلَالِ» وَكَذَلِكَ هِيَ فِي مِصَاحِفِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ، [وَهُمْ] مُتَّفَقُونَ  
عَلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ «ذُو».



(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ ٤٧٩/٨، وَمُسْلِمٌ ٢١٨٢/٤.

(٢) الشُّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ فِي «اللَّسَانِ» وَ«النَّجَاحِ»: هَرَجَبٌ وَ«هَرَجَابٌ»: اسْمُ مَوْضِعٍ.

(٣) الْمَحَابِسُ: جَمْعُ مَحِيسٍ، وَهُوَ الثَّوْبُ يَطْرُخُ عَنْ ظَهْرِ الْفَرَّاشِ لِلتَّوْنِ عَلَيْهِ.

(٤) «دِيْوَانُهُ» ١٠٣، وَ«مِجَازُ الْقُرْآنِ» ٢٤٦/٢، وَ«الْقُرْطُبِيُّ» ١٩٢/١٧، وَ«اللَّسَانُ»: عَبْقَرِيٌّ.



## سورة الواقعة

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكِّيَّة، قاله الأكثرون، منهم ابن عباس، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، وجابر، ومقاتل. وحكي عن ابن عباس أن فيها آية مدنيَّة وهي قوله: ﴿وَيَحْمِلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾ [الرواية: ٤٨٣]. والثاني: أنها مدنيَّة، رواه عطية عن ابن عباس.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا رَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لِرِفْعِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةُ رَافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۚ وَسُمِّيَتِ الْجِبَالُ بُكَاءً ۚ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۚ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۚ فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۚ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ۖ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۚ وَالسَّيْفُورَةُ السَّيْفُورَةُ ۚ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ۚ فِي جَنَّاتٍ النَّازِلِينَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا رَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: لما قال المشركون: متى هذا الوعد، متى هذا الفتح؟ نزل قوله: ﴿إِذَا رَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾، فالمعنى: يكون إذا وقعت الواقعة. قال المفسرون: والواقعة: القيامة، وكل آية يتوقع، يقال له إذا كان: قد وقع، والمراد بها هاهنا: النَّفْخَةُ في الصُّور لقيام الساعة. ﴿لَيْسَ لِرِفْعِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: لظهورها ومجيئها «كاذبة» أي: كذب، بقوله: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَيًّا﴾ [الثانية: ١١] أي: لغواً. قال الزجاج: و«كاذبة» مصدر، كقولك: عافاه الله عافيةً، وكذب كاذبةً، فهذه أسماء في موضع المصدر. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: لا رجعة لها ولا ارتداد، قاله قتادة. والثاني: ليس الإخبار عن وقوعها كذباً، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةُ رَافِعَةٌ﴾ أي: هي خافضة «رافعة» وقرأ أبو رزين<sup>(١)</sup>، وأبو عبد الرحمن، وأبو العالية، والحسن، وابن أبي عبله، وأبو حيوة، واليزيدي في اختياره: «خافضة رافعة» بالنصب فيهما. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها خفضت فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد، رواه العوفي عن ابن عباس. وهذا يدل على أن المراد بالواقعة: صيحة القيامة. والثاني: أنها خفضت ناساً، ورفعت آخرين، رواه عكرمة عن ابن عباس. قال المفسرون: تخفض أقواماً إلى أسفل السافلين في النار، وترفع أقواماً إلى عليين في الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ أي: حُرِّكَتْ حركةً شديدةً وزلزلةً، وذلك أنها ترتج حتى ينهدم ما عليها من بناء، ويثنت ما عليها من جبل. وفي ارتجاجها قولان: أحدهما: أنه لإماتة من عليها من الأحياء. والثاني: لإخراج من في بطنها من الموتى.

قوله تعالى: ﴿وَسُمِّيَتِ الْجِبَالُ بُكَاءً﴾ فيه قولان: أحدهما: نُثِّتَتْ فَتَاءً، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. قال ابن تقيية: نُثِّتَتْ حتى صارت كالذَّقِيقِ والسَّوِيقِ المبسوس. والثاني: نُثِّتْ، قاله قتادة. وقال الزجاج: خُلِطَتْ وَلُثَّتْ. قال الشاعر:

لَا تَخْخَبُ زَوْا خَبِزاً وَبُسّاً بَسّاً<sup>(٢)</sup>

وفي «النبأ» أقوال قد ذكرناها في [الفرقان: ٤٢٣]. وذكر ابن تقيية أن النبأ المُثَبَّت: ما سطع من سناكب الخيل، وهو من «الهُبْوة»، والهَبْوة: الغبار. والمعنى: كانت تراباً منتشرأ.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً «ثَلَاثَةً». ﴿فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ فيهم ثمانية أقوال: أحدها: [أنهم] الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت ذُرِّيَّتُهُ مِنْ صُلْبِهِ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الذين يُعْطَوْنَ كتبهم بأيمانهم، قاله

(١) في النسخة الاستنبولية: أبو المتوكل.

(٢) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٢٤٨، و«الطبري» ٢٧/١٦٧، و«القرطبي» ١٧/١٩٦، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: بس.

الضحاك، والقرظي. والثالث: أنهم الذين كانوا يمامين على أنفسهم، أي: مباركين، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنهم الذين أخذوا من شئ آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم. والخامس: أنهم الذين منزلتهم عن اليمين، قاله ميمون بن مهران. والسادس: أنهم أهل الجنة، قاله السدي. والسابع: أنهم أصحاب المنزل الرفيعة، قاله الزجاج. والثامن: أنهم الذين يؤخذ بهم] ذات اليمين إلى الجنة، ذكره علي بن أحمد النيسابوري.

قوله تعالى: ﴿مَا أَحْبَبْتُ الْيَمِينَ﴾ قال الفراء: عَجِبْتُ نَبِيَّهُ ﷺ منهم؛ والمعنى: أي شيء هُم؟ قال الزجاج: وهذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب، ومجراه من الله ﷻ في مخاطبة العباد ما يعظم به الشأن عندهم، ومثله: ﴿مَا لَكَ﴾ [الحاقة: ٢٢]، ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [الفارقة: ٢]؛ قال ابن قتيبة: ومثله أن يقول: زَيْدٌ مَا زَيْدًا أَي: أَيُّ رَجُلٍ هُوَ! ﴿وَأَحْبَبْتُ الْيَمِينَ مَا أَحْبَبْتُ الشَّمْسَ﴾ [أي: أصحاب] <sup>(١)</sup> الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى: الشَّوْمَى، والجانب الأيسر: الأَشَامَ، ومنه قيل: اليمين والشَّوْمُ، فاليمين: كأنه [ما] <sup>(٢)</sup> جاء عن اليمين، والشَّوْمُ [ما جاء] عن الشمال، ومنه سميت «اليمين» و «الشَّام» لأنها عن يمين الكعبة وشمالها. قال المفسرون: أصحاب الميمنة: هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين، ويعطون كتبهم بأيمانهم؛ وتفسير أصحاب المشأمة على ضد تفسير أصحاب الميمنة سواء، والمعنى: أي قوم هم؟! ماذا أعد لهم من العذاب؟!.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ فيهم خمسة أقوال: أحدها: أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أُمَّة، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: أنهم الذين صلوا [إلى] القبيلتين، قاله ابن سيرين. والثالث: أهل القرآن، قاله كعب. والرابع: الأنبياء، قاله محمد بن كعب. والخامس: السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله، قاله عثمان بن أبي سودة. وفي إعادة ذكرهم قولان: أحدهما: أن ذلك للتوكيد. والثاني: أن المعنى: السابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله، ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَوَّلُونَ﴾ قال أبو سليمان الدمشقي: يعني عند الله في ظل عرشه وجواره.

﴿ثُمَّ يَنْزِلُ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [١٧] وَفِي الْآخِرِينَ [١٨] عَلَى سُرُرٍ مَوْشَوْنَ [١٩] مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ [٢٠] يَلْفُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَدُنَّ عِلَّةٌ [٢١] يَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْ عَمَلِهِمْ [٢٢] وَلَا يَرْجُونَ [٢٣] وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا يَتَخَبَّطُونَ [٢٤] وَلَهُمْ فِيهَا نِسْرٌ عَيْنٌ [٢٥] وَهُمْ فِيهَا يَتَخَبَّطُونَ [٢٦] كَأَنَّهُمْ فِيهَا كَاوُوا يَمْشُونَ [٢٧] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأَلِيمًا [٢٨] إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [٢٩]

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَنْزِلُ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [١٧] الثَّلَاة: الجماعة غير محصورة العدد. وفي الأولين والآخريين هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أن الأولين: الذين كانوا من زمن آدم إلى زمن نبينا ﷺ، والآخرون: هذه الأمة. والثاني: [أن الأولين]: أصحاب رسول الله ﷺ، والآخريين: التابعون. والثالث: أن الأولين [والآخريين: من]: أصحاب نبينا محمد ﷺ. فعلى الأول يكون المعنى: إن الأولين السابقين جماعة من الأمم المتقدمة الذين سبقوا بالتصديق لأنبيائهم من جاء بعدهم مؤمنًا، وقليل من أمة محمد ﷺ، لأن الذين عاينوا الأنبياء أجمعين وصدّقوا بهم أكثر ممن عاين نبينا وصدّق به. وعلى الثاني: أن السابقين: جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الأولون من المهاجرين والأنصار، وقليل من التابعين وهم الذين اتَّبَعُوهم بإحسان. وعلى الثالث: أن السابقين: الأولون من المهاجرين والأنصار، وقليل ممن جاء بعدهم لعجز المتأخريين أن يلحقوا الأولين، فقليل منهم من يقاربهم في السَّبق. وأما «الموضونة»، فقال ابن قتيبة: هي المنسوجة، كان بعضها أَدْخِلَ في بعض، أو نُصِّدَ بعضها على بعض، ومنه قيل للدُّع: مَوْضُونَةٌ، ومنه قيل: وَضِئُ الثَّاقَةِ، وهو بَطَانٌ من سُيُورٍ يَدْخُلُ بعضه في بعض. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول: الْأَجْرُ مَوْضُونٌ بعضه على بعض، أي: مُشْرَجٌ. وللمفسرين في معنى «مَوْضُونَةٌ» قولان: أحدهما: مرمولة بالذهب <sup>(٢)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عباس. وقال عكرمة: مشبكة بالدُّرِّ والياقوت، وهذا معنى ما ذكرناه عن ابن قتيبة، وبه قال الأكثرون. والثاني: مصفوفة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الكهف: ٣٠] إلى قوله: ﴿وَلَدُنَّ عِلَّةٌ﴾ [الولدان:

الْعُلَمَان. وقال الحسن البصري: هؤلاء أطفال لم يكن لهم حسنات فيُجْزَوْنَ بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فَوُضِعُوا بهذا الموضع. وفي المخلّدين قولان: أحدهما: أنه من الخُلْد؛ والمعنى: أنهم مخلوقون للبقاء لا يتغيّرون، وهم على سنٍّ واحد. قال الفراء: والعرب تقول للإنسان إذا كَبُرَ ولم يَشْمَطْ: أو لم تذهب أسنانه عن الكِبَر: إنه لمخلّد، هذا قول الجمهور. والثاني: أنهم الْمُفَرِّطُونَ، ويقال: المُسَوَّرُونَ، ذكره الفراء، وابن قتيبة، وأنشدوا في ذلك:

وَمُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا عَجَازُهُنَّ أَقَاوِرُ الْكُفَّانِ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَا كَاوِبُ وَيَا بَرِقُ﴾ الكوب: إناء لا عروة له ولا خُرطوم، وقد ذكرناه في [الزخرف: ٧٢]؛ والاباريق: آنية لها عُرَى وخرطوم؛ وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الإبريق: فارسيّ معرّب، وترجمته من الفارسية أحد شيتين، إمّا أن يكون: طريق الماء، أو: صبّ الماء على هيئة، وقد تكلمت به العرب قديماً، قال عديّ بن زيد:

وَدَعَا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَتُهُ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ<sup>(٢)</sup>

وباقى الآيات في [الصافات: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿لَا يَصْدَقُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فيه قولان: أحدهما: لا يَلْحَقُهُمُ الصَّدَاعُ الذي يلحق شاربي خمر الدنيا. و «عنها» كناية عن الكأس المذكور، والمراد بها: الخمر، وهذا قول الجمهور. والثاني: لا يفرّقون عنها، من قولك: صدّقته فانصدّع، حكاه ابن قتيبة. «ولا يُزْفُونَ» مفسر في [الصافات: ٤٧]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بِنْتَهُنَّ﴾ أي: يختارون، تقول: تخيّرْتُ الشيء: إذا أخذتْ خيره.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: يخطر على قلبه الطير، فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى. وقال مغيث بن سمي: تقع على أغصان شجرة طوبى طير كأمثال البُخْتِ<sup>(٥)</sup>، فإذا اشتهى الرجل طيراً دعاه، فيجيء حتى يقع على خوانه<sup>(٦)</sup>، فيأكل من أحد جانبيه قديداً والآخر شواءً، ثم يعود طيراً فيطير فيذهب.

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾<sup>(٧)</sup> قرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «وَحُورٌ عِينٌ» بالرفع فيهما. وقرأ أبو جعفر، وحزمة، والكسائي، والمفضل عن عاصم: بالخفض فيهما. وقرأ أبيّ بن كعب، وعائشة، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «وَحُوراً عِيناً» بالنصب فيهما. قال الزجاج: والذين رفعوا كرهوا الخفض، لأنه معطوف على قوله: ﴿طُفُوفٌ عَلَيْهِمْ﴾، قالوا: والْحُورُ ليس ممّا يُطَافُ به، ولكنه مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء، لأن المعنى: يطوف عليهم ولدانٌ مخلّدون بأكوابٍ ينعمون بها، كذلك ينعمون بلحم طير، فكذلك ينعمون بحُورٍ عِينٍ، والرفع أحسن، والمعنى: ولهم حُورٌ عِينٌ؛ ومن قرأ «وَحُوراً عِيناً» حمّله على المعنى، لأن المعنى: يُعطون هذه الأشياء ويُعطون حُوراً عِيناً، إلّا أنها تُخَالِفُ المصحف فتُكْرَهُ. ومعنى «كَأَنَّشِلَ الْوُلُوفِ» أي: صفاؤهنّ وتلاؤهنّ كصفاء اللؤلؤ وتلاؤه. والمكنون: الذي لم يغيّره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال، فهُنَّ كاللؤلؤ حين يخرج من صدفه. ﴿جَزَلَةٌ﴾ منصوب مفعول له؛ والمعنى: يُفعل بهم ذلك جزاءً بأعمالهم، ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى ﴿طُفُوفُهُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مَخْلُودَتَانِ﴾: يُجَاوِزُونَ جزاءً بأعمالهم؛ وأكثر النحويّين على هذا الوجه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً﴾ قد فسرنا معنى اللّغو والسلام في سورة [عريم: ٦٢] ومعنى التائيم في [الطور: ٢٣] ومعنى ﴿أَصْحَابُ آلِيْنِ﴾ في أول هذه السورة [الرافعة: ٤٩]. فإن قيل: التائيم لا يُسمع فكيف ذكره مع المسموع؟ فالجواب: أن العرب يُتَبَعُونَ آخر الكلام أوّلَه، وإن لم يحسُن في أحدهما ما يحسُن في الآخر، فيقولون: أَكَلْتُ خبزاً وَلَبَناً، واللّبن لا يؤكل، إنما حَسُنَ هذا لأنه كان مع ما يؤكل، قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

(١) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤١٧، و«القرطبي» ١٧/٢٠٢، و«اللسان» و«التاج»: قوز. والأقاز: جمع قَوْز، وهو كتيب من الرمل صغير شبه به أرداد النساء، فالإضافة لليان.

(٢) البيت في «المعرب» للجواليقي ٢٣.

(٣) قال ابن كثير: وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: الشُّكْر، والفُدَاع، والقيء، والبول، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزّهاها عن هذه الخصال. اهـ.

(٤) البُخْت: الإبل الحُرّاسانية.

(٥) الخوان، بضم الخاء وكسرها: الذي يؤكل عليه.

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا  
قَالَ: وَالْعَيْنُ لَا تَزُجُّجُ إِنَّمَا تَكْجُلُ، فَرَدَّهَا عَلَى الْحَاجِبِ لِأَنَّ الْمَعْنَى يُعْرَفُ، وَأَنْشَدَنِي آخَرَ:  
وَلَقَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى  
وَأَنْشَدَنِي آخَرَ:

عَلَفْتُهَا بِبَنَاءٍ وَمَاءٍ بَارِدًا<sup>(١)</sup>

والماء لا يُغْلَفُ وإنما يُشْرَبُ، فجعله تابعاً للثَّين؛ قال الفراء: وهذا [هو] وجه قراءة من قرأ، «وَحُورٌ عَيْنٌ» بالخفض، لإتباع آخر الكلام أوَّلُه، وهو وجه العربية.

﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ مَا أَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ (١٧) فِي يَدِي مَحْشُورٌ (١٨) وَكَلَجَ مَحْشُورٌ (١٩) وَظَلِي مَحْشُورٌ (٢٠) وَكَأَوْ مَحْشُورٌ (٢١) وَكَذَكَهُ كَيْفَرٌ (٢٢) لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً (٢٣) وَرُبِّي مَرْوَعَةٌ (٢٤) إِنَّا أَشْأَنَهُنَّ إِثْنًا (٢٥) جَعَلْتُهُنَّ أَكْبَارًا (٢٦) عُرَا أَكْرَبًا (٢٧) لَا أَحْسَبُ الْيَمِينَ (٢٨) ثَلَّةٌ يَكُ الْأَوَّلَى (٢٩) وَثَلَّةٌ يَكُ الْآخِرِينَ (٣٠)

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ في قوله: ﴿وَأَحْسَبُ الْيَمِينَ﴾ [الرواية: ٢٩]. وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: أصحاب اليمين: أطفال المؤمنين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فِي يَدِي مَحْشُورٌ﴾ (١٨) سبب نزولها أن المسلمين نظروا إلى وَجْهِهِ وهو وادٍ بالطائف مخصبٌ. فأعجبهم سِدْرُهُ، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا؟ فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية، والضحاك. وفي المخضود ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي لا شوك فيه، رواه أبو طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقسامة بن زهير. قال ابن قتيبة: كلُّهُ مُجْصَدٌ شَوْكُهُ، أي: قلع، ومنه قول النبي ﷺ في المدينة: «لَا يُخْصَدُ شَوْكُهَا»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الموقر حملاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والضحاك. والثالث: أنه الموقر الذي لا شوك فيه، ذكره قتادة. وفي الطَّلَح قولان: أحدهما: أنه الموز، قاله علي، وابن عباس، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، [والحسن]، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه شجر عظام كبار الشوك، قال أبو عبيدة: هذا هو الطَّلَح عند العرب، قال الحادي:

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ  
عَدَا تَرَيْنَ الطَّلَحَ وَالْجِبَالَ<sup>(٣)</sup>

فإن قيل: ما الفائدة في الطَّلَح؟ فالجواب أن له نَوْرًا وريحاً طيبةً، فقد وعدهم ما يعرفون ويميلون إليه، وإن لم يقع التساوي بينه وبين ما في الدنيا. وقال مجاهد: كانوا يُعْجِبُونَ بِ«وَجْهِهِ» وظلاله من طلحه وسدره. فأما المنضود، فقال ابن قتيبة: هو الذي قد نُضِذَ بِالْحَمَلِ أو بالورق والحَمَلُ من أوَّلِه إلى آخره، فليس له ساق بارزة، وقال مسروق: شجر الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها.

قوله تعالى: ﴿ظَلِي مَحْشُورٌ﴾ (٢٠) أي: دائم لا تنسخه الشمس<sup>(٤)</sup>. ﴿وَأَوْ مَحْشُورٌ﴾ (٢١) أي: جار غير منقطع. قوله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةً وَلَا مَمْنُوعَةً﴾ (٢٣) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا مقطوعة في حين دون حين، ولا ممنوعة بالحيطان والنواطير، إنما هي مطلقّة لمن أرادها، هذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، ولخصه بعضهم فقال: لا مقطوعة بالأزمان، ولا ممنوعة بالأثمان. والثاني: لا تنقطع إذا جُنِيتْ، ولا تُنَمَّعُ من أحد إذا أريدت،

(١) البيت غير منسوب في مشكل القرآن ١٦٥، والطبري ١٧٦/٢٧، وأساس البلاغة والصاحح، واللسان والتاج: زجج.

(٢) سبق البيت ٣٦٢.

(٣) رواه الطبري ١٧٩/٢٧ وفي سنده عثمان بن قيس وهو ضعيف.

(٤) رواه أحمد في المستدرك رقم (٢٩٢٣) ولفظه بتمامه: عن ابن عباس عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الكل نبي حرم، وحرمي المدينة، اللهم إني أحرمها بحرمك، أن لا يورى فيها محدث، ولا يخلى خلالها، ولا يعهد شوكها، ولا تؤخذ لقطتها إلا لمتشد» وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٣٠١/٣ عن أحمد وحسنه. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٧/٤: ووقع في رواية لعمر بن شبة بلفظ «لا يخضد» بالخاء المعجمة بدل العين المهملة، وهو راجع إلى معناه، فإن أصل الخضد: الكر ويستعمل في القطع. اهـ.

(٥) البيت غير منسوب في مجاز القرآن ٢٥٠/٢، والطبري ١٨١/٢٧، ونسبه «القرطبي» ٢٠٨/١٧ إلى الجعدي.

(٦) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» من حديث أبي هريرة عليه السلام عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، الرُّوَادُ إن شتم: ﴿ظَلِي مَحْشُورٌ﴾».



روي عن ابن عباس. والثالث: لا مقطوعة بالفناء، ولا ممنوعة بالفساد، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَفُتِي تَرْوَعَةً﴾ (١٦٦) فيها قولان: أحدهما: أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم، وفي رفعها قولان: أحدهما: [أنها] مرفوعة فوق السرر. والثاني: أن رفعها؛ زيادة حشوها لطيب الاستمتاع بها. والثاني: أن المراد بالفراش: النساء؛ والعرب تسمي المرأة: فراشاً وإزاراً ولباساً؛ وفي معنى رفعهن ثلاثة أقوال: أحدها: أنهن يُرفعن بالجمال على نساء أهل الدنيا. والثاني: يُرفعن عن الأدناس. والثالث: في القلوب لثيثة الميل إليهن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَةً﴾ (١٦٧) يعني النساء. قال ابن قتيبة: اكتفى بذكر الفُرش لأنها محل النساء عن ذكرهن. وفي المشار إليهن قولان: أحدهما: أنهن نساء أهل الدنيا المؤمنات؛ ثم في إنشأتهن قولان: أحدهما: أنه إنشأوهن من القبور، قاله ابن عباس. والثاني: إعادتهن بعد الشَّطِّ (١) والكِبَر أبكاراً صغاراً، قاله الضحاك. والثاني: أنهن الحُور العين، وإنشأوهن: إيجادهن عن غير ولادة، قاله الزجاج. والصواب أن يقال: إن الإنشاء عَمَهُنَّ كُلَّهُنَّ، فالحُور أنشئن ابتداءً، والمؤمنات أنشئن بالإعادة وتغيير الصفات؛ وقد روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنَ الْمُنْشَأَاتِ اللَّاتِي كُلُّ فِي الدُّنْيَا حِجَابٌ غُضٌّ زُفْصٌ» (٢).

قوله تعالى: ﴿فَنُكِّلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (١٦٨) أي: عذارى. وقال ابن عباس: لا يأتيها زوجها إلّا وجدها بكرًا.

قوله تعالى: ﴿عَرَبًا﴾ قرأ الجمهور: بضم الراء. وقرأ حمزة، وخلف: بإسكان الراء؛ قال ابن جرير: هي لغة تميم وبكر. وللمفسرين في معنى «عَرَبًا» خمسة أقوال: أحدها: أنهن المتحبيات إلى أزواجهن، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وابن قتيبة، والزجاج. والثاني: أنهن العواشق، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، ومقاتل، والمبرد؛ وعن (٣) مجاهد كالتقولين. والثالث: الحسنة التبعّل، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة. والرابع: الفُجَنجات، قاله عكرمة. والخامسة: الحسنة الكلام، قاله ابن زيد. فأما الأتراب فقد ذكرناهن في [ص: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (١٦٩) وَثَلَاثَةَ مِنَ الْآخِرِينَ هذا من نعت أصحاب اليمين. وفي الأولين والآخرين خلاف، وقد سبق شرحه [الرواية: ١٢٣]. وقد زعم مقاتل أنه لما نزلت الآية الأولى، وهي قوله: ﴿ثَلَاثَةَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وجد المؤمنون من ذلك وجداً شديداً حتى أنزلت ﴿وَالثَّلَاثَةَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فنسختها. وروي عن عروة بن رُويم نحو هذا المعنى. قلت: وأدعاء التسخ هاهنا لا وجه له لثلاثة أوجه: أحدها: أن علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا على هذا. والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ، [فهو هاهنا لا وجه له]. والثالث: أن الثلثة بمعنى الفُرقة والفتنة؛ قال الزجاج: اشتقاقهما من القطعة، والثل: الكسر والقطع. فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثلثة في معنى القليل.

﴿وَأَصْحَابُ الْإِيمَانِ مَا أَصْحَابُ الْإِيمَانِ﴾ (١٧٠) فِي سُورَةِ رَجِيمٍ (١٧١) وَظِلٌّ يَنْ يَحْمِيهِ (١٧٢) لَا بَأْسَ وَلَا كَرِيمٍ (١٧٣) إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَكِينَ (١٧٤) وَكَانُوا يَرْجُونَ عَلَى لَيْسَ الْعَلِيمِ (١٧٥) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيْدِيَنَا مَرْبُوعَةٌ وَكُنَّا تُرَاكٍ وَعِظْمَا أَوْنَا لَتَبْعُوْنَا (١٧٦) أَوْ أَعَابُوا الْأَوَّلُونَ (١٧٧) قُلْ لِكِ الْآخِرِينَ وَالْأَوَّلِينَ (١٧٨) لَتَبْعُوْنَا إِنْ رِغَبَتْ يَوْمَ تَمْلِكُ (١٧٩) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْفَائِزُونَ (١٨٠) لَا تُؤْمِنُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُؤْمٍ (١٨١) فَاقْرَأْ يَنْهَا الْيُتْلُونَ (١٨٢) فَتَرْجُونَ شَرَّ الْيَمِينِ (١٨٣) هَذَا تَرْجَمَ يَوْمَ الْيَمِينِ (١٨٤)

قوله تعالى: ﴿مَا أَصْحَابُ الْإِيمَانِ﴾ قد بينّا أنه بمعنى التعجب من حالهم؛ والمعنى: ما لهم، وما أعدّ لهم من الشر؟ ثم بين لهم سوء مُنْقَلَبِهِمْ فقال: ﴿فِي سُورَةٍ﴾ قال ابن قتيبة: هو حرّ النار.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٌّ يَنْ يَحْمِيهِ﴾ قال ابن عباس: ظلٌّ من دخان. قال الفراء: اليخوم: الدخان الأسود، ﴿لَا بَأْسَ وَلَا كَرِيمٍ﴾ فوجه الكلام الخفض تبعاً لما قبله، ومثله ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٢٥]، وكذلك قوله:

(١) الشَّطِّ: الشَّيْب.

(٢) رواه ابن جرير ١٨٥/٢٧، ١٨٦، والترمذي في «جامعه» ١٦٤/٢ من رواية موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، قال: وموسى بن عبيدة ويّزید بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) في الأصل: عن.

﴿وَلَكِنَّهُمْ كَبِيرٌ ۝٦٦ لَا مَقْطُوعَ وَلَا مَمْنُوعَ﴾، ولو رفعت ما بعد «لا» كان صواباً، والعرب تجعل الكريم تابِعاً لكل شيء نفث عنه فعلاً يُتَوَى [به] الذم، فتقول: ما هذه الدار بواسعة ولا كريمة، وما هذا بسمين ولا كريم. قال ابن عباس: لا بارد المدخل ولا كريم المنظر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَاذِبٌ ۝٦٧﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتَرَوِّكٌ﴾ أي: متنعمين في ترك أمر الله، فشغلهم تَرْفُهُم عن الاعتبار والتعبد. ﴿وَكَاذِبٌ يَصِرُونَ﴾ أي: يُقِيمُونَ ﴿عَلَىٰ لَيْثٍ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشُّرك، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، وابن زيد. والثاني: الذُّنْب العظيم الذي لا يتوبون منه. قاله مجاهد. وعن قتادة كالقولين. والثالث: أنه اليمين الغموس، قاله الشعبي. والرابع: الشُّرك والكفر بالبعث، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿أَرْبَابًا الْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ قال أبو عبيدة: الواو متحركة لأنها ليست بواو «أَوْ» إنما هي «وَأَبَاؤُنَا»، فدخلت عليها ألف الاستفهام فثُكُث مفتوحة. وقرأ أهل المدينة، وابن عامر: «أَوْ أَبَاؤُنَا» بإسكان الواو. وقد صحق بيان ما لم يُذَكَّر هاهنا (عمره: ١٠٣، الصفات: ٦٢، الانعام: ٧٠) إلى قوله: ﴿فَتَنَزَّلُ مِنْ شَرِّ الْبُيُوتِ ۝٦٩﴾ قرأ أهل المدينة، وهاصم، وحمزة: «شَرِبَ» بضم الشين؛ والباقون بفتحها. قال الفراء: والعرب تقول: شَرِبْتُهُ شَرْباً، وأكثر أهل نجد يقولون شَرْباً بالفتح، أنشدني عاصمهم:

تَكْفِيهِ حَرَّةٌ فَلَمَّا إِذَا لَمْ يَهَا  
مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شَرِبُهُ الْغُمَرُ<sup>(١)</sup>

وزعم الكسائي أن قوماً من بني سعد بن تميم يقولون: «شَرِبَ الهَيْم» بالكسر. وقال الزجاج: «الشُّرْب» المصدر، و«الشُّرْب» بالضم: الاسم، قال: وقد قيل: إنه مصدر أيضاً. وفي «الهَيْم» قولان: أحدهما: الإبل العطاش، رواه ابن أبي طلحة. والعمري عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وعطاء، والضحاك، وقاتدة. قال ابن قتيبة: هي الإبل يُصَيِّبُهَا دَاءٌ فَلَا تَرَوَى مِنَ الْمَاءِ، يقال: بعيرٌ أَهْيَمٌ، وناقَةٌ هَيْمَاءٌ. والثاني: أنها الأرض الرَّمْلَة التي لا تَرَوَى مِنَ الْمَاءِ، وهو مروي عن ابن عباس أيضاً. قال أبو عبيدة: الهَيْم: ما لا يَرَوَى مِنْ زَمَلٍ أَوْ بَعِيرٍ.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَزْلُكُمْ﴾ أي: رزقهم. ورواه عباس عن أبي عمرو: «نَزْلُهُمْ» بسكون الزاي، أي: رزقهم وطعامهم. وفي «الدين» قولان قد ذكرناهما في (الفاتحة).

﴿فَمَنْ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ۝٧٠ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۝٧١ هَٰ أَشَرُّ عَفْوَكَ أَمْ نَحْنُ الْكَافِرُونَ ۝٧٢ هَٰ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۝٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَلَقْتُمْ﴾ أي: أوجدناكم ولم تكونوا شيئاً، وأنتم تُقَرِّوْنَ بهذا ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ بالبعث؟ ثم احتجَّ على بعثهم بالقدرة على ابتدائهم فقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۝٧٢﴾ قال الزجاج: أي: ما يكون منكم من المَنِيِّ، يقال: أَمِنَ الرجل يُمِنِي، وَمَنِ يَمِنِي، فيجوز على هذا «تَدْعُونَ» بفتح التاء إن ثبت به رواية.

قوله تعالى: ﴿هَٰ أَشَرُّ عَفْوَكَ أَمْ نَحْنُ الْكَافِرُونَ ۝٧١﴾ أي: تَخْلُقُونَ مَا تُدْعُونَ بِشَرِّهِ؟ وفيه تنبيه على شيئين: أحدهما: الامتنان، إذ خلق من الماء المَهِين بَشَرًا سَوِيًّا. والثاني: أن من قَدَّرَ عَلَى خَلْقٍ ما شاهدتموه من أصل وجودكم كان أَقْدَرَ عَلَى خَلْقٍ ما غاب عنكم من إعادتكم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ۝٧٠﴾ وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قضينا عليكم بالموت. والثاني: سَوَّيْنَا بَيْنَكُمْ فِي الْمَوْتِ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٧٠﴾ عَلَى أَنْ يُؤَيَّلَ أَتَشْكُمُ قال الزجاج: المعنى: إن أردنا أن نَخْلُقَ خَلْقًا غَيْرَكُمْ لم يسبقنا سابق، ولا يفوتنا ذلك. وقال ابن قتيبة: لسنا مغلوبين على أن نَسْتَبْدِلَ بِكُمْ أَشْأَلَكُمْ.

(١) البيت لأعشى باهلة من قصيدته الجيدة التي يرثي بها أخاه المشرق بن وهب الباهلي ومطلعا:

فَدَجَاءَ مِنْ عَمَلِ أَنْبَاءٍ أَنْبَاهُهَا

إِلَيْهَا لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَحَرُ

وهي في «الأصمعيات» ٨٩، و«جمهرة أشعار العرب» ٢٥٤ و«مختارات ابن الشجري» ١٩، و«أمالى المرتضى» ١٠٥/٣ وغيرها، والحنة: ما قطع من اللحم طولاً، والفلذ: كيد البعير، والغمر: أصغر الاقتراح.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِثَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وفيه أربعة أقوال: أحدها: نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، قاله الحسن. والثاني: ننشلكم في حواصل طير سود تكون بـ «برهوت» كأنها الخطاطيف، قاله سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>. والثالث: نخلقكم في أي خلق شئنا، قاله مجاهد. والرابع: نخلقكم في سوى خلقكم، قاله السدي. قال مقاتل: نخلقكم سوى خلقكم في ما لا تعلمون من الصور.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ وهي ابتداء خلقكم من نطفة وعلقه ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: فهلا تتعبدون فتعلموا قدرة الله فتقربوا بالبعث.

﴿أَوَلَيْتُمْ مَا كَفَرْتُمْ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ١٨ ﴿أَمْ عَنْ الزَّرْعِ﴾ ١٩ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَتَنَّا تَعَالَى﴾ ٢٠ ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾ ٢١ ﴿تَنْحَرُونَ﴾ ٢٢ ﴿أَوَلَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ٢٣ ﴿أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ عَنْ الْمُنْزِلِ﴾ ٢٤ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَاجِدًا فَلََوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ٢٥ ﴿أَوَلَيْتُمْ أَتَارَ الْوُجُوهِ﴾ ٢٦ ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتًا أَمْ عَنْ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ﴾ ٢٧ ﴿تَنْحَرُونَ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتْنًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٢٨ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٢٩

﴿أَوَلَيْتُمْ مَا كَفَرْتُمْ﴾ ٣٠ أي: ما تعملون في الأرض من إنارتها، وإلقاء البذور فيها، ﴿أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أي: تُبَيِّنُونَهَا؟ وقد بُدِئَ هذا الكلام على أشياء منها إحياء الموتى، ومنها الامتنان بإخراج القوت، ومنها القدرة العظيمة الدالة على التوحيد.

قوله تعالى: ﴿لَجَعَلْنَاهُ﴾ يعني الزرع ﴿حُطَبًا﴾ قال عطاء: تبناً لا قمح فيه. وقال الزجاج: أبطلناه حتى يكون محتطاً لا حنطة فيه، ولا شيء.

قوله تعالى: ﴿فَنَقَلْنَاهُ﴾ وقرأ الشعبي، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: ﴿فَنَلَّطْنَاهُ﴾ بكسر الظاء؛ وقد بيناه في قوله: ﴿نَلَّطْنَا عَلَيْهِ مَا كُنَّا﴾ [٤٧: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿تَفْكُوهُونَ﴾ وقرأ أبي بن كعب، وابن السميع، والقاسم بن محمد، وعروة: ﴿تَفْكُتُونَ﴾ بالنون. وفي المعنى أربعة أقوال: أحدها: تَعَجَّبُونَ، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، ومقاتل. قال الفراء: تَتَعَجَّبُونَ مِمَّا نَزَلَ بِكُمْ في زرعكم. والثاني: تَتَذَمُّونَ، قاله الحسن، والزجاج. وعن قتادة كالقولين. قال ابن قتيبة: يقال: ﴿تَفْكُوهُونَ﴾: تَتَذَمُّونَ، ومثلها: تَفْكُتُونَ، وهي لغة لكُتِلَ. والثالث: تتلاومون، قاله عكرمة. والرابع: تَتَضَجَّعُونَ، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَعْرِضُونَ﴾ ٣١ قال الزجاج: أي: تقولون: قد عَرِضْنَا وَذَهَبَ زَرْعُنَا. وقال ابن قتيبة: ﴿لَمَعْرِضُونَ﴾ أي: لَمُعَدُّبُونَ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَنْ حَرْثٍ مَزْرُوعٍ﴾ ٣٢ أي: حُرْمُنَا مَا كُنَّا نَطْلُبُهُ مِنَ الرِّيحِ في الزرع. وقد بُدِئَ بهذا على أمرين: أحدهما: إنعامه عليهم إذ لم يجعل زرعهم حُطَامًا. والثاني: قدرته على إهلاكهم كما قدر على إهلاك الزرع. فأما المَزْنُ، فهي السحاب، وأحدها: مُزْنَةٌ. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿تُورُونَ﴾ قال أبو عبيدة: تستخرجون، من أَوْرَيْتُ، وأكثر ما يقال: وَرَيْتُ. وقال ابن قتيبة: التي تَسْتَخْرِجُونَ مِنَ الزُّنُودِ. قال الزجاج: «تورون» أي: تقدحون، تقول: أَوْرَيْتُ النَّارَ إذا قدحتها.

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتًا﴾ في المراد بشجرتها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الحديد، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها الشجرة التي تَنَحَّدُ منها الزُّنُودُ، وهو خشب يُحَكُّ بعضه ببعض فتخرج منه النار، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. والثالث: أن شجرتها: أصلها، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿تَنْحَرُونَ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ قال المفسرون: إذا رَأَى الرائي ذكر نار جهنم، وما يخاف من عذابها، فاستجار بالله منها ﴿وَمَتْنًا﴾ أي: منفعة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وفيهم أربعة أقوال: أحدها: أنهم المسافرون، قاله ابن عباس،

(١) برهوت: واد باليمن، وقد روي أن أرواح الكفار تجتمع فيه، وأن أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، ولكن لا دليل عليه من الكتاب والسنة الصحيحة، ولعل ذلك من الإسرائيليات.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إِنَّا لَمُعَدُّبُونَ، وذلك أن الغرام عند العرب: المذاب.

وقتادة، والضحاك. قال ابن قتيبة: سماوا بذلك لنزلهم القوي، وهو القفر. وقال بعض العلماء: المسافرون أكثر حاجة إليها من المقيمين، لأنهم إذا أوقدوها هربت منهم السباع واهتدى بهم الضال. والثاني: أنهم المسافرون والحاضرون، قاله مجاهد. والثالث: أنهم الجائعون، قال ابن زيد: المقوي: الجائع في كلام العرب. والرابع: أنهم الذين لا زاد معهم ولا مرد لهم، قاله أبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ اللَّيْلُ نَظِيرَ﴾ قال الزجاج: لما ذكر ما يدل على توحيده، وقدرته، وإنعامه، قال: «فسبح» أي: برّ الله ونزهه عما يقولون في وصفه. وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك، أي: استفتح الصلاة بالتكبير. وقال ابن جرير: سبح بذكر ربك وتسميته. وقيل: الباء زائدة. والاسم يكون بمعنى الذات، والمعنى: فسبح ربك.

﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ وَإِنَّهُمْ لَفَسَّحُوا تَلَمُّونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّكَ الْكَافَى ﴿٨٠﴾ أَتَيْدَا لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ بَشَرٌ لَقَدْ كَذَّبَ ﴿٨١﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُنَبِّئُكُمْ﴾ في «لا» قولان: أحدهما: أنها دخلت توكيداً. والمعنى: فأقسم، ومثله ﴿إِنَّمَا يَمْلِكُ الْقِسْمُ عَلَى أَنَّه قرآن كريم﴾، قاله علي بن أحمد النيسابوري: قرأ الحسن: فلا أقسم بغير ألف بين اللام والهمزة. والثاني: أنها على أصلها. ثم في معناها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما تقدم، ومعناها: النهي، تقدير الكلام: فلا تكذبوا، ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج، قاله الماوردي. والثاني: أن<sup>(٢)</sup> «لا» رد لما يقوله الكفار في القرآن: إنه سحر، وشعر، وكهانة. ثم استأنف القسم على أنه قرآن كريم، قاله علي بن أحمد النيسابوري: قرأ الحسن: فلا أقسم بغير ألف بين اللام والهمزة.

قوله تعالى: ﴿بِمَوَاقِعِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «بموقع» على التوحيد. قال أبو علي: مواقعها: مساقطها. ومن أفرد، فلأنه اسم جنس. ومن جمَعَ، فلاختلاف ذلك. وفي «النجوم» قولان: أحدهما: نجوم السماء، قاله الأكثرون. فعلى هذا في مواقعها ثلاثة أقوال: أحدها: انكدارها وانتشارها يوم القيامة، قاله الحسن. والثاني: منازلها، قاله عطاء وقتادة. والثالث: مغيبها في المغرب، قاله أبو عبيدة. والثاني: أنها نجوم القرآن، رواه ابن جبير عن ابن عباس. فعلى هذا سميت نجومها متفرقة، ومواقعها: نزولها ﴿وَإِنَّهُمْ لَفَسَّحُوا تَلَمُّونَ﴾ الهاء كناية عن القسم. وفي الكلام تقديم وتأخير، تقديره: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون عظمتهم. ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ كَرِيمٌ﴾ والكريم: اسم جامع لما يحمد، وذلك أن فيه البيان، والهدى، والحكمة، وهو مُعْظَم عند الله ﷻ.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المصحف الذي بأيدينا، قاله مجاهد، وقتادة. وفي «المكتوب» قولان: أحدهما: مستور عن الخلق، قاله مقاتل، وهذا على القول الأول. والثاني: مصون، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ من قال: إنه اللوح المحفوظ. فالمطهرون عنده: الملائكة، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. فعلى هذا يكون الكلام خبراً. ومن قال: هو المصحف، ففي المطهرين أربعة أقوال: أحدها: أنهم المطهرون من الأحداث، قاله الجمهور. فيكون ظاهر الكلام النهي، ومعناه النهي. والثاني: المطهرون من الشرك، قاله ابن السائب. والثالث: المطهرون من الذنوب والخطايا، قاله الربيع بن أنس. والرابع: أن معنى الكلام: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، حكاه الفراء<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندني قول من قال: غني بذلك المسافر الذي لا زاد معه ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خليت من أهلها وسكانها. اهـ.

(٢) في الأصل: أنه.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يسس الكتاب المكتوب إلا المطهرون، فعم بغيره المطهرين، ولم يخص بعضاً دون بعض، قال: فالملائكة من المطهرين، والرسول والأنبياء من المطهرين، قال: وكل من كان مطهراً من الذنوب، فهو ممن استثنى، وعني بقوله: ﴿إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ اهـ.

قال ابن كثير: وقال آخرون: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ أي من الجنابة والحدث، قالوا: ولفظ الآية خبر، ومعناها الطلب، قالوا: والمراد بالقرآن =



قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل. والمعنى: هو منزل، فسمي المنزل تنزيلاً في اتساع اللغة، كما تقول للمقدور: قدر، وللمخلوق: خلق.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي هَذَا الْخَوِثُ﴾ يعني: القرآن ﴿أَنْتُمْ تُثْهَوْنَ﴾ فيه قولان: أحدهما: مكذبون، قاله ابن عباس، والضحاك، والفراء. والثاني: مائلون الكفار على الكفر به، قاله مجاهد. قال أبو عبيدة: المدهن: المدهان، وكذلك قال ابن قتيبة: «مدهنون» أي: مدهانون. يقال: أدهن في دينه، وداهن ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١) روى مسلم في «صحيحه» (١) من حديث ابن عباس قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكراً، ومنهم كافر». قالوا: هذه رحمة وضعها الله حيث شاء. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أَتَيْسُ بِمَوْقِعِ الشُّجْرِ﴾ حتى بلغ ﴿أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة بالحديبية على إثر سماء (٢) كانت من الليل. فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما المؤمن فقال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» (٣). وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أن الرزق هاهنا بمعنى الشكر. روت عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال: «شكركم» (٤)، وهذا قول علي بن أبي طالب، وابن عباس. وكان علي يقرأ «وتجعلون شكركم» (٥). والثاني: أن المعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، قاله الأكثرون. وذلك أنهم كانوا يمتطرون، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. والثالث: أن الرزق بمعنى الحظ. فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، ذكره الثعلبي. وقرأ أبي بن كعب، والمفضل عن عاصم «تَكْذِيبُونَ» بفتح التاء، وإسكان الكاف، مخففةً الذال.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُومَ﴾ (٦) وَأَنْتُمْ حِينَمَا نُنْظُرُونَ ﴿٧﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ ﴿٨﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ قَرَّ مَوَازِينَ ﴿٩﴾ تَرَجُّوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١﴾ فَرَّجَ رَحْمَةً وَرَحَّتْ يَمِينُ ﴿١٢﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٣﴾ فَسَلَّوْهُ إِلَى مَنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ الصَّالِينَ ﴿١٥﴾ فَتَرَّوْهُ مِنْ جَمِيرٍ ﴿١٦﴾ وَتَصْلِيَةً جَمِيرٍ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْ حَقُّ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ فَسَجَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ الْأَطْمِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُومَ﴾ يعني: النَّفْس، فترك ذكرها لدلالة الكلام، وأنشدوا من ذلك: إِذَا حَشَرَجْتَ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّنْدُ (٧)

= هاهنا: المصحف، كما روى مسلم في «صحيحه» عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في «موطأ» عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر، قال: وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمس القرآن إلا طاهر» اهـ. قلت: وقد روي الحديث موصلاً عن كثير من الصحابة، وهو صحيح بمجموع طرقه اهـ.

(١) ٨٤، ٨٣/١.

(٢) إثر وأثر، لغتان مشهورتان، أي بعد المطر، والسما: المطر.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٤٣٤/٢، ومسلم ٨٤/١ واللفظ للبخاري. قال أبو عمرو بن الصلاح: التوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء ينوء، أي: سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع. اهـ.

(٤) لم تقف على هذا الحديث من طريق عائشة وإنما هو من طريق علي ﷺ عن النبي ﷺ كما رواه الطبري ٢٠٧/٢٧ وفي سننه عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف، ورواه أحمد أيضاً ٧٧/٢ من حديث عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن النبي ﷺ قال: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١) قال: «شكركم» (وفي «السنن» شرككم وهو خطأ). مطرنا بنوء كذا وكذا: بنجم كذا وكذا.

وروى ابن جرير في «تفسيره» ٢٠٨/٢٧ بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون».

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠٨/٢٧ عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كان علي ﷺ يقرأ «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وفي سننه عبد الأعلى الثعلبي، وقد حمل بعض الشراح هذه القراءة على التفسير، من غير قصد للتلاوة.

(٦) البيت لحاتم الطائي، «ديوانه» ٥٠ وصدوره:

أَسَاوِي مَا يَنْفِي الشُّرَاءَ مِنَ النَّفْسِ

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يعني أهل الميت ﴿تَنْظُرُونَ﴾ إلى سلطان الله وأمره. والثاني: تنظرون إلى الإنسان في تلك الحالة، ولا تملكون له شيئاً ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ملك الموت أدنى إليه من أهله ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ الملائكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ونحن أقرب إليه منكم بالعلم والقدرة والرؤية ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي: لا تعلمون، والخطاب للكفار، ذكره الواحدي.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: محاسبين، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وابن جبير، وعطاء، وعكرمة. والثاني: موقنين، قاله مجاهد. والثالث: مبعوثين، قاله قتادة. والرابع: مجزيين. ومنه يقال: دنته، وكما تدن تدان، قاله أبو عبيدة. والخامس: مملوكين أذلاء من قولك: دنت له بالطاعة، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿تَرْجَوْنَهَا﴾ أي: تردون النفس. والمعنى: إن جحدتم الإله الذي يحاسبكم ويجازيكم، فهلاً تردون هذه النفس؟! فإذا لم يمكنكم ذلك، فاعلموا أن الأمر لغيركم. قال الفراء: وقوله تعالى: ﴿تَرْجَوْنَهَا﴾ هو جواب لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكَ﴾ (١) ولقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ (٢) فإنهما أجبتا بجواب واحد. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هَذِي فَمَنْ تَبِعَ هَذَا فَلَا حَوَافَ عَلَيْهِمْ﴾ (البقرة: ٢٨) ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ﴾ يعني: الذي بلغت نفسه الحلقوم ﴿مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ عند الله. قال أبو العالية: هم السابقون ﴿رُوحَ﴾ أي: قلَّ رُوحٌ. والجمهور يفتحون الراء. وفي معناها ستة أقوال: أحدها: الفرح، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: الراحة، رواه أبو طلحة عن ابن عباس. والثالث: المغفرة والرحمة، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: الجنة، قاله مجاهد. والخامس: رُوحٌ من الغم الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب. والسادس: رُوحٌ في القبر، أي: طيب نسيم، قاله ابن قتيبة (٣). وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقاتدة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سريج عن الكسائي: ﴿فَرُوحٌ﴾ برفع الراء. وفي معنى هذه القراءة قولان: أحدهما: أن معناها: فرحة، قاله قتادة. والثاني: فحياة وبقاء، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: معناها: فحياة دائمة لا موت معها. وفي «الريحان» أربعة أقوال: أحدها: أنه الرزق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه المستراح، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: أنه الجنة، قاله مجاهد، وقاتدة. والرابع: أنه الريحان المسموم. وقال أبو العالية: لا يخرج أحد من المقربين من الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة، فيشمه، ثم تقبض فيه روحه، وإلى نحو هذا ذهب الحسن، وقال أبو عمران الجوني: بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تلقى بضيائير (٤) الريحان من الجنة، فتجعل روحه فيه.

قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ اللَّهُ مِنْ أَحْسَنِ أَلْيَيْنَ﴾ (٥) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فسلامة لك من العذاب، قاله أبو صالح

= والحنجرة: الفرجة عند الموت، وتردد النفس، وهو في «أمالى المرتضى» ٦٣/٤، و«العلامة» ٢٦٣/٢، و«مجموعة المعاني» ٣١، و«المقد الفريد» ٣٣٦/١، و«أمالى ابن السجري» ٥٠/١.

(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: عن بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة، وأصله من قولهم: وجدت رَوْحاً: إذا وجد نسيماً يستروح إليه من كرب الحر. وروى الإمام أحمد في «المسند» أن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله ﷺ: فيكون النسيم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها، وفي سنده ابن لهيعة، قال ابن كثير: هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن. ومعنى يعلق: يأكل، ويشهد لهذا الحديث بالصحة ما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، عن الإمام مالك بن أنس، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» قال: وهذا إسناد عظيم ومتن قويم، قال: وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شامت ثم تأتي إلى قناديل معلقة بالعرش... الحديث. اهـ. وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة أو بعض أزواجه ﷺ: إنا نكره الموت، قال: «ليس فلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بمذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

(٢) الضيائير - كما في «اللسان» -: الجماعات في تفرقة، وفي الحديث: أنه الملائكة بحريرة فيها مسك، ومن ضيائير الريحان. قلت: أخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥) رُوحٌ رَاحَةٌ قال: بلغني أن المؤمن إذا نزل به الموت يلقى بضيائير الريحان من الجنة فتجعل روحه فيها. انظر «الدر المنثور» ١٦٧/٦.

عن ابن عباس. والثاني: تسلّم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين، قاله عطاء. والثالث: أن المعنى: أنك ترى فيهم ما تحب من السلامة. وقد علمت ما أعدّ لهم من الجزاء، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ أي: بالبعث ﴿الْعَبَّائِينَ﴾ عن الهدى ﴿فَنَزَّلُ﴾ وقد بيّناه في هذه السورة [الواقعة: ٥٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني ما ذكر في هذه السورة ﴿لَمَوْحٌ حَقٌّ لِّالْيَمِينِ﴾ أي: هو اليقين حقاً، فأضافه إلى نفسه، كقولك: صلاة الأولى، وصلاة الغصير، ومثله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقد سبق هذا المعنى. وقال قوم: معناه: وإنه للمتقين حقاً. وقيل للحق: اليقين.

قوله تعالى: ﴿فَسَيَحْيِي بِأَسْرِ رَبِّكَ﴾ قد ذكرناه في هذه السورة [الواقعة: ٧٤] <sup>(١)</sup>.



(١) روى الإمام أحمد عن عتبة بن عامر الجهني قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿سَيَحْيِي بِأَسْرِ رَبِّكَ الْغَاطِيَةِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَيَحْيِي بِأَسْرِ رَبِّكَ الْأَخْلَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه. وإسناده صحيح. وروى البخاري في آخر «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».







اللَّهُ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهُ الْقُرْآنُ ﴿١٤﴾ قَالِيمٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ مِنْ مَوْلَانِكُمْ وَيُنْشِ الْمَصِيدُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿يُنْشِ قُرْآنُكُمْ﴾ قال المفسرون: يضيء لهم نور عملهم على الصراط على قدر أعمالهم. قال ابن مسعود: منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً نوره على إبهامه يطفى مرة، ويتقد أخرى. وفي قوله تعالى: ﴿وَيُنْشِ قُرْآنُكُمْ﴾ قولان: أحدهما: أنه كتبهم يعظونها بأيمانهم، قاله الضحاك. والثاني: أنه نورهم يسعى، أي: يمضي بين أيديهم، وعن إيمانهم، وعن شمائلهم. والباء بمعنى: «في». و «في» بمعنى «عن»، هذا قول الفراء. قوله تعالى: ﴿يُنْشِ قُرْآنُكُمْ الْقُرْآنُ﴾ هذا قول الملائكة لهم.

قوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَضِي﴾ وقرأ حمزة: «أنظروننا» بقطع الهمزة، وفتحها، وكسر الظاء. قال المفسرون: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة شديدة، فيعطى المؤمنون النور، فيمشي المنافقون في نور المؤمنين، فإذا سبقهم المؤمنون قالوا: أنظروننا نقتبس من نوركم ﴿فَقِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ في القائل قولان: أحدهما: أنهم المؤمنون، قاله ابن عباس. والثاني: الملائكة، قاله مقاتل. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: ارجعوا إلى المكان الذي قبستم فيه النور، فيرجعون، فلا يرون شيئاً. والثاني: ارجعوا فاعملوا عملاً يجعله الله لكم نوراً. والثالث: أن المعنى: لا نور لكم عندنا. ﴿فَقُشِرَ بَيْنَهُمْ سُورٌ﴾ قال ابن عباس: هو الأعراف، وهو سورٌ بين الجنة والنار ﴿بِالْمِثْرِ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهي: الجنة ﴿وُظْهِرُوا﴾ يعني: من وراء السور ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفَافٌ﴾ وهو جهنم. وقد ذهب قوم إلى أن هذا السور يكون بيت المقدس في مكان السور الشرقي بين الوادي الذي يسمى: وادي جهنم، وبين الباب الذي يسمى: باب الرحمة، وإلى نحو هذا ذهب عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَنَادُونَهُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: على دينكم نصلي بصلواتكم، ونغزو معكم؟! فيقول لهم المؤمنون: ﴿بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال الزجاج: استعملتموها في الفتنة. وقال غيره: آثمتموها بالنفاق ﴿وَقَرَّبْتُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: ترئصتم بالتوبة. والثاني: ترئصتم بمحمد الموت، وقتلتم: يوشك أن يموت فنستريح ﴿وَأَزَيْتُمْ﴾ شككتهم في الحق ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانَةَ﴾ يعني: ما كانوا يتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه الموت. والثاني: إلقاؤهم في النار ﴿وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْقُرْآنُ﴾ أي: غرکم الشيطان بحكم الله وإمهاله. ﴿قَالِيمٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب «لا تؤخذ» بالياء، أي: بدل وعوض عن عذابكم. وهذا خطاب للمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿مِنْ مَوْلَانِكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: أولى بكم.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ أَمْرٍ لِيَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَلَا تَحِلَّ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ يَتَّبِعُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المؤمنين. قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا، وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين<sup>(٢)</sup>، فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضاً. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، قاله أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا:

(١) قال ابن كثير: وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى، ومثلاً لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بـ «وادي جهنم» فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين، قال: وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتزواته، وإنما المراد بذلك: سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من وراءه في الحيرة والظلمة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة. اهـ.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ٢٣١٩/٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه، وذكره السيوطي في «الدر» ١٧٥/٦ وزاد نسبتة لابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) هذا غير صحيح، لأن الآية صريحة في الذين آمنوا.

حَدَّثَنَا عَنْ التَّوْرَةِ، فَإِنْ فِيهَا الْعَجَائِبُ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: نزلت هذه الآية في طائفة من المؤمنين حُتُوا على الرِّقَّة والخشوع. فأما من كان وصفه الله ﷻ بالخشوع، والرِّقَّة، فطبقه من المؤمنين فوق هؤلاء. فعلى الأول: يكون الإيمان حقيقة. وعلى الثاني: يكون المعنى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» بالسُّتْهُمْ. قال ابن قتيبة: المعنى: ألم يحسن، تقول: أنى الشيء: إذا حان.

قوله تعالى: «أَنْ تَقْسَحَ قُلُوبُهُمْ» أي: تَرِقَّ وتلين لذكر الله<sup>(٢)</sup>. المعنى: أنه يجب أن يورثهم الذُّكر خشوعاً «وَمَا زَلَّ مِنْ لَقْوٍ» قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «وما نزل» بفتح النون، والزاي، مع تشديد الزاي. وقرأ نافع، وحفص، والمفضل عن عاصم «نزل» بفتح النون، وتخفيف الزاي. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وابن يعمر، ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم «نزل» برفع النون، وكسر الزاي، مع تشديدها. وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء «وما أنزل» بهزمة مفتوحة، وفتح الزاي. وقرأ أبو مجلز، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنه بضم الهزمة، وكسر الزاي. و «الحق» القرآن، «وَلَا يَكُونُوا» قرأ رويس عن يعقوب «لا تكونوا» بالشاء «كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» يعني: اليهود، والنصارى، «فَلَا ظِلٌّ عَلَيْهِمْ فِي الْآثَرِ» وهو: الزمان. وقال ابن قتيبة: الأمد: الغاية. والمعنى: أنه بعد عهدهم بالأنبياء والصالحين «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَتْ مِنْهُمْ فَيَقُوتُ» وهم الذين لم يؤمنوا بعبسى ومحمد ﷺ<sup>(٣)</sup> «اعلموا أنَّ اللَّهَ يَمَيُّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أي: يخرج منها النبات بعد يسها، فكذلك يقدر على إحياء الأموات<sup>(٤)</sup> «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» الدالة على وحدانيته وقدرته «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»، أي: لكي تأملوا.

«إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاقْتَرَأَ اللَّهُ قُرْآنًا حَسَنًا يُضَعِّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ النَّصِيقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ<sup>(٥)</sup> قوله تعالى: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ» قرأ ابن كثير، وعاصم إلا حفصاً بتخفيف الصاد فيهما على معنى التصديق وقرأ الباقون، بالتشديد على معنى الصدقة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ النَّصِيقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» اختلفوا في نظم الآية على قولين: أحدهما: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: «أُولَئِكَ هُمُ النَّصِيقُونَ» ثم ابتداء فقال تعالى: «وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها. والواو في «والشهداء» واو النسق. ثم في معناها قولان: أحدهما: أن كل مؤمن صديق شهيد، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانية نفر سبقوا إلى

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣ عن الكلبي ومقاتل بغير سند، وكذلك ذكره البقوي، والصحيح الأول كما جاء في «صحيح مسلم» وغيره عن ابن مسعود.

(٢) قال ابن كثير: يقول تعالى: أما أن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله والموعظة وسماع القرآن فتضعهم وتتفاد له وتسبح له وتطيعه. اهـ. وقال الألوسي: المعنى: ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لأجل ذكر الله تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعوا إلى الطاعة على أكمل وجوها؟ اهـ.

(٣) قال ابن كثير: نهى الله تعالى المؤمنين أن يشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بللوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به شيئاً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المتفكة وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا آحبارهم وربانهم أرباباً من دون الله، فعد ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد. اهـ.

(٤) قال ابن كثير: فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلالتها، ويفرج الكرب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجربة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مغلقة لا يصل إليها الواصل، فنبهان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فقال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال. اهـ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: قرأه عامة قراء الأمصار خلا ابن كثير وعاصم بتشديد الصاد والدال، بمعنى: إن المتصدقين والمتصدقات، قال: ثم تدغم التاء في الصاد فتجعلها صاداً مشددة، كما قيل: «يَبْأَيُّ النَّبِيِّ» يعني: المتزمل: قال: وقرأ ابن كثير وعاصم: «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ» بتخفيف الصاد وتشديد الدال، بمعنى: إن الذين صدقوا الله ورسوله. قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان صحيح معنى كل واحدة منهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. قال: فتأويل الكلام إذن على قراءة من قرأ ذلك بالتشديد في الحرفين أعني في الصاد والدال: إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات «وَأَقْرَأَ اللَّهُ قُرْآنًا حَسَنًا» بالنقعة في سبيله، وفيما أمر بالنقعة فيه، أو فيما ندب إليه «يُضَعِّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ» يقول: يضاعف الله لهم قروضهم التي أقرضوها إياه، فيوفيهم ثوابها يوم القيامة «وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» يقول: ولهم ثواب من الله على صدقهم وقروضهم إياه كريم، وذلك الجنة. اهـ.



الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنه جمع شاهد. ثم فيهم قولان: أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان لله، قاله مجاهد. والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِيزَةٌ وَلَكُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَذَلِكِ عِثَبُ الْكُفَّارِ بَنَاهُ ثُمَّ يَجْعَلُكَ مُمْسِكًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿لَمِيزَةٌ وَلَكُمْ﴾ أي: غرور ينقضي عن قليل. وذهب بعض المفسرين إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه، لأن حياته تنقضي على لهو ولعب وتزين الدنيا، ويفخر قرناه وجيرانه، ويكاثروهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حله، ويتطاول على أولياء الله بماله، وخدومه، وولده، فيفني عمره في هذه الأشياء، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة. ثم بين لهذه الحياة شيهاً، فقال: ﴿كَذَلِكِ عِثَبُ الْكُفَّارِ﴾ أي: ما نبت من ذلك العيث ﴿ثُمَّ يَجْعَلُكَ﴾ أي: يبيس ﴿فَكَذَلِكَ تَصْغُرُ﴾ بعد خضرته وزيهه ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ أي: ينحطم، وينكسر بعد يسهه<sup>(١)</sup>. وشرح هذا المثل قد تقدم في «يونس» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: [٢٤]، وفي «الكهف» عند قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَّهُمْ مَثَلًا لِّلْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: [٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: لأعداء الله ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لأوليائه وأهل طاعته. وما بعد هذا مذكور في (آل عمران: ١٨٥) إلى قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ فيبين أنه لا يدخل الجنة أحد إلا بفضل الله<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ آمَنَ ابْنُ ثَمُودَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّاسَ بِالْبَغْلِ ذَمًّا وَمَن يَبْغُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آمَنَ ابْنُ ثَمُودَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأمراض، وفقد الأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ أن نخلقها، يعني: الأنفس ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: إثبات ذلك على كثرته هيئ على الله ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وقرأ أبو عمرو - إلا اختيار البيهقي - بالقصر على معنى: جاءكم من الدنيا. وقرأ الباقون بالمد على معنى: أعطاكم الله منها. وأعلم أنه من علم أن ما قضي لا بد أن يصيبه قل حزنه وفرحه. وقد روى قتبية بن سعيد قال: دخلت بعض أحياء العرب، فإذا بفضاء من الأرض فيه من الإبل ما لا يحصى عدده، كلها قد مات، فسألت عجوزاً: لمن كانت هذه الإبل؟ فأشارت إلى شيخ على تل يغزل الصوف، فقلت له: يا شيخ ألك كانت

(١) قال ابن كثير: مكنا الحياة الدنيا، تكون أولاً شابة، ثم تكهل، ثم تكون عجوزاً شوماً، قال: والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعشوان شبابه فحسباً طرياً، لين الأعطاف بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ إِلَىٰ خَلْقِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ ثَمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ حُتُوفًا ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ حُتُوفًا وَرُشْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ قال: ولما كان هذا المثل حالاً على زوال الدنيا وانقضاءها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها، ورغب فيما فيها من الخير فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُورِ﴾ أي: وليس في الآخرة الآنية القريبة إلا هذا، وإما هذا، إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُورِ﴾ أي هي متاع فاني غار لمن ركن إليه فإنه يفتن بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد ورامعا، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة. اهـ.

(٢) وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري وسلم عن أبي هريرة ؓ: قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل أحدكم منكم الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة» متفق عليه واللفظ لمسلم.





أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبّد في الجبال ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهَا﴾ أي: ما فرضناها عليهم. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا آيَةً يَصُونُ اللَّهُ﴾ قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى قوله تعالى: «ابتدعوها»، وتقديره: ما كتبناها عليهم إلا أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ذكره علي بن عيسى، والرامي عن قتادة، وزيد بن أسلم. والثاني: أنه راجع إلى قوله تعالى: «ما كتبناها». ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: ما كتبناها عليهم بعد دخولهم فيها تطوعاً إلا ابتغاء رضوان الله. قال الحسن: تطوَّعوا بابتداعها ثم كتبها الله عليهم. وقال الزجاج: لما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع لزمهم إتمامه، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يفترض عليه، لزمه أن يتمه<sup>(١)</sup>. قال القاضي أبو يعلى: والابتداع قد يكون بالقول، وهو ما ينذر ويوجهه على نفسه، وقد يكون بالفعل بالدخول فيه. وعموم الآية تتضمن الأمرين، فاقضى ذلك أن كل من ابتدع قربة، قولاً، أو فعلاً، فعليه رعايتها وإتمامها. والثاني: أن المعنى: ما أمرناهم منها إلا بما يرضي الله ﷻ، لا غير ذلك، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ في المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الذين ابتدعوا الرهبانية، قاله الجمهور. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم ما رَعَوْهَا لتبديل دينهم وتغييرهم له، قاله عطية العوفي. والثاني: لتقصيرهم فيما ألزموه أنفسهم. والثالث: لكفرهم برسول الله ﷺ لما بُعث، ذكر القولين الزجاج. والثاني: أنهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم، ما رَعَوْهَا بسلوك طريق أوليهم، روى هذا المعنى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: ﴿فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: الذين آمنوا بمحمد ﴿وَكَبِيرَ بَيْنَهُمْ فَيْسُوتٌ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به. والثاني: أن الذين آمنوا: المؤمنون بعبسى، والفاشقون: المشركون. والثالث: أن الذين آمنوا: مبتدعو الرهبانية، والفاشقون: متبعوهم على غير القانون الصحيح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ. وَيَخْرِجْ لَكُمْ الْغُفُورَ رَحِيمٌ﴾ (١٨) لَيْلًا يَمْشِي أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَفُوتُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٩﴾ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ عامة المفسرين على أن هذا الخطاب لليهود والنصارى. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله، وآمنوا برسوله محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيبين، وحظين ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>(٣)</sup> قال الزجاج: الكفل: كساء يمنع الراكب أن يسقط، فالمعنى: يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي. وقد بينا معنى «الكفل» في سورة [النساء: ٨٥] وفي المراد بالكفلين هاهنا قولان: أحدهما: لإيمانهم بمن تقدّم من الأنبياء، والآخر: لإيمانهم بمحمد ﷺ، قاله ابن عباس. والثاني: أن: أحدهما: أجر الدنيا، والثاني: أجر الآخرة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: القرآن، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثاني: نوراً تمشون به على الصراط، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: الهدى، قاله مجاهد. والرابع: الإيمان، قاله ابن السائب.

(١) وهو مذهب الحنفية والمالكية، وأما عند الشافعية فلم يوجبوا الإتمام، ففي «المجموع» ٣٩٢/٦ قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالى: فإذا دخل في صوم تطوع أو صلاة تطوع، استحب له إتمامها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْغُلُوا أَهْلَهُمْ﴾ وللخروج من خلاف العلماء، فإن خرج منهما بغير علم أو بغير علم، لم يحرم عليه ذلك، ولا قضاء عليه، لكن يكره الخروج منهما بلا علم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَبْغُلُوا أَهْلَهُمْ﴾ هذا هو المذهب.

(٢) جاء في «تفسير القاسمي» ٥٦٩٨/١٦: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: ما قاموا بما التزموا منها حق القيام من التزهد والتخلي للمباداة وعلم الكتاب، بل اتخذوها آلة للفرس والسود وإخضاع الشعب لأموالهم.

(٣) حمل ابن عباس هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجراً مرتين، كما في الآية التي في (القصص)، وكما في حديث «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجراً مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن ببيته وأمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق موالي فله أجران، ورجل أدب أمة فاحسن تأديبها ثم أعطاها وتزوجها فله أجران». ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة ابن أبي حكيم وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير. وقال سعيد بن جبيرة: لما أضاف أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجراً مرتين، أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ و زادهم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة، ﴿وَيُخْرِجْ لَكُمْ﴾، فضلهم بالنور والمغفرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَرَّرُ﴾ «لا» زائدة. قال الفراء: والعرب تجعل «لا» صلة في كل كلام دخل في آخره أو أوله جحد، فهذا مما جعل في آخره جحد. والمعنى: ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يؤمنوا بمحمد ﴿أَلَّا يَقْدُرُونَ﴾ أي: أنهم لا يقدرُونَ ﴿عَلَّ مَتَّى مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ والمعنى: أنه جعل الأجرين لمن آمن بمحمد ﷺ ليعلم من لم يؤمن به أنه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فاتاه المؤمنين. هذا تلخيص قول الجمهور في هاتين الآيتين. وقد ذهب قوم إلى أنه لما نزل في مُسْلِمَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [القصاص: ٥٢ - ٥٤] افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان، وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل. فعلى هذا يكون الخطاب للمسلمين، ويكون المعنى: يؤتكم أجرين ليعلم مؤمنو أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله الذي خصَّكم، فإنه فضلكم على جميع الخلائق. وقال قتادة: لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأُنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَرَّرُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية.



## سورة المجادلة

وهي مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والجمهور. وروي عن عطاء أنه قال: العشر الأول منها مدني، والباقي مكي. وعن ابن السائب: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَكْثُرُ مِنْ تَجَوُّرِ النَّكَّاتِ﴾.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ أما سبب نزولها، فروي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلّمت رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات<sup>(١)</sup>. فأما تفسيرها، فقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج: إدغام الدال في السين حسن لقرب المخرجين، لأنهما من حروف طرف اللسان، وإظهار الدال جائز، لأنه وإن قرب من مخرج السين، فله حيز على حدة، ومن موضع الدال الطاء والتاء، فهذه الأحرف الثلاثة موضعها واحد، والسين والزاي والصاد من موضع واحد، وهي تسمى: حروف الصفير. وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال: أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرظي. والثاني: خولة بنت خويلد، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس. والرابع: خولة بنت الدليلج، قاله أبو العالية. واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار. قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي، حرّمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، ثم ندم، وقال لامرأته: انطلقني إلى رسول الله ﷺ فإني، فأنته، فنزلت هذه الآيات<sup>(٢)</sup>. فأما مجادلتها رسول الله ﷺ، فإنه كان كلما قال لها: قد حرمت عليك، تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أوحى إليّ في هذا شيء، فجعلت تشتكي إلى الله. وتشتكي بمعنى: تشكو. يقال: اشتكيت ما بي، وشكوت. وقالت: إن لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا. فأما التحاور، فهو مراجعة الكلام. قال عترة في فرسه:

لو كان يذري ما المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى

ولو كان لو عِلِمَ الكلام مُكَلِّمِي<sup>(٣)</sup>

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أَهْنَهُنَّ مِنْهُنَّ إِلَّا إِلَى وَلَدْنَهُنَّ وَإِنَّهُنَّ يَقُولْنَ سُبْحَانَكَ مِنَ الْقَوْلِ وَذُرّاً وَلَكَ اللَّهُ لَمَعْرُوفٌ عَشْرٌ﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَبْذُلُونَ لِمَا قَالُوا مَخْرَجَ رِقَبَةٍ يَنْ قِيلَ أَنْ يَنْتَازَا ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَهَيْبِمَا شَرَّيْنِ مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قِيلَ أَنْ يَنْتَازَا فَمَنْ لَمْ يَسْطِغْ فَلْيُطْعَمَا سِتْرَيْنِ مِن تَحْتِ ذَلِكَ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَلَكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّا هُنَّ أَهْنَهُنَّ مِنْهُنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «يُظَاهِرُونَ» بفتح الياء، وتشديد

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٠٤، والطبري ٢٨/٦٠٥، والحاكم في «المستدرک» ٢/٨١ وصححه، ووافقه الذهبي، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٠٦٣) وسنده صحيح، والبيهقي في «سننه» ٧/٣٨٢.

(٢) رواه البيهقي في «سننه» ٧/٣٨٣ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وفي سننه أبو حمزة الثعالبي، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». والخبر ذكره السيوطي في «الدر» ٦/١٧٩ وزاد نسبة للنحاس، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٣) هو من معلقته المشهورة. وفي «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري: أو كان لو علم الكلام مكلّمي. وفي «مختار الشعر الجاهلي» ١/٣٧٩: أو كان يلدي ما جواب تكلمي.



الظاء والهاء وفتحهما من غير ألف. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بفتح الياء، وتشديد الظاء، وبألف، وتخفيف الهاء. وقرأ عاصم «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء، وتخفيف الظاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع إثبات الألف. وقرأ ابن مسعود «يَتَظَاهِرُونَ» بياء، وتاء، وألف. وقرأ أبي بن كعب «يَتَظَاهِرُونَ» بياء، وتاء، وتخفيف الياء، وتشديد الهاء من غير ألف. وقرأ الحسن، وقتادة، والضحاك «يَظْهَرُونَ» بفتح الياء، وفتح الظاء، مخففة، مكسورة الهاء مشددة. والمعنى: تقولون لهم: أنتم كظهور أمهاتنا. «مَا هُنَّ أَهْمَتُهُنَّ» قرأ الأكثرون بكسر التاء. وروى المفضل عن عاصم رفعها. والمعنى: ما اللواتي تجعلن كالأمهات بأمهات لهم «إِنَّ أَهْمَتَهُنَّ» أي: ما أمهاتهم «إِلَّا اللَّهُ وَلَدَهُنَّ» قال الفراء: وانتصاب «الأمهات» هاهنا بإلقاء الباء، وهي قراءة عبد الله «مَا هُنَّ بِأُمَهَاتِهِمْ»، ومثله: «مَا هَذَا بَشَرًا» (يوسف: ٢١)، المعنى: ما هذا بشراً، فلما ألقيت الباء أبقى أثرها، وهو: النصب، وعلى هذا كلام أهل الحجاز. فأما أهل نجد، فإنهم إذا ألغوا الباء رفعوا، وقالوا: «ما هن أمهاتهم» و «ما هذا بشر» أنشدني بعض العرب: رِكَابٌ حُسَيْنِلْ آخِرَ الصَّيْفِ بُدْنٌ وَنَاقَةٌ عَمُرُو مَا يُحَلُّ لَهَا رَحْلٌ<sup>(١)</sup> وَمَا أَنْتَ فَرْعٌ يَا حُسَيْنِلْ وَلَا أَضْلُ

قوله تعالى: «وَإِنْ هُمْ» يعني: المظاهرين «يَقُولُونَ مُكْذِرًا بَيْنَ الْقَوْلِ» لتشبيههم الزوجات بالأمهات، والأمهات محرمات على التأييد، بخلاف الزوجات. «وَوُورًا» أي: كذباً «وَرَبَّ اللَّهِ لَمَثُورٌ غَفُورٌ» إذ شرع الكفارة لذلك<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: «ثُمَّ يَوَدُّونَ إِذَا قَالُوا» اللام في «لما» بمعنى «إلى» والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا على أنفسهم من وطء الزوجة بالعزم على الوطء. قال الفراء: معنى الآية: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا. وقال سعيد بن جبيرة: المعنى: يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي قد حرّموه على أنفسهم. وقال الحسن، وطاوس، والزهري: العود: هو الوطء. وهذا يرجع إلى ما قلناه. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهار مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة، لأنه قصد بالظهار تحريمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه، وإن سكت عن الطلاق، فقد ندم على ما ابتدأ به، فهو غود إلى ما كان عليه، فحيثما تجب الكفارة. وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانياً، لأن ظاهر قوله تعالى: «يَوَدُّونَ» يدل على تكرير اللفظ. قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة. وقال أبو علي الفارسي: ليس في هذا كما ادّعوا، لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معاداً، ولم يكن فيها أحد ثم عاد إليه. قال الهذلي:

وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ  
بِسُورِ الْحَقِّ شَيْئاً وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاضِلُ<sup>(٣)</sup>

وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: «وَإِلَّا اللَّهُ تَرَجُّعُ الْأُمُورِ» [البقرة: ٢١٠] قال ابن قتيبة: من توهم أن الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية، فليس بشيء، لأن الناس قد أجمعوا أن الظهار يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار، فجعل الله حكم الظهار في الإسلام خلاف حكم عندهم في الجاهلية، وأنزل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ» يريد في الجاهلية «ثُمَّ يَوَدُّونَ إِذَا قَالُوا» في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام<sup>(٤)</sup>، «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» قال المفسرون: المعنى: فعليتهم، أو فكفارتهم تحرير رقبة، أي: عتقها. وهل

(١) أنشد البيهقي صاحب «الإنصاف في مسائل الخلاف» ٦٩٤ ولم يعزها لقاتل، والشاهد في قوله: «وما أنت فرع يا حُسَيْنِلْ ولا أصل» فإنه أحمل «ما» الناقية فلم يرفع بها الاسم وينصب الخبر، وإعمالها لغة تميم، وإعمالها لغة الحجاز.

(٢) قال ابن كثير: أصل الظهار: مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهروا أحدهم من امرأته قال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً، فأرخص الله لهذه الأمة، وجعل فيه كفارة، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم، هكذا قال غير واحد من السلف. اهـ.

(٣) في الأصلين: كالطفل، وهو خطأ، وقاتل البيت أبو خراش غويلد بن مرة الهذلي، وهو في «شرح أشعار الهذليين» ١٢٢٣/٣، و«ديوان الهذليين» ٢/ ١٥٠، و«سيرته ابن هشام» ١٧٣/٢، و«الطبري» ١٦٣/٢، و«الأغاني» ٤١/٢١، و«الكامل» ٢٦٧/١، و«مشكل القرآن» ١١٢، و«شرح الحاشية» للمرزوقي ١٣١٤ من أبيات جواد في وثاء صديق له. وفي «ديوان الهذليين» يقول: رجع الفتى عما كان عليه من قوته. وصار كأنه كهل. قوله. فاستراح الموائد، لأنهن لا يجدن ما يعللن فيه سوى العدل، أي: سوى الحق.

(٤) قال ابن كثير: اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى: «ثُمَّ يَوَدُّونَ إِذَا قَالُوا» فقال بعض الناس: العود: هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره، =

يشترط أن تكون مؤمنة؟ فيه عن أحمد روايتان<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَنَاسَّأَ﴾ وهو: كناية عن الجماع على أن العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاع باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان. وقال أبو الحسن الأخفش: تقدير الآية «والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم».

## فصل

إذا وطئ المظاهر قبل أن يكفر أئمه، واستقرت الكفارة. وقال أبو حنيفة: يسقط الظهار والكفارة. واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاوس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين: عليه كفارة واحدة، وقال الزهري، وقتادة في آخرين: عليه كفارتان. فإن قال: أنت علي كظهر أمي اليوم، بطل الظهار بمضي اليوم، هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي. وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبداً.

واختلفوا في الظهار من الأمة، فقال ابن عباس: ليس من أمة ظهار، وبه قال سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال سعيد بن جبير، وطاوس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري، ومالك: هو ظهار. ونقل أبو طالب عن أحمد أنه قال: لا يكون مظاهراً من أمته، ولكن تلزمه كفارة الظهار، كما قال في المرأة إذا ظهرت من زوجها لم تكن مظهارة، وتلزمها كفارة الظهار.

واختلفوا فيمن ظاهر مراراً، فقال أبو حنيفة، والشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات، وإن كان في مجلس واحد، فكفارة. قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس، أو في مجالس، ما لم يكفر، وهذا قول مالك.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَوْعِظُكُمْ بِهِ﴾ قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به. والمعنى: أن غلظت الكفارة وغظت لكم حتى تركوا الظهار.

قوله تعالى: ﴿مَنْ لَمْ يَنْدَ﴾ يعني: الرقبة «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ» أي: فعليه صيام شهرين «مَتَّاعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّأَ فَنَنْتَهِجَ» الصيام «ف» كفارته «فَلَعَلَّامَ يَشْهَدُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ» أي: الفرض ذلك الذي وصفنا «لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» أي: تصدقوا بأن الله أمر بذلك وتصدقوا بما أتى به الرسول «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعني: ما وصفه الله من الكفارات في الظهار «وَالْكَافِرُونَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُنْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَّ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَعَذَابُ مُهِينٌ﴾ يوم يبعثهم الله جميعاً فينشئهم بما عملوا أحسنه الله ورسوله والله على كل شيء شهيد ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي الْأَرْحِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَسَمَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قد ذكرنا معنى المحادثة في [التوبة: ٦٣] ومعنى «كتبوا» في [آل عمران: ١٢٧]

وهذا القول باطل، وهو اختيار ابن حزم وقرول داود. حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكر بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام. وقال الشافعي: هو أن يسكها بعد المظاهرة زماناً يمكنه أن يطلق في فلا يطلق. وقال أحمد بن حنبل: هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة، وقد حكى عن مالك أنه ألزم على الجماع أو الإنسك، وعنه: أنه الجماع. وقال أبو حنيفة: هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريره ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية، فمضى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه ذهب أصحابه واليث بن سعد. وقال ابن لبيبة: حدثني عطاء عن سعيد بن جبير «فَمَنْ يَتَوَدَّ إِلَى قَارَا» يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرّموه على أنفسهم. قال الحسن البصري: يعني الغشيان في الفرج، وكان لا يرى بأساً أن ينشئ فيما دون الفرج قبل أن يكفر.

(١) قال ابن كثير: هاتنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاتنا على ما قيّد هناك، لاتحاد الموجب، وهو حق الرقبة، واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله ﷺ قال: «اعتقها فإنها مؤمنة» وقد رواه أحمد في «مسنده» ومسلم في «صحيحه».

عند قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكْتُمُهُمْ﴾. وقال ابن عباس: أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي الذين من قبلهم ممن قاتل الرسل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: من قبورهم ﴿فَيَقْبِضُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ من معاصيه، وتضييع فرائضه. ﴿أَحْصَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: حفظه الله عليهم ﴿وَسَوَّاهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم في السر والعلانية ﴿شَهِيدٌ﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم.

قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ خَلوةٍ ثَلَاثَةٍ يَسْرُونَ شَيْئًا، وَيتَنَاجَوْنَ بِهِ﴾ ﴿إِلَّا هُوَ رَاعِيَهُمْ﴾ أي: عالم به. و «نجوى» مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع. وقرأ يعقوب «ولا أكثر» بالرفع. وقال الضحاک: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أي: علمه معهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَمُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَتَتَجَوَّنَ بِالْأَنفُسِ وَالْعَدُونَ وَمَتَّعِينَ الرَّسُولَ وَإِذَا جَاءَكَ حَرْبٌ بِنَا لِرَبِّكَ يَوْمَ اللَّهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بَصُورَتُهَا كَالَّذِي مَاتُوا إِلَّا تَتَجَمَّعُ فَلَا تَنفَجِرُوا بِالْأَنفُسِ وَالْعَدُونَ وَمَتَّعِينَ الرَّسُولَ وَتَجَوَّنَ بِالْأَنفُسِ وَالْعَدُونَ وَأَتَوْهُمُ اللَّهُ الَّذِينَ إِلَيْهِ عَصَرُوا ﴿١٥﴾﴾ ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ مَاتُوا وَلَيْسَ بِضَرَرِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم، ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم. فلما طال ذلك وكثر، شكوا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد. قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله موادة، فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده تناجوا بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها، فنزلت هذه الآية. وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين. والنجوى: بمعنى المناجاة. ﴿ثُمَّ يَمُودُونَ﴾ إلى المناجاة التي نهوا عنها ﴿وَتَتَجَوَّنَ﴾ قرأ حمزة، ويعقوب إلا زبدًا، وروحًا «ويتنجون» وقرأ الباقون «ويتناجون» بألف. وفي معنى تناجيهم ﴿بِالْأَنفُسِ وَالْعَدُونَ﴾ وجهان: أحدهما: يتناجون بما يسوء المسلمين، فذلك الإثم والعدوان، ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول. والثاني: يتناجون بعد نهى الرسول، ذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ حَرْبٌ بِنَا لِرَبِّكَ يَوْمَ اللَّهُ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في اليهود. قالت عائشة رضي الله عنها: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: «ما يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش، فقلت: يا رسول الله! ترى ما يقولون؟ فقال: أأست ترميني أريد عليهم ما يقولون، وأقول: وعليكم، قالت: فنزلت هذه الآية في ذلك»<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: والسام: الموت. والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عطية عن ابن عباس. قال المفسرون: ومعنى «حيوك» سلموا عليك بغير سلام الله عليك، وكانوا يقولون: سام عليك. فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم، أو يقول بعضهم لبعض: لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول.

(١) هو في «أسباب النزول» ٣٠٦ عن ابن عباس ومجاهد بغير سند.

(٢) رواه ابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن مسروق عن عائشة وإسناده صحيح، وهو أيضاً في «صحيح مسلم» ١٧٠٧/٤ عن عائشة رضي الله عنها. ورواه أحمد في «المستدرق» رقم (٦٥٨٩) عن عبد الله بن عمر أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ فنزلت هذه الآية: ﴿وَرَبُّكَ جَحَدَكَ حَرْبٌ بِنَا لِرَبِّكَ يَوْمَ اللَّهُ﴾. وقال ابن كثير: إسناده حسن، وهو في «معجم الزوائد» ١٢١/٧، وقال: رواه أحمد والبيهقي والطبراني، وإسناده جيد، لأن حماداً سمع من عطاء في حالة الصحة..

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا تَنَجَيْتُمْ﴾ فيها قولان: أحدهما: نزلت في المنافقين، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بزعيمهم، وهذا قول عطاء ومقاتل. والثاني: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نهاهم عن فعل المنافقين واليهود، وهذا مذهب جماعة، منهم الزجاج.

قوله تعالى: ﴿تَنَجَّيْنَا﴾ هكذا قرأ الجماعة بألف. وقرأ يعقوب وحده «فلا تنجوا». فأما «البر» فقال مقاتل: هو الطاعة، و«التقوى» ترك المعصية. وقال أبو سليمان الدمشقي: «البر» الصدق، و«التقوى» ترك الكذب. ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون، من الشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: من تزيينه، والمعنى: إنما يزين لهم ذلك «لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا» وقد بينا اتقاء ما كان يحزن المؤمنين من هذه النجوى «وَلَيْسَ بِشَايِئِهِمْ شَيْئًا» أي: وليس الشيطان بضار المؤمنين شيئاً «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أي: بإرادته «وَلَقَدْ أَنشَرْنَاكَ اللَّهُ» أي: فليكلوا أمورهم إليه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلَ دَنَجًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

قوله تعالى: «إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ» وقرأ عاصم «في المجالس» على الجمع، وذلك لأن كل جالس له مجلس، فالمعنى: ليفسح كل رجل منكم في مجلسه. قال المفسرون: نزلت في نفر من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السابقة، لم يجدوا موضعاً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله ﷺ يوم جمعة جالس في صُفَّةٍ ضيقةٍ في المسجد، جاء نفر من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، فسلموا وانتظروا أن يوسعوا لهم، فأوسعوا لبعضهم، وبقي بعضهم، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فقال: قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السابقة، فرأى رسول الله ﷺ في وجوه من أقامهم الكراهة، وتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: والله ما عدل، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، فإذا أقبل مقبل صُتُوا بمجلسهم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، قال المفسرون: ومعنى «تَفَسَّحُوا» توسعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون متضايقين حول رسول الله ﷺ فلا يجد غيرهم مجلساً عنده، فأمرهم أن يوسعوا لغيرهم ليتساوى الناس في الحظ منه، ويظهر فضيلة المقرَّبين إليه من أهل بدر وغيرهم. وفي المراد «بالمجلس» هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه مجلس الحرب، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف، فيقول لهم: تَوَسَّعُوا، فيأبؤون عليه لحرصهم على القتال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وأبي العالية، والقرظي. والثاني: أنه مجلس رسول الله ﷺ، قاله مجاهد. وقال قتادة: كان هذا للنبى ﷺ ومن حوله خاصة. والثالث: مجالس الذكر كلها، روي عن قتادة أيضاً<sup>(١)</sup>. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، وابن أبي عبيدة، والأعمش: «تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ» بألف على الجمع.

قوله تعالى: ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها. «وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا» قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «انْشُرُوا فَانْشُرُوا» برفع الشين. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي: بكسر الشين فيهما. ومعنى «انْشُرُوا» قوموا. قال الفراء: وهما لغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال: أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجال يشاقلون عنها، ف قيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة، والضحاك. والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن. والثالث: أنه القيام إلى كل خير، من قتال، أو أمر بمعروف، ونحو ذلك، قاله مجاهد. والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله ﷺ، وذلك أنه كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله ﷺ أطالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهداً به، فأمرهم أن ينشُرُوا إذا قيل لهم: انْشُرُوا، قاله ابن زيد. والخاص: أن المعنى: قوموا

(١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره، أمر المؤمنين أن يفسحوا في المجالس. ولم يخص بذلك مجلس النبي ﷺ دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له: مجلس، فلذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله ﷺ ومجالس القتال. اهـ.



وتَحَرَّكُوا وَتَوَسَّعُوا لِإِخْوَانِكُمْ، قَالَهُ الثَّعْلَبِيُّ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: يرفعهم بإيمانهم على مَنْ ليس بمنزلتهم من الإيمان ﴿و﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ آمَنُوا الْعِلْمَ﴾ على مَنْ ليس بعالم. وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة. والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدِّين والعلم. وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولتُرْعَبْكُمْ في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق مَنْ لا يعلم درجات<sup>(٢)</sup>.

﴿تَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَيَّعَ الرَّسُولُ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> أَشَقَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَكَاتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الصَّلَاةَ وَأَتَاوُا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَمَلَّكُونَ ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَجَيَّعَ الرَّسُولُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن الناس سألوا رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآية، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرُونَ مناجاة رسول الله ﷺ، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فدخلوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت الرخصة، قاله مقاتل بن حيان، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدر الفقراء حينئذٍ على مناجاة رسول الله ﷺ، ولم يقدم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب. وروى مجاهد عن علي رضي الله عنه قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قَدَّمْتُ درهماً فنسختها الآية الأخرى ﴿أَشَقَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي: تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ يعني: الفقراء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذ عفا عمن لا يجد.

قوله تعالى: ﴿أَشَقَقْتُمْ﴾ أي: خِفْتُمْ بالصدقة الفاقة ﴿وَكَاتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فتجاوز عنكم، وَخَفَّفَ بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان: إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

﴿أَنْزَلَ الرَّبُّ إِلَيْنَا الْآيَةَ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا عَصَيْبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ بِكُمْ وَلَا يَنْتَهِي عَنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَعَدَّوْا أَيْمَنَهُمْ حَتَّى فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَهَلْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٨﴾ لَنْ تَنفَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ

(١) روى البخاري ومسلم في (صحيحهما) عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا. وروى مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به». قال ابن كثير: وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال، فمنهم من رخص في ذلك محتجاً بحديث: «قوموا إلى سيدكم» ومنهم من منع من ذلك محتجاً بحديث: «من أحب أن يمتثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» ومنهم من فصل فقال: يجوز عند القعود من سفر، وللحاكم في محل ولايته، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ، فإنه لما استقدمه النبي ﷺ حاكماً في بني قريظة، فرأه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أشد لحكمه، والله أعلم. قال: فأما اتخاذ ديدناً، فإنه من شعار العجم، قال: وقد جاء في «السنن» أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْيَوْمَ وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا نسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل، أو إذا أمر بالخروج فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه، بل هو رغبة وربة عند الله، والله تعالى لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة، فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكوره، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَرْزُقُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الْيَوْمَ وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي خبير بمن يستحق ذلك ومن لا يستحقه. اهـ.

وروى مسلم في (صحيحه) ٥٥٩/١ عن عامر بن وإثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب وكان عمر يستعمله على مكة. فقال: من استعملت على أهل الروادي؟ فقال: ابن أبيزى، قال: ومن ابن أبيزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷺ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

(٣) ذكر سبب النزول هذا البخاري في «تفسيره» عن ابن عباس بغير سند، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٨٥/٦ من رواية ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس وقال في آخره: فأنزل الله بعد هذا ﴿أَشَقَقْتُمْ﴾ الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيّق.

مَنْ اللَّهُ شَيْئًا أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْظِرُونَ لَكَ مَكَامًا يَخْلُقُونَ لَكَ وَنَحْبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى قَوْلِ آلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ اسْتَخَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاذْنَبُوا ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلَيْكَ حَزْبَ الشَّيْطَانِ آلَا إِنَّ حَزْبَ الشَّيْطَانِ هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي الْآدِلِينَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلًا قَوَّامًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين تولّوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين. وقال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله ﷺ، ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوماً، وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: «علام تستمني أنت وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي ﷺ: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبّوه، فأنزل الله هذه الآيات. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان في ظل حُجرة من حجّره، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تُكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: علام تستمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله، واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنْظِرُونَ﴾ الآية<sup>(١)</sup>. فاما التفسير، فالذين تولّوا: هم المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود ﴿وَيَسْلُوْنَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو ما ذكرنا في سبب نزولها. وقال بعضهم: حلفوا أنهم ما سبّوا رسول الله ﷺ، ولا تولّوا اليهود ﴿وَهُمْ يَمْلِكُونَ﴾ أنهم كذّبة ﴿أَفْعَدُوا أَيْتَهُمْ جَنَّةٌ﴾ أي: سترَةٌ يَتَّقُونَ بها القتل. قال ابن قتيبة: المعنى: استتروا بالحلف، فكلما ظهر لهم شيء يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين، ﴿فَعَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: صدّوا النَّاسَ عن دين الإسلام، قاله السدي. والثاني: صدّوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم.

قوله تعالى: ﴿يُنْظِرُونَ لَكَ﴾ قال مقاتل، وفتادة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا ﴿وَنَحْبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى قَوْلِ﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ في قولهم وأيمانهم. قوله تعالى: ﴿اسْتَخَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ﴾ قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بينا هذا في سورة [النساء: ١٤١] عند قوله تعالى: ﴿تَسْتَخِرُوا عَلَيْهِمُ﴾، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ فِي الْآدِلِينَ﴾ أي: في المغلولين، فلمهم في الدنيا دُلٌّ، وفي الآخرة خِزْيٌ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَيْكَ فِي الْآدِلِينَ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَخِيكَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَّخِذَهُمْ رُوحٌ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أَوْلَيْكَ حَزْبُ اللَّهِ آلَا إِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى الله ﴿لَأَخِيكَ أَنَا وَرَسُولِي﴾ وفتح الياء نافع، وابن عامر. قال المفسرون: من بُعث من الرسل بالحرب، فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب، فهو غالب بالحجة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: مانع حزيه من أن يذل.

قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرُّعْلَةِ الأولى<sup>(٢)</sup>، فقال: متّعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن حمزة يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر. وفي علي وحزمة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود<sup>(٣)</sup>. والثاني: أنها نزلت في

(١) الحاكم في «المستدرک» ٨٢٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه أحمد في «المسنَد» رقم (٣٢٧٧)، وإسناده جيد كما قال ابن كثير.

(٢) الرُّعْلَةُ والرُّعْل: القطعة المقتدعة من الخيل، يريد: الفوج الأول المقتدع ليقاتل في سبيل الله.

(٣) ذكره الرازي في «أسباب النزول» ٣١٠ بغير سند، وروى الحاكم في «المستدرک» ٢٦٥/٣ عن عبد الله بن شاذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينصب آلان (وهي الحرية العريضة النمل) لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصد أبو عبيدة، فقتله، فأنزل الله فيه هذه الآية حين قتل أباه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ وقال الحافظ في «الإصابة» ٢٤٤/٢: وأخرجه الطبري بسند جيد عن عبد الله بن شاذب.

أبي بكر الصديق، وذلك أن أبا حنيفة سب رسول الله ﷺ، فصغّه أبو بكر صغّة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أو فعلته؟» قال: نعم. قال: فلا تعد إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج<sup>(١)</sup>. والثالث: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله، فشرب رسول الله ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتكم بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك! فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ائذن لي في قتل أبي، قال: فقال رسول الله ﷺ: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي. والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله ﷺ قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل، واختاره الفراء، والزجاج. وهذه الآية قد بينت أن موادة الكفار تقدر في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين، يعني: الذين لا يوادون من حادّ الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقرأ المفضل عن عاصم «كُتِبَ» برفع الكاف والنون من «الإيمان». وفي معنى «كتب» خمسة أقوال: أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس. والثاني: جعل، قاله مقاتل. والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان، حكاه الماوردي. والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب، لأنها موضع الإيمان، ذكره الثعلبي. والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُمُ﴾ أي: قوّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ وفي المراء «بالروح» ها هنا خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحاً، لأن أمرهم يحيا به. والثاني: الإيمان، قاله السدي. والثالث: القرآن، قاله الربيع. والرابع: الرحمة، قاله مقاتل. والخامس: جبريل عليه السلام أيدهم به يوم بدر، ذكره الماوردي. فاما ﴿حَزَبَ أَلُوهُ﴾ فقال الزجاج: هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم وارتضاهم، و «ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصة.



(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٠ عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا حنيفة.. إلخ، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٦٦: نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا حنيفة... فذكره.

## سورة الحشر

### وهي مدنية كلها بإجماعهم

وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النضير<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس يسمي هذه السورة «سورة بني النضير»<sup>(٢)</sup> وهذه الإشارة إلى قصتهم.

ذكر أهل العلم بالتفسير والتسير: أن رسول الله ﷺ خرج إلى مسجد قباء، ومعه نفر من أصحابه، فصلّى فيه، ثم أتى بني النضير، فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد أمتنهما، فقتلتهما عمرو بن أمية الضمري وهو لا يعلم، فقالوا: نفعل، وهَمُّوا بِالْعَدْرِ به، وقال عمرو بن جحاش: أنا أظهر على البيت، فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليُخَبِرَنَّ بما هممتم به، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فنهض سريعا، فتوجه إلى المدينة، فلحقه أصحابه، فقالوا: قمت ولم نشعر؟! فقال: هَمَّتْ يَهُودُ بِالْعَدْرِ، فأخبرني الله بذلك، فقامت، وبعث إليهم رسول الله محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدتي، فلا تساكنوني، وقد هممت بما هممت به، وقد أجَلتكم عشرا<sup>(٣)</sup>. فمن رثي بعد ذلك ضربت عنقه، فمكنوا أيا ما يتجهّزون، فأرسل إليهم ابن أبي: لا تخرجوا، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتَمَدَّدْكُمْ قَرِيطَةً، وحلفاؤكم من غطفان، وطمع حُيّي فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك، فكبر رسول الله ﷺ، وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه، قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف قد خرج إلى مكة فعاقد المشركين على التظاهر على رسول الله، فأخبر الله رسوله بذلك، فبعث محمد بن مسلمة فاعتره فقتله، وحاصره رسول الله، وقطع نخلهم، فقالوا: نحن نخرج عن بلادك، فأجلاهم عن المدينة، فمضى بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى خيبر، وقَبَضَ سلاحهم وأموالهم، فوجد خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفا<sup>(٤)</sup>. فأما التفسير فقد ذكرنا فاتحة هذه السورة في [الحديد: ١].

(١) وهم طائفة من اليهود أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة بعدما نقضوا العهد الذي بينه وبينهم على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد كما ذكر ذلك عبد الرزاق في «مصنفه» عن معمر عن الزهري عن عروة.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٢٥٦/٧ عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر؟ قال: قل: سورة النضير. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٣/٨: كأنه كره تسميتها بالحشر، لئلا يظن أن المراد: يوم القيامة، وإنما المراد به هنا: إخراج بني النضير.

(٣) هكذا رواية ابن سعد: «وقد أجَلتكم عشرا». والذي في «دلائل النبوة» للبيهقي كما في «فتح الباري» ٢٥٤/٧ من حديث محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعث إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام.

(٤) روى هذا الخبر ابن سعد في «الطبقات» ٥٧/٢، ٥٨ في غزوة بني النضير، وذكره ابن هشام في «السيرة» ١٩٠/٢ بنحوه من رواية ابن إسحاق، وانظر «البداية والنهاية» لابن كثير المشقي ٧٥/٤، و«شرح المواهب اللدنية للزرقاني» ٩٥/٢، ٩٦. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٥٥/٧: وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري: أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإبوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعدونهم أن يخزوهم بجميع العرب، فهم ابن أبي ومن معه يقاتل المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال: ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق ففترقوا، فلما كانت وقعة بدر كتب كفار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون يتهدّدونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنا بك أثبتناك، ففعل، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصحبهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة، فحاصره، فمأهده، فانصرف عنهم إلى بني النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتلوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقه من خشبها. وكان جلاؤهم ذلك أول حشر التامس إلى الشام، قال الحافظ: وكذا أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره» عن عبد الرزاق، قال: وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. قلت (القاتل ابن حجر): فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلَقَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَلْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرَجُونَ يُدْعَوْنَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاتَعَبُوا بِقَوْلِ الْأَنْصَرِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَمَذَّيْبِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَلَعَمْرُ بِالْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَحْطَتْهَا فَآبَيْتُمْ عَلَيْهَا فِئَاذِنْ مِنْ اللَّهِ وَلِخَيْرِ الْقَسِيصِينَ (٥)﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ أي: من منازلهم ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم أول من حُشِر وأُخرج من داره، قاله ابن عباس. وقال ابن السائب: هم أول مَنْ نفي من أهل الكتاب. والثاني: أن هذا كان أول حشرهم، والحشر الثاني: إلى أرض المحشر يوم القيامة، قاله الحسن. قال عكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم يومئذ: اخرجوا، فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر<sup>(١)</sup>. والثالث: أن هذا كان أول حشرهم. والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، قاله قتادة. والرابع: أن هذا كان أول حشرهم من المدينة، والحشر الثاني: من خيبر<sup>(٢)</sup>، وجميع جزيرة العرب إلى أذربعات<sup>(٣)</sup>، وأريحا<sup>(٤)</sup> من أرض الشام في أيام عمر بن الخطاب، قاله مرة الهمداني.

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ يخاطب المؤمنين ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ من ديارهم لعزهم، ومنعتهم، وحصونهم ﴿وظَنُّوا﴾ يعني: بني النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله ﴿فَأَلَقَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ وذلك أنه أمر نبيّه بقتالهم وإجلائهم، ولم يكونوا يظنون أن ذلك يكون، ولا يحسبونه، ﴿وَقَذَلْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ لخوفهم من رسول الله ﷺ، وقيل: لقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرَجُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ أبو عمرو ﴿يُخْرَبُونَ﴾ بالتشديد. وقرأ الباقر ﴿يُخْرَبُونَ﴾. وهل بينهما فرق، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: أن المشددة معناها: النقص والهدم. والمخففة معناها: يخرجون منها ويتروكها خراباً معطلة، حكاه ابن جرير. روي عن أبي عمرو أنه قال: إنما اخترت التشديد، لأن بني النضير نقضوا منازلهم، ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة. والثاني: أن القراءتين بمعنى واحد. والتخريب والإخراب لغتان بمعنى، حكاه ابن جرير عن أهل اللغة<sup>(٥)</sup>. وللمفسرين فيما فعلوا بمنزلهم أربعة أقوال: أحدها: أنه كان المسلمون كلما ظهروا على دار من دُورهم هدموها ليتسع لهم مكان القتال، وكانوا هم يقبضون دورهم، فيخرجون إلى ما يليها، قاله ابن عباس. والثاني: أنه كان المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا ما يبنون به الذي خربه المسلمون، قاله الضحاك. والثالث: أنهم كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم، أو العمود، أو الباب، فيستحسنونه، فيهدمون البيوت، وينزعون ذلك منها، ويحملونه معهم، ويخرب المؤمنون باقيها، قاله الزهري. والرابع: أنهم كانوا يخرجونها لثلاث يسكنها المؤمنون، حسداً منهم وبغيّاً، قاله ابن زيد.

= يعني في دية الرجلين، لكن وافق ابن إسحاق جلّ أهل المغازي، فالله أعلم. اهـ.

(١) رواه ابن أبي حاتم عن أبيه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس ؓ.

(٢) وذلك أن رسول الله ﷺ لما أجلى يهود بني النضير من المدينة لندورهم، ذهبوا إلى خيبر، وأذربعات، وخبير مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية بُر (٩٦ ميلاً) من المدينة إلى جهة الشام، فتحها رسول الله سنة سبع من الهجرة. وقد روى البخاري في «صحيحه» عن أنس بن مالك ؓ قال: صبحتنا خيبر بكرة، فخرج أهلها بالمساحي (آلات الحرب) فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس (الجيش) فقال النبي ﷺ: «الله أكبر غربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم لساء صباح المنظرين»، وكذلك رواه مسلم، ثم بعدما فتحها رسول الله ﷺ قسم غنائمها، فأعطى الراجل سهماً، والفراس ثلاثة أسهم، بعد أن خسها خمسة أجزاء، ثم دفعها لأهل خيبر ليعملوا فيها بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع على أن يخرجهم منها إذا شاء، فاستمروا على ذلك إلى خلافة عمر بن الخطاب ؓ، إلى أن وقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فأجلاهم إلى الشام بعد أن استشار في ذلك الصحابة ؓ.

(٣) أذربعات: بفتح الهمة، وسكون الذال، وكسر الراء، وعين مهمله، وألف، وتاء: بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعَمَّان، والنسب إليها أذرعي، وقد خرج منها طائفة من أهل العلم.

(٤) أريحا: بفتح الهمة وكسر الراء وياء ساكنة وهاء مهمله وألف بالقصر: مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ بالتخفيف لإجماع الحجة من القراء عليه. اهـ.

قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ الاعتبار: النظر في الأمور، ليعرف بها شيء آخر من جنسها، و «الابصار» العقول. والمعنى: تدبروا ما نزل بهم ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وهو خروجهم من أوطانهم. وذكر الماوردي بين الإخراج والجلاء فرقين: أحدهما: أن الجلاء: ما كان مع الأهل والولد، والإخراج: قد يكون مع بقاء الأهل والولد. والثاني: أن الجلاء لا يكون إلا لجماعة. والإخراج: قد يكون لواحد وجماعة. والمعنى: لولا أن الله قضى عليهم بالخروج ﴿لَمَذَبْتُمْ فِي الذَّنْبِ﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقرينة ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ مع ما حل بهم في الدنيا ﴿عَذَابُ النَّارِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أصابهم ﴿يَأْتُهُمْ شَأْوَأُ اللَّهِ﴾ وقد سبق بيان الآية [الأنفال: ١٣] و [محمد: ٣٢]. قال القاضي أبو يعلى: فقد دلت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير سبي ولا استرقاق، ولا جزية، ولا دخول في ذمة، وهذا حكم منسوخ إذا كان في المسلمين قوة على قتالهم، لأن الله تعالى أمر بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يؤدوا الجزية. وإنما يجوز هذا الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم فلم يقدروا على إدخالهم في الإسلام أو الذمة، يجوز لهم حينئذ مصلحتهم على الجلاء من بلادهم. وفي هذه القصة دلالة على جواز مصلحتهم على مجهول من المال، لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم، وعلى الحلقة، وترك لهم ما أقلت الإبل، وذلك مجهول.

قوله تعالى: ﴿مَا ظَلَعْتُمْ مِنْ لِسَانَةٍ﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير، وقطع، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر<sup>(١)</sup>. وذكر المفسرون أنه لما نزلت ببني النضير تحصنوا في حصونهم، فأمر بقطع نخيلهم، وإحراقها، فجزعوا، وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر، وقطع النخل؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم. واختلف المسلمون، فقال بعضهم: لا تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فنزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>. وفي المراد «باللينة» ستة أقوال: أحدها: أنه النخل كله ما خلا العجوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وبه قال عكرمة، وقتادة، والفراء. والثاني: أنه النخل والشجر، رواه عطاء عن ابن عباس. والثالث: أنها ألوان النخل كلها إلا العجوة، والبرنية، قاله الزهري، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وقال الزجاج: أهل المدينة يسمون جميع النخل: الألوان، ما خلا البرني والعجوة. وأصل «لينة»: لؤنة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها. والرابع: أنها النخل كله، قاله مجاهد وعطية، وابن زيد. قال ابن جرير: معنى الآية: ما قطعتم من ألوان النخل. والخامس: أنها كرام النخل، قاله سفيان. والسادس: أنها ضرب من النخل يقال لتمرها: اللون، وهي شديدة الصفرة، ترى نواه من خارج، وكان أعجب ثمرهم إليهم<sup>(٣)</sup>، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>. وفي عدد ما قطع المسلمون ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قطعوا وأحرقوا ست نخلات، قاله الضحاك. والثاني: أحرقوا نخلة وقطعوا نخلة، قاله ابن إسحاق. والثالث: قطعوا أربع نخلات، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال يزيد بن رومان ومقاتل: بأمر الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني اليهود. وخزيعهم: أن يزيهم أموالهم يتحكم فيها المؤمنون كيف أحبوا. والمعنى: وليخزي الفاسقين، أذن في ذلك، ودل على المحذوف قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿مَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَنْكُحُ عَنْهُ فَأَتَوْهُا وَقَاتِلُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿لَقَدْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

(١) البخاري في «صحيحه» ٢٥٦/٧ و ٤٨٣/٨، ومسلم ١٣٦٥/٣، ١٣٦٦.

(٢) الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٢، ورواه الطبري ٣٤/٢٨ من رواية ابن إسحاق، ثنا يزيد بن رومان.

(٣) في الأصل: إليه.

(٤) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهو من ألوان النخل ما لم تكن عجوة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ أي: ماردٌ عليهم ﴿وَنُفُوسُهُمْ﴾ يعني: من بني النضير ﴿فَمَا أَرْفَعْتَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال أبو عبيدة: الإيضاع، والركاب: الإبل. قال ابن قتيبة: يقال: وجف الفرس والبعير، وأوجفته، ومثله: الإيضاع، وهو الإسراع في السير. وقال الزجاج: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ خاصة. قال المفسرون: طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يخمسَ أموال بني النضير لما أُجِّلُوا، فزلت هذه الآية تبين أنها فيء لم تحصل لهم بمحاربتهم، وإنما هو بتسليط رسول الله ﷺ، فهو له خاصة، يفعل فيه ما يشاء، فقسمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منه شيئاً، إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم: أبر دُجَّانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصُّمَّة. ثم ذكر حكم الفيء فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ أي من أموال كفار أهل القرى: ﴿فَلِلَّهِ﴾ أي: يأمركم فيه بما أحب، ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ بتحليل الله إياه. وقد ذكرنا «ذوي القربى واليتامى» في (الأنفال: ٤١) وذكرنا هناك الفرق بين الفيء والغنمة.

## فصل

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لَا يَكُونُ﴾ يعني: الفية «دُورَةً» وهو اسم للشيء يتداوله القوم. والمعنى: لتلا يتداوله الأغنياء بينهم فيغلبوا الفقراء عليه. قال الزجاج: الدُّولة؛ اسم الشيء يتداول. والدُّولة، بالفتح: الفعل والانتقال من حال إلى حال. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ من الفية «مُحْذَرًا وَمَا نَهَكُمُ» عن أخذه «فَاتَّخَذُوا» وهذا نزل في أمر الفية. وهو عام في كل ما أمر به، ونهى عنه<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: ثم بين من المساكين الذين لهم الحق، فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

(١) في الأصل: العالمين.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ يقول تعالى ذِكْرُه: وما أعطاكم رسول الله ﷺ مما آفاه الله عليه من أهل القرى فخذوه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الغلول وغيره من الأمور: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. اهـ. وقال ابن كثير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ أي: مهما أكرمكم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنها ينهى عن شر. اهـ. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والحق أن هذه الآية عامة في كل

أَفْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿١﴾ قال المفسرون: يعني بهم المهاجرين ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ﴾ أي: رزقاً يأتيهم ﴿وَرِضْوَانًا﴾ رضا ربهم حين خرجوا إلى دار الهجرة ﴿أَوَّلَئِكَ هُمُ الْمُفْضِلُونَ﴾ في إيمانهم. ثم مدح الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفداء، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ﴾ يعني: دار الهجرة، وهي المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ فيها تقديم وتأخير، تقديره: والذين تبوؤوا الدار من قبلهم، أي: من قبل المهاجرين، والإيمان عطف على «الدار» في الظاهر، لا في المعنى، لأن «الإيمان» ليس بمكان يتبوأ، وإنما تقديره: وآثروا الإيمان، وإسلام المهاجرين قبل الأنصار، وسكنى الأنصار المدينة قبل المهاجرين. وقيل: الكلام على ظاهره، والمعنى: تبوؤوا الدار والإيمان قبل الهجرة ﴿يُخْرِجُونَ مَنْ مَكَارٍ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك أنهم شاركوهم في منازلهم، وأموالهم، ﴿وَلَا يَحْذَرُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي: حسداً وغيظاً مما أوتي المهاجرون. وفيما أوتوه قولان: أحدهما: مال الفداء، قاله الحسن. وقد ذكرنا آنفاً أن النبي ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط من الأنصار غير ثلاثة نفر. والثاني: الفضل والتقدم، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ بأموالهم ومنازلهم ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَاصَةٌ﴾ أي فقر وحاجة، فبين الله ﷻ أن يثارهم لم يكن عن غنى<sup>(١)</sup>. وفي سبب نزول هذا الكلام قولان: أحدهما: أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، وقد أصابه الجهد، فقال: يا رسول الله؛ إني جائع فاطعمني، فبعث رسول الله ﷺ إلى أزواجه: هل عندكن شيء؟ فكلهن قلن: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا الماء، فقال: ما عند رسول الله ﷺ ما يطعمك هذه الليلة. ثم قال: مَنْ يضيف هذا هذه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل فقال: أنا يا رسول الله، فأتى به منزله، فقال لأهله: هذا ضيف رسول الله ﷺ، فأكرميه ولا تدخري عنه شيئاً، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، فقال: قومي فعللهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئاً، ثم أصبح سراجك<sup>(٢)</sup>، فإذا أخذ الضيف ليأكل، فقومي كأنك تصلحين السراج، فأطفيئه، وتعالني نمضغ ألسنتنا لأجل ضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع، ففعلت ذلك، وظن الضيف أنها يأكلان معه، فشبع هو، وباتا طاويين، فلما أصبحا عَدَدَا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسّم، ثم قال: ضحك الله الليلة، أو عجب من فعالكما<sup>(٣)</sup>، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَاصَةٌ﴾ الآية. أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة<sup>(٤)</sup>. وفي بعض الألفاظ عن أبي هريرة: أن الضيف كان من أهل الصفة، والمضيف كان من الأنصار، وأن

= شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو قول أو فعل، وإن كان السبب خاصاً، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع، عند أعطائنا إياه وأوصلنا إليه، قال: وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها! ثم لما أمرهم يأخذ ما أمرهم به الرسول وترك ما نهاهم عنه، أمرهم بتقواه وخوفهم شدة عقوبته فقال: ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فهو معاقب من لم يأخذ ما أتاه الرسول ولم يترك ما نهاه عنه. إحد. وقد روى الإمام أحمد في «المسند»، والبخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن علقمة قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لعن الله الواشيات والمستوشيات، والمتنصبات والمقلجات للحسن المعثرات خلق الله ﷻ، فبلغ ذلك امرأة من بني أمية يقال لها: أم يعقوب، فجاءت إليه فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، قال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قالت: لقد قرأت ما بين لحي المصحف فما وجدت فيه شيئاً من هذا؟ قال: لكن كنت قرأت فيه لقد وجدت فيه، أما قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنُوا تُبَّاعِينَ لِمَنَ يَكْفِيهِمْ يَوْمَ يُخْرِجُنَا مِنْكُمْ وَأُعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾؟ قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ قد نهي عنه... وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه».

(١) ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل الصدقة جهد المقل» وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله تعالى بقوله: ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَاصَةٌ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع عصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوا، من هذا الباب تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله، فقال رسول الله ﷺ: «ما أقيمت لأهلك؟» فقال ﷺ: أقيمت لهم الله ورسوله، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثل أجوج ما يكون إليه، فردّه الآخر إلى الثالث، حتى وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، ﷺ وأرضاهم.

(٢) أي أوقديه.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: نسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما: الرضا بصنيعهما؛ وقوله «فعالكما» وفي رواية «فعالكما» بالافراد، قال في «البارع»: الفعال بالفتح: اسم الفعل الحسن، مثل الجود والكرم، قال: وفي «التهذيب»: الفعال بالفتح: فعل الواحد في الخير خاصة، يقال: هو كريم الفعال بفتح الفاء، وقد يستعمل في الشر. والفعال بالكسر: إذا كان الفعل بين اثنين، يعني أنه مصدر فاعل، مثل قاتل قتلاً.

(٤) البخاري في «صحيحه» ٩٠/٧، ٩١ و ٨٨٤/٨، ومسلم ١٦٢٤/٣.



النبي ﷺ قال: «لقد عجب من فعالكما أهل السماء»<sup>(١)</sup>. والثاني: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أهدي له رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعباله أروح إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى واحد حتى تداولها سبعة أهل أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر<sup>(٢)</sup>. وروي نحو هذه القصة عن أنس بن مالك قال: أهدي لبعض الصحابة رأس شاة مشوي، وكان مجهوداً، فوجه به إلى جاري له فتناوله تسعة أنفس، ثم عاد إلى الأول، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ» وقرأ ابن السميع، وأبو رجاء «ومن يُوقِ» بتشديد القاف. قال المفسرون: هو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمتنع شيئاً أمره الله بأدائه. والمعنى: أن الأنصار ممن وقى شُحَّ نفسه حين طابت أنفسهم بترك الفیء للمهاجرين.

### فصل

وقد اختلف العلماء في الشح والبخل، هل بينهما فرق، أم لا؟ فقال ابن جرير: الشُّحُّ في كلام العرب: هو منع الفضل من المال. وقال أبو سليمان الخطابي: الشح أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشُّحُّ بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال في البخل: إنما هو في أفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام، فهو كالوصف اللازم للإنسان من قِلِّ الطَّيِّعِ والجِئِلَةِ. وحكى الخطابي عن بعضهم أنه قال: البخل: أن يَصْنُ بماله، والشح: أن يبخل بماله ومعروفه. وقد روى أبو الشعثاء أن رجلاً أتى ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ» وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، الشُّحُّ: أن تأكل مال أخيك ظلماً، إنما ذلك البخل، وبش الشيء البخل<sup>(٤)</sup>. وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «برئ من الشُّحِّ من أدَّى الزكاة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النائة»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» يعني التابعين إلى يوم القيامة. قال الزجاج: والمعنى: ما أفاء الله على رسوله فله وللرسول وللهؤلاء المسلمين، وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة ما أقاموا على محبة أصحاب رسول الله ﷺ، ودليل هذا قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّينِ» فمن ترحم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه غِلٌّ لهم، فله حَقٌّ من فيء المسلمين، ومن شتمهم ولم يترحم عليهم، وكان في قلبه غِلٌّ لهم، فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنص الكتاب. وكذلك روي عن مالك بن أنس أنه قال: من تنقص أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا هذه الآيات.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَّا أُخْرِجْتُمْ لَتَخْرِجَنَّ مِنْكُمْ وَلَا طَبِيعَ فِكْرٍ

(١) كذا لفظ الحديث في «أسباب النزول» للواحد ٣١٣، ٣١٤، وكون المضيف من الأنصار ثابت في «الصحيحين». وأهل الشُّفَّة: أغنياء الإسلام من قراء المهاجرين، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، كانوا يبيتون في مسجد رسول الله ﷺ، والطَّعْنُ: موضع مظلل من المسجد كانوا يأوون إليه.

(٢) رواه الواحد في «أسباب النزول» ٣١٤ عن عبد الله بن عمر، وفي سننه عبيد الله بن الوليد الوصافي، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: ضيف. والحديث رواه الحاكم في «المستدرک» ٤٨٤/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: قلت: عبيد الله بن الوليد، ضعفه. وأورد السيوطي في «الدر» ١٩٥/٦ وزاد نسبه لابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في رواية البخاري الأولى: هذا هو الأصح في سبب نزول هذه الآية، ثم ذكر رواية ابن مردويه هذه وقال: ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله. اهـ.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» ٢٥/١٨ ونسبه إلى الشعبي عن أنس، بلفظ: «فتناولت سبعة أنفس في سبعة أبيات» بدل «فتناوله تسعة أنفس».

(٤) رواه ابن جرير: ٤٣/٢٨، وذكره ابن كثير ٣٣٩/٤ ونسبه إلى ابن أبي حاتم، وإسناده صحيح، إلا أن السمعودي أحد رواه اختلط قبل موته.

(٥) رواه ابن جرير الطبري ٤٤/٢٨ وفي سننه ضعف، وذكره السيوطي في «الدر» ١٩٧/٦ وزاد نسبه لابن مردويه، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه. اهـ. وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٩٩٦/٤ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الشح فإن الشح أهللك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

أَحَدًا أَبَدًا وَلَئِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ لَكُمْ ذُنُوبٌ ۖ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَئِنْ نَصَرْتُمْ لَيُؤْلِكَنَّ الْأَذَى ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۖ لَئِنْ أُشْتُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١١﴾ لَا يَتَّقُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَدَعٍ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ كَتَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرْبَىٰ ذَاكُمَا وَيَاكَ أَمْرُهُمْ وَكَلَّمَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ كَتَلَّ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في الدين، لأنهم كفار مثلهم، وهم اليهود ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَتَخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ وَلَا تَطِيعُكُمْ﴾ أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ لَكُمْ ذُنُوبٌ﴾ ثم ذكر أنهم يخلفونهم ما وعدوهم من الخروج والنصر بالآية التي تلي هذه، فكان الأمر على ما ذكره الله تعالى، لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقوتلوا فلم ينصروهم، ومعنى ﴿وَلَئِنْ نَصَرْتُمْ﴾: لئن قُدر وجود نصرهم، لأن الله نفى نصرهم، فلا يجوز وجوده. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: بني النضير.

قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُشْتُ أَسَدٌ﴾ يعني: المؤمنين أشد ﴿رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّقُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله الأكثرون. والثاني: اليهود والمنافقون، قاله أبو سليمان الدمشقي. والمعنى: أنهم لا يبرزون لحربكم، إنما يقاتلون متحصنين ﴿فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَدَعٍ جُدُرٍ﴾ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان «جدار» بآلف. وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي «جُدُر» بضم الجيم والدال. وقرأ أبو بكر الصديق، وابن أبي عتبة «جُدُر» بفتح الجيم والدال جميعاً، وقرأ عمر بن الخطاب، ومعاوية، وعاصم الجحدري «جُدُر» بفتح الجيم وسكون الدال. وقرأ علي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والحسن، وابن سيرين، وابن يعمر «جُدُر» بضم الجيم وإسكان الدال. ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ فيما وراء الحصون شديد، وإذا خرجوا إليكم فهم أجبن خلق الله.

قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود والمنافقون، قاله مقاتل. والثاني: بنو النضير، قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ قال الزجاج: أي: هم مختلفون لا تستوي قلوبهم، ولا يتعاونون بنيات مجتمعة، لأن الله تعالى ناصر حزبه، وخاذل أعدائه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ يعني: ذلك الاختلاف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه الحظ لهم. ثم ضرب لليهود مثلاً، فقال تعالى: ﴿كَتَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قُرْبَىٰ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: بنو قينقاع، وكانوا وادعوا رسول الله، ثم غدروا، فحصرهم، ثم نزلوا على حكمه أن له أموالهم، ولهم النساء والأزوية. فالمعنى: مثل بني النضير فيما فعل بهم كبنى قينقاع فيما فعل بهم. والثاني: أنهم كفار قريش يوم بدر، قاله مجاهد. والمعنى: مثل هؤلاء اليهود كمثل المشركين الذين كانوا من قبلهم قريباً، وذلك لقرب غزاة بني النضير من غزاة بدر. والثالث: أنهم بنو قريظة، فالمعنى: مثل بني النضير كبنى قريظة ﴿ذَاكُمَا وَيَاكَ أَمْرُهُمْ﴾ بأن قُتلت مقاتلتهم، وسُبيت ذراريهم، وهؤلاء أجلبوا عن ديارهم فذاقوا وبال أمرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة. ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً فقال تعالى: ﴿كَتَلَّ الشَّيْطَانُ﴾. والمعنى: مثل المنافقين في غرورهم بني النضير، وقولهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ولئن قوتلتن لننصركم، كمثل الشيطان: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه مثل ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عام في جميع الناس، قاله مجاهد. والثاني: أنه مثل ضربه الله لشخص معين، وعلى هذا جمهور المفسرين، وهذا شرح قصته. ذكر أهل التفسير أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصا تعبد في صومعة له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني برصيصا، فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا

أكفيكه، فانطلق على صفة الرهبان، وأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انتفل برصيصا، اطلع فرآه متصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقْبَلْ إليه برصيصا أربعين يوماً، ثم انتفل، فرآه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا يفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصا، وكره مفارقه، فلما ودَّعه قال له الأبيض: إن عندي دَعَوَاتٍ أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلى، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، أخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة، فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكك الرجل، فانطلق الأبيض، فتمرَّض لرجل فخرقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبِّب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجها؟ قالوا نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنيته، ولكن سارشدكم إلى من يدعو له فيعافى، فقالوا له: دُنَّا، قال: انطلقوا إلى برصيصا العابد، فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه، فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنهم الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيُعاقَفُون، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك بني إسرائيل، لها ثلاثة إخوة، فخرقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبِّب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سارشدكم إلى رجل تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا، ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: فكيف لنا أن يقبلها منّا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقلوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتتصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افْتُضِحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتب؟! فإن سألك عنها فقل: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل بها حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوانها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدَّقوه، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعت إليكم، فتمرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك: إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، ولا يكثر، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر مثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط، وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فاتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم أنتمموني، قالوا: لا والله، واستحيوا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فأروها، فقالوا: يا عبدُ الله لم تقتلها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرَّ على نفسه، وذلك أن الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرّفتني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علّمتك الدعوات، ويحك ما اتَّقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحييت من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباك بين الناس؟! فإن ميتاً على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحدٌ من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أنجيك، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له،

فقال: هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك أن كفرت ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ ثم قتل<sup>(١)</sup>. فضرب الله هذا المثل لليهود حين عَرَّهَمُ المنافقون، ثم أسلموهم.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ ونصب ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ياء «إني» وأسكنها الباقون. وقد بينا المعنى في [الأنفال: ٤٨] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا﴾ يعني: الشيطان وذلك الكافر.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّوَا اللَّهَ وَلَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَآَتَفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ أي: لينظر أحدهم أي شيء قدَّم؟ أعمالاً صالحاً ينجيه؟ أم سيئاً يورثه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ شَرُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا أمره ﴿فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: أنساهم حظوظ أنفسهم، فلم يعملوا بالطاعة، ولم يقدِّموا خيراً. قال ابن عباس: يريد قريظة، والنضير، وبني قينقاع.

﴿قُلْ أَرْسَلْنَا هَكَذَا الرُّسُلَ عَلَى جِبَلٍ لَّزَيْنَةٍ خَلِقْنَا مُنْصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي لَا تُدْرِسُ السَّلَامُ الْوُثُونَ الْهَيَّوْنَ الْفَرِيدُ الْجَبَّارُ الْمَكِيدُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرْسَلْنَا هَكَذَا الرُّسُلَ عَلَى جِبَلٍ﴾ أخبر الله بهذا عن تعظيم شأن القرآن، وأنه لو جعل في جبل - على قساوته وصلابته - ميميزاً، كم جعل في بني آدم، ثم أنزل عليه القرآن لتشقق من خشية الله، وخوفاً أن لا يؤدي حق الله في تعظيم القرآن. و «الخالع»: المتطاطى الخاضع، و «المتصدع»: المتشقق. وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثر في قلبه مع الفهم والعقل، وبذلك على هذا المثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ ثم أخبر بعظمته وربوبيته، فقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال الزجاج: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ﴾ ردُّ على قوله تعالى في أول السورة: ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فأمَّا هذه الأسماء، فقد سبق ذكر «الله»، و «الرحمن»، و «الرحيم» في (الفاتحة) وذكرنا معنى «عالم الغيب والشهادة» في [الأنعام: ٧٣]. و «الملك» في سورة [المؤمنين: ١٦٦]. فأمَّا «القدوس» فقرأ أبو الأشهب، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ بفتح القاف. قال أبو سليمان الخطابي:

(١) الخبر يطوله أخرجه ابن جرير الطبري ٥٠/٢٨ وغيره عن ابن عباس موقوفاً عليه وإسناده ضعيف جداً، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ٤٨٤/٢ عن علي عليه السلام قال: كان راهب يتعبد في صومته وامرأة زينت له نفسها، فوقع عليها، فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها فدفنتها، فجاءوه فأخذوه فذهبوا به، فبينما هم يمشون، إذ جاءه الشيطان فقال: أنا الذي زينت لك، فاسجد لي سجدة أنجيك، فسجد له، فأنزل الله عليه: ﴿كَتَلْنَاكَ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْنَا كَذَبْتَ كَذَرًا قَالَ إِنِّي بِرَبِّي نَصَلْتُ﴾ الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ١٩٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق وابن راهويه، وأحمد في «الزهد»، والبخاري في «تاريخه»، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن علي عليه السلام. اهـ. وما رواه ابن أبي الدنيا وغيره عن عبيد بن رفاعه الزرقني يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله في قصة هذا الراهب، فلا يصح رفعها، بل الصحيح أنها موقوفة على علي عليه السلام وغيره، ولعلها من الإسرائيليات، والله أعلم. وقد أورد هذه القصة ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن جرير الطبري عن ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك، قال: واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو «برصيصا» قاله أعلم.

وجاء في هامش نسخة الرباط بخط مغربي ما يلي:

له در الحافظ ابن الجوزي، إذ لم ينص على ضعف هذه القصة، إذ نسبها صاحب «الدر المنثور» لعبد الرزاق، وابن راهويه، وأحمد في «الزهد» وعبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححها، وسلمه الذهبي في «التلخيص» وابن مردويه، والبيهقي عن علي موقوفاً. ثم أوردنا أيضاً من عند ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً، ثم عن ابن مسعود كذلك، أخرجه ابن جرير، ثم عن ابن أبي الدنيا، وابن مردويه، والبيهقي عن عبد الله بن رفاعه الزرقني موقوفاً، لكن رفعها لا يصح، إنما الصحيح فيها الوقف على علي، خلافاً لقول ابن عطية لما علقها: منسوبة للخصاص ضعيفة. اهـ. فلان كاتبه محمد بن جبر إسلام. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والمراد بالإنسان هنا - : ﴿كَتَلْنَاكَ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْنَا﴾ - جنس من أطاع الشيطان من نوع الإنسان. وقيل: هو عابد كان في بني إسرائيل حمله الشيطان على الكفر فأطاعه، فلما كفر قال: إني بريء منك. وقيل: المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، قال: والأول أولى. اهـ. يريد بذلك عموم جنس الإنسان. وقال الرازي في «تفسيره»: أي مثل المنافقين الذين غرَّوا بني النضير بقولهم: ﴿إِنِّي أَخْرَجْتُكُمْ لِتَرْجِعُوا إِلَيْنَا﴾ ﴿كَتَلْنَاكَ أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْنَا﴾ ﴿كَتَلْنَاكَ كَذَرًا﴾ ثم تبرأ منه في العاقبة. اهـ.



«القدوس»: الطاهر من العيوب، المنزه عن الأنداد والأولاد. و القدس: الطهارة. ومنه سمي: بيت المقدس، ومعناه: المكان الذي يُنظَّهُرُ فيه من الذنوب. وقيل للجنة: حظيرة القدس، لطهارتها من آفات الدنيا. والقدس: السطل الذي يتطهر فيه، ولم يأت من الأسماء على فُعل بضم الفاء إلا «قُدُوس»، و «سُبُوح» وقد يقال أيضاً: قُدُوس، وسُبُوح بالفتح فيهما، وهو القياس في الأسماء، كقولهم: سَفُود، وكُلُوب. فأما «السلام» فقال ابن قتيبة: سمي نفسه سلاماً، لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء. وقال الخطابي: معناه: ذو السلام. والسلام في صفة الله سبحانه: هو الذي سَلِمَ من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين. قال: وقد قيل: هو الذي سَلِمَ الخلق من ظلمه. فأما «المؤمن»، ففيه ستة أقوال: أحدها: أنه الذي أَمِنَ الناسُ ظلمَهُ، وأَمِنَ مَنْ آمَنَ به عذَابُهُ، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: أنه المجير، قاله القرظي. والثالث: الذي يَصْدُقُ المؤمنون إذا وَحَدوه، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الذي وَحَدَ نفسه، لقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ أَنتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] ذكره الزجاج. والخامس: أنه الذي يُصَدَّقُ عباده وعده، قاله ابن قتيبة. والسادس: أنه يَصْدُقُ ظنون عباده المؤمنين، ولا يُخَيِّبُ آمالهم، كقول النبي عليه الصلاة والسلام فيما يحكيه عن ربه ﷻ: «أنا عند ظن عبدي بي»<sup>(١)</sup> حكاها الخطابي. فأما «المهيمن» ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الشهيد، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكسائي. قال الخطابي: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمُهَيِّئْنا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فالله الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل. والثاني: أنه الأمين، قاله الضحاك، قال الخطابي: وأصله: مؤيمن، فقلبت الهمزة هاء، لأن الهاء أخفُّ عليهم من الهمزة. ولم يأت مُقَيِّلٌ في غير التصغير، إلا في ثلاثة أحرف «مسيطر» و «مُبيطر» و «مهيمن». وقد ذكرنا في سورة [الطور: ٣٧] عن أبي عبيدة، أنها خمسة أحرف. والثالث: المصدَّق فيما أخبر، قاله ابن زيد. والرابع: أنه الرقيب على الشيء، والحافظ له، قاله الخليل. قال الخطابي: وقال بعض أهل اللغة. الهيمنة: القيام على الشيء، والرعاية له، وأنشد:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِ مُهَيِّمُهُ التَّالِيهِ فِي الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم. وقد زدنا هذا شرحاً في [المائدة: ٤٨] وبيئاً معنى «العزیز» في [البقرة: ١٢٩]. فأما «الجبار»، ففيه أربعة أقوال: أحدها: أنه العظيم، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما يريد، قاله القرظي والسدي. وقال قتادة: جبر خلقه على ما شاء. وحكى الخطابي: أنه الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه. يقال: جبره السلطان، وأجبره. والثالث: أنه الذي جبر مفاقر الخلق، وكفاهم أسباب المعاش والرزق. والرابع: أنه العالي فوق خلقه، من قولهم: تجبر النبات: إذا طال وعلا، ذكر القولين الخطابي. فأما «المتكبر» ففيه خمسة أقوال: أحدها: أنه الذي تكبر عن كل سوء، قاله قتادة. والثاني: أنه الذي تكبر عن ظلم عباده، قاله الزجاج. والثالث: أنه ذو الكبرياء، وهو الملك، قاله ابن الأنباري. والرابع: أنه المتعالي عن صفات الخلق. والخامس: أنه الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، فقصمهم، ذكرهما الخطابي. قال: والتاء في «المتكبر» تاء التفرد، والتخصُّص، لأن التعاطي والتكلف والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين، وإنما سمة العبد الخضوع والتذلُّل. وقيل: إن المتكبر من الكبرياء الذي هو عظمة الله، لا من الكبر الذي هو مذموم في الخلق<sup>(٢)</sup>. وأما «الخالق» فقال

(١) هذه قطعة من حديث قدسي رواه البخاري في «صحيحه» ٣٢٥/١٣، ومسلم ٢١٠٢/٤، ولفظه عند البخاري بتمامه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باهاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». والحديث يرشد إلى تحسين الظن بالله ﷻ، ولكن حسن الظن إنما يكون لمن تاب وندم وأقلع وبذل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بوسائل النجاة، فمن فعل ذلك، ثم أحسن الظن، فقد أحسن، وحله محله، وأما من أساء وأصر على الكبائر، فوشحة المعاصي لا يجامعها إحسان الظن بالله تعالى. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٢٧/١٣: قال صاحب «المشارق»: والمراد بما جاء في الحديث سرعة قبول توبة الله للعبد، أو تيسير طاعته وتقويته عليها، وتام هدايته وتوقيفه، والله أعلم بمراده. اهـ.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١٧٣/١٦ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن يئازعني علبته» قال النووي: هكذا هو في جميع النسخ «المز إزاره والكبرياء رداؤه» فالضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلى الله تعالى، للملم به، وفي محذوف =

الخطابي: هو المبتدئ للخلق المخترع لهم على غير مثال سبق، فأما في نعوت الأدميين، فمعنى الخلق: كقول زهير:  
 وَلَئِنْ تَفَرِّيَ مَا خَلَقْتُ وَبَعْدَ  
 ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفَرِّي<sup>(١)</sup>  
 يقول: إذا قدرت شيئاً قطعته، وغيرك يقدر ما لا يقطعه، أي: يتمنى ما لا يبلغه. و«البارئ» الخالق. يقال:  
 برأ الله الخلق يبرؤهم. و«المصور»: الذي أنشأ خلقه على صُورٍ مختلفة ليتعارفوا بها. ومعنى: التصوير: التخطيط  
 والتشكيل. وقرأ الحسن، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع «البارئ المصور» بفتح الواو والراء جميعاً، يعني:  
 آدم عليه السلام. وما بعد هذا قد تقدم بيانه [الأعراف: ١٨٠، والإسراء: ١١٠] إلى آخر السورة.



= تقديره، قال الله تعالى: ومن يتازعني ذلك أعليه، ومعنى يتازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك.

(١) «ديوانه»: ٩٤ «ومختار الشعر الجاهلي» ٢٦٥/١ و«الأضداد» لابن السكيت: ٢٠٥، وشرح شواهد الشافعية: ٢٢٩، و«الكتاب» ٢٨٩/٢ و«الحيوان»: ٣٨٣/٣. والخالق هنا: الذي يقدر الجلد ويهيئه لأن يقطعه ويخرزه. والفري: القطع، يريد أنك إذا نهيت لأمر مضيت له وأنفذته ولم تعجز عنه كما يعجز بعض القوم عن إتمامه.

## سورة الممتحنة

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لَأُولَئِكَ تَلْفُتُونَ إِيَّاهُم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِ وَآيَاتِنَا مَرْتَابًا ثُبُورًا إِلَيْهِمْ وَالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَنْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ يَقْعُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالشُّوَءِ وَرَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْآفَاقَةِ يَفْعَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ ذكر أهل التفسير أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صفية بن هاشم أنت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة، فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: أنتم الأهل والعشيرة والموالي، وقد احتجت حاجة شديدة، فقدمت إليكم لتعطوني. قال لها رسول الله ﷺ: «فأين أنت من شباب أهل مكة؟» وكانت مغنية، فقالت: ما طلبت مني شيء بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، فكسوها، وحملوها، وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة، فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة، وأعطاهم عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، [وكتب في الكتاب: من حاطب إلى أهل مكة] إن رسول الله ﷺ يريدكم، فخذوا حذركم، فخرجت به سارة، ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما فعل حاطب، فبعث رسول الله ﷺ علياً، وعماراً، والزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرزئد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا «روضة خاخ»<sup>(١)</sup>، فإن فيها ظعينة<sup>(٢)</sup> معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها، وغلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقه» فخرجوا حتى أدركوها، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، ففتشوا متاعها فلم يجدوا شيئاً، فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه، وقال: أخرجي الكتاب، وإلا ضربت عنقك، فلما رأت الجذأ أخرجه من ذوائبها<sup>(٣)</sup>، فغلوا سبيلها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب، فأتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم. قال: «فما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلّا ولّه بمكة من يمنع عشيرته، وكنت [غريباً] فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أأخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وكتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدّقه رسول الله ﷺ وعذّره، ونزلت هذه السورة تنهى حاطباً عما فعل، وتنهى المؤمنين أن يفعلوا كفعله، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله أطلع على أهل بدر، فقالوا: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»<sup>(٤)</sup>. وقد أخرج هذا الحديث في «الصحيحين» مختصراً، وفيه ذكر علي، وابن الزبير، وأبي مرزئد فقط<sup>(٥)</sup>.

(١) «روضة خاخ»: موضع بين مكة والمدينة، شرقهما الله تعالى، بقرب المدينة.

(٢) الظعينة هنا: الجارية، وهي في الأصل: اليهودج، وسميت بها الجارية لأنها تكون فيه.

(٣) اللواية: الناصية، أو منبتها من الرأس، وشعر في أعلى ناصية الفرس، والمراد هنا: الشعر المصفور من شعر الرأس.

(٤) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٥ ولم ينسب لأحد، بل قال: قال جماعة من المفسرين: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة... فذكره.

(٥) انظر «صحيح البخاري» ٤٠٠/٧ و ٤٨٦/٨، و«مسلم» ١٩٤١/٤، والحديث أورده السيوطي في «الدر» ٢٠٢/٦ من رواية «الصحيحين» وزاد نسبت لأحمد في «المستند»، والحميدي، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وأبي عوانة، وابن حبان، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي -





حَسَنَ بِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ. وَفِيهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ. وَالثَّانِي: الْمُؤْمِنُونَ، ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْسِكُمْ﴾ قَالَ الْفَرَاءُ: يَقُولُ: أَفَلَا تَأْسَيْتَ يَا حَاطِبُ بِإِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ فَبَرَأَتْ مِنْ أَهْلِكَ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنْ قَوْمِهِمْ؟!

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَالْمَعْنَى: تَأَسَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ إِلَّا فِي اسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فَلَا تَأَسَّوْا بِهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴿وَمَا أَتَيْكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَي: مَا أَدْفَعَ عَنْكَ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ أَشْرَكَتَ بِهِ، وَكَانَ مِنْ دَعَاةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِهِ: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَى قَوْلِكَ تَوَلَّيْنَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي يُونُسَ: ٢٨٥. ثُمَّ أَعَادَ الْكَلَامَ فِي ذِكْرِ الْأَسْوَةِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أَي: فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ مَعَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَبْغِضُونَ مَنْ خَالَفَ اللَّهَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ﴾ وَبَيَّانٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْوَةَ لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ، وَيَخْشَى عِقَابَ الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَزَلْ﴾ أَي: يَعْرِضُ عَنِ الْإِيمَانِ وَيُوَالِ الْكُفَّارَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَافِرُ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿الْحَكِيدُ﴾ إِلَى أَوْلِيَائِهِ. فَلَمَّا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِعِدَاةِ الْكُفَّارِ عَادُوا أَقْرَبَاءَهُمْ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَكُمْ مَخْرَجًا وَيَنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ ﴿مَوَدَّةً﴾ فَفَعَلَ ذَلِكَ، بَانَ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُمَ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سَفْيَانَ، فَانْكَسَرَ أَبُو سَفْيَانَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ حَتَّى هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ﴿وَاللَّهُ قَوِيرٌ﴾ عَلَى جَعْلِ الْمَوَدَّةِ ﴿وَاللَّهُ عَفُوفٌ﴾ لَهُمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ بَعْدَمَا أَسْلَمُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَهَكَّرُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَتْ عَلَى خَمْسَةِ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا فِي أَسْمَاءَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَمَهَا قَتِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُزَيِّ، قَدِمَتْ عَلَيْهَا الْمَدِينَةُ بِهَدَايَا، فَلَمْ يَقْبَلْ هَدَايَاهَا، وَلَمْ تَدْخُلْهَا مَنْزِلَهَا، فَسَأَلَتْ لَهَا عَائِشَةُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَدْخُلَ مَنْزِلَهَا، وَتَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا، وَتَكْرُمَهَا، وَتَحْسَنَ إِلَيْهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ<sup>(١)</sup>. وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي خِزَاعَةِ وَبَنِي مَدْلَجٍ، وَكَانُوا صَالِحُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ لَا يَقَاتِلُوهُ، وَلَا يَعِينُوا عَلَيْهِ أَحَدًا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي خِزَاعَةِ وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ، فَدَامُوا عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ. وَالثَّلَاثُ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْهُمْ الْعَبَّاسُ، قَالَهُ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيِّ وَمَرَّةً. وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا عَامَةٌ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ، وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَالْخَامِسُ: نَزَلَتْ فِي النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَهَذِهِ الْآيَةُ رَخِصَةٌ فِي صَلَةِ الَّذِينَ لَمْ يَنْصَبُوا الْحَرْبَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَجَوَّازٌ بِرَّهْمٍ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَوَالَاةُ مُنْقَطِعَةً مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَرْجُوا مِنْ يَدَيْكُمْ﴾ أَي: مِنْ مَكَّةَ ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَقْطِعُوا إِلَيْهِمْ﴾ أَي: تَعَامَلُوهُمْ بِالْعَدْلِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا بِالْإِسْرَاءِ﴾ أَي: عَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَنْهَاكُم عَنْ أَنْ تَوَلَّوْا هَؤُلَاءِ، لِأَنَّ مَكَاتِبَتَهُمْ بِإِظْهَارِ مَا أَسْرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوَالَاةً. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسُورِينَ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلُهَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السِّيفِ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَا وَجْهَ لِادِّعَاءِ النِّسْخِ، لِأَنَّ بَرَّ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُحَارِبِينَ سَوَاءٌ كَانُوا قَرَابَةً أَوْ غَيْرَ قَرَابَةٍ، غَيْرَ مُحَرَّمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ بِكَرَاعٍ أَوْ سِلَاحٍ، أَوْ دَلَالَةٌ لَهُمْ عَلَى عَوْرَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَسْمَاءَ وَأُمِّهَا الَّذِي سَبَقَ.

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٧ من رواية عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير. ومصعب بن ثابت لين الحديث كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». ورواه أحمد في «المسند» ٤/٤ من رواية ابن المبارك، والطبري، والحاكم في «المستدرک» ٤٨٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٢٣/٧ من رواية أحمد والطبراني واليزاري، وقال: وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقي رجاله رجال الصحيح، وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٤/٦ وزاد نسبة للطائفة، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «تاريخه»، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير ﷺ. وروى أحمد في «مسند» والبخاري ومسلم في «صحيحهما» بغير هذا السياق عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت وهي زانية، أفاصلها؟ قال: «نعم صلي أمك».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَنَافِهٌ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تَسِيْرُوا بِعِصْمِ الْكُفَّارِ وَاسْتَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ بِأَنْفَقَاءٍ إِلَيْكُمْ سَكَمٌ اللَّهُ بِكُمْ يَتَنَكَّمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ نَفْسٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا تُبَدِّلُهَا قَاتُوا أَلَيْسَ ذَهَبٌ آتِيَهُمْ يَنْتَلِ مَا أَنْفَقُوا وَآتَفَرُوا اللَّهُ أَلَيْسَ أَنَّهُ بِكُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال ابن عباس: إن مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم. ومن أتى أهل مكة من أصحابه، فهو لهم، وكتبوا بذلك الكتاب، وختموه، فجاءت سُبَيْعَةُ بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي بالحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً، فقال: يا محمد: اردد علي امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد، فنزلت هذه الآية (١). وذكر جماعة من العلماء منهم محمد بن سعد (٢) كاتب الواقدي (٣) أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد هجرة رسول الله ﷺ، فَقَدِمَتْ المدينة في هدنة الحديبية، فخرج في أثرها أخوها الوليد وعُمارَةُ ابنا عقبة، فقالا: يا محمد، أوف لنا بشرطنا، وقالت أم كلثوم: يا رسول الله، أنا امرأة، وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، فتردني إلى الكفار يفتنونني عن ديني، ولا صبر لي؟! فنقض الله عز وجل العهد في النساء، وأنزل فيهن المحنة، وحكم فيهن بحكم رضوهن كلهن، ونزل في أم كلثوم ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ فامتحنها رسول الله ﷺ، وامتنح النساء بعدها، يقول: والله ما أخرجكن إلا حباً لله ورسوله، وما خرجتن لزوج ولا مال؟ فإذا قلن ذلك تركن، فلم يردن إلى أهلهن (٤). وقد اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبياً لنزول هذه الآية على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها سبيعة، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وقد ذكرناه عن جماعة من أهل العلم، وهو المشهور. والثالث: أميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف، ذكره أبو نعيم الأصبهاني. قال الماوردي: وقد اختلف أهل العلم هل دخل رُدُّ النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عمومياً؟ فقالت طائفة: قد كان شرط رُدِّهن في لفظ الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله تعالى رُدِّهن من العقد، ومنع منه، وأبقاه في الرجال على ما كان. وقالت طائفة: لم يشرط رُدِّهن في العقد صريحاً، وإنما أطلق العقد، وكان ظاهر العموم اشتماله مع الرجال، فبين الله ﷻ خروجهن عن عمومهم، وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين: أحدهما: أنهن ذوات فروج تحرم من عليهن. والثاني: أنهن أرق قلوباً، وأسرع تقبلاً منهم. فاما المقيمة على شركها فمردودة عليهم. وقال القاضي أبو يعلى: وإنما لم يرد النساء عليهم، لأن النسخ جائز بعد التمكن من الفعل، وإن لم يقع الفعل (٥). قال المفسرون: والمراد

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الشكاف» ١٦٨: مكللاً ذكره البغوي عن ابن عباس بغير سند.

(٢) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاها أبو عبد الله (١٦٨ - ٢٣٠هـ) صاحب «الطبقات الكبرى»: مؤرخ ثقة ومن حفاظ الحديث الثقات، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها وصحب الواقدي المؤرخ زماناً، فكتب له وروى عنه، وعرف بـ «كاتب الواقدي» المؤرخ. قال الحافظ ابن حجر عنه في «التقريب»: صدوق فاضل.

(٣) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧هـ) من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، ثم انتقل إلى العراق، وولي قضاء بغداد، واستمر فيها إلى أن توفي، وهو الذي ينسب إليه كتاب «فتوح الشام» وأكثره مما لا تصح نسبة إليه، له مؤلفات كثيرة، ولكنه مع سعة علمه متروك، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»، وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد الزهري، صاحب «الطبقات».

(٤) ذكره ابن سعد في «الطبقات» ٢٣٠/٨ بغير سند. وخرجه السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٦ من رواية ابن سعد عن ابن شهاب بنحوه وهو مقطوع. وذكره بنحوه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٢٢/٧ من رواية الطبراني عن عبد الله بن أبي أحمد، وقال: وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو ضعيف، وأوردته بنحوه الحافظ السيوطي في «الدر» ٢٠٦/٦ فقال: أخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن عبد الله بن أبي أحمد... فذكره.

(٥) قال القرطبي في «تفسيره» ٦٣/١٨: أكثر العلماء على أن هذا ناسخ لما كان عليه الصلاة والسلام عاهد عليه قريشاً، من أنه يرد إليهم من جاء منهم مسلماً، فنسخ من ذلك النساء، قال: وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقرآن. وقال ابن كثير في «تفسيره» ٣٥٠/٤: تقدم في سورة (الفتح) ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش، فكان فيه: على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. وفي رواية: على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال: وهذا قول عروة، والضحاك، وعبد الرحمن بن زيد، والزهري، ومقاتل بن حيان، والسدي، قال: فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك، قال: وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله ﷻ =

بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي تولّى امتحانهم، ويراد به سائر المؤمنين عند غيبته ﷺ. قال ابن زيد: وإنما أمرنا بامتحانهم، لأن المرأة كانت إذا غضبت على زوجها بمكة، قالت: لألحقن بمحمد. وفيما كان يمتحنهم به ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان يمتحنهم بـ «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه كان يستحلف المرأة بالله: ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله، روي عن ابن عباس أيضاً<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه كان يمتحنهم بقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ﴾ فمن أقرت بهذا الشرط قالت: قد بايعتك، هذا قول عائشة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَقْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: إن هذا الامتحان لكم، والله أعلم بهن، ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ مَوَازِينَ﴾ وذلك يعلم بإقرارهن، فحينئذ لا يحل ردهن ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [لأن الله تعالى لم يبيع مؤمنة لمشرك ﴿وَمَا آثَرُكُمْ﴾ يعني أزواجهن الكفار] ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: المهر. قال مقاتل: هذا إذا تزوجها مسلم. فإن لم يتزوجها أحد، فليس لزوجها الكافر شيء ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ وهي المهور.

### فصل

عندنا إذا هاجرت الحرة بعد دخول زوجها بها، وقعت الفرقة على انقضاء عدتها. فإن أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهي امرأته، وهذا قول الأوزاعي، والليث، ومالك، والشافعي. وقال أبو حنيفة: تقع الفرقة باختلاف الدارين<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا بِصِمِّ الْكُفَّارِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تُمسِكُوا» بضم التاء، والتخفيف. وقرأ أبو عمرو، ويعقوب: «تُمسِكُوا» بضم التاء، وبالتشديد. وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وابن يعمر، وأبو حية: «تَمسِكُوا» بفتح التاء، والميم، والسین مشددة. و «الكوافر» جمع كافرة، والمعنى: إن الله تعالى نهى المؤمنين عن المقام على نكاح الكوافر، وأمرهم بفراقهن. وقال الزجاج: المعنى: أنها إذا كفرت، فقد زالت العصمة بينها وبين المؤمن، أي: قد انبثَّ عقد النكاح. وأصل العصمة: الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه.

قوله تعالى: ﴿وَسَتَلَوْا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أي: إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة، فاسألوهما ما أنفقتم من المهر إذا لم يدفعوها إليكم ﴿وَلَسْتُمْ لَهُمَا أَنْفَقُوا﴾ يعني: المشركين الذين لحقت أزواجهن بكم مؤمنات إذا تزوجن منكم، فليسأل أزواجهن الكفار من تزوجهن «ما أنفقوا» وهو المهر. والمعنى: عليكم أن تغرموا لهم الصداق كما يغرمون لكم. قال أهل السير: وكانت أم كلثوم حين هاجرت عاتقاً لم يكن لها زوج فيبعث إليه قدر مهرها، فلما هاجرت تزوجت زيد بن حارثة.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ يعني ما ذكر في هذه الآية.

= أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتنعوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعهن إلى الكفار، لا هن حل لهم، ولا هم يحلون لهن. اهـ.

(١) رواء الطبري ٢٨/٢٨ بإسناد مسلسل بالضعفاء عن ابن عباس.

(٢) رواء الطبري ٢٧/٢٨ من حديث قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين، عن أبي نصر الأسدي قال: مثل ابن عباس... وقيس بن الربيع الأسدي قال الحافظ: صدوق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، وأبو نصر الأسدي وثقه أبو زرعة، وقال البخاري: لم يعرف سمعه من ابن عباس.

(٣) رواء الطبري ٢٨/٢٨ من رواية ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، والترمذي ١٦٤/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْجِعُ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهْلِ جَلٍّ لَهُمْ وَلَا تَمَّ يَلِدْنَ لَهُمْ﴾ هذا أول دليل على أن الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها إسلامها، لا هجرتها. وقال أبو حنيفة: الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين، قال: والصحيح الأول، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَمَّ يَلِدْنَ لَهُمْ﴾ فيبين أن العلة عدم الحل بالإسلام، وليس باختلاف الدار. والله أعلم.

## فصل

وذكر بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا بِعِصَمِ الْكَافِرِ﴾ أنه نسخ ذلك في حرائر أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْإِيمَانِ أَوْثَرُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٥]، وهذا تخصيص لا نسخ.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى فَاكْرَهُمْ ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَيْكُمْ أَلَكُمُ الْكُفَّارُ فَمَا آتَيْتُمُ﴾ قال الزجاج: أي: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنتم. وقرأ ابن مسعود، والأزهري، والنخعي: «فَعَقَبْتُمْ» بغير ألف، وفتح العين والقاف، وتخفيفها. وقرأ ابن عباس، وعائشة، وحמיד، والأعمش مثل ذلك، إلا أن القاف مشددة. قال الزجاج: المعنى في التشديد والتخفيف واحد، فكانت العقوبة لكم بأن غلبتم. وقرأ أبي بن كعب، وعكرمة، ومجاهد: «فَاعَقَبْتُمْ» بهجمة ساكنة العين، مفتوحة القاف خفيفة. وقرأ معاذ القارئ، وأبو عمران الجوني: «فَعَقَبْتُمْ» بفتح العين، وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف ﴿فَتَأْتُوا الْبُيُوتَ ذَهَبَ أَزْوَاجُهُمْ يُنْزِلُ مَا أَنْفَقُوا﴾ أي: أعطوا الأزواج من رأس الغنيمة ما أنفقوا من المهر. وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في عياض بن غنم<sup>(١)</sup>، كانت زوجته مسلمة، وهي أم الحكم بنت أبي سفيان، فارتدت، فلحق بمكة، فأمر الله المسلمين أن يعطوا زوجها من الغنيمة بقدر ما ساق إليها من المهر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٢١] إلى رأس الخمس.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: وهذه الأحكام في أداء المهر، وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صدق قد وجب رده على أهل الحرب، منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نص أحمد على هذا. قلت: وكذا قال مقاتل: كل هؤلاء الآيات نسخها آية السيف.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْفِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْسُلِهِمْ وَلَا يَعْصِيَنَّكُمْ فِي مَعْرُوفٍ فَإِنَّهُنَّ سَوَاءٌ وَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ﴾ قال المفسرون: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية، وشرط في مبايعتهن الشرائط المذكورة في الآية، فبايعهن وهو على الصفا، فلما قال: ولا يزني، قالت هند<sup>(٢)</sup>: أو تزني الحرة؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: ربيتهن صغارا فقتلتموهن كبارا، فأنتم وهم أعلم<sup>(٣)</sup>. وقد صح في الحديث أن النبي ﷺ لم يصفح في البيعة امرأة، وإنما يبايعهن بالكلام<sup>(٤)</sup>. وقد سئنا من أحصينا من المبايعات

(١) هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد الفهري، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد، وكان يقال له: زاد الراكب، لأنه كان يطعم رفيقه ما كان عنده، وإذا كان مسافرًا أكرمهم بزاده، فإن نفذ نحر لهم جملة.

(٢) هي هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان.

(٣) ذكره بنحو البغوي في «تفسيره» وكذلك الخازن، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: لم أره بسياقه، لكن أخرجه الطبري بمعناه وأخص منه من طريق العوفي عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق مقاتل بن حيان، وفيه قول هند: ربيتهن صغارا وقتلتموهن كبارا، فضحك عمر بن الخطاب ﷺ حتى استلقى.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٤٨٨/٨ عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كان يمنح من هاجر إليه من المؤمنين بهذه الآية يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ بِبَيْعَتِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات: قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتكم كلاما» والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعات، ما يبايعن إلا بقوله: «قد بايعتكم على ذلك». والحديث أورده السيوطي في «الدرر» ٢٠٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حديد، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها.

وروى الإمام أحمد من حديث سفيان بن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسائي لبيايعه، فأخذ علينا ما في القرآن: أن لا نشرك بالله شيئا... الآية. وقال: «فيما استطعتم وأطقتم» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يا رسول الله، ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولني لامرأة واحدة قولني لمائة امرأة» قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح، قال: وقد رواه الترمذي، والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة، والنسائي أيضا من حديث الثوري، ومالك بن أنس، كلهم عن محمد بن المنكدر به، وقال الترمذي: حسن صحيح، لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر، وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به، وزاد: «لم يصفح منا امرأة» قال: وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به.

والمبايعات عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيها بالمعاهدة المالية.



في كتاب «التلقيح» على حروف المعجم، وهن أربع مائة وسبع وخمسون امرأة، والله الموفق.  
قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَنَلَّانِ أَرْكَدَهُنَّ﴾ قال المفسرون: هو الرواد الذي كانت الجاهلية تفعله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِيَنَّ بِهِنَّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَتَرْكَبُ فِيهِنَّ لُزُوجَهُنَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم، قاله ابن عباس، والجمهور، وذلك أن المرأة كانت تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفترى. وإنما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَرْكَبُ﴾ لأن الولد إذا وضعت الأم سقط بين يديها ورجليها. وقيل: معنى ﴿بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَتَرْكَبُ﴾: يأخذنه لقيطاً ﴿وَأَرْكَبُ﴾ ما ولدته من زنى. والثاني: السحر. والثالث: المشي بالنيمة، والسعي في الفساد، ذكرهما الماوردي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّبِعُنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التَّوَحُّ، قاله ابن عباس، وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لا يذعن ويلاً، ولا يخذل وجهاً، ولا يثشثر شعراً، ولا يشفق ثوباً، قاله زيد بن أسلم. والثالث: جميع ما يأمرهن به رسول الله ﷺ من شرائع الإسلام وأدابه، قاله أبو سليمان الدمشقي. وفي هذه الآية دليل على أن طاعة الولا إنما تلزم في المباح دون المحظور.

قوله تعالى: ﴿فَابْتَغُنَّ﴾ المعنى: إذا بايعتك على هذه الشرائط فبايعهن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتربصون إليهم بذلك ليصيبوا من ثمارهم وطعامهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ وذلك أن اليهود بتكذيبهم محمداً، وهم يعرفون صدقه، قد يشعرون أن يكون لهم في الآخرة خير، والمعنى: قد يشعرون من ثواب الآخرة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح. وقال قتادة: قد يشعرون أن يبعثوا، ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ فيه قولان: أحدهما: كما يشك الكفار من بعث من في القبور، قاله ابن عباس. والثاني: كما يشك الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة، لأنهم أيقنوا بالعذاب، قاله مجاهد.



قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤٨٨/٨: قوله: «قد بايعتك كلاماً» أي يقول ذلك كلاماً فقط، لا مصافحة باليد، كما جرت العادة بمصافحة الرجال عند المبايعات.

وقال الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في كتابه «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» طبع المكتب الإسلامي ٩٢٨/٢: وما جاء عن ابن خزيمة، وابن حبان، والبخاري، والطبراني، وابن مردويه، من طريق إسماعيل بن عبد الرحمن عن جده أم عطية ؓ في قصة المبايعات، قالت: فمد يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال: «اللهم اشهد» وكذا حديثها الذي في «البخاري» وغيره: فقبضت منا امرأة يدها، فإنه يشعر بأنهن كن يبايعن بأيديهن، والتي قبضت يده هي أم عطية أبهت نفسها. قال: وأجب عن الأول بأن مد الأيدي من وراء الحجاب، إشارة إلى وقوع المبايعات وإن لم تقع مصافحة، وعن الثاني بأن المراد بقبض الأيدي: التأخر عن القبول. وأم عطية التي قبضت يدها وتأخرت عن المبايعات، رجعت بعد ذلك وبايعها رسول الله ﷺ. فهذه النصوص التي تقدمت تدل على أن المبايعات كانت كلاماً، ولم تكن مصافحة باليد، وأن الرسول ﷺ ما مست يده يد امرأة قط.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» ٦٤٦/٢ من حديث أم عطية قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾... قالت: كان منه النياحة... وأخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث أم سلمة الأنصارية قالت امرأة من هذه النسوة: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي أن نعصيك فيه؟ فقال ﷺ: «لا تاتحن...» الحديث.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣١٨ بغير سند ولم يمهز لأحد، وكذلك البيهقي والخازن في تفسيرهما، وقال الحافظ السيوطي في «الدرر» ٦/٢١١: أخرجه ابن إسحاق وابن المنذر، عن ابن عباس ؓ قال: كان عبد الله بن عمر، وزيد بن حارثة، يوافون رجلاً من يهود، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية.

## سورة الصف

### ويقال لها: سورة الحواريين

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والجمهور. والثاني: مكية، قاله ابن يسار.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا مِمَّا نُرْشِدُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (٤)

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها: ما روى أبو سلمة عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فقلنا: لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ عملناه، فأنزل الله: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن الرجل كان يجيء إلى النبي ﷺ، فيقول: فعلت كذا وكذا، وما فعل، فنزلت ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وكذلك قال الضحاك: كان الرجل يقول: قاتلت، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وصبرت، ولم يصبر، فنزلت هذه الآية. والثالث: أن ناسًا من المسلمين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد: لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل الجهاد، كرهه ناس من المؤمنين، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. والرابع: أن صهيبيًا قتل رجلاً يوم بدر، فجاه رجل فادعى أنه قتله وأخذ سلبه، فقال صهيبي: أنا قتلت يا رسول الله، فأمره أن يدفع سلبه إلى صهيبي، ونزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن صهيبي. والخامس: أن المنافقين كانوا يقولون للنبي وأصحابه: لو قد خرجتم خرجنا معكم، ونصرناكم. فلما خرج النبي ﷺ نكصوا عنه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: «مقتًا» منصوب على التمييز، والمعنى: كَبُرَ قولكم ما لا تفعلون مقتًا عند الله<sup>(٤)</sup>. ثم أعلم ﷻ ما الذي يحبه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ أَمْرًا مِمَّا نُرْشِدُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: بنيان لاصق ببعضه ببعض، فأعلم أنه يحب من يثبت في الجهاد، ويلزم مكانه كثيوت البنيان

(١) رواه الدارمي في مسنده ٢٠٠/٢، والواحد في «أسباب النزول»، ورواه بمعناه أحمد في «المسند» ٤٥٢/٥، والحاكم في «المستدرک» ٤٨٦/٢ سلسلاً وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي ١٦٤/٢، وذكره السيوطي في «الدر» ١١٢/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن حبان، ثم قال: وأخرجه ابن المنذر سلسلاً، والبيهقي في «الشعب» و«السنن» سلسلاً، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤١٩/٨: وقد وقع لنا سماع هذه السورة سلسلاً في حديث ذكر في أوله سبب نزولها وإسناده صحيح قل أن وقع في السلسلات مثله مع مزيد علوه.

(٢) ذكره السيوطي بنحوه في «الدر» ١١٢/٦ من رواية ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٨٤/٢٨ من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ، وابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ١١٢/٦ من رواية ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس ﷺ. وهذا القول اختاره ابن جرير الطبري.

(٤) وقال ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ فيه إنكار على من يعد وعداً أو يقول قولاً لا يفهمه، ولهذا استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً، سواء ترتب عليه عزم للموعد، أم لا، واحتجوا أيضاً بما ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان» وفي الحديث الآخر في الصحيح: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...» فذكر منه إخلاف الوعد، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾. وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعد، وجب الوفاء به، كما لو قال لغيره: تزوج ولك علي كل يوم كذا، فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك، لأنه تعلق به حق آدمي، وهو مبني على المضائق، وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم، وهكذا هذه الآية معناها، وهذا اختيار ابن جرير.

المرصوص. ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثباتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنين المرصوص. وللمفسرين في المراد بـ «المرصوص» قولان: أحدهما: أنه الملتصق ببعضه ببعض، فلا يرى فيه خلل لإحكامه، قاله الأكثرون. والثاني: أنه المبني بالرصاص، وإلى نحو هذا ذهب الفراء، وكان أبو بحرية يقول: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض لهذه الآية<sup>(١)</sup>. اسم أبي بحرية: عبد الله بن قيس التَّراغمي، يروي عن معاذ<sup>(٢)</sup>، وكأنه أشار بذلك إلى أن الفرسان لا يصطفون في الغالب إنما يصطفُ الرَّجالة<sup>(٣)</sup>.

[illegible]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: اذكر لمن يؤذك من المنافقين ما صنعتُ بالذين آذوا موسى. وقد ذكرنا ما آذوا به موسى في [الأحزاب: ٦٩] <sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي: مالوا عن الحق: ﴿أَنَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أمالها عن الحق جزاء لما ارتكبهوه، وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَتُوا الْحَقَّ وَمَا يَتَّبِعُ الْحَقُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «من بعدني اسمه» بفتح الياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «من بعدني اسمه» بإسكان الياء<sup>(٥)</sup> ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اتَّخَذَ عَلَ اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم اليهود، قاله مقاتل. والثاني: النصارى حين قالوا: عيسى ابن الله، قاله أبو سليمان الدمشقي. وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري، وطلحة بن مصرف «يُدْعِي إِلَى الْإِسْلَامِ» بفتح الياء، والذال، وتشديدها، ويكسر العين، وما بعد هذا في [براء: ٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿مُتِمِّمُ نُورِهِ﴾ قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم وخلف «مُتِمِّمُ نُورِهِ» مضاف. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «مُتِمِّمُ» رفع منون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَدٍ تُشْرِكُونَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴿١٦﴾ تَوَدُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَأْتِلُكُمْ وَالْفَيْسُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَسْكَنُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حَرٍّ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعظيمُ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ شَرِبُوا نَمْرًا مِنْ أَمْرِ وَقَعَ فِيهِمْ وَبَشَرُوا الْفُجُورِ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَصَادًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَابِرِيِّينَ مَنْ أَصَابَكُمْ مِنْ أَصَابَةٍ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْكَافِرُونَ هُوَ أَصَابَ اللَّهُ فَاصْنَعُوا عَلَيْهِمْ مِنْ بَنَاتٍ إِنْ شِئْتُمْ وَكَذَلِكَ عَلَّمَهُ مِنْ بَنَاتٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٢٠﴾ فَاصْنَعُوا عَلَيْهِمْ مِنْ بَنَاتٍ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَخْرَجٍ﴾ قال المفسرون: نزلت هذه الآية حين قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله

(١) رواه الطبري في "تفسيره" ٨٦/٢٨ وفي مسنده بقية بن الوليد، وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وقد عنعن في هذا الخبر.

(٢) هو عبد الله بن قيس الكندي السكوني التراغمي أبو بحيرة الحمصي، شهد خطبة عمر بالجابية، روى عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح وأبي الدرداء وأبي هريرة ومالك بن يسار السكوني وحزمة بن ثعلبة، وعنه ابنه بحيرة، ويزيد بن قطيب السكوني، وخالد بن معدان، ويزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس، وأبو ظبية الكلاحي، وعبد الملك بن مروان، وأبو بكر بن عبيد الله بن أبي مريم، قال ابن عبد البر: تابعي ثقة، وذكر أبو الحسن بن سميع أنه أدرك الجاهلية. قال الحافظ في «التقريب»: حمصي مشهور مخضرم ثقة، مات سنة سبع وسبعين.

(٣) الرَّجُلَةُ، جمع راجِل، وهو الذي يمشي على رجله، وله جموع كثيرة، قال في «القاموس»: رَجُل - رَجُلٌ - كَفَرَج - فهو راجِل، وَرَجُلٌ، وَرَجُلٌ، وَرَجُلٌ، وَرَجُلٌ، وَرَجُلَانٌ، إذا لم يكن له ظهر يركبه، والجمع رَجَالٌ، وَرَجَالَةٌ، وَرَجَالٌ، وَرَجَالِي، وَرَجَالِي، وَرَجُلِي، وَرَجُلَانٌ، وَرَجُلَةٌ، وَأَرْجُلَةٌ، وَأَرَاوِجِل، وَأَرَاوِجِل.

(٤) قال ابن كثير: وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر، قال: ولهذا قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوفى بأكثر من هذا فسيره»، وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَأْتُوا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ في ما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر، قال: ولهذا قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوفى بأكثر من هذا فسيره»، وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَأْتُوا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ في ما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر، قال: ولهذا قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوفى بأكثر من هذا فسيره»، وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يصلوا إليه أذى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَأْتُوا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

(٥) قال ابن كثير: فمسيى ﷺ هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة. وانظر (١١٦٦) من كتابنا هذا.

لعملنا به أبداً، فدلّهم الله على ذلك، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ قرأ ابن عامر «تَجِيَكُمْ» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. ثم بيّن التجارة، فقال تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قال الزجاج: وقوله: «يغفر لكم» جواب قوله: «وتجاهدون»، لأن معناه معنى الأمر. والمعنى: آمنوا بالله واجاهدوا، يغفر لكم، أي: إن فعلتم ذلك، يغفر لكم. وقد غلط بعض النحويين، فقال: هذا جواب «هل» وهذا غلط بيّن، لأنه ليس إذا دلّهم على ما ينفعهم غفر لهم، إنما يغفر له إذا عملوا بذلك. ومن قرأ «يغفر لهم» يادغام الراء في اللام، فغير جائز عند سيبويه والخليل، لأنه لا تدغم الراء في اللام في قولهم. وقد رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء، وهو إمام عظيم، ولا أحسبه قرأها إلا وقد سمعها من العرب: وقد زعم سيبويه والخليل وجميع البصريين، ما خلا أبا عمرو، أن اللام تدغم في الراء، وأن الراء لا تدغم في اللام، وحُجَّتُهُمْ أن الراء حرف مكرر قوي، فإذا ادغمت في اللام ذهب التكرير منها. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَلَعَزَّ تَبُوتُهَا﴾ قال الفراء: والمعنى: ولكم في العاجل مع ثواب الآخرة أخرى تحبونها، ثم فسرها فقال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنه فتح مكة، قاله ابن عباس. والثاني: فتح فارس والروم، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَيَبِّسَ الْمُرِّيضَ﴾ أي: بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة. ثم حصّهم على نصر دينه بقوله تعالى: ﴿كُذِّبَ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو «كونوا أنصاراً لله» منوثة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي «أنصار الله». معنى الآية: دُوموا على ما أنتم عليه، وانصروا دين الله، مثل نُصْرَةِ الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ وَحَرِّكَ نَافِعُ يَاءٍ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾. وقد سبق تفسير هذا الكلام (إلا عمران: ٥٢) ﴿فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكُفِّرَتْ طَائِفَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَقْبَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعِيسَى﴾ عَصَى عَصَايَ، وهم مخالفو عيسى، كذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والجمهور وقال مقاتل: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرَتْ طَائِفَةٌ﴾، ﴿فَأَقْبَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعِيسَى﴾ بمحمد ﴿عَصَى عَصَايَ فَاتَّبَعُوا لَهَا﴾ بمحمد على الأديان. وقال إبراهيم النخعي: أصبح من آمن بعيسى ظاهرين بتصديق محمد ﷺ أن عيسى كلمة الله وروحه بتعليم الحجة<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: ﴿فَأَتَّبَعُوا طَائِفَةً﴾ أي: غاليين عليهم بمحمد. من قولك: ظهرت على فلان: إذا علوته، وظهرت على السطح: إذا صرّت فوقه.



(١) ذكر ذلك البيهقي والخازن في «تفسيريهما» وقد تقدم في حديث عبد الله بن سلام في أول السورة أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله ﷻ ليفعلوه، فأُنزل الله هذه السورة، ومن جملتها هذه الآية.

(٢) قال ابن كثير: أي لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهتمت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته وزمّوه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة، قال: وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، واختلفوا فرقا وشيعا، فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومن قائل: إنه الله، وهم النصارى، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. وقال ابن كثير أيضاً في سورة (المائدة: ٧٢، ٧٣) عند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ و ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً، قال: وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: إني أنا الله، ولا: ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ مَا آتَانِي الْكِتَابَ وَبَعَلَنِي إِلَيْكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَيْدَ اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكَ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته أمراً لهم بعبادة الله ربه وربه وحده لا شريك له. ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتُبْعُونَ لِقَوْلِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ شِرْكِهِ إِنَّهُ هُوَ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِبَاحَ وَرَأْسَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْتَظِعُونَ مِنْكُمْ﴾.

(٣) والأول أظهر، والله أعلم.



## سورة الجمعة

### وهي مدنية كلها بإجماعهم

وقد سبق شرح فاتحتها. وقرأ أبو البرداء، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، والنخعي، والوليد عن يعقوب «الملك القدوس والعزیز الحكيم» بالرفع فيهن. فإن قيل: فما الفائدة في إعادته ذكر التسبيح في هذه السورة؟ فالجواب: أن ذلك لاستفتاح السور بتعظيم الله ﷻ، كما تسبح بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا جُلَّ المعنى في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ الْفُؤُوسُ الْغَمِيرُ لِلْعَكْبَرِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ ضَلَالِى مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ﴾ يعني: العرب، وكانوا لا يكتبون وقد شرحنا هذا المعنى في [البقرة: ٧٨] ﴿رُسُلًا﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿مِنْهُمْ﴾ أي: من جنسهم ونسبهم. فإن قيل: فما وجه الامتنان في أنه بعث نبياً أمياً؟ فغنه ثلاثة أجوبة: أحدها: لموافقة ما تقدمت البشارة [به في كتب] الأنبياء. والثاني: لمشاكلته حاله لأحوالهم، فيكون أقرب لموافقتهم. والثالث: لئلا يظن به أنه يعلم كتب من قبله. وما بعد هذا في سورة [البقرة: ١٢٩]. إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾، أي: وما كانوا قبل بعثته إلا في ﴿ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، بين، وهو الشرك<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: وبعث محمداً في آخرين منهم، أي: من الأميين. والثاني: ويعلم آخرين منهم، ويذكرهم. وفي المراد بالآخرين أربعة أقوال: أحدها: أنهم العجم، قاله ابن عمر، وسعيد بن جبير، وهي رواية ليث عن مجاهد<sup>(٢)</sup>. فعلى هذا إنما قال: «منهم»، لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، إذ المسلمون يد

(١) قال ابن كثير: وتخصيص الأميين بالذكر لا يفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى في قوله: ﴿وَاللَّهُ لَذَكُّكَ اللَّهُ وَكَرِيمٌ﴾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وكذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَبَتْكَ الْأَنْزَارُ﴾. وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُلْ بِمَنَافِعِ أَنْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقوله: ﴿لَا تُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقوله إخباراً عن القرآن: ﴿وَمَنْ يَكْثُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآثَارُهُ مُزْمَعٌ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعث صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم.

(٢) وهذه الآية، هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويذكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعث الله سبحانه وتعالى له الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، أي: نزرأ يسيراً ممن تمسك بما بعث الله به عيسى ابن مريم ﷺ. وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل ﷺ، فبذلوه وغيروه، وقلوبه وخالفوه، واستبدلوا بالتوحيد شركاً، وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله، وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها، فبعث الله محمداً ﷺ بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ﷻ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأمور والفروع. وجمع الله تعالى - وله الحمد والمنة - جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٤٩٢/٨ عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة (الجمعة) ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله، فلم يراجع حتى سأل ثلاثاً وفيها سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لثاله رجال - أو رجل - من هؤلاء».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» تعليقاً على قوله: فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾: كأنه يريد أنزلت عليه هذه الآية من سورة (الجمعة). وإلا فقد نزل منها قبل إسلام أبي هريرة الأمر بالسعي، قال: ووقع في رواية الدراودي عن ثور عند مسلم: نزلت عليه سورة (الجمعة) فلما قرأ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾.

واحدة، وملة واحدة. والثاني: أنهم التابعون، قاله عكرمة، ومقاتل. والثالث: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيد، وهي رواية ابن أبي نجيج عن مجاهد. والرابع: أنهم الأطفال، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَنَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قَسَدَ اللَّهِ﴾ يعني: الإسلام والهدى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ بإرسال محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قل يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن رِزْقَكُمْ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتَّعُوا بِالْثَوْرِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَمْتَنِعُونَهُ أَرْبَابًا بِمَا كَذَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا الْمَوْتُ الَّذِي نُتَوَرَّكُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَوِّكُكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّهِ الْقَتِيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

ثم ضرب لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُلُوا الثَّورَةَ﴾ أي: كُلفوا العمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بموجبها، ولم يؤدوا حقها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ وهي جمع سفر. والسفر: الكتاب، فشبههم بالحمار لا يعقل ما يحمل، إذ لم ينتفعوا بما في التوراة، وهي دالة على الإيمان بمحمد [وهذا المثل يلحق من لم يعمل بالقرآن ولم يفهم معانيه ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ ذم مثلهم، والمراد ذمهم، واليهود كذبوا بالقرآن وبالتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد] ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أنفسهم بتكذيب الأنبياء.

قوله تعالى: ﴿إِن رِزْقَكُمْ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا﴾ وذلك أن اليهود، قالوا: نحن ولد إسرائيل الله، ابن ذبيح الله، ابن خليل الله، ونحن أولى بالله ﷻ من سائر الناس، وإنما تكون النبوة فينا. فقال الله ﷻ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ﴾ لهم إن كنتم ﴿أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا... فَتَمَتَّعُوا بِالْثَوْرِ﴾ لأن الموت خير لأولياء الله من الدنيا. وقد بينا هذا وما بعده في [البقرة: ٩٤] إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا الْمَوْتُ الَّذِي نُتَوَرَّكُ مِنْهُ﴾ وذلك أن اليهود علموا أنهم أفسدوا على أنفسهم أمر الآخرة بتكذيبهم محمداً، وكانوا يكرهون الموت، فقبل لهم: لا بد من نزول [بكم] بقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُ مُلَوِّكُكُمْ﴾ قال الفراء: العرب تدخل الفاء في كل خير كان اسمه مما يوصل، مثل «من» و «الذي» فمن أدخل الفاء هاهنا ذهب «بالذي» إلى تأويل الجزاء. وفي قراءة عبد الله «إِن الموت الذي تفرّون منه ملائكم» وهذا على القياس، لأنك تقول: إِن أخاك قائم، ولا تقول: فقائم، ولو قلت: إِن ضاريك فظالم، لجاز، لأن تأويله: إِن من يضريك فظالم. وقال الزجاج: إنما جاز دخول الفاء، لأن في الكلام معنى الشرط والجزاء. ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله تعالى «تفرّون منه» كأنه قيل: إِن فررت من أي موت كان من قتل أو غيره «فإنه ملائكم» وتكون «فإنه» استثناءً بعد الخبر الأول.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرًا فَتُكْرَمُوا ثُمَّ اقْبَلُوا إِلَيْهِ فَعَلَّامُ الْفُتُورِ ﴿٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ وهذا هو النداء الذي ينادى به إذا جلس الإمام على المنبر، ولم يكن في عهد رسول الله ﷺ نداء سواء، كان إذا جلس على المنبر أذن بلال على باب المسجد، وكذلك كان على عهد أبي بكر، وعمر، فلما كثرت الناس على عهد عثمان أمر بالتأذين على دار له بالسوق، يقال لها: «الزوراء»<sup>(٢)</sup> وكان إذا

- قال ابن كثير: والحديث رواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرق عن ثور بن يزيد الدبلي عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة به، قال: ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية، وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس، لأنه فسر قوله تعالى: ﴿وَتَاخِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ بفارس، قال: ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله ﷻ وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغيره في قوله تعالى: ﴿وَتَاخِرُونَ إِلَيْكُمْ لَنَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: هم الأحاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب.

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا أصحابوا النبي ﷺ في إسلامهم من أي الأجناس، لأن الله ﷻ هم بقوله: ﴿وَتَاخِرُونَ إِلَيْكُمْ لَنَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ كل لاحق بهم من آخرين، ولم يخص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله ﷻ يتلو عليهم آيات الله.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» ٣٢٦/٢ من السائب بن يزيد ﷺ قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ.

جلس أذن أيضاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِلصَّلَاةِ﴾ أي: لوقت الصلاة. وفي «الجمعة» ثلاث لغات: ضم الجيم والميم، وهي قراءة الجمهور. وضم الجيم مع إسكان الميم، وبها قرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رجاء، وعكرمة، والزهري، وابن أبي ليلى، وابن أبي عبلة، والأعمش. وبضم الجيم مع فتح الميم، وبها قرأ أبو مجلز، وأبو العالية، والنخعي، وعدي بن الفضل عن أبي عمرو. قال الزجاج: من قرأ بتسكين الميم، فهو تخفيف الجمعة لثقل الضميتين. وأما فتح الميم، فمعناها: الذي يجمع الناس، كما تقول: رجل لُعَنَ: يكثر لعنة الناس، وَضَحَكَ: يكثر الضحك. وفي تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة ثلاثة أقوال: أحدها: لأن فيه جُمع آدم. روى سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتدري ما الجمعة؟» قلت: لا. قال: «فيه جُمع أبوك» يعني: تمام خلقه في يوم<sup>(٢)</sup>. والثاني: لاجتماع الناس فيه للصلاة. والثالث: لاجتماع المخلوقات فيه، لأنه اليوم الذي منه فرغ من خلق الأشياء<sup>(٣)</sup>. وفي أول من سماها بالجمعة قولان: أحدهما: أنه كعب بن لؤي سماها بذلك، وكان يقال ليوم الجمعة: العروبة، قاله أبو سلمة. وقيل: إنما سماها بذلك لاجتماع قريش فيه. والثاني: أول من سماها بذلك الأنصار، قاله ابن سيرين<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَوُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وفي هذا السعي ثلاثة أقوال: أحدها: أنه المشي، قاله ابن عباس. وكان ابن مسعود يقرؤها «فامضوا» ويقول لو قرأتها «فاستعوا» لسعيت حتى يسقط ردائي<sup>(٥)</sup>. وقال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة. والثاني: أن المراد بالسعي: العمل، قاله عكرمة، والقرظي، والضحاك، فيكون المعنى: فاعملوا على

= وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء. وفي رواية أخرى للبخاري عن السائب بن يزيد زيادة «فثبت الأمر على ذلك». قال ياقوت في «معجم البلدان»: الزوراء: موضع عند سور المدينة قرب المسجد. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: قوله: «زاد النداء الثالث» في رواية وكيع عن ابن أبي ذئب «فأمر عثمان بالأذان الأول» ونحوه للشافعي من هذا الوجه. قال: ولا منافاة بينهما، لأنه باعتبار مزيداً يسمى ثالثاً، وباعتبار كونه جعل مقدماً على الأذان والإقامة يسمى أولاً، قال: ولفظ رواية عقيل: (يعني في البخاري) أن التأذين بالثاني أمر به عثمان، قال: وتسميته ثانياً أيضاً متوجه بالنظر إلى الأذان الحقيقي لا الإقامة. والمقصود من الأذان الثالث، الإقامة.

(١) أي إذا جلس على المنبر أذن الأذان الثاني.

(٢) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد في «المسند» ٤٤٠/٥ وتتمته قال النبي ﷺ: «ألا أحدثك عن يوم الجمعة، لا يتطهر رجل مسلم ثم يمضي إلى المسجد، ثم ينصت حتى يقضي الإمام صلاته إلا كان كفارة لما بيننا وبين الجمعة التي بعد ما اجتنبت المقتلة». وهو حديث حسن، قال الحافظ الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٧٤/٢: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن، قال: وروى النسائي بعضه، وأورد السيوطي في «الدر» ٢١٦/٦ وزاد نسبة لسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردويه. وروى مسلم في «صحيحه» ٥٨٥/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». وروى مالك في «الموطأ» ١٠٨/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة (مصينة لنفخة الساعة) يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلا الإنس والجن، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه» وسنده صحيح، ورواه بنحوه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، قال الترمذي ٣٦٢/٢: هذا حديث صحيح. وروى أبو داود في «سننه» رقم (١٠٤٧) عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»، قال: قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت، فقال: «إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء». وسنده صحيح. ورواه النسائي وابن ماجه وغيرهما.

(٣) قال ابن كثير: إنما سميت الجمعة جمعة، لأنها مشتقة من الجمع، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار، قال: وفيه كمل جميع الخلائق، فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٣٩٤/٢: روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة، فقال الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهل فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكر. فجمعوه يوم القروية.

(٥) رواه الطبري ١٠٠/٢٨ من رواية إبراهيم عن ابن مسعود، وفي سنده انقطاع. قال الحافظ الهيثمي في «المعجم» ١٢٤/٧: رواه الطبراني، وإبراهيم لم يدرك ابن مسعود، ورجاله ثقات، وأروده السيوطي في «الدر» ٢١٩/٦ وزاد نسبة لعبد الرزاق، والقرطبي، وأبي عبيد، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن الأباري من طرق عن عبد الله بن مسعود. وصح عن عمر أنه قرأها كذلك. ونقل القرطبي عن ابن شهاب أنه قرأها كذلك، ثم قال: وهو كله تفسير منهم. وقال البخاري في «صحيحه» (باب فرض الجمعة) لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَلَّوْا لِلصَّلَاةِ يَوْمَ الْيَوْمِ اسْتَمِعُوا لِلَّذِي يَذْكُرُ آيَاتِ اللَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ﴾ قال: فاستعوا: فامضوا. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وهو تفسير منه للمراد بالسعي، بخلاف قوله في الحديث: «فلا تأتوها تسعون» فالمراد به: الجري، وقد جاء أن عمر قرأ «فامضوا» وهو يؤيد ذلك.

المضي إلى ذكر الله بالتفريغ له، والاشتغال بالطهارة ونحوها. والثالث: أنه النية بالقلب، قاله الحسن. وقال ابن قتيبة: هو المبادرة بالنية والجد. وفي المراد «بذكر الله» قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله الأكثرون. والثاني: موعظة الإمام، قاله سعيد بن المسيب.

قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: دعوا التجارة في ذلك الوقت. وعندنا: أنه لا يجوز البيع في وقت النداء، ويقع البيع باطلاً في حق من يلزمه فرض الجمعة. وبه قال مالك<sup>(١)</sup> خلافاً للأكثرين<sup>(٢)</sup>.

## فصل

تجب الجمعة على من سمع النداء من المصر، إذا كان المؤذن صَيِّتاً، والريح ساكنة. وقد حذَّه مالك بفسخ، ولم يحذَّه الشافعي. وعن أحمد في التحديد نحوهما. وتجب الجمعة على أهل القرى<sup>(٣)</sup>. وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على أهل الأمصار. ويجوز لأهل المصر أن يقيموا الجمعة في الصحراء القريبة من المصر خلافاً للشافعي. ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين. وعن أحمد: أقله خمسون. وعنه: أقله ثلاثة. وقال أبو حنيفة تنعقد بثلاثة والإمام، والعدد شرط في الجمعة<sup>(٤)</sup> وقال أبو حنيفة في إحدى الروايتين: يصح أن يخطب منفرداً. وهل تجب الجمعة على العبيد؟ فيه عن أحمد روايتان. وعندنا: تجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة: ولا تنعقد الجمعة بالعبيد والمسافرين، خلافاً لأبي حنيفة. وهل تجب الجمعة والعيدان من غير إذن سلطان؟ فيه عن أحمد روايتان. وتجزو الجمعة في موضعين في البلد مع الحاجة. وقال مالك، والشافعي، وأبو يوسف: لا تجوز إلا في موضع واحد. وتجزو إقامة الجمعة قبل الزوال خلافاً لأكثرهم، وإذا وقع العيد يوم الجمعة أجزأ حضوره عن يوم الجمعة، وبه قال الشعبي، والنخعي، خلافاً للأكثرين. والمستحب لأهل الأعدار أن يصلوا الظهر في جماعة. وقال أبو حنيفة: يكره. ولا يجوز السفر يوم الجمعة بعد الزوال. وقال أبو حنيفة: يجوز. وهل يجوز السفر بعد طلوع الفجر؟ فيه عن أحمد روايتان. ونقل عن أحمد: أنه لا يجوز الخروج في الجمعة إلا للجهاد. وقال أبو حنيفة: يجوز لكل سفر. وقال الشافعي: لا يجوز أصلاً. والخطبة شرط في الجمعة. وقال داود: هي مستحبة. والطهارة لا تشترط في الخطبة، خلافاً للشافعي في أحد قوليه. والقيام ليس بشرط في الخطبة، خلافاً للشافعي. ولا تجب القعدة بين الخطبتين، خلافاً له أيضاً. ومن شرط الخطبة: التحميد، والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة. وقال أبو حنيفة: يجوز أن يخطب بتسبيحة.

وقال ابن كثير: أي: اقتصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، قال: وليس المراد بالسمي هاهنا: المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ آتَاكَ الْخَبَرَ وَسَمِعَهَا يَكْفُرْ بِهَا﴾ قال: وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود، رضي الله عنهما، يقرأنها «فامضوا إلى ذكر الله» قال: فاما المشي السريع إلى الصلاة، فقد نهى عنه، لما أخرجهما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدرككم فصلوا وما فاتكم فاتموا».

(١) قال القرطبي في تفسير الآية: وملعب مالك أن يترك البيع إذا نودي للصلاة، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت، ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره، إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع، قالوا: وكذلك الشركة والهبة والصدقة ناهي لا يفسخ. قال: قال ابن العربي: والصحيح فسخ الجميع، لأن البيع إنما منع منه للاشتغال به، فكل أمر يشغل عن الجمعة من العقود كلها، فهو حرام شرعاً منسوخ ودعاً.

(٢) كأي حنيفة، والشافعي، وغيرهما، فإن البيع عندهم يتعقد مع الحرمة بعد النداء ولا يفسخ. قال ابن كثير: اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا: هل يصح إذا تعاطا متعاط، أم لا؟ على قولين، قال: وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: عن عمر أنه كتب إلى أهل البحرين أن جمعوا جيشاً كنتم. قال: وهذا يشغل المدن والقرى، أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أبي رافع عن أبي هريرة عن عمر، وصححه ابن خزيمة، قال: وعند عبد الرزاق بإسناد صحيح عن ابن عمر أنه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يهيب عليهم.

(٤) لا خلاف بين العلماء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة، ولكن اختلفوا في العدد الذي تنعقد به الجمعة إلى عدة أقوال ذكرها الحافظ ابن حجر في «الفتح»، والراجح أنها تصح باثنين فأكثر، قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: وقد انعقدت سائر الصلوات بالاثنتين بالإجماع، والجمعة صلاة، فلا تختص بحكم يخالف غيرها إلا بدليل، ولا دليل على اعتبار عدد فيها زائد على المعتبر في غيرها، وقد قال عبد الحق الإشبيلي: إنه لا يثبت في عدد الجمعة حديث، وكذلك قال السيوطي: لم يثبت في شيء من الأحاديث تبين عدد مخصوص، ومن ذهب إلى هذا: الطبري، وداود، والنخعي، وابن حزم.



والخطبتان واجبتان. وأما القراءة في الخطبة الثانية، فهي شرط، خلافاً للشافعي. والسنة للإمام إذا صعد المنبر، واستقبل الناس: أن يسلم، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك. وهل يحرم الكلام في حال سماع الخطبة؟ فيه عن أحمد روايتان. ويحرم على المستمع دون الخاطب، خلافاً للأكثرين. ولا يكره الكلام قبل الابتداء بالخطبة، وبعد الفراغ منها، خلافاً لأبي حنيفة. ويستحب له أن يصلي تحية المسجد والإمام يخطب، خلافاً لأبي حنيفة، ومالك<sup>(١)</sup>. وهل يجوز أن يخطب واحد، ويصلي آخر، فيه عن أحمد روايتان.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: إن كان لكم علم بالأصلح ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغتم منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا أمر بإباحة ﴿وَاتَّقُوا يَنْ فَضَّلَ اللَّهُ﴾ إباحة لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع منها بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وقال الحسن، وابن جبير: هو طلب العلم.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْا قَالِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمَنِ الْيَحْيَى وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِيقِ﴾ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان يخطب يوم الجمعة، إذ أقبلت عبر قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جابر بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، قاله الحسن. وذلك أنهم أصابهم جوع، وغلاء سعر، فلما سمعوا بها خرجوا إليها، فقال النبي ﷺ: ﴿لَوْ اتَّبَعْتُمْ آخِرَهُمْ أَوَّلَهُمْ تَهَبَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نَاراً﴾<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: كان الذي قدم بالتجارة دحية بن خليفة الكلبي، قال مقاتل: وذلك قبل أن يسلم. قالوا: قديم بها من الشام، وضرب لها طبل يؤذن الناس بقدموها. وهذه كانت عادتهم إذا قدمت عبر<sup>(٤)</sup>. قال جابر بن عبد الله: كانت التجارة طعاماً. وقال أبو مالك: كانت زيتاً. والمراد باللهم: ضرب الطبل. و«انفَضُّوا» بمعنى: تفرقوا عنك، فذهبوا إليها. والضمير للتجارة. وإنما خصت برد الضمير إليها، لأنها كانت أهم إليهم، هذا قول الفراء، والمبرد. وقال الزجاج: المعنى: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف خبر أحدهما، لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف. وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عتبة «انفَضُّوا إليهما» على التثنية. وعن ابن مسعود، وابن أبي عتبة «انفَضُّوا إليه» على ضمير مذكر ﴿وَزَكَّوْا قَالِمًا﴾ وهذا القيام كان في الخطبة ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب الصلاة والثبات مع رسول الله ﷺ ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمَنِ الْيَحْيَى وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِيقِ﴾ لأنه يرزق من يؤمن به ويعبده، ومن يكفر به ويجحده، فهو يعطي من سأل، ويبتدئ من لا يسأل، وغيره إنما يرزق من يرجو منفعة، ويُقبل على خدمته<sup>(٥)</sup>.



(١) وذهب الشافعي إلى الاستحباب أيضاً. وحجتهم في ذلك ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن جابر ﷺ قال: دخل رجل يوم الجمعة رسول الله ﷺ يخطب، فقال: «صليت؟» قال: لا، قال: «فصل ركعتين» والرجل هو: سليك النطفاني ﷺ. وروى مسلم في «صحيحه» عن جابر ﷺ قال: جاء سليك النطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فجلس، فقال له: يا سليك قم فاركع ركعتين وتجاوز ليهما» ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين ولتجاوز فيهما».

(٢) البخاري ٤٩٣/٨، ومسلم ٥٩٠/٢.

(٣) ذكره بنحوه البغوي والخازن عن الحسن بغير سند. وذكره السيوطي في «الدرر» ٢٢١/٤ من رواية عبد بن حميد عن الحسن مرسلأ بنحوه. قال ابن كثير: وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقلعت عبر إلى المدينة، فابتدوها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسأل الوادي نارا» ونزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَزَكَّوْا قَالِمًا﴾.

(٤) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٢١/٦ من رواية البيهقي عن قتادة مرسلأ.

(٥) قال ابن جرير الطبري: «والله خير رازق، فإليه فارغبوا في طلب أرزاقكم، وإياه فاسألوا أن يوسع عليكم من فضله دون غيره».

- (١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» ٣٢١، ٣٢٢ بِنَحْوِهِ مُخْتَصَرًا. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «تَخْرِيجِ الْكُشَافِ»: حَدِيثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ لَقِيَ بَنِي الْمُصْطَلِقَ عَلَى الْمَرْيَسِ، وَهُوَ مَاءٌ لَهُمْ وَهَزْمُهُمْ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ، أَزْدَحَمَ عَلَى الْمَاءِ جِهَاهُ بِنِ سَعِيدٍ -أَجِيرِ عُمَرَ- يَقُودُ فَرَسَهُ، وَسَتَانَ الْجَنْهِي حَلِيفَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيهِ وَقَتْلًا... الْحَدِيثُ، وَفِيهِ قِصَّةُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ فِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي: لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكَ وَكَذَّبَ الْمُنَافِقَ.. هَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيُّ فِي «الْمَغَازِي» بِغَيْرِ إِسْتَادٍ، وَعَزَاهُ إِلَى الثَّعْلَبِيِّ وَالْوَاحِدِيِّ وَلِأَصْحَابِ السَّيْرِ، قَالَ: وَأَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السَّيْرِ»: حَدَّثَنِي عَاصِمٌ بِنَ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَانَ، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقَ، فَذَكَرَ الْغَزْوَةَ بِطَوْلُهَا، وَالْقِصَّةَ الْمَذْكُورَةَ بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ، وَكَذَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِهِ، وَأَصْلُ الْقِصَّةِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَقُولُ... الْحَدِيثُ. وَأَوَّلُهُ عِنْدَهُمَا أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقَ، فَتَبِعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ... قَالَ: وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَعْدٍ الْأَوْدِيِّ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَعَنَا أَنَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَكُنَّا نَبْتَهِلُ الْمَاءَ، وَكَانَ الْأَعْرَابُ يَسْتَبِقُونَا، سَبَقَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا الْخُوضَ فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلُهَا، وَفِي سِيَاقِهَا اخْتِلَافٌ.
- (٢) يَعْنِي قَوْلُهُ: يَا أَبَا الْحَبَابِ إِنَّهُ قَدْ نَزَلَتْ فِيكَ آيَاتُ شِدَادٍ فَاهْبِثْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَكَ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَفَعَدَّآ إِلَيْنِمْ جَنَّةً فَعَدَّآ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَجَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ نَجَسٌ فَلَا يَقْضُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبََّعَكَ أَعْيُنُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُنْسَدَّدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ فَاسَّدَوا فَنَلَقَوْهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُوَفِّكُنَّ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وهامنا تم الخبر عنهم. ثم ابتدا فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وإنما جعلهم كاذبين، لأنهم أضمرنا غير ما أظهروا. قال الفراء: إنما كذب ضميرهم. ﴿أَفَعَدَّآ إِلَيْنِمْ جَنَّةً فَعَدَّآ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد ذكرناه في [المجادلة: ١٦]. قال القاضي أبو يعلى: وهذه الآية تدل على أن قول القائل: «أشهد» يمين، لأنهم قالوا: «نشهد» فجعله يميناً بقوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّآ إِلَيْنِمْ جَنَّةً﴾ وقد قال أحمد، والأوزاعي، والثوري، وأبو حنيفة: أشهد، وأقسم، وأغزم، وأخلف، كلها أيمان. وقال الشافعي: «أقسم» ليس بيمين. وإنما قوله: «أقسم بالله» يمين إذا أراد اليمين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الكذب ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في السر ﴿فَطَجَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ نَجَسٌ فَلَا يَقْضُونَ﴾ الإيمان والقرآن ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبََّعَكَ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أن لهم أجساماً ومناظر. قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبي جسيماً فصيحاً، ذُلَّ اللسان<sup>(٢)</sup>، فإذا قال، سمع النبي ﷺ قوله. وقال غيره: المعنى: تصني إلى قولهم، فتخيب أنه حق. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: وحزمة: «خُشْبٌ» بضم الخاء، والشين جميعاً، وهو جمع خشبة. مثل نَمْرَةٍ، ونَمْرٍ. وقرأ الكسائي: بضم الخاء، وتسكين الشين، مثل: بَذَنَةٍ، وبُذْنٍ، وأَكْمَةٍ، وأُكْمٍ. وعن ابن كثير، وأبي عمرو مثله. وقرأ أبو بكر الصديق، وعروة، وابن سيرين: «خُشْبٌ» بفتح الخاء، والشين جميعاً. وقرأ أبو نهيك، وأبو المتوكل، وأبو عمران بفتح الخاء، وتسكين الشين، فوصفهم الله بحسن الصورة، وإبانة المنطق، ثم أعلم أنهم في ترك التفهيم والاستبصار بمنزلة الخُشْبِ. والمُسْنَدَةُ: الممالة إلى الجدار. والمراد: أنها ليست بأشجار تثمر وتتمي، بل خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ إلى حائط. ثم عابهم بالجبن فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم، وهذه مبالغة في الجبن. وأنشدوا في هذا المعنى:

لَوْ أَنَّهُا عُضْفُورَةٌ لَحَبِئَتْهَا

مُسُومَةٌ تَدْعُو عُيُوداً وَأَزْنَمًا<sup>(٣)</sup>

أي: لو طارت عصفورة لحبستها من جبنك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ فَاسَّدَوا فَنَلَقَوْهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُوَفِّكُنَّ﴾ أي: لا تأمنهم على سِرِّك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار. ﴿فَنَلَقَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ يُوَفِّكُنَّ﴾ مفسر في [براءة: ٣٠].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْنَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْدُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَضُوا وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْضُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الأَعْرَ

(١) قال القرطبي في «تفسيره»: من قال: أقسم بالله، أو أشهد بالله، أو أكرم بالله، أو أحلف بالله، أو أقسمت بالله، أو أشهدت بالله، أو أكرمت بالله، أو أحلفت بالله، فقال في ذلك كله «بالله» فلا خلاف في أنها يمين. قال: وكذلك عند الله وأصحابه إن قال: أقسم، أو أشهد، أو أكرم، أو أحلف، ولم يقل: «بالله» إذا أراد «بالله»، قال: وإن لم يرد «بالله» فليس بيمين، قال: حكاة الجبكي عن الشافعي، قال الشافعي: إذا قال: أشهد بالله ونوى اليمين كان يميناً، قال: وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو قال: أشهد بالله لقد كان كذا، كان يميناً، ولو قال: أشهد لقد كان كذا دون النية كان يميناً، لهذه الآية، لأن الله تعالى ذكر منهم الشهادة، ثم قال: ﴿أَفَعَدَّآ إِلَيْنِمْ جَنَّةً﴾ قال: وعند الشافعي لا يكون ذلك يميناً وإن نوى اليمين، لأن قوله تعالى: ﴿أَفَعَدَّآ إِلَيْنِمْ جَنَّةً﴾ ليس يرجع إلى قوله: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ﴾ وإنما يرجع إلى ما في [براءة] من قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ والله ما قالوا.

(٢) أي تَلَقَّى اللسان، يقال: تكلم فلان بلسان ذُلَّى تَلَقَّى. أي: فصيح بليغ. قال في «اللسان»: لسان ذُلَّى تَلَقَّى، وَذُلَّى تَلَقَّى، وَذُلَّى تَلَقَّى، أي: أربع لغات فيها، والذلق: الفصح اللسان.

(٣) البيت للعوام بن شاذب، الشيباني، وهو في «مشكل القرآن» ٦، و«غريب القرآن» ٤٦٨، و«الناظم» ٥٨٥، و«العقد الفريد» ١٩٥/٥، و«معجم الشعراء» ٣٠٠، و«عيون الأخبار» ١/١٦٦، و«الصالح» و«اللسان» و«التاج»: زعم، و«القرطبي» ٢٨/١٢٦، و«أزمن» بطن من بني يربوع.

يَتَّبِعُوا الْآذَلَّ وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قد بيّنا سببه في نزول السورة ﴿لَوْزًا رُؤُوسَهُمْ﴾ وقرأ نافع، والمفضل عن عاصم، ويعقوب: ﴿لَوْزًا﴾ بالتخفيف. واختار أبو عبيدة التشديد. وقال: لأنهم فعلوا ذلك مرة بعد مرة. قال مجاهد: لما قيل لعبد الله بن أبي: تعال يستغفر لك رسول الله لوى رأسه، قال: ماذا قلت؟ وقال مقاتل: عطفوا رؤوسهم رغبة عن الاستغفار. وقال الفراء: حركوها استهزاء بالنبي وبدعائه.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يعرضون عن الاستغفار. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: متكبرون عن ذلك. ثم ذكر أن استغفاره لهم لا يضعهم بقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وقرأ أبو جعفر: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ﴾ بالمد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعَثُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قد بيّنا أنه قول ابن أبي. و ﴿تَنْصَفُوا﴾ بمعنى: يفرقوا. ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قال المفسرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات. والمعنى: أنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، لا أولئك، ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يعلمون أن الله رازقهم في حال إفاق هؤلاء عليهم. ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا﴾ من هذه الغزوة. وقد تقدم ذكرها وهذا قول ابن أبي ﴿لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ﴾ يعني: نفسه، وعنى به ﴿الْأَذَلَّ﴾ رسول الله ﷺ. وقرأ الحسن: ﴿لِيُخْرِجَنَّ﴾ بالنون مضمومة وكسر الراء ﴿الْأَعَزَّ﴾ بنصب الزاي [والأذل منصوب] على الحال [بناء على جواز تعريف البحال، أو زيادة «ال» فيه، أو بتقدير «مثل»]. المعنى: لنخرجه ذليلاً على أي حال ذل. والكل نصبوا [الأذل] فرد الله ﷻ عليه فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْمِرَّةُ﴾ وهي: المنعة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بإعزاز الله ونصره إياهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمْ أَلْمُوتَ يَقُولَ رَبِّ لَوْلَا لَتَرْتَيَنَّ إِلَهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَكَانَ يُخَوِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي: لا تشغلكم. وفي المراد بذكر الله هاهنا أربعة أقوال: أحدها: طاعة الله في الجهاد، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: الصلاة المكتوبة، قاله عطاء، ومقاتل. والثالث: الفرائض من الصلاة، وغيرها، قاله الضحاك. والرابع: أنه على إطلاقه. قال الزجاج: حصّهم بهذا على إدامة الذكر.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في هذه النفقة ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زكاة الأموال، قاله ابن عباس. والثاني: أنه النفقة في الحقوق الواجبة بالمال، كالزكاة والحج، ونحو ذلك، وهذا المعنى مروى عن الضحاك. والثالث: أنه صدقة التطوع، ذكره الماوردي. فعلى هذا يكون الأمر ندباً، وعلى ما قبله يكون أمر وجوب.

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْفِكَ أَحَدُكُمْ أَلْمُوتَ﴾ قال الزجاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنه ميت.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا لَتَرْتَيَنَّ إِلَهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: هلاً آخرتي ﴿إِلَهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يعني بذلك الاستزادة في أجله ليتصدق ويحكي، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَقَ﴾ قال أبو عبيدة: «فأصدق» نصب، لأن كل جواب بالفاء للاستفهام منصوب. تقول: مَنْ عندك فأتيتك. هلاً فعلت كذا فافعل كذا، ثم تبعها ﴿وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بغير واو. وقال أبو عمرو: إنما هي، وأكون، فذهبت الواو من الخط. كما يكتب أبو جاد أبجد هجاء، وهكذا يقرؤها أبو عمرو «وأكون» بالواو، ونصب النون. والباقون يقرؤون «وأكن» بغير واو. قال الزجاج: من قرأ «وأكون» فهو على لفظ فأصدق. ومن جزم «أكن» فهو على موضع «فأصدق»، لأن المعنى: إن أخبرني أصدق وأكن. وروى أبو صالح عن ابن عباس: «فأصدق» أي: أركي مالي «وأكن» من الصالحين أي: أحتج مع المؤمنين، وقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ والمعنى: بما تعملون من التكذيب بالصدقة. قال مقاتل: يعني المنافقين. وروى الضحاك عن ابن عباس: ما من أحد يموت، وقد كان له مال لم يركه، وأطاق الحج فلم يحج، إلا سأل الله الرجعة عند الموت، فقالوا له: إنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: أنا أتلو عليكم به قرآنا، ثم قرأ هذه الآية (١).

(١) في سنده انقطاع كما قال ابن كثير، والله أعلم.



## سورة التغابن

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، قاله الجمهور، منهم ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. والثاني: أنها مكية، قاله الضحاك. وقال عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلن بالمدينة قوله تعالى: ﴿يَنبَأُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكِ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ﴾ والثتان بعدها.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الثَّانِلُ لَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَتَكُونُ كَآرُكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَلْقَىٰ وَرُكُودَكُمْ فَاحْسَنَ صُورَكُمْ ۚ وَاللَّهُ الْمَعِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُخْفُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَنُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَكَالَ أَمْرِهم وَلَكُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَجْعَلُونَا عَدُوًّا وَمَنْ لَنَا أَتَشْتَقِي اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَبِيدٌ ۝﴾

وقد سبق تفسير فاتحتها إلى قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ كَآرُكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الله خلق بني آدم مؤمنًا وكافراً، رواه الوالبي عن ابن عباس. والأحاديث تعضد هذا القول، كقوله عليه الصلاة والسلام: «خلق فرعون في بطن أمه كافراً، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً»<sup>(١)</sup>، وقوله: «فيؤمر الملك بأربع كلمات: بكتب رزقي، وأجله، وعملي، وشقي أم سعيد»<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ كَآرُكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، واختلف أرباب هذا القول فيه على أربعة أقوال: أحدها: فمنكم كافر يؤمن، ومنكم مؤمن يكفر، قاله أبو الجوزاء عن ابن عباس. والثاني: فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب، قاله عطاء بن أبي رباح، وعنى بذلك شأن الأنواء. والرابع: فمنكم كافر بالله خلقه، ومؤمن بالله خلقه، حكاه الزجاج<sup>(٣)</sup>. والكفر بالخلق مذهب الدهرية، وأهل الطبايع. وما بعد هذا قد سبق إلى قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ قال الزجاج: أي: خلقكم أحسن الحيوان كله. وقرأ الأعمش «صوركم» بكسر الصاد. ويقال في جمع صورة: صُور، وصُور، كما يقال في جمع لحية: لِحَى، وَلَحَى. وذكر ابن السائب أن معنى ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أحكمها. وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ﴾ روى المفضل عن عاصم «يسرون» و«يعلمون» بالياء فيهما: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَنُو الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا خطاب لأهل مكة خوفهم ما نزل بالكفار قبلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذَاقُوا وَكَالَ أَمْرِهم﴾ أي: جزاء أعمالهم، وهو ما أصابهم من العذاب في الدنيا ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أصابهم ﴿يَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فينكرون ذلك، ويقولون: ﴿أَشْرَ﴾ أي: ناس مثلنا ﴿يَجْعَلُونَا عَدُوًّا﴾ والبشر اسم جنس معناه الجمع، وإن كان

(١) ذكر هذا الحديث السيوطي في «الجامع الصغير» من رواية ابن عدي، والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً» قال الحافظ المنائي في «فيض القدير»: وكذا رواه الديلمي عن ابن مسعود، وفي سنده محمد بن سليم العبدي الراسبي، قال النسائي: ليس بالقوي في الحديث، وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: صدوق فيه لين.

(٢) هو قطعة من حديث طويل رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

(٣) جاء في «القرطبي» ١٣٣/١٨: وقال الزجاج - وهو أحسن الأقوال، والذي عليه الأئمة والجمهور من الأمة -: إن الله خلق الكافر، وكفره ففعل له وكسب، مع أن الله خالق الكفر، وخلق المؤمن، وإيمانه ففعل له وكسب، مع أن الله خالق الإيمان.

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنه، ورواه بنحوه الترمذي في «جامعه» ١٦٥/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، =



## سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القُصْرَى<sup>(١)</sup>، وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكْبِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَقُوهنَّ لِمَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قال الزجاج: هذا خطاب للنبي ﷺ، والمؤمنون داخلون معه فيه. ومعناه: إذا أردتم طلاق النساء، كقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَقْتُمْ إِلَى الْأَمْكَلِ﴾ [المائدة: ٦٦]. وفي سبب نزول هذه الآية قولان: أحدهما: أنها نزلت حين طلق رسول الله ﷺ حَفْصَةَ، وقيل له: راجعها، فإنها صَوَامَةٌ قَوَّامَةٌ، وهي من إحدى زوجاتك في الجنة، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضاً فأمره النبي ﷺ أن يراجعها، ثم يسكنها حتى تطهر، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِمَدَّتِهِنَّ﴾ أي: لزمان عدتهن، وهو الطهر. وهذا للمدخل بها، لأن غير المدخول بها لا عدّة عليها. والطلاق على ضربين: سُتْنِي، وبِدْعِي. فالسُتْنِي: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، وذلك هو الطلاق لِلْعِدَّةِ، لأنها تعتدّ بذلك الطهر من عدّة، وتقع في العدة عقيب الطلاق، فلا يطول عليها زمان العدة. والطلاق البدعي: أن يقع في حال الحيض، أو في طهر قد جامعها فيه، فهو واقع، وصاحبه آثم. وإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد، فالمصور من مذهبي أنه بدعة.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: زمان العدة. وفي إحصائها فوائد. منها: مراعاة زمان الرجعة، وأوان النفقة، والسكنى، وتوزيع الطلاق على الإقرار إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، وَلِتَعْلَمَ أَنَّهَا قَدْ بَانَتْ، فيتزوج بأختها، وأربع سواها. قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فلا تعصوه فيما أمركم به. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ فيه دليل على وجوب السكنى. ونسب البيوت إليهن، لسكناهن قبل الطلاق فيهن، ولا يجوز لها أن تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة. فإن خرجت أثمت، ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينٍ﴾ وفيها أربعة أقوال: أحدها: المعنى: إلا أن يخرج من قبل انقضاء العدة، فخرجهن هو الفاحشة المبيّنة، وهذا قول عبد الله بن عمر، والسدي، وابن السائب. والثاني: أن الفاحشة: الزنى، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، والشعبي، وعكرمة، والضحاك. فعلى هذا يكون المعنى: إلا أن يزني فَيُخْرِجَنَّ لإقامة الحدّ عليهن. والثالث: الفاحشة: أن تبدؤ على أهلها، فيحلّ لهم إخراجها، رواه محمد بن إبراهيم عن ابن عباس. والرابع: أنها إصابة حدّ، فتخرج لإقامة الحدّ عليها، قاله سعيد بن المسيب<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ التي بينتها، وأمر بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ

(١) سماها بذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما في «صحيح البخاري» ٥٠٢/٨.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٣ عن السدي بغير سند. وأخرج البخاري ومسلم من حديث سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ رسول الله ﷺ، ثم قال: «يراجعها ثم يسكنها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فذلك العدة التي أمر بها الله ﷻ، ولنظّم مسلم: «فذلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» وفي رواية لمسلم قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن».

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينٍ﴾ أي: لا يخرج من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبيّنة فتخرج من المنزل، قال: الفاحشة المبيّنة، تشمل الزنى كما قاله ابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو قلابة، وأبو صالح، والضحاك، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، والسدي، وسعيد بن أبي هلال، وغيرهم. قال: وتشمل ما إذا نشزت المرأة، أو بلّدت على أهل الرجل، وأذنتهم في الكلام والفعال، كما قاله أبي بن كعب، وابن عباس، وعكرمة وغيرهم.



تَسْمُوهُ أَي: أتم فيما بينه وبين الله تعالى ﴿لَا تَدْرِي لِمَلَّ اللَّهُ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: يوقع في قلب الزوج المحبة لرجعتها بعد الطَّلَقِ والطلاقين.. وهذا يدل على أن المستحب في الطلاق تفرقه، وأن لا يجمع الثلاث.

﴿إِذَا بَلَغَ الْبَلَغَ فَأَتَيْكُم بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَأَيُّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَفِّقُ بَيْنَكُمْ وَيُحْطَى بِكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴿وَرَزَقَهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغَ الْبَلَغَ﴾ أي: قارب انقضاء العدة ﴿فَأَتَيْكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وهذا مبين في [البقرة: ٢٣١] ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ قال المفسرون: أشهدوا على الطلاق، أو المراجعة. واختلف العلماء: هل الإشهاد على المراجعة واجب، أم مستحب؟ وفيه عن أحمد روايتان، وعن الشافعي قولان<sup>(١)</sup> ثم قال للشهداء: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أشهدوا بالحق، وأدوها على الصحة، طلباً لمرضاة الله، وقياماً بوصيته. وما بعده قد سبق بيانه [البقرة: ٢٣٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ فذكر أكثر المفسرين أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدو ابناً له، فذكر ذلك للنبي ﷺ، وشكا إليه الفاقة، فقال: اتق الله، واصبر، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل ذلك، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم، وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>. وفي معناها للمفسرين خمسة أقوال: أحدها: ومن يتق الله يُنَجِّهِ من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس. والثاني: بأن مَخْرَجَهُ: علمه بأن ما أصابه من عطاء أو منع، من قِبَلِ الله، وهو معنى قول ابن مسعود. والثالث: ومن يتق الله، فيطلق للسنة، ويراجع للسنة، يُجْعَلُ له مخرجاً، قاله السدي. والرابع: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة، يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة، قاله ابن السائب. والخامس: يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، قاله الزجاج. والصحيح أن هذا عام، فإن الله تعالى يجعل للنقي مخرجاً من كل ما يضييق عليه. ومن لا يتقي، يقع في كل شدة. قال الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجاً من كل ما يضييق على الناس ﴿وَرَزَقَهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من حيث لا يأمل، ولا يرجو. قال الزجاج: ويجوز أن يكون: إذا اتقى الله في طلاقه، وجرى في ذلك على السنة، رزقه الله أهلاً بدل أهله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: مَنْ يَتَّقِ به فيما نابه، كفاه الله ما أهمته ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ وروى حفص، والمفضل عن عاصم «بَالِغُ أَمْرِهِ» مضاف. والمعنى: يقضي ما يريد ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: أجلاً ومنتهاً ينتهي إليه، فَرَّ الله ذلك كله، فلا يقدم ولا يؤخر<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء قدراً، فقدر متى يكون هذا الغني فقيراً، وهذا الفقير غنياً.

﴿وَالَّذِي يَتَّبِعُ مِنَ الْغَيْبِ مِنْ رَبِّكَ إِنِ أَنْزَلْنَاهُ فَمَنْ لَهُ نَنْصَحُ أَشْهَرُ وَالَّذِي لَا يَخِصَّنْ وَأُولَئِكَ الْأَنْحَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَصْعَنَ حَمَلُهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَكْبَارًا﴾

(١) وقال عطاء: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهداً عدل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ إلا أن يكون من عذر. وروى أبو داود في «سننه» رقم (٢١٨٦)، وابن ماجه (٢٠٢٥) عن عمران بن حصين ﷺ سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها؟ فقال: طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تُؤَدُّ. وإسناده صحيح كما قال الحافظ في «بلوغ المرام».

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٤ بغير سند. وأورده السيوطي في «الدرر» ٢٣٣/٦ من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وينسوه من رواية الخطيب البغدادي في تاريخه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس. ورواه ابن جرير الطبري من طريق سالم أبي الجعد مرسلًا قال: نزلت في رجل من أشجع، فذكره بنحوه. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٧٤: رواه التلميذ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. قال: وروى الحاكم من طريق سالم أبي الجعد عن جابر قال: نزلت هذه الآية في رجل من أشجع... فذكره. قال: وفيه عيب بن كثير تركه الأزد.

(٣) روى أحمد في «السنن»، والترمذي في «سننه» عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال لي: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال. وروى أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرتقكم كما يرتق الطير، تغدو غماماً، وتروح بطاناً» قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي. ومعنى غماماً: جياً، وطاناً: شباعاً.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَنْهَىٰ عَنِ الْمَجْنُونِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أنها لما نزلت عِدَّة المطلقَّة، والمتوفَّى عنها زوجها في [البقرة: ٢٢٧، ٢٢٨] قال أُبَيُّ بن كعب: يا رسول الله: إن نساءً من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: «وما هو؟» قال: الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیْنَكَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٢٨] قال خَلَاد بن النعمان الأنصاري: يا رسول الله، فما عِدَّة التي لا تحيض، وعِدَّة التي لم تحض، وعِدَّة الحُبلى؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. ومعنى الآية: ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾، أي: شككتكم فلم تَدْرُوا ما عِدَّتِهِنَّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّذِي لَا يَحْضُنَّ﴾ كذلك<sup>(٣)</sup>.

## فصل

قال القاضي أبو يعلى: المراد بالارتباب هاهنا: ارتباب المخاطبين في مقدار عدة الآية والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به ارتباب المعتدات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية. ولأنه لو أريد بذلك النساء لتوجَّه الخطاب إليهن، فقيل: إن ارتبتين، أو ارتبتين، لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن. وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة. والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة. فإن حاضت قبل السنة بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تَمَّت السَّنَةُ من غير حيض، حَلَّت، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكث أبداً حتى يعلم براءة رحمها قطعاً، وهي أن تصير في حد لا يحيض مثلها، فتعدُّ بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي لَا يَحْضُنَّ﴾ يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضاً، لأنه كلام لا يستقلُّ بنفسه، فلا بدَّ له من ضمير، وضميره تقدَّم ذكره مظهراً، وهو العِدَّة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعدُّ ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعدُّ سنة.

قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْزَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ عامٌّ في المطلقات، والمتوفَّى عنهن أزواجهن، وهذا قول عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي مسعود البصري، وأبي هريرة، وقهواء الأمصار. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعدُّ آخر الأجلين. ويدل على قولنا عموم الآية. وقول ابن مسعود: من شاء لاعتته ما نزلت ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْزَالُ﴾ إلا بعد آية المتوفَّى عنها زوجها<sup>(٤)</sup>، وقول أم سلمة: إن سُبَّعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله ﷺ أن تتزوج<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: فيما أَمَرَ به ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ يُسَهِّلْ عليه أمر الدنيا والآخرة، وهذا قول

(١) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٣٢٤ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَالِمٍ، وَرَوَاهُ بَنُوهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ ١٤١/٢٨، وَالْحَاكِمُ ٤٩٢/٢ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَخْرُجْ، وَوَاتَّقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٣٤/٦ وَزَادَ نُسْبَتَهُ لِإِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوَيْه، وَابْنَ الْمُنْذَرِ، وَابْنَ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنَ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيَّ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النَّزُولِ» ٣٢٤ عَنْ مِقَاتِلٍ بِغَيْرِ سَنَدٍ. وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ وَالْخَازَنُ عَنْ قَتَادَةَ.

(٣) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهَذَا مَرْوِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وَهُوَ اخْتِيارُ ابْنِ جَرِيرٍ وَهُوَ أَظْهَرُ فِي الْمَعْنَى. وَذَكَرَ أَنَّهُ يَحْتَاجُ لِلَّذِكْرِ بِعَدِثِ عَمْرِو بْنِ سَالِمٍ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. قَالَ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٣٥/٦: أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرَفٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَلِيًّا يَقُولُ: تَعْدُ آخِرُ الْأَجْلِينَ، فَقَالَ: مَنْ شَاءَ لَاعَتَهُ، إِنْ الْآيَةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الْقَصْرَى (يُرِيدُ بِذَلِكَ سُورَةَ الطَّلَاقِ) نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ [البقرة: ٢٢٨] ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْزَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بِكَذَا وَكَذَا شَهْرًا، فَكُلُّ مُطَلَّقةٍ أَوْ مَتَوَفَى عَنْهَا زَوْجَهَا فَاجْلُهَا أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» ٥٠١/٨ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَتَلَ زَوْجٌ سُبَّيَّةً الْأَسْلَمِيَّةَ وَهِيَ حَبْلَى فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَخَطَبْتُ، فَأَتَكَحَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: هَكَذَا أَوْرَدَ الْبُخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ هَاهُنَا مُخْتَصَرًا، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَصْحَابُ الْكُتُبِ مُطَوَّلًا مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَذَكَرَهُ مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ ثُمَّ قَالَ: وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَةَ، مِنْ طَرَفٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَأَوْرَدَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٣٦/٦ وَزَادَ نُسْبَتَهُ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنَ الْمُنْذَرِ، وَابْنَ مَرْدَوَيْهِ.

الأكثرين. وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق الشئ، يجعل الله له من أمره يسراً في الرجعة ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ أي: يمحي عنه خطاياه: ﴿وَيُخَوِّضْ لَهُ أَمْراً﴾ في الآخرة.

﴿أَتَكُونُونَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا تَضَارُّهُمْ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْكُمْ وَإِنْ كُنْ أَتُوكَ حَتَّى تَقُومُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضْمَنَ حَمَلُهُمْ فَإِنْ أَضْمَنَ لَكُمْ فَاتُوهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَتُوهَا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَمَسَّرْتُمْ فَتَضَرَّعْ لَهُ أُخْرَى ۖ﴾ ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ يَافِئَةً﴾ لا يَكُفَّ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا مَاتَهَا سَجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَكُونُونَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ و «من» صلة قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قرا الجمهور بضم الواو. وقرا أبو هريرة، وأبو عبد الرحمن، وأبو رزين، وقتادة، وزوج عن يعقوب بكسر الواو. قرا ابن عمر، وابن أبي عبله، وأبو حيوة: بفتح الواو. قال ابن قتيبة: أي: يقدّر وسعيكم. والوجد: المقدرة والغنى، يقال: افتقر فلان بعد وجيد. قال الفراء: يقول: على ما يجد، فإن كان مؤسماً عليه، وسّع عليها في المسكن والثقة، وإن كان مقترراً عليه، فعلى قدر ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَضَارُّهُمْ﴾ بالتضييق عليهم في المسكن والثقة، وأنتم تجدون سعة. قال القاضي أبو يعلى: المراد بهذا: المطلقة الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرِي لَكَ اللَّهُ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ٢١]. وقوله: ﴿فَإِذَا بَلَغَ لَأْهُنَّ فَاتُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢٢] فدل ذلك على أنه أراد الرجعية. وقد اختلف الفقهاء في المبتوتة: هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ فالمشهور عند أصحابنا: أنه لا سكنى لها ولا نفقة، وهو قول ابن أبي ليلى. وقال أبو حنيفة: لها السكنى، والنفقة. وقال مالك والشافعي: لها السكنى، دون النفقة. وقد رواه الكوسج<sup>(١)</sup> عن أحمد. ويدل على الأول حديث فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال لها: «إنما النفقة للمرأة على زوجها ما كانت له عليها الرجعة، فإذا لم يكن له عليها، فلا نفقة ولا سكنى»<sup>(٢)</sup>. ومن حيث المعنى: إن النفقة إنما تجب لأجل التمكن من الاستمتاع، بدليل أن الناشز لا نفقة لها. واختلفوا في الحامل، والمتوفى عنها زوجها، فقال ابن مسعود، وابن عمر، وأبو العالية، والشعبي، وشريح، وإبراهيم: نفقتها من جميع المال، وبه قال مالك، وابن أبي ليلى، والثوري. وقال ابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وسعيد بن المسيب، وعطاء: نفقتها في مال نفسها، وبه قال أبو حنيفة، وأصحابه. وعن أحمد كالقولين.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَضْمَنَ لَكُمْ فَاتُوهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ يعني: أجرة الرضاع. وفي هذا دلالة على أن الأم إذا رضيت أن ترضعه بأجرة مثلاً، لم يكن للأب أن يسترضع غيرها ﴿وَأَتُوهَا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾، أي: لا تشتط المرأة على الزوج فيما يطلبه من أجرة الرضاع، ولا يقصر الزوج عن المقدار المستحق ﴿وَإِنْ تَمَسَّرْتُمْ﴾ في الأجرة، ولم يتراض الوالدان<sup>(٣)</sup> على شيء ﴿فَتَضَرَّعْ لَهُ أُخْرَى﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، أي: فليسترضع الوالد غير والدته الصبي. ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أمر أهل التوسعة أن يوسعوا على نسايتهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم. وقرا ابن السميع «لينيّف» بفتح القاف ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي: ضيق عليه من المطلقين. وقرا أبي بن كعب، وحמיד «قدّر» بضم القاف، وتشديد الدال. وقرا ابن مسعود، وابن أبي عبله «قدّر» بفتح القاف وتشديد الدال «رزقه» بنصب القاف ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا مَالَهُ اللَّهُ﴾ على قدر ما أعطاه ﴿لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا مَاتَهَا﴾ أي: على قدر ما أعطاه من المال ﴿سَجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ أي: بعد ضيق وشدة، غنى وسعة، وكان الغالب عليهم حينئذ الفقر، فأعلمهم أنه سيفتح عليهم بعد ذلك.

﴿وَكَلَّيْنِ مِّن قَرْبَيْهِ عَن أَمْرِ نِسَاءٍ وَرَسُولُهُ فَمَاسَنَهَا جَسَاباً شَدِيداً وَعَدَّهَا عَذَاباً لَّكَ﴾ ﴿فَدَاَتْ وَكَالَ أَمْرَهَا وَكَانَ عَذَابُهَا أَمْرَهَا خُتْراً﴾ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْآلِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ

(١) هو إسحاق بن منصور بن بهرام أبو يعقوب المروزي المعروف بالكوسج، وهو الذي دوّن المسائل الفقهية عن الإمام أحمد بن حنبل، روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود، وهو ثقة ثبت من رجال الحديث، توفي رحمه الله سنة (٢٥١هـ).

(٢) رواه أحمد في «المسنّد» ٣٧٣/٦ عن فاطمة بنت قيس وهو جزء من حديث طويل. قال الشوكاني في «نيل الأوطار» ١٠٨/٧: تفرد برفعه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف، قال: وقد تابعه في رفعه بعض الرواة، قال في «الفتح»: ولكنه أضعف من مجالد، وهو في أكثر الروايات موقوف عليها، والرفع زيادة يتعين قبولها لما بيّنا في غير موضع، ورواية الضعيف مع الضعيف توجب الارتفاع عن درجة السقوط إلى درجة الاعتبار.

(٣) في الأصل: الولدان.

مَاتُوا وَهَلُوا الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْفُلُكَةِ إِلَى الْتَوَرُّ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ مَعْلُومًا يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ﴾ أي: وكم ﴿مِنْ قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا رُسُلُهُ﴾، أي: عن أمر رسله. والمعنى: عتا أهلها. قال ابن زيد: عنت، أي: كفرت، وتركت أمر ربها، فلم تقبله. وفي باقي الآية قولان: أحدهما: أن فيها تقديمًا، وتأخيرًا. والمعنى: عذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع، والسيف، والبلايا، وحاسبتها حساباً شديداً في الآخرة، قاله ابن عباس، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها، والمعنى: حاسبتها بعملها في الدنيا، فجازيها بالعذاب على مقدار عملها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة. والحساب الشديد: الذي لا عفو فيه، والتكر: المنكر ﴿فَذَاقَتْ وَكَالَ أَمْرَهَا﴾ أي: جزاء ذنبها. ﴿وَكَانَ عَقِبُهَا أَمْرًا حَرْشًا﴾ في الدنيا، والآخرة، وقال ابن قتيبة: الخسر: الهلكة.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَرْسَلْنَا اللَّهُ إِلَيْكَ رُسُلًا﴾ أي: قرأنا ﴿رُسُلًا﴾ أي: وبعثه رسولا، قاله مقاتل. وإلى نحوه ذهب السدي. وقال ابن السائب: الرسول هاهنا: جبرائيل، فعلى هذا: يكون الذكر والرسول جميعاً منزّلين. وقال ثعلب: الرسول: هو الذكر. وقال غيره: معنى الذكر هاهنا: الشرف. وما بعده قد تقدّم [البقرة: ٢٥٧، والاحزاب: ٤٣، والتغابن: ٩] إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَمْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ السَّمَاءُ يَنْزِلُ الْأَرْضُ يَنْتَبِهُنَّ لِتَعْلَمْنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ السَّمَاءُ﴾ أي: وخلق الأرض بعددهن<sup>(١)</sup>. وجاء في الحديث: كثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض كذلك، وكثافة كل أرض خمسمائة عام، وما بينها وبين الأرض الأخرى كذلك<sup>(٢)</sup>. وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في كل أرض آدم مثل آدمكم، ونوح مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى، فهذا الحديث [تارة] يرفع إلى ابن عباس، وتارة يوقف على أبي الضحى<sup>(٣)</sup>، وليس له معنى إلا ما حكى أبو سليمان الدمشقي، قال: سمعت أن معناه: إن في كل أرض خلقاً من خلق الله لهم سادة، يقوم كبيرهم ومتقدمهم في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذرّيته في السّنّ والقدّم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم. وقال كعب:

- (١) قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ السَّمَاءُ﴾ أي: سبعاً أيضاً، كما ثبت في «الصحيحين»: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» وفي «صحيح البخاري»: «خسف به الله سبع أرضين» قال: ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم، فقد أبعد النجمة، وأغرق في التزع، وخالف القرآن والحديث بلا مستند. وقد صح من رواية البخاري وغيره قوله ﷺ: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أظللن... الحديث».
- (٢) روى ابن جرير الطبري ١٥٣/٢٨، وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد على الجهمية» ص ٢٦ طبع المكتب الإسلامي من طريق عاصم عن زوّ عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفاً عليه قال: خلق الله سبع سموات، غلط كل واحدة مسيرة خمسمائة عام، وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام، وفوق السبع السموات الماء، والله جل ثناؤه فوق الماء، ولا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، والأرض سبع، وبين كل أرضين خمسمائة عام، وغلط كل أرض خمسمائة عام. وإسناده حسن ولكنه موقوف. ورواه مرفوعاً أحمد في «المسنند» رقم (١٧٧٠) و (١٧٧١)، وأبو داود رقم (٤٧٢٣)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢٤، وفي سننه عندهم عبد الله بن عميرة وهو مجهول، وفيه أسطورة الأوعال. ورواه الترمذي ١٦٢/٢ من رواية الحسن بن أبي هريرة وليس فيه ذكر الأوعال وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. وروى شريك بعض هذا المعنى عن سماك ووقفه، فالحديث لا يصح مرفوعاً، وهو حسن موقوفاً والله أعلم.

- (٣) قال ابن كثير في «التفسير» ٢٨٥/٤: وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» هذا الأثر عن ابن عباس فقال: أنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أحمد بن يعقوب، ثنا عبيد بن غنام الحنفي، أنا علي بن حكيم، ثنا شريك، عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ السَّمَاءُ﴾ قال: في كل أرض نبي كنبكم، وأدم كأدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى. قال: ثم روى البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَنْزِلُ السَّمَاءُ﴾ قال: في كل أرض نحو إبراهيم ﷺ، قال: ثم قال البيهقي: إسناده هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شاذ بمرّة، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا، والله أعلم.

وقال ابن كثير أيضاً في «البداية والنهاية» ٢١/١: وهو محمول - إن صح نقله عن ابن عباس - على أنه أخذه ﷺ عن الإسرائيليات، والله أعلم.



ساكن الأرض الثانية: البحر العميق، وفي الثالثة: حجارة جهنم، والرابعة: كبريت جهنم، والخامسة: حيات جهنم، والسادسة: عقارب جهنم، والسابعة: فيها إبليس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ أَلَمْ يَبَيِّنْ﴾، في الأمر قولان: أحدهما: قضاء الله وقدره، قاله الأكثرون. قال قتادة: في كل أرض من أرضه وسماؤه من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضاءه. والثاني: أنه الوحي، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿لِيَسْمَعُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء وعلمه بكل شيء<sup>(٣)</sup>.



## سورة التحريم<sup>(١)</sup>

وهي مدنية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّيْ مَرْثَاتِ أَرْوَاحِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قَدْ وَصَّ اللَّهُ لَكُمْ حِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِمْ حَيَاتًا فَلَمَّا بَيَّاتَ بِهِمْ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَرَفَ بِمَعْنَىٰ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْثٍ فَلَمَّا بَيَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتَاكَ هَذَا قَالَ بَيَّاتِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ إِنْ نَوَّيْنَا إِلَى اللَّهِ فَدَّ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِيلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالتَّائِبَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ۝ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ مِمَّا مَلَكَتِ نَفْسُكَ تُؤْمِنُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ عَذَابٌ سَخِيمٌ ۝ فَيَبِّتُ وَأَكْبَا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن حفصة ذهبت إلى أبيها تَتَحَدَّثُ عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم [الذي] يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة. فلما دخلت حفصة قالت: قد رأيت من كان عندك. والله لقد سؤتني، فقال النبي ﷺ: «والله لأَرْضِيَنَّكَ، وَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَاحْفَظِي»، قالت: وما هو؟ قال: «إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنْ مِرَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رَضِيَ لَكَ»، وكانت عائشة وحفصة متظاهرتين على نساء النبي ﷺ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فقالت لها: أبشري، إن النبي ﷺ قد حرَّم عليه فاتته، فنزلت هذه الآية، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقد روي عن عمر نحو هذا المعنى، وقال فيه: فقالت حفصة: كيف تحرمها عليك، وهي جارتك؟! فحلف لها أن لا يقربها، فقال لها: «لا تذكره لأحد»، فذكرته لعائشة، فألَى أن لا يدخل على نساءه شهرًا، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup> وقال الضحاك: قال لها: «لا تذكرني لعائشة ما رأيت»، فذكرته، فغضبت عائشة، ولم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>، وإلى هذا المعنى: ذهب سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومسروق، ومقاتل، والأكثر. والثاني: ما روى عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحُلُوءَ والعسل<sup>(٥)</sup>، وكان إذا انصرف من صلاة العصر دخل على نساءه، فدخل على حَفْصَةَ بنت عمر، احتبس عندها، فسألت عن ذلك، فقيل: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةً من عسل<sup>(٦)</sup>، فسقت رسول الله ﷺ، فقلت: أما والله لنحتالَنَّ له<sup>(٧)</sup>، فقلت لسودة: إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقولِي له: يا رسول الله أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولِي؛

(١) ويقال لها: سورة التحريم، وسورة «لم تحرم». قال الألويسي: ويقال لها «سورة النبي ﷺ» وعن ابن الزبير: سورة النساء.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ١٥٧/٢٨ عن محمد بن سعد صاحب «الطبقات» من رواية عطية العوفي عن ابن عباس، وعطية ضعيف. وأورده السيوطي في «الدرة» ٢٣٩/٦ وزاد نسبه لابن مردويه عن ابن عباس ﷺ.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٢٥، قال ابن كثير: وقال الهيثم بن كليب في «مسنده»: ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا جرير بن حازم، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإن أم إبراهيم علي حرام» فقالت: أنحرهم ما أحل الله لك؟ قال: «فوالله لا أقربها» قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: ﴿قَدْ وَصَّ اللَّهُ لَكُمْ حِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، قال: وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «المستخرج».

(٤) رواه الطبري ١٥٦/٧٨ وفي آخره: وأمره أن يكفر عن يمينه ويأتي جاريته، وفي سننه انقطاع.

(٥) المراد بالحُلُوء هنا: كل شيء حل، وذكر العسل بعدما تنبيه على شرفه ومزته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام، وفيه جواز أكل للذي الألعمة والطيئات من الرزق، وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة، لا سيما إذا حصل اتفاقاً.

(٦) قال الجوهري: العُكَّة: آنية السمن، أو القرية الصغيرة.

(٧) أي لظنن له الحيلة، وهي الحلق في تدبير الأمور وتقلب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود.

جَرَسَتْ نَحْلَهُ الْمُرْفُطُ<sup>(١)</sup> وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حَرَمْتَاهُ<sup>(٢)</sup> قلت لها: اسكتي، أخرجه البخاري ومسلم في «الصحيحين»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية ابن أبي مليكة عن ابن عباس: أن التي شرب عندها العسل سودة، فقالت له عائشة: إني لأجد منك ريحاً، ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: «إني أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه»، فنزلت هذه الآية<sup>(٤)</sup>. وفي حديث عبيد بن عمير عن عائشة أن التي شرب عندها العسل زينب بنت جحش، فتواطأت حفصة وعائشة أن تقولاً له ذلك القول<sup>(٥)</sup>. قال أبو عبيد: المغافير: شيء شبيه بالصمغ فيه حلاوة.. وخرج الناس يتمغفرون: إذا خرجوا يجهنونه. ويقال: المغائير بالثاء، مثل جدث، وجدف. وقال الزجاج: المغافير: صمغ متغير الرائحة. فخرج في المراد بالذي أحل الله له قولان: أحدهما: أنه جاريته. والثاني: العسل<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿تَبَيَّنَ مَرَاتَ أَزْوَاجَهُ﴾ أي: تطلب رضاها بتحريم ذلك. ﴿وَاللَّهُ عَفُوفٌ رَحِيمٌ﴾ غفر الله لك التحريم ﴿قَدْ رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال مقاتل: قد بين الله لكم ﴿نَحْلَهُ أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: كفارة أيمانكم، وذلك البيان في [المائدة: ٨٩]. قال المفسرون: وأصل «نَحْلَةٍ» نَحْلَةٌ على وزن تَفْعُلَةٍ، فأدغمت، والمعنى: قد بين الله لكم تحليل أيمانكم بالكفارة، فأمره الله أن يكفر يمينه، فأعتق رقبة<sup>(٧)</sup>. واختلفوا هل حَرَمَ مارية على نفسه يمين، أم لا؟ على قولين: أحدهما: حَرَمَهَا من غير ذكر يمين، فكان التحريم موجِباً لكفارة اليمين، قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>. والثاني: أنه حلف يميناً حَرَمَهَا بها، قاله الحسين. والشعبي، وقتادة<sup>(٩)</sup>، ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم.

(١) أي: رعت نحل هذا العسل الذي شربته، يقال: جرس النحل تجرس جرماً: إذا أكلت لتعسل، ويقال للنحل: جوارس، والعرفط: مفعول جرس، وهو شجر ينضج الصمغ المعروف بالمغافير، أي لكونها رعتُه وأخذت منه حصلت هذه الرائحة.

(٢) حرمتها، هو بتخفيف الراء، أي: منعه، يقال فيه: حرمت وأحرمت، والأول أنصح.

(٣) رواء البخاري في «صحيحه» ١١/ ٢٩٥-٢٩٧ ومسلم ١١٠١/٢ من حديث عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) وقال السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٣٩: أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يشرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فدخل على حفصة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ الآية. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٢٩٢: وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة... والراجح أن صاحبة العسل زينب لا سودة، لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبي مليكة بكثير.

(٥) رواء البخاري ١١/ ١٩٣، ومسلم ١١٠١/٢، قال ابن كثير بعد أن ساق حديث عبيد بن عمير وحديث عروة: وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا بُدَّ في ذلك، إلا أن كونهما سبباً لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم، قال: وما يدل على أن عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المتظاهرتان، الحديث الذي رواه أحمد عن ابن عباس، وفيه أنه سأله عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَزْوًا إِلَى اللَّهِ فَتَقَدَّرَ فَتْرُكُنَّ﴾، فقال: هي عائشة وحفصة. والحديث بطوله أخرجه البخاري ٥٠٣/٨ وغيره.

(٦) قال الحافظ في «الفتح» ١١/ ١٩٩: وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوقب على تحريمه كما اختلف في سبب حلفه على أن لا يدخل على نسائه على أقوال، فالذي في «الصحيحين» أنه العسل، وقول آخر: إنه في تحريم جاريته مارية، ووقع في رواية يزيد بن رومان عن عائشة عند ابن مردويه ما يجمع القولين، وذكر غيره، ثم قال: والراجح من الأقوال كلها قصة مارية، لاختصاص عائشة وحفصة بها، بخلاف العسل، فإنه اجتمع فيه جماعة منهن، قال: ويحتمل أن تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أمهها، ويؤيده شمول الحلف للجميع، ولو كان مثلاً في قصة مارية فقط لاختص بحفصة وعائشة.

(٧) ذكر الحافظ السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٤١ من رواية ابن مردويه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأعتق رسول الله ﷺ رقية. قال القرطبي: وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه بعق رقية وعاد إلى مارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قاله زيد بن أسلم وغيره. وكذلك ذكر الزمخشري والغازي، والشوكاني، والآلوسي. وأخرج النسائي ٦/ ١٥١ من طريق سالم الأفيطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رجلاً جاءه فقال: إني جعلت امرأتي عليّ حراماً، قال: كلبت ما هي عليك بحرام، ثم تلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ ثم قال له: عليك رقية. وإسناده صحيح. قال الحافظ: وكأنه أشار عليه بالرقية لأنه عرف أنه موسر، فأراد أن يكفر بالأغلظ من كفارة اليمين، لا أنه تعين عليه عتق الرقية. وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٤١ من رواية ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٨) رواء ابن جرير ٢٨/ ١٥٧ من طريق المعوفي عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ٢٣٩ من رواية ابن سعد، وابن مردويه عن ابن عباس. قال ابن كثير: ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جارية أو زوجة أو طعاماً أو شراباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات، وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة، قال: وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم يمينهما أو أطلق التحريم فيهما في قول، فأما إن نوى طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما.

(٩) قال السيوطي في «الدر»: أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن الشعبي وقتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ قال: حرم جاريته، قال =

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النِّسَاءُ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِهِمْ حَبِيبًا﴾ يعني: حفصة من غير خلاف علمناه. وفي هذا السر ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قال لها: إني مُسَرٌّ إليك سِرًّا فاحفظيه، سرتي هذه عليّ حرام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، والشعبي، والضحاك، وقتادة، وزيد بن أسلم، وابنه، والسدي. والثاني: أنه قال لها: «أبوك، وأبو عائشة، وإليها الناس من بعدي، فلياك أن تخبري أحدا»، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. والثالث: أنه أسر إليها أن أبا بكر خليفة من بعدي، قاله ميمون بن مهران<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّتْ يَدَ﴾ أي: أخبرت به عائشة ﴿وَأَلْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلع الله نبيه على قول حفصة لعائشة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، لأنه استكنم حفصة ذلك، ثم دعاها، فأخبرها ببعض ما قالت، فذلك قوله تعالى: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُمْ وَأَعْرَفَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وفي الذي عرفها إياه قولان: أحدهما: أنه حدثها ما حدثتها عائشة من شأن أبي بكر وعمر، وسكت عما أخبرت عائشة من تحريم مارية، لأنه لم يبال ما أظهرت من ذلك، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن الذي عرف: تحريم مارية، والذي أعرض عنه: ذكر الخلافة لثلاث ينتشر، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>، وهذا اختيار الزجاج. قال: ومعنى «عَرَفَ بعضه» عَرَفَ حفصة بعضه. وقرأ الكسائي، «عَرَفَ» بالتخفيف. قال الزجاج: على هذه القراءة قد عرف كل ما أسره، غير أن المعنى جارٍ على بعضه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْصُرُوا مِنْ خَيْرٍ يَقْسُمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٩]، أي: يعلمه ويجازي عليه، وكذلك: ﴿فَمَنْ يَسْكُنْ يَسْكُنْ لَشَقَاكَ دُورٌ خَيْرٌ يَسْكُنْ﴾ [الزلزلة: ١٧]، أي: يرى جزاءه. فقيل: إن النبي ﷺ طلق حفصة طليقة، فكان ذلك جزاءها عنده، فأمره الله أن يراجعها. وقال مقاتل بن حيان: لم يطلقها، وإنما هم بطلاقها، فقال له جبريل: لا تطلقها، فإنها صوامة قوامة<sup>(٤)</sup>. وقال الحسن: ما استقصى كريم قط، ثم قرأ ﴿عَرَفَ بَعْضَهُمْ وَأَعْرَفَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن السميع «عَرَفَ» برفع العين، وتشديد الراء وبالف «بعضه» بالخفض.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّتْ يَدَ﴾ أي: أخبر حفصة بإفشاءها السرَّ ﴿فَالَتْ مَنِ آتَاكَ هَذَا؟﴾ أي: من أخبرك بأني أنشيت سرك؟ ﴿قَالَ تَبَايَ الْأَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ ثم خاطب عائشة وحفصة، فقال: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من التعاون على رسول الله ﷺ بالإيذاء ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ قال ابن عباس: زاغت، وأثمت. قال الزجاج: عدلت، وزاغت عن الحق. قال مجاهد: كنا نرى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ شيئاً هيئاً حتى وجدناه في قراءة ابن مسعود: فقد زاغت قلوبكما. وإنما جعل

الشعبي: وحلف يميناً على التحريم، فتابه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين، وقال قتادة: حرما فكانت يميناً.

(١) ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٠٠/١١ من رواية ابن مردويه عن الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتها فوجدت معه مارية فقال: «لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببيعة»، إن ليك يلي هذا الأمر بعد أبي بكر إذا أنا مت... قال: وفي سننه ضعف.

(٢) قال السيوطي في «الدرر» ٣٤١/٦: أخرج ابن عساکر عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النِّسَاءُ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِهِمْ حَبِيبًا﴾ قال: أسر إليها أن أبا بكر خليفة من بعدي. وهذان الأثران مختلفان للأحداث الصحيحة، فإنها ليس فيها التصريح بإمارة أبي بكر وعمر ﷺ، وإلا لما حصل خلاف في ذلك أبداً، ولكنها تشير إلى أن أحق الناس بالخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أبو بكر ﷺ، من ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة ؓ قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «لهي لك أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فلي أعرف أن يمتحن فممن يقول قائل: أنا أولي، ويألي الله والمؤمنون إلا أبا بكر». فروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم قال: أتت النبي ﷺ امرأة، فكلمت في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرايت إن جئت ولم أجدك - كأنها تريد الموت - قال: «فأتي أبا بكر». وروى الترمذي بسند جيد عن عمر ؓ قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. وقال ﷺ في أبي بكر وعمر فيما رواه الترمذي عن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أدرى ما بقائي فيكم؟ فانتدوا بالثلثين من بعدي أبي بكر وعمر» وهو حديث حسن، وروى الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» وهو حديث صحيح. وروى الترمذي عن عتبة بن عامر قال: قال النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» وهو حديث حسن. وروى البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نزل أصحاب النبي ﷺ لا تغاضل فيهم.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: دخلت حفصة على النبي ﷺ بيتها فوجدت معه مارية، فقال: لا تخبري عائشة، فأخبرتها، فتابها ولم يعاتبها على أمر الخلافة، فلعلها قال الله تعالى: ﴿عَرَفَ بَعْضَهُمْ وَأَعْرَفَ عَنْ بَعْضٍ﴾. قال: وأخرج الطبراني في «الأسطى» وفي «عشرة النساء» عن أبي هريرة نحوه بشماه، وفي كل منهما ضعف.

(٤) تقدم الحديث في الصفحة ١٤٥٠ بلفظ: فراجعها فإنها صوامة قوامة، هو يدل على أنه ﷺ طلقها، ويؤيده ما رواه أبو داود ٣٨٢/٢ والسنائي ٢١٣/٦ عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. وإسناده صحيح.



القلبين جماعة لأن كل اثنين فما فوقهما جماعة. وقد أشرنا إلى هذا في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا شَرَوْا الْبِعْرَ﴾ [ص: ١١]. قال المفسرون: وذلك أنهما أحبا ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته، ﴿وَأَنْ تَطْلُبَهَا﴾<sup>(١)</sup> وقرأ ابن مسعود، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والأعمش «تظاها» بتخفيف الظاء، أي: تعاوننا على النبي ﷺ بالإيذاء ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ أي: ولّاه في العون والنصرة ﴿وَيُزِيلُ﴾ ولّاه ﴿وَصَلِّحَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وفي المراد بصالح المؤمنين ستة أقوال: أحدها: أنهم أبو بكر وعمر، قاله ابن مسعود، وعكرمة، والضحاك. والثاني: أبو بكر، رواه مكحول عن أبي أمامة. والثالث: عمر، قاله ابن جبير، ومجاهد. والرابع: خيار المؤمنين، قاله الربيع بن أنس. والخامس: أنهم الأنبياء، قاله قتادة، والعلاء بن زياد العدوي، وسفيان. والسادس: أنه علي عليه السلام، حكاه الماوردي. قاله الفراء: «وصالح المؤمنين» موحد في مذهب جميع، كما تقول: لا يأتيني إلا سائس الحرب، فمن كان ذا ساسة للحرب، فقد أمر بالمجيء، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَسَارِئُ رَاكِبَاتٍ﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَلَدَانِ يَأْتِيَنِيَا مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافٍ﴾ [المعارج: ١٩] في كثير من القرآن يؤدي معنى الواحد عن الجميع<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ كَيْفَ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَلَيْسَ﴾ أي: ظهراً، وهذا مما لفظه لفظ الواحد، ومعناه الجميع، ومثله ﴿يَحْزَنُكُمْ لِفَلَا﴾ [غافر: ٦٧]، وقد شرحناه هناك. ثم خوف نساءه، فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ وسبب نزولها ما روى أنس عن عمر بن الخطاب قال: بلغني بعض ما أدى به رسول الله نساؤه، فدخلت عليهن، فجعلت أستقرهن واحدة واحدة، فقلت: والله لتستوين، أو ليدلله الله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. والمعنى واجب من الله ﴿إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ رسوله ﴿أَنْ يَبُولَهُ أَرْجُلًا يَنْكَرُ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مصدقات بتوحيد الله ﴿فَتَكُنَّ﴾ أي: طائعات ﴿تَحِبُّنَّ﴾ فيه قولان: أحدهما: صائحات، قاله ابن عباس، والجمهور. قد شرحنا هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿الْمُتَحَرِّمُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]. والثاني: مهاجرات، قاله زيد بن أسلم، وابنه. والثبات جمع ثيب، وهي المرأة التي قد تزوجت، ثم ثابت إلى بيت أبيوها، فعدت كما كانت غير ذات زوج. «والأبكار» العذارى.

﴿يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَخْيَرُ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِي الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْلَمُونَ الْيَوْمَ إِنَّمَا يَخْرُجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبًا إِلَى اللَّهِ قَوِيَةً نَحْنُ نَصُورُهُمْ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَخْلُصَ حَتَّى تَبْقَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَشْهُارُ يَوْمَ لَا يَخْرُجُ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ تَوَّابُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِيهِمْ يَقُولُونَ رَسَا آتِيَهُمْ لَنَا تَوْبًا وَآخِرُ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفُسَكُمْ وَأَخْيَرُ نَارًا﴾ وقاية النفس: بامتنال الأوامر، واجتناب النواهي، ووقاية الأهل: بأن يؤمروا بالطاعة، وينهوا عن المعصية. وقال علي عليه السلام: علموهم وأدبواهم<sup>(٤)</sup>: ﴿وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وقد ذكرناه في

(١) بحذف إحدى التامين وتخفيف الظاء وهي قراءة حاصم ونافع في رواية، وقرأ الجمهور «تظاها» بتشديد الظاء.

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: ﴿وَصَلِّحَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَافٍ﴾ فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تقربن إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحداً، فمعناه الجميع، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقربه واحداً كان أو جماعة.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ١٦٤/٢٨ وسنده صحيح، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم.

(٤) روى ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفُسَكُمْ وَأَخْيَرُ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ قال: يفهم: أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية ودعوتهم عنها، وزجرتهم عنها. وقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَعَهُ وَاسْطَفَى عَلَيْهَا﴾ أي: استقلهم من عذاب الله بإقامة الصلاة وأسير أنت على مثلها.

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد في مسنده ١٨٧/٢، وأبو داود في مسنده رقم (٤٩٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أمروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع» وهو حديث حسن. ومعنى: فرقوا بينهم في المضاجع: أي: ذكروا كانوا أو إناثاً، وهو من باب سد الذرائع، ومن محاسن هذه الشريعة الفراء. قال ابن كثير: وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستتر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر، والله الموفق. ويدخل هذا في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَتَذَكَّرْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ أَهْلِهِ وَرَعِيَّتِهِ، فَقَدْ رَوَى البخاري =

البقرة: ٢٤ ﴿عَلَيْكَ مَلِيكَةٌ غُلَاطٌ﴾ على أهل النار ﴿شِدَادٌ﴾ عليهم. وقيل: غلاط القلوب شِدَادُ الأبدان. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: خَزَنَةُ النَّارِ سَعَةُ عَشْرٍ، مَا بَيْنَ مَنَكِبَيْ أَحَدِهِمْ مَسِيرَةُ سَنَةٍ، وَقُوَّتُهُ: أَنْ يَضْرِبَ بِالْمَقْمَعَةِ، فَيُدْفَعُ بِتِلْكَ الضَّرْبَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَيَهُوُونَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخافون فيما يأمر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يتجاوزون ما يؤمرون. والثاني: يفعلونه في وقته لا يؤخروه ولا يقدمونه. ويقال لأهل النار: ﴿يَكُنْأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَقْدِرُوا الْيَوْمَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةٌ فُضُّوا﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع «نُصُوحًا» بضم النون. والباقون بفتحها. قال الزجاج: فمن فتح فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، و«فُضُّوا» من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصف. تقول: رجل صبور، وشكور. ومن قرأ بالضم، فمعناه: ينصحون فيها نصوحاً، يقال: نصحت له نصحاً، ونصاحاً، ونصوحاً. وقال غيره: من ضم أراد: توبة نُضِجَ لأنفسكم. وقال عمر بن الخطاب: التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أنه لا يعود. وسئل الحسن البصري عن التوبة النصوح، فقال: ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود. وقال ابن مسعود: التوبة النصوح تكفر كل سيئة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَخْرُجُ اللَّهُ لِلَّذِينَ﴾ قد بينا معنى «الخزي» في (آل عمران: ١٩٢) وبيننا معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُرْجَمُ يَوْمَ يَكُونُ أَيْدِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾ في (الحديد: ١٢) ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا ثَوْرَنَا﴾ وذلك إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يُطْفَأُ سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتِمَّ لَهُمْ [نورهم]، ويبلغهم به الجنة. قال ابن عباس: ليس أحد من المسلمين إلا يعطى نوراً يوم القيامة. فاما المنافق فيُطْفَأُ نوره، والمؤمن مُشْفِقٌ مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا ثَوْرَنَا﴾.

﴿يَكُنْأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا الْكَفَّارُ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَاتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا فَلَمْ يُنَبِّئَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِيَيْنِ ﴿٢﴾ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَسَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ وَمَرْجَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْفَائِزِينَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿جَهْدُ الْكَفَّارِ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ قد شرحناه في (إبراهيم: ٧٣).

قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ﴾ قال المفسرون منهم مقاتل: هذا المثل يتضمن تخويف عائشة وحفصة أنهما إن عصيا ربهما لم يُغْنِ رسول الله ﷺ عنهما شيئاً. قال مقاتل: اسم امرأة نوح «والهة» وامرأة لوط «والغة».

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ يعني: نوحاً ولوطاً ﷺ. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهم في الدين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوط ضيف بالليل أو قلدت النار، وإذا نزل بالنهار دخت ليعلم قومه أنه قد نزل به ضيف. وقال السدي: كانت خيانتهم: كفرهما. وقال الضحاك: نيمتهما. وقال ابن السائب: نفاقهما.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يُنَبِّئَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئاً. وهذه الآية تقطع طمع من ركب المعصية ورجا أن ينفعه صلاح غيره. ثم أخبر أن معصية الغير لا تضر المطيع بقوله تعالى: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت مزاحم ؓ. وقال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول يحذر به عائشة وحفصة ؓ. ثم ضرب لهما هذا المثل ليرغبهما في التمسك بالطاعة. وكانت آسية قد آمنت بموسى. قال أبو هريرة:

«مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته».

ضرب فرعون لامرأته أوتاداً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رآته قبل موتها<sup>(١)</sup> ﴿وَنَجِّنِي مِنَ قُرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن عمله: جماعه. والثاني: أنه دينه<sup>(٢)</sup> روي عن ابن عباس، ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَرِ الظَّلِيلِينَ﴾ يعني: أهل دين المشركين. قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَتَحَهَا﴾ قد ذكرنا فيه قولين في سورة (الأنبياء: ٩٢) فمن قال: هو فرج ثوبها، قال «الهاء» في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ يرجع إليه، وذلك أن جبريل مَدَّ جيب درعها، فدخل فيه. ومن قال: هو مخرج الولد، قال: «الهاء» كناية عن غير مذكور، لأنه إنما نفخ في درعها لا في فرجها<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أنها قول جبريل ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [سرم: ١٩]. والثاني: أن الكلمات هي التي تضمنتها كتب الله المنزل. وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وعاصم الجحدري «بكلمة ربها» على التوحيد. و«وكتبه»، قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «وكتابه» على التوحيد، وقرأ أبو عمرو، وحفص عن عاصم، وخارجة عن نافع «وكتبه» جماعة، وهي التي أنزلت على الأنبياء، ومن قرأ «وكتابه» فهو اسم جنس على ما بيّنا في خاتمة [البقرة: ٢٨٥] وقد بيّنا فيها القنوت مشروحاً [البقرة: ١١٦]. ومعنى الآية: وكانت من القانتين، ولذلك لم يقل: من القانتات<sup>(٤)</sup>.



- (١) قال السيوطي في «الدرر» ٢٤٥/٦: أخرج أبو يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة أن فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة ﷺ، فقالت: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف لها عن بيتها في الجنة.
- (٢) أي: شركه وكفره، وهذا القول أولى، والمعنى: نجني من نفس فرعون الخبيثة وخصوصاً من عمله وهو الكفر وعبادة غير الله والتعذيب بغير جرم وغير ذلك من قبائحه.
- (٣) قال ابن كثير: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: بواسطة الملك وهو جبريل، فإن الله بعث إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى ﷺ.
- (٤) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، ولفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

## سورة الملك

وهي مكية بإجماعهم

قال ابن مسعود: هي المانعة من عذاب القبر<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يُبْلِغُكُمْ أَجْسَادَكُمْ أَحْسَنَ عِلَالاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِنَّهُمْ كَافِرٌ بِهِ (٣) وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذُّبَابَ بَعِينِجَ وَجَعَلْنَاهُ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٤) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَبِيرٌ (٥) إِذَا أُنْفِثُوا فِيهَا صَبْرًا لَمْ يَسْمَعُوا فِيهَا نَفْوً (٦) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٧) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَشِرْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٨) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٩) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ لَنْ يَخْتَفِيَ أَصْحَابُ السَّعِيرِ (١٠) ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ﴾ قد شرحناه في [الأعراف: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ﴾ قال ابن عباس: يعني: السلطان يُعِزُّ وَيُذِلُّ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قال الحسن: خلق الموت المزيل للحياة، والحياة التي هي ضد الموت ﴿يُبْلِغُكُمْ أَجْسَادَكُمْ أَحْسَنَ عِلَالاً﴾ قد شرحناه في [هود: ٧] قال الزجاج: والمعلَق بـ ﴿أَيْكُمْ﴾ مضمَر تقديره: لبلوكم، فيعلم أَيْكُمْ أحسن عملاً، وهذا علم وقوع. وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأنها على أصل الاستفهام، ومثله ﴿أَيُّ الْحَزِينِ أَحْسَنُ﴾ [الكهف: ١٢]. والمعنى: خلق الحياة ليختبركم فيها، وخلق الموت ليعتكم وبجارتكم. وقال غيره: اللام في «لبلوكم» متعلق بخلق الحياة دون خلق الموت، لأن الابتلاء بالحياة، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: خلقهن مطابقات، أي: بعضها فوق بعض ﴿تَا تَرَى﴾ يا ابن آدم ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ قرا حمزة والكسائي: «من تفوت» بتشديد الواو من غير ألف. وقرا الباقون بألف. قال الفراء: وهما بمنزلة واحدة، كما تقول: تعاهدت الشيء، وتعاهدته. والتفاوت: الاختلاف. وقال ابن قتيبة: التفاوت: الاضطراب والاختلاف، وأصله من الفوت، وهو أن يموت شيء شيئاً، فيقع الخلل، ولكنه متصل ببعضه ببعض.

قوله تعالى: ﴿فَأَنْجِ الْبَصِيرَ﴾ أي: كرر البصر ﴿هَلْ تَرَى مِنْ تَطْوِيرٍ﴾ وقرا أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «هل ترى» بإدغام اللام في التاء، أي: هل ترى فيها فروجاً وضدوعاً.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْجِ الْبَصِيرَ كَرِّينَ﴾ أي: مرّة بعد مرّة ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَائِبًا﴾ قال ابن قتيبة: أي: مبعداً من قولك: خَسَأَ الْكَلْبُ: إذا बादته ﴿وَهُوَ حَبِيرٌ﴾ أي: كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر إليه. وقال الزجاج: قد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَزَقْنَاهُ الذُّبَابَ بَعِينِجَ﴾ وقد شرحناه في [عم السجدة: ١٢] ﴿وَجَعَلْنَاهُ رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي: يرجم بها مستغرق السمع. وقد سبق بيان هذا المعنى [الحجر: ١٨] ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ وهذا وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿يَعْمُرُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ أي: صوتاً مثل صوت الحمام. وقد بينا معنى الشهيق في [هود: ١٠٦]

(١) ذكره السيوطي في «الدرر» ٢٤٦/٦ من رواية ابن مردويه عن ابن مسعود موقوفاً عليه، وقد ورد هذا المعنى عن ابن عباس مرفوعاً، وهو ضعيف.

(٢) روى أحمد في «المستند»، وأصحاب «السنن» الأربعة بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت ل صاحبها حتى يحضره الله، وهي ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيرُ الْمُلْكَ﴾».



﴿وَيَوْمَ تَقُورُ﴾ أي: تغلي بهم كغلي الوججل ﴿كَكَادُ تَمِيرُ﴾ أي: تنفلق من نغيطها عليهم ﴿كَلَمَّا أَتَىٰ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: جماعة منهم ﴿سَلَّمَ حَزَنَتَهَا أَلَدَ بِأَذْكُرَ نَذِيرٌ﴾ ١٢ وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَشْرَفُوا﴾ أي: قلنا للرسل: ﴿إِنِ اسْتَشْرَفُوا إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ أي: في ذهاب عن الحق بعيد. قال الزجاج: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع من يعي ويفكر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل من يُميز وينظر ﴿مَا كُنَّا﴾ من أهل النار ﴿نَسْخَقُ﴾ أي: بُغْدًا. هو منصوب على المصدر، المعنى: أسحقهم الله سحقاً، أي: باعدهم الله من رحمته مباعدة، والسحق: البعد. وكذلك روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فسحقاً﴾ أي: بُغْدًا. وقال سعيد بن جبير، وأبو صالح: السحق: واد في جهنم يقال له: سُحُق.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١٣ ﴿وَأَيُّهَا قَوْمُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِذَاتِ الْأَشْدُوِّ﴾ ١٤ ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ خَلْقٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٥ ﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاتَّشَوْا فِي مَنَازِكِهَا وَكَلَّوْا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ١٦.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ قد شرحناه في سورة [الأنبياء: ٤٩] ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو: الجنة. ثم عاد إلى خطاب الكفار، فقال تعالى: ﴿وَأَيُّهَا قَوْمُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِذَاتِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبرائيل بما قالوا، فيقول بعضهم: أسروا قولكم حتى لا يسمع إله محمد.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ خَلْقٌ﴾ ١٥ أي: ألا يعلم ما في الصدور خالقها؟ ١٦ و ﴿اللطيف﴾ مشروح في [الأنعام: ١٠٣] و ﴿الخبير﴾ في [البقرة: ٢٢٤].

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ أي: مُدَلَّلَةً سَهْلَةً لم يجعلها ممتنة بالخرقة والغلط. قوله تعالى: ﴿فَاتَّشَوْا فِي مَنَازِكِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: طرقاتها، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد. والثاني: جبالها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، واختاره الزجاج، قال: لأن المعنى: سهل لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل. والثالث: في جوانبها، قاله مقاتل، والفراء، وأبو عبيدة، واختاره ابن قتيبة<sup>(١)</sup>، قال: ومنكبا الرجل: جانباه.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي: إليه يُعْتَبَرُونَ من قوركم. ﴿وَأَيْنُمَنَّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ إِذَا هِيَ تَقُورُ﴾ ١٧ ﴿أَمْ أَيْنُمَنَّ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَلْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ ١٨ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبَ كَانْ نَكِيرٌ﴾ ١٩ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْفُتُورِ قَوْمَهُمْ مَنْكَلَتِ وَقَعَتْ إِيَّاهُ الْآرْحَمَنُ إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ٢٠.

ثم خوف الكفار فقال: ﴿وَأَيْنُمَنَّ﴾ قرأ ابن كثير: ﴿وإليه النشور وأنتم﴾ وقرأ نافع، وأبو عمرو: ﴿النشور أنتم﴾ بهزمة معدودة. وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿أأنتم﴾ بهزتين ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباس: أنتم عذاب مَنْ في السماء، وهو الله عز وجل؟ ١٩ و ﴿تمور﴾ بمعنى: تدور. قال مقاتل: والمعنى: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ وهي: الحجارة، كما أرسل على قوم لوط، ﴿فَسَتَلْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ أي: كيف كانت عاقبة إنفاري لكم في الدنيا إذا نزل بكم العذاب، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني: كفار الأمم ﴿كَذَّبَ كَانْ نَكِيرٌ﴾ أي: إنكارى عليهم بالعذاب. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْفُتُورِ قَوْمَهُمْ مَنْكَلَتِ﴾ أي: تصف أجنتها في الهواء، وتقبط أجنتها بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط ﴿مَا يَسْكُنُهُنَّ﴾ أن يقعن: ﴿إِلَّا الْآرْحَمَنُ﴾. ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ٢١ ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُكُمْ إِنْ أَسَّكَ رَبُّكُمْ بِهِ لُكُومًا﴾ ٢٢ ﴿فِي عُرْوٍ وَتَقُورُ﴾ ٢٣ ﴿أَفَنْ بَنَيْتُمْ مِثْكَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمِنْ بَنَيْتُمْ سَوَاءً عَلَىٰ حَرْبٍ مَسْتَقِيمٍ﴾ ٢٤ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري أيضاً.

وَالْأَمْسَرَ وَالْأَلْفَيْدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ عَنِ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ﴾ هذا استفهام إنكار. ولفظ «الجُنْد» مؤنث، فلذلك قال تعالى: «هذا الذي هو» والمعنى: لا جُنْدَ لَكُمْ ﴿يَصْرُكُم﴾ أي: يمنعكم من عذاب الله إن أَرَادَهُ بَكُمْ ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ وذلك أن الشيطان يغرهم، فيقول: إن العذاب لا ينزل بكم ﴿إِنَّمَا هَذَا الَّذِي يَزِيدُكُمْ﴾ المطر وغيره ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله ذلك عنكم ﴿لَجَأًا بِ عُتُوٍّ﴾ أي: تماذ في كفر ﴿وَتُفُورٍ﴾ عن الإيمان. ثم ضرب مثلاً، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُ نِكَاحًا عَلَى وَجْهِهِ﴾ قال ابن قتيبة: أي: لا يبصر يميناً، ولا شمالاً، ولا من بين يديه. يقال: أَكَبَّ فلانٌ على وجهه بالالف، وكَبَّه الله لوجهه، وأَرَادَ: الأعمى. قال المفسرون: هذا مثل للمؤمن، والكافر. و«السوي»: المعتدل، أي: الذي يبصر الطريق. وقال قتادة: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مُكِبًّا على وجهه، والمؤمن يمشي سويًا.

قوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم لا يشكرون، قاله مقاتل. والثاني: يشكرون قليلاً، قاله أبو عبيد.

قوله تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ أي: خلقكم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون بالوعد: العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أي: رأوا العذاب قريباً منهم ﴿سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال الزجاج: أي: تبين فيها السوء. وقال غيره: قُبِحت بالسواد ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن «تَدْعُونَ» بالتشديد، بمعنى تدعون بالتخفيف، وهو «تفتعلون» من الدعاء. يقال: دعوت، وأدعيت، كما يقال: حَبَزْتُ وَاحْتَبَزْتُ، ومثله: يَذْكُرُونَ، وَيَذْكُرُونَ، هذا قول الفراء، وابن قتيبة. والثاني: أن المعنى: هذا الذي كنتم من أجله تَدْعُونَ الأباطيل والأكاذيب، تَدْعُونَ أنكم إذا مُثِّمٌ لا تُبْعَثُونَ! وهذا اختيار الزجاج. وقرأ أبو رزين، والحسن، وعكرمة، وقاتدة، والضحاك، وابن أبي عبله، ويعقوب: «تَدْعُونَ» بتخفيف الدال، وسكونها، بمعنى تَفْعَلُونَ من الدعاء. وقال قتادة: كانوا يَدْعُونَ بالعذاب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا فَتَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوًّا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ﴾ بعذابه ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «معي» بفتح الباء. وقرأ أبو بكر عن عاصم، والكسائي: «معي» بالإسكان، ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعدُّبْنَا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ أي يمنعهم ويؤمنهم ﴿مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ومعنى الآية: إنا مع إيماننا، بين الخوف والرجاء: فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟! أي: لأنه لا رجاء لكم كرجاء المؤمنين، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ الذي نَعْبُدُ ﴿تَسْتَعْلَمُونَ﴾ وقرأ الكسائي: «فسيعلمون» بالياء عند معاينة العذاب من الضالِّ نحن أم أنتم.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوًّا﴾ قد بيناه في «الكهف: ٤١» ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾؟! أي: بماؤ ظاهر تراه العيون، وتنااله الأرضية.



## سورة القلم

وهي مكية كلها بإجماعهم

إلا ما حكى عن ابن عباس وقتادة أن فيها من المدني قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُ ۝ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ سَنُيَبِّرُ وَبَيِّرُوكَ ۝ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ سَلَ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَرِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿ت﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وحفص: ﴿نُ والقلم﴾ النون في آخر الهجاء من نون ظاهرة عند الواو، وهذا اختيار الفراء. وروى أبو بكر عن عاصم أنه كان لا يبين النون من (نون). وبها قرأ الكسائي، وخلف، ويعقوب، وهو اختيار الزجاج. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والأعمش: «نون والقلم» بكسر النون. وقرأ الحسن، وأبو عمران، وأبو نهيك: ﴿نُ والقلم﴾ برفع النون. وفي معنى نون سبعة أقوال: أحدها: أنها الدواة. روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون، وهي الدواة»<sup>(١)</sup> وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة، وبه قال الحسن وقتادة. والثاني: أنه آخر حروف الرحمن، رواه عكرمة عن ابن عباس. والثالث: أنه الحوت الذي ظهر الأرض، وهذا المعنى في رواية أبي ظبيان عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وهو مذهب مجاهد، والسدي، وابن السائب، ومقاتل. والرابع: أنه لُوح من نور، قاله معاوية بن قرة. والخامس: أنه افتتاح اسمه «نصير»، و«ناصر»، قاله عطاء. والسادس: أنه قَسَمٌ يَضْرِبُهُ الله للمؤمنين، قاله القرطبي. والسابع: أنه نهر في الجنة، قاله جعفر الصادق<sup>(٣)</sup>. وفي «القلم» قولان: أحدهما: أنه الذي كتب به في اللوح المحفوظ. والثاني: أنه الذي يكتب به الناس<sup>(٤)</sup>. وإنما أقسم به، لأن كتبه إنما تكتب، و«يَسْطُورُ» بمعنى: يكتبون. وفي المشار إليهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة. وفيما أرادوا بما يكتبونه قولان: أحدهما: أنه الذكر، قاله مجاهد، والسدي. والثاني: أعمال بني آدم، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنهم جميع الكُتَبَة، حكاه الثعلبي. ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: ما أنت بإنعام ربك عليك بالإيمان والثبوت بمجنون. قال الزجاج: هذا جواب قولهم: إنك لمجنون. وتأويله: فارقك الجنون بتعمة الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بصبرك على افتراءهم عليك، ونسبتهم إليك إلى الجنون ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا منقوص، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني:

(١) رواه ابن عساکر ١٧/٢٤٧ عن الحسن بن يحيى الخشني عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة ؓ بأطول منه، وتماه: «ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون - أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أجل، فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فلذلك قوله: ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُ﴾» ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وهزني لأملكك فيمن أحييت، ولأنفستك ممن أبغضت. والحسن بن يحيى صدوق كثير الغلط كما قال الحافظ في «التقريب»، والحديث رواه أحمد في «المستدرك» ٣١٧/٥ من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه عباد بن الصامت ؓ، وليس فيه ذكر النون في أوله، ولا ذكر العقل في آخره، ورواه الترمذي ١٦٢/٢ بنحو رواية أحمد وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه أيضاً أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٠٠)، والطبري ١٧/٢٩ وهو حديث صحيح بهذا القدر.

(٢) رواه الطبري ١٤/٢٩، وأبو ظبيان قابوس، فيه لين كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب».

(٣) والصواب أن (نون) من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معاوضته، وقد تقدم ذلك.

(٤) قال ابن كثير: والظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَبَّكَ الْأَكْبَرُ ۝ الَّذِي عَلَىٰ الْقَلَمِ ۝ عَزَّ الْإِنشَاءُ تَارَةً يَكُنْ﴾ فهو قسم من تعالى وتبنيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُورُ﴾.



أدب القرآن، قاله الحسن. والثالث: الطبع الكريم. وحقيقة «الخُلُق»: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، فسمي خُلُقاً، لأنه يصير كالخُلقة في صاحبه. فأما ما طبع عليه فيسمى: «الخيم» فيكون الخيم: الطبع الغريزي، والخُلُق: الطبع المُتَكَلَّف. هذا قول الماوردي. وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: كان خُلُقُه القرآن<sup>(١)</sup>. تعني: كان على ما أمره الله به في القرآن.

قوله تعالى: ﴿سَبِّحْهُ وَبِخَيْرِهِ﴾ يعني: أهل مكة. وهذا وعيد لهم بالعذاب. والمعنى: سترى ويرون إذا نزل بهم العذاب يبذرون. «بِأَيْكُمْ الْفَتُونَ» وفيه أربعة أقوال: أحدها: الضال، قاله الحسن. والثاني: الشيطان، قاله مجاهد. والثالث: المجنون، قاله الضحاك. والمعنى: الذي قد فتن بالجنون. والرابع: المعذب، حكاه الماوردي. وفي الباء قولان: أحدهما: أنها زائدة، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

لَنُخْرِجَنَّ بَنُو جَعْدَةَ أَصْحَابَ الْفَلَاحِ  
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالنَّعْرَجِ<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنها أصلية، وهذا قول الفراء، والزجاج. قال الزجاج: ليس كونها لغواً بجائز في العربية في قول أحد من أهلها. وفي الكلام قولان للنحويين: أحدهما: أن «المفتون» هاتنا: الفتون. والمصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس هذا معقود رأي، أي: عقد رأي، وتقول: دعه إلى ميسوره، أي: يسره. والمعنى: بأيكم الجنون. والثاني: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أم بفرقة الكفار؟ فيكون المعنى: في أي الفرقتين المجنون. وقد ذكر الفراء نحو ما شرحه الزجاج. وقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، وابن أبي عبيدة: «في أي المفتون». ثم أخبر أنه عالم بالفرقتين بما بعد هذا.

﴿لَا تُطِيعُ الشَّكَّيْنِ﴾ ٨ ﴿وَدُّوْا لَوْ تَدْعُوْنَ بَكْرَهُنَّ﴾ ٩ ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَالِيْ مَهِيْنٍ﴾ ١٠ ﴿هَآؤُنَّ مَثَلُ يَمِيْمٍ﴾ ١١ ﴿مَنْعَ لِّلْخَبْرِ مَعْتَدُوْا اِيَّهٖ﴾ ١٢ ﴿عَلَّيْ بَعْدَ ذٰلِكَ زَيْبٍ﴾ ١٣ ﴿اَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَرٍّ﴾ ١٤ ﴿اِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ مَا يَنْشَآءُ قَالَ سُبْحٰنَ الَّذِيْنَ﴾ ١٥ ﴿سَمِعْتُ عَلَى الْخُرُوْءِ﴾ ١٦.

قوله تعالى: ﴿لَا تُطِيعُ الشَّكَّيْنِ﴾ ٨. وذلك أن رؤساء أهل مكة دَعَوْهُ إلى دين آبائه، فنهاه الله أن يطيعهم ﴿وَدُّوْا لَوْ تَدْعُوْنَ بَكْرَهُنَّ﴾ ٩. فيه سبعة أقوال: أحدها: لو ترخص فبرخصون، قاله ابن عباس. والثاني: لو تُضَايِعُهُمْ في دينك فَضَايِعُونَ في دينهم، قاله الحسن. والثالث: لو تكفر فيكفرون، قاله عطية، والضحاك، ومقاتل. والرابع: لو تَلَيَّنُوا فيلننون لك، قاله ابن السائب. والخامس: لو تنافق وترائي فيناقفون ويرأفون، قاله زيد بن أسلم. والسادس: ودُّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. وكانوا أرادوه على أن يعبد آلهم مَدَّةً، ويعبدوا الله مدة، قاله ابن قتيبة. وقال أبو عبيدة: هو من المداينة. والسابع: لو تقاربهم فيقاربونك، قاله ابن كيسان<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَالِيْ﴾ وهو كثير الحلف بالباطل «مَهِيْنٍ» وهو الحقير الدنيء. وروى العوفي عن ابن عباس قال: المَهِين: الكذاب. واختلفوا فيمن نزل هذا على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: الأخنس بن شريق، قاله عطاء، والسدي. والثالث: الأسود بن عبد يغوث، قاله مجاهد<sup>(٤)</sup>.

(١) هو قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد في «مسنده» ٥١/٦، ٥٢، ورواه مسلم ٥١٢/١ بنحو حديث أحمد. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٢/ ٤٩٩ مختصراً، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأزوده السيوطي في «الدر» ٢٥٠/٦ مختصراً، وزاد نسبة لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها. قال ابن كثير: ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيلاً له وخُلُقاً نطبعه وترك طبعه الجبلي، فهما آخرة القرآن فعله، وهما نهاء عنه تركه، لهذا مع ما جبلة الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفا، والعلم، وكل خلق جميل.

(٢) هو لراجز من بني جمعة، كما في «مجاز القرآن» ٥/٢، و«الغزاة» ١٦٠/٤، و«الانقصاب» ٤٥٨، وشواهد «المغني» ١٦٤، و«الطبري» ١٤/١٨ و٢٩/ ٢٠، و«القرطبي» ٣٥/١٢. والفعل يتحرك اللام: موضع لبني جمعة بن قيس بنجد، وهو في أعلى بلاد قيس، والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله «بالفرج»، أي: ونرجو الفرج، وهي زائدة في المفعول به سماعاً، ويروى البيت: نضرب بالبيض وتدعو بالفرج. وكلا الروايتين بمعنى واحد.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ودُّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركوع إلى آلهم فيلننون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ اَنَّ كُنْتَ تَرَكَزْنَ اِنتَهَرْتُمْ مِّنْكَ قِيْلًا﴾ ١١. إذا لَدَقْتَنكَ يَمْنَكَ الْكِبَرُ رَضِمْتَ الْكَسْبَ قال: وإنما هو مأخوذ من الدَّهن، شبه التلين في القول بتلين الدَّهن.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٠٧/٨ عن ابن عباس رضي الله عنه: ﴿عَلَّيْ بَعْدَ ذٰلِكَ زَيْبٍ﴾ ١٣. قال: رجل من قريش له زئمة مثل زئمة الشاذ. قال الحافظ =



قوله تعالى: ﴿هَآؤُلَآءِ﴾ قال ابن عباس: هو المقتاب. وقال ابن قتيبة: هو العيَّاب.

قوله تعالى: ﴿تَتَلَوَّ بِبَنِينَ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهو نقل الكلام السيئ من بعضهم إلى بعض ليفسد بينهم<sup>(١)</sup> ﴿مَنَاجِلَ لِلْعَيْبِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه منع ولده وعشيرته الإسلام، قاله ابن عباس. والثاني: مَنَاجِلَ للحقوق في ماله، ذكره الماوردي.

قوله تعالى: ﴿مُتَمِّدٍ﴾ أي: ظلوم ﴿أَكْبَرُ﴾ فاجر ﴿عُتِلَ بِمَدِّ ذَٰلِكَ﴾ أي: مع ما وصفناه به<sup>(٢)</sup>. وفي «العُتْلُ» سبعة أقوال: أحدها: أنه العاتي الشديد المنافق، قاله ابن عباس. والثاني: أنه المتوقر الجسم، قاله الحسن. والثالث: الشديد الأثير. قاله مجاهد. والرابع: القوي في كفره، قاله عكرمة. والخامس: الأكل الشروب القوي الشديد، قاله عبيد بن عمير. والسادس: الشديد الخصومة بالباطل، قاله الفراء. والسابع: أنه الغليظ الجافي، قاله ابن قتيبة. وفي «الزَّيْمِ» أربعة أقوال: أحدها: أنه الدَّعِي في قريش وليس منهم، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا معروف في اللغة أن الزَّيْمِ: هو الملتصق في القوم وليس منهم، وبه قال الفراء. وأبو عبيدة، وابن قتيبة. قال حسان:

وَأَنْبَتَ زَيْمٌ زَيْمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ

كما نَيْطٌ خَلَفَ الرَّائِبِ الْقَدْحُ الْقَرْدُ<sup>(٣)</sup>  
والثاني: أنه الذي يعرف بالشَّرِّ، كما تعرف الشاة بِزَمَتِهَا<sup>(٤)</sup>، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس. والثالث: أنه الذي له زَمَةٌ مثل زَمَةِ الشاة. وقال ابن عباس: نُعت قلم يعرف حتى قيل: زَيْمٌ، فعرف، وكانت له زَمَةٌ في عنقه يعرف بها. ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد ما بلغه من ذكر عيوب الوليد، لأنه وصفه بالحلف، والمهانة، والعب للناس، والمشي بالنميمة، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدَّعْوَةُ، فالحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة. والزَّيْمَتَانِ: المعلقتان عند حلق المعزى. وقال ابن فارس: يعني التي تعلق من أذنها. والرابع: أنه الظلوم، رواه الوالي عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ﴿١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وحفص عن عاصم: «أن كان» على الخبر، أي: لأن كان. والمعنى: لا تقطعه لماله وبنيه. وقرأ ابن عباس بهمزتين، الأولى: مخففة. والثانية: ملينة، وفصل بينهما بألف أبو جعفر. وقرأ حمزة: «أَنَّ كان» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وله وجهان: أحدهما: لأن كان ذا مال طعيه؟ والثاني: لأن كان ذا مال وبنتين؟ ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَكْبَرُ﴾ يكفر بها؟ فيقول: ﴿أَسْطِيطُ الْآكِرِينَ﴾ ذكر القولين الفراء. وقرأ ابن مسعود: «أن كان» بهمزة واحدة مقصورة. ثم أوعده فقال تعالى: ﴿سَيَسُئُ لَكَ الْخُرُومُ﴾ الخُرطوم: الأنف. وفي هذه السُّمَةُ ثلاثة أقوال: أحدها: سنسسه بالسيف، فتجعل ذلك علامة على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخطم بالسيف، قاله ابن عباس. والثاني: سنلحق به شيئاً لا يفارقه، قاله قتادة، واختاره ابن قتيبة. والثالث: أن المعنى: سنسود وجهه. قال الفراء: و «الخُرطوم» وإن كان قد خص بالسُّمَةِ، فإنه في مذهب الوجه، لأن بعض الوجه يؤذي عن البعض. وقال الزجاج: سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من أسوداد وجوههم. وجائز - والله أعلم - أن يفرد بسمة لمبالغته في عداوته لرسول الله ﷺ يتبين بها عن غيره.

ابن حجر في «الفتح»: اختلف في الذي نزلت فيه؛ فقيل: هو الوليد بن المغيرة. وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره»، وقيل: الأسود بن عبد يغوث، ذكره سديد بن داود في «تفسيره»، وقيل: الأخنس بن شريق، وذكره السهيلي عن القتيبي. وحكى هذين القولين الطبري، فقال: يقال: هو الأخنس، وزعم قوم أنه الأسود، وليس به، وأبعد من قال: إنه عبد الرحمن بن الأسود، فإنه يصغر عن ذلك، وقد أسلم، وذكر في الصحابة.

(١) وقد ثبت في «الصحاحين» من حديث ابن عباس ؓ قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبورين، فقال: «إنهما ليعلمان، وما يعلمان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». وفي «الصحاحين» أيضاً من حديث حذيفة ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتاتٌ أي: تمام»، كما في رواية أخرى لمسلم.

(٢) في «الصحاحين» عن حارثة بن وهب الخزاعي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أتيتكم بأهل الجنة، كل ضعيف متصفق لو أقسم على الله لأبره، ألا أتيتكم بأهل النار كل خُلَّ جَوَاطٍ مستكبر». والجَوَاطُ: الجميع المنوع.

(٣) «ديوانه» ١٦٠، و«مجاز القرآن» ٢/٢٦٥، و«الطبري» ٢٩/٢٥، و«القرطبي» ١٨/٢٣٤.

(٤) قال في «المصباح»: الزَّمَةُ مثال قصبة: المتدلية من الحلق.

﴿إِنَّا بَوَّأْنَهُرَ كَمَا بَوَّأْنَا أَهْبَابَ لَيْلٍ إِذْ أَتَوْا لِصِرْمَتٍ مُّصِيرَةٍ ۝ وَلَا يَنْتَفُونَ ۝ فَلَا عَلَىكَ لَاقٍ مِنْ رَبِّكَ وَهُوَ تَابِعُونَ ۝ فَأَنْبَحَتْ كَالْمَيِّتِ ۝ فَتَنَادَوْا مُصِيرِينَ ۝ أَوِ اقْدُوا عَلَى حَرْوِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيرِينَ ۝ فَاطْلُقُوا وَهُمْ يَنْتَفُونَ ۝ أَوْ لَا يَنْتَفُونَ أَلَيْمَ عَلَيْكُمْ يَنْتَفُونَ ۝ وَغَدَاً عَلَى حَرٍّ قَدِيدٍ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَمَلَكُونَ ۝ عَلَى غُرُومُونَ ۝ قَالُوا لَيْلٌ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْتَعِينُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ۝ قَالُوا يُرِيدُكَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ عَنِ رَبِّنَا أَنْ يَبْدُوكَ حَبْرًا مِثْلًا إِنَّا لَمْ نَرْنَا رَيْثُونَ ۝ كَذَلِكَ أَلْقَيْنَا وَلَكُنَّ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ الْيَمِينِ ۝ فَتَجَعَلُ السَّيْلِينَ كَالْغَيْرِيِّينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ كَيْفَ بِهِ عَذَابُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَغْفِرُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ أَنْبَدُ مِثْلًا بَلَدُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلَّمَهُ أَهْلُهُ بِذَلِكَ رَيْمٍ ۝ أَمْ لَمْ تَرَكَهَ قَبْلَ أَنْ يَشْكُرْهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَوَّأْنَهُرَ﴾ يعني: أهل مكة، أي: ابتليانهم بالجوع، والفقط ﴿كَمَا بَوَّأْنَا أَهْبَابَ لَيْلٍ﴾ حين هلكت جثثهم

### وهذه الإشارة إلى قصتهم

ذكر أهل التفسير أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً. وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وكان يأخذ منه قدر قوته، وكان يتصدق بالباقي. وقيل: كان يترك للمساكين ما تعداه المنجل، وما يسقط من رؤوس النخل، وما ينثر عند الدّراس، فكان يجتمع من هذا شيء كثير، فمات الرجل عن ثلاث بنين، فقالوا: والله إن المال لقليل، وإن العيال لكثير، وإنما كان أبونا يفعل هذا إذ كان المال كثيراً، والعيال قليلاً، وأما الآن فلا نستطيع أن نفعل هذا. فغرموا على حرمان المساكين، وتحالفوا بينهم ليفقدوا قبل خروج الناس، فليصرم نخلهم، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَتَوْا﴾ أي: جلفوا ﴿لِصِرْمَتِهِ﴾ أي: ليقطعون نخلهم ﴿مُصِيرِينَ﴾ أي: في أول الصباح. وقد بقيت من الليل ظلمة لثلا يبقى للمساكين شيء <sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَفُونَ﴾ قولان: أحدهما: لا يقولون: إن شاء الله، قاله الأكثرون. والثاني: لا يستنون حق المساكين، قاله عكرمة. ﴿فَلَا عَلَىكَ لَاقٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: من أمر ربك. قال الفراء: الطائف لا يكون إلا بالليل. قال المفسرون: بعث الله عليها ناراً بالليل، فاحترقت، فصارت سوداء، فذلك قول تعالى: ﴿فَأَنْبَحَتْ كَالْمَيِّتِ ۝﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: كالرماد الأسود، قاله ابن عباس. والثاني: كالليل المسود، قاله الفراء. وكذلك قال ابن قتيبة: أصبحت سوداء كالليل محترقة. والليل: هو الصريم، والصبح أيضاً: صريم، لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه. والثالث: أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر، فكانه قد صرم، أي: قطع وجذ، حكاه ابن قتيبة أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا مُصِيرِينَ ۝﴾ أي: نادى بعضهم بعضاً لما أصبحوا ﴿أَوِ اقْدُوا عَلَى حَرْوِكُمْ﴾ يعني: الثمار والزروع والأعنان ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيرِينَ﴾ أي: قاطعين للنخل، ﴿فَاطْلُقُوا﴾ أي: ذهبوا إلى جثثهم ﴿وَهُمْ يَنْتَفُونَ﴾ قال ابن قتيبة: ينسارون بـ ﴿أَنْ لَا يَنْتَفُونَ أَلَيْمَ عَلَيْكُمْ يَنْتَفُونَ ۝ وَغَدَاً عَلَى حَرٍّ﴾ فيه ثمانية أقوال: أحدها: على قدرة، قاله ابن عباس. والثاني: على فاقة، قاله الحسن في رواية. والثالث: على جد، قاله الحسن في رواية، وقتادة، وأبو العالية، والفراء، ومقاتل. والرابع: على أمر مجمع قد أسسوه بينهم، قاله مجاهد، وعكرمة. والخامس: أن الحرد: اسم الجنة، قاله السدي. والسادس: أنه الحق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان. وأنشد أبو عبيدة:

أَسْوَدُ شَرِيٍّ لَأَنْتَ أَسْوَدُ خَفِيٍّ  
تَسَاقُوا عَلَى حَرِّ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ <sup>(٢)</sup>

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حَارَدَتِ السَّيَّةُ فليس فيها مطر، وحارَدَتِ الناقة فليس لها لبن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثامن: أنه القصد. يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتُ قَصْدَكَ، حكاه الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

(١) ذكر هذه القصة البخوي في «تفسيره» من رواية محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكرها الخازن عن ابن عباس بغير سند.

(٢) البيت للأشهب بن زُمَيْلَةَ الذي كان يهاجي الفزدق، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٦٦، و«الكامل» للمبرد ٤٣٨، و«الطبري» ١٩/٣٣، و«القرطبي» ٢/١٧٧، و«السمط» ٣٥، و«معجم ما استمع» ٣/٧٨٥، و«العيني» ١/٤٨٢، و«الخزانة» ٢/٥٠٨، و«شري» و«خفية» مأسدتان معروفتان، و«الخرد»: الغضب، من حَرَدَ يَحْرُدُ حَرْدًا، مثل غَضِبَ يَغْضَبُ غَضْبًا. والأساود: جمع أسود، وهو اسم للحية، ولذلك جمع كما تجمع الأسماء على «أفاعل»، مثل «أرانب»، ولو كان صفة لجمع على: سود.

قَدْ جَاءَ سَيِّئٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّـهِ

يَخْرُجُ الْجَنَّةَ الْمُنْغَلَةُ<sup>(١)</sup>

أي: يقصد قصدها. قال ابن قتيبة: وفيها لغتان: حَرَدٌ، وَحَرَدٌ، كما يقال: الدَّرَكُ، والدَّرَكُ. وفي قوله تعالى: ﴿تَذَرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة. والثاني: قادرين على المساكين، قاله الشعبي. والثالث: أن المعنى: منعوا وهم قادرون، أي: واجدون، قاله ابن قتيبة. قالوا: ﴿هَلَّا رَأَوْهَا﴾ محترقة ﴿هَلَّا رَأَوْهَا﴾ أي: قد ضللتنا طريق جنتنا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُرْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أي: حُرْمَتُنَا نَمَرُ جَنَّتِنَا بمنعنا المساكين ﴿هَلَّا أَوْسَطُكُمْ﴾ أي: أعدلهم، وأفضلهم ﴿وَلَا﴾ أي: هَلَّا ﴿تَسْبُحُونَ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: هلا تَسْتَكْتُونَ عند قولكم: «ليصيرمُها مصبحين» قاله ابن جريج والجمهور. والمعنى: هلا قلتم: إن شاء الله. قال الزجاج: إنما قيل للاستثناء: تسبيح، لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله ﷻ عن السوء. والاستثناء تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله. والثاني: أنه كان استثناءهم قول: «سبحان الله»، قاله أبو صالح. والثالث: هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاة الثعلبي. وقوله تعالى: ﴿هَلَّا سَمِعْتُمْ رَبَّكَ﴾ فنزّهوه أن يكون ظالماً فيما صنع، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنعنا المساكين ﴿فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ﴾<sup>(٣)</sup> أي: يلوم بعضهم بعضاً في منع المساكين حقوقهم. يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا، ويقول الآخر: أنت فعلت، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: ﴿وَرَبُّنَا إِنَّهُ كَاظِمِينَ﴾ حين لم نصنع ما صنع آبائنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أن يبدلهم خيراً منها، فذلك قوله: ﴿هَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾. وقرأ قوم: «يبدلنا» بالتحفيف، وهما لغتان. وفرّق قوم بينهما، فقالوا: التبديل: تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية. والإبدال: إزالة الشيء ووضع غيره مكانه. ونقل أن القوم أخلصوا، فبدلهم الله جنة العتقود منها وقرّب بعل.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَلْقَيْنَا﴾ ما فعلنا بهم فعل بمن تعدى حدودنا. وهاتنا انتهت قصة أهل الجنة. ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين. ثم ذكر ما للمتقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنا لنغطي في الآخرة أفضل مما تُغَطُّون، فقال تعالى مكذباً لهم: ﴿أَتَجِدَلُ الْمُتَلَيِّنِينَ كَالْمُفْرِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ١٩ قال الزجاج: هذه ألف الاستفهام مجازاً ما هاتنا مجاز التوبيخ، والتقرير.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: كيف تقضون بالجور ﴿إِنَّمَا لَكُمْ كِتَابٌ﴾ أنزل من عند الله ﴿فِيهِ﴾ هذا ﴿تَذَرُونَ﴾ أي: تفرّون ما فيه ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ في ذلك الكتاب ﴿لَا تَحْزَنُونَ﴾ أي: ما تختارون وتشتبهون. وقرأ أبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وأبو عمران: «أن لكم» بفتح الهمزة. وهذا تقيع لهم، وتوبيخ على ما يتمنون من الباطل ﴿سَلَّمْتُ إِلَهُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿إِنَّمَا لَكُمْ إِلَهُكُمْ إِلَهُكُمْ﴾ أي: ألكم عهود على الله تعالى حلف لكم على ما تدعون بأيمان بالغوث، أي: مؤكدة. وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ. ويجوز أن يكون المعنى: بالغة إلى يوم القيامة، أي: تبلغ تلك الأيمان إلى يوم القيامة في لزومها وتوكيدها. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَّا تَحْكُمُونَ﴾ لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى. قال الفراء: والقراء على رفع «بالغة» إلا الحسن فإنه نصبها على مذهب المصدر، كقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ [الروم: ٤٧]. ومعنى الآية: هل لكم إيمان علينا بالغة بأن لكم ما تحكمون؟! فلما كانت اللام في جواب «إن» كسرتهَا.

قوله تعالى: ﴿سَلَّمْتُ إِلَهُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الكفيل، قاله ابن عباس، وقاتدة. والمعنى: أيهم كفّل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين من الخير. والثاني: أنه الرسول، قاله الحسن.

(١) الرجز غير منسوب (مجاز القرآن) ٢/٢٦٦، والكمال: ٥٠، والطبري: ٢٩/٣٣، والقرطبي: ١٨/٣٤٢، وشواهد الكشاف: ٢٥٤، وفي «معاني القرآن» للفراء: والحد أيضاً: القصد كما يقول الرجل: قد أقبلت، ونصدت قصدك، وحررت حركك، وأشدني بعضهم: وجاء سيل كان... وجاء في «الكمال» للمبرد بعد إنشاد البيت: قال أبو حاتم: هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطرياً. وأبو حاتم: هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني من شيوخ أبي العباس، وقوله: «هذه صنعة» يريد حذف الألف من لفظ الجلالة، والألفين باسم الله أن ينطق به على أكمل وجه، والمراد بـ «قطري» قطري بن الفجاءة الخارجي. قال المصنف في شرح «الكمال» ١/١٨٠: ومن الغريب من نقل عن ابن السيد شارح الكتاب أن هذا الرجز لقطرب بن المستنير تلميذ سيويه.





أولي العزم، لأنها خطيئة. ولو قلنا: إن كل مخطئ من الأنبياء ليس من أولي العزم، خرجوا كلهم إلا يحيى. ثم أخبر عن عقوبته إذ لم يصبر، فقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ قال الزجاج: مملوء غماً وكرهاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا أَن تَدْرَكُكُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبيدة: «لولا أن تداركته» بتاء خفيفة، وبتاء ساكنة بعد الكاف مع تخفيف الدال. وقرأ أبو هريرة، وأبو المتكلى: «تداركه» بتاء واحدة خفيفة مع تشديد الدال. وقرأ أبي بن كعب: «تداركه» بتاءين خفيفتين. ﴿وَمِمَّا يَنْزِيلُ﴾ فرحمه بها، وتاب عليه من معاصيه ﴿كُنُوزَ الْعَمَلِ وَهُوَ مَكْشُوفٌ﴾ وقد بينا معنى «العراء» في [الصفات: ١٤٥]. ومعنى الآية: أنه نيزد غير مذموم لنعمة الله عليه بالتوبة والرحمة. وقال ابن جريج: نيزد بالعراء، وهي: أرض المحشر، فالمعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة ﴿فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ﴾ أي: استخلصه واصطفاه، وخلصه من الدم ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الْمُنْجِينَ﴾ فردَّ عليه الوحي، وشفعه في قومه ونفسه ﴿وَلَا يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بِالْغَيْبِ﴾ قرأ الأكثرون بضم الياء من أزلقته، وقرأ أهل المدينة، وأبان بفتحها من زلقته أزلقه، وهما لغتان مشهورتان في العرب. قال الزجاج: يقال: زلق الرجل رأسه وأزلقه، إذا حلقه. وفي معنى الآية للمفسرين قولان: أحدهما: أن الكفار قصدوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً، ثم يرفع جانب خيائه، فتمر به النعم، فيقول: لم أر كاليوم إلا لا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها عذة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، فعصم الله نبيه، وأنزل هذه الآية، هذا قول الكلبي، وتابعه قوم من المفسرين تلقفوا ذلك من تفسيره، منهم الفراء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظراً شديداً يكاد يزلقه من شدته، أي: يلقيه إلى الأرض. وهذا مستعمل في كلام العرب. يقول القائل: نظر إلي فلان نظراً كاد يصرعني. وأنشدوا:

يَنْتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقَاؤُ فِي مَوْطِنٍ  
نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ<sup>(٢)</sup>

أي: ينظر بعضهم إلى بعض نظراً شديداً بالعداوة يكاد يزيل الأقدام، وإلى هذا ذهب المحققون، منهم ابن قتيبة، والزجاج. ويدل على صحته أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لَنَا يَوْمَ الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ﴾ والقوم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة، فيجذون النظر إليه بالبغيضاء. وإصابة العين، إنما تكون مع الإعجاب والاستحسان، لا مع البغض، فلا يُظن بالكلبي أنه فهم معنى الآية. ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني: القرآن ﴿إِلَّا وَكْرٌ﴾ أي: موعظة.



(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة. وقد روى مسلم في «صحيحه» ١٧١٩/٤ عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا».

وروى البخاري وأصحاب «السنن» عن ابن عباس ؓ قال: كان رسول الله ﷺ يموذ الحسن والحسين يقول: «أصليكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة».

(٢) البيت غير منسوب في «غريب القرآن» ٤٨٢، و«مشكل القرآن» ١٣٠، و«البيان والتبيين» ١١/١، و«الصناعتين» ٢٨١، و«اللسان»: قرض، وتفسير القرطبي ٢٥٦/٨، و«البحر المحيط» ٣١٧/٨، و«الكشاف» ١٣٢/٤: ١٤٥.





قوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: فوق رؤوسهم، أي: العرش على رؤوس الحَمَلَة، قاله مقاتل. والثاني: فوق الذين على أرجائها، أي: أن حملة العرش فوق الملائكة الذين هم على أرجائها. والثالث: أنهم فوق أهل القيامة، حكاهما الماوردي. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿تَكُنُّنَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: ثمانية أملاك. وجاء في الحديث أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أملاك آخرين، هذا قول الجمهور<sup>(١)</sup>. والثاني: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ﷻ، قاله ابن عباس، وابن جبير، وعكرمة. والثالث: ثمانية أجزاء من الكروبيين لا يعلم عددهم إلا الله، قاله مقاتل. وقد روى أبو داود في «سننه» من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حِمْلَةِ الْعَرْشِ، أَنْ مَا بَيْنَ شُعْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرِشُونَ﴾ على الله لحسابكم ﴿لَا تَحْزَنَ﴾ عليه. قرأ حمزة، والكسائي «لا يخفى» بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. والمعنى: لا يخفى عليه ﴿مِنْكَ خَافِيَةٌ﴾ أي: نفس خافية، أو قُفْلَةٌ خافية. وفي حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجذل، ومعاذير، وأما الثالثة، فعندها تتطابق الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله»<sup>(٣)</sup>، وكان عمر بن الخطاب يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزبنوا للعرض الأكبر، يومئذ لا تخفى منكم خافية. ﴿يَقُولُ هَؤُلَاءِ﴾ قال الزجاج: «هاؤم» أمر من الجماعة. بمنزلة هاكم. تقول للواحد: ها يا رجل، وللثنتين: هاؤما يا رجلان. وللثلاثة: هاؤم يا رجال. قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقة بسلامته وسروراً بنجاته. وذكر مقاتل أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ كُنْتُمْ﴾ أي: علمت وأيقنت في الدنيا ﴿إِنَّ مَثَلَ حَيَاتِهِ﴾ أي: أبعث، وأحاسب في الآخرة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ أي: حالة من العيش ﴿رَآئِيَةٍ﴾ قال الفراء: أي: فيها الرضا. وقال الزجاج: أي: ذات رضى يرضاها من يعيش فيها. وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز مرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عالية المنازل ﴿فَتُكْرَمُهُمْ﴾ أي: ثمارها ﴿دَائِيَةٍ﴾ أي: قريبة ممن يتناولها، وهي جمع قطف. والقطف: ما يقطف من الثمار. قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا ﴿وَاتَشَبَّهُوا هَيْئًا بِمَا أَلْكَتُمْ﴾ أي: قدّمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَكْبَارِ لِلْأَبِيَّةِ﴾ الماضية، وهي أيام الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَرَبَّ كَيْفَ إِيشَإِهِ﴾ قال مقاتل: نزلت في الأسود بن عبد الأسد، قتله حمزة بيدر، وهو أخو أبي سلمة. وقيل: نزلت في أبي جهل.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَنِي رَأْيَ كَيْفِيَّةٍ﴾ وذلك لما يرى فيه من القبايح ﴿وَلَوْ أَدْرَا مَا حَيَاتِهِ﴾<sup>(٤)</sup> لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب، إنما كله عليه. وكان ابن مسعود، وقتادة، ويعقوب، يحذفون الهاء من «كتابه»، و«حسابيه» في الوصل. قال الزجاج: الوجه أن يوقف على هذه الهاءات، ولا توصل، لأنها أدخلت للوقف. وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أحب مخالفة المصحف، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا حَيَاتِهِ﴾<sup>(٥)</sup> [التارة: ١٠].

(١) رواه الطبري من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ، وهو خبر مقطوع. ورواه الطبري أيضاً من طريق ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «هم اليوم أربعة» يعني حملة العرش فإذا كانوا يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية» وقد قال الله: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبِيَّةٌ﴾ وهذا خبر مقطوع أيضاً. قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ قَبِيَّةٌ﴾ أي: يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، قال: ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش، العرش العظيم، أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء، والله أعلم بالصواب اهـ.

(٢) رواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٧٧٧) وسنده جيد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» من رواية ابن أبي حاتم وقال: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه أحمد في «المسند»، وابن ماجه ٢/ ١٤٣٠ من رواية وكيع عن علي بن رفاعه عن الحسن بن أبي موسى. قال البوصيري في «الزوائد»: رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى، قاله علي بن المديني، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وقد رواه الترمذي عن الحسن بن أبي هريرة وقال: لا يصح هذا الحديث من يجل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. ورواه الطبري ٥٩/ ٢٩ من رواية مجاهد بن موسى عن زيد، عن سليمان بن حامد عن مروان الأصغر عن أبي وائل عن عبد الله نحوه، وقال ابن كثير: ورواه سعيد بن أبي غريرة عن قتادة مرسلًا مثله.



قوله تعالى: ﴿يَتَبَيَّنُ﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كَانَتْ آفَاقِيَّةً﴾ أي: القاطعة للحياة، فكانه تمنى دوام الموت، وأنه لم يُبْعَثْ للحساب ﴿هَلَكَ عَنِّي شَأْنِيَّةٌ﴾ (١) فيه قولان: أحدهما: ضلّت عني حجتي، قاله مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والسدي. والثاني: زال عني ملكي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿حُدُّهُ﴾ أي: يقول الله تعالى: ﴿حُدُّهُ فَتَلَوُا﴾ (٢) أي: اجتمعوا يده إلى عنقه ﴿قُرْ لِّلْجِمِّ سَلَوُ﴾ أي: أدخلوه النار. وقال الزجاج: اجعلوه يضلّ النار ﴿قُرْ فِي سَلِيلَةٍ﴾ وهي: خلقٌ منتظمة ﴿ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ قال ابن عباس: بذراع المَلَك. وقال نوف الشامي<sup>(١)</sup>: كل ذراع سبعون باعاً، الباع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رجة الكوفة. وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً. وقال مقاتل: ذرعها سبعون ذراعاً بالذراع الأول. ويقال: إن جميع أهل النار في تلك السلسلة.

قوله تعالى: ﴿تَأْسَلُكُمُ﴾ أي: أدخلوه. قال الفراء: وذكر أنها تدخل في دبر الكافر فتخرج من رأسه، فذلك سلكه فيها. والمعنى: ثم اسلكوا فيه السلسلة، ولكن العرب تقول: أدخلت رأسي في القلنسوة، وأدخلتها في رأسي. ويقال: الخاتم لا يدخل في يدي، وإنما اليد تدخل في الخاتم، وإنما استجازوا ذلك، لأن معناه معروف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَطَبِيعُهُ﴾ (٣) أي: لا يصدق بوحدانيته وعظمته ﴿وَلَا يَخْشَى عَلَى طَعْمِ الْيَسِينِ﴾ (٤) أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه ﴿فَلْيَسِّرْ لَهُ الْيَمَّ هَهُنَا جِئِمَ﴾ (٥) أي: قريب ينفعه، أي: يشفع له ﴿وَلَا طَعْمَ إِلَّا مِنْ غَلِيلٍ﴾ (٦) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه صديد أهل النار، قاله ابن عباس. قال مقاتل: إذا سال القيح، والدم، بادروا أكله قبل أن تأكله النار. والثاني: شجر يأكله أهل النار، قاله الضحاك، والربيع: والثالث: أنه غُسالَة أجوافهم، قاله يحيى بن سلام. قال ابن قتبية: وهو «غليل» من «غسلت» كأنه غسالة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْخَاطِثُونَ﴾ يعني: الكافرين.

﴿فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُبَيِّرُونَ﴾ (٧) وَمَا لَا تُبَيِّرُونَ (٨) إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٩) وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (١٠) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ (١١) نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَلِيِّ (١٢)

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ﴾ «لا» ردٌ لكلام المشركين، كأنه قيل: ليس الأمر كما يقول المشركون «أقيم بما تُبَيِّرُونَ» (٧) وَمَا لَا تُبَيِّرُونَ» وقال قوم: «لا» زائدة مؤكدة. والمعنى: أقسم بما ترون، وما لا ترون، فأراد جميع الموجودات. وقيل: الأجسام والأرواح، ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: محمد ﷺ، قاله الأكثرون. والثاني: جبريل، قاله ابن السائب، ومقاتل. قال ابن قتبية: لم يرد أنه قول الرسول، وإنما أراد أنه قول الرسول عن الله تعالى، وفي الرسول ما يدل على ذلك، فاكتمى به من أن يقول عن الله ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ابن كثير: «يؤمنون» و«يذكرون» بالياء فيهما. قال الزجاج: «ما» مؤكدة، وهي لغو في باب الإعراب. والمعنى: قليلاً تؤمنون. وقال غيره: أراد نفي إيمانهم أصلاً. وقد بينّا معنى «الكاهن» في [الطور: ٢٩]. قال الزجاج: وقوله تعالى: «تنزيل» مرفوع بـ «هو» مضمره يدل عليها قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ﴾ هو تنزيل.

﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بِبَعْضِ الْأَقَابِلِ﴾ (١٣) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (١٤) ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَيْتَ (١٥) فَمَا يَسْكُرُ مِنْ أَمْرِ عَنْهُ حَاجِرِينَ (١٦) وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْيَسِينِ (١٧) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ يَسْكُرُ مُكْرِبِينَ (١٨) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (١٩) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٢٠) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْمَطْلِبِ (٢١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا﴾ أي: لو تكلف محمد أن يقول علينا ما لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (١٤) أي: لأخذناه بالقوة والقدر، قاله الفراء، والمبرد، والزجاج. قال ابن قتبية: إنما أقام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في ميامنه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَيْتَ﴾ (١٥) وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، فإذا انقطع بطلت القوى،

(١) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، إمام أهل دمشق في عصره، من رجال الحديث، ورد ذكره في «المصحيحين»، وكان راوياً للمقصص، وهو ابن زوجة كعب الأحبار. توفي نحو (٩٥هـ) رحمه الله.

(٢) في الأصل: الغسالة.

ومات صاحبه. قال أبو عبيدة: الوتين: نياط القلب، وأنشد الشَّماخ:

إِذَا بَسَلْتُ غُتَيْنِي وَحَمَلْتُ رَحْلِي

عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ<sup>(١)</sup>

وقال الزجاج: الوتين: عرق أبيض غليظ كأنه قصبه.

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَثَرِهِ حَتَّىٰ يَنْفِرَ كَتِبَ أَهْلُ مَثَلٍ هُنَّ أُولَٰئِكَ رُتَبُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، هذا قول الفراء، وأبي عبيدة، والزجاج. ومعنى الكلام: أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه، ثم لم يقدر على دفع عقوبتنا عنه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ في يوم القيامة. يندمون إذ لم يؤمنوا به ﴿وَلَا تَرْهَقُوا الصُّلُوفَ﴾ [يوسف: ١٠٩]. قال الزجاج: المعنى: وأنه لليقين حق اليقين، وقد شرحنا هذا المعنى، وما بعده في [الواقعة: ٩٥، ٩٦].



(١) البيت للشماخ بن ضرار التغلبي، «ديوانه» طبع القاهرة ٩٢، و«الطبري» ٩٧/٢٩، و«القرطبي» ٢٧٦/١٨ من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس بن قيطي، وكان هو وأبوه من الصحابة، وكان عرابة مشهوراً بالكرم.

## سورة المعارج

سورة سال سائل، ويقال لها: سورة المعارج، ويقال لها:

سورة الواقع، وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَمُوجُ الْمَتْلَكَةُ ④ وَالرُّيْحُ ⑤ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ⑥ فَأَصْبَحَ سَبْكًا جَبِيلًا ⑦ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑧ وَرَأَوْهُ قُرْبًا ⑨ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَمَلِ ⑩ وَتَكُونُ لِّجِبَالٍ كَالْهَمَلِ ⑪ وَلَا يَسْتَلُ حَيِّدٌ حَبِيبًا ⑫ يَصْرَوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجِزِ ⑬ لَوْ يَفْقَدُونَ عَذَابَ يَوْمِهِمْ يَسْتَوِي ⑭ وَنَجِيَّتُهُ ⑮ وَأَخِيهِ ⑯ وَفَصِيلَتُهُ ⑰ إِلَىٰ تَوْبِهِ ⑱ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُبْحِثُهُ ⑲ كَلَّا إِنَّمَا لَطَلُ ⑳ نَزَاعَةُ ㉑ لِّلشَّوْىِ ㉒ تَدْعُوا مَن أَذْرَبَ وَقَوْلُ ㉓ وَبِمَعِ قَارِعَةٍ ㉔﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قال المفسرون: نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِن عَذَابِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (١) [الأنفال: ٣٢]، وهذا مذهب الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد. وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل. قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر: «سال» بغير همز. والباقون: بالهمز (٢). فمن قرأ: «سال» بالهمز ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: دَعَا دَاعٍ على نفسه بعذابٍ واقع. والثاني: سال سائل عن عذابٍ واقع لمن هو؟ وعلى من يَنْزِلُ ومتى يكون؟ وذلك على سبيل الاستهزاء، فتكون الباء بمعنى «عن»، وأنشدوا:

فَإِن تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَلْيُتَنِي  
خَبِيرٌ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ (٣)

والثالث: سال سائل عذاباً واقعاً، والباء زائدة. ومن قرأ بلا همز ففيه قولان: أحدهما: أنه من السؤال أيضاً، وإنما لَين الهمزة، يقال: سال، وسال، وأنشد الفراء:

تَعَالَوْا فَسْأَلُوا يَغْلُمِ النَّاسُ أَيُنَا  
لِصَّاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الدَّفْعِ تَابِعِ

والثاني: المعنى: سال وادٍ في جهنم بالعذاب للكافرين، وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن. وكان ابن عباس في آخرين يقرؤون «سَأَلَ سَائِلٌ» بفتح السين، وسكون الياء من غير ألف ولا همز وإذا قلنا: إنه من السؤال، فقوله تعالى: «لِلْكَافِرِينَ» جواب للسؤال، كأنه لما سأل: لمن هذا العذاب؟ قيل: للكافرين. والواقع: الكائن. والمعنى: أن العذاب للذي سأل هذا الكافر كائن لا محالة في الآخرة ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ﴾ قال الزجاج: المعنى: ذلك العذاب واقع من الله للكافرين.

قوله تعالى: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها السموات، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هي معارج الملائكة. قال ابن تقيّة: أصل «المعارج» الدَّرَج، وهي من عَرَجَ: إذا صَعَدَ. قال الفراء: لما كانت الملائكة تَنْزِلُ إِلَيْهِ، وصف نفسه بذلك. قال الخطابي: المعارج: الدَّرَج، واحدها: مَفْرَجٌ، وهو المَصْعَدُ، فهو الذي يُصْعَدُ إِلَيْهِ بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق التي يُصْعَدُ فيها. والثاني: أن الْمَعَارِجَ: الْفَوَاضِلُ والنعم، قاله قتادة.

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٥٠٢/٢ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ. وَتَعْقِبُهُ الذَّهَبِيُّ فَقَالَ: عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ فَقَطْ، وَأَوْرَدَهُ السَّيْرُوطِيُّ فِي «الدَّرَجِ» ٢٦٣/٦ وَزَادَ نِسْبَتَهُ لِلْقُرَائِبِيِّ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ.

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيُّ: وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى الْقُرَائِمَاتِ بِالصَّوَابِ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَهُ بِالْهَمْزِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقُرَاءَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَأَنَّ عَامَةَ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مِنَ السَّلَفِ بِمَعْنَى الْهَمْزَةِ تَأَوَّلُوهُ.

(٣) الْبَيْتُ لِعَلْقَمَةَ بْنِ عُبَيْدَةَ، وَهُوَ فِي «دِيوانه» ١١، وَ«المُفْضَلِيَّاتِ» ٣٩٣، وَ«أَدَبُ الْكَاتِبِ» ٥٠٥، وَ«الْقُرْطُبِيُّ» ٢٨/٢٧٧ وَالشَّاهِدُ فِيهِ أَنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ «بِالنِّسَاءِ» بِمَعْنَى «عَنْ». وَالْمَعْنَى: فَإِن تَسْأَلُونِي عَنِ النَّسَاءِ. وَالْأَدْوَاءُ: جَمْعُ دَاءٍ.

قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قرأ الكسائي: «يَعْرِجُ» بالياء. «وَالرُّوحُ» في «الروح» قولان: أحدهما: جبريل، قاله الأكثرون. والثاني: رُوح الميت حين تُقْبَضُ، قاله قيسة بن دُؤَيْب.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي﴾ أي: إلى الله ﷻ ﴿وَيَوْمَ كَانَ مَقْدَارُ حَسْبِ الْآلِ سَنَةٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه يوم القيامة، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والقرظي، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق. وفي الحديث: «إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفُّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ»<sup>(١)</sup>. وقيل: بل لو ولي حسب الخلق سوى الله ﷻ لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة، والحق يفرغ منه في ساعة من نهار. وقال عطاء: يفرغ الله من حساب الخلق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا. فعلى هذا يكون المعنى: ليس دافع من الله في يوم مقداره خمسين ألف سنة. قيل: المعنى: سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير. والثاني: أن مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش لو صعدوا غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم إياك ﴿صَبْرًا جَبِيلًا﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل أن يُؤْمَرَ بقتالهم، ثم نسخ بآية السيف. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعني: العذاب ﴿بَيِّدًا﴾ غير كائن ﴿وَرَبَّهُ قَرِيبًا﴾ ﴿٧﴾ كائنًا، لأن كل ما هو آت قريب. ثم أخبر متى يكون فقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْأَشْجَارُ كَالْأَهْلِ﴾ ﴿٨﴾ وقد شرحناه في [الكهف: ٢٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ﴿٩﴾ أي: كالصوف، فَشَبَّهَهَا فِي صُغْفِهَا وَلِينِهَا بِالصَّوْفِ. وقيل: شَبَّهَهَا بِهِ فِي خِفَّتِهَا وَسَهْوِهَا، لأنه قد نقل أنها تسير على صورتها، وهي كالهباء. قال الزجاج: «العهن» الصوف. واحدته: عِهْنَةٌ، ويقال: عُهْنَةٌ، وعُهْنٌ، مثل: صُوفٍ، وصُوفٍ. وقال ابن قتيبة: «العِهْنُ» الصوف المصبوغ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حَبِيرٌ حَبِيرًا﴾ قرأ الأكثرون: «يسال» بفتح الياء. والمعنى: لا يسأل قريب عن قرابته، لاشتغاله بنفسه. وقال مقاتل: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال. وقرأ معاوية، وأبو رزين، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن محيصن، وابن أبي عبله، وأبو جعفر بضم الياء. والمعنى: لا يقال للحميم: أين حميمك؟

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُمْ﴾ أي: يَعْرِفُ الحميم حميمه حتى يَعْرِفَهُ، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه، ولا يكلمه اشتغالاً بنفسه. يقال: يَصْرِفُ زَيْدًا كَذَا: إِذَا عَرَفْتَهُ إِيَّاهُ. قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته، ولكنهم يَصْرِفُونَهُمْ، أي: يَعْرِفُونَهُمْ. وقرأ قتادة، وأبو المتوكل، وأبو عمران «يَصْرِفُونَهُمْ» بإسكان الباء، وتخفيف الصاد، وكسرهما.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الدِّعْرِ﴾ يعني: يتمنى المشرك لو قُبِلَ منه الفداء ﴿يَوْمَ يَبْيِغُ بَيْنَهُ﴾ ﴿١٠﴾ وَصَحَابِيُّوهُ، وهي الزوجة: ﴿وَصَحَابِيُّوهُ﴾ قال ابن قتيبة: أي: عشيرته. وقال الزجاج: هي أدنى قبيلته منه. ومعنى: ﴿تَتَوَدَّى﴾ تضمته، فيود أن يفتدي بهذه المذكورات ﴿بِمِ يَبْيِغُ﴾ ذلك الفداء، ﴿كَلَّا﴾ لا ينجيه ذلك ﴿إِنَّمَا لَقَى﴾ قال الفراء: هو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم يُجَرَّ، وقال غيره: معناها في اللغة: اللهب الخالص. وقال ابن الأباري: سميت لظي لشدة تَوَقُّدِهَا وتَلْهِبِهَا، يقال: هو يَتَلْظَى، أي: يَتَلْهَبُ ويتوقد. وكذلك النار تَتَلْظَى يراد بها هذا المعنى. وأنشدوا:

جَحِيمًا تَلْظَى لَا تَفْشُرُ سَاعَةً  
وَلَا حَرٌّ مِنْهَا غَايِرَ الدَّهْرِ يَبْرُدُ

﴿نَزَاعَةُ لِلشَّوَى﴾ ﴿١١﴾ قرأ الجمهور «نَزَاعَةُ لِلشَّوَى» بالرفع على معنى: هي نَزَاعَةٌ. وقرأ عمر بن الخطاب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبي عبله، وحفص عن عاصم «نَزَاعَةُ» بالنصب. قال الزجاج: وهذا على أنها حال مؤكدة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [فاطر: ٣١] ويجوز أن ينصب على معنى «إنها تَتَلْظَى نَزَاعَةً». وفي

(١) رواه الإمام أحمد عن الحسن بن موسى، عن ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، ولفظه: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا» ورواه ابن جرير الطبري عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به، ودراج وشيخه أبو الهيثم ضعيفان.



المراد بـ ﴿إِلَٰهِي﴾ أربعة أقوال: أحدها: جلدة الرأس، قاله مجاهد. والثاني: محاسن الوجه، قاله الحسن، وأبو العالية. والثالث: العصب، والعقب، قاله ابن جبير. والرابع: الأطراف: اليدين، والرجلان، والرأس، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿مَعَا تَنَ أَدَبَ﴾ عن الإيمان ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ عن الحق. قال المفسرون: تقول: إلي يا مشرك، إلي يا منافق ﴿رَجِعْ فَأَدَّبْ﴾ قال الفراء: أي جمع المال في وعاء فلم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحماً.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١) ﴿إِذَا سَأَلَ شَرًّا جَؤُوعًا﴾ (٢) ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْخَيْرَ مَنُوعًا﴾ (٣) ﴿إِلَّا الصَّالِينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِبُونَ (٥) وَالَّذِينَ فِي أَمْثَلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٦) لِلنَّسَائِلِ وَالْمَرْغُوبِ (٧) وَالَّذِينَ يَصَّدُقُونَ يَوْمَ الْإِثْنِ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ (٩) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ خَيْرٌ مِّمَّا يُرِيدُونَ (١٠) وَالَّذِينَ هُمْ لِأُكُلِهِمْ حَافِظُونَ (١١) إِلَّا عَلَىٰ أَرْجَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (١٢) فَمَنِ اتَّقَىٰ رِبَاً ذَٰلِكَ فَآوَىٰ إِلَيْكَ هُ الْفَادُونَ (١٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْسَبِهِمْ وَهَمِيمٌ دَعُونَ (١٤) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (١٥) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (١٦) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ (١٧) قَالِ الْإِنْسَانُ أَرَأَيْتَ مَا يَكْفُرُ بِكَ الْمُطِيعِينَ (١٨) عَنِ الْيَتِيمِ وَعَنِ الْإِنْفَالِ عَرِينَ (١٩) أَلَطَمَعَ كُلُّ أَتْرَفِي مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةً يَصِيرُ (٢٠) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَكْمُلُونَ (٢١) فَلَا أُنْمِ رَبِّي الشَّرِّ وَالْغَرِيبِ إِنَّا تَنَدُّونَ (٢٢) عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْفُوفِينَ (٢٣) فَذَرُهُمْ يَخُوضُوا وَتَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ (٢٤) يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْجَنَاتِ يَرَكَاتٍ كَافَّةً إِلَىٰ نَصْرٍ يَوْمَئِذٍ (٢٥) خَشِيعَةً أَصْرَهُمْ تُرْمَعُهُمْ فَلَا ذَاكَ الْيَوْمَ إِلَّيَّ كَالْوَا يُوعَدُونَ (٢٦)

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١) قال مقاتل: عنى به أمة بن خلف الجمحي. وفي الهلوع سبعة أقوال: أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال أبو عبيدة، والزجاج. والثاني: أنه الحريص على ما لا يحل له، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: البخيل، قاله الحسن، والضحاك. والرابع: الشحيح، قاله ابن جبير. والخامس: الشر، قاله مجاهد. والسادس: الضُّجُور، قاله عكرمة، وقناة، ومقاتل، والفراء. والسابع: الشديد الجزع، قاله ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿إِذَا سَأَلَ الشَّرَّ﴾ أي: أصابه الفقر ﴿جَؤُوعًا﴾ لا يصبر، ولا يحسب ﴿وَإِذَا سَأَلَ الْخَيْرَ﴾ أصابه المال ﴿مَنُوعًا﴾ بمنعه من حق الله ﷻ ﴿إِلَّا الصَّالِينَ﴾ (٣) وهم أهل الإيمان بالله. وإنما استثنى الجمع من الإنسان، لأنه اسم جنس ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِبُونَ﴾ (٥) وفيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الذين يحافظون على المكتوبات، وهو معنى قول ابن مسعود. والثاني: أنهم لا يلتفتون عن إيمانهم وشماثلهم في الصلاة، قاله عتبة بن عامر، واختاره الزجاج. قال: ويكون اشتقاقه من الدائم، وهو الساكن، كما جاء في الحديث أنه نهى عن البول في الماء الدائم (١). والثالث: أنهم الذين يكثرون فعل التطوع، قاله ابن جريج. ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْثَلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ (٦) قد سبق شرح هذه الآية والتي بعدها في [الذاريات: ١٩] وبين معنى [يوم الدين] في الفاتحة. وما بعد هذا قد شرحناه في [المومنين: ٧، ٨] إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَنْسِيَهُمْ﴾ قرأ ابن كثير وحده: ﴿لَا مَانَتَهُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بشهادتهم» على التوحيد. وقرأ حفص عن عاصم: «بشهاداتهم» جمعاً ﴿قَائِمُونَ﴾ أي: يقومون فيها بالحق ولا يكتُمونها. ﴿قَالِ الْإِنْسَانُ أَرَأَيْتَ مَا يَكْفُرُ بِكَ الْمُطِيعِينَ﴾ (١٨) نزلت في جماعة من الكفار جلسوا حول رسول الله ﷺ يستهزئون بالقرآن، ويكذبون به. قال الزجاج: والمُطِيع: المُقْبِلُ بَصَرَهُ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُرَآ إِلَيْهِ، وكانوا ينظرون إلى النبي نظر عداوة. وقد سبق الخلاف في قوله تعالى: ﴿مُطِيعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣، والقمر: ٨].

قوله: ﴿هِيَ الْيَتِيمِ وَالْوَحْيِ الْإِنْفَالِ عَرِينَ﴾ (١٩). قال الفراء: العززون: الحلق، الجماعات، وأحدثها: عزة، وكانوا يجتمعون حول النبي ﷺ فيقولون: إن دخل هؤلاء الجنة، كما يقول محمد ﷺ، فلندخلها قبلهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَلَطَمَعَ كُلُّ أَتْرَفِي مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةً يَصِيرُ﴾ (٢٠) وقرأ ابن مسعود، والحسن، وطلحة بن مصرف، والأعمش، والمفضل عن عاصم «أن يَدْخُلَ» بفتح الياء، وضم الخاء. وقال أبو عبيدة: عَزِينَ جمع عَزَّة، مثل ثَبَّة، وثَيْن، فهي جماعات في تفرقة (٢١).

(١) روى البخاري ومسلم في [صحيحهما] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبول أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغسل فيه».

(٢) ذكره الواحدي عن المفسرين بغير سند ولم يعزه لأحد.

(٣) روى مسلم في [صحيحه] ٣٢٢/١ عن جابر بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ قرأنا جُلُوعًا، فقال: «ما لي أراكم عَزِينَ؟» أي جماعات في =

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: من نقطة، ثم من علقه، ثم من مضغة، فالمعنى: لا يستوجب الجنة أحد بما يذّعيه من الشرف على غيره، إذ الأصل واحد، وإنما يستوجبها بالطاعة. والثاني: إنا خلقناهم من أقدار. فبماذا يستحقون الجنة ولم يؤمنوا؟! وقد روى بشر<sup>(١)</sup> بن جحّاش عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ثم بَرَّقَ، قال: يقول الله ﷻ: أَنَّى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سَوَيْتُكَ، وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وللأرض منك وئيد، فجمعت، ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أَتَصَدَّقُ، وَأَنْتَى أَوَانِ الصدقة؟!<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَذَآ أَتَيْنَا﴾ قد تكلمنا عليه في [الحاقة: ٣٨] والمراد بالمشارق، والمغارب: شرق كل يوم ومغربُه ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرَ نِعَمٍ﴾ أي: نَخْلُقْ أَثْمَلُ مِنْهُمْ، وَأَطْوَعُ لَهُ حِينَ عَصَاوُا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْرُورِينَ﴾ مفسر في [الواقعة: ٦٠] ﴿فَنَزَعْنَاهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْبِسُوا﴾ أي: يلهوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يَلْقَؤُا﴾ وقرأ ابن محيصن ﴿يَلْقَؤُا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة. وهذا لفظ أمر، معناه الوعيد. وذكر المفسرون أنه منسوخ بآية السيف. وإذا قلنا: إنه وعيد بقاء يوم القيامة، فلا وجه للنسخ. ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ يَرَاءُكَ﴾ أي: يخرجون بسرعة كأنهم يَسْتَقْبُونَ.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ﴾ قرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم بضم النون والصاد. وقال ابن جرير: وهو واحد الانصب، وهي ألتهتهم التي كانوا يعبدونها. فعلى هذا يكون المعنى: كأنهم إلى ألتهتهم التي كانوا يعبدونها يُسرعون. وقرأ ابن كثير، وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي بفتح النون وسكون الصاد، وهي في معنى القراءة الأولى، إلا أنه مصدر. كقول القائل: نصبت الشيء أنصبه نصباً. قال قتادة: معناه: كأنهم إلى شيء منصوب يسرعون. وقال ابن جرير: تأويله: كأنهم إلى صنم منصوب يُسرعون. وقرأ ابن عباس، وأبو مجلز، والنخعي «نُصْب» برفع النون، وإسكان الصاد. وقرأ الحسن، وأبو عثمان النّهدي، وعاصم الجحدري «إِلَىٰ نَصَبٍ» بفتح النون والصاد جميعاً. قال ابن قتيبة: النصب، حجر يُنصب أو صنم، يقال: نُصِبَ، ونُصِبَ، ونُصِبَ. وقال الفراء: النُصْب والنُصْب واحد، وهو مصدر، والجمع: الأنصاب. وقال الزجاج: النُصْب، والنُصْب: العلم المنصوب. قال الفراء: والإيفاض الإسراع.

قوله تعالى: ﴿رَمَقَهُمْ وَرَقٌ﴾ قرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار «وَرَقٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ» بغير تنوين، ويخفف الميم. وباقى السورة قد تقدم بيانه [المعارج: ٤٢].



= تفرقة، جمع عِزَّة، وأصلها «عزوة» فحذفت الواو وجمعت جمع السلامة على غير قياس كثيب جمع ثُبة. والحديث رواه أيضاً أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير الطبري. وفي هذا الحديث دلالة على أن التفرقة في الأجسام تولد التفرقة في القلوب.

(١) كذا الأصل: «بشر» وقد ذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» «يسر» بالسين المهملة بن جحاش قال: بكسر الجيم بعدها هملة خفيفة، قال: ويقال: يفتحها بعدها مثلة، وبعد الألف معجمة، قرشي نزل حمص. قال ابن منده: أهل العراق يقولونه بالمعجمة (بشر) وقال الدارقطني وابن زيد: لا يصح بالمعجمة، وكذا ضبطه بالمهملة أبو علي الهجري في «نواذره» لكن سمي أباه جحشاً. وقال مسلم وابن السكّن وغيرهما: لم يرو عنه غير جبير بن نفيّر، وحديثه عند أحمد وابن ماجه والحاكم من طريقه بإسناد صحيح. قال ابن منده: عداده في الشاميين، مات بجمص.

(٢) رواه أحمد في «المستد» ٢١٠/٤ من حديث حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن مسيرة عن جبير بن نفيّر عن يسر بن جحاش، وإسناده حسن، ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥٠٢/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعبه الذهبي فقال: صحيح. ورواه ابن ماجه رقم (٢٧٠٧)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح. وأورده السيوطي في «الدر» ١٦٧/٦ من رواية البيهقي في «شعب الإيمان».

## سورة نوح

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٣﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٨﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٩﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأن أنذر قومك. و«العذاب الأليم» العرق.

قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وعلي بن نصر عن أبي عمرو «أن أعيذوا الله» بضم النون. وقرأ عاصم، وحمزة، وعبد الوارث عن أبي عمرو «أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ» بكسر النون. قال أبو علي: من ضم كره الكسر.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أثبت الياء في الحاليين يعقوب.

قوله تعالى: ﴿يَنْذِرُكُمْ﴾ «من» هاهنا صلة. والمعنى: يغفر لكم ذنوبكم، قاله السدي ومقاتل. وقال الزجاج: إنما دخلت «من» هاهنا لتختص الذنوب من سائر الأشياء. ولم تدخل لتبعض الذنوب، ومثله ﴿فَأَجْعَلُوا آلِيَّكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الحج: ٣٠] وذهب بعض أهل المعاني إلى أنها للتبعض. والمعنى: يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان ﴿وَيُؤَخِّرُكُمْ﴾ أي: عن العذاب ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ وهو منتهى آجالهم. والمعنى: فتموتوا عند منتهى آجالكم غير ميتة المعدلين، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أجل الموت، قاله مجاهد. فيكون المعنى: إن أجل الله الذي أجلكم إليه لا يؤخر إذا جاء، فلا يمكنكم حينئذ الإيمان. والثاني: أنه أجل البعث، قاله الحسن. والثالث: أجل العذاب، قاله السدي ومقاتل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي مَوْتٌ قَبْلَ ذَٰلِكَ ١١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٢٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٤٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٥٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٦٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٧٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٨٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٠﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩١﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٢﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٣﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٤﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٥﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٦﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٧﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٨﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ٩٩﴾ ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ ١٠٠﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: تباعداً من الإيمان ﴿وَأَنِى كَلَّمَهُم بِالطَّاعَةِ﴾ لئلا يسمعو صوتي ﴿وَأَسْتَفْتُوا نِيَّاهُمْ﴾ أي: غطوا بها وجوههم لئلا يروني ﴿وَأَسْمُرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَفْتُوا نِيَّاهُمْ﴾ عن الإيمان بك وأتباعي ﴿ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: معلناً لهم بالدعاء. قال ابن عباس: بأعلى صوتي ﴿ثُمَّ يَذْكُرُ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: كررت الدعاء معلناً ﴿وَأَسْمُرُوا﴾ قال ابن عباس: يريد أكلّم الرجل بعد الرجل في السر، وأدعوه إلى توحيدك وعبادتك ﴿فَقُلْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ قال المفسرون: منع الله عنهم القطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فقال لهم نوح: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك، أي: استدعوا مغفرته بالتوحيد ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ قد شرحناه في أول [الأنعام: ٦٦] ومعنى الكلام أنه أخبرهم أن الإيمان يجمع لهم خير الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير: أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقامكم من بركات السماء، وأنت لكم من بركات الأرض، وأنت

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَکُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا؟﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تَرْوَنَ لله عظمة، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثاني: لا تخافون عظمة الله، قاله الفراء، وابن قتيبة. والثالث: لا تَرْوَنَ لله طاعة، قاله ابن زيد. والرابع: لا ترجون عاقبة الإيمان والتوحيد، قاله الزجاج: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١) أي: وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم من نظفة، ثم من علة شيئاً بعد شيء إلى آخر الخلق. قال ابن الأنباري: الطُّور: الحال، وجمعه: أطوار. وقال ابن فارس: الطُّور: التارة، طوراً بعد طور، أي: تارة بعد تارة. وقيل: أراد بالأطوار: اختلاف المناظر والأخلاق، من طويل، وقصير، وغير ذلك، ثم قرَّروهم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبله «طباق» بتوئين القاف، وكسرهما من غير ألف. وقد بيَّنَّا هذا في سورة [الملك: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن وجه القمر قبيل السموات، وظهره قبيل الأرض، يضيء لأهل السموات، كما يضيء لأهل الأرض، وكذلك الشمس، هذا قول عبد الله بن عمرو. والثاني: أن القمر في السماء الدنيا. وإنما قال: «فيهن» لأنهن كالشيء الواحد، ذكره الأخفش والزجاج، وغيرهما. وهذا كما تقول: أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم، وركبت السفن، «وَجَعَلَ النَّفْسَ يَرْكَبُهَا» يستضيء بها العالم (٢) «وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنَ الْأَرْضِ» يعني: أن مبتدأ خلقكم من الأرض، وهو آدم «يَبَاقًا» قال الخليل: معناه: فنبئتم نباتاً. وقال الزجاج: «نباتاً» محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى أنبتكم: جعلكم تنبتون نباتاً. قال ابن قتيبة: هذا مما جاء فيه المصدر على غير المصدر، لأنه جاء على نبت. ومثله: ﴿وَيَبْقَى إِلَهُكُمُ النَّبِيُّ﴾ [الزمل: ٨] فجاء على «بَقَى». قال الشاعر:

وَحَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ  
فجاء على أَتَيْتُ. وقال الآخر:

وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ أَتْبَاعًا (٣)

وإن شئتم تسموا وندنا عواداً

فجاء على «عوادنا»، وإنما تجيء المصادر مخالفة الأفعال، لأن الأفعال وإن اختلفت أبينتها، واحدة في المعنى. قوله تعالى: ﴿سُبْحًا يَبَاقًا﴾ قال الفراء: هي الطرق الواسعة. قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مِنْ لَدُنْ رَبِّهِمْ مَالَهُمْ وَوَلَدَهُمْ﴾ قرأ أهل المدينة، وابن عامر، وعاصم «وَوَلَدَهُ» بفتح اللام والواو. وقرأ الباقون «وُلَدَهُ» بضم الواو، وسكون اللام. قال الزجاج: وهما بمعنى واحد، مثل العَرَب، والغُرَب، والعَجَم، وقرأ الحسن، وأبو العالية، وابن يعمر، والجحدري: «وَوَلَدَهُ» بكسر الواو، وإسكان اللام. قال المفسرون: المعنى: أن الاتباع، والفقراء اتَّبَعُوا رأيي الرؤساء والكبراء.

قوله تعالى: ﴿وَيَكْرَهُوا مَكَرًا كِبَارًا﴾ (٤) قرأ أبو رجاء، وأبو عمران: «كِبَارًا» برفع الكاف، وتخفيف الباء. وقرأ ابن يعمر، وأبو الجوزاء، وابن محيصن «كِبَارًا» بكسر الكاف مع تخفيف الباء. والمعنى «كبيراً» يقال: كبير، وكبار. وقد شرحنا هذا في أول (ص). ومعنى «المكر»: السعي في الفساد. وذلك أن الرؤساء منعوا أتباعهم من الإيمان بنوح ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: لا تَدَعُ عبادتها ﴿وَلَا تَذَرُنَّ رَدًا﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع بضم الواو. والباقون بفتحها. وهذا الاسم وما بعده أسماء ألتهتهم. وجاء في التفسير أن هذه أسماء قوم صالحين، كانوا بين آدم ونوح، ونشأ قوم بعدهم

= لكم الزرع، وأذر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وغلَّها بالأنهار الجارية بينها. ثم قال: هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: ﴿ثُمَّ لَکُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا؟﴾ (٥).

(١) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يقول: وجعل القمر في السموات السبع نوراً، وجعل الشمس فيهن سراجاً. وقال ابن كثير: المقصود أن الله سبحانه وتعالى: خلق سبع سموات طباقاً، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً، أي: فأتيت بينهما في الاستارة، فجعل كل منهما نموذجاً على حلة يعرف الليل والنهار بطلع الشمس ومغيها، وقدر للقمر منازل ويروجاً، وفادت نوره، فتارة يزداد حتى يتنامى، ثم يشرع في النقص حتى يستمر ليلد على مضي الشهور والأعوام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّفْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَذَكَرَهُ مَنَازِلَ يُتَنَاسَلُ عَنْهَا النَّبِيُّ وَالْجَبَّارُ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ آيَاتِهِ لِقَوْمٍ يُسْكِنُونَ﴾. وقال الألويسي: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ متوراً لوجه الأرض في ظلمة الليل، وجعله فيهن مع أنه في إحداهن وهي السماء الدنيا، كما يقال: زيد في بغداد وهو في بقعة منها، والمرجح له الإيجاز والملازمة بالكلية والجزئية وكونها طباقاً شفاعاً.

(٢) البيت للقطامي، وهو في «ديوان» ٣٥، «واللسان»: تبع. وضع الاتباع موضع التبعية مجازاً، لأن تَبَّعْتُ في معنى أَتَيْتُ.



يأخذون بأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صُورَهُمْ كان أنشط لكم، وأشوق للعبادة، ففعلوا. ثم نشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم، فعبدوهم، وكان ابتداء عبادة الأوثان من ذلك الوقت. وسميت تلك الصور بهذه الأسماء، لأنهم صوروها على صور أولئك القوم المسمّين بهذه الأسماء. وقيل: إنما هي أسماء لأولاد آدم، مات منهم واحد، فجاء الشيطان فقال: هل لكم أن أصور لكم صورته، فتذكرونه بها؟ فصورها. ثم مات آخر، فصور لهم صورته، إلى أن صور صوراً خمسة. ثم طال الزمان، وتركوا عبادة الله، فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئاً؟ فقالوا: لمن نعبد؟ قال: هذه آلهتكم، وآلهة آبائكم، ألا ترونها مصوّرة في مصلاكم؟! فعبدوها. وقال الزجاج: هذه الأصنام كانت لقوم نوح، ثم صارت إلى العرب، فكان «ود» لكلب، و«سواع» لهمدان، و«يغوث» لبني غطف، وهم حي من مراد. وقيل: لما جاء الطوفان غطى على هذه الأصنام وطمّنها التراب، فلما ظهرت بعد الطوفان صارت إلى هؤلاء المذكورين، قال الواقدي: كان «ود» على صورة رجل، و«سواع» على صورة امرأة، و«يغوث» على صورة أسد، و«يعوق» على صورة فرس، و«نسر» على صورة النسر من الطير.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ فيه قولان: أحدهما: وقد أضلت الأصنام كثيراً من الناس، أي: ضلوا بسببها. والثاني: وقد أضلّ الكبراء كثيراً من الناس. ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ وهذا دعاء من نوح عليهم، لما أعلمه الله أنهم لا يؤمنون.

﴿يَمَّا خَطْبْتَهُمْ أَفْرَأُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَبْسُطُوا عِصَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ ﴿رَبِّ أَنْقِزْ لِي وَلَوْلَدَيَّ وَلِمَنْ مَعِيَ مَوْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

قوله تعالى: ﴿يَمَّا خَطْبْتَهُمْ﴾ «ما»: صلة. والمعنى: من خطبتاتهم: أي: من أجلها، وسببها. وقرأ أبو عمرو «مما خطاياهم»، وقرأ أبو الجوزاء، والجحدري «خطبتهم» من غير ألف، ﴿أَفْرَأُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ قال ابن السائب: المعنى: سيدخلون في الآخرة ناراً، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال، لأن الوعد حق، هذا قول الأكثرين. وقال الضحاك: فأدخلوا ناراً في الدنيا، وذلك أنهم كانوا يفرقون من جانب، ويحترقون في الماء من جانب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَارًا﴾ أي: لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله.

قوله تعالى: ﴿دَيَّارًا﴾ قال ابن قتية: أي: أحداً. يقال: ما بالمنازل دياراً، أي: ما بها أحد، وهو من الدار، أي: ليس بها نازل داراً. وقال الزجاج: أصلها: «دَيَّوار» فيقال: فقلبت الواو ياءً، وأدغمت إحداهما في الأخرى. وإما دعا عليهم نوح، لأن الله تعالى أوحى إليه ﴿كَانَ يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿يُضِلُّوا عِصَادَكَ﴾ وذلك أن الرجل منه كان يطلق بابه إلى نوح، فيحذره تصديقه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ قال المفسرون: إن الله تعالى أخبر نوحاً أنهم لا يلدون مؤمناً، فلذلك علم الفاجر الخارج عن الطاعة.

قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَنْقِزْ لِي وَلَوْلَدَيَّ﴾ قال الحسن: وذلك أنهما كانا مؤمنين. وقرأ أبو بكر الصديق، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، والجحدري، والجوني «ولوالذي» ساكنة الياء على التوحيد. وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وابن يعمر، والزهري، والنخعي «ولولدي» من غير ألف على التنثية «وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي» وقرأ حفص عن عاصم «بَيْتِي» بفتح الياء. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: منزله، قاله ابن عباس. والثاني: مسجده، قاله الضحاك. والثالث: سفينة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا عام في كل من آمن، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ أي: هلاكاً. ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكُ تَبَارَكًا﴾ [الفرقان: ٣٩].

## سورة الجن

## كلها مكية بإجماعهم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاهُمْ نَقْرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ كَاذِبُونَ ۝ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُودُ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافًا ۖ يَنْتَهِبُونَ مِنْ الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رُسُلَنَا ۖ فَتَعَبَهُمْ وَهُمْ يُعْتَدُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كُنَّا ضَالِّينَ أَلَّا نُرْسِلَ فِيهِمْ لِقَابًا فَجَعَلْنَاهُمْ لِبِئْسَ الْأَمْرِ مَثَلًا ۖ نَحْنُ الْغَالِبُونَ ۖ وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا مَنَّا بِغَيْرِ الْبَيِّنَاتِ ۖ وَإِنَّا لَخَائِفُونَ ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ أَمَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْصَ وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا وَمَا السَّيْلُوتُ ۖ وَمَا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ وَالَّذِينَ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ ۖ لَأُثَبِّتُنَّهُمْ مَعَهُ عَدَدًا ۝ لَقَدْ نَزَّلْنَاهُمْ فِي ذِي قَعٍّ ۖ وَمَنْ يَبْرُزْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ۖ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاهُمْ نَقْرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ قد ذكرنا سبب نزول هذه الآية في [الاحقاف: ٢٩] وبيئنا هنالك سبب استماعهم. ومعنى «النقر» وعددهم، فأما قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ فمعناه: بليغاً يعجب منه لبلاغته ﴿يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا﴾ أي: لن نعدل ربنا أحداً من خلقه. وقيل: عنا إبليس، أي: لا نطيعه في الشرك بالله.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ قَوْمٌ كَاذِبُونَ﴾ اختلف القراء في اثنتي عشرة همزة في هذه السورة، وهي: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأننا ظننا»، «وأنه كان رجالاً»، «وأنهم ظنوا»، «وأننا لمسننا»، «وأننا كنا»، «وأننا لا ندرى»، «وأننا منا»، «وأننا ظننا أن لن نعجز الله»، «وأننا لما سمعنا»، «وأننا منا» ففتح الهمزة في هذه المواضع ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص عن عاصم، ووافقه أبو جعفر في ثلاثة مواضع: «وأنه تعالى»، «وأنه كان يقول»، «وأنه كان رجالاً»، وكسر الباقيات. وقرأ الباقون بكسرها. وقال الزجاج: والذي يختاره النحويون في هذه السورة أن ما كان من الوحي قيل فيه: «أن» بالفتح، وما كان من قول الجن قيل: «إن» بالكسر، معطوف على قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ وعلى هذا يكون المعنى: وقالوا: إنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا، وقالوا: إنه كان يقول سفيهاً. فأما من فتح، فذكر بعض النحويين، يعني القراء: أنه معطوف على الهاء في قوله تعالى: ﴿قَامَنَا بِهِ﴾ وبأنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا. وكذلك ما بعد هذا. وهذا رديء في القياس، لا يعطف على الهاء المتمكنة المخفوضة إلا بإظهار الخافض. ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمناً به، فيكون المعنى: وصدقنا أنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا. وللمفسرين في معنى ﴿قَتَلَ جَدُّ رَبِّنَا﴾ سبعة أقوال: أحدها: قُدْرَةُ رَبِّنَا، قاله ابن عباس. والثاني: غِنَى رَبِّنَا، قاله الحسن. والثالث: جَلَالُ رَبِّنَا، قاله مجاهد، وعكرمة. والرابع: عَظَمَةُ رَبِّنَا، قاله قتادة. والخامس: أَمْرُ رَبِّنَا، قاله السدي. والسادس: ارتفاع ذكره وعظمته، قاله مقاتل. والسابع: مُلْكُ رَبِّنَا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة. ﴿وَأَنْتُمْ كَانُوا يَتْرَفُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه إبليس، قاله مجاهد، وقاتة. والثاني: أنه كفارهم، قاله مقاتل. و«الشطط»: الجور، والكذب، وهو: وصفه بالشريك، والولد. ثم قالت الجن: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنشَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝﴾ وقرأ يعقوب: «أَنْ لَنْ نَقُولَ» بفتح القاف، وتشديد الواو. والمعنى: ظنناهم صادقين في قولهم: لله صاحبة ولد، وما ظنناهم يكذبون حتى سمعنا القرآن، يقول الله ﷻ ﴿وَأَنْتُمْ كَانُوا يَتْرَفُونَ مِنَ الْإِنشِ يَتْرَفُونَ بِإِيَالِهِ مِنَ الْجِنِّ﴾ وذلك أن الرجل في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في قفر من الأرض قال: أعوذ

يسئله هذا الوادي من شَرِّ شَهَائِهِ قومه، فبييت في جوارٍ منهم حتى يصبح. ومنه حديث كردم بن أبي السائب الأنصاري، قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما دُكرَ رسول الله ﷺ بمكة، فأوانا الميثل إلى راعي غنم، فلما انصرف الليل جاء ذئب، فأخذ حملًا من الغنم، فوثب الراعي فنادى: يا عامر الوادي جارك، فنادى مناد لا نزاه: يا سرحان أرسله. فإذا الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة<sup>(١)</sup>، فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ﴾ الآية<sup>(٢)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ قولان: أحدهما: أن الإنسان زادوا الجن رهقًا لتعوذهم بهم، قاله مقاتل. والمعنى: أنهم لما استعاذوا بسادتهم قالت السادة: قد سدنا الجن والإنس. والثاني: أن الجن زاد الإنسان رَهَقًا، ذكره الزجاج. قال أبو عبيدة: زادوهم سَهَقًا وطغيانًا. وقال ابن قتيبة: زادوهم ضلالًا. وأصل الرهق: العيب. ومنه يقال: فلان يرهق في دينه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ يقول الله ﷻ: ظن الجن ﴿كَأَنَّكُمْ﴾ أيها الإنسان المشركون أنه لا بعث. وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَكُنَّا السَّمَكَةُ﴾ أي: أتيناهما ﴿فَوَعَدَنَاهَا مِثْلَ نَحْلِ حَرْثٍ﴾ وهم الملائكة الذين يحرسونها من استراق السمع ﴿وَشُيْبًا﴾ جمع شهاب، وهو النجم المضيء ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّشَعِ﴾ أي: كنا نستمع، فالآن حين حاولنا الاستماع بعد بعث محمد ﷺ رُمينا بالشُّهْب. ومعنى ﴿رَسَدًا﴾ قد أرسد له المرمى به ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَيُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإرسال محمد إليهم، فيكذبونه، فيهلكون ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رُدًّا﴾ وهو أن يؤمنوا فيهتدوا، قاله مقاتل. والثاني: أنه قول كفرة الجن، والمعنى: لا ندري أشرُّ أريدَ بمن في الأرض بحدوث الرجم بالكواكب، أم صلاح؟ قاله الفراء. ثم أخبروا عن حالهم، فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمَخْلُصُونَ﴾ وهم المؤمنون المخلصون ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: أنه أهل الشر دون الشرك. ﴿كُنَّا طَرَائِقُ الشُّرْكِ﴾ قال الفراء: أي: فرقًا مختلفة أهواؤنا. وقال أبو عبيدة: واحد الطرائق: طريقة، وواحد القِدود: قدة، أي: ضروبًا وأجناسًا ومِلَلًا. قال الحسن، والسدي: الجن مثلكم، فمنهم قَدْرِيَّةٌ، ومرجِيَّةٌ، ورافضة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي: أيقنا ﴿أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لن نُقَوِّته إذا أراد بنا أمرًا ﴿وَلَنْ نُعْجِزُهُ هَرًا﴾ أي: أنه يدركننا حيث كنا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَّةَ﴾ وهو القرآن الذي أتى به محمد ﷺ ﴿هَامَنَا بِهِ﴾ أي: صدقنا أنه من عند الله ﷻ ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِحَسَا﴾ أي: نقصًا من الثواب: ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي: ولا ظلمًا ومكروهاً يغشاه ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمَخْلُصُونَ﴾ قال مقاتل: المخلصون لله ﴿وَمِنَّا الْمَنْطُودُونَ﴾ وهم المردة. قال ابن قتيبة: القاسطون: الجاثرون. يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل<sup>(٣)</sup>. قال المفسرون: هم الكافرون. ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ أي: تَوَخَّوْهُ، وأمَّوْهُ. ثم انقطع كلام الجن. قال مقاتل: ثم رجع إلى كفار مكة فقال تعالى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَرُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ يعني: طريقة الهدى، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، وقاعدة، والسدي، واختاره الزجاج. قال: لأن الطريقة هاهنا بالالف واللام معرفة، فالأوجب أن تكون طريقة الهدى. وذهب قوم إلى أن المراد بها: طريقة الكفر، قاله محمد بن كعب، والربيع، والفراء، وابن قتيبة، وابن كيسان. فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لو سَعْنَا

(١) أي: أثر عض.

(٢) ذكر هذا الحديث ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم، وفي سننه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، وذكره الهيثمي في «معجم الزوائد» ١٢٩/٧ وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة (كردم بن أبي السائب) بعدما ساق حديثه هذا من رواية العقيلي من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب: وأخرجه ابن مردويه في «التفسير» من هذا الوجه، وأخرج له شاهداً من حديث معاوية بن قرة عن أبيه. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٧١/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وأبى الشيخ في «العظمة»، وابن مسافر عن كردم بن أبي السائب الأنصاري ﷺ. قال ابن كثير: وروي عن عبيد بن عمير، ومجاهد، وأبي العالية، والحسن، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي نحوه، ثم قال: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة، كان جثيًا حتى يهرب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويخرجه عن دينه، والله أعلم. اهـ.

(٣) ومنه قوله ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نورا».

عليهم ﴿لَيْتَنِي﴾ أي: لنختبرهم ﴿فيه﴾ فننظر كيف شكرهم. والماء العَذَق: الكثير. وإنما ذكر الماء مثلاً، لأن الخير كله يكون بالمطر، فأقيم مقامه إذ كان سببه. وعلى الثاني: يكون المعنى: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفاراً كلهم، لأكثرنا لهم المال لفتنهم فيه عقوبة واستدراجاً، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماء فأغرقناهم كقوم نوح، ﴿وَمَنْ يُمْرِسْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ يعني: القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «نسلكه» بالنون. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي بالياء «عذاباً صَعَدَا» قال ابن قتيبة: أي: عذاباً شاقاً. يقال: تصعدني الأمر: إذا شق عليّ. ومنه قول عمر: ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح. ونرى أصل هذا كله من الصعود، لأنه شاق، فكفي به عن المشقات. وجاء في التفسير أنه جبل في النار يكلف صعوده، وسنذكره عند قوله تعالى: ﴿سَأَرْفُقُهُ صَغُوراً﴾ [الم نشر: ١٧] إن شاء الله تعالى.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وَأَنَّ لَّمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُغَيِّرَ مِنِّي اللَّهُ أَحَدًا وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ جَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَمَيَّامُونَ مِّنْ أَضْعَفِ نَاصِرًا وَأَقَلِّ عُدَدًا (٢٤) قُلْ إِن أَدْرَأْتُ أَقْرَبَ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَكُنْ لَكُمْ رَبٌّ أَمَدًا (٢٥) عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لَّيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا وَكَلَّتْ رِيحُهُمْ وَأَلْغَطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَنَّا (٢٨)

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنها المساجد التي هي بيوت الصلوات، قاله ابن عباس. قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا، فأمر الله ﷻ المسلمين أن يخلصوا له إذا دخلوا مساجدهم. والثاني: الأعضاء التي يسجد عليها العبد، قاله سعيد بن جبير، وابن الأنباري، وذكره الفراء. فيكون المعنى، لا تسجدوا عليها لغيره<sup>(١)</sup>. والثالث: أن المراد بالمساجد هاهنا: البقاع كلها، قاله الحسن. فيكون المعنى: أن الأرض كلها مواضع للسجود، فلا تسجدوا عليها لغير خالقها. والرابع: أن المساجد: السجود، فإنه جمع مسجد. يقال: سجدت سجوداً، ومسجداً، كما يقال: ضربت في الأرض ضرباً، ومضرباً، ثم يجمع، فيقال: المساجد، والمضارب. قال ابن قتيبة: فعلى هذا يكون واحدها: مسجد، بفتح الجيم. والمعنى: أخلصوا له، ولا تسجدوا لغيره. ثم رجع إلى ذكر الجن فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ لَّمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي: يعبد. وكان يصلي بطن نخلة على ما سبق بيانه في [الاحقاف: ٢٨] ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدَا﴾ قرأ الأكثرون: «ليدأ» بكسر اللام، وفتح الباء. وقرأ هشام عن ابن عامر، وابن محيصن «ليدأ» بضم اللام، وفتح الباء مع تخفيفها. قال الفراء: ومعنى القراءتين واحد. يقال: ليدأ، وليدأ. قال الزجاج: والمعنى: كاد يركب بعضهم بعضاً. ومنه اشتقاق البلد الذي يفتش. وكل شيء أضفته إلى شيء فقد لبّدته. وقرأ قوم منهم الحسن، والجدري: «ليدأ» بضم اللام مع تشديد الباء. قال الفراء: فعلى هذه القراءة يكون صفة للرجال، كقولك: رُكعاً وركوعاً، وسُجّداً وسجوداً. قال الزجاج: هو جمع لا بد، مثل راع، وركع. وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخبار الله تعالى عن الجن يحكي حالهم. والمعنى: أنه لما قام يصلي كاد الجن لازدحامهم عليه يركب بعضهم بعضاً، جزصاً على سماع القرآن، رواه عطية عن ابن عباس. والثاني: أنه من قول الجن لقومهم لما رجعوا إليهم، فوصفوا لهم طاعة أصحاب محمد رسول الله ﷺ واتمامهم به في الركوع، والسجود، فكانهم قالوا: لما قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه ليدأ، وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس. والثالث: أن المعنى: لما قام رسول الله ﷺ بالدعوة تلبّثت الإنس والجن، وتظاهروا عليه، ليلطلوا الحق الذي جاء به، قاله الحسن، وفتادة، وابن زيد<sup>(٢)</sup>.

(١) ومنه قوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة: (وأشار بيده إلى شفه)، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين».

(٢) وهذا اختيار ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وهو الأظهر لقوله بعده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (٢٠) أي قال لهم الرسول لما أدّوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليلطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، واستجير به، وأتوكل عليه ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.



قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ قرأ عاصم، وحمزة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ بغير ألف. وقرأ الباقون «قال» على الخبر عن النبي ﷺ. قال مقاتل: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع بمثله فارجع عنه، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَتْلُو لَكُمْ ضَرْكًا﴾ أي: لا أَدْفَعُهُ عَنْكُمْ ﴿وَلَا﴾ أسوق إليكم ﴿رَضْدًا﴾ أي: خيراً، أي: إن الله تعالى يملك ذلك، لا أنا ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي: إن عصيته لم يمنعي منه أحد، وذلك أنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ وقد بيّناه في [الكهف: ٢٧] ﴿إِلَّا بَلَاً مِنْ اللَّهِ﴾ فيه وجهان، ذكرهما الفراء: أحدهما: أنه استثناء من قوله تعالى: ﴿لَا أَتْلُو لَكُمْ ضَرْكًا وَلَا رَضْدًا﴾ إلا أن أبلغكم. والثاني: لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالته. وبالأول قال ابن السائب، وبالثاني قال مقاتل. وقال بعضهم: المعنى: لن يجيرني من عذاب الله إلا أن أبلغ عن الله ما أريدت، فذلك البلاغ هو الذي يجيرني. ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بترك الإيمان والتوحيد.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني: الكفار ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الدنيا، وهو القتل، وفي الآخرة: ﴿فَسَيَمْلَأُونَ مِنْ أَصْحَافٍ نَاصِرًا وَقُلَّ عَدَدٌ﴾ أي: جنداً ونصراً، أهم، أم المؤمنون؟ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾ أي: ما أدري ﴿أَقْرَبُ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّجْرِمُونَ﴾ أي: غاية ويعدوا<sup>(١)</sup>. وذلك لأن علم الغيب لله وحده ﴿فَلَا يَظُنُّونَ﴾ أي: فلا يظنّهم بالغيب والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيبه. وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر. ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَسْلُكُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: من بين يدي الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ أي: يجعل له حَفَظَةً من الملائكة يحفظون الوحي من أن تُشْرِقَهُ الشياطين، فتلقه إلى الكهنة، فيتكلمون به قبل أن يخبر النبي ﷺ الناس. وقال الزجاج: يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رصداً. وقيل: يسلك من بين يدي الوحي. فالرُصْدُ من الملائكة يدفعون الشياطين عن أن تستمتع ما ينزل من الوحي.

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: ليعلم محمد ﷺ أن جبرائيل قد بلغ إليه، قاله ابن جبير. والثاني: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله ﴿قَدْ أَتَلَوْا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وأن الله قد حفظها فدفع عنها، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. والثالث: ليعلم مكذبو الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم، قاله مجاهد. والرابع: ليعلم الله ﷻ ذلك موجوداً ظاهراً يجب به الثواب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا يَكْفُرُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا بِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، قاله ابن قتبية. والخامس: ليعلم النبي أن الرسل قد أتته ولم تصل إلى غيره، ذكره الزجاج. وقرأ رويس عن يعقوب «يَعْلَمُ» بضم الياء على ما لم يسم فاعله، وقال ابن قتبية: وَيَقْرَأُ لِيَعْلَمُ بالياء، يريد: لتعلم الجن أن الرسل قد بلغت عن إلههم بما رجوا من استراق السمع. ﴿وَلَكِنَّا يَكْفُرُ لَدَيْهِمْ﴾ أي: علم الله ما عند الرسل ﴿وَأَخَصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ فلم يفته شيء حتى الذر والخردل.



(١) قال ابن كثير: وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجبهة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض، كذب لا أصل له، ولم نره في شيء من الكتب، وقد كان ﷺ يسأل عن وقت الساعة، فلا يجيب عنها، ولما تدبى له جبريل في صورة أعرابي، كان فيما سأله أن قال: يا محمد: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال: يا محمد عن الساعة؟ قال: «فويلك إنها كائنة فما أعددت لها؟» قال: أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام، ولكنني أحب الله ورسوله، قال: «فأنت مع من أحبته» قال أنس: فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث.

(٢) هذا القول اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿رَبِّهِ الْفُتُوحَ قَبْلَهُ﴾ أي: أقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتبليغه، قال، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها. وفي «صحيح البخاري» عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بعد ﴿الْأَمْرِ﴾. ثم قال: روى الإمام أحمد عن

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا بِكَ قَوْلًا قَبِيلًا﴾ وهو القرآن. وفي معنى ثقله ستة أقوال: أحدها: أنه كان يثقل عليه إذا أوحى إليه، وهذا قول عائشة. قالت: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، يعني يتخلص عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً<sup>(١)</sup>. والثاني: أن العمل به ثقیل في فروضه وأحكامه، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: أنه يثقل في الميزان يوم القيامة، قاله ابن زيد. والرابع: أنه المهيب، كما يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح، قاله عبد العزيز بن يحيى. والخامس: أنه ليس بالخفيف ولا السفاسف، لأنه كلام الرب ﷻ، قاله الفراء. والسادس: أنه قول له وزن في صحته وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول وزن: إذا استجدته، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال ابن مسعود، وابن عباس: هي قيام الليل بلسان الحبشة. وهل هي في وقت مخصوص من الليل، أم في جميعه؟ فيه قولان: أحدهما: أنها في جميع الليل. وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: الليل كله ناشئة. وإلى هذا ذهب اللغويون. قال ابن قتيبة: ناشئة الليل: ساعاته الناشئة، من نشأت: إذا ابتدأت. وقال الزجاج: ناشئة الليل: ساعات الليل، كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث. وقال أبو علي الفارسي: كان المعنى: إن صلاة ناشئة، أو عمل ناشئة الليل. والثاني: أنها في وقت مخصوص من الليل. ثم فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها ما بين المغرب والعشاء، قاله أنس بن مالك. والثاني: أنها القيام بعد النوم، وهذا قول عائشة، وابن الأعرابي. وقد نص عليه أحمد في رواية المروزي. والثالث: أنها ما بعد العشاء، قاله الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز. والرابع: أنها بدء الليل، قاله عطاء، وعكرمة. والخامس: أنها القيام من آخر الليل، قاله يمان، وابن كيسان.

قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، «وطاء» بكسر الواو مع المد، وهو مصدر واطأت فلاناً على كذا مؤطأةً، ووطاء، وأراد أن القراءة في الليل يتواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهيم للقرآن والإحكام لتأويله<sup>(٣)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤَاطُوا عِدَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [النوبة: ١٣٧]. وقرأ الباقون «وطأ» بفتح الواو مع القصر. والمعنى: إنه أثقل على المصلي من ساعات النهار، من قول العرب: اشتدت على القوم وطأة السلطان: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم. ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضرب»<sup>(٤)</sup>. ذكر معنى القراءتين ابن قتيبة. وقرأ ابن محيصن «أشد وطأة» بفتح الواو، والطاء، وبالمدة.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أخلص للقول وأسمع له، لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سماعه وتفهمه حائل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ أي: فراغاً لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله ابن عباس، وعطاء. وقرأ علي، وابن مسعود، وأبو عمران، وابن أبي عبله «سبخاً» بالخاء المعجمة. قال الزجاج: ومعناها في اللغة صحيح. يقال: قد سبخت القطن بمعنى نفشته. ومعنى نفشته: وسعته، فيكون المعنى: إن لك في النهار توسعاً طويلاً.

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَنتَ رَبَّكَ﴾ أي: بالنهار أيضاً ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَيْكَ تَبْيِيلًا﴾ قال مجاهد. أخلص له إخلاصاً. وقال

= عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، لما منزلتك عند آخر آية تقرؤها» ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) رواه البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت منه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه يتفصد عرقاً.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه.

(٣) في الأصل: والإحكام وتلاوته، والتصويب من «غريب القرآن». قال ابن كثير: أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغظ الأصوات وأوقات المعاش.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة القنوت في صلاة الصبح.

ابن قتيبة: انقطع إليه، من قولك: بئلت الشيء: إذا قطعت. وقال الزجاج: انقطع إليه في العبادة. ومنه قيل لمريم: البتول، لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة. وكذلك صدقة بتلة: منقطعة من مال المصدق. والأصل في مصدر تبئلت تبئلاً. وإنما قوله تعالى: «تَبَيَّلًا» محمول على معنى: تبئلت. «وَبِئْسَ الشَّرِيقُ» قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم «رب» بالرفع. وقرأ ابن عامر، وحزمة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بالكسر. وما بعد هذا قد سبق [الشراء: ٢٨] إلى قوله تعالى: «وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» من التكذيب لك والأذى «وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جِيلًا» لا جزع فيه. وهذه الآية عند المفسرين منسوخة بآية السي. «وَوَدَّيْكَ وَالْكَذِبِينَ» أي: لا تهتم بهم، فإنا أكفيهم «أَوَّلَ النَّمَةِ» يعني: التتعم. وفيمن غني بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المطيعون يبتدر، قاله مقاتل بن حيان. والثاني: أنهم بنو المغيرة بن عبد الله، قاله مقاتل بن سليمان. والثالث: أنهم المستهزون، وهم صناديد قريش، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: «وَمَهَلْهُنَّ جَيْلًا» قالت عائشة: فلم يكن إلا اليسير حتى كانت وقعة بدر، وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وليس بصحيح.

قوله تعالى: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» وهي القيود، واحدا: نكل. وقد شرحنا معنى «الجحيم» في [البقرة: ١١٩] «وَمَا كُنَّا قَا ضَعُوفًا» وهو الذي لا يسوغ في الحلق. وفيه للمفسرين أربعة أقوال: أحدها: أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج، قاله ابن عباس، وعكرمة. والثاني: الرزوم، قاله مقاتل. والثالث: الضريع، قاله الزجاج. والرابع: الرزوم والغسلين والضريع، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» قال الزجاج: هو منصوب بقوله تعالى: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» والمعنى: ينكل الكافرين ويعذبهم «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» أي: تزلزل وتتحرك أغلظ حركة.

قوله تعالى: «وَكَانَ لِكَيْلَالٍ» قال مقاتل: المعنى: وصارت بعد الشلة، والقوة «كَيْلَالًا» قال الفراء: «الكثيب: الرمل. و «المهيل»: الذي تحرك أسفله، فينهال عليك من أعلاه. والعرب تقول: مهيل ومهيول، ومكيل ومكيول. وقال الزجاج: الكثيب جمعه: كئبان، وهي: القطع العظام من الرمل. وللمهيل: السائل.

قوله تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ» يعني أهل مكة «رَسُولًا» يعني: محمداً ﷺ «شَاهِدًا عَلَيْكَ» بالتبليغ وإيمان من آمن، وكفر من كفر «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ رِجْسٍ رَّسُولًا» وهو موسى عليه السلام. والويل: الشديد. قال ابن قتيبة: هو من قولك: استوبلت المكان: [إذا استوخمته]. ويقال: كلاً مُسْتَوْزِلَ أي: لا يُسْتَمَرُّ. قال الزجاج: الويل: الثقل الغليظ جداً. ومنه قيل للمطر العظيم: وابل. قال مقاتل: والمراد بهذا الأخذ بالويل: الفرق. وهذا تخويف لكفار مكة أن ينزل بهم العذاب لتكذيبهم، كما نزل بفرعون.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا» أي: عذاب يوم. قال الزجاج: المعنى: بأي شيء تتحصنون من عذاب يوم من هوله يشيب الصغير من غير كبير. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران «نجعل الولدان» بالنون.

قوله تعالى: «السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» قال الفراء: السماء تذكّر وتؤثث. وهي هاهنا في وجه التذكير. قال الشاعر:  
فَلَسَوْ رَعَى السَّمَاءُ إِلَيْهِ قَوْماً  
لَجِفْنَا بِالسَّمَاءِ مَعَ السَّحَابِ<sup>(١)</sup>

قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين: أحدهما: على أن معنى السماء معنى السقف. والثاني: على قولهم: امرأة مُرْضِعٌ على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انقطاع، كما أن المرضع ذات الرضاع. وقال ابن قتيبة: ومعنى الآية: السماء مُنْشَقٌّ به، أي: فيه، يعني في ذلك اليوم.

قوله تعالى: «كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا» وذلك أنه وعد بالبعث، فهو كائن لا محالة.  
«إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ كَمْ شَاءَ أَحَدٌ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» ﴿٢٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ بِمَا تَعْمَلُ لَدُنَّ مِنْ لُغِيٍّ أَلِيلٍ رَاضِعٌ وَلَكِنَّهُ يَكُونُ فِي  
الَّذِينَ مَلَكَ اللَّهُ بِمُؤَدِّ الْأَيْلِ وَالْهَارِ عِلْمٌ أَنْ لَنْ يَخْصُوهُ قَاتِبٌ عَلَيْكَ قَاتِرُ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقَرَاءِ عِلْمٌ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكَ مَرْحُوقٌ وَمَاخْرُوقٌ يَضْرِبُونَ فِي

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» الورقة ٢٤٦. والشاهد فيه تذكير السماء.



الْأَرْضِ يَتَتَوْنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَالْآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَهُوا مَا تَشَرَّ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِتَنْقِصُوا مِنْ خَيْرِ حُدُودِهِ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ يعني: آيات القرآن ﴿تَنَكَّرَةٌ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيْنَا سَبِيلًا﴾ بالإيمان والطاعة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل ﴿مِنَ ثَلَاثِي اللَّيْلِ بِضَعَةَ ثُلُثَةٍ﴾ وقرأ ابن كثير، وأهل الكوفة بفتح الفاء والياء والباقيون: بكسرهما.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ مِنْ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقاديرهما، فيعلم القدر الذي تقومون<sup>(١)</sup> به من الليل ﴿عَلِمَ أَنَّ لَكَ خُصْمًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: لن تطيقوا قيام ثلثي الليل، ولا ثلث الليل، ولا نصف الليل، قاله مقاتل. والثاني: لن تحفظوا مواقيت الليل، قاله الفراء. ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عاد عليكم بالمغفرة والتخفيف ﴿فَأَقْرَهُوا مَا تَشَرَّ﴾ عليكم ﴿مِنَ الْفَرَاءَانِ﴾ يعني: في الصلاة، من غير أن يوقت وقتاً. وقال الحسن: هو ما يقرأ في صلاة المغرب والعشاء. ثم ذكر أعضادهم فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنَّ سَبَكُونَ بِنَكْرٍ تَزَيَّجَ﴾ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَالْآخَرُونَ يَقْرِضُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم المسافرون للتجارة: ﴿يَتَتَوْنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: من رزقه فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَالْآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المجاهدون فلا يطيقون قيام الليل ﴿فَأَقْرَهُوا مَا تَشَرَّ مِنَ الْفَرَاءَانِ﴾ وذكروا أن هذا نسخ عن المسلمين بالصلوات الخمس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: الصلوات الخمس في أوقاتها<sup>(٢)</sup> ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقد سبق بيانه [العبد: ١٨]. قال ابن عباس: يريد سوى الزكاة في صلة الرحم، وقرى الضيف، ﴿وَمَا تَقْرَهُوا لِأَنْتُمْ كَرِهَ حُدُودَهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي تجددوا ثوابه في الآخرة. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ قال أبو عبيدة: المعنى: تجددوا خيراً. قال الزجاج: ودخلت (هو) فضلاً. وقال المفسرون: ومعنى «خيراً» أي: أفضل مما أعطيتكم ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الذي تؤخرونه إلى وقت الوصية عند الموت<sup>(٣)</sup>.



(١) في الأصل: تقوموا.

(٢) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة، قال: وهذا يدل لمن قال: إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النُصُب والمخرج لم تُبين إلا بالمدينة، والله أعلم. قال: وقد قال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد من السلف: إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال، وقد ثبت في «الصحاحين» أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل الذي سأله: ماذا فرض الله عليه من الصلوات؟ قال: «خمس صلوات في اليوم واليلية» قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع».

(٣) قال ابن جرير الطبري في تكملة الآية من آخر السورة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ يقول تعالى ذكره: سلوا الله غفران ذنوبكم، يصفح لكم عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن الله ذو مغفرة للذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها.

(٥) البيت في «الطبري» ١٤٥/٢٩، «القرطبي» ٦٢/١٩، «البحر المحيط» ٣٧١/٨، «إبن كثير» ٤٤١/٤، «الدر» ٣٨١/٦، «فتح القدير» للشوكاني ٣١٥/٥ منسوبا إلى غيلان بن سلمة النخعي، وهو في «اللسان»: ثوب.

أيضاً. والثالث: طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد، وقائدة. ويشهد له قول عترة:

فَسَكَّحْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَبَسَ الْكِرِيمُ عَلَى الْقَنَّا بِمُحَرَّمٍ<sup>(١)</sup>

أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة. قال: المعنى: طهر نفسك من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب، لأنها تشمل عليه. قالت ليلي الأخيلية وذكَّرت إبلاً:

رَمَوْهَا بِأَسْوَابٍ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبَهَا إِلَّا النَّعَامَ الْمُتَفَرِّا<sup>(٢)</sup>

أي: ركبوها، فَرَمَوْهَا بأنفسهم. والعرب تقول للعفاف: إزار، لأن العفيف كأنه استتر لما عَفَّ. والرابع: وَعَمَلَكَ فَأُضِلِّحَ، قاله الضحاك. والخامس: خُلِّقَكَ فَحَسَنَ، قاله الحسن، والقرظي. والسادس: وَثِيَابَكَ فَقَصَّرَ وَشَمَّرَ، قاله طاووس. والسابع: قَلْبَكَ فَطَهَّرَ، قاله سعيد بن جبیر. ويشهد له قول امرئ القيس:

فَإِنْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنْي خَلِيقَةٌ فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلِ<sup>(٣)</sup>

أي: قلبي من قلبك. والثامن: اغسل ثيابك بالماء، ونقَّها، قاله ابن سيرين، وابن زيد<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالرَّجَزُ فَاهْجُرْ﴾<sup>(٥)</sup> قرأ الحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وعاصم إلا أبا بكر، ويعقوب، وابن محيصن، وابن السميع «الرجز» بضم الراء. والباقون بكسرهما. ولم يختلفوا في غير هذا الموضع. قال الزجاج: ومعنى القراءتين واحد. وقال أبو علي: قراءة الحسن بالضم، وقال: هو اسم صنم. وقال قتادة: صنمان: إساف، ونائلة. ومن كسر، فالرجز: العذاب. فالمعنى: ذو العذاب فاهجر. وفي معنى «الرجز» للمفسرين ستة أقوال: أحدها: أنه الأصنام، والأوثان، قاله ابن عباس. ومجاهد، وعكرمة، وقائدة، والزهري، والسدي، وابن زيد. والثاني: أنه الإثم، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: الشرك، قاله ابن جبیر، والضحاك. والرابع: الذنب، قاله الحسن. والخامس: العذاب، قاله ابن السائب. قال الزجاج: الرجز في اللغة: العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله. والسادس: الشيطان، قاله ابن كيسان<sup>(٦)</sup>. ﴿وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْكِينَهُ﴾<sup>(٧)</sup> فيه أربعة أقوال: أحدها: لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقائدة. قال المفسرون: معناه: أعطِ لربك وأرد به الله، فأدبه بأشرف الآداب. ومعنى «لا تمنن»: لا تعط شيئاً من مالك لتعطى أكثر منه، وهذا الأدب للنبي ﷺ خاصة، وليس على أحد من أمته إثم أن يهدي هدية يرجو بها ثواباً أكثر منها. والثاني: لا تمنن بعملك تستكثره على ربك، قاله الحسن. والثالث: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، قاله مجاهد. والرابع: لا تمنن على الناس بالثبوة لتأخذ عليها منهم أجراً، قاله ابن زيد<sup>(٨)</sup>. ﴿وَرَبِّكَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: لأجل ربك. والثاني: لثواب ربك. والثالث: لأمر ربك. والرابع: لوغِدَ رَبِّكَ ﴿فَاسْتَرْ﴾ فيه قولان: أحدهما: على طاعته وفرائضه. والثاني: على الأذى والتكذيب.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَوَلَّى سَوِىً فَإِنَّهُ فِي الظُّلُمِ الْأَعْمَى﴾<sup>(٩)</sup> أي: نفخ في الصور. وهل هذه النفخة هي الأولى أو الثانية؟ فيه قولان، ﴿فَذَلِكِ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾<sup>(١٠)</sup> أي: يعسر الأمر فيه ﴿عَلَّ الْكُفْرَيْنَ عِزًّا يَبِيرُ﴾<sup>(١١)</sup> غير هين ﴿ذَرْنِي﴾ قد شرحناه في [المزمع]: ١١ ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ أي: ومن خلقتُه ﴿وَجِدًا﴾ فيه قولان: أحدهما: خلقتُه وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد، قاله

(١) «ديوانه» ١٢٥، وشرح القصائد العشر: ١٨٤، و«أمالي المرتضى» ٢/ ٦٤، و«مختار الشعر الجاهلي» ١/ ٣٧٧.

(٢) هو في «المعاني الكبير» ١/ ٤٨٦، و«الصناعين» ٢٧٧، و«الناقي» ١/ ٢٨، و«اللسان»: ثوب، غير منسوب. قال ابن قتيبة: يعني بأجسام خفاف، يريد: ركبوها.

(٣) «ديوانه» ١٣ رويته فيه: وإن كنت قد ساءت مني خليفة... إلخ.

(٤) واختار هذا الأخير ابن جرير الطبري: قال: قال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويظهر ثيابه. وقال ابن كثير: وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب.

(٥) قال ابن كثير: وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبيسه ﷺ بشيء من ذلك. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجُوا فِي كُفْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَقَالَ ثَوَسٌ لِأَخِيهِ مَهْرُوتَ لَطْفِي فِي قَبْرِ وَأَسْبَحَ وَلَا تَنْفَعُ سَبِيلَ التَّوْبَةِ﴾.

(٦) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندني بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، قال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيها أمر الله نبيه ﷺ بالجهاد في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقي من الأذى فيه، قال: فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبه منها بأن تكون من غيرها.

مجاهد. والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد، قاله الزجاج. قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكانه رَقَى له، فبلغ ذلك أبا جهل، فاتاه، فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فإنك آيت محمد تتعرض لما يقوله، فقال: قد علمت قریش أنني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، فوالله ما يشبهها الذي يقول، والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لثمر أعلاه، متذوق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه. فقال: هذا سحر يؤثر: يأثره عن غيره، فنزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾... الآيات كلها<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: قال الوليد لقریش: إن لي إليكم حاجة فاجتمعوا في دار الندوة، فقال: إنكم ذروا أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم، ويطلقون من عندهم على أمر مختلف، فاجتمعوا على شيء واحد. ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول: إنه شاعر، فعبس عندها، وقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر. فقالوا: نقول: إنه كاهن، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه يحدث بما يحدث به الكهنة، قالوا: نقول: إنه مجنون، قال: إذن يأتونه فلا يجدونه مجنوناً. فقالوا: نقول: إنه ساحر. قال: وما الساحر؟ قالوا: يشر يحيي بين المتباغضين، ويبغض بين المتحابين، قال: فهو ساحر، فخرجوا لا يلقي أحد منهم النبي إلا قال: يا ساحر، فاشتد ذلك عليه، فأنزل الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۖ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى﴾<sup>(٢)</sup> وذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ﴾ منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا لَمْ مَالًا مَثْرُوكًا﴾ في معنى الممدود ثلاثة أقوال: أحدها: كثيراً، قاله أبو عبيدة. والثاني: دائماً، قاله ابن قتيبة. والثالث: غير منقطع، قاله الزجاج. وللمفسرين في مقداره أربعة أقوال: أحدها: غلّة شهر بشهر، قاله عمر بن الخطاب. والثاني: ألف دينار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير. قال الفراء: نرى أن الممدود مجمل غاية للعدد، لأن «الف» غاية للعدد يرجع في أول العدد من الألف. والثالث: أربعة آلاف، قاله قتادة. والرابع: أنه بستان كان له بالطائف لا يقطع خيره شئاً ولا صيفاً، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُجْرًا﴾ أي: حضوراً معه لا يحتاجون إلى التصرف والسفر فيغيثوا عنه. وفي عددهم أربعة أقوال: أحدها: عشرة، قاله مجاهد، وقتادة. والثاني: ثلاثة عشر، قاله ابن جبير. والثالث: إثنا عشر، قاله السليبي. والرابع: سبعة، قاله مقاتل. ﴿وَمَدَدْتُ لَمْ مَهِيكًا﴾ أي: بسطت له العيش، وطول العمر، ﴿ثُمَّ يَلْمَعُ أَنْ أَرِيدَ﴾ في قولان: أحدهما: يطمع أن أدخله الجنة، قاله الحسن. والثاني: أن أزيده من المال والولد، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا أفعل، فمنعه الله المال والولد حتى مات فقيراً، ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِنْدًا﴾ أي: معانداً. وفي المراد بالآيات هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن، قاله ابن جبير. والثاني: الحق، قاله مجاهد. والثالث: رسول الله ﷺ، قاله السليبي.

قوله تعالى: ﴿سَأَرْفَعُهُ صَعْرًا﴾ قال الزجاج: سأحمّله على مشقة من العذاب. وقال غيره: سأكلّفه مشقة من العذاب لا راحة له منها. وقال ابن قتيبة: «الصّعور»: العقبة الشاقة، وكذلك «الكؤود». وفي حديث أبي سعيد عن نبي الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَأَرْفَعُهُ صَعْرًا﴾ قال: جبل من نار يكلف أن يصعده، فإذا وضع رجله عليها ذابت، فإذا رفعها عادت. يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً<sup>(٤)</sup>. وذكر ابن السائب أنه جبل من صخرة ملساء في

(١) رواه بهذا اللفظ الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٠ من رواية عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السخيتي عن عكرمة عن ابن عباس، وسنده صحيح. ورواه الحاكم به وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه. ورواه الطبري من رواية معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة. ورواه أيضاً الطبري بنحوه من رواية عطية الموفي عن ابن عباس. قال ابن كثير: وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا.

(٢) ذكره بنحوه وبأخصر منه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٠ من مجاهد بغير سند.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَبَعَثْنَا لَمْ مَالًا مَثْرُوكًا﴾ وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته.

(٤) هذا الحديث ذكره المؤلف ملفقاً من حديثين، الأول رواه ابن جرير الطبري من رواية شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي عن عمارة بن القمقاع عن عطية الموفي عن أبي سعيد الخدري، ورواه ابن أبي حاتم من رواية شريك عن عمار الدعيني عن عطية به، بلفظ ﴿سَأَرْفَعُهُ صَعْرًا﴾. قال: هو جبل =



النار. يَكْلَفُ أَنْ يَصْعَدَهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَعْلَاهَا أَحْدَرُ إِلَى أَسْفَلِهَا، ثُمَّ يَكْلَفُ أَنْ يَصْعَدَهَا، فَذَلِكَ ذَابَهُ أَبَدًا، يَجْذِبُ مِنْ أَيْمَانِهِ سُلَاسِلُ الْخَدِيدِ، وَيَضْرِبُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ، فَيَصْعَدُهَا فِي أَرْبَعِينَ سَنَةً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ تَكْفُرُ﴾ أي: تفكر ماذا يقول في القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ القول في نفسه ﴿ثَقِيلٌ﴾ أي: لعن ﴿كَفَّ قَدْرَ﴾ ثم يُقَالُ كَفَّ قَدْرًا أي: لُعن على أي حال قَدَّرَ ما قَدَّرَ من الكلام. وقيل: «كيف» هاهنا بمعنى التعجب والإنكار والتوبيخ. وإنما كَرَّرَ تأكيداً ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في طلب ما يدفع به القرآن، ويردُّه ﴿ثُمَّ عَنَّا وَبَسَّ﴾ قال اللغويون: أي: كَرَّهَ وَجْهَهُ وَقَطَّبَ. يقال: بسر الرجل وجهه، أي: قبضه. وأنشدوا لقوية:

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا ضِدُّوهُ رَأَيْتُهَا  
وَأَغَارَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا<sup>(١)</sup>

قال المفسرون: كَرَّهَ وَجْهَهُ، ونظر بكراهية شديدة، كالمهتَمِّ المتفكر في الشيء ﴿ثُمَّ أَوْرَثَ﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْكَنَ﴾ أي: تكبر حين دعي إليه ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا بَيْرُوتٌ﴾ أي: يُروى عن السحرة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾ أي: من كلام الإنس، وليس من كلام الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿سَأَخْبِيَنَّ سَرَّ﴾ أي: سأدخله النار. وقد ذكر «سقر» في سورة [التغوى: ٤٨] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ لِيُعْظَمَ شَأْنُهَا ﴿لَا يَتَّبِعِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تبقي لهم لحماً إلا أكلته، ولا تذرهم إذا أعيدوا خلقاً جديداً ﴿لَوَيْتُ﴾ أي: مغيرة. يقال: لأخذه الشمس، أي: غيَّرتَه. وأنشدوا:

يَا ابْنَتُ عَمِّي لَأَحْنِي الْهَوَاجِرَ<sup>(٢)</sup>

وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، وابن أبي عبيدة «لَوَاحِةً» بالنصب. وفي «البشر» قولان: أحدهما: أنه جمع بشرة، وهي جلدة الإنسان الظاهرة، وهذا قول مجاهد، والفراء، والزجاج. والثاني: أنهم الإنس من أهل النار، قاله الأخفش، وابن قتيبة في آخرين.

قوله تعالى: ﴿عَلَيَّ سِتْمَةٌ عَشْرَ﴾ وهم خُرَّانُهَا، مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبَي أحدهم مسيرة سنة، يسع كفُّ أحدهم مثل ربيعة ومضر. قد نزعَتْ منهم الرحمة. فلما نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يخوفكم محمد بتسعة عشر، أما له من الجنود إلا هؤلاء! أيعجز كل عشرة منكم أن يبطش بواحد منهم، ثم يخرجون من النار! فقال أبو الأشدين<sup>(٣)</sup> - قال مقاتل: اسمه: أسيد بن كلفة. وقال غيره: كلفة بن خلف الجمحي -: يا معشر قريش: أنا أمشي بين أيديكم فأرفع عشرة بمنكبَي الأيمن، وتسعة بمنكبَي الأيسر، فندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْبَبَ إِلَيْنَا إِلَّا لِلْمَلَكَةِ﴾ لا آدميين، فمن يطيقهم ومن يغلبهم؟! ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ فِي هَذِهِ الْقِلَّةِ إِلَّا يَفْتَنَ﴾ أي: ضلالة ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حتى قالوا ما قالوا ﴿لَيَسْتَفِيزَنَّ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْكِتَابَ﴾ أن ما جاء به محمد حق، لأن عِدَّتَهُمْ في التوراة تسعة عشر ﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَانَهُ﴾ أي: تصديقاً بمحمد ﷺ إذ وجدوا ما يخبرهم موافقاً لما في كتابهم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْكِتَابَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ أي: ولا يشك هؤلاء في عِدَّةِ الْحَزَنَةِ ﴿وَلَيَقُولَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه النفاق، ذكره الأكثرون. والثاني: أنه الشك، قاله مقاتل. وزعم أنهم يهود أهل المدينة، وعنده أن هذه الآية مدنية. والثالث: أنه الخلاف، قاله الحسين بن الفضل. وقال: لم يكن بمكة نفاق. وهذه مكية. فأما «الكافرون» فهم مشركو العرب، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ أي: أي شيء أراد الله

من نار يكلف أن يصعد، فإذا وضع يده ذابت، وإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت. وعطية العوفي ضعيف. والحديث الثاني رواه أحمد من حديث ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، والطبري عن عمرو بن الحارث عن دراج به، بلفظ «الشعور»: جبل من نار، يصعد فيه الكفار سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك من أبداً ودراج عن شيخه أبي الهيثم ضعيفان. وقال ابن كثير بعدما ذكر حديث أحمد والطبري (وهو الرواية الثانية): وفيه غرابة ونكارة.

(١) البيت لقوية بن الحُمَيْر، وهو في «مجاز القرآن» ٢/٢٧٥، و«الأغاني» ١٠/٢٧٢، و«الطبري» ٢٩/١٥٦، و«القرطبي» ١٩/٧٤.

(٢) هو في «مجاز القرآن» ٢/٢٧٥، و«القرطبي» ١٩/٧٦، و«الألوسي» ٢٩/٢٢٥.

(٣) كذا الأصل: أبو الأشدين، وهو كذلك في بعض كتب التفسير، وفي النسخة الاستنبولية: أبو الأسدين. والذي في «القرطبي»، و«البحر»، و«روح المعاني»: أبو الأشد أسيد بن كلفة الجمحي. وكان شديد البأس، وذكروا أنه كان يسطر له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا ينزع إلا قطعاً، ويقتي موضع قطعته، وكان من أعداء النبي ﷺ.



الباطل والتكذيب ﴿رَكَعًا يُكَبِّرُ فِيهِ أَلَيْسَ﴾ أي: بيوم الجزاء والحساب ﴿حَقًّا أَنَّنَا آتِيَانِ﴾ وهو الموت. يقول الله تعالى: ﴿فَمَا تَتَمَتَّعُ شَكْمَةُ الشَّيْطَانِ﴾ وهذا إنما جرى بعد شفاعة الأنبياء والملائكة والشهداء والمؤمنين. وهذا يدل على نفع الشفاعة لمن آمن. ﴿فَمَا لَمْ يَكُنْ عَنْ التَّكْوِينِ مُرِيدِينَ﴾؟ يعني: كفار قريش حين نفروا من القرآن والتذكير بمواعظه. والمعنى: لا شيء لهم في الآخرة إذ أعرضوا عن القرآن فلم يؤمنوا به، ثم شبههم في نفورهم عنه بالحُمُر، فقال تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَالْمُفَضَّلُ عَنْ عَاصِمٍ بِفَتْحِ الْفَاءِ. وَابْنُ قُيَظَاقٍ بِكَسْرِهَا. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ: مَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الْفَاءِ أَرَادَ: مَذْعُورَةً، اسْتَنْفَرَتْ فَفَرَّتْ. وَمَنْ قَرَأَ بِكَسْرِ الْفَاءِ أَرَادَ: نَافِرَةً. قَالَ الْفَرَاءُ: أَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ. وَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ يَكْسِرُونَ الْفَاءَ. وَالفَتْحُ أَكْثَرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقَرَأْتَنَا بِالْكَسْرِ. أَنَشِدْنِي الْكِسَانِي:

إِحْبِسْ جِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ  
فِي إِثْرِ أَخِيرَةِ عَمَدَنْ لِعُزْرَبٍ<sup>(١)</sup>  
و «عُزْب» موضع. وفي «القصورة» سبعة أقوال: أحدها: أنه الأسد، رواه يوسف بن مهرا عن ابن عباس. وبه قال أبو هريرة، وزيد بن أسلم، وابنه. قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عَايَنَتِ الأسدَ هَرَبَتْ منه، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ هربوا منه، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة، والزجاج. قال ابن قتيبة: كأنه من التَّسْرِ والتَّهَرُّ. فالأسد يقهر السباع. والثاني: أن القصورة: الرماة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال أبو موسى الأشعري، ومجاهد، وقَتَادَةُ، والضحاك، ومقاتل، وابن كيسان. والثالث: أن القصورة: جبال الصيادين، رواه عكرمة عن ابن عباس. والرابع: أنهم عُصَبُ الرُّجَالِ، رواه أبو حمزة عن ابن عباس. واسم أبي حمزة: نصر بن عمران الضبيعي. والخامس: أنه رَكْزُ النَّاسِ، وهذا في رواية عطاء أيضاً عن ابن عباس. ورَكْزُ النَّاسِ: جِشْمُهُمْ وَأَصْوَاتُهُمْ. والسادس: أنه الظُّلْمَةُ وَاللَّيْلُ، قاله عكرمة. والسابع: أنه التَّبَلُّ، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشِرَةً﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قالوا للنبي ﷺ: إِنَّ سَرَّكَ أَنْ تَنْشِئَ، فليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله تعالى إلى فلان ابن فلان يؤمر فيه بأبوابك، قاله الجمهور. والثاني: أنهم أرادوا براءة من النار أن لا يعذبوا بها، قاله أبو صالح. والثالث: أنهم قالوا: كان الرجل إذا أذنب في بني إسرائيل وجده مكتوباً إذا أصبح في رُقعة. فما بالنا لا نرى ذلك؟ فنزلت هذه الآية، قاله الفراء. فقال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتون الصُّحُفَ ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: لا يَخْشَوْنَ عَذَابَهَا. والمعنى: أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالة ﴿كَلَّا﴾ أي: حقاً. وقيل: معنى ﴿كَلَّا﴾: ليس الأمر كما يريدون ويقولون ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ أي: تذكير وموعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ الهاء عائدة على القرآن، فالمعنى: فمن شاء أن يذكر القرآن ويتعظ به ويفهمه، ذكره. ثم رد المشيئة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا أن يريد لهم الهدى ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُرْآنِ﴾ أي: أهل أن يتقوا ﴿وَأَقْلُ الْقُرُوءِ﴾ أي: أهل أن يغير لمن تاب. روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه تلا هذه الآية، فقال: «قال ربكم ﷻ: أنا أهل أن أتقى، فلا يشرك بي غيري. وأنا أهل لمن أتقى أن يشرك بي غيري أن أغفر له»<sup>(٢)</sup>.



(١) البيت في «اللسان»: نفر، منسوباً لابن الأعرابي، وأوله «اربط حمارك» بدل «احبس» وهو في «الطبري» ١٦٨/٢٩ غير منسوب، و«القرطبي» ٨٧/١٩ وأوله فيهما «اسك حمارك» بدل «احبس». و«قُزْب» ككُزْر: اسم موضع وجبل دون الشام في بلاد بني كلب.

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والترمذي ١٦٨/٢، و«الحاكم» ٥٠٨/٢، وابن ماجه، والدارمي، والطبراني في «الأوسط»، وابن عدي، وأبو يعلى، والبخاري، كلهم من رواية سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت بن أنس، وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال الترمذي: حديث حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت. قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٠: ورواه الحكم الترمذي في «السايع» والسبعين بعد المائة بلفظ: «قال: هو أهل أن يتقى، فمن اتقى فهو أهل أن يغفر له» وله شاهد من رواية عبد الله قال: سمعت ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس ﷺ يقولون: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى... فذكره.

## سورة القيامة

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الزَّهِيدِ

﴿لَا أَمِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ① وَلَا أَمِمْ وَالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ②﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③ بَلْ قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِكَامَةٍ ④ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤ يَسْتَلْ أَتَى يَوْمَ الْقِيَمَةِ ⑥ فَمَا يَصْعَقُ الْبَصَرُ ⑦ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ الشَّعْبُ وَالْقُرُورُ ⑨ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنَّى لَمْ أَجْعَلْ لَكَ وَدًّا ⑩ إِنْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ لَاشْفَعًا ⑪ يُنَادُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَا قَدِّمُ وَأَخَّرُ ⑫ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى تَقْوِيهِ بَصِيرَةٌ ⑬ وَلَوْ لَفَقَ مَعَادِيرُهُ ⑭﴾

قوله تعالى: ﴿لَا أَمِمْ﴾ اتفقوا على أن المعنى «أقسم» واختلفوا في «لَا» فجعلها بعضهم زائدة، كقوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَمْلِكُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وجعلها بعضهم رداً على منكري البعث. ويدل عليه أنه «أقسم» «على كون البعث». قال ابن قتيبة: زيدت «لَا» على نية الرد على المكذبين، كما تقول: لا والله ما ذاك، ولو حذف جليز، ولكنه أبلغ في الرد، وقرأ ابن كثير إلا ابن فليح «لأقسم» بغير ألف بعد اللام، فجعلت لاهياً دخلت على «أقسم»، وهي قراءة ابن عباس. وأبي عبد الرحمن، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، ابن محيصن. قال الزجاج: من قرأ «لأقسم» فاللام لام القسم والتوكيد. وهذه القراءة بعيدة في العربية، لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربن زيداً. ولا يجوز: لأضرب زيداً.

قوله تعالى: ﴿لَا أَمِمْ وَالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ②﴾ قال الحسن: أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية. وقال قتادة: حكما حكم الأولى<sup>(١)</sup>. وفي «النفس اللوامة» ثلاثة أقوال: أحدها: أنها المذمومة، قاله ابن عباس، فعلى هذا: هي التي تلوم نفسها حين لا ينفعها اللوم. والثاني: أنها النفس المؤمنة، قاله الحسن. قال: لا يؤزى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال. والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس برّ ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملاً خيراً قال: هلا زدت. وإن كانت عملت سوءاً، قال: ليتني لم أفعل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③﴾ المراء بالإنسان هاهنا: الكافر. وقال ابن عباس: يريد أبا جهل. وقال مقاتل: عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال: أجمع الله هذه العظام؟ فقال النبي ﷺ له: «نعم»، فاستهزأ منه، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف، كأنه: لَتُبْعَثُنَّ، لَتُحَاسَبُنَّ، فدل قوله تعالى: ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③﴾ على الجواب، فحذف<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُتْلَأُ ④﴾ وقوف حسن. ثم يُتْلَأُ ﴿بَلْ قَدِيرِينَ ⑤﴾ على معنى: بلى نجعلها قادرين. ويصلح نصب «قادرين» على التكرير: بلى فليحسبنا قادرين<sup>(٥)</sup> ﴿عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِكَامَةٍ ④﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً

(١) قال ابن كثير: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً، كما قاله قتادة رحمه الله، وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، واختاره ابن جرير.

(٢) قال ابن جرير: وكل هذه الأقوال مقاربة المعنى، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

(٣) قال البغوي: نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة حتن الأحنس بن شريق الضفي، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم اكفني جزاي سوء»، يعني عدياً والأحنس، وذلك أن عدي بن ربيعة أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره رسول الله ﷺ فقال: لو عاين ذلك اليوم لم أصفك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ③﴾ بعد التفريق والبلى فتحية قبل ذكر العظام، وذكره كذلك بغير سند القرطبي والخازن. والله أعلم. وفي «القرطبي» و«البحر المحيط»: وقيل: نزلت في أبي جهل.

(٤) قال ابن كثير: وبالقسم عليه هاهنا، هو إثبات المعاد، والرد على ما يزعم الجبهة من العباد من عدم بعث الأجساد.

(٥) قال ابن كثير: والظاهر من الآية أن قوله تعالى: ﴿قَدِيرِينَ ⑤﴾ حال من قوله تعالى: ﴿يَجْمَعُ ④﴾ أي أظن الإنسان أننا لا نجعل عظامه؟ ﴿بَلْ يُتْلَأُ ④﴾ أي قلدوتنا صالحة لجمعها، ولو شئت لبعثناه أزيد مما كان نجعل بناته وهي أطراف أصابعه مستوية.



واحداً كُفَّت البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور. والثاني: نقدر على أن نسوي بنانه. كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها. أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج. وقد بينا معنى البنان في [الاشكال: ١٧].

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ الْإِنْسَانُ يُخَفِّرَ أَثَمَهُ﴾<sup>(١)</sup> فيه قولان: أحدهما: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس. والثاني: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويقول: سوف أتوب، قاله سعيد بن جبير. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَتَىٰ يَوْمَ الْيَاقُوتِ﴾<sup>(٣)</sup> أي: متى هو؟ تكذيباً به، وهذا هو الكافر ﴿يَا يَوْمَ الْيَاقُوتِ﴾<sup>(٤)</sup> قرأ أهل المدينة، وأبان عن عاصم «برق» بفتح الراء، والباقون بكسرها. قال الفراء: العرب تقول: بَرَقَ البصر يَبْرُقُ، وَيَبْرُقُ يَبْرُقُ: إذا رأى هولاً يفرغ منه. و «برق» أكثر وأجود<sup>(٥)</sup>، قال الشاعر:

فَنَفْسِكَ نَائِعٌ وَلَا تَنْعَنِي وَدَاوِ الْكُلُومَ وَلَا تَبْرُقِ<sup>(٦)</sup>

بالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي<sup>(٧)</sup> بك. قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم القيامة، فلا يظرف لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. وقال مجاهد: برق البصر عند الموت.

قوله تعالى: ﴿وَسَكَتَ الْقَمَرُ﴾<sup>(٨)</sup> قال أبو عبيدة: كَسَفَ وَخَسَفَ بمعنى واحد، أي: ذهب ضوءه.

قوله تعالى: ﴿رَجَعَ النَّشُّ وَالْقَمَرُ﴾<sup>(٩)</sup> إنما قال «جمع» لتذكير القمر، هذا قول أبي عبيدة. وقال الفراء: إنما لم يقل: جُمِعَتْ، لأن المعنى: جمع بينهما. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: جمع بين ذاتيها. وقال ابن مسعود: جمعا كالبعيرين القرينين. وقال ططاء بن يسار: يُجَمَعَانِ ثم يُفَدَّقَانِ في البحر. وقيل: يُفَدَّقَانِ في النار. وقيل: يجمعان، فيطلعان من المغرب. والثاني: جمع بينهما في ذهاب نورهما، قاله الفراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ يعني: المكذب بيوم القيامة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُرْأُوا الْجُمُوحَ بَفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْفَاءِ، وَقُرْأُوا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَمَعَاوِيَةَ، وَأَبُو رَزِينٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالْحَسَنَ، وَعِكْرَمَةَ، وَالضَّحَّاكَ، وَابْنَ يَعْمَرَ، وَابْنَ أَبِي عُبَيْلَةَ: بكسر الفاء. قال الزجاج: «فمن فتح، فالمعنى: أين الفرار؟ ومن كسر، فالمعنى: أين مكان الفرار؟ تقول: يجلس مجسماً بالفتح، يعني: جلوساً. فإذا قلت: مجسماً بالكسر، فانت تريد المكان.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا رَدَّ﴾<sup>(١٠)</sup> قال ابن قتيبة: لا ملجأ. وأصل الوزر: الجبل الذي يمتنع فيه ﴿إِلَّا رَدَّكَ بِوَيْدِ النَّشْرِ﴾<sup>(١١)</sup> أي: المنتهى والمرجع. ﴿يَوْمَ الْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ يَمَّا تَدْمُ وَأَنْتَ﴾<sup>(١٢)</sup> فيه ستة أقوال: أحدها: بما قدم قبل موته، وما سن من شيء فمُجِّلٌ به بعد موته، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: يَبْتَأُ بأول عمله وآخره. قاله مجاهد. والثالث: بما قدم من الشرِّ، وآخر من الخير، قاله عكرمة. والرابع: بما قدم من فرض، وآخر من فرض، قاله الضحاك. والخامس: بما قدم من معصية، وآخر من طاعة. والسادس: بما قدم من أمواله، وما خلَّف للورثة، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ نَفْسِكُمْ بَيِّنَةٌ﴾<sup>(١٣)</sup> قال الفراء: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي: رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي: الجوارح. قال ابن قتيبة: فلما كانت جوارحه منه، أقامها مقامه. وقال أبو عبيدة:

(١) قال ابن كثير: وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف: هو الذي يجعل الذنوب وسوء التوبة.

(٢) قال ابن جرير الطبري: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء، ﴿يَا يَوْمَ﴾ بمعنى: قرع فشق وفتح من هول القيامة وفرغ الموت، قال: وبذلك جاءت أشعار العرب.

(٣) البيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» ٢١٨، وهو في «الطبري» ١٧٩/٢٩، و«القرطبي» ٩٤/١٩، و«اللسان»: بَرَقَ. وتَبْرُقُ: تهَدَّدُ. يقول طرفة لعناته: إذا تَأَقَّشَ نَفْسُكَ إِلَى السَّخْرِيفَةِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ، فَاغْبِضْ عَنِّي وَاسْتَهْزِئْ بِنَفْسِكَ وَاحْتَرِمْهَا، وَاحْبِسْ نَفْسَكَ وَاعْمَلْ لَتَدَاوِي مَا أَصَبْتُكَ بِهِ مِنْ جُرُوحٍ، وَلِيَاكِ وَتَهْدِيدِ الْإِبْطَالِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا تَقْوَى عَلَيْهِمْ. وقيل بيت، وهو:

نَسْتَأْنِي حَسَنَاتُكَ لَوْ سَأَلْتُ نَسْتَأْنِي حَسَنَاتُكَ لَوْ سَأَلْتُ

ومعنى نعتي: شُهرِي وَجَاوِدَ أَنْ يَسِيءَ سَمْعِي، طَوِيلَةَ: نَجْمَةٌ، لِقَبِّهِ بِذَلِكَ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى التَّخْيِيمِ. تسف: تَأْكُلُ. اليبس: اليابس. العشيق: نبات معروف. ومعنى الكلام: إن حانة قد حاول أن يبيني ويشهر بي، فرحمة لك أيها النجم التي ترعى يابس العشب وأرداه.

(٤) في الأصل: الذي.

جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذكر، كما جاءت في رجل «راوية»، و «طاغية»، و «علامة».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَعَادِيرِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ جَمَعَ عَذْر، فَاَلْمَعْنَى: لَوْ اعْتَذَرَ، وَجَادَلَ عَنْ نَفْسِهِ، فَعَلِيهِ مِنْ يَكْذِبِ عَذْرُهُ، وَهِيَ: الْجَوَارِحُ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ. وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَعَادِيرَ جَمْعُ مَعْدَارٍ، وَهُوَ: السِّتْرُ. وَالْمَعَادِيرُ: السِّتُورُ. فَاَلْمَعْنَى: وَلَوْ أَرَخَى سِتْرَهُ، هَذَا قَوْلُ الضَّحَّاكِ، وَالسَّدِيِّ، وَالزَّجَّاجِ. فَيُخْرَجُ فِي مَعْنَى «أَلْقَى» قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: قَالَ، وَمِنْهُ «قَالُوا لِيُفْهِمُ الْقَوْلُ» [النحل: ٣٦]، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ. وَالثَّانِي: أَرَخَى، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمْلِكَ بِهِ﴾ ١١ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٢ ﴿إِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَلَا تُنْفَسْ قُرْآنَهُ﴾ ١٣ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٤ ﴿لَا يَلْبِسُ الْكَلِمَةَ﴾ ١٥ ﴿وَيُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ نَاصِرًا﴾ ١٦ ﴿إِلَّا بِهَا نَاطِرًا﴾ ١٧ ﴿وَيُؤْمِرُ بِأَمْرِهِ كَبِيرًا﴾ ١٨ ﴿تَعْلَمُ أَنَّ يَهْدِي بِهَا قَافِرًا﴾ ١٩

قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يشتد عليه حفظه، وكان إذا نزل عليه الوحي يُحَرِّكُ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ قَبْلَ فِرَاقِ جَبْرِيلَ مِنْ قِرَاءَةِ الْوَحْيِ، مَخَافَةَ أَنْ لَا يَحْفَظَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ<sup>(١)</sup>. وَمَعْنَاهَا: لَا تَحْرُكْ بِالْقُرْآنِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِأَخْذِهِ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ١٢ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: أَي: ضَمُّهُ وَجَمْعُهُ فِي صَدْرِكَ ﴿إِذَا قَرَأْتَ﴾ ١٣ أَي: جَمْعُهُمَا ﴿فَلَا تُنْفَسْ قُرْآنَهُ﴾ ١٤ أَي: جَمْعُهُ. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ يَعْنِي: اقْرَأْ إِذَا فَرَّغَ جَبْرِيلُ مِنْ قِرَاءَتِهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ، أَي: اْعْمَلْ بِهِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: فَاتَّبِعْ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ١٤ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: نَبِيَّتُهُ بِلِسَانِكَ، فَتَقْرؤه كَمَا أَقْرَأَكَ جَبْرِيلُ. وَكَانَ إِذَا أَنَاهُ جَبْرِيلُ أَطْرُقَ، فَلِذَا ذَهَبَ، قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَالثَّانِي: إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْزِيَهُ بِمَا فِيهِ مِنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ، قَالَه الْحَسَنُ. وَالثَّلَاثُ: إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَالْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ، قَالَه قَتَادَةُ. وَالرَّابِعُ: عَلَيْنَا أَنْ نَنْزِلَهُ قِرَاءَةً عَرَبِيًّا، فِيهِ بَيَانٌ لِلنَّاسِ، قَالَه الزَّجَّاجُ.

قوله تعالى: ﴿لَا﴾ قال عطاء: أَي: لَا يُؤْمِنُ أَبُو جَهْلٍ بِالْقُرْآنِ وَبَيَانِهِ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْمَعْنَى: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ مِنْ أَنَّكُمْ لَا تُتَّبَعُونَ، وَلَكِنْ دَعَاكُمْ إِلَى قَبْلِ ذَلِكَ مَحَبَّتِكُمْ لِلْعَاجِلَةِ.

قوله تعالى: ﴿يَلْزُمُونَ الْكَلِمَةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «يَلْ يَحْبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ» بِالْيَاءِ فِيهِمَا. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالِتَاءِ فِيهِمَا. الْمُرَادُ: كَفَارُ مَكَّةَ، يَحْبُونَهَا وَيَعْمَلُونَ لَهَا «وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ» أَي: يَتْرَكُونَ الْعَمَلَ لَهَا إِثَارًا لِلدُّنْيَا عَلَيْهَا.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِرُ بِأَمْرِ رَبِّهِ نَاصِرًا﴾ ١٦ أَي: مُشْرِقًا بِالنَّعِيمِ ﴿إِلَّا بِهَا نَاطِرًا﴾ ١٧ روى عطاء عن ابن عباس قال: إِلَى اللَّهِ نَاطِرَةٌ. قَالَ الْحَسَنُ: حَقٌّ لَهَا أَنْ تُنْصَرَ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ، وَهَذَا مَذْهَبُ عِكْرَمَةَ. وَرُويَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهَا، وَالْأَحَادِيثُ فِيهَا صَحَّاحٌ، قَدْ ذَكَرْتُ جُمْلَةً مِنْهَا فِي «الْمَعْنَى» وَ«الْحَدَائِقِ»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِرُ بِأَمْرِهِ كَبِيرًا﴾ ١٨ قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: أَي: عَابِسَةً مَقْطَبَةً.

قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: أَي: تَعْلَمُ، وَ«الْفَاقِرَةُ» الدَّاهِيَةُ. قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ: إِنَّهُ مِنْ فَقَارَةِ الظَّهْرِ، كَأَنَّهُمَا تَكْسَرُهُ، يُقَالُ: فَقَرْتُ الرَّجُلَ: إِذَا كَسَرْتُ فَقَارَهُ، كَمَا يُقَالُ: رَأْسُهُ: إِذَا ضَرَبْتَ رَأْسَهُ، وَيَطْلُتُهُ: إِذَا ضَرَبْتَ بَطْنَهُ. قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْفَاقِرَةُ: دُخُولُ النَّارِ. قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: هِيَ أَنْ تُحْجَبَ عَنْ رَبِّهَا، فَلَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ.

﴿لَا إِذَا مَلَكَتِ السَّحَابُ﴾ ١٩ ﴿فَقِيلَ مَنْ نَاقٍ﴾ ٢٠ ﴿وَقَرَأَ اللَّهُ الْفُرْقَانَ﴾ ٢١ ﴿وَالْقَلْبُ أَشَاقُ الْإِنْسَانِ﴾ ٢٢ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ فَاعِلٌ﴾ ٢٣ ﴿فَلَا مَدَدَ لَكَ﴾ ٢٤ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتْلَى﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَتِعٌ﴾ ٢٦ ﴿أَنْتَ لَكَ قَاوِلٌ﴾ ٢٧ ﴿ثُمَّ أَنْتَ لَكَ قَاوِلٌ﴾ ٢٨ ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ٢٩

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَ«الْبُخَارِيُّ» ٢٢٥/٨ وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي «الدَّرَرِ» ٢٨٩/٦ وَزَادَ نَسْبَهُ لِلطَّبْطَالِيِّ، وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي «الْمَصَاحِفِ» وَ«الطَّبْرَانِيِّ»، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَأَبِي نَعِيمٍ وَابْنُ أَبِي عَمْرٍاءَ فِي «الدَّلَالِ» عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ.

(٢) وَقَدْ ثَبَتَ رُويَةُ الْمُؤْمِنِينَ ﷻ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحَّاحِ مِنْ طَرِيقِ مُتَوَاتِرَةٍ عِنْدَ أُمَّةِ الْحَدِيثِ لَا يُمْكِنُ دَفْعُهَا وَلَا مَنَعُهَا، كَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «أَهْلُ تَضَارُونَ فِي رُويَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْسَ دُونَهُمَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنِ رِيكَمَ كَلَلِكُمْ» وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنِ رِيكَمَ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا قَبْلِ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا».

أَتَرَبُّكَ تُلَقِّنُ بَيْنَ يَدَيْ يَتَّى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَقَبُهُ فَتَلَقَّى مَرْوَى ﴿٣٨﴾ فَجَلَّ بَيْنَهُ الرَّؤَسَيْنِ الْأَكْبَرُ وَالْأَصْغَى ﴿٣٩﴾ أَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِيرُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ ﴿٤٠﴾  
قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزجاج: «كلا» ردع وتنبية. المعنى: ارتدعوا عما يؤدي إلى العذاب. وقال غيره: معنى «كلا»: لا يؤمن الكافر بهذا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا بَلَغْتَ﴾ يعني: النفس. وهذه كناية عن غير مذكور. و «الترافي» العظام المكتنفة لثقة النحر عن يمين وشمال. وواحدة الترافي: ترقوة، ويكنى ببلوغ النفس الترافي عن الإشفاء على الموت، ﴿وَقِيلَ مَنْ كَلَّوْا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه قول الملائكة بعضهم لبعض: من يرقى روحه، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية ومقاتل. والثاني: أنه قول أهله: هل مِنْ رَاقٍ يَرْقِيهِ بِالرُّقَى؟ وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال عكرمة، والضحاك، وأبو قلابة، وقنادة، وابن زيد، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج.  
قوله تعالى: ﴿وَكَلَّوْا﴾ أي: أيقن الذي بلغت روحه الترافي «أَنَّهُ الْفَرَأَقُ» للدنيا «وَاللَّغْوُ السَّائِغُ الْإِلَاقُ» فيه خمسة أقوال: أحدها: أمر الدنيا بأمر الآخرة، رواه الوالبي عن ابن عباس: وبه قال مقاتل. والثاني: اجتمع فيه الحياة والموت، قاله الحسن. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: التفت ساقاه في الكفن، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: التفت ساقاه عند الموت، قاله الشعبي. والخامس: الشدة بالشدة، قاله قتادة. قال الزجاج: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَمَيِّزُ الْأَنسَاءُ﴾ ﴿٤١﴾ أي: إلى الله المنتهى. ﴿فَلَا سَكُنَ لَكَ صَاحِبٌ﴾ قال أبو عبيدة: «لا» هاهنا في موضع «لم». قال المفسرون: هو أبو جهل<sup>(٢)</sup> «وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى» عن الإيمان: «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى» أي: رجع إليهم يتبختر ويختال. قال الفراء: «يتمطى»، أي: يتبختر، لأن الظهر هو المَطَا، فيلوي ظهره متبخترًا. وقال ابن قتيبة: أصله يتمطط، فقلت الطاء فيه ياء، كما قيل: يتظنى، وأصله: يتظنن، ومنه المشية المَظِيطَاء. وأصل الطاء في هذا كله دال. إنما هو مد يده في المشي إذا تبختر. يقال: مَظَطَطْتُ وَمَدَدْتُ بمعنى.

قوله تعالى: ﴿أَنَّى لَكَ فَارُوكٌ﴾ قل ابن قتيبة: هو تهديد ووعيد. وقال الزجاج: العرب تقول: أولى لفلان: إذا دعت عليه بالمكره، ومعناه: وليك المكروه يا أبا جهل.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَسَّبُ الْأُنثَى﴾ يعني: أبا جهل «بَرَّكَ سُنَّةٌ» قال ابن قتيبة: أي: يهمل فلا يؤمر ولا ينهى ولا يعاقب، يقال: أسدبت الشيء، أي: أهملته. ثم دل على البعث بقوله تعالى: ﴿أَتَرَبُّكَ تُلَقِّنُ بَيْنَ يَدَيْ يَتَّى﴾ ﴿٣٧﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وحزمة، الكسائي وأبو بكر عن عاصم: «تَمُنَى» بالطاء. وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب «يُمُنَى» بالياء. وعن أبي عمرو كالقراءتين. وقد شرحنا هذا في [النجم: ٢٤] «ثُمَّ كَانَ عَقَبُهُ» بعد النطفة «فَتَلَقَّى» فيه الروح، وسَوَّى خلقه «فَجَلَّ بَيْنَهُ» أي: خَلَقَ من مائه أولاداً ذكوراً وإناثاً. «أَيْسَ ذَلِكَ» الذي فعل هذا «يَقْدِيرُ؟» وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رجاء، وعاصم الجحدري «يَقْدِرُ» «عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ؟» وهذا تقرير لهم، أي: إن من قَدَّر على الابتداء قَدَّر على الإعادة. قال ابن عباس: إذا قرأ أحدكم هذه الآية، فليقل: اللهم بلى<sup>(٣)</sup>.



(١) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك من شدة كرب الموت، بشدة هول المَطْلَع.

(٢) والصحيح أنها عامة في أبي جهل وغيره.

(٣) ذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفاً من حديث أبي إسحاق الشيباني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأبو إسحاق الشيباني ثقة عابد لكنه اختلط بآخره. «ورواه أبو داود والترمذي مطولاً عن أبي هريرة ؓ مرفوعاً وفي سنده أعرابي لم يسم، وعنه أخرجه أحمد ٢٤٩/٢، والترمذي ٢٣٨/٢ مختصراً وأعله بالأعرابي. ورواه الحاكم في «المستدرک» ٥١٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي، وفي سنده يزيد بن عياض، وهو متروك كما قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف». ورواه أبو داود رقم (٤٨٤) من رواية موسى بن أبي عائشة عن رجل سمعه من النبي ﷺ قال ابن كثير: تفرد به أبو داود، ولم يسم هذا الصحابي، ولا يضر ذلك.





﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَلِيلًا﴾ ﴿١٠﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَدِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ تَرْكُوكُهُ فَمَنْ شَاءَ لَنُفَعِدْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة «سلاس» بغير تنوين، ووقفوا بالفاء. ووقف أبو عمرو بالفاء. قال مكي بن أبي طالب النحوي: «سلاس» و«قوارير» أصله أن لا ينصرف، ومن صرفه من القراء، فإنها لغة لبعض العرب. وقيل: إنما صرفه لأنه وقع في المصحف بالالف، فصرفه لاتباع خط المصحف. قال مقاتل: السلاس في أعناقهم، والأغلال في أيديهم. وقد شرحنا معنى «السعير» في [النساء: ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ واحد هم برٌّ، وبارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المطيعون. وقال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرَّ ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ أي: من إناء فيه شراب ﴿كَأْسَ رِجَالِهَا﴾ يعني: مزاج الكأس ﴿كَأْسًا قَوِيًّا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الكافور المعروف، قاله مجاهد، ومقاتل، فعلى هذا في المراد «بالكافور» ثلاثة أقوال: أحدها: برده، قاله الحسن. والثاني: ريحه، قاله قتادة. والثالث: طعمه، قاله السدي. والثاني: أنه اسم عين في الجنة، قاله عطاء، وابن السائب. والثالث: أن المعنى: مزاجها كالكافور لطيب ريحه، أجازها القراء، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا﴾ قال القراء: هي المفسرة للكافور، وقال الأخفش: هي منصوبة على معنى: أعين عيناً. وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: يشرب منها. والثاني: يشربها، والباء صلة. والثالث: يشرب بها عباد الله الخمر يمزجونها بها. وفي هذه العين قولان: أحدهما: أنها الكافور الذي سبق ذكره. والثاني: التسنيم، و﴿عِيَادَ اللَّهِ﴾ هاهنا: أولياؤه ﴿يَتَجَرَّبُونَهَا تَجَرَّبًا﴾ قال مجاهد: يقودونها إلى حيث شأوا من الجنة. قال القراء: حيث ما أحب الرجل من أهل الجنة فجرها لنفسه.

قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْزُّكْرِ﴾ قال القراء: فيه إضمار «كانوا» يؤفون بالندر. وفيه قولان: أحدهما: يؤفون بالندر إذا نذروا في طاعة الله، قاله مجاهد، وعكرمة. والثاني: يؤفون بما فرض الله عليهم<sup>(١)</sup>، قاله قتادة. ومعنى «الندر» في اللغة: الإيجاب. فالمعنى: يؤفون بالواجب عليهم ﴿وَيُؤْتُونَ يَوْمًا كَأْسًا مُتَتَابِعًا﴾ قال ابن عباس: فاشياً. وقال ابن قتيبة: فاشياً متشراً. يقال: استطار الحريق: إذا انتشر، واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء. وأشدوا للأعشى:

قَبَائِثَ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَا  
وَصَدْعًا عَلَى نَاقِيهَا مُسْتَطِيرًا<sup>(٢)</sup>

وقال مقاتل: كان شره فاشياً في السموات، فانشقت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكورت الشمس والقمر في الأرض، ونُسِفَتِ الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على وجه الأرض من جبل، وبناء، وفشا شره يوم القيامة فيها.

قوله تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ أَمْرًا عَلَى حَيْدٍ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: نزلت في علي بن أبي طالب. أجز نفسه ليسيئ نخلًا بشيء من شعير ليلة حتى أصبح. فلما قبض الشعير طحن ثلثه، وأصلحو منه شيئاً يأكلونه، فلما استوى أتى مسكين، فأخرجوه إليه، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم أتى يتيماً، فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما استوى جاء أسير من المشركين، فأطعموه وطوؤوا يومهم ذلك، فنزلت هذه الآيات، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْزُّكْرِ﴾ أي: يعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر. قال الإمام مالك في «الموطأ» ٤٧٦/٢: «من طلحة بن عبد الملك الأبي عن القاسم بن محمد بن الصديق عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطعم الله قليطعة، ومن نذر أن يعطي فلا يعصيه» رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الأيمان والنذور باب النذر في الطاعة من حديث مالك.

(٢) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» ٩٣ ورواية الشطر الأول فيه: وبانت وقد أوزنت في الفؤاد... الخ وهو في «الطبري» ٢٩/٢٠٩٠، والقرطبي ١٩/١٢٦، وابن كثير ٤٥٤/٢٤، والشوكاني ٣٣٧/٥.

(٣) ذكره الواحدي في «أسانيب الزُّنُوفِ» ٣٣٦، والبغوي من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٩٩/٦ من رواية ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ. والله أعلم.

والثاني: أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ویتيم، وأسیر، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>. وفي هاء الكناية في قوله تعالى ﴿عَلَىٰ حَيْدِهِ﴾ قولان: أحدهما: ترجع إلى الطعام، فكأنهم كانوا يؤثرون وهم محتاجون إليه، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، والزجاج، والجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: ترجع إلى الله تعالى، قاله الداراني<sup>(٣)</sup>. وقد سبق معنى «المسكين والیتيم» [البقرة: ٨٣]. وفي الأسير أربعة أقوال: أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة، قاله عطاء، ومجاهد، وابن جبير. والثاني: أنه الأسير المشرك، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالی. والرابع: العبد، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

## فصل

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء، فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً، وهذا محمول على صدقة التطوع. فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ إِيَّاهُ﴾ أي: لطلب ثواب الله. قال مجاهد، وابن جبير: أما إنهم ما تكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب.

قوله تعالى: ﴿لَا يُدْرِكُ يَنْكَرُ جَزَاءَهُ﴾ أي: بالفعل ﴿وَلَا شُكُّوا﴾ بالقول ﴿إِنَّمَا تَحْكُمُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمَ﴾ أي: ما في يوم ﴿عَوْنِكَ﴾ قال ابن قتيبة: أي: تعبس فيه الوجوه، فجعله من صفة اليوم، كقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ٤١٨]، أراد: عاصف الريح. فأما «القمطير» فروى ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: أنه الطويل. وروى عنه العوفي أنه قال: هو الذي يقبض فيه الرجل ما بين عينيه. فعلى هذا يكن اليوم موصوفاً بما يجري فيه، كما قلنا في «العبوس» لأن اليوم لا يوصف بتقيض ما بين العينين. وقال مجاهد، وقتادة: «القمطير» الذي يقلص الوجوه، ويقبض الحياة، وما بين العينين من شدته. وقال الفراء: هو الشديد. يقال: يوم قمطير، ويوم قماطر. وأنشدني بعضهم:

بَنِي عَمْنَا هَلْ تَذْكُرُونَ بِلَاءَنَا  
عَلَيْكُمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قُمَاطِرٌ<sup>(٥)</sup>

وقال أبو عبيدة: العبوس، والقمطير، والقماطر، والعصيب، والعصْبُص: أشد ما يكون من الأيام، وأطولها في البلاء.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بطاعتهم في الدنيا ﴿وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ﴾ أي: حسناً وبياضاً في الوجوه ﴿وَسَرَّوْهُ﴾ لا انقطاع له. وقال الحسن: النَّصْرَةُ في الوجوه، والسَّرُّور في القلوب ﴿وَبَرَّزَهُمْ بِنَا صَرَّوْهُ﴾ على طاعته، وعن معصيته

(١) ذكره البغوي عن مقاتل بغير سند قال: نزلت في رجل من الأنصار، ولم يسمه، وقال الخازن: قيل: نزلت في رجل من الأنصار يقال له: أبو الدحداح، وقال القرطبي في «تفسيره» ١٢٨/١٩: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومن فعل فعلاً حسناً، فهي عامة، قال: وقد ذكر النقاش، والعلبي، والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجارتهما حديثاً لا يصح ولا يثبت، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الشكاف» ١٨٠: رواه العلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي سَارَّةٌ بِمَا كَانَ شَرُّهُ شَتْكِيلاً﴾ ﴿وَتَكْلُمُهُ الْكَلَمَ عَلَىٰ حَيْدٍ شَيْكِيلاً وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُمَا﴾ زاد في إثباته شعراً لعلي وفاطمة ﴿ثم قال: قال الحكيم الترمذي: هذا حديث مزوَّق مقتعل لا يروج إلا على أحمدق جاهل، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» من طريق أبي عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير عن الأصم بن نباتة، قال: مرض الحسن والحسين... إلخ. فذكره بشعره وزيادة الفاظ ثم قال: وهذا لا تشك في وضعه.

(٢) قال ابن كثير: والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: يطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوئهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ آلَ عَالٍ عَلَىٰ حَيْدِهِ﴾ وكقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا اللَّهَ حَقَّ تَبَعًا إِنَّمَا يُنَالُ بِذُرِّ شَيْءٍ﴾ ثم قال: وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» أي: في حال محبتك للمال وحركتك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال: ﴿وَتَكْلُمُهُ الْكَلَمَ عَلَىٰ حَيْدٍ شَيْكِيلاً وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُمَا﴾.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي أبو سليمان الداراني، زاهد مشهور من أهل داريا (بغول دمشق) توفي فيها رحمه الله سنة (٢١٥هـ).

(٤) قال ابن كثير: قال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير، لعموم الآية للمسلم والمشرك، وهكذا قال سعيد بن جبير وغطاء والحسن وقتادة، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه آخر ما أوصى أن جعل يقول: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم».

(٥) البيت في «اللسان»: قماطر، ولم ينسبه، وهو في «الطبري» ٢٩/٢١١، «القرطبي» ١٩/١٣٣، «ابن كثير» ٤/٤٥٥، «الشوكاني» ٥/٣٣٨.

﴿جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ﴾ وهو لباس أهل الجنة ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على الحال، أي: جزاهم جنة في حال اتكائهم فيها. وقد شرحنا هذا في [الكف: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ فيؤذيهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وهو البرد الشديد. والمعنى: لا يجدون فيها الحرَّ والبرد. حكى عن ثعلب أنه قال: الزمهرير: القمر، وأنشد:

وَلَيْلَةٌ ظَلَامُهَا قَدْ اغْتَكَّرَ  
قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرَ<sup>(١)</sup>  
أي: لم يطلع القمر.

قوله تعالى: ﴿وَدَائِيَّةٌ﴾ قال الفراء: المعنى: وجزاهم جنة، ودائيةٌ عليهم ظلالها، أي: قرية منهم ظلال أشجارها: ﴿وَذَلَّلَتْ قُلُوبَهُمْ تَذَلُّلاً﴾ قال ابن عباس: إذا همَّ أن يتناول من ثمارها تَذَلَّتْ إليه حتى يتناول ما يريد. وقال غيره: قُرِبَتْ إليهم مُذَلَّلَةٌ كيف شاؤوا، فهم يتناولونها قياماً، وقعوداً، ومضطجعين، فهو كقوله تعالى: ﴿قُلُوبُهُمْ دَائِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]. فأما «الأكواب» فقد شرحناها في [الزخرف: ٧١]. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ أي: تلك الأكواب هي قوارير، ولكنها من فضة. قال ابن عباس: لو ضُرِبَتْ فضة الدنيا حتى جعلتها مثل جناح الذباب، لم يُرَ الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة في صفاء القارورة. وقال الفراء، وابن قتيبة: هذا على التشبيه، المعنى: كأنها من فضة، أي لها بياض كبياض الفضة وصفاء كصفاء القوارير. وكان نافع، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم يقرؤون «قواريراً قواريراً» فَيَصِلُونَهُمَا جميعاً بالتونين. ويقفون عليهما بالالف. وكان ابن عامر وحزمة يَصِلَانِيهِمَا جميعاً بغير تنوين، ويقفان عليهما بغير ألف. وكان ابن كثير يَصِلُ الأول بالتونين، ويقف عليه بالالف، وَيَصِلُ الثاني بغير تنوين، ويقف بغير ألف. وروى حفص عن عاصم أنه كان يقرأ «سلاسل» و «قوارير قوارير» يَصِلُ الثلاثة بغير تنوين، ويقف على الثلاثة بالالف. وكان أبو عمرو يقرأ الأول «قواريرا» فيقف عليه بالالف، ويصل بغير تنوين. وقال الزجاج: الاختيار عند النحويين أن لا يصرف «قوارير» لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. ومن قرأ «قواريرا» يصرف الأول علامة رأس آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بأخر آية. ومن صرف الثاني: أتبع اللفظ اللفظ، لأن العرب قلبت إعراب الشيء لَتَشَبَّحَ اللفظ اللفظ، كما قالوا: جُحْرُ ضَبٍّ حَرِبٍ. وإنما الحَرِبُ من نعت الجحر.

قوله تعالى: ﴿قَدَرُوا الْقَدْرَ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر «قَدَرُوا» برفع القاف، وكسر الدال، وتشديدها. وقرأ حميد، وعمر بن دينار «قَدَرُوا» بفتح القاف، والدال، وتخفيفها. ثم في معنى الآية قولان: أحدهما: قَدَرُوا في أنفسهم، فجاءت على ما قَدَرُوا، قاله الحسن. وقال الزجاج: جعل الإناء على قَدَر ما يحتاجون إليه ويريدونه على تقديرهم. والثاني: قَدَرُوا على مقدار لا يزيد ولا ينقص، قاله مجاهد. وقال غيره: قَدَر الكأس على قَدَر رِيهِمْ، لا يزيد عن رِيهِمْ فَيُقْبَلُ الكَفُّ، ولا ينقص منه فيطلب الزيادة، وهذا أَلَدُ الشراب. فعلى هذا القول يكون الضمير في «قَدَرُوا» للسقاة والخدم. وعلى الأول للشاربين.

قوله تعالى: ﴿رَشَقُونَ فِيهَا﴾ يعني في الجنة ﴿كَأَنَّ رِجَالَهُمْ يُزْجَلُونَ﴾ والعرب تضرب المثل بالزنجبيل والخمر ممزوجين. قال المسبب بن علس يصف فم امرأة:

فَكَأَنَّ ظَنَمَ الزُّنْجَبِيلِ بِهِ  
إِذْ ذُوقْتُهُ وَسُلَاقَةُ الْخَمْرِ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

كَأَنَّ الْقَرْنِفُلَ وَالزُّنْجَبِيلَ  
لِ بَاتَا بِفِيهَا وَأَزْبَا مُشَارَا<sup>(٣)</sup>

(١) البيت غير منسوب في «القرطبي» ١٣٦/١٩، و«الألوسي» ١٥٨/٢٩.

(٢) هو في آخر «ديوان الأعشى» ابن أخت المسبب بن علس، وراوته ٣٥٢ من قصيدة مطلعها:  
أَصْرَمْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ مَنْ فُتِرَ

وهجرتها ولججت في التجر

(٣) رواية البيت في «ديوان الأعشى الكبير» ميمون بن قيس ٩٣:

لِ غَالِطَ نَاعَا وَأَزْبَا مُشَارَا

كَأَنَّ جَزِيئاً مِنَ الزُّنْجَبِيلِ

الأزني: العسل. والمشار: المستخرج من بيوت النحل. قال مجاهد: والزنجيل: اسم العين التي منها شراب الأبرار. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: الزنجيل معرب. وقال الدُّيُّوْرِي: يَنْثُثُ في أرياف عُمان، وهي عروق تسري في الأرض، وليس بشجرة تؤكل رُطباً، وأجود ما يحمل من بلاد الصين. قال الزجاج: وجاز أن يكون فيها طعم الزنجيل، والكلام فيه كالكلام السابق في الكافور. وقيل: شراب الجنة على برد الكافور، وطعم الزنجيل، وريح المسك.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قال الزجاج: يسقون عيناً. وسلسيل: اسم العين، إلا أنه صرف لأنه رأس آية. وهو في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة. فكان العين وصفت وسميت بصفتها. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله تعالى: ﴿سَلْسَلٌ مِّثْلُ سَلْسَلٍ﴾ قيل: هو اسم أعجمي نكرة، فلذلك انصرف. وقيل: هو اسم معرفة، إلا أنه أجري، لأنه رأس آية. وعن مجاهد قال: حديقة الجرية. وقيل: سلسيل: سلسل ماؤها، مستفيد لهم. وقال ابن الأنباري السلسيل صفة للماء، لِسَلْسِلِهِ وسهولة مدخله في الحلق. يقال: شراب سَلْسَل، وسَلْسَال، وسَلْسِيل. وحكى الماوردي: أن علياً قال: المعنى: سَلْ سَيْلًا<sup>(١)</sup> إليها، ولا يصح<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ تَابُوتٍ مِثْلَ مَا فِيهَا لَأَخَذْتُمْ مِنْ ظُلُمَاتِهِمْ ثَبَرًا عَظِيمًا﴾ [١٧] إذا رأيتهم حينئذٍ لؤلؤاً مثلاً أي: في بياض اللؤلؤ وحُسنه، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظراً. وإنما شُبِّهوا باللؤلؤ المنشور، لانتشارهم في الخدمة. ولو كانوا صَفًّا لَشَبَّهُوهُ بالمنظم. ﴿وَلَوْ أَنَّ رَأَيْتُمْ﴾ يعني: الجنة ﴿رَأَيْتُمْ مِثْلَ﴾ لا يوصف، ﴿مِثْلُ كَيْدٍ﴾ أي: عظيماً واسعاً لا يريدون شيئاً إلا قَدَرُوا عليه، ولا يدخل عليهم ملك إلا باستئذان.

قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ أهل المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم بإسكان الياء، وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلا أن الجعفي عن أبي بكر قرأ «عَالِيَتُهُمْ» بزيادة تاء مضمومة. وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد، وقاتدة «عَالِيَهُمْ» بفتح اللام، وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف. قال الزجاج: فأما تفسير إعراب «عَالِيَهُمْ» بإسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون الخبر ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وأما «عَالِيَهُمْ» بفتح الياء، فنصبه على الحال من شيئين، أحدهما من الهاء والميم، والمعنى: يطوف على الأبرار وَلَذَانِ مُخَلَّدُونَ عَالِيَاً للأبرار ثياب سندس، لأنه وصف أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالاً من الولدان. المعنى: إذا رأيتهم حينئذٍ لؤلؤاً مثلاً في حال غُلُوِّ الثياب. وأما «عَالِيَتُهُمْ» فقد قرئت بالرفع والنصب، وهما وجهان جيِّدان في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير «عَالِيَهُمْ».

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ قرأ ابن عمر، وأبو عمرو «خَضِرٌ» رفعا «وَإِسْتَبْرَقٌ» خفضاً. وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم «خَضِرٌ» خفضاً «وَإِسْتَبْرَقٌ» رفعا. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم «خَضِرٌ» «وَإِسْتَبْرَقٌ» كلاهما بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي «خَضِرٌ» «وَإِسْتَبْرَقٌ» كلاهما بالخفض. قال الزجاج: من قرأ «خَضِرٌ» بالرفع، فهو نعت الثياب، ولفظ الثياب لفظ الجمع، ومن قرأ «خَضِرٌ» فهو من نعت السندس، والسندس في المعنى راجع إلى الثياب. ومن قرأ «وَإِسْتَبْرَقٌ» فهو نسق على «ثياب» المعنى: وعليهم إستبرق. ومن خفض، عطفه على السندس، فيكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين. وقد يثبُت في [الكهف: ٣١] معنى السندس، والإستبرق، والأساور.

قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يُخَذُّون ولا يَبُولُونَ عن شُرْبِ خَمْرِ الْجَنَّةِ، قاله عطية. والثاني: لأن خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء. وقال أبو قلابة: يُؤْتَوْنَ بعد الطعام بِالشَّرَابِ الطَّهَوْرِ فيشربون فَتَضْمُرُ بذلك بَطُونُهُمْ، ويفيض من جلودهم عَرَقٌ مثل ريح المسك.

(١) على أنه أمر للنبي ﷺ ولأهله بسؤال السيل إليها.

(٢) قال الألوسي: وهو غير مستقيم بظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: «سَلْ سَيْلًا» جعلت اسماً للعين، كما قيل: تأبط شراً، وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سَيْلًا بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل الأمير ﷺ أبعد، ونص بعضهم على أنه افتراء عليه.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني: ما وصف من نعيم الجنة ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ بأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعِيرًا﴾ أي: عملكم في الدنيا بطاعته ﴿تَشْكُرُونَ﴾ قال عطاء: يريد: شكرتكم عليه، وأنتيكم أفضل الثواب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾، أي: فضلناه في الإنزال، فلم ننزله جُمْلَةً واحدة ﴿فَاتَّبِعْ لِتُنْصِرَ رَبَّكَ﴾ وقد سبق بيانه في مواضع [الطور: ٤٨، والقلم: ٤٨]. والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح، ﴿وَلَا تَطْغَوْا مِنْهُم﴾ أي: من مشركي أهل مكة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أو بمعنى الوار، كقوله تعالى: ﴿أَوِ الْخَوَالِكَا﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وقد سبق هذا. وللمفسرين في المراد بالآثم والكفور ثلاثة أقوال: أحدها: أنهما صفتان لأبي جهل. والثاني: أن الآثم: عتبة بن ربيعة، والكفور: الوليد بن المغيرة. والثالث: الآثم: الوليد. والكفور: عتبة، وذلك أنهما قالا له: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بالمال والتزويج. ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكره بالتحديد في الصلاة ﴿بِكُرَّةٍ﴾ يعني: الفجر ﴿وَأَمْسِلًا﴾ يعني: العصر. وبعضهم يقول: صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني: المغرب والعشاء. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وهي: صلاة الليل، كانت فريضة عليه، وهي لأُمِّيَّة تَطَوُّع ﴿إِنَّ هَذَلِكَ﴾ يعني: كثار مكة ﴿يُخَيِّتُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدار العاجلة، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿يَوْمًا قَلِيلًا﴾ أي: عسيراً شديداً. والمعنى: أنهم يتركون الإيمان به، والعمل له. ثم ذكر قدرته، فقال تعالى: ﴿وَحَنُّ عِلْقَتِهِمْ وَشَدَدًا أَسْرَفُهُمْ﴾ أي: خلقهم، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج. قال ابن قتيبة: يقال: امرأة حسنة الأسر، أي: حسنة الخلق، كأنها أسيروا، أي: شُدَّت. وأصل هذا من الإسار، وهو: القيد. [الذي تشد به الأتقاب] يقال: ما أحسن ما أسرقتُه، أي: ما أحسن ما شُدَّه [بالقيد]. وروي عن أبي هريرة قال: مفاصلهم. وعن الحسن قال: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب، ﴿وَرِثًا شَتًّا بَدَلًا أَسْلَفَهُمْ﴾ أي: إن شتتا أهلكتناهم وأتينا بأشياهم، فجعلناهم بدلاً منهم ﴿إِنَّ هَذَا هَدْيٌ تَذَكُّرٌ﴾ قد شرحنا الآية في [المزمّل: ١٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَاصَرُونَ﴾ إيجاد السبيل ﴿إِلَّا أَنْ يَنْكَرَ اللَّهُ﴾ ذلك لكم. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، «وما يشاؤون» بالياء.

قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ قال المفسرون: الرحمة هاهنا: الجنة، ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ المشركون. قال أبو عبيدة: نصب «الظالمين» بالجوار. المعنى: ولا يدخل الظالمين في رحمته. وقال الزجاج: إنما نصب «الظالمين» لأن<sup>(١)</sup> قبله منصوباً. المعنى: يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين، ويكون قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيراً لهذا المضمّر، وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبيدة: «والظالمون» رفعاً.





على الله تعالى بأعمال العباد، قاله الضحاك. والرابع: البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح، قاله الربيع. والخامس: المطر ينشر النبات، حكاه الماويدي.. وفي «الفارقات» أربعة أقوال: أحدها: الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، قاله الأثرون. والثاني: أي القرآن فَرَّقَتْ بين الحلال والحرام، قاله الحسن، وقائدة، وابن كيسان. والثالث: الريح تفرق بين السحاب فتبدّده، قاله مجاهد. والرابع: الرسل، حكاه الزجاج. «فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا» ﴿٦﴾ قولان: أحدهما: الملائكة تلقي ما حملت من الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهب ابن عباس، وقائدة، والجمهور. والثاني: الرسل يلقون ما أنزل عليهم إلى الأمم، قاله قطرب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «عَذْرًا أَوْ تَذَرًا» ﴿٦﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «عَذْرًا» خفيفاً «أو تَذَرًا» مثقلاً. وقرأ أبو عمرو، وخمزة، والكسائي، وحفص، وخلف «عَذْرًا أَوْ تَذَرًا» خفيفتان. قال الفراء: وهو مصدر، مثقلاً كان أو مخففاً. ونصبه على معنى: أرسلتُ بما أرسلتُ به إعداراً من الله وإنذاراً. وقال الزجاج: المعنى: فالمملقيات عذراً أو تذراً. ويجوز أن يكون المعنى: فالمملقيات ذكراً للإعذار والإنذار. وهذه المذكورات مجرورات بالقسم. وجواب القسم «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَعْدٍ» ﴿٧﴾ قال المفسرون: إن ما توعدون به من أمر الساعة، والبعث، والجزاء لواقع، أي: لكائن. ثم ذكر متى يقع فقال تعالى: «إِنَّمَا أَكْثَبُكُمْ طَيْسًا» ﴿٨﴾ أي: مُجِي نَوْرُهَا «وَلَا السَّمَاءُ فُرُجٌ» ﴿٩﴾ أي: شَقَّتْ «وَلَا إِلَهَ إِلَّا هِيَ» ﴿١٠﴾ قال الزجاج: أي: ذُوبَ بها كلها بسرعة. يقال: انتسفت الشيء: إذا أخذه بسرعة. قوله تعالى: «وَلَا الرُّسُلُ أَفْنَتْ» ﴿١١﴾ قرأ أبو عمرو «وُفَّتَتْ» بواو مع تشديد القاف. ووافقه أبو جعفر، إلا أنه خَفَفَ للقاف. وقرأ الباقون: «أُفَّتَتْ» بآلف مكان الواو مع تشديد القاف. قال الزجاج: «وُفَّتَتْ» وأُفَّتَتْ بمعنى واحد. فمن قرأ «أُفَّتَتْ» بالهمز، فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو. وكل واو انضمت، وكانت ضميتها لازمة، جاز أن تبدل منها همزة. وقال الفراء: الواو إذا كانت أول حرف، وضُمَّتْ، همزت. تقول: صلى القوم أحداناً. وهذه أجوبة حسان. ومعنى «أُفَّتَتْ»: جمعت لوقتها يوم القيامة. وقال ابن قتيبة: جمعت لوقت، وهو يوم القيامة. وقال الزجاج: جعل لها وقت واحد لفصل القضاء بين الأمة.

قوله تعالى: «لَا يَرَى يَوْمَ الْيَوْمِ أَكْثَرُ» ﴿١٢﴾ أي: أُخْرَجَتْ. وَضُرِبَ الأجل لجمعهم، يعجب العباد من هول ذلك اليوم. ثم بيّنه فقال تعالى: «لِيَوْمِ الْقِسْلِ» ﴿١٣﴾ وهو يوم يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق. ثم عَظَّمَ ذلك اليوم بقوله: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقِسْلِ» ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلشَّكَايَةِ ﴿١٥﴾ بالبعث. ثم أخبر الله تعالى عما فعل بالأمم المكذبة، فقال: «أَوَّ تِلْكَ الْأَوَّلِينَ» ﴿١٦﴾ يعني بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم «ثُمَّ تُنْفَخُ الْأَخْيَرِ» ﴿١٧﴾ والقراء على رفع العين في «تنبعهم»، وقد قرأ قوم منهم أبو حيوة بإسكان العين. قال الفراء: «تنبعهم» مرفوعة. ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود «وستنبعهم الآخرين». ولو جزمَت على معنى: ألم نقدر على إهلاك الأولين وإتباعهم الآخرين كان وجهاً جيداً. وقال الزجاج: الجزم عطف على «نُهْلِكُ»، ويكون المعنى: لمن أهلك أولاً وآخراً. والرفع على معنى: ثم تنبع الأول الآخر من كل مجرم. وقال مقاتل: ثم تنبعهم الآخرين: يعني: كفار مكة حين كذبوا بالنبي ﷺ. وقال ابن جرير: الأولون: قوم نوح، وعاد، وثمود، والآخرون: قوم إبراهيم، ولوط، ومذنب.

قوله تعالى: «كَذَلِكَ» ﴿١٨﴾ أي: مثل ذلك «تَعْمَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» يعني: المكذبين. فإن قيل: ما الفائدة في تكرار قوله تعالى: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلشَّكَايَةِ» ﴿١٩﴾؟ فالجواب: أنه أراد بكل آية منها غير ما أراد بالآخرى، لأنه كلما ذكر شيئاً قال: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ لِلشَّكَايَةِ» ﴿٢٠﴾ بهذا.

قوله تعالى: «أَوَّ تِلْكَ الْأَوَّلِينَ» ﴿٢١﴾ قرأ قالون عن نافع بإظهار القاف. وقرأ الباقون بإدغامها.

قوله تعالى: «بَيْنَ مَاوٍ مَّهِينٍ» ﴿٢٢﴾ أي: ضعيف «تَجَمَّلَتْهُ فِي قَرَارٍ تَكِينٍ» ﴿٢٣﴾ يعني: الرحم «إِنْ قَدَّرَ تَعْلُوهُ» ﴿٢٤﴾ وهو مدة

(١) قال ابن كثير: وقوله تعالى: «فَالْمَلَكُوتِ ذِكْرًا» ﴿٦﴾ عَذْرًا أَوْ تَذَرًا يعني الملائكة، قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقائدة، والربيع بن أنس، والسدي، والثوري، ولا خلاف هاهنا، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعدار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

الحمل ﴿قَدَّرْنَا﴾ قرأ أهل المدينة، والكسائي ﴿قَدَّرْنَا﴾ بالتشديد. وقرأ الباقون: بالتخفيف. وهل بينهما فرق؟ فيه قولان: أحدهما: أنهما لغتان بمعنى واحد. قال الفراء: تقول العرب: قَدَّر عليه، وقَدَّر عليه. وقد احتج من قرأ بالتخفيف فقال: لو كانت مشددة لقال: فنعم المقدرون، فأجاب الفراء فقال: قد تجمع العرب بين اللغتين، كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَكْفُرْ أَتَيْنَاهُمْ رَبًّا ۝١٧﴾ ﴿الطارق: ١٧﴾. قال الشاعر:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ  
مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالضَّلَمَ<sup>(١)</sup>

يقول: ما أنكرت إلا ما يكون في الناس. والثاني: أن المخففة من القُدرة والملك، والمشددة من التقدير والقضاء. ثم بين لهم صنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ تَحْمِلُ الْأَرْضَ كَثَا ۝١٦﴾ قال اللغويون: الكثف في اللغة: الضم. والمعنى: أنها تقضم أهلها أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. قال ابن قتيبة: يقال: اكثف هذا إليك، أي: ضمه. وكانوا يسمون بقبع الفرقد: كفته، لأنه مقبرة يضم الموتى. وفي قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا وَأَتَوْنَا ۝١٧﴾ قولان: أحدهما: أن المعنى: تكفهم أحياء وأمواتاً، قاله الجمهور. قال الفراء: وانتصب الأحياء والأموات بوقوع الكفات عليهم، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات، فإذا تَوُت نصبت كما يقرأ ﴿أَرَأَيْتَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْتَوٍ ۝١٤﴾ (البلد: ١٤). وقال الأخفش: انتصب على الحال. والقول الثاني: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء للغنات والضمارة، وأمواتاً بالخراب واليأس، هذا قول مجاهد، وأبي عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا﴾ قد سبق بيانه ﴿شَجَرَيْنِ﴾ أي: عاليات، ﴿وَأَنْتَبَكُرُ﴾ قد سبق معنى ﴿أَسْقِينَا﴾ (الحجر: ٢٢، والجن: ١٦) ومعنى «الفرات» (الفرقان: ٥٣، واطر: ١٢) والمعنى: إن هذه الأشياء أعجب من البحث. ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة: ﴿أَتَلِفْنَا لَكُ مَا كُنْتَ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا، وهو النار ﴿أَتَلِفْنَا لَكُ مَا كُنْتَ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾ قرأ الجمهور هذه الثانية بكسر اللام على الأمر. وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران، ورويس عن يعقوب بفتح اللام على الخبر بالفعل الماضي. قال ابن قتيبة: «والظلل» هاهنا: ظل من دخان نار جهنم سطع، ثم افترق ثلاث فرق، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل، ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار. ﴿لَا ظِلُّلٌ﴾ أي: لا يظلكم من حر هذا اليوم بل يدينكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس. قال مجاهد: تكون شعبة فوق الإنسان، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط به. وقال الضحاك: الشعب الثلاث: هي الضريع، والزقوم، والفلسين. فعلى هذا القول يكون هذا بعد دخول النار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّقِيَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: لا يدفع عنكم لهب جهنم. ثم وصف النار فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَىٰ بُشْكُورًا﴾ وهو جمع شررة، وهو ما يتطاير من النار متفرقاً ﴿كَالْقَصْرِ﴾ قرأ الجمهور بإسكان الصاد على أنه واحد القصور المبنية. وهذا المعنى في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول الجمهور. وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، ومجاهد، وأبو الجوزاء «كالقصر» بفتح الصاد. وفي أفراد البخاري<sup>(٢)</sup> من حديث ابن عباس قال: كنا نرفع الخشب [بقصر<sup>(٣)</sup>] ثلاثة أذرع أو أقل [فترفعه<sup>(٣)</sup>] للشتاء، فنسميه: القصر. قال ابن قتيبة: من فتح الصاد أود: أصول النخل المقطوعة المقلوعة. قال الزجاج: أراد أعناق الإبل. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وهكرمة، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وابن يعمر «كالقصر» بفتح القاف، وكسر الصاد. وقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، والنخعي «كالقصر» برفع القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وسعيد بن جبير «كالقصر» بكسر القاف، وفتح الصاد، وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ «كالقصر» بضم القاف وإسكان الصاد.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَخَلُفُونَ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «يخملون» بالفتح،

(١) البيت للأعشى الكبير ١٠١ من قصيدة يمدح بها هذؤ بن علي الحنفي ملك اليمامة، وأشده الفراء في معاني القرآن ٢٠٤، والطبري ٢٩/٢٣٦، والقرطبي ١٩/١٥٨.

(٢) زيادة من صحيح البخاري.

(٣) ٥٢٨/٨ تفسير سورة المرسلات.



وكسر الجيم. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم «جَمَالَةً» على التوحيد. وقرأ رويس عن يعقوب «جَمَالَات» بضم الجيم. وقرأ أبو رزين، وحמיד، وأبو حيوة «جَمَالَةً» برفع الجيم على التوحيد. قال الزجاج: من قرأ «جَمَالَات» بالكسر، فهو جمع جَمَال، كما تقول: بُيوت، وُيُوتَات، وهو جمع الجمع، فالمعنى: كأن الشرارات كالجمالات. ومن قرأ «جَمَالَات» بالضم، فهو جمع «جمالة» ومن قرأ «جمالة» فهو جمع جَمَل وجمالة، كما قيل: حَجَر، وحبارة. وذكر، وذكارة. وقرئت «جمالة» على ما فسرناه في جمالات بالضم. و «الصُّفْر» هاهنا: السود. يقال للإبل التي هي سود تضرب إلى الصفرة: إبل صُفْر. وقال الفراء: الصُّفْر: سود الإبل لا يرى الأسود من الإبل إلا وهو مُشْرَبٌ صُفْرَةً، فلذلك سَمَتُ العرب سود الإبل: صُفْرًا، كما سَمَوْا الظباء: آدمًا لما يعلوها من الظلمة في بياضها.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٥٥) قال المفسرون: هذا في بعض مواقف القيامة. قال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم، فتكلمت أيديهم، وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون بحجة تَنفَعُهُمْ. وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمد، والأعمش، وابن أبي عبله «هذا يومٌ لا ينطقون» بنصب الميم.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَضَى﴾ أي: بين أهل الجنة وأهل النار ﴿جَمَعْتَكُمْ﴾ يعني: مكذبي هذه الأمة، ﴿وَالْآلَيْنِ﴾ من المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٥٦) أثبت فيها الياء في الحالين يعقوب، أي: إن قَدَرْتُمْ على حيلة، فاحتالوا لأنفسكم. ثم ذكر ما للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي ظُلُمٍ﴾ يعني: ظلال الشجر، وظلال أكنان القصور، ﴿وَضُيُوءٍ﴾ الماء، وهذا قد تقدّم بيانه، إلى قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: ويقال لهم: كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا بطاعة الله. ثم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَشَبَّهُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا إلى منتهى آجالكم ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ أي: مشركون بالله.

قوله تعالى: ﴿وَرَادَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه حين يُذْعَنُ إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس. والثاني: أنه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم: اركعوا، أي صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ أي: لا يصلون. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد في آخرين، وهو الأصح. وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله ﷺ بالصلاة، فقالوا: لا نحني، فإنها مَسَبَّةٌ علينا، فقال: «لا خير في دين ليس فيه ركوع»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِي حَرِيرٌ يَدُّهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: إن لم يصدقوا بهذا القرآن، فبأي كتاب بعده يصدقون، ولا كتاب بعده.



(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨١: هكذا ذكره الثعلبي، قال: وأخرجه أبو داود ٢٢٢/٣، وأحمد ٢١٨/٤، وابن أبي شيبة، والطبراني، من رواية الحسن عن عثمان بن أبي العاص به، وأنتم منه. قلت: وفيه عنمة الحسن.

## سورة النبا

ويقال لها: سورة التساؤل  
وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي مَرُّهُ فِيهِ مُخَلِّفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَرَأَيْتُمْ أَزْجَلَ الْأَرْضِ بِهَذَا ﴿٦﴾ وَإِلْيَافَ أَزْجَالِهَا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا قَوْمَكَ سَبَاقًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا الْإِلَّهَ بَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا الْفَارَّ مَنَاقًا ﴿١١﴾ وَبَشَرْنَا قَوْمَكُمْ سَبَاقًا بِهَذَا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا يَرْبَا وَرَبَابًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِذْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ يَوْمَ يَفْعُ فِي الشُّعْرِ قَاتَلُونَ أَقْرَابًا ﴿١٧﴾ وَفُجِعَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٨﴾ وَوُضِعَتِ الْأَرْضُ فَكَانَتْ سُرَابًا ﴿١٩﴾ إِذْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٠﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَاقًا ﴿٢١﴾ لَتَبِينَ فِيهَا أَعْقَابًا ﴿٢٢﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرًا وَلَا شَرًّا ﴿٢٣﴾ إِلَّا حَيْسًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٤﴾ جَزَاءً وَثَابًا ﴿٢٥﴾ وَكَانَ رِجْسًا أَتَاهُمْ كَانُوا لَا يَرْجِعُونَ حِسَابًا ﴿٢٦﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٧﴾ وَكُلَّ نَفْسٍ أَوْعَيْنَتْهُ كِتَابًا ﴿٢٨﴾ قَدْ وَفُوا فَلَنْ نُرِيدَ بَكُمُ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٩﴾ إِذْ لَبِثْتُمْ مَقَارًا ﴿٣٠﴾ حَتَّىٰ وَاعْتَدَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٣١﴾ وَكُلِّبَ أَزْوَاجًا ﴿٣٢﴾ وَكُنَّا دِهَاقًا ﴿٣٣﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا كِذَابًا ﴿٣٤﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَلَيْهِمْ حِسَابًا ﴿٣٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يَوْمُ الْوُجُوحِ وَاللَّعَنُوكَ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ كَمَنْ شَاءَ أَخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَاقًا ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ زُرًّا ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾﴾ أصله «عن ما» فأدغمت النون في الميم، وحذفت ألف «ما» كقولهم: فيم، وبم. قال المفسرون: لما بعث رسول الله ﷺ جعل المشركون يتساءلون بينهم، فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون، ويختصمون فيما بحث به، فنزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>. واللفظ لفظ استفهام، والمعنى: تفخيم القصة، كما يقولون: أي شيء زيد؟ إذا أردت تعظيم شأنه. ثم بين ما الذي يتساءلون عنه، فقال تعالى: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ يعني: عن الخبر العظيم الشأن. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: القرآن، قاله مجاهد، ومقاتل، والفراء. قال الفراء: فلما أجاب صارت «عم» كأنها في معنى: لأي شيء يتساءلون عن القرآن. والثاني: البعث، قاله قتادة. والثالث: أنه أمر النبي ﷺ، حكاية الزجاج.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي مَرُّهُ فِيهِ مُخَلِّفُونَ ﴿٣﴾﴾ من قال: إنه القرآن، فإن المشركين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: أساطير الأولين، إلى غير ذلك. وكذلك من قال: هو أمر النبي ﷺ. فأما من قال: إنه البعث والقيامة، ففي اختلافهم فيه قولان: أحدهما: أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به، فمنهم من صدق وآمن، ومنهم من كذب، وهذا معنى قول قتادة. والثاني: أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه، فصَدَّقَ به المسلمون، وكُذِّبَ به المشركون، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال بعضهم: هي ردع وزجر. وقال بعضهم: هي نفي لاختلافهم، والمعنى: ليس الأمر على ما قالوا ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ وعيد على إثر وعيد. وقرأ ابن عامر «استعلمون» في الحرفين بالتاء. ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيده، فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ أَزْجَلَ الْأَرْضِ بِهَذَا ﴿٦﴾﴾ أي: فرائضاً وبسطاً ﴿وَإِلْيَافَ أَزْجَالِهَا ﴿٧﴾﴾ وللأرض لثلاث تمديد ﴿وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ أي: أصنافاً، وأضداداً، ذكوراً، وإناثاً، سوداً،

(١) روى ابن جرير الطبري سبب النزول هذا عن الحسن ١/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٠٥/٦ وزاد نسبة لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن الحسن.

وبيضاً، وحمراً ﴿وَجَعَلْنَا قَوْصًا شَبَا﴾ قال ابن قتيبة: أي: راحة لأبدانكم. وقد شرحنا هذا في [الفرقان: ٤٧] وشرحنا هناك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْإِلَّهَ يَأْسًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّارَ مَطْلَبًا لِّلْمَعَاشِ﴾ وقال ابن قتيبة: معاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدر. ﴿وَبَيْنَا قَوْصًا سَبَا شَدَا﴾ والمعنى: جعلنا النهار مطلباً للمعاش. وقال ابن قتيبة: معاشاً، أي: عيشاً، وهو مصدر. ﴿وَبَيْنَا قَوْصًا سَبَا شَدَا﴾ قال مقاتل: هي السموات، غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء من مثل ذلك، وهي فوقكم يا بني آدم. فاحذروا أن تغضوا فتخروا عليكم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا يَرْيَا﴾ يعني: الشمس ﴿وَمَآيَا﴾ قال ابن عباس: هو المضيء. وقال اللغويون: الوهاج: الوقاد. وقيل: الوهاج يجمع النور والحرارة.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها السموات، قاله أبي بن كعب، والحسن، وابن جبير. والثاني: أنها الرياح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل. وقال زيد بن أسلم: هي الجنوب. فعلى هذا القول تكون «من» بمعنى «الباء»، فتقديره: بالمعصرات. وإنما قيل للرياح: معصرات، لأنها تستدر المطر. والثالث: أنها السحاب، رواه الوالي عن ابن عباس، وبه قال أبو العالية، والضحاك، والربيع. قال الفراء: السحابة المعصر: التي تتحلل بالمطر ولما يجتمع، مثل الجارية المعصر، قد كادت تحيض، ولما تحض. وكذلك قال ابن قتيبة: شُبَّهَتِ السحاب بمعاصير الجواري، والمُعْصِرُ: الجارية التي قد دنت من الحيض. وقال الزجاج: إنما قيل للسحاب: معصرات، كما قيل: أجر الزرع، فهو مُجْرٌ، أي: صار إلى أن يُجْرَ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أن يطر، فقد أعصر.

قوله تعالى: ﴿لَهُ يَخِي﴾ قال مقاتل: أي: مطراً كثيراً مُنْصَبّاً يتبع بعضه بعضاً. وقال غيره: يقال: ثَجَّ الماء يثج: إذا انصب ﴿وَيُخْرِجُ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿مِنْ بَيْنَا﴾ وفيه قولان: أحدهما: أن الحب: ما يأكله الناس، والنبات: ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام، هذا قول الجمهور. وقال الزجاج: كُلُّ مَا حُصِدَ حَبٌّ، وكُلُّ مَا أَكَلَتْهُ الماشية من الكلال، فهو نبات. والثاني: أن الحب: اللؤلؤ، والنبات: العشب. قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطراً، إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً، وفي الأرض عشباً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ يعني: بساتين ﴿لَلنَّاسِ﴾ قال أبو عبيدة: أي: متلقة من الشجر ليس بينها خلال، الواحدة: لُقَاء، وجنات لُفْ، وجمع الجمع: أَلْفَافٌ. قال المفسرون: فدلّ بذكر المخلوقات على البعث. ثم أخبر عن يوم القيامة فقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: يوم القضاء بين الخلائق ﴿كَانَ يَوْمًا﴾ لما وعد الله من الثواب والعقاب. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ قَافُونَ﴾ من قبوركم ﴿أَنفَا﴾ أي: زُمراً زُمراً من كل مكان ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «وفُتِحَت» بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي بالتخفيف، وإنما تفتح لنزول الملائكة ﴿كَانَتْ أَبْوَابُ﴾ أي: ذات أبواب ﴿وَسُورَتِ الْبَابِ﴾ عن أماكنها ﴿كَانَتْ مَرَا﴾ أي: كالسراب، لأنها تصير هباءً منبثاً فيراها الناظر كالسراب بعد شدتها وصلابتها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ قال المبرد: مرصاداً يرصدون به، أي: هو معدٌّ لهم يرصد بها خزنتها الكفار. وقال الأزهري: المرصاد: المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو. ثم بين لمن هي مرصاد فقال تعالى: ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ قال ابن عباس: للمشركين ﴿مَرَا﴾ أي: مرجعاً.

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ﴾ وقرأ حمزة «لَّذِينَ» والمعنى فيهما واحد. يقال: هو لايت بالمكان، ولبت. ومثله ظامع، وطمع، وفاره، وقره. وأما الأحقاب فجمع حقب، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في [الكهف: ٦٠]. فإن قيل: ما معنى ذكر الأحقاب، وخلوهم في النار لا نفاذ له؟ فنه جوابان: أحدهما: أن هذا لا يدل على غاية، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب. ولو أنه قال «للابين» فيها عشرة أحقاب أو خمسة دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة، والجمهور. وببانه أن زمان أهل الجنة والنار يتصور دخوله تحت العدد، وإن لم يكن لها نهاية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن المعنى: أنهم يلثون فيها أحقاباً ﴿

(١) في النسخة الاستنبولية: وإن لم يكن لها غاية.

يَذُوقُونَ فِي الْأَحْقَابِ ﴿بَرْدًا وَلَا شَرًّا﴾ فَمَا خلودهم في النار فذائم. هذا قول الزجاج. وبيانه أن الأحقاب حَدُّ لعذابهم بالحميم والغساق، فإذا انتقضت الأحقاب عُذِّبُوا بغير ذلك من العذاب. وفي المراد «بالبرد» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه برد الشراب. روى أبو صالح عن ابن عباس قال: لا يذوقون فيها برد الشراب، ولا الشراب. والثاني: أنه الرُّوح والراحة، قاله الجسن، وعطاء. والثالث: أنه النوم، قاله مجاهد، والسدي، وأبو عبيدة، وابن قتيبة، وأنشدوا:

فَلِنْ شِئْتُ حَرِّئْتُ النِّسَاءِ سِوَاكُم وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نَقَاحًا وَلَا بَرْدًا<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: النقاخ: الماء، والبرد: النوم، سمي بذلك لأنه تبرد فيه الحرارة. وقال مقاتل: لا يذوقون فيها بردًا ينفعهم من حرها، ولا شراباً ينفعهم من عطش، ﴿إِلَّا حِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «غَسَّاقًا» بالتخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل، وحفص عن عاصم بالتشديد. وقد تقدم ذكر الحميم، والغساق (ص: ٥٧) ﴿جَزَاءً وَجَاءًا﴾ قال الفراء: وفقاً لأعمالهم. وقال غيره: جُوزُوا جزاءً وفقاً لأعمالهم على مقدارها، فلا ذنب أعظم من الشُّرك، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿١٧﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يخافون أن يحاسبوا، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الجمهور. والثاني: لا يرجون ثواب حساب، لأنهم لا يؤمنون بالبعث، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَكَذِبُوا بِكَائِبَاتٍ كَذِبًا﴾ قال الفراء: الكذاب بالتشديد لغة يمانية فصيحة، يقولون: كذَّبت به كذباً، وخرَّقت القميص خرقاً، وكل «فَعَلْتُ» فمصدره في لغتهم مُشَدَّد. قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلُّ أحب إليك، أم القِصَار؟ وأشدني بعض بني كلاب:

لَقَدْ طَالَ مَا تَبَطَّنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجٍ قِضَاوَهَا مِنْ شِفَائِيَا<sup>(٢)</sup>

وأما أهل نجد، فيقولون: كذَّبت به تكدياً. وقال أبو عبيدة: الكذاب أشد من الكذاب، وهما مصدر المكاذبة. قال الأعشى:

فَصَدَّقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ قال الزجاج: «كل» منصوب بفعل مضمير تفسيره: أحصيناه، والمعنى: أحصينا كل شيء، و«كُنَّا» توكيد<sup>(٤)</sup> لـ «أحصيناه» لأن معنى «أحصيناه» و«كُنَّا» فيما يحصل ويثبت واحد. فالمعنى: كتبناه كتاباً. قال المفسرون: وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ. ﴿هَذُوًّا﴾ أي: فيقال لهم: ذوقوا جزاء فعالكم ﴿هَئِنَّا نُرِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٢٠﴾ إِذْ لِنُتَبِّخَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَشْكُرُوا ﴿مَفَازًا﴾ وفيه قولان: أحدهما: متنزهاً، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: فازوا بأن نَجَّوْا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة، قاله قتادة. قال ابن قتيبة: «مَفَازًا» في موضع «فوز». ﴿مَتَابًا﴾ قال ابن قتيبة: الحدائق: بسايتين نخل، واحدها: حديقة.

قوله تعالى: ﴿وَكَايَ﴾ قال ابن عباس: الكواعب: التواهد. قال ابن فارس: يقال: كعبت المرأة كعابة، فهي كاعب: إذا نَكَأَ ثَدْيُهَا. وقد ذكرنا معنى «الأتراب» في [ص: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا وَهَامًا﴾ ﴿٢١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الملائ، رواء أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال

(١) البيت لعبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان بن عفان المرعي، وهو في «ديوانه» ١٠٩، و«غريب القرآن» ١٤٦، ٥٠٩، و«شواهد الكشاف» ٣٤، والقرطبي ١٧٨/١٩، و«البحر» ٤١٤/٨.

(٢) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٣٥٥) وهو في الطبري ١٦/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، و«اللسان»: قضى. والشاهد فيه تشديد «قضاؤها».

(٣) البيت في ملحق «ديوان الأعشى» ٢٣٨، و«معجم القرآن» ٢/٢٨٣، و«الكامل» للمبرد ٥٦٤. قال المبرد: وأنشد المازني للأعشى، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة:

فَصَدَّقْتُ شَيْئُهُمْ وَكَذَّبْتُهُمْ وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ

وهو في الطبري ٢٠/٣٠، والقرطبي ١٧٩/١٩، و«اللسان» و«التاج»: صدق.

(٤) في الأصل: توكيداً.



الحسن، وقتادة، وابن زيد. والثاني: أنها المتتابعة. رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير. وعن مجاهد كالقولين. والثالث: أنها الصافية، قاله عكرمة.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة إذا شربوها ﴿لَقَدْ﴾ وقد ذكرناه في [الطور: ٢٣] وغيرها ﴿وَلَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ أي: لا يذُوقُ بعضهم بعضاً، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل، وأهل الجنة مُتَرَهِّونَ عن ذلك. قال الفراء: وقراءة علي عليه السلام ﴿كُذِّبُوا﴾ بالكذب، بالتخفيف، كأنه - والله أعلم - لا يتكاذبون فيها. وكان الكسائي يخفف هذه ويشدد، ﴿كَذِّبُوا بِأَيِّنَّا كُذِّبُوا﴾ لأن «كُذِّبُوا» يقيد «الكذاب» بالمصدر، وهذه ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدرأ. وقد ذكرنا عن أبي عبيدة أن الكذاب بالتشديد والتخفيف مصدر المكاذبة. وقال أبو علي الفارسي: «الكذاب» بالتخفيف مصدر «كُذِّب»، مثل «الكتاب» مصدر «كُتِبَ».

قوله تعالى: ﴿جَزَاءً﴾ قال الزجاج: المعنى: جازاهم بذلك جزاء، وكذلك «عطاء»، لأن معنى أعطاهم وجزاهم واحد. و«جسأ» معناه: ما يكفيهم، أي: فيه كل ما يشتهون. يقال: أحسبني كذا بمعنى كفاي. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والمفضل «رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وما بينهما الرحمن» برفع الباء من «رب» والنون من «الرحمن» على معنى: هو رَبُّ السَّمَوَاتِ. وقرأ عاصم، وابن عامر بخفض الباء والنون على الصفة من «رَبِّ». وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء ورفع النون، واختار هذه القراءة الفراء، ووافقه على هذا جماعة، وعلموا بأن الرب قريب من المخفوض، والرحمن بعيد منه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَلْبِثُونَ فِيهَا إِلَّا يَوْمًا﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه، قاله ابن السائب. والثاني: لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب إلا بإذنه، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنه جند من جند الله تعالى، وليسوا بملائكة، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وقال مجاهد: هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون. والثاني: أنه ملك أعظم من السموات والجبال، والملائكة، قاله ابن مسعود، ومقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup>. وروى عطاء عن ابن عباس قال: الروح: ملك ما خلق الله أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفأً، وقامت الملائكة كلهم صفأً واحداً، فيكون عِظَمُ خَلْقِهِ مِثْلَ صَفْوَتِهِمْ. والثالث: أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تُرَدَّ إلى الأجسام، رواه عطية عن ابن عباس. والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك. والخامس: أنهم بنو آدم، قاله الحسن، وقتادة. والسادس: أنه القرآن، قاله زيد بن أسلم. والسابع: أنهم أشرف الملائكة، قاله مقاتل بن حيان<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال الشعبي: هما سماءان، سماء من الروح، وسماء من الملائكة. فعلى هذا يكون المعنى: يوم يقوم الروح صفأً، والملائكة صفأً. وقال ابن قتبية: معنى قوله تعالى: ﴿صَفًّا﴾ صفوفاً.

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يعني: الخلق كلهم ﴿إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ أَنْ يَكَلَّمَ﴾ في الكلام ﴿وَمَا كَانَ صَوَابًا﴾ أي: قال في الدنيا صواباً، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين. وقال مجاهد: قال حقاً في الدنيا، وعمل به ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ الكائن الواقع بلا شك ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ أي: مرجعاً إليه بطاعته. ثم حُزِفَ كُفَّار مكة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب الآخرة، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ يُنْظَرُ أَلَمْ تَأْتُوا بَدَاءً﴾ أي: يرى عمله مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِثَنِي كُنْتُ رَبًّا﴾ يا ليتني لم أبعث. وحكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى في بعض التفاسير أن الكافر هاهنا: إبليس، وذلك أنه عاب آدم، لأنه خُلِقَ من التراب، فتمنى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم، فقال: يا ليتني كنت تراباً<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٣٠٩/٦ من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «المعظمة»، وابن مردويه عن ابن عباس، والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى عن ابن عباس موقوفاً عليه، وذكره ابن كثير والشوكاني عن مجاهد وأبي صالح، ولعله مما تلقاه ابن عباس من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٢) روى هذا المعنى ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢٢/٣٠ عن ابن مسعود. قال ابن كثير: وهذا قول غريب جداً.

(٣) توفيق ابن جرير الطبري فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، وقال ابن كثير: والأشبه عدي - والله أعلم - أنهم بنو آدم.

(٤) والصحيح أنها عامة في كل كافر، وإبليس داخل بطريق الأولى.

## سورة النازعات

### مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرَا﴾ ① ﴿وَالنَّاسِطَاتُ نَسَا﴾ ② ﴿وَالشَّاعِلَاتُ شَا﴾ ③ ﴿فَالْمُدَبِّرَاتُ أَسْرَا﴾ ④ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاسِفَةُ﴾ ⑤ ﴿تَنْبَعْثُ الرَّاكِبَةُ﴾ ⑥ ﴿تُلَوِّبُ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةً﴾ ⑦ ﴿أَتَمْسِكُهَا عْشِمَةً﴾ ⑧ ﴿يَقُولُونَ لَوْ أَنَّا لَمَرَدُّوهُمْ فِي لَمَفَزَةٍ﴾ ⑨ ﴿أَوَدَا كُنَّا عَطَلًا خَيْرَةً﴾ ⑩ ﴿أَلَا نَأْتِيكَ إِذَا كُنتَ خَائِرَةً﴾ ⑪ ﴿فَلَمَّا هِيَ بَرْجَةٌ كِيدَةً﴾ ⑫ ﴿فَلَمَّا هِيَ بَلَّاسَةٌ﴾ ⑬ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتُ﴾ فيه سبعة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تنزع أزواج الكفار، قاله علي، وابن مسعود. وروى عطية عن ابن عباس قال: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم، وبه قال مسروق. والثاني: أنه الموت ينزع النفوس، قاله مجاهد. والثالث: أنها النفس حين تنزع، قاله السدي. والرابع: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب، قاله الحسن، وقتادة، وأبو عبيدة، والأخفش، وابن كيسان. والخامس: أنها القيسي تنزع بالسهم، قاله عطاء، وعكرمة. والسادس: أنها الوحوش تنزع وتفر، حكاه الماوردي. والسابع: أنها الرماة، حكاه الثعلبي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿غَرَا﴾ اسم أقيم مقام الإغراق. قال ابن قتبية: والمعنى: والنازعات إغراقاً، كما يغرق النازع في القوس، يعني: أنه يبلغ به غاية المد.

قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِطَاتُ نَسَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة<sup>(٢)</sup>. ثم في معنى الكلام قولان: أحدهما: أنها حين تنشط أرواح الكفار حتى تخرجها بالكرب والغم، قاله علي عليه السلام. قال مقاتل: ينزع ملك الموت روح الكافر، فإذا بلغت ترقوته غرقها في حلقه، فيعذبه في حياته، ثم ينشطها من حلقه - أي: يجذبها - كما ينشط السفود من الصوف المبتل. والثاني: أنها تنشط أرواح المؤمنين بسرعة، كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنها، قاله ابن عباس. وقال الفراء: الذي سمعته من العرب: كما أنشط من عقال بالف. تقول: إذا ربطت الحبل في يد البعير: نشطته، فإذا حللته قلت: أنشطته. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً. وبينا أن المؤمن يرى منزله من الجنة قبل الموت فتنشط نفسه لذلك. والثالث: أن الناشطات: الموت ينشط نفوس الإنسان، قاله مجاهد. والرابع: النجوم تنشط من أفق إلى أفق، أي: تذهب، قاله قتادة، وأبو عبيدة، والأخفش. ويقال لبقرة الوحش: نواشط، لأنها تذهب من موضع إلى موضع. قال أبو عبيدة: والهموم تنشط بصاحبها. قال هيمان بن قحافة:

أَمْسَتْ مُسُومِي تَنْشِطُ الْمَنَاشِطَا

الشَّامُ بِي طُوراً وَطُوراً وَاسْطَا<sup>(٣)</sup>

والخامس: أنها النفس حين تنشط بالموت، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّاعِلَاتُ شَا﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، قاله علي عليه السلام. قال ابن السائب: يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء. فأحياناً ينغمس، وأحياناً يرتفع، يسألونها سلاً رفيقاً،

(١) ذكر ابن كثير أن الصحيح في قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتُ غَرَا﴾: الملائكة، قال: يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرقه في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة، وكأنما حله من نشاط، وهو قوله: ﴿وَالنَّاسِطَاتُ نَسَا﴾.

(٢) وهو الأقرب.

(٣) البيت في «اللسان»: نشط، لهيمان بن قحافة، راجز إسلامي. وهو في «مجاز القرآن» ٢/ ٢٨٤، والطبري ٣٠/ ٢٩، والقرطبي ١٩/ ١٩٠، وأرواح المعاني ٣٠/ ٢٤، ومعنى البيت: يقول: صارت همومي تنقلني من بلد إلى بلد، فمرة إلى الشام، ومرة إلى واسط.

ثم يَدْعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ. والثاني: أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال للفرس الجواد: سابح: إذا أسرع في جريه، قاله مجاهد، وأبو صالح، والفراء. والثالث: أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها السفن تسبح في الماء، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم، والشمس، والقمر، كل في فلك يسبحون، قاله قتادة، وأبو عبيدة. والسادس: أنها الخيل، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَيْنَا سَبْقًا﴾<sup>(٢)</sup> فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، قاله علي، ومسروق. والثاني: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد، وأبو رزق. والثالث: أنها سبقت بني آدم إلى الإيمان، قاله الحسن. والقول الثاني: أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله، فيقبضونها وقد عاينت السرور، قاله ابن مسعود. والثالث: أنه الموت يسبق إلى النفوس، روي عن مجاهد أيضاً. والرابع: أنها الخيل، قاله عطاء. والخامس: أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: هي الملائكة. قال عطاء: وكُلْتُ بأمور عَرَفَهُمُ الله العمل بها. وقال عبد الرحمن بن سابط: يُدَبِّرُ أمر الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وهو موكل بالرياح والجنود. وميكائيل، وهو موكل بالقطر والنبات. وملاك الموت، وهو موكل بقبض الأنفس. وإسرافيل، وهو ينزل بالأمر عليهم. وقيل: بل جبريل للوحي، وإسرافيل للصور. وقال ابن قتيبة: فالمدبرات أمراً: تنزل بالحلال والحرام. فإن قيل: أين جواب هذه الأقسام؟ فعمته جوابان: أحدهما: أن الجواب قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن يَتَفَكَّرُ﴾<sup>(٤)</sup>، قاله مقاتل. والثاني: أن الجواب مضمرة، تقديره: لَتَبْعَثُنَّ، وَلَتَحَاسِبُنَّ، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿أَوَلَا كُنَّا عَظَمَاءَ مِثْرَةَ﴾<sup>(٥)</sup> قاله الفراء.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُجُّ الرُّجُفُ﴾<sup>(٦)</sup>، وهي النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلائق. والراجفة: صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمحض. وترجف: بمعنى: تتحرك حركة شديدة ﴿تَتَعَمَّ الرُّادِفَةُ﴾<sup>(٧)</sup> وهي: النفخة الثانية ردت الأولى، أي: جاءت بعدها. وكل شيء جاء بعد شيء فهو يردفه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أحوال القيامة، ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾<sup>(٩)</sup> أي: ذليلة لمعاينة النار. قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام. ويدل على هذا أنه ذكر منكري البعث، فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَأَنَّا لَمُرُدُّونَ فِي لُكَاثِرِهِ﴾<sup>(١٠)</sup> قرأ ابن عامر وأهل الكوفة «أنا» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتلين الثانية، وفصل بينهما بألف نافع وأبو عمرو. وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أن الحافرة: الحياة بعد الموت. فالمعنى: أنرجح أحياء بعد موتنا؟! وهذا قول ابن عباس، وعطية، والسدي. قال الفراء: يعنون: أنرُدُّ إلى أمرنا الأول إلى الحياة؟! والعرب تقول: أتيت فلاناً، ثم رجعت على حافرتي، أي: رجعت من حيث جئت. قال أبو عبيدة: يقال: رجع فلان في حافرتي، وعلى حافرتي: إذا رجع من حيث جاء، وهذا قول الزجاج. والثاني: أنها الأرض التي تحفر فيها قبورهم، فسُمِّيت حافرةً، والمعنى: محفورة، كما يقال: ﴿هَلْوَ دَائِي﴾ [الطارق: ٦]، و﴿يَسِيرُ دَائِي﴾ [الحاقة: ٢١] وهذا قول مجاهد والخليل. فيكون المعنى: أننا لمروددون إلى الأرض خلقاً جديداً؟! قال ابن قتيبة: «في الحافرة» أي: إلى أول أمرنا. ومن فسرها بالأرض، فإلى هذا يذهب، لأننا منها بُدِّئْنَا. قال الشاعر:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَاحٍ وَشَيْبٍ مَعَادُ اللَّوْ مِنْ سَقْوٍ وَعَارٍ<sup>(١١)</sup>

[كانه قال: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبأ<sup>(١٢)</sup> بعد ما شَيْبْتُ وَصَلَعْتُ؟] والثالث: أن الحافرة: النار، قاله ابن زيد<sup>(١٣)</sup>.

(١) والقول الأول أقرب إلى الصواب. (٢) في الأصل: «في»، والتصحيح من «غريب القرآن».

(٣) البيت في «غريب القرآن» ٥١٣، والطبري ٣٣/٣٠، والقرطبي ١٩/١٩٥، وهو في «اللسان»: حفر، قال: وأنشد ابن الأعرابي... فذكره.

(٤) في الأصل: أرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من القول في الصبا. والتصحيح من «لسان العرب».

(٥) زيادة من «اللسان». (٦) ما بين المعقوفين زيادة من النسخة الإستانبولية.

(٢) قال ابن كثير: ﴿لَقَدْ أَتَى الْكَلْبُ الْكَلْبَ وَالْأَرَّةَ﴾ ﴿١﴾ أي: انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتعدين في الدنيا، ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ يُنْفَخُ الْفُؤَادُ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَسَنُكَلِّمُهُمْ أَبْهَةً يُعْذَرُونَ إِلَّا الْكَافِرَ وَيَوْمَ الْيُنْفَخُ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ قال: وهذا الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: ﴿كَلَّالَ الْكَلْبِ وَالْأَرَّةَ﴾ أي الدنيا والآخرة.



السماء، فيكون المعنى: أم السماء التي بناها. وقال قوم: السماء ليس مما توصل، ولكن المعنى: ألتئم أشد خلقاً، أم السماء أشد خلقاً؟ ثم يبين كيف خلقها، فقال تعالى: ﴿بَنَيْنَا﴾ قال المفسرون: أَخْلَقْنَاكُمْ بعد الموت أشد عندكم، أم السماء في تقديركم؟ وهما في قدرة الله واحد. ومعنى: «بناها» رفعها. وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناء. ومعنى: ﴿رَفَعْنَا سَنَكُمَا﴾ رفع ارتفاعها وعلوها في الهواء ﴿سَنَوْنَهَا﴾ بلا شقوق، ولا فطور، ولا تفاوت، يرتفع فيه بعضها على بعض ﴿وَأَغْطَيْنَا لَيْلَهَا﴾ أي: أظلمه فجعله مظلماً. قال الزجاج: يقال: غطش الليل وأغطش، وغبش وأغبش، وغسق وأغسق، وغشي وأغشى، كله بمعنى أظلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا﴾ أي: أبرز نهارها. والمعنى: أظهر نورها بالشمس. وإنما أضاف النور والظلمة إلى السماء لأنهما عنها يصدران ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾ أي: بسطها. وبعض من يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء يزعم أن «بعد» هاهنا بمعنى «قبل»، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وبعضهم يقول: هي بمعنى «مع»؛ كقوله تعالى: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْبُهُ﴾ [القم: ١١٣]، ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء، ثم دحيت بعد كمال السماء، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص. وقد أشرنا إلى هذا الخلاف في [البقرة: ٢٩] <sup>(١)</sup>. ونصبت الأرض بمضمر تفسيره قوله تعالى: ﴿دَحَاهَا﴾. ﴿أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَاءَهَا﴾ أي: فُجِّرَ العيون منها ﴿وَوَضَعْنَاهَا﴾ وهو ما يأكله الناس والأنعام، ﴿وَالْيَبَالَ أَرْسَلْنَا﴾ قال الزجاج: أي: أثبتنا ﴿مِنْهَا لَكُمُ﴾ أي: للإمتاع، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاه: أمتع بذلك. وقال ابن قتيبة: ﴿مِنْهَا لَكُمُ﴾ أي: منفعة لكم].

﴿فَإِذَا جَاءَ الظِّلُّ الظُّلُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿وَوُزِنَتْ الْمِيزَانُ لِمَنْ رَى﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ﴿وَوَآثَرَ الْمَكْرَءَ الدُّنْيَا﴾ ﴿فَإِنَّ الْمِيزَانَ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوْكِ﴾ ﴿فَإِنَّ الْمِيزَانَ مِنَ النَّارِ﴾ ﴿يَتَلَوَّكُ عَنِ السَّاعَةِ إِيَّانَ مَرْسَلَهَا﴾ ﴿يَمِ أَمَّ يَنْ يَكْرَهُهَا﴾ ﴿إِلَّا رَيْكُ مَسْجِدِهَا﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَحْشَسْهَا﴾ ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُوزَنُ أَنْ يَبْتَئُوا إِلَّا غِيَّةً أَوْ حَصْبًا﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الظِّلُّ الظُّلُّ الْكَبِيرُ﴾ والطامة: الحادثة التي تطم على ما سواها، أي: تملو فوقه. وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: النفخة الثانية التي فيها البعث. والثاني: أنها حين يقال لأهل النار: قوموا إلى النار. والثالث: أنها حين يساق أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار.

قوله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ أي: ما عمل من خير وشر ﴿وَوُزِنَتْ الْمِيزَانُ لِمَنْ رَى﴾ أي: لأبصار الناظرين. قال مقاتل: يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق. وقرأ أبو مجلز، وابن السميع: «لمن ترى» بالتاء. وقرأ ابن عباس، ومعاذ القارئ «لمن رأى» بهزمة بين الراء والالف.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ في كفه ﴿وَوَآثَرَ الْمَكْرَءَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ الْمِيزَانَ مِنَ النَّارِ﴾ قال الزجاج: أي هي المأوى له. وهذا جواب ﴿فَإِذَا جَاءَ الظِّلُّ الظُّلُّ الْكَبِيرُ﴾ فإن الأمر كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قد ذكرناه في سورة [الرحمن: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْفَوْكِ﴾ أي: عما تهوى من المحارم. قال مقاتل: هو الرجل يهْمُ بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب، فيتركها.

قوله تعالى: ﴿يَتَلَوَّكُ عَنِ السَّاعَةِ إِيَّانَ مَرْسَلَهَا﴾ قد سبق في [الأعراف: ١٨٧] ﴿يَمِ أَمَّ يَنْ يَكْرَهُهَا﴾ أي: لست في شيء من علمها وذميرها. والمعنى: إنك لا تعلمها ﴿إِلَّا رَيْكُ مَسْجِدِهَا﴾ أي: منتهى علمها ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَحْشَسْهَا﴾ وقرأ أبو جعفر «منذر» بالتونين. ومعنى الكلام: إنما أنت مُحَوِّفٌ من يخافها. والمعنى: إنما ينفع إنذارك من يخافها، وهو المؤمن بها. وأما من لا يخافها فكانه لم يَنْذَرْ ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُوزَنُ﴾ أي: يعاينون القيامة ﴿لَنْ يَبْتَئُوا﴾ في الدنيا. وقيل: في قبورهم ﴿إِلَّا غِيَّةً أَوْ حَصْبًا﴾ أي: قَدَّرَ آخر النهار من بعد العصر، أو أَوَّلَهُ إلى أن

(١) قال ابن كثير ٩٢/٤: أما خلق الأرض، فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس رحمهما فيما ذكره البخاري. انظر «صحيح البخاري» ٤٢٧/٨، ٤٢٨. ثم قال ابن كثير ٤٦٨/٤: ولكن إنما دحيت الأرض بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، قال: وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد، واختاره ابن جرير.

ترتفع الشمس. قال الزجاج: والهاء والألف في «ضحاهما» عائدان<sup>(١)</sup> إلى العشية. والمعنى: إلا عشية، أو ضحى العشية. قال الفراء: فإن قيل: للعشية ضحى، إنما الضحى لصدر النهار؟ فالجواب: أن هذا ظاهر في كلام العرب أن يقولوا: آتاك العشية، أو غداًتها، أو آتاك الغداة، أو عَشِيَّتْها، فتكون العشية في معنى «آخر»، والغداة في معنى «أول». أنشدني بعض بني عقيل:

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً فِي دَارِهَا      عَشِيَّةَ الْهَلَالِ أَوْ سِرَارِهَا<sup>(٢)</sup>  
أراد: عشية الهلال، أو عشية سرار العشية، فهذا أشد من قولهم: آتاك الغداة أو عشيته.



(١) في الأصل: عائد.

(٢) البيت لبعض بني عقيل، أنشده الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٧ عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِيشَةَ أَرْسَلْنَا﴾ وهو في الطبري ٥٠/٣٠، والقرطبي ٢٠٨/١٩.

## سورة عبس

### مكية كلها بإجماعهم

#### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّكَ تَبْصَى ۝٣ أَمْ يَلْمُكَ فَنَفَعَهُ الْذِكْرُ ۝٤ إِنَّا مِنْ أَسْتَفْهِ ۝٥ فَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْحَمُ ۝٧ وَإِنَّا مِنْ جَاءِكَ بِبَصَرٍ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأَنْتَ عَنْتَ لِلَّهِ ۝١٠ كَلَّا إِنَّا نَذْكُرُ ۝١١ فَنَنْشَأُ ذِكْرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ تَرْفَعُهُمْ فَطَّرَفَهُمْ ۝١٤ إِنَّا بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١﴾ قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وأمياً وأبياً ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشغل بكلام غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات، فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك، ويقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»<sup>(١)</sup>. وذهب قوم، منهم مقاتل، إلى أنه إنما جاء ليؤمن، فأعرض عنه النبي ﷺ اشتغالا بالرؤساء، فنزلت فيه هذه الآيات. ومعنى ﴿عَبَسَ﴾ قَلَبَ وَكَلَحَ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ بوجهه ﴿أَنْ جَاءَهُ﴾ أي: لأن جاءه. وقرأ أبي بن كعب، والحسن، وأبو المتوكل، وأبو عمران، «أَنْ جَاءَهُ» بهمزة واحدة مفتوحة ممدودة. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع «أَنْ» بهمزتين مقصورتين مفتوحتين. و﴿الْأَعْمَى﴾ هو ابن أم مكتوم، واسمه عمرو بن قيس. وقيل: اسمه عبد الله بن عمرو ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّكَ تَبْصَى﴾ أي: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وما يتعلمه منك. وقال مقاتل: لعله يؤمن ﴿أَمْ يَلْمُكَ﴾ أي: يتعظ بما يتعلمه من مواظب القرآن ﴿فَنَفَعَهُ الْذِكْرُ﴾ قرأ حفص عن عاصم «فتنفعه» بفتح العين، والباقون برفعها. قال الزجاج: من نصب، فعلى جواب «لعل»، ومن رفع، فعلى العطف على «يَرْحَمُ».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنْ أَسْتَفْهِ ۝٥﴾ قال ابن عباس: استغنى عن الله وعن الإيمان بماله. قال مجاهد: ﴿إِنَّا مِنْ أَسْتَفْهِ﴾: عتبة، وشيبة، ﴿فَأَنْتَ لَمْ تَعْلَمْ ۝٦﴾: قرأ ابن كثير، ونافع «تَصْدَى» بتشديد الصاد. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «تَصْدَى» بفتح التاء، والصاد وتخفيفها، وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وعمرو بن دينار: «تَتَصْدَى» بتاءين مع تخفيف الصاد. قال الزجاج: الأصل: تصدى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين. ومن قرأ «تَصْدَى» بإدغام التاء، فالمعنى أيضاً: تصدى، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب مخرج التاء من الصاد. قال ابن عباس: «تَصْدَى» تقبل عليه بوجهك. وقال ابن قتيبة: تتعرض<sup>(٢)</sup>. وقرأ ابن مسعود، وابن السميع، والجدري: «تُصْدَى» بتاء واحدة مضمومة، وتخفيف الصاد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْحَمُ ۝٧﴾ فيه قولان: أحدهما: يمشي. والثاني: يعمل في الخير، وهو ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَى ۝٩﴾ الله ﴿فَأَنْتَ عَنْتَ لِلَّهِ ۝١٠﴾ وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، وأبو الجوزاء «تلهي» بتاءين. وقرأ أبي بن

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٣ بغير سند، وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» ١٨١: ذكره الثعلبي بلا إسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه. وأخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن حبان عن عائشة قالت: أنزلت سورة «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقول على الآخر، ويقول: أتري بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت.

(٢) وفي «غريب القرآن»: تعرض.

كعب، وابن السميع، والجحدري: «تُلْهَى» بئاء واحدة خفيفة مرفوعة. قال الزجاج: أي: تشاغل عنه. يقال: لهيت عن الشيء ألهى عنه: إذا تشاغل عنه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا أَي: لا تفعل ذلك. ﴿إِنِّي﴾ في المكني عنها قولان: أحدهما: آيات القرآن، قاله مقاتل. والثاني: هذه السورة، قاله الفراء. «والتذكرة» بمعنى التذكير ﴿فَنَ شَأْ ذَكَرُ﴾ مفسر في آخر [المدر: ٥٥]. ثم أخبر بجلالة القرآن عنده، فقال تعالى: ﴿فِي حُصْنٍ مَّكِينٍ﴾ أي: هو في حصن، أي: في كتب مكرمة، وفيها قولان: أحدهما: أنها اللوح المحفوظ، قاله مقاتل. والثاني: كتب الأنبياء، ذكره الثعلبي. فعلى هذا يكون معنى «مرفوعة»: عالية القدر. وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء. وفي معنى «المطهرة» أربعة أقوال: أحدها: مطهرة من أن تنزل على المشركين، قاله الحسن. والثاني: مطهرة من الشرك والكفر، قاله مقاتل. والثالث: لأنه لا يمسها إلا المطهرون، قاله الفراء. والرابع: مطهرة من الدنس، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِي سَرَّوُ﴾ فيهم قولان: أحدهما: أنهم الملائكة، قاله الجمهور. والثاني: أصحاب محمد ﷺ، قاله وهب بن منبه. وفي معنى «سَرَّوُ» ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم الكتبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج. قال الزجاج: واحدهم: سافر، وسفرة، مثل كاتب، وكتبة، وكافر، وكفرة. وإنما قيل للكتاب: سفر، وللكتاب: سافر، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه. يقال: أسفر الصبح: إذا أضاء. وسفرت المرأة: إذا كشفت النقاب عن وجهها. ومنه: سفرت بين القوم، أي: كشفت ما في قلب هذا، وقلب هذا، لأصلح بينهم. والثاني: أنهم القراء، قاله قتادة. والثالث: أنهم السفراء، وهم المصلحون. قال الفراء: تقول العرب: سفرت بين القوم، أي: أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى الله، كالسفير الذي يصلح بين القوم. قال الشاعر:

وَمَا أَدْعُ السُّفْرَةَ بِسِنِّ قُزُومِي وَمَا أُمَشِّي بِخِشِّ إِنْ مَشَيْتُ<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿كَرِّمَ﴾ أي: على ربهم ﴿رَبِّرَ﴾ أي: مطيعين. قال الفراء: واحد «البررة» في قياس العربية: بَارٌّ، لأن العرب لا تقول: فَعَلَهُ يَتَوَنُّ به الجمع إلا والواحد منه فاعل، مثل كافر، وكفرة، وفاجر، وفجرة.

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ﴾ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ خَلَقَهُ ﴿بَنَ تُلْفَتَهُ خَلَقَهُ فَقَدَّرُ﴾ ثُمَّ الْبَيْتُ يَسْرُ ثُمَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُ﴾ كَلَّا لَنَا يَفُوزَ مَا أَمَرُ ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَائِفِهِ﴾ أَنَا سَيِّدُ آلَهِمَا ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَا﴾ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جِبَا ﴿وَعَبَا وَفَعَا﴾ وَزَيَّنَّا وَفَعَلَا ﴿وَسَدَّيْنِ عَلَا﴾ وَكَلِمَةً وَأَنَا ﴿نَسْنَا لَكَ وَلِأَخِيكَ﴾

قوله تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾ أي: لعن. والمراد بالإنسان هاهنا: الكافر. وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أشار إلى كل كافر، قاله مجاهد. والثاني: أنه أمية بن خلف، قاله الضحاك. والثالث: عتبة بن أبي لهب، قاله مقاتل. وفي قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرُ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ما أشد كفرة، قاله ابن جريج. والثاني: أي شيء أكفره؟ قاله السدي. فعلى هذا يكون استفهام توبيخ. الثالث: أنه على وجه التعجب، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون، والمعنى: اعجبوا أنتم من كفرة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿بَنَ أَيِّ قَوْمٍ خَلَقَهُ﴾ ثم فسره فقال تعالى: ﴿بَنَ تُلْفَتَهُ خَلَقَهُ﴾. وفي معنى «فَقَدَّرُ» ثلاثة أقوال: أحدها: قدر أعضائه: رأسه، وعينه، ويديه، ورجليه، قاله ابن السائب. والثاني: قدره أطواراً: نقطة، ثم علقه، إلى آخر خلقه، قاله مقاتل. والثالث: فقدره على الاستواء، قاله الزجاج. ﴿ثُمَّ الْبَيْتُ يَسْرُ﴾ فيه قولان: أحدهما: سهل له العلم بطريق الحق والباطل، قاله الحسن، ومجاهد. قال الفراء: والمعنى: ثم يسره للسبيل. والثاني: يسر له السبيل في خروجه من بطن أمه، قاله السدي، وقاتل<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَاتِلُهُ﴾ قال الفراء: أي جعله مقبوراً، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير، فكان القبر مما أكرم به المسلم. ولم يقل: قبره؛ لأن القابر هو الدافن بيده. والمُقْبِرُ الله، لأنه صيّرهُ مقبوراً، فليس فعله كفعل الآدمي.

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» ٣٥٨، وفي «اللسان»: سفر، وهو في الطبري ٥٤/٣٠، والقرطبي ٢١٤/١٩، وابن كثير ٤٧١/٤.

(٢) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وغيره.



والعرب تقول: بَثَرْتُ ذَنْبَ البعير، والله أْبَرَهُ. وَعَضَبْتُ قَرْنَ الثور، والله أَغْضَبَهُ. وطردتُ فلاناً عني، والله أطرده، أي: صَبْرَهُ طريداً. وقال أبو عبيدة: أَقْبَرَهُ: أي أمر أن يقبر، وجعل له قبراً. قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمن: أَقْبَرْنَا صالِحاً، فقال: دونكموه. والذي يدفن بيده هو القابر. قال الأعشى:

لَوْ أَشْنَدْتُ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُسَلِّمْ إِلَى قَاصِرٍ<sup>(١)</sup>  
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّا أَنَا أَنشَرْنَاهُ﴾<sup>(٢)</sup> أي: بعثه. يقال: أنشر الله الموتى، فَنَشَرُوا، ونَشَرَ المِيتَ: حَيَّيْ [هوَ] بِنَفْسِهِ، وواحدهم نَاشِر. قال الأعشى:

حَتَّى يَسْأَلَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَباً لِمَ يَتِ النَّاشِرُ<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى: ﴿لَا﴾ قال الحسن: حقاً ﴿لَنَا يَقِي مَا أَرَى﴾ به ربه، ولم يؤد ما فرض عليه. وهل هذا عام، أم خاص؟ فيه قولان: أحدهما: أنه عام. قال مجاهد: لا يقضي أحد أبداً كُلُّ ما افترض الله عليه<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه خاص للكافر لم يقض ما أُمِرَ به من الإيمان والطاعة، قاله يحيى بن سلام. ولما ذَكَرَ خَلْقَ ابن آدم، ذكر رزقه ليعتبر وليستدل بالنبات على البعث، فقال تعالى: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(٥)</sup> قال مقاتل: يعني به عتبة بن أبي لهب. ومعنى الكلام: فلينظر الإنسان كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته؟ ثم بين فقال تعالى: ﴿إِنَّا قَرَأْنَا ابْنَ كَثِيرٍ، وَنَافِعَ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ إِنَّا بِالْكَسْرِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيَّ﴾<sup>(٦)</sup> بفتح الهمزة في الوصل وفي الابتداء، ووافقهم رويس على فتحها في الوصل، فإذا ابتداء كسر. قال الزجاج: من كسر «إِنَّا» فعلى الابتداء والامتناف، ومن فتح، فعلى البدل من الطعام، المعنى: فلينظر الإنسان أنا صبينا. قال المفسرون: أراد بصب الماء: المطر ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَنْفُسَ﴾<sup>(٧)</sup> بالنبات ﴿ثُمَّ﴾<sup>(٨)</sup> فإِنَّكَ يَبَا عَجَباً يعني به جميع الحبوب التي يُتَعَلَّى بها ﴿وَعَبَا وَقَفَا﴾<sup>(٩)</sup> قال الفراء: هو الرُّطْبَةُ. وأهل مكة يسمون القُتَّ: القُضْبُ<sup>(١٠)</sup>. قال ابن قتيبة: ويقال: إنه سمي بذلك، لأنه يُقَضَّبُ مرة بعد مرة، أي: يقطع، وكذلك القَصِيلُ، لأنه يُفْضَلُ، أي: يقطع.

قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا وَلَدَكَ﴾<sup>(١١)</sup> وَدَاوُدَ عَلَيْهِ قَالَ الفراء: كل بستان كان عليه حائط، فهو حديقة، وما لم يكن عليه حائط لم يقل: حديقة. والغُلْبُ: ما غلظ من النخل. قال أبو عبيدة: يقال: شجرة غُلْبَاء: إذا كانت غليظة. وقال ابن قتيبة: الغُلْبُ: الغِلَاطُ الأعناق. وقال الزجاج: هي المتكاثفة، العظام.

قوله تعالى: ﴿وَنَكَّبَهُ﴾<sup>(١٢)</sup> يعني: ألوان الفاكهة ﴿وَأَبَا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ما ترعاه البهائم، قاله ابن عباس، وعكرمة، واللغوَيُون. وقال الزجاج: هو جميع الكلال التي تعتلفه الماشية. والثاني: أنه الثمار الرطبة، رواه الوالبي عن ابن عباس<sup>(١٣)</sup>. ﴿ثُمَّ لَوْ لَا تَشْكُرُ﴾<sup>(١٤)</sup> قد بيَّناه في السورة التي قبلها [النازعات: ٣٣].

(١) البيت للأعشى الكبير يميون بن قيس، «ديوانه» ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في المناقرة التي جرت بينهما، وهو في «مجاز القرآن» ٢٨٦/٢، والطبري ٥٦/٣٠، والقرطبي ٢١٧/١٩. ورواية البيت فيها: عاش ولم يُقَلَّ إلى قابر.

(٢) هو أيضاً للأعشى الكبير من القصيدة نفسها ١٤١، وبعد البيت السابق بلا فاصل بينهما، وهو في «مجاز القرآن» لأبي عبيد ٢٨٦/٢، والطبري ١٠/٥٦، والقرطبي ٢١٧/١٩.

(٣) قال ابن كثير: وحكاها البغوي عن الحسن البصري بنحو هذا من هذا، قال: ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا، والذي يقع لي في معنى ذلك - والله أعلم - أن المعنى: ﴿ثُمَّ إِنَّا أَنَا أَنشَرْنَاهُ﴾ أي: بعثه ﴿لَنَا يَقِي مَا أَرَى﴾ أي: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرح القدر من بني آدم ممن كتب الله أن يسجد منهم ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كوناً وقدرأ، فإذا تاهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

(٤) القُضْبُ: الرُّطْبَةُ، ويقال لها: القُضْبُ، وهي التي تأكلها الدواب رُطْبَةً، ويقال لها: القُتُّ أيضاً، وكلها بمعنى واحد.

(٥) وما ورد من أن أبا بكر الصديق عليه السلام سئل عن قوله تعالى: ﴿وَنَكَّبَهُ﴾ قال: أي سماء تظليني وأني أرض تظليني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم، فقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن»، من رواية محمد بن زيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي عن أبي بكر عليه السلام، وهو منقطع بين إبراهيم التيمي وبين أبي بكر عليه السلام. وقد روى ابن جرير قال: حدثنا بشار، حدثنا ابن أبي عدي، حدثنا حميد، عن أنس قال: قرأ عمر بن الخطاب عليه السلام ﴿يَسْأَلُ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا﴾ حتى أتى على هذه الآية ﴿وَنَكَّبَهُ﴾ قال: قد عرفنا ما الفاكهة فما الأب؟ فقال: لمعرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى عمر بن الخطاب عليه السلام، وقد رواه غير واحد عن أنس به، ولكن هذا محمول على أن أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وألا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿فَالْيَا يَبَا عَجَباً﴾<sup>(١٥)</sup> وَيَا عَجَباً<sup>(١٦)</sup> وَزَيَّنَّا وَلَدَكَ<sup>(١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٧٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٨٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٩٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٠٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٢٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٣٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٤٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٥٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٦٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٧٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٨٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(١٩٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٠٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٢٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٣٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٤٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٥٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٦٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٧٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٨٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٢٩٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٠٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٢٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٣٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٤٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٥٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٦٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٧٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٨٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٣٩٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٠٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٢٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٣٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٤٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٥٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٦٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٧٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٨٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٤٩٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٠٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٢٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٣٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٤٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٥٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٦٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٧٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٨٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٥٩٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٠٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٤)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٥)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٦)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٧)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٨)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦١٩)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٢٠)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٢١)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٢٢)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٢٣)</sup> وَنَكَّبَهُ<sup>(٦٢٤)</sup> وَنَك

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۖ يَوْمَ يَرَى الْكَثْرُ مِنْ أُخِيهِ ۖ وَأُخِيهِ وَأُخِيهِ ۖ وَصَحْبِهِ وَنَسَبِهِ ۖ لَكُلِّ أَتْرَفٍ يَنْتَهِي يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ ۖ وَجُودٌ يُؤْمِلُ مُتَشِيرَةً ۖ عَاجِلَةً مُتَشِيرَةً ۖ وَجُودٌ يُؤْمِلُ عَلَيْهِ عَرَفَةٌ ۖ تَرْفَعُهَا نَذْرَةٌ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَثَرَةُ الْغَنِيُّ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ﴾ وهي الصلوة الثانية. قال ابن قتبية: الصاخة تصبُحُ صَحَاً، أي: تُصِمُّ. يقال: رجل أصخ، وأصلخ: إذا كان لا يسمع. والداهية صاخة أيضاً. وقال الزجاج: هي الصلوة التي تكون عليها القيامة، تصبُحُ الأسماع، أي: تصمتها، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها. ثم فسّر في أي وقت تجيء، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَى الْكَثْرُ مِنْ أُخِيهِ﴾ قال المفسرون: المعنى: لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه، لِعِظَمِ ما هو فيه. قال الحسن: أول من يؤرّ من أخيه هابيل، ومن أمّه وأبيه إبراهيم، ومن صاحبه نوح ولوط، ومن ابنه نوح. وقال قتادة: يفر هابيل من قابيل، والنبي ﷺ من أمّه، وإبراهيم من أبيه، ولوط من صاحبه، ونوح من ابنه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَكُلِّ أَتْرَفٍ يَنْتَهِي يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ﴾ قال الفراء: أي: يَشْغَلُهُ عن قرابته. وقال ابن قتبية: أي: يَضْرِفُهُ ويصُدُّه عن قرابته، يقال: أغنى عني وجهك، أي: أصرفه، وأغن عني السفه. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، وأبو العالية، وابن السميع، وابن محيصن، وابن أبي عتبة «يعنيه» بفتح الياء والعين غير معجمة. قال الزجاج: معنى الآية: له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره. وكذلك قراءة من قرأ «يعنيه» بالعين، معناه: له شأن لا يهمه معه غيره. وقد روى أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي ﷺ: أنحشر عراة؟ قال: نعم. قالت: وأسوءتاه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَكُلِّ أَتْرَفٍ يَنْتَهِي يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ مُتَشِيرَةً ۖ﴾ أي: مضية قد علمت ما لها من الخير ﴿عَاجِلَةً﴾ لسرورها ﴿مُتَشِيرَةً﴾ أي: فرحة بما نالها من كرامة الله ﷻ. ﴿وَجُودٌ يُؤْمِلُ عَلَيْهِ عَرَفَةٌ ۖ﴾ أي: غبار. وقال مقاتل: أي: سواد وكآبة ﴿تَرْفَعُهَا﴾ أي: تنفشاها ﴿نَذْرَةٌ﴾ أي: ظُلْمَةٌ. وقال الزجاج: يعلوها سواد كالدخان. ثم بيّن من أهل هذه الحال، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَثَرَةُ الْغَنِيُّ ۖ﴾ وهو جمع كافر وفاجر.



(١) والصحيح أن الآية عامة. قال الخازن: وفائدة الترتيب: كأنه قيل: يوم يفر المرء من أخيه، بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة، بل من الصاحبة والولد، لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين. قال ابن كثير: يراهم ويفرّ منهم، لأن الهول عظيم، والخطب جليل. ثم قال: وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني.

(٢) رواه بنحوه الطبري ٦١/٣٠ من رواية الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس، ورواه ابن أبي حاتم من رواية أضر بن حاتم عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح به، وعائذ بن شريح، قال أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعليل»: في حديثه ضعف. وروى الترمذي في «سننه» ١٦٨/٢ عن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: «تحتشرون حفاة عراة غرلاء» فقالت امرأة: أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة ﴿لَكُلِّ أَتْرَفٍ يَنْتَهِي يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنَبِّئُ﴾ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن ابن عباس. وروى مسلم في «صحيحه» ٤/٢١٩٤ عن عائشة ؓ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاء» (غير مختونين)، قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

## سورة التكوير

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّزِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الْصُّفُوفُ نُظِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُفِّرَتْ ⑪ وَإِذَا الْحِجَابُ بُدِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْكَلْبَةُ أَرْلَتْ ⑬ عَمِلَتْ قَسْرًا لَعَنَتْ ⑭﴾

روى أبو عبد الله الحاكم في «صحيحه» من حديث عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾»<sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ ①﴾ أربعة أقوال: أحدها: أظلمت، رواه الوالي عن ابن عباس، وكذلك قال الفراء، ذهب ضوؤها، وهذا قول قتادة، ومقاتل. والثاني: دُفِيت، رواه عطية عن ابن عباس، وكذلك قال مجاهد: اضمحلَّت. والثالث: غُوِّرَتْ، روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبيرة وابن الأنباري، وهذا من قول الناس بالفارسية: كُورِبَكَرد<sup>(٢)</sup>. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: هو بالفارسية كُورِيوز. والرابع: أنها تُكُوِّرُ مثل تكوير العمامة، فتلَفُ وتحمى، قاله أبو عبيد. قال الزجاج: ومعنى «كُوِّرَتْ» جمع ضوؤها، وَلُفَّتْ كما تلف العمامة. ويقال: كُوِّرَتْ العمامة على رأسي أكوِّرها: إذا لَفَفْتَهَا. قال المفسرون: تُجمع الشمس بعضها إلى بعض، ثم تُلَفُّ ويرمى بها في البحر. وقيل: في النار<sup>(٣)</sup>. وقيل: تعاد إلى ما خلقت منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ②﴾ أي: تناثرت، وتهافت. يقال: انكدر الطائر في الهواء: إذا انفضَّ. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾ عن وجه الأرض، فاستوت مع الأرض ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④﴾ قال المفسرون وأهل اللغة: العشار: النوق الحوامل، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقبل لها: العشار لذلك، وذلك الوقت أحسن زَمَانٍ حَمَلِهَا، وهي تضع إذا وَصَعَتْ لتمام في ستة، فهي أنفُس ما للعرب عندهم، فلا يعطلونها، إلا لإتيان ما يَشْغَلُهُمْ عنها، وإنما خوطبت العرب بأمر العشار، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل. ومعنى «عُطِّلَتْ» سُبِّيتْ وأَهْمِلَتْ، لاستغالهم عنها بأهوال القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ يعني: دواب البحر ﴿حُشِرَتْ﴾ وفيه قولان: أحدهما: ماتت، قاله ابن عباس. والثاني: جمعت إلى القيامة، قاله السدي. وقد زدنا هذا شرحاً في [الأنعام: ١١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «سُجِّرَتْ» بتخفيف الجيم، وقرأ الباقر بتشديددها. وفي المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: أوقِدَتْ فاشتعلت ناراً، قاله علي وابن عباس. والثاني: يبست، قاله الحسن. والثالث: ملئت بأن صارت بحراً واحداً، وكثر ماؤها، قاله ابن السائب، والفراء، وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قرنت بأشكالها، قاله عمر رضي الله عنه. الصالح مع الصالح في الجنة، والفاجر مع الفاجر في النار، وهذا قول الحسن، وقاتة<sup>(٤)</sup>. والثاني: رُذِّت الأرواح إلى الأجساد،

(١) أخرجه أحمد في «المستدرک» رقم ٤٨١٦ و ٤٩٣٤ و ٤٩٤١ و ٥٧٥٥ وإسناده صحيح، والترمذي ١٦٨/٢، والحاكم ٥١٥/٢، وصححه ووافقه الذهبي، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣١٩/٦ وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) أخرجه عن سعيد بن جبيرة الطبري، ونقله عنه ابن كثير، والسيوطي في «الدرر المنتثر» بألفاظ مختلفة.

(٣) وقد ورد في العرف من حديث أبي هريرة: «الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة»، رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» وإسناده صحيح. ورواه بنحوه أبو يعلى واليزار من حديث أبي هريرة، والطائلي من حديث أنس. وذلك تكيئاً لمن عبدهما في الدنيا.

(٤) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير، وهو الصحيح.

فَرُوجَتْ بِهَا، قاله الشعبي. وعن عكرمة كالقولين. والثالث: رُوجَتْ أَنْفُسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَأَنْفُسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ، قاله عطاء، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْكُوفُ دُوِّ سَيْتَ﴾ (٨) قال اللغويون: المودودة: البنت تُدَوِّنُ وهي حَيَّةٌ، وكان هذا من فعل الجاهلية. يقال: وَأَدَّ وَلَدَهُ، أي: دفنه حياً. قال الفرزدق:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا  
بِأَخِيَا الرُّبَيْدِ وَلَمْ يُوَادَّ<sup>(١)</sup>

يعني: صعصعة بن صوحان، وهو جد الفرزدق. قال الزجاج: ومعنى سؤالها: تبيكت قاتليها في القيامة، لأن جوابها: قُتِلْتُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ. ومثل هذا التبيكت قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي إِلَهَيْنِ﴾ [١٩] (المائدة: ١١٦). وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، وهارون عن أبي عمرو: «سَأَلْتُ» بفتح السين، وألف بعدها «بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» بإسكان اللام، وضم التاء الأخيرة. وسؤالها هذا أيضاً تبيكت لقاتليها. قال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت، فكان أوان ولادها حفرت حفيرة، فتمخضت على رأس الحفيرة، فإن ولدت جارية رَمَتْ بِهَا في الحفيرة، وإن ولدت غلاماً حبسته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الضُّفَى بُشِرَتْ﴾ (٩) قرأ نافع، وعاصم، وأبو جعفر، وابن عامر، ويعقوب «بُشِرَتْ» بالتخفيف، والباقون بالتشديد. والمراد بالصحف: صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١٠) قال الفراء: نُرِجَتْ، فطُوِثَتْ. وفي قراءة عبد الله «فُشِطَتْ» بالقاف، وهكذا تقوله قيس، وتميم، وأسد، بالقاف. وأما قریش، فتقوله بالكاف، والمعنى واحد. والعرب تقول: القافور، والكافور، والقسط، والكسط. وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات، كما يقال: حَدَثٌ، وَحَدَّثٌ. قال ابن قتيبة: كُشِطَتْ كَمَا يُكْشَطُ الْعِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ، فطُوِثَتْ. وقال الزجاج: قلعت كما يقلع السقف. و«سُيِّرَتْ» أوقدت. وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «سُفِرَتْ» مشددة. قال الزجاج: المعنى واحد. إلا أن معنى المشددة: أوقدت مرة بعد مرة. و«أُزْلِفَتْ» قُرِبَتْ من المتقين. وجواب هذه الأشياء «عَلِمَتْ نَفْسٌ تَأْخُضَرَّتْ» (١١) أي: إذا كانت هذه الأشياء، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أحضرت من عمل، فأثبتت على قدر عملها. وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ تَأْخُضَرَّتْ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (١٢): لهذا جرى الحديث<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: من أول السورة إلى هاهنا اثنا عشرة خصلة، ستة في الدنيا، وستة في الآخرة.

﴿لَا أَقِيمُ بِالْحَقِّينِ﴾ (١٣) الْحَوَارِ الْكُتُبِ (١٤) وَالْبَلِ إِذَا عَمَسَ (١٥) وَالْفُجِجَ إِذَا نَفَسَ (١٦) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٧) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (١٨) مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ (١٩) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمُهَيَّوْنٍ (٢٠) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيُسْنِ (٢١) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٢) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ (٢٣) قَالَن تَذَهَبُونَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٥) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٦) وَمَا تَشَاوَرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٧)

قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ لا زائدة، والمعنى: أقسم «بِالْحَقِّينِ» وفيها خمسة أقوال: أحدها: أنها خمسة أنجم تُخَسُّسُ بالنهار فلا تُرى، وهي: زُحَلٌ، وَعُطَّارِدٌ، والمشتري، والمريخ، والزُّهْرَةُ، قاله علي، وبه قال مقاتل، وابن قتيبة. وقيل: اسم المشتري: البرجس. واسم المريخ: بهرام. والثاني: أنها النجوم، قاله الحسن وقتادة على الإطلاق، وبه قال أبو عبيدة. والثالث: أنها بقر الوحش، قاله ابن مسعود. والرابع: الظباء، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبيرة. والخامس: الملائكة، حكاه الماوردي. والأكثر على أنها النجوم<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: وإنما سماها خُسُفًا، لأنها تسير في البروج والمنازل، كسير الشمس والقمر، ثم تُخَسُّسُ، أي: ترجع، بينا يرى أحدها في آخر البروج كَرَّ رَاجِعًا إِلَى أَوَّلِهِ، وَسَمَّاهَا كُتُسًا، لأنها تكنس، أي: تسير كما تكنس الظباء. وقال الزجاج: تخنس، أي: تغيب، وكذلك تكنس، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. وإذا كان المراد الظباء فهو يدخل الكناس، وهو الغصن من أغصان الشجر. ووقف يعقوب على «الجواري» بالياء.

(١) «ديوانه» ٢٠٣/١، وفي «الأغاني» و«الكامل» و«معاهد التنصيص» وجدي الذي منع الواحدات، وهو في «اللسان»: وأد، و«مجاز القرآن» (٢/٢٨٧)، والقرطبي (١٩/٢٣١)، و«شواهد الكشاف» (١٠٢).

(٢) في «تفسير ابن كثير»: أجرى الحديث.

(٣) وهو الأقرب إلى الصواب.



قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلِ إِنْكَاسَ ١٧﴾ فيه قولان: أحدهما: ولَّى، قاله ابن عباس، وابن زيد، والفراء. والثاني: أقبل، قاله ابن جبير، وقتادة. قال الزجاج: يقال: عسعس الليل: إذا أقبل. وعسعس: إذا أدبر. واستدل من قال: إن المراد: إدباره بقوله تعالى: ﴿وَأَشْجِجْ إِنْكَاسَ ١٨﴾ وأشد أبو عبيدة للعقمة بن قرط:

حتى إذا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسًا ١٩ وانجاب عنها لَيْلُهَا وَعَسَسًا ٢٠

وفي قوله تعالى: ﴿تَنَفَّسَ ٢١﴾ قولان: أحدهما: أنه طلوع الفجر، قاله علي وقتادة. والثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك. قال الزجاج: معناه: إذا امتد حتى يصير نهراً بيّناً. وجواب القسم في قوله: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْقَنِينِ ٢٢﴾ وما بعده قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٢٣﴾ يعني: أن القرآن نزل به جبريل. وقد بيّنا هذا في [الحاقة: ٤٠]. ثم وصف جبريل بقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ ٢٤﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ ٢٥﴾ وقد شرحناه في [النجم: آية ٦] ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٦﴾ يعني: في المنزلة ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢٧﴾ أي: في السموات تطيعه الملائكة. فَمِنْ طَاعَةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ أَنَّهُ أَمَرٌ خَازِنُ الْجَنَّةِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ حَتَّى فَتَحَهَا لِمُحَمَّدٍ ﷺ فدخلها ورأى ما فيها، وأمر خازن جهنم ففتح له عنها حتى نظر إليها. وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود، وأبو حيوه ﴿ثُمَّ بَضْمُ النَّاءِ ٢٨﴾ ومعنى «أمين» على وحي الله ورسالاته. قال أبو صالح: أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن.

قوله تعالى: ﴿وَمَا سَاجِدٌ بِمُتَوَفٍّ ٢٩﴾ يعني محمداً ﷺ، والخطاب لأهل مكة. قال الزجاج: وهذا أيضاً من جواب القسم، وذلك أنه أقسم أن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً ليس بمجنون كما يقول أهل مكة. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَيْمَنِ الَّذِينَ ٣٠﴾ قال المفسرون: رأى محمد ﷺ جبريل على صورته بالأفق. وقد ذكرنا هذا في سورة [النجم: ٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ ٣١﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ ٣٢﴾ أي: على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض ﴿يَعْنِيَنَّ ٣٣﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس «بظنين» بالطاء، وقرأ الباقون بالضاد. قال ابن قتيبة: من قرأ بالطاء، فالمعنى: ما هو بمعتهم على ما يُخبر به عن الله، ومن قرأ بالضاد، فالمعنى: ليس ببخيل عليكم بعلم ما غاب عنكم مما ينفعكم. وقال غيره: ما يكتمه كما يكتم الكاهن لياخذ الأجر عليه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ ٣٤﴾ يعني: القرآن ﴿يَقُولُ تَتَكَلَّمُ بِحُجْرٍ ٣٥﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار مكة قالوا: إنما يجيء به الشيطان، فليقله على لسان محمد.

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَهْتَبُونَ ٣٦﴾؟ قال الزجاج: معناه: فأي طريق تسلكون أتبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم؟ ﴿إِنْ هُوَ ٣٧﴾ أي: ما هو، يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٣٨﴾ أي: موعظة للخلق أجمعين ﴿لَئِنْ شَاءَ يَنْصَحَكُمْ ٣٩﴾ على الحق والإيمان. والمعنى: أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق. وقد بيّنا سبيل الاستقامة، فمن شاء أخذ في تلك السبيل. ثم أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه بما بعد هذا، وقد بيّنا هذا في سورة [الإنسان: ٣٠] قال أبو هريرة: لما نزلت ﴿لَئِنْ شَاءَ يَنْصَحَكُمْ ٣٩﴾ قالوا: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٤٠﴾ وقيل: القائل لذلك أبو جهل. وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو المتوكل، وأبو عمران: «وما يشاؤون» بالياء.

### فصل

وقد زعم بعض ناقلي التفسير أن قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَاءَ يَنْصَحَكُمْ ٣٩﴾ وقوله تعالى في [ميس: ١٢]: ﴿فَلَنْ تَكْفُرُ ٤١﴾، وقوله تعالى في سورة [الإنسان: ٢٩] وفي سورة [المزمل: ١٨]: ﴿فَلَنْ تَكْفُرُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٤٢﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٤٣﴾، ولا أرى هذا القول صحيحاً؛ لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجّه النسخ. فاما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته، فليس للنسخ وجه.

## سورة الانفطار

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا النَّفَّاثَةُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ② وَإِذَا الْبُيُوتُ بُعِثَتْ ③ وَلِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ ⑤ وَأَخَّرَتْ ⑥ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْكَبِيرُ ⑦ أَلَيْسَ خَلَقَكَ فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ⑧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ ⑩ وَالَّذِينَ ⑪ وَادَّ عَلَيْكُمْ لَحُوفُهُنَّ ⑫ كِرَامًا كَثِيرِينَ ⑬ يَمْشُونَ مَا يَحْمِلُونَ ⑭ إِنَّ الْأَوَّلَ لَنُحْيِيهِ ⑮ وَلَئِنَّ الْآخِرَ لَنَحْيِيهِ ⑯ يَوْمَ لَا تَنفَعُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ ⑰ يَسْتَوِي يَوْمَ الَّذِينَ ⑱ وَمَا عَنْهَا بِمَالِيَيْنَ ⑲ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْآخِرِ ⑳ يَوْمَ لَا تَنفَعُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ ㉑ شَيْئًا ㉒ وَالْأَمْرُ يَوْمَهِ لِلَّهِ ㉓﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا النَّفَّاثَةُ انْفَطَرَتْ ①﴾ انفطارها: انشقاقها. و﴿انْتَرَتْ ②﴾ بمعنى تساقطت. و﴿بُعِثَتْ ③﴾ بمعنى فُتِحَ بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً. وقال الحسن: ذهب ماؤها، و﴿بُعِثَتْ ④﴾ بمعنى أثيرت. قال ابن قتيبة: قُلِّبَتْ فأخرج ما فيها. يقال: بَغَرْتُ المتاع وَبَغَرْتُهُ: إذا جعلت أسفله أعلاه.

قوله تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤﴾ هذا جواب الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ يَوْمَهِ ⑥﴾ بِمَا قَدَّمَ وَآخَرَ ⑦﴾ [القيامة: ١٣].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ⑧﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه غُيِّبَ به أبو الأشدين<sup>(١)</sup>، وكان كافراً، قاله ابن عباس، ومقاتل. وقد ذكرنا اسمه في [المشر: ٣٠]. والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبي بن خلف، قاله عكرمة. والرابع: أنه أشار إلى كل كافر، ذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّبَكَ ⑨﴾ قال الزجاج: أي: ما خدَعَكَ وسوَّلَ لك حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال غيره: المعنى: ما الذي أَمْنَك من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلاً؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غَرَّكَ بربك الكريم، ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرني سُتُورُكَ المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غَرَّكَ بي؟ قلت: بِرَّكَ سالفاً وآتفاً. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته، كان كأنه لقَّن عبده الجواب، ليقول: غَرَّنِي كرم الكريم.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ خَلَقَكَ ⑧﴾ ولم تَكْ شَيْئاً ﴿فَسَوَّكَ ⑧﴾ إنساناً تسمع وتبصر ﴿فَعَدَلَكَ ⑧﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتشديد. وقرأ عاصم، وحزمة، والكسائي ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف. قال الفراء: من قرأ بالتخفيف، فوجهه - والله أعلم -: فسوَّكَ إلى أي صورة شاء، إما حَسَن، وإما قَبِيح، وإما طَوِيل، وإما قَصِير. وقيل: في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القربات تشبيهاً. ومن قرأ بالتشديد، فإنه أراد - والله أعلم -: جعلك معتدلاً، معدل الخلق. وقال غيره: عدلُ أعضائك فلم تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً.

قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑨﴾ قال الزجاج: يجوز أن تكون (ما) زائدة. ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يرَكِّبَ فيها رَكَّبَكَ. وفي معنى الآية أربعة أقوال: أحدها: في أي صورة من صور القربات رَكَّبَكَ، وهو معنى قول مجاهد. والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو

(١) قد تقدم الكلام عليه في سورة الم نشر.

(٢) وهذا هو الصواب أنه عام لكل كافر.

قصر، أو دكر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء. والثالث: إن شاء أن يرگبك في غير صورة الإنسان رگبك، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير. والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب بالبخل، أو خنزير بالشره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿يَلْ تَكْذِبُونَ وَلِلَّيْنِ﴾ وقرأ أبو جعفر «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، تزعمون أنه غير كائن. ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة، فقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى كُمْ حَافِظِينَ﴾ أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ على ربهم ﴿كَبِيرِينَ﴾ يكتبون أعمالكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من خير وشر، فيكتبونه عليكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾ وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة ﴿وَلَا النَّجَارَ﴾ وفيهم قولان: أحدهما: أنهم المشركون. والثاني: الظلمة. ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم: يا ليت شعري ما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عنده، فقال: وأين أجده؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ﴾ وَلَا النَّجَارَ لَفِي حِمِيمٍ ﴿١٧﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.

قوله تعالى: ﴿صَلَاتِهِ﴾ يعني: يدخلون الجحيم مقاسين حرها ﴿يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ أي: يوم الجزاء على الأعمال ﴿وَمَا مُعْنَاهَا﴾ أي: عن الجحيم ﴿يُنَالِينَ﴾ وهذا يدل على تخليد الكفار. وأجاز بعض العلماء أن تكون «عنها» كناية عن القيامة، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث. ويشتمل هذا على الأبرار والفجار. ثم عظم ذلك اليوم بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَذْرَبَكَ مَا يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ ثم كرر ذلك تفخيماً لشأنه، وكان ابن السائب يقول: الخطاب بهذا للإنسان الكافر، لا لرسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «يوم» بالرفع، والباقون: بالفتح. قال الزجاج: من رفع «اليوم» فعلى أنه صفة لقوله تعالى: «يوم الدين». ويجوز أن يكون رفعه<sup>(١)</sup> بإضمار «هو» ونصبه على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ قال المفسرون: ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحد إلا الله، ولم يملك أحداً من الخلق شيئاً كما ملكهم في الدنيا. وكان مقاتل يقول: لا تملك نفس لنفس كافرة شيئاً من المنفعة. والقول على الإطلاق، لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين. والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه.



(١) في نسخة الرباط: رفعها، وفي النسخة الإستانبولية: رفعاً.

## سورة المطففين

وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والضحاك، ويحيى بن سلام. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل، إلا أن ابن عباس، وقتادة قالوا: فيها ثمان آيات مكية، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المطففين: ٢٩] إلى آخرها. وقال مقاتل: فيها آية مكية، وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا نُظِرَ إِلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ فَالْأَنظِرْ الْأَنزِلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]. والثالث: أنها نزلت بين مكة، والمدنية، قاله جابر بن زيد وابن السائب، وذكر هبة الله ابن سلامة<sup>(١)</sup> المفسر أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدنية، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يُؤَمُّ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْكَائِبِينَ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخيب الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فاحسنوا الكيل بعد ذلك<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان، يكيل بأحدهما، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية. وقد شرحنا معنى «الويل» في [البقرة: ٧٩]. وقال ابن قتيبة: المطفف: الذي لا يوفي الكيل، يقال: إناء طَفَأَ: إذا لم يكن مملوئاً. وقال الزجاج: إنما قيل: مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف، وإنما أخذ من طف الشيء، وهو جانبه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أي: من الناس. فـ«على» بمعنى «من» في قول المفسرين واللغويين. قال الفراء: «على»، و«من» يعتقان في هذا الموضع، لأنك إذا قلت: اكتلت عليك، فكأنك قلت: أخذت ما عليك [كيلاً]، وإذا قلت: اكتلت منك، فهو كقولك: استوفيت منك [كيلاً]. قال الزجاج: المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، وكذلك إذا أنزنوا، ولم يذكُرْ «إِذَا أَنْزَلُوا»، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يُكَالُ ويُوَزَنُ، فأحدهما يدل على الآخر ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون في الكيل والوزن. فعلى هذا لا يجوز أن يقف على «كالوا»، ومن الناس من يجعل «هم» تأكيداً لما كالوا<sup>(٣)</sup>، ويجوز أن يقف على «كالوا» والاختيار الأول. قال الفراء: سمعت أعرابية تقول: إذا صدر الناس أتينا التاجر، فيكيلنا المد والمدن إلى الموسم المقبل.

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ قال الزجاج: المعنى: لو ظنوا أنهم يُبْعَثُونَ ما نقصوا في الكيل والوزن، ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني به يوم القيامة ﴿يَوْمَ يُؤَمُّ النَّاسُ﴾ منصوب بقوله تعالى: ﴿يُبْعَثُونَ﴾. قال المفسرون: والظن هاهنا بمعنى العلم واليقين. ومعنى: يقوم الناس، أي: من قبورهم ﴿لِرَبِّهِمُ الْكَائِبِينَ﴾ أي: لأمره، أو لجزائه وحسابه. وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء. وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: في

(١) في الأصل: سلام، وهو خطأ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٧٤٨/٢)، والطبري (٩١/٣٠)، والواحدي (٣٣٣)، وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» (١٢٨): رواه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس. وأورده السيوطي في «الدرة» (٢٣٣/٦) وزاد نسبته إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» بسند صحيح عن ابن عباس.

(٣) قال الألوسي: «هم» ضمير مرفوع، تأكيد للضمير المرفوع وهو الواو، يعني في «كالوا».



هذه الآية: «يقوم أحدهم في رَشَحِهِ»<sup>(١)</sup> إلى أنصاف أذنيه»<sup>(٢)</sup>. وقال كعب: يقفون ثلاثمائة عام. قال مقاتل: وذلك إذا خرجوا من قبورهم.

﴿كَلَّا إِنْ كُنْتَ الْفَجَّارَ لَبِئْسَ يَتِيمٌ﴾ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَتِيمٌ (٨) كُنْتُ تَرْفُومٌ (٩) وَقُلْ يَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّنَاتٍ آتَيْنَ (١١) وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ بُلِّلُوا فِي هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنْ كُنْتُ الْآبَرَارَ لَبِئْسَ عَتِيفٌ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِتِيفٌ (١٩) كُنْتُ تَرْفُومٌ (٢٠) يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنْ الْآبَرَارَ لَبِئْسَ نَجِيبٌ (٢٢) عَلَى الْأَوَّابِ يُنْظَرُونَ (٢٣) تَرَوْنَ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّجِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ (٢٥) حَتَّىٰ مَسَكُوا فِي ذَلِكَ فَلْيُكَاشِفِ السَّمْعُفُونَ (٢٦) وَرَمَاهُمْ مِنْ نَجِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَحْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴿

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر، أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليترددوا. وهامنا تم الكلام عند كثير من العلماء. وكان أبو حاتم يقول: ﴿كَلَّا﴾ ابتداء يتصل بما بعده على معنى «حقاً» ﴿إِنْ كُنْتُ الْفَجَّارَ﴾ قال مقاتل: إن كتاب أعمالهم «لَبِئْسَ يَتِيمٌ» وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الأرض السابعة، وهذا قول مجاهد، وقناة، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل. وروي عن مجاهد قال: «يَتِيمٌ» صخرة تحت الأرض السابعة، يجعل كتاب الفجار تحتها، وهذه علامة لخسارتهم، ودلالة على خسارة منزلتهم. والثاني: أن المعنى: إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن. والثالث: لفي خسار، قاله عكرمة. والرابع: لفي حيس، فُعِلَ من السجن، قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَتِيمٌ﴾ هذا تعظيم لأمرها. وقال الزجاج: أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك.

قوله تعالى: ﴿كُنْتُ تَرْفُومٌ﴾ (٩) أي: ذلك الكتاب الذي في سجين كتاب مرقوم، أي: مكتوب. قال ابن قتيبة: والرقم: الكتاب. قال أبو ذؤيب:

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَفْمِ الدَّوَا  
وَيَزُورُهُ الْكَاتِبُ الْجَمِيرِي<sup>(٤)</sup>

وأشده الزجاج: «يَذْبِرُهَا» بالذال المعجمة، وكسر الباء. قال الأصمعي: يقال: ذبر: كتب، وذبر: قرأ. وروى أبو عمرو عن ثعلب، عن ابن الأعرابي، قال: الصواب: ذبرت - بالزاي - كتبت. وذبرت - بالذال - أتقنت ما حفظت. قال: والبيت يزبرها، بالزاي والضم. وقال ابن قتيبة: يروى «يزبرها» و«يذبرها» وهو مثله، يقال: ذبر الكتاب يزبره، ويذبره. وذبره يذبره، ويذبره. وقال قناة: رقم له بشر، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر. وقيل: المعنى: إنه مثبت لهم كالرقم في الثوب، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ يَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٠) هذا منتظم بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾، وما بينهما كلام معترض. وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر «بَلْ رَانَ» بفتح الراء مدغمة، وقرأ أبو بكر عن عاصم «بَلْ رَانَ» مدغمة بكسر الراء. وقرأ حفص عن عاصم «بَلْ» بإظهار اللام ﴿رَانَ﴾ بفتح الراء. قال اللغويون: أي: غلب على قلوبهم، يقال: الخمرة ترين على عقل السكران. قال الزجاج: قرئت بإدغام اللام في الراء، لقرب ما بين الحرفين، وإظهار اللام جائز، لأنه من كلمة، والرأس من كلمة أخرى. ويقال: ران على قلبه الذئب يرين ريناً: إذا غشي على قلبه، ويقال: غان يغين غيناً، والغين كالغيم الرقيق، والرين كالصدأ يغشى على

(١) أي: عرقه، لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء، كما يرشح الإناء المحتلل الأجزاء.

(٢) رواء مالك في «الموطأ» والبخاري ٥٣٥/٨، ومسلم ٢١٩٥/٤ واللفظ لـ مسلم.

(٣) قال ابن كثير: والصحيح أن «سجيناً» مأخوذ من السجن، وهو الضيق، فإن المخلوقات كل ما تسافل منها ضاق، وكل ما تعالى منها اتسع، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الأرض السابعة، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم، وهي أسفل السافلين: كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَزَّلْنَاهُ لَشَقَاةٍ إِلَىٰ آثِيمٍ﴾ قاله هاهنا: ﴿كَلَّا إِنْ كُنْتُ الْفَجَّارَ لَبِئْسَ يَتِيمٌ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَتِيمٌ، وهو يجمع الضيق والسفول، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْتُوا مَنَاكُمَا مَحْبُورِينَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَتِيمٌ.

(٤) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، وهو في «ديوان الهلليين» (٦٤/١)، و«غريب القرآن» (٥١٩) وفيهما: «يزبرها» بدلاً من «يزبره».

القلب. وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول: الغين يقال: بالراء، وبالغين، ففي القرآن ﴿كَذَّبَ بِلِّ رَاكَ﴾ وفي الحديث: «إنه ليغان على قلبي»<sup>(١)</sup>، وكذلك الراء يقال بالراء، وبالغين، والرميصاء تكتب «بالغين»، وبالراء، لأن الرمص يكتب بهما. قال المفسرون: لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم. قال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يصدقون. ثم استأنف ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ قال ابن عباس: إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته. وقال مالك بن أنس: لما حجب أعداءه فلم يَرَوْهُ تجلَّى لأوليائه حتى رآوه. وقال الشافعي: لما حجب قومًا بالشُّطْطِ دلَّ على أن قومًا يَرَوْنَهُ بالرضا<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: في هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرَى في القيامة. ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم. ثم من بعد حجبهم عن الله يدخلون النار، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَآؤُكَ﴾ أي: يقول لهم خزنة النار: ﴿هَآؤُكَ﴾ العذاب ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾ كَلَّا أي: لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه. ثم أعلم أين محلّ ﴿كَتَبَ الْأَبْرَارَ﴾ فقال تعالى: ﴿لَنَبِيٍّ يَتَّبِعُ﴾ وفيها سبعة أقوال: أحدها: أنها الجنة، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين، قاله كعب، وهو مذهب مجاهد، وابن زيد. والرابع: أنها قائمة العرش اليمنى، قاله قتادة. وقال مقاتل: ساق العرش. والخامس: أنه سدره المنتهى، قاله الضحاك. والسادس: أنه في علو وصعود إلى الله ﷻ، قاله الحسن. وقال الفراء: في ارتفاع بعد ارتفاع. والسابع: أنه أعلى الأمكنة، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَزَلَّكَ مَا بَعَثْنَا﴾ هذا تعظيم لشأنها.

قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رُؤُوسَهُمْ﴾ الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبلها.

قوله تعالى: ﴿يَنْتَهُهُ الْمَرْوَةُ﴾ أي: يحضر المقرَّبون من الملائكة ذلك المكتوب، أو ذلك الكتاب إذا صُعِدَ به إلى عليين. وما بعد هذا قد سبق بيانه [لافتظار: ١٣] إلى قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ﴾ وفيه قولان: أحدهما: إلى ما أعطاهم الله من الكرامة. والثاني: إلى أعدائهم حين يعدُّون.

قوله تعالى: ﴿تَوَثَّرَ فِي وُجُوهِهِمْ نَقَرٌ أَلْوِيَّةٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، ويعقوب «تُعَرَفَ» بضم التاء، وفتح الراء «نقرة» بالرفع. قال الفراء: بريق النعيم ونداء. قال المفسرون: إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم، لما ترى من الحسن والنور. وفي «الرحيق» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الخمر، قاله الجمهور. ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال: أحدها: أجود الخمر، قاله الخليل بن أحمد. والثانية: الخالصة من الغش، قاله الأخفش. والثالث: الخمر البيضاء، قاله مقاتل. والرابع: الخمر العتيقة، حكاه ابن قتيبة. والقول الثاني: أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك، قاله الحسن. والثالث: أنه الشراب الذي لا غش فيه، قاله ابن قتيبة، والزجاج. وفي قوله تعالى: ﴿تَخْشَرُونَ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: ممزوج، قاله ابن مسعود. والثاني: مختوم على إنائه، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد. والثالث: له ختام، أي: عاقبة ربح، وتلك العاقبة هي قوله تعالى: ﴿يَخْتَمُّ مِسْكَ﴾، أي: عاقبته. هذا قول أبي عبيدة. ﴿يَخْتَمُّ مِسْكَ﴾ قرأ ابن كثير،

(١) روى مسلم في «صحيحه» ٢٧٧٥/٤ عن الأغر المزني ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

(٢) روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فلذلك قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَ بِلِّ رَاكَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثَا كَاؤًا يَكْشِرُ﴾»، وقال الترمذي: حسن صحيح، ولفظ النسائي: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو توب واستغفر وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تملو قلبه، فهو الران الذي قال تعالى: ﴿كَذَّبَ بِلِّ رَاكَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثَا كَاؤًا يَكْشِرُ﴾».

(٣) وقال ابن كثير: قال الإمام أبو عبد الله الشافعي: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم الآية، كما دلَّ عليه منطوق قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَرَوُنَّ كَأَنَّ لَّهُمُ الْكِرْسِيَّ﴾ ﷻ. وكما دلَّت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالابصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنات الفاخرة.

وعاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة ﴿خَتَمُهُ﴾ بكسر الخاء، ويفتح التاء، وبألف بعدهما، مرفوعة الميم. وقرأ الكسائي «خَاتَمَهُ» بخاء مفتوحة، بعدها ألف، وبعدها (١) تاء مفتوحة. وروى الشيزري «خَاتِمَهُ» مثل ذلك، إلا أنه يكسر التاء. وقرأ أبي بن كعب، وعروة، وأبو عالية: «خَتَمَهُ» بفتح الخاء والتاء ولبضم الميم من غير ألف. وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿خَتَمْتُ يَسَكُ﴾ أربعة أقوال: أحدها: خَلَطَهُ مسك، قاله ابن مسعود، ومجاهد. والثاني: أن خَتَمَهُ الذي يختم به الإناء مسك، [قاله ابن عباس. والثالث: أن طعمه وريحه مسك، قاله علقمة. والرابع: أن آخر طعمه مسك] (٢) قاله سعيد بن جبيرة، والفراء، وأبو عبيدة، وابن قتبية، والزجاج في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَبِّهُونَ﴾ أي: فليجدوا في طلبه، وليحرصوا عليه بطاعة الله. والتنافس: كالنشاط على الشيء، والتنازع فيه.

قوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِهِمْ مِنْ تَنْسِيمٍ﴾ (٣) فيه قولان: أحدهما: أنه اسم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين. والثاني: أن التسنيم الماء، قاله الضحاك. قال مقاتل: وإنما سمي تسنيماً، لأنه يتسئم عليه من جنة عدن، فينصب عليهم انصباباً، فيشربون الخمر من ذلك الماء. قال ابن قتبية: يقال: إن التسنيم أرفع شراب في الجنة. ويقال: إنه يمتزج بماء ينزل من تسنيم، أي: من علو. وأصل هذا من سنام البعير، ومن تسنيم القبور. وهذا أعجب إليّ، لقول المسيب بن علس في وصف امرأة:

كأن يريقها عَقَاراً لِمَرْأَةٍ

ج من ثلج تسنيم شينبث عَقَاراً (٤)

أراد: كأن يريقها عَقَاراً شينبث للمزاج من ثلج تسنيم، يريد: جبلاً. قال الزجاج: المعنى: ومزاجه من تسنيم عيناً تأتيهم من تسنيم، أي: من علو يتسئم عليهم من الغرف. «عيناً» في هذا القول منصوبة، كما قال تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَى فِي يَوْمٍ ذِي سَفَرٍ﴾ (٥) ﴿يَسْمَا﴾ [البلد: ١٥]. ويجوز أن تكون «عيناً» منصوبة بقوله: يُسْقُونَ عيناً، أي: من عين. وقد بينا معنى ﴿يَشْرَبُونَ﴾ في [هل أنى: ٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٦) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٧﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٨﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٩﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿١٠﴾ فَالَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١١﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٢﴾ هَلْ ثُبُ الثَّنَجِ مَا كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني أصحاب رسول الله ﷺ، مثل عمار، وبلال، وخبّاب وغيرهم ﴿يَضْحَكُونَ﴾ على وجه الاستهزاء بهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ يعني: المؤمنون ﴿بِهِمْ﴾ أي: بالكفار ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ أي: يشيرون بالجفن والحاجب استهزاء بهم ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ يعني: الكفار ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ أي: متعجبين بما هم فيه يتفكّهون بذكورهم. وقرأ أبو جعفر، وحفص عن عاصم، وعبد الرزاق عن ابن عامر ﴿فَكِهِينَ﴾ بغير ألف. وقد شرحنا معنى القراءتين في [يس: ٥٥] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: رأوا أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ يحفظون أعمالهم عليهم، أي: لم يؤكلوا بحفظ أعمالهم ﴿فَالَّذِينَ﴾ يعني: في الآخرة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ إذا رأوهم يعذبون في النار. قال أبو صالح: يقال لأهل النار وهم فيها: اخرجوا، وافتح لهم أبوابها، فإذا أقبلوا يريدون الخروج، غُلفت أبوابها دونهم. والمؤمنون ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (١٣) إلى عذاب عدوهم. قال مقاتل: لكل رجل من أهل الجنة ثلثة ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذبون، فيحمدون الله على ما أكرمهم به، فهم يكلمون أهل النار ويكلمونهم إلى أن تطبق النار على أهلها، فتسد حيثن الكوى.

قوله تعالى: ﴿هَلْ ثُبُ الثَّنَجِ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي، وهارون عن أبي عمرو ﴿هَلْ ثُبُ﴾ بإدغام اللام. أي: هل جوزوا وأثبوا على استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا؟ وهذا الاستفهام بمعنى التقرير.

(١) في الأصل: وبعده.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من نسخة الرباط، واستدركناه من النسخة الاستنبولية.

(٣) البيت في «غريب القرآن» ٥٢٠.

## سورة الانشقاق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَتَّتْ ④ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ⑤ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ ⑥ إِنَّكَ كَاذِبٌ ⑦ إِلَىٰ رَبِّكَ كَذَمَا فَتَلْقَاهُ ⑧ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْدَهُ بِسَيْبِهِ ⑨ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا بَئِيرًا ⑩ وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑪ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْدَهُ وَرَدَّ ظَهْرَهُ ⑫ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑬ وَيَصِلُ سِيرًا ⑭ إِنَّكَ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑮ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ⑯﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①﴾ قال المفسرون: انشقاقها من علامات الساعة. وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن: [الفرقان: ٢٢٥، الرحمن: ٣٧، الحاقة: ٤٦]. ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ②﴾ أي: استمعت وأطاعت في الانشقاق، من الأذن، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه، وأنشدوا:

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا دُكِرْتُ بِهِ  
فَإِنْ دُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا<sup>(١)</sup>  
﴿وَحُفَّتْ ⑤﴾ أي: حق لها أن تطيع ربها الذي خلقها ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③﴾ قال ابن عباس: تُمَدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ، ويزاد في سعتها. وقال مقاتل: لا يبقى جبل ولا بناء إلا دخل فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ③﴾ من الموتي والكنوز ﴿وَخَتَّتْ ④﴾ أي: خَلَّتْ من ذلك، فلم يبقَ في باطنها شيء. واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال: أحدها: أنه متروك، لأن المعنى معروف قد تردّد في القرآن. والثاني أنه ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ ⑥﴾ كقول القائل: إذا كان كذا وكذا، فيا أيها الناس ترون ما عملتم، فيجعل ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ ⑥﴾ هو الجواب، وتضمير فيه الفاء، كأن المعنى: يرى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت، وذكر القولين الفراء. والثالث: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: «يا أيها الإنسان إنك كاذح إلى ربك كذحاً فملاقه إذا السماء انشقت» قاله المبرد. والرابع: أن الجواب مدلول عليه بقوله تعالى: ﴿فَتَلْقَاهُ ⑧﴾. فالمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَاذِبٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَذَمَا ⑧﴾ فيه قولان: أحدهما: إنك عامل لربك عملاً، قاله ابن عباس. والثاني: ساع إلى ربك سعيًا، قاله مقاتل. قال الزجاج: و«الكذح» في اللغة: السعي، والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة. قال تميم بن مقبل:

وَمَا الدَّفْعُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا  
أُمُوتٌ وَأُخْرَىٰ أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ<sup>(٢)</sup>  
وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ ⑧﴾ قولان: أحدهما: عامل لربك، وقد ذكرناه عن ابن عباس. والثاني: إلى لقاء ربك، قاله ابن قتيبة. وفي قوله تعالى: ﴿فَتَلْقَاهُ ⑧﴾ قولان: أحدهما: فملاقٍ عَمَلِكَ. والثاني: فملاقٍ رَبِّكَ، كما ذكرهما الزجاج.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا بَئِيرًا ⑩﴾ وهو أن تعرض عليه سيئاته، ثم يغفرها الله له. وفي «الضحيجين» من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك، فقلت: يا رسول الله، فإن الله يقول: ﴿فَسَوْفَ

(١) البيت لقُتَيْب بن ضمرة ابن أم صاحب أم قنعب، وكان في أيام الوليد، وهو في «مجاز القرآن» ١/١٧٧، و«الطبري» ٣٠/١١٢، و«السمط» ٣٦٢، و«الانتصاب» ٢٩٢، و«شواهد الكشاف» ١٤٣، و«القرطبي» ١٩/٢٦٧، و«اللسان: أذن، وأورد بيتاً قبله، هو:

إِنْ يَسْتَمُوا رِبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا  
يَتِي وَمَا عَلِمُوا مِنْ ضَالِحٍ دَفَنُوا  
(٢) «ديوانه» (٢٤)، وسيبويه ١/٣٧٦، و«الكامل» ٣/٩٠٨، و«الحيوان» ٣/٤٨، و«حماة البحري» ١٨٣، و«القرطبي» ١٩/٢٦٩.



يَحْسَبُ جَسَافًا يَبِيرًا ﴿١٩﴾ قَالَ: ذَلِكَ الْعَرَضُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنَقَلِبُ إِلَيْكَ أَهْلِي﴾ يعني: في الجنة من الحور العين والآدميات ﴿سَرُورًا﴾ بما أوتي من الكرامة ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ وَرَدَّ ظَهْرَهُ﴾ قال المفسرون: تُغْلُ يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره ﴿فَتَوَقَّ يَدْعَا بُرُورًا﴾ قال الزجاج: يقول: يا ويلاه، يا بُرُوراه، وهذا يقوله كل من وقع في هلكة.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي: «ويُصَلَّى» بضم الياء، وتشديد اللام.. وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحزمة «ويصلى» بفتح الياء خفيفة، إلا أن حمزة والكسائي يميلانها. وقد شرحناه في سورة [النساء: ١١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ فِي آفِكِ﴾ يعني في الدنيا ﴿سَرُورًا﴾ باتباع هواه، وركوب شهواته ﴿إِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلى الآخرة، ولن يبعث وهذه صفة الكافر. قال اللغويون: الحور في اللغة: الرجوع، وأنشدوا للبيد:

وَمَا الْمَرْءُ كَالشَّهَابِ وَضَوْؤِهِ  
يَحُورُ زَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعٌ<sup>(٢)</sup>

﴿يَنْزِلُ إِذْ رَبُّكَ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالْشفَىٰ ﴿٢٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿٢٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿٢٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿٢٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِنَّا فَرَقْنَا عَنْهُمْ الْفُرْقَانُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٣٣﴾ فَيَبْزُقُهُمْ بِمَذَابٍ آخِرٍ ﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ﴾ قال الفراء: المعنى: بلى ليحورون، ثم استأنف، فقال تعالى: ﴿إِن رَّبُّكَ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ قال المفسرون: بصيراً به على جميع أحواله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ قد سبق بيانه. فأما «الشفق» فقال ابن قتيبة: هما شفقان: الأحمر، والأبيض؛ فالأحمر: من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء ثم غيب، ويبقى الشفق الأبيض إلى نصف الليل. وللمفسرين في المراد «بالشفق» هاهنا ستة أقوال: أحدها: الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس. وقد روى ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشفق: الحمرة»<sup>(٣)</sup>، وهذا قول عمر، وابنه، وابن مسعود، وعبداد، وأبي قتادة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبي هريرة، وأنس، وابن المسيب، وابن جبير، وطاوس، ومكحول، ومالك، والأوزاعي، وأبي يوسف، والشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وابن قتيبة، والزجاج. قال الفراء: سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ: كأنه الشفق، وكان أحمر. والثاني: أنه النهار. والثالث: الشمس، روي القولان عن مجاهد. والرابع: ما بقي من النهار، قاله عكرمة. والخامس: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض، قاله أبو جعفر محمد بن علي. والسادس: أنه البياض، قاله عمر بن عبد العزيز.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي: وما جمع وضم. وأنشدوا:

إِنْ لَنَا قَلْبًا نَصْأَ حَقَائِقًا  
مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدُنَّ سَائِقًا<sup>(٤)</sup>

قال أبو عبيدة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما علا فلم يمنع منه شيء، فإذا جَلَّ الليل الجبال، والأشجار، والبحار، والأرض، فاجتمعت له، فقد وسقها. وقال بعضهم: معنى: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع مما كان منتشراً بالنهار في تصرفه إلى ماواه.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ﴿٢٨﴾ قال الفراء: اتساقه: اجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، إلى ست عشرة.

(١) رواء البخاري ١٧٦/١ و ٥٣٥/٨ و ٣٤٧/١١، ومسلم ٢٢٠٤/٤، ورواء الطبري ١١٦/٣٠، والترمذي ١٦٩/٢ وقال: حديث حسن صحيح، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٢٩/٦ وزاد نسبه لأحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة.

(٢) «ديوانه» ١٦٩.

(٣) أخرجه الدارقطني في «سننه» ١٠٠، وصححه البيهقي وقفه، وقال في «المعرفة»: روي هذا الحديث عن عمر، وعلي، وابن عباس، وعبداد بن الصامت، وشداد بن أوس، وأبي هريرة، ولا يصح عن النبي ﷺ فيه شيء، وذكره السيوطي في «الدر» موقوفاً على ابن عمر، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وابن مردويه.

(٤) الرجز في «ملحق ديوان المجاز» ٨٤، وهو في «مجاز القرآن» ٢٩١/٢، و«الطبري» ١٢٠/٣٠، و«القرطبي» ٢٧٥/١٩، و«اللسان» وسق.

قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ﴿١٥﴾ قرأ ابن كثير، وحزمة، والكسائي: «لَتَرْكَبَنَّ» بفتح التاء والباء، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه خطاب لرسول الله ﷺ، ثم في معناه قولان: أحدهما: لتركبنَّ سماءً بعد سماء، قاله ابن مسعود، والشعبي، ومجاهد. والثاني: لتركبن حلالاً بعد حال، قاله ابن عباس، وقال: هو نبيكم. والقول الثاني: أن الإشارة إلى السماء. والمعنى: أنها تتغير ضرورياً من التغيير، فتارة كالمهل، وتارة كالدَّهَان، روي عن ابن مسعود أيضاً. وقرأ عاصم، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح التاء، وضم الباء، وهو خطاب لسائر الناس. ومعناه: لتركبنَّ حلالاً بعد حال. وقرأ ابن مسعود، وأبو الجوزاء، وأبو الأشهب: «ليركبنَّ» بالياء، ونصب الباء. وقرأ أبو المتوكل، وأبو عمران، وابن يعمر: «ليركبنَّ» بالياء، وضم الباء. وعن «بمعنى بعد». وهذا قول عامة المفسرين والخوئين، وأنشدوا للأقرع بن حابس:

إِنِّي أَمْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ      وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقٍ<sup>(١)</sup>

ثم في معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: أنه الشدائد، والأحوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الرخاء بعد الشدة، والشدّة بعد الرخاء، والغنى بعد الفقر، والفقر بعد الغنى، والصحة بعد السقم، والسقم بعد الصحة، [قاله الحسن. والثالث: أنه كون الإنسان رضيعاً ثم فطيماً ثم غلاماً شاباً ثم شيخاً]<sup>(٢)</sup>، قاله عكرمة. والرابع: أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع من كان ضيعاً، ويتضع من كان مرتفعاً، وهذا مذهب سعيد بن جبيرة. والخامس: أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأولين، قاله أبو عبيدة. وكان بعض الحكماء يقول: من كان اليوم على حالة، وغداً على حالة أخرى، فليعلم أن تدبيره إلى سواء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَمْ﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَا يُؤْمِنُوا﴾ أي: لا يؤمنون بمحمد والقرآن، وهو استفهام إنكار ﴿وَإِذَا رُفِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ فيه قولان: أحدهما: لا يصلّون، قاله عطاء، وابن السائب. والثاني: لا يخضعون له، ويستكينون، قاله ابن جرير، واختاره القاضي أبو يعلى. قال: وقد احتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة، وليس فيها دلالة على ذلك، وإنما المعنى: لا يخشعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع منه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٦﴾ بالقرآن، والبعث، والجزاء ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب. قال ابن تقيّة: ﴿يُوعُونَ﴾: يجمعون في قلوبهم. وقال الزجاج: أوعيت المتاع في الوعاء، ووعيت العلم.

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٨﴾ أي: أخبرهم بذلك. وقال الزجاج: اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة، العذاب الأليم. و«المؤمنون» عند أهل اللغة: المقطوع.



(١) أنشده القرطبي في «تفسيره» ٢٧٨/١٩.

(٢) زيادة سقطت من نسخة الرباط، واستدركناها من النسخة الإستنبولية.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حلالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً - جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحوالها.

## سورة البرج

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّعَةِ ذَاتِ الْبُرْجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْنُدِ ﴿٤﴾ أَلَا تَرَ ذَاتَ الْوُؤْدِ ﴿٥﴾ إِذْ هُرِّعَتْ عَلَيْهَا قُودُ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤَيَّنِّ شُغُورٍ ﴿٧﴾ وَمَا تَقَمَّوْا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُرْسَلِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ لَمْ يَمُوتُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرْقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ نَجْوَى مِنْ فَحْشَى الْأَعْزَى ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْنَ رَبِّكَ لَنِدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيعُ وَبْدِ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَمَالِ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَنْزِلُ بِهِمْ طُيُوتًا ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي نَجْمٍ مُتَقَاتِلٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالسَّعَةِ ذَاتِ الْبُرْجِ ﴿١﴾﴾ قد ذكرنا البرج في [الحجر: ١٦] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾ هو يوم القيامة بإجماعهم ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُورٍ ﴿٣﴾﴾ فيه أربعة وعشرون قولاً: أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال علي، وابن عباس في رواية، وابن زيد. فعلى هذا سمي يوم الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما فيه، وسمي يوم عرفة مشهوداً، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة. والثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم النحر، قاله ابن عمر. والثالث: أن الشاهد: الله ﷻ، والمشهود: يوم القيامة، رواه الوالبي عن ابن عباس. والرابع: أن الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم القيامة، رواه مجاهد عن ابن عباس. والخامس: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، رواه يوسف بن مهرا عن ابن عباس، وبه قال الحسن بن علي. والسادس: أن الشاهد: يوم القيامة، والمشهود: الناس، قاله جابر بن عبد الله. والسابع: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم القيامة، قاله الضحاك. والثامن: أن الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، قاله سعيد بن المسيب. والتاسع: أن الشاهد: هو الله، والمشهود: بنو آدم، قاله سعيد بن جبيرة. والعاشر: أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم عرفة، قاله الضحاك. والحادي عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، والمشهود: يوم القيامة، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني عشر: أن الشاهد: ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة، رواه ليث عن مجاهد، وبه قال عكرمة. الثالث عشر: أن الشاهد: آدم ﷺ، وذريته، والمشهود: يوم القيامة، قاله عطاء بن يسار. والرابع عشر: أن الشاهد: الإنسان، والمشهود: الله ﷻ، قاله محمد بن كعب. والخامس عشر: أن الشاهد: يوم النحر، والمشهود: يوم عرفة، قاله إبراهيم. والسادس عشر: أن الشاهد: عيسى ﷺ، والمشهود: أمته، قاله أبو مالك. ودليله قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [الأنعام: ١١٧]. والسابع عشر: أن الشاهد: محمد ﷺ، والمشهود: أمته، قاله عبد العزيز بن يحيى، وبيانه ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. والثامن عشر: أن الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: سائر الناس، قاله الحسين<sup>(٢)</sup> بن الفضل، ودليله ﴿لِنُكْفِرُوا شُرَكَاءَ عَنِ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. والتاسع عشر: أن الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، قاله محمد بن علي الترمذي، وحكي عن عكرمة نحوه. والعشرون: أن

(١) رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وفي سننه موسى بن عبيدة الرندي، وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في «التقريب»، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة: يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه، وقال ابن كثير: وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الرندي، وهو ضعيف، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه.

(٢) في الأصل: الحسن.

الشاهد: الحق، والمشهدود: الكون، قاله الجنيد. والحادي والعشرون: أن الشاهد: الحجر الأسود، والمشهدود: الحاج. والثاني والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والمشهدود: محمد ﷺ، وبيانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْنَّبِيِّينَ...﴾ الآية (٨١: عمران). والثالث والعشرون: أن الشاهد: الله ﷻ، والملائكة، وأولو العلم، والمشهدود: لا إله إلا الله، وبيانه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ (٢٨: عمران)، حكى هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي. والرابع والعشرون: أن الشاهد: الأنبياء ﷺ، والمشهدود: الأمم، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله<sup>(١)</sup>. وفي جواب القسم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَلَدَكُمْ رَبِّكَ لَنُوبٍ﴾ (١١) قاله قتادة، والزجاج. والثاني: أنه قوله تعالى: ﴿يُنِزُّ مَصْحَبَ الْأَخْدُودِ﴾ (١)، كما أن القسم في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ رَضَعْنَاهَا﴾ (١): ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، حكاه الفراء. والثالث: أنه متروك، وهذا اختيار ابن جرير.

قوله تعالى: ﴿يُنِزُّ مَصْحَبَ الْأَخْدُودِ﴾ (١) أي: نُؤْتُوا. والأخدود: شق يشق في الأرض، والجمع: أخاديد. وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار، وألقوا فيها من لم يكفر. واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال: أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلمه السحر، وكان الغلام يمرُّ على راهب، فأعجبه أمره، فتبعه، فعلم به المَلِكُ، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به: اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبيني على جذع، وارمني بهم من كنانتي، وقل: بسم الله ربَّ الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فخذ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر الحديث، وفيه طول، وقد ذكرته في «المغني» و«الحدائق» بطوله من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أن ملكاً من الملوك سكر، فوقع على أخته، فلما أفاق قال لها: ويحك: كيف المخرج؟ فقالت<sup>(٣)</sup>: [له: اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله ﷻ قد أحلَّ نكاح الأخوات، فإذا ذهب هذا في الناس وتناسوه، خطبتهم فحرمتهم. ففعل ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فبسط فيهم السوط، ثم جرد السيف، فأبوا، فخذ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، وقذف من أبي قبول ذلك، قاله علي بن أبي طالب<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنهم ناس اقتتل مؤمنهم وكفارهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يغيّر بعضهم ببعض، فتذر كفارهم، فأخذوهم، فقال له رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً، واعرضوا عليها، فمن تابكم على دينكم، فذاك الذي تحبون، ومن لم يتبعكم أقحم النار فاسترحمت منه، ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها، ذكره قتادة. والرابع: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبار من عبدة الأوثان، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا، فخذ لهم أخدوداً، وألقاهم فيه، قاله الربيع بن أنس. وال خامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رفع عيسى، فخذ لهم أخدوداً، وأوقد فيه النار، فأحرقهم كلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يُنِزُّ مَصْحَبَ الْأَخْدُودِ﴾ (١) وهم: يوسف بن ذي نواس وأصحابه، قاله مقاتل. والسادس: أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً، ومعهم قوم يكتمون إيمانهم، فعلموا بهم، فخذوا لهم أخدوداً، وقذفوهم فيه، حكاه الزجاج<sup>(٥)</sup>. واختلفوا في الذين أحرقوا على خمسة أقوال: أحدها: أنهم كانوا من الحبشة، قاله

(١) وقال الطبري بعد أن سرد معظم الأقوال التي ساقها المصنف: والصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أقسم بشاهد شهد، ومشهود شهد، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنى مما يستحق أن يقال: شاهد ومشهود.

(٢) انظر الحديث بطوله في «مسند أحمد» ١٧/٦، و«صحيح مسلم» رقم ٢٠٠٥، و«سنن الترمذي» ١٦٩/٢.

(٣) من هنا وحتى قيل تفسير سورة (الشمس) وقع نقص في نسخة الرباط، استدركتنا من النسخة الاستنبولية، وقد بدلنا الغاية في تقويم ما فيها من تحريف كثير، نبهنا إلى بعضه، وأغلطنا أكثره لعقم فائدته.

(٤) ذكره الطبري ١٣٢/٣٠ وفيه أن ذلك الملك كان من المجوس، وأنهم كانوا أهل كتاب، وذكر في آخره: فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأهتات.

(٥) قال ابن كثير: وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً، كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا صفوان، عن عبد الرحمن بن جبير قال: كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم من دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا آتوتاً والتي في النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل يختبئ الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصحابه عزريا وميشايل، فأوقد لهم آتوتاً والتي في الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً، وأنقذهما منها،



عليّ كرم الله وجهه. والثاني: من بني إسرائيل، قاله ابن عباس. والثالث: من أهل اليمن، قاله الحسن. وقال الضحاك: كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة. والرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد. والخامس: من النبط، قاله عكرمة. وفي عددهم ثلاثة أقوال: أحدها: اثنا عشر ألفاً، قاله وهب. والثاني: سبعون ألفاً، قاله ابن السائب. والثالث: ثمانون رجلاً، وتسعة نسوة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ذُكِرُوا الْقَوْدُ﴾ [١٠] هذا بدل من ﴿الْأَخْدُودُ﴾ كأنه قال: قتل أصحاب النار، و﴿الْقَوْدُ﴾ مفسر في [البقرة: ٢٤]. وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، ومجاهد، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبة [الوقود] بضم الواو. ﴿إِذْ هَرَّ عَلَيْنَا مَمُودٌ﴾ [١١] أي: عند النار. وكان الملك وأصحابه جلوساً على الكراسي عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر، فمن أبقى ألقوه ﴿وَمَنْ عَلَى مَا يَمْلِكُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُبُودٌ﴾ [١٢] أي: حضور، فأخبر الله ﷻ في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم وقيمتهم أن صبروا على التحريق بالنار، ولم يرجعوا عن دينهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ قرأ ابن أبي عبة: ﴿نَقِمُوا﴾ بكسر القاف. قال الزجاج: أي: ما أنكروا عليهم إيمانهم، وقد شرحنا معنى نقموا في [المائدة: ٥٩] و[براءة: ٧٤] وشرحنا معنى ﴿الْمُزَيَّنَّ الْحَيِّدِ﴾ في [البقرة: ١٢٩، ٢٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لم يخف عليه ما صنعوا، فهو شهيد عليهم بما فعلوا. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَكُفِّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: أحرقوهم، وعذبوهم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُوتُ أُنثَىٰ تَقُولُ لَمْ يَكُنْ لِي بَرٌّ﴾ [١٣] [الذاريات: ١٣] من شركهم وفعلهم ذلك بالمؤمنين ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ﴾ بكفرهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَرٌّ﴾ بما أحرقوا المؤمنين، وكلا العذابين في جهنم عند الأكثرين. وذهب الربيع بن أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم، فذلك عذاب الحريق في الدنيا. قال الربيع: وقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار. وحكى الفراء أن المؤمنين نَجَوْا من النار، وأنها ارتفعت فأحرقت الكفرة. قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْقَرَارُ الْكَبِيرُ﴾ لأنهم فازوا بالجنة. وقال بعض المفسرين: فازوا من عذاب الكفار، وعذاب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ بَلَغْتَ رَبَّكَ﴾ قال ابن عباس: إن أخذته بالعذاب إذا أخذ الظلمة والجبابرة [لنديد]. قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ هَوَ بَيْدٌ وَبَيْدٌ﴾ فيه قولان: أحدهما: بيدئ الخلق ويعيدهم، قاله الجمهور. والثاني: بيدئ العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقد شرحنا في [مرد: ٩٠] معنى ﴿الْقَوْدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذُو الْقُرْسِيِّ لِلْجِدِّ﴾ [١٤] وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل عن عاصم [المجيد] بالخفض، وقرأ غيرهم بالرفع، فمن رفع [المجيد] جعله من صفات الله ﷻ، ومن كسر جعله من صفة العرش. قوله تعالى: ﴿هَلْ أَنتَ إِلَّا حَبِيبٌ﴾ أي: قد أتاك حديث [المؤد] وهم الذين تجندوا على أولياء الله. ثم بين من هم، فقال تعالى: ﴿وَعَزَّ وَتَوَدَّ﴾ [١٥] بَيِّدٌ كَرُوا، يعني: مشركي مكة [في تكذيب] لك والقرآن، أي: لم يعتبروا بمن كان قبلهم ﴿وَاللَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ خِطٌّ﴾ [١٦] لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ نَجِيدٌ﴾ [١٧] أي: كريم، لأنه كلام الله، وليس كما يقولون بشعر، ولا كهانة، ولا سحر. وقرأ أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميع ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ بغير تنوين وبخفض [مجيد] [في لَوْج مَحْفُوظٍ] وهو اللوح المحفوظ، منه نسخ القرآن وسائر الكتب، فهو محفوظ عند الله، محروس به من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان منه. وقرأ نافع [محفوظ] رفعا على نعت القرآن. فالمعنى: إنه محفوظ من التحريف والتبديل.



= والى فيها الذين بغوا عليه، وهم تسعة رهط فاكلتهم النار. وذكر نحوه عن أسباط عن السدي، وعن ابن أبي حاتم من رواية الربيع بن أنس، والله أعلم.

## سورة الطارق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ بِمِمْ عَيْنٍ ﴿٥﴾ عَيْنٍ مِنْ شَلَو دَاقِي ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّجْبِ وَالزُّكُوبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجِيئِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يُنْفِثُ الرِّكَابُ ﴿٩﴾ قَالُوا مَنْ مِنْ قَوْمٍ وَلَا نَكِيرٌ ﴿١٠﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾﴾ قال ابن قتيبة: الطارق: النجم، سمي بذلك، لأنه يطرق، أي: يطلع ليلاً، وكل من أتاك ليلاً، فقد طرقتك. ومنه قول هند ابنة عتبة:

نمشي على النمارق<sup>(١)</sup>

نحن بنات طارق

تريد: إن أبانا نجم في شرفه وعلوه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ قال المفسرون: ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلاً<sup>(٢)</sup>، فلم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به حتى تبينه بقوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ يعني: المضيء، كما بينا في [الصفات: ١٠]. وفي المراد بهذا النجم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه زُحَل، قاله علي عليه السلام، وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس عليه السلام قال: هو زحل، ومسكنه في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم، فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء، هبط، فكان معها، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة، فهو طارق حين ينزل، وطارق حين يصعد. والثاني: أنه الثريا، قاله ابن زيد. والثالث: أنه اسم جنس، ذكره علي بن أحمد النسابوري.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ قرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل [إن] بالتشديد «كل» بالنصب ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ وقرأ أبو جعفر، وابن عامر، وعاصم الجحدري، وحمزة، وأبو حاتم عن يعقوب «لَمَّا» بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف. قال الزجاج: هذه الآية جواب القسم، ومن خفف فالمعنى: لَعَلَّهَا حَافِظٌ و«ما» لغو. ومن شدد، فالمعنى: [إلا<sup>(٣)</sup>]، قال: فاستعملت «لما» في موضع «إلا» في موضعين. أحدهما: هذا. والآخر<sup>(٤)</sup>: في باب القسم. تقول: سألتك لما فعلت، بمعنى: إلا فعلت. قال المفسرون: المعنى: ما من نفس إلا عليها حافظ، وفيه قولان: أحدهما: أنهم الحفظة من الملائكة، قاله ابن عباس. قال قتادة: يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر. والثاني: حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلمه إلى المقادير، قاله الفراء. ثم نبه على البعث بقوله تعالى: ﴿فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ بِمِمْ عَيْنٍ ﴿٥﴾﴾ أي: من أي شيء خلقه الله؟ والمعنى: فلينظر نظر التفكر والاستدلال ليعرف أن الذي ابتداء من نطفة قادر على إعادته.

قوله تعالى: ﴿عَيْنٍ مِنْ شَلَو دَاقِي ﴿٦﴾﴾ قال الفراء: معناه: مدفوق، كقول العرب: سر<sup>(٥)</sup>، كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية. وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً. قال الزجاج: ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، والمعنى: من ماء ذي اندفاق<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشُّجْبِ ﴿٧﴾﴾ قرأ ابن مسعود، وابن سيرين، وابن السميع، وابن أبي عبلة ﴿الشُّجْبِ﴾ بضم

(١) انظر «الأغاني» طبع دار الثقافة ١٢/٣٤٣، والقرطبي ٢٠/٢٠.

(٢) قال ابن كثير: قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارِقاً، لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار، قال: ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً، أي: يأتيهم فجأة بالليل.

(٣) في الأصل: وإلا.

(٤) في الأصل: وإلا.

(٥) في الأصل: من ماذا اندفاق.

(٦) في الأصل: ستر.

الصاد، واللام جميعاً، يعني: يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. قال الفراء: يريد يخرج من الصلب والترائب. يقال: يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير. بمعنى: يخرج منهما. وفي «وَالْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup> ثلاثة أقوال: أحدها: أنه موضع القلادة، قاله ابن عباس. قال الزجاج: قال أهل اللغة أجمعون: الترائب: موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس:

مَهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَضْفُوءَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ<sup>(٢)</sup>

قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: السجنجل: المرأة بالرومية. وقيل: هي سبيكة الفضة، وقيل: السجنجل: الزعفران، وقيل: ماء الذهب. ويروى: البيت «بالسجنجل». والثاني: أن الترائب: اليدان والرجلان والعينان، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثالث: أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، حكاه الزجاج.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ﴾ الهاء كناية عن الله ﷻ ﴿عَلَىٰ تَبْيِهِ﴾ الرجوع: رد الشيء إلى أول حاله. وفي هذه الهاء قولان: أحدهما: أنها تعود على الإنسان، ثم فيه قولان: أحدهما: أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر، قاله الحسن، وقادة. قال الزجاج: ويدل على هذا القول قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾. والثاني: أنه على رجعه من حال الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة قادر، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. والقول الثاني: أنها تعود إلى الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: رد الماء في الإحليل، قاله مجاهد. والثاني: على رده في الصلب، قاله عكرمة، والضحاك. والثالث: على حبس الماء فلا يخرج، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ التي بين العبد وبين ربه حين يظهر خيرها من شرها، ومؤدبها من مضيعها، فإن الإنسان مستور في الدنيا، لا يُدرى أصله، أم لا؟ أتوضأ، أم لا؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سر، فكان زيناً في الوجه، أو شيناً. وقال ابن قتيبة: تُخْتَبَرُ سرائر القلوب.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا لِمَنِ الْوَيْلُ﴾ أي: فما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ﴿وَلَا يَأْمُرُ﴾ ينصره.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْأُنثَىٰ﴾ ١١ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْأُنثَىٰ﴾ ١٢ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَعَلَّ﴾ ١٣ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نَارٌ﴾ ١٤ ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ١٥ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ١٦ ﴿فَبِئْسَ الْكَاذِبِينَ أَنفُسَهُمْ رَئِبًا﴾ ١٧

قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْأُنثَىٰ﴾ أي: ذات المطر، وسمي المطر رجماً لأنه يجيء ويرجع ويتكرر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْأُنثَىٰ﴾ أي: ذات الشق. وقيل لها هذا، لأنها تتصدع وتتشقق بالنبات، هذا قول المفسرين وأهل اللغة في الحرفين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَعَلَّ﴾ يعني به القرآن، وهذا جواب القسم. والفصل: الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا نَارٌ﴾ أي: باللوعب. والمعنى: إنه جِدٌّ، ولم ينزل باللوعب. وبعضهم يقول: الهاء في «إنه» كناية عن الوعيد المتقدم ذكره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [أي: يحنلون] وهذا الاحتيال المكر برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أي: أجازيهم [على كيدهم] بأن أستدرجهم من حيث لا يعلمون، فأنقم منهم في الدنيا بالسيف، وفي الآخرة بالنار. ﴿فَبِئْسَ الْكَاذِبِينَ﴾ هذا وعيد من الله لهم. ومَهْلٌ وأمهْلٌ لغتان جمعتا هاهنا. ومعنى الآية: مهْلهم قليلاً حتى أهلكهم، ففعل الله ذلك بِئْسَر، ونسخ الإمهال بآية السيف. قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿رَئِبًا﴾ مهلاً،

(١) في الأصل: وفي التراب.

(٢) «ديوانه» ١٥، «إعجاز القرآن» للباقلاني ٢٧٠، والقرطبي ٥/٢٠، والمهفهفة: الخفيفة اللحم ليست برهلة، ولا ضخمة البطن، والمفاضة: المسترخية البطن، والترائب جمع تريبة، وهي موضع القلادة من الصدر.

(٣) واختاره ابن جرير الطبري.

ورويذك بمعنى أمهل. قال تعالى: ﴿فَهَلْ أَكْثَرُونَ أَمَهُلَهُمْ رُودًا ۝١٧﴾ أي: أمهلهم قليلاً، فإذا لم يتقدمها ﴿أَمَهُلَهُمْ﴾ كانت بمعنى «مهلاً». ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر. قال الشاعر:

كَأَنَّهَا بِمِثْلِ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ<sup>(١)</sup>

أي: على مهل.



(١) كنا أنشد ابن قتيبة في «مشكل القرآن» ٤٢٣، وتبعه ابن فارس في «الصاحي» ١٢٤، ومقاييس اللغة ٤٥٨/٢، وألصواب ما في «القرطبي» ١٢/٢٠، و«اللسان» مادة: رود قال الجموح الطنبري:

تَكَادُ لَا تَشْلُمُ الْبَطْحَاءَ وَطَانُهَا      كَأَنَّهَا تَمْشِي عَلَى رُودٍ

وفي «أساس البلاغة» ٣٧٩/١: قال الهذلي:

تَكَادُ لَا تَشْلُمُ الْبَطْحَاءَ خُطْوَتُهَا....



## سورة الأعلى

وهي مكية كلها بإجماعهم<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الْأَلَىٰ عَلَىٰ قَسْرَيْنِ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَالَّذِي أَرْخَىٰ أَعْنَاقَهُ ۝ فَمَجَّلَهُ نَجْمًا مُّهِيمًا ۝ سَبِّحْ فَكَلَّا ۝ تَتَذَكَّرُ إِلَّا مَا أَمَرَهُ اللَّهُ ۝ إِنَّمَا يَسَّرُ الْكُتُبَ وَمَا يَخْتَصِرُ ۝ وَيُزِيلُ الْبُشْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَفْكُمُ الدُّكَّانَ ۝ سِوَاكَ مِنْ يَحْيَىٰ ۝ وَنَحْنُ بِالْآفَاقِ ۝ الْأَلَىٰ يَصَلُّ أَلَدَّ الْكُتُبِ ۝ ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا وَلَا يَحِينُ ۝﴾

وفي معنى «سَبِّحْ» خمسة أقوال: أحدها: قل: سبحان ربّي الأعلى، قاله الجمهور. والثاني: عَظُمَ. والثالث: صَلَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ، روي القولان عن ابن عباس. والرابع: نَزَّهَ رَبِّكَ عَنِ السُّوءِ، قاله الزجاج. والخامس: نَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ أَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ مُعْظَمٌ لَهُ، خاشع له، ذكره الثعلبي<sup>(٢)</sup>. وفي قوله تعالى: «اسْمُ رَبِّكَ» قولان: أحدهما: أَنْ ذَكَرَ الْاسْمَ صَلَةً، كقول لبيد بن ربيعة:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

والثاني: أَنَّهُ أَصْلِي<sup>(٣)</sup>. وقال الفراء (سبح ربك، وأ<sup>(٤)</sup> سبح اسم ربك سواء في كلام العرب.

قوله تعالى: «الَّذِي عَلَىٰ قَسْرَيْنِ» أي: فعَدَلَ الخلق. وقد أشرنا إلى هذا المعنى في [الانتظار: ٧] «وَالَّذِي قَدَّرَ» قرأ الكسائي وحده «قَدَّرَ» بالتخفيف «فَهَدَىٰ» فيه سبعة أقوال: أحدها: قَدَّرَ الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَهَدَىٰ لِلرُّشْدِ وَالضَّلَالَةَ، قَالَه مجاهد. والثاني: جَعَلَ لِكُلِّ دَابَّةٍ مَا يَصْلَحُهَا وَهَدَاهَا إِلَيْهِ، قَالَه عطاء. والثالث: قَدَّرَ مَدَّةَ الْجَنِينِ فِي الرَّحِمِ ثُمَّ هَدَاهُ<sup>(٥)</sup> لِلخُرُوجِ، قَالَه السَّدي. والرابع: قَدَّرَهُمْ ذِكْرًا وَإِنَاءً، وَهَدَىٰ الذِّكْرَ لِإِتْيَانِ الْأَنْثَى، قَالَه مقاتل. والخامس: أَنَّ الْمَعْنَى: قَدَّرَ فَهَدَىٰ وَأَضَلَّ، فَحَذَفَ «وَأَضَلَّ»، لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَىٰ ذَلِكَ، حَكَاهُ الزَّجَاجُ. وَالسَّادِسُ: قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ، وَهَدَىٰ إِلَىٰ طَلِبِهَا. وَالسَّابِعُ: قَدَّرَ الذَّنْبَ، وَهَدَىٰ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، حَكَاهُمَا الثَّعْلَبِيُّ.

(١) روى البخاري في «صحيحه» ٥٣٧/٨ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ (يعني بالمدينة) مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلنا يقرئنا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» في سور مثلها اهـ. وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بها وسورة العاشية في صلاة الجمعة والعيدين ووتر العشاء، وثبت في «الصحيحين» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمَعَاذٍ: «هَلَا صَلَّيْتُ بِسْمِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا، وَاللَّيْلُ إِذَا يَفْشَى؟».

(٢) وفي «الطبري»: نَزَّهَ تَسْمِيَةً يَا مُحَمَّدُ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَذَكَرَكَ إِيَّاهُ: أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا وَأَنْتَ لَهُ خَاشِعٌ مُتَذَلِّلٌ، وَفِي «معالم التنزيل»: نَزَّهَ تَسْمِيَةً رَبِّكَ بِأَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ لَهُ مُعْظَمٌ وَلِذَلِكَ مُحْتَرَمٌ. وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عتبة بن عامر الجهني لما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوها فِي رُكُوعِكُمْ»، فلما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قَالَ: «اجْعَلُوها فِي سَجُودِكُمْ» واستاده صحيح.

(٣) تقدم تخريج البيت رقم (٦٠٠)، يقول لبيد لابنته، في أبيات هي:

تَسْتَيْ أَبْنَىٰ أَيَّ أَنْ يَمِيشَ أَبْرَهْمَا  
فَقَرَمَا فَقَرَمَا فَقَرَمَا فَقَرَمَا  
وَقَوْلَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيلَ  
وقوله: «إِلَى الْحَوْلِ»، أي: إِلَى أَنْ يَحُولَ الْحَوْلُ. والحول: السنة كاملة بأسرها، وقوله: «فَقَدَّ اعْتَدَرْتُ» هنا، بمعنى اعجزت، أي بلغ أقصى الغاية في العجز.

(٤) قال الألوسي في «روح المعاني» ٣٤٧/٩: أي نَزَّهَ أَسْمَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا لَا يَلِيقُ، فَلَا تَزُولُ مِمَّا وَرَدَ مِنْهَا اسْمًا مِنْ غَيْرِ مُقْتَضٍ، وَلَا تَبْقَى عَلَى ظَاهِرِهِ إِذَا كَانَ مَا وَضَعَ لَهُ مِمَّا لَا يَصِحُّ لَهُ تَعَالَى، وَلَا تَطْلُقُهُ عَلَى غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ أَصْلًا إِذَا كَانَ مُخْتَصًّا بِكَالِاسْمِ الْجَلِيلِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ يَشْمُرُ بِأَنَّهُ تَعَالَى وَغَيْرِهِ فِيهِ سِوَاهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُخْتَصًّا، فَلَا تَقُلْ لِمَنْ أَعْطَاكَ شَيْئًا مَثَلًا: هَذَا رَازِقِي عَلَى وَجْهِ يَشْمُرُ بِذَلِكَ رِصْتَهُ عَنِ الْإِبْتِدَالِ وَالتَّلَفُّظِ بِهِ فِي مَحَلٍّ لَا يَلِيقُ بِهِ...

(٥) زيادة ليست في الأصل، ولكنها يقتضيها السياق. (٦) في الأصل: هدى.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَرْءَ﴾ (١) أي: أنبت العشب، وما ترعاه البهائم ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ قال الزجاج، أي: جفّفه حتى جعله هشياً جافاً كالغناء الذي تراه فوق ماء السيل<sup>(١)</sup>. وقد بينا هذا في سورة [المؤمنين: ٤١]. فأما قوله تعالى: ﴿أَحْوَى﴾ فقال الفراء: الأحوى: الذي قد اسودّ عن القدم، والعنق<sup>(٢)</sup>، ويكون أيضاً: أخرج المرعى أحوى: أسود من الخضرة، فجعله غثاء<sup>(٣)</sup>؛ كما قال تعالى: ﴿مُدْمَأَمَّتَانِ﴾ (٤) [الرحمن: ٦٤].

قوله تعالى: ﴿سُتْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٥) قال مقاتل: سنعلّمك<sup>(٦)</sup> القرآن، ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً. قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدهما: إلا ما شاء الله أن ينسخه فتساه، قاله الحسن، وقتادة. والثاني: إلا ما شاء الله أن تنسى شيئاً، فإنما هو كقوله تعالى: ﴿خَلِيلِكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [مرد: ١٠٧]، فلا يشاء<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَدْرَأُ الْيَهُودَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منهما ﴿وَيُضَيِّقُ لِلنَّاسِ﴾ (٧) أي: يُسهّل<sup>(٧)</sup> عليك عمل الخير ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عظ أهل مكة ﴿إِنْ تَنَمَّ الذِّكْرُ﴾ وفي ﴿إِنْ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الشرطية، وفي معنى الكلام قولان، أحدهما: إن قيلت<sup>(٧)</sup> الذكرى، قاله يحيى بن سلام. والثاني: إن نفعت وإن لم تنفع، قاله علي بن أحمد النيسابوري. والثاني: أنها بمعنى «قد»، فتقديره: قد نفعت الذكرى، قاله مقاتل. والثالث: أنها بمعنى «ما» فتقديره: فذكر ما نفعت الذكرى، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿سَيَذَرُكَ سَيِّعٌ﴾ سيّعت<sup>(٨)</sup> بالقرآن ﴿مَنْ يَخْفَى وَيَجْتَنِبُ﴾ ويتجنب الذكرى ﴿الَّذِي يَصِلُ الْكَارَ الْكَبِيرَ﴾ (٩) أي: العظيمة الفظيعة لأنها أشد من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْفَى﴾ حياة تنفعه. وقال ابن جرير: تصير نفس أحدهم في حلقه، فلا تخرج فتضارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾ (١٠) وَكَرَّرَ أَسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّ (١١) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٢) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٤) صُفِّ إِلَهُمُ وَتُوسَى (١٥)

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ قال الزجاج: أي: صادف البقاء الدائم، والفوز ﴿مَنْ زَكَّى﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: من تطهّر<sup>(١٤)</sup> [من] الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس. والثاني: من أعطى صدقة الفطر، قاله أبو سعيد الخدري، وعطاء، وقتادة. والثالث: من كان عمله زاكياً، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنها زكوات الأموال كلّها، قاله أبو الأحوص. والخامس: تكثّر بتقوى الله. ومعنى الزاكي: النامي الكثير، قاله الزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ أَسْمَ رَبِّهِ﴾ قد سبق بيانه [الأحزاب: ٣١]. وفي قوله تعالى: ﴿فَصَلَّ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الصلوات الخمس، قاله ابن عباس، ومقاتل. والثاني: صلاة العيدين، قاله أبو سعيد الخدري. والثالث: صلاة التطوّع، قاله أبو الأحوص. والقول قول ابن عباس في الآيتين، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة، ولا عيد.

قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦) قرأ أبو عمرو، وابن قتيبة، وزيد عن يعقوب «بل يؤثرون» بالياء،

(١) في الأصل: السيل، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: والعنق، وهو تصحيف، والتصحیح من «اللسان» نقلًا عن الفراء.

(٣) نص عبارة الفراء كما في «اللسان»: وقد يكون معناه أيضاً: أخرج المرعى أحوى، أي: أخضر فجعله غثاء بعد خضرته، فيكون مؤخرًا معناه التقديم، والأحوى: الأسود من الخضرة.

(٤) في الأصل: سيعلمك.

(٥) عبارة الفراء كما في «القرطبي» ١٨/١٠: إلا ما شاء الله وهو لم يشأ أن ينسى شيئاً، كقوله تعالى: ﴿خَلِيلِكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ولا يشاء.

(٦) في الأصل: لسهل.

(٧) في الأصل: قلت، والتصحیح من مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٨) في الأصل: أسرمت ينعظ، والتصحیح من «مجمع البيان» للطبرسي. (٩) في الأصل: يظهر.

والباقون بالتاء، واختار الفراء والزجاج التاء، لأنها رويت عن أبي بن كعب: «بل أنتم تؤثرون». فإن أريد بذلك الكفار، فالمعنى: أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بها. وإن أريد به المسلمون، فالمعنى: يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب. قال ابن مسعود: إن الدنيا عجلت لنا، وإن الآخرة تُعِثُّ<sup>(١)</sup> لنا، وزويت عنا، فأخذنا بالعاجل [وتركنا الآجل]<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ لك؛ يعني الجنة أفضل ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدام من الدنيا. ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾<sup>(٣)</sup> في المشار إليه أربعة أقوال: أحدها: أنه قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾<sup>(٤)</sup> قاله قتادة. والثاني: هذه السورة، قاله عكرمة، والسدي. والثالث: أنه لم يرد [أن معنى] السورة [في الصحف الأولى]، ولا الألفاظ<sup>(٥)</sup> بعينها، وإنما أراد أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلّى، في الصحف الأولى، كما هو في القرآن، قاله ابن قتيبة. والرابع: أنه من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾<sup>(٦)</sup> إلى قوله: ﴿وَأَبْقَى﴾<sup>(٧)</sup> قاله ابن جرير<sup>(٨)</sup>. ثم بيّن الصحف الأولى ما هي، فقال: ﴿صُحُفٌ يُذَكِّرُهُمْ وَيُؤْمِنُ﴾<sup>(٩)</sup> وقد فسرناها في [النجم: ٣٦].



(١) في الأصل: نُعِثَ.

(٢) زيادة لم ترد في الأصل، استدركاها من الطبري، والبغوي و«مجمع البيان» والقرطبي، وابن كثير. وعبارة ابن جرير الطبري في «التفسير»: عن عرفة التفقي قال: استقرأت ابن مسعود «سُجَّ اسْمُ رَبِّكَ الْكَلَمُ» فلما بلغ: ﴿قُلْ تُؤْتِيهِمُ الْحَيَاةَ الدَّيْنِيَّةَ﴾<sup>(١)</sup> ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا لآنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فأخذنا العاجل وتركنا الآجل. قال ابن كثير: وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم.

(٣) في الأصل: لفاظها، والتصويب من «غريب القرآن» ٥٢٤.

(٤) واختاره، وقال: وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره، لأن «هذا» إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قُرِبَ منها، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره.

## سورة الغاشية

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝ وَجُوهُ يُوعَدُونَ خَنِيمَةً ۝ غَائِلَةً نَّاسِيَةً ۝ صَلَّاتًا نَّارًا سَاجِيَةً ۝ تُشَفِّقُ مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ ۝ لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ۝ لَا يَسُوفُ وَلَا يَنْفِي مِنْ شَيْءٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي: قد أتاك، قاله قطرب. وقال الزجاج: والمعنى: هذا لم يكن من علمك<sup>(١)</sup>، ولا من علم قومك. وفي «الغشية» قولان: أحدهما: أنها القيامة تغشى الناس بالآهوال، قاله ابن عباس، والضحاك، وابن قتبية. والثاني: أنها النار تغشى وجوه الكفار، قاله سعيد بن جبير، والقرطبي، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يُوعَدُونَ خَنِيمَةً﴾ أي: ذليلة، وفيها قولان: أحدهما: أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس. والثاني: أنه جميع الكفار، قاله يحيى بن سلام.

قوله تعالى: ﴿غَائِلَةً نَّاسِيَةً﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبد الأوثان، وكفأ أهل الكتاب، مثل الرهبان وغيرهم، رواه عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنهم الرهبان، وأصحاب الصوامع، رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم. والثالث: عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال، لأنها [لم]<sup>(٢)</sup> تعمل لله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن. وقال قتادة: تكبرت في الدنيا عن طاعة الله، فأعملها وأنصبها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب. قال الضحاك: يُكَلَّفُونَ ارتقاء جبل في النار. وقال ابن السائب: يَخْرُجُونَ على وجوههم في النار. وقال مقاتل: عاملة في النار تأكل من النار، ناصبة للعذاب. والرابع: عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة، قاله عكرمة السدي. والكلام هاهنا على الوجوه، والمراد أصحابها. وقد بينا معنى «النصب» في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَهْمُ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿صَلَّاتًا نَّارًا سَاجِيَةً﴾ قرأ أهل البصرة وعاصم إلا حفصاً «تُضَلَّى» بضم التاء. والباقون بفتحها<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: قد حمت فهي تنلظي<sup>(٤)</sup> على أعداء الله، «تُشَفِّقُ مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ»، أي: متناهية في الحرارة. قال الحسن: وقد [أوقدت]<sup>(٥)</sup> عليها جهنم منذ خلقت، فدفعوا إليها [ورداً]<sup>(٦)</sup> عطاشاً.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ فيه ستة أقوال: أحدها: أنه نبت ذو شوك لا طعم بالأرض، وتسميه قريش «الشُّبْرُق» فإذا هاج سموه: صريعاً، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، وقاتادة. والثاني: أنه شجر من نار، رواه الوالي عن ابن عباس. والثالث: أنها الحجارة، قاله ابن جبير. والرابع: أنه السِّلَمُ<sup>(٧)</sup>، قاله أبو الجوزاء. والخامس: أنه في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس له ورق، وهو في الآخرة شوك من نار، قاله ابن زيد. والسادس: أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه، قاله ابن كيسان. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية قال المشركون:

(١) في الأصل: علمك، والتصحيح من «القرطبي».

(٢) قال في «البحر» و«روح المعاني»: وقرأ خارجة «تُضَلَّى» بضم التاء، وفتح الصاد مشدداً للام، للبيان.

(٣) في الأصل: تنلظي.

(٤) كلمة «أوقدت» سقطت من الأصل، واستدركتها من البغوي والخازن والقرطبي.

(٥) في الأصل: السلا.

(٦) زيادة من البغوي والخازن والقرطبي.



إِنْ إِبْلِسًا لَتَسْمُنَ عَلَى الضَّرِيعِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي وَلَا يَتَّقِي مِنْ شَيْءٍ﴾ (٧) وَكَذَّبُوا، فَإِنْ إِبْلِسًا إِنَّمَا تَرَعَاهُ مَا دَامَ رَطْبًا، وَحِينَئِذٍ يَسْمُنُ شَيْبَرًا، لَا ضَرِيعًا، فَإِذَا يَسُومُ: ضَرِيعًا لَمْ يَأْكُلْ شَيْءًا. فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ (١) قَدْ أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ رَبِّهِ﴾ (٢) وَفِي مَكَانٍ آخَرَ: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشِيلِينَ﴾ (٣) [الْحَاقَّةُ: ٣٦] فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّارَ دَرَكَاتٌ، وَعَلَى قَدَرِ الذُّنُوبِ تَقَعُ الْعُقُوبَاتُ، فَمِنْهُمْ مَنْ طَعَامُهُ الرِّقُّومُ، [وَمِنْهُمْ] (٤) مَنْ طَعَامُهُ غَشِيلِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الْحَمِيمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ شَرَابُهُ الصَّدِيدُ، قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْوُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْشُوعَةٌ (١٤) وَنَارٌ مَقْصُوفَةٌ (١٥) وَذَكَرْنَا مَبْنُوءَةً (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْبَحْرِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَوِّطٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيَذَرُوهَ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)﴾

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (٨) أي: في نعمة وكرامة ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ والمعنى: رَضِيَتْ بِثَوَابِ عَمَلِهَا ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٩) قد فسرناه في [الْحَاقَّةُ: ٢٢]، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس «لا يُسْمَعُ» بياء مضمومة. «لاغية» بالرفع. وقرأ نافع كذلك إلا أنه ببناء مضمومة، والباقون بناء مفتوحة، ونصب «لاغية» والمعنى: لا تسمع فيها كلمة [الغوا] (١٤) ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْوُوعَةٌ﴾ (١٢) قال ابن عباس: ألواحها من ذهب مكلفة بالزبرجد، والدر، والياقوت، مرفوعة ما لم يجى أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها، تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى موضعها ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْشُوعَةٌ﴾ (١٤) عندهم. وقد ذكرنا «الأكواب» في [الزخرف: ٧١]، ﴿وَنَارٌ مَقْصُوفَةٌ﴾ وهي الوسائد، واحدها: نمرقة بضم النون. قال الفراء: وسمعت بعض كلب تقول: نِمْرَقَةٌ، بكسر النون والراء ﴿وَنَارٌ مَقْصُوفَةٌ﴾ بعضها إلى جنب بعض، والزرايبي: الطنافس [التى] (٥) لها خَمَلٌ (٦) رقيق ﴿مَبْنُوءَةٌ﴾ كثيرة. قال ابن قتيبة: كثيرة مفرقة. قال المفسرون: لما نعت الله سبحانه ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الكفرة، فذكروهم صنعه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ﴾ (٧) وقال قتادة: ذكر الله ارتفاع [سُرُرٍ] (٨) الجنة، وفرشها، فقالوا: كيف نصعدها، فنزلت هذه الآية (٩). قال العلماء: وإنما خص الإبل من غيرها لأن العرب لم يَرَوْا بهيمة قط أعظم منها، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم، ولأنها كانت أنفس أموالهم وأكثرها، لا تفارقهم ولا يفارقونها، فيلاحظون فيها العير الدالة على قدرة الخالق، من إخراج لبنها من بين قرني ودم [و] (١١) من عجب خلقها، وهي على عظمها مذللة للحمل الثقيل، وتنقاد للصبي الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطبق النهوض به سواها. وقرأ ابن عباس، وأبو عمران الجوني، والأصمعي عن أبي عمرو «الإبل» بإسكان الباء، وتخفيف اللام. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدري، وابن السميع، ويونس بن حبيب وهارون كلاهما عن أبي عمرو «الإبل» بكسر الباء، وتشديد اللام. قال هارون: قال أبو عمرو: «الإبل» بتشديد اللام: السحاب الذي يحمل الماء.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَتْ﴾ وفتح الخاء، وضم التاء. وكذلك قروا: «رُفِعَتْ» و«نُصِبَتْ» و«سُطِحَتْ».

قوله تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) من الأرض حتى لا ينالها شيء بغير عمد ﴿وَإِلَى الْبَحْرِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩)

(١) في الأصل: ابن.

(٢) زيادة لم ترد في الأصل.

(٣) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي نقلًا عن الفراء والأخفش.

(٤) زيادة من الطبري والقرطبي.

(٥) في الأصل: حل.

(٦) رواه ابن جرير الطبري ١٦٥/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٤٣/٦ وزاد نسيه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٧) كلمة «سرد» سقطت من الأصل، واستدركتها من البغوي والخازن.

(٨) ذكره البغوي والخازن عن قتادة بغير سند.

(٩) زيادة ليست في الأصل.

على الأرض لا تزول ولا تتغير ﴿وَلِلَّهِ الْأَرْضُ كَيْفَ سُطِّحَتْ﴾<sup>(١)</sup> أي: بُسِطَتْ. والسطح: بسط الشيء، وكل ذلك يدل على [قدرة]<sup>(٢)</sup> خالقه ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي: عِظْ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: واعظ، ولم يكن حينئذ أمر بغير التذكير، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُنْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أي: بمسلط، فتقتلهم وتكرهمهم على الإيمان<sup>(٣)</sup>. ثم نسختها آية السيف. وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والحلواني عن ابن عامر «بمسيطر» بالسين. وقد سبق بيان «المسيطر» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُمْ الْمُصَيِّرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ وهذا استثناء منقطع معناه: لكن من تولى ﴿وَكَفَرَ﴾ بعد التذكير. وقرأ ابن عباس، وعمر بن العاص، وأنس بن مالك، وأبو مجلز، وقتادة، وسعيد بن جبيرة «ألا من تولى» بفتح الهمزة وتخفيف اللام ﴿فَعَذِبَهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾<sup>(٤)</sup> وهو أن يدخله جهنم، وذلك أنهم قد عذبوا في الدنيا بالجوع، والقتل، والأسر، فكان عذاب جهنم هو الأكبر ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> قرأ أبي بن كعب، وعائشة، وعبد الرحمن، وأبو جعفر «إيآبهم» بتشديد الياء، أي: رجوعهم ومصيرهم بعد الموت ﴿ثُمَّ لَنَعْلَمَنَّ حَسَابَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> قال مقاتل: أي: جزاءهم.



(١) قال القرطبي: وقرأ الحسن وأبو حية وأبو رجاء «سُطِّحَتْ» بتشديد الطاء وإسكان التاء.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» ٥٣/١ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، ثم قرأ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾<sup>(١)</sup> كُنْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»، ورواه الترمذي (١٧٠/٢) وقال: حديث حسن صحيح.

## سورة الفجر

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَكَالَ عَشْرِ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَرُ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَمِيرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَاءِ ۝ إِدْمَ ذَاكَ الْمَاءِ ۝ أَكَلَىٰ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْبَلَدِ ۝ وَمَوْءُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۝ وَرَوَّعُونَ ذِي الْأَوْدَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ۝ فَاتَّخَذُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ مُّصَادٍ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝﴾ قال ابن عباس: الفجر: انفجار الظلمة عن الصباح، وانفجر الماء: انبجس. قال شيخنا علي بن عبيد الله: الفجر: ضوء النهار إذا انشق عنه الليل، وهو مأخوذ من الانفجار، يقال: انفجر النهر يتفجر انفجاراً: إذا انشق فيه موضع لخروج الماء، ومن هذا سمي الفاجر فاجراً، لأنه خرج عن طاعة الله. وللمفسرين في المراد بهذا الفجر ستة أقوال: أحدها: أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار، قاله علي عليه السلام<sup>(١)</sup>. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو انفجار الصباح كل يوم، وبهذا قال عكرمة، وزيد بن أسلم، والقرظي. والثاني: صلاة الفجر، رواه عطية عن ابن عباس. والثالث: النهار كله، فعبر عنه بالفجر، لأنه أوله، وروى هذا المعنى أبو نصر<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس. والرابع: أنه فجر يوم النحر خاصة، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>. والخامس: أنه فجر أول يوم<sup>(٤)</sup> من ذي الحجة، قاله الضحاك. والسادس: أنه أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَرُ ۝﴾ فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه عشر ذي الحجة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي ومقاتل<sup>(٥)</sup>. والثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، رواه أبو طيخان عن ابن عباس. والثالث: العشر الأول من رمضان، قاله الضحاك. والرابع: العشر الأول من المحرم، قاله يمان بن رثاب.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وخلف «الوتر» بكسر الواو، وفتحها الباقون، وهما لغتان. قال الفراء: الكسر لقريش وتميم وأسد، والفتح لأهل الحجاز. وللمفسرين في «الشفع والوتر» عشرون قولاً: أحدهما: أن الشفع: يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر: ليلة النحر، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>. والثاني: يوم النحر، والوتر: يوم عرفة، رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ، وبه قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك<sup>(٧)</sup>. والثالث: أن الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع، ومنها الوتر، رواه عمران بن حصين عن

(١) وهو المختار، وقد قال بذلك أيضاً ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والسدي.

(٢) في الأصل: أبو نصر، والتصحيح من «الطبري» وكتب الرجال، ولا يعرف له اسم. أخرج له البخاري في «الأدب المفرد»، وقال أبو زرعة: أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس ثقة.

(٣) وبذلك قال مسروق، ومحمد بن كعب، وهو خاتمة الليالي العشر. (٤) في الأصل: يوم أول.

(٥) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري، وقال: الصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه. وقال ابن كثير: الليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف، قال: وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيها من هذه الأيام» يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

(٦) قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧: رواه الطبراني في حديث طويل، وفيه وأصل بن السائب، وهو متروك. وقال الحافظ السيوطي في «الدر» ٢٤٦/٦: أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أيوب الأنصاري.

(٧) عبارة الأصل: «رواه جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وبه قال عكرمة والضحاك» وهي خطأ، فإن جابراً عليه السلام لم يروه عن رسول الله ﷺ بواسطة ابن عباس، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله ﷺ كما في «مسند أحمد» ٣٢٧/٣ من رواية زيد بن الحباب عن عياض بن عتبة =

رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وبه قال قتادة. والرابع: [أن الشفع: الخلق كله، والوتر: الله تعالى]<sup>(٢)</sup>، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد في رواية مسروق، وأبو صالح. والخامس: أن الوتر: آدم شفع بزوجته<sup>(٣)</sup>، رواه مجاهد عن ابن عباس. والسادس: أن الشفع يومان بعد يوم النحر، وهو النفر الأول، والوتر: اليوم الثالث، وهو النفر الأخير، قاله عبد الله بن الزبير، واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَجَلَّى فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِقَمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والسابع: أن الشفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب، حكاية عطية. والثامن: أن الشفع: الركعتان من صلاة المغرب، والوتر: الركعة الثالثة، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس. والتاسع: أن الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر، قاله ابن زيد ومجاهد في رواية. والعاشر: أنه العدد، منه شفع، ومنه وتر، وهذا والذي قبله مرويان عن الحسن. والحادي عشر: أن الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام [منى]<sup>(٤)</sup> الثلاثة، قاله الضحاك. والثاني عشر: أن الشفع: هو الله، لقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، والوتر: هو الله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قاله سفيان بن عيينة. والثالث عشر: أن الشفع: هو آدم وحواء. والوتر: الله تعالى، قاله مقاتل بن سليمان. والرابع عشر: أن الشفع: الأيام والليالي، والوتر: اليوم الذي لا ليلة [بعده]<sup>(٥)</sup>، وهو يوم القيامة، قاله مقاتل بن حيان. والخامس عشر: الشفع: درجات الجنان، لأنها ثمان، والوتر: ذركات النار لأنها سبع، فكان الله أقسم بالجنة والنار، قاله الحسين بن الفضل. والسادس عشر: الشفع: تضاد أوصاف المخلوقين بين عزٍّ وذلٍّ، وقدرة وعجز، وقوة وضعف، وعلم وجهل، وموت وحياة. والوتر: انفراد صفات الله ﷻ: عزٌّ بلا ذلٍّ، وقدرة بلا عجز، وقوة بلا ضعف، وعلم بلا جهل، وحياة بلا موت، قاله أبو بكر الورّاق. والسابع عشر: أن الشفع: الصفا والمروة، والوتر: البيت. والثامن عشر: أن الشفع: مسجد مكة والمدينة، والوتر: بيت المقدس. والتاسع عشر: أن الشفع: القرآن بين<sup>(٦)</sup> الحج والتمتع، والوتر: الأفراد. والعشرون: الشفع: العبادات المتكررة، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والوتر: العبادة التي لا تتكرر، وهو الحج، حكى هذه الأقوال الأربعة الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلُ إِذَا يَتَرُ﴾ وقرا ابن كثير، ويعقوب «يسري» بياء في الوصل والوقف، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرا ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي «بتر» بغير ياء في الوصل والوقف. قال الفراء، والزجاج: الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات، ولاتباع المصحف<sup>(٧)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَلُ إِذَا يَتَرُ﴾ قولان: أحدهما: أن الفعل له، ثم فيه قولان: أحدهما: إذا يسري ذاهباً، قاله الجمهور، وهو اختيار الزجاج. والثاني: إذا يسري مقبلاً، قاله قتادة. والقول الثاني: أن الفعل لغيره<sup>(٨)</sup>، والمعنى: إذا يسري فيه؛ كما يقال: ليل نائم، أي: ينام

= عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير، هو محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي، وهو صدوق من رجال مسلم، إلا أنه يدلّس كما قال المحافظ ابن حجر في «التقريب». وقال ابن كثير: ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله، وكل منهما عن زيد بن الحباب به، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به، قال: وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم. وقال المحافظ البهيمي في «مجمع الزوائد» ١٣٧/٧: رواه البزار، وأحمد، ورجالهما رجال الصحيح، غير عياش بن عقة، وهو ثقة، وأما عبد الله بن عباس، فلم يروه مرفوعاً، وإنما روي هذا المعنى موقوفاً، كما في «الطبري» ١٧٠/٣٠، ولذلك قال ابن كثير بعدما أورد حديث جابر من رواية أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم، قال (أي هذا المعنى) ابن عباس، وعكرمة، والضحاك أيضاً.

(١) رواه أحمد في «المستند» ٤٤٢/٤ من حديث همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبي أبو عمارة البصري، عن شيخ من أهل البصرة، عن عمران بن حصين رضي الله عنه. ورواه أيضاً الترمذي ١٧٠/٢ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة، ورواه ابن جرير الطبري ١٧٢/٣٠ عن خالد بن قيس عن قتادة به، والمحاكم في «المستدرک» ٥٢٢/٢ من حديث همام عن قتادة به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفيه نظر؛ لأن الراوي عن عمران بن حصين مجهول، ولم يوثقه إلا ابن حبان. وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٤٦/٦ وزاد نسبه لعيد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) عبارة الأصل: «أن الشفع الوتر وله الخلق كله، والوتر: الله تعالى» والتصحيح من الطبري والقرطبي.

(٣) في الأصل: بن وجه، والتصحيح من القرطبي، وتيل: إن الشفع والوتر آدم وحواء، لأن آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء، فصار شفعاً بعد وتر.

(٤) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي. (٥) سقطت من الأصل، واستدركتها من القرطبي.

(٦) في الأصل: في. (٧) وهو اختيار ابن جرير الطبري.

(٨) في الأصل: لميرة.



فيه، قاله الأخفش، وابن قتيبة. وفي المزاد بهذا الليل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام في كل ليلة، وهذا الظاهر. والثاني: أنه ليلة المزدلفة، وهي ليلة جَمْع<sup>(١)</sup>، قاله مجاهد وعكرمة. والثالث ليلة القدر، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: [هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها]<sup>(٢)</sup> ﴿قَسَمَ لِيَّ يَحْيَى﴾ أي: لذي عقل، وسمي العقل حَجَرًا، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح، وسمي عقلاً، لأنه يعقل عما لا يحسن، وسمي العقل النُّهَى، لأنه ينهي عما لا يحل<sup>(٣)</sup>. ومعنى الكلام: أن من كان ذا لُبٍّ عَلم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء، فيه دلائل على توحيد الله وقدرته، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته. وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَإِلَهِمَّ﴾ فاعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلْ رَبُّكَ يَمَاوُءَ﴾ فخوف أهل مكة بإهلاك من كان أشد منهم. وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر «بعاد إرم» بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة. وفي «إرم» أربعة أقوال: أحدها: أنه اسم بلدة، قال الفراء: ولم يُجَرَّ<sup>(٤)</sup> «إرم» لأنها اسم بلدة ثم فيها ثلاثة أقوال، أحدها: أنها دمشق، قاله سعيد بن المسيب، وعكرمة، وخالد الزبيري. والثاني: الاسكندرية، قاله محمد بن كعب<sup>(٥)</sup>. والثالث: أنها مدينة صنعها شداد بن عاد، وهذا قول كعب. وسأتي ذكره إن شاء الله تعالى. والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة<sup>(٦)</sup>، قاله مجاهد. والثالث: أنه قبيلة من قوم عاد<sup>(٧)</sup>، قاله قتادة ومقاتل. قال الزجاج: وإنما لم تنصرف «إرم» لأنها جعلت اسماً للقبيلة ففتحت، وهي في موضع خفض. والرابع: أنه اسم لَحْدٍ عادٍ، لأنه عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، قاله ابن إسحاق<sup>(٨)</sup>. قال الفراء: فإن كان اسماً لرجل على هذا القول، فإنما ترك إجراؤه<sup>(٩)</sup>، لأنه كالعجمي، قال أبو عبيدة: هما عادان، فالأولى: هي إرم، وهي التي قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَعْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وهل قوم هود عاد الأولى، أم لا؟ فيه قولان قد ذكرناهما في [النجم]<sup>(١٠)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿إِرم ذات اليماء﴾ أربعة أقوال: أحدها: لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلاً حيث كان، ثم يرجعون إلى منازلهم، فلا يقيمون في موضع، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، والفراء<sup>(١١)</sup>. والثاني: أن معنى ذات اليماء: ذات الطول، روى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال مقاتل، وأبو عبيدة. قال الزجاج: يقال: رجل مُعَمَّد: إذا كان طويلاً. والثالث:

(١) في الأصل: جمعة، والتصحيح من الطبري «والمر المتور»، سميت بذلك لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى.

(٢) عبارة الأصل: فيما سألوه ولده وقد قوماها كما ترى اعتماداً على كتب التفسير.

(٣) عبارة البغوي: وسمي العقل حجراً، لأنه يعجز صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي، كما يسمى عقلاً، لأنه يعقله عن القباح، ونهى، لأنه ينهى عما لا ينبغي.

(٤) سقطت من الأصل الباء من «يقوله»، والتصحيح من «مجمع البيان» للطبرسي.

(٥) في الأصل: ولم يجز، وهو تصحيف، والتصويب من الطبري، ومعنى «لم يجز» لم يصرف.

(٦) علق ابن كثير رحمه الله على هذه الأقوال بقوله: ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرم ذات اليماء﴾ مدينة، إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب، وعكرمة، أو إسكندرية، كما روي عن القرطبي، أو غيرها، ففيه نظر، فإنه كيف يلتم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَعَلْ رَبُّكَ يَمَاوُءَ﴾ ﴿إِرم ذات اليماء﴾ إن جعل ذلك بدلاً أو عطفاً بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بابه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، قال: وإنما نهيت على ذلك لئلا يفتن بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات اليماء، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها، وأن حصانها لآلئ وجواهر، وترباها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وشمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تنتقل، فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجيلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(٧) يعني عاداً الأولى.

(٨) قال ابن جرير الطبري: وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها وترك إجرائها، قال: ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد، لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة والله أعلم، فلذلك أجمعت القراءة فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء.

(٩) الذي في الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن إسحاق: عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.

(١٠) في الأصل: ترك جاؤه.

(١١) في الأصل زيادة «أحدهما» بين قوله: «قولان» وقد. وانظر تفسير الآية (٥٠) من سورة النجم.

(١٢) واختاره ابن جرير الطبري.

ذات القوة والشدة، مأخوذ من قوة الأعمدة، قاله الضحاك. والرابع: ذات البناء المحكم بالعماد، قاله ابن زيد. وقيل: إنما سميت ذات العماد لبناء بناء بعضهم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ ۝﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وأبو عمران: «لم تَخْلُقْ» بناءً مفتوحة ورفع اللام «مثلها» بنصب اللام. وقرأ معاذ القارئ، وعمرو بن دينار: «لم تَخْلُقْ» بنون مفتوحة ورفع اللام «مثلها» بنصب اللام. وفي المشار إليها قولان: أحدهما: لم يَخْلُقْ مثل تلك القبيلة في الطول والقوة، وهذا معنى قول الحسن<sup>(٢)</sup>. والثاني: المدينة لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد، قاله عكرمة. وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة، وهذه الإشارة إلى ذلك: روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة. فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله<sup>(٣)</sup> عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلًا، فنزل عن دابته، وعقلها، وسل سيفه، ودخل من باب الحصن، فلما دخل<sup>(٤)</sup> الحصن إذا هو بيايين<sup>(٥)</sup> عظيمين [لم ير أعظم منهما<sup>(٦)</sup>]، والبايان مُرْصَعَان بالياقوت [الأبيض<sup>(٧)</sup> والأحمر، فلما رأى ذلك دهش<sup>(٨)</sup>]، ففتح أحد البايين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور، كل قصر فوقه غرف<sup>(٩)</sup> وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت. ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من مسك وزعفران. فلما عين ذلك، ولم ير أحداً، هاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر، وتحت الشجر أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة. فقال الرجل: إن هذه هي الجنة، فحمل معه من لؤلؤها، ومن بنادق المسك والزعفران ورجع إلى اليمن، فآظهر ما كان معه. وبلغ الأمر إلى معاوية، فأرسل إليه، فقصص عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأبحار، فلما أتاه قال له: يا أبا إسحاق! هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أخبرك بها ويمن بناها؟ إنما بناها شداد بن عاد، والمدينة: «إرم ذات العماد»، قال: فحدثني حديثها، فقال: إن عاداً<sup>(١٠)</sup> المنسوب إليهم عاد الأولى، كان له ولدان: شديد، وشداد. فلما مات [عاداً<sup>(١١)</sup>]، ثم مات شديد وبقي شداد، ملك الأرض، ودانت له الملوك، وكان مولعاً بقراءة الكتب، فكان إذا مر بذكر الجنة دعت نفسه إلى بناء مثلها عتوراً على الله تعالى. فأمر بصنع «إرم ذات العماد»، فأمر على عملها مائة قهرمان<sup>(١٢)</sup> مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدّوه بما في بلادهم من الجواهر، فخرج القهارة<sup>(١٣)</sup> يسبيرون<sup>(١٤)</sup> في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة، فوقفوا على صحراء<sup>(١٥)</sup> عظيمة نقية من التلال، وإذا فيها عيون ماء ومروج<sup>(١٦)</sup> فقالوا: هذه صفة الأرض التي أمر الملك أن يبنى بها، فوضعوا على أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة، وكان عمر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه وقد فرغوا منها<sup>(١٧)</sup> قال: انطلقوا، واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف عَلم ليكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، ففعلوا ذلك، فأمر الملك الوزراء - وهم ألف وزير - أن يتهيئوا للنقلة إلى «إرم ذات العماد»، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كانوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله

(١) في الأصل: لبناء بعضهم، والتصحيح من الطبري.

(٢) في الأصل: أن فيها أحد سألها، والتصحيح من «مجمع البيان» للطبرسي.

(٣) في الأصل: دنا، والتصحيح من «مجمع البيان».

(٤) في الأصل: ما بين.

(٥) زيادة من «مجمع البيان».

(٦) في الأصل: دهن.

(٧) في الأصل: كل قصر منها فيها غرف، والتصحيح من «مجمع البيان».

(٨) في الأصل: عاد.

(٩) القهرمان: من أماء الملك وخاصته، فارسي معرب.

(١٠) في الأصل: قتيّدوا.

(١١) في الأصل: لتجدوا ما يوافقهم حتى وقعوا على صحرة، والتصحيح من الخازن.

(١٢) في الأصل: وإذا هم يمتون مطردة، والتصحيح من الخازن.

(١٣) في الأصل: وقد فرغوا منه، والتصحيح من الخازن.

عليه، وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يَبْقَ منهم أحد<sup>(١)</sup>. وروى الشعبي عن دَعْقَل<sup>(٢)</sup> الشيباني عن علماء جَمَيْر قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة، ملك بعده ابنه مَرْكَد بن شَدَاد، وقد كان أبوه خَلَفَهُ بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، وأمر [بدفنه]<sup>(٣)</sup> فَحَفَرَتْ له حفيرة في<sup>(٤)</sup> مفازة، فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبان الذهب، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه:

رورُ بالعمر المديد<sup>(٥)</sup>  
صاحبُ الحصن المشيد<sup>(٦)</sup>  
ساء والملك الحشيد<sup>(٧)</sup>  
لي من خوف وعيدي<sup>(٨)</sup>  
ب بسلطان شديد  
لدة فيه والمديد  
في ضلال قبل هود  
ه إلى الأمر الرشيد<sup>(٩)</sup>  
ما لكم هل من حديد<sup>(١٠)</sup>  
وي من الأفق البعيد  
وسط بيداء حصيد

إعتبر يا أيها المنـ  
أنا شَدَادُ بنُ عاد  
وأخو القوّة والبأ  
دان أهل الأرض طـ  
وملكت الشرق والغـ  
ويفضل الملك والمـ  
فأتى هود وكثـ  
فدعانا لوقبلنا  
فعمسيناه ونادى  
فأتينا<sup>(١١)</sup> صيحة تهـ  
فتوافينا كززع

قوله تعالى: ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءُوا النَّصْرَ﴾ قطعوه ونقبوه. قال إسحاق: والوادي: وادي القرى. وقرأ الحسن: «بالوادي» بإثبات الياء في الحاليين. ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَاغِ﴾ مفسر في سورة [ص: ١٢]، ﴿الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْأُتُودِ﴾ يعني: عاداً، وثمود، وفرعون، عملوا بالمعاصي، وتجبروا على أنبياء الله ﴿فَاكْشَرُوا فِيهَا الْكَسَادَ﴾ القتل والمعاصي ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، قال ابن قتبية: وإنما قال: سوط عذاب، لأن التعذيب قد يكون بالسوط. وقال الزجاج:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» ١٨٤ عن حديث عبد الله بن قلابة الذي ساقه المؤلف بطوله: رواه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لبيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت، فذكره مطولاً. قال ابن حجر: قلت: آثار الوضع عليه لائحة. وقال ابن كثير: فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعراحي، فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة، وألوان الجواهر والياقوت، والآلات والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها، والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بباخير وعقاقير ونحو ذلك من الهفيات، ويطنزون بهم، والذي يهزم به أن في الأرض دقاتن جاهلية وإسلامية، وكنوزاً كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها، فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب.

وقال الشوكاني في «فتح القدير» عن حديث عبد الله بن قلابة: وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء، وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دعياء، وفارقة عظمى، ورزية كبرى، من أمثال هؤلاء الكذابين الذين يجترئون على الكذب، تارة على بني إسرائيل، وتارة على الأنبياء، وتارة على الصالحين، وتارة على رب العالمين، وتضاعف هذا الشر وزاد كثره بتصدد جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضميغها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز، فادخلوا هذه الخرافات المختلفة والأقايص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه، فحرفوا وغيروا ويكذّبوا، قال: ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فليُنظر في كتابي الذي سميت «القوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة».

(٢) في الأصل: وعقل.

(٣) زيادة ليست في الأصل.

(٤) في الأصل: من.

(٥) في الأصل: «العميد».

(٦) البيت في الأصل: وإن أهل الأرض لي من خوف وعدي وعيدي، والتصحيح من «معجم البلدان».

(٧) في الأصل: الشديد، وفي «معجم البلدان»: «أجيتاء» مكان قوله: «قلناه».

(٨) البيت في الأصل: فعمسيناه وناديت ألا هل من مجيد؟

(٩) في الأصل: فأتينا.





قوله تعالى: ﴿وَتُحْشَرُونَ الْآلَاءَ﴾ أي: تحبون جمعه ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا تنفقونه في خير ﴿كَلَّا﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يكون [الأمراء<sup>(١)</sup>]. ثم أخبر عن تلفهم على ما سلف منهم حين لا يفهمهم، فقال تعالى: ﴿إِذَا ذُكِّرَ الْأَرْضُ ذُكَّا ذُكَّا﴾ أي: مرة بعد مرة، فتكسر كل شيء عليها، ﴿وَبَيَّأَ رَبُّكَ﴾ قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ صَدًّا صَدًّا﴾ أي: تأتي [ملائكة<sup>(٢)</sup>] كل سماء صفاً صفاً<sup>(٣)</sup> على حدة. قال الضحاك: يكونون سبعة صفوف، ﴿وَيَأْتِيَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِحَمَدٍ﴾ روى مسلم في أفراد من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بهن يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع [كل زمام<sup>(٤)</sup>] سبعون<sup>(٥)</sup> ألف ملك يجرونها». قال مقاتل: يجاء بها فتقام عن يسار العرش.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يجاء بهنهم ﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ أي: يتنظ الكافر ويتوب. قال مقاتل: هو أمية بن خلف ﴿وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَ﴾ أي: كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع ﴿يَقُولُ يَتَّبِعْتَنِي فَدَسْتُ﴾ العمل الصالح في الدنيا ﴿يَلْبِثُ﴾ في الآخرة التي لا موت فيها ﴿فَوَيْلٌ لَّ يَعْذِبُ عَنْابَهُ أَحَدٌ﴾ قرأ الكسائي، ويعقوب، والمفضل «لا يعذب» بفتح الذال، والباقون بكسرها، فمن فتح، أراد: لا يعذب عذاب الكافر أحد، ومن كسر أراد: لا يعذب عذاب الله أحد، أي كعذابه، وهذه القراءة تختص بالدنيا، والأولى تختص بالآخرة<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَهَا أَنْفُسُ الْمُطْمَئِنِّينَ﴾ اختلّفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال: أحدها: في حمزة بن عبد المطلب لما استشهد يوم أحد، قاله أبو هريرة، وبريدة الأسلمي. والثاني: في عثمان بن عفان حين أوقف بشر رومة<sup>(٧)</sup>، قاله الضحاك. والثالث: في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة، قاله مقاتل. والرابع: في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حكاه الماوردي. والخامس: [في<sup>(٨)</sup>] جميع المؤمنين، قاله عكرمة<sup>(٩)</sup>. وفي معنى «الْمُطْمَئِنِّينَ» ثلاثة أقوال: أحدها: المؤمنة، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المطمئنة بالإيمان. والثاني: الراضية بقضاء الله، قاله مجاهد. والثالث: الموقنة بما وعد الله، قاله قتادة. واختلّفوا في أي حين يقال لها ذلك على قولين: أحدهما: عند خروجها من الدنيا، قاله الأكثرون. والثاني: عند البعث يقال لها: ارجعي إلى صاحبك، وإلى جسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وعكرمة والضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿أَرْجِعِي إِلَيَّ رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: ارجعي إلى صاحبك الذي كنت في جسده، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة والضحاك. والثاني: ﴿أَرْجِعِي إِلَيَّ رَبِّكَ﴾ بعد الموت في الدنيا، قاله أبو صالح. والثالث: ارجعي إلى ثواب ربك، قاله الحسن. والرابع: يا أيتها النفس المطمئنة [إلى الدنيا]<sup>(١٠)</sup>، ارجعي إلى الله تعالى بتركها، حكاه الماوردي<sup>(١١)</sup>.

(١) زيادة من البغوي.

(٢) سقطت من الأصل، واستدركناها من «صحيح مسلم» ٤/٢١٨٤.

(٣) في الأصل: سبعين، قال الإمام النووي في «شرح مسلم» ١٧/١٧٨: هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال: رفعه وهم، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن الملاء بن خالد موقوفاً. قلت: وحض (أحد الرواة) ثقة حافظ إمام، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين. والحديث رواه الترمذي أيضاً مرفوعاً وموقوفاً على ابن مسعود، ورواه ابن جرير الطبري ١٨٨/٣٠ موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) والصحيح أنها عامة في كل كافر.

(٥) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك كسر الذال والثاء، لإجماع الحجة من القراء عليه. وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والضميران على قراءة الجمهور في «يعذب» و«يؤتى» مبنيان للفعل، لله عز وجل، قال: قرأ الكسائي على البناء للمفعول فيهما، فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان، أي: لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد، ولا يؤتى كؤتاه أحد، والمراد بالإنسان الكافر.

(٦) هي بئر بالمدينة.

(٧) قال القرطبي: والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع.

(٨) سقطت من الأصل، واستدركناها من البغوي والخازن.

(٩) وقال الألويسي رحمه الله في «فروح البيان» ٩/٣٧٠: ارجعي، أي: من حيث حوسبت إلى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل لك أولاً، وهذا لأن للمعدة قبل الحساب كما يفهم من الأخبار موقفاً في المحشر مخصوصاً يكرمهم الله تعالى به لا يجدون فيه ما يجده غيرهم في مواقفهم من النصب، ومنه يتبادي الواحد بعد الواحد للحساب، فمتى كان هذا القول عند تمام الحساب اقتضى أن يكون المعنى ما ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٨) أي: في جملة عبادي المصطفين. قال أبو صالح: يقال لها عند الموت: ارجعي إلى ربك، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٨) وقال الفراء: ادخلي مع عبادي. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران: «في عبادي» على التوحيد<sup>(١)</sup>. قال الزجاج: فعلى هذه القراءة - والله أعلم - يكون المعنى: ارجعي إلى ربك، أي: إلى صاحبك الذي خرجت منه، فادخلي فيه<sup>(٢)</sup>.



(١) في «البحر المحيط»: وقرأ الجمهور ﴿فِي عِبَادِي﴾ جمعاً، وابن عباس، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد، وأبو صالح، والكلبي، وأبو شيخ الهنائي، واليماني «في عبادي» على الأفراد. قال الطبري: والصواب من القراءة في ذلك ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٨) بمعنى: فادخلي في عبادي الصالحين، لإجماع الحجة من القراء عليه.

(٢) والظاهر الأول، قال ابن كثير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ أَرْجِوهَ إِلَّا رَبَّكُمْ﴾ إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته ﴿رَازِيَةً﴾ أي في نفسها ﴿مُتَوَّجَةً﴾ أي قد رُضيت عن الله ورضي عنها وأرضاهما ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (١٨) أي في جملتهم ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ قال: وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضاً، كما أن الملائكة يشرعون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، فكذاك هاهنا.

## سورة البلد

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّزِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَرٍ (٤) أَحَسَّبَ أَنْ لَا يَرْجِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَلَدًا (٦) أَحَسَّبَ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَا السَّبِيلَيْنِ (١٠) ﴿قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ قال الزجاج: المعنى: أقسم. و﴿لَا﴾ دخلت توكيداً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَمَنَّاهُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقرأ عكرمة، ومجاهد، وأبو عمران، وأبو العالية: «لَأُقْسِمُ» (١١) قال الزجاج: وهذه القراءة بعيدة في العربية، وقد شرحنا هذا في أول «القيامة».

قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) فيه ثلاثة أقوال: و﴿الْبَلَدِ﴾ هاهنا: مكة (١٢). أحدها: حلٌّ لك ما صنعت في هذا البلد من قتلٍ (١٣) أو غيره، قاله ابن عباس، ومجاهد. قال الزجاج: يقال: رجلٌ حلٌّ، وحلالٌ، ومُجَلٌّ. قال المفسرون: والمعنى: إن الله (١٤) تعالى وعد نبيه (١٥) أن يفتح مكة على يديه بأن يُجَلِّها له، فيكون فيها حلالاً. والثاني: فأنتم مُجَلٌّ بهذا البلد غير مُحَرَّم في دخوله، يعني: عام الفتح، قاله الحسن، وعطاء. والثالث: أن المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك (١٦) وقتلك (١٧)، ويحرِّمون قتل الصيد، حكاة الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ (٣) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه آدم وما ولد، قاله الحسن، ومجاهد، والضحاك، وقتادة. والثاني: أولاد إبراهيم، وما ولد: ذريته (١٨)، قاله أبو عمران الجوني. والثالث: أنه عامٌّ في كل والدٍ وما ولد، حكاة الزجاج (١٩).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذا جواب القسم. وفيمن عني بالإنسان خمسة أقوال: أحدها: أنه اسم جنس، وهو معنى قول ابن عباس. والثاني: أنه أبو الأشدين الجمحي (٢٠)، وقد سبق ذكره، [المدرثر: ٢٩، والانفتار: ٥] قاله الحسن. والثالث: أنه الحارث بن عامر بن نوفل، وذلك أنه أذنب ذنباً، فأمره النبي ﷺ بالكفارة، فقال: لقد ذهب مالي

(١) في الأصل: لا أقسم.

(٢) قال القرطبي: أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحيي لك. وقال ابن كثير: هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً، ليبيّ على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها.

(٣) في الأصل: قبل.

(٤) وعد نبيه.

(٥) عبارة الأصل: «أنه حل عند المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك».

(٦) في الأصل: وقتلك.

(٧) في الأصل: وما ولد: محمد ﷺ، والتصويب من الطبري، والقرطبي، وابن كثير. قال الشوكاني والألوسي: وقيل: الوالد: إبراهيم، والولد: إسماعيل ومحمد ﷺ.

(٨) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري. قال ابن كثير: وقال مجاهد، وأبو صالح، وقتادة، والضحاك، وسفيان الثوري، وسعيد بن جبيرة، والسدي، والحسن البصري، وخصيف، وشرحيل بن سعيد وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وما ولد: ولده، قال: وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالسكن وهو آدم أبو البشر وولده.

(٩) وجاء في القرطبي: قال الكلبي: إن هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له: أبو الأشدين. وكان يأخذ الأديم المكافئ فيجعله تحت قدميه فيقول: من أزالني عنه فله كذا، فيجلبه عشرة حتى يتمرق ولا تزول قدماء، وكان من أعداء النبي ﷺ وفيه نزل ﴿أَحَسَّبَ أَنْ لَا يَرْجِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ (١٠) يعني لقوته. وفي «الاشتقاق» لابن دريد ٢٥١: ومن رجالهم (أي: رجال بني سعد بن زيد مناة بن تميم) سنان بن خالد الأشد، وسمي الأشد، لشجاعته، وهو كذلك في «شرح القاموس».

في الكفارات، والنفقات منذ<sup>(١)</sup> دخلت في دين محمد، قاله مقاتل. والرابع: آدم ﷺ، قاله ابن زيد. والخامس: الوليد بن المغيرة، حكاه الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: في نَصَبٍ، رواه الواهبي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة، فإنهم قالوا: في شدة. قال الحسن: يكابد الشكر على السَّراء والصبر على الضَّراء، لأنه لا يخلو من أحدهما<sup>(٢)</sup>، ويكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة. قال ابن قتيبة: في شدة غلبة ومكابدة لأمر الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر، وهي معاناته. والثاني: أن المعنى: خلق متصباً يمشي على رجلين<sup>(٤)</sup>، وسائر الحيوان غير منتصب، رواه مقسم عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والضحاك، وعطية، والفراء، فعلى هذا يكون معنى الكيد: الاستواء والاستقامة. والثالث: في وسط السماء، قال ابن زيد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم ﴿فِي كَيْدٍ﴾ أي: في وسط السماء<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّنْ يَبْدُرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ يعني الله ﷻ أي: [أيحسب أن] لن نقدر على بعثه، ومعاقبته؟! ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ أي: كثيراً، قال أبو عبيدة: هو فعل من التلبد<sup>(٦)</sup>، وهو المال الكثير يعضه على بعض. قال ابن قتيبة: وهو المال المتلبد، كأن بعضه على بعض. قال الزجاج: وهو فعل للكثرة<sup>(٧)</sup>، كما يقال: رجل حُطِمَ: إذا كان كثير الحطيم. وقرأ أبو بكر الصديق ﷺ، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، وأبو العالية، وأبو جعفر «لَبَدَأَ» بضم اللام، وتشديد الباء مفتوحة. وقرأ عمر بن الخطاب ﷺ، وأبو المتوكل، وأبو عمران «لَبَدَأَ» بفتح اللام وتسكين الباء خفيفة. وقرأ عثمان بن عفان، والحسن، ومجاهد «لَبَدَأَ» برفع اللام والباء وتخفيفهما. وقرأ عليّ وابن أبي الجوزاء «لَبَدَأَ» بكسر اللام، وفتح الباء مخففة. وفيما قال لأجله ذلك قولان: أحدهما: أنه أراد: أهلك ما لا كثيراً في عداوة محمد، قاله ابن السائب، فكانه استطال بما أنفق. والثاني: أنفقت في سبيل الله وفي الكفارات ما لا كثيراً، قاله مقاتل. فكانه ندم على ما أنفق<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ يعني الله ﷻ. والمعنى: أيظن أن الله لم يرَ نفقته، ولم يُخصمها؟! وكان قد ادّعى ما لم ينفق.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَّهٗ عَيْنَيْنِ﴾ والمعنى: ألم نفعل به ما يدل على أن الله قادر على بعثه؟! قوله تعالى: ﴿وَعَذَابُ النَّارَيْنِ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: سبيل الخير والشر، قاله علي، والحسن، والفراء. وقال ابن قتيبة: يريد طريق الخير والشر. وقال الزجاج: النجدان: الطريقان الواضحان. والنجد: المرتفع من الأرض،

(١) في الأصل: منه، والتصحيح من «القرطبي».

(٢) في الأصل: في شدة عليه ومكابده من أمور الدنيا والآخرة، والتصحيح من «غريب القرآن» لابن قتيبة.

(٣) في الأصل: على رجله، وما أثبتاه من «الطبري».

(٤) أصل الكبد: الشدة، ومنه تكبد اللين: غلظ وعُثِر واشتد، ومنه الكبد، لأنه دم تغلظ واشتد. ويقال: كابدت هذا الأمر: قاسيت شدته، قال لبيد يري أخاه:

يَا عَيْنُنْ فَلَا بِكَيْفٍ أَرْزَدُ إِذْ      ثُمَا وَقَامَ الْخَصِيمُ فِي غَبِي

فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾ أي: في تمب ومشقة، والله سبحانه قد جعل حياة الإنسان سلسلة من الجهاد متصلة الحلقات، وجعلها مبتدأة بالجهاد والمشقة، ومنتهية بهما أيضاً، فهو ما يزال يقاسي من المشقة ألواناً وضروباً مختلفة منذ نشأته في بطن أمه، ومن استهلاله صارخاً إلى أن يكره ويصير رجلاً، وفي هذا العهد تزداد مشقاته، ويكثر عليه الجهد، فمن تحصيل رزقه إلى تربية أولاده، ومن جهاد نفسه ورياضتها على البر والتقوى إلى مقارعة خطوب الدهر وتوازله، ومن الصبر على البلاء إلى الخضوع إلى رب الأرض والسماء، ومن الاجتهاد في المعرفة إلى مصابرة النفس على الطاعة، ثم هو بعد ذلك كله يمرض ويموت، ويلاقي في قبره وفي آخرته من المشاق والمتاعب ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه، وكان هذا هو المشار إليه بـ «في» التي تدل على الظرفية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾.

(٦) زيادة ليست في الأصل.

(٧) في الأصل: التلبد، والتصحيح من «مجاز القرآن» لأبي عبيدة.

(٨) في الأصل: فعل الكثير، والتصحيح من «فتح القدير» للشوكاني نقلاً عن الزجاج.

(٩) لقد ذكر المصنف قبل قليل قول مقاتل بلفظ: لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد، وهو كذلك في «القرطبي» وغيره. قال القرطبي: وهذا القول منه يحتمل أن يكون استطلاة بما أنفق، فيكون طغياناً منه، أو أسفاً عليه، فيكون ندماً منه.



فالمعنى: ألم نعرفه طريق الخير والشر كتبتين الطريقين العاليتين. والثاني: سبيل الهدى والضلال، قاله ابن عباس. وقال مجاهد: هو سبيل الشقاوة والسعادة. والثالث: الشديان ليتغذى بلبنتهما، روي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن المسيب، والضحاك، وقتادة<sup>(١)</sup>.

﴿لَا أَنتُمْ الْعَقَبَةُ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (٢) فَكُ رَقَبَةً (٣) أَوْ يُطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ (٤) يَبْسُمَا ذَا مَقَرَبَةٍ (٥) أَوْ مَسْكَبَةٍ (٦) ذَا مَقَرَبَةٍ (٧) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالْحَمْدِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ (٨) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابِعُهُمُ الْوَسْوَاسُ الْخَفِيُّ (١٠) عَلَيْهِمْ نَارُ مُؤَصَّدَةٍ (١١)

قوله تعالى: ﴿لَا أَنتُمْ الْعَقَبَةُ﴾ قال أبو عبيدة: فلم يقتحم العقبة [في الدنيا]<sup>(١)</sup>. وقال ابن قتيبة: فلا هو اقتحم العقبة. قال الفراء: لم يضم إلى قوله تعالى: فلا اقتحم العقبة كلاماً آخر فيه «لا»، والعرب لا تكاد تفرد «لا» في الكلام حتى يعيدها<sup>(٢)</sup> عليه في كلام آخر؛ كقوله تعالى: ﴿لَا سَدَّ وَلَا عَكْلَ﴾ (٣) [القائمة: ٣١]، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. ومعنى: «لا» مأخوذ من آخر هذا الكلام، فاكتمى بواحدة من الأخرى، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة، فقال: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (٤). ﴿أَوْ يُطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ (٥). ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ففسرها بثلاثة أشياء، فكأنه كان في أول الكلام: فلا فعل ذا، ولا ذا. وذهب ابن زيد في آخرين إلى أن المعنى: أفلا اقتحم العقبة؟ على وجه الاستفهام، والمعنى: فهل أنفق ماله في فك الرقاب والإطعام ليجاوز بذلك العقبة؟ فأما الاقتحام<sup>(٦)</sup> فقد بيناه في [ص: ٥٩]. وفي العقبة سبعة أقوال: أحدها: أنه جبل في جهنم، قاله ابن عمر. والثاني: عقبة دون الجسر، قاله الحسن. والثالث: سبعون دركة<sup>(٧)</sup> في جهنم، قاله كعب. والرابع: الصراط، قاله مجاهد، والضحاك. والخامس: نار دون الجسر، قاله قتادة. والسادس: طريق النجاة، قاله ابن زيد. والسابع: أن ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر، فجعله كالذي يتكأف صعود العقبة. يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعثت الرقة والإطعام، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ قال سفيان بن عيينة: كل ما فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾، فقد أخبره به، وكل ما فيه ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ فإنه لم يخبره به. قال المفسرون: المعنى: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ ثم بينه فقال تعالى: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (١) ﴿قُرْأَ ابْنِ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، إِلَّا عَبْدَ الْوَارِثِ، وَالْكَسَائِي، وَالْدَّاجُونِي عَنْ ابْنِ ذَكْوَانَ﴾ ﴿فَكُ﴾ بفتح الكاف ﴿رَقَبَةً﴾ بالنصب، «أو أطعم» بفتح الهمزة والميم وسكون الطاء من غير ألف. وقرأ عاصم، وابن عامر، ونافع، وحزمة ﴿فَكُ﴾ بالرفع «رقبة» بالخفض، «أو إطعام» بالألف. ومعنى فك الرقية: تخليصها من أسر الرق، وكل شيء أطلقته فقد فككته<sup>(٢)</sup>. ومن قرأ ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ على الفعل، فهو تفسير اقتحام العقبة بالفعل، واختاره الفراء؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال ابن قتيبة: والمسغبة: المجاعة. يقال: سَغِبَ يَسْغُبُ سَغُوباً: إذا جاع ﴿يَبْسُمَا ذَا مَقَرَبَةٍ﴾ (٥) أي: ذا

(١) والصواب القول الأول كما قال ابن جرير. وقال: والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا لِلْإِنْسَانِ يَن لُّطْفًا أَشْنَجًا يَتَّبِعُهُ كُفْرُهُ ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُورًا﴾ إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: ﴿وَقَدَّرْتُمُ الْكَافِرِينَ﴾.

(٢) زيادة من «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، يريد أن «لا» بمعنى «لم».

(٣) في الأصل: والعرب لا تكاد تقرر «لا» في الكلام حتى يعيدها، والتصحيح من «القرطبي».

(٤) الاقتحام: الدخول في الأمر الشديد، وأصله القحم، وهي الممالك والأمور النظام، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه من غير روية، والشحمة: المهلكة والسنة الشديدة، يقال: أصابت الأعراب القحمة: إذا أصابهم قحط، فدخلوا الريف.

(٥) وفي الطبري وابن كثير: درجة. قال في «اللسان»: قال أبو عبيدة: جهنم دركات، أي منازل وأطباق، وقال غيره: الدركات: بعضها تحت بعض، قال الأزهري: والدرجات: منازل ومراقي بعضها فوق بعض، فالدرجات ضد الدرجات. وقال الزبيدي في «تاج المروس شرح القاموس»: وقال المصنف (يعني صاحب القاموس) في «البصائر»: الدرك: اسم في مقابلة الدرج، بمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود، والدرك مراتب باعتبار الهبوط، ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدرجات، وعن منازل جهنم بالدركات.

(٦) في الأصل: فكته، وروى مسلم في «صحيحه» ١١٤٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعقن فرجه بفرجه» ورواه بمعناه أحمد والبخاري.

قراءة<sup>(١)</sup> ﴿أَوْ يَشْكِكُنَا ذَا مَعْرِفَةٍ﴾ أي: ذا فقر كأنه لصق بالتراب<sup>(٢)</sup>. وقال ابن عباس: هو المطروح في التراب لا يقيه شيء. ثم بين أن هذه القُرْب إنما تنفع مع الإيمان بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و«ثم» هاهنا بمعنى الواو، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ﴾ [يونس: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿وَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وأمره ﴿وَوَاصُوا بِالرَّحْمَةِ﴾ أي بالتراحم بينهم. وقد ذكرنا أصحاب الميمنة والمشامة في [الواقعة: ٧، ٨]. قال الفراء: و«المؤصدة» المطبقة. قال مقاتل: يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. وقال ابن قتيبة: يقال: أَوْصَدْتُ الباب وآصَدته: إذا أطبقته. وقال الزجاج: المعنى: أن العذاب مطبق عليهم. وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم «مُوصَدَّةٌ» بغير همز هاهنا، وفي [الهمزة: ٨] وقرأ أبو عمرو، وحزمة، وحفص عن عاصم بالهمز في الموضعين.



(١) روى الإمام أحمد عن سلمان بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلية» ورواه الترمذي والنسائي وهو حديث صحيح.

(٢) تقول: تَرَبَّ الرجل يَتَرَبُّ تَرَبًّا ومتربة: إذا افتقر حتى لصق بالتراب، وتقول: أترب فلان، إذا كثر ماله حتى صار كالتراب في الكثرة.



وَقَوْلُهَا ﴿١٤﴾ الإلهام: إيقاع الشيء في النفس. قال سعيد بن جبير: ألزمتها فجورها وتقواها<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى، وخذلانه إياها للفجور<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿١٥﴾ قال الزجاج: هذا جواب القسم. والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها. قال ابن الأنباري: جوابه محذوف. وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: قد أفلحت نفس زكاهها الله ﷻ، قاله ابن عباس، ومقاتل، والفراء، والزجاج. والثاني: قد أفلح من زكّاه نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، قاله قتادة، وابن قتيبة. ومعنى ﴿زَكَّاهَا﴾: أصلحها وطهرها من الذنوب. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ﴿١٦﴾ فيه قولان كالذي قبله. فإن قلنا: إن الفعل لله، فمعنى ﴿دَسَّاهَا﴾: خذلها، وأخملها، وأخفى محلها، [بالكفر والمعصية] ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح. وإن قلنا: الفعل للإنسان، فمعنى ﴿دَسَّاهَا﴾: أخفاها بالفجور. قال الفراء: ويروى أن ﴿دَسَّاهَا﴾ دَسَّاهَا لأن البخل يخفي منزله وماله. وقال ابن قتيبة: المعنى: دسى نفسه، أي: أخفاها بالفجور والمعصية. والأصل من دَسَّاهَا فقلت السين ياء، كما قالوا: قصّيت أظفاري، أي: قصصتها. فكان الُّطُفْتُ بارتكاب الفواحش دس نفسه<sup>(٣)</sup>، وقمعها، ومُضْطَنِعُ المعروف شهر نفسه ورفعها، وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَا للشهرة. واللتام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج: معنى ﴿دَسَّاهَا﴾ جعلها قليلة خسيسة.

﴿كَذَبَتْ نَجْوَىٰ بَطُونَهَا﴾ ﴿١٧﴾ إِذْ أُنِيتَ أَشَقُّهَا ﴿١٨﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعُتِرُوا فَدَمَرَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذَّكَّرُ عَنْهُمْ فَوَسَّاهَا ﴿٢٠﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ نَجْوَىٰ بَطُونَهَا﴾ ﴿١٧﴾ أي: كذبت رسولها بطغيانها<sup>(٦)</sup>. والمعنى: أن الطغيان حملهم على التكذيب. قال الفراء: أراد بطفوها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات، فاختير لذلك. وقيل: كذبوا العذاب ﴿إِذْ أُنِيتَ﴾ أي: انتدب<sup>(٧)</sup> ﴿أَشَقُّهَا﴾ وهو: عاقر الناقة لعقرها<sup>(٨)</sup> ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وهو

(١) بمعنى أن الله تعالى خلق في المؤمن القوى، وفي الكافر الجور، فالخلق لله، والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه، وبذلك الاختيار للخير أو الشر يثاب أو يعاقب. قال ابن جرير الطبري: ﴿فَأَمَّا نَجْوَىٰ وَقَوْلُهَا﴾ ﴿١٧﴾ فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شر، أو طاعة أو معصية. وقال الشوكاني في فتح القدير: أي عرفها وأهملها حالهما وما فيهما من الحسن والقبح.

(٢) إن الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، ليختار أيهما شاء، ففي طبعه هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي الطريقين شاء، وقد منحه الله عز وجل القدرة على سلوك أيهما شاء ﴿وَمَدَنِيَّةُ الْبَيْتَيْنِ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿إِنَّا مَدَنِيَّةُ الْبَيْتَيْنِ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّا مَدَنِيَّةُ الْبَيْتَيْنِ﴾ ﴿٢٠﴾ وزود الإنسان باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، وقادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر على السواء، وهذه القدرة كامنة في نفسه، يعبر عنها القرآن تارة بالإلهام ﴿فَأَمَّا نَجْوَىٰ وَقَوْلُهَا﴾ ﴿١٧﴾ وتارة بالهداية ﴿وَمَدَنِيَّةُ الْبَيْتَيْنِ﴾ ﴿١٨﴾، فهي كامنة بصورة استعدادات، والآيات القرآنية والرسائل الإلهية والتوجيهات توظف هذه الاستعدادات وتوجهها، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقاً جديداً، لأنها مخلوقة فطرة، وكامنة طبعاً، وكامنة إلهاماً، أضف إلى ذلك أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة واعية مدركة، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغلبه على استعداد الشر فقد أفلح وأنجح، ومن ظلم هذه القوة الواعية العبدية وخباها وأضعفها فقد خاب وخسر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ﴿١٦﴾ والله عز وجل لم يلد الإنسان لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية، بل أعانته بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة، وتكشف له عن موجبات الإيمان ودلائل الهدى، وتجعله غواشي الهوى فيظهر له الحق في صورته الصحيحة، وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كافياً لا شبهة فيه فتصرف القوة الواعية حينئذ من بصيرة وإدراك لحقيقة هذا الاتجاه الذي يختاره ويسير فيه. ولما كانت هذه النفس عرضة للتأثر والمغدير، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو بقوله: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها» رواه أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) النطف: المتهم كما في «اللبان».

(٤) في الأصل: نفسها، وفي النسخة الإستانبولية: نفسه، وهو الصواب، وهو كذلك في «مشكل القرآن».

(٥) في الأصل: إمكانها، وما أثبتناه هو في النسخة الإستانبولية و«مشكل القرآن».

(٦) عبارة ابن قتيبة في «غريب القرآن»: كذبت الرسول إليها بطغيانها.

(٧) تقول: نذيت إلى كذا، فانتدب، أي أمرته فامتثل، وفي الطبري: انبعث: ثار، وفي القرطبي: نهض، والانبعاث هو الإسراع.

(٨) وهو قدار بن سالف. روى البخاري في «صحيحه» (٥٤٢/٨) عن عبد الله بن زعمة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ أُنِيتَ أَشَقُّهَا﴾ فبث لها رجل عزيز عارم منيع في رملها مثل أبي زعمة» ورواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم.



صالح ﴿فَاقَهُ اللَّهُ﴾ قال الفراء: نصب الناقة على التحذير، وكل تحذير فهو نصب. قال ابن قتيبة: المعنى: احذروا ناقة الله وشربها. وقال الزجاج: المعنى: ذُرُّوا ناقة الله ﴿وَوَذُرُوا﴾ سقياها. قال المفسرون: سقياها: شربها من الماء. والمعنى: لا تتعرضوا ليوم شربها ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في تحذيره إياهم العذاب بعقرها ﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾ وقد بينا معنى «العقر» في [الأعراف: ١٧٧]، ﴿فَكَذَّبَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ قال الزجاج: أي: أطبق عليهم العذاب. يقال دمدت على الشيء: إذا أطبقت فكررت الإطباق. وقال المؤرج<sup>(١)</sup>: الددمة: إهلاك باستئصال. وفي قوله تعالى: ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ قولان: أحدهما: سَوَّى بينهم في الإهلاك<sup>(٢)</sup>، قاله السدي، ويحيى بن سلام. وقيل: سَوَّى الددمة عليهم. والمعنى: أنه أهلك صغيرهم، وكبيرهم. والثاني: سَوَّى الأرض عليهم. قال مقاتل: سَوَّى بيوتهم على قبورهم. وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها، فلما صبح بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ﴿٥٦﴾ قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر، «فلا يخاف» بالفاء، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقر بالواو، وكذلك هي في مصاحف مكة، والكوفة، والبصرة. وفي المشار إليه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الله ﷻ، فالمعنى: لا يخاف الله من أحد تبعه في إهلاكهم، ولا يخشى عقبي ما صنع، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الذي عقرها، فالمعنى: أنه لم يخف عقبي ما صنع، وهذا مذهب الضحاك والسدي، وابن السائب. فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذ أنبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها. والثالث: أنه نبي الله صالح لم يخف عقباها، حكاة الزجاج<sup>(٤)</sup>.



(١) في الأصل: المؤرج، وفي النسخة الاستبولية: المؤرج، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: إهلاك، وما أنشأه من النسخة الاستبولية.

(٣) قال ابن كثير: ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ فجعل المقوية نازلة عليهم على السواء، قال قتادة: بلغنا أن أحمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنتاهم، فلما اشترك القوم في عقرها، دمد الله عليهم بذنوبهم فسواها.

(٤) والقول الأول أؤلى لدلالة السياق عليه، كما قال ابن كثير، والله أعلم.

## سورة الليل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَأَيْلٍ إِذَا يَتَنَّ﴾ ① ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ② ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ③ ﴿إِنَّ سَيِّئَكَ لَشَتَّى﴾ ④ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَكُنَّ﴾ ⑤ ﴿وَصَدَقَ بِأَلْسِنَةٍ﴾ ⑥ ﴿سَتِيرَةٍ لِّلشَّرِّ﴾ ⑦ ﴿وَأَمَّا مَنْ يَكْذِبُ وَاسْتَفْتَنَ﴾ ⑧ ﴿رَكَدَكَ يَلْمُزُ﴾ ⑨ ﴿سَتِيرَتُهُ لِّلشَّرِّ﴾ ⑩ ﴿وَمَا يَتَّقِ عَنَّا مَالَهُ إِذَا زُدَّ﴾ ⑪ ﴿

قوله تعالى: ﴿رَأَيْلٍ إِذَا يَتَنَّ﴾ ① قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار. وقال الزجاج: يغشى الأفق، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ ② أي: بان وظهر من بين الظلمة، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ③ في «ما» قولان، وقد ذكرناهما عند قوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّهَا﴾ [الشمس: ٥]. وفي ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ قولان: أحدهما: آدم وحواء، قاله ابن السائب، ومقاتل. والثاني: أنه عام، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَكَ لَشَتَّى﴾ ④ هذا جواب القسم. قال ابن عباس: إن أعمالكم لمختلفة، عمل للجنة، وعمل للنار. وقال الزجاج: سعي المؤمن والكافر مختلف، بينهما بُعد<sup>(٢)</sup>. وفي سبب نزول هذه السورة قولان: أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى بلالاً من أمية وأبي ابن خلف ببرد عشرة أواق، فاعتقه، فأنزل الله ﷻ ﴿رَأَيْلٍ﴾ ④ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَكَ لَشَتَّى﴾ ④ يعني: سعي أبي بكر، وأمية وأبي، قاله عبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا صعد النخلة ليأخذ منها الثمر، فربما سقطت الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ، فلقي النبي ﷺ صاحب النخلة، فقال: «تعطيني نخلك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة؟ فقال الرجل: إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجب إليّ منها، ثم ذهب الرجل، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام: يا رسول الله أعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل، فلقي صاحب النخلة، فساومها منه، فقال له: أما شعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت: ما لي نخلة أعجب إليّ منها، فقال له: أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنني أعطى، قال: ما منك؟ قال: أربعون نخلة، فقال: أنا أعطيك أربعين<sup>(٤)</sup> نخلة، فأشهد له ناساً، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقال: إن النخلة قد صارت في ملكي، وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله ﷻ ﴿رَأَيْلٍ إِذَا يَتَنَّ﴾ ④ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَيِّئَكَ لَشَتَّى﴾ ④ رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقال عطاء: الذي اشتراها

(١) قال الشوكاني: والظاهر العموم.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٢٠٣/١ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الناس يغفون، فيباع نفسه فمعتقها، أو موبقها، أي: كل إنسان يسمى بنفسه، فممن من يبيعه الله بطاعته فيمعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعه للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها، أي: يهلكها.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٥٨/٦ من رواية ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وذكره البغوي والخازن بغير سند.

(٤) في الأصل: أربعون، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الإستانبولية وكتب التفسير.

(٥) رواه ابن أبي حاتم والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٥ من طريق حفص بن عمر العليني عن الحكم بن أبان العليني عن عكرمة عن ابن عباس، وهو حديث ضعيف، لضعف حفص بن عمر، والحكم بن أبان العليني، صدوق حابد له أوهام، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم وقال في آخره: وهو حديث غريب جداً. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٥٧/٦ من رواية ابن أبي حاتم بسند ضعيف. وما يدل على ضعف سبب النزول هذا وعدم صحته، أن القصة كانت بالمدينة، وسورة «الليل» نزلت بمكة.

من الرجل أبو الدحداح، أخذها بحائط له، فأنزل الله تعالى هذه الآيات إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ أبو الدحداح، وصاحب النخلة<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِمَّا أَضَلَّ وَأَتَى﴾ قال ابن مسعود: يعني: أبا بكر الصديق، هذا قول الجمهور<sup>(٢)</sup>. وقال عطاء: هو أبو الدحداح. وفي المراد بهذا العطاء ثلاثة أقوال: أحدها: أعطى من فضل ماله، قاله ابن عباس. والثاني: أعطى الله الصدق من قلبه، قاله الحسن. والثالث: أعطى حق الله عليه، قاله قتادة. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتَى﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: اتقى الله، قاله ابن عباس. والثاني: اتقى البخل، قاله مجاهد. والثالث: اتقى محارم الله التي نهى عنها، قاله قتادة. وفي «الحسنى» ستة أقوال: أحدها: أنه «لا إله إلا الله»، رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الضحاك. والثاني: الخلف<sup>(٣)</sup>، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن. والثالث: الجنة، قاله مجاهد. والرابع: نعم الله عليه، قاله عطاء. والخامس: بوعده الله أن يشيه، قاله قتادة، ومقاتل. والسادس: الصلاة، والزكاة، والصوم، قاله زيد بن أسلم.

قوله تعالى: ﴿سَتَبِيرٌ يَّسِّرُ﴾ ضم أبو جعفر سين «اليسرى» وسين «العسرى» وفيه قولان: أحدهما: للخير، قاله ابن عباس. والمعنى: يُيسر ذلك عليه. والثاني: للجنة، قاله زيد بن أسلم. ﴿وَأَمَّا مَنْ يَّحِلْ﴾ قال ابن مسعود: يعني بذلك أمية وأبي ابنن خلف. وقال عطاء: هو صاحب النخلة. قال المفسرون: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَّحِلْ﴾ بالنفقة في الخير والصدقة. وقال قتادة: بحق الله ﷻ، ﴿وَأَسْتَفْتَى﴾ عن ثواب الله فلم يرغب فيه ﴿كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ وقد سبق الأقوال فيها. وفي «العسرى» قولان: أحدهما: النار، قاله ابن مسعود. والثاني: الشر، قاله ابن عباس. والمعنى: ستهيته للشر فيؤديه إلى الأمر العسير، وهو عذاب النار<sup>(٤)</sup>. ثم ذكر أن ما أمسكه من ماله لا ينفعه، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَبْقَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي بخل به عن الخير ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ وفيه قولان: أحدهما: إذا تردى في جهنم، قاله ابن عباس، وقاتة. والمعنى: إذا سقط فيها. والثاني: إذا مات فتردى في قبره، قاله مجاهد.

﴿إِنَّ عَيْنًا لَّهْدَى﴾ وَلَوْ لَّا لَآخِرَةٌ وَالْأُولَى ﴿فَأَذَرْتُمْ نَارًا تَلْقَلْنَ﴾ لَا يَصْلَحْنَ إِلَّا الْآفَتَى ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْآفَتَى ﴿الَّذِي بَقِيَ مَالَهُ يَتَرَدَّى﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتْبَاءُ وَجْوَرِئِ الْأَعْلَى ﴿لَسَوْفَ يَرْضَى﴾ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَيْنًا لَّهْدَى﴾ قال الزجاج: المعنى: إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة ﴿وَلَوْ لَّا لَآخِرَةٌ وَالْأُولَى﴾ أي: فليطلبنا منا ﴿فَأَذَرْتُمْ نَارًا تَلْقَلْنَ﴾ أي: توقد وتوهج ﴿لَا يَصْلَحْنَ إِلَّا الْآفَتَى﴾ يعني: المشرك ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ الرسول ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. قال أبو عبيدة: «الآفتى» بمعنى الشقي. والعرب تضع «أفعل» في موضع «فاعل». قال طرفة:

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» من رواية علي بن حجر عن إسحاق بن نجيع الملطي عن عطاء، وإسحاق بن نجيع الملطي قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: كذبوه، وعطاء أرسله، وقد ورد التصريح باسم أبي الدحداح في رواية الواحدي في «أسباب النزول» حيث قال عن الشخص الذي اشتراها: ثم ذهب الرجل فلقني رجلاً هو ابن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ... إلخ، وهو حديث ضعيف كما تقدم. قال الخازن: والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأميه بن خلف، لأن سياق الآيات يقتضي ذلك.

(٢) ونقل القرطبي قول ابن مسعود هذا عن عامة المفسرين. وروى الحاكم في «المستدرک» ٥٢٥/٢ من حديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قال أبو حنيفة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت اعتقت رجلاً جلدأ ينعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد، فأنزلت هذه الآيات ﴿ثُمَّ مِمَّا أَضَلَّ وَأَتَى﴾ ﴿وَمِمَّا كَانَتْ لِلْشَّيْطَانِ هَوَاسٌ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا أَتْبَاءُ وَجْوَرِئِ الْأَعْلَى﴾ ﴿لَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٦ من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به، ورواه ابن جرير الطبري ٢٢١٠/٣٠ وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٠٨/٦ من رواية ابن جرير وزاد نسبه لابن عساکر.

(٣) أي: بالخلف من الله تعالى على عطاء.

(٤) قال ابن كثير: والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة، وذكر منها ما رواه البخاري عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ: ﴿ثُمَّ مِمَّا أَضَلَّ وَأَتَى﴾ ﴿وَمِمَّا كَانَتْ لِلْشَّيْطَانِ هَوَاسٌ﴾ ﴿سَتَبِيرٌ يَّسِّرُ﴾ إلى قوله: ﴿يَّسِّرُ﴾».

تَمَنَّى رَجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أُمْتُ قَالَ الزَّجَاجُ: وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء<sup>(٢)</sup> أنه لا يدخل النار إلا كافر، وليس [الأمري] كما ظنوا. هذه نار موصوفة بعينها، ولأهل النار منازل. فلو كان [كل]<sup>(٣)</sup> من لا يشرك لا يعذب لم يكن في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فائدة [وكان «ويغفر ما دون ذلك» كلاماً لا معنى له]<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّكَ أَي: يَبْعُدُ عنها، فيجعل منها على جانب ﴿الْأَنفَى﴾ يعني: أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ أي: يطلب أن يكون عنه الله زاكياً، ولا يطلب الرياء، ولا السمعة ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَرَّجُجْ﴾ أي: لم يفعل ذلك مجازاة ليد أُسَيِّثَ إليه. وروى عطاء عن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يعذب قال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده، فأُنزل الله تعالى: ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَرَّجُجْ﴾ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾<sup>(٥)</sup> أي: إلا طلباً لشواب ربه. قال الفراء: و﴿إِلَّا﴾ بمعنى «لكن» ونصب ﴿ابْتِغَاءَ﴾ على إضمار إنفاقه. فالمعنى: وما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرَى﴾ أي: بما يُعْطَى في الجنة من الثواب<sup>(٦)</sup>.



- (١) هو في «مجاز القرآن» لأبي حنيفة ٣٠١/٢، والطبري ٢٢٧/٣٠، والقرطبي ٢٠/٢٨٨.
- (٢) ويسمون المرجئة، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وسُموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعليمهم على المعاصي، أي أخره عنهم. وقيل: المرجئة: فرقة من المسلمين يقولون: الإيمان قول بلا عمل، كأنهم قدموا القول، وأرجؤوا العمل، أي أخروه، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم.
- (٣) زيادة من القرطبي.
- (٤) زيادة من القرطبي، وروى البخاري في «صحيحه» (٢١٤/١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».
- (٥) ذكره القرطبي وغيره عن عطاء عن ابن عباس ينفذ سند.
- (٦) قال ابن كثير: «ولسوف يرضى» أي: ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. قال: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِيَنَّكَ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَرَّجُجْ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذلاً لامواله في طاعة مولاة ونصرة رسول الله ﷺ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده متة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد تقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجرك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟! ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَلْحَقُ عِنْدَهُ مِنْ يَتَمَرَّجُجْ﴾ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعه خزانة الجنة: يا عبد الله هذا خير» فمن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الرياء، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على أحد يدعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعي منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم».



## سورة الضحى

## وهي مكية كلها بإجماعهم

اتفق المفسرون: على أن هذه [السورة] نزلت بعد انقطاع الوحي مدة. ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال: أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الروح، فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي. والثاني: لِقَلَّةِ النظافة في بعض أصحابه، وقد ذكرنا هذين القولين في سورة (مريم: ٦٥). والثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم<sup>(١)</sup>. وفي مدة احتباسه عنه أقوال قد ذكرناها في (مريم: ٦٦). وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث جُنْدُب قال: قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ: «ما أرى شيطانك إلا قد ودَّعَكَ»، فنزلت ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾<sup>(٢)</sup> جندب: هو ابن سفيان، والمرأة: يقال لها: أم جميل امرأة أبي لهب.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾<sup>(١)</sup> وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرْسَهُ ۝٥ أَلَمْ يَجْعَلْ يَدَيَاكَ فَتْرَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

وفي المراد «بالضحى» أربعة أقوال: أحدها: ضوء النهار، قاله مجاهد. والثاني: صدر النهار، قاله قتادة. والثالث: أول ساعة من النهار إذا ترخلت الشمس، قاله السدي، ومقاتل. والرابع: النهار كله، قاله الفراء. وفي معنى «سَجَىٰ» خمسة أقوال: أحدها: أظلم. والثاني: ذهب، روي عن ابن عباس. والثالث: أقبل، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: سكن، قاله عطاء، وعكرمة، وابن زيد. فعلى هذا: في معنى «سكن» قولان: أحدهما: استقر ظلامه، قال الفراء: «سَجَىٰ» بمعنى أظلم وركد في طوله. كما يقال: بَخَّرَ سَاجٍ، وَلَيْلَ سَاجٍ، إذا ركد وأظلم. ومعنى: ركد: سكن. قال أبو عبيدة: يقال: ليلة ساجية، وساكنة، وشاكرة. قال الحادي:

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٥٤٥/٨: وجدت في «الطبري» بإسناد فيه من لا يعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به، فأبطأ عنه جبريل لذلك، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب، بل شاذ مردود بما في «الصحيح» والله أعلم. وورد لذلك سبب ثالث، وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال: لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياماً، فتغير بذلك، فقالوا: ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير قال: فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه، فقال: فقد خشيت أن يكون صاحبي قلاتي، فجاء جبريل بسورة «الضحى». وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها، ورواها محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: وقر الوحي فقالوا: لو كان من عند الله لتابع، ولكن الله قلاه، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ و﴿لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ بكاملهما، قال: وكل هذه الروايات لا تثبت، والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول «الضحى»، غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك دامت أياماً، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً، فاختلفتا على بعض الرواة. وتحرير الأمر في ذلك ما بيته، وقد أوضحت ذلك في التعبير لله الحمد، ووقع في «سيرة ابن إسحاق» في سبب نزول «الضحى» شيء آخر، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك، ومدعم بالجواب ولم يستثن، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر، فضاقت صدره وتكلم المشركون، فنزل جبريل بسورة «الضحى» ويجواب ما سألوا، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَأُ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ ذِكْرٌ فَكُنْ عَلَىٰ أَن يَنْصَرُوا ۚ﴾<sup>(١)</sup> إلا أن يَشَاءَ اللَّهُ، وذكر سورة «الضحى» هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى، وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث، وإنما كان بعد ذلك بمدة، والله أعلم.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ٥٤٥/٨، ومسلم ١٤٢٣/٣، وأحمد في «المسند» ٣١٢/٤، وابن جرير الطبري ٢٣١/٣٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٧، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٦٠/٦ وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، والبيهقي وأبي نعيم معاً في «الدلائل» عن جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي رحمه الله.

يَا حَبِذَا الْقُمْرَاءَ وَاللَّيْلُ السَّاجَ

وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلَاءِ التَّنْسَاخِ<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: «سَجَى» بمعنى سكن، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده. والثاني: سكن الخلق فيه، ذكره الماوردي. والخامس: امتد ظلامه، قاله ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ» وقرأ عمر بن الخطاب، وأنس، وعروة، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن أبي عبيدة، وأبو حاتم عن يعقوب «مَا وَدَّعَكَ» بتخفيف الدال. وهذا جواب القسم. قال أبو عبيدة: «مَا وَدَّعَكَ» من التوديع كما يودع المفاقر، و«مَا وَدَّعَكَ» مخففة من ودعه يدعه «وَمَا قَلَّ» أي: أبغض.

قوله تعالى: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» قال عطاء: خير لك من الدنيا. وقال غيره: الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا.

قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ» في الآخرة من الخير «فَرَضَ» بما تُعْطَى. قال عليّ والحسن: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى. قال ابن عباس: عُرض على رسول الله ﷺ ما يُفْتَح على أمته من بعده كُفراً كُفراً، فسر بذلك، فأنزل الله ﷻ: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارْضَ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» فيه قولان: أحدهما: جعل لك مأوى إذا ضَمَّكَ إلى عمك أبي طالب، فكفأك المؤونة، قاله مقاتل. والثاني: جعل لك مأوى لنفسك أغناك عن كفالة أبي طالب، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: «وَوَدَّعَكَ ضَالًّا فَهَدَى» فيه ستة أقوال: أحدها: ضالًّا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهذا إليها، قاله الجمهور، منهم الحسن، والضحاك. والثاني: أنه ضلَّ وهو صبي صغير في شعاب مكة، فردَّه الله إلى جده عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس. والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل - فتفتح إبليس نفخة وقع منها إلى الحيشة، وردَّه إلى القافلة، فمَنَّ الله عليك بذلك، قاله سعيد بن المسيب. والرابع: أن المعنى: ووجدك في قوم ضلَّال، فهذا للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب. والخامس: ووجدك نسيئاً، فهذا إلى الذكر. ومثله: «أَنْ تَصِلَ إِسْمَهُمَا فَتَكْكِرَ إِحْدَهُمَا الْآخَرُ» [البقرة: ٢٨٢]، قاله ثعلب. والسادس: ووجدك خاملاً لا تُذكر ولا تُعرَف، فهذا للناس إليك حتى عرفوك، قاله عبد العزيز بن يحيى، ومحمد بن علي الترمذي.

قوله تعالى: «وَوَدَّعَكَ عَالِمًا» قال أبو عبيدة: أي: ذا فقر. وأنشد:

وَمَا يَذْهَبُ الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ  
وَمَا يَذْهَبُ الْغَنِيُّ مَتَى يَعْصِلُ<sup>(٤)</sup>

أي: يفتقر. قال ابن قتيبة: العائل: الفقير، كان له عيال، أو لم يكن. يقال: عال الرجل: إذا افتقر. وأعال: إذا كثر عياله.

قوله تعالى: «فَأَغْنِ» قولان: أحدهما: رَضَّاكَ بما أعطاك من الرزق، قاله ابن السائب، واختاره الفراء. وقال:

(١) الرجز في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«الكامل» ١٦١، و«الطبري» ٢٣٠/٣٠، و«القرطبي» ٩١/٢٠، و«اللسان»: سجي.

(٢) قال الطبري: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال: معناه: واللَّيْلُ إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكناً.

(٣) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٢/٣٠ من رواية الإمام الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس، ورواه ابن أبي حاتم من طريقه به. قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال عن توقيف. ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٨، والحاكم ٥٢٦/٢، ورواه الطبراني في «الكبير». قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٣٩/٧: وإسناد الطبراني في «الكبير» حسن. وأورد السيوطي في «الدرر» ٣٦١/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في «الدلائل»، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) البيت لأحبة بن الجلاح الأوسي، وهو في «جمهرة أشعار العرب» ١٢٥، و«معاني القرآن» للفراء ٢٥٥/١، و«الجمهرة» ١٩٣/٢، و«الطبري» ٧/٥٤٩، و«اللسان» عيل، و«مجاز القرآن» ٣٠٢/٢، و«القرطبي» ٩٩/٢٠.

لم يكن غناه عن كثرة المال، ولكن الله رضاء بما آتاه. والثاني: فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب، قاله جماعة من المفسرين<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝﴾ فيه قولان: أحدهما: لا تحقر، قاله مجاهد. والثاني: لا تقهره على ماله، قاله الزجاج<sup>(٢)</sup>. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ ففيه قولان: أحدهما: سائل البئر، قاله الجمهور. والمعنى: إذا جاءك السائل، فإما أن تعطيه، وإما أن تردّه ردّاً لئناً. ومعنى ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تنهره، يقال: نهره وانتهره: إذا استقبله بكلام يزجره. والثاني: أنه طالب العلم، قاله يحيى بن آدم في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ في النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: النبوة. والثاني: القرآن، روي عن مجاهد. والثالث: أنها عامة في جميع الخيرات، وهذا قول مقاتل. وقد روي عن مجاهد قال: قرأت على ابن عباس، فلما بلغت ﴿وَالضُّحَىٰ ۝﴾ قال: كبر إذا ختمت كل سورة حتى تختتم. وقد قرأت على أبي بن كعب فأمرني بذلك. قال علي بن أحمد النيسابوري: ويقال: إن الأصل في ذلك أن الوحي لما فتر عن رسول الله ﷺ، وقال المشركون: قد هجره شيطانه وودّعه، اغتم بذلك، فلما نزل ﴿وَالضُّحَىٰ ۝﴾ كبر عند ذلك رسول الله ﷺ فرحاً بتزول الوحي، فاتخذته الناس سنة<sup>(٣)</sup>.



(١) روى البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الفنى من كثرة العرض ولكن الفنى غنى النفس»، وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وطمه الله بما آتاه».

(٢) وفي «صحيح البخاري» عن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما قليلاً. ورواه أيضاً بمعناه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٣) قال عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير المفسر: روي من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ، قال: قرأت على عكرمة بن سليمان، وأخبرني أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد، فلما بلغت: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ قال لي: كبر حتى تختتم مع كل خاتمة كل سورة، فإنا قرأنا على ابن كثير (يريد به عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة، المتوفى سنة ١٢٠هـ) فأمرنا بذلك، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث، فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر المقيلي قال: هو منكر الحديث، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال: أحسنت وأصبت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث. قال ابن كثير: ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته، فقال بعضهم: يكبر من آخر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَعُ﴾ وقال آخرون: من آخر ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول: الله أكبر ويقتصر، ومنهم من يقول: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. قال ابن كثير: وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة، ثم جاء الملك فأوحى إليه ﴿وَالضُّحَىٰ ۝﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنزَعُ﴾ السورة بشماها، كبر فرحاً وسروراً، قال: ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، فالله أعلم.

## سورة الانشرح

### مكية كلها يجمعهم

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنْزَحَ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعَا يَدَكَ ۖ وَذَكَرَ ۖ﴾ ١ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَوَضَعَا يَدَكَ ۖ ذَكْرَكَ ۖ﴾ ٢ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَانْصَبْ ۖ﴾ ٣

قوله تعالى: ﴿أَنْزَحَ لَكَ صَدْرَكَ ۖ﴾ الشرح: الفتح بإذهاب ما يصدّ عن الإدراك. والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصدر عن إدراك الحق. ومعنى هذا الاستفهام: التقرير، أي: قد فعلنا ذلك<sup>(١)</sup>. ﴿وَوَضَعَا يَدَكَ ۖ﴾ أي: حططنا عنك إنمك الذي سلك في الجاهلية، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والفراء، وابن قتبية في آخرين. وقال الزجاج: المعنى: أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال ابن قتبية: وأصل الوزر: ما حمله الإنسان على ظهره، فشبه بالحمل فجعل مكانه. ومعنى ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ﴾ أثقله حتى سمع نقيضه، أي: صوته. وهذا مثل، يعني: أنه لو كان حلاً يحمل لسمع نقيض الظهر منه. وذهب قوم إلى أن المراد بهذا تخفيف أعباء النبوة التي يُثْقَلُ القيام بها الظاهر، فَسَهَّلَ الله له ذلك حتى تيسر عليه الأمر. وممن ذهب إلى هذا عبد العزيز بن يحيى.

قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَا يَدَكَ ۖ﴾ فيه خمسة أقوال أحدها: ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية، فقال: قال الله ﷻ: إِذَا ذُكِرْتُ [ذُكِرْتُ] <sup>(٢)</sup> معي <sup>(٣)</sup>. قال قتادة: فليس خطيب، ولا مُشَاهِدٌ، ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا قول الجمهور. والثاني: رفعنا لك ذكرك بالنبوة، قاله يحيى بن سلام. والثالث: رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا، حكاه الماوردي. والرابع: رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء. والخامس: بأخذ الميثاق لك على الأنبياء، وإلزامهم الإيمان بك، والإقرار بفضلك، حكاهما الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ ضم سين «العُسْر»، وسين «اليسر» أبو جعفر، و«العُسْر» مذكور في الآيتين بلفظ التعريف. و«اليسر» مذكور بلفظ التنكير، فدلّ على أن العسر واحد، واليسر اثنان. قال ابن مسعود، وابن عباس في هذه [الآية]<sup>(٤)</sup>: لن يغلّب عُسْر يسرين. قال الفراء: العرب إذا ذكّرت نكرة ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين؛ كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفة، فهي كقولك: إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول. ونحو هذا قال الزجاج: ذكّر العُسْر بالآلف واللام، ثم ثنى ذكّره، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. وقال الحسين بن يحيى الجرجاني - ويقال له: صاحب النظم -: معنى الكلام: لا يحزنك ما يُعَيِّرُك به

(١) قال ابن كثير: يقول الله تعالى: ﴿أَنْزَحَ لَكَ صَدْرَكَ ۖ﴾ يعني: إنا شرحنا لك صدرك، أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيماً واسعاً، كقوله: ﴿تَنْزِيلُ يَوْمَئِذٍ رَحِيمٌ﴾ وكما شرح الله صدره، كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق.

(٢) سقطت هذه الكلمة من الأصل، واستلكتها من الطبري وغيره.

(٣) روى ابن جرير الطبري ٣٠/٢٣٥ من رواية يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج، وإن كان صدوقاً في حديثه فإنه في روايته عن أبي الهيثم ضعيف، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» ومع ذلك فقد صححه ابن حبان. وقال ابن كثير: وكذا روى الحديث ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج. وأورد السيوطي في «الدرر» ٦/٣٦٤ وزاد نسبتاً لابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) زيادة من النسخة الإستنبولية.



المشركون من الفقر ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [عاجلاً في الدنيا، فأنجزه بما وعده، بما فتح عليه، ثم ابتداءً فصلاً آخر فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(١)</sup>، والدليل على ابتدائه تعرّبه من الفاء والواو، وهو وعد لجميع المؤمنين أن مع عسر المؤمنين يسراً في الآخرة، فمعنى قولهم: لن يغلب عسر يسرين: لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا، فاليسر الذي وعدهم في الآخرة، إنما يغلب أحدهما، وهو يسر الدنيا. فأما يسر الآخرة، فثام لا ينقطع، كقوله [٢]: «شهرها عيد لا ينقصان»<sup>(٢)</sup>، أي: لا يجتمعان في النقص. وحكي عن العتيبي قال: كنت ذات ليلة في البادية بحالة من الغم، فألقني في روعي بيت من الشعر، فقلت:

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَضْبَحَ  
فلما جَنَّ اللَّيْلُ سَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتِفُ:

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ أَلَمْ  
وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْتًا لَمْ  
إِذَا اشْتَدَّ بِكَ الْمُسْرُ  
فَمُسْرَبَيْنِ يُسْرَبَيْنِ  
فحفظت الأبيات وقرّج الله عَمِي.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾<sup>(٣)</sup> أي: فادأب في العمل، وهو من النَّصَب، والنَّصَب: التعب، الدُّؤوب في العمل. وفي معنى الكلام خمسة أقوال: أحدها: فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، قاله ابن مسعود. والثاني: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، قاله ابن عباس، والضحاك، ومقاتل. والثالث: فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك، قاله مجاهد. والرابع: فإذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك، قاله الشعبي، والزهري. والخامس: إذا صبح بدلك فاجعل صحتك نصيباً في العبادة، ذكره علي بن أبي طلحة، «وَلَا رَيْكَ فَارْغَبْ»<sup>(٤)</sup> قال الزجاج: اجعل رغبتك إلى الله ﷻ وحده<sup>(٥)</sup>.



(١) زيادة من النسخة الاستنبولية.

(٢) رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما» عن أبي بكرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم ٧٦٦/٢ وهو بتمامه: «شهرها عيد لا ينقصان: رمضان وذو الحجة» ولفظ البخاري ١٠٨/٤: «شهران لا ينقصان، شهرها عيد: رمضان وذو الحجة»، قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: قوله ﷺ: «شهرها عيد لا ينقصان: رمضان وذو الحجة» الأصح أن معناه: لا ينقص أجرهما والثواب المرتب عليهما وإن نقص عددهما. وقيل: معناه: لا ينقصان جميعاً في سنة واحدة غالباً. وقيل: لا ينقص ثواب ذي الحجة عن ثواب رمضان، لأن فيه المناسك، حكاة الخطابي وهو ضعيف، والأول هو الصواب المعتمد. ومعناه أن قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقوله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً...» وغير ذلك، فكل هذه الفضائل تحصل، سواء تم عدد رمضان أم نقص، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١٠٦/٤ ما ملخصه: وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فمنهم من حمله على ظاهره فقال: لا يكون رمضان ولا ذو الحجة أبداً إلا ثلاثين، وهذا قول مردود معانده للموجود المشاهد، ويكفي في رده قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن هم عليكم فأكملوا العدة»، فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتج إلى هذا، قال: ومنهم من تأوّل له معنى لانقضاء، قال أبو الحسن: كان إسحاق بن راهويه يقول: لا ينقصان في الفضيلة إذا كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين، وقال البيهقي في «المعرفة»: إنما خصهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحج بهما. قال ابن حجر: والمعنى أن كل ما ورد عنهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين.

ثم قال: وفي الحديث حجة لمن قال: إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً، بل الله أن يتفضل بإلحاق الناقص بالثام في الثواب، ثم قال: وهذا الحديث يقتضي أن التسوية في الثواب بين الشهر الذي يكون تسعاً وعشرين، وبين الشهر الذي يكون ثلاثين، إنما هو بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة، لا من حيث تفضيل الأيام. وأطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من العيد، ونظيره قوله ﷺ: «المغرب وتر النهار» أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وصلاة المغرب ليالية جهرية، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه، وفيه إشارة أن وقتها يدخل أول ما تغرب الشمس.

(٣) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾<sup>(١)</sup> وَلَا رَيْكَ فَارْغَبْ<sup>(٢)</sup> أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها، فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة، قال: ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المثق على صحتة: «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأغنيان»، وقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة وحضر الغشاء، فابدؤوا بالغشاء».

## سورة التين

وفيها قولان: أحدهما: مكة، قاله الجمهور، منهم الحسن، وعطاء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها مدنية، حكاه الماوردي عن ابن عباس، وقتادة.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثِ

﴿التِّينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ (١) وَطُورَ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَٰلِغِينَ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَ فَتْكِينَ (٨) ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿التِّينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ (١) فيهما سبعة أقوال: أحدها: أنه التين المعروف، والزيتون المعروف، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وإبراهيم. وذكر بعض المفسرين أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مخلصنة من شائب التنقيص، وهو يدل على قدرة من هيأه على تلك الصفة. وجعل الواحدة منه على مقدار اللقمة، وإنما أقسم بالزيتون لكثرة الانتفاع به. والثاني: أن التين: مسجد نوح ﷺ الذي بني على الجودي. والزيتون: بيت المقدس، رواه عطية عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>. والثالث: التين: المسجد الحرام، والزيتون: المسجد الأقصى، قاله الضحاك. والرابع: التين: مسجد دمشق، والزيتون: بيت المقدس، قاله كعب، وقتادة، وابن زيد. والخامس: أنهم جبالن، قاله عكرمة في رواية. وروي عن قتادة قال: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس. والسادس: أن التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء، قاله القرظي. والسابع: أن التين: جبال ما بين حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال بالشام، حكاه الفراء<sup>(٣)</sup>. فأما ﴿وَطُورَ سِينِينَ﴾ (٢) فالطور: جبل، وفيه قولان: أحدهما: أنه الجبل الذي كلم الله موسى عليه، قاله كعب الأحبار في الأكثرين. والثاني: أنه جبل بالشام، قاله قتادة. فأما ﴿سِينِينَ﴾ فهو لغة في سيناء، وقد قرأ علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبو العالية، وأبو مجلز «طور سيناء» ممدودة مهموزة، مفتوحة السين. وقرأ ابن مسعود، وأبو الدرداء، وأبو حيو، «طور سيناء» مثلهم إلا أنهم كسروا السين. وقرأ أبو رجاء، والجحدري «سينين» كما في المصحف، لكنهما فتحا السين. وقال ابن الأنباري: «سينين» هو سيناء. واختلفوا في معناه، فقيل: معناه: الحسن، وقيل: المبارك، وقيل: إنه اسم للشجر الذي حوله. وقد شرحنا هذا في سورة [المؤمنين: ٢٠] قال الزجاج: وقد قرئ هاهنا «طور سيناء» وهو أشبه لقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سِينَاءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. وقال مقاتل: كل جبل فيه شجر مشمر فهو سينين، وسيناء بلغة النبط<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (٣) يعني: مكة يأمن فيه الخائف في الجاهلية، والإسلام<sup>(٥)</sup>. قال الفراء: ومعنى «الأمين» الآمن. والعرب تقول للأمين: آمن. قال الشاعر:

(١) وهو الصواب.

(٢) وعطية ضعيف.

(٣) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين، هو التين الذي يوكل، والزيتون: هو الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب.

(٤) قال أبو جعفر الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: طور سينين، جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين، تعريف له، ولو كان تعناً للطور كما قال من قال: حسن أو مبارك، لكان الطور منوناً، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغيره علة تدعو إلى ذلك.

(٥) قال ابن كثير: وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلأ من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، فالأول محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم ﷺ، والثاني: طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران، والثالث: مكة، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا أَسْمَ وَلَيْسَكَ أَنْبِي

حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أَخُونُ أَمِينِي<sup>(١)</sup>

يريد أمني.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذا جواب القسم. وفي المراد بالإنسان هاهنا خمسة أقوال: أحدها: أنه كَلْدَة بن أسيد، قاله ابن عباس. والثاني: الوليد بن المغيرة، قاله عطاء. والثالث: أبو جهل بن هشام. والرابع: عتبة، وشيبة، حكاهما الماوردي. والخامس: أنه اسم جنس، وهذا مذهب كثير من المفسرين<sup>(٢)</sup>، وهو معنى قول مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: في أعدل خلق. والثاني: منتصب القامة، روى عن ابن عباس. والثالث: في أحسن صورة، قاله أبو العالية. والرابع: في شباب وقوة، قاله عكرمة<sup>(٣)</sup>. ﴿ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَتَقَلَّ سَبِيلِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فيه قولان: أحدهما: إلى أرذل العمر، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وإبراهيم، وقادة<sup>(٥)</sup>. وقال الضحاك: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة. والسافلون: هم الضعفاء، والزُّمْنَى والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً. قال الفراء: وإنما قال ﴿سَبِيلِينَ﴾ على الجمع؛ لأن الإنسان في معنى جمع. تقول: هذا أفضل قائم، ولا تقول: قائمين، لأنك تريد واحداً، فإذا لم ترد واحداً ذكرته بالترديد وبالجمع. والثاني: إلى النار، قاله الحسن، وأبو العالية، ومجاهد. والمعنى: إنا نفعل هذا بكثير من الناس. تقول العرب: أنفق فلان ماله على فلان، وإنما أنفق بعضه، ومثله قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾<sup>(٦)</sup> [الليل: ١٨] لم يُرِدْ كُلُّ مَالِهِ. ثم استثنى من الإنسان فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأن معنى الإنسان الكثير. وللمفسرين في معنى الاستثناء قولان: أحدهما: إلّا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّونَ إلى الحَرْفِ وَأَرَذَلَ الْعُمُرِ وَإِنْ عُمُرُوا طَوِيلًا، وهذا على القول الأول. قال ابن عباس: من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر. وقال النخعي: إذا بلغ المؤمن من الكِبَرِ ما يعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعمل، وهو قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ وقال ابن قتيبة: المعنى: إلّا الذين آمنوا في وقت القوة والقدرة، فإنهم حال الكِبَرِ غير مقوصين وإن عجزوا عن الطاعات؛ لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوة لم ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم أجر ذلك. والثاني: إلّا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّونَ إلى النار. وهذا على القول الثاني<sup>(٧)</sup>. وقد شرحنا معنى «الممنون» في (ن: آية: ٣).

قوله تعالى: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالِّينِ﴾<sup>(٨)</sup> فيه قولان: أحدهما: فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة، «بَالِّينِ» أي: ما الذي يجعلك مكذباً بالجزاء<sup>(٩)</sup>، وهذا توبيخ للكافر، وهو معنى قول مقاتل. وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة. والثاني: فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له خلقنا الإنسان على ما وصفنا، قاله الفراء. فأما «الذين» فهو الجزاء. والمشار بذكره إلى البعث، كأنه استدلل بتقليب الأحوال على البعث.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> أي: بأقضى القاضين. قال مقاتل: يحكم بينك وبين مكذبيك. وذكر بعض المفسرين: أن معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإعراض عنهم، ثم نسخ هذا المعنى بآية السيف<sup>(١١)</sup>.

= فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقم بالأشرف، ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما.

(١) البيت من شواهد الفراء ٣٧١، وهو في الطبري ٢٤١/٣٠، والقرطبي ١١٣/٢٠.

(٢) وهو الصواب.

(٣) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها، لأن قوله: ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾ إنما هو نعت لمحلوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكانه قال: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم.

(٤) واختار هذا القول ابن جرير الطبري، ورده ابن كثير، فقال: ولو كان هذا هو المراد، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه (يعني القول الثاني: النار)؛ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ الْإِيمَانِ﴾<sup>(٥)</sup> [البقرة: ١٧٧].

(٥) وهو الأقرب إلى معنى الآية، كما قال ابن كثير.

(٦) قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(٦)</sup> أي: أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجر ولا يظلم أحداً، ومن عله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه.

## سورة العلق<sup>(١)</sup>

وتسمى: سورة القلم، وسورة العلق، وهي مكية بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنها نزلت عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّاتِ الثَّلَاثَةِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ⑤﴾  
قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ قرأ أبو جعفر بتخفيف الهمزة في الحرفين. قال أبو عبيدة: المعنى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ والباء زائدة. وقال المفسرون: المعنى: اذكر اسمه مستفتحاً به قراءتك. وإنما قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أصنامهم. والإنسان هاهنا: ابن آدم. والعلق: جمع علقه، وقد بيّناها في سورة «الحج». قال الفراء: لما كان الإنسان في معنى الجمع جمع العلق مع مشاكلة زؤوس الآيات.

قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ تقرير للتأكيد. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ قال الخطابي: الأكرم: الذي لا يوازيه كرم، ولا يعادله في الكرم نظير. وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم، كما جاء الأعزُّ والأطول بمعنى العزيز والطويل. وقد سبق تفسير الكريم.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④﴾ أي: علّم الإنسان الكتابة بالقلم ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ⑤﴾ من الخط، والصناعات، وغير ذلك. وقيل: المراد بالإنسان هاهنا: محمد ﷺ.

﴿كَلَّا ⑥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ⑦ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَقٍ ⑧ أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑨ أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑩ أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑪ أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑫ أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑬﴾  
﴿كَلَّا ⑥﴾ أي: كذباً. ﴿لَكَنَافٍ ⑦﴾ أي: كذباً. ﴿أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَلَقٍ ⑧﴾ أي: كذباً. ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑨﴾ أي: كذباً. ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑩﴾ أي: كذباً. ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑪﴾ أي: كذباً. ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑫﴾ أي: كذباً. ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑬﴾ أي: كذباً.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا ⑥﴾ أي: حقاً. وقال مقاتل: ﴿كَلَّا ⑥﴾ لا يعلم أن الله علمه. ثم استأنف فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ⑦﴾ يعني: أبا جهل. وكان إذا أصاب مالأً أشر ويطر في ثيابه، ومراكبه، وطعامه، ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑧﴾ قال ابن قتيبة: أي: أن رأى نفسه استغنى، و﴿الرحمن﴾: المرجع.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑧﴾ معنى: أرأيت: تعجيبه المخاطب، وإنما كررها للتأكيد والتعجيب. والمراد بالناهي هاهنا: أبو جهل. قال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يعرف محمدٌ وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به<sup>(٢)</sup> لئن رأيته لأطأن على رقبته. فقيل له: ها هو ذاك يصلي. فانطلق ليظن على رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه<sup>(٣)</sup>، ويتقي بيديه، فأنزوه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنيحةً. وقال نبي الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً»، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَفْسٌ ⑧﴾ إلى آخر السورة<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟!

(٢) في «صحيح مسلم» والطبري: قال: واللوات والعزى.

(١) في الأصل: سورة اقرأ.

(٣) في الأصل: عقبه، والتصحيح من مسلم والطبري.

(٤) روى مسلم في «صحيحه» ٢١٥٤/٤، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠، ورواه أحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم. وأورد السيوطي في «الدر» ٣٧٠/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم عن أبي هريرة ﷺ.

ورواه البخاري في «صحيحه» ٥٥٧/٨ دون سبب النزول، ولفظه: عن عكرمة قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيته محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخلته الملائكة»، ورواه ابن جرير بنحوه بلفظ: «لو فعل لأخلته الملائكة عباتاً». ورواه بنحو رواية الطبري: الترمذي في «سننه» ١٧٠/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأورد السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبه لعبد الرزاق،



فانصرف إليه النبي ﷺ فزَّهَرَهُ<sup>(١)</sup>، فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى: ﴿تَلَيَّغُ نَادِيَهُ﴾<sup>(٢)</sup> سَنَعَ الزَّيَّانَةَ<sup>(٣)</sup> قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله<sup>(٤)</sup>. قال المفسرون: والمراد بالعبد هنا: محمد ﷺ. وقيل: كانت الصلاة صلاة الظهر.

قوله تعالى: ﴿أَوَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْكَ﴾ يعني المنهي وهو النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿أَوَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ يعني: الناهي، وهو أبو جهل، قال الفراء: والمعنى: أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى، وهو كاذب مُتَوَلٍّ عن الذِّكْرِ، فأي شيء أعجب من هذا؟ وقال ابن الأنباري: تقديره: أرايته مصيباً.

قوله تعالى: ﴿أَوَيْتَ﴾ يعني أبا جهل ﴿يَا أَللهُ يَرَى﴾ ذلك فيجازه ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يعلم ذلك، ﴿إِنْ لَرَبِّكَ﴾ عن تكذيب محمد وشتمه وإيدائه ﴿تَسْتَعِينُ بِالْإِصْبَاحِ﴾ السفع: الأخذ، والناصية: مُقَدِّمُ الرَّأْسِ. قال أبو عبيدة: يقال: سفعْتُ بيده، أي: أخذتُ بها. وقال الزجاج: يقال: سفعْتُ الشيء: إذا قبضتُ عليه وجذبتُه جذباً شديداً. والمعنى: لَنَجْرُؤُ ناصيته إلى النار.

قوله تعالى: ﴿كَلِمَةٍ﴾ قال أبو عبيدة: هي بدل، فلذلك جَرَّهَا. قال الزجاج: والمعنى: بناصية صاحبها كاذبٌ خاطئ، كما يقال: نهاره صائم، وليله قائم، أي: هو صائم في نهاره، قائم في ليله. ﴿تَلَيَّغُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه، وهم أهل مجلسه فليست نصرهم ﴿سَنَعَ الزَّيَّانَةَ﴾ قال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشُّداد. وقال مقاتل: هم خَزَنَةُ جَهَنَّمَ. وقال قتادة: الزَّيَّانَةُ في كلام العرب: الشُّرَطُ. قال الفراء: كان الكسائي يقول: لم أسمع للزَّيَّانَةِ بواحد، ثم قال بأخرة: واحد الزبانية: زُبَيْنٌ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً. وقال أبو عبيدة: واحد الزبانية: زُبَيْنَةٌ، وهو كل متمرد من إنس، أو جان. يقال: فلان زُبَيْنَةٌ عَفْرِيةٌ. قال ابن قتيبة: وهو مأخوذٌ من الزُّبْنِ، وهو الدَّفْعُ، كأنهم يدفعون أهل النار إليها. قال ابن دريد: الزُّبْنُ: الدَّفْعُ. يقال: ناقة زبون: إذا زَبَنَتْ حالبها، ودفعته برجلها. وَتَزَابَنَ القوم: تدارَوْوا. واشتقاق الزبانية من الزُّبْنِ، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿لَا تُطِيعُهُ﴾ في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ أي: صلِّ الله ﴿وَأَقْرَبْ﴾ إليه بالطاعة، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبْ﴾ خطاب للنبي ﷺ. وقد قيل: إنه خطاب لأبي جهل، ثم فيه قولان: أحدهما: أن المعنى: اسجد أنت يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النار، قاله زيد بن أسلم. والثاني: واقترب يا أبا جهل تَهْدِداً له، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القُدماء. وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قُدِّمناه. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»<sup>(٥)</sup>.



= وعبد بن حميد، وابن مردويه، وابن المنذر، وأبي نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» عن ابن عباس ؓ.

(١) أي: نهره وأغلظ له.

(٢) رواه الترمذي ١٧١/٢ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه أحمد في «المسند» رقم ٢٣٢١ و٣٠٤٥، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠، والواحدي في «أسباب النزول» ٣٣٩، وأورده السيوطي في «الدر» ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي عن ابن عباس ؓ.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ٣٥٠/١.

## سورة القدر

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، ومقاتل. قال الماوردي: والأول قول الأكثرين<sup>(١)</sup>. وقال الثعلبي: الثاني قول الأكثرين.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَرِيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْوٍ ﴿٤﴾ سَلَكُوهُ حَتَّىٰ مَطَلْعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وذلك أنه أنزل جملةً في تلك الليلة إلى بيت العزّة، وهو بيت في السماء الدنيا. وقد ذكرنا هذا الحديث في أول كتابنا<sup>(٢)</sup>. والهاء في ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ كناية عن غير مذكور. وقال الزجاج: قد جرى ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ بُدْرِكِي﴾ [الدخان: ٤٣]. فأما ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ففي تسميتها بذلك خمسة أقوال: أحدها: أن القدر: العظمة، من قولك: لفلان قدر، قاله الزهري. ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرُوهُ﴾ [الأنعام: ٩١] [الزمر: ٦٧]. والثاني: أنه من الضيق، أي: هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون، قاله الخليل بن أحمد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدِرْ عَلَيْهِ رَيْفُكُمْ﴾ [الطلاق: ٤٧]. والثالث: أن القدر: الحكم، كان الأشياء تُقدّر فيها، قاله ابن قتيبة. والرابع: لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر، قاله أبو بكر الورّاق. والخامس: لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر، وتنزل فيها رحمة ذات قدر، وملائكة ذوو قدر، حكاة شيخنا علي بن عبيد الله.

## فصل

واختلف العلماء هل ليلة القدر باقية، أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة؟ والصحيح بقاؤها. وهل هي في جميع السنة، أم في رمضان؟ فيه قولان: أحدهما: في رمضان، قاله الجمهور<sup>(٣)</sup>. والثاني: في جميع السنة، قاله ابن مسعود. واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان هل تختص ببعضه دون بعض؟ على قولين: أحدهما: أنها في العشر الأواخر، قاله الجمهور، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدلّ عليه. وقد روى البخاري في أفرادها من حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو في خامسة تبقى»<sup>(٤)</sup>. وفي حديث أبي بكرة قال: ما أنا بملتصمها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ، إلا في العشر الأواخر، فإني سمعته يقول: «التمسوها في تسع ييقين، أو سبع ييقين، أو خمس ييقين، أو ثلاث ييقين، أو آخر ليلة»<sup>(٥)</sup>. والقول الثاني: أنها في جميع رمضان، قاله الحسن البصري. واختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر هل تختص ليالي الوتر دون الشفع؟

(١) وهو الصواب.

(٢) وهو الصواب الذي تؤيده الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، وسيورد المصنف بعضها.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ٢٢٦/٤ ولفظه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر، في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى». قال ابن كثير بعدما ذكر حديث البخاري هذا: فتره كثيرون بليالي الأوتار، وهو أظهر وأشهر.

(٤) رواه الترمذي في «سننه» ٩٨/١ من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال الترمذي في آخر الحديث: وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة، فإذا دخل العشر يعني الأخير اجتهد. وقال الحافظ السيوطي في «الدرة» ٣٧٣/١: أخرج الطيالسي، وابن أبي شبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الرحمن بن جوشن قال: ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال: أما أنا فليست بملتصمها إلا في العشر الأواخر بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها في العشر الأواخر، لتاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو ثلاثة تبقى، أو آخر ليلة»، فكان أبو بكرة ﷺ يصلي في عشرين من رمضان كما كان يصلي في سائر السنة، فإذا دخل العشر اجتهد.

على قولين: أحدهما: أنها تختص الأفراد، قاله الجمهور. والأحاديث الصحاح كلها تدلّ عليه. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصححين» من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها»<sup>(١)</sup>. والثاني: أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر، قاله الحسن. وروي عن الحسن ومالك بن أنس قالا: هي ليلة ثمان عشرة<sup>(٢)</sup>. واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخصّ الليالي بها على خمسة أقوال: أحدها: أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين. فروى البخاري ومسلم في «الصححين» من حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ العشر الوسط، واعتكفنا معه، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع، ورجعنا معه، وأري ليلة القدر، ثم أنسيها، فقال: «إني رأيت ليلة القدر، ثم أنسيها وأراني أسجد في ماء وطين، فمن اعتكف فليرجع إلى مُعتكفه، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشية، وكان سَقَفُ المسجد عريشاً من جريد، فوكف [المسجد]<sup>(٣)</sup> فوالذي هو أكرمهم، وأنزل عليه الكتاب لَرَأَيْتُهُ يصلي، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين، وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين»<sup>(٤)</sup>، وهذا مذهب الشافعي. والثاني: أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين. روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال ليلة ثلاث وعشرين: «اطلبوها الليلة»<sup>(٥)</sup>. وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين»<sup>(٦)</sup>. وروى مسلم في أفرادهِ من حديث عبد الله بن أنيس، أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ليلة القدر، ثم أنسيها»<sup>(٧)</sup>، وأراني ضُبِحَها<sup>(٨)</sup> أسجد في ماء وطين. قال: فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف<sup>(٩)</sup> وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه. قال: وكان عبد الله بن أنيس يقول: ليلة ثلاث وعشرين<sup>(١٠)</sup>. والثالث: ليلة خمس وعشرين، روى هذا المعنى أبو بكره عن النبي ﷺ<sup>(١١)</sup>. والرابع: ليلة سبع وعشرين، روى مسلم في أفرادهِ من حديث ابن عمر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان متحرّياً فليتحزّها ليلة سبع وعشرين»، يعني: ليلة القدر<sup>(١٢)</sup>، وهذا مذهب عليّ وأبيّ بن كعب. وكان أبيّ يحلف لا يستثني أنها ليلة سبع

(١) رواه البخاري ٢٢٥/٤ وهو جزء من حديث طويل، ولفظه: «... فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر...» وهو في «مسلم» ٨٢٤/٢، بمعناه.

(٢) قال الترمذي ٩٨/١: وروي عن أبي قلابه أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر. قال ابن كثير: وهذا الذي حكاه الترمذي عن أبي قلابه نصّ عليه مالك، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبو ثور، والمزني، وأبو بكر بن خزيمة، وغيرهم، قال: وهو محكي عن الشافعي، نقله القاضي عنه، وهو الأشبه، والله أعلم.

(٣) زيادة من البخاري ومسلم، ومعنى وكف: أي: قطر ماء المطر من سقفه.

(٤) رواه البخاري ٢٣٦/٤، ٢٤٣، ٢٤٤، ومسلم ٨٢٤/٢، ٨٢٦.

(٥) قال السيوطي في «الدر» ٣٧٢/٦: وأخرج ابن زنجويه، وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة ؓ قال: ذكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «كم بقي من الشهر؟ قلنا: مضت اثنتان وعشرون، وبقي ثمان، فقال رسول الله ﷺ: «مضت اثنتان وعشرون، وبقيت سبع، التمسوها الليلة، الشهر تسع وعشرون».

(٦) هذا قطعة من حديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» ١٩٣/٣٠ عن عبد الله بن عمر بغير سند ولم يعزه لأحد، ولفظه عنده بتمامه: عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى، فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين، ولم تره عند غيره بهذا اللفظ، نعم رواه البخاري ومسلم في «صححيهما» عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد توأمت في السبع الأواخر، فمن كان متحرّياً فليتحزّها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢١/٤: والظاهر أن المراد به أواخر الشهر، ثم قال: ولمسلم من طريق عقبة بن حريث عن ابن عمر: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يغلبن على السبع البواقي»، قال: وهذا البيان يرجح الاحتمال في تفسير السبع.

(٧) في الأصل: نسيها.

(٨) في الأصل: فأبصرته.

(٩) رواه مسلم ٨٢٧/٢، وقال الحافظ السيوطي في «الدر» ٣٧٣/٦: أخرج مالك، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وابن زنجويه، والطحاوي، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التمسوها الليلة» وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين.

(١٠) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: حكاه ابن العربي في «المعارضة»، وعزاه ابن الجوزي في «المشكّل» لأبي بكره.

(١٢) لفظ رواية مسلم ٨٢٢/٢: «فمن كان متحرّياً فليتحزّها في السبع الأواخر». قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٢٢٩/٤: ولاين المتن: «من كان





والولي في الناس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا على سبيل التعظيم والتشويق إلى خيرها.

قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَدَّثَنَا مِنْ آيَاتِ شَهْرِ﴾ قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر، وهذا قول قتادة، واختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجاج. وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ ذكّر له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله<sup>(٢)</sup>. وذكر بعض المفسرين أنه كان الرجل فيما مضى لا يستحق أن يقال<sup>(٣)</sup> له: عابد حتى يعبد الله ألف شهر كانوا يعبدون فيها.

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ﴾ قال أبو هريرة: الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى<sup>(٤)</sup>. وفي «الروح» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه جبريل، قاله الأكرتون. وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله ﷻ»<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن الروح:

على ذلك. وقيل: إنها العصر، قال: الترمذي والبخاري رحمهما الله تعالى: وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم. وقال القاضي الماوردي: هو قول جمهور التابعين، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: هو قول أكثر أهل الأثر، وقال أبو محمد بن عطية في «تفسيره»: وهو قول جمهور الناس. ثم ذكر أنه جاء التصريح بها في الأحاديث الصحيحة، منها ما رواه أحمد ومسلم عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملاأ قلوبهم ويوتهم ناراً». قال: وأخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغير واحد من أصحاب «المسانيد» و«السنن» و«المصاحح»، من طرق يطول ذكرها. وذكر أقوالاً أخرى كثيرة، ثم قال: وقد ثبت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها. وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى أصبحت معروفة وليست خفية كما ذكر المؤلف رحمه الله.

(١) الولي لا يعرف بعينه، ولكن الله تعالى ذكر صفات الأولياء في كتابه فقال: ﴿إِنَّا إِلَهُكُمْ فَلَا تُخَوِّفُكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا فَتْنًا يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ﴾ نكل من كان مؤمناً تقياً كان له ولياً.

قال ابن كثير: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين، بل يلد ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: «اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، ستيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبطل مكانه فرحاً»، فقل: يا رسول الله، أفلا تتعلمها؟ فقال: بلى ويشتفي لكل من سمعها أن يتعلمها» وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي بمثله، قال: وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه «الأحاديث في شرح الترمذي» أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهي كثيرة، وقد اختلف العلماء في تعيين اسمه الأعظم. وقد روى أصحاب «السنن» عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»، فله أعلم أي الأسماء من هؤلاء الأعظم، وكلها عظيمة.

(٢) روى هذا الحديث البخاري في «تفسيره» من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند، وكذلك ذكره القرطبي في «تفسيره»، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد عن النبي ﷺ، وهو مقطوع، وكذلك ذكره السيوطي في «الدر» ٣٧١/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، والبيهقي في «سننه».

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في ذلك الشهر ليلة القدر، قال: هكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد، قال: وقال عمرو بن قيس الملائي: عمل فيها خير من عمل ألف شهر، قال: وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، هو اختيار ابن جرير، وهو الصواب، لا ما عداه، وهو قوله ﷺ: «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من العتلة» رواه أحمد، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك. وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»، ثم قال: ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها ألف شهر، ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٣) في الأصل: يقول، والتصحيح من النسخة الاستنبالية.

(٤) قال ابن كثير: أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، قال: والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما ينزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق، تعظيماً له.

(٥) حديث أنس هذا، ذكره السيوطي في «الدر» ٣٧٧/٦ وعزاه للبيهقي، والكبكية: الجماعة.

طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، قاله كعب، ومقاتل بن حيان. والثالث: أنه ملك عظيم يفي بخلق من الملائكة، قاله الواقدي.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر ﴿يَأْذِنُ رَبِّهَا﴾ أي: بما أمر به وقضاه ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ قال ابن قتيبة: أي: بكل أمر. قال المفسرون: ينتزلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى قابل. وقرأ ابن عمر، وابن عباس، وأبو العالية، وأبو عمران الجوني: «من كل امرئ» بكسر الراء ويعدها همزة مكسورة منوثة. وبوصل اللام من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: أحدهما: من كل ملك سلام. والثاني: أن تكون «من» بمعنى «على» تقديره: على كل امرئ من المسلمين سلام من الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ [الأنبياء: ٧٧]. والقراءة الموافقة لخط المصحف هي الصواب. ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثم ابتداء فقال تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ أي: ليلة القدر سلام. وفي معنى السلام قولان: أحدهما: أنه لا يحدث فيها داء ولا يُرسل فيها شيطان، قاله مجاهد. والثاني: أن معنى السلام: الخير والبركة، قاله قتادة. وكان بعض العلماء يقول: الوقف على ﴿سَلَّمَ﴾ على معنى تنزل الملائكة بالسلام.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة «مطلع» بفتح اللام. وقرأ الكسائي بكسرها. قال الفراء: والفتح أقوى في قياس العربية، لأن المطلق بالفتح: الطلوع، وبالكسر: الموضع الذي يطلع منه، إلا أن العرب تقول: طلعت الشمس مطلوعاً، بالكسر، وهم يريدون المصدر؛ كما تقول: أكرمك كرامة، فتجتزئ بالاسم عن المصدر. وقد شرحنا هذا المعنى في [الكهف: ٩] عند قوله تعالى: ﴿مَطْلَعِ الشَّامِ﴾ شرحاً كافياً، والله الحمد.



سورة البينة<sup>(١)</sup>

وفيها قولان: أحدهما: مدنية، قاله الجمهور<sup>(٢)</sup>. والثاني: مكية، قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره يحيى بن سلام.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْكَيَنَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۚ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۚ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۚ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۚ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أي: ومن المشركين، وهم عبدة الأوثان ﴿مُنْكَيَنَ﴾ أي: منفصلين وزائلين - يقال: فككت الشيء، فانفك، أي: انفصل - والمعنى: لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: حتى أنتهم، فلفظه لفظ المستقبل، ومعناه الماضي. و﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الرسول، وهو محمد ﷺ، وذلك أنه بَيَّنَّ لهم ضلالهم وجهلهم. وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم. وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية: لم يختلفوا أن الله يبعث إليهم نبياً حتى بعث فافترقوا. وقال بعضهم: لم يكونوا ليتروا منفكين عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البينة. والوجه هو الأول. والرسول هاهنا محمد ﷺ، ومعنى ﴿يَتْلُو صُحُفًا﴾ أي: ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن. ويدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب. ومعنى ﴿مُطَهَّرَةً﴾ أي: من الشرك والباطل. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الصحف ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أي: عادلة مستقيمة تُبَيِّنُ الحق من الباطل، وهي الآيات. قال مقاتل: وإنما قيل لها: كتب لما جُمِعَتْ من أمور شتى.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: أنها محمد ﷺ، والمعنى: لم يزلوا مجتمعين على الإيمان به حتى بُعِثَ، قاله الأكثرون. والثاني: القرآن، قاله أبو العالية. والثالث: ما في كتبهم من بيان بُتُوْهِ، ذكره الماوردي. وقال الزجاج: وما تَفَرَّقُوا في كفرهم بالنبىِّ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ تَبَيَّنَا أَنَّهُ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

(١) في الأصل: سورة لم يكن. وروى البخاري في صحيحه ٩٠/٦، ومسلم في صحيحه ٤/١٩١٥ عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَا يَكْفِي الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»، قال: وسألتني؟ قال: نعم، فبكى. ورواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وغيرهم. وتخصيص هذه السورة بالذكر يقتضي اختصاصها وامتنازها، لما اشتملت عليه من التوحيد، والرسالة، والإخلاص، والصف والكتب المنزل على الأنبياء، وذكر الصلاة، والزكاة، والمعاد، وبيان أهل الجنة والنار، مع وجازتها.

(٢) وهو الصواب.

(٣) روى أبو داود في سننه ٤٥٩٧ عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فبينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين إثنان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»، ورواه أحمد في المسند ١٠٢/٤ من حديث معاوية، وأبو داود في سننه ٤٥٩٦ من حديث أبي هريرة، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهو حديث صحيح لطرقه. وروى مسلم في صحيحه رقم ١٣٣٧ من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فروني ما تركتم لإتينا ملك من كان قبلك بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء، فاتوا به ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

وروى مسلم في صحيحه ١٩٧/١٧ بشرح النووي عن عياض بن حمار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم فربهم ومعههم إلا بقايا من أهل الكتاب... الحديث، قال النووي: المراد بهذا المقمت والنظر: ما قبل بعثة رسول الله ﷺ، والمراد ببقايا الكتاب: الباقي على التسك بدنيهم الحق من غير تبديل.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ أي: في كتبهم ﴿إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: إلا أن يعبدوا الله. قال الفراء: والعرب تجعل اللام في موضع «أن» في الأمر والإرادة كثيراً؛ كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَتَّبِعَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، و﴿يُرِيدُونَ يَلِغُوا فُورَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٨]. وقال في الأمر ﴿وَأَرْسَلْنَا لِلْإِنْسَانِ﴾ [الانعام: ٧١].

قوله تعالى: ﴿تَحْيِيَّيْنِ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: موحدَيْن لا يعبدون سواه ﴿حُفَّاءَ﴾ على دين إبراهيم <sup>(١)</sup> ﴿وَتُحْسِنُوا الصَّلَاةَ﴾ المكتوبة في أوقاتها ﴿رَبُّوْهُمُ الرَّحْمَٰنُ﴾ عند وجوبها ﴿وَذَلِكَ﴾ الذي أمروا به هو ﴿وَيْنَ النَّبِيِّ﴾ قال الزجاج: أي دين الأمة القيمة بالحق. ويكون المعنى: ذلك الدين دين الملة المستقيمة <sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ مُرْسِدُ الْبَرِّ﴾ قرأ نافع، وابن ذكوان عن ابن عامر بالهمز بالكلمتين. وقرأ الباقون بغير همز فيهما. قال ابن قتيبة: البرية: الخلق. وأكثر العرب والقراء على ترك همزها لكثرة ما جرت على الألسنة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. ومن الناس من يزعم أنها مأخوذة من بَرَيْتُ العود، ومنهم من يزعم أنها من البرى وهو التراب [أي خلق من التراب، وقالوا: لذلك لا يهمز، وقال الزجاج: لو كان من البرى وهو التراب]<sup>(3)</sup> لما قرنت بالهمز، وإنما اشتقاقها من بَرَأَ الله الخلق. وقال الخطابي: أصل البرية الهمز، إلا أنهم اصطَلَحُوا على ترك الهمز فيها. وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ قال مقاتل: رضي الله عنهم بطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه. وكان بعض السلف يقول: إذا كنت لا ترضى عن الله، فكيف تسأله الرضا عنك؟!

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي: خافه في الدنيا، وتناهى عن معاصيه<sup>(٤)</sup>.



فمن أدرك من أهل الكتاب محمداً ﷺ خاتم النبيين وآمن به، فذلك يؤتى أجره مرتين، وقد روى مسلم في «صحيحه» رقم ١٥٤ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنية وأدرك النبي (يعني نفسه ﷺ) فأمن به واتبه وصدقه فله أجران... الحديث. ومن أدرك محمداً ﷺ من أهل الكتاب ولم يؤمن فهو كافر بلا شك ولا ريب، لأن الأنبياء المتقدمين عليه ﷺ كموسى وعيسى ﷺ أخذوا العهد واليثاق على أقوامهم إن أدركوا محمداً ﷺ أن يؤمنوا به، وبشروا بمجيئه، فمن أدركه ولم يؤمن به فقد كفر بمحمد وعيسى وموسى، لأنه كذب أقوالهم. وقد روى مسلم في «صحيحه» رقم ١٥٣ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار». ولذلك قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وأهل الكتب والمشركون في نكاح جنتهم خليلين فيما أولئك هم شرّ الزوجين﴾ أي الخليفة، لكفرهم وعنادهم. وذكر عن الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب والمشركون فأمنوا به وسلكوا شريعته أنهم خير البرية، لأنهم آمنوا بختام الأنبياء والمرسلين، وصدقوا الأنبياء المتقدمين.

(١) قال القرطبي: أي: ماثلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام.

(٢) قال ابن كثير: وقد استدل كثير من الأئمة، كالزهري، والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا بِإِسْلَامٍ اللَّهُ عَلَيْهِ لهُ الْبَيْنُ حَقًّا وَيُفِيصُوا السَّلَوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَكَرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾.

(٣) زيادة سقطت من الأصل، واستلركناها من النسخة الاستنبولية.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الخير الذي وصفته ووعدته الذين آمنوا. وعملوا الصالحات يوم القيامة ﴿يَأْتِيكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يقول: لمن خاف الله في الدنيا في سره وعلايته، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُمْ جَزَاءً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي هذا الجزاء حاصل لمن غشي الله واتقاه حق تقواه، وعبدته كأنه يراه، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه.





قوله تعالى: ﴿بَانَ رَبُّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۖ﴾ قال الفراء: تحدّث أخبارها بوحى الله وإذنه لها. قال ابن عباس: أوحى لها، أي: أوحى إليها، وأذن لها أن تخبر بما عمل عليها. وقال أبو عبيدة: ﴿لَهَا﴾ بمعنى «إليها»<sup>(١)</sup>. قال العجاج: وَحَىٰ<sup>(٢)</sup> لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب ﴿أَشْنَاءُ﴾ أي: فرقاً. فاهل الإيمان على حدة، وأهل الكفر على حدة، ﴿إِسْرًا أَعْمَلَهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وعائشة، والجحدري: «لِيَرْوَا» بفتح الياء. قال ابن عباس: أي ليروا جزاء أعمالهم. فالمعنى: أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: تحدّث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس أشنأتاً. فعلى هذا: يرون ما عملوا من خير أو شر في موقف الغرض ﴿فَكَمْ يَسْكَلُ يَشْكَلُ دَرَجَةً﴾ قال المفسرون: من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير أو الشر يره<sup>(٤)</sup>، وقرأ أبان عن عاصم «يُره» بضم الياء في الحرفين. وقد بيّنا معنى «الذرة» في سورة [النساء: ٤٠] وفي معنى هذه الرؤية قولان: أحدهما: أنه يراه في كتابه. والثاني: يرى جزاءه. وذكر مقاتل: أنها نزلت في رجلين كانا بالمدينة، كان أحدهما يستقل أن يعطي السائل الكسرة، أو التمرة. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، فأنزل الله ﷻ هذا يَرُغِبُهُم في القليل من الخير، ويَحْذَرُهُم اليسير من الشر<sup>(٥)</sup>.



(١) قال ابن كثير: قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحى لها، ووحى إليها، واحد.

(٢) كذا في «القرطبي» و«اللسان»، وروايته في «مجاز القرآن» و«البحر» و«روح المعاني»: أوحى، وكلاهما صواب.

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» ٣٠٦/٢، و«القرطبي» ١٤٩/٢٠، و«البحر» ٥٠١/٨، و«روح المعاني» ١٠/٣٠، و«اللسان»: وحى.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٥٩/٨ عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «الخير ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ينثر، وعلى رجل وذر، فأما الذي له أجر، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها أي (حبيلها الطويل) ذلك في العرج والروضة كان له حسنات، ولو أنها قطعت في طيلها فاستثقت (خذت) شرفاً أو شرفين (شوطاً أو شوطين) كانت ثأراها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي: كان ذلك حسنات له، فهي للكل الرجل أجر. ورجل ربطها تغنياً وتمعفاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ينثر، ورجل ربطها فخراً ورياء، ونواة (عداوة لأهل الإسلام) فهي على ذلك وذر»، فسنل رسول الله ﷺ عن الحُمُر، (أي عن صدقتها)، قال: «ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفأدة (المنفردة) الجامعة: ﴿فَكَمْ يَسْكَلُ يَشْكَلُ دَرَجَةً حَبْرًا يَسْرُو ۖ وَكَمْ يَسْكَلُ يَشْكَلُ دَرَجَةً شَرًّا يَسْرُو﴾»، ورواه مسلم في «صحيحه» بأطول منه ٦٨٠/٢، ٦٨١.

(٥) ذكر سبب النزول هذا الواحد في «أسباب النزول» ٣٤٠، والبيهقي في «التفسير» عن مقاتل بغير سند، وذكره ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير، وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه، وعطاء بن دينار صدوق، إلا من روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته، وسعيد بن جبير أرسله.

## سورة العاديات

وفيهما قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، قاله ابن عباس، وقتادة، ومقاتل.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمَدْيَنَ ضَبًّا ۝ فَالْمُورِيَّتَ قَدَا ۝ فَالْمُيَرَّتَ ضَبًّا ۝ فَاتْرَنَ يَوْمَ نَقَا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ أَلَمْ يَعْلَمْ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِيَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمَدْيَنَ ضَبًّا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الإبل في الحج، قاله علي، وابن مسعود، وعبيد بن عمير، والقرظي، والسدي. وروي عن علي أنه قال: ﴿وَالْمَدْيَنَ ضَبًّا﴾ من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى. وروي عن علي أنه قال هذا في صفة وقعة بدر. قال: وما كان معنا يومئذ إلا فرس، وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسان. والثاني: أنه الخيل في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبو العالية، وعكرمة، وقتادة، وعطية، والربيع، واللغويون<sup>(١)</sup>. وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سرية، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً، فلم يأت خبرها شهراً، فنزلت ﴿وَالْمَدْيَنَ ضَبًّا﴾ ضبحت بمناخرها ﴿فَالْمُورِيَّتَ قَدَا﴾ قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ﴿فَالْمُيَرَّتَ ضَبًّا﴾ ضبحت القوم بغارة ﴿فَاتْرَنَ يَوْمَ نَقَا﴾ أثارته بحوافرها التراب ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾ قال: ضبحت الحي جميعاً<sup>(٢)</sup>. وقال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حَيٍّ من كنانة واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تناجوا، فيظن الرجل أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه، أو عمه، فيجد من ذلك حزناً، فنزلت: ﴿وَالْمَدْيَنَ ضَبًّا﴾ فأخبر الله كيف فعل بهم<sup>(٣)</sup>. قال الفراء: الضبح: أصوات أنفاس الخيل إذا عَدَوْنَ. وقال ابن قتيبة: الضبح: صوت حلوقها إذا عَدَتْ. وقال الزجاج: ضبحتها: صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

قوله تعالى: ﴿فَالْمُورِيَّتَ قَدَا﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت، وهذا قول الجمهور<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: إذا عدت الخيل بالليل، فأصابها بحوافرها الحجارة، انقدحت منها النيران. والثاني: أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت، روي عن ابن عباس. والثالث: مَكْرُ الرجال في الحرب، قاله مجاهد، وزيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>. والرابع: نيران الحجيج بالمزدلفة، قاله القرظي. والخامس: أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل، قاله عكرمة.

(١) قال البغوي: هذا قول أكثر المفسرين. وقال القرظي: كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة.

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١، وفي سننه حفص بن جميع، وهو ضعيف. قال ابن كثير: وقد روى أبو بكر البزار ما هنا حديثاً غريباً جداً... فذكره وذكره. الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٢/٦ من رواية البزار، وقال: فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الدر» ٣٨٣/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) هذا خبر منقطع، ومقاتل توفي سنة ١٥٠هـ. بينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز، والحديث ذكره الطبرسي في «مجمع البيان» مصدراً إياه بقوله: بعث رسول الله ﷺ سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد، وذكره القرظي وصدره بقوله: وروي أن رسول الله ﷺ بعث سرية... فذكره، ولم يعزه لأحد. وكذلك الألوسي في «روح المعاني». والله أعلم بصحته.

(٤) ورجحه الطبري.

(٥) تقول العرب إذا أراد الرجل أن يكر بصاحبه: أما والله لأورين لك بزند وار، ولأقدحن لك.

قوله تعالى: ﴿فَالْمَغِيرَاتُ مِنْهُمْ﴾ (٤) هي التي تغير على العدو عند الصباح، هذا قول الأكثرين. وقال ابن مسعود: فالمغيرات صباحاً حين يُفيضون من جمع.

قوله تعالى: ﴿فَأَثَرَهُ يَوْمَهُ﴾ قال الفراء: يريد بالوادي ولم يذكره قبل ذلك، وهذا جائز، لأن الغبار لا يثار إلا من موضع. والقع: الغبار، ويقال: التراب. وقال الزجاج: المعنى: فآثرن بمكان عذوهم، ولم يتقدم ذكر المكان، ولكن في الكلام دليل عليه ﴿فَوْسَطَنَ يَوْمَهُ جَمْعًا﴾ (٥) قال المفسرون: المعنى: توسطن جمعاً من العدو، فأغارت عليهم. وقال ابن مسعود: فوسطن به جمعاً، يعني مزدلفة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلرَّبِّ لَكَنُودٌ﴾ (٦) هذا جواب القسم. والإنسان هاتنا: الكافر. قال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة، وقال مقاتل: نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي. وفي «الكنود» ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الذي يأكل وحده، ويمنع وفده<sup>(١)</sup>، ويضرب عبده، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>. والثاني: أنه الكفور، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك. والثالث: لَوَام لِرَبِّهِ يَغْدُ المصيبات<sup>(٣)</sup>، وينسى النعم، قاله الحسن. قال ابن قتيبة: والأرض الكنود: التي لا تثبت شيئاً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ لَشَيْبَةً﴾ (٧) في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله ﷻ، [تقديره]<sup>(٤)</sup>: وإن الله على كفره لشهيد. والثاني: أنها ترجع إلى الإنسان، فتقديره: إن الإنسان شاهد على نفسه أنه كنود، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَ ذَلِكَ لَشَيْبَةً﴾ يعني: الإنسان ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ يعني: المال ﴿لَشَيْبَةً﴾. وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وإنه من أجل<sup>(٥)</sup> حُب المال لبخيل، هذا قول الحسن، وابن قتيبة، والزجاج. قال أبو عبيدة: ويقال للبخيل: شديد، ومُتَشَدِّدٌ. قال طرفة:

أَرَى الْمَوْتَ يَغْتَامُ الْكَرَامَ وَيَضْطَلْفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْبَاخِلِ الْمُتَشَدِّدِ<sup>(٦)</sup>  
والثاني: وإنه للخير لشديد الحب، وهذا اختيار الفراء. قال: فكان الكلمة لما تقدم فيها الحب، وكان موضعه أن يضاف إليه «شديد»، حذف الحب من آخره لما جرى ذكره في أوله، ولرؤوس الآي. ومثله «أَشَدَّتْ يَدُ الْخَيْلِ فِي يَوْمِ عَاصِفٍ» [إبراهيم: ١٨] فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتْلُمُ﴾ يعني: الإنسان المذكور ﴿إِذَا بَعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أنير وأخرج ﴿وَحَبِيلَ مَا فِي الْقُدُورِ﴾ (٨) أي: مُيِّرَ واستخرج. والتحصيل: تميز ما يحصل. وقال ابن عباس: أبز ما فيها. وقال ابن قتيبة: مُيِّرَ ما فيها من الخير والشر. وقال أبو سليمان الدمشقي: المعنى: لو علم الإنسان الكافر ما له في ذلك اليوم لزهده في الكفر، ويأبى إلى الإسلام. ثم ابتداء فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ (٩) وقال غيره: إنما قرئت «إن» بالكسر لأجل اللام، ولولاها كانت مفتوحة بوقوع العلم عليها. فإن قيل: أليس الله خبيراً بهم في كل حال، فلم خص ذلك اليوم؟ فالجواب أن المعنى: أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ، ومثله ﴿أَوَلَيْكَ الْآيَاتُ يَعْصِمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] ومعناه: يجازيهم على ذلك، ومثله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزَخُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦].

(١) الرقد، بكسر الراء: العطاء والصلة.

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٧٨/٣٠ وفي سننه جعفر بن الزبير، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير، وقال: هو متروك، فهذا إسناد ضعيف. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٢/٦: رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف، وفي الآخر من لا أهرقه. وقال السيوطي في «الدر» ٣٨٤/٦: أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، بسند ضعيف عن أبي أمامة... فذكره. ورواه الطبراني ٢٧٨/٣٠ من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفاً عليه.

(٣) وفي النسخة الاستنبولية، والطبري، والقرطبي: المصائب. (٤) زيادة من النسخة الاستنبولية.

(٥) في الأصل: من أحب، وهو خطأ، والتصحيح من النسخة الإستانبولية، ومن الطبري.

(٦) «مختار الشعر الجاهلي» ٣١٨/١ من معلقته، ومجاز القرآن<sup>(١)</sup> لأي عبيدة ٣٠٨/٢، والطبري ٢٧٩/٣٠، والقرطبي ١٦٢/٢٠، وشواهد الكشاف<sup>(٢)</sup> ٣٩. ومعنى يعمام الكرام: أي يختارهم، والعقيلة من كل شيء: أكرمه، يقول: أرى الموت يختار كرام الناس وصفوة مال البخلاء، أي: يأخذ النفيس الذي يضر به، كما يأخذ الحقيق فلا يفي شيئاً.



## سورة القارعة

وهي مكية بإجماعهم

قد ذكرنا تفسير فاتحتها في أول [الحاقة].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ اليوم منصوب على الظرف. المعنى: يكون يوم يكون الناس ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه غواء الجراد، قاله الفراء. قال ابن قتيبة: غواء الجراد: صغاره، ومنه قيل لعامة الناس: غواء<sup>(١)</sup>. والثاني: أنه طير ليس بيعوض ولا دُبَّان، قاله أبو عبيدة<sup>(٢)</sup>. والثالث: أنه ما تهافت في النار من البعوض، قاله ابن قتيبة. وكذلك قال الزجاج: ما يُرى كصغار البق تهافت في النار. وشبه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض. وذكر الماوردي: أن هذا التشبيه للكفار، فهم يتهافتون في النار يوم القيامة تَهَافَّتَ الْفَرَّاشُ<sup>(٣)</sup>. فأما ﴿الْمَبْثُوثِ﴾ فهو المنتشر والمتفرق.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ الذي قد ندف. قال مقاتل: وتصير الجبال كالصوف المندوف. فإذا رأيت الجبل قلت: هذا جبل: فإذا مسسته لم تر شيئا، وذلك من شدة الهول.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾، أي: رجحت بالحسنات، وقد بيّنا هذه الآية في أول [الاعراف: ٨] ويبيّن معنى ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في [الحاقة: ٢١].

قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾، وقرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرف، والجحدري «فإمه» بكسر الهمزة. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أم رأسه هاوية، يعني: أنه يهوي في النار على رأسه، هذا قول عكرمة، وأبي صالح. والثاني: أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أُمُّهُ، قاله قتادة. والثالث: أن المعنى: فمسكنه النار. وإنما قيل لمسكنه: أُمُّهُ، لأن الأصل السكن إلى الأمهات. والثار لهذا كالألم، إذ لا مأوى له غيرها، هذا قول ابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج، ويدل على صحة هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا مات العبد تلقى رُوحه أرواح المؤمنين، فتقول له<sup>(٤)</sup>: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: دُهِبَ به إلى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ، فَبُسَّتِ الْأُمُّ،

(١) قال في «اللسان»: أصل الْفَوَّاءُ: الجراد حين يخف للطيّران، ثم استعير للسفل من الناس والمتسرّعين إلى الشر، ويجوز أن يكون الفوّاء: الصوت والجلّة، لكثرة لفظهم وصياحهم.

(٢) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة: طير، لا بعوض ولا دُبَّاب، بالياء. ويجمع الذباب على دُبَّان، قال في «التاج»: والذباب: معروف، وهو الأسود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام، وقال الديرري في «حياة الحيوان»: سَمِيَّ دُبَّابًا، لكثرة حركته واضطرابه، أو لأنه كلما دُبَّ آتٍ، والذباب أيضاً: النحل. والواحدة من ذباب الطعام: دُبَّابَةٌ، بهاء، ولا تقل: دُبَّابَةٌ، وقال في ذباب النحل، لا يقال: دُبَّابَةٌ، والصواب: دُبَّابٌ، وهو واحد. وفي «التهذيب»: واحد الدُبَّانِ: دُبَّابٌ بغير هاء، قال: ولا يقال: دُبَّابَةٌ، وفي التنزيل: ﴿وَلَا يَسْتَنِمُّ إِلَيْكَ النَّاسُ فَسِرُّهُ لِلوَاحِدِ. وَالْجَمْعُ: أَذْيَةٌ، مثل غراب وأخرية، ودُبَّانٌ بالكسر مثل غِرْبَانٌ.

(٣) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٢٨٥ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يترككم كمثل رجل أوقد نارا، فجعل الجَنَابِيبَ (كالجرار) والفرّاش يمشون فيها وهو يلقيهم عنها، وأنا أخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدي».

(٤) في «الدرر» ٦/ ٣٨٥ من رواية الحاكم: فيقولون له.

وَبَسَّتِ الْمَرْبِئَةَ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ يعني: الهاوية. قرأ حمزة، ويعقوب «ما هي» بحذف الهاء الأخيرة في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين. قال الزجاج: الهاء في «هي» دخلت في الوقف، لتبين فتحة الياء، فالوقف «هي» والوصل هي نار. والذي يجب اتباع المصحف. والهاء فيه ثابتة فتوقف عليها، ولا توصل. ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ أي: حارة قد انتهت حرها<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه بهذا اللفظ الحاكم في «المستدرک» ٢/٥٣٢ عن الحسن مرسلاً، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/٣٨٥ من رواية ابن مردويه عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه، وبأطول منه من رواية ابن مردويه أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً. والله أعلم بصحة سنده. وقد ذكره القرطبي بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً، ولم يعزه لأحد. ورواه ابن جرير الطبري موقوفاً على الأشعث بن عبد الله الأعمى. وذكره السيوطي أيضاً في «الدر» ٦/٣٨٥ من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري موقوفاً عليه بأطول منه.

(٢) روى البخاري في «صحيحه» رقم ٢٣٨/٦، ومسلم في «صحيحه» رقم ٢٨٤٣ عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «تاركهم هذه التي يؤقّد ابن آدم، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: «لأنّها فضّلت عليها بنسمة وستين جزءاً كلّها مثل حرّها» واللفظ لمسلم. وروى البخاري ٢٣٨/٦، ومسلم رقم ٦١٧ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً، فأذن بها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»، واللفظ لمسلم. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم»، واللفظ لمسلم. وفيح جهنم: سطوح حرها وانتشاره وغليانها.

## سورة التكاثر

وفي سبب نزولها قولان: أحدهما: أن اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. والثاني: أن حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم كان بينهما إيحاء<sup>(٢)</sup>، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيّداً، وأعرّ نفراً. وقال أولئك مثل هذا؛ فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فكثّرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعُدّوا موتاهم، فكثّرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم، قاله ابن السائب، ومقاتل<sup>(٣)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿الْهَنَكُمُ﴾ وقرأ أبو بكر الصديق، وابن عباس، والشعبي، وأبو العالية، وأبو عمران، وابن أبي عبة: «ألهاكم» بهمزيّن مقصورتين على الاستفهام. وقرأ معاوية، وعائشة «ألهاكم» بهمزة واحدة ممدودة استفهاماً أيضاً. ومعنى ألهاكم: شغلكم عن طاعة الله وعبادته. وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال: أحدها: التكاثر بالأموال والأولاد، قاله الحسن. والثاني: التفاخر بالقبائل والعشائر، قاله قتادة. والثالث: التشاغل بالمعاش والتجارة، قاله الضحاك. وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ قولان: أحدهما: حتى أدرككم الموت على تلك الحال، حضرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار، كرجوع الزائر إلى منزله. والثاني: حتى زرتم المقابر فعُدّتم من فيها من موتاكم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الزجاج: هي ردع وتنبية. والمعنى: ليس الأمر الذي يبغي أن يكونوا عليه التكاثر.

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤١ عن قتادة بغير سند، وكذا ذكره البغوي في التفسير، وذكره القرطبي عن مقاتل وفتادة بغير سند. ورواه الطبري ٢٨٣/٣٠ من طريق معمر عن قتادة ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، ولم يذكر أنهم اليهود. ورواه بنحوه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وأورده السيوطي في «الدر» ٢٨٧/٦ وزاد نسبتة لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) أي تنازعته. قال في «اللسان»: ولاحيه ملاحاة وليّاه: إذا تنازعته، قال: واللّحاء ممدود: الملاحاة كالسّباب، ولاحي الرجل ملاحاة وليّاه: شاتمته، وتلاحي الرجلان: تشاتما. ولاحي فلان فلاناً ملاحاة وليّاه: إذا استقصى عليه. قال: واللّحاء: اللعن، واللّحاء: العذل.

(٣) ذكر سبب النزول هذا البغوي في «التفسير» عن مقاتل والكلبي بغير سند، والكلبي هو محمد بن السائب النسابي المفسّر، متهم بالكذب، وقد ضعفه غير واحد، وكذلك ذكره القرطبي وأبو حيان والألويسي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي بغير سند، وأورده ابن كثير في «التفسير» من رواية ابن أبي حاتم من طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان؟ فلان ابن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجمعت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبور، ومثل فلان، وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝﴾. وصالح بن حيان القرشي الكوفي ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قال ابن كثير: والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي صرتم إليها دفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعودته فقال: «لا بأس بطهور إن شاء الله»، فقال: قلت: «طهور» بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور، قال: «فنعلم إذن»، والآية عامة في كل من ألته دنياه عن آخرته.

(٤) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٩٥٨ عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، قال: «يقول ابن آدم: مالي، مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فألبيت، أو تصدقت فأفوضيت»، وروى نسلم أيضاً رقم ٢٩٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأفنى، أو أعطى فأفنى (أخبره) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتارك للناس». وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يبيع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله».

قوله تعالى: ﴿سَوْفَ نَمْلُكُونُ﴾ عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت. وقيل: العلم الأول: يقع عند نزول الموت. والثاني: عند نزول القبر.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ المعنى: لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لَسَمَلَكُم ما تعلمون عن التكاثر، والتفاخر. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف: وهو ما ذكرنا. ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿١﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وحزمة ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ ﴿٢﴾ نذر لَتَرَوُنَّ﴾ بفتح التاء. وقرأ مجاهد، وعكرمة، وحמיד، وابن أبي عبله «لثرون» «لثرونها» بضم التاء فيهما من غير همز ﴿لَتَرَوُنَّ عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ﴿٣﴾ أي: مشاهدة، فكان المراد بـ ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ نفسه، لأن عين الشيء: ذاته.

قوله تعالى: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ ﴿٤﴾ اختلفوا، هل هذا السؤال عام، أم لا؟ على قولين: أحدهما: أنه خاص للكفار، قاله الحسن. والثاني: عام، قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال: أحدها: أنه الأمن والصحة، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وتارة يأتي موقوفاً عليه<sup>(٣)</sup>، وبه قال مجاهد والشعبي. والثاني: أنه الماء البارد، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه الخبز البُرُّ والماء العَذْبُ، قاله أبو أمامة. والرابع: أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله. والخامس: أنه صحة الأبدان<sup>(٥)</sup>، والأسماع، والأبصار، قاله ابن عباس. وقال قتادة: هو العافية. والسادس: أنه الغذاء والعشاء، قاله الحسن. والسابع: الصحة والفراغ، قاله عكرمة<sup>(٦)</sup>. والثامن: كل شيء من لذة الدنيا، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>. والتاسع: أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد ﷺ، قاله القرظي. والعاشر: أنه صنوف النعم، قاله مقاتل. والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم، ولم يؤخده. والمؤمن يسأل عن شكرها. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ثلاث

- (١) والصحيح أن السؤال عام، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ، لأنه ترك الشكر، وسؤال المؤمن سؤال تشريف، لأنه شكر. قال ابن جرير الطبري: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ يقول: ثم ليسألكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا علمتم فيه؟ ومن أين وصلتم إليه؟ وفيما أصبتموه؟ وماذا علمتم به؟ وقال ابن كثير: ﴿لَتَنَسَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيِّ﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتن نعمه من شكره وعبادته. وروى الترمذي عن أبي هريرة الأسلمي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفق، وعن جسمه فيما أبلاه» ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حديث حسن بشواهد.
- (٢) ذكره ابن كثير من رواية أبي حاتم من طريق إبراهيم بن موسى عن محمد بن سليمان ابن الأصبهاني عن ابن أبي ليلى أنه عن عامر الشعبي عن ابن مسعود. ومحمد بن سليمان الأصبهاني، صدوق يخطئ، وابن أبي ليلى، صدوق سيئ الحفظ، و عامر الشعبي يرسل عن ابن مسعود. فالحديث ضعيف، وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن مردويه عن ابن مسعود.
- (٣) رواه الطبراني ٢٨٦/٣٠ من طريق خالد الزيات عن ابن أبي ليلى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وفي سنده ضعف، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لعبد بن حميد، وهناد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود.
- (٤) رواه الترمذي ١٧١/٢، والطبري ٢٨٨/٣٠ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة - يعني العبد من النعيم - أن يقال له: ألم نصنع لك جسمك ونفوسك من الماء البارد؟» وقال: هذا حديث غريب، وأورده السيوطي في «الدرر» ٣٨٨/٦ وزاد نسبه لأحمد في «زوائد الزهد»، وعبد بن حميد، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
- (٥) روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال: النعيم: صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار، قال: يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله: ﴿إِنَّ أَلْسِنَةً وَالْأَعْيُنَ وَالْأَفْئِدَةَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْفُوحٌ﴾. وذكره السيوطي في «الدرر» ٣٨٧/٦ وزاد نسبه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس ؓ.
- (٦) روى البخاري في «صحيحه» ١٩٦/١١ عن عبد الله بن عباس ؓ قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». قال الحافظ ابن جرير في «الفتح» ١٩٧/١١ وقوله في الحديث: «مغبون فيهما كثير من الناس» كقوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ مَالَهُمْ فِي يَدَيْكَ أَكْثَرُ﴾، فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية، ونقل عن ابن بطال أن معنى الحديث: أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبين بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون. قال ابن جرير: وأشار بقوله: «كثير من الناس» إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. ونقل عن ابن الجوزي قوله: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون مغترفاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغها وصحته في طاعة الله فهو المغبون، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقب الشغل، والصحة يعقب السقم.
- (٧) وقول مجاهد هذا يشمل جميع الأقوال المتقدمة.



لا أسأل عبدي عن شكر من وأسأله عما سوى ذلك: بيت يَكُنْه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يوارى به عورته من اللباس»<sup>(١)</sup>.



(١) ذكره السيوطي في «الدر» ٢٩١/٦ من رواية عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، عن الحسن مرسلًا، وهو ضعيف في المرفوع، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢٨٩/٣٠ بنحوه عن الحسن وقتادة من كلامهما، ولم يذكره في المرفوع. وروى مسلم في «صحيحه» رقم ٢٠٣٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا! فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله وصاحبه، ثم قال: الحمد لله ما أحذ اليوم أكرم أضيافاً مني، قال: فانطلق فجاءهم بعلق (غصن) فيه بُسر وتمر ووزَّلب، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المُدَيَّة (السكين) فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب!» فذبح لهم. فأكلوا من الشاة ومن ذلك العلق، وشربوا، فلما أن شبعوا ووزَّوا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم».

## سورة العصر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، وابن الزبير، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ۝٢ إِلَّا الْذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الدهر، قاله ابن عباس، وزيد بن أسلم، والفراء، وابن قتبية. وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم. والثاني: أنه العشي، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن وقتادة. والثالث: صلاة العصر، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ ۝٢﴾ قال الزجاج: هو جواب القسم. والإنسان هاهنا بمعنى الناس، كما تقول: كثر الدرهم في أيدي الناس، تريد الدراهم. والخسر والخسران في معنى واحد. قال أهل المعاني: الخسر: هلاك رأس المال أو نقصه. فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم، فهو في خسران، لأنه عمل في إهلاك نفسه، وهما أكبر رأس ماله ﴿إِلَّا الْذِينَ ءَامَنُوا ۚ أَي: صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلُوا بِالطَّاعَةِ ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ أَي: بالتوحيد، والقرآن، واتباع الرسول ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله، والقيام بشريعته. وقال إبراهيم في تفسير هذه السورة: إن الإنسان إذا عُمر في الدنيا لفي نقص وضعف، إلّا المؤمنين، فإنهم يكتب لهم أجور أعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحتهم<sup>(٢)</sup>.



(١) أقسم سبحانه وتعالى بصلاة العصر لفضلها، وهي الصلاة الوسطى عند الجمهور، لقوله عليه الصلاة والسلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» متفق عليه. ولقوله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» رواه مسلم. والأعم من ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان الذي تقع فيه أعمال بني آدم من خير وشر، قاله ابن كثير.

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم. وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها: معرفة الحق، والثانية: عمله به، والثالثة: تعليمه من لا يحسنه، والرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

## سورة الهمزة

### وهي مكية بإجماعهم

قال هبة الله المفسر<sup>(١)</sup>: وقد قيل: إنها مدنية. واختلف المفسرون هل نزلت في حق شخص بعينه، أم نزلت عامة؟ على قولين: أحدهما: نزلت في حق شخص بعينه. ثم فيه ستة أقوال: أحدها: الأخنس بن شريق، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال السدي، وابن السائب. والثاني: العاص بن وائل السهمي، قاله عروة. والثالث: جميل بن عامر، قاله ابن أبي نجيج. والرابع: الوليد بن المغيرة، قاله ابن جريج، ومقاتل. والخامس: أمية بن خلف، قاله ابن إسحاق. والسادس: أبي بن خلف، حكاه الماوردي. والقول الثاني: أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا ﴿٢﴾ بِحَسْبِ أَنَّ مَالَهُمْ أَخْلَدَهُمْ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي أَلْطَفَتِهِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَطَلَّةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِودِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَوْرَتِهِمْ شُدَّادٌ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ اختلفا في الهمزة واللمزة هل هما بمعنى واحد، أم مختلفان؟ على قولين: أحدهما: أنهما مختلفان. ثم فيهما سبعة أقوال: أحدها: أن الهمزة: المغتاب، واللمزة: العيَاب، قاله ابن عباس. والثاني: أن الهمزة: الذي يهزم الإنسان في وجهه. واللمزة: يلزمه إذا أدبر عنه، قاله الحسن، وعطاء، وأبو العالية. والثالث: أن الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الطعان في أنساب الناس، قاله مجاهد. والرابع: أن الهمزة: بالعين، واللمزة: باللسان، قاله قتادة. والخامس: أن الهمزة: الذي يهزم الناس بيده ويضربهم، واللمزة: الذي يلزمهم بلسانه، قاله ابن زيد. والسادس: أن الهمزة: الذي يهزم بلسانه، واللمزة: الذي يلزم بعينه، قاله سفيان الثوري. والسابع: أن الهمزة: المغتاب، واللمزة: الطاعن على الإنسان في وجهه، قاله مقاتل. والقول الثاني: أن الهمزة: العيَاب الطعان، واللمزة مثله. وأصل الهمز واللمز: الدفع، قاله ابن قتيبة، وكذلك قال الزجاج: الهمزة اللمزة: الذي يغتاب الناس ويغضهم<sup>(٣)</sup>. قال الشاعر:

إِذَا لَقَيْتُكَ عَنْ كُرْهِ تَكَاثُرُنِي

قوله تعالى: ﴿الَّتِي جَمَعَ مَالًا﴾ قرأ أبو جعفر، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، وروح: «جَمَعُ» بالتشديد. والباقيون بالتخفيف.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّدُوا﴾ قرأ الجمهور بتشديد الدال. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وابن يعمر بتخفيفها<sup>(٤)</sup>. وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: أحصى عدده، قاله السدي. والثاني: أعدّه لما يكفيه في

(١) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضير المفسر، من أهل بغداد، وبها وفاته، كانت له حلقة في جامع المنصور، من مؤلفات، منها «الناسخ والمنسوخ في القرآن» مطبوع، توفي رحمه الله (سنة ٤١٠هـ).

(٢) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عم بالقول كل همزة لزمة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها، سبيله سبيله كائن من كان من الناس.

(٣) في الأصل: وبغضهم، والتصحيح من «اللسان» ومجاز القرآن، والطبري، والنفس: الهمز والعيب.

(٤) تقدم البيت ص ٥٨٩، ورواية الشطر الأول: إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة.

(٥) قال ابن جرير الطبري: وقد ذكر عن بعض المتقدمين بإسناد غير ثابت أنه قرأ «جمع مالا وعدده» بتخفيف الدال، بمعنى: جمع مالا، وجمع عشيرته وعدده، قال: وهذه قراءة لا استجيز القراءة بها، بخلافها قراءة الأمصار، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك.

السَّيْنِ، قاله عكرمة. قال الزجاج: من قرأ «عَدَّه» بالتشديد، فمعناه: عدَّه للدهور. ومن قرأ «عَدَّه» بالتخفيف، فمعناه: جمع مالا وعدداً، أي: وقوماً اتخذهم أنصاراً.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبَنَّ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٢) أخلده بمعنى يخلده، والمعنى: يظن ماله مانعاً له من الموت، فهو يعمل عمل من لا يظن أنه يموت ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يخلده ماله ولا يبقى له ﴿يَكِيدَنَّ﴾ أي: ليُطْرَحَنَّ ﴿فِي الْخَطَمَةِ﴾ وهو اسم من أسماء جهنم. سميت بذلك لأنها تحطم ما يُلقى فيها، أي: تكسره، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم. ويقال للرجل الأكول: إنه لخطمة. وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عتبة، وابن محيصن: «لينبأ» بألف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْآفِتَةِ﴾ (٣) أي: تأكل اللحم والجلود حتى تقع على الآفئة فتحرقها. قال الفراء: يبلغ ألمها الآفئة. والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعت أرضنا؟ أي: بلغت. وقال ابن قتيبة: تطلع على الآفئة، أي: توفي عليها وتشرف. لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون. وقد ذكرنا تفسير «مُؤَمَّدَةً» في سورة [البعد: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ﴾ قرأ حمزة، وخلف، والكسائي، وعاصم إلا حفصاً بضم العين، وإسكان الميم. قال المفسرون: وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار. وفي «بمعنى الباء. والمعنى: مطبقة بعمدٍ. قال قتادة: وكذلك هو في قراءة عبد الله. وقال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم، ثم شُدَّتْ بأوتادٍ من حديد، حتى يرجع عليهم غمُّها وحرُّها. و«مُئَمَّدَةً» صفة العمُد، أي: أنها ممدودة مطوَّلة، وهي أرسخ من القصيرة. وقال قتادة: هي عمُدٌ يعذبون بها في النار<sup>(١)</sup>. وقال أبو صالح: ﴿فِي عَمَدٍ مُنَمَّذَةٍ﴾ (٤) قال: القيود الطوال.





## سورة الفيل

### مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لِكَيْدِهِمْ فِي ضَلَالٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَابٍ مِنْ لَدُنْهِ ﴿٤﴾ فَيَجْعَلُ لَهَا فُجُورًا وَنَجَاتٍ ﴿٥﴾ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فيه قولان: أحدهما: ألم تُخَيِّرْ، قاله الفراء. والثاني: ألم تُغْلَمْ، قاله الزجاج. ومعنى الكلام معنى التعجب. وأصحاب الفيل هم الذين قصدوا تخريب الكعبة. وفي سبب قصدهم لذلك قولان: أحدهما: أن أبرهة بنى بيعة<sup>(١)</sup> وقال: لست منتهاً حتى أضيف إليها حجَّ العرب، فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فخرج، فدخلها ليلاً، فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة، فحلف ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها، قاله ابن عباس. والثاني: أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى أرض النجاشي فنزلوا في جنب بيعة، فأوقدوا ناراً، وشوؤوا لحماً، فلما رَحَلُوا هَبَّتْ الرِّيحُ، فاضطرم المكان ناراً، فغضب النجاشي لأجل البيعة، فقال له كبراء أصحابه: منهم حجر بن شراحيل، وأبو يكسوم -: لا تحزن، فنحن نهديم الكعبة، قاله مقاتل. وقال ابن إسحاق: أبو يكسوم اسمه أبرهة بن الأشرم. وقيل: وزيره، وجنجر من قواذيه.

### ذكر الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن أبرهة لما سار بجنوده إلى الكعبة ليهدمها خرج معه بالفيل، فلما دنا من مكة أمر أصحابه بالغارة على نِعم الناس، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب، وبعث بعض جنوده، فقال: سل عن شريف مكة، وأخبره أنني لم آت لقتال، وإنما جئت لأهيم هذا البيت، فانطلق حتى دخل مكة، فلقي عبد المطلب بن هاشم، فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقتلوه، إنما جاء لهدم هذا البيت، ثم ينصرف عنكم، فقال عبد المطلب: ما له عندنا قتال، وما لنا به يد، إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه، فهو بيته وحرمة، وإن يخلُ بينه وبين ذلك، فوالله ما لنا به قوة. قال: فانطلق معي إلى الملك، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه، وكرمه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان، فقال: حاجتي أن يرُدَّ عليّ مائتي بعير أصابها. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه، فلم تكلمني فيه، وكلمتني لإبل أصبثها. فقال عبد المطلب: أنا ربُّ هذه الإبل، ولهذا البيت ربُّ سيمنعه. فأمر بإبله فَرُدَّتْ عليه، فخرج، فأخبر قريشاً، وأمرهم أن يتفرَّقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً من مَعَرَّةِ الجيش إذا دخل، ففعلوا، فأتى عبد المطلب الكعبة، فأخذ بحلقة الباب، وجعل يقول:

يَا رَبِّ فَأَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ

أَمْنَعُهُمْ أَنْ يُخْرِجُوا قُرَاكَ

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ

إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ

وقال أيضاً:

(١) البيعة بكسر الباء: كنية النصارى، وقيل: كنية اليهود، والجمع: بيع.

لَا هُمْ<sup>(١)</sup> إِنَّ الْمَرَّةَ يَنْفُذُ  
لَا يَنْفُذُ بَيْنَ صَلَابَتِهِمْ  
جَرُّوا جَمِيعَ بِلَادِهِمْ  
عَمِدُوا جَمَاكَ بِكَيْدِهِمْ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَفَّ

نَحْنُ رَحَلَهُ فَاَمْنَعُ حَلَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَمَحَالُهُمْ عَزْدُوا وَمَحَالُكَ<sup>(٣)</sup>  
وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُؤُوا عِيَالَكَ  
جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ  
بَيْنَنَا قَامَرٌ مَا بَدَالَكَ

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول، فبرك الفيل، فبعثوه فأبى، فضربوه، فأبى، فوجهوه إلى اليمن راجعاً، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك، فوجهوه إلى الحرم، فأبى، فأرسل الله طيراً من البحر. واختلفوا في صفتها، فقال ابن عباس: كانت لهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكفت كأكفت الكلاب. وقال عكرمة: كانت لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن إسحاق: كانت أمثال الخطاطيف. واختلفوا في ألوانها على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة، وسعيد بن جبير. والثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير. والثالث: بيضاء، قاله قتادة. قال: وكان مع كل طير ثلاثة أحجار، حَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ. واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم: كانت كأمثال الحمص والعدس. وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر ك رأس الرجل والجمل، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلّا هلك. وكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره. وقيل: كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه، فهلكوا ولم يدخلوا الحرم، وبعث الله على أبرهة داءً في جسده، فتساقطت أنامله، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه، فهلك، ورأى أهل مكة الطير وقد أقبلت من ناحية البحر، فقال عبد المطلب: إن هذه الطير غريبة. ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم، فرجع يركض ويقول: هلك القوم جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينبج من القوم إلّا أبو يكسوم، فسار، وطائر يطير من فوقه، ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي، فأخبره بما أصاب القوم، فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك أصحابه<sup>(٤)</sup>. واختلفوا كم كان بين مولد رسول الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل، وهو الأصح<sup>(٥)</sup>. والثاني: كان بينهما ثلاث وعشرون سنة، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثالث: أربعون سنة، حكاه مقاتل.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة ﴿فِي تَقْوِيلٍ﴾ أي: في ذهاب. والمعنى: أن كيدهم ضلّ عما قصدوا له، فلم يصلوا إلى مرادهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾. وفي «الأبابيل» خمسة أقوال: أحدها: أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا، قاله ابن مسعود، والأخفش. والثاني: أنها المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً،

(١) لاهم: أصلها: اللّهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي، كما تقول: لا إله إلّا الله، وهي تريد: لا إله إلّا الله أيضاً: أجنك تفعل كذا وكذا، أي: من أجل أنك تفعل كذا وكذا. والجلال: بكسر الحاء جمع خلة، وهي جماعة البيوت، ويريد هنا: القوم الحلول، والجلال أيضاً: مناع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثاني مراداً هنا.

(٢) البيت في الأصل:

لَا هُمْ إِنْ الْمَرَّةَ يَمْنَعُ رَحِمَهُ  
وَهُوَ خَطَا، والتصحيح من سيرة ابن هشام: وكب الضير.

(٣) عَزْدُوا، أي غداً، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحذفت لاهم، ولم يستعمل تاماً إلّا في الشعر. واليهجال بكسر الهميم: القوة والشدة.

(٤) ذكر الخبر بنحوه البغوي من رواية ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وفي سنده جهالة، ومن رواية الواقدي، والله أعلم.

قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتنّ الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد غزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آثافهم وغيّب سعيهم وأضلّ عملهم وردّهم بشرّ غيبة، وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرخاض والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم تنصركم يا معشر قريش على الحبسة لخبريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشره ونعظمه ونوقره ببعثة النبي محمّد صلوات الله عليه وسلامه على خاتم الأنبياء.

(٥) قال ابن كثير: ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال.

لَهُ وَحَلَالُهُ فَاَمْنَعُ حَلَالَكَ

قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: الكثيرة، قاله الحسن، وطاووس. والرابع: أنها الجمع بعد الجمع، قاله عطاء، وأبو صالح، وكذلك قال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: «الأبائيل»: جماعات في تفرقة. والخامس: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم. قال الفراء، وأبو عبيدة: «الأبائيل» لا واحد لها.

قوله تعالى: ﴿تَرْيِبُهُمْ﴾ قرأ أبو عبد الرحمن السلمي «يرميهم» بالياء، وقد بينا معنى «يَرْيِبُ» في [مرد: ٨٢]، ومعنى «العصف» في سورة [الرحمن ١٢: ١٢]. وفي معنى «تَأْكُلُ» ثلاثة أقوال: أحدها: أن يكون أراد أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل، وبقي هو لا حب فيه. والثاني: أن يكون أراد أن العصف مأكول البهائم، كما يقال للحنطة: هذا المأكول ولمّا يؤكل. وللماء: هذا المشروب ولمّا يشرب، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب، ذكرهما ابن قتيبة. والثالث: أن المأكول هاهنا: الذي وقع فيه الأكال. فالمعنى: جعلهم كورق الزرع الذي جفّ وأكل، أي: وقع فيه الأكال، قاله الزجاج.



## سورة قریش

### ويقال لها: سورة لإيلاف

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، قاله الضحاك، وابن السائب. واختلف القراء في «الإيلاف» فقرأ ابن عامر «الإلاف» بغير ياء بعد الهمزة، مثل: لعلاف. وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز. وروى حماد بن أحمد عن الشموني بهزتين مخففتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن لعُلاف. وقرأ الباقون بعدها ياء ساكنة، مثل لعيلاف<sup>(١)</sup>. وفي لام «الإيلاف» ثلاثة أقوال: أحدها: موصولة بما قبلها، المعنى: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قریش، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قریش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف [هذا قول الفراء والجمهور. والثاني: أنها لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف]<sup>(٢)</sup>، وتركهم عبادة رب هذا البيت، قاله الأعمش، والكسائي. والثالث: أن معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين، فإذا عَرَّضَ لهم عارض قالوا: نحن أهل حرم الله فلا يَتَّعِزُّ لهم، قال الزجاج: وهذا الوجه قول النحويين الذين ترضى أقوالهم. وقال ابن قتيبة: بعض الناس يذهب إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة، وأكثر الناس على أنهما سورتان، وإن كانتا متصلتي الالفاظ<sup>(٣)</sup>. والمعنى: إن قریشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء. والحرم وإد جديب لا زرع فيه ولا شجر، وإنما كانت قریش تعيش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة، رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف إلى الشام. ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام. ولولا أنهم بمجاورة البيت لم يقدروا على التصرف، فلما قصد أصحاب الفيل هدم الكعبة أهلكتهم الله لتقيم قریش بالحرم، فذكَّروهم الله نعمته بالسورتين. والمعنى: أنه أهلك أولئك ليؤلف قریشاً هاتين الرحلتين اللتين بهما<sup>(٤)</sup> معاشهم، ومقامهم بمكة. تقول: ألقت موضع كذا: إذا لزمته، وألفنيه الله، كما تقول: لزمت موضع كذا وكذا، وألزمنيه الله، وكرر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ للتوكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كل الناس. قال الزجاج: يقال: ألقت المكان إلغاً، وألفته إيلافاً بمعنى واحد. وأما قریش فهم ولد النضر بن كنانة، وكل من لم يلد له النضر فليس بقرشي. وقيل: هم من ولد فهر بن مالك بن النضر، فمن لم يلد له فهر فليس بقرشي. وإنما سموا قریشاً لتجارتهم وجمعهم المال. والقرش: الكسب. يقال: هو يقرش لعياله، ويقترش، أي: يكتسب. وقد سأل معاوية ابن عباس رضي الله عنه: لم سميت قریش قریشاً؟ فقال ابن عباس: بدابة تكون في البحر يقال لها: القریش لا تمر بشيء من العت<sup>(٥)</sup> والسمين إلا أكلته. وأنشد:

وقريش هي التي تسكنُ البحر

رَبِّهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا<sup>(٦)</sup>

- (١) قال ابن جرير الطبري: والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ بإثبات الياء فيها بعد الهمزة من ألقت الشيء أوله إيلافاً، لإجماع الحجة من القراء عليه.
- (٢) زيادة سقطت من الأصل، واستدركتها من النسخة الإسنبلية. وصوب ابن جرير هذا القول، وقال: ذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان.
- (٣) قال ابن كثير: هذه السورة منفصلة عن التي قبلها في المصحف، كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله لإيلاف قریش، أي لانتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين.
- (٤) في الأصل: التي بها.
- (٥) العت: الرديء من كل شيء.
- (٦) البيت في البغوي ٢٤٧/٧ استشهد به ابن عباس ونسبه للجمعي، وهو في «الدر المنثور» ٢٩٨/٦، و«روح البيان» ٢٣٩/٣٠، وأورده القرطبي ونسبه إلى تبع.



وقال ابن الأنباري: قال قوم: سُموا قريشاً بالاقتراش، وهو وقوع الرّماح بعضها على بعض. قال الشاعر:

ولما دنا الرّياض وأقترن القنا  
وظار مع القوم القلوب الرّواجف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لِبَلَدٍ فَرَيْشٍ﴾ ❶ ﴿لِمَلْفِهِمْ رِمْلَةٌ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ ❷ ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ❸ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَسَّوَهُمْ مِّنْ حَوْبٍ﴾ ❹

قوله تعالى: ﴿لِمَلْفِهِمْ﴾ قرأ أبو جعفر وابن فليح عن ابن كثير، والوليد بن عتبة عن ابن عامر، والتغليبي عن ابن ذكوان، عنه «إلفهم» بهجمة مكسورة من غير ياء بعدها، مثل: علافهم. وروى الخزاعي عن ابن فليح، وأبان بن تغلب عن عاصم «إلفهم» بسكون اللام أيضاً. ورواه الشموني إلا حماداً بهمزيّتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة، ورواه حماد كذلك إلا أنه حذف الياء. وقرأ الباقر بهجمة مكسورة بعدهما ياء ساكنة مثل «عيلافهم». وجمهور العلماء على أن الرّحلتين كانتا للتجارة، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: كانوا يشتون بمكة، ويصفون بالطائف. قال الفراء: والرحلة منصوبة بإيقاع الفعل عليها.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ❷ أي: ليوحدوه ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: بعد الجوع، كما تقول: كسوتك من عُزَي، وذلك أن الله تعالى آمنهم بالحرم، فلم يتعرّض لهم في رحلتهم، فكان ذلك سبباً لإطعامهم بعدما كانوا فيه من الجوع. وروى عطاء عن ابن عباس قال: كانوا في ضُرٍّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرّحلتين، فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى استغنوا.

قوله تعالى: ﴿وَأَسَّوَهُمْ مِّنْ حَوْبٍ﴾ وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم، إن حضروا حماهم، وإن سافروا قيل: هؤلاء أهل الحرم، فلا يغرّض لهم أحد<sup>(١)</sup>.



(١) قال ابن كثير: ثم أرشدني إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ❷ أي: فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيئاً محرماً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَن تَسْكُنُوا بِلَدِهِ تَبْكُوا الْبَلَدَ الَّذِي كَرَّمَهَا فَلَهُ جُلٌّ وَأَمْرُهُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع ﴿وَأَسَّوَهُمْ مِّنْ حَوْبٍ﴾ أي: تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداءً ولا وثناً، قال: ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبها منه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❶ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❷ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❸ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❹ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❺ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❻ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❼ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❽ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❾ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ❿

## سورة الماعون

### ويقال لها: سورة أرايت

وفيها قولان، أحدهما: مكية، قاله الجمهور. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة. وقال هبة الله المفسر: نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۚ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَمِينَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ ﴿١﴾ اختلوا فمن نزلت هذه الآية على ستة أقوال: أحدها: نزلت في رجل من المنافقين، قاله ابن عباس. والثاني: نزلت في عمرو بن عائذ، قاله الضحاك. والثالث: في الوليد بن المغيرة، قاله السدي. والرابع في العاص بن وائل، قاله ابن السائب. والخامس: في أبي سفيان بن حرب، قاله ابن جريج. والسادس: في أبي جهل، حكاه الماوردي. وفي «الدين» أربعة أقوال: أحدها: أنه حكم الله ﷻ، قاله ابن عباس. والثاني: الحساب، قاله مجاهد، وعكرمة. والثالث: الجزاء، حكاه الماوردي. والرابع: القرآن، حكاه بعض المفسرين، و«يَدْعُ» بمعنى يدفع. وقد ذكرناه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الطور: ١٣]. والمعنى: أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيفاً ليأخذ ماله. وقد بينا فيما سبق أنهم كانوا لا يؤثرون الصغير، وقيل: يدفع اليتيم إبعاداً له، لأنه لا يرجو ثواب إطعامه ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ ﴿٣﴾ أي: لا يطعمه، ولا يأمر بإطعامه لأنه مكذب بالجزاء.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ نزل هذا في المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً، ولا يخافون على تركها عقاباً. فإن كانوا مع النبي ﷺ صلّوا رياءً، وإن لم يكونوا معه لم يصلوا، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ﴿٦﴾ وقال ابن مسعود: والله ما تركوها البتة ولو تركوها البتة كانوا كفاراً، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها. وقال ابن عباس: يؤخرونها عن وقتها. ونقل عن أبي العالية أنه قال: هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر. وردّ هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأن رسول الله ﷺ قد سها في صلاته، ولأنه قال تعالى: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: في صلاتهم، ولأن ذاك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم. قال الشيخ رحمه الله: قلت: ولا أظن أن أبا العالية أراد السهو النادر، وإنما أراد السهو الدائم، وذلك يثبتنا عن التفات القلب عن احترام الصلاة، فيتوجّه الذم إلى ذلك لا إلى السهو<sup>(١)</sup>. وفي «الْمَآثُونَ» ستة أقوال: أحدها: أنه الإبرة، والماء، والنار، والفأس، وما يكون في البيت من هذا النحو، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وإلى نحوه ذهب ابن مسعود<sup>(٣)</sup>.

(١) قال ابن كثير: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ إما عن فعلها بالكليّة، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكليّة، كما قاله مسروق وأبو القحس، وإما عن وقتها الأول فيؤخّرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور بها، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكل من أتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية.

(٢) قال السيوطي في «الدرر» ٤٠٠/٦: أخرج أبو نعيم، والديلمي، وابن عساكر، عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال: ما يتعاوره الناس بينهم: الفأس، والقدر، والدلو وأشباهه.

(٣) قال السيوطي في «الدرر» ٤٠٠/٦: أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» من طرق عن ابن مسعود قال: كنّا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارئةً الدلو، والقدر، والفأس، والميزان وما تتعاطون بينهم.

وابن عباس في رواية. وروى عنه أبو صالح أنه قال: الماعون: المعروف كله حتى ذَكَرَ القدر، والقصة، والفأس. وقال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن، فراءى في صلاته، وسها عنها<sup>(١)</sup>، ومنع هذا. قال الزجاج: والماعون في الجاهلية: كل ما كان فيه منفعة كالفأس، والقدر، والدلو، والقذاحة، ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضاً. والثاني: أنه الزكاة، قاله علي، وابن يعمر، والحسن، وعكرمة، وقتادة. والثالث: أنه الطاعة، قاله ابن عباس في رواية. والرابع: المال، قاله سعيد بن المسيب، والزهري. والخامس: المعروف، قاله محمد بن كعب. والسادس: الماء، ذكره الفراء عن بعض العرب<sup>(٢)</sup> قال: وأنشدني:

يَمِجُ صَيِيرُهُ الْمَاعُونَ صَبًّا<sup>(٣)</sup>

والصير: السحاب.



(١) في الأصل: وسها هذا، والتصحيح من النسخة الإستانبولية.

(٢) قال ابن كثير: وقال عكرمة: رأس الماعون: زكاة المال، وأدناه: المنخل، والدلو، والإبرة. رواه ابن أبي حاتم. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو: ترك المعاونة بمال أو بمنفعة.

(٣) ذكره القرطبي ٢٠/٢١٤.

## سورة الكوثر

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن عباس، والجمهور. والثاني: مدنية، قاله الحسن، وعكرمة، وقناة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

وفي «الكوثر» ستة أقوال: أحدها: أنه نهر في الجنة. روى البخاري في أفراده من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «بينا أنا أسير في الجنة»<sup>(١)</sup> إذا بنهر حافتاه قباب الدرّ المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ﷻ، فإذا طينه، أو طيبه مسك أذفر»<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم أيضاً في أفراده من حديث أنس قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاء»<sup>(٣)</sup>، ثم رفع رأسه متبسماً إما قال لهم، وإما قالوا له: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فقال: «إنه أنزل عليّ الآن آتفاً»<sup>(٤)</sup> سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ ﴿١﴾﴾ حتى ختمها. وقال: «هل تدرون ما الكوثر؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة عليه خير كثير ترُدُّ عليه أمتي يوم القيامة أتيت عدد كواكب السماء، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>(٥)</sup>. والثاني: أن الكوثر: الخير الكثير الذي أُعطيَ نبيُّنا ﷺ، قاله ابن عباس. والثالث: العلم والقرآن، قاله الحسن. والرابع: النبوة، قاله عكرمة. والخامس: أنه حوض رسول الله ﷺ الذي يكثر الناس عليه، قاله عطاء. والسادس: أنه كثرة أتباعه وأتته، قاله أبو بكر بن عياش.

قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ في هذه الصلاة ثلاثة أقوال: أحدها: صلاة العيد. وقال قتادة: صلاة الأضحى. والثاني: صلاة الصبح بالمزدلفة، قاله مجاهد. والثالث: الصلوات الخمس، قاله مقاتل. وفي قوله تعالى: ﴿وَانْحَرْ﴾ خمسة أقوال: أحدها: اذبح يوم النحر، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور. والثاني: وضع اليمين على اليسرى عند النحر في الصلاة. والثالث: أنه رفع اليدين بالتكبير إلى النحر، قاله أبو جعفر محمد بن علي. والرابع: أن المعنى: صلِّ لله، وانحر لله، فإن ناساً يصلون لغيره، وينحرون لغيره، قاله القرطبي<sup>(٦)</sup>. والخامس: أنه استقبال القبلة بالنحر، حكاه الفراء<sup>(٧)</sup>.

(١) أي ليلة الإسراء، كما في رواية البخاري في «التفسير» ٨/ ٥٦٢ عن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «وأتيت على نهر حائفاه قباب اللؤلؤ مجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر».

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» بهذا اللفظ في كتاب الرقاق، باب الحوض ١١/ ٤١٢ وشك الراوي في آخره، وهو (هدية بن خالد) في رواية: «فإذا طينه أو طيبه»، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١١/ ٤١٢: أراد بذلك أن أبا الوليد لم يشك في روايته، أنه بالنون، وهو المعتمد. قال: وتقدم في تفسير سورة الكوثر من طريق شيان عن قتادة: فأهوى الملك يده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر. والأذفر: طيب الريح.

(٣) أي: نام نومة. (٤) أي: قرياً.

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» ١/ ٣٠٠، واللفظ الذي أورده المصنف هنا لفظ أحمد في «المستند»، ورواية مسلم تختلف سيراً عن رواية أحمد. قال ابن كثير: وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية، وكثير من الفقهاء على أن البسلة من السورة، وأنها منزلة معها.

(٦) قال ابن كثير: أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والتافلة، ونحرك فاعبه وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ سَأَلْتُمْ رَبِّيَ مَنْ سَأَلَ رَبِّيَ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ لِيُقَرِّبُ أَزْوَاجُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكُفْرَ الْوَسِيلَ إِلَى اللَّهِ وَبِذَلِكَ يَفْضَحُونَ﴾. قال ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، يعني بذلك نحر البدن ونحوها. وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب القرطبي، والفحاك، والريبع، وعطاء الخراساني، والحكم، وسعيد بن أبي خالد، وغير واحد من السلف، وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّا تَأْكُلُوا مِنَّا لَمْ يَكُنِ آبَاؤُنَا عَابِدِينَ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ أَلْفَ مَرَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

(٧) قال ابن جرير الطبري: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد.



قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَأْنَكُمْ﴾ اختلفوا فيمن عنى بذلك على خمسة أقوال: أحدها: أنه العاص بن وائل السهمي، قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل، لقي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه حتى دخل العاص المسجد، وفيه أناس من صناديد قريش، فقالوا له: مَنْ الذي كُنْتَ تُحَدِّثُ؟ قال: ذاك الأبتَر، يعني النبي ﷺ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتَر، فأنزل الله ﷻ هذه السورة. وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاص: سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. والثاني: أنه أبو جهل، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أبو لهب، قاله عطاء. والرابع: عقبة بن أبي معيط، قاله شمر بن عطية. والخامس: أنه عنى به جماعة من قريش، قاله عكرمة<sup>(١)</sup>. والشانئ: المبغض، والأبتَر: المنقطع عن الخير<sup>(٢)</sup>.



والآلهة، وكذلك تحرك اجعله له دون الأوثان، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفه له، وخضك به من إعطائه إياك الكوثر. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير في غاية الحسن، وقد سبق إلى هذا المعنى، محمد بن كعب القرظي، وعطاء.

(١) قال ابن كثير: قال البزار: حدثنا زياد بن يحيى الحساني، حدثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقاتل له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى الصنبر المنبر من قومه؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية، فقال: أنتم خير منه، فنزلت ﴿إِنَّ شَأْنَكُمْ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. قال ابن كثير: هكذا رواه البزار، وهو إسناد صحيح. وجاء في «اللسان» مادة (صنبر) أصل الصنبور: سمعة تنبت في جلع النخلة، لا في الأرض، قال أبو عبيدة: الصنبور: النخلة تبقى منفردة ويدق أسفلها وينقشر، يقال: صنبر أسفل النخلة. ومراد كفار قريش: أنه إذا قلع انقطع ذكره كما يذهب أصل الصنبور لأنه لا عقب له. وقال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه.

(٢) قال ابن كثير: قال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بتر محمد، فأنزل الله ﴿إِنَّ شَأْنَكُمْ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قال: وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتَر: الذي إذا مات، انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلاء، بل قد أبقي ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد.

## سورة الكافرون<sup>(١)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾

وفيها قولان: أحدهما: مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، والجمهور. والثاني: مدنية، روي عن قتادة.

ذكر سبب نزولها. اختلفوا على ثلاثة أقوال: أحدها: أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس بن عبد المطلب، فقالوا: يا أبا الفضل، لو أن ابن أخيك أسلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول ولآمنا بالله، فأتاه العباس فأخبره، فنزلت هذه السورة، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف لقيا رسول الله ﷺ فقالا: يا محمد، لا ندعك حتى تتبع ديننا، وتبني دينك، فإن كان أمرنا رشداً كننت قد أخذت بحظك منه، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظنا منه، فنزلت هذه السورة، قاله عبيد بن عمير. والثالث: أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ: إن سرّك أن تتبع دينك عاماً، وترجع إلى ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة، قاله وهب. قال مقاتل في آخرين: نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين، ولم يبق<sup>(٢)</sup> من الذين نزلت فيهم أحد<sup>(٣)</sup>. وأما قوله: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ فهو في موضع (قرن) ولكنه جعل مقابلاً لقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ وهي الأصنام. وفي تكرار الكلام قولان: أحدهما: لتأكيد الأمر، وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء. وقد أنعمنا<sup>(٤)</sup> شرح هذا في سورة [الرحمن: ١٣]. والثاني: أن المعنى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ في حالي هذه ﴿وَلَا أَنْتُمْ﴾ في حالكم ﴿عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ فيما استقبل، وكذلك أنتم، نفى عنه وعنهم ذلك في الحال والاستقبال، وهذا في قوم بأعيانهم، أعلمه الله ﷻ أنهم لا يؤمنون، كما ذكرنا عن مقاتل، فلا يكون حينئذ تكراراً، هذا قول ثعلب، والزجاج<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فتح ياء ﴿وَلِيَ﴾ نافع، وحفص، وأبان عن عاصم. وأثبت ياء «ديني» في الحاليين يعقوب. وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف<sup>(٦)</sup>.



- (١) ويقال لها أيضاً: المشقشة، أي: المبررة من النفاق.
- (٢) قال ابن كثير: هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه، فقله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يبتزاً من دينهم بالكلية.
- (٣) أي: زنا، يقال: أنعم أن يحسن أو يسي، أي: زاد، وأنعم فيه: بالغ وفعل كذا، وأنعم أي: زاد. ويقال: أنعم النظر في الشيء: إذا أطال الفكرة فيه.
- (٤) قال ابن كثير: ونم قول نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ نفى الفعل، لأنها جملة فعلية ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ نفى قبوله للملك بالكلية، لأن النفي بالجملة الاسمية أكد، فكانه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك، ومعناه: نفى الوقوع، ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، قال ابن كثير: وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.
- (٥) قال ابن كثير: إن العابد لا بد له من معبود يعبد، وعبادة يسلكها إليه، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا كَذَبْتَ كَذِبًا قُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ رِيشُونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا نَزِيلٌ وَمَا أَصْلُكُمْ﴾ قال: ﴿لَا أَعْمَلُ وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾.
- (٦) وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ﴿وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الطواف، وفي «صحيح مسلم» أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر (أي في سنة الفجر).

## سورة النصر

## وهي مدنية بإجماعهم

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي: معونته على الأعداء. ﴿وَالْفَتْحُ﴾: فتح مكة. قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أما إذا ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان<sup>(٢)</sup> فدخلوا في دين الله أفواجا. قال أبو عبيدة: والأفواج: جماعات في تفرقة.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه الصلاة، قاله ابن عباس. والثاني: التسبيح المعروف، قاله جماعة من المفسرين. قال المفسرون: نُعِيَتْ إليه نفسه بنزول هذه السورة، وأُغْلِمَ أنه قد اقترب أجله<sup>(٣)</sup>، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح<sup>(٤)</sup>. قال ابن عباس: إذا جاء نصر الله والفتح: داغ من الله، وودّاع من الدنيا. قال قتادة: وعاش بعد نزول هذه السورة ستين.

(١) روى مسلم في «صحيحه» رقم ٣٠٢٤ عن عبيد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم (وقال هارون: تدري) آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال: صدقت. قال مسلم: وفي رواية ابن أبي شيبه (أحد الرواة): تعلم أي سورة، ولم يقل: آخر. قال الحافظ في «الفتح» ٥٦٤/٨: وأخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن. قال: وقد تقدم في تفسير (براءة) أنها آخر سورة نزلت، قال: والجمع بينهما أن أخيرة سورة النصر، نزولها كاملة، بخلاف (براءة)، فالمراد نزول بعضها أو معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، وأوضح من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر، وقد نزل ﴿أَنزِمْنَا أَهْلَكُ لَكُمْ وَيُكْمُّ﴾ وهي في (المائدة) في حجة الوداع سنة عشر، فالظاهر أن المراد معظمها، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك، وهي آخر غزوات النبي ﷺ. هذا بالنسبة للسورة، وأما بالنسبة لآخر آية نزلت، فقد روى البخاري عن ابن عباس: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا، وفي «الفتح»: وجاء عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر: «آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَأَنذَرُوكُم بِمَا لَكُمْ يَوْمَئِذٍ﴾» أخرجه الطبري من طرق. قال الحافظ: وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية ختام الآيات المنزلّة في الربا، وهي معطوفة عليهم، ثم قال: وأما ما سيأتي في آخر سورة (النساء) من حديث البراء: آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْهِمُ عَلَى اللَّهِ يُبَيِّنُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فيجمع بينه وبين قول ابن عباس، بأن الآيتين نزلتا جميعاً، فيصدق أن كلا منهما آخر بالنسبة لما عدهما. قال: ويحتمل أن تكون الأخيرة في آية (النساء) مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً، بخلاف آية (البقرة)، ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية (البقرة) من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول. قال: وأصح الأقوال في آخرية الآية قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرُوكُم بِمَا لَكُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وتقول ابن عبد السلام: آخر آية نزلت آية الكلاله، فعاش بعدها خمسين يوماً، ثم نزلت آية البقرة ﴿وَأَنذَرُوكُم بِمَا لَكُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ وحكى ابن عبد السلام أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآية (يعني آية البقرة) أحدًا وعشرين يوماً، والله أعلم.

(٢) أي طاعة.

(٣) روى البخاري في «صحيحه» ٥٦٥/٨ عن ابن عباس ﷺ، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم يتحدث في نفسه، فقال: لم تدخل هذا منا ولنا أبناء مثله؟! فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فادخله معهم، فما ربيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم، قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكن ذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وفي الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس، وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين، وفي جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا، لإظهار نعمة الله عليه، وإعلام من لا يعرف قدره ليزله منزله، وغير ذلك من المقاصد الصالحة، لا للمفاخرة والمباهاة، وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخ قدمه في العلم، ولهذا قال علي ﷺ: أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن.

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٥٦٤/٨، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: ما صلى النبي ﷺ بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها: -

## سورة تبت

وهي مكية بإجماعهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾

وسبب نزولها ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أرايكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم، أو ممسبكم، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». قال أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾<sup>(١)</sup>. ومعنى: ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت يدا أبي لهب ﴿وَتَبَّ﴾ أي: خسر هو. قال الفراء: الأول: دعاء، والثاني: خبر؛ كما يقول الرجل: أهلكك الله وقد أهلكك، وجعلك الله صالحاً وقد جعلك. وقيل: ذكر يديه، والمراد نفسه، ولكن هذا عادة العرب يعبرون ببعض الشيء عن جميعه؛ كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]. وقال مجاهد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ولد أبي لهب. فأما أبو لهب فهو عم رسول الله ﷺ. وقيل: إن اسمه عبد العزى. وقرأ ابن كثير وحده «أبي لهب» بإسكان الهاء. قال أبو علي: يشبه أن يكون لغة كالتشع، والتشع<sup>(٢)</sup> والنهر، والنهر. فإن قيل: كيف كناه الله ﷻ، وفي الكنية نوع تعظيم؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه إن صح أن اسمه عبد العزى، فكيف يذكره الله بهذا الاسم وفيه معنى الشرك؟ والثاني: أن كثيراً من الناس اشتبهوا بكناهم، ولم يعرف لهم أسماء. قال ابن قتيبة: خبرني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤهما كناهما، فإن كان اسم أبي لهب كنيته، فإنما ذكره بما لا يعرف إلا به.

قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله ﷻ، قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتردي بمالي، ولدي، فقال الله ﷻ: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج: و﴿مَا﴾ في موضع رفع. المعنى: ما أغنى عنه ماله وكسبه، أي: ولده. وكذلك قال المفسرون: المراد بكسبه هاهنا: ولده. و﴿أَغْنَىٰ﴾ بمعنى يغني ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلتهب عليه من غير دخان ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ أي: ستصلى امرأته، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان. وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، لأنه أخبر بهذا المعنى أنه وزوجته يموتان على الكفر، فكان كذلك. إذ لو قالا بالسنتهما: قد أسلمنا، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله ﷺ، غير أن الله علم أنهما لا يسلمان باطناً ولا ظاهراً، فأخبره بذلك.

= سبحانه ربنا وبحملك اللهم اغفر لي.

(١) رواء البخاري ٥٦٧/٨، ورواء مسلم ١٩٤/١ بمعناه. وقوله: يا صباحاه: كلمة يتنادونها عند وقوع أمر عظيم، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له. ورواء ابن جرير الطبري ٣٣٦/٣٠، وأورده السيوطي في «الدر» ٤٠٨/٦ وزاد نسبه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عبد الله بن عباس ر. وإنما كني بأبي لهب لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له، والازدراء به، والتقصص له ولديه.

(٢) في الأصل: كالشع، والسمع، والتصحيح من «اللسان».

(٣) ذكره البغوي وكثير من المفسرين عن ابن مسعود بنير سند، وذكره القرطبي عن ابن عباس أيضاً بنير سند، والله أعلم.



قوله تعالى: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنها كانت تمشي بالنميمة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي، والفراء. وقال ابن قتيبة: فسبهاوا النميمة بالحطب، والعداوة والشحناء بالنار، لأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. والثاني: أنها كانت تحتطب الشوك، فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ليلاً، رواه عطية عن ابن عباس. وبه قال الضحاك، وابن زيد<sup>(١)</sup>. والثالث: أن المراد بالحطب: الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة. والرابع: أنها كانت تُعَبِّرُ رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب فُعِيرَتْ بذلك، قاله قتادة. وليس بالقوي، لأن الله تعالى وصفه بالمال<sup>(٢)</sup>. وقرأ عاصم وحده «حمالة الحطب» بالنصب. قال الزجاج: من نصب «حمالة» فعلى الذم. والمعنى: أعني: حمالة الحطب. والجيد: العُنُق. والمَسَدُ في لغة العرب: الجبل إذا كان من ليف المُثْقَل. وقد يقال لما كان من أوبار الإبل من الحبال: المَسَد. قال الشاعر:

وَمَسَدٍ أَمْرٌ مِنْ أَيْئَانِي [صُهِبَ عَنَّا قِيَامُ ذَاتِ مُخٍّ زَاهِي<sup>(٣)</sup>]

وقال ابن قتيبة: المَسَدُ عند كثير من الناس: اللَّيْفُ دون غيره، وليس كذلك، إنما المَسَدُ: كُلُّ مَا صُفِرَ وَقِيلَ مِنَ اللَّيْفِ وغيره. واختلف المفسرون في المراد بهذا الجبل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها حبال كانت تكون بمكة، رواه العوفي عن ابن عباس. وقال الضحاك: جبل من شجر كانت تحتطب به. والثاني: أنه قلادة من وَدَع، قاله قتادة. والثالث: أنه سلسلة من حديد دَزَعُهَا سبعون ذراعاً، قاله عروة بن الزبير. وقال غيره: المراد بهذا الجبل: السلسلة التي ذكرها الله تعالى في النار، طولها سبعون ذراعاً. والمعنى: أن تلك السلسلة قد قتلت فتلاً مُحْكَمًا، [فهي] في عنقها تعذب بها في النار<sup>(٤)</sup>.



(١) ورجحه الطبري.

(٢) قال ابن كثير: ﴿أَمْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ كانت عوناً لزوجها على كفره وجوده وعناؤه، فلماذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ في جديدها جبلٌ مِنْ مَسَمٍ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهي مهتأة لذلك مستعدة له. قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد، وأحمد بن إسحاق، قالوا: حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿يَنْتَهِ أَكْبَرُ لَهَبٍ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه سيحال بيني وبينها»، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر وقالت: يا أبا بكر هجانا صاحبك، فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به، فقالت: إنه لمصدق، فلما ولت، قال أبو بكر: ما رأيتك، قال: «ما زال ملكٌ يسترني حتى ولت» ثم قال البزار: لا تعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر ﷺ. وحسن إسناده أيضاً الحافظ في «الفتح» ٥٦٧/٨.

(٣) الرجز لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: لعقبة الهجيمي، وهو في «مجاز القرآن» ٣١٥/٢، والطبري ٣٤١/٣٠، والقرطبي ٢٤٢/٢٠، «واللسان»: مسد. وقوله «أمر» أي قتل فتلاً شديداً، والأيانق، جمع ناقة، والصهب، جمع الأصهب، وهو بغير ليس بشديد البياض، والعناق جمع عتيق، وهو الكريم. وزهق المخ: إذا اكتنز (اجتمع) لحمه، فهو زاهق.

(٤) قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو جبل جمع من أنواع مختلفة. قال ابن كثير: وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿في جديدها جبلٌ مِنْ مَسَمٍ﴾ في عنقها جبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها، ثم كذلك دائماً.

## سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾

وفيها قولان: أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والثاني: مدنية، روي عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك. وقد روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إنها لتعبدن ثلاث القرآن»<sup>(١)</sup>. وروى مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنها تعدل ثلث القرآن»<sup>(٢)</sup>. وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال: أحدها: أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أبي بن كعب<sup>(٣)</sup>. والثاني: أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ: إلام تدعوننا يا محمد؟ قال: إلى الله ﷻ. قال: صفه لي، أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من حديد، فنزلت هذه السورة، قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>. والثالث: أن الذين قالوا هذا، قوم من أحبار اليهود قالوا: من أي جنس هو، وممن ورث الدنيا، ولمن يورثها؟ فنزلت هذه السورة، قاله قتادة، والضحاك<sup>(٥)</sup>. قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي «أَحَدُ اللَّهِ» وقرأ أبو عمرو «أَحَدُ اللَّهِ» بضم الدال، ووصلها باسم الله. قال الزجاج: هو كناية عن ذكر الله ﷻ. والمعنى: الذي سألتم تبين نسبته هو الله. و«أَحَدٌ» مرفوع على معنى: هو أحد، فالجنى: هو الله، وهو أحد. وقرئت «أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدُ» بتنوين أحد. وقرئت «أَحَدُ اللَّهِ» بترك التنوين، وقرئت بإسكان الدال «أَحَدُ اللَّهِ» وأجودها الرفع بإثبات التنوين، وكثير التنوين لسكونه وسكون اللام في «اللَّهُ»، ومن حذف التنوين، فلا لقاء الساكنين أيضاً، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ «اللَّهُ الصَّمَدُ» وهو أردوها. فأما «الأحد» فقال ابن عباس، وأبو عبيدة: هو الواحد. وفرّق قوم بينهما. وقال أبو سليمان الخطابي: [الواحد]: هو المنفرد بالذات، فلا يضاهيه أحد. والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه

(١) روى البخاري في «صحيحه» ١٠٥/٦ باب فضل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولفظه بتمامه: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكان الرجل يتفألها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنها لتعدّل ثلث القرآن».

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ٥٥٧/١ ولفظه بتمامه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشدوا (اجتمعوا) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، فتحدّ من تحدّد، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبر جاء من السماء، فذاك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال: «إني قلت لكم: سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن».

(٣) روى أحمد في «المستدرك» ١٣٣/٥، والترمذي ١٧٢/٢، والطبري ٣٠/٣٤٢، والواحد في «أشباه النزول» ٣٤٦ من حديث أبي سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف. ورواه الحاكم في «المستدرك» ٤٠/٣ أيضاً من حديث أبي سعد الصغاني به، وصححه، ووافقه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدرة» ٤٠٩/٦ وزاد نسبته للبخاري في «تاريخه»، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم في «السنن»، والبغوي في «معجمه»، وابن المنذر في «المعظم»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي بن كعب ﷺ. ورواه الترمذي ١٧٢ عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلًا، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب، وقال: وهذا أصح من حديث أبي سعد الصغاني. ورواه الطبراني عن محمد بن عوف عن شريح عن إسمايل بن مجالد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر. وذكره ابن كثير من رواية أبي يعلى الموصلي من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، وأورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٤٦/٧ من رواية الطبراني في «الأوسط» وأبي يعلى. قال ابن كثير: وقد أرسله غير واحد من السلف، قال: وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: قال الطبراني: ورواه القزويني وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا، قال: ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطراقي عن الزاوي بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة، ونسبة الله: قل هو الله أحد. فهذه الروايات كلها شواهد لحديث أبي ﷺ.

(٤) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بغير سند.

(٥) روى الطبراني ٣٤٣/٣٠ عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في «الدرة» ٤١٠/٦ من رواية الطبراني في «السنن» عن الضحاك مرسلًا.

أحد. وأصل «الأحد» عند النحويين: الواحد، ثم أبدلوا من الواو الهمزة. وفي «الصحاح» أربعة أقوال: أحدها: أنه السيد الذي يُصمَّدُ إليه في الحوائج، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤدده<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبيدة: هو السيد الذي ليس فوقه أحد. والعرب تسمي أشرافها: الصمد. قال الأسدي:

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ  
بِعَمْرِ بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ<sup>(٣)</sup>

وقال الزجاج: هو الذي ينتهي إليه السُّؤدُدُ، فقد صمد له كل شيء قصد قصده. وتأويل صمود كل شيء له: أن في كل شيء أثر صنعه. وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم. والثاني: أنه الذي لا جوف له، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي. وقال ابن قتيبة: فكان الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء، والمصمت من هذا. والثالث: أنه الدائم. والرابع: الباقي بعد فناء الخلق، حكاهما الخطابي وقال: أصبح الوجوه الأول، لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد: القصد. يقال: اصمد صمد فلان، أي اقصد قصده. فالصمد: السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِلْهُ﴾ قال مقاتل: لم يلد فيورث ﴿وَلَمْ يُؤَلِّهِ﴾ فيشارك، وذلك أن مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الرحمن. وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فبرأ نفسه من ذلك. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ قرأ الأكثرون بالثقل والهمز. ورواه حفص بالثقل وقلب الهمز واواً. وقرأ حمزة بسكون الفاء. والكفاء: المثل المكافئ. وفيه تقديم وتأخير، تقديره: ولم يكن له أحد كُفُوًا، فقدّم وأخّر لتتفق رؤوس الآيات.



(١) ذكره الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣٠٨/٦ من تفسير ابن عباس موقوفاً عليه، وهو جزء من حديث طويل في باب: كيف يفسر القرآن بالقرآن، قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني وفي إسناده جوير، وهو متروك.

(٢) وهو في الطبري ٣٤٦/٣٠ بلفظ: الصمد: السيد الذي قد كمل في سُؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، هذه صفة لا تنبغي إلا له.

(٣) البيت لسيرة بن عمرو الأسدي، وهو في «مجاز القرآن» ٣١٦/٢، و«تهذيب الألفاظ» ٢٧٠، و«السمط» ٩٣٣، والطبري ٣٤٧/٣٠، والقرطبي ٢٠/٢٤٥، و«اللسان»: صمد.

## سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

وفيهما قولان: أحدهما: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة في آخرين. والثاني: مكية، رواه كريب عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، وجابر. والأول أصح، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان. فذكر أهل التفسير في نزولهما: أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فلم يزل به اليهود حتى أخذ مُشَاطَةَ رأس رسول الله ﷺ، وعدة أسنان من مُشْطِهِ، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها. وكان الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي. ثم دسها في بئر لبني زريق، يقال لها: بئر ذروان. ويقال: ذي أروان<sup>(١)</sup>، فمرض رسول الله ﷺ، وانتشر شعر رأسه، وكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتين، ويخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما يفعله، فبينما هو ذات يوم نائم أتاه ملكان، فقعده أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله، فقال أحدهما للآخر: ما بال الرجل؟ قال: طُبٌّ، قال: وما طُبٌّ؟ قال: سِحْر. قال: ومن سحّره؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وبم طَبُّه؟ قال: بِمُشْطِ وَمُشَاطَةِ. قال: وأين هو؟ قال: في جُفِّ طلع<sup>(٢)</sup> تحت راعوفة في بئر ذروان - والجف: قشر الطلع. والراعوفة: صخرة ترك في أسفل البئر إذا حفرت<sup>(٣)</sup> - فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها، فأنته رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي»، ثم بعث علياً، والزبير، وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجُفَّ، وإذا فيه مُشَاطَةُ رأسه، وأسنان مشطه، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة [مغرورة بالبر، فأنزل الله تعالى المعوذتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة]<sup>(٤)</sup>. ووجد رسول الله ﷺ خِفَّةً حين انحلت العُقْدَةُ الأخيرة. وجعل جبريل ﷺ يقول: بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك، ومن حاسد وعين، والله يشفيك. فقالوا: يا رسول الله، أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: «أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً»<sup>(٥)</sup>. وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>، وقد بينا معنى «أعوذ» في أول كتابنا<sup>(٧)</sup>. وفي «الْفَلَقِ» ستة أقوال: أحدها: أنه الصبح، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والقرظي، وابن زيد، واللغويون قالوا: ويقال: هذا أبين من قلنَّ الصبح وقرنَّ الصبح. والثاني: أنه الخَلْقُ، رواه الوالبي عن ابن عباس. وكذلك قال الضحاك: الْفَلَقُ: الْخَلْقُ كُلُّهُ. والثالث: سِجْنٌ في جهنم، روي عن ابن عباس أيضاً. وقال وهب والسدي: جُبٌّ في جهنم. وقال ابن السائب: وادٍ في جهنم. والرابع: شجرة في النار، قاله

(١) في الأصل: ويقال: أروان، والتصحيح من «القرطبي». وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٢) الجف - بضم الجيم وتشديد الفاء: الغشاء الذي يكون على الطلع. (٣) في النسخة الإستانبولية: إذا احفرت.

(٤) زيادة سقطت من الأصل، واستدركتها من النسخة الإستانبولية.

(٥) ذكره ابن كثير بنحوه من رواية الثعلبي في «تفسيره» بلا إسناد، قال: وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد، والله أعلم. ويغني عن هذه الرواية رواية الصحيحين التي بعدها.

(٦) رواه البخاري في «صحيحه» ١٩٢/١٠ - ١٩٩، ومسلم ١٧١٩/٤ عن عائشة رضي الله عنها، وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، متلقى بالقبول بينهم، وقد رواه أيضاً أحمد في «المستند» عن زيد بن أرقم وعائشة رضي الله عنها، ورواه النسائي عن زيد بن أرقم، وابن ماجه عن عائشة، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وابن مردويه عن ابن عباس، وغيرهم.

وانظر أقوال العلماء مفصلة في سحر رسول الله ﷺ في تعليقنا على هذا الكتاب (صفحة ٩١١ - ٩١٢).

(٧) (صفحة ٣١).



عبد الله بن عمرو<sup>(١)</sup>. والخامس: أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح، والحَبُّ، والتَّوَى، وغير ذلك، قاله الحسن. قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن انفلاق، كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر. والسادس: أنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ﴾ ﴿١﴾ وقرأ ابن السميع، وابن يعمر: «خُلِقَ» بضم الخاء، وكسر اللام. وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه عام، وهو الأظهر. والثاني: أن شر ما خُلِقَ: إبليس وذريته، قاله الحسن. والثالث: جهنم، حكاه الماوردي. وفي «غاسق» أربعة أقوال: أحدها: أنه القمر، روت عائشة قالت: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر، فقال: «استعبدني بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب»، رواه الترمذي، والنسائي في كتابيهما<sup>(٣)</sup>. قال ابن قتيبة: ويقال: الغاسق: القمر إذا كسف فاسودَّ. ومعنى «وَقَبَ» دخل في الكسوف. والثاني: أنه النجم، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>. والثالث: أنه الليل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والقرظي، والفراء، وأبو عبيد، وابن قتيبة، والزجاج. قال اللغويون: ومعنى «وَقَبَ» دخل في كل شيء فأظلم. و«الغسق» الظلمة. وقال الزجاج: الغاسق: البارد، فقيل لِلَّيْلِ غاسق، لأنه أبرد من النهار. والرابع: أنه الثريا إذا سقطت، وكانت الأسقام، والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها، قاله ابن زيد<sup>(٥)</sup>. فأما «الْفَلَقَاتُ» فقال ابن قتيبة: هن السواحر ينفثن، أي: يَتَفَلَّنَ إذا سحرن، وَرَقَّتَيْن. قال الزجاج: يَتَفَلَّنَ بلا ريق، كأنه نفخ. وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: تفسير نَفَثَ: نَفَخَ نفخاً ليس معه ريق، ومعنى تفل: نفخ نفخاً معه ريق. قال ذو الرُّمَّة:

ومن جَوَفٍ ماءٍ عَرَضَ الحَزَلُ قَوْفُهُ  
متى يَخْسُ منه مائِحُ القومِ يَخْفُلُ<sup>(٦)</sup>  
وقد روى ابن أبي سُرَيْج<sup>(٧)</sup> «النافثات» بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها<sup>(٨)</sup>. وقال بعض المفسرين: المراد بالنافثات هاهنا: بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله ﷺ. «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ» يعني: اليهود حسدوا رسول الله ﷺ. وقد ذكرنا حدَّ الحسد في [البقرة: ١٠٩]. والحسد: أخس الطبايع. وأوَّلُ معصية عُصِيَ الله بها في السماء: حَسَدُ إبليس لآدم، وفي الأرض حَسَدُ قَايِلَ هَابِيلَ<sup>(٩)</sup>.



- (١) في النسخة الاستنبولية (عبد الله بن عمر) وهو كذلك في «القرطبي».
- (٢) قال ابن جرير: والصواب القول الأول: أنه فلق الصبح. وقال ابن كثير: وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري في «صحيحه» رحمه الله تعالى.
- (٣) الترمذي ١٧٢/٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في «المستد» ٦١/٦، وابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠، والحاكم في «المستدرک» ٢/٥٤١، وصححه، وواقفه الذهبي. وأورده السيوطي في «الدرة» ٤١٨/٦ وزاد نسبه لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن عائشة ؓ.
- (٤) رواه ابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ من رواية محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة. قال ابن كثير: وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ.
- (٥) قال الشوكاني في «فتح القدير»: وهذا محتاج إلى نقلي عن العرب أنهم يصفون الثريا بالنسوق.
- (٦) «ديوانه» طبع المكتب الإسلامي صفحة (٦٠٠). والجوف: المظلم من الأرض، والمرض: الخفزة التي تملو الماء، وهي المرض، والملق، والطلح، والشبا. والمائع: الذي يتزل البثر فيملا الدلو. والمائع: الذي يجذب الدلو. وفي «الأساس»: وذاق ماء البحر فظله، أي: سجه كرامة له.
- (٧) ابن أبي سريج، هو أحمد بن الصباح، أبو جعفر الرازي، الثقة البت، وهو شيخ البخاري، وأحد أصحاب الشافعي، قرأ على الكناي.
- (٨) قال القرطبي: وقرأ عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن سابط، وعيسى بن عمر، ورويس بن يعقوب «النافثات» في وزن «فاعلات» ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر ؓ.
- (٩) وانظر قصتهما في [سورة المائدة: ٢٧].

## سورة الناس

وفيها قولان: أحدهما: أنها مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أنها مكية، رواه أبو كريب عن ابن عباس.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾

فإن قيل: لم خصّ الناس هاهنا بأنه ربهم، وهو ربّ كل شيء؟ فتنه جوابان: أحدهما: لأنهم معظّمون متميّنون على غيرهم. والثاني: لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم أعلم أنه ربهم، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم. ولما كان في الناس ملوك قال تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ②﴾ ولما كان فيهم من يعبد غيره قال تعالى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ ③﴾<sup>(١)</sup>. و﴿الْوَسْوَاسِ ④﴾ الشيطان، وهو ﴿الْخَنَّاسِ ④﴾ يوسوس في الصدور، فإذا ذكّر الله، خَسَّ، أي: كَفَّ وأقصر. قال الزجاج: الوسواس هنا: ذو الوسواس. وقال ابن قتيبة: الصدور هاهنا: القلوب. قال ابن عباس: الشيطان جائم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل، وسوس، فإذا ذكّر الله، خَسَّ.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾ الجِنَّة: وفي معنى الآية قولان: أحدهما: يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم، فسمى الجن هاهنا ناساً، كما سَمَّاهم رجالاً في قوله تعالى: ﴿يُؤْذِنُونَ رِجَالًا مِنَ الْجِنِّ ①﴾ [الجن: ٦]، وسماهم نفراً بقوله تعالى: ﴿أَسْتَشْعِرُكُمْ مِنَ الْجِنِّ ②﴾ [الجن: ١]، هذا قول الفراء. وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوساً للجن، كما يوسوس للإنس. والثاني: أن الوسواس: الذي يوسوس في صدور الناس، هو من الجِنَّة، وهم من الجن. والمعنى: من شر الوسواس الذي هو من الجن. ثم عطف قوله تعالى: ﴿وَالنَّاسِ ⑥﴾ على ﴿الْوَسْوَاسِ ④﴾. والمعنى: من شر الوسواس، ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس، هذا قول الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ رحمه الله: فهذا آخر «زاد المسير»، والحمد لله على الإنعام الغزير، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا مما أملنا، فلا يعتقّدن من رأى اختصارنا أننا أقللنا، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا، فإننا ضمنا الاختصار مع نبيل المراد، وقد فعلنا. ومن أراد زيادة بسط في التفسير، فعليه بكتابنا «المعني في التفسير». فإن أراد مختصراً، فعليه بكتابنا المسمى بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب». والحمد لله رب

(١) قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الربّ عزّ وجلّ: الربوبية، والملك، والإلهية، فهو رب كل شيء، ومليكه، وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له، مملوكة، عبيد له، فأمر المستمعين أن يتعوّذ بالمتّصف بهذه الصفات، من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكّل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش، ولا يألوه جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله. وروى مسلم في «صحيحه» ٢١٦٧/٤ عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرين من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «إياي»، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير». وقوله: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معنا: أسلم أنا من شره وقتته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير. قال القاضي عياض: وأعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرنين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأن معنا، لنحتز منه بحسب الإمكان. وثبت في «الصحيحين» عن أنس في قصة زيارة صفة للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردّها إلى منزلها، فلقية رجلاً من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرع، فقال رسول الله ﷺ: «علي رسلكما إنها صفة بنت حبي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإنني خشيته أن يفلت في قلوبكما شيئاً» أو قال: شراً.

(٢) روى مسلم في «صحيحه» ١١٦/١ عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلّموا أو يعملوا».

العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أبيه آدم، وذريته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

تم بمعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا التفسير القيم  
وقد قام بمقابلة أصوله الخطية، وتصحيحه  
وتفصيله وترقيمه، وتخريج نصوصه،  
والتعليق عليه، والإشراف على طبعه  
الأساتذة

محمد زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق

الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨ هـ  
الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨ م



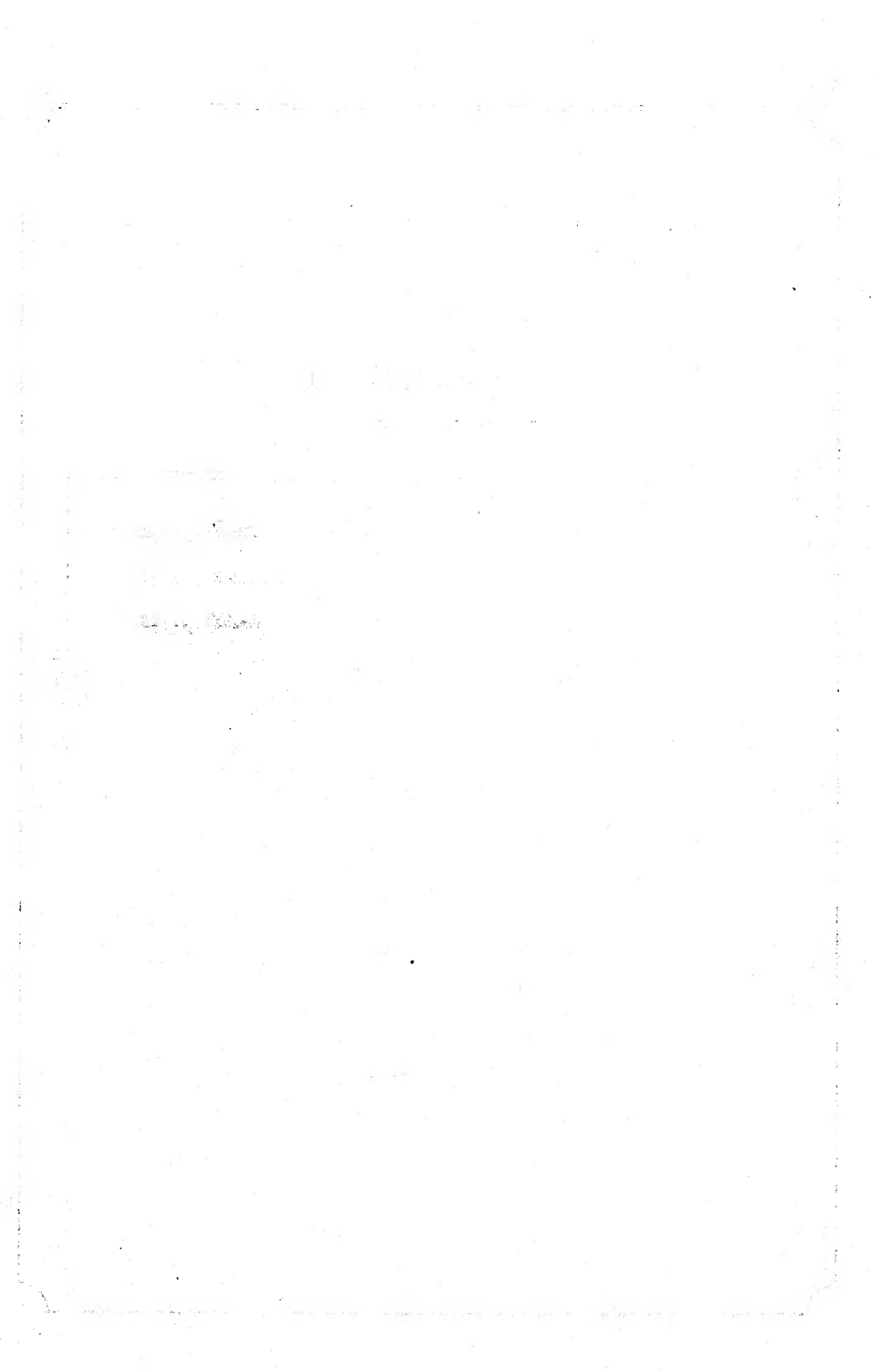




## الفهارس

- \* فهرس الآيات
- \* فهرس الأحاديث
- \* فهرس الأشعار





## فهرس السور

الصفحة	رقم	السورة	الصفحة	رقم	السورة
١١١٢	٣٣	سورة الأحزاب	٣٣	١	سورة الفاتحة
١١٤٢	٣٤	سورة سبأ	٣٧	٢	سورة البقرة
١١٥٧	٣٥	سورة فاطر	١٧٧	٣	سورة آل عمران
١١٦٧	٣٦	سورة يس	٢٥٣	٤	سورة النساء
١١٨٢	٣٧	سورة الصافات	٣٥٠	٥	سورة المائدة
١٢٠٠	٣٨	سورة ص	٤٢٤	٦	سورة الأنعام
١٢٢٣	٣٩	سورة الزمر	٤٨٣	٧	سورة الأعراف
١٢٣٩	٤٠	سورة غافر (المؤمن)	٥٣٩	٨	سورة الأنفال
١٢٥٢	٤١	سورة فصلت أو السجدة	٥٦٥	٩	سورة التوبة
١٢٦٣	٤٢	سورة الشورى	٦١٥	١٠	سورة يونس
١٢٧٤	٤٣	سورة الزخرف	٦٤١	١١	سورة هود
١٢٨٧	٤٤	سورة الدخان	٦٧٩	١٢	سورة يوسف
١٢٩٣	٤٥	سورة الجاثية	٧٢٤	١٣	سورة الرعد
١٢٩٨	٤٦	سورة الأحقاف	٧٤٠	١٤	سورة إبراهيم
١٣٠٨	٤٧	سورة محمد ﷺ	٧٥٣	١٥	سورة الحجر
١٣١٦	٤٨	سورة الفتح	٧٧٠	١٦	سورة النحل
١٣٢٨	٤٩	سورة الحجرات	٨٠١	١٧	سورة الإسراء
١٣٣٨	٥٠	سورة ق	٨٣٧	١٨	سورة الكهف
١٣٤٧	٥١	سورة الذاريات	٨٧٦	١٩	سورة مريم
١٣٥٤	٥٢	سورة الطور	٨٩٩	٢٠	سورة طه
١٣٦٠	٥٣	سورة النجم	٩٢٤	٢١	سورة الأنبياء
١٣٦٩	٥٤	سورة القمر	٩٤٧	٢٢	سورة الحج
١٣٧٦	٥٥	سورة الرحمن	٩٦٩	٢٣	سورة المؤمنون
١٣٨٥	٥٦	سورة الواقعة	٩٨٤	٢٤	سورة النور
١٣٩٦	٥٧	سورة الحديد	١٠١٠	٢٥	سورة الفرقان
١٤٠٤	٥٨	سورة المجادلة	١٠٢٦	٢٦	سورة الشعراء
١٤١٢	٥٩	سورة الحشر	١٠٤٠	٢٧	سورة النمل
١٤٢٣	٦٠	سورة الممتحنة	١٠٥٧	٢٨	سورة القصص
١٤٣٠	٦١	سورة الصف	١٠٧٦	٢٩	سورة العنكبوت
١٤٣٣	٦٢	سورة الجمعة	١٠٨٩	٣٠	سورة الروم
١٤٣٨	٦٣	سورة المنافقون	١٠٩٩	٣١	سورة لقمان
١٤٤١	٦٤	سورة التغابن	١١٠٦	٣٢	سورة السجدة

الصفحة	رقم	السورة	الصفحة	رقم	السورة
١٥٥١	٩٠	سورة البلد	١٤٤٤	٦٥	سورة الطلاق
١٥٥٥	٩١	سورة الشمس	١٤٥٠	٦٦	سورة التحريم
١٥٥٨	٩٢	سورة الليل	١٤٥٦	٦٧	سورة الملك
١٥٦١	٩٣	سورة الضحى	١٤٥٩	٦٨	سورة القلم (ن)
١٥٦٤	٩٤	سورة الانشراح	١٤٦٦	٦٩	سورة الحاقة
١٥٦٦	٩٥	سورة التين	١٤٧١	٧٠	سورة المعارج
١٥٦٨	٩٦	سورة العلق	١٤٧٥	٧١	سورة نوح
١٥٧٠	٩٧	سورة القدر	١٤٧٨	٧٢	سورة الجن
١٥٧٥	٩٨	سورة البينة	١٤٨٢	٧٣	سورة المزمل
١٥٧٧	٩٩	سورة الزلزلة	١٤٨٦	٧٤	سورة المدثر
١٥٧٩	١٠٠	سورة العاديات	١٤٩٢	٧٥	سورة القيامة
١٥٨١	١٠١	سورة القارعة	١٤٩٦	٧٦	سورة الإنسان (الدهر)
١٥٨٣	١٠٢	سورة التكاثر	١٥٠٢	٧٧	سورة المرسلات
١٥٨٦	١٠٣	سورة العصر	١٥٠٦	٧٨	سورة النبأ
١٥٨٧	١٠٤	سورة الهمزة	١٥١٠	٧٩	سورة النازعات
١٥٨٩	١٠٥	سورة الفيل	١٥١٥	٨٠	سورة عبس
١٥٩٢	١٠٦	سورة قريش	١٥١٩	٨١	سورة التكويد
١٥٩٤	١٠٧	سورة الماعون	١٥٢٢	٨٢	سورة الانقطار
١٥٩٦	١٠٨	سورة الكوثر	١٥٢٤	٨٣	سورة المطففين
١٥٩٨	١٠٩	سورة الكافرون	١٥٢٨	٨٤	سورة الانشقاق
١٥٩٩	١١٠	سورة النصر	١٥٣١	٨٥	سورة البروج
١٦٠٠	١١١	سورة تبت	١٥٣٤	٨٦	سورة الطارق
١٦٠٢	١١٢	سورة الاخلاص	١٥٣٧	٨٧	سورة الأعلى
١٦٠٤	١١٣	سورة الفلق	١٥٤٠	٨٨	سورة الفاشية
١٦٠٦	١١٤	سورة الناس	١٥٤٣	٨٩	سورة الفجر



## فهرس الأحاديث مرتباً على الحروف الهجائية

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣٦	اذهب فناد في الناس	٩٨٨	حرف الهمزة - همزة الوصل
٥٠١	أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غابياً	٩٨٨	اتني بأربعة شهداء وإلا فحد في ظهرك
٧٢٩	ارجع إليه فادعه	١٥٧١	ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها
٣٦٣	ارجع فأحسن وضوءك	٤٦١	اتركهم حتى يتوب تائبهم
١٣٣	استحيوا إن الله لا يستحي من الحق	١٤١٧	اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم
١٦٠٥	استعذني بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب	١٠٣٩	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة
٥٩٩، ٢٥١	استغفروا لأخيكم وسلوا له الثبوت فإنه الآن يسأل	٧٦٤	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
٦٧٦	استقم ولتحسن خلقك	١١٢٦	اتق الله
٢٥٣	استوصوا بالنساء خيراً	٦٧٦	اتق الله حيشما كنت
٢٩٧	إلى جارك	١٣٠٥	أَجْمَعُوا إِلَيَّ فِي قِتْلٍ كَانَ بَيْنَهُمْ
٨٦٤، ٢٩٧	اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجذر	٩٩٢، ٢٧٥، ١٦٩	اجتنبوا السبع الموفقات
٧٨٥	اسقه عسلاً	١٥٣٧، ١٣٩٥	اجعلوها في ركوعكم
١٥٨٢	اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً	١٥٣٧ و ١٣٩٥	اجعلوها في سجودكم
١٣٦٩	اشهدوا	٥٩٣	اجسوا عليَّ الرُّكْب
٩٦٠	اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال	١٣٣٤	احترسوا من الناس بسوء الظن
٩٩٤	اصرف بصرك	١٦٠٢	احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن
١٣١	اصنعوا كل شيء إلا النكاح	٢٧٠	اختر أيهما شئت
١٥٧١	اطلبوها الليلة، أي في ليلة ثلاث وعشرين	٢٥٥	اختر منهن أربعة
٢٥٤	اعبد الله كأنك تراه	٥٤٩	اخرجوا إليه واكنموا
٦٧٦	اعبد الله ولا تشرك به شيئاً	٣٨٠	اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله
٣٨٠	اغزوا باسم الله في سبيل الله	٥٦٦	اخرج بهذه القصة من صدر براءة
١٤٥٢	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	٨٢٦	اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس
٢٨٣	اقرأ عليَّ القرآن	١١٣٩	اخرج يا فلان من المسجد فلنك منافق
٣٧	اقروا الزهراوين: البقرة وآل عمران	١٠٨	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة
٣٨٢	اقطعوا يدها	١٤٥٢	ادعي لي أباك وأخاك
١٥٧١	التمسوها في تسع يقيين	١١٢٧	اذكروها عليَّ
١٥٧١	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان	١٣١٧	اذهب إلى قريش فأخبرهم أننا لم نأت لقتال أحد
١٥٧٠	التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين	١٣٣٠	اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة
	حرف الهمزة - همزة القطع	١١٢٨	اذهب فاذكروها علي
٩٨٩	أبشري فقد أنزل الله براءتك	٥٣٩	اذهب فاطرحه في القبض
٨٩١	أبطال علي حتى ساء ظني	٥٣٩	اذهب فخذ سيفك
٥٦١	أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء		اذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه، وقل لهم:
١٤٥٢	أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة	٥٩٣	أحرقكم الله

الحدث	الحدث	الحدث	الحدث
أبوك حذافة	٤١١	إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب	١٣٣٢
أتجعل نهيي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة	١١٧٨	إذا رميت بالمعراف فخرق فكله	٣٥٤
احلف	٢٠٤	إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب	٧١٨
أتدرون ما أخبرها	١٥٧٧	إذا سألتهم الله الجنة فاسألوه الفردوس	٨٧٣
أتدرون ماذا قال ربكم	١٠١٩	إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	١٤٣٦
أتدرون ما الغيبة	١٣٣٥	إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه	١١٣٨
أتدرون ما المعيشة الضنك	٩٢١	إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله	١٦٩
أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم	١٧٥	إذا قال الإمام «عَنْ الْمُصْطَرِّبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّكَّالِينَ»	٣٥
أتعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم	١٢٠٢	إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان	٥٣٨
أتيت على نهر حافاه قباب للؤلؤ مجوف	١٥٩٦	إذا قضى الله عز وجل الأمر في السماء ضربت الملائكة	
أجلني مغموماً	٩٣٨	بأجنحتها	١١٤٩
أجلني مكروباً	٩٣٨	إذا كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما	١١٣٤
أجوزهم يدخلهم الجنة	٣٤٨	إذا لم تصعبوا ولم تغتبقوا ولم تحفظوا بقلاً فشانكم	٣٥٨
أحب حبيك هوناً ما	١٠٢١	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث	١١٦٩، ١٠٢٥
أحب الصيام إلى الله صيام داود	١٢٠٥	إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين	١٥٨١
أحل لكم ميتان ودمان	٣٥٤	إذا مضت على النطفة خمس وأربعون ليلة	٧٣٧
أخذ الله العيثاق من ظهر آدم بنعمان	٥٢٧	إذا نزلتم يقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف	٣٣٩
أخرج متاعك فضعه على الطريق	٣٣٩	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة	٣٥٦
إدبار السجود الركعتان بعد المغرب	١٣٥٩	أراه من شرب شرابه عند سودة والله لا أشربه	١٤٥١
أد الأمانة إلى من ائتمنك	٢٩٤	أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم	١٦٠٠
أدعوكم إلى الله عز وجل	١٦٠٢	أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر	١٥٧١
إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجه	١٣٣٦	أرايتكم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم	١١٥٤
إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون	١٠٢١	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً	١٤٣٠
إذا اجتمع أهل النار في النار	٧٥٤	أربعون سنة	٢١٠
إذا أحب الله عبداً قال: يا جبريل إني أحب فلاناً فأجبه	٨٩٨	أرني المفتاح إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر	٢٩٣
إذا أخذتم الساحر فاقتلوه	٩١٢	أريت دار هجرتكم أرض بين حرتين	١١١٦
إذا أسأت فأحسن	٦٧٦	أريت ليلة القدر ثم أنسيته	١٥٧١
إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف	٩٩٣	الأزم دواء والمعدة داء	٤٩١
إذا اشتد الحر فأبردوا	١٥٨٢	أسبقوا الوضوء ويل للأعقاب من النار	٣٦٣
إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحانت ذنوبه	١٢٢٨	الإسلام يهدم ما كان قبله	٣٧٨
إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤوا بالعشاء	١٥٦٥	أشترط لربي أن تبذروه ولا تشركوا به شيئاً	٦٠٧
إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم	١٤١٦	أشد الناس بلاء الأنبياء	١٠٧٦
إذا أنبئت أشقاها أنبئت لها رجل عزيز عارم	١٥٥٦	أصحابي أمة	١٣٢٧
إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء	١١٤٩	أضعفوا على العباس الفداء	٥٦٢
إذا تروأ العبد المسلم أو المؤمن	٣٦٤	أظنه قد أحدث حدثاً	٣١٣
إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين	١٤٣٧	أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة	١١٦٤
إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة	١٣٧٤	أعط ابتي سعد الثلاثين وأمهما الثمن	٢٦١
إذا حسدت فاستغفر	١٣٣٤	أعطيت حسداً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي	١١٥١، ٢٢٩
إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار	١٣٠٩	أعوذ بك من دعاء لا يسمع	٨٨
إذا دخل أهل الجنة الجنة	٦٢٢	أعيزكما بكلمات الله التامة	١٤٦٥
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٨٨٦	أفشوا السلام وأطعموا الطعام	١٣٤٨

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٣١	إِلَيَّ عِبَادُ اللَّهِ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ	١٤٩٨	أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تُصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ
٣٢٢	أَمَّا إِذَا قُلْتُمَا فَاذْهَبَا فَاقْتَسَمَا	١٤١٦	أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جَهْدُ الْعَقْلِ
١٠٢١	أَمَّا إِنْ مَلَكَ يَبْنِيكَ يَذْبُ عَنكَ	١٣٢	أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَأَثَقَ الدَّبِيرَ وَالْحِيضَةَ
١٦٠٤	أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أَثِيرَ عَلَى النَّاسِ شُرًّا	٣١٥	أَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: أَمَنْتُ؟!
٥٧٨	أَمَّا لَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ	١٥٦٩	أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ
١١٢٤	أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَلِنَمَّا أَنَا بَشَرٌ	١٣٣٦	أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ
٥٩٦	أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللَّهِ	٧٤٦	أَكْرَمُوا عَمَتَكُمْ النَّخْلَةَ
١١٦٣	أَمَّا السَّابِقُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٢٠٤	أَلَمْ يَبْنِي؟
٥٥٣	أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ	٢٣٦	أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ أَلَّا تَبْرَحُوا
١١٠٢	أَمَّا مَا ظَهَرَ لِلْإِسْلَامِ وَمَا سَوَّى اللَّهُ مِنْ خَلْقِكَ	١١١٠	أَلَمْ أَتْ عَنْ الْقِتَالِ
٧٠٢	أَمَّا نَقْصَانُ الْعَقْلِ	١٥٨٤	أَلَمْ تُصِخِّ لَكَ جِسْمَكَ وَنَرَوْكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ
١٤٨٠	أَمَرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمَ	٥٤٧	أَلَسْمَ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾
١٥٤٢	أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	١١٣٠	أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ
٣٩٢	أَمَرَنِي خَلِيلِي ﷺ بِسَبْعِ	١٠٢٤، ٢٧٦	أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ
٨٤٤	أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ	١٤٦١	أَلَا أَنْبِتُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِفٍ
١١٢٦	أَمْسَكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ	٦٩٨	أَلَا احْتَطَّتْ فَإِنَّ الْبُضْعَ مَا بَيْنَ السَّعِ وَالسَّعِ
١٤٢٣	أَمْسَلَمَةُ جَنَّتْ	١٤٣٥	أَلَا أَحَدُثُكَ عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ؟ لَا يَتَطَهَّرُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ثُمَّ يَمْشِي إِلَى الْمَسْجِدِ...
١٠٢٢، ٢٧٦	أَنْ تَجْمَلَ لِلَّهِ نَدَاً وَهُوَ خَلْقُكَ	٨٨٤	أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ
١٠٢٢، ٢٧٦	أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ	٢٢٥	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ
٢٠٨	أَنْ تُصَدِّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ	٢٥٢	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا يَحُورُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا
١٠٢٢	أَنْ تُقَتِّلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ	١٣٦٦	أَلَا أَخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ﴿الَّذِي وَفَّى﴾
٢١٣	أَنْ يُطَاعَ فَلَا يَعْصَى وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يَنْسَى	٧٦٢	أَلَا أَرَاكُمْ تَضْحَكُونَ
٣٥٩	إِنْ أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَسَمِيتَ فَأَخَذَ قَتْلَ فُكْلٍ	٩٩٥	أَلَا أَرَى هَذَا يَعْلَمُ مَا هَاهُنَا لَا يَدْخُلُنَ عَلَيْهِمْ
٤٢٣	إِنْ تَعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ	١٠٩٥	أَلَا إِنْ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمُكُمْ مَا جَهَلْتُمْ
٨٣١	إِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ	٥٨٢	أَلَا إِنْ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ
٨٥٤	إِنْ عَجَزْتُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ تَكَابِدُوهُ	١٥٧٥	أَلَا إِنْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَنَيْنِ وَسَبْعِينَ مَلَّةً
١١٠٨	إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ الْخَيْرِ	٣٢٢	أَلَا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّمَا أَقْضِي بَنَحُو مِمَّا أَسْمَعُ
٤٦١	إِنْ فَعَلْتَ تُصَدِّقُونِي	١٦٠٢	أَلَا إِنَّمَا تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ
١٣٦٩	إِنْ فَعَلْتَ تُؤْمِنُونَ	٢٩٤	أَلَا إِنِّي أَوْثَيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ
١٣٣٥	إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ	٣٩٧	أَلَا رَجُلٌ صَالِحٌ يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ
١٠٩	إِنْ كَانَ وَسَادُكَ إِذَا لَمْ يَرْضَ	١٦٩	أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مُوَضَّوعٌ
٧٠٤	أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّهِ	٥٦٧	أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدَ مِنْكُمْ الْغَائِبَ
٣٦٩	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِمَيْسَى	٥٦٦	أَلَا لَا يَحِجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ
٥٩٩	أَنَا بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ اسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ	٥٦٧	أَلَا هَلْ بَلَغْتَ؟
١٣١٨	أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ	٤٢٢	أَلَا وَإِنْ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ
٧٢٧	أَنَا الْمَنْذَرُ	٥٦٧	أَلَيْسَتْ الْبَلَدَةُ؟
١٤٢١	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ عُبَيْدِ بْنِ	٥٦٧	أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟
١١٧٨	أَنَا النَّبِيُّ لَا أَكْذِبُ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ	٥٦٧	أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟
١٥٦٣	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا	٥٦٧	إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
١٢٥	أَنْتَ أَبْصَرُ	٣٥١	
٧٢٧	أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ بِكَ يَهْتَدِي مِنْ بَعْدِي		

الحدث	الصفحة	الحدث	الصفحة
أنت يا طلحة ممن قضى نحبه	١١٢٠	إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبيِّن من الليل ينظر في	٧٣٨
أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت	١٥٤	الكتاب	
أنتم خصماء الله	١٣٧٤	إن الله لم يأمرني بكثر الدنيا ولا باتباع الشهوات	١٠٨٧
أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى	٤٥٣	إن الله لم يمسح شيئاً فیدع له نسلأ	٧٦٠
انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	٣٥٣	إن الله لم يمسح قوماً أو يهلك قوماً فيجعل لهم نسلأ	٣٩٤
انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه	٦٠٥	إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشرية	٨٠٢
أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً	١١٥٣	فيحمد الله عليها	
أنفقه على نفسك	١٢٥	إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبرة	١١٨٤
إن أبي أدرته فريضة الحج شيخاً كبيراً	١٣٦٦	إن الله معني أن أقبل منك صدقتك	٥٩٦
إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالنداء والعشي	١٢٤٨	إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا	
إن أحذكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة	١٤٤١، ٩٤٩	بقايا	١٥٧٥
إن أقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر	٣٣٧	إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه	١٧٥
إن أرى الربا عرض الرجل المسلم	١٦٩	إن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار	١٠٢١
إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في		إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً	١٣٥٥
الجنة	١٣٩٤، ٩٥	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	٣٥٨
إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين	١٣٢٦	إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين	١٤٠٩
إن الإسلام لا يقال	٩٥٠	إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس	
إن الجنة لا يدخلها المعاجز	٩٣٢	الناس	٤٨٥
إن الدعاء هو العبادة	١٢٥٠	إن الله يسلم على أهل الجنة	١١٣٠
إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق السموات والأرض	٥٦٧	إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة	١٥٠
إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم	١٦٠٦	إن الله تعالى يطوي السموات بيمينه	١٠١٥
إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء	١٥٢٩	إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين	٩٤٤
إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها	٩٩١	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر	٢٦٦
إن الغلام الذي قتل الخضر طبع كافراً	٨٦٦	إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم	
إن الكريم بن الكريم بن الكريم [ابن الكريم] يوسف بن		تعديني	١٣٥٢
يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم	٧٠١	إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة	٢٨٣
إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً	٨٩٨	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد	٨٣٠
إن الله أعطاني السبع الثلوث مكان التوراة	١٣٢٨	إن الله لا يقبل إلا الطيب	٤١١
إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُفُّوا﴾	١٥٧٥	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم	١١٥٢، ١٣٣٦
إن الله بعثني مبلغاً ولم يعثني متعتاً	١١٢٢	إن الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يمشيه	
إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به نفسها	١٧٤	على وجهه يوم القيامة	٨٣٣
إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من		إن للمقسطين عند الله على منابر من نور	١٤٧٩، ١٣٣٢، ٢٥٥
فضة	٩٦٩	إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجني أيتها الروح	
إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي	٤٠٩	الطيبة	١٢٥٧
إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع		إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	٤١٤
الأرض	٥٣	إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين	٢٥١
إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم	١٣١٢	إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر	١٣٨٢
إن الله زوى لي الأرض فأريت مشارقتها ومغارها	١٠٠٥، ٥٧٩	إن أول دم أضع من دماتنا دم ابن ربيعة بن الحارث	١٦٩
إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب	٨٧٥	إن أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي	٥٧٦
إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية	١٣٣٦	إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة	١٥٨٤
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا	١٣٦٥	إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون	٤٢٥
إن الله كتب عليكم الحج	٤١١	إن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار، فانطبقت عليهم صخرة	٦٩٠



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٩٤	إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر	٣٥٨	إن جبريل كان واعدي أن يلقاني
٢١٦	إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها	١٤٣	إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة
١٣٤٥	إنكم سترون ربكم عياناً	١٦٩	إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا
٨٧٧	إنكم لا تدعون أصم	٥٠	إن ربكم حيي كريم
٧٠٢	إنكن أكثر أهل النار	١١٥٨	إن ربكم يقول كل يوم: أنا العزيز
١٠٨٩	إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع	١٢٧٢	إن روح القدس نفث في روعي
٨٦١	إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء	٨٧٨	إن زكريا كان نجاراً
٩٥٦	إنما سمي الله البيت: العتيق، لأن الله أعقه من الجبابرة		إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت ل صاحبها حتى
١٠٤٤	إن ميا رجل من العرب	١٤٥٦	غفر له
١٣٣٠	إنما ذلكم الله	١٢١٥	إن عنبراً من الجن ثقلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي
١٤٢٨	إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة		إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا
١٣٩٤	إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	١٣٨٨	يقطعها
٣٨١	إنما هلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه	٣١٦	إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين
١٣٧١	إنما هو شيء دسره البحر	١٥٧٢	إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم...
	إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير	٩٣٢	إن في المعارض لتندوحة عن الكذب
١٠٥١	هاتين العرتين	٥٤٧	إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين
٤٥١	إنما هو الشرك	١٥٧٢	إن لله تسعة وتسعين اسماً
١٢٩٩	إنما هو شيء رأيته في منامي	٥٢٢	إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة
١٢٤٧	إنما يفتن يهود	١٣٨٤	إن للمؤمن في الجنة لحسية من لؤلؤة واحدة مجوفة
١٣٠٥	إنه أثنائي داعي الجن	٣٠٥٥	إن لهذه البهائم أبواب كأبواب الوحش
١٠٧٤	إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد	١١٢٩	إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد
١٥٩٦	إنه أنزل علي الآن آتفا سورة	١١٢٩	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً
٣٧٣	إنه أول من سن القتل	١٣٤١	إن مقعد ملكيك على شئيتك
١٦٠١	إنه سيحال بيني وبينها	٣٣٩	إن ملكاً كان يجيب عنك
١١٩٩	إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنقلوا قرب المسجد	١٢٣٥	إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة
٨٧٣، ٤٨٥	إنه يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة	١١٧٩	إن من البيان سحراً
١٥٦٦، ١٣١١	إنه ليغان على قلبي	٧٤٥	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها
٨٦٦	إنه كان ذهباً وفضة		إن من عباد الله أناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم
١٦٠٢	إنها تعدل ثلث القرآن	٦٣٠	الأنبياء والشهداء
١٢٢١	إنها حق فادرسوها وتعلموها	١٣٨٩	إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عشاءً رمصاً
٧٩	إنها فتنت ملكين	٨٥٩	إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل
٤١٠٣	إنها في علم الله قليل	١١٤٠	إن موسى كان رجلاً حياً سترأ
٧٤٥	إنها النخلة	١٢٨٠	إن هذا الأمر في قریش
٩٤٦١	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير	١٠٥٦	إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض
٧٠٢	إني أريكن أكثر أهل النار	٣٦٥	إن هذا اختلط سيفي وأنا نائم
١٣٠٥	إني أمرت أن أقرأ على الجن	٨٧١	إن ياجوج ليحفرون السد كل يوم
٩٣٣	إنني حاكمك على ولد الناقة	٣٩٦	إن يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة
١٠٩٤	إنني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين	٨٦٣	أن الأولى كانت نسياناً من موسى
١٥٧١	إنني رأيته ليلة القدر ثم أنسيته	٩٣٣	إننا حاكمك على ولد الناقة
١٢٢١	إنني سأخذنكم ما حبسني عنكم الفتاة	٣٥٨	إننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة
	إنني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام، متحلقين	٥٣٣	إنك قلت لها: إنني لا أدري ما يصيني في وجهي
١٣٢٤	روؤسكم ومقصرين	٣٢٢	إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٢٩	اللهم اشهد	١٦٠٢	إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن
٩٧٩	اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف	١٠٢٣	إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة
٩٧٩	اللهم أعني على قریش بسنين كسني يوسف	٩٤٠	إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه
١٣٢٥	اللهم اغفر للمحلقين	١١٧٨	إني لست بشاعر ولا ينبغي لي
٧٢٩	اللهم اكفنيهما بما شئت	٧٦٢	إني لما خرجت، جاء جبريل عليه السلام
١٤٩٢	اللهم اكفني جاري السوء	٩٤٥	إني لم أبعث لعاناً
٢٢٣	اللهم أنج الوليد بن الوليد	٣٤٦	إني والله أعلم أنكم لتعلمون أني رسول الله
٥٤٢	اللهم أنجز ما وعدتني	١١٧٨	إني والله ما أنا بشاعر
٣١٢	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	١٤٥٢	إني لا أدري ما بقائي فيكم؟
١٥٧٣	اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله	١٤٢٨	إني لا أصافح النساء
٨٨	اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع	٥٧٥	انهزموا ورب الكعبة
١٢٧٥	اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى	٤٤٢	أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء
٣٨٢	اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه	٢٩٨	أو غير ذلك؟ ... فأعني على نفسك بكثرة السجود
١١٣٨	اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد	١٦٩	أول ريا أضع ربانا، ريا عباس بن عبد المطلب
١٣٩٦	اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم	١٤٥٩	أول ما خلق الله القلم
١٤٤٨	اللهم رب السموات السبع وما أظللن	٣٤٩	أوليس قد بين الله تعالى ذلك
١١٩٥	اللهم صل على آل أبي أوفى	١٧٢	أوليس قد ابتعته منك؟
٩٩٧	اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض	١٠١٢	أول من يكسى من أهل النار يوم القيامة إبليس
٨١	اللهم لا نبغيها	٢٤٦	أيا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب
٢٢٦	اللهم لا يعلون علينا	٩٩٤	إياكم والجلوس على الطرقات
٥٤٧	اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك	١١٣٦ ، ٩٩٥	إياكم والدخول على النساء
١١٢١	اللهم منزل الكتاب سريع الحساب	١٣٦٤ ، ١٣٣٤	إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث
١٩٩	اللهم هؤلاء أهلي	١٥٨٥	إياك والحلوب
	اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا	٤٦١	أي شيء تحبون؟
١١٣٤ ، ٣٣٢	أملك	١٠٦٨ ، ٦٠٨	أي عم قل مي: لا إلا الله أحاج لك بها عند الله
٩٠٠	اللهم هل بلغت	٦٤٣	أيكم أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله عز وجل
	<b>حرف الباء</b>	١٢٠	أيكم يحتمل خبيئاً عن خشية وله الجنة
٣١٤ و ٢٩٠	بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً	٢٧٩	أيما حلف كان في الجاهلية
٧٦٨	بش عبد الله	٣٣٩	أي مسلم ضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً
٢٠٩	بخ يخ ذلك مال رابع	٦٥٩	أيما رجل أعمر عمرى له ولعقبه
١٤١٧	برئ من الشح من أدى الزكاة	٥٦٣	أين الذهب الذي تركته عند أم الفضل
٥٨٠	بشر الكاذبين بكى في ظهورهم	٩٧٦	أيها للناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً
١٨٤	بعثت إلى الأحمر والأسود	٥٣٨	أيها الناس أرمعوا على أنفسكم
١٣١١	بعثت أنا والساعة كهاتين	٤١١	أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا
٩٢٣	بعني كذا وكذا من الدقيق	٣٩٧	الله
١٢١١	بل أنت زيد الخير	٥٦٣	الله - أخبرني
١٨٥	بل إلى كتاب الله	١٤١٣ ، ١١٩٩	الله أكبر خربت خبير
٩٣٨	بل أنا وأرأساء	١٥٥٦	اللهم آت نفسي تقواها
١٧٢	بل قد ابتعته منك	١٠٩٧	اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها عذاباً
٦٧٥	بل هي للمسلمين عامة	١٠٩٧	اللهم اجعلها رباحاً ولا تجعلها ربحاً
١١٢٥	بلى فانكحني فإنني قد رغبته لك	٣٦٤	اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين
		٥٩٦	اللهم ارزق ثعلبة

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٦٢	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المتان بما أعطى	٦٠٩	بلى والله لأستغفرن لأبي
١٥٧٦، ١٤٠٢، ١٠٦٧	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين	١٧٢	يَمُ تشهد؟
٢١٠	ثم حيث أدركت الصلاة فصل فكلها مسجد	١٥٩٦	بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب الدر
٨٠١	ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين	٨٠١	بيننا أنا في العظيم
٨٦٤	ثم دع الماء يرجع إلى الجدر	١٠٧٣	بينما رجل يجر إزاره من الخلاء نجس به
١٤٥٩	ثم قال له: اكتب	١٠٥٣	بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون
٢٣٥	الطيب أحق بنفسها من وليها	٤٦٤	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك
	<b>حرف الجيم</b>	٤٩١	البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء
٨٢٩	جاء الحق وزهق الباطل	٩٨٥	البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
١٤٨٨	جبل من نار يكلف أن يصعده	٢٣٥	البكر تُستأمر في نفسها
٨٦١	جليس في فروة بيضاء فاخضرت		<b>حرف التاء</b>
٨٧٣	جنان الفردوس أربع	١١٦٣، ٩٥٣	تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء
١٣٨٣	جنتان من ذهب وجنتان من فضة	١٠٥٣	تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى
١٣٨١، ٨٧٣	جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما	٦١٠	تحب ذلك؟
١٦٦	الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة	١٥١٨	تحشرون حفاة عراة غرلاً
٦٢٢	الجنة	٩٤٧	تدرون أي يوم ذلك؟
٨٧٣	الجنة مائة درجة	١٣٦	تدع الصلاة أيام أقرائها
	<b>حرف الحاء</b>	٩٩٦	تزوجوا الولود تناسلوا فإني مباه بكم
٤٧٤	حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية	٢٧٦	تسع أعظمهن الإشراك بالله
٩٣٤	حسبنا الله ونعم الوكيل	١٠٥٣	تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن
٩٣٤	حسي من سؤالي علمه بحالي	٢٢١	تسوموا فإن الملائكة قد تسومت
١١٦	الحج عرفة	٩٨١	تشويه النار فتقلص شفته العليا
٤٤٠	الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أبدأهم بالسلام	١٢٥	تصدقوا
٨٤٨	الحمد لله الذي لم يميتني حتى أمرني أن أصبر	١٢٥	تصدق به على خادمك
	<b>حرف الخاء</b>	١٢٥	تصدق به على زوجك
٩٨٥، ٢٦٥	خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً	١٢٥	تصدق به على نفسك
٥٣	خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة	١٢٥	تصدق به على ولدك
٥٣	خلق الله تعالى آدم طوله ستون ذراعاً	٢٥٤	تصدق رجل من ديناره
١٢٥٣، ٤٩٩	خلق الله عز وجل التربة يوم السبت	١٢٨٧	تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان
١٤٤١	خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً	٨٢٧	تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمساً
١٤٤١	خلق فرعون في بطن أمه كافراً	١٥٧٧	وعشرين درجة
٩٢٧، ٧٦٠	خلقت الملائكة من نور	٧٠٢	تقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان
١٤٨٥	خمس صلوات في اليوم والليلة	٦٧٩	تكثر اللعن وتكفرن العشير
٤٠٨	خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم	٣٣٧	تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها
٢٨١	خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه	٦٧٥	تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق
٤٢٥	خير أمي قرني	٢٨٧	توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصل
٤٢٥	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم		التيتم ضربة للوجه والكفين
١٤٣٥	خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة		<b>حرف الشاء</b>
١٣٨٣	خيرات الأخلاق حسان الوجوه	١٥٨٥	ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن
٤٢٥	خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم	١٣٣٤	ثلاث لازمات لأمتي، الطيرة والحسد وسوء الظن
		٩٩٦	ثلاثة حق على الله عونهم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٦٦	سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	١٥٧٨	الخيل لثلاثة، لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وذر
١١٣٠	سبق المفردون		حرف الدال
١٠٨٣	ستمته صلاته	١٦٩	درهم ربا يأكل الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية
١٨٣	سلاني	٨٩	دعوة أبي إبراهيم، ويشري عيسى
٤١١	سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دعت في مقام هذا	٩٤١	دعوة ذي النون إذ دعا ربه وهو في بطن الحوت
٥٩٧	إلا بيته لكم	١٣٦١	دنا الجبار رب العزة فتدلى
٢٢١	سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين، لعل الله يغفر لهم	٣١٢	دية المعاهد نصف دية المسلم
١٣١١	سوموا فإن الملائكة قد سومت		حرف الذال
١٠٨٣	سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي	١٥٧٥ ، ٤١١	فروني ما ترككم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
	سينهاه ما تقول	٣٥٠	ذكاة الجنين ذكاة أمه
	حرف الشين	١٣٣٥	ذكرك أخاك بما يكره
٥٤٥	شامت الوجوه	٨٣١	ذلك إلى الله عز وجل
٨٧٠	شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع	١٥٢٩	ذلك العرض
٧٣٤	شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة		حرف الراء
١٥٧٣ ، ١٤٦	شغلوا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر	١٠٥١	رايت جبريل وله ستمائة جناح
١٥٦٥	شهرًا عيد لا يتقصان	٤١٢	رايت جهنم يحطم بعضها بعضاً
٦٤١	شيتتي هود وأخواتها	١٢٢١	رايت ربي عز وجل فقال لي: فيم يختصم الملا الأعلى؟
١٥٣١	الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة	٤١٢	رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار
٢٧٦	الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين	١٦٩	رايت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني
١٥٢٩	الشفق الحمره	١٤٥٢	راجمها فإنها صوامة قوامة
١٥١٩	الشمس والقمر نوران مكوران في النار	١٥٧٣	رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه
	حرف الصاد	٢٥٢	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها
٧٨٥	صدق الله وكذب بطن أخيك	٧٠٤	رحم الله أخى يوسف
٢٢٢	صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة	٦٦٦	رحم الله لوطاً لقد كان يأري إلى ركن شديد
٧٦٩ ، ٢٤٩	صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً	١٤٣١	رحمة الله على موسى، لقد أوفى بأكثر من هذا فصير
١٤٣٧	صليت؟ قال: لا، قال: فصل ركعتين	٢٤١	ردوا عليّ الرجل
١٥٦٥	صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته	٢٥٨	رفع القلم عن ثلاثة
١٥٥٤	الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان	١٦٩	الربا ثلاثة وسبعون باباً
١٤٨٨	الصمود: جبل من نار	١٣١٢	الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله
١٤٩٨ ، ٢٨٢	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم	١٧٥٨	الريح الجنوب من الجنة
٨١	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن		حرف الزاي
٤٤٨	الصور قرن ينفع فيه ثلاث نفخات	٢١٢	الزاد والراحلة
١١٠٨	الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة	٦٢٢	الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل
	حرف الضاد		حرف السين
٦٢٢ ، ٤٧٨	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً	٤٤٥	سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنين، ومنعني واحدة
٥٦٥	ضموا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا	٤٢٣	سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها
	حرف الطاء	١١٦٢	سألتنا سابق ومقتصدنا تاج وظالمنا منفور له
٢٧٠	طلق إحداهما	١١٦٦	سبحان مقلب القلوب
١١٣٥	طلق رسول الله ﷺ حفصة ثم راجعها	١٥٩٩	سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
١٠٥٣	طولها ستون ذراعاً		



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١١٩٩	فضلنا على الناس بثلاث	٣٦٤	الظهور شطر الإيمان
١١٥٨	فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آية في خلقه		<b>حرف العين</b>
٨٨٤	فما رأيت عبدياً يفري فري عمر	١١٨٤	عجب ربك من شاب ليست له صوبة
٨٣٤	فما منعكم أن تبعوني؟	٢١٧	عجب الله عز وجل من قوم يدخلون الجنة في السلاسل
١٥٧١	فمن كان متحريراً فليتحربها في السبع الأواخر	٤٣٧	عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير
١٤٢٨	فيما استطعتن وأطقتن	١١٣٨	عجل هذا
٨٧١	فيشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم	٢٤٣	عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر
	فيقول الله عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة	٦٩٠	عني لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل
٢٨٣	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يعني يوم الجمعة	١٤١٠	علام تشتمني؟
١٥٧٢		١٦٠٦	على رسلكما إنها صفة
	<b>حرف القاف</b>	١٣٢١	على ما استطعت
٣٢٩	قاربوا وسددوا	١٢٦٨	علي وفاطمة ولولدهما
١٠١٩	قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	٣٥٩	عليكم بالأسود البهيم
١٤٩١	قال ربكم عز وجل: أنا أهل أن اتقى	١١٦٩	عليكم منازلكم فإنما نكتب أثاركم
١٧٤	قال الله تعالى: إذا هم عبدي بسيرة فلا تكتبوها عليه	٣٦١	صعداً فقلت يا عمر
١٠٩٤	قال الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء	١٤٢١	العز إزاره والكبرياء رفاؤه
٦٣٠	قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي	١٢٠٤	العبادة فوق ناقة
٣٧٥	قتل الصبر لا يمر بذنوب إلا محاء	١٤٦٥	العين حق
١٨٤	قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً		<b>حرف القين</b>
٥٨٧	قد أذنت لك	٨٤٧	غداً أخبركم
١٤٢٨	قد أفلح من أسلم وروى كفافاً قد باينتكم كلاماً	٣٢٩	غفر الله لك يا أبا بكر، ألسن تمرض؟ ألسن تحزن؟
١٥٧٣	قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه	١٦٠٤	الغاسق النجم
٣٣٠	قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك		<b>حرف الفاء</b>
٧١٩	قد قال أخي يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي	١٣٥٤	فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل
١١٢٦	قد قيلتك	١٤٥٢	فأتيت أبا بكر
١٠٢٢	قد كنت أحب أن أراك على غير جوار	١١٤٩	فأمجد لله تعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ويفتح علي
٣٥٨	قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة	٥٦٧	بمحماد لا أحصيها الآن
٧٦٥	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين		فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام
١٢٥٧	قل آمنت بالله ثم استقم		فإن ربكم يقول: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا
١٠٦٨	قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة	١٣٨٢	الجنة
٥٩٣	قلتم كذا وكذا	٧٨٠	فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه
١١٣٩	قم يا فلان فلانك منافق	٧٥٦	فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته
٨٨٥	قول عيسى عليه السلام: ﴿وَجَمَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾	٤٥٣	فأنت الحبر السمين
١٤٠٩	قوموا إلى سيدكم	١١٥٤	فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
١١٠٨	قيام العبد من الليل	٣٠	فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء
١١٣٨	قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	٦٣	فدخلوا يزحفون على أستاههم
١٢٤٧	القبر قطع الليل المظلم	٨٠١	فربطته بالحلقه التي يربط به الأنبياء
	<b>حرف الكاف</b>	٨٠١	فركبته حتى أتيت بيت المقدس
١٣٤٠	كاتب الحسنات على يمين الرجل	٩٦٧	فضلت سورة على مائتي القرآن بسجديتين
٥٦٢	كاد يصيبنا في خلافتك بلاء	١١٢٩	فضلت على الأنبياء بست

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٧٦	الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين	٩٣٩	كان ذو الكفل رجلاً لا يتزعج عن ذنب
٢٧٥	الكبائر سبع الإشراك بالله أولهن	٣١٤	كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار
٢٧٥	الكبائر الشرك بالله وقتل النفس		كان رسول الله ﷺ إذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفه
١٥٨٠	الكود الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده	١١٧٨	(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
<b>حرف اللام</b>		١٢٤٧	كان رسول الله ﷺ بعد يستعبد من عذاب القبر
٦٠٨	لاستغفرن لك ما لم أنه عنك	١٢٨٠	كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل
٨٠٠	لئن ظفرت بقاتل حمزة لأملن به	٧١٤	كان ليعقوب أخ مواخ
٤٣٦، ٢٩٤	لثودن الحقوق إلى أهلها	٤٣٤	كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض
٥٣٢	لثومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما	٨٥٩	كانت الأولى من موسى نسياناً
٨٤٩	لِسَاقِي النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ	٨٨	كانت الملائكة تحجج إلى البيت قبل آدم
١٦٨	لئن رسول الله أكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه	٨٦٤	كانوا أهل قرية لثاماً
٩١٢، ٧٦٧	لئن العاظمة والمستعصية	٩٦٥	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
٣٢٧	لئن الله الواشحات والمستوشحات	١٤٤٨	كتافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام
	لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت	٤٥٤	كذا أنزلت علي فأكبتها
١٠٢٣	عليه الشمس	٩٣٢، ٧٠٩	كذب إبراهيم ثلاث كذبات
٩٦٩	لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة	١٢٤٧	كذبت يهودية
١١٩٥، ١١٤٣	لقد أوتي هذا زمراً من مزامير آل داود	١١٧٨	كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً
١١٢٢	لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	١٠٨٥	كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به
٩٧١	لقد ختمت بما تكلمت به يا ابن الخطاب	١٠٨٥	نبيهم
١٥٦١	لقد خشيت أن يكون صاحبي قلاني	١٥٦٠	كل أمي يدخلون الجنة
٣٥١	لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر		كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من
٢٢٤	لقد ذهبت فيها عريضة	١٩٢	يحيى بن زكريا
١٢٨٠	لقريش	٤٧٤	كل ذي ناب من السباع حرام
١٣٨٨	لكل نبي حرم وحرمة المدينة	١٣٧٤	كل شيء بقدر حتى العجز والكيس
٢٨٢	للمملوك طعامه وكسوته	٩٩٥	كل عين زانية
٤٠٢	لم أوامر بذلك	٢٥٨	كل من مال يتيمك غير مسرف
١٣١٧	لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف بهذا البيت	١٠٩٤، ٤٢٧	كل مولود يولد على الفطرة
١١٩٠، ٩٣٢	لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات		كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في
	لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف	٢٥٢	سبيل الله
٢٣٩	طير خضر	١٥٥٨، ١٤٩٦	كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها
٣٩٧	لما بعثني الله برسالة ضقت بها ذرعاً	١٣٩٥	كلمتان خفيفتان على اللسان
١٣٦٢	لما غشيها عن أمر الله ما غشيها تغيرت	٢٤٥٤	كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
٦٧٥	لمن عمل بها من أمي	١١٦٢	كلهم في الجنة
٤٣٦	لكن الله يدري وسيقضي بينهما	٢٣٦	كلا إني رأيته في النار في بردة غلها
١٤٠٠	لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة	١٢٢١	كما أنتم على مصافكم
٢٥١	لو أعطاني لأوفيته إني لأمين في السماء أمين في الأرض	١٤٥٥	كمل من الرجال كثير
	لو أنكم تولكون على الله حق توكله لوزقكم كما يوزق	١٥٧١	كم بقي من الشهر؟
١٤٤٥	الطير	١٥٠	كم من علق رداح في الجنة لأبي الدحداح
	لو أن يوسف قال: إني حفيظ عليم إن شاء الله، لملك من	١١١٥	كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث
٧٠٤	وقته	١١١٥	كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد
١٣٦٧	لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً	١٤٨٣	كيف يأتيك الوحي
		٢٢٣	كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
٢٨٢	ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة	٢٩٤	لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف
٦٠٦	ما الذي أثنى الله به عليكم؟	٢٣٠	لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم
١٤٨١	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	١٠١٤	لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة
٦٠٤	ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً	١١٦٨	لو فعله لأخذته الملائكة
٨٣١	ما أنا بالذي يسأل ربه هذا	١٥٦٨	لو فعل لأخذته الملائكة عياناً
١٥٧٨	ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الفاذة	١١٢٨	لو قالها لجاهدوا في سبيل الله
٣٥٥	ما أثمر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا	٤١١	لو قلت نعم لوجبت
٩٧٦	ما بعث الله نبياً إلا رعى الفتنم	١٤٣٣، ١٣١٥	لو كان الإيمان عند الثريا لثاله رجال من هؤلاء
١٣٣٠	ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت	١٤٥٢	لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
٨٣١	ما بهذا بعثت وقد أبلغتكم ما أرسلت به	١٢٧٨	لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة
١١٧٥، ٤٤٨	ما بين الفختين أربعون	١٣١٥	لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس
١٨٥	ما تجدون في التوراة في شأن الزنا	١١٩	لو كان على أيك دين قضيته أما كان ذلك يجرى عنه؟
٢٢٤	ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها	٧٠١	لو لبث في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي
٥٦١	ما ترى يا ابن الخطاب	٧٦٢	لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد
٣٦٣	ما توضع عبد فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة، إلا غفر له	٣٦١	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء
١٣١٧	ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل	٧٩٩	لولا أن تحزن النساء، أو تكون سنة بعدي لتركته
	ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه	٣٥٩	لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
٧٣٣	في اليوم	٨٧٣	ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل
٢٨١	ما زال جبريل يوصيني بالجار	٥٧٩	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار
١٥٦	ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة	١٤٤٤	ليراجعها ثم لمسكها حتى تظهر
١٦٢	ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم	٣٤٦	ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل
٥٨٤	ما ظنك باثنين الله ثالثهما	١٠٤٤	ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد
٧٥٦	ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية	١٥٦٣	ليس الغنى عن كثرة العرض
١٣٧٨	مالي أراكم سكوتاً؟	٣٩٠	ليس لبني النضير على بني قريظة فضل في عقل ولا دم
١٤٧٣	مالي أراكم عزين!	١٦٧	ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرثان
٤٩٦	ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار	٤٢٧	ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة
٢٤٤	ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله	٣٣٩	لية الضيف واجبة على كل مسلم
٦٩١	ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد همّ بخطيئة أو عملها	٢٣٤	ليأني منكم أولو الأحلام والنهى
	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه	١٥٦	ليهنك العلم يا أبا المنذر
١٥٤٣، ٩٥٥	الأيام	٥٧٥	الآن حمي الوطيس
	ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة	١٧٤	الآيتان من آخر سورة البقرة من قراءهما في ليلة كفتاه
٢٤٤	شجاع أقرع	٩٣٣	الذي في عينه بياض
٥٨١	ما من صاحب كثر لا يؤدي زكاته	١٣٣	الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى
٢٩٠	ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك		
١١١٤	ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به		
٣٦٤	ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه		
١٢٩٠	ما من مسلم إلا وله في السماء بابان		
	ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليس فيها قطيعة رحم		
١٠٧	ولا إثم		
٣٢٣	ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ فيصلي		
١٠٩٤، ٤٢٧	ما من مولود إلا يولد على الفطرة		
١١٥٣	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان		
		حرف الميم	
		ما أبقيت لأهلك	
		ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة	
		ما أردت بما أرى	
		ما أدري نبياً، نبي أو غير نبي	
		ما اسمك؟	
		ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك	
		ما أصبر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة	

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٠٠٠	من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة	١٥٥٩	ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار
٣٦٤	من توضع فأحسن الوضوء	١٦٠٦	ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن
٦٧٦	من توضع وضوئي، ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح	٤٩٦	ما منكم من أحد إلا وله منزلان
٣١٧	من جهز جيش العسرة فله الجنة	٣٦٤	ما منكم من أحد يتوضأ فليبلغ الوضوء أو فيسبغ
١٦٢	من حفر رومة فله الجنة	٣٧٢	ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر
٨٣٧	من حفظ عشر آيات من أول سورة البقرة	٣٤٠	ما نقصت صدقة من مال
٢٥٣	من حلف بغير الله فقد أشرك	٥٤٤	ما هزم قوم إذا بلغوا اثني عشر ألفاً من قلة
١٢٠٤	من حلف على يمين وهو فيها فاجر	٧٧٥	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب
٣٥٣	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه	٥٩٩	ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى
٣٥٣	من دل على خير فله مثل أجر فاعله	١١٢٧	ما يبني ليني أن تكون له خاتمة الأعين
١٢٢١	من رأى منكم الليلة رؤيا	١٤٥	متعها ولو بقلنسوتك
٤٠٣	من رغب عن ستي فلوس مني	٥٤٨	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها
٢٤٧	من هتل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار	١١٣٠	مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت
١١٦٠	من سره أن يسطر له في رزقه ونسأ له في أثره	١٣٣٢، ١٣٧٥	مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم
١٢٠٠	من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار	١٥٨١، ١٠٠٩	مثلي، ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً
١١١٦	من سعى المدينة يثر ب فليستغفر الله تعالى	١٥١٥	مرحباً بمن غابني فيه ربي
١١٦٩	من سأل في الإسلام سنة حسنة	٥٩٦	مُرّاً بعلبة وفلان
١٥٦٥	من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	٦٠٩	مُرّت بغير أي فصلت ركعتين
٢١١	من طاف بالبيت لم يرفع قدماً ولم يضع أخرى إلا كتب الله له بها حسنة	١٤٥٣	مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين
١٤٤٨	من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين	١١٧٢	منظرها تحت العرش فتخر ساجدة
٥٠٥	من عقر جواده		ضمت اثنتان وعشرون وبقيت سبع التمسوها الليلة، الشهر
١٠٠٩	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٥٧١	تسع وعشرون
١١٦٩	من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر	٤٤٢	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله
١٥٨٦	من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله	١٣٣	ملعون من أتى النساء في أديارهن
١٤٠٩	من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به	٢٤٤	من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته
١٥٧٣	من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه	١٣٣	من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها
١٧٤	من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه	١٣١٢	من أحب أن يسطر له في رزقه وأن ينسأ له في أثره
٥٣٩	من قتل قتيلاً فله كذا وكذا	٢٤٦	من أحب أن يزحزح عن النار
٢٧٤	من قتل نفسه بحديدة فحليته بيده		من أحب أن يمثل له عباد الله قياماً فليتبوأ مقعده من
٨٣٧	من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف	١٢١١	النار
٨٣٧	من قرأ عشر آيات من آخر الكهف		من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿إِذَا الْكُفُوسُ
	من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة	١٥١٩	﴿كُفِّرَتْ﴾
١١٣٠	من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله	١٣٩٤	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٢٥٣	من كان متحرراً فليتحرها ليلة سبع وعشرين يعني ليلة القدر	٥٥٣	من أحسن في الإسلام لم يواخذ في الجاهلية
٢٨١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره	٣٠٤	من أطاعني فقد أطاع الله
٣٣٦	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة	١٥٥٣	من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضواً من
	يدار عليها الخمر	١١١٠	النار
	من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقيم ليلة	١٥٦٠	من أغلق بابيه فهو آمن
١٥٧١	ثلاث وعشرين	٥٠٥	من أتفق زوجين في سبيل الله
		١٠٠٠	من أعزق نفسه وعقر جواده
			من بنى لله مسجداً يتنفي به وجهه لله



الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٤٩٢	نعم يجمع الله هذه العظام	١١٦٣	من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة
١٥٠٠	نعم أي يريد منا القرض		من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله
١٥٦٠	نعم وأرجو أن تكون منهم	١٠٨٣	إلا بعلًا
٩٦٧	نعم ومن لم يسجد لهما فلا يقرأهما	٢٩٨	من مات على ذلك كان مع النبيين
٢١٨٠	نعم يملك الله ثم يحييكم ثم يدخلكم نار جهنم	١٤٩٧	من نذر أن يطيع الله فليطعمه
١٥٨٤	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس	٩٠١	من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها
١٥٨٣	التعيم الأمن والصحة	٦٠٣	من هوى
١٥٨٣	التعيم الماء البارد	٢١٢	من وجد الزاد والراحلة
٨٨٥	تقاعاً حينما توجهت	٢٤٦	موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
١٠٨٢	نهى رسول الله ﷺ عن الخذف	٤٦٠	من الكباثر شتم الرجل والديه
٤٧٤	نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع	١٢٥٥	من مخاطبة العبد ربه
	<b>حرف الهاء</b>	١٤٠٧	مه يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التلحش
١١٦٢	هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة	٨٢٣	المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته
٢٩٣	هات المفتاح	١٣٢٥، ١٣٣٣	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
٤٧٥	هنا ما أوحى إليّ أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود	٢٩٨	المرء مع من أحب
٥٩٦	هنا عملك، قد أمرتك فلم تطعني	٣٣٩	المنتجان ما قالوا فعلى البادئ منهما
٥٦٩	هنا ما اصطاح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو	٢١٠	المسجد الأقصى
١٠٨٥	هنا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله	٢١٠	المسجد الحرام
	هنا وقومه والذي نفسي بيده لو أن هذا اللين معلق بالثرى	١٣٣٢	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
١٣١٥	هنا تناوله رجال من فارس	١٦٦	المغرب وتر النهار
٥٣١	هنا امتي بالحق يأخذون	٢٥٥	المقتطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة
٥٣١	هنا لكم وقد أعطي القوم مثلها	١٠٧٩	الموت
٣٩٢	هل أعطاك أحد شيئاً؟		<b>حرف التاء</b>
١١٧٩	هل أنت إلا أصبح دمي؟	٥٧٤	ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة
١٣٩٣، ١٣٨٢	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر	١٥٨٢، ٧٦٠	ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم
١٥٩٦	هل تدرون ما الكوثر؟	٥٧٥	ناولني حصيات
١٢٥٥	هل تدرون مم أضحك؟	٥٤٥	ناولني كفاً من حصباء
	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس فوتهما	٣٦٩	نبي ضيعه قومه
١٤٩٤	سحاب؟	٩٥٨	تحرنا مع رسول الله ﷺ البلدة عن سبعة والبقرة عن سبعة
١٣٢٣	هل جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أماناً؟	٣٨٨	نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات
	هل مررت برادي أهلك محلاً ثم مررت به يهتز خضراً؟	٨٧٧	نحن معاشر الأنبياء لا نورث
١١٥٨	قلت: نعم	٣٣٩	نزل ملك من السماء يكذبه
	هنا صليت بـ «سبح اسم ربك الأعلى والشمس	١٢٥٨	نزلت في المؤذنين
١٥٣٧	وضحاهما؟	٢٤٠	نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة
	هنا قلت: إن أبي هارون وإن عمي موسى وإن زوجي	١٣٥١، ١١١٥، ٥٥٦	نُصِرَتْ بِالْمَقْبَا وأهلك عاد بالبور
١٣٢٣	محمد	٨٢٥	نعم
٦٩٠	هلك المصرون	٨٧٢	نعم إذا كثر الخبث
٢٨٢	هم إخوانكم خولكم	١٨٣	نعم أي أنا محمد
٨٧٠	هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرن	٤٤٢٥	نعم صلي أمك
٥٦٠	هم الجن وإن الشيطان لا يخبل أحداً في داره فمن اعتقى	٨٢٤٧	نعم عذاب القبر حق
٦٣٥	هم قوم تحايروا بروح الله	١١٢	نعم أي: نهيت عن القتال في الشهر الحرام



الحدث	الصفحة	الحدث	الصفحة
لا تزال القوة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها	٤٨٠	لا يتم بعد حلم	٥٥٤
لا تزول قلما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه	١٥٨٤	لا يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها	٢٧١
لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها	١١٢٣	لا يحل أن تأتوا النساء في جشوشهن	١٣٣
لا تسخي عنه	٣٣٨	لا يغبل بيت فيه عتيق من الخيل	٥٦٠
لا تسبوا أصحابي	١٣٢٧	لا يدخل الجنة قتات	١٤٦١
لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر	١٢٩٦	لا يدخلن هذا عليك	٩٩٥
لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق	٨٣٤	لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى	٥٧٩
لا تشربوا في آية الذهب والفضة	١٢٧٨	لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى	١١٣٠
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	١٠٨٤	لا يستحي الله من الحق	١٣٣
لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً	٣٨١، ٣٨٠	لا يفرك بايها بدأت	١١٧٨
لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها	٣٧٥، ٣٧٣	لا يفرك مؤمن مؤمنة	٢٦٨
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	٤٨٠	لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه	١٠٨
لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون	١١٢٩	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه	١٤٠٩
لا تكروهن أحداً من أصحابك على المسير معك	١٢٧	لا يمس القرآن إلا طاهر	١٣٩٣
لا تتحنن...	١٤٢٩	لا يمتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل	١٣٣٤، ١٢٥٦
لا تتزولهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة	٩٨٤	لا ينحني له، ولا يلتزمه ولا يقبله	٧٢٠
لا حاجة لي فيه	١٤٥١	لا ينظر الله إلى رجل أتى امرأة من الدبر	٨٣٣
لا خلف في الإسلام	٢٧٩	<b>حرف الياء</b>	
لا أخير في دين ليس فيه ركوع	١٥٠٥	يا أبا ذر إذا طبخت مرقة	٢٨١
لا صلاة بحضرة طعام	١٥٦٥	يا أبا ذر تدري أين ذهب الشمس؟	٧٨٠
لا طلاق قبل النكاح	١١٣١	يا أبا ذر أتدري فيما انتطحتا؟	٤٣٦
لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك	١١٣١	يا أبا سعيد من رضي الله رياءً وبالإسلام ديناً	٣١٦
لا، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله	٢٠٥	يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟	١٥٦
لا فضل لعربي على أعجمي	١٣٣٦	يا ابن آدم اتفق أنفق عليك	١١٥٣
لا قطع على الخائن	٣٨١	يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟	١٠٨٧
لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت	١٦٠١	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة	٨٧٧
لا تبرح حتى تناجزهم	١٣١٧	يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد	١٣٣٦
لا نورث ما تركنا صدقة	٨٧٧	يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض	١١٢
لا هجرة بعد الفتح	١٣١٦	يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله خفاة	٩٤٥
لا، وإنه قد أوحى إلي أنكم تقتنون في قبوركم	١٢٤٧	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	٩٤٦
لا، ولكن لا يبلغ عني إلا رجل مني	٥٦٦	يا أيها الناس إني قد كنت أذنت في الاستمتاع	٢٧٧
لا والله لا يلقي حبيبه في النار	٣٦٩	يا أيها الناس أي يوم هذا؟	٩٠٠
لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك	١١١٤	يا ثوبان ما غير وجهك؟	٢٩٨
لا يأمن حيث وجد	٩١٢	يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا	٣٤٩
لا يؤلف تحت الأرض	١٤٨١	يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا	٨٩١
لا يبقى على رأس مائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد	٨٦٢	يا جد هل لك في جلد بني الأصفر؟	٥٨٧
لا يبقى على ظهر الأرض مدر ولا وير إلا أدخله الله كلمة الإسلام	٥٧٩	يا رب كيف أصنع إنما أنا وحدي يجتمع علي الناس	٣٩٧
لا يولن أحدكم في الماء الدائم	١٤٧٣	يا سليك قم فاركع ركعتين	١٤٣٧
		يا صباحاه	١٦٠٠، ١١٥٤
		يا عائشة أشعرت أن الله أفانني فيما استغفني فيه	٩١١

الصفحة	الحديث	الصفحة	الحديث
١٥١٨ ، ٩٤٥	يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً	١١٢٣	يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً
٩١٢	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله	١٥١٨ ، ٩٤٥	يا عائشة الأمر أشد من أن ينتظر بعضهم إلى بعض
	يخلص المؤمنون من النار، فيجسون على قنطرة بين الجنة والنار	١٦٠٤	يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي
٤٩٦	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٥٥٨	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
٨٣٠	يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كفه	٩٩٤	يا عطلي لا تتبع النظرة النظرة
١٧٤	يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة	٣٩٧	يا حماد إن الله قد عصمني من الجن والإنس
١٢٣٥	يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا بببءاء من الأرض	١٣٠٣	يا حمر إن أولئك قوم جعلت لهم طياتهم
١١٥٥	يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء يمينه	٢٧٥	يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟
١٢٣٥	يقضي الله في ذلك	١٢٩٤	يا عمر ضع سيفك
٢٦١	يقال لقارئ القرآن: اقرأ وادخل	١٤٤٥	يا غلام إني أعلمك كلمات
١٤٨٣	يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة	٦٠٣	يا غيلان اخرج فإناك منافق
٢٠٨	يقول ابن آدم مالي مالي	١٣٦٩	يا فلان يا فلان اشهدوا
١٥٨٣	يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه	١٣٠	يا جرثومة الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة
١١٢٠	يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث	٩٩٦	يا حمير الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
١٥٨٣	يقول الله تعالى: ابن آدم لمحي تعجزني وقد خلقتك؟	١٠٣٧	يا حمير قريش اشتروا أنفسكم من الله
٧٧١	يقول الله تعالى: إذا هم عبدي بسيرة ولم يعملها لم أكتبها عليه	١٨٨	يا حمير قريش لقد خالقتكم ملة أياكم إبراهيم
٦٩٠	يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت	٧٠٢	يا حمير النساء تصدقن
١١٠٨	يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء	٥٤٧	يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
١٥٥٥	يقول الله تعالى: إني مبتليكم ومبتلي بك	٥٩٦	يا وبع لعلة
١٠١٤	يقول الله تعالى يوم القيامة لآدم: قم فابعث بعث النار	٩٥٠	يا يهودي إن الإسلام يسبك الرجال
٩٤٧	يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد	٨٧٠	يا أجوج أمة وما أجوج أمة
٤٨١	يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة هل رضيتم	١٢٤٤	يا أم الله عز وجل إسرائيل بالنسخة الأولى
٥٩٤	يقول الله تعالى: يؤذني ابن آدم يسب الدهر	٨٧٣ ، ٤٨٥	يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشراب العظيم فيوزن
١٢٩٦	يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه	١٠٢٣	يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صفار ذنوبه
١٥٢٥	يكشف ربنا عن ساقه	١٢٩٢	يؤتى بالموت في صورة كيش أملح
١٤٦٤	يكون النسيم طيراً يعلق بالشجر	٨٨٦	يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة
١٣٩٤	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	٧٥١	يسقطها ويمدها مد الأديم
٤٤٨	ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال	١٥٨٣	يتبع الميت ثلاثة
١٩٨	ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى سماء الدنيا	١٣٤٤	يتجلى لهم الرب
١٨٢	يوشك أن يأتي زمان يغربل فيه الناس غربلة	٧٢٨	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
١٠١٩		١١٨٧	يجهاء بالموت يوم القيامة كأنه كيش أملح
		٥٤٩	يخبر ذلك الثلث
		٩٢	يحيي النبي يوم القيامة ومعه الرجل
		٢٦٩	يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة
		١١٨٥	يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا



## فهرس الشعر

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
		حرف الهمزة	
٢٠٠	زهير بن أبي سلمى	السواء	أرؤني خطبة
٢٠٠	زهير بن أبي سلمى	بقاء	فإن تدعو
٦١	زهير بن أبي سلمى	نساء	ومنا أدري
٢٩٦	زهير بن أبي سلمى	لما نشاء	وقد أغدو
٧٧	حسان بن ثابت	ليس له كفاء	وجبريل
٧٥٠	حسان بن ثابت	نخب هواء	ألا أبلغ
٣٠٤	الحارث بن حلزة	لهم ضوضاء	أجمعوا أمرهم
٥٠٥		مبحر هواء	ويؤنت في
١٣٧٥	قيس بن الخطيم	ما وراءها	ملك بها
١٨٦	عدي بن الرعلاء	ميت الأحياء	ليس من
٤٩٧		أعراف البناء	ويؤنت بناء
٥٥٩		إلى السواء	فاضرب وجهه

## حرف الباء

٨٥١	بشر بن أبي خازم	مسلم والمهلب	.....	بأي بلاد أم
٢٤١ ، ٤٤	كعب بن سعد الغنوي	ذاك مجيب	.....	وطاع دعوا
١٤٧١ ، ١٠٢٠	علقمة بن عبدة	النساء طبيب	.....	فلان تالوني
١٣٧٥ ، ٢٩٩ ، ١٥٨	علقمة بن عبدة	فصليب	.....	بها جيف الحسرى
٧٤٣	الناقة الديباني	للمرء ملعب	.....	حلغت فلم
٤٩	الناقة الديباني	يتذبذب	.....	ألم تر أن الله
٧٦٠	ذو الرمة	ولا نلدب	.....	تريك سئة
٧٥٦	ذو الرمة	منقضب	.....	كانه كوكب
١٩٢	الكعب	ولا ريب	.....	أنسى ومن
١٢٣٩	الكعب	وؤنرب	.....	وجدنا لكم
٤٣٤	الكعب	ومذنب	.....	فطائف قد
٢٢٨		وعقرب	.....	وكائن ترى
٣٥١	مضرب بن كعب	ذاك لبيب	.....	فقلت لها
٧٢٧	الأخضر بن شهاب	فهو سارب	.....	أرى كل قوم
٧٤٢		لست أرغب	.....	وأرغب فيها
٤٦	علقمة بن عبدة <sup>(١)</sup>	ديب	.....	كانهم صابت
٥٢		يصوب <sup>(٢)</sup>	.....	لست لأنسى

(١) وهو في «ديوانه» ص ٣٤، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٣، و«الطبري» ١/ ٣٣٣.

(٢) وهو في «الكتاب» ٤٢٠/٢، و«الطبري» ٣٣٣/١ و٤٤٥، و«أمالى ابن الشجري» ٢٠/٢، و«القرطبي» ١٨٣/٩، و«شرح شواهد الشافعية» ٢٨٧،

و«الصحاب» و«اللسان» و«التاج»: صوب.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فلان تكن الأيام	لهن ذنوب		٥٠٧ ، ١٢٣
ومن لم يغمض	ومرعاتي		٢٦٨
ومن يتتبع	الندهر صاحب		٢٦٨
فمن يك	بها لفريق	ضايح بن الحارث	٥٨٠
تمزقها	فتصوبوا		٥٣٥
تقول ابنتي	طبيب		٤٩٢
تتابع أحداث	والخطوب ثيب		٤٩٢
ما نقم الناس	إن غضبوا	عبد الله بن قيس الرقيات	٥٩٥
وأنهم سادة	عليهم العرب	عبد الله بن قيس الرقيات	٥٩٥
ولقد طعنت	أن يفضبوا	أبو أسماء بن الضريبة	٦٤٨
طلباً لمعرفك	دونك الأسباب		٦٩٠
ليس في الحق	ما يقول الكذوب		٣٩
لنا ذنوب	فلنا القليب		١٣٥٣
تميم بن قيس	علي جوابها	الفرزدق	٦٧٠ ، ٢٤٧
وقفت على	وأخاطبته	ذو الرمة	٧٥٩
وأسقبه حتى	وملاعبه	ذو الرمة	٧٥٩
وكائن أصابت	ومنه ثوابها		٢٢٨
فقلت انجروا	وغاربه		٣٢٤
أضواء لهم	ثاقبة <sup>(١)</sup>	أبو الطحان البقيني	٤٤
عصبت إليها	أرشد طلابها	أبو ذؤيب	٢١٨
فصدقتها	كذابها	الأعشى	١٥٠٨
ألم تر أن الدمر	لغاربه دائبها		٥٨٤
أرى رجلاً	كفا مخضبا	الأعشى	٨٣٨
فما أذكر	منها قريبا	الأعشى	٥١٢
جريمة نامض	صليبها	أبو خراش الهذلي	٣٥٣
لا أبتغي	وأصيبها	أبو الأسود الدؤلي	٧٨١
يمج صبره	الماعون صبا		١٥٩٥
فانقض كالدرية	تخاله طنبا	أوس بن حجر	٧٥٧
خليلي مرابي	الفؤاد المعذب	أوس بن حجر	١٣٤٢
ألم تر أنني	وإن لم تطيب	أوس بن حجر	١٣٤٢
كليني لهم	بطيء الكواكب	الناطقة الذبياني	٧٨١
ولا عيب فيهم	قراع الكتائب	الناطقة الذبياني	٥٩٥
كان نقيق	أو نقيق العقارب	جرير	٤٧٥
أتاني كلام	أنك عائبني	أبو الغول الطهوي	٢٨٠
فقلنا السلام	ومؤها بالحواجب		٦٦١
يا صاح بلغ	عري السائب	مالك بن نويرة	٥٥
لعمري أبيها	ابن أبي كعب		٩٤٣
أنا مرصدين	وبالشراپ	الناطقة الذبياني	٨١٥

(١) وهو في «الكامل» للمبرد ٤٦، ٤٧، و«أمالي المرتضى» ١٨٦/١، و«اللسان» ٢/٩، ونسبه في «الحيوان» ٩٣/٣، و«الشعر والشعراء» للقطب بن زرار

الصفحة	الشاعر	القافية	صدر البيت
١٣٤٤	امرؤ القيس	بالإيـاب .....	لقد نـقبت
٣١٨	الناطقة الجعدي	المزاعم والمذاهب .....	كطود يـلاذ
٦٥٩ ، ١٦٥	عمرو بن معد يكرب	وذا نـشـب .....	أمرتـك الخـير
١١٦٤	سلامة بن جندل	إلى الأعداء تأويـب .....	يـوماـن يـوم
١٣٨٢	مالك بن نويرة	والياقوت والذهب .....	لن يـذهـب
١٤٨٤		مع السحاب .....	فلو رفـع السـماء
١٤٩١		عمدن لـغرـب .....	أحبس حـمارك
٣٦٦	دريد بن الصمة	مراضع القنـب .....	متبذلاً تـبدو
١٢٨٣	عدي بن زيد	العبد بالكـوب .....	امشكأ تـصفق
٧٥٧	بشر بن أبي حازم	انقضاض الكواكب .....	والغـير يـرهقها
١٢٠٢		طوال الذنـب .....	جناؤوا بـصيد

## حرف التاء

٧٤٠	قيس بن ذريح	ودعـــــــــــــوئ .....	إذا خـــــــــــــلرت
٧٤٠	قيس بن ذريح	وقضـــــــــــــيئ .....	دعوت التـي
٤٣٢	يزيد بن ضبة	يفجؤك البغئ .....	ولكنهم بانوا
١٥١٦		إن مشـــــــــــــيئ .....	ومـــــــــــــا أـدع
٣٠٧	السموئل	الحساب مقيئ .....	ألي الفضل
١٣٢٧	رؤبة	سراها ليئ .....	وليلة ذات
١٨٦		واستقيئ .....	ومنهل فيه
٣٠٧	أحيحة بن الجلاح	مساءته مقيئاً .....	وذي ضفـن
٦٨٩		إذا أتـــــــــــــيننا .....	أبلغ أـمير
٦٨٩		فهبت هيتا .....	إن الـمـراق
٦٨٩		بهالهيـتا .....	قد رابـني
١٣٥	كثير	الآلية برئـئ .....	قليل الألايا
٥٨٨	كثير	إن تقـــــــــــــلئ .....	أنشئي بنا
١٢٧٤	كثير	الوصل ملئ .....	صفوحاً فما
٣٦		فانفعـــــــــــــلئ .....	أمين ومن أعطاك
٧١٦		سممي وطاعتي .....	أترجو بنو مروان
٢٦٤		كبرت لـدائـي .....	من اللواتي
١٢٣٩		قد أـــــــــــــمئيت .....	حلفت بالسبع
١٢٣٩		تـــــــــــــلئث .....	ومـــــــــــــثان
١٢٣٩		تـــــــــــــلئث .....	وبالحواميم

## حرف الجيم

١٠٥٥	الناطقة الجعدي	تـــــــــــــــــلج .....	بأرعن مثل
١٠٢٣		وناراً تـاجـجا .....	متى تـأتنا
١٤٦٠ ، ٨٨٢		ونرجو بالفرج .....	نحن بنو جمعة
١٥٦٢		ملاء النـسـاج .....	يا حبذا القـمراء

## حرف الحاء

٤٧	ذو الرمة	مــــــــــــــــية يـبرج .....	إذا غير النـاي
----	----------	---------------------------------	----------------

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
بدت مثل قرن	..... في العين أملح	ذو الرمة	٨١ ، ٤٦
وما الدهر	..... السبيش أكدح	تميم بن مقبل	١٥٢٨ ، ٢٨٨
ليبك يزيد	..... طوحته الطوائخ	نهشل بن حري	٧٥٨
وكلتاها قد	..... السبيش أرواح		٨٥١
إنسي أرقنت	..... الصاب مفيوح	أبو ذؤيب	٨٥٠
إنسي لأرجو	..... وأستريح		٥٠٢
وانفخ جوانب	..... وذبانح		٧٠٨
أقارض أقواماً	..... علي كشوحها	النعم بن تولب	٢٢٢
على طرق كنحور	..... المصروحا	أبو ذؤيب	١٠٤٩
فقلت لصاحبي	..... واجتز شبحا	مضرس بن ربيع	١٣٤٢
يا ليت بملك	..... سيفاً وروحاً		١٣٨٨ ، ٣٦٢
فمن بنجوته	..... يمشي بقرواح	عبيد بن الأبرص	٣٢٥
ونحن على جوانبه	..... كالإبل القماح	بشر بن أبي خازم	١١٦٨
ألتئم غير	..... بطنون راح	جرير	١٠٠٣ ، ٥٣
سأشكر إن	..... في جناحي	جرير	١٠٦٣
وأعبد أن	..... وينسي رزاح		١٢٨٥
أغصه للمصر	..... والجناح		٩٠٣
ألا يا أيها	..... به برح		١٥٦٥
أرى الموت	..... لسه أروح		١٥٦٥

## حرف الدال

وأنت زعيم	..... القدح الفرد	حسان بن ثابت	١٤٦١
فبين ثواب الله	..... فيها يخلد	حسان بن ثابت	٨٧٤
ألا حبنا هند	..... والبعث	الحطيفة	٣٨٨
فكيف ولم	..... أديكم قتلوا	الحطيفة	٥٧٠
تعز أمير المؤمنين	..... ويولد		٥٣٠
عشية لا عفراء	..... منك بعيذ	عروة	٥٠١
أنا ابن الذي	..... فسوف تعمود		٩٣٣
تبرى الناس	..... حولها وقعود		٩٣٣
أما الفقير	..... له سبب	الراعي	٥٩٠
حتى إذا ما	..... ملوئ ومحصول		١١٧٨ ، ٦٢٣
تهد والذئ	..... وأذرك المجلود		٦٨٥
فما أجشمت	..... والأكباد سود	الأعشى	٢٢٢
كل حي	..... انقضى أمه	الطرماح	١٨٧
فأليت لا أرثي	..... تزور محمداً	الأعشى	٢٦٤
إذا ما انتبنا	..... بها بُدأ	زائدة بن صمعة	٣٥٣
فإن شئت	..... ولا بسرردا	العرجي	١٥٠٨ ، ٤٠٦
أرثني جواداً	..... أر بخيلاً مخلداً	حطائط بن يعفر	٦٦٠
إذا كنت عزماً	..... جليداً	الأحوص	٨١٦
فقلت له	..... أموننا وجدنا		٣٦
أمين وأغناه	..... تباريحه جهداً		٣٦



صفحة البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
تباعد مني	ما بيننا بعدا		٣٥
لا تترتجي حين	أم واحدا		٣٢١
تسمع في	جساء ويدا		٧٧٣
من البيض لا	الحلي جديها		٦٦٥
وإن شئت تعاودونا	عرا		١٤٧٦
أعاذل ما يدريك	أو في ضحى الغد	عدي بن زيد	٤٦١
وإني لعبد الضيف	شيمة العبد	المقع الكندي	٥٣٤
فإن الذي حانت	يا أم خالد	الأشهب بن رميلة	١٣٣١ ، ٤٥
بردي لو أني	طريف وتاليد	متمم بن نويرة	٢٤٣
فأصبحت مما كان	الماء باليد		٧٣٠
أعاذل إن اللوم	غيك المتردد	عدي بن زيد	٩٠١
ألا أيها الزاجري	أنت مخلدي	طرفة	١٠٩٢
تمنى رجال	فيها بأوحد	طرفة	١٥٦٠ ، ١٠٩٣
أرى الموت	الباخل المتشدد	طرفة	١٥٨٠
متى تأت	خير موقد	الحطبة	١٢٧٩
أسود ثرى	دماء الأسار	الأشهب بن رميلة	١٤٦٢
أنحوي هذا العصر	جرهم وثمود		٤٧
إذا نفيت	مقام جحود		٤٧
تكاد لا تلم	على ردد		١٥٣٦
يا صاحبي	من أمر بمرود	هانئ بن شكيم	٧١٩
ولقد غنوا	ثابت الأوتاد	الأسود بن يعفر	١٢٠٣
ولو أنها عرضت	صرورة متهدد	النابعة الذبياني	٨٢٧
لرنا لبهجتها	وإن لم يرشد	النابعة الذبياني	٨٢٧
أبرت عليه	جامد البرد	النابعة الذبياني	٦٦٦
ثكلتك أمك	عقوبة المتعمد		٩٠٩
نجوت مجالدا	قديم عهد		٣٢٥
ومن يتق	مؤتاب وغادي		٨٨
على ما قام	فسي رما	حان بن ثابت	١٠٤٧
فإن تدفنوا	الحرب لا تقعد	امرؤ القيس	٩٠٢
ومنا الذي	ولم يواد	الفرزدق	١٥٢٠
إلا ليتما	أو نصفه نقد	النابعة الذبياني	٥١
صادياً يستغيث	عصرة المنجود	أبو زيد الطائي	٧٠١
اعتبر أيها	بالعمر المديد		١٥٤٧
قنني من نصر	بالشجيع الملحد	حميد الأرقط	١١٩٦
ضمنت بخد	أصبلي		٥٥٢
فقمنا ولما يضح	عند حدادها	الأعشى	١٠٩
لقيد بكر الناعي	وبالسيد الصمد	سيرة بن عمرو	١٦٠٣
وشباب حسن	نزار بن ميمد	الجارث بن دوس	١٣٧٠
إن بنني الأرد	ليسوا من أسد <sup>(١)</sup>	منظور الزيري	١٩٨

(١) وهو في أمجاد القرآن ١٣٢/٢، وفهرس القرآن ٣٤٦.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
إلى أمير	الممتناذ	روية	٤١٩
لم يؤدعها	باقليذ		١٢٣٥
وطصاب	ويـرذ		٧٨٣
<b>حرف الراء</b>			
أما وي	وضاق بها الصدر	حاتم الطائي	١٣٩٣
بني عمنا	يوم قماطر		١٤٩٨
غنيينا زماناً	بكأسيهما الدهر	حاتم الطائي	٥٠٨
فما زادنا	بأحبابنا الفقر	حاتم الطائي	٥٠٨
ألا أيهذا الباخع	يلديه المقايير	ذو الرمة	٨٣٨
فلا يدعني	وتسلم عامر		٦٩٠
فما عصمة الأعراب	يـمـصـر		٧٠١
إذا قلت	يطلع الفجر	أبو صخر الهذلي	٧١٨
ولا عائداً	ولك الشكر	أبو صخر الهذلي	٩٤٠
وإن فـزاداً	الهوى لصبور		٧٤٨
ولو أن نفسي	يـمـد كـثـير		٧٨٦
ولكنها نفس	اللتام قنور		٧٨٦
وصاحب صدق	عامداً أـجـر <sup>(١)</sup>		٥٥
أخو رغائب	النوفل الزفر	أعشى باهلة	٢١٥
تكفيه حزة	شربه النمر	أعشى باهلة	١٣٩٠
إن امـرءاً	لمـفـرود		١٨٠
لا يغمز الساق	شروقه الصغر	أعشى باهلة	١٦٧
الله يـمـلـم	إلى جيراننا صور		١٦٦
لولا ابن جمعة	ينفخ الصور		٤٤٨
نخالي اللحم	نفج القدور		٦٤٨، ٥٦٨، ٨٩
فقلنا أسلموا	الإحني الصدور	العباس بن مرداس	٦٣٤، ٢٩٩
فيوم علينا	ويوم نـسـر	النمر بن تولب	٣٥٦
ما ضر جاراً	لبابه سـنـر	مسكين الدارمي <sup>(٢)</sup>	٤٥
أعمى إذا ما	جارتني الخدر	مسكين الدارمي	٤٥
وتصم عما	كأنه وقـر	مسكين الدارمي	٤٥
يا رسول المليك	إذ أنا بـور	عبد الله بن الزبيري	١٠١٣
وقد رابني	ويـسـورهما	توبة	١٤٨٩
وقاسمها بالله	إذا ما نشورها	خالد بن زهير	٦٢
وشر المنايا	الحـي حـاضـره	الحطيئة	٧٦
المرء يهوى	قد يـضـره	الثابتة الجعدي	٦٥٨، ٢٣٤
تفنى بشائته	الـمـبـيـش مره	الثابتة الجعدي	٦٥٨
وتصرف الأيام	ثيئاً يـسـره	الثابتة الجعدي	٦٥٨
يا ابنة عمي لاحني	الهـواجـر		١٤٨٩
فأنت أعاليه	البـسـر أـحـمـرا	امرؤ القيس	٤٥٧

(١) البيت غير منسوب في «مجالس ثعلب» ١/ ٨٥، و«اللسان» ١٥/ ٢٦٨.

(٢) الأبيات الثلاثة في «الشعر والشعراء» ١/ ٥٣٠، و«معجم الأدباء» ٤/ ٢٠٦، و«أمالى المرتضى» ٢/ ١٢٠ و١٢٣، و«آداب الآداب» ٢٦٥.

صدر البيت	القالبة	الشاعر	الصفحة
ألا هل أتاهما	تملك بيقرأ	امرؤ القيس	١٣٥٨
جزى ربه	جزاء موفرا		٦٩٠
ولمأ رأى	كان أغمرا	الفرزدق	٦٢٨
أيا حاضر	يصبح مسكرا	الفرزدق	٨١١
تمنى حصين	أذل وأفهرا	المجمل السعدي	١١٩٠
لعمري لئن	آل أبجرا	الأبيرد الرياحي	١١٨٦
رموها	النعام المنفرا	ليلي الأخيلية	١٤٨٧
أحقاً عباد الله	الأراك به خضرا		١٣٨٤
نأني النساء	أكبرن إكبارا		٦٩٥
الشمس طالعة	والقمرا	جرير	١٢٩٠
له قمبر	ووقسارا	أبو عريف الكلبي	٥٧٥
ألف الصفون	الثلاث كسيرا		١٢١١
أصبحت لا	إن ننفرا		١١٧٩
رعته أشهراً	واستفارا	الراعي	٤٧٨
ولا ينسيني	الفرح الإزارا	ابن أحمر	٦٤٤
مجدوا الله	أمس كبيراً	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
بالبناء الأعلى	السما سريرا	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
شرجعاً لا يناله	صورا	أمية بن أبي الصلت	٥٠٠
نشرب الإثم	بيننا مستعارا		٦٩٤ ، ٤٩٢
وبيت قولي	عبداً كفورا	الأسود بن عامر	٣٠٤
أكل امرئ	بالليل نارا	أبو دؤاد الأيادي	٢٧٩
وأعادت	وخيلاً ذكورا	الأعشى	١٣٠٩
كان القرنفل	وأرياً مثارا	الأعشى	١٤٩٩ ، ٢٣٥
نبات وقد	نأبها مستطيرا	الأعشى	١٤٩٧
لا أرى الموت	الغنى والفقيرا		١٢٣
قتلت له	كهرة وزيرا		٥٥٢
قتولى غلامهم	أم حمسارا		٢١٣
جعلت عيب الأكرمين سكارا			٧٨٤
إن كنت ربحاً فقد لاقيت إعصارا			١٦٤
ألم تر أن	وذا ظفراً		٤٧٥
نحل بلاداً	عاد وحمير	ليد	٤٠
إذا أوبر	أرض عامر	الراعي	٩٥١
تمنى كتاب	حنعام المقادير		٩٦٢
فإن حراماً	على عمرو		٩٤٢
ألا رب	منتصح الصنير		٨٩٧
بأرض فضاء	غير منكبر	عبد بن وهب العبي	٨٤٣
فإن نالينا	الأنام المسخر	ليد	٨١٥
ألا إن خير الناس	في العرف والنكر		١٤٢١
لكم قدم	طمت على البحر	ذو الرمة	٦١٦
كان فؤادي	نهضاً إلى وكر		٧٤٨
فما فتئت	بني صخر		٧١٤

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
بحيش	سجداً للحوائير	زيد الخيل	٧٨٠
هنالك لا	مبلاً بالجرائر	الشتري	٤٤٧
لقد كنت ذا	ولا ظفري		٤٧٥
سقى الله	المدجنات المواير		٣٥
أمين وأدى	حمام المقادر		٣٥
فلما التقت	واعتزينا لعامر	الراعي	٤٩
يرى طاعة الله	جاحم الجمر	عمران بن حطان	٨٥
ولا تبك ميتاً	وأكل أبي بكر		١٥٣
مستقبلين	القطن منشور	الفرزدق	٨٢٢
ما بين لقمة	قيد أظفري		٤٧٥
يأت حواطب	ولا دعري	تميم بن مقبل	١٠٦٣
نازعه طيب	وقمة الساري	الأخطل	١٣٥٦
لوما الحياء	عبثا عوري	تميم بن مقبل	٧٥٤
هن الحرائر	لا يقرآن بالسور		٩٥٤
إني ضمننت	غير غفور		٥٨٠
من كان مسروراً	بوجه نهاري	الربيع بن زياد	٢٠٢
قلت مُلماً	بتسليم الأمير		١٢٠٨
أحافرة	سفه وعار		١٥١١
هما استويا	بغير زور		٥٠٠
ألا أبلغ	ثقة إزاري	بقيلة الأشجعي	١٠٨
شهد الحطية	بالمنر	الحطية	٧٧
لمن الديار	ومن شير	زهير	٧٧٣ ، ٦٠٦
ولأنت تفري	ثم لا يفري	زهير	٩٧١
سالتني	جثمانني بنكر	زيد بن عمر بن قنيل	٢٠٧٣
ويحك أن	عيش ضر	زيد بن عمر بن قنيل	١٠٧٣
لهو أسندت	إلى قابر	الأعشى	١٥١٧
حيثي يقول	للميت النائر	الأعشى	١٥١٧ ، ٥٠٢
فكان طعم	وسلافة الخمر	المسيب بن علس	١٤٩٩
أبلغ النعمان	وانتظاري	علي بن زيد	٥٢
لو بغير الماء	بالماء اعتصاري	علي بن زيد	٧٠١
لا يبعدن	وأفة الجزر	الخرق بنت هفان	٣٤٤
المنازلين	مماقد الأزر	الخرق بنت هفان	٣٤٤
من كمي	في القلور		١٧٨
أزمان عيناء	العين الحير		١٢٩٢
عزفت الديار	الكاتب الحميري		١٥٢٥
نحن صبحنا	أو سرارها		١٥١٤
تمنى ابتغاي	ربيعاً أو مفر	ليد	٤٦
إلى الحول	فقد اعتذر	ليد	١٥٣٧ ، ٦٠٠
سلام الإله	وسمء ورز	النمر بن تولب	١٣٧٧
أتعني لسان	قول نكر		٤٠٥



صفحة البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وختني بهم	فلم أنتهز	امرؤ القيس	٧٤٨ ، ١٧٨
أخذته عزة	فعل الضجر		١٢١
أتوني فلم أرض	بشيء نكر	عبدة بن همام	٣٠٤
يعلفها اللحم	اللحم ضرر		٧٧٣
وليلة ظلامها	ما زهر		١٤٩٩
ولما العيش	معتصر		٧٠١
حرف الزاي			
إذا لقيتكم	الهامز اللمزة	زياد الأعاجم	١٥٨٧ ، ٥٨٩
كأن لم يكونوا	عز بـ	الخناء	٦١٨ ، ٣٣٥
قد جرفتهن	الأجرراز		٨٣٩
حتى وقمنا	بالرجز	رؤية	٦٣
حرف السين			
بشوب ووينار	هامنا رأس		٩٤٣
إلى علمي	أيمانهم الفوارس		٨٤٣
نبئت أن	يا كليب المجلس	عدي بن ربيعة	٨٢٥ ، ٧٦
غير من	النساء المجلس		٦٩
أضأت لنا	بالقواد التباسا	النايقة الجعدي	٤٤
إذا ما الضجيع	عليه لباسا	النايقة الجعدي	١٠٨
تضيء كضوء	فيه نحاسا	النايقة الجعدي	١٣٨٠
جنتاً علي	أثراً بشيما	ذو الأصبح العدواني	٥٢٥
يا صاح هل	وأبلسا	المعاج	٤٣٧
حتى إذا	وعسما	علقمة بن قريط	١٥٢١
لا تخبزوا	بـ		١٣٨٥
الواردون وتيم	جلد الجواميس	جرير	٧٨٠
ولسولا كثرة	لقتلت نفسي	الخناء	١٢٧٩
وما يكون مثل	عنه بالتاسي	الخناء	١٢٧٩
وليلة من	كلون السندي		٨٥٠
وحضرت يوم	صفرة وإيلاس	رؤية	٤٣٨
حرف الشين			
وقريش هي	قريشاً		١٥٩٢
حرف الصاد			
أمن ذكر سلمى	وتبوص	امرؤ القيس	١٢٠٢
أكبائره	حريص		٤٩٧
كلوا في	زمن خميص		١٣٧٥ ، ٧٨٠ ، ٥٠٥ ، ٤٠
حرف الضاد			
دأيت أروى	وأدت بمعضا		١٧٠
أبامندر	أهون من بعض	طرفة	٨٧٩
إن شكلي	وانعمي ببقيضي		٦٩١
ظنول الليالي	وطوين عرضي		٦٨٢

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وليس	بالمعصى	رؤية	٧٦٧
أمت همومي	وطوراً واسطاً	هيمان تحافة	١٥١٠
وقد حال هم	تبتغيه الأصابع	التابعة الذبياني	٦٩٣
خطاطيف حجن	إليك نوازع	التابعة الذبياني	٤٧
توهمت آيات	وذا العام سابع	التابعة الذبياني	٥٧
فبانوا فلولاً	لعينك مَدْعُ		٣٤٨
فيا رب ليلي	في رحمة الله أطمع		٥٢٦
منا الذي	الرياح الزعازع		٥٢١
أرى الخطفى	كليب مجاشع		٤٨٨
أليس ورائي	عليها الأصابع	ليد	٧٤٣
وما المرء إلا	إذ هو ساطع	ليد	١٥٢٩، ١٠٧٥، ١٢٣
فما فتئت	وتفطع		٧١٤
أراجع يا لبن	مالهن رجوع	قيس بن ذريح	٦٣٣
وفينا رسول الله	من الصبح طالع	عبد الله بن رواحة	٩٣٣
يبيت بجاني	بالكافرين المضاجع	عبد الله بن رواحة	٩٣٣
إذا أنست	أفرحتك الودائع	بيس العذري	٨٦٠
أخذنا بأفاق	والنجوم الطوالع		١٢٧٩
وإنني بحمد الله	غداة أتقنع	غيلان بن سلمة الثقفي	١٤٨٦
تعالوا فسالوا	الدمر تابع		١٤٧١
لما أتى	والجبال الخثع	جرير	٦٨٣
ولقد حرصت	لا تكدع	أبو ذؤيب	١٥٥
فثخالسا	التي لا ترقع	أبو ذؤيب	٣٨٠
وعليهما مسرودتان	السوابغ تُبْع	أبو ذؤيب	١٢٥٤
وخيل قد	ضرب وجيع		٣٣٥
كان بياض غرقه صديق			٧٦٨
يا ليت شعري	وأمرى مجمع		٩١٠، ٦٣١
تذكر أياماً	إليك رجوعها	الأحوص	٩٧٤
تعبدون عقر	الكمي المقنعا	جرير	٣٠١
فأقسم لو	لك مدفعا	امرؤ القيس	٦٤٦، ٣٠٣
فدى لبني	كواكب أشنعا	مسهر بن النعمان	٤٤٤
فأدركت من	القصائد مصنعا		٧٠٨
فان تزجراني	عرضاً ممنعا		١٣٤٢
عليك مثل	المرء مضطجعا	الأعشى	
فأنكرتني وما	الشيب والصلعا	الأعشى	١٥٠٤، ٦٦١
ما كنت	الخليل خدوعا		٢٠٣
وخير الأمر	تبعه اتباعا		١٤٧٦
إليك إليك ضاق بهم ذراعاً			٦٦٤
في قباب	قد ينمعا		٤٥٨

الصفحة	الشاعر	الفائفة	صدر البيت
٧٤٩		شيئاً أطمعاً .....	انقض نحوي
٣٩٢	الأضبط بن قريع	قد رفعه .....	لا تذلل الفقير
٢٥٩		ليس بجائع .....	ونقفي وليد
١٢٠	خبيب	مصرعي .....	ولست أبالي
١٢٠	خبيب	ثلوم مزع .....	وذلك في
٤٨٢	الشماع	عن ربوع .....	تصيبهم
٩٥٩	الشماع	من القنوع .....	لجمال المرء
١٤٤	الحطينة	أنف القصاع .....	ويحرم سر
٥١٥	عمرو بن معديكرب	وأضغ .....	يا ليتني فيها
٤١	سويد بن كاهل	الريق خدغ .....	أبيض اللون
٥٤	سويد بن كاهل	أصم المستغ .....	ساجد المنخر
٦٨٣	سويد بن كاهل	لحمي رنغ .....	وحبيب لي
٦٩٠		صاعاً بصاغ .....	لما جف

## حرف الغاء

٨٤٧	مزرد	قسي وزائف .....	وما زودوني
١٥٩٣		القلب الرواجف .....	ولما دنا
٩٠٩	الفرزدق	أو مجلف .....	وعض زمان
٣٧٠	الفرزدق	إيلياء مشرف .....	وبيتان بيت
٧١٨		قوم تقصف .....	وليس صرير
٧١٨		الثناء المخلف .....	وليس فتيق
٧٤٤		الشمس كامف .....	ويضحك عرفان
١٩٧		حين نزاحف .....	ونحن أناس
١٩٧		فيما تخالف .....	جماجمنا يوم
١٣٦١		الخروج المتقصف .....	ألم تـران
٩٣١		ولا طـرف .....	بني المهلب
١٣٤٠ ، ١١٥٢ ، ٥٨٠		والرأي مختلف .....	نحن بما عندنا
٩٩٠		تكاذ تنفر .....	تنام عن
٥٤٤		سيرهن تزحف .....	لمن الطعائن
٧٤١		علي الأكفا .....	ينردون في
٧٤٢		علي الوظيفا .....	قد أفنى
٦٧٥	العجاج	زلفاً فزلفا .....	نـاج طـواه
٨٢٦	العجاج	كي تزحلفا .....	والشمس قد
٢٤٤		إلى خلاف .....	إذا نهـي
٤٩٧		على الأعراف .....	كل كنـاز
١٣٣٨ ، ٣٨	الوليد بن عقبة	الإيجاف .....	قلنا لها

## حرف القاف

٧٣١ ، ١٩٣	حميد بن ثور	تـذوق .....	فلا الظل
٤٧	ذومة الرمة	كاذـ يبرق .....	ولو أن لقمان
١٠٧١		ما أطيق .....	فديت بنفسه
١٣٨٧	عدي بن زيد	يمينا يريق .....	ودعا بالصبح

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
لنسم أنس	دموعها شرقي		١٠٢٨
وقولها والركاب	وتبطلت		١٠٢٨
بيل نطفة	وأمله الشرقي		١١٧٣
تمنيهم حتى	السرادقا	الفرزدق	٨٤٩
إنا لنا	لو يجدن سائقاً		١٥٢٩
قتلت سليمي	خادماً لبنيقا		٨٨
قضت أموراً	لم تفقني		٨٠٨
سأمنعها	لم تشعقني		٤٧٤
وقلتم لنا	كسل موثق <sup>(١)</sup>		٤٨
فلما كفنا	في الملا مناتي		٤٨
إنني امرؤ	إلى طبعي	الأقرع بن حابس	١٥٣٠
فنفك فانع	ولا تبرقي	طرفة	١٤٩٣
ولا فاعلموا	في شقاي		٣٩٨
وإيالي بني	بدم مراقي	عوف بن الأحوص	٤٤٦
حتى استوى	ودم مهراق		٥٠٠
وميد	مخ زامتي		١٦٠١
قد كنت	أطعني وانطلي		٨٦٤
ضحكوا والدمر	لما نطلي		٨٦٥
من شاء	له بالمضيئ		١٠٢٥
نحن بنات	على الثماري		١٥٣٤
وقامت	على ساق		١٤٦٤
جاءت به	تلي		٩٩٠
حرف الكاف			
أقول له والرمح	أنا ذلكا	خفاف بن لدية	٢٨
يتا عاذلي	من مثلكا		٩١
والله أسماك	به إشاركا		٣١
يساروب لا	منهم حماكا	عبد المطلب	١٥٨٩
يفاء مكة الفاجر	مذحجاً وعكا		١٣٢٣
مضاييع ليست	السدوالك	ذو الرمة	٨٢٦
لامهم إن	فامنع حلالك	عبد المطلب	١٥٩٠
حرف اللام			
وصاد الفتى	واستراح العواذل	أبو خراش	١٤٠٥
ركاب حصيل	لها رحل		١٤٠٥
بخيل عليها	ينالوا فيستعلوا	زهير	١٣٨٤
إذا غفل الواشون	والوسائل		٣٧٩
لعمرك ما أدري	المنية أول	معن بن أوس	١٠٩٣، ٥٤٠
إذا أشرف	قوم معازل	عبد بن الطيب	٥٣٥
أيأ أثلاث القاع	أظلائكن طويل		٧٣١

(١) البيتان غير منسوبين في «الطبري» ٣٦٤/١، و«أمالى ابن الشجري» ٥١/١.



صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
فإن سأل الواشون	للوشاء جزيلٌ		٦٢٢
من لم يلبى	بعدها فمطيلٌ		٦٢٣
وأنت ذوي	أنبت للنبيل	زهير	٩٧٢
ومن جوف	النقوم يستغل	ذو الرمة	١٦٠٥
وجبريل يأتيه	الصندر مخزول	ورقة بن نوفل	٧٦
ثلاثة أحباب	هو القتل		٧٣
أثنت قليلاً	كذلك قليل		١٦٢
يذنون للنديا	لهائثل <sup>(١)</sup>	ابن همام السلولي	٢٠٣
أثنت خبرك	تلقائك الأمل	الراعي	١٠٣١
قد يدرك	المستعجل الزل	القطامي	١٢٤٤
ما روضة	مبيل فطل	الأعشى	١٠٩١
يوماً باطيب	إذ دنا الأضل	الأعشى	١٠٩١
في فتية	يحفى ويتحل	الأعشى	٤٩٧
كان مشيتها	لا ريث ولا عجل	الأعشى	١٣٥٥
إن الذي	أعز وأطول	الفرزدق	١٠٩٣، ٥١٨
أصحت أمحك	الصدود لأميل	الأحوص	١٠٩٣
دعوت الله	ما أقول	شعير بن الحارث الضبي	٥٠٩، ٨٨
وما يدري	متى يغفل	أخيرة بن الجلاح	١٥٦٢، ٥٧٦
تضحك الضب	لهائثل		٦٦٢
لم يثمر	ما حملوا		٧١٤
تالله أنسى	حنينها الإبل		٧١٤
فإن الذي	يستبيلها	الفرزدق	٥٥
لأنك معسول	صديقكم مأك		٢٠٥
نصالحكم	قبيلها	الأعشى	٨٣٢
همت ولم أفعل	تبكي حلائله	ضائب البرجمي	٩٠١
وأيهات أيهات	بالعقيق نواصله		٩٧٤
وأهل خباء	أنا أجلله	توبة بن مضر	٣٧٦
وجدنا الوليد	الخلافة كاهله	الرماح	٤٥٢
وانسي وإياكم	نصفه أنامله		٧٣٠
اليوم يبدو	فلا أجلله		٤٩١
مبيل	حواصله		٧٨٣
كذبتك عينك	الرباب خيالا		١٣٥٧، ٤٥٠
لييك على	الليل أرملا		٧١٦
خرجنا من	اللقاح المطافلا		٥٧
ضخم تعلق	فوقه حملا	الأخطل	٧٨٨
وجاعل الشمس	قد فصلا	عدي بن زيد	٦٥
تلتك المكارم	بعد أبوالا	أمية بن أبي الصلت	١٢٣
عبدوا الصليب	وكذبوا ميكاالا	جزير	٧٧

(١) البيت في «مجالس ثعلب» ٥١٥/١، وقد أسنده المحقق فروا: يذمون لي الدنيا.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
حتى إذا	معقولا		٦٨٥
أخضبت فعلك	لتخضب الأبطالا	الفرزدق	٨١١
إن الفرزدق	تنالها الأوعالا	الفرزدق	٦٩
في جنان	ولا تحيرلا	عبد الله بن ربيعة	٨٧٣
فتواعديه	أسهلا	عمر بن أبي ربيعة	٣٤٧
فلا تبعد	تلك السبيل <sup>(١)</sup>		٢١٣
تحنن علي	مقام مقالا	الحطينة	٨٧٩
بشرها	الطلع والجبالا		١٣٨٨
يوم عصب	السلم البطولا		٦٦٤
البواب المائنة	خلفها أطفالها	الأعشى	٧١٦
وإذا تجوزها	إليك حبالها	الأعشى	٢١٤
وقبائيه	من قالها	الخنساء	٢٠٠
تقد الذوابة	أوعالها	الخنساء	٢٠٠
نطقت	أمثالها	الخنساء	٢٠٠
فباقت	نائحة مألها	الخنساء	٧١٤
فلا مزنة	أبقل إيقالها	عامر بن جوين الطائي	٨٠٦، ٧٠٠
أغرك مني	القلب يفعل	أمرؤ القيس	٦٣٣
فقلت يمين	لديك وأوصالي	أمرؤ القيس	٧١٣، ٣٧٥
فلما تنازعنا	شماريخ مئالي	أمرؤ القيس	٦٢٢
مهفهفة	كالسجنجل	أمرؤ القيس	١٥٣٥
فإن تلك	ثيابك تنسل	أمرؤ القيس	١٤٨٧
فقلت له	وناء بكلكل	أمرؤ القيس	١٧٨
أبقتلني	كأنياب أغوال	أمرؤ القيس	١١٨٨
ألا زعمت	السر أمثالي	أمرؤ القيس	١٤٤
وما ذرفت	قلب مقتل	أمرؤ القيس	١٧٨
فصرنا إلى	أي إذلال	أمرؤ القيس	٦٢٢، ١٩٠
فقلت يمين	الغواية تنجلي	أمرؤ القيس	٦٧٠
خرجت بها	مرط مرخسل	أمرؤ القيس	٦٧٠
وليت بمفراج	صرفه المتحول	هدية بن خشرم الفارسي	١٠٧١
فظلوا ومنهم	العين بالمهل	ذو الرمة	١٠١٣
تمنى كتاب الله	على رسل		٩٦٢، ٧١
لقد كذب	أرسلتهم برسول	كثير عزة	١٠٢٧
وترمينني بالطرف	إياك لا أقلي		٨٥٢
كأن بلاد الله	كفة حابل		٢٢٤
جزيتك ضعف	من أحد قبلي	أبو ذؤيب	٧٤٢
إذا لسمته	نوب عوامل	أبو ذؤيب	٣٢١
لعمري لانت	بالأصائل	أبو ذؤيب	٥٣٨
فلن أنا يوماً	العشيرة والأهل	المعتل	٦٨٢
لما رأى	كالفقير الأعزل	ليد	٥٩٠

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
أزهر إن	لغفت بهيضل	أبو كبير الهذلي	٧٥٣
وإذا لقيت	لقاع ممجل	عبد قيس	١٩٢
فأعنتهم	بضنك فانزلي	عبد قيس	١٩٢
إن يلحقوا	بضنك فانزلي	عترة	٩٢١
وبما تجزع	كحل العقالي		٧٥٤
فزع نبع	شديد المحال	الأعشى	٧٣٠
إن يعاقب	فإنه لا يبالي	الأعشى	٧٣٠
أيما شاطن	السجن والأغلال	أمية بن أبي الصلت	٤٣
إنني زارد	سوابغ الأذيال	أمية بن أبي الصلت	٥٧
لا أرى ممن	بنني إسرائي	أمية بن أبي الصلت	٥٧
رأت مـ	من الهلال	جزير	١٠٢٦ ، ٦٨٣
كمنية جابر	بعض مالي	زيد الخيل	٦٦٠
شريت الإثم	تذهب بالعقول		٤٩٢
سقى قومي	من هلال	ليد	٧٥٩
يريد الرمح	بنني عقيل	ليد	٨٦٥
وما رمت	العبد الذليل		١٢٥
وأغضيت	قيل وقالي		١٢٥
ثم أضحوا	يودي بالرجال	علي بن زيد	١١٨٤
إنك والجور	بدم القتيل	عترة بن عكبة الطائي	٥٥٢
تبقت في	مالك ونهشل	أبو النجم	٦٤
فظلنا	من قلله	جميل بن معمر	٦٩٤
والله لولا	من هزله	أم الأحف	٩٠
وبنهمل	عن خليله	ابن رواحة	٩٤٨
قلق لا فنان	منها وحائل	الطرماح	٧٥٨
فتدليت	غيايات الطفل	ليد	٣٧
وغلّام أرسلته	فبذلنا ما سأل	ليد	٥٢
قال مجدنا	الدمر عَقَل	ليد	٨٢٧
بينما الظل	فاضمحَل	ليد	٧٣١
إن تقوى ربنا	ريشي وعجل	ليد	٥٣٩

## حرف الميم

فلا ينبسط	وأنفك راغمُ	الأعشى	٦٣٥
إذا اتصلت	والأنوف رواغمُ	الأعشى	٣٠٩
يعدون للهيجاء	والموت جاحمُ	الأعشى	٨٥
ألا من لنفس	لهأ طعمُ		٩١٣
فمسي علينا	ودر منظمُ		١٦٢
أناطم إنني	النساء يتيمُ		٧٢
إنني أمرؤ	شفتي السقمُ	العرجي	٧١٤
فبصرة الأزد	مصر والحرمُ		١٢٧٩
ولقد أبيت	ولا مخرومُ		٨٩٣
عبدادك	والحتمومُ		٧١٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولا يبقى	عليهن السلام		٧٧٢
ومنركضة	والسلام	أوسى بن خلفاء	١٩٣
ألا يا نخله	شاعكم السلام		٤٨٠
تبكي هاشماً	الفن الحمام		١٧٨
أطوف في	بي حكيم		٥٥٩
وأقاموا حتى	وكلهم مذؤوم	حسان بن ثابت	٤٨٧
فسأى امرئ	من يُثيِّم		٧٤٧
وكيف بظلم	اللين والرُّحْم		٨٦٦
عذت بما	وهو قاتم	عبد المطلب	٨٦
عقم النساء	بمثله عقم		٩٦٣
تراك أمكنة	النفوس جمائها	ليد	١٢٤٤
باسم اللي	سورة بيته		٣١
وعامنا أعجبنا	وقر ضاب سئه		٣١
وهبت له	المياه نسيها		٥٠٢
ومر بسفاه التراب عقيمها			٧٥٨
يرب الذي	زاد وتما		٣٣
عجبت لها	بمنطقها فما		١٧٩
لملني إن	أن يتندما		٢١٩
يرى الخمص	الهم مبهما	حاتم الطائي	٣٥٧
ولس غبير	المراتين ميسما	المتلمس	٨٣٣
فأطرق أطراق	الشجأ لخصما	المتلمس	٩٠٩
فهل لي أم	لها ابنما	المتلمس	٥٧٩
فيلما كشفن	غياً موثما	حميد بن ثور	٤٨٩
إن الوثاة	ولا ذمما		٥٧٠
طاف الخيال	بالسلام سلاما	هند بنت عتبة	٦٩
من حس لي	أو من رأما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
أبدين في	عرواهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
صقريين	جمامما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
رمحين	تراهما	هند بنت عتبة	١٢٠٨
ألا أبسلخ	يحبون الطعاما		٥٧
أنا سيف	تذريت السنما		٨٥٣
ثمد مماذراً	فقد ألاما	أم عمير	١١٩٧
رياشي منكم	زيارتكم الماما	جرير	٤٨٩
فإن المنية	تصادفه أينما	النمر بن قهلب	٣٠٣
ويوم الفساد	وكان غراما	بشر بن أبي خازم	١٠٢١
رنة محراب	أو أرتقي سلما	وهناح اليمن	١٢٠٧ ، ١٩١
كفناك كف	بالسيف الدما		٦٧٢
منشين كما	الرياح السنواسم	ذو الرمة	٤٢
هنم وسط	الليالي بمعظم		٩٢
دعوت خليلي	للهجين المذم	الأعشى	١٢١
وكانن أرينا	أو أصر لمائس		٢٢٨



صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
وكائن ترى	..... في التكلم		٢٢٨
أقول لهم	..... فإيس زهدم	سحيم بن وثيل اليربوعي	٧٣٥
وتشرق بالقرول	..... من الدم	الأعشى	٦٨٣
وما الحرب	..... بالحديث المرجم	زهير	٨٤٥
فلما وردن	..... الحاضر المتخيم	زهير	٨٩٤
بها العين	..... كل تجتم	زهير	١٠١٢
لقد لمتنا	..... المطي بنائم		٦٣١
أولئك قوم	..... تميم بدائم	الفرزدق	١٢٨٥
فيه الرماح	..... نسج سلام	الحطية	٧٨
أبلغ أبا	..... بين أقوام <sup>(١)</sup>		١٠٣
لا يدرك المجد	..... عزوا لأقوام		٢٢٥
وئثتموا	..... صفح أحلام		٢٢٥
هزمت عليك	..... بالذوال وأنعم		١٥٤
لولا الحياء	..... أم القساسم	عدي بن الرقاع	٣٠١ ، ٦٤
وكانها بين	..... جأفر جاسم	عدي بن الرقاع	١٥٦
وسنان أقصده	..... وليس بنائم	عدي بن الرقاع	١٥٦
ثبطت مزار	..... ابنة مخرم	عترة	٨٩٣ ، ٦٢١ ، ٥٦٧
فشكت بالرمح	..... القضا بمحرم	عترة	١٤٨٧
لو كان يدري	..... الكلام مكلمي	عترة	١٤٠٤
يائسة ما	..... لم تحرم	عترة	١٢٠٨
	..... بعد أم الهيثم	عترة	٦١
ذم المنازل	..... أولئك الأيام	جرير	٨١٣
ترى للمؤمنين	..... الرؤف الرحيم	جرير	٦١٣ ، ٩٣
لقد لمتنا	..... المطي بنائم	جرير	١١٥١
ثلاث واثنتان	..... إلى شمامي	الفرزدق	١١٥
ندمت على	..... جوف جكم	الحطية	٢٠٥
وأيقنت التفرق	..... أريد بالسهام	ليد	٢٤٢
لممرك إن	..... رال النعمام	حسان بن ثابت	٥٧٠
لا واءلت	..... ولم تكلم		٨٥٨
كان فريضة	..... فريضة الرجم		٨١١ ، ١٠٠
حارث قد	..... وتجلي غمي	رؤبة	٤٤
أوعدتني	..... والأدامم		٥٠٧
الريح تبكي	..... في غمايه		١٢٩٠
يقوم على	..... أو ينجم	الأعشى	٢٠٤
وكان دما	..... قد صرم	الأعشى	٦٣٥
عكم تغشى	..... قبل اليوم		٩٣٢
وكلام سي	..... من صمم	المثقب العبدي	٤٣٠
قد لفها	..... ولا غنم	الحطم	٣٥١

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» ٥، و«اللسان» ١٨/١٤، وهو في أمالي اليزيدي من أبيات لبعض المتقدمين، وفي «عيون الأخيار» لأبي القعقاع

الأسدي ٩١/١، وفي «المقد الفريد» لهشام الرقاشي، وفي «البيان والتبيين» لهشام الرقاشي ٣١٦/٢ و ٢٠٢/٣ و ٨٥/٤.

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولا بجزار	لم ينم	الحطم	٣٥١
بات يقاسيها	ممسوح القدم	الحطم	٣٥١
نحن آل الله	على إثرهم		٨٦
حرف النون			
وللموت تغذو	تبني المساكن		٦٣٥
إذا مزلت	الخليط المبائن		٦٩٥
نات بعماد	بها فيهون	كثير	٤٨٤
أتيتك عارياً	بها رهين	الناقة الذبياني	٤٣
صمم إذا	بي الظنون	الناقة الذبياني	٦٥٨
قد كنت	عندهم أذنوا	قنعب بن ضمرة	١٥٢٨
والروح جبريل	مخاصم ميزائه		٤٨٥
يـا رب	عند الله مأمونا	عمران بن حطان	٧٧
باتت تشكي	قال آمينا		٣٦
الحمد لله	بعد سيعينا	ليد	٣٤
إنني كأنني	ربي ومسانا	أمية بن أبي الصلت	٥٨٩
ورجلة يضربون	القوم عريانا		٤٩٠
أو كاهتزاز	الأبطال سجيناً	تميم بن مقبل	٦٦٧
وللمنايا نربي	متنه لينا	تميم بن مقبل	٢١٥
إن أجـزأت	الناس عمرانا		٦٣٥
والله لـن	المذكرا أحياناً		١٢٧٥
فاصدع بأمرك	التراب دفيناً	أبو طالب	٤٣١
وعرضت ديناً	منك عيونا	أبو طالب	٤٣١
لولا الملامة	البرية دينا	أبو طالب	٤٣١
فلو حبلا	بذاك مبينا	أبو طالب	٤٣١
تنحي فاجلسي	حبلا متينا		٢١٤
ألا لا يجهلن	منك العالمينا	الحطيئة	٣٣
كان ميوفنا	جهل الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	٤٣
ذراعي عيطل	بأيدي لاعبينا	عمر بن كلثوم	٤٦
بيوم كرهية	لم تقرأ جنينا	عمر بن كلثوم	٣٠٥
تذكر حب	مرواليك العيونا	عمر بن كلثوم	٨٨٣
إذا ما الغنائيات	قطع القرينا		١٢٠١
إن شـرخ	الحواجب والعيونا		٨٨٣
منطق صائب	كذباً ومينا	عدي بن زيد	٦١
ملا سألت	كان جنونا	حسان بن ثابت	٥٨٠
قال جواربي	ما كان لحنا	مالك بن أسماء	١٣١٣
عجبت من	أين أيننا	عبيد بن الأبرص	١٣٧٨ ، ١١٥
يقول أهل	اسماعينا		٨٧
	إذ يوصينا		٨٢
	إسرائيلينا		٥٧

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
سريت بهم	وقد شجرنا		١٣٧٥، ٩٤٩، ٢٩٩
بواد يمان	بأرسان		٦٦٦
قلبت لنا	والشبهان		٩٥٤
ألم تعلمي	على طهيان	الأحول الكندي	٨٤٢ و ٤١٧
رمانني بأمر	لا أخون أميني		١٥٦٧
لا والـذي	الطوي رماني		١٣٤٠، ١٠
ما سرني	الرزء والحزني		١٤٠١
ومخلدات	الوري يكن		١٤٠١
وما أدري	أقارو الكشبان		١٣٨٧
الخير الذي	أيهما يليني	المقرب العبدى	١١٦٨، ٦٤٩ و ٢١٨، ١٠٥
إذا ما قمت	هو يبتغيني	المقرب العبدى	٢١٨، ١٠٥
ذعرت به	الرجل الحزين	المقرب	٦٠٩
إذا بلفتني	كالرجل اللعين	الشمخ	٩٧
وكلل أخ	بدم الوتين	الشمخ	١٤٨٠
أبالموت	إلا الفرقدان		٣١١
كانك من	تخوفيني	أبو حية النميري	١٠٧٣
بورك الميت	رجليه بشن	الناطقة الذبياني	١٣٤٩، ٥٥٨
إن دهرأ	الرمان والزيتون		٤٥٧
ووجـهـ	يهم بالإحسان		٨٦٥
قد جعلت	حقان		٦٧٤
ياوي إلى	تبع القرين		٦٢٤
تيممت قياً	ومجد باني		٦٦٥
وإن تستضيفوا	في شـزـن	الأعشى	١٦٤
ومن ثانئ	قد عـذـن	الأعشى	٥٩٤
نحن نطحنهم	له أنكرن	الأعشى	١٨٤
	غبار النقمين	الأعشى	٤٤٨
حرف الهاء			
لآله در	من تآلهي	رؤية	٣٢
ومخفق من	في مهمـ	رؤية	٤٣
ويقلن شيب	فقلت إنـ	عبد الله بن قيس الرقيات	٩١٠
والموت أعظم	على الجبلـ		١٠٣٦
قد جاء سيل	الجنة المغلـ		١٤٦٣
أقتلهم ولا	العظيم الحاويـ		٤٧٥
وشريت بردا	كنت هامـ	يزيد بن مفرغ	٣٠٠
حرف الياء			
ألا أبـلـغ	فتاخرتكم غنيـ		٥٠٨
أطرباً وأنت	دواريـ	العجاج <sup>(١)</sup>	٥٢
أنرجو بنو	والفلاة ورائيا	سوار بن المضرب	٧٤٣

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
هنا تنفلافي	أشد لجاميا	الفزوقي	٦٩١
رأيت فضيلا	حنى بدا ليا	عبد الله بن معاوية	٢٢٧
نسى كملت	من المال باقيا	الناطقة الجمدي	٥٥٢
ألا قاتل	الستين الخواليا	عترة	٦٤٣
وقولك للشيء	لبت ذاليا	عترة	٦٤٣
فأنت يقطينا	ألقي ضاحيا		١١٩٧
غميرة ودع	للمرء ناميا	سحيم بن الححاس	١١٧٨
لننقد طال	من شفائيا		١٥٠٨
أمتوالنا لنوي	الدهر نبيها		٥٣٠
أوردتموهما	والموت لاقيا	حان بن ثابت	٦٤٧
أما ابن طوق	النجم جاديا	طفيل الغنوي	٥٨
إنني إذا ما	أعناقهم كالأرثية		٧١٢
حرف الألف المقصورة			
يظن سعيد	به أرغى		٦٤٩
هما سيدانا	يسرت غناما	أبو أسيلة الديبري	١٤٦٧
شفاهما من	الغنائة سقاما	ليلي الأخيلية	٨٦٣ ، ١٤١
كادت وكدت	ما مضى		٩٠٢
أبىض لا	ولا يخون إلى		٥٠٤
نأقوهم	الافنا		٣٨
بالخير خيرات	إلا أن تـ		٣٨
يا عصمتي	ويا يدي اليمنى		١٠٦٤
لاصنت وجهاً	في الشري يبلى		١٠٦٤
وإن اللـ	خفتها قلاها	يزيد بن الصمغ	٢١٦
عنى مطالهم	موابتناها		١٠٨٣
يشكرو إلي	فكلانا مبتلى		٨٦٥
ثم جزاك	السموات العلى		٤٢٢
علفتها تبنا	همالة عينها		١٣٨٨ ، ٣٦٢

